|  |
| --- |
| وَسَارَ إِلَى قَلْعَةِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَقَلْعَةِ ابلاطنوا ، فَحَصَرَهَا ، فَأَتَاهُ الْخَبَرُ بِأَنَّ كَثِيرًا مِنْ عَسَاكِرِ الرُّومِ قَدْ وَصَلَتْ ، فَرَحَلَ إِلَيْهِمْ ، فَالْتَقَوْا بجفلودي ، وَجَرَى بَيْنَهُمْ قِتَالٌ شَدِيدٌ ، فَانْهَزَمَتِ الرُّومُ ، وَعَادُوا إِلَى سَرْقُوسَةَ ، وَعَادَ الْعَبَّاسُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَعَمَّرَ قَصْرُيَانَه ، وَحَصَّنَهَا ، وَشَحَنَهَا بِالْعَسَاكِرِ. |
| وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ سَارَ الْعَبَّاسُ إِلَى سَرْقُوسَةَ ، فَغَنِمَ وَسَارَ إِلَى غَيْرَانَ قَرْقَنَةَ ، فَاعْتَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، وَمَاتَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، ثَالِثَ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، فَدُفِنَ هُنَاكَ ، فَنَبَشَهُ الرُّومُ ، وَأَحْرَقُوهُ ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً ، وَأَدَامَ الْجِهَادَ شِتَاءً وَصَيْفًا ، وَغَزَا أَرْضَ قِلْورَيَةَ ، وانكبرده وَأَسْكَنَهَا الْمُسْلِمِينَ. |
| ذِكْرُ ابْتِدَاءِ أَمْرِ يَعْقُوبَ بْنِ اللَّيْثِ وَفِيهَا تَغَلَّبَ إِنْسَانٌ مِنْ أَهْلِ بُسْتَ ، اسْمُهُ صَالِحُ بْنُ النَّضِرِ الْكِنَانِيُّ ، عَلَى سَجِسْتَانَ ، وَمَعَهُ يَعْقُوبُ بْنُ اللَّيْثِ ، فَعَادَ طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ أَمِيرُ خُرَاسَانَ وَاسْتَنْقَذَهَا مِنْ يَدِهِ. |
| ثُمَّ ظَهَرَ بِهَا إِنْسَانٌ اسْمُهُ دِرْهَمُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، مِنَ الْمُتَطَوِّعَةِ ، فَتَغَلَّبَ عَلَيْهَا ، وَكَانَ غَيْرَ ضَابِطٍ لِعَسْكَرِهِ ، وَكَانَ يَعْقُوبُ بْنُ اللَّيْثِ هُوَ قَائِدَ عَسْكَرِهِ ، فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابُ دِرْهَمَ ضَعْفَهُ ، وَعَجْزَهُ ، اجْتَمَعُوا عَلَى يَعْقُوبَ بْنِ اللَّيْثِ ، وَمَلَّكُوهُ أَمْرَهُمْ ، لِمَا رَأَوْا مِنْ تَدْبِيرِهِ ، وَحُسْنِ سِيَاسَتِهِ ، وَقِيَامِهِ بِأُمُورِهِمْ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ ذَلِكَ لِدِرْهَمٍ لَمْ يُنَازِعْهُ فِي الْأَمْرِ ، وَسَلَّمَهُ إِلَيْهِ ، وَاعْتَزَلَ عَنْهُ ، فَاسْتَبَدَّ يَعْقُوبُ بِالْأَمْرِ ، وَضَبَطَ الْبِلَادَ ، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُ وَقَصَدَتْهُ الْعَسَاكِرُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلِيَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بَغْدَادَ وَمَعَاوِنَ السَّوَادِ. |
| وَفِيهَا قَدِمَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ مِنْ خُرَاسَانَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، فَوَلِيَ الْجِزْيَةَ ، وَالشُّرْطَةَ ، وَخِلَافَةَ الْمُتَوَكِّلِ بِبَغْدَاذَ ، وَأَعْمَالَ السَّوَادِ وَأَقَامَ بِهَا. |
| وَفِيهَا عَزَلَ أَبُو الْوَلِيدِ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُؤَادَ عَنِ الْمَظَالِمِ ، وَوَلَّاهَا مُحَمَّدَ بْنَ يَعْقُوبَ الْمَعْرُوفَ بِابْنِ الرَّبِيعِ. |
| وَفِيهَا أَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ بِإِنْزَالِ جُثَّةِ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ الْخُزَاعِيِّ ، وَدَفَعَهُ إِلَى أَوْلِيَائِهِ ، فَحُمِلَ إِلَى بَغْدَادَ ، وَضُمَّ رَأَسُهُ إِلَى بَدَنِهِ ، وَغُسِّلَ ، وَكُفِّنَ ، وَدُفِنَ ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَامَّةِ مَا لَا يُحْصَى يَتَمَسَّحُونَ بِهِ. |
| وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ لَمَّا وُلِّيَ نَهَى عَنِ الْجِدَالِ فِي الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ ، وَكَتَبَ إِلَى الْآفَاقِ بِذَلِكَ. |
| وَغَزَا الصَّائِفَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْأَرْمَنِيُّ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِيهَا عَلِيُّ بْنُ عِيسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الْمَنْصُورِ وَكَانَ وَالِيَ مَكَّةَ. |
| وَفِيهَا قَامَ رَجُلٌ بِالْأَنْدَلُسِ بِنَاحِيَةِ الثُّغُورِ وَادَّعَى النُّبُوَّةَ ، وَتَأَوَّلَ الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ ، فَتَبِعَهُ قَوْمٌ مِنَ الْغَوْغَاءِ ، فَكَانَ مِنْ شَرَائِعِهِ أَنَّهُ كَانَ يَنْهَى عَنْ قَصِّ الشَّعْرِ وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَامِلُ ذَلِكَ الْبَلَدِ ، فَأُتِيَ بِهِ ، وَكَانَ أَوَّلُ مَا خَاطَبَهُ بِهِ أَنْ دَعَاهُ إِلَى اتِّبَاعِهِ ، فَأَمَرَهُ الْعَامِلُ بِالتَّوْبَةِ ، فَامْتَنَعَ ، فَصَلَبَهُ. |
| وَفِيهَا سَارَتْ جُيُوشُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى بِلَادِ الْمُشْرِكِينَ ، فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ كَانَ الظَّفَرُ فِيهَا لِلْمُسْلِمِينَ ، وَهِيَ الْوَقْعَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِوَقْعَةِ الْبَيْضَاءِ ، وَمَشْهُورَةٌ بِالْأَنْدَلُسِ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ الْمَدِينِيُّ بِالْبَصْرَةِ ، وَعَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ النَّرْسِيُّ ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ. |
| النَّرْسِيُّ بِالنُّونِ وَالرَّاءِ وَالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ مَا فَعَلَهُ بُغَا بِتَفْلِيسَ قَدْ ذَكَرْنَا مَسِيرَ بُغَا إِلَى تَفْلِيسَ ، وَمُحَاصَرَتَهَا ، وَكَانَ بُغَا لَمَّا سَارَ إِلَيْهَا وَجَّهَ زِيرِكَ التُّرْكِيَّ ، فَجَازَ نَهْرَ الْكَرِّ ، وَهُوَ نَهْرٌ كَبِيرٌ ، وَمَدِينَةُ تَفْلِيسَ عَلَى حَافَّتِهِ ، وَصغدبيلُ عَلَى جَانِبِهِ الشَّرْقِيِّ ، فَلَمَّا عَبَرَ النَّهْرَ نَزَلَ بِمَيْدَانِ تَفْلِيسَ ، وَوَجَّهَ بُغَا أَيْضًا أَبَا الْعَبَّاسِ الْوَارِثِيَّ النَّصْرَانِيَّ إِلَى أَهْلِ أَرْمِينِيَّةَ عَرَبِهَا وَعَجَمِهَا ، فَأَتَى تَفْلِيسَ مِمَّا يَلِي بَابَ الْمُرَصَّفِ ، فَخَرَجَ إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ مَوْلَى بَنِي أُمَيَّةَ مِنْ تَفْلِيسَ إِلَى زِيرِكَ ، فَقَابَلَهُ عِنْدَ الْمَيْدَانِ ، وَوَقَفَ بُغَا عَلَى تَلٍّ مُشْرِفٍ يَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ زِيرِكُ وَأَبُو الْعَبَّاسِ ، فَدَعَا بُغَا النَّفَّاطِينَ ، فَضَرَبُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ ، فَأَحْرَقُوهَا وَهِيَ مِنْ خَشَبِ الصَّنَوْبَرِ. |
| وَأَقْبَلَ إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَرَأَى النَّارَ قَدْ أَحْرَقَتْ قَصْرَهُ وَجَوَارِيَهُ وَأَحَاطَتْ بِهِ ، فَأَتَاهُ الْأَتْرَاكُ ، وَالْمَغَارِبَةُ ، فَأَخَذُوهُ أَسِيرًا ، وَأَخَذُوا ابْنَهُ عَمْرًا ، فَأَتَوْا بِهِمَا بُغَا ، فَأَمَرَ بِإِسْحَاقَ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ ، وَصُلِبَتْ جُثَّتُهُ عَلَى نَهْرِ الْكَرِّ ، وَكَانَ شَيْخًا مَحْدُورًا ، ضَخْمَ الرَّأْسِ ، أَحْوَلَ ، وَاحْتَرَقَ بِالْمَدِينَةِ نَحْوُ خَمْسِينَ أَلْفَ إِنْسَانٍ ، وَأَسَرُوا مَنْ سَلِمَ مِنَ النَّارِ ، وَسَلَبُوا الْمَوْتَى. |
| وَأَخَذَ أَهْلُ إِسْحَاقَ مَا سَلِمَ مِنْ مَالِهِ بصغدبيلَ وَهِيَ مَدِينَةٌ حَصِينَةٌ حِذَاءَ تَفْلِيسَ بَنَاهَا كِسْرَى أَنُوشُروَانَ ، وَحَصَّنَهَا إِسْحَاقُ ، وَجَعَلَ أَمْوَالَهُ فِيهَا مَعَ امْرَأَتِهِ ابْنَةِ صَاحِبِ السَّرِيرِ. |
| ثُمَّ إِنَّ بُغَا وَجَّهَ زِيرِكَ إِلَى قَلْعَةِ الحرزمان ، وَهِيَ بَيْنَ بَرْذَعَةَ وَتَفْلِيسَ ، فِي جَمَاعَةٍ مِنْ جُنْدِهِ ، فَفَتَحَهَا ، وَأَخَذَ بِطَرِيقِهَا أَسِيرًا ، ثُمَّ سَارَ بُغَا إِلَى عِيسَى بْنِ يُوسُفَ ، وَهُوَ فِي قَلْعَةِ كُبَيْشٍ ، فِي كُورَةِ الْبَلْقَانَ ، فَفَتَحَهَا وَأَخَذَهُ فَحَمَلَهُ ، وَحَمَلَ مَعَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ الْوَارِثِيَّ ، وَاسْمُهُ سِنْبَاطُ بْنُ أَشُوطَ ، وَحَمَلَ مُعَاوِيَةَ بْنَ سَهْلِ بْنِ سَنْبَاطَ بِطَرِيقِ أَرَانَ. |
| ذِكْرُ مَسِيرِ الرُّومِ إِلَى دِيَارِ مِصْرَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ جَاءَ ثَلَاثُمِائَةِ مَرْكَبٍ لِلرُّومِ مَعَ ثَلَاثَةِ رُؤَسَاءَ ، فَأَنَاخَ أَحَدُهُمْ فِي مِائَةِ مَرْكَبٍ بِدِمْيَاطَ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الشَّطِّ شَبِيهُ الْبُحَيْرَةِ ، يَكُونُ مَاؤُهَا إِلَى صَدْرِ الرَّجُلِ ، فَمَنْ جَازَهَا إِلَى الْأَرْضِ أَمِنَ مِنْ مَرَاكِبِ الْبَحْرِ ، فَجَازَهُ قَوْمٌ فَسَلِمُوا ، وَغَرِقَ كَثِيرٌ مِنْ نِسَاءٍ وَصِبْيَانٍ ، وَمَنْ كَانَ بِهِ قُوَّةٌ سَارَ إِلَى مِصْرَ. |
| وَكَانَ عَلَى مَعُونَةِ مِصْرَ عَنْبَسَةُ بْنُ إِسْحَاقَ الضَّبِّيُّ ، فَلَمَّا حَضَرَ الْعِيدُ أَمَرَ الْجُنْدَ الَّذِينَ بِدِمْيَاطَ أَنْ يَحْضُرُوا مِصْرَ ، فَسَارُوا مِنْهَا ، فَاتَّفَقَ وَصُولُ الرُّومِ وَهِيَ فَارِغَةٌ مِنَ الْجُنْدِ فَنَهَبُوا ، وَأَحْرَقُوا ، وَسَبَوْا ، وَأَحْرَقُوا جَامِعَهَا ، وَأَخَذُوا مَا بِهَا مِنْ سِلَاحٍ وَمَتَاعٍ ، وَقَنْدٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَسَبَوْا مِنَ النِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ وَالذِّمِّيَّاتِ نَحْوَ سِتَّمِائَةِ امْرَأَةٍ ، وَأَوْقَرُوا سُفُنَهُمْ مِنْ ذَلِكَ. |
| وَكَانَ عَنْبَسَةُ قَدْ حَبَسَ بُسْرَ بْنَ الْأَكْشَفِ بِدِمْيَاطَ ، فَكَسَرَ قَيْدَهُ ، وَخَرَجَ يُقَاتِلُهُمْ ، وَتَبِعَهُ جَمَاعَةٌ ، وَقَتَلَ مِنَ الرُّومِ جَمَاعَةً . |
| وَسَارَتِ الرُّومُ إِلَى أُشْتُومَ تِنِّيسِ ، وَكَانَ عَلَيْهِ سُورٌ وَبَابَانِ مِنْ حَدِيدٍ قَدْ عَمِلَهُ الْمُعْتَصِمُ ، فَنَهَبُوا مَا فِيهِ مِنْ سِلَاحٍ ، وَأَخَذُوا الْبَابَيْنِ ، وَرَجَعُوا وَلَمْ يَعْرِضْ لَهُمْ أَحَدٌ. |
| ذِكْرُ وَفَاةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ وَوِلَايَةِ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ هِشَامٍ الْأُمَوِيُّ ، صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ ، فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ ، وَوِلَايَتُهُ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ. |
| وَكَانَ أَسْمَرَ طَوِيلًا ، أَقْنَى ، أَعْيَنَ ، عَظِيمَ اللِّحْيَةِ ، مُخَضَّبًا بِالْحِنَّاءِ ، وَخَلَّفَ خَمْسَةً وَأَرْبَعِينَ وَلَدًا ذُكُورًا. |
| وَكَانَ أَدِيبًا ، شَاعِرًا ، وَهُوَ مَعْدُودٌ فِي جُمْلَةِ مَنْ عَشِقَ جَوَارِيَهُ ، وَكَانَ يَعْشَقُ جَارِيَةً لَهُ اسْمُهَا طَرُوبٌ ، وَشُهِرَ بِهَا ، وَكَانَ عَالِمًا بِعُلُومِ الشَّرِيعَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ عُلُومِ الْفَلَاسِفَةِ وَغَيْرِهِمْ ، وَكَانَتْ أَيَّامُهُ أَيَّامَ عَافِيَةٍ وَسُكُونٍ ، وَكَثُرَتِ الْأَمْوَالُ عِنْدَهُ ، وَكَانَ بَعِيدَ الْهِمَّةِ ، وَاخْتَرَعَ قُصُورًا ، وَمُتَنَزَّهَاتٍ كَثِيرَةً ، وَبَنَى الطُّرُقَ ، وَزَادَ فِي الْجَامِعِ بِقُرْطُبَةَ رِوَاقَيْنِ ، وَتُوُفِّيَ قَبْلَ أَنْ يَسْتَتِمَّ زَخْرَفَتَهُ ، وَأَتَمَّهُ ابْنُهُ ، وَبَنَى جَوَامِعَ كَثِيرَةً بِالْأَنْدَلُسِ. |
| وَلَمَّا مَاتَ مَلَكَ ابْنَهُ مُحَمَّدٌ ، فَجَرَى عَلَى سِيرَةِ وَالِدِهِ فِي الْعَدْلِ ، وَأَتَمَّ بِنَاءَ الْجَامِعِ بِقُرْطُبَةَ ، وَأَمُّهُ تُسَمَّى بُهْتُرَ ، وَوُلِدَ لَهُ مِائَةُ وَلَدٍ كُلُّهُمْ ذُكُورٌ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَقَامَ أُبَّهَةَ الْمُلْكِ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَرَتَّبَ رُسُومَ الْمَمْلَكَةِ ، وَعَلَا عَنِ التَّبَذُّلِ لِلْعَامَّةِ ، فَكَانَ يُشَبَّهُ بِالْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي أُبَّهَةِ الْمُلْكِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَلَبَ الْمَاءَ الْعَذْبَ إِلَى قُرْطُبَةَ ، وَأَدْخَلَهُ إِلَيْهِ ، وَجَعَلَ لِفَضْلِ الْمَاءِ مَصْنَعًا كَبِيرًا يَرِدُهُ النَّاسُ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ الْمُتَوَكِّلُ نَحْوَ الْمَدَائِنِ ، فَدَخَلَ بَغْدَادَ ، وَسَارَ مِنْهَا إِلَى الْمَدَائِنِ. |
| وَغَزَا الصَّائِفَةَ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْأَرْمَنِيُّ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ رَاهَوَيْهِ ، وَكَانَ إِمَامًا عَالِمًا ، وَجَرَى لَهُ مَعَ الشَّافِعِيِّ مُنَاظَرَةٌ فِي بُيُوتِ مَكَّةَ ، وَكَانَ عُمْرُهُ سَبْعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً. |
| وَمُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ الْمُحَدِّثُ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ بِأَخْذِ أَهِلِ الذَّمَّةِ بِلَبْسِ دُرَّاعَتَيْنِ عَسَلِيَّتَيْنِ عَلَى الْأَقْبِيَةِ وَالدَّرَارِيعِ ، وَبِالِاقْتِصَارِ فِي مَرَاكِبِهِمْ عَلَى رُكُوبِ الْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ دُونَ الْخَيْلِ وَالْبَرَاذِينِ. |
| وَفِيهَا نَفَى الْمُتَوَكِّلُ عَلِيَّ بْنَ الْجَهْمِ إِلَى خُرَاسَانَ. |
| وَفِيهَا أَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ بِهَدْمِ الْبِيَعِ الْمُحْدَثَةِ فِي الْإِسْلَامِ . |
| وَفِيهَا سَيَّرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ جَيْشًا مَعَ أَخِيهِ الْحَكَمِ إِلَى قَلْعَةِ رَبَاحٍ ، وَكَانَ أَهْلُ طُلَيْطِلَةَ قَدْ خَرَّبُوا سُورَهَا ، وَقَتَلُوا كَثِيرًا مِنْ أَهْلِهَا ، وَأَصْلَحَ الْحَكَمُ سُورَهَا ، وَأَعَادَ مَنْ فَارَقَهَا مِنْ أَهْلِهَا إِلَيْهَا ، وَأَصْلَحَ حَالَهَا ، وَتَقَدَّمَ إِلَى طُلَيْطِلَةَ ، فَأَفْسَدَ فِي نَوَاحِيهَا وَشَعَّثَهَا ، وَسَيَّرَ مُحَمَّدٌ أَيْضًا جَيْشًا آخَرَ إِلَى طُلَيْطِلَةَ ، فَلَمَّا قَارَبُوهَا خَرَجَتْ عَلَيْهِمُ الْجُنُودُ مِنَ الْمَكَامِنِ ، فَانْهَزَمَ الْعَسْكَرُ ، وَأُصِيبَ أَكْثَرُ مَنْ فِيهِ . |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ أَبُو الْوَلِيدِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُؤَادَ الْقَاضِي بِبَغْدَاذَ فِي ذِي الْحِجَّةِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَغَزَا الصَّائِفَةَ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْأَرْمَنِيُّ. |
| وَفِيهَا حَجَّ جَعْفَرُ بْنُ دِينَارٍ عَلَى الْأَحْدَاثِ بِطَرِيقِ مَكَّةَ وَالْمَوْسِمِ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ بْنِ عِيسَى بْنِ مُوسَى ، وَكَانَ وَالِيَ مَكَّةَ. |
| وَفِيهَا اتَّفَقَ الشَّعَانِينُ لِلنَّصَارَى وَيَوْمَ النَّيرُوزِ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْأَحَدِ لِعِشْرِينَ لَيْلَةً خِلَتْ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ، فَزَعَمَتِ النَّصَارَى أَنَّهُمَا لَمْ يَجْتَمِعَا فِي الْإِسْلَامِ قَطُّ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مَحْمُودُ بْنُ غِيلَانَ الْمَرْوَزِيُّ أَبُو أَحْمَدَ ، وَهُوَ مِنْ مَشَايِخِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَالتِّرْمِذِيِّ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ وُثُوبِ أَهْلِ حِمْصَ بِعَامِلِهِمْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَثَبَ أَهْلُ حِمْصَ بِعَامِلِهِمْ أَبِي الْمُغِيثِ مُوسَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ الرَّافِعِيِّ ، وَكَانَ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ رُؤَسَائِهِمْ ، فَقَتَلُوا جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَأَخْرَجُوهُ ، وَأَخْرَجُوا عَامِلَ الْخَرَاجِ ، فَبَعَثَ الْمُتَوَكِّلُ إِلَيْهِمْ عَتَّابَ بْنَ عَتَّابٍ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ عَبْدَوَيْهِ الْأَنْبَارِيَّ ، وَقَالَ لِعَتَّابٍ قُلْ لَهُمْ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ بَدَّلَكُمْ بِعَامِلِكُمْ ، فَإِنْ أَطَاعُوا فَوَلِّ عَلَيْهِمْ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدَوَيْهِ ، فَإِنْ أَبَوْ فَأَقِمْ وَأَعْلِمْنِي ، حَتَّى أَمُدَّكَ بِرِجَالٍ وَفُرْسَانٍ. |
| فَسَارُوا إِلَيْهِمْ ، فَوَصَلُوا فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ ، فَرَضُوا بِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدَوَيْهِ ، فَعَمِلَ فِيهِمُ الْأَعَاجِيبَ ، حَتَّى أَحْوَجَهُمْ إِلَى مُحَارَبَتِهِ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. |
| ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْفِرِنْجِ بِالْأَنْدَلُسِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي الْمُحَرَّمِ ، كَانَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْفِرِنْجَ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ بِالْأَنْدَلُسِ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ طُلَيْطِلَةَ كَانُوا عَلَى مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْخِلَافِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ ، وَعَلَى أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ، فَلَمَّا كَانَ الْآنَ سَارَ مُحَمَّدٌ فِي جُيُوشِهِ إِلَى طُلَيْطِلَةَ ، فَلَمَّا سَمِعَ أَهْلُهَا بِذَلِكَ أَرْسَلُوا إِلَى مَلِكِ جِلِّيقِيَّةَ يَسْتَمِدُّونَهُ وَإِلَى مَلِكِ بَشْكَنْسَ فَأَمَدَّاهُمْ بِالْعَسَاكِرِ الْكَثِيرَةِ. |
| فَلَمَّا سَمِعَ مُحَمَّدٌ بِذَلِكَ ، وَكَانَ قَدْ قَارَبَ طُلَيْطِلَةَ ، عَبَّأَ أَصْحَابَهُ ، وَقَدْ كَمَنَ لَهُمُ الْكُمَنَاءُ بِنَاحِيَةِ وَادِي سَلِيطٍ ، وَتَقَدَّمَ هُوَ إِلَيْهِمْ فِي قِلَّةٍ مِنَ الْعَسْكَرِ ، فَلَمَّا رَأَى أَهْلُ طُلَيْطِلَةَ ذَلِكَ أَعْلَمُوا الْفِرِنْجَ بِقِلَّةِ عَدَدِهِمْ ، فَسَارَعُوا إِلَى قِتَالِهِمْ ، وَطَمِعُوا فِيهِمْ ، فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ ، وَانْتَشَبَ الْقِتَالُ ، خَرَجَتِ الْكُمَنَاءُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ طُلَيْطِلَةَ ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ مَا لَا يُحْصَى ، وَجُمِعَ مِنَ الرُّؤُوسِ ثَمَانِيَةُ آلَافِ رَأْسٍ فُرِّقَتْ فِي الْبِلَادِ ، فَذَكَرَ أَهْلُ طُلَيْطِلَةَ أَنَّ عِدَّةَ الْقَتْلَى مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ عِشْرُونَ أَلْفَ قَتِيلٍ ، وَبَقِيَتْ جُثَثُ الْقَتْلَى عَلَى وَادِي سَلِيطٍ دَهْرًا طَوِيلًا. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُزِلَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ عَنِ الْقَضَاءِ ، وَقُبِضَ مِنْهُ مَا مَبْلَغُهُ خَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَأَرْبَعَةُ آلَافِ جَرِيبٍ بِالْبَصْرَةِ. |
| وَفِيهَا وَلِيَ جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ قَضَاءَ الْقُضَاةِ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ. |
| وَكَانَ عَلَى أَحْدَاثِ الْمَوَاسِمِ جَعْفَرُ بْنُ دِينَارٍ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُؤَادَ فِي الْمُحَرَّمِ بَعْدَ ابْنِهِ أَبِي الْوَلِيدِ بِعِشْرِينَ يَوْمًا ، وَكَانَ دَاعِيَةً إِلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ مِنْ مَذَاهِبِ الْمُعْتَزِلَةِ ، وَأَخَذَ ذَلِكَ عَنْ بِشْرٍ الْمَرِيسِيِّ ، وَأَخَذَهُ بِشْرٌ مِنَ الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ ، وَأَخَذَهُ جَهْمٌ مِنَ الْجَعْدِ بْنِ أَدْهَمَ ، وَأَخَذَهُ الْجَعْدُ مِنْ أَبَانِ بْنِ سَمْعَانَ ، وَأَخَذَهُ أَبَانٌ مِنْ طَالُوتَ ابْنِ أُخْتِ لَبِيدٍ الْأَعْصَمِ وَخَتَنَهُ ، وَأَخَذَهُ طَالُوتُ مِنْ لَبِيدِ بْنِ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيِّ الَّذِي سَحَرَ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ لَبِيدٌ يَقُولُ بِخَلْقِ التَّوْرَاةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ فِي ذَلِكَ طَالُوتُ ، وَكَانَ زِنْدِيقًا ، فَأَفْشَى الزَّنْدَقَةَ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ حُمَيْدٍ أَبُو رَجَاءٍ الثَّقَفِيُّ ، وَلَهُ تِسْعُونَ سَنَةً ، وَهُوَ خُرَاسَانِيٌّ مِنْ مَشَايِخِ الْبُخَارِيِّ ، وَمُسْلِمٍ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ. |
| وَتُوُفِّيَ أَبُو ثَوْرٍ إِبْرَاهِيمُ بْنُ خَالِدٍ الْبَغْدَاديُّ الْكَلْبِيُّ الْفَقِيهُ ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ ، وَأَبُو عُثْمَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الشَّافِعِيِّ ، وَكَانَ قَاضِيَ الْجَزِيرَةِ جَمِيعِهَا ، وَرَوَى عَنْ أَبِيهِ ، وَعَنِ ابْنِ عَنْبَسَةَ. |
| وَقِيلَ مَاتَ بَعْدَ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ . |
| وَكَانَ لِلشَّافِعِيِّ وَلَدٌ آخَرُ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ مَاتَ بِمِصْرَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ وُثُوبِ أَهْلِ حِمْصَ بِعَامِلِهِمْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَثَبَ أَهْلُ حِمْصَ بِعَامِلِهِمْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدَوَيْهِ ، وَأَعَانَهُمْ عَلَيْهِ قَوْمٌ مِنْ نَصَارَى حِمْصَ ، فَكَتَبَ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ بِذَلِكَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ بِمُنَاهَضَتِهِمْ ، وَأَمَدَّهُ بِجُنْدٍ مِنْ دِمَشْقَ وَالرَّمْلَةِ ، فَظَفَرَ بِهِمْ ، فَضَرَبَ مِنْهُمْ رَجُلَيْنِ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ حَتَّى مَاتَا وَصَلَبَهُمَا عَلَى بَابِ حِمْصَ ، وَسَيَّرَ ثَمَانِيَةَ رِجَالٍ مِنْ أَشْرَافِهِمْ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ ، وَظَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ بِعَشَرَةِ رِجَالٍ مِنْ أَعْيَانِهِمْ ، فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ ، وَأَمَرَهُ الْمُتَوَكِّلُ بِإِخْرَاجِ النَّصَارَى مِنْهَا ، وَهَدْمِ كَنَائِسِهِمْ ، وَبِإِدْخَالِ الْبَيْعَةِ الَّتِي إِلَى جَانِبِ الْجَامِعِ إِلَى الْجَامِعِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ. |
| ذِكْرُ الْفِدَاءِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالرُّومِ وَفِيهَا كَانَ الْفِدَاءُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالرُّومِ ، بَعْدَ أَنْ قَتَلَتْ تَدُورَةُ مَلِكَةُ الرُّومِ مِنْ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، فَإِنَّهَا عَرَضَتِ النَّصْرَانِيَّةَ عَلَى الْأَسْرَى ، فَمَنْ تَنَصَّرَ جَعَلَتْهُ أُسْوَةَ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْمُتَنَصِّرَةِ ، وَمَنْ أَبَى قَتَلَتْهُ ، وَأَرْسَلَتْ تَطْلُبُ الْمُفَادَاةَ لِمَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ ، فَأَرْسَلَ الْمُتَوَكِّلُ شُنَيْفًا الْخَادِمَ عَلَى الْفِدَاءِ ، وَطَلَبَ قَاضِي الْقُضَاةِ جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ أَنْ يَحْضُرَ الْفِدَاءَ ، وَيَسْتَخْلِفَ عَلَى الْقَضَاءِ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ ، فَأَذِنَ لَهُ فَحَضَرَهُ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْقَضَاءِ ابْنَ أَبِي الشَّوَارِبِ ، وَهُوَ شَابٌّ ، وَوَقَعَ الْفِدَاءُ عَلَى نَهْرِ اللَّامِسِ ، فَكَانَ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ الرِّجَالِ سَبْعَ مِائَةٍ وَخَمْسَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا ، وَمِنَ النِّسَاءِ مِائَةً وَخَمْسًا وَعِشْرِينَ امْرَأَةً. |
| وَفِيهَا جَعَلَ الْمُتَوَكِّلُ كُلَّ كُورَةٍ شِمْشَاطَ عُشْرِيَّةً ، وَكَانَتْ خَرَاجِيَّةً. |
| ذِكْرُ غَارَاتِ الْبُجَاةِ بِمِصْرَ وَفِيهَا أَغَارَتِ الْبُجَاةُ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ ، وَكَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ لَا تَغْزُو بِلَادَ الْإِسْلَامِ لِهُدْنَةٍ قَدِيمَةٍ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهَا فِيمَا مَضَى ، وَفِي بِلَادِهِمْ مَعَادِنُ يُقَاسِمُونَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهَا ، وَيُؤَدُّونَ إِلَى عُمَّالِ مِصْرَ نَحْوَ الْخُمْسِ. |
| فَلَمَّا كَانَتْ أَيَّامُ الْمُتَوَكِّلِ امْتَنَعَتْ عَنْ أَدَاءِ ذَلِكَ ، فَكَتَبَ صَاحِبُ الْبَرِيدِ بِمِصْرَ بِخَبَرِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ قَتَلُوا عِدَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ يَعْمَلُ فِي الْمَعَادِنِ ، فَهَرَبَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهَا خَوْفًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، فَأَنْكَرَ الْمُتَوَكِّلُ ذَلِكَ ، فَشَاوَرَ فِي أَمْرِهِمْ ، فَذُكِرَ لَهُ أَنَّهُمْ أَهْلُ بَادِيَةٍ ، أَصْحَابُ إِبِلٍ وَمَاشِيَةٍ ، وَأَنَّ الْوُصُولَ إِلَى بِلَادِهِمْ صَعْبٌ لِأَنَّهَا مَفَاوِزُ ، وَبَيْنَ أَرْضِ الْإِسْلَامِ وَبَيْنَهَا مَسِيرَةَ شَهْرٍ فِي أَرْضٍ قَفْرٍ وَجِبَالٍ وَعِرَةٍ ، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ يَدْخُلُهَا مِنَ الْجُيُوشِ يَحْتَاجُ أَنْ يَتَزَوَّدَ لِمُدَّةٍ يَتَوَهَّمُ أَنَّهُ يُقِيمُهَا إِلَى أَنْ يَخْرُجَ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ ، فَإِنْ جَاوَزَ تِلْكَ الْمُدَّةَ هَلَكَ ، وَأَخَذَتْهُمُ الْبُجَاةُ بِالْيَدِ ، وَأَنَّ أَرْضَهُمْ لَا تَرُدُّ عَلَى سُلْطَانٍ شَيْئًا. |
| فَأَمْسَكَ الْمُتَوَكِّلُ عَنْهُمْ ، فَطَمِعُوا وَزَادَ شَرُّهُمْ حَتَّى خَافَ أَهْلُ الصَّعِيدِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْهُمْ ، فَوَلَّى الْمُتَوَكِّلُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْقُمِّيَّ مُحَارَبَتَهُمْ ، وَوَلَّاهُ مَعُونَةَ تِلْكَ الْكُورِ ، وَهِيَ قُفْطُ ، وَالْأَقْصُرُ ، وَأَسْنَا وَأَرْمَنْتُ ، وَأَسْوَانُ ، وَأَمَرَهُ بِمُحَارَبَةِ الْبُجَاةِ ، وَكَتَبَ إِلَى عَنْبَسَةَ بْنِ إِسْحَاقَ الضَّبِّيِّ عَامِلِ حَرْبِ مِصْرَ بِإِزَاحَةِ عِلَّتِهِ ، وَإِعْطَائِهِ مِنَ الْجُنْدِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ. |
| وَسَارَ مُحَمَّدٌ إِلَى أَرْضِ الْبُجَاةِ وَتَبِعَهُ مِمَّنْ يَعْمَلُ فِي الْمَعَادِنِ وَالْمُتَطَوِّعَةُ عَالَمٌ كَثِيرٌ ، فَبَلَغَتْ عِدَّتُهُمْ نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا بَيْنَ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ ، وَوَجَّهَ إِلَى الْقُلْزُمِ ، فَحَمَّلَ فِي الْبَحْرِ سَبْعَةَ مَرَاكِبَ مَوْقُورَةً بِالدَّقِيقِ ، وَالزَّيْتِ ، وَالتَّمْرِ ، وَالشَّعِيرِ ، وَالسَّوِيقِ ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يُوَافُوهُ بِهَا فِي سَاحِلِ الْبَحْرِ مِمَّا يَلِي بِلَادَ الْبُجَاةِ ، وَسَارَ حَتَّى جَاوَزَ الْمَعَادِنَ الَّتِي يُعْمَلُ فِيهَا الذَّهَبُ ، وَسَارَ إِلَى حُصُونِهِمْ وَقِلَاعِهِمْ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ مَلِكُهُمْ ، وَاسْمُهُ عَلِيُّ بَابَا ، فِي جَيْشٍ كَثِيرٍ أَضْعَافِ مَنْ مَعَ الْقُمِّيِّ ، فَكَانَتِ الْبُجَاةُ عَلَى الْإِبِلِ ، وَهِيَ إِبِلٌ فُرَّةٌ تُشْبِهُ الْمَهَارِي ، فَتَحَارَبُوا أَيَّامًا وَلَمْ يَصْدُقْهُمْ عَلِيُّ بَابَا الْقِتَالَ لِتَطُولَ الْأَيَّامُ ، وَتَفْنَى أَزْوَادُ الْمُسْلِمِينَ وَعَلُوفَاتُهُمْ ، فَيَأْخُذَهُمْ بِغَيْرِ حَرْبٍ ، فَأَقْبَلَتْ تِلْكَ الْمَرَاكِبُ الَّتِي فِيهَا الْأَقْوَاتُ فِي الْبَحْرِ ، فَفَرَّقَ الْقُمِّيُّ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ أَصْحَابِهِ فَامْتَنَعُوا فِيهَا . |
| فَلَمَّا رَأَى عَلِيُّ بَابَا ذَلِكَ صَدَقَهُمُ الْقِتَالَ ، وَجَمَعَ لَهُمْ ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَكَانَتْ إِبِلُهُمْ ذَعِرَةً تَنْفِرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، فَلَمَّا رَأَى الْقُمِّيُّ ذَلِكَ جَمَعَ كَلَّ جَرَسٍ فِي عَسْكَرِهِ وَجَعَلَهَا فِي أَعْنَاقِ خَيْلِهِ ، ثُمَّ حَمَلُوا عَلَى الْبُجَاةِ ، فَنَفَرَتْ إِبِلُهُمْ لِأَصْوَاتِ الْأَجْرَاسِ ، فَحَمَلَتْهُمْ عَلَى الْجِبَالِ وَالْأَوْدِيَةِ ، وَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ قَتْلًا وَأَسْرًا ، حَتَّى أَدْرَكَهُمُ اللَّيْلُ ، وَذَلِكَ أَوَّلَ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُعَسْكَرِهِ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِحْصَاءِ الْقَتْلَى لِكَثْرَتِهِمْ. |
| ثُمَّ إِنَّ مَلِكَهُمْ عَلِيَّ بَابَا طَلَبَ الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُ عَلَى أَنْ يَرُدَّ مَمْلَكَتَهُ وَبِلَادَهُ ، فَأَدَّى إِلَيْهِمُ الْخَرَاجَ لِلْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ مَنَعَهَا ، وَهِيَ أَرْبَعُ سِنِينَ ، وَسَارَ مَعَ الْقُمِّيِّ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى مَمْلَكَتِهِ ابْنَهُ بَغْشَ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ خَلَعَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ ، وَكَسَا جَمَلَهُ رَحْلًا مَلِيحًا وَجِلَالَ دِيبَاجٍ. |
| وَوَلَّى الْمُتَوَكِّلُ الْبُجَاةَ طَرِيقَ مِصْرَ ، مَا بَيْنَ مِصْرَ وَمَكَّةَ ، سَعْدًا الْخَادِمَ الْإِيتَاخِيَّ ، فَوَلَّى الْإِيتَاخِيُّ مُحَمَّدًا الْقُمِّيَّ ، فَرَجَعَ إِلَيْهَا وَمَعَهُ عَلِي بَابَا وَهُوَ عَلَى دِينِهِ ، وَكَانَ مَعَهُ صَنَمٌ مِنْ حِجَارَةٍ كَهَيْئَةِ الصَّبِيِّ يَسْجُدُ لَهُ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا مُطِرَ النَّاسُ بِسَامَرَّا مَطَرًا شَدِيدًا فِي آبَ. |
| وَقِيلَ فِيهَا إِنَّهُ أُنْهِيَ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ أَنَّ عِيسَى بْنَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَاصِمٍ ، صَاحِبَ خَانِ عَاصِمٍ بِبَغْدَاذَ ، يَشْتُمُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ ، فَكَتَبَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ أَنْ يَضْرِبَهُ بِالسِّيَاطِ ، فَإِذَا مَاتَ رَمَى بِهِ فِي دِجْلَةَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ وَأُلْقِيَ فِي دِجْلَةَ . |
| وَفِيهَا وَقَعَ الصِّدَامُ فَنَفَقَتِ الدَّوَابُّ وَالْبَقَرُ. |
| وَفِيهَا أَغَارَتِ الرُّومُ عَلَى عَيْنِ زِرْبَةَ ، فَأَخَذَتْ مَنْ كَانَ بِهَا أَسِيرًا مِنَ الزُّطِّ مَعَ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيهِمْ وَدَوَابِّهِمْ. |
| وَفِيهَا أَكْثَرَ مُحَمَّدٌ ، صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ ، مِنَ الرِّجَالِ بِقَلْعَةِ رَبَاحٍ وَتِلْكَ النَّوَاحِي ، لِيَقِفُوا عَلَى أَهْلِ طُلَيْطِلَةَ ، وَسَيَّرَ الْجُيُوشَ إِلَى غَزْوِ الْفِرِنْجِ مَعَ مُوسَى ، فَدَخَلُوا بِلَادَهُمْ ، وَوَصَلُوا إِلَى أُلْبَةَ وَالْقِلَاعِ ، وَافْتَتَحُوا بَعْضَ حُصُونِهَا وَعَادُوا . |
| الْوَفَيَاتُ وَمَاتَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، الْمَعْرُوفُ بِقَوْصَرَةَ ، صَاحِبُ بَرِيدِ مِصْرَ وَالْغَرْبِ. |
| بَقِيَّةُ الْحَوَادِثِ وَحَجَّ بِالنَّاسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ. |
| وَحَجَّ جَعْفَرُ بْنُ دِينَارٍ ، وَهُوَ وَالِي الطَّرِيقِ وَأَحْدَاثِ الْمَوْسِمِ. |
| وَفِيهَا كَثُرَ انْقِضَاضُ النُّجُومِ ، فَكَانَتْ كَثِيرَةً لَا تُحْصَى ، فَبَقِيَتْ لَيْلَةً مِنَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ إِلَى الصُّبْحِ. |
| وَفِيهَا كَانَتْ بِالرَّيِّ زَلْزَلَةٌ شَدِيدَةٌ هَدَمَتِ الْمَسَاكِنَ ، وَمَاتَ تَحْتَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ لَا يُحْصَوْنَ ، وَبَقِيَتْ تَتَرَدَّدُ فِيهَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا. |
| وَفِيهَا خَرَجَتْ رِيحٌ مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ ، فَقَتَلَتْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَكَانَ يُصِيبُهُمْ بَرْدُهَا فَيُزْكَمُونَ ، فَبَلَغَتْ سَرْخَسَ ، وَنَيْسَابُورَ ، وَهَمَذَانَ ، وَالرَّيَّ ، فَانْتَهَتْ إِلَى حُلْوَانَ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيُّ الْفَقِيهُ الْمُحَدِّثُ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ زَلَازِلُ هَائِلَةٌ بِقُومَسَ وَرَسَاتِيقِهَا فِي شَعْبَانَ ، فَتَهَدَّمَتِ الدُّورُ ، وَهَلَكَ تَحْتَ الْهَدْمِ بَشَرٌ كَثِيرٌ ، قِيلَ كَانَتْ عِدَّتُهُمْ خَمْسَةً وَأَرْبَعِينَ أَلْفًا وَسِتَّةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا ، وَكَانَ أَكْثَرُ ذَلِكَ بِالدَّامَغَانِ. |
| وَكَانَ بِالشَّامِ وَفَارِسَ وَخُرَاسَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ زَلَازِلُ ، وَأَصْوَاتٌ مُنْكَرَةٌ ، وَكَانَ بِالْيَمَنِ مِثْلُ ذَلِكَ مَعَ خَسْفٍ. |
| وَفِيهَا خَرَجَتِ الرُّومُ مِنْ نَاحِيَةِ شِمْشَاطَ بَعْدَ خُرُوجِ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى الْأَرْمَنِيِّ مِنَ الصَّائِفَةِ ، حَتَّى قَارَبُوا آمُدَ ، وَخَرَجُوا مِنَ الثُّغُورِ وَالْجَزْرِيَّةِ فَانْتَهَبُوا ، وَأَسَرُوا نَحْوًا مِنْ عَشَرَةِ آلَافٍ ، وَكَانَ دُخُولُهُمْ مِنْ نَاحِيَةِ إِبْرِيقِ قَرْيَةِ قَرِيبَاسَ ثُمَّ رَجَعُوا ، فَخَرَجَ قَرِيبَاسُ وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَقْطَعُ ، وَقَوْمٌ مِنَ الْمُتَطَوِّعَةِ فِي آثَارِهِمْ ، فَلَمْ يَلْحَقُوهُمْ ، فَكَتَبَ الْمُتَوَكِّلُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى الْأَرْمَنِيِّ أَنْ يَسِيرَ إِلَى بِلَادِهِمْ شَاتِيًا. |
| وَفِيهَا قَتَلَ الْمُتَوَكِّلُ رَجُلًا عَطَّارًا ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ ، فَمَكَثَ مُسْلِمًا سِنِينَ كَثِيرَةً ، ثُمَّ ارْتَدَّ ، وَاسْتُتِبَ فَأَبَى الرُّجُوعَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَقُتِلَ وَأُحْرِقَ. |
| وَفِيهَا سَيَّرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِالْأَنْدَلُسِ جَيْشًا إِلَى بَلَدِ الْمُشْرِكِينَ ، فَدَخَلُوا إِلَى بَرْشِلُونَةَ ، وَحَارَبَ قِلَاعَهَا وَجَازَهَا إِلَى مَا وَرَاءَ أَعْمَالِهَا ، فَغَنِمُوا كَثِيرًا ، وَافْتَتَحُوا حِصْنًا مِنْ أَعْمَالِ بَرْشِلُونَةَ يُسَمَّى طِرَاجَةَ ، وَهُوَ مِنْ آخِرِ حُصُونِ بَرْشِلُونَةَ . |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَغْلَبِ أَمِيرُ إِفْرِيقِيَّةَ عَاشِرَ الْمُحَرَّمِ ، كَانَ عُمْرُهُ سِتًّا وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَغْلَبِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ . |
| وَفِيهَا مَاتَ أَبُو حَسَّانَ الزِّيَادِيُّ قَاضِي الشَّرْقِيَّةِ. |
| وَمَاتَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْجَعْدِ ، قَاضِي مَدِينَةِ الْمَنْصُورِ. |
| بَقِيَّةُ الْحَوَادِثِ وَحَجَّ بِالنَّاسِ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامُ ، وَهُوَ عَلَى مَكَّةَ ، وَحَجَّ جَعْفَرُ بْنُ دِينَارٍ عَلَى الطَّرِيقِ وَأَحْدَاثِ الْمَوْسِمِ. |
| بَقِيَّةُ الْوَفَيَاتِ وَتُوفِيَ الْقَاضِي يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ التَّمِيمِيُّ بِالرَّبْذَةِ عَائِدًا مِنَ الْحَجِّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ الرَّازِيُّ ، وَأَبُو حُصَيْنِ بْنُ يَحْيَى بْنِ سُلَيْمَانَ الرَّازِيُّ الْمُحَدِّثُ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ الْمُتَوَكِّلُ إِلَى دِمَشْقَ فِي ذِي الْقِعْدَةِ عَلَى طَرِيقِ الْمَوْصِلِ ، فَضَحَّى بِبَلَدٍ ، فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ أَظُنُّ الشَّامَ تَشْمَتُ بِالْعِرَاقِ... |
| إِذَا عَزَمَ الْإِمَامُ عَلَى انْطِلَاقِ فَإِنْ يَدَعِ الْعِرَاقَ وَسَاكِنِيهِ... |
| فَقَدْ تَبْلَى الْمَلِيحَةُ بِالطَّلَاقِ وَفِيهَا مَاتَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ صُولٍ الصُّولِيُّ ، وَكَانَ أَدِيبًا شَاعِرًا ، فَوَلِيَ دِيوَانَ الضِّيَاعِ الْحَسَنُ بْنُ مُخَلَّدِ بْنِ الْجَرَّاحِ ، خَلِيفَةُ إِبْرَاهِيمَ. |
| وَمَاتَ عَاصِمُ بْنُ مَنْجُورٍ. |
| بَقِيَّةُ الْحَوَادِثِ وَحَجَّ بِالنَّاسِ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ مُوسَى. |
| وَحَجَّ جَعْفَرُ بْنُ دِينَارٍ وَهُوَ وَالِي الطَّرِيقِ وَأَحْدَاثِ الْمَوْسِمِ. |
| وَفِيهَا خَرَجَ أَهْلُ طُلَيْطِلَةَ بِجَمْعِهِمْ إِلَى طَلَبِيرَةَ وَعَلَيْهَا مَسْعُودُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَرِيفُ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَيَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْجُنُودِ ، فَلَقِيَهُمْ ، فَقَاتَلَهُمْ ، فَانْهَزَمَ أَهْلُ طُلَيْطِلَةَ ، وَقُتِلَ أَكْثَرُهُمْ ، وَحُمِلَ إِلَى قُرْطُبَةَ سَبْعَ مِائَةِ رَأْسٍ. |
| بَقِيَّةُ الْوَفَيَاتِ وَفِيهَا تُوُفِّيَ سُهَيْدُ بْنُ عِيسَى بْنِ سُهَيْدٍ الْأَنْدَلُسِيُّ ، وَكَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يُوسُفَ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ السِّكِّيتِ ، النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ ، وَقِيلَ سَنَةَ أَرْبَعٍ ، وَقِيلَ خَمْسٍ ، وَقِيلَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ. |
| وَالْحَارِثُ بْنُ أَسَدٍ الْمُحَاسَبِيُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الزَّاهِدُ ، وَكَانَ قَدْ هَجَرَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ لِأَجْلِ الْكَلَامِ ، فَاخْتَفَى لِتَعَصُّبِ الْعَامَّةِ لِأَحْمَدَ ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ إِلَّا أَرْبَعَةُ نَفَرٍ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ دَخَلَ الْمُتَوَكِّلُ مَدِينَةَ دِمَشْقَ فِي صَفَرَ ، وَعَزَمَ عَلَى الْمَقَامِ بِهَا ، وَنَقَلَ دَوَاوِينَ الْمُلْكِ إِلَيْهَا ، وَأَمَرَ بِالْبِنَاءِ بِهَا ، ثُمَّ اسْتَوْبَأَ الْبَلَدَ ، وَذَلِكَ بِأَنَّ هَوَاءَهُ بَارِدٌ نَدِيٌّ ، وَالْمَاءُ ثَقِيلٌ ، وَالرِّيحُ تَهُبُّ فِيهَا مَعَ الْعَصْرِ فَلَا تَزَالُ تَشْتَدُّ حَتَّى يَمْضِيَ عَامَّةُ اللَّيْلِ ، وَهِيَ كَثِيرَةُ الْبَرَاغِيثِ ، وَغَلَتِ الْأَسْعَارُ ، وَحَالَ الثَّلْجُ بَيْنَ السَّابِلَةِ وَالْمِيرَةِ ، فَرَجَعَ إِلَى سَامَرَّا. |
| وَكَانَ مُقَامُهُ بِدِمَشْقَ شَهْرَيْنِ وَأَيَّامًا ، فَلَمَّا كَانَ بِهَا وَجَّهَ بُغَا الْكَبِيرَ لِغَزْوِ الرُّومِ ، فَغَزَا الصَّائِفَةَ فَافْتَتَحَ صِمْلَةَ. |
| وَفِيهَا عَقَدَ الْمُتَوَكِّلُ لِأَبِي السَّاجِ عَلَى طَرِيقِ مَكَّةَ مَكَانَ جَعْفَرِ بْنِ دِينَارٍ. |
| وَقِيلَ عَقَدَ لَهُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ ، وَهُوَ الصَّوَابُ. |
| وَفِيهَا أُتِيَ الْمُتَوَكِّلُ بِحَرْبَةٍ كَانَتْ لِلنَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تُسَمَّى الْعَنَزَةَ ، فَكَانَتْ لِلنَّجَاشِيِّ ، فَأَهْدَاهَا لِلزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ، وَأَهْدَاهَا الزُّبَيْرُ لِلنَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُرَكَّزُ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي الْعِيدَيْنِ ، فَكَانَ يَحْمِلُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ صَاحِبُ الشُّرْطَةِ. |
| وَفِيهَا غَضِبَ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى بَخْتِيشُوعَ الطَّبِيبِ ، وَقَبَضَ مَالَهُ ، وَنَفَاهُ إِلَى الْبَحْرِينِ. |
| وَفِيهَا اتَّفَقَ عِيدُ الْأَضْحَى وَالشَّعَانِينُ لِلنَّصَارَى ، وَعِيدُ الْفِطْرِ لِلْيَهُودِ ، فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِيهَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ مُوسَى. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ الْمَرْوَزِيُّ ، وَهُمَا إِمَامَانِ فِي الْحَدِيثِ. |
| وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي الشَّوَارِبِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدِ بْنِ أَبِي الْعِيصِ بْنِ أُمَيَّةَ الْقَاضِي فِي جُمَادَى الْأُولَى. |
| أَسِيدُ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ بِبِنَاءِ الْمَاخُوزَةِ ، وَسَمَّاهَا الْجَعْفَرِيَّةَ ، وَأَقْطَعَ الْقُوَّادَ وَأَصْحَابَهُ فِيهَا ، وَجَدَّ فِي بِنَائِهَا ، وَأَنْفَقَ عَلَيْهَا فِيمَا قِيلَ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفَيْ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَجَمَعَ فِيهَا الْقُرَّاءَ ، فَقَرَؤُوا ، وَحَضَرَهَا أَصْحَابُ الْمَلَاهِي ، فَوَهَبَ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفَيْ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَكَانَ يُسَمِّيهَا هُوَ وَأَصْحَابُهُ الْمُتَوَكِّلِيَّةَ ، وَبَنَى فِيهَا قَصْرًا سَمَّاهُ لُؤْلُؤَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُ فِي عُلُوِّهِ ، وَحَفَرَ لَهَا نَهْرًا يَسْقِي مَا حَوْلَهَا ، فَقُتِلَ الْمُتَوَكِّلُ ، فَبَطَلَ حَفَرُ النَّهْرِ ، وَأُخْرِبَتِ الْجَعْفَرِيَّةُ. |
| وَفِيهَا زُلْزِلَتْ بِلَادُ الْمَغْرِبِ ، فَخَرِبَتِ الْحُصُونُ ، وَالْمَنَازِلُ ، وَالْقَنَاطِرُ ، فَفَرَّقَ الْمُتَوَكِّلُ ثَلَاثَةَ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ فِيمَنْ أُصِيبَ بِمَنْزِلِهِ. |
| وَزُلْزِلَ عَسْكَرُ الْمَهْدِيِّ ، وَالْمَدَائِنُ ، وَزُلْزِلَتْ أَنْطَاكِيَةُ ، فَقُتِلَ بِهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَسَقَطَ مِنْهَا أَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةِ دَارٍ ، وَسَقَطَ مِنْ سُورِهَا نَيِّفٌ وَتِسْعُونَ بُرْجًا ، وَسَمِعُوا أَصْوَاتًا هَائِلَةً لَا يُحْسِنُونَ وَصْفَهَا ، وَتَقَطَّعَ جَبَلُهَا الْأَقْرَعُ وَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ. |
| وَهَاجَ الْبَحْرُ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، وَارْتَفَعَ مِنْهُ دُخَّانٌ أَسْوَدُ مُظْلِمٌ مُنْتِنٌ ، وَغَارَ مِنْهَا نَهْرٌ عَلَى فَرْسَخٍ لَا يُدْرَى أَيْنَ ذَهَبَ ، وَسَمِعَ أَهْلُ سِيسَ ، فِيمَا قِيلَ صَيْحَةً دَائِمَةً هَائِلَةً ، فَمَاتَ مِنْهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَتَزَلْزَلَتْ دِيَارُ الْجَزِيرَةِ ، وَالثُّغُورِ ، وَطَرَسُوسَ ، وَأَدَنَةَ ، وَزُلْزِلَتِ الشَّامُ ، فَلَمْ يَسْلَمْ مِنَ اللَّاذِقِيَّةِ إِلَّا الْيَسِيرُ ، وَهَلَكَ أَهْلُ جَبَلَةَ. |
| وَفِيهَا غَارَتْ مُشَاشُ عَيْنِ مَكَّةَ ، فَبَلَغَ ثَمَنُ الْقِرْبَةِ دِرْهَمًا ، فَبَعَثَ الْمُتَوَكِّلُ مَالًا ، وَأَنْفَقَ عَلَيْهَا. |
| وَفِيهَا مَاتَ إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي إِسْرَائِيلَ ، وَهِلَالُ الرَّأْيِ. |
| وَفِيهَا هَلَكَ نَجَاحُ بْنُ سَلَمَةَ ، وَكَانَ سَبَبُ هَلَاكِهِ أَنَّهُ كَانَ عَلَى دِيوَانِ التَّوْقِيعِ ، وَتَتَبُّعِ الْعُمَّالِ ، وَكَانَ عَلَى الضِّيَاعِ ، فَكَانَ جَمِيعُ الْعُمَّالِ يَتَوَقَّوْنَهُ ، وَيَقْضُونَ حَوَائِجَهُ ، وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ رُبَّمَا نَادَمَهُ ، وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ مُخَلَّدٍ ، وَمُوسَى بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَدِ انْقَطَعَا إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَاقَانَ ، وَزِيرِ الْمُتَوَكِّلِ ، وَكَانَ الْحَسَنُ عَلَى دِيوَانِ الضَّيَاعِ ، وَمُوسَى عَلَى دِيوَانِ الْخَرَاجِ ، فَكَتَبَ نَجَاحُ بْنُ سَلَمَةَ فِيهِمَا رُقْعَةً إِلَى الْمُتَوَكِّلِ أَنَّهُمَا خَانَا وَقَصَّرَا ، وَأَنَّهُ يَسْتَخْرِجُ مِنْهُمَا أَرْبَعِينَ أَلْفَ أَلْفٍ ، فَقَالَ لَهُ الْمُتَوَكِّلُ بَكِّرْ غَدًا حَتَّى أَدْفَعَهُمَا إِلَيْكَ. |
| فَغَدَا وَقَدْ رَتَّبَ أَصْحَابُهُ لِأَخْذِهِمَا ، فَلَقِيَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى الْوَزِيرُ ، فَقَالَ لَهُ أَنَا أُشِيرُ عَلَيْكَ بِمُصَالَحَتِهِمَا ، وَتَكْتُبُ رُقْعَةً أَنَّكَ كُنْتَ شَارِبًا ، وَتَكَلَّمْتَ نَاسِيًا ، وَأَنَا أُصْلِحُ بَيْنِكُمَا ، وَأُصْلِحُ الْحَالَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. |
| وَلَمْ يَزَلْ يَخْدَعُهُ حَتَّى كَتَبَ خُطَّةً بِذَلِكَ. |
| فَلَمَّا كَتَبَ خَطَّهُ صَرَفَهُ ، وَأَحْضَرَ الْحَسَنَ وَمُوسَى ، وَعَرَّفَهُمَا الْحَالَ ، وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَكْتُبَا فِي نَجَاحٍ وَأَصْحَابِهِ بِأَلْفَيْ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَفَعَلَا ، وَأَخَذَ الرُّقْعَتَيْنِ وَأَدْخَلَهُمَا عَلَى الْمُتَوَكِّلِ ، وَقَالَ قَدْ رَجَعَ نَجَاحٌ عَمَّا قَالَ ، وَهَذِهِ رُقْعَةُ مُوسَى وَالْحَسَنِ يَتَقَبَّلَانِ بِمَا كَتَبَا ، فَتَأْخُذُ مَا ضَمَّنَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ تَعْطِفُ عَلَيْهِمَا ، فَتَأْخُذُ مِنْهُمَا قَرِيبًا مِنْهُ. |
| فَسُرَّ الْمُتَوَكِّلُ بِذَلِكَ ، وَأَمَرَ بِدَفْعِهِ إِلَيْهِمَا ، فَأَخَذَاهُ وَأَوْلَادَهُ ، فَأَقَرُّوا بِنَحْوِ مِائَةٍ وَأَرْبَعِينَ أَلْفِ دِينَارٍ سِوَى الْغَلَّاتِ ، وَالْغَرْسِ ، وَالضِّيَاعِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَقَبَضَ ذَلِكَ أَجْمَعَ ، وَضُرِبَ ، ثُمَّ عُصِرَتْ خِصْيَتَاهُ حَتَّى مَاتَ ، وَأَقَرَّ أَوْلَادُهُ بَعْدَ الضَّرْبِ بِسَبْعِينَ أَلْفِ دِينَارٍ ، سِوَى مَا لَهُمَا مِنْ مِلْكٍ وَغَيْرِهِ ، فَأَخَذَ الْجَمِيعَ وَأَخَذَ مِنْ وُكَلَائِهِ فِي جَمِيعِ الْبِلَادِ مَالًا جَزِيلًا. |
| وَفِيهَا أَغَارَتِ الرُّومُ عَلَى سُمَيْسَاطَ ، فَقَتَلُوا ، وَسَبَوْا ، وَأَسَرُوا خَلْقًا كَثِيرًا ، وَغَزَا عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْأَرْمَنِيُّ الصَّائِفَةَ. |
| وَمَنَعَ أَهْلُ لُؤْلُؤَةَ رَئِيسَهُمْ مِنَ الصُّعُودِ إِلَيْهَا ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلِكُ الرُّومِ بِطْرِيقًا ، يَضْمَنُ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَلْفَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ يُسَلِّمُوا إِلَيْهِ لُؤْلُؤَةً ، فَأَصْعَدُوا الْبِطْرِيقِ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ أُعْطُوا أَرْزَاقَهُمُ الْفَائِتَةَ وَمَا أَرَادُوا ، فَسَلَّمُوا لُؤْلُؤَةَ وَالْبِطْرِيقَ إِلَى بِلْكَاجُورَ ، فَسَيَّرَهُ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ ، فَبَذَلَ مَلِكُ الرُّومِ فِي فِدَائِهِ أَلْفَ مُسْلِمٍ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامُ يُعْرَفُ بِالزَّيْنَبِيِّ ، وَهُوَ وَالِي مَكَّةَ. |
| وَكَانَ نَيْرُوزُ الْمُتَوَكِّلِ الَّذِي أَرْفَقَ أَهْلُ الْخَرَاجِ بِتَأْخِيرِهِ إِيَّاهُ عَنْهُمْ لِإِحْدَى عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَلِسَبَعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ حُزَيْرَانَ ، وَلِثَمَانٍ وَعِشْرِينَ مِنْ أردبيهشت ، فَقَالَ الْبُحْتُرِيُّ إِنَّ يَوْمَ النَّيْرُوزِ عَادَ إِلَى... |
| الْعَهْدِ الَّذِي سَنَّهُ أَرْدَشِيرُ. |
| ذِكْرُ خُرُوجِ الْكُفَّارِ بِالْأَنْدَلُسِ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ. |
| فِي هَذهِ السَّنَةِ خَرَجَ الْمَجُوسُ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ، فِي مَرَاكِبَ ، إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ ، فَأَمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، صَاحِبُ بِلَادِ الْإِسْلَامِ ، بِإِخْرَاجِ الْعَسَاكِرِ إِلَى قِتَالِهِمْ ، فَوَصَلَتْ مَرَاكِبُ الْمَجُوسِ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ ، فَحَلَّتْ بِالْجَزِيرَةِ ، وَدَخَلَتِ الْحَاضِرَ إِلَى قِتَالِهِمْ ، وَأَحْرَقَتِ الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ ، ثُمَّ جَازَتْ إِلَى الْعُدْوَةِ ، فَحَلَّتْ بِنَاكُورَ ، ثُمَّ عَادَتْ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، فَانْهَزَمَ أَهْلُ تُدْمِيرَ ، وَدَخَلُوا حِصْنَ أَرْيُوالَةَ. |
| ثُمَّ تَقَدَّمُوا إِلَى حَائِطِ إِفْرِنْجَةَ ، وَأَغَارُوا ، وَأَصَابُوا مِنَ النَّهْبِ وَالسَّبْيِ كَثِيرًا ، ثُمَّ انْصَرَفُوا ، فَلَقِيَتْهُمْ مَرَاكِبُ مُحَمَّدٍ ، فَقَاتَلُوهُمْ ، فَأَحْرَقُوا مَرْكِبَيْنِ مِنْ مَرَاكِبِ الْكُفَّارِ ، وَأَخَذُوا مَرْكِبَيْنِ آخَرَيْنِ ، فَغَنِمُوا مَا فِيهِمَا ، فَحَمِيَ الْكَفَرَةُ عِنْدَ ذَلِكَ ، وَجَدُّوا فِي الْقِتَالِ ، فَاسْتَشْهَدَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَمَضَتْ مَرَاكِبُ الْمَجُوسِ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى مَدِينَةِ بَنْبَلُونَةَ ، فَأَصَابُوا صَاحِبَهَا غَرْسِيةَ الْفِرِنْجِيَّ ، فَافْتَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِتِسْعِينَ أَلْفِ دِينَارٍ. |
| وَفِيهَا غَزَا عَامِلُ طَرَسُونَةَ إِلَى بَنْبَلُونَةَ ، فَافْتَتَحَ حِصْنَ بَيْلَسَانَ وَسَبَى أَهْلَهُ ، ثُمَّ كَانَتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَقْعَةٌ اسْتُشْهِدَ فِيهَا جَمَاعَةٌ. |
| ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ الْبَرْبَرِ وَابْنِ الْأَغْلَبِ بِإِفْرِيقِيَّةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ بَيْنَ الْبَرْبَرِ وَعَسْكَرِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَغْلَبِ وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ. |
| وَسَبَبُهَا أَنَّ بَرْبَرَ لَهَانَ امْتَنَعُوا عَلَى عَامِلِ طَرَابُلُسَ مِنْ أَدَاءِ عُشُورِهِمْ وَصَدَقَاتِهِمْ ، وَحَارَبُوهُ ، فَهَزَمُوهُ ، فَقَصَدَ لُبْدَةَ ، فَحَصَّنَهَا ، وَسَارَ إِلَى طَرَابُلُسَ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَمِيرُ جَيْشًا مَعَ أَخِيهِ زِيَادَةِ اللَّهِ ، فَانْهَزَمَ الْبَرْبَرُ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَسَيَّرَ زِيَادَةُ اللَّهِ الْخَيْلَ فِي آثَارِهِمْ ، فَقَتَلَ مَنْ أَدْرَكَ مِنْهُمْ ، وَأَسَرَ جَمَاعَةً ، فَضُرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ ، وَأُحْرِقَ مَا كَانَ فِي عَسْكَرِهِمْ ، فَأَذْعَنَ الْبَرْبَرُ بَعْدَهَا ، وَأَعْطُوا الرَّهْنَ ، وَأَدُّوا طَاعَتَهُمْ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّحْوِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ السِّكِّيتِ ، وَكَانَ سَبَبُ مَوْتِهِ أَنَّهُ اتَّصَلَ بِالْمُتَوَكِّلِ ، فَقَالَ لَهُ أَيُّهُمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ الْمُعْتَزُّ وَالْمُؤَيَّدُ ، أَوِ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ؟ |
| فَتَنَقَّصَ ابْنَيْهِ ، وَذَكَرَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، بِمَا هُمَا أَهْلٌ لَهُ ، فَأَمَرَ الْأَتْرَاكَ فَدَاسُوا بَطْنَهُ ، فَحُمِلَ إِلَى دَارِهِ ، فَمَاتَ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ ذُو النُّونِ الْمِصْرِيُّ فِي ذِي الْقِعْدَةِ ، وَأَبُو تُرَابٍ النَّخْشَبِيُّ الصُّوفِيُّ ، نَهَشَتْهُ السِّبَاعُ فَمَاتَ بِالْبَادِيَةِ. |
| وَأَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ، الْمَعْرُوفُ بِالْكَرَابِيسِيُّ ، صَاحِبُ الشَّافِعِيِّ ، وَقِيلَ مَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَسَوَّارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَاضِي الْعَنْبَرِيُّ ، وَكَانَ قَدْ عَمِيَ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ وَفِيهَا غَزَا عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَقْطَعُ الصَّائِفَةَ ، فَأَخْرَجَ سَبْعَةَ عَشَرَ أَلْفَ رَأْسٍ. |
| وَغَزَا قَرْيَبَاسَ ، وَأَخْرَجَ خَمْسَةَ آلَافِ رَأْسٍ. |
| وَغَزَا الْفَضْلُ بْنُ قَارَنَ بَحْرًا فِي عِشْرِينَ مَرْكِبًا ، فَافْتَتَحَ حِصْنَ أَنْطَاكِيَةَ. |
| وَعَزَا بِلْكَاجُورَ ، فَغَنِمَ ، وَسَبَى. |
| وَغَزَا عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْأَرْمَنِيُّ ، فَأَخْرَجَ خَمْسَةَ آلَافِ رَأْسٍ ، وَمِنَ الدَّوَابِّ ، وَالرَّمَكِ ، وَالْحَمِيرِ ، نَحْوًا مِنْ عَشَرَةِ آلَافِ رَأْسٍ. |
| وَفِيهَا تَحَوَّلَ الْمُتَوَكِّلُ إِلَى الْجَعْفَرِيَّةِ . |
| وَفِيهَا كَانَ الْفِدَاءُ عَلَى يَدِ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى الْأَرْمَنِيِّ ، فَفُودِيَ بِأَلْفَيْنِ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَسَبْعَةٍ وَسِتِّينَ نَفْسًا. |
| وَفِيهَا مُطِرَ أَهْلُ بَغْدَادَ نَيِّفًا وَعِشْرِينَ يَوْمًا ، حَتَّى نَبَتَ الْعُشْبُ فَوْقَ الْأَجَاجِيرِ ، وَصَلَّى الْمُتَوَكِّلُ صَلَاةَ الْفِطْرِ بِالْجَعْفَرِيَّةِ. |
| وَوَرَدَ الْخَبَرُ أَنَّ سِكَّةً بِنَاحِيَةِ بَلْخٍ تُعْرَفُ بِسِكَّةِ الدَّهَّاقِينِ مُطِرَتْ دَمًا عَبِيطًا. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الزَّيْنَبِيُّ. |
| وَضَحَّى أَهْلُ سَامَرَّا يَوْمَ الِاثْنَيْنِ عَلَى الرُّؤْيَةِ ، وَأَهْلُ مَكَّةَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ. |
| وَفِيهَا سَارَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ ، فِي جُيُوشٍ عَظِيمَةٍ ، وَأُهْبَةٍ كَثِيرَةٍ ، إِلَى بَلَدِ بَنبَلُونَةَ ، فَوَطِئَ بِلَادَهَا ، وَدَوَّخَهَا ، وَخَرَّبَهَا ، وَنَهَبَهَا وَقَتَلَ فِيهَا ، فَأَكْثَرَ ، وَافْتَتَحَ حِصْنَ فَيْرُوسَ ، وَحِصْنَ فَالْحُسْنَ ؟ ، وَحِصْنَ الْقَشْتَلِ ، وَأَصَابَ فِيهِ فُرْتُونُ بْنُ غَرْسِيَه ، فَحَبَسَهُ بِقُرْطُبَةَ عِشْرِينَ سَنَةً ، وَكَانَ عُمْرُهُ لَمَّا مَاتَ سِتًّا وَتِسْعِينَ سَنَةً. |
| وَكَانَ مُقَامُ مُحَمَّدٍ بِأَرْضِ بَنْبَلُونَةَ اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ يَوْمًا . |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ دِعْبَلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخُزَاعِيُّ الشَّاعِرُ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ ، وَكَانَ يَتَشَيَّعُ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ السَّرِّيُّ بْنُ مُعَاذٍ الشَّيْبَانِيُّ بِالرَّيِّ ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَيْهَا ، حَسَنَ السِّيرَةِ ، مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ. |
| وَتُوُفِّيَ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ بِبَغْدَاذَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَسَدِيُّ الْمُلَقَّبُ بِلُوَيْنَ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ مَقْتَلِ الْمُتَوَكِّلِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ الْمُتَوَكِّلُ ، وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّهُ أَمَرَ بِإِنْشَاءِ الْكُتُبِ بِقَبْضِ ضِيَاعِ وَصَيْفٍ بِأَصْبَهَانَ وَالْجَبَلِ ، وَإِقْطَاعَهَا الْفَتْحَ بْنَ خَاقَانَ ، فَكُتِبَتْ ، وَصَارَتْ إِلَى الْخَاتَمِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ وَصَيْفًا ، وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ أَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ أَوَّلَ جُمْعَةٍ فِي رَمَضَانَ ، وَشَاعَ فِي النَّاسِ ، وَاجْتَمَعُوا لِذَلِكَ ، وَخَرَجَ بَنُو هَاشِمٍ مِنْ بَغْدَادَ لِرَفْعِ الْقَصَصِ وَكَلَامِهِ إِذَا رَكِبَ. |
| فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمْعَةِ ، وَأَرَادَ الرُّكُوبَ لِلصَّلَاةِ ، قَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى ، وَالْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ إِنَّ النَّاسَ قَدْ كَثَرُوا مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ وَمِنْ غَيْرِهِمْ ، فَبَعْضٌ مُتَظَلِّمٌ ، وَبَعْضٌ طَالِبُ حَاجَةٍ ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَشْكُو ضِيقَ الصَّدْرِ ، وَعِلَّةً بِهِ ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْمُرَ بَعْضَ وُلَاةِ الْعُهُودِ بِالصَّلَاةِ ، وَنَكُونَ مَعَهُ ، فَلْيَفْعَلْ. |
| فَأَمَرَ الْمُنْتَصِرَ بِالصَّلَاةِ ، فَلَمَّا نَهَضَ لِلرُّكُوبِ قَالَا لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَأْمُرَ الْمُعْتَزَّ بِالصَّلَاةِ ، فَقَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ لِتُشَرِّفَهُ بِذَلِكَ ، وَقَدْ بَلَغَ اللَّهُ بِهِ ، وَكَانَ قَدْ وُلِدَ لِلْمُعْتَزِّ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَدٌ ، فَأَمَرَ الْمُعْتَزَ ، فَرَكِبَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ ، وَأَقَامَ الْمُنْتَصِرُ فِي دَارِهِ بِالْجَعْفَرِيَّةِ ، فَزَادَ ذَلِكَ فِي إِغْرَائِهِ. |
| فَلَمَّا فَرَغَ الْمُعْتَزُّ مِنْ خُطْبَتِهِ قَامَ إِلَيْهِ عُبَيْدُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ ، فَقَبَّلَا يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ انْصَرَفَ وَمَعَهُ النَّاسُ فِي مَوْكِبِ الْخِلَافَةِ ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى أَبِيهِ ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهِ عِنْدَهُ ، فَسَّرَهُ ذَلِكَ. |
| فَلَمَّا كَانَ عِيدُ الْفِطْرِ قَالَ مُرُوا الْمُنْتَصِرَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ! |
| فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ قَدْ كَانَ النَّاسُ يَتَطَلَّعُونَ إِلَى رُؤْيَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاحْتَشَدُوا لِذَلِكَ ، فَلَمْ يَرْكَبْ ، وَلَا يَأْمَنُ إِنْ هُوَ لَمْ يَرْكَبِ الْيَوْمَ ، أَنْ يَرْجُفَ النَّاسُ بِعِلَّتِهِ ، فَإِذَا رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَسُرَّ الْأَوْلِيَاءَ ، وَيَكْبِتَ الْأَعْدَاءَ بِرُكُوبِهِ فَلْيَفْعَلْ. |
| فَرَكِبَ وَقَدْ صُفَّ لَهُ النَّاسُ نَحْوَ أَرْبَعَةِ أَمْيَالٍ ، وَتَرَجَّلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَصَلَّى ، وَرَجَعَ ، فَأَخَذَ حِفْنَةً مِنَ التُّرَابِ ، فَوَضَعَهَا عَلَى رَأْسِهِ ، وَقَالَ إِنِّي رَأَيْتُ كَثْرَةَ هَذَا الْجَمْعِ ، وَرَأَيْتُهُمْ تَحْتَ يَدِي ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَوَاضَعَ لِلَّهِ. |
| فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ افْتَصَدَ ، وَاشْتَهَى لَحْمَ جَزُورٍ ، فَأَكَلَهُ ، وَكَانَ قَدْ حَضَرَ عِنْدَهُ ابْنُ الْحَفْصِيِّ وَغَيْرُهُ ، فَأَكَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ. |
| قَالَ وَلَمْ يَكُنْ يَوْمٌ أَسَرَّ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَدَعَا النُّدَمَاءَ وَالْمُغَنِّينَ ، فَحَضَرُوا. |
| وَأَهْدَتْ لَهُ أُمُّ الْمُعْتَزِّ مُطْرَفَ خَزٍّ أَخْضَرَ ، لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ، فَأَطَالَ ، وَأَكْثَرَ تَعَجُّبَهُ مِنْهُ ، وَأَمَرَ فَقُطِعَ نِصْفَيْنِ وَرَدَّهُ عَلَيْهَا ، وَقَالَ لِرَسُولِهَا وَاللَّهِ إِنَّ نَفْسِي لِتُحَدِّثُنِي أَنِّي لَا أَلْبَسُهُ ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ يَلْبَسَهُ أَحَدٌ بَعْدِي; وَلِهَذَا أَمَرْتُ بِشَقِّهِ. |
| قَالَ فَقُلْنَا نُعِيذُكَ بِاللَّهِ أَنْ تَقُولَ مِثْلَ هَذَا ، قَالَ وَأَخَذَ فِي الشَّرَابِ وَاللَّهْوِ ، وَلَجَّ بِأَنْ يَقُولَ أَنَا وَاللَّهِ مُفَارِقُكُمْ عَنْ قَلِيلٍ! |
| وَلَمْ يَزَلْ فِي لَهْوِهِ وَسُرُورِهِ إِلَى اللَّيْلِ. |
| وَكَانَ قَدْ عَزَمَ هُوَ وَالْفَتْحُ أَنْ يَفْتِكَا بُكْرَةَ غَدٍ بِالْمُنْتَصِرِ وَوَصِيفٍ وَبُغَا وَغَيْرِهِمْ مِنْ قُوَّادِ الْأَتْرَاكِ ، وَقَدْ كَانَ الْمُنْتَصِرُ وَاعَدَ الْأَتْرَاكَ وَوَصِيفًا وَغَيْرَهُ عَلَى قَتْلِ الْمُتَوَكِّلِ. |
| وَكَثُرَ عَبَثُ الْمُتَوَكِّلِ ، قَبْلَ ذَلِكَ بِيَوْمٍ ، بِابْنِهِ الْمُنْتَصِرِ ، مَرَّةً يَشْتُمُهُ ، وَمَرَّةً يَسْقِيهِ فَوْقَ طَاقَتِهِ ، وَمَرَّةً يَأْمُرُ بِصَفْعِهِ ، وَمَرَّةً يَتَهَدَّدُهُ بِالْقَتْلِ ، ثُمَّ قَالَ لِلْفَتْحِ بَرِئْتُ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِنْ لَمْ تَلْطِمْهُ ، يَعْنِي الْمُنْتَصِرَ ، فَقَامَ إِلَيْهِ فَلَطَمَهُ مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ أَمَرَّ يَدَهُ عَلَى قَفَاهُ ، ثُمَّ قَالَ لِمَنْ حَضَرَهُ اشْهَدُوا عَلَيَّ جَمِيعًا أَنِّي قَدْ خَلَعْتُ الْمُسْتَعْجَلَ ، يَعْنِي الْمُنْتَصِرَ ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ سَمَّيْتُكَ الْمُنْتَصِرَ ، فَسَمَّاكَ النَّاسُ ، لِحُمْقِكَ ، الْمُنْتَظَرَ ، ثُمَّ صِرْتَ الْآنَ الْمُسْتَعْجَلَ. |
| فَقَالَ الْمُنْتَصِرُ لَوْ أَمَرْتَ بِضَرْبِ عُنُقِي كَانَ أَسْهَلَ عَلَيَّ مِمَّا تَفْعَلُهُ بِي ، فَقَالَ اسْقُوهُ ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْعَشَاءِ فَأُحْضِرَ ، وَذَلِكَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، فَخَرَجَ الْمُنْتَصِرُ مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَمَرَ بَنَانًا غُلَامَ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى أَنْ يَلْحَقَهُ ، وَأَخَذَ بِيَدِ زَرَافَةَ الْحَاجِبِ ، وَقَالَ لَهُ امْضِ مَعِي! |
| فَقَالَ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَنَمْ ، فَقَالَ إِنَّهُ قَدْ أَخَذَ مِنْهُ النَّبِيذَ ، وَالسَّاعَةَ يَخْرُجُ بُغَا وَالنُّدَمَاءُ ، وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ تَجْعَلَ أَمْرَ وَلَدِكَ إِلَيَّ ، فَإِنَّ أُوتَامَشَ سَأَلَنِي أَنْ أُزَوِّجَ وَلَدَهُ مِنَ ابْنَتِكَ ، وَابْنَكَ مِنِ ابْنَتِهِ ، فَقَالَ نَحْنُ عَبِيدُكَ فَمُرْ بِأَمْرِكَ! |
| فَسَارَ مَعَهُ إِلَى حُجْرَةٍ هُنَاكَ ، وَأَكَلَا طَعَامًا ، فَسَمِعَا الضَّجَّةَ وَالصُّرَاخَ ، فَقَامَا ، وَإِذَا بُغَا قَدْ لَقِيَ الْمُنْتَصِرَ ، فَقَالَ الْمُنْتَصِرُ مَا هَذَا ؟ |
| فَقَالَ خَيْرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ مَا تَقَوُلُ وَيْلَكَ ؟ |
| قَالَ أَعْظَمَ اللَّهُ أَجَرَكَ فِي سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، كَانَ عَبْدُ اللَّهِ دَعَاهُ فَأَجَابَهُ. |
| فَجَلَسَ الْمُنْتَصِرُ ، وَأَمَرَ بِبَابِ الْبَيْتِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ الْمُتَوَكِّلُ ، فَأُغْلِقَ ، وَأُغْلِقَتِ الْأَبْوَابُ كُلُّهَا ، وَبَعَثَ إِلَى وَصِيفٍ يَأْمُرُهُ بِإِحْضَارِ الْمُعْتَزِّ وَالْمُؤَيَّدِ عَنْ رِسَالَةِ الْمُتَوَكِّلِ. |
| وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ قَتْلِ الْمُتَوَكِّلِ ، فَإِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ الْمُنْتَصِرُ دَعَا الْمُتَوَكِّلُ بِالْمَائِدَةِ ، وَكَانَ بُغَا الصَّغِيرُ الْمَعْرُوفُ بِالشَّرَابِيِّ قَائِمًا عِنْدَ السِّتْرِ ، وَذَلِكَ الْيَوْمُ كَانَ نَوْبَةَ بُغَا الْكَبِيرِ ، وَكَانَ خَلِيفَتَهُ فِي الدَّارِ ابْنُهُ مُوسَى ، وَمُوسَى هُوَ ابْنُ خَالَةِ الْمُتَوَكِّلِ ، وَكَانَ أَبُوهُ يَوْمَئِذٍ بِسُمَيْسَاطَ ، فَدَخَلَ بُغَا الصَّغِيرُ إِلَى الْمَجْلِسِ ، فَأَمَرَ النُّدَمَاءَ بِالِانْصِرَافِ إِلَى حُجَرِهِمْ ، فَقَالَ لَهُ الْفَتْحُ لَيْسَ هَذَا وَقْتَ انْصِرَافِهِمْ ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَرْتَفِعْ ، فَقَالَ بُغَا إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَنِي أَنَّهُ إِذَا جَاوَزَ السَّبْعَةَ لَا أَتْرُكُ أَحَدًا ، وَقَدْ شَرِبَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَطْلًا ، وَحَرَمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ خَلْفَ السِّتَارَةِ ، وَأَخْرَجَهُمْ ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْفَتْحُ وَعَثْعَثُ ، وَأَرْبَعَةٌ مِنْ خَدَمِ الْخَاصَّةِ ، وَأَبُو أَحْمَدَ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ ، وَهُوَ أَخُو الْمُؤَيَّدِ لِأُمِّهِ. |
| وَكَانَ بُغَا الشَّرَابِيُّ أَغْلَقَ الْأَبْوَابَ كُلَّهَا ، إِلَّا بَابَ الشَّطِّ ، وَمِنْهُ دَخَلَ الْقَوْمُ الَّذِينَ قَتَلُوهُ ، فَبَصُرَ بِهِمْ أَبُو أَحْمَدَ ، فَقَالَ مَا هَذَا يَا سُفَلُ! |
| وَإِذَا سُيُوفٌ مُسَلَّلَةٌ ، فَلَمَّا سَمِعَ الْمُتَوَكِّلُ صَوْتَ أَبِي أَحْمَدَ رَفَعَ رَأْسَهُ ، فَرَآهُمْ ، فَقَالَ مَا هَذَا يَا بُغَا ؟ |
| فَقَالَ هَؤُلَاءِ رِجَالُ النُّوبَةِ ، فَرَجَعُوا إِلَى وَرَائِهِمْ عِنْدَ كَلَامِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ وَاجِنُ وَأَصْحَابُهُ وَوَلَدُ وَصِيفٍ حَضَرُوا مَعَهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ بُغَا يَا سُفَلُ! |
| أَنْتُمْ مَقْتُولُونَ لَا مَحَالَةَ ، فَمُوتُوا كِرَامًا! |
| فَرَجَعُوا ، فَابْتَدَرَهُ بَغْلُونُ ، فَضَرَبَهُ عَلَى كَتِفِهِ وَأُذُنِهِ فَقَدَّهُ ، فَقَالَ مَهْلًا! |
| قَطَعَ اللَّهُ يَدَكَ ، وَأَرَادَ الْوُثُوبَ بِهِ ، وَاسْتَقْبَلَهُ بِيَدِهِ ، فَضَرَبَهَا ، فَأَبَانَهَا ، وَشَارَكَهُ بَاغِرُ ، فَقَالَ الْفَتْحُ وَيْلَكُمُ! |
| أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ... |
| وَرَمَى بِنَفْسِهِ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ ، فَبَعَجُوهُ بِسُيُوفِهِمْ ، فَصَاحَ الْمَوْتُ! |
| وَتَنَحَّى ، فَقَتَلُوهُ. |
| وَكَانُوا قَالُوا لِوَصِيفٍ لِيَحْضُرَ مَعَهُمْ ، وَقَالُوا إِنَّا نَخَافُ ، فَقَالَ لَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ ، فَقَالُوا لَهُ أَرْسِلْ مَعَنَا بَعْضَ وَلَدِكَ ، فَأَرْسَلَ مَعَهُمْ خَمْسَةً مِنْ وَلَدِهِ صَالِحًا ، وَأَحْمَدَ ، وَعَبْدَ اللَّهِ ، وَنَصْرًا ، وَعُبَيْدَ اللَّهِ. |
| وَقِيلَ إِنَّ الْقَوْمَ لَمَّا دَخَلُوا نَظَرَ إِلَيْهِمْ عَثْعَثُ ، فَقَالَ لِلْمُتَوَكِّلِ قَدْ فَرَغْنَا مِنَ الْأَسَدِ ، وَالْحَيَّاتِ ، وَالْعَقَارِبِ ، وَصِرْنَا إِلَى السُّيُوفِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ رُبَّمَا أَسْلَى الْحَيَّةَ ، وَالْعَقْرَبَ ، وَالْأَسَدَ ، فَلَمَّا ذَكَرَ عَثْعَثُ السُّيُوفَ قَالَ يَا وَيْلَكَ! |
| أَيُّ سُيُوفٍ ؟ |
| فَمَا اسْتَتَمَّ كَلَامَهُ حَتَّى دَخَلُوا عَلَيْهِ وَقَتَلُوهُ ، وَقَتَلُوا الْفَتْحَ ، وَخَرَجُوا إِلَى الْمُنْتَصِرِ ، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ ، وَقَالُوا مَاتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَامُوا عَلَى رَأْسِ زَرَافَةَ بِالسُّيُوفِ ، وَقَالُوا بَايِعْ ، فَبَايَعَ. |
| وَأَرْسَلَ الْمُنْتَصِرُ إِلَى وَصِيفٍ إِنَّ الْفَتْحَ قَدْ قَتَلَ أَبِي فَقَتَلْتُهُ ، فَاحْضُرْ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِكَ! |
| فَحَضَرَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، فَبَايَعُوا. |
| وَكَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى فِي حُجْرَتِهِ يُنَفِّذُ الْأُمُورَ وَلَا يَعْلَمُ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَعْفَرُ بْنُ حَامِدٍ ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِ بَعْضُ الْخَدَمِ ، فَقَالَ مَا يَحْبِسُكَ وَالدَّارُ سَيْفٌ وَاحِدٌ ؟ |
| فَأَمَرَ جَعْفَرًا بِالنَّظَرِ ، فَخَرَجَ ، وَعَادَ وَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْمُتَوَكِّلَ وَالْفَتْحَ قُتِلَا ، فَخَرَجَ فَيَمَنْ عِنْدَهُ مِنْ خَدَمِهِ وَخَاصَّتِهِ ، فَأَخْبَرَ أَنَّ الْأَبْوَابَ مُغْلَقَةٌ ، وَأَخَذَ نَحْوَ الشَّطِّ ، فَإِذَا أَبْوَابُهُ مُغْلَقَةٌ ، فَأَمَرَ بِكَسْرِ ثَلَاثَةِ أَبْوَابٍ ، وَخَرَجَ إِلَى الشَّطِّ ، وَرَكِبَ فِي زَوْرَقٍ ، فَأَتَى مَنْزِلَ الْمُعْتَزِّ ، فَسَأَلَ عَنْهُ ، فَلَمْ يُصَادِفْهُ ، فَقَالَ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، قَتَلَ نَفْسَهُ وَقَتَلَنِي. |
| وَاجْتَمَعَ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ أَصْحَابُهُ غَدَاةَ يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ ، مِنَ الْأَبْنَاءِ ، وَالْعَجَمِ ، وَالْأَمْنِ وَالزَّوَاقِيلِ ، وَغَيْرِهِمْ ، فَكَانُوا زُهَاءَ عَشَرَةِ آلَافٍ ، وَقِيلَ كَانُوا ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفًا ، وَقِيلَ مَا بَيْنَ خَمْسَةِ آلَافٍ إِلَى عَشَرَةِ آلَافٍ ، فَقَالُوا مَا اصْطَنَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا الْيَوْمِ ، فَمُرْنَا بِأَمْرِكَ ، وَائِذَنْ لَنَا أَنْ نُمِلَّ عَلَى الْقَوْمِ ، وَنَقْتُلَ الْمُنْتَصِرَ وَمَنْ مَعَهُ! |
| فَأَبَى ذَلِكَ ، وَقَالَ الْمُعْتَزُّ فِي أَيْدِيهِمْ. |
| وَذُكِرَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى الْمُنَجِّمِ أَنَّهُ قَالَ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ ، قَبْلَ قَتْلِهِ بِأَيَّامٍ ، كِتَابًا مِنْ كُتُبِ الْمَلَاحِمِ ، فَوَقَفْتُ عَلَى مَوْضِعٍ فِيهِ أَنَّ الْخَلِيفَةَ الْعَاشِرَ يُقْتَلُ فِي مَجْلِسِهِ ، فَتَوَقَّفْتُ عَنْ قِرَاءَتِهِ ، فَقَالَ مَا لَكَ ؟ |
| فَقُلْتُ خَيْرًا! |
| قَالَ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَقْرَأَهُ ، فَقَرَأْتُهُ ، وَحَدَّثَ عَنْ ذِكْرِ الْخُلَفَاءِ ، فَقَالَ لَيْتَ شِعْرِي مَنْ هَذَا الشَّقِيُّ الْمَقْتُولُ ؟ |
| فَقَالَ أَبُو الْوَارِثِ ، قَاضِي نَصِيبِينَ رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ آتِيًا وَهُوَ يَقُولُ يَا نَائِمَ الْعَيْنِ فِي جُثْمَانِ يَقْظَانِ... |
| مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَبْكِي بِتَهْتَانِ أَمَا رَأَيْتَ صُرُوفَ الدَّهْرِ مَا فَعَلَتْ... |
| بِالْهَاشِمِيِّ وَبِالْفَتْحِ بْنِ خَاقَانِ ؟ |
| فَأَتَى الْبَرِيدُ بَعْدَ أَيَّامٍ بِقَتْلِهِمَا. |
| وَكَانَ قَتْلُهُ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ لِأَرْبَعٍ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالَ ، وَقِيلَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ. |
| وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَعَشَرَةَ أَشْهُرٍ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ بِفَمِ الصُّلْحِ فِي شَوَّالَ سَنَةَ سِتٍّ وَمِائَتَيْنِ ، وَكَانَ عُمْرُهُ نَحْوَ أَرْبَعِينَ سَنَةً. |
| وَكَانَ أَسْمَرَ ، حَسَنَ الْعَيْنَيْنِ ، نَحِيفًا ، خَفِيفَ الْعَارِضَيْنِ. |
| وَرَثَاهُ الشُّعَرَاءُ فَأَكْثَرُوا ، وَمِمَّا قِيلَ فِيهِ ، قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ عَبِيدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَتَلْنَهُ... |
| وَأَعْظَمُ آفَاتِ الْمُلُوكِ عَبِيدُهَا بَنِي هَاشِمٍ صَبْرًا ، فَكُلُّ مُصِيبَةٍ... |
| سَيَبْلَى عَلَى وَجْهِ الزَّمَانِ جَدِيدُهَا ذِكْرُ بَعْضِ سِيرَتِهِ ذُكِرَ أَنَّ أَبَا السِّمْطِ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي الْجَنُوبِ قَالَ أَنْشَدْتُ الْمُتَوَكِّلَ شِعْرًا ذَكَرْتُ فِيهِ الرَّافِضَةَ ، فَعَقَدَ لِي عَلَى الْبَحْرِينِ وَالْيَمَامَةِ ، وَخَلَعَ عَلَيَّ أَرْبَعَ خِلَعٍ ، وَخَلَعَ عَلَيَّ الْمُنْتَصِرُ ، وَأَمَرَ لِي الْمُتَوَكِّلُ بِثَلَاثَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، فَنُثِرَتْ عَلَيَّ ، وَأَمَرَ ابْنَهُ الْمُنْتَصِرَ وَسَعْدًا الْإِيتَاخِيَّ أَنْ يَلْقُطَاهَا لِي ، فَفَعَلَا ، وَالشِّعْرُ الَّذِي قُلْتُهُ مُلْكُ الْخَلِيفَةِ جَعْفَرٍ... |
| لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا سَلَامَهْ لَكُمْ تُرَاثُ مُحَمَّدٍ... |
| وَبِعَدْلِكُمْ تُنْفَى الظُّلَامَهْ يَرْجُو التُّرَاثَ بَنُو الْبَنَاتِ... |
| وَمَا لَهُمْ فِيهَا قُلَامَهْ وَالصِّهْرُ لَيْسَ بِوَارِثٍ وَالْبِنْتُ لَا تَرِثُ الْإِمَامَهْ... |
| مَا لِلَّذِينَ تَنَحَّلُوا مِيرَاثُكُمْ إِلَّا النَّدَامَهْ... |
| أَخَذَ الْوِرَاثَةَ أَهْلُهَا فَعَلَامَ لَوْمُكُمُ عَلَامَهْ... |
| لَوْ كَانَ حَقُّكُمُ لَمَا قَامَتْ عَلَى النَّاسِ الْقِيَامَهْ... |
| لَيْسَ التُّرَاثُ لِغَيْرِكُمْ لَا وَالْإِلَهِ ، وَلَا كَرَامَهْ... |
| أَصْبَحْتُ بَيْنَ مُحِبِّكُمْ وَالْمُبْغِضِينَ لَكُمْ عَلَامَهْ ثُمَّ نَثَرَ عَلَيَّ ، بَعْدَ ذَلِكَ ، لِشِعْرٍ قُلْتُهُ فِي هَذَا الْمَعْنَى عَشَرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ. |
| وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ حَضَرْتُ الْمُتَوَكِّلَ ، فَجَرَى بَيْنِي وَبَيْنَهُ ذِكْرُ الْمَأْمُونِ ، فَقُلْتُ بِتَفْضِيلِهِ ، وَتَقْرِيظِهِ ، وَوَصْفِ مَحَاسِنِهِ وَعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ قَوْلًا كَثِيرًا ، لَمْ يَقَعْ لِمُوَافَقَةِ مَنْ حَضَرَ ، فَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ كَيْفَ كَانَ يَقُولُ فِي الْقُرْآنِ ؟ |
| فَقُلْتُ كَانَ يَقُولُ مَا مَعَ الْقُرْآنِ حَاجَةٌ إِلَى عِلْمٍ فَرْضٍ ، وَلَا مَعَ السُّنَّةِ وَحْشَةٌ إِلَى فِعْلِ أَحَدٍ ، وَلَا مَعَ الْبَيَانِ وَالْإِفْهَامِ حُجَّةٌ لِتَعَلُّمٍ ، وَلَا بَعْدَ الْجُحُودِ لِلْبُرْهَانِ وَالْحَقِّ إِلَّا السَّيْفُ ، لِظُهُورِ الْحُجَّةِ. |
| فَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ لَمْ أُرِدْ مِنْكَ مَا ذَهَبْتَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ يَحْيَى الْقَوْلُ بِالْمَحَاسِنِ فِي الْمُغَيَّبِ فَرِيضَةٌ عَلَى ذِي نِعْمَةٍ. |
| قَالَ فَمَا كَانَ يَقُولُ خِلَالَ حَدِيثِهِ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُعْتَصِمَ بِاللَّهِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، كَانَ يَقُولُهُ وَقَدْ أُنْسِيتُهُ ، قَالَ كَانَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي لَا يُحْصِيهَا غَيْرُكَ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي لَا يُحِيطُ بِهَا إِلَّا عَفْوُكَ. |
| قَالَ فَمَا كَانَ يَقُولُ إِذَا اسْتَحْسَنَ شَيْئًا ، أَوْ بُشِّرَ بِشَيْءٍ ؟ |
| فَقَدْ نَسِينَاهُ ، قَالَ يَحْيَى كَانَ يَقُولُ إِنَّ ذِكْرَ آلَاءِ اللَّهِ وَكَثْرَتَهَا ، وَتَعْدَادَ نِعَمِهِ ، وَالْحَدِيثَ بِهَا فَرْضٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى أَهْلِهَا ، وَطَاعَةٌ لِأَمْرِهِ فِيهَا ، وَشُكْرٌ لَهُ عَلَيْهَا ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَظِيمِ الْآلَاءِ السَّابِغِ النَّعْمَاءِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَمُسْتَوْجِبُهُ مِنْ مَحَامِدِهِ الْقَاضِيَةِ حَقَّهُ ، الْبَالِغَةِ شُكْرَهُ ، الْمَانِعَةِ غَيْرَهُ ، الْمُوجِبَةِ مَزِيدَهُ ، عَلَى مَا لَا يُحْصِيهِ تَعْدَادُنَا ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ ذِكْرُنَا مِنْ تَرَادُفِ مِنَّتِهِ ، وَتَتَابُعِ فَضْلِهِ ، وَدَوَامِ طَوْلِهِ ، حَمْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ صَدَقْتَ ، هَذَا هُوَ الْكَلَامُ بِعَيْنِهِ. |
| وَقَدِمَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ مِنْ مَكَّةَ فِي صَفَرَ ، فَشَكَا مَا نَالَهُ مِنَ الْغَمِّ بِمَا وَقَعَ مِنِ الْخِلَافِ فِي يَوْمِ النَّحْرِ ، فَأَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ بِإِنْفَاذِ خَرِيطَةٍ مِنَ الْبَابِ إِلَى أَهْلِ الْمَوْسِمِ بِرُؤْيَةِ هِلَالِ ذِي الْحِجَّةِ ، وَأَمَرَ أَنْ يُقَامَ عَلَى الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ، وَسَائِرِ الْمَشَاعِرِ ، الشَّمْعُ مَكَانَ الزَّيْتِ وَالنِّفْطِ. |
| وَفِيهَا مَاتَتْ أُمُّ الْمُتَوَكِّلِ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ ، وَصَلَّى عَلَيْهَا الْمُنْتَصِرُ ، وَدُفِنَتْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ، وَكَانَ مَوْتُهَا قَبْلَ الْمُتَوَكِّلِ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ. |
| ذِكْرُ بَيْعَةِ الْمُنْتَصِرِ قَدْ ذَكَرْنَا قَتْلَ الْمُتَوَكِّلِ ، وَمَنْ بَايَعَ الْمُنْتَصِرَ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ جَعْفَرٍ الْمُتَوَكِّلَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ يَوْمُ الْأَرْبِعَاءِ حَضَرَ النَّاسُ الْجَعْفَرِيَّةُ مِنَ الْقُوَّادِ ، وَالْكُتَّابِ ، وَالْوُجُوهِ ، وَالشَّاكِرِيَّةِ ، وَالْجُنْدِ ، وَغَيْرِهِمْ ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ أَحْمَدُ بْنُ الْخَصِيبِ كِتَابًا يُخْبِرُ فِيهِ عَنِ الْمُنْتَصِرِ أَنَّ الْفَتْحَ بْنَ خَاقَانَ قَتَلَ الْمُتَوَكِّلَ ، فَقَتَلَهُ بِهِ ، فَبَايَعَ النَّاسُ ، وَحَضَرَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَاقَانَ ، فَبَايَعَ وَانْصَرَفَ. |
| قِيلَ وَذُكِرَ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ سَعِيدٍ الصَّغِيرِ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا الْمُتَوَكِّلُ ، كُنَّا فِي الدَّارِ مَعَ الْمُنْتَصِرِ ، فَكَانَ كُلَّمَا خَرَجَ الْفَتْحُ خَرَجَ مَعَهُ ، وَإِذَا رَجَعَ قَامَ لِقِيَامِهِ ، وَإِذَا رَكِبَ أَخَذَ بِرِكَابِهِ ، وَسَوَّى عَلَيْهِ ثِيَابَهُ فِي سَرْجِهِ. |
| وَكَانَ اتَّصَلَ بِنَا الْخَبَرُ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ يَحْيَى قَدْ أَعَدَّ قَوْمًا فِي طَرِيقِ الْمُنْتَصِرِ ، لِيَغْتَالُوهُ عِنْدَ انْصِرَافِهِ ، وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ قَدْ أَسْمَعَهُ ، وَأَحْفَظَهُ ، وَوَثَبَ عَلَيْهِ ، وَانْصَرَفَ غَضْبَانَ ، وَانْصَرَفْنَا مَعَهُ إِلَى دَارِهِ ، وَكَانَ وَاعَدَ الْأَتْرَاكَ عَلَى قَتْلِ الْمُتَوَكِّلِ إِذَا ثَمِلَ مِنَ النَّبِيذِ ، قَالَ فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ جَاءَنِي رَسُولُهُ أَنِ احْضُرْ ، فَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْأَمِيرِ لِيَرْكَبَ. |
| قَالَ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مَا كُنَّا سَمِعْنَا مِنِ اغْتِيَالِ الْمُنْتَصِرِ ، فَرَكِبْتُ فِي سِلَاحٍ وَعِدَّةٍ ، وَجِئْتُ بَابَ الْمُنْتَصِرِ ، فَإِذَا هُمْ يَمُوجُونَ ، وَإِذَا وَاجِنٌ قَدْ جَاءَهُ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُمْ قَدْ فَرَغُوا مِنَ الْمُتَوَكِّلِ ، فَرَكِبَ ، فَلَحِقْتُهُ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ وَأَنَا مَرْعُوبٌ ، فَرَأَى مَا بِي ، فَقَالَ لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ شَرِقَ بِقَدَحٍ شَرِبَهُ فَمَاتَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. |
| فَشَقَّ عَلَيَّ ، وَمَضَيْنَا وَمَعَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْخَصِيبِ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْقُوَّادِ حَتَّى دَخَلْنَا الْقَصْرَ ، وَوَكَّلَ بِالْأَبْوَابِ ، فَقُلْتُ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! |
| لَا يَنْبَغِي أَنْ تُفَارِقَكَ مَوَالِيكَ فِي هَذَا الْوَقْتِ ، قَالَ أَجَلْ ، وَكُنْ أَنْتَ خَلْفَ ظَهْرِي ، فَأَحَطْنَا بِهِ ، وَبَايَعَهُ مَنْ حَضَرَ ، وَكُلُّ مَنْ جَاءَ يُوقَفُ ، حَتَّى جَاءَ سَعِيدٌ الْكَبِيرُ ، فَأَرْسَلَهُ خَلْفَ الْمُؤَيَّدِ ، وَقَالَ لِي امْضِ أَنْتَ إِلَى الْمُعْتَزِّ حَتَّى يَحْضُرَ ، فَأَرْسَلَنِي ، فَمَضَيْتُ وَأَنَا آيِسٌ مِنْ نَفْسِي ، وَمَعِي غُلَامَانِ لِي ، فَلَمَّا صِرْتُ إِلَى بَابِ الْمُعْتَزِّ لَمْ أَجِدْ بِهِ أَحَدًا مِنَ الْحَرَسِ وَالْبَوَّابِينَ ، فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ الْكَبِيرِ ، فَدَقَقْتُهُ دَقًّا عَنِيفًا ، فَأُجِبْتُ بَعْدَ مُدَّةٍ مَنْ أَنْتَ ؟ |
| فَقُلْتُ رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُنْتَصِرِ ، فَمَضَى الرَّسُولُ ، وَأَبْطَأَ ، وَخِفْتُ ، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ ، ثُمَّ فُتِحَ الْبَابُ ، وَخَرَجَ بَيْدُونُ الْخَادِمُ ، وَأَغْلَقَ الْبَابَ ، ثُمَّ سَأَلَنِي عَنِ الْخَبَرِ ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّ الْمُتَوَكِّلَ شَرِقَ بِكَأْسٍ شَرِبَهُ ، فَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ ، وَأَنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا ، وَبَايَعُوا الْمُنْتَصِرَ ، وَقَدْ أَرْسَلَنِي لِأُحْضِرَ الْأَمِيرَ الْمُعْتَزَّ لِيُبَايِعَ. |
| فَدَخَلَ ، ثُمَّ خَرَجَ ، فَأَدْخَلَنِي عَلَى الْمُعْتَزِّ ، فَقَالَ لِي وَيْلَكَ مَا الْخَبَرُ ؟ |
| فَأَخْبَرْتُهُ ، وَعَزَّيْتُهُ ، وَبَكَيْتُ ، وَقُلْتُ تَحْضُرُ ، وَتَكُونُ فِي أَوَّلِ مَنْ يُبَايِعُ ، وَتَأْخُذُ بِقَلْبِ أَخِيكَ ، فَقَالَ حَتَّى يُصْبِحَ ، فَمَا زِلْتُ بِهِ أَنَا وَبَيْدُونُ حَتَّى رَكِبَ ، وَسِرْنَا وَأَنَا أُحَدِّثُهُ ، فَسَأَلَنِي عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى ، فَقُلْتُ هُوَ يَأْخُذُ الْبَيْعَةَ عَلَى النَّاسِ ، وَالْفَتْحُ قَدْ بَايَعَ ، فَأَيِسَ ، وَأَتَيْنَا بَابَ الْخَيْرِ ، فَفُتِحَ لَنَا ، وَصِرْنَا إِلَى الْمُنْتَصِرِ ، فَلَمَّا رَآهُ قَرَّبَهُ ، وَعَانَقَهُ ، وَعَزَّاهُ ، وَأَخَذَ الْبَيْعَةَ عَلَيْهِ. |
| ثُمَّ وَافَى سَعِيدٌ الْكَبِيرُ بِالْمُؤَيَّدِ ، فَفَعَلَ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ ، وَأَمَرَ الْمُنْتَصِرُ بِدَفْنِ الْمُتَوَكِّلِ وَالْفَتْحِ. |
| وَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ شَاعَ الْخَبَرُ فِي الْمَاخُوزَةِ ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ الَّتِي كَانَ بَنَاهَا الْمُتَوَكِّلُ ، وَفِي أَهْلِ سَامَرَّا ، بِقَتْلِ الْمُتَوَكِّلِ ، فَتَوَافَى الْجُنْدُ وَالشَّاكِرِيَّةُ بِبَابِ الْعَامَّةِ وَبِالْجَعْفَرِيَّةِ ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْغَوْغَاءِ وَالْعَامَّةِ ، وَكَثُرَ النَّاسُ ، وَتَسَامَعُوا ، وَرَكِبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَتَكَلَّمُوا فِي أَمْرِ الْبَيْعَةِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَتَّابُ بْنُ عَتَّابٍ ، وَقِيلَ زَرَافَةُ ، فَوَعَدَهُمْ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُنْتَصِرِ ، فَاسْمَعُوهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَأَعْلَمَهُ ، فَخَرَجَ الْمُنْتَصِرُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَغَارِبَةِ ، فَصَاحَ بِهِمْ ، وَقَالَ خُذُوهُمْ! |
| فَدَفَعُوهُمْ إِلَى الْأَبْوَابِ ، فَازْدَحَمَ النَّاسُ وَرَكِبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَتَفَرَّقُوا وَقَدْ مَاتَ مِنْهُمْ سِتَّةُ أَنْفُسٍ. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ خَفَاجَةَ بْنِ سُفْيَانَ صِقِلِّيَّةَ وَابْنِهِ مُحَمَّدٍ وَغَزَوَاتِهِمَا قَدْ ذَكَرْنَا سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ أَنَّ أَمِيرَ صِقِلِّيَّةَ الْعَبَّاسَ تُوُفِّيَ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَلَّى النَّاسُ عَلَيْهِمُ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْعَبَّاسِ ، وَكَتَبُوا إِلَى الْأَمِيرِ بِإِفْرِيقِيَّةَ بِذَلِكَ ، وَأَخْرَجَ عَبْدُ اللَّهِ السَّرَايَا ، فَفَتَحَ قِلَاعًا مُتَعَدِّدَةً مِنْهَا جَبَلُ أَبِي مَالِكٍ وَقَلْعَةُ الْأَرْمَنِيِّينَ وَقَلْعَةُ الْمَشَارِعَةِ ، فَبَقِيَ كَذَلِكَ خَمْسَةَ أَشْهُرٍ. |
| وَوَصَلَ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ خَفَاجَةُ بْنُ سُفْيَانَ أَمِيرًا عَلَى صِقِلِّيَّةَ ، فَوَصَلَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَأَوَّلُ سَرِيَّةٍ أَخْرَجَهَا سَرِيَّةٌ فِيهَا وَلَدُهُ مَحْمُودٌ ، فَقَصَدَ سَرْقُوسَةَ فَغَنِمَ ، وَخَرَّبَ وَأَحْرَقَ ، وَخَرَجُوا إِلَيْهِ فَقَاتَلَهُمْ فَظَفِرَ ، وَعَادَ ، فَاسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ أَهْلُ رَغُوسَ. |
| وَقَدْ جَاءَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ أَنَّ أَهْلَ رَغُوسَ اسْتَأْمَنُوا فِيهَا ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ ، وَلَا نَعْلَمُ أَهَذَا اخْتِلَافٌ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ ، أَمْ هُمَا غَزَاتَانِ ، وَيَكُونُ أَهْلُهَا قَدْ غَدَرُوا بَعْدَ هَذِهِ الدُّفْعَةِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ . |
| وَفِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ فُتِحَتْ مَدِينَةُ نُوطَسَ ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِهَا أَخْبَرَ الْمُسْلِمِينَ بِمَوْضِعٍ دَخَلُوا مِنْهُ إِلَى الْبَلَدِ فِي الْمُحَرَّمِ ، فَغَنِمُوا مِنْهَا أَمْوَالًا جَلِيلَةً ، ثُمَّ فَتَحُوا شَكْلَةَ بَعْدَ حِصَارٍ. |
| وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ سَارَ خَفَاجَةُ إِلَى سَرْقُوسَةَ ، ثُمَّ إِلَى جَبَلِ النَّارِ ، فَأَتَاهُ رُسُلُ أَهْلِ طَبَرْمِينَ يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ امْرَأَتَهُ وَوَلَدَهُ فِي ذَلِكَ ، فَتَمَّ الْأَمْرُ ، ثُمَّ غَدَرُوا ، فَأَرْسَلَ خَفَاجَةُ مُحَمَّدًا فِي جَيْشٍ إِلَيْهَا ، فَفَتَحَهَا وَسَبَى أَهْلَهَا. |
| وَفِيهَا أَيْضًا سَارَ خَفَاجَةُ إِلَى رَغُوسَ ، فَطَلَبَ أَهْلُهَا الْأَمَانَ لِيُطْلِقَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِهَا بِأَمْوَالِهِمْ ، وَدَوَابِّهِمْ ، وَيَغْنَمَ الْبَاقِيَ ، فَفَعَلَ وَأَخَذَ جَمِيعَ مَا فِي الْحِصْنِ مِنْ مَالٍ ، وَرَقِيقٍ ، وَدَوَابَّ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَهَادَنَهُ أَهْلُ الْغَيْرَانِ وَغَيْرُهُمْ ، وَافْتَتَحَ حُصُونًا كَثِيرَةً ، ثُمَّ مَرِضَ ، فَعَادَ إِلَى بَلَرْمَ. |
| وَفِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ سَارَ خَفَاجَةُ مِنْ بَلَرْمَ إِلَى مَدِينَةِ سَرْقُوسَةَ وَقَطَانِيَّةَ ، وَخَرَّبَ بِلَادَهَا ، وَأَهْلَكَ زُرُوعَهَا ، وَعَادَ وَسَارَتْ سَرَايَاهُ إِلَى أَرْضِ صِقِلِّيَّةَ ، فَغَنِمُوا غَنَائِمَ كَثِيرَةً. |
| وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ سَارَ خَفَاجَةُ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَسَيَّرَ ابْنَهُ مُحَمَّدًا عَلَى الْحَرَّاقَاتِ ، وَسَيَّرَ سَرِيَّةً إِلَى سَرْقُوسَةَ فَغَنِمُوا ، وَأَتَاهُمُ الْخَبَرُ أَنَّ بِطْرِيقًا قَدْ سَارَ مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، فَوَصَلَ إِلَى صِقِلِّيَّةَ ، فَلَقِيَهُ جَمْعٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا فَانْهَزَمَ الرُّومُ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ غَنَائِمَ كَثِيرَةً ، وَرَحَلَ خَفَاجَةُ إِلَى سَرْقُوسَةَ ، فَأَفْسَدَ زَرْعَهَا ، وَغَنِمَ مِنْهَا ، وَعَادَ إِلَى بَلَرْمَ ، وَسَيَّرَ ابْنَهُ مُحَمَّدًا فِي الْبَحْرِ ، مُسْتَهَلَّ رَجَبٍ ، إِلَى مَدِينَةِ غَيْطَةٍ ، فَحَصَرَهَا ، وَبَثَّ الْعَسَاكِرَ فِي نَوَاحِيهَا ، فَغَنِمَ وَشَحَنَ مَرَاكِبَهُ بِالْغَنَائِمِ ، وَانْصَرَفَ إِلَى بَلَرْمَ فِي شَوَّالَ. |
| وَفِي سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ سَيَّرَ خَفَاجَةُ ابْنَهُ مُحَمَّدًا إِلَى مَدِينَةِ طَبْرَمِينَ ، وَهِيَ مِنْ أَحْسَنِ مُدُنِ صِقِلِّيَّةَ ، فَسَارَ فِي صَفَرَ إِلَيْهَا ، وَكَانَ قَدْ أَتَاهُمْ مَنْ وَعَدَهُمْ أَنْ يُدْخِلَهُمْ إِلَيْهَا مِنْ طَرِيقٍ يَعْرِفُهُ ، فَسَيَّرَهُ مَعَ وَلَدِهِ ، فَلَمَّا قَرُبُوا مِنْهَا تَأَخَّرَ مُحَمَّدٌ ، وَتَقَدَّمَ بَعْضُ عَسْكَرِهِ رَجَّالَةً مَعَ الدَّلِيلِ ، فَأَدْخَلَهُمُ الْمَدِينَةَ ، وَمَلَكُوا بَابَهَا وَسُورَهَا ، وَشَرَعُوا فِي السَّبْيِ وَالْغَنَائِمِ ، وَتَأَخَّرَ مُحَمَّدُ بْنُ خَفَاجَةَ فِيمَنْ مَعَهُمْ مِنَ الْعَسْكَرِ عَنِ الْوَقْتِ الَّذِي وَعَدَهُمْ أَنَّهُ يَأْتِيهِمْ فِيهِ ، فَلَمَّا تَأَخَّرَ عَنْهُمْ ظَنُّوا أَنَّ الْعَدُوَّ قَدْ أَوْقَعَ بِهِمْ فَمَنَعَهُمْ مِنَ السَّبْيِ ، فَخَرَجُوا عَنْهَا مُنْهَزِمِينَ ، وَوَصَلَ مُحَمَّدٌ إِلَى بَابِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْعَسْكَرِ ، فَرَأَى الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَرَجُوا مِنْهَا ، فَعَادَ رَاجِعًا. |
| وَفِيهَا فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ خَرَجَ خَفَاجَةُ وَسَارَ إِلَى مَرَسَةَ ، وَسَيَّرَ ابْنَهُ فِي جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ إِلَى سَرْقُوسَةَ ، فَلَقِيَهُ الْعَدُوُّ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَوَهَنَ الْمُسْلِمُونَ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ ، وَرَجَعُوا إِلَى خَفَاجَةَ ، فَسَارَ إِلَى سَرْقُوسَةَ ، فَحَصَرَهَا ، وَأَقَامَ عَلَيْهَا ، وَضَيَّقَ عَلَى أَهْلِهَا ، وَأَفْسَدَ بِلَادَهَا ، وَأَهْلَكَ زَرْعَهُمْ ، وَعَادَ عَنْهَا يُرِيدُ بَلَرْمَ ، فَنَزَلَ بِوَادِي الطِّينِ وَسَارَ مِنْهُ لَيْلًا ، فَاغْتَالَهُ رَجُلٌ مِنْ عَسْكَرِهِ ، فَطَعَنَهُ طَعْنَةً فَقَتَلَهُ ، وَذَلِكَ مُسْتَهَلَّ رَجَبٍ ، وَهَرَبَ الَّذِي قَتَلَهُ إِلَى سَرْقُوسَةَ ، وَحُمِلَ خَفَاجَةُ إِلَى بَلَرْمَ ، فَدُفِنَ بِهَا. |
| وَوَلَّى النَّاسُ عَلَيْهِمُ ابْنَهُ مُحَمَّدًا وَكَتَبُوا بِذَلِكَ إِلَى الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ ، أَمِيرِ إِفْرِيقِيَّةَ ، فَأَقَرَّهُ عَلَى الْوِلَايَةِ ، وَسَيَّرَ لَهُ الْعَهْدَ وَالْخِلَعَ. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ لَمَّا قُتِلَ خَفَاجَةُ اسْتَعْمَلَ النَّاسُ ابْنَهُ مُحَمَّدًا ، وَأَقَرَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْأَغْلَبِ ، صَاحِبُ الْقَيْرَوَانِ ، عَلَى وِلَايَتِهِ ، فَسَيَّرَ جَيْشًا فِي سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ إِلَى مَالِطَةَ ، وَكَانَ الرُّومُ يُحَاصِرُونَهَا ، فَلَمَّا سَمِعَ الرُّومُ بِمَسِيرِهِمْ رَحَلُوا عَنْهَا. |
| وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ فِي رَجَبٍ قُتِلَ الْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ ، قَتَلَهُ خَدَمُهُ الْخِصْيَانُ ، وَهَرَبُوا ، فَطَلَبَهُمُ النَّاسُ ، فَأَدْرَكُوهُمْ ، فَقَتَلُوهُمْ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا وَلَّى الْمُنْتَصِرُ أَبَا عُمْرَةَ أَحْمَدَ بْنَ سَعِيدٍ ، مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ ، بَعْدَ الْبَيْعَةِ لَهُ بِيَوْمٍ ، الْمَظَالِمَ ، فَقَالَ الشَّاعِرُ يَا ضَيْعَةَ الْإِسْلَامِ لَمَّا... |
| وَلِيَ مَظَالِمَ النَّاسِ أَبُو عُمْرَهْ صُيِّرَ مَأْمُونًا عَلَى أُمَّةٍ... |
| وَلَيْسَ مَأْمُونًا عَلَى بَعْرَهْ وَحَجَّ بِالنَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الزَّيْنَبِيُّ. |
| وَاسْتُعْمِلَ عَلَى دِمَشْقَ عِيسَى بْنُ مُحَمَّدٍ النَّوْشَرِيُّ. |
| وَفِيهَا سَارَ جَيْشٌ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْأَنْدَلُسِ إِلَى مَدِينَةِ بَرْشِلُونَةَ ، وَهِيَ لِلْفِرِنْجِ ، فَأَوْقَعُوا بِأَهْلِهَا ، فَرَاسَلَ صَاحِبُهَا مَلِكَ الْفِرِنْجِ يَسْتَمِدُّهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا ، وَأَرْسَلَ الْمُسْلِمُونَ يَسْتَمِدُّونَ ، فَأَتَاهُمُ الْمَدَدُ ، فَنَازَلُوا بَرْشِلُونَةَ ، وَقَاتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَمَلَكُوا أَرْبَاضَهَا ، وَبُرْجَيْنِ مِنْ أَبْرَاجِ الْمَدِينَةِ ، فَقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَسَلِمَ الْمُسْلِمُونَ ، وَعَادُوا وَقَدْ غَنِمُوا. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو عُثْمَانَ بَكْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَازِنِيُّ النَّحْوِيُّ ، الْإِمَامُ فِي الْعَرَبِيَّةِ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ غَزَاةِ وَصِيفٍ الرُّومَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَغْزَى الْمُنْتَصِرُ وَصِيفًا التُّرْكِيَّ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ; وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحْمَدَ بْنِ الْخَصِيبِ شَحْنَاءُ وَتَبَاغُضٌ ، فَحَرَّضَ أَحْمَدُ بْنُ الْخَصِيبِ الْمُنْتَصِرَ عَلَى وَصِيفٍ ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِإِخْرَاجِهِ مِنْ عَسْكَرِهِ لِلْغَزَاةِ ، فَأَمَرَ الْمُنْتَصِرُ بِإِحْضَارِ وَصِيفٍ ، فَلَمَّا حَضَرَ قَالَ لَهُ قَدْ أَتَانَا عَنْ طَاغِيَةِ الرُّومِ أَنَّهُ أَقْبَلَ يُرِيدُ الثَّغْرَ ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُمْكِنُ الْإِمْسَاكُ عَنْهُ ، وَلَسْتُ آمَنُهُ أَنْ يُهْلِكَ كُلَّ مَا مَرَّ بِهِ مِنْ بِلَادِ الْإِسْلَامِ ، وَيَقْتُلَ وَيَسْبِيَ ، فَإِمَّا شَخَّصْتَ أَنْتَ ، وَإِمَّا شَخَّصْتُ أَنَا. |
| فَقَالَ بَلْ أُشَخِّصُ أَنَا ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ لِأَحْمَدَ بْنِ الْخَصِيبِ انْظُرْ إِلَى مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَصِيفٌ ، فَأَتِمَّهُ لَهُ ، فَقَالَ نَعَمْ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! |
| قَالَ مَا نَعَمْ ؟ |
| قُمِ السَّاعَةَ! |
| وَقَالَ لِوَصِيفٍ مُرْ كَاتِبَكَ أَنْ يُوَافِقَهُ إِلَى مَا يَحْتَاجُ وَيَلْزَمَهُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهُ. |
| فَقَامَا. |
| وَلَمْ يَزَلْ أَحْمَدُ بْنُ الْخَصِيبِ فِي جِهَازِهِ ، حَتَّى خَرَجَ ، وَانْتَخَبَ لَهُ الرِّجَالَ ، فَكَانَ مَعَهُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ رَجُلٍ ، وَكَانَ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ مُزَاحِمُ بْنُ خَاقَانَ ، أَخُو الْفَتْحِ ، وَكَتَبَ الْمُنْتَصِرُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ بِبَغْدَاذَ يُعْلِمُهُ ذَلِكَ ، وَيَأْمُرُهُ أَنْ يَنْتَدِبَ النَّاسَ إِلَى الْغُزَاةِ ، وَيُرَغِّبَهُمْ فِيهَا ، وَأَمَرَ وَصِيفًا أَنْ يُوَافِيَ ثَغْرَ مَلَطْيَةَ ، وَجَعَلَ عَلَى نَفَقَاتِ الْعَسْكَرِ ، وَالْمَغَانِمِ ، وَالْمَقَاسِمِ أَبَا الْوَلِيدِ الْحَرِيرِيَّ الْبَجَلِّيِّ. |
| وَلَمَّا سَارَ وَصِيفٌ كَتَبَ إِلَيْهِ الْمُنْتَصِرُ يَأْمُرُهُ بِالْمُقَامِ بِالثَّغْرِ أَرْبَعَ سِنِينَ يَغْزُو فِي أَوْقَاتِ الْغَزْوِ مِنْهَا ، إِلَى أَنْ يَأْتِيَهُ رَأْيُهُ. |
| ذِكْرُ خَلْعِ الْمُعْتَزِّ وَالْمُؤَيَّدِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ خُلِعَ الْمُعْتَزُّ وَالْمُؤَيَّدُ ابْنَا الْمُتَوَكِّلِ مِنْ وِلَايَةِ الْعَهْدِ ، وَكَانَ سَبَبُ خَلْعِهِمَا أَنَّ الْمُنْتَصِرَ لَمَّا اسْتَقَامَتْ لَهُ الْأُمُورُ ، قَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْخَطِيبِ لِوَصِيفٍ وَبُغَا إِنَّا لَا نَأْمَنُ الْحِدْثَانَ ، وَأَنْ يَمُوتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَيَلِيَ الْمُعْتَزُّ الْخِلَافَةَ ، فَيُبِيدَ خَضْرَاءَنَا ، وَلَا يُبْقِي مِنَّا بَاقِيَةً ، وَالْآنَ الرَّأْيُ أَنْ نَعْمَلَ فِي خَلْعِ الْمُعْتَزِّ وَالْمُؤَيَّدِ. |
| فَجَدَّ الْأَتْرَاكُ فِي ذَلِكَ ، وَأَلَحُّوا عَلَى الْمُنْتَصِرِ ، وَقَالُوا نَخْلَعُهُمَا مِنَ الْخِلَافَةِ ، وَنُبَايِعُ لِابْنِكَ عَبْدِ الْوَهَّابِ ، فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى أَجَابَهُمْ ، وَأَحْضَرَ الْمُعْتَزَّ وَالْمُؤَيَّدَ ، بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا مِنْ خِلَافَتِهِ ، وَجُعِلَا فِي دَارٍ ، فَقَالَ الْمُعْتَزُّ لِلْمُؤَيَّدِ يَا أَخِي ، قَدْ أُحْضِرْنَا لِلْخَلْعِ ، فَقَالَ لَا أَظُنُّ يَفْعَلُ ذَلِكَ. |
| فَبَيْنَمَا هَمَا كَذَلِكَ إِذْ جَاءَتِ الرُّسُلُ بِالْخَلْعِ ، فَقَالَ الْمُؤَيَّدُ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، فَقَالَ الْمُعْتَزُّ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ، فَإِنْ أَرَدْتُمُ الْقَتْلَ فَشَأْنُكُمْ ، فَأَعْلَمُوا الْمُنْتَصِرَ ، ثُمَّ عَادُوا بِغِلْظَةٍ وَشِدَّةٍ ، وَأَخَذُوا الْمُعْتَزَّ بِعُنْفٍ ، وَأَدْخَلُوهُ بَيْتًا ، وَأَغْلَقُوا عَلَيْهِ الْبَابَ ، فَلَمَّا رَأَى الْمُؤَيَّدُ ذَلِكَ قَالَ لَهُمْ بِجُرْأَةٍ وَاستِطَالَةٍ مَا هَذَا يَا كِلَابُ ؟ |
| قَدْ ضَرَيْتُمْ عَلَى دِمَائِنَا ، تَثِبُونَ عَلَى مَوْلَاكُمْ هَذَا الْوُثُوبَ ، دَعُونِي وَإِيَّاهُ حَتَّى أُكَلِّمَهُ! |
| فَسَكَتُوا عَنْهُ ، وَأَذِنُوا لَهُ فِي الِاجْتِمَاعِ بِهِ بَعْدَ إِذْنٍ مِنَ الْمُنْتَصِرِ بِذَلِكَ. |
| فَدَخَلَ عَلَيْهِ الْمُؤَيَّدُ ، وَقَالَ يَا جَاهِلُ تَرَاهُمْ نَالُوا مِنْ أَبِيكَ وَهُوَ هُوَ مَا نَالُوا ، ثُمَّ تَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ ؟ |
| اخْلَعْ وَيْلَكَ ، لَا تُرَاجِعْهُمْ! |
| فَقَالَ وَكَيْفَ أَخْلَعُ وَقَدْ جَرَى فِي الْآفَاقِ ؟ |
| فَقَالَ هَذَا الْأَمْرُ قَتَلَ أَبَاكَ ، وَهُوَ يَقْتُلُكَ ، وَإِنْ كَانَ فِي سَابِقِ عِلْمِ اللَّهِ أَنْ تَلِيَ لَتَلِيَنَّ. |
| فَقَالَ أَفْعَلُ. |
| فَخَرَجَ الْمُؤَيَّدُ وَقَالَ قَدْ أَجَابَ إِلَى الْخَلْعِ ، فَمَضَوْا ، وَأَعْلَمُوا الْمُنْتَصِرَ ، وَعَادُوا فَشَكَرُوهُ ، وَمَعَهُمْ كَاتِبٌ ، فَجَلَسَ ، فَقَالَ لِلْمُعْتَزِّ اكْتُبْ بِخَطِّكَ خَلْعَكَ! |
| فَامْتَنَعَ ، فَقَالَ الْمُؤَيَّدُ لِلْكَاتِبِ هَاتِ قِرْطَاسَكَ! |
| أَمْلِلْ عَلَيَّ مَا شِئْتَ ، فَأَمْلَى عَلَيْهِ كِتَابًا إِلَى الْمُنْتَصِرِ يُعْلِمُهُ فِيهِ ضَعْفَهُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ ، وَأَنْ لَا يَحِلَّ لَهُ أَنْ يَتَقَلَّدَهُ ، وَكَرِهَ أَنْ يَأْثَمَ الْمُتَوَكِّلُ بِسَبَبِهِ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ مَوْضِعًا لَهُ ، وَيَسْأَلُهُ الْخَلْعَ ، وَيُعْلِمُهُ أَنَّهُ قَدْ خَلَعَ نَفْسَهَ ، وَأَحَلَّ النَّاسَ مِنْ بَيْعَتِهِ ، فَكَتَبَ ذَلِكَ ، وَقَالَ لِلْمُعْتَزِّ اكْتُبْ! |
| فَأَبَى ، فَقَالَ اكْتُبْ وَيْلَكَ! |
| فَكَتَبَ وَخَرَجَ الْكَاتِبُ عَنْهُمَا ، ثُمَّ دَعَاهُمَا ، فَدَخَلَا عَلَى الْمُنْتَصِرِ ، فَأَجْلَسَهُمَا وَقَالَ هَذَا كِتَابُكُمَا ؟ |
| فَقَالَا نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. |
| فَقَالَ لَهُمَا ، وَالْأَتْرَاكُ وُقُوفٌ أَتُرَانِي خَلَعْتُكُمَا طَمَعًا فِي أَنْ أَعِيشَ حَتَّى يَكْبُرَ وَلَدِي وَأُبَايِعَ لَهُ ؟ |
| وَاللَّهِ مَا طَمِعْتُ فِي ذَلِكَ سَاعَةً قَطُّ ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ لِي فِي ذَلِكَ طَمَعٌ فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَلِيَهَا بَنُو أَبِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَلِيَهَا بَنُو عَمِّي ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ ، وَأَوْمَأَ إِلَى سَائِرِ الْمَوَالِي مِمَّنْ هُوَ قَائِمٌ عِنْدَهُ وَقَاعِدٌ ، أَلَحُّوا عَلَيَّ فِي خَلْعِكُمَا ، فَخِفْتُ إِنْ لَمْ أَفْعَلْ أَنْ يَعْتَرِضَكُمَا بَعْضُهُمْ بِحَدِيدَةٍ فَيَأْتِيَ عَلَيْكُمَا ، فَمَا تَرَيَانِي صَانِعًا إِذَنْ ؟ |
| أَقْتُلُهُ! |
| فَوَاللَّهِ مَا تَفِي دِمَاؤُهُمْ كُلُّهُمْ بِدَمِ بَعْضِكُمْ ، فَكَانَتْ إِجَابَتُهُمْ إِلَى مَا سَأَلُوا أَسْهَلَ عَلَيَّ. |
| فَقَبَّلَا يَدَهُ وَضَمَّهُمَا ، ثُمَّ إِنَّهُمَا أَشْهَدَا عَلَى أَنْفُسِهِمَا الْقُضَاةَ ، وَبَنِي هَاشِمٍ ، وَالْقُوَّادَ ، وَوُجُوهَ النَّاسِ ، وَغَيْرَهُمْ ، بِالْخَلْعِ ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ الْمُنْتَصِرُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ وَإِلَى غَيْرِهِ. |
| ذِكْرُ مَوْتِ الْمُنْتَصِرِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ الْمُنْتَصِرُ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ لِخَمْسٍ خَلَوْنَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ ، وَقِيلَ يَوْمَ السَّبْتَ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ ، وَقِيلَ كُنْيَتُهُ أَبُو الْعَبَّاسِ ، وَقِيلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ . |
| وَكَانَتْ عِلَّتُهُ الذَّبْحَةُ فِي حَلْقِهِ أَخَذَتْهُ يَوْمَ الْخَمِيسِ ، لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ . |
| وَقِيلَ كَانَتْ عِلَّتُهُ مِنْ وَرَمٍ فِي مَعِدَتِهِ ، ثُمَّ صَعِدَ إِلَى فُؤَادِهِ فَمَاتَ ، وَكَانَتْ عِلَّتُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. |
| وَقِيلَ إِنَّهُ وَجَدَ حَرَارَةً ، فَدَعَا بَعْضَ أَطِبَّائِهِ ، فَفَصَدَهُ بِمِبْضَعٍ مَسْمُومٍ ، فَمَاتَ مِنْهُ ، وَانْصَرَفَ الطَّبِيبُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَقَدْ وَجَدَ حَرَارَةً ، فَدَعَا تِلْمِيذًا لِيَفْصِدَهُ ، وَوَضَعَ مَبَاضِعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ لِيَسْتَخِيرَ أَجْوَدَهَا ، فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْمِبْضَعَ الْمَسْمُومَ ، وَقَدْ نَسِيَهُ الطَّبِيبُ ، فَفَصَدَهُ بِهِ ، فَلَمَّا فَرَغَ إِلَيْهِ نَظَرَ إِلَيْهِ فَعَرَفَهُ ، فَأَيْقَنَ بِالْهَلَاكِ ، وَوَصَّى مِنْ سَاعَتِهِ. |
| وَقِيلَ إِنَّهُ كَانَ قَدْ وَجَدَ فِي رَأْسِهِ عِلَّةً ، فَقَطَرَ ابْنُ الطَّيْفُورِيِّ فِي أُذُنِهِ دُهْنًا ، فَوَرِمَ رَأْسُهُ ، فَمَاتَ. |
| وَقِيلَ بَلْ سَمَّهُ ابْنُ الطَّيْفُورِيِّ فِي مَحَاجِمهِ فَمَاتَ. |
| وَقِيلَ كَانَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ حِينَ أَفَضْتِ الْخِلَافَةُ إِلَيْهِ إِلَى أَنْ مَاتَ يَقُولُونَ إِنَّمَا مُدَّةُ حَيَّاتِهِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، مُدَّةَ شِيرَوَيْهِ بْنِ كِسْرَى ، قَاتِلِ أَبِيهِ ، يَقُولُهُ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ. |
| وَقِيلَ إِنَّ الْمُنْتَصِرَ كَانَ نَائِمًا فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ، فَانْتَبَهَ وَهُوَ يَبْكِي وَيَنْتَحِبُ ، فَسَمِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْبَازِيَارُ ، فَأَتَاهُ ، فَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ بُكَائِهِ ، فَقَالَ كُنْتُ نَائِمًا ، فَرَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنَّ الْمُتَوَكِّلَ قَدْ جَاءَنِي ، فَقَالَ وَيَحَكَ يَا مُحَمَّدُ! |
| قَتَلْتَنِي وَظَلَمْتَنِي ، وَغَبَنْتَنِي خِلَافَتِي ، وَاللَّهِ لَا مُتِّعْتَ بِهَا بَعْدِي إِلَّا أَيَّامًا يَسِيرَةً ، ثُمَّ مَصِيرُكَ إِلَى النَّارِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ هَذِهِ رُؤْيَا ، وَهِيَ تَصْدُقُ وَتَكْذِبُ ، بَلْ يُعَمِّرُكَ اللَّهُ ، وَيَسُرُّكَ ، ادْعُ بِالنَّبِيذِ وَخُذْ فِي اللَّهْوِ لَا تَعْبَأْ بِهَا ، فَفَعَلَ ذَلِكَ وَلَمْ يَزَلْ مُنْكَسِرًا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ. |
| قَالَ بَعْضُهُمْ وَذَكَرَ أَنَّ الْمُنْتَصِرَ كَانَ شَاوَرَ فِي قَتْلِ أَبِيهِ جَمَاعَةً مِنَ الْفُقَهَاءِ ، وَأَعْلَمَهُمْ بِمَذَاهِبِهِ ، وَحَكَى عَنْهُ أُمُورًا قَبِيحَةً كَرِهْتُ ذِكْرَهَا ، فَأَشَارُوا بِقَتْلِهِ ، فَكَانَ كَمَا ذَكَرْنَا بَعْضَهُ. |
| وَكَانَ عُمْرُهُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ ، وَقِيلَ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ وَيَوْمَيْنِ ، وَقِيلَ كَانَتْ سِتَّةَ أَشْهُرٍ سَوَاءً. |
| وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِسَامَرَّا ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ أَنْشَدَ وَمَا فَرِحَتْ نَفْسِي بِدُنْيَا أَخَذْتُهَا... |
| وَلَكِنْ إِلَى الرَّبِّ الْكَرِيمِ أَصِيرُ وَصَلَّى عَلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُعْتَصِمِ بِسَامَرَّا ، وَبِهَا كَانَ مَوْلِدُهُ. |
| وَكَانَ أَعْيَنَ ، أَقْنَى ، قَصِيرًا ، مَهِيبًا. |
| وَهُوَ أَوَّلُ خَلِيفَةٍ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ عُرِفَ قَبَرُهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ أُمَّهُ طَلَبَتْ إِظْهَارَ قَبْرِهِ. |
| وَكَانَتْ أُمُّهُ أُمَّ وَلَدٍ رُومِيَّةً. |
| ذِكْرُ بَعْضِ سِيرَتِهِ كَانَ الْمُنْتَصِرُ عَظِيمَ الْحِلْمِ ، رَاجِحَ الْعَقْلِ ، غَزِيرَ الْمَعْرُوفِ ، رَاغِبًا فِي الْخَيْرِ ، جَوَادًا ، كَثِيرَ الْإِنْصَافِ ، حَسَنَ الْعِشْرَةِ ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِزِيَارَةِ قَبْرِ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، فَأَمَّنَ الْعَلَوِيِّينَ ، وَكَانُوا خَائِفِينَ أَيَّامَ أَبِيهِ ، وَأَطْلَقَ وُقُوفَهُمْ ، وَأَمَرَ بِرَدِّ فَدَكَ إِلَى وَلَدِ الْحُسَيْنِ وَالْحَسَنِ ابْنَيْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ. |
| وَذَكَرَ أَنَّ الْمُنْتَصِرَ لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ كَانَ أَوَّلَ مَا أَحْدَثَ أَنْ عَزَلَ صَالِحَ بْنَ عَلِيٍّ عَنِ الْمَدِينَةِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ. |
| قَالَ عَلَيٌّ فَلَمَّا دَخَلْتُ أُوَدِّعُهُ ، قَالَ لِي يَا عَلِيٌّ! |
| إِنِّي أُوَجِّهُكَ إِلَى لَحْمِي وَدَمِي ، وَمَدَّ سَاعِدَهُ ، وَقَالَ إِلَى هَذَا أُوَجِّهُ بِكَ ، فَانْظُرْ كَيْفَ تَكُونُ لِلْقَوْمِ ، وَكَيْفَ تُعَامِلُهُمْ ، يَعْنِي إِلَى آلِ أَبِي طَالِبٍ. |
| فَقَالَ أَرْجُو أَنْ أَمْتَثِلَ أَمْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، فَقَالَ إِذَنْ تَسْعَدُ عِنْدِي. |
| وَمِنْ كَلَامِهِ وَاللَّهِ مَا عَزَّ ذُو بَاطِلٍ وَلَوْ طَلَعَ الْقَمَرُ مِنْ جَبِينِهِ ، وَلَا ذَلَّ ذُو حَقٍّ وَلَوْ أُصْفِقَ الْعَالَمُ عَلَيْهِ . |
| ذِكْرُ خِلَافَةِ الْمُسْتَعِينِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ بُويِعَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُعْتَصِمِ بِالْخِلَافَةِ ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْمُنْتَصِرَ لَمَّا تُوُفِّيَ اجْتَمَعَ الْمُوَالِي عَلَى الْهَارُونِيَّةِ مِنَ الْغَدِ ، وَفِيهَا بُغَا الْكَبِيرُ ، وَبُغَا الصَّغِيرُ ، وَأَتَامِشُ ، وَغَيْرُهُمْ ، فَاسْتَحْلَفُوا قُوَّادَ الْأَتْرَاكِ ، وَالْمَغَارِبَةِ ، وَالْأَشْرُوسَنِّيَّةِ عَلَى أَنْ يَرْضَوْا بِمَنْ رَضِيَ بِهِ بُغَا الْكَبِيرُ ، وَبُغَا الصَّغِيرُ ، وَأُتَامِشُ ، وَذَلِكَ بِتَدْبِيرِ أَحْمَدَ بْنِ الْخَصِيبِ ، فَحَلَفُوا ، وَتَشَاوَرُوا ، وَكَرِهُوا أَنْ يَتَوَلَّى الْخِلَافَةَ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ الْمُتَوَكِّلِ لِئَلَّا يَغْتَالَهُمْ ، وَأَجْمَعُوا عَلَى أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُعْتَصِمِ ، وَقَالُوا لَا تَخْرُجُ الْخِلَافَةُ مِنْ وَلَدِ مَوْلَانَا الْمُعْتَصِمِ ، فَبَايَعُوهُ لَيْلَةَ الِاثْنَيْنِ لِسِتٍّ خَلَوْنَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَيُكَنَّى أَبَا الْعَبَّاسِ ، فَاسْتَكْتَبَ أَحْمَدَ بْنَ الْخَصِيبِ ، وَاسْتَوْزَرَ أُوتَامُشَ. |
| فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ سَارَ الْمُسْتَعِينُ إِلَى دَارِ الْعَامَّةِ فِي زِيِّ الْخِلَافَةِ ، وَحَمَلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْحَرْبَةَ ، وَصَفَّ وَاجِنُ الْأَشْرُوسَنِيُّ أَصْحَابَهُ صَفَّيْنِ ، وَقَامَ هُوَ وَعِدَّةٌ مِنْ وُجُوهِ أَصْحَابِهِ ، وَحَضَرَ الدَّارَ أَصْحَابُ الْمَرَاتِبِ مِنَ الْعَبَّاسِيِّينَ وَالطَّالِبِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ. |
| فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَتْ صَيْحَةٌ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّارِعِ وَالسُّوقِ ، وَإِذَا نَحْوًا مِنْ خَمْسِينَ فَارِسًا ذَكَرُوا أَنَّهُمْ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَمَعَهُمْ غَيْرُهُمْ مِنْ أَخْلَاطَ النَّاسِ وَالْغَوْغَاءِ وَالسُّوقَةِ ، فَشَهَرُوا السِّلَاحَ ، وَصَاحُوا نَفِيرَ ، يَا مَنْصُورُ! |
| وَشَدُّوا عَلَى أَصْحَابِ الْأُشْرُوسَنِيِّ فَتَضَعْضَعُوا ، وَانْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، وَتَحَرَّكَ مَنْ عَلَى بَابِ الْعَامَّةِ مِنَ الْمُبَيِّضَةِ وَالشَّاكِرِيَّةِ ، وَكَثُرُوا ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمُ الْمَغَارِبَةُ ، وَبَعْضُ الْأُشْروسَنِّيَّةِ ، فَهَزَمُوهُمْ حَتَّى أَدْخَلُوهُمْ دَرْبَ زَرَافَةَ ، ثُمَّ نَشِبَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ ، فَقُتِلَ جَمَاعَةٌ ، وَانْصَرَفَ الْأَتْرَاكُ بَعْدَ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ ، وَقَدْ بَايَعُوا الْمُسْتَعِينَ هُمْ وَمَنْ حَضَرَ مِنَ الْهَاشِمِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ. |
| وَدَخَلَ الْغَوْغَاءُ وَالْمُنْتَهِبَةُ دَارَ الْعَامَّةِ ، فَانْتَهَبُوا الْخِزَانَةَ الَّتِي فِيهَا السِّلَاحُ ، وَالدُّرُوعُ ، وَالْجَوَاشِنُ ، وَالسُّيُوفُ ، وَالتُّرُسُ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ ، وَكَانَ الَّذِينَ نَهَبُوا ذَلِكَ الْغَوْغَاءُ ، وَأَصْحَابُ الْحَمَّامَاتِ ، وَغِلْمَانُ أَصْحَابِ الْبَاقِلِّيِّ ، وَأَصْحَابُ الْفُقَّاعِ ، فَأَتَاهُمْ بُغَا الْكَبِيرُ ، فِي جَمَاعَةٍ ، فَأَجْلُوهُمْ عَنِ الْخِزَانَةِ ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ عِدَّةً ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ ، وَتَحَرَّكَ أَهْلُ السِّجْنِ بِسَامَرَّا ، وَهَرَبَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ ، ثُمَّ وَضَعَ الْعَطَاءَ عَلَى الْبَيْعَةِ ، وَبَعَثَ بِكِتَابِ الْبَيْعَةِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، فَبَايَعَ لَهُ هُوَ وَالنَّاسُ بِبَغْدَاذَ. |
| ذِكْرُ ابْنِ مِسْكَوَيْهِ فِي كِتَابِ "تَجَارِبِ الْأُمَمِ" أَنَّ الْمُسْتَعِينَ أَخُو الْمُتَوَكِّلِ لِأَبِيهِ ، وَلَيْسَ هُوَ كَذَلِكَ ، إِنَّمَا هُوَ وَلَدُ أَخِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُعْتَصِمِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا وَرَدَ عَلَى الْمُسْتَعِينِ وَفَاةُ طَاهِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ بِخُرَاسَانَ فِي رَجَبٍ ، فَعَقَدَ الْمُسْتَعِينُ لِابْنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ عَلَى خُرَاسَانَ ، وَلِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ عَلَى الْعِرَاقِ ، وَجَعَلَ إِلَيْهِ الْحَرَمَيْنِ ، وَالشُّرْطَةَ ، وَمَعَاوِنَ السَّوَادِ ، وَأَفْرَدَهُ بِهِ. |
| وَفِيهَا مَاتَ بُغَا الْكَبِيرُ ، فَعَقَدَ لِابْنِهِ مُوسَى عَلَى أَعْمَالِ أَبِيهِ كُلِّهَا ، وَوَلِيَ دِيوَانَ الْبَرِيدِ. |
| وَفِيهَا وَجَّهَ أَنُوجُورَ التُّرْكِيَّ إِلَى أَبِي الْعَمُودِ الثَّعْلَبِيِّ ، فَقَتَلَهُ بِكَفَرتُوثَى لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ. |
| وَفِيهَا خَرَجَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَاقَانَ إِلَى الْحَجِّ ، فَوَجَّهَ خَلْفَهُ رَسُولٌ يَنْفِيهِ إِلَى بَرْقَةَ ، وَيَمْنَعُهُ مِنَ الْحَجِّ. |
| وَفِيهَا ابْتَاعَ الْمُسْتَعِينُ مِنَ الْمُعْتَزِّ وَالْمُؤَيَّدِ جَمِيعَ مَالِهِمَا وَأَشْهَدَا عَلَيْهِمَا الْقُضَاةَ وَالْفُقَهَاءَ ، وَكَانَ الشِّرَاءُ بَاسِمِ الْحَسَنِ بْنِ الْمُخَلِّدِ لِلْمُسْتَعِينِ ، وَتَرَكَ لِلْمُعْتَزِّ مَا يَتَحَصَّلُ مِنْهُ فِي السَّنَةِ عِشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَلِلْمُؤَيَّدِ مَا يَتَحَصَّلُ مِنْهُ فِي السَّنَةِ خَمْسَةُ آلَافِ دِينَارٍ ، وَجُعِلَا فِي حُجْرَةٍ فِي الْجَوْسَقِ ، وَوَكَّلَ بِهِمَا ، وَكَانَ الْأَتْرَاكُ حِينَ شَغَبَ الْغَوْغَاءُ أَرَادُوا قَتْلَهُمَا ، فَمَنَعَهُمْ أَحْمَدُ بْنُ الْخَصِيبِ وَقَالَ لَا ذَنْبَ لَهُمَا ، وَلَكِنِ احْبِسُوهُمَا ، فَحَبَسُوهُمَا. |
| وَفِيهَا غَضِبَ الْمَوَالِي عَلَى أَحْمَدَ بْنِ الْخَصِيبِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَاسْتُصْفِيَ مَالُهُ وَمَالُ وَلَدِهِ ، وَنُفِيَ إِلَى أَقْرِيطِشَ. |
| وَفِيهَا صَرَفَ عَلِيَّ بْنَ يَحْيَى الْأَرْمَنِيَّ عَنِ الثُّغُورِ الشَّامِيَّةِ ، وَعَقَدَ لَهُ عَلَى أَرْمِينِيَّةَ وَأَذْرَبِيجَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ. |
| وَفِيهَا شَغَبَ أَهْلُ حِمْصَ عَلَى كَيْدَرَ عَامِلِهِمْ فَأَخْرَجُوهُ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمُ الْمُسْتَعِينُ الْفَضْلَ بْنَ قَارَنَ ، فَأَخَذَهُمْ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَحَمَلَ مِنْهُمْ مِائَةً مِنْ أَعْيَانِهِمْ إِلَى سَامَرَّا. |
| وَفِيهَا غَزَا الصَّائِفَةَ وَصِيفٌ ، وَكَانَ مُقِيمًا بِالثَّغْرِ الشَّامِيِّ ، فَدَخَلَ بِلَادَ الرُّومِ ، فَافْتَتَحَ حِصْنَ فرورية. |
| وَفِيهَا عَقَدَ الْمُسْتَعِينُ لِأُوتَامِشَ عَلَى مِصْرَ وَالْمَغْرِبِ ، وَاتَّخَذَهُ وَزِيرًا. |
| وَفِيهَا عَقَدَ لِبُغَا الشَّرَابِيِّ عَلَى حُلْوَانَ ، وَمَاسَبَذَانَ ، وَمِهْرَجَانَ قَذَفَ ، وَجَعَلَ الْمُسْتَعِينُ شَاهَكَ الْخَادِمَ عَلَى دَرِاهِ وَكُرَاعِهِ ، وَحَرَمِهِ ، وَحُرَّاسِهِ ، وَخَاصِّ أُمُورِهِ ، وَقَدَّمَهُ وَأُتَامِشَ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ . |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الزَّيْنَبِيُّ. |
| وَفِيهَا حَكَمَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو أَيَّامَ الْمُنْتَصِرِ . |
| وَخَرَجَ بِنَاحِيَةِ الْمَوْصِلِ خَارِجِيٌّ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْمُنْتَصِرُ إِسْحَاقَ بْنَ ثَابِتٍ الْفَرَغَانِيَّ ، فَأَسَرَهُ مَعَ عِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقُتِلُوا وَصُلِبُوا. |
| وَفِيهَا تَحَرَّكَ يَعْقُوبُ بْنُ اللَّيْثِ الصَّفَّارِ مِنْ سِجِسْتَانَ نَحْوَ هَرَاةَ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ أَبُو مُحَمَّدٍ الرَّافِعِيُّ الزَّاهِدُ ، وَكَانَ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةَ. |
| بَقِيَّةُ الْحَوَادِثِ وَفِيهَا سَارَتْ سَرِيَّةٌ فِي الْأَنْدَلُسِ إِلَى ذِي تَرُوجَةَ ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ قَدْ تَطَاوَلُوا إِلَى ذَلِكَ الْجَانِبِ ، فَلَقِيَتْهُمُ السَّرِيَّةُ ، فَأَصَابُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَقَتَلُوا كَثِيرًا مِنْهُمْ. |
| وَفِيهَا كَانَ بِصِقِلِّيَّةَ سَرَايَا لِلْمُسْلِمِينَ ، فَغَنِمَتْ وَعَادَتْ ، وَلَمْ يَكُنْ حَرْبٌ بَيْنَهُمْ تُذْكَرُ . |
| بَقِيَّةُ الْوَفِيَاتِ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ الْهَمَذَانِيُّ الْكُوفِيُّ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَكَانَ مِنْ مَشَايِخِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ الرَّازِيُّ الْمُحَدِّثُ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ غَزْوِ الرُّومِ وَقَتْلِ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى الْأَرْمَنِيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا جَعْفَرُ بْنُ دِينَارَ الصَّائِفَةَ ، فَافْتَتَحَ حِصْنًا ، وَمَطَامِيرَ ، وَاسْتَأْذَنَهُ عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الْأَقْطَعُ فِي الْمَسِيرِ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَسَارَ فِي خَلْقٍ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ مَلَطْيَةَ ، فَلَقِيَهُ الْمَلِكُ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ مِنْ أَهْلِ الرُّومِ بِمَرْجِ الْأَسْقُفِّ ، فَحَارَبَهُ مُحَارَبَةً شَدِيدَةً قُتِلَ فِيهَا مِنَ الْفَرِيقَيْنِ خَلْقٌ كَثِيرٌ. |
| ثُمَّ أَحَاطَتْ بِهِ الرُّومُ ، وَهُمْ خَمْسُونَ أَلْفًا ، وَقُتِلَ عُمَرُ وَمِمَّنْ مَعَهُ أَلْفَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي مُنْتَصَفِ رَجَبٍ. |
| فَلَمَّا قُتِلَ عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ خَرَجَ الرُّومُ إِلَى الثُّغُورِ الْجَزَرِيَّةِ ، وَكَلَبُوا عَلَيْهَا وَعَلَى أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ وَحَرَمِهِمْ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيَّ بْنَ يَحْيَى ، وَهُوَ قَافِلٌ مِنْ أَرْمِينِيَّةَ إِلَى مَيَّارفَارِقِينَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ، وَمِنْ أَهْلِ السِّلْسِلَةِ ، فَنَفَرَ إِلَيْهِمْ ، فَقُتِلَ فِي نَحْوٍ مِنْ أَرْبَعِ مِائَةِ رَجُلٍ وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ. |
| ذِكْرُ الْفِتْنَةِ بِبَغْدَاذَ وَفِيهَا شَغَبَ الْجُنْدُ وَالشَّاكِرِيَّةُ بِبَغْدَاذَ ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْخَبَرَ لَمَّا اتَّصَلَ بِهِمْ وَبِسَامَرَّا وَمَا قَرُبَ مِنْهَا بِقَتْلِ عُمَرِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَعَلِيِّ بْنِ يَحْيَى ، وَكَانَا مِنْ شُجْعَانِ الْإِسْلَامِ ، شَدِيدًا بَأْسُهُمَا ، عَظِيمًا غَنَاؤُهُمَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي الثُّغُورِ ، شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مَعَ قُرْبِ مَقْتَلِ أَحَدِهِمَا مِنَ الْآخَرِ ، وَمَا لَحِقَهُمْ مِنَ اسْتِعْظَامِهِمْ قَتْلَ الْأَتْرَاكِ لِلْمُتَوَكِّلِ ، وَاسْتِيلَائِهِمْ عَلَى أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ ، يَقْتُلُونَ مَنْ يُرِيدُونَ مِنَ الْخُلَفَاءِ ، وَيَسْتَخْلِفُونَ مَنْ أَحَبُّوا مِنْ غَيْرِ دِيَانَةٍ ، وَلَا نَظَرٍ لِلْمُسْلِمِينَ . |
| فَاجْتَمَعَتِ الْعَامَّةُ بِبَغْدَاذَ بِالصُّرَاخِ ، وَالنِّدَاءِ بِالنَّفِيرِ ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِمُ الْأَبْنَاءُ ، وَالشَّاكِرِيَّةُ تُظْهِرُ أَنَّهَا تَطْلُبُ الْأَرْزَاقَ ، وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ صَفَرَ ، فَفَتَحُوا السُّجُونَ ، وَأَخْرَجُوا مَنْ فِيهَا ، وَأَحْرَقُوا أَحَدَ الْجِسْرَيْنِ وَقَطَعُوا الْآخَرَ ، وَانْتَهَبُوا دَارَ بِشْرِ ، وَإِبْرَاهِيمَ ابْنَيْ هَارُونَ ، كَاتِبَيْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، ثُمَّ أَخْرَجَ أَهْلُ الْيَسَارِ مِنْ بَغْدَادَ وَسَامَرَّا أَمْوَالًا كَثِيرَةً ، فَفَرَّقُوهَا فِيمَنْ نَهَضَ إِلَى الثُّغُورِ ، وَأَقْبَلَتِ الْعَامَّةُ مِنْ نَوَاحِي الْجِبَالِ ، وَفَارِسٍ ، وَالْأَهْوَازِ ، وَغَيْرِهَا لِغَزْوِ الرُّومِ ، فَلَمْ يَأْمُرِ الْخَلِيفَةُ فِي ذَلِكَ بِشَيْءٍ وَلَمْ يُوَجِّهْ عَسْكَرَهُ. |
| ذِكْرُ الْفِتْنَةِ بِسَامَرَّا وَفِيهَا فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ وَثَبَ نَفَرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يُدْرَى مَنْ هُمْ بِسَامَرَّا ، فَفَتَحُوا السِّجْنَ ، وَأَخْرَجُوا مَنْ فِيهِ ، فَبَعَثَ فِي طَلَبِهِمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَوَالِي ، فَوَثَبَ الْعَامَّةُ بِهِمْ فَهَزَمُوهُمْ ، فَرَكِبَ بُغَا ، وَأُتَامَشُ ، وَوَصِيفٌ ، وَعَامَّةُ الْأَتْرَاكِ ، فَقَتَلُوا مِنَ الْعَامَّةِ جَمَاعَةً ، فَرُمِيَ وَصِيفٌ بِحَجَرٍ ، فَأَمَرَ بِإِحْرَاقِ ذَلِكَ الْمَكَانِ ، وَانْتَهَبَ الْمَغَارِبَةَ ، ثُمَّ سَكَنَ ذَلِكَ آخِرَ النَّهَارِ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ أُتَامِشَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ أُتَامِشُ وَكَاتِبُهُ شُجَاعٌ ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْمُسْتَعِينَ أَطْلَقَ يَدَ وَالِدَتِهِ ، وَيَدَ أُتَامِشَ ، وَشَاهَكَ الْخَادِمِ فِي بُيُوتِ الْأَمْوَالِ ، وَأَبَاحَهُمْ فِعْلَ مَا أَرَادُوا ، فَكَانَتِ الْأَمْوَالُ الَّتِي تَرِدُ مِنَ الْآفَاقِ يَصِيرُ مُعْظَمُهَا إِلَى هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ ، فَأَخَذَ أُتَامِشُ أَكْثَرَ مَا فِي بُيُوتِ الْأَمْوَالِ ، وَكَانَ فِي حِجْرِهِ الْعَبَّاسُ بْنُ الْمُسْتَعِينِ ، وَكَانَ مَا فَضَلَ مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ أَخَذَهُ أُتَامِشُ لِلْعَبَّاسِ فَصَرَفَهُ فِي نَفَقَاتِهِ ، وَكَانَتِ الْمَوَالِي تَنْظُرُ إِلَى الْأَمْوَالِ تُؤْخَذُ وَهُمْ فِي ضِيقَةٍ ، وَوَصِيفٌ وَبُغَا بِمَعْزِلٍ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَغْرَيَا الْمُوَالِيَ بأُتَامِشَ ، وَأَحْكَمَا أَمْرَهُ ، فَاجْتَمَعَتِ الْأَتْرَاكُ وَالْفَرَاغِنَةُ عَلَيْهِ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ أَهْلُ الدُّورِ وَالْكَرْخِ ، فَعَسْكَرُوا فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ ، وَزَحَفُوا إِلَيْهِ وَهُوَ فِي الْجَوْسَقِ مَعَ الْمُسْتَعِينِ ، وَبَلَغَهُ الْخَبَرُ ، فَأَرَادَ الْهَرَبَ ، فَلَمْ يُمْكِنْهُ ، وَاسْتَجَارَ بِالْمُسْتَعِينِ ، فَلَمْ يُجِرْهُ ، فَأَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ يَوْمَيْنِ ، ثُمَّ دَخَلُوا الْجَوْسَقَ ، وَأَخَذُوا أُتَامِشَ ، فَقَتَلُوهُ ، وَقَتَلُوا كَاتِبَهُ شُجَاعًا ، وَنُهِبَتْ دُورُ أُتَامِشَ ، فَأَخَذُوا مِنْهُ أَمْوَالًا جَمَّةً وَغَيْرَ ذَلِكَ. |
| فَلَمَّا قُتِلَ استَوْزَرَ الْمُسْتَعِينُ أَبَا صَالِحٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ يَزْدَادَ ، وَعَزَلَ الْفَضْلَ بْنَ مَرْوَانَ عَنْ دِيُونِ الْخَرَاجِ ، وَوَلَّاهُ عِيسَى بْنُ فَرَّخَانشَاه ، وَوَلِيَ وَصِيفٌ الْأَهْوَازَ ، وَبُغَا الصَّغِيرُ فِلَسْطِينَ. |
| ثُمَّ غَضِبَ بُغَا الصَّغِيرُ عَلَى أَبِي صَالِحٍ ، فَهَرَبَ إِلَى بَغْدَادَ ، فَاسْتَوْزَرَ الْمُسْتَعِينُ مُحَمَّدَ بْنَ الْفَضْلِ الْجَرْجَرَائِيَّ ، وَجَعَلَ عَلَى دِيوَانِ الرَّسَائِلِ سَعِيدَ بْنَ حُمَيْدٍ ، فَقَالَ الْحَمْدُونِيُّ لَبِسَ السَّيْفَ سَعِيدٌ بَعْدَمَا... |
| كَانَ ذَا طِمْرَيْنِ لَا تَوْبَةَ لَهْ إِنَّ لِلَّهِ لِآيَاتٍ ، وَذَا آيَةٌ لِلَّهِ فِينَا مُنْزَلَهْ ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِيهَا قُتِلَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ بْنِ بَدْرٍ الشَّاعِرُ بِقُرْبِ حَلَبَ ، كَانَ تَوَجَّهَ إِلَى الثَّغْرِ ، فَلَقِيَهُ خَيْلٌ لِكَلْبَ ، فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا مَا مَعَهُ ، فَقَالَ وَهُوَ فِي السِّيَاقِ أَزِيدَ فِي اللَّيْلِ لَيلٌ أَمْ سَالَ... |
| فِي الصُّبْحِ سَيْلْ ذَكَرْتُ أَهْلَ دُجَيْلٍ وَأَيْنَ مِنِّي دُجَيْلْ... |
| وَكَانَ مَنْزِلُهُ بِشَارِعِ دُجَيْلٍ. |
| وَفِيهَا عُزِلَ جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ عَنِ الْقَضَاءِ ، وَوَلِيَهُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارٍ الْبُرْجُمِيُّ الْكُوفِيُّ ، وَقِيلَ كَانَ ذَلِكَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ. |
| وَفِيهَا أَصَابَ أَهْلَ الرَّيِّ زَلْزَلَةٌ شَدِيدَةٌ وَرَجْفَةٌ تَهَدَّمَتْ مِنْهَا الدُّورُ ، وَمَاتَ خَلْقٌ مِنْ أَهْلِهَا ، وَهَرَبَ الْبَاقُونَ فَنَزَلُوا ظَاهِرَ الْمَدِينَةِ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةِ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامُ ، وَهُوَ وَالِي مَكَّةَ. |
| وَفِيهَا سَيَّرَ مُحَمَّدٌ ، صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ ، جَيْشًا مَعَ ابْنِهِ إِلَى مَدِينَةِ أُلْبَةَ ، وَالْقِلَاعِ مِنْ بَلَدِ الْفِرِنْجِ ، فَجَالَتِ الْخَيْلُ فِي ذَلِكَ الثَّغْرِ ، وَغَنِمَتْ ، وَافْتَتَحَتْ بِهَا حُصُونًا مَنِيعَةً. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَغْلَبِ ، صَاحِبُ إِفْرِيقِيَّةَ ، ثَالِثَ عَشَرَ ذِي الْقِعْدَةِ ، فَلَمَّا مَاتَ وَلِيَ أَخُوهُ زِيَادَةُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَغْلَبِ ، فَلَمَّا وَلِيَ زِيَادَةُ اللَّهِ أَرْسَلَ إِلَى خَفَاجَةَ بْنِ سُفْيَانَ ، أَمِيرِ صِقِلِّيَّةَ ، يُعَرِّفُهُ مَوْتَ أَخِيهِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقِيمَ عَلَى وِلَايَتِهِ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ ظُهُورِ يَحْيَى بْنِ عُمَرَ الطَّالِبِيِّ وَمَقْتَلِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ظَهَرَ يَحْيَى بْنُ عُمَرَ بْنِ يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْمُكَنَّى بِأَبِي الْحُسَيْنِ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بِالْكُوفَةِ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ فَاطِمَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ نَالَتْهُ ضِيقَةٌ ، وَلَزِمَهُ دَيْنٌ ضَاقَ بِهِ ذَرْعًا ، فَلَقِيَ عُمَرَ بْنَ فَرَجٍ ، وَهُوَ يَتَوَلَّى أَمْرَ الطَّالِبِيِّينَ ، عِنْدَ مَقْدِمِهِ مِنْ خُرَاسَانَ ، أَيَّامَ الْمُتَوَكِّلِ ، فَكَلَّمَهُ فِي صِلَتِهِ ، فَأَغْلَظَ لَهُ عُمَرُ الْقَوْلَ ، وَحَبَسَهُ ، فَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوسًا حَتَّى كَفَلَهُ أَهْلُهُ ، فَأُطْلِقَ ، فَسَارَ إِلَى بَغْدَادَ ، فَأَقَامَ بِهَا بِحَالٍ سَيِّئَةٍ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى سَامَرَّا ، فَلَقِيَ وَصِيفًا فِي رِزْقٍ يُجْرَى لَهُ ، فَأَغْلَظَ لَهُ وَصِيفٌ ، وَقَالَ لِأَيِّ شَيْءٍ يُجْرَى عَلَى مِثْلِكَ ؟ |
| فَانْصَرَفَ عَنْهُ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَبِهَا أَيُّوبُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْهَاشِمِيُّ ، عَامِلُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، فَجَمَعَ أَبُو الْحُسَيْنِ جَمْعًا كَثِيرًا مِنَ الْأَعْرَابِ وَأَهْلِ الْكُوفَةِ وَأَتَى الْفَلُّوجَةَ ، فَكَتَبَ صَاحِبُ الْبَرِيدِ بِخَبَرِهِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، فَكَتَبَ مُحَمَّدٌ إِلَى أَيُّوبَ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَحْمُودٍ السَّرَخْسِيِّ ، عَامِلَهُ عَلَى مَعَاوِنِ السَّوَادِ ، يَأْمُرُهُمَا بِالِاجْتِمَاعِ عَلَى مُحَارَبَةِ يَحْيَى بْنِ عُمَرَ ، فَمَضَى يَحْيَى بْنُ عُمَرَ إِلَى بَيْتِ مَالِ الْكُوفَةِ يَأْخُذُ الَّذِي فِيهِ ، وَكَانَ فِيمَا قِيلَ أَلْفَيْ دِينَارٍ وَسَبْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَأَظْهَرَ أَمْرَهُ بِالْكُوفَةِ ، وَفَتَحَ السُّجُونَ وَأَخْرَجَ مَنْ فِيهَا ، وَأَخْرَجَ الْعُمَّالَ عَنْهَا ، فَلَقِيَهُ عَبْدُ بْنُ مَحْمُودٍ السَّرَخْسِيُّ فِيمَنْ مَعَهُ ، فَضَرَبَهُ يَحْيَى بْنُ عُمَرَ ضَرْبَةً عَلَى وَجْهِهِ أَثْخَنَهُ بِهَا ، فَانْهَزَمَ عَبْدُ اللَّهِ ، وَأَخَذَ أَصْحَابُ يَحْيَى مَا كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الدَّوَابِّ وَالْمَالِ. |
| وَخَرَجَ يَحْيَى إِلَى سَوَادِ الْكُوفَةِ ، وَتَبِعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الزَّيْدِيَّةِ ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ النَّوَاحِي إِلَى ظَهْرِ وَاسِطَ ، وَأَقَامَ بِالْبُسْتَانِ ، فَكَثُرَ جَمْعُهُ ، فَوَجَّهَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى مُحَارَبَتِهِ الْحُسَيْنَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُصْعَبٍ فِي جَمْعٍ مِنْ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالْقُوَّةِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ ، فَنَزَلَ فِي وَجْهِهِ لَمْ يُقْدِمْ عَلَيْهِ ، فَسَارَ يَحْيَى وَالْحُسَيْنُ فِي أَثَرِهِ ، حَتَّى نَزَلَ الْكُوفَةَ وَلَقِيَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْخَطَّابِ الْمَعْرُوفُ بِوَجْهِ الْفُلْسِ ، قَبْلَ دُخُولِهَا ، فَقَاتَلَهُ ، وَانْهَزَمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِلَى نَاحِيَةِ شَاهِيَّ ، وَوَافَاهُ الْحُسَيْنُ ، فَنَزَلَا بِشَاهِيَّ. |
| وَاجْتَمَعَتِ الزَّيْدِيَّةُ إِلَى يَحْيَى بْنِ عُمَرَ ، وَدَعَا بِالْكُوفَةِ إِلَى الرِّضَى مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، وَأَحَبُّوهُ ، وَتَوَلَّاهُ الْعَامَّةُ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ ، وَلَا يَعْلَمُ أَنَّهُمْ يُوَلُّونَ أَحَدًا مِنْ بَيْتِهِ سِوَاهُ ، وَبَايَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْكُوفَةِ مِمَّنْ لَهُ تَدْبِيرٌ وَبَصِيرَةٌ فِي تَشَيُّعِهِمْ ، وَدَخَلَ فِيهِمْ أَخْلَاطٌ لَا دِيَانَةَ لَهُمْ. |
| وَأَقَامَ الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بِشَاهِيَّ ، وَاسْتَرَاحَ ، وَاتَّصَلَتْ بِهِمُ الْأَمْدَادُ ، وَأَقَامَ يَحْيَى بِالْكُوفَةِ يُعِدُّ الْعُدَدَ ، وَيُصْلِحُ السِّلَاحَ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الزَّيْدِيَّةِ ، مِمَّنْ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ ، بِمُعَاجَلَةِ الْحُسَيْنِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، وَأَلَحُّوا عَلَيْهِ ، فَزَحَفَتْ إِلَيْهِ لَيْلَةَ الِاثْنَيْنِ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَجَبٍ ، وَمَعَهُ الْهَيْصَمُ الْعِجْلِيُّ وَغَيْرُهُ ، وَرِجَالُهُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ لَيْسَ لَهُمْ عِلْمٌ وَلَا شَجَاعَةٌ ، وَأَسْرَوْا لَيْلَتَهُمْ ، وَصَبَّحُوا الْحُسَيْنَ وَهُوَ مُسْتَرِيحٌ ، فَثَارُوا بِهِمْ فِي الْغَلَسِ ، وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ أَصْحَابُ الْحُسَيْنِ فَانْهَزَمُوا ، وَوَضَعُوا فِيهِمُ السَّيْفَ ، وَكَانَ أَوَّلُ أَسِيرٍ الْهَيْصَمَ الْعِجْلِيَّ ، وَانْهَزَمَ رِجَالُهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ ، وَأَكْثَرَهُمْ بِغَيْرِ سِلَاحٍ ، فَدَاسَتْهُمُ الْخَيْلُ. |
| وَانْكَشَفَ الْعَسْكَرُ عَنْ يَحْيَى بْنِ عُمَرَ ، وَعَلَيْهِ جَوْشَنُ ، قَدْ تَقَطَّرَ بِهِ فَرَسُهُ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ ابْنٌ لِخَالِدِ بْنِ عِمْرَانَ ، فَقَالَ لَهُ خَيْرًا ، فَلَمْ يَعْرِفْهُ ، وَظَنَّهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ لَمَّا رَأَى عَلَيْهِ الْجَوْشَنُ ، فَأَمَرَ رَجُلًا ، فَنَزَلَ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَ رَأْسَهُ ، وَعَرَفَهُ رَجُلٌ كَانَ مَعَهُ ، وَسَيَّرَ الرَّأْسَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَادَّعَى قَتْلَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ ، فَسَيَّرَ مُحَمَّدٌ الرَّأْسَ إِلَى الْمُسْتَعِينِ ، فَنُصِبَ بِسَامَرَّا لَحْظَةً ، ثُمَّ حَطَّهُ ، وَرَدَّهُ إِلَى بَغْدَادَ; لِيُنْصَبَ بِهَا ، فَلَمْ يَقْدِرْ مُحَمَّدٌ عَلَى ذَلِكَ; لِكَثْرَةِ مَنِ اجْتَمَعَ مِنَ النَّاسِ ، فَخَافَ أَنْ يَأْخُذُوهُ ، فَلَمْ يَنْصِبْهُ ، وَجَعَلَهُ فِي صُنْدُوقٍ فِي بَيْتِ السِّلَاحِ. |
| وَوَجَّهَ الْحُسَيْنَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ بِرُؤُوسِ مَنْ قَتَلَ ، وَبِالْأَسْرَى ، فَحُبِسُوا بِبَغْدَاذَ ، وَكَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَسْأَلُ الْعَفْوَ عَنْهُمْ ، فَأَمَرَ بِتَخْلِيَتِهِمْ ، وَأَنْ تُدْفَنَ الرُّؤُوسُ وَلَا تُنْصَبَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ. |
| وَلَمَّا وَصَلَ الْخَبَرُ بِقَتْلِ يَحْيَى جَلَسَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَهْنَأُ بِذَلِكَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ دَاوُدُ بْنُ الْهَيْثَمِ أَبُو هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيُّ ، فَقَالَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ! |
| إِنَّكَ لَتَهْنَأُ بِقَتْلِ رَجُلٍ لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَيًّا لَعُزِّيَ بِهِ ، فَمَا رَدَّ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ شَيْئًا ، فَخَرَجَ دَاوُدُ وَهُوَ يَقُولُ يَا بَنِي طَاهِرٍ كُلُوهُ وَبِيئًا... |
| إِنَّ لَحْمَ النَّبِيِّ غَيْرُ مَرِيِّ إِنَّ وِتْرًا يَكُونُ طَالِبَهُ اللَّهُ... |
| لَوِتْرٌ نَجَاحُهُ بِالْحَرِيِّ وَأَكْثَرَ الشُّعَرَاءُ مَرَاثِيَ يَحْيَى لِمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِ السِّيرَةِ وَالدِّيَانَةِ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ بَكَتِ الْخَيْلُ شَجْوَهَا بَعْدَ يَحْيَى... |
| وَبَكَاهُ الْمُهَنَّدُ الْمَصْقُولُ وَبَكَتْهُ الْعِرَاقُ شَرْقًا وَغَرْبًا... |
| وَبَكَاهُ الْكِتَابُ وَالتَّنْزِيلُ وَالْمُصَلَّى وَالْبَيْتُ وَالرُّكْنُ وَالْحِجْرُ... |
| جَمِيعًا لَهُ عَلَيْهِ عَوِيلُ كَيْفَ لَمْ تَسْقُطِ السَّمَاءُ عَلَيْنَا يَوْمَ قَالُوا أَبُو الْحُسَيْنِ قَتِيلُ... |
| وَبَنَاتُ النَّبِيِّ يُبْدِينَ شَجْوًا مُوجَعَاتٍ دُمُوعُهُنَّ هُمُولُ قَطَعَتْ وَجْهَهُ سُيُوفُ الْأَعَادِي... |
| بِأَبِي وَجْهُهُ الْوَسِيمُ ، الْجَمِيلُ إِنَّ يَحْيَى أَبْقَى بِقَلْبِي غَلِيلًا سَوْفَ يُودِي بِالْجِسْمِ ذَاكَ الْغَلِيلُ... |
| قَتْلُهُ مُذَكِّرٌ لِقَتْلِ عَلِيٍّ وَحُسَيْنَ ، وَيَوْمَ أُوذِيَ الرَّسُولُ صَلَوَاتُ الْإِلَهِ وَقَفًا عَلَيْهِمْ... |
| مَا بَكَى مُوجَعٌ وَحَنَّتْ ثَكُولُ ذِكْرُ ظُهُورِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ الْعَلَوِيِّ وَفِيهَا ظَهَرَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بِطَبَرِسْتَانَ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ظُهُورِهِ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ لَمَّا ظَفِرَ بِيَحْيَى بْنِ عُمَرَ أَقْطَعَهُ الْمُسْتَعِينُ مِنْ ضَوَاحِي السُّلْطَانِ بِطَبَرِسْتَانَ قَطَائِعَ مِنْهَا قَطِيعَةٌ قُرْبَ ثَغْرِ الدَّيْلَمِ ، وَهَمَا كُلَارُ وَشَالُوسُ ، وَكَانَ بِحِذَائِهِمَا أَرْضٌ يَحْتَطِبُ مِنْهَا أَهْلُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، وَتَرْعَى فِيهَا مَوَاشِيهِمْ ، لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَيْهَا مِلْكٌ ، إِنَّمَا هِيَ مَوَاتٌ ، وَهِيَ ذَاتَ غِيَاضٍ ، وَأَشْجَارٍ ، وَكَلَأٍ ، فَوَجَّهَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ نَائِبَهُ لِحِيَازَةِ مَا أَقْطَعَ ، وَاسْمُهُ جَابِرُ بْنُ هَارُونَ النَّصْرَانِيُّ ، وَعَامِلُ طَبَرِسْتَانَ يَوْمئِذٍ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ خَلِيفَةُ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرِ ، وَكَانَ الْغَالِبُ عَلَى أَمْرِ سُلَيْمَانَ مُحَمَّدَ بْنَ أَوْسٍ الْبَلْخِيَّ ، وَقَدْ فَرَّقَ مُحَمَّدٌ هَذَا أَوْلَادَهُ فِي مُدُنِ طَبَرِسْتَانَ ، وَهُمْ أَحْدَاثٌ ، سُفَهَاءُ ، فَتَأَذَّى بِهِمُ الرَّعِيَّةُ وَشَكَوْا مِنْهُمْ ، وَمِنْ أَبِيهِمْ ، وَمِنْ سُلَيْمَانَ سُوءَ السِّيرَةِ. |
| ثُمَّ إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَوْسٍ دَخَلَ بِلَادَ الدَّيْلَمِ ، وَهُمْ مُسَالِمُونَ لِأَهْلِ طَبَرِسْتَانَ ، فَسَبَى مِنْهُمْ وَقَتَلَ ، فَسَاءَ ذَلِكَ أَهْلَ طَبَرِسْتَانَ ، فَلَمَّا قَدِمَ جَابِرُ بْنُ هَارُونَ لِحِيَازَةِ مَا أَقْطَعُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَمَدَ فَحَازَ فِيهِ مَا اتَّصَلَ بِهِ مِنْ أَرْضٍ مَوَاتٍ يَرْتَفِقُ بِهَا النَّاسُ ، وَفِيهَا حَازَ كُلَارَ وَشَالُوسَ. |
| وَكَانَ فِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ يَوْمَئِذٍ أَخَوَانِ لَهُمَا بَأْسٌ وَنَجْدَةٌ يَضْبِطَانِهَا مِمَّنْ رَامَهَا مِنَ الدَّيْلَمِ ، مَذْكُورَانِ بِإِطْعَامِ الطَّعَامِ وَبِالْإِفْضَالِ ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا مُحَمَّدٌ ، وَلِلْآخَرِ جَعْفَرٌ ، وَهُمَا ابْنَا رُسْتُمَ ، فَأَنْكَرَا مَا فَعَلَ جَابِرٌ مِنْ حِيَازَةِ الْمَوَاتِ ، وَكَانَا مُطَاعَيْنِ فِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، فَاسْتَنْهَضَا مَنْ أَطَاعَهُمَا لِمَنْعِ جَابِرٍ مِنْ حِيَازَةِ ذَلِكَ الْمَوَاتِ ، فَخَافَهُمَا جَابِرٌ ، فَهَرَبَ مِنْهُمَا ، فَلَحِقَ بِسُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَخَافَ مُحَمَّدٌ وَجَعْفَرٌ وَمَنْ مَعَهُمَا مِنْ عَامِلِ طَبَرِسْتَانَ ، فَرَاسَلُوا جِيرَانَهُمْ مِنَ الدَّيْلَمِ يُذَكِّرُونَهُمُ الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَهُمْ وَيَعْتَذِرُونَ فِيمَا فَعَلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَوْسٍ بِهِمْ مِنَ السَّبْيِ وَالْقَتْلِ ، فَاتَّفَقُوا عَلَى الْمُعَاوَنَةِ وَالْمُسَاعَدَةِ عَلَى حَرْبِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَغَيْرِهِ. |
| ثُمَّ أَرْسَلَ ابْنَا رُسْتُمَ وَمَنْ وَافَقَهُمَا إِلَى رَجُلٍ مِنَ الطَّالِبِيينَ اسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، كَانَ بِطَبَرِسْتَانَ ، يَدْعُونَهُ إِلَى الْبَيْعَةِ لَهُ ، فَامْتَنَعَ عَلَيْهِمْ ، وَقَالَ لَكِنِّي أَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنَّا هُوَ أَقْوَمُ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنِّي ، فَدَلَّهُمْ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ ، وَهُوَ بِالرَّيِّ ، فَوَجَّهُوا إِلَيْهِ ، عَنْ رِسَالَةِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، يَدْعُونَهُ إِلَى طَبَرِسْتَانَ ، فَشَخَّصَ إِلَيْهَا ، فَأَتَاهُمْ وَقَدْ صَارَتْ كَلِمَةُ الدَّيْلَمِ وَأَهْلِ كُلَارَ ، وَشَالُوسَ ، وَالرَّوِيَّانِ عَلَى بَيْعَتِهِ ، فَبَايَعُوهُ كُلُّهُمْ ، وَطَرَدُوا عُمَّالَ ابْنِ أَوْسٍ عَنْهُمْ ، فَلَحِقُوا بِسُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَانْضَمَّ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ أَيْضًا جِبَالُ طَبَرِسْتَانَ كَأَصْمَغَانَ ، وَقَادُوسِيَانَ ، وَلَيْثُ بْنُ قَتَادَ ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ السَّفْحِ. |
| ثُمَّ تَقَدَّمَ الْحَسَنُ وَمَنْ مَعَهُ نَحْوَ مَدِينَةِ آمُلَ ، وَهِيَ أَقْرَبُ الْمُدُنِ إِلَيْهِمْ ، وَأَقْبَلَ ابْنُ أَوْسٍ مِنْ سَارِيَةَ لِيَدْفَعَهُ عَنْهَا ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَخَالَفَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ فِي جَمَاعَةٍ إِلَى آمُلَ فَدَخَلَهَا. |
| فَلَمَّا سَمِعَ ابْنُ أَوْسٍ الْخَبَرَ ، وَهُوَ مَشْغُولٌ بِحَرْبِ مَنْ يُقَاتِلُهُ مِنْ أَصْحَابِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ هِمَّةٌ إِلَّا النَّجَاءُ بِنَفْسِهِ ، فَهَرَبَ ، وَلَحِقَ بِسُلَيْمَانَ إِلَى سَارِيَةَ ، فَلَمَّا اسْتَوْلَى الْحَسَنُ عَلَى آمُلَ كَثُرَ جَمْعُهُ ، وَأَتَاهُ كُلُّ طَالِبِ نَهْبٍ وَفِتْنَةٍ ، وَأَقَامَ بِآمُلَ أَيَّامًا ، ثُمَّ سَارَ نَحْوَ سَارِيَةَ لِحَرْبِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ سُلَيْمَانُ ، فَالْتَقَوْا خَارِجَ مَدِينَةِ سَارِيَةَ ، وَنَشِبَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ ، فَسَارَ بَعْضُ قُوَّادِ الْحَسَنِ نَحْوَ سَارِيَةَ فَدَخَلَهَا ، فَلَمَّا سَمِعَ سُلَيْمَانُ الْخَبَرَ انْهَزَمَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ ، وَتَرَكَ أَهْلَهُ وَعِيَالَهُ وَثِقْلَهُ وَكُلَّ مَا لَهُ بِسَارِيَةَ ، وَاسْتَوْلَى الْحَسَنُ وَأَصْحَابُهُ عَلَى ذَلِكَ جَمِيعِهِ ، فَأَمَّا الْحَرِيمُ وَالْأَوْلَادُ فَجَعَلَهُمُ الْحَسَنُ فِي مَرْكِبٍ وَسَيَّرَهُمْ إِلَى سُلَيْمَانَ بِجُرْجَانَ ، وَأَمَّا الْمَالُ فَكَانَ قَدْ نُهِبَ وَتَفَرَّقَ. |
| وَقِيلَ إِنَّ سُلَيْمَانَ انْهَزَمَ اخْتِيَارًا لِأَنَّ الطَّاهِرِيَّةَ كُلَّهَا كَانَتْ تَتَشَيَّعُ ، فَلَمَّا أَقْبَلَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ إِلَى طَبَرِسْتَانَ تَأَثَّمَ سُلَيْمَانُ مِنْ قِتَالِهِ لِشِدَّتِهِ فِي التَّشَيُّعِ ، وَقَالَ. |
| نُبِّئْتُ خَيْلَ ابْنِ زَيْدٍ أَقْبَلَتْ... |
| خَبَبًا تُرِيدُنَا لِتُحَسِّينَا الْأَمَرِّينَا يَا قَوْمُ إِنْ كَانَتِ الْأَنْبَاءُ صَادِقَةً... |
| فَالْوَيْلُ لِي وَلِجَمِيعِ الطَّاهِرِينَا أَمَّا أَنَا فَإِذَا اصْطَفَّتْ كَتَائِبُنَا... |
| أَكُونُ مِنْ بَيْنِهِمْ رَأْسَ الْمُوَالِينَا فَالْعُذْرُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مُنْبَسِطٌ... |
| إِذَا احْتُسِبَتْ دِمَاءُ الْفَاطِمِيِّينَا فَلَمَّا الْتَقَوُا انْهَزَمَ سُلَيْمَانُ ، فَلَمَّا اجْتَمَعَتْ طَبَرِسْتَانُ لِلْحَسَنِ وَجَّهَ إِلَى الرَّيِّ جُنْدًا مَعَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِهِ ، يُقَالُ لَهُ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ أَيْضًا ، فَمَلَكَهَا ، وَطَرَدَ عَنْهَا عَامِلَ الطَّاهِرِيَّةِ ، فَاسْتَخْلَفَ بِهَا رَجُلًا مِنَ الْعَلَوِيِّينَ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، وَانْصَرَفَ عَنْهَا. |
| وَوَرَدَ الْخَبَرُ عَلَى الْمُسْتَعِينِ ، وَمُدَبِّرِ أَمْرِهِ وَصِيفٍ ، وَكَاتِبِهِ أَحْمَدَ بْنِ صَالِحِ بْنِ شِيرَزَادَ ، فَوَجَّهَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ فَرَاشَةَ فِي جُنْدٍ إِلَى هَمَذَانَ ، وَأَمَرَهُ بِالْمُقَامِ بِهَا لِيَمْنَعَ خَيْلَ الْحَسَنِ عَنْهَا ، وَأَمَّا مَا عَدَاهَا فَإِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ وَعَلَيْهِ الذَّبُّ عَنْهُ. |
| فَلَمَّا اسْتَقَرَّ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الطَّالِبِيُّ بِالرَّيِّ ظَهَرَتْ مِنْهُ أُمُورٌ كَرِهَهَا أَهْلُ الرَّيِّ ، وَوَجَّهَ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ قَائِدًا مِنْ عِنْدِهِ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مِيكَالَ فِي جَمْعٍ مِنَ الْجُنْدِ إِلَى الرَّيِّ ، وَهُوَ أَخُو الشَّاهِ بْنِ مِيكَالَ ، فَالْتَقَى هُوَ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الطَّالِبِيُّ خَارِجَ الرَّيِّ ، فَأُسِرَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، وَانْهَزَمَ جَيْشُهُ ، وَدَخَلَ ابْنُ مِيكَالَ الرَّيَّ ، فَأَقَامَ بِهَا ، فَوَجَّهَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ عَسْكَرًا عَلَيْهِ قَائِدٌ يُقَالُ لَهُ وَاجِنُ ، فَلَمَّا صَارَ إِلَى الرَّيِّ خَرَجَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ مِيكَالَ ، فَالْتَقَوْا ، فَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ ابْنُ مِيكَالَ ، وَالْتَجَأَ إِلَى الرَّيِّ مُعْتَصِمًا بِهَا ، فَاتَّبَعَهُ وَاجِنُ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى قَتَلُوهُ ، وَصَارَتِ الرَّيُّ إِلَى أَصْحَابِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ. |
| فَلَمَّا كَانَ هَذِهِ السَّنَةَ يَوْمَ عَرَفَةَ ظَهَرَ بِالرَّيِّ أَحْمَدُ بْنُ عِيسَى بْنِ حُسَيْنٍ الصَّغِيرِ ابْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَإِدْرِيسُ بْنُ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَصَلَّى أَحْمَدُ بْنُ عِيسَى بِأَهْلِ الرَّيِّ صَلَاةَ الْعِيدِ ، وَدَعَا لِلرِّضَى مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ، فَحَارَبَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ طَاهِرٍ ، فَانْهَزَمَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ وَسَارَ إِلَى قَزْوِينَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا غَضِبَ الْمُسْتَعِينُ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ لِأَنَّهُ كَانَ بَعَثَ إِلَى الشَّاكِرِيَّةِ ، فَزَعَمَ وَصِيفٌ أَنَّهُ أَفْسَدَهُمْ ، فَنُفِيَ إِلَى الْبَصْرَةِ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ. |
| وَفِيهَا أُسْقِطَتْ مَرْتَبَةُ مَنْ كَانَتْ لَهُ مَرْتَبَةٌ فِي دَارِ الْعَامَّةِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةِ كَأَبِي الشَّوَارِبِ ، وَالْعُثْمَانِيِّينَ. |
| وَأَخْرَجَ الْحَسَنَ بْنَ الْأَفْشِينِ مِنَ الْحَبْسِ. |
| وَفِيهَا عَقَدَ لِجَعْفَرِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ عِيسَى بْنِ مُوسَى الْمَعْرُوفِ بِبَشَّاشَاتِ عَلَى مَكَّةَ. |
| وَفِيهَا وَثَبَ أَهْلُ حِمْصَ ، وَقَوْمٌ مِنْ كَلْبَ ، بِعَامِلِهِمْ ، وَهُوَ الْفَضْلُ بْنُ قَارَنَ أَخُو مَازِيَارَ بْنِ قَارَنَ ، فَقَتَلُوهُ ، فَوَجَّهَ الْمُسْتَعِينُ إِلَى حِمْصَ مُوسَى بْنَ بُغَا فِي رَمَضَانَ ، فَلَقِيَهُ أَهْلُهَا فِيمَا بَيْنَ حِمْصَ وَالرَّسْتَنَ ، وَحَارَبُوهُ ، فَهَزَمَهُمْ ، وَافْتَتَحَ حِمْصَ ، وَقَتَلَ أَهْلَهَا مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَأَحْرَقَهَا ، وَأَسَرَ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِهَا الْأَعْيَانِ . |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ بِنِ عَمَّارٍ الْقَاضِي ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْحَوْرَانِيُّ التَّيْمِيُّ ، قَاضِي الْبَصْرَةَ. |
| بَقِيَّةُ الْحَوَادِثِ وَفِيهَا وَلِيَ أَحْمَدُ بْنُ الْوَزِيرِ قَضَاءَ سَامَرَّا. |
| وَفِيهَا وَثَبَ الشَّاكِرِيَّةُ وَالْجُنْدُ بِفَارِسَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، فَانْتَهَبُوا مَنْزِلَهُ ، وَقَتَلُوا مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ بْنِ قَارَنَ ، وَهَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْحَاقَ. |
| وَفِيهَا وَجَّهَ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ مِنْ خُرَاسَانَ بِفِيلَيْنِ وَأَصْنَامٍ أَتَى بِهَا مِنْ كَابُلَ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ جَعْفَرُ بْنُ الْفَضْلِ بِشَاشَاتَ ، وَهُوَ وَالِي مَكَّةَ. |
| بَقِيَّةُ الْوَفَيَاتِ وَفِيهَا تُوُفِّيَ زِيَادَةُ اللَّهِ بْنُ الْأَغْلَبِ ، أَمِيرُ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ سَنَةً وَاحِدَةً وَسِتَّةَ أَيَّامٍ ، وَلَمَّا مَاتَ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُ أَخِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَغْلَبِ . |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ الْجَرَاجِرئِيُّ ، وَزِيرُ الْمُتَوَكِّلِ وَالْفَضْلُ بْنُ مَرْوَانَ ، وَزِيرُ الْمُعْتَصِمِ ، وَكَانَ مَوْتُهُ بِسُرَّ مَنْ رَأَى. |
| وَالْخَلِيعُ الشَّاعِرُ الْحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ ، كَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ اثْنَيْنِ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ ، وَهُوَ مَشْهُورٌ بِالْأَخْبَارِ وَالْأَشْعَارِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْحَارِثُ بْنُ مُسْكِينَ قَاضِي مِصْرَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ أَبِي بَكْرٍ الثَّقَفِيِّ . |
| وَنَصْرُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ نَصْرِ بْنِ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ الْحَافِظُ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو حَاتِمٍ سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ السِّجِسْتَانِيُّ اللُّغَوِيُّ ، رَوَى عَنْ أَبِي زَيْدٍ ، وَالْأَصْمَعِيِّ ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ. |
| وَقِيلَ تُوُفِّيَ قَبْلَ سَنَةِ خَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى بِالْغَيْبِ أَعْلَمُ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ قَتْلِ بَاغِرَ التُّرْكِيِّ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ بَاغِرُ التُّرْكِيُّ ، قَتَلَهُ وَصِيفٌ وَبُغَا. |
| وَكَانَ السَّبَبُ أَنَّ بَاغِرَ كَانَ أَحَدَ قَتَلَةِ الْمُتَوَكِّلِ ، فَزِيدَ فِي أَرْزَاقِهِ ، فَأُقْطِعَ قَطَائِعَ ، فَكَانَ مِمَّا أُقْطِعَ قُرًى بِسَوَادِ الْكُوفَةِ ، فَتَضَمَّنَهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَارُوسْمَا بِأَلْفَيْ دِينَارٍ ، فَوَثَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، يُقَالُ لَهُ ابْنُ مَارَمَةَ ، بِوَكِيلٍ لِبَاغِرَ ، وَتَنَاوَلَهُ ، فَحَبَسَ ابْنَ مَارَمَةَ ، وَقُيِّدَ ، ثُمَّ تَخَلَّصَ ، وَسَارَ إِلَى سَامَرَّا ، فَلَقِيَ دَلِيلَ بْنَ يَعْقُوبٍ النَّصْرَانِيَّ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ صَاحِبُ أَمْرِ بُغَا الشَّرَابِيِّ وَالْحَاكِمِ فِي الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ ابْنُ مَارَمَةَ صَدِيقًا لَهُ ، وَكَانَ بَاغِرُ أَحَدَ قُوَّادِ بُغَا ، فَمَنَعَهُ دَلِيلٌ مِنْ ظُلْمِ أَحْمَدَ بْنَ مَارَمَةَ ، فَانْتَصَفَ لَهُ مِنْهُ ، فَغَضِبَ بَاغِرُ وَبَايَنَ دَلِيلًا. |
| وَكَانَ بَاغِرُ شُجَاعًا يَتَّقِيهِ بُغَا وَغَيْرُهُ ، فَحَضَرَ عِنْدَ بُغَا فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ خَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ وَهُوَ سَكْرَانُ ، وَبُغَا فِي الْحَمَّامِ ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ وَقَالَ مَنْ قَتَلَ دَلِيلًا يُقْتَلُ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ بُغَا لَوْ أَرَدْتَ وَلَدَيَّ مَا مَنَعْتُكَ مِنْهُ ، وَلَكِنِ اصْبِرْ ، فَإِنَّ أُمُورَ الْخِلَافَةِ بِيَدِ دَلِيلٍ ، وَأُقِيمُ غَيْرَهُ ، ثُمَّ افْعَلْ بِهِ مَا تُرِيدُ. |
| وَأَرْسَلَ بُغَا إِلَى دَلِيلٍ يَأْمُرُهُ أَلَّا يَرْكَبَ ، وَعَرَّفَهُ الْخَبَرَ ، وَأَقَامَ فِي كِتَابَتِهِ غَيْرَهُ ، وَتَوَهَّمَ بَاغِرُ أَنَّهُ قَدْ عَزَلَهُ ، فَسَكَنَ بَاغِرُ ، ثُمَّ أَصْلَحَ بَيْنَهُمَا بُغَا ، وَبَاغِرُ يَتَهَدَّدُهُ ، وَلَزِمَ بَاغِرُ خِدْمَةَ الْمُسْتَعِينِ ، فَقِيلَ ذَلِكَ لِلْمُسْتَعِينِ . |
| فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ نَوْبَةِ بُغَا فِي مَنْزِلِهِ قَالَ الْمُسْتَعِينُ أَيُّ شَيْءٍ كَانَ إِلَى إِيتَاخَ مِنَ الْخِدْمَةِ ؟ |
| فَأَخْبَرَهُ وَصِيفٌ ، فَقَالَ يَنْبَغِي أَنْ تُجْعَلَ هَذِهِ الْأَعْمَالُ إِلَى بَاغِرَ ، وَسَمِعَ دَلِيلٌ ذَلِكَ ، فَرَكِبَ إِلَى بُغَا ، فَقَالَ لَهُ أَنْتَ فِي بَيْتِكَ ، وَهُمْ فِي تَدْبِيرِ عَزْلِكَ ، فَإِذَا عُزِلْتَ قُتِلْتَ. |
| فَرَكِبَ بُغَا إِلَى دَارِ الْخَلِيفَةِ فِي يَوْمِهِ ، وَقَالَ لِوَصِيفٍ أَرَدْتَ أَنْ تَعْزِلَنِي ؟ |
| فَحَلَفَ أَنَّهُ مَا عَلِمَ مَا أَرَادَ الْخَلِيفَةُ ، فَتَعَاقَدَا عَلَى تَنْحِيَةِ بَاغِرَ مِنَ الدَّارِ وَالْحِيلَةِ عَلَيْهِ ، فَأَرْجَفَا لَهُ أَنَّهُ يُؤَمَّرُ ، وَيُخْلَعُ عَلَيْهِ ، وَيَكُونُ مَوْضِعَ بُغَا وَوَصِيفٍ ، فَأَحَسَّ بَاغِرُ وَمَنْ مَعَهُ بِالشَّرِّ ، فَجَمَعَ إِلَيْهِ الْجَمَاعَةَ الَّذِينَ كَانُوا بَايِعُوهُ عَلَى قَتْلِ الْمُتَوَكِّلِ ، وَمَعَهُمْ غَيْرُهُمْ ، فَجَدَّدَ الْعَهْدَ عَلَيْهِمْ فِي قَتْلِ الْمُسْتَعِينِ ، وَبُغَا ، وَوَصِيفٍ ، وَقَالَ نُبَايِعُ عَلَى ابْنِ الْمُعْتَصِمِ ، أَوِ ابْنِ الْوَاثِقِ ، وَيَكُونُ الْأَمْرُ لَنَا كَمَا هُوَ لِهَذَيْنِ ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ. |
| وَانْتَهَى الْخَبَرُ إِلَى الْمُسْتَعِينِ ، فَبَعَثَ إِلَى بُغَا وَوَصِيفٍ ، وَقَالَ لَهُمَا أَنْتُمَا جَعَلْتُمَانِي خَلِيفَةً ، ثُمَّ تُرِيدَانِ قَتْلِي ؟ |
| فَحَلَفَا أَنَّهُمَا مَا عَلِمَا بِذَلِكَ ، فَأَعْلَمَهُمَا الْخَبَرَ ، فَاتَّفَقَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَخْذِ بَاغِرَ وَرَجُلَيْنِ مِنَ الْأَتْرَاكِ مَعَهُ ، وَحَبْسِهِمْ ، فَأَحْضَرُوا بَاغِرَ ، فَأَقْبَلَ فِي عِدَّةٍ ، فَعُدِلَ بِهِ إِلَى حَمَّامٍ وَحُبِسَ فِيهِ. |
| وَبَلَغَ الْخَبَرُ الْأَتْرَاكَ ، فَوَثَبُوا عَلَى إِصْطَبْلِ الْخَلِيفَةِ ، فَانْتَهَبُوهُ وَرَكِبُوا مَا فِيهِ ، وَحَصَرُوا الْجَوْسَقَ بِالسِّلَاحِ ، فَأَمَرَ بُغَا وَوَصِيفٌ بِقَتْلِ بَاغِرَ فَقُتِلَ. |
| ذِكْرُ مَسِيرِ الْمُسْتَعِينِ إِلَى بَغْدَادَ فَلَمَّا قُتِلَ بَاغِرُ وَانْتَهَى خَبَرُ قَتْلِهِ إِلَى الْأَتْرَاكِ الْمِشْغَبِينَ أَقَامُوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ ، فَانْحَدَرَ الْمُسْتَعِينُ ، وَبُغَا ، وَوَصِيفٌ ، وَشَاهَكُ الْخَادِمُ ، وَأَحْمَدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ شِيرَزَادَ ، وَدَلِيلٌ إِلَى بَغْدَادَ فِي حَرَّاقَةَ ، فَرَكِبَ جَمَاعَةٌ مِنْ قُوَّادِ الْأَتْرَاكِ إِلَى هَؤُلَاءِ الْمِشْغَبِينَ فَسَأَلُوهُمُ الِانْصِرَافَ ، فَلَمْ يَفْعَلُوا ، فَلَمَّا عَلِمُوا بِانْحِدَارِ الْمُسْتَعِينِ وَبُغَا وَوَصِيفٍ نَدِمُوا ، ثُمَّ قَصَدُوا دَارَ دَلِيلٍ ، وَدُورَ أَهْلِهِ وَجِيرَانِهِ ، فَنَهَبُوهَا ، حَتَّى صَارُوا إِلَى أَخْذِ الْخَشَبِ وَعَلِيقِ الدَّوَابِّ ، فَلَمَّا قَدِمُوا بَغْدَادَ مَرِضَ ابْنُ مَارَمَةَ ، فَعَادَهُ دَلِيلٌ ، وَقَالَ لَهُ مَا سَبَبُ عِلَّتِكَ ؟ |
| قَالَ انْتَقَضَ عُقْرُ الْقَيْدِ ، فَقَالَ دَلِيلٌ لَئِنْ عَقَرَكَ الْقَيْدُ لَقَدْ نَقَضْتَ الْخِلَافَةَ ، وَبَغَيْتَ الْفِتْنَةَ ، وَمَاتَ ابْنُ مَارَمَةَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ ، وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ فِي ذَلِكَ لَعَمْرِي لَئِنْ قَتَلُوا بَاغِرًا... |
| لَقَدْ هَاجَ بَاغِرُ حَرْبًا طَحُونَا وَفَرَّ الْخَلِيفَةُ وَالْقَائِدَانِ... |
| بِاللَّيْلِ يَلْتَمِسُونَ السَّفِينَا وَصَاحُوا بِمِنْشَارِ مَلَّاحِهِمْ ، فَجَاءَهُمُ يَسْبِقُ النَّاظِرِينَا... |
| فَأَلْزَمَهُمْ بَطْنَ حَرَّاقَةٍ وَصَوْتَ مَجَاذِيفِهِمْ سَائِرِينَا... |
| وَمَا كَانَ قَدَرُ ابْنِ مَارَمَّةِ فَنَكْسِبُ فِيهِ الْحُرُوبَ الزَّبُونَا... |
| وَلَكِنْ دَلِيلٌ سَعَى سَعْيَةً فَأَخْزَى الْإِلَهُ بِهَا الْعَالَمِينَا... |
| فَحَلَّ بِبَغْدَاذَ قَبْلَ الشُّرُوقِ فَخَلَّ بِهَا مِنْهُ مَا يَكْرَهُونَا فَلَيْتَ السَّفِينَةَ لَمْ تَأْتِنَا... |
| وَغَرَّقَهَا اللَّهُ وَالرَّاكِبِينَا وَأَقْبَلَتِ التُّرْكُ وَالْمُغْرِبُونَ... |
| وَجَاءَ الْفَرَاغِنَةُ الدَّارِعُونَا تَسِيرُ كَرَادِيسُهُمْ فِي السِّلَاحِ... |
| يَرْجُونَ خَيْلًا وَرَجْلًا بَنِينَا فَقَامَ بِحَرْبِهِمِ عَالِمٌ بِأَمْرِ... |
| الْحُرُوبِ تَوَلَّاهُ حِينَا فَجَدَّدَ سُورًا عَلَى الْجَانِبَيْنِ... |
| حَتَّى أَحَاطَهُمُ أَجْمَعِينَا وَأَحْكَمَ أَبْوَابَهَا الْمُصْمَتَاتِ... |
| عَلَى السُّورِ يَحْمِي بِهَا الْمُسْتَعِينَا وَهَيَّا مَجَانِيقَ خَطَّارَةً تُفِيتُ النُّفُوسَ ، وَتَحْمِي الْعَرِينَا وَمَنَعَ الْأَتْرَاكُ النَّاسَ مِنَ الِانْحِدَارِ إِلَى بَغْدَادَ ، وَأَخَذُوا مَلَّاحًا قَدْ أَكْرَى سَفِينَتَهُ ، فَضَرَبُوهُ ، وَصَلَبُوهُ عَلَى دَقْلِهَا ، فَامْتَنَعَ أَصْحَابُ السُّفُنِ مِنَ الِانْحِدَارِ إِلَّا سِرًّا. |
| وَكَانَ وُصُولُ الْمُسْتَعِينِ إِلَى بَغْدَادَ لِخَمْسٍ خَلَوْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، فَنَزَلَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فِي دَارِهِ ، ثُمَّ وَافَى بَغْدَادَ الْقُوَّادُ ، سِوَى جَعْفَرٍ الْخَيَّاطِ ، وَسُلَيْمَانِ بْنِ يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ ، وَقَدِمَهَا جُلَّةُ الْكُتَّابِ وَالْعُمَّالِ وَبَنِي هَاشِمٍ ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ بُغَا وَوَصِيفٍ. |
| ذِكْرُ الْبَيْعَةِ لِلْمُعْتَزِّ بِاللَّهِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ بُويِعَ الْمُعْتَزُّ بِاللَّهِ ، وَكَانَ سَبَبُ الْبَيْعَةِ لَهُ أَنَّهُ لَمَّا اسْتَقَرَّ الْمُسْتَعِينُ بِبَغْدَاذَ أَتَاهُ جَمَاعَةٌ مِنْ قُوَّادِ الْأَتْرَاكِ الْمِشْغَبِينَ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، وَأَلْقَوْا أَنْفُسَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَجَعَلُوا مَنَاطِقَهُمْ فِي أَعْنَاقِهِمْ تَذَلُّلًا وَخُضُوعًا ، وَسَأَلُوهُ الصَّفْحَ عَنْهُمْ وَالرِّضَا. |
| قَالَ لَهُمْ أَنْتُمْ أَهْلُ بَغِيٍ وَفَسَادٍ ، وَاسْتِقْلَالٍ لِلنِّعَمِ ، أَلَمْ تَرْفَعُوا إِلَيَّ فِي أَوْلَادِكُمْ فَأُلْحِقَهُمْ بِكُمْ ، وَهُمْ نَحْوًا مِنْ أَلْفَيْ غُلَامٍ ، وَفِي بَنَاتِكُمْ ، فَأَمَرْتُ بِتَصْيِيرِهِنَّ فِي عِدَادِ الْمُتَزَوِّجَاتِ ، وَهُنَّ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ كُلَّهُ أَجَبْتُكُمْ إِلَيْهِ ، وَأَدْرَرْتُ عَلَيْكُمْ الْأَرْزَاقَ ، فَعَمِلْتُمْ آنِيَةَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَمَنَعْتُ نَفْسِي لَذَّتَهَا وَشَهْوَتَهَا إِرَادَةً لِصَلَاحِكُمْ وَرِضَاكُمْ ، وَأَنْتُمْ تَزْدَادُونَ بَغْيًا وَفَسَادًا ، فَعَادُوا وَتَضَرَّعُوا ، وَسَأَلُوهُ الْعَفْوَ ، فَقَالَ الْمُسْتَعِينُ قَدْ عَفَوْتُ عَنْكُمْ وَرَضِيتُ. |
| فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ ، وَاسْمُهُ بَابِي بِكَّ فَإِنْ كُنْتَ قَدْ رَضِيتَ فَقُمْ فَارْكَبْ مَعَنَا إِلَى سَامَرَّا ، فَإِنَّ الْأَتْرَاكَ يَنْتَظِرُونَكَ ، فَأَمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بَعْضَ أَصْحَابِهِ فَقَامَ إِلَيْهِ فَضَرَبَهُ ، وَقَالَ مُحَمَّدٌ هَكَذَا يُقَالُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قُمْ فَارْكَبْ مَعَنَا! |
| فَضَحِكَ الْمُسْتَعِينُ وَقَالَ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ عُجْمٌ لَا يَعْرِفُونَ حُدُودَ الْكَلَامِ. |
| وَقَالَ لَهُمُ الْمُسْتَعِينُ تَرْجِعُونَ إِلَى سَامَرَّا ، فَإِنَّ أَرْزَاقَكُمْ دَارَّةٌ عَلَيْكُمْ ، وَأَنْظُرْ أَنَا فِي أَمْرِي ، فَانْصَرَفُوا آيِسِينَ مِنْهُ ، وَأَغْضَبَهُمْ مَا كَانَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى بَابِي بِكَّ ، وَأَخْبَرُوا مَنْ وَرَاءَهُمْ خَبَرَهُمْ ، وَزَادُوا ، وَحَرَّفُوا تَحْرِيضًا لَهُمْ عَلَى خَلْعِهِ ، فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى إِخْرَاجِ الْمُعْتَزِّ ، وَكَانَ هُوَ وَالْمُؤَيَّدُ فِي حَبْسِ الْجَوْسَقِ ، وَعَلَيْهِمَا مَنْ يَحْفَظُهُمَا ، فَأَخْرَجُوا الْمُعْتَزَّ مِنَ الْحَبْسِ ، وَأَخَذُوا مِنْ شَعْرِهِ ، وَكَانَ قَدْ كَثُرَ ، وَبَايَعُوا لَهُ بِالْخِلَافَةِ ، وَأَمَرَ لِلنَّاسِ بِرِزْقِ عَشَرَةِ أَشْهُرٍ لِلْبَيْعَةِ ، فَلَمْ يَتِمَّ الْمَالُ ، فَأُعْطُوا شَهْرَيْنِ لِقِلَّةِ الْمَالِ عِنْدَهُمْ. |
| وَكَانَ الْمُسْتَعِينُ خَلَّفَ بَيْتِ الْمَالِ بِسَامَرَّا فِيهِ نَحْوَ خَمْسِ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَفِي بَيْتِ مَالِ أُمِّ الْمُسْتَعِينِ قِيمَةَ أَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَفِي بَيْتِ مَالِ الْعَبَّاسِ قِيمَةَ سِتِّمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ. |
| وَكَانَ فِيمَنْ أُحْضِرَ لِلْبَيْعَةِ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ الرَّشِيدِ وَبِهِ نِقْرِسٌ ، فِي مِحَفَّةٍ مَحْمُولًا ، فَأُمِرَ بِالْبَيْعَةِ فَامْتَنَعَ ، وَقَالَ لِلْمُعْتَزِّ خَرَجْتَ إِلَيْنَا طَائِعًا ، فَخَلَعْتَهَا وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَا تَقُومُ بِهَا ، فَقَالَ الْمُعْتَزُّ أُكْرِهْتُ عَلَى ذَلِكَ ، وَخِفْتُ السَّيْفَ. |
| فَقَالَ أَبُو أَحْمَدَ مَا عَلِمْنَا أَنَّكَ أُكْرِهْتَ ، وَقَدْ بَايَعْنَا هَذَا الرَّجُلَ ، فَنُرِيدُ أَنْ تُطْلِقَ نِسَاءَنَا ، وَتَخْرُجَ عَنْ أَمْوَالِنَا ، وَلَا نَدْرِي مَا يَكُونُ إِنْ تَرَكْتَنِي عَلَى أَمْرِي حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ ، وَإِلَّا فَهَذَا السَّيْفُ. |
| فَتَرَكَهُ الْمُعْتَزُّ. |
| وَكَانَ مِمَّنْ بَايَعَ إِبْرَاهِيمُ الدَّيْرَجُ ، وَعَتَّابُ بْنُ عَتَّابٍ ، فَأَمَّا عَتَّابٌ فَهَرَبَ إِلَى بَغْدَادَ ، وَأَمَّا الدَّيْرَجُ فَأَقَرَّ عَلَى الشُّرْطِ ، وَاسْتُعْمِلَ عَلَى الدَّوَاوِينِ ، وَبَيْتِ الْمَالِ ، وَالْكِتَابَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. |
| وَلَمَّا اتَّصَلَ بِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ خَبَرُ بَيْعَةِ الْمُعْتَزِّ وَتَوْجِيهُ الْعُمَّالِ أَمَرَ بِقَطْعِ الْمِيرَةِ عَنْ أَهْلِ سَامَرَّا ، وَكَتَبَ إِلَى مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ فِي الْمَسِيرِ إِلَى بَغْدَادَ هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ وَجُنْدُهُ ، وَكَتَبَ إِلَى نَجُوبَةَ بْنِ قَيْسٍ وَهُوَ عَلَى الْأَنْبَارِ فِي الِاحْتِشَادِ وَالْجَمْعِ ، وَإِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عِمْرَانَ الْمَوْصِلِيِّ فِي مَنْعِ السُّفُنِ وَالْمِيرَةِ عَنْ سَامَرَّا ، فَأُخِذَتْ سَفِينَةٌ بِبَغْدَاذَ فِيهَا أُرْزٌ وَغَيْرُهُ ، فَهَرَبَ الْمَلَّاحُ ، وَبَقِيَتِ السَّفِينَةُ حَتَّى غَرِقَتْ. |
| وَأَمَرَ الْمُسْتَعِينُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بِتَحْصِينِ بَغْدَادَ ، فَتَقَدَّمَ فِي ذَلِكَ ، فَأُدِيرَ عَلَيْهَا السُّورُ مِنْ دِجْلَةَ مِنْ بَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ إِلَى سُوقِ الثُّلَاثَاءِ ، حَتَّى أَوْرَدَهُ دِجْلَةَ وَأَمَرَ بِحَفْرِ الْخَنَادِقِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ جَمِيعًا ، وَجَعَلَ عَلَى كُلِّ بَابٍ قَائِدًا ، فَبَلَغَتِ النَّفَقَةُ عَلَى ذَلِكَ جَمِيعِهِ ثَلَاثَمِائَةَ أَلْفٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَنَصَبَ عَلَى الْأَبْوَابِ الْمَنْجَنِيقَاتِ وَالْعَرَّادَاتِ ، وَشَحَنَ الْأَسْوَارَ ، وَفَرَضَ فَرْضًا لِلْعَيَّارِينِ ، وَجَعَلَ عَلَيْهِمْ عَرِيفًا اسْمُهُ يَبْنَوَيْهِ ، وَعَمِلَ لَهُمْ تَرَاسًا مِنَ الْبَوَارِي الْمُقَيَّرَةِ ، وَأَعْطَاهُمُ الْمَخَالِيَ لِيَجْعَلُوا فِيهَا الْحِجَارَةَ لِلرَّمْيِ ، وَفَرَضَ أَيْضًا لِقَوْمٍ مِنْ خُرَاسَانَ قَدِمُوا حُجَّاجًا ، فَسُئِلُوا الْمَعُونَةَ ، فَأَعَانُوا. |
| وَكَتَبَ الْمُسْتَعِينُ إِلَى عُمَّالِ الْخَرَاجِ بِكُلِّ بَلْدَةٍ أَنْ يَكُونَ حَمْلُهُمُ الْخَرَاجَ وَالْأَمْوَالَ إِلَى بَغْدَادَ ، لَا يُحْمَلُ مِنْهَا إِلَى سَامَرَّا شَيْءٌ ، وَكَتَبَ إِلَى الْأَتْرَاكِ ، وَالْجُنْدِ الَّذِينَ بِسَامَرَّا ، يَأْمُرُهُمْ بِنَقْضِ بَيْعَةِ الْمُعْتَزِّ ، وَمُرَاجَعَةِ الْوَفَاءِ لَهُ ، وَيُذَكِّرُهُمْ أَيَادِيَهُ عِنْدَهُمْ ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَالنَّكْثِ. |
| ثُمَّ جَرَتْ بَيْنَ الْمُعْتَزِّ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مُكَاتَبَاتٌ وَمُرَاسَلَاتٌ يَدْعُو الْمُعْتَزَّ مُحَمَّدًا إِلَى الْمُبَايَعَةِ ، وَيُذَكِّرُهُ مَا كَانَ الْمُتَوَكِّلُ أَخَذَ لَهُ عَلَيْهِ مِنَ الْبَيْعَةِ بَعْدَ الْمُنْتَصِرِ ، وَمُحَمَّدٌ يَدْعُو الْمُعْتَزَّ إِلَى الرُّجُوعِ إِلَى طَاعَةِ الْمُسْتَعِينِ ، وَاحْتَجَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ. |
| وَأَمَرَ مُحَمَّدٌ بِكَسْرِ الْقَنَاطِرِ ، وَشَقِّ الْمِيَاهِ بِسُطُوحِ الْأَنْبَارِ وَبَادُورِيَا لِيَقْطَعَ الْأَتْرَاكَ عَنِ الْأَنْبَارِ. |
| وَكَتَبَ الْمُسْتَعِينُ وَالْمُعْتَزُّ إِلَى مُوسَى بْنِ بُغَا ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَدْعُوهُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَكَانَ بِأَطْرَافِ الشَّامِ ، كَانَ خَرَجَ لِقِتَالِ أَهْلِ حِمْصَ ، فَانْصَرَفَ إِلَى الْمُعْتَزِّ ، وَصَارَ مَعَهُ. |
| وَقَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُغَا الصَّغِيرُ مِنْ سَامَرَّا إِلَى الْمُسْتَعِينِ ، وَكَانَ قَدْ تَخَلَّفَ بَعْدَ أَبِيهِ ، فَاعْتَذَرَ ، وَقَالَ لِأَبِيهِ إِنَّمَا قَدِمْتُ لِأَمُوتَ تَحْتَ رِكَابِكَ ، فَأَقَامَ بِبَغْدَاذَ أَيَّامًا ، ثُمَّ هَرَبَ إِلَى سَامَرَّا ، فَاعْتَذَرَ إِلَى الْمُعْتَزِّ ، وَقَالَ إِنَّمَا سِرْتُ إِلَى بَغْدَادَ لِأَعْلَمَ أَخْبَارَهُمْ وَآتِيَكَ بِهَا. |
| فَقَبِلَهُ الْمُعْتَزُّ ، وَرَدَّهُ إِلَى خِدْمَتِهِ. |
| وَوَرَدَ الْحَسَنُ بْنُ الْأَفْشِينِ بَغْدَادَ ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ الْمُسْتَعِينُ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ جَمْعًا مِنَ الْأَشْرُوسَنِّيَّةِ وَغَيْرِهِمْ. |
| ذِكْرُ حِصَارِ الْمُسْتَعِينِ بِبَغْدَاذَ ثُمَّ إِنَّ الْمُعْتَزَّ عَقَدَ لِأَخِيهِ أَبِي أَحْمَدَ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ ، وَهُوَ الْمُوَفَّقُ ، لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ ، عَلَى حَرْبِ الْمُسْتَعِينِ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَوَلَّاهُ ذَلِكَ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ الْجَيْشَ ، وَجَعَلَ إِلَيْهِ الْأُمُورَ كُلَّهَا ، وَجَعَلَ التَّدْبِيرَ إِلَى كَلْبَاتِكِينَ التُّرْكِيِّ ، فَسَارَ فِي خَمْسِينَ أَلْفًا مِنَ الْأَتْرَاكِ وَالْفَرَاغِنَةِ ، وَأَلْفَيْنِ مِنَ الْمَغَارِبَةِ ، فَلَمَّا بَلَغَ عُكْبَرَا صَلَّى بِهَا ، وَخُطِبَ لِلْمُعْتَزِّ ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى الْمُعْتَزِّ ، فَذَكَرَ أَهْلُ عُكْبَرَا أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى خَوْفٍ شَدِيدٍ مِنْ مَسِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَيْهِمْ ، وَمُحَارَبَتِهِمْ ، فَانْتَهَبُوا الْقُرَى مَا بَيْنَ عُكْبَرَا وبَغْدَادَ ، فَخَرِبَتِ الضِّيَاعُ ، وَأَخَذَ النَّاسُ فِي الطَّرِيقِ. |
| وَلَمَّا وَصَلَ أَبُو أَحْمَدَ إِلَى عُكْبَرَا هَرَبَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ أَصْحَابِ بُغَا الصَّغِيرِ ، وَوَصَلَ أَبُو أَحْمَدَ وَعَسْكَرُهُ بَابَ الشَّمَّاسِيَّةِ لِسَبْعٍ خَلَوْنَ مِنْ صَفَرَ ، فَقَالَ بَعْضُ الْبَصْرِيِّينَ ، يُعْرَفُ بِبَاذِنْجَانَةَ يَا بَنِي طَاهِرٍ أَتَتْكُمْ جُنُودُ اللَّهِ وَالْمَوْتُ بَيْنَهَا مَشْهُورُ... |
| وَجُيُوشُ إِمَامِهِمْ أَبُو أَحْمَدَ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنَعِمَ النَّصِيرُ وَلَمَّا نَزَلَ أَبُو أَحْمَدَ بِبَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ وَلَّى الْمُسْتَعِينُ بَابَ الشَّمَّاسِيَّةِ الْحُسَيْنَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ ، وَجَعَلَ مَنْ هُنَاكَ مِنَ الْقُوَّادِ تَحْتَ يَدِهِ ، فَلَمْ يَزَلْ هُنَاكَ مُدَّةَ الْحَرْبِ إِلَى أَنْ سَارُوا إِلَى الْأَنْبَارِ ، فَلَمَّا كَانَ عَاشِرُ صَفَرَ وَافَتْ طَلَائِعُ الْأَتْرَاكِ إِلَى بَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ ، فَوَقَفُوا بِالْقُرْبِ مِنْهُ ، فَوَجَّهَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ ، وَالشَّاهَ بْنَ مِيكَالَ ، وَبُنْدَارَ الطَّبَرِيَّ ، فِيمَنْ مَعَهُمْ ، وَعَزَمَ عَلَى الرُّكُوبِ لِقِتَالِهِمْ ، فَأَتَاهُ الشَّاهُ فَأَعْلَمَهُ أَنَّ الْأَتْرَاكَ لَمَّا عَايَنُوا الْأَعْلَامَ وَالرَّايَاتِ قَدْ أَقْبَلَتْ نَحْوَهُمْ رَجَعُوا إِلَى مُعَسْكَرِهِمْ ، فَتَرَكَ مُحَمَّدٌ الرُّكُوبَ. |
| فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ عَزَمَ مُحَمَّدٌ عَلَى تَوْجِيهِ الْجُيُوشِ إِلَى الْقَفَصِ لِيَعْرِضَهُمْ هُنَاكَ ، وَلِيُرْهِبَ الْأَتْرَاكَ ، وَرَكِبَ وَمَعَهُ وَصِيفٌ وَبُغَا فِي الدُّرُوعِ ، وَمَضَى مَعَهُ الْفُقَهَاءُ وَالْقُضَاةُ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الرُّجُوعِ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الطُّغْيَانِ وَالْعِصْيَانِ ، وَيَبْذُلُ لَهُمُ الْأَمَانَ عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمُعْتَزُّ وَلِيَّ الْعَهْدِ بَعْدَ الْمُسْتَعِينِ ، فَلَمْ يُجِيبُوا ، وَمَضَى نَحْوَ بَابِ قُطْرَبُّلَ ، فَنَزَلَ عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةَ هُوَ وَوَصِيفٌ وَبُغَا ، وَلَمْ يُمْكِنْهُ التَّقَدُّمُ لِكَثْرَةِ النَّاسِ فَانْصَرَفَ. |
| فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَاهُ رُسُلُ وَجْهِ الْفُلْسِ ، وَغَيْرُهُ مِنَ الْقُوَّادِ ، يُعْلِمُونَهُ أَنَّ التُّرْكَ قَدْ دَنَوْا ، وَضَرَبُوا مَضَارِبَهُمْ بِرِقَّةِ الشَّمَّاسِيَّةِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ لَا تَبْدَأُوهُمْ بِقِتَالٍ ، وَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَلَا تُقَاتِلُوهُمْ ، وَادْفَعُوا الْيَوْمَ ، فَوَافَى بَابَ الشَّمَّاسِيَّةِ مِنْهُمُ اثْنَا عَشَرَ فَارِسًا فَرَمَوْا بِالسِّهَامِ ، وَلَمْ يُقَاتِلْهُمْ أَحَدٌ ، فَلَمَّا طَالَ مُقَامُهُمْ رَمَاهُمُ الْمَنْجَنِيقِيُّ بِحَجَرٍ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ رَجُلًا ، فَأَخَذُوهُ ، وَرَجَعُوا. |
| وَقَدِمَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ خَلِيفَةُ وَصِيفٍ التُّرْكِيِّ مِنْ مَكَّةَ فِي ثَلَاثِمِائَةِ رَجُلٍ ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَوَافَى الْأَتْرَاكُ فِي هَذَا الْيَوْمِ بَابَ الشَّمَّاسِيَّةِ ، فَخَرَجَ الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْقُوَّادِ لِمُحَارَبَتِهِمْ ، فَاقْتَتَلُوا وَقُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ ، وَجُرِحَ ، وَكَانُوا فِي الْقَتْلَى وَالْجَرْحَى عَلَى السَّوَاءِ ، وَانْهَزَمَ أَهْلُ بَغْدَادَ ، وَثَبَتَ أَصْحَابُ الْبَوَارِي ثُمَّ انْصَرَفُوا ، وَأَحْضَرَ الْأَتْرَاكُ مَنْجَنِيقًا ، فَغَلَبَهُمْ عَلَيْهِ الْعَامَّةُ ، فَأَخَذُوهُ. |
| ثُمَّ سَارَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ إِلَى نَاحِيَةِ النَّهْرَوَانِ ، فَوَجَّهَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَائِدَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي جَمَاعَةٍ ، وَأَمَرَهُمَا بِالْمُقَامِ بِتِلْكَ النَّاحِيَةِ ، وَحِفْظِهَا مِنَ الْأَتْرَاكِ ، فَقَاتَلُوهُمْ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ إِلَى بَغْدَادَ ، وَأُخِذَتْ دَوَابُّهُمْ ، فَدَخَلُوا بَغْدَادَ مُنْهَزِمِينَ ، وَوَجَّهَ الْأَتْرَاكُ بِرُؤُوسِ الْقَتْلَى إِلَى سَامَرَّا ، وَاسْتَوْلَوْا عَلَى طَرِيقِ خُرَاسَانَ ، وَانْقَطَعَ الطَّرِيقُ عَنْ بَغْدَادَ. |
| وَوَجَّهَ الْمُعْتَزُّ عَسْكَرًا فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ فَسَارُوا إِلَى بَغْدَادَ ، وَجَاوَزُوا قُطْرَبُّلَ ، فَضَرَبُوا عَسْكَرَهُمْ هُنَاكَ ، وَذَلِكَ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ صَفَرَ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ وَجَّهَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَسْكَرًا إِلَيْهِمْ ، فَلَقِيَهُمُ الشَّاهُ بْنُ مِيكَالَ ، فَتَحَارَبُوا ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ الْمُعْتَزِّ ، وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ كَمِينٌ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَانْهَزَمُوا وَوَضَعَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ فِيهِمُ السَّيْفَ ، فَقَتَلُوهُمْ أَكْثَرَ قَتْلٍ ، وَلَمْ يَفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ ، وَنَهَبَ عَسْكَرَهُمْ جَمِيعَهُ ، وَمَنْ سَلِمَ مِنَ الْقَتْلِ أَلْقَى نَفْسَهُ فِي دِجْلَةَ لِيَعْبُرَ إِلَى عَسْكَرِ أَبِي أَحْمَدَ ، فَأَخَذَهُ أَصْحَابُ السُّفُنِ ، وَحَمَلُوا الْأَسْرَى وَالرُّؤُوسَ فِي الزَّوَارِيقِ ، فَنَصَبَ بَعْضَهَا بِبَغْدَاذَ. |
| وَأَمَرَ مُحَمَّدٌ لِمَنْ أَبْلَى فِي هَذَا الْيَوْمِ بِالْأَسْوِرَةِ ، وَالْخِلَعِ ، وَالْأَمْوَالِ ، وَطُلِبَتِ الْمُنْهَزِمَةُ ، فَبَلَغَ بَعْضُهُمْ أَوَانًا ، وَبَعْضُهُمْ بَلَغَ سَامَرَّا ، وَكَانَ عَسْكَرُ الْمُعْتَزِّ أَرْبَعَةَ آلَافٍ فَقُتِلَ مِنْهُمْ أَلْفَانِ ، وَغَرِقَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ ، وَأُسِرَ جَمَاعَةٌ ، فَخَلَعَ مُحَمَّدٌ عَلَى جَمِيعِ الْقُوَّادِ ، عَلَى كُلِّ قَائِدٍ أَرْبَعَ خِلَعٍ ، وَطَوْقًا وَسُوَارًا ، مِنْ ذَهَبٍ. |
| وَكَانَ عَوْدُ أَهْلِ بَغْدَادَ عَنْهُمْ مَعَ الْمَغْرِبِ ، وَكَانَ أَكْثَرُ الْعَمَلِ فِي هَذَا الْيَوْمِ لِلْعَيَّارِينَ. |
| وَرَكِبَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْ صَفَرَ إِلَى الشَّمَّاسِيَّةِ ، فَأَمَرَ بِهَدْمِ مَا وَرَاءِ سُورِهَا مِنَ الدُّورِ ، وَالْحَوَانِيتِ ، وَالْبَسَاتِينِ ، مِنْ بَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَبْوَابٍ ، لِيَتَّسِعَ عَلَى مَنْ يُحَارِبُ. |
| وَقَدِمَ مَالٌ مِنْ فَارِسٍ وَالْأَهْوَازِ مَعَ منكجورَ الْأَشْرُوسَنِيِّ ، فَوَجَّهَ أَبُو أَحْمَدَ الْأَتْرَاكَ لِأَخْذِهِ ، فَوَجَّهَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ جَمَاعَةً لِحِفْظِ الْمَالِ ، فَعَدَلُوا بِهِ عَنِ الْأَتْرَاكِ ، فَقَدِمُوا بِهِ بَغْدَادَ ، فَلَمَّا عَلِمَ الْأَتْرَاكُ بِذَلِكَ عَدَلُوا نَحْوَ النَّهْرَوَانِ ، فَقَتَلُوا وَأَحْرَقُوا سُفُنَ الْجِسْرِ ، وَهِيَ عِشْرُونَ سَفِينَةً ، وَرَجَعُوا إِلَى سَامَرَّا. |
| وَقَدِمَ مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مَزِيدٍ ، وَكَانَ الْمُسْتَعِينُ قَلَّدَهُ إِمْرَةَ الثُّغُورِ الْجَزَرِيَّةِ ، كَانَ بِمَدِينَةِ بَلَدَ يَنْتَظِرُ الْجُنُودَ وَالْمَالَ لِيَسِيرَ إِلَى الثُّغُورِ ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْتَعِينِ وَالْأَتْرَاكِ مَا ذَكَرْنَا ، سَارَ مِنْ بَلَدَ إِلَى بَغْدَادَ عَلَى طَرِيقِ الرِّقَّةِ فِي أَصْحَابِهِ وَخَاصَّتِهِ ، وَهُمْ زُهَاءَ أَرْبَعِ مِائَةٍ ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ خَمْسَ خِلَعٍ ، ثُمَّ وَجَّهَهُ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ لِمُحَارَبَةِ أَيُّوبَ بْنِ أَحْمَدَ ، فَأُخِذَ عَلَى طَرِيقِ الْفُرَاتِ ، فَحَارَبَهُ فِي نَفَرٍ يَسِيرٍ ، فَهَزَمَ مُحَمَّدٌ وَصَارَ إِلَى ضَيْعَتِهِ بِالسَّوَادِ ، فَلَمَّا سَمِعَ مُحَمَّدٌ بِهَزِيمَتِهِ قَالَ لَا يُفْلِحُ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَعَهُ نَبِيٌّ يَنْصُرُهُ اللَّهُ بِهِ. |
| وَكَانَتْ لِلْأَتْرَاكِ وَقْعَةٌ بِبَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ ، فَقَاتَلُوا عَلَيْهِ قِتَالًا شَدِيدًا ، حَتَّى كَشَفُوا مَنْ عَلَيْهِ وَرَمَوْا بِهِ الْمَنْجَنِيقَ بِالنَّارِ وَالنِّفْطِ ، فَلَمْ يَحْرِقْهُ ، ثُمَّ كَثُرَ الْجُنْدُ عَلَى الْبَابِ ، فَأَزَالَهُمْ عَنْ مَوْقِفِهِمْ بَعْدَ قَتْلَى وَجَرْحَى ، وَوَجَّهَ مُحَمَّدٌ الْعَرَّادَاتِ فِي السُّفُنِ فَرَمَوْهُمْ بِهَا رَمْيًا شَدِيدًا ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ نَحْوَ مِائَةٍ ، وَكَانَ بَعْضُ الْمَغَارِبَةِ قَدْ صَارَ إِلَى السُّورِ ، فَرَمَى بِكَلَّابٍ ، فَتَعَلَّقَ بِهِ ، فَأَخَذَهُ الْمُوَكَّلُونَ بِالسُّورِ وَرَفَعُوهُ فَقَتَلُوهُ ، وَأَلْقَوْا رَأْسَهُ إِلَى الْأَتْرَاكِ ، فَرَجَعُوا إِلَى مُعَسْكَرِهِمْ. |
| وَأَرَادَ بَعْضُ الْمُوَكَّلِينَ بِالسُّورِ أَنْ يَصِيحَ يَا مُسْتَعِينُ ، يَا مَنْصُورُ ، فَصَاحَ يَا مُعْتَزُّ ، يَا مَنْصُورُ ، فَظَنُّوهُ مِنَ الْمَغَارِبَةِ ، فَقَتَلُوهُ. |
| وَتَقَدَّمَ الْأَتْرَاكُ ، فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ، إِلَى بَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ ، فَرُمِيَ الدَّرْغَمَانُ ، مُقَدِّمُ الْمَغَارِبَةِ ، بِحَجَرِ مَنْجَنِيقٍ فَقَتَلَهُ ، وَكَانَ شُجَاعًا ، وَكَانَ بَعْضُ الْمَغَارِبَةِ يَجِيءُ فَيَكْشِفُ إِسْتَهُ ، وَيَصِيحُ ، وَيَضْرِطُ ، ثُمَّ يَرْجِعُ ، فَرَمَاهُ بَعْضُ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ بِسَهْمٍ فِي دُبُرِهِ ، فَجُرِحَ مِنْ خَلْفِهِ ، فَخَرَّ مَيِّتًا. |
| وَاجْتَمَعَتِ الْعَامَّةُ بِسَامَرَّا وَنَهَبُوا سُوقَيِ الْجَوْهَرِيِّينَ وَالصَّيَارِفَةِ وَغَيْرَهُمَا ، فَشَكَا التُّجَّارُ ذَلِكَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ الْمُؤَيَّدِ ، فَقَالَ لَهُمْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تُحَوِّلُوا مَتَاعَكُمْ إِلَى مَنَازِلِكُمْ ، وَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا ، وَلَا أُنْكِرُ ذَلِكَ. |
| وَقَدِمَ لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ صَفَرَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الثُّغُورِ يَشْكُونَ بَلْكَاجُورَ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ بَيْعَةَ الْمُعْتَزِّ وَرَدَتْ عَلَيْهِ ، فَدَعَا النَّاسَ إِلَى بَيْعَتِهِ ، وَأَخَذَ النَّاسُ بِذَلِكَ ، فَمَنِ امْتَنَعَ ضَرَبَهُ وَحَبَسَهُ ، وَأَنَّهُمُ امْتَنَعُوا وَهَرَبُوا ، فَقَالَ وَصِيفٌ مَا أَظُنُّهُ إِلَّا ظَنَّ أَنَّ الْمُسْتَعِينَ مَاتَ ، وَقَامَ الْمُعْتَزُّ ، فَقَالُوا مَا فَعَلَهُ إِلَّا عَنْ عَمْدٍ ، فَوَرَدَ كِتَابُ بَلْكَاجُورَ لِأَرْبَعٍ بَقِينَ مِنْ صَفَرَ ، يَذْكُرُ أَنَّهُ كَانَ بَايَعَ الْمُعْتَزَّ ، فَلَمَّا وَرَدَ كِتَابُ الْمُسْتَعِينِ بِصِحَّةِ الْأَمْرِ جَدَّدَ لَهُ الْبَيْعَةَ ، وَأَنَّهُ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، فَأَرَادَ مُوسَى بْنُ بُغَا أَنْ يَسِيرَ إِلَى الْمُسْتَعِينِ ، فَامْتَنَعَ أَصْحَابُهُ الْأَتْرَاكُ مِنْ مُوَافَقَتِهِ عَلَى ذَلِكَ ، وَحَارَبُوهُ ، فَقَتَلَ بَيْنَهُمْ قَتْلَى. |
| وَقَدِمَ مِنَ الْبَصْرَةِ عَشْرُ سَفَائِنَ بَحَرِيَّةٍ ، فِي كُلِّ سَفِينَةٍ خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ رَجُلًا مَا بَيْنَ نَفَّاطٍ وَغَيْرِهِ ، فَمَرَّتْ إِلَى نَاحِيَةِ الشَّمَّاسِيَّةِ ، فَرَمَى مَنْ فِيهَا بِالنِّيرَانِ إِلَى عَسْكَرِ أَبِي أَحْمَدَ ، فَانْتَقَلُوا إِلَى مَوْضِعٍ لَا يَنَالُهُمْ شَيْءٌ مِنَ النَّارِ. |
| وَلِلَيْلَةٍ بَقِيَتْ مِنْ صَفَرَ تَقَدَّمَ الْأَتْرَاكُ إِلَى أَبْوَابِ بَغْدَادَ ، فَقَاتَلُوا عَلَيْهَا ، فَقُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ ، وَدَامَ الْقِتَالُ إِلَى الْعَصْرِ. |
| وَفِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ عَمِلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ كَافَرَكُونَاتٍ وَفَرَّقَهَا عَلَى الْعَيَّارِينَ ، فَخَرَجُوا بِهَا إِلَى أَبْوَابِ بَغْدَادَ ، وَقَتَلُوا مِنَ الْأَتْرَاكِ نَحْوًا مِنْ خَمْسِينَ رَجُلًا. |
| وَلِأَرْبَعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ قَدِمَ مُزَاحِمُ بْنُ خَاقَانَ مِنْ نَاحِيَةِ الرَّقَّةِ ، فَتَلَقَّاهُ النَّاسُ وَمَعَهُ زُهَاءَ أَلْفِ رَجُلٍ ، فَلَمَّا وَصَلَ خَلَعَ عَلَيْهِ سَبْعَ خِلَعٍ ، وَقَلَّدَهُ سَيْفًا. |
| وَوَجَّهَ الْمُعْتَزُّ عَسْكَرًا يَبْلُغُونَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ ، فَعَسْكَرُوا بِإِزَاءِ عَسْكَرِ أَبِي أَحْمَدَ بِبَابِ قُطْرَبُّلَ ، وَرَكِبَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي عَسْكَرِهِ ، وَخَرَجَ مِنَ النَّظَّارَةِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَحَاذَى عَسْكَرَ أَبِي أَحْمَدَ ، فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الْمَاءِ جَوْلَةٌ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي أَحْمَدَ أَكْثَرُ مِنْ خَمْسِينَ رَجُلًا ، وَمَضَى النَّظَّارَةُ فَجَازُوا الْعَسْكَرَ بِنِصْفِ فَرْسَخٍ ، فَعَبَرَتْ إِلَيْهِمْ سُفُنٌ لِأَبِي أَحْمَدَ ، فَنَالَتْ مِنْهُمْ ، وَرَجَعَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَأَمَرَ ابْنَ أَبِي عَوْنٍ بِرَدِّ النَّاسِ ، فَأَمَرَهُمْ بِالْعَوْدِ ، فَأَغْلَظُوا لَهُ ، فَشَتَمَهُمْ وَشَتَمُوهُ ، وَضَرَبَ رَجُلًا مِنْهُمْ فَقَتَلَهُ ، فَحَمَلَتْ عَلَيْهِ الْعَامَّةُ ، فَانْكَشَفَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ، فَأَخَذَ أَصْحَابُ أَبِي أَحْمَدَ أَرْبَعَ سَفَائِنَ ، وَأَحْرَقُوا سَفِينَةً فِيهَا عَرَّادَةٌ لِأَهْلِ بَغْدَادَ. |
| وَسَارَ الْعَامَّةُ إِلَى دَارِ ابْنِ أَبِي عَوْنٍ لِيَنْهَبُوهَا ، وَقَالُوا مَايَلَ الْأَتْرَاكَ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ ، وَكَلَّمُوا مُحَمَّدًا فِي صَرْفِهِ ، فَصَرَفَهُ ، وَمَنَعَهُمْ مِنْ أَخْذِ مَالِهِ. |
| وَلِإِحْدَى عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ وَصَلَ عَسْكَرُ الْمُعْتَزِّ الَّذِي سَيَّرَهُ إِلَى مُقَابِلِ عَسْكَرِ أَخِيهِ أَبِي أَحْمَدَ عِنْدَ عُكْبَرَا ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمُ ابْنُ طَاهِرٍ عَسْكَرًا ، فَمَضَوْا حَتَّى بَلَغُوا قُطْرَبُّلَ وَبِهَا كَمِينُ الْأَتْرَاكِ ، فَأَوْقَعَ بِهِمْ ، وَنَشِبَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ ، وَقُتِلَ بَيْنَهُمْ جَمَاعَةٌ ، وَانْدَفَعَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ قَلِيلًا إِلَى بَابِ قُطْرَبُّلَ ، وَالْأَتْرَاكُ مَعَهُمْ ، فَخَرَجَ النَّاسُ إِلَيْهِمْ ، فَدَفَعُوا الْأَتْرَاكَ حَتَّى نَحُّوهُمْ ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى أَهْلِ بَغْدَادَ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَقُتِلَ مِنَ الْأَتْرَاكِ أَيْضًا خَلْقٌ كَثِيرٌ ، ثُمَّ تَقَدَّمَ الْأَتْرَاكُ إِلَى بَابِ الْقَطِيعَةِ ، فَنَقَبُوا السُّورَ ، فَقَتَلَ أَهْلُ بَغْدَادَ أَوَّلَ خَارِجٍ مِنْهُ ، وَكَانَ الْقَتْلُ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَكْثَرُهُ فِي الْأَتْرَاكِ ، وَالْجِرَاحُ بِالسِّهَامِ فِي أَهْلِ بَغْدَادَ. |
| وَنَدَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ النَّاسَ ، فَخَرَجُوا مَعَهُ ، وَأَمَرَ الْمُوَكَّلَ بِبَابِ قُطْرَبُّلَ أَلَّا يَدَعَ مُنْهَزِمًا يَدْخُلُهُ ، وَنَشِبَتِ الْحَرْبُ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَثَبَتَ أَسَدُ بْنُ دَاوُدَ حَتَّى قُتِلَ ، وَكَانَ إِغْلَاقُ الْبَابِ عَلَى الْمُنْهَزِمِينَ أَشَدَّ مِنَ الْأَتْرَاكِ ، فَأَخَذُوا مِنْهُمُ الْأَسْرَى ، وَقَتَلُوا فَأَكْثَرُوا ، وَحَمَلُوا الْأَسْرَى وَالرُّؤُوسَ إِلَى سَامَرَّا ، فَلَمَّا قَارَبُوا مِنْهَا غَطَّوْا رُؤُوسَ الْأَسْرَى ، فَلَمَّا رَآهُمْ أَهْلُ سَامَرَّا بَكَوْا وَضَجُّوا ، وَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ ، وَأَصْوَاتُ نِسَائِهِمْ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْمُعْتَزَّ فَكَرِهَ أَنْ تَغْلُظَ قُلُوبُ النَّاسِ عَلَيْهِ ، فَأَمَرَ لِكُلِّ أَسِيرٍ بِدِينَارٍ ، وَأَمَرَ بِالرُؤُوسِ فَدُفِنَتْ. |
| وَقَدِمَ أَبُو السَّاجِ مِنْ طَرِيقِ مَكَّةَ لِأَرْبَعٍ بَقِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ. |
| وَفِي سَلْخِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ جَاءَ نَفَرٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ إِلَى بَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ ، وَمَعَهُمْ كِتَابٌ مِنَ الْمُعْتَزِّ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَاسْتَأْذَنَهُ أَصْحَابُهُ فِي أَخْذِهِ ، فَأَذِنَ لَهُمْ ، فَإِذَا فِيهِ تَذْكِيرُ مُحَمَّدٍ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ حِفْظِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ وَأَنَّ الْوَاجِبَ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ مَنْ يَسْعَى فِي أَمْرِهِ وَيُؤَكِّدَ خِلَافَتَهُ. |
| فَمَا رَدَّ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ جَوَابَ الْكِتَابِ ، وَكَانَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَهُمْ لِسَبْعٍ خَلَوْنَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرَ ، قُتِلَ مِنَ الْأَتْرَاكِ سَبْعُ مِائَةٍ وَمِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ثَلَاثُمِائَةٍ. |
| وَفِي مُنْتَصَفِ رَبِيعٍ الْآخِرِ أُمِرَ أَبُو السَّاجِ ، وَعَلِيُّ بْنُ فَرَاشَةَ ، وَعَلِيُّ بْنُ حَفْصٍ ، بِالْمَسِيرِ إِلَى الْمَدَائِنِ ، فَقَالَ أَبُو السَّاجِ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْجِدَّ مَعَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَلَا تُفَرِّقْ قُوَّادَكَ ، وَاجْمَعْهُمْ ، حَتَّى تَهْزِمَ هَذَا الْعَسْكَرَ الْمُقِيمَ بِإِزَائِكَ ، فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْهُمْ فَمَا أَقْدَرَكَ عَلَى مَنْ بَعْدَهُمْ! |
| فَقَالَ إِنَّ لِي تَدْبِيرًا ، وَيَكْفِي اللَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَقَالَ أَبُو السَّاجِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ! |
| وَسَارَ إِلَى الْمَدَائِنِ وَحَفَرَ خَنْدَقَهَا ، وَأَمَدَّهُ مُحَمَّدٌ بِثَلَاثَةِ آلَافِ فَارِسٍ وَأَلْفَيْ رَاجِلٍ. |
| وَكَتَبَ الْمُعْتَزُّ إِلَى أَخِيهِ أَبِي أَحْمَدَ يَلُومُهُ لِلتَّقْصِيرِ فِي قِتَالِ أَهْلِ بَغْدَادَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ فِي الْجَوَابِ لِأَمْرِ الْمَنَايَا عَلَيْنَا طَرِيقُ... |
| وَلِلدَّهْرِ فِينَا اتِّسَاعٌ وَضِيقُ وَأَيَّامُنَا عِبْرَةٌ لِلْأَنَامِ فَمِنْهَا الْبُكُورُ وَمِنْهَا الطُّرُوقُ... |
| وَمِنْهَا هَنَاتٌ تُشِيبُ الْوَلِيدَ وَيَخْذُلُ فِيهَا الصَّدِيقَ الصَّدُوقُ وَفِتْنَةُ دِينٍ لَهَا ذُرْوَةٌ تَفُوقُ الْعُيُونَ ، وَبَحْرٌ عَمِيقُ قَتَّالٌ مَتِينٌ ، وَسَيْفٌ عَتِيدٌ وَخَوْفٌ شَدِيدٌ ، وَحِصْنٌ وَثِيقُ وَطُولُ صِيَاحٍ... |
| لِدَاعِي الصَّبَاحِ السِّلَاحَ السِّلَاحَ فَمَا يَسْتَفِيقُ فَهَذَا طَرِيحٌ وَهَذَا جَرِيحٌ... |
| وَهَذَا حَرِيقٌ وَهَذَا غَرِيقُ وَهَذَا قَتِيلٌ وَهَذَا تَلِيلٌ وَآخَرُ يَشْدَخُهُ الْمَنْجَنِيقُ... |
| هُنَاكَ اغْتِصَابٌ وَثُمَّ انْتِهَابٌ وَدُورٌ خَرَابٌ وَكَانَتْ تَرُوقُ إِذَا مَا شَرَعْنَا إِلَى مَسْلَكٍ وَجَدْنَاهُ... |
| قَدْ سُدَّ عَنَّا الطَّرِيقُ فَبِاللَّهِ نَبْلُغُ مَا نَرْتَجِي وَبِاللَّهِ نَدْفَعُ مَا لَا نُطِيقُ وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ لِعَلِيِّ بْنِ أُمَيَّةَ فِي فِتْنَةِ الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ. |
| ذِكْرُ حَالِ الْأَنْبَارِ وَسَيَّرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى الْأَنْبَارِ نَجُوبَةَ بْنَ قَيْسٍ ، فَأَقَامَ بِهَا ، وَجَمَعَ بِهَا نَحْوًا مِنْ أَلْفَيْ رَجُلٍ ، وَأَمَدَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بِأَلْفٍ وَخَمْسِ مِائَةٍ ، وَشَقَّ الْمَاءَ مِنَ الْفُرَاتِ إِلَى خَنْدَقِهَا ، فَفَاضَ عَلَى الصَّحَارِي ، فَصَارَ بَطِيحَةً وَاحِدَةً ، وَقَطَعَ الْقَنَاطِرِ. |
| وَسَيَّرَ الْمُعْتَزُّ جُنْدًا مَعَ عَلِيٍّ الْإِسْحَاقِيِّ نَحْوَ الْأَنْبَارِ ، فَوَصَلُوا سَاعَةَ وُصُولِ مَدَدِ مُحَمَّدٍ وَقَدْ نَزَلُوا ظَاهِرَهَا ، فَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ ، فَانْهَزَمَ مَدَدُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَرَجَعُوا فِي الطَّرِيقِ الَّذِي جَاؤُوا فِيهِ إِلَى بَغْدَادَ. |
| وَكَانَ نَجُوبَةُ بِالْأَنْبَارِ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا ، فَلَمَّا بَلَغَهُ هَزِيمَةُ مَدَدِهِ ، وَمَسِيرُ الْأَتْرَاكِ إِلَيْهِ ، عَبَرَ إِلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ، وَقَطَعَ الْجِسْرَ وَسَارَ نَحْوَ بَغْدَادَ ، فَاخْتَارَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِنْفَاذَ الْحُسَيْنِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى الْأَنْبَارِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْقُوَّادِ وَالْجُنْدِ ، فَجَهَّزَهُمْ ، وَأَخْرَجَ لَهُمْ رِزْقَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ. |
| وَخَرَجَ الْجُنْدُ وَعَرَضَهُمُ الْحُسَيْنُ ، وَسَارَ عَنْ بَغْدَادَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ، وَتَبِعَهُ النَّاسُ ، وَالْقُوَّادُ ، وَبَنُو هَاشِمٍ إِلَى الْيَاسِرِيَّةِ. |
| وَكَانَ أَهْلُ الْأَنْبَارِ لَمَّا دَخَلَهَا الْأَتْرَاكُ قَدْ أَمِنُوهُمْ ، فَفَتَحُوا دَكَاكِينَهُمْ ، وَأَسْوَاقَهُمْ ، وَوَافَاهُمْ سُفُنٌ مِنَ الرِّقَّةِ تَحْمِلُ الدَّقِيقَ وَالزَّيْتَ وَغَيْرَ ذَلِكَ ، فَانْتَهَبَهَا الْأَتْرَاكُ وَحَمَلُوهَا إِلَى مَنَازِلِهِمْ بِسَامَرَّا ، وَوَجَّهُوا بِالْأَسْرَى وَبِالرُّؤُوسِ مَعَهَا. |
| وَسَارَ الْحُسَيْنُ حَتَّى نَزَلَ دِمِمَّا ، وَوَافَتْهُ طَلَائِعُ الْأَتْرَاكِ فَوْقَ دِمِمَّا ، فَصَفَّ أَصْحَابَهُ مُقَابِلَ الْأَتْرَاكِ ، بَيْنَهُمَا نَهْرٌ ، وَكَانَ عَسْكَرُهُ عَشَرَةَ آلَافِ رَجُلٍ ، وَكَانَ الْأَتْرَاكُ فَوْقَ دِمِمَّا ، فَصَفَّ أَصْحَابَهُ ، وَكَانَ الْأَتْرَاكُ زُهَاءَ أَلْفِ رَجُلٍ ، فَتَرَامَوْا بِالسِّهَامِ ، فَجُرِحَ بَيْنَهُمْ عَدَدٌ ، وَعَادَ الْأَتْرَاكُ إِلَى الْأَنْبَارِ ، وَتَقَدَّمَ الْحُسَيْنُ فَنَزَلَ بِمَكَانٍ يُعْرَفُ بِالْقَطِيعَةِ ، وَاسِعٍ يَحْمِلُ الْعَسْكَرَ ، فَأَقَامَ فِيهِ يَوْمَهُ ، ثُمَّ عَزَمَ عَلَى الرَّحِيلِ إِلَى قُرْبِ الْأَنْبَارِ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ الْقُوَّادُ أَنْ يُنْزِلَ عَسْكَرَهُ بِهَذَا الْمَكَانِ بِالْقَطِيعَةِ لِسِعَتِهِ وَحَصَانَتِهِ ، وَيَسِيرَ هُوَ وَجُنْدُهُ جَرِيدَةً ، فَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ لَهُ كَانَ قَادِرًا عَلَى نَقْلِ عَسْكَرِهِ ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ رَجَعَ إِلَى عَسْكَرِهِ وَعَاوَدَ عَدُّوَهُ ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ وَسَارَ مِنْ مَكَانِهِ. |
| فَلَمَّا بَلَغَ الْمَكَانَ الَّذِي يُرِيدُ النُّزُولَ بِهِ أَمَرَ النَّاسَ بِالنُّزُولِ ، فَأَتَتِ الْأَتْرَاكُ جَوَاسِيسَهُمْ ، وَأَعْلَمُوهُمْ بِمَسِيرِهِ وَضِيقِ مَكَانِهِ ، فَأَتَاهُمُ الْأَتْرَاكُ وَالنَّاسُ يَحُطُّونَ أَثْقَالَهُمْ ، فَثَارَ أَهْلُ الْعَسْكَرِ وَقَاتَلُوهُمْ فَقُتِلَ بَيْنَهُمْ قَتْلَى مِنَ الْفَرِيقَيْنِ ، وَحَمَلَ أَصْحَابُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمْ فَكَشَفُوهُمْ ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَغَرِقَ مِنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ. |
| وَكَانَ الْأَتْرَاكُ قَدْ كَمَّنُوا لَهُمْ كَمِينًا ، فَخَرَجَ الْكَمِينُ عَلَى بَقِيَّةِ الْعَسْكَرِ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَلْجَأٌ إِلَّا الْفُرَاتُ ، وَغَرِقَ مِنْ أَصْحَابِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَقُتِلَ جَمَاعَةٌ وَأُسِرَ جَمَاعَةٌ. |
| وَأَمَّا الْفُرْسَانُ فَهَرَبُوا لَا يَلْوُونَ عَلَى شَيْءٍ ، وَالْقُوَّادُ يُنَادُونَهُمْ الرَّجْعَةَ ، فَلَمْ يَرْجِعْ أَحَدٌ ، فَخَافُوا عَلَى نُفُوسِهِمْ ، فَرَجَعُوا يَحْمُونَ أَصْحَابَهُمْ ، وَأَخَذَ الْأَتْرَاكُ عَسْكَرَ الْحُسَيْنِ بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْخِلَعِ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ ، وَسَلَّمَ مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ سِلَاحٍ فِي السُّفُنِ ، لِأَنَّ الْمَلَّاحِينَ حَذَرُوا السُّفُنَ ، فَسَلَّمَ مَا مَعَهُمْ مِنْ سِلَاحٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ. |
| وَوَصَلَ الْمُنْهَزِمُونَ إِلَى الْيَاسِرِيَّةِ لِسِتٍّ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَلَقِيَ الْحُسَيْنَ رَجُلٌ مِنَ التُّجَّارِ مِمَّنْ ذَهَبَتْ أَمْوَالُهُمْ ، فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَيَّضَ وَجْهَكَ ، أُصْعِدْتَ فِي اثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا ، وَانْصَرَفْتَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ! |
| فَتَغَافَلَ عَنْهُ. |
| وَلَمَّا اتَّصَلَ خَبَرُ الْهَزِيمَةِ بِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ مَنَعَ الْمُنْهَزِمِينَ مِنْ دُخُولِ بَغْدَادَ ، وَنَادَى مَنْ وَجَدْنَاهُ بِبَغْدَاذَ مِنْ عَسْكَرِ الْحُسَيْنِ ، بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، ضُرِبَ ثَلَاثَمِائَةَ سَوْطٍ ، وَأُسْقِطَ مِنَ الدِّيوَانِ ، فَخَرَجَ النَّاسُ إِلَى الْحُسَيْنِ بِالْيَاسِرِيَّةِ ، وَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ جُنْدًا آخَرَ ، وَأَعْطَاهُمُ الْأَرْزَاقَ ، وَأَمَرَ بَعْضَ النَّاسِ لِيَعْلَمَ مَنْ قُتِلَ ، وَمَنْ غَرِقَ ، وَمَنْ سَلِمَ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ. |
| وَأَتَاهُمْ كِتَابُ بَعْضِ عُيُونِهِمْ مِنَ الْأَنْبَارِ يُخْبِرُهُمْ أَنَّ الْقَتْلَى كَانَتْ مِنَ التُّرْكِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَتَيْنِ ، وَالْجَرْحَى نَحْوَ أَرْبَعِ مِائَةٍ ، وَأَنَّ جَمِيعَ مَنْ أَسَرَهُ الْأَتْرَاكُ مِائَتَانِ وَعِشْرُونَ رَجُلًا ، وَأَنَّهُ عَدَّ رُؤُوسَ الْقَتْلَى فَكَانَتْ سَبْعِينَ رَأْسًا ، وَكَانُوا أَخَذُوا جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ الْأَسْوَاقِ فَأَطْلَقُوهُمْ ، فَرَحَلَ الْحُسَيْنُ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَسَارَ حَتَّى عَبَرَ نَهَرَ أَرْبَقَ ، فَلَمَّا كَانَ السَّبْتُ لِثَمَانٍ خَلَوْنَ مِنْ رَجَبٍ أَتَاهُ إِنْسَانٌ فَأَعْلَمَهُ أَنَّ الْأَتْرَاكَ يُرِيدُونَ الْعُبُورَ إِلَيْهِ فِي عِدَّةِ مَخَاضَاتٍ ، فَضَرَبَهُ ، وَوَكَّلَ بِمَوَاضِعِ الْمَخَاضِ رَجُلًا مِنْ قُوَّادِهِ يُقَالُ لَهُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى الْأَرْمَنِيُّ فِي مِائَتَيْ رَجُلٍ ، فَأَتَى الْأَتْرَاكُ الْمَخَاضَةَ ، فَرَأَوُا الْمُوكَلَ بِهَا ، فَتَرَكُوهَا إِلَى مَخَاضَةٍ أُخْرَى ، فَقَاتَلُوهُمْ ، وَصَبَرَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَبَعَثَ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ أَنَّ الْأَتْرَاكَ قَدْ وَافَوُا الْمَخَاضَةَ ، فَقِيلَ لِلرَّسُولِ الْأَمِيرُ نَائِمٌ ، فَأَرْسَلَ آخَرَ ، فَقِيلَ لَهُ الْأَمِيرُ فِي الْمَخْرَجِ ، فَأَرْسَلَ آخَرَ ، فَقِيلَ لَهُ الْأَمِيرُ قَدْ عَادَ فَنَامَ ، فَعَبَرَ الْأَتْرَاكُ ، فَقَعَدَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ فِي زَوْرَقٍ وَانْحَدَرَ ، وَهَرَبَ أَصْحَابُهُ مُنْهَزِمِينَ ، وَقَتَلَ الْأَتْرَاكُ مِنْهُمْ وَأَسَرُوا نَحْوَ مِائَتَيْنِ ، وَانْحَدَرَتْ عَامَّةُ السُّفُنِ فَسُلِّمَتْ ، وَوَضَعَ الْأَتْرَاكُ السَّيْفَ ، وَغَرِقَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَوَصَلَ الْمُنْهَزِمُونَ بَغْدَادَ نِصْفَ اللَّيْلِ ، وَوَافَى بَقِيَّتُهُمْ فِي النَّهَارِ ، وَاسْتَوْلَى الْأَتْرَاكُ عَلَى أَثْقَالِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَقُتِلَ عِدَّةٌ مِنْ قُوَّادِ الْحُسَيْنِ ، فَقَالَ الْهِنْدُوَانِيُّ فِي الْحُسَيْنِ يَا أَحْزَمَ النَّاسِ رَأَيًا فِي تَخَلُّفِهِ... |
| عَنِ الْقِتَالِ خَلَطْتَ الصَّفْوَ بِالْكَدَرِ لَمَّا رَأَيْتَ سُيُوفَ التُّرْكِ مُصْلَتَةً... |
| عَلِمْتَ مَا فِي سُيُوفِ التُّرْكِ مِنْ قَدَرِ فَصِرْتَ مُضَجِّرًا ذُلًّا وَمَنْقَصَةً... |
| وَالنُّجْحُ يَذْهَبُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالضَّجَرِ وَلَحِقَ فِيهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْكُتَّابِ وَبَنِي هَاشِمٍ بِالْمُعْتَزِّ ، فَمِنْ بَنِي هَاشِمٍ عَلِيُّ وَمُحَمَّدٌ ابْنَا الْوَاثِقِ وَغَيْرُهُمَا. |
| ثُمَّ كَانَتْ بَيْنَهُمْ عِدَّةُ وَقَعَاتٍ ، وَقُتِلَ فِيهَا مِنَ الْفَرِيقَيْنِ جَمَاعَةٌ ، وَدَخَلَ الْأَتْرَاكُ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْحُرُوبِ إِلَى بَغْدَادَ ، ثُمَّ تَكَاثَرَ النَّاسُ عَلَيْهِمْ فَأَخْرَجُوهُمْ مِنْهَا. |
| وَجَرَى بَيْنَ أَبِي السَّاجِ وَجَمَاعَةٍ مِنَ الْأَتْرَاكِ وَقْعَةٌ ، فَهَزَمَهُمْ أَبُو السَّاجِ ، ثُمَّ وَاقَعُوهُ أُخْرَى ، فَتَخَلَّى عَنْهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَانْهَزَمَ ، وَدَخَلَ الْأَتْرَاكُ الْمَدَائِنَ ، وَخَرَجَتِ الْأَتْرَاكُ الَّذِينَ بِالْأَنْبَارِ فِي سَوَادِ بَغْدَادَ مِنَ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ، حَتَّى بَلَغُوا صَرْصَرَ وَقَصْرَ ابْنِ هُبَيْرَةَ. |
| وَفِي ذِي الْقِعْدَةِ كَانَتْ وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ ، خَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فِي جَمِيعِ الْقُوَّادِ وَالْعَسْكَرِ ، وَنُصِبَ لَهُ قُبَّةٌ وَجَلَسَ فِيهَا ، وَاقْتَتَلَ النَّاسُ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَتِ الْأَتْرَاكُ وَدَخَلَ أَهْلُ بَغْدَادَ عَسْكَرَهُمْ ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَهَرَبُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ لَا يَلْوُونَ عَلَى شَيْءٍ ، فَكُلَّمَا جِيءَ بِرَأْسٍ يَقُولُ بُغَا ذَهَبَتِ الْمَوَالِي ، وَسَاءَ ذَلِكَ مَنْ مَعَ بُغَا وَوَصِيفٍ مِنَ الْأَتْرَاكِ. |
| وَوَقَفَ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ يَرُدُّ الْأَتْرَاكَ ، وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَرْجِعُوا لَمْ يُبْقِ لَهُمْ بَقِيَّةً ، وَتَبِعَهُمْ أَهْلُ بَغْدَادَ إِلَى سَامَرَّا ، فَتَرَاجَعُوا إِلَيْهِ ، وَإِنَّ بَعْضَ أَهْلِ بَغْدَادَ رَجَعُوا عَنِ الْمُنْهَزِمِينَ ، فَرَأَى أَصْحَابُهُمْ أَعْلَامَهُمْ ، فَظَنُّوهَا أَعْلَامَ الْأَتْرَاكِ قَدْ عَادَتْ ، فَانْهَزَمُوا نَحْوَ بَغْدَادَ مُزْدَحِمِينَ ، وَتَرَاجَعَ الْأَتْرَاكُ إِلَى عَسْكَرِهِمْ ، وَلَمْ يَعْلَمُوا بِهَزِيمَةِ أَهْلِ بَغْدَادَ ، فَتَحَمَّلُوا عَلَيْهِمْ. |
| وَفِي ذِي الْحِجَّةِ وَجَّهَ أَبُو أَحْمَدَ خَمْسَ سَفَائِنَ مَمْلُوءَةٍ طَعَامًا وَدَقِيقًا إِلَى ابْنِ طَاهِرٍ. |
| وَفِي ذِي الْحِجَّةِ عَلِمَ النَّاسُ بِمَا عَلَيْهِ ابْنُ طَاهِرٍ مِنْ خَلْعِ الْمُسْتَعِينِ وَالْبَيْعَةِ لِلْمُعْتَزِّ ، وَوَجَّهَ قُوَّادَهُ إِلَى أَبِي أَحْمَدَ ، فَبَايَعُوهُ لِلْمُعْتَزِّ ، وَكَانَتِ الْعَامَّةُ تَظُنُّ أَنَّ الصُّلْحَ جَرَى عَلَى أَنَّ الْخَلِيفَةَ الْمُسْتَعِينُ وَالْمُعْتَزَّ وَلِيُّ عَهْدِهِ. |
| وَفِي ذِي الْحِجَّةِ أَيْضًا خَرَجَ رَشِيدُ بْنُ كَاوُسَ أَخُو الْأَفْشِينِ ، وَكَانَ مُوكَلًا بِبَابِ السَّلَامَةِ ، إِلَى الْأَتْرَاكِ ، وَسَارَ مَعَهُمْ إِلَى أَبِي أَحْمَدَ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى أَبْوَابِ بَغْدَادَ يَقُولُ لِلنَّاسِ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُعْتَزَّ ، وَأَبَا أَحْمَدَ يَقْرَآنِ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ ، وَيَقُولَانِ مَنْ أَطَاعَنَا وَصَلْنَاهُ ، وَمَنْ أَبَى فَهُوَ أَعْلَمُ. |
| فَشَتَمَهُ النَّاسُ ، وَعَلِمُوا بِمَا عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، فَعَبَرَتِ الْعَامَّةُ إِلَى الْجَزِيرَةِ الَّتِي حِذَاءَ دَارِهِ ، فَشَتَمُوهُ أَقْبَحَ شَتْمٍ ، ثُمَّ سَارُوا إِلَى بَابِ دَارِهِ فَفَعَلُوا بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَقَاتَلُوا مَنْ عَلَى بَابِهِ حَتَّى كَشَفُوهُمْ ، وَدَخَلُوا دِهْلِيزَ دَارِهِ ، وَأَرَادُوا إِحْرَاقَ دَارِهِ فَلَمْ يَجِدُوا نَارًا ، وَبَاتَ مِنْهُمْ بِالْجَزِيرَةِ جَمَاعَةٌ يَشْتُمُونَهُ وَهُوَ يَسْمَعُ ، فَلَمَّا ذَكَرُوا اسْمَ أُمِّهِ ضَحِكَ ، وَقَالَ مَا أَدْرِي كَيْفَ عَرَفُوهُ ، وَقَدْ كَانَ أَكْثَرُ جَوَارِي أَبِي لَا يَعْرِفُونَ اسْمَهَا. |
| فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ فَعَلُوا مِثْلَ ذَلِكَ ، فَسَارَ مُحَمَّدٌ إِلَى الْمُسْتَعِينِ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَطْلُعَ إِلَيْهِمْ وَيُسْكِتَهُمْ ، فَفَعَلَ ، وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يُخْلَعْ ، وَلَمْ أَتَّهِمْهُ ، وَوَعَدَهُمْ أَنْ يُصَلِّيَ بِهِمُ الْجُمْعَةَ ، فَانْصَرَفُوا. |
| ثُمَّ تَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَبَيْنَ أَبِي أَحْمَدَ مَعَ حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ حَمَّادِ بْنِ يَزِيدَ ، وَثَارَ قَوْمٌ مِنْ رَجَّالَةِ الْجُنْدِ ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْعَامَّةِ ، فَطَلَبَ الْجُنْدُ أَرْزَاقَهُمْ ، وَشَكَتِ الْعَامَّةُ سُوءَ الْحَالِ ، وَغَلَاءَ السِّعْرِ ، وَقَالُوا إِمَّا خَرَجْتَ ، فَقَابَلْتَ ، وَإِمَّا تَرَكْتَنَا ، فَوَعَدَهُمُ الْخُرُوجَ ، أَوْ فَتْحَ بَابِ الصُّلْحِ ، ثُمَّ جَعَلَ عَلَى الْجُسُورِ وَبِالْجَزِيرَةِ وَبِبَابِ دَارِهِ الرِّجَالَ وَالْخَيْلَ ، فَحَضَرَ الْجَزِيرَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ ، فَطَرَدُوا مَنْ كَانَ بِهَا ، وَقَاتَلُوا النَّاسَ. |
| وَأَرْسَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى الْجُنْدِ يَعِدُهُمْ رِزْقَ شَهْرَيْنِ ، وَأَمَرَهُمْ بِالنُّزُولِ ، فَأَبَوْا وَقَالُوا لَا نَفْعَلُ حَتَّى نَعْلَمَ نَحْنُ وَالْعَامَّةُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ نَحْنُ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ ، فَقَالُوا لَهُ إِنَّ الْعَامَّةَ قَدِ اتَّهَمُوكَ بِخَلْعِ الْمُسْتَعِينِ ، وَالْبَيْعَةِ لِلْمُعْتَزِّ ، وَتَوْجِيهِكِ الْقُوَّادَ بَعْدَ الْقُوَّادِ ، وَيَخَافُونَ دُخُولَ الْأَتْرَاكِ وَالْمَغَارِبَةِ إِلَيْهِمْ ، فَإِنْ يَفْعَلُوا بِهِمْ كَمَا عَمِلُوا فِي الْمَدَائِنِ وَالْأَنْبَارِ ، فَهُمْ يَخَافُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَسَأَلُوا إِخْرَاجَ الْخَلِيفَةِ إِلَيْهِمْ لِيَرَوْهُ وَيُكَذِّبُوا مَا بَلَغَهُمْ ، فَلَمَّا رَأَى مُحَمَّدٌ ذَلِكَ سَأَلَ الْمُسْتَعِينَ الْخُرُوجَ إِلَيْهِمْ ، فَخَرَجَ إِلَى دَارِ الْعَامَّةِ ، وَدَخَلَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ ، فَنَظَرُوا إِلَيْهِ ، وَخَرَجُوا ، فَأَعْلَمُوا النَّاسَ الْخَبَرَ ، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِذَلِكَ ، فَأَمَرَ الْمُسْتَعِينُ بِإِغْلَاقِ الْأَبْوَابِ ، وَصَعِدَ سَطْحَ دَارِ الْعَامَّةِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَعَهُ ، فَرَآهُ النَّاسُ وَعَلَيْهِ الْبُرْدَةُ وَبِيَدِهِ الْقَضِيبُ ، فَكَلَّمَ النَّاسَ ، وَأَقْسَمَ عَلَيْهِمْ بِحَقِّ صَاحِبِ الْبُرْدَةِ إِلَّا انْصَرَفُوا فَإِنَّهُ آمِنٌ لَا بَأْسَ عَلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدٍ ، فَسَأَلُوهُ الرُّكُوبَ مَعَهُمْ وَالْخُرُوجَ مِنْ دَارِ مُحَمَّدٍ لِأَنَّهُمْ لَا يَأْمَنُونَهُ عَلَيْهِ ، فَوَعَدَهُمْ ذَلِكَ. |
| فَلَمَّا رَأَى ابْنُ طَاهِرٍ فِعْلَهُمْ عَزَمَ عَلَى النَّقْلَةِ عَنْ بَغْدَادَ إِلَى الْمَدَائِنِ ، فَأَتَاهُ وُجُوهُ النَّاسِ ، وَسَأَلُوهُ الصَّفْحَ ، وَاعْتَذَرُوا بِأَنَّ ذَلِكَ فِعْلُ الْغَوْغَاءِ وَالسُّفَهَاءِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ رَدًّا جَمِيلًا. |
| وَانْتَقَلَ الْمُسْتَعِينُ عَنْ دَارِهِ فِي ذِي الْحِجَّةِ ، وَأَقَامَ بِدَارِ رِزْقٍ الْخَادِمِ بِالرُّصَافَةِ ، وَسَارَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بِالْحَرْبَةِ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ بِالرُّصَافَةِ ، فَأَمَرُوا الْقُوَّادَ وَبَنِي هَاشِمٍ بِالْمَسِيرِ إِلَى دَارِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَالْعَوْدِ مَعَهُ إِذَا رَكِبَ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، فَرَكِبَ مُحَمَّدٌ فِي جَمْعٍ وَتَعْبِئَةٍ ، وَوَقَفَ لِلنَّاسِ وَعَاتَبَهُمْ ، وَحَلَفَ أَنَّهُ مَا يُرِيدُ لِلْمُسْتَعِينِ ، وَلَا لِوَلِيٍّ لَهُ ، وَلَا لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ سُوءًا ، وَأَنَّهُ مَا يُرِيدُ إِلَّا إِصْلَاحَ أَحْوَالِهِمْ ، حَتَّى بَكَى النَّاسُ وَدَعَوْا لَهُ ، وَسَارَ إِلَى الْمُسْتَعِينِ . |
| وَكَانَ ابْنُ طَاهِرٍ مُجِدًّا فِي أَمْرِ الْمُسْتَعِينِ ، حَتَّى غَيَّرَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَاقَانَ ، وَقَالَ لَهُ إِنَّ هَذَا الَّذِي تَنْصُرُهُ ، وَتَجِدُّ فِي أَمْرِهِ ، مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ نِفَاقًا ، وَأَخْبَثِهِمْ دِينًا ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَمَرَ وَصِيفًا وَبُغَا بِقَتْلِكَ ، فَاسْتَعْظَمَا ذَلِكَ وَلَمْ يَفْعَلَاهُ ، وَإِنْ كُنْتَ شَاكًّا فِي قَوْلِي فَسَلْ تُخْبَرْهُ ، وَإِنَّ مِنْ ظَاهِرِ نِفَاقِهِ أَنَّهُ كَانَ بِسَامَرَّا لَا يَجْهَرُ بِبَسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فِي صَلَاتِهِ ، فَلَمَّا صَارَ إِلَيْكَ جَهَرَ بِهَا مُرَاءَاةً لَكَ ، وَتَرَكَ نُصْرَةَ وَلِيِّكَ ، وَصِهْرِكَ ، وَتَرْبِيَتِكَ ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنْ كَلَامٍ كَلَّمَهُ بِهِ ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ أَخْزَى اللَّهُ هَذَا ، مَا يَصْلُحُ لِدِينٍ وَلَا لِدُنْيَا! |
| ثُمَّ ظَاهَرَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى بِأَحْمَدَ بْنِ إِسْرَائِيلَ ، وَالْحَسَنِ بْنِ مَخْلَدٍ. |
| فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَضْحَى صَلَّى الْمُسْتَعِينُ بِالنَّاسِ ، ثُمَّ حَضَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عِنْدَ الْمُسْتَعِينِ وَعِنْدَ الْفُقَهَاءِ وَالْقُضَاةِ ، فَقَالَ لَهُ قَدْ كُنْتَ فَارَقْتَنِي عَلَى أَنْ تُنَفِّذَ أَمْرِي فِي كُلِّ مَا أَعْزِمُ عَلَيْهِ ، وَخَطُّكَ عِنْدِي بِذَلِكَ ، فَقَالَ الْمُسْتَعِينُ أَحْضِرِ الرُّقْعَةَ ، فَأَحْضَرَهَا ، فَإِذَا فِيهَا ذِكْرُ الصُّلْحِ ، وَلَيْسَ فِيهَا ذِكْرُ الْخَلْعِ ، فَقَالَ نَعَمْ أُمْضِ الصُّلْحَ ، فَخَرَجَ مُحَمَّدٌ إِلَى ظَاهِرِ بَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ ، فَضُرِبَ لَهُ مَضْرِبٌ ، فَنَزَلَ إِلَيْهِ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَجَاءَ أَبُو أَحْمَدَ فِي سَمِيرِيَّةَ ، فَصَعِدَ إِلَيْهِ ، فَتَنَاظَرَا طَوِيلًا ، ثُمَّ خَرَجَا ، فَجَاءَ ابْنُ طَاهِرٍ إِلَى الْمُسْتَعِينِ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ بَذَلَ لَهُ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَيَقْطَعُ عَلَيْهِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَعَلَى أَنْ يَكُونَ مُقَامَهُ بِالْمَدِينَةِ ، يَتَرَدَّدُ مِنْهَا إِلَى مَكَّةَ ، وَيَخْلَعُ نَفْسَهُ مِنِ الْخِلَافَةِ ، وَأَنْ يُعْطَى بُغَا وِلَايَةَ الْحِجَازِ جَمِيعِهِ ، وَيُوَلَّى وَصِيفٌ الْجَبَلَ وَمَا وَالَاهُ ، وَيَكُونُ ثُلْثُ مَا يُجْبَى مِنَ الْمَالِ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَجُنْدِ بَغْدَادَ ، وَالثُّلْثَانِ لِلْمَوَالِي وَالْأَتْرَاكِ ، فَامْتَنَعَ الْمُسْتَعِينُ مِنِ الْإِجَابَةِ إِلَى الْخَلْعِ ، وَظَنَّ أَنَّ وَصِيفًا وَبُغَا مَعَهُ يُكَاشِفَانِ ، فَقَالَ النَّطْعُ وَالسَّيْفُ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ طَاهِرٍ أَمَّا أَنَا فَأَقْعُدُ ، وَلَا بُدَّ لَكَ مِنْ خَلْعِهَا طَائِعًا أَوْ مُكْرَهًا! |
| فَأَجَابَ إِلَى الْخَلْعِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ إِجَابَتِهِ إِلَى الْخَلْعِ أَنَّ مُحَمَّدًا وَبُغًا وَوَصِيفًا لَمَّا نَاظَرُوهُ فِي الْخَلْعِ أَغْلَظَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ وَصِيفٌ أَنْتَ أَمَرْتَنَا بِقَتْلِ بَاغَرَ ، فَصِرْنَا إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ، وَأَنْتَ أَمَرْتَنَا بِقَتْلِ أُتَامِشَ ، وَقُلْتَ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيْسَ بِنَاصِحٍ ، وَمَا زَالُوا يُفْزِعُونَهُ ، وَقَالَ مُحَمَّدٌ وَقَدْ قُلْتَ لِي إِنَّ أَمْرَنَا لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِاسْتِرَاحَتِنَا مِنْ هَذَيْنِ الِاثْنَيْنِ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَذْعَنَ بِالْخَلْعِ ، وَكَتَبَ بِمَا أَرَادَ لِنَفْسِهِ مِنَ الشُّرُوطِ ، وَذَلِكَ لِإِحْدَى عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ. |
| وَجَمَعَ مُحَمَّدٌ الْفُقَهَاءَ وَالْقُضَاةَ ، وَأَدْخَلَهُمْ عَلَى الْمُسْتَعِينِ ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَدْ صَيَّرَ أَمْرَهُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، ثُمَّ أُخِذَ مِنْهُ جَوْهَرُ الْخِلَافَةِ. |
| وَبَعَثَ ابْنُ طَاهِرٍ إِلَى قُوَّادِهِ لِيُوَافُوهُ ، وَمَعَ كُلِّ قَائِدٍ عَشَرَةُ نَفَرٍ مِنْ وُجُوهِ أَصْحَابِهِ ، فَأَتَوْهُ فَمَنَّاهُمْ ، وَقَالَ لَهُمْ مَا أَرَدْتُ بِمَا فَعَلْتُ إِلَّا صَلَاحَكُمْ وَحَقْنَ الدِّمَاءِ. |
| وَأَمَرَهُمْ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمُعْتَزِّ فِي الشُّرُوطِ الَّتِي شَرَطَهَا الْمُسْتَعِينُ لِنَفْسِهِ وَلِقُوَّادِهِ ، لِيُوَقِّعَ الْمُعْتَزُّ عَلَيْهَا بِخَطِّهِ ، ثُمَّ أَخْرَجَهُمْ إِلَى الْمُعْتَزِّ ، فَمَضَوْا إِلَيْهِ ، فَأَجَابَ إِلَى مَا طَلَبُوا ، وَوَقَّعَ عَلَيْهِ بِخَطِّهِ ، وَشَهِدُوا عَلَى إِقْرَارِهِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِمْ ، وَوَجَّهَ مَعَهُمْ مَنْ يَأْخُذُ الْبَيْعَةَ عَلَى الْمُسْتَعِينِ ، وَحُمِلَ إِلَى الْمُسْتَعِينِ أُمُّهُ وَعِيَالُهُ ، بَعْدَمَا فَتَّشُوا ، وَأَخَذُوا مَا مَعَهُمْ ، وَكَانَ دُخُولُ الرُّسُلِ بَغْدَادَ مِنْ عِنْدِ الْمُعْتَزِّ لِسِتٍّ خَلَوْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ. |
| ذِكْرُ غَزْوِ الْإِفْرِنْجِ بِالْأَنْدَلُسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَيَّرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأُمَوِيُّ ، صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ ، جَيْشًا مَعَ ابْنِهِ الْمُنْذِرِ إِلَى بِلَادِ الْمُشْرِكِينَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةَ ، فَسَارُوا ، وَقَصَدُوا الْمِلَاحَةَ ، وَكَانَتْ أَمْوَالٌ لِذُرَيقٍ بِنَاحِيَةِ أُلْبَةَ وَالْقِلَاعِ ، فَلَمَّا عَمَّ الْمُسْلِمُونَ بَلَدَهُمْ بِالْخَرَابِ وَالنَّهْبِ ، جُمِعَ لِذُرَيْقٍ عَسَاكِرُهُ ، وَسَارَ يُرِيدُهُمْ ، فَالْتَقَوْا بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ فَجَّ الْمَرْكُوَّيْنِ ، وَبِهِ تُعْرَفُ هَذِهِ الْغَزَاةُ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَبْعُدُوا ، وَاجْتَمَعُوا بِهَضْبَةٍ بِالْقُرْبِ مِنْ مَوْضِعِ الْمَعْرَكَةِ ، فَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، وَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، فَوَلَّى الْفِرِنْجُ مُنْهَزِمِينَ لَا يَلْوُونَ عَلَى شَيْءٍ. |
| وَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ. |
| وَكَانَتْ هَذِهِ الْوَقْعَةُ ثَانِيَ عَشَرَ رَجَبَ ، وَكَانَ عَدَدُ مَا أُخِذَ مِنْ رُؤُوسِ الْمُشْرِكِينَ أَلْفَيْنِ وَأَرْبَعَ مِائَةٍ وَاثْنَيْنِ وَتِسْعِينَ رَأْسًا ، وَكَانَ فَتْحًا عَظِيمًا ، وَعَادَ الْمُسْلِمُونَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ رَجَعَ سُلَيْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، صَرَفَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ ، إِلَى طَبَرِسْتَانَ مِنْ جُرْجَانَ بِجَمْعٍ كَثِيرٍ ، وَخَيْلٍ وَسِلَاحٍ ، فَتَنَحَّى الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ طَبَرِسْتَانَ ، وَلَحِقَ بِالدَّيْلَمِ ، وَدَخَلَهَا سُلَيْمَانُ ، وَقَصَدَ سَارِيَةَ ، وَأَتَاهُ ابْنَانِ لَقَارَنَ بْنِ شَهْرَيَارَ ، وَأَتَاهُ أَهْلُ آمُلَ وَغَيْرُهُمْ ، مُنِيبِينَ مُظْهِرِينَ النَّدَمَ ، يَسْأَلُونَ الصَّفْحَ ، فَلَقِيَهُمْ بِمَا أَرَادُوا ، وَنَهَى أَصْحَابَهُ عَنِ الْقَتْلِ وَالنَّهْبِ وَالْأَذَى. |
| وَوَرَدَ كِتَابُ أَسَدِ بْنِ جَنَّدَانِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يُخْبِرُهُ أَنَّهُ لَقِيَ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الطَّالِبِيَّ الْمُسَمَّى بِالْمُرَعَّشِيِّ ، فِيمَنْ مَعَهُ مِنْ رُؤَسَاءِ الْجَبَلِ ، فَهَزَمَهُ وَدَخَلَ مَدِينَةَ آمُلَ. |
| وَفِيهَا ظَهَرَ بِأَرْمِينِيَّةَ رَجُلَانِ ، فَقَاتَلَهُمَا الْعَلَاءُ بْنُ أَحْمَدَ عَامِلُ بُغَا الشَّرَابِيِّ ، فَهَزَمَهُمَا ، فَصَعِدَا قَلْعَةً هُنَاكَ ، فَحَصَرَهُمَا ، وَنَصَبَ عَلَيْهَا الْمَجَانِيقَ ، فَهُزِمَا مِنْهَا ، وَخَفِيَ أَمْرَهُمَا عَلَيْهِ وَمَلِكَ الْقَلْعَةِ. |
| وَفِيهَا حَارَبَ عِيسَى بْنُ الشَّيْخِ الْمُوَفَّقَ الْخَارِجِيَّ فَهَزَمَهُ وَأُسِرَ الْمُوَفَّقُ. |
| وَفِيهَا وَرَدَ كِتَابُ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يُخْبِرُ الطَّالِبِيَّ الَّذِي ظَهَرَ بِالرَّيِّ ، وَمَا أَعَدَّ لَهُ مِنَ الْعَسَاكِرِ الْمُسَيَّرَةِ لَهُ ، وَظَفِرَ بِهِ ، وَاسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، فَأَخَذَهُ أَسِيرًا ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الرَّيِّ بَعْدَ أَسْرِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عِيسَى بْنِ الْحُسَيْنِ الصَّغِيرِ ابْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَإِدْرِيسَ بْنِ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ. |
| وَفِيهَا انْهَزَمَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَكَانَ لَقِيَهُ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، وَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَعْيَانَ الْحَسَنِ ثَلَاثَمِائَةَ رَجُلٍ وَأَرْبَعِينَ رَجُلًا. |
| وَفِيهَا خَرَجَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُوسُفَ الْعَلَوِيُّ ابْنُ أُخْتِ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَنِيِّ. |
| وَفِيهَا كَانَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ ، وَأَحْمَدَ الْمُوَلَّدِ ، وَأَيُّوبَ بْنِ أَحْمَدَ بِالسُّكَيْرِ مِنْ أَرْضِ بَنِي تَغْلِبَ ، فَقُتِلَ بَيْنَهُمَا جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ ، فَانْهَزَمَ مُحَمَّدٌ وَنُهِبَ مَتَاعُهُ. |
| وَفِيهَا غَزَا بَلْكَاجُورُ الرُّومَ ، فَفَتَحَ مَطْمُورَةَ ، وَغَنِمَ غَنِيمَةً كَثِيرَةً ، وَأَسَرَ جَمَاعَةً مِنَ الرُّومِ. |
| وَفِيهَا ظَهَرَ بِالْكُوفَةِ رَجُلٌ مِنَ الطَّالِبِيِّينَ اسْمُهُ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَاسْتَخْلَفَ بِهَا مُحَمَّدَ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ حَسَنِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، يُكَنَّى أَبَا أَحْمَدَ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْمُسْتَعِينُ مُزَاحِمَ بْنَ خَاقَانَ ، وَكَانَ الْعَلَوِيُّ بِسَوَادِ الْكُوفَةِ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ وَمِنَ الزَّيْدِيَّةِ ، وَأَجْلَى عَنْهَا عَامِلَ الْخَلِيفَةِ وَهُوَ أَحْمَدُ بْنُ نُضَيْرِ بْنِ حَمْزَةَ بْنِ مَالِكٍ الْخُزَاعِيِّ إِلَى قَصْرِ ابْنِ هُبَيْرَةَ ، وَاجْتَمَعَ مُزَاحِمٌ وَهِشَامُ بْنُ أَبِي دُلَفَ الْعِجْلِيُّ ، فَسَارَ مُزَاحِمٌ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَحَمَلَ أَهْلَ الْكُوفَةِ الْعَلَوِيَّةِ عَلَى قِتَالِهِمَا ، وَوَعَدَهُمُ النُّصْرَةَ ، فَتَقَدَّمَ مُزَاحِمٌ وَقَاتَلَهُمْ ، وَكَانَ قَدْ سَيَّرَ قَائِدًا مَعَهُ جَمَاعَةٌ ، فَأَتَى أَهْلَ الْكُوفَةِ مِنْ وَرَائِهِمْ ، فَأَطْبَقُوا عَلَيْهِمْ ، فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ وَاحِدٌ ، وَدَخَلَ الْكُوفَةَ ، فَرَمَاهُ أَهْلُهَا بِالْحِجَارَةِ ، فَأَحْرَقَهَا بِالنَّارِ ، فَاحْتَرَقَ مِنْهَا سَبْعَةُ أَسْوَاقٍ حَتَّى خَرَجَتِ النَّارُ إِلَى السَّبِيعِ ، ثُمَّ هَجَمَ عَلَى الدَّارِ الَّتِي فِيهَا الْعَلَوِيُّ ، فَهَرَبَ ، وَأَقَامَ مُزَاحِمٌ بِالْكُوفَةِ ، فَأَتَاهُ كِتَابُ الْمُعْتَزِّ يَدْعُوهُ إِلَيْهِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ. |
| وَفِيهَا ظَهَرَ إِنْسَانٌ عَلَوِيٌّ بِنَاحِيَةِ نِينَوَى مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ ، فَلَقِيَهُ هِشَامُ بْنُ أَبِي دُلَفٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِ الْعَلَوِيِّ جَمَاعَةً وَهَرَبَ فَدَخَلَ الْكُوفَةِ. |
| وَفِيهَا ظَهَرَ الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْأَرْقَطِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَعْرُوفُ بِالْكُرْكِيِّ ، بِنَاحِيَةِ قَزْوِينَ ، وَزَنْجَانَ ، فَطَرَدَ عُمَّالَ طَاهِرٍ عَنْهَا. |
| وَفِيهَا قَطَعَتْ بَنُو عَقِيلٍ طَرِيقَ جُدَّةٍ ، فَحَارَبَهُمْ جَعْفَرٌ بِشَاشَاتَ فَقُتِلَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ نَحْوُ ثَلَاثُمِائَةُ رَجُلٍ ، فَغَلَتِ الْأَسْعَارُ بِمَكَّةَ ، وَأَغَارَتِ الْأَعْرَابُ عَلَى الْقُرَى. |
| وَفِيهَا ظَهَرَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِمَكَّةَ ، فَهَرَبَ جَعْفَرٌ بِشَاشَاتَ ، وَانْتَهَبَ إِسْمَاعِيلُ مُنْزِلَهُ وَمَنَازِلَ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ ، وَقَتَلَ الْجُنْدَ وَجَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، وَأَخَذَ مَا كَانَ حَمَلَ لِإِصْلَاحِ الْقَبْرِ مِنَ الْمَالِ وَمَا فِي الْكَعْبَةِ وَخَزَائِنِهَا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَأَخَذَ كُسْوَةَ الْكَعْبَةِ ، وَأَخَذَ مِنَ النَّاسِ نَحْوًا مِنْ مِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَخَرَجَ مِنْهَا بَعْدَ أَنْ نَهَبَهَا ، وَأَحْرَقَ بَعْضَهَا فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ بَعْدَ خَمْسِينَ يَوْمًا وَسَارَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَتَوَارَى عَامِلُهَا ، ثُمَّ رَجَعَ إِسْمَاعِيلُ إِلَى مَكَّةَ فِي رَجَبٍ فَحَصَرَهُمْ حَتَّى تَمَاوَتَ أَهْلُهَا جُوعًا وَعَطَشًا ، وَبَلَغَ الْخُبْزُ ثَلَاثَ أَوَاقٍ بِدِرْهَمٍ ، وَاللَّحْمُ رَطْلٌ بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمَ ، وَشَرْبَةُ مَاءٍ بِثَلَاثَةِ دَرَاهِمَ ، وَلَقِيَ أَهْلُ مَكَّةَ مِنْهُ كُلَّ بَلَاءٍ. |
| ثُمَّ سَارَ إِلَى جُدَّةٍ بَعْدَ مَقَامِ سَبْعَةٍ وَخَمْسِينَ يَوْمًا ، فَحَبَسَ عَنِ النَّاسِ الطَّعَامَ ، وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ الَّتِي لِلتُّجَّارِ وَأَصْحَابِ الْمَرَاكِبِ. |
| ثُمَّ وَافَى إِسْمَاعِيلُ عَرَفَةَ وَبِهَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عِيسَى بْنِ الْمَنْصُورِ الْمُلَقَّبُ بِكَعْبِ الْبَقَرِ ، وَعِيسَى بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَخْزُومِيُّ صَاحِبُ جَيْشِ مَكَّةَ ، كَانَ الْمُعْتَزُّ وَجَّهَهُمَا إِلَيْهَا ، فَقَاتَلَهُمَا إِسْمَاعِيلُ ، وَقَتَلَ مِنَ الْحَاجِّ نَحْوَ أَلْفٍ وَمِائَةٍ ، وَسَلَبَ النَّاسَ ، وَهَرَبُوا إِلَى مَكَّةَ ، لَمْ يَقِفُوا بِعَرَفَةَ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا ، وَوَقَفَ إِسْمَاعِيلُ وَأَصْحَابُهُ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى جُدَّةٍ فَأَفْنَى أَمْوَالَهَا. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ سَرِيٌّ السَّقْطِيُّ الزَّاهِدُ الْوَفَيَاتُ وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ بَهْرَامَ أَبُو يَعْقُوبَ الْكَوْسَجُ ، الْحَافِظُ النَّيْسَابُورِيُّ ، تُوُفِّيَ فِي جُمَادَى الْأُولَى ، وَلَهُ مُسْنَدٌ يُرْوَى عَنْهُ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ خَلْعِ الْمُسْتَعِينِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَلَعَ الْمُسْتَعِينُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُعْتَصِمِ نَفْسَهُ مِنَ الْخِلَافَةِ ، وَبَايَعَ لِلْمُعْتَزِّ بِاللَّهِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ ، وَخُطِبَ لِلْمُعْتَزِّ بِبَغْدَاذَ يَوْمَ الْجُمْعَةِ لِأَرْبَعٍ خَلَوْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ ، وَأَخَذَ لَهُ الْبَيْعَةَ عَلَى كُلِّ مَنْ بِهَا مِنَ الْجُنْدِ. |
| وَكَانَ ابْنُ طَاهِرٍ قَدْ دَخَلَ عَلَى الْمُسْتَعِينِ وَمَعَهُ سَعِيدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، وَقَدْ كَتَبَ شُرُوطَ الْأَمَانِ ، فَقَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! |
| قَدْ كَتَبَ سَعِيدٌ كِتَابَ الشُّرُوطِ ، فَأَكَّدَهُ غَايَةَ التَّوْكِيدِ ، أَفَنَقْرَأُهُ عَلَيْكَ لِتَسْمَعَهُ ، فَقَالَ الْمُسْتَعِينُ لَا حَاجَةَ لِي إِلَى تَوْكِيدِهَا ، فَمَا الْقَوْمُ بِأَعْلَمَ بِاللَّهِ مِنْكَ ، وَلَقَدْ أَكَّدْتَ عَلَى نَفْسِكَ قَبْلَهُمْ ، فَكَانَ مَا عَلِمْتُ ، فَمَا رَدَّ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ شَيْئًا. |
| فَلَمَّا بَايَعَ الْمُسْتَعِينُ لِلْمُعْتَزِّ ، وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ ، نُقِلَ مِنَ الرُّصَافَةِ إِلَى قَصْرِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ بِالْمُحَرَّمِ وَمَعَهُ عِيَالُهُ وَأَهْلُهُ جَمِيعًا ، وَوَكَّلَ بِهِمْ ، وَأَخَذَ مِنْهُ الْبُرْدَةَ ، وَالْقَضِيبَ ، وَالْخَاتَمَ ، وَوَجَّهَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَمَنَعَ الْمُسْتَعِينَ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَى مَكَّةَ ، فَاخْتَارَ الْمُقَامَ بِالْبَصْرَةِ ، فَقِيلَ لَهُ ، إِنَّ الْبَصْرَةَ وَبِيَّةٌ ، فَقَالَ هِيَ أَوْبَأُ أَوْ تَرْكُ الْخِلَافَةِ! |
| وَلِسِتٍّ خَلَوْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ دَخَلَ بَغْدَادَ أَكْثَرُ مِنْ مِائَتَيْ سَفِينَةٍ فِيهَا صُنُوفُ التِّجَارَاتِ وَغَنَمٌ كَثِيرٌ. |
| وَفِيهَا سَيَّرَ الْمُسْتَعِينُ إِلَى وَاسِطَ ، وَاسْتَوْزَرَ الْمُعْتَزُّ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي إِسْرَائِيلَ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَرَجَعَ أَبُو أَحْمَدَ إِلَى سَامَرَّا لِاثْنَتَيْ عَشْرَةً خَلَتْ مِنَ الْمُحَرَّمِ ، فَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ فِي خَلْعِ الْمُسْتَعِينِ خُلِعَ الْخَلِيفَةُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ... |
| وَسَيُقْتَلُ التَّالِي لَهُ أَوْ يُخْلَعُ وَيَزُولُ مُلْكُ بَنِي أَبِيهِ وَلَا يُرَى... |
| أَحَدٌ تَمَلَّكَ مِنْهُمْ يَسْتَمْتِعُ إِيهًا بَنِي الْعَبَّاسِ إِنَّ سَبِيلَكُمْ... |
| فِي قَتْلِ أَعْبُدِكُمْ سَبِيلٌ مَهْيَعُ رَقَّعْتُمُ دُنْيَاكُمْ فَتَمَزَّقَتْ... |
| بِكُمُ الْحَيَاةُ تَمَزُّقًا لَا يُرْقَعُ وَقَالَ الشُّعَرَاءُ فِي خَلْعِهِ كَالْبُحْتُرِيِّ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي الْجَنُوبِ وَغَيْرِهِمَا فَأَكْثَرُوا. |
| وَفِيهَا لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ انْصَرَفَ أَبُو السَّاجِ دُيودَادُ بْنُ دُيودُسْتَ إِلَى بَغْدَادَ ، فَقَلَّدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مُعَاوِنَ مَا سَقَى الْفُرَاتُ مِنَ السَّوَادِ ، فَسَيَّرَ نُوَّابَهُ إِلَيْهَا لِطَرْدِ الْأَتْرَاكِ وَالْمَغَارِبَةِ عَنْهَا ، ثُمَّ سَارَ أَبُو السَّاجِ إِلَى الْكُوفَةِ. |
| ذِكْرُ حَالِ وَصِيفٍ وَبُغَا وَفِيهَا كَتَبَ الْمُعْتَزُّ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي إِسْقَاطِ اسْمِ وَصِيفٍ وَبُغَا وَمَنْ مَعَهُمَا مِنَ الدَّوَاوِينِ ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَوْنٍ ، وَهُوَ أَحَدُ قُوَّادِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَدْ وَعَدَ أَبَا أَحْمَدَ أَنْ يَقْتُلَ بُغَا وَوَصِيفًا ، فَعَقَدَ لَهُ الْمُعْتَزُّ عَلَى الْيَمَامَةِ ، وَالْبَحْرِينِ ، وَالْبَصْرَةِ ، فَكَتَبَ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِ بُغَا وَوَصِيفٍ إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ ، وَحَذَّرُوهُمَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، فَرَكِبَا إِلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَرَّفَاهُ مَا ضَمِنَهُ ابْنُ أَبِي عَوْنٍ مِنْ قَتْلِهِمَا ، وَقَالَ بُغَا ، إِنَّ الْقَوْمَ قَدْ غَدَرُوا ، وَخَالَفُوا مَا فَارَقُونَا عَلَيْهِ ، وَاللَّهِ لَوْ أَرَادُوا أَنْ يَقْتُلُونَا مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ. |
| فَكَفَّهُ وَصِيفٌ وَقَالَ نَحْنُ فِي بُيُوتِنَا حَتَّى يَجِيءَ مَنْ يَقْتُلُنَا! |
| وَرَجَعَا إِلَى مَنْزِلِهِمَا ، وَجَمَعَا جُنْدَهَمَا ، وَوَجَّهَ وَصِيفٌ أُخْتَهُ سُعَادَ إِلَى الْمُؤَيَّدِ ، وَكَانَ فِي حِجْرِهَا ، فَكَلَّمَ الْمُؤَيِّدُ الْمُعْتَزَّ فِي الرِّضَاءِ عَنْهُ ، فَرَضِيَ عَنْ وَصِيفٍ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ ، وَتَكَلَّمَ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ فِي بُغَا ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِالرِّضَاءِ عَنْهُ ، وَهُمَا بِبَغْدَاذَ ، ثُمَّ تَكَلَّمَ الْأَتْرَاكُ بِإِحْضَارِهِمَا إِلَى سَامَرَّا ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ ، وَكَتَبَ إِلَى مُحَمَّدٍ لِيَمْنَعَهُمَا مِنْ ذَلِكَ ، فَأَتَاهُمَا كِتَابُ إِحْضَارِهِمَا ، فَأَرْسَلَاهُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَسْتَأْذِنَانِهِ ، وَخَرَجَ وَصِيفٌ وَبُغَا وَفُرْسَانُهُمَا وَأَوْلَادُهُمَا فِي نَحْوِ أَرْبَعِ مِائَةِ إِنْسَانٍ ، وَخَلَّفَا الثِّقْلَ وَالْعِيَالَ ، فَوَجَّهَ ابْنُ طَاهِرٍ إِلَى بَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ مَنْ يَمْنَعُهُمْ ، فَمَضَوْا إِلَى بَابِ خُرَاسَانَ ، وَخَرَجُوا مِنْهُ ، وَوَصَلَا سَامَرَّا ، وَرَجَعَا إِلَى مَنْزِلِهِمَا مِنَ الْخِدْمَةِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِمَا ، وَعَقَدَ لَهُمَا عَلَى أَعْمَالِهِمَا ، وَرَدَّ الْبَرِيدَ إِلَى مُوسَى بْنِ بُغَا الْكَبِيرِ. |
| ذِكْرُ الْفِتْنَةِ بَيْنَ جُنْدِ بَغْدَادَ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَ جُنْدِ بَغْدَادَ وَأَصْحَابِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الشَّاكِرِيَّةَ وَأَصْحَابَ الْفُرُوضِ اجْتَمَعُوا إِلَى دَارِ مُحَمَّدٍ يَطْلُبُونَ أَرْزَاقَهُمْ فِي رَمَضَانَ ، فَقَالَ لَهُمْ إِنِّي كَتَبْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي إِطْلَاقِ أَرْزَاقِكُمْ ، فَكَتَبَ فِي الْجَوَابِ ، إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْجُنْدَ لِنَفْسِكَ فَأَعْطِهِمْ أَرْزَاقَهُمْ ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُهُمْ لَنَا فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِمْ ، فَشَغَبُوا عَلَيْهِ ، وَأَخْرَجَ لَهُمْ أَلْفَيْ دِينَارٍ ، فَفُرِّقَتْ فِيهِمْ ، فَسَكَتُوا. |
| ثُمَّ اجْتَمَعُوا فِي رَمَضَانَ أَيْضًا ، وَمَعَهُمُ الْأَعْلَامُ وَالطُّبُولُ ، وَضَرَبُوا الْخِيَامَ عَلَى بَابِ حَرْبٍ ، وَعَلَى بَابٍ الشَّمَّاسِيَّةِ وَغَيْرِهِمَا ، وَبَنَوْا بُيُوتًا مِنْ بِوَارِيَّ وَقَصَبٍ ، وَبَاتُوا لَيْلَتَهُمْ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا كَثُرَ جَمْعُهُمْ ، وَأَحْضَرَ مُحَمَّدٌ أَصْحَابَهُ ، فَبَاتُوا فِي دَارِهِ ، وَشَحَنَ دَارَهُ بِالرِّجَالِ ، وَاجْتَمَعَ إِلَى أُولَئِكَ الْمِشْغَبِينَ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، بِبَابِ حَرْبٍ ، بِالسِّلَاحِ وَالْأَعْلَامِ وَالطُّبُولِ ، وَرَئِيسُهُمْ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُونُ بْنُ الْمُوَفَّقِ ، وَكَانَ مِنْ نُوَّابِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَاقَانَ ، فَحَثَّهُمْ عَلَى طَلَبِ أَرْزَاقِهِمْ وَفَائِتِهِمْ. |
| فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمْعَةِ أَرَادُوا أَنْ يَمْنَعُوا الْخَطِيبَ مِنَ الدُّعَاءِ لِلْمُعْتَزِّ ، فَعَلِمَ الْخَطِيبُ بِذَلِكَ ، فَاعْتَذَرَ بِمَرَضٍ لَحِقَهُ ، وَلَمْ يَخْطُبْ ، فَمَضَوْا يُرِيدُونَ الْجِسْرَ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمُ ابْنُ طَاهِرٍ عِدَّةً مِنْ قُوَّادِهِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْفُرْسَانِ وَالرِّجَالِ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَقَتَلَ بَيْنَهُمْ قَتْلَى ، وَدَفَعُوا أَصْحَابَ ابْنِ طَاهِرٍ عَنِ الْجِسْرِ ، فَلَمَّا رَأَى الَّذِينَ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ أَنَّ أَصْحَابَهُمْ أَزَالُوا أَصْحَابَ ابْنِ طَاهِرٍ عَنِ الْجِسْرِ حَمَلُوا يُرِيدُونَ الْعُبُورَ إِلَى أَصْحَابِهِمْ ، وَكَانَ ابْنُ طَاهِرٍ قَدْ أَعَدَّ سَفِينَةً فِيهَا شَوْكٌ وَقَصَبٌ ، فَأَلْقَى فِيهَا النَّارَ ، وَأَرْسَلَهَا إِلَى الْجِسْرِ الْأَعْلَى فَأَحْرَقَتْ سُفُنَهُ ، وَقَطَّعَتْهُ ، وَصَارَتْ إِلَى الْجِسْرِ الْآخَرِ ، فَأَدْرَكَهَا أَهْلُ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ، فَغَرَّقُوهَا ، وَعَبَرَ مَنْ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ إِلَى الْغَرْبِيِّ ، وَدَفَعُوا أَصْحَابَ ابْنِ طَاهِرٍ إِلَى بَابِ دَارِهِ ، وَقُتِلَ بَيْنَهُمْ نَحْوُ عَشَرَةِ أَنْفُسٍ ، وَنَهَبَ الْعَامَّةُ مَجْلِسَ الشُّرْطِ ، وَأَخَذُوا مِنْهُ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ أَصْنَافِ الْمَتَاعِ. |
| وَلَمَّا رَأَى ابْنُ طَاهِرٍ أَنَّ الْجُنْدَ قَدْ ظَهَرُوا عَلَى أَصْحَابِهِ أَمَرَ بِالْحَوَانِيتِ الَّتِي عَلَى بَابِ الْجِسْرِ أَنْ تُحْرَقَ ، فَاحْتَرَقَ لِلتُّجَّارِ مَتَاعٌ كَثِيرٌ ، فَحَالَتِ النَّارُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، وَرَجَعَ الْجُنْدُ إِلَى مُعَسْكَرِهِمْ بِبَابِ حَرْبٍ ، وَجَمَعَ ابْنُ طَاهِرٍ عَامَّةَ أَصْحَابِهِ ، وَعَبَّأَهُمْ تَعْبِئَةَ الْحَرْبِ خَوْفًا مِنْ رَجْعَةِ الْجُنْدِ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَوْدَةٌ ، فَأَتَاهُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ رَجُلَانِ مِنَ الْجُنْدِ ، فَدَلَّاهُ عَلَى عَوْرَةِ الْقَوْمِ ، فَأَمَرَ لَهُمَا بِمِائَتَيْ دِينَارٍ ، وَأَمَرَ الشَّاهَ بْنَ مِيكَالٍ وَغَيْرَهُ مِنَ الْقُوَّادِ فِي جَمَاعَةٍ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ ، فَسَارَ إِلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، وَكَانَ أَبُو الْقَاسِمِ ، وَابْنُ الْخَلِيلِ ، وَهُمَا الْمُقَدَّمَانِ عَلَى الْجُنْدِ ، قَدْ خَافَا بِمُضِيِّ ذَيْنَكَ الرَّجُلَيْنِ ، وَقَدْ تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُمَا ، فَسَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى نَاحِيَةٍ. |
| وَأَمَّا ابْنُ الْخَلِيلِ فَإِنَّهُ لَقِيَ الشَّاهَ بْنَ مِيكَالَ وَمَنْ مَعَهُ ، فَصَاحَ بِهِمْ ، وَصَاحَ بِهِ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ، وَصَارَ فِي وَسَطِهِمْ ، فَقُتِلَ ، وَأَمَّا أَبُو الْقَاسِمِ فَإِنَّهُ اخْتَفَى ، فَدُلَّ عَلَيْهِ فَأُخِذَ وَحُمِلَ إِلَى ابْنِ طَاهِرٍ ، وَتَفَرَّقَ الْجُنْدُ مِنْ بَابِ حَرْبٍ ، وَرَجَعُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ ، وَقُيِّدَ أَبُو الْقَاسِمِ وَضُرِبَ ضَرْبًا مُبَرِّحًا ، فَمَاتَ مِنْهُ فِي رَمَضَانَ. |
| ذِكْرُ خَلْعِ الْمُؤَيَّدِ وَمَوْتِهِ فِي رَجَبٍ خَلَعَ الْمُعْتَزُّ أَخَاهُ الْمُؤَيَّدَ مِنْ وِلَايَةِ الْعَهْدِ بَعْدَهُ ، وَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّ الْعَلَاءَ بْنَ أَحْمَدَ ، عَامِلَ أَرْمِينِيَّةَ ، بَعَثَ إِلَى الْمُؤَيَّدِ بِخَمْسَةِ آلَافِ دِينَارٍ لِيُصْلِحَ بِهَا أَمْرَهُ ، فَبَعَثَ عِيسَى بْنَ فَرْخَانَشَاهَ إِلَيْهَا ، فَأَخَذَهَا ، فَأَغْرَى الْمُؤَيَّدُ الْأَتْرَاكَ بِعِيسَى ، وَخَافَهُمُ الْمَغَارِبَةُ ، فَبَعَثَ الْمُعْتَزُّ إِلَى الْمُؤَيَّدِ وَأَبِي أَحْمَدَ ، فَأَخَذَهُمَا وَحَبَسَهُمَا ، وَقَيَّدَ الْعَطَاءَ لِلْأَتْرَاكِ وَالْمَغَارِبَةِ. |
| وَقِيلَ إِنَّهُ ضَرَبَهُ أَرْبَعِينَ مِقْرَعَةً ، وَخَلَعَهُ بِسَامَرَّا ، وَأَخَذَ خَطَّهُ بِخَلْعِ نَفْسِهِ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ أَيْضًا فِي رَجَبٍ لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنَ الشَّهْرِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ مَوْتِهِ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ الْأَتْرَاكِ أَعْلَمَتْ مُحَمَّدَ بْنَ رَاشِدٍ أَنَّ الْأَتْرَاكَ يُرِيدُونَ إِخْرَاجَ الْمُؤَيَّدِ مِنَ الْحَبْسِ ، فَأَنْهَى ذَلِكَ إِلَى الْمُعْتَزِّ ، فَذَكَرَ مُوسَى بْنُ بُغَا عَنْهُ فَقَالَ مَا أَرَادُوهُ ، إِنَّمَا أَرَادُوا أَنْ يُخْرِجُوا أَبَا أَحْمَدَ بْنَ الْمُتَوَكِّلِ لِأُنْسِهِمْ بِهِ وَكَانَ فِي الْحَرْبِ الَّتِي كَانَتْ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ دَعَا بِالْقُضَاةِ وَالْفُقَهَاءِ وَالْوُجُوهِ ، فَأَخْرَجَ الْمُؤَيَّدُ إِلَيْهِمْ مَيِّتًا لَا أَثَرَ بِهِ ، وَلَا جُرْحَ ، وَحُمِلَ إِلَى أُمِّهِ ، وَمَعَهُ كَفَنُهُ ، وَأُمِرَتْ بِدَفْنِهِ. |
| فَقِيلَ إِنَّهُ أُدْرِجَ فِي لِحَافِ سَمُّورَ وَمُسِكَ طَرَفَاهُ حَتَّى مَاتَ. |
| وَقِيلَ إِنَّهُ أُقْعِدَ فِي الثَّلْجِ ، وَجُعِلَ عَلَى رَأْسِهِ مِنْهُ كَثِيرٌ ، فَجُمِّدَ بَرْدًا. |
| وَلَمَّا مَاتَ الْمُؤَيَّدُ نُقِلَ أَخُوهُ أَبُو أَحْمَدَ إِلَى مَحْبِسِهِ ، وَكَانَا لِأَبٍ وَأُمٍّ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ الْمُسْتَعِينِ وَلَمَّا أَرَادَ الْمُعْتَزُّ قَتْلَ الْمُسْتَعِينِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُعْتَصِمِ ، كَتَبَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَأْمُرُهُ بِتَسْلِيمِ الْمُسْتَعِينِ إِلَى سِيمَا الْخَادِمِ ، فَكَتَبَ مُحَمَّدٌ إِلَى الْمُوكَلِينَ بِالْمُسْتَعِينِ بِوَاسِطَ فِي تَسْلِيمِهِ إِلَيْهِ ، وَأَرْسَلَ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ فِي تَسْلِيمِهِ ، فَأَخَذَهُ أَحْمَدُ وَسَارَ بِهِ إِلَى الْقَاطُولِ ، فَسَلَّمَهُ إِلَى سَعِيدِ بْنِ صَالِحٍ ، فَأَدْخَلَهُ سَعِيدٌ مَنْزِلَهُ ، وَضَرَبَهُ حَتَّى مَاتَ. |
| وَقِيلَ بَلْ جَعَلَ فِي رِجْلِهِ حَجَرًا وَأَلْقَاهُ فِي دِجْلَةَ. |
| وَقِيلَ كَانَ قَدْ حَمَلَ مَعَهُ دَايَةً لَهُ تُعَادِلُهُ ، فَلَمَّا أَخَذَهُ سَعِيدٌ ضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ ، فَصَاحَ ، وَصَاحَتْ دَايَتُهُ ، ثُمَّ قُتِلَ وَقُتِلَتِ الْمَرْأَةُ مَعَهُ ، وَحُمِلَ رَأْسُهُ إِلَى الْمُعْتَزِّ ، وَهُوَ يَلْعَبُ بِالشَّطْرَنْجِ ، فَقِيلَ هَذَا رَأْسُ الْمَخْلُوعِ! |
| فَقَالَ ضَعُوهُ حَتَّى أَفْرُغَ مِنَ الدُّسَتِ! |
| فَلَمَّا فَرَغَ نَظَرَ إِلَيْهِ ، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِ ، وَأَمَرَ لِسَعِيدٍ بِخَمْسِينَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَوَلَّاهُ مَعُونَةَ الْبَصْرَةِ. |
| ذِكْرُ الْفِتْنَةِ بَيْنَ الْأَتْرَاكِ وَالْمَغَارِبَةِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مُسْتَهَلَّ رَجَبٍ كَانَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ الْأَتْرَاكِ وَالْمَغَارِبَةِ. |
| وَسَبَبُهَا أَنَّ الْأَتْرَاكَ وَثَبُوا بِعِيسَى بْنِ فَرْخَانَشَاهَ ، فَضَرَبُوهُ ، وَأَخَذُوا دَابَّتَهُ ، وَاجْتَمَعَتِ الْمَغَارِبَةُ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ رَاشِدٍ ، وَنَصْرِ بْنِ سَعْدٍ ، وَغَلَبُوا الْأَتْرَاكَ عَلَى الْجَوْسَقِ ، وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْهُ ، وَقَالُوا لَهُمْ كُلُّ يَوْمٍ تَقْتُلُونَ خَلِيفَةً ، وَتَخْلَعُونَ آخَر ، وَتَعْمَلُونَ وَزِيرًا. |
| وَصَارَ الْجَوْسَقُ وَبَيْتُ الْمَالِ فِي أَيْدِي الْمَغَارِبَةِ ، وَأَخَذُوا الدَّوَابَّ الَّتِي كَانَ تَرَكَهَا الْأَتْرَاكُ ، فَاجْتَمَعَ الْأَتْرَاكُ وَأَرْسَلُوا إِلَى الْكَرْخِ وَالدُّورِ مِنْهُمْ ، فَاجْتَمَعُوا وَتَلَاقَوْا هُمْ وَالْمَغَارِبَةُ ، وَأَعَانَ الْغَوْغَاءُ وَالشَّاكِرِيَّةُ الْمَغَارِبَةَ ، فَضَعُفَ الْأَتْرَاكُ وَانْقَادُوا ، فَأَصْلَحَ جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بَيْنَهُمْ ، عَلَى أَنْ لَا يُحْدِثُوا شَيْئًا ، وَكُلُّ مَوْضِعٍ يَكُونُ فِيهِ رَجُلٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ يَكُونُ فِيهِ رَجُلٌ مِنَ الْفَرِيقِ الْآخَرِ ، فَمَكَثُوا مُدَيْدَةً ، ثُمَّ اجْتَمَعَ الْأَتْرَاكُ ، وَقَالُوا نَطْلُبُ هَذَيْنِ الرَّأْسَيْنِ ، فَإِنْ ظَفِرْنَا بِهِمَا فَلَا أَحَدَ يُنْطِقُ ، فَبَلَغَ الْخَبَرُ بِاجْتِمَاعِ الْأَتْرَاكِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ رَاشِدٍ وَنَصْرِ بْنِ سَعْدِ ، فَخَرَجَا إِلَى مَنْزِلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَزُّونَ لِيَكُونَا عِنْدَهُ حَتَّى يَسْكُنَ الْأَتْرَاكُ ثُمَّ يَرْجِعَا إِلَى جَمْعِهِمَا ، فَغَمَزَ بِهِمَا إِلَى الْأَتْرَاكِ ، فَأَخَذُوهُمَا فَقَتَلُوهُمَا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْمُعْتَزَّ ، فَأَرَادَ قَتْلَ ابْنِ عَزُّونَ ، فَكُلِّمَ فِيهِ ، فَنَفَاهُ إِلَى بَغْدَادَ. |
| ذِكْرُ خُرُوجِ مُسَاوِرٍ بِالْبَوَازِيجَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي رَجَبٍ خَرَجَ مُسَاوِرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ مُسَاوِرٍ الشَّارِيُّ الْبَجَلِيُّ الْمَوْصِلِيُّ بِالْبَوَازِيجِ ، وَإِلَى جَدِّهِ يُنْسَبُ فُنْدُقُ مُسَاوِرٍ بِالْمَوْصِلِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ خُرُوجِهِ أَنَّ شُرْطَةَ الْمَوْصِلِ ، وَكَانَ يَتَوَلَّاهَا لِبَنِي عِمْرَانَ ، وَأُمَرَاءَ الْمَوْصِلِ ، لَزِمُوا إِنْسَانًا اسْمُهُ حُسَيْنُ بْنُ بِكِيرٍ ، فَأَخَذَ ابْنًا لِمُسَاوِرٍ هَذَا اسْمُهُ حَوْثَرَةُ ، فَحَبَسَهُ بِالْحَدِيثَةِ ، وَكَانَ حَوْثَرَةُ جَمِيلًا ، فَكَانَ حُسَيْنُ هَذَا يُخْرِجُهُ مِنَ الْحَبْسِ لَيْلًا وَيُحْضِرُهُ عِنْدَهُ ، وَيَرُدُّهُ إِلَى الْحَبْسِ نَهَارًا ، فَكَتَبَ حَوْثَرَةُ إِلَى أَبِيهِ مُسَاوِرٍ ، وَهُوَ بِالْبَوَازِيجِ ، يَقُولُ لَهُ أَنَا بِالنَّهَارِ مَحْبُوسٌ وَبِاللَّيْلِ عَرُوسٌ ، فَغَضِبَ لِذَلِكَ ، وَقَلَقَ ، وَخَرَجَ ، وَبَايَعَهُ جَمَاعَةٌ ، وَقَصَدَ الْحَدِيثَةَ ، فَاخْتَفَى حُسَيْنُ بْنُ بَكِيرٍ ، وَأَخْرَجَ مُسَاوِرٌ ابْنَهُ حَوْثَرَةَ مِنَ الْحَبْسِ ، وَكَثُرَ جَمْعُهُ مِنَ الْأَكْرَادِ وَالْأَعْرَابِ ، وَسَارَ وَسَارَ إِلَى الْمَوْصِلِ فَنَزَلَ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ. |
| وَكَانَ الْوَالِيَ عَلَيْهَا عُقْبَةُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ بْنِ أَهْبَانَ الْخُزَاعِيُّ ، وَأَهْبَانُ يُقَالُ إِنَّهُ مُكَلِّمُ الذِّئْبَ ، وَلَهُ صُحْبَةٌ ، فَوَافَقَهُ عُقْبَةُ مِنَ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ، فَعَبَرَ دِجْلَةَ رَجُلَانِ مِنْ أَهْلِ الْمَوْصِلِ إِلَى مُسَاوِرٍ ، فَقَاتَلَا ، فَقُتِلَا ، وَعَادَ مُسَاوِرٌ ، وَكَرِهَ الْقِتَالَ. |
| وَكَانَ حَوْثَرَةُ بْنُ مُسَاوِرٍ مَعَهُمْ ، فَسُمِعَ يَقُولُ أَنَا الْغُلَامُ الْبَجَلِيُّ الشَّارِيُّ... |
| أَخْرَجَنِي جُورُكُمْ مِنْ دَارِي ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ حُمِلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ خَلَفٍ الْعَطَّارُ ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الطَّالِبِيِّينَ ، إِلَى سَامَرَّا ، فِيهِمْ أَبُو أَحْمَدَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَبُو هَاشِمٍ دَاوُدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْجَعْفَرِيُّ فِي شَعْبَانَ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الطَّالِبِيِّينَ سَارَ مِنْ بَغْدَادَ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الشَّاكِرِيَّةِ إِلَى نَاحِيَةِ الْكُوفَةِ ، وَكَانَتْ مِنْ أَعْمَالِ أَبِي السَّاجِ ، وَكَانَ مُقِيمًا بِبَغْدَاذَ ، فَأَمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بِالْمَسِيرِ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ خَلِيفَتَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَلَمَّا صَارَ إِلَيْهَا رُمِيَ بِالْحِجَارَةِ ، وَظَنُّوهُ جَاءَ لِحَرْبِ الْعَلَوِيِّ ، فَقَالَ لَسْتُ بِعَامِلٍ ، إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وُجِّهْتُ لِحَرْبِ الْأَعْرَابِ ، فَكَفُّوا عَنْهُ. |
| وَكَانَ أَبُو أَحْمَدَ الطَّالِبِيُّ الْمَذْكُورُ قَدْ وَلَّاهُ الْمُعْتَزُّ الْكُوفَةَ ، بَعْدَمَا هَزَمَ مُزَاحِمَ بْنَ خَاقَانَ الْعَلَوِيَّ الَّذِي كَانَ وُجِّهَ لِقِتَالِهِ بِهَا ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، فَعَاثَ أَبُو أَحْمَدَ فِيهَا ، وَآذَى النَّاسَ ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ وَضِيَاعَهُمْ ، فَلَمَّا أَقَامَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِالْكُوفَةِ لَاطَفَهُ وَاسْتَمَالَهُ ، حَتَّى خَالَطَهُ أَبُو أَحْمَدَ ، وَآكَلَهُ وَشَارَبَهُ ، حَتَّى سَارَ بِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ مُتَنَزِّهًا إِلَى بُسْتَانٍ ، فَأَمْسَى وَقَدْ عَبَّأَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَصْحَابَهُ ، فَقَيَّدَهُ ، وَسَيَّرَهُ إِلَى بَغْدَادَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ ، وَوُجِدَتْ مَعَ ابْنِ أَخٍ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ خَلَفٍ الْعَطَّارِ كُتُبٌ مِنَ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ ، فَكَتَبَ بِخَبَرِهِ إِلَى الْمُعْتَزِّ ، فَكَتَبَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِحَمْلِهِ وَحَمْلِ الطَّالِبِيِّينَ الْمَذْكُورِينَ إِلَى سَامَرَّا ، فَحُمِلُوا جَمِيعًا. |
| وَفِيهَا وَلِيَ الْحُسَيْنُ بْنُ أَبِي الشَّوَارِبِ قَضَاءَ الْقُضَاةِ. |
| وَفِيهَا تَوَجَّهَ أَبُو السَّاجِ إِلَى طَرِيقِ خُرَاسَانَ مِنْ قِبَلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ . |
| وَفِيهَا عُقِدَ لِعِيسَى بْنِ الشَّيْخِ عَلَى الرَّمْلَةِ ، وَأَنْفَذَ خَلِيفَتَهُ أَبَا الْمَغَرَّا إِلَيْهَا ، وَعِيسَى هَذَا شَيْبَانِيٌّ ، وَهُوَ عِيسَى بْنُ الشَّيْخِ بْنِ السَّلِيلِ ، مِنْ وَلَدِ جَسَّاسِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ ذُهلَ بْنِ شَيْبَانَ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى فِلَسْطِينَ جَمِيعِهَا ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْأَتْرَاكِ بِالْعِرَاقِ مَا ذَكَرْنَاهُ تَغَلَّبَ عَلَى دِمَشْقَ وَأَعْمَالِهَا ، وَقَطَعَ مَا كَانَ يُحْمَلُ مِنَ الشَّامِ إِلَى الْخَلِيفَةِ ، وَاسْتَبَدَّ بِالْأَمْوَالِ. |
| وَفِيهَا كَتَبَ وَصِيفٌ إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي دُلَفَ الْعِجْلِيِّ بِتَوْلِيَتِهِ الْجَبَلَ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِخَلْعٍ ، فَتَوَلَّى ذَلِكَ مِنْ قِبَلِهِ. |
| وَفِيهَا قُتِلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو الشَّارِيُّ بِدِيَارِ رَبِيعَةَ ، قَتَلَهُ خَلِيفَةٌ لِأَيُّوبَ بْنِ أَحْمَدَ فِي ذِي الْقِعْدَةِ . |
| وَفِيهَا أَغَارَ جِسَتَانُ صَاحِبُ الدَّيْلَمِ مَعَ أَحْمَدَ بْنَ عِيسَى بْنِ أَحْمَدَ الْعَلَوِيِّ ، وَالْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ الْكَوْكَبِيُّ ، عَلَى الرَّيِّ ، فَقَتَلُوا ، وَسَبَوْا ، وَكَانَ بِهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُزَيْرٍ ، فَهَرَبَ مِنْهَا ، فَصَالَحَهُمْ أَهْلُ الرَّيِّ عَلَى أَلْفَيْ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَارْتَحَلُوا عَنْهَا ، وَعَادَ ابْنُ عُزَيْرٍ ، فَأَخَذَ أَحْمَدَ بْنَ عِيسَى وَبَعَثَ بِهِ إِلَى نَيْسَابُورَ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُوسُفَ الطَّالِبِيُّ الَّذِي كَانَ فَعَلَ بِمَكَّةَ مَا فَعَلَ. |
| بَقِيَّةُ الْحَوَادِثِ وَفِيهَا حَجَّ بِالنَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عِيسَى بْنِ الْمَنْصُورِ. |
| وَفِيهَا سَيَّرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ جَيْشًا إِلَى بِلَادِ الْعَدُوِّ ، فَقَصَدُوا أُلْبَةَ ، وَالْقِلَاعَ ، وَمَدِينَةَ مَايَهَ وَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَا عَدَدًا كَثِيرًا ، ثُمَّ قَفَلَ الْجَيْشُ سَالِمِينَ. |
| بَقِيَّةُ الْوَفَيَاتِ وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ بُنْدَارٌ الْوَفَيَاتُ . |
| وَأَبُو مُوسَى مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى الزَّمِنُ الْبَصْرِيَّانِ ، وَهُمَا مِنْ مَشَايِخِ الْبُخَارِيِّ ، وَمُسْلِمٍ ، فِي "الصَّحِيحِ" ، وَكَانَ مَوْلِدُ بُنْدَارٍ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ أَخْذِ كَرَجَ مِنْ أَبِي دُلَفٍ فِيهَا عَقَدَ الْمُعْتَزُّ لِمُوسَى بْنِ بُغَا الْكَبِيرِ فِي رَجَبٍ عَلَى الْجَبَلِ ، فَسَارَ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ مُفْلِحٌ ، فَلَقِيَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي دُلَفٍ خَارِجَ هَمَذَانَ ، فَتَحَارَبَا ، وَكَانَ مَعَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَكْثَرُ مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا مِنَ الصَّعَالِيكِ وَغَيْرِهِمْ ، فَانْهَزَمَ عَبْدُ الْعَزِيزِ وَقَتَلَ أَصْحَابَهُ. |
| فَلَمَّا كَانَ فِي رَمَضَانَ سَارَ مُفْلِحٌ نَحْوَ كَرَجَ ، وَجَعَلَ لَهُ كَمِينَيْنِ ، وَوَجَّهَ عَبْدُ الْعَزِيزِ عَسْكَرًا فِيهِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ ، فَقَاتَلَهُمْ مُفْلِحٌ ، وَخَرَجَ الْكَمِينَانِ عَلَى أَصْحَابِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَانْهَزَمُوا ، وَقُتِلُوا ، وَأُسِرُوا ، وَأَقْبَلَ عَبْدُ الْعَزِيزِ لِيُعِينَ أَصْحَابَهُ ، فَانْهَزَمَ بِانْهِزَامِهِمْ ، وَتَرَكَ كَرَجَ ، وَمَضَى إِلَى قَلْعَةٍ لَهُ يُقَالُ لَهَا زُرَّ ، فَتَحَصَّنَ بِهَا ، وَدَخَلَ مُفْلِحٌ كَرَجَ ، فَأَخَذَ أَهْلَ عَبْدِ الْعَزِيزٍ وَفِيهِمْ وَالِدَتُهُ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ وَصِيفٍ وَفِيهَا قُتِلَ وَصِيفٌ ، وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّ الْأَتْرَاكَ وَالْفَرَاغِنَةَ وَالْأُشْرُوسَنِّيَّةَ شَغَبُوا ، وَطَلَبُوا أَرْزَاقَهُمْ لِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بُغَا وَوَصِيفٌ وَسِيمَا ، فَكَلَّمَهُمْ وَصِيفٌ ، فَقَالَ لَهُمْ خُذُوا التُّرَابَ ، لَيْسَ عِنْدَنَا مَالٌ ، وَقَالَ بُغَا نَعَمْ! |
| نَسْأَلُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَنَتَنَاظَرُ فِي دَارِ أَشْنَاسَ ، فَدَخَلُوا دَارَ أَشْنَاسَ. |
| وَمَضَى سِيمَا وَبُغَا إِلَى الْمُعْتَزِّ ، وَبَقِيَ وَصِيفٌ فِي أَيْدِيهِمْ ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ ، وَوَجَأَهُ آخَرُ بِسِكِّينٍ ، ثُمَّ ضَرَبُوهُ بِالطَّبْرَزِينَاتِ حَتَّى قَتَلُوهُ ، وَأَخَذُوا رَأْسَهُ وَنَصَبُوهُ عَلَى مِحْرَاكِ تَنُّورٍ ، وَجَعَلَ الْمُعْتَزُّ مَا كَانَ إِلَى وَصِيفٍ إِلَى بُغَا الشَّرَابِيِّ ، وَهُوَ بُغَا الصَّغِيرُ ، وَأَلْبَسَهُ التَّاجَ وَالْوِشَاحَيْنِ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ بُنْدَارٍ الطَّبَرَيِّ وَفِيهَا قُتِلَ بُنْدَارُ الطَّبَرَيُّ ، وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّ مُسَاوِرَ بْنَ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْمَوْصِلِيَّ الْخَارِجِيَّ لَمَّا خَرَجَ بِالْبَوَازِيجِ ، كَمَا ذَكَرْنَا ، وَكَانَ طَرِيقُ خُرَاسَانَ إِلَى بُنْدَارٍ ، وَمُظَفَّرِ بْنِ سَيْسَلٍ ، وَكَانَا بِالدَّسْكَرَةِ ، أَتَى الْخَبَرُ إِلَى بُنْدَارٍ بِمَسِيرِ مُسَاوِرٍ إِلَى كَرْخِ حَدَّانِ ، فَقَالَ الْمُظَفَّرُ فِي الْمَسِيرِ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لِلْمُظَفَّرِ قَدْ أَمْسَيْنَا ، وَغَدًا الْعِيدُ ، فَإِذَا قَضَيْنَا الْعِيدَ سِرْنَا إِلَيْهِ. |
| فَسَارَ بُنْدَارٌ طَمَعًا فِي أَنْ يَكُونَ الظَّفَرُ لَهُ ، فَسَارَ لَيْلًا ، حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى عَسْكَرِ مُسَاوِرٍ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ أَنْ يُبَيِّتَهُمْ ، فَأَبَى وَقَالَ حَتَّى أَرَاهُمْ وَيَرَوْنِي ، فَأَحَسَّ بِهِ الْخَوَارِجُ ، فَرَكِبُوا ، وَاقْتَتَلُوا. |
| وَكَانَ مَعَ بُنْدَارٍ ثَلَاثُمِائَةِ فَارِسٍ ، وَمَعَ الْخَوَارِجِ سَبْعُ مِائَةٍ ، فَاشْتَدَّ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ ، وَحَمَلَ الْخَوَارِجُ حَمْلَةً اقْتَطَعُوا مِنْ أَصْحَابِ بُنْدَارٍ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةٍ ، فَصَبَرُوا لَهُمْ ، وَقَاتَلُوهُمْ ، حَتَّى قُتِلُوا جَمِيعًا ، فَانْهَزَمَ بُنْدَارُ وَأَصْحَابُهُ ، وَجَعَلَ الْخَوَارِجُ يُقَطِّعُونَهُمْ قِطْعَةً بَعْدَ قِطْعَةٍ ، فَقَتَلُوهُمْ. |
| وَأَمْعَنَ بُنْدَارٌ فِي الْهَرَبِ ، فَطَلَبُوهُ ، فَلَحِقُوهُ ، فَقَتَلُوهُ ، وَنَصَبُوا رَأْسَهُ ، وَنَجَا مِنْ أَصْحَابِهِ نَحْوًا مِنْ خَمْسِينَ رَجُلًا ، وَقِيلَ مِائَةٌ. |
| وَأَتَى الْخَبَرُ إِلَى الْمُظَفَّرِ ، فَرَحَلَ نَحْوَ بَغْدَادَ ، وَسَارَ مُسَاوِرُ نَحْوَ حُلْوَانَ ، فَقَاتَلَهُ أَهْلُهَا ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ أَرْبَعَ مِائَةِ إِنْسَانٍ ، وَقَتَلُوا مِنْ أَصْحَابِهِ جَمَاعَةً ، وَقَتَلَ عِدَّةً مِنْ حُجَّاجِ خُرَاسَانَ كَانُوا بِحُلْوَانَ ، وَأَعَانُوا أَهْلَهَا ، ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْهُ. |
| وَقَالَ ابْنُ مُسَاوِرٍ فِي ذَلِكَ فَجَعْتُ الْعِرَاقَ بِبُنَدَارِهَا... |
| وَحُزْتُ الْبِلَادَ بِأَقْطَارِهَا وَحُلْوَانُ صَبَّحْتُهَا غَارَةً... |
| فَقَتَّلْتُ أَغْرَارَ غَرَّارِهَا وَعُقْبَهُ بِالْمَوْصِلِ أَحْجَرْتُهُ... |
| وَطَوَّقْتُهُ الذُّلَّ فِي كَارِهَا ذِكْرُ مَوْتِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ وَفِي لَيْلَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ انْخَسَفَ الْقَمَرُ جَمِيعُهُ ، وَمَعَ انْتِهَاءِ خُسُوفِهِ مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَكَانَتْ عِلَّتُهُ الَّتِي مَاتَ بِهَا قُرُوحًا أَصَابَتْهُ فِي حَلْقِهِ وَرَأْسِهِ فَذَبَحَتْهُ ، وَكَانَتْ تَدْخُلُ فِيهَا الْفَتَايِلُ. |
| وَلَمَّا اشْتَدَّ مَرَضُهُ كَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ وَأَصْحَابِهِ بِتَفْوِيضِ مَا إِلَيْهِ مِنَ الْوِلَايَةِ إِلَى أَخِيهِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، فَلَمَّا مَاتَ تَنَازَعَ ابْنُهُ طَاهِرٌ وَأَخُوهُ عُبَيْدُ اللَّهِ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ ، وَتَنَازَعَ عُبَيْدُ اللَّهِ وَأَصْحَابُ طَاهِرٍ ، حَتَّى سَلُّوا السُّيُوفَ ، وَرَمَوْا بِالْحِجَارَةِ ، وَمَالَتِ الْعَامَّةُ مَعَ أَصْحَابِ طَاهِرٍ ، وَعَبَرَ عُبَيْدُ اللَّهِ إِلَى دَارِهِ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ، فَعَبَرَ مَعَهُ الْقُوَّادُ لِاسْتِخْلَافِ مُحَمَّدٍ ، فَكَانَ أَوْصَاهُ عَلَى أَعْمَالِهِ ، ثُمَّ وَجَّهَ الْمُعْتَزُّ بَعْدَ ذَلِكَ الْخِلَعَ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَأَمَرَ عُبَيْدُ اللَّهِ لِلَّذِي أَتَاهُ بِالْخِلَعِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. |
| ذِكْرُ الْفِتْنَةِ بِأَعْمَالِ الْمَوْصِلِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ حَرْبٌ بَيْنَ سُلَيْمَانِ بْنِ عِمْرَانَ الْأَزْدِيِّ وَبَيْنَ عَنْزَةَ ، وَسَبَبُهَا أَنَّ سُلَيْمَانَ اشْتَرَى نَاحِيَةً مِنَ الْمَرْجِ ، فَطَلَبَ مِنْهُ إِنْسَانٌ مِنْ عَنْزَةَ اسْمُهُ بَرْهُونَةُ الشُّفْعَةَ ، فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَيْهَا ، فَسَارَ بَرْهُونَةُ إِلَى عَنْزَةَ ، وَهُمْ بَيْنَ الزَّابَيْنِ ، فَاسْتَجَارَ بِهِمْ وَبِبَنِي شَيْبَانَ ، وَاجْتَمَعَ مَعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ ، وَنَهَبُوا الْأَعْمَالَ فَأَسْرَفُوا . |
| وَجَمَعَ سَلِيمَانُ لَهُمْ بِالْمَوْصِلِ ، وَسَارَ إِلَيْهِمْ ، فَعَبَرَ الزَّابَ ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ ، وَقُتِلَ فِيهَا كَثِيرٌ ، وَكَانَ الظَّفَرُ لِسُلَيْمَانَ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ بِبَابِ شَمْعُونَ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَأَدْخَلَ مِنْ رُؤُوسِهِمْ إِلَى الْمَوْصِلِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَتَيْ رَأْسٍ ، فَقَالَ حَفْصُ بْنُ عَمْرٍو الْبَاهِلِيُّ قَصِيدَةً يَذْكُرُ فِيهَا الْوَقْعَةَ أَوَّلُهَا شَهِدَتْ مَوَاقِفَنَا نِزَارُ فَأَحْمَدَتْ... |
| كَرَّاتِ كُلِّ سَمَيْدَعٍ قَمْقَامِ جَاؤُوا وَجِئْنَا لَا نَفَيْتُمْ صِلَّنَا... |
| ضَرْبًا يُطِيحُ جَمَاجِمَ الْأَجْسَامِ وَهِيَ طَوِيلَةٌ. |
| وَفِيهَا كَانَ أَيْضًا بِأَعْمَالِ الْمَوْصِلِ فِتْنَةٌ وَحَرْبٌ قُتِلَ فِيهَا الْحَبَّابُ بْنُ بُكَيْرٍ التَّلِيدِيُّ ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّيِّدِ بْنِ أَنَسٍ التَّلِيدِيَّ الْأَزْدِيَّ كَانَ قَدِ اشْتَرَى قَرْيَتَيْنِ كَانَ رَهَنَهُمَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ التَّلِيدِيُّ عِنْدَهُ ، وَكَرِهَ صَاحِبُهُمَا أَنْ يَشْتَرِيَهُمَا ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الْحَبَّابِ بْنِ بُكَيْرٍ ، فَقَالَ الْحَبَّابُ لَهُ ائْتِنِي بِكِتَابٍ مِنْ بُغَا لِأَمْنَعَ عَنْهُمَا ، وَأَعْطَاهُ دَوَابَّ وَنَفَقَةً ، وَانْحَدَرَ إِلَى سُرَّ مَنْ رَأَى ، وَأَحْضَرَ كِتَابًا مِنْ بُغَا إِلَى الْحَبَّابِ يَأْمُرُهُ بِكَفِّ يَدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّيِّدِ عَنِ الْقَرْيَتَيْنِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمَا مَنْ مَنَعَ عَنْهُمَا مُحَمَّدًا ، فَجَرَتْ بَيْنَهُمْ مُرَاسَلَاتٌ وَاصْطَلَحُوا. |
| فَبَيْنَمَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّيِّدِ وَالْحَبَّابُ بِالْبُسْتَانِ عَلَى شَرَابٍ لَهُمَا ، وَمَعَهُمَا قَيْنَةٌ ، قَالَ لَهَا الْحَبَّابُ غَنِّي بِهَذَا الشِّعْرِ مَتَّى تَجْمَعُ الْقَلْبَ الزَّكِيَّ وَصَارِمًا... |
| وَأَنْفًا حَمِيًّا تَجْتَنِبْكَ الْمَظَالِمُ فَغَنَّتِ الْجَارِيَةُ ، فَغَضِبَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَقَالَ لَهَا بَلْ غَنِّي كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ لَا تَأْخُذُونَهَا... |
| مُرَاغَمَةً مَا دَامَ لِلسَّيْفِ قَائِمُ وَلَا صُلْحَ حَتَّى تُقْرَعَ الْبِيضُ بِالْقَنَا... |
| وَيُضْرَبُ بِالْبَيْضِ الْخِفَافِ الْجَمَاجِمُ وَافْتَرَقَا وَقَدْ حَقَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ ، وَأَعَادَ الْحَبَّابُ التَّوْكِيلَ بِالْقَرْيَتَيْنِ ، فَجَمَعَ مُحَمَّدٌ جَمْعًا ، وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ فِي الصُّلْحِ ، وَأَجَابَا إِلَى ذَلِكَ ، وَفَرَّقَ مُحَمَّدٌ جَمْعَهُ ، فَأَبْلَغَ مُحَمَّدٌ أَنَّ الْحَبَّابَ قَالَ لَوْ كَانَ مَعَ مُحَمَّدٍ أَرْبَعَةٌ لَمَا أَجَابَ إِلَى الصُّلْحِ ، فَغَضِبَ لِذَلِكَ ، وَجَمَعَ جَمْعًا كَثِيرًا ، وَسَارَ مُبَادِرًا إِلَى الْحَبَّابِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْحَبَّابُ غَيْرَ مُسْتَعِدٍّ ، فَاقْتَتَلُوا فَقُتِلَ الْحَبَّابُ وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ وَجَمْعٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي ذِي الْقِعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِيهَا نُفِيَ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ إِلَى الْبَصْرَةِ ، ثُمَّ رُدَّ إِلَى بَغْدَادَ ، فَأُنْزِلَ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ بِقَصْرِ دِينَارَ ، وَنُفِيَ أَيْضًا عَلِيُّ بْنُ الْمُعْتَصِمِ إِلَى وَاسِطَ ، ثُمَّ رُدَّ إِلَى بَغْدَادَ. |
| وَفِيهَا مَاتَ مُزَاحِمُ بْنُ خَاقَانَ بِمِصْرَ فِي ذِي الْحِجَّةِ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانِ الزَّيْنَبِيُّ. |
| وَفِيهَا غَزَا مُحَمَّدُ بْنُ مُعَاذٍ مِنْ نَاحِيَةِ مَلَطْيَةَ ، فَانْهَزَمَ ، وَأُسِرَ. |
| وَفِيهَا التَقَى مُوسَى بْنُ بُغَا وَالْكَوَكْبِيُّ الْعَلَوِيُّ عِنْدَ قَزْوِينَ ، فَانْهَزَمَ الْكَوَكْبِيُّ وَلَحِقَ بِالدَّيْلَمِ ، وَكَانَ سَبَبُ الْهَزِيمَةِ أَنَّهُمْ لَمَّا اصْطَفُوا لِلْقِتَالِ جَعَلَ أَصْحَابُ الْكَوَكِبِيِّ تُرُوسَهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ ، فَيَتَّقُونَ بِهَا سِهَامَ أَصْحَابِ مُوسَى ، فَلَمَّا رَأَى مُوسَى أَنَّ سِهَامَ أَصْحَابِهِ لَا تَصِلُ إِلَيْهِمْ مَعَ فِعْلِهِمْ ، أَمَرَ بِمَا مَعَهُ مِنَ النِّفْطِ أَنْ يُصَبَّ فِي الْأَرْضِ ، ثُمَّ أَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالِاسْتِطْرَادِ لَهُمْ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، فَظَنَّ الْكَوَكْبِيُّ وَأَصْحَابُهُ أَنَّهُمْ قَدْ انْهَزَمُوا ، فَتَبِعَهُمْ ، فَلَمَّا تَوَسَّطُوا النِّفْطَ أَمَرَ مُوسَى بِالنَّارِ فَأُلْقِيَتْ فِيهِ ، فَالْتَهَبَ مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِهِمْ ، فَجَعَلَتْ تَحْرِقُهُمْ ، فَانْهَزَمُوا فَتَبِعَهُمْ مُوسَى ، وَدَخَلَ قَزْوِينَ. |
| وَفِيهَا فِي ذِي الْحِجَّةِ لَقِيَ مُسَاوِرٌ الْخَارِجِيُّ عَسْكَرًا لِلْخَلِيفَةِ مُقَدِّمُهُمْ حُطُرْمُسُ بِنَاحِيَةِ جَلَوْلَاءَ ، فَهَزَمَهُ مُسَاوِرٌ. |
| وَفِيهَا سَارَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ إِلَى بِلَادِ الْمُشْرِكِينَ ، فَافْتَتَحُوا حُصُونَ جِرْنِيقَ ، وَحَاصَرُوا فَوَثَبَ وَغَلَبَ عَلَى أَكْثَرِ أَسْوَارِهَا. |
| ذِكْرُ ابْتِدَاءِ دَوْلَةِ يَعْقُوبَ الصَّفَّارِ وَمُلْكِهِ هَرَاةَ وَبَوْشَنْجَ وَكَانَ يَعْقُوبُ بْنُ اللَّيْثِ وَأَخُوهُ عَمْرٌو يَعْمَلَانِ الصُّفْرَ بِسِجِسْتَانَ ، وَيُظْهِرَانِ الزُّهْدَ وَالتَّقَشُّفَ. |
| وَكَانَ فِي أَيَّامِهِمَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ سِجِسْتَانَ يُظْهِرُ التَّطَوُّعَ بِقِتَالِ الْخَوَارِجِ ، يُقَالُ لَهُ صَالِحٌ الْمُطَّوِّعِيُّ ، فَصَحِبَهُ يَعْقُوبُ ، وَقَاتَلَ مَعَهُ ، فَحَظِيَ عِنْدَهُ ، فَجَعَلَهُ صَالِحٌ مَقَامَ الْخَلِيفَةِ عَنْهُ ، ثُمَّ هَلَكَ صَالِحٌ ، وَقَامَ مَقَامَهُ إِنْسَانٌ آخَرُ اسْمُهُ دِرْهَمٌ ، فَصَارَ يَعْقُوبُ مَعَ دِرْهَمٍ كَمَا كَانَ مَعَ صَالِحٍ قَبْلَهُ. |
| ثُمَّ إِنَّ صَاحِبَ خُرَاسَانَ احْتَالَ لِدِرْهَمٍ لَمَّا عَظُمَ شَأْنُهُ وَكَثُرَ أَتْبَاعُهُ ، حَتَّى ظَفِرَ بِهِ وَحَمَلَهُ إِلَى بَغْدَادَ ، فَحَبَسَهُ بِهَا ، ثُمَّ أُطْلِقَ ، وَخَدَمَ الْخَلِيفَةَ بِبَغْدَاذَ. |
| وَعَظُمَ أَمْرُ يَعْقُوبَ بَعْدَ أَخْذِ دِرْهَمٍ ، وَصَارَ مُتَوَلِّيًا أَمْرَ الْمُتَطَوِّعَةِ مَكَانَ دِرْهَمٍ ، وَقَامَ بِمُحَارَبَةِ الشُّرَاةِ ، فَظَفِرَ بِهِمْ ، وَأَكْثَرَ الْقَتْلَ فِيهِمْ ، حَتَّى كَادَ يُفْنِيهِمْ ، وَخَرَّبَ قُرَاهُمْ ، وَأَطَاعَهُ أَصْحَابُهُ بِمَكْرِهِ ، وَحُسْنِ حَالِهِ وَرَأْيِهِ طَاعَةً لَمْ يُطِيعُوهَا أَحَدًا كَانَ مِنْ قَبْلِهِ ، وَاشْتَدَّتْ شَوْكَتُهُ ، فَغَلَبَ عَلَى سِجِسْتَانَ ، وَأَظْهَرَ التَّمَسُّكَ بِطَاعَةِ الْخَلِيفَةِ ، وَكَاتَبَهُ ، وَصَدَرَ عَنْ أَمْرِهِ ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ هُوَ أَمَرَهُ بِقِتَالِ الشُّرَاةِ ، وَمَلَكَ سِجِسْتَانَ وَضَبَطَ الطُّرُقَ وَحَفِظَهَا ، وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَكَثُرَ أَتْبَاعُهُ ، فَخَرَجَ عَنْ حَدِّ طَلَبِ الشُّرَاةِ ، وَصَارَ يَتَنَاوَلُ أَصْحَابَ أَمِيرِ خُرَاسَانَ لِلْخَلِيفَةِ. |
| ثُمَّ سَارَ مِنْ سِجِسْتَانَ إِلَى هَرَاةَ مِنْ خُرَاسَانَ هَذِهِ السَّنَةَ لِيَمْلِكَهَا ، وَكَانَ أَمِيرُ خُرَاسَانَ مُحَمَّدَ بْنَ طَاهِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَعَامِلُهُ عَلَى هَرَاةَ مُحَمَّدَ بْنَ أَوْسٍ الْأَنْبَارِيَّ ، فَخَرَجَ مِنْهَا لِمُحَارَبَةِ يَعْقُوبَ فِي تَعْبِئَةٍ حَسَنَةٍ وَبَأْسٍ شَدِيدٍ وَزِيٍّ جَمِيلٍ ، فَتَحَارَبَا وَاقْتَتَلَا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَ ابْنُ أَوْسٍ ، وَمَلَكَ يَعْقُوبُ هَرَاةَ وَبَشَنْجَ ، وَصَارَتِ الْمَدِينَتَانِ فِي يَدِهِ ، فَعَظُمَ أَمْرُهُ حِينَئِذٍ ، وَهَابَهُ أَمِيرُ خُرَاسَانَ وَغَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِ الْأَطْرَافِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ مَقْتَلِ بُغَا الشَّرَابِيِّ وَفِيهَا قُتِلَ بُغَا الشَّرَابِيُّ ، وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّهُ كَانَ يُحَرِّضُ الْمُعْتَزَّ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى بَغْدَادَ ، وَالْمُعْتَزُّ يَأْبَى ذَلِكَ وَيَكْرَهُهُ ، فَاتَّفَقَ أَنَّ بُغَا اشْتَغَلَ بِتَزْوِيجِ ابْنَتِهِ مِنْ صَالِحِ بْنِ وَصِيفٍ ، فَرَكِبَ الْمُعْتَزُّ وَمَعَهُ أَحْمَدُ بْنُ إِسْرَائِيلَ إِلَى كَرْخِ سَامَرَّا ، إِلَى بَايْكُبَاكَ التُّرْكِيِّ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُنْحَرِفِينَ عَنْ بُغَا. |
| وَكَانَ سَبَبُ انْحِرَافِهِ عَنْهُ أَنَّهُمَا كَانَا عَلَى شَرَابٍ لَهُمَا ، فَعَرْبَدَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ ، فَاخْتَفَى بَايْكُبَاكُ مِنْ بُغَا ، فَلَمَّا أَتَاهُ الْمُعْتَزُّ اجْتَمَعَ مَعَهُ أَهْلُ الْكَرْخِ وَأَهْلُ الدُّورِ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا مَعَ الْمُعْتَزِّ إِلَى الْجَوْسَقِ بِسَامَرَّا ، وَبَلَغَ ذَلِكَ بُغَا ، فَخَرَجَ فِي غِلْمَانِهِ وَهُمْ زُهَاءَ خَمْسِمِائَةِ إِنْسَانٍ مِنْ وَلَدِهِ وَقُوَّادِهِ ، فَسَارَ إِلَى السِّنِّ ، فَشَكَا أَصْحَابُهُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَسْفِ ، وَأَنَّهُمْ خَرَجُوا بِغَيْرِ مَضَارِبَ وَلَا مَا يَلْبَسُونَهُ فِي الْبَرْدِ ، وَأَنَّهُمْ فِي شِتَاءٍ ، فَأَتَاهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ ، وَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِهِمْ ، فَقَالَ دَعْنِي حَتَّى أَنْظُرَ اللَّيْلَةَ. |
| فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَكِبَ فِي زَوْرَقٍ ، وَمَعَهُ خَادِمَانِ وَشَيْءٌ مِنَ الْمَالِ الَّذِي صَحِبَهُ ، وَكَانَ قَدْ صَحِبَهُ تِسْعَ عَشْرَةَ بَدْرَةُ دَنَانِيرَ ، وَمِائَةُ بَدْرَةِ دَرَاهِمَ ، وَلَمْ يَحْمِلْ مَعَهُ سِلَاحًا ، وَلَا سِكِّينًا ، وَلَا شَيْئًا ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ أَحَدٌ مِنْ عَسْكَرِهِ. |
| وَكَانَ الْمُعْتَزُّ ، فِي غَيْبَةِ بُغَا ، لَا يَنَامُ إِلَّا فِي ثِيَابِهِ وَعَلَيْهِ السِّلَاحُ ، فَسَارَ بُغَا إِلَى الْجِسْرِ فِي الثُّلُثِ الْأَوَّلِ مِنَ اللَّيْلِ ، فَبَعَثَ الْمُوَكَّلُونَ بِالْجِسْرِ يَنْظُرُونَ مَنْ هُوَ ، فَصَاحَ بِالْغُلَامِ ، فَرَجَعَ ، وَخَرَجَ بُغَا فِي الْبُسْتَانِ الْخَاقَانِيِّ ، فَلَحِقَهُ عِدَّةٌ مِنَ الْمُوَكَّلِينَ ، فَوَقَفَ لَهُمْ بُغَا ، وَقَالَ أَنَا بُغَا ، إِمَّا أَنْ تَذْهَبُوا مَعِي إِلَى صَالِحِ بْنِ وَصِيفٍ ، وَإِمَّا أَنْ تَصِيرُوا مَعِي حَتَّى أُحْسِنَ إِلَيْكُمْ ، فَتَوَكَّلَ بِهِ بَعْضُهُمْ ، وَأَرْسَلُوا إِلَى الْمُعْتَزِّ بِالْخَبَرِ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ ، فَقُتِلَ ، وَحُمِلَ رَأْسُهُ إِلَى الْمُعْتَزِّ ، وَنُصِبَ بِسَامَرَّا وبِبَغْدَاذَ ، وَأَحْرَقَتِ الْمَغَارِبَةُ جَسَدَهُ ، وَكَانَ أَرَادَ أَنْ يَخْتَفِيَ عِنْدَ صَالِحِ بْنِ وَصِيفٍ ، فَإِذَا اشْتَغَلَ النَّاسُ بِالْعِيدِ وَكَانَ قَدْ قَرُبَ خَرَجَ هُوَ وَصَالِحٌ وَوَثَبُوا بِالْمُعْتَزِّ . |
| ذِكْرُ ابْتِدَاءِ حَالِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ كَانَتْ دِيَارُ مِصْرَ قَدْ أُقْطِعَهَا بَايْكُبَاكُ ، وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ قُوَّادِ الْأَتْرَاكِ ، وَكَانَ مُقِيمًا بِالْحَضْرَةِ ، وَاسْتَخْلَفَ بِهَا مَنْ يَنُوبُ عَنْهُ بِهَا. |
| وَكَانَ طُولُونُ وَالِدُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ أَيْضًا مِنَ الْأَتْرَاكِ ، وَقَدْ نَشَأَ هُوَ بَعْدَ وَالِدِهِ عَلَى طَرِيقَةٍ مُسْتَقِيمَةٍ وَسِيرَةٍ حَسَنَةٍ ، فَالْتَمَسَ بَايْكُبَاكُ مَنْ يَسْتَخْلِفُهُ بِمِصْرَ ، فَأُشِيرَ عَلَيْهِ بِأَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ لِمَا ظَهَرَ عَنْهُ مِنْ حُسْنِ السِّيرَةِ ، فَوَلَّاهُ وَسَيَّرَهُ إِلَيْهَا. |
| وَكَانَ بِهَا ابْنُ الْمُدَبِّرِ عَلَى الْخَرَاجِ ، وَقَدْ تَحَكَّمَ فِي الْبَلَدِ ، فَلَمَّا قَدِمَهَا أَحْمَدُ كَفَّ يَدَ ابْنِ الْمُدَبِّرِ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى الْبَلَدِ ، وَكَانَ بَايْكُبَاكُ قَدِ اسْتَعْمَلَ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ عَلَى مِصْرَ وَحْدَهَا سِوَى بَاقِي الْأَعْمَالِ كَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَغَيْرِهَا ، فَلَمَّا قَتَلَ الْمُهْتَدِي بَايْكُبَاكَ وَصَارَتْ مِصْرُ لِيَارْكُوجَ التُّرْكِيِّ وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ مَوَدَّةٌ مُتَأَكِّدَةٌ ، اسْتَعْمَلَهُ عَلَى دِيَارِ مِصْرَ جَمِيعِهَا ، فَقَوِيَ أَمْرُهُ ، وَعَلَا شَأْنُهُ ، وَدَامَتْ أَيَّامُهُ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ الحديد . |
| ذِكْرُ وَقْعَةٍ بَيْنَ مُسَاوِرٍ الْخَارِجِيِّ وَبَيْنَ عَسْكَرِ الْمَوْصِلِ كَانَ مُسَاوِرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَى أَكْثَرِ أَعْمَالِ الْمَوْصِلِ وَقَوِيَ أَمْرُهُ ، فَجَمَعَ لَهُ الْحَسَنُ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الْعَدَوِيُّ التَّغْلِبِيُّ وَكَانَ خَلِيفَةَ أَبِيهِ بِالْمَوْصِلِ عَسْكَرًا كَثِيرًا مِنْهُمْ حَمْدَانُ بْنُ حَمْدُونَ جَدُّ الْأُمَرَاءِ الْحَمْدَانِيَّةِ ، وَغَيْرُهُ ، وَسَارَ إِلَى مُسَاوِرٍ وَعَبَرَ إِلَيْهِ نَهَرَ الزَّابِ ، فَتَأَخَّرَ عَنْهُ مُسَاوِرٌ عَنْ مَوْضِعِهِ ، وَنَزَلَ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ وَادِي الذِّيَاتِ ، وَهُوَ وَادٍ عَمِيقٌ ، فَسَارَ الْحَسَنُ فِي طَلَبِهِ ، فَالْتَقَوْا فِي جُمَادَى الْأُولَى ، وَاقْتَتَلُوا ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ الْمَوْصِلِ ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ فِيهِمْ ، وَسَقَطَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فِي الْوَادِي ، فَهَلَكَ فِيهِ أَكْثَرُ مِنَ الْقَتْلَى ، وَنَجَا الْحَسَنُ فَوَصَلَ إِلَى حَزَّةَ مِنْ أَعْمَالِ إِرْبِلَ الْيَوْمَ ، وَنَجَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ السَّيِّدِ ، فَظَنَّ الْخَوَارِجُ أَنَّهُ الْحَسَنُ فَتَبِعُوهُ ، وَكَانَ فَارِسًا شُجَاعًا فَقَاتَلَهُمْ فَقُتِلَ ، وَاشْتَدَّ أَمْرُ مُسَاوِرٍ وَعَظُمَ شَأْنُهُ وَخَافَهُ النَّاسُ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ الرَّشِيدِ ، وَهُوَ عَمُّ الْوَاثِقِ وَالْمُتَوَكِّلِ ، وَعَمُّ أَبِي الْمُنْتَصِرِ وَالْمُسْتَعِينِ وَالْمُعْتَزِّ ، وَكَانَ مَعَهُ مِنَ الْخُلَفَاءِ إِخْوَتُهُ الْأَمِينُ ، وَالْمَأْمُونُ ، وَالْمُعْتَصِمُ ، وَابْنَا أَخِيهِ الْوَاثِقُ وَالْمُتَوَكِّلُ ابْنَا الْمُعْتَصِمِ ، وَأَبْنَاءُ ابْنَيْ أَخِيهِ ، وَهُمُ الْمُنْتَصِرُ ، وَالْمُسْتَعِينُ ، وَالْمُعْتَزُّ. |
| وَفِيهَا فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ تُوُفِّيَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَامَرَّا ، وَهُوَ أَحَدُ مَنْ يَعْتَقِدُ الْإِمَامِيَّةُ إِمَامَتَهُ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ . |
| وَفِيهَا عَقَدَ صَالِحُ بْنُ وَصِيفٍ لِدِيُودَادَ عَلَى دِيَارِ مِصْرَ وَقِنَّسْرِينَ وَالْعَوَاصِمِ. |
| وَفِيهَا أَوْقَعَ مُفْلِحٌ بِأَهْلِ قُمٍّ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةَ عَظِيمَةً. |
| وَفِيهَا عَاوَدَ أَهْلُ مَارِدَةَ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ الْخِلَافَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُمْ خَالَفُوا قَدِيمًا عَلَى أَبِيهِ ، فَظَفِرَ بِهِمْ ، وَتَفَرَّقَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِهَا ، فَلَمَّا كَانَ الْآنَ تَجَمَّعَ إِلَيْهَا مَنْ كَانَ فَارَقَهَا ، فَعَادُوا إِلَى الْخِلَافِ وَالْعِصْيَانِ ، فَسَارَ مُحَمَّدٌ إِلَيْهِمْ ، وَحَصَرَهُمْ ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِمْ ، فَانْقَادُوا إِلَى التَّسْلِيمِ وَالطَّاعَةِ ، فَنَقَلَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَى قُرْطُبَةَ ، وَهَدَمَ سُورَ مَارِدَةَ ، وَحَصَّنَ بِهَا الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ يَسْكُنُهُ الْعُمَّالُ دُونَ غَيْرِهِمْ. |
| وَفِيهَا هَلَكَ أَرَدُونُ بْنُ رُدْمِيرَ صَاحِبُ جِلَّيقِيَّةَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ ، وَوُلِّيَ مَكَانَهُ أُدْفُونُشُ ، وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً. |
| وَفِيهَا انْكَسَفَ الْقَمَرُ كُسُوفًا كُلِّيًّا لَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ ظَاهِرٌ. |
| وَفِيهَا كَانَ بِبِلَادِ الْأَنْدَلُسِ قَحْطٌ شَدِيدٌ ، تَتَابَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ إِلَى سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَكَشَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ . |
| وَفِيهَا وَصَلَ دُلَفُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي دُلَفٍ الْعِجْلِيُّ إِلَى الْأَهْوَازِ وَجُنْدَيْسَابُورَ وَتُسْتَرَ ، فَجَبَى بِهَا مِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ ، ثُمَّ انْصَرَفَ ، وَكَانَ وَالِدُهُ أَمَرَهُ بِذَلِكَ. |
| وَفِي رَمَضَانَ سَارَ نُوشَرى إِلَى مُسَاوِرٍ الشَّارِي ، فَلَقِيَهُ فَهَزَمَهُ ، وَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ جَمَاعَةً كَثِيرَةً. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قَطَنَ النَّحْوِيُّ الْقَيْرَوَانِيُّ بِهَا ، وَكَانَ إِمَامًا فِي النَّحْوِ وَاللُّغَةِ ، وَإِمَامًا بِالْعَرَبِيَّةِ ، قِيلَ مَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ وَهُوَ أَصَحُّ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ يَعْقُوبَ بْنِ اللَّيْثِ الصَّفَّارِ عَلَى كَرْمَانَ وَفِيهَا اسْتَوْلَى يَعْقُوبُ بْنُ اللَّيْثِ الصَّفَّارُ عَلَى كَرْمَانَ ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ شِبْلٍ كَانَ عَلَى فَارِسَ ، فَكَتَبَ إِلَى الْمُعْتَزِّ يَطْلُبُ كَرْمَانَ ، وَيَذْكُرُ عَجْزَ الطَّاهِرِيَّةِ ، وَأَنَّ يَعْقُوبَ قَدْ غَلَبَهُمْ عَلَى سِجِسْتَانَ ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ قَدْ تَبَاطَأَ بِحَمْلِ خَرَاجِ فَارِسَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمُعْتَزُّ بِوِلَايَةِ كَرْمَانَ ، وَكَتَبَ إِلَى يَعْقُوبَ بْنِ اللَّيْثِ بِوِلَايَتِهَا أَيْضًا ، يَلْتَمِسُ إِغْرَاءَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِصَاحِبِهِ لِيُسْقِطَ مَؤُونَةَ الْهَالِكِ عَنْهُ ، وَيَنْفَرِدَ بِالْآخَرِ. |
| وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا يُظْهِرُ طَاعَةً لَا حَقِيقَةَ لَهَا ، وَالْمُعْتَزُّ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهَا ، فَأَرْسَلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ طَوْقَ بْنَ الْمُغَلِّسِ إِلَى كَرْمَانَ ، وَسَارَ يَعْقُوبُ إِلَيْهَا ، فَسَبَقَهُ طَوْقٌ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَأَقْبَلَ يَعْقُوبُ حَتَّى بَقِيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كَرْمَانَ مَرْحَلَةٌ ، فَأَقَامَ بِهَا شَهْرَيْنِ لَا يَتَقَدَّمُ إِلَى طَوْقٍ ، وَلَا طَوْقٌ يَخْرُجُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ أَظْهَرَ الِارْتِحَالَ إِلَى سِجِسْتَانَ ، فَارْتَحَلَ مَرْحَلَتَيْنِ ، وَبَلَغَ طَوْقًا ارْتِحَالُهُ فَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ بَدَا لَهُ فِي حَرْبِهِ ، وَتَرَكَ كَرْمَانَ ، فَوَضَعَ آلَةَ الْحَرْبِ ، وَقَعَدَ لِلْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْمَلَاهِي. |
| وَاتَّصَلَ بِيَعْقُوبَ إِقْبَالُ طَوْقٍ عَلَى الشُّرْبِ ، فَكَّرَ رَاجِعًا ، فَطَوَى الْمَرْحَلَتَيْنِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، فَلَمْ يَشْعُرْ طَوْقٌ إِلَّا بِغَبَرَةِ عَسْكَرِهِ ، فَقَالَ مَا هَذَا ؟ |
| فَقِيلَ غَبَرَةُ الْمَوَاشِي ، فَلَمْ يَكُنْ بِأَسْرَعِ مِنْ مُوَافَاةِ يَعْقُوبَ ، فَأَحَاطَ بِهِ وَأَصْحَابِهِ ، فَذَهَبَ أَصْحَابُهُ يُرِيدُونَ الْمُنَاهَضَةَ وَالدَّفْعَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، فَقَالَ يَعْقُوبُ لِأَصْحَابِهِ أَفْرِجُوا لِلْقَوْمِ! |
| فَمَرُّوا هَارِبِينَ ، وَخَلَّوْا كُلَّ مَا لَهُمْ ، وَأَسَرَ يَعْقُوبُ طَوْقًا. |
| وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ قَدْ سَيَّرَ مَعَ طَوْقٍ فِي صَنَادِيقَ قُيُودًا لِيُقَيِّدَ بِهَا مَنْ يَأْخُذُهُ مِنْ أَصْحَابِ يَعْقُوبَ ، وَفِي صَنَادِيقَ أَطْوِقَةٌ وَأَسْوِرَةٌ لِيُعْطِيَهَا أَهْلَ الْبَلَاءِ مِنْ أَصْحَابِ نَفْسِهِ ، فَلَمَّا غَنِمَ يَعْقُوبُ عَسْكَرَهُمْ رَأَى ذَلِكَ ، فَقَالَ مَا هَذَا يَا طَوْقُ ؟ |
| فَأَخْبَرَهُ ، فَأَخَذَ الْأَطْوِقَةَ وَالْأَسْوِرَةَ ، فَأَعْطَاهَا أَصْحَابَهُ ، وَأَخَذَ الْقُيُودَ وَالْأَغْلَالَ ، فَقَيَّدَ بِهَا أَصْحَابَ عَلِيٍّ ، وَلَمَّا أَخْرَجَ يَدَ طَوْقٍ لِيَضَعَ فِيهَا الْغُلَّ رَآهَا يَعْقُوبُ وَعَلَيْهَا عِصَابَةٌ ، فَسَأَلَهُ عَنْهَا ، فَقَالَ أَصَابَتْنِي حَرَارَةٌ فَفَصَدْتُهَا. |
| فَأَمَرَ بِنَزْعِ خُفِّ نَفْسِهِ ، فَتَسَاقَطَ مِنْهُ كِسَرُ خُبْزٍ يَابِسَةٍ ، فَقَالَ يَا طَوْقُ! |
| هَذَا خُفِّي لَمْ أَنْزِعْهُ مُنْذُ شَهْرَيْنِ مِنْ رِجْلِي ، وَخُبْزِي فِي خُفِّي مِنْهُ آكُلُ ، وَأَنْتَ جَالِسٌ فِي الشُّرْبِ ؟ |
| ثُمَّ دَخَلَ كَرْمَانَ وَمَلَكَهَا مَعَ سِجِسْتَانَ. |
| ذِكْرُ مُلْكِ يَعْقُوبَ فَارِسَ وَفِيهَا ، رَابِعَ جُمَادَى الْأُولَى ، مَلَكَ يَعْقُوبُ بْنُ اللَّيْثِ فَارِسَ ، وَلَمَّا بَلَغَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ شِبْلٍ بِفَارِسَ مَا فَعَلَهُ يَعْقُوبُ بِطَوْقٍ أَيْقَنَ بِمَجِيئِهِ إِلَيْهِ ، وَكَانَ عَلِيٌّ بِشِيرَازَ ، فَجَمَعَ جَيْشَهُ وَسَارَ إِلَى مَضِيقٍ خَارِجَ شِيرَازَ ، مِنْ أَحَدِ جَانِبَيْهِ جَبَلٌ لَا يُسْلَكُ ، وَمِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ نَهْرٌ لَا يُخَاضُ ، فَأَقَامَ عَلَى رَأْسِ الْمَضِيقِ ، وَهُوَ ضَيِّقٌ مَمَرُّهُ لَا يَسْلُكُهُ إِلَّا وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ ، وَهُوَ عَلَى طَرَفِ الْبَرِّ ، وَقَالَ إِنَّ يَعْقُوبَ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْجَوَازِ إِلَيْنَا. |
| فَرَجَعَ. |
| وَأَقْبَلَ يَعْقُوبُ حَتَّى دَنَا مِنْ ذَلِكَ الْمَضِيقِ ، فَنَزَلَ عَلَى مِيلٍ مِنْهُ ، وَسَارَ وَحْدَهُ وَمَعَهُ رَجُلٌ آخَرُ ، فَنَظَرَ إِلَى ذَلِكَ الْمَضِيقِ وَالْعَسْكَرُ وَأَصْحَابُ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ يَسُبُّونَهُ وَهُوَ سَاكِتٌ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ الظُّهْرَ سَارَ بِأَصْحَابِهِ حَتَّى صَارَ إِلَى طَرَفِ الْمَضِيقِ مِمَّا يَلِي كَرْمَانَ ، فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالنُّزُولِ وَحَطَّ الْأَثْقَالَ ، فَفَعَلُوا ، وَرَكِبُوا دَوَابَّهُمْ عُرْيًا ، وَأَخَذَ كَلْبًا كَانَ مَعَهُ فَأَلْقَاهُ فِي الْمَاءِ ، فَجَعَلَ يَسْبَحُ إِلَى جَانِبِ عَسْكَرِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابُهُ قَدْ رَكِبُوا يَنْظُرُونَ إِلَى فِعْلِهِ ، وَيَضْحَكُونَ مِنْهُ. |
| وَأَلْقَى يَعْقُوبُ نَفْسَهُ وَأَصْحَابَهُ فِي الْمَاءِ عَلَى خَيْلِهِمْ ، وَبِأَيْدِيهِمُ الرِّمَاحُ ، يَسِيرُونَ خَلْفَ الْكَلْبِ ، فَلَمَّا رَأَى عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ أَنَّ يَعْقُوبَ قَدْ قَطَعَ عَامَّةَ النَّهْرِ تَحَيَّرَ فِي أَمْرِهِ ، وَانْتَقَضَ عَلَيْهِ تَدْبِيرَهُ ، وَخَرَجَ أَصْحَابُ يَعْقُوبَ مِنْ وَرَاءِ أَصْحَابِ عَلِيٍّ ، فَلَمَّا خَرَجَ أَوَائِلُهُمْ هَرَبَ أَصْحَابُهُ إِلَى مَدِينَةِ شِيرَازَ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَصِيرُونَ ، إِذَا خَرَجَ يَعْقُوبُ وَأَصْحَابُهُ ، بَيْنَ جَيْشِ يَعْقُوبَ وَالْمَضِيقِ ، وَلَا يَجِدُونَ مَلْجَأً ، فَانْهَزَمُوا ، فَسَقَطَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ دَابَّتِهِ ، كَبَا بِهِ الْفَرَسُ ، فَأُخِذَ أَسِيرًا ، وَأُتِيَ بِهِ إِلَى يَعْقُوبَ ، فَقَيَّدَهُ ، وَأَخَذَ كُلَّ مَا فِي عَسْكَرِهِ ، ثُمَّ رَحَلَ مِنْ مَوْضِعِهِ ، وَدَخَلَ شِيرَازَ لَيْلًا ، فَلَمْ يَتَحَرَّكْ أَحَدٌ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ نَهَبَ أَصْحَابُهُ دَارَ عَلِيٍّ وَدُورَ أَصْحَابِهِ ، وَأَخَذَ مَا فِي بُيُوتِ الْأَمْوَالِ ، وَجَبَى الْخَرَاجَ وَرَجَعَ إِلَى سِجِسْتَانَ. |
| وَقِيلَ إِنَّهُ جَرَى بَيْنَ يَعْقُوبَ الصَّفَّارِ وَبَيْنَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، بَعْدَ عُبُورِهِ النَّهْرَ ، حَرْبٌ شَدِيدَةٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ جَمْعًا كَثِيرًا مِنَ الْمَوَالِي وَالْأَكْرَادِ وَغَيْرِهِمْ ، بَلَغَتْ عِدَّتُهُمْ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا بَيْنَ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ ، فَعَبَّأَ أَصْحَابَهُ مَيْمَنَةً ، وَمَيْسَرَةً ، وَوَقَفَ هُوَ فِي الْقَلْبِ ، وَأَقْبَلَ الصَّفَّارُ فَعَبَرَ النَّهْرَ ، فَلَمَّا صَارَ مَعَ عَلَيٍّ عَلَى أَرْضٍ وَاحِدَةٍ حَمَلَ هُوَ وَعَسْكَرُهُ حَمْلَةً وَاحِدَةً عَلَى عَسْكَرِ عَلِيٍّ ، فَثَبَتُوا لَهُمْ ، ثُمَّ حَمَلَ ثَانِيَةً ، فَأَزَالَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ ، وَصَدَقَهُمْ فِي الْحَرْبِ ، فَانْهَزَمُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ لَا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ. |
| وَتَبِعَهُمْ عَلِيٌّ يَصِيحُ بِهِمْ ، وَيُنَاشِدُهُمُ اللَّهَ لِيَرْجِعُوا ، أَوْ لِيَقِفُوا ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، وَقُتِلَ الرَّجَّالَةُ قَتْلًا ذَرِيعًا ، وَأَقْبَلَ الْمُنْهَزِمُونَ إِلَى بَابِ شِيرَازَ مَعَ الْعَصْرِ ، فَازْدَحَمُوا فِي الْأَبْوَابِ ، فَتَفَرَّقُوا فِي نَوَاحِي فَارِسٍ ، وَبَلَغَ بَعْضُهُمْ فِي هَزِيمَتِهِ إِلَى الْأَهْوَازِ. |
| فَلَمَّا رَأَى الصَّفَّارُ مَا لَقُوا مِنَ الْقَتْلِ أَمَرَ بِالْكَفِّ عَنْهُمْ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقُتِلُوا عَنْ آخِرِهِمْ. |
| وَكَانَ الْقَتْلَى خَمْسَةَ آلَافِ قَتِيلٍ ، وَأَصَابَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ ثَلَاثُ جِرَاحَاتٍ ، ثُمَّ أُخِذَ أَسِيرًا لَمَّا عَرَفُوهُ ، وَدَخَلَ الصَّفَّارُ إِلَى شِيرَازَ ، وَطَافَ بِالْمَدِينَةِ ، وَنَادَى بِالْأَمَانِ فَاطْمَأَنَّ النَّاسُ ، وَعَذَّبَ عَلِيًّا بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ ، وَأَخَذَ مِنْ أَمْوَالِهِ أَلْفَ بَدْرَةٍ ، وَقِيلَ أَرْبَعُ مِائَةِ بَدْرَةٍ وَمِنَ السِّلَاحِ وَالْأَفْرَاسِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مَا لَا يُحَدُّ ، وَكَتَبَ إِلَى الْخَلِيفَةِ بِطَاعَتِهِ ، وَأَهْدَى لَهُ هَدِيَّةً جَلِيلَةً ، مِنْهَا عَشْرَةُ بِيزَانٍ بِيضٍ ، وَبَازٌ أَبْلَقُ صِينِيٌّ ، وَمِائَةُ مَنٍّ مِسْكًا وَغَيْرَهَا مِنَ الطَّرَائِفِ ، وَعَادَ إِلَى سِجِسْتَانَ وَمَعَهُ عَلِيٌّ ، وَطَوْقٌ ، تَحْتَ الِاسْتِظْهَارِ ، فَلَمَّا فَارَقَ بِلَادَ فَارِسَ أَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ عُمَّالَهُ إِلَيْهَا. |
| ذِكْرُ خَلْعِ الْمُعْتَزِّ وَمَوْتِهِ وَفِيهَا ، فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ ، لِثَلَاثٍ بَقِينَ مِنْ رَجَبٍ ، خُلِعَ الْمُعْتَزُّ ، وَلِلَيْلَتَيْنِ خَلَتَا مِنْ شَعْبَانَ ظَهَرَ مَوْتُهُ. |
| وَكَانَ سَبَبُ خَلْعِهِ أَنَّ الْأَتْرَاكَ لَمَّا فَعَلُوا بِالْكُتَّابِ مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَلَمْ يُحَصَّلْ مِنْهُمْ مَالٌ ، سَارُوا إِلَى الْمُعْتَزِّ يَطْلُبُونَ أَرْزَاقَهُمْ ، وَقَالُوا أَعْطِنَا أَرْزَاقَنَا حَتَّى نَقْتُلَ صَالِحَ بْنَ وَصِيفٍ ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَا يُعْطِيهِمْ ، فَنَزَلُوا مَعَهُ إِلَى خَمْسِينَ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَأَرْسَلَ الْمُعْتَزُّ إِلَى أُمِّهِ يَسْأَلُهَا أَنْ تُعْطِيَهُ مَالًا لِيُعْطِيَهُمْ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ مَا عِنْدِي شَيْءٌ. |
| فَلَمَّا رَأَى الْأَتْرَاكُ أَنَّهُمْ لَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَزِّ شَيْءٌ ، وَلَا مِنْ أُمِّهِ ، وَلَيْسَ فِي بَيْتِ الْمَالِ شَيْءٌ ، اتَّفَقَتْ كَلِمَتُهُمْ ، وَكَلِمَةُ الْمَغَارِبَةِ ، وَالْفَرَاغِنَةِ ، عَلَى خَلْعِ الْمُعْتَزِّ ، فَسَارُوا إِلَيْهِ وَصَاحُوا ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ صَالِحٌ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ بُغَا الْمَعْرُوفُ بِأَبِي نَصْرٍ ، وَبَايَكْبَاكَ فِي السِّلَاحِ ، فَجَلَسُوا عَلَى بَابِهِ ، وَبَعَثُوا إِلَيْهِ أَنِ اخْرُجْ إِلَيْنَا ، فَقَالَ قَدْ شَرِبْتُ أَمْسِ دَوَاءً ، وَقَدْ أَفْرَطَ فِي الْعَمَلِ ، فَإِنْ كَانَ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ فَلْيَدْخُلْ بَعْضُكُمْ! |
| وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ أَمْرَهُ وَاقِفٌ عَلَى حَالِهِ ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ ، فَجَّرُوهُ بِرِجْلِهِ إِلَى بَابِ الْحُجْرَةِ ، وَضَرَبُوهُ بِالدَّبَابِيسِ ، وَخَرَقُوا قَمِيصَهُ ، وَأَقَامُوهُ فِي الشَّمْسِ فِي الدَّارِ ، فَكَانَ يَرْفَعُ رِجْلًا وَيَضَعُ أُخْرَى لِشِدَّةِ الْحَرِّ ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَلْطِمُهُ وَهُوَ يَتَّقِي بِيَدِهِ ، وَأَدْخَلُوهُ حُجْرَةً ، وَأَحْضَرُوا ابْنَ أَبِي الشَّوَارِبِ وَجَمَاعَةً أَشْهَدُوهُمْ عَلَى خَلْعِهِ ، وَشَهِدُوا عَلَى صَالِحِ بْنِ وَصِيفٍ أَنَّ لِلْمُعْتَزِّ وَأُمِّهِ وَوَلَدِهِ وَأُخْتِهِ الْأَمَانَ. |
| وَكَانَتْ أُمُّهُ قَدِ اتَّخَذَتْ فِي دَارِهَا سَرَبًا ، فَخَرَجَتْ مِنْهُ هِيَ وَأُخْتُ الْمُعْتَزِّ ، وَكَانُوا أَخَذُوا عَلَيْهَا الطَّرِيقَ ، وَمَنَعُوا أَحَدًا يَجُوزُ إِلَيْهَا ، وَسَلَّمُوا الْمُعْتَزَّ إِلَى مَنْ يُعَذِّبُهُ ، فَمَنَعَهُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَطَلَبَ حَسْوَةً مِنْ مَاءِ الْبِئْرِ ، فَمَنَعُوهُ ، ثُمَّ أَدْخَلُوهُ سِرْدَابًا ، وَجَصَّصُوا عَلَيْهِ ، فَمَاتَ ، فَلَمَّا مَاتَ أَشْهَدُوا عَلَى مَوْتِهِ بَنِي هَاشِمٍ وَالْقُوَّادَ ، وَأَنَّهُ لَا أَثَرَ فِيهِ ، وَدَفَنُوهُ مَعَ الْمُنْتَصِرِ. |
| وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ مِنْ لَدُنْ بُويِعَ إِلَى أَنْ خُلِعَ أَرْبَعَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَثَلَاثَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا. |
| يَوْمًا ، وَكَانَ عُمْرُهُ كُلُّهُ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً. |
| وَكَانَ أَبْيَضَ ، أَسْوَدَ الشَّعْرِ ، كَثِيفَهُ ، حَسَنَ الْعَيْنَيْنِ وَالْوَجْهِ ، أَحْمَرَ الْوَجْنَتَيْنِ ، حَسَنَ الْجِسْمِ طَوِيلًا; وَكَانَ مَوْلِدُهُ بِسُرُّ مَنْ رَأَى ، وَكَانَ فَصِيحًا ، فَمِنْ كَلَامِهِ لَمَّا سَارَ الْمُسْتَعِينُ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَقَدْ أَحْضَرَ جَمَاعَةً لِلرَّأْيِ ، فَقَالَ لَهُمْ أَمَا تَنْظُرُونَ إِلَى هَذِهِ الْعِصَابَةِ الَّتِي ذَاعَ نِفَاقُهَا ؟ |
| الْهَمَجِ ، الْعُصَاةِ ، الْأَوْغَادِ الَّذِينَ لَا مِسْكَةَ بِهِمْ ، وَلَا اخْتِيَارَ لَهُمْ ، وَلَا تَمْيِيزَ مَعَهُمْ ، قَدْ زَيَّنَ لَهُمْ تَقَحُّمَ الْخَطَأِ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ، فَهُمُ الْأَقَلُّونَ وَإِنْ كَثُرُوا ، وَالْمُذَمُّونَ إِذَا ذُكِرُوا ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يَصْلُحُ لِقُوَّادِ الْجُيُوشِ ، وَسَدِّ الثُّغُورِ ، وَإِبْرَامِ الْأُمُورِ ، وَتَدْبِيرِ الْأَقَالِيمِ إِلَّا رَجُلٌ قَدْ تَكَامَلَتْ فِيهِ خِصَالٌ أَرْبَعٌ حَزْمٌ يَتَّقِي بِهِ عِنْدَ مَوَارِدِ الْأُمُورِ حَقَائِقَ مَصَادِرِهَا ، وَعِلْمٌ يَحْجِزُهُ عَنِ التَّهَوُّرِ ، وَالتَّغْرِيرِ فِي الْأَشْيَاءِ إِلَّا مَعَ إِمْكَانِ فُرْصَتِهَا ، وَشَجَاعَةٌ لَا تَفُضُّهَا الْمُلِمَّاتُ مَعَ تَوَاتُرِ حَوَائِجِهَا ، وُجُودٌ يُهَوِّنُ تَبْذِيرَ الْأَمْوَالِ عِنْدَ سُؤَالِهَا ، وَسُرْعَةُ مُكَافَأَةِ الْإِحْسَانِ إِلَى صَالِحِ الْأَعْوَانِ ، وَثِقَلُ الْوَطْأَةِ عَلَى أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْعُدْوَانِ ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِلْحَوَادِثِ إِذْ لَا تُؤْمَنُ حَوَادِثُ الزَّمَانِ. |
| وَأَمَّا الِاثْنَتَانِ فَإِسْقَاطُ الْحِجَابِ عَنِ الرَّعِيَّةِ ، وَالْحُكْمُ بَيْنَ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ بِالسَّوِيَّةِ. |
| وَأَمَّا الْوَاحِدَةُ فَالتَّيَقُّظُ لِلْأُمُورِ ، وَقَدِ اخْتَرْتُ لَهُمْ رَجُلًا مِنْ مَوَالِي أَحَدِهِمْ شَدِيدَ الشَّكِيمَةِ ، مَاضِيَ الْعَزِيمَةِ ، لَا تُبْطِرُهُ السَّرَّاءُ ، وَلَا تُدْهِشُهُ الضَّرَّاءُ ، وَلَا يَهَابُ مَا وَرَاءَهُ ، وَلَا يَهُولُهُ مَا يَلْقَاهُ ، فَهُوَ كَالْحَرِيشِ فِي أَصْلِ الْإِسْلَامِ إِنْ حُرِّكَ حَمَلَ ، وَإِنْ نَهَشَ قَتَلَ ، عُدَّتُهُ عَتِيدَةٌ ، وَنِعْمَتُهُ شَدِيدَةٌ ، يَلْقَى الْجَيْشَ فِي النَّفَرِ الْقَلِيلِ الْعَدِيدِ ، بِقَلْبٍ أَشَدَّ مِنَ الْحَدِيدِ ، طَالِبٌ لِلثَّأْرِ لَا تَفُلُّهُ الْعَسَاكِرُ ، بَاسِلُ الْبَأْسِ ، وَمُقْتَضِبُ الْأَنْفَاسِ ، لَا يَعُوزُهُ مَا طَلَبَ ، وَلَا يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ ، وَارِي الزِّنَادِ مُضْطَلِعُ الْعِمَادِ ، لَا تُشْرِهُهُ الرَّغَائِبُ ، وَلَا تُعْجِزُهُ النَّوَائِبُ ، وَإِنْ وُلِّيَ كَفَى ، وَإِنْ قَالَ وَفَى; وَإِنْ نَازَلَ فَبَطَلٌ ، وَإِنْ قَالَ فَعَلَ; ظِلُّهُ لِوَلِيِّهِ ظَلِيلٌ ، وَبَأْسُهُ فِي الْهِيَاجِ عَلَيْهِ دَلِيلٌ ، يَفُوقُ مَنْ سَامَاهُ ، وَيُعْجِزُهُ مَنْ نَاوَاهُ ، وَيَتْعَبُ مَنْ جَارَاهُ ، وَيَنْعِشُ مَنْ وَالَاهُ. |
| ذِكْرُ خِلَافَةِ الْمُهْتَدِي وَفِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ لِلَيْلَةٍ بَقِيَتْ مِنْ رَجَبٍ بُويِعَ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْوَاثِقِ ، وَلُقِّبَ بِالْمُهْتَدِي بِاللَّهِ ، وَكَانَ يُكَنَّى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، وَأُمُّهُ رُومِيَّةٌ ، وَكَانَتْ تُسَمَّى قُرْبَ ، وَلَمْ يَقْبَلْ بَيْعَةَ أَحَدٍ ، فَأَتَى بِالْمُعْتَزِّ فَخَلَعَ نَفْسَهُ ، وَأَقَرَّ بِالْعَجْزِ عَمَّا أُسْنِدَ إِلَيْهِ ، وَبِالرَّغْبَةِ فِي تَسْلِيمِهَا إِلَى ابْنِ الْوَاثِقِ ، فَبَايَعَهُ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ. |
| ذِكْرُ الشَّغَبِ بِبَغْدَاذَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ شَغَبَتِ الْعَامَّةُ بِبَغْدَاذَ سَلْخَ رَجَبٍ ، وَوَثَبُوا بِسُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ. |
| وَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّ كِتَابَ الْمُهْتَدِي وَرَدَ سَلْخَ رَجَبٍ إِلَى سُلَيْمَانَ يَأْمُرُهُ بِأَخْذِ الْبَيْعَةِ لَهُ; وَكَانَ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ بِبَغْدَاذَ ، وَكَانَ الْمُعْتَزُّ قَدْ سَيَّرَهُ إِلَيْهَا ، كَمَا تَقَدَّمَ ، فَأَرْسَلَ سُلَيْمَانُ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَهُ إِلَى دَارِهِ. |
| وَسَمِعَ مَنْ بِبَغْدَاذَ مِنَ الْجُنْدِ وَالْعَامَّةِ بِأَمْرِ الْمُعْتَزِّ ، فَاجْتَمَعُوا إِلَى بَابِ دَارِ سُلَيْمَانَ ، فَقَاتَلَهُمْ أَصْحَابُهُ ، وَقِيلَ لَهُمْ مَا يَرِدُ عَلَيْنَا مِنْ سَامَرَّا خَبَرٌ ، فَانْصَرَفُوا. |
| وَرَجَعُوا الْغَدَ ، وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ ، عَلَى ذَلِكَ ، وَخُطِبَ لِلْمُعْتَزِّ بِبَغْدَاذَ ، فَانْصَرَفُوا ، وَبَكَّرُوا يَوْمَ السَّبْتِ ، فَهَجَمُوا عَلَى دَارِ سُلَيْمَانَ ، وَنَادَوْا بَاسِمِ أَبِي أَحْمَدَ ، وَدَعَوْا إِلَى بَيْعَتِهِ ، وَسَأَلُوا سُلَيْمَانَ أَنْ يُرِيَهُمْ أَبَا أَحْمَدَ ، فَأَظْهَرَهُ لَهُمْ ، وَوَعَدَهُمْ أَنْ يَصِيرَ إِلَى مَحَبَّتِهِمْ إِنْ تَأَخَّرَ عَنْهُمْ مَا يُحِبُّونَ ، فَانْصَرَفُوا بَعْدَ أَنْ أَكَّدُوا عَلَيْهِ فِي حِفْظِ أَبِي أَحْمَدَ. |
| ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ سَامَرَّا مَالٌ فَفُرِّقَ فِيهِمْ ، فَرَضُوا ، وَبَايَعُوا لِلْمُهْتَدِي لِسَبْعٍ خَلَوْنَ مِنْ شَعْبَانَ وَسَكَنَتِ الْفِتْنَةُ. |
| ذِكْرُ ظُهُورِ قَبِيحَةَ أُمِّ الْمُعْتَزِّ قَدْ ذَكَرْنَا اسْتِتَارَهَا عِنْدَ قَتْلِ ابْنِهَا; وَكَانَ السَّبَبُ فِي هَرَبِهَا وَظُهُورِهَا أَنَّهَا كَانَتْ قَدْ وَاطَأَتِ النَّفَرَ مِنَ الْكُتَّابِ الَّذِينَ أَوْقَعَ بِهِمْ صَالِحٌ عَلَى الْفَتْكِ بِصَالِحٍ ، فَلَمَّا أَوْقَعَ بِهِمْ ، وَعَذَّبَهُمْ ، عَلِمَتْ أَنَّهُمْ لَا يَكْتُمُونَ عَنْهُ شَيْئًا ، فَأَيْقَنَتْ بِالْهَلَاكِ ، فَعَمِلَتْ فِي الْخَلَاصِ ، وَأَخْرَجَتْ مَا فِي الْخَزَائِنِ إِلَى خَارِجِ الْجَوْسَقِ مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَالْجَوَاهِرِ ، وَغَيْرِهَا ، فَأَوْدَعَتْهُ ، وَاحْتَالَتْ ، فَحَفَرَتْ سَرَبًا فِي حُجْرَةٍ لَهَا إِلَى مَوْضِعٍ يَفُوتُ التَّفْتِيشَ ، فَلَمَّا خَرَجَتِ الْحَادِثَةُ عَلَى الْمُعْتَزِّ بَادَرَتْ فَخَرَجَتْ فِي ذَلِكَ السَّرَبِ ، فَلَمَّا فَرَغُوا مِنَ الْمُعْتَزِّ طَلَبُوهَا فَلَمْ يَجِدُوهَا ، وَرَأَوُا السَّرَبَ ، فَخَرَجُوا مِنْهُ ، فَلَمْ يَقِفُوا عَلَى خَبَرِهَا ، وَبَحَثُوا عَنْهَا فَلَمْ يَظْفَرُوا بِهَا. |
| ثُمَّ إِنَّهَا فَكَّرَتْ أَنَّ ابْنَهَا قُتِلَ ، وَأَنَّ الَّذِي تَخْتَفِي عِنْدَهُ يَطْمَعُ فِي مَالِهَا وَفِي نَفْسِهَا ، وَيَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى صَالِحٍ ، فَأَرْسَلَتِ امْرَأَةً عَطَّارَةً إِلَى صَالِحِ بْنِ وَصِيفٍ ، فَتَوَسَّطَتِ الْحَالَ بَيْنَهُمَا ، وَظَهَرَتْ فِي رَمَضَانَ ، وَكَانَتْ لَهَا أَمْوَالٌ بِبَغْدَاذَ ، فَأَحْضَرَتْهَا ، وَهِيَ مِقْدَارُ خَمْسِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَظَفِرُوا لَهَا بِخَزَائِنَ تَحْتَ الْأَرْضِ فِيهَا أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ ، وَمِنْ جُمْلَتِهَا دَارٌ تَحْتَ الْأَرْضِ ، وَجَدُوا فِيهَا أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ وَثَلَاثَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَوَجَدُوا فِي سَفَطٍ قَدْرَ مَكُّوكٍ زُمُرُّدًا لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ ، وَفِي سَفَطٍ آخَرَ مِقْدَارَ مَكُّوكٍ مِنَ اللُّؤْلُؤِ الْكِبَارِ; وَفِي سَفَطٍ مِقْدَارَ كَيْلَجَةٍ مِنَ الْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ الَّذِي لَمْ يُوجَدْ مِثْلُهُ ، فَحُمِلَ الْجَمِيعُ إِلَى صَالِحٍ ، فَسَبَّهَا ، وَقَالَ عَرَّضَتِ ابْنَهَا لِلْقَتْلِ فِي خَمْسِينَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَعِنْدَهَا هَذِهِ الْأَمْوَالُ كُلُّهَا! |
| ثُمَّ سَارَتْ قَبِيحَةُ إِلَى مَكَّةَ ، فَسُمِعَتْ وَهِيَ تَدْعُو بِصَوْتٍ عَالٍ عَلَى صَالِحِ بْنِ وَصِيفٍ ، وَتَقُولُ اللَّهُمَّ أَخْزِ صَالِحًا كَمَا هَتَكَ سِتْرِي ، وَقَتَلَ وَلَدِي ، وَشَتَّتَ شَمْلِي ، وَأَخَذَ مَالِي ، وَغَرَّبَنِي عَنْ بَلَدِي ، وَرَكِبَ الْفَاحِشَةَ مِنِّي ، وَأَقَامَتْ بِمَكَّةَ. |
| وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ سَمَّاهَا قَبِيحَةَ لِحُسْنِهَا وَجَمَالِهَا ، كَمَا يُسَمَّى الْأَسْوَدُ كَافُورًا. |
| قَالَ وَكَانَتْ أَمُّ الْمُهْتَدِي قَدْ مَاتَتْ قَبْلَ اسْتِخْلَافِهِ ، وَكَانَتْ تَحْتَ الْمُسْتَعِينِ ، فَلَمَّا قُتِلَ جَعَلَهَا الْمُعْتَزُّ فِي قَصْرِ الرُّصَافَةِ ، فَمَاتَتْ ، فَلَمَّا وَلِيَ الْمُهْتَدِي قَالَ أَمَّا أَنَا فَلَيْسَ لِي أُمٌّ أَحْتَاجُ لَهَا غَلَّةَ عَشَرَةِ آلَافِ دِينَارٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ لِجَوَارِيهَا ، وَخَدَمِهَا ، وَالْمُتَّصِلِينَ بِهَا ، وَمَا أُرِيدُ إِلَّا الْقُوتَ لِنَفْسِي وَوَلَدِي ، وَمَا أُرِيدُ فَضْلًا إِلَّا لِإِخْوَتِي ، فَإِنَّ الضَّائِقَةَ قَدْ مَسَّتْهُمْ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْرَائِيلَ وَأَبِي نُوحٍ وَقِيلَ قُتِلَ أَحْمَدُ بْنُ إِسْرَائِيلَ ، وَكَانَ صَالِحٌ قَدْ عَذَّبَهُ بَعْدَ أَنْ أَخَذَهُ وَأَخَذَ مَالَهُ وَمَالَ الْحَسَنِ بْنِ مَخْلَدٍ ، ثُمَّ أَمَرَ بِضَرْبِهِ وَضَرْبِ أَبِي نُوحٍ ضَرْبَ التَّلَفِ ، كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا خَمْسَمِائَةِ سَوْطٍ ، فَمَاتَا وَدُفِنَا ، وَبَقِيَ الْحَسَنُ بْنُ مَخْلَدٍ فِي الْحَبْسِ . |
| وَلَمَّا بَلَغَ الْمُهْتَدِيَ ضَرْبُهُمَا قَالَ أَمَا عُقُوبَةٌ إِلَّا السَّوْطُ وَالْقَتْلُ ، أَمَا يَكْفِي الْحَبْسُ ؟ |
| إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! |
| يُكَرِّرُ ذَلِكَ مِرَارًا. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ بَغْدَاذَ وَشَغَبِ الْجُنْدِ وَالْعَامَّةِ بِهَا وَفِي رَمَضَانَ وَثَبَ عَامَّةُ بَغْدَاذَ وَجُنْدُهَا بِمُحَمَّدِ بْنِ أَوْسٍ الْبَلْخِيِّ. |
| وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَوْسٍ قَدِمَ مِنْ خُرَاسَانَ مَعَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ عَلَى الْجَيْشِ الْقَادِمِينَ مِنْ خُرَاسَانَ ، وَعَلَى الصَّعَالِيكِ الَّذِينَ مَعَهُمْ ، وَلَمْ تَكُنْ أَسْمَاؤُهُمْ فِي دِيوَانِ الْعِرَاقِ; وَكَانَتِ الْعَادَةُ أَنْ يُقَامَ لِمَنْ يَقْدَمُ مِنْ خُرَاسَانَ بِالْعِرَاقِ مَا كَانَ لَهُمْ بِخُرَاسَانَ ، وَيَكُونُ وَجْهُ ذَلِكَ مِنْ دَخْلِ ضِيَاعِ وَرَثَةِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَيُكْتَبُ إِلَى خُرَاسَانَ لِيُعْطَى الْوَرَثَةُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ عِوَضَهُ. |
| فَلَمَّا سَمِعَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بِقُدُومِ سَلْمَانَ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَمَصِيرِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ ، أَخَذَ مَا فِي بَيْتِ مَالِ الْوَرَثَةِ ، وَأَخَذَ نُجُومًا لَمْ تَحِلَّ ، وَسَارَ ، فَأَقَامَ بِالْجُوَيْبِ ، فِي شَرْقِيِّ دِجْلَةَ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى غَرْبِيِّهَا ، فَقَدِمَ سُلَيْمَانُ فَرَأَى بَيْتَ مَالِ الْوَرَثَةِ فَارِغًا ، فَضَاقَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا ، وَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مِنْ أَمْوَالِ جُنْدِ بَغْدَاذَ ، وَتَحَرَّكَ الْجُنْدُ وَالشَّاكِرِيَّةُ فِي طَلَبِ الْأَرْزَاقِ. |
| وَكَانَ الَّذِينَ قَدِمُوا مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ أَوْسٍ مِنْ خُرَاسَانَ قَدْ أَسَاءُوا مُجَاوَرَةَ أَهْلِ بَغْدَاذَ ، وَجَاهَرُوا بِالْفَاحِشَةِ ، وَتَعَرَّضُوا لِلْحُرَمِ ، وَالْغِلْمَانِ بِالْقَهْرِ ، فَامْتَلَئُوا عَلَيْهِمْ غَيْظًا وَحَنَقًا ، فَاتَّفَقَ الْعَامَّةُ مَعَ الْجُنْدِ ، وَثَارُوا ، وَأَتَوْا سِجْنَ بَغْدَاذَ ، عِنْدَ بَابِ الشَّامِ ، فَكَسَرُوا بَابَهُ ، وَأَطْلَقُوا مَنْ فِيهِ ، وَجَرَتْ حَرْبٌ بَيْنَ الْقَادِمِينَ مَعَ ابْنِ أَوْسٍ وَبَيْنَ أَهْلِ بَغْدَاذَ ، فَعَبَرَ ابْنُ أَوْسٍ وَأَصْحَابُهُ وَأَوْلَادُهُ إِلَى الْجَزِيرَةِ ، وَتَصَايَحَ النَّاسُ مَنْ أَرَادَ النَّهْبَ فَلْيَلْحَقْ بِنَا! |
| فَقِيلَ إِنَّهُ عَبَرَ إِلَى الْجَزِيرَةِ مِنَ الْعَامَّةِ أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ نَفْسٍ ، وَأَتَاهُمُ الْجُنْدُ فِي السِّلَاحِ ، فَهَرَبَ ابْنُ أَوْسٍ إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَتَبِعَهُ النَّاسُ ، فَتَحَارَبُوا نِصْفَ نَهَارٍ حَرْبًا شَدِيدَةً ، وَجُرِحَ ابْنُ أَوْسٍ ، وَانْهَزَمَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، وَتَبِعَهُمُ النَّاسُ حَتَّى أَخْرَجُوهُمْ مِنْ بَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ ، وَانْتَهَبُوا مَنْزِلَهُ وَجَمِيعَ مَا كَانَ فِيهِ ، فَقِيلَ كَانَ قِيمَةُ ذَلِكَ أَلْفَيْ دِرْهَمٍ ، وَأَخَذُوا لَهُ مِنَ الْأَمْتِعَةِ مَا لَا حَدَّ عَلَيْهِ ، وَنَهَبَ أَهْلُ بَغْدَاذَ مَنَازِلَ الصَّعَالِيكِ مِنْ أَصْحَابِهِ. |
| فَأَرْسَلَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى ابْنِ أَوْسٍ يَأْمُرُهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى خُرَاسَانَ ، وَيُعْلِمُهُ أَنَّهُ لَا طَرِيقَ لَهُ إِلَى الْعَوْدِ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَرَحَلَ إِلَى النَّهْرَوَانِ ، فَنَهَبَ وَأَفْسَدَ ، ثُمَّ أَتَى بَايِكْبَاكَ التُّرْكِيَّ ، كَتَبَ إِلَيْهِ وُلَاةُ طَرِيقِ خُرَاسَانَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ. |
| وَكَانَ مُسَاوِرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ قَدِ اسْتَخْلَفَ رَجُلًا اسْمُهُ مُوسَى بِالدَّسْكَرَةِ وَنَوَاحِيهَا ، فِي ثَلَاثِمِائَةِ رَجُلٍ ، وَإِلَيْهِ مَا بَيْنَ حُلْوَانَ وَالسُّوسِ عَلَى طَرِيقِ خُرَاسَانَ وَبَطْنِ جُوخَى. |
| وَفِيهَا أَمَرَ الْمُهْتَدِي بِإِخْرَاجِ الْقِيَانِ وَالْمُغَنِّينَ مِنْ سَامَرَّا ، وَنَفَاهُمْ عَنْهَا ، وَأَمَرَ أَيْضًا بِقَتْلِ السِّبَاعِ الَّتِي كَانَتْ بِدَارِ السُّلْطَانِ ، وَطَرْدِ الْكِلَابِ ، وَرَدَّ الْمَظَالِمَ ، وَجَلَسَ لِلْعَامَّةِ ، وَلَمَّا وَلِيَ كَانَتِ الدُّنْيَا كُلُّهَا بِالْفِتَنِ مَنْسُوخَةً. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ مُفْلِحٍ عَلَى طَبَرِسْتَانَ وَعَوْدِهِ عَنْهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ مُفْلِحٌ إِلَى طَبَرِسْتَانَ ، فَحَارَبَ الْحَسَنَ بْنَ زَيْدٍ الْعَلَوِيَّ ، فَانْهَزَمَ الْحَسَنُ وَلَحِقَ بِالدَّيْلَمِ ، وَدَخَلَ مُفْلِحٌ الْبَلَدَ ، وَأَحْرَقَ مَنَازِلَ الْحَسَنِ ، وَسَارَ إِلَى الدَّيْلَمِ فِي طَلَبِهِ ، ثُمَّ عَادَ عَنْ طَبَرِسْتَانَ بَعْدَ أَنْ دَخَلَهَا ، وَهَزَمَ الْحَسَنَ بْنَ زَيْدٍ الْعَلَوِيَّ ، وَعَادَ مُوسَى بْنُ بُغَا مِنَ الرَّيِّ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ قَبِيحَةَ أُمَّ الْمُعْتَزِّ لَمَّا رَأَتِ اضْطِرَابَ الْأَتْرَاكِ كَتَبَتْ إِلَى مُوسَى تَسْأَلُهُ الْقُدُومَ عَلَيْهِمْ ، وَأَمَّلَتْ أَنْ يَصِلَ قَبْلَ أَنْ يَفْرِطَ فِي وَلَدِهَا فَارِطٌ ، فَعَزَمَ عَلَى الِانْصِرَافِ ، وَكَتَبَ مُفْلِحٌ يَأْمُرُهُ بِالِانْصِرَافِ عَنْ طَبَرِسْتَانَ إِلَيْهِ بِالرَّيِّ ، فَوَرَدَ كِتَابُهُ إِلَى مُفْلِحٍ وَهُوَ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَى أَرْضِ الدَّيْلَمِ فِي طَلَبِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ الْعَلَوِيِّ ، فَلَمَّا أَتَاهُ الْكِتَابُ رَجَعَ ، فَأَتَاهُ مَنْ كَانَ هَرَبَ مِنَ الْحَسَنِ مِنْ أَهْلِ طَبَرِسْتَانَ ، وَرَجَوُا الْعَوْدَ إِلَى بُيُوتِهِمْ ، وَقَالُوا لَهُ مَا سَبَبُ عَوْدِكَ ؟ |
| فَأَخْبَرَهُمْ بِكِتَابِ الْأَمِيرِ إِلَيْهِ يَعْزِمُ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَتَهَيَّأْ لِمُوسَى الْمَسِيرُ عَنِ الرَّيِّ حَتَّى أَتَاهُ خَبَرُ قَتْلِ الْمُعْتَزِّ وَالْبَيْعَةِ لِلْمُهْتَدِي ، فَبَايَعُوا الْمُهْتَدِي. |
| ثُمَّ إِنَّ الْمَوَالِيَ الَّذِينَ مَعَ مُوسَى بَلَغَهُمْ مَا أَخَذَ صَالِحُ بْنُ وَصِيفٍ مِنْ أَمْوَالِ الْكُتَّابِ وَأَسْلَابِ الْمُعْتَزِّ ، فَحَسَدُوا الْمُقِيمِينَ بِسَامَرَّا ، فَدَعَوْا مُوسَى بْنَ بُغَا بِالِانْصِرَافِ ، وَقَدِمَ عَلَيْهِمْ مُفْلِحٌ وَهُوَ بِالرَّيِّ فَسَارَ نَحْوَ سَامَرَّا ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمُهْتَدِي يَأْمُرُهُ بِالْعَوْدِ إِلَى الرَّيِّ وَلُزُومِ ذَلِكَ الثَّغْرِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ يُعَرِّفَانِهِ ضِيقَ الْأَمْوَالِ عِنْدَهُ ، وَيُحَذِّرَانِهِ غَلَبَةَ الْعَلَوِيِّينَ عَلَى مَا يَجْعَلُهُ خَلْفَهُ ، فَلَمْ يَسْمَعْ ذَلِكَ. |
| وَكَانَ صَالِحُ بْنُ وَصِيفٍ يُعَظِّمُ عَلَى الْمُهْتَدِي انْصِرَافَهُ ، وَيَنْسُبُهُ إِلَى الْمَعْصِيَةِ وَالْخِلَافِ ، وَيَتَبَرَّأُ إِلَى الْمُهْتَدِي مِنْ فِعْلِهِ ، وَلَمَّا أَتَى الرُّسُلُ مُوسَى ضَجَّ الْمَوَالِي ، وَكَادُوا أَنْ يَثِبُوا بِالرُّسُلِ ، وَرَدَّ مُوسَى الْجَوَابَ يَتَعَذَّرُ بِتَخَلُّفِ مَنْ مَعَهُ عَنِ الرُّجُوعِ إِلَى قَوْلِهِ دُونَ وُرُودِ بَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيَحْتَجُّ بِمَا عَايَنَ الرُّسُلُ ، وَأَنَّهُ إِنْ تَخَلَّفَ عَنْهُمْ قَتَلُوهُ ، وَسَيَّرَ مَعَ الرُّسُلِ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَدِمُوا سَامَرَّا سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ مُسَاوِرٍ عَلَى الْمَوْصِلِ لَمَّا انْهَزَمَ عَسْكَرُ الْمَوْصِلِ مِنْ مُسَاوِرٍ الْخَارِجِيِّ ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، قَوِيَ أَمْرُهُ ، وَكَثُرَ أَتْبَاعُهُ ، فَسَارَ مِنْ مَوْضِعِهِ ، وَقَصَدَ الْمَوْصِلَ ، فَنَزَلَ بِظَاهِرِهَا عِنْدَ الدَّيْرِ الْأَعْلَى ، فَاسْتَتَرَ أَمِيرُ الْبَلَدِ مِنْهُ ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ ، لِضَعْفِهِ عَنْ مُقَاتَلَتِهِ ، وَلَمْ يَدْفَعْهُ أَهْلُ الْمَوْصِلِ أَيْضًا لِمَيْلِهِمْ إِلَى الْخِلَافِ ، فَوَجَّهَ مُسَاوِرٌ جَمْعًا إِلَى دَارِ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْبَلَدِ ، فَأَحْرَقَهَا ، وَدَخَلَ مُسَاوِرٌ الْمَوْصِلَ بِغَيْرِ حَرْبٍ ، فَلَمْ يَعْرِضْ لِأَحَدٍ. |
| وَحَضَرَتِ الْجُمُعَةُ ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ ، وَحَضَرَ النَّاسُ ، أَوْ مَنْ حَضَرَ مِنْهُمْ ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَخَطَبَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ اللَّهُمَّ أَصْلِحْنَا ، وَأَصْلِحْ وُلَاتَنَا! |
| وَلَمَّا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ جَعَلَ إِبْهَامَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ ، ثُمَّ كَبَّرَ سِتَّ تَكَبِيرَاتٍ ، ثُمَّ قَرَأَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَلَمَّا خَطَبَ جَعَلَ عَلَى دَرَجِ الْمِنْبَرِ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ يَحْرُسُهُ بِالسُّيُوفِ ، وَكَذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ; لِأَنَّهُ خَافَ مَنْ أَهْلِ الْمَوْصِلِ ، ثُمَّ فَارَقَ الْمَوْصِلَ ، وَلَمْ يُقْدِمْ عَلَى الْمُقَامِ بِهَا لِكَثْرَةِ أَهْلِهَا ، وَسَارَ إِلَى الْحَدِيثَةِ; لِأَنَّهُ كَانَ اتَّخَذَهَا دَارَ هِجْرَتِهِ. |
| ذِكْرُ أَوَّلِ خُرُوجِ صَاحِبِ الزَّنْجِ وَفِي شَوَّالٍ خَرَجَ فِي فُرَاتِ الْبَصْرَةِ رَجُلٌ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَجَمَعَ الزَّنْجَ الَّذِينَ كَانُوا يَسْكُنُونَ السِّبَاخَ ، وَعَبَرَ دِجْلَةَ ، فَنَزَلَ الدِّينَارِيَّ. |
| قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَكَانَ اسْمُهُ ، فِيمَا ذُكِرَ ، عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ ، وَنَسَبُهُ فِي عَبْدِ الْقَيْسِ ، وَأُمُّهُ ابْنَةُ عَلِيِّ بْنِ رَحِيبِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ مِنْ قُرَى الرَّيِّ ، وَكَانَ يَقُولُ جَدِّي مُحَمَّدُ بْنُ حَكِيمٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ أَحَدُ الْخَارِجِينَ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ مَعَ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، فَلَمَّا قُتِلَ زَيْدٌ هَرَبَ فَلَحِقَ بِالرَّيِّ ، فَجَاءَ إِلَى قَرْيَةِ وَرْزَنِينَ وَأَقَامَ بِهَا. |
| وَإِنَّ أَبَا أَبِيهِ عَبْدَ الرَّحِيمِ رَجُلٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ ، كَانَ مَوْلِدُهُ بِالطَّالَقَانِ ، وَقَدِمَ الْعِرَاقَ ، وَاشْتَرَى جَارِيَةً سِنْدِيَّةً ، وَأَوْلَدَهَا مُحَمَّدًا أَبَاهُ ، وَكَانَ مُتَّصِلًا قَبْلُ بِجَمَاعَةٍ مِنْ حَاشِيَةِ الْمُنْتَصِرِ ، مِنْهُمْ غَانِمٌ الشَّطْرَنْجِيُّ ، وَسَعِيدٌ الصَّغِيرُ ، وَكَانَ مَعَاشُهُ مِنْهُمْ وَمِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ ، وَكَانَ يَمْدَحُهُمْ وَيَسْتَمِيحُهُمْ بِشِعْرِهِ ، مِنْهُمْ ، وَمِنْ غَيْرِهِمْ . |
| ثُمَّ إِنَّهُ شَخَصَ مِنْ سَامَرَّا سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ ، فَادَّعَى بِهَا أَنَّهُ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَدَعَا النَّاسَ بِهَجَرَ إِلَى طَاعَتِهِ ، فَاتَّبَعَهُ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ أَهْلِهَا وَمِنْ غَيْرِهِمْ ، فَجَرَى بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ عَصَبِيَّةٌ قُتِلَ فِيهَا جَمَاعَةٌ. |
| وَكَانَ أَهْلُ الْبَحْرَيْنِ قَدْ أَحَلُّوهُ بِمَحَلِّ نَبِيٍّ ، وَجَبَى الْخَرَاجَ ، وَنَفَذَ فِيهِمْ حُكْمُهُ ، وَقَاتَلُوا أَصْحَابَ السُّلْطَانِ بِسَبَبِهِ ، فَوَتَرَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً ، فَتَنَكَّرُوا لَهُ ، فَانْتَقَلَ عَنْهُمْ إِلَى الْأَحْسَاءِ ، وَنَزَلَ عَلَى قَوْمٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ تَمِيمٍ ، يُقَالُ لَهُمْ بَنُو الشَّمَّاسِ ، وَأَقَامَ فِيهِمْ ، وَفِي صُحْبَتِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْبَحْرَيْنِ مِنْهُمْ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَزْرَقُ الْبَحْرَانِيُّ ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ ، وَهُوَ قَائِدُ جَيْشِهِ. |
| وَكَانَ يَنْتَقِلُ بِالْبَادِيَةِ ، فَذُكِرَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ أُوتِيتُ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ بِالْبَادِيَةِ آيَاتٍ مِنْ آيَاتِ إِمَامَتِي ظَاهِرَةً لِلنَّاسِ ، مِنْهَا أَنِّي لُقِّنتُ سُوَرًا مِنَ الْقُرْآنِ ، فَجَرَى بِهَا لِسَانِي فِي سَاعَةٍ ، وَحَفِظْتُهَا فِي دَفْعَةٍ وَاحِدَةٍ ، مِنْهَا سُبْحَانَ ، وَالْكَهْفُ ، وَصَادْ ، وَمِنْهَا أَنِّي فَكَّرْتُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي أَقْصِدُهُ حَيْثُ أَتَيْتُ فِي الْبِلَادِ ، فَأَظَلَّتْنِي غَمَامَةٌ ، وَخُوطِبْتُ مِنْهَا ، فَقِيلَ لِي اقْصِدِ الْبَصْرَةَ. |
| وَقِيلَ عَنْهُ إِنَّهُ قَالَ لِأَهْلِ الْبَادِيَةِ إِنَّهُ يَحْيَا بِهِ عُمَرُ الْعَلَوِيُّ أَبُو الْحَسَنِ الْمَقْتُولُ بِنَاحِيَةِ الْكُوفَةِ ، فَخَدَعَ أَهْلَهَا ، فَأَتَاهُ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ ، فَزَحَفَ بِهِمْ إِلَى الرُّومِ ، مِنَ الْبَحْرَيْنِ ، كَانَتْ وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ ، قُتِّلُوا قَتْلًا كَثِيرًا ، فَتَفَرَّقَتِ الْعَرَبُ عَنْهُ. |
| فَلَمَّا تَفَرَّقَتْ عَنْهُ سَارَ فَنَزَلَ الْبَصْرَةَ فِي بَنِي ضُبَيْعَةَ ، فَاتَّبَعَهُ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ الْمُهَلَّبِيُّ ، وَكَانَ قُدُومُهُ الْبَصْرَةَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ رَجَاءٍ الْحَضَارِيُّ عَامِلُهَا ، وَوَافَقَ ذَلِكَ فِتْنَةَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ بِالْبِلَالِيَّةِ ، وَالسَّعْدِيَّةِ. |
| وَطَمَعَ فِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنْ تَمِيلَ إِلَيْهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَدْعُوهُمْ ، فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ ، وَطَلَبَهُ ابْنُ رَجَاءٍ ، فَهَرَبَ ، فَحَبَسَ جَمَاعَةً مِمَّنْ كَانُوا يَمِيلُونَ إِلَيْهِ ، مِنْهُمْ ابْنُهُ ، وَزَوْجَتُهُ ، وَابْنَةٌ لَهُ ، وَجَارِيَةٌ حَامِلٌ مِنْهُ. |
| وَسَارَ يُرِيدُ بَغْدَاذَ ، وَمَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ مُحَمَّدُ بْنُ سَلْمٍ ، وَيَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ ، وَمُرْقُسُ الْقُرَيْعِيُّ ، فَلَمَّا صَارَ بِالْبَطِيحَةِ نَذَرَ بِهِمْ رَجُلٌ كَانَ يَلِي أَمْرَهَا ، اسْمُهُ عُمَيْرُ بْنُ عَمَّارٍ ، فَحَمَلَهُمْ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَوْفٍ عَامِلِ وَاسِطَ ، فَخَلُصَ مِنْهُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، فَدَخَلَ بَغْدَاذَ ، فَأَقَامَ بِهَا حَوْلًا ، فَانْتَسَبَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عِيسَى بْنِ زَيْدٍ ، فَزَعَمَ بِهَا أَنَّهُ ظَهَرَ لَهُ آيَاتٌ عَرَفَ بِهَا مَا فِي ضَمَائِرِ أَصْحَابِهِ ، وَمَا يَفْعَلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، فَاسْتَمَالَ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ بَغْدَاذَ مِنْهُمْ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصُّوحَانِيُّ مِنْ وَلَدِ يَزِيدَ بْنِ صُوحَانَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ ، وَمُشْرِقٌ ، وَرَقِيقٌ ، غُلَامَا يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَسَمَّى مُشْرِقًا حَمْزَةَ ، وَكَنَّاهُ أَبَا أَحْمَدَ ، وَسَمَّى رَفِيقًا جَعْفَرًا ، وَكَنَّاهُ أَبَا الْفَضْلِ. |
| وَعُزِلَ مُحَمَّدُ بْنُ رَجَاءٍ عَنِ الْبَصْرَةِ ، فَوَثَبَ رُؤَسَاءُ الْبِلَالِيَّةِ ، وَالسَّعْدِيَّةِ ، فَأَخْرَجُوا مَنْ فِي الْحُبُوسِ ، فَخَلَصَ أَهْلُهُ فِيهِمْ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ خَلَاصُ أَهْلِهِ رَجَعَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَكَانَ رُجُوعُهُ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَمَعَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ ، وَيَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَسُلَيْمَانُ ، وَمَشْرِقٌ ، وَرَقِيقٌ ، فَوَافَوُا الْبَصْرَةَ ، فَنَزَلَ بِقَصْرِ الْقُرَشِيِّ عَلَى نَهْرٍ يُعْرَفُ بِعَمُودِ ابْنِ الْمُنَجِّمِ ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ وَكِيلٌ لِوَلَدِ الْوَاثِقِ فِي بَيْعِ السَّبَخِ ، فَأَقَامَ هُنَالِكَ. |
| وَذَكَرَ رَيْحَانُ أَحَدُ غِلْمَانِ السُّورَجِيِّينَ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ صَحِبَهُ مِنْهُمْ ، أَنَّهُ قَالَ كُنْتُ مُوَكَّلًا بِغِلْمَانِ مَوْلَايَ أَنْقُلُ لَهُمُ الدَّقِيقَ ، فَأَخَذَنِي أَصْحَابُهُ ، فَسَارُوا بِي إِلَيْهِ ، وَأَمَرُونِي أَنْ أُسَلِّمَ عَلَيْهِ بِالْإِمْرَةِ ، فَفَعَلْتُ ، فَسَأَلَنِي عَنِ الْمَوْضِعِ الَّذِي جِئْتُ مِنْهُ ، فَأَخْبَرْتُهُ ، وَسَأَلَنِي عَنْ أَخْبَارِ الْبَصْرَةِ ، فَقُلْتُ لَا عِلْمَ لِي; وَسَأَلَنِي عَنْ غِلْمَانِ السُّرْجِيِّينَ ، وَعَنْ أَحْوَالِهِمْ ، وَمَا يَجْرِي لَهُمْ ، فَأَعْلَمْتُهُ ، فَدَعَانِي إِلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، فَأَجَبْتُهُ ، فَقَالَ احْتَلْ فِيمَنْ قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْغِلْمَانِ ، وَأَقْبِلْ بِهِمْ إِلَيَّ ، وَوَعَدَنِي أَنْ يَقُودَنِي عَلَى مَنْ آتِيهِ بِهِ ، وَاسْتَحْلَفَنِي أَنْ لَا أُعْلِمَ أَحَدًا بِمَوْضِعِهِ ، وَأَنْ أَرْجِعَ إِلَيْهِ ، وَخَلَّى سَبِيلِي. |
| وَعُدْتُ إِلَيْهِ مِنَ الْغَدَاةِ ، وَقَدْ أَتَاهُ جَمَاعَةٌ مِنْ غِلْمَانِ الدَّبَّاسِينَ ، فَكَتَبَ فِي حَرِيرَةٍ " إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ التوبة الْآيَةَ; وَجَعَلَهَا فِي رَأْسِ مُرْدِيٍّ ، وَمَا زَالَ يَدْعُو غِلْمَانَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَيُقْبِلُونَ إِلَيْهِ لِلْخَلَاصِ مِنَ الرِّقِّ وَالتَّعَبِ ، فَاجْتَمَعَ عِنْدَهُ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَخَطَبَهُمْ ، وَوَعَدَهُمْ أَنْ يَقُودَهُمْ وَيُمَلِّكَهُمُ الْأَمْوَالَ ، وَحَلَفَ لَهُمْ بِالْأَيْمَانِ أَنْ لَا يَغْدِرَ بِهِمْ ، وَلَا يَخْذُلَهُمْ ، وَلَا يَدَعُ شَيْئًا مِنَ الْإِحْسَانِ إِلَّا أَتَى بِهِ إِلَيْهِمْ ، فَأَتَاهُ مَوَالِيهِمْ ، وَبَذَلُوا لَهُ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ خَمْسَةَ دَنَانِيرَ لِيُسْلِمَ إِلَيْهِ عَبْدَهُ ، فَبَطَحَ أَصْحَابَهُمْ ، وَأَمَرَ كُلَّ مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْعَبِيدِ ، فَضَرَبُوا مَوَالِيَهُمْ ، أَوْ وَكِيلَهُمْ ، كُلَّ سَيِّدٍ خَمْسَمِائَةِ سَوْطٍ ، ثُمَّ أَطْلَقَهُمْ فَمَضَوْا نَحْوَ الْبَصْرَةِ. |
| ثُمَّ رَكِبَ فِي سُفُنٍ هُنَاكَ ، فَعَبَرَ دُجَيْلًا إِلَى نَهْرِ مَيْمُونٍ ، فَأَقَامَ هُنَاكَ ، وَلَمْ يَزَلْ هَذَا دَأْبُهُ يَتَجَمَّعُ إِلَيْهِ السُّودَانُ إِلَى يَوْمِ الْفِطْرِ ، فَخَطَبَهُمْ ، وَصَلَّى بِهِمْ ، وَذَكَّرَهُمْ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الشَّقَاءِ وَسُوءِ الْحَالِ ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَبْعَدَهُمْ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَرْفَعَ أَقْدَارَهُمْ ، وَيُمَلِّكَهُمُ الْعَبِيدَ وَالْأَمْوَالَ. |
| فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ يَوْمَيْنِ رَأَى أَصْحَابُهُ الْحُمَيْرِيَّ ، فَقَاتَلُوهُ حَتَّى أَخْرَجُوهُ مِنْ دِجْلَةَ ، وَاسْتَأْمَنَ إِلَى صَاحِبِ الزَّنْجِ رَجُلٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الزَّنْجِ يُكَنَّى بِأَبِي صَالِحٍ ، وَيُعْرَفُ بِالْقَصِيرِ ، فِي ثَلَاثِمِائَةٍ مِنَ الزَّنْجِ ، فَلَمَّا كَثُرُوا جَعَلَ الْقُوَّادَ فِيهِمْ مِنْهُمْ ، وَقَالَ لَهُمْ كُلُّ مَنْ أَتَى مِنْكُمْ بِرَجُلٍ فَهُوَ مَضْمُومٌ إِلَيْهِ. |
| وَكَانَ ابْنُ عَوْنٍ قَدْ نُقِلَ مِنْ وَاسِطَ إِلَى وِلَايَةِ الْأُبُلَّةِ وَكُوَرِ دِجْلَةَ ، وَسَارَ قَائِدُ الزَّنْجِ إِلَى الْمُحَمَّدِيَّةِ ، فَلَمَّا نَزَلَهَا وَافَاهُ أَصْحَابُ ابْنِ أَبِي عَوْنٍ ، فَصَاحَ الزَّنْجُ السِّلَاحَ ، وَقَامُوا ، وَكَانَ فِيهِمْ فَتْحٌ الْحَجَّامُ ، فَقَامَ وَأَخَذَ طَبَقًا كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنَ السُّورَجِيِّينَ يُقَالُ لَهُ بُلْبُلٌ ، فَلَمَّا رَآهُ فَتْحٌ حَمَلَ عَلَيْهِ ، وَحَذَفَهُ بِالطَّبَقِ الَّذِي بِيَدِهِ ، فَرَمَى سِلَاحَهُ وَوَلَّى هَارِبًا ، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ ، وَكَانُوا أَرْبَعَةَ آلَافٍ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً ، وَمَاتَ بَعْضُهُمْ عَطَشًا ، وَأَسَرَ مِنْهُمْ ، وَأَمَرَ بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ. |
| ثُمَّ سَارَ إِلَى الْقَادِسِيَّةِ ، فَنَهَبَهَا أَصْحَابُهُ بِأَمْرِهِ ، وَمَا زَالَ يَتَرَدَّدُ إِلَى أَنْهَارِ الْبَصْرَةِ ، فَوَجَدَ بَعْضُ السُّودَانِ دَارًا لِبَعْضِ بَنِي هَاشِمٍ ، فِيهَا سِلَاحٌ بِالسَّيْبِ ، فَانْتَهَبُوهُ ، فَصَارَ مَعَهُمْ مَا يُقَاتِلُونَ بِهِ ، فَأَتَاهُ ، وَهُوَ بِالسَّبَبِ ، جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يُقَاتِلُونَهُ ، فَوَجَّهَ يَحْيَى بْنَ مُحَمَّدٍ فِي خَمْسِمِائَةِ رَجُلٍ ، فَلَقَوُا الْبَصْرِيِّينَ ، فَانْهَزَمَ الْبَصْرِيُّونَ مِنْهُمْ ، وَأَخَذُوا سِلَاحَهُمْ ، ثُمَّ قَاتَلَ طَائِفَةً أُخْرَى عِنْدَ قَرْيَةٍ تُعْرَفُ بِقَرْيَةِ الْيَهُودِ ، فَهَزَمَهُمْ أَيْضًا ، وَأَثْبَتَ أَصْحَابَهُ فِي الصَّحْرَاءِ. |
| ثُمَّ أَسْرَى إِلَى الْجَعْفَرِيَّةِ ، فَوَضَعَ فِي أَهْلِهَا السَّيْفَ ، فَقَتَلَ أَكْثَرَهُمْ ، وَأَتَى مِنْهُمْ بِأَسْرَى فَأَطْلَقَهُمْ ، وَلَقِيَ جَيْشًا كَبِيرًا لِلْبَصْرِيِّينَ مَعَ رَئِيسٍ اسْمُهُ عُقَيْلٌ ، فَهَزَمَهُمْ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَكَانَ مَعَهُمْ سُفُنٌ ، فَهَبَّتْ عَلَيْهَا رِيحٌ فَأَلْقَتْهَا إِلَى الشَّطِّ ، فَنَزَلَ الزَّنْجُ وَقَتَلُوا مَنْ وَجَدُوا فِيهَا ، وَغَنِمُوا مَا فِيهَا ، وَكَانَ مَعَ الرَّئِيسِ سُفُنٌ فَرَكِبَهَا وَنَجَا ، فَأَنْفَذَ صَاحِبُ الزَّنْجِ فَأَخَذَهَا وَنَهَبَ مَا فِيهَا ، ثُمَّ نَهَبَ الْقَرْيَةَ الْمَعْرُوفَةَ بِالْمُهَلَّبِيَّةِ وَأَحْرَقَهَا ، وَأَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ وَعَاثَ. |
| ثُمَّ لَقِيَهُ قَائِدٌ مِنْ قُوَّادِ الْأَتْرَاكِ يُقَالُ لَهُ أَبُو هِلَالٍ فِي أَرْبَعَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ عَلَى نَهْرِ الرَّيَّانِ ، فَاقْتَتَلُوا ، وَحَمَلَ السُّودَانُ عَلَيْهِ حَمْلَةً صَادِقَةً ، فَقَتَلُوا صَاحِبَ عَلَمِهِ ، فَانْهَزَمَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، وَتَبِعَهُمُ السُّودَانُ ، فَقَتَلُوا مِنْ أَصْحَابِ أَبِي هِلَالٍ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةِ رَجُلٍ ، وَأَخَذُوا مِنْهُمْ أَسْرَى فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ. |
| ثُمَّ إِنَّهُ أَتَاهُ مَنْ أَخْبَرَهُ أَنَّ الزَّيْنَبِيَّ قَدْ أَعَدَّ لَهُ الْخُيُولَ ، وَالْمُتَطَوِّعَةَ ، وَالْبِلَالِيَّةَ ، وَالسَّعْدِيَّةَ ، وَهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَقَدْ أَعَدُّوا الْحِبَالَ لِيُكَتَّفَ مَنْ يَأْخُذُونَهُ مِنَ السُّودَانِ ، وَالْمُقَدَّمُ عَلَيْهِمْ أَبُو مَنْصُورٍ ، وَأَخَذَ مَوَالِيَ الْهَاشِمِيِّينَ ، فَأَرْسَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ فِي مِائَةِ أَسْوَدَ لِيَأْتِيَهُ بِخَبَرِهِمْ ، فَلَقِيَ طَائِفَةً مِنْهُمْ ، فَهَزَمَهُمْ ، وَصَارَ مَنْ مَعَهُمْ مِنَ الْعَبِيدِ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبَانٍ. |
| وَأَرْسَلَ طَائِفَةً أُخْرَى مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَأَتَوْا إِلَى مَوْضِعٍ فِيهِ أَلْفٌ وَتِسْعُمِائَةِ سَفِينَةٍ ، وَمَعَهَا مَنْ يَحُفُّهَا ، فَلَمَّا رَأَوُا الزَّنْجَ هَرَبُوا عَنْهَا ، فَأَخَذَ الزَّنْجُ السُّفُنَ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى صَاحِبِهِمْ ، فَلَمَّا أَتَوْهُ قَعَدَ عَلَى نَشَزٍ مِنَ الْأَرْضِ. |
| وَكَانَ فِي السُّفُنِ قَوْمٌ حُجَّاجٌ أَرَادُوا أَنْ يَسْلُكُوا طَرِيقَ الْبَصْرَةِ ، فَنَاظَرَهُمْ ، فَصَدَّقُوهُ عَلَى قَوْلِهِ ، وَقَالُوا لَهُ لَوْ كَانَ مَعَنَا فَضْلُ نَفَقَةٍ لَأَقَمْنَا مَعَكَ ، فَأَطْلَقَهُمْ ، وَأَرْسَلَ طَلِيعَةً تَأْتِيهِ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْعَسْكَرِ ، فَأَتَاهُ خَبَرُهُمْ أَنَّهُمْ قَدْ أَتَوْهُ فِي خَلْقٍ كَثِيرٍ ، فَأَمَرَ مُحَمَّدَ بْنَ سَالِمٍ ، وَعَلِيَّ بْنَ أَبَانٍ أَنْ يَقْعُدَا لَهُمْ بِالنَّخْلِ ، وَقَعَدَ هُوَ عَلَى جَبَلٍ مُشْرِفٍ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ طَلَعَتِ الْأَعْلَامُ وَالرِّجَالُ ، فَأَمَرَ الزَّنْجَ فَكَبَّرُوا ، وَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ ، وَحَمَلَتِ الْخُيُولُ ، فَتَرَاجَعَ الزَّنْجُ حَتَّى بَلَغُوا الْجَبَلَ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ حَمَلُوا ، فَثَبَتُوا لَهُمْ ، وَقُتِلَ مِنَ الزَّنْجِ فَتْحٌ الْحَجَّامُ ، وَصَدَقَ الزَّنْجُ الْحَمْلَةَ ، فَأَخَذُوهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، وَخَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ سَالِمٍ ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ ، وَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ ، وَانْهَزَمَ النَّاسُ ، وَذَهَبُوا كُلَّ مَذْهَبٍ ، وَتَبِعَهَمُ السُّودَانُ إِلَى نَهْرِ بَيَانٍ ، فَوَقَعُوا فِي الْوَحْلِ ، فَقَتَلَهُمُ السُّودَانُ ، وَغَرِقَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ. |
| وَأَتَى الْخَبَرُ إِلَى الزُّنُوجِ بِأَنَّ لَهُمْ كَمِينًا ، فَسَارُوا إِلَيْهِ ، فَإِذَا الْكَمِينُ فِي أَكْثَرِ مِنْ أَلْفٍ مِنَ الْمَغَارِبَةِ ، فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ حَمَلَ السُّودَانُ عَلَيْهِمْ ، فَقَتَلُوهُمْ أَجْمَعِينَ وَأَخَذُوا سِلَاحَهُمْ. |
| ثُمَّ وَجَّهَ أَصْحَابَهُ فَرَأَوْا مِائَتَيْ سَفِينَةٍ فِيهَا دَقِيقٌ فَأَخَذُوهُ ، وَمَتَاعًا فَنَهَبُوهُ ، وَنَهَبَ الْمُعَلَّى بْنُ أَيُّوبَ ثُمَّ سَارَ ، فَرَأَى مَسْلَحَةَ الزَّيْنَبِيَّ فَقَاتَلُوهُ ، فَقَاتَلَهُمْ ، فَقَتَلَهُمْ أَجْمَعِينَ ، فَكَانُوا مِائَتَيْنِ ، ثُمَّ سَارَ فَنَهَبَ قَرْيَةَ مَيْزَرَانَ ، وَرَأَى فِيهَا جَمْعًا مِنَ الزَّنْجِ فَفَرَّقَهُمْ عَلَى قُوَّادِهِ; ثُمَّ سَارَ ، فَلَقِيَهُ سِتُّمِائَةِ فَارِسٍ مَعَ سُلَيْمَانَ ابْنِ أَخِي الزَّيْنَبِيِّ ، وَلَمْ يُقَاتِلْهُ ، فَأَرْسَلَ مَنْ يَنْهَبُ ، فَأَتَوْهُ بِغَنَمٍ وَبَقَرٍ ، فَذَبَحُوا وَأَكَلُوا ، وَفَرَّقَ أَصْحَابَهُ فِي انْتِهَابِ مَا هُنَاكَ. |
| ثُمَّ إِنَّ صَاحِبَ الزَّنْجِ سَارَ يُرِيدُ الْبَصْرَةَ ، حَتَّى إِذَا قَابَلَ النَّهْرَ الْمَعْرُوفَ بِالرِّيَاحِيِّ أَتَاهُ قَوْمٌ مِنَ السُّودَانِ فَأَعْلَمُوهُ أَنَّهُمْ رَأَوْا فِي الرِّيَاحِيِّ بَارِقَةً ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى نَادَى السُّودَانُ السِّلَاحَ السِّلَاحَ ، وَأَمَرَ عَلِيَّ بْنَ أَبَانٍ بِالْعُبُورِ إِلَيْهِمْ ، فَعَبَرَ فِي ثَلَاثِمِائَةِ رَجُلٍ ، وَقَالَ لَهُ إِنِ احْتَجْتَ إِلَى مَدَدٍ فَاسْتَمِدَّنِي ، فَلَمَّا مَضَى عَلِيٌّ صَاحَ الزَّنْجُ السِّلَاحَ السِّلَاحَ ، لِحَرَكَةٍ رَأَوْهَا فِي جِهَةٍ أُخْرَى ، فَوَجَّهَ مُحَمَّدَ بْنَ سَالِمٍ ، فَرَأَى جَمْعًا ، فَقَاتَلَهُمْ مِنْ وَقْتِ الظُّهْرِ إِلَى آخِرِ وَقْتِ الْعَصْرِ ، ثُمَّ حَمَلَ الزُّنُوجُ حَمْلَةً صَادِقَةً ، فَهَزَمُوهُمْ ، وَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَالْأَعْرَابِ زُهَاءَ خَمْسِمِائَةٍ ، وَرَجَعُوا إِلَى صَاحِبِهِمْ. |
| ثُمَّ أَقْبَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ فِي أَصْحَابِهِ ، وَقَدْ هَزَمُوا مَنْ بِإِزَائِهِمْ ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ ، وَمَعَهُ رَأْسُ ابْنِ أَبِي اللَّيْثِ الْبِلَالِيِّ الْقَوَارِيرِيِّ مِنْ أَعْيَانِ الْبِلَالِيَّةِ ، ثُمَّ سَارَ مِنَ الْغَدِ عَنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ ، وَنَهَى أَصْحَابَهُ عَنْ دُخُولِ الْبَصْرَةِ ، فَتَسَرَّعَ بَعْضُهُمْ ، فَلَقِيَهُمْ أَهْلُ الْبَصْرَةِ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ ، وَانْتَهَى الْخَبَرُ إِلَيْهِ ، فَوَجَّهَ مُحَمَّدَ بْنَ سَالِمٍ ، وَعَلِيَّ بْنَ أَبَانٍ ، وَمُشْرِقًا ، وَخَلْقًا كَثِيرًا ، وَجَاءَ هُوَ يُسَايِرُهُمْ فَلَقُوا الْبَصْرِيِّينَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِهِ لِيَتَأَخَّرُوا عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي هُمْ فِيهِ ، فَتَرَاجَعُوا ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْبَصْرَةِ فَانْهَزَمُوا ، وَذَلِكَ عِنْدَ الْعَصْرِ ، وَوَقَعَ الزُّنُوجُ فِي نَهْرٍ كَبِيرٍ ، وَنَهْرِ شَيْطَانٍ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ ، وَغَرِقَ جَمَاعَةٌ ، وَتَفَرَّقَ الْبَاقُونَ ، وَتَخَلَّفَ صَاحِبُهُمْ عَنْهُمْ ، وَبَقِيَ فِي نَفَرٍ يَسِيرٍ ، فَنَجَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى. |
| ثُمَّ لَقِيَهُمْ وَهُمْ مُتَحَيِّرُونَ لِفَقْدِهِ ، وَسَأَلَ عَنْ أَصْحَابِهِ ، فَإِذَا لَيْسَ مَعَهُ إِلَّا خَمْسُمِائَةِ رَجُلٍ ، فَأَمَرَ بِالنَّفْخِ فِي الْبُوقِ الَّذِي يَجْتَمِعُونَ لِصَوْتِهِ ، فَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ ، وَكَانَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ قَدِ انْتَهَبُوا السُّفُنَ الَّذِي كَانَتْ لِلزُّنُوجِ ، وَبِهَا مَتَاعُهُمْ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ رَأَى أَصْحَابَهُ فِي أَلْفِ رَجُلٍ ، وَأَرْسَلَ مُحَمَّدَ بْنَ سَالِمٍ إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَعِظُهُمْ ، وَيُعْلِمُهُمْ مَا الَّذِي دَعَاهُ إِلَى الْخُرُوجِ ، فَقَتَلُوهُ. |
| فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ لِأَرْبَعٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ جَمَعَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ وَحَشَدُوا لَمَّا رَأَوْا مِنْ ظُهُورِهِمْ عَلَيْهِ ، وَانْتُدِبَ لِذَلِكَ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِحِمَارٍ السَّاجِيِّ ، وَكَانَ مِنْ غُزَاةِ الْبَحْرِ ، وَلَهُ عِلْمٌ فِي رُكُوبِ السُّفُنِ ، فَجَمَعَ الْمُتَطَوِّعَةَ ، وَرُمَاةَ الْأَهْدَافِ ، وَأَهْلَ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ، وَمَنْ خَفَّ مَعَهُ مِنَ الْبِلَالِيَّةِ وَالسَّعْدِيَّةِ ، وَمَنْ أَحَبَّ النَّظَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَشَحَنَ ثَلَاثَةَ مَرَاكِبَ ، وَشَذَوَاتٍ مُقَابَلَةً ، وَجَعَلُوا يَزْدَحِمُونَ ، وَمَضَى جُمْهُورُ النَّاسِ رَجَّالَةً ، مِنْهُمْ مَنْ مَعَهُ سِلَاحٌ ، وَمِنْهُ نَظَّارَةٌ ، فَدَخَلَتِ الْمَرَاكِبُ فِي الْمَدِّ ، وَالرَّجَّالَةُ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ. |
| فَلَمَّا عَلِمَ صَاحِبُ الزَّنْجِ بِذَلِكَ وَجَّهَ طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِهِ مَعَ زُرَيْقٍ الْأَصْبَهَانِيِّ ، فِي شَرْقِيِّ النَّهْرِ ، كَمِينًا ، وَطَائِفَةً مَعَ شِبْلٍ ، وَحُسَيْنٍ الْحَمَّامِيِّ ، فِي غَرْبِيِّهِ كَمِينًا ، وَأَمَرَ عَلِيَّ بْنَ أَبَانٍ أَنْ يَلْقَى أَهْلَ الْبَصْرَةِ ، وَأَنْ يَسْتَتِرَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ بِتِرَاسِهِمْ ، وَلَا يُقَاتِلَ حَتَّى تَظْهَرَ أَصْحَابُهُ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى الْكَمِينَيْنِ ، إِذْ جَاوَزَهُمْ أَهْلُ الْبَصْرَةِ أَنْ يَخْرُجُوا ، وَيَصِيحُوا بِالنَّاسِ ، وَبَقِيَ هُوَ فِي نَفَرٍ يَسِيرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَقَدْ هَالَهُ مَا رَأَى مِنْ كَثْرَةِ الْجَمْعِ ، فَسَارَ أَصْحَابُهُ إِلَيْهِمْ ، وَظَهَرَ الْكَمِينَانِ مِنْ جَانِبَيِ النَّهْرِ وَمِنْ وَرَاءِ السُّفُنِ ، وَالرَّجَّالَةِ ، فَضَرَبُوا مَنْ وَلَّى مِنَ الرَّجَّالَةِ وَالنَّظَّارَةِ ، فَغَرِقَتْ طَائِفَةٌ ، وَقُتِلَتْ طَائِفَةٌ ، وَهَرَبَ الْبَاقُونَ إِلَى الشَّطِّ ، فَأَدْرَكَهُمُ السَّيْفُ ، فَمَنْ ثَبَتَ قُتِلَ ، وَمَنْ أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ غَرِقَ ، فَهَلَكَ أَكْثَرُ ذَلِكَ الْجَمْعِ ، فَلَمْ يَنْجُ إِلَّا الشَّرِيدُ ، وَكَثُرَ الْمَفْقُودُونَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَعَلَا الْعَوِيلُ مِنْ نِسَائِهِمْ ، وَهَذَا يَوْمُ الْبَيْدَاءِ الَّذِي أَعْظَمَهُ النَّاسُ. |
| وَكَانَ فِيمَنْ قُتِلَ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَغَيْرِهِمْ فِي خَلْقٍ كَثِيرٍ لَا يُحْصَى ، وَجُمِعَتْ لِلْخَبِيثِ الرُّءُوسُ ، فَأَتَاهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَوْلِيَاءَ الْمَقْتُولِينَ ، فَأَعْطَاهُمْ مَا عَرَفُوا ، وَجَمَعَ الرُّءُوسَ الَّتِي لَمْ تُطْلَبْ ، وَجَعَلَهَا فِي خَزِينَةٍ ، فَأَطْلَقَهَا فَوَافَتِ الْبَصْرَةَ ، فَجَاءَ النَّاسُ وَأَخَذُوا كُلَّ مَا عَرَفُوهُ مِنْهَا ، وَقَوِيَ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ ، وَتَمَكَّنَ الرُّعْبُ فِي قُلُوبِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ مِنْهُ ، وَأَمْسَكُوا عَنْ حَرْبِهِ. |
| وَكَتَبَ النَّاسُ إِلَى الْخَلِيفَةِ بِخَبَرِ مَا كَانَ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ جُعْلَانُ التُّرْكِيُّ مَدَدًا ، وَأَمَرَ أَبَا الْأَحْوَصِ الْبَاهِلِيَّ بِالْمَسِيرِ إِلَى الْأُبُلَّةِ وَالِيًا ، وَأَمَدَّهُ بِقَائِدٍ مِنَ الْأَتْرَاكِ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ. |
| وَأَمَّا الْخَبِيثُ صَاحِبُ الزَّنْجِ فَإِنَّهُ انْصَرَفَ بِأَصْحَابِهِ إِلَى سَبْخَةٍ فِي آخِرِ النَّهَارِ ، وَهِيَ سَبْخَةُ أَبِي قُرَّةَ ، وَبَثَّ أَصْحَابَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا لِلْغَارَةِ وَالنَّهْبِ ، فَهَذَا مَا كَانَ مِنْهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَ عَسْكَرِ الْخَلِيفَةِ وَبَيْنَ مُسَاوِرٍ الشَّارِيِّ ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ الْخَلِيفَةِ. |
| وَفِيهَا مَاتَ الْمُعَلَّى بْنُ أَيُّوبَ. |
| وَفِيهَا وَلِيَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ بَغْدَاذَ وَالسَّوَادَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَكَانَ قُدُومُهُ مِنْ خُرَاسَانَ فِيهِ أَيْضًا ، فَسَارَ إِلَى الْمُعْتَزِّ ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَسَارَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ مَنْ عَذِيرِي مِنَ الْخَلَائِقِ ضَلُّوا... |
| فِي سُلَيْمَانَ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ عَوَّضُوهُ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ بِغَدَا... |
| ذَ كَأَنْ قَدْ أَتَى بِفَتْحٍ جَلِيلِ مَنْ يَخُوضُ الرَّدَى إِذَا كَانَ مَنْ فَ... |
| رَّ أَثَابُوهُ بِالْجَزَاءِ الْجَمِيلِ يَعْنِي هَزِيمَةَ سُلَيْمَانَ مِنَ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ الْعَلَوِيِّ. |
| وَفِيهَا أَخَذَ صَالِحُ بْنُ وَصِيفٍ أَحْمَدَ بْنَ إِسْرَائِيلَ ، وَالْحَسَنَ بْنَ مَخْلَدٍ ، وَأَبَا نُوحٍ عِيسَى بْنَ إِبْرَاهِيمَ ، فَقَيَّدَهُمْ ، وَطَالَبَهُمْ بِالْأَمْوَالِ. |
| وَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّ الْأَتْرَاكَ طَلَبُوا أَرْزَاقَهُمْ ، فَقَالَ صَالِحٌ لِلْمُعْتَزِّ هَؤُلَاءِ يَطْلُبُونَ أَرْزَاقَهُمْ ، وَلَيْسَ فِي بَيْتِ الْمَالِ شَيْءٌ ، وَقَدْ ذَهَبَ هَؤُلَاءِ الْكُتَّابُ بِالْأَمْوَالِ ، وَكَانَ أَحْمَدُ وَزِيرُ الْمُعْتَزِّ ، وَالْحُسَيْنُ وَزِيرُ أُمِّ الْمُعْتَزِّ ، وَقَالَ لَهُ أَحْمَدُ بْنُ إِسْرَائِيلَ يَا عَاصِي ابْنَ الْعَاصِي ، فَتَرَاجَعَا الْكَلَامَ ، فَسَقَطَ صَالِحٌ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، فَرَشَّ عَلَى وَجْهِهِ الْمَاءَ. |
| وَبَلَغَ ذَلِكَ أَصْحَابَهُ ، وَهُمْ بِالْبَابِ ، فَصَاحُوا صَيْحَةً وَاحِدَةً ، وَاخْتَرَطُوا سُيُوفَهُمْ ، وَدَخَلُوا عَلَى الْمُعْتَزِّ ، فَدَخَلَ وَتَرَكَهُمْ ، وَأَخَذَ صَالِحٌ أَحْمَدَ بْنَ إِسْرَائِيلَ ، وَابْنَ مَخْلَدٍ ، وَعِيسَى ، فَأَثْقَلَهُمْ بِالْحَدِيدِ ، وَحَمَلَهُمْ إِلَى دَارِهِ ، فَقَالَ الْمُعْتَزُّ لِصَالِحٍ ، قَبْلَ أَنْ يَحْمِلَهُمْ هَبْ لِي أَحْمَدَ ، فَإِنَّهُ كَاتِبِي ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، ثُمَّ ضَرَبَهُمْ ، وَأَخَذَ خُطُوطَهُمْ بِمَالٍ جَزِيلٍ قُسِّطَ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَحْصُلْ مِنْهُمْ شَيْءٌ ، وَقَامَ جَعْفَرُ بْنُ مَحْمُودٍ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ. |
| وَفِيهَا ، فِي رَجَبٍ ، ظَهَرَ عِيسَى بْنُ جَعْفَرٍ ، وَعَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ الْحَسَنِيَّانِ بِالْكُوفَةِ ، فَقَتَلَا بِهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ بْنِ عِيسَى. |
| وَفِيهَا ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ حُبِسَ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الشَّوَارِبِ الْقَاضِي ، وَوُلِّيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نَائِلٍ الْبَصْرِيُّ قَضَاءَ سَامَرَّا فِي ذِي الْحَجَّةِ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ. |
| وَفِيهَا ظَهَرَ بِمِصْرَ إِنْسَانٌ عَلَوِيٌّ ذُكِرَ أَنَّهُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ طَبَاطَبَا ، وَكَانَ ظُهُورُهُ بَيْنَ بُرْقَةَ ، وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، وَسَارَ إِلَى الصَّعِيدِ ، وَكَثُرَ أَتْبَاعُهُ ، وَادَّعَى الْخِلَافَةَ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ جَيْشًا ، فَقَاتَلُوهُ ، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ عَنْهُ ، وَثَبَتَ هُوَ فَقُتِلَ ، وَحُمِلَ رَأْسُهُ إِلَى مِصْرَ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ خَفَاجَةُ بْنُ سُفْيَانَ أَمِيرُ صِقِلِّيَةَ فِي رَجَبٍ ، وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ ، وَتَقَدَّمَ ذِكْرُ ذَلِكَ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَلَمَّا وَلِيَ مُحَمَّدٌ سَيَّرَ عَمَّهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سُفْيَانَ إِلَى سَرَقُوسَةَ ، فَأَهْلَكَ زَرْعَهَا وَعَادَ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو أَحْمَدَ عُمَرُ بْنُ شِمْرِ بْنِ حَمْدُوَيْهِ الْهَرَوِيُّ اللُّغَوِيُّ ، وَكَانَ إِمَامًا فِي الْأَشْعَارِ ، وَرَوَى عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ ، وَالرِّيَاشِيِّ ، وَغَيْرِهِمَا . |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ كَرَّامِ بْنِ عَرَّافِ بْنِ حِزَابَةَ بْنِ الْبَرَاءِ ، صَاحِبُ الْمَقَالَةِ الْمَشْهُورَةِ فِي التَّشْبِيهِ ، وَكَانَ مَوْتُهُ بِالشَّامِ ، وَهُوَ مِنْ سِجِسْتَانَ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُصْعَبِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَاضِي مَكَّةَ ، وَكَانَ سَقَطَ مِنْ سَطْحٍ ، فَمَكَثَ يَوْمَيْنِ وَمَاتَ ، وَكَانَ عُمْرُهُ أَرْبَعًا وَثَمَانِينَ سَنَةً. |
| وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ ، صَاحِبُ الْمُسْنَدِ ، تُوُفِّيَ فِي ذِي الْحَجَّةِ وَعُمْرُهُ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً. |
| وَأَبُو عُثْمَانَ عَمْرُو بْنُ بَحْرٍ الْجَاحِظُ ، وَهُوَ مِنْ مُتَكَلِّمِي الْمُعْتَزِلَةِ. |
| وَعَلِيُّ بْنُ الْمُثَنَّى بْنِ يَحْيَى بْنِ عِيسَى الْمَوْصِلِيُّ وَالِدُ أَبِي يَعْلَى صَاحِبِ الْمُسْنَدِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدٌ سَحْنُونٌ الْفَقِيهُ الْمَالِكِيُّ الْقَيْرَوَانِيُّ بِهَا . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ وُصُولِ مُوسَى بْنِ بُغَا إِلَى سَامَرَّا وَاخْتِفَاءِ صَالِحٍ وَفِيهَا فِي ثَانِي عَشَرَ الْمُحَرَّمِ دَخَلَ مُوسَى بْنُ بُغَا إِلَى سَامَرَّا وَقَدْ عَبَّأَ أَصْحَابَهُ ، وَاخْتَفَى صَالِحُ بْنُ وَصِيفٍ ، وَسَارَ مُوسَى إِلَى الْجَوْسَقِ ، وَالْمُهْتَدِي جَالِسٌ لِلْمَظَالِمِ ، فَأُعْلِمَ بِمَكَانِ مُوسَى ، فَأَمْسَكَ سَاعَةً عَنِ الْإِذْنِ لَهُ ، ثُمَّ أَذِنَ لَهُ وَلِمَنْ مَعَهُ ، فَدَخَلُوا ، فَتَنَاظَرُوا ، وَأَقَامُوا الْمُهْتَدِيَ مِنْ مَجْلِسِهِ ، وَحَمَلُوهُ عَلَى دَابَّةٍ مِنْ دَوَابِّ الشَّاكِرِيَّةِ ، وَانْتَهَبُوا مَا كَانَ فِي الْجَوْسَقِ ، وَأَدْخَلُوا الْمُهْتَدِيَ دَارَ يَاجُورَ. |
| وَكَانَ سَبَبُ أَخْذِهِ أَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ إِنَّمَا سَبَبُ هَذِهِ الْمُطَاوَلَةِ حِيلَةٌ عَلَيْكُمْ حَتَّى يَكْبِسَكُمْ صَالِحٌ بِجَيْشِهِ; فَخَافُوا مِنْ ذَلِكَ ، فَأَخَذُوهُ ، فَلَمَّا أَخَذُوهُ قَالَ لِمُوسَى بْنِ بُغَا اتَّقِ اللَّهَ ، وَيْحَكَ ، فَإِنَّكَ قَدْ رَكِبْتَ أَمْرًا عَظِيمًا; فَقَالَ لَهُ مُوسَى وَتُرْبَةِ الْمُتَوَكِّلِ مَا نُرِيدُ إِلَّا خَيْرًا; وَلَوْ أَرَادَ بِهِ خَيْرًا لَقَالَ وَتُرْبَةِ الْمُعْتَصِمِ وَالْوَاثِقِ ، ثُمَّ أَخَذُوا عَلَيْهِ الْعُهُودَ أَنْ لَا يُمَايِلَ صَالِحًا ، وَلَا يُضْمِرَ لَهُمْ إِلَّا مِثْلَ مَا يُظْهِرُ; ثُمَّ جَدَّدُوا لَهُ الْبَيْعَةَ ، ثُمَّ أَصْبَحُوا ، وَأَرْسَلُوا إِلَى صَالِحٍ لِيَحْضُرَ وَيُطَالِبُوهُ بِدِمَاءِ الْكُتَّابِ ، وَالْأَمْوَالِ الَّتِي لِلْمُعْتَزِّ وَأَسْلَابِهِ ، فَوَعَدَهُمْ; فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ رَأَى أَنَّ أَصْحَابَهُ قَدْ تَفَرَّقُوا وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا بَعْضُهُمْ ، فَهَرَبَ وَاخْتَفَى. |
| ذِكْرُ قَتْلِ صَالِحِ بْنِ وَصِيفٍ وَفِيهَا قُتِلَ صَالِحُ بْنُ وَصِيفٍ لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ صَفَرٍ ، وَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّ الْمُهْتَدِيَ لَمَّا كَانَ لِثَلَاثٍ بَقِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ أَظْهَرَ كِتَابًا زَعَمَ أَنَّ امْرَأَةً دَفَعَتْهُ إِلَى سِيمَا الشَّرَابِيِّ ، وَقَالَتْ إِنَّ فِيهِ نَصِيحَةً ، وَإِنَّ مَنْزِلَهَا بِمَكَانِ كَذَا ، فَإِنْ طَلَبُونِي فَأَنَا فِيهِ. |
| وَطُلِبَتِ الْمَرْأَةُ فَلَمْ تُوجَدْ. |
| وَقِيلَ إِنَّهُ لَمْ يَدْرِ مَنْ أَلْقَى الْكِتَابَ. |
| وَدَعَا الْمُهْتَدِي الْقُوَّادَ ، وَسُلَيْمَانَ بْنَ وَهْبٍ ، فَأَرَاهُمُ الْكِتَابَ ، فَزَعَمَ سُلَيْمَانُ أَنَّهُ خَطُّ صَالِحٍ ، فَقَرَأَهُ عَلَى الْقُوَّادِ ، فَإِذَا فِيهِ أَنَّهُ مُسْتَخْفٍ بِسَامَرَّا ، وَإِنَّمَا اسْتَتَرَّ طَلَبًا لِلسَّلَامَةِ وَإِبْقَاءِ الْمُوَالِي ، وَطَلَبًا لِانْقِطَاعِ الْفِتَنِ ، وَذَكَرَ مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِ الْكُتَّابِ ، وَأُمِّ الْمُعْتَزِّ ، وَجِهَةَ خُرُوجِهَا ، وَيَدُلُّ فِيهِ عَلَى قُوَّةِ نَفْسِهِ ، فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ قِرَاءَتِهِ وَصَلَهُ الْمُهْتَدِي بِالْحَثِّ عَلَى الصُّلْحِ ، وَالِاتِّفَاقِ ، وَالنَّهْيِ عَنِ التَّبَاغُضِ وَالتَّبَايُنِ ، فَاتَّهَمَهُ الْأَتْرَاكُ بِأَنَّهُ يَعْرِفُ مَكَانَ صَالِحٍ وَيَمِيلُ إِلَيْهِ ، وَطَالَ الْكَلَامُ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ. |
| فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ اجْتَمِعُوا بِدَارِ مُوسَى بْنِ بُغَا دَاخِلَ الْجَوْسَقِ ، وَاتَّفَقُوا عَلَى خَلْعِ الْمُهْتَدِي ، فَقَالَ لَهُمْ بَايِكْبَاكُ إِنَّكُمْ قَتَلْتُمُ ابْنَ الْمُتَوَكِّلِ ، وَهُوَ حَسَنُ الْوَجْهِ ، سَخِيُّ الْكَفِّ ، فَاضِلُ النَّفْسِ ، وَتُرِيدُونَ قَتْلَ هَذَا ، وَهُوَ مُسْلِمٌ يَصُومُ وَلَا يَشْرَبُ النَّبِيذَ ، مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ! |
| وَاللَّهِ لَئِنْ قَتَلْتُمْ هَذَا لَأَلْحَقَنَّ بِخُرَاسَانَ لِأُشِيعَ أَمْرَكُمْ هُنَاكَ . |
| فَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِالْمُهْتَدِي ، فَتَحَوَّلَ مِنْ مَجْلِسِهِ مُتَقَلِّدًا سَيْفًا ، وَقَدْ لَبِسَ ثِيَابًا نِظَافًا وَتَطَيَّبَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِإِدْخَالِهِمْ عَلَيْهِ ، فَدَخَلُوا فَقَالَ لَهُمْ بَلَغَنِي مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، وَلَسْتُ كَمَنْ تَقَدَّمَنِي مِثْلَ الْمُسْتَعِينِ ، وَالْمُعْتَزِّ ، وَاللَّهِ مَا خَرَجْتُ إِلَيْكُمْ إِلَّا وَأَنَا مُتَحَنِّطٌ ، وَقَدْ أَوْصَيْتُ إِلَى أَخِي بِوَلَدِي ، وَهَذَا سَيْفِي وَاللَّهِ لَأَضْرِبَنَّ بِهِ مَا اسْتَمْسَكَ قَائِمُهُ بِيَدِي ، وَاللَّهِ لَئِنْ سَقَطَ مِنِّي شَعْرَةٌ لِيَهْلِكَنَّ وَلَيَذْهَبَنَّ أَكْثَرُكُمْ. |
| كَمْ هَذَا الْخِلَافُ عَلَى الْخُلَفَاءِ ، وَالْإِقْدَامُ ، وَالْجُرْأَةُ عَلَى اللَّهِ! |
| سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ مَنْ قَصَدَ الْإِبْقَاءَ عَلَيْكُمْ ، وَمَنْ كَانَ إِذَا بَلَغَهُ هَذَا مِنْكُمْ دَعَا بِالنَّبِيذِ فَشَرِبَهُ مَسْرُورًا بِمَكْرُوهِكُمْ ، حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّهُ وَصَلَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ ، أَمَا إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّ بَعْضَ الْمُتَّصِلِينَ بِكُمْ أَيْسَرُ مِنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِي وَوَلَدِي سَوْأَةٌ لَكُمْ ، يَقُولُونَ إِنِّي أَعْلَمُ بِمَكَانِ صَالِحٍ ، وَهَلْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمَوَالِي ؟ |
| فَكَيْفَ الْإِقَامَةُ مَعَهُ إِذَا سَاءَ رَأْيُكُمْ فِيهِ ؟ |
| وَإِذَا أَبْرَمْتُمُ الصُّلْحَ فِيهِ كَانَ ذَلِكَ مَا أُنْفِذُهُ لِجَمِيعِكُمْ ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَشَأْنَكُمْ ، وَاطْلُبُوا صَالِحًا ، وَأَمَّا أَنَا فَمَا أَعْلَمُ مَكَانَهُ . |
| قَالُوا فَاحْلِفْ لَنَا عَلَى ذَلِكَ! |
| قَالَ أَمَّا الْيَمِينُ فَنَعَمْ ، وَلَكِنَّهَا تَكُونُ بِحَضْرَةِ بَنِي هَاشِمٍ ، وَالْقُضَاةِ غَدًا إِذَا صَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ; ثُمَّ قَالَ لِبَايِكْبَاكَ وَلِمُحَمَّدِ بْنِ بُغَا قَدْ حَضَرْتُمَا مَا عَمِلَهُ صَالِحٌ فِي أَمْوَالِ الْكُتَّابِ ، وَأُمِّ الْمُعْتَزِّ ، فَإِنْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا فَقَدْ أَخَذْتُمَا مِثْلَهُ ، فَأَحْفَظَهُمَا ذَلِكَ ، ثُمَّ أَرَادُوا خَلْعَهُ ، وَإِنَّمَا مَنَعَهُمْ خَوْفُ الِاضْطِرَابِ وَقِلَّةُ الْأَمْوَالِ ، فَأَتَاهُمْ مَالٌ مِنْ فَارِسٍ عَشَرَةُ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَخَمْسُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَلَمَّا كَانَ سَلْخُ الْمُحَرَّمِ انْتَشَرَ الْخَبَرُ فِي الْعَامَّةِ أَنَّ الْقَوْمَ قَدِ اتَّفَقُوا عَلَى خَلْعِ الْمُهْتَدِي وَالْفَتْكِ بِهِ ، وَأَنَّهُمْ قَدْ أَرْهَقُوهُ ، وَكَتَبُوا الرِّقَاعَ وَرَمَوْهَا فِي الطُّرُقِ وَالْمَسَاجِدِ ، مَكْتُوبٌ فِيهَا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ادْعُوا اللَّهَ لِخَلِيفَتِكُمُ الْعَدْلِ ، الرِّضَا ، الْمُضَاهِي لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَأَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ عَلَى عَدُوِّهِ ، وَيَكْفِيَهُ مَئُونَةَ ظَالِمِهِ ، وَتَتِمَّ النِّعْمَةُ عَلَيْهِ ، وَعَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِبَقَائِهِ ، فَإِنَّ الْأَتْرَاكَ قَدْ أَخَذُوهُ بِأَنْ يَخْلَعَ نَفْسَهُ ، وَهُوَ يُعَذَّبُ مُنْذُ أَيَّامٍ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ. |
| فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَرْبِعَاءِ لِأَرْبَعٍ خَلَوْنَ مِنْ صَفَرٍ تَحَرَّكَ الْمَوَالِي بِالْكَرْخِ وَالدُّورِ ، وَبَعَثُوا إِلَى الْمُهْتَدِي ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِمْ بَعْضَ إِخْوَتِهِ لِيُحَمِّلُوهُ رِسَالَةً ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ أَخَاهُ أَبَا الْقَاسِمِ عَبْدَ اللَّهِ ، فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّهُمْ سَامِعُونَ مُطِيعُونَ ، وَأَنَّهُمْ بَلَغَهُمْ أَنَّ مُوسَى ، وَجَمَاعَةً مَعَهُ يُرِيدُونَهُ عَلَى الْخَلْعِ ، وَأَنَّهُمْ يَبْذُلُونَ دِمَاءَهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَمَا هُمْ دُونَ ذَلِكَ ، وَشَكَوْا تَأَخُّرَ أَرْزَاقِهِمْ ، وَمَا صَارَ مِنَ الْأَقْطَاعِ ، وَالزِّيَادَاتِ ، وَالرُّسُومِ إِلَى قُوَّادِهِمُ الَّتِي قَدْ أَجْحَفَتْ بِالْخَرَاجِ وَالضِّيَاعِ ، مَا قَدْ أَخَذُوا النِّسَاءَ وَالدُّخَلَاءَ ، فَكَتَبُوا بِذَلِكَ كِتَابًا ، فَحَمَلَهُ إِلَى الْمُهْتَدِي وَكَتَبَ جَوَابَهُ بِخَطِّهِ قَدْ فَهِمْتُ كِتَابَكُمْ ، وَسَرَّنِي مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ طَاعَتِكُمْ ، فَأَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاءَكُمْ ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ خَلَّتِكُمْ وَحَاجَتِكُمْ فَعَزِيزٌ عَلَيَّ ذَلِكَ ، وَلَوَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنَّ صَلَاحَكُمْ يُهَيَّأُ بِأَنْ لَا آكُلَ وَلَا أَشْرَبَ وَلَا أُطْعِمَ وَلَدِي إِلَّا الْقُوتَ ، وَلَا أَكْسُوَهُ إِلَّا سَتْرَ الْعَوْرَةِ ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا صَارَ إِلَيَّ مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمْ مِنَ الْإِقْطَاعَاتِ وَغَيْرِهَا فَأَنَا أَنْظُرُ فِي ذَلِكَ وَأُصَرِّفُهُ إِلَى مَحَبَّتِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. |
| فَقَرَءُوا الْكِتَابَ وَكَتَبُوا ، بَعْدَ الدُّعَاءِ ، يَسْأَلُونَ أَنْ يَرُدَّ الْأُمُورَ فِي الْخَاصِّ وَالْعَامِّ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا يَعْتَرِضُ عَلَيْهِ مُعْتَرِضٌ ، وَأَنْ يَرُدَّ رُسُومَهُمْ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ أَيَّامَ الْمُسْتَعِينِ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ عَلَى كُلِّ تِسْعَةٍ عَرِيفٌ ، وَعَلَى كُلِّ خَمْسِينَ خَلِيفَةٌ ، وَعَلَى كُلِّ مِائَةٍ قَائِدٌ ، وَأَنْ يُسْقِطَ النِّسَاءَ وَالزِّيَادَاتِ ، وَلَا يَدْخُلَ مَوْلًى فِي مَالِهِ وَلَا غَيْرُهُ ، وَأَنْ يُوضَعَ لَهُمُ الْعَطَاءُ كُلَّ شَهْرَيْنِ ، وَأَنْ تُبْطَلَ الْإِقْطَاعَاتُ ، وَذَكَرُوا أَنَّهُمْ سَائِرُونَ إِلَى بَابِهِ لِيَقْضِيَ حَوَائِجَهُمْ ، وَإِنْ بَلَغَهُمْ أَنَّ أَحَدًا اعْتَرَضَ عَلَيْهِ أَخَذُوا رَأْسَهُ ، وَإِنْ سَقَطَ مِنْ رَأْسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ شَعْرَةٌ قَتَلُوا بِهَا مُوسَى بْنَ بُغَا وَبَايِكْبَاكَ وَيَاجُورَ وَغَيْرَهُمْ. |
| وَأَرْسَلُوا الْكِتَابَ مَعَ أَبِي الْقَاسِمِ ، وَتَحَوَّلُوا إِلَى سَامَرَّا ، فَاضْطَرَبَ الْقُوَّادُ جِدًّا; وَقَدْ كَانَ الْمُهْتَدِي قَعَدَ لِلْمَظَالِمِ ، وَعِنْدَهُ الْفُقَهَاءُ ، وَالْقُضَاةُ ، وَقَامَ الْقُوَّادُ فِي مَرَاتِبِهِمْ ، فَدَخَلَ أَبُو الْقَاسِمِ إِلَيْهِ بِالْكِتَابِ ، فَقَرَأَهُ لِلْقُوَّادِ قِرَاءَةً ظَاهِرَةً ، وَفِيهِمْ مُوسَى ، وَكَتَبَ جَوَابَهُ بِخَطِّهِ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى مَا سَأَلُوا ، وَدَفَعَهُ إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ ، فَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ لِمُوسَى بْنِ بُغَا ، وَبَايِكْبَاكَ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ بُغَا وَجِّهُوا مَعِي رُسُلًا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِمْ عَنْكُمْ; فَوَجَّهُوا مَعَهُ رُسُلًا ، فَوَصَلُوا إِلَى الْأَتْرَاكِ ، وَهُمْ زُهَاءُ أَلْفِ فَارِسٍ ، وَثَلَاثَةُ آلَافِ رَاجِلٍ ، وَذَلِكَ لِخَمْسٍ خَلَوْنَ مِنْ صَفَرٍ ، فَأَوْصَلَ الْكِتَابَ ، وَقَالَ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَجَابَكُمْ إِلَى مَا سَأَلْتُمْ ، وَقَالَ لَهُمْ هَؤُلَاءِ رُسُلُ الْقُوَّادِ إِلَيْكُمْ ، يَعْتَذِرُونَ مِنْ شَيْءٍ إِنْ كَانَ بَلَغَكُمْ عَنْهُمْ ، وَهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَةٌ ، وَأَنْتُمْ مِنَّا وَإِلَيْنَا ، وَاعْتَذَرَ عَنْهُمْ. |
| فَكَتَبُوا إِلَى الْمُهْتَدِي يَطْلُبُونَ خَمْسَةَ تَوْقِيعَاتٍ ، تَوْقِيعًا بِخَطِّ الزِّيَادَاتِ ، وَتَوْقِيعًا بِرَدِّ الْإِقْطَاعَاتِ ، وَتَوْقِيعًا بِإِخْرَاجِ الْمَوَالِي الْبَرَّانِيِّينَ مِنَ الْخَاصَّةِ إِلَى الْبَرَّانِيِّينَ ، وَتَوْقِيعًا بِرَدِّ الرُّسُومِ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ أَيَّامَ الْمُسْتَعِينِ ، وَتَوْقِيعًا بِرَدِّ الْبَلَاجِيِّ ، ثُمَّ يَجْعَلُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْجَيْشَ إِلَى أَحَدِ إِخْوَتِهِ ، أَوْ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ يَرَى لِيَرْفَعَ إِلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ ، وَلَا يَكُونُ رَجُلًا مِنَ الْمَوَالِي ، وَأَنْ يُحَاسِبَ صَالِحَ بْنَ وَصِيفٍ ، وَمُوسَى بْنَ بُغَا عَمَّا عِنْدَهُمَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَيَجْعَلَ لَهُمُ الْعَطَاءَ كُلَّ شَهْرَيْنِ ، لَا يُرْضِيهِمْ إِلَّا ذَلِكَ ، وَدَفَعُوا الْكِتَابَ إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ ، وَكَتَبُوا كِتَابًا آخَرَ إِلَى الْقُوَّادِ مُوسَى وَغَيْرِهِ ذَكَرُوا فِيهِ أَنَّهُمْ كَتَبُوا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا كَتَبُوا ، وَأَنَّهُ لَا يَمْنَعُهُمْ شَيْئًا مِمَّا طَلَبُوا إِلَّا أَنْ يَعْتَرِضُوا عَلَيْهِ ، وَأَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَمْ يُوَافِقُوهُمْ ، وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ شَاكَهُ شَوْكَةٌ ، وَأُخِذَ مِنْ رَأْسِهِ شَعْرَةٌ ، أَخَذُوا رُءُوسَهُمْ جَمِيعًا ، وَلَا يُقْنِعُهُمْ إِلَّا أَنْ يَظْهَرَ صَالِحٌ ، وَيَجْتَمِعَ هُوَ وَمُوسَى بْنُ بُغَا حَتَّى يَنْظُرَ أَيْنَ الْأَمْوَالُ. |
| فَلَمَّا قَرَأَ الْمُهْتَدِي الْكِتَابَ أَمَرَ بِإِنْشَاءِ التَوْقِيعًاتِ الْخَمْسَةِ عَلَى مَا سَأَلُوا ، وَسَيَّرَهَا إِلَيْهِمْ مَعَ أَبِي الْقَاسِمِ وَقْتَ الْمَغْرِبِ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِمْ بِإِجَابَتِهِمْ إِلَى مَا طَلَبُوا ، وَكَتَبَ إِلَيْهِمْ مُوسَى بْنُ بُغَا كَذَلِكَ ، وَأَذِنَ فِي ظُهُورِ صَالَحٍ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ أَخُوهُ وَابْنُ عَمِّهِ ، وَأَنَّهُ مَا أَرَادَ مَا يَكْرَهُونَ ، فَلَمَّا قَرَءُوا الْكِتَابَيْنِ قَالُوا قَدْ أَمْسَيْنَا ، وَغَدًا نُعَرِّفُكُمْ رَأْيَنَا ، فَافْتَرَقُوا. |
| فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ رَكِبَ مُوسَى مِنْ دَارِ الْخَلِيفَةِ ، وَمَعَهُ مِنْ عَسْكَرِهِ أَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةِ رَجُلٍ ، فَوَقَفَ عَلَى طَرِيقِهِمْ ، وَأَتَاهُمْ أَبُو الْقَاسِمِ ، فَلَمْ يَعْقِلْ مِنْهُمْ جَوَابًا إِلَّا كُلُّ طَائِفَةٍ يَقُولُونَ شَيْئًا ، فَلَمَّا طَالَ الْكَلَامُ انْصَرَفَ أَبُو الْقَاسِمِ ، فَاجْتَازَ بِمُوسَى بْنِ بُغَا وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ ، فَانْصَرَفَ مَعَهُ. |
| ثُمَّ أَمَرَ الْمُهْتَدِي مُحَمَّدَ بْنَ بُغَا أَنْ يَسِيرَ إِلَيْهِمْ مَعَ أَخِيهِ أَبِي الْقَاسِمِ ، فَسَارَ فِي خَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ ، وَرَجَعَ مُوسَى إِلَى مَكَانِهِ بُكْرَةً ، وَتَقَدَّمَ أَبُو الْقَاسِمِ وَمُحَمَّدُ بْنُ بُغَا فَوَاعَدَاهُمْ عَنِ الْمُهْتَدِي ، وَأَعْطَيَاهُمْ تَوْقِيعًا فِيهِ أَمَانُ صَالِحِ بْنِ وَصِيفٍ ، مُوَكَّدًا غَايَةَ التَّوْكِيدِ ، فَطَلَبُوا أَنْ يَكُونَ مُوسَى فِي مَرْتَبَةِ بُغَا الْكَبِيرِ ، وَصَالِحٌ فِي مَرْتَبَةِ أَبِيهِ ، وَيَكُونَ الْجَيْشُ فِي يَدِ مَنْ هُوَ فِي يَدِهِ ، وَأَنْ يَظْهَرَ صَالِحُ بْنُ وَصِيفٍ ، وَيُوضَعَ لَهُمُ الْعَطَاءُ ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا ، فَقَالَ قَوْمٌ قَدْ رَضِيَنَا; وَقَالَ قَوْمٌ لَمْ نَرْضَ; فَانْصَرَفَ أَبُو الْقَاسِمِ وَمُحَمَّدُ بْنُ بُغَا عَلَى ذَلِكَ ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ إِلَى الْكَرْخِ ، وَالدُّورِ وَسَامَرَّا. |
| فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ رَكِبَ بَنُو وَصِيفٍ فِي جَمَاعَةٍ مَعَهُمْ ، وَتَنَادَوْا السِّلَاحَ ، وَنَهَبُوا دَوَابَّ الْعَامَّةِ ، وَعَسْكَرُوا بِسَامَرَّا ، وَتَعَلَّقُوا بِأَبِي الْقَاسِمِ ، وَقَالُوا نُرِيدُ صَالِحًا! |
| وَبَلَغَ ذَلِكَ الْمُهْتَدِيَ ، فَقَالَ لِمُوسَى يَطْلُبُونَ صَالِحًا مِنِّي كَأَنِّي أَنَا أَخْفَيْتُهُ ، إِنْ كَانَ عِنْدَهُمْ فَيَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يُظْهِرُوهُ. |
| ثُمَّ رَكِبَ مُوسَى ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْقُوَّادِ ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، فَبَلَغَ عَسْكَرُهُ أَرْبَعَةَ آلَافِ فَارِسٍ ، وَعَسْكَرُوا ، وَتَفَرَّقَ الْأَتْرَاكُ وَمَنْ مَعَهُمْ ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْكَرْخِيِّينَ وَلَا لِلدُّورِيِّينَ فِي هَذَا الْيَوْمِ حَرَكَةٌ ، وَجَدَّ مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ فِي طَلَبِ ابْنِ وَصِيفٍ ، وَاتَّهَمُوا جَمَاعَةً بِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ ، ثُمَّ إِنَّ غُلَامًا دَخَلَ دَارًا وَطَلَبَ مَاءً لِيَشْرَبَهُ ، فَسَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ تَنَحَّ ، فَإِنَّ غُلَامًا يَطْلُبُ مَاءً ، فَسَمِعَ الْغُلَامُ الْكَلَامَ ، فَجَاءَ إِلَى عَيَّارٍ فَأَخْبَرَهُ ، فَأَخَذَ مَعَهُ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ ، وَجَاءَ إِلَى صَالِحٍ ، وَبِيَدِهِ مِرْآةٌ وَمُشْطٌ ، وَهُوَ يُسَرِّحُ لِحْيَتَهُ ، فَأَخَذَهُ ، فَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَا يُمْكِنُنِي تَرْكُكَ وَلَكِنِّي أَمُرُّ بِكَ عَلَى دِيَارِ أَهْلِكَ وَقُوَّادِكَ ، وَأَصْحَابِكَ ، فَإِنِ اعْتَرَضَكَ مِنْهُمُ اثْنَانِ أَطْلَقْتُكَ. |
| فَأُخْرِجَ حَافِيًا لَيْسَ عَلَى رَأْسِهِ شَيْءٌ ، وَالْعَامَّةُ تَعْدُو خَلْفَهُ ، وَهُوَ عَلَى بِرْذَوْنٍ بِأُكَافٍ ، فَأَتَوْا بِهِ نَحْوَ الْجَوْسَقِ ، فَضَرَبَهُ بَعْضُ أَصْحَابِ مُوسَى عَلَى عَاتِقِهِ ، ثُمَّ قَتَلُوهُ ، وَأَخَذُوا رَأْسَهُ ، وَتَرَكُوا جُثَّتَهُ ، وَوَافَوْا بِهِ دَارَ الْمُهْتَدِي قَبْلَ الْمَغْرِبِ ، فَقَالُوا لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ وَارُوهُ ، ثُمَّ حُمِلَ رَأْسُهُ وَطِيفَ بِهِ عَلَى قَنَاةٍ ، وَنُودِيَ عَلَيْهِ هَذَا جَزَاءُ مَنْ قَتَلَ مَوْلَاهُ. |
| وَلَمَّا قُتِلَ أَنْزَلَ مُوسَى رَأْسَ بُغَا الصَّغِيرَ ، وَسُلِّمَ إِلَى أَهْلِهِ لِيَدْفِنُوهُ ، وَلَمَّا قُتِلَ صَالِحٌ قَالَ السَّلُولِيُّ لِمُوسَى بْنِ بُغَا أَخَذْتَ وَتَرَكَ مِنْ فِرْعَوْنَ حِينَ طَغَى... |
| وَجِئْتَ إِذْ جِئْتَ يَا مُوسَى عَلَى قَدَرِ ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ بَاغٍ أَخُو حَسَدٍ يَرْمِيكَ بِالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ عَنْ وَتَرِ... |
| وَصِيفٌ فِي الْكَرْخِ مَمْثُولٌ بِهِ وَبُغَا بِالْجِسْرِ مُحْتَرِقٌ بِالنَّارِ وَالشَّرَرِ... |
| وَصَالِحُ بْنُ وَصِيفٍ بَعْدَ مُنْعَفِرٍ بِالْحِيرِ جُثَّتُهُ وَالرُّوحُ فِي سَقَرِ ذِكْرُ اخْتِلَافِ الْخَوَارِجِ عَلَى مُسَاوِرٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَالَفَ إِنْسَانٌ مِنَ الْخَوَارِجِ اسْمُهُ عُبَيْدَةُ مِنْ بَنِي زُهَيْرٍ الْعَمْرَوِيُّ عَلَى مُسَاوِرٍ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ خَالَفَهُ فِي تَوْبَةِ الْمُخْطِئِ ، فَقَالَ مَسَاوِرٌ نَقْبَلُ تَوْبَتَهُ; وَقَالَ عُبَيْدَةُ لَا نَقْبَلُ ، فَجَمَعَ عُبَيْدَةُ جَمْعًا كَثِيرًا وَسَارَ إِلَى مُسَاوِرٍ ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ مَسَاوِرٌ مِنَ الْحَدِيثَةِ ، فَالْتَقَوْا بِنَوَاحِي جُهَيْنَةَ ، بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَوْصِلِ ، فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ ، فَتَرَجَّلَ مِنْ عِنْدِهِ ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، عَرْقَبُوا دَوَابَّهُمْ ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ ، وَانْهَزَمَ جَمْعُهُ ، فَقُتِلَ أَكْثَرُهُمْ ، وَاسْتَوْلَى مُسَاوِرٌ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْعِرَاقِ ، وَمَنَعَ الْأَمْوَالَ عَنِ الْخَلِيفَةِ ، فَضَاقَتْ عَلَى الْجُنْدِ أَرْزَاقُهُمْ ، فَاضْطَرَّهُمْ ذَلِكَ إِلَى أَنْ سَارَ إِلَيْهِ مُوسَى بْنُ بُغَا ، وَبَايِكْبَاكُ ، وَغَيْرُهُمَا فِي عَسْكَرٍ عَظِيمٍ ، فَوَصَلُوا إِلَى السِّنِّ ، فَأَقَامُوا بِهِ ، ثُمَّ عَادُوا إِلَى سَامَرَّا ، لِمَا نَذْكُرُهُ مِنْ خَلْعِ الْمُهْتَدِي. |
| فَلَمَّا وَلِيَ الْمُعْتَمِدُ الْخِلَافَةَ سَيَّرَ مُفْلِحًا إِلَى مُسَاوِرٍ فِي عَسْكَرٍ كَبِيرٍ ، حَسَنِ الْعُدَّةِ ، فَلَمَّا قَارَبَ الْحَدِيثَةَ فَارَقَهُمْ مُسَاوِرٌ ، وَقَصَدَ جَبَلَيْنِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا زَيْنِي ، وَلِلْآخَرِ عَامِرٌ ، وَهُمَا بِالْقُرْبِ مِنَ الْحَدِيثَةِ ، فَتَبِعَهُ مُفْلِحٌ ، فَعَطَفَ عَلَيْهِ مُسَاوِرٌ وَهُوَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافِ فَارِسٍ ، فَاقْتَتَلَ هُوَ وَمُفْلِحٌ. |
| وَكَانَ مُسَاوِرٌ قَدِ انْصَرَفَ عَنْ حَرْبِ عُبَيْدَةَ وَقَدْ جَمَعَ كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَقُوا مُفْلِحًا بِجَبَلِ زَيْنِي ، فَلَمْ يَصِلْ مُفْلِحٌ مِنْهُ إِلَى مَا يُرِيدُهُ ، فَصَعِدَ رَأْسَ الْجَبَلِ فَاحْتَمَى بِهِ ، وَنَزَلَ مُفْلِحٌ فِي أَصْلِ الْجَبَلِ ، وَجَرَى بَيْنَهُمَا وَقَعَاتٌ كَثِيرَةٌ ، ثُمَّ أَصْبَحُوا يَوْمًا ، وَطَلَبُوا مُسَاوِرًا ، فَلَمْ يَجِدُوهُ ، وَكَانَ قَدْ نَزَلَ لَيْلًا مِنْ غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي فِيهِ مُفْلِحٌ ، لَمَّا أَيِسَ مِنَ الظَّفَرِ لِضَعْفِ أَصْحَابِهِ مِنَ الْجِرَاحِ ، فَحَيْثُ لَمْ يَرَهُ مُفْلِحٌ سَارَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَسَارَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَسَارَ مِنْهَا إِلَى دِيَارِ رَبِيعَةِ سِنْجَارٍ ، وَنَصِيبِينَ ، وَالْخَابُورِ ، فَنَظَرَ فِي أَمْرِهَا ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَأَحْسَنَ السِّيرَةَ فِي أَهْلِهَا ، وَرَجَعَ عَنْهَا فِي رَجَبٍ مُتَأَهِّبًا لِلِقَاءِ مُسَاوِرٍ. |
| فَلَمَّا قَارَبَ الْحَدِيثَةَ فَارَقَهَا مُسَاوِرٌ ، وَكَانَ قَدْ عَادَ إِلَيْهَا عِنْدَ غَيْبَةِ مُفْلِحٍ ، فَتَبِعَهُ مُفْلِحٌ ، فَكَانَ مُسَاوِرٌ يَرْحَلُ عَنِ الْمَنْزِلِ ، فَيَنْزِلُهُ مُفْلِحٌ ، فَلَمَّا طَالَ الْأَمْرُ عَلَى مُفْلِحٍ ، وَتَوَغَّلَ فِي الْجِبَالِ وَالشِّعَابِ ، وَالْمَضَايِقِ وَرَاءَ مُسَاوِرٍ ، وَلَحِقَ الْجَيْشُ الَّذِي مَعَهُ مَشَقَّةٌ ، وَنَصَبٌ ، عَادَ عَنْهُ ، فَتَبِعَهُ مَسَاوِرٌ يَقْفُو أَثَرَهُ ، وَيَأْخُذُ كُلَّ مَنْ يَنْقَطِعُ عَنْ سَاقَةِ الْعَسْكَرِ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَقَاتَلُوهُ ، ثُمَّ عَادُوا وَلَحِقُوا مُفْلِحًا ، وَوَصَلُوا الْحَدِيثَةَ ، فَأَقَامَ بِهَا مُفْلِحٌ أَيَّامًا ، وَانْحَدَرَ أَوَّلَ شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى سَامَرَّا ، فَاسْتَوْلَى حِينَئِذٍ مَسَاوِرٌ عَلَى الْبِلَادِ ، وَجَبَى خَرَاجَهَا ، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُ ، اشْتَدَّ أَمْرُهُ. |
| ذِكْرُ خَلْعِ الْمُهْتَدِي وَمَوْتِهِ فِي رَجَبٍ الْخَامِسَ عَشَرَ مِنْهُ ، خُلِعَ الْمُهْتَدِي ، وَتُوُفِّيَ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْهُ. |
| وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْكَرْخِ وَالدُّورِ مِنَ الْأَتْرَاكِ الَّذِينَ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ ، تَحَرَّكُوا فِي أَوَّلِ رَجَبٍ لِطَلَبِ أَرْزَاقِهِمْ ، فَوَجَّهَ الْمُهْتَدِي إِلَيْهِمْ أَخَاهُ أَبَا الْقَاسِمِ ، وَكَيْغَلَغَ وَغَيْرَهُمَا ، فَسَكَّنُوهُمْ ، فَرَجَعُوا ، وَبَلَغَ أَبَا نَصْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ بُغَا أَنَّ الْمُهْتَدِيَ قَالَ لِلْأَتْرَاكِ إِنَّ الْأَمْوَالَ عِنْدَ مُحَمَّدٍ وَمُوسَى ابْنَيْ بُغَا ، فَهَرَبَ إِلَى أَخِيهِ وَهُوَ بِالسِّنِّ مُقَابِلَ مُسَاوِرٍ الشَّارِيِّ ، فَكَتَبَ الْمُهْتَدِي إِلَيْهِ أَرْبَعَةَ كُتُبٍ يُعْطِيهِ الْأَمَانَ ، فَرَجَعَ هُوَ وَأَخُوهُ حَيْسُونٌ ، فَحَبَسَهُمَا ، وَمَعَهُمَا كَيْغَلَغَ ، وَطُولِبَ أَبُو نَصْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ بُغَا بِالْأَمْوَالِ ، فَقُبِضَ مِنْ وَكِيلِهِ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَقُتِلَ لِثَلَاثٍ خَلَوْنَ مِنْ رَجَبٍ ، وَرُمِيَ بِهِ فِي بِئْرٍ فَأَنْتَنَ ، فَأَخْرَجُوهُ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ الْحَسَنُ بْنُ الْمَأْمُونِ. |
| وَكَتَبَ الْمُهْتَدِي إِلَى مُوسَى بْنِ بُغَا ، لَمَّا حَبَسَ أَخَاهُ أَنْ يُسَلِّمَ الْعَسْكَرَ إِلَى بَايِكْبَاكَ وَيَرْجِعَ إِلَيْهِ ، وَكَتَبَ إِلَى بَايِكْبَاكَ أَنْ يَتَسَلَّمَ الْعَسْكَرَ ، وَيَقُومَ بِحَرْبِ مُسَاوِرٍ الشَّارِيِّ ، وَقَتْلِ مُوسَى بْنِ بُغَا وَمُفْلِحٍ ، فَسَارَ بَايِكْبَاكُ بِالْكِتَابِ إِلَى مُوسَى ، فَقَرَأَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ لَسْتُ أَفْرَحُ بِهَذَا ، فَإِنَّهُ تَدْبِيرٌ عَلَيْنَا جَمِيعِنَا ، فَمَا تَرَى ؟ |
| فَقَالَ مُوسَى أَرَى أَنْ تَسِيرَ إِلَى سَامَرَّا ، وَتُخْبِرَهُ أَنَّكَ فِي طَاعَتِهِ وَنُصْرَتِهِ عَلَيَّ وَعَلَى مُفْلِحٍ ، فَهُوَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْكَ ، ثُمَّ تُدِبِّرُ فِي قَتْلِهِ. |
| فَأَقْبَلَ إِلَى سَامَرَّا ، فَوَصَلَهَا وَمَعَهُ يَارْكُوجُ ، وَأَسَارْتَكِينُ ، وَسِيمَا الطَّوِيلُ ، وَغَيْرُهُمْ ، فَدَخَلُوا دَارَ الْخِلَافَةِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ رَجَبٍ ، فَحَبَسَ بَايِكْبَاكَ وَصَرَفَ الْبَاقِينَ ، فَاجْتَمَعَ أَصْحَابُ بَايِكْبَاكَ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْأَتْرَاكِ ، وَقَالُوا لِمَ حُبِسَ قَائِدُنَا ، وَلِمَ قُتِلَ أَبُو نَصْرِ بْنُ بُغَا ؟ |
| وَكَانَ عِنْدَ الْمُهْتَدِي صَالِحُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ الْمَنْصُورِ ، فَشَاوَرَهُ فِيهِ ، فَقَالَ لَهُ إِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ أَحَدٌ مِنْ آبَائِكَ مَا بَلَغْتَهُ مِنَ الشَّجَاعَةِ ، وَقَدْ كَانَ أَبُو مُسْلِمٍ أَعْظَمَ شَأْنًا عِنْدَ أَهْلِ خُرَاسَانَ مِنْ هَذَا عِنْدَ أَصْحَابِهِ ، وَقَدْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ يَعْبُدُهُ ، فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ طُرِحَ رَأْسُهُ حَتَّى سَكَتُوا ، فَلَوْ فَعَلْتَ مِثْلَ ذَلِكَ سَكَتُوا. |
| فَرَكِبَ الْمُهْتَدِي ، وَقَدْ جُمِعَ لَهُ جَمِيعُ الْمَغَارِبَةِ ، وَالْأَتْرَاكِ ، وَالْفَرَاغِنَةِ ، فَصَيَّرَ فِي الْمَيْمَنَةِ مَسْرُورًا الْبَلْخِيَّ ، وَفِي الْمَيْسَرَةِ يَارْكُوجَ ، وَوَقَفَ هُوَ فِي الْقَلْبِ مَعَ أَسَارْتَكِينَ وَطَبَايْغُوَا ، وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْقُوَّادِ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِ بَايِكْبَاكَ ، وَأَلْقَى رَأْسَهُ إِلَيْهِمْ عَتَّابُ بْنُ عَتَّابٍ ، فَحَمَلُوا عَلَى عَتَّابٍ فَقَتَلُوهُ ، وَعَطَفَتْ مَيْمَنَةُ الْمُهْتَدِي وَمَيْسَرَتُهُ بِمَنْ فِيهَا مِنَ الْأَتْرَاكِ ، فَصَارُوا مَعَ إِخْوَانِهِمُ الْأَتْرَاكِ ، فَانْهَزَمَ الْبَاقُونَ عَنِ الْمُهْتَدِي ، وَقُتِلَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ. |
| فَقِيلَ قُتِلَ سَبْعُمِائَةٍ وَثَمَانُونَ رَجُلًا ، وَقِيلَ قُتِلَ مِنَ الْأَتْرَاكِ نَحْوُ أَرْبَعَةِ آلَافٍ. |
| وَقِيلَ أَلْفَانِ. |
| وَقِيلَ أَلْفٌ. |
| وَقِيلَ مِنْ أَصْحَابِ الْمُهْتَدِي خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَوَلَّى مُنْهَزِمًا ، وَبِيَدِهِ السَّيْفُ ، وَهُوَ يُنَادِي يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ! |
| أَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، قَاتِلُوا عَنْ خَلِيفَتِكُمْ! |
| فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَامَّةِ إِلَى ذَلِكَ ، فَسَارَ إِلَى بَابِ السِّجْنِ ، فَأَطْلَقَ مَنْ فِيهِ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُمْ يُعِينُونَهُ ، فَهَرَبُوا وَلَمْ يُعِنْهُ أَحَدٌ ، فَسَارَ إِلَى دَارِ أَحْمَدَ بْنِ جَمِيلٍ صَاحِبِ الشُّرْطَةِ ، فَدَخَلَهَا وَهُمْ فِي أَثَرِهِ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَأَخْرَجُوهُ ، وَسَارُوا بِهِ إِلَى الْجَوْسَقِ عَلَى بَغْلٍ فَحُبِسَ عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ خَاقَانَ ، وَقَبَّلَ الْمُهْتَدِي يَدَهُ ، فِيمَا قِيلَ ، مِرَارًا عَدِيدَةً ، وَجَرَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ ، وَهُوَ مَحْبُوسٌ ، كَلَامٌ كَثِيرٌ أَرَادُوهُ فِيهِ عَلَى الْخَلْعِ ، فَأَبَى وَاسْتَسْلَمَ لِلْقَتْلِ ، فَقَالُوا إِنَّهُ كَتَبَ بِخَطِّهِ رُقْعَةً لِمُوسَى بْنِ بُغَا ، وَبَايِكْبَاكَ ، وَجَمَاعَةٍ مِنَ الْقُوَّادِ ، أَنَّهُ لَا يَغْدِرُ بِهِمْ ، وَلَا يَغْتَالُهُمْ ، وَلَا يَفْتِكُ بِهِمْ ، وَلَا يَهُمُّ بِذَلِكَ ، وَأَنَّهُ مَتَى فَعَلَ ذَلِكَ فَهُمْ فِي حِلٍّ مِنْ بَيْعَتِهِ ، وَالْأَمْرُ إِلَيْهِمْ يُقْعِدُونَ مَنْ شَاءُوا. |
| فَاسْتَحَلُّوا بِذَلِكَ تَقَضِّيَ أَمْرِهِ ، فَدَاسُوا خَصْيَتَيْهِ ، وَصَفَقُوهُ فَمَاتَ ، وَأَشْهَدُوا عَلَى مَوْتِهِ أَنَّهُ سَلِيمٌ لَيْسَ بِهِ أَثَرٌ ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ الْمُنْتَصِرِ. |
| وَقِيلَ كَانَ سَبَبُ خَلْعِهِ وَمَوْتِهِ أَنَّ أَهْلَ الْكَرْخِ وَالدُّورِ اجْتَمَعُوا وَطَلَبُوا أَنْ يَدْخُلُوا إِلَى الْمُهْتَدِي ، وَيُكَلِّمُوهُ بِحَاجَاتِهِمْ ، فَدَخَلُوا الدَّارَ ، وَفِيهَا أَبُو نَصْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ بُغَا ، وَغَيْرُهُ مِنَ الْقُوَّادِ ، فَخَرَجَ أَبُو نَصْرٍ مِنْهَا ، وَدَخَلَ أَهْلُ الْكَرْخِ وَالدُّورِ ، وَشَكَوْا حَالَهُمْ إِلَى الْمُهْتَدِي ، وَهُمْ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُعْزَلَ مِنْهُمْ أُمَرَاؤُهُمْ ، وَأَنْ يَصِيرَ الْأَمْرُ إِلَى إِخْوَتِهِ ، وَأَنْ يَأْخُذَ الْقُوَّادَ وَكُتَّابَهُمْ بِالْمَالِ الَّذِي صَارَ إِلَيْهِمْ ، فَوَعَدَهُمْ بِإِجَابَتِهِمْ إِلَى مَا سَأَلُوهُ ، فَأَقَامُوا يَوْمَهُمْ فِي الدَّارِ ، فَحَمَلَ الْمُهْتَدِي إِلَيْهِمْ مَا يَأْكُلُونَ. |
| وَسَارَ مُحَمَّدُ بْنُ بُغَا إِلَى الْمُحَمَّدِيَّةِ ، وَأَصْبَحُوا مِنَ الْغَدِ يَطْلُبُونَ مَا سَأَلُوهُ ، فَقِيلَ لَهُمْ إِنَّ هَذَا أَمْرٌ صَعْبٌ ، وَإِخْرَاجُ الْأَمْرِ عَنْ يَدِ هَؤُلَاءِ الْقُوَّادِ لَيْسَ بِسَهْلٍ ، فَكَيْفَ إِذَا جَمَعَ إِلَيْهِ مُطَالَبَتَهُمْ بِالْأَمْوَالِ ؟ |
| فَانْظُرُوا فِي أُمُورِكُمْ ، فَانْظُرُوا فِي أُمُورِكُمْ ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَصْبِرُونَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ إِلَى أَنْ نَبْلُغَ غَايَتَهُ ، وَإِلَّا فَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُحْسِنُ لَكُمُ النَّظَرَ ، فَأَبَوْا إِلَّا مَا سَأَلُوهُ ، فَدَعَوْا إِلَى أَيْمَانِ الْبَيْعَةِ عَلَى أَنْ يُقِيمُوا عَلَى هَذَا الْقَوْلِ ، وَأَنْ يُقَاتِلُوا مَنْ قَاتَلَهُمْ ، وَيَنْصَحُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَجَابُوا إِلَى ذَلِكَ ، فَأُخِذَتْ عَلَيْهِمْ أَيْمَانُ الْبَيْعَةِ. |
| ثُمَّ كَتَبُوا إِلَى أَبِي نَصْرٍ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَعَنِ الْمُهْتَدِي يُنْكِرُونَ خُرُوجَهُ عَنِ الدَّارِ بِغَيْرِ سَبَبٍ ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا قَصَدُوا لِيَشْكُوا حَالَهُمْ ، وَلَمَّا رَأَوُا الدَّارَ فَارِغَةً أَقَامُوا فِيهَا ، فَرَجَعَ فَحَضَرَ عِنْدَ الْمُهْتَدِي ، فَقَبَّلَ رِجْلَهُ وَيَدَهُ وَوَقَفَ ، فَسَأَلَهُ عَنِ الْأَمْوَالِ وَمَا يَقُولُهُ الْأَتْرَاكُ ، فَقَالَ وَمَا أَنَا وَالْأَمْوَالُ ؟ |
| قَالَ وَهَلْ هِيَ إِلَّا عِنْدَكَ وَعِنْدَ أَخِيكَ وَأَصْحَابِكُمَا ؟ |
| ثُمَّ أَخَذُوا بِيَدِ مُحَمَّدٍ وَحَبَسُوهُ ، وَكَتَبُوا إِلَى مُوسَى بْنِ بُغَا ، وَمُفْلِحٍ بِالِانْصِرَافِ إِلَى سَامَرَّا ، وَتَسْلِيمِ الْعَسْكَرِ إِلَى قُوَّادٍ ذَكَرُوهُمْ ، وَكَتَبُوا إِلَى الْأَتْرَاكِ الصِّغَارِ فِي تَسَلُّمِ الْعَسْكَرِ مِنْهُمَا ، وَذَكَرُوا مَا جَرَى لَهُمْ ، وَقَالُوا إِنْ أَجَابَ مُوسَى وَمُفْلِحٌ إِلَى مَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الْإِقْبَالِ إِلَى سَامَرَّا ، وَتَسْلِيمِ الْعَسْكَرِ ، وَإِلَّا فَشُدُّوهُمَا وَثَاقًا ، وَاحْمِلُوهُمْ إِلَى الْبَابِ. |
| وَأَجْرَى الْمُهْتَدِي عَلَى مَنْ أُخِذَتْ عَلَيْهِ الْبَيْعَةُ كُلِّ رَجُلٍ دِرْهَمَيْنِ ، فَلَمَّا وَصَلَتِ الْكُتُبُ إِلَى عَسْكَرِ مُوسَى أَخَذَهَا مُوسَى ، وَقُرِئَتْ عَلَيْهِ وَعَلَى النَّاسِ ، وَأَخَذُوا عَلَيْهِمُ الْبَيْعَةَ بِالنُّصْرَةِ لَهُمْ ، وَسَارُوا نَحْوَ سَامَرَّا ، فَنَزَلُوا عِنْدَ قَنْطَرَةِ الرَّقِيقِ لِإِحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ رَجَبٍ ، وَخَرَجَ الْمُهْتَدِي وَعَرَضَ النَّاسَ. |
| وَعَادَ مِنْ يَوْمِهِ ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ مِنَ الْغَدِ وَقَدْ دَخَلَ مِنْ أَصْحَابِ مُوسَى زُهَاءَ أَلْفِ فَارِسٍ ، مِنْهُمْ كَوْبَكِينُ وَغَيْرُهُ ، وَعَادَ ، وَخَرَجَ الْمُهْتَدِي فَصَفَّ أَصْحَابَهُ ، وَفِيهِمْ مَنْ أَتَى مِنْ أَصْحَابِ مُوسَى ، وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُوسَى يُرِيدُ أَنْ يُوَلِّيَ نَاحِيَةً يَنْصَرِفُ إِلَيْهَا ، وَأَصْحَابُ الْمُهْتَدِي يُرِيدُونَ أَنْ يَجِيءَ إِلَيْهِمْ لِيُنَاظِرَهُمْ عَلَى الْأَمْوَالِ ، فَلَمْ يَتَّفِقُوا عَلَى شَيْءٍ. |
| وَانْصَرَفَ عَنْ مُوسَى خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَعَدَلَ هُوَ وَمُفْلِحٌ يُرِيدَانِ طَرِيقَ خُرَاسَانَ ، وَأَقْبَلَ بَايِكْبَاكُ ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْقُوَّادِ ، فَوَصَلُوا إِلَى الْمُهْتَدِي ، فَسَلَّمُوا ، وَأَمَرَهُمْ بِالِانْصِرَافِ ، وَحَبَسَ بَايِكْبَاكَ ، وَقَتَلَهُ ، وَلَمْ يَتَحَرَّكْ أَحَدٌ ، وَلَا تَغَيَّرَ شَيْءٌ إِلَّا تَغَيُّرًا يَسِيرًا ، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ. |
| فَلَمَّا كَانَ الْأَحَدُ أَنْكَرَ الْأَتْرَاكُ مُسَاوَاةَ الْفَرَاغِنَةِ لَهُمْ فِي الدَّارِ ، وَدُخُولَهُمْ مَعَهُمْ ، وَرُفِعَ أَنَّ الْفَرَاغِنَةَ إِنَّمَا تَمَّ لَهُمْ هَذَا بِعَدَمِ رُؤَسَاءِ الْأَتْرَاكِ ، فَخَرَجُوا مِنَ الدَّارِ بِأَجْمَعِهِمْ ، وَبَقِيَتِ الدَّارُ عَلَى الْفَرَاغِنَةِ ، وَالْمَغَارِبَةِ ، فَأَنْكَرَ الْأَتْرَاكُ ذَلِكَ ، وَأَضَافُوا إِلَيْهِ طَلَبَ بَايِكْبَاكَ ، فَقَالَ الْمُهْتَدِي لِلْفَرَاعِنَةِ وَالْمَغَارِبَةِ مَا جَرَى مِنَ الْأَتْرَاكِ ، وَقَالَ لَهُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَظُنُّونَ فِيكُمْ قُوَّةً فَمَا أَكْرَهُ قُرْبَكُمْ ، وَإِلَّا أَرْضَيْنَاهُمْ مِنْ قَبْلِ تَفَاقُمِ الْأَمْرِ! |
| فَذَكَرُوا أَنَّهُمْ يَقُومُونَ بِهِ ، فَخَرَجَ بِهِمُ الْمُهْتَدِي وَهُمْ فِي سِتَّةِ آلَافٍ ، مِنْهُمْ مِنَ الْأَتْرَاكِ نَحْوُ أَلْفٍ وَهُمْ أَصْحَابُ صَالِحِ بْنِ وَصِيفٍ ، وَكَانَ الْأَتْرَاكُ فِي عَشَرَةِ آلَافِ ، فَلَمَّا الْتَقَوُا انْهَزَمَ أَصْحَابُ صَالِحٍ ، وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ كَمِينٌ لِلْأَتْرَاكِ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ الْمُهْتَدِي ، وَذَكَرَ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ إِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوُا الْمُهْتَدِيَ بِدَارِ أَحْمَدَ بْنِ جَمِيلٍ قَاتَلَهُمْ ، فَأَخْرَجُوهُ ، وَكَانَ بِهِ أَثَرُ طَعْنَةٍ ، فَلَمَّا رَأَى الْجُرْحَ أَلْقَى بِيَدِهِ إِلَيْهِمْ ، وَأَرَادُوهُ عَلَى خَلْعٍ ، فَأَبَى أَنْ يُجِيبَهُمْ ، فَمَاتَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ وَأَظْهَرُوهُ لِلنَّاسِ يَوْمَ الْخَمِيسِ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ. |
| وَكَانُوا قَدْ خَلَعُوا أَصَابِعَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ مِنْ كَعْبَيْهِ ، وَفَعَلُوا بِهِ غَيْرَ شَيْءٍ حَتَّى مَاتَ; وَطَلَبُوا مُحَمَّدَ بْنَ بُغَا ، فَوَجَدُوهُ مَيِّتًا ، فَكَسَرُوا عَلَى قَبْرِهِ أَلْفَ سَيْفٍ. |
| وَكَانَتْ مُدَّةُ خِلَافَةِ الْمُهْتَدِي أَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا وَخَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ، وَكَانَ عُمْرُهُ ثَمَانِيًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَكَانَ وَاسِعَ الْجَبْهَةِ ، أَسْمَرَ ، رَقِيقًا ، أَشْهَلَ ، جَهْمَ الْوَجْهِ ، عَرِيضَ الْبَطْنِ ، عَرِيضَ الْمَنْكِبَيْنِ ، قَصِيرًا ، طَوِيلَ اللِّحْيَةِ ، وَمَوْلِدُهُ بِالْقَاطُولِ. |
| ذِكْرُ بَعْضِ سِيرَةِ الْمُهْتَدِي كَانَ الْمُهْتَدِي بِاللَّهِ مِنْ أَحْسَنِ الْخُلَفَاءِ مَذْهَبًا ، وَأَجْمَلِهِمْ طَرِيقَةً ، وَأَظْهَرِهِمْ وَرَعًا ، وَأَكْثَرِهِمْ عِبَادَةً . |
| قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْإِسْكَافِيُّ جَلَسَ الْمُهْتَدِي لِلْمَظَالِمِ ، فَاسْتَعْدَاهُ رَجُلٌ عَلَى ابْنٍ لَهُ ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ ، فَأُحْضِرَ وَأَقَامَهُ إِلَى جَانِبِ خَصْمِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ الرَّجُلُ لِلْمُهْتَدِي وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَنْتَ إِلَّا كَمَا قِيلَ حَكَّمْتُمُوهُ فَقَضَى بَيْنَكُمْ... |
| أَبْلَجُ مِثْلُ الْقَمَرِ الزَّاهِرِ لَا يَقْبَلُ الرِّشْوَةَ فِي حُكْمِهِ... |
| وَلَا يُبَالِي غَبْنَ الْخَاسِرِ فَقَالَ الْمُهْتَدِي أَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الرَّجُلُ فَأَحْسَنَ اللَّهُ مَقَالَتَكَ ، وَأَمَّا أَنَا فَمَا جَلَسْتُ حَتَّى قَرَأْتُ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ الأنبياء الْآيَةَ ، قَالَ فَمَا رَأَيْتُ بَاكِيًا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ. |
| قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ هَاشِمِ بْنِ الْقَاسِمِ الْهَاشِمِيُّ كُنْتُ عِنْدَ الْمُهْتَدِي بَعْضَ عَشَايَا شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَقُمْتُ لِأَنْصَرِفَ ، فَأَمَرَنِي بِالْجُلُوسِ ، فَجَلَسْتُ حَتَّى صَلَّى الْمُهْتَدِي بِنَا الْمَغْرِبَ ، وَأَمَرَ بِالطَّعَامِ فَأُحْضِرَ ، وَأُحْضِرَ طَبَقٌ خِلَافٌ عَلَيْهِ رَغِيفَانِ ، وَفِي إِنَاءٍ مِلْحٌ ، وَفِي آخَرَ زَيْتٌ ، وَفِي آخَرَ خَلٌّ ، فَدَعَانِي إِلَى الْأَكْلِ ، وَأَكَلْتُ مُقْتَصِرًا ظَنًّا مِنِّي أَنَّهُ يُحْضِرُ طَعَامًا جَيِّدًا ، فَلَمَّا رَأَى أَكْلِي كَذَلِكَ قَالَ أَمَا كُنْتَ صَائِمًا ؟ |
| قُلْتُ بَلَى. |
| قَالَ أَفَلَسْتَ تُرِيدُ عَشَاءَكَ ، فَلَيْسَ هَهُنَا غَيْرُ مَا تَرَى. |
| فَعَجِبْتُ مِنْ قَوْلِهِ ، وَقُلْتُ وَلِمَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ |
| قَدْ أَسْبَغَ اللَّهُ عَلَيْكَ النِّعْمَةَ وَوَسَّعَ رِزْقَهُ! |
| فَقَالَ إِنَّ الْأَمْرَ عَلَى مَا وَصَفْتُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَكِنِّي فَكَّرْتُ فِي أَنَّهُ كَانَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَغِرْتُ لِبَنِي هَاشِمٍ أَنْ لَا يَكُونَ فِي خُلَفَائِهِمْ مِثْلُهُ وَأَخَذْتُ نَفْسِي بِمَا رَأَيْتَ. |
| قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَخْلَدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَرَفَةَ عَنْ بَعْضِ الْهَاشِمِيِّينَ إِنَّ الْمُهْتَدِيَ وَجَدُوا لَهُ سَفَطًا فِيهِ جُبَّةُ صُوفٍ ، وَكِسَاءٌ ، وَبُرْنُسٌ كَانَ يَلْبَسُهُ بِاللَّيْلِ ، وَيُصَلِّي فِيهِ ، وَيَقُولُ أَمَا يَسْتَحِي بَنُو الْعَبَّاسِ أَنْ لَا يَكُونَ فِيهِمْ مِثْلُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؟ |
| وَكَانَ قَدْ أَطَّرَحَ الْمَلَاهِيَ ، وَحَرَّمَ الْغِنَاءَ وَالشَّرَابَ ، وَمَنَعَ أَصْحَابَ السُّلْطَانِ عَنِ الظُّلْمِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَرَضِيَ عَنْهُ. |
| ذِكْرُ خِلَافَةِ الْمُعْتَمِدِ عَلَى اللَّهِ لَمَّا أُخِذَ الْمُهْتَدِي بِاللَّهِ وَحُبِسَ أُحْضِرَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ فِتْيَانٍ ، وَكَانَ مَحْبُوسًا بِالْجَوْسَقِ ، فَبَايَعَهُ النَّاسُ ، فَبَايَعَهُ الْأَتْرَاكُ ، وَكَتَبُوا بِذَلِكَ إِلَى مُوسَى بْنِ بُغَا وَهُوَ بِخَانِقِينَ ، فَحَضَرَ إِلَى سَامَرَّا فَبَايَعَهُ ، وَلُقِّبَ الْمُعْتَمِدَ عَلَى اللَّهِ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْمُهْتَدِيَ مَاتَ ثَانِيَ يَوْمِ بَيْعَةِ الْمُعْتَمِدِ ، وَسَكَنَ النَّاسُ. |
| وَاسْتَوْزَرَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ يَحْيَى بْنِ خَاقَانَ. |
| ذِكْرُ أَخْبَارِ صَاحِبِ الزَّنْجِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سُيِّرَ جُعْلَانُ لِحَرْبِ صَاحِبِ الزَّنْجِ بِالْبَصْرَةِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْبَصْرَةِ نَزَلَ بِمَكَانٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبِ الزَّنْجِ فَرْسَخٌ ، وَخَنْدَقَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ ، وَأَقَامَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ فِي خَنْدَقَةٍ ، وَجَعَلَ يُوَجِّهُ الزَّيْنَبِيَّ وَبَنِي هَاشِمٍ وَمَنْ خَفَّ لِحَرْبِهِمْ هَذَا الْيَوْمَ الَّذِي تَوَاعَدَهُمْ جُعَلَانُ لِلِقَائِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ إِلَّا الرَّمْيُ بِالْحِجَارَةِ وَالنُّشَّابِ ، وَلَا يَجْدُ جُعَلَانُ إِلَى لِقَائِهِ سَبِيلًا ، لِضِيقِ الْمَكَانِ عَنْ مَجَالِ الْخَيْلِ ، وَكَانَ أَكْثَرُ أَصْحَابِ جُعْلَانَ خَيَّالَةً. |
| فَلَمَّا طَالَ مُقَامُهُ فِي خَنْدَقِهِ أَرْسَلَ صَاحِبَ الزَّنْجِ أَصْحَابَهُ إِلَى مَسَالِكِ الْخَنْدَقِ ، فَيُبَيِّتُوا جُعْلَانَ ، وَقَتَلُوا مِنْ أَصْحَابِهِ جَمَاعَةً ، وَخَافَ الْبَاقُونَ خَوْفًا شَدِيدًا. |
| وَكَانَ الزَّيْنَبِيُّ قَدْ جَمَعَ الْبِلَالِيَّةَ ، وَالسَّعْدِيَّةَ وَوَجَّهَ بِهِمْ مِنْ مَكَانَيْنِ ، وَقَاتَلُوا الْخَبِيثَ ، فَظَفِرَ بِهِمْ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، فَتَرَكَ جُعْلَانُ خَنْدَقَهُ وَانْصَرَفَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَظَهَرَ عَجْزُهُ لِلسُّلْطَانِ ، فَصَرَفَهُ عَنْ حَرْبِ الزَّنْجِ ، وَأَمَرَ سَعِيدًا الْحَاجِبَ بِمُحَارَبَتِهِمْ. |
| وَتَحَوَّلَ صَاحِبُ الزَّنْجِ ، بَعْدَ ذَلِكَ ، مِنَ السَّبْخَةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا ، وَنَزَلَ بِنَهْرِ أَبِي الْخَصِيبِ ، وَأَخَذَ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ مَرْكَبًا مِنْ مَرَاكِبِ الْبَحْرِ ، وَأَخَذُوا مِنْهَا أَمْوَالًا كَثِيرَةً لَا تُحْصَى ، وَقُتِلَ مَنْ فِيهَا ، وَنَهَبَهَا أَصْحَابُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَأَخَذَ لِنَفْسِهِ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ النَّهْبِ. |
| ذِكْرُ دُخُولِ الزَّنْجِ الْأُبُلَّةِ وَفِيهَا دَخَلَ الزَّنْجُ الْأُبُلَّةَ ، فَقَتَلُوا فِيهَا خَلْقًا كَثِيرًا وَأَحْرَقُوهَا. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ جُعْلَانَ لَمَّا تَنَحَّى عَنْ خَنْدَقِهِ إِلَى الْبَصْرَةِ أَلَحَّ شَنَّا صَاحِبُ الزَّنْجِ بِالْغَارَاتِ عَلَى الْأُبُلَّةِ ، وَجَعَلَتْ سَرَايَاهُ تَضْرِبُ إِلَى نَاحِيَةِ نَهْرِ مَعْقِلٍ ، وَلَمْ يَزَلْ يُحَارِبُ إِلَى يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ رَجَبٍ ، فَافْتَتَحَهَا ، وَقُتِلَ أَبُو الْأَحْوَصِ وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ حُمَيْدِ بْنِ الطُّوسِيِّ ، وَأَضْرَمَهَا نَارًا وَكَانَتْ مَبْنِيَّةً بِالسَّاجِ ، فَأَسْرَعَتِ النَّارُ فِيهَا ، وَقُتِلَ مِنْ أَهْلِهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَحَوَوُا الْأَمْوَالَ الْعَظِيمَةَ ، وَكَانَ مَا أَحْرَقَتِ النَّارُ أَكْثَرَ مِنَ الَّذِي نَهَبَ. |
| ذِكْرُ أَخْذِ الزَّنْجِ عَبَّادَانَ وَفِيهَا أَرْسَلَ أَهْلُ عَبَّادَانَ إِلَى صَاحِبِ الزَّنْجِ فَسَلَّمُوا إِلَيْهِ حِصْنَهُمْ. |
| وَكَانَ الَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا فَعَلَ بِأَهْلِ الْأُبُلَّةِ مَا فَعَلَ خَافَ أَهْلُ عَبَّادَانَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَأَهْلِيهِمْ ، وَأَمْوَالِهِمْ ، فَكَتَبُوا إِلَيْهِ يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ عَلَى أَنْ يُسَلِّمُوا إِلَيْهِ الْبَلَدَ ، فَأَمَّنَهُمْ ، وَسَلَّمُوهُ إِلَيْهِ ، فَأَنْفَذَ أَصْحَابَهُ إِلَيْهِمْ ، وَأَخَذُوا مَا فِيهِ مِنَ الْعَبِيدِ وَالسِّلَاحِ ، فَفَرَّقَهُ فِي أَصْحَابِهِ. |
| ذِكْرُ أَخْذِهِمُ الْأَهْوَازَ وَلَمَّا فَرَغَ الْعَلَوِيُّ الْبَصْرِيُّ مِنَ الْأُبُلَّةِ وَعَبَّادَانَ طَمِعَ فِي الْأَهْوَازَ ، فَاسْتَنْهَضَ أَصْحَابَهُ نَحْوَ جَيٍّ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَهْلُهَا ، وَهَرَبُوا مِنْهُمْ ، فَدَخَلَهَا الزَّنْجُ ، وَقَتَلُوا مَنْ رَأَوْا بِهَا ، وَأَحْرَقُوا وَنَهَبُوا ، وَأَخْرَبُوا مَا وَرَاءَهَا إِلَى الْأَهْوَازِ ، فَلَمَّا بَلَغُوا الْأَهْوَازَ هَرَبَ مَنْ فِيهَا مِنَ الْجُنْدِ وَمِنْ أَهْلِهَا ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْقَلِيلُ ، فَدَخَلُوا وَأَخْرَبُوهَا ، وَكَانَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُدَبِّرِ مُتَوَلِّي الْخَرَاجِ ، فَأَخَذُوهُ أَسِيرًا بَعْدَ أَنْ جُرِحَ ، وَنُهِبَ جَمِيعُ مَالِهِ ، وَذَلِكَ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ بِالْأَهْوَازِ ، وَعَبْدَانَ ، وَالْأُبُلَّةِ ، خَافَهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ ، وَانْتَقَلَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِهَا فِي الْبُلْدَانِ. |
| ذِكْرُ عَزْلِ عِيسَى بْنِ الشَّيْخِ عَنِ الشَّامِ وَوِلَايَتِهِ أَرْمِينِيَّةَ لَمَّا اسْتَوْلَى ابْنُ الشَّيْخِ عَلَى دِمَشْقَ ، وَقَطَعَ الْحَمْلَ عَنْ بَغْدَاذَ ، اتَّفَقَ أَنَّ ابْنَ الْمُدَبِّرِ حَمَلَ مَالًا مِنْ مِصْرَ إِلَى بَغْدَاذَ ، مِقْدَارَ سَبْعِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَأَخَذَهَا عِيسَى بْنُ الشَّيْخِ. |
| فَأَرْسَلَ مِنْ بَغْدَاذَ إِلَيْهِ حُسَيْنُ الْخَادِمُ يُطَالِبُهُ بِالْمَالِ ، فَذَكَرَ أَنَّهُ أَخْرَجَهُ عَلَى الْجُنْدِ ، فَأَعْطَاهُ حُسَيْنٌ عَهْدَهُ عَلَى أَرْمِينِيَّةَ لِيُقِيمَ الدَّعْوَةَ لِلْمُعْتَمِدِ ، وَكَانَ قَدِ امْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَخَذَ الْعَهْدَ ، وَأَقَامَ الدَّعْوَةَ لِلْمُعْتَمِدِ ، وَلَبِسَ السَّوَادَ ، ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ الشَّامَ تَكُنْ بِيَدِهِ. |
| فَأَنْقَذَ الْمُعْتَمِدُ أَمَاجُورَ ، وَقَلَّدَهُ دِمَشْقَ وَأَعْمَالَهَا ، فَسَارَ إِلَيْهَا فِي أَلْفِ رَجُلٍ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهَا أَنْهَضَ عِيسَى إِلَيْهِ وَلَدَهُ مَنْصُورًا فِي عِشْرِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ ، فَلَمَّا الْتَقَوُا انْهَزَمَ عَسْكَرُ مَنْصُورٍ وَقُتِلَ مَنْصُورٌ ، فَوَهَنَ عِيسَى ، وَسَارَ إِلَى أَرْمِينِيَّةَ عَلَى طَرِيقِ السَّاحِلِ وَوَلَّى أَمَاجُورَ دِمَشْقَ. |
| ذِكْرُ ابْنِ الصُّوفِيِّ الْعَلَوِيِّ وَخُرُوجِهِ بِمِصْرَ وَفِيهَا ظَهَرَ بِصَعِيدِ مِصْرَ إِنْسَانٌ عَلَوِيٌّ ، ذُكِرَ أَنَّهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَيُعْرَفُ بِابْنِ الصُّوفِيِّ ، وَمَلَكَ مَدِينَةَ إِسْنَا ، وَنَهَبَهَا ، وَعَمَّ شَرُّهُ الْبِلَادَ. |
| فَسَيَّرَ إِلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ جَيْشًا ، فَهَزَمَهُ الْعَلَوِيُّ ، وَأَسَرَ الْمُقَدَّمَ عَلَى الْجَيْشِ ، فَقَطَعَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَصَلَبَهُ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ ابْنُ طُولُونَ جَيْشًا آخَرَ ، فَالْتَقَوْا بِنُوَاحِي إِخْمِيمَ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَ الْعَلَوِيُّ ، وَقُتِلَ كَثِيرٌ مِنْ رِجَالِهِ ، وَسَارَ هُوَ حَتَّى دَخَلَ الْوَاحَاتِ. |
| وَسَيَرِدُ ذِكْرُهُ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. |
| ذِكْرُ ظُهُورِ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَلَى الْكُوفَةِ وَخُرُوجِهِ عَنْهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ ظَهَرَ عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ الْعَلَوِيُّ بِالْكُوفَةِ ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَأَزَالَ عَنْهَا نَائِبَ الْخَلِيفَةِ ، وَاسْتَقَرَّ بِهَا. |
| فَسُيِّرَ إِلَيْهِ الشَّاهُ بْنُ مِيكَالَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ الشَّاهُ ، وَقُتِلَ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَنَجَا الشَّاهُ. |
| ثُمَّ وَجَّهَ الْمُعْتَمِدُ إِلَى مُحَارَبَتِهِ كِيجُورَ التُّرْكِيَّ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَهُ إِلَى الطَّاعَةِ ، وَيَبْذُلَ لَهُ الْأَمَانَ ، فَسَارَ كِيجُورُ فَنَزَلَ بِشَاهِي ، وَأَرْسَلَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ يَدْعُوهُ إِلَى الطَّاعَةِ ، وَبَذَلَ لَهُ الْأَمَانَ ، فَطَلَبَ عَلِيٌّ أُمُورًا لَمْ يُجِبْهُ إِلَيْهَا كِيجُورُ ، فَتَنَحَّى عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ عَنِ الْكُوفَةِ إِلَى الْقَادِسِيَّةِ ، فَعَسْكَرَ بِهَا ، وَدَخَلَ كِيجُورُ إِلَى الْكُوفَةِ ثَالِثَ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ ، وَمَضَى عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ إِلَى خَفَّانَ ، وَدَخَلَ بِلَادَ بَنِي أَسَدٍ ، وَكَانَ قَدْ صَاهَرَهُمْ ، وَأَقَامَ هُنَاكَ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى جُنْبُلَاءَ. |
| وَبَلَغَ كِيجُورَ خَبَرُهُ ، فَأَسْرَى إِلَيْهِ مِنَ الْكُوفَةِ سَلْخَ ذِي الْحِجَّةِ مِنَ السَّنَةِ ، فَوَاقَعَهُ ، فَانْهَزَمَ عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ ، وَطَلَبَهُ كِيجُورُ فَفَاتَهُ ، وَقَتَلَ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَأَسَرَ آخَرِينَ ، وَعَادَ كِيجُورُ إِلَى الْكُوفَةِ; فَلَمَّا اسْتَقَامَتْ أُمُورُهَا عَادَ إِلَى سُرَّ مَنْ رَأَى بِغَيْرِ أَمْرِ الْخَلِيفَةِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ نَفَرًا مِنَ الْقُوَّادِ ، فَقَتَلُوهُ بِعُكْبَرَا فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا تَقَدَّمَ سَعِيدُ بْنُ صَالِحٍ الْحَاجِبُ لِحَرْبِ صَاحِبِ الزَّنْجِ مِنْ قِبَلِ السُّلْطَانِ. |
| وَفِيهَا تَحَارَبَ مُسَاوِرٌ الْخَارِجِيُّ ، وَأَصْحَابُهُ مُوسَى بْنُ بُغَا بِنَاحِيَةِ خَانِقِينَ ، وَكَانَ مُسَاوِرٌ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، وَكَانَ أَصْحَابُ مُوسَى بْنِ بُغَا نَحْوَ مِائَتَيْنِ فَالْتَقَوْا بِمُسَاوِرٍ ، وَقَتَلُوا مِنْ أَصْحَابِهِ جَمَاعَةً كَثِيرَةً. |
| وَفِيهَا وَثَبَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاصِلِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيُّ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ فَارِسَ ، وَرَجُلٌ مِنْ أَكْرَادِهَا يُقَالُ لَهُ أَحْمَدُ بْنُ اللَّيْثِ ، بِالْحَارِثِ بْنِ سِيمَا ، عَامِلِ فَارِسَ ، فَحَارَبَاهُ وَقَتَلَاهُ ، وَغَلَبَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاصِلٍ عَلَى فَارِصَ. |
| وَفِيهَا وُجِّهَ مُفْلِحٌ لِحَرْبِ مُسَاوِرٍ. |
| وَفِيهَا غَلَبَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ الطَّالِبِيُّ عَلَى الرَّيِّ فِي رَمَضَانَ ، فَسَارَ مُوسَى إِلَى بْنِ بُغَا الرَّيَّ فِي شَوَّالٍ وَشَيَّعَهُ الْمُعْتَمِدُ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْبُخَارِيُّ الْجُعْفِيُّ صَاحِبُ الْمُسْنَدِ الصَّحِيحِ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ عَوْدِ أَبِي أَحْمَدَ الْمُوَفَّقِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى سُرَّ مَنْ رَأَى لَمَّا اشْتَدَّ أَمْرُ الزَّنْجِ ، وَعَظُمَ شَرُّهُمْ ، وَأَفْسَدُوا فِي الْبِلَادِ ، أَرْسَلَ الْمُعْتَمِدُ عَلَى اللَّهِ إِلَى أَخِيهِ أَبِي أَحْمَدَ الْمُوَفَّقِ ، فَأَحْضَرَهُ مِنْ مَكَّةَ ، فَلَمَّا حَضَرَ عَقَدَ لَهُ عَلَى الْكُوفَةِ ، وَطَرِيقِ مَكَّةَ ، الْحَرَمَيْنِ ، وَالْيَمَنِ ، ثُمَّ عَقَدَ لَهُ عَلَى بَغْدَاذَ ، وَالسَّوَادِ ، وَوَاسِطَ ، وَكُوَرِ دِجْلَةَ ، وَالْبَصْرَةِ ، وَالْأَهْوَازِ ، وَفَارِسَ ، وَأَمَرَ أَنْ يَعْقِدَ لِيَارْكُوجَ عَلَى الْبَصْرَةِ ، وَكُوَرِ دِجْلَهَ ، وَالْبَحْرَيْنِ ، وَالْيَمَامَةِ مَكَانَ سَعِيدِ بْنِ صَالِحٍ ، فَاسْتَعْمَلَ يَارْكُوجُ مَنْصُورَ بْنَ جَعْفَرٍ الْخَيَّاطَ عَلَى الْبَصْرَةِ وَكُوَرِ دِجْلَةَ إِلَى مَا يَلِي الْأَهْوَازَ. |
| ذِكْرُ انْهِزَامِ الزَّنْجِ مِنْ سَعِيدٍ الْحَاجِبِ وَفِيهَا فِي رَجَبٍ أَوْقَعَ سَعِيدٌ الْحَاجِبُ بِجَمَاعَةٍ مِنَ الزَّنْجِ ، فَهَزَمَهُمْ ، وَاسْتَنْقَذَ مَا مَعَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ ، وَالنَّهْبِ ، وَجُرِحَ سَعِيدٌ عِدَّةَ جِرَاحَاتٍ. |
| وَبَلَغَهُ الْخَبَرُ بِجَمْعٍ آخَرَ مِنْهُمْ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ ، فَلَقِيَهُمْ ، فَهَزَمَهُمْ أَيْضًا ، وَاسْتَنْفَذَ مَا مَعَهُمْ ، فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ تَأْخُذُ الزَّنْجِيَّ فَتَأْتِي بِهِ عَسْكَرَ سَعِيدٍ ، فَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهَا. |
| وَعَسْكَرَ سَعِيدٌ بِهَطْمَةَ ، ثُمَّ عَبَرَ إِلَى غَرْبِ دِجْلَةَ ، فَأَوْقَعَ بِصَاحِبِ الزَّنْجِ عِدَّةَ وَقَعَاتٍ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مُعَسْكَرِهِ بِهَطْمَةَ ، فَأَقَامَ إِلَى ثَانِي رَجَبٍ ، وَعَامَّةِ شَعْبَانَ. |
| ذِكْرُ خَلَاصِ ابْنِ الْمُدَبِّرِ مِنَ الزَّنْجِ وَفِيهَا تَخَلَّصَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُدَبِّرِ مِنْ حَبْسِ الزَّنْجِ ، وَكَانَ سَبَبُ خَلَاصِهِ أَنَّهُ كَانَ مَحْبُوسًا فِي بَيْتِ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَحْرَانِيِّ ، وَوَكَّلَ بِهِ رَجُلَيْنِ ، مَنْزِلُهُمَا مُلَاصِقُ الْمَنْزِلِ الَّذِي فِيهِ إِبْرَاهِيمُ ، فَضَمِنَ لَهُمَا مَالًا ، وَرَغَّبَهُمَا ، فَعَمِلَا سَرَبًا إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي فِيهِ إِبْرَاهِيمُ ، فَخَرَجَ هُوَ وَابْنُ أَخٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ أَبُو غَالِبٍ وَرَجُلٌ هَاشِمِيٌّ. |
| ذِكْرُ انْهِزَامِ سَعِيدٍ مِنَ الزَّنْجِ وَوِلَايَةِ مَنْصُورِ بْنِ جَعْفَرٍ الْبَصْرَةَ وَفِيهَا أَوْقَعَ الْعَلَوِيُّ صَاحِبُ الزَّنْجِ بِسَعِيدٍ ، وَكَانَ يُسَيِّرُ إِلَيْهِ جَيْشًا ، فَأَوْقَعُوا بِهِ لَيْلًا ، وَأَصَابُوا مَقْتَلَةً مِنْ أَصْحَابِ سَعِيدٍ ، فَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا ، وَأَحْرَقُوا عَسْكَرَهُ ، فَضَعُفَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ ، فَأَمَرَ بِالْمَسِيرِ إِلَى بَابِ الْخَلِيفَةِ. |
| وَنَزَلَ بُفْرَاجُ بِالْبَصْرَةِ ، فَسَارَ سَعِيدٌ عَنِ الْبَصْرَةِ ، وَأَقَامَ بِهَا بُفْرَاجُ يَحْمِي أَهْلَهَا ، فَرَدَّ السُّلْطَانُ أَمْرَهَا إِلَى مَنْصُورِ بْنِ جَعْفَرٍ الْخَيَّاطِ ، بَعْدَ سَعِيدٍ الْحَاجِبِ ، وَكَانَ مَنْصُورٌ يُبَذْرِقُ السُّفُنَ ، وَيَحْمِيَهَا ، وَسَيَّرَهَا إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَضَاقَتِ الْمِيرَةُ عَلَى الزَّنْجِ ، فَجَمَعَ مَنْصُورٌ الشَّذَا فَأَكْثَرَ مِنْهَا ، وَسَارَ نَحْوَ صَاحِبِ الزَّنْجِ ، فَكَمَنَ لَهُ صَاحِبُ الزَّنْجِ ، فَلَمَّا أَقْبَلْ خَرَجُوا عَلَيْهِ ، فَقَتَلُوا فِي أَصْحَابِهِ مَقْتَلَهً عَظِيمَةً ، وَغَرِقَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَحَمَلُوا مِنْ رُءُوسِ أَصْحَابِهِ إِلَى الْبَحْرَانِيِّ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الزُّنُوجِ بِنَهْرِ مَعْقِلٍ. |
| ذِكْرُ انْهِزَامِ جَيْشِ الزَّنْجِ بِالْأَهْوَازِ وَفِيهَا أَرْسَلَ صَاحِبُ الزَّنْجِ جَيْشًا مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبَانٍ لِقَطْعِ قَنْطَرَةِ أَرْبَكَ ، فَلَقِيَهُمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سِيمَا مُنْصَرِفًا مِنْ فَارِسَ ، فَأَوْقَعَ بِجَيْشِ الْعَلَوِيِّ فَهَزَمَهُمْ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ ، وَجُرِحَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ. |
| ثُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ سَارَ قَاصِدًا نَهْرَ جَيٍّ ، فَأَمَرَ كَاتِبَهُ شَاهِينَ بْنَ بِسْطَامٍ بِالْمَسِيرِ عَلَى طَرِيقٍ آخَرَ لِيُوَافِيَهُ بِنَهْرِ جَيٍّ ، بَعْدَ الْوَقْعَةِ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبَانٍ; وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ قَدْ سَارَ مِنَ الْوَقْعَةِ فَنَزَلَ بِالْخَيْزُرَانِيَّةِ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَأَخْبَرَهُ بِإِقْبَالِ شَاهِينَ إِلَيْهِ ، فَسَارَ نَحْوَهُ ، فَالْتَقَيَا وَقْتَ الْعَصْرِ بِمَوْضِعٍ بَيْنَ جَيٍّ وَنَهْرِ مُوسَى ، وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ صَدَمَهُمُ الزَّنْجُ صَدْمَةً صَادِقَةً فَهَزَمُوهُمْ ، وَقَتَلُوا شَاهِينَ وَابْنَ عَمٍّ لَهُ ، وَقُتِلَ مَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ. |
| فَلَمَّا فَرَغَ الزَّنْجُ مِنْهُمْ أَتَاهُمُ الْخَبَرُ بِقُرْبِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سِيمَا مِنْهُمْ ، فَسَارَ عَلَيٌّ نَحْوَهُ ، فَوَافَاهُ وَقْتَ الْعَشَاءِ الْآخِرَةِ ، فَأَوْقَعَ بِإِبْرَاهِيمَ دَفْعَةً أُخْرَى شَدِيدَةً قَتَلَ فِيهَا جَمْعًا كَثِيرًا. |
| قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ وَكَانَ أَصْحَابِي قَدْ تَفَرَّقُوا بَعْدَ الْوَقْعَةِ مَعَ شَاهِينَ ، وَلَمْ يَشْهَدْ مَعِي حَرْبَ إِبْرَاهِيمَ غَيْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا ، وَانْصَرَفَ عَلِيٌّ إِلَى جَيٍّ. |
| ذِكْرُ أَخْذِ الزَّنْجِ الْبَصْرَةَ وَتَخْرِيبِهَا لَمَّا سَارَ سَعِيدٌ عَنِ الْبَصْرَةِ ضَمَّ السُّلْطَانُ عَمَلَهُ إِلَى مَنْصُورِ بْنِ جَعْفَرٍ الْخَيَّاطِ ، وَكَانَ مِنْهُ مَا ذَكَرْنَا ، وَلَمْ يَعُدْ مَنْصُورٌ لِقِتَالِهِ ، وَاقْتَصَرَ عَلَى تَخْفِيرِ الْقَيْرَوَانَاتِ وَالسُّفُنِ ، فَامْتَنَعَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ ، فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى الْعَلَوِيِّ ، فَتَقَدَّمَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبَانٍ بِالْمَقَامِ بِالْخَيْزُرَانِيَّةِ لِيَشْغَلَ مَنْصُورًا عَنْ تَسْيِيرِ الْقَيْرَوَانَاتِ ، فَكَانَ بِنَوَاحِي جَيٍّ ، وَالْخَيْزُرَانِيَّةِ ، وَشَغَلَ مَنْصُورًا ، فَعَادَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ إِلَى الضِّيقِ ، وَأَلَحَّ أَصْحَابُ الْخَبِيثِ عَلَيْهِمْ بِالْحَرْبِ صَبَاحًا وَمَسَاءً. |
| فَلَمَّا كَانَ فِي شَوَّالٍ أَزْمَعَ الْخَبِيثُ عَلَى جَمْعِ أَصْحَابِهِ لِدُخُولِ الْبَصْرَةِ ، وَالْجِدِّ فِي إِخْرَابِهَا لِضَعْفِ أَهْلِهِ وَتَفَرُّقِهِمْ ، وَخَرَابِ مَا حَوْلَهُمْ مِنَ الْقُرَى ، ثُمَّ أَمَرَ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ الدَّارِمِيَّ ، وَهُوَ أَحَدُ مَنْ صَحِبَهُ بِالْبَحْرَيْنِ ، أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْأَعْرَابِ لِيَجْمَعَهُمْ ، فَأَتَاهُ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَأَنَاخُوا بِالْقِنْدَلِ ، وَوَجَّهَ إِلَيْهِمُ الْعَلَوِيُّ سُلَيْمَانَ بْنَ مُوسَى الشَّعْرَانِيَّ ، وَأَمَرَهَمْ بِتَطَرُّقِ الْبَصْرَةِ وَالْإِيقَاعِ بِهَا لِيَتَمَرَّنَ الْأَعْرَابُ عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ أَنْهَضَ عَلِيَّ بْنَ أَبَانٍ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ طَائِفَةً مِنَ الْأَعْرَابِ ، وَأَمَرَ بِإِتْيَانِ الْبَصْرَةِ مِنْ نَاحِيَةِ بَنِي سَعِيدٍ ، وَأَمَرَ يَحْيَى بْنَ مُحَمَّدٍ الْبَحْرَانِيَّ بِإِتْيَانِهَا مِمَّا يَلِي نَهْرَ عُدَيٍّ ، وَضُمَّ إِلَيْهِ سَائِرُ الْأَعْرَابِ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ وَاقَعَ أَهْلَ الْبَصْرَةِ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ ، وَبُفْرَاجُ يَوْمَئِذٍ بِالْبَصْرَةِ ، فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْجُنْدِ ، فَأَقَامَ يُقَاتِلُهُمْ يَوْمَيْنِ وَمَالَ النَّاسُ نَحْوَهُ. |
| وَأَقْبَلَ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ فِيمَنْ مَعَهُ نَحْوَ الْجِسْرِ ، فَدَخَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ وَقْتَ صَلَاةِ الْجُمُعَةَ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْ شَوَّالٍ ، فَأَقَامَ يَقْتُلُ وَيَحْرِقُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَلَيْلَةَ السَّبْتِ ، وَيَوْمَ السَّبْتِ ، وَغَادَى يَحْيَى الْبَصْرَةَ يَوْمَ الْأَحَدِ ، فَتَلَقَّاهُ بُفْرَاجُ وَبَرِّيَّةُ فِي جَمْعٍ فَرَدُّوهُ ، فَرَجَعَ يَوْمَهُ ذَلِكَ. |
| ثُمَّ غَادَاهُمُ الْيَوْمَ الْآخَرَ ، فَدَخَلَ وَقَدْ تَفَرَّقَ الْجُنْدُ ، وَهَرَبَ بَرِّيَّةُ ، وَانْحَازَ بُفْرَاجُ وَمَنْ مَعَهُ ، وَلَقِيَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَحْيَى الْمُهَلَّبِيُّ ، فَاسْتَأْمَنَهُ لِأَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَأَمَّنَهُمْ ، فَنَادَى مُنَادِي إِبْرَاهِيمَ مَنْ أَرَادَ الْأَمَانَ فَلْيَحْضُرْ دَارَ إِبْرَاهِيمَ ، فَحَضَرَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ قَاطِبَةً ، حَتَّى مَلَئُوا الرِّحَابَ فَلَمَّا رَأَى اجْتِمَاعَهُمُ انْتَهَزَ الْفُرْصَةَ لِئَلَّا يَتَفَرَّقُوا ، فَغَدَرَ بِهِمْ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِقَتْلِهِمْ ، فَكَانَ السَّيْفُ يَعْمَلُ فِيهِمْ ، وَأَصْوَاتُهُمْ مُرْتَفِعَةٌ بِالشَّهَادَةِ ، فَقَتَلَ ذَلِكَ الْجَمْعَ كُلَّهُ ، وَلَمْ يَسْلَمَ إِلَّا النَّادِرُ مِنْهُمْ ، ثُمَّ انْصَرَفَ يَوْمَهُ ذَلِكَ إِلَى الْحَرْبِيَّةِ. |
| وَدَخَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ الْجَامِعَ فَأَحْرَقَهُ ، وَأُحْرِقَتِ الْبَصْرَةُ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ ، مِنْهَا الْمِرْبَدُ ، وَزَهْرَانُ ، وَغَيْرُهُمَا ، وَاتَّسَعَ الْحَرِيقُ مِنَ الْجَبَلِ إِلَى الْجَبَلِ ، وَعَظُمَ الْخَطْبُ ، وَعَمَّهَا الْقَتْلُ وَالنَّهْبُ وَالْإِحْرَاقُ ، وَقَتَلُوا كُلَّ مَنْ رَأَوْهُ بِهَا ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْيَسَارِ أَخَذُوا مَالَهُ وَقَتَلُوهُ; وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا قَتَلُوهُ لِوَقْتِهِ ، بَقُوا كَذَلِكَ عِدَّةَ أَيَّامٍ. |
| ثُمَّ أَمَرَ يَحْيَى أَنْ يُنَادَى بِالْأَمَانِ لِيَظْهَرُوا ، فَلَمْ يَظْهَرْ أَحَدٌ; ثُمَّ انْتَهَى الْخَبَرُ إِلَى الْخَبِيثِ ، فَصَرَفَ عَلِيَّ بْنَ أَبَانٍ عَنْهَا ، وَأَقَرَّ يَحْيَى عَلَيْهَا لِمُوَافَقَتِهِ هَوَاهُ فِي كَثْرَةِ الْقَتْلِ ، وَصَرَفَ عَلِيًّا لِإِبْقَائِهِ عَلَى أَهْلِهَا ، فَهَرَبَ النَّاسُ عَلَى وُجُوهِهِمْ وَصَرَفَ الْخَبِيثُ جَيْشَهُ عَنِ الْبَصْرَةِ. |
| فَلَمَّا أَخْرَبَ الْبَصْرَةَ انْتَسَبَ إِلَى يَحْيَى بْنِ زَيْدٍ ، وَذَلِكَ لِمَصِيرِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْعَلَوِيِّينَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ فِيهِمْ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عِيسَى بْنِ زَيْدٍ وَجَمَاعَةٌ مِنْ نِسَائِهِمْ ، فَتَرَكَ الِانْتِسَابَ إِلَى عِيسَى بْنِ زَيْدٍ ، وَانْتَسَبَ إِلَى يَحْيَى بْنِ زَيْدٍ ، قَالَ الْقَاسِمُ بْنُ حَسَنٍ النَّوْفَلِيُّ كَذَبَ ابْنُ يَحْيَى لَمْ يُعْقِبْ غَيْرَ بِنْتٍ مَاتَتْ وَهِيَ تَرْضَعُ. |
| ذِكْرُ مَسِيرِ الْمُولَّدِ لِحَرْبِ الزَّنْجِ وَفِيهَا ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، أَمَرَ الْمُعْتَمِدُ أَحْمَدَ الْمُوَلَّدَ بِالْمَسِيرِ إِلَى الْبَصْرَةِ لِحَرْبِ الزَّنْجِ ، فَنَزَلَ الْأُبُلَّةَ ، وَجَاءَ بَرِّيَّةُ فَنَزَلَ الْبَصْرَةَ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَسَيَّرَ الْعَلَوِيَّ إِلَى حَرْبِ الْمُوَلَّدِ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ ، فَسَارَ إِلَيْهِ فَقَاتَلَهُ عَشَرَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ وَطَّنَ الْمُوَلَّدَ نَفْسَهُ عَلَى الْمُقَامِ ، فَكَتَبَ الْعَلَوِيُّ إِلَى يَحْيَى يَأْمُرُهُ بِتَبْيِيتِ الْمَوْلَّدِ ، وَوَجَّهَ إِلَيْهِ الشَّذَا مَعَ أَبِي اللَّيْثِ الْأَصْفَهَانِيِّ ، فَبَيَّتَهُ ، وَنَهَضَ الْمُوَلَّدُ فَقَاتَلَهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَمِنَ الْغَدِ إِلَى الْعَصْرِ ، ثُمَّ انْهَزَمَ عَنْهُ. |
| وَدَخَلَ الزَّنْجُ عَسْكَرَهُ فَغَنِمُوا مَا فِيهِ ، فَاتَّبَعَهُ يَحْيَى إِلَى الْجَامِدَةِ ، فَأَوْقَعَ بِأَهْلِهَا ، وَنَهَبَ تِلْكَ الْقُرَى جَمِيعَهَا ، وَسَفَكَ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ مِنَ الدِّمَاءِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى نَهْرِ مَعْقِلٍ. |
| ذِكْرُ قَصْدِ يَعْقُوبَ فَارِسَ ، وَمَلْكِهِ بَلْخَ ، وَغَيْرِهَا وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ يَعْقُوبُ بْنُ اللَّيْثِ إِلَى فَارِسَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمُعْتَمِدُ يُنْكِرُ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمُوَفَّقُ بِوِلَايَةِ بَلْخَ ، وَطَخَارِسْتَانَ ، وَسِجِسْتَانَ ، وَالسِّنْدِ ، فَقَبِلَ ذَلِكَ وَعَادَ ، وَسَارَ إِلَى بَلْخَ وَطَخَارِسْتَانَ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بَلْخَ نَزَلَ بِظَاهِرِهَا ، وَخَرَّبَ نُوشَادَ ، وَهِيَ أَبْنِيَةٌ كَانَ بَنَاهَا دَاوُدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ مَابَنْجُورَ خَارِجَ بَلْخَ. |
| ثُمَّ سَارَ يَعْقُوبُ مِنْ بَلْخَ إِلَى كَابُلَ ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَقَبَضَ عَلَى زِنْبِيلٍ ، وَأَرْسَلَ رَسُولًا إِلَى الْخَلِيفَةِ ، وَمَعَهُ هَدِيَّةٌ جَلِيلَةُ الْمِقْدَارِ ، وَفِيهَا أَصْنَامٌ أَخَذَهَا مِنْ كَابُلَ وَتِلْكَ الْبِلَادِ ، وَسَارَ إِلَى بُسْتَ فَأَقَامَ بِهَا سَنَةً. |
| وَسَبَبُ إِقَامَتِهِ أَنَّهُ أَرَادَ الرَّحِيلَ ، فَرَأَى بَعْضَ قُوَّادِهِ قَدْ حَمَلَ بَعْضَ أَثْقَالِهِ ، فَغَضِبَ وَقَالَ أَتَرْحَلُونَ قَبْلِي ؟ |
| وَأَقَامَ سَنَةً ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى سِجِسْتَانَ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى هَرَاةَ ، وَحَاصَرَ مَدِينَةَ كَرُوخَ حَتَّى أَخَذَهَا ، ثُمَّ سَارَ إِلَى بُوشَنْجَ ، وَقَبَضَ عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْكَبِيرِ ، وَأَنْفَذَ إِلَيْهِ مُحَمَّدَ بْنَ طَاهِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَسَأَلَهُ إِطْلَاقَهُ وَهُوَ عَمُّ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ طَاهِرٍ ، فَلَمْ يَفْعَلْ وَبَقِيَ فِي يَدِهِ. |
| ذِكْرُ مُلْكِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ الْعَلَوِيِّ جُرْجَانَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قَصَدَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ الْعَلَوِيُّ صَاحِبُ طَبَرِسْتَانَ جُرْجَانَ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ أَمِيرَ خُرَاسَانَ ، لَمَّا بَلَغَهُ مِنْ عَزْمِ الْحَسَنِ عَلَى قَصْدِ جُرْجَانَ قَدْ جَهَّزَ الْعَسَاكِرَ فَأَنْفَقَ عَلَيْهَا أَمْوَالًا كَثِيرَةً ، وَسَيَّرَهَا إِلَى جُرْجَانَ لِحِفْظِهَا ، فَلَمَّا قَصَدَهَا الْحَسَنُ لَمْ يَقُومُوا لَهُ ، وَظَفِرَ بِهِمْ وَمَلَكَ الْبَلَدَ ، وَقَتَلَ كَثِيرًا مِنَ الْعَسَاكِرِ ، وَغَنِمَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ مَا عِنْدَهُمْ. |
| وَضَعُفَ حِينَئِذٍ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ ، وَانْتَقَضَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي كَانَ يَجِيءُ خَرَاجُهَا إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَبْقَ فِي يَدِهِ إِلَّا بَعْضُ خُرَاسَانَ ، وَأَكْثَرُ ذَلِكَ مَفْتُونٌ مُنْتَقَضٌ بِالْمُتَغَلِّبِينَ فِي نَوَاحِيهَا ، وَالشُّرَاةِ الَّذِينَ يَعِيثُونَ فِي عَمَلِهِ ، فَلَا يُمْكِنُهُ دَفْعُهُمْ ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ تَغَلُّبِ يَعْقُوبَ الصَّفَّارِ عَلَى خُرَاسَانَ ، كَمَا نَذْكُرُهُ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا أَخَذَ أَحْمَدُ الْمُوَلَّدُ سَعْدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ سَعْدٍ الْبَاهِلِيَّ ، وَكَانَ قَدْ تَغَلَّبَ عَلَى الْبَطَائِحِ ، وَأَفْسَدَ الطَّرِيقَ ، وَحُمِلَ إِلَى سَامَرَّا ، فَضُرِبَ سَبْعَمِائَةِ سَوْطٍ فَمَاتَ ، وَصُلِبَ مَيِّتًا. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ الْفَضْلُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ. |
| وَفِيهَا وَثَبَ بُسَيْلٌ الْمَعْرُوفُ بِالصَّقْلَبِيِّ ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ الصَّقْلَبِيُّ ، وَهُوَ مِنْ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ ، لِأَنَّ أُمَّهُ صَقْلَبِيَّةٌ ، عَلَى مِيخَائِيلَ بْنِ تُوفِيلَ مَلِكِ الرُّومِ ، فَقَتَلَهُ; وَكَانَ مُلْكُ مِيخَائِيلَ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَمَلَكَ بُسَيْلُ الرُّومَ. |
| وَفِيهَا أَقْطَعَ الْمُعْتَمِدُ مِصْرَ وَأَعْمَالَهَا لِيَارْكُوجَ التُّرْكِيِّ ، فَأَقَرَّ عَلَيْهَا أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ. |
| وَفِيهَا فَارَقَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي دُلَفٍ الرَّيَّ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ ، وَأَخْلَاهَا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ الْعُلْوِيُّ صَاحِبُ طَبَرِسْتَانَ الْقَاسِمَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَلِيٍّ الْعَلَوِيَّ الْمَعْرُوفَ بِدُلَيْسٍ ، فَغَلَبَ عَلَيْهَا ، فَأَسَاءَ السِّيرَةَ فِي أَهْلِهَا جِدًّا ، وَقَلَعُوا أَبْوَابَ الْمَدِينَةِ ، وَكَانَتْ مِنْ حَدِيدٍ ، وَسَيَّرَهَا إِلَى الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ ، وَبَقِيَ كَذَلِكَ نَحْوَ ثَلَاثِ سِنِينَ. |
| وَفِيهَا خَرَجَ عَلِيُّ بْنُ مُسَاوِرٍ الْخَارِجِيُّ ، وَخَارِجِيٌّ آخَرُ اسْمُهُ طَوْقٌ مِنْ بَنِي زُهَيْرٍ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ ، فَسَارَ إِلَى أَذْرَمَةَ ، فَحَارَبَهَا أَهْلُهَا ، فَظَفِرَ بِهِمْ ، فَدَخَلَهَا بِالسَّيْفِ ، وَأَخَذَ جَارِيَةً بِكْرًا فَجَعَلَهَا فَيْئًا ، وَافْتَضَّهَا فِي الْمَسْجِدِ ، فَجَمَعَ عَلَيْهِ الْحَسَنُ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ أَحْمَدَ الْعَدَوِيُّ جَمْعًا كَثِيرًا ، فَحَارَبَهُ فَقَتَلَهُ ، وَقَطَعَ رَأْسَهُ وَأَنْفَذَهُ إِلَى سَامَرَّا. |
| وَفِيهَا قُتِلَ مُحَمَّدُ بْنُ خَفَاجَةَ أَمِيرُ صِقِلِّيَّةَ ، قَتَلَهُ خَدَمُهُ نَهَارًا ، وَكَتَمُوا قَتْلَهُ ، فَلَمْ يُعْرَفْ إِلَّا مِنَ الْغَدِ. |
| وَكَانَ الْخَدَمُ الَّذِينَ قَتَلُوهُ قَدْ هَرَبُوا ، فَطُلِبُوا فَأُخِذُوا ، وَقُتِلَ بَعْضُهُمْ ، وَلَمَّا قُتِلَ اسْتَعْمَلَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْأَغْلَبِ عَلَى صِقِلِّيَةَ أَحْمَدَ بْنَ يَعْقُوبَ بْنِ الْمَضَّاءِ بْنِ سَلَمَةَ فَلَمْ تَطُلْ أَيَّامُهُ ، وَمَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ . |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ الْعَبْدِيُّ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِائَةٍ بِسُرَّ مَنْ رَأَى. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَرَجِ الرِّيَاشِيُّ اللُّغَوِيُّ ، مِنْ كِبَارِهِمْ ، وَرَوَى عَنِ الْأَصْمَعِيِّ وَغَيْرِهِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ الْخَطَّابِ الْمَوْصِلِيُّ ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالزُّهْدِ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ قَتْلِ مَنْصُورِ بْنِ جَعْفَرٍ الْخَيَّاطِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ مَنْصُورُ بْنُ جَعْفَرٍ الْخَيَّاطُ ، وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّ الْعَلَوِيَّ الْبَصْرِيَّ لَمَّا فَرَغَ مِنْ أَمْرِ الْبَصْرَةِ أَمَّرَ عَلِيَّ بْنَ أَبَانٍ بِالْمَسِيرِ إِلَى جَيٍّ لِحَرْبِ مَنْصُورِ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَهُوَ يَلِي يَوْمَئِذٍ الْأَهْوَازَ ، وَأَقَامَ بِإِزَائِهِ شَهْرًا ، وَكَانَ مَنْصُورٌ فِي قِلَّةٍ مِنَ الرِّجَالِ ، فَأَتَى عَسْكَرَ عَلِيٍّ وَهُوَ بِالْخَيْزُرَانِيَّةِ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْخَبِيثَ صَاحِبَ الزَّنْجِ ، وَجَّهَ إِلَى عَلِيٍّ بِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ شَذَاةً مَشْحُونَةً بِجُلَّةِ أَصْحَابِهِ ، وَوَلَّى أَمَرَهُمْ أَبَا اللَّيْثِ الْأَصْبِهَانِيَّ ، وَأَمَرَهُ بِطَاعَةِ عَلِيٍّ ، فَلَمَّا صَارَ إِلَيْهِ خَالَفَهُ ، وَاسْتَبَدَّ عَلَيْهِ ، وَجَاءَ مَنْصُورٌ كَمَا كَانَ يَجِيءُ لِلْحَرْبِ ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ أَبُو اللَّيْثِ ، عَنْ غَيْرِ إِذْنِ عَلِيٍّ ، فَظَفِرَ بِهِ مَنْصُورٌ ، وَبِالشَّذَوَاتِ الَّتِي مَعَهُ ، وَقَتَلَ فِيهَا مِنَ الْبِيضِ وَالزَّنْجِ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَأَفْلَتَ أَبُو اللَّيْثِ ، وَرَجَعَ إِلَى الْخَبِيثِ. |
| ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا وَجَّهَ طَلَائِعَ يَأْتُونَهُ بِخَبَرِ مَنْصُورٍ ، وَأَسْرَى إِلَى وَالٍ كَانَ لِمَنْصُورٍ عَلَى كَرْنَبَا ، فَقَتَلَهُ وَقَتَلَ أَكْثَرَ أَصْحَابِهِ ، وَغَنِمَ مَا كَانَ مَعَهُمْ وَرَجَعَ. |
| وَبَلَغَ الْخَبَرُ مَنْصُورًا ، فَأَسْرَى إِلَى الْخَيْزُرَانِيَّةِ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ ، فَتَحَارَبُوا إِلَى الظُّهْرِ ، ثُمَّ انْهَزَمَ مَنْصُورٌ ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، وَانْقَطَعَ عَنْهُمْ ، وَأَدْرَكَتْهُ طَائِفَةٌ مِنَ الزَّنْجِ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ ، وَقَاتَلَهُمْ حَتَّى تَكَسَّرَ رُمْحُهُ ، وَفَنِيَ نُشَّابُهُ ، ثُمَّ حَمَلَ حِصَانَهُ لِيَعْبُرَ فِي النَّهْرِ ، وَلَمْ يَعْبُرْهُ. |
| وَكَانَ سَبَبُ وُقُوعِهِ أَنَّ بَعْضَ الزَّنْجِ رَآهُ حِينَ أَرَادَ أَنْ يَعْبُرَ النَّهْرَ ، فَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي النَّهْرِ قَبْلَ مَنْصُورٍ وَتَلَقَّى الْفَرَسَ حِينَ وَثَبَ فَنَكَصَ ، فَلَمَّا سَقَطَ فِي النَّهْرِ قَتَلَهُ الْأَسْوَدُ ، وَأَخَذَ سَلَبَهُ ، وَقَتَلَ مَعَهُ أَخُوهُ خَلَفَ بْنَ جَعْفَرٍ وَغَيْرَهُ ، فَوَلِيَ يَارْكُوجُ مَا كَانَ إِلَى مَنْصُورِ بْنِ جَعْفَرٍ مِنَ الْعَمَلِ. |
| ذِكْرُ مَسِيرِ أَبِي أَحْمَدَ إِلَى الزَّنْجِ وَقَتْلِ مُفْلِحٍ وَفِيهَا ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، عَقَدَ الْمُعْتَمِدُ لِأَخِيهِ أَبِي أَحْمَدَ عَلَى دِيَارِ مِصْرَ ، وَقِنَّسْرِينَ ، وَالْعَوَاصِمِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَعَلَى مُفْلِحٍ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ ، وَسَيَّرَهُمَا إِلَى حَرْبِ الزَّنْجِ بِالْبَصْرَةِ ، وَرَكِبَ الْمُعْتَمِدُ مَعَهُ يُشَيِّعُهُ ، وَسَارَ نَحْوَ الْبَصْرَةِ ، وَنَازَلَ الْعَلَوِيَّ وَقَاتَلَهُ. |
| وَكَانَ سَبَبُ تَسْيِيرِهِ مَا فَعَلَهُ بِالْبَصْرَةِ ، وَأَكْبَرَ النَّاسُ ذَلِكَ ، وَتَجَهَّزُوا إِلَيْهِ وَسَارُوا فِي عُدَّةٍ حَسَنَةٍ كَامِلَةٍ ، وَصَحِبَهُ مِنْ سُوقَةِ بَغْدَاذَ خَلْقٌ كَثِيرٌ. |
| وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ بِجَيٍّ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَا ، وَسَارَ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَحْرَانِيُّ إِلَى نَهْرِ الْعَبَّاسِ ، وَمَعَهُ أَكْثَرُ الزُّنُوجِ ، فَبَقِيَ صَاحِبُهُمْ فِي قِلَّةٍ مِنَ النَّاسِ ، وَأَصْحَابِهِ يُغَادُونَ الْبَصْرَةَ وَيُرَاوِحُونَهَا لِنَقْلِ مَا نَالُوهُ مِنْهَا ، فَلَمَّا نَزَلَ عَسْكَرُ أَبِي أَحْمَدَ بِنَهْرِ مَعْقِلٍ ، احْتَفَلَ مَنْ فِيهِ مِنَ الزُّنُوجِ إِلَى صَاحِبِهِمْ مَرْعُوبِينَ ، وَأَخْبَرُوهُ بِعُظْمِ الْجَيْشِ وَأَنَّهُمْ لَمْ يَرِدْ عَلَيْهِمْ مِثْلُهُ ، وَأَحْضَرَ رَئِيسَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَسَأَلَهُمَا عَنْ قَائِدِ الْجَيْشِ فَلَمْ يَعْرِفَاهُ ، فَجَزِعَ ، وَارْتَاعَ. |
| ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبَانٍ يَأْمُرُهُ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِ فِيمَنْ مَعَهُ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَرْبِعَاءِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى أَتَاهُ بَعْضُ قُوَّادِهِ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَجِيءِ الْعَسْكَرِ وَتَقَدُّمِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ لَيْسَ فِي وُجُوهِهِمْ مَنْ يَرُدُّهُمْ مِنَ الزُّنُوجِ ، وَكَذَّبَهُ ، وَسَبَّهُ ، وَأَمَرَ فَنُودِيَ فِي الزُّنُوجِ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْحَرْبِ ، فَخَرَجُوا ، فَرَأَوْا مُفْلِحًا قَدْ أَتَاهُمْ فِي عَسْكَرٍ لِحَرْبِهِمْ ، فَقَاتَلَهُمْ ، فَبَيْنَمَا مُفْلِحٌ يُقَاتِلُهُمْ إِذْ أَتَاهُ سَهْمُ غَرْبٍ لَا يُعْرَفُ مَنْ رَمَى بِهِ ، فَأَصَابَهُ ، فَرَجَعَ وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ ، وَقَتَلُوا فِيهِمْ قَتْلًا ذَرِيعًا ، وَحَمَلُوا الرُّءُوسَ إِلَى الْعَلَوِيِّ ، وَاقْتَسَمَ الزَّنْجُ لُحُومَ الْقَتْلَى . |
| وَأُتِيَ بِالْأَسْرَى ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ قَائِدِ الْجَيْشِ ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ أَبُو أَحْمَدَ ، وَمَاتَ مُفْلِحٌ مِنْ ذَلِكَ السَّهْمِ ، فَلَمْ يَلْبَثِ الْعَلَوِيُّ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى وَافَاهُ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ. |
| ثُمَّ إِنَّ أَبَا أَحْمَدَ رَحَلَ نَحْوَ الْأُبُلَّةِ لِيَجْمَعَ مَا فَرَّقَتْهُ الْهَزِيمَةُ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى نَهْرِ أَبِي الْأَسَدِ ، وَلَمَّا عَلِمَ الْخَبِيثُ كَيْفَ قُتِلَ مُفْلِحٌ ، وَلَمْ يَرَ أَحَدًا يَدَّعِي قَتْلَهُ ، زَعَمَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَتَلَهُ ، وَكَذَبَ فَإِنَّهُ لَمْ يَحْضُرْهُ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَحْرَانِيِّ وَفِيهَا أُسِرَ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَحْرَانِيُّ قَائِدُ صَاحِبِ الزَّنْجِ ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا سَارَ نَحْوَ نَهْرِ الْعَبَّاسِ لَقِيَهُ عَسْكَرُ أَصْعَجُورَ عَامِلِ الْأَهْوَازِ بَعْدَ مَنْصُورٍ ، وَقَاتَلَهُمْ ، وَكَانَ أَكْثَرَ مِنْهُمْ عَدَدًا ، فَنَالَ ذَلِكَ الْعَسْكَرُ مِنَ الزَّنْجِ بِالنُّشَّابِ ، وَجَرَحُوهُمْ ، فَعَبَرَ يَحْيَى النَّهْرَ إِلَيْهِمْ ، فَانْحَازُوا عَنْهُ ، وَغَنِمَ سُفُنًا كَانَتْ مَعَ الْعَسْكَرِ ، فِيهَا الْمِيرَةُ ، وَسَارُوا بِهَا إِلَى عَسْكَرِ صَاحِبِ الزَّنْجِ عَلَى غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي فِيهِ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ ، لِتَحَاسُدٍ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَحْيَى. |
| وَوَجَّهَ يَحْيَى طَلَائِعَهُ إِلَى دِجْلَةَ ، فَلَقِيَهُمْ جَيْشُ أَبِي أَحْمَدَ الْمُوَفَّقِ سَائِرِينَ إِلَى نَهْرِ أَبِي الْأَسَدِ ، فَرَجَعُوا إِلَى عَلِيٍّ ، فَأَخْبَرُوهُ بِمَجِيءِ الْجَيْشِ ، فَرَجَعَ مِنَ الطَّرِيقِ الَّذِي كَانَ سَلَكَهُ ، وَسَلَكَ نَهْرَ الْعَبَّاسِ ، وَعَلَى فَمِ النَّهْرِ شَذَوَاتٌ لِحَمِيَّةٍ مِنْ عَسْكَرِ الْخَلِيفَةِ ، فَلَمَّا رَآهُمْ يَحْيَى رَاعَهُ ذَلِكَ ، وَخَافَ أَصْحَابُهُ فَنَزَّلُوا السُّفُنَ وَعَبَرُوا النَّهْرَ ، وَلَقِيَ يَحْيَى وَمَنْ مَعَهُ بِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، فَقَاتَلَهُمْ هُوَ وَذَلِكَ النَّفَرُ الْيَسِيرُ ، فَرَمَوْهُمْ بِالسِّهَامِ ، فَجُرِحَ ثَلَاثَ جِرَاحَاتٍ; فَلَمَّا جُرِحَ تَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ عَنْهُ ، وَلَمْ يُعْرَفْ حَتَّى يُؤْخَذَ ، فَرَجَعَ حَتَّى دَخَلَ بَعْضَ السُّفُنِ وَهُوَ مُثْخَنٌ بِالْجِرَاحِ. |
| وَأَخَذَ أَصْحَابُ السُّلْطَانِ الْغَنَائِمَ ، وَأَخَذُوا السُّفُنَ ، وَعَبَرُوا إِلَى سُفُنٍ كَانَتْ لِلزَّنْجِ فَأَحْرَقُوهَا ، وَتَفَرَّقَ الزَّنْجُ عَنْ يَحْيَى بَقِيَّةَ نَهَارِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَى تَفَرُّقَهُمْ رَكِبَ سُمَيْرِيَّةً ، وَأَخَذَ مَعَهُ طَبِيبًا لِأَجْلِ الْجِرَاحِ ، وَسَارَ فِيهَا ، فَرَأَى الْمَلَّاحُونَ سُمَيْرِيَّاتِ السُّلْطَانِ ، فَخَافُوا ، فَأَلْقَوْا يَحْيَى وَمَنْ مَعَهُ عَلَى الْأَرْضِ ، فَمَشَى وَهُوَ مُثْقَلٌ ، وَقَامَ الطَّبِيبُ الَّذِي مَعَهُ فَأَتَى أَصْحَابَ السُّلْطَانِ فَأَخْبَرَهُمْ خَبَرَهُ. |
| فَأَخَذُوهُ وَحَمَلُوهُ إِلَى أَبِي أَحْمَدَ ، فَحَمَلَهُ أَبُو أَحْمَدَ إِلَى سَامَرَّا ، فَقُطِعَتْ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ ، ثُمَّ قُتِلَ ، فَجَزِعَ الْخَبِيثُ ، وَالزُّنُوجُ عَلَيْهِ جَزَعًا كَبِيرًا ، وَقَالَ لَهُمْ لَمَّا قُتِلَ يَحْيَى اشْتَدَّ جَزَعِي عَلَيْهِ ، فَخُوطِبْتُ أَنَّ قَتْلَهُ كَانَ خَيْرًا لَكَ ، إِنَّهُ كَانَ شَرِهًا. |
| ذِكْرُ عَوْدِ أَبِي أَحْمَدَ إِلَى وَاسِطَ وَفِيهَا انْحَازَ أَبُو أَحْمَدَ مِنْ مَوْضِعِهِ إِلَى وَاسِطَ; وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا سَارَ إِلَى نَهْرِ أَبِي الْأَسَدِ كَثُرَتِ الْأَمَرَاضُ فِي أَصْحَابِهِ ، وَكَثُرَ فِيهِمُ الْمَوْتُ ، فَرَجَعَ إِلَى بَاذَاوَرْدَ فَأَقَامَ بِهَا ، وَأَمَرَ بِتَجْدِيدِ الْآلَاتِ ، وَإِعْطَاءِ الْجُنْدِ أَرْزَاقَهُمْ ، وَإِصْلَاحِ السُّمَيْرِيَّاتِ وَالشَّذَا ، وَشَحَنَهَا بِالْقُوَّادِ ، وَعَادَ إِلَى عَسْكَرِ صَاحِبِ الزَّنْجِ ، وَأَمَرَ جَمَاعَةً مِنْ قُوَّادِهِ بِقَصْدِ مَوَاضِعَ سَمَّاهَا مِنْ نَهْرِ أَبِي الْخَصِيبِ وَغَيْرِهِ ، وَبَقِيَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ ، فَمَالَ أَكْثَرُ الْخَلْقِ ، حِينَ الْتَقَى النَّاسُ وَنَشِبَتِ الْحَرْبُ ، إِلَى نَهْرِ أَبِي الْخَصِيبِ ، وَبَقِيَ أَبُو أَحْمَدَ فِي قِلَّةِ أَصْحَابِهِ ، فَلَمْ يَزَلْ عَنْ مَوْضِعِهِ خَوْفًا أَنْ يَطْمَعَ الزَّنْجُ. |
| وَلَمَّا رَأَى الزَّنْجُ قِلَّةَ مَنْ مَعَهُ طَمِعُوا فِيهِ ، وَكَثُرُوا عَلَيْهِ ، وَاشْتَدَّتِ الْحَرْبُ عِنْدَهُ ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ وَالْجِرَاحُ ، وَأَحْرَقَ أَصْحَابُ أَبِي أَحْمَدَ مَنَازِلَ الزُّنُوجِ ، وَاسْتَنْقَذُوا مِنَ النِّسَاءِ جَمْعًا كَثِيرًا ، ثُمَّ أَلْقَى الزَّنْجُ جِدَّهُمْ نَحْوَهُ ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو أَحْمَدَ ذَلِكَ عَلِمَ أَنَّ الْحَزْمَ فِي الْمُحَاجَزَةِ ، فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالرُّجُوعِ إِلَى سُفُنِهِمْ عَلَى مَهَلٍ وَتُؤَدَةٍ. |
| وَاقْتَطَعَ الزَّنْجُ طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَاتَلُوهُمْ ، فَقَتَلُوا مِنَ الزَّنْجِ خَلْقًا كَثِيرًا ، ثُمَّ قُتِلُوا جَمِيعُهُمْ ، وَحُمِلَتْ رُءُوسُهُمْ إِلَى قَائِدِ الزَّنْجِ ، وَهِيَ مِائَةُ رَأْسٍ وَعَشْرَةُ أَرْؤُسٍ ، فَزَادَ ذَلِكَ فِي عُتُوِّهِ. |
| وَنَزَلَ أَبُو أَحْمَدَ فِي عَسْكَرِهِ بِبَاذَاوَرْدَ ، فَأَقَامَ يُعَبِّئُ أَصْحَابَهُ لِلرُّجُوعِ إِلَى الزَّنْجِ ، فَوَقَعَتْ نَارٌ فِي أَطْرَافِ عَسْكَرِهِ ، فِي يَوْمِ رِيحٍ عَاصِفٍ ، فَاحْتَرَقَ كَثِيرٌ مِنْهُ ، فَرَحَلَ مِنْهَا إِلَى وَاسِطَ ، فَلَمَّا نَزَلَ وَاسِطَ تَفَرَّقَ عَنْهُ عَامَّةُ أَصْحَابِهِ ، فَسَارَ مِنْهَا إِلَى سَامَرَّا ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى وَاسِطَ ، لِحَرْبِ الْعَلَوِيِّ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُوَلَّدِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا وَقَعَ الْوَبَاءُ فِي كُوَرِ دِجْلَةَ ، فَهَلَكَ مِنْهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ بِبَغْدَاذَ ، وَوَاسِطَ ، وَسَامَرَّا ، وَغَيْرِهَا. |
| وَفِيهَا قُتِلَ سِرِسْجَارِسُ بِبِلَادِ الرُّومِ مَعَ جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ. |
| وَفِيهَا كَانَتْ هَدَّةٌ عَظِيمَةٌ هَائِلَةٌ بِالصَّيْمَرَةِ ، ثُمَّ سُمِعَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ هَدَّةٌ أَعْظَمُ مِنَ الْأُولَى ، فَانْهَدَمَ أَكْثَرُ الْمَدِينَةِ ، وَتَسَاقَطَتِ الْحِيطَانُ ، وَهَلَكَ مِنْ أَهْلِهَا زُهَاءُ عِشْرِينَ أَلْفًا. |
| وَفِيهَا مَاتَ يَارْكُوجُ التُّرْكِيُّ فِي رَمَضَانَ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ أَبُو عِيسَى بْنُ الْمُتَوَكِّلِ ، وَكَانَ صَاحِبَ مِصْرَ ، وَمُقْطِعَهَا ، وَدُعِيَ لَهُ فِيهَا قَبْلَ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ اسْتَقَلَّ أَحْمَدُ بِمِصْرَ. |
| وَفِيهَا كَانَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَ أَصْحَابِ مُوسَى بْنِ بُغَا وَأَصْحَابِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ الْعَلَوِيِّ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ الْحَسَنِ. |
| وَفِيهَا أَسَرَ مَسْرُورٌ الْبَلْخِيُّ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِ مُسَاوِرٍ الشَّارِيِّ ، وَسَارَ مَسْرُورٌ إِلَى الْبَوَازِيجِ ، فَلَقِيَ مُسَاوِرًا هُنَاكَ ، فَكَانَ فِيهَا بَيْنَهُمَا وَقْعَةٌ أُسِرَ فِيهَا مِنْ أَصْحَابِ مَسْرُورٍ جَمَاعَةٌ ، ثُمَّ انْصَرَفَ فِي ذِي الْحِجَّةِ إِلَى سَامَرَّا ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى عَسْكَرِهِ بِحَدِيثَةِ الْمَوْصِلِ جُعْلَانَ. |
| وَفِيهَا رَجَعَ أَكْثَرُ النَّاسِ مِنَ الْقَرْعَاءِ خَوْفَ الْعَطَشِ ، وَسَلِمَ مَنْ سَارَ إِلَى مَكَّةَ ، وَحَجَّ بِالنَّاسِ الْفَضْلُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ الْحَسَنِ. |
| وَفِيهَا أُوقِعَ بِأَعْرَابٍ بِتِكْرِيتَ كَانُوا أَعَانُوا مُسَاوِرًا الشَّارِيَّ . |
| وَفِيهَا أَوْقَعَ مَسْرُورٌ الْبَلْخِيُّ بِالْأَكْرَادِ الْيَعْقُوبِيَّةِ ، فَهَزَمَهُمْ ، وَأَصَابَ فِيهَا. |
| وَفِيهَا صَارَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاصِلٍ فِي طَاعَةِ السُّلْطَانِ ، وَسَلَّمَ فَارِسَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْفَيَّاضِ. |
| وَفِيهَا أُسِرَ جَمَاعَةٌ مِنَ الزَّنْجِ كَانَ فِيهِمْ قَاضٍ كَانَ لَهُمْ بِعَبَّادَانَ ، فَحُمِلُوا إِلَى سَامَرَّا ، فَضُرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ الذُّهْلِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ ، وَلَهُ مَعَ الْبُخَارِيِّ حَادِثَةٌ ظَلَمَهُ بِهَا حَسَدًا لَهُ ، لَيْسَ هَذَا مَكَانُ ذِكْرِهَا. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ الرَّازِيُّ الْوَاعِظُ فِي جُمَادَى الْأُولَى ، وَكَانَ عَابِدًا صَالِحًا صَحِبَ أَبَا يَزِيدَ ، وَغَيْرَهُ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ دُخُولِ الزَّنْجِ الْأَهْوَازَ وَفِيهَا ، فِي رَجَبٍ ، دَخَلَتِ الزَّنْجُ الْأَهْوَازَ ، وَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّ الْعَلَوِيَّ أَنْفَذَ عَلِيَّ بْنَ أَبَانٍ الْمُهَلَّبِيَّ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ الْجَيْشَ الَّذِي كَانَ مَعَ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَحْرَانِيِّ ، وَسُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى الشَّعْرَانِيِّ ، وَسَيَّرَهُ إِلَى الْأَهْوَازِ. |
| وَكَانَ الْمُتَوَلِّي لَهَا بَعْدَ مَنْصُورِ بْنِ جَعْفَرٍ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أَصْعَجُورُ ، فَبَلَغَهُ خَبَرُ الزَّنْجِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ، وَالْتَقَى الْعَسْكَرَانِ بِدَشْتِ مَيْسَانَ ، فَانْهَزَمَ أَصْعَجُورُ ، وَقُتِلَ مَعَهُ ثَيْرَكُ ، وَجُرِحَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَغَرِقَ أَصْعَجُورُ ، وَأُسِرَ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فِيهِمُ الْحَسَنُ بْنُ هَرْثَمَةَ ، وَالْحَسَنُ بْنُ جَعْفَرٍ ، وَحُمِلَتِ الرُّءُوسُ ، وَالْأَعْلَامُ ، وَالْأَسْرَى إِلَى الْخَبِيثِ ، فَأَمَرَ بِحَبْسِ الْأَسْرَى ، وَدَخَلَ الزَّنْجُ الْأَهْوَازَ ، فَأَقَامُوا يُفْسِدُونَ فِيهَا ، وَيَعِيثُونَ إِلَى أَنْ قَدِمَ مُوسَى بْنُ بُغَا. |
| ذِكْرُ مَسِيرِ مُوسَى بْنِ بُغَا لِحَرْبِ الزَّنْجِ وَفِيهَا ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ أَمَرَ الْمُعْتَمِدُ مُوسَى بْنَ بُغَا بِالْمَسِيرِ إِلَى حَرْبِ صَاحِبِ الزَّنْجِ ، فَسَيَّرَ إِلَى الْأَهْوَازِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُفْلِحٍ ، وَإِلَى الْبَصْرَةِ إِسْحَاقَ بْنَ كَنْدَاجِيقَ ، وَإِلَى بَاذَاوَرْدَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سِيمَا ، وَأَمَرَهُمْ بِمُحَارَبَةِ صَاحِبِ الزَّنْجِ. |
| فَلَمَّا وَلِيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَهْوَازَ سَارَ إِلَى مُحَارَبَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبَانٍ ، فَتَوَاقَعَا ، فَانْهَزَمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، ثُمَّ اسْتَعَدَّ ، وَعَادَ إِلَى عَلَيٍّ ، فَأَوْقَعَ بِهِ وَقْعَةً عَظِيمَةً قَتَلَ فِيهَا مِنَ الزَّنْجِ قَتْلًا ذَرِيعًا ، وَأَسَرَ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَانْهَزَمَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ ، وَالزَّنْجُ ، ثُمَّ أَرَادَ رَدَّهُمْ فَلَمْ يَرْجِعُوا مِنَ الْخَوْفِ الَّذِي دَخَلَهُمْ مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ; فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَذِنَ لَهُمْ بِالِانْصِرَافِ ، فَانْصَرَفُوا إِلَى مَدِينَةِ صَاحِبِهِمْ. |
| وَوَافَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ حِصْنَ مَهْدِيٍّ لِيُعَسْكِرَ بِهِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ صَاحِبُ الزَّنْجِ عَلِيَّ بْنَ أَبَانٍ ، فَوَاقَعَهُ ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، وَمَضَى يُرِيدُ الْمَوْضِعَ الْمَعْرُوفَ بِالدَّكَّةِ ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سِيمَا بِالْبَاذَاوَرْدِ ، فَوَاقَعَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ ، فَهَزَمَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ ، ثُمَّ وَاقَعَهُ ثَانِيَةً ، فَهَزَمَهُ إِبْرَاهِيمُ ، فَمَضَى عَلِيٌّ فِي اللَّيْلِ وَمَعَهُ الْأَدِلَّاءُ فِي الْآجَامِ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى نَهْرِ يَحْيَى. |
| وَانْتَهَى خَبَرُهُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ طَاشْتُمُرَ فِي جَمْعٍ مِنَ الْمَوَالِي ، فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ لِامْتِنَاعِهِ بِالْقَصَبِ وَالْحَلَافِيِّ ، فَأَضْرَمَهَا عَلَيْهِ نَارًا ، فَخَرَجُوا مِنْهَا هَارِبِينَ ، فَأَسَرَ مِنْهُمْ أَسْرَى ، وَانْصَرَفَ أَصْحَابُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِالْأَسْرَى وَالظَّفَرِ. |
| ثُمَّ سَارَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ نَحْوَ عَلِيِّ بْنِ أَبَانٍ بِمَكَانٍ نَزَلَ فِيهِ ، فَكَتَبَ عَلِيٌّ إِلَى صَاحِبِ الزَّنْجِ يَسْتَمِدُّهُ ، فَأَمَدَّهُ بِثَلَاثَ عَشْرَةَ شَذَاةٍ ، وَوَافَاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، فَتَوَاقَعَا يَوْمَهُمَا ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ انْتَخَبَ عَلِيٌّ مِنْ أَصْحَابِهِ جَمَاعَةً مِمَّنْ يَثِقُ بِهِمْ وَسَارَ ، وَتَرَكَ عَسْكَرَهُ لِيُخْفِيَ أَمْرَهُ ، وَأَتَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ مِنْ وَرَائِهِ فَبَيَّتَهُ ، فَنَالَ مِنْهُ شَيْئًا يَسِيرًا ، وَانْحَازَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، فَأَخَذَ عَلِيٌّ مِنْهُمْ أَرْبَعَ شَذَوَاتٍ ، وَأَتَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ دَوْلَابَ فَأَقَامَ بِهِ. |
| وَسَارَ طَاشْتُمُرُ إِلَى عَلِيٍّ ، فَوَافَاهُ وَقَاتَلَهُ ، فَانْهَزَمَ عَلِيٌّ إِلَى نَهْرِ السِّدْرَةِ ، وَكَتَبَ يَسْتَمِدُّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، فَأَخْبَرَهُ بِانْهِزَامِ عَلِيٍّ عَنْهُ ، فَأَتَاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَوَاقَعَ عَلِيًّا بِنَهْرِ السِّدْرَةِ وَقْعَةً عَظِيمَةً ، فَانْهَزَمَ عَلِيٌّ إِلَى الْخَبِيثِ ، وَعَسْكَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِلُنْبَانَ ، فَكَانَ هُوَ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ سِيمَا يَتَنَاوَبَانِ الْمَسِيرَ إِلَى عَسْكَرِ الْخَبِيثِ فَيُوقِعَانِ بِهِ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ كَنْدَاجِيقَ بِالْبَصْرَةِ ، وَقَدْ قَطَعَ الْمِيرَةَ عَنِ الزَّنْجِ ، فَكَانَ صَاحِبُهُمْ يَجْمَعُ أَصْحَابَهُ يَوْمَ مُحَارَبَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَإِبْرَاهِيمَ ، فَإِذَا انْقَضَتِ الْحَرْبُ سَيَّرَ طَائِفَةً مِنْهُمْ إِلَى الْبَصْرَةِ ، يُقَاتِلُ بِهِمْ إِسْحَاقَ ، فَأَقَامُوا كَذَلِكَ بِضْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا إِلَى أَنْ صُرِفَ مُوسَى بْنُ بُغَا عَنْ حَرْبِ الزَّنْجِ ، وَوَلِيَهَا مَسْرُورٌ الْبَلْخِيُّ ، فَانْتَهَى الْخَبَرُ بِذَلِكَ إِلَى الْخَبِيثِ. |
| ذِكْرُ مُلْكِ يَعْقُوبَ نَيْسَابُورَ وَفِيهَا ، فِي شَوَّالٍ ، دَخَلَ يَعْقُوبُ بْنُ اللَّيْثِ نَيْسَابُورَ ، وَكَانَ سَبَبُ مَسِيرِهِ إِلَيْهَا أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ السِّجْزِيَّ كَانَ يُنَازِعُ يَعْقُوبَ بِسِجِسْتَانَ ، فَلَمَّا قَوِيَ عَلَيْهِ يَعْقُوبُ هَرَبَ مِنْهُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ ، فَأَرْسَلَ يَعْقُوبُ يَطْلُبُ مِنِ ابْنِ طَاهِرٍ أَنْ يُسَلِّمَهُ إِلَيْهِ فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَسَارَ نَحْوَهُ إِلَى نَيْسَابُورَ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهَا ، وَأَرَادَ دُخُولَهَا ، وَجَّهَ مُحَمَّدَ بْنَ طَاهِرٍ يَسْتَأْذِنُهُ فِي تَلَقِّيهِ ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ ، فَبَعَثَ بِعُمُومَتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ فَتَلَقَّوْهُ. |
| ثُمَّ دَخَلَ نَيْسَابُورَ فِي شَوَّالٍ ، فَرَكِبَ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ فِي مَضْرِبِهِ ، فَسَاءَلَهُ ، ثُمَّ وَبَّخَهُ عَلَى تَفْرِيطِهِ فِي عَمَلِهِ ، وَقَبَضَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى نَيْسَابُورَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْخَلِيفَةِ يَذْكُرُ تَفْرِيطَ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ فِي عَمَلِهِ ، وَأَنَّ أَهْلَ خُرَاسَانَ سَأَلُوهُ الْمَسِيرَ إِلَيْهِمْ ، وَيَذْكُرُ غَلَبَةَ الْعَلَوِيِّينَ عَلَى طَبَرِسْتَانَ ، وَبَالَغَ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، وَأَمَرَ بِالِاقْتِصَارِ عَلَى مَا أُسْنِدَ إِلَيْهِ ، وَأَلَّا يَسْلُكَ مَعَهُ مَسْلَكَ الْمُخَالِفِينَ. |
| وَقِيلَ كَانَ سَبَبُ مُلْكِ يَعْقُوبَ نَيْسَابُورَ مَا ذَكَرْنَاهُ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ مِنْ ضَعْفِ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ أَمِيرِ خُرَاسَانَ ، فَلَمَّا تَحَقَّقَ يَعْقُوبُ ذَلِكَ ، وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الدَّفْعِ سَارَ إِلَى نَيْسَابُورَ ، وَكَتَبَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ يُعْلِمُهُ أَنَّهُ قَدْ عَزَمَ عَلَى قَصْدِ طَبَرِسْتَانَ لِيُمْضِيَ مَا أَمَرَهُ الْخَلِيفَةُ فِي الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ الْمُتَغَلِّبِ عَلَيْهَا ، وَأَنَّهُ لَا يَعْرِضُ لِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ ، وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ أَسْبَابِهِ. |
| وَكَانَ بَعْضُ خَاصَّةِ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَبَعْضُ أَهْلِهِ لَمَّا رَأَوْا إِدْبَارَ أَمْرِهِ مَالُوا إِلَى يَعْقُوبَ ، فَكَاتَبُوهُ ، وَاسْتَدْعَوْهُ ، وَهَوَّنُوا عَلَى مُحَمَّدٍ أَمْرَ يَعْقُوبَ مِنْ نَيْسَابُورَ ، فَأَعْلَمُوهُ أَنَّهُ لَا خَوْفَ عَلَيْهِ مِنْهُ ، وَثَبَّطُوهُ عَنِ التَّحَرُّزِ مِنْهُ ، فَرَكَنَ مُحَمَّدٌ إِلَى قَوْلِهِمْ ، حَتَّى قَرُبَ يَعْقُوبُ مِنْ نَيْسَابُورَ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ قَائِدًا مِنْ قُوَّادِهِ يُطَيِّبُ قَلْبَهُ ، وَأَمَرَهُ بِمَنْعِهِ عَنْ الِانْتِزَاحِ عَنْ نَيْسَابُورَ إِنْ أَرَادَ ذَلِكَ. |
| ثُمَّ وَصَلَ يَعْقُوبُ إِلَى نَيْسَابُورَ رَابِعَ شَوَّالٍ وَأَرْسَلَ أَخَاهُ عَمْرَو بْنَ اللَّيْثِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ ، فَأَحْضَرَهُ عِنْدَهُ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ وَقَيَّدَهُ ، وَعَنَّفَهُ عَنْ إِهْمَالِهِ عَمَلَهُ ، وَعَجْزِهِ عَنْ حِفْظِهِ ، ثُمَّ قَبَضَ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَكَانُوا نَحْوًا مِنْ مِائَةٍ وَسِتِّينَ رَجُلًا ، وَحَمَلَهُمْ إِلَى سِجِسْتَانَ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى خُرَاسَانَ ، وَرَتَّبَ فِي الْأَعْمَالِ نُوَّابَهُ. |
| وَكَانَتْ وِلَايَةُ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً وَشَهْرَيْنِ وَعَشَرَةَ أَيَّامٍ. |
| ذِكْرُ ظُهُورِ ابْنِ الصُّوفِيِّ بِمِصْرَ ثَانِيًا وَفِيهَا عَادَ ابْنُ الصُّوفِيِّ الْعَلَوِيُّ فَظَهَرَ بِمِصْرَ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ظُهُورَهُ وَهَرَبَهُ إِلَى الْوَاحَاتِ ، فَأَحَمَّ نَفْسَهُ ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى نَفْسِهِ ، فَتَبِعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَسَارَ بِهِمْ إِلَى الْأَشْمُونِينَ ، فَوُجِّهَ إِلَيْهِ جَيْشٌ عَلَيْهِمْ قَائِدٌ يُعْرَفُ بِابْنِ أَبِي الْغَيْثِ ، فَوَجَدَهُ قَدْ أَصْعَدَ إِلَى لِقَاءِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعُمَرِيِّ ، وَسَنَذْكُرُ بَعْدُ هَذَا. |
| فَلَمَّا وَصَلَ الْعَلَوِيُّ إِلَى الْعُمَرِيِّ الْتَقَيَا ، فَكَانَ بَيْنَهُمَا قِتَالٌ شَدِيدٌ ، أَجْلَتِ الْوَقْعَةُ عَنِ انْهِزَامِ الْعَلَوِيِّ ، فَوَلَّى مُنْهَزِمًا إِلَى أَسْوَانَ ، فَعَاثَ فِيهَا ، وَقَطَعَ كَثِيرًا مِنْ نَخْلِهَا. |
| فَسَيَّرَ إِلَيْهِ ابْنُ طُولُونَ جَيْشًا ، وَأَمَرَ بِطَلَبِهِ أَيْنَ كَانَ ، فَسَارَ الْجَيْشُ فِي طَلَبِهِ فَوَلَّى هَارِبًا إِلَى عَيْذَابَ ، وَعَبَرَ الْبَحْرَ إِلَى مَكَّةَ ، وَتَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَكَّةَ بَلَغَ خَبَرُهُ إِلَى وَالِيهَا ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ وَحَبَسَهُ ، ثُمَّ سَيَّرَهُ إِلَى ابْنِ طُولُونَ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مِصْرَ أُمِرَ بِهِ فَطِيفَ بِهِ فِي الْبَلَدِ ، ثُمَّ سَجَنَهُ مُدَّةً وَأَطْلَقَهُ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ. |
| ذِكْرُ حَالِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعُمَرِيِّ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعُمَرِيِّ ، وَاسْمُهُ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ظُهُورِهِ بِمِصْرَ أَنَّ الْبِجَاةَ أَقْبَلَتْ يَوْمَ الْعِيدِ ، فَنَهَبُوا وَقَتَلُوا وَعَادُوا غَانِمِينَ ، وَفَعَلُوا ذَلِكَ مَرَّاتٍ ، فَخَرَجَ هَذَا الْعُمَرِيُّ غَضَبًا لِلَّهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ ، وَكَمَنَ لَهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ ، فَلَمَّا عَادُوا خَرَجَ عَلَيْهِمْ ، وَقَتَلَ مُقَدَّمَهُمْ وَمَنْ مَعَهُ ، وَدَخَلَ بِلَادَهُمْ فَنَهَبَهَا ، وَقَتَلَ فِيهِمْ فَأَكْثَرَ ، وَنَهَبُوا وَسَبَوْا مَا لَا يُحْصَى ، وَتَابَعَ عَلَيْهِمُ الْغَارَاتِ حَتَّى أَدَّوْا إِلَيْهِ الْجِزْيَةَ ، وَلَمْ يَفْعَلُوهَا قَبْلَ ذَلِكَ. |
| وَاشْتَدَّتْ شَوْكَةُ الْعُمَرِيِّ ، وَكَثُرَ أَتْبَاعُهُ ، فَلَمَّا بَلَغَ خَبَرُهُ ابْنَ طُولُونَ سَيَّرَ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا ، فَلَمَّا الْتَقَوْا تَقَدَّمَ الْعُمَرِيُّ ، وَقَالَ لِمُقَدَّمِ الْجَيْشِ إِنَّ ابْنَ طُولُونَ لَا يَعْرِفُ خَبَرِي ، لَا شَكَّ ، عَلَى حَقِيقَتِهِ ، فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ لِلْفَسَادِ ، وَلَمْ يَتَأَذَّ بِي مُسْلِمٌ وَلَا ذِمِّيٌّ ، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ طَلَبًا لِلْجِهَادِ ، فَاكْتُبْ إِلَى الْأَمِيرِ أَحْمَدَ عَرِّفْهُ كَيْفَ حَالِي ، فَإِنْ أَمَرَكَ بِالِانْصِرَافِ فَانْصَرِفْ ، وَإِلَّا إِنْ أَمَرَكَ بِغَيْرِ ذَلِكَ كُنْتَ مَعْذُورًا. |
| فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَقَاتَلَهُ ، فَانْهَزَمَ جَيْشُ ابْنِ طُولُونَ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِ أَخْبَرُوهُ بِحَالِ الْعُمَرِيِّ فَقَالَ كُنْتُمْ أَنْهَيْتُمْ حَالَهُ إِلَيَّ ، فَإِنَّهُ نُصِرَ عَلَيْكُمْ بِبَغْيِكُمْ ، وَتَرَكَهُ. |
| فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ مُدَّةٍ وَثَبَ عَلَى الْعُمَرِيِّ غُلَامَانِ لَهُ فَقَتَلَاهُ ، وَحَمَلَا رَأْسَهُ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، فَلَمَّا حَضَرَا عِنْدَهُ سَأَلَهُمَا عَنْ سَبَبِ قَتْلِهِ ، فَقَالَا أَرَدْنَا التَّقَرُّبَ إِلَيْكَ بِذَلِكَ ، فَقَتَلَهُمَا ، وَأَمَرَ بِرَأْسِ الْعُمَرِيِّ فَغُسِّلَ ، وَكُفِّنَ ، وَدُفِنَ. |
| ذِكْرُ مَا كَانَ هَذِهِ السَّنَةَ بِالْأَنْدَلُسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأُمَوِيُّ صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ ، إِلَى طُلَيْطِلَةَ فَنَازَلَهَا وَحَصَرَهَا ، وَكَانَ أَهْلُهَا قَدْ خَالَفُوا عَلَيْهِ ، وَطَلَبُوا الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُمْ ، وَأَخَذَ رَهَائِنَهُمْ. |
| وَفِيهَا خَرَجَ أَهْلُ طُلَيْطُلَةَ إِلَى حِصْنِ سَكْيَانَ ، وَكَانَ فِيهِ سَبْعُمِائَةَ رَجُلٍ مِنَ الْبَرْبَرِ ، وَكَانَ أَهْلُ طُلَيْطُلَةَ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ ، فَلَمَّا الْتَحَمَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمُ انْهَزَمَ أَحَدُ مُقَدَّمِي أَهْلِهَا ، وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَبِيبٍ ، فَتَبِعَهُ أَهْلُ طُلَيْطُلَةَ فِي الْهَزِيمَةِ ، وَإِنَّمَا انْهَزَمَ لِعَدَاوَةٍ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُقَدَّمٍ آخَرَ اسْمُهُ طُرَيْشَةُ مِنْ أَهْلِ طُلَيْطُلَةَ ، فَأَرَادَ أَنْ يُوهِنَهُ فِي ذَلِكَ ، فَلَمَّا انْهَزَمُوا قَتَلُوا الْبِرْقِيلَ ؟ . |
| وَفِيهَا عَادَ عَمْرُو بْنُ عَمْرُوسَ إِلَى طَاعَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَكَانَ مُخَالِفًا عَلَيْهِ عِدَّةَ سِنِينَ ، فَوَلَّاهُ مَدِينَةَ أَمَشْقَةَ ، وَحَصَرَ مُحَمَّدٌ حُصُونَ بَنِي مُوسَى ، ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى بَنْبَلُونَةَ فَوَطِئَ أَرْضَهَا وَعَادَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا سَارَتْ سَرِيَّةٌ لِلْمُسْلِمِينَ إِلَى مَدِينَةٍ سَرَقُوسَةَ ، فَصَالَحَهَا أَهْلُهَا عَلَى أَنْ أَطْلَقُوا الْأَسْرَى الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَمِائَةٍ وَسِتِّينَ أَسِيرًا ، فَلَمَّا أَطْلَقُوهُمْ عَادَتْ عَنْهُمْ . |
| وَفِيهَا قُتِلَ كِيجُورُ ، وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّهُ كَانَ عَلَى الْكُوفَةِ ، فَسَارَ عَنْهَا إِلَى سَامَرَّا بِغَيْرِ إِذَنٍ ، فَأُمِرَ بِالرُّجُوعِ فَأَبَى ، فَحُمِلَ إِلَيْهِ مَالٌ لِيُفَرِّقَهُ فِي أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَقْنَعْ بِهِ ، وَسَارَ حَتَّى أَتَى عُكْبَرَا ، فُوُجِّهَ إِلَيْهِ مِنْ سَامَرَّا عِدَّةٌ مِنَ الْقُوَّادِ فَقَتَلُوهُ ، وَحَمَلُوا رَأْسَهُ إِلَى سَامَرَّا. |
| وَفِيهَا غَلَبَ شَرْكَبُ الْحِمَارُ عَلَى مَرْوَ ، وَنَاحِيَتِهَا وَنَهَبَهَا. |
| وَفِيهَا انْصَرَفَ يَعْقُوبُ بْنُ اللَّيْثِ عَنْ بَلْخَ ، فَأَقَامَ بِقَهِسْتَانَ ، وَوَلَّى عُمَّالَهُ هَرَاةَ ، وَبُوشَنْجَ ، وَبَاذَغِيسَ ، وَانْصَرَفَ إِلَى سِجِسْتَانَ. |
| وَفِيهَا فَارَقَ عَبْدُ اللَّهِ السِّجْزِيُّ يَعْقُوبَ ، وَحَاصَرَ نَيْسَابُورَ وَبِهَا مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ قَبْلَ أَنْ يَمْلِكَهَا يَعْقُوبُ بْنُ اللَّيْثِ ، فَوَجَّهَ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ إِلَيْهِ الرُّسُلَ وَالْفُقَهَاءَ ، فَاخْتَلَفُوا بَيْنَهُمَا ، ثُمَّ وَلَّاهُ الطَّبَسَيْنِ ، وَقُهِسْتَانَ. |
| وَفِيهَا غَلَبَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ عَلَى قُومِسَ وَدَخَلَهَا أَصْحَابُهُ. |
| وَفِيهَا كَانَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ بَيَانٍ ، وَوَهْسُوذَانَ بْنِ جُسْتَانَ الدَّيْلَمَيِّ ، وَانْهَزَمَ وَهْسُوذَانُ. |
| وَفِيهَا نَزَلَتِ الرُّومُ عَلَى سُمَيْسَاطَ ، ثُمَّ نَزَلُوا عَلَى مَلْطِيَّةَ ، وَقَاتَلَهُمْ أَهْلُهَا ، فَانْهَزَمَتِ الرُّومُ ، وَقُتِلَ بِطْرِيقُ الْبَطَارِقَةِ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ الْمَعْرُوفُ بِبَرِّيَّةَ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ مُوسَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي زَكَرِيَّاءَ الْإِسْفَرَايِينِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ حَيُّوَيْهِ. |
| وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمْرُوسَ بْنِ يُونُسَ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ دِينَارٍ الْكُوفِيُّ التَّغْلِبِيُّ ، وَكَانَ شِيعِيًّا ضَعِيفَ الْحَدِيثِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حَرْبٍ الطَّائِيُّ الْمَوْصِلِيُّ ، وَكَانَ مُحَدِّثًا ، وَمِمَّنْ رَوَى عَنْهُ أَبُوهُ عَلِيُّ بْنُ حَرْبٍ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ دُخُولِ يَعْقُوبَ طَبَرِسْتَانَ وَفِيهَا وَاقَعَ يَعْقُوبُ بْنُ اللَّيْثِ الْحَسَنَ بْنَ زَيْدٍ الْعَلَوِيَّ ، فَهَزَمَهُ ، وَدَخَلَ طَبَرِسْتَانَ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ السِّجْزِيَّ كَانَ يُنَازِعُ يَعْقُوبَ الرِّئَاسَةَ بِسِجِسْتَانَ ، فَقَهَرَهُ يَعْقُوبُ ، فَهَرَبَ مِنْهُ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى نَيْسَابُورَ ، فَلَمَّا سَارَ يَعْقُوبُ إِلَى نَيْسَابُورَ ، كَمَا ذَكَرْنَا ، هَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ بِطَبَرِسْتَانَ ، فَسَارَ يَعْقُوبُ فِي أَثَرِهِ ، فَلَقِيَهُ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ بِقَرْيَةِ سَارِيَةَ. |
| وَكَانَ يَعْقُوبُ قَدْ أَرْسَلَ إِلَى الْحَسَنِ يَسْأَلُهُ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ عَبْدَ اللَّهِ وَيَرْجِعَ عَنْهُ ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا جَاءَ لِذَلِكَ ، لَا لِحَرْبِهِ ، فَلَمْ يُسْلِمْهُ الْحَسَنُ ، فَحَارَبَهُ يَعْقُوبُ ، فَانْهَزَمَ الْحَسَنُ ، وَمَضَى نَحْوَ السِّرِّ وَأَرْضِ الدَّيْلَمِ ، وَدَخَلَ يَعْقُوبُ سَارِيَةَ ، وَآمُلَ ، وَجَبَى أَهْلَهَا خَرَاجَ سَنَةٍ ، ثُمَّ سَارَ فِي طَلَبِ الْحَسَنِ ، فَسَارَ إِلَى بَعْضِ جِبَالِ طَبَرِسْتَانَ ، وَتَتَابَعَتْ عَلَيْهِ الْأَمْطَارُ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، فَلَمْ يَتَخَلَّصْ إِلَّا بِمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ ، وَهَلَكَ عَامَّةُ مَا مَعَهُ مِنَ الظَّهْرِ. |
| ثُمَّ أَرَادَ الدُّخُولَ خَلْفَ الْحَسَنِ ، فَوَقَفَ عَلَى الطَّرِيقِ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَسْلُكَهُ ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالْوُقُوفِ ، ثُمَّ تَقَدَّمَ وَحْدَهُ ، وَتَأَمَّلَ الطَّرِيقَ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِمْ فَأَمَرَهُمْ بِالِانْصِرَافِ ، وَقَالَ لَهُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ طَرِيقٌ غَيْرُ هَذَا ، وَإِلَّا لَا طَرِيقَ إِلَيْهِ. |
| وَكَانَ نِسَاءُ أَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ قُلْنَ لِلرِّجَالِ دَعُوهُ يَدْخُلْ ، فَإِنَّهُ إِنْ دَخَلَ كَفَيْنَاكُمْ أَمْرَهُ ، وَعَلَيْنَا أَسْرُهُ لَكُمْ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ طَبَرِسْتَانَ عَرَضَ رِجَالَهُ ، فَفَقَدَ مِنْهُمْ أَرْبَعُونَ أَلْفًا ، وَذَهَبَ أَكْثَرُ مَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الْخَيْلِ ، وَالْإِبِلِ ، وَالْبِغَالِ ، وَالْأَثْقَالِ ، وَكَتَبَ إِلَى الْخَلِيفَةِ بِمَا فَعَلَهُ مَعَ الْحَسَنِ مِنَ الْهَزِيمَةِ ، وَسَارَ إِلَى الرَّيِّ فِي طَلَبِ عَبْدِ اللَّهِ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ سَارَ إِلَيْهَا بَعْدَ هَزِيمَةِ الْحَسَنِ ، فَلَمَّا قَارَبَهَا يَعْقُوبُ كَتَبَ إِلَى الصَّلَانِيِّ ، وَإِلَيْهَا يُخَيِّرُهُ بَيْنَ تَسْلِيمِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَيْهِ وَيَنْصَرِفُ عَنْهُ ، وَبَيْنَ الْمُحَارِبَةِ ، فَسَلَّمَ إِلَيْهِ عَبْدَ اللَّهِ فَرَحَلَ عَنْهُ ، وَقَتَلَ عَبْدَ اللَّهِ. |
| ذِكْرُ الْفِتْنَةِ بِالْمَوْصِلِ وَإِخْرَاجِ عَامِلِهِمْ كَانَ الْخَلِيفَةُ الْمُعْتَمِدُ عَلَى اللَّهِ قَدِ اسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَوْصِلِ أَسَاتِكِينَ ، وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ قُوَّادِ الْأَتْرَاكِ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ ابْنَهُ أَذْكُوتَكِينَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ; فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ النَّيْرُوزِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَهُوَ الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ نِيسَانَ ، غَيَّرَهُ الْمُعْتَضِدُ بِاللَّهِ ، وَدَعَا أَذْكُوتَكِينَ وَوُجُوهَ أَهْلِ الْمَوْصِلِ إِلَى قُبَّةٍ فِي الْمَيْدَانِ ، وَأَحْضَرَ أَنْوَاعَ الْمَلَاهِي ، وَأَكْثَرَ الْخَمْرَ ، وَشَرِبَ ظَاهِرًا ، وَتَجَاهَرَ أَصْحَابُهُ بِالْفُسُوقِ ، وَفِعْلِ الْمُنْكَرَاتِ ، وَأَسَاءَ السِّيرَةَ فِي النَّاسِ. |
| وَكَانَ تِلْكَ السَّنَةَ بَرْدٌ شَدِيدٌ أَهْلَكَ الْأَشْجَارَ ، وَالثِّمَارَ ، وَالْحِنْطَةَ ، وَالشَّعِيرَ ، وَطَالَبَ النَّاسَ بِالْخَرَاجِ عَلَى الْغَلَّاتِ الَّتِي هَلَكَتْ ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ لَا يَسْمَعُ بِفَرَسٍ جَيِّدٍ عِنْدَ أَحَدٍ إِلَّا أَخَذَهُ ، وَأَهْلُ الْمَوْصِلِ صَابِرُونَ ، إِلَى أَنْ وَثَبَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَى امْرَأَةٍ فَأَخَذَهَا فِي الطَّرِيقِ ، فَامْتَنَعَتْ ، وَاسْتَغَاثَتْ ، فَقَامَ رَجُلٌ اسْمُهُ إِدْرِيسُ الْحِمْيَرِيُّ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَالصَّلَاحِ ، فَخَلَّصَهَا مِنْ يَدِهِ ، فَعَادَ الْجُنْدِيُّ إِلَى أَذْكُوتَكِينَ فَشَكَا مِنَ الرَّجُلِ ، فَأَحْضَرَهُ وَضَرَبَهُ ضَرْبًا شَدِيدًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكْشِفَ الْأَمَرَ ، فَاجْتَمَعَ وُجُوهُ أَهْلِ الْمَوْصِلِ إِلَى الْجَامِعِ وَقَالُوا قَدْ صَبَرْنَا عَلَى أَخْذِ الْأَمْوَالِ ، وَشَتْمِ الْأَعْرَاضِ ، وَإِبْطَالِ السُّنَنِ وَالْعَسْفِ ، وَقَدْ أَفْضَى الْأَمَرُ إِلَى أَخْذِ الْحَرِيمِ ، فَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى إِخْرَاجِهِ ، وَالشَّكْوَى مِنْهُ إِلَى الْخَلِيفَةِ. |
| وَبَلَغَهُ الْخَبَرُ ، فَرَكِبَ إِلَيْهِمْ فِي جُنْدِهِ ، وَأَخَذَ مَعَهُ النَّفَّاطِينَ ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِ وَقَاتَلُوهُ قِتَالًا شَدِيدًا ، حَتَّى أَخْرَجُوهُ عَنِ الْمَوْصِلِ ، وَنَهَبُوا دَارَهُ ، وَأَصَابَهُ حَجَرٌ فَأَثْخَنَهُ ، وَمَضَى يَوْمَهُ إِلَى بَلَدِهِ ، وَسَارَ مِنْهَا إِلَى سَامَرَّا. |
| وَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَى يَحْيَى بْنِ سُلَيْمَانَ ، وَقَلَّدُوهُ أَمْرَهُمْ ، فَفَعَلَ ، فَبَقِيَ كَذَلِكَ إِلَى أَنِ انْقَضَتْ سَنَةُ سِتِّينَ ، فَلَمَّا دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ كَتَبَ أَسْتَاتَكِينُ إِلَى الْهَيْثَمِ بْنِ الْمُعَمِّرِ التَّغْلِبِيِّ ، ثُمَّ الْعَدَوِيِّ ، فِي أَنْ يَتَقَلَّدَ الْمَوْصِلَ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْخِلَعَ وَاللِّوَاءَ ، وَكَانَ بِدِيَارِ رَبِيعَةَ ، فَجَمَعَ جُمُوعًا كَثِيرَةً ، وَسَارَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَنَزَلَ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَلَدِ دِجْلَةُ ، فَقَاتَلُوهُ ، فَعَبَرَ إِلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ وَزَحَفَ إِلَى بَابِ الْبَلَدِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ فِي أَهْلِ الْمَوْصِلِ ، فَقَاتَلُوهُ فَقَتَلَ بَيْنَهُمْ قَتْلَى كَثِيرَةً ، وَكَثُرَتِ الْجِرَاحَاتُ وَعَادَ الْهَيْثَمُ عَنْهُمْ. |
| فَاسْتَعْمَلَ أَسَاتِكِينُ عَلَى الْمَوْصِلِ إِسْحَاقَ بْنَ أَيُّوبَ التَّغْلِبِيَّ فِي جَمْعٍ يَبْلُغُونَ عِشْرِينَ أَلْفًا ، مِنْهُمْ حَمْدَانُ بْنُ حَمْدُونَ التَّغْلِبِيُّ ، وَغَيْرُهُ ، فَنَزَلَ عِنْدَ الدَّيْرِ الْأَعْلَى ، فَقَاتَلَهُ أَهْلُ الْمَوْصِلِ وَمَنَعُوهُ ، فَبَقُوا كَذَلِكَ مُدَّةً ، فَمَرِضَ يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَمِيرُ ، فَطَمِعَ إِسْحَاقُ فِي الْبَلَدِ ، وَوَصَلَ إِلَى سُوقِ الْأَرْبِعَاءِ ، وَأَحْرَقَ سُوقَ الْحَشِيشِ ، فَخَرَجَ بَعْضُ الْعُدُولِ ، اسْمُهُ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ ، وَعَلَّقَ فِي عُنُقِهِ مُصْحَفًا ، وَاسْتَغَاثَ بِالْمُسْلِمِينَ فَأَجَابُوهُ ، وَعَادُوا إِلَى الْحَرْبِ ، وَحَمَلُوا عَلَى إِسْحَاقَ وَأَصْحَابِهِ ، وَأَخْرَجُوهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ. |
| وَبَلَغَ يَحْيَى بْنَ سُلَيْمَانَ الْخَبَرُ فَأَمَرَ فَحُمِلَ فِي مِحَفَّةٍ ، وَجُعِلَ أَمَامَ الصَّفِّ ، فَلَمَّا رَآهُ أَهْلُ الْمَوْصِلِ قَوِيَتْ نُفُوسُهُمْ ، وَاشْتَدَّ قِتَالُهُمْ ، وَلَمْ يَزَلِ الْأَمَرُ كَذَلِكَ ، وَإِسْحَاقُ يُرَاسِلُ أَهْلَ الْمَوْصِلِ ، وَيَعِدُهُمُ الْأَمَانَ ، وَحُسْنَ السِّيرَةِ ، فَأَجَابُوهُ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ الْبَلَدَ ، وَيُقِيمَ بِالرَّبَضِ الْأَعْلَى ، فَدَخَلَ وَأَقَامَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ. |
| ثُمَّ وَقَعَ بَيْنَ بَعْضِ أَصْحَابِهِ ، وَبَيْنَ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْمَوْصِلِ شَرٌّ ، فَرَجَعُوا إِلَى الْحَرْبِ ، وَأَخْرَجُوهُ عَنْهَا ، وَاسْتَقَرَّ يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ بِالْمَوْصِلِ. |
| ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ أَهْلِ طُلَيْطُلَةَ وَهَوَّارَةَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ ظَهَرَ مُوسَى بْنُ ذِي النُّونِ الْهَوَّارِيُّ بِشَنْتِ بَرِيَّةَ ، وَأَغَارَ عَلَى أَهْلِ طُلَيْطُلَةَ ، وَدَخَلَ حِصْنَ وَلِيدٍ مِنْ شَنْتَ بَرِيَّةَ ، فَخَرَجَ أَهْلُ طُلَيْطُلَةَ إِلَيْهِ فِي نَحْوِ عِشْرِينَ أَلْفًا ، فَلَمَّا الْتَقَوْا بِمُوسَى وَاقْتَتَلُوا انْهَزَمَ مُحَمَّدُ بْنُ طُرَيْشَةَ فِي أَصْحَابِهِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ طُلَيْطُلَةَ ، فَتَبِعَهُ أَهْلُ طُلَيْطُلَةَ فِي الْهَزِيمَةِ ، وَانْهَزَمَ مَعَهُمْ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَعَمِلَ ذَلِكَ مُحَمَّدٌ مُكَافَأَةً لِمُطَرِّفٍ حِينَ انْهَزَمَ بِالنَّاسِ فِي الْعَامِ الْمَاضِي ، فَقُتِلَ مِنْ أَهْلِ طُلَيْطُلَةَ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَقَوِيَ مُوسَى بْنُ ذِي النُّونِ ، وَهَابَهُ مَنْ حَاذَرَهُ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ مُسَاوِرٍ الشَّارِيِّ مُحَمَّدَ بْنَ هَارُونَ بْنِ الْمُعَمِّرِ ، رَآهُ وَهُوَ يُرِيدُ سَامَرَّا ، فَقَتَلَهُ ، وَحَمَلَ رَأْسَهُ إِلَى مُسَاوِرٍ ، فَطَلَبَتْ رَبِيعَةُ بِثَأْرِهِ ، فَنُدِبَ مَسْرُورٌ الْبَلْخِيُّ ، وَغَيْرُهُ إِلَى أَخْذِ الطُّرُقِ عَلَى مُسَاوِرٍ. |
| وَفِيهَا اشْتَدَّ الْغَلَاءُ فِي عَامَّةِ بِلَادِ الْإِسْلَامِ ، فَانْجَلَى مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ كَثِيرٌ ، وَرَحَلَ عَنْهَا عَامِلُهَا ، وَهُوَ بَرِيَّةُ ، وَبَلَغَ الْكُرُّ مِنَ الْحِنْطَةِ بِبَغْدَاذَ عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ ، وَدَامَ ذَلِكَ شُهُورًا. |
| وَفِيهَا قَتَلَتِ الْأَعْرَابُ مَنْجُورًا وَالِيَ حِمْصَ ، وَاسْتُعْمِلَ عَلَيْهَا بَكْتُمُرُ. |
| وَفِيهَا قُتِلَ الْعَلَاءُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَزْدِيُّ عَامِلُ أَذْرَبِيجَانَ ، وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّهُ فُلِجَ ، فَاسْتَعْمَلَ الْخَلِيفَةُ مَكَانَهُ أَبَا الرُّدَيْنِيِّ عُمَرَ بْنَ عَلِيٍّ ، فَلَمَّا قَارَبَهَا خَرَجَ إِلَيْهِ الْعَلَاءُ ، فَتَحَارَبَا ، فَقُتِلَ الْعَلَاءُ ، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ ، وَأَخَذَ أَبُو الرُّدَيْنِيِّ مَا خَلَّفَهُ الْعَلَاءُ ، وَكَانَ مَبْلَغُهُ أَلْفَيْ أَلْفٍ وَسَبْعُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْمَعْرُوفُ بِبَرِيَّةَ ، وَهُوَ أَمِيرُ مَكَّةَ. |
| وَفِيهَا ظَهَرَ بِمِصْرَ إِنْسَانٌ يُكَنَّى أَبَا رَوْحٍ ، وَاسْمُهُ سَكَنٌ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الصُّوفِيِّ ، وَاجْتَمَعَ لَهُ جَمَاعَةٌ ، فَقَطَعَ الطَّرِيقَ ، وَأَخَافَ السَّبِيلَ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ ابْنُ طُولُونَ جَيْشًا ، فَوَقَفَ أَبُو رُوحٍ فِي أَرْضٍ كَثِيرَةِ الشُّقُوقِ ، وَقَدْ كَانَ بِهَا قَمْحٌ فَحُصِدَ ، وَبَقِيَ مِنْ تِبْنِهِ عَلَى الْأَرْضِ مَا يَسْتُرُ الشُّقُوقَ ، وَقَدْ أَلِفُوا الْمَشْيَ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْأَرْضِ. |
| فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْجَيْشُ لَقُوهُمْ ، ثُمَّ انْهَزَمَ أَصْحَابُ أَبِي رَوْحٍ ، فَتَبِعَهُمْ عَسْكَرُ ابْنِ طُولُونَ ، فَوَقَعَتْ حَوَافِرُ خُيُولِهِمْ فِي تِلْكَ الشُّقُوقِ ، فَسَقَطَ كَثِيرٌ مِنْ فُرْسَانِهَا عَنْهَا ، وَتَرَاجَعَ أَصْحَابُ أَبِي رَوْحٍ عَلَيْهِمْ فَقَتَلُوهُمْ شَرَّ قِتْلَةٍ وَانْهَزَمَ الْبَاقُونَ أَسْوَأَ هَزِيمَةٍ. |
| فَسَيَّرَ أَحْمَدُ جَيْشًا إِلَى طَرِيقِهِمْ إِلَى الْوَاحَاتِ ، وَجَيْشًا فِي طَلَبِهِ ، فَلَقِيَهُ الْجَيْشُ الَّذِي فِي طَلَبِهِ وَقَدْ تَحَصَّنَ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ ، فَحَذَرَهَا عَسْكَرُ أَحْمَدَ ، فَحِينَ بَطَلَتْ حِيَلُهُمُ انْهَزَمَ ، وَتَبِعَهُمُ الْعَسْكَرُ ، فَلَمَّا خَرَجُوا إِلَى طَرِيقِ الْوَاحَاتِ رَأَى أَبُو رَوْحٍ الطَّرِيقَ قَدْ مُلِكَتْ عَلَيْهِ ، فَرَاسَلَ يَطْلُبُ الْأَمَانَ ، فَبُذِلَ لَهُ ، وَبَطَلَتِ الْحَرْبُ ، وَكُفِيَ الْمُسْلِمُونَ شَرَّهُ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ الْعَلَوِيُّ الْحِمَّانِيُّ ، وَكَانَ يَسْكُنُ الْحِمَّانَ ، فَنُسِبَ إِلَيْهَا. |
| وَفِيهَا قُتِلَ عَلِيُّ بْنُ يَزِيدَ صَاحِبُ الْكُوفَةِ ، قَتَلَهُ صَاحِبُ الزَّنْجِ. |
| وَفِيهَا كَانَ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، وَبِلَادِ الْمَغْرِبِ ، وَالْأَنْدَلُسِ غَلَاءٌ شَدِيدٌ ، وَعَمَّ غَيْرَهَا مِنَ الْبِلَادِ ، وَتَبِعَهُ وَبَاءٌ وَطَاعُونٌ عَظِيمٌ هَلَكَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدُوسَ الْفَقِيهُ الْمَالِكِيُّ صَاحِبُ الْمَجْمُوعَةِ فِي الْفِقْهِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةَ . |
| وَفِيهَا مَاتَ مَالِكُ بْنُ طَوْقٍ التَّغْلِبِيُّ بِالرَّحْبَةِ ، وَهُوَ بَنَاهَا ، وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَبُو مُحَمَّدٍ الْعَلَوِيُّ الْعَسْكَرِيُّ ، وَهُوَ أَحَدُ الْأَئِمَّةِ الِاثْنَى عَشَرَ ، عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِيَّةِ ، وَهُوَ وَالِدُ مُحَمَّدٍ الَّذِي يَعْتَقِدُونَهُ الْمُنْتَظَرَ بِسِرْدَابِ سَامَرَّا; وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ . |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّبَّاحِ الزَّعْفَرَانِيُّ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ البَغْدَاذِيِّينَ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ حُسَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ الْحَكِيمُ الطَّبِيبُ ، وَهُوَ الَّذِي نَقَلَ كُتُبَ الْحُكَمَاءِ الْيُونَانِيِّينَ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ ، وَكَانَ عَالِمًا بِهَا. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ وَاصِلٍ وَابْنِ مُفْلِحٍ وَفِيهَا تَحَارَبَ ابْنُ وَاصِلٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُفْلِحٍ وَطَاشْتِمُرُ.. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ وَاصِلَ كَانَ قَتَلَ الْحَارِثَ بْنَ سِيمَا ، وَتَغَلَّبَ عَلَى فَارِسَ ، فَأَضَافَ إِلَى الْمُعْتَمِدِ فَارِسَ إِلَى مُوسَى بْنِ بُغَا ، وَالْأَهْوَازَ ، وَالْبَصْرَةَ ، وَالْبَحْرَيْنَ ، وَالْيَمَامَةَ ، مَعَ مَا كَانَ إِلَيْهِ; فَوَجَّهَ مُوسَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُفْلِحٍ ، وَهُوَ شَابُّ عُمْرُهُ إِحْدَى وَعِشْرُونَ سَنَةً ، إِلَى الْأَهْوَازِ ، وَوَلَّاهُ إِيَّاهَا مَعَ فَارِسَ ، وَأَضَافَ إِلَيْهِ طَاشْتِمُرُ; فَلَمَّا عَلِمَ ذَلِكَ ابْنُ وَاصِلٍ ، وَأَنَّ ابْنَ مُفْلِحٍ قَدْ سَارَ نَحْوَهُ مِنَ الْأَهْوَازِ ، زَحَفَ إِلَيْهِ مِنْ فَارِسَ ، فَالْتَقَيَا بِرَامَهُرْمُزَ. |
| وَانْضَمَّ أَبُو دَاوُدَ الصُّعْلُوكُ إِلَى ابْنِ وَاصِلٍ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأُخِذَ أَسِيرًا ، وَقُتِلَ طَاشْتِمُرُ ، وَاصْطُلِمَ عَسْكَرُهُمَا ، وَغُنِمَ مَا فِيهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْعُدَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. |
| وَأَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ إِلَى ابْنِ وَاصِلٍ فِي إِطْلَاقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَقَتَلَهُ وَأَظْهَرَ أَنَّهُ مَاتَ ، وَسَارَ ابْنُ وَاصِلٍ مِنْ رَامَهُرْمُزَ ، مِنْ بَعْدِ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ ، مُظْهِرًا أَنَّهُ يُرِيدُ وَاسِطَ لِحَرْبِ مُوسَى بْنِ بُغَا ، فَانْتَهَى إِلَى الْأَهْوَازِ وَفِيهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سِيمَا فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، فَلَمَّا رَأَى مُوسَى شِدَّةَ الْأَمَرَ بِهَذِهِ النَّاحِيَةِ ، وَكَثْرَةِ الْمُتَغَلِّبِينَ عَلَيْهَا ، وَأَنَّهُ يَعْجِزُ عَنْهُمْ ، سَأَلَ أَنْ يُعْفَى ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ أَبِي السَّاجِ الْأَهْوَازَ وَفِيهَا وَلِيَ أَبُو السَّاجِ الْأَهْوَازَ ، بَعْدَ مَسِيرَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْهَا إِلَى فَارِسَ ، وَأَمَرَ بِمُحَارَبَةِ الزَّنْجِ ، فَسَيَّرَ صِهْرَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ لِمُحَارَبَةِ الزَّنْجِ ، فَلَقِيَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ بِنَاحِيَةِ دَوْلَابَ ، فَقُتِلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَانْحَازَ أَبُو السَّاجِ إِلَى نَاحِيَةِ عَسْكَرِ مُكْرَمٍ ، وَدَخَلَ الزَّنْجُ الْأَهْوَازَ ، فَقَتَلُوا أَهْلَهَا ، وَسَبَوْا وَأَحْرَقُوا. |
| ثُمَّ انْصَرَفَ أَبُو السَّاجِ عَمَّا كَانَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَهْوَازِ ، وَحَرْبِ الزَّنْجِ ، وَوَلَّاهَا إِبْرَاهِيمَ بْنَ سِيمَا ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى انْصَرَفَ عَنْهَا مَعَ مُوسَى بْنِ بُغَا. |
| وَفِيهَا وَلِيَ مُحَمَّدُ بْنُ أَوْسٍ الْبَلْخِيُّ طَرِيقَ خُرَاسَانَ. |
| ذِكْرُ عَوْدِ الصَّفَّارِ إِلَى فَارِسَ وَالْحَرْبِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ وَاصِلٍ لَمَّا كَانَ مِنَ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُفْلِحٍ وَبَيْنَ ابْنِ وَاصِلٍ مَا ذَكَرْنَاهُ ، اتَّصَلَ خَبَرُهُمَا إِلَى يَعْقُوبَ الصَّفَّارِ وَهُوَ بِسِجِسْتَانَ ، فَتَجَدَّدَ طَمَعُهُ فِي مُلْكِ بِلَادِ فَارِسَ ، وَأَخْذِ الْأَمْوَالِ وَالْخَزَائِنِ وَالسِّلَاحِ الَّتِي غَنِمَهَا ابْنُ وَاصِلٍ مِنَ ابْنِ مُفْلِحٍ ، فَسَارَ مُجِدًّا. |
| وَبَلَغَ ابْنُ وَاصِلٍ خَبَرُ قُرْبِهِ مِنْهُ وَأَنَّهُ نَزَلَ الْبَيْضَاءَ مِنْ أَرْضِ فَارِسَ ، وَهُوَ بِالْأَهْوَازِ ، فَعَادَ عَنْهَا لَا يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ ، وَأَرْسَلَ خَالَهُ أَبَا بِلَالٍ مِرْدَاسًا إِلَى الصَّفَّارِ ، فَوَصَلَ إِلَيْهِ ، وَضَمِنَ لَهُ طَاعَةَ ابْنِ وَاصِلٍ ، فَأَرْسَلَ يَعْقُوبُ الصَّفَّارُ إِلَى ابْنِ وَاصِلٍ كُتُبًا وَرُسُلًا فِي الْمَعْنَى ، فَحَبَسَهُمُ ابْنُ وَاصِلٍ ، وَسَارَ يَطْلُبُ الصَّفَّارَ وَالرُّسُلُ مَعَهُ يُرِيدُ أَنْ يُخْفِيَ خَبَرَهُ ، وَأَنْ يَصِلَ إِلَى الصَّفَّارِ بَغْتَةً لَمْ يَعْلَمْ بِهِ ، فَيَنَالُ مِنْهُ غَرَضَهُ ، وَيُوقِعُ بِهِ. |
| فَسَارَ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ ، فِي أَرْضٍ صَعْبَةِ الْمَسْلَكِ ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ خَبَرَهُ قَدْ خَفِيَ عَنِ الصَّفَّارِ ، فَلَمَّا كَانَ الظُّهْرُ تَعِبَتْ دَوَابُّهُمْ ، فَنَزَلُوا لِيَسْتَرِيحُوا ، فَمَاتَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ وَاصِلٍ مِنَ الرَّجَّالَةِ كَثِيرٌ جُوعًا وَعَطَشًا ، وَبَلَغَ خَبَرُهُمُ الصَّفَّارَ ، فَجَمَعَ أَصْحَابَهُ وَأَعْلَمَهُمُ الْخَبَرَ وَسَارَ ، وَقَالَ لِأَبِي بِلَالٍ إِنَّ ابْنَ وَاصِلٍ قَدْ غَدَرَ بِنَا ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ! |
| وَمَضَى الصَّفَّارُ إِلَى ابْنِ وَاصِلٍ ، فَلَمَّا قَارَبَهُمْ وَعَلِمُوا بِهِ انْخَذَلُوا وَضَعُفَتْ نُفُوسُهُمْ عَنْ مُقَاوَمَتِهِ وَمُقَاتَلَتِهِ ، وَلَمْ يَتَقَدَّمُوا خُطْوَةً ، فَلَمَّا صَارَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ رَمْيَةُ سَهْمٍ انْهَزَمَ أَصْحَابُ ابْنِ وَاصِلٍ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ ، وَتَبِعَهُمْ عَسْكَرُ الصَّفَّارِ ، وَأَخَذُوا مِنْهُمْ جَمِيعَ مَا غَنِمُوا مِنَ ابْنِ مُفْلِحٍ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى بِلَادِ فَارِسَ ، وَرَتَّبَ بِهَا أَصْحَابَهُ وَأَصْلَحَ أَحْوَالَهَا. |
| وَمَضَى ابْنُ وَاصِلٍ مُنْهَزِمًا ، فَأَخَذَ أَمْوَالَهُ مِنْ قَلْعَتِهِ ، وَكَانَتْ أَرْبَعِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَأَوْقَعَ يَعْقُوبُ بِأَهْلِ زَمَّ لِأَنَّهُمْ أَعَانُوا ابْنَ وَاصِلٍ ، وَحَدَّثَ نَفْسَهُ بِالِاسْتِيلَاءِ عَلَى الْأَهْوَازِ وَغَيْرِهَا. |
| ذِكْرُ تَجْهِيزَ أَبِي أَحْمَدَ لِلْمَسِيرِ إِلَى الْبَصْرَةِ وَفِيهَا ، فِي شَوَّالٍ جَلَسَ الْمُعْتَمِدُ فِي دَارِ الْعَامَّةِ ، فَوَلَّى ابْنَهُ جَعْفَرًا الْعَهْدَ ، وَلَقَّبَهُ الْمُفَوِّضَ إِلَى اللَّهِ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ مُوسَى بْنَ بُغَا ، فَوَلَّاهُ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَمِصْرَ ، وَالشَّامَ ، وَالْجَزِيرَةَ ، وَالْمَوْصِلَ ، وَأَرْمِينِيَّةَ ، وَطَرِيقَ خُرَاسَانَ وَمِهْرَجَانِقَذَقَ ، وَوَلَّى أَخَاهُ أَبَا أَحْمَدَ الْعَهْدَ بَعْدَ جَعْفَرٍ ، وَلَقَّبَهُ النَّاصِرَ لِدِينِ اللَّهِ الْمُوَفَّقَ ، وَوَلَّاهُ الْمَشْرِقَ ، وَبَغْدَاذَ ، وَالسَّوَادَ وَالْكُوفَةَ ، وَطَرِيقَ مَكَّةَ ، وَالْمَدِينَةَ ، وَالْيَمَنَ ، وَكُسْكَرَ ، وَكُوَرَ دِجْلَةَ ، الْأَهْوَازَ ، وَفَارِسَ ، وَأَصْبَهَانَ ، وَقُمَّ ، وَكَرَجَ ، وَدِينَوَرَ ، وَالرَّيَّ ، وَزَنْجَانَ وَالسِّنْدَ ، وَعَقَدَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِوَاءَيْنِ أَسْوَدَ وَأَبْيَضَ ، وَشَرَطَ إِنْ حَدَثَ بِهِ الْمَوْتُ ، وَجَعْفَرٌ لَمْ يَبْلُغْ ، أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ لِلْمُوَفَّقِ ، ثُمَّ لِجَعْفَرٍ بَعْدَهُ ، وَأُخِذَتِ الْبَيْعَةُ بِذَلِكَ. |
| فَعَقَدَ جَعْفَرٌ لِمُوسَى عَلَى الْمَغْرِبِ ، وَأُمِرَ الْمُوَفَّقَ أَنْ يَسِيرَ إِلَى حَرْبِ الزَّنْجِ; فَوَلَّى الْمُوَفَّقُ الْأَهْوَازَ وَالْبَصْرَةَ ، وَكُوَرَ دِجْلَةَ مَسْرُورًا الْبَلْخِيَّ ، وَسَيَّرَهُ فِي مُقَدِّمَتِهِ فِي ذِي الْحِجَّةِ. |
| وَعَزَمَ عَلَى الْمَسِيرِ بَعْدَهُ ، فَحَدَثَ مِنْ أَمْرِ يَعْقُوبَ الصَّفَّارِ مَا مَنَعَهُ عَنِ الْمَسِيرِ ، وَسَنَذْكُرُ أَوَّلَ سَنَةِ اثْنَيْنِ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ. |
| وَفِيهَا فَارَقَ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدَوَيهِ يَعْقُوبَ بْنَ اللَّيْثِ ، وَسَارَ إِلَى أَبِي السَّاجِ ، وَأَقَامَ مَعَهُ بِالْأَهْوَازِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ الْمُعْتَمِدُ وَسَأَلَ أَنْ يُوَجِّهَ الْحُسَيْنَ بْنَ طَاهِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ إِلَى خُرَاسَانَ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِيهَا الْفَضْلُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ. |
| وَمَاتَ الْحُسَيْنُ بْنُ أَبِي الشَّوَارِبِ بِمَكَّةَ بَعْدَمَا حَجَّ. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ السَّامَانِيِّ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَعْمَلَ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَسَدِ بْنِ سَامَانَ خِدَاهَ بْنَ جُثْمَانَ بْنَ طِمْغَاثَ بْنِ نُوشَرْدَ بْنِ بَهْرَامَ جُوبِينَ بْنِ بَهْرَامَ خَشَنْشَ ، وَكَانَ بَهْرَامُ خَشَنْشُ مِنَ الرَّيِّ ، فَجَعَلَهُ كِسْرَى هُرْمُزُ بْنُ أَنُوشِرْوَانَ مَرْزُبَانَ أَذْرَبِيجَانَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ بَهْرَامَ جُوبِينَ عِنْدَ ذِكْرِ كِسْرَى هُرْمُزَ. |
| وَلَمَّا وَلِيَ الْمَأْمُونُ خُرَاسَانَ ، وَاصْطَلَحَ أَوْلَادُهُ وَهُمْ نُوحٌ ، وَأَحْمَدُ ، وَيَحْيَى ، وَإِلْيَاسُ ، بَنُو أَسَدِ بْنِ سَامَانَ ، قَرَّبَهُمْ وَرَفَعَ مِنْهُمْ وَاسْتَعْمَلَهُمْ وَرَعَى حَقَّ سَلَفِهِمْ ، فَلَمَّا رَجَعَ الْمَأْمُونُ إِلَى الْعِرَاقِ اسْتَخْلَفَ عَلَى خُرَاسَانَ غَسَّانَ بْنَ عَبَّادٍ ، فَوَلَّى غَسَّانُ نُوحَ بْنَ أَسَدٍ ، فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَمِائَتَيْنِ سَمَرْقَنْدَ ، وَأَحْمَدَ بْنَ أَسَدٍ فَرْغَانَةَ ، وَيَحْيَى بْنَ أَسَدٍ الشَّاشَ وَأَشْرُوسَنَةَ ، وَإِلْيَاسَ بْنَ أَسَدٍ هَرَاةَ. |
| فَلَمَّا وَلِيَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ خُرَاسَانَ وَلَّاهُمْ هَذِهِ الْأَعْمَالَ ، ثُمَّ تُوُفِّيَ نُوحُ بْنُ أَسَدٍ ، وَأَقَرَّ طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَخَوَيْهِ عَلَى عَمَلِهِ يَحْيَى ، وَأَحْمَدَ ، وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ أَسَدٍ عَفِيفَ الطُّعْمَةِ ، مَرْضِيَّ السِّيرَةِ ، لَا يَأْخُذُ رِشْوَةً ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَفِيهِ قِيلَ ، أَوْ فِي ابْنِهِ نَصْرٍ ثَوَى ثَلَاثِينَ حَوْلًا فِي وِلَايَتِهِ... |
| فَجَاعَ يَوْمَ ثَوَى فِي قَبْرِهِ حَشَمُهُ وَكَانَ إِلْيَاسُ يَلِي هَرَاةَ ، وَلَهُ بِهَا عَقِبٌ وَآثَارٌ كَثِيرَةٌ ، فَاسْتَقْدَمَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ ، وَكَانَ رَسْمُهُ فِيمَنْ يَسْتَقْدِمُهُ أَنْ يَعُدَّ أَيَّامَهُ ، فَأَبْطَأَ إِلْيَاسُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِالْمُقَامِ حَيْثُ يَلْقَاهُ كِتَابُهُ ، فَبَلَغَهُ الْكِتَابُ وَقَدْ سَارَ عَنْ بُوشَنْجَ ، فَأَقَامَ بِهَا سَنَةً تَأْدِيبًا لَهُ ، ثُمَّ أَذِنَ فِي الْقُدُومِ عَلَيْهِ. |
| فَلَمَّا مَاتَ إِلْيَاسُ بِهَرَاةَ أَقَرَّ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُهُ أَبَا إِسْحَاقَ مُحَمَّدَ بْنَ إِلْيَاسَ عَلَى عَمَلِهِ ، فَأَقَامَ بِهَرَاةَ; وَكَانَ لِأَحْمَدَ بْنِ أَسَدٍ سَبْعَةُ بَنِينَ ، وَهُمْ نَصْرٌ ، وَأَبُو يُوسُفَ يَعْقُوبُ ، وَأَبُو زَكَرِيَّاءَ يَحْيَى ، وَأَبُو الْأَشْعَثِ أَسَدٌ ، وَإِسْمَاعِيلُ ، وَإِسْحَاقُ ، وَأَبُو غَانِمٍ حُمَيْدٌ ، لَمَّا تُوَفِّي أَحْمَدُ بْنُ أَسَدٍ اسْتَخْلَفَ ابْنَهُ نَصْرًا عَلَى أَعْمَالِهِ بِسَمَرْقَنْدَ وَمَا وَرَاءَهَا ، فَبَقِيَ عَامِلًا عَلَيْهَا إِلَى آخِرِ أَيَّامِ الطَّاهِرِيَّةِ ، وَبَعْدَ زَوَالِ أَمْرِهِمْ إِلَى أَنْ مَضَى لِسَبِيلِهِ. |
| وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ يَخْدُمُ أَخَاهُ نَصْرًا ، فَوَلَّاهُ نَصْرٌ بُخَارَى سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ. |
| وَمَعْنَى قَوْلِ أَبِي جَعْفَرٍ وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ وَلِيَ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، أَنَّهُ تَوَلَّاهُ مِنْ جَانِبِ الْخَلِيفَةِ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَتَوَلَّاهُ ، مِنْ قَبْلُ ، مِنْ عُمَّالِ خُرَاسَانَ ، وَإِلَّا فَالْقَوْمُ تَوَلَّوْا قَبْلَ هَذَا التَّارِيخِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ اسْتِعْمَالِهِ إِسْمَاعِيلَ أَنَّهُ لَمَّا اسْتَوْلَى يَعْقُوبُ بْنُ اللَّيْثِ عَلَى خُرَاسَانَ أَنْفَذَ نَصْرُ جَيْشًا إِلَى شَطِّ جَيْحُونَ لِيَأْمَنَ عُبُورَ يَعْقُوبَ ، فَقَتَلُوا مُقَدَّمَهُمْ ، وَرَجَعُوا إِلَى بُخَارَى ، فَخَافَهُمْ أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ نَائِبُ نَصْرٍ عَلَى نَفْسِهِ ، فَتَغَيَّبَ عَنْهُمْ ، فَأَمَّرُوا عَلَيْهِمْ أَبَا هَاشِمٍ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُبَشِّرِ بْنِ رَافِعِ بْنِ اللَّيْثِ بْنِ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ ، ثُمَّ عَزَلُوهُ ، وَوَلَّوْا أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ لَيْثٍ وَالِدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُنَيْدٍ ، ثُمَّ صَرَفُوهُ ، وَوَلَّوُا الْحَسَنَ بْنَ مُحَمَّدٍ مِنْ وَلَدِ عَبْدَةَ بْنِ حَدِيدٍ; ثُمَّ صَرَفُوهُ ، وَبَقِيَتْ بُخَارَى بِغَيْرِ أَمِيرٍ ، فَكَتَبَ رَئِيسُهَا وَفَقِيهُهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي حَفْصٍ إِلَى نَصْرٍ يَسْأَلُهُ تَوْجِيهَ مَنْ يَضْبُطُ بُخَارَى ، فَوَجَّهَ أَخَاهُ إِسْمَاعِيلَ ، ثُمَّ إِنَّ إِسْمَاعِيلَ كَاتَبَ رَافِعَ بْنَ هَرْثَمَةَ حِينَ وَلِيَ خُرَاسَانَ ، فَتَعَاقَدَا عَلَى التَّعَاوُنِ ، وَالتَّعَاضُدِ ، فَطَلَبَ مِنْهُ إِسْمَاعِيلُ أَعْمَالَ خُوَارِزْمَ فَوَلَّاهُ إِيَّاهَا. |
| وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ يُؤَامِرُهُ فِي الْمُكَاتَبَةِ ، ثُمَّ سَعَتِ السُّعَاةُ بَيْنَ نَصْرٍ ، وَإِسْمَاعِيلَ فَأَفْسَدُوا مَا بَيْنَهُمَا ، فَقَصَدَهُ نَصْرٌ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَأَرْسَلَ إِسْمَاعِيلُ حَمَّوَيْهِ بْنَ عَلِيٍّ إِلَى رَافِعِ بْنِ هَرْثَمَةَ يَسْتَنْجِدُهُ ، فَسَارَ إِلَيْهِ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ ، فَوَافَى بُخَارَى ، قَالَ حَمَّوَيْهِ فَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي ، وَقُلْتُ إِنْ ظَفِرَ إِسْمَاعِيلُ بِأَخِيهِ فَمَا يُؤَمِّنُنِي أَنْ يَقْبِضَ رَافِعٌ عَلَى إِسْمَاعِيلَ ، وَيَتَغَلَّبَ عَلَى مَا وَرَاءَ النَّهْرِ ؟ |
| وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ، وَوَفَّى لِإِسْمَاعِيلَ ، فَلَا يَزَالُ إِسْمَاعِيلُ مُعْتَرِفًا بِأَنَّهُ فَقِيدُ رَافِعٍ وَجَرِيحُهُ ، وَيَحْتَاجُ أَنْ يَتَصَرَّفَ عَلَى أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، فَاجْتَمَعْتُ بِرَافِعٍ خَلْوَةً ، وَقُلْتُ لَهُ نَصِيحَتُكَ وَاجِبَةٌ عَلَيَّ ، وَقَدْ ظَهَرَ لِي مِنْ نَصْرٍ ، وَإِسْمَاعِيلَ مَا كَانَ خَفِيًّا عَنِّي ، وَلَسْتُ آمَنُهُمَا عَلَيْكَ ، وَالرَّأْيُ أَنْ لَا تُشَاهِدَ الْحَرْبَ ، وَتَحْمِلَهُمَا عَلَى الصُّلْحِ; فَقَبِلَ ذَلِكَ ، فَتَصَالَحَا ، وَانْصَرَفَ عَنْهُمَا. |
| قَالَ حَمَّوَيْهِ ثُمَّ إِنَّنِي أَعْلَمْتُ إِسْمَاعِيلَ ، بَعْدَ ذَلِكَ الْحَالِ كَيْفَ كَانَ ، فَعَذَرَ رَافِعًا فِي إِلْزَامِهِ بِالصُّلْحِ ، وَاسْتَصْوَبَ فِعْلَ حَمَّوَيْهِ ، بَقِيَ نَصْرٌ وَإِسْمَاعِيلُ مُدَّةً ، ثُمَّ عَادَتِ السُّعَاةُ ، فَفَسَدَ مَا بَيْنَهُمَا ، حَتَّى تَحَارَبَا سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَظَهَرَ إِسْمَاعِيلُ بِأَخِيهِ نَصْرٍ ، فَلَمَّا حَمَلَ إِلَيْهِ تَرَجَّلَ لَهُ إِسْمَاعِيلُ ، وَقَبَّلَ يَدَيْهِ ، وَرَدَّهُ مِنْ مَوْضِعِهِ إِلَى سَمَرْقَنْدَ ، وَتَصَرَّفَ عَلَى النِّيَابَةِ عَنْهُ بِبُخَارَى. |
| وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ خَيِّرًا ، يُحِبُّ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالدِّينِ ، وَيُكْرِمُهُمْ ، وَبِبَرَكَتِهِمْ دَامَ مُلْكُهُ وَمُلْكُ أَوْلَادِهِ وَطَالَتْ أَيَّامُهُمْ. |
| حَكَى أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَلْعَمِيُّ قَالَ سَمِعْتُ الْأَمِيرَ أَبَا إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ أَحْمَدَ يَقُولُ كُنْتُ بِسَمَرْقَنْدَ ، فَجَلَسْتُ يَوْمًا لِلْمَظَالِمِ ، وَجَلَسَ أَخِي إِسْحَاقُ إِلَى جَانِبِي ، فَدَخَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، فَقُمْتُ لَهُ إِجْلَالًا لِعِلْمِهِ وَدِينِهِ ، فَلَمَّا خَرَجَ عَاتَبَنِي أَخِي إِسْحَاقُ ، وَقَالَ أَنْتَ أَمِيرُ خُرَاسَانَ ، يَدْخُلُ عَلَيْكَ رَجُلٌ مَنْ رَعِيَّتِكَ فَتَقُومُ لَهُ ، فَتَذْهَبُ السِّيَاسَةُ بِهَذَا. |
| قَالَ فَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي الْمَنَامِ وَكَأَنِّي وَاقِفٌ وَأَخِي إِسْحَاقُ ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخَذَ بِعَضُدِي فَقَالَ لِي يَا إِسْمَاعِيلُ ، ثَبَّتَّ مُلْكَكَ وَمُلْكَ بَيْتِكَ لِإِجْلَالِكَ لِمُحَمَّدِ بْنِ نَصْرٍ. |
| ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى إِسْحَاقَ ، وَقَالَ ذَهَبَ مُلْكُ إِسْحَاقَ وَمُلْكُ بَيْتِهِ بِاسْتِخْفَافِهِ بِمُحَمَّدِ بْنِ نَصْرٍ. |
| وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ هَذَا مِنَ الْعُلَمَاءِ بِالْفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ الْعَامِلِينَ بِعِلْمِهِ ، الْمُصَنِّفِينَ فِيهِ ، وَسَافَرَ إِلَى الْبِلَادِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَأَخَذَ الْعِلْمَ بِمِصْرَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى ، وَالرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَكَمِ ، وَصَحِبَ الْحَارِثَ الْمُحَاسِبِيَّ ، وَأَخَذَ عَنْهُ عِلْمَ الْمُعَامَلَةِ ، وَبَرَزَ فِيهِ أَيْضًا. |
| ذِكْرُ عِصْيَانِ أَهْلِ بُرْقَةَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَصَى أَهْلُ بُرْقَةَ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، وَأَخْرَجُوا أَمِيرَهُمْ مُحَمَّدَ بْنَ الْفَرَجِ الْفَرْغَانِيَّ ، فَبَعَثَ ابْنُ طُولُونَ جَيْشًا عَلَيْهِمْ غُلَامُهُ لُؤْلُؤٌ ، وَأَمَرَهُ بِالرِّفْقِ بِهِمْ ، وَاسْتِعْمَالِ اللِّينَ ، فَإِنِ انْقَادُوا وَإِلَّا السَّيْفُ. |
| فَسَارَ الْعَسْكَرُ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى بُرْقَةَ ، وَحَصَرُوا أَهْلَهَا ، وَفَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ مِنَ اللِّينِ ، فَطَمِعَ أَهْلُ بُرْقَةَ ، وَخَرَجُوا يَوْمًا عَلَى بَعْضِ الْعَسْكَرِ ، وَهُمْ نَازِلُونَ عَلَى بَابِ الْبَلَدِ ، فَأَوْقَعُوا بِهِمْ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ. |
| فَأَرْسَلَ لُؤْلُؤٌ إِلَى صَاحِبِهِ أَحْمَدَ يُعَرِّفُهُ الْخَبَرُ ، فَأَمَرَ بِالْجِدِّ فِي قِتَالِهِمْ ، فَنَصَبَ عَلَيْهِمُ الْمَجَانِيقَ ، وَجَدَّ فِي قَتْلِهِمْ ، وَطَلَبُوا الْأَمَانَ ، فَأَمَّنَهُمْ ، فَفَتَحُوا لَهُ الْبَابَ ، فَدَخَلَ الْبَلَدَ ، وَقَبَضَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ ، وَضَرَبَهُمْ بِالسِّيَاطِ وَقَطَعَ أَيْدِيَ بَعْضِهِمْ ، وَأَخَذَ مَعَهُ جَمَاعَةً مِنْهُمْ وَعَادَ إِلَى مِصْرَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى بُرْقَةَ عَامِلًا. |
| وَلَمَّا وَصَلَ لُؤْلُؤٌ إِلَى مِصْرَ خَلَعَ عَلَيْهِ أَحْمَدُ خِلْعَةً فِيهَا طَوْقَانِ ، فَوَضَعَهَا فِي رَقَبَتِهِ ، وَطِيفَ بِالْأَسْرَى فِي الْبَلَدِ. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ إِفْرِيقِيَّةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْأَغْلَبِ ، صَاحِبُ إِفْرِيقِيَّةَ ، سَادِسَ جُمَادَى الْأُولَى ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ عَشْرَ سِنِينَ وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَسِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا. |
| وَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ عَقَدَ لِابْنِهِ أَبِي عِقَالٍ الْعَهْدَ ، وَاسْتَخْلَفَ أَخَاهُ إِبْرَاهِيمَ لِئَلَّا يُنَازِعَهُ ، وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ آلَ الْأَغْلَبِ وَمَشَايِخَ الْقَيْرَوَانِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَلَّى الْأَمَرَ إِلَى أَنْ يَكْبَرَ وَلَدُهُ ، فَلَمَّا مَاتَ أَتَى أَهْلُ الْقَيْرَوَانِ إِبْرَاهِيمَ وَسَأَلُوهُ أَنْ يَتَوَلَّى أَمْرَهُمْ ، لِحُسْنِ سِيرَتِهِ ، وَعَدْلِهِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، ثُمَّ أَجَابَ ، انْتَقَلَ إِلَى قَصْرِ الْإِمَارَةِ ، وَبَاشَرَ الْأُمُورَ ، وَقَامَ بِهَا قِيَامًا مَرْضِيًّا . |
| وَكَانَ عَادِلًا ، حَازِمًا فِي أُمُورِهِ ، أَمَّنَ الْبِلَادَ ، وَقَتَلَ أَهْلَ الْبَغْيِ وَالْفَسَادِ ، وَكَانَ يَجْلِسُ لِلْعَدْلِ فِي جَامِعِ الْقَيْرَوَانِ يَوْمَ الْخَمِيسِ وَالِاثْنَيْنِ ، يَسْمَعُ شَكْوَى الْخُصُومِ ، وَيَصْبِرُ عَلَيْهِمْ ، وَيُنْصِفُ بَيْنَهُمْ. |
| وَكَانَ الْقَوَافِلُ وَالتُّجَّارُ يَسِيرُونَ فِي الطَّرِيقِ آمِنِينَ. |
| وَبَنَى الْحُصُونَ وَالْمَحَارِسَ عَلَى سَوَاحِلِ الْبَحْرِ ، حَتَّى كَانَ يُوقِدُ النَّارَ مِنْ سَبْتَةَ فَيَصِلُ الْخَبَرُ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فِي اللَّيْلَةِ الْوَاحِدَةِ ، وَبَنَى عَلَى سُوسَةَ سُورًا ، وَعَزَمَ عَلَى الْحَجِّ ، فَرَدَّ الْمَظَالِمَ ، وَأَظْهَرَ الزُّهْدَ وَالنُّسُكَ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ إِنْ جَعَلَ طَرِيقَهُ إِلَى مَكَّةَ عَلَى مِصْرَ مَنَعَهُ صَاحِبُهَا ابْنُ طُولُونَ ، فَتَجْرِي بَيْنَهُمَا حَرْبٌ ، فَيُقْتَلُ الْمُسْلِمُونَ ، فَجَعَلَ طَرِيقَةً عَلَى جَزِيرَةِ صِقِلِّيَّةَ لِيَجْمَعَ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ ، وَيَفْتَحَ مَا بَقِيَ مِنْ حُصُونِهَا ، فَأَخْرَجَ جَمِيعَ مَا ادَّخَرَهُ مِنَ الْمَالِ وَالسِّلَاحِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَسَارَ إِلَى سُوسَةَ فَدَخَلَهَا وَعَلَيْهِ فَرْوٌ مُرَقَّعٌ فِي زِيِّ الزُّهَّادِ ، أَوَّلَ سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَسَارَ مِنْهَا ، فِي الْأُسْطُولِ ، إِلَى صِقِلِّيَةَ. |
| وَسَارَ إِلَى مَدِينَةِ يَرْطِينْوَا فَمَلَكَهَا سَلْخَ رَجَبٍ ، وَأَظْهَرَ الْعَدْلَ ، وَأَحْسَنَ إِلَى الرَّعِيَّةِ ، وَسَارَ إِلَى طَبَرْمِينَ ، فَاسْتَعَدَّ أَهْلُهَا لِقِتَالِهِ ، فَلَمَّا وَصَلَ خَرَجُوا إِلَيْهِ وَالْتَقَوْا ، فَقَرَأَ الْقَارِئُ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا الفتح فَقَالَ الْأَمِيرُ اقْرَأْ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ الحج ، فَقَرَأَ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَخْتَصِمُ أَنَا وَالْكُفَّارُ إِلَيْكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ! |
| وَحَمَلَ ، وَمَعَهُ أَهْلُ الْبَصَائِرِ ، فَهُزِمَ الْكُفَّارُ ، وَقَتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ كَيْفَ شَاءُوا ، وَدَخَلُوا مَعَهُمُ الْمَدِينَةَ عَنْوَةً ، فَرَكِبَ بَعْضُ مَنْ بِهَا مِنَ الرُّومِ مَرَاكِبَ فَهَرَبُوا فِيهَا. |
| وَالْتَجَأَ بَعْضُهُمْ إِلَى الْحِصْنِ وَأَحَاطَ بِهِمُ الْمُسْلِمُونَ وَقَاتَلُوهُمْ ، فَاسْتَنْزَلُوهُمْ قَهْرًا ، وَغَنِمُوا أَمْوَالَهُمْ ، وَسَبَوْا ذَرَارِيَهُمْ ، وَذَلِكَ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ شَعْبَانَ ، وَأَمَرَ بِقَتْلِ الْمُقَاتِلَةِ ، وَبَيْعِ السَّبْيِ وَالْغَنِيمَةِ. |
| وَلَمَّا اتَّصَلَ الْخَبَرُ بِفَتْحِ طَبَرْمِينَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ عَظُمَ عَلَيْهِ ، وَبَقِيَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ لَا يَلْبَسُ التَّاجَ ، وَقَالَ لَا يَلْبَسُ التَّاجَ مَحْزُونٌ. |
| وَتَحَرَّكَتِ الرُّومُ ، وَعَزَمُوا عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى صِقِلِّيَّةَ لِمَنْعِهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَبَلَغَهُمْ أَنَّهُ سَائِرٌ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، فَتَرَكَ الْمَلِكُ بِهَا عَسْكَرًا عَظِيمًا ، وَسِيَّرَ جَيْشًا إِلَى صِقِلِّيَّةَ. |
| وَأَمَّا الْأَمِيرُ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّهُ لَمَّا مَلَكَ طَبَرْمِينَ بَثَّ السَّرَايَا فِي مُدُنِ صِقِلِّيَّةَ الَّتِي بِيَدِ الرُّومِ ، وَبَعَثَ سَرِيَّةً إِلَى مَيْقَشَ ، وَسِرِيَّةً إِلَى دَمَنْشَ ، فَوَجَدُوا أَهْلَهَا قَدْ أُجْلُوا عَنْهَا ، فَغَنِمُوا مَا وَجَدُوا بِهَا. |
| وَبَعَثَ طَائِفَةً إِلَى رَمْطَةَ ، وَطَائِفَةً إِلَى الْيَاجِ ، فَأَذْعَنَ الْقَوْمُ جَمِيعًا إِلَى أَدَاءِ الْجِزْيَةِ ، فَلَمْ يُجِبْهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ غَيْرَ تَسْلِيمِ الْحُصُونِ ، فَفَعَلُوا ، فَهَدَمَهَا ، وَسَارَ إِلَى كَسَنْتَةَ ، فَجَاءَتْهُ الرُّسُلُ مِنْهَا يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ فَلَمْ يُجِبْهُمْ. |
| وَكَانَ قَدِ ابْتَدَأَ بِهِ الْمَرَضُ ، وَهُوَ عِلَّةُ الذَّرْبِ ، فَنَزَلَتِ الْعَسَاكِرُ عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَلَمْ يَجِدُّوا فِي قِتَالِهَا لِغَيْبِهِ الْأَمِيرِ عَنْهُمْ ، فَإِنَّهُ نَزَلَ مُنْفَرِدًا لِشِدَّةِ مَرَضِهِ ، وَامْتَنَعَ مِنْهُ النَّوْمُ وَحَدَثَ بِهِ الْفَوَاقُ ، وَتُوُفِّيَ لَيْلَةَ السَّبْتِ لِإِحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الرَّأْيِ مِنَ الْعَسْكَرِ أَنْ يُوَلُّوا أَمْرَهُمْ أَبَا مُضَرَ بْنِ أَبِي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ لِيَحْفَظَ الْعَسَاكِرَ ، وَالْأَمْوَالَ ، وَالْخَزَائِنَ ، إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى ابْنِهِ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، وَجَعَلُوا الْأَمِيرَ إِبْرَاهِيمَ فِي تَابُوتٍ ، وَحَمَلُوهُ إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ وَدَفَنُوهُ بِالْقَيْرَوَانِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ. |
| وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَكَانَ عَاقِلًا ، حَسَنَ السِّيرَةِ ، مُحِبًّا لِلْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ ، تَصَدَّقَ بِجَمِيعِ مَا يَمْلِكُ ، وَوَقَفَ أَمْلَاكَهُ جَمِيعَهَا; وَكَانَ لَهُ فِطْنَةٌ عَظِيمَةٌ بِإِظْهَارِ خَفَايَا الْعُمُلَاتِ ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ تَاجِرًا مِنْ أَهْلِ الْقَيْرَوَانِ كَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ صَالِحَةٌ عَفِيفَةٌ ، فَاتَّصَلَ خَبَرُهَا بِوَزِيرِ الْأَمِيرِ إِبْرَاهِيمَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا ، فَلَمْ تُجِبْهُ ، فَاشْتَدَّ غَرَامُهُ بِهَا ، وَشَكَا حَالَهُ إِلَى عَجُوزٍ كَانَتْ تَغْشَاهُ ، وَكَانَتْ أَيْضًا لَهَا مِنَ الْأَمِيرِ مَنْزِلَةٌ ، وَمِنْ وَالِدَتِهِ مَنْزِلَةٌ كَبِيرَةٌ وَهِيَ مَوْصُوفَةٌ عِنْدَهُمْ بِالصَّلَاحِ ، يَتَبَرَّكُونَ بِهَا ، وَيَسْأَلُونَهَا الدُّعَاءَ ، فَقَالَتْ لِلْوَزِيرِ أَنَا أَتَلَطَّفُ بِهَا ، وَأَجْمَعُ بَيْنَكُمَا. |
| وَرَاحَتْ إِلَى بَيْتِ الْمَرْأَةِ ، فَقَرَعَتِ الْبَابَ وَقَالَتْ قَدْ أَصَابَ ثَوْبِي نَجَاسَةٌ أُرِيدُ تَطْهِيرَهَا; فَخَرَجَتِ الْمَرْأَةُ وَلَقِيَتْهَا فَرَحَّبَتْ بِهَا وَأَدْخَلَتْهَا ، وَطَهَّرَتْ ثَوْبَهَا ، وَقَامَتِ الْعَجُوزُ تُصَلِّي ، فَعَرَضَتِ الْمَرْأَةُ عَلَيْهَا الطَّعَامَ ، فَقَالَتْ إِنِّي صَائِمَةٌ ، وَلَا بُدَّ مِنَ التَّرَدُّدِ إِلَيْكِ; ثُمَّ صَارَتْ تَغْشَاهَا ، ثُمَّ قَالَتْ لَهَا عِنْدِي يَتِيمَةٌ أُرِيدُ أَنْ أَحْمِلَهَا إِلَى زَوْجِهَا ، فَإِنْ خَفَّ عَلَيْكِ إِعَارَةُ حُلِيِّكِ أُجَمِّلُهَا بِهِ فَعَلْتُ. |
| وَأَحْضَرَتْ جَمِيعَ حُلِيِّهَا وَسَلَّمَتْهُ إِلَيْهَا ، فَأَخَذَتْهُ الْعَجُوزُ وَانْصَرَفَتْ ، وَغَابَتْ أَيَّامًا ، وَجَاءَتْ إِلَيْهَا ، فَقَالَتْ لَهَا أَيْنَ الْحُلِيُّ ؟ |
| فَقَالَتْ هُوَ عِنْدَ الْوَزِيرِ ، عَبَرْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ مَعِي فَأَخَذَهُ مِنِّي ، وَقَالَ لَا يُسَلِّمُهُ إِلَّا إِلَيْكِ. |
| فَتَنَازَعَتَا ، وَخَرَجَتِ الْعَجُوزُ ، وَجَاءَ التَّاجِرُ زَوْجُ الْمَرْأَةِ ، فَأَخْبَرَتْهُ الْخَبَرَ ، فَحَضَرَ دَارَ الْأَمِيرِ إِبْرَاهِيمَ ، وَأَخْبَرَهُ بِالْخَبَرِ ، فَدَخَلَ الْأَمِيرُ إِلَى وَالِدَتِهِ ، وَسَأَلَهَا عَنِ الْعَجُوزِ ، فَقَالَتْ هِيَ تَدْعُو لَكَ; فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهَا لِيَتَبَرَّكَ بِهَا ، فَأَحْضَرَتْهَا وَالِدَتُهُ ، فَلَمَّا رَآهَا أَكْرَمَهَا وَأَقْبَلَ عَلَيْهَا ، وَانْبَسَطَ مَعَهَا. |
| ثُمَّ إِنَّهُ أَخَذَ خَاتَمًا مِنْ إِصْبُعِهَا ، وَجَعَلَ يُقَلِّبُهُ وَيَعْبَثُ بِهِ ، ثُمَّ إِنَّهُ أَحْضَرَ خَصِيًّا لَهُ وَقَالَ لَهُ انْطَلِقْ إِلَى بَيْتِ الْعَجُوزِ ، وَقُلْ لِابْنَتِهَا تُسَلِّمُ الْحُقَّ الَّذِي فِيهِ الْحُلِيُّ ، وَصِفَتُهُ كَذَا ، وَهُوَ كَذَا كَذَا ، وَهَذَا الْخَاتَمُ عَلَامَةٌ مِنْهَا. |
| فَمَضَى الْخَادِمُ ، وَأَحْضَرَ الْحُقَّ ، فَقَالَ لِلْعَجُوزِ مَا هَذَا ؟ |
| فَلَمَّا رَأَتِ الْحُقَّ سُقِطَ فِي يَدِهَا ، وَقَتَلَهَا ، وَدَفَنَهَا فِي الدَّارِ ، وَأَعْطَى الْحُقَّ لِصَاحِبِهِ ، وَأَضَافَ إِلَيْهِ شَيْئًا آخَرَ ، وَقَالَ لَهُ أَمَّا الْوَزِيرُ فَإِنِ انْتَقَمْتُ مِنْهُ الْآنَ يَنْكَشِفُ الْأَمْرُ ، وَلَكِنْ سَأَجْعَلُ لَهُ ذَنْبًا آخُذُهُ بِهِ ، فَتَرَكَهُ مُدَّةً يَسِيرَةً ، وَجَعَلَ لَهُ جُرْمًا أَخَذَهُ بِهِ فَقَتَلَهُ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَعْمَلَ الْمُعْتَمِدُ عَلَى اللَّهِ الْخَلِيفَةُ عَلَى أَذْرَبِيجَانَ مُحَمَّدَ بْنَ عُمَرَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مَرَا الطَّائِيَّ الْمَوْصِلِيَّ ، فَسَارَ إِلَيْهَا ، وَجَمَعَ مَعَهُ جُمُوعًا كَثِيرَةً مِنْ خَوَارِجٍ وَغَيْرِهِمْ ، وَكَانَ عَلَى أَذْرَبِيجَانَ الْعَلَاءُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَزْدِيُّ ، وَهُوَ مَفْلُوجٌ ، فَخَرَجَ فِي مِحَفَّةٍ لِيَمْنَعَ مُحَمَّدَ بْنَ عُمَرَ ، فَقَاتَلَهُ ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ الْعَلَاءِ ، وَأُخِذَ أَسِيرًا ، وَاسْتَوْلَى مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ عَلَى قَلْعَةِ الْعَلَاءِ ، وَأَخَذَ مِنْهَا ثَلَاثَةَ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَمَاتَ الْعَلَاءُ فِي يَدِهِ. |
| وَفِيهَا اسْتَعْمَلَ الْمُعْتَمِدُ عَلَى اللَّهِ عَلَى الْمَوْصِلِ الْخَضِرَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ التَّغْلِبِيَّ الْمَوْصِلِيَّ. |
| وَفِيهَا رَجَعَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ إِلَى طَبَرِسْتَانَ ، وَأَحْرَقَ شَالُوسَ لِمُمَالَأَةِ أَهْلِهَا لِيَعْقُوبَ ، وَأَقْطَعَ ضِيَاعَهُمْ لِلدَّيَالِمَةِ. |
| وَفِيهَا أَمَرَ الْمُعْتَمِدُ بِجَمْعِ حَاجِّ خُرَاسَانَ ، وَالرَّيِّ وَطَبَرِسْتَانَ ، وَجُرْجَانَ ، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ لَمْ يُوَلِّ يَعْقُوبَ خُرَاسَانَ ، وَلَمْ يَكُنْ دُخُولُهُ خُرَاسَانَ وَأَسْرُهُ مُحَمَّدَ بْنَ طَاهِرٍ بِأَمْرِهِ. |
| وَفِيهَا قَتَلَ مُسَاوِرٌ الشَّارِيُّ يَحْيَى بْنَ جَعْفَرٍ الَّذِي كَانَ يَلِي خُرَاسَانَ ، فَسَارَ مَسْرُورٌ الْبَلْخِيُّ فِي طَلَبِهِ ، وَتَبِعَهُ أَبُو أَحْمَدَ ، وَهُوَ الْمُوَفَّقُ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ ، فَسَارَ مَسَاوِرٌ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمَا فَلَمْ يُدْرِكَاهُ. |
| وَفِيهَا هَرَبُ ابْنِ مَرْوَانَ الْجُلَيْقِيُّ مِنْ قُرْطُبَةَ ، فَقَصَدَ قَلْعَةَ الْحَنَشِ ، فَمَلَكَهَا ، وَامْتَنَعَ بِهَا ، فَسَارَ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ ، فَحَصَرَهُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، فَضَاقَ بِهِ الْأَمْرُ ، حَتَّى أَكَلَ دَوَابَّهُ ، فَطَلَبَ الْأَمَانَ ، فَأَمَّنَهُ مُحَمَّدٌ ، فَسَارَ إِلَى مَدِينَةِ بَطْلِيُوسَ. |
| وَفِيهَا عَصَى أَهْلُ تَاكَرْنَا مَعَ أَسَدِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ رَافِعٍ ، فَغَزَاهُمْ جَيْشُ مُحَمَّدٍ صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ ، وَقَاتَلَهُمْ ، فَعَادُوا إِلَى الطَّاعَةِ . |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو هَاشِمٍ دَاوُدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْجَعْفَرِيُّ. |
| وَالْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي الشَّوَارِبِ قَاضِي الْقُضَاةِ ، وَكَانَ مَوْتُهُ فِي رَمَضَانَ. |
| وَأَبُو الْحُسَيْنِ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ النَّيْسَابُورِيُّ ، صَاحِبُ" الصَّحِيحِ ". |
| وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ حَيَّانَ الْمَوْصِلِيُّ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْحَدِيثِ. |
| وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَسَنِ الْفَقِيهُ الْحَنَفِيُّ ، وَكَانَ مِنَ الْمَوْصِلِ أَيْضًا. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ الْمُوَفَّقِ وَالصَّفَّارِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي مَحَرَّمٍ ، سَارَ الصَّفَّارُ مِنْ فَارِسَ إِلَى الْأَهْوَازِ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْمُعْتَمِدَ إِقْبَالُهُ أَرْسَلَ إِلَيْهِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ وَبُفْرَاجُ ، أَطْلَقَ مَنْ كَانَ فِي حَبْسِهِ مِنْ أَصْحَابِ يَعْقُوبَ ، فَإِنَّهُ كَانَ حَبَسَهُمْ لَمَّا أَخَذَ يَعْقُوبُ مُحَمَّدَ بْنَ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ. |
| وَعَادَ إِسْمَاعِيلُ بِرِسَالَةٍ مِنْ عِنْدِ يَعْقُوبَ ، فَجَلَسَ أَبُو أَحْمَدَ بِبَغْدَاذَ ، وَكَانَ قَدْ أَخَّرَ مَسِيرَهُ إِلَى الزَّنْجِ لِمَا بَلَغَهُ مِنْ خَبَرِ يَعْقُوبَ ، وَأَحْضَرَ التُّجَّارَ ، وَأَخْبَرَهُمْ بِتَوْلِيَةِ يَعْقُوبَ خُرَاسَانَ ، وَجُرْجَانَ ، وَطَبَرِسْتَانَ ، وَالرَّيَّ ، وَفَارِسَ ، وَالشُّرْطَةَ بِبَغْدَاذَ ، كَانَ بِمَحْضَرٍ مِنْ دِرْهَمٍ صَاحِبِ يَعْقُوبَ ، كَانَ يَعْقُوبُ قَدْ أَرْسَلَهُ يَطْلُبُ لِنَفْسِهِ مَا ذَكَرْنَا ، وَأَعَادَهُ أَبُو أَحْمَدَ إِلَى يَعْقُوبَ ، وَمَعَهُ عُمَرُ بْنُ سِيمَا ، بِمَا أُضِيفَ إِلَيْهِ مِنَ الْوِلَايَاتِ. |
| فَعَادَ الرُّسُلُ مِنْ عِنْدِ يَعْقُوبَ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَا يُرْضِيهِ مَا كَتَبَ بِهِ دُونَ أَنْ يَسِيرَ إِلَى بَابِ الْمُعْتَمِدِ! |
| وَارْتَحَلَ يَعْقُوبُ مِنْ عَسْكَرِ مُكْرَمٍ ، وَسَارَ إِلَيْهِ أَبُو السَّاجِ ، وَصَارَ مَعَهُ ، فَأَكْرَمَهُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَوَصَلَهُ. |
| فَلَمَّا سَمِعَ الْمُعْتَمِدُ رِسَالَةَ يَعْقُوبَ خَرَجَ مِنْ سَامَرَّا فِي عَسَاكِرِهِ ، وَسَارَ إِلَى بَغْدَاذَ ، ثُمَّ الزَّعْفَرَانِيَّةِ ، فَنَزَلَهَا ، وَقَدَّمَ أَخَاهُ الْمُوَفَّقَ ، وَسَارَ يَعْقُوبُ مِنْ عَسْكَرِ مُكْرَمٍ إِلَى وَاسِطَ ، فَدَخَلَهَا لَسْتٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَارْتَحَلَ الْمُعْتَمِدُ مِنَ الزَّعْفَرَانِيَّةِ إِلَى سَيْبِ بَنِي كَوْمَا ، فَوَافَاهُ هُنَاكَ مَسْرُورٌ الْبَلْخِيُّ عَائِدًا مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي كَانَ فِيهِ ، وَسَارَ يَعْقُوبُ مِنْ وَاسِطَ إِلَى دَيْرِ الْعَاقُولِ; وَسَيَّرَ الْمُعْتَمِدُ أَخَاهُ الْمُوَفَّقَ فِي الْعَسَاكِرِ لِمُحَارَبَةِ يَعْقُوبَ ، فَجَعَلَ الْمُوَفَّقُ عَلَى مَيْمَنَتِهِ مُوسَى بْنَ بُغَا ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ مَسْرُورًا الْبَلْخِيَّ ، وَقَامَ هُوَ فِي الْقَلْبِ. |
| وَالْتَقَيَا ، فَحَمَلَتْ مَيْسَرَةُ يَعْقُوبَ عَلَى مَيْمَنَةِ الْمُوَفَّقِ فَهَزَمَتْهَا ، وَقَتَلَتْ مِنْهَا جَمَاعَةً مِنْ قُوَّادِهِمْ ، مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سِيمَا وَغَيْرُهُ ، ثُمَّ تَرَاجَعَ الْمُنْهَزِمُونَ ، وَكَشَفَ أَبُو أَحْمَدَ الْمُوَفَّقُ رَأْسَهُ ، وَقَالَ أَنَا الْغُلَامُ الْهَاشِمِيُّ! |
| وَحَمَلَ ، وَحَمَلَ مَعَهُ سَائِرُ عَسْكَرِهِ عَلَى عَسْكَرِ يَعْقُوبَ ، فَثَبَتُوا ، وَتَحَارَبُوا حَرْبًا شَدِيدَةً ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ يَعْقُوبَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمُ الْحَسَنُ الدِّرْهَمِيُّ ، وَأَصَابَتْ يَعْقُوبَ ثَلَاثَةُ أَسْهُمٍ فِي حَلْقِهِ وَيَدَيْهِ ، وَلَمْ تَزَلِ الْحَرْبُ إِلَى وَقْتِ الْعَصْرِ. |
| ثُمَّ وَافَى أَبَا أَحْمَدَ الْمُوَفَّقَ الدَّيْرَانِيُّ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ أَوْسٍ ، فَاجْتَمَعَ جَمِيعُ مَنْ بَقِيَ فِي عَسْكَرِهِ ، وَقَدْ ظَهَرَ مِنْ أَصْحَابِ يَعْقُوبَ كَرَاهَةٌ لِلْقِتَالِ مَعَهُ ، إِذْ رَأَوُا الْخَلِيفَةَ يُقَاتِلُهُ ، فَحَمَلُوا عَلَى يَعْقُوبَ وَمَنْ قَدْ ثَبَتَ لِلْقِتَالِ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ يَعْقُوبَ ، وَثَبَتَ يَعْقُوبُ فِي خَاصَّةِ أَصْحَابِهِ ، حَتَّى مَضَوْا ، وَفَارَقُوا مَوْضِعَ الْحَرْبِ ، وَتَبِعَهُمْ أَصْحَابُ الْمُوَفَّقِ ، فَغَنِمُوا مَا فِي عَسْكَرِهِمْ ، وَكَانَ فِيهِ مِنَ الدَّوَابِّ ، وَالْبِغَالِ أَكْثَرُ مِنْ عَشَرَةِ آلَافٍ ، وَمِنَ الْأَمْوَالِ مَا يُكَلُّ عَنْ حَمْلِهِ ، وَمِنْ جُرُبِ الْمِسْكِ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، وَتَخَلَّصَ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ ، وَكَانَ مُثْقَلًا بِالْحَدِيدِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ الْمُوَفَّقُ ، وَوَلَّاهُ الشُّرْطَةَ بِبَغْدَاذَ بَعْدَ ذَلِكَ. |
| وَسَارَ يَعْقُوبُ مِنَ الْهَزِيمَةِ إِلَى خُوزِسْتَانَ ، فَنَزَلَ جَنْدِيْسَابُورَ ، وَرَاسَلَهُ الْعَلَوِيُّ الْبَصْرِيُّ يَحُثُّهُ عَلَى الرُّجُوعِ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَيَعِدُهُ الْمُسَاعَدَةَ ، فَقَالَ لِكَاتِبِهِ اكْتُبْ إِلَيْهِ قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ الكافرون السُّورَةَ ، وَسَيَّرَ الْكِتَابَ إِلَيْهِ. |
| وَكَانَتِ الْوَاقِعَةُ لِإِحْدَى عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَجَبٍ; وَكَتَبَ الْمُعْتَمِدِ إِلَى ابْنِ وَاصِلٍ بِتَوْلِيَتِهِ فَارِسَ ، وَكَانَ قَدْ سَارَ إِلَيْهَا وَجَمَعَ جَمَاعَةً فَغَلَبَ عَلَيْهَا ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ يَعْقُوبُ عَسْكَرًا عَظِيمًا عَلَيْهِمُ ابْنُ عَزِيزِ بْنِ السَّرِيِّ إِلَى فَارِسَ ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَرَجَعَ الْمُعْتَمِدُ إِلَى سَامَرَّا. |
| وَأَمَّا أَبُو أَحْمَدَ الْمُوَفَّقُ فَإِنَّهُ سَارَ إِلَى وَاسِطَ لِيَتْبَعَ الصَّفَّارَ ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالتَّجَهُّزِ لِذَلِكَ ، فَأَصَابَهُ مَرَضٌ ، فَعَادَ إِلَى بَغْدَاذَ وَمَعَهُ مَسْرُورٌ ، وَقَبَضَ مَا لِأَبِي السَّاجِ مِنَ الضِيَاعِ ، وَالْمَنَازِلِ ، وَأَقْطَعَهَا مَسْرُورًا الْبَلْخِيَّ ، وَقَدِمَ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ بَغْدَاذَ. |
| ذِكْرُ أَخْبَارِ الزَّنْجِ وَفِيهَا نَفَّذَ قَائِدُ الزَّنْجِ جُيُوشَهُ إِلَى نَاحِيَةِ الْبَطِيحَةِ وَدِسْتَ مَيْسَانَ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ تِلْكَ النَّوَاحِيَ ، لَمَّا خَلَتْ مِنَ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ بِسَبَبِ عَوْدِ مَسْرُورٍ لِحَرْبِ يَعْقُوبَ ، بَثَّ صَاحِبُ الزَّنْجِ سَرَايَاهُ فِيهَا ، تَنْهَبُ ، وَتُخَرِّبُ. |
| وَأَتَتْهُ الْأَخْبَارُ بِخُلُوِّ الْبَطِيحَةِ مِنْ جُنْدِ السُّلْطَانِ ، فَأَمَرَ سُلَيْمَانَ بْنَ جَامِعٍ ، وَجَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ بِالْمَسِيرِ إِلَى الْحَوَانِيتِ ، وَسُلَيْمَانَ بْنَ مُوسَى بِالْمَسِيرِ إِلَى الْقَادِسِيَّةِ. |
| وَقَدِمَ ابْنُ التُّرْكِيِّ فِي ثَلَاثِينَ شَذَاةٍ يُرِيدُ عَسْكَرَ الزَّنْجِ ، فَنَهَبَ ، وَأَحْرَقَ ، فَكَتَبَ الْخَبِيثُ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى يَأْمُرُهُ بِمَنْعِهِ مِنَ الْعُبُورِ ، فَأَخَذَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ ، فَقَاتَلَهُمْ شَهْرًا حَتَّى تَخَلَّصَ ، وَانْحَازَ سُلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ مِنْ مَذْكُورِي الْبِلَالِيَّةِ ، وَأَنْجَادِهِمْ ، جَمْعٌ كَثِيرٌ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ سُمَيْرِيَّةٍ ، وَكَانَ مَسْرُورٌ قَدْ وَجَّهَ قَبْلَ مَسِيرِهِ عَنْ وَاسِطَ إِلَى الْمُعْتَمِدِ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى سُلَيْمَانَ فِي شَذَوَاتٍ ، فَظَفِرَ بِهِمْ سُلَيْمَانُ وَهَزَمَهُمْ ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ سَبْعَ شَذَوَاتٍ وَقَتَلَ مَنْ أُسِرَ مِنْهُمْ. |
| وَأَشَارَ الْبَاهِلِيُّونَ عَلَى سُلَيْمَانَ أَنْ يَتَحَصَّنَ فِي عَقْرَ ، مَا وَرَاءَ طَهْثَا ، وَالْأَدْغَالِ الَّتِي فِيهَا ، كَرِهُوا خُرُوجَهُ عَنْهُمْ لِمُوَافَقَتِهِ فِي فِعْلِهِ ، وَخَافُوا السُّلْطَانَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ ، فَنَزَلَ بِقَرْيَةِ مَرْوَانَ ، بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ نَهْرِ طَهْثَا ، وَجَمَعَ إِلَيْهِ رُؤَسَاءَ الْبَاهِلِيِّينَ ، وَكَتَبَ إِلَى الْخَبِيثِ يُعْلِمُهُ بِمَا صَنَعَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يُصَوِّبُ رَأْيَهُ ، وَيَأْمُرُ بِإِنْفَاذِ مَا عِنْدَهُ مِنْ مِيرَةٍ وَنَعَمٍ ، فَأَنْفَذَ ذَلِكَ إِلَيْهِ. |
| وَوَرَدَ عَلَى سُلَيْمَانَ أَنَّ أَغْرَتْمِشَ ، وَحَشِيشًا قَدْ أَقْبَلَا فِي الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ ، وَالسُّمَيْرِيَّاتِ ، وَالشَّذَا يُرِيدُونَ حَرْبَهُ ، فَجَزِعَ جَزَعًا شَدِيدًا; فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَيْهِ وَرَآهُمْ أَخَذَ جَمْعًا مِنْ أَصْحَابِهِ وَسَارَ رَاجِلًا ، وَاسْتَدْبَرَ أَغْرَتْمِشَ ، وَجَدَّ أَغْرَتْمِشَ فِي الْمَسِيرِ إِلَى عَسْكَرِ سُلَيْمَانَ ، وَكَانَ سُلَيْمَانُ قَدْ أَمَرَ الَّذِي اسْتَخْلَفَهُ مِنْ جَيْشِهِ أَنْ لَا يَظْهَرَ مِنْهُمْ أَحَدٌ لِأَصْحَابِ أَغْرَتْمِشَ ، وَأَنْ يُخْفُوا أَنْفُسَهُمْ مَا قَدَرُوا إِلَى أَنْ يَسْمَعُوا أَصْوَاتَ طُبُولِهِمْ ، فَإِذَا سَمِعُوهَا خَرَجُوا عَلَيْهِ. |
| وَأَقْبَلَ أَغْرَتْمِشُ إِلَيْهِمْ ، فَجَزِعَ أَصْحَابُ سُلَيْمَانَ جَزَعًا عَظِيمًا ، فَتَفَرَّقُوا ، وَنَهَضَتْ شِرْذِمَةٌ مِنْهُمْ ، فَوَاقَعُوهُمْ ، وَشَغَلُوهُمْ عَنْ دُخُولِ الْعَسْكَرِ ، وَعَادَ سُلَيْمَانُ مِنْ خَلْفِهِمْ ، وَضَرَبَ طُبُولَهُ ، وَأَلْقَوْا أَنْفُسَهُمْ فِي الْمَاءِ لِلْعُبُورِ إِلَيْهِمْ ، فَانْهَزَمَ أَغْرَتْمِشَ وَظَهَرَ مَنْ كَانَ مِنَ السُّودَانِ بِطَهْثَا ، وَوَضَعُوا السُّيُوفَ فِيهِمْ ، وَقُتِلَ حَشِيشٌ ، وَانْهَزَمَ أَغْرَتْمِشَ ، وَتَبِعَهُ الزُّنُوجُ إِلَى عَسْكَرِهِ ، فَنَالُوا حَاجَاتِهِمْ مِنْهُ ، وَأَخَذُوا مِنْهُمْ شَذَوَاتٍ فِيهَا مَالٌ ، وَغَيْرُهُ ، فَعَادَ أَغْرَتْمِشَ فَانْتَزَعَهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ ، فَعَادَ سُلَيْمَانُ وَقَدْ ظَفِرَ وَغَنِمَ ، وَكَتَبَ إِلَى صَاحِبِ الزَّنْجِ بِالْخَبَرِ ، وَسَيَّرَ إِلَيْهِ رَأْسَ حَشِيشٍ ، فَسَيَّرَهُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبَانٍ ، وَهُوَ بِنَوَاحِي الْأَهْوَازِ ، وَسَيَّرَ سُلَيْمَانُ سَرِيَّةً ، فَظَفِرُوا بِإِحْدَى عَشْرَةَ شَذَاةً ، وَقَتَلُوا أَصْحَابَهَا. |
| ذِكْرُ وَقْعَةٍ لِلزَّنْجِ عَظِيمَةٍ انْهَزَمُوا فِيهَا وَفِيهَا كَانَتْ وَقْعَةٌ لِلزُّنُوجِ مَعَ أَحْمَدَ بْنِ لَيْثَوَيْهِ; وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّ مَسْرُورًا الْبَلْخِيَّ وَجَّهَ أَحْمَدَ بْنَ لَيْثَوَيْهِ إِلَى كُوَرِ الْأَهْوَازِ ، فَنَزَلَ السُّوسَ ، وَكَانَ يَعْقُوبُ الصَّفَّارُ قَدْ قَلَّدَ مُحَمَّدَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ هَزَارْمَرْدَ الْكُرْدِيَّ كُوَرَ الْأَهْوَازِ ، فَكَاتَبَ مُحَمَّدًا قَائِدَ الزَّنْجِ يُطْمِعُهُ فِي الْمَيْلِ إِلَيْهِ ، وَأَوْهَمَهُ أَنَّهُ يَتَوَلَّى لَهُ كُوَرَ الْأَهْوَازِ. |
| وَكَانَ مُحَمَّدٌ يُكَاتِبُهُ قَدِيمًا ، وَعَزَمَ عَلَى مُدَارَاةِ الصَّفَّارِ ، وَقَائِدِ الزَّنْجِ ، حَتَّى يَسْتَقِيمَ الْأَمْرُ فِيهَا ، فَكَاتَبَهُ صَاحِبُ الزَّنْجِ يُجِيبُهُ إِلَى مَا طَلَبَ عَلَى أَنْ يَكُونَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ الْمُتَوَلِّيَ لِلْبِلَادِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يَخْلُفُهُ عَلَيْهَا ، فَقَبِلَ مُحَمَّدٌ ذَلِكَ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ جَيْشًا كَثِيرًا ، وَأَمَدَّهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَسَارُوا نَحْوَ السُّوسِ ، فَمَنَعَهُمْ أَحْمَدُ بْنُ لَيْثَوَيْهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ جُنْدِ الْخَلِيفَةِ عَنْهَا ، وَقَاتَلَهُمْ فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَأَسَرَ جَمَاعَةً. |
| وَسَارَ أَحْمَدُ حَتَّى نَزَلَ سَابُورَ ، وَسَارَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ مِنَ الْأَهْوَازِ مُمِدًّا مُحَمَّدَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ لَيْثَوَيْهِ ، فَلَقِيَهُ مُحَمَّدٌ فِي جَيْشٍ كَثِيرٍ مِنَ الْأَكْرَادِ ، وَالصَّعَالِيكِ ، وَدَخَلَ مُحَمَّدٌ تَسْتُرَ ، فَانْتَهَى إِلَى أَحْمَدَ بْنِ لَيْثَوَيْهِ الْخَبَرُ بِتَضَافُرِهِمَا عَلَى قِتَالِهِ ، فَخَرَجَ عَنْ جَنْدِيْسَابُورَ إِلَى السُّوسِ. |
| وَكَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ وَعَدَ عَلِيَّ بْنَ أَبَانٍ أَنْ يَخْطُبَ لِصَاحِبِهِ قَائِدِ الزَّنْجِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى مِنْبَرِ تَسْتُرَ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ خَطَبَ لِلْمُعْتَمِدِ ، وَلِلصَّفَّارِ ، فَلَمَّا عَلِمَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ ذَلِكَ انْصَرَفَ إِلَى الْأَهْوَازِ ، وَهَدَمَ قَنْطَرَةً كَانَتْ هُنَاكَ لِئَلَّا تَلْحَقَهُ الْخَيْلُ ، فَانْتَهَى أَصْحَابُ عَلِيٍّ إِلَى عَسْكَرِ مُكْرَمٍ فَنَهَبُوهَا ، وَكَانَتْ دَاخِلَةً فِي سِلْمِ الْخَبِيثِ ، فَغَدَرُوا بِهَا وَسَارُوا إِلَى الْأَهْوَازِ. |
| فَلَمَّا عَلِمَ أَحْمَدُ ذَلِكَ أَقْبَلَ إِلَى تَسْتُرَ ، فَوَاقَعَ مُحَمَّدَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ ، فَانْهَزَمَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَدَخَلَ أَحْمَدُ تَسْتُرَ. |
| وَأَتَتِ الْأَخْبَارُ عَلِيَّ بْنَ أَبَانٍ بِأَنَّ أَحْمَدَ عَلَى قَصْدِكَ ، فَسَارَ إِلَى لِقَائِهِ وَمُحَارَبَتِهِ ، فَالْتَقَيَا ، وَاقْتَتَلَ الْعَسْكَرَانِ ، فَاسْتَأْمَنَ إِلَى أَحْمَدَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبَانٍ ، فَانْهَزَمَ بَاقِي أَصْحَابِ عَلِيٍّ ، وَثَبَتَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ يَسِيرَةٌ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، وَتَرَجَّلَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ ، وَبَاشَرَ الْقِتَالَ رَاجِلًا ، فَعَرَفَهُ بَعْضُ أَصْحَابِ أَحْمَدَ فَأَنْذَرَ النَّاسُ بِهِ ، فَلَمَّا عَرَفُوهُ انْصَرَفَ هَارِبًا ، وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْمَسْرُقَانِ ، فَأَتَاهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ بِسُمَيْرِيَّةٍ ، فَرَكِبَ فِيهَا وَنَجَا مَجْرُوحًا ، وَقُتِلَ مِنْ أَبْطَالِ أَصْحَابِهِ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ. |
| ذِكْرُ أَخْبَارِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخُجُسْتَانِيِّ كَانَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخُجُسْتَانِيُّ مِنْ خُجُسْتَانَ ، وَهِيَ مِنْ جِبَالِ هَرَاةَ ، مِنْ أَعْمَالِ بَاذَغِيسَ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ ، فَلَمَّا اسْتَوْلَى يَعْقُوبُ بْنُ اللَّيْثِ عَلَى نَيْسَابُورَ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، ضَمَّ أَحْمَدَ إِلَيْهِ ، وَإِلَى أَخِيهِ عَلِيِّ بْنِ اللَّيْثِ ، وَكَانَ بَنُو شَرْكُبٍ ثَلَاثَةَ إِخْوَةٍ إِبْرَاهِيمُ ، وَأَبُو حَفْصٍ يَعْمَرُ ، وَأَبُو طَلْحَةَ مَنْصُورٌ ، بَنُو مُسْلِمٍ ، وَكَانَ أَسَنُّهُمْ إِبْرَاهِيمَ ، وَكَانَ قَدْ أَبْلَى بَيْنَ يَدَيْ يَعْقُوبَ عِنْدَ مُوَاقَعَةِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ بِجُرْجَانَ ، فَقَدَّمَهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا نَيْسَابُورَ ، وَهُوَ يَوْمٌ فِي بَرْدٍ شَدِيدٍ ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ يَعْقُوبُ وَبَرَ سُمُّورٍ كَانَ عَلَى كَتِفِهِ ، فَحَسَدَهُ عَلَيْهِ الْخُجُسْتَانِيُّ فَقَالَ لَهُ إِنَّ يَعْقُوبَ يُرِيدُ الْغَدْرَ بِكَ; لِأَنَّهُ لَا يَخْلَعُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَاصَّتِهِ خِلْعَةً إِلَّا غَدَرَ بِهِ. |
| فَغَمَّ ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ ، وَقَالَ كَيْفَ الْحِيلَةُ فِي الْخَلَاصِ ؟ |
| قَالَ الْحِيلَةُ أَنْ نَهْرُبَ جَمِيعًا إِلَى أَخِيكَ يَعْمُرَ ، فَإِنِّي خَائِفٌ عَلَيْهِ أَيْضًا. |
| وَكَانَ يَعْمُرُ قَدْ حَاصَرَ أَبَا دَاوُدَ النَّاهِجُوزِيَّ بِبَلْخَ ، وَمَعَهُ نَحْوٌ مِنْ خَمْسَةِ آلَافِ رَجُلٍ ، فَاتَّفَقَا عَلَى الْخُرُوجِ لَيْلَتَهُمْ ، فَسَبَقَهُ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْمَوْعِدِ ، فَانْتَظَرَهُ سَاعَةً فَلَمْ يَرَهُ ، فَسَارَ نَحْوَ سَرَخْسَ ، وَذَهَبَ الْخُجُسْتَانِيُّ إِلَى يَعْقُوبَ فَأَعْلَمُهُ ، فَأَرْسَلَهُ فِي أَثَرِهِ ، فَلَحِقُوهُ بِسَرَخْسَ فَقَتَلُوهُ ، وَمَالَ يَعْقُوبُ إِلَى الْخُجُسْتَانِيِّ. |
| فَلَمَّا أَرَادَ يَعْقُوبُ الْعَوْدَ إِلَى سِجِسْتَانَ اسْتَخْلَفَ عَلَى نَيْسَابُورَ عَزِيزَ بْنَ السَّرِيِّ ، وَوَلَّى أَخَاهُ عَمْرَو بْنَ اللَّيْثِ هَرَاةَ ، فَاسْتَخْلَفَ عَمْرٌو عَلَيْهَا طَاهِرَ بْنَ حَفْصٍ الْبَاذَغِيسِيَّ. |
| وَسَارَ يَعْقُوبُ إِلَى سِجِسْتَانَ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَأَحَبَّ الْخُجُسْتَانِيُّ التَّخَلُّفَ لِمَا كَانَ يُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَهُ ، فَقَالَ لِعَلِيِّ بْنِ اللَّيْثِ إِنَّ أَخَوَيْكَ قَدِ اقْتَسَمَا خُرَاسَانَ ، وَلَيْسَ لَكَ بِهَا مَنْ يَقُومُ بِشُغْلِكَ ، فَيَجِبُ أَنْ تَرُدَّنِي إِلَيْهَا لِأَقُومَ بِأُمُورِكَ; فَاسْتَأْذَنَ أَخَاهُ يَعْقُوبَ فِي ذَلِكَ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَلَمَّا حَضَرَ أَحْمَدُ يُوَدِّعُ يَعْقُوبَ أَحْسَنَ لَهُ الْقَوْلَ ، وَرَدَّهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا وَلَّى عَنْهُ قَالَ يَعْقُوبُ أَشْهَدُ أَنَّ قَفَاهُ قَفَا مُسْتَعْصٍ ، وَأَنَّ هَذَا آخِرُ عَهْدِنَا بِطَاعَتِهِ. |
| فَلَمَّا فَارَقَهُمْ جَمَعَ نَحْوًا مِنْ مِائَةِ رَجُلٍ فَوَرَدَ بِهِمْ بَشْتَ نَيْسَابُورَ ، فَحَارَبَ عَامِلَهَا ، وَأَخْرَجَهُ عَنْهَا ، وَجَبَاهَا ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى قُومِسَ ، فَقَتَلَ بِبِسْطَامَ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَتَغَلَّبَ عَلَيْهَا وَذَلِكَ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ. |
| وَسَارَ إِلَى نَيْسَابُورَ ، وَبِهَا عَزِيزُ بْنُ السَّرِيِّ ، فَهَرَبَ عَزِيزٌ ، وَأَخَذَ أَحْمَدُ أَثْقَالَهُ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى نَيْسَابُورَ يَدْعُو إِلَى الطَّاهِرِيَّةِ ، وَذَلِكَ أَوَّلَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَكَتَبَ إِلَى رَافِعِ بْنِ هَرْثَمَةَ يَسْتَقْدِمُهُ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ ، فَجَعَلَهُ صَاحِبَ جَيْشِهِ ، وَكَتَبَ إِلَى يَعْمُرَ بْنِ شَرْكُبَ ، وَهُوَ يُحَاصِرُ بَلْخَ ، يَسْتَقْدِمُهُ لِيَتَّفِقَا عَلَى تِلْكَ الْبِلَادِ ، فَلَمْ يَثِقْ إِلَيْهِ يَعْمُرُ لِفِعْلِهِ بِأَخِيهِ ، وَسَارَ يَعْمُرُ إِلَى هَرَاةَ ، فَحَارَبَ طَاهِرَ بْنَ حَفْصٍ فَقَتَلَهُ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى أَعْمَالِ طَاهِرٍ ، فَسَارَ إِلَيْهِ أَحْمَدُ ، فَكَانَتْ بَيْنَهُمَا مُنَاوَشَاتٌ. |
| وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ بْنُ شَرْكُبٍ غُلَامًا مِنْ أَحْسَنِ الْغِلْمَانِ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بِلَالٍ يَمِيلُ إِلَيْهِ ، وَهُوَ أَحَدُ قُوَّادِ يَعْمُرَ ، فَرَاسَلَ الْخُجُسْتَانِيَّ ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ يَعْمَلُ ضِيَافَةً لِيَعْمُرَ وَقُوَّادِهِ ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ يَوْمًا ذَكَرَهُ. |
| وَيَأْمُرُهُ بِالنُّهُوضِ إِلَيْهِمْ فِيهِ ، فَإِنَّهُ يُسَاعِدُهُ ، وَشَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يُسَلِّمَ إِلَيْهِ أَبَا طَلْحَةَ ، فَأَجَابَهُ أَحْمَدُ إِلَى ذَلِكَ ، فَصَنَعَ ابْنُ بِلَالٍ طَعَامًا ، وَدَعَا يَعْمُرَ ، وَأَصْحَابَهُ ، وَكَبَسَهُمْ أَحْمَدُ ، وَقَبَضَ عَلَى يَعْمُرَ ، وَسَيَّرَهُ إِلَى نَائِبِهِ بِنَيْسَابُورَ فَقَتَلَهُ ، وَاجْتَمَعَ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ أَخِيهِ فَقَتَلُوا ابْنَ بِلَالٍ ، وَسَارُوا إِلَى نَيْسَابُورَ وَكَانَ بِهَا الْحُسَيْنُ بْنُ طَاهِرٍ أَخُو مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ قَدْ وَرَدَهَا مِنْ أَصْبَهَانَ ، طَمَعًا أَنْ يَخْطُبَ لَهُمْ أَحْمَدُ كَمَا كَانَ يُظْهِرُهُ مِنْ نَفْسِهِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَخَطَبَ لَهُ أَبُو طَلْحَةَ بِهَا ، وَأَقَامَ مَعَهُ ، فَسَارَ إِلَيْهِ الْخُجُسْتَانِيُّ مِنْ هَرَاةَ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ عِنَانٍ ، فَأَقَامَ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاحِلَ مِنْ نَيْسَابُورَ ، وَوَجَّهَ أَخَاهُ الْعَبَّاسَ إِلَيْهَا ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبُو طَلْحَةَ ، فَقَاتَلَهُ ، فَقُتِلَ الْعَبَّاسُ وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ. |
| فَلَمَّا بَلَغَ خَبَرُهُمْ إِلَى أَحْمَدَ عَادَ إِلَى هَرَاةَ ، وَلَمْ يَعْلَمْ لِأَخِيهِ خَبَرًا ، فَبَذَلَ الْأَمْوَالَ لِمَنْ يَأْتِيهِ بِخَبَرِهِ ، فَلَمْ يُقْدِمْ أَحَدٌ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَجَابَهُ رَافِعُ بْنُ هَرْثَمَةَ إِلَيْهِ ، فَاسْتَأْمَنَ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ فَأَمَّنَهُ وَقَرَّبَهُ ، وَوَثِقَ إِلَيْهِ ، وَتَحَقَّقَ رَافِعٌ خَبَرَ الْعَبَّاسِ ، فَأَنْهَاهُ إِلَى أَخِيهِ أَحْمَدَ ، وَأَنْفَذَهُ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى بَيْهَقَ ، وَبَسْتَ لِيَجْبِيَ أَمْوَالَهَا لِنَفْسِهِ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ قَائِدَيْنِ ، فَجَبَى رَافِعٌ الْأَمْوَالَ ، وَقَبَضَ عَلَى الْقَائِدَيْنِ ، وَسَارَ إِلَى الْخُجُسْتَانِيِّ ، إِلَى قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى خَوَافَ ، فَنَزَلَهَا وَبِهَا حَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْخَارِجِيُّ ، فَنَزَلَ نَاحِيَةً عَنْهُ. |
| فَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ ، فَرَكِبَ مُجِدًّا ، فَوَصَلَ إِلَيْهِمْ لَيْلًا ، فَأَوْقَعَ بِحَلِيٍّ ، وَأَصْحَابِهِ ، وَهُوَ يَظُنُّهُ رَافِعًا ، وَهَرَبَ رَافِعٌ سَالِمًا ، وَعَلِمَ أَبُو طَلْحَةَ بِحَالِ حَلِيٍّ بَعْدَ حَرْبٍ شَدِيدَةٍ ، فَكَفَّ عَنْهُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ. |
| ثُمَّ وَجَّهَ أَبُو طَلْحَةَ جَيْشًا إِلَى جُرْجَانَ ، وَبِهَا ثَابِتُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ ، وَمَعَهُ الدَّيْلَمُ ، وَكَانَ عَلَى جَيْشِ أَبِي طَلْحَةَ إِسْحَاقُ الشَّارِيُّ ، فَحَارَبُوا الدَّيْلَمَ بِجُرْجَانَ ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَأَجْلَوْهُمْ عَنْهَا ، وَذَلِكَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ. |
| ثُمَّ عَصَى إِسْحَاقُ عَلَى أَبِي طَلْحَةَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ أَبُو طَلْحَةَ ، وَاشْتَغَلَ فِي طَرِيقِهِ بِاللَّهْوِ وَالصَّيْدِ ، فَكَبَسَهُ إِسْحَاقُ وَقَتَلَ أَصْحَابَهُ ، وَانْهَزَمَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى نَيْسَابُورَ ، فَاسْتَضْعَفَهُ أَهْلُهَا ، فَأَخْرَجُوهُ مِنْهَا ، فَنَزَلَ عَلَى فَرْسَخٍ عَنْهَا ، وَجَمَعَ جَمْعًا وَحَارَبَهُمْ ، ثُمَّ افْتَعَلَ كِتَابًا عَنْ أَهْلِ نَيْسَابُورَ إِلَى إِسْحَاقَ ، يَسْتَقْدِمُونَهُ إِلَيْهِمْ ، وَيَعِدُونَهُ الْمُسَاعَدَةَ عَلَى أَبِي طَلْحَةَ ، فَاغْتَرَّ إِسْحَاقُ بِذَلِكَ ، وَكَتَبَ أَبُو طَلْحَةَ عَنْ إِسْحَاقَ كِتَابًا إِلَى أَهْلِ نَيْسَابُورَ يَعِدُهُمْ أَنَّهُ يُسَاعِدُهُمْ عَلَى أَبِي طَلْحَةَ ، وَيَأْمُرُهُمْ بِحِفْظِ الدُّرُوبِ ، وَتَرْكِ مُقَارَبَةِ الْبَلَدِ إِلَى أَنْ يُوَافِيَهُمْ ، فَاغْتَرُّوا بِذَلِكَ ، وَظَنُّوهُ كِتَابَهُ ، فَفَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ. |
| وَسَارَ إِسْحَاقُ مُجِدًّا ، فَلَمَّا قَارَبَ نَيْسَابُورَ لَقِيَهُ أَبُو طَلْحَةَ ، فَغَافَصَهُ ، فَطَعَنَهُ أَبُو طَلْحَةَ ، فَأَلْقَاهُ عَنْ فَرَسِهِ فِي بِئْرٍ هُنَاكَ ، فَلَمْ يُعْلَمْ لَهُ خَبَرٌ ، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ ، وَدَخَلَ بَعْضُهُمْ إِلَى نَيْسَابُورَ ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِمْ أَبُو طَلْحَةَ ، فَكَاتَبُوا الْخُجُسْتَانِيَّ ، وَاسْتَقْدَمُوهُ مِنْ هَرَاةَ ، فَأَتَاهُمْ فِي يَوْمَيْنِ وَلَيْلَتَيْنِ ، وَوَرَدَ عَلَيْهِمْ لَيْلًا ، فَفَتَحُوا لَهُ الْأَبْوَابَ ، وَدَخَلَهَا وَسَارَ عَنْهَا أَبُو طَلْحَةَ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ ، فَأَمَدَّهُ بِجُنُودٍ ، فَعَادَ إِلَى نَيْسَابُورَ ، فَلَمْ يَظْفَرْ بِشَيْءٍ ، فَسَارَ إِلَى بَلْخَ ، وَحَصَرَ أَبَا دَاوُدَ النَّاهِجَوْزِيَّ ، وَاجْتَمَعَ مَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَذَلِكَ سَنَةَ خَمْسٍ ، وَقِيلَ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ. |
| وَسَارَ الْخُجُسْتَانِيُّ إِلَى مُحَارَبَةِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ لِمُسَاعَدَتِهِ أَبَا طَلْحَةَ ، فَاسْتَعَانَ الْحَسَنُ بِأَهْلِ جُرْجَانَ ، فَأَعَانُوهُ ، فَحَارَبَهُمُ الْخُجُسْتَانِيُّ فَهَزَمَهُمْ ، وَأَغَارَ عَلَيْهِمْ ، وَجَبَاهُمْ أَرْبَعَةَ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ . |
| وَاتَّفَقَ أَنَّ يَعْقُوبَ بْنَ اللَّيْثِ تُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ أَيْضًا ، وَوَلِيَ مَكَانَهُ أَخُوهُ عَمْرٌو ، فَعَادَ إِلَى سِجِسْتَانَ وَقَصَدَ هَرَاةَ ، فَعَادَ الْخُجُسْتَانِيُّ مِنْ جُرْجَانَ إِلَى نَيْسَابُورَ ، وَوَافَاهُ عَمْرُو بْنُ اللَّيْثِ ، فَاقْتَتَلَا ، وَانْهَزَمَ عَمْرٌو وَرَجَعَ إِلَى هَرَاةَ ، وَأَقَامَ أَحْمَدُ بِنَيْسَابُورَ. |
| وَكَانَ كَيْكَانُ ، وَهُوَ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الذُّهْلِيُّ ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمُتَطَوِّعَةِ وَالْفُقَهَاءِ بِنَيْسَابُورَ يَمِيلُونَ إِلَى عَمْرٍو لِتَوْلِيَةِ السُّلْطَانِ إِيَّاهُ ، فَرَأَى الْخُجُسْتَانِيُّ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَهُمْ لِيَشْتَغِلَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، وَأَحْضَرَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً مِنَ الْفُقَهَاءِ الْقَائِلِينَ بِمَذَاهِبِ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، وَقَرَّبَهُمْ ، وَأَكْرَمَهُمْ ، وَأَظْهَرُوا الْخِلَافَ عَلَى كَيْكَانَ ، وَنَابَذُوهُ. |
| وَكَانَ كَيْكَانُ يَقُولُ بِمَذْهَبِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، فَكُفِيَ شَرُّهُمْ ، وَسَارَ إِلَى هَرَاةَ فَحَصَرَ بِهَا عَمْرَو بْنَ اللَّيْثِ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَلَمْ يَظْفَرْ بِشَيْءٍ ، فَسَارَ نَحْوَ سِجِسْتَانَ فَحَصَرَ فِي طَرِيقِهِ رَمْلَ سِيَّ فَلَمْ يَظْفَرْ بِشَيْءٍ مِنْهَا ، فَاحْتَالَ حَتَّى اسْتَمَالَ رَجُلًا قَطَّانًا كَانَتْ دَارُهُ إِلَى جَانِبِ السُّورِ ، وَوَعَدَهُ أَنْ يَنْقُبَ مِنَ الْعَسْكَرِ إِلَى دَارِهِ ، وَيُخْرِجَ أَصْحَابَهُ إِلَى الْبَلَدِ ، فَاسْتَأْمَنَ رَجُلَانِ مِنَ الْبَلَدِ مِنْ أَصْحَابِ الْخُجُسْتَانِيِّ ، وَذَكَرَا الْخَبَرَ لِصَاحِبِهِ ، فَأُخِذَ الْقَطَّانُ وَأُخْرِبَتْ دَارُهُ ، وَبَطَلَ مَا كَانَ الْخُجُسْتَانِيُّ عَزَمَ عَلَيْهِ. |
| وَكَانَ خَلِيفَةُ الْخُجُسْتَانِيُّ بِنَيْسَابُورَ قَدْ أَسَاءَ السِّيرَةَ ، وَقَوَّى الْعَيَّارِينَ وَأَهْلَ الْفَسَادِ ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَى كَيْكَانَ ، فَثَارَ عَلَى نَائِبِهِ ، وَأَعَانَهُمْ عَمْرُو بْنُ اللَّيْثِ بِجُنْدِهِ ، فَقَبَضُوا عَلَى خَلِيفَةِ الْخُجُسْتَانِيِّ ، وَأَقَامَ أَصْحَابُ عَمْرٍو بِنَيْسَابُورَ ، فَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى أَحْمَدَ ، فَوَافَى نَيْسَابُورَ ، فَخَرَجَ عَنْهَا كَيْكَانُ وَغَيْرُهُ ، فَرَدَّهُمْ أَصْحَابُ أَحْمَدَ الْخُجُسْتَانِيُّ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً ، وَغَيَّبَ كَيْكَانَ ، فَلَمْ يَظْهَرْ إِلَّا بَعْدَ مُدَّةٍ مَيِّتًا ، وَقَدْ بَنَى عَلَيْهِ حَائِطًا فَمَاتَ فِيهِ. |
| وَأَقَامَ أَحْمَدُ بِنَيْسَابُورَ تَمَامَ سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ. |
| ثُمَّ إِنَّ عَمْرًا كَاتَبَ أَبَا طَلْحَةَ ، وَهُوَ يُحَاصِرُ بَلْخَ ، يَسْتَقْدِمُهُ إِلَى هَرَاةَ ، فَأَتَاهُ ، فَأَكْرَمَهُ ، وَأَعْطَاهُ مَالًا عَظِيمًا ، وَوَعَدَهُ وَتَرَكَهُ بِخُرَاسَانَ ، وَعَادَ إِلَى سِجِسْتَانَ; فَسَارَ أَحْمَدُ إِلَى سَرَخْسَ ، وَبِهَا عَامِلُ عَمْرٍو ، فَأَتَاهُ أَبُو طَلْحَةَ ، فَقَاتَلَهُ ، فَانْهَزَمَ أَبُو طَلْحَةَ ، وَمَرَّ عَلَى وَجْهِهِ ، وَسَارَ أَحْمَدُ خَلْفَهُ ، فَلَحِقَهُ بُخُلْمُ فَحَارَبَهُ ، فَهَزَمَهُ أَيْضًا ، وَسَارَ نَحْوَ سِجِسْتَانَ ، وَأَقَامَ أَحْمَدُ بِطَخَارِسْتَانَ. |
| وَكَانَ نَاسِرَارُ عَبَّاسٌ الْقَطَّانُ قَدْ أَتَى طَلْحَةَ ، فَسَارَ نَحْوَ نَيْسَابُورَ ، فَأَعَانَهُ أَهْلُهَا ، فَأَخَذُوا وَالِدَةَ الْخُجُسْتَانِيِّ ، وَمَا كَانَ مَعَهَا; وَأَقَامَ بِنَيْسَابُورَ ، وَلَحِقَ بِهِ أَبُو طَلْحَةَ ، فَمَنَعَهُ أَهْلُ نَيْسَابُورَ مِنْ دُخُولِهَا . |
| وَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِالْخُجُسْتَانِيِّ ، وَهُوَ بِطَايِكَانَ مِنْ طَخَارِسْتَانَ ، فَسَارَ مُجِدًّا نَحْوَ نَيْسَابُورَ. |
| وَلَمَّا أَيِسَ الطَّاهِرِيَّةُ مِنَ الْخُجُسْتَانِيِّ ، وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ بِخُوَارِزْمَ وَالِيًا عَلَيْهَا ، أَنْفَذَ أَبَا الْعَبَّاسِ النَّوْفَلِيَّ فِي خَمْسَةِ آلَافِ رَجُلٍ لِيُخْرِجَ أَحْمَدَ مِنْ نَيْسَابُورَ ، فَبَلَغَ خَبَرُهُ أَحْمَدَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَنْهَاهُ عَنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ ، فَأَخَذَ النَّوْفَلِيُّ الرُّسُلَ ، فَأَمَرَ بِضَرْبِهِمْ ، وَحَلْقِ لِحَاهُمْ ، وَأَرَادَ قَتْلَهُمْ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَطْلُبُونَ الْجَلَّادِينَ ، وَالْحَجَّامِينَ لِيَحْلِقُوا لِحَاهُمْ ، أَتَاهُمُ الْخَبَرُ بِقُرْبِ جَيْشِ أَحْمَدَ مِنْهُمْ ، فَاشْتَغَلُوا ، وَتَرَكُوا الرُّسُلَ ، فَهَرَبُوا إِلَى أَحْمَدَ ، وَأَعْلَمُوهُ الْخَبَرَ ، فَعَبَّأَ أَصْحَابَهُ ، وَحَمَلُوا عَلَى النَّوْفَلِيِّ حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَأَكْثَرُوا فِيهِمُ الْقَتْلَ ، وَقَبَضُوا عَلَى النَّوْفَلِيِّ ، وَأَحْضَرُوهُ عِنْدَهُ ، فَقَالَ لَهُ إِنَّ الرُّسُلَ لَتَخْتَلِفُ إِلَى بِلَادِ الْكُفَّارِ ، فَلَا تَتَعَرَّضُ لَهُمْ ، أَفَلَا اسْتَحْيَيْتَ أَنْ تَأْمُرَ فِي رُسُلِي بِمَا أَمَرْتَ ؟ |
| فَقَالَ النَّوْفَلِيُّ أَخْطَأْتُ; فَقَالَ لَكِنِّي سَأُصِيبُ فِي أَمْرِكَ! |
| ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ. |
| وَبَلَغَهُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ بِمَرْوَ قَدْ جَبَى أَهْلَهَا فِي سَنَتَيْنِ خَمْسَةَ عَشَرَ خَرَاجًا ، فَسَارَ إِلَيْهِ فِي أَبْيُورْدَ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَأَخَذَهُ مِنْ عَلَى فِرَاشِهِ ، وَأَقَامَ بِمَرْوَ ، فَجَبَى خَرَاجَهَا ، ثُمَّ وَلَّاهَا مُوسَى الْبَلْخِيَّ ، ثُمَّ وَافَاهَا الْحُسَيْنُ بْنُ طَاهِرٍ ، فَأَحْسَنَ فِيهِمُ السِّيرَةَ ، وَوَصَلَ إِلَيْهِ نَحْوُ عِشْرِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ الْخُجُسْتَانِيِّ لَمَّا كَانَ الْخُجُسْتَانِيُّ بِطَخَارِسْتَانَ وَافَاهُ خَبَرُ أَخْذِ وَالِدَتِهِ مِنْ نَيْسَابُورَ ، وَسَارَ مُجِدًّا ، فَلَمَّا قَارَبَ هَرَاةَ أَتَاهُ غُلَامٌ لِأَبِي طَلْحَةَ ، يُعْرَفُ بِيَنَالَ دَهْ هَزَارَ ، مُسْتَأْمِنًا ، فَأَتَاهُ خَبَرُهُ قَبْلَ وُصُولِهِ ، وَكَانَ لِلْخُجُسْتَانِيِّ غُلَامٌ اسْمُهُ رَامْجُورُ عَلَى خَزَائِنِهِ ، فَقَالَ لَهُ كَالْمُمَازِحِ لَهُ إِنَّهُ سَيِّدُكَ يَنَالُ دَهْ هَزَارَ قَدِ اسْتَأْمَنَ إِلَيَّ ، كَمَا عَلِمْتَ ، فَانْظُرْ كَيْفَ يَكُونُ بِرُّكَ بِهِ ، فَحَقَدَهَا عَلَيْهِ رَامْجُورُ ، وَخَافَ أَنْ يُقَدِّمَ ذَلِكَ الْغُلَامَ عَلَيْهِ ، وَيَطْلُبَ الْفُرْصَةَ لِيَقْتُلَهُ. |
| وَكَانَ لِأَحْمَدَ غُلَامٌ يُدْعَى قَتْلَغُ ، وَهُوَ عَلَى شَرَابِهِ ، فَسَقَاهُ يَوْمًا ، فَرَأَى فِي الْكُوزِ شَيْئًا ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُلِعَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ ، فَتَوَاطَأَ قَتْلَغُ وَرَامْجُورُ عَلَى قَتْلِهِ ، فَشَرِبَ يَوْمًا بِنَيْسَابُورَ عِنْدَ وُصُولِهِ مِنْ طَايْكَانَ ، فَسَكِرَ وَنَامَ ، فَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، فَقَتَلَهُ رَامْجُورُ ، وَقَتْلَغُ ، وَكَانَ قَتْلُهُ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَأَخَذَ رَامْجُورُ خَاتَمَهُ فَأَرْسَلَهُ إِلَى الْإِصْطَبْلِ يَأْمُرُهُمْ بِإِسْرَاجِ عِدَّةِ دَوَابَّ ، فَفَعَلُوا ، فَسَيَّرَ عَلَيْهَا جَمَاعَةً إِلَى أَبِي طَلْحَةَ وَهُوَ بِجُرْجَانَ يُعْلِمُهُ الْحَالَ ، وَيَأْمُرُهُ بِالْقُدُومِ ، ثُمَّ أَغْلَقَ رَامْجُورُ الْبَابَ عَلَى أَحْمَدَ ، وَاخْتَفَى. |
| وَبَكَّرَ الْقُوَّادُ إِلَى بَابِ أَحْمَدَ ، فَوَجَدُوا بَابَ حُجْرَتِهِ مُغْلَقًا ، فَانْتَظَرُوهُ سَاعَةً طَوِيلَةً ، فَرَابَهُمُ الْأَمْرُ ، فَفَتَحُوا الْبَابَ فَرَأَوْهُ مَقْتُولًا ، فَبَحَثُوا عَنِ الْحَالِ ، وَأَخْبَرَهُمْ صَاحِبُ الْإِصْطَبْلِ خَبَرَ رَامْجُورَ فِي إِنْفَاذِ الْخَاتَمِ ، فَطَلَبُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ ، ثُمَّ وَجَدُوهُ بَعْدَ مُدَّةٍ. |
| وَكَانَ سَبَبُ اطِّلَاعِهِمْ عَلَيْهِ أَنَّ صَبِيًّا مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الدَّارِ الَّتِي هُوَ بِهَا طَلَبَ نَارًا ، فَقِيلَ لَهُ مَا تَعْمَلُونَ بِالنَّارِ فِي الْيَوْمِ الْحَارِّ ؟ |
| فَقِيلَ نَتَّخِذُ طَعَامًا لِلْقَائِدِ ، قِيلَ وَمَنِ الْقَائِدُ ؟ |
| قَالَ رَامْجُورُ ، فَأَنْهَوُا خَبَرَهُ إِلَى بَعْضِ الْقُوَّادِ ، فَأَخَذُوهُ ، وَقَتَلُوهُ. |
| وَاجْتَمَعَ أَصْحَابُ أَحْمَدَ بَعْدَ قَتْلِهِ عَلَى رَافِعِ بْنِ هَرْثَمَةَ. |
| وَسَنَذْكُرُ أَخْبَارَ رَافِعٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ. |
| وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، لَمَّا عَادَ مِنْ طَايِكَانَ بَعْدَ قَتْلِ وَالِدَتِهِ ، نَصَبَ رُمْحًا طَوِيلًا فِي صَحْنِ دَارِهِ وَقَالَ يَحْتَاجُ أَهْلُ نَيْسَابُورَ أَنْ يَضَعُوا الدُّرَّ حَتَّى يَغْمُرُوا هَذَا الرُّمْحَ ، فَخَافُوا مِنْهُ ، وَاسْتَخْفَى جَمْعٌ مِنَ الرُّؤَسَاءِ وَالتُّجَّارِ ، وَفَزِعَ النَّاسُ إِلَى الدُّعَاءِ ، وَسَأَلُوا أَبَا عُثْمَانَ ، وَغَيْرَهُ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَفْصٍ الزَّاهِدِ أَنْ يَتَضَرَّعُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِيُفَرِّجَ عَنْهُمْ ، وَفَعَلُوا ، فَتَدَارَكَهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ ، فَقُتِلَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ. |
| وَكَانَ أَحْمَدُ كَرِيمًا ، جَوَادًا ، شُجَاعًا ، حَسَنَ الْعِشْرَةِ ، كَثِيرَ الْبِرِّ لِإِخْوَانِهِ الَّذِينَ صَحِبُوهُ قَبْلَ إِمَارَتِهِ ، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَتَغَيَّرْ لَهُمْ عَمَّا كَانَ يَفْعَلُهُ مِنَ التَّوَاضُعِ وَالْآدَابِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا وَلِيَ الْقَضَاءَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الشَّوَارِبِ. |
| وَفِيهَا سَارَ الْحُسَيْنُ بْنُ طَاهِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ إِلَى الْجَبَلِ فِي صَفَرٍ. |
| وَفِيهَا مَاتَ الصَّلَانِيُّ وَالِي الرَّيِّ ، وَوَلِيَهَا كَيْغَلَغُ. |
| وَفِيهَا نُهِبَ ابْنُ زَيْدَوَيْهِ الطَّبِيبُ. |
| وَمَاتَ صَالِحُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ الْمَنْصُورِ. |
| وَوَلِيَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ قَضَاءَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ بَغْدَاذَ ، فَصَارَ لَهُ قَضَاءُ الْجَانِبَيْنِ. |
| وَفِيهَا تَنَافَرَ أَبُو أَحْمَدَ الْمُوَفَّقُ ، وَأَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ أَمِيرُ دِيَارِ مِصْرَ ، وَصَارَ بِهِ بَيْنَهُمَا وَحْشَةٌ مُسْتَحْكِمَةٌ ، وَتَطَلَّبَ الْمُوَفَّقُ مَنْ يَتَوَلَّى الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ ، فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا; لِأَنَّ ابْنَ طُولُونَ كَانَتْ خَدَمُهُ وَهَدَايَاهُ مُتَّصِلَةٌ إِلَى الْقُوَّادِ بِالْعِرَاقِ ، وَأَرْبَابِ الْمَنَاصِبِ ، فَلَمْ يَجِدْ مَنْ يَتَوَلَّاهَا ، فَكَتَبَ إِلَى ابْنِ طُولُونَ يُهَدِّدُهُ بِالْعَزْلِ ، فَأَجَابَهُ جَوَابًا فِيهِ بَعْضُ الْغِلْظَةِ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ الْمُوَفَّقُ مُوسَى بْنَ بُغَا فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ ، فَسَارَ إِلَى الرَّقَّةِ . |
| وَبَلَغَ الْخَبَرُ ابْنَ طُولُونَ ، فَحَصَّنَ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ ، وَأَقَامَ ابْنُ بُغَا عَشَرَةَ أَشْهُرٍ بِالرَّقَّةِ ، وَلَمْ يُمْكِنْهُ الْمَسِيرُ لِقِلَّةِ الْأَمْوَالِ مَعَهُ ، وَطَالَبَهُ الْأَجْنَادُ بِالْعَطَاءِ ، فَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ مَا يُعْطِيهِمْ ، فَاخْتَلَفُوا عَلَيْهِ ، وَثَارُوا بِوَزِيرِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، فَاسْتَتَرَ ، وَاضْطُرَّ ابْنُ بُغَا إِلَى الْعَوْدِ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَكَفَى اللَّهُ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ شَرَّهُ فَتَصَدَّقَ بِأَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ. |
| وَفِيهَا قُتِلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَتَّابٍ ، وَكَانَ سَائِرًا إِلَى السِّيبِينِ ، وَهِيَ فِي وِلَايَتِهِ ، فَقَتَلَهُ الْأَعْرَابُ. |
| وَفِيهَا قُتِلَ الْقَطَّانُ صَاحِبُ مُفْلِحٍ ، وَكَانَ عَامِلًا بِالْمَوْصِلِ ، فَانْصَرَفَ عَنْهَا ، فَقُتِلَ بِالرَّقَّةِ. |
| وَفِيهَا عُقِدَ لِكَفْتِمُرَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ دَاوُدَ عَلَى طَرِيقِ مَكَّةَ. |
| وَفِيهَا وَقَعَ بَيْنَ الْخَيَّاطِينَ ، وَالْجَزَّارِينَ بِمَكَّةَ قِتَالٌ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ ، حَتَّى خَافَ النَّاسُ أَنْ يَبْطُلَ الْحَجُّ ، ثُمَّ تَحَاجَزُوا إِلَى أَنْ يَحُجَّ النَّاسُ ، وَقَدْ قُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ الْفَضْلُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ. |
| وَفِيهَا سَيَّرَ مُحَمَّدٌ صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ ابْنَهُ الْمُنْذِرَ فِي جَيْشٍ إِلَى الْجُلَيْقِيِّ ، وَكَانَ بِمَدِينَةِ بَطْلَيُوسَ ، فَلَمَّا سَمِعَ خَبَرَهُمْ فَارَقَهَا ، وَدَخَلَ حِصْنَ كَرْكَرَ ، فَحُوصِرَ فِيهِ ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ فِي أَصْحَابِهِ فِي شَوَّالٍ . |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ النُّمَيْرِيُّ الْإِخْبَارِيُّ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ وَقْعَةِ الزَّنْجِ لَمَّا انْهَزَمَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ جَرِيحًا ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، وَعَادَ إِلَى الْأَهْوَازَ لَمْ يَقُمْ بِهَا ، وَمَضَى إِلَى عَسْكَرِ صَاحِبِهِ يُدَاوِي جِرَاحَهُ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى عَسْكَرِهِ بِالْأَهْوَازِ ، فَلَمَّا بَرَأَ جُرْحُهُ عَادَ إِلَى الْأَهْوَازِ ، وَوَجَّهَ أَخَاهُ الْخَلِيلَ بْنَ أَبَانٍ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ لَيْثَوَيْهِ ، وَكَانَ أَحْمَدُ بِعَسْكَرِ مُكْرَمٍ ، فَكَمَنَ لَهُمْ أَحْمَدُ ، وَخَرَجَ إِلَى قِتَالِهِمْ ، فَالْتَقَى الْجَمْعَانِ ، وَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ ، وَخَرَجَ الْكَمِينُ عَلَى الزَّنْجِ فَانْهَزَمُوا ، وَتَفَرَّقُوا ، وَقُتِلُوا ، وَوَصَلَ الْمُنْهَزِمُونَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبَانٍ ، فَوَجَّهَ مَسْلَحَةً إِلَى الْمَسْرُقَانِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ أَحْمَدُ ثَلَاثِينَ فَارِسًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، مِنْ أَعْيَانِهِمْ ، فَقَتَلَهُمُ الزَّنْجُ جَمِيعَهُمْ. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ يَعْقُوبَ عَلَى الْأَهْوَازِ وَغَيْرِهَا وَفِيهَا أَقْبَلَ يَعْقُوبُ بْنُ اللَّيْثِ مِنْ فَارِسَ ، فَلَمَّا بَلَغَ النُّوبِنْدِجَانَ انْصَرَفَ أَحْمَدُ بْنُ اللَّيْثِ عَنْ تَسْتُرَ ، فَلَمَّا بَلَغَ يَعْقُوبُ جَنْدَيْسَابُورَ وَنَزَلَهَا ، ارْتَحَلَ عَنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ كُلُّ مَنْ بِهَا مِنْ عَسْكَرِ الْخَلِيفَةِ ، وَوَجَّهَ إِلَى الْأَهْوَازِ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ يُقَالُ لَهُ الْخَضِرُ بْنُ الْعَنْبَرِ ، فَلَمَّا قَارَبَهَا خَرَجَ عَنْهَا عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الزَّنْجِ ، فَنَزَلَ نَهْرَ السِّدْرَةِ ، وَدَخَلَ الْخَضِرُ الْأَهْوَازَ ، وَجَعَلَ أَصْحَابُهُ ، وَأَصْحَابُ عَلِيِّ بْنِ أَبَانٍ يُغِيرُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَيُصِيبُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، إِلَى أَنِ اسْتَعَدَّ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ وَسَارَ إِلَى الْأَهْوَازِ ، فَأَوْقَعَ بِالْخَضِرِ وَمَنْ مَعَهُ وَقْعَةً قُتِلَ فِيهَا مِنْ أَصْحَابِ الْخَضِرِ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَأَصَابَ الْغَنَائِمَ الْكَثِيرَةَ ، وَهَرَبَ الْخَضِرُ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى عَسْكَرِ مُكْرَمٍ. |
| وَأَقَامَ عَلِيٌّ بِالْأَهْوَازِ لِيَسْتَخْرِجَ مَا كَانَ فِيهَا ، وَرَجَعَ إِلَى نَهْرِ السِّدْرَةِ ، وَسَيَّرَ طَائِفَةً إِلَى دَوْرَقَ ، وَأَوْقَعُوا بِمَنْ كَانَ هُنَاكَ مِنْ أَصْحَابِ يَعْقُوبَ ، وَأَنْفَذَ يَعْقُوبُ إِلَى الْخَضِرِ مَدَدًا ، وَأَمَرَهُ بِالْكَفِّ عَنْ قِتَالِ الزَّنْجِ ، وَالِاقْتِصَارِ عَلَى الْمُقَامِ بِالْأَهْوَازِ ، فَلَمْ يُجِبْهُمْ عَلِيٌّ إِلَى ذَلِكَ دُونَ نَقْلِ طَعَامٍ كَانَ هُنَاكَ ، فَأَجَابَهُ يَعْقُوبُ إِلَيْهِ ، فَنَقَلَهُ ، وَتَرَكَ الْعَلَفَ الَّذِي كَانَ بِالْأَهْوَازِ وَكَفَّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ. |
| ذِكْرُ مَلِكِ الرُّومِ لُؤْلُؤَةَ وَفِيهَا سَلَّمَتِ الصَّقَالِبَةُ لُؤْلُؤَةَ إِلَى الرُّومِ; وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ قَدْ أَدْمَنَ الْغَزْوَ بِطَرَسُوسَ قَبْلَ أَنْ يَلِيَ مِصْرَ ، فَلَمَّا وَلِيَ مِصْرَ كَانَ يُؤْثِرُ أَنْ يَلِيَ طَرَسُوسَ لِيَغْزُوَ مِنْهَا أَمِيرًا ، فَكَتَبَ إِلَى أَبِي أَحْمَدَ الْمُوَفَّقِ يَطْلُبُ وِلَايَتَهَا ، فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا مُحَمَّدَ بْنَ هَارُونَ التَّغْلِبِيَّ ، فَرَكِبَ فِي سَفِينَةٍ فِي دِجْلَةَ فَأَلْقَتْهَا الرِّيحُ إِلَى الشَّاطِئِ ، فَأَخَذَهُ أَصْحَابُ مُسَاوِرٍ الشَّارِيِّ فَقَتَلُوهُ ، وَاسْتَعْمَلَ عِوَضَهُ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الْأَرْمَنِيَّ ، وَأُضِيفَ إِلَيْهِ أَنْطَاكِيَةَ ، فَوَثَبَ بِهِ أَهْلُ طَرَسُوسَ فَقَتَلُوهُ ، فَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا أَرْخُوزَ بْنَ يُولَغَ بْنِ طَرْخَانَ التُّرْكِيَّ ، فَسَارَ بِهَا ، وَكَانَ غِرًّا جَاهِلًا ، فَأَسَاءَ السِّيرَةَ ، وَأَخَّرَ عَنْ أَهْلِ لُؤْلُؤَةَ أَرْزَاقَهُمْ وَمِيرَتَهُمْ ، فَضَجُّوا مِنْ ذَلِكَ ، وَكَتَبُوا إِلَى أَهْلِ طَرَسُوسَ يَشْكُونَ مِنْهُ وَيَقُولُونَ إِنْ لَمْ تُرْسِلُوا إِلَيْنَا أَرْزَاقَنَا وَمِيرَتَنَا وَإِلَّا سَلَّمْنَا الْقَلْعَةَ إِلَى الرُّومِ. |
| فَأَعْظَمَ ذَلِكَ أَهْلُ طَرَسُوسَ وَجَمَعُوا مِنْ بَيْنِهِمْ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ لِيَحْمِلُوهَا إِلَيْهِمْ ، فَأَخَذَهَا أَرْخُوزُ لِيَحْمِلَهَا إِلَى أَهْلِ لُؤْلُؤَةَ ، فَأَخَذَهَا لِنَفْسِهِ. |
| فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِمُ الْمَالُ سَلَّمُوا الْقَلْعَةَ إِلَى الرُّومِ ، فَقَامَتْ عَلَى أَهْلِ طَرَسُوسَ الْقِيَامَةُ; لِأَنَّهَا كَانَتْ شَجًّا فِي حَلْقِ الْعَدُوِّ ، وَلَمْ يَكُنْ يَخْرُجُ لِلرُّومِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ إِلَّا رَأَوْهُ ، وَأَنْذَرُوا بِهِ; وَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِالْمُعْتَمِدِ ، فَقَلَّدَهَا أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا مَنْ يَقُومُ بِغَزْوِ الرُّومِ وَيَحْفَظُ ذَلِكَ الثَّغْرَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ مُسَاوِرٌ الشَّارِيُّ ، وَكَانَ قَدْ رَحَلَ مِنَ الْبَوَازِيجِ يُرِيدُ لِقَاءَ عَسْكَرٍ قَدْ سَارَ إِلَيْهِ مِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ ، فَكَتَبَ أَصْحَابُهُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ خَرْزَادَ ، وَهُوَ بِشَهْرَزَوْرَ لِيُوَلُّوهُ أَمْرَهُمْ فَامْتَنَعَ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْعِبَادَةِ ، فَبَايَعُوا أَيُّوبَ بْنَ حَيَّانَ الْوَارِقِيَّ الْبَجَلِيَّ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ مُحَمَّدَ بْنَ خَرْزَادَ لِيَذْكُرَ لَهُمْ أَنَّهُ نَظَرَ فِي أَمْرِهِ ، فَلَمْ يَسَعْهُ إِهْمَالُ الْأَمْرِ; لِأَنَّ مُسَاوِرًا عَهِدَ إِلَيْهِ ، فَقَالُوا لَهُ قَدْ بَايَعْنَا هَذَا الرَّجُلَ وَلَا نَغْدِرُ بِهِ; فَسَارَ إِلَيْهِمْ فِيمَنْ بَايَعَهُ ، فَقَاتَلَهُمْ ، فَقُتِلَ أَيُّوبُ بْنُ حَيَّانَ ، فَبَايَعُوا بَعْدَهُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى الْوَارِقِيَّ الْمَعْرُوفَ بِالْغُلَامِ ، فَقُتِلَ أَيْضًا ، فَبَايَعَ أَصْحَابُهُ هَارُونَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيَّ ، فَكَثُرَ أَتْبَاعُهُ ، وَعَادَ عَنْهُ ابْنُ خَرْزَادَ ، وَاسْتَوْلَى هَارُونُ عَلَى أَعْمَالِ الْمَوْصِلِ ، وَجَبَى خَرَاجَهُ. |
| وَفِيهَا كَانَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَ مُوسَى وَالْأَعْرَابِ ، فَوَّجَّهَ الْمُوَفَّقُ ابْنَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ الْمُعْتَضِدَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قُوَّادِهِ فِي طَلَبِ الْأَعْرَابِ. |
| وَفِيهَا وَثَبَ الدَّيْرَانِيُّ بِابْنِ أَوْسٍ ، فَكَبَسَهُ لَيْلًا ، فَتَفَرَّقَ عَسْكَرُهُ ، وَنَهَبَهُ ، وَمَضَى ابْنُ أَوْسٍ إِلَى وَاسِطَ. |
| وَفِيهَا ظَفِرَ أَصْحَابُ يَعْقُوبَ بْنِ اللَّيْثِ بِمُحَمَّدِ بْنِ وَاصِلٍ ، فَأَسَرُوهُ. |
| وَفِيهَا مَاتَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَاقَانَ ، وَزِيرُ الْمُعْتَمِدِ سَقَطَ بِالْمَيْدَانِ مِنْ صَدْمَةِ خَادِمٍ لَهُ ، فَسَالَ دِمَاغُهُ مِنْ مِنْخَرَيْهِ ، وَأُذُنِهِ ، فَمَاتَ لِوَقْتِهِ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ الْمُوَفَّقُ ، وَمَشَى فِي جِنَازَتِهِ ، وَاسْتَوْزَرَ مِنَ الْغَدِ الْحَسَنَ بْنَ مَخْلَدٍ ، فَقَدِمَ مُوسَى بْنُ بُغَا سَامَرَّا ، فَاخْتَفَى الْحَسَنُ ، وَاسْتَوْزَرَ مَكَانَهُ سُلَيْمَانَ بْنَ وَهْبٍ ، وَدُفِعَتْ دَارُ عُبَيْدِ اللَّهِ إِلَى كَيْغَلَغَ. |
| وَفِيهَا أُخْرِجَ أَخُو شَرْكُبَ الْحُسَيْنُ بْنُ طَاهِرٍ عَنْ نَيْسَابُورَ ، وَغَلَبَ عَلَيْهَا ، وَأَخَذَ أَهْلُهُ بِإِعْطَائِهِ ثُلُثَ أَمْوَالِهِمْ ، وَسَارَ الْحُسَيْنُ إِلَى مَرْوَ وَبِهَا ابْنُ خُوَارِزْمَ شَاهَ يَدْعُو لِمُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ. |
| وَفِيهَا سَيَّرَ مُحَمَّدٌ صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ ابْنَهُ الْمُنْذِرَ فِي جَيْشٍ كَثِيرٍ ، وَجَعَلَ طَرِيقَهُ عَلَى مَارِدَةَ ، فَلَمَّا جَازَ مَارِدَةَ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ تَبِعَهُ تِسْعُمِائَةِ فَارِسٍ مِنَ الْعَسْكَرِ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدِ اسْتَظْهَرَ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا كَثِيرًا صَبَرُوا فِيهِ ، وَقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَدَدٌ كَثِيرٌ ، ثُمَّ اسْتَظْهَرَ ابْنُ الْجُلَيْقِيُّ ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى السَّبْعِمِائَةِ ، فَوَضَعُوا السَّيْفَ فِيهِمْ فَقَتَلُوهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ ، أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ بِالشَّهَادَةِ. |
| وَفِيهَا ابْتَدَأَ إِبْرَاهِيمُ أَمِيرُ إِفْرِيقِيَّةَ بِبِنَاءِ مَدِينَةِ رَقَّادَةَ . |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَحْمَدُ بْنُ حَرْبٍ الطَّائِيُّ الْمَوْصِلِيُّ أَخُو عَلِيِّ بْنِ حَرْبٍ ، تُوُفِّيَ بِآذِنَةَ مِنْ بَلَدِ الثَّغْرِ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ أَسْرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَاوِسَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَسَرَتِ الرُّومُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَشِيدِ بْنِ كَاوِسَ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ دَخَلَ بَلَدَ الرُّومِ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الثُّغُورِ الشَّامِيَّةِ ، فَغَنِمَ وَقَتَلَ ، فَلَمَّا رَحَلَ عَنِ الْبَدَنْدُونَ خَرَجَ عَلَيْهِ بِطْرِيقُ سَلُوقِيَّةَ ، وَبِطْرِيقُ قُرَّةِ كَوْكَبٍ ، وَخَرْشَنَةَ ، فَأَحْدَقُوا بِالْمُسْلِمِينَ ، فَنَزَلَ الْمُسْلِمُونَ وَعَرْقَبُوا دَوَابَّهُمْ وَقَاتَلُوا ، فَقُتِلُوا إِلَّا خَمْسَمِائَةٍ ، فَإِنَّهُمْ حَمَلُوا حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَنَجَوْا عَلَى دَوَابِّهِمْ ، وَقَتَلَ الرُّومُ مَنْ قَتَلُوا ، وَأَسَرُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَشِيدٍ بَعْدَ ضَرَبَاتٍ أَصَابَتْهُ ، وَحُمِلَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ. |
| ذِكْرُ أَخْبَارِ الزَّنْجِ هَذِهِ السَّنَةَ وَدُخُولِهِمْ وَاسِطَ قَدْ ذَكَرْنَا سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ مَسِيرَ سُلَيْمَانَ بْنِ جَامِعٍ إِلَى الْبَطَائِحِ ، وَمَا كَانَ مِنْهُ مَعَ أَغْرَتَمْشَ ، فَلَمَّا أَوْقَعَ بِهِ كَتَبَ إِلَى صَاحِبِهِ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْمَسِيرِ إِلَيْهِ لِيُحْدِثَ بِهِ عَهْدًا ، وَيُصْلِحَ أُمُورَ مَنْزِلِهِ ، فَأَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ الْجُبَّائِيُّ أَنْ يَتَطَرَّقَ إِلَى عَسْكَرْتَكِينَ الْبُخَارِيِّ ، وَهُوَ بِبَرْدُودَ ، فَقَبِلَ قَوْلَهُ ، وَسَارَ إِلَى تَكِينَ ، فَلَمَّا كَانَ عَلَى فَرْسَخٍ مِنْهُ قَالَ لَهُ الْجُبَّائِيُّ الرَّأْيُ أَنْ تُقِيمَ أَنْتَ هَا هُنَا ، وَأَمْضِيَ أَنَا فِي السُّمَيْرِيَّاتِ ، وَأَجُرَّ الْقَوْمَ إِلَيْكَ ، فَيَأْتُونَكَ وَقَدْ تَعِبُوا ، فَتَنَالَ مِنْهُمْ حَاجَتَكَ. |
| فَفَعَلَ سُلَيْمَانُ ذَلِكَ ، وَجَعَلَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ كَمِينًا ، وَمَضَى الْجُبَّائِيُّ إِلَى تِكِينَ ، فَقَاتَلَهُ سَاعَةً ، ثُمَّ تَطَارَدَ لَهُمْ ، فَتَبِعُوهُ ، فَأَرْسَلَ سُلَيْمَانُ يُعْلِمَهُ ذَلِكَ ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ ، وَهُوَ بَيْنَ يَدَيْ أَصْحَابِ تِكِينِ شِبْهَ الْمُنْهَزِمِ ، لِيَسْمَعَ أَصْحَابُ تِكِينَ قَوْلَهُ فَيَطْمَعُوا فِيهِ غَرَرْتُمُونِي ، وَأَهْلَكْتُمُونِي ، وَكُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنِ الدُّخُولِ هَهُنَا ، فَأَبَيْتُمْ ، وَلَا أَرَانَا نَنْجُو مِنْهُ. |
| وَطَمِعَ أَصْحَابُ تِكِينَ وَجَدُّوا فِي طَلَبِهِ ، وَجَعَلُوا يُنَادُونَ بُلْبُلٌ فِي قَفَصٍ ، فَمَا زَالُوا كَذَلِكَ حَتَّى جَازُوا مَوْضِعَ الْكَمِينِ ، وَقَارَبُوا عَسْكَرَ سُلَيْمَانَ ، وَقَدْ كَمَنَ أَيْضًا خَلْفَ جُدُرٍ هُنَاكَ ، فَخَرَجَ سُلَيْمَانُ إِلَيْهِمْ فِي أَصْحَابِهِ فَقَاتَلَهُمْ ، وَخَرَجَ الْكَمِينُ مِنْ خَلْفِهِمْ ، وَعَطَفَ الْجُبَّائِيُّ عَلَى مَنْ فِي النَّهْرِ ، فَاشْتَدَّ الْقِتَالُ فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ تِكِينَ مِنَ الْوُجُوهِ كُلِّهَا ، وَرَكِبَهُمُ الزَّنْجُ يَقْتُلُونَهُمْ وَيَسْلُبُونَهُمْ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ فَرَاسِخَ ، وَعَادُوا عَنْهُمْ. |
| فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ عَادَ الزَّنْجُ إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي مُعَسْكَرِهِمْ ، فَكَبَسُوهُمْ ، فَقَاتَلَهُمْ تِكِينُ وَأَصْحَابُهُ ، فَانْكَشَفَ سُلَيْمَانُ ، ثُمَّ عَبَّأَ أَصْحَابَهُ ، فَأَمَرَ طَائِفَةً أَنْ تَأْتِيَهُمْ مِنْ جِهَةٍ ذَكَرَهَا لَهُمْ ، وَطَائِفَةً مِنَ الْمَاءِ ، وَأَتَى هُوَ فِي الْبَاقِينَ ، فَقَصَدُوا تِكِينَ مِنْ جِهَاتِهِ كُلِّهَا ، فَلَمْ يَقِفْ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَدٌ ، وَانْهَزَمُوا ، وَتَرَكُوا عَسْكَرَهُمْ ، فَغَنِمَ الزَّنْجُ مَا فِيهِ ، وَعَادُوا بَالْغَنِيمَةِ ، وَاسْتَخْلَفَ سُلَيْمَانُ الْجُبَّائِيُّ عَلَى عَسْكَرِهِ ، وَسَارَ إِلَى صَاحِبِهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ. |
| فَلَمَّا سَارَ سُلَيْمَانُ إِلَى الْخَبِيثِ خَرَجَ الْجُبَّائِيُّ بِالْعَسْكَرِ الَّذِي خَلَّفَهُ سُلَيْمَانُ مَعَهُ إِلَى مَازُورَانَ لِطَلَبِ الْمِيرَةِ ، فَاعْتَرَضَهُ جُعْلَانُ ، فَقَاتَلَهُ ، فَانْهَزَمَ الْجُبَّائِيُّ ، وَأُخِذَتْ سُفُنُهُ ، وَأَتَتْهُ الْأَخْبَارُ أَنَّ مَنْجُورَا وَمُحَمَّدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ حَبِيبٍ الْيَشْكُرِيَّ قَدْ بَلَغَا الْحَجَّاجِيَّةَ ، فَكَتَبَ إِلَى صَاحِبِهِ بِذَلِكَ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ سُلَيْمَانَ ، فَوَصَلَ إِلَى طَهْثَا مُجِدًّا ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ قَصْدَ جُعْلَانَ ، وَقَدِمَ الْجُبَّائِيُّ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَ جُعَلَانَ وَيَقِفَ بِحَيْثُ يَرَاهُ وَلَا يُقَاتِلُهُ. |
| ثُمَّ سَارَ سُلَيْمَانُ نَحْوَ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ مُجِدًّا ، فَأَوْقَعَ بِهِ وَقْعَةً عَظِيمَةً ، وَغَنِمَ غَنَائِمَ كَثِيرَةً ، وَقَتَلَ أَخًا لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَرَجَعَ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضًا. |
| ثُمَّ سَارَ فِي شَعْبَانَ إِلَى قَرْيَةِ حَسَّانَ ، وَبِهَا قَائِدٌ يُقَالُ لَهُ حَسَنُ بْنُ خَمَارْتَكِينَ ، فَأَوْقَعَ بِهِ ، فَهَزَمَهُ ، وَنَهَبَ الْقَرْيَةَ ، وَأَحْرَقَهَا ، وَعَادَ. |
| ثُمَّ سَارَ فِي شَعْبَانَ أَيْضًا إِلَى مَوَاضِعَ ، فَنَهَبَهَا ، وَعَادَ ، ثُمَّ سَارَ فِي رَمَضَانَ وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ جُعْلَانَ بِمَازُورَانَ ، فَبَلَغَتِ الْأَخْبَارُ إِلَى جُعَلَانَ بِذَلِكَ ، فَضَبَطَ عَسْكَرُهُ ، فَتَرَكَهُ سُلَيْمَانُ وَعَدَلَ إِلَى أَبَا فَأَوْقَعَ بِهِ وَهُوَ غَارٌّ ، وَغَنِمَ مِنْهُ سِتَّ شَذَوَاتٍ ، ثُمَّ أَرْسَلَ الْجُبَّائِيَّ فِي جَمَاعَةٍ لِيَنْتَهِبَ ، فَصَادَفَهُمْ جُعْلَانُ ، فَأَخَذَ سُفُنَهُمْ ، وَغَنِمَ مِنْهُمْ ، فَأَتَاهُ سُلَيْمَانُ فِي الْبَرِّ ، فَهَزَمَهُ ، وَاسْتَنْقَذَ سُفُنَهُمْ ، وَغَنِمَ شَيْئًا آخَرَ وَعَادَ. |
| ثُمَّ سَارَ سُلَيْمَانُ إِلَى الرُّصَافَةِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، فَأَوْقَعَ بِمَطَرِ بْنِ جَامِعٍ وَهُوَ بِهَا ، فَغَنِمَ غَنَائِمَ كَثِيرَةً ، وَأَحْرَقَ الرُّصَافَةَ ، وَاسْتَبَاحَهَا ، وَحَمَلَ أَعْلَامًا وَانْحَدَرَ إِلَى مَدِينَةِ الْخَبِيثِ ، وَأَقَامَ لِيُعَيِّدَ هُنَاكَ بِمَنْزِلِهِ ، فَسَارَ مَطَرٌ إِلَى الْحَجَّاجِيَّةِ ، فَأَوْقَعَ بِأَهْلِهَا ، وَأَسَرَ جَمَاعَةً ، وَكَانَ بِهَا قَاضٍ لِسُلَيْمَانَ ، فَأَسَرَهُ مَطَرٌ وَحَمَلَهُ إِلَى وَاسِطَ ، وَسَارَ مَطَرٌ إِلَى قَرِيبِ طَهْثَا وَرَجَعَ ، فَكَتَبَ الْجُبَّائِيُّ إِلَى سُلَيْمَانَ بِذَلِكَ ، فَسَارَ نَحْوَهُ ، فَوَافَاهُ لِلَيْلَتَيْنِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ، ثُمَّ صَرَفَ جُعَلَانُ ، وَوَافَى أَحْمَدُ بْنُ لَيْثَوَيْهِ ، فَأَقَامَ بِالشَّدِيدِيَّةِ. |
| وَمَضَى سُلَيْمَانُ إِلَى نَهْرِ أَبَانٍ ، وَبِهِ قَائِدٌ مِنْ قُوَّادِ أَحْمَدَ ، فَأَوْقَعَ بِهِ فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ سَارَ سُلَيْمَانُ إِلَى تِكِينَ فِي خَمْسِ شَذَوَاتٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَوَاقَعَهُ تِكِينُ بِالشَّدِيدِيَّةِ. |
| وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ لَيْثَوَيْهِ حِينَئِذٍ قَدْ سَارَ إِلَى الْكُوفَةِ وَجَنْبُلَاءَ ، فَظَهَرَ تِكِينُ عَلَى سُلَيْمَانَ ، وَأَخَذَ الشَّذَوَاتِ بِمَا فِيهَا ، وَكَانَ بِهَا صَنَادِيدُ سُلَيْمَانَ وَقُوَّادُهُ فَقَتَلَهُمْ. |
| ثُمَّ إِنَّ أَحْمَدَ عَادَ إِلَى الشَّدِيدِيَّةِ ، وَضَبَطَ تِلْكَ الْأَعْمَالَ ، حَتَّى وَافَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُوَلَّدِ ، وَقَدْ وَلَّاهُ الْمُوَفَّقُ مَدِينَةَ وَاسِطَ ، فَكَتَبَ سُلَيْمَانُ إِلَى الْخَبِيثِ يَسْتَمِدُّهُ ، فَأَمَدَّهُ بِالْخَلِيلِ بْنِ أَبَانٍ فِي زُهَاءِ أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ ، فَلَمَّا أَتَاهُ الْمَدَدُ قَصَدَ إِلَى مُحَارَبَةِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُوَلَّدِ ، وَدَخَلَ سُلَيْمَانُ مَدِينَةَ وَاسِطَ ، فَقَتَلَ فِيهَا خَلْقًا كَثِيرًا ، وَنَهَبَ وَأَحْرَقَ ، وَكَانَ بِهَا ابْنُ مَنْكَجُورَ الْبُخَارِيُّ ، فَقَاتَلَهُ يَوْمَهُ إِلَى الْعَصْرِ ، ثُمَّ قُتِلَ ، وَانْصَرَفَ سُلَيْمَانُ عَنْ وَاسِطَ إِلَى جَنْبُلَاءَ لِيَعِيثَ وَيُخَرِّبَ ، فَأَقَامَ هُنَاكَ تِسْعِينَ لَيْلَةً ، وَعَسْكَرُهُمْ بِنَهْرِ الْأَمِيرِ. |
| ذِكْرُ وِزَارَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ لِلْخَلِيفَةِ وَوِزَارَةِ الْحَسَنِ بْنِ مَخْلَدٍ ، وَعَزْلِهِ وَفِيهَا خَرَجَ سُلَيْمَانُ بْنُ وَهْبٍ مِنْ بَغْدَاذَ إِلَى سَامَرَّا وَشَيَّعَهُ الْمُوَفَّقُ ، وَالْقُوَّادُ ، فَلَمَّا صَارَ إِلَى سَامَرَّا غَضِبَ عَلَيْهِ الْمُعْتَمِدُ وَحَبَسَهُ ، وَقَيَّدَهُ ، وَانْتَهَتْ دَارُهُ ، وَاسْتَوْزَرَ الْحَسَنَ بْنَ مَخْلَدٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، فَسَارَ الْمُوَفَّقُ مِنْ بَغْدَاذَ إِلَى سَامَرَّا ، وَمَعَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْ سَامَرَّا تَحَوَّلَ الْمُعْتَمِدُ إِلَى جَانِبِ الْغَرْبِيِّ فَعَسْكَرَ بِهِ مُغَاضِبًا لِلْمُوَفَّقِ ، وَاخْتَلَفَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُوَفَّقِ ، وَاتَّفَقَا ، وَخَلَعَ عَلَى الْمُوَفَّقِ ، وَمَسْرُورٍ ، وَكَيْغَلَغَ ، وَأَحْمَدَ بْنِ مُوسَى بْنِ بُغَا ، وَأَطْلَقَ سُلَيْمَانَ بْنَ وَهْبٍ ، وَعَادَ إِلَى الْجَوْسَقِ ، وَهَرَبَ الْحَسَنُ بْنُ مَخْلَدٍ ، وَأَحْمَدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ أَبِي الْأَصْبَغِ ، وَهَرَبَ الْقُوَّادُ الَّذِينَ كَانُوا بِسَامَرَّا مَعَ الْمُعْتَمِدِ خَوْفًا مِنَ الْمُوَفَّقِ ، فَوَصَلُوا إِلَى الْمَوْصِلِ وَجَبَوُا الْخَرَاجَ ذِكْرُ وَفَاةِ أَمَاجُورَ ، وَمُلْكِ ابْنِ طُولُونَ الشَّامَ وَطَرَسُوسَ ، وَقَتْلِ سِيمَا الطَّوِيلِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ أَمَاجُورُ مُقْطَعَ دِمَشْقَ ، وَوَلِيَ ابْنُهُ مَكَانَهُ ، فَتَجَهَّزَ ابْنُ طُولُونَ لِيَسِيرَ إِلَى الشَّامِ فَيَمْلِكَهُ ، فَكَتَبَ إِلَى ابْنِ أَمَاجُورَ يَذْكُرُ لَهُ أَنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ أَقْطَعَهُ الشَّامَ وَالثُّغُورَ ، فَأَجَابَهُ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، سَارَ أَحْمَدُ ، وَاسْتَخْلَفَ بِمِصْرَ ابْنَهُ الْعَبَّاسَ ، فَلَقِيَهُ ابْنُ أَمَاجُورَ بِالرَّمْلَةِ فَأَقَرَّهُ عَلَيْهَا ، وَسَارَ إِلَى دِمَشْقَ فَمَلَكَهَا وَأَقَرَّ قُوَّادَ أَمَاجُورَ عَلَى أَقْطَاعِهِمْ ، وَسَارَ إِلَى حِمْصَ فَمَلَكَهَا ، وَكَذَلِكَ حَمَاةُ ، وَحَلَبُ. |
| وَرَاسَلَ سِيمَا الطَّوِيلَ بِأَنْطَاكِيَّةَ يَدْعُوهُ إِلَى طَاعَتِهِ لِيُقِرَّهُ عَلَى وِلَايَتِهِ ، فَامْتَنَعَ ، فَعَاوَدَهُ فَلَمْ يُطِعْهُ ، فَسَارَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ ، فَحَصَرَهُ بِأَنْطَاكِيَّةَ ، وَكَانَ سَيِّئَ السِّيرَةِ مَعَ أَهْلِ الْبَلَدِ ، فَكَاتَبُوا أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ ، وَدَلُّوهُ عَلَى عَوْرَةِ الْبَلَدِ ، فَنَصَبَ عَلَيْهِ الْمَجَانِيقَ ، وَقَاتَلَهُ ، فَمَلَكَ الْبَلَدَ عَنْوَةً ، وَالْحِصْنَ الَّذِي لَهُ ، وَرَكِبَ سِيمَا ، وَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى قُتِلَ وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ أَحَدٌ ، فَاجْتَازَ بِهِ بَعْضُ قُوَّادِهِ فَرَآهُ قَتِيلًا ، فَحَمَلَ رَأْسَهُ إِلَى أَحْمَدَ ، فَسَاءَهُ قَتْلُهُ. |
| وَرَحَلَ عَنْ أَنْطَاكِيَّةَ إِلَى طَرَسُوسَ ، فَدَخَلَهَا وَعَزَمَ عَلَى الْمُقَامِ بِهَا ، وَمُلَازَمَةِ الْغُزَاةِ ، فَغَلَا السِّعْرُ بِهَا ، وَضَاقَتْ عَنْهُ وَعَنْ عَسَاكِرِهِ ، فَرَكِبَ أَهْلُهَا إِلَيْهِ بِالْمُخَيَّمِ ، وَقَالُوا لَهُ قَدْ ضَيَّقْتَ بَلَدَنَا ، وَأَغْلَيْتَ أَسْعَارَنَا ، فَإِمَّا أَقَمْتَ فِي عَدَدٍ يَسِيرٍ ، وَإِمَّا ارْتَحَلْتَ عَنَّا ، أَغْلَظُوا لَهُ فِي الْقَوْلِ ، وَشَغَبُوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ أَحْمَدُ لِأَصْحَابِهِ لِتَنْهَزِمُوا مِنَ الطَّرَسُوسِيِّينَ ، وَتَرْحَلُوا عَنِ الْبَلَدِ ، لِيَظْهَرَ لِلنَّاسِ وَخَاصَّةً الْعَدُوَّ أَنَّ ابْنَ طُولُونَ عَلَى بُعْدِ صِيتِهِ وَكَثْرَةِ عَسَاكِرِهِ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى أَهْلِ طَرَسُوسَ; وَانْهَزَمَ عَنْهُمْ لِيَكُونَ أَهْيَبَ لَهُمْ فِي قَلْبِ الْعَدُوِّ. |
| وَعَادَ إِلَى الشَّامِ. |
| فَأَتَاهُ خَبَرُ وَلَدِهِ الْعَبَّاسِ ، وَهُوَ اسْتَخْلَفَهُ بِمِصْرَ ، وَأَنَّهُ قَدْ عَصَى عَلَيْهِ ، وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ ، وَسَارَ إِلَى بُرْقَةَ مُشَاقًّا لِأَبِيهِ ، فَلَمْ يَكْتَرِثْ لِذَلِكَ ، وَلَمْ يَنْزَعِجْ لَهُ ، وَثَبَتَ ، وَقَضَى أَشْغَالَهُ ، وَحَفِظَ أَطْرَافَ بِلَادِهِ ، وَتَرَكَ بِحَرَّانَ عَسْكَرًا ، وَبِالرَّقَّةِ عَسْكَرًا مَعَ غُلَامِهِ لُؤْلُؤٍ ، وَكَانَتْ حَرَّانُ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَتَامِشَ ، وَكَانَ شُجَاعًا ، فَأَخْرَجَهُ عَنْهَا وَهَزَمَهُ هَزِيمَةً قَبِيحَةً. |
| وَاتَّصَلَ خَبَرُهُ بِأَخِيهِ مُوسَى بْنِ أَتَامِشَ ، وَكَانَ شُجَاعًا بَطَلًا ، فَجَمَعَ عَسْكَرًا كَثِيرًا وَسَارَ نَحْوَ حَرَّانَ ، وَبِهَا عَسْكَرُ ابْنِ طُولُونَ ، وَمُقَدَّمُهُمْ أَحْمَدُ بْنُ جَيْعَوَيْهِ ، فَلَمَّا اتَّصَلَ بِهِ خَبَرُ مَسِيرِ مُوسَى أَقْلَقَهُ ذَلِكَ وَأَزْعَجَهُ ، فَفَطِنَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ يُقَالُ لَهُ أَبُو الْأَغَرِّ ، فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، أَرَاكَ مُفَكِّرًا مُنْذُ أَتَاكَ خَبَرُ ابْنِ أَتَامِشَ ، وَمَا هَذَا مَحَلُّهُ ، فَإِنَّهُ طَيَّاشٌ قَلِقٌ ، وَلَوْ شَاءَ الْأَمِيرُ أَنْ آتِيَهُ بِهِ أَسِيرًا لَفَعَلْتُ. |
| فَغَاظَهُ قَوْلُهُ ، وَقَالَ قَدْ شِئْتُ أَنْ تَأْتِيَ بِهِ أَسِيرًا; قَالَ فَاضْمُمْ إِلَيَّ عِشْرِينَ رَجُلًا اخْتَارُهُمْ ، قَالَ افْعَلْ ، فَاخْتَارَ عِشْرِينَ رَجُلًا وَسَارَ بِهِمْ إِلَى عَسْكَرِ مُوسَى ، فَلَمَّا قَارَبَهُمْ كَمَنَ بَعْضُهُمْ ، وَجَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ عَلَامَةً إِذَا سَمِعُوهَا ظَهَرُوا. |
| ثُمَّ دَخَلَ الْعَسْكَرُ الْبَاقِينَ فِي زِيِّ الْأَعْرَابِ ، وَقَارَبَ مَضَارِبَ مُوسَى ، وَقَصَدَ خَيْلًا مَرْبُوطَةً فَأَطْلَقَهَا ، وَصَاحَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فِيهَا فَنَفَرَتْ ، وَصَاحَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ ، وَأَصْحَابُ مُوسَى غَارُّونَ ، وَقَدْ تَفَرَّقَ بَعْضُهُمْ فِي حَوَائِجِهِمْ ، انْزَعَجَ الْعَسْكَرُ ، وَرَكِبُوا ، وَرَكِبَ مُوسَى ، فَانْهَزَمَ أَبُو الْأَغَرِّ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، فَتَبِعَهُ حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنَ الْعَسْكَرِ ، وَجَازَ بِهِ الْكَمِينَ ، فَنَادَى أَبُو الْأَغَرِّ بِالْعَلَامَةِ الَّتِي بَيْنَهُمْ ، فَثَارُوا مِنَ النَّوَاحِي ، وَعَطَفَ أَبُو الْأَغَرِّ عَلَى مُوسَى فَأَسَرُوهُ ، فَأَخَذُوهُ ، وَسَارُوا حَتَّى وَصَلُوا إِلَى ابْنِ جَيْعَوَيْهِ ، فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ ، وَحَارُوا ، فَسَيَّرَهُ ابْنُ جَيْعَوَيْهِ إِلَى ابْنِ طُولُونَ ، فَاعْتَقَلَهُ ، وَعَادَ إِلَى مِصْرَ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ. |
| ذِكْرُ الْفِتْنَةِ بِبِلَادِ الصِّينَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ ظَهَرَ بِبِلَادِ الصِّينِ إِنْسَانٌ لَا يُعْرَفُ ، فَجَمَعَ جَمْعًا كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الْفَسَادِ وَالْعَامَّةِ ، فَأَهْمَلَ الْمَلِكُ أَمْرَهُ اسْتِصْغَارًا لِشَأْنِهِ ، فَقَوِيَ ، وَظَهَرَ حَالُهُ ، وَكَثُفَ جَمْعُهُ ، وَقَصَدَهُ أَهْلُ الشَّرِّ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، فَأَغَارَ عَلَى الْبِلَادِ وَأَخْرَبَهَا ، وَنَزَلَ عَلَى مَدِينَةِ خَانْقُوَا ، وَحَصَرَهَا وَهِيَ حَصِينَةٌ ، وَلَهَا نَهْرٌ عَظِيمٌ ، وَبِهَا عَالَمٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَالنَّصَارَى ، وَالْيَهُودِ ، وَالْمَجُوسِ ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الصِّينِ ، فَلَمَّا حَصَرَ الْبَلَدَ اجْتَمَعَتْ عَسَاكِرُ الْمَلِكِ ، وَقَصَدَتْهُ ، فَهَزَمَهَا ، وَافْتَتَحَ الْمَدِينَةَ عَنْوَةً ، وَبَذَلَ السَّيْفَ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً. |
| ثُمَّ سَارَ إِلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَلِكُ ، وَأَرَادُوا حَصْرَهَا ، فَالْتَقَاهُ مَلِكُ الصِّينِ ، وَدَامَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ نَحْوُ سَنَةٍ ، ثُمَّ انْهَزَمَ الْمَلِكُ ، وَتَبِعَهُ الْخَارِجِيُّ إِلَى أَنْ تَحَصَّنَ مِنْهُ فِي مَدِينَةٍ مِنْ أَطْرَافِ بِلَادِهِ ، وَاسْتَوْلَى الْخَارِجِيُّ عَلَى أَكْثَرِ الْبِلَادِ ، وَالْخَزَائِنِ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا بَقَاءَ لَهُ فِي الْمُلْكِ إِذْ لَيْسَ هُوَ مِنْ أَهْلِهِ ، فَأَخْرَبَ الْبِلَادَ وَنَهَبَ الْأَمْوَالَ ، وَسَفَكَ الدِّمَاءَ. |
| فَكَاتَبَ مَلِكُ الصِّينِ مُلُوكَ الْهِنْدِ يَسْتَمِدُّهُمْ ، فَأَمَدُّوهُ بِالْعَسَاكِرِ ، فَسَارَ إِلَى الْخَارِجِيِّ ، فَالْتَقَوْا ، وَاقْتَتَلُوا نَحْوَ سَنَةٍ أَيْضًا ، وَصَبَرَ الْفَرِيقَانِ ، ثُمَّ إِنَّ الْخَارِجِيَّ عُدِمَ ، فَقِيلَ إِنَّهُ قُتِلَ ، وَقِيلَ بَلْ غَرِقَ ، وَظَفِرَ الْمَلِكُ بِأَصْحَابِهِ ، وَعَادَ إِلَى مَمْلَكَتِهِ. |
| وَلَقَبُ مُلُوكِ الصِّينِ يَعْفُورُ ، وَمَعْنَاهُ ابْنُ السَّمَاءِ تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ; وَتَفَرَّقَ الْمُلْكُ عَلَيْهِ ، وَتَغَلَّبَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ عَلَى طَرَفٍ مِنَ الْبِلَادِ ، وَصَارَ الصِّينُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مُلُوكُ الطَّوَائِفِ ، يُظْهِرُونَ لَهُ الطَّاعَةَ ، وَقَنَعَ مِنْهُمْ بِذَلِكَ ، وَبَقِيَ عَلَى ذَلِكَ مُدَّةً طَوِيلَةً. |
| ذِكْرُ مُلْكِ الْمُسْلِمِينَ مَدِينَةَ سَرَقُوسَةَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ ، رَابِعَ عَشَرَ رَمَضَانَ ، مَلَكَ الْمُسْلِمُونَ سَرَقُوسَةَ ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ مُدُنِ صِقِلِّيَّةَ. |
| وَكَانَ سَبَبُ مُلْكِهَا أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ أَمِيرَ صِقِلِّيَّةَ غَزَاهَا ، فَأَفْسَدَ زَرْعَهَا ، وَزَرْعَ قَطَانِيَةَ ، وَطَبَرْمِينَ ، وَرَمْطَةَ ، وَغَيْرَهَا مِنْ بِلَادِ صِقِلِّيَّةَ الَّتِي بِيَدِ الرُّومِ ، وَنَازَلَ سَرَقُوسَةَ ، وَحَصَرَهَا بَرًّا وَبَحْرًا ، وَمَلَكَ بَعْضَ أَرْبَاضِهَا ، وَوَصَلَتْ مَرَاكِبُ الرُّومِ نَجْدَةً لَهَا ، فَسَيَّرَ إِلَيْهَا أُسْطُولًا ، فَأَصَابُوهَا ، فَتَمَكَّنُوا حِينَئِذٍ مِنْ حَصْرِهَا ، فَأَقَامَ الْعَسْكَرُ مُحَاصِرًا لَهَا تِسْعَةَ أَشْهُرٍ ، وَفُتِحَتْ ، وَقُتِلَ مِنْ أَهْلِهَا عِدَّةُ أُلُوفٍ ، أُصِيبَ فِيهَا مِنَ الْغَنَائِمِ مَا لَمْ يُصَبْ بِمَدِينَةٍ أُخْرَى ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْ رِجَالِهَا إِلَّا الشَّاذُّ الْفَذُّ. |
| وَأَقَامُوا فِيهَا بَعْدَ فَتْحِهَا بِشَهْرَيْنِ ، ثُمَّ هَدَمُوهَا ، ثُمَّ وَصَلَ بَعْدَ هَدْمِهَا مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ أُسْطُولٌ ، فَالْتَقَوْا هُمْ وَالْمُسْلِمُونَ ، فَظَفِرَ بِهِمُ الْمُسْلِمُونَ ، وَأَخَذُوا مِنْهُمْ أَرْبَعَ قِطَعٍ ، فَقَتَلُوا مَنْ فِيهَا ، وَانْصَرَفَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى بَلَدِهِمْ آخِرَ ذِي الْقَعْدَةِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَيَّرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ ابْنَهُ الْمُنْذِرَ فِي جَيْشٍ إِلَى مَدِينَةِ بَنْبَلُونَةَ ، وَجَعَلَ طَرِيقَهُ عَلَى سَرَقُسْطَةَ ، فَقَاتَلَ أَهْلَهَا ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى تُطِيلَةَ ، وَجَالَ فِي مَوَاضِعَ بَنِي مُوسَى ، ثُمَّ دَخَلَ بَنْبَلُونَةَ ، فَخَرَّبَ كَثِيرًا مِنْ حُصُونِهَا وَأَذْهَبَ زُرُوعَهَا وَعَادَ سَالِمًا. |
| وَفِيهَا سَارَ جَمْعٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَى مَدِينَةِ جُلَيْقِيَةَ ، فَكَانَ بَيْنَهُمْ وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ قُتِلَ فِيهَا مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ كَثِيرٌ. |
| وَفِيهَا فَرَغَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَغْلَبِ ، صَاحِبُ إِفْرِيقِيَّةَ ، مِنْ بِنَاءِ رَقَّادَةَ ، وَكَانَ ابْتِدَاءُ عِمَارَتِهَا سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَلَمَّا فَرَغَتِ انْتَقَلَ إِبْرَاهِيمُ إِلَيْهَا . |
| وَفِيهَا وَجَّهَ يَعْقُوبُ بْنُ اللَّيْثِ جَيْشًا إِلَى الصَّيْمَرَةِ ، مُقَدِّمَةً إِلَيْهَا ، وَأَخَذُوا صُعُونَ فَأَحْضَرُوهُ عِنْدَهُ ، فَمَاتَ. |
| وَفِيهَا مَاتَتْ قَبِيحَةُ أُمُّ الْمُعْتَزِّ. |
| وَفِيهَا وَقَعَ الطَّاعُونُ بِخُرَاسَانَ جَمِيعِهَا وَقُومِسَ ، فَأَفْنَى خَلْقًا كَثِيرًا. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ مُوسَى الْهَاشِمِيُّ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِّيُّ ، وَاسْمُهُ عُبَيْدُ اللَّهِ ، وَكَانَ مَوْتُهُ بِدِمَشْقَ. |
| وَفِيهَا مَاتَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ الْمُزَنِيُّ ، صَاحِبُ الشَّافِعِيِّ ، وَكَانَ مَوْتُهُ بِمِصْرَ. |
| وَعَلِيُّ بْنُ حَرْبٍ الطَّائِيُّ ، وَكَانَ إِمَامًا فِي الْحَدِيثِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ أَخْبَارِ الزَّنْجِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَ أَحْمَدَ بْنِ لَيْثَوَيْهِ وَبَيْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ جَامِعٍ ، وَالزَّنْجِ بِنَاحِيَةِ جَنْبُلَاءَ. |
| وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّ سُلَيْمَانَ كَتَبَ إِلَى الْخَبِيثِ يُخْبِرُهُ بِحَالِ نَهْرٍ يُسَمَّى الزُّهْرِيَّ ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَأْذَنَ فِي عَمَلِهِ ، فَإِنَّهُ مَتَى أَنْفَذَهُ تَهَيَّأَ لَهُ حَمْلُ مَا فِي جَنْبُلَاءَ وَسَوَادِ الْكُوفَةِ ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ نَكْرَوَيْهِ لِذَلِكَ ، وَأَمَرَهُ بِمُسَاعَدَتِهِ ، وَالنَّفَقَةِ عَلَى النَّهْرِ ، فَمَضَى سُلَيْمَانُ فِيمَنْ مَعَهُ ، وَأَقَامَ بِالشَّرِيطَةِ نَحْوًا مِنْ شَهْرٍ ، وَشَرَعُوا فِي عَمَلِ النَّهْرِ. |
| وَكَانَ أَصْحَابُ سُلَيْمَانَ ، فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ ، يَتَطَرَّقُونَ مَا حَوْلَهُمْ ، فَوَاقَعَهُ أَحْمَدُ بْنُ لَيْثَوَيْهِ ، وَهُوَ عَامِلُ الْمُوَفَّقِ بِجَنْبُلَاءَ ، فَقُتِلَ مِنَ الزَّنْجِ نَيِّفًا وَأَرْبَعِينَ قَائِدًا ، وَمِنْ عَامَّتِهِمْ مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً ، أَحْرَقَ سُفُنَهُمْ ، فَمَضَى سُلَيْمَانُ مَهْزُومًا إِلَى طَهْثَا. |
| وَفِيهَا سَارَ جَمَاعَةٌ مِنَ الزُّنُوجِ فِي ثَلَاثِينَ سُمَيْرِيَّةٍ إِلَى حَبْلٍ ، فَأَخَذُوا أَرْبَعَ سُفُنٍ فِيهَا طَعَامٌ وَانْصَرَفُوا. |
| وَفِيهَا دَخَلَ الزَّنْجُ النُّعْمَانِيَّةَ فَأَحْرَقُوهَا ، وَسَبَوْا ، وَسَارُوا إِلَى جَرْجَرَايَا ، وَدَخَلَ أَهْلُ السَّوَادِ بَغْدَاذَ. |
| ذِكْرُ اسْتِعْمَالِ مَسْرُورٍ الْبَلْخِيِّ عَلَى الْأَهْوَازِ وَانْهِزَامِ الزَّنْجِ مِنْهُ وَفِيهَا اسْتَعْمَلَ الْمُوَفَّقُ مَسْرُورًا الْبَلْخِيَّ عَلَى كُوَرِ الْأَهْوَازِ ، فَوَلَّى مَسْرُورٌ ذَلِكَ تِكِينَ الْبُخَارِيَّ ، فَسَارَ إِلَيْهَا تِكِينُ ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ ، وَالزَّنْجُ قَدْ أَحَاطُوا بِتَسْتُرَ ، فَخَافَ أَهْلُهَا ، وَعَزَمُوا عَلَى تَسْلِيمِهَا إِلَيْهِمْ ، فَوَافَاهُمْ فِي تِلْكَ الْحَالِ تِكِينُ الْبُخَارِيُّ ، فَوَاقَعَ عَلِيَّ بْنَ أَبَانٍ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ ثِيَابَهُ ، فَانْهَزَمَ عَلِيٌّ ، وَالزَّنْجُ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ ، وَتَفَرَّقُوا ، وَنَزَلَ تِكِينُ بِتَسْتُرَ ، وَهَذِهِ الْوَاقِعَةُ تُعْرَفُ بِوَقْعَةِ بَابِ كُورَكَ ، وَهِيَ مَشْهُورَةٌ. |
| ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا قَدَّمَ عَلَيْهَا جَمَاعَةً مِنْ قُوَّادِ الزَّنْجِ ، فَأَمَرَهُمْ بِالْمُقَامِ بِقَنْطَرَةِ فَارِسَ ، فَهَرَبَ مِنْهُمْ غُلَامٌ رُومِيٌّ إِلَى تِكِينَ ، وَأَخْبَرَهُ بِمُقَامِهِمْ بِالْقَنْطَرَةِ ، وَتَشَاغُلِهِمْ بِالنَّبِيذِ ، وَتَفَرُّقِهِمْ فِي جَمْعِ الطَّعَامِ ، فَسَارَ تِكِينُ إِلَيْهِمْ لَيْلًا ، فَأَوْقَعَ بِهِمْ ، وَقَتَلَ مِنْ قُوَّادِهِمْ جَمَاعَةً ، فَانْهَزَمَ الْبَاقُونَ. |
| وَسَارَ تِكِينُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبَانٍ ، فَلَمْ يَقِفْ لَهُ عَلِيٌّ ، وَانْهَزَمَ ، وَأُسِرَ غُلَامٌ لَهُ يُعْرَفُ بِجَعْفَرَوَيْهِ ، وَرَجَعَ إِلَى الْأَهْوَازِ ، وَرَجَعَ تِكِينُ إِلَى تَسْتُرَ ، وَكَتَبَ عَلِيٌّ إِلَى تِكِينَ يَسْأَلُهُ الْكَفَّ عَنْ قَتْلِ غُلَامِهِ ، فَحَبَسَهُ. |
| ثُمَّ تَرَاسَلَ عَلِيٌّ ، وَتِكِينُ ، وَتَهَادَيَا ، فَبَلَغَ الْخَبَرُ مَسْرُورًا بِمَيْلِ تِكِينَ إِلَى الزَّنْجِ ، فَسَارَ حَتَّى وَافَى تِكِينَ ، وَقَبَضَ عَلَيْهِ ، وَحَبَسَهُ عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ جُعْلَانَ ، حَتَّى مَاتَ ، وَتَفَرَّقَ أَصْحَابُ تِكِينَ ، فَفِرْقَةٌ سَارَتْ إِلَى الزَّنْجِ ، وَفِرَقَةٌ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْكُرْدِيِّ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مَسْرُورًا فَأَمَّنَهُمْ ، فَجَاءَهُ مِنْهُمُ الْبَاقُونَ. |
| وَكَانَ بَعْضُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَمْرِ مَسْرُورٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ ، وَبَعْضُهُ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ. |
| ذِكْرُ عِصْيَانِ الْعَبَّاسِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ عَلَى أَبِيهِ وَفِيهَا عَصَى الْعَبَّاسُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ عَلَى أَبِيهِ ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَبَاهُ كَانَ قَدْ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ ، وَاسْتَخْلَفَ ابْنَهُ الْعَبَّاسَ ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، فَلَمَّا أَبْعَدَ عَنْ مِصْرَ حَسَّنَ لِلْعَبَّاسِ جَمَاعَةٌ كَانُوا عِنْدَهُ أَخْذَ الْأَمْوَالِ ، وَالِانْشِرَاحَ إِلَى بُرْقَةَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَأَتَى بُرْقَةَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ. |
| وَبَلَغَ الْخَبَرُ أَبَاهُ ، فَعَادَ إِلَى مِصْرَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِهِ وَلَاطَفَهُ ، وَاسْتَعْطَفَهُ ، فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ ، وَخَافَ مَنْ مَعَهُ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِقَصْدِ إِفْرِيقِيَّةَ ، فَسَارَ إِلَيْهَا ، وَكَاتَبَ وُجُوهَ الْبَرْبَرِ ، فَأَتَاهُ بَعْضُهُمْ ، وَامْتَنَعَ بَعْضُهُمْ ، وَكَتَبَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ يَقُولُ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ قَلَّدَنِي أَمْرَ إِفْرِيقِيَّةَ وَأَعْمَالَهَا; وَرَحَلَ ، حَتَّى أَتَى حِصْنَ لَبْدَةَ ، فَفَتَحَهُ أَهْلُهُ لَهُ ، فَعَامَلَهُمْ أَسْوَأَ مُعَامَلَةٍ ، وَنَهَبَهُمْ ، فَمَضَى أَهْلُ الْحِصْنِ إِلَى إِلْيَاسَ بْنِ مَنْصُورٍ النُّفُوسِيِّ ، رَئِيسِ الْإِبَاضِيَّةِ هُنَاكَ ، فَاسْتَعَانُوا بِهِ ، فَغَضِبَ لِذَلِكَ ، وَسَارَ إِلَى الْعَبَّاسِ لِيُقَاتِلَهُ. |
| وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَغْلَبِ قَدْ أَرْسَلَ إِلَى عَامِلِ طَرَابُلُسَ جَيْشًا ، وَأَمَرَهِ بِقِتَالِ الْعَبَّاسِ ، فَالْتَقَوْا ، وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا قَاتَلَ الْعَبَّاسُ فِيهِ بِيَدِهِ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ وَافَاهُمْ إِلْيَاسُ بْنُ مَنْصُورٍ الْإِبَاضِيُّ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الْإِبَاضِيَّةِ ، فَاجْتَمَعَ هُوَ وَعَامِلُ طَرَابُلْسَ عَلَى قِتَالِ الْعَبَّاسِ ، فَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَانْهَزَمَ أَقْبَحَ هَزِيمَةً ، وَكَادَ يُؤْسَرُ ، فَخَلَّصَهُ مَوْلًى لَهُ ، وَنَهَبُوا سَوَادَهُ وَأَكْثَرَ مَا حَمَلَهُ مِنْ مِصْرَ ، وَعَادَ إِلَى بُرْقَةَ أَقْبَحَ عَوْدٍ. |
| وَشَاعَ بِمِصْرَ أَنَّ الْعَبَّاسَ انْهَزَمَ ، فَاغْتَمَّ وَالِدُهُ حَتَّى ظَهَرَ عَلَيْهِ ، وَسَيَّرَ إِلَيْهِ الْعَسَاكِرَ لَمَّا عَلِمَ سَلَامَتَهُ ، فَقَاتَلُوا قِتَالًا صَبَرَ فِيهِ الْفَرِيقَانِ ، فَانْهَزَمَ الْعَبَّاسُ وَمَنْ مَعَهُ ، وَكَثُرَ الْقَتْلَى فِي أَصْحَابِهِ ، وَأُخِذَ الْعَبَّاسُ أَسِيرًا ، وَحَمَلَ إِلَى أَبِيهِ ، فَحَبَسَهُ فِي حُجْرَةٍ إِلَى دَارِهِ إِلَى أَنْ قَدِمَ بَاقِي الْأَسْرَى مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا قَدِمُوا أَحْضَرَهُمْ أَحْمَدُ عِنْدَهُ ، وَالْعَبَّاسُ مَعَهُمْ ، فَأَمَرَهُ أَبُوهُ أَنْ يَقْطَعَ أَيْدِيَ أَعْيَانِهِمْ وَأَرْجُلَهُمْ ، فَفَعَلَ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ وَبَّخَهُ أَبُوهُ وَذَمَّهُ وَقَالَ لَهُ هَكَذَا يَكُونُ الرَّئِيسُ وَالْمُقَدَّمُ ؟ |
| كَانَ الْأَحْسَنُ كُنْتَ أَلْقَيْتَ نَفْسَكَ بَيْنَ يَدَيَّ ، وَسَأَلْتَ الصَّفْحَ عَنْكَ وَعَنْهُمْ ، فَكَانَ أَعْلَى لِمَحَلِّكَ ، وَكُنْتَ قَضَيْتَ حُقُوقَهُمْ فِيمَا سَاعَدُوكَ وَفَارَقُوا أَوْطَانَهُمْ لِأَجْلِكَ. |
| ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَضُرِبَ مِائَةَ مَقْرَعَةٍ ، وَدُمُوعُهُ تَجْرِي عَلَى خَدَّيْهِ رِقَّةً لِوَلَدِهِ ، ثُمَّ رَدَّهُ إِلَى الْحُجْرَةِ وَاعْتَقَلَهُ ، وَذَلِكَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ. |
| ذِكْرُ مَوْتِ يَعْقُوبَ ، وَوِلَايَةِ أَخِيهِ عَمْرٍو وَفِيهَا مَاتَ يَعْقُوبُ بْنُ اللَّيْثِ الصَّفَّارُ تَاسِعَ شَوَّالٍ بِجُنْدَيْسَابُورَ مِنْ كُوَرِ الْأَهْوَازِ ، وَكَانَتْ عِلَّتُهُ الْقُولَنْجُ ، فَأَمَرَهُ الْأَطِبَّاءُ بِالِاحْتِقَانِ بِالدَّوَاءِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَاخْتَارَ الْمَوْتَ. |
| وَكَانَ الْمُعْتَمِدُ قَدْ أَنْفَذَ إِلَيْهِ رَسُولًا وَكِتَابًا يَسْتَمِيلُهُ وَيَتَرَضَّاهُ ، وَيُقَلِّدُهُ أَعْمَالَ فَارِسَ ، فَوَصَلَ الرَّسُولُ وَيَعْقُوبُ مَرِيضٌ ، فَجَلَسَ لَهُ ، وَجَعَلَ عِنْدَهُ سَيْفًا ، وَرَغِيفًا مِنَ الْخُبْزِ الْخُشْكَارِ ، وَمَعَهُ بَصَلٌ ، وَأَحْضَرَ الرَّسُولَ ، فَأَدَّى الرِّسَالَةَ ، فَقَالَ لَهُ قُلْ لِلْخَلِيفَةِ إِنَّنِي عَلِيلٌ ، فَإِنْ مُتُّ فَقَدِ اسْتَرَحْتُ مِنْكَ وَاسْتَرَحْتَ مِنِّي ، وَإِنْ عُوفِيتُ فَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ إِلَّا هَذَا السَّيْفُ ، حَتَّى آخُذَ بِثَأْرِي ، أَوْ تَكْسِرَنِي وَتَعْقِرَنِي ، وَأَعُودُ إِلَى هَذَا الْخُبْزِ وَالْبَصَلِ ، وَأَعَادَ الرَّسُولَ ، فَلَمْ يَلْبَثْ يَعْقُوبُ أَنْ مَاتَ. |
| وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ الْعَلَوِيُّ يُسَمِّي يَعْقُوبَ بْنَ اللَّيْثِ السِّنْدَانَ لِثَبَاتِهِ ، وَكَانَ يَعْقُوبُ قَدِ افْتَتَحَ الرُّخَّجَ ، وَقَتَلَ مَلِكَهَا ، أَسْلَمَ أَهْلُهَا عَلَى يَدِهِ ، كَانَتْ مَمْلَكَتُهُ وَاسِعَةَ الْحُدُودِ ، وَكَانَ اسْمُ مَلِكِهَا كَبْتِيرُ ، وَكَانَ يُحْمَلُ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ يَحْمِلُهُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا ، وَابْتَنَى عَلَى جَبَلٍ عَالٍ بَيْتًا ، وَسَمَّاهُ مَكَّةَ ، وَكَانَ يَدَّعِي الْإِلَهِيَّةَ ، فَقَتَلَهُ يَعْقُوبُ ، وَافْتَتَحَ الْخَلْجِيَّةَ ، وَزَابُلَ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ ، وَلَمْ أَعْلَمْ أَيَّ سَنَةٍ كَانَ ذَلِكَ حَتَّى أَذْكُرَهُ فِيهَا. |
| وَكَانَ يَعْقُوبُ عَاقِلًا ، حَازِمًا ، وَكَانَ يَقُولُ مَنْ عَاشَرْتَهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَلَمْ تَعْرِفْ أَخْلَاقَهُ ، فَلَا تَعْرِفْهَا سَنَةً ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ سِيرَتِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى عَقْلِهِ. |
| وَلَمَّا مَاتَ قَامَ بِالْأَمِيرِ بَعْدَهُ أَخُوهُ عَمْرُو بْنُ اللَّيْثِ ، وَكَتَبَ إِلَى الْخَلِيفَةِ بِطَاعَتِهِ ، فَوَلَّاهُ الْمُوَفَّقُ خُرَاسَانَ ، وَفَارِسَ ، وَأَصْبَهَانَ ، وَسِجِسْتَانَ ، وَالسِّنْدَ وَكَرْمَانَ ، وَالشُّرْطَةَ بِبَغْدَاذَ ، وَأَشْهَدَ بِذَلِكَ ، وَسَيَّرَهُ إِلَيْهِ مَعَ الْخَلْعِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَثَبَ الْقَاسِمُ بْنُ مَهَاةَ بِدُلَفَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي دُلَفَ بِأَصْبَهَانَ ، فَقَتَلَهُ ، وَوَثَبَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي دُلَفَ بِالْقَاسِمِ ، فَقَتَلُوهُ ، وَرَيَّسُوا عَلَيْهِمْ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ. |
| وَفِيهَا لَحِقَ مُحَمَّدُ الْمُوَلَّدُ بِيَعْقُوبَ بْنِ اللَّيْثِ ، فَأَكْرَمَهُ يَعْقُوبُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ بِقَبْضِ أَمْوَالِهِ وَعَقَارِهِ. |
| وَفِيهَا قَتَلَتِ الْأَعْرَابُ جُعْلَانَ الْمَعْرُوفَ بِالْعَيَّارِ ، بِدِمِمَّا ، وَكَانَ خَرَجَ يُسَيِّرُ قَافِلَةً فَقَتَلُوهُ فَوَجَّهَ فِي طَلَبِهِمْ ، فَلَمْ يُلْحَقُوا. |
| وَفِيهَا حَبَسَ الْمُوَفَّقُ سُلَيْمَانُ بْنُ وَهْبٍ ابْنَهُ عُبَيْدَ اللَّهِ ، وَعِدَّةً مِنْ أَصْحَابِهِمَا ، وَقَبَضَ أَمْوَالَهُمْ وَضِيَاعَهُمْ ، خَلَا أَحْمَدَ بْنَ سُلَيْمَانَ ، ثُمَّ صَالَحَ سُلَيْمَانَ وَابْنَهُ عُبَيْدَ اللَّهِ عَلَى تِسْعِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَجُعِلَا فِي مَوْضِعٍ يَصِلُ إِلَيْهِمَا مَنْ أَرَادُوا ، وَعَسْكَرَ مُوسَى بْنُ أَتَامِشَ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ كُنْدَاجِيقَ الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى بْنِ بُغَا ، وَعَبَرُوا جِسْرَ بَغْدَاذَ ، وَمَنْعَهُمُ الْمُوَفَّقُ ، فَلَمْ يَرْجِعُوا ، نَزَلُوا صَرْصَرَ ، فَاسْتَكْتَبَ أَبُو أَحْمَدَ الْمُوَفَّقُ صَاعِدَ بْنَ مَخْلَدٍ ، فَمَضَى إِلَى أُولَئِكَ الْقُوَّادِ ، فَرَدَّهُمْ مِنْ صَرْصَرَ فَخَلَعَ عَلَيْهِمْ . |
| وَفِيهَا خَرَجَ خَمْسَةُ بَطَارِقَةٍ مِنَ الرُّومِ إِلَى أَذَنَةَ فَقَتَلُوا ، وَأَسَرُوا ، وَكَانَ أَرْجُوزُ وَالِي الثُّغُورِ ، فَعُزِلَ عَنْهَا ، فَأَقَامَ مُرَابِطًا ، أَسَرُوا نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِمِائَةٍ ، وَقَتَلُوا نَحْوًا مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَذَلِكَ فِي جُمَادَى الْأُولَى. |
| وَفِيهَا غَلَبَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخُجُسْتَانِيُّ عَلَى نَيْسَابُورَ ، سَارَ الْحُسَيْنُ بْنُ طَاهِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى مَرْوَ ، وَهُوَ عَامِلُ أَخِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ. |
| وَأُخْرِبَتْ طُوسٌ. |
| وَفِيهَا اسْتُوْزِرَ أَبُو إِسْمَاعِيلَ بْنُ بُلْبُلٍ. |
| وَفِيهَا وَثَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَعْرَابِ ، مِنْ بَنِي أَسَدٍ ، عَلَى عَلِيِّ بْنِ مَسْرُورٍ الْبَلْخِيِّ قَبْلَ وُصُولِهِ إِلَى الْمُغِيثَةِ بِطَرِيقِ مَكَّةَ ، وَكَانَ الْمُوَفَّقُ وَلَّاهُ الطَّرِيقَ. |
| وَفِيهَا بَعَثَ مَلِكُ الرُّومِ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَشِيدِ بْنِ كَاوِسَ وَعِدَّةَ أَسْرَى ، وَأَنْفَذَ مَعَهُمْ عِدَّةَ مَصَاحِفَ مِنْهُ هَدِيَّةً إِلَيْةِ ، وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ مُوسَى بْنِ عِيسَى الْهَاشِمِيُّ. |
| وَفِيهَا كَانَتْ مُوَافَاةُ أَبِي الْمُغِيرَةِ عِيسَى بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُخْزُومِيِّ إِلَى مَكَّةَ لِصَاحِبِ الزَّنْجِ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ الرَّمَادِيُّ وَعُمْرُهُ ثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ هَانِي أَبُو إِسْحَاقَ النَّيْسَابُورِيُّ ، وَكَانَ مِنَ الْأَبْدَالِ قَدْ صَحِبَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ ، وَعَلِيَّ بْنَ حَرْبِ بْنِ مُحَمَّدِ الطَّائِيَّ الْمَوْصِلِيَّ وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ. |
| وَعَلِيُّ بْنُ مُوَفَّقٍ الزَّاهِدُ. |
| وَفِيهَا قُتِلَ أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَرَجِ الرِّيَاشِيُّ ، قَتَلَهُ الزَّنْجُ بِالْبَصْرَةِ ، أَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ وَالْأَصْمَعِيِّ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ أَخْبَارِ الزَّنْجِ مَعَ أَغْرَتْمِشَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلِيَ أَغْرَتَمْشُ مَا كَانَ يَتَوَلَّاهُ تِكِينُ الْبُخَارِيُّ مِنْ أَعْمَالِ الْأَهْوَازِ ، فَدَخَلَ تُسْتَرَ فِي رَمَضَانَ ، وَمَعَهُ أَنَا ، وَمَطَرُ بْنُ جَامِعٍ ، وَقَتَلَ مَطَرُ بْنُ جَامِعٍ جَعْفَرَوَيْهِ غُلَامَ عَلِيِّ بْنِ أَبَانٍ ، وَجَمَاعَةً مَعَهُ كَانُوا مَأْسُورِينَ ، وَسَارُوا إِلَى عَسْكَرِ مُكْرَمٍ ، وَأَتَاهُمُ الزَّنْجُ هُنَاكَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبَانٍ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَلَمَّا رَأَوْا كَثْرَةَ الزَّنْجِ قَطَعُوا الْجِسْرَ وَتَحَاجَزُوا ، وَرَجَعَ عَلِيٌّ إِلَى الْأَهْوَازِ ، وَأَقَامَ أَخُوهُ الْخَلِيلُ بِالْمَسْرُقَانِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الزَّنْجِ. |
| وَسَارَ أَغْرَتَمْشُ ، وَمَنْ مَعَهُ نَحْوَ الْخَلِيلِ إِلَيْهِ مِنْ قَنْطَرَةِ أَرْبَكَ ، فَكَتَبَ إِلَى أَخِيهِ عَلِيٍّ ، فَوَافَاهُ فِي النَّهْرِ ، وَأَخَافَ أَصْحَابَهُ الَّذِينَ خَلَّفَهُمْ بِالْأَهْوَازِ ، فَارْتَحَلُوا إِلَى نَهْرِ السِّدْرَةِ ، وَتَحَارَبَ عَلِيٌّ وَأَغْرَتَمْشُ يَوْمَهُمْ. |
| ثُمَّ انْصَرَفَ عَلِيٌّ إِلَى الْأَهْوَازِ ، فَلَمْ يَجِدْ أَصْحَابَهُ الَّذِينَ خَلَّفَهُمْ بِالْأَهْوَازِ ، فَوَجَّهَ مَنْ يَرُدَّهُمْ مِنْ نَهْرِ السِّدْرَةِ ، فَعَسُرَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ ، فَتَبِعَهُمْ ، وَأَقَامَ مَعَهُمْ ، وَرَجَعَ أَغْرَتَمْشُ فَنَزَلَ عَسْكَرَ مُكْرَمٍ ، وَاسْتَعَدَّ عَلِيٌّ لِقِتَالِهِمْ. |
| وَبَلَغَ ذَلِكَ أَغْرَتَمْشَ ، وَمَنْ مَعَهُ مِنْ عَسْكَرِ الْخَلِيفَةِ ، فَسَارُوا إِلَيْهِ ، فَكَمَنَ لَهُمْ عَلِيٌّ وَقَدِمَ الْخَلِيلُ إِلَى قِتَالِهِمْ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَكَانَ أَوَّلُ النَّهَارِ لِأَصْحَابِ الْخَلِيفَةِ ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِمُ الْكَمِينُ ، فَانْهَزَمُوا وَأُسِرَ مَطَرُ بْنُ جَامِعٍ ، وَعِدَّةٌ مِنَ الْقُوَّادِ ، فَقَتَلَهُ عَلِيٌّ بِغُلَامِهِ جَعْفَرَوَيْهِ ، وَعَادَ إِلَى الْأَهْوَازِ ، وَأَرْسَلَ رُءُوسَ الْقَتْلَى إِلَى الْخَبِيثِ الْعَلَوِيِّ. |
| وَكَانَ عَلِيٌّ ، وَأَغَرَتَمْشُ بَعْدُ فِي حُرُوبِهِمْ عَلَى السَّوَاءِ ، وَصَرَفَ صَاحِبُ الزَّنْجِ أَكَثْرَ جُنُودِهِ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبَانٍ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَغْرَتَمْشُ وَادَعَهُ ، وَجَعَلَ عَلِيٌّ يُغِيرُ عَلَى النَّوَاحِي ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ أَغَارَ عَلَى قَرْيَةِ بَيْرُوذَ فَنَهَبَهَا ، وَوَجَّهَ الْغَنَائِمَ إِلَى صَاحِبِهِ. |
| ذِكْرُ دُخُولِ الزَّنْجِ رَامَهُرْمُزَ وَفِيهَا دَخَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ ، وَالزَّنْجُ رَامَهُرْمُزَ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ كَانَ يَخَافُ عَلِيَّ بْنَ أَبَانٍ لِمَا فِي نَفْسِ عَلِيٍّ مِنْهُ ، لِمَا ذَكَرْنَاهُ ، فَكَتَبَ إِلَى أَنْكِلَايَ ابْنِ الْعَلَوِيِّ وَسَأَلَهُ أَنْ يَسْأَلَ أَبَاهُ لِيَرْفَعَ يَدَ عَلِيٍّ عَنْهُ وَيَضُمَّهُ إِلَى نَفْسِهِ ، فَزَادَ ذَلِكَ غَيْظَ عَلِيٍّ مِنْهُ ، كَتَبَ إِلَى الْخَبِيثِ بِالْإِيقَاعِ بِمُحَمَّدٍ ، وَيَجْعَلُ ذَلِكَ الطَّرِيقَ إِلَى مُطَالَبَةٍ بِالْخَرَاجِ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَكَتَبَ إِلَى مُحَمَّدٍ يَطْلُبُ مِنْهُ حَمْلَ الْخَرَاجِ ، فَمَطَلَهُ ، وَدَافَعَهُ ، فَسَارَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ وَهُوَ بِرَامَهُرْمُزَ ، فَهَرَبَ مُحَمَّدٌ عَنْهَا ، وَدَخَلَهَا عَلِيٌّ وَالزَّنْجُ فَاسْتَبَاحَهَا ، وَلَحِقَ مُحَمَّدٌ بِأَقْصَى مَعَاقِلِهِ ، وَانْصَرَفَ عَلِيٌّ غَانِمًا. |
| وَخَافَ مُحَمَّدٌ فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَطْلُبُ الْمُسَالَمَةَ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ عَلَى مَالٍ يُؤَدِّيهِ إِلَيْهِ ، فَحَمَلَ إِلَيْهِ مِائَتَيْ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَأَنْفَذَهَا إِلَى صَاحِبِ الزَّنْجِ ، وَأَمْسَكَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَأَعْمَالِهِ. |
| وَفِيهَا كَانَتْ وَقْعَةٌ لِلزَّنْجِ انْهَزَمُوا فِيهَا ، وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ كَتَبَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبَانٍ ، بَعْدَ الصُّلْحِ ، يَسْأَلُهُ الْمَعُونَةَ عَلَى الْأَكْرَادِ الدَّارِنَانِ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ غَنَائِمَهُمْ ، فَكَتَبَ عَلِيٌّ إِلَى صَاحِبِهِ يَسْتَأْذِنُهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ وَجِّهْ إِلَيْهِ جَيْشًا ، وَأَقِمْ أَنْتَ ، لَا تُنْفِذْ أَحَدًا حَتَّى تَسْتَوْثِقَ مِنْهُ بِالرَّهَائِنِ ، وَلَا يَأْمَنَ غَزْوَهُ وَالطَّلَبَ بِثَأْرِهِ. |
| فَكَتَبَ عَلِيٌّ إِلَى مُحَمَّدٍ يَطْلُبُ مِنْهُ الْيَمِينَ وَالرَّهَائِنَ ، فَبَذَلَ لَهُ الْيَمِينَ ، وَمَطَلَهُ بِالرَّهَائِنِ ، فَلِحِرْصِ عَلِيٍّ عَلَى الْغَنَائِمِ أَنْفَذَ إِلَيْهِ جَيْشًا ، فَسَيَّرَ مُحَمَّدٌ مَعَهُمْ طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى الْأَكْرَادِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الْأَكْرَادُ فَقَاتَلُوهُمْ ، وَنَشِبَتِ الْحَرْبُ ، فَتَخَلَّى أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ عَنِ الزَّنْجِ ، فَانْهَزَمُوا وَقَتَلَتِ الْأَكْرَادُ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا. |
| وَكَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ أَعَدَّ لَهُمْ مَنْ يَتَعَرَّضُهُمْ إِذَا انْهَزَمُوا ، فَصَادَفُوهُمْ ، وَأَوْقَعُوا بِهِمْ ، وَسَلَبُوهُمْ ، وَأَخَذُوا دَوَابَّهُمْ ، وَرَجَعُوا بِأَسْوَإِ حَالٍ ، فَكَتَبَ عَلِيٌّ إِلَى الْخَبِيثِ بِذَلِكَ فَعَنَّفَهُ ، وَقَالَ ضَيَّعْتَ أَمْرِي فِي تَرْكِ الرَّهَائِنِ ، وَكَتَبَ إِلَى مُحَمَّدٍ يَتَهَدَّدُهُ ، فَخَافَ مُحَمَّدٌ وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَخْضَعُ وَيَذِلُّ ، وَرَدَّ بَعْضَ الدَّوَابِّ وَقَالَ إِنَّنِي كَبَسْتُ مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُمْ ، وَخَلَّصْتُ هَذِهِ مِنْهُمْ. |
| فَأَظْهَرَ الْخَبِيثُ الْغَضَبَ عَلَيْهِ ، فَأَرْسَلَ مُحَمَّدٌ إِلَيْهِ بَهْبُودَ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى الْكَرْمَانِيَّ ، وَكَانَا أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَى عَلِيٍّ ، فَضَمِنَ لَهُمَا مَالًا إِنْ أَصْلَحَا لَهُ عَلِيًّا وَصَاحِبَهُ ، فَفَعَلَا ذَلِكَ ، فَأَجَابَهُمَا الْخَبِيثُ إِلَى الرِّضَا عَنْ مُحَمَّدٍ عَلَى أَنْ يَخْطُبَ لَهُ عَلَى مَنَابِرِ بِلَادِهِ ، وَأَعْلَمَا مُحَمَّدًا ذَلِكَ ، فَأَجَابَهُمَا إِلَى كُلِّ مَا طَلَبَا ، وَجَعَلَ يُرَاوِغُ فِي الدُّعَاءِ لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ. |
| ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا اسْتَعَدَّ لِمَتُّوثَ ، وَسَارَ إِلَيْهَا ، فَلَمْ يَظْفَرْ بِهَا ، فَرَجَعَ ، وَعَمِلَ السَّلَالِيمَ ، الْآلَاتِ الَّتِي يَصْعَدُ بِهَا إِلَى السُّورِ ، وَاسْتَعَدَّ لِقَصْدِهَا ، فَعَرَفَ ذَلِكَ مَنْصُورٌ الْبَلْخِيُّ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ بُكُوَرِ الْأَهْوَازِ ، فَلَمَّا سَارَ عَلِيٌّ إِلَيْهَا سَارَ إِلَيْهِ مَسْرُورٌ ، فَوَافَاهُ قَبْلَ الْمَغْرِبِ وَهُوَ نَازِلٌ عَلَيْهَا ، فَلَمَّا عَايَنَ الزَّنْجُ أَوَائِلَ خَيْلِ مَسْرُورٍ انْهَزَمُوا أَقْبَحَ هَزِيمَةٍ ، وَتَرَكُوا جَمِيعَ مَا كَانُوا أَعَدُّوهُ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَانْصَرَفَ عَلِيٌّ مَهْزُومًا ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى أَتَتْهُ الْأَخْبَارُ بِإِقْبَالِ الْمُوَفَّقِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَعَلِيٍّ بَعْدَ مَتُّوثَ وَقْعَةٌ ، حَتَّى فُتِحَتْ سُوقُ الْخَمِيسِ وَطَهْثَا عَلَى الْمُوَفَّقِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ صَاحِبُهُ يَأْمُرُهُ بِالْعَوْدِ إِلَيْهِ ، وَيَسْتَحِثُّهُ حَثًّا شَدِيدًا. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلَّى عَمْرُو بْنُ اللَّيْثِ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ خِلَافَتَهُ عَلَى الشُّرْطَةِ بِبَغْدَاذَ وَسُرُّ مَنْ رَأَى فِي صَفَرٍ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ الْمُوَفَّقُ ، وَعَمْرُو بْنُ اللَّيْثِ. |
| وَفِيهَا ، فِي صَفَرٍ ، غَلَبَ أَسَاتِكِينُ عَلَى الشُّرْطَةِ وَهِيَ الْآنُ مِنْ أَعْمَالِ سِجِسْتَانَ وَعَلَى الرَّيِّ ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا خَطَلَنْخَجُورَ الْعَامِلَ عَلَيْهَا ، ثُمَّ مَضَى إِلَى قَزْوِينَ وَعَلَيْهَا أَخُو كَيْغَلَغَ ، فَصَالَحَهُ ، وَدَخَلَ أَسَاتِكِينُ قَزْوِينَ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرَّيِّ. |
| وَفِيهَا وَرَدَتْ سَرِيَّةٌ مِنْ سَرَايَا الرُّومِ إِلَى تَلِّ يَسْهَى ، مِنْ دِيَارِ رَبِيعَةَ فَأَسَرَتْ نَحْوًا مِنْ مِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ إِنْسَانًا ، وَمَثَّلَتْ بِالْمُسْلِمِينَ ، فَنَفَرَ إِلَيْهِمْ أَهْلُ الْمَوْصِلِ وَنَصِيبِينَ ، فَرَجَعَتِ الرُّومُ. |
| وَفِيهَا مَاتَ أَبُو السَّاجِ بِجَنْدَيْسَابُورَ ، مُنْصَرِفًا مِنْ عَسْكَرِ عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَمَاتَ قَبْلَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ. |
| وَوَلَّى عَمْرُو بْنُ اللَّيْثِ فِيهَا أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي دُلَفَ أَصْبَهَانَ. |
| وَوَلَّى مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي السَّاجِ طَرِيقَ مَكَّةَ وَالْحَرَمَيْنِ. |
| وَفِيهَا فَارَقَ إِسْحَاقُ بْنُ كَنْدَاجَ أَحْمَدَ بْنَ مُوسَى بْنِ بُغَا ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَحْمَدَ لَمَّا سَارَ إِلَى الْجَزِيرَةِ ، وَوَلِيَ مُوسَى بْنُ أَتَامِشَ دِيَارَ رَبِيعَةَ ، أَنْكَرَ ذَلِكَ إِسْحَاقُ بْنُ كَنْدَاجَ ، وَفَارَقَ عَسْكَرَهُ ، وَسَارَ إِلَى بَلَدٍ ، فَأَوْقَعَ بِالْأَكْرَادِ الْيَعْقُوبِيَّةِ فَهَزَمَهُمْ ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ، ثُمَّ لَقِيَ ابْنَ مُسَاوِرٍ الْخَارِجِيَّ فَقَتَلَهُ ، وَسَارَ إِلَى الْمَوْصِلِ فَقَاطَعَ أَهْلَهَا عَلَى مَالٍ قَدْ أَعَدُّوهُ. |
| وَكَانَ قَائِدٌ كَبِيرٌ بِمَعْلَثَايَا ، وَاسْمُهُ عَلِيُّ بْنُ دَاوُدَ ، وَهُوَ الْمُخَاطِبُ لَهُ عَنْ أَهْلِ الْمَوْصِلِ ، وَالْمَدَافِعُ ، فَسَارَ ابْنُ كَنْدَاجَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ الْخَبَرُ فَارَقَ مَعْلَثَايَا ، وَعَبَرَ دِجْلَةَ ، وَمَعَهُ حَمْدَانُ بْنُ حَمْدُونَ ، إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ أَحْمَدَ التَّغْلِبِيِّ الْعَدَوِيِّ ، فَاجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ فَبَلَغَتْ عِدَّتُهُمْ نَحْوَ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا ، وَسَمِعَ ابْنُ كَنْدَاجَ بِاجْتِمَاعِهِمْ ، فَعَبَرَ إِلَى بَلَدَ ، وَعَبَرَ دِجْلَةَ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، وَسَارَ إِلَى نَهْرِ أَيُّوبَ ، فَالْتَقَوْا بِكَرَاثَا ، وَهِيَ الَّتِي تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِتَلِّ مُوسَى ، وَتَصَافُّوا لِلْحَرْبِ ، فَأَرْسَلَ مُقَدَّمُ مَيْسَرَةِ ابْنِ أَيُّوبَ إِلَى ابْنِ كَنْدَاجَ يَقُولُ لَهُ إِنَّنِي فِي الْمَيْسَرَةِ ، فَاحْمِلْ عَلَيَّ لِأَنْهَزِمَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، فَانْهَزَمَتِ مَيْسَرَةُ ابْنِ أَيُّوبَ ، وَتَبِعَهَا الْبَاقُونَ ، فَسَارَ حَمْدَانُ بْنُ حَمْدُونَ ، وَعَلِيُّ بْنُ دَاوُدَ إِلَى نَيْسَابُورَ ، وَأَخَذَ ابْنُ أَيُّوبَ نَحْوَ نَصِيبِينَ ، فَاتَّبَعَهُ ابْنُ كَنْدَاجَ ، فَسَارَ ابْنُ أَيُّوبَ عَنْ نَصِيبِينَ إِلَى آمِدَ ، وَاسْتَوْلَى ابْنُ كَنْدَاجَ عَلَى نَصِيبِينَ وَدِيَارِ رَبِيعَةَ ، وَاسْتَجَارَ ابْنُ أَيُّوبَ بِعِيسَى بْنِ الشَّيْخِ الشَّيْبَانِيِّ ، وَهُوَ بِآمِدَ ، فَأَنْجَدَهُ ، وَطَلَبَ النَّجْدَةَ مِنْ أَبِي الْمُعِزِّ بْنِ مُوسَى بْنِ زُرَارَةَ ، وَهُوَ بِأَرْزَنَ ، فَأَنْجَدَهُ أَيْضًا ، وَعَادَ ابْنُ كَنْدَاجَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَوَصَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْخَلِيفَةِ الْمُعْتَمِدِ عَهْدٌ بِوِلَايَةِ الْمَوْصِلِ ، فَعَادَ إِلَيْهَا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ابْنُ الشَّيْخِ ، وَابْنُ زُرَارَةَ ، وَغَيْرُهُمَا بَذَلُوا لَهُ مِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ لِيُقِرَّهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ ، فَلَمْ يُجِبْهُمْ ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى حَرْبِهِ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَجَابَهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا وَعَادَ عَنْهُمْ وَقَصَدُوا بِلَادَهُمْ. |
| وَفِيهَا أَمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِإِنْشَاءِ مَرَاكِبَ بِنَهْرِ قُرْطُبَةَ ، وَحَمَلَهَا إِلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ ، وَكَانَ سَبَبُ عَمَلِهَا أَنَّهُ قِيلَ لَهُ جُلَيْقِيَةُ لَيْسَ لَهَا مَانِعٌ مِنْ جِهَةِ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ ، وَإِنَّ مُلْكَهَا مِنْ هُنَاكَ سَهْلٌ ، فَأَمَرَ بِعَمَلِ الْمَرَاكِبِ ، فَلَمَّا فَرَغَتْ ، وَكَمُلَتْ بِرِجَالِهَا وَعُدَّتِهَا ، سَيَّرَهُا إِلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ ، فَلَمَّا دَخَلَتْهُ الْمَرَاكِبُ تَقَطَّعَتْ ، وَلَمْ يَجْتَمِعْ مِنْهَا مَرْكَبَانِ ، وَلَمْ يَرْجِعْ مِنْهَا إِلَّا الْيَسِيرُ. |
| وَفِيهَا الْتَقَى أُسْطُولُ الْمُسْلِمِينَ ، وَأُسْطُولُ الرُّومِ عِنْدَ صِقِلِّيَّةَ ، فَجَرَى بَيْنَهُمْ قِتَالٌ شَدِيدٌ ، فَظَفِرَ الرُّومُ بِالْمُسْلِمِينَ ، وَأَخَذُوا مَرْكَبَهُمْ ، وَانْهَزَمَ مَنْ سَلِمَ مِنْهُمْ إِلَى مَدِينَةِ بَلَرْمَ بِصِقِلِّيَّةَ. |
| وَفِيهَا كَانَ بِإِفْرِيقِيَّةَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ وَقَحْطٌ عَظِيمٌ ، كَادَتِ الْأَقْوَاتُ تُعْدَمُ . |
| وَفِيهَا قَتَلَ أَهْلُ حِمْصَ عَامِلَهُمْ عِيسَى الْكَرْخِيَّ. |
| وَفِيهَا أَسْرَى لُؤْلُؤٌ غُلَامُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ مِنْ رَابِيَةِ بَنِي تَمِيمٍ إِلَى مُوسَى بْنِ أَتَامِشَ ، وَهُوَ بِرَأْسِ عَيْنٍ ، فَأَخَذَهُ سَيْرًا ، وَسَيَّرَهُ إِلَى الرَّقَّةِ ، ثُمَّ لَقِيَ لُؤْلُؤٌ أَحْمَدَ بْنَ مُوسَى بْنَ أَتَامِشَ بْنِ مُوسَى بْنِ أَتَامِشَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ ، فَانْهَزَمَ لُؤْلُؤٌ ، وَرَجَعَ الْأَعْرَابُ إِلَى عَسْكَرِ أَحْمَدَ لِيَنْهَبُوهُ ، فَعَطَفَ عَلَيْهِمْ لُؤْلُؤٌ وَأَصْحَابُهُ ، فَانْهَزَمُوا ، فَبَلَغَتْ هَزِيمَتُهُمْ قَرْقِيسِيَا ، ثُمَّ سَارُوا إِلَى بَغْدَاذَ وَسَامَرَّا. |
| وَقَدْ ذَكَرْتُ فِيمَا تَقَدَّمَ أَنَّ الَّذِي أَسَرَ مُوسَى غَيْرُ لُؤْلُؤٍ عَلَى مَا ذَكَرَهُ مُؤَرِّخُو مِصْرَ. |
| وَفِيهَا كَانَتْ بَيْنَ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَبَكْتِمُرَ وَقْعَةٌ ، فَانْهَزَمَ بَكْتِمُرُ ، وَسَارَ إِلَى بَغْدَاذَ. |
| وَفِيهَا أَوْقَعَ الْخُجُسْتَانِيُّ بِالْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ بِجُرْجَانَ ، وَهُوَ غَارٌّ ، فَلَحِقَ بِآمُلَ ، وَغَلَبَ الْخُجُسْتَانِيُّ عَلَى جُرْجَانَ وَأَطْرَافِ طَبَرِسْتَانَ ، فَكَانَ الْحَسَنُ لَمَّا سَارَ عَنْ طَبَرِسْتَانَ إِلَى جُرْجَانَ اسْتَخْلَفَ بِسَارِيَةَ الْحَسَنَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُسَيْنٍ الْأَصْغَرَ الْعَقِيقِيَّ ، فَلَمَّا انْهَزَمَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ أَظْهَرَ الْعَقِيقَيُّ بِسَارِيَةَ أَنَّهُ قُتِلَ ، وَدَعَا إِلَى الْبَيْعَةِ لِنَفْسِهِ ، فَبَايَعَهُ قَوْمٌ ، وَوَافَاهُ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ ، فَحَارَبَهُ ، ثُمَّ ظَفِرَ بِهِ فَقَتَلَهُ. |
| وَفِيهَا كَانَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَ الْخُجُسْتَانِيِّ ، وَعَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ انْهَزَمَ فِيهَا عَمْرٌو ، وَدَخَلَ الْخُجُسْتَانِيُّ نَيْسَابُورَ ، أَخْرَجَ مِنْهَا عَامِلَ عَمْرٍو ، وَمَنْ كَانَ يَمِيلُ إِلَيْهِ. |
| وَفِيهَا كَانَتْ فِتْنَةٌ بِالْمَدِينَةِ وَنَوَاحِيهَا بَيْنَ الْعَلَوِيِّينَ وَالْجَعْفَرِيَّةِ . |
| وَفِيهَا وَثَبَ الْأَعْرَابُ عَلَى كُسْوَةِ الْكَعْبَةِ فَانْتَهَبُوهَا ، وَصَارَ بَعْضُهَا إِلَى صَاحِبِ الزَّنْجِ ، وَأَصَابَ الْحُجَّاجَ فِيهَا شِدَّةٌ شَدِيدَةٌ. |
| وَفِيهَا خَرَجَتِ الرُّومُ عَلَى دِيَارِ الرُّومِ عَلَى دِيَارِ رَبِيعَةَ ، فَاسْتَنْفَرَ النَّاسَ ، فَنَفَرُوا فِي بَرْدٍ شَدِيدٍ لَا يُمْكِنُ فِيهِ دُخُولُ الدَّرْبِ. |
| وَفِيهَا غَزَا سِيمَا خَلِيفَةُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ عَلَى الثُّغُورِ الشَّامِيَّةِ فِي ثَلَاثِمِائَةِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ طَرَسُوسَ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ نَحْوٌ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ مِنْ بِلَادِ هَرْقَلَةَ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَقَتَلَ الْمُسْلِمُونَ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الْعَدُوِّ ، أُصِيبَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَمَاعَةٌ. |
| وَفِيهَا كَانَتْ بِمَدِينَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَرْبٌ بَيْنَ الْعَلَوِيِّينَ وَالْجَعْفَرِيِّينَ ، وَغَلَا السِّعْرُ بِهَا حَتَّى تَعَذَّرَتِ الْأَقْوَاتُ ، وَعَمَّ الْغَلَاءُ سَائِرَ الْبِلَادِ مِنَ الْحِجَازِ ، وَالْعِرَاقِ ، وَالْمَوْصِلِ ، وَالْجَزِيرَةِ ، وَالشَّامِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَبْلُغِ الشِّدَّةَ الَّتِي بِالْمَدِينَةِ. |
| وَفِيهَا كَانَ النَّاسُ فِي الْبِلَادِ الَّتِي تَحْتَ حُكْمِ الْخَلِيفَةِ جَمِيعِهَا فِي شِدَّةٍ عَظِيمَةٍ بِتَغَلُّبِ الْقُوَّادِ وَأُمَرَاءِ الْأَجْنَادِ عَلَى الْأَمْرِ ، وَقِلَّةِ الْمُرَاقَبَةِ وَالْأَمْنِ مِنْ إِنْكَارِ مَا يَأْتُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ ، لِاشْتِغَالِ الْمُوَفَّقِ بِقِتَالِ صَاحِبِ الزَّنْجِ ، وَلِعَجْزِ الْخَلِيفَةِ الْمُعْتَمِدِ ، وَاشْتِغَالِهِ بِغَيْرِ ذَلِكَ. |
| وَفِيهَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فِي تِشْرِينَ الثَّانِي ، ثُمَّ اشْتَدَّ فِيهِ الْبَرْدُ حَتَّى جَمُدَ الْمَاءُ. |
| وَفِيهَا قَدِمَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي السَّاجِ مَكَّةَ ، فَحَارَبَهُ الْمَخْزُومِيُّ ، فَهَزَمَهُ مُحَمَّدٌ ، وَاسْتَبَاحَ مَالَهُ ، وَذَلِكَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ. |
| وَفِيهَا سَارَ كَيْغَلَغُ إِلَى الْجَبَلِ وَبَكْتِمُرُ رَاجِعًا إِلَى الدِّينَوَرِ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ مُوسَى الْهَاشِمِيُّ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ شُجَاعٍ أَبُو بَكْرٍ الثَّلْجِيُّ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْحَسَنِ بْنِ زِيَادٍ اللُّؤْلُئِيِّ صَاحِبِ أَبِي حَنِيفَةَ. |
| الثَّلْجِيُّ بِالثَّاءِ الْمُعْجَمَةِ بِثَلَاثٍ وَالْجِيمِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ أَخْبَارِ الزَّنْجِ وَفِيهَا غَلَبَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْمُوَفَّقِ عَلَى عَامَّةِ مَا كَانَ بِيَدِ سُلَيْمَانَ بْنِ جَامِعٍ ، وَالزَّنْجِ مِنْ أَعْمَالِ دِجْلَةَ ، وَأَبُو الْعَبَّاسِ هَذَا هُوَ الَّذِي صَارَ خَلِيفَةً بَعْدَ الْمُعْتَمِدِ ، فَلُقِّبَ الْمُعْتَضِدَ بِاللَّهِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ مَسِيرِهِ أَنَّ الزَّنْجَ لَمَّا دَخَلُوا وَاسِطَ ، وَعَمِلُوا بِأَهْلِهَا مَا ذَكَرْنَا ، بَلَغَ ذَلِكَ الْمُوَفَّقَ ، فَأَمَرَهُ ابْنُهُ بِتَعْجِيلِ الْمَسِيرِ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَيْهِمْ ، فَسَارَ فِي رَبِيعٍ الْآخَرِ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَشَيَّعَهُ أَبُوهُ ، وَسَيَّرَ مَعَهُ عَشَرَةَ آلَافٍ مِنَ الرَّجَّالَةِ وَالْخَيَّالَةِ فِي الْعُدَّةِ الْكَامِلَةِ ، أَخَذَ مَعَهُ الشَّذَوَاتِ ، وَالسُّمَيْرِيَّاتِ ، وَالْمَعَابِرَ لِلرَّجَّالَةِ ، فَسَارَ حَتَّى وَافَى دَيْرَ الْعَاقُولِ. |
| وَكَانَ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ فِي الشَّذَوَاتِ نُصَيْرٌ ، الْمَعْرُوفُ بِأَبِي حَمْزَةَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ نُصَيْرٌ يُخْبِرُهُ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ جَامِعٍ قَدْ وَافَى بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ فِي شَذَوَاتٍ وَسُمَيْرِيَّاتٍ ، وَالْجُبَّائِيُّ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ ، حَتَّى نَزَلَ الْجَزِيرَةَ بِحَضْرَةِ بَرْدَرُويَا ، وَأَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ مُوسَى الشَّعْرَانِيَّ قَدْ وَافَى مَعْرَابَانَ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ فِي سُمَيْرِيَّاتٍ ، فَرَكِبَ أَبُو الْعَبَّاسِ حَتَّى وَافَى الصِّلْحَ ، وَوَجَّهَ طَلَائِعَهُ لِيَعْرِفَ أَخْبَارَهُمْ ، فَعَادُوا وَأَعْلَمُوهُ بِمُوَافَاةِ الزَّنْجِ وَجَيْشِهِمْ ، وَأَنَّ أَوَّلَهُمْ بِالصِّلْحِ ، وَآخِرَهُمْ بِبُسْتَانِ مُوسَى بْنِ بُغَا ، أَسْفَلَ وَاسِطَ. |
| وَكَانَ سَبَبُ جَمْعِ الزَّنْجِ وَحَشْدِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ فَتًى حَدَثٌ ، غِرٌّ بِالْحَرْبِ ، وَالرَّأْيُ لَنَا أَنْ نَرْمِيَهُ بِحَدِّنَا كُلِّهِ ، وَنَجْبَهَهُ فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ نَلْقَاهُ فِي إِزَالَتِهِ ، فَلَعَلَّ ذَلِكَ يَرُوعُهُ فَيَنْصَرِفُ عَنَّا ، فَجَمَعُوا ، وَحَشَدُوا ، فَلَمَّا عَلِمَ أَبُو الْعَبَّاسِ قُرْبَهُمْ عَدَلَ عَنْ سُنَنِ الطَّرِيقِ ، اعْتَرَضَ فِي مَسِيرِهِ ، وَلَقِيَ أَصْحَابُهُ أَوَائِلَ الزَّنْجِ ، فَتَطَارَدُوا لَهُمْ ، حَتَّى طَمِعُوا فِيهِمْ ، وَاغْتَرُّوا وَاتَّبَعُوهُمْ ، وَجَعَلُوا يَقُولُونَ اطْلُبُوا أَمِيرًا لِلْحَرْبِ ، فَإِنَّ أَمِيرَكُمْ قَدِ اشْتَغَلَ بِالصَّيْدِ. |
| فَلَمَّا قَرُبُوا مِنْهُ خَرَجَ عَلَيْهِمْ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ الْخَيْلِ وَالرَّجْلِ ، وَصَاحَ بِنُصَيْرٍ إِلَى أَيْنَ تَتَأَخَّرُ عَنْ هَذِهِ الْأَكْلُبِ! |
| فَرَجَعَ نُصَيْرٌ ، وَرَكِبَ أَبُو الْعَبَّاسِ سُمَيْرِيَّةً وَحَفَّ بِهِ أَصْحَابُهُ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ ، فَانْهَزَمَتِ الزَّنْجُ ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ فِيهِمْ ، وَتَبِعُوهُمْ إِلَى أَنْ وَصَلُوا قَرْيَةَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَهِيَ سِتَّةُ فَرَاسِخَ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي لَقُوهُمْ بِهِ ، وَأَخَذُوا مِنْهُمْ خَمْسَ شَذَوَاتٍ ، وَعِدَّةَ سُمَيْرِيَّاتٍ ، وَأُسِرَ جَمَاعَةٌ ، وَاسْتَأْمَنَ جَمَاعَةٌ ، فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ الْفَتْحِ ، فَسَارَ سُلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ إِلَى نَهْرِ الْأَمِيرِ ، وَسَارَ سُلَيْمَانُ بْنُ مُوسَى الشَّعْرَانِيُّ إِلَى سُوقِ الْخَمِيسِ ، وَانْحَدَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ فَأَقَامَ بِالْعُمْرِ وَهُوَ عَلَى فَرْسَخٍ مِنْ وَاسِطَ ، وَأَصْلَحَ شَذَوَاتِهِ ، وَجَعَلَ يُرَاوِحُ الْقَوْمَ الْقِتَالَ وَيُغَادِيهِمْ. |
| ثُمَّ إِنَّ سُلَيْمَانَ اسْتَعَدَّ وَحَشَدَ ، وَجَعَلَ أَصْحَابَهُ فِي ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ ، وَقَالُوا إِنَّهُ حَدَثٌ ، غِرٌّ يُغَرِّرُ بِنَفْسِهِ ، وَكَمَّنُوا كُمَنَاءَ ، فَبَلَغَ الْخَبَرُ أَبَا الْعَبَّاسِ ، فَحَذِرُوا وَأَقْبَلُوا وَقَدْ كَمَّنُوا الْكُمَنَاءَ لِيَغْتَرَّ بِاتِّبَاعِهِمْ فَيَخْرُجَ الْكَمِينُ عَلَيْهِ ، فَمَنَعَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَصْحَابَهُ أَنْ يَتَّبِعُوهُمْ ، فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّ كَيْدَهُمْ لَمْ يَتِمَّ خَرَجَ سُلَيْمَانُ فِي الشَّذَوَاتِ وَالسُّمَيْرِيَّاتِ ، فَأَمَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ نُصَيْرًا أَنْ يَبْرُزَ إِلَيْهِمْ ، وَرَكِبَ هُوَ شَذَاةً مِنْ شَذَوَاتِهِ سَمَّاهَا الْغَزَالَ ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ خَاصَّتِهِ ، وَأَمَرَ الْخَيَّالَةَ بِالْمَسِيرِ بِإِزَائِهِ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ إِلَى أَنْ يَنْقَطِعَ ، فَعَبَّرُوا دَوَابَّهُمْ ، وَنَشِبَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، فَوَقَعَتِ الْهَزِيمَةُ عَلَى الزَّنْجِ ، وَغَنِمَ أَبُو الْعَبَّاسِ مِنْهُمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ شَذَاةً ، وَأَفْلَتَ سُلَيْمَانُ وَالْجُبَّائِيُّ بَعْدَ أَنْ أَشْفَيَا عَلَى الْهَلَاكِ ، وَبَلَغُوا طَهْثَا ، وَأَسْلَمُوا مَا كَانَ مَعَهُمْ. |
| وَرَجَعَ أَبُو الْعَبَّاسِ إِلَى مُعَسْكَرِهِ ، وَأَمَرَ بِإِصْلَاحِ مَا أُخِذَ مِنْهُمْ مِنَ الشَّذَوَاتِ وَالسُّمَيْرِيَّاتِ ، وَأَقَامَ الزَّنْجُ عِشْرِينَ يَوْمًا لَا يَظْهَرُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَجَعَلُوا عَلَى طَرِيقِ الْخَيْلِ آبَارًا ، وَجَعَلُوا فِيهَا سَفَافِيدَ حَدِيدَ ، وَجَعَلُوا عَلَى رُءُوسِهَا الْبَوَارِيَ وَالتُّرَابَ لِيَسْقُطَ فِيهَا الْمُجْتَازُونَ ، فَاتَّفَقَ أَنَّهُ سَقَطَ فِيهَا رَجُلٌ مِنَ الْفَرَاغِنَةِ ، فَفَطِنُوا لَهَا ، وَتَرَكُوا ذَلِكَ الطَّرِيقَ. |
| وَاسْتَمَدَّ سُلَيْمَانُ صَاحِبَ الزَّنْجِ ، فَأَمَدَّهُ بِأَرْبَعِينَ سُمَيْرِيَّةٍ بِآلَاتِهَا وَمُقَاتِلَتِهَا ، فَعَادُوا لِلتَّعَرُّضِ لِلْحَرْبِ ، فَلَمْ يَكُونُوا يَثْبُتُوا لِأَبِي الْعَبَّاسِ; ثُمَّ سَيَّرَ إِلَيْهِمْ عِدَّةَ سُمَيْرِيَّاتٍ ، فَأَخَذَهَا الزَّنْجُ ، فَبَلَغَهُ الْخَبَرُ وَهُوَ يَتَغَدَّى ، فَرَكِبَ فِي سُمَيْرِيَّةٍ ، وَلَمْ يَنْتَظِرْ أَصْحَابَهُ ، وَتَبِعَهُ مِنْهُمْ مَنْ خَفَّ ، فَأَدْرَكَ الزَّنْجَ ، فَانْهَزَمُوا وَأَلْقَوْا أَنْفُسَهُمْ فِي الْمَاءِ ، فَاسْتَنْقَذَ سُمَيْرِيَّاتِهِ وَمَنْ كَانَ فِيهَا ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ سُمَيْرِيَّةً ، وَرَمَى أَبُو الْعَبَّاسِ يَوْمَئِذٍ ، عَنْ قَوْسٍ حَتَّى دَمِيَتْ إِبْهَامُهُ ، فَلَمَّا رَجَعَ أَمَرَ لِمَنْ مَعَهُ بِالْخِلَعِ ، وَأَمَرَ بِإِصْلَاحِ السُّمَيْرِيَّاتِ الْمَأْخُوذَةِ مِنَ الزَّنْجِ. |
| ثُمَّ إِنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ رَأَى أَنْ يَتَوَغَّلَ فِي مَازَرْوَانَ حَتَّى يَصِيرَ إِلَى الْحَجَّاجِيَّةِ وَنَهْرِ الْأَمِيرِ ، وَيَعْرِفَ مَا هُنَاكَ ، فَقَدَّمَ نُصَيْرًا فِي أَوَّلِ السُّمَيْرِيَّاتِ وَرَكِبَ أَبُو الْعَبَّاسِ فِي سُمَيْرِيَّةٍ وَمَعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ شُعَيْبٍ ، وَدَخَلَ مَازَرْوَانَ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ نُصَيْرًا أَمَامَهُ ، فَلَمْ يَقِفْ لَهُ عَلَى خَبَرٍ ، وَكَانَ قَدْ سَارَ عَلَى غَيْرِ طَرِيقِ أَبِي الْعَبَّاسِ ، وَخَرَجَ مَنْ مَعَ أَبِي الْعَبَّاسِ مِنَ الْمَلَّاحِينَ إِلَى غَنَمٍ رَأَوْهَا لِيَأْخُذُوهَا ، فَبَقِيَ هُوَ وَمُحَمَّدُ بْنُ شُعَيْبٍ ، فَأَتَاهُمَا جَمْعٌ مِنَ الزَّنْجِ مِنْ جَانِبَيِ النَّهْرِ ، فَقَاتَلَهُمْ أَبُو الْعَبَّاسِ بِالنُّشَّابِ ، وَوَافَاهُ زَيْرَكُ فِي بَاقِي الشَّذَوَاتِ ، فَسَلَّمَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَعَادَ عَسْكَرُهُ. |
| وَرَجَعَ نُصَيْرٌ وَجَمَعَ سُلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ أَصْحَابَهُ وَتَحَصَّنَ بِطَهْثَا ، وَتَحَصَّنَ الشَّعْرَانِيُّ وَأَصْحَابُهُ بِسُوقِ الْخَمِيسِ ، وَجَعَلُوا الْغَلَّاتِ إِلَيْهَا ، وَكَذَلِكَ اجْتَمَعَ بِالصِّينِيَّةِ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْمَسِيرِ فِي الْبَرِّ ، وَإِذَا عَرَضَ لَهُمْ نَهْرٌ عَبَرُوهُ ، وَرَكِبَ هُوَ فِي الشَّذَوَاتِ وَالسُّمَيْرِيَّاتِ ، فَلَمَّا أَبْصَرَتِ الزَّنْجُ الْخَيْلَ خَافُوا ، وَلَجَئُوا إِلَى الْمَاءِ وَالسُّفُنِ ، فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ وَافَتْهُمُ الشَّذَا مَعَ أَبِي الْعَبَّاسِ ، فَلَمْ يَجِدُوا مَلْجَأً ، فَاسْتَسْلَمُوا ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ فَرِيقٌ ، وَأُسِرَ فَرِيقٌ ، أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ فَرِيقٌ ، أَخَذَ أَصْحَابُ أَبِي الْعَبَّاسِ سُفُنَهُمْ وَهِيَ مَمْلُوءَةٌ أُرْزًا ، أَخَذَ الصِّينِيَّةَ ، وَأَزَاحَ الزَّنْجَ عَنْهَا ، فَانْحَازُوا إِلَى طَهْثَا وَسُوقِ الْخَمِيسِ. |
| وَكَانَ قَدْ رَأَى أَبُو الْعَبَّاسِ كُرْكِيًّا ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ ، فَسَقَطَ فِي عَسْكَرِ الزَّنْجِ ، فَعَرَفَ الزَّنْجُ السَّهْمَ فَزَادَ ذَلِكَ فِي خَوْفِهِمْ ، وَرَجَعَ أَبُو الْعَبَّاسِ إِلَى عَسْكَرِهِ ، وَقَدْ فَتَحَ الصِّينِيَّةَ. |
| وَبَلَغَهُ أَنَّ جَيْشًا عَظِيمًا لِلزَّنْجِ مَعَ ثَابِتِ بْنِ أَبِي دُلَفَ وَلُؤْلُؤٍ الزَّنْجِيَّيْنِ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ ، وَأَوْقَعَ بِهِمْ وَقْعَةً عَظِيمَةً وَقْتَ السَّحَرِ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، مِنْهُمْ لُؤْلُؤٌ ، وَأَسَرَ ثَابِتًا ، فَمَنَّ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَهُ مَعَ بَعْضِ قُوَّادِهِ ، وَاسْتَنْقَذَ مِنَ النِّسَاءِ خَلْقًا كَثِيرًا ، فَأَمَرَ بِإِطْلَاقِهِنَّ وَرَدِّهِنَّ إِلَى أَهْلِهِنَّ ، أَخَذَ كُلَّ مَا كَانَ الزَّنْجُ جَمَعُوهُ ، أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَسْتَرِيحُوا لِلْمَسِيرِ إِلَى سُوقِ الْخَمِيسِ ، وَأَمَرَ نُصَيْرًا بِتَعْبِئَةِ أَصْحَابِهِ لِلْمَسِيرِ ، فَقَالَ لَهُ إِنَّ نَهَرَ سُوقِ الْخَمِيسِ ضَيِّقٌ ، فَأَقِمْ أَنْتَ وَنَسِيرُ نَحْنُ ، فَأَبَى عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ شُعَيْبٍ إِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ فَاعِلًا فَلَا تُكْثِرْ مِنَ الشَّذَا ، وَلَا مِنَ الرِّحَالِ ، فَإِنَّ النَّهْرَ ضَيِّقٌ. |
| فَسَارَ إِلَيْهِ ، وَنُصَيْرٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ، إِلَى فَمِ نَهْرِ مُسَاوِرٍ ، فَوَقَفَ أَبُو الْعَبَّاسِ ، وَتَقَدَّمَهُ نُصَيْرٌ فِي خَمْسَ عَشْرَةَ شَذَاةً فِي نَهْرِ بَرَاطِقَ ، وَهُوَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى مَدِينَةِ الشَّعْرَانِيِّ الَّتِي سَمَّاهَا الْمَنِيعَةَ فِي سُوقِ الْخَمِيسِ ، فَلَمَّا غَابَ عَنْهُ نُصَيْرٌ خَرَجَ جَمَاعَةٌ فِي الْبَرِّ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ ، فَمَنَعُوهُ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَقَاتَلُوهُ قِتَالًا شَدِيدًا مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى الظُّهْرِ ، وَخَفِيَ عَلَيْهِ خَبَرُ نُصَيْرٍ ، وَجَعَلَ الزَّنْجُ يَقُولُونَ قَدْ قَتَلْنَا نُصَيْرًا. |
| وَاغْتَمَّ أَبُو الْعَبَّاسِ لِذَلِكَ ، وَأَمَرَ مُحَمَّدَ بْنَ شُعَيْبٍ بِتَعَرُّفِ خَبَرِهِ ، فَسَارَ ، فَرَآهُ عِنْدَ عَسْكَرِ الزَّنْجِ وَأَحْرَقَهُ وَأَضْرَمَ النَّارَ فِي مَدِينَتِهِمْ ، وَهُوَ يُقَاتِلُهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَعَادَ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ فَأَخْبَرَهُ ، فَسُرَّ بِذَلِكَ. |
| وَأَسَرَ نُصَيْرٌ مِنَ الزَّنْجِ جَمَاعَةً كَثِيرَةً ، وَرَجَعَ حَتَّى وَافَى أَبَا الْعَبَّاسِ فَأَخْبَرَهُ ، وَوَقَفَ أَبُو الْعَبَّاسِ يُقَاتِلُهُمْ ، فَرَجَعُوا عَنْهُ ، وَكَمَّنَ بَعْضَ شَذَوَاتِهِ ، وَأَمَرَ أَنْ يُظْهِرَ وَاحِدَةً مِنْهَا ، فَطَمِعُوا فِيهَا وَتَبِعُوهَا حَتَّى أَدْرَكُوهَا فَعَلِقُوا بِسُكَّانِهَا ، فَخَرَجَتْ عَلَيْهِمُ السُّفُنُ الْمُكَمَّنَةُ وَفِيهَا أَبُو الْعَبَّاسِ ، فَانْهَزَمَ الزَّنْجُ ، وَغَنِمَ أَبُو الْعَبَّاسِ مِنْهُمْ سِتَّ سُمَيْرِيَّاتٍ ، وَانْهَزَمُوا لَا يَلْوُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ ، وَرَجَعَ إِلَى عَسْكَرِهِ سَالِمًا ، وَخَلَعَ عَلَى الْمَلَّاحِينَ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ. |
| ذِكْرُ وُصُولِ الْمُوَفَّقِ إِلَى قِتَالِ الزَّنْجِ وَفَتْحِ الْمَنِيعَةِ وَفِيهَا ، فِي صَفَرٍ ، سَارَ الْمُوَفَّقُ عَنْ بَغْدَاذَ إِلَى وَاسِطَ لِحَرْبِ الزَّنْجِ ، وَكَانَ سَبَبُ تَأَخُّرِهِ عَنِ ابْنِهِ أَبِي الْعَبَّاسِ هَذِهِ أَنَّهُ كَانَ يَجْمَعُ وَيَحْشِدُ الْفُرْسَانَ وَالرَّجَّالَةَ ، وَيَسْتَكْثِرُ مِنَ الْعُدَّةِ الَّتِي يَقْوَى بِهَا عَلَى حَرْبِ الزَّنْجِ ، وَيَسُدُّ الْجِهَاتِ الَّتِي يَخَافُ فِيهَا لِئَلَّا يَبْقَى لَهُ مَا يَشْغَلُ قَلْبَهُ. |
| إِلَّا أَنَّ الْخَبِيثَ رَئِيسَ الزَّنْجِ قَدْ أَرْسَلَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبَانٍ الْمُهَلَّبِيِّ يَأْمُرُهُ بِالِاجْتِمَاعِ مَعَ سُلَيْمَانَ بْنِ جَامِعٍ عَلَى حَرْبِ أَبِي الْعَبَّاسِ ، فَخَافَ وَهْنًا يَتَطَرَّقُ إِلَى ابْنِهِ أَبِي الْعَبَّاسِ ، فَسَارَ عَنْ بَغْدَاذَ فِي صَفَرٍ ، فَوَصَلَ إِلَى وَاسِطَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، فَلَقِيَهُ ابْنُهُ وَأَخْبَرَهُ بِحَالِ جُنْدِهِ وَقُوَّادِهِ ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ ، وَرَجَعَ أَبُو الْعَبَّاسِ إِلَى مُعَسْكَرِهِ بِالْعُمْرِ ، ثُمَّ نَزَلَ الْمُوَفَّقُ عَلَى نَهْرِ شَدَّادٍ بِإِزَاءِ قَرْيَةِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى مُعَسْكَرِهِ بِالْعُمْرِ ، ثُمَّ نَزَلَ الْمُوَفَّقُ عَلَى نَهْرِ شَدَّادٍ ، وَأَمَرَ ابْنَهُ فَنَزَلَ شَرْقِيَّ دِجْلَةَ بِإِزَاءِ فُوَّهَةِ بَرْدُودَا ، وَوَلَّاهُ مُقَدِّمَتَهُ ، وَأَعْطَى الْجَيْشَ أَرْزَاقَهُمْ ، وَأَمَرَ ابْنَهُ أَنْ يَسِيرَ بِمَا مَعَهُ مِنْ آلَاتِ الْحَرْبِ إِلَى فُوَّهَةِ نَهْرِ مُسَاوِرٍ ، فَرَحَلَ فِي نُخْبَةِ أَصْحَابِهِ ، وَرَحَلَ الْمُوَفَّقُ بَعْدَهُ ، فَنَزَلَ فُوَّهَةَ نَهْرِ مُسَاوِرٍ فَأَقَامَ يَوْمَيْنِ. |
| ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي سَمَّاهَا صَاحِبُ الزَّنْجِ الْمَنِيعَةَ مِنْ سُوقِ الْخَمِيسِ يَوْمَ الثُّلَاثَاءَ لِثَمَانٍ خَلَوْنَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخَرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَسَلَكَ بِالسُّفُنِ فِي نَهْرِ مُسَاوِرٍ ، وَسَارَتِ الْخَيْلُ بِإِزَائِهِ شَرْقِيَّ نَهْرِ مُسَاوِرٍ ، حَتَّى جَازُوا بَرَاطِقَ الَّذِي يُوصِلُ إِلَى الْمَنِيعَةِ ، وَأَمَرَ بِتَعْبِيرِ الْخَيْلِ ، وَتَصْيِيرِهَا مِنَ الْجَانِبَيْنِ ، وَأَمَرَ ابْنَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ بِالتَّقَدُّمِ بِالشَّذَا بِعَامَّةِ الْجَيْشِ ، فَفَعَلَ ، فَلَقِيَهُ الزَّنْجُ ، فَحَارَبُوهُ حَرْبًا شَدِيدَةً ، وَوَافَاهُمْ أَبُو أَحْمَدَ الْمُوَفَّقُ ، وَالْخَيْلُ مِنْ جَانِبَيِ النَّهْرِ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ انْهَزَمُوا وَتَفَرَّقُوا وَعَلَا أَصْحَابُ أَبِي الْعَبَّاسِ السُّورَ ، وَوَضَعُوا السُّيُوفَ فِيمَنْ لَقِيَهُمْ ، وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ فَقَتَلُوا فِيهَا خَلْقًا كَثِيرًا ، أَسَرُوا عَالَمًا عَظِيمًا ، وَغَنِمُوا مَا كَانَ فِيهَا ، وَهَرَبَ الشَّعْرَانِيُّ وَمَنْ مَعَهُ ، وَتَبِعَهُ أَصْحَابُ الْمُوَفَّقِ إِلَى الْبَطَائِحِ ، فَغَرِقَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَلَجَأَ الْبَاقُونَ إِلَى الْآجَامِ. |
| وَرَجَعَ أَبُو أَحْمَدَ إِلَى مُعَسْكَرِهِ مِنْ يَوْمِهِ ، وَقَدِ اسْتَنْقَذَ مِنَ الْمُسْلِمَاتِ زُهَاءَ خَمْسَةِ آلَافِ امْرَأَةٍ سِوَى مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنَ الزَّنْجِيَّاتِ ، وَأَمَرَ أَبُو أَحْمَدَ بِحِفْظِ النِّسَاءِ وَحَمْلِهِنَّ إِلَى وَاسِطَ لِيُدْفَعْنَ إِلَى أَهْلِهِنَّ ، ثُمَّ بَكَّرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِأَخْذِ مَا فِيهِ فَأُخِذَ جَمِيعُهُ ، وَأَمَرَ بِهَدْمِ سُورِهَا ، وَطَمِّ خَنْدَقِهَا ، وَإِحْرَاقِ مَا بَقِيَ فِيهَا مِنَ السُّفُنِ ، وَأَخَذُوا مِنَ الطَّعَامِ ، وَالشَّعِيرِ ، وَالْأُرْزِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، مَا لَا حَدَّ عَلَيْهِ ، فَأَمَرَ بِبَيْعِ ذَلِكَ وَصَرْفِهِ إِلَى الْجُنْدِ. |
| وَلَمَّا انْهَزَمَ سُلَيْمَانُ لَحِقَ بِالْمَرَازِ ، وَكَتَبَ إِلَى الْخَائِنِ ، صَاحِبِ الزَّنْجِ بِذَلِكَ ، فَوَرَدَ الْكِتَابُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ ، فَانْحَلَّ بَطْنُهُ ، فَقَامَ إِلَى الْخَلَاءِ دَفَعَاتٍ ، وَكَتَبَ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ جَامِعٍ يُحَذِّرُهُ مِثْلَ الَّذِي نَزَلَ بِالشَّعْرَانِيِّ ، وَيَأْمُرُهُ بِالتَّيَقُّظِ. |
| وَأَقَامَ الْمُوَفَّقُ بِنَهْرِ مُسَاوِرٍ يَوْمَيْنِ يَتَعَرَّفُ أَخْبَارَ الشَّعَرْانِيِّ ، وَسُلَيْمَانَ بْنِ جَامِعٍ ، فَأَتَاهُ مَنْ أَخْبَرَهُ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ جَامِعٍ بِالْجَوَانِيتِ ، فَسَارَ حَتَّى وَافَى الصِّينِيَّةَ ، وَأَمَرَ ابْنَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ بِالتَّقَدُّمِ بِالشَّذَا وَالسُّمَيْرِيَّاتِ إِلَى الْجَوَانِيتِ مُخْتَفِيًا ، فَسَارَ أَبُو الْعَبَّاسِ إِلَيْهَا ، فَلَمْ يَرَ سُلَيْمَانَ بِهَا ، وَرَأَى هُنَاكَ جَمْعًا مِنَ الزَّنْجِ مَعَ قَائِدَيْنِ لَهُمْ خَلَّفَهُمْ سُلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ هُنَاكَ لِحِفْظِ غَلَّاتٍ كَثِيرَةٍ لَهُمْ فِيهَا ، فَحَارَبَهُمْ أَبُو الْعَبَّاسِ ، وَدَامَتِ الْحَرْبُ إِلَى أَنْ حَجَزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ ، وَاسَتَأْمَنَ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ رَجُلٌ ، فَسَأَلَهُ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ جَامِعٍ ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ مُقِيمٌ بِطَهْثَا ، بِمَدِينَتِهِ الَّتِي سَمَّاهَا الْمَنْصُورَةَ ، فَعَادَ أَبُو الْعَبَّاسِ إِلَى أَبِيهِ بِالْخَبَرِ ، فَأَمَرَهُ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِ ، فَسَارَ حَتَّى نَزَلَ بَرْدُودَا ، فَأَقَامَ بِهَا لِإِصْلَاحِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَاسْتَكْثَرَ مِنَ الْآلَاتِ الَّتِي يَسُدُّ بِهَا الْأَنْهَارَ ، وَيُصْلِحُ بِهَا الطُّرُقَ لِلْخَيْلِ ، وَخَلَّفَ بِبَرْدُودَا بُفْرَاجَ التُّرْكِيَّ. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ الْمُوَفَّقِ عَلَى طَهْثَا لَمَّا فَرَغَ الْمُوَفَّقُ مِنَ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ سَارَ عَنْ بَرْدُودَا إِلَى طَهْثَا لِعَشَرٍ بَقِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخَرِ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَكَانَ مَسِيرُهُ عَلَى الظُّهْرِ فِي خَيْلِهِ ، وَانْحَدَرَتِ السُّفُنُ وَالْآلَاتُ ، فَنَزَلَ بِقَرْيَةِ الْجَوْزِيَّةِ ، وَعَقَدَ جِسْرًا ، ثُمَّ غَدَا فَعَبَّرَ خَيْلَهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ عَبَرَ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَسَارَ حَتَّى نَزَلَ مُعَسْكَرًا عَلَى مِيلَيْنِ مِنْ طَهْثَا ، فَأَقَامَ هُنَالِكَ يَوْمَيْنِ. |
| وَمَطَرَتِ السَّمَاءُ مَطَرًا شَدِيدًا ، فَشُغِلَ عَنِ الْقِتَالِ ، ثُمَّ رَكِبَ لِيَنْظُرَ مَوْضِعًا لِلْحَرْبِ ، فَانْتَهَى إِلَى قَرِيبٍ مِنْ سُورِ مَدِينَةِ سُلَيْمَانَ بِطَهْثَا ، وَهِيَ الَّتِي سَمَّاهَا الْمَنْصُورُ ، فَتَلَقَّاهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ كُمَنَاءُ مِنْ مَوَاضِعَ شَتَّى ، وَاشْتَدَّتِ الْحَرْبُ ، وَتَرَجَّلَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُرْسَانِ ، وَقَاتَلُوا حَتَّى خَرَجُوا عَنِ الْمَضِيقِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ ، وَأَسَرُوا مِنْ غِلْمَانِ الْمُوَفَّقِ جَمَاعَةً. |
| وَرَمَى أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْمُوَفَّقِ أَحْمَدَ بْنَ هِنْدِيٍّ الْحَيَامِيَّ بِسَهْمٍ خَالَطَ دِمَاغَهُ ، فَسَقَطَ وَحُمِلَ إِلَى الْعَلَوِيِّ ، صَاحِبِ الزَّنْجِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ ، فَحَضَرَهُ الْخَبِيثُ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ، وَعَظُمَتْ لَدَيْهِ الْمُصِيبَةُ بِمَوْتِهِ ، إِذْ كَانَ أَعْظَمَ أَصْحَابِهِ غَنَاءً عَنْهُ . |
| وَانْصَرَفَ الْمُوَفَّقُ إِلَى عَسْكَرِهِ وَقْتَ الْمَغْرِبِ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالتَّحَارُسِ لَيْلَتَهُمْ وَالتَّأَهُّبِ لِلْحَرْبِ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا ، وَذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ لِثَلَاثٍ بَقِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخَرِ ، عَبَّأَ الْمُوَفَّقُ أَصْحَابَهُ ، وَجَعَلَهُمْ كَتَائِبَ يَتْلُو بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فُرْسَانًا وَرَجَّالَةً ، وَأَمَرَ بِالشَّذَا وَالسُّمَيْرِيَّاتِ أَنْ يُسَارَ بِهَا إِلَى النَّهْرِ الَّذِي يَشُقُّ مَدِينَةَ سُلَيْمَانَ ، وَهُوَ النَّهْرُ الْمَعْرُوفُ بِنَهْرِ الْمُنْذِرِ ، وَرَتَّبَ أَصْحَابَهُ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَخَافُ مِنْهَا ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ، وَابْتَهَلَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي النَّصْرِ ، ثُمَّ لَبِسَ سِلَاحَهُ ، وَأَمَرَ ابْنَهُ الْعَبَّاسَ أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى السُّورِ ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ ، فَرَأَى خَنْدَقًا ، فَأَحْجَمَ النَّاسُ عَنْهُ ، فَحَرَّضَهُمْ قُوَّادُهُمْ وَتَرَجَّلُوا مَعَهُمْ ، فَاقْتَحَمُوهُ وَعَبَرُوهُ ، وَانْتَهَوْا إِلَى الزَّنْجِ وَهُمْ عَلَى سُورِهِمْ. |
| فَلَمَّا رَأَى الزَّنْجُ تَسَرُّعَهُمْ إِلَيْهِمْ وَلَّوْا مُنْهَزِمِينَ ، وَاتَّبَعَهُمْ أَصْحَابُ أَبِي الْعَبَّاسِ ، فَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ ، وَكَانَ الزَّنْجُ قَدْ حَصَّنُوهَا بِخَمْسَةِ خَنَادِقَ ، وَجَعَلُوا أَمَامَ كُلِّ خَنْدَقٍ سُورًا ، فَجَعَلُوا يَقِفُونَ عِنْدَ كُلِّ سُورٍ وَخَنْدَقٍ ، فَكَشَفَهُمْ أَصْحَابُ أَبِي الْعَبَّاسِ ، وَدَخَلَتِ الشَّذَا وَالسُّمَيْرِيَّاتُ الْمَدِينَةَ مِنَ النَّهْرِ ، فَجَعَلَتْ تُغْرِقُ كُلَّ مَا مَرَّتْ لَهُمْ بِهِ مِنْ سُمَيْرِيَّةٍ وَشَذَاةٍ ، وَقَتَلُوا مَنْ بِجَانِبَيِ النَّهْرِ وَأَسَرُوا حَتَّى أَجْلَوْهُمْ عَنِ الْمَدِينَةِ وَعَمَّا اتَّصَلَ بِهَا ، وَكَانَ مِقْدَارُ الْعِمَارَةِ فِيهَا فَرْسَخًا. |
| وَحَوَى الْمُوَفَّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ ، وَأَفْلَتَ سُلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ وَنَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ فِيهِمْ وَالْأَسْرُ ، وَاسْتَنْقَذَ أَبُو أَحْمَدَ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ وَاسِطَ ، وَالْكُوفَةِ ، وَالْقُرَى ، وَغَيْرِهَا ، وَصِبْيَانِهِمْ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا ، فَأَمَرَ أَبُو أَحْمَدَ بِحَمْلِهِمْ إِلَى وَاسِطَ ، وَدَفَعَهُمْ إِلَى أَهْلِيهِمْ; وَأَحَذَ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الذَّخَائِرِ ، وَالْأَمْوَالِ ، وَأَمَرَ بِصَرْفِهِ إِلَى الْأَجْنَادِ ، وَأَسَرَ مِنْ نِسَاءِ سُلَيْمَانَ وَأَوْلَادِهِ عِدَّةً ، وَتَخَلَّصَ مَنْ كَانَ أُخِذَ مِنْ أَصْحَابِ الْمُوَفَّقِ ، وَنَجَا جَمْعٌ كَثِيرٌ إِلَى الْآجَامِ فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِطَلَبِهِمْ ، فَأَقَامَ سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَهَدَمَ سُورَ الْمَدِينَةِ ، وَطَمَّ خَنَادِقَهَا ، وَجَعَلَ لِكُلِّ مَنْ أَتَاهُ بِرَجُلٍ مِنْهُمْ جُعْلًا ، فَكَانَ إِذَا أُتِيَ بِالْوَاحِدِ مِنْهُمْ عَفَا عَنْهُ وَضَمَّهُ إِلَى قُوَّادِهِ وَغِلْمَانِهِ ، لِمَا كَانَ دَبَّرَهُ مِنَ اسْتِمَالَتِهِمْ. |
| وَأَرْسَلَ فِي طَلَبِ سُلَيْمَانَ بْنِ جَامِعٍ ، حَتَّى بَلَغُوا دِجْلَةَ الْعَوْرَاءَ ، فَلَمْ يَظْفَرُوا بِهِ ، وَأَمَرَ زِيرَكَ بِالْمُقَامِ بِطَهَثَا لِيَتَرَاجَعَ إِلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ أَهْلُهَا وَيَأْمَنُوا. |
| ذِكْرُ مَسِيرِ الْمُوَفَّقِ إِلَى الْأَهْوَازَ وَإِجْلَاءِ الزِّنْجِ عَنْهَا فَلَمَّا فَرَغَ أَبُو أَحْمَدَ الْمُوَفَّقُ مِنَ الْمَنْصُورِ رَحَلَ نَحْوَ الْأَهْوَازِ لِإِصْلَاحِهَا وَإِجْلَاءِ الزَّنْجِ عَنْهَا ، فَأَمَرَ ابْنَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ أَنْ يَتَقَدَّمَهُ ، فَأَمَرَ بِإِصْلَاحِ الطَّرِيقِ لِلْجُيُوشِ ، اسْتَخْلَفَ عَلَى مَنْ تَرَكَ مِنْ عَسْكَرِهِ بِوَاسِطَ ابْنَهُ هَارُونَ ، وَلَحِقَهُ زِيرَكُ فَأَخْبَرَهُ بِعَوْدِ أَهْلِ طَهْثَا إِلَيْهَا ، وَأَمَّنَ النَّاسَ ، فَأَمَرَ الْمُوَفَّقُ بِالِانْحِدَارِ فِي الشَّذَا وَالسُّمَيْرِيَّاتِ مَعَ نُصَيْرٍ ، وَتَتَبُّعِ الْمُنْهَزِمِينَ ، وَالْإِيقَاعِ بِهِمْ وَبِمَنْ ظَفِرُوا بِهِ مِنَ الزَّنْجِ ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى مَدِينَةِ الْخَبِيثِ بِنَهْرِ أَبِي الْخَصِيبِ ، وَسَارَ. |
| وَارْتَحَلَ الْمُوَفَّقُ مُسْتَهَلَّ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ وَاسِطَ حَتَّى أَتَى السُّوسَ ، وَأَمَرَ مَسْرُورًا بِالْقُدُومِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ عَامِلُهُ هُنَاكَ ، فَأَتَاهُ. |
| وَكَانَ الْخَبِيثُ لَمَّا بَلَغَهُ مَا عَمِلَ الْمُوَفَّقُ بِسُلَيْمَانَ بْنِ جَامِعٍ وَالزَّنْجِ خَافَ أَنْ يَأْتِيَهُ وَهُوَ عَلَى حَالٍ تَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ عَنْهُ ، وَكَتَبَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبَانٍ بِالْقُدُومِ عَلَيْهِ ، وَكَانَ بِالْأَهْوَازِ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، فَتَرَكَ جَمِيعَ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ طَعَامٍ وَدَوَابَّ وَأَغْنَامٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهِ مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى الْكُرُنْبَائِيَّ ، فَلَمْ يَقُمْ ، وَاتَّبَعَ عَلِيًّا. |
| وَكَتَبَ صَاحِبُ الزَّنْجِ أَيْضًا إِلَى بَهْبُودَ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ ، وَهُوَ بِالْفَنْدَمِ وَالْبَاسِيَانَ وَمَا اتَّصَلَ بِهِمَا ، يَأْمُرُهُ بِالْقُدُومِ عَلَيْهِ ، فَتَرَكَ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الذَّخَائِرِ ، وَسَارَ نَحْوَهُ ، فَحَوَى ذَلِكَ جَمِيعَهُ الْمُوَفَّقُ ، وَقَوِيَ بِهِ عَلَى حَرْبِ الْخَبِيثِ. |
| وَلَمَّا سَارَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ عَنِ الْأَهْوَازِ تَخَلَّفَ بِهَا جَمْعٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، زُهَاءَ أَلْفِ رَجُلٍ ، فَأَرْسَلُوا إِلَى الْمُوَفَّقِ يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُمْ ، فَقَدِمُوا عَلَيْهِ ، فَأَجْرَى عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ ، ثُمَّ رَحَلَ عَنِ السُّوسِ إِلَى جُنْدَيْسَابُورَ ، وَتُسْتَرَ ، وَجَبَى الْأَمْوَالَ ، وَوَجَّهَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْكُرْدِيِّ ، وَكَانَ خَائِفًا مِنْهُ ، فَأَمَّنَهُ وَعَفَا عَنْهُ ، فَطَلَبَ مِنْهُ الْأَمْوَالَ وَالْعَسَاكِرَ ، فَحَضَرَ عِنْدَهُ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ. |
| ثُمَّ رَحَلَ إِلَى عَسْكَرِ مُكْرَمٍ ، وَوَافَى الْأَهْوَازَ ، ثُمَّ رَحَلَ عَنْهَا إِلَى نَهْرِ الْمُبَارَكِ مِنْ فُرَاتِ الْبَصْرَةِ ، وَكَتَبَ إِلَى ابْنِهِ هَارُونَ لِيُوَافِيَهُ بِجَمِيعِ الْجَيْشِ إِلَى نَهْرِ الْمُبَارَكِ ، فَلَقِيَهُ الْجَيْشُ بِالْمُبَارَكِ مُنْتَصَفَ رَجَبٍ. |
| وَكَانَ زِيرَكُ ، وَنُصَيْرُ لَمَّا خَلَّفَهُمَا الْمُوَفَّقُ لِيَتَتَبَّعَا الزَّنْجَ انْحَدَرَا حَتَّى وَافَيَا الْأُبُلَّةَ ، فَأَسْتَأْمَنَ إِلَيْهِمَا رَجُلٌ أَخْبَرَهُمَا أَنَّ الْخَبِيثَ قَدْ أَنْفَذَ إِلَيْهِمَا عَدَدًا كَثِيرًا فِي الشَّذَا ، وَالسُّمَيْرِيَّاتِ إِلَى دِجْلَةَ لِيَمْنَعَ عَنْهَا مَنْ يُرِيدُهَا ، فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ عَسْكَرَ نُصَيْرٍ ، وَكَانَ عَسْكَرُهُ بِنَهْرِ الْمَرْأَةِ ، فَرَجَعَ نُصَيْرٌ إِلَى عَسْكَرِهِ مِنَ الْأُبُلَّةِ لَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ ، وَسَارَ زِيرَكُ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ ، لِأَنَّهُ قَدَّرَ أَنَّ الزَّنْجَ يَأْتُونَ عَسْكَرَ نُصَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ ، فَكَانَ كَذَلِكَ ، فَلَقِيَهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ ، فَظَفِرَ بِهِمْ ، وَانْهَزَمُوا مِنْهُ ، وَكَانُوا قَدْ جَعَلُوا كَمِينًا ، فَدَلَّ زِيرَكُ عَلَيْهِ ، فَتَوَغَّلَ حَتَّى أَتَاهُ فَقَتَلَ مِنَ الْكُمَنَاءِ جَمَاعَةً وَأَسَرَ جَمَاعَةً. |
| وَكَانَ مِمَّنْ ظَفِرَ بِهِ مُقَدَّمُ الزَّنْجِ ، وَهُوَ أَبُو عِيسَى مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبَصْرِيُّ وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ قُوَّادِهِمْ ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ مَا يَزِيدُ عَلَى ثَلَاثِينَ سُمَيْرِيَّةٍ ، فَجَزِعَ لِذَلِكَ جَمِيعُ الزَّنْجِ ، فَأَسْتَأْمَنَ إِلَى نُصَيْرٍ مِنْهُمْ زُهَاءُ أَلْفَيْ رَجُلٍ ، فَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى الْمُوَفَّقِ ، فَأَمَرَهُ بِقَبُولِهِمْ وَالْإِقْبَالِ إِلَيْهِ بِالنَّهْرِ الْمُبَارَكِ ، فَوَافَاهُ هُنَاكَ. |
| وَأَمَرَ الْمُوَفَّقُ ابْنَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ بِالْمَسِيرِ إِلَى مُحَارَبَةِ الْعَلَوِيِّ بِنَهْرِ أَبِي الْخَصِيبِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ ، فَحَارَبَ مِنْ بُكْرَةٍ إِلَى الظُّهْرِ ، فَأَسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ قَائِدًا مِنْ قُوَّادِ الْعَلَوِيِّ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ ، فَكَسَرَ ذَلِكَ الْخَبِيثُ ، وَعَادَ أَبُو الْعَبَّاسِ بِالظَّفَرِ ، وَكَتَبَ الْمُوَفَّقُ إِلَى الْعَلَوِيِّ كِتَابًا يَدْعُوهُ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِمَّا رَكِبَ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ ، وَانْتِهَاكِ الْمَحَارِمِ ، وَإِخْرَابِ الْبُلْدَانِ ، وَاسْتِحْلَالِ الْفُرُوجِ وَالْأَمْوَالِ ، وَادِّعَاءِ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ ، وَيَبْذُلُ لَهُ الْأَمَانَ ، فَوَصَلَ الْكِتَابُ إِلَيْهِ ، فَقَرَأَهُ ، وَلَمْ يَكْتُبْ جَوَابَهُ. |
| ذِكْرُ مُحَاصَرَةِ مَدِينَةِ صَاحِبِ الزَّنْجِ لَمَّا أَنْفَذَ الْمُوَفَقُّ الْكِتَابَ إِلَى الْعَلَوِيِّ ، وَلَمْ يَرُدَّ جَوَابَهُ ، عَرَضَ عَسْكَرَهُ ، وَأَصْلَحَ آلَاتِهِ ، وَرَتَّبَ قُوَّادَهُ ، ثُمَّ سَارَ هُوَ وَابْنُهُ أَبُو الْعَبَّاسِ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ إِلَى مَدِينَةِ الْخَبِيثِ الَّتِي سَمَّاهَا الْمُخْتَارَةَ ، وَأَشْرَفَ عَلَيْهَا ، وَتَأَمَّلَهَا وَرَأَى حَصَانَتَهَا بِالْأَسْوَارِ وَالْخَنَادِقِ ، وَغَوَّرَ الطَّرِيقَ إِلَيْهَا ، وَمَا أُعِدَّ مِنَ الْمَجَانِيقِ وَالْعَرَّادَاتِ ، وَالْقِسِيِّ ، وَسَائِرِ الْآلَاتِ عَلَى سُورِهَا ، مِمَّا لَمْ يَرَ مِثْلَهُ لِمَنْ تَقَدَّمَ مِنْ مُنَازِعِي السُّلْطَانِ ، وَرَأَى مِنْ كَثْرَةِ عَدَدِ الْمُقَاتِلَةِ مَا اسْتَعْظَمَهُ. |
| فَلَمَّا عَايَنَ الزَّنْجُ أَصْحَابَ الْمُوَفَّقِ ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ حَتَّى ارْتَجَّتِ الْأَرْضُ ، فَأَمَرَ الْمُوَفَّقُ ابْنَهُ بِالتَّقَدُّمِ إِلَى سُورِ الْمَدِينَةِ ، وَالرَّمْيِ لِمَنْ عَلَيْهِ بِالسِّهَامِ ، فَتَقَدَّمَ حَتَّى أَلْصَقَ شَذَوَاتِهِ بِمُسَنَّاةِ قَصْرِ الْخَبِيثِ ، فَكَثُرَ الزَّنْجُ وَأَصْحَابُهُمْ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ وَمَنْ مَعَهُ ، وَتَتَابَعَتْ سِهَامُهُمْ وَحِجَارَةُ مَجَانِيقِهِمْ وَمَقَالِيعِهِمْ ، وَرَمَى عَوَامُّهُمْ بِالْحِجَارَةِ عَنْ أَيْدِيهِمْ ، حَتَّى مَا يَقَعُ الطَّرَفُ إِلَّا عَلَى سَهْمٍ أَوْ حَجَرٍ. |
| وَثَبَتَ أَبُو الْعَبَّاسِ ، فَرَأَى الْعَلَوِيُّ مِنْ صَبْرِهِ وَثَبَاتِ أَصْحَابِهِ مَا لَمْ يَرَ مِثْلَهُ مِنْ أَحَدٍ مِمَّنْ حَارَبَهُمْ ، ثُمَّ أَمَرَهُمُ الْمُوَفَّقُ بِالرُّجُوعِ فَفَعَلُوا ، اسْتَأْمَنَ إِلَى الْمُوَفَّقِ مُقَاتِلَةٌ فِي سُمَيْرِيَّتَيْنِ ، فَأَمَّنَهُمْ ، فَخَلَعَ عَلَى مَنْ فِيهِمَا مِنَ الْمُقَاتِلَةِ وَالْمَلَّاحِينَ عَلَى أَقْدَارِهِمْ وَوَصَلَهُمْ وَأَمَرَ بِإِدْنَائِهِمْ إِلَى مَوْضِعٍ يَرَاهُمْ فِيهِ نُظَرَاؤُهُمْ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَنْجَعِ الْمَكَايِدِ ، فَلَمَّا رَآهُمُ الْبَاقُونَ رَغِبُوا فِي الْأَمَانِ ، وَتَنَافَسُوا فِيهِ ، وَابْتَدَرُوا إِلَيْهِ ، فَصَارَ إِلَى الْمُوَفَّقِ عَدَدٌ كَثِيرٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنْ أَصْحَابِ السُّمَيْرِيَّاتِ ، فَعَمَّهُمْ بِالْخِلَعِ وَالصِّلَاتِ. |
| فَلَمَّا رَأَى صَاحِبُ الزَّنْجِ ذَلِكَ أَمَرَ بِرَدِّ أَصْحَابِهِ إِلَى السُّمَيْرِيَّاتِ إِلَى نَهْرِ أَبِي الْخَصِيبِ ، وَوَكَّلَ بِفُوَّهَةِ النَّهْرِ مَنْ يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْخُرُوجِ ، وَأَمَرَ بَهْبُودَ ، وَهُوَ مِنْ شَرِّ قُوَّادِهِ ، أَنْ يَخْرُجَ فِي الشَّذَوَاتِ ، فَخَرَجَ وَبَرَزَ إِلَيْهِ أَبُو الْعَبَّاسِ فِي شَذَوَاتِهِ ، وَقَاتَلَهُ ، وَاشْتَدَّتِ الْحَرْبُ ، فَانْهَزَمَ بَهْبُودُ إِلَى فِنَاءِ قَصْرِ الْخَبِيثِ ، وَأَصَابَتْهُ طَعْنَتَانِ ، وَجُرِحَ بِالسِّهَامِ ، وَأُوهِنَتْ أَعْضَاؤُهُ بِالْحِجَارَةِ ، فَأَوْلَجُوهُ نَهْرَ أَبِي الْخَصِيبِ وَقَدْ أَشَفَى عَلَى الْمَوْتِ ، فَقُتِلَ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ قَائِدٌ ذُو بَأْسٍ يُقَالُ لَهُ عَمِيرَةُ ، وَظَفَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ بِشَذَاةٍ فَقَتَلَ أَهْلَهَا ، وَرَجَعَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ سَالِمِينَ ، فَاسْتَأْمَنَ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ أَهْلُ شَذَاةٍ مِنْهُمْ ، فَأَمَّنَهُمْ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِمْ. |
| وَرَجَعَ الْمُوَفَّقُ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى عَسْكَرِهِ بِالنَّهْرِ الْمُبَارَكِ ، اسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ عِنْدَ مُنْصَرَفِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَأَمَّنَهُمْ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِمْ ، وَوَصَلَهُمْ ، وَأَثْبَتَ أَسْمَاءَهُمْ مَعَ أَبِي الْعَبَّاسِ ، وَأَقَامَ عَسْكَرُهُ يَوْمَيْنِ ، ثُمَّ نَقَلَ عَسْكَرَهُ لَسِتٍّ بَقِينَ مِنْ رَجَبٍ إِلَى نَهْرِ جَطَّى فَنَزَلَهُ ، وَأَقَامَ بِهِ إِلَى مُنْتَصَفِ شَعْبَانَ لَمْ يُقَاتِلْ. |
| ثُمَّ رَكِبَ مُنْتَصَفَ شَعْبَانَ فِي الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ وَأَعَدَّ الشَّذَا وَالسُّمَيْرِيَّاتِ ، وَكَانَ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْجُنْدِ وَالْمُتَطَوِّعَةِ زُهَاءَ خَمْسِينَ أَلْفًا ، وَكَانَ مَنْ مَعَ الْخَبِيثِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ إِنْسَانٍ ، كُلُّهُمْ مِمَّنْ يُقَاتِلُ بِسَيْفٍ ، أَوْ رُمْحٍ ، أَوْ قَوْسٍ ، أَوْ مِقْلَاعٍ ، أَوْ مَنْجَنِيقٍ ، وَأَضْعَفَهُمْ رُمَاةُ الْحِجَارَةِ مِنْ أَيْدِيهِمْ ، وَهُمُ النَّظَّارَةُ ، وَالنِّسَاءُ تُشْرِكُهُمْ فِي ذَلِكَ ، فَأَقَامَ أَبُو أَحْمَدَ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، وَنُودِيَ بِالْأَمَانِ لِلنَّاسِ كَافَّةً إِلَّا الْخَبِيثَ ، وَكَتَبَ الْأَمَانَ فِي رِقَاعٍ ، وَرَمَاهَا فِي السِّهَامِ ، وَوَعَدَ فِيهَا الْإِحْسَانَ ، فَمَالَتْ قُلُوبُ أَصْحَابِ الْخَبِيثِ ، وَاسْتَأْمَنَ ذَلِكَ الْيَوْمَ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَخَلَعَ عَلَيْهِمْ وَوَصَلَهُمْ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَرْبٌ. |
| ثُمَّ رَحَلَ مِنْ نَهْرِ جَطَّى مِنَ الْغَدِ ، فَعَسْكَرَ قُرْبَ مَدِينَةِ الْخَبِيثِ ، وَرَتَّبَ قُوَّادَهُ وَأَجْنَادَهُ ، وَعَيَّنَ لِكُلِّ طَائِفَةٍ مَوْضِعًا يُحَافِظُونَ عَلَيْهِ وَيَضْبُطُونَهُ ، وَكَتَبَ الْمُوَفَّقُ إِلَى الْبِلَادِ فِي عَمَلِ السُّمَيْرِيَّاتِ ، وَالشَّذَوَاتِ ، وَالزَّوَارِيقِ ، وَالْإِكْثَارِ مِنْهَا لِيَضْبُطَ بِهَا الْأَنْهَارَ ، لِيَقْطَعَ الْمِيرَةَ عَنِ الْخَبِيثِ ، وَأَسَّسَ فِي مَنْزِلَتِهِ مَدِينَةً سَمَّاهَا الْمُوَفَّقِيَّةَ ، وَكَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ فِي النَّوَاحِي بِحَمْلِ الْأَمْوَالِ وَالْمِيرَةِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ إِلَى مَدِينَتِهِ ، وَأَمَرَهِمْ بِإِنْفَاذِ مَنْ يَصْلُحُ لِلْإِثْبَاتِ فِي الدِّيوَانِ ، وَأَقَامَ يَنْتَظِرُ ذَلِكَ شَهْرًا ، فَوَرَدَتْ عَلَيْهِ الْمِيرَةُ مُتَتَابِعَةً ، وَجَهَّزَ التُّجَّارُ صُنُوفَ التِّجَارَاتِ إِلَى الْمُوَفَّقِيَّةِ ، وَاتُّخِذَتْ فِيهَا الْأَسْوَاقُ ، وَوَرَدَتْهَا مَرَاكِبُ الْبَحْرِ ، وَبَنَى الْمُوَفَّقُ بِهَا الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالصَّلَاةِ فِيهِ ، فَجَمَعَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ مِنَ الْمَرَافِقِ ، وَسِيقَ إِلَيْهَا مِنْ صُنُوفِ الْأَشْيَاءِ مَا لَمْ يَكُنْ فِي مِصْرَ مِنَ الْأَمْصَارِ الْقَدِيمَةِ وَحُمِلَتِ الْأَمْوَالُ ، وَأُدِرَّتِ الْأَرْزَاقُ. |
| وَعَبَرَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الزَّنْجِ ، فَنَهَبُوا أَطْرَافَ عَسْكَرِ نُصَيْرٍ ، وَأَوْقَعُوا بِهِ ، فَأَمَرَ الْمُوَفَّقُ نُصَيْرًا بِجَمْعِ عَسْكَرِهِ وَضَبْطِهِمْ ، وَأَمَرَ الْمُوَفَّقُ ابْنَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ بِالْمَسِيرِ إِلَى طَائِفَةٍ مِنَ الزَّنْجِ كَانُوا خَارِجَ الْمَدِينَةِ ، فَقَاتَلَهُمْ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَغَنِمَ مَا كَانَ مَعَهُمْ ، فَصَارَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ فِي الْأَمَانِ ، فَأَمَّنَهُمْ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِمْ وَوَصَلَهُمْ ، وَأَقَامَ أَبُو أَحْمَدَ يُكَايِدُ الْخَبِيثَ بِبَذْلِ الْأَمْوَالِ لِمَنْ صَارَ إِلَيْهِ ، وَمُحَاصَرَةِ الْبَاقِينَ ، وَالتَّضْيِيقِ عَلَيْهِمْ. |
| وَكَانَتْ قَافِلَةٌ قَدْ أَتَتْ مِنَ الْأَهْوَازِ ، وَأَسْرَى إِلَيْهَا بَهْبُودُ فِي سُمَيْرِيَّاتٍ فَأَخَذَهَا ، وَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُوَفَّقِ ، وَغَرِمَ لِأَهْلِهَا مَا أُخِذَ مِنْهُمْ ، وَأَمَرَ بِتَرْتِيبِ الشَّذَوَاتِ عَلَى مَخَارِجِ الْأَنْهَارِ ، وَقَلَّدَ ابْنَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ الشَّذَا ، وَحَفِظَ الْأَنْهَارَ بِهَا مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي هُمْ بِهِ. |
| وَفِي رَمَضَانَ عَبَرَ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِ الْخَبِيثِ يُرِيدُونَ الْإِيقَاعَ بِنُصَيْرٍ ، فَنَذَرَ بِهِمُ النَّاسُ ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِمْ فَرَدُّوهُمْ خَائِبِينَ ، وَظَفِرُوا بِصَنْدَلٍ الزَّنْجِيِّ ، كَانَ يَكْشِفُ رُءُوسَ الْمُسْلِمَاتِ ، وَيُقَلِّبُهُنَّ تَقْلِيبَ الْإِمَاءِ ، فَلَمَّا أُتِيَ بِهِ أَمَرَ الْمُوَفَّقُ أَنْ يُرْمَى بِالسِّهَامِ ثُمَّ قَتَلَهُ. |
| وَاسْتَأْمَنَ إِلَى الْمُوَفَّقِ مِنَ الزَّنْجِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَبَلَغَتْ عِدَّةُ مَنِ اسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ فِي آخِرِ رَمَضَانَ خَمْسِينَ أَلْفًا. |
| وَفِي شَوَّالٍ انْتَخَبَ صَاحِبُ الزَّنْجِ مِنْ عَسْكَرِهِ خَمْسَةَ آلَافٍ مِنْ شُجْعَانِهِمْ وَقُوَّادِهِمْ ، وَأَمَرَ عَلِيَّ بْنَ أَبَانٍ الْمُهَلَّبِيَّ بِالْعُبُورِ لِكَبْسِ عَسْكَرِ الْمُوَفَّقِ ، فَكَانَ فِيهِمْ أَكْثَرُ مِنْ مِائَتَيْ قَائِدٍ ، فَعَبَرُوا لَيْلًا ، وَاخْتَفَوْا فِي آخِرِ النَّخْلِ ، وَأَمَرَهُمْ ، إِذَا ظَهَرَ أَصْحَابُهُمْ ، وَقَاتَلُوا الْمُوَفَّقَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، ظَهَرُوا ، وَحَمَلُوا عَلَى عَسْكَرِهِ وَهُمْ غَارُّونَ ، مَشَاغِيلُ بِحَرْبِ مِنْ أَمَامِهِمْ ، فَأَسْتَأْمَنَ مِنْهُمْ إِنْسَانٌ مِنَ الْمَلَّاحِينَ ، فَأَخْبَرَ الْمُوَفَّقَ ، فَسَيَّرَ ابْنَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ لِقِتَالِهِمْ وَضَبْطِ الطُّرُقِ الَّتِي يَسْلُكُونَهَا ، فَقَاتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَأَسَرَ أَكْثَرَهُمْ ، وَغَرِقَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَقُتِلَ بَعْضُهُمْ ، وَنَجَا بَعْضُهُمْ ، فَأَمَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَنْ يُحْمَلَ الْأَسْرَى ، وَالرُّءُوسُ ، وَالسُّمَيْرِيَّاتُ وَيُعْبَرَ بِهِمْ عَلَى مَدِينَةِ الْخَبِيثِ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ. |
| وَبَلَغَ الْمُوَفَّقَ أَنَّ الْخَبِيثَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ إِنَّ الْأَسْرَى مِنَ الْمُسْتَأْمِنَةِ ، وَإِنَّ الرُّءُوسَ تَمْوِيهٌ عَلَيْهِمْ ، فَأَمَرَ بِإِلْقَاءِ الرُّءُوِسِ فِي مَنْجَنِيقٍ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوْهَا عَرَفُوهَا ، فَأَظْهَرُوا الْجَزَعَ وَالْبُكَاءَ ، وَظَهَرَ لَهُمْ كَذِبُ الْخَبِيثِ. |
| وَفِيهَا أَمَرَ الْخَبِيثُ بِاتِّخَاذِ شَذَوَاتٍ ، فَعُمِلَتْ لَهُ ، فَكَانَتْ لَهُ خَمْسُونَ شَذَاةً فَقَسَمَهَا بَيْنَ ثَلَاثَةٍ مِنْ قُوَّادِهِ ، وَأَمَرَهُمْ بِالتَّعَرُّضِ لِعَسْكَرِ الْمُوَفَّقِ; وَكَانَتْ شَذَوَاتُ الْمُوَفَّقِ يَوْمَئِذٍ قَلِيلَةً لِأَنَّهُ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ مَا أَمَرَ بِعَمَلِهِ ، وَالَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ مِنْهَا فَرَّقَهَا عَلَى أَفْوَاهِ الْأَنْهَارِ لِقَطْعِ الْمِيرَةِ عَنِ الْخَبِيثِ ، فَخَافَهُمْ أَصْحَابُ الْمُوَفَّقِ ، فَوَرَدَ عَلَيْهِمْ شَذَوَاتٌ كَانَ الْمُوَفَّقُ أَمَرَ بِعَمَلِهَا ، فَسَيَّرَ ابْنَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ لِيُورِدَهَا خَوْفًا عَلَيْهَا مِنَ الزَّنْجِ ، فَلَمَّا أَقْبَلْ بِهَا رَآهَا الزَّنْجُ فَعَارَضُوهَا بِشَذَوَاتِهِمْ ، فَقَصَدَهُمْ غُلَامٌ لِأَبِي الْعَبَّاسِ لِيَمْنَعَهُمْ ، وَقَاتَلَهُمْ ، فَانْكَشَفُوا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَتَبِعَهُمْ حَتَّى أَدْخَلَهُمْ نَهْرَ الْخَصِيبِ ، انْقَطَعَ عَنْ أَصْحَابِهِ ، فَعَطَفُوا عَلَيْهِ ، فَأَخَذُوهُ ، وَمَنْ مَعَهُ بَعْدَ حَرْبٍ شَدِيدَةٍ ، فَقُتِلُوا ، وَسَلِمَتِ الشَّذَوَاتُ مَعَ أَبِي الْعَبَّاسِ ، وَأَصْلَحَهَا ، وَرَتَّبَ فِيهَا مَنْ يُقَاتِلُ. |
| ثُمَّ أَقْبَلَتْ شَذَوَاتُ الْعَلَوِيِّ عَلَى عَادَتِهَا ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ أَبُو الْعَبَّاسِ فِي أَصْحَابِهِ ، فَقَاتَلَهُمْ ، فَهَزَمَهُمْ ، وَظَفِرَ مِنْهُمْ بِعِدَّةِ شَذَوَاتٍ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَنْ ظَفِرَ بِهِ فِيهَا ، فَمَنَعَ الْخَبِيثُ أَصْحَابَهُ مِنَ الْخُرُوجِ عَنْ فِنَاءِ قَصْرِهِ ، وَقَطَعَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمِيرَةَ عَنْهُمْ ، فَاشْتَدَّ جَزَعُ الزَّنْجِ ، وَطَلَبَ جَمَاعَةٌ مِنْ وُجُوهِ أَصْحَابِهِ الْأَمَانَ ، فَأُمِّنُوا ، وَكَانَ مِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ الْقُمِّيُّ ، وَكَانَ إِلَيْهِ ضَبْطُ السُّورِ مِمَّا يَلِي عَسْكَرَ الْمُوَفَّقِ ، فَيَخْرُجُ لَيْلًا ، فَأَمَّنَهُ الْمُوَفَّقُ ، وَوَصَلَهُ بِصِلَاتٍ كَثِيرَةٍ لَهُ وَلِمَنْ خَرَجَ مَعَهُ ، وَحَمَلَهُ عَلَى عِدَّةِ دَوَابَّ بِآلَاتِهَا وَحِلْيَتِهَا ، وَأَرَادَ إِخْرَاجَ زَوْجَتِهِ فَلَمْ يَقْدِرْ ، فَأَخَذَهَا الْخَبِيثُ فَبَاعَهَا; وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْيَرْبُوعِيُّ ، وَكَانَ مِنْ أَشْجَعِ رِجَالِ الْعَلَوِيِّ ، وَغَيْرُهُمَا ، فَخَلَعَ عَلَيْهِمْ ، وَوَصَلَهُمْ بِصِلَاتٍ كَثِيرَةٍ. |
| وَلَمَّا انْقَطَعَتِ الْمِيرَةُ وَالْمَوَادُّ عَنِ الْعَلَوِيِّ أَمَرَ شِبْلًا وَأَبَا الْبَذِّيِّ ، وَهُمَا مِنْ رُؤَسَاءِ قُوَّادِهِ الَّذِينَ يَثِقُ بِهِمْ ، بِالْخُرُوجِ إِلَى الْبَطِيحَةِ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ مِنْ ثَلَاثَةِ وُجُوهٍ لِلْغَارَةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَقَطْعِ الْمِيرَةِ عَنِ الْمُوَفَّقِ ، فَسَيَّرَ الْمُوَفَّقُ إِلَيْهِمْ زِيرَكَ فِي جَمْعٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَقِيَهُمْ بِنَهْرِ ابْنِ عُمَرَ ، فَرَأَى كَثْرَتَهُمْ ، فَرَاعَهُ ذَلِكَ ، ثُمَّ اسْتَخَارَ اللَّهَ تَعَالَى فِي قِتَالِهِمْ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ وَقَاتَلَهُمْ ، فَقَذَفَ اللَّهُ تَعَالَى الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ فَانْهَزَمُوا ، وَوَضَعَ فِيهِمُ السَّيْفَ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَغَرِقَ مِنْهُمْ مِثْلُ ذَلِكَ ، وَأَسَرَ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَأَخَذَ مِنْ سُفُنِهِمْ مَا أَمْكَنَهُ أَخَذُهُ ، وَغَرَّقَ مَا أَمْكَنَهُ تَغْرِيقُهُ ، وَكَانَ مَا أَخَذَهُ مِنْ سُفُنِهِمْ نَحْوَ أَرْبَعَمِائَةِ سَفِينَةٍ ، وَأَقْبَلَ بِالْأُسَارَى وَالرُّءُوسِ إِلَى مَدِينَةِ الْمُوَفَّقِ. |
| ذِكْرُ عُبُورِ الْمُوَفَّقِ إِلَى مَدِينَةِ صَاحِبِ الزَّنْجِ وَفِيهَا عَبَرَ الْمُوَفَّقُ إِلَى مَدِينَةِ الْخَبِيثِ لَسِتٍّ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ; وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ قُوَّادِ الْخَبِيثِ لَمَّا رَأَوْا مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْبَلَاءِ مِنْ قِبَلِ مَنْ يَظْهَرُ مِنْهُمْ ، وَشِدَّةَ الْحِصَارِ عَلَى مَنْ لَزِمَ الْمَدِينَةَ ، وَحَالَ مَنْ خَرَجَ بِالْأَمَانِ ، جَعَلُوا يَهْرُبُونَ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ ، وَيَخْرُجُونَ إِلَى الْمُوَفَّقِ بِالْأَمَانِ. |
| فَلَمَّا رَأَى الْخَبِيثُ ذَلِكَ جَعَلَ عَلَى الطُّرُقِ الَّتِي يُمْكِنُهُمُ الْهَرَبُ مِنْهَا مَنْ يَحْفَظُهَا ، فَأَرْسَلَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْقُوَّادِ إِلَى الْمُوَفَّقِ يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ ، وَأَنْ يُوَجِّهَ لِمُحَارَبَةِ الْخَبِيثِ جَيْشًا لِيَجِدُوا طَرِيقًا إِلَى الْمَصِيرِ إِلَيْهِ ، فَأَمَرَ ابْنَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ بِالْمَسِيرِ إِلَى النَّهْرِ الْغَرْبِيِّ ، وَبِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ يَحْمِيهِ فَنَهَضَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَمَعَهُ الشَّذَوَاتُ ، وَالسُّمَيْرِيَّاتُ ، وَالْمَعَابِرُ ، فَقَصَدَهُ ، وَتَحَارَبَ هُوَ وَعَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ ، وَاشْتَدَّتِ الْحَرْبُ ، وَاسْتَظْهَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ عَلَى الزَّنْجِ ، وَأَمَدَّ الْخَبِيثُ أَصْحَابَهُ بِسُلَيْمَانَ بْنِ جَامِعٍ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، فَاتَّصَلَتِ الْحَرْبُ مِنْ بُكْرَةٍ إِلَى الْعَصْرِ ، وَكَانَ الظَّفَرُ لِأَبِي الْعَبَّاسِ ، وَصَارَ إِلَيْهِ الْقَوْمُ الَّذِينَ طَلَبُوا الْأَمَانَ. |
| وَاجْتَازَ أَبُو الْعَبَّاسِ بِمَدِينَةِ الْخَبِيثِ عِنْدَ نَهْرِ الْأَتْرَاكَ ، فَرَأَى قِلَّةَ الزَّنْجِ هُنَاكَ ، فَطَمِعَ فِيهِمْ ، فَقَصَدَهُمْ أَصْحَابُهُ وَقَدِ انْصَرَفَ أَكْثَرُهُمْ إِلَى الْمُوَفَّقِيَّةِ ، فَدَخَلُوا ذَلِكَ الْمَسْلَكَ ، وَصَعِدَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمُ السُّورَ وَعَلَيْهِ فَرِيقٌ مِنَ الزَّنْجِ ، فَقَتَلُوهُمْ وَسَمِعَ الْعَلَوِيُّ فَجَهَّزَ أَصْحَابَهُ لِحَرْبِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو الْعَبَّاسِ اجْتِمَاعَهُمْ وَحَشْدَهُمْ لِحَرْبِهِ مَعَ قِلَّةِ أَصْحَابِهِ ، رَحَلَ فَأَرْسَلَ إِلَى الْمُوَفَّقِ يَسْتَمِدُّهُ ، فَأَتَاهُ مَنْ خَفَّ مِنَ الْغِلْمَانِ ، فَظَهَرُوا عَلَى الزَّنْجِ فَهَزَمُوهُمْ. |
| وَكَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ لَمَّا رَأَى ظُهُورَ أَبِي الْعَبَّاسِ سَارَ فِي النَّهْرِ مُصْعِدًا فِي جَمْعٍ كَبِيرٍ ، ثُمَّ أَتَى أَصْحَابَ أَبِي الْعَبَّاسِ مِنْ خَلْفِهِمْ ، وَهُمْ يُحَارِبُونَ مَنْ بِإِزَائِهِمْ ، وَخَفَقَتْ طُبُولُهُ ، فَانْكَشَفَ أَصْحَابُ أَبِي الْعَبَّاسِ ، وَرَجَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ كَانَ انْهَزَمَ عَنْهُمْ مِنَ الزَّنْجِ ، فَأُصِيبَ جَمَاعَةٌ مِنْ غِلْمَانِ الْمُوَفَّقِ وَغَيْرِهِمْ ، فَأَخَذَ الزَّنْجُ عِدَّةَ أَعْلَامٍ ، وَحَامَى أَبُو الْعَبَّاسِ عَنْ أَصْحَابِهِ ، فَسَلِمَ أَكْثَرُهُمْ ثُمَّ انْصَرَفَ. |
| وَطَمِعَ الزَّنْجُ بِهَذِهِ الْوَقْعَةِ ، وَشُدَّتْ قُلُوبُهُمْ ، فَأَجْمَعَ الْمُوَفَّقُ عَلَى الْعُبُورِ إِلَى مَدِينَتِهِمْ بِجُيُوشِهِ أَجْمَعَ ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالتَّأَهُّبِ ، وَجَمَعَ الْمَعَابِرَ ، وَالسُّفُنَ وَفَرَّقَهَا عَلَيْهِمْ ، وَعَبَرَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ لَسِتٍّ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، وَفَرَّقَ أَصْحَابَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ لِيَضْطَرَّ الْخَبِيثُ إِلَى تَفْرِقَةِ أَصْحَابِهِ ، وَقَصَدَ الْمُوَفَّقُ إِلَى رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْمَدِينَةِ ، وَهُوَ أَحْصَنُ مَا فِيهَا ، وَقَدْ أَنْزَلَهُ الْخَبِيثُ ابْنَهُ ، وَهُوَ أَنْكِلَايَ ، وَسُلَيْمَانَ بْنَ جَامِعٍ ، وَعَلِيَّ بْنَ أَبَانٍ ، وَغَيْرَهُمْ ، وَعَلَيْهِ مِنَ الْمَجَانِيقِ ، وَالْآلَاتِ لِلْقِتَالِ مَا لَا حَدَّ لَهُ . |
| فَلَمَّا الْتَقَى الْجَمْعَانِ أَمَرَ الْمُوَفَّقُ غِلْمَانَهُ بِالدُّنُوِّ مِنْ ذَلِكَ الرُّكْنِ ، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَلِكَ السُّورِ نَهْرُ الْأَتْرَاكِ ، وَهُوَ نَهْرٌ عَرِيضٌ كَثِيرُ الْمَاءِ ، فَأَحْجَمُوا عَنْهُ ، فَصَاحَ بِهِمُ الْمُوَفَّقُ ، وَحَرَّضَهُمْ عَلَى الْعُبُورِ ، فَعَبَرُوا سِبَاحَةً ، وَالزَّنْجُ تَرْمِيهِمْ بِالْمَجَانِيقِ ، وَالْمَقَالِيعِ ، وَالْحِجَارَةِ ، وَالسِّهَامِ ، فَصَبَرُوا حَتَّى جَاوَزُوا النَّهْرَ ، وَانْتَهَوْا إِلَى السُّورِ ، وَلَمْ يَكُنْ عَبَرَ مَعَهُمْ مِنَ الْفَعَلَةِ مَنْ كَانَ أُعِدَّ لِهَدْمِ السُّورِ ، فَتَوَلَّى الْغِلْمَانُ تَشْعِيثَ السُّورِ بِمَا كَانَ مَعَهُمْ مِنَ السِّلَاحِ ، وَسَهَّلَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ ، وَكَانَ مَعَهُمْ بَعْضُ السَّلَالِيمِ ، فَصَعِدُوا عَلَى ذَلِكَ الرُّكْنِ ، وَنَصَبُوا عَلَمًا مِنْ أَعْلَامِ الْمُوَفَّقِ ، فَانْهَزَمَ الزَّنْجُ عَنْهُ ، وَأَسْلَمُوهُ بَعْدَ قِتَالٍ شَدِيدٍ ، وَقُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ خَلْقٌ كَثِيرٌ; وَلَمَّا عَلَا أَصْحَابُ الْمُوَفَّقِ السُّورَ أَحْرَقُوا مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ مَنْجَنِيقٍ وَقَوْسٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ. |
| وَكَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ قَصَدَ نَاحِيَةً أُخْرَى ، فَمَضَى عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ إِلَى مُقَاتِلَتِهِ ، فَهَزَمَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ ، وَقَتَلَ جَمْعًا كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِهِ وَنَجَا عَلِيٌّ ، وَوَصَلَ أَصْحَابُ أَبِي الْعَبَّاسِ إِلَى السُّورِ ، فَثَلَمُوا فِيهِ ثُلْمَةً ، وَدَخَلُوهُ ، فَلَقِيَهُمْ سُلَيْمَانُ ابْنُ جَامِعٍ ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى رَدَّهُمْ إِلَى مَوَاضِعِهِمْ ، ثُمَّ إِنَّ الْفَعَلَةَ وَافَوُا السُّورَ فَهَدَمُوهُ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ ، فَعَمِلُوا عَلَى الْخَنْدَقِ جِسْرًا ، فَعَبَرَ عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ نَاحِيَةِ الْمُوَفَّقِ ، فَانْهَزَمَ الزَّنْجُ عَنْ سُورِ بَابٍ كَانُوا قَدِ اعْتَصَمُوا بِهِ ، وَانْهَزَمَ النَّاسُ مَعَهُمْ ، وَأَصْحَابُ الْمُوَفَّقِ يَقْتُلُونَهُمْ ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى نَهْرِ ابْنِ سَمْعَانَ ، وَقَدْ صَارَتْ دَارُ ابْنِ سَمْعَانَ فِي أَيْدِي أَصْحَابِ الْمُوَفَّقِ ، فَأَحْرَقُوهَا ، وَقَاتَلَهُمُ الزَّنْجُ هُنَاكَ ، ثُمَّ انْهَزَمُوا حَتَّى بَلَغُوا مَيْدَانَ الْخَبِيثِ ، فَرَكِبَ فِي جَمْعٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ عَنْهُ ، وَقَرُبَ مِنْهُ بَعْضُ رَجَّالَةِ الْمُوَفَّقِ ، فَضَرَبَ وَجْهَ فَرَسِهِ بِتُرْسِهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ مَعَ مَغِيبِ الشَّمْسِ ، فَأَمَرَ الْمُوَفَّقُ النَّاسَ بِالرَّجْعِ ، فَرَجَعُوا وَمَعَهُمْ مِنْ رُءُوسِ أَصْحَابِ الْخَبِيثِ شَيْءٌ كَثِيرٌ. |
| وَكَانَ قَدِ اسْتَأْمَنَ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ أَوَّلَ النَّهَارِ نَفَرٌ مِنْ قُوَّادِ الْخَبِيثِ ، فَتَوَقَّفَ عَلَيْهِمْ حَتَّى حَمَلَهُمْ فِي السُّفُنِ ، وَأَظْلَمَ اللَّيْلُ ، وَهَبَّتْ رِيحٌ عَاصِفٌ ، وَقَوِيَ الْجَزْرُ ، فَلَصِقَ أَكْثَرُ السُّفُنِ بِالطِّينِ ، فَخَرَجَ جَمَاعَةٌ مِنَ الزَّنْجِ فَنَالُوا مِنْهَا ، وَقَتَلُوا فِيهَا نَفَرًا ، وَكَانَ بَهْبُودُ بِإِزَاءِ مَسْرُورٍ الْبَلْخِيِّ ، فَأَوْقَعَ بِأَصْحَابِ مَسْرُورٍ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً ، وَأَسَرَ جَمَاعَةً ، فَكَسَرَ ذَلِكَ مِنْ نَشَاطِ أَصْحَابِ الْمُوَفَّقِ. |
| وَكَانَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْخَبِيثِ قَدِ انْهَزَمَ عَلَى وَجْهِهِ نَحْوَ نَهْرِ الْأَمِيرِ ، وَالْقَنْدَلِ ، وَعَبَّادَانَ ، وَهَرَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَأَرْسَلُوا يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُمُ الْمُوَفَّقُ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِمْ ، وَأَجْرَى الْأَرْزَاقَ عَلَيْهِمْ. |
| وَكَانَ مِمَّنْ رَغِبَ فِي الْأَمَانِ مِنْ قُوَّادِ الْفَاجِرِ رَيْحَانُ بْنُ صَالِحٍ الْمَغْرِبِيُّ ، وَكَانَ مِنْ رُؤَسَاءِ أَصْحَابِهِ ، أَرْسَلَ يَطْلُبُ الْأَمَانَ ، وَأَنْ يُرْسِلَ جَمَاعَةً إِلَى مَكَانٍ ذَكَرَهُ لِيَخْرُجَ إِلَيْهِمْ فَفَعَلَ الْمُوَفَّقُ ، فَصَارَ إِلَيْهِ فَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَوَصَلَهُ ، وَضَمَّهُ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ ، وَاسْتَأْمَنَ مِنْ بَعْدِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ; وَكَانَ خُرُوجُ رَيْحَانَ لِلَيْلَةٍ بَقِيَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنَ السَّنَةِ. |
| ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ الْخَوَارِجِ بِبَلَدِ الْمَوْصِلِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ بَيْنَ هَارُونَ الْخَارِجِيِّ وَبَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ خُرَّزَادَ ، وَهُوَ مِنَ الْخَوَارِجِ أَيْضًا ، وَقْعَةٌ بِبَعْدَرَى مِنْ أَعْمَالِ الْمَوْصِلِ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّا قَدْ ذَكَرْنَا ، سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ الْحَرْبَ الْحَادِثَةَ بَيْنَ هَارُونَ ، وَمُحَمَّدٍ بَعْدَ مَوْتِ مُسَاوِرٍ ، فَلَمَّا كَانَ الْآنَ جَمَعَ مُحَمَّدُ بْنُ خُرَّزَادَ أَصْحَابَهُ وَسَارَ إِلَى هَارُونَ مُحَارِبًا لَهُ ، فَنَزَلَ وَاسِطَ ، وَهِيَ مَحَلَّةٌ بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَوْصِلِ ، وَكَانَ يَرْكَبُ الْبَقَرَ لِئَلَّا يَفِرَّ مِنَ الْقِتَالِ ، وَيَلْبَسُ الصُّوفَ الْغَلِيظَ ، وَيُرَقِّعُ ثِيَابَهُ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْعِبَادَةِ وَالنُّسُكِ ، وَيَجْلِسُ عَلَى الْأَرْضِ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ حَائِلٌ. |
| فَلَمَّا نَزَلَ وَاسِطَ خَرَجَ إِلَيْهِ وُجُوهُ أَهْلِ الْمَوْصِلِ ، وَكَانَ هَارُونُ بِمَعْلَثَايَا يَجْمَعُ لِحَرْبِ مُحَمَّدٍ ، فَلَمَّا سَمِعَ بِنُزُولِ مُحَمَّدٍ عِنْدَ الْمَوْصِلِ سَارَ إِلَيْهِ وَرَحَلَ ابْنُ خُرَّزَادَ نَحْوَهُ ، فَالْتَقَوْا بِالْقُرْبِ مِنْ قَرْيَةِ شَمْرَخَ ، وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا كَانَ فِيهِ مُبَارَزَةٌ ، وَحَمَلَاتٌ كَثِيرَةٌ ، فَانْهَزَمَ هَارُونُ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ نَحْوُ مِائَتَيْ رَجُلٍ ، مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُرْسَانِ الْمَشْهُورِينَ ، وَمَضَى هَارُونُ مُنْهَزِمًا ، فَعَبَرَ دِجْلَةَ إِلَى الْغَرْبِ قَاصِدًا بَنِي تَغْلِبَ ، فَنَصَرُوهُ وَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، وَرَجَعَ ابْنُ خُرَّزَادَ مِنْ حَيْثُ أَقْبَلَ ، وَعَادَ هَارُونُ إِلَى الْحَدِيثَةِ ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَكَاتَبَ أَصْحَابَ ابْنِ خُرَّزَادَ ، وَاسْتَمَالَهُمْ ، فَأَتَاهُ مِنْهُمُ الْكَثِيرُ ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَ ابْنِ خُرَّزَادَ إِلَّا عَشِيرَتُهُ مِنَ الشَّمَرْدَلِيَّةِ ، وَهُمْ مِنْ أَهْلِ شَهْرَزُورَ ، وَإِنَّمَا فَارَقَهُ أَصْحَابُهُ لِأَنَّهُ كَانَ خَشِنَ الْعَيْشِ ، وَهُوَ بِبَلَدِ شَهْرَزُورَ ، وَهُوَ بَلَدٌ كَثِيرُ الْأَعْدَاءِ ، مِنَ الْأَكْرَادِ وَغَيْرِهِمْ. |
| وَكَانَ هَارُونُ بِبَلَدِ الْمَوْصِلِ قَدْ صَلَحَ حَالُهُ وَحَالُ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابُ ابْنِ خُرَّزَادَ ذَلِكَ مَالُوا إِلَيْهِ وَقَصَدُوهُ ، وَوَاقَعَ ابْنُ خُرَّزَادَ بِنَوَاحِي شَهْرَزُورَ الْأَكْرَادَ الْجَلَالِيَّةَ وَغَيْرَهُمْ ، فَقُتِلَ ، وَتَفَرَّدَ هَارُونُ بِالرِّئَاسَةِ عَلَى الْخَوَارِجِ ، وَقَوِيَ وَكَثُرَ أَتْبَاعُهُ ، وَغَلَبُوا عَلَى الْقُرَى ، وَالرَّسَاتِيقِ ، وَجَعَلُوا عَلَى دِجْلَةَ مَنْ يَأْخُذُ الزَّكَاةَ مِنَ الْأَمْوَالِ الْمُنْحَدِرَةِ وَالْمُصْعِدَةِ ، وَبَثُّوا نُوَّابَهُمْ فِي الرَّسَاتِيقِ يَأْخُذُونَ الْأَعْشَارَ مِنَ الْغَلَّاتِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ابْتَدَرَ ابْنُ حَفْصُونَ بِالْأَنْدَلُسِ بِالْخِلَافِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ ، بِنَاحِيَةِ رَيَّةَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ جَيْشٌ مِنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ مَعَ عَامِلِهَا ، فَقَاتَلَهُ ، فَانْهَزَمَ الْجَيْشُ ، وَقَوِيَ أَمْرُ عُمَرَ بْنِ حَفْصُونَ ، وَشَاعَ ذِكْرُهُ ، وَأَتَاهُ مَنْ يُرِيدُ الشَّرَّ وَالْفَسَادَ ، فَسَيَّرَ مُحَمَّدٌ صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ عَامِلًا آخَرَ فِي جَيْشٍ ، فَصَالَحَهُ عُمَرُ ، فَطَلَبَ الْعَامِلُ كُلَّ مَنْ كَانَ لَهُ أَثَرٌ فِي مُسَاعَدَةِ عُمَرَ ، فَأَهْلَكَهُ ، وَفِيهِمْ مَنْ أَبْعَدَهُ ، فَاسْتَقَامَتْ تِلْكَ النَّاحِيَةُ. |
| وَفِيهَا كَانَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ بِالشَّامِ ، وَمِصْرَ ، وَبِلَادِ الْجَزِيرَةِ ، وَإِفْرِيقِيَّةَ ، وَالْأَنْدَلُسِ ، وَكَانَ قَبْلَهَا هَدَّةٌ عَظِيمَةٌ قَوِيَّةٌ. |
| وَفِيهَا وَلِيَ جَزِيرَةَ صِقِلِّيَّةَ الْحَسَنُ بْنُ الْعَبَّاسِ ، فَبَثَّ السَّرَايَا إِلَى كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَخَرَجَ إِلَى قَطَانِيَةَ فَأَفْسَدَ زَرْعَهَا وَزَرْعَ طَبَرْمِينَ ، وَقَطَعَ أَشْجَارَهَا ، وَسَارَ إِلَى بَقَارَةَ فَأَفْسَدَ زَرْعَهَا ، وَانْصَرَفَ إِلَى بَلَرْمَ ، وَأَخْرَجَتِ الرُّومُ سَرَايَا فَأَصَابُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَثِيرًا ، وَذَلِكَ أَيَّامَ الْحَسَنِ بْنِ الْعَبَّاسِ . |
| وَفِيهَا حَبَسَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ وَعِدَّةً مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، بَعْدَ ظَفَرِ الْخُجُسْتَانِيِّ بِعَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ ، وَكَانَ عَمْرٌو اتَّهَمَهُ بِمُكَاتَبَةِ الْخُجُسْتَانِيِّ وَالْحُسَيْنِ بْنِ طَاهِرٍ ، حَيْثُ كَانَ يَذْكُرُ أَنَّهُ عَلَى مَنَابِرِ خُرَاسَانَ. |
| وَفِيهَا كَانَتْ بَيْنَ كَيْغَلَغَ التُّرْكِيِّ وَبَيْنَ أَصْحَابِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ابْنِ أَبِي دُلَفَ حَرْبٌ انْهَزَمَ فِيهَا أَصْحَابُ أَحْمَدَ ، وَسَارَ كَيْغَلَغُ إِلَى هَمَذَانَ ، فَوَافَاهُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِيمَنِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَانْهَزَمَ كَيْغَلَغُ وَانْحَازَ إِلَى الصَّيْمَرَةِ. |
| وَفِيهَا فِي رَبِيعٍ الْآخَرِ مَاتَتْ أُمُّ حَبِيبٍ بِنْتُ الرَّشِيدِ. |
| وَفِيهَا كَانَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَ إِسْحَاقَ بْنِ كُنْدَاجِيقَ ، وَإِسْحَاقَ بْنِ أَيُّوبَ ، وَعِيسَى ابْنِ الشَّيْخِ ، وَأَبِي الْمَغْرَا ، وَحَمْدَانَ بْنِ حَمْدُونَ ، وَمَنِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِيعَةَ ، وَتَغْلِبَ ، وَبَكْرٍ ، وَالْيَمَنِ ، فَهَزَمَهُمُ ابْنُ كُنْدَاجِيقَ إِلَى نَصِيبِينَ ، وَتَبِعَهُمْ إِلَى آمِدَ ، وَخَلَّفَ عَلَى آمِدَ مَنْ حَصَرَ عِيسَى ، فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ وَقَعَاتٌ عِنْدَ آمِدَ. |
| وَفِيهَا دَخَلَ الْخُجُسْتَانِيُّ نَيْسَابُورَ ، وَانْهَزَمَ عَمْرُو بْنُ اللَّيْثِ وَأَصْحَابُهُ ، فَأَسَاءَ السِّيرَةَ فِي أَهْلِهَا ، وَهَدَمَ دُورَ مُعَاذِ بْنِ مُسْلِمٍ ، وَضَرَبَ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ ، وَتَرَكَ ذِكْرَ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَدَعَا لِلْمُعْتَمِدِ وَلِنَفْسِهِ. |
| وَفِيهَا فِي شَوَّالٍ كَانَتْ لِأَصْحَابِ أَبِي السَّاجِ وَقْعَةٌ بِالْهَيْصَمِ الْعِجْلِيِّ قَتَلُوا فِيهَا مُقَدِّمَتَهُ ، وَغَنِمُوا عَسْكَرَهُ. |
| وَفِيهَا أَقْبَلَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخُجُسْتَانِيُّ يُرِيدُ الْعِرَاقَ ، فَبَلَغَ سَمْنَانَ ، وَتَحَصَّنَ مِنْهُ أَهْلُ الرَّيِّ ، فَرَجَعَ إِلَى خُرَاسَانَ. |
| وَفِيهَا رَجَعَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْحُجَّاجِ مِنْ طَرِيقِ مَكَّةَ لِشِدَّةِ الْحَرِّ ، وَمَضَى خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَمَاتَ مِنْهُمْ عَالَمٌ عَظِيمٌ مِنَ الْحَرِّ ، وَالْعَطَشِ ، وَذَاكَ كُلُّهُ فِي الْبَيْدَاءِ وَأَوْقَعَتْ فَزَارَةُ فِيهَا بِالتُّجَّارِ ، فَأُخِذَ فِيمَا قِيلَ سَبْعُمِائَةِ حِمْلِ بَزٍّ. |
| وَفِيهَا نُفِيَ الطَّبَّاعُ مِنْ سَامَرَّا . |
| وَفِيهَا ضَرَبَ الْخُجُسْتَانِيُّ لِنَفْسِهِ دَنَانِيرَ وَدَرَاهِمَ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ مُوسَى بْنِ عِيسَى الْهَاشِمِيُّ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ حَمَّادِ بْنِ بَكْرِ بْنِ حَمَّادٍ أَبُو بَكْرٍ الْمُقْرِئُ صَاحِبُ خَلَفِ بْنِ هِشَامٍ ، فِي رَبِيعٍ الْآخَرِ ، بِبَغْدَاذَ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ أَخْبَارِ الزَّنْجِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي الْمُحَرَّمِ خَرَجَ إِلَى الْمُوَفَّقِ مِنْ قُوَّادِ الْخَبِيثِ جَعْفَرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَعْرُوفُ بِالسَّجَّانِ ، وَكَانَ مِنْ ثِقَاتِ الْخَبِيثِ ، فَارْتَاعَ لِذَلِكَ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ الْمُوَفَّقُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَحَمَلَهُ فِي سُمَيْرِيَّةٍ إِلَى إِزَاءِ قَصْرِ الْخَبِيثِ ، فَكَلَّمَ النَّاسَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ فِي غُرُورٍ ، وَأَعْلَمَهُمْ بِمَا وَقَفَ عَلَيْهِ مِنْ كَذِبِ الْخَبِيثِ وَفُجُورِهِ ، فَاسْتَأْمَنَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ قُوَّادِ الزَّنْجِ وَغَيْرِهِمْ ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمُ الْمُوَفَّقُ ، وَتَتَابَعَ النَّاسُ فِي طَلَبِ الْأَمَانِ. |
| ثُمَّ أَقَامَ الْمُوَفَّقُ لَا يُحَارِبُ لِيُرِيحَ أَصْحَابَهُ إِلَى شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ ، فَلَمَّا انْتَصَفَ رَبِيعٌ الْآخِرُ قَصَدَ الْمُوَفَّقُ إِلَى مَدِينَةِ الْخَبِيثِ ، وَفَرَّقَ قُوَّادَهُ عَلَى جِهَاتِهَا ، وَجَعَلَ مَعَ كُلِّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ مِنَ النَّقَّابِينَ جَمَاعَةً لِهَدْمِ السُّورِ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى جَمِيعِهِمْ أَنْ لَا يَزِيدُوا عَلَى هَدْمِ السُّورِ ، وَلَا يَدْخُلُوا الْمَدِينَةَ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى الرُّمَاةِ أَنْ يَحْمُوا بِالسِّهَامِ مَنْ يَهْدِمُ السُّورَ وَيَنْقُبُهُ ، فَتَقَدَّمُوا إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ جِهَاتِهَا وَقَابَلُوهَا ، فَوَصَلُوا إِلَى السُّورِ ، وَثَلَمُوهُ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ. |
| وَدَخَلَ أَصْحَابُ الْمُوَفَّقِ مِنْ جَمِيعِ تِلْكَ الثُّلَمِ ، وَجَاءَ أَصْحَابُ الْخَبِيثِ يُحَارِبُونَهُمْ ، فَهَزَمَهُمْ أَصْحَابُ الْمُوَفَّقِ وَتَبِعُوهُمْ حَتَّى أَوْغَلُوا فِي طَلَبِهِمْ ، فَاخْتَلَفَتْ بِهِمْ طُرُقُ الْمَدِينَةِ ، فَبَلَغُوا أَبْعَدَ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي وَصَلُوا إِلَيْهِ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى ، وَأَحْرَقُوا ، وَأَسَرُوا ، وَتَرَاجَعَ الزَّنْجُ عَلَيْهِمْ ، وَخَرَجَ الْكُمَنَاءُ مِنْ مَوَاضِعَ يَعْرِفُونَهَا وَيَجْهَلُهَا الْآخَرُونَ ، فَتَحَيَّرُوا ، وَدَافَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَتَرَاجَعُوا نَحْوَ دِجْلَةَ بَعْدَ أَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ ، وَأَخَذَ الزَّنْجُ أَسْلَابَهُمْ. |
| وَرَجَعَ الْمُوَفَّقُ إِلَى مَدِينَتِهِ ، وَأَمَرَ بِجَمْعِهِمْ ، فَلَامَهُمْ عَلَى مُخَالَفَةِ أَمْرِهِ ، وَالْإِفْسَادِ عَلَيْهِ مِنْ رَأْيِهِ وَتَدْبِيرِهِ ، وَأَمَرَ بِإِحْصَاءِ مَنْ فُقِدَ ، وَأَقَرَّ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ رِزْقٍ عَلَى أَوْلَادِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ ، فَحَسُنَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ ، وَزَادَ فِي صِحَّةِ نِيَّاتِهِمْ. |
| ذِكْرُ الْوَقْعَةِ بَيْنَ الْمُعْتَضِدِ وَالْأَعْرَابِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَوْقَعَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الْمُوَفَّقِ وَهُوَ الْمُعْتَضِدُ بِاللَّهِ بِقَوْمٍ مِنَ الْأَعْرَابِ كَانُوا يَحْمِلُونَ الْمِيرَةَ إِلَى عَسْكَرِ الْخَبِيثِ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً وَأَسَرَ الْبَاقِينَ ، وَغَنِمَ مَا كَانَ مَعَهُمْ ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْبَصْرَةِ مَنْ أَقَامَ بِهَا لِأَجْلِ قَطْعِ الْمِيرَةِ. |
| وَسَيَّرَ الْمُوَفَّقُ رَشِيقًا مَوْلَى أَبِي الْعَبَّاسِ ، فَأَوْقَعَ بِقَوْمٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ كَانُوا يَجْلِبُونَ الْمِيرَةَ إِلَى الْخَبِيثِ ، فَقَتَلَ أَكْثَرَهُمْ ، وَأَسَرَ جَمَاعَةً مِنْهُمْ ، فَحَمَلَ الْأَسْرَى ، وَالرُّءُوسَ إِلَى الْمُوَفَّقِيَّةِ ، فَأَمَرَ بِهِمُ الْمُوَفَّقُ ، فَوَقَفُوا بِإِزَاءِ عَسْكَرِ الزَّنْجِ ، وَكَانَ فِيهِمْ رَجُلٌ يُسْفِرُ بَيْنَ صَاحِبِ الزَّنْجِ وَالْأَعْرَابِ بِجَلْبِ الْمِيرَةِ ، فَقُطِعَتْ يَدُهُ وَرِجْلُهُ ، وَأُلْقِيَ فِي عَسْكَرِ الْخَبِيثِ ، وَأَمَرَ بِضَرْبِ أَعْنَاقِ الْأُسَارَى ، وَانْقَطَعَتِ الْمِيرَةُ بِذَلِكَ عَنِ الْخَبِيثِ بِالْكُلِّيَّةِ ، فَأَضَرَّ بِهِمُ الْحِصَارُ ، وَأَضْعَفَ أَبْدَانَهُمْ ، فَكَانَ يَسْأَلُ الْأَسِيرَ ، وَالْمُسْتَأْمِنَ عَنْ عَهْدِهِ بِالْخُبْزِ فَيَقُولُ عَهْدِي بِهِ مُنْذُ زَمَانٍ طَوِيلٍ. |
| فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى هَذَا الْحَالِ رَأَى الْمُوَفَّقُ أَنْ يُتَابِعَ عَلَيْهِمُ الْحَرْبَ لِيَزِيدَهُمْ ضُرًّا وَجَهْدًا ، فَكَثُرَ الْمُسْتَأْمِنُونَ فِي هَذَا الْوَقْتِ ، وَخَرَجَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِ الْخَبِيثِ ، فَتَفَرَّقُوا فِي الْقُرَى وَالْأَنْهَارِ الْبَعِيدَةِ فِي طَلَبِ الْقُوتِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْمُوَفَّقَ ، فَأَمَرَ جَمَاعَةً مِنْ قُوَّادِ غِلْمَانِهِ السُّودَانِ بِقَصْدِ تِلْكَ الْمَوْضِعِ وَدَعْوَةِ مَنْ بِهَا إِلَيْهِ ، فَمَنْ أَبَى قَتَلُوهُ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَأَتَاهُ أَكْثَرُ مِنْهُمْ. |
| فَلَمَّا كَثُرَ الْمُسْتَأْمِنُونَ عِنْدَ الْمُوَفَّقِ عَرَضَهُمْ ، فَمَنْ كَانَ ذَا قُوَّةٍ وَجَلَدٍ أَحْسَنَ إِلَيْهِ وَخَلَطَهُ بِغِلْمَانِهِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ ضَعِيفًا ، أَوْ شَيْخًا ، أَوْ جَرِيحًا قَدْ أَزْمَنَتْهُ الْجِرَاحَةُ كَسَاهُ ، وَأَعْطَاهُ دَرَاهِمَ ، وَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُحْمَلَ إِلَى عَسْكَرِ الْخَبِيثِ فَيُلْقَى هُنَاكَ ، وَيُؤْمَرَ بِذِكْرِ مَا رَأَى مِنْ إِحْسَانِ الْمُوَفَّقِ إِلَى مَنْ صَارَ إِلَيْهِ ، وَأَنَّ ذَلِكَ رَأْيُهُ فِيهِمْ. |
| فَتَهَيَّأَ لَهُ بِذَلِكَ مَا أَرَادَ مِنَ اسْتِمَالَةِ أَصْحَابِ الْخَبِيثِ. |
| وَجَعَلَ الْمُوَفَّقُ وَابْنُهُ أَبُو الْعَبَّاسِ يُلَازِمَانِ قِتَالَ الْخَبِيثِ تَارَةً هَذَا وَتَارَةً هَذَا ، وَجُرِحَ أَبُو الْعَبَّاسِ ثُمَّ بَرَأَ. |
| وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ قُتِلَ مِنْ أَعْيَانِ قُوَّادِ الْخَبِيثِ بَهْبُودُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْخُرُوجِ فِي السُّمَيْرِيَّاتِ ، وَكَانَ يَنْصِبُ عَلَيْهَا أَعْلَامًا تُشْبِهُ أَعْلَامَ الْمُوَفَّقِ ، فَإِذَا رَأَى مَنْ يَسْتَضْعِفُهُ أَخَذَهُ ، وَأَخَذَ مِنْ ذَلِكَ مَالًا جَزِيلًا ، فَوَاقَعَهُ فِي بَعْضِ خَرَجَاتِهِ أَبُو الْعَبَّاسِ ، فَأَفْلَتَ بَعْدَ أَنْ أَشَفَى عَلَى الْهَلَاكِ ، ثُمَّ إِنَّهُ خَرَجَ مَرَّةً أُخْرَى فَرَأَى سُمَيْرِيَّةً فِيهَا بَعْضُ أَصْحَابِ أَبِي الْعَبَّاسِ ، فَقَصَدَهَا طَامِعًا فِي أَخْذِهَا ، فَحَارَبَهُ أَهْلُهَا ، فَطَعَنَهُ غُلَامٌ مِنْ غِلْمَانِ أَبِي الْعَبَّاسِ فِي بَطْنِهِ فَسَقَطَ فِي الْمَاءِ ، فَأَخَذَهُ أَصْحَابُهُ ، فَحَمَلُوهُ إِلَى عَسْكَرِ الْخَبِيثِ ، فَمَاتَ قَبْلَ وُصُولِهِ ، فَأَرَاحَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ شَرِّهِ . |
| وَكَانَ قَتْلُهُ مِنْ أَعْظَمِ الْفُتُوحِ ، وَعَظُمَتِ الْفَجِيعَةُ عَلَى الْخَبِيثِ وَأَصْحَابِهِ ، وَاشْتَدَّ جَزَعُهُمْ عَلَيْهِ ، وَبَلَغَ الْخَبَرُ الْمُوَفَّقَ بِقَتْلِهِ ، فَأَحْضَرَ ذَلِكَ الْغُلَامَ ، فَوَصَلَهُ ، وَكَسَاهُ ، وَطَوَّقَهُ ، وَزَادَ فِي أَرْزَاقِهِ ، وَفَعَلَ بِكُلِّ مَنْ كَانَ مَعَهُ فِي تِلْكَ السُّمَيْرِيَّةِ نَحْوَ ذَلِكَ. |
| ثُمَّ ظَفِرَ الْمُوَفَّقُ بِالذَّوَائِبِيِّ ، وَكَانَ مُمَايِلًا لِصَاحِبِ الزَّنْجِ. |
| ذِكْرُ أَخْبَارِ رَافِعِ بْنِ هَرْثَمَةَ لَمَّا قُتِلَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخُجُسْتَانِيُّ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَكَانَ قَتْلُهُ هَذِهِ السَّنَةَ ، اتَّفَقَ أَصْحَابُهُ عَلَى رَافِعِ بْنِ هَرْثَمَةَ فَوَلَّوْهُ أَمْرَهُمْ. |
| وَكَانَ رَافِعٌ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، فَلَمَّا اسْتَوْلَى يَعْقُوبُ بْنُ اللَّيْثِ عَلَى نَيْسَابُورَ ، وَأَزَالَ الطَّاهِرِيَّةَ ، صَارَ رَافِعٌ فِي جُمْلَتِهِ ، فَلَمَّا عَادَ يَعْقُوبُ إِلَى سِجِسْتَانَ صَحِبَهُ رَافِعٌ ، وَكَانَ طَوِيلَ اللِّحْيَةِ ، كَرِيهَ الْوَجْهِ ، قَلِيلَ الطَّلَاقَةِ ، فَدَخَلَ يَوْمًا عَلَى يَعْقُوبَ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ قَالَ أَنَا لَا أَمِيلُ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ ، فَلْيَلْحَقْ بِمَا شَاءَ مِنَ الْبِلَادِ ، فَقِيلَ لَهُ ذَلِكَ ، فَفَارَقَهُ وَعَادَ إِلَى مَنْزِلِهِ بِتَامِينَ ، وَهِيَ مِنْ بَاذَغِيسَ ، وَأَقَامَ بِهِ إِلَى أَنِ اسْتَقْدَمَهُ الْخُجُسْتَانِيُّ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَجَعَلَهُ صَاحِبَ جَيْشِهِ. |
| فَلَمَّا قُتِلَ الْخُجُسْتَانِيُّ اجْتَمَعَ الْجَيْشُ عَلَيْهِ ، وَهُوَ بِهَرَاةَ ، فَأَمَّرُوهُ كَمَا ذَكَرْنَا. |
| وَسَارَ رَافِعٌ مِنْ هَرَاةَ إِلَى نَيْسَابُورَ ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ بْنِ شَرْكُبَ قَدْ وَرَدَهَا مِنْ جُرْجَانَ ، فَحَصَرَهُ فِيهَا رَافِعٌ وَقَطَعَ الْمِيرَةَ عَنْهُ وَعَنْ نَيْسَابُورَ ، فَاشْتَدَّ الْغَلَاءُ بِهَا ، فَفَارَقَهَا أَبُو طَلْحَةَ ، وَدَخَلَهَا رَافِعٌ فَأَقَامَ بِهَا ، وَذَلِكَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَسَارَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى مَرْوَ ، وَوَلَّى مُحَمَّدَ بْنَ مُهْتَدِي هَرَاةَ ، وَخُطِبَ لِمُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ بِمَرْوَ وَهَرَاةَ ، فَقَصَدَهُ عَمْرُو بْنُ اللَّيْثِ ، فَحَارَبَهُ ، فَهَزَمَهُ ، وَاسْتَخْلَفَ عَمْرٌو بِمَرْوَ مُحَمَّدَ بْنَ سَهْلِ بْنِ هَاشِمٍ ، وَعَادَ عَنْهَا ، وَخَرَجَ شَرْكُبُ إِلَى بِيكَنْدَ ، وَاسْتَعَانَ بِإِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ السَّامَانِيِّ ، فَأَمَدَّهُ بِعَسْكَرِهِ ، فَعَادَ إِلَى مَرْوَ ، فَأَخْرَجَ عَنْهَا مُحَمَّدَ بْنَ سَهْلٍ ، وَأَغَارَ عَلَى أَهْلِ الْبَلَدِ ، وَخُطِبَ لِعَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ ، وَذَلِكَ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ . |
| وَقَلَّدَ الْمُوَفَّقُ تِلْكَ السَّنَةَ أَعْمَالَ خُرَاسَانَ مُحَمَّدَ بْنَ طَاهِرٍ ، وَكَانَ بِبَغْدَاذَ فَاسْتَخْلَفَ مُحَمَّدٌ عَلَى أَعْمَالِهِ رَافِعَ بْنَ هَرْثَمَةَ ، مَا خَلَا مَا وَرَاءَ النَّهْرِ فَإِنَّهُ أَقَرَّ عَلَيْهِ نَصْرَ بْنَ أَحْمَدَ ، وَوَرَدَتْ كُتُبُ الْمُوَفَّقِ إِلَى خُرَاسَانَ بِذَلِكَ ، وَبِعَزْلِ عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ وَلَعْنِهِ ، فَسَارَ رَافِعٌ إِلَى هَرَاةَ وَبِهَا مُحَمَّدُ بْنُ مُهْتَدِي خَلِيفَةُ أَبِي طَلْحَةَ شَرْكُبَ ، فَقَتَلَهُ يُوسُفُ بْنُ مَعْبَدٍ ، وَأَقَامَ بِهَرَاةَ ، فَلَمَّا وَافَاهُ رَافِعٌ اسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ يُوسُفُ فَأَمَّنَهُ وَعَفَا عَنْهُ ، فَاسْتَعْمَلَ عَلَى هَرَاةَ مَهْدِيَّ بْنَ مُحْسِنٍ ، فَاسْتَمَدَّ رَافِعُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ أَحْمَدَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ بِنَفْسِهِ فِي أَرْبَعَةِ آلَافِ فَارِسٍ ، وَاسْتَقْدَمَ رَافِعٌ أَيْضًا عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ الْمَرْوَرُّوذِيَّ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ ، فَسَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ إِلَى شَرْكُبَ ، وَهُوَ بِمَرْوَ ، فَحَارَبُوهُ فَهَزَمُوهُ ، وَعَادَ إِسْمَاعِيلُ إِلَى مَحَازِلَ ؟ وَذَلِكَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَسَارَ شَرْكُبُ إِلَى هَرَاةَ ، فَطَابَقَهُ مَهْدِيٌّ وَخَالَفَ رَافِعًا ، فَقَصَدَهُمَا رَافِعٌ فَهَزَمَهُمَا. |
| وَأَمَّا شَرْكُبُ فَإِنَّهُ لَحِقَ بِعَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ ، وَأَمَّا مَهْدِيٌّ فَإِنَّهُ اخْتَفَى فِي سَرَبٍ ، فَدُلَّ عَلَيْهِ رَافِعٌ ، فَأَخَذَهُ ، وَقَالَ لَهُ تَبًّا لَكَ يَا قَلِيلَ الْوَفَاءِ! |
| ثُمَّ عَفَا عَنْهُ وَخَلَّى سَبِيلَهُ ، وَسَارَ رَافِعٌ إِلَى خُوَارِزْمَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَجَبَى أَمْوَالَهَا ، وَرَجَعَ إِلَى نَيْسَابُورَ. |
| ذِكْرُ الْحَوَادِثِ بِالْأَنْدَلُسِ وَبِإِفْرِيقِيَّةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَيَّرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ جَيْشًا مَعَ ابْنِهِ الْمُنْذِرِ إِلَى الْمُخَالِفِينَ عَلَيْهِ ، فَقَصَدَ مَدِينَةَ سَرَقُسْطَةَ ، فَأَهْلَكَ زَرْعَهَا ، وَخَرَّبَ بَلَدَهَا ، وَافْتَتَحَ حِصْنَ رُوطَةَ ، فَأَخَذَ مِنْهُ عَبْدَ الْوَاحِدِ الرُّوطِيَّ ، وَهُوَ مِنْ أَشْجَعِ أَهْلِ زَمَانِهِ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى دَيْرِ تَرُوجَةَ ، وَبَلَدِ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْكَبِ بْنِ مُوسَى ، فَهَتَكَهُمَا بِالْغَارَةِ ، وَقَصَدَ مَدِينَةَ لَارَدَةَ ، وَقَرْطَاجَةَ ، فَكَانَ فِيهَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُوسَى ، فَحَارَبَهُ ، فَأَذْعَنَ إِسْمَاعِيلُ بِالطَّاعَةِ ، وَتَرَكَ الْخِلَافَ ، وَأَعْطَى رَهَائِنَهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَقَصَدَ مَدِينَةَ أَنْقَرَةَ وَهِيَ لِلْمُشْرِكِينَ ، فَافْتَتَحَ هُنَالِكَ حُصُونًا وَعَادَ. |
| وَفِيهَا أَوْقَعَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْأَغْلَبِ بِأَهْلِ بَلَدِ الزَّابِ ، وَكَانَ قَدْ حَضَرَ وُجُوهُهُمْ عِنْدَهُ ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، وَوَصَلَهُمْ ، وَكَسَاهُمْ ، وَحَمَلَهُمْ ، ثُمَّ قَتَلَ أَكْثَرَهُمْ ، حَتَّى الْأَطْفَالَ ، وَحَمَلَهُمْ عَلَى الْعَجَلِ إِلَى حُفْرَةٍ فَأَلْقَاهُمْ فِيهَا. |
| وَفِيهَا سَارَتْ سَرِيَّةٌ بِصِقِلِّيَةَ مُقَدَّمُهَا رَجُلٌ يُعْرَفُ بِأَبِي الثَّوْرِ ، فَلَقِيَهُمْ جَيْشُ الرُّومِ ، فَأُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ غَيْرَ سَبْعَةِ نَفَرٍ. |
| وَعُزِلَ الْحَسَنُ بْنُ الْعَبَّاسِ عَنْ صِقِلِّيَةَ ، وَوَلِيَهَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ ، فَبَثَّ السَّرَايَا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ صِقِلِّيَةَ ، وَخَرَجَ هُوَ فِي حَشْدٍ وَجَمْعٍ عَظِيمٍ ، فَسَارَ إِلَى مَدِينَةِ قَطَانِيَةَ فَأَهْلَكَ زَرْعَهَا ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى أَصْحَابِ الشَّلَنْدِيَّةِ فَقَاتَلَهُمْ ، فَأَصَابَ فِيهِمْ فَأَكْثَرَ الْقَتْلَ ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى طَبَرْمِينَ فَأَفْسَدَ زَرْعَهَا ، ثُمَّ رَحَلَ فَلَقِيَ عَسَاكِرَ الرُّومِ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ الرُّومُ ، وَقُتِلَ أَكْثَرُهُمْ فَكَانَتْ عِدَّةُ الْقَتْلَى ثَلَاثَةَ آلَافِ قَتِيلٍ ، وَوَصَلَتْ رُءُوسُهُمْ إِلَى بَلَرْمَ. |
| ثُمَّ سَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى قَلْعَةٍ كَانَ الرُّومُ بَنَوْهَا عَنْ قَرِيبٍ ، وَسَمَّوْهَا مَدِينَةَ الْمَلِكِ ، فَمَلَكَهَا الْمُسْلِمُونَ عَنْوَةً ، وَقَتَلُوا مُقَاتِلَتَهَا ، وَسَبَوْا مَنْ فِيهَا. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِيهَا سَارَ عَمْرُو بْنُ اللَّيْثِ إِلَى فَارِسَ لِحَرْبِ عَامِلِهَا مُحَمَّدِ بْنِ اللَّيْثِ عَلَيْهَا ، فَهَزَمَهُ عَمْرٌو ، وَاسْتَبَاحَ عَسْكَرَهُ ، وَنَجَا مُحَمَّدٌ ، وَدَخَلَ عَمْرٌو إِصْطَخْرَ ، فَنَهَبَهَا ، وَأَصْحَابُهُ ، وَوَجَّهَ فِي طَلَبِ مُحَمَّدٍ ، فَظَفِرَ بِهِ ، وَأَخَذَهُ أَسِيرًا ، ثُمَّ سَارَ إِلَى شِيرَازَ فَأَقَامَ بِهَا. |
| وَفِيهَا زُلْزِلَتْ بَغْدَاذُ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَوَقَعَ بِهَا أَرْبَعُ صَوَاعِقَ. |
| وَفِيهَا زَحَفَ الْعَبَّاسُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ لِحَرْبِ أَبِيهِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبُوهُ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، فَظَفِرَ بِهِ ، وَرَدَّهُ إِلَى مِصْرَ ، فَرَجَعَ مَعَهُ إِلَيْهَا ، وَقَدْ تَقَدَّمَ خَبَرُهُ سَابِقًا. |
| وَفِيهَا أَوْقَعَ أَخُو شَرْكُبَ بِالْخُجُسْتَانِيِّ ، وَأَخَذَ أُمَّهُ. |
| وَفِيهَا وَثَبَ ابْنُ شَبَثِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، فَأَسَرَ عُمَرَ بْنَ سِيمَا عَامِلَ حُلْوَانَ . |
| وَفِيهَا انْصَرَفَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْأَصْبَغِ مِنْ عِنْدِ عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ ، وَكَانَ عَمْرٌو قَدْ أَنْفَذَهُ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي دُلَفَ ، فَقَدِمَ مَعَهُ بِمَالٍ ، فَأَرْسَلَ عَمْرٌو إِلَى الْمُوَفَّقِ مِنَ الْمَالِ ثَلَاثَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَخَمْسِينَ مَنًّا مِسْكًا ، وَخَمْسِينَ مَنًّا عَنْبَرًا ، وَمِائَتَيْ مَنٍّ عُودٍ ، وَثَلَاثَمِائَةِ ثَوْبٍ وَشِيٍّ ، وَآنِيَةَ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، وَدَوَابَّ ، وَغِلْمَانًا بِقِيمَةِ مِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ. |
| وَفِيهَا وَلِيَ كَيْغَلَغُ الْخَلِيلُ بْنُ رَمَّالٍ حُلْوَانَ ، فَنَالَهُمْ بِالْمَكَارِهِ بِسَبَبِ عُمَرَ بْنِ سِيمَا ، وَأَخَذَهُمْ بِجَرِيرَةِ ابْنِ شَبَثٍ ، وَضَمِنُوا لَهُ خَلَاصَ عُمَرَ ، وَإِصْلَاحَ ابْنِ شَبَثٍ. |
| وَفِيهَا كَانَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَ أَذْكُوتَكِينَ بْنِ أَسَاتِكِينَ ، وَبَيْنَ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي دُلَفَ ، فَهَزَمَهُ أَذْكُوتَكِينُ ، وَغَلَبَهُ عَلَى قُمَّ. |
| وَفِيهَا وَجَّهَ عَمْرُو بْنُ اللَّيْثِ قَائِدًا بِأَمْرِ أَبِي أَحْمَدَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْكُرْدِيِّ ، فَأَسَرَهُ الْقَائِدُ وَحَمَلَهُ إِلَيْهِ. |
| وَفِيهَا ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، خَرَجَ بِالشَّامِ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ الْهَاشِمِيِّ يُقَالُ لَهُ بَكَّارٌ بَيْنَ سَلَمِيَّةَ ، وَحَلَبَ ، وَحِمْصَ ، فَدَعَا لِأَبِي أَحْمَدَ ، فَحَارَبَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ الْكِلَابِيُّ ، فَانْهَزَمَ الْكِلَابِيُّ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ لُؤْلُؤٌ صَاحِبُ ابْنِ طُولُونَ قَائِدًا يُقَالُ لَهُ يُوذَرُ فِي عَسْكَرٍ ، فَرَجَعَ وَلَيْسَ مَعَهُ كَبِيرُ أَمْرٍ. |
| وَفِيهَا أَظْهَرَ لُؤْلُؤٌ الْخِلَافَ عَلَى مَوْلَاهُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ. |
| وَفِيهَا قُتِلُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخُجُسْتَانِيُّ فِي ذِي الْحِجَّةِ ، قَتَلَهُ غُلَامٌ لَهُ . |
| وَفِيهَا قَتَلَ أَصْحَابُ أَبِي السَّاجِ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ حَبِيبٍ الْيَشْكُرِيَّ بِالْقَرْيَةِ ، بِنَاحِيَةِ وَاسِطَ ، وَنُصِبَ رَأْسُهُ بِبَغْدَاذَ. |
| وَفِيهَا حَارَبَ مُحَمَّدُ بْنُ كِيجُورَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ كَفْتِمُرَ ، فَأَسَرَ كَفْتِمُرَ ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ ، وَذَلِكَ فِي ذِي الْحِجَّةِ. |
| وَفِيهَا سَارَ أَبُو الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيُّ إِلَى مَكَّةَ ، وَعَامِلُهَا هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْهَاشِمِيُّ ، فَجَمَعَ هَارُونُ جَمْعًا احْتَمَى بِهِمْ ، فَسَارَ الْمَخْزُومِيُّ إِلَى مُشَاشَ فَغَوَّرَ مَاءَهَا ، وَإِلَى جُدَّةَ فَنَهَبَ الطَّعَامَ ، وَأَحْرَقَ بُيُوتَ أَهْلِهَا ، فَصَارَ الْخُبْزُ بِمَكَّةَ أُوقِيَّتَانِ بِدِرْهَمٍ. |
| وَفِيهَا خَرَجَ مَلِكُ الرُّومِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الصَّقْلَبِيَّةِ ، فَنَازَلَ مَلْطِيَةَ ، فَأَعَانَهُمْ أَهْلُ مَرْعَشَ ، وَالْحَدَثِ ، فَانْهَزَمَ مَلِكُ الرُّومِ. |
| وَغَزَا الصَّائِفَةَ مِنْ نَاحِيَةِ الثُّغُورِ الشَّامِيَّةِ ، الْفَرْغَانِيُّ عَامِلُ ابْنِ طُولُونَ ، فَقَتَلَ مِنَ الرُّومِ بِضْعَةَ عَشَرَ أَلْفًا ، وَغَنِمَ النَّاسُ ، فَبَلَغَ السَّهْمُ أَرْبَعِينَ دِينَارًا. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِيهَا هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْهَاشِمِيُّ ، وَابْنُ أَبِي السَّاجِ عَلَى الْأَحْدَاثِ وَالطَّرِيقِ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ الْمِصْرِيُّ الْفَقِيهُ الْمَالِكِيُّ ، وَكَانَ قَدْ صَحِبَ الشَّافِعِيَّ ، وَأَخَذَ عَنْهُ الْعِلْمَ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ أَخْبَارِ الزَّنْجِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ رُمِيَ الْمُوَفَّقُ بِسَهْمٍ فِي صَدْرِهِ; وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ بَهْبُودَ لَمَّا هَلَكَ طَمِعَ الْعَلَوِيُّ فِي مَالَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَكَانَ قَدْ صَحَّ عِنْدَهُ أَنَّ مَلِكَهُ قَدْ حَوَى مِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَجَوْهَرًا ، وَفِضَّةً ، فَطَلَبَ ذَلِكَ ، وَأَخَذَ أَهْلَهُ وَأَصْحَابَهُ فَضَرَبَهُمْ ، وَهَدَمَ أَبْنِيَتَهُ طَمَعًا فِي الْمَالِ ، فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا ، فَكَانَ فِعْلُهُ مِمَّا أَفْسَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الْهَرَبِ مِنْهُ ، فَأَمَرَ الْمُوَفَّقُ بِالنِّدَاءِ بِالْأَمَانِ فِي أَصْحَابِ بَهْبُودَ ، فَسَارَعُوا إِلَيْهِ فَأَلْحَقَهُمْ فِي الْعَطَاءِ بِمَنْ تَقَدَّمَ. |
| وَرَأَى الْمُوَفَّقُ مَا كَانَ يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ مِنَ الْعُبُورِ إِلَى الزَّنْجِ فِي الْأَوْقَاتِ الَّتِي تَهُبُّ فِيهَا الرِّيَاحُ لِتُحَرِّكَ الْأَمْوَاجَ ، فَعَزَمَ عَلَى أَنْ يُوَسِّعَ لِنَفْسِهِ وَلِأَصْحَابِهِ مَوْضِعًا فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ، فَأَمَرَ بِقَطْعِ النَّخْلِ وَإِصْلَاحِ الْمَكَانِ ، وَأَنْ يُعْمَلَ لَهُ الْخَنَادِقُ ، وَالسُّورُ لِيَأْمَنَ الْبَيَاتَ ، وَجَعَلَ حِمَايَةَ الْعَامِلِينَ فِيهِ نُوَبًا عَلَى قُوَّادِهِ. |
| فَعَلِمَ صَاحِبُ الزَّنْجِ ، وَأَصْحَابُهُ أَنَّ الْمُوَفَّقَ إِذَا جَاوَرَهُمْ قَرَّبَ عَلَى مَنْ يُرِيدُ اللَّحَاقَ بِهِ الْمَسَافَةَ مَعَ مَا يَدْخُلُ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ مِنَ الْخَوْفِ ، وَانْتِقَاضِ تَدْبِيرِهِ عَلَيْهِ ، فَاهْتَمُّوا بِمَنْعِ الْمُوَفَّقِ مِنْ ذَلِكَ ، وَبُذِلَ الْجُهْدُ فِيهِ ، وَقَاتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ ، فَاتَّفَقَ أَنَّ الرِّيحَ عَصَفَتْ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْأَيَّامِ وَقَائِدٌ مِنَ الْقُوَّادِ هُنَاكَ ، فَانْتَهَزَ الْخَبِيثُ الْفُرْصَةَ فِي إِنْفَاذِ هَذَا الْقَائِدِ ، وَانْقِطَاعِ الْمَدَدِ عَنْهُ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ جَمِيعَ أَصْحَابِهِ ، فَقَاتَلُوهُ ، فَهَزَمُوهُ ، وَقَتَلُوا كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَلَمْ تَجِدِ الشَّذَوَاتُ الَّتِي لِأَصْحَابِ الْمُوَفَّقِ سَبِيلًا إِلَى الْقُرْبِ مِنْهُمْ خَوْفًا مِنَ الزَّنْجِ أَنْ تُلْقِيَهَا عَلَى الْحِجَارَةِ فَتَنْكَسِرَ ، فَغَلَبَ الزَّنْجُ عَلَيْهِمْ ، وَأَكْثَرُوا الْقَتْلَ وَالْأَسْرَ ، وَمَنْ سَلِمَ مِنْهُمْ أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الشَّذَوَاتِ وَعَبَرُوا إِلَى الْمُوَفَّقِيَّةِ ، فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ. |
| وَنَظَرَ الْمُوَفَّقُ فَرَأَى أَنَّ نُزُولَهُ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ لَا يَأْمَنُ عَلَيْهِ حِيلَةَ الزَّنْجِ وَصَاحِبِهِمْ ، وَانْتِهَازِ فُرْصَةٍ ، لِكَثْرَةِ الْأَدْغَالِ ، وَصُعُوبَةِ الْمَسَالِكِ ، وَأَنَّ الزَّنْجَ أَعْرَفُ بِتِلْكَ الْمَضَايِقِ ، وَأَجْرَأُ عَلَيْهَا مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَتَرَكَ ذَلِكَ ، وَجَعَلَ قَصْدَهُ إِلَى هَدْمِ سُورِ الْفَاسِقِ ، وَتَوْسِعَةِ الطَّرِيقِ ، وَالْمَسَالِكِ ، فَأَمَرَ بِهَدْمِ السُّورِ مِنْ نَاحِيَةِ النَّهْرِ الْمَعْرُوفِ بِمَنْكِيٍّ ، وَبَاشَرَ الْحَرْبَ بِنَفْسِهِ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ ، وَالْجِرَاحُ مِنَ الْجَانِبَيْنِ ، وَدَامَ ذَلِكَ أَيَّامًا عِدَّةً. |
| وَكَانَ أَصْحَابُ الْمُوَفَّقِ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْوُلُوجَ لِقَنْطَرَتَيْنِ كَانَتَا فِي نَهْرِ مَنْكِيٍّ ، كَانَ الزَّنْجُ يَعْبُرُونَ عَلَيْهِمَا وَقْتَ الْقِتَالِ ، فَيَأْتُونَ أَصْحَابَ الْمُوَفَّقِ مِنْ وَرَاءِ ظُهُورِهِمْ فَيَنَالُونَ مِنْهُمْ ، فَعَمِلَ الْحِيلَةَ فِي إِزَالَتِهِمَا ، فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِقَصْدِهِمَا عِنْدَ اشْتِغَالِ الزَّنْجِ ، وَغَفْلَتِهِمْ عَنْ حِرَاسَتِهِمَا ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُعِدُّوا الْفُئُوسَ ، وَالْمَنَاشِيرَ ، وَمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْآلَاتِ ، فَقَصَدُوا الْقَنْطَرَةَ الْأُولَى نِصْفَ النَّهَارِ ، فَأَتَاهُمُ الزَّنْجُ لِمَنْعِهِمْ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ الزَّنْجُ ، وَكَانَ مُقَدِّمَهُمْ أَبُو النَّدَى ، فَأَصَابَهُ سَهْمٌ فِي صَدْرِهِ فَقَتَلَهُ ، وَقَطَعَ أَصْحَابُ الْمُوَفَّقِ الْقَنْطَرَتَيْنِ وَرَجَعُوا. |
| وَأَلَحَّ الْمُوَفَّقُ عَلَى الْخَبِيثِ بِالْحَرْبِ ، وَهَدَمَ أَصْحَابُهُ مِنَ السُّورِ مَا أَمْكَنَهُمْ ، وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ وَقَاتَلُوا فِيهَا ، وَانْتَهَوْا إِلَى دَارَيِ ابْنِ سَمْعَانَ وَسُلَيْمَانَ بْنِ جَامِعٍ ، فَهَدَمُوهُمَا وَنَهَبُوا مَا فِيهِمَا ، وَانْتَهَوْا إِلَى سُوَيْقَةٍ لِلْخَبِيثِ ، سَمَّاهَا الْمَيْمُونَةَ ، فَهُدِمَتْ ، وَأُخْرِبَتْ ، وَهَدَمُوا دَارَ الْجُبَّائِيِّ ، وَانْتَهَبُوا مَا كَانَ فِيهَا مِنْ خَزَائِنِ الْفَاسِقِ ، وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْجَامِعِ لِيَهْدِمُوهُ ، فَاشْتَدَّتْ مُحَامَاةُ الزَّنْجِ عَنْهُ ، فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ أَصْحَابُ الْمُوَفَّقِ; لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ خَلُصَ مَعَ الْخَبِيثِ نُخْبَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَأَرْبَابِ الْبَصَائِرِ ، فَكَانَ أَحَدُهُمْ يُقْتَلُ ، أَوْ يُجْرَحُ ، فَيَجْذِبُهُ الَّذِي إِلَى جَنْبِهِ وَيَقِفُ مَكَانَهُ. |
| فَلَمَّا رَأَى الْمُوَفَّقُ ذَلِكَ أَمَرَ أَبَا الْعَبَّاسِ بِقَصْدِ الْجَامِعِ مِنْ أَحَدِ أَرْكَانِهِ بِشُجْعَانِ أَصْحَابِهِ ، وَأَضَافَ إِلَيْهِمُ الْفَعَلَةَ لِلْهَدْمِ ، وَنَصَبَ السَّلَالِيمَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَقَاتَلَ عَلَيْهِ أَشَدَّ قِتَالٍ ، فَوَصَلُوا إِلَيْهِ ، فَهَدَمُوهُ ، فَأُخِذَ مِنْبَرُهُ ، فَأُتِيَ بِهِ الْمُوَفَّقُ ، ثُمَّ عَادَ الْمُوَفَّقُ لِهَدْمِ السُّورِ فَأَكْثَرَ مِنْهُ ، وَأَخَذَ أَصْحَابُهُ دَوَاوِينَ الْخَبِيثِ وَبَعْضَ خَزَائِنِهِ ، فَظَهَرَ لِلْمُوَفَّقِ أَمَارَاتُ الْفَتْحِ ، فَإِنَّهُمْ لَعَلَى ذَلِكَ إِذْ وَصَلَ سَهْمٌ إِلَى الْمُوَفَّقِ فَأَصَابَهُ فِي صَدْرِهِ ، رَمَاهُ بِهِ رُومِيٌّ كَانَ مِنْ صَاحِبِ الزَّنْجِ ، اسْمُهُ قِرْطَاسُ ، وَذَلِكَ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ، فَسَتَرَ الْمُوَفَّقُ ذَلِكَ ، وَعَادَ إِلَى مَدِينَتِهِ وَبَاتَ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْحَرْبِ عَلَى مَا بِهِ مِنْ أَلَمِ الْجِرَاحِ لِيَشْتَدَّ بِذَلِكَ قُلُوبُ أَصْحَابِهِ ، فَزَادَ فِي عِلَّتِهِ ، وَعَظُمَ أَمْرُهَا ، حَتَّى خِيفَ عَلَيْهِ. |
| وَاضْطَرَبَ الْعَسْكَرُ ، وَالرَّعِيَّةُ ، وَخَافُوا ، فَخَرَجَ مِنْ مَدِينَتِهِ جَمَاعَةٌ ، وَأَتَاهُ الْخَبَرُ ، وَهُوَ فِي هَذِهِ الْحَالِ ، بِحَادِثٍ فِي سُلْطَانِهِ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ وَثِقَاتُهُ بِأَنْ يَعُودَ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَيُخَلِّفَ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ ، فَأَبَى ذَلِكَ ، وَخَافَ أَنْ يَسْتَقِيمَ مِنْ حَالِ الْخَبِيثِ مَا فَسَدَ ، وَاحْتَجَبَ عَنِ النَّاسِ مُدَّةً ، ثُمَّ بَرَأَ مِنْ عِلَّتِهِ ، وَظَهَرَ لَهُمْ ، وَنَهَضَ لِحَرْبِ الْخَبِيثِ ، وَكَانَ ظُهُورُهُ فِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ. |
| ذِكْرُ إِحْرَاقِ قَصْرِ صَاحِبِ الزَّنْجِ لَمَّا صَحَّ الْمُوَفَّقُ مِنْ جِرَاحِهِ عَادَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ مُحَارَبَةِ الْعَلَوِيِّ ، وَكَانَ قَدْ أَعَادَ بِنَاءَ بَعْضِ الثُّلَمِ فِي السُّورِ ، فَأَمَرَ الْمُوَفَّقُ بِهَدْمِ ذَلِكَ ، وَهَدْمِ مَا يَتَّصِلُ بِهِ. |
| وَرَكِبَ فِي بَعْضِ الْعَشَايَا ، وَكَانَ الْقِتَالُ ، ذَلِكَ الْيَوْمَ مُتَّصِلًا مِمَّا يَلِي نَهْرَ مَنْكِيٍّ ، وَالزَّنْجُ مُجْتَمِعُونَ فِيهِ قَدْ شُغِلُوا بِتِلْكَ الْجِهَةِ ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْتَوْنَ إِلَّا مِنْهَا ، فَأَتَى الْمُوَفَّقُ وَمَعَهُ الْفَعَلَةُ ، وَقَرُبَ مِنْ نَهْرِ مَنْكِيٍّ ، وَقَاتَلَهُمْ ، فَلَمَّا اشْتَدَّتِ الْحَرْبُ أَمَرَ الَّذِينَ بِالشَّذَوَاتِ بِالْمَسِيرِ إِلَى أَسْفَلِ نَهْرِ أَبِي الْخَصِيبِ ، وَهُوَ فَارِغٌ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ وَالرَّجَّالَةِ ، فَقَدِمَ أَصْحَابُ الْمُوَفَّقِ ، وَأَخْرَجُوا الْفَعَلَةَ ، فَهَدَمُوا السُّورَ مِنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، وَصَعِدَ الْمُقَاتِلَةُ ، فَقَتَلُوا فِي النَّهْرِ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَانْتَهَوْا إِلَى قُصُورٍ مِنْ قُصُورِ الزَّنْجِ فَأَحْرَقُوهَا ، وَانْتَهَبُوا مَا فِيهَا ، وَاسْتَنْقَذُوا عَدَدًا كَثِيرًا مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي كُنَّ فِيهَا ، وَغَنِمُوا مِنْهَا. |
| وَانْصَرَفَ الْمُوَفَّقُ ، عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ، بِالظَّفَرِ وَالسَّلَامَةِ ، وَبَكَّرَ إِلَى حَرْبِهِمْ ، وَهَدْمِ السُّورِ ، فَأَسْرَعَ الْهَدْمَ حَتَّى اتَّصَلَ بِدَارِ الْكِلَابِيِّ وَهِيَ مُتَّصِلَةٌ بِدَارِ الْخَبِيثِ ، فَلَمَّا أَعْيَتِ الْخَبِيثَ الْحِيَلُ أَشَارَ عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ بِإِجْرَاءِ الْمَاءِ عَلَى السِّبَاخِ ، وَأَنْ يَحْفِرَ خَنَادِقَ فِي مَوَاضِعَ عِدَّةٍ تَمْنَعُهُمْ عَنْ دُخُولِ الْمَدِينَةِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، فَرَأَى الْمُوَفَّقُ أَنْ يَجْعَلَ قَصْدَهُ لِطَمِّ الْخَنَادِقِ ، وَالْأَنْهَارِ ، وَالْمَوَاضِعِ الْمُغَوَّرَةِ ، فَدَامَ ذَلِكَ ، فَحَامَى عَنْهُ الْخُبَثَاءُ ، وَدَامَتِ الْحَرْبُ ، وَوَصَلَ إِلَى الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقَتْلَى ، وَالْجِرَاحِ أَمَرٌ عَظِيمٌ وَذَلِكَ لِتَقَارُبِ مَا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ. |
| فَلَمَّا رَأَى شِدَّةَ الْأَمْرِ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ قَصَدَ لِإِحْرَاقِ دَارِ الْخَبِيثِ ، وَالْهُجُومِ عَلَيْهَا مِنْ دِجْلَةَ ، فَكَانَ يَعُوقُ عَنْ ذَلِكَ كَثْرَةُ مَا أَعَدَّ الْخَبِيثُ لَهَا مِنَ الْمُقَاتِلَةِ ، وَالْحُمَاةِ عَنْ دَارِهِ ، فَكَانَتِ الشَّذَا إِذَا قَرُبَتْ مِنْ قَصْرِهِ رُمِيَتْ مِنْ فَوْقِ الْقَصْرِ بِالسِّهَامِ ، وَالْحِجَارَةِ مِنَ الْمَنْجَنِيقِ وَالْمِقْلَاعِ ، وَأُذِيبَ الرَّصَاصُ ، وَأُفْرِغَ عَلَيْهِمْ ، فَتَعَذَّرَ إِحْرَاقُهَا لِذَلِكَ ، فَأَمَرَ الْمُوَفَّقُ أَنْ تُسْقَفَ الشَّذَا بِالْأَخْشَابِ ، وَيُعْمَلَ عَلَيْهَا الْجِبْسُ وَيُطْلَى بِالْأَدْوِيَةِ الَّتِي تَمْنَعُ النَّارَ مِنْ إِحْرَاقِهَا ، فَفَرَغَ مِنْهَا ، وَرَتَّبَ فِيهَا أَنْجَادَ أَصْحَابِهِ ، وَمِنَ النَّفَّاطِينَ جَمْعًا كَثِيرًا. |
| وَاسْتَأْمَنَ إِلَى الْمُوَفَّقِ مُحَمَّدُ بْنُ سَمْعَانَ كَاتِبُ الْخَبِيثِ ، وَكَانَ أَوْثَقَ أَصْحَابِهِ فِي نَفْسِهِ ، وَكَانَ سَبَبُ اسْتِئْمَانِهِ أَنَّ الْخَبِيثَ أَطْلَعَهُ عَلَى أَنَّهُ عَازِمٌ عَلَى الْخَلَاصِ وَحْدَهُ بِغَيْرِ أَهْلٍ وَلَا مَالٍ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْ عَزْمِهِ أَرْسَلَ يَطْلُبُ الْأَمَانَ ، فَأَمَّنَهُ الْمُوَفَّقُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَقِيلَ كَانَ سَبَبُ خُرُوجِهِ أَنَّهُ كَانَ كَارِهًا لِصُحْبَةِ الْخَبِيثِ ، مُطَّلِعًا عَلَى كُفْرِهِ وَسُوءِ بَاطِنِهِ ، وَلَمْ يُمْكِنْهُ التَّخَلُّصُ مِنْهُ إِلَى الْآنَ فَفَارَقَهُ ، وَكَانَ خُرُوجُهُ عَاشِرَ شَعْبَانَ. |
| فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ بَكَّرَ الْمُوَفَّقُ إِلَى مُحَارَبَةِ الْخُبَثَاءِ ، فَأَمَرَ أَبَا الْعَبَّاسِ بِقَصْدِ دَارِ مُحَمَّدٍ الْكَرْنَابِيِّ ، وَهِيَ بِإِزَاءِ دَارِ الْخَبِيثِ ، وَإِحْرَاقِهَا ، وَمَا يَلِيهَا مِنْ مَنَازِلِ قُوَّادِ الزَّنْجِ ، لِيَشْغَلَهُمْ بِذَلِكَ عَنْ حِمَايَةِ دَارِ الْخَبِيثِ ، وَأَمَرَ الْمُرَتَّبِينَ فِي الشَّذَا الْمَطْلِيَّةِ بِقَصْدِ دَارِ الْخَبِيثِ ، وَإِحْرَاقِهَا ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، وَأَلْصَقُوا شَذَوَاتِهِمْ بِسُورِ قَصْرِهِ ، وَحَارَبَهُمُ الْفَجَرَةُ أَشَدَّ حَرْبٍ ، وَنَضَحُوهُمْ بِالنِّيرَانِ ، فَلَمْ تَعْمَلْ شَيْئًا ، وَأَحْرَقَ مِنَ الْقَصْرِ الرَّوَاشِينَ ، وَالْأَبْنِيَةَ الْخَارِجَةَ ، وَعَمِلَتِ النَّارُ فِيهَا ، وَسَلِمَ الَّذِينَ كَانُوا فِي الشَّذَا مِمَّا كَانَ الْخُبَثَاءُ يُرْسِلُونَهُ عَلَيْهِمْ بِالظِّلَالِ الَّتِي كَانَتْ فِي الشَّذَا ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِتَمْكِينِهِمْ مِنْ قَصْرِهِ. |
| وَأَمَرَ الْمُوَفَّقُ الَّذِينَ فِي الشَّذَا بِالرُّجُوعِ ، فَرَجَعُوا ، فَأَخْرَجَ مَنْ كَانَ فِيهَا وَرَتَّبَ غَيْرَهُمْ ، وَانْتَظَرَ إِقْبَالَ الْمَدِّ ، وَعُلُوِّهِ ، فَلَمَّا أَقْبَلْ عَادَتِ الشَّذَا إِلَى قَصْرِهِ ، وَأَحْرَقُوا بُيُوتًا مِنْهُ كَانَتْ تُشْرِعُ عَلَى دِجْلَةَ ، وَأُضْرِمَتِ النَّارُ فِيهَا ، وَاتَّصَلَتْ ، وَقَوِيَتْ ، فَأَعْجَلَتِ الْخَبِيثَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ عَنِ التَّوَقُّفِ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَانَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَالذَّخَائِرِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَخَرَجَ هَارِبًا وَتَرَكَهُ كُلَّهُ. |
| وَعَلَا غِلْمَانُ الْمُوَفَّقِ قَصْرَهُ مَعَ أَصْحَابِهِمْ ، فَانْتَهَبُوا مَا لَمْ تَأْتِ النَّارُ عَلَيْهِ مِنَ الذَّهَبِ ، وَالْفِضَّةِ ، وَالْحُلِيِّ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَاسْتَنْقَذُوا جَمَاعَةً مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي كَانَ الْخَبِيثُ يَأْنَسُ بِهِنَّ مِمَّنْ كَانَ اسْتَرَقَّهُنَّ ، وَدَخَلُوا دُورَهُ وَدُورَ ابْنِهِ أَنْكِلَايَ ، فَأَحْرَقُوهَا جَمِيعًا ، وَفَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ ، وَتَحَارَبُوا هُمْ وَأَصْحَابُ الْخَبِيثِ عَلَى بَابِ قَصْرِهِ ، فَكَثُرَ الْقَتْلُ فِي أَصْحَابِهِ ، وَالْجِرَاحُ ، وَالْأَسْرُ ، وَفَعَلَ أَبُو الْعَبَّاسِ فِي دَارِ الْكَرْنَابِيِّ مِنَ النَّهْبِ وَالْهَدْمِ ، وَالْإِحْرَاقِ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَقَطَعَ أَبُو الْعَبَّاسِ يَوْمَئِذٍ سِلْسِلَةً عَظِيمَةً كَانَ الْخَبِيثُ قَطَعَ بِهَا نَهَرَ أَبِي الْخَصِيبِ لِيَمْنَعَ الشَّذَا مِنْ دُخُولِهِ ، فَحَازَهَا أَبُو الْعَبَّاسِ ، وَأَخَذَهَا مَعَهُ. |
| وَعَادَ الْمُوَفَّقُ بِالنَّاسِ مَعَ الْمَغْرِبِ مُظَفَّرًا ، وَأُصِيبَ الْفَاسِقُ فِي مَالِهِ ، وَنَفْسِهِ ، وَوَلَدِهِ ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، مِثْلُ الَّذِي أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُ مِنَ الذُّعْرِ ، وَالْجَلَاءِ ، وَتَشَتُّتِ الشَّمْلِ ، وَالْمُصِيبَةِ ، وَجُرِحَ ابْنُهُ أَنْكِلَايُ فِي بَطْنِهِ جِرَاحَةً أَشَفَى مِنْهَا عَلَى الْهَلَاكِ. |
| ذِكْرُ غَرَقِ نُصَيْرٍ وَفِي يَوْمِ الْأَحَدِ لِعَشَرٍ بَقِينَ مِنْ شَعْبَانَ غَرِقَ أَبُو حَمْزَةَ نُصَيْرٌ ، وَهُوَ صَاحِبُ الشَّذَوَاتِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ غَرَقِهِ أَنَّ الْمُوَفَّقَ بَكَّرَ إِلَى الْقِتَالِ ، وَأَمَرَ نُصَيْرًا بِقَصْدِ قَنْطَرَةٍ كَانَ الْخَبِيثُ عَمِلَهَا فِي نَهْرِ أَبِي الْخَصِيبِ دُونَ الْجِسْرَيْنِ اللَّذَيْنِ كَانَ اتَّخَذَهُمَا عَلَى النَّهْرِ ، وَفَرَّقَ أَصْحَابَهُ مِنَ الْجِهَاتِ ، فَعَجِلَ نُصَيْرٌ ، فَدَخَلَ نَهْرَ أَبِي الْخَصِيبِ ، فِي أَوَّلِ الْمَدِّ ، فِي عِدَّةٍ مِنْ شَذَوَاتِهِ ، فَحَمَلَهَا الْمَاءُ فَأَلْصَقَهَا بِالْقَنْطَرَةِ ، وَدَخَلَتْ عِدَّةٌ مِنْ شَذَوَاتِ الْمُوَفَّقِ مَعَ غِلْمَانِهِ مِمَّنْ لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِالدُّخُولِ ، فَصَكَّتْ شَذَوَاتِ نُصَيْرٍ ، وَصَكَّ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَلَمْ يَبْقَ لِلْمَلَّاحِينَ فِيهَا عَمَلٌ. |
| وَرَأَى الزَّنْجُ ذَلِكَ فَاجْتَمَعُوا عَلَى جَانِبَيِ النَّهْرِ ، وَأَلْقَى الْمَلَّاحُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي الْمَاءِ خَوْفًا مِنَ الزَّنْجِ ، وَدَخَلَ الزَّنْجُ الشَّذَوَاتِ ، فَقَتَلُوا بَعْضَ الْمُقَاتِلَةِ ، وَغَرِقَ أَكْثَرُهُمْ ، وَصَابَرَهُمْ نُصَيْرٌ ، حَتَّى خَافَ الْأَسْرَ ، فَقَذَفَ نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ فَغَرِقَ ، وَأَقَامَ الْمُوَفَّقُ يَوْمَهُ يُحَارِبُهُمْ ، وَيَنْهَبُهُمْ ، وَيَحْرِقُ مَنَازِلَهُمْ ، وَلَمْ يَزَلْ يَوْمَهُ مُسْتَعْلِيًا عَلَيْهِمْ. |
| وَكَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ قِتَالًا لِأَصْحَابِ الْمُوَفَّقِ ، وَثَبَتَ مَكَانَهُ ، حَتَّى خَرَجَ عَلَيْهِ كَمِينٌ لِلْمُوَفَّقِ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ ، وَجُرِحَ سُلَيْمَانُ جِرَاحَةً فِي سَاقِهِ ، وَسَقَطَ لِوَجْهِهِ فِي مَوْضِعٍ كَانَ فِيهِ حَرِيقٌ ، وَفِيهِ بَعْضُ الْجَمْرِ ، فَاحْتَرَقَ بَعْضُ جَسَدِهِ ، وَحَمَلَهُ أَصْحَابُهُ بَعْدَ أَنْ كَادَ يُؤْسَرُ ، وَانْصَرَفَ الْمُوَفَّقُ سَالِمًا ظَافِرًا. |
| وَأَصَابَ الْمُوَفَّقَ مَرَضُ الْمَفَاصِلِ ، فَبَقِيَ بِهِ شَهْرَ شَعْبَانَ ، وَشَهْرَ رَمَضَانَ ، وَأَيَّامًا مِنْ شَوَّالٍ ، وَأَمْسَكَ عَنْ حَرْبِ الزَّنْجِ ، ثُمَّ بَرَأَ ، وَتَمَاثَلَ ، فَأَمَرَ بِإِعْدَادِ آلَةِ الْحَرْبِ. |
| ذِكْرُ إِحْرَاقِ قَنْطَرَةِ الْعَلَوِيِّ صَاحِبِ الزَّنْجِ وَلَمَّا اشْتَغَلَ الْمُوَفَّقُ بِعِلَّتِهِ أَعَادَ الْخَبِيثُ الْقَنْطَرَةَ الَّتِي غَرِقَ عِنْدَهَا نُصَيْرٌ ، وَزَادَ فِيهَا وَأَحْكَمَهَا ، وَنَصَبَ دُونَهَا أَدْقَالَ سَاجٍ ، وَأَلْبَسَهَا الْحَدِيدَ ، وَسَكَّرَ أَمَامَ ذَلِكَ سِكَرًا مِنْ حِجَارَةٍ لِيُضَيِّقَ الْمَدْخَلَ عَلَى الشَّذَا ، وَتَحْتَدَّ جَرْيَةُ الْمَاءِ فِي النَّهْرِ ، فَنَدَبَ الْمُوَفَّقُ أَصْحَابَهُ ، وَسَيَّرَ طَائِفَةً مِنْ شَرْقِيِّ نَهْرِ أَبِي الْخَصِيبِ ، وَطَائِفَةً مِنْ غَرْبِيِّهِ ، وَأَرْسَلَ مَعَهُمَا النَّجَّارِينَ ، وَالْفَعَلَةَ لِقَطْعِ الْقَنْطَرَةِ ، وَمَا جُعِلَ أَمَامَهَا ، وَأَمَرَ بِسُفُنٍ مَمْلُوءَةٍ مِنَ الْقَصَبِ أَنْ يُصَبَّ عَلَيْهَا النِّفْطُ ، وَتَدْخُلَ النَّهْرَ ، وَيُلْقَى فِيهَا النَّارُ لِيَحْتَرِقَ الْجِسْرُ ، وَفَرَّقَ جُنْدَهُ عَلَى الْخُبَثَاءِ لِيَمْنَعُوهُمْ عَنْ مُعَاوَنَةِ مَنْ عِنْدَ الْقَنْطَرَةِ. |
| فَسَارَ النَّاسُ إِلَى مَا أَمَرَهُمْ بِهِ عَاشِرَ شَوَّالٍ ، وَتَقَدَّمَتِ الطَّائِفَتَانِ إِلَى الْجِسْرِ ، فَلَقِيَهُمَا أَنْكِلَايُ ابْنُ الْخَبِيثِ ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ ، وَاشْتَبَكَتِ الْحَرْبُ ، وَدَامَتْ ، وَحَامَى أُولَئِكَ عَنِ الْقَنْطَرَةِ لِعِلْمِهِمْ بِمَا عَلَيْهِمْ فِي قَطْعِهَا مِنَ الْمَضَرَّةِ ، وَأَنَّ الْوُصُولَ إِلَى الْجِسْرَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ اللَّذَيْنِ يَأْتِي ذِكْرُهُمَا يَسْهُلُ. |
| وَدَامَتِ الْحَرْبُ عَلَى الْقَنْطَرَةِ إِلَى الْعَصْرِ ، ثُمَّ إِنَّ غِلْمَانَ الْمُوَفَّقِ أَزَالُوا الْخُبَثَاءَ عَنْهَا ، وَقَطَعَهَا النَّجَّارُونَ ، وَنَقَضُوهَا ، وَمَا كَانَ عَمِلَ مِنَ الْأَدْقَالِ السَّاجِ ، وَكَانَ قَطْعُهَا قَدْ تَعَذَّرَ عَلَيْهِمْ ، فَأَدْخَلُوا تِلْكَ السُّفُنَ الَّتِي فِيهَا الْقَصَبُ ، وَالنِّفْطُ ، وَأَضْرَمُوهَا نَارًا ، فَوَافَتِ الْقَنْطَرَةَ ، فَأَحْرَقُوهَا ، فَوَصَلَ النَّجَّارُونَ بِذَلِكَ إِلَى مَا أَرَادُوا ، وَأَمْكَنَ أَصْحَابَ الشَّذَا دُخُولُ النَّهْرِ ، فَدَخَلُوا ، وَقَتَلُوا الزَّنْجَ حَتَّى أَجْلَوْهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ إِلَى الْجِسْرِ الْأَوَّلِ الَّذِي يَتْلُو هَذِهِ الْقَنْطَرَةَ ، وَقُتِلَ مِنَ الزَّنْجِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَاسْتَأْمَنَ بَشَرٌ كَثِيرٌ ، وَوَصَلَ أَصْحَابُ الْمُوَفَّقِ إِلَى الْجِسْرِ الْمَغْرِبَ ، فَكَرِهَ أَنْ يُدْرِكَهُمُ اللَّيْلُ ، فَأَمَرَهُمْ بِالرُّجُوعِ فَرَجَعُوا ، وَكَتَبَ إِلَى الْبُلْدَانِ أَنْ يُقْرَأَ عَلَى الْمَنَابِرِ أَنْ يُؤْتَى الْمُحْسِنُ عَلَى قَدْرِ إِحْسَانِهِ لِيَزْدَادُوا جِدًّا فِي حَرْبِ عَدُوِّهِ ، وَأَخْرَبَ مِنَ الْغَدِ بُرْجَيْنِ مِنْ حِجَارَةٍ كَانُوا عَمِلُوهُمَا لِيَمْنَعُوا الشَّذَا مِنَ الْخُرُوجِ مِنْهُ إِذَا دَخَلَتْهُ ، فَلَمَّا أَخْرَبَهُمَا سَهُلَ لَهُ مَا أَرَادَ مِنْ دُخُولِ النَّهْرِ ، وَالْخُرُوجِ مِنْهُ. |
| ذِكْرُ انْتِقَالِ صَاحِبِ الزَّنْجِ إِلَى الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ وَإِحْرَاقِ سُوقِهِ لَمَّا أُحْرِقَتْ دُورُهُ ، وَمَسَاكِنُ أَصْحَابِهِ ، وَنُهِبَتْ أَمْوَالُهُمْ ، انْتَقَلُوا إِلَى الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ نَهْرِ أَبِي الْخَصِيبِ ، وَجَمَعَ عِيَالَهُ حَوْلَهُ ، وَنَقَلَ أَسْوَاقَهُ إِلَيْهِ ، فَضَعُفَ أَمْرُهُ بِذَلِكَ ضَعْفًا شَدِيدًا ظَهَرَ لِلنَّاسِ ، فَامْتَنَعُوا مِنْ جَلْبِ الْمِيرَةِ إِلَيْهِ ، فَانْقَطَعَتْ عَنْهُ كُلُّ مَادَّةٍ ، وَبَلَغَ الرِّطْلُ مِنْ خُبْزِ الْبُرِّ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ ، فَأَكَلُوا الشَّعِيرَ ، وَأَصْنَافَ الْحُبُوبِ. |
| ثُمَّ لَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ بِهِمْ إِلَى أَنْ كَانَ أَحَدُهُمْ يَأْكُلُ صَاحِبَهُ إِذَا انْفَرَدَ بِهِ ، وَالْقَوِيُّ يَأْكُلُ الضَّعِيفَ ، ثُمَّ أَكَلُوا أَوْلَادَهُمْ. |
| وَرَأَى الْمُوَفَّقُ أَنْ يُخَرِّبَ الْجَانِبَ الشَّرْقِيَّ كَمَا أَخْرَبَ الْغَرْبِيَّ ، فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِقَصْدِ دَارِ الْهَمْدَانِيِّ ، وَمَعَهُمُ الْفَعَلَةُ ، وَكَانَ هَذَا الْمَوْضِعُ مُحَصَّنًا بِجَمْعٍ كَثِيرٍ ، وَعَلَيْهِ عَرَّادَاتٌ ، وَمَنْجَنِيقَاتٌ ، وَقِسِيٌّ ، فَاشْتَبَكَتِ الْحَرْبُ ، وَكَثُرَتِ الْقَتْلَى ، فَانْتَصَرَ أَصْحَابُ الْمُوَفَّقِ عَلَيْهِمْ ، وَقَتَلُوهُمْ وَهَزَمُوهُمْ ، وَانْتَهَوْا إِلَى الدَّارِ ، فَتَعَذَّرَ عَلَيْهِمُ الصُّعُودُ إِلَيْهَا لِعُلُوِّ سُورِهَا ، فَلَمْ تَبْلُغْهُ السَّلَالِيمُ الطِّوَالُ ، فَرَمَى بَعْضُ غِلْمَانِ الْمُوَفَّقِ بِكَلَالِيبَ كَانَتْ مَعَهُمْ ، فَعَلَّقُوهَا فِي أَعْلَامِ الْخَبِيثِ ، وَجَذَبُوهَا ، فَتَسَاقَطَتِ الْأَعْلَامُ مَنْكُوسَةً ، فَلَمْ يَشُكَّ الْمُقَاتِلَةُ عَنِ الدَّارِ فِي أَنَّ أَصْحَابَ الْمُوَفَّقِ قَدْ مَلَكُوهَا ، فَانْهَزَمُوا لَا يَلْوِي أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى صَاحِبِهِ ، فَأَخَذَهَا أَصْحَابُ الْمُوَفَّقِ ، وَصَعِدَ النَّفَّاطُونَ وَأَحْرَقُوهَا وَمَا كَانَ عَلَيْهَا مِنَ الْمَجَانِيقِ ، وَالْعَرَّادَاتِ ، وَنَهَبُوا مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْمَتَاعِ ، وَالْأَثَاثِ ، وَأَحْرَقُوا مَا كَانَ حَوْلَهَا مِنَ الدُّورِ ، وَاسْتَنْقَذُوا مَا كَانَ فِيهَا مِنَ النِّسَاءِ ، وَكُنَّ عَالَمًا كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمَاتِ ، فَحُمِلْنَ إِلَى الْمُوَفَّقِيَّةِ ، وَأَمَرَ الْمُوَفَّقُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِنَّ. |
| وَاسْتَأْمَنَ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَصْحَابِ الْخَبِيثِ ، وَخَاصَّتِهِ الَّذِينَ يَلُونَ خِدْمَتَهُ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ ، فَأَمَّنَهُمُ الْمُوَفَّقُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، وَدَلَّتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْتَأْمِنَةِ الْمُوَفَّقَ عَلَى سُوقٍ عَظِيمَةٍ كَانَتْ لِلْخَبِيثِ مُتَّصِلَةٍ بِالْجِسْرِ الْأَوَّلِ ، تُسَمَّى الْمُبَارَكَةَ ، وَأَعْلَمُوهُ إِنْ أَحْرَقَهَا لَمْ يَبْقَ سُوقٌ غَيْرُهَا ، وَخَرَجَ عَنْهُمْ تُجَّارُهُمِ الَّذِينَ كَانَ بِهِمْ قُوَامُهُمْ ، فَعَزَمَ الْمُوَفَّقُ عَلَى إِحْرَاقِهَا ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِقَصْدِ السُّوقِ مِنْ جَانِبَيْهَا ، فَقَصَدُوهَا ، وَأَقْبَلَتِ الزَّنْجُ إِلَيْهِمْ ، فَتَحَارَبُوا أَشَدَّ حَرْبٍ تَكُونُ ، وَاتَّصَلَتْ أَصْحَابُ الْمُوَفَّقِ إِلَى طَرَفٍ مِنْ أَطْرَافِ السُّوقِ وَأَلْقَوْا فِيهِ النَّارَ فَاحْتَرَقَ وَاتَّصَلَتِ النَّارُ. |
| وَكَانَ النَّاسُ يَقْتَتِلُونَ ، وَالنَّارُ مُحِيطَةٌ بِهِمْ ، وَاتَّصَلَتِ النَّارُ بِظِلَالِ السُّوقِ فَاحْتَرَقَتْ وَسَقَطَتْ عَلَى الْمُقَاتِلَةِ ، وَاحْتَرَقَ بَعْضُهُمْ ، فَكَانَتْ هَذِهِ حَالُهُمْ إِلَى مَغِيبِ الشَّمْسِ ، ثُمَّ تَحَاجَزُوا ، وَرَجَعَ أَصْحَابُ الْمُوَفَّقِ إِلَى عَسْكَرِهِمْ ، وَانْتَقَلَ تُجَّارُ السُّوقِ إِلَى أَعْلَى الْمَدِينَةِ ، وَكَانُوا قَدْ نَقَلُوا مُعْظَمَ أَمْتِعَتِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ مِنْ هَذِهِ السُّوقِ خَوْفًا مِنْ مِثْلِ هَذِهِ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْخَبِيثَ فَعَلَ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ حَفْرِ الْخَنَادِقِ ، وَتَغْوِيرِ الطُّرُقِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ، بَعْدَ هَذِهِ الْوَقْعَةِ ، وَاحْتَفَرَ خَنْدَقًا عَرِيضًا حَصَّنَ بِهِ مَنَازِلَ أَصْحَابِهِ الَّتِي عَلَى النَّهْرِ الْغَرْبِيِّ ، فَرَأَى الْمُوَفَّقُ أَنْ يُخَرِّبَ بَاقِيَ السُّورِ إِلَى النَّهْرِ الْغَرْبِيِّ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ بَعْدَ حَرْبٍ طَوِيلَةٍ فِي مُدَّةٍ بَعِيدَةٍ. |
| وَكَانَ لِلْخَبِيثِ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ جَمْعٌ مِنَ الزَّنْجِ قَدْ تَحَصَّنُوا بِالسُّورِ وَهُوَ مَنِيعٌ ، وَهُمْ أَشْجَعُ أَصْحَابِهِ ، فَكَانُوا يُحَامُونَ عَنْهُ ، وَكَانُوا يَخْرُجُونَ عَلَى أَصْحَابِ الْمُوَفَّقِ ، عِنْدَ مُحَارَبَتِهِمْ ، عَلَى حِرَى كُورٍ وَمَا يَلِيهِ ، وَأَمَرَ الْمُوَفَّقُ أَنْ يُقْصَدَ هَذَا الْمَوْضِعُ ، وَيُخَرَّبَ سُورُهُ ، وَيُخْرَجَ مَنْ فِيهِ ، فَأَمَرَ أَبَا الْعَبَّاسِ ، وَالْقُوَّادَ بِالتَّأَهُّبِ لِذَلِكَ ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ ، وَأَمَرَ بِالشَّذَا أَنْ تُقَرَّبَ مِنَ السُّورِ ، وَنَشِبَتِ الْحَرْبُ ، وَدَامَتْ إِلَى بَعْدِ الظُّهْرِ ، وَهَدَمَ مَوَاضِعَ ، وَأَحْرَقَ مَا كَانَ عَلَيْهَا مِنَ الْعَرَّادَاتِ ، وَتَحَاجَزَ الْفَرِيقَانِ ، وَهُمَا عَلَى السَّوَاءِ ، سِوَى هَدْمِ السُّورِ ، وَإِحْرَاقِ عَرَّادَاتٍ كَانَتْ عَلَيْهِ ، فَنَالَ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْجِرَاحِ أَمْرٌ عَظِيمٌ. |
| وَعَادَ الْمُوَفَّقُ ، فَوَصَلَ أَهْلَ الْبَلَاءِ وَالْمَجْرُوحِينَ عَلَى قَدْرِ بَلَائِهِمْ ، وَهَكَذَا كَانَ عَمَلُهُ فِي مُحَارَبَتِهِ ، وَأَقَامَ الْمُوَفَّقُ بَعْدَ هَذِهِ الْوَقْعَةِ أَيَّامًا ، ثُمَّ رَأَى مُعَاوَدَةَ هَذَا الْمَوْضِعِ لَمَّا رَأَى مِنْ حَصَانَتِهِ وَشَجَاعَةِ مَنْ فِيهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ حِرَى كُورٍ إِلَّا بَعْدَ إِزَالَةِ هَؤُلَاءِ ، فَأَعَدَّ الْآلَاتِ ، وَرَتَّبَ أَصْحَابَهُ ، وَقَصَدَهُ ، وَقَاتَلَ مَنْ فِيهِ ، وَأُدْخِلَتِ الشَّذَوَاتُ النَّهْرَ ، وَاشْتَدَّتِ الْحَرْبُ وَدَامَتْ. |
| وَأَمَدَّ الْخَبِيثُ أَصْحَابَهُ بِالْمُهَلَّبِيِّ ، وَسُلَيْمَانَ بْنِ جَامِعٍ فِي جَيْشِهِمَا ، فَحَمَلُوا عَلَى أَصْحَابِ الْمُوَفَّقِ حَتَّى أَلْحَقُوهُمْ بِسُفُنِهِمْ ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ جَمَاعَةً ، فَرَجَعَ الْمُوَفَّقُ وَلَمْ يَبْلُغْ مِنْهُمْ مَا أَرَادَ ، وَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُقَاتِلَهُمْ مِنْ عِدَّةِ وُجُوهٍ لِتَخِفَّ وَطْأَتُهُمْ عَلَى مَنْ يَقْصِدُ هَذَا الْمَوْضِعَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَفَرَّقَ أَصْحَابَهُ عَلَى جِهَاتِ أَصْحَابِ الْخَبِيثِ ، وَسَارَ هُوَ إِلَى جِهَةِ النَّهْرِ الْغَرْبِيِّ ، وَقَاتَلَ مَنْ فِيهِ. |
| وَطَمِعَ الزَّنْجُ بِمَا تَقَدَّمَ مِنْ تِلْكَ الْوَقْعَةِ ، فَصَدَقَهُمْ أَصْحَابُ الْمُوَفَّقِ الْقِتَالَ ، فَهَزَمُوهُمْ ، فَوَلَّوْا مُنْهَزِمِينَ ، وَتَرَكُوا حِصْنَهُمْ فِي أَيْدِي أَصْحَابِ الْمُوَفَّقِ ، فَهَدَمُوهُ ، وَغَنِمُوا مَا فِيهِ ، وَأَسَرُوا ، وَقَتَلُوا خَلْقًا لَا يُحْصَى ، وَخَلَّصُوا مِنْ هَذَا الْحِصْنِ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ النِّسَاءِ ، وَالصِّبْيَانِ ، وَرَجَعَ الْمُوَفَّقُ إِلَى عَسْكَرِهِ بِمَا أَرَادَ. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ الْمُوَفَّقِ عَلَى مَدِينَةِ صَاحِبِ الزَّنْجِ الْغَرْبِيَّةِ لَمَّا هَدَمَ الْمُوَفَّقُ دُورَ الْخَبِيثِ أَمَرَ بِإِصْلَاحِ الْمَسَالِكِ لِتَتَّسِعَ عَلَى الْمُقَاتِلَةِ الطَّرِيقُ لِلْحَرْبِ ، ثُمَّ رَأَى قَلْعَ الْجِسْرِ الْأَوَّلِ الَّذِي عَلَى نَهْرِ أَبِي الْخَصِيبِ ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ مُعَاوَنَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا ، وَأَمَرَ بِسَفِينَةٍ كَبِيرَةٍ أَنْ تُمْلَأَ قَصَبًا وَيُجْعَلَ فِيهِ مِنَ النِّفْطِ ، وَيُوضَعَ فِي وَسَطِهَا دَقَلٌ طَوِيلٌ يَمْنَعُهَا مِنْ مُجَاوَرَةِ الْجِسْرِ إِذَا الْتَصَقَتْ بِهِ ، ثُمَّ أَرْسَلَهَا عِنْدَ غَفْلَةِ الزَّنْجِ ، وَقُوَّةِ الْمَدِّ ، فَوَافَتِ الْجِسْرَ ، وَعَلِمَ بِهَا الزَّنْجُ ، فَأَتَوْهَا ، وَطَمُّوهَا بِالْحِجَارَةِ ، وَالتُّرَابِ ، وَنَزَلَ بَعْضُهُمْ فِي الْمَاءِ فَنَقَبَهَا فَغَرِقَتْ ، وَكَانَ قَدِ احْتَرَقَ مِنَ الْجِسْرِ شَيْءٌ يَسِيرٌ ، فَأَطْفَأَهُ الزَّنْجُ. |
| فَعِنْدَ ذَلِكَ اهْتَمَّ الْمُوَفَّقُ بِالْجِسْرِ ، فَنَدَبَ أَصْحَابَهُ ، وَأَعَدَّ النَّفَّاطِينَ ، وَالْفَعَلَةَ ، وَالْفُئُوسَ ، وَأَمَرَهُمْ بِقَصْدِهِ مِنْ غَرْبِيِّ النَّهْرِ ، وَشَرْقِيِّهِ ، وَرَكِبَ الْمُوَفَّقُ فِي أَصْحَابِهِ ، وَقَصَدَ فُوَّهَةَ نَهْرِ أَبِي الْخَصِيبِ ، وَذَلِكَ مُنْتَصَفَ شَوَّالٍ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَسَبَقَ الطَّائِفَةَ الَّتِي فِي غَرْبِ النَّهْرِ ، فَهَزَمَ الْمُوَكَّلَيْنِ عَلَى الْجِسْرِ ، وَهُمَا سُلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ ، وَأَنْكِلَايُ وَلَدُ الْخَبِيثِ ، وَأَحْرَقُوهُ. |
| وَأَتَى بَعْدَ ذَلِكَ الطَّائِفَةُ الْأُخْرَى ، فَفَعَلُوا بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَأَحْرَقُوا الْجِسْرَ ، وَتَجَاوَزُوهُ إِلَى جَانِبِ حَظِيرَةٍ كَانَتْ تُعْمَلُ فِيهَا سُمَيْرِيَّاتُ الْخَبِيثِ ، وَآلَاتُهُ ، وَاحْتَرَقَ ذَلِكَ عَنْ آخِرِهِ ، إِلَّا شَيْئًا يَسِيرًا مِنَ الشَّذَوَاتِ ، وَالسُّمَيْرِيَّاتِ كَانَتْ فِي النَّهْرِ ، وَقَصَدُوا سِجْنًا لِلْخَبِيثِ ، فَقَاتَلَهُمُ الزَّنْجُ عَلَيْهِ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ ، ثُمَّ غَلَبَهُمْ أَصْحَابُ الْمُوَفَّقِ عَلَيْهِ ، فَأَطْلَقُوا مَنْ فِيهِ ، وَأَحْرَقُوا كُلَّ مَا مَرُّوا بِهِ إِلَى دَارِ مُصْلِحٍ ، وَهُوَ مِنْ قُدَمَاءِ أَصْحَابِهِ ، فَدَخَلُوهَا ، فَنَهَبُوهَا وَمَا فِيهَا ، وَسَبَوْا نِسَاءَهُ ، وَوَلَدَهُ ، وَاسْتَنْقَذُوا خَلْقًا كَثِيرًا ، وَعَادَ الْمُوَفَّقُ وَأَصْحَابُهُ سَالِمِينَ. |
| وَانْحَازَ الْخَبِيثُ ، وَأَصْحَابُهُ مِنْ هَذَا الْجَانِبِ إِلَى الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ نَهْرِ أَبِي الْخَصِيبِ ، وَاسْتَوْلَى الْمُوَفَّقُ عَلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ غَيْرَ طَرِيقٍ يَسِيرٍ عَلَى الْجِسْرِ الثَّانِي ، فَأَصْلَحُوا الطُّرُقَ ، فَزَادَ ذَلِكَ فِي رُعْبِ الْخَبِيثِ ، وَأَصْحَابِهِ ، فَاجْتَمَعَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَقُوَّادِهِ ، وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ كَانَ يَرَى أَنَّهُمْ لَا يُفَارِقُونَهُ ، عَلَى طَلَبِ الْأَمَانِ ، فَبَذَلَ لَهُمْ ، فَخَرَجُوا أَرْسَالًا ، فَأَحْسَنَ الْمُوَفَّقُ إِلَيْهِمْ ، وَأَلْحَقَهُمْ بِأَمْثَالِهِمْ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْمُوَفَّقَ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَرَّنَ أَصْحَابُهُ بِسُلُوكِ النَّهْرِ لِيَحْرِقَ الْجِسْرَ الثَّانِيَ ، فَكَانَ يَأْمُرُهُمْ بِإِدْخَالِ الشَّذَا فِيهِ ، وَإِحْرَاقِ مَا عَلَى جَانِبِهِ مِنَ الْمَنَازِلِ ، فَهَرَبَ إِلَيْهِ بَعْضَ الْأَيَّامِ قَائِدٌ لِلزَّنْجِ ، وَمَعَهُ قَاضٍ كَانَ لَهُمْ ، وَمِنْبَرٌ ، فَفَتَّ ذَلِكَ فِي أَعْضَادِ الْخُبَثَاءِ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْخَبِيثَ وَكَّلَ بِالْجِسْرِ الثَّانِي مَنْ يَحْفَظُهُ ، وَشَحَنَهُ بِالرِّجَالِ ، فَأَمَرَ الْمُوَفَّقُ بَعْضَ أَصْحَابِهِ بِإِحْرَاقِ مَا عِنْدَ الْجِسْرِ مِنْ سُفُنٍ ، فَفَعَلُوا حَتَّى أَحْرَقُوهَا ، فَزَادَ ذَلِكَ فِي احْتِيَاطِ الْخَبِيثِ ، وَفِي حِرَاسَتِهِ لِلْجِسْرِ لِئَلَّا يُحْرَقَ وَيَسْتَوْلِيَ الْمُوَفَّقُ عَلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ فَيَهْلِكَ. |
| وَكَانَ قَدْ تَخَلَّفَ مِنْ أَصْحَابِهِ جَمْعٌ فِي مَنَازِلِهِمُ الْمُقَارِبَةِ لِلْجِسْرِ الثَّانِي ، وَكَانَ أَصْحَابُ الْمُوَفَّقِ يَأْتُونَهُمْ وَيَقِفُونَ عَلَى الطَّرِيقِ الْخَفِيَّةِ ، فَلَمَّا عَرَفُوا ذَلِكَ عَزَمُوا عَلَى إِحْرَاقِ الْجِسْرِ الثَّانِي ، فَأَمَرَ الْمُوَفَّقُ ابْنَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ ، وَالْقُوَّادَ بِالتَّجَهُّزِ لِذَلِكَ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَأْتُوا مِنْ عِدَّةِ جِهَاتٍ لِيُوَافُوا الْجِسْرَ ، وَأَعَدَّ مَعَهُمُ الْفُئُوسَ ، وَالنِّفْطَ ، وَالْآلَاتِ ، وَدَخَلَ هُوَ فِي النَّهْرِ بِالشَّذَوَاتِ ، وَمَعَهُ أَنْجَادُ غِلْمَانِهِ ، وَمَعَهُ الْآلَاتُ أَيْضًا ، وَاشْتَبَكَتِ الْحَرْبُ فِي الْجَانِبَيْنِ جَمِيعًا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ. |
| وَكَانَ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ بِإِزَاءِ أَبِي الْعَبَّاسِ وَمَنْ مَعَهُ أَنْكِلَايُ ابْنُ الْخَبِيثِ ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ ، وَفِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ بِإِزَاءِ رَاشِدٍ مَوْلَى الْمُوَفَّقِ ، وَمَنْ مَعَهُ الْخَبِيثُ ، وَالْمُهَلَّبِيُّ فِي بَاقِي الْجَيْشِ ، فَدَامَتِ الْحَرْبُ مِقْدَارَ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ ، ثُمَّ انْهَزَمَ الْخُبَثَاءُ لَا يَلْوُونَ عَلَى شَيْءٍ ، وَأُخِذَتِ السُّيُوفُ مِنْهُمْ ، وَدَخَلَ أَصْحَابُ الشَّذَا النَّهْرَ ، وَدَنَوْا مِنَ الْجِسْرِ فَقَاتَلُوا مَنْ يَحْمِيهِ بِالسِّهَامِ ، وَأَضْرَمُوا نَارًا. |
| وَكَانَ مِنَ الْمُنْهَزِمِينَ سُلَيْمَانُ ، وَأَنْكِلَايُ ، وَكَانَا قَدْ أُثْخِنَا بِالْجِرَاحِ ، فَوَافَيَا الْجِسْرَ ، وَالنَّارُ فِيهِ ، فَحَالَتْ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْعُبُورِ ، وَأَلْقَيَا أَنْفُسَهُمَا فِي النَّهْرِ وَمَنْ مَعَهُمَا ، فَغَرِقَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَأَفْلَتَ أَنْكِلَايُ ، وَسُلَيْمَانُ بَعْدَ أَنْ أَشْفَيَا عَلَى الْهَلَاكِ ، وَقُطِعَ الْجِسْرُ ، وَأُحْرِقَ ، وَتَفَرَّقَ الْجَيْشُ فِي مَدِينَةِ الْخَبِيثِ فِي الْجَانِبَيْنِ ، فَأَحْرَقُوا مِنْ دُورِهِمْ وَقُصُورِهِمْ ، وَأَسْوَاقِهِمْ شَيْئًا كَثِيرًا ، وَاسْتَنْقَذُوا مِنْ النِّسَاءِ ، وَالصِّبْيَانِ مَا لَا يُحْصَى ، وَدَخَلُوا الدَّارَ الَّتِي كَانَ الْخَبِيثُ سَكَنَهَا بَعْدَ إِحْرَاقِ قَصْرِهِ ، وَأَحْرَقُوهَا وَنَهَبُوا مَا كَانَ فِيهَا مِمَّا كَانَ سَلِمَ مَعَهُ ، وَهَرَبَ الْخَبِيثُ وَلَمْ يُقَفْ ذَلِكَ الْيَوْمَ عَلَى مَوَاضِعِ أَمْوَالِهِ. |
| وَاسْتُنْقِذَ فِي هَذَا الْيَوْمِ نِسْوَةٌ مِنَ الْعَلَوِيَّاتِ كُنَّ مُحَبَّسَاتٍ فِي مَوْضِعٍ قَرِيبٍ مِنْ دَارِهِ الَّتِي كَانَ يَسْكُنُهَا ، فَأَحْسَنَ الْمُوَفَّقُ إِلَيْهِنَّ ، وَحَمَلَهُنَّ ، وَفَتَحَ سِجْنًا ، كَانَ لَهُ وَأَخْرَجَ مِنْهُ خَلْقًا كَثِيرًا مِمَّنْ كَانَ يُحَارِبُ الْخَبِيثَ ، فَفَكَّ الْمُوَفَّقُ عَنْهُمُ الْحَدِيدَ ، وَأَخْرَجَ ذَلِكَ الْيَوْمَ كُلَّ مَا كَانَ فِي نَهْرِ أَبِي الْخَصِيبِ مِنْ شَذًا ، وَمَرَاكِبَ بَحْرِيَّةٍ ، وَسُفُنٍ صِغَارٍ ، وَكِبَارٍ ، وَحَرَّاقَاتٍ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ السُّفُنِ إِلَى دِجْلَةَ ، فَأَبَاحَهَا الْمُوَفَّقُ أَصْحَابَهُ مَعَ مَا فِيهَا مِنَ السَّلَبِ ، وَكَانَتْ لَهُ قِيمَةٌ عَظِيمَةٌ. |
| وَأَرْسَلَ أَنْكِلَايُ ابْنُ الْخَبِيثِ يَطْلُبُ الْأَمَانَ ، وَسَأَلَ أَشْيَاءَ ، فَأَجَابَهُ الْمُوَفَّقُ إِلَيْهَا ، فَعَلِمَ أَبُوهُ بِذَلِكَ فَعَذَلَهُ ، وَرَدَّهُ عَمَّا عَزَمَ عَلَيْهِ ، فَعَادَ إِلَى الْحَرْبِ وَمُبَاشَرَةِ الْقِتَالِ. |
| وَوَجَّهَ سُلَيْمَانُ بْنُ مُوسَى الشَّعْرَانِيُّ ، وَهُوَ أَحَدُ رُؤَسَاءِ الْخَبِيثِ ، يَطْلُبُ الْأَمَانَ ، فَلَمْ يُجِبْهُ الْمُوَفَّقُ إِلَى ذَلِكَ ، لَمَّا كَانَ قَدْ تَقَدَّمَ مِنْهُ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ وَالْفَسَادِ ، فَاتَّصَلَ بِهِ أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ رُؤَسَاءِ أَصْحَابِ الْخَبِيثِ قَدِ اسْتَوْحَشُوا الْمَنَعَةَ ، فَأَجَابَهُ إِلَى الْأَمَانِ ، فَأَرْسَلَ الشَّذَا إِلَى مَوْضِعٍ ذَكَرَهُ ، فَخَرَجَ هُوَ وَأَخُوهُ ، وَأَهْلُهُ ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ قُوَّادِهِ ، فَأَرْسَلَ الْخَبِيثُ مَنْ يَمْنَعُهُمْ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَاتَلَهُمْ ، وَوَصَلَ إِلَى الْمُوَفَّقِ ، فَزَادَ فِي الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ مَعَهُ ، وَأَمَرَ بِإِظْهَارِهِ لِأَصْحَابِ الْخَبِيثِ لِيَزْدَادُوا ثِقَةً ، فَلَمْ يَبْرَحْ مِنْ مَكَانِهِ ، حَتَّى اسْتَأْمَنَ جَمَاعَةٌ مِنْ قُوَّادِ الزِّنْجِ مِنْهُمْ شِبْلُ بْنُ سَالِمٍ ، فَأَجَابَهُ الْمُوَفَّقُ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ شَذَوَاتٍ ، فَرَكِبَ فِيهَا هُوَ وَعِيَالُهُ ، وَوَلَدُهُ ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ قُوَّادِهِ ، فَلَقِيَهُمْ قَوْمٌ مِنَ الزِّنْجِ ، فَقَاتَلَهُمْ ، وَنَجَا ، وَوَصَلَ إِلَى الْمُوَفَّقِ ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَوَصَلَهُ بِصِلَةٍ جَلِيلَةٍ ، وَهُوَ مِنْ قُدَمَاءَ أَصْحَابِ الْخَبِيثِ ، فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَوْلِيَائِهِ لِمَا رَأَوْا مِنْ رَغْبَةِ رُؤَسَائِهِمْ فِي الْأَمَانِ. |
| وَلَمَّا رَأَى الْمُوَفَّقُ مُنَاصَحَةَ شِبْلٍ ، وَجَوْدَةَ فَهْمِهِ ، أَمَرَهُ أَنْ يَكْفِيَهُ بَعْضَ الْأُمُورِ ، فَسَارَ لَيْلًا فِي جَمْعٍ مِنَ الزِّنْجِ ، لَمْ يُخَالِطْهُمْ غَيْرُهُمْ ، إِلَى عَسْكَرِ الْخَبِيثِ يَعْرِفُ مَكَانَهُمْ ، وَأَوْقَعَ بِهِمْ ، وَأَسَرَ مِنْهُمْ ، وَقَتَلَ ، وَعَادَ ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ الْمُوَفَّقُ ، وَإِلَى أَصْحَابِهِ. |
| وَصَارَ الزِّنْجُ بَعْدَ هَذِهِ الْوَقْعَةِ لَا يَنَامُونَ اللَّيْلَ ، وَلَا يَزَالُونَ يَتَحَارَسُونَ لِلرُّعْبِ الَّذِي دَخَلَهُمْ ، وَأَقَامَ الْمُوَفَّقُ يُنْفِذُ السَّرَايَا إِلَى الْخَبِيثِ ، وَيَكِيدُهُ ، وَيَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقُوتِ ، وَأَصْحَابُ الْمُوَفَّقِ يَتَدَرَّبُونَ فِي سُلُوكِ تِلْكَ الْمَضَايِقِ الَّتِي فِي أَرْضِهِ وَيُوَسِّعُونَهَا. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ الْمُوَفَّقِ عَلَى مَدِينَةِ الْخَبِيثِ الشَّرْقِيَّةِ لَمَّا عَلِمَ الْمُوَفَّقُ أَنَّ أَصْحَابَهُ قَدْ تَمَرَّنُوا عَلَى سُلُوكِ تِلْكَ الْأَرْضِ وَعَرَفُوهَا ، صَمَّمَ الْعَزْمَ عَلَى الْعُبُورِ إِلَى مُحَارَبَةِ الْخَبِيثِ مِنَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ نَهْرِ أَبِي الْخَصِيبِ ، فَجَلَسَ مَجْلِسًا عَامًّا ، وَأَحْضَرَ قُوَّادَ الْمُسْتَأْمِنَةِ ، وَفُرْسَانَهُمْ ، فَوَقَفُوا بِحَيْثُ يَسْمَعُونَ كَلَامَهُ ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ فَعَرَّفَهُمْ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَالْجَهْلِ ، وَانْتِهَاكِ الْمَحَارِمِ ، وَمَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَّ ذَلِكَ قَدْ أَحَلَّ لَهُ دِمَاءَهُمْ ، وَأَنَّهُ غَفَرَ لَهُمْ زَلَّتَهُمْ ، وَوَصَلَهُمْ ، وَأَنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ عَلَيْهِمْ حَقَّهُ ، وَطَاعَتَهُ ، وَأَنَّهُمْ لَنْ يُرْضُوا رَبَّهُمْ ، وَسُلْطَانَهُمْ بِأَكْثَرَ مِنَ الْجِدِّ فِي مُجَاهَدَةِ الْخَبِيثِ ، وَأَنَّهُمْ لَيَعْرِفُونِ مَسَالِكَ الْعَسْكَرِ ، وَمَضَايِقَ مَدِينَتِهِ ، وَمَعَاقِلَهَا الَّتِي أَعَدَّهَا ، فَهُمْ أَوْلَى أَنْ يَجْتَهِدُوا فِي الْوُلُوجِ عَلَى الْخَبِيثِ ، وَالْوُغُولِ إِلَى حُصُونِهِ ، حَتَّى يُمَكِّنَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمُ الْإِحْسَانُ ، وَالْمَزِيدُ ، وَمَنْ قَصَّرَ مِنْهُمْ فَقَدْ أَسْقَطَ مَنْزِلَتَهُ وَحَالَهُ. |
| فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ بِالدُّعَاءِ لَهُ ، وَالِاعْتِرَافِ بِإِحْسَانِهِ ، وَبِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْمُنَاصَحَةِ ، وَالطَّاعَةِ ، وَأَنَّهُمْ يَبْذُلُونَ دِمَاءَهُمْ فِي كُلِّ مَا يُقَرِّبُهُمْ مِنْهُ ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يُفْرِدَهُمْ بِنَاحِيَةٍ لِيَظْهَرَ مِنْ نِكَايَتِهِمْ فِي الْعَدُوِّ مَا يَعْرِفُ بِهِ إِخْلَاصَهُمْ ، وَطَاعَتَهُمْ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ ، وَوَعَدَهُمْ ، وَكَتَبَ فِي جَمْعِ السُّفُنِ ، وَالْمَعَابِرِ مِنْ دِجْلَةَ ، وَالْبَطِيحَةِ وَنَوَاحِيهَا لِيُضِيفَهَا إِلَى مَا فِي عَسْكَرِهِ ، إِذْ كَانَ مَا عِنْدَهُ يَقْصُرُ عَنِ الْجَيْشِ لِكَثْرَتِهِ ، وَأَحْصَى مَا فِي الشَّذَا ، وَالسُّمَيْرِيَّاتِ ، وَأَنْوَاعِ السُّفُنِ ، فَكَانُوا زُهَاءَ عَشَرَةِ آلَافِ مَلَّاحٍ مِمَّنْ يَجْرِي عَلَيْهِ الرِّزْقُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ مُشَاهَرَةً ، سِوَى سُفُنِ أَهْلِ الْعَسْكَرِ الَّتِي يُحْمَلُ فِيهَا الْمِيرَةُ ، وَيَرْكَبُهَا النَّاسُ فِي حَوَائِجِهِمْ ، وَسِوَى مَا كَانَ لِكُلِّ قَائِدٍ مِنَ السُّمَيْرِيَّاتِ ، وَالْحَرْبِيَّاتِ ، وَالزَّوَارِيقِ. |
| فَلَمَّا تَكَامَلَتِ السُّفُنُ تَقَدَّمَ إِلَى ابْنِهِ أَبِي الْعَبَّاسِ ، وَقُوَّادِهِ بِقَصْدِ مَدِينَةِ الْخَبِيثِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ جِهَاتِهَا ، فَسَيَّرَ ابْنَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ إِلَى نَاحِيَةِ دَارِ الْمُهَلَّبِيِّ أَسْفَلَ الْعَسْكَرِ ، وَكَانَ قَدْ شَحَنَهَا بِالرِّجَالِ ، وَالْمُقَاتِلِينَ ، وَأَمَرَ جَمِيعَ أَصْحَابَهُ بِقَصْدِ دَارِ الْخَبِيثِ ، وَإِحْرَاقِهَا ، فَإِنْ عَجَزُوا عَنْهَا اجْتَمَعُوا عَلَى دَارِ الْمُهَلَّبِيِّ ، وَسَارَ هُوَ فِي الشَّذَا ، وَهِيَ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ قِطْعَةً ، فِيهَا أَنْجَادُ غِلْمَانِهِ ، وَانْتَخَبَ مِنَ الْفُرْسَانِ وَالرَّجَّالَةِ عَشَرَةَ آلَافٍ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسِيرُوا عَلَى جَانِبَيِ النَّهْرِ مَعَهُ إِذَا سَارَ ، وَأَنْ يَقِفُوا مَعَهُ إِذَا وَقَفَ ، لِيَتَصَرَّفُوا بِأَمْرِهِ. |
| وَبَكَّرَ الْمُوَفَّقُ لِقِتَالِ الْفَاسِقِينَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ لِثَمَانٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَكَانُوا قَدْ تَقَدَّمُوا إِلَيْهِمْ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَوَاقَعُوهُمْ ، وَتَقَدَّمَ كُلُّ طَائِفَةٍ إِلَى الْجِهَةِ الَّتِي أَمَرَهُمْ بِهَا ، فَلَقِيَهُمُ الزِّنْجُ ، وَاشْتَدَّتِ الْحَرْبُ ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ وَالْجِرَاحُ فِي الْفَرِيقَيْنِ ، وَحَامَى الْفَسَقَةُ عَنِ الَّذِي اقْتَصَرُوا عَلَيْهِ مِنْ مَدِينَتِهِمْ ، وَاسْتَمَاتُوا ، وَصَبَرُوا ، فَنَصَرَ اللَّهُ أَصْحَابَ الْمُوَفَّقِ ، فَانْهَزَمَ الزِّنْجُ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَأُسِرَ مِنْ أَنْجَادِهِمْ وَشُجْعَانِهِمْ جَمْعٌ كَثِيرٌ ، فَأَمَرَ الْمُوَفَّقُ فَضُرِبَتْ أَعْنَاقُ الْأَسْرَى فِي الْمَعْرَكَةِ ، وَقَصَدَ بِجَمْعِهِ الدَّارَ الَّتِي يَسْكُنُهَا الْخَبِيثُ ، وَكَانَ قَدْ لَجَأَ إِلَيْهَا ، وَجَمَعَ أَبْطَالَ أَصْحَابِهِ لِلْمُدَافَعَةِ عَنْهَا ، فَلَمْ يُغْنُوا عَنْهَا شَيْئًا ، وَانْهَزَمُوا عَنْهَا وَأَسْلَمُوهَا ، وَدَخَلَهَا أَصْحَابُ الْمُوَفَّقِ وَفِيهَا بَقَايَا مَا كَانَ سَلِمَ لِلْخَبِيثِ مِنْ مَالِهِ ، وَوَلَدِهِ ، وَأَثَاثِهِ ، فَنَهَبُوا ذَلِكَ أَجْمَعَ ، وَأَخَذُوا حَرَمَهُ ، وَأَوْلَادَهُ ، وَكَانُوا عِشْرِينَ مَا بَيْنَ صَبِيَّةٍ ، وَصَبِيٍّ ، وَسَارَ الْخَبِيثُ هَارِبًا نَحْوَ دَارِ الْمُهَلَّبِيِّ لَا يَلْوِي عَلَى أَهْلٍ ، وَلَا مَالٍ ، وَأُحْرِقَتْ دَارُهُ ، وَأُتِيَ الْمُوَفَّقُ بِأَهْلِ الْخَبِيثِ وَأَوْلَادِهِ ، فَسَيَّرَهُمْ إِلَى بَغْدَاذَ. |
| وَكَانَ أَصْحَابُ أَبِي الْعَبَّاسِ قَدْ قَصَدُوا دَارَ الْمُهَلَّبِيِّ ، وَقَدْ لَجَأَ إِلَيْهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُنْهَزِمِينَ ، فَغَلَبُوهُمْ عَلَيْهَا ، وَاشْتَغَلُوا بِنَهْبِهَا ، وَأَخَذُوا مَا فِيهَا مِنْ حَرَمِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَوْلَادِهِمْ ، وَجَعَلَ مَنْ ظَفَرَ مِنْهُمْ بِشَيْءٍ حَمَلَهُ إِلَى سَفِينَتِهِ ، فَعَلَوْا فِي الدَّارِ وَنَوَاحِيهَا ، فَلَمَّا رَآهُمُ الزِّنْجُ كَذَلِكَ رَجَعُوا إِلَيْهِمْ فَقَتَلُوا فِيهِمْ مَقْتَلَةً يَسِيرَةً. |
| وَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنْ غِلْمَانِ الْمُوَفَّقِ الَّذِينَ قَصَدُوا دَارَ الْخَبِيثِ تَشَاغَلُوا بِحَمْلِ الْغَنَائِمِ إِلَى السُّفُنِ أَيْضًا ، فَأَطْمَعَ ذَلِكَ الزِّنْجَ فِيهِمْ ، فَأَكَبُّوا عَلَيْهِمْ فَكَشَفُوهُمْ ، وَاتَّبَعُوا آثَارَهُمْ ، وَثَبَتَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَبْطَالِ الْمُوَفَّقِ ، فَرَدُّوا الزِّنْجَ حَتَّى تَرَاجَعَ النَّاسُ إِلَى مَوَاقِفِهِمْ ، وَدَامَتِ الْحَرْبُ إِلَى الْعَصْرِ ، فَأَمَرَ الْمُوَفَّقُ غِلْمَانَهُ بِصِدْقِ الْحَمْلَةِ عَلَيْهِمْ ، فَفَعَلُوا ، فَانْهَزَمَ الْخَبِيثُ وَأَصْحَابُهُ ، وَأَخَذَتْهُمُ السُّيُوفُ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى دَارِهِ أَيْضًا ، فَرَأَى الْمُوَفَّقُ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَصْرِفَ أَصْحَابَهُ إِلَى إِحْسَانِهِمْ ، فَرَدَّهُمْ وَقَدْ غَنِمُوا ، وَاسْتَنْقَذُوا جَمْعًا مِنَ النِّسَاءِ الْمَأْسُورَاتِ كُنْ يُخْرَجْنَ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَرْسَالًا فَيُحْمَلْنَ إِلَى الْمُوَفَّقِيَّةِ. |
| وَكَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ قَدْ أَرْسَلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَائِدًا ، فَأَحْرَقَ ثَمَّ بَيَادِرَ كَانَتْ ذَخِيرَةً لِلْخَبِيثِ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا أُضْعِفَ بِهِ الْخَبِيثُ وَأَصْحَابُهُ. |
| ثُمَّ وَصَلَ إِلَى الْمُوَفَّقِ كِتَابُ لُؤْلُؤٍ غُلَامِ ابْنِ طُولُونَ فِي الْقُدُومِ عَلَيْهِ ، فَأَمَرَهُ بِذَلِكَ ، وَأَخَّرَ الْقِتَالَ إِلَى أَنْ يَحْضُرَ. |
| ذِكْرُ خِلَافِ لُؤْلُؤٍ عَلَى مَوْلَاهُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ وَفِيهَا خَالَفَ لُؤْلُؤٌ غُلَامُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ صَاحِبِ مِصْرَ ، عَلَى مَوْلَاهُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، وَفِي يَدِهِ حِمْصُ ، وَقِنَّسْرِينُ ، وَحَلَبُ ، وَدِيَارُ مُضَرَ ، مِنَ الْجَزِيرَةِ ، وَسَارَ إِلَى بَالِسَ فَنَهَبَهَا ، وَكَاتَبَ الْمُوَفَّقَ فِي الْمَسِيرِ إِلَيْهِ ، وَاشْتَرَطَ شُرُوطًا ، فَأَجَابَهُ أَبُو أَحْمَدَ إِلَيْهَا ، وَكَانَ بِالرَّقَّةِ ، فَسَارَ إِلَى الْمُوَفَّقِ فَنَزَلَ قَرْقِيسِيَا ، وَبِهَا ابْنُ صَفْوَانَ الْعُقَيْلِيُّ ، فَحَارَبَهُ ، وَأَخَذَهَا مِنْهُ ، وَسَلَّمَهَا إِلَى أَحْمَدَ بْنِ مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ ، وَسَارَ إِلَى الْمُوَفَّقِ ، فَوَصَلَ إِلَيْهِ وَهُوَ يُقَاتِلُ الْخَبِيثَ الْعَلَوِيَّ. |
| ذِكْرُ مَسِيرِ الْمُعْتَمِدِ إِلَى الشَّامِ وُعَوْدِهِ مِنَ الطَّرِيقِ وَفِيهَا سَارَ الْمُعْتَمِدُ نَحْوَ مِصْرَ ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الْخِلَافَةِ غَيْرُ اسْمِهَا ، وَلَا يَنْفُذُ لَهُ تَوْقِيعٌ لَا فِي قَلِيلٍ ، وَلَا كَثِيرٍ ، وَكَانَ الْحُكْمُ كُلُّهُ لِلْمُوَفَّقِ ، وَالْأَمْوَالُ تُجْبَى إِلَيْهِ ، فَضَجِرَ الْمُعْتَمِدُ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَنِفَ مِنْهُ ، فَكَتَبَ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ يَشْكُو إِلَيْهِ حَالَهُ سِرًّا مِنْ أَخِيهِ الْمُوَفَّقِ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَحْمَدُ بِاللَّحَاقِ بِهِ بِمِصْرَ ، وَوَعَدَهُ النُّصْرَةَ ، وَسَيَّرَ عَسْكَرًا إِلَى الرَّقَّةِ يَنْتَظِرُ وُصُولَ الْمُعْتَمِدِ إِلَيْهِمْ ، فَاغْتَنَمَ الْمُعْتَمِدُ غَيْبَةَ الْمُوَفَّقِ عَنْهُ ، فَسَارَ فِي جُمَادَى الْأُولَى وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْقُوَّادِ ، فَأَقَامَ بِالْكُحَيْلِ يَتَصَيَّدُ. |
| فَلَمَّا سَارَ إِلَى عَمَلِ إِسْحَاقَ بْنِ كُنْدَاجِيقَ ، وَكَانَ عَامِلَ الْمَوْصِلِ ، وَعَامَّةِ الْجَزِيرَةِ ، وَثَبَ ابْنُ كُنْدَاجِيقَ بِمَنْ مَعَ الْمُعْتَمِدِ مِنَ الْقُوَّادِ ، فَقَبَضَهُمْ ، وَهُمْ نَيْزَكُ ، وَأَحْمَدُ بْنُ خَاقَانَ ، وَخَطَارِمِشُ ، فَقَيَّدَهُمْ ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ وَدَوَابَّهُمْ ، وَكَانَ قَدْ كَتَبَ إِلَيْهِ صَاعِدُ بْنُ مَخْلَدٍ وَزِيرُ الْمُوَفَّقِ عَنِ الْمُوَفَّقِ ، وَكَانَ سَبَبُ وُصُولِهِ إِلَى قَبْضَتِهِمْ أَنَّهُ أَظْهَرُ أَنَّهُ مَعَهُمْ فِي طَاعَةِ الْمُعْتَمِدِ ، إِذْ هُوَ الْخَلِيفَةُ ، وَلَقِيَهُمْ لَمَّا صَارُوا إِلَى عَمَلِهِ ، وَسَارَ مَعَهُمْ عِدَّةَ مَرَاحِلَ ، فَلَمَّا قَارَبَ عَمَلَ ابْنِ طُولُونَ ارْتَحَلَ الْأَتْبَاعُ ، وَالْغِلْمَانُ الَّذِينَ مَعَ الْمُعْتَمِدِ ، وَقُوَّادِهِ ، وَلَمْ يَتْرُكِ ابْنُ كُنْدَاجِيقَ أَصْحَابَهُ يَرْحَلُونَ ، ثُمَّ خَلَا بِالْقُوَّادِ عِنْدَ الْمُعْتَمِدِ ، وَقَالَ لَهُمْ إِنَّكُمْ قَارَبْتُمْ عَمَلَ ابْنِ طُولُونَ ، وَالْأَمْرُ أَمْرُهُ ، وَتَصِيرُونَ مِنْ جُنْدِهِ ، وَتَحْتَ يَدِهِ ، أَفَتَرْضَوْنَ بِذَلِكَ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ كَوَاحِدٍ مِنْكُمْ ؟ |
| وَجَرَتْ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ مُنَاظَرَةٌ ، حَتَّى تَعَالَى النَّهَارُ ، وَلَمْ يَرْحَلِ الْمُعْتَمِدُ وَمَنْ مَعَهُ ، فَقَالَ ابْنُ كُنْدَاجِيقَ قُومُوا بِنَا نَتَنَاظَرُ فِي غَيْرِ حَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ; فَأَخَذَ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى خَيْمَتِهِ لِأَنَّ مَضَارِبَهُمْ كَانَتْ قَدْ سَارَتْ ، فَلَمَّا دَخَلُوا خَيْمَتَهُ قَبَضَ عَلَيْهِمْ وَقَيَّدَهُمْ ، وَأَخَذَ سَائِرَ مَنْ مَعَ الْمُعْتَمِدِ مِنَ الْقُوَّادِ فَقَيَّدَهُمْ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ أُمُورِهِمْ مَضَى إِلَى الْمُعْتَمِدِ فَعَذَلَهُ مِنْ مَسِيرِهِ فِي دَارِ مُلْكِهِ ، وَمُلْكِ آبَائِهِ ، وَفِرَاقِ أَخِيهِ الْمُوَفَّقِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي هُوَ بِهَا مِنْ حَرْبٍ يُرِيدُ قَتْلَهُ ، وَقَتْلَ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَزَوَالِ مُلْكِهِمْ ، ثُمَّ حَمَلَهُ وَالَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ حَتَّى أَدْخَلَهُمْ سَامَرَّا. |
| ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ عَسْكَرِ ابْنِ طُولُونَ وَعَسْكَرِ الْمُوَفَّقِ بِمَكَّةَ وَفِيهَا كَانَتْ وَقْعَةٌ بِمَكَّةَ بَيْنَ جَيْشٍ لِأَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، وَبَيْنَ عَسْكَرِ الْمُوَفَّقِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ. |
| وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ سَيَّرَ جَيْشًا مَعَ قَائِدَيْنِ إِلَى مَكَّةَ ، فَوَصَلُوا إِلَيْهَا ، وَجَمَعُوا الْحَنَّاطِينَ ، وَالْجَزَّارِينَ ، وَفَرَّقُوا فِيهِمْ مَالًا ، وَكَانَ عَامِلُ مَكَّةَ هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ إِذْ ذَاكَ بِبُسْتَانِ ابْنِ عَامِرٍ قَدْ فَارَقَهَا خَوْفًا مِنْهُمْ ، فَوَافَى مَكَّةَ جَعْفَرٌ الْبَاغَمَرْدِيُّ فِي ذِي الْحِجَّةِ فِي عَسْكَرٍ ، وَتَلَقَّاهُ هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ فِي جَمَاعَةٍ ، فَقَوِيَ بِهِمْ جَعْفَرٌ ، وَالْتَقَوْا هُمْ وَأَصْحَابُ ابْنِ طُولُونَ ، فَاقْتَتَلُوا ، وَأَعَانَ أَهْلُ خُرَاسَانَ جَعْفَرًا ، فَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ طُولُونَ مِائَتَيْ رَجُلٍ ، وَانْهَزَمَ الْبَاقُونَ وَسُلِبُوا وَأُخِذَتْ أَمْوَالُهُمْ ، وَأَخَذَ جَعْفَرٌ مِنَ الْقَائِدَيْنِ نَحْوَ مِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَأَمَّنَ الْمِصْرِيِّينَ ، وَالْجَزَّارِينَ ، وَالْحَنَّاطِينَ ، وَقُرِئَ كِتَابٌ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِلَعْنِ ابْنِ طُولُونَ ، وَسَلِمَ النَّاسُ وَأَمْوَالُ التُّجَّارِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ قَطَعَ الْأَعْرَابُ الطَّرِيقَ عَلَى قَافِلَةٍ مِنَ الْحَاجِّ بَيْنَ ثَوْرٍ وَسُمَيْرَاءَ ، فَسَلَبُوهُمْ ، وَسَاقُوا نَحْوًا مِنْ خَمْسَةِ آلَافِ بَعِيرٍ بِأَحْمَالِهَا وَأُنَاسًا كَثِيرًا. |
| وَفِيهَا انْخَسَفَ الْقَمَرُ ، وَغَابَ مُنْخَسِفًا ، وَانْكَسَفَتِ الشَّمْسُ فِيهِ أَيْضًا آخِرَ النَّهَارِ ، وَغَابَتْ مُنْكَسِفَةً ، فَاجْتَمَعَ فِي الْمُحَرَّمِ كُسُوفَانِ. |
| وَفِيهَا ، فِي صَفَرٍ وَثَبَتِ الْعَامَّةُ بِإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيجِيِّ ، فَانْتَهَبُوا دَارَهُ ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ غُلَامًا لَهُ رَمَى امْرَأَةً بِسَهْمٍ فَقَتَلَهَا ، فَاسْتَعْدَى السُّلْطَانُ عَلَيْهِ ، فَامْتَنَعَ ، وَرَمَى غِلْمَانُهُ النَّاسَ ، فَقَتَلُوا جَمَاعَةً ، وَجَرَحُوا ، فَثَارَتْ بِهِمُ الْعَامَّةُ ، فَقَتَلُوا فِيهِمْ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ ، وَنَهَبُوا مَنْزِلَهُ ، وَدَوَابَّهُ ، وَخَرَجَ هَارِبًا ، فَجَمَعَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ وَكَانَ نَائِبَ أَبِيهِ دَوَابَّ إِبْرَاهِيمَ ، وَمَا أُخِذَ لَهُ ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِ. |
| وَفِيهَا وُجِّهَ إِلَى أَبِي السَّاجِ جَيْشٌ بَعْدَمَا انْصَرَفَ مِنْ مَكَّةَ ، فَسَيَّرَهُ إِلَى جُدَّةَ ، فَأَخَذَ لِلْمَخْزُومِيِّ مَرْكَبَيْنِ فِيهِمَا مَالٌ وَسِلَاحٌ. |
| وَفِيهَا وَثَبَ خَلَفٌ صَاحِبُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ بِالثُّغُورِ الشَّامِيَّةِ ، وَعَامِلُهُ عَلَيْهَا يَازْمَانُ الْخَادِمُ مَوْلَى مُفْلِحِ بْنِ خَاقَانَ ، فَحَبَسَهُ ، فَوَثَبَ بِهِ جَمَاعَةٌ فَاسْتَنْقَذُوا يَازْمَانَ ، وَهَرَبَ خَلَفٌ ، وَتَرَكَ الدُّعَاءَ لِابْنِ طُولُونَ ، فَسَارَ إِلَيْهِمُ ابْنُ طُولُونَ ، وَنَزَلَ أَذَنَةَ ، فَاعْتَصَمَ أَهْلُ طَرَسُوسَ بِهَا ، وَمَعَهُمْ يَازْمَانُ ، فَرَجَعَ عَنْهُمُ ابْنُ طُولُونَ إِلَى حِمْصَ ، ثُمَّ إِلَى دِمَشْقَ ، فَأَقَامَ بِهَا. |
| وَفِيهَا قَامَ رَافِعُ بْنُ هَرْثَمَةَ بِمَا كَانَ الْخُجُسْتَانِيُّ غَلَبَ عَلَيْهِ مَنْ مُدُنِ خُرَاسَانَ ، فَاجْتَبَى عِدَّةً مِنْ كُوَرِ خُرَاسَانَ خَرَاجَهَا لِبِضْعِ عَشْرَةَ سَنَةٍ ، فَأَفْقَرَ أَهْلَهَا وَأَخْرَبَهَا. |
| وَفِيهَا كَانَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَ الْحَسَنِيِّينَ ، وَالْحُسَيْنِيِّينَ بِالْحِجَازِ ، وَالْجَعْفَرِيِّينَ ، فَقُتِلَ مِنَ الْجَعْفَرِيِّينَ ثَمَانِيَةُ نَفَرٍ ، وَخَلَّصُوا الْفَضْلَ بْنَ الْعَبَّاسِ الْعَبَّاسِيَّ عَامِلَ الْمَدِينَةِ. |
| وَفِيهَا ، فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، عَقَدَ هَارُونُ بْنُ الْمُوَفَّقِ لِابْنِ أَبِي السَّاجِ عَلَى الْأَنْبَارِ ، وَطَرِيقِ الْفُرَاتِ ، وَالرَّحْبَةِ ، وَوَلِيَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْكُوفَةَ وَسَوَادَهَا ، فَلَقِيَ مُحَمَّدَ الْهَيْصَمَ الْعِجْلِيَّ ، فَانْهَزَمَ الْهَيْصَمُ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ عِيسَى بْنُ الشَّيْخِ بْنِ السَّلِيلِ الشَّيْبَانِيُّ ، وَبِيَدِهِ أَرْمِينِيَّةُ ، وَدِيَارُ بَكْرٍ. |
| وَفِيهَا لَعَنَ الْمُعْتَمِدُ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ فِي دَارِ الْعَامَّةِ وَأَمَرَ بِلَعْنِهِ عَلَى الْمَنَابِرِ ، وَوَلَّى إِسْحَاقَ بْنَ كُنْدَاجِيقَ عَلَى أَعْمَالِ ابْنِ طُولُونَ ، وَفَوَّضَ إِلَيْهِ مِنْ بَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ ، وَوَلِيَ شُرْطَةَ الْخَاصَّةِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ هَذَا اللَّعْنِ أَنَّ ابْنَ طُولُونَ قَطَعَ خُطْبَةَ الْمُوَفَّقِ ، وَأَسْقَطَ اسْمَهُ مِنَ الطِّرَازِ ، فَتَقَدَّمَ الْمُوَفَّقُ إِلَى الْمُعْتَمِدِ بِلَعْنِهِ ، فَفَعَلَ مُكْرَهًا ، لِأَنَّ هَوَى الْمُعْتَمِدِ كَانَ مَعَ ابْنِ طُولُونَ. |
| وَفِيهَا كَانَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَ ابْنِ أَبِي السَّاجِّ ، وَالْأَعْرَابِ ، فَهَزَمُوهُ ، ثُمَّ بَيَّتَهُمْ فَقَتَلَ مِنْهُمْ وَأَسَرَ ، وَوَجَّهَ بِالرُّءُوسِ ، وَالْأَسْرَى إِلَى بَغْدَاذَ. |
| وَفِيهَا ، فِي شَوَّالٍ دَخَلَ ابْنُ أَبِي السَّاجِ رَحْبَةَ مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ بَعْدَ أَنْ قَاتَلَهُ أَهْلُهَا فَغَلَبَهُمْ ، وَقَتَلَهُمْ ، وَهَرَبَ أَحْمَدُ بْنُ مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ إِلَى الشَّامِ ، ثُمَّ سَارَ ابْنُ أَبِي السَّاجِ إِلَى قَرْقِيسِيَا فَدَخَلَهَا. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدِ ابْنِ إِسْحَاقَ الْهَاشِمِيُّ. |
| وَفِيهَا خَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ أَمِيرُ صِقِلِّيَةَ فِي عَسْكَرٍ إِلَى نَاحِيَةِ رَمْطَةَ ، وَبَلَغَ الْعَسْكَرُ إِلَى قَطَانِيَةَ ، فَقَتَلَ كَثِيرًا مِنَ الرُّومِ ، وَسَبَى وَغَنِمَ ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى بَلَرْمَ فِي ذِي الْحِجَّةِ . |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَحْمَدُ بْنُ مُجَالِدٍ مَوْلَى الْمُعْتَصِمِ ، وَهُوَ مِنْ دُعَاةِ الْمُعْتَزِلَةِ ، وَأَخَذَ الْكَلَامَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُبَشِّرٍ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ سُلَيْمَانُ بْنُ حَفْصِ بْنِ أَبِي عُصْفُورٍ الْإِفْرِيقِيُّ ، وَكَانَ مُعْتَزِلِيًّا يَقُولُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ ، وَأَرَادَ أَهْلَ الْقَيْرَوَانِ ، فَسَلَّمَ لِذَلِكَ ، وَصَحِبَ بِشْرًا الْمَرِّيسِيَّ ، وَأَبَا الْهُذَيْلِ ، وَغَيْرَهُمَا مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ قَتْلِ الْخَبِيثِ صَاحِبِ الزِّنْجِ قَدْ ذَكَرْنَا مِنْ حَرْبِ الزِّنْجِ ، وَعَوْدِ الْمُوَفَّقِ عَنْهُمْ مُؤَيَّدًا بِالظَّفَرِ ، فَلَمَّا عَادَ عَنْ قِتَالِهِمْ إِلَى مَدِينَةِ الْمُوَفَّقِيَّةِ عَزَمَ عَلَى مُنَاجَزَةِ الْخُبَثَاءِ ، فَأَتَاهُ كِتَابُ لُؤْلُؤٍ غُلَامِ ابْنِ طُولُونَ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْمَسِيرِ ، فَأَذِنَ لَهُ وَتَرَكَ الْقِتَالَ يَنْتَظِرُهُ لِيَحْضُرَ الْقِتَالَ ، فَوَصَلَ إِلَيْهِ ثَالِثَ الْمُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ ، فَأَكْرَمَهُ الْمُوَفَّقُ ، وَأَنْزَلَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ وَوَصَلَهُمْ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، وَأَمَرَ لَهُمْ بِالْأَرْزَاقِ عَلَى قَدْرِ مَرَاتِبِهِمْ ، وَأَضْعَفَ مَا كَانَ لَهُمْ ، ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى لُؤْلُؤٍ بِالتَّأَهُّبِ لِحَرْبِ الْخُبَثَاءِ. |
| وَكَانَ الْخَبِيثُ لَمَّا غَلَبَ عَلَى نَهْرِ أَبِي الْخَصِيبِ ، وَقُطِعَتِ الْقَنَاطِرُ وَالْجُسُورُ الَّتِي عَلَيْهِ ، أَحْدَثَ سِكْرًا فِي النَّهْرِ مِنْ جَانِبَيْهِ ، وَجَعَلَ فِي وَسَطِ النَّهْرِ بَابًا ضَيِّقًا لِتَحْتَدَّ جَرْيَةُ الْمَاءِ فِيهِ ، فَتَمْتَنِعَ الشَّذَا مِنْ دُخُولِهِ فِي الْجَزْرِ ، وَيَتَعَذَّرُ خُرُوجُهَا مِنْهُ فِي الْمَدِّ ، فَرَأَى الْمُوَفَّقُ أَنَّ جَرْيَهُ لَا يَتَهَيَّأُ إِلَّا بِقَلْعِ هَذَا السِّكْرِ ، فَحَاوَلَ ذَلِكَ ، فَاشْتَدَّتْ مُحَامَاةُ الْخُبَثَاءِ عَلَيْهِ ، وَجَعَلُوا يَزِيدُونَ كُلَّ يَوْمٍ فِيهِ ، وَهُوَ مُتَوَسِّطُ دُورِهِمْ ، وَالْمَرْوِيَّةُ تُسَهِّلُ عَلَيْهِمْ ، وَتُعَظِّمُ عَلَى مَنْ أَرَادَ قَلْعَهُ ، فَشَرَعَ فِي مُحَارَبَتِهِمْ بِفَرِيقٍ بَعْدَ فَرِيقٍ مِنْ أَصْحَابِ لُؤْلُؤٍ لِيَتَمَرَّنُوا عَلَى قِتَالِهِمْ ، وَيَقِفُوا عَلَى الْمَسَالِكِ وَالطُّرُقِ فِي مَدِينَتِهِمْ ، فَأَمَرَ لُؤْلُؤًا أَنْ يَحْضُرَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ لِلْحَرْبِ عَلَى هَذَا السِّكْرِ ، فَفَعَلَ ، فَرَأَى الْمُوَفَّقُ مِنْ شَجَاعَةِ لُؤْلُؤٍ وَإِقْدَامِهِ ، وَشَجَاعَةِ أَصْحَابِهِ مَا سَرَّهُ ، فَأَمَرَ لُؤْلُؤًا بِصَرْفِهِمْ إِشْفَاقًا عَلَيْهِمْ ، وَوَصَلَهُمُ الْمُوَفَّقُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ. |
| وَأَلَحَّ الْمُوَفَّقُ عَلَى هَذَا السِّكْرِ ، وَكَانَ يُحَارِبُ الْمُحَامِينَ عَلَيْهِ بِأَصْحَابِهِ وَأَصْحَابِ لُؤْلُؤٍ وَغَيْرِهِمْ ، وَالْفَعَلَةُ يَعْمَلُونَ فِي قَلْعِهِ ، وَيُحَارِبُ الْخَبِيثَ وَأَصْحَابَهُ فِي عِدَّةِ وُجُوهٍ ، فَيَحْرِقُ مَسَاكِنَهُمْ ، وَيَقْتُلُ مُقَاتِلِيهِمْ ، وَاسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ الْجَمَاعَةُ ، وَكَانَ قَدْ بَقِيَ لِلْخَبِيثِ وَأَصْحَابِهِ بَقِيَّةٌ مِنْ أَرَضِينَ بِنَاحِيَةِ النَّهْرِ الْغَرْبِيِّ ، لَهُمْ فِيهَا مَزَارِعُ وَحُصُونٌ وَقَنْطَرَتَانِ ، وَبِهِ جَمَاعَةٌ يَحْفَظُونَهُ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ أَبُو الْعَبَّاسِ ، وَفَرَّقَ أَصْحَابَهُ مِنْ جِهَاتِهِمْ ، وَجَعَلَ كَمِينًا ، ثُمَّ أَوْقَعَ بِهِمْ فَانْهَزَمُوا ، فَكُلَّمَا قَصَدُوا جِهَةً خَرَجَ عَلَيْهِمْ مَنْ يُقَاتِلُهُمْ فِيهَا ، فَقُتِلُوا عَنْ آخِرِهِمْ لَمْ يَسْلَمْ مِنْهَا إِلَّا الشَّرِيدُ ، فَأَخَذُوا مِنْ أَسْلِحَتِهِمْ مَا أَثْقَلَهُمْ حَمْلُهُ ، وَقَطَعَ الْقَنْطَرَتَيْنِ ، وَلَمْ يَزَلِ الْمُوَفَّقُ يُقَاتِلُهُمْ عَلَى سِكْرِهِمْ ، حَتَّى تَهَيَّأَ لَهُ فِيهِ مَا أَحَبَّهُ فِي خَرْقِهِ. |
| فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ عَزَمَ عَلَى لِقَاءِ الْخَبِيثِ ، فَأَمَرَ بِإِصْلَاحِ السُّفُنِ ، وَالْآلَاتِ لِلْمَاءِ وَالظَّهْرِ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ ابْنِهِ أَنْ يَأْتِيَ الْخَبِيثَ مِنْ نَاحِيَةِ دَارِ الْمُهَلَّبِيِّ ، وَفَرَّقَ الْعَسَاكِرَ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ ، وَأَضَافَ الْمُسْتَأْمِنَةَ إِلَى شِبْلٍ ، وَأَمَرَهُ بِالْجِدِّ فِي قِتَالِ الْخَبِيثِ ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ لَا يَزْحَفَ أَحَدٌ حَتَّى يُحَرِّكَ عَلَمًا أَسْوَدَ كَانَ نَصَبَهُ عَلَى دَارِ الْكَرْمَانِيِّ وَحَتَّى يَنْفُخَ فِي بُوقٍ بَعِيدِ الصَّوْتِ. |
| وَكَانَ عُبُورُهُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ لِثَلَاثٍ بَقِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ ، فَعَجِلَ بَعْضُ النَّاسِ ، وَزَحَفَ نَحْوَهُمْ ، فَلَقِيَهُ الزِّنْجُ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ ، وَرَدُّوهُمْ إِلَى مَوَاقِفِهِمْ ، وَلَمْ يَعْلَمْ سَائِرُ الْعَسْكَرِ بِذَلِكَ لِكَثْرَتِهِمْ ، وَبُعْدِ الْمَسَافَةِ فِيمَا بَيْنَ بَعْضِهِمْ وَبَعْضٍ ، وَأَمَرَ الْمُوَفَّقُ بِتَحْرِيكِ الْعَلَمِ الْأَسْوَدِ ، وَالنَّفْخِ فِي الْبُوقِ ، فَزَحَفَ النَّاسُ فِي الْبَرِّ وَالْمَاءِ يَتْلُو بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَلَقِيَهُمُ الزِّنْجُ وَقَدْ حَشَدُوا ، وَاجْتَرَءُوا ، بِمَا تَهَيَّأَ لَهُمْ ، عَلَى مَنْ كَانَ يُسْرِعُ إِلَيْهِمْ ، فَلَقِيَهُمُ الْجَيْشُ بِنِيَّاتٍ صَادِقَةٍ ، وَبَصَائِرَ نَافِذَةٍ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، وَقُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ جَمْعٌ كَثِيرٌ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ الْخَبِيثِ ، وَتَبِعَهُمْ أَصْحَابُ الْمُوَفَّقِ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ ، وَاخْتَلَطَ بِهِمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَصْحَابُ الْمُوَفَّقِ ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ مَا لَا يُحْصَى عَدَدًا ، وَغَرِقَ مِنْهُمْ مِثْلُ ذَلِكَ ، وَحَوَى الْمُوَفَّقُ الْمَدِينَةَ بِأَسْرِهَا ، فَغَنِمَهَا أَصْحَابُهُ ، وَاسْتَنْقَذُوا مَنْ كَانَ بَقِيَ مِنَ الْأَسْرَى مِنَ الرِّجَالِ ، وَالنِّسَاءِ ، وَالصِّبْيَانِ ، وَظَفِرُوا بِجَمِيعِ عِيَالِ عَلِيِّ بْنِ أَبَانٍ الْمُهَلَّبِيِّ ، وَبِأَخَوَيْهِ الْخَلِيلِ ، وَمُحَمَّدٍ ، وَأَوْلَادِهِمَا ، وَعُبِرَ بِهِمْ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُوَفَّقِيَّةِ. |
| وَمَضَى الْخَبِيثُ فِي أَصْحَابِهِ ، وَمَعَهُ ابْنُهُ أَنْكِلَايُ ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ ، وَقُوَّادٌ مِنَ الزِّنْجِ وَغَيْرِهِمْ ، هَارِبِينَ ، عَامِدِينَ إِلَى مَوْضِعٍ كَانَ الْخَبِيثُ قَدْ أَعَدَّهُ مَلْجَأً إِذَا غُلِبَ عَلَى مَدِينَتِهِ ، وَذَلِكَ الْمَكَانُ عَلَى النَّهْرِ الْمَعْرُوفِ بِالسُّفْيَانِيِّ ، وَكَانَ أَصْحَابُ الْمُوَفَّقِ قَدِ اشْتَغَلُوا بِالنَّهْبِ ، وَالْإِحْرَاقِ ، وَتَقَدَّمَ الْمُوَفَّقُ فِي الشَّذَا نَحْوَ نَهْرِ السُّفْيَانِيِّ ، وَمَعَهُ لُؤْلُؤٌ وَأَصْحَابُهُ ، فَظَنَّ أَصْحَابُ الْمُوَفَّقِ أَنَّهُ رَجَعَ إِلَى مَدِينَتِهِمُ الْمُوَفَّقِيَّةِ ، فَانْصَرَفُوا إِلَى سُفُنِهِمْ بِمَا قَدْ حَوَوْا ، وَانْتَهَى الْمُوَفَّقُ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى عَسْكَرِ الْخَبِيثِ وَهُمْ مُنْهَزِمُونَ ، وَاتَّبَعَهُمْ لُؤْلُؤٌ فِي أَصْحَابِهِ ، حَتَّى عَبَرَ السُّفْيَانِيَّ فَاقْتَحَمَ لُؤْلُؤٌ بِفَرَسِهِ ، وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى النَّهْرِ الْمَعْرُوفِ بِالْفِرَبْرِيِّ فَوَصَلَ إِلَيْهِ لُؤْلُؤٌ ، وَأَصْحَابُهُ ، فَأَوْقَعُوا بِهِ وَبِمَنْ مَعَهُ ، فَهَزَمَهُمْ حَتَّى عَبَرَ نَهْرَ السُّفْيَانِيِّ ، وَلُؤْلُؤٌ فِي أَثَرِهِمْ ، فَاعْتَصَمُوا بِجَبَلٍ وَرَاءَهُ ، وَانْفَرَدَ لُؤْلُؤٌ وَأَصْحَابُهُ بِاتِّبَاعِهِمْ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ فِي آخِرِ النَّهَارِ ، فَأَمَرَ الْمُوَفَّقُ بِالِانْصِرَافِ فَعَادَ مَشْكُورًا مَحْمُولًا لِفِعْلِهِ ، فَحَمَلَهُ الْمُوَفَّقُ مَعَهُ ، وَجَدَّدَ لَهُ مِنَ الْبِرِّ ، وَالْكَرَامَةِ وَرِفْعَةِ الْمَنْزِلَةِ مَا كَانَ مُسْتَحِقًّا لَهُ ، وَرَجَعَ الْمُوَفَّقُ فَلَمْ يَرَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ بِمَدِينَةِ الزِّنْجِ ، فَرَجَعَ إِلَى مَدِينَتِهِ ، وَاسْتَبْشَرَ النَّاسُ بِالْفَتْحِ ، وَهَزِيمَةِ الزِّنْجِ وَصَاحِبِهِمْ. |
| وَكَانَ الْمُوَفَّقُ قَدْ غَضِبَ عَلَى أَصْحَابِهِ بِمُخَالَفَتِهِمْ أَمْرَهُ ، وَتَرْكِهِمُ الْوُقُوفَ حَيْثُ أَمَرَهُمْ ، فَجَمَعَهُمْ جَمِيعًا ، وَوَبَّخَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَغْلَظَ لَهُمْ ، فَاعْتَذَرُوا بِمَا ظَنُّوهُ مِنَ انْصِرَافِهِ ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا بِمَسِيرِهِ ، وَلَوْ عَلِمُوا ذَلِكَ لَأَسْرَعُوا نَحْوَهُ ، ثُمَّ تَعَاقَدُوا ، وَتَحَالَفُوا بِمَكَانِهِمْ عَلَى أَنْ لَا يَنْصَرِفَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِذَا تَوَجَّهُوا نَحْوَ الْخَبِيثِ حَتَّى يَظْفَرُوا بِهِ ، فَإِنْ أَعْيَاهُمْ أَقَامُوا بِمَكَانِهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ ، وَسَأَلُوا الْمُوَفَّقَ أَنْ يَرُدَّ السُّفُنَ الَّتِي يَعْبُرُونَ فِيهَا إِلَى الْخَبِيثِ ، لِيَنْقَطِعَ النَّاسُ عَنِ الرُّجُوعِ ، فَشَكَرَهُمْ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ وَأَمَرَهُمْ بِالتَّأَهُّبِ. |
| وَأَقَامَ الْمُوَفَّقُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْجُمُعَةِ يُصْلِحُ مَا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ ، وَأَمَرَ النَّاسَ عَشِيَّةَ الْجُمُعَةِ بِالْمَسِيرِ إِلَى حَرْبِ الْخُبَثَاءِ بُكْرَةَ السَّبْتِ ، وَطَافَ عَلَيْهِمْ هُوَ بِنَفْسِهِ يُعَرِّفُ كُلَّ قَائِدٍ مَرْكَزَهُ ، وَالْمَكَانَ الَّذِي يَقْصِدُهُ ، وَغَدَا الْمُوَفَّقُ يَوْمَ السَّبْتِ لِلَيْلَتَيْنِ خَلَتَا مِنْ صَفَرٍ ، فَعَبَرَ النَّاسُ ، وَأَمَرَ بَرَدِّ السُّفُنِ ، فَرُدَّتْ وَسَارَ يَقْدُمُهُمْ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي قَدَّرَ أَنْ يَلْقَاهُمْ فِيهِ. |
| وَكَانَ الْخَبِيثُ وَأَصْحَابُهُ قَدْ رَجَعُوا إِلَى مَدِينَتِهِمْ بَعْدَ انْصِرَافِ الْجَيْشِ عَنْهُمْ ، وَأَمَلُوا أَنْ تَتَطَاوَلَ بِهِمُ الْأَيَّامُ وَتَنْدَفِعَ عَنْهُمُ الْمُنَاجَزَةُ ، فَوَجَدَ الْمُوَفَّقُ الْمُتَسَرِّعِينَ مِنْ فُرْسَانِ غِلْمَانِهِ وَالرَّجَّالَةِ قَدْ سَبَقُوا الْجَيْشَ ، فَأَوْقَعُوا بِالْخَبِيثِ وَأَصْحَابِهِ وَقْعَةً هَزَمُوهُمْ بِهَا ، وَتَفَرَّقُوا لَا يَلْوِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَتَبِعَهُمْ أَصْحَابُ الْمُوَفَّقِ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ مَنْ لَحِقُوا مِنْهُمْ ، وَانْقَطَعَ الْخَبِيثُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ حُمَاةِ أَصْحَابِهِ وَفِيهِمُ الْمُهَلَّبِيُّ ، وَفَارَقَهُ ابْنُهُ أَنْكِلَايُ ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ ، فَقَصَدَ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ جَمْعًا كَثِيفًا مِنَ الْجَيْشِ. |
| وَكَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ قَدْ تَقَدَّمَ ، فَلَقِيَ الْمُنْهَزِمِينَ فِي الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِعَسْكَرِ رَيْحَانَ ، فَوَضَعَ أَصْحَابُهُ فِيهِمُ السِّلَاحَ ، وَلَقِيَهُمْ طَائِفَةٌ أُخْرَى ، فَأَوْقَعُوا بِهِمْ أَيْضًا ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ جَمَاعَةً ، وَأَسَرُوا سُلَيْمَانَ بْنَ جَامِعٍ ، فَأَتَوْا بِهِ الْمُوَفَّقَ مِنْ غَيْرِ عَهْدٍ وَلَا عَقْدٍ ، فَاسْتَبْشَرَ النَّاسُ بِأَسْرِهِ ، وَكَثُرَ التَّكْبِيرُ ، وَأَيْقَنُوا الْفَتْحَ ، إِذْ كَانَ أَكْثَرُ أَصْحَابِ الْخَبِيثِ غَنَاءً عَنْهُ ، وَأُسِرَ مِنْ بَعْدِهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْفَرٍ الْهَمَذَانِيُّ ، وَكَانَ أَحَدَ أُمَرَاءِ جُيُوشِهِ ، فَأَمَرَ الْمُوَفَّقُ بِالِاسْتِيثَاقِ مِنْهُمْ وَجَعَلَهُمْ فِي شَذَاةٍ لِأَبِي الْعَبَّاسِ. |
| ثُمَّ إِنَّ الزِّنْجَ الَّذِينَ انْفَرَدُوا مَعَ الْخَبِيثِ حَمَلُوا عَلَى النَّاسِ حَمْلَةً أَزَالُوهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ ، فَفَتَرُوا ، فَأَحَسَّ الْمُوَفَّقُ بِفُتُورِهِمْ ، فَجَدَّ فِي طَلَبِ الْخَبِيثِ وَأَمْعَنَ ، فَتَبِعَهُ أَصْحَابُهُ ، وَانْتَهَى الْمُوَفَّقُ إِلَى آخِرِ نَهَرِ أَبِي الْخَصِيبِ ، فَلَقِيَهُ الْبَشِيرُ بِقَتْلِ الْخَبِيثِ ، وَأَتَاهُ بَشِيرٌ آخَرُ وَمَعَهُ كَفٌّ ذَكَرَ أَنَّهُ كَفُّهُ ، فَقَوِيَ الْخَبَرُ عِنْدَهُ ، ثُمَّ أَتَاهُ غُلَامٌ مِنْ أَصْحَابِ لُؤْلُؤٍ يَرْكُضُ وَمَعَهُ رَأْسُ الْخَبِيثِ ، فَأَدْنَاهُ مِنْهُ ، وَعَرَضَهُ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُسْتَأْمِنَةِ فَعَرَفُوهُ ، فَخَرَّ لِلَّهِ سَاجِدًا ، وَسَجَدَ مَعَهُ النَّاسُ ، وَأَمَرَ الْمُوَفَّقُ بِرَفْعِ رَأْسِهِ عَلَى قَنَاةٍ ، فَتَأَمَّلَهُ النَّاسُ ، فَعَرَفُوهُ ، وَكَثُرَ الضَّجِيجُ بِالتَّحْمِيدِ. |
| وَكَانَ مَعَ الْخَبِيثِ لَمَّا أُحِيطُ بِهِ الْمُهَلَّبِيُّ وَحْدَهُ ، فَوَلَّى عَنْهُ هَارِبًا ، وَقَصَدَ نَهْرَ الْأَمِيرِ فَأَلْقَى نَفْسَهُ فِيهِ يُرِيدُ النَّجَاةَ; وَكَانَ أَنْكِلَايُ قَدْ فَارَقَ أَبَاهُ قَبْلَ ذَلِكَ وَسَارَ نَحْوَ الدِّينَارِيِّ. |
| وَرَجَعَ الْمُوَفَّقُ وَرَأْسُ الْخَبِيثِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَسُلَيْمَانُ مَعَهُ ، وَأَصْحَابُهُ إِلَى مَدِينَتِهِ ، وَأَتَاهُ مِنَ الزِّنْجِ عَالَمٌ كَبِيرٌ يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُمْ ، وَانْتَهَى إِلَيْهِ خَبَرُ أَنْكِلَايُ ، وَالْمُهَلَّبِيِّ ، وَمَكَانُهُمَا ، وَمَنْ مَعَهُمَا مِنْ مُقَدَّمِي الزِّنْجِ ، فَبَثَّ الْمُوَفَّقُ أَصْحَابَهُ فِي طَلَبِهِمْ ، وَأَمَرَهُمْ بِالتَّضْيِيقِ عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا أَيْقَنُوا أَنْ لَا مَلْجَأَ أَعْطَوْا بِأَيْدِيهِمْ ، فَظُفِرَ بِهِمْ وَبِمَنْ مَعَهُمْ ، وَكَانُوا زُهَاءَ خَمْسَةِ آلَافٍ ، فَأَمَرَ بِالِاسْتِيثَاقِ مِنَ الْمُهَلَّبِيِّ ، وَأَنْكِلَايَ ، وَكَانَ مِمَّنْ هَرَبَ قِرْطَاسٌ الرُّومِيُّ الَّذِي رَمَى الْمُوَفَّقَ بِالسَّهْمِ فِي صَدْرِهِ ، فَانْتَهَى إِلَى رَامَهُرْمُزَ ، فَعَرَفَهُ رَجُلٌ ، فَدَلَّ عَلَيْهِ عَامِلَ الْبَلَدِ ، فَأَخَذَهُ وَسَيَّرَهُ إِلَى الْمُوَفَّقِ فَقَتَلَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ. |
| وَفِيهَا اسْتَأْمَنَ دَرْمَوَيْهِ الزِّنْجِيُّ إِلَى أَبِي أَحْمَدَ ، وَكَانَ دَرْمَوَيْهِ مِنْ أَنْجَادِ الزِّنْجِ وَأَبْطَالِهِمْ ، وَكَانَ الْخَبِيثُ قَدْ وَجَّهَهُ قَبْلَ هَلَاكِهِ بِمُدَّةٍ إِلَى مَوْضِعٍ كَثِيرِ الشَّجَرِ ، وَالْأَدْغَالِ ، وَالْآجَامِ ، مُتَّصِلٍ بِالْبَطِيحَةِ ، وَكَانَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ يَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ هُنَالِكَ عَلَى السَّابِلَةِ فِي زَوَارِيقَ خِفَافٍ ، فَإِذَا طُلِبُوا دَخَلُوا الْأَنْهَارَ الصِّغَارَ الضَّيِّقَةَ ، وَاعْتَصَمُوا بِالْأَدْغَالِ ، وَإِذَا تَعَذَّرَ عَلَيْهِمْ مَسْلَكٌ لِضِيقِهِ حَمَلُوا سُفُنَهُمْ وَلَجَئُوا إِلَى الْأَمْكِنَةِ الْوَسِيعَةِ ، وَيَعْبُرُونَ عَلَى قُرَى الْبَطِيحَةِ ، وَيَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ ، فَظَفِرَ بِجَمَاعَةٍ مِنْ عَسْكَرِ الْمُوَفَّقِ مَعَهُمْ نِسَاءٌ قَدْ عَادُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ ، فَقَتَلَ الرِّجَالَ ، وَأَخَذَ النِّسَاءَ ، فَسَأَلَهُنَّ عَنِ الْخَبَرِ ، فَأَخْبَرْنَهُ بِقَتْلِ الْخَبِيثِ ، وَأَسْرِ أَصْحَابِهِ ، وَقُوَّادِهِ ، وَمَصِيرِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ إِلَى الْمُوَفَّقِ بِالْأَمَانِ ، وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ ، فَسُقِطَ فِي يَدِهِ ، وَلَمْ يَرَ لِنَفْسِهِ مَلْجَأً إِلَّا طَلَبَ الْأَمَانِ ، وَالصَّفْحِ عَنْ جُرْمِهِ ، فَأَرْسَلَ يَطْلُبُ الْأَمَانَ ، فَأَجَابَهُ الْمُوَفَّقُ إِلَيْهِ ، فَخَرَجَ وَجَمِيعُ مَنْ مَعَهُ ، حَتَّى وَافَى عَسْكَرَ الْمُوَفَّقِ ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَأَمَّنَهُمْ. |
| فَلَمَّا اطْمَأَنَّ دَرْمَوَيْهِ أَظْهَرَ مَا كَانَ فِي يَدِهِ مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَالْأَمْتِعَةِ ، وَرَدَّهَا إِلَى أَرْبَابِهَا رَدًّا ظَاهِرًا ، فَعُلِمَ بِذَلِكَ حُسْنُ نِيَّتِهِ ، فَازْدَادَ إِحْسَانُ الْمُوَفَّقِ إِلَيْهِ ، وَأَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ إِلَى أَمْصَارِ الْمُسْلِمِينَ بِالنِّدَاءِ فِي أَهْلِ النَّوَاحِي الَّتِي دَخَلَهَا الزِّنْجُ بِالرُّجُوعِ إِلَى أَوْطَانِهِمْ ، فَسَارَ النَّاسُ إِلَى ذَلِكَ; وَأَقَامَ الْمُوَفَّقُ بِالْمَدِينَةِ الْمُوَفَّقِيَّةِ لِيَأْمَنَ النَّاسُ بِمُقَامِهِ ، وَوَلَّى الْبَصْرَةَ ، وَالْأُبُلَّةَ ، وَكُوَرَ دِجْلَةَ ، رَجُلًا مِنْ قُوَّادِهِ قَدْ حَمِدَ مَذْهَبَهُ ، وَعَلِمَ حُسْنَ سِيرَتِهِ ، يُقَالُ لَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ تَرْكُسَ ، وَأَمَرَهُ بِالْمُقَامِ بِالْبَصْرَةِ ، وَوَلَّى قَضَاءَ الْبَصْرَةِ وَالْأُبُلَّةِ وَكُوَرَ دِجْلَةَ مُحَمَّدَ بْنَ حَمَّادٍ. |
| وَقَدَّمَ ابْنَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَمَعَهُ رَأْسُ الْخَبِيثِ لِيَرَاهُ النَّاسُ ، فَبَلَغَهَا لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ. |
| وَكَانَ خُرُوجُ صَاحِبِ الزِّنْجِ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ لِأَرْبَعٍ بَقِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَقُتِلَ يَوْمَ السَّبْتِ لِلَيْلَتَيْنِ خَلَتَا مِنْ صَفَرٍ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَكَانَتْ أَيَّامُهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَسِتَّةَ أَيَّامٍ. |
| وَقِيلَ فِي أَمْرِ الْمُوَفَّقِ ، وَأَصْحَابِ الزِّنْجِ أَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَسْلَمِيِّ أَقُولُ وَقَدْ جَاءَ الْبَشِيرُ بِوَقْعَةٍ... |
| أَعَزَّتْ مِنَ الْإِسْلَامِ مَا كَانَ وَاهِيَا جَزَى اللَّهُ خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ بَعْدَمَا... |
| أُبِيحَ حِمَاهُمْ خَيْرَ مَا كَانَ جَازِيَا تَفَرَّدَ ، إِذْ لَمْ يَنْصُرِ اللَّهَ ، نَاصِرٌ... |
| بِتَجْدِيدِ دِينٍ كَانَ أَصْبَحَ بَالِيَا وَتَجْدِيدِ مُلْكٍ قَدْ وَهَى بَعْدَ عِزِّهِ... |
| وَأَخْذٍ بِثَارَاتٍ تُبِينُ الْأَعَادِيَا وَرَدِّ عِمَارَاتٍ أُزِيلَتْ وَأُخْرِبَتْ... |
| لِيَرْجِعَ فَيْءٌ قَدْ تُخُرِّمَ وَافِيَا وَتَرْجِعَ أَمْصَارٌ أُبِيحَتْ وَأُحْرِقَتْ... |
| مِرَارًا فَقَدْ أَمْسَتْ قِوَاءً عَوَافِيَا وَيَشْفِي صُدُورَ الْمُسْلِمِينَ بِوَقْعَةٍ... |
| يُقِرُّ بِهَا مِنْهَا الْعُيُونَ الْبَوَاكِيَا وَيُتْلَى كِتَابُ اللَّهِ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ... |
| وَيُلْقَى دُعَاءُ الطَّالِبِيِّينَ خَاسِيَا فَأَعْرَضَ عَنْ أَحْبَابِهِ وَنَعِيمِهِ... |
| وَعَنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا وَأَصْبَحَ غَازِيَا وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ. |
| وَقَالَ غَيْرُهُ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا شِعْرًا كَثِيرًا. |
| انْقَضَى أَمْرُ الزِّنْجِ. |
| ذِكْرُ الظَّفَرِ بِالرُّومِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَتِ الرُّومُ فِي مِائَةِ أَلْفٍ ، فَنَزَلُوا عَلَى قَلَمْيَةَ ، وَهِيَ عَلَى سِتَّةِ أَمْيَالٍ مِنْ طَرَسُوسَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بَازْمَانُ لَيْلًا ، فَبَيَّتَهُمْ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ ، فِيمَا يُقَالُ سَبْعِينَ أَلْفًا ، وَقَتَلَ مُقَدَّمَهُمْ ، وَهُوَ بِطْرِيقُ الْبَطَارِقَةِ ، وَقَتَلَ أَيْضًا بِطْرِيقَ الْقَبَازِيقِ ، وَبِطْرِيقَ النَّاطَلِيقِ ، وَأَفْلَتَ بِطْرِيقُ قُرَّةَ وَبِهِ عِدَّةُ جِرَاحَاتٍ ، وَأَخَذَ لَهُمْ سَبْعَ صُلْبَانٍ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ; وَصَلِيبَهُمُ الْأَعْظَمَ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلٍ بِالْجَوْهَرِ ، وَأَخَذَ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ دَابَّةٍ ، وَمِنَ السُّرُوجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَسُيُوفًا مُحَلَّاةً ، وَأَرْبَعَةَ كَرَاسِيَّ مِنْ ذَهَبٍ ، وَمِائَتَيْ كُرْسِيٍّ مِنْ فِضَّةٍ ، وَآنِيَةً كَثِيرَةً ، وَنَحْوًا مِنْ عَشَرَةِ آلَافِ عَلَمٍ دَيْبَاجٍ ، وَدَيْبَاجًا كَثِيرًا وَبَزْيُونَ وَغَيْرَ ذَلِكَ. |
| ذِكْرُ وَفَاةِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ ، وَوِلَايَةِ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ الْعَلَوِيُّ صَاحِبُ طَبَرِسْتَانَ فِي رَجَبٍ ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ تِسْعَ عَشْرَةَ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَسِتَّةَ أَيَّامٍ ، وَوَلِيَ مَكَانَهُ أَخُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ. |
| وَكَانَ الْحَسَنُ جَوَادًا امْتَدَحَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ عَشَرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَكَانَ مُتَوَاضِعًا لِلَّهِ تَعَالَى. |
| حُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ مَدَحَهُ شَاعِرٌ فَقَالَ اللَّهُ فَرْدٌ ، وَابْنُ زَيْدٍ فَرْدٌ ، فَقَالَ بِفِيكَ الْحَجَرُ ، يَا كَذَّابُ ، هَلَّا قُلْتَ اللَّهُ فَرْدٌ ، وَابْنُ زَيْدٍ عَبْدٌ! |
| ثُمَّ نَزَلَ عَنْ مَكَانِهِ ، وَخَرَّ سَاجِدًا لِلَّهِ تَعَالَى ، وَأَلْصَقَ خَدَّهُ بِالتُّرَابِ ، وَحَرَمَ الشَّاعِرَ. |
| وَكَانَ عَالِمًا بِالْفِقْهِ وَالْعَرَبِيَّةِ ، مَدَحَهُ شَاعِرٌ فَقَالَ لَا تَقُلْ بُشْرَى ، وَلَكِنْ بُشْرَيَانِ... |
| عِزَّةُ الدَّاعِي وَيَوْمُ الْمِهْرَجَانِ فَقَالَ لَهُ كَانَ الْوَاجِبُ أَنْ تَفْتَتِحَ الْأَبْيَاتَ بِغَيْرِ لَا ، فَإِنَّ الشَّاعِرَ الْمُجِيدَ يَتَخَيَّرُ لِأَوَّلِ الْقَصِيدَةِ مَا يُعْجِبُ السَّامِعَ ، وَيَتَبَرَّكُ بِهِ ، وَلَوِ ابْتَدَأَتْ بِالْمِصْرَاعِ الثَّانِي لَكَانَ أَحْسَنُ ، فَقَالَ الشَّاعِرُ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا كَلِمَةٌ أَجْلُّ مَنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَوَّلُهَا لَا ، فَقَالَ أَصَبْتَ! |
| وَأَجَازَهُ. |
| وَحُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ غَنَّى عِنْدَهُ مُغَنٍّ بِأَبْيَاتِ الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ فِي عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ الَّتِي أَوَّلُهَا وَأَنَا الْأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفُنِي ؟... |
| أَخْضَرُ الْجِلْدَةِ مِنْ بَيْتِ الْعَرَبِ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ بِرَسُولِ اللَّهِ وَابْنَيْ عَمِّهِ... |
| وَبِعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ غَيَّرَ الْبَيْتَ فَقَالَ لَا بِعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَغَضِبَ الْحَسَنُ ، وَقَالَ يَا ابْنَ اللَّخْنَاءِ ، تَهْجُو بَنِي عَمِّنَا بَيْنَ يَدَيَّ ، وَتُحَرِّفُ مَا مُدِحُوا بِهِ ؟ |
| لَئِنْ فَعَلْتَهَا مَرَّةً ثَانِيَةً لَأَجْعَلَنَّهَا آخِرَ غِنَائِكَ. |
| ذِكْرُ وَفَاةِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، وَوِلَايَةِ ابْنِهِ خُمَارَوَيْهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ ، صَاحِبُ مِصْرَ ، وَالشَّامِ ، وَالثُّغُورِ الشَّامِيَّةِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ مَوْتِهِ أَنَّ نَائِبَهُ بِطَرَسُوسَ وَثَبَ عَلَيْهِ يَازْمَانُ الْخَادِمُ ، وَقَبَضَ عَلَيْهِ ، وَعَصَى عَلَى أَحْمَدَ ، وَأَظْهَرَ الْخِلَافَ ، فَجَمَعَ أَحْمَدُ الْعَسَاكِرَ وَسَارَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا وَصَلَ أَذَنَةَ كَاتَبَهُ وَرَاسَلَهُ يَسْتَمِيلُهُ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى رِسَالَتِهِ فَسَارَ إِلَيْهِ أَحْمَدُ ، وَنَازَلَهُ وَحَصَرَهُ ، فَخَرَقَ يَازْمَانُ نَهْرَ الْبَلَدِ عَلَى مَنْزِلَةِ الْعَسْكَرِ ، فَكَادَ النَّاسُ يَهْلِكُونَ ، فَرَحَلَ أَحْمَدُ مَغِيظًا حَنِقًا ، وَكَانَ الزَّمَانُ شِتَاءً ، وَأَرْسَلَ إِلَى يَازْمَانَ إِنَّنِي لَمْ أَرْحَلْ إِلَّا خَوْفًا أَنْ تَنْخَرِقَ حُرْمَةُ هَذَا الثَّغْرِ فَيَطْمَعَ فِيهِ الْعَدُوُّ. |
| فَلَمَّا عَادَ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ أَكَلَ لَبَنَ الْجَوَامِيسِ ، فَأَكْثَرَ مِنْهُ ، فَأَصَابَهُ مِنْهُ هَيْضَةٌ ، وَاتَّصَلَتْ حَتَّى صَارَ مِنْهَا ذَرَبٌ ، وَكَانَ الْأَطِبَّاءُ يُعَالِجُونَهُ ، وَهُوَ يَأْكُلُ سِرًّا ، فَلَمْ يَنْجَعِ الدَّوَاءُ ، فَتُوُفِّيَ رَحِمَهُ اللَّهُ. |
| وَكَانَتْ إِمَارَتُهُ نَحْوَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ سَنَةً وَكَانَ عَاقِلًا ، حَازِمًا ، كَثِيرَ الْمَعْرُوفِ وَالصَّدَقَةِ مُتَدَيِّنًا ، يُحِبُّ الْعُلَمَاءَ وَأَهْلَ الدِّينِ ، وَعَمِلَ كَثِيرًا مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ وَمَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ ، وَهُوَ الَّذِي بَنَى قَلْعَةَ يَافَا ، وَكَانَتِ الْمَدِينَةُ بِغَيْرِ قَلْعَةٍ. |
| وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ ، وَيُكْرِمُ أَصْحَابَهُ. |
| وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ خُمَارَوَيْهِ ، وَأَطَاعَهُ الْقُوَّادُ ، وَعَصَى عَلَيْهِ نَائِبُ أَبِيهِ بِدِمَشْقَ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ الْعَسَاكِرَ فَأَجْلَوْهُ ، وَسَارُوا مِنْ دِمَشْقَ إِلَى شَيْزَرَ. |
| ذِكْرُ مَسِيرِ إِسْحَاقَ بْنِ كُنْدَاجِيقَ إِلَى الشَّامِ لَمَّا تُوُفِّيَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ كَانَ إِسْحَاقُ بْنُ كُنْدَاجِيقَ عَلَى الْمَوْصِلِ وَالْجَزِيرَةِ ، فَطَمِعَ هُوَ وَابْنُ أَبِي السَّاجِ فِي الشَّامِ ، وَاسْتَصْغَرَا أَوْلَادَ أَحْمَدَ ، وَكَاتَبَا الْمُوَفَّقَ بِاللَّهِ فِي ذَلِكَ ، وَاسْتَمَدَّاهُ فَأَمَرَهُمَا بِقَصْدِ الْبِلَادِ ، وَوَعَدَهُمَا إِنْفَاذَ الْجُيُوشِ ، فَجَمَعَا ، وَقَصَدَا مَا يُجَاوِرُهُمَا مِنَ الْبِلَادِ ، فَاسْتَوْلَيَا عَلَيْهِ وَأَعَانَهُمَا النَّائِبُ بِدِمَشْقَ لِأَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، وَوَعَدَهُمَا الِانْحِيَازَ إِلَيْهِمَا ، فَتَرَاجَعَ مَنْ بِالشَّامِ مِنْ نُوَّابِ أَحْمَدَ بِأَنْطَاكِيَةَ ، وَحَلَبَ ، وَحِمْصَ ، وَعَصَى مُتَوَلِّي دِمَشْقَ ، وَاسْتَوْلَى إِسْحَاقُ عَلَى ذَلِكَ. |
| وَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى أَبِي الْجَيْشِ خُمَارَوَيْهِ بْنِ أَحْمَدَ ، فَسَيَّرَ الْجُيُوشَ إِلَى الشَّامِ فَمَلَكُوا دِمَشْقَ ، وَهَرَبَ النَّائِبُ الَّذِي كَانَ بِهَا ، وَسَارَ عَسْكَرُ خُمَارَوَيْهِ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى شَيْزَرَ لِقِتَالِ إِسْحَاقَ بْنِ كُنْدَاجِيقَ وَابْنِ أَبِي السَّاجِ ، فَطَاوَلَهُمْ إِسْحَاقُ يَنْتَظِرُ الْمَدَدَ مِنَ الْعِرَاقِ ، وَهَجَمَ الشِّتَاءُ عَلَى الطَّائِفَتَيْنِ ، وَأَضَرَّ بِأَصْحَابِ ابْنِ طُولُونَ ، فَتَفَرَّقُوا فِي الْمَنَازِلِ بِشَيْزَرَ. |
| وَوَصَلَ الْعَسْكَرُ الْعِرَاقِيُّ إِلَى كُنْدَاجِيقَ ، وَعَلَيْهِمْ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الْمُوَفَّقِ وَهُوَ الْمُعْتَضِدُ بِاللَّهِ ، فَلَمَّا وَصَلَ سَارَ مُجِدًّا إِلَى عَسْكَرِ خُمَارَوَيُهِ بِشَيْزَرَ ، فَلَمْ يَشْعُرُوا حَتَّى كَبَسَهُمْ فِي الْمَسَاكِنِ ، وَوَضَعَ السَّيْفَ فِيهِمْ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَسَارَ مَنْ سَلِمَ إِلَى دِمَشْقَ عَلَى أَقْبَحِ صُورَةٍ ، فَسَارَ الْمُعْتَضِدُ إِلَيْهِمْ ، فَجَلَوْا عَنْ دِمَشْقَ إِلَى الرَّمْلَةِ ، وَمَلَكَ هُوَ دِمَشْقَ ، وَدَخَلَهَا فِي شَعْبَانَ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَأَقَامَ عَسْكَرُ ابْنِ طُولُونَ بِالرَّمْلَةِ ، فَأَرْسَلُوا إِلَى خُمَارَوَيْهِ يُعَرِّفُونَهُ الْحَالَ ، فَخَرَجَ مِنْ مِصْرَ فِي عَسَاكِرِهِ قَاصِدًا إِلَى الشَّامِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا ، فِي جُمَادَى الْأُولَى تُوُفِّيَ هَارُونُ بْنُ الْمُوَفَّقِ بِبَغْدَاذَ. |
| وَفِيهَا ، كَانَ فِدَاءُ أَهْلِ سِنْدِيَّةَ عَلَى يَدِ يَازْمَانَ وَفِيهَا ، فِي شَعْبَانَ شَغَبَ أَصْحَابُ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ الْمُوَفَّقِ عَلَى صَاعِدِ بْنِ مَخْلَدٍ ، وَهُوَ وَزِيرُ الْمُوَفَّقِ ، وَطَلَبُوا الْأَرْزَاقَ ، وَقَاتَلَهُمْ أَصْحَابُ صَاعِدٍ ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ قُتِلَ فِيهَا جَمَاعَةٌ ، وَأُسِرَ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي الْعَبَّاسِ جَمَاعَةٌ ، وَلَمْ يَكُنْ أَبُو الْعَبَّاسِ حَاضِرًا ، كَانَ قَدْ خَرَجَ مُتَصَيِّدًا ، وَدَامَتِ الْحَرْبُ إِلَى بَعْدِ الْمَغْرِبِ ، ثُمَّ كَفَّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ ، ثُمَّ وَضَعَ الْعَطَاءَ مِنَ الْغَدِ ، وَاصْطَلَحُوا. |
| وَفِيهَا كَانَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَ إِسْحَاقَ بْنِ كُنْدَاجِيقَ وَبَيْنَ ابْنِ دَعْبَاشَ وَكَانَ ابْنُ دَعْبَاشَ بِالرَّقَّةِ عَامِلًا عَلَيْهَا ، وَعَلَى الثُّغُورِ وَالْعَوَاصِمِ لِابْنِ طُولُونَ ، وَابْنُ كُنْدَاجِيقَ عَلَى الْمَوْصِلِ لِلْخَلِيفَةِ. |
| وَفِيهَا ابْتَدَأَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُوسَى بِبِنَاءِ مَدِينَةِ لَارَدَةَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ ، وَكَانَ مُخَالِفًا لِمُحَمَّدٍ صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ ، ثُمَّ صَالَحَهُ فِي الْعَامِ الْمَاضِي ، فَلَمَّا سَمِعَ صَاحِبُ بَرْشِلُونَةَ الْفِرِنْجِيُّ جَمَعَ وَحَشَدَ وَسَارَ يُرِيدُ مَنْعَهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَسَمِعَ بِهِ إِسْمَاعِيلُ ، فَقَصَدَهُ وَقَاتَلَهُ ، فَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ ، وَقُتِلَ أَكْثَرُهُمْ ، وَبَقِيَ أَكْثَرُ الْقَتْلَى فِي تِلْكَ الْأَرْضِ دَهْرًا طَوِيلًا. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ جَعْفَرٍ الصَّاغَانِيُّ الْحَافِظُ. |
| وَمُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ عُثْمَانَ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ وَارَةَ الرَّازِيِّ ، وَكَانَ إِمَامًا فِي الْحَدِيثِ ، وَلَهُ فِيهِ مُصَنَّفَاتٌ. |
| فِيهَا تُوُفِّيَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَصْبَهَانِيُّ الْفَقِيهُ ، إِمَامُ أَصْحَابِ الظَّاهِرِ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ اثْنَيْنِ وَمِائَتَيْنِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُصْعَبُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُصْعَبٍ أَبُو أَحْمَدَ الصُّوفِيُّ الزَّاهِدُ ، وَهُوَ مِنْ أَقْرَانِ الْجُنَيْدِ. |
| وَفِيهَا مَاتَ مَلِكُ الرُّومِ ، وَهُوَ ابْنُ الصَّقْلَبِيَّةِ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى بْنِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ خَالِدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ خَالِدٍ السَّيَّدُوسِيُّ الذُّهْلِيُّ الَّذِي كَانَ أَمِيرَ خُرَاسَانَ بِبَغْدَاذَ ، وَكَانَ قَدْ قَصَدَ الْحَجَّ فَقَبَضَ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ الْمُعْتَمِدُ وَحَبَسَهُ ، فَمَاتَ بِالْحَبْسِ ، وَهُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الْبُخَارِيَّ صَاحِبَ" الصَّحِيحِ "مِنْ بُخَارَى وَخَبَرُهُ مَعَهُ مَشْهُورٌ ، فَدَعَا عَلَيْهِ الْبُخَارِيُّ فَأَدْرَكَتْهُ الدَّعْوَةُ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ خِلَافِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ الْعَلَوِيَّيْنِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ دَخَلَ مُحَمَّدٌ ، وَعَلِيٌّ ابْنَا الْحُسَيْنِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْمَدِينَةَ ، وَقَتَلَا جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِهَا ، وَأَخَذَا مِنْ قَوْمٍ مَالًا ، وَلَمْ يُصَلِّ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ جُمَعٍ ، لَا جُمُعَةً ، وَلَا جَمَاعَةً ، فَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْعَلَوِيُّ فِي ذَلِكَ أُخْرِبَتْ دَارُ هِجْرَةِ الْمُصْطَفَى الْبَ... |
| رِّ فَأَبْكَى خَرَابُهَا الْمُسْلِمِينَا عَيْنُ فَابْكِي مَقَامَ جِبْرِيلَ وَالْقَبْ... |
| رَ فَبَكَى وَالْمِنْبَرَ الْمَيْمُونَا وَعَلَى الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسُّهُ التَّقْ... |
| وَى ، خَلَاءً أَمْسَى مِنَ الْعَابِدِينَا وَعَلَى طِيبَةَ الَّتِي بَارَكَ اللَّ... |
| هُ عَلَيْهَا بِخَاتَمِ الْمُرْسَلِينَا ذِكْرُ عَزْلِ عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ عَنْ خُرَاسَانَ وَفِيهَا أَدْخَلَ الْمُعْتَمِدُ إِلَيْهِ حَاجَّ خُرَاسَانَ ، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ قَدْ عَزَلَ عَمْرَو بْنَ اللَّيْثِ عَمَّا كَانَ قَلَّدَهُ ، وَلَعَنَهُ بِحَضْرَتِهِمْ ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ قَلَّدَ خُرَاسَانَ مُحَمَّدَ بْنَ طَاهِرٍ ، وَأَمَرَ أَيْضًا بِلَعْنِ عَمْرٍو عَلَى الْمَنَابِرِ ، فَلُعِنَ ، فَسَارَ صَاعِدُ بْنُ مَخْلَدٍ إِلَى فَارِسَ لِحَرْبِ عَمْرٍو ، فَاسْتَخْلَفَ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ رَافِعَ بْنَ هَرْثَمَةَ عَلَى خُرَاسَانَ ، فَلَمْ يُغَيِّرِ السَّامَانِيَّةَ عَمَّا وَرَاءَ النَّهْرِ. |
| ذِكْرُ وَقْعَةِ الطَّوَاحِينِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ وَقْعَةُ الطَّوَاحِينِ بَيْنَ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُعْتَضِدِ وَبَيْنَ خُمَارَوَيْهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْمُعْتَضِدَ سَارَ مِنْ دِمَشْقَ ، بَعْدَ أَنْ مَلَكَهَا نَحْوَ الرَّمْلَةِ إِلَى عَسَاكِرِ خُمَارَوَيْهِ ، فَأَتَاهُ الْخَبَرُ بِوُصُولِ خُمَارَوَيْهِ إِلَى عَسَاكِرِهِ ، وَكَثْرَةِ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْجُمُوعِ ، فَهَمَّ بِالْعَوْدِ ، فَلَمْ يُمَكِّنْهُ مَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِ خُمَارَوَيْهِ الَّذِينَ صَارُوا مَعَهُ ، وَكَانَ الْمُعْتَضِدُ قَدْ أَوْحَشَ ابْنَ كُنْدَاجِيقَ ، وَابْنَ أَبِي السَّاجِ ، وَنَسَبَهُمَا إِلَى الْجُبْنِ ، حَيْثُ انْتَظَرَاهُ لِيَصِلَ إِلَيْهَا ، فَفَسَدَتْ نِيَّاتُهُمَا مَعَهُ. |
| وَلَمَّا وَصَلَ خُمَارَوَيْهِ إِلَى الرَّمْلَةِ نَزَلَ عَلَى الْمَاءِ الَّذِي عَلَيْهِ الطَّوَاحِينُ ، فَمَلَكَهُ ، فَنُسِبَتِ الْوَقْعَةُ إِلَيْهِ ، وَوَصَلَ الْمُعْتَضِدُ وَقَدْ عَبَّأَ أَصْحَابَهُ ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا فَعَلَ خُمَارَوَيْهِ ، وَجَعَلَ لَهُ كَمِينًا عَلَيْهِمْ سَعِيدًا الْأَيْسَرَ ، وَحَمَلَتْ مَيْسَرَةُ الْمُعْتَضِدِ عَلَى مَيْمَنَةِ خُمَارَوَيْهِ ، فَانْهَزَمَتْ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ خُمَارَوَيْهِ ، وَلَمْ يَكُنْ رَأَى مَصَافًّا قَبْلَهُ ، وَلَّى مُنْهَزِمًا فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَحْدَاثِ الَّذِينَ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ وَلَمْ يَقِفْ دُونَ مِصْرَ. |
| وَنَزَلَ الْمُعْتَضِدُ إِلَى خِيَامِ خُمَارَوَيْهِ ، وَهُوَ لَا يَشُكُّ فِي تَمَامِ النَّصْرِ ، فَخَرَجَ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ سَعِيدٌ الْأَيْسَرُ ، وَانْضَافَ إِلَيْهِ مَنْ بَقِيَ مَنْ جَيْشِ خُمَارَوَيْهِ ، وَنَادَوْا بِشِعَارِهِمْ ، وَحَمَلُوا عَلَى عَسْكَرِ الْمُعْتَضِدِ وَهُمْ مَشْغُولُونَ بِنَهْبِ السَّوَادِ ، وَوَضَعَ الْمِصْرِيُّونَ السَّيْفَ فِيهِمْ ، وَظَنَّ الْمُعْتَضِدُ أَنَّ خُمَارَوَيْهِ قَدْ عَادَ ، فَرَكِبَ فَانْهَزَمَ وَلَمْ يَلْوِ عَلَى شَيْءٍ ، فَوَصَلَ إِلَى دِمَشْقَ ، وَلَمْ يَفْتَحْ لَهُ أَهْلُهَا بَابَهَا ، فَمَضَى مُنْهَزِمًا حَتَّى بَلَغَ طَرَسُوسَ ، وَبَقِيَ الْعَسْكَرَانِ يَضْطَرِبَانِ بِالسُّيُوفِ ، وَلَيْسَ لِوَاحِدٍ مِنْهَا أَمِيرٌ. |
| وَطَلَبَ سَعِيدٌ الْأَيْسَرُ خُمَارَوَيْهِ فَلَمْ يَجِدْهُ ، فَأَقَامَ أَخَاهُ أَبَا الْعَشَائِرِ ، وَتَمَّتِ الْهَزِيمَةُ عَلَى الْعِرَاقِيِّينَ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَأُسِرَ كَثِيرٌ. |
| وَقَالَ سَعِيدٌ لِلْعَسَاكِرِ إِنَّ هَذَا أَخُو صَاحِبِكُمْ ، وَهَذِهِ الْأَمْوَالُ تُنْفَقُ فِيكُمْ ، وَوَضَعَ الْعَطَاءَ ، فَاشْتَغَلَ الْجُنْدُ عَنِ الشَّغَبِ بِالْأَمْوَالِ ، وَسُيِّرَتِ الْبِشَارَةُ إِلَى مِصْرَ ، فَفَرِحَ خُمَارَوَيْهِ بِالظَّفَرِ ، وَخَجِلَ لِلْهَزِيمَةِ ، غَيْرَ أَنَّهُ أَكْثَرَ الصَّدَقَةَ ، وَفَعَلَ مَعَ الْأَسْرَى فَعْلَةً لَمْ يَسْبِقْ إِلَى مِثْلِهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ إِنَّ هَؤُلَاءِ أَضْيَافُكُمْ فَأَكْرِمُوهُمْ ، ثُمَّ أَحْضَرَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَالَ لَهُمْ مَنِ اخْتَارَ الْمُقَامَ عِنْدِي فَلَهُ الْإِكْرَامُ وَالْمُوَاسَاةُ ، وَمَنْ أَرَادَ الرُّجُوعَ جَهَّزْنَاهُ وَسَيَّرْنَاهُ ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَقَامَ وَمِنْهُمْ مَنْ سَارَ مُكْرَمًا ، وَعَادَتْ عَسْكَرُ خُمَارَوَيْهِ إِلَى الشَّامِ فَفَتَحَتْهُ أَجْمَعَ ، فَاسْتَقَرَّ مُلْكُ خُمَارَوَيْهِ لَهُ. |
| ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ عَسْكَرِ الْخَلِيفَةِ ، وَعَمْرٍو الصَّفَّارِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَاشِرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ كَانَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَ عَسَاكِرِ الْخَلِيفَةِ وَفِيهَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي دُلَفَ ، وَبَيْنَ عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ الصَّفَّارِ ، وَدَامَتِ الْحَرْبُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى الظُّهْرِ ، فَانْهَزَمَ عَمْرٌو وَعَسَاكِرُهُ ، وَكَانُوا خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا بَيْنَ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ ، وَجُرِحَ الدِّرْهَمِيُّ مُقَدَّمُ جَيْشِ عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ ، وَقُتِلَ مِائَةُ رَجُلٍ مِنْ حُمَاتِهِمْ ، وَأُسِرَ ثَلَاثَةُ آلَافِ أَسِيرٍ ، اسْتَأْمَنَ مِنْهُمْ أَلْفُ رَجُلٍ ، وَغَنِمُوا مِنْ مُعَسْكَرِ عَمْرٍو مِنَ الدَّوَابِّ وَالْبَقَرِ وَالْحَمِيرِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ رَأْسٍ ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَخَارِجٌ عَنِ الْحَدِّ. |
| ذِكْرُ حُرُوبِ الْأَنْدَلُسِ وَإِفْرِيقِيَّةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَيَّرَ مُحَمَّدٌ صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ جَيْشًا مَعَ ابْنِهِ الْمُنْذِرِ إِلَى مَدِينَةِ بَطْلَيُوسَ ، فَزَالَ عَنْهَا ابْنُ مَرْوَانَ الْجِلِّيقِيُّ ، وَكَانَ مُخَالِفًا ، كَمَا ذَكَرْنَا ، وَقَصَدَ حِصْنَ أَشِيرَ غِرَّةً فَتَحَصَّنَ بِهِ ، فَأَحْرَقَ الْمُنْذِرُ بَطْلَيُوسَ ، وَسَيَّرَ مُحَمَّدٌ أَيْضًا جَيْشًا مَعَ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى مَدِينَةِ سَرَقُسْطَةَ ، بِهَا مُحَمَّدُ بْنُ لُبِّ بْنِ مُوسَى ، فَمَلَكَهَا هَاشِمٌ ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا مُحَمَّدًا ، وَكَانَ مَعَهُ عُمَرُ بْنُ حَفْصُونٍ الَّذِي ذَكَرْنَا خُرُوجَهُ عَلَى صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ فَصَالَحَهُ. |
| فَلَمَّا عَادُوا إِلَى قُرْطُبَةَ هَرَبَ عُمَرُ بْنُ حَفْصُونٍ ، وَقَصَدَ بَرْبُشْتَرَ مُخَالِفًا ، فَاهْتَمَّ صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ بِهِ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. |
| وَفِيهَا سَارَتْ سَرِيَّةٌ لِلْمُسْلِمِينَ عَظِيمَةٌ بِصِقِلِّيَةَ إِلَى رَمْطَةَ ، فَخَرَّبَتْ وَغَنِمَتْ وَسَبَتْ ، وَأَسَرَتْ كَثِيرًا وَعَادَتْ. |
| وَتُوُفِّيَ أَمِيرُ صِقِلِّيَةَ ، وَهُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ ، فَوُلِّيَ بَعْدَهُ سَوَادَةُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ خَفَاجَةَ التَّمِيمِيُّ ، وَقَدِمَ إِلَيْهَا ، فَسَارَ عَسْكَرٌ كَبِيرٌ إِلَى مَدِينَةِ قَطَانِيَةَ فَأَهْلَكَ مَا فِيهَا ، وَسَارَ إِلَى طَبَرْمِينَ فَقَاتَلَ أَهْلَهَا ، وَأَفْسَدَ زَرْعَهَا ، وَتَقَدَّمَ فِيهَا ، فَأَتَاهُ رَسُولُ بِطْرِيقِ الرُّومِ يَطْلُبُ الْهُدْنَةَ ، وَالْمُفَادَاةَ ، فَهَادَنَهُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، وَفَادَاهُ ثَلَاثَمِائَةِ أَسِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَرَجَعَ سَوَادَةُ إِلَى بَلَرْمَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُقِدَ لِأَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّائِيِّ عَلَى الْمَدِينَةِ ، وَطَرِيقِ مَكَّةَ ، فَوَثَبَ يُوسُفُ بْنُ أَبِي السَّاجِ وَهُوَ وَالِي مَكَّةَ عَلَى بَدْرٍ غُلَامِ الطَّائِيِّ ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى الْحَاجِّ ، فَحَارَبَهُ ، وَأَسَرَهُ ، فَثَارَ الْجُنْدُ بِيُوسُفَ ، فَقَاتَلُوهُ ، وَاسْتَنْقَذُوا بَدْرًا ، وَأَسَرُوا يُوسُفَ ، وَحَمَلُوهُ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَكَانَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. |
| وَفِيهَا خَرَّبَتِ الْعَامَّةُ الدَّيْرَ الْعَتِيقَ الَّذِي وَرَاءَ نَهْرِ عِيسَى ، وَانْتَهَبُوا مَا فِيهِ ، وَقَلَعُوا أَبْوَابَهُ ، فَسَارَ إِلَيْهِمُ الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، صَاحِبُ شُرْطَةِ بَغْدَاذَ مِنْ قِبَلِ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ ، فَمَنَعَهُمْ مِنْ هَدْمِ مَا بَقِيَ مِنْهُ ، وَكَانَ يَتَرَدَّدُ هُوَ وَالْعَامَّةُ إِلَيْهِ أَيَّامًا ، حَتَّى كَادَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ ، ثُمَّ بَنَى مَا هَدَمَ بَعْدَ أَيَّامٍ ، وَكَانَتْ إِعَادَةُ بِنَائِهِ بِقُوَّةِ عَبْدُونَ أَخِي صَاعِدِ بْنِ مَخْلَدٍ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَارُونُ بْنُ إِسْحَاقَ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ الْبَصْرِيُّ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ أَذْكُوتَكِينَ وَمُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ الْعَلَوِيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، مُنْتَصَفَ جُمَادَى الْأُولَى ، كَانَتْ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ بَيْنَ أَذْكُوتَكِينَ وَبَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ الْعَلَوِيِّ ، صَاحِبِ طَبَرِسْتَانَ ، ثُمَّ سَارَ أَذْكُوتَكِينَ مِنْ قَزْوِينَ إِلَى الرَّيِّ ، وَمَعَهُ أَرْبَعَةُ آلَافِ فَارِسٍ ، وَكَانَ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ مِنَ الدَّيْلَمِ ، وَالطَّبَرِيَّةِ وَالْخُرَاسَانِيَّةِ عَالَمٌ كَبِيرٌ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ ، وَتَفَرَّقُوا ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ سِتَّةُ آلَافٍ وَأُسِرَ أَلْفَانِ ، وَغَنِمَ أَذْكُوتَكِينَ ، وَعَسْكَرُهُ مِنْ أَثْقَالِهِمْ ، وَأَمْوَالِهِمْ ، وَدَوَابِّهِمْ شَيْئًا لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ ، وَدَخَلَ أَذْكُوتَكِينُ الرَّيَّ فَأَقَامَ بِهَا ، وَأَخَذَ مِنْ أَهْلِهَا مِائَةَ أَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَفَرَّقَ عُمَّالَهُ فِي أَعْمَالِ الرَّيِّ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِيهَا وَقَعَ بَيْنَ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ الْمُوَفَّقِ وَبَيْنَ يَازْمَانَ بِطَرَسُوسَ ، فَثَارَ أَهْلُ طَرَسُوسَ بِأَبِي الْعَبَّاسِ فَأَخْرَجُوهُ ، فَسَارَ إِلَى بَغْدَاذَ فِي النِّصْفِ مِنَ الْمُحَرَّمِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ سُلَيْمَانُ بْنُ وَهْبٍ فِي جَيْشِ الْمُوَفَّقِ فِي صَفَرٍ. |
| وَفِيهَا خَرَجَ خَارِجِيٌّ بِطُرُقِ خُرَاسَانَ ، وَسَارَ إِلَى دَسْكَرَةِ الْمَلِكِ فَقُتِلَ. |
| وَفِيهَا دَخَلَ حَمْدَانُ بْنُ حَمْدُونَ ، وَهَارُونُ الشَّارِيُّ مَدِينَةَ الْمَوْصِلِ ، وَصَلَّى بِهِمُ الشَّارِيُّ فِي جَامِعِهَا. |
| وَفِيهَا نُقِبَ الْمُطْبَقُ مِنْ دَاخِلِهِ ، وَأُخْرِجَ مِنْهُ الذَّوَائِبِيُّ الْعَلَوِيُّ ، وَفِتْيَانٌ مَعَهُ ، فَرَكِبُوا دَوَابَّ أُعِدَّتْ لَهُمْ وَهَرَبُوا ، فَأُغْلِقَتْ أَبْوَابُ بَغْدَاذَ ، فَأُخِذَ الذَّوَائِبِيُّ ، وَمَنْ مَعَهُ ، فَأَمَرَ الْمُوَفَّقُ ، وَهُوَ بِوَاسِطَ ، أَنْ تُقْطَعَ يَدُهُ ، وَرِجْلُهُ مِنْ خِلَافٍ ، فَقُطِعَ. |
| وَفِيهَا قَدِمَ صَاعِدُ بْنُ مَخْلَدٍ مِنْ فَارِسَ إِلَى وَاسِطَ ، فَأَمَرَ الْمُوَفَّقُ جَمِيعَ الْقُوَّادِ أَنْ يَسْتَقْبِلُوهُ ، فَاسْتَقْبَلُوهُ ، وَتَرَجَّلُوا لَهُ ، وَقَبَّلُوا يَدَهُ ، وَهُوَ لَا يُكَلِّمُهُمْ كِبْرًا وَتِيهًا ، ثُمَّ قَبَضَ الْمُوَفَّقُ عَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَنَهَبَ مَنَازِلَهُمْ بَعْدَ أَيَّامٍ ، وَكَانَ قَبْضُهُ فِي رَجَبٍ ، وَقُبِضَ ابْنَاهُ أَبُو عِيسَى ، وَصَالِحٌ ، وَأَخُوهُ عَبْدُونُ بِبَغْدَاذَ ، وَاسْتَكْتَبَ مَكَانَهُ أَبَا الصَّقْرِ إِسْمَاعِيلَ بْنَ بُلْبُلٍ ، اقْتَصَرَ بِهِ عَلَى الْكِتَابَةِ دُونَ غَيْرِهَا. |
| وَفِيهَا نَزَلَ بَنُو شَيْبَانَ ، وَمَنْ مَعَهُمْ بَيْنَ الزَّانِّينَ مِنْ أَعْمَالِ الْمَوْصِلِ ، عَاثُوا فِي الْبَلَدِ ، وَأَفْسَدُوا ، وَجَمَعَ هَارُونُ الْخَارِجِيُّ عَلَى قَصْدِهِمْ ، وَكَتَبَ إِلَى حَمْدَانَ ابْنِ حَمْدُونَ التَّغْلِبِيِّ فِي الْمَجِيءِ إِلَيْهِ ، إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَسَارَ هَارُونُ نَحْوَ الْمَوْصِلِ ، وَسَارَ حَمْدَانُ ، وَمَنْ مَعَهُ إِلَيْهِ ، فَعَبَرُوا إِلَيْهِ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ دِجْلَةَ ، وَسَارُوا جَمِيعًا إِلَى نَهْرِ الْخَازِرِ ، وَقَارَبُوا حِلَلَ بَنِي شَيْبَانَ ، فَوَاقَعَتْهُ طَلِيعَةٌ لَبَنِي شَيْبَانَ عَلَى طَلِيعَةِ هَارُونَ ، فَانْهَزَمَتْ طَلِيعَةُ هَارُونَ ، وَانْهَزَمَ هَارُونُ ، وَجَلَا أَهْلُ نِينَوَى عَنْهَا ، إِلَّا مَنْ تَحَصَّنَ بِالْقُصُورِ . |
| وَفِيهَا زُلْزِلَتْ مِصْرُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ زَلْزَلَةً شَدِيدَةً أَخْرَبَتِ الدُّورَ وَالْمَسْجِدَ الْجَامِعَ ، وَأُحْصِيَ بِهَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ أَلْفُ جِنَازَةٍ. |
| وَفِيهَا غَلَا السِّعْرُ بِبَغْدَاذَ ، وَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّ أَهْلَ سَامَرَّا مَنَعُوا مِنَ انْحِدَارِ السُّفُنِ بِالطَّعَامِ ، وَمَنَعَ الطَّائِيُّ أَرْبَابَ الضَّيَاعِ مِنَ الدِّيَاسِ لِيُغْلُوا الْأَسْعَارَ ، وَمَنَعَ أَهْلُ بَغْدَاذَ عَنْ سَامَرَّا الزَّيْتَ ، وَالصَّابُونَ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ ، وَاجْتَمَعَتِ الْعَامَّةُ ، وَوَثَبُوا بِالطَّائِيِّ ، فَجَمَعَ أَصْحَابَهُ ، وَقَاتَلَهُمْ ، فَجَرَحَ بَيْنَهُمْ جَمَاعَةً ، وَرَكِبَ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ وَسَكَّنَ النَّاسَ ، وَصَرَفَهُمْ عَنْهُ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ بُرَيَّةَ الْهَاشِمِيُّ فِي شَوَّالٍ. |
| وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَاشِمِيُّ. |
| وَفِيهَا تَحَرَّكَتِ الزِّنْجُ بِوَاسِطَ ، وَصَاحُوا أَنْكِلَايُ ، يَا مَنْصُورُ ، وَكَانَ هُوَ وَالْمُهَلَّبِيُّ ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ قُوَّادِهِمْ فِي حَبْسِ الْمُوَفَّقِ بِبَغْدَاذَ ، وَكَتَبَ الْمُوَفَّقُ بِقَتْلِهِمْ ، فَقُتِلُوا ، وَأُرْسِلَتْ رُءُوسُهُمْ إِلَيْهِ ، وَصُلِبَتْ أَبْدَانُهُمْ بِبَغْدَاذَ. |
| وَفِيهَا صَلُحَ أَمْرُ مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَرَاجَعَ النَّاسُ إِلَيْهَا. |
| وَفِيهَا غَزَا الصَّائِفَةَ يَازْمَانُ ، وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ. |
| وَفِيهَا سَيَّرَ صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ إِلَى ابْنِ مَرْوَانَ الْجِلِّيقِيِّ ، وَهُوَ بِحِصْنِ أَشِيرَ غِرَّةً ، فَحَصَرُوهُ وَضَيَّقُوا عَلَيْهِ ، وَسَيَّرَ جَيْشًا آخَرَ إِلَى مُحَارَبَةِ عُمَرَ بْنِ حَفْصُونٍ بِحِصْنِ بَرْبُشْتَرَ. |
| وَفِيهَا انْفَضَّتِ الْهُدْنَةُ بَيْنَ سَوَادَةَ أَمِيرِ صِقِلِّيَةَ وَالرُّومِ ، فَأَخْرَجَ سَوَادَةُ السَّرَايَا إِلَى بَلَدِ الرُّومِ بِصِقِلِّيَةَ ، فَغَنِمَتْ وَعَادَتْ. |
| وَفِيهَا قَدِمَ مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ بِطْرِيقٌ ، يُقَالُ لَهُ أَنْجَفُورُ ، فِي عَسْكَرٍ كَبِيرٍ ، فَنَزَلَ عَلَى مَدِينَةِ سِبْرِينَةَ فَحَصَرَهَا ، وَضَيَّقَ عَلَى مَنْ بِهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَسَلَّمُوهَا عَلَى أَمَانٍ وَلَحِقُوا بِأَرْضِ صِقِلِّيَةَ ، ثُمَّ وَجَّهَ أَنْجَفُورُ عَسْكَرًا إِلَى مَدِينَةِ مَنْتِيَةَ ، فَحَصَرَهَا ، حَتَّى سَلَّمَهَا أَهْلُهَا بِأَمَانٍ إِلَى بَلَرْمَ مِنْ صِقِلِّيَةَ . |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَنْمَاطِيُّ ، الْمَعْرُوفُ بِكَيْجَلَةَ ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ ، وَهُوَ لَقَبُهُ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُطَارِدٍ الْعُطَارِدِيُّ التَّمِيمِيُّ ، وَهُوَ يَرْوِي" مَغَازِيَ ابْنِ إِسْحَاقَ "عَنْ يُونُسَ ، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَمِنْ طَرِيقِهِ سَمِعْنَاهُ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْجَشَّاشِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ شُعَيْبُ بْنُ بِكَّارٍ الْكَاتِبُ ، وَلَهُ حَدِيثٌ عَنْ أَبِي عَاصِمٍ النَّبِيلِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ الِاخْتِلَافِ بَيْنَ ابْنِ أَبِي السَّاجِ ، وَابْنِ كُنْدَاجَ ، وَالْخُطْبَةِ بِالْجَزِيرَةِ لِابْنِ طُولُونَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فَسَدَ الْحَالُ بَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي السَّاجِ ، وَإِسْحَاقَ بْنِ كُنْدَاجَ ، وَكَانَا مُتَّفِقَيْنِ فِي الْجَزِيرَةِ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَبِي السَّاجِ نَافَرَ إِسْحَاقَ فِي الْأَعْمَالِ ، وَأَرَادَ التَّقَدُّمَ ، وَامْتَنَعَ عَلَيْهِ إِسْحَاقُ ، فَأَرْسَلَ ابْنُ أَبِي السَّاجِ إِلَى خُمَارَوَيْهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ صَاحِبِ مِصْرَ ، وَأَطَاعَهُ ، وَصَارَ مَعَهُ وَخَطَبَ لَهُ بِأَعْمَالِهِ ، وَهِيَ قِنَّسْرِينَ ، وَسَيَّرَ وَلَدَهُ دِيوَدَادَ إِلَى خُمَارَوَيْهِ رَهِينَةً ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ خُمَارَوَيْهِ مَالًا جَزِيلًا لَهُ وَلِقُوَّادِهِ. |
| وَسَارَ خُمَارَوَيْهِ إِلَى الشَّامِ ، فَاجْتَمَعَ هُوَ وَابْنُ أَبِي السَّاجِ بِبَالِسَ ، وَعَبَرَ ابْنُ أَبِي السَّاجِ الْفُرَاتَ إِلَى الرَّقَّةِ ، فَلَقِيَهُ ابْنُ كُنْدَاجَ ، وَجَرَى بَيْنَهُمَا حَرْبٌ انْهَزَمَ فِيهَا ابْنُ كُنْدَاجَ ، وَاسْتَوْلَى ابْنُ أَبِي السَّاجِ عَلَى مَا كَانَ لِابْنِ كُنْدَاجَ ، وَعَبَرَ خُمَارَوَيْهِ الْفُرَاتَ وَنَزَلَ الرَّافِقَةَ ، وَمَضَى إِسْحَاقُ مُنْهَزِمًا إِلَى قَلْعَةِ مَارْدِينَ ، فَحَصَرَهُ ابْنُ أَبِي السَّاجِ ، وَسَارَ عَنْهَا إِلَى سِنْجَارَ ، فَأَوْقَعَ بِهَا بِقَوْمٍ مِنَ الْأَعْرَابِ ، وَسَارَ ابْنُ كُنْدَاجَ مِنْ مَارْدِينَ نَحْوَ الْمَوْصِلِ ، فَلَقِيَهُ ابْنُ أَبِي السَّاجِ بِبَرْقَعِيدَ ، فَكَمَنَ كَمِينًا ، فَخَرَجُوا عَلَى ابْنِ كُنْدَاجَ وَقْتَ الْقِتَالِ ، فَانْهَزَمَ عَنْهَا ، وَعَادَ إِلَى مَارْدِينَ فَكَانَ فِيهَا; وَقَوِيَ ابْنُ أَبِي السَّاجِ ، وَظَهَرَ أَمْرُهُ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى الْجَزِيرَةِ وَالْمَوْصِلِ ، وَخَطَبَ لِخُمَارَوَيْهِ فِيهَا ثُمَّ لِنَفْسِهِ بَعْدَهُ. |
| ذِكْرُ وَقْعَةٍ بَيْنَ عَسْكَرِ ابْنِ أَبِي السَّاجِ وَالشُّرَاةِ لَمَّا اسْتَوْلَى ابْنُ أَبِي السَّاجِ عَلَى الْمَوْصِلِ أَرْسَلَ طَائِفَةً مِنْ عَسْكَرِهِ مَعَ غُلَامِهِ فَتْحٍ ، وَكَانَ شُجَاعًا مُقَدَّمًا عِنْدَهُ ، إِلَى الْمَرْجِ مِنْ أَعْمَالِ الْمَوْصِلِ ، فَسَارُوا إِلَيْهَا ، وَجَبَوُا الْخَرَاجَ مِنْهَا. |
| وَكَانَ الْيَعْقُوبِيَّةُ الشُّرَاةُ بِالْقُرْبِ مِنْهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَهَادَنَهُمْ ، وَقَالَ إِنَّمَا مُقَامِي بِالْمَرْجِ مُدَّةٌ يَسِيرَةٌ ثُمَّ أَرْحَلُ عَنْهُ. |
| فَسَكَنُوا إِلَى قَوْلِهِ ، وَتَفَرَّقُوا ، فَنَزَلَ بَعْضُهُمْ بِالْقُرْبِ مِنْ سُوقِ الْأَحَدِ ، فَأَسْرَى إِلَيْهِمْ فَتْحٌ فِي السَّحَرِ ، فَكَبَسَهُمْ ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ، وَانْهَزَمَ الرِّجَالُ عَنْهُ. |
| وَكَانَ بَاقِي الْيَعْقُوبِيَّةِ قَدْ خَرَجُوا إِلَى أَصْحَابِهِمُ الَّذِينَ أَوْقَعَ بِهِمْ فَتْحٌ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْلَمُوا بِالْوَاقِعَةِ ، فَلَقِيَهُمُ الْمُنْهَزِمُونَ مِنْ أَصْحَابِهِمْ ، فَاجْتَمَعُوا ، وَعَادُوا إِلَى فَتْحٍ فَقَاتَلُوهُ ، وَحَمَلُوا حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَهَزَمُوهُ ، وَقَتَلُوا مِنْ أَصْحَابِهِ ثَمَانِمِائَةِ رَجُلٍ ، وَكَانَ أَصْحَابُهُ أَلْفَ رَجُلٍ ، فَأَفْلَتَ فِي نَحْوِ مِائَةِ رَجُلٍ ، وَتَفَرَّقَ مِائَةٌ فِي الْقُرَى وَاخْتَفَوْا ، وَعَادُوا إِلَى الْمَوْصِلِ مُتَفَرِّقِينَ ، وَأَقَامُوا بِهَا. |
| ذِكْرُ وَفَاةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَوِلَايَةِ ابْنِهِ الْمُنْذِرِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ الْأُمَوِيُّ صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ ، سَلْخَ صَفَرٍ ، وَكَانَ عُمْرُهُ نَحْوًا مِنْ خَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا ، وَكَانَ أَبْيَضَ ، مُشْرَبًا بِحُمْرَةٍ ، رَبْعَةً ، أَوْقَصَ ، يَخْضِبُ بِالْحِنَّاءِ ، وَالْكَتَمِ ، وَخَلَّفَ ثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ وَلَدًا ذُكُورًا ، وَكَانَ ذَكِيًّا ، فَطِنًا بِالْأُمُورِ الْمُشْتَبِهَةِ مُتَعَانِيًا مِنْهَا. |
| وَلَمَّا مَاتَ وَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْمُنْذِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، بُويِعَ لَهُ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ بِثَلَاثِ لَيَالٍ ، وَأَطَاعَهُ النَّاسُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا أَيْضًا كَانَتْ وَقْعَةٌ بِالرَّقَّةِ فِي جُمَادَى الْأُولَى بَيْنَ إِسْحَاقَ بْنِ كُنْدَاجِيقَ وَبَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي السَّاجِ ، فَانْهَزَمَ إِسْحَاقُ ، ثُمَّ كَانَتْ بَيْنَهُمَا وَقْعَةٌ أُخْرَى فِي ذِي الْحِجَّةِ فَانْهَزَمَ إِسْحَاقُ أَيْضًا . |
| وَفِي السَّنَةِ وَثَبَ أَوْلَادُ مَلِكِ الرُّومِ عَلَى أَبِيهِمْ ، فَقَتَلُوهُ ، وَمَلَكَ أَحَدُهُمْ بَعْدَهُ. |
| وَفِيهَا قُبِضَ الْمُوَفَّقُ عَلَى لُؤْلُؤٍ غُلَامِ ابْنِ طُولُونَ الَّذِي كَانَ قِدَمَ عَلَيْهِ بِالْأَمَانِ حِينَ كَانَ يُقَاتِلُ الزِّنْجَ بِالْبَصْرَةِ ، وَلَمَّا قَبَضَهُ قَيَّدَهُ ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِ ، وَأَخَذَ مِنْهُ أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَكَانَ لُؤْلُؤٌ يَقُولُ لَيْسَ لِي ذَنْبٌ إِلَّا كَثْرَةَ مَالِي; وَلَمْ تَزَلْ أُمُورُهُ فِي إِدْبَارٍ إِلَى أَنِ افْتَقَرَ وَلَمْ يَبْقَ لَهُ شَيْءٌ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مِصْرَ فِي آخِرِ أَيَّامِ هَارُونَ بْنِ خُمَارَوَيْهِ ، فَرِيدًا وَحِيدًا ، بِغُلَامٍ وَاحِدٍ ، فَكَانَ هَذَا ثَمَرَةُ الْعَقْلِ السَّخِيفِ ، وَكُفْرِ الْإِحْسَانِ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِيهَا هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ. |
| وَفِيهَا ثَارَ السُّودَانُ بِمِصْرَ ، وَحَصَرُوا صَاحِبَ الشُّرْطَةِ ، فَسَمِعَ خُمَارَوَيْهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ الْخَبَرَ ، فَرَكِبَ ، وَفِي يَدِهِ سَيْفٌ مَسْلُولٌ ، وَقَصَدَ دَارَ صَاحِبِ الشُّرْطَةِ ، وَقَتَلَ كُلَّ مَنْ لَقِيَهُ مِنَ السُّودَانِ ، فَانْهَزَمُوا مِنْهُ ، وَأَكْثَرَ الْقَتْلَ فِيهِمْ ، وَسَكَنَتْ مِصْرُ وَأَمِنَ النَّاسُ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ أَبُو سُلَيْمَانَ بْنُ الْأَشْعَثِ السِّجِسْتَانِيُّ ، صَاحِبُ كِتَابِ" السُّنَنِ ". |
| وَمُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مَاجَهْ الْقَزْوِينِيُّ ، وَلَهُ أَيْضًا كِتَابُ" السُّنَنِ "، وَكَانَ عَاقِلًا ، إِمَامًا عَالِمًا. |
| وَتُوُفِّيَ الْفَتْحُ بْنُ شُخْرُفَ أَبُو دَاوُدَ الْكَشِّيُّ الصُّوفِيُّ ، وَكَانَ مَوْتُهُ بِبَغْدَاذَ ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ الْأَحْوَالِ الشَّرِيفَةِ. |
| وَتُوُفِّيَ حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ عَسْكَرِ عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ وَبَيْنَ عَسْكَرِ الْمُوَفَّقِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ الْمُوَفَّقُ إِلَى فَارِسَ لِحَرْبِ عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ الصَّفَّارِ ، فَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى عَمْرٍو ، فَسَيَّرَ الْعَبَّاسَ بْنَ إِسْحَاقٍ فِي جَمْعٍ كَبِيرٍ مِنَ الْعَسْكَرِ إِلَى سِيرَافَ ، وَأَنْفَذَ ابْنَهُ مُحَمَّدَ بْنَ عَمْرٍو إِلَى أَرْجَانَ ، وَسِيَّرَ أَبَا طَلْحَةَ شَرْكُبَ صَاحِبَ جَيْشِهِ ، عَلَى مُقَدِّمَتِهِ ، فَاسْتَأْمَنَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى الْمُوَفَّقِ ، وَسَمِعَ عَمْرٌو ذَلِكَ ، فَتَوَقَّفَ عَنْ قَصْدِ الْمُوَفَّقِ. |
| ثُمَّ إِنَّ أَبَا طَلْحَةَ عَزَمَ عَلَى الْعَوْدِ إِلَى عَمْرٍو ، فَبَلَغَ الْمُوَفَّقَ خَبَرُهُ فَقَبَضَ عَلَيْهِ بِقُرْبِ شِيزَارَ ، وَجَعَلَ مَالَهُ لِابْنِهِ الْمُعْتَضِدِ أَبِي الْعَبَّاسِ ، وَسَارَ يَطْلُبُ عَمْرًا ، فَعَادَ عَمْرٌو إِلَى كَرْمَانَ ، وَمِنْهَا إِلَى سِجِسْتَانَ عَلَى الْمَفَازَةِ ، فَتُوُفِّيَ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ بِالْمَفَازَةِ ، وَلَمْ يَقْدِرِ الْمُوَفَّقُ عَلَى أَخْذِ كَرْمَانَ وَسِجِسْتَانَ مِنْ عَمْرٍو فَعَادَ عَنْهُ . |
| ذِكْرُ عِدَّةَ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا يَازْمَانُ ، فَأَوْغَلَ فِي أَرْضِ الرُّومِ فَأَوْقَعَ فِيهَا بِكَثِيرٍ مِنْ أَهْلِهَا ، وَقَتَلَ وَغَنِمَ ، وَسَبَى ، وَأَسَرَ ، وَعَادَ سَالِمًا إِلَى طَرَسُوسَ . |
| وَفِيهَا دَخَلَ صِدِّيقٌ الْفَرْغَانِيُّ دُورَ سَامَرَّا فَنَهَبَهَا ، وَأَخَذَ أَمْوَالَ التُّجَّارِ مِنْهَا ، وَأَفْسَدَ ; وَكَانَ صِدِّيقٌ هَذَا يَخْفِرُ الطَّرِيقَ وَيَحْمِيهِ ، ثُمَّ صَارَ يَقْطَعُهُ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْكَبْشِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ ، وَكَانَ قَدْ حَبَسَهُ أَخُوهُ الْمُعْتَمِدُ ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْحَسَنُ بْنُ مُكْرَمٍ. |
| وَعَلِيٌّ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ. |
| بَقِيَّةُ الْحَوَادِثِ وَفِيهَا جَمَعَ إِسْحَاقُ بْنُ كُنْدَاجَ جَمْعًا كَثِيرًا وَسَارَ نَحْوَ الشَّامِ ، فَبَلَغَ الْخَبَرُ خُمَارَوَيْهِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ وَقَدْ عَبَرَ الْفُرَاتَ ، فَالْتَقَيَا ، وَجَرَى بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ قِتَالٌ شَدِيدٌ ، انْهَزَمَ فِيهِ إِسْحَاقُ هَزِيمَةً عَظِيمَةً لَمْ يَرُدَّهُ شَيْءٌ ، حَتَّى عَبَرَ الْفُرَاتَ ، وَتَحَصَّنَ بِهَا ، وَسَارَ خُمَارَوَيْهِ إِلَى الْفُرَاتِ ، فَعَمِلَ جِسْرًا ، فَلَمَّا عَلِمَ إِسْحَاقُ بِذَلِكَ سَارَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى قِلَاعٍ لَهُ قَدْ أَعَدَّهَا وَحَصَّنَهَا ، وَأَرْسَلَ إِلَى خُمَارَوَيْهِ يَخْضَعُ لَهُ ، يَبْذُلُ لَهُ الطَّاعَةَ فِي جَمِيعِ وِلَايَتِهِ ، وَهِيَ الْجَزِيرَةُ وَمَا وَالَاهَا ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ. |
| وَصَالَحَهُ ابْنُ أَبِي السَّاجِ ، وَجَمَعَ جَمْعًا كَثِيرًا ، وَسَارَ نَحْوَ الشَّامِ قَاصِدًا مُنَازَعَةَ خُمَارَوَيْهِ حَيْثُ كَانَ أَبْعَدَ إِلَى مِصْرَ ، فَبَلَغَ الْخَبَرُ خُمَارَوَيْهِ فَخَرَجَ عَنْ مِصْرَ فِي عَسَاكِرِهِ ، فَالْتَقَيَا فِي الْبَثْنِيَّةِ مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ ، فَاقْتَتَلَا قِتَالًا عَظِيمًا ، فَانْهَزَمَ ابْنُ أَبِي السَّاجِ ، وَعَادَ مُنْهَزِمًا حَتَّى عَبَرَ الْفُرَاتَ ، فَأَحْضَرَ خُمَارَوَيْهِ وَلَدَ ابْنَ أَبِي السَّاجِ ، وَكَانَ رَهِينَةً عِنْدَهُ ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَأَطْلَقَهُ ، وَسَيَّرَهُ إِلَى أَبِيهِ ، وَعَادَ إِلَى مِصْرَ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ الِاخْتِلَافِ بَيْنَ خُمَارَوَيْهِ وَابْنِ أَبِي السَّاجِ قَدْ ذَكَرْنَا اتِّفَاقَ ابْنِ أَبِي السَّاجِ ، وَخُمَارَوَيْهِ بْنِ طُولُونَ ، وَطَاعَةَ ابْنِ أَبِي السَّاجِ لَهُ ، فَلَمَّا كَانَ الْآنَ خَالَفَ ابْنُ أَبِي السَّاجِ عَلَى خُمَارَوَيْهِ ، فَسَمِعَ خُمَارَوَيْهِ الْخَبَرَ ، فَسَارَ عَنْ مِصْرَ فِي عَسَاكِرِهِ نَحْوَ الشَّامِ ، فَقَدِمَ إِلَيْهِ آخِرَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَسَارَ ابْنُ أَبِي السَّاجِ إِلَيْهِ ، فَالْتَقَوْا عِنْدَ ثَنِيَّةِ الْعُقَابِ بِقُرْبِ دِمَشْقَ ، وَاقْتَتَلُوا فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، كَانَ الْقِتَالُ بَيْنَهُمَا ، فَانْهَزَمَتْ مَيْمَنَةُ خُمَارَوَيْهِ ، وَأَحَاطَ بَاقِي عَسْكَرِهِ بِابْنِ أَبِي السَّاجِ ، وَمَنْ مَعَهُ ، فَمَضَى مُنْهَزِمًا ، وَاسْتُبِيحَ مُعَسْكَرُهُ ، وَأُخِذَتِ الْأَثْقَالُ ، وَالدَّوَابُّ ، وَجَمِيعُ مَا فِيهِ. |
| وَكَانَ قَدْ خَلَّفَ بِحِمْصَ شَيْئًا كَثِيرًا ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ خُمَارَوَيْهِ قَائِدًا فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْعَسْكَرِ جَرِيدَةً فَسَبَقُوا ابْنَ أَبِي السَّاجِ إِلَيْهَا ، وَمَنَعُوهُ مِنْ دُخُولِهَا وَالِاعْتِصَامِ بِهَا ، وَاسْتَوْلَوْا عَلَى مَا لَهُ فِيهَا ، فَمَضَى ابْنُ أَبِي السَّاجِ مُنْهَزِمًا إِلَى حَلَبَ ، ثُمَّ مِنْهَا إِلَى الرَّقَّةِ ، فَتَبِعَهُ خُمَارَوَيْهِ ، فَفَارَقَ الرَّقَّةَ ، فَعَبَرَ خُمَارَوَيْهِ الْفُرَاتَ ، سَارَ فِي أَثَرِ ابْنِ أَبِي السَّاجِ ، فَوَصَلَ خُمَارَوَيْهِ إِلَى مَدِينَةِ بَلَدَ ، وَكَانَ قَدْ سَبَقَهُ ابْنُ أَبِي السَّاجِ إِلَى الْمَوْصِلِ . |
| فَلَمَّا سَمِعَ ابْنُ أَبِي السَّاجِ بِوُصُولِهِ إِلَى بَلَدَ سَارَ عَنِ الْمَوْصِلِ إِلَى الْحَدِيثَةِ ، وَأَقَامَ خُمَارَوَيْهِ بِبَلَدَ ، وَعَمِلَ لَهُ سَرِيرًا طَوِيلَ الْأَرْجُلِ ، فَكَانَ يَجْلِسُ عَلَيْهِ فِي دِجْلَةَ ، هَكَذَا ذَكَرَ أَبُو زَكَرِيَّاءَ يَزِيدُ بْنُ إِيَاسٍ الْأَزْدِيُّ الْمَوْصِلِيُّ صَاحِبُ" تَارِيخِ الْمَوْصِلِ " أَنَّ خُمَارَوَيْهِ وَصَلَ إِلَى بَلَدَ ، وَكَانَ إِمَامًا فَاضِلًا عَالِمًا بِمَا يَقُولُ وَهُوَ يُشَاهِدُ الْحَالَ. |
| ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ ابْنِ كُنْدَاجَ ، وَابْنِ أَبِي السَّاجِ لَمَّا انْهَزَمَ كُنْدَاجُ مِنَ ابْنِ أَبِي السَّاجِ ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ أَقَامَ إِلَى أَنِ انْهَزَمَ ابْنُ أَبِي السَّاجِ مِنْ خُمَارَوَيْهِ ، فَلَمَّا وَافَى خُمَارَوَيْهِ بَلَدَ أَقَامَ بِهَا ، وَسَيَّرَ مَعَ إِسْحَاقَ بْنِ كُنْدَاجَ جَيْشًا كَثِيرًا ، وَجَمَاعَةً مِنَ الْقُوَّادِ ، وَرَحَلَ يَطْلُبُ ابْنَ أَبِي السَّاجِ ، فَمَضَى بَيْنَ يَدَيْهِ وَابْنُ كُنْدَاجَ يَتْبَعُهُ إِلَى تِكْرِيتَ ، فَعَبَرَ ابْنُ أَبِي السَّاجِ دِجْلَةَ ، وَأَقَامَ ابْنُ كُنْدَاجَ ، وَجَمَعَ السُّفُنَ لِيَعْمَلَ جِسْرًا يَعْبُرُ عَلَيْهِ ، وَكَانَ يُجْرِي بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ مُرَامَاةً. |
| وَكَانَ ابْنُ أَبِي السَّاجِ فِي نَحْوِ أَلْفَيْ فَارِسٍ ، وَابْنُ كُنْدَاجَ فِي عِشْرِينَ أَلْفًا ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو السَّاجِ اجْتِمَاعَ السُّفُنِ سَارَ عَنْ تِكْرِيتَ إِلَى الْمَوْصِلِ لَيْلًا ، فَوَصَلَ إِلَيْهَا فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ ، فَنَزَلَ بِظَاهِرِهَا عِنْدَ الدَّيْرِ الْأَعْلَى ، وَسَارَ ابْنُ كُنْدَاجَ يَتْبَعُهُ ، فَوَصَلَ إِلَى الْعَزِيقِ ، فَلَمَّا سَمِعَ ابْنُ أَبِي السَّاجِ خَبَرَهُ سَارَ إِلَيْهِ ، فَالْتَقَوْا ، وَاقْتَتَلُوا عِنْدَ قَصْرِ حَرْبٍ ، فَاشْتَدَّ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ ، وَصَبَرَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي السَّاجِ صَبْرًا عَظِيمًا ، لِأَنَّهُ فِي قِلَّةٍ ، فَنَصَرَهُ اللَّهُ ، وَانْهَزَمَ ابْنُ كُنْدَاجَ ، وَجَمِيعُ عَسْكَرِهِ ، وَمَضَى مُنْهَزِمًا. |
| وَكَانَ أَعْظَمُ الْأَسْبَابِ فِي هَزِيمَتِهِ بَغْيَهُ ، فَإِنَّهُ لَمَّا قِيلَ لَهُ إِنَّ ابْنَ أَبِي السَّاجِ قَدْ أَقْبَلَ نَحْوَكَ مِنَ الْمَوْصِلِ لِيُقَاتِلَكَ ، قَالَ أَسْتَقْبِلُ الْكَلْبَ! |
| فَعَدَّ النَّاسُ هَذَا بَغْيًا وَخَافُوا مِنْهُ ، فَلَمَّا انْهَزَمَ ، وَسَارَ إِلَى الرَّقَّةَ ، تَبِعَهُ مُحَمَّدٌ إِلَيْهَا ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي أَحْمَدَ الْمُوَفَّقِ يُعَرِّفُهُ مَا كَانَ مِنْهُ ، وَيَسْتَأْذِنُهُ فِي عُبُورِ الْفُرَاتِ إِلَى الشَّامِ بِلَادِ خُمَارَوَيْهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمُوَفَّقُ يَشْكُرُهُ ، وَيَأْمُرُهُ بِالتَّوَقُّفِ إِلَى أَنْ تَصِلَهُ الْأَمْدَادُ مِنْ عِنْدِهِ. |
| وَأَمَّا ابْنُ كُنْدَاجَ فَإِنَّهُ سَارَ إِلَى خُمَارَوَيْهِ ، فَسَيَّرَ مَعَهُ جَيْشًا ، فَوَصَلُوا إِلَى الْفُرَاتِ ، فَكَانَ إِسْحَاقُ بْنُ كُنْدَاجَ عَلَى الشَّامِ ، وَابْنُ أَبِي السَّاجِ بِالرَّقَّةَ ، وَوَكَّلَ بِالْفُرَاتِ مَنْ يَمْنَعُ مِنْ عُبُورِهَا ، فَبَقُوا كَذَلِكَ مُدَّةً. |
| ثُمَّ إِنَّ ابْنَ كُنْدَاجَ سَيَّرَ طَائِفَةً مِنْ عَسْكَرِهِ ، فَعَبَرُوا الْفُرَاتَ فِي غَيْرِ ذَلِكَ الْمَوَضِعِ ، وَسَارُوا ، فَلَمْ تَشْعُرْ طَائِفَةُ عَسْكَرِ ابْنِ أَبِي السَّاجِ ، وَكَانُوا طَلِيعَةً ، إِلَّا وَقَدْ أَوْقَعُوا بِهِمْ ، فَانْهَزَمُوا مِنْ عَسْكَرِ إِسْحَاقَ إِلَى الرَّقَّةَ ، فَلَمَّا رَأَى ابْنُ أَبِي السَّاجِ ذَلِكَ سَارَ عَنِ الرَّقَّةَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا طَلَبَ مِنْ أَهْلِهَا الْمُسَاعَدَةَ بِالْمَالِ ، وَقَالَ لَهُمْ لَيْسَ بِالْمُضْطَرِّ مُرُوءَةٌ; فَأَقَامَ بِهَا نَحْوَ شَهْرٍ ، وَانْحَدَرَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَاتَّصَلَ بِأَبِي أَحْمَدَ الْمُوَفَّقِ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَاسْتَصْحَبَهُ مَعَهُ إِلَى الْجَبَلِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَوَصَلَهُ بِمَالٍ ، وَأَقَامَ ابْنُ كُنْدَاجَ بِدِيَارِ رَبِيعَةَ ، وَدِيَارِ مُضَرَ مِنْ أَرْضِ الْجَزِيرَةِ. |
| ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ الطَّائِيِّ ، وَفَارِسٍ الْعَبْدِيِّ وَفِيهَا ظَهَرَ فَارِسٌ الْعَبْدِيُّ فِي جَمْعٍ ، فَأَخَافَ السَّبِيلَ ، وَسَارَ إِلَى دُورِ سَامَرَّا ، وَنَهَبَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ الطَّائِيُّ مُقَاتِلًا ، فَهَزَمَهُ الطَّائِيُّ ، وَأَخَذَ سَوَادَهُ ، ثُمَّ سَارَ الطَّائِيُّ إِلَى دِجْلَةَ لِيَعْبُرَهَا ، فَدَخَلَ طَيَّارَةً لَهُ ، فَأَدْرَكَهُ بَعْضُ أَصْحَابِ فَارِسٍ فَتَعَلَّقُوا بِكَوْثَلِ الطَّيَّارَةِ ، فَرَمَى الطَّائِيُّ نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ وَسَبَحَ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْهُ نَفَضَ لِحْيَتَهُ ، وَقَالَ إِيشْ ظَنُّ الْعَبْدِيِّ ؟ |
| أَلَيْسَ أَنَا أَسْبَحُ مِنْ سَمَكَةٍ ؟ |
| ثُمَّ نَزَلَ الطَّائِيُّ السِّنَّ وَالْعَبْدِيُّ بِإِزَائِهِ ، قَالَ عَلِيُّ بْنُ بَسَّامٍ فِي الطَّائِيِّ قَدْ أَقْبَلَ الطَّائِيُّ مَا أَقْبَلَا... |
| يَفْتَحُ فِي الْأَفْعَالِ مَا أَجْمَلَا كَأَنَّهُ مِنْ لِينِ أَلْفَاظِهِ... |
| صَبِيَّةٌ تَمْضُغُ جَهْدَ الْبَلَا وَجَهْدُ الْبَلَا ضَرْبٌ مِنَ النَّافِطِ يُتَعَلَّكُ. |
| وَفِيهَا قَبَضَ الْمُوَفَّقُ عَلَى الطَّائِيِّ وَقَيَّدَهُ ، وَخَتَمَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لَهُ ، وَكَانَ يَلِي الْكُوفَةَ وَسَوَادَهَا ، وَطَرِيقَ خُرَاسَانَ ، وَسَامَرَّا ، وَالشُّرْطَةَ بِبَغْدَاذَ ، وَخَرَاجِ بَادُورِيَا ، وَقُطْرَبُّلَ ، وَمَسِكَنَ. |
| ذِكْرُ قَبْضِ الْمُوَفَّقِ عَلَى ابْنِهِ الْمُعْتَضِدِ بِاللَّهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي شَوَّالٍ ، قَبَضَ الْمُوَفَّقُ عَلَى ابْنِهِ الْمُعْتَضِدِ بِاللَّهِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْمُوَفَّقَ دَخَلَ إِلَى وَاسِطَ وَنَزَلَ بِهَا ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَتَخَلَّفَ الْمُعْتَمِدُ عَلَى اللَّهِ بِالْمَدَائِنِ ، وَأَمَرَ الْمُوَفَّقُ ابْنَهُ أَنْ يَسِيرَ إِلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ ، فَقَالَ لَا أَخْرُجُ إِلَّا إِلَى الشَّامِ لِأَنَّهَا الْوِلَايَةُ الَّتِي وَلَّانِيهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. |
| فَلَمَّا امْتَنَعَ عَلَيْهِ أَمَرَ بِإِحْضَارِهِ ، فَلَمَّا حَضَرَ أَمَرَ بَعْضُ خَدَمِهِ أَنْ يَحْبِسَهُ فِي حُجْرَةٍ فِي دَارِهِ ، فَلَمَّا قَامَ الْمُعْتَضِدُ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْخَادِمُ وَأَمَرَهُ بِدُخُولِ تِلْكَ الدَّارِ ، فَدَخَلَ وَوُكِّلَ بِهِ فِيهَا. |
| وَثَارَ الْقُوَّادُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ وَرَكِبُوا ، وَاضْطَرَبَتْ بَغْدَاذُ لَمَّا رَأَوُا السِّلَاحَ وَالْقُوَّادَ ، فَرَكِبَ الْمُوَفَّقُ إِلَى الْمَيْدَانِ ، وَقَالَ لَهُمْ مَا شَأْنُكُمْ ؟ |
| أَتَرَوْنَ أَنَّكُمْ أَشْفَقُ عَلَى وَلَدِي مِنِّي ، وَقَدِ احْتَجْتُ إِلَى تَقْوِيمِهِ! |
| فَانْصَرَفُوا. |
| فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ الطَّائِيُّ إِلَى سَامَرَّا بِسَبَبِ صِدِّيقٍ ، فَرَاسَلَهُ ، وَأَمَّنَهُ ، وَدَخَلَ سَامَرَّا فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَأَخَذَهُمُ الطَّائِيُّ ، وَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ ، وَأَرْجُلَهُمْ مِنْ خِلَافٍ ، وَحَمَلَهُمْ إِلَى بَغْدَاذَ. |
| وَفِيهَا غَزَا يَازْمَانُ فِي الْبَحْرِ ، فَغَنِمَ مِنَ الرُّومِ أَرْبَعَةَ مَرَاكِبَ . |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ رَافِعِ بْنِ هَرْثَمَةَ عَلَى جُرْجَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ رَافِعُ بْنُ هَرْثَمَةَ إِلَى جُرْجَانَ ، فَأَزَالَ عَنْهَا مُحَمَّدَ بْنَ زَيْدٍ ، وَسَارَ مُحَمَّدٌ إِلَى إِسْتِرَابَاذَ ، فَحَصَرَهُ فِيهَا رَافِعٌ ، وَأَقَامَ عَلَيْهِ نَحْوَ سَنَتَيْنِ فَغَلَتِ الْأَسْعَارُ بِحَيْثُ لَمْ يُوجَدْ مَا يُؤْكَلُ ، وَبِيعَ وَزْنُ دِرْهَمِ مِلْحٍ بِدِرْهَمَيْنِ فِضَّةٍ ، وَفَارَقَهَا مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ لَيْلًا فِي نَفَرٍ يَسِيرٍ إِلَى سَارِيَةٍ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ رَافِعٌ عَسْكَرًا ، فَتَحَارَبَا ، وَسَارَ مُحَمَّدٌ عَنْ سَارِيَةَ ، وَعَنْ طَبَرِسْتَانَ ، وَذَلِكَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَاسْتَأْمَنَ رُسْتُمُ بْنُ قَارِنَ إِلَى رَافِعٍ بِطَبَرِسْتَانَ ، فَصَاهَرَهُ ابْنُ قُولَهْ. |
| وَقِدَمَ عَلَى رَافِعٍ ، وَهُوَ بِطَبَرِسْتَانَ عَلِيُّ بْنُ اللَّيْثِ ، وَكَانَ قَدْ حَبَسَهُ أَخُوهُ عَمْرٌو بِكَرْمَانَ ، فَاحْتَالَ حَتَّى تَخَلَّصَ هُوَ وَابْنَاهُ الْمُعَدَّلُ وَاللَّيْثُ ، وَأَنْفَذَ رَافِعٌ إِلَى شَالُوسَ مُحَمَّدَ بْنَ هَارُونَ نَائِبًا عَنْهُ ، فَأَتَاهُ بِهَا عَلِيُّ بْنُ كَالِي مُسْتَأْمِنًا ، فَأَتَاهُمَا مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ ، وَحَصَرَهُمَا بِشَالُوسَ ، وَأَخَذَ الطَّرِيقَ عَلَيْهِمَا ، فَلَمْ يَصِلْ مِنْهُمَا إِلَى رَافِعٍ خَبَرٌ ، فَلَمَّا تَأَخَّرَ خَبَرُهُمَا عَنْهُ أَرْسَلَ جَاسُوسًا يَأْتِيهِ بِأَخْبَارِهِمَا ، فَعَادَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ بِحَصْرِ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ إِيَّاهُمَا بِشَالُوسَ ، فَعَظُمَ عَلَيْهِ ، وَسَارَ إِلَيْهِمَا ، فَرَحَلَ عَنْهُمَا مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ إِلَى أَرْضِ الدَّيْلَمِ ، فَدَخَلَ رَافِعٌ خَلْفَهُ أَرْضَ الدَّيْلَمِ فَخَرَقَهَا حَتَّى اتَّصَلَ بِحُدُودِ قَزْوِينَ ، وَعَادَ إِلَى الرَّيِّ ، وَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ الْمُوَفَّقُ فِي رَجَبٍ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ. |
| ذِكْرُ وَفَاةِ الْمُنْذِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأُمَوِيِّ وَفِيهَا فِي الْمُحَرَّمِ تُوُفِّيَ الْمُنْذِرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ الْأُمَوِيُّ ، صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ ، وَقِيلَ فِي صَفَرٍ ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ سَنَةً وَاحِدَةً وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا وَعَشَرَةَ أَيَّامٍ ، وَكَانَ عُمْرُهُ نَحْوًا مِنْ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً. |
| وَكَانَ أَسْمَرَ طَوِيلًا بِوَجْهِهِ أَثَرُ جُدَرِيٍّ ، جَعْدًا كَثَّ اللِّحْيَةِ ، وَخَلَّفَ سِتَّةَ ذُكُورٍ ، وَكَانَ جَوَادًا يَصِلُ الشُّعَرَاءَ وَيُحِبُّ الشِّعْرَ. |
| وَلَمَّا تُوُفِّيَ بُويِعَ أَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ ، بُويِعَ لَهُ يَوْمَ مَوْتِ أَخِيهِ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ ، أُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ اسْمُهَا عِشَارُ تُوُفِّيَتْ قَبْلَ ابْنِهَا بِسَنَةٍ ، وَفِي أَيَّامِهِ امْتَلَأَتِ الْأَنْدَلُسُ بِالْفِتَنِ ، وَصَارَ فِي كُلِّ جِهَةٍ مُتَغَلِّبٌ ، وَلَمْ تَزَلْ كَذَلِكَ طُولُ وِلَايَتِهِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحَجَّاجِ الْمَرْوَرُّوذِيُّ ، وَهُوَ صَاحِبُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ. |
| وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ الْعَطَّارُ الْمَوْصِلِيُّ التَّمِيمِيُّ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْحَدِيثِ وَالرِّوَايَةِ ، وَكَانَ مُعَدَّلًا عِنْدَ الْحُكَّامِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو سَعِيدٍ الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السُّكَّرِيُّ النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ الْمَشْهُورُ ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ. |
| وَقِيلَ تُوُفِّيَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ جُعِلَتْ شُرْطَةُ بَغْدَاذَ إِلَى عُمَرَ بْنِ اللَّيْثِ ، وَكُتِبَ اسْمُهُ عَلَى الْأَعْلَامِ ، وَالتِّرَسَةِ وَغَيْرِهَا ، وَكَانَ فِي شَوَّالٍ. |
| ثُمَّ تَرَتَّبَ فِي الشُّرَطَةِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ مِنْ قِبَلِ عَمْرٍو ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِطَرْحِ اسْمِ عَمْرٍو عَنِ الْأَعْلَامِ ، وَغَيْرِهَا فِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ. |
| وَفِيهَا فِي مُنْتَصَفِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، سَارَ الْمُوَفَّقُ إِلَى بِلَادِ الْجَبَلِ ، وَسَبَبُ مَسِيرِهِ أَنَّ الْمَاذُرَائِيَّ ، كَاتَبَ أَذْكُوتَكِينَ ، أَخْبَرَهُ أَنَّ لَهُ هُنَاكَ مَالًا عَظِيمًا ، وَأَنَّهُ إِنْ سَارَ مَعَهُ أَخَذَهُ جَمِيعَهُ ، فَسَارَ إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَجِدِ الْمَالَ ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ شَيْئًا سَارَ إِلَى الْكَرْجِ ، ثُمَّ إِلَى أَصْبَهَانَ يُرِيدُ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي دُلَفَ ، فَتَنَحَّى أَحْمَدُ عَنِ الْبَلَدِ بِجَيْشِهِ وَعِيَالِهِ ، وَتَرَكَ دَارَهُ بِفَرْشِهَا لِيَنْزِلِهَا الْمُوَفَّقُ إِذَا قَدِمَ. |
| وَفِيهَا اسْتَعْمَلَ الْمُوَفَّقُ بِاللَّهِ عَلَى أَذْرَبِيجَانَ ابْنَ أَبِي السَّاجِ ، فَسَارَ إِلَيْهَا ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ الْهَمْدَانِيُّ ، صَاحِبُ مَرَاغَةَ ، لِيُصْدِرَهُ عَنْهَا ، فَحَارَبَهُ ، فَانْهَزَمَ عَبْدُ اللَّهِ وَحُصِرَ ، وَأُخِذَتْ مِنْهُ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، كَمَا نَذْكُرُهُ ، وَاسْتَقَرَّ ابْنُ أَبِي السَّاجِ لِعَمَلِهِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ حَمَّادِ بْنِ يَزِيدَ الْقَاضِي. |
| وَفِيهَا قَتَلَ عَامِلُ الْمَوْصِلِ لِابْنِ كُنْدَاجَ إِنْسَانًا مِنَ الْخَوَارِجِ اسْمُهُ نُعَيْمٌ ، فَسَمِعَ هَارُونُ مُقَدَّمُ الْخَوَارِجِ بِذَلِكَ وَهُوَ بِحَدِيثَةِ الْمَوْصِلِ ، فَجَمَعَ أَصْحَابَهُ وَسَارَ إِلَى الْمَوْصِلِ يُرِيدُ حَرْبَ أَهْلِهَا ، فَنَزَلَ شَرْقِيَّ دِجْلَةَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَعْيَانُهُمْ وَمُقَدَّمُوهُمْ يَسْأَلُونَهُ مَا الَّذِي أَقْدَمَهُ ؟ |
| فَذَكَرَ قَتْلَ نُعَيْمٍ ، فَقَالُوا إِنَّمَا قَتَلَهُ عَامِلُ السُّلْطَانِ مِنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ مِنَّا ، وَطَلَبُوا مِنْهُ الْأَمَانَ لِيَحْضُرُوا عِنْدَهُ يَعْتَذِرُونَ ، وَيَتَبَرَّءُونَ مِنْ قَتْلِهِ ، فَأَمَّنَهُمْ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَوْصِلِ ، وَأَعْيَانِهِمْ ، وَتَبَرَّءُوا مِنْ قَتْلِهِ ، فَرَحَلَ عَنْهُمْ. |
| وَفِيهَا عَادَ حُجَّاجُ الْيَمَنِ عَنْ مَكَّةَ ، فَنَزَلُوا وَادِيًا ، فَأَتَاهُمُ السَّيْلُ فَحَمَلَهُمْ جَمِيعَهُمْ ، وَأَلْقَاهُمْ فِي الْبَحْرِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو قِلَابَةَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّقَاشِيُّ الْبَصْرِيُّ ، وَكَانَ يَسْكُنُ بَغْدَاذَ. |
| وَفِيهَا وَرَدَ الْخَبَرُ بِانْفِرَاجِ تَلٍّ مِنْ نَهْرِ الصِّلَّةِ ، يُعْرَفُ بِتَلِّ بَنِي شَقِيقٍ ، عَنْ سَبْعَةِ أَقْبُرٍ فِيهَا سَبْعَةُ أَبْدَانٍ صَحِيحَةٍ ، وَالْقُبُورُ فِي شِبْهِ الْحَوْضِ مِنْ حَجَرٍ فِي لَوْنِ الْمِسَنِّ ، عَلَيْهِ كِتَابٌ لَا يُدْرَى مَا هُوَ ، وَعَلَيْهِمْ أَكْفَانٌ جُدُدٌ وَيَفُوحُ مِنْهَا رِيحُ الْمِسْكِ ، أَحَدُهُمْ شَابٌّ لَهُ جُمَّةٌ ، وَعَلَى شَفَتَيْهِ بَلَلٌ كَأَنَّهُ قَدْ شَرِبَ مَاءً وَكَأَنَّهُ قَدْ كُحِلَ ، وَبِهِ ضَرْبَةٌ فِي خَاصِرَتِهِ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْهَاشِمِيُّ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو مُحَمَّدِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ ، صَاحِبُ كِتَابِ" أَدَبِ الْكَاتِبِ "، وَكِتَابِ" الْمَعَارِفِ "، وَهُوَ كُوفِيٌّ ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ الدِّينَوَرِيُّ لِأَنَّهُ كَانَ قَاضِيَهَا. |
| وَقِيلَ مَاتَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ . |
| وَأَبُو سَعِيدٍ الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْيَشْكُرِيُّ النَّحْوِيُّ الرَّاوِيَةُ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ أَبُو جَعْفَرٍ الْقَصَّابُ الصُّوفِيُّ ، وَهُوَ مِنْ أَقْرَانِ السَّرِيِّ ، وَصَحِبَهُ الْجُنَيْدُ كَثِيرًا. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ دَعَا يَازْمَانُ بِطَرَسُوسَ لِخُمَارَوَيْهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ خُمَارَوَيْهِ أَنْفَذَ إِلَيْهِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَخَمْسَمِائَةِ ثَوْبٍ ، وَخَمْسَمِائَةِ مِطْرَفٍ ، وَسِلَاحًا كَثِيرًا ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ دَعَا لَهُ ، ثُمَّ وَجَّهَ إِلَيْهِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ. |
| وَفِيهَا ، فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ كَانَ بَيْنَ وَصِيفٍ خَادِمِ ابْنِ أَبِي السَّاجِّ ، وَالْبَرَابِرَةِ أَصْحَابِ أَبِي الصَّقْرِ فِتْنَةٌ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَقُتِلَ بَيْنَهُمْ جَمَاعَةٌ ، كَانَ ذَلِكَ بِبَابِ الشَّامِ ، فَرَكِبَ أَبُو الصَّقْرِ فَفَرَّقَهُمْ. |
| وَفِيهَا وَلِيَ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ الْمَظَالِمَ ، وَأَمَرَ مَنْ يُنَادِي مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ قِبَلَ الْأَمِيرِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ الْمُوَفَّقِ ، أَوْ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ ، فَلْيَحْضُرْ. |
| وَفِيهَا ، فِي شَعْبَانَ قَدِمَ بَغْدَاذَ قَائِدٌ عَظِيمٌ مِنْ قُوَّادِ خُمَارَوَيْهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى الْهَاشِمِيُّ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْمُثَنَّى الْمَوْصِلِيُّ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْحَدِيثِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ ، وَاسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ الْمُنْذِرِ ، وَهُوَ مِنْ أَقْرَانِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ. |
| وَمَاتَ فِيهَا يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ بْنِ جَوَّانَ الْفَسَوِيُّ ، وَكَانَ يَتَشَيَّعُ. |
| وَيَعْقُوبُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ مَعْقِلٍ الْأُمَوِيُّ ، وَالِدُ أَبِي الْعَبَّاسِ الْأَصَمِّ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَتْ عَرِيبُ الْمُغَنِّيَةُ الْمَأْمُونِيَّةُ ، وَقِيلَ إِنَّهَا ابْنَةُ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكَ ، وَكَانَ مَوْلِدُهَا سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَرَّازُ ، وَاسْمُهُ أَحْمَدُ بْنُ عِيسَى ، وَقِيلَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَالْأَوَّلُ أَشْبَهَ بِالصَّوَابِ. |
| الْخَرَّازُ بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَالرَّاءِ وَالزَّايِ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ الْفِتْنَةِ بِبَغْدَاذَ فِيهَا كَانَتِ الْحَرْبُ بِبَغْدَاذَ بَيْنَ أَصْحَابِ وَصِيفٍ الْخَادِمِ ، وَالْبَرْبَرِ ، وَأَصْحَابِ مُوسَى ابْنِ أُخْتِ مُفْلِحٍ ، أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ مِنَ الْمُحَرَّمِ ، ثُمَّ اصْطَلَحُوا ، وَقَدْ قُتِلَ بَيْنَهُمْ جَمَاعَةٌ ، ثُمَّ وَقَعَ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ وَقْعَةٌ بَيْنَ أَصْحَابِ يُونُسَ قُتِلَ فِيهَا رَجُلٌ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا. |
| ذِكْرُ وَفَاةِ الْمُوَفَّقِ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو أَحْمَدَ الْمُوَفَّقُ بِاللَّهِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ ، وَكَانَ قَدْ مَرِضَ فِي بِلَادِ الْجَبَلِ ، فَانْصَرَفَ وَقَدِ اشْتَدَّ بِهِ وَجَعُ النَّقْرَسِ ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الرُّكُوبِ ، فَعُمِلَ لَهُ سَرِيرٌ عَلَيْهِ قُبَّةٌ ، فَكَانَ يَقْعُدُ عَلَيْهِ هُوَ وَخَادِمٌ لَهُ يُبْرِدُ رِجْلَهُ بِالْأَشْيَاءِ الْبَارِدَةِ ، حَتَّى إِنَّهُ يَضَعُ عَلَيْهَا الثَّلْجَ ، ثُمَّ صَارَتْ عِلَّةٌ بِرِجْلِهِ ، دَاءُ الْفِيلِ ، وَهُوَ وَرَمٌ عَظِيمٌ يَكُونُ فِي السَّاقِ ، يَسِيلُ مِنْهُ مَاءٌ. |
| وَكَانَ يَحْمِلُ سَرِيرَهُ أَرْبَعُونَ رَجُلًا بِالنُّوبَةِ ، فَقَالَ لَهُمْ يَوْمًا قَدْ ضَجِرْتُمْ مِنْ حَمْلِي ، بِوُدِّي أَنْ أَكُونَ كَوَاحِدٍ مِنْكُمْ أَحْمِلُ عَلَى رَأْسِي ، وَآكُلُ ، وَأَنَا فِي عَافِيَةٍ. |
| وَقَالَ فِي مَرَضِهِ أَطْبَقَ دِيوَانِي عَلَى مِائَةِ أَلْفِ مُرْتَزِقٍ ، مَا أَصْبَحَ فِيهِمْ أَسْوَأُ حَالًا مِنِّي ، فَوَصَلَ إِلَى دَارِهِ لِلَيْلَتَيْنِ خَلَتَا مِنْ صَفَرٍ. |
| وَشَاعَ مَوْتُهُ بَعْدَ انْصِرَافِ أَبِي الصَّقْرِ مِنْ دَارِهِ ، وَكَانَ تَقَدَّمَ بِحِفْظِ أَبِي الْعَبَّاسِ ، فَأُغْلِقَتْ عَلَيْهِ أَبْوَابٌ دُونَ أَبْوَابٍ ، وَقَوِيَ الْإِرْجَافُ بِمَوْتِهِ ، وَكَانَ قَدِ اعْتَرَتْهُ غَشْيَةٌ ، فَوَجَّهَ أَبُو الصَّقْرِ إِلَى الْمَدَائِنِ ، فَحَمَلَ مِنْهَا الْمُعْتَمِدَ وَأَوْلَادَهُ ، فَجِيءَ بِهِمْ إِلَى دَارِهِ ، وَلَمْ يَسِرْ أَبُو الصَّقْرِ إِلَى دَارِ الْمُوَفَّقِ. |
| فَلَمَّا رَأَى غِلْمَانُ الْمُوَفَّقِ الْمَائِلُونَ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ وَالرُّؤَسَاءُ مِنْ غِلْمَانِ أَبِي الْعَبَّاسِ مَا نَزَلَ بِالْمُوَفَّقِ ، كَسَرُوا الْأَقْفَالَ ، وَالْأَبْوَابَ الْمُغْلَقَةَ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ ، فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو الْعَبَّاسِ ذَلِكَ ظَنَّ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ قَتْلَهُ ، وَأَخَذَ سَيْفَهُ بِيَدِهِ ، وَقَالَ لِغُلَامٍ عِنْدَهُ وَاللَّهِ لَا يَصِلُونَ إِلَيَّ وَفِي شَيْءٍ مِنَ الرُّوحِ! |
| فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِ رَأَى فِي أَوَّلِهِمْ غُلَامَهُ وَصِيفًا مُوشْكِيرَ ، فَلَمَّا رَآهُ أَلْقَى السَّيْفَ مِنْ يَدِهِ ، وَعَلِمَ أَنَّهُمْ مَا يُرِيدُونَ إِلَّا الْخَيْرَ ، فَأَخْرَجُوهُ ، وَأَقْعَدُوهُ عِنْدَ أَبِيهِ ، فَلَمَّا فَتَحَ عَيْنَهُ رَآهُ ، فَقَرَّبَهُ وَأَدْنَاهُ إِلَيْهِ. |
| وَجَمَعَ أَبُو الصَّقْرِ عِنْدَ الْقُوَّادِ وَالْجُنْدِ ، وَقَطَعَ الْجِسْرَيْنِ ، وَحَارَبَهُ قَوْمٌ مِنَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ، فَقَتَلَ بَيْنَهُمْ قَتْلَى ، فَلَمَّا بَلَغَ النَّاسُ أَنَّ الْمُوَفَّقَ حَيٌّ حَضَرَ عِنْدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي السَّاجِ ، وَفَارَقَ أَبَا الصَّقْرِ ، وَتَسَلَّلَ الْقُوَّادُ ، وَالنَّاسُ عَنْ أَبِي الصَّقْرِ ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو الصَّقْرِ ذَلِكَ حَضَرَ هُوَ وَابْنُهُ دَارَ الْمُوَفَّقِ ، فَلَمَّا قَالَ لَهُ الْمُوَفَّقُ شَيْئًا مِمَّا جَرَى ، فَأَقَامَ فِي دَارِ الْمُوَفَّقِ ، فَلَمَّا رَأَى الْمُعْتَمِدُ أَنَّهُ بَقِيَ فِي الدَّارِ نَزَلَ هُوَ وَبَنُوهُ وَبَكْتِمُرُ ، فَرَكِبُوا زَوْرَقًا ، فَلَقِيَهُمْ طَيَّارٌ لِأَبِي لَيْلَى بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي دُلَفَ ، فَحَمَلَهُ فِيهِ إِلَى دَارِ عَلِيِّ بْنِ جِهْشِيَارَ. |
| وَذَكَرَ أَعْدَاءُ أَبِي الصَّقْرِ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَى الْمُعْتَمِدِ بِمَالِ الْمُوَفَّقِ ، وَأَسْبَابِهِ ، وَأَشَاعُوا ذَلِكَ عَنْهُ عِنْدَ أَصْحَابِ الْمُوَفَّقِ ، فَنُهِبَتْ دَارُ أَبِي الصَّقْرِ ، حَتَّى أُخْرِجَتْ نِسَاؤُهُ مِنْهَا حُفَاةً بِغَيْرِ أُزُرٍ ، وَنُهِبَ مَا يُجَاوِرُهَا مِنَ الدُّورِ ، وَكُسِرَتْ أَبْوَابُ السِّجْنِ ، وَخَرَجَ مَنْ كَانَ فِيهَا. |
| وَخَلَعَ الْمُوَفَّقُ عَلَى ابْنِهِ أَبِي الْعَبَّاسِ ، وَعَلَى أَبِي الصَّقْرِ ، وَرَكِبَا جَمِيعًا ، فَمَضَى أَبُو الْعَبَّاسِ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَأَبُو الصَّقْرِ إِلَى مَنْزِلِهِ وَقَدْ نُهِبَ ، فَطَلَبَ حَصِيرَةً يَقْعُدُ عَلَيْهَا عَارِيَةً ، فَوَلَّى أَبُو الْعَبَّاسِ غُلَامَهُ بَدْرًا الشُّرْطَةَ ، وَاسْتَخْلَفَ مُحَمَّدَ بْنَ غَانِمِ بْنِ الشَّاهْ عَلَى الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ. |
| وَمَاتَ الْمُوَفَّقُ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَدُفِنَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ بِالرُّصَافَةِ ، وَجَلَسَ أَبُو الْعَبَّاسِ لِلتَّعْزِيَةِ. |
| وَكَانَ الْمُوَفَّقُ عَادِلًا ، حَسَنَ السِّيرَةِ ، يَجْلِسُ لِلْمَظَالِمِ ، وَعِنْدَهُ الْقُضَاةُ ، وَغَيْرُهُمْ ، فَيَنْتَصِفُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، وَكَانَ عَالِمًا بِالْأَدَبِ ، وَالنَّسَبِ ، وَالْفِقْهِ ، وَسِيَاسَةِ الْمُلْكِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، قَالَ يَوْمًا إِنَّ جَدِّي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْعَبَّاسِ قَالَ إِنَّ الذُّبَابَ لِيَقَعُ عَلَى جَلِيسِي فَيُؤْذِينِي ذَلِكَ ، وَهَذَا نِهَايَةُ الْكَرَمِ ، وَأَنَا وَاللَّهِ أَرَى جُلَسَائِي بِالْعَيْنِ الَّتِي أَرَى بِهَا إِخْوَانِي ، وَاللَّهِ لَوْ تَهَيَّأَ لِي أَنْ أُغَيِّرَ أَسْمَاءَهُمْ لَنَقَلْتُهَا مِنَ الْجُلَسَاءِ إِلَى الْأَصْدِقَاءِ وَالْإِخْوَانِ. |
| وَقَالَ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ دَعَا الْمُوَفَّقُ يَوْمًا جُلَسَاءَهُ ، فَسَبَقْتُهُمْ وَحْدِي ، فَلَمَّا رَآنِي وَحْدِي أَنْشَدَ يَقُولُ وَأَسْتَصْحِبُ الْأَصْحَابَ حَتَّى إِذَا دَنَوْا... |
| وَمَلُّوا مِنَ الْإِدْلَاجِ جِئْتُكُمُ وَحْدِي فَدَعَوْتُ لَهُ ، وَاسْتَحْسَنْتُ إِنْشَادَهُ فِي مَوْضِعِهِ ، وَلَهُ مَحَاسِنُ كَثِيرَةٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُ ذِكْرِهَا. |
| ذِكْرُ الْبَيْعَةِ لِلْمُعْتَضِدِ بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ لَمَّا مَاتَ الْمُوَفَّقُ اجْتَمَعَ الْقُوَّادُ وَبَايَعُوا ابْنَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ بَعْدَ الْمُفَوِّضِ ابْنِ الْمُعْتَمِدِ ، وَلُقِّبَ الْمُعْتَضِدَ بِاللَّهِ ، وَخُطِبَ لَهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الْمُفَوِّضِ ، وَذَلِكَ لِسَبْعِ لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ صَفَرٍ ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ أَبِيهِ ، وَتَوَلَّى مَا كَانَ أَبُوهُ يَتَوَلَّاهُ. |
| وَفِيهَا قَبَضَ الْمُعْتَمِدُ عَلَى أَبِي الصَّقْرِ وَأَصْحَابِهِ ، وَانْتَهَبَ مَنَازِلَهُمْ ، وَطَلَبَ بَنِي الْفُرَاتِ فَاخْتَفَوْا. |
| وَخَلَعَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ ، وَوَلَّاهُ الْوِزَارَةَ. |
| وَسَيَّرَ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي السَّاجِ إِلَى وَاسِطَ لِيَرُدَّ غُلَامَهُ وَصِيفًا إِلَى بَغْدَاذَ ، فَمَضَى وَصِيفٌ إِلَى السُّوسِ فَعَاثَ بِهَا وَنَهَبَ الطِّيبَ ، وَأَبَى الرُّجُوعَ إِلَى بَغْدَاذَ. |
| وَفِيهَا قُتِلَ عَلِيُّ بْنُ اللَّيْثِ أَخُو الصَّفَّارِ ، قَتَلَهُ رَافِعُ بْنُ هَرْثَمَةَ ، وَكَانَ قَدْ يَحْنِقُ بِهِ ، وَتَرَكَ أَخَاهُ. |
| وَفِيهَا غَارَ مَاءُ النِّيلِ ، فَغَلَتِ الْأَسْعَارُ بِمِصْرَ. |
| ذِكْرُ ابْتِدَاءِ أَمْرِ الْقَرَامِطَةِ وَفِيهَا تَحَرَّكَ بِسَوَادِ الْكُوفَةِ قَوْمٌ يُعْرَفُونَ بِالْقَرَامِطَةِ ، وَكَانَ ابْتِدَاءُ أَمْرِهِمْ ، فِيمَا ذُكِرَ ، أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ قَدِمَ نَاحِيَةً خُوزِسْتَانَ إِلَى سَوَادِ الْكُوفَةِ ، فَكَانَ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ النَّهْرَيْنِ ، يُظْهِرُ الزُّهْدَ ، وَالتَّقَشُّفَ ، وَيَسِفُّ الْخُوصَ ، وَيَأْكُلُ مِنْ كَسْبِ يَدِهِ ، وَيُكْثِرُ الصَّلَاةَ ، فَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ مُدَّةً ، فَكَانَ إِذَا قَعَدَ إِلَيْهِ رَجُلٌ ذَاكَرَهُ أَمْرَ الدِّينِ ، وَزَهَّدَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ عَلَى النَّاسِ خَمْسُونَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، حَتَّى فَشَا ذَلِكَ عَنْهُ بِمَوْضِعِهِ ، ثُمَّ أَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ يَدْعُو إِلَى إِمَامٍ مِنْ آلِ بَيْتِ الرَّسُولِ ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى اسْتَجَابَ لَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ. |
| وَكَانَ يَقْعُدُ إِلَى بَقَّالٍ هُنَاكَ. |
| فَجَاءَ قَوْمٌ إِلَى الْبَقَّالِ يَطْلُبُونَ مِنْهُ رَجُلًا يَحْفَظُ عَلَيْهِمْ مَا صَرُمُوا مِنْ نَخْلِهِمْ ، فَدَلَّهُمْ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُمْ إِنْ أَجَابَكُمْ إِلَى حِفْظِ تَمْرِكُمْ فَإِنَّهُ بِحَيْثُ تُحِبُّونَ ، فَكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ ، فَأَجَابَهُمْ عَلَى أُجْرَةٍ مَعْلُومَةٍ ، فَكَانَ يَحْفَظُ لَهُمْ ، وَيُصَلِّي أَكْثَرَ نَهَارِهِ ، وَيَصُومُ ، وَيَأْخُذُ عِنْدَ إِفْطَارِهِ مِنَ الْبَقَّالِ رِطْلَ تَمْرٍ فَيُفْطِرُ عَلَيْهِ ، وَيَجْمَعُ نَوَى ذَلِكَ التَّمْرِ وَيُعْطِيهِ الْبَقَّالَ ، فَلَمَّا حَمَلَ التُّجَّارُ تَمْرَهُمْ حَاسَبُوا أَجِيرَهُمْ عِنْدَ الْبَقَّالِ ، وَدَفَعُوا إِلَيْهِ أُجْرَتَهُ ، وَحَاسَبَ الْأَجِيرُ الْبَقَّالَ عَلَى مَا أَخَذَ مِنْهُ مِنَ التَّمْرِ ، وَحَطَّ ثَمَنَ النَّوَى ، فَسَمِعَ أَصْحَابُ التَّمْرِ مُحَاسَبَتَهُ لِلْبَقَّالِ بِثَمَنِ النَّوَى فَضَرَبُوهُ ، وَقَالُوا لَهُ أَلَمْ تَرْضَ بِأَكْلِ تَمْرِنَا ، حَتَّى بِعْتَ النَّوَى ؟ |
| فَقَالَ لَهُمُ الْبَقَّالُ لَا تَفْعَلُوا! |
| وَقَصَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ ، فَنَدِمُوا عَلَى ضَرْبِهِ ، وَاسْتَحْلَوْا مِنْهُ مَا فَعَلَ ، وَازْدَادَ بِذَلِكَ عِنْدَ أَهْلِ الْقَرْيَةِ لِمَا وَقَفُوا عَلَيْهِ مِنْ زُهْدِهِ. |
| ثُمَّ مَرِضَ ، فَمَكَثَ عَلَى الطَّرِيقِ مَطْرُوحًا ، وَكَانَ فِي الْقَرْيَةِ رَجُلٌ أَحْمَرُ الْعَيْنَيْنِ ، يَحْمِلُ عَلَى أَثِوَارٍ لَهُ ، يُسَمُّونَهُ كَرْمِيتَةَ لِحُمْرَةِ عَيْنَيْهِ ، وَهُوَ بِالنَّبَطِيَّةِ أَحْمَرُ الْعَيْنِ ، فَكَلَّمَ الْبَقَّالُ الْكَرْمِيتَةَ فِي حَمْلِ الْمَرِيضِ إِلَى مَنْزِلِهِ وَالْعِنَايَةِ بِهِ ، فَفَعَلَ ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ حَتَّى بَرَأَ ، وَدَعَا أَهْلُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ إِلَى مَذْهَبِهِ ، فَأَجَابُوهُ ، وَكَانَ يَأْخُذُ مِنَ الرَّجُلِ إِذَا أَجَابَهُ دِينَارًا ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ لِلْإِمَامِ ، وَاتَّخَذَ مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا أَمَرَهُمْ أَنْ يَدْعُوا النَّاسَ إِلَى مَذْهَبِهِمْ ، وَقَالَ أَنْتُمْ كَحَوَارِيِّي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، فَاشْتَغَلَ أَهْلُ كُوَرِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ بِمَا رَسَمَ لَهُمْ مِنَ الصَّلَوَاتِ. |
| كَانَ لِلْهَيْصَمِ فِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ ضِيَاعٌ ، فَرَأَى تَقْصِيرَ الْأُكْرَةِ فِي عِمَارَتِهَا ، فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ ، فَأُخْبِرَ بِخَبَرِ الرَّجُلِ ، فَأَخَذَهُ ، وَحَبَسَهُ ، وَحَلَفَ أَنْ يَقْتُلَهُ لَمَّا اطَّلَعَ عَلَى مَذْهَبِهِ ، وَأَغْلَقَ بَابَ الْبَيْتِ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ مِفْتَاحَ الْبَيْتِ تَحْتَ وِسَادَتِهِ ، وَاشْتَغَلَ بِالشُّرْبِ ، فَسَمِعَ بَعْضُ مَنْ فِي الدَّارِ مِنَ الْجَوَارِي بِمَسَاءَتِهِ ، فَرَقَّتْ لِلرَّجُلِ ، فَلَمَّا نَامَ الْهَيْصَمُ أَخَذَتِ الْمِفْتَاحَ ، وَفَتَحَتِ الْبَابَ وَأَخْرَجَتْهُ ، ثُمَّ أَعَادَتِ الْمِفْتَاحَ إِلَى مَكَانِهِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ الْهَيْصَمُ فَتَحَ الْبَابَ لِيَقْتُلَهُ فَلَمْ يَجِدْهُ. |
| وَشَاعَ ذَلِكَ فِي النَّاسِ ، فَافْتَتَنَ أَهْلُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، وَقَالُوا رُفِعَ ، ثُمَّ ظَهَرَ فِي نَاحِيَةٍ أُخْرَى ، وَلَقِيَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ وَغَيْرِهِمْ ، وَسَأَلُوهُ عَنْ قِصَّتِهِ ، فَقَالَ لَا يُمْكِنُ أَحَدًا أَنْ يَنَالَنِي بِسُوءٍ! |
| فَعَظُمَ فِي أَعْيُنِهِمْ ، ثُمَّ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ ، فَخَرَجَ إِلَى نَاحِيَةِ الشَّامِ ، فَلَمْ يُوقَفْ لَهُ عَلَى خَبَرٍ ، وَسُمِّيَ بِاسْمِ الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ فِي دَارِهِ كَرْمِيتَةَ صَاحِبِ الْأَثْوَارِ ، ثُمَّ خُفِّفَ فَقِيلَ قَرْمَطُ ، هَكَذَا ذَكَرَهُ بَعْضُ أَصْحَابِ زِكْرَوَيْهِ عَنْهُ. |
| وَقِيلَ إِنَّ قَرْمَطَ لَقَبُ رَجُلٍ كَانَ بِسَوَادِ الْكُوفَةِ يَحْمِلُ غَلَّةَ السَّوَادِ عَلَى أَثْوَارٍ لَهُ ، وَاسْمُهُ حَمْدَانُ ، ثُمَّ فَشَا مَذْهَبُ الْقَرَامِطَةِ بِسَوَادِ الْكُوفَةِ. |
| وَوَقَفَ الطَّائِيُّ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلَى أَمْرِهِمْ ، فَجَعَلَ عَلَى الرَّجُلِ مِنْهُمْ فِي السَّنَةِ دِينَارًا ، فَقَدِمَ قَوْمٌ مِنَ الْكُوفَةِ ، فَرَفَعُوا أَمْرَ الْقَرَامِطَةِ ، وَالطَّائِيِّ إِلَى السُّلْطَانِ ، وَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ قَدْ أَحْدَثُوا دِينًا غَيْرَ دِينِ الْإِسْلَامِ ، وَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ السَّيْفَ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَّا مَنْ بَايَعَهُمْ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَسْمَعْ قَوْلَهُمْ. |
| وَكَانَ فِيمَا حُكِيَ عَنِ الْقَرَامِطَةِ مِنْ مَذْهَبِهِمْ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِكِتَابٍ فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ! |
| يَقُولُ الْفَرَجُ بْنُ عُثْمَانَ ، وَهُوَ مِنْ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا نَصْرَانَةُ ، دَاعِيَةُ الْمَسِيحِ ، وَهُوَ عِيسَى ، وَهُوَ الْكَلِمَةُ ، وَهُوَ الْمَهْدِيُّ ، وَهُوَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ ، وَهُوَ جِبْرِيلُ ، وَذَكَرَ أَنَّ الْمَسِيحَ تَصَوَّرَ لَهُ فِي جِسْمِ إِنْسَانٍ ، وَقَالَ لَهُ إِنَّكَ الدَّاعِيَةُ ، وَإِنَّكَ الْحُجَّةُ ، وَإِنَّكَ النَّاقَةُ ، وَإِنَّكَ الدَّابَّةُ ، وَإِنَّكَ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّاءَ ، وَإِنَّكَ رُوحُ الْقُدُسِ. |
| وَعَرَّفَهُ أَنَّ الصَّلَاةَ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ رَكْعَتَانِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَرَكْعَتَانِ بَعْدَ غُرُوبِهَا ، وَأَنَّ الْأَذَانَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ يَقُولَ الْمُؤَذِّنُ اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مَرَّتَيْنِ ، أَشْهَدُ أَنَّ آدَمَ رَسُولُ اللَّهِ ، أَشْهَدُ أَنَّ نُوحًا رَسُولُ اللَّهِ ، أَشْهَدُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ رَسُولُ اللَّهِ ، أَشْهَدُ أَنَّ مُوسَى رَسُولُ اللَّهِ ، أَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى رَسُولُ اللَّهِ ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، أَشْهَدُ أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنْ يَقْرَأَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ الِاسْتِفْتَاحَ ، وَهِيَ مِنَ الْمُنَزَّلِ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ ، وَالْقِبْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَالْحَجَّ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَأَنَّ الْجُمُعَةَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ لَا يُعْمَلُ فِيهِ شَيْءٌ ، وَالسُّورَةَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بِكَلِمَتِهِ ، وَتَعَالَى بِاسْمِهِ ، الْمُتَّخَذِ لِأَوْلِيَائِهِ بِأَوْلِيَائِهِ. |
| يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ البقرة ، ظَاهِرُهَا لِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِينَ وَالْحِسَابُ وَالشُّهُورُ وَالْأَيَّامُ ، وَبَاطِنُهَا أَوْلِيَائِي الَّذِينَ عَرَّفُوا عِبَادِي سَبِيلِي اتَّقُونِي يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ، وَأَنَا الَّذِي لَا أُسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ ، وَأَنَا الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، وَأَنَا الَّذِي أَبْلُو عِبَادِي ، وَأَمْتَحِنُ خَلْقِي ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى بَلَائِي ، وَمِحْنَتِي ، وَاخْتِبَارِي أَلْقَيْتُهُ فِي جَنَّتِي ، وَأَخْلَدْتُهُ فِي نِعْمَتِي ، وَمَنْ زَالَ عَنْ أَمْرِي ، وَكَذَّبَ رُسُلِي أَخَذْتُهُ مُهَانًا فِي عَذَابِي ، وَأَتْمَمْتُ أَجَلِي ، وَأَظْهَرْتُ أَمْرِي عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِي. |
| وَأَنَا الَّذِي لَمْ يَعْلُ عَلَيَّ جَبَّارٌ إِلَّا وَضَعْتُهُ ، وَلَا عَزِيزٌ إِلَّا ذَلَلْتُهُ ، وَلَيْسَ الَّذِي أَصَرَّ عَلَى أَمْرِهِ ، وَدَامَ عَلَى جَهَالَتِهِ ، وَقَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ ، وَبِهِ مُوقِنِينَ ، أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ. |
| ثُمَّ يَرْكَعُ ، وَيَقُولُ فِي رُكُوعِهِ سُبْحَانَ رَبِّي رَبِّ الْعِزَّةِ ، وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُ الظَّالِمُونَ ، يَقُولُهَا مَرَّتَيْنِ ، فَإِذَا سَجَدَ قَالَ اللَّهُ أَعْلَى ، اللَّهُ أَعْلَى ، اللَّهُ أَعْظَمُ ، اللَّهُ أَعْظَمُ. |
| وَمِنْ شَرِيعَتِهِ أَنْ يَصُومَ يَوْمَيْنِ فِي السَّنَةِ ، وَهُمَا الْمِهْرَجَانُ وَالنَّيْرُوزُ ، وَأَنَّ النَّبِيذَ حَرَامٌ ، وَالْخَمْرَ حَرَامٌ ، وَلَا غُسْلَ مِنْ جَنَابَةٍ إِلَّا الْوُضُوءُ كَوُضُوءِ الصَّلَاةِ ، وَأَنَّ مَنْ حَارَبَهُ وَجَبَ قَتْلُهُ ، وَمَنْ لَمْ يُحَارِبْهُ مِمَّنْ يُخَالِفُهُ أَخَذَ مِنْهُ الْجِزْيَةَ ، وَلَا يُؤْكَلُ كُلُّ ذِي نَابٍ ، وَلَا كُلُّ ذِي مِخْلَبٍ. |
| وَكَانَ مَسِيرُ قَرْمَطَ إِلَى سَوَادِ الْكُوفَةِ قَبْلَ قَتْلِ صَاحِبِ الزِّنْجِ ، فَسَارَ قَرْمَطُ إِلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ إِنِّي عَلَى مَذْهَبٍ وَرَأْيٍ ، وَمَعِي مِائَةُ أَلْفِ ضَارِبِ سَيْفٍ ، فَتُنَاظِرُنِي ، فَإِنِ اتَّفَقْنَا عَلَى الْمَذْهَبِ مِلْتُ بِمَنْ مَعِي ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى انْصَرَفْتُ عَنْكَ ، فَتَنَاظَرَا ، فَاخْتَلَفَتْ آرَاؤُهُمَا ، فَانْصَرَفَ قَرْمَطُ عَنْهُ. |
| ذِكْرُ غَزْوِ الرُّومِ وَوَفَاةِ يَازْمَانَ فِيهَا ، فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، دَخَلَ أَحْمَدُ الْعُجَيْفِيُّ طَرَسُوسَ ، وَغَزَا مَعَ يَازْمَانَ الصَّائِفَةَ ، فَبَلَغُوا شَكَنْدَ ، فَأَصَابَتْ يَازْمَانَ شَظِيَّةٌ مِنْ حَجَرِ مَنْجَنِيقٍ فِي أَضْلَاعِهِ ، فَارْتَحَلَ عَنْهَا بَعْدَ أَنْ أَشْرَفَ عَلَى أَخْذِهَا ، فَتُوُفِّيَ فِي الطَّرِيقِ مُنْتَصَفَ رَجَبٍ ، وَحُمِلَ إِلَى طَرَسُوسَ فَدُفِنَ بِهَا. |
| وَكَانَ قَدْ أَطَاعَ خُمَارَوَيْهِ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ خَلَفَهُ ابْنُ عُجَيْفٍ ، وَكَتَبَ إِلَى خُمَارَوَيْهِ يُخْبِرُهُ بِمَوْتِهِ ، فَأَقَرَّهُ عَلَى وِلَايَةِ طَرَسُوسَ ، وَأَمَدَّهُ بِالْخَيْلِ ، وَالسِّلَاحِ ، وَالذَّخَائِرِ ، وَغَيْرِهَا ، ثُمَّ عَزَلَهُ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا ابْنَ عَمِّهِ مُحَمَّدَ بْنَ مُوسَى بْنِ طُولُونَ. |
| ذِكْرُ الْفِتْنَةِ بِطَرَسُوسَ وَفِيهَا ثَارَ النَّاسُ ، بِطَرَسُوسَ ، بِالْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى ، فَقَبَضُوا عَلَيْهِ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْمُوَفَّقَ لَمَّا تُوُفِّيَ كَانَ لَهُ خَادِمٌ مِنْ خَوَاصِّهِ يُقَالُ لَهُ رَاغِبٌ ، فَاخْتَارَ الْجِهَادَ ، فَسَارَ إِلَى طَرَسُوسَ عَلَى عَزْمِ الْمُقَامِ بِهَا ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الشَّامِ سَيَّرَ مَا مَعَهُ مِنْ دَوَابَّ ، وَآلَاتٍ ، وَخِيَامٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ إِلَى طَرَسُوسَ ، وَسَارَ هُوَ جَرِيدَةً إِلَى خُمَارَوَيْهِ لِيَزُورَهُ ، وَيُعَرِّفَهُ عَزْمَهُ ، فَلَمَّا لَقِيَهُ بِدِمَشْقَ أَكْرَمَهُ خُمَارَوَيْهِ ، وَأَحَبَّهُ ، وَأَنِسَ بِهِ ، وَاسْتَحْيَا رَاغِبٌ أَنْ يَطْلُبَ مِنْهُ الْمَسِيرَ إِلَى طَرَسُوسَ ، فَطَالَ مُقَامُهُ عِنْدَهُ ، فَظَنَّ أَصْحَابُهُ أَنَّ خُمَارَوَيْهِ قَبَضَ عَلَيْهِ ، فَأَذَاعُوا ذَلِكَ ، فَاسْتَعْظَمَهُ النَّاسُ ، وَقَالُوا يَعْمِدُ إِلَى رَجُلٍ قَصَدَ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَبَضَ عَلَيْهِ! |
| ثُمَّ شَغَبُوا عَلَى أَمِيرِهِمْ مُحَمَّدِ ابْنِ عَمِّ خُمَارَوَيْهِ ، وَقَبَضُوا عَلَيْهِ ، وَقَالُوا لَا يَزَالُ فِي الْحَبْسِ إِلَى أَنْ يُطْلِقَ ابْنُ عَمِّكَ رَاغِبًا ، وَنَهَبُوا دَارَهُ ، وَهَتَكُوا حُرَمَهُ. |
| وَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى خُمَارَوَيْهِ ، فَأَطْلَعَ رَاغِبًا عَلَيْهِ ، وَأَذِنَ لَهُ فِي الْمَسِيرِ إِلَى طَرَسُوسَ ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَيْهَا أَطْلَقَ أَهْلُهَا أَمِيرَهُمْ ، فَلَمَّا أَطْلَقُوهُ قَالَ لَهُمْ قَبَّحَ اللَّهُ جِوَارَكُمْ! |
| وَسَارَ عَنْهُمْ إِلَى الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، فَأَقَامَ بِهِ ، وَلَمَّا سَارَ عَنْ طَرَسُوسَ عَادَ الْعُجَيْفِيُّ إِلَى وِلَايَتِهَا. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا ظَهَرَ كَوْكَبٌ ذُو جُمَّةٍ ، وَصَارَتِ الْجُمَّةُ ذُؤَابَةً. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْهَاشِمِيُّ. |
| الْوَفَيَاتُ وَتُوُفِّيَ فِيهَا عَبْدُ الْكَرِيمِ الدَّيْرُعَاقُولِيُّ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ إِسْحَاقُ بْنُ كُنْدَاجَ ، وَوَلِيَ مَا كَانَ إِلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ الْمَوْصِلِ وَدِيَارِ رَبِيعَةَ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ. |
| وَتُوُفِّيَ إِدْرِيسُ بْنُ سُلَيْمٍ الْفَقْعَسِيُّ الْمَوْصِلِيُّ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْحَدِيثِ ، وَالصَّلَاحِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ خَلْعِ جَعْفَرِ بْنِ الْمُعْتَمِدِ ، وَوِلَايَةِ الْمُعْتَضِدِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي الْمُحَرَّمِ خَرَجَ الْمُعْتَمِدُ عَلَى اللَّهِ ، وَجَلَسَ لِلْقُوَّادِ ، وَالْقُضَاةِ ، وَوُجُوهِ النَّاسِ ، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ خَلَعَ ابْنَهُ الْمُفَوِّضَ إِلَى اللَّهِ جَعْفَرًا مِنْ وِلَايَةِ الْعَهْدِ ، وَجَعَلَ وِلَايَةَ الْعَهْدِ لِلْمُعْتَضِدِ بِاللَّهِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ الْمُوَفَّقِ ، وَشَهِدُوا عَلَى الْمُفَوِّضِ أَنَّهُ قَدْ تَبَرَّأَ مِنَ الْعَهْدِ ، وَاسْقَطَ اسْمَهُ مِنَ السَّكَّةِ ، وَالْخُطْبَةِ ، وَالطِّرَازِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَخُطِبَ لِلْمُعْتَضِدِ ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا. |
| فَقَالَ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ يُهَنِّئُ الْمُعْتَضِدَ لِيَهْنِكَ عَقْدٌ أَنْتَ فِيهِ الْمُقَدَّمُ... |
| حَبَاكَ بِهِ رَبٌّ بِفَضْلِكَ أَعْلَمُ فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَصْبَحْتَ وَالِيَ عَهْدِنَا... |
| فَأَنْتَ غَدًا فِينَا الْإِمَامُ الْمُعَظَّمُ وَلَا زَالَ مَنْ وَلَّاكَ فِينَا مُبَلَّغًا مُنَاهُ... |
| ، وَمَنْ عَادَاكَ يَشْجَى وَيُرْغَمُ وَكَانَ عَمُودُ الدِّينِ فِيهِ تَأَوُّدٌ... |
| فَعَادَ بِهَذَا الْعَهْدِ وَهْوَ مُقَوَّمُ وَأَصْبَحَ وَجْهُ الْمَلِكِ جَذْلَانَ ضَاحِكًا يُضِيءُ لَنَا مِنْهُ الَّذِي كَانَ يُظْلِمُ... |
| فَدُونَكَ فَاشْدُدْ عَقْدَ مَا حَوَيْتَهُ فَإِنَّكَ دُونَ النَّاسِ فِيهِ الْمُحَكَّمُ وَفِيهَا نُودِيَ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ أَنْ لَا يَقْعُدَ عَلَى الطَّرِيقِ وَلَا فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ قَاضٍ ، وَلَا مُنَجِّمٌ ، وَلَا زَاجِرٌ ، وَحَلَفَ الْوَرَّاقُونَ أَنْ لَا يَبِيعُوا كُتُبَ الْكَلَامِ وَالْجَدَلِ ، وَالْفَلْسَفَةِ. |
| وَفِيهَا قُبِضَ عَلَى جَرَادٍ كَاتِبِ أَبِي الصَّقْرِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ بُلْبُلٍ. |
| وَفِيهَا انْصَرَفَ أَبُو طَلْحَةَ مَنْصُورُ بْنُ مُسْلِمٍ مِنْ شَهْرَزَوْرَ ، وَكَانَتْ لَهُ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ. |
| ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ الْخَوَارِجِ ، وَأَهْلِ الْمَوْصِلِ ، وَالْأَعْرَابِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اجْتَمَعَتِ الْخَوَارِجُ ، وَمُقَدَّمُهُمْ هَارُونُ ، وَمَعَهُمْ مُتَطَوِّعَةُ أَهْلِ الْمَوْصِلِ ، وَغَيْرُهُمْ ، وَحَمْدَانُ بْنُ حَمْدُونَ التَّغْلِبِيُّ ، عَلَى قِتَالِ بَنِي شَيْبَانَ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ جَمْعًا كَثِيرًا مِنْ بَنِي شَيْبَانَ عَبَرُوا الزَّابَ ، وَقَصَدُوا نِينَوَى مِنْ أَعْمَالِ الْمَوْصِلِ ، لِلْإِغَارَةِ عَلَيْهَا وَعَلَى الْبَلَدِ ، فَاجْتَمَعَ هَارُونُ الشَّارِيُّ ، وَحَمْدَانُ بْنُ حَمْدُونَ ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُتَطَوِّعَةِ الْمُوَاصِلَةِ ، وَأَعْيَانِ أَهْلِهَا ، عَلَى قِتَالِهِمْ وَدَفْعِهِمْ. |
| وَكَانَ بَنُو شَيْبَانَ نَزَلُوا عَلَى بَاعْشِيقَا ، وَمَعَهُمْ هَارُونُ بْنُ سُلَيْمَانَ مَوْلَى أَحْمَدَ بْنِ عِيسَى بْنِ الشَّيْخِ الشَّيْبَانِيِّ صَاحِبِ دِيَارِ بَكْرٍ ، وَكَانَ قَدْ أَنْفَذَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ كُنْدَاجَ وَالِيًا عَلَى الْمَوْصِلِ ، فَلَمْ يُمَكِّنْهُ أَهْلُهَا مِنَ الْمُقَامِ عِنْدَهُمْ ، فَطَرَدُوهُ ، فَقَصَدَ بَنِي شَيْبَانَ مُعَاوِنًا عَلَى الْخَوَارِجِ ، وَأَهْلِ الْمَوْصِلِ ، فَالْتَقَوْا ، وَتَصَافُّوا ، وَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَتْ بَنُو شَيْبَانَ ، وَتَبِعَهُمْ حَمْدَانُ ، وَالْخَوَارِجُ ، وَمَلَكُوا بُيُوتَهُمْ ، وَاشْتَغَلُوا بِالنَّهْبِ. |
| وَكَانَ الزَّابُ لَمَّا عَبَرَهُ بَنُو شَيْبَانَ زَائِدًا ، فَلَمَّا انْهَزَمُوا عَلِمُوا أَنْ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى غَيْرُ الصَّبْرِ ، فَعَادُوا إِلَى الْقِتَالِ ، وَالنَّاسُ مَشْغُولُونَ بِالنَّهْبِ ، فَأَوْقَعُوا بِهِمْ ، وَقُتِلَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْمَوْصِلِ وَمَنْ مَعَهُمْ ، وَعَادَ الظَّفَرُ لِلْأَعْرَابِ. |
| وَكَتَبَ هَارُونُ بْنُ سِيمَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ كُنْدَاجَ يُعَرِّفُهُ أَنَّ الْبَلَدَ خَارِجٌ عَنْ يَدِهِ إِنْ لَمْ يَحْضُرْ هُوَ بِنَفْسِهِ ، فَسَارَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ يُرِيدُ الْمَوْصِلَ ، فَخَافَهُ أَهْلُهَا ، فَانْحَدَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَغْدَاذَ يَطْلُبُونَ إِرْسَالَ وَالٍ إِلَيْهِمْ ، وَإِزَالَةَ ابْنِ كُنْدَاجَ عَنْهُمْ ، فَاجْتَازُوا فِي طَرِيقِهِمْ بِالْحَدِيثَةِ ، وَبِهَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْمَجْرُوحُ يَحْفَظُ الطَّرِيقَ ، قَدْ وَلَّاهُ الْمُعْتَضِدُ ذَلِكَ ، وَقَدْ وَصَلَ إِلَيْهِ عَهْدٌ بِوِلَايَتِهِ الْمَوْصِلَ ، فَحَثُّوهُ عَلَى تَعْجِيلِ السَّيْرِ ، وَأَنْ يَسْبِقَ مُحَمَّدَ بْنَ كُنْدَاجَ إِلَيْهَا ، وَخَوَّفُوهُ مِنِ ابْنِ كُنْدَاجَ إِذَا دَخَلَ الْمَوْصِلَ قَبْلَهُ ، فَسَارَ ، فَسَبَقَ مُحَمَّدٌ إِلَيْهَا ، وَوَصَلَ مُحَمَّدُ بْنُ كُنْدَاجَ إِلَى بَلَدَ ، فَبَلَغَهُ دُخُولُ الْمَجْرُوحِ الْمَوْصِلَ ، فَنَدِمَ عَلَى التَّبَاطُؤِ وَكَتَبَ إِلَى خُمَارَوَيْهِ بْنِ طُولُونَ يُخْبِرُهُ الْخَبَرَ ، فَأَرْسَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجَصَّاصِ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ إِلَى الْمُعْتَضِدِ ، وَيَطْلُبُ أُمُورًا ، مِنْهَا إِمْرَةُ الْمَوْصِلِ كَمَا كَانَتْ لَهُ قَبْلُ ، فَلَمْ يُجَبْ إِلَى ذَلِكَ ، وَأَخْبَرَهُ كَرَاهَةَ أَهْلِ الْمَوْصِلِ مِنْ عُمَّالِهِ ، فَأَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِهَا . |
| وَبَقِيَ الْمَجْرُوحُ بِالْمَوْصِلِ يَسِيرًا ، وَعَزَلَهُ الْمُعْتَضِدُ ، وَاسْتَعْمَلَ بَعْدَهُ عَلِيَّ بْنَ دَاوُدَ بْنِ رَهْزَادَ الْكُرْدِيَّ ، فَقَالَ شَاعِرٌ يُقَالُ لَهُ الْعُجَيْنِيُّ مَا رَأَى النَّاسُ لِهَذَا ال... |
| دَّهْرِ مُذْ كَانُوا شَبِيهَا ذَلَّتِ الْمَوْصِلُ حَتَّى... |
| أُمِّرَ الْأَكْرَادُ فِيهَا الْعُجَيْنِيُّ بِالنُّونِ . |
| ذِكْرُ وَفَاةِ الْمُعْتَمِدِ وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْمُعْتَمِدُ عَلَى اللَّهِ لَيْلَةَ الِاثْنَيْنِ لِإِحْدَى عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْ رَجَبٍ بِبَغْدَاذَ ، وَكَانَ قَدْ شَرِبَ عَلَى الشَّطِّ فِي الْحَسَنِيِّ بِبَغْدَاذَ ، يَوْمَ الْأَحَدِ ، شَرَابًا كَثِيرًا ، وَتَعَشَّى فَأَكْثَرَ ، فَمَاتَ لَيْلًا ، وَأَحْضَرَ الْمُعْتَضِدُ الْقُضَاةَ وَأَعْيَانَ النَّاسِ ، فَنَظَرُوا إِلَيْهِ ، وَحُمِلَ إِلَى سَامَرَّا فَدُفِنَ بِهَا. |
| وَكَانَ عُمْرُهُ خَمْسِينَ سَنَةٍ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ ، وَكَانَ أَسَنَّ مِنَ الْمُوَفَّقِ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ. |
| وَكَانَ فِي خِلَافَتِهِ مَحْكُومًا عَلَيْهِ ، قَدْ تَحَكَّمَ عَلَيْهِ أَخُوهُ أَبُو أَحْمَدَ الْمُوَفَّقُ ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِ ، حَتَّى إِنَّهُ احْتَاجَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ ، إِلَى ثَلَاثِمِائَةِ دِينَارٍ ، فَلَمْ يَجِدْهَا ذَلِكَ الْوَقْتَ ، فَقَالَ أَلَيْسَ فِي الْعَجَائِبِ أَنَّ مِثْلِي... |
| يَرَى مَا قَلَّ مُمْتَنِعًا عَلَيْهِ وَتُؤْخَذُ بِاسْمِهِ الدُّنْيَا جَمِيعًا... |
| وَمَا مِنْ ذَاكَ شَيْءٌ فِي يَدَيْهِ إِلَيْهِ تُحْمَلُ الْأَمْوَالُ طُرًّا... |
| وَيُمْنَعُ بَعْضَ مَا يُجْبَى إِلَيْهِ وَكَانَ أَوَّلُ الْخُلَفَاءِ انْتَقَلَ مِنْ سُرَّ مَنْ رَأَى ، مُذْ بُنِيَتْ ، ثُمَّ لَمْ يَعُدْ إِلَيْهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ. |
| ذِكْرُ خِلَافَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُعْتَضِدِ وَفِي صَبِيحَةِ اللَّيْلَةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا الْمُعْتَمِدُ بُويِعَ لِأَبِي الْعَبَّاسِ الْمُعْتَضِدِ بِاللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ الْمُوَفَّقِ أَبِي طَلْحَةَ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ بِالْخِلَافَةِ ، فَوَلَّى غُلَامَهُ بَدْرًا الشُّرْطَةَ ، وَعُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ سُلَيْمَانَ الْوِزَارَةَ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ الشَّاهْ بْنِ مَالِكٍ الْحَرَسَ. |
| وَوَصَلَهُ فِي شَوَّالٍ رَسُولُ عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ وَمَعَهُ هَدَايَا كَثِيرَةٌ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يُوَلِّيَهُ خُرَاسَانَ ، فَعَقَدَ لَهُ عَلَيْهَا ، وَسَيَّرَ إِلَيْهِ الْخِلَعَ ، وَاللِّوَاءَ ، وَالْعَهْدَ ، فَنَصَبَ اللِّوَاءَ فِي دَارِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. |
| ذِكْرُ وَفَاةِ نَصْرٍ السَّامَانِيِّ وَفِيهَا مَاتَ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ السَّامَانِيُّ ، وَقَامَ بِمَا كَانَ إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ أَخُوهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ ، وَكَانَ نَصْرٌ دَيِّنًا ، عَاقِلًا ، لَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ ، مِنْهُ مَا قَالَ فِي رَافِعِ بْنِ هَرْثَمَةَ أَخُوكَ فِيكَ عَلَى خُبْرٍ وَمَعْرِفَةٍ... |
| إِنَّ الذَّلِيلَ ذَلِيلٌ حَيْثُمَا كَانَا لَوْلَا زَمَانٌ خَئُونٌ فِي تَصَرُّفِهِ... |
| وَدَوْلَةٌ ظَلَمَتْ مَا كُنْتَ إِنْسَانًا ذِكْرُ عَزْلِ رَافِعِ بْنِ هَرْثَمَةَ مِنْ خُرَاسَانَ وَقَتْلِهِ وَفِيهَا عَزَلَ الْمُعْتَضِدُ رَافِعَ بْنَ هَرْثَمَةَ عَنْ خُرَاسَانَ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْمُعْتَضِدَ كَتَبَ إِلَى رَافِعٍ بِتَخْلِيَةِ قُرَى السُّلْطَانِ بِالرَّيِّ ، فَلَمْ يَقْبَلْ ، فَأَشَارَ عَلَى رَافِعٍ أَصْحَابُهُ بِرَدِّ الْقُرَى لِئَلَّا يَفْسُدَ حَالُهُ بِكِتَابٍ ، فَلَمْ يَقْبَلْ أَيْضًا ، وَكَتَبَ الْمُعْتَضِدُ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي دُلَفَ بِأَمْرِهِ بِمُحَارَبَةِ رَافِعٍ وَإِخْرَاجِهِ عَنِ الرَّيِّ ، وَكَتَبَ إِلَى عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ بِتَوْلِيَتِهِ خُرَاسَانَ. |
| ثُمَّ إِنَّ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَقِيَ رَافِعًا فَقَاتَلَهُ ، فَانْهَزَمَ رَافِعٌ عَنِ الرَّيِّ ، وَسَارَ إِلَى جُرْجَانَ ، وَمَاتَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَعَادَ رَافِعٌ إِلَى الرَّيِّ ، فَلَاقَاهُ عَمْرٌو ، وَبَكْرٌ ابْنَا عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَ عَمْرٌو وَبَكْرٌ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَوَصَلُوا إِلَى أَصْبَهَانَ ، وَذَلِكَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ . |
| وَأَقَامَ رَافِعٌ بِالرَّيِّ بَاقِيَ سَنَتِهِ ، وَمَاتَ عَلِيُّ بْنُ اللَّيْثِ مَعَهُ فِي الرَّيِّ. |
| ثُمَّ إِنَّ عَمْرَو بْنَ اللَّيْثِ وَافَى نَيْسَابُورَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَعَلَى خُرَاسَانَ ، فَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى رَافِعٍ ، فَجَمَعَ أَصْحَابَهُ ، وَاسْتَشَارَهُمْ فِيمَا يَفْعَلُ ، وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ الْأَعْدَاءَ قَدْ أَحْدَقُوا بِنَا ، وَلَا آمَنُ أَنْ يَتَّفِقُوا عَلَيْنَا; هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ بِالدَّيْلَمِ يَنْتَظِرُ فُرْصَةً لِيَنْتَهِزَهَا; وَهَذَا عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَدْ فَعَلْتُ بِهِ مَا فَعَلْتُ ، فَهُوَ يَتَرَبَّصُ الدَّوَائِرَ; وَهَذَا عَمْرُو بْنُ اللَّيْثِ قَدْ وَافَى خُرَاسَانَ بِجُمُوعِهِ ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُصَالِحَ مُحَمَّدَ بْنَ زَيْدٍ ، وَأُعِيدَ إِلَيْهِ طَبَرِسْتَانَ ، وَأُصَالِحَ ابْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، ثُمَّ أَسِيرَ إِلَى عَمْرٍو ، فَأُخْرِجَهُ عَنْ خُرَاسَانَ ، فَوَافَقُوهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَصَالَحَهُ ، وَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ بَيْنَهُمَا فِي شَعْبَانَ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ . |
| ثُمَّ سَارَ إِلَى طَبَرِسْتَانَ ، فَوَرَدَهَا فِي شَعْبَانَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَكَانَ قَدْ أَقَامَ بِجُرْجَانَ ، فَأَحْكَمَ أُمُورَهَا ، وَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِطَبَرِسْتَانَ رَاسَلَ مُحَمَّدَ بْنِ زَيْدٍ ، وَصَالَحَهُ ، وَوَعَدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ أَنْ يُنْجِدَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ رَجُلٍ مِنْ شُجْعَانِ الدَّيْلَمِ. |
| وَخُطِبَ لِمُحَمَّدٍ بِطَبَرِسْتَانَ ، وَجُرْجَانَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ. |
| وَبَلَغَ خَبَرُ مُصَالَحَةِ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ وَرَافِعٍ إِلَى عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى مُحَمَّدٍ يُذَكِّرُهُ مَا فَعَلَ بِهِ ، وَيُحَذِّرُهُ مِنْهُ مِنْ غَدْرِهِ إِنِ اسْتَقَامَ أَمْرُهُ ، فَعَادَ عَنْ إِنْجَادِهِ بِعَسْكَرٍ. |
| فَلَمَّا قَوِيَ عَمْرٌو عَرَفَ لِمُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ ذَلِكَ ، وَخَلَّى عَلَيْهِ طَبَرِسْتَانَ; وَلَمَّا أَحْكَمَ رَافِعٌ أَمْرَ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ سَارَ إِلَى خُرَاسَانَ ، فَوَرَدَ نَيْسَابُورَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَمْرٍو حَرْبٌ شَدِيدَةٌ انْهَزَمَ فِيهَا رَافِعٌ إِلَى أَبْيُورْدَ ، وَأَخَذَ عَمْرٌو مِنْهُ الْمُعَدَّلَ ، وَاللَّيْثَ وَلَدَيْ أَخِيهِ عَلِيِّ بْنِ اللَّيْثِ ، وَكَانَا عِنْدَهُ بَعْدَ مَوْتِ أَخِيهِ عَلِيٍّ. |
| وَلَمَّا وَرَدَ رَافِعٌ أَبْيُورْدَ أَرَادَ الْمَسِيرَ إِلَى هَرَاةَ أَوْ مَرْوٍ ، فَعَلِمَ عَمْرٌو بِذَلِكَ ، فَأَخَذَ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ بِسَرَخْسَ ، فَلَمَّا عَلِمَ رَافِعٌ بِمَسِيرِ عَمْرٍو عَنْ نَيْسَابُورَ سَارَ عَلَى مَضَايِقَ ، وَطُرُقٍ غَامِضَةٍ غَيْرَ طَرِيقِ الْجَيْشِ إِلَى نَيْسَابُورَ ، فَدَخَلَهَا ، وَعَادَ إِلَيْهِ عَمْرٌو مِنْ سَرَخْسَ فَحَصَرَهُ فِيهَا ، وَتَلَاقَيَا ، وَاسْتَأْمَنَ بَعْضُ قُوَّادِ رَافِعٍ إِلَى عَمْرٍو ، فَانْهَزَمَ رَافِعٌ ، وَأَصْحَابُهُ ، وَسَيَّرَ أَخَاهُ مُحَمَّدَ بْنَ هَرْثَمَةَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ يَسْتَمِدُّهُ ، وَيَطْلُبُ مَا وَعَدَهُ مِنَ الرِّجَالِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَلَمْ يُمِدَّهُ بِرَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَتَفَرَّقَ عَنْ رَافِعٍ أَصْحَابُهُ وَغِلْمَانُهُ ، وَكَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ آلَافِ غُلَامٍ ، وَلَمْ يَمْلِكْ أَحَدٌ مِنْ وُلَاةِ خُرَاسَانَ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَفَارَقَهُ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ السَّامَانِيِّ بِبُخَارَى ، وَخَرَجَ رَافِعٌ مُنْهَزِمًا إِلَى خُوَارِزْمَ عَلَى الْجَمَّازَاتِ ، وَحَمَلَ مَا بَقِيَ مَعَهُ مِنْ مَالٍ وَآلَةٍ ، وَهِيَ فِي شِرْذِمَةٍ قَلِيلَةٍ ، وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ. |
| فَلَمَّا بَلَغَ رِبَاطَ جَبْوَهْ وَجَّهَ إِلَيْهِ خُوَارِزْمُشَاهْ أَبَا سَعِيدٍ الدَّرْغَانِيَّ لِيُقِيمَ لَهُ الْأَنْزَالَ ، وَيَخْدِمَهُ إِلَى خُوَارِزْمَ ، فَرَآهُ أَبُو سَعِيدٍ فِي قِلَّةٍ مِنْ رِجَالِهِ ، وَغَدَرَ بِهِ ، وَقَتَلَهُ لِسَبْعٍ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَحَمَلَ رَأْسَهُ إِلَى عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ ، وَهُوَ بِنَيْسَابُورَ ، وَأَنْفَذَ عَمْرٌو الرَّأْسَ إِلَى الْمُعْتَضِدِ بِاللَّهِ ، فَوَصَلَ إِلَيْهِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَنُصِبَ بِبَغْدَاذَ. |
| وَصَفَتْ خُرَاسَانُ إِلَى شَاطِئِ جَيْحُونَ لِعَمْرٍو. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا قَدِمَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْجَصَّاصِ مِنْ مِصْرَ بِهَدَايَا عَظِيمَةٍ مِنْ خُمَارَوَيْهِ ، فَتَزَوَّجَ الْمُعْتَضِدُ ابْنَةَ خُمَارَوَيْهِ. |
| وَفِيهَا مَلَكَ أَحْمَدُ بْنُ عِيسَى بْنِ الشَّيْخِ قَلْعَةَ مَارْدِينَ ، وَكَانَتْ بِيَدِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ كُنْدَاجِيقَ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَهِيَ آخِرُ حَجَّةٍ حَجَّهَا ، وَأَوَّلُ حَجَّةٍ حَجَّهَا بِالنَّاسِ ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ إِلَى هَذِهِ السَّنَةِ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو عِيسَى مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بْنِ سَوْرَةَ التِّرْمِذِيُّ السُّلَمِيُّ بِتِرْمِذَ فِي رَجَبٍ ، وَكَانَ إِمَامًا حَافِظًا لَهُ تَصَانِيفُ حَسَنَةٌ ، مِنْهَا " الْجَامِعُ الْكَبِيرُ "فِي الْحَدِيثِ ، وَهُوَ أَحْسَنُ الْكُتُبِ ، وَكَانَ ضَرِيرًا. |
| وَتُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُدَبَّرُ فِي شَوَّالٍ وَكَانَ يَلِي دِيوَانَ الضِّيَاعِ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ حَبْسَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُهْتَدِي فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَخَذَ الْمُعْتَضِدُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُهْتَدِي ، وَمُحَمَّدَ بْنَ الْحُسَيْنِ الْمَعْرُوفَ بِشَيْلَمَةَ ، وَكَانَ شَيْلَمَةُ هَذَا مَعَ صَاحِبِ الزِّنْجِ إِلَى آخِرِ أَيَّامِهِ ، ثُمَّ لَحِقَ بِالْمُوَفَّقِ فِي الْأَمَانِ ، فَأَمَّنَهُ. |
| وَكَانَ سَبَبُ أَخْذِهِ إِيَّاهُ أَنَّ بَعْضَ الْمُسْتَأْمِنَةِ سَعَى بِهِ إِلَى الْمُعْتَضِدِ ، وَأَنَّهُ يَدْعُو لِرَجُلٍ لَا يُعْرَفُ اسْمُهُ ، وَأَنَّهُ قَدْ أَفْسَدَ جَمَاعَةً مِنَ الْجُنْدِ وَغَيْرِهِمْ ، فَأَخَذَهُ الْمُعْتَضِدُ فَقَرَّرَهُ ، فَلَمْ يُقِرَّ بِشَيْءٍ وَقَالَ لَوْ كَانَ الرَّجُلُ تَحْتَ قَدَمِي مَا رَفَعْتُهُمَا عَنْهُ! |
| فَأَمَرَ بِهِ فَشُدَّ عَلَى خَشَبَةٍ مِنْ خَشَبِ الْخِيَمِ ، ثُمَّ أُوقِدَتْ نَارٌ عَظِيمَةٌ ، وَأُدِيرَ عَلَى النَّارِ حَتَّى تَقَطَّعَ جِلْدُهُ ، ثُمَّ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ ، وَصُلِبَ عِنْدَ الْجِسْرِ ، وَحَبَسَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُهْتَدِي إِلَى أَنْ عَلِمَ بَرَاءَتَهُ ، وَأَطْلَقَهُ. |
| وَكَانَ الْمُعْتَضِدُ قَالَ لِشَيْلَمَةَ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَدْعُو إِلَى ابْنِ الْمُهْتَدِي ؟ |
| فَقَالَ الْمَشْهُورُ عَنِّي أَنَّنِي أَتَوَلَّى آلَ أَبِي طَالِبٍ. |
| ذِكْرُ قَصْدِ الْمُعْتَضِدِ بَنِي شَيْبَانَ ، وَصُلْحِهِ مَعَهُمْ وَفِيهَا ، فِي أَوَّلِ صَفَرٍ سَارَ الْمُعْتَضِدُ مِنْ بَغْدَاذَ يُرِيدُ بَنِي شَيْبَانَ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي يَجْتَمِعُونَ بِهِ مِنْ أَرْضِ الْجَزِيرَةِ ، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ قَصْدُهُ جَمَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ، وَأَغَارَ الْمُعْتَضِدُ عَلَى أَعْرَابٍ عِنْدَ السِّنِّ ، فَنَهَبَ أَمْوَالَهُمْ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَغَرِقَ مِنْهُمْ فِي الزَّابِّ مِثْلُ ذَلِكَ ، وَعَجَزَ النَّاسُ عَنْ حَمْلِ مَا غَنِمُوهُ ، فَبِيعَتِ الشَّاةُ بِدِرْهَمٍ ، وَالْبَعِيرُ بِخَمْسَةِ دَرَاهِمَ. |
| وَسَارَ إِلَى الْمَوْصِلِ وَبَلَدَ ، فَلَقِيَهُ بَنُو شَيْبَانَ يَسْأَلُونَهُ الْعَفْوَ ، وَبَذَلُوا لَهُ رَهَائِنَ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا ، وَعَادَ إِلَى بَغْدَاذَ. |
| وَأَرْسَلَ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ عِيسَى بْنِ الشَّيْخِ يَطْلُبُ مِنْهُ مَا أَخَذَهُ مِنْ أَمْوَالِ ابْنِ كُنْدَاجِيقَ بِآمِدَ ، فَبَعَثَهُ إِلَيْهِ وَمَعَهُ هَدَايَا كَثِيرَةٌ. |
| ذِكْرُ خُرُوجِ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَادَةَ عَلَى هَارُونَ وَكِلَاهُمَا خَارِجِيَّانِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَادَةَ ، وَيُعْرَفُ بِأَبِي جَوْزَةَ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي زُهَيْرٍ مِنْ أَهْلِ قَبْرَاثَا ، مِنَ الْبَقْعَاءِ عَلَى هَارُونَ ، وَكِلَاهُمَا مِنَ الْخَوَارِجِ ، وَكَانَ أَوَّلَ أَمْرِهِ فَقِيرًا ، وَكَانَ هُوَ وَابْنَانِ لَهُ يَلْتَقِطُونَ الْكَمْأَةَ وَيَبِيعُونَهَا ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ ، ثُمَّ إِنَّهُ جَمَعَ جَمَاعَةً ، وَحُكِّمَ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلُ تِلْكَ النَّوَاحِي مِنَ الْأَعْرَابِ ، وَقَوِيَ أَمْرُهُ ، وَأَخَذَ عُشْرَ الْغَلَّاتِ ، وَقَبَضَ الزَّكَاةَ ، وَسَارَ إِلَى مَعْلَثَايَا ، فَقَاطَعَهُ أَهْلُهَاَ عَلَى خَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ ، وَجَبَى تِلْكَ الْأَعْمَالَ ، وَعَادَ وَبَنَى عِنْدَ سِنْجَارَ حِصْنًا ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ الْأَمْتِعَةَ ، وَالْمِيرَةَ ، وَجَعَلَ فِيهِ ابْنَهُ أَبَا هِلَالٍ وَمَعَهُ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ رَجُلًا مِنْ وُجُوهِ بَنِي زُهَيْرٍ ، وَغَيْرِهِمْ. |
| وَوَصَلَ خَبَرُهُمْ إِلَى هَارُونَ الشَّارِيِّ ، فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُ وَرَأْيُ وُجُوهِ أَصْحَابِهِ عَلَى قَصْدِ الْحِصْنِ أَوَّلًا ، فَإِذَا فَرَغُوا مِنْهُ سَارُوا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عُبَادَةَ ، فَجَمَعَ أَصْحَابَهُ ، فَبَلَغُوا مِائَةَ رَاجِلٍ ، وَأَلْفًا وَمِائَتَيْ فَارِسٍ ، وَسَارَ إِلَيْهِ مُبَادِرًا ، وَأَحْدَقَ بِهِ وَحَصَرَهُ; وَمُحَمَّدُ بْنُ عُبَادَةَ فِي قَبْرَاثَا لَا يَعْلَمُ بِذَلِكَ. |
| وَجَدَّ هَارُونُ فِي قِتَالِ الْحِصْنِ ، وَكَانَ مَعَهُ سَلَالِيمُ قَدْ أَخَذَهَا ، وَزَحَفَ إِلَيْهِ وَكَانَ أَصْحَابُهُ قَدْ مَنَعُوا أَحَدًا يُخْرِجُ رَأْسَهُ مِنْ أَعْلَى السُّورِ ، فَلَمَّا رَأَى مَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي تَغْلِبَ تَغَلُّبَهُ عَلَى الْحِصْنِ أَعْطَوْا مَنْ فِيهِ مِنْ بَنِي زُهَيْرٍ الْأَمَانَ بِغَيْرِ أَمْرِ هَارُونَ ، فَشَقَّ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى تَغْيِيرِ ذَلِكَ ، إِلَّا أَنَّهُ قَتَلَ أَبَا هِلَالِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَادَةَ ، وَنَفَرًا مَعَهُ قَبْلَ الْأَمَانِ ، وَفَتَحُوا الْحِصْنَ ، وَمَلَكُوا مَا فِيهِ. |
| وَسَارُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ، وَهُوَ بِقَبْرَاثَا ، فَلَقُوهُ وَهُوَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافِ رَجُلٍ فَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ هَارُونُ وَمَنْ مَعَهُ ، فَوَقَفَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ وَنَادَى رِجَالًا بِأَسْمَائِهِمْ فَاجْتَمَعُوا نَحْوَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا ، وَحَمَلُوا عَلَى مَيْمَنَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَادَةَ. |
| فَانْهَزَمَتِ الْمَيْمَنَةُ ، وَعَادَتِ الْحَرْبُ ، فَانْهَزَمَ مُحَمَّدٌ وَمَنْ مَعَهُ ، وَوَضَعُوا السَّيْفَ فِيهِمْ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةِ رَجُلٍ ، وَحَجَزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ ، وَجَمَعَ هَارُونُ مَا لَهُمْ فَقَسَّمَهُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ ، وَانْهَزَمَ مُحَمَّدٌ إِلَى آمِدَ ، فَأَخَذَهُ صَاحِبُهَا أَحْمَدُ بْنُ عِيسَى بْنِ الشَّيْخِ ، بَعْدَ حَرْبٍ ، فَظَفِرَ بِهِ ، فَأَخَذَهُ أَسِيرًا ، وَسَيَّرَهُ إِلَى الْمُعْتَضِدِ ، فَسَلَخَ جِلْدَهُ كَمَا يَسْلُخُ الشَّاةَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ لَمَّا افْتَتَحَ بْنُ أَبِي السَّاجِ مَرَاغَةَ ، بَعْدَ حَرْبٍ شَدِيدَةٍ وَحِصَارٍ عَظِيمٍ ، أَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ بَعْدَ أَنْ أَمَّنَهُ وَأَصْحَابَهُ ، وَقَيَّدَهُ وَحَبَسَهُ ، وَقَرَّرَهُ بِجَمِيعِ أَمْوَالِهِ ثُمَّ قَتَلَهُ. |
| وَفِيهَا مَاتَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي دُلَفَ ، وَقَامَ بَعْدَهُ أَخُوهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ. |
| وَفِيهَا افْتَتَحَ مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ عَمَّانَ ، وَبَعَثَ بِرُءُوسِ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِهَا. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ جَعْفَرُ بْنُ الْمُعْتَمِدِ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ ، وَكَانَ يُنَادِمُ الْمُعْتَضِدَ. |
| وَفِيهَا دَخَلَ عَمْرُو بْنُ اللَّيْثِ نَيْسَابُورَ فِي جُمَادَى الْأُولَى. |
| وَفِيهَا وَجَّهَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي السَّاجِ ثَلَاثِينَ نَفْسًا مِنَ الْخَوَارِجِ مِنْ طَرِيقِ الْمَوْصِلِ فَضُرِبَتْ أَعْنَاقُ أَكْثَرِهِمْ ، وَحُبِسَ الْبَاقُونَ. |
| وَفِيهَا دَخَلَ أَحْمَدُ بْنُ أَبَّا طَرَسُوسَ لِلْغَزَاةِ مِنْ قِبَلِ خُمَارَوَيْهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، وَدَخَلَ بَعْدَهُ بَدْرٌ الْحَمَّامِيُّ ، فَغَزَوْا جَمِيعًا مَعَ الْعُجَيْفِيِّ أَمِيرِ طَرَسُوسَ حَتَّى بَلَغُوا الْبَلْقَسُونَ. |
| وَفِيهَا غَزَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ السَّامَانِيِّ بِلَادَ التُّرْكِ ، وَافْتَتَحَ مَدِينَةَ مَلِكِهِمْ ، وَأَسَرَ أَبَاهُ ، وَامْرَأَتَهُ خَاتُونَ وَنَحْوًا مِنْ عَشَرَةِ آلَافٍ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَغَنِمَ مِنَ الدَّوَابِّ مَا لَا يُعْلَمُ عَدَدًا ، وَأَصَابَ الْفَارِسُ مِنَ الْغَنِيمَةِ أَلْفَ دِرْهَمٍ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ رَاشِدٌ مَوْلَى الْمُوَفَّقِ بِالدِّينَوَرْدِ ، وَحُمِلَ إِلَى بَغْدَاذَ فِي رَمَضَانَ. |
| وَفِي شَوَّالٍ مَاتَ مَسْرُورٌ الْبَلْخِيُّ. |
| وَفِيهَا غَارَتِ الْمِيَاهُ بِالرَّيِّ ، وَطَبَرِسْتَانَ ، حَتَّى بَلَغَ الْمَاءُ ثَلَاثَةَ أَرْطَالٍ بِدِرْهَمٍ ، وَغَلَتِ الْأَسْعَارُ. |
| وَفِي شَوَّالٍ انْكَسَفَ الْقَمَرُ ، وَأَصْبَحَ أَهْلُ دَبِيلَ وَالدُّنْيَا مُظْلِمَةٌ ، وَدَامَتِ الظُّلْمَةُ عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الْعَصْرِ هَبَّتْ رِيحٌ سَوْدَاءُ فَدَامَتْ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ ، فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ زُلْزِلُوا فَخُرِّبَتِ الْمَدِينَةُ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ مَنَازِلِهِمْ إِلَّا قَدْرُ مِائَةِ دَارٍ ، وَزُلْزِلُوا بَعْدَ ذَلِكَ خَمْسَ مِرَارٍ ، وَكَانَ جُمْلَةُ مَنْ أُخْرِجَ مِنْ تَحْتِ الرَّدْمِ مِائَةُ أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفًا كُلُّهُمْ مَوْتَى. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ بْنِ إِسْحَاقَ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ تُرُنْجَةَ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ يُوسُفَ أَبُو إِسْمَاعِيلَ التِّرْمِذِيُّ فِي رَمَضَانَ وَلَهُ تَصَانِيفُ حَسَنَةٌ. |
| وَأَحْمَدُ بْنُ سَيَّارِ بْنِ أَيُّوبَ الْفَقِيهُ الْمَرْوَزِيُّ ، وَكَانَ زَاهِدًا عَالِمًا. |
| وَأَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي عِمْرَانَ الْفَقِيهُ الْحَنَفِيُّ بِمِصْرَ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ مَسِيرِ الْمُعْتَضِدِ إِلَى مَارْدِينَ وَمُلْكِهِ إِيَّاهَا وَفِيهَا خَرَجَ الْمُعْتَضِدُ الْخَرْجَةَ الثَّانِيَةَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، قَاصِدًا لِحَمْدَانَ بْنِ حَمْدُونَ ، لِأَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ حَمْدَانَ مَالَ إِلَى هَارُونَ الشَّارِيِّ ، وَدَعَا لَهُ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْأَعْرَابَ ، وَالْأَكْرَادَ مَسِيرُ الْمُعْتَضِدِ تَحَالَفُوا أَنَّهُمْ يُقَاتِلُونَ عَلَى دَمٍ وَاحِدٍ ، وَاجْتَمَعُوا ، وَعَبَّوْا عَسْكَرَهُمْ ، وَسَارَ الْمُعْتَضِدُ إِلَيْهِمْ فِي خَيْلِهِ جَرِيدَةً ، فَأَوْقَعَ بِهِمْ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ ، وَغَرِقَ مِنْهُمْ فِي الزَّابِ خَلْقٌ كَثِيرٌ. |
| وَسَارَ الْمُعْتَضِدُ إِلَى الْمَوْصِلِ يُرِيدُ قَلْعَةَ مَارْدِينَ ، وَكَانَتْ لِحَمْدَانَ بْنِ حَمْدُونَ ، فَهَرَبَ حَمْدَانُ مِنْهَا وَخَلَّفَ ابْنَهُ بِهَا ، فَنَازَلَهَا الْمُعْتَضِدُ ، وَقَاتَلَ مَنْ فِيهَا يَوْمَهُ ذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ رَكِبَ الْمُعْتَضِدُ فَصَعِدَ إِلَى بَابِ الْقَلْعَةِ ، وَصَاحَ يَا ابْنَ حَمْدَانَ! |
| فَأَجَابَهُ ، فَقَالَ افَتْحِ الْبَابَ ، فَفَتَحَهُ ، فَقَعَدَ الْمُعْتَضِدُ فِي الْبَابِ ، وَأَمَرَ بِنَقْلِ مَا فِي الْقَلْعَةِ وَهَدَمَهَا ، ثُمَّ وَجَّهَ خَلْفَ ابْنِ حَمْدُونَ ، وَطُلِبَ أَشَدَّ الطَّلَبِ ، وَأُخِذَتْ أَمْوَالٌ لَهُ ، ثُمَّ ظَفِرَ بِهِ الْمُعْتَضِدُ بَعْدَ عَوْدِهِ إِلَى بَغْدَاذَ. |
| وَفِي عَوْدِهِ قَصَدَ الْحَسَنِيَّةَ وَبِهَا رَجُلٌ كُرْدِيٌّ يُقَالُ لَهُ شَدَّادٌ فِي جَيْشٍ كَثِيرٍ ، قِيلَ كَانُوا عَشَرَةَ آلَافِ رَجُلٍ ، وَكَانَ لَهُ قَلْعَةٌ ، فَظَفِرَ بِهِ الْمُعْتَضِدُ وَهَدَمَ قَلْعَتَهُ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا وَرَدَ تُرْكُ بْنُ الْعَبَّاسِ عَامِلُ الْمُعْتَضِدِ عَلَى دِيَارِ مُضَرَ ، مِنَ الْجَزِيرَةِ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَمَعَهُ نَيِّفٌ وَأَرْبَعُونَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الْأَغَرِّ صَاحِبِ سُمَيْسَاطَ عَلَى جِمَالٍ عَلَيْهِمْ بَرَانِسُ وَدَرَارِيعُ حَرِيرٍ ، فَمَضَى بِهِمْ إِلَى الْحَبْسِ ، وَعَادَ إِلَى دَارِهِ. |
| وَفِيهَا كَانَتْ وَقْعَةٌ لِوَصِيفٍ خَادِمِ ابْنِ أَبِي السَّاجِ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَهَزَمَهُ ، ثُمَّ سَارَ وَصِيفٌ إِلَى مَوْلَاهُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي السَّاجِ. |
| وَفِيهَا دَخَلَ طُغَجُ بْنُ جَفٍّ طَرَسُوسَ لِغَزْوِ الصَّائِفَةِ مِنْ قِبَلِ خُمَارَوَيْهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ فَبَلَغَ طَرَابَزَوْنَ ، وَفَتَحَ مَلُّورِيَّةَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ. |
| وَفِيهَا مَاتَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّائِيِّ بِالْكُوفَةِ فِي جُمَادَى. |
| وَفِيهَا غَارَتِ الْمِيَاهُ بِالرَّيِّ ، وَطَبَرِسْتَانَ . |
| وَفِيهَا سَارَ الْمُعْتَضِدُ إِلَى نَاحِيَةِ الْجَبَلِ ، وَقَصَدَ الدِّينَوَرَ ، وَوَلَّى ابْنَهُ عَلِيًّا وَهُوَ الْمُكْتَفِي الرَّيَّ ، وَقَزْوِينَ ، وَزِنْجَانَ ، وَأَبْهَرَ ، وَقُمَّ ، وَهَمَذَانَ ، وَالدِّينَوَرَ ، وَجَعَلَ عَلَى كِتَابَتِهِ أَحْمَدَ بْنَ الْأَصْبَغِ ، وَقَلَّدَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي دُلَفَ أَصْبَهَانَ ، وَنَهَاوَنْدَ ، وَالْكَرَجَ ، وَعَادَ إِلَى بَغْدَاذَ لِأْجْلِ غَلَاءِ السِّعْرِ. |
| وَفِيهَا اسْتَأْمَنَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ كَوْرَةُ عَامِلُ رَافِعٍ عَلَى الرَّيِّ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْمُعْتَضِدِ فِي زُهَاءِ أَلْفِ رَجُلٍ ، فَوَجَّهَهُ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى أَبِيهِ. |
| وَفِيهَا دَخَلَ الْأَعْرَابُ سَامَرَّا ، فَقَتَلُوا ابْنَ سِيمَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ. |
| وَفِيهَا غَزَا الْمُسْلِمُونَ الرُّومُ ، فَدَامَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا ، فَظَفِرَ الْمُسْلِمُونَ وَغَنِمُوا غَنِيمَةً كَثِيرَةً وَعَادُوا. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ أَبِي الدُّنْيَا صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْكَثِيرَةِ الْمَشْهُورَةِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ النَّيْرُوزِ الْمُعْتَضِدِيِّ فِيهَا أَمَرَ الْمُعْتَضِدُ بِالْكِتَابَةِ إِلَى الْأَعْمَالِ كُلِّهَا وَالْبِلَادِ جَمِيعِهَا بِتَرْكِ افْتِتَاحِ الْخَرَاجِ فِي النَّيْرُوزِ الْعَجَمِيِّ ، وَتَأْخِيرِ ذَلِكَ إِلَى الْحَادِيَ عَشَرَ مِنْ حُزَيْرَانَ ، وَسَمَّاهُ النَّيْرُوزَ الْمُعْتَضِدَيَّ ، وَأُنْشِئَتِ الْكُتُبُ بِذَلِكَ مِنَ الْمَوْصِلِ ، وَالْمُعْتَضِدُ بِهَا وَأَرَادَ التَّرْفِيهَ عَنِ النَّاسِ ، وَالرِّفْقَ بِهِمْ. |
| ذِكْرُ قَصْدِ حَمْدَانَ ، وَانْهِزَامِهِ ، وَعَوْدِهِ إِلَى الطَّاعَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَتَبَ الْمُعْتَضِدُ إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ أَيُّوبَ ، وَحَمْدَانَ بْنِ حَمْدُونَ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِ ، وَهُوَ فِي الْمَوْصِلِ ، فَبَادَرَ إِسْحَاقُ ، وَتَحَصَّنَ حَمْدَانُ بِقِلَاعِهِ ، وَأَوْدَعَ أَمْوَالَهُ وَحَرَمَهُ ، فَسَيَّرَ الْمُعْتَضِدُ الْجُيُوشَ نَحْوَهُ مَعَ وَصِيفٍ مُوشْكِيرَ ، وَنَصْرٍ الْقُشُورِيِّ ، وَغَيْرِهِمَا ، فَصَادَفُوا الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ كُورَةَ وَأَصْحَابَهُ مُتَحَصِّنِينَ بِمَوْضِعٍ يُعْرَفُ بِدَيْرِ الزَّعْفَرَانِ ، مِنْ أَرْضِ الْمَوْصِلِ. |
| وَفِيهَا وَصَلَ الْحُسَيْنُ بْنُ حَمْدَانَ بْنِ حَمْدُونَ ، فَلَمَّا رَأَى الْحُسَيْنُ أَوَائِلَ الْعَسْكَرِ طَلَبَ الْأَمَانَ ، فَأُمِّنَ ، وَسُيِّرَ إِلَى الْمُعْتَضِدِ ، وَسَلَّمَ الْقَلْعَةِ ، فَأَمَرَ الْمُعْتَضِدُ بِهَدْمِهَا. |
| وَسَارَ وَصِيفٌ فِي طَلَبِ حَمْدَانَ ، وَكَانَ بِبَاسُورِينَ ، فَوَاقَعَهُ وَصِيفٌ وَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ جَمَاعَةً ، وَانْهَزَمَ حَمْدَانُ فِي زَوْرَقٍ كَانَ لَهُ فِي دِجْلَةَ ، وَحَمَلَ مَعَهُ مَالًا كَانَ لَهُ ، وَعَبَرَ إِلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ دِجْلَةَ ، فَصَارَ فِي دِيَارِ رَبِيعَةَ. |
| وَعَبَرَ نَفَرٌ مِنَ الْجُنْدِ ، فَاقْتَصُّوا أَثَرَهُ ، حَتَّى أَشْرَفُوا عَلَى دَيْرٍ قَدْ نَزَلَهُ ، فَلَمَّا رَآهُمْ هَرَبَ ، وَتَرَكَ مَالَهُ ، فَأُخِذَ وَأُتِيَ بِهِ الْمُعْتَضِدَ. |
| وَسَارَ أُولَئِكَ فِي طَلَبِ حَمْدَانَ ، فَضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ ، فَقَصَدَ خَيْمَةَ إِسْحَاقَ بْنِ أَيُّوبَ ، وَهُوَ مَعَ الْمُعْتَضِدِ ، وَاسْتَجَارَ بِهِ ، فَأَحْضَرَهُ إِسْحَاقُ عِنْدَ الْمُعْتَضِدِ ، فَأَمَرَ بِالِاحْتِفَاظِ بِهِ وَتَتَابَعَ رُؤَسَاءُ الْأَكْرَادِ فِي طَلَبِ الْأَمَانِ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي الْمُحَرَّمِ. |
| ذِكْرُ انْهِزَامِ هَارُونَ الْخَارِجِيِّ مِنْ عَسْكَرِ الْمَوْصِلِ كَانَ الْمُعْتَضِدُ بِاللَّهِ قَدْ خَلَّفَ بِالْمَوْصِلِ نَصْرًا الْقُشُورِيَّ يَجْبِي الْأَمْوَالَ ، وَيُعِينُ الْعُمَّالَ عَلَى جِبَايَتِهَا ، فَخَرَجَ عَامِلُ مَعْلَثَايَا إِلَيْهَا وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ نَصْرٍ ، فَوَقَعَ عَلَيْهِمْ طَائِفَةٌ مِنَ الْخَوَارِجِ ، فَاقْتَتَلُوا إِلَى أَنْ أَدْرَكَهُمُ اللَّيْلُ وَفُرِّقَ بَيْنَهُمْ ، وَقُتِلَ مِنَ الْخَوَارِجِ إِنْسَانٌ اسْمُهُ جَعْفَرٌ ، وَهُوَ مِنْ أَعْيَانِ أَصْحَابِ هَارُونَ ، فَعَظُمَ عَلَيْهِ قَتْلُهُ ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالْإِفْسَادِ فِي الْبِلَادِ. |
| فَكَتَبَ نَصْرٌ الْقُشُورِيُّ إِلَى هَارُونَ الْخَارِجِيِّ كِتَابًا يَتَهَدَّدُهُ بِقُرْبِ الْخَلِيفَةِ ، وَأَنَّهُ إِنْ هَمَّ بِهِ أَهْلَكَهُ وَأَهْلَكَ أَصْحَابَهُ ، وَأَنَّهُ لَا يَغْتَرُّ بِمَنْ سَارَ إِلَى حَرْبِهِ فَعَادَ عَنْهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ. |
| فَكَتَبَ إِلَيْهِ هَارُونُ كِتَابًا ، مِنْهُ أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِمَّنْ أَرَادَ قَصْدِي ، وَرَجَعَ عَنِّي ، فَإِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا جِدَّنَا ، وَاجْتِهَادَنَا كَانُوا بِإِذْنِ اللَّهِ فَرَاشًا مُتَتَابِعًا ، وَنَحْنُ عَلَى فَرْسَخٍ مِنْهُمْ ، وَمَا غَرَّكَ ، إِلَّا مَا أَصَبْتَ بِهِ صَاحِبَنَا ، فَظَنَنْتَ أَنَّ دَمَهُ مَطْلُولٌ ، أَوْ أَنَّ وَتَرَهُ مَتْرُوكٌ لَكَ ، كَلَّا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ وَرَائِكَ ، وَآخِذٌ بِنَاصِيَتِكَ ، وَمُعِينٌ عَلَى إِدْرَاكِ الْحَقِّ مِنْكَ ، وَلِمَ تُعَيِّرُنَا بِغَيْرِكَ وَتَدَعُ أَنْ يَكُونَ مَكَانُ ذَلِكَ إِبْدَاءَ صَحْفَتِكَ ، وَإِظْهَارَ عَدَاوَتِكَ ؟ |
| وَإِنَّا إِيَّاكَ كَمَا قِيلَ فَلَا تُوعِدْنَا بِاللِّقَاءِ وَأَبْرِزُوا... |
| إِلَيْنَا سَوَادًا نَلْقَهُ بِسَوَادِ وَلَعَمْرُ اللَّهِ مَا نَدْعُو إِلَى الْبِرَازِ ثِقَةً بِأَنْفُسِنَا ، وَلَا عَنْ ظَنٍّ أَنَّ الْحَوْلَ وَالْقُوَّةَ لَنَا ، لَكِنْ ثِقَةً بِرَبِّنَا ، وَاعْتِمَادًا عَلَى جَمِيلِ عَوَائِدِهِ عِنْدَنَا. |
| وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ سُلْطَانِكَ فَإِنَّ سُلْطَانَكَ لَا يَزَالُ مِنَّا قَرِيبٌ ، وَبِحَالِنَا عَالِمًا ، فَلَا قَدَّمَ أَجَلًا وَلَا أَخَّرَهُ ، وَلَا بَسَطَ رِزْقًا ، وَلَا قَبَضَهُ ، قَدْ بَعَثْنَا عَلَى مُقَابَلَتِكَ ، وَسَتَعْلَمُ عَنْ قَرِيبٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. |
| فَعَرَضَ نَصْرٌ كِتَابَ هَارُونَ عَلَى الْمُعْتَضِدِ ، فَجَدَّ فِي قَصْدِهِ ، وَوَلَّى الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ كَوْرَةَ الْمَوْصِلَ ، وَأَمَرَهُ بِقَصْدِ الْخَوَارِجِ ، وَأَمَرَ مُقَدَّمِي الْوِلَايَاتِ وَالْعُمَّالَ كَافَّةً بِطَاعَتِهِ ، فَجَمَعَهُمْ ، وَسَارَ إِلَى أَعْمَالِ الْمَوْصِلِ ، وَخَنْدَقَ عَلَى نَفْسِهِ ، وَأَقَامَ إِلَى أَنْ رَفَعَ النَّاسُ غَلَّاتِهِمْ ، ثُمَّ سَارَ الْخَوَارِجُ ، وَعَبَرَ الزَّابَ إِلَيْهِمْ ، فَلَقِيَهُمْ قَرِيبًا مِنَ الْمُغَلَّةِ ، وَتَصَافُّوا لِلْحَرْبِ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَانْكَشَفَ الْخَوَارِجُ عَنْهُ لِيُفَرِّقُوا جَمْعِيَّتَهُ ، ثُمَّ يَعْطِفُوا عَلَيْهِ ، فَأَمَرَ الْحَسَنُ أَصْحَابَهُ بِلُزُومِ مَوَاقِفِهِمْ ، فَفَعَلُوا ، فَرَجَعَ الْخَوَارِجُ ، وَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ سَبْعَ عَشْرَةَ حَمْلَةً ، فَانْكَشَفَتْ مَيْمَنَةُ الْحَسَنِ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَثَبَتَ هُوَ ، فَحَمَلَ الْخَوَارِجُ عَلَيْهِ حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَثَبَتَ لَهُمْ وَضَرَبَ عَلَى رَأْسِهِ عِدَّةَ ضَرَبَاتٍ فَلَمْ تُؤَثِّرْ فِيهِ. |
| فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابُهُ ثَبَاتَهُ تَرَاجَعُوا إِلَيْهِ وَصَبَرُوا ، فَانْهَزَمَ الْخَوَارِجُ أَقْبَحَ هَزِيمَةٍ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَفَارَقُوا مَوْضِعَ الْمَعْرَكَةِ ، وَدَخَلُوا أَذْرَبِيجَانَ. |
| وَأَمَّا هَارُونُ فَإِنَّهُ تَحَيَّرَ فِي أَمْرِهِ ، وَقَصَدَ الْبَرِّيَّةَ ، وَنَزَلَ عِنْدَ بَنِي تَغْلِبَ ، ثُمَّ عَادَ مَعْلَثَايَا ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ ، ثُمَّ رَجَعَ عَبْرَ دِجْلَةَ إِلَى حَزَّةَ ، وَعَادَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ. |
| وَأَمَّا وُجُوهُ أَصْحَابِهِ ، فَإِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا إِقْبَالَ دَوْلَةِ الْمُعْتَضِدِ وَقُوَّتَهُ ، وَمَا لَحِقَهُمْ فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ ، رَاسَلُوا الْمُعْتَضِدَ يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُمْ ، فَأَتَاهُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ ، يَبْلُغُونَ ثَلَاثَمِائَةٍ وَسِتِّينَ رَجُلًا ، وَبَقِيَ مَعَهُ بَعْضُهُمْ يَجُولُ بِهِمْ فِي الْبِلَادِ ، إِلَى أَنْ قُتِلَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ عَلَى مَا نَذْكُرُهُ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ قُبِضَ عَلَى تَكْتِمُرَ بْنِ طَاشْتِمُرَ ، وَقُيِّدَ وَأُخِذَ مَالُهُ; وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى الْمَوْصِلِ ، وَاسْتَعْمَلَ بَعْدَهُ عَلَيْهَا الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ الْخُرَاسَانِيَّ ، وَيُعْرَفُ بِكَوْرَةَ. |
| وَفِيهَاَ قَدِمَ ابْنُ الْجَصَّاصِ بِابْنَةِ خُمَارَوَيْهِ زَوْجَةِ الْمُعْتَضِدِ ، وَمَعَهَا أَحَدُ عُمُومَتِهَا ، وَكَانَ الْمُعْتَضِدُ بِالْمَوْصِلِ. |
| وَفِيهَا عَادَ الْمُعْتَضِدُ إِلَى بَغْدَادَ ، وَزُفَّتْ إِلَيْهِ ابْنَةُ خُمَارَوَيْهِ فِي رَبِيعٍ الْآخَرِ وَفِيهَا سَارَ الْمُعْتَضِدُ إِلَى الْجَبَلِ ، فَبَلَغَ الْكَرَجَ ، وَأَخَذَ أَمْوَالًا لِابْنِ أَبِي دُلَفَ ، وَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَطْلُبُ مِنْهُ جَوْهَرًا كَانَ عِنْدَهُ ، فَوَجَّهَ بِهِ إِلَيْهِ ، تَنَحَّى مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ. |
| وَفِيهَا أُطْلِقَ لُؤْلُؤٌ غُلَامُ ابْنِ طُولُونَ ، وَحُمِلَ عَلَى دَوَابَّ وَبِغَالٍ. |
| وَفِيهَا وَجَّهَ يُوسُفُ بْنُ أَبِي السَّاجِ إِلَى الصَّيْمَرَةِ مَدَدًا الْقَلَانِسِيَّ غُلَامَ الْمُوَفَّقِ ، فَهَرَبَ يُوسُفُ فِيمَنْ أَطَاعَهُ إِلَى أَخِيهِ مُحَمَّدٍ بِمَرَاغَةَ ، وَلَقِيَ مَالًا لِلْمُعْتَضِدِ فَأَخَذَهُ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ إِمَامَ الْهُدَى أَنْصَارُكُمْ آلُ طَاهِرٍ... |
| بِلَا سَبَبٍ تُخْفُونَ وَالدَّهْرُ يَذْهَبُ وَقَدْ خَلَطُوا شُكْرًا بِصَبْرٍ وَرَابَطُو... |
| وَغَيْرُهُمْ يُعْطِي وَيَحْبِي وَيَهْرَبُ وَفِيهَا وَجَّهَ الْمُعْتَضِدُ وَزِيرَهُ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ سُلَيْمَانَ إِلَى ابْنِهِ بِالرَّيِّ وَعَادَ مِنْهَا. |
| وَفِيهَا وُجِّهَ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ الْعَلَوِيُّ مِنْ طَبَرِسْتَانَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ وَرْدٍ الْعَطَّارِ بِاثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ لِيُفَرِّقَهَا عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ بِبَغْدَاذَ ، وَالْكُوفَةِ ، وَالْمَدِينَةِ ، فَسَعَى بِهِ الْمُعْتَضِدُ ، فَأُحْضِرَ مُحَمَّدٌ عِنْدَ بَدْرٍ ، وَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ ، فَأَقَرَّ أَنَّهُ يُوَجِّهُ إِلَيْهِ كُلَّ سَنَةٍ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَفَرَّقَهُ ، وَأَنْهَى بَدْرٌ إِلَى الْمُعْتَضِدِ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ الْمُعْتَضِدُ أَمَا تَذْكُرُ الرُّؤْيَا الَّتِي خَبَّرْتُكَ بِهَا ؟ |
| قَالَ لَا ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ; قَالَ رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنِّي أُرِيدُ نَاحِيَةَ النَّهْرَوَانِ ، وَأَنَا فِي جَيْشِي ، إِذْ مَرَرْتُ بِرَجُلٍ وَاقِفٍ عَلَى تَلٍّ يُصَلِّي وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيَّ ، فَعَجِبْتُ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ لِي أَقْبِلْ ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ لِي أَتَعْرِفُنِي ؟ |
| قُلْتُ لَا! |
| قَالَ أَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، خُذْ هَذِهِ فَاضْرِبْ بِهَا الْأَرْضَ ، بِمِسْحَاةٍ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَخَذْتُهَا ، فَضَرَبْتُ بِهَا ضَرَبَاتٍ ، فَقَالَ لِي إِنَّهُ سَيَلِي مِنْ وَالَدِكَ هَذَا الْأَمْرَ بِعَدَدِ الضَّرَبَاتِ ، فَأَوْصِهِمْ بِوَلَدِي خَيْرًا. |
| وَأَمَرَ بَدْرًا بِإِطْلَاقِ الْمَالِ وَالرَّجُلِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى صَاحِبِهِ بِطَبَرِسْتَانَ أَنْ يُوَجِّهَ مَا يُرِيدُ ظَاهِرًا ، وَأَنْ يُفَرِّقَ مَا يَأْتِيهِ ظَاهِرًا ، وَتَقَدَّمَ بِمَعُونَتِهِ عَلَى ذَلِكَ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو طَلْحَةَ مَنْصُورُ بْنُ مُسْلِمٍ فِي حَبْسِ الْمُعْتَضِدِ . |
| وَفِيهَا وَلَدَتْ جَارِيَةٌ اسْمُهَا شَغَبُ لِلْمُعْتَضِدِ وَلَدًا سَمَّاهُ جَعْفَرًا ، وَهُوَ الْمُقْتَدِرُ . |
| وَفِيهَا قُتِلَ خُمَارَوَيْهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، ذَبَحَهُ بَعْضُ خَدَمِهِ عَلَى فِرَاشِهِ فِي ذِي الْحِجَّةِ بِدِمَشْقَ ، وَقُتِلَ مِنْ خَدَمِهِ الَّذِينَ اتُّهِمُوا نَيِّفٌ وَعِشْرُونَ نَفْسًا. |
| وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّهُ سَعَى إِلَيْهِ بَعْضُ النَّاسِ ، وَقَالَ لَهُ إِنَّ جَوَارِيَ دَارِهِ قَدِ اتَّخَذَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ خَصِيًّا مِنْ خِصْيَانِ دَارِهِ لَهَا كَالزَّوْجِ ، وَقَالَ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَعْلَمَ صِحَّةَ ذَلِكَ فَأَحْضِرْ بَعْضَ الْجَوَارِي فَاضْرِبْهَا وَقَرِّرْهَا ، حَتَّى تَعْلَمَ صِحَّةَ ذَلِكَ. |
| فَبَعَثَ مِنْ وَقْتِهِ إِلَى نَائِبِهِ بِمِصْرَ يَأْمُرُهُ بِإِحْضَارِ عِدَّةٍ مِنَ الْجَوَارِي لِيَعْلَمَ الْحَالَ مِنْهُنَّ ، فَاجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْخَدَمِ ، وَقَرَّرُوا بَيْنَهُمُ الِاتِّفَاقَ عَلَى قَتْلِهِ ، خَوْفًا مِنْ ظُهُورِ مَا قِيلَ لَهُ ، وَكَانُوا خَاصَّتَهُ ، فَذَبَحُوهُ لَيْلًا وَهَرَبُوا. |
| فَلَمَّا قُتِلَ اجْتَمَعَ الْقُوَّادُ ، وَأَجْلَسُوا ابْنَهُ جَيْشَ بْنَ خُمَارَوَيْهِ فِي الْإِمَارَةِ ، وَكَانَ مَعَهُ بِدِمَشْقَ ، وَهُوَ أَكْبَرُ وَلَدِهِ ، فَبَايَعُوهُ فَفُرِّقَتْ فِيهِمُ الْأَمْوَالُ وَكَانَ صَبِيًّا غِرًّا. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ خَالِدٍ أَبُو سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ أَخَذَ الْفِقْهَ عَنِ الْبُوَيْطِيِّ صَاحِبِ الشَّافِعِيِّ ، وَالْأَدَبَ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو حَنِيفَةَ أَحْمَدُ بْنُ دَاوُدَ الدِّينَوَرِيُّ اللُّغَوِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ النَّبَاتِ وَغَيْرِهِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ ، وَلَهُ" مُسْنَدٌ "يُرْوَى غَالِبًا فِي زَمَانِنَا هَذَا. |
| وَأَبُو الْعَيْنَاءِ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ ، وَكَانَ يَرْوِي عَنِ الْأَصْمَعِيِّ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ الظَّفَرِ بِهَارُونَ الْخَارِجِيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ الْمُعْتَضِدُ إِلَى الْمَوْصِلِ بِسَبَبِ هَارُونَ الشَّارِيِّ وَظَفِرَ بِهِ. |
| وَسَبَبُ الظَّفَرِ بِهِ أَنَّهُ وَصَلَ إِلَى تِكْرِيتَ ، وَأَقَامَ بِهَا ، وَأَحْضَرَ الْحُسَيْنَ بْنَ حَمْدَانَ التَّغْلِبِيَّ ، وَسَيَّرَهُ فِي طَلَبِ هَارُونَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَارِجِيِّ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْفُرْسَانِ ، وَالرَّجَّالَةِ ، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ إِنْ أَنَا جِئْتُ بِهِ فَلِي ثَلَاثُ حَوَائِجَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ; قَالَ اذْكُرْهَا! |
| قَالَ إِحْدَاهُنَّ إِطْلَاقُ أَبِي ، وَحَاجَتَانِ أَذْكُرُهُمَا بَعْدَ مَجِيئِي بِهِ. |
| فَقَالَ لَهُ الْمُعْتَضِدُ لَكَ ذَلِكَ. |
| فَانْتَخَبَ ثَلَاثَمِائَةِ فَارِسٍ ، وَسَارَ بِهِمْ ، وَمَعَهُمْ وَصِيفُ بْنُ مُوشْكِيرَ ، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ تَأْمُرُهُ بِطَاعَتِي ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. |
| فَأَمَرَهُ بِذَلِكَ. |
| وَسَارَ بِهِمُ الْحُسَيْنُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَخَاضَةٍ فِي دِجْلَةَ ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ لِوَصِيفٍ وَلِمَنْ مَعَهُ لِيَقِفُوا هُنَاكَ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَهُ طَرِيقٌ إِنْ هَرَبَ غَيْرُ هَذَا ، فَلَا تَبْرَحُنَّ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ حَتَّى يَمُرَّ بِكُمْ فَتَمْنَعُوهُ عَنِ الْعُبُورِ ، وَأَجِيءُ أَنَا ، أَوْ يَبْلُغُكُمْ أَنِّي قُتِلْتُ. |
| وَمَضَى حُسَيْنٌ فِي طَلَبِ هَارُونَ ، فَلَقِيَهُ ، وَوَاقَعَهُ ، وَقُتِلَ بَيْنَهُمَا قَتْلَى ، وَانْهَزَمَ هَارُونُ ، وَأَقَامَ وَصَيْفٌ عَلَى الْمَخَاضَةِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ قَدْ طَالَ مُقَامُنَا ، وَلَسْنَا نَأْمَنُ أَنْ يَأْخُذَ حُسَيْنٌ الشَّارِيَّ ، فَيَكُونَ لَهُ الْفَتْحُ دُونَنَا ، وَالصَّوَابُ أَنْ نَمْضِيَ فِي آثَارِهِمْ. |
| فَأَطَاعَهُمْ وَمَضَى. |
| وَجَاءَ هَارُونَ مُنْهَزِمًا إِلَى مَوْضِعِ الْمَخَاضَةِ فَعَبَرَ ، وَجَاءَ حُسَيْنٌ فِي أَثَرِهِ فَلَمْ يَرَ وَصِيفًا وَأَصْحَابَهُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي تَرَكَهُمْ فِيهِ ، وَلَا عَرَفَ لَهُمْ خَبَرًا فَعَبَرَ فِي أَثَرِ هَارُونَ ، وَجَاءَ إِلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ ، فَسَأَلَ عَنْهُ ، فَكَتَمُوهُ فَتَهَدَّدَهُمْ ، فَأَعْلَمُوهُ أَنَّهُ اجْتَازَ بِهِمْ ، فَتَبِعَهُ حَتَّى لَحِقَهُ بَعْدَ أَيَّامٍ ، وَهَارُونُ فِي نَحْوِ مِائَةِ رَجُلٍ ، فَنَاشَدَهُ الشَّارِيُّ وَوَعَدَهُ ، وَأَبَى حُسَيْنٌ إِلَّا مُحَارَبَتَهُ ، فَحَارَبَهُ فَأَلْقَى الْحُسَيْنُ نَفْسَهُ عَلَيْهِ ، فَأَخَذَهُ أَسِيرًا وَجَاءَ بِهِ إِلَى الْمُعْتَضِدِ ، فَانْصَرَفَ الْمُعْتَضِدُ إِلَى بَغْدَادَ ، فَوَصَلَهَا لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ . |
| وَخَلَعَ الْمُعْتَضِدُ عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ حَمْدَانَ ، وَطَوَّقَهُ ، وَخَلَعَ عَلَى إِخْوَتِهِ ، وَأُدْخِلَ هَارُونُ عَلَى الْفِيلِ ، وَأَمَرَ الْمُعْتَضِدُ بِحَلِّ قُيُودِ حَمْدَانَ بْنِ حَمْدُونَ وَالتَّوْسِعَةِ عَلَيْهِ ، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَوَعَدَ بِإِطْلَاقِهِ. |
| وَلَمَّا أَرْكَبُوا هَارُونَ عَلَى الْفِيلِ أَرَادُوا أَنْ يُلْبِسُوهُ دَيْبَاجًا مُشَهَّرًا ، فَامْتَنَعَ ، وَقَالَ هَذَا لَا يَحِلُّ; فَأَلْبَسُوهُ كَارِهًا ، وَلَمَّا صُلِبَ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، وَكَانَ هَارُونُ صُفْرِيًّا. |
| ذِكْرُ عِصْيَانِ دِمَشْقَ عَلَى جَيْشِ بْنِ خُمَارَوَيْهِ ، وَخِلَافِ جُنْدِهِ عَلَيْهِ ، وَقَتْلِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ جَمَاعَةٌ مِنْ قُوَّادِ جَيْشِ بْنِ خُمَارَوَيْهِ عَلَيْهِ ، وَجَاهَرُوا بِالْمُخَالَفَةِ ، وَقَالُوا لَا نَرْضَى بِكَ أَمِيرًا ، فَاعْتَزِلْنَا حَتَّى نُوَلِّيَ عَمَّكَ الْإِمَارَةَ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا وُلِّيَ وَكَانَ صَبِيًّا قَرَّبَ الْأَحْدَاثَ ، وَالسُّفَّلَ ، وَأَخْلَدَ إِلَى اسْتِمَاعِ أَقْوَالِهِمْ ، فَغَيَّرُوا نِيَّتَهُ عَلَىَ قُوَّادِهِ ، وَأَصْحَابِهِ ، وَصَارَ يَقَعُ فِيهِمْ وَيَذُمُّهُمْ ، وَيُظْهِرُ الْعَزْمَ عَلَى الِاسْتِبْدَالِ بِهِمْ ، وَأَخْذِ نِعَمِهِمْ ، وَأَمْوَالِهِمْ ، فَاتَّفَقُوا عَلَيْهِ لِيَقْتُلُوهُ ، وَيُقِيمُوا عَمَّهُ ، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ ، فَلَمْ يَكْتُمْهُ بَلْ أَطْلَقَ لِسَانَهُ فِيهِمْ ، فَفَارَقَهُ بَعْضُهُمْ ، وَخَلَعَهُ طُغَجُ بْنُ جَفٍّ أَمِيرُ دِمَشْقَ. |
| وَسَارَ الْقُوَّادُ الَّذِينَ فَارَقُوهُ إِلَى بَغْدَادَ ، وَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ كُنْدَاجِيقَ ، وَخَاقَانُ الْمُفْلِحِيُّ ، وَبَدْرُ بْنُ جَفٍّ ، أَخُو طُغَجَ ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ قُوَّادِ مِصْرَ ، فَسَلَكُوا الْبَرِّيَّةَ ، وَتَرَكُوا أَهَالِيَهُمْ ، وَأَمْوَالَهُمْ ، فَتَاهُوا أَيَّامًا ، وَمَاتَ مِنْ أَصْحَابِهِمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَطَشِ ، وَخَرَجُوا فَوْقَ الْكُوفَةِ بِمَرْحَلَتَيْنِ ، وَقَدِمُوا عَلَى الْمُعْتَضِدِ ، فَخَلَعَ عَلَيْهِمْ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ. |
| وَبَقِيَ سَائِرُ الْجُنُودِ بِمِصْرَ عَلَى خِلَافِهِمُ ابْنَ خُمَارَوَيْهِ ، فَسَأَلَهُمْ كَاتِبُهُ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْمَاذُرَائِيُّ أَنْ يَنْصَرِفُوا يَوْمَهُمْ ذَلِكَ ، فَرَجَعُوا ، فَقَتَلَ جَيْشٌ عَمَّيْنِ لَهُ ، وَبَكَّرَ الْجُنْدُ إِلَيْهِ ، فَرَمَى بِالرَّأْسَيْنِ إِلَيْهِمْ ، فَهَجَمَ الْجُنْدُ عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ وَنَهَبُوا دَارَهُ وَنَهَبُوا مِصْرَ وَأَحْرَقُوهَا ، وَأَقْعَدُوا أَخَاهُ هَارُونَ فِي الْإِمْرَةِ بَعْدَهُ ، فَكَانَتْ وِلَايَتُهُ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ. |
| ذِكْرُ حَصْرِ الصَّقَالِبَةِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَتِ الصَّقَالِبَةُ إِلَى الرُّومِ ، فَحَصَرُوا الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ ، وَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَا خَلْقًا كَثِيرًا ، وَخَرَّبُوا الْبِلَادَ ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ مَلِكُ الرُّومِ مِنْهُمْ خَلَاصًا جَمَعَ مَنْ عِنْدَهُ مِنْ أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ ، وَأَعْطَاهُمُ السِّلَاحَ ، وَسَأَلَهُمْ مَعُونَتَهُ عَلَى الصَّقَالِبَةِ ، فَفَعَلُوا ، وَكَشَفُوا الصَّقَالِبَةَ ، وَأَزَاحُوهُمْ عَنِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَلَمَّا رَأَى مَلِكُ الرُّومِ ذَلِكَ خَافَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى نَفْسِهِ ، فَرَدَّهُمْ ، وَأَخَذَ السِّلَاحَ مِنْهُمْ وَفَرَّقَهُمْ فِي الْبِلَادِ حَذَرًا مِنْ جِنَايَتِهِمْ عَلَيْهِ. |
| ذِكْرُ الْفِدَاءِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَالرُّومِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ الْفِدَاءُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالرُّومِ ، فَكَانَ جُمْلَةُ مَنْ فُدِيَ بِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الرِّجَالِ ، وَالنِّسَاءِ ، وَالصِّبْيَانِ ، أَلْفَيْنِ وَخَمْسَمِائَةٍ وَأَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ. |
| ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ عَسْكَرِ الْمُعْتَضِدِ ، وَأَوْلَادِ أَبِي دُلَفَ وَفِيهَا سَارَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي دُلَفَ بِالْجَبَلِ ، فَسَارَ عُمَرُ إِلَيْهِ بِالْأَمَانِ فِي شَعْبَانَ ، فَأَذْعَنَ بِالطَّاعَةِ ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ. |
| وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ دَخَلَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِالْأَمَانِ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ وَبَدْرٍ ، فَوَلَّيَاهُ عَمَلَ أَخِيهِ عَلَى أَنْ يَسِيرَ إِلَيْهِ فَيُحَارِبَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ عُمَرُ فِي الْأَمَانِ قَالَا لِبَكْرٍ إِنَّ أَخَاكَ قَدْ دَخَلَ فِي الطَّاعَةِ ، وَإِنَّمَا وَلَّيْنَاكَ عَمَلَهُ عَلَى أَنَّهُ عَاصٍ ، وَالْمُعْتَضِدُ يَفْعَلُ فِي أَمْرِكُمَا مَا يَرَاهُ ، فَامْضِيَا إِلَى بَابِهِ. |
| وَوَلِيَ النُّوشَرِيُّ أَصْبَهَانَ ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ مِنْ قِبَلِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَهَرَبَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَكَتَبَ عُبَيْدُ اللَّهِ إِلَى الْمُعْتَضِدِ بِذَلِكَ ، فَكَتَبَ إِلَى بَدْرٍ لِيُقِيمَ بِمَكَانِهِ إِلَى أَنْ يَعْرِفَ حَالَ بَكْرٍ. |
| وَسَارَ الْوَزِيرُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْمُعْتَضِدِ بِالرَّيِّ ، وَلَحِقَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِالْأَهْوَازِ ، فَسَيَّرَ الْمُعْتَضِدُ إِلَيْهِ وَصَيْفَ بْنَ مُوشَكِيرَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ ، فَلَحِقَهُ بِحُدُودِ فَارِسَ ، وَبَاتَا مُتَقَابِلَيْنِ ، وَارْتَحَلَ بَكْرٌ إِلَى أَصْبَهَانَ لَيْلًا ، فَلَمْ يَتْبَعْهُ وَصَيْفٌ ، بَلْ رَجَعَ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَسَارَ بَكْرٌ إِلَى أَصْبَهَانَ ، فَكَتَبَ الْمُعْتَضِدُ إِلَى بَدْرٍ يَأْمُرُهُ بِطَلَبِ بَكْرٍ وَحَرْبِهِ ، فَأَمَرَ بَدْرٌ عِيسَى النُّوشَرِيَّ بِذَلِكَ ، فَقَالَ بَكْرٌ عَنِّي مَلَامَكَ لَيْسَ حِينَ مَلَامِ... |
| هَيْهَاتَ أَجْدَبَ زَائِدُ الْأَيَّامِ ظَأَرَتْ عِنَايَاتُ الصِّبَا عَنْ مَفْرِقِي... |
| وَمَضَى أَوَانُ شَرَاسَتِي وَغَرَامِي أَلْقَى الْأَحِبَّةُ بِالْعِرَاقِ عِصِيَّهُمْ... |
| وَبَقِيتُ نُصْبَ حَوَادِثِ الْأَيَّامَ وَتَقَاذَفَتْ بِأَخِي النَّوَى وَرَمَتْ... |
| بِهِ رَمْيَ الْعَبِيدِ قَطِيعَةُ الْأَرْحَامِ فَلَأَقْرَعَنَّ صَفَاةَ دَهْرٍ نَابَهُمْ... |
| قَرْعًا يَهُزُّ رَوَاسِيَ الْأَعْلَامِ وَلَأَضْرِبَنَّ الْهَامَ دُونَ حَرِيمِهِمْ... |
| ضَرْبَ الْقُدَارِ بِقِيعَةِ الْقَدَّامِ وَلَأَتْرُكَنَّ الْوَارِدِينَ حِيَاضَهُمْ... |
| بِقَرَارَةٍ لِمَوْطِئِ الْأَقْدَامِ يَا بَدْرُ إِنَّكَ لَوْ شَهِدْتَ مَوَاقِفِي... |
| وَالْمَوْتُ يَلْحَظُ وَالسُّيُوفُ دَوَامِي لَذَمَمْتَ رَأْيَكَ فِي إِضَاعَةِ حُرْمَتِي... |
| وَلَضَاقَ ذَرْعُكَ فِي اطِّرَاحِ ذِمَامِي حَرَّكْتَنِي بَعْدَ السُّكُونِ وَإِنَّمَا حَرَّكْتَ مِنْ حِصْنٍ جِبَالَ تِهَامِ... |
| وَعَجَمْتَنِي فَعَجَمْتَ مِنِّي مَنْ حَمَى خَشِنَ الْمَنَاكِبِ كُلَّ يَوْمِ زِحَامِ... |
| قُلْ لِلْأَمِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ الَّذِي يَجْلُو بِغُرَّتِهِ دُجَى الْإِظْلَامِ... |
| أَسْكَنْتَنِي ظِلَّ الْعُلَا فَسَكَنْتُهُ فِي عِيشَةٍ رَغَدٍ وَعِزٍّ نَامِ... |
| حَتَّى إِذَا خَلَّيْتَ عَنِّيَ نَابَنِي نُوَبٌ أَتَتْ وَتَنَكَّرَتْ أَيَّامِي... |
| فَلَأَشْكُرَنَّ جَمِيلَ مَا أَوْلَيْتِنِي مَا غَرَّدَتْ فِي الْأَيْكِ وُرْقُ حَمَامِ... |
| هَذَا أَبُو حَفْصٍ يَدِي وَذَخِيرَتِي لِلنَّائِبَاتِ وَعُدَّتِي وَسَنَامِي... |
| نَادَيْتُهُ فَأَجَابَنِي وَهَزَزْتُهُ فَهَزَزْتُ حَدَّ الصَّارِمِ الصَّمْصَامِ... |
| مَنْ رَامَ أَنْ يُغْضِيَ الْجُفُونَ عَلَى الْقَذَى أَوْ يَسْتَكِينَ يَرُومُ غَيْرَ مَرَامِ... |
| وَيَخِيمُ حِينَ يَرَى الْأَسِنَّةَ شُرَّعًا وَالْبِيضَ مُصْلَتَةً لَضَرْبِ الْهَامِ ثُمَّ إِنَّ النُّوشَرِيَّ انْهَزَمَ عَنْ بَكْرٍ ، فَقَالَ بَكْرٌ يَذْكُرُ هَرَبَهُ ، وَيُعَيِّرُ وَصِيفًا بِالْإِحْجَامِ عَنْهُ ، وَيَتَهَدَّدُ بَدْرًا فِي أَبْيَاتٍ مِنْهَا قَدْ رَأَى النُّوشَرِيُّ حِينَ الْتَقَيْنَا... |
| مَنْ إِذَا أُشْرِعَ الرِّمَاحُ يَفِرُّ جَاءَ فِي قَسْطَلٍ لِهَامٍ فَصُلْنَا... |
| صَوْلَةً دُونَهَا الْكُمَاةُ تَهِرُّ وَلِوَاءُ النُّوشَرِيِّ آثَارُ نَارٍ رَوِيَتْ عِنْدَ ذَاكَ بِيضٌ وَسُمْرُ... |
| غَرَّ بَدْرًا حِلْمِي وَفَضْلٌ أَتَانِي وَاحْتِمَالِي لِلْعِبْءِ مِمَّا يَغُرُّ... |
| سَوْفَ يَأْتِيهِ مِنْ خُيُولِي قُبٌّ لَاحِقَاتُ الْبُطُونِ جُونٌ وَشُقْرُ... |
| يَتَنَادَوْنَ كَالسَّعَالِي عَلَيْهَا مِنْ بَنِي وَائِلٍ أُسُودٌ تَكُرُّ... |
| لَسْتُ بَكْرًا إِنْ لَمْ أَدَعْهُمْ حَدِيثًا مَا سَرَى كَوْكَبٌ وَمَا كَرَّ دَهْرُ ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَمَرَ الْمُعْتَضِدُ بِالْكِتَابَةِ إِلَى جَمِيعِ الْبُلْدَانِ أَنْ يُرَدَّ الْفَاضِلُ مِنْ سِهَامِ الْمَوَارِيثِ إِلَى ذَوِي الْأَرْحَامِ ، وَأَبْطَلَ دِيوَانَ الْمَوَارِيثِ. |
| وَفِيهَا ، فِي شَوَّالٍ مَاتَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الشَّوَارِبِ الْقَاضِي ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ لِلْقَضَاءِ بِمَدِينَةِ الْمَنْصُورِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ. |
| وَفِيهَا قَدِمَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي دُلَفَ بَغْدَاذَ ، فَأَمَرَ الْمُعْتَضِدُ النَّاسَ وَالْقُوَّادَ بِاسْتِقْبَالِهِ ، وَقَعَدَ لَهُ الْمُعْتَضِدُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، وَأَكْرَمَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ. |
| وَفِيهَا ، فِي رَمَضَانَ ، تَحَارَبَ عَمْرُو بْنُ اللَّيْثِ الصَّفَّارُ وَرَافِعُ بْنُ هَرْثَمَةَ ، فَانْهَزَمَ رَافِعٌ ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ عَمْرًا فَارَقَ نَيْسَابُورَ ، فَخَالَفَهُ إِلَيْهَا رَافِعٌ وَمَلَكَهَا ، وَخُطِبَ فِيهَا لِمُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ الْعَلَوِيِّ ، فَرَجَعَ عَمْرٌو مِنْ مَرْوَ إِلَى نَيْسَابُورَ فَحَصَرَهَا ، فَانْهَزَمَ رَافِعٌ مِنْهَا ، وَوَجَّهَ عَمْرٌو فِي طَلَبِهِ عَسْكَرًا ، فَلَحِقُوهُ بِطَوْسٍ ، فَانْهَزَمَ مِنْهُمْ إِلَى خُوَارِزْمَ ، فَلَحِقُوهُ بِهَا ، فَقَتَلُوهُ وَأَرْسَلُوا رَأْسَهُ إِلَى الْمُعْتَضِدِ ، فَوَصَلَهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ فِي الْمُحَرَّمِ ، فَأَمَرَ بِنَصْبِهِ بِبَغْدَاذَ ، وَخَلَعَ عَلَى الْقَاصِدِ بِهِ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ الْبُحْتُرِيُّ الشَّاعِرُ ، وَاسْمُهُ الْوَلِيدُ أَبُو عُبَادَةَ ، بِمَنْبَجَ ، أَوْ حَلَبَ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ سِتٍّ وَمِائَتَيْنِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَبُو بَكْرٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْبَاغَنْدِيِّ. |
| وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ جُرَيْجٍ الشَّاعِرُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الرُّومِيِّ ، وَقِيلَ تُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَدِيوَانُهُ مَعْرُوفٌ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ بْنِ رُفَيْعٍ التُّسْتَرِيُّ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ مِائَتَيْنِ ، وَقِيلَ إِحْدَى وَمِائَتَيْنِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ فِتْنَةٌ بِطَرَسُوسَ بَيْنَ رَاغِبٍ مَوْلَى الْمُوَفَّقِ وَبَيْنَ دُمْيَانَةَ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ رَاغِبًا تَرَكَ الدُّعَاءَ لِهَارُونَ بْنِ خُمَارَوَيْهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، وَدَعَا لِبَدْرٍ مَوْلَى الْمُعْتَضِدِ ، وَاخْتَلَفَ هُوَ وَأَحْمَدُ بْنُ طُوغَانَ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَحْمَدُ بْنُ طُوغَانَ مِنَ الْفِدَاءِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ رَكِبَ الْبَحْرَ وَمَضَى ، وَلَمْ يَدْخُلْ طَرَسُوسَ ، وَخَلَّفَ دُمْيَانَةَ بِهَا لِلْقِيَامِ بِأَمْرِهَا ، وَأَمَدَّهُ ابْنُ طُوغَانَ ، فَقَوِيَ بِذَلِكَ ، وَأَنْكَرَ مَا كَانَ يَفْعَلُهُ رَاغِبٌ ، فَوَقَعَتِ الْفِتْنَةُ ، فَظَفِرَ بِهِمْ رَاغِبٌ ، فَحَمَلَ دُمْيَانَةَ إِلَى بَغْدَاذَ. |
| وَفِيهَا أَوْقَعَ عِيسَى بْنُ النُّوشَرِيُّ بِبَكْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي دُلَفَ بِنَوَاحِي أَصْبَهَانَ ، فَقَتَلَ رِجَالَهُ ، وَاسْتَبَاحَ عَسْكَرَهُ ، وَنَجَا بَكْرٌ فِي نَفَرٍ يَسِيرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَمَضَى إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ الْعَلَوِيِّ بِطَبَرِسْتَانَ ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ إِلَى سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ وَمَاتَ ، وَلَمَّا وَصَلَ خَبَرُ مَوْتِهِ إِلَى الْمُعْتَضِدِ أَعْطَى الْقَاصِدَ بِهِ أَلْفَ دِينَارٍ. |
| وَفِيهَا ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، قُلِّدَ أَبُو عُمَرَ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ الْقَضَاءَ بِمَدِينَةِ الْمَنْصُورِ مَكَانَ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الشَّوَارِبِ. |
| وَفِيهَا أُخِذَ خَادِمٌ نَصْرَانِيٌّ لِغَالِبٍ النَّصْرَانِيِّ وَشُهِدَ عَلَيْهِ أَنَّهُ شَتَمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاجْتَمَعَ أَهْلُ بَغْدَاذَ وَصَاحُوا بِالْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَطَالَبُوهُ بِإِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى ذَلِكَ إِلَى دَارِ الْمُعْتَضِدِ ، فَسُئِلُوا عَنْ حَالِهِمْ ، فَذَكَرُوهُ لِلْمُعْتَضِدِ ، فَأَرْسَلَ مَعَهُمْ إِلَى الْقَاضِي أَبِي عُمَرَ ، فَكَادُوا يَقْتُلُونَهُ مِنْ كَثْرَةِ ازْدِحَامِهِمْ ، فَدَخَلَ بَابًا ، وَأَغْلَقَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْخَادِمِ ذِكْرٌ ، وَلَا لِلْعَامَّةِ ذِكْرُ اجْتِمَاعٍ فِي أَمْرِهِ. |
| وَفِيهَا قَدِمَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ طَرَسُوسَ عَلَى الْمُعْتَضِدِ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يُوَلِّيَ عَلَيْهِمْ وَالِيًا ، وَكَانُوا قَدْ أَخْرَجُوا عَامِلَ ابْنِ طُولُونَ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِمُ الْمُعْتَضِدُ ابْنَ الْإِخْشِيدِ أَمِيرًا. |
| وَفِيهَا ، فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ ظَهَرَتْ بِمِصْرَ ظُلْمَةٌ وَحُمْرَةٌ فِي السَّمَاءِ شَدِيدَةٌ ، حَتَّى كَانَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِ الْآخَرِ فَيَرَاهُ أَحْمَرَ ، فَمَكَثُوا كَذَلِكَ مِنَ الْعَصْرِ إِلَى الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ ، وَخَرَجَ النَّاسُ مِنْ مَنَازِلِهِمْ يَدْعُونَ اللَّهَ تَعَالَى ، وَيَتَضَرَّعُونَ إِلَيْهِ. |
| وَفِيهَا عَزَمَ الْمُعْتَضِدُ عَلَى لَعْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى الْمَنَابِرِ ، وَأَمَرَ بِإِنْشَاءِ كِتَابٍ يُقْرَأُ عَلَى النَّاسِ ، وَهُوَ كِتَابٌ طَوِيلٌ قَدْ أَحْسَنَ كِتَابَتَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدِ اسْتَدَلَّ فِيهِ بِأَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ عَلَى وُجُوبِ لَعْنِهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَصِحُّ ، وَذَكَرَ فِي الْكِتَابِ يَزِيدَ ، وَغَيْرَهُ مِنْ بَيْنِ أُمَيَّةَ ، وَعُمِلَتْ بِهِ نُسَخٌ قُرِئَتْ بِجَانِبَيْ بَغْدَاذَ ، وَمُنِعَ الْقُصَّاصُ وَالْعَامَّةُ مِنَ الْقُعُودِ بِالْجَامِعَيْنِ وَرِحَابِهِمَا ، وَنُهِيَ عَنْ الِاجْتِمَاعِ عَلَى قَاضٍ لِمُنَاظَرَةٍ ، أَوْ جَدَلٍ فِي أَمْرِ الدِّينِ ، وَنُهِيَ الَّذِينَ يَسْقُونَ الْمَاءَ فِي الْجَامِعَيْنَ أَنْ يَتَرَحَّمُوا عَلَى مُعَاوِيَةَ ، أَوْ يَذْكُرُوهُ. |
| فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ إِنَّا نَخَافُ اضْطِرَابَ الْعَامَّةِ ، وَإِثَارَةَ الْفِتْنَةِ ، فَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ ، فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ لِلْقَاضِي يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ لِيَحْتَالَ فِي مَنْعِهِ عَنْ ذَلِكَ ، فَكَلَّمَ يُوسُفُ الْمُعْتَضِدَ ، وَحَذَّرَهُ اضْطِرَابَ الْعَامَّةِ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَمَا نَصْنَعُ بِالطَّالِبِيِّينَ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَيَمِيلُ إِلَيْهِمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لِقَرَابَتِهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ |
| فَإِذَا سَمِعَ النَّاسُ مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ إِطْرَائِهِمْ كَانُوا إِلَيْهِمْ أَمْيَلَ ، وَكَانُوا هُمْ أَبْسَطَ أَلْسِنَةً ، وَأَظْهَرَ حُجَّةً فِيهِمُ الْيَوْمَ ، فَأَمْسَكَ الْمُعْتَضِدُ ، وَلَمْ يَأْمُرْ فِي الْكِتَابِ بَعْدَ ذَلِكَ بِشَيْءٍ ، وَكَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ مِنَ الْمُنْحَرِفَةِ مِنْ عَلِيٍّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ. |
| وَفِيهَا سَيَّرَ الْمُعْتَضِدُ إِلَى عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ الْخِلَعَ وَاللِّوَاءَ بِوِلَايَةِ الرَّيِّ ، وَهَدَايَا. |
| وَفِيهَا فُتِحَتْ قُرَّةُ مِنْ بَلَدِ الرُّومِ عَلَى يَدِ رَاغِبٍ مَوْلَى الْمُوَفَّقِ ، وَابْنِ كَلُوبٍ فِي رَجَبٍ. |
| وَفِيهَا ، فِي شَعْبَانَ ظَهَرَ بِدَارِ الْمُعْتَضِدِ إِنْسَانٌ بِيَدِهِ سَيْفٌ ، فَمَضَى إِلَيْهِ بَعْضُ الْخَدَمِ لِيَنْظُرَ مَا هُوَ ، فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَجَرَحَهُ ، وَهَرَبَ الْخَادِمُ ، وَدَخَلَ الشَّخْصُ فِي زَرْعٍ فِي الْبُسْتَانِ فَتَوَارَى فِيهِ ، فَطُلِبَ فِي بَاقِي لَيْلَتِهِ ، وَمِنَ الْغَدِ ، فَلَمْ يُعْرَفْ لَهُ خَبَرٌ ، فَاسْتَوْحَشَ الْمُعْتَضِدُ ، وَكَثُرَ النَّاسُ فِي أَمْرِهِ بِالظُّنُونِ حَتَّى قَالُوا إِنَّهُ مِنَ الْجِنِّ ، وَظَهَرَ مِرَارًا كَثِيرَةً ، حَتَّى وَكَّلَ الْمُعْتَضِدُ بِسُورِ دَارِهِ ، وَأَحْكَمَهُ ضَبْطًا ، ثُمَّ أَحْضَرَ الْمَجَانِينَ وَالْمُعَزِّمِينَ بِسَبَبِ ذَلِكَ الشَّخْصِ ، فَسَأَلَهُمْ عَنْهُ فَقَالَ الْمُعَزِّمُونَ نَحْنُ نَعْزِمُ عَلَى بَعْضِ الْمَجَانِينِ ، فَإِذَا سَقَطَ سَأَلَ الْجِنِّيَّ عَنْهُ فَأَخْبَرَهُ خَبَرَهُ ، فَعَزَمُوا عَلَى امْرَأَةٍ مَجْنُونَةٍ فَصُرِعَتْ ، وَالْمُعْتَضِدُ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا صُرِعَتْ أَمَرَهُمْ بِالِانْصِرَافِ. |
| وَفِيهَا وَجَّهَ كَرَامَةُ بْنُ مُرٍّ مِنَ الْكُوفَةِ بِقَوْمٍ مُقَيَّدِينَ ذُكِرَ أَنَّهُمْ مِنَ الْقَرَامِطَةِ ، فَقُرِّرُوا بِالضَّرْبِ فَأَقَرُّوا عَلَى أَبِي هَاشِمِ بْنِ صَدَقَةَ الْكَاتِبِ أَنَّهُ مِنْهُمْ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ وَحَبَسَهُ. |
| وَفِيهَا وَثَبَ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي دُلَفَ الْمَعْرُوفُ بِأَبِي لَيْلَى بِشَفِيعٍ الْخَادِمِ فَقَتَلَهُ ، وَكَانَ أَخُوهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَدْ أَخَذَهُ وَقَيَّدَهُ وَحَبَسَهُ فِي قَلْعَتِهِ زَزَّ ، وَوَكَّلَ بِهِ شَفِيعًا الْخَادِمَ ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ غِلْمَانِ عُمَرَ ، فَلَمَّا اسْتَأْمَنَ عُمَرُ إِلَى الْمُعْتَضِدِ وَهَرَبَ بَكْرٌ بَقِيَتِ الْقَلْعَةُ بِمَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَالِ بِيَدِ شَفِيعٍ ، فَكَلَّمَهُ أَبُو لَيْلَى فِي إِطْلَاقِهِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَطَلَبَ مِنْ غُلَامٍ كَانَ يَخْدِمُهُ مِبْرَدًا ، فَأَدْخَلَهُ فِي الطَّعَامِ ، فَبَرَدَ مِسْمَارَ قَيْدِهِ. |
| وَكَانَ شَفِيعٌ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ يَأْتِي إِلَى أَبِي لَيْلَى يَفْتَقِدُهُ وَيَمْضِي وَيَنَامُ ، وَتَحْتَ رَأْسِهِ سَيْفٌ مَسْلُولٌ ، فَجَاءَ شَفِيعٌ فِي لَيْلَةٍ إِلَيْهِ ، فَحَادَثَهُ ، فَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَشْرَبَ مَعَهُ أَقْدَاحًا ، فَفَعَلَ ، وَقَامَ الْخَادِمُ لِحَاجَتِهِ ، فَجَعَلَ أَبُو لَيْلَى فِي فِرَاشِهِ ثِيَابًا تُشْبِهُ إِنْسَانًا نَائِمًا ، وَغَطَّاهَا بِاللِّحَافِ ، وَقَالَ لِجَارِيَةٍ كَانَتْ تَخْدِمُهُ إِذَا عَادَ شَفِيعٌ قُولِي لَهُ هُوَ نَائِمٌ. |
| وَمَضَى أَبُو لَيْلَى فَاخْتَفَى ظَاهِرَ الدَّارِ ، وَقَدْ أَخْرَجَ قَيْدَهُ مِنْ رِجْلِهِ ، فَلَمَّا عَادَ شَفِيعٌ قَالَتْ لَهُ الْجَارِيَةُ هُوَ نَائِمٌ ، فَأَغْلَقَ الْبَابَ ، وَمَشَى إِلَى دَارِهِ ، وَنَامَ فِيهَا ، فَخَرَجَ أَبُو لَيْلَى ، وَأَخَذَ السَّيْفَ مِنْ عِنْدِ شَفِيعٍ ، وَقَتَلَهُ ، فَوَثَبَ الْغِلْمَانُ ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو لَيْلَى قَدْ قَتَلْتُ شَفِيعًا ، وَمَنْ تَقَدَّمَ إِلَيَّ قَتَلْتُهُ ، فَأَنْتُمْ آمِنُونَ ، فَخَرَجُوا مِنَ الدَّارِ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَكَلَّمَهُمْ ، وَوَعَدَهُمُ الْإِحْسَانَ ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمِ الْأَيْمَانَ ، وَجَمَعَ الْأَكْرَادَ ، وَغَيْرَهُمْ ، وَخَرَجَ مُخَالِفًا عَلَى الْمُعْتَضِدِ. |
| وَكَانَ قَتْلُ شَفِيعٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ. |
| وَلَمَّا خَرَجَ أَبُو لَيْلَى عَلَى السُّلْطَانِ قَصَدَهُ عِيسَى النُّوشَرِيُّ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَأَصَابَ أَبُو لَيْلَى فِي حَلْقِهِ سَهْمٌ فَنَحَرَهُ ، فَسَقَطَ عَنْ دَابَّتِهِ ، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ ، وَحُمِلَ رَأْسُهُ إِلَى أَصْبَهَانَ ، ثُمَّ إِلَى بَغْدَاذَ. |
| وَفِيهَا كَانَ الْمُنَجِّمُونَ يُوعِدُونَ بِغَرَقِ أَكْثَرِ الْأَقَالِيمِ إِلَّا إِقْلِيمَ بَابِلَ فَإِنَّهُ يَسْلَمُ مِنْهُ الْيَسِيرُ ، وَأَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ بِكَثْرَةِ الْأَمْطَارِ ، وَزِيَادَةِ الْأَنْهَارِ ، وَالْعُيُونِ. |
| فَقَحَطَ النَّاسُ ، وَقَلَّتِ الْأَمْطَارُ ، وَغَارَتِ الْمِيَاهُ حَتَّى احْتَاجَ النَّاسُ إِلَى الِاسْتِسْقَاءِ ، فَاسْتَسْقَوْا بِبَغْدَاذَ مَرَّاتٍ . |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَاوُدَ الْهَاشِمِيُّ الْمَعْرُوفُ بِأُتْرُنْجَةَ . |
| وَفِيهَا ظَهَرَ اخْتِلَالُ حَالِ هَارُونَ بْنِ خُمَارَوَيْهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ بِمِصْرَ ، وَاخْتَلَفَتْ الْقُوَّادُ ، وَطَمِعُوا ، فَانْحَلَّ النِّظَامُ ، وَتَفَرَّقَتِ الْكَلِمَةُ ، ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَى أَنْ جَعَلُوا مُدَبِّرَ دَوْلَتِهِ أَبَا جَعْفَرِ بْنِ أَبَّا ، وَكَانَ عِنْدَ وَالِدِهِ وَجَدِّهِ مُقَدَّمًا ، كَبِيرَ الْقَدْرِ ، فَأَصْلَحَ مِنَ الْأَحْوَالِ مَا اسْتَطَاعَ ، وَكَمْ جَهِدَ الصُّنَّاعُ إِذَا اتَّسَعَ الْخَرْقُ . |
| وَكَانَ مَنْ بِدِمَشْقَ مِنَ الْجُنْدِ قَدْ خَالَفُوا عَلَى أَخِيهِ جَيْشٍ كَمَا ذَكَرْنَا ، فَلَمَّا تَوَلَّى أَبُو جَعْفَرٍ الْأُمُورَ سَيَّرَ جَيْشًا إِلَى دِمَشْقَ عَلَيْهِمْ بَدْرٌ الْحَمَّامِيُّ ، وَالْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَاذُرَائِيُّ ، فَأَصْلَحَا حَالَهَا ، وَقَرَّرَا أُمُورَ الشَّامِ ، وَاسْتَعْمَلَا عَلَى دِمَشْقَ طُغَجَ بْنَ جَفٍّ ، وَاسْتَعْمَلَا عَلَى سَائِرِ الْأَعْمَالِ ، وَرَجَعَا إِلَى مِصْرَ ، وَالْأُمُورُ فِيهَا اخْتِلَالٌ ، وَالْقُوَّادُ قَدِ اسْتَوْلَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى طَائِفَةٍ مِنَ الْجُنْدِ وَأَخَذَهُمْ إِلَيْهِ ، وَهَكَذَا يَكُونُ انْتِقَاضُ الدُّوَلِ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا فَلَا مَرَدَّ لِحُكْمِهِ ، وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ أَبُو يَعْقُوبَ الْأَسْفِرَايِنِيُّ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ. |
| وَالْغِيَاثِيُّ ، وَاسْمُهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُعَاوِيَةَ مِنْ وَلَدِ عَتَّابِ بْنِ أَسِيدٍ ، بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ السِّينِ. |
| وَفِيهَا أَيْضًا تُوُفِّيَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَضَّاحِ بْنِ رَبِيعٍ الْأَنْدَلُسِيُّ ، وَكَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمَشْهُورِينَ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ فِيهَا قَطَعَ صَالِحُ بْنُ مُدْرِكٍ الطَّائِيُّ الطَّرِيقَ عَلَى الْحَاجِّ بِالْأَجْفَرِ فِي الْمُحَرَّمِ ، فَحَارَبَهُ حُبَّى الْكَبِيرُ ، وَهُوَ أَمِيرُ الْقَافِلَةِ ، فَلَمْ يَقْوَ بِهِ وَبِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ ، وَظَفِرَ بِالْحَجِّ وَمَنْ مَعَهُ بِالْقَافِلَةِ ، فَأَخَذُوا مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالتِّجَارَاتِ ، وَأَخَذُوا جَمَاعَةً مِنَ النِّسَاءِ ، وَالْجَوَارِي ، وَالْمَمَالِيكِ ، فَكَانَتْ قِيمَةُ مَا أَخَذَهُ أَلْفَيْ أَلْفِ دِينَارٍ. |
| وَفِيهَا وَلِيَ عَمْرُو بْنُ اللَّيْثِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، وَعُزِلَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ. |
| وَفِيهَا كَانَ بِالْكُوفَةِ رِيحٌ صَفْرَاءُ ، فَبَقِيَتْ إِلَى الْمَغْرِبِ ، ثُمَّ اسْوَدَّتْ ، فَتَضَرَّعَ النَّاسُ ، ثُمَّ مُطِرُوا مَطَرًا شَدِيدًا بِرُعُودٍ هَائِلَةٍ وَبُرُوقٍ مُتَّصِلَةٍ. |
| ثُمَّ سَقَطَ بَعْدَ سَاعَةٍ بِقَرْيَةٍ تُعْرَفُ بِأَحْمَدَابَاذَ وَنَوَاحِيهَا أَحْجَارٌ بِيضٌ وَسُودٌ مُخْتَلِفَةُ الْأَلْوَانِ ، فِي أَوْسَاطِهَا طَبَقٌ ، وَحُمِلَ مِنْهَا إِلَى بَغْدَاذَ ، فَرَآهُ النَّاسُ. |
| وَفِيهَا سَارَ فَاتِكٌ مَوْلَى الْمُعْتَضِدِ إِلَى الْمَوْصِلِ لِيَنْظُرَ فِي أَعْمَالِهَا وَأَعْمَالِ الْجَزِيرَةِ وَالثُّغُورِ الشَّامِيَّةِ ، وَالْجَزْرِيَّةِ ، وَإِصْلَاحِهَا ، مُضَافًا إِلَى مَا كَانَ يَتَقَلَّدُهُ مِنَ الْبَرِيدِ بِهَا. |
| وَفِيهَا كَانَ بِالْبَصْرَةِ رِيحٌ صَفْرَاءُ ، ثُمَّ عَادَتْ خَضْرَاءَ ، ثُمَّ سَوْدَاءَ ، ثُمَّ تَتَابَعَتِ الْأَمْطَارُ بِمَا لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ ، ثُمَّ وَقَعَ بَرَدٌ كِبَارٌ ، وَزْنُ الْبَرَدَةِ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ دِرْهَمًا فِيمَا قِيلَ. |
| وَفِيهَا مَاتَ الْخَلِيلُ بْنُ رِمَالٍ بِحُلْوَانَ. |
| وَفِيهَا وَلَّى الْمُعْتَضِدُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي السَّاجِ أَعْمَالَ أَذْرَبِيجَانَ ، وَأَرْمِينِيَّةَ ، وَكَانَ قَدْ تَغَلَّبَ عَلَيْهَا وَخَالَفَ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِخِلَعٍ. |
| وَفِيهَا غَزَا رَاغِبٌ مَوْلَى الْمُوَفَّقِ فِي الْبَحْرِ ، فَغَنِمَ مَرَاكِبَ كَثِيرَةً ، فَضَرَبَ أَعْنَاقَ ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الرُّومِ كَانُوا فِيهَا ، وَأَحْرَقَ الْمَرَاكِبَ ، وَفَتَحَ حُصُونًا كَثِيرَةً ، وَعَادَ سَالِمًا وَمَنْ مَعَهُ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَحْمَدُ بْنُ عِيسَى بْنِ الشَّيْخِ ، وَقَامَ بَعْدَهُ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ بِآمِدَ وَمَا يَلِيهَا ، عَلَى سَبِيلِ التَّغَلُّبِ ، فَسَارَ الْمُعْتَضِدُ إِلَى آمِدَ بِالْعَسَاكِرِ ، وَمَعَهُ ابْنُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيٌّ الْمُكْتَفِي فِي ذِي الْحِجَّةِ ، وَجَعَلَ طَرِيقَهُ عَلَى الْمَوْصِلِ ، فَوَصَلَ آمِدَ ، وَحَصَرَهَا إِلَى رَبِيعٍ الْآخَرِ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَنَصَبَ عَلَيْهَا الْمَجَانِيقَ ، فَأَرْسَلَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عِيسَى يَطْلُبُ الْأَمَانَ لِنَفْسِهِ ، وَلِمَنْ مَعَهُ ، وَلِأَهْلِ الْبَلَدِ ، فَأَمَّنَهُمُ الْمُعْتَضِدُ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَلَدَ ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ الْمُعْتَضِدُ وَأَكْرَمَهُ ، وَهَدَمَ سُورَهَا. |
| ثُمَّ بَلَغَهُ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ الشَّيْخِ يُرِيدُ الْهَرَبَ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ. |
| وَفِيهَا وَجَّهَ هَارُونُ بْنُ خُمَارَوَيْهِ إِلَى الْمُعْتَضِدِ لِيَسْأَلَهُ أَنْ يُقَاطِعَهُ عَلَى مَا فِي يَدِهِ وَيَدِ نُوَّابِهِ مِنْ مِصْرَ وَالشَّامِ ، وَيُسَلِّمَ أَعْمَالَ قِنَّسْرِينَ إِلَى الْمُعْتَضِدِ ، وَيَحْمِلَ كُلَّ سَنَةٍ أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَسَارَ مِنْ آمِدَ ، وَاسْتَخْلَفَ فِيهَا ابْنَهُ الْمُكْتَفِيَ ، وَوَصَلَ إِلَى قِنَّسْرِينَ ، وَالْعَوَاصِمِ ، فَتَسَلَّمَهَا مِنْ أَصْحَابِ هَارُونَ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ. |
| وَفِيهَا غَزَا ابْنُ الْإِخْشِيدِ بِأَهْلِ طَرَسُوسَ ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ ، وَبَلَغَ سَلَنْدُوَ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَاوُدَ الْهَاشِمِيُّ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ الْحَرْبِيُّ بِبَغْدَاذَ ، وَهُوَ مِنْ أَعْيَانِ الْمُحَدِّثِينَ. |
| وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّبَرِيُّ صَاحِبُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بِصَنْعَاءَ ، وَهُوَ مِنْ آخِرِ مَنْ رَوَى عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ . |
| الدَّبَرِيُّ بِفَتْحِ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَبَعْدَهَا رَاءٌ . |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْأَزْدِيُّ الْيَمَانِيُّ الْخَوِيُّ ، الْمَعْرُوفُ بِالْمُبَرِّدِ ، وَكَانَ قَدْ أَخَذَ النَّحْوَ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ الْمَازِنِيِّ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَجَّهَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي السَّاجِ الْمَعْرُوفُ بِأَبِي الْمُسَافِرِ إِلَى بَغْدَاذَ رَهِينَةً بِمَا ضَمِنَ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْمُنَاصَحَةِ ، وَمَعَهُ هَدَايَا جَلِيلَةٌ. |
| وَفِيهَا أَرْسَلَ عَمْرُو بْنُ اللَّيْثِ هَدِيَّةً إِلَى الْمُعْتَضِدِ مِنْ نَيْسَابُورَ ، فَكَانَتْ قِيمَتُهَا أَرْبَعَةُ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. |
| ذِكْرُ ابْتِدَاءِ أَمْرِ الْقَرَامِطَةِ بِالْبَحْرَيْنِ وَفِيهَا ظَهَرَ رَجُلٌ مِنَ الْقَرَامِطَةِ يُعْرَفُ بِأَبِي سَعِيدٍ الْجَنَّابِيِّ بِالْبَحْرَيْنِ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَعْرَابِ وَالْقَرَامِطَةِ ، وَقَوِيَ أَمْرُهُ ، فَقَتَلَ مَا حَوْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الْقَطِيفِ فَقَتَلَ مَنْ بِهَا ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ الْبَصْرَةَ ، فَكَتَبَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْوَاثِقِيُّ ، وَكَانَ مُتَوَلِّيَ الْبَصْرَةِ ، إِلَى الْمُعْتَضِدِ بِذَلِكَ ، فَأَمَرَهُ بِعَمَلِ سُورٍ عَلَى الْبَصْرَةِ ، وَكَانَ مَبْلَغُ الْخَرْجِ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ. |
| وَكَانَ ابْتِدَاءُ الْقَرَامِطَةِ بِنَاحِيَةِ الْبَحْرَيْنِ أَنَّ رَجُلًا يُعْرَفُ بِيَحْيَى بْنِ الْمَهْدِيِّ قَصَدَ الْقَطِيفَ فَنَزَلَ عَلَى رَجُلٍ يُعْرَفُ بِعَلِيِّ بْنِ الْمُعَلَّى بْنِ حَمْدَانَ ، مَوْلَى الزِّيَادِيِّينَ ، وَكَانَ مُغَالِيًا فِي التَّشَيُّعِ ، فَأَظْهَرَ لَهُ يَحْيَى أَنَّهُ رَسُولُ الْمَهْدِيِّ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى شِيعَتِهِ فِي الْبِلَادِ يَدْعُوهُمْ إِلَى أَمْرِهِ ، وَأَنَّ ظُهُورَهُ قَدْ قَرُبَ; فَوَجَّهَ عَلِيُّ بْنُ الْمُعَلَّى إِلَى الشِّيعَةِ مِنْ أَهْلِ الْقَطِيفِ فَجَمَعَهُمْ ، وَأَقْرَأَهُمُ الْكِتَابَ الَّذِي مَعَ يَحْيَى بْنِ الْمَهْدِيِّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمَهْدِيِّ ، فَأَجَابُوهُ ، وَأَنَّهُمْ خَارِجُونَ مَعَهُ إِذَا أَظْهَرَ أَمْرَهُ ، وَوَجَّهَ إِلَى سَائِرِ قُرَى الْبَحْرَيْنِ بِمِثْلِ ذَلِكَ فَأَجَابُوهُ. |
| وَكَانَ فِيمَنْ أَجَابَهُ أَبُو سَعِيدٍ الْجَنَّابِيُّ ، وَكَانَ يَبِيعُ لِلنَّاسِ الطَّعَامَ ، وَيَحْسِبُ لَهُمْ بَيْعَهُمْ ، ثُمَّ غَابَ عَنْهُمْ يَحْيَى بْنُ الْمَهْدِيِّ مُدَّةً ، ثُمَّ رَجَعَ وَمَعَهُ كِتَابٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنَ الْمَهْدِيِّ إِلَى شِيعَتِهِ ، فِيهِ قَدْ عَرَّفَنِي رَسُولِي يَحْيَى بْنُ الْمَهْدِيِّ مُسَارَعَتَكُمْ إِلَى أَمْرِي ، فَلْيَدْفَعْ إِلَيْهِ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ سِتَّةَ دَنَانِيرَ وَثُلُثَيْنِ; فَفَعَلُوا ذَلِكَ. |
| ثُمَّ غَابَ عَنْهُمْ ، وَعَادَ وَمَعَهُ كِتَابٌ فِيهِ أَنِ ادْفَعُوا إِلَى يَحْيَى خُمْسَ أَمْوَالِكُمْ ، فَدَفَعُوا إِلَيْهِ الْخُمْسَ. |
| وَكَانَ يَحْيَى يَتَرَدَّدُ فِي قَبَائِلِ قَيْسٍ ، وَيُورِدُ إِلَيْهِمْ كُتُبًا يَزْعُمُ أَنَّهَا مِنَ الْمَهْدِيِّ ، وَأَنَّهُ ظَاهِرٌ ، فَكُونُوا عَلَى أُهْبَةٍ. |
| وَحَكَى إِنْسَانٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ الصَّائِغُ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ أَبِي سَعِيدٍ الْجَنَّابِيِّ ، وَأَتَاهُ يَحْيَى ، فَأَكَلُوا طَعَامًا ، فَلَمَّا فَرَغُوا خَرَجَ أَبُو سَعِيدٍ مِنْ بَيْتِهِ ، وَأَمَرَ امْرَأَتَهُ أَنْ تَدْخُلَ إِلَى يَحْيَى ، وَأَنْ لَا تَمْنَعَهُ إِنْ أَرَادَ ، فَانْتَهَى هَذَا الْخَبَرُ إِلَى الْوَالِي ، فَأَخَذَ يَحْيَى فَضَرَبَهُ ، وَحَلَقَ رَأْسَهُ ، وَلِحْيَتَهُ ، وَهَرَبَ أَبُو سَعِيدٍ الْجَنَّابِيُّ إِلَى جَنَّابَا ، وَسَارَ يَحْيَى بْنُ الْمَهْدِيِّ إِلَى بَنِي كِلَابٍ ، وَعُقَيْلٍ ، وَالْخَرِيسِ ، فَاجْتَمَعُوا مَعَهُ وَمَعَ أَبِي سَعِيدٍ ، فَعَظُمَ أَمْرُ أَبِي سَعِيدٍ ، وَكَانَ مِنْهُ مَا يَأْتِي ذِكْرُهُ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا سَارَ الْمُعْتَضِدُ مِنْ آمِدَ بَعْدَ أَنْ مَلَكَهَا ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، إِلَى الرَّقَّةِ ، فَوَلَّى ابْنَهُ عَلِيًّا الْمُكْتَفِيَ قِنَّسْرِينَ ، وَالْعَوَاصِمَ ، وَالْجَزِيرَةَ ، وَكَاتِبَهُ النَّصْرَانِيَّ ، وَاسْمُهُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَمْرٍو ، فَكَانَ يَنْظُرُ فِي الْأَمْوَالِ ، فَقَالَ الْخَلِيعُ فِي ذَلِكَ حُسَيْنُ بْنُ عَمْرٍو عَدُوُّ الْقُرْآنِ... |
| يَصْنَعُ فِي الْعُرْبِ مَا يَصْنَعُ يَقُومُ لِهَيْبَتِهِ الْمُسْلِمُونَ... |
| صُفُوفًا لِفَرْدٍ إِذَا يَطْلَعُ فَإِنْ قِيلَ قَدْ أَقْبَلَ الْجَاثِلِيقُ... |
| تَحَفَّى لَهُ وَمَشَى يَظْلَعُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ ابْنُ الْإِخْشِيدِ أَمِيرُ طَرَسُوسَ ، وَاسْتَخْلَفَ أَبَا ثَابِتٍ عَلَى طَرَسُوسَ . |
| وَفِيهَا سَارَ إِلَى الْأَنْبَارِ جَمَاعَةُ أَعْرَابٍ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ ، وَأَغَارُوا عَلَى الْقُرَى ، وَقَتَلُوا مَنْ لَحِقُوا مِنَ النَّاسِ ، وَأَخَذُوا الْمَوَاشِيَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ كُمُشْجُورَ مُتَوَلِّيهَا ، فَلَمْ يَطِقْهُمْ ، فَكَتَبَ إِلَى الْمُعْتَضِدِ بِذَلِكَ ، فَأَمَدَّهُ بِجَيْشٍ ، فَأَدْرَكُوا الْأَعْرَابَ ، وَقَاتَلُوهُمْ ، فَهَزَمَهُمُ الْأَعْرَابُ وَقَتَلُوا فِيهِمْ ، وَغَرِقَ أَكْثَرُهُمْ ، وَتَفَرَّقُوا ، وَعَاثَ الْأَعْرَابُ فِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ. |
| وَبَلَغَ خَبَرُ الْهَزِيمَةِ إِلَى الْمُعْتَضِدِ ، فَسَيَّرَ جَيْشًا آخَرَ ، فَرَحَلَ الْأَعْرَابُ إِلَى عَيْنِ التَّمْرِ ، فَأَفْسَدُوا وَعَاثُوا ، وَذَلِكَ فِي شَعْبَانَ ، وَرَمَضَانَ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ عَسْكَرًا آخَرَ إِلَى عَيْنِ التَّمْرِ ، فَسَلَكُوا الْبَرِّيَّةَ إِلَى نَوَاحِي الشَّامِ ، فَعَادَ الْعَسْكَرُ إِلَى بَغْدَاذَ وَلَمْ يَلْقَهُمْ. |
| وَفِيهَا اسْتَدْعَى الْمُعْتَضِدُ رَاغِبًا مَوْلَى الْمُوَفَّقِ مِنْ طَرَسُوسَ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ وَهُوَ بِالرَّقَّةَ ، فَحَبَسَهُ وَأَخَذَ جَمِيعَ مَا كَانَ لَهُ ، فَمَاتَ بَعْدَ أَيَّامٍ مِنْ حَبْسِهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَعْبَانَ ، وَقَبَضَ عَلَى بَكْنُونَ غُلَامِ رَاغِبٍ ، وَأَخَذَ مَالَهُ بِطَرَسُوسَ. |
| وَفِيهَا قَلَّدَ الْمُعْتَضِدُ دِيوَانَ الْمَشْرِقِ مُحَمَّدَ بْنَ دَاوُدَ بْنِ الْجَرَّاحِ ، وَعَزَلَ عَنْهُ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُرَاتِ ، وَقَلَّدَ دِيوَانَ الْمَغْرِبِ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى بْنِ دَاوُدَ ابْنِ الْجَرَّاحِ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَّابٍ الْأَنْمَاطِيُّ ، الْمَعْرُوفُ بِمِرْبَعٍ ، صَاحِبُ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ ، وَكَانَ حَافِظًا لِلْحَدِيثِ. |
| وَمُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ الْكُدَيْمِيُّ الْبَصْرِيُّ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ قَتْلِ أَبِي ثَابِتٍ أَمِيرِ طَرَسُوسَ وَوِلَايَةِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اجْتَمَعَتِ الرُّومُ ، وَحَشَدَتْ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ ، وَوَافَتْ بَابَ قَلَمْيَةَ مِنْ طَرَسُوسَ ، فَنَفَرَ أَبُو ثَابِتٍ أَمِيرُ طَرَسُوسَ بَعْدَ مَوْتِ ابْنِ الْإِخْشِيدِ ، وَكَانَ اسْتَخْلَفَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ ، فَبَلَغَ أَبُو ثَابِتٍ فِي نَفِيرِهِ إِلَى نَهْرِ الرَّجَانِ فِي طَلَبِهِمْ ، فَأُسِرَ أَبُو ثَابِتٍ ، وَأُصِيبَ النَّاسُ مَعَهُ. |
| وَكَانَ ابْنُ كَلُوبٍ غَازِيًا فِي دَرْبِ السَّلَامَةِ ، فَلَمَّا عَادَ جَمَعَ مَشَايِخَ الثَّغْرِ لِيَتَرَاضَوْا بِأَمِيرٍ ، فَأَجْمَعُوا رَأْيَهُمْ عَلَى ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ ، فَوَلَّوْهُ أَمْرَهُمْ ، وَذَلِكَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ. |
| ذِكْرُ ظَفَرِ الْمُعْتَضِدِ بِوَصِيفٍ وَمَنْ مَعَهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ هَرَبَ وَصَيْفٌ خَادِمُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي السَّاجِ مِنْ بَرْذَعَةَ إِلَى مَلْطِيَّةَ مِنْ أَعْمَالِ مَوْلَاهُ ، وَكَتَبَ إِلَى الْمُعْتَضِدِ يَسْأَلُهُ أَنْ يُوَلِّيَهُ الثُّغُورَ ، فَأَخَذَ رُسُلَهُ وَقَرَّرَهُمْ عَنْ سَبَبِ مُفَارَقَةِ وَصَيْفٍ مَوْلَاهُ ، فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّهُ فَارَقَهُ عَلَى مُوَاطَأَةٍ مِنْهُمَا أَنَّهُ مَتَى وَلِيَ وَصَيْفٌ الثُّغُورَ سَارَ إِلَيْهِ مَوْلَاهُ ، وَقَصَدَا دِيَارَ مُضَرَ وَتَغَلَّبَا عَلَيْهَا. |
| فَسَارَ الْمُعْتَضِدُ نَحْوَهُ ، فَنَزَلَ الْعَيْنَ السَّوْدَاءَ ، وَأَرَادَ الرَّحِيلَ فِي طَرِيقِ الْمِصِّيصَةِ ، فَأَتَتْهُ الْعُيُونُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ وَصِيفًا يُرِيدُ عَيْنَ زَرْبَةَ ، فَسَأَلَ أَهْلَ الْمَعْرِفَةِ بِذَلِكَ الطَّرِيقِ ، وَسَأَلَهُمْ عَنْ أَقْرَبِ الطُّرُقِ إِلَى لِقَاءِ وَصَيْفٍ ، فَأَخَذُوهُ وَسَارُوا بِهِ نَحْوَهُ ، وَقَدَّمَ جَمْعًا مِنْ عَسْكَرِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَلَقُوا وَصِيفًا فَقَاتَلُوهُ ، وَأَخَذُوهُ أَسِيرًا ، فَأَحْضَرُوهُ عِنْدَ الْمُعْتَضِدِ فَحَبَسَهُ ، وَأَمَرَ فَنُودِيَ فِي أَصْحَابِ وَصَيْفٍ بِالْأَمَانِ ، وَأَمَرَ الْعَسْكَرَ بِرَدِّ مَا نَهَبُوهُ مِنْهُمْ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ. |
| وَكَانَتِ الْوَقْعَةُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ; فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ رَحَلَ إِلَى الْمِصِّيصَةِ ، وَأَحْضَرَ رُؤَسَاءَ طَرَسُوسَ فَقَبَضَ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ كَاتَبُوا وَصِيفًا ، وَأَمَرَ بِإِحْرَاقِ مَرَاكِبِ طَرَسُوسَ الَّتِي كَانُوا يَغْزُونَ فِيهَا ، وَجَمِيعَ آلَاتِهَا ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَتِهَا نَحْوٌ مِنْ خَمْسِينَ مَرْكَبًا قَدِيمَةً ، قَدْ أَنْفَقَ عَلَيْهَا مِنَ الْأَمْوَالِ مَا لَا يُحْصَى ، وَلَا يُمْكِنُ عَمَلُ مِثْلِهَا ، فَأَضَرَّ ذَلِكَ بِالْمُسْلِمِينَ ، وَفَتَّ فِي أَعَضَادِهِمْ ، وَ قَوِيَ أَمْرُ الرُّومِ أَنْ يَغْزُوَ فِي الْبَحْرِ ، وَكَانَ إِحْرَاقُهَا بِإِشَارَةِ دُمْيَانَةَ غُلَامِ يَازْمَانَ لِشَيْءٍ كَانَ فِي نَفْسِهِ عَلَى أَهْلِ طَرَسُوسَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى أَهْلِ الثُّغُورِ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ كَوْرَةَ. |
| وَسَارَ الْمُعْتَضِدُ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ وَحَلَبَ وَغَيْرِهِمَا ، وَعَادَ إِلَى بَغْدَاذَ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَتِ ابْنَةُ خُمَارَوَيْهِ زَوْجُ الْمُعْتَضِدِ . |
| ذِكْرُ أَمْرِ الْقَرَامِطَةِ ، وَانْهِزَامِ الْعَبَّاسِ الْغَنَوِيِّ مِنْهُمْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ ، عَظُمَ أَمْرُ الْقَرَامِطَةِ بِالْبَحْرَيْنِ ، وَأَغَارُوا عَلَى نَوَاحِي هَجَرَ ، وَقَرُبَ بَعْضُهُمْ مِنْ نَوَاحِي الْبَصْرَةِ ، فَكَتَبَ أَحْمَدُ الْوَاثِقِيُّ يَسْأَلُ الْمَدَدَ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ سُمَيْرِيَّاتٍ فِيهَا ثَلَاثُمِائَةِ رَجُلٍ ، وَأَمَرَ الْمُعْتَضِدُ بِاخْتِيَارِ رَجُلٍ يُنْفِذُهُ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَعَزَلَ الْعَبَّاسَ بْنَ عَمْرٍو الْغَنَوِيَّ عَنْ بِلَادِ فَارِسَ ، وَأَقْطَعَهُ الْيَمَامَةَ وَالْبَحْرَيْنِ ، وَأَمَرَهُ بِمُحَارَبَةِ الْقَرَامِطَةِ وَضَمَّ إِلَيْهِ زُهَاءَ أَلْفَيْ رَجُلٍ ، فَسَارَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَطَوِّعَةِ وَالْجُنْدِ ، وَالْخَدَمِ. |
| ثُمَّ سَارَ مِنْهَا إِلَى أَبِي سَعِيدٍ الْجَنَّابِيِّ ، فَلَقُوهُ مَسَاءً ، وَتَنَاوَشُوا الْقِتَالَ ، وَحَجَزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ انْصَرَفَ عَنِ الْعَبَّاسِ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَعْرَابِ بَنِي ضَبَّةَ ، وَكَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ ، إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَتَبِعَهُمْ مُطَّوِّعَةُ الْبَصْرَةِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ الْعَبَّاسُ بَاكَرَ الْحَرْبَ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا. |
| ثُمَّ حَمَلَ نَجَاحٌ غُلَامُ أَحْمَدَ بْنِ عِيسَى بْنِ الشَّيْخِ مِنْ مَيْسَرَةِ الْعَبَّاسِ فِي مِائَةِ رَجُلٍ عَلَى مَيْمَنَةِ أَبِي سَعِيدٍ ، فَوَغَلُوا فِيهِمْ ، فَقُتِلُوا عَنْ آخِرِهِمْ ، وَحَمَلَ الْجَنَّابِيُّ وَمَنْ مَعَهُ عَلَى أَصْحَابِ الْعَبَّاسِ ، فَانْهَزَمُوا وَأُسِرَ الْعَبَّاسُ ، وَاحْتَوَى الْجَنَّابِيُّ عَلَى مَا كَانَ فِي عَسْكَرِهِ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَحْضَرَ الْجَنَّابِيُّ الْأَسْرَى فَقَتَلَهُمْ جَمِيعًا وَحَرَّقَهُمْ ، وَكَانَتِ الْوَقْعَةُ آخِرَ شَعْبَانَ. |
| ثُمَّ سَارَ الْجَنَّابِيُّ إِلَى هَجَرَ بَعْدَ الْوَقْعَةِ ، فَدَخَلَهَا وَأَمَّنَ أَهْلَهَا ، وَانْصَرَفَ مَنْ سَلِمَ مِنَ الْمُنْهَزِمِينَ ، وَهُمْ قَلِيلٌ نَحْوَ الْبَصْرَةِ بِغَيْرِ زَادٍ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْبَصْرَةِ نَحْوُ أَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ عَلَى الرَّوَاحِلِ ، وَمَعَهُمُ الطَّعَامُ ، وَالْكِسْوَةُ وَالْمَاءُ ، فَلَقُوا بِهَا الْمُنْهَزِمِينَ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ بَنُو أَسَدٍ ، وَأَخَذُوا الرَّوَاحِلَ وَمَا عَلَيْهَا ، وَقَتَلُوا مَنْ سَلِمَ مِنَ الْمَعْرَكَةِ ، فَاضْطَرَبَتِ الْبَصْرَةُ لِذَلِكَ ، وَعَزَمَ أَهْلُهَا عَلَى الِانْتِقَالِ مِنْهَا ، فَمَنَعَهُمُ الْوَاثِقِيُّ. |
| وَبَقِيَ الْعَبَّاسُ عِنْدَ الْجَنَّابِيِّ أَيَّامًا ثُمَّ أَطْلَقَهُ ، وَقَالَ لَهُ امْضِ إِلَى صَاحِبِكَ ، وَعَرِّفْهُ مَا رَأَيْتَ ، وَحَمَلَهُ عَلَى رَوَاحِلَ ، فَوَصَلَ إِلَى بَعْضِ السَّوَاحِلِ وَرَكِبَ الْبَحْرَ فَوَافَى الْأُبُلَّةَ ، ثُمَّ سَارَ مِنْهَا إِلَى بَغْدَاذَ فَوَصَلَهَا فِي رَمَضَانَ ، فَدَخَلَ عَلَى الْمُعْتَضِدِ فَخَلَعَ عَلَيْهِ. |
| بَلَغَنِي أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ قَالَ عَجَائِبُ الدُّنْيَا ثَلَاثٌ جَيْشُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَمْرٍو يُؤْسَرُ وَحْدَهُ ، وَيَنْجُو وَحْدَهُ ، وَيُقْتَلُ جَمِيعُ جَيْشِهِ; وَجَيْشُ عَمْرِو بْنِ الصَّفَّارِ يُؤْسَرُ وَحْدَهُ ، وَيَسْلَمُ جَمِيعُ جَيْشِهِ; وَأَنَا أَنْزِلُ فِي بَيْتِي ، وَتَوَلِّي ابْنِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْجِسْرَيْنِ بِبَغْدَاذَ. |
| وَلَمَّا أَطْلَقَ أَبُو سَعِيدٍ الْعَبَّاسَ أَعْطَاهُ دَرَجًا مُلْصَقًا وَقَالَ لَهُ أَوْصِلْهُ إِلَى الْمُعْتَضِدِ فَإِنَّ لِي فِيهِ أَسْرَارًا. |
| فَلَمَّا دَخَلَ الْعَبَّاسُ عَلَى الْمُعْتَضِدِ عَاتَبَهُ الْمُعْتَضِدُ فَأَوْصَلَ إِلَيْهِ الْعَبَّاسُ الْكِتَابَ ، فَقَالَ وَاللَّهِ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُعْلِمَنِي أَنِّي أَنْفَذْتُكَ إِلَيْهِ فِي الْعَدَدِ الْكَثِيرِ ، فَرَدَّكَ فَرْدًا; وَفَتَحَ الْكِتَابَ وَإِذَا لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ. |
| وَفِيهَا ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ أَوْقَعَ بَدْرٌ غُلَامُ الطَّائِيِّ الْقَرَامِطَةَ ، عَلَى غِرَّةٍ مِنْهُمْ ، بِنَوَاحِي مَيْسَانَ ، وَغَيْرِهَا ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً ، ثُمَّ تَرَكَهُمْ خَوْفًا أَنْ تُخَرَّبَ السَّوَادُ ، وَكَانُوا فَلَّاحِيَّةً ، وَطَلَبَ رُؤَسَاءَهُمْ فَقَتَلَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ. |
| ذِكْرُ أَسْرِ عَمْرٍو الصَّفَّارِ وَمُلْكِ إِسْمَاعِيلَ خُرَاسَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ أُسِرَ عَمْرُو بْنُ اللَّيْثِ الصَّفَّارُ; وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ عَمْرًا أَرْسَلَ إِلَى الْمُعْتَضِدِ بِرَأْسِ رَافِعِ بْنِ هَرْثَمَةَ ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُوَلِّيَهُ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْخِلَعَ وَاللِّوَاءَ بِذَلِكَ ، وَهُوَ بِنَيْسَابُورَ ، فَوَجَّهَ لِمُحَارَبَةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ السَّامَانِيِّ صَاحِبِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ مُحَمَّدَ بْنَ بَشِيرٍ ، وَكَانَ خَلِيفَتَهُ وَحَاجِبَهُ ، وَأَخَصَّ أَصْحَابِهِ بِخِدْمَتِهِ ، وَأَكْبَرَهُمْ عِنْدَهُ ، وَغَيْرَهُ مِنْ قُوَّادِهِ إِلَى آمُلَ ، فَعَبَرَ إِلَيْهِمْ إِسْمَاعِيلُ جَيْحُونَ ، فَحَارَبَهُمْ ، فَهَزَمَهُمْ ، وَقَتَلَ مُحَمَّدَ بْنَ بَشِيرٍ فِي نَحْوِ سِتَّةِ آلَافِ رَجُلٍ. |
| وَبَلَغَ الْمُنْهَزِمُونَ إِلَى عَمْرٍو ، وَهُوَ بِنَيْسَابُورَ ، وَعَادَ إِسْمَاعِيلُ إِلَى بُخَارَى فَتَجَهَّزَ عَمْرٌو لِقَصْدِ إِسْمَاعِيلَ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ بِإِنْفَاذِ الْجُيُوشِ ، وَلَا يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ ، وَسَارَ عَنْ نَيْسَابُورَ نَحْوَ بَلْخَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ إِسْمَاعِيلُ إِنَّكَ قَدْ وُلِّيتَ دُنْيَا عَرِيضَةً ، وَإِنَّمَا فِي يَدِي مَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، وَأَنَا فِي ثَغْرٍ ، فَاقْنَعْ بِمَا فِي يَدِكَ ، وَاتْرُكْنِي فِي هَذَا الثَّغْرِ. |
| فَأَبَى ، فَذُكِرَ لِعَمْرٍو ، وَأَصْحَابِهِ شِدَّةَ الْعُبُورِ بِنَهْرِ بَلْخَ ، فَقَالَ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَكِّرَهُ بِبَذْرِ الْأَمْوَالِ ، وَأَعْبُرَهُ لَفَعَلْتُ. |
| فَسَارَ إِسْمَاعِيلُ نَحْوَهُ وَعَبَرَ النَّهْرَ إِلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ، وَجَاءَ عَمْرٌو فَنَزَلَ بَلْخَ ، وَأَخَذَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ النَّوَاحِيَ لِكَثْرَةِ جَمْعِهِ ، وَصَارَ عَمْرٌو كَالْمُحَاصَرِ ، وَنَدِمَ عَلَى مَا فَعَلَ ، وَطَلَبَ الْمُحَاجَزَةَ ، فَأَبَى إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ كَثِيرُ قِتَالٍ حَتَّى انْهَزَمَ عَمْرٌو فَوَلَّى هَارِبًا ، وَمَرَّ بِأَجَمَةٍ فِي طَرِيقِهِ ، فَقِيلَ لَهُ إِنَّهَا أَقْرَبُ الطُّرُقِ ، فَقَالَ لِعَامَّةِ مَنْ مَعَهُ امْضُوا فِي الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ; وَسَارَ هُوَ فِي نَفَرٍ يَسِيرٍ ، فَدَخَلَ الْأَجَمَةَ ، فَوَحَلَتْ بِهِ دَابَّتُهُ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِي نَفْسِهِ حِيلَةٌ ، وَمَضَى مَنْ مَعَهُ وَلَمْ يُعَرِّجُوا عَلَيْهِ ، وَجَاءَ أَصْحَابُ إِسْمَاعِيلَ فَأَخَذُوهُ أَسِيرًا ، فَسَيَّرَهُ إِسْمَاعِيلُ إِلَى سَمَرْقَنْدَ. |
| وَلَمَّا وَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى الْمُعْتَضِدِ ذَمَّ عَمْرًا وَمَدَحَ إِسْمَاعِيلَ ، ثُمَّ إِنَّ إِسْمَاعِيلَ خَيَّرَ عَمْرًا بَيْنَ مُقَامِهِ عِنْدَهُ ، أَوْ إِنْفَاذِهِ إِلَى الْمُعْتَضِدِ ، فَاخْتَارَ الْمُقَامَ عِنْدَ الْمُعْتَضِدِ ، فَسَيَّرَهُ إِلَيْهِ ، فَوَصَلَ إِلَى بَغْدَاذَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَلَمَّا وَصَلَ رُكِّبَ عَلَى جَمَلٍ وَأُدْخِلَ بَغْدَاذَ ، ثُمَّ حُبِسَ ، فَبَقِيَ مَحْبُوسًا حَتَّى قُتِلَ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ عَلَى مَا نَذْكُرُهُ. |
| وَأَرْسَلَ الْمُعْتَضِدُ إِلَى إِسْمَاعِيلَ بِالْخِلَعِ ، وَوَلَّاهُ مَا كَانَ بِيَدِ عَمْرٍو ، وَخَلَعَ عَلَى نَائِبِهِ بِالْحَضْرَةِ الْمَعْرُوفِ بِالْمَرْزُبَانِيِّ ، وَاسْتَوْلَى إِسْمَاعِيلُ عَلَى خُرَاسَانَ وَصَارَتْ بِيَدِهِ. |
| وَكَانَ عَمْرٌو أَعْوَرَ شَدِيدَ السُّمْرَةِ ، عَظِيمَ السِّيَاسَةِ ، قَدْ مَنَعَ أَصْحَابَهُ وَقُوَّادَهُ أَنْ يَضْرِبَ أَحَدٌ مِنْهُمْ غُلَامًا إِلَّا بِأَمْرِهِ ، أَوْ يَتَوَلَّى عُقُوبَةَ الْغُلَامِ نَائِبُهُ ، أَوْ أَحَدُ حُجَّابِهِ ، وَكَانَ يَشْتَرِي الْمَمَالِيكَ الصِّغَارَ ، وَيُرَبِّيهِمْ ، وَيَهَبُهُمْ لِقُوَّادِهِ وَيُجْرِي عَلَيْهِمُ الْجِرَايَاتِ الْحَسَنَةِ سِرًّا ، لِيُطَالِعُوهُ بِأَحْوَالِ قُوَّادِهِ ، وَلَا يَنْكَتِمُ عَنْهُ مِنْ أَخْبَارِهِمْ شَيْءٌ ، وَلَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ مَنْ يَنْقُلُ إِلَيْهِ عَنْهُمْ ، فَكَانَ أَحَدُهُمْ يَحْذَرُهُ وَهُوَ وَحْدَهُ. |
| حُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ لَهُ عَامِلٌ بِفَارِسَ يُقَالُ لَهُ أَبُو حُصَيْنٍ ، فَسَخِطَ عَلَيْهِ عَمْرٌو ، وَأَلْزَمَهُ أَنْ يَبِيعَ أَمْلَاكَهُ ، وَيُوصِلَ ثَمَنَهَا إِلَيْهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَإِنْ أَدَّاهَا فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَإِلَّا قَتَلَهُ ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي سَعِيدٍ الْكَاتِبِ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَجْتَمِعَ بِهِ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَاجْتَمَعَ بِهِ ، وَعَرَّفَهُ ضِيقَ يَدِهِ وَسَأَلَهُ أَنْ يَضْمَنَهُ لِيَخْرُجَ مِنْ مَحْبَسِهِ وَيَسْعَى فِي تَحْصِيلِ الْمَبْلَغِ الْمَطْلُوبِ مِنْهُ ، فَفَعَلَ وَأَخْرَجَهُ ، فَلَمْ يُفْتَحْ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ ، فَعَادَ إِلَى أَبِي سَعِيدٍ الْكَاتِبِ ، فَبَلَغَ خَبَرُهُ عَمْرًا ، فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مِنْ أَيِّهِمَا أَعْجَبُ ، مِنْ أَبِي سَعِيدٍ فِيمَا فَعَلَ مِنْ بَذْلِ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، أَمْ مِنْ أَبِي حُصَيْنٍ كَيْفَ عَادَ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ الْقَتْلُ! |
| ثُمَّ أَمَرَ بِإِطْلَاقِ مَا عَلَيْهِ وَرَدَّهُ إِلَى مَنْزِلَتِهِ. |
| وَحُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَحْمِلُ أَحْمَالًا كَثِيرَةً مِنَ الْجُرُبِ ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا مُرَادُهُ ، فَاتَّفَقَ فِي بَعْضِ السِّنِينَ أَنَّهُ قَصَدَ طَائِفَةً مِنَ الْعُصَاةِ عَلَيْهِ لِلْإِيقَاعِ بِهِمْ ، فَسَلَكَ طَرِيقًا لَا تَظُنُّ الْعُصَاةُ أَنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ مِنْهُ ، وَكَانَ فِي طَرِيقِهِ وَادٍ ، فَأَمَرَ بِتِلْكَ الْجُرُبِ فَمُلِئَتْ تُرَابًا ، وَأَحْجَارًا ، وَنَضَّدَ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَجَعَلَهَا طَرِيقًا فِي الْوَادِي ، فَعَبَرَ أَصْحَابُهُ عَلَيْهَا ، وَأَتَاهُمْ وَهُمْ آمِنُونَ فَأَثْخَنَ فِيهِمْ وَبَلَغَ مِنْهُمْ مَا أَرَادَ. |
| وَحُكِيَ أَيْضًا أَنَّ أَكْبَرَ حُجَّابِهِ كَانَ اسْمُهُ مُحَمَّدَ بْنَ بَشِيرٍ ، وَكَانَ يَخْلُفُهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِهِ الْعِظَامِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا ، وَأَخَذَ يُعَدِّدُ عَلَيْهِ ذُنُوبَهُ ، فَحَلَفَ مُحَمَّدٌ بِاللَّهِ وَالطَّلَاقِ وَالْعِتْقِ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ إِلَّا خَمْسِينَ بِدْرَةً ، وَهُوَ يَحْمِلُهَا إِلَى الْخِزَانَةِ ، وَلَا يَجْعَلُ لَهُ ذَنْبًا لَمْ يَعْلَمْهُ ، فَقَالَ عَمْرٌو مَا أَعْقَلَكَ مِنْ رَجُلٍ! |
| احْمِلْهَا إِلَى الْخِزَانَةِ ، فَحَمَلَهَا ، فَرَضِيَ عَنْهُ ، وَمَا أَقْبَحَ هَذَا مِنْ فِعْلٍ وَشَرَهٍ إِلَى أَمْوَالِ مَنْ أَذْهَبَ عُمْرَهُ فِي خِدْمَتِهِ! |
| ذِكْرُ قَتْلِ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ الْعَلَوِيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ الْعَلَوِيُّ ، صَاحِبُ طَبَرِسْتَانَ وَالدَّيْلَمِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّهُ لَمَّا اتَّصَلَ بِهِ أَسْرُ عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ الصَّفَّارِ خَرَجَ مِنْ طَبَرِسْتَانَ نَحْوَ خُرَاسَانَ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ إِسْمَاعِيلَ السَّامَانِيَّ لَا يَتَجَاوَزُ عَمَلَهُ ، وَلَا يَقْصِدُ خُرَاسَانَ ، وَأَنَّهُ لَا دَافِعَ لَهُ عَنْهَا. |
| فَلَمَّا سَارَ إِلَى جُرْجَانَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ إِسْمَاعِيلُ ، وَقَدِ اسْتَوْلَى عَلَى خُرَاسَانَ ، يَقُولُ لَهُ الْزَمْ عَمَلَكَ ، وَلَا تَتَجَاوَزْ عَمَلَهُ ، وَلَا تَقْصِدْ خُرَاسَانَ; وَتَرَكَ جُرْجَانَ لَهُ ، فَأَبَى ذَلِكَ مُحَمَّدٌ ، فَنَدَبَ إِلَيْهِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ مُحَمَّدَ بْنَ هَارُونَ ، وَمُحَمَّدٌ هَذَا كَانَ يَخْلُفُ رَافِعَ بْنَ هَرْثَمَةَ أَيَّامَ وِلَايَتِهِ خُرَاسَانَ ، فَجَمَعَ مُحَمَّدٌ جَمْعًا كَثِيرًا مِنْ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ ، وَسَارَ نَحْوَ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ ، فَالْتَقَوْا عَلَى بَابِ جُرْجَانَ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ أَوَّلًا ثُمَّ رَجَعَ وَقَدْ تَفَرَّقَ أَصْحَابُ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ فِي الطَّلَبِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَدْ رَجَعَ إِلَيْهِمْ وَلَّوْا هَارِبِينَ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ بَشَرٌ كَثِيرٌ ، وَأَصَابَتِ ابْنَ زَيْدٍ ضَرَبَاتٌ ، وَأُسِرَ ابْنُهُ زَيْدٌ ، وَغَنِمَ ابْنُ هَارُونَ عَسْكَرَهُ وَمَا فِيهِ ، ثُمَّ مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ بَعْدَ أَيَّامٍ مِنْ جِرَاحَاتِهِ الَّتِي أَصَابَتْهُ ، فَدُفِنَ عَلَى بَابِ جُرْجَانَ. |
| وَحُمِلَ ابْنُهُ زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ ، فَأَكْرَمَهُ وَوَسَّعَ فِي الْإِنْزَالِ عَلَيْهِ ، وَأَنْزَلَهُ بُخَارَى ، وَسَارَ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ إِلَى طَبَرِسْتَانَ. |
| وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ فَاضِلًا ، أَدِيبًا ، شَاعِرًا ، عَارِفًا ، حَسَنَ السِّيرَةِ ، قَالَ أَبُو عُمَرَ الْأَسْتَرَابَاذِيُّ كُنْتُ أُورِدُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ أَخْبَارَ الْعَبَّاسِيِّينَ ، فَقُلْتُ لَهُ إِنَّهُمْ قَدْ لَقَّبُوا أَنْفُسَهُمْ ، فَإِذَا ذَكَرْتَهُمْ عِنْدَكَ أُسَمِّيهِمْ ، أَوْ أُلَقِّبُهُمْ ؟ |
| فَقَالَ الْأَمْرُ مُوَسَّعٌ عَلَيْكَ ، سَمِّهِمْ وَلَقِّبْهُمْ بِأَحْسَنِ أَلْقَابِهِمْ وَأَسْمَائِهِمْ ، وَأَحَبِّهَا إِلَيْهِمْ. |
| وَقِيلَ حَضَرَ عِنْدَهُ خَصْمَانِ أَحَدُهُمَا اسْمُهُ مُعَاوِيَةُ وَالْآخَرُ اسْمُهُ عَلِيٌّ ، فَقَالَ الْحُكْمُ بَيْنَكُمَا ظَاهِرٌ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ إِنَّ تَحْتَ هَذَيْنِ الْاسْمَيْنِ خَبَرًا ، قَالَ مُحَمَّدٌ وَمَا هُوَ ؟ |
| قَالَ إِنَّ أَبِي كَانَ مِنْ صَادِقِي الشِّيعَةِ ، فَسَمَّانِي مُعَاوِيَةَ لِيَنْفِيَ شَرَّ النَّوَاصِبِ ، وَإِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ نَاصِبِيًّا ، فَسَمَّاهُ عَلِيًّا خَوْفًا مِنَ الْعَلَوِيَّةِ وَالشِّيعَةِ. |
| فَتَبَسَّمَ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَقَرَّبَهُ. |
| وَقِيلَ اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَضِرَّاءِ الشِّيعَةِ وَقُرَّائِهِمْ ، فَقَالَ ادْخُلُوا ، فَإِنَّهُ لَا يُحِبُّنَا إِلَّا كُلُّ كَسِيرٍ وَأَعْوَرَ. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ صِقِلِّيَةَ كَانَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ الْأَمِيرِ أَحْمَدَ أَمِيرِ إِفْرِيقِيَّةَ قَدِ اسْتَعْمَلَ عَلَى صِقِلِّيَةَ أَبَا مَالِكٍ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَاسْتَضْعَفَهُ ، فَوَلَّى بَعْدَهُ ابْنَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْأَغْلَبِ ، فَوَصَلَ إِلَيْهَا غُرَّةَ شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ فِي مِائَةٍ وَعِشْرِينَ مَرْكَبًا ، وَأَرْبَعِينَ حَرْبِيٍّ ، وَحَصَرَ طَرَابُلُسَ. |
| وَاتَّصَلَ خَبَرُهُ بِعَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ بِمَدِينَةِ بَلَرْمَ وَهُمْ يُقَاتِلُونَ أَهْلَ جَرْجَنْتَ ، فَعَادُوا إِلَى بَلَرْمَ ، وَأَرْسَلُوا جَمَاعَةً مِنْ شُيُوخِهِمْ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِمْ ، وَاعْتَذَرُوا مِنْ قَصْدِهِمْ جَرْجَنْتَ ، وَوَصَلَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ جَرْجَنْتَ ، وَشَكَوْا مِنْهُمْ وَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ مُخَالِفُونَ عَلَيْهِ ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا سَيَّرُوا مَشَايِخَهُمْ خَدِيعَةً وَمَكْرًا ، وَأَنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ وَلَا عَهْدَ; وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَعْلَمَ مِصْدَاقَ هَذَا فَاطْلُبْ إِلَيْكَ مِنْهُمْ فُلَانًا وَفُلَانًا. |
| فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَطْلُبُهُمْ فَامْتَنَعُوا عَنِ الْحُضُورِ عِنْدَهُ ، وَخَالَفُوا عَلَيْهِ ، وَأَظْهَرُوا ذَلِكَ ، فَاعْتَقَلَ الشُّيُوخَ الْوَاصِلِينَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ ، وَاجْتَمَعَ أَهْلُ بَلَرْمَ وَسَارُوا إِلَيْهِ مُنْتَصَفَ شَعْبَانَ ، وَمُقَدَّمُهُمْ مَسْعُودٌ الْبَاجِيُّ ، وَأَمِيرُ السُّفَهَاءِ مِنْهُمْ رَكْمَوَيْهِ ، وَصَحِبَهُمْ ثَمَّ أُسْطُولٌ فِي الْبَحْرِ نَحْوُ ثَلَاثِينَ قِطْعَةً ، فَهَاجَ الْبَحْرُ عَلَى الْأُسْطُولِ ، فَعَطِبَ أَكْثَرُهُ ، وَعَادَ الْبَاقِي إِلَى بَلَرْمَ. |
| وَأَمَّا الْعَسْكَرُ الَّذِينَ فِي الْبَرِّ فَإِنَّهُمْ وَصَلُوا إِلَيْهِ وَهُوَ عَلَى طَرَابُلُسَ ، فَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ الْقِتَالِ ، فَقُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ جَمَاعَةٌ وَافْتَرَقُوا ، ثُمَّ عَاوَدُوا الْقِتَالَ فِي الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ ، فَانْهَزَمَ أَهْلُ بَلَرْمَ وَقْتَ الْعَصْرِ ، وَتَبِعَهُمْ أَبُو الْعَبَّاسِ إِلَى بَلَرْمَ بَرًّا وَبَحْرًا فَعَاوَدُوا قِتَالَهُ عَاشِرَ رَمَضَانَ مِنْ بُكْرَةٍ إِلَى الْعَصْرِ ، فَانْهَزَمَ أَهْلُ الْبَلَدِ ، وَوَقَعَ الْقَتْلُ فِيهِمْ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَاسْتُعْمِلَ أَبُو الْعَبَّاسِ عَلَى أَرْبَاضِهَا ، وَنُهِبَتِ الْأَمْوَالُ ، وَهَرَبَ كَثِيرٌ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ إِلَى طَبَرْمِينَ ، وَهَرَبَ رَكْمَوَيْهِ وَأَمْثَالُهُ مِنْ رِجَالِ الْحَرْبِ إِلَى بِلَادِ النَّصْرَانِيَّةِ ، كَالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَغَيْرِهَا ، وَمَلَكَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمَدِينَةَ ، وَدَخَلَهَا ، وَأَمَّنَ أَهْلَهَا ، وَأَخَذَ جَمَاعَةً مِنْ وُجُوهِ أَهْلِهَا فَوَجَّهَهُمْ إِلَى أَبِيهِ بِإِفْرِيقِيَّةَ. |
| ثُمَّ رَحَلَ إِلَى طَبَرْمِينَ ، فَقَطَعَ كُرُومَهَا ، وَقَاتَلَهُمْ ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى قَطَانِيَةَ فَحَصَرَهَا ، فَلَمْ يَنَلْ مِنْهَا غَرَضًّا ، فَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَأَقَامَ إِلَى أَنْ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ فَتَجَهَّزَ لِلْغَزْوِ ، وَطَابَ الزَّمَانُ ، وَعَمَّرَ الْأُسْطُولَ وَسَيَّرَهُ أَوَّلَ رَبِيعٍ الْآخِرِ وَنَزَلَ عَلَى دَمَنْشَ ، وَنَصَبَ عَلَيْهَا الْمَجَانِيقَ ، وَأَقَامَ أَيَّامًا. |
| ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى مَسِّينِي ، وَجَازَ فِي الْحَرْبِيَّةِ إِلَى رِيُّو ، وَقَدِ اجْتَمَعَ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ الرُّومِ ، فَقَاتَلَهُمْ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ ، وَهَزَمَهُمْ ، وَمَلَكَ الْمَدِينَةَ بِالسَّيْفِ فِي رَجَبٍ ، وَغَنِمَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ مَا لَا يُحَدُّ ، وَشَحَنَ الْمَرَاكِبَ بِالدَّقِيقِ ، وَالْأَمْتِعَةِ ، وَرَجَعَ إِلَى مَسِّينِي وَهَدَمَ سُورَهَا ، وَوَجَدَ بِهَا مَرَاكِبَ قَدْ وَصَلَتْ مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، فَأَخَذَ مِنْهَا ثَلَاثِينَ مَرْكَبًا وَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَأَقَامَ إِلَى سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَأَتَاهُ كِتَابُ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ يَأْمُرُهُ بِالْعَوْدِ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ ، فَرَجَعَ إِلَيْهَا جَرِيدَةً فِي خَمْسِ قِطَعٍ شَوَانِي ، وَتَرَكَ الْعَسْكَرَ مَعَ وَلَدَيْهِ أَبِي مُضَرَ ، وَأَبِي مَعَدٍّ. |
| فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ اسْتَخْلَفَهُ أَبُوهُ بِهَا ، وَسَارَ هُوَ إِلَى صِقِلِّيَةَ مُجَاهِدًا ، عَازِمًا عَلَى الْحَجِّ بَعْدَ الْجِهَادِ ، فَوَصَلَهَا فِي رَجَبٍ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ. |
| وَقَدْ ذَكَرْنَا خَبَرَهُ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ جَمَعَتْ طَيٌّ مَنْ قَدَرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَعْرَابِ ، وَخَرَجُوا عَلَى قُفُلِ الْحَاجِّ ، فَوَاقَعُوهُمْ بِالْمَعْدِنِ ، وَقَاتَلُوهُمْ يَوْمَيْنِ بَيْنَ الْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ ، لِثَلَاثٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، فَانْهَزَمَ الْعَرَبُ وَقُتِلَ كَثِيرٌ وَسَلِمَ الْحَاجُّ. |
| وَفِيهَا مَاتَ إِسْحَاقُ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الْعَدَوِيُّ عَدِيُّ رَبِيعَةَ أَمِيرُ دِيَارِ رَبِيعَةَ مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ ، فَوَلِيَ مَكَانَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْهَيْثَمِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَتْ قَطْرُ النَّدَى ابْنَةُ خُمَارَوَيْهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ صَاحِبِ مِصْرَ ، وَهِيَ امْرَأَةُ الْمُعْتَضِدِ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَاوُدَ. |
| وَفِيهَا اسْتَعْمَلَ الْمُعْتَضِدُ عِيسَى النُّوشَرِيُّ ، وَهُوَ أَمِيرُ أَصْبَهَانَ ، عَلَى بِلَادِ فَارِسَ ، وَأَمَرَهُ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ فَهْدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ فَهْدٍ الْأَزْدِيُّ الْمَوْصِلِيُّ ، وَكَانَ مِنَ الْأَعْيَانِ. |
| وَعَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَغَوِيُّ ، تُوُفِّيَ بِمَكَّةَ ، وَهُوَ صَاحِبُ أَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ ، بِالتَّشْدِيدِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَقَعَ الْوَبَاءُ بِأَذْرَبِيجَانَ فَمَاتَ مِنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ إِلَى أَنْ فَقَدَ النَّاسُ مَا يُكَفِّنُونَ بِهِ الْمَوْتَى ، وَكَانُوا يَتْرُكُونَهُمْ عَلَى الطُّرُقِ غَيْرَ مُكَفَّنِينَ وَلَا مُدَفَّنِينَ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي السَّاجِ بِأَذْرَبِيجَانَ فِي الْوَبَاءِ الْكَثِيرِ الْمَذْكُورِ ، فَاجْتَمَعَ أَصْحَابُهُ ، فَوَلَّوُا ابْنَهُ دُيُودَادَ ، وَاعْتَزَلَهُمْ عَمُّهُ يُوسُفُ بْنُ أَبِي السَّاجِ مُخَالِفًا لَهُمْ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَفَرٌ يَسِيرٌ ، فَأَوْقَعَ بِابْنِ أَخِيهِ دُيُودَادَ ، وَهُوَ فِي عَسْكَرِ أَبِيهِ فَهَزَمَهُ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ يُوسُفُ الْمُقَامَ مَعَهُ فَأَبَى ، وَسَلَكَ طَرِيقَ الْمَوْصِلِ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي رَمَضَانَ. |
| وَفِيهَا ، فِي صَفَرٍ دَخَلَ طَاهِرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ بِلَادَ فَارِسَ فِي عَسْكَرِهِ ، وَأَخْرَجُوا عَنْهَا عَامِلَ الْخَلِيفَةِ ، فَكَتَبَ الْأَمِيرُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ السَّامَانِيُّ إِلَى طَاهِرٍ يَذْكُرُ لَهُ أَنَّ الْخَلِيفَةَ الْمُعْتَضِدَ قَدْ وَلَّاهُ سِجِسْتَانَ ، وَأَنَّهُ سَائِرٌ إِلَيْهَا ، فَعَادَ طَاهِرٌ لِذَلِكَ. |
| وَفِيهَا وَلَّى الْمُعْتَضِدُ مَوْلَاهُ بَدْرًا فَارِسَ ، وَأَمَرَهُ بِالشُّخُوصِ إِلَيْهَا لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ طَاهِرًا تَغَلَّبَ عَلَيْهَا ، فَسَارَ إِلَيْهِ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْ فَارِسَ تَنَحَّى عَنْهَا مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ أَصْحَابِ طَاهِرٍ ، فَدَخَلَهَا بَدْرٌ ، وَجَبَى خَرَاجَهَا ، وَعَادَ طَاهِرٌ إِلَى سِجِسْتَانَ ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ مُرَاسَلَةِ إِسْمَاعِيلَ السَّامَانِيِّ إِلَيْهِ بِأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَقْصِدَ سِجِسْتَانَ. |
| وَفِيهَا تَغَلَّبَ بَعْضُ الْعَلَوِيِّينَ عَلَى صَنْعَاءَ ، فَقَصَدَهُ بَنُو يَعْفُرَ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، فَقَاتَلُوهُ ، فَهَزَمُوهُ ، وَنَجَا هَارِبًا نَحْوُ خَمْسِينَ فَارِسًا ، وَأَسَرُوا ابْنًا لَهُ ، وَدَخَلَهَا بَنُو يَعْفُرَ ، وَخَطَبُوا فِيهَا لِلْمُعْتَضِدِ. |
| وَفِيهَا سَيَّرَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ كَوْرَةَ صَاحِبَهُ نِزَارَ بْنَ مُحَمَّدٍ إِلَى صَائِفَةِ الرُّومِ فَغَزَا ، وَفَتَحَ حُصُونًا كَثِيرَةً لِلرُّومِ ، وَعَادَ وَمَعَهُ الْأَسْرَى. |
| ثُمَّ إِنَّ الرُّومَ سَارُوا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ إِلَى نَاحِيَةِ كَيْسُومَ ، فَأَخَذُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا وَعَادُوا. |
| وَفِيهَا قَرُبَ أَصْحَابُ أَبِي سَعِيدٍ الْجَنَّابِيِّ مِنَ الْبَصْرَةِ ، فَخَافَ أَهْلُهَا ، وَهَمُّوا بِالْهَرَبِ مِنْهَا ، فَمَنَعَهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَالِيهِمْ. |
| وَفِيهَا فِي ذِي الْحِجَّةِ ، قُتِلَ وَصَيْفٌ خَادِمُ ابْنِ أَبِي السَّاجِ ، وَصُلِبَتْ جُثَّتُهُ بِبَغْدَاذَ ، وَقِيلَ إِنَّهُ مَاتَ وَلَمْ يُقْتَلْ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُكَنَّى أَبَا بَكْرٍ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ ، تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ الْوَزِيرُ ، فَعَظُمَ مَوْتُهُ عَلَى الْمُعْتَضِدِ ، وَجَعَلَ ابْنَهُ أَبَا الْحُسَيْنِ الْقَاسِمَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بَعْدَ أَبِيهِ فِي الْوِزَارَةِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ . |
| وَبِشْرُ بْنُ مُوسَى الْأَسَدِيُّ ، وَهُوَ مِنَ الْحُفَّاظِ لِلْحَدِيثِ. |
| وَفِيهَا ، فِي صَفَرٍ تُوُفِّيَ ثَابِتُ بْنُ قُرَّةَ بْنِ سِنَانٍ الصَّابِيُّ الطَّبِيبُ الْمَشْهُورُ ، وَمُعَاذُ بْنُ الْمُثَنَّى. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ أَخْبَارِ الْقَرَامِطَةِ بِالشَّامِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ظَهَرَ بِالشَّامِ رَجُلٌ مِنَ الْقَرَامِطَةِ ، وَجَمَعَ جُمُوعًا مِنَ الْأَعْرَابِ ، وَأَتَى دِمَشْقَ ، وَأَمِيرُهَا طُغَجُ بْنُ جُفٍّ مِنْ قِبَلِ هَارُونَ بْنِ خُمَارَوَيْهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا وَقَعَاتٌ. |
| وَكَانَ ابْتِدَاءُ حَالِ هَذَا الْقَرْمَطِيِّ أَنَّ زِكْرَوَيْهِ بْنَ مَهْرَوَيْهِ الَّذِي ذَكَرْنَا أَنَّهُ دَاعِيَةُ قَرْمَطَ هَذَا ، لَمَّا رَأَى أَنَّ الْجُيُوشَ مِنَ الْمُعْتَضِدِ مُتَتَابِعَةٌ إِلَى مَنْ بِسَوَادِ الْكُوفَةِ مِنَ الْقَرَامِطَةِ ، فَإِنَّ الْقَتْلَ قَدْ أَبَادَهُمْ ، سَعَى فِي اسْتِغْوَاءِ مَنْ قَرُبَ مِنَ الْكُوفَةِ مِنَ الْأَعْرَابِ أَسَدٍ ، وَطَيٍّ ، وَغَيْرِهِمْ ، فَلَمْ يُجِبْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ فَأَرْسَلَ أَوْلَادَهُ إِلَى كَلْبِ بْنِ وَبَرَةَ فَاسْتَغْوَوْهُمْ ، فَلَمْ يُجِبْهُمْ مِنْهُمْ إِلَّا الْفَخِدُ الْمَعْرُوفُ بِبَنِي الْعُلَيْصِ بْنِ ضَمْضَمِ بْنِ عُدَيِّ بْنِ خَبَّابٍ وَمَوَالِيهِمْ خَاصَّةً ، فَبَايَعُوا فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ بِنَاحِيَةِ السَّمَاوَةِ ابْنَ زِكْرَوَيْهِ ، الْمُسَمَّى بِيَحْيَى ، الْمُكَنَّى أَبَا الْقَاسِمِ ، فَلَقَّبُوهُ الشَّيْخَ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. |
| وَقِيلَ لَمْ يَكُنْ لِمُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ وَلَدٌ اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ ، وَزَعَمَ أَنَّ لَهُ بِالْبِلَادِ مِائَةَ أَلْفِ تَابِعٍ ، وَأَنَّ نَاقَتَهُ الَّتِي يَرْكَبُهَا مَأْمُورَةٌ ، فَإِذَا تَتَبَّعُوهَا فِي مَسِيرِهَا نُصِرُوا ، وَأَظْهَرَ عَضُدًا لَهُ نَاقِصَةً وَذَكَرَ أَنَّهَا آيَتُهُ ، وَأَتَاهُ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي الْأَصْبَغِ ، وَسُمُّوا الْفَاطِمِيِّينَ ، وَدَانُوا بِدِينِهِ ، فَقَصَدَهُمْ شِبْلٌ غُلَامُ الْمُعْتَضِدِ مِنْ نَاحِيَةِ الرُّصَافَةِ فَاغْتَرُّوهُ فَقَتَلُوهُ ، وَأَحْرَقُوا مَسْجِدَ الرُّصَافَةِ ، وَاعْتَرَضُوا كُلَّ قَرْيَةٍ اجْتَازُوا بِهَا ، حَتَّى بَلَغُوا وِلَايَةَ هَارُونَ بْنِ خُمَارَوَيْهِ الَّتِي قُوطِعَ عَلَيْهَا طُغَجُ بْنُ جُفٍّ ، فَأَكْثَرُوا الْقَتْلَ بِهَا وَالْإِغَارَةَ ، فَقَاتَلَهُمْ طُغَجُ ، فَهَزَمُوهُ غَيْرَ مَرَّةٍ. |
| ذِكْرُ أَخْبَارِ الْقَرَامِطَةِ بِالْعِرَاقِ وَفِيهَا انْتَشَرَ الْقَرَامِطَةُ بِسَوَادِ الْكُوفَةِ ، فَوَجَّهَ الْمُعْتَضِدُ إِلَيْهِمْ شِبْلًا غُلَامَ أَحْمَدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّائِيِّ ، وَظَفِرَ بِهِمْ ، وَأَخَذَ رَئِيسًا لَهُمْ يُعْرَفُ بِأَبِي الْفَوَارِسِ فَسَيَّرَهُ إِلَى الْمُعْتَضِدِ ، فَأَحْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ أَخْبِرْنِي ، هَلْ تَزْعُمُونَ أَنَّ رُوحَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَرْوَاحَ أَنْبِيَائِهِ تَحِلُّ فِي أَجْسَادِكُمْ فَتَعْصِمُكُمْ مِنَ الزَّلَلِ ، وَتُوَفِّقُكُمْ لِصَالِحِ الْعَمَلِ ؟ |
| فَقَالَ لَهُ يَا هَذَا إِنْ حَلَّتْ رُوحُ اللَّهِ فِينَا فَمَا يَضُرُّكَ ؟ |
| وَإِنْ حَلَّتْ رُوحُ إِبْلِيسَ فَمَا يَنْفَعُكَ ؟ |
| فَلَا تَسْأَلْ عَمَّا لَا يَعْنِيكَ وَسَلْ عَمَّا يَخُصُّكَ. |
| فَقَالَ مَا تَقُولُ فِيمَا يَخُصُّنِي ؟ |
| قَالَ أَقُولُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ وَأَبُوكُمُ الْعَبَّاسُ حَيٌّ ، فَهَلْ طَالَبَ بِالْخِلَافَةِ ، أَمْ هَلْ بَايَعَهُ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ مَاتَ أَبُو بَكْرٍ فَاسْتَخْلَفَ عُمَرَ ، وَهُوَ يَرَى مَوْضِعَ الْعَبَّاسِ ، وَلَمْ يُوصِ إِلَيْهِ ، ثُمَّ مَاتَ عُمَرُ وَجَعَلَهَا شُورَى فِي سِتَّةِ أَنْفُسٍ ، وَلَمْ يُوصِ إِلَيْهِ ، وَلَا أَدْخَلَهُ فِيهِمْ ، فَبِمَاذَا تَسْتَحِقُّونَ أَنْتُمُ الْخِلَافَةَ ؟ |
| وَقَدِ اتَّفَقَ الصَّحَابَةُ عَلَى دَفْعِ جَدِّكَ عَنْهَا. |
| فَأَمَرَ بِهِ الْمُعْتَضِدُ فَعُذِّبَ ، وَخُلِعَتْ عِظَامُهُ ، ثُمَّ قُطِّعَتْ يَدَاهُ ، وَرِجْلَاهُ ، ثُمَّ قُتِلَ. |
| ذِكْرُ وَفَاةِ الْمُعْتَضِدِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ تُوُفِّيَ الْمُعْتَضِدُ بِاللَّهِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الْمُوَفَّقِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ ، لَيْلَةَ الِاثْنَيْنِ لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْهُ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ. |
| وَلَمَّا اشْتَدَّ مَرَضُهُ اجْتَمَعَ الْقُوَّادُ ، مِنْهُمْ يُونُسُ الْخَادِمُ ، وَمُوشْكِيرُ ، وَغَيْرُهُمَا. |
| وَقَالُوا لِلْوَزِيرِ الْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ لِيُجَدِّدَ الْبَيْعَةَ لِلْمُكْتَفِي. |
| وَقَالُوا إِنَّا لَا نَأْمَنُ فِتْنَةً ، فَقَالَ إِنَّ هَذَا الْمَالَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلِوَلَدِهِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَأَخَافُ أَنْ أُطْلِقَ الْمَالَ ، فَيَبْرَأَ مِنْ عِلَّتِهِ ، فَيُنْكِرَ عَلَيَّ ذَلِكَ. |
| فَقَالَ إِنْ بَرِئَ مِنْ مَرَضِهِ ، فَنَحْنُ الْمُحْتَجُّونَ ، وَالْمُنَاظِرُونَ ، وَإِنْ صَارَ الْأَمْرُ إِلَى وَلَدِهِ ، فَلَا يَلُومُنَا ، وَنَحْنُ نَطْلُبُ الْأَمْرَ لَهُ. |
| فَأَطْلَقَ الْمَالَ وَجَدَّدَ عَلَيْهِ الْبَيْعَةَ ، وَأَحْضَرَ عَبْدَ الْوَاحِدِ بْنَ الْمُوَفَّقِ ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ الْبَيْعَةَ فَوَكَّلَ بِهِ ، وَأَحْضَرَ ابْنَ الْمُعْتَزِّ ، وَمَضَى ابْنُ الْمُؤَيَّدِ ، وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْمُعْتَمِدِ ، وَوَكَّلَ بِهِمْ. |
| فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَحْضَرَ يُوسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ ، وَأَبَا حَازِمٍ ، وَأَبَا عُمَرَ بْنَ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ فَتَوَلَّى غُسْلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ الْوَزِيرُ ، وَدُفِنَ لَيْلًا فِي دَارِ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَجَلَسَ الْوَزِيرُ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ لِلْعَزَاءِ ، وَجَدَّدَ الْبَيْعَةَ لِلْمُكْتَفِي. |
| وَكَانَتْ أُمُّ الْمُعْتَضِدِ ، وَاسْمُهَا ضِرَارُ ، قَدْ تُوُفِّيَتْ قَبْلَ خِلَافَتِهِ. |
| وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ تِسْعَ سِنِينَ وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ ، وَثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا; وَخَلَّفَ مِنَ الْوَلَدِ الذُّكُورِ عَلِيًّا وَهُوَ الْمُكْتَفِي ، وَجَعْفَرًا وَهُوَ الْمُقْتَدِرُ ، وَهَارُونُ ، وَمِنَ الْبَنَاتِ إِحْدَى عَشْرَةَ بِنْتًا ، وَقِيلَ سَبْعَ عَشْرَةَ. |
| وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ أَنْشَدَ تَمَتَّعْ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ لَا تَبْقَى وَخُذْ... |
| صَفْوَهَا مَا إِنْ صَفَتْ وَدَعِ الرَّنْقَا وَلَا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ إِنِّي أَمِنْتُهُ فَلَمْ... |
| يُبْقِ لِي حَالًا وَلَا يَرْعَ لِي حَقَّا قَتَلْتُ صَنَادِيدَ الرِّجَالِ وَلَمْ أَدَعْ... |
| عَدُوًّا وَلَمْ أُمْهِلْ عَلَى طَغْيِهِ خَلْقَا وَأَخْلَيْتُ دَارَ الْمُلْكِ مِنْ كُلِّ نَازِعٍ... |
| فَشَرَّدْتُهُمْ غَرْبًا وَمَزَّقْتُهُمْ شَرْقَا فَلَمَّا بَلَغْتُ النَّجْمَ عِزًّا وَرِفْعَةً... |
| وَصَارَتْ رِقَابُ الْخَلْقِ أَجْمَعَ لِي رِقَّا رَمَانِي الرَّدَى سَهْمًا فَأَخْمَدَ جَمْرَتِي... |
| فَهَا أَنَا ذَا فِي حُفْرَتِي عَاجِلًا أُلْقَى وَلَمْ يُغْنِ عَنِّي مَا جَمَعْتُ وَلَمْ أَجِدْ... |
| لِذِي الْمُلْكِ وَالْأَحْيَاءِ فِي حُسْنِهَا رِفْقَا فَيَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ مَوْتِيَ مَا أَلْقَى ؟ |
| إِلَى نِعَمِ الرَّحْمَنِ أَمْ نَارِهِ أُلْقَى ذِكْرُ صِفَتِهِ وَسِيرَتِهِ كَانَ الْمُعْتَضِدُ أَسْمَرَ ، نَحِيفَ الْجِسْمِ ، مُعْتَدِلَ الْخَلْقِ ، قَدْ وَخَطَهُ الشَّيْبُ ، وَكَانَ شَهْمًا شُجَاعًا مِقْدَامًا; وَكَانَ ذَا عَزْمٍ ، وَكَانَ فِيهِ شُحٌّ; بَلَغَهُ خَبَرُ وَصَيْفٍ خَادِمِ ابْنِ أَبِي السَّاجِ ، وَعَلَيْهِ قِبَاءٌ أَصْفَرُ ، فَسَارَ مِنْ سَاعَتِهِ ، وَظَفِرَ بِوَصِيفٍ ، وَعَادَ. |
| فَدَخَلَ أَنْطَاكِيَةَ ، وَعَلَيْهِ الْقِبَاءُ ، فَقَالَ بَعْضُ أَهْلِهَا الْخَلِيفَةُ بِغَيْرِ سَوَادٍ; فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ إِنَّهُ سَارَ فِيهِ ، وَلَمْ يَنْزِعْهُ عَنْهُ إِلَى الْآنَ ، وَكَانَ عَفِيفًا. |
| حَكَى الْقَاضِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى الْمُعْتَضِدِ ، وَعَلَى رَأْسِهِ أَحْدَاثٌ رُومٌ صِبَاحُ الْوُجُوهِ ، فَأَطَلْتُ النَّظَرَ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا قُمْتُ أَمَرَنِي بِالْقُعُودِ ، فَجَلَسْتُ ، فَلَمَّا تَفَرَّقَ النَّاسُ قَالَ يَا قَاضِي ، وَاللَّهِ مَا حَلَلْتُ سَرَاوِيلِي عَلَى غَيْرِ حَلَالٍ قَطُّ. |
| وَكَانَ مَهِيبًا عِنْدَ أَصْحَابِهِ يَتَّقُونَ سَطْوَتَهُ ، وَيَكُفُّونَ عَنِ الظُّلْمِ خَوْفًا مِنْهُ. |
| ذِكْرُ خِلَافَةِ الْمُكْتَفِي بِاللَّهِ وَلَمَّا تُوُفِّيَ الْمُعْتَضِدُ كَتَبَ الْوَزِيرُ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ عَلِيِّ بْنِ الْمُعْتَضِدِ ، وَهُوَ الْمُكْتَفِي بِاللَّهِ ، يُعَرِّفُهُ بِذَلِكَ وَيَأْخُذُ الْبَيْعَةَ لَهُ ، وَكَانَ بِالرَّقَّةِ. |
| فَلَمَّا وَصَلَهُ الْخَبَرُ أَخَذَ الْبَيْعَةَ عَلَى مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْأَجْنَادِ ، وَوَضَعَ لَهُمُ الْعَطَاءَ ، وَسَارَ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَوَجَّهَ إِلَى النَّوَاحِي مِنْ دِيَارِ رَبِيعَةَ. |
| وَمُضَرَ ، وَنَوَاحِي الْعَرَبِ مَنْ يَحْفَظُهَا ، وَدَخَلَ بَغْدَاذَ ، لِثَمَانٍ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ، فَلَمَّا سَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ أَمَرَ بِهَدْمِ الْمَطَامِيرِ الَّتِي كَانَ أَبُوهُ اتَّخَذَهَا لِأَهْلِ الْجَرَائِمِ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ الصَّفَّارِ وَفِي هَذَا الْيَوْمِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ الْمُكْتَفِي بَغْدَاذَ قُتِلَ عَمْرُو بْنُ اللَّيْثِ الصَّفَّارُ وَدُفِنَ مِنَ الْغَدِ ، وَكَانَ الْمُعْتَضِدُ بَعْدَمَا امْتَنَعَ مِنَ الْكَلَامِ ، أَمَرَ صَافِيًا الْحُرْمِيَّ بِقَتْلِ عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ بِالْإِيمَاءِ وَالْإِشَارَةِ ، وَوَضْعِ يَدِهِ عَلَى رَقَبَتِهِ ، وَعَلَى عَيْنِهِ بِأَنِ اذْبَحِ الْأَعْوَرَ ، وَكَانَ عَمْرٌو أَعْوَرَ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ صَافِي لِعِلْمِهِ بِقُرْبِ وَفَاةِ الْمُعْتَضِدِ ، وَكَرِهَ قَتْلَ عَمْرٍو. |
| فَلَمَّا وَصَلَ الْمُكْتَفِي بَغْدَاذَ سَأَلَ الْوَزِيرَ عَنْهُ ، فَقَالَ هُوَ حَيٌّ ، فَسُرَّ بِذَلِكَ وَأَرَادَ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ كَانَ يُكْثِرُ مِنَ الْهَدِيَّةِ إِلَيْهِ لَمَّا كَانَ بِالرَّيِّ ، فَكَرِهَ الْوَزِيرُ ذَلِكَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ مَنْ قَتَلَهُ. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ عَلَى الرَّيِّ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَاتَبَ أَهْلُ الرَّيِّ مُحَمَّدَ بْنَ هَارُونَ الَّذِي كَانَ حَارَبَ مُحَمَّدَ بْنِ زَيْدٍ الْعَلَوِيَّ ، وَتَوَلَّى طَبَرِسْتَانَ لِإِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ قَدْ خَلَعَ طَاعَةَ إِسْمَاعِيلَ فَسَأَلَهُ أَهْلُ الرَّيِّ الْمَسِيرَ إِلَيْهِمْ لِيُسَلِّمُوهَا إِلَيْهِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْوَالِيَ عَلَيْهِمْ كَانَ قَدْ أَسَاءَ السِّيرَةَ فِيهِمْ. |
| فَسَارَ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ إِلَيْهِمْ فَحَارَبَهُ وَالِيهَا وَهُوَ الدَّتْمَشُ التُّرْكِيُّ ، فَقَتَلَهُ مُحَمَّدٌ ، وَقَتَلَ ابْنَيْنِ لَهُ وَأَخَا كَيْغَلَغَ ، وَهُوَ مِنْ قُوَّادِ الْخَلِيفَةِ ، وَدَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ الرَّيَّ ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا فِي رَجَبٍ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ بَدْرٍ وَفِيهَا قُتِلَ بَدْرٌ غُلَامُ الْمُعْتَضِدِ ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْقَاسِمَ الْوَزِيرَ كَانَ قَدْ هَمَّ بِنَقْلِ الْخِلَافَةِ عَنْ وَلَدِ الْمُعْتَضِدِ بَعْدَهُ ، فَقَالَ لِبَدْرٍ ، فِي ذَلِكَ فِي حَيَاةِ الْمُعْتَضِدِ بَعْدَ أَنِ اسْتَحْلَفَهُ وَاسْتَكْتَمَهُ ، فَقَالَ بَدْرٌ مَا كُنْتُ لِأَصْرِفَهَا عَنْ وَلَدِ مَوْلَايَ وَوَلِيِّ نِعْمَتِي ، فَلَمْ يُمْكِنْهُ مُخَالَفَةُ بَدْرٍ إِذْ كَانَ صَاحِبَ الْجَيْشِ ، وَحَقَدَهَا عَلَى بَدْرٍ ، فَلَمَّا مَاتَ الْمُعْتَضِدُ كَانَ بَدْرٌ بِفَارِسَ ، فَعَقَدَ الْقَاسِمُ الْبَيْعَةَ لِلْمُكْتَفِي وَهُوَ بِالرَّقَّةِ. |
| وَكَانَ الْمُكْتَفِي أَيْضًا مُبَاعِدًا لِبَدْرٍ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ ، وَعَمِلَ الْقَاسِمُ فِي هَلَاكِ بَدْرٍ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَذْكُرَ مَا كَانَ مِنْهُ لِلْمُكْتَفِي. |
| فَوَّجَهَ الْمُكْتَفِي مُحَمَّدَ بْنَ كَشْتِمُرَ بِرَسَائِلَ إِلَى الْقُوَّادِ الَّذِينَ مَعَ بَدْرٍ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِ وَمُفَارَقَةِ بَدْرٍ ، فَفَارَقَهُ جَمَاعَةٌ ، مِنْهُمُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَمْرٍو الْغَنَوِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ كُنْدَاجَ ، وَخَاقَانُ الْمُفْلِحِيُّ ، وَغَيْرُهُمْ ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمُ الْمُكْتَفِي. |
| وَسَارَ بَدْرٌ إِلَى وَاسِطَ ، فَوَكَّلَ الْمُكْتَفِي بِدَارِهِ ، وَقَبَضَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَقُوَّادِهِ ، وَحَبَسَهُمْ وَأَمَرَ بِمَحْوِ بَدْرٍ مِنَ التِّرَاسِ ، وَالْأَعْلَامِ ، وَسَيَّرَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ كَوْرَةَ فِي جَيْشِ وَاسِطَ. |
| وَأَرْسَلَ إِلَى بَدْرٍ يَعْرِضُ عَلَيْهِ أَيَّ النَّوَاحِي شَاءَ ، فَأَبَى ذَلِكَ ، وَقَالَ لَا بُدَّ لِي مِنَ الْمَسِيرِ إِلَى بَابِ مَوْلَايَ; فَوَجَدَ الْقَاسِمُ مَسَاغًا لِلْقَوْلِ ، وَخَوَّفَ الْمُكْتَفِي غَائِلَتَهُ ، وَبَلَغَ بَدْرًا مَا فُعِلَ بِأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَأَرْسَلَ مَنْ يَأْتِيهِ بِوَلَدِهِ هِلَالٍ سِرًّا ، فَعَلِمَ الْوَزِيرُ بِذَلِكَ فَاحْتَاطَ عَلَيْهِ وَدَعَا أَبَا حَازِمٍ قَاضِيَ الشَّرْقِيَّةِ ، وَأَمَرَهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى بَدْرٍ ، وَتَطْيِيبِ نَفْسِهِ عَلَى الْمُكْتَفِي ، وَإِعْطَائِهِ الْأَمَانَ عَنْهُ لِنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو حَازِمٍ أَحْتَاجُ إِلَى سَمَاعِ ذَلِكَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ; فَصَرَفَهُ ، وَدَعَا أَبَا عُمَرَ الْقَاضِيَ ، وَأَمَرَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ فَأَجَابَهُ ، وَسَارَ وَمَعَهُ كِتَابُ الْأَمَانِ. |
| فَسَارَ بَدْرٌ عَنْ وَاسِطَ نَحْوَ بَغْدَاذَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْوَزِيرُ مَنْ قَتَلَهُ ، فَلَمَّا أَيْقَنَ بِالْقَتْلِ سَأَلَ أَنْ يُمْهَلَ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ ، فَصَلَّاهُمَا ثُمَّ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِسِتٍّ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ. |
| ثُمَّ أُخِذَ رَأْسُهُ وَتُرِكَتْ جُثَّتُهُ هُنَالِكَ ، فَوَجَّهَ عِيَالُهُ مَنْ أَخَذَهَا سِرًّا وَجَعَلُوهَا فِي تَابُوتٍ. |
| فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الْحَجِّ حَمَلُوهَا إِلَى مَكَّةَ فَدَفَنُوهَا بِهَا وَكَانَ أَوْصَى بِذَلِكَ ، وَأَعْتَقَ قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ كُلَّ مَمْلُوكٍ كَانَ لَهُ. |
| وَرَجَعَ أَبُو عُمَرَ الْقَاضِي إِلَى دَارِهِ كَئِيبًا حَزِينًا لِمَا كَانَ مِنْهُ ، وَقَالَ النَّاسُ فِيهِ أَشْعَارًا وَتَكَلَّمُوا فِيهِ ، فَمِمَّا قِيلَ فِيهِ. |
| قُلْ لِقَاضِي مَدِينَةِ الْمَنْصُورِ بِمَ أَحْلَلْتَ أَخْذَ رَأْسِ الْأَمِيرِ عِنْدَ إِعْطَائِهِ الْمَوَاثِيقَ وَالْعَهْ... |
| دَ وَعَقْدِ الْأَيْمَانِ فِي مَنْشُورِ أَيْنَ أَيْمَانُكَ الَّتِي شَهِدَ اللَّ... |
| هُ عَلَى أَنَّهَا يَمِينُ فُجُورِ إِنَّ كَفَّيْكَ لَا تُفَارِقُ كَفَّيْ... |
| هِ إِلَى أَنْ تُرَى عَلِيلَ السَّرِيرِ يَا قَلِيلَ الْحَيَاءِ يَا أَكْذَبَ الْأُمَّ... |
| ةِ يَا شَاهِدًا شَهَادَةَ زُورِ لَيْسَ هَذَا فِعْلَ الْقُضَاةِ وَلَا يُحْ... |
| سِنُ أَمْثَالَهُ وُلَاةُ الْجُسُورِ أَيُّ أَمْرٍ رَكِبْتَ فِي الْجُمُعَةِ الزَّهْ... |
| رَاءِ مِنْهُ فِي خَيْرِ هَذِي الشُّهُورِ قَدْ مَضَى مَنْ قَتَلْتَ فِي رَمَضَا... |
| نَ صَائِمًا بَعْدَ سَجْدَةِ التَّعْفِيرِ يَا بَنِي يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ أَضْحَى... |
| أَهْلُ بَغْدَاذَ مِنْكُمْ فِي غُرُورِ بَدَّدَ اللَّهُ شَمْلَكُمْ وَأَرَانِي... |
| ذُلَّكُمْ فِي حَيَاةِ هَذَا الْوَزِيرِ فَأَعِدُّوا الْجَوَابَ لِلْحَكَمِ الْعَدْ... |
| لِ وَمِنْ بَعْدُ مُنْكِرٍ وَنَكِيرِ أَنْتُمْ كُلُّكُمْ فِدًا لِأَبِي حَا... |
| زِمٍ الْمُسْتَقِيمِ كُلِّ الْأُمُورِ ذِكْرُ وِلَايَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ إِفْرِيقِيَّةَ قَدْ ذَكَرْنَا سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَحْمَدَ أَمِيرَ إِفْرِيقِيَّةَ عَهِدَ إِلَى وَلَدِهِ أَبِي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَتُوُفِّيَ فِيهَا. |
| فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَالِدُهُ قَامَ بِالْمُلْكِ بَعْدَهُ ، وَكَانَ أَدِيبًا لَبِيبًا شُجَاعًا أَحَدَ الْفُرْسَانِ الْمَذْكُورِينَ مَعَ عِلْمِهِ بِالْحَرْبِ ، وَتَصَرُّفِهَا. |
| وَكَانَ عَاقِلًا عَالِمًا لَهُ نَظَرٌ حَسَنٌ فِي الْجَدَلِ. |
| وَفِي أَيَّامِهِ عَظُمَ أَمْرُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشِّيعِيِّ ، فَأَرْسَلَ أَخَاهُ الْأَحْوَلَ ، وَلَمْ يَكُنْ أَحْوَلَ ، وَإِنَّمَا لُقِّبَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا نَظَرَ دَائِمًا رُبَّمَا كَسَرَ جَفْنَهُ ، فَلُقِّبَ بِالْأَحْوَلِ ، إِلَى قِتَالِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشِّيعِيِّ. |
| فَلَمَّا بَلَغَهُ حَرَكَتُهُ خَرَجَ إِلَيْهِمْ فِي جُمُوعٍ كَثِيرَةٍ ، وَالْتَقَوْا عِنْدَ كَمُّوشَةَ ، فَقُتِلَ بَيْنَهُمْ خَلْقٌ عَظِيمٌ ، وَانْهَزَمَ الْأَحْوَلُ ، إِلَّا أَنَّهُ أَقَامَ فِي مُقَابَلَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ. |
| وَكَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَيَّامَ أَبِيهِ عَلَى خَوْفٍ شَدِيدٍ مِنْهُ لِسُوءِ أَخْلَاقِهِ ، وَاسْتَعْمَلَهُ أَبُوهُ عَلَى صِقِلِّيَةَ فَفَتَحَ فِيهَا مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةً ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ ذَلِكَ أَيَّامَ وَالِدِهِ. |
| وَلَمَّا وَلِيَ أَبُو الْعَبَّاسِ إِفْرِيقِيَّةَ ، كَتَبَ إِلَى الْعُمَّالِ كِتَابًا يُقْرَأُ عَلَى الْعَامَّةِ ، يَعِدُهُمْ فِيهِ الْإِحْسَانَ ، وَالْعَدْلَ ، وَالرِّفْقَ ، وَالْجِهَادَ ، فَفَعَلَ مَا وَعَدَ مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَحْضَرَ جَمَاعَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ لِيُعِينُوهُ عَلَى أَمْرِ الرَّعِيَّةِ . |
| وَلَهُ شِعْرٌ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ بِصِقِلِّيَةَ وَقَدْ شَرِبَ دَوَاءً شَرِبْتُ الدَّوَاءَ عَلَى غُرْبَةٍ... |
| بَعِيدًا مِنَ الْأَهْلِ وَالْمَنْزِلِ وَكُنْتُ إِذَا مَا شَرِبْتُ الدَّوَا... |
| أُطَيِّبُ بِالْمِسْكِ وَالْمَنْدَلِ وَقَدْ صَارَ شُرْبِي بِحَارَ الْدِّمَا وَنَقْعَ الْعَجَاجَةِ وَالْقَسْطَلِ وَاتَّصَلَ بِأَبِي الْعَبَّاسِ عَنْ وَلَدِهِ أَبِي مُضَرَ زِيَادَةِ اللَّهِ وَالِي صِقِلِّيَةَ لَهُ اعْتِكَافُهُ عَلَى اللَّهْوِ ، وَإِدْمَانُهُ شُرْبَ الْخَمْرِ ، فَعَزَلَهُ وَوَلَّى مُحَمَّدَ بْنَ السَّرَقُوسِيِّ ، وَحَبَسَ وَلَدَهُ. |
| فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الْأَرْبِعَاءِ آخِرَ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ تِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ قُتِلَ أَبُو الْعَبَّاسِ ، قَتَلَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِنْ خَدَمِهِ الصَّقَالِبَةِ بِوَضْعٍ مِنْ وَلَدِهِ ، وَحَمَلُوا رَأْسَهُ إِلَى وَلَدِهِ أَبِي مُضَرَ ، وَهُوَ فِي الْحَبْسِ ، فَقَتَّلَ الْخَدَمَ وَصَلَبَهُمْ ، وَكَانَ هُوَ الَّذِي وَضَعَهُمْ ، فَكَانَتْ إِمَارَتُهُ سَنَةً وَاثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ يَوْمًا. |
| وَكَانَ سُكْنَاهُ وَقَتْلُهُ ، رَحِمَهُ اللَّهُ بِمَدِينَةِ تُونُسَ. |
| وَكَانَ كَثِيرَ الْعَدْلِ ، أَحْضَرَ جَمَاعَةً كَثِيرَةً عِنْدَهُ لِيُعِينُوهُ عَلَى الْعَدْلِ ، وَيُعَرِّفُوهُ مِنْ أَحْوَالِ النَّاسِ مَا يَفْعَلُ فِيهِ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْصَافِ ، وَأَمَرَ الْحَاكِمَ فِي بَلَدِهِ أَنْ يَقْضِيَ عَلَيْهِ ، وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِهِ ، وَخَوَاصِّ أَصْحَابِهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ. |
| وَلَمَّا قُتِلَ وُلِّيَ ابْنُهُ أَبُو مُضَرَ ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا نَذْكُرُهُ سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، مُنْتَصَفَ رَمَضَانَ قُتِلَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ الْمُوَفَّقِ ، وَكَانَتْ وَالِدَتُهُ إِذَا سَأَلَتْ عَنْهُ قِيلَ لَهَا إِنَّهُ فِي دَارِ الْمُكْتَفِي. |
| فَلَمَّا مَاتَ الْمُكْتَفِي أَيِسَتْ مِنْهُ ، فَأَقَامَتْ عَلَيْهِ مَأْتَمًا. |
| وَفِيهَا كَانَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَ أَصْحَابِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ وَبَيْنَ ابْنِ جُسْتَانَ الدَّيْلَمِيِّ بِطَبَرِسْتَانَ ، فَانْهَزَمَ ابْنُ جُسْتَانَ. |
| وَفِيهَا لَحِقَ إِسْحَاقُ الْفَرْغَانِيُّ ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ ، بِالْبَادِيَةِ ، وَأَظْهَرَ الْخِلَافَ عَلَى الْخَلِيفَةِ الْمُكْتَفِي ، فَحَارَبَهُ أَبُو الْأَغَرِّ ، فَهَزَمَهُ إِسْحَاقُ ، وَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ جَمَاعَةً. |
| وَفِيهَا سُيِّرَ خَاقَانُ الْمُفْلِحِيُّ إِلَى الرَّيِّ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ لِيَتَوَلَّاهَا. |
| وَفِيهَا صَلَّى النَّاسُ الْعَصْرَ فِي قُمُصِ الصَّيْفِ بِبَغْدَاذَ ، ثُمَّ هَبَّ هَوَاءٌ مِنْ نَاحِيَةِ الشِّمَالِ ، فَبَرِدَ الْوَقْتُ ، وَاشْتَدَّ الْبَرْدُ ، حَتَّى احْتَاجَ النَّاسُ إِلَى النَّارِ وَلُبْسِ الْجِبَابِ ، وَجَعَلَ الْبَرَدُ يَزْدَادُ حَتَّى جَمُدَ الْمَاءُ. |
| وَفِيهَا كَانَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ وَبَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ بِالرَّيِّ ، فَانْهَزَمَ مُحَمَّدٌ ، وَلَحِقَ بِالدَّيْلَمِ مُسْتَجِيرًا بِهِمْ ، وَدَخَلَ إِسْمَاعِيلُ الرَّيَّ. |
| وَفِيهَا زَادَتْ دِجْلَةُ قَدْرَ خَمْسَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا. |
| وَفِيهَا خَلَعَ الْمُكْتَفِي عَلَى هِلَالِ بْنِ بَدْرٍ ، وَغَيْرِهِ مِنْ أَصْحَابِ أَبِيهِ فِي جُمَادَى الْأُولَى. |
| وَفِيهَا هَبَّتْ رِيحٌ عَاصِفٌ بِالْبَصْرَةِ ، فَقَلَعَتْ كَثِيرًا مِنْ نَخْلِهَا ، وَخُسِفَ بِمَوْضِعٍ مِنْهَا هَلَكَ فِيهِ سِتَّةُ آلَافِ نَفْسٍ ، وَزُلْزِلَتْ بَغْدَادُ فِي رَجَبٍ عِدَّةَ مَرَّاتٍ ، فَتَضَرَّعَ أَهْلُهَا فِي الْجَامِعِ فَكُشِفَ عَنْهُمْ . |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ أَبُو حَمْزَةَ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الصُّوفِيُّ ، وَهُوَ مِنْ أَقْرَانِ سَرِيٍّ السَّقَطِيِّ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ أَخْبَارِ الْقَرَامِطَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي رَبِيعٍ الْآخَرِ ، سَيَّرَ طُغَجُ بْنُ جُفٍّ جَيْشًا مِنْ دِمَشْقَ إِلَى الْقَرْمَطِيِّ ، عَلَيْهِمْ غُلَامٌ لَهُ اسْمُهُ بَشِيرٌ ، فَهَزَمَهُمُ الْقَرْمَطِيُّ ، وَقَتَلَ بَشِيرًا. |
| وَفِيهَا حَصَرَ الْقَرْمَطِيُّ دِمَشْقَ ، وَضَيَّقَ عَلَى أَهْلِهَا ، وَقَتَلَ أَصْحَابَ طُغَجَ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ ، وَأَشْرَفَ أَهْلُهَا عَلَى الْهَلَكَةِ ، فَاجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ بَغْدَاذَ وَأَنْهَوْا ذَلِكَ إِلَى الْخَلِيفَةِ ، فَوَعَدَهُمُ النَّجْدَةَ ، وَأَمَدَّ الْمِصْرِيُّونَ أَهْلَ دِمَشْقَ بِبَدْرٍ وَغَيْرِهِ مِنَ الْقُوَّادِ ، فَقَاتَلُوا الشَّيْخَ مُقَدَّمَ الْقَرَامِطَةِ ، فَقُتِلَ عَلَى بَابِ دِمَشْقَ ، رَمَاهُ بَعْضُ الْمَغَارِبَةِ بِمِزْرَاقٍ ، وَزَرَقَهُ نَفَّاطٌ بِالنَّارِ فَاحْتَرَقَ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ. |
| وَكَانَ هَذَا الْقَرْمَطِيُّ يَزْعُمُ أَنَّهُ إِذَا أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى جِهَةٍ مِنَ الَّتِي فِيهَا مُحَارِبُوهُ انْهَزَمُوا. |
| وَلَمَّا قُتِلَ يَحْيَى الْمَعْرُوفُ بِالشَّيْخِ وَقُتِلَ أَصْحَابُهُ ، اجْتَمَعَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ عَلَى أَخِيهِ الْحُسَيْنِ ، وَسَمَّى نَفْسَهُ أَحْمَدَ ، وَكَنَّاهُ أَبَا الْعَبَّاسِ ، وَدَعَا النَّاسَ فَأَجَابَهُ أَكْثَرُ أَهْلِ الْبَوَادِي وَغَيْرُهُمْ ، فَاشْتَدَّتْ شَوْكَتُهُ ، وَأَظْهَرَ شَامَةً فِي وَجْهِهِ ، وَزَعَمَ أَنَّهَا آيَتُهُ. |
| فَسَارَ إِلَى دِمَشْقَ ، فَصَالَحَهُ أَهْلُهَا عَلَى خَرَاجٍ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ وَانْصَرَفَ عَنْهُمْ. |
| ثُمَّ سَارَ إِلَى أَطْرَافِ حِمْصَ ، فَغَلَبَ عَلَيْهَا ، وَخُطِبَ لَهُ عَلَى مَنَابِرِهَا ، وَتَسَمَّى الْمَهْدِيَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَتَاهُ ابْنُ عَمِّهِ عِيسَى بْنُ الْمَهْدِيِّ ، الْمُسَمَّى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، فَلَقَّبَهُ الْمُدَّثِّرَ وَعَهِدَ إِلَيْهِ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ الْمُدَّثِّرُ الَّذِي فِي الْقُرْآنِ ، وَلَقَّبَ غُلَامًا مِنْ أَهْلِهِ الْمُطَوَّقَ ، وَقَلَّدَهُ قَتْلَ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ. |
| وَلَمَّا أَطَاعَهُ أَهْلُ حِمْصَ ، وَفَتَحُوا لَهُ بَابَهَا خَوْفًا مِنْهُ ، سَارَ إِلَى حَمَاةَ ، وَمَعَرَّةِ النُّعْمَانِ ، وَغَيْرِهِمَا ، فَقَتَلَ أَهْلَهَا ، وَقَتَلَ النِّسَاءَ ، وَالصِّبْيَانَ. |
| ثُمَّ سَارَ إِلَى بَعْلَبَكَّ ، فَقَتَلَ عَامَّةَ أَهْلِهَا ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا الْيَسِيرُ. |
| ثُمَّ سَارَ إِلَى سَلَمِيَّةَ فَمَنَعَهُ أَهْلُهَا ، ثُمَّ صَالَحَهُمْ ، وَأَعْطَاهُمُ الْأَمَانَ ، فَفَتَحُوا لَهُ بَابَهَا ، فَبَدَأَ بِمَنْ فِيهَا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، وَكَانُوا جَمَاعَةً ، فَقَتَلَهُمْ أَجْمَعِينَ ، ثُمَّ قَتَلَ الْبَهَائِمَ ، وَالصِّبْيَانَ بِالْمَكَاتِبِ. |
| ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا ، وَلَيْسَ بِهَا عَيْنٌ تَطْرِفُ. |
| وَسَارَ فِيمَا حَوْلَهَا مِنَ الْقُرَى يَسْبِي ، وَيَقْتُلُ وَيُخِيفُ السَّبِيلَ. |
| فَذُكِرَ عَنْ مُتَطَبِّبٍ بِبَابِ الْمُحَوَّلِ يُدْعَى أَبَا الْحُسَيْنِ قَالَ جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ بَعْدَمَا أُدْخِلَ الْقَرْمَطِيُّ صَاحِبُ الشَّامَةِ بَغْدَادَ ، وَقَالَتْ أُرِيدُ أَنْ تُعَالِجَ جُرْحًا فِي كَتِفِي; فَقُلْتُ هَهُنَا امْرَأَةٌ تُعَالِجُ النِّسَاءَ فَانْتَظَرَتْهَا ، فَقَعَدَتْ وَهِيَ بَاكِيَةٌ مَكْرُوبَةٌ ، فَسَأَلْتُهَا عَنْ قِصَّتِهَا قَالَتْ كَانَ لِي وَلَدٌ طَالَتْ غَيْبَتُهُ عَنِّي ، فَخَرَجْتُ أَطُوفُ عَلَيْهِ الْبِلَادَ ، فَلَمْ أَرَهُ ، فَخَرَجْتُ مِنَ الرَّقَّةِ فِي طَلَبِهِ ، فَوَقَعْتُ فِي عَسْكَرِ الْقَرْمَطِيِّ أَطْلُبُهُ ، فَرَأَيْتُهُ ، فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ حَالِي وَحَالَ إِخْوَتِهِ ، فَقَالَ دَعِينِي مِنْ هَذَا ، أَخْبِرِينِي مَا دِينُكِ ؟ |
| فَقُلْتُ أَمَا تَعْرِفُ مَا دِينِي ؟ |
| فَقَالَ مَا كُنَّا فِيهِ بَاطِلٌ ، وَالدِّينُ مَا نَحْنُ فِيهِ الْيَوْمَ ، فَعَجِبْتُ مِنْ ذَلِكَ ، وَخَرَجَ وَتَرَكَنِي ، وَوَجَّهَ بِخُبْزٍ وَلَحْمٍ فَلَمْ أَمَسَّهُ ، حَتَّى عَادَ فَأَصْلَحَهُ. |
| وَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَسَأَلَنِي هَلْ أُحْسِنُ مِنْ أَمْرِ النِّسَاءِ شَيْئًا ؟ |
| فَقُلْتُ نَعَمْ ، فَأَدْخَلَنِي دَارًا فَإِذَا امْرَأَةٌ تَطْلُقُ ، فَقَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَجَعَلْتُ أُكَلِّمُهَا وَلَا تُكَلِّمُنِي ، حَتَّى وَلَدَتْ غُلَامًا ، فَأَصْلَحْتُ مِنْ شَأْنِهِ ، وَتَلَطَّفْتُ بِهَا حَتَّى كَلَّمَتْنِي ، فَسَأَلْتُهَا عَنْ حَالِهَا ، فَقَالَتْ أَنَا امْرَأَةٌ هَاشِمِيَّةٌ أَخَذَنَا هَؤُلَاءِ الْأَقْوَامُ ، فَذَبَحُوا أَبِي ، وَأَهْلِي جَمِيعًا ، وَأَخَذَنِي صَاحِبُهُمْ ، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ خَمْسَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ أَمَرَ بِقَتْلِي ، فَطَلَبَنِي مِنْهُ أَرْبَعَةُ أَنْفُسٍ مِنْ قُوَّادِهِ ، فَوَهَبَنِي لَهُمْ ، وَكُنْتُ مَعَهُمْ ، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مِمَّنْ هَذَا الْوَلَدُ مِنْهُمْ. |
| قَالَتْ فَجَاءَ رَجُلٌ ، فَقَالَتْ لِي هَنِّيهِ ، فَهَنَّيْتُهُ ، فَأَعْطَانِي سَبِيكَةَ فِضَّةٍ وَجَاءَ آخَرُ ، وَآخَرُ ، أُهَنِّي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، وَيُعْطِينِي سَبِيكَةَ فِضَّةٍ ، ثُمَّ جَاءَ الرَّابِعُ ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ ، فَهَنَّيْتُهُ ، فَأَعْطَانِي أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَبِتْنَا ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قُلْتُ لِلْمَرْأَةِ قَدْ وَجَبَ حَقِّي عَلَيْكِ ، فَاللَّهَ اللَّهَ خَلِّصِينِي قَالَتْ مِمَّنْ أُخَلِّصُكِ ؟ |
| فَأَخْبَرْتُهَا خَبَرَ ابْنِي ، فَقَالَتْ عَلَيْكِ بِالرَّجُلِ الَّذِي جَاءَ آخِرَ الْقَوْمِ ، فَأَقَمْتُ يَوْمِي ، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ ، وَجَاءَ الرَّجُلُ قُمْتُ لَهُ ، وَقَبَّلْتُ يَدَهُ وَرِجْلَهُ ، وَوَعَدْتُهُ أَنَّنِي أَعُودُ بَعْدَ أَنْ أُوَصِّلَ مَا مَعِي إِلَى بَنَاتِي; فَدَعَا قَوْمًا مِنْ غِلْمَانِهِ ، وَأَمَرَهُمْ بِحَمْلِي إِلَى مَكَانٍ ذَكَرَهُ ، وَقَالَ اتْرُكُوهَا فِيهِ وَارْجِعُوا; فَسَارُوا بِي عَشَرَةَ فَرَاسِخَ ، فَلَحِقَنَا ابْنِي ، فَضَرَبَنِي بِالسَّيْفِ ، فَجَرَحَنِي ، وَمَنَعَهُ الْقَوْمُ ، وَسَارُوا بِي إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي سَمَّاهُ لَهُمْ صَاحِبُهُمْ ، وَتَرَكُونِي ، وَجِئْتُ إِلَى هَهُنَا. |
| قَالَتْ وَلَمَّا قَدِمَ الْأَمِيرُ بِالْقَرَامِطَةِ وَبِالْأُسَارَى رَأَيْتُ ابْنِي فِيهِمْ عَلَى جَمَلٍ عَلَيْهِ بُرْنُسٌ ، وَهُوَ يَبْكِي ، فَقُلْتُ لَا خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكَ وَلَا خَلَّصَكَ. |
| ثُمَّ إِنَّ كُتُبَ أَهْلِ الشَّامِ ، وَمِصْرَ وَصَلَتْ إِلَى الْمُكْتَفِي يَشْكُونَ مَا يَلْقَوْنَ مِنَ الْقَرْمَطِيِّ مِنَ الْقَتْلِ وَالسَّبْيِ ، وَتَخْرِيبِ الْبِلَادِ ، فَأَمَرَ الْجُنْدَ بِالتَّأَهُّبِ وَخَرَجَ مِنْ بَغْدَاذَ ، فِي رَمَضَانَ ، وَسَارَ إِلَى الشَّامِ وَجَعَلَ طَرِيقَهُ عَلَى الْمَوْصِلِ ، وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَبَا الْأَغَرِّ فِي عَشَرَةِ آلَافِ رَجُلٍ ، فَنَزَلَ قَرِيبًا مِنْ حَلَبَ ، فَكَبَسَهُمُ الْقَرْمَطِيُّ صَاحِبُ الشَّامَةِ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَسَلِمَ أَبُو الْأَغَرِّ ، فَدَخَلَ حَلَبَ فِي أَلْفِ رَجُلٍ ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْوَقْعَةُ فِي رَمَضَانَ ، وَسَارَ الْقَرْمَطِيُّ إِلَى بَابِ حَلَبَ ، فَحَارَبَهُ أَبُو الْأَغَرِّ بِمَنْ بَقِيَ مَعَهُ وَأَهْلُ الْبَلَدِ ، فَرَجَعَ عَنْهُمْ. |
| وَسَارَ الْمُكْتَفِي حَتَّى نَزَلَ الرَّقَّةَ ، وَسَيَّرَ الْجُيُوشَ إِلَيْهِ ، وَجَعَلَ أَمْرَهُمْ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْكَاتِبِ. |
| وَفِيهَا ، فِي شَوَّالٍ تَحَارَبَ الْقَرْمَطِيُّ صَاحِبُ الشَّامَةِ ، وَبَدْرٌ مَوْلَى ابْنِ طُولُونَ ، فَانْهَزَمَ الْقَرْمَطِيُّ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَمَضَى مَنْ سَلِمَ مِنْهُمْ نَحْوَ الْبَادِيَةِ. |
| فَوَجَّهَ الْمُكْتَفِي فِي أَثَرِهِمُ الْحُسَيْنَ بْنَ حَمْدَانَ ، وَغَيْرَهُ مِنَ الْقُوَّادِ. |
| وَفِيهَا كَبَسَ ابْنُ بَانْوَا أَمِيرُ الْبَحْرَيْنِ حِصْنًا لِلْقَرَامِطَةِ ، فَظَفِرَ بِمَنْ فِيهِ ، وَوَاقَعَ قَرَابَةَ أَبِي سَعِيدٍ الْجَنَّابِيِّ ، فَهَزَمَهُ ابْنُ بَانْوَا ، وَكَانَ مُقَامُ هَذَا الْقَرْمَطِيِّ بِالْقَطِيفِ ، وَهُوَ وَلِيُّ عَهْدِ أَبِي سَعِيدٍ ، ثُمَّ أَنَّهُ وُجِدَ بَعْدَمَا انْهَزَمَ أَصْحَابُهُ قَتِيلًا ، فَأُخِذَ رَأْسُهُ ، وَسَارَ ابْنُ بَانْوَا إِلَى الْقَطِيفِ ، فَافْتَتَحَهَا. |
| ذِكْرُ أَسْرِ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ وَفِيهَا أُخِذَ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ أَسِيرًا; وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْمُكْتَفِيَ أَنْفَذَ عَهْدًا إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ السَّامَانِيِّ بِوِلَايَةِ الرَّيِّ ، فَسَارَ إِلَيْهَا ، وَبِهَا مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ ، فَسَارَ عَنْهَا مُحَمَّدٌ إِلَى قَزْوِينَ وَزَنْجَانَ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى طَبَرِسْتَانَ ، فَاسْتَعْمَلَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ عَلَى جُرْجَانَ بَارِسَ الْكَبِيرَ ، وَأَلْزَمَهُ بِإِحْضَارِ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ قَسْرًا ، أَوْ صُلْحًا ، وَكَاتَبَهُ بَارِسُ ، وَضَمِنَ لَهُ إِصْلَاحَ حَالِهِ مَعَ الْأَمِيرِ إِسْمَاعِيلَ ، فَقَبِلَ مُحَمَّدٌ قَوْلَهُ ، وَانْصَرَفَ عَنْ جُسْتَانَ الدَّيْلَمِيِّ ، وَقَصَدَ بُخَارَى. |
| فَلَمَّا بَلَغَ مَرْوَ قُيِّدَ بِهَا ، وَذَلِكَ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ تِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ. |
| ثُمَّ حُمِلَ إِلَى بُخَارَى ، فَأُدْخِلَهَا عَلَى جَمَلٍ وَحُبِسَ بِهَا ، فَمَاتَ بَعْدَ شَهْرَيْنِ مَحْبُوسًا. |
| وَكَانَ ابْتِدَاءُ أَمْرِهِ أَنَّهُ كَانَ خَيَّاطًا ، ثُمَّ أَنَّهُ جَمَعَ جَمْعًا مِنَ الرَّعَاعِ ، وَأَهْلِ الْفَسَادِ ، فَقَطَعَ الطَّرِيقَ بِمَفَازَةِ سَرَخْسَ مُدَّةً. |
| ثُمَّ اسْتَأْمَنَ إِلَى رَافِعِ بْنِ هَرْثَمَةَ ، وَبَقِيَ مَعَهُ إِلَى أَنِ انْهَزَمَ عَمْرٌو الصَّفَّارُ ، فَاسْتَأْمَنَ إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ السَّامَانِيِّ صَاحِبِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، بَعْدَ قَتْلِ رَافِعٍ ، فَسَيَّرَهُ إِسْمَاعِيلُ إِلَى قِتَالِ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ. |
| وَقَدْ ذَكَرَهُ الْخَوَافِيُّ فِي شِعْرِهِ فَقَالَ كَانَ أَبُو هَارُونَ خَيَّاطًا لَهُ... |
| إِبَرٌ وَرَايَةٌ سَامَهَا عَشْرًا بِقِيرَاطِ فَانْسَلَّ فِي الْأَرْضِ يَبْغِي الْمُلْكَ فِي عُصَبٍ زُطٍّ وَنُوبٍ وَأَكْرَادٍ وَأَنْبَاطِ... |
| أَنَّى يَنَالُ الثُّرَيَّا كَفُّ مُلْتَزِقٍ بِالتُّرْبِ عَنْ ذُرْوَةِ الْعَلْيَاءِ هَبَّاطِ... |
| صَبْرًا أَمِيرُكَ إِسْمَاعِيلُ مُنْتَقِمٌ مِنْهُ وَمِنْ كُلِّ غَدَّارٍ وَخَيَّاطِ... |
| رَأَيْتُ عَيْرًا سَمَا جَهْلًا عَلَى أَسَدٍ يَا عَيْنُ وَيْحَكِ مَا أَشْقَاكِ مِنْ شَاطِي ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا ، فِي رَبِيعٍ الْآخَرِ ، خُلِعَ عَلَى أَبِي الْعَشَائِرِ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ وَوُلِّيَ طَرَسُوسَ ، وَعُزِلَ عَنْهَا مُظَفَّرُ بْنُ حَاجٍّ لِشَكْوَى أَهْلِ الثُّغُورِ مِنْهُ. |
| وَفِيهَا قُوطِعَ طَاهِرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ عَلَى مَالٍ يَحْمِلُهُ عَنْ بِلَادِ فَارِسَ ، وَعَقَدَ لَهُ الْمُكْتَفِي عَلَيْهَا. |
| وَفِيهَا ، فِي جُمَادَى الْأُولَى ، هَرَبَ الْقَائِدُ أَبُو سَعِيدٍ الْخُوَارِزْمِيُّ الَّذِي اسْتَأْمَنَ إِلَى الْخَلِيفَةِ ، وَأَخَذَ نَحْوَ طَرِيقِ الْمَوْصِلِ ، فَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ الْمَعْرُوفِ بِغُلَامِ نُونٍ بِتِكْرِيتَ ، وَهُوَ يَتَوَلَّى تِلْكَ النَّوَاحِيَ ، فَعَارَضَهُ عَبْدُ اللَّهِ ، وَاجْتَمَعَ بِهِ ، فَخَدَعَهُ أَبُو سَعِيدٍ وَقَتَلَهُ ، وَسَارَ نَحْوَ شَهْرَزُورَ ، وَاجْتَمَعَ هُوَ وَابْنُ الرَّبِيعِ الْكُرْدِيُّ عَلَى عِصْيَانِ الْخَلِيفَةِ. |
| وَفِيهَا أَرَادَ الْمُكْتَفِي الْبِنَاءَ بِسَامَرَّا ، وَخَرَجَ إِلَيْهَا وَمَعَهُ الصُّنَّاعُ ، فَقَدَّرُوا لَهُ مَا يَحْتَاجُ ، وَكَانَ مَالًا جَلِيلًا ، وَطَوَّلُوا لَهُ مُدَّةَ الْفَرَاغِ ، فَعَظَّمَ الْوَزِيرُ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَصَرَفَهُ إِلَى بَغْدَاذَ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ الْفَضْلُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَلَّوَيْهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ الْجُرْجَانِيُّ ، وَكَانَ قَدْ تَفَقَّهَ عَلَى الْمُزَنِيِّ صَاحِبِ الشَّافِعِيِّ. |
| وَتُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ أَخْبَارِ الْقَرَامِطَةِ ، وَقَتْلِ صَاحِبِ الشَّامَةِ قَدْ ذَكَرْنَا مَسِيرَ الْمُكْتَفِي إِلَى الرَّقَّةِ ، وَإِرْسَالَهُ الْجُيُوشَ إِلَى صَاحِبِ الشَّامَةِ ، وَتَوْلِيَةَ حَرْبِ صَاحِبِ الشَّامَةِ مُحَمَّدَ بْنَ سُلَيْمَانَ الْكَاتِبَ ، فَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ السَّنَةُ أَمَرَ مُحَمَّدَ بْنَ سُلَيْمَانَ بِمُنَاهَضَةِ صَاحِبِ الشَّامَةِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ عَسَاكِرُ الْخَلِيفَةِ ، حَتَّى لَقُوهُ وَأَصْحَابَهُ بِمَكَانٍ بَيْنَهُمْ ، وَبَيْنَ حَمَاةَ اثْنَا عَشَرَ مِيلًا لِسِتٍّ خَلَوْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ ، فَقَدَّمَ الْقَرْمَطِيُّ أَصْحَابَهُ إِلَيْهِمْ ، وَبَقِيَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، مَعَهُ مَالٌ كَانَ جَمَعَهُ ، وَسَوَادُ عَسْكَرِهِ ، وَالْتَحَمَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ أَصْحَابِ الْخَلِيفَةِ ، وَالْقَرَامِطَةِ ، وَاشْتَدَّتْ ، وَانْهَزَمَتِ الْقَرَامِطَةُ ، وَقُتِّلُوا كُلَّ قِتْلَةٍ وَأُسِرَ مِنْ رِجَالِهِمْ بَشَرٌ كَثِيرٌ ، وَتَفَرَّقَ الْبَاقُونَ فِي الْبَوَادِي ، وَتَبِعَهُمْ أَصْحَابُ الْخَلِيفَةِ. |
| فَلَمَّا رَأَى صَاحِبُ الشَّامَةِ مَا نَزَلَ بِأَصْحَابِهِ حَمَّلَ أَخًا لَهُ يُكَنَّى أَبَا الْفَضْلِ مَالًا ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَلْحَقَ بِالْبَوَادِي إِلَى أَنْ يَظْهَرَ بِمَكَانٍ فَيَسِيرَ إِلَيْهِ ، وَرَكِبَ هُوَ وَابْنُ عَمِّهِ الْمُسَمَّى بِالْمُدَّثِّرِ ، وَالْمُطَوَّقُ صَاحِبُهُ ، وَغُلَامٌ لَهُ رُومِيٌّ ، وَأَخَذَ دَلِيلًا وَسَارَ يُرِيدُ الْكُوفَةَ عَرْضًا فِي الْبَرِّيَّةِ ، فَانْتَهَى إِلَى الدَّالِيَةِ مِنْ أَعْمَالِ الْفُرَاتِ ، وَقَدْ نَفَدَ مَا مَعَهُمْ مِنَ الزَّادِ وَالْعَلَفِ ، فَوَجَّهَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ إِلَى الدَّالِيَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِابْنِ طَوْقٍ لِيَشْتَرِيَ لَهُمْ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ، فَأَنْكَرُوا رَأْيَهُ ، فَسَأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ فَكَتَمَهُ ، فَرَفَعُوهُ إِلَى مُتَوَلِّي تِلْكَ النَّاحِيَةِ خَلِيفَةِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ كَشْمَرْدَ ، فَسَأَلَهُ عَنْ خَبَرِهِ ، فَأَعْلَمَهُ أَنَّ صَاحِبَ الشَّامَةِ خَلْفَ رَابِيَةٍ هُنَاكَ مَعَ ثَلَاثَةِ نَفَرٍ ، فَمَضَى إِلَيْهِمْ وَأَخَذَهُمْ ، وَأَحْضَرَهُمْ عِنْدَ ابْنِ كَشْمَرْدَ ، فَوَجَّهَ بِهِمْ إِلَى الْمُكْتَفِي بِالرَّقَّةِ ، وَرَجَعَتِ الْجُيُوشُ مِنَ الطَّلَبِ بَعْدَ أَنْ قَتَلُوا وَأَسَرُوا ، وَكَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ أَثَرًا فِي الْحَرْبِ الْحُسَيْنَ بْنَ حَمْدَانَ ، وَكَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ يُثْنِي عَلَيْهِ وَعَلَى بَنِي شَيْبَانَ ، فَإِنَّهُمُ اصْطَلَوْا الْحَرْبَ ، وَهَزَمُوا الْقَرَامِطَةَ ، وَأَكْثَرُوا الْقَتْلَ فِيهِمْ وَالْأَسْرَ ، حَتَّى لَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ. |
| وَفِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ لِأَرْبَعٍ بَقِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ أُدْخِلَ صَاحِبُ الشَّامَةِ الرَّقَّةَ ظَاهِرًا لِلنَّاسِ عَلَى فَالِجٍ ، وَهُوَ الْجَمَلُ ذُو السَّنَامَيْنِ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْمُدَّثِّرُ وَالْمُطَوَّقُ; وَسَارَ الْمُكْتَفِي إِلَى بَغْدَاذَ وَمَعَهُ صَاحِبُ الشَّامَةِ ، وَأَصْحَابُهُ ، وَخَلَّفَ الْعَسَاكِرَ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، وَأُدْخِلَ الْقَرْمَطِيُّ بَغْدَاذَ عَلَى فِيلٍ ، وَأَصْحَابُهُ عَلَى الْجَمَلِ ، ثُمَّ أَمَرَ الْمُكْتَفِي بِحَبْسِهِمْ إِلَى أَنْ يَقْدَمَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، فَقَدِمَ بَغْدَاذَ ، وَقَدِ اسْتَقْصَى فِي طَلَبِ الْقَرَامِطَةِ ، فَظَفِرَ بِجَمَاعَةٍ مِنْ أَعْيَانِهِمْ وَرُءُوسِهِمْ ، فَأَمَرَ الْمُكْتَفِي بِقَطْعِ أَيْدِيهِمْ ، وَأَرْجُلِهِمْ ، وَضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَأُخْرِجُوا مِنَ الْحَبْسِ ، وَفُعِلَ بِهِمْ ذَلِكَ ، وَضُرِبَ صَاحِبُ الشَّامَةِ مِائَتَيْ سَوْطٍ ، وَقُطِعَتْ يَدَاهُ ، وَكُوِيَ ، فَغُشِيَ عَلَيْهِ ، وَأَخَذُوا خَشَبًا وَجَعَلُوا فِيهِ نَارًا ، وَوَضَعُوهُ عَلَى خَوَاصِرِهِ ، فَجَعَلَ يَفْتَحُ عَيْنَهُ وَيُغْمِضُهَا ، فَلَمَّا خَافُوا مَوْتَهُ ضَرَبُوا عُنُقَهُ ، وَرَفَعُوا رَأْسَهُ عَلَى خَشَبَةٍ ، فَكَبَّرَ النَّاسُ لِذَلِكَ ، وَنُصِبَ عَلَى الْجِسْرِ. |
| وَفِيهَا قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْعُلَيْصِ مِنْ وُجُوهِ الْقَرَامِطَةِ ، يُسَمَّى إِسْمَاعِيلَ بْنَ النُّعْمَانِ ، وَكَانَ نَجَا فِي جَمَاعَةٍ لَمْ يَنْجُ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ غَيْرُهُ ، فَكَاتَبَهُ الْمُكْتَفِي وَبَذَلَ لَهُ الْأَمَانَ ، فَحَضَرَ فِي الْأَمَانِ هُوَ وَنَيِّفٌ وَمِائَةٌ وَسِتُّونَ نَفْسًا ، فَأُمِّنُوا وَأُحْسِنَ إِلَيْهِمْ ، وَوُصِلُوا بِمَالٍ ، وَصَارُوا إِلَى رَحْبَةِ مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ مَعَ الْقَاسِمِ بْنِ سِيمَا ، وَهِيَ مِنْ عَمَلِهِ ، فَأَقَامُوا مَعَهُ مُدَّةً ، ثُمَّ أَرَادُوا الْغَدْرَ بِالْقَاسِمِ ، وَعَزَمُوا عَلَى أَنْ يَثِبُوا بِالرَّحْبَةِ يَوْمَ الْفِطْرِ عِنْدَ اشْتِغَالِ النَّاسِ بِالصَّلَاةِ ، وَكَانَ قَدْ صَارَ مَعَهُمْ جَمَاعَةٌ كَبِيرَةٌ ، فَعَلِمَ بِذَلِكَ ، فَقَتَلَهُمْ ، فَارْتَدَعَ مَنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ مَوَالِي بَنِي الْعُلَيْصِ ، وَذَلُّوا ، وَأُلْزِمُوا السَّمَاوَةَ ، حَتَّى جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنَ الْخَبِيثِ زِكْرَوَيْهِ يُعْلِمُهُمْ أَنَّهُ مِمَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّ صَاحِبَ الشَّامَةِ ، وَأَخَاهُ الْمَعْرُوفُ بِالشَّيْخِ يُقْتَلَانِ ، وَأَنَّ إِمَامَهُ الَّذِي هُوَ حَيٌّ يَظْهَرُ بَعْدَهُمَا وَيَظْفَرُ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا جَاءَتْ أَخْبَارٌ أَنَّ حَوَى وَمَا يَلِيهَا جَاءَهَا سَيْلٌ فَغَرِقَ نَحْوٌ مِنْ ثَلَاثِينَ فَرْسَخًا ، وَغَرِقَ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَغَرِقَتِ الْمَوَاشِي وَالْغَلَّاتُ ، وَخَرِبَتِ الْقُرَى ، وَأُخْرِجَ مِنَ الْغَرْقَى أَلْفٌ وَمِائَتَا نَفْسٍ ، سِوَى مَنْ لَمْ يُلْحَقْ مِنْهُمْ. |
| وَفِيهَا خَلَعَ الْمُكْتَفِي عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ كَاتِبِ الْجَيْشِ ، وَعَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْقُوَّادِ وَأَمَرَهُمْ بِالْمَسِيرِ إِلَى الشَّامِ ، وَمِصْرَ لِأَخْذِ الْأَعْمَالِ مِنْ هَارُونَ بْنِ خُمَارَوَيْهِ ، لِمَا ظَهَرَ مِنْ عَجْزِهِ ، وَذَهَابِ رِجَالِهِ بِقَتْلِ الْقَرْمَطِيِّ ، فَسَارَ عَنْ بَغْدَاذَ فِي رَجَبٍ وَهُوَ فِي عَشَرَةِ آلَافِ رَجُلٍ ، وَجَدَّ فِي السَّيْرِ. |
| وَفِيهَا خَرَجَتِ التُّرْكُ فِي خَلْقٍ كَثِيرٍ لَا يُحْصَوْنَ إِلَى وَرَاءِ النَّهْرِ ، وَكَانَ فِي عَسْكَرِهِمْ سَبْعُمِائَةِ قُبَّةٍ تُرْكِيَّةٍ ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا لِلرُّؤَسَاءِ مِنْهُمْ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ جَيْشًا كَثِيرًا ، وَتَبِعَهُمْ مِنَ الْمُتَطَوِّعَةِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَسَارُوا نَحْوَ التُّرْكِ ، فَوَصَلُوا إِلَيْهِمْ وَهُمْ غَارُّونَ ، فَكَبَسَهُمُ الْمُسْلِمُونَ مَعَ الصُّبْحِ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا عَظِيمًا لَا يُحْصَوْنَ ، وَانْهَزَمَ الْبَاقُونَ ، اسْتُبِيحَ عَسْكَرُهُمْ ، وَعَادَ الْمُسْلِمُونَ سَالِمِينَ غَانِمِينَ. |
| وَفِيهَا خَرَجَ مِنَ الرُّومِ عَشَرَةُ صُلْبَانٍ مَعَ كُلِّ صَلِيبٍ عَشَرَةُ آلَافٍ إِلَى الثُّغُورِ ، فَقَصَدَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ إِلَى الْحَدَثِ ، فَأَغَارُوا ، وَسَبَوْا ، وَأَحْرَقُوا. |
| وَفِيهَا سَارَ الْمَعْرُوفُ بِغُلَامِ زَرَافَةَ مِنْ طَرَسُوسَ نَحْوَ بِلَادِ الرُّومِ ، فَفَتَحَ مَدِينَةَ أَنْطَالِيَّةَ ، وَهِيَ تُعَادِلُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ ، فَتَحَهَا بِالسَّيْفِ عَنْوَةً ، فَقَتَلَ خَمْسَةَ آلَافِ رَجُلٍ وَأَسَرَ مِثْلَهُمْ ، وَاسْتَنْفَذَ مِنَ الْأُسَارَى خَمْسَةَ آلَافٍ ، وَأَخَذَ لَهُمْ سِتِّينَ مَرْكَبًا فَحَمَلَ فِيهَا مَا غَنِمَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْمَتَاعِ ، وَالرَّقِيقِ ، وَقُدِّرَ نَصِيبُ كُلِّ رَجُلٍ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ، فَاسْتَبْشَرَ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ الْفَضْلُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْقَاسِمُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَزِيرُ الْخَلِيفَةِ ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، وَكَانَ عُمْرُهُ اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ ، وَاثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا ، وَلَمَّا مَاتَ قَالَ ابْنُ سَيَّارٍ أَمَاتَ لِيَحْيَا ، فَمَا إِنْ حَيِيَ ، وَأَفْنَى لِيَبْقَى ، فَمَا إِنْ بَقِيَ... |
| وَمَا زَالَ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَرَى أَمَارَةَ حَتْفٍ وَشِيكٍ وَحِيَ... |
| وَمَازَالَ يَسْلَحُ مِنْ دُبُرِهِ إِلَى أَنْ خَرِيَ النَّفْسَ فِيمَا خَرِيَ وَفِيهَا مَاتَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَاسْتِوَايُّ الْفَقِيهُ بِنَيْسَابُورَ. |
| وَمُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجُزُوعِيُّ ، قَاضِي الْمَوْصِلِ بِبَغْدَاذَ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الشَّيْبَانِيُّ النَّحْوِيُّ ، وَكَانَ عَالِمًا بِنَحْوِ الْكُوفِيِّينَ ، كَانَ مَوْتُهُ بِبَغْدَاذَ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ اسْتِلَاءِ الْمُكْتَفِي عَلَى الشَّامِ ، وَمِصْرَ وَانْقِرَاضِ مُلْكِ الطُّولُونِيَّةِ وَفِي الْمُحَرَّمِ مِنْهَا سَارَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ إِلَى حُدُودِ مِصْرَ لِحَرْبِ هَارُونَ بْنِ خُمَارَوَيْهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ سُلَيْمَانَ لَمَّا تَخَلَّفَ عَنِ الْمُكْتَفِي ، وَعَادَ عَنْ مُحَارَبَةِ الْقَرَامِطَةِ ، وَاسْتَقْصَى مُحَمَّدٌ فِي طَلَبِهِمْ ، فَلَمَّا بَلَغَ مَا أَرَادَ عَزَمَ عَلَى الْعَوْدِ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَأَتَاهُ كِتَابُ بَدْرٍ الْحَمَّامِيِّ غُلَامِ ابْنِ طُولُونَ ، وَكِتَابُ فَائِقٍ ، وَهُمَا بِدِمَشْقَ ، يَدْعُوَانِهِ إِلَى قَصْدِ الْبِلَادِ بِالْعَسَاكِرِ لِيُسَاعِدَاهُ عَلَى أَخْذِهَا ، فَلَمَّا عَادَ إِلَى بَغْدَاذَ أَنْهَى ذَلِكَ إِلَى الْمُكْتَفِي ، فَأَمَرَهُ بِالْعَوْدِ ، وَسَيَّرَ مَعَهُ الْجُنُودَ ، وَالْأَمْوَالَ. |
| وَوَجَّهَ الْمُكْتَفِي دُمْيَانَةَ غُلَامَ يَازْمَانَ ، وَأَمَرَهُ بِرُكُوبِ الْبَحْرِ إِلَى مِصْرَ ، وَدُخُولِ النِّيلِ ، وَقَطْعِ الْمَوَادِّ عَنْ مِصْرَ ، فَفَعَلَ ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِمْ. |
| وَزَحَفَ إِلَيْهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ فِي الْجُيُوشِ ، فِي الْبَرِّ ، حَتَّى دَنَا مِنْ مِصْرَ ، وَكَاتَبَ مَنْ بِهَا مِنَ الْقُوَّادِ; وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ إِلَيْهِ بَدْرٌ الْحَمَّامِيُّ ، وَكَانَ رَئِيسَهُمْ ، فَكَسَرَهُمْ ذَلِكَ ، وَتَتَابَعَ الْمُسْتَأْمِنَةُ مِنْ قُوَّادِ الْمِصْرِيِّينَ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ هَارُونُ خَرَجَ فِيمَنْ مَعَهُ لِقِتَالِ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ وَقَعَاتٌ ، ثُمَّ وَقَعَ بَيْنَ أَصْحَابِ هَارُونَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ عَصَبِيَّةٌ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَخَرَجَ هَارُونُ يُسَكِّنُهُمْ ، فَرَمَاهُ بَعْضُ الْمَغَارِبَةِ بِمِزْرَاقٍ مَعَهُ فَقَتَلَهُ ، فَلَمَّا قُتِلَ قَامَ عَمُّهُ شَيْبَانُ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَبَذَلَ الْمَالَ لِلْجُنْدِ ، فَأَطْلَقُوهُ وَقَاتَلُوا مَعَهُ ، فَأَتَتْهُمْ كُتُبُ بَدْرٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْأَمَانِ ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ. |
| فَلَمَّا عَلِمَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْخَبَرَ سَارَ إِلَى مِصْرَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ شَيْبَانُ يَطْلُبُ الْأَمَانَ ، فَأَجَابَهُ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ لَيْلًا ، لَمْ يَعْلَمْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْجُنْدِ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَصَدُوا دَارَهُ ، وَلَمْ يَجِدُوهُ ، فَبَقُوا حَيَارَى ، لَمَّا وَصَلَ مُحَمَّدٌ مِصْرَ دَخَلَهَا ، وَاسْتَوْلَى عَلَى دُورِ آلِ طُولُونَ ، وَأَمْوَالِهِمْ ، وَأَخَذَهُمْ جَمِيعًا ، وَهُمْ بِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، فَقَيَّدَهُمْ ، وَحَبَسَهُمْ ، وَاسْتَقْصَى أَمْوَالَهُمْ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي صَفَرٍ ، وَكَتَبَ بِالْفَتْحِ إِلَى الْمُكْتَفِي ، فَأَمَرَ بِإِشْخَاصِ آلِ طُولُونَ وَأَسْبَابِهِمْ مِنْ مِصْرَ وَالشَّامِ إِلَى بَغْدَاذَ ، لَا يَتْرُكُ مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَعَادَ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَوَلَّى مَعُونَةَ مِصْرَ عِيسَى النُّوشَرِيَّ. |
| ثُمَّ ظَهَرَ بِمِصْرَ إِنْسَانٌ يُعْرَفُ بِالْخَلَنْجِيِّ ، وَهُوَ مِنْ قُوَّادِهِمْ ، وَكَانَ تَخَلَّفَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، فَاسْتَمَالَ جَمَاعَةً ، وَخَالَفَ عَلَى السُّلْطَانِ ، وَكَثُرَ جَمْعُهُ ، وَعَجَزَ النُّوشَرِيُّ عَنْهُ ، فَسَارَ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، وَدَخَلَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلَنْجِيُّ مِصْرَ ، وَكَتَبَ النُّوشَرِيُّ إِلَى الْمُكْتَفِي بِالْخَبَرِ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ الْجُنُودَ مَعَ فَاتَكٍ مَوْلَى الْمُعْتَضِدِ ، وَبَدْرٍ الْحَمَّامِيِّ ، فَسَارُوا فِي شَوَّالٍ نَحْوَ مِصْرَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا أُخِذَ بِالْبَصْرَةِ رَجُلٌ ذَكَرُوا أَنَّهُ أَرَادَ الْخُرُوجَ ، وَأُخِذَ مَعَهُ وَلَدُهُ وَتِسْعَةٌ وَثَلَاثُونَ رَجُلًا ، وَحُمِلُوا إِلَى بَغْدَادَ ، فَكَانُوا يَبْكُونَ ، وَيَسْتَغِيثُونَ ، وَيَحْلِفُونَ أَنَّهُمْ بُرَآءٌ ، فَأَمَرَ بِهِمُ الْمُكْتَفِي فَحُبِسُوا. |
| وَفِيهَا أَغَارَ أَنْدُرُونِقْسُ الرُّومِيُّ عَلَى مَرْعَشَ وَنَوَاحِيهَا ، فَنَفَّرَ أَهْلَ الْمِصِّيصَةِ وَأَهْلَ طَرَسُوسَ فَأُصِيبَ أَبُو الرِّجَالِ بْنُ أَبِي بَكَّارٍ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَعَزَلَ الْخَلِيفَةُ أَبَا الْعَشَائِرِ عَنِ الثُّغُورِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ رُسْتُمَ بْنَ بَرَدُوَا. |
| وَفِيهَا كَانَ الْفِدَاءُ عَلَى يَدِ رُسْتُمَ ، فَكَانَ جُمْلَةُ مَنْ فُودِيَ بِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَلْفَ نَفْسٍ وَمِائَتَيْ نَفْسٍ . |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ الْفَضْلُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ. |
| وَفِيهَا زَادَتْ دِجْلَةُ زِيَادَةً مُفْرِطَةً ، حَتَّى تَهَدَّمَتِ الدُّورُ الَّتِي عَلَى شَاطِئِهَا بِالْعِرَاقِ. |
| وَفِيهَا فِي الْعِشْرِينَ مِنْ أَيَارَ ، طَلَعَ كَوْكَبٌ لَهُ ذَنَبٌ عَظِيمٌ جِدًّا فِي بُرْجِ الْجَوْزَاءِ. |
| وَفِيهَا وَقَعَ الْحَرِيقُ بِبَغْدَاذَ بِبَابِ الطَّاقِ مِنَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ إِلَى طُرُقِ الصَّفَّارِينَ ، فَاحْتَرَقَ أَلْفُ دُكَّانٍ مَمْلُوءَةٍ مَتَاعًا لِلتُّجَّارِ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو مُسْلِمٍ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكَجِّيُّ ، وَيُقَالُ الْكَشِّيُّ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْقَاضِي عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَبُو حَازِمٍ ، قَاضِي الْمُعْتَضِدِ بِاللَّهِ ، بِبَغْدَاذَ ، وَكَانَ مِنْ أَفَاضِلِ الْقُضَاةِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ إِمَارَةِ بَنِي حَمْدَانَ بِالْمَوْصِلِ وَمَا فَعَلُوهُ بِالْأَكْرَادِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلَّى الْمُكْتَفِي بِاللَّهِ الْمَوْصِلَ وَأَعْمَالَهَا أَبَا الْهَيْجَاءِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَمْدَانَ بْنِ حَمْدُونَ التَّغْلِبِيَّ الْعَدَوِيَّ ، فَسَارَ إِلَيْهَا ، فَقَدِمَهَا أَوَّلَ الْمُحَرَّمِ ، فَأَقَامَ بِهَا يَوْمَهُ ، وَخَرَجَ مِنَ الْغَدِ لِعَرْضِ الرِّجَالِ الَّذِينَ قَدِمُوا مَعَهُ ، وَالَّذِينَ بِالْمَوْصِلِ ، فَأَتَاهُ الصَّرِيخُ مِنْ نِينَوَى بِأَنَّ الْأَكْرَادَ الْهَذْبَانِيَّةَ ، وَمُقَدَّمَهُمْ مُحَمَّدَ بْنَ بِلَالٍ ، قَدْ أَغَارُوا عَلَى الْبَلَدِ ، وَغَنِمُوا كَثِيرًا مِنْهُ ، فَسَارَ مِنْ وَقْتِهِ وَعَبَرَ الْجِسْرَ إِلَى الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ، فَلَحِقَ الْأَكْرَادُ بِالْمَعْرُوبَةِ عَلَى الْخَازِرِ ، فَقَاتَلُوهُ ، فَقُتِلَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ اسْمُهُ سِيمَا الْحَمْدَانِيُّ ، فَعَادَ عَنْهُمْ ، وَكَتَبَ إِلَى الْخَلِيفَةِ يَسْتَدْعِي النَّجْدَةَ ، فَأَتَتْهُ النَّجْدَةُ بَعْدَ شُهُورٍ كَثِيرَةٍ ، وَقَدِ انْقَضَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَدَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ. |
| فَفِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْهَا سَارَ فِيمَنْ مَعَهُ إِلَى الْهَذْبَانِيَّةِ ، وَكَانُوا قَدِ اجْتَمَعُوا فِي خَمْسَةِ آلَافِ بَيْتٍ ، فَلَمَّا رَأَوْا جِدَّهُ فِي طَلَبِهِمْ سَارُوا إِلَى الْبَابَةِ الَّتِي فِي جَبَلِ السَّلَقِ ، وَهُوَ مَضِيقٌ فِي جَبَلٍ عَالٍ مُشْرِفٍ عَلَى شَهْرَزُورَ ، فَامْتَنَعُوا بِهَا وَأَغَارَ مُقَدَّمُهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ بِلَالٍ ، وَقَرُبَ مِنِ ابْنِ حَمْدَانَ ، وَرَاسَلَهُ فِي أَنْ يُطِيعَهُ وَيَحْضُرَ هُوَ وَأَوْلَادُهُ ، وَيَجْعَلَهُمْ عِنْدَهُ يَكُونُونَ رَهِينَةً ، وَيَتْرُكُونَ الْفَسَادَ ، فَقَبِلَ ابْنُ حَمْدَانَ ذَلِكَ ، فَرَجَعَ مُحَمَّدٌ لِيَأْتِيَ بِمَنْ ذَكَرَ ، فَحَثَّ أَصْحَابَهُ عَلَى الْمَسِيرِ نَحْوَ أَذْرَبِيجَانَ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ فِي الَّذِي فَعَلَهُ مَعَ ابْنِ حَمْدَانَ أَنْ يَتْرُكَ الْجِدَّ فِي الطَّلَبِ لِيَأْخُذَ أَصْحَابُهُ أُهْبَتَهُمْ وَيَسِيرُوا آمِنِينَ. |
| فَلَمَّا تَأَخَّرَ عَوْدُ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ حَمْدَانَ عَلِمَ مُرَادَهُ ، فَجَرَّدَ مَعَهُ جَمَاعَةً مِنْ جُمْلَتِهِمْ إِخْوَتُهُ سُلَيْمَانُ ، وَدَاوُدُ ، وَسَعِيدٌ وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ يَثِقُ بِهِ وَبِشَجَاعَتِهِ ، وَأَمَرَ النَّجْدَةَ الَّتِي جَاءَتْهُ مِنَ الْخَلِيفَةِ أَنْ يَسِيرُوا مَعَهُ ، فَتَثَبَّطُوا ، فَتَرَكَهُمْ وَسَارَ يَقْفُو أَثَرَهُمْ ، فَلَحِقَهُمْ وَقَدْ تَعَلَّقُوا بِالْجَبَلِ الْمَعْرُوفِ بِالْقِنْدِيلِ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً ، وَصَعِدُوا ذُرْوَةَ الْجَبَلِ ، وَانْصَرَفَ ابْنُ حَمْدَانَ عَنْهُمْ. |
| وَلَحِقَ الْأَكْرَادُ بِأَذْرَبِيجَانَ ، وَأَنْهَى ابْنُ حَمْدَانَ مَا كَانَ مِنْ حَالِهِمْ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَالْوَزِيرِ فَأَنْجَدُوهُ بِجَمَاعَةٍ صَالِحَةٍ وَعَادَ إِلَى الْمَوْصِلِ فَجَمَعَ رِجَالَهُ وَسَارَ إِلَى جَبَلِ السَّلَقِ ، وَفِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ بِلَالٍ وَمَعَهُ الْأَكْرَادُ ، فَدَخَلَهُ ابْنُ حَمْدَانَ ، وَالْجَوَاسِيسُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، خَوْفًا مِنْ كَمِينٍ يَكُونُ فِيهِ ، وَتَقَدَّمَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ أَصْحَابِهِ ، وَهُمْ يَتْبَعُونَهُ ، فَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَجَاوَزُوا الْجَبَلَ ، وَقَارَبُوا الْأَكْرَادَ ، وَسَقَطَ عَلَيْهِمُ الثَّلْجُ ، وَاشْتَدَّ الْبَرْدُ ، وَقَلَّتِ الْمِيرَةُ وَالْعَلَفُ عِنْدَهُمْ ، وَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ عَشَرَةَ أَيَّامٍ ، وَبَلَغَ الْحِمْلُ مِنَ التِّبْنِ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا ، ثُمَّ عُدِمَ عِنْدَهُمْ وَهُوَ صَابِرٌ. |
| فَلَمَّا رَأَى الْأَكْرَادُ صَبْرَهُمْ وَأَنَّهُمْ لَا حِيلَةَ لَهُمْ فِي دَفْعِهِمْ لَجَأَ مُحَمَّدُ بْنُ بِلَالٍ وَأَوْلَادُهُ وَمَنْ لَحِقَ بِهِ ، وَاسْتَوْلَى ابْنُ حَمْدَانَ عَلَى بُيُوتِهِمْ ، وَسَوَادِهِمْ ، وَأَهْلِهِمْ ، وَأَمْوَالِهِمْ ، وَطَلَبُوا الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُمْ ، وَأَبْقَى عَلَيْهِمْ ، وَرَدَّهُمْ إِلَى بَلَدِ حَزَّةَ ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ ، وَلَمْ يَقْتُلْ مِنْهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ صَاحِبَهُ سِيمَا الْحَمْدَانِيَّ ، وَأَمِنَتِ الْبِلَادُ مَعَهُ ، وَأَحْسَنَ السِّيرَةَ فِي أَهْلِهَا. |
| ثُمَّ إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ بِلَالٍ طَلَبَ الْأَمَانَ مِنِ ابْنِ حَمْدَانَ فَأَمَّنَهُ ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ ، وَأَقَامَ بِالْمَوْصِلِ ، وَتَتَابَعَ الْأَكْرَادُ الْحَمِيدِيَّةُ ، وَأَهْلُ جَبَلِ دَاسِنَ إِلَيْهِ بِالْأَمَانِ ، فَأَمِنَتِ الْبِلَادُ وَاسْتَقَامَتْ. |
| ذِكْرُ الظَّفَرِ بِالْخَلَنْجِيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي صَفَرٍ ، وَصَلَ عَسْكَرُ الْمُكْتَفِي إِلَى نَوَاحِي مِصْرَ ، وَتَقَدَّمَ أَحْمَدُ بْنُ كَيْغَلَغَ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْقُوَّادِ ، فَلَقِيَهُمُ الْخَلَنْجِيُّ بِالْقُرْبِ مِنَ الْعَرِيشِ ، فَهَزَمَهُمْ أَقْبَحَ هَزِيمَةٍ ، فَنَدَبَ جَمَاعَةً مِنَ الْقُوَّادِ إِلَيْهِمْ بِبَغْدَاذَ ، وَفِيهِمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ كَيْغَلَغَ ، فَخَرَجُوا فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ وَسَارُوا نَحْوَ مِصْرَ. |
| وَاتَّصَلَتِ الْأَخْبَارُ بِقُوَّةِ الْخَلَنْجِيِّ ، فَبَرَزَ الْمُكْتَفِي إِلَى بَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ لِيَسِيرَ إِلَى مِصْرَ فِي رَجَبٍ ، فَوَصَلَ إِلَيْهِ كِتَابُ فَاتَكٍ فِي شَعْبَانَ يَذْكُرُ أَنَّهُ وَالْقُوَّادَ رَجَعُوا إِلَى الْخَلَنْجِيِّ ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ قُتِلَ بَيْنَهُمْ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَإِنَّ آخِرَ حَرْبٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ قُتِلَ فِيهَا مُعْظَمُ أَصْحَابِ الْخَلَنْجِيِّ ، وَانْهَزَمَ الْبَاقُونَ ، وَظَفِرُوا بِهِمْ ، وَغَنِمُوا عَسْكَرَهُمْ ، وَهَرَبَ الْخَلَنْجِيُّ ، فَدَخَلَ فُسْطَاطَ مِصْرَ ، فَاسْتَتَرَ بِهَا عِنْدَ رَجُلٍ مَنْ أَهْلِ الْبَلَدِ ، فَدَخَلْنَا الْمَدِينَةَ ، فَدَلُّونَا عَلَيْهِ ، فَأَخَذْنَاهُ وَمَنِ اسْتَتَرَ عِنْدَهُ ، وَهُمْ فِي الْحَبْسِ. |
| فَكَتَبَ الْمُكْتَفِي إِلَى فَاتِكٍ فِي حَمْلِ الْخَلَنْجِيِّ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَعَادَ الْمُكْتَفِي فَدَخَلَ بَغْدَاذَ ، وَأَمَرَ بِرَدِّ خَزَائِنِهِ ، وَكَانَتْ قَدْ بَلَغَتْ تَكْرِيتَ ، فَوَجَّهَ فَاتِكٌ الْخَلَنْجِيَّ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَدَخَلَهَا هُوَ وَمَنْ مَعَهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَأَمَرَ الْمُكْتَفِي بِحَبْسِهِمْ. |
| ذِكْرُ أَمْرِ الْقَرَامِطَةِ فِيهَا أَنْفَذَ زَكْرَوَيْهِ بْنُ مَهْرَوَيْهِ ، بَعْدَ قَتْلِ صَاحِبِ الشَّامَةِ ، رَجُلًا كَانَ يُعَلِّمُ الصِّبْيَانَ بِالرَّافُوفَةِ مِنَ الْفَلُّوجَةِ يُسَمَّى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعِيدٍ ، وَيُكَنَّى أَبَا غَانِمٍ ، فَسُمِّيَ نَصْرًا ، وَقِيلَ كَانَ الْمُنْفِذُ ابْنَ زَكْرَوَيْهِ ، فَدَارَ عَلَى أَحْيَاءِ الْعَرَبِ مِنْ كَلْبٍ وَغَيْرِهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَأْيِهِ ، فَلَمْ يَقْبَلْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، إِلَّا رَجُلًا مِنْ بَنِي زِيَادٍ يُسَمَّى مِقْدَامَ بْنَ الْكَيَّالِ ، وَاسْتَقْوَى بِطَوَائِفَ مِنَ الْأَصْبَغِيِّينَ الْمُنْتَمِينَ إِلَى الْفَوَاطِمِ ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعُلَيْصِيِّينَ ، وَصَعَالِيكَ مِنْ سَائِرِ بُطُونِ كَلْبٍ ، وَقَصَدَ نَاحِيَةَ الشَّامِ ، وَالْعَامِلُ بِدِمَشْقَ وَالْأُرْدُنِّ أَحْمَدُ بْنُ كَيْغَلَغَ ، وَهُوَ بِمِصْرَ يُحَارِبُ الْخَلَنْجِيَّ ، فَاغْتَنَمَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ ، وَسَارَ إِلَى بُصْرَى وَأَذْرِعَاتٍ وَالْبَثَنَيَّةِ ، فَحَارَبَ أَهْلَهَا ، ثُمَّ أَمَّنَهُمْ ، فَلَمَّا اسْتَسْلَمُوا إِلَيْهِ قَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ ، وَسَبَى ذَرَارِيَّهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ. |
| ثُمَّ قَصَدَ دِمَشْقَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ نَائِبُ ابْنِ كَيْغَلَغَ ، وَهُوَ صَالِحُ بْنُ الْفَضْلِ ، فَهَزَمَهُ الْقَرَامِطَةُ ، وَأَثْخَنُوا فِيهِمْ ، ثُمَّ أَمَّنُوهُمْ وَغَدَرُوهُمْ بِالْأَمَانِ ، وَقَتَلُوا صَالِحًا ، وَفَضُّوا عَسْكَرَهُ ، وَسَارُوا إِلَى دِمَشْقَ ، فَمَنَعَهُمْ أَهْلُهَا ، فَقَصَدُوا طَبَرِيَّةَ ، وَانْضَافَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ جُنْدِ دِمَشْقَ افْتُتِنُوا بِهِ ، فَوَاقَعَهُمْ يُوسُفُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ بَغَامَرْدِيِّ ، وَهُوَ خَلِيفَةُ أَحْمَدَ بْنِ كَيْغَلَغَ بِالْأُرْدُنِّ ، فَهَزَمُوهُ ، وَبَذَلُوا لَهُ الْأَمَانَ ، وَغَدَرُوا بِهِ ، وَقَتَلُوهُ ، وَنَهَبُوا طَبَرِيَّةَ ، وَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا مِنْ أَهْلِهَا وَسَبَوُا النِّسَاءَ. |
| فَأَنْفَذَ الْخَلِيفَةُ الْحُسَيْنَ بْنَ حَمْدَانَ وَجَمَاعَةً مِنَ الْقُوَّادِ فِي طَلَبِهِمْ ، فَوَرَدُوا دِمَشْقَ ، فَلَمَّا عَلِمَ بِهِمُ الْقَرَامِطَةُ رَجَعُوا نَحْوَ السَّمَاوَةِ ، وَتَبِعَهُمُ الْحُسَيْنُ فِي السَّمَاوَةِ وَهُمْ يَنْتَقِلُونَ فِي الْمِيَاهِ وَيُغَوِّرُونَهَا ، حَتَّى لَجَئُوا إِلَى مَاءَيْنِ يُعْرَفُ أَحَدُهُمَا بِالدِّمْعَانَةِ ، وَالْآخَرُ بِالْحَبَالَةِ. |
| وَانْقَطَعَ ابْنُ حَمْدَانَ عَنْهُمْ لِعَدَمِ الْمَاءِ ، وَعَادَ إِلَى الرَّحْبَةِ ، وَأَسْرَى الْقَرَامِطَةُ مَعَ نَصْرٍ إِلَى هِيتَ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ، فَنَهَبُوا رَبَضَهَا ، وَامْتَنَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ بِسُورِهِمْ ، وَنَهَبُوا السُّفُنَ ، وَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِائَتَيْ نَفْسٍ ، وَنَهَبُوا الْأَمْوَالَ وَالْمَتَاعَ ، وَأَوْقَرُوا ثَلَاثَةَ آلَافِ رَاحِلَةٍ مِنَ الْحِنْطَةِ. |
| وَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى الْمُكْتَفِي فَسَيَّرَ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ كُنْدَاجَ ، فَلَمْ يُقِيمُوا لِمُحَمَّدٍ ، وَرَجَعُوا إِلَى الْمَاءَيْنِ فَنَهَضَ مُحَمَّدٌ خَلْفَهُمْ ، فَوَجَدَهُمْ قَدْ غَوَّرُوا الْمِيَاهَ ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ مِنْ بَغْدَاذَ الْأَزْوَادَ وَالدَّوَابَّ ، وَكَتَبَ إِلَى ابْنِ حَمْدَانَ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ مِنْ جِهَةِ الرَّحْبَةِ لِيَجْتَمِعَ هُوَ وَمُحَمَّدٌ عَلَى الْإِيقَاعِ بِهِمْ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ. |
| فَلَمَّا أَحَسَّ الْكَلْبِيُّونَ بِإِقْبَالِ الْجَيْشِ إِلَيْهِمْ وَثَبُوا بِنَصْرٍ فَقَتَلُوهُ ، قَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ الذِّئْبُ بْنُ الْقَائِمِ ، وَسَارَ بِرَأْسِهِ إِلَى الْمُكْتَفِي مُتَقَرِّبًا بِذَلِكَ ، مُسْتَأْمِنًا ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ ، وَأُجِيزَ بِجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ ، وَأَمَرَ بِالْكَفِّ عَنْ قَوْمِهِ. |
| وَاقْتَتَلَتِ الْقَرَامِطَةُ بَعْدَ نَصْرٍ حَتَّى صَارَتْ بَيْنَهُمُ الدِّمَاءُ ، وَسَارَتْ فِرْقَةٌ كَرَّهَتْ أُمُورَهُمْ إِلَى بَنِي أَسَدٍ بِنَوَاحِي عَيْنِ التَّمْرِ ، وَاعْتَذَرُوا إِلَى الْخَلِيفَةِ ، فَقَبِلَ عُذْرَهُمْ ، وَبَقِيَ عَلَى الْمَاءَيْنِ بَقِيَّتُهُمْ مِمَّنْ لَهُ بَصِيرَةٌ فِي دِينِهِ ، فَكَتَبَ الْخَلِيفَةُ إِلَى ابْنِ حَمْدَانَ يَأْمُرُهُ بِمُعَاوَدَتِهِمْ ، وَاجْتِثَاثِ أَصْلِهِمْ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ زَكْرَوَيْهِ بْنُ مَهْرَوَيْهِ دَاعِيَةً لَهُ يُسَمَّى الْقَاسِمَ بْنَ أَحْمَدَ ، وَيُعْرَفُ بِأَبِي مُحَمَّدٍ ، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ فِعْلَ الذِّئْبِ قَدْ نَفَّرَهُ مِنْهُمْ ، وَأَنَّهُمْ قَدِ ارْتَدُّوا عَنِ الدِّينِ ، وَأَنَّ وَقْتَ ظُهُورِهِمْ قَدْ حَضَرَ ، وَقَدْ بَايَعَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ أَرْبَعُونَ أَلْفًا ، وَأَنَّ يَوْمَ مَوْعِدِهِمُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي شَأْنِ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَدُوِّهِ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى طه ، وَيَأْمُرُهُمْ أَنْ يَفُوا أَمْرَهُمْ ، وَأَنْ يَسِيرُوا حَتَّى يُصَبِّحُوا الْكُوفَةَ يَوْمَ النَّحْرِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَإِنَّهُمْ لَا يُمْنَعُونَ مِنْهَا ، وَأَنَّهُ يَظْهَرُ لَهُمْ ، وَيُنْجِزُ لَهُمْ وَعْدَهُ الَّذِي يَعِدُهُمْ إِيَّاهُ ، وَأَنْ يَحْمِلُوا إِلَيْهِ الْقَاسِمَ بْنَ أَحْمَدَ. |
| فَامْتَثَلُوا رَأْيَهُ ، وَوَافَوْا بَابَ الْكُوفَةِ وَقَدِ انْصَرَفَ النَّاسُ عَنْ مُصَلَّاهُمْ ، وَعَامِلُهُمْ إِسْحَاقُ بْنُ عِمْرَانَ ، وَوَصَلُوهَا فِي ثَمَانِمِائَةِ فَارِسٍ عَلَيْهِمُ الدُّرُوعُ ، وَالْجَوَاشِنُ ، وَالْآلَاتُ الْحَسَنَةُ ، وَقَدْ ضَرَبُوا عَلَى الْقَاسِمِ بْنِ أَحْمَدَ قُبَّةً ، وَقَالُوا هَذَا أَثَرُ رَسُولِ اللَّهِ ، وَنَادَوْا يَا لَثَارَاتِ الْحُسَيْنِ ، يَعْنُونَ الْحُسَيْنَ بْنَ زَكْرَوَيْهِ الْمَصْلُوبَ بِبَغْدَاذَ ، وَشِعَارُهُمْ يَا أَحْمَدُ ، يَا مُحَمَّدُ ، يَعْنُونَ ابْنِيْ زَكْرَوَيْهِ الْمَقْتُولَيْنِ ، فَأَظْهَرُوا الْأَعْلَامَ الْبِيضَ ، وَأَرَادُوا اسْتِمَالَةَ رَعَاعَ النَّاسِ بِالْكُوفَةِ بِذَلِكَ ، فَلَمْ يَمِلْ إِلَيْهِمْ أَحَدٌ ، فَأَوْقَعَ الْقَرَامِطَةُ بِمَنْ لَحِقُوهُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَقَتَلُوا نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ نَفْسًا. |
| وَبَادَرَ النَّاسُ الْكُوفَةَ ، وَأَخَذُوا السِّلَاحَ ، وَنَهَضَ بِهِمْ إِسْحَاقُ ، وَدَخَلَ مَدِينَةَ الْكُوفَةِ مِنَ الْقَرَامِطَةِ مِائَةُ فَارِسٍ ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ عِشْرُونَ نَفْسًا ، وَأُخْرِجُوا عَنْهَا ، وَظَهَرَ إِسْحَاقُ ، وَحَارَبَهُمْ إِلَى الْعَصْرِ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا نَحْوَ الْقَادِسِيَّةِ ، وَكَانَ فِيمَنْ يُقَاتِلُهُمْ مَعَ إِسْحَاقَ جَمَاعَةٌ مِنَ الطَّالِبِيَّةِ. |
| وَكَتَبَ إِسْحَاقُ إِلَى الْخَلِيفَةِ يَسْتَمِدُّهُ ، فَأَمَدَّهُ بِجَمَاعَةٍ مِنْ قُوَّادِهِ ، مِنْهُمْ وَصِيفُ بْنُ صُوَارِتِكِينَ التُّرْكِيُّ ، وَالْفَضْلُ بْنُ مُوسَى بْنِ بُغَا ، وَبِشْرٌ الْخَادِمُ الْأَفْشِينِيُّ ، وَرَائِقٌ الْخَزَرِيُّ ، مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْغِلْمَانِ الْحُجَرِيَّةِ ، فَسَارُوا مُنْتَصَفَ ذِي الْحِجَّةِ حَتَّى قَارَبُوا الْقَادِسِيَّةَ فَنَزَلُوا بِالصَّوَّانِ ، فَلَقِيَهُمْ زَكْرَوَيْهِ. |
| وَأَمَّا الْقَرَامِطَةُ فَإِنَّهُمْ أَنْفَذُوا وَاسْتَخْرَجُوا زَكْرَوَيْهِ مِنْ جُبٍّ فِي الْأَرْضِ كَانَ مُنْقَطِعًا فِيهِ سِنِينَ كَثِيرَةً ، بِقَرْيَةِ الدَّرِيَّةِ ، وَكَانَ عَلَى الْجُبِّ بَابٌ حَدِيدٌ مُحْكَمُ الْعَمَلِ ، وَكَانَ زَكْرَوَيْهِ إِذَا خَافَ الطَّلَبَ جَعَلَ تَنُّورًا هُنَاكَ عَلَى بَابِ الْجُبِّ ، وَقَامَتِ امْرَأَةٌ تَسْجُرُهُ ، فَلَا يُفْطَنُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ رُبَّمَا أُخْفِيَ فِي بَيْتٍ خَلْفَ بَابِ الدَّارِ الَّتِي كَانَ بِهَا سَاكِنًا ، فَإِذَا انْفَتَحَ بَابُ الدَّارِ انْطَبَقَ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ ، فَيَدْخُلُ الدَّاخِلُ الدَّارَ فَلَا يَرَى شَيْئًا ، فَلَمَّا اسْتَخْرَجُوهُ حَمَلُوهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ ، وَسَمَّوْهُ وَلِيَّ اللَّهِ ، وَلَمَّا رَأَوْهُ سَجَدُوا لَهُ ، وَحَضَرَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ دُعَاتِهِ وَخَاصَّتِهِ ، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ الْقَاسِمَ بْنَ أَحْمَدَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ عَلَيْهِمْ ذِمَّةً وَمِنَّةً ، وَأَنَّهُ رَدَّهُمْ إِلَى الدِّينِ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ عَنْهُ ، وَأَنَّهُمْ إِنِ امْتَثَلُوا أَوَامِرَهُ أَنْجَزَ مَوْعِدَهُمْ ، وَبَلَغُوا آمَالَهُمْ ، وَرَمَّزَ لَهُمْ رُمُوزًا ذَكَرَ فِيهَا آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ نَقَلَهَا عَنِ الْوَجْهِ الَّذِي أُنْزِلَتْ فِيهِ ، فَاعْتَرَفَ لَهُ مَنْ رَسَخَ حُبُّ الْكُفْرِ فِي قَلْبِهِ أَنَّهُ رَئِيسُهُمْ وَكَهْفُهُمْ ، وَأَيْقَنُوا بِالنَّصْرِ وَبُلُوغِ الْأَمَلِ. |
| وَسَارَ بِهِمْ وَهُوَ مَحْجُوبٌ يَدْعُونَهُ السَّيِّدَ وَلَا يُبْرِزُونَهُ ، وَالْقَاسِمُ يَتَوَلَّى الْأُمُورَ ، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ أَهْلَ السَّوَادِ قَاطِبَةً خَارِجُونَ إِلَيْهِ ، فَأَقَامَ بِسَقْيِ الْفُرَاتِ عِدَّةَ أَيَّامٍ ، فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ مِنْهُمْ إِلَّا خَمْسُمِائَةِ رَجُلٍ ، ثُمَّ وَافَتْهُ الْجُنُودُ الْمَذْكُورَةُ مِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ ، فَلَقِيَهُمْ زَكْرَوَيْهِ بِالصَّوَّانِ ، وَقَاتَلَهُمْ وَاشْتَدَّتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ ، وَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ أَوَّلَ النَّهَارِ عَلَى الْقَرَامِطَةِ وَكَانَ زَكْرَوَيْهِ قَدْ كَمَّنَ لَهُمْ كَمِينًا مِنْ خَلْفِهِمْ ، فَلَمْ يَشْعُرْ أَصْحَابُ الْخَلِيفَةِ إِلَّا وَالسَّيْفُ فِيهِمْ مِنْ وَرَائِهِمْ ، فَانْهَزَمُوا أَقْبَحَ هَزِيمَةٍ ، وَوَضَعَ الْقَرَامِطَةُ السَّيْفَ فِيهِمْ ، فَقَتَلُوهُمْ كَيْفَ شَاءُوا ، وَغَنِمُوا سَوَادَهُمْ ، وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْ أَصْحَابِ الْخَلِيفَةِ إِلَّا مَنْ دَابَّتُهُ قَوِيَّةٌ ، أَوْ مَنْ أُثْخِنَ بِالْجِرَاحِ ، فَوَضَعَ نَفْسَهُ بَيْنَ الْقَتْلَى ، فَتَحَامَلُوا بَعْدَ ذَلِكَ. |
| وَأُخِذَ لِلْخَلِيفَةِ فِي هَذَا الْعَسْكَرِ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ جَمَّازَةٍ عَلَيْهَا الْمَالُ وَالسِّلَاحُ ، وَخَمْسُمِائَةِ بَغْلٍ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ الْخَلِيفَةِ ، سِوَى الْغِلْمَانِ ، أَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةِ رَجُلٍ ، وَقَوِيَ الْقَرَامِطَةُ بِمَا غَنِمُوا. |
| وَلَمَّا وَرَدَ خَبَرُ هَذِهِ الْوَقْعَةِ إِلَى بَغْدَاذَ أَعْظَمَهَا الْخَلِيفَةُ وَالنَّاسُ ، وَنَدَبَ إِلَى الْقَرَامِطَةِ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ كُنْدَاجَ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ مِنَ الْأَعْرَابِ بَنِي شَيْبَانَ وَغَيْرَهُمْ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفَيْ رَجُلٍ ، وَأَعْطَاهُمُ الْأَرْزَاقَ ، وَرَحَلَ زَكْرَوَيْهِ مِنْ مَكَانِهِ إِلَى نَهْرِ الْمُثْنِيَةِ لِنَتَنِ الْقَتْلَى. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا ، فِي رَبِيعٍ الْآخَرِ ، قَدِمَ إِلَى بَغْدَاذَ قَائِدٌ مِنْ أَصْحَابِ طَاهِرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ مُسْتَأْمِنًا ، وَيُعْرَفُ بِأَبِي قَابُوسَ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ طَاهِرًا تَشَاغَلَ بِاللَّهْوِ وَالصَّيْدِ ، وَمَضَى إِلَى سِجِسْتَانَ لِلصَّيْدِ وَالتَّنَزُّهِ ، فَغَلَبَ عَلَى الْأَمْرِ بِفَارِسَ اللَّيْثُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ اللَّيْثِ ، وَسُبْكَرِيٌّ مَوْلَى عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ ، فَوَقَعَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ هَذَا الْقَائِدِ تَبَاعُدٌ ، فَفَارَقَهُمْ ، وَوَصَلَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، فَكَتَبَ طَاهِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ يَسْأَلُ رَدَّ أَبِي قَابُوسَ ، وَيَذْكُرُ أَنَّهُ جَبَى الْمَالَ وَأَخَذَهُ ، وَيَقُولُ لَهُ إِمَّا أَنْ تَرُدَّ إِلَيْهِ ، أَوْ تَحْتَسِبَ لَهُ بِمَا ذَهَبَ مَعَهُ مِنَ الْمَالِ مِنْ جُمْلَةِ الْقَرَارِ الَّذِي عَلَيْهِ ، فَلَمْ يُجِبْهُ الْخَلِيفَةُ إِلَى ذَلِكَ. |
| وَفِيهَا صَارَتِ الدَّاعِيَةُ الَّتِي لِلْقَرَامِطَةِ بِالْيَمَنِ إِلَى مَدِينَةِ صَنْعَاءَ ، فَحَارَبَهُ أَهْلُهَا ، فَظَفِرَ بِهِمْ وَقَتَلَهُمْ ، فَلَمْ يَفْلِتْ إِلَّا الْيَسِيرُ ، وَتَغَلَّبَ عَلَى سَائِرِ مُدُنِ الْيَمَنِ ، ثُمَّ اجْتَمَعَ أَهْلُ صَنْعَاءَ وَغَيْرِهَا ، فَحَارَبُوا الدَّاعِيَةَ ، فَهَزَمُوهُ فَانْحَازَ إِلَى مَوْضِعٍ مِنْ نَوَاحِي الْيَمَنِ ، وَبَلَغَ الْخَبَرُ الْخَلِيفَةَ ، فَخَلَعَ عَلَى الْمُظَفَّرِ بْنِ حَاجٍّ فِي شَوَّالٍ ، وَسَيَّرَهُ إِلَى عَمَلِهِ بِالْيَمَنِ ، وَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ. |
| وَفِيهَا أَغَارَتِ الرُّومُ عَلَى قُورُسَ ، مِنْ أَعْمَالِ حَلَبَ ، فَقَاتَلَهُمْ أَهْلُهَا قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ انْهَزَمُوا ، وَقَتَلُوا أَكْثَرَهُمْ ، وَقَتَلُوا رُؤَسَاءَ بَنِي تَمِيمٍ وَدَخَلَ الرُّومُ قُورُسَ فَأَحْرَقُوا جَامِعَهَا ، وَسَاقُوا مَنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِهَا. |
| وَفِيهَا افْتَتَحَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ السَّامَانِيُّ ، مَلِكُ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ مَوَاضِعَ مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ وَمِنْ بِلَادِ الدَّيْلَمِ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ الْفَضْلُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْهَاشِمِيُّ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ الْحَافِظُ فِي رَمَضَانَ ، وَأَبُو الْعَبَّاسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّاشِيُّ الشَّاعِرُ الْكَاتِبُ الْأَنْبَارِيُّ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ أَخْبَارِ الْقَرَامِطَةِ وَأَخْذِهِمُ الْحَاجَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي الْمُحَرَّمِ ، ارْتَحَلَ زَكْرَوَيْهِ مِنْ نَهْرِ الْمُثْنِيَةِ يُرِيدُ الْحَاجَّ ، فَبَلَغَ السَّلْمَانَ ، وَأَقَامَ يَنْتَظِرُهُمْ ، فَبَلَغَتِ الْقَافِلَةُ الْأَوْلَى وَاقِصَةَ سَابِعَ الْمُحَرَّمِ ، فَأَنْذَرَهُمْ أَهْلُهَا وَأَخْبَرُوهُمْ بِقُرْبِ الْقَرَامِطَةِ ، فَارْتَحَلُوا لِسَاعَتِهِمْ. |
| وَسَارَ الْقَرَامِطَةُ إِلَى وَاقِصَةَ ، فَسَأَلُوا أَهْلَهَا عَنِ الْحَاجِّ ، فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ سَارُوا ، فَاتَّهَمَهُمْ زَكْرَوَيْهِ ، فَقَتَلَ الْعَلَّافَةَ ، وَأَحْرَقَ الْعَلَفَ ، وَتَحَصَّنَ أَهْلُ وَاقِصَةَ فِي حِصْنِهِمْ ، فَحَصَرَهُمْ أَيَّامًا ، ثُمَّ ارْتَحَلَ عَنْهُمْ نَحْوَ زُبَالَةَ ، وَأَغَارَ فِي طَرِيقِهِ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ. |
| وَوَصَلَتِ الْعَسَاكِرُ الْمُنْفَذَةُ مِنْ بَغْدَاذَ إِلَى عُيُونِ الطَّفِّ ، فَبَلَغَهُمْ مَسِيرُ زَكْرَوَيْهِ مِنَ السَّلْمَانِ ، فَانْصَرَفُوا ، وَسَارَ عَلَّانُ بْنُ كُشْمُرْدَ جَرِيدَةً ، فَنَزَلَ وَاقِصَةَ بَعْدَ أَنْ جَازَتِ الْقَافِلَةُ الْأُولَى. |
| وَلَقِيَ زَكْرَوَيْهِ الْقَرْمَطِيُّ قَافِلَةَ الْخُرَاسَانِيَّةِ بِعَقَبَةِ الشَّيْطَانِ رَاجِعِينَ مِنْ مَكَّةَ ، فَحَارَبَهُمْ حَرْبًا شَدِيدَةً ، فَلَمَّا رَأَى شِدَّةَ حَرْبِهِمْ سَأَلَهُمْ هَلْ فِيكُمْ نَائِبٌ لِلسُّلْطَانِ ؟ |
| فَقَالُوا مَا مَعَنَا أَحَدٌ ، قَالَ فَلَسْتُ أُرِيدُكُمْ. |
| فَاطْمَأَنُّوا وَسَارُوا ، فَلَمَّا سَارُوا أَوْقَعَ بِهِمْ ، وَقَتَلَهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ ، وَلَمْ يَنْجُ إِلَّا الشَّرِيدُ ، وَسَبَوْا مِنَ النِّسَاءِ مَا أَرَادُوا ، وَقَتَلُوا مِنْهُنَّ. |
| وَلَقِيَ بَعْضُ الْمُنْهَزِمِينَ عَلَّانَ بْنَ كُشْمُرْدَ ، فَأَخْبَرُوهُ خَبَرَهُمْ ، وَقَالُوا لَهُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ ، وَلَوْ رَأَوْكَ لَقَوِيَتْ نُفُوسُهُمْ ، فَاللَّهَ اللَّهَ فِيهِمْ! |
| فَقَالَ لَا أُعَرِّضُ أَصْحَابَ السُّلْطَانِ لِلْقَتْلِ ، وَرَجَعَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ. |
| وَكَتَبَ مَنْ نَجَا مِنَ الْحُجَّاجِ مِنْ هَذِهِ الْقَافِلَةِ الثَّانِيَةِ إِلَى رُؤَسَاءِ الْقَافِلَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ الْحُجَّاجِ يُعْلِمُونَهُمْ مَا جَرَى مِنَ الْقَرَامِطَةِ ، وَيَأْمُرُونَهُمْ بِالتَّحَذُّرِ ، وَالْعُدُولِ عَنِ الْجَادَّةِ نَحْوَ وَاسِطَ وَالْبَصْرَةِ ، وَالرُّجُوعِ إِلَى فَيْدَ وَالْمَدِينَةِ إِلَى أَنْ تَأْتِيَهُمْ جُيُوشُ السُّلْطَانِ ، فَلَمْ يَسْمَعُوا ، وَلَمْ يُقِيمُوا. |
| وَسَارَتِ الْقَرَامِطَةُ مِنَ الْعَقَبَةِ بَعْدَ أَخْذِ الْحَاجِّ ، وَقَدْ طَمَّوُا الْآبَارَ وَالْبِرَكَ بِالْجِيَفِ ، وَالتُّرَابِ ، بِوَاقِصَةَ ، وَالثَّعْلَبِيَّةِ ، وَالْعَقَبَةِ ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَنَاهِلِ فِي جَمِيعِ طَرِيقِهِمْ. |
| وَأَقَامَ زَكْرَوَيْهِ بِالْهَبِيرِ يَنْتَظِرُ الْقَافِلَةَ الثَّالِثَةَ ، فَسَارُوا فَصَادَفُوهُ هُنَاكَ ، فَقَاتَلَهُمْ زَكْرَوَيْهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَهُمْ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ ، فَاسْتَسْلَمُوا لِشِدَّةِ الْعَطَشِ ، فَوَضَعَ فِيهِمُ السَّيْفَ وَقَتَلَهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ ، وَجَمَعَ الْقَتْلَى كَالتَّلِّ ، وَأَرْسَلَ خَلْفَ الْمُنْهَزِمِينَ مَنْ يَبْذُلُ لَهُمُ الْأَمَانَ ، فَلَمَّا رَجَعُوا قَتَلَهُمْ ، وَكَانَ فِي الْقَتْلَى مُبَارَكٌ الْقُمِّيُّ ، وَوَلَدُهُ أَبُو الْعَشَائِرِ بْنُ حَمْدَانَ. |
| وَكَانَ نِسَاءُ الْقَرَامِطَةِ يَطُفْنَ بِالْمَاءِ بَيْنَ الْقَتْلَى يَعْرِضْنَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ ، فَمَنْ كَلَّمَهُنَّ قَتَلْنَهُ ، فَقِيلَ إِنَّ عِدَّةَ الْقَتْلَى بَلَغَتْ عِشْرِينَ أَلْفًا ، وَلَمْ يَنْجُ إِلَّا مَنْ كَانَ بَيْنَ الْقَتْلَى فَلَمْ يُفْطَنْ لَهُ فَنَجَا بَعْدَ ذَلِكَ ، وَمَنْ هَرَبَ عِنْدَ اشْتِغَالِ الْقَرَامِطَةِ بِالْقَتْلِ وَالنَّهْبِ ، فَكَانَ مَنْ مَاتَ مِنْ هَؤُلَاءِ أَكْثَرَ مِمَّنْ سَلِمَ وَمَنِ اسْتَعْبَدُوهُ ، وَكَانَ مَبْلَغُ مَا أَخَذُوهُ مِنْ هَذِهِ الْقَافِلَةِ أَلْفَيْ أَلْفِ دِينَارٍ. |
| وَكَانَ فِي جُمْلَةِ مَا أَخَذُوا فِيهَا أَمْوَالُ الطُّولُونِيَّةِ وَأَسْبَابُهُمْ ، فَإِنَّهُمْ لَمَّا عَزَمُوا عَلَى الِانْتِقَالِ مِنْ مِصْرَ إِلَى بَغْدَاذَ خَافُوا أَنْ يَسْتَصْحِبُوهَا فَتُؤْخَذَ مِنْهُمْ ، فَعَمِلُوا الذَّهَبَ وَالنَّقْرَةَ سَبَائِكَ ، وَجَعَلُوهَا فِي حَدَائِجِ الْجِمَالِ ، وَجَمِيعَ مَا لَهُمْ مِنَ الْحُلِيِّ وَالْجَوْهَرِ ، وَسَيَّرُوا الْجَمِيعَ إِلَى مَكَّةَ سِرًّا ، وَسَارَ مِنْ مَكَّةَ فِي هَذِهِ الْقَافِلَةِ فَأُخِذَتْ. |
| وَبَثَّ زَكْرَوَيْهِ الطَّلَائِعَ خَوْفًا مِنْ عَسْكَرِ الْخَلِيفَةِ الَّذِي كَانَ بِالْقَادِسِيَّةِ ، وَأَقَامَ يَنْتَظِرُ وُصُولَ مَنْ كَانَ فِي الْحَجِّ مِنْ عَسْكَرِ الْخَلِيفَةِ وَأَصْحَابِهِ ، فَكَانُوا بِفَيْدَ يَنْتَظِرُونَ هَلْ تَعْرِضُ الْقَرَامِطَةُ لِلْحَاجِّ أَمْ لَا ، فَكَانَ مَعَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ التُّجَّارِ أَرْبَابِ الْأَمْوَالِ ، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ مَا صَنَعَ الْقَرَامِطَةُ أَقَامُوا يَنْتَظِرُونَ وُصُولَ عَسْكَرٍ مِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ ، فَسَارَ زَكْرَوَيْهِ إِلَيْهِمْ وَغَوَّرَ الْآبَارَ ، وَالْمَصَانِعَ ، وَالْمِيَاهَ إِلَى فَيْدَ ، فَاحْتَمَى أَهْلُ فَيْدَ وَمَنْ بِهَا مِنَ الْحُجَّاجِ بِالْحِصْنَيْنِ اللَّذَيْنِ بِفَيْدَ وَحَصَرَهُمْ فِيهِمَا الْقَرَامِطَةُ ، وَأَرْسَلَ زَكْرَوَيْهِ إِلَى أَهْلِ فَيْدَ يَأْمُرُهُمْ بِإِخْرَاجِهِمْ أَوْ بِتَسْلِيمِ الْحِصْنَيْنِ إِلَيْهِ ، وَبَذَلَ لَهُمُ الْأَمَانَ عَلَى ذَلِكَ ، فَلَمْ يُجِيبُوهُ ، فَتَهَدَّدَهُمْ بِالنَّهْبِ وَالْقَتْلِ ، فَازْدَادَ امْتِنَاعُهُمْ ، وَأَقَامَ عَلَيْهِمْ عِدَّةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى النِّبَاجِ ثُمَّ إِلَى حُفَيْرِ أَبِي مُوسَى. |
| ذِكْرُ قَتْلِ زَكْرَوَيْهِ لَعَنَهُ اللَّهُ لَمَّا فَعَلَ زَكْرَوَيْهِ بِالْحُجَّاجِ مَا ذَكَرْنَاهُ عَظُمَ ذَلِكَ عَلَى الْخَلِيفَةِ خَاصَّةً ، وَعَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً ، فَجَهَّزَ الْمُكْتَفِي الْجُيُوشَ ، فَلَمَّا كَانَ أَوَّلُ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَيَّرَ وَصِيفَ بْنَ صُوَارِتِكِينَ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْقُوَّادِ وَالْعَسَاكِرِ إِلَى الْقَرَامِطَةِ ، فَسَارَ عَلَى طَرِيقِ حِفَّانَ ، فَلَقِيَهُمْ زَكْرَوَيْهِ ، وَمَنْ مَعَهُ مَنِ الْقَرَامِطَةِ ، ثَامِنَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، فَاقْتَتَلُوا يَوْمَهُمْ ، ثُمَّ حَجَزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ ، وَبَاتُوا يَتَحَارَسُونَ ، ثُمَّ بَكَّرُوا لِلْقِتَالِ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَقُتِلَ مِنَ الْقَرَامِطَةِ مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ. |
| وَوَصَلَ عَسْكَرُ الْخَلِيفَةِ إِلَى عَدُوِّ اللَّهِ زَكْرَوَيْهِ ، فَضَرَبَهُ بَعْضُ الْجُنْدِ وَهُوَ مُوَلٍّ بِالسَّيْفِ عَلَى رَأْسِهِ ، فَبَلَغَتِ الضَّرْبَةُ دِمَاغَهُ ، وَأَخَذَهُ أَسِيرًا ، وَأُخِذَ خَلِيفَتُهُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ خَوَاصِّهِ وَأَقْرِبَائِهِ ، وَفِيهِمُ ابْنُهُ ، وَكَاتِبُهُ ، وَزَوْجَتُهُ ، وَاحْتَوَى الْجُنْدُ عَلَى مَا فِي الْعَسْكَرِ. |
| وَعَاشَ زَكْرَوَيْهِ خَمْسَةَ أَيَّامٍ وَمَاتَ ، فَسُيِّرَتْ جِيفَتُهُ وَالْأَسْرَى إِلَى بَغْدَاذَ ، وَانْهَزَمَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى الشَّامِ ، فَأَوْقَعَ بِهِمُ الْحُسَيْنُ بْنُ حَمْدَانَ ، فَقَتَلُوهُمْ جَمِيعًا ، وَأَخَذُوا جَمَاعَةً مِنَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ ، وَحُمِلَ رَأْسُ زَكْرَوَيْهِ إِلَى خُرَاسَانَ ، لِئَلَّا يَنْقَطِعَ الْحُجَّاجُ ، وَأَخَذَ الْأَعْرَابُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ زَكْرَوَيْهِ يُعْرَفُ أَحَدَهُمَا بِالْحَدَّادِ ، وَالْآخَرُ بِالْمُنْتَقِمِ ، وَهُوَ أَخُو امْرَأَةِ زَكْرَوَيْهِ ، كَانَا قَدْ سَارَا إِلَيْهِمْ يَدْعُوَانِهِمْ إِلَى الْخُرُوجِ مَعَهُمْ ، فَلَمَّا أَخَذُوهُمَا سَيَّرُوهُمَا إِلَى بَغْدَاذَ ، وَتَتَبَّعَ الْخَلِيفَةُ الْقَرَامِطَةَ بِالْعِرَاقِ ، فَقَتَلَ بَعْضَهُمْ ، وَحَبَسَ بَعْضَهُمْ ، وَمَاتَ بَعْضُهُمْ فِي الْحَبْسِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا ابْنُ كَيْغَلَغَ الرُّومَ مَنْ طَرَسُوسَ ، فَأَصَابَ مِنَ الرُّومِ أَرْبَعَةَ آلَافِ رَأْسِ سَبْيٍ وَدَوَابَّ وَمَتَاعًا ، وَدَخَلَ بِطْرِيقٌ مِنْ بَطَارِقَةِ الرُّومِ فِي الْأَمَانِ وَأَسْلَمَ. |
| وَفِيهَا غَزَا ابْنُ كَيْغَلَغَ فَبَلَغَ شَكَنْدَ ، وَافْتَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَسَارَ إِلَى اللَّيْسِ ، فَغَنِمُوا نَحْوًا مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ رَأْسٍ ، وَقَتَلُوا مَقْتَلَةً عَظِيمَةً مِنَ الرُّومِ ، وَانْصَرَفُوا سَالِمِينَ. |
| وَكَاتَبَ أَنْدُرُونِقْسُ الْبِطْرِيقُ الْمُكْتَفِي بِاللَّهِ يَطْلُبُ مِنْهُ الْأَمَانَ ، وَكَانَ عَلَى حَرْبِ أَهْلِ الثُّغُورِ مِنْ قِبَلِ مَلِكِ الرُّومِ ، فَأَعْطَاهُ الْمُكْتَفِي مَا طَلَبَ ، فَخَرَجَ وَمَعَهُ مِائَتَا أَسِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا فِي حِصْنِهِ ، وَكَانَ مَلِكُ الرُّومِ قَدْ أَرْسَلَ لِلْقَبْضِ عَلَيْهِ ، فَأَعْطَى الْمُسْلِمِينَ سِلَاحًا وَخَرَجُوا مَعَهُ ، فَقَبَضُوا عَلَى الَّذِي أَرْسَلَهُ مَلِكُ الرُّومِ لِيَقْبِضَ عَلَيْهِ لَيْلًا ، فَقَتَلُوا مِمَّنْ مَعَهُ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَغَنِمُوا مَا فِي عَسْكَرِهِمْ ، فَاجْتَمَعَتِ الرُّومُ عَلَى أَنْدُرُونِقْسَ لِيُحَارِبُوهُ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ جَمْعٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِيُخَلِّصُوهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ ، فَبَلَغُوا قُونِيَّةَ ، فَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى الرُّومِ ، فَانْصَرَفُوا عَنْهُ ، وَسَارَ جَمَاعَةٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَسْكَرِ إِلَى أَنْدُرُونِقْسَ ، وَهُوَ بِحِصْنِهِ ، فَخَرَجَ وَمَعَهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ إِلَيْهِمْ ، وَسَارَ مَعَهُمْ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَأَخْرَبَ الْمُسْلِمُونَ قُونِيَّةَ ، فَأَرْسَلَ مَلِكُ الرُّومِ إِلَى الْخَلِيفَةِ الْمُكْتَفِي فَطَلَبَ الْفِدَاءَ. |
| وَفِيهَا ظَهَرَ بِالشَّامِ رَجُلٌ يَدَّعِي أَنَّهُ السُّفْيَانِيُّ ، فَأُخِذَ وَحُمِلَ إِلَى بَغْدَاذَ فَقِيلَ إِنَّهُ مُوَسْوَسٌ. |
| وَفِيهَا كَانَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ حَمْدَانَ وَبَيْنَ أَعْرَابٍ مِنْ بَنِي كَلْبٍ ، وَطَيٍّ ، وَالْيَمَنِ ، وَأَسَدٍ ، وَغَيْرِهِمْ. |
| وَفِيهَا حَاصَرَ أَعْرَابُ طَيٍّ وَصِيفَ بْنَ صُوَارِتِكِينَ بِفَيْدَ ، وَقَدْ سَيَّرَهُ الْمُكْتَفِي أَمِيرًا عَلَى الْمَوْسِمِ ، فَحَصَرُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ خَرَجَ فَوَاقَعَهُمْ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ قَتْلَى ، ثُمَّ انْهَزَمَتِ الْأَعْرَابُ وَرَحَلَ وَصِيفٌ بِمَنْ مَعَهُ ، وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ الْفَضْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَاشِمِيُّ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَافِظُ الْمُلَقَّبُ بِجَزَرَةَ الْبَغْدَاذِيُّ ، وَأَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيُّ ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، وَكَانَ مَوْتُهُ بِسَمَرْقَنْدَ ، وَلَهُ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ. |
| وَفِيهَا قُتِلَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ رَاهَوَيْهِ بِطَرِيقِ مَكَّةَ ، قَتَلَهُ الْقَرَامِطَةُ حِينَ أَخَذُوا الْحَاجَّ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ وَفَاةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ السَّامَانِيِّ وَوِلَايَةِ ابْنِهِ أَحْمَدَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، مُنْتَصَفَ صَفَرٍ ، تُوُفِّيَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ أَمِيرُ خُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، بِبُخَارَى ، وَكَانَ يُلَقَّبُ بَعْدَ مَوْتِهِ بِالْمَاضِي ، وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو نَصْرٍ أَحْمَدُ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمُكْتَفِيَ عَهْدَهُ بِالْوِلَايَةِ ، وَعَقَدَ لِوَاءَهُ بِيَدِهِ. |
| وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ عَاقِلًا ، عَادِلًا ، حَسَنَ السِّيرَةِ فِي رَعِيَّتِهِ ، حَلِيمًا ، حُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ لِوَلَدِهِ أَحْمَدَ مُؤَدِّبٌ يُؤَدِّبُهُ ، فَمَرَّ بِهِ الْأَمِيرُ إِسْمَاعِيلُ يَوْمًا ، وَالْمُؤَدِّبُ لَا يَعْلَمُ بِهِ ، فَسَمِعَهُ وَهُوَ يَسُبُّ ابْنَهُ ، وَيَقُولُ لَهُ لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ ، وَلَا فِيمَنْ وَلَدَكَ! |
| فَدَخَلَ إِلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ يَا هَذَا ، نَحْنُ لَمْ نُذْنِبْ ذَنْبًا لِتَسُبَّنَا ، فَهَلْ تَرَى أَنْ تُعْفِيَنَا مِنْ سَبِّكَ ، وَتَخُصَّ الْمُذْنِبَ بِشَتْمِكَ وَذَمِّكَ ؟ |
| فَارْتَاعَ الْمُؤَدِّبُ ، فَخَرَجَ إِسْمَاعِيلُ عَنْهُ ، وَأَمَرَ لَهُ بِصِلَةٍ جَزَاءً لِخَوْفِهِ مِنْهُ. |
| وَقِيلَ جَرَى بَيْنَ يَدَيْهِ ذِكْرُ الْأَنْسَابِ وَالْأَحْسَابِ فَقَالَ لِبَعْضِ جُلَسَائِهِ كُنْ عِصَامِيًّا وَلَا تَكُنْ عِظَامِيًّا ، فَلَمْ يَفْهَمْ مُرَادَهُ ، فَذَكَرَ لَهُ مَعْنَى ذَلِكَ. |
| وَسَأَلَ يَوْمًا يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّاءَ النَّيْسَابُورِيَّ فَقَالَ لَهُ مَا السَّبَبُ فِي أَنَّ آلَ مُعَاذٍ لَمَّا زَالَتْ دَوْلَتُهُمْ بَقِيَتْ عَلَيْهِمْ نِعْمَتُهُمْ بِخُرَاسَانَ ، مَعَ سُوءِ سِيرَتِهِمْ وَظُلْمِهِمْ ، وَأَنَّ آلَ طَاهِرٍ لَمَّا زَالَتْ دَوْلَتُهُمْ عَنْ خُرَاسَانَ زَالَتْ مَعَهَا نِعْمَتُهُمْ مَعَ عَدْلِهِمْ ، وَحُسْنِ سِيرَتِهِمْ ، وَنَظَرِهِمْ لِرَعِيَّتِهِمْ ؟ |
| فَقَالَ لَهُ يَحْيَى السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ آلَ مُعَاذٍ لَمَّا تَغَيَّرَ أَمْرُهُمْ كَانَ الَّذِي وَلِيَ الْبِلَادَ بَعْدَهُمْ آلُ طَاهِرٍ فِي عَدْلِهِمْ ، وَإِنْصَافِهِمْ ، وَاسْتِعْفَافِهِمْ عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ ، وَرَغْبَتِهِمْ فِي اصْطِنَاعِ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ ، فَقَدَّمُوا آلَ مُعَاذٍ وَأَكْرَمُوهُمْ ، وَأَنَّ آلَ طَاهِرٍ لَمَّا زَالَتْ عَنْهُمْ كَانَ سُلْطَانُ بِلَادِهِمْ آلَ الصَّفَّارِ فِي ظُلْمِهِمْ ، وَغَشَمِهِمْ ، وَمُعَادَاتِهِمْ لِأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ وَمُنَاصَبَتِهِمْ لِأَهْلِ الشَّرَفِ وَالنِّعَمِ ، فَأَتَوْا عَلَيْهِمْ وَأَزَالُوا نِعْمَتَهُمْ. |
| فَقَالَ إِسْمَاعِيلُ لِلَّهِ دَرُّكَ يَا يَحْيَى ، فَقَدْ شَفَيْتَ صَدْرِي! |
| وَأَمَرَ لَهُ بِصِلَةٍ ، وَلَمَّا وَلِيَ بَعْدَ أَخِيهِ كَانَ يُكَاتِبُ أَصْحَابَهُ وَأَصْدِقَاءَهُ بِمَا كَانَ يُكَاتِبُهُمْ أَوَّلًا ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ يَجِبُ عَلَيْنَا ، إِذَا زَادَنَا اللَّهُ رِفْعَةً ، أَنْ لَا نُنْقِصَ إِخْوَانَنَا بَلْ نَزِيدَهُمْ رِفْعَةً ، وَعُلًا ، وَجَاهًا ، لِيَزِيدُوا لَنَا إِخْلَاصًا وَشُكْرًا. |
| وَلَمَّا وَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو نَصْرٍ أَحْمَدُ ، وَاسْتَوْثَقَ أَمْرُهُ ، أَرَادَ الْخُرُوجَ إِلَى الرَّيِّ فَأَشَارَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ زِيدَوَيْهِ بِالْخُرُوجِ إِلَى سَمَرْقَنْدَ وَالْقَبْضِ عَلَى عَمِّهِ إِسْحَاقَ بْنِ أَحْمَدَ لِئَلَّا يَخْرُجَ عَلَيْهِ وَيَشْغَلَهُ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَاسْتَدْعَى عَمَّهُ إِلَى بُخَارَى ، فَحَضَرَ فَاعْتَقَلَهُ بِهَا ، ثُمَّ عَبَرَ إِلَى خُرَاسَانَ ، فَلَمَّا وَرَدَ نَيْسَابُورَ هَرَبَ بَارِسُ الْكَبِيرُ مِنْ جُرْجَانَ إِلَى بَغْدَاذَ ، خَوْفًا مِنْهُ. |
| وَكَانَ سَبَبُ خَوْفِهِ أَنَّ الْأَمِيرَ إِسْمَاعِيلَ كَانَ قَدِ اسْتَعْمَلَ ابْنَهُ أَحْمَدَ عَلَى جُرْجَانَ لَمَّا أَخَذَهَا مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ ، ثُمَّ عَزَلَهُ عَنْهَا ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا بَارِسَ الْكَبِيرَ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، فَاجْتَمَعَ عِنْدَ بَارِسَ أَمْوَالٌ جَمَّةٌ مِنْ خَرَاجِ الرَّيِّ ، وَطَبَرِسْتَانَ ، وَجُرْجَانَ ، فَبَلَغَتْ ثَمَانِينَ وِقْرًا ، فَحَمَلَهَا إِلَى إِسْمَاعِيلَ ، فَلَمَّا سَارَتْ عَنْهُ بَلَغَهُ خَبَرُ مَوْتِ إِسْمَاعِيلَ ، فَرَدَّهَا وَأَخَذَهَا ، فَلَمَّا سَارَ إِلَيْهِ أَحْمَدُ خَافَهُ ، وَكَتَبَ إِلَى الْمُكْتَفِي يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْمَصِيرِ إِلَيْهِ ، فَأَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ فِي أَرْبَعَةِ آلَافِ فَارِسٍ ، فَأَرْسَلَ أَحْمَدُ خَلْفَهُ عَسْكَرًا ، فَلَمْ يُدْرِكُوهُ ، وَاجْتَازَ الرَّيَّ ، فَتَحَصَّنَ بِهَا نَائِبُ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، فَسَارَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَوَصَلَهَا وَقَدْ مَاتَ الْمُكْتَفِي ، وَوَلِيَ الْمُقْتَدِرُ بَعْدَهُ ، فَأَعْجَبَهُ الْمُقْتَدِرُ . |
| وَكَانَ وُصُولُهُ بَعْدَ حَادِثَةِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ ، فَسَيَّرَهُ الْمُقْتَدِرُ فِي عَسْكَرِهِ إِلَى بَنِي حَمْدَانَ وَوَلَّاهُ دِيَارَ رَبِيعَةَ ، فَخَافَهُ أَصْحَابُ الْخَلِيفَةِ أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَيْهِمْ ، فَوَضَعُوا عَلَيْهِ غُلَامًا لَهُ فَسَمَّهُ فَمَاتَ ، وَاسْتَوْلَى غُلَامُهُ عَلَى مَالِهِ ، وَتَزَوَّجَ امْرَأَتَهُ ، وَكَانَ مَوْتُهُ بِالْمَوْصِلِ. |
| ذِكْرُ وَفَاةِ الْمُكْتَفِي فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي ذِي الْقِعْدَةِ تُوُفِّيَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُكْتَفِي بِاللَّهِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنُ الْمُعْتَضِدِ بِاللَّهِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ الْمُوَفَّقِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ سِتَّ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَكَانَ عُمْرُهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَقِيلَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَكَانَ رَبْعًا جَمِيلًا ، رَقِيقَ الْبَشَرَةِ ، حَسَنَ الشِّعْرِ ، وَافِرَ اللِّحْيَةِ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ تُرْكِيَّةٌ ، اسْمُهَا جِيجَكْ ، وَطَالَ عَلَيْهِ مَرَضُهُ عِدَّةَ شُهُورٍ ، وَلَمَّا مَاتَ دُفِنَ بِدَارِ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ . |
| ذِكْرُ خِلَافَةِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ وَكَانَ السَّبَبُ فِي وِلَايَةِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ الْخِلَافَةَ ، وَهُوَ أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ الْمُعْتَضِدِ ، أَنَّ الْمُكْتَفِيَ لَمَّا ثَقُلَ فِي مَرَضِهِ أَفْكَرَ الْوَزِيرُ حِينَئِذٍ ، وَهُوَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْحَسَنِ ، فِيمَنْ يَصْلُحُ لِلْخِلَافَةِ ، وَكَانَ عَادَتُهُ أَنْ يُسَايِرَهُ ، إِذَا رَكِبَ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ ، وَاحِدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ الدَّوَاوِينَ ، وَهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ الْجَرَّاحِ ، وَأَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدَانَ ، وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُرَاتِ ، وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى ، فَاسْتَشَارَ الْوَزِيرُ يَوْمًا مُحَمَّدَ بْنَ دَاوُدَ بْنِ الْجَرَّاحِ فِي ذَلِكَ ، فَأَشَارَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ ، وَوَصَفَهُ بِالْعَقْلِ وَالْأَدَبِ وَالرَّأْيِ ، وَاسْتَشَارَ بَعْدَهُ أَبَا الْحَسَنِ بْنَ الْفُرَاتِ ، فَقَالَ هَذَا شَيْءٌ مَا جَرَتْ بِهِ عَادَتِي أُشِيرُ فِيهِ ، وَإِنَّمَا أُشَاوِرُ فِي الْعُمَّالِ لَا فِي الْخُلَفَاءِ ، فَغَضِبَ الْوَزِيرُ وَقَالَ هَذِهِ مُقَاطَعَةٌ بَارِدَةٌ ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكَ الصَّحِيحُ. |
| وَأَلَحَّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ إِنْ كَانَ رَأْيُ الْوَزِيرِ قَدِ اسْتَقَرَّ عَلَى أَحَدٍ يُعَيِّنُهُ فَلْيَفْعَلْ ، فَعَلِمَ أَنَّهُ عَنَى ابْنَ الْمُعْتَزِّ لِاشْتِهَارِ خَبَرِهِ ، فَقَالَ الْوَزِيرُ لَا أَقْنَعُ إِلَّا أَنْ تَمْحَضَنِي النَّصِيحَةَ. |
| فَقَالَ ابْنُ الْفُرَاتِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ الْوَزِيرُ ، وَلَا يُنَصِّبْ إِلَّا مَنْ قَدْ عَرَفَهُ ، وَاطَّلَعَ عَلَى جَمِيعِ أَحْوَالِهِ ، وَلَا يُنَصِّبْ بَخِيلًا فَيُضَيِّقَ عَلَى النَّاسِ وَيَقْطَعَ أَرْزَاقَهُمْ ، وَلَا طَمَّاعًا فَيَشْرَهَ فِي أَمْوَالِهِمْ ، فَيُصَادِرَهُمْ وَيَأْخُذَ أَمْوَالَهُمْ وَأَمْلَاكَهُمْ ، وَلَا قَلِيلَ الدِّينِ فَلَا يَخَافُ الْعُقُوبَةَ وَالْآثَامَ ، وَيَرْجُو الثَّوَابَ فِيمَا يَفْعَلُهُ ، وَلَا يُوَلِّ مَنْ عَرَفَ نِعْمَةَ هَذَا ، وَبُسْتَانَ هَذَا ، وَضَيْعَةَ هَذَا ، وَفَرَسَ هَذَا ، وَمَنْ قَدْ لَقِيَ النَّاسَ وَلَقُوهُ ، وَعَامَلَهُمْ وَعَامَلُوهُ ، وَيَتَخَيَّلُ ، وَيَحْسِبُ حِسَابَ نِعَمِ النَّاسِ ، وَعَرَفَ وُجُوهَ دَخْلِهِمْ وَخَرْجِهِمْ. |
| فَقَالَ الْوَزِيرُ صَدَقْتَ وَنَصَحْتَ ، فَبِمَنْ تُشِيرُ ؟ |
| قَالَ أَصْلَحُ الْمَوْجُودِ جَعْفَرُ بْنُ الْمُعْتَضِدِ ، قَالَ وَيْحَكَ ، هُوَ صَبِيٌّ ، قَالَ ابْنُ الْفُرَاتِ إِلَّا أَنَّهُ ابْنُ الْمُعْتَضِدِ ، وَلَمْ نَأْتِ بِرَجُلٍ كَامِلٍ يُبَاشِرُ الْأُمُورَ بِنَفْسِهِ ، غَيْرِ مُحْتَاجٍ إِلَيْنَا. |
| ثُمَّ إِنَّ الْوَزِيرَ اسْتَشَارَ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى ، فَلَمْ يُسَمِّ أَحَدًا ، وَقَالَ لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ ، وَيَنْظُرَ مَنْ يَصْلُحُ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا ، فَمَالَتْ نَفْسُ الْوَزِيرِ إِلَى مَا أَشَارَ إِلَيْهِ بِهِ ابْنُ الْفُرَاتِ ، وَانْضَافَ إِلَى ذَلِكَ وَصِيَّةُ الْمُكْتَفِي ، فَإِنَّهُ أَوْصَى ، لَمَّا اشْتَدَّ مَرَضُهُ ، بِتَقْلِيدِ أَخِيهِ جَعْفَرٍ الْخِلَافَةَ ، فَلَمَّا مَاتَ الْمُكْتَفِي نَصَّبَ الْوَزِيرُ جَعْفَرًا لِلْخِلَافَةِ ، وَعَيَّنَهُ لَهَا ، وَأَرْسَلَ صَافِيًا الْحُرَمِيَّ إِلَيْهِ لِيُحَذِّرَهُ مِنْ دُورِ آلِ طَاهِرٍ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ وَكَانَ يَسْكُنُهَا ، فَلَمَّا حَطَّهُ فِي الْحَرَّاقَةِ وَحَدَرَهُ ، وَصَارَتِ الْحَرَّاقَةُ مُقَابِلَ دَارِ الْوَزِيرِ ، صَاحَ غِلْمَانُ الْوَزِيرِ بِالْمَلَّاحِ لِيَدْخُلَ إِلَى دَارِ الْوَزِيرِ ، فَظَنَّ صَافِي الْحُرَمِيُّ أَنَّ الْوَزِيرَ يُرِيدُ الْقَبْضَ عَلَى جَعْفَرٍ ، وَيُنَصِّبُ فِي الْخِلَافَةِ غَيْرَهُ ، فَمَنَعَ الْمَلَّاحَ مِنْ ذَلِكَ ، وَسَارَ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ ، وَأَخَذَ لَهُ صَافِي الْبَيْعَةَ عَلَى الْخَدَمِ ، وَحَاشِيَةِ الدَّارِ ، وَلَقَّبَ نَفْسَهُ الْمُقْتَدِرَ بِاللَّهِ ، وَلَحِقَ الْوَزِيرُ بِهِ وَجَمَاعَةُ الْكُتَّابِ فَبَايَعُوهُ ، ثُمَّ جَهَّزُوا الْمُكْتَفِيَ وَدَفَنُوهُ بِدَارِ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ. |
| وَلَمَّا بُويِعَ الْمُقْتَدِرُ كَانَ فِي بَيْتِ الْمَالِ ، حِينَ بُويِعَ ، خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَأَطْلَقَ يَدَ الْوَزِيرِ فِي بَيْتِ الْمَالِ فَأَخْرَجَ مِنْهُ حَقَّ الْبَيْعَةِ. |
| وَكَانَ مَوْلِدُ الْمُقْتَدِرِ ثَامِنَ رَمَضَانَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ يُقَالُ لَهَا شَغَبُ ، فَلَمَّا بُويِعَ اسْتَصْغَرَهُ الْوَزِيرُ ، وَكَانَ عُمْرُهُ إِذْ ذَاكَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَكَثُرَ كَلَامُ النَّاسِ فِيهِ ، فَعَزَمَ عَلَى خَلْعِهِ ، وَتَقْلِيدِ الْخِلَافَةِ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُعْتَمِدِ عَلَى اللَّهِ ، وَكَانَ حَسَنَ السِّيرَةِ ، جَمِيلَ الْوَجْهِ وَالْفِعْلِ ، فَرَاسَلَهُ فِي ذَلِكَ ، وَاسْتَقَرَّ الْحَالُ ، وَانْتَظَرَ الْوَزِيرُ قُدُومَ بَارِسَ حَاجِبُ إِسْمَاعِيلَ صَاحِبِ خُرَاسَانَ ، وَكَانَ قَدْ أَذِنَ لَهُ فِي الْقُدُومِ ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، وَأَرَادَ الْوَزِيرُ أَنْ يَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى ذَلِكَ ، وَيَتَقَوَّى بِهِ عَلَى غِلْمَانِ الْمُعْتَضِدِ ، فَتَأَخَّرَ بَارِسُ. |
| وَاتَّفَقَ أَنَّهُ وَقَعَ بَيْنَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَمِدِ وَبَيْنَ ابْنِ عَمْرَوَيْهِ ، صَاحِبِ الشُّرْطَةِ ، مُنَازَعَةٌ فِي ضَيْعَةٍ مُشْتَرَكَةٍ بَيْنَهُمَا ، فَأَغْلَظَ ابْنُ عَمْرَوَيْهِ ، فَغَضِبَ ابْنُ الْمُعْتَمِدِ غَضَبًا شَدِيدًا ، وَأُغْمِيَ عَلَيْهِ ، وَفُلِجَ فِي الْمَجْلِسِ ، فَحُمِلَ إِلَى ثِيَتِهِ فِي مِحَفَّةٍ ، فَمَاتَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي ، فَأَرَادَ الْوَزِيرُ الْبَيْعَةَ لِأَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ ، فَمَاتَ أَيْضًا بَعْدَ خَمْسَةِ أَيَّامٍ ، وَتَمَّ أَمْرُ الْمُقْتَدِرِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَ نُجْحِ بْنِ جَاخَ وَبَيْنَ الْأَجْنَادِ بِمِنَىً ، ثَانِيَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ ، لِأَنَّهُمْ طَلَبُوا جَائِزَةَ بَيْعَةِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ ، وَهَرَبَ النَّاسُ إِلَى بُسْتَانِ ابْنِ عَامِرٍ ، وَأَصَابَ الْحُجَّاجَ فِي عَوْدِهِمْ عَطَشٌ عَظِيمٌ فَمَاتَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ. |
| وَحُكِيَ أَنَّ أَحَدَهُمْ كَانَ يَبُولُ فِي كَفِّهِ ثُمَّ يَشْرَبُهُ . |
| وَفِيهَا خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمِسْمَعِيُّ عَنْ أَصْبَهَانَ إِلَى قَرْيَةٍ مِنْ قُرَاهَا مُخَالِفًا لِلْخَلِيفَةِ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَحْوٌ مِنْ عَشَرَةِ آلَافٍ مِنَ الْأَكْرَادِ وَغَيْرِهِمْ ، فَأُمِرَ بَدْرٌ الْحَمَّامِيُّ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِ ، فَسَارَ فِي خَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْجُنْدِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَنْصُورُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَنْصُورٍ الْكَاتِبُ يُخَوِّفُهُ عَاقِبَةَ الْخِلَافِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ وَأَدَّى إِلَيْهِ الرِّسَالَةَ ، فَرَجَعَ إِلَى الطَّاعَةِ ، وَسَارَ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَاسْتُخْلِفَ عَلَى عَمَلِهِ بِأَصْبَهَانَ ، فَرَضِيَ عَنْهُ الْمُكْتَفِي بِاللَّهِ. |
| وَفِيهَا كَانَتْ وَقْعَةٌ لِلْحُسَيْنِ بْنِ مُوسَى عَلَى أَعْرَابِ طَيٍّ ، الَّذِينَ كَانُوا حَصَرُوا وَصِيفًا ، عَلَى غِرَّةٍ مِنْهُمْ ، فَقَتَلَ فِيهِمْ كَثِيرًا ، وَأَسَرَ. |
| وَفِيهَا أَوْقَعَ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بِالْأَكْرَادِ الَّذِينَ تَغَلَّبُوا عَلَى نَوَاحِي الْمَوْصِلِ ، فَظَفِرَ بِهِمْ ، وَاسْتَبَاحَهُمْ ، وَنَهَبَ أَمْوَالَهُمْ ، وَهَرَبَ رَئِيسُهُمْ إِلَى رُءُوسِ الْجِبَالِ ، فَلَمْ يُدْرَكْ. |
| وَفِيهَا فَتَحَ الْمُظَفَّرُ بْنُ جَاخَ بَعْضَ مَا كَانَ غَلَبَ عَلَيْهِ الْخَارِجِيُّ بِالْيَمَنِ ، وَأَخَذَ رَئِيسًا مِنْ رُؤَسَاءِ أَصْحَابِهِ ، يُعْرَفُ بِالْحَكِيمِيِّ. |
| وَفِيهَا تَمَّ الْفِدَاءُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالرُّومِ فِي ذِي الْقِعْدَةِ ، وَكَانَ عِدَّةُ مَنْ فُودِيَ بِهِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ثَلَاثَةَ آلَافِ نَفْسٍ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ الْفَضْلُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْهَاشِمِيُّ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مِهْرَانَ الْجُرْجَانِيُّ الْإِسْمَاعِيلِيُّ ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ الْمُحَدِّثُ. |
| وَمُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ أَبُو جَعْفَرٍ التِّرْمِذِيُّ ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، تُوُفِّيَ بِبَغْدَاذَ. |
| وَأَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ النُّورِيُّ شَيْخُ الصُّوفِيَّةِ. |
| وَتُوُفِّيَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ أَبُو عَلِيٍّ الْخِرَقِيُّ ، الْفَقِيهُ الْحَنْبَلِيُّ ، يَوْمَ الْفِطْرِ الْخِرَقِيُّ بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَالْقَافِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَارَةَ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ خَلْعِ الْمُقْتَدِرِ وَوِلَايَةِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ اجْتَمَعَ الْقُوَّادُ ، وَالْقُضَاةُ ، وَالْكُتَّابُ ، مَعَ الْوَزِيرِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْحَسَنِ ، عَلَى خَلْعِ الْمُقْتَدِرِ ، وَالْبَيْعَةِ لِابْنِ الْمُعْتَزِّ ، وَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الْمُعْتَزِّ فِي ذَلِكَ ، فَأَجَابَهُمْ عَلَى أَنْ لَا يَكُونَ فِيهِ سَفْكُ دَمٍ ، وَلَا حَرْبٌ ، فَأَخْبَرُوهُ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَيْهِ ، وَأَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ مُنَازِعٌ وَلَا مُحَارِبٌ. |
| وَكَانَ الرَّأْسَ فِي ذَلِكَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْحَسَنِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ الْجَرَّاحِ ، وَأَبُو الْمُثَنَّى أَحْمَدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْقَاضِي ، وَمِنَ الْقُوَّادِ الْحُسَيْنُ بْنُ حَمْدَانَ ، وَبَدْرٌ الْأَعْجَمِيُّ ، وَوَصِيفُ بْنُ صُوَارِتِكِينَ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْوَزِيرَ رَأَى أَمَرَهُ صَالِحًا مَعَ الْمُقْتَدِرِ ، وَأَنَّهُ عَلَى مَا يُحِبُّ ، فَبَدَا لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَوَثَبَ بِهِ الْآخَرُونَ فَقَتَلُوهُ ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى قَتْلَهُ مِنْهُمُ الْحُسَيْنُ بْنُ حَمْدَانَ ، وَبَدْرٌ الْأَعْجَمِيُّ ، وَوَصِيفٌ ، وَلَحِقُوهُ ، وَهُوَ سَائِرٌ إِلَى بُسْتَانٍ لَهُ ، فَقَتَلُوهُ فِي طَرِيقِهِ ، وَقَتَلُوا مَعَهُ فَاتِكًا الْمُعْتَضِدِيَّ ، وَذَلِكَ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَخُلِعَ الْمُقْتَدِرُ مِنَ الْغَدِ ، وَبَايَعَ النَّاسُ لِابْنِ الْمُعْتَزِّ. |
| وَرَكَضَ الْحُسَيْنُ بْنُ حَمْدَانَ إِلَى الْحَلْبَةِ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ الْمُقْتَدِرَ يَلْعَبُ هُنَاكَ بِالْكُرَةِ ، فَيَقْتُلَهُ ، فَلَمْ يُصَادِفْهُ ، لِأَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ ، فَبَلَغَهُ قَتْلُ الْوَزِيرِ وَفَاتِكٍ ، فَرَكَّضَ دَابَّتَهُ فَدَخَلَ الدَّارَ ، وَغُلِّقَتِ الْأَبْوَابُ ، فَنَدِمَ الْحُسَيْنُ حَيْثُ لَمْ يَبْدَأْ بِالْمُقْتَدِرِ. |
| وَأَحْضَرُوا ابْنَ الْمُعْتَزِّ وَبَايَعُوهُ بِالْخِلَافَةِ ، وَكَانَ الَّذِي يَتَوَلَّى أَخْذَ الْبَيْعَةِ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَزْرَقُ ، وَحَضَرَ النَّاسُ ، وَالْقُوَّادُ ، وَأَصْحَابُ الدَّوَاوِينِ ، سِوَى أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفُرَاتِ ، وَخَوَاصِّ الْمُقْتَدِرِ ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَحْضُرُوا. |
| وَلُقِّبَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ الْمُرْتَضِيَ بِاللَّهِ ، وَاسْتَوْزَرَ مُحَمَّدَ بْنَ دَاوُدَ الْجَرَّاحَ ، وَقَلَّدَ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى الدَّوَاوِينَ ، وَكُتِبَتِ الْكُتُبُ إِلَى الْبِلَادِ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُرْتَضِي بِاللَّهِ أَبِي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ بِاللَّهِ ، وَوَجَّهَ إِلَى الْمُقْتَدِرِ يَأْمُرُهُ بِالِانْتِقَالِ إِلَى دَارِ ابْنِ طَاهِرٍ الَّتِي كَانَ مُقِيمًا فِيهَا ، لِيَنْتَقِلَ هُوَ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ ، فَأَجَابَهُ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَسَأَلَ الْإِمْهَالَ إِلَى اللَّيْلِ. |
| وَعَادَ الْحُسَيْنُ بْنُ حَمْدَانَ بُكَرَةَ غَدٍ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ ، فَقَاتَلَهُ الْخَدَمُ وَالْغِلْمَانُ وَالرَّجَّالَةُ مِنْ وَرَاءِ السُّتُورِ عَامَّةَ النَّهَارِ ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ آخِرَ النَّهَارِ ، فَلَمَّا جَنَّهُ اللَّيْلُ سَارَ عَنْ بَغْدَاذَ بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ وَكُلِّ مَا لَهُ إِلَى الْمَوْصِلِ ، لَا يَدْرِي لِمَ فَعَلَ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ مَعَ الْمُقْتَدِرِ مِنَ الْقُوَّادِ غَيْرُ مُؤْنِسٍ الْخَادِمِ ، وَمُؤْنِسٍ الْخَازِنِ ، وَغَرِيبِ الْخَالِ وَحَاشِيَةِ الدَّارِ. |
| فَلَمَّا هَمَّ الْمُقْتَدِرُ بِالِانْتِقَالِ عَنِ الدَّارِ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَا نُسَلِّمُ الْخِلَافَةَ مِنْ غَيْرِ أَنْ نُبْلِيَ عُذْرًا ، وَنَجْتَهِدَ فِي دَفْعِ مَا أَصَابَنَا ، فَأُجْمِعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَصْعَدُوا فِي الْمَاءِ إِلَى الدَّارِ الَّتِي فِيهَا ابْنُ الْمُعْتَزِّ بِالْحُرَمِ يُقَاتِلُونَهُ ، فَأَخْرَجَ لَهُمُ الْمُقْتَدِرُ السِّلَاحَ وَالزَّرَدِيَّاتِ وَغَيْرَ ذَلِكَ ، وَرَكِبُوا السُّمَيْرِيِّاتِ ، وَأَصْعَدُوا فِي الْمَاءِ ، فَلَمَّا رَآهُمْ مَنْ عِنْدَ ابْنِ الْمُعْتَزِّ هَالَهُمْ كَثْرَتُهُمْ ، وَاضْطَرَبُوا وَهَرَبُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَصِلُوا إِلَيْهِمْ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِنَّ الْحَسَنَ بْنَ حَمْدَانَ عَرَفَ مَا يُرِيدُ أَنْ يَجْرِيَ فَهَرَبَ مِنَ اللَّيْلِ ، وَهَذِهِ مُوَاطَأَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُقْتَدِرِ ، وَهَذَا كَانَ سَبَبَ هَرَبِهِ. |
| وَلَمَّا رَأَى ابْنُ الْمُعْتَزِّ ذَلِكَ رَكِبَ وَمَعَهُ وَزِيرُهُ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ وَهَرَبَا ، وَغُلَامٌ لَهُ يُنَادِي بَيْنَ يَدَيْهِ يَا مَعْشَرَ الْعَامَّةِ ، ادْعُوا لِخَلِيفَتِكُمُ السُّنِّيِّ الْبَرْبَهَارِيِّ ، وَإِنَّمَا نُسِبَتْ هَذِهِ النِّسْبَةُ لِأَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ الْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْبَرْبَهَارِيَّ كَانَ مُقَدَّمَ الْحَنَابِلَةِ وَالسُّنَّةِ مِنَ الْعَامَّةِ ، وَلَهُمْ فِيهَا اعْتِقَادٌ عَظِيمٌ ، فَأَرَادَ اسْتِمَالَتَهُمْ بِهَذَا الْقَوْلِ. |
| ثُمَّ إِنَّ ابْنَ الْمُعْتَزِّ وَمَنْ مَعَهُ سَارُوا نَحْوَ الصَّحْرَاءِ ، ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ مَنْ بَايَعَهُ مِنَ الْجُنْدِ يَتْبَعُونَهُ ، فَلَمْ يَلْحَقْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، فَكَانُوا عَزَمُوا أَنْ يَسِيرُوا إِلَى سُرَّ مَنْ رَأَى بِمَنْ يَتْبَعُهُمْ مِنَ الْجُنْدِ ، فَيَشْتَدَّ سُلْطَانُهُمْ ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَمْ يَأْتِهِمْ أَحَدٌ رَجَعُوا عَنْ ذَلِكَ الرَّأْيِ ، وَاخْتَفَى مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ فِي دَارِهِ وَنَزَلَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ عَنْ دَابَّتِهِ وَمَعَهُ غُلَامُهُ يُمْنٌ ، وَانْحَدَرَ إِلَى دَارِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجَصَّاصِ ، فَاسْتَجَارَ بِهِ ، وَاسْتَتَرَ أَكْثَرُ مَنْ بَايَعَ ابْنَ الْمُعْتَزِّ ، وَوَقَعَتِ الْفِتْنَةُ وَالنَّهْبُ وَالْقَتْلُ بِبَغْدَاذَ ، وَثَارَ الْعَيَّارُونَ وَالسِّفْلُ يَنْهَبُونَ الدُّورَ. |
| وَكَانَ ابْنُ عَمْرَوَيْهِ ، صَاحِبُ الشُّرْطَةِ ، مِمَّنْ بَايَعَ ابْنَ الْمُعْتَزِّ ، فَلَمَّا هَرَبَ جَمَعَ ابْنُ عَمْرَوَيْهِ أَصْحَابَهُ ، وَنَادَى بِشِعَارِ الْمُقْتَدِرِ ، يُدَلِّسُ بِذَلِكَ فَنَادَاهُ الْعَامَّةُ يَا مُرَائِي ، يَا كَذَّابُ! |
| وَقَاتَلُوهُ ، فَهَرَبَ وَاسْتَتَرَ ، وَتَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ ، فَهَجَاهُ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ بِأَبْيَاتٍ مِنْهَا بَايَعُوهُ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ الْأَنْ... |
| وُكِ إِلَّا التَّغْيِيرُ وَالتَّخْبِيطُ رَافِضِيُّونَ بَايَعُوا أَنْصَبَ الْأُ مَّةِ هَذَا لَعَمْرِيَ التَّخْلِيطُ... |
| ثُمَّ وَلَّى مِنْ زَعْقَةٍ وَمُحَامُوهُ وَمَنْ خَلْفَهُمْ لَهُمْ تَضْرِيطُ وَقَلَّدَ الْمُقْتَدِرُ ، تِلْكَ السَّاعَةَ ، الشُّرْطَةَ مُؤْنِسًا الْخَازِنَ ، وَهُوَ غَيْرُ مُؤْنِسٍ الْخَادِمِ ، وَخَرَجَ بِالْعَسْكَرِ ، وَقَبَضَ عَلَى وَصِيفِ بْنِ صُوَارِتِكِينَ وَغَيْرِهِ ، فَقَتَلَهُمْ ، وَقَبَضَ عَلَى الْقَاضِي أَبِي عُمَرَ ، وَعَلِيَّ بْنِ عِيسَى ، وَالْقَاضِي مُحَمَّدِ بْنِ خَلَفٍ وَكِيعٍ ، ثُمَّ أَطْلَقَهُمْ ، وَقَبَضَ عَلَى الْقَاضِي الْمُثَنَّى أَحْمَدَ بْنِ يَعْقُوبَ ، فَقَتَلَهُ لِأَنَّهُ قِيلَ لَهُ بَايِعِ الْمُقْتَدِرَ ، فَقَالَ لَا أُبَايِعُ صَبِيًّا ، فَذُبِحَ. |
| وَأَرْسَلَ الْمُقْتَدِرُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفُرَاتِ ، وَكَانَ مُخْتَفِيًا ، فَأَحْضَرَهُ ، وَاسْتَوْزَرَهُ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ. |
| وَكَانَ فِي هَذِهِ الْحَادِثَةِ عَجَائِبُ مِنْهَا أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ أَجْمَعُوا عَلَى خَلْعِ الْمُقْتَدِرِ وَالْبَيْعَةِ لِابْنِ الْمُعْتَزِّ ، فَلَمْ يَتِمَّ ذَلِكَ ، بَلْ كَانَ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ إِرَادَتِهِمْ ، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا. |
| وَمِنْهَا أَنَّ ابْنَ حَمْدَانَ ، عَلَى شِدَّةِ تَشَيُّعِهِ وَمَيْلِهِ إِلَى عَلِيٍّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ ، يَسْعَى فِي الْبَيْعَةِ لِابْنِ الْمُعْتَزِّ عَلَى انْحِرَافِهِ عَنْ عَلِيٍّ وَغُلُوِّهِ فِي النَّصْبِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. |
| ثُمَّ إِنَّ خَادِمًا لِابْنِ الْجَصَّاصِ ، يُعْرَفُ بِسَوْسَنَ ، أَخْبَرَ صَافِيًا الْحُرَمِيَّ بِأَنَّ ابْنَ الْمُعْتَزِّ عِنْدَ مَوْلَاهُ ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ ، فَكُبِسَتْ دَارُ ابْنِ الْجَصَّاصِ ، وَأُخِذَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ مِنْهَا ، وَحُبِسَ إِلَى اللَّيْلِ ، وَعُصِرَتْ خُصْيَتَاهُ حَتَّى مَاتَ ، وَلُفَّ فِي كِسَاءٍ ، وَسُلِّمَ إِلَى أَهْلِهِ. |
| وَصُودِرَ ابْنُ الْجَصَّاصِ عَلَى مَالٍ كَثِيرٍ ، وَأُخِذَ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ وَزِيرُ ابْنِ الْمُعْتَزِّ ، وَكَانَ مُسْتَتِرًا ، فَقُتِلِ ، وَنُفِيَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى إِلَى وَاسِطَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْوَزِيرِ ابْنِ الْفُرَاتِ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي الْمَسِيرِ إِلَى مَكَّةَ ، فَأَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَسَارَ إِلَيْهَا عَلَى طَرِيقِ الْبَصْرَةِ وَأَقَامَ بِهَا. |
| وَصُودِرَ الْقَاضِي أَبُو عُمَرَ عَلَى مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَسُيِّرَتِ الْعَسَاكِرُ مِنْ بَغْدَاذَ فِي طَلَبِ الْحُسَيْنِ بْنِ حَمْدَانَ فَتَبِعُوهُ إِلَى الْمَوْصِلِ ، ثُمَّ إِلَى بَلَدٍ فَلَمْ يَظْفَرُوا بِهِ فَعَادُوا إِلَى بَغْدَاذَ فَكَتَبَ الْوَزِيرُ إِلَى أَخِيهِ أَبِي الْهَيْجَاءِ بْنِ حَمْدَانَ ، وَهُوَ الْأَمِيرُ عَلَى الْمَوْصِلِ ، يَأْمُرُهُ بِطَلَبِهِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ إِلَى بَلَدٍ ، فَفَارَقَهَا الْحُسَيْنُ إِلَى سِنْجَارَ وَأَخُوهُ فِي أَثَرِهِ ، فَدَخَلَ الْبَرِّيَّةَ فَتَبِعَهُ أَخُوهُ عَشَرَةَ أَيَّامٍ ، فَأَدْرَكَهُ فَاقْتَتَلُوا فَظَفِرَ أَبُو الْهَيْجَاءِ ، وَأُسِرَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ ، وَأُخِذَ مِنْهُ عَشَرَةُ آلَافِ دِينَارٍ ، وَعَادَ عَنْهُ إِلَى الْمَوْصِلِ ، ثُمَّ انْحَدَرَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَلَمَّا كَانَ فَوْقَ تَكْرِيتَ أَدْرَكَهُ أَخُوهُ الْحُسَيْنُ ، فَبَيَّتَهُ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ قَتْلَى ، وَانْحَدَرَ أَبُو الْهَيْجَاءِ إِلَى بَغْدَاذَ. |
| وَأَرْسَلَ الْحُسَيْنُ إِلَى ابْنِ الْفُرَاتِ ، وَزِيرِ الْمُقْتَدِرِ ، يَسْأَلُهُ الرِّضَى عَنْهُ ، فَشَفَعَ فِيهِ إِلَى الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ لِيَرْضَى عَنْهُ ، وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ كَيْغَلَغَ ، وَابْنِ عَمْرَوَيْهِ صَاحِبِ الشُّرْطَةِ وَغَيْرِهِمْ ، فَرَضِيَ عَنْهُمْ ، وَدَخَلَ الْحُسَيْنُ بَغْدَاذَ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ أَخُوهُ مَا أَخَذَ مِنْهُ ، وَأَقَامَ الْحُسَيْنُ بِبَغْدَاذَ إِلَى أَنْ وَلِيَ قُمَّ فَسَارَ إِلَيْهَا ، وَأَخَذَ الْجَرَائِدَ الَّتِي فِيهَا أَسْمَاءُ مَنْ أَعَانَ عَلَى الْمُقْتَدِرِ ، فَغَرَّقَهَا فِي دِجْلَةَ. |
| وَبَسَطَ ابْنُ الْفُرَاتِ الْعَدْلَ وَالْإِحْسَانَ وَأَخْرَجَ الْإِدْرَارَاتِ لِلْعَبَّاسِيِّينَ وَالطَّالِبِيِّينَ ، وَأَرْضَى الْقُوَّادَ بِالْأَمْوَالِ ، فَفَرَّقَ مُعْظَمَ مَا كَانَ فِي بُيُوتِ الْأَمْوَالِ. |
| ذِكْرُ حَادِثَةٍ يَنْبَغِي أَنْ يُحْتَاطَ مِنْ مِثْلِهَا وَيُفْعَلَ فِيهَا مِثْلُ فِعْلِ صَاحِبِهَا كَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُخَلَّدٍ مُتَّصِلًا بِابْنِ الْفُرَاتِ ، وَبَيْنَهُمَا مَوَدَّةٌ وَصَدَاقَةٌ ، فَوَجَدَ الْوَزِيرُ كُتُبَ الْبَيْعَةِ لِابْنِ الْمُعْتَزِّ بِخَطِّ سُلَيْمَانَ لِاتِّصَالٍ كَانَ لِمُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَقَرَابَةٍ بَيْنَهُمَا ، فَلَمْ يُظْهِرْ عَلَيْهَا الْمُقْتَدِرَ ، وَأَخْفَاهَا عَنْهُ ، وَأَحْسَنَ ابْنُ الْفُرَاتِ إِلَى سُلَيْمَانَ ، وَقَلَّدَهُ الْأَعْمَالَ ، فَسَعَى سُلَيْمَانُ بِابْنِ الْفُرَاتِ إِلَى الْمُقْتَدِرِ ، وَكَتَبَ بِخَطِّهِ مُطَالَعَةً تَتَضَمَّنُ ذِكْرَ أَمَلَاكِ الْوَزِيرِ وَضِيَاعِهِ وَمُسْتَغَلَّاتِهِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِأَسْبَابِهِ ، وَأَخَذَ الرُّقْعَةَ لِيُوَصِّلَهَا إِلَى الْمُقْتَدِرِ ، فَلَمْ يَتَهَيَّأْ لَهُ ذَلِكَ. |
| وَحَضَرَ دَارَ الْوَزِيرِ وَهِيَ مَعَهُ ، وَسَقَطَتْ مِنْ كُمِّهِ ، فَظَفِرَ بِهَا بَعْضُ الْكُتَّابِ فَأَوْصَلَهَا إِلَى الْوَزِيرِ ، فَلَمَّا قَرَأَهَا قَبَضَ عَلَى سُلَيْمَانَ ، وَجَعَلَهُ فِي زَوْرَقٍ وَأَحْضَرَهُ إِلَى وَاسِطَ ، وَوَكَّلَ بِهِ هُنَاكَ ، وَصَادَرَهُ ، ثُمَّ أَرَادَ الْعَفْوَ عَنْهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ نَظَرْتُ أَعَزَّكَ اللَّهُ فِي حَقِّكَ عَلَيَّ وَجُرْمِكَ إِلَيَّ ، فَرَأَيْتُ الْحَقَّ مُوفِيًا عَلَى الْجُرْمِ ، وَتَذَكَّرْتُ مِنْ سَالِفِ خِدْمَتِكَ مَا عَطَّفَنِي عَلَيْكَ ، وَثَنَانِي إِلَيْكَ وَأَعَادَنِي لَكَ إِلَى أَفْضَلِ مَا عَهِدْتُ ، وَأَجْمَلِ مَا أَلِفْتُ ، وَأَطْلَقَ لَهُ عَشَرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَعَفَا عَنْهُ ، وَاسْتَعْمَلَهُ وَأَكْرَمَهُ. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ أَبِي مُضَرَ إِفْرِيقِيَّةَ وَهَرَبِهُ إِلَى الْعِرَاقِ وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، مُسْتَهَلِّ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَلِيَ أَبُو مُضَرَ زِيَادَةُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِفْرِيقِيَّةَ ، بَعْدَ قَتْلِ أَبِيهِ ، فَعَكَفَ عَلَى اللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ وَمُلَازِمَةِ النُّدَمَاءِ وَالْمُضْحِكِينَ ، وَأَهْمَلَ أُمُورَ الْمَمْلَكَةِ وَأَحْوَالَ الرَّعِيَّةِ ، وَأَرْسَلَ كِتَابًا ، يَوْمَ وُلِّيَ إِلَى عَمِّهِ الْأَحْوَلِ عَلَى لِسَانِ أَبِيهِ يَسْتَعْجِلُهُ فِي الْقُدُومِ عَلَيْهِ وَيَحُثُّهُ عَلَى السُّرْعَةِ ، فَسَارَ مُجِدًّا وَلَمْ يَعْلَمْ بِقَتْلِ أَبِي الْعَبَّاسِ ، فَلَمَّا وَصَلَ قَتَلَهُ وَقَتَلَ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَامِهِ وَإِخْوَتِهِ. |
| وَاشْتَدَّتْ شَوْكَةُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشِّيعِيِّ فِي أَيَّامِهِ ، وَقَوِيَ أَمْرُهُ ، وَكَانَ الْأَحْوَلُ قُبَالَتَهُ ، فَلَمَّا قُتِلَ صَفَتْ لَهُ الْبِلَادُ ، وَدَانَتْ لَهُ الْأَمْصَارُ وَالْعِبَادُ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ زِيَادَةُ اللَّهِ جَيْشًا مَعَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي الْأَغْلَبِ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَمِّهِ ، بَلَغَتْ عِدَّتُهُمْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا سِوَى مَنِ انْضَافَ إِلَيْهِ ، فَهَزَمَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشِّيعِيُّ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ آنِفًا ، فَلَمَّا اتَّصَلَ بِزِيَادَةِ اللَّهِ خَبَرُ الْهَزِيمَةِ عَلِمَ أَنَّهُ لَا مُقَامَ لَهُ لِأَنَّ هَذَا الْجَمْعَ هُوَ آخِرُ مَا انْتَهَتْ قُدْرَتُهُ إِلَيْهِ ، فَجَمَعَ مَا عَزَّ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلٍ وَمَالٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَعَزَمَ عَلَى الْهَرَبِ إِلَى بِلَادِ الشَّرْقِ ، وَأَظْهَرَ لِلنَّاسِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَهُ خَبَرُ ، هَزِيمَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشِّيعِيِّ ، وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِ رِجَالٍ مِنَ الْحَبْسِ ، فَقَتَلَهُمْ ، وَأَعْلَمَ خَاصَّتَهُ حَقِيقَةَ الْحَالِ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْخُرُوجِ مَعَهُ. |
| فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَهْلُ دَوْلَتِهِ بِأَنْ لَا يَفْعَلَ وَلَا يَتْرُكَ مُلْكَهُ. |
| قَالَ لَهُمْ إِنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَا يُجْسَرُ عَلَيْهِ فَشَتَمَهُ ، وَرَدَّ عَلَيْهِ رَأْيَهُ ، وَقَالَ أَحَبُّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ أَنْ يَأْخُذَنِي بِيَدِي. |
| وَانْصَرَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ خَاصَّتِهِ وَأَهْلِهِ يَتَجَهَّزُ لِلْمَسِيرِ مَعَهُ ، وَأَخْذِ مَا أَمْكَنَهُ حَمْلُهُ. |
| وَكَانَتْ دَوْلَةُ آلِ الْأَغْلَبِ بِإِفْرِيقِيَّةَ قَدْ طَالَتْ مُدَّتُهَا ، وَكَثُرَتْ عَبِيدُهَا وَقَوِيَ سُلْطَانُهَا ، وَسَارَ عَنْ إِفْرِيقِيَةَ إِلَى مِصْرَ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ وَاجْتَمَعَ مَعَهُ خَلْقٌ عَظِيمٌ ، فَلَمْ يَزَلْ سَائِرًا حَتَّى وَصَلَ طَرَابُلُسَ ، فَدَخَلَهَا ، فَأَقَامَ بِهَا تِسْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَرَأَى بِهَا أَبَا الْعَبَّاسِ أَخَا أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشِّيعِيِّ ، وَكَانَ مَحْبُوسًا بِالْقَيْرَوَانِ ، حَبَسَهُ زِيَادَةُ اللَّهِ ، فَهَرَبَ إِلَى طَرَابُلُسَ ، فَلَمَّا رَآهُ أَحْضَرَهُ وَقَرَّرَهُ هَلْ هُوَ أَخُو أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ؟ |
| فَأَنْكَرَ وَقَالَ أَنَا رَجُلٌ تَاجِرٌ قِيلَ عَنِّي ، إِنَّنِي أَخُو أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فَحَبَسْتَنِي. |
| فَقَالَ لَهُ زِيَادَةُ اللَّهِ أَنَا أُطْلِقُكَ فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِي أَنَّكَ تَاجِرٌ فَلَا نَأْثَمُ فِيكَ ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا ، وَأَنْتَ أَخُو أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، فَلْيَكُنْ لِلصَّنِيعَةِ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ ، وَتَحْفَظْنَا فِيمَنْ خَلَّفْنَاهُ. |
| وَأَطْلَقَهُ. |
| وَكَانَ مِنْ كِبَارِ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي الْأَغْلَبِ ، فَأَرَادَ قَتْلَهُ وَقَتْلَ رَجُلٍ آخَرَ كَانَا قَدْ عَرَضَا أَنْفُسَهُمَا عَلَى وِلَايَةِ الْقَيْرَوَانِ ، فَعَلِمَا ذَلِكَ ، وَهَرَبَا إِلَى مِصْرَ ، وَقَدِمَا عَلَى الْعَامِلِ بِهَا وَهُوَ عِيسَى النُّوشَرِيُّ ، فَتَحَدَّثَا مَعَهُ ، وَسَعَيَا بِزِيَادَةِ اللَّهِ وَقَالَا لَهُ إِنَّهُ يُمَنِّي نَفْسَهُ بِوِلَايَةِ مِصْرَ ، فَوَقَعَ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ ، وَأَرَادَ مَنْعَهُ عَنْ دُخُولِ مِصْرَ إِلَّا بِأَمْرِ الْخَلِيفَةِ مِنْ بَغْدَاذَ ، فَوَصَلَ زِيَادَةُ اللَّهِ لَيْلًا ، وَعَبَرَ الْجِسْرَ إِلَى الْجِيزَةِ قَهْرًا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ النُّوشَرِيُّ لَمْ يُمْكِنْهُ مَنْعُهُ ، فَأَنْزَلَهُ بِدَارِ ابْنِ الْجَصَّاصِ ، وَنَزَلَ أَصْحَابُهُ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ ، فَأَقَامَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ ، وَرَحَلَ يُرِيدُ بَغْدَاذَ ، فَهَرَبَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، وَفِيهِمْ غُلَامٌ لَهُ ، وَأُخِذَ مِنْهُ مِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ فَأَقَامَ عِنْدَ النُّوشَرِيِّ ، فَأَرْسَلَ النُّوشَرِيُّ إِلَى الْخَلِيفَةِ ، وَهُوَ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ ، يُعَرِّفُهُ حَالَ زِيَادَةِ اللَّهِ وَحَالَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ بِمِصْرَ ، فَأَمَرَهُ بِرَدِّ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ إِلَيْهِ مَعَ الْمَالِ ، فَفَعَلَ. |
| وَسَارَ زِيَادَةُ اللَّهِ حَتَّى بَلَغَ الرَّقَّةَ وَكَتَبَ إِلَى الْوَزِيرِ وَهُوَ ابْنُ الْفُرَاتِ يَسْأَلُهُ فِي الْإِذْنِ لَهُ لِدُخُولِ بَغْدَاذَ ، فَأَمَرَهُ بِالتَّوَقُّفِ ، فَبَقِيَ عَلَى ذَلِكَ سَنَةً ، فَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، وَهُوَ مَعَ هَذَا مُدْمِنٌ الْخَمْرَ ، وَاسْتِمَاعَ الْمَلَاهِي ، وَسُعِيَ بِهِ إِلَى الْمُقْتَدِرِ ، وَقِيلَ لَهُ يُرَدُّ إِلَى الْمَغْرِبِ يَطْلُبُ بِثَأْرِهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ وَكَتَبَ إِلَى النُّوشَرِيِّ بِإِنْجَادِهِ بِالرِّجَالِ وَالْعُدَدِ وَالْأَمْوَالِ مِنْ مِصْرَ لِيَعُودَ إِلَى الْمَغْرِبِ فَعَادَ إِلَى مِصْرَ ، فَأَمَرَهُ النُّوشَرِيُّ بِالْخُرُوجِ إِلَى ذَاتِ الْحَمَّامِ لِيَكُونَ هُنَاكَ إِلَى أَنْ يَجْتَمِعَ إِلَيْهِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الرِّجَالِ وَالْمَالِ ، فَفَعَلَ ، وَمَطَلَهُ ، فَطَالَ مُقَامَهُ ، وَتَتَابَعَتْ بِهِ الْأَمْرَاضُ. |
| وَقِيلَ بَلْ سَمَّهُ بَعْضُ غِلْمَانِهِ ، فَسَقَطَ شَعْرُ لِحْيَتِهِ ، فَعَادَ إِلَى مِصْرَ ، وَقَصَدَ الْبَيْتَ الْمُقَدَّسَ ، فَتُوُفِّيَ بِالرَّمْلَةِ وَدُفِنَ بِهَا. |
| فَسُبْحَانَ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَلَا يَزُولُ مُلْكُهُ وَلَمْ يَبْقَ بِالْمَغْرِبِ مِنْ بَنِي الْأَغْلَبِ أَحَدٌ ، وَكَانَتْ مُدَّةُ مُلْكِهِمْ مِائَةَ سَنَةٍ وَاثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَكَانُوا يَقُولُونَ إِنَّنَا نَخْرُجُ إِلَى مِصْرَ وَالشَّامِ ، وَنَرْبُطُ خَيْلَنَا فِي زَيْتُونِ فِلَسْطِينَ ، فَكَانَ زِيَادَةُ اللَّهِ هُوَ الْخَارِجَ إِلَى فِلَسْطِينَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ لَا عَلَى مَا ظَنُّوهُ. |
| ذِكْرُ ابْتِدَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَلَوِيَّةِ بِإِفْرِيقِيَّةَ هَذِهِ دَوْلَةٌ اتَّسَعَتْ أَكْنَافُ مَمْلَكَتِهَا ، وَطَالَتْ مُدَّتُهَا ، فَإِنَّهَا مَلَكَتْ إِفْرِيقِيَّةَ هَذِهِ السَّنَةَ ، وَانْقَرَضَتْ دَوْلَتُهُمْ بِمِصْرَ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، فَنَحْتَاجُ أَنْ نَسْتَقْصِيَ ذِكْرَهَا فَنَقُولُ أَوَّلُ مَنْ وَلِيَ مِنْهُمْ أَبُو مُحَمَّدٍ عُبَيْدُ اللَّهِ ، فَقِيلَ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَيْمُونِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَمَنْ يَنْسِبُ هَذَا النَّسَبَ يَجْعَلُهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَيْمُونٍ الْقَدَّاحَ الَّذِي يُنْسَبُ إِلَيْهِ الْقَدَّاحِيَّةُ. |
| وَقِيلَ هُوَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الثَّانِي ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . |
| وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي صِحَّةِ نَسَبِهِ ، فَقَالَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ الْقَائِلُونَ بِإِمَامَتِهِ إِنَّ نَسَبَهُ صَحِيحٌ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَلَمْ يَرْتَابُوا فِيهِ. |
| وَذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْعَلَوِيِّينَ الْعَالِمِينَ بِالْأَنْسَابِ إِلَى مُوَافَقَتِهِمْ أَيْضًا ، وَيَشْهَدُ بِصِحَّةِ هَذَا الْقَوْلِ مَا قَالَهُ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ مَا مُقَامِي عَلَى الْهَوَانِ وَعِنْدِي... |
| مَقُولٌ صَارِمٌ ، وَأَنْفٌ حَمِيُّ أَلْبَسُ الذُّلَّ فِي بِلَادِ الْأَعَادِي... |
| وَبِمِصْرَ الْخَلِيفَةُ الْعَلَوِيُّ مَنْ أَبُوهُ أَبِي ، وَمَوْلَاهُ مَوْلَا... |
| يَ إِذَا ضَامَنِي الْبَعِيدُ الْقَصِيُّ لَفَّ عِرْقِي بِعِرْقِهِ سَيِّدَا النَّا... |
| سِ جَمِيعًا مُحَمَّدٌ ، وَعَلِيُّ إِنَّ ذُلِّي بِذَلِكَ الْجَوِّ عِزٌّ... |
| وَأُوَامِي بِذَلِكَ النَّقْعِ رِيُّ وَإِنَّمَا لَمْ يُودِعْهَا فِي بَعْضِ دِيوَانِهِ خَوْفًا ، وَلَا حُجَّةَ بِمَا كَتَبَهُ فِي الْمَحْضَرِ الْمُتَضَمِّنِ الْقَدْحَ فِي أَنْسَابِهِمْ ، فَإِنَّ الْخَوْفَ يَحْمِلُ عَلَى أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ، عَلَى أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ مَا يُصَدِّقُ مَا ذَكَرْتُهُ ، وَهُوَ أَنَّ الْقَادِرَ بِاللَّهِ لَمَّا بَلَغَتْهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ أَحْضَرَ الْقَاضِيَ أَبَا بَكْرِ بْنَ الْبَاقِلَّانِيِّ ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى الشَّرِيفِ أَبِي أَحْمَدَ الْمُوسَوِيِّ وَالِدِ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ ، يَقُولُ لَهُ قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَتَكَ مِنَّا ، وَمَا لَا نَزَالُ عَلَيْهِ مِنَ الِاعْتِدَادِ بِكَ بِصِدْقِ الْمُوَالَاةِ مِنْكَ ، وَمَا تَقَدَّمَ لَكَ فِي الدَّوْلَةِ مِنْ مَوَاقِفَ مَحْمُودَةٍ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ عَلَى خَلِيفَةٍ تَرْضَاهُ ، وَيَكُونَ وَلَدُكَ عَلَى مَا يُضَادُّهَا ، وَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّهُ قَالَ شِعْرًا ، وَهُوَ كَذَا وَكَذَا ، فَيَا لَيْتَ شِعْرِي عَلَى أَيِّ مُقَامِ ذُلٍّ أَقَامَ ، وَهُوَ نَاظِرٌ فِي النِّقَابَةِ وَالْحَجِّ ، وَهُمَا مِنْ أَشْرَفِ الْأَعْمَالِ ، وَلَوْ كَانَ بِمِصْرَ لَكَانَ كَبَعْضِ الرَّعَايَا ، وَأَطَالَ الْقَوْلَ ، فَحَلَفَ أَبُو أَحْمَدَ أَنَّهُ مَا عَلِمَ بِذَلِكَ. |
| وَأَحْضَرَ وَلَدَهُ ، وَقَالَ لَهُ فِي الْمَعْنَى فَأَنْكَرَ الشِّعْرَ ، فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ خَطَّكَ إِلَى الْخَلِيفَةِ بِالِاعْتِذَارِ ، وَاذْكُرْ فِيهِ أَنَّ نَسَبَ الْمِصْرِيِّ مَدْخُولٌ ، وَأَنَّهُ مُدَّعٍ فِي نَسَبِهِ ، فَقَالَ لَا أَفْعَلُ! |
| فَقَالَ أَبُوهُ تُكَذِّبُنِي فِي قَوْلِي ؟ |
| فَقَالَ مَا أُكَذِّبُكَ ، وَلَكِنِّي أَخَافُ مِنَ الدَّيْلَمِ ، وَأَخَافُ مِنَ الْمِصْرِيِّ وَمِنَ الدُّعَاةِ فِي الْبِلَادِ ، فَقَالَ أَبُوهُ أَتَخَافُ مِمَّنْ هُوَ بَعِيدٌ عَنْكَ ، وَتُرَاقِبُهُ ، وَتُسْخِطُ مَنْ هُوَ قَرِيبٌ وَأَنْتَ بِمَرْأًى مِنْهُ وَمَسْمَعٍ ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ ؟ |
| وَتَرَدَّدَ الْقَوْلُ بَيْنَهُمَا ، وَلَمْ يَكْتُبِ الرَّضِيُّ خَطَّهُ ، فَحَرَدَ عَلَيْهِ أَبُوهُ وَغَضِبَ وَحَلَفَ أَنَّهُ لَا يُقِيمُ مَعَهُ فِي بَلَدٍ ، فَآلَ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ حَلَفَ الرَّضِيُّ أَنَّهُ مَا قَالَ هَذَا الشِّعْرَ وَانْدَرَجَتِ الْقِصَّةُ عَلَى هَذَا. |
| فَفِي امْتِنَاعِ الرَّضِيِّ مِنَ الِاعْتِذَارِ ، وَمِنْ أَنْ يَكْتُبَ طَعْنًا فِي نَسَبِهِمْ مَعَ الْخَوْفِ ، دَلِيلٌ قَوِيٌّ عَلَى صِحَّةِ نَسَبِهِمْ. |
| وَسَأَلْتُ أَنَا جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ الْعَلَوِيِّينَ فِي نَسَبِهِ ، فَلَمْ يَرْتَابُوا فِي صِحَّتِهِ ، وَذَهَبَ غَيْرُهُمْ إِلَى أَنَّ نَسَبَهُ مَدْخُولٌ لَيْسَ بِصَحِيحٍ ، وَعَدَا طَائِفَةٌ مِنْهُمْ إِلَى أَنْ جَعَلُوا نَسَبَهُ يَهُودِيًّا ، وَقَدْ كُتِبَ فِي الْأَيَّامِ الْقَادِرِيَّةِ مَحْضَرٌ يَتَضَمَّنُ الْقَدْحَ فِي نَسَبِهِ وَنَسَبِ أَوْلَادِهِ ، وَكَتَبَ فِيهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَلَوِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ أَنَّ نَسَبَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ غَيْرُ صَحِيحٍ. |
| فَمِمَّنْ كَتَبَ فِيهِ مِنَ الْعَلَوِيِّينَ الْمُرْتَضَى ، وَأَخُوهُ الرَّضِيُّ ، وَابْنُ الْبَطْحَاوِيِّ ، وَابْنُ الْأَزْرَقِ الْعَلَوِيَّانِ ، وَمِنْ غَيْرِهِمُ ابْنُ الْأَكْفَانِيِّ وَابْنُ الْخَرَزِيِّ ، وَأَبُو الْعَبَّاسِ الْأَبِيوَرْدِيُّ ، وَأَبُو حَامِدٍ ، وَالْكَشْفَلِيُّ ، وَالْقُدُورِيُّ ، وَالصَّيْمَرِيُّ أَبُو الْفَضْلِ النَّسَوِيُّ ، وَأَبُو جَعْفَرٍ النَّسَفِيُّ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ النُّعْمَانِ ، فَقِيهُ الشِّيعَةِ. |
| وَزَعَمَ الْقَائِلُونَ بِصِحَّةِ نَسَبِهِ أَنَّ الْعُلَمَاءَ مِمَّنْ كَتَبَ فِي الْمَحْضَرِ إِنَّمَا كَتَبُوا خَوْفًا وَتَقِيَّةً ، وَمَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ بِالْأَنْسَابِ فَلَا احْتِجَاجَ بِقَوْلِهِ. |
| وَزَعَمَ الْأَمِيرُ عَبْدُ الْعَزِيزِ ، صَاحِبُ تَارِيخِ إِفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبِ ، أَنَّ نَسَبَهُ مُعْرِقٌ فِي الْيَهُودِيَّةِ ، وَنَقَلَ فِيهِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَقَدِ اسْتَقْصَى ، ذِكْرَ ابْتِدَاءِ دَوْلَتِهِمْ ، وَبَالَغَ. |
| وَأَنَا أَذْكُرُ مَعْنَى مَا قَالَهُ مَعَ الْبَرَاءَةِ مِنْ عُهْدَةِ طَعْنِهِ فِي نَسَبِهِ ، وَمَا عَدَاهُ فَقَدْ أَحْسَنَ فِيمَا ذَكَرَ ، قَالَ لَمَّا بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى سَيِّدَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَظُمَ ذَلِكَ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالرُّومِ وَالْفُرْسِ وَقُرَيْشٍ ، وَسَائِرِ الْعَرَبِ ، لِأَنَّهُ سَفَّهَ أَحْلَامَهُمْ ، وَعَابَ أَدْيَانَهُمْ وَآلِهَتَهُمْ ، وَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ ، فَاجْتَمَعُوا يَدًا وَاحِدَةً عَلَيْهِ ، فَكَفَاهُ اللَّهُ كَيْدَهُمْ ، وَنَصَرَهُ عَلَيْهِمْ ، فَأَسْلَمَ مِنْهُمْ مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَلَمَّا قُبِضَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَجَمَ النِّفَاقُ ، وَارْتَدَّتِ الْعَرَبُ ، وَظَنُّوا أَنَّ الصَّحَابَةَ يَضْعُفُونَ بَعْدَهُ ، فَجَاهَدَ أَبُو بَكْرٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَقَتَلَ مُسَيْلِمَةَ ، وَرَدَّ الرِّدَّةَ ، وَأَذَلَّ الْكُفْرَ ، وَوَطَّأَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ ، وَغَزَا فَارِسَ وَالرُّومَ ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ ظَنُّوا أَنَّ بِوَفَاتِهِ يَنْتَقِصُ الْإِسْلَامُ. |
| فَاسْتُخْلِفَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَأَذَلَّ فَارِسَ وَالرُّومَ ، وَغَلَبَ عَلَى مَمَالِكِهَا ، فَدَسَّ عَلَيْهِ الْمُنَافِقُونَ أَبَا لُؤْلُؤَةَ فَقَتَلَهُ ، ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ بِقَتْلِهِ يَنْطَفِئُ نُورُ الْإِسْلَامِ. |
| فَوُلِّيَ بَعْدَهُ عُثْمَانُ ، فَزَادَ فِي الْفُتُوحِ ، وَاتَّسَعَتْ مَمْلَكَةُ الْإِسْلَامِ ، فَلَمَّا قُتِلَ وَوُلِّيَ بَعْدَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ قَامَ بِالْأَمْرِ أَحْسَنَ قِيَامٍ. |
| فَلَمَّا يَئِسَ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ مِنَ اسْتِئْصَالِهِ بِالْقُوَّةِ أَخَذُوا فِي وَضْعِ الْأَحَادِيثِ الْكَاذِبَةِ ، وَتَشْكِيكِ ضَعَفَةِ الْعُقُولِ فِي دِينِهِمْ ، بِأُمُورٍ قَدْ ضَبَطَهَا الْمُحَدِّثُونَ ، وَأَفْسَدُوا الصَّحِيحَ بِالتَّأْوِيلِ وَالطَّعْنِ عَلَيْهِ. |
| فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ أَبُو الْخَطَّابِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي زَيْنَبَ مَوْلَى بَنِي أَسَدٍ وَأَبُو شَاكِرٍ مَيْمُونُ بْنُ دَيْصَانَ صَاحِبُ كِتَابِ" الْمِيزَانِ "فِي نُصْرَةِ الزَّنْدَقَةِ ، وَغَيْرُهُمَا ، فَأَلْقَوْا إِلَى مَنْ وَثِقُوا بِهِ أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ بَاطِنًا وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُوجِبْ عَلَى أَوْلِيَائِهِ ، وَمَنْ عَرَفَ الْأَئِمَّةَ وَالْأَبْوَابَ ، صَلَاةً وَلَا زَكَاةً ، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ ، وَلَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ شَيْئًا ، وَأَبَاحُوا لَهُمْ نِكَاحَ الْأُمَّهَاتِ وَالْأَخَوَاتِ ، وَإِنَّمَا هَذِهِ قُيُودٌ لِلْعَامَّةِ سَاقِطَةٌ عَنِ الْخَاصَّةِ. |
| وَكَانُوا يُظْهِرُونَ التَّشَيُّعَ لِآلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَسْتُرُوا أَمْرَهُمْ ، وَيَسْتَمِيلُوا الْعَامَّةَ ، وَتَفَرَّقَ أَصْحَابُهُمْ فِي الْبِلَادِ ، وَأَظْهَرُوا الزُّهْدَ وَالْعِبَادَةَ ، يُغْرُونَ النَّاسَ بِذَلِكَ وَهُمْ عَلَى خِلَافِهِ ، فَقُتِلَ أَبُو الْخَطَّابِ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالْكُوفَةِ ، وَكَانَ أَصْحَابُهُ قَالُوا لَهُ إِنَّا نَخَافُ الْجُنْدَ ، فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ أَسْلِحَتَهُمْ لَا تَعْمَلُ فِيكُمْ ، فَلَمَّا ابْتَدَؤُوا فِي ضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ أَلَمْ تَقُلْ إِنَّ سُيُوفَهُمْ لَا تَعْمَلُ فِينَا ؟ |
| فَقَالَ إِذَا كَانَ قَدْ أَرَادَ اللَّهُ فَمَا حِيلَتِي ؟ |
| وَتَفَرَّقَتْ هَذِهِ الطَّائِفَةُ فِي الْبِلَادِ وَتَعَلَّمُوا الشَّعْبَذَةَ ، وَالنَّارِنْجِيَّاتِ ، وَالزَّرَقَ وَالنُّجُومَ ، وَالْكِمْيَاءَ ، فَهُمْ يَحْتَالُونَ عَلَى كُلِّ قَوْمٍ بِمَا يَتَّفِقُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الْعَامَّةِ بِإِظْهَارِ الزُّهْدِ. |
| وَنَشَأَ لِابْنِ دَيْصَانَ ابْنٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ الْقَدَّاحُ ، عَلَّمَهُ الْحِيَلَ ، وَأَطْلَعَهُ عَلَى أَسْرَارِ هَذِهِ النِّحْلَةِ ، فَحَذَقَ وَتَقَدَّمَ. |
| وَكَانَ بِنَوَاحِي كَرْخَ وَأَصْبَهَانَ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِمُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ وَيُلَقَّبُ بِدَنْدَانَ يَتَوَلَّى تِلْكَ الْمَوَاضِعَ ، وَلَهُ نِيَابَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَكَانَ يُبْغِضُ الْعَرَبَ وَيَجْمَعُ مَسَاوِيَهِمْ ، فَسَارَ إِلَيْهِ الْقَدَّاحُ ، وَعَرَّفَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا زَادَ بِهِ مَحَلُّهُ ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يُظْهِرَ ، مَا فِي نَفْسِهِ ، وَإِنَّمَا يَكْتُمُهُ ، وَيُظْهِرُ التَّشَيُّعَ وَالطَّعْنَ عَلَى الصَّحَابَةِ ، فَإِنَّ الطَّعْنَ فِيهِمْ طَعْنٌ فِي الشَّرِيعَةِ ، فَإِنَّ بِطَرِيقِهِمْ وَصَلَتْ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ ، فَاسْتَحْسَنَ قَوْلَهُ وَأَعْطَاهُ مَالًا عَظِيمًا يُنْفِقُهُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى هَذَا الْمَذْهَبِ فَسَيَّرَهُ إِلَى كُوَرِ الْأَهْوَازِ وَالْبَصْرَةِ ، وَالْكُوفَةِ ، وَطَالِقَانَ ، وَخُرَاسَانَ ، وَسَلَمِيَّةَ ، مِنْ أَرْضِ حِمْصَ ، وَفَرَّقَهُ فِي دُعَاتِهِ ، وَتُوُفِّيَ الْقَدَّاحُ ، وَدَنْدَانُ. |
| وَإِنَّمَا لُقِّبَ الْقَدَّاحَ لِأَنَّهُ كَانَ يُعَالِجُ الْعُيُونَ وَيَقْدَحُهَا. |
| فَلَمَّا تُوُفِّيَ الْقَدَّاحُ قَامَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَحْمَدُ مَقَامَهُ ، وَصَحِبَهُ إِنْسَانٌ يُقَالُ لَهُ رُسْتُمُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ حَوْشَبِ بْنِ دَاذَانَ النَّجَّارُ ، مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَكَانَا يَقْصِدَانِ الْمَشَاهِدَ ، وَكَانَ بِالْيَمَنِ رَجُلٌ اسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ كَثِيرُ الْمَالِ وَالْعَشِيرَةِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَدِ ، يَتَشَيَّعُ ، فَجَاءَ إِلَى مَشْهَدِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ يَزُورُهُ ، فَرَآهُ أَحْمَدُ وَرُسْتُمُ يَبْكِي كَثِيرًا ، فَلَمَّا خَرَجَ اجْتَمَعَ بِهِ أَحْمَدُ ، وَطَمِعَ فِيهِ لِمَا رَأَى مِنْ بُكَائِهِ ، وَأَلْقَى إِلَيْهِ مَذْهَبَهُ فَقَبِلَهُ ، وَسَيَّرَ مَعَهُ النَّجَّارَ إِلَى الْيَمَنِ ، وَأَمَرَهُ بِلُزُومِ الْعِبَادَةِ وَالزُّهْدِ وَدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى الْمَهْدِيِّ وَأَنَّهُ خَارِجٌ فِي هَذَا الزَّمَانِ بِالْيَمَنِ ، فَسَارَ النَّجَّارُ إِلَى الْيَمَنِ ، وَنَزَلَ بِعَدَنَ ، بِقُرْبِ قَوْمٍ مِنَ الشِّيعَةِ يُعْرَفُونَ بِبَنِي مُوسَى ، وَأَخَذَ فِي بَيْعِ مَا مَعَهُ. |
| وَأَتَاهُ بَنُو مُوسَى ، وَقَالُوا لَهُ فِيمَ جِئْتَ ؟ |
| قَالَ لِلتِّجَارَةِ. |
| قَالُوا لَسْتَ بِتَاجِرٍ ، وَإِنَّمَا أَنْتَ رَسُولُ الْمَهْدِيِّ ، وَقَدْ بَلَغَنَا خَبَرُكَ ، وَنَحْنُ بَنُو مُوسَى ، وَلَعَلَّكَ قَدْ سَمِعْتَ بِنَا ، فَانْبَسِطْ وَلَا تَحْتَشِمْ ، فَإِنَّا إِخْوَانُكَ ، فَأَظْهَرَ أَمْرَهُ ، وَقَوَّى عَزَائِمَهُمْ ، وَقَرُبَ أَمْرُ الْمَهْدِيِّ بِالِاسْتِكْثَارِ مِنَ الْخَيْلِ وَالسِّلَاحِ ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ هَذَا أَوَانُ ظُهُورِ الْمَهْدِيِّ ، وَمِنْ عِنْدِهِمْ يَظْهَرُ. |
| وَاتَّصَلَتْ أَخْبَارُهُ بِالشِّيعَةِ الَّذِينَ بِالْعِرَاقِ ، فَسَارُوا إِلَيْهِ فَكَثُرَ جَمْعُهُمْ وَعَظُمَ بِأْسُهُمْ ، وَأَغَارُوا عَلَى مَنْ جَاوَرَهُمْ ، وَسَبَوْا ، وَجَبَوُا الْأَمْوَالَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى مَنْ بِالْكُوفَةِ مِنْ وَلِدِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَدَّاحِ هَدَايَا عَظِيمَةً ، وَكَانُوا أَنْفَذُوا إِلَى الْمَغْرِبِ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا يُعْرَفُ بِالْحُلْوَانِيِّ ، وَالْآخَرُ يُعْرَفُ بِأَبِي سُفْيَانَ ، وَقَالُوا لَهُمَا إِنَّ الْمَغْرِبَ أَرْضٌ بُورٌ ، فَاذْهَبَا فَاحْرُثَا حَتَّى يَجِيءَ صَاحِبُ الْبَدْرِ ، فَسَارَا فَنَزَلَ بِأَرْضِ كُتَامَةَ بِبَلَدٍ يُسَمَّى مَرْمَجَنَّةَ وَالْآخَرُ بِسُوقِ حِمَارٍ ، فَمَالَتْ قُلُوبُ أَهْلِ تِلْكَ النَّوَاحِي إِلَيْهِمَا ، وَحَمَلُوا إِلَيْهِمَا الْأَمْوَالَ وَالتُّحَفَ ، فَأَقَامَا سِنِينَ كَثِيرَةً ، وَمَاتَا ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا قَرِيبَ الْوَفَاةِ مِنَ الْآخَرِ. |
| ذِكْرُ إِرْسَالِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشِّيعِيِّ إِلَى الْمَغْرِبِ كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زَكَرِيَّاءَ الشِّيعِيُّ مِنْ أَهْلِ صَنْعَاءَ ، وَقَدْ سَارَ إِلَى ابْنِ حَوْشَبٍ النَّجَّارِ ، وَصَحِبَهُ بِعَدَنَ ، وَصَارَ مِنْ كِبَارِ أَصْحَابِهِ ، وَكَانَ لَهُ عِلْمٌ وَفَهْمٌ وَدَهَاءٌ وَمَكْرٌ ، فَلَمَّا أَتَى خَبَرُ وَفَاةِ الْحُلْوَانِيِّ وَأَبِي سُفْيَانَ إِلَى ابْنِ حَوْشَبٍ قَالَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشِّيعِيِّ إِنَّ أَرْضَ كُتَامَةَ مِنَ الْمَغْرِبِ قَدْ حَرَثَهَا الْحُلْوَانِيُّ وَأَبُو سُفْيَانَ ، وَقَدْ مَاتَا ، وَلَيْسَ لَهَا غَيْرُكَ ، فَبَادِرْ ، فَإِنَّهَا مُوَطَّأَةٌ مُمَهَّدَةٌ لَكَ. |
| فَخَرَجَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ إِلَى مَكَّةَ ، وَأَعْطَاهُ ابْنُ حَوُشَبٍ مَالًا ، وَسَيَّرَ مَعَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي مَلَاحِفَ ، فَلَمَّا قَدِمَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مَكَّةَ سَأَلَ عَنْ حُجَّاجِ كُتَامَةَ فَأُرْشِدَ إِلَيْهِمْ ، فَاجْتَمَعَ بِهِمْ ، وَلَمْ يُعَرِّفْهُمْ قَصْدَهُ ، وَجَلَسَ قَرِيبًا مِنْهُمْ ، فَسَمِعَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ بِفَضَائِلِ أَهْلِ الْبَيْتِ ، فَأَظْهَرَ اسْتِحْسَانَ ذَلِكَ ، وَحَدَّثَهُمْ بِمَا لَمْ يَعْلَمُوهُ ، فَلَمَّا أَرَادَ الْقِيَامَ سَأَلُوهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ فِي زِيَارَتِهِ وَالِانْبِسَاطِ مَعَهُ ، فَأَذِنَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ ، فَسَأَلُوهُ أَيْنَ مَقْصِدُهُ ، فَقَالَ أُرِيدُ مِصْرَ ، فَفَرِحُوا بِصُحْبَتِهِ. |
| وَكَانَ مِنْ رُؤَسَاءِ الْكُتَامِيِّينَ بِمَكَّةَ رَجُلٌ اسْمُهُ حُرَيْثٌ الْجَمِيلِيُّ ، وَآخَرُ اسْمُهُ مُوسَى بْنُ مَكَّادَ ، فَرَحَلُوا ، وَهُوَ لَا يُخْبِرُهُمْ بِغَرَضِهِ ، وَأَظْهَرَ لَهُمُ الْعِبَادَةَ ، وَالزُّهْدَ ، فَازْدَادُوا فِيهِ رَغْبَةً ، وَخَدَمُوهُ ، وَكَانَ يَسْأَلُهُمْ عَنْ بِلَادِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ ، وَعَنْ طَاعَتِهِمْ لِسُلْطَانِ إِفْرِيقِيَّةَ ، فَقَالُوا مَا لَهُ عَلَيْنَا طَاعَةٌ ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَهُ عَشَرَةُ أَيَّامٍ. |
| قَالَ أَفَتَحْمِلُونَ السِّلَاحَ ؟ |
| قَالُوا هُوَ شُغْلُنَا ، وَلَمْ يَزَلْ يَتَعَرَّفُ أَحْوَالَهُمْ ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى مِصْرَ ، فَلَمَّا أَرَادَ وَدَاعَهُمْ قَالُوا لَهُ أَيُّ شَيْءٍ تَطْلُبُ بِمِصْرَ ؟ |
| قَالَ أَطْلُبُ التَّعْلِيمَ بِهَا ، قَالُوا إِذَا كُنْتَ تَقْصِدُ هَذَا فَبِلَادُنَا أَنْفَعُ لَكَ ، وَنَحْنُ أَعْرَفُ بِحَقِّكَ ، وَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى أَجَابَهُمْ إِلَى الْمَسِيرِ مَعَهُمْ بَعْدَ الْخُضُوعِ وَالسُّؤَالِ ، فَسَارَ مَعَهُمْ. |
| فَلَمَّا قَارَبُوا بِلَادَهُمْ لَقِيَهُمْ رِجَالٌ مِنَ الشِّيعَةِ ، فَأَخْبَرُوهُمْ بِخَبَرِهِ ، فَرَغِبُوا فِي نُزُولِهِ عِنْدَهُمْ ، وَاقْتَرَعُوا فِيمَنْ يُضَيِّفُهُ مِنْهُمْ ثُمَّ رَحَلُوا حَتَّى وَصَلُوا إِلَى أَرْضِ كُتَامَةَ ، مُنْتَصَفَ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَسَأَلَهُ قَوْمٌ مِنْهُمْ أَنْ يَنْزِلَ عِنْدَهُمْ حَتَّى يُقَاتِلُوا دُونَهُ ، فَقَالَ لَهُمْ أَيْنَ يَكُونُ فَجُّ الْأَخْيَارِ ؟ |
| فَتَعَجَّبُوا مِنْ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَكُونُوا ذَكَرُوهُ لَهُ ، فَقَالُوا لَهُ عِنْدَ بَنِي سُلَيَّانَ. |
| فَقَالَ إِلَيْهِ نَقْصِدُ ، ثُمَّ نَأْتِي قَوْمًا مِنْكُمْ فِي دِيَارِكُمْ ، وَنَزُورُهُمْ فِي بُيُوتِهِمْ ، فَأَرْضَى بِذَلِكَ الْجَمِيعَ. |
| وَسَارَ إِلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ إِنْكِجَانَ ، وَفِيهِ فَجُّ الْأَخْيَارِ ، فَقَالَ هَذَا فَجُّ الْأَخْيَارِ ، وَمَا سُمِّيَ إِلَّا بِكُمْ ، وَلَقَدْ جَاءَ فِي الْآثَارِ إِنَّ لِلْمَهْدِيِّ هِجْرَةً تَنْبُو عَنِ الْأَوْطَانِ ، يَنْصُرُهُ فِيهَا الْأَخْيَارُ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ ، قَوْمٌ مُشْتَقٌّ اسْمُهُمْ مِنَ الْكِتْمَانِ ، فَإِنَّهُمْ كُتَامَةُ ، وَبِخُرُوجِكُمْ مِنْ هَذَا الْفَجِّ يُسَمَّى فَجَّ الْأَخْيَارِ. |
| فَتَسَامَعَتِ الْقَبَائِلُ ، وَصَنَعَ مِنَ الْحِيَلِ وَالْمَكِيدَاتِ وَالنَّارِنْجِيَّاتِ مَا أَذْهَلَ عُقُولَهُمْ ، وَأَتَاهُ الْبَرْبَرُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، وَعَظُمَ أَمْرُهُ إِلَى أَنْ تَقَاتَلَتْ كُتَامَةُ عَلَيْهِ مَعَ قَبَائِلِ الْبَرْبَرِ ، وَسَلِمَ مِنَ الْقَتْلِ مِرَارًا وَهُوَ فِي كُلِّ ذَلِكَ لَا يَذْكُرُ اسْمَ الْمَهْدِيِّ ، فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى مُنَاظَرَتِهِ وَقَتْلِهِ ، فَلَمْ يَتْرُكْهُ الْكُتَامِيُّونَ يُنَاظِرُهُمْ ، وَكَانَ اسْمُهُ عِنْدَهُمْ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْمَشْرِقِيَّ. |
| وَبَلَغَ خَبَرُهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْأَغْلَبِ أَمِيرِ إِفْرِيقِيَّةَ ، فَأَرْسَلَ عَامِلَهُ عَلَى مَدِينَةِ مِيلَةَ يَسْأَلُهُ عَنْ أَمْرِهِ ، فَصَغَّرَهُ وَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ يَلْبَسُ الْخَشِنَ ، وَيَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَالْعِبَادَةِ فَسَكَتَ عَنْهُ. |
| ثُمَّ إِنَّهُ قَالَ لِلْكُتَامِيِّينَ أَنَا صَاحِبُ الْبَدْرِ الَّذِي ذَكَرَ لَكُمْ أَبُو سُفْيَانَ وَالْحُلْوَانِيُّ ، فَازْدَادَتْ مَحَبَّتُهُمْ لَهُ ، وَتَعْظِيمُهُمْ لِأَمْرِهِ ، وَتَفَرَّقَتْ كَلِمَةُ الْبَرْبَرِ وَكُتَامَةَ بِسَبَبِهِ ، فَأَرَادَ بَعْضُهُمْ قَتْلَهُ ، فَاخْتَفَى ، وَوَقَعَ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ شَدِيدٌ ، وَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِإِنْسَانٍ اسْمُهُ الْحَسَنُ بْنُ هَارُونَ ، وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ كُتَامَةَ ، فَأَخَذَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِلَيْهِ ، وَدَافَعَ عَنْهُ ، وَمَضَيَا إِلَى مَدِينَةِ نَاصِرُونَ ، فَأَتَتْهُ الْقَبَائِلُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَعَظُمَ شَأْنُهُ ، وَصَارَتِ الرِّئَاسَةُ لِلْحَسْنِ بْنِ هَارُونَ. |
| وَسَلَّمَ إِلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَعِنَّةَ الْخَيْلِ ، وَظَهَرَ مِنَ الِاسْتِتَارِ ، وَشَهَرَ الْحُرُوبَ ، فَكَانَ الظَّفَرُ لَهُ فِيهَا ، وَغَنِمَ الْأَمْوَالَ ، وَانْتَقَلَ إِلَى مَدِينَةِ نَاصِرُونَ وَخَنْدَقَ عَلَيْهَا ، فَزَحَفَتْ قَبَائِلُ الْبَرْبَرِ إِلَيْهَا ، وَاقْتَتَلُوا ، ثُمَّ اصْطَلَحُوا ، ثُمَّ أَعَادُوا الْقِتَالَ ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ وَقَائِعُ كَثِيرَةٌ وَظَفِرَ بِهِمْ ، وَصَارَتْ إِلَيْهِ أَمْوَالُهُمْ ، فَاسْتَقَامَ لَهُ أَمْرُ الْبَرْبَرِ وَعَامَّةِ كُتَامَةَ. |
| ذِكْرُ مِلْكِهِ مَدِينَةَ مِيلَةَ وَانْهِزَامِهِ فَلَمَّا تَمَّ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ذَلِكَ زَحَفَ إِلَى مَدِينَةِ مِيلَةَ ، فَجَاءَهُ مِنْهَا رَجُلٌ اسْمُهُ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ ، فَأَطْلَعَهُ عَلَى غِرَّةِ الْبَلَدِ ، فَقَاتَلَ أَهْلَهُ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَأَخَذَ الْأَرْبَاضَ ، فَطَلَبُوا مِنْهُ الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُمْ ، وَدَخَلَ مَدِينَةَ مِيلَةَ ، وَبَلَغَ الْخَبَرُ أَمِيرَ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَهُوَ حِينَئِذٍ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ ، فَنَفَّذَ وَلَدَهُ الْأَحْوَلَ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، وَتَبِعَهُمْ مِثْلُهُمْ ، فَالْتَقَيَا ، فَاقْتَتَلَ الْعَسْكَرَانِ ، فَانْهَزَمَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ فِي أَصْحَابِهِ ، وَتَبِعَهُ الْأَحْوَلُ ، وَسَقَطَ ثَلْجٌ عَظِيمٌ حَالَ بَيْنَهُمْ ، وَسَارَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ إِلَى جَبَلِ إِنْكِجَانَ ، فَوَصَلَ الْأَحْوَلُ إِلَى مَدِينَةِ نَاصِرُونَ ، فَأَحْرَقَهَا ، وَأَحْرَقَ مَدِينَةَ مِيلَةَ ، وَلَمْ يَجِدْ بِهَا أَحَدًا . |
| وَبَنَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بِإِنْكِجَانَ دَارَ هِجْرَةٍ ، فَقَصَدَهَا أَصْحَابُهُ ، وَعَادَ الْأَحْوَلُ إِلَى إِفْرِيقِيَةَ ، فَسَارَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بَعْدَ رَحِيلِهِمْ ، فَغَنِمَ مِمَّا رَأَى مِمَّا تَخَلَّفَ عَنْهُمْ ، وَأَتَاهُ خَبَرُ وَفَاةِ إِبْرَاهِيمَ ، فَسُرَّ بِهِ ، ثُمَّ أَتَاهُ خَبَرُ قَتْلِ أَبِي الْعَبَّاسِ وَلَدِهِ ، وَوِلَايَةِ زِيَادَةِ اللَّهِ ، وَاشْتِغَالِهِ بِاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ ، فَاشْتَدَّ سُرُورُهُ ، وَكَانَ الْأَحْوَلُ قَدْ جَمَعَ جَيْشًا كَثِيرًا أَيَّامَ أَخِيهِ أَبِي الْعَبَّاسِ ، وَلَقِيَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، فَانْهَزَمَ الْأَحْوَلُ. |
| وَبَقِيَ الْأَحْوَلُ قَرِيبًا مِنْهُ يُقَاتِلُهُ وَيَمْنَعُهُ مِنَ التَّقَدُّمِ ، فَلَمَّا وَلِيَ أَبُو مُضَرَ زِيَادَةُ اللَّهِ إِفْرِيقِيَّةَ أَحْضَرَ الْأَحْوَلَ وَقَتَلَهُ ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، وَلَمْ يَكُنْ أَحْوَلَ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَكْسِرُ عَيْنَهُ إِذَا أَدَامَ النَّظَرَ فَلُقِّبَ بِهِ ، فَلَمَّا قُتِلَ انْتَشَرَتْ حِينَئِذٍ جُيُوشُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فِي الْبِلَادِ ، وَصَارَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ الْمَهْدِيُّ يَخْرُجُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ ، وَيَمْلِكُ الْأَرْضَ ، فَيَا طُوبَى لِمَنْ هَاجَرَ إِلَيَّ وَأَطَاعَنِي! |
| وَيُغْرِي النَّاسَ بِأَبِي مُضَرَ ، وَيَعِيبُهُ. |
| وَكَانَ كُلُّ مَنْ عِنْدَ زِيَادَةِ اللَّهِ مِنَ الْوُزَرَاءِ شِيعَةً ، فَلَا يَسُوءُهُمْ أَنْ يَظْفَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ لَا سِيَّمَا مَعَ مَا كَانَ يَذْكُرُ لَهُمْ مِنَ الْكَرَامَاتِ الَّتِي لِلْمَهْدِيِّ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى ، وَرَدِّ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَمِلْكِهِ الْأَرْضَ بِأَسْرِهَا! |
| وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ يُرْسِلُ إِلَيْهِمْ ، وَيَسْحَرُهُمْ ، وَيَعِدُهُمْ. |
| ذِكْرُ سَبَبِ اتِّصَالِ الْمَهْدِيِّ عُبَيْدِ اللَّهِ بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشِّيعِيِّ وَمَسِيرِهِ إِلَى سِجِلْمَاسَةَ لِمَا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَيْمُونٍ الْقَدَّاحُ ادَّعَى وَلَدُهُ أَنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَهُمْ مَعَ هَذَا يَسْتُرُونَ ، وَيُسِرُّونَ أَمْرَهُمْ ، وَيُخْفُونَ أَشْخَاصَهُمْ. |
| وَكَانَ وَلَدُهُ أَحْمَدُ هُوَ الْمُشَارَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ ، فَتُوُفِّيَ وَخَلَّفَ وَلَدَهُ مُحَمَّدًا ، وَكَانَ هُوَ الَّذِي يُكَاتِبُهُ الدُّعَاةُ فِي الْبِلَادِ ، وَتُوَفِّيَ مُحَمَّدٌ وَخَلَّفَ أَحْمَدَ وَالْحُسَيْنَ ، فَسَارَ الْحُسَيْنُ إِلَى سَلَمِيَّةَ مِنْ أَرْضِ حِمْصَ ، وَلَهُ بِهَا وَدَائِعُ وَأَمْوَالٌ مِنْ وَدَائِعِ جَدِّهِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَدَّاحِ ، وَوُكَلَاءُ ، وَغِلْمَانٌ ، وَبَقِيَ بِبَغْدَاذَ مِنْ أَوْلَادِ الْقَدَّاحِ أَبُو الشَّلَغْلَغِ. |
| وَكَانَ الْحُسَيْنُ يَدَّعِي أَنَّهُ الْوَصِيُّ وَصَاحِبُ الْأَمْرِ ، وَالدُّعَاةُ بِالْيَمَنِ وَالْمَغْرِبِ يُكَاتِبُونَهُ وَيُرَاسِلُونَهُ ، وَاتَّفَقَ أَنَّهُ جَرَى بِحَضْرَتِهِ حَدِيثُ النِّسَاءِ بِسَلَمِيَّةَ ، فَوَصَفُوا لَهُ امْرَأَةَ رَجُلٍ يَهُودِيٍّ حَدَّادٍ ، مَاتَ عَنْهَا زَوْجُهَا ، وَهِيَ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ ، فَتَزَوَّجَهَا ، وَلَهَا وَلَدٌ مِنَ الْحَدَّادِ يُمَاثِلُهَا فِي الْجَمَالِ ، فَأَحَبَّهَا وَحَسُنَ مَوْقِعُهَا مَعَهُ ، وَأَحَبَّ وَلَدَهَا ، وَأَدَّبَهُ ، وَعَلَّمَهُ ، فَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ ، وَصَارَتْ لَهُ نَفْسٌ عَظِيمَةٌ ، وَهِمَّةٌ كَبِيرَةٌ. |
| فَمِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ مَنْ يَقُولُ إِنَّ الْإِمَامَ الَّذِي كَانَ بِسَلَمِيَّةَ ، وَهُوَ الْحُسَيْنُ ، مَاتَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ ، فَعَهِدَ إِلَى ابْنِ الْيَهُودِيِّ الْحَدَّادِ ، وَهُوَ عُبَيْدُ اللَّهِ ، وَعَرَّفَهُ أَسْرَارَ الدَّعْوَةِ مِنْ قَوْلٍ وَفِعْلٍ ، وَأَيْنَ الدُّعَاةُ ، وَأَعْطَاهُ الْأَمْوَالَ وَالْعَلَامَاتِ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِطَاعَتِهِ وَخِدْمَتِهِ ، وَأَنَّهُ الْإِمَامُ وَالْوَصِيُّ ، وَزَوَّجَهُ ابْنَةَ عَمِّهِ أَبِي الشَّلَغْلَغِ. |
| وَهَذَا قَوْلُ أَبِي الْقَاسِمِ الْأَبْيَضِ الْعَلَوِيِّ وَغَيْرِهِ ، وَجَعَلَ لِنَفْسِهِ نَسَبًا ، وَهُوَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. |
| وَبَعْضُ النَّاسِ يَقُولُونَ ، وَهُمْ قَلِيلٌ إِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ هَذَا مِنْ وَلَدِ الْقَدَّاحِ ، وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ فِيهَا مَا فِيهَا ، فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي حَمَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الشِّيعِيَّ وَغَيْرَهُ مِمَّنْ قَامَ بِإِظْهَارِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ ، حَتَّى يُخْرِجُوا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَيُسَلِّمُوا إِلَى وَلَدِ يَهُودِيٍّ ، وَهَلْ يُسَامِحُ نَفْسَهُ بِهَذَا الْأَمْرِ مَنْ يَعْتَقِدُهُ دِينًا يُثَابُ عَلَيْهِ ؟ |
| قَالَ فَلَمَّا عَهِدَ الْحُسَيْنُ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ لَهُ إِنَّكَ سَتُهَاجِرُ بَعْدِي هِجْرَةً بَعِيدَةً ، وَتَلْقَى مِحَنًا شَدِيدَةً ، فَتُوُفِّيَ الْحُسَيْنُ ، وَقَامَ بَعْدَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ ، وَانْتَشَرَتْ دَعْوَتُهُ ، وَبَذَلَ الْأَمْوَالَ خِلَافَ مَا تَقَدَّمَ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ رِجَالًا مِنْ كُتَامَةَ مِنَ الْمَغْرِبِ لِيُخْبِرُوهُ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَأَنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَهُ. |
| وَشَاعَ خَبَرُهُ عِنْدَ النَّاسِ أَيَّامَ الْمُكْتَفِي فَطُلِبَ ، فَهَرَبَ هُوَ وَوَلَدُهُ أَبُو الْقَاسِمِ نِزَارٌ الَّذِي وَلِيَ بَعْدَهُ ، وَتَلَقَّبَ بِالْقَائِمِ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ ، وَخَرَجَ مَعَهُ خَاصَّتُهُ وَمَوَالِيهِ يُرِيدُ الْمَغْرِبَ ، وَذَلِكَ أَيَّامَ زِيَادَةِ اللَّهِ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى مِصْرَ أَقَامَ مُسْتَتِرًا بِزِيِّ التُّجَّارِ ، وَكَانَ عَامِلَ مِصْرَ حِينَئِذٍ عِيسَى النُّوشَرِيُّ ، فَأَتَتْهُ الْكُتُبُ مِنَ الْخَلِيفَةِ بِصِفَتِهِ وَحِلْيَتِهِ ، وَأُمِرَ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ وَعَلَى كُلِّ مَنْ يُشْبِهُهُ. |
| وَكَانَ بَعْضُ خَاصَّةِ عِيسَى مُتَشَيِّعًا ، فَأَخْبَرَ الْمَهْدِيَّ وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالِانْصِرَافِ ، فَخَرَجَ مِنْ مِصْرَ مَعَ أَصْحَابِهِ ، وَمَعَهُ أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ ، فَأَوْسَعَ النَّفَقَةَ عَلَى مَنْ صَحِبَهُ ، فَلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى النُّوشَرِيِّ فَرَّقَ الرُّسُلَ فِي طَلَبِ الْمَهْدِيِّ وَخَرَجَ بِنَفْسِهِ فَلَحِقَهُ ، فَلَمَّا رَآهُ لَمْ يَشُكَّ فِيهِ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ ، وَنَزَلَ بِبُسْتَانٍ ، وَوَكَّلَ بِهِ ، فَلَمَّا حَضَرَ الطَّعَامُ دَعَاهُ لِيَأْكُلَ ، فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ صَائِمٌ ، فَرَقَّ لَهُ ، وَقَالَ لَهُ أَعْلِمْنِي بِحَقِيقَةِ حَالِكَ حَتَّى أُطْلِقَكَ ، فَخَوَّفَهُ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَأَنْكَرَ حَالَهُ ، وَلَمْ يَزَلْ يُخَوِّفُهُ وَيَتَلَطَّفُهُ فَأَطْلَقَهُ ، وَخَلَّى سَبِيلَهُ ، وَأَرَادَ أَنْ يُرْسِلَ مَعَهُ مَنْ يُوَصِّلُهُ إِلَى رُفْقَتِهِ ، فَقَالَ لَا حَاجَةَ بِي إِلَى ذَلِكَ ، وَدَعَا لَهُ. |
| وَقِيلَ إِنَّهُ أَعْطَاهُ فِي الْبَاطِنِ مَالًا حَتَّى أَطْلَقَهُ ، فَرَجَعَ بَعْضُ أَصْحَابِ النُّوشَرِيِّ عَلَيْهِ بِاللَّوْمِ ، فَنَدِمَ عَلَى إِطْلَاقِهِ ، وَأَرَادَ إِرْسَالَ الْجَيْشِ وَرَاءَهُ لِيَرُدُّوهُ ، وَكَانَ الْمَهْدِيُّ لَمَّا لَحِقَ أَصْحَابَهُ رَأَى ابْنَهُ أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ ضَيَّعَ كَلْبًا كَانَ لَهُ يَصِيدُ بِهِ ، وَهُوَ يُبْكِي عَلَيْهِ ، فَعَرَّفَهُ عَبِيدُهُ أَنَّهُمْ تَرَكُوهُ فِي الْبُسْتَانِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ ، فَرَجَعَ الْمَهْدِيُّ بِسَبَبِ الْكَلْبِ ، حَتَّى دَخَلَ الْبُسْتَانَ وَمَعَهُ عَبِيدُهُ ، فَرَآهُمُ النُّوشَرِيُّ فَسَأَلَ عَنْهُمْ فَقِيلَ إِنَّهُ فُلَانٌ ، وَقَدْ عَادَ بِسَبَبِ كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ النُّوشَرِيُّ لِأَصْحَابِهِ قَبَّحَكُمُ اللَّهُ! |
| أَرَدْتُمْ أَنْ تَحْمِلُونِي عَلَى قَتْلِ هَذَا حَتَّى آخُذَهُ ، فَلَوْ كَانَ يَطْلُبُ مَا يُقَالُ أَوْ كَانَ مُرِيبًا لَكَانَ يَطْوِي الْمَرَاحِلَ ، وَيُخْفِي نَفْسَهُ ، وَمَا كَانَ رَجَعَ فِي طَلَبِ كَلْبٍ ، وَتَرَكَهُ. |
| وَجَدَّ الْمَهْدِيُّ فِي الْهَرَبِ ، فَلَحِقَهُ لُصُوصٌ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الطَّاحُونَةُ ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَتَاعِهِ ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ كُتُبٌ وَمَلَاحِمُ لِآبَائِهِ ، فَأُخِذَتْ ، فَعَظُمَ أَمْرُهَا عَلَيْهِ ، فَيُقَالُ إِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ ابْنُهُ أَبُو الْقَاسِمِ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ أَخَذَهَا مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ. |
| وَانْتَهَى الْمَهْدِيُّ وَوَلَدُهُ إِلَى مَدِينَةِ طَرَابُلُسَ ، وَتَفَرَّقَ مَنْ صَحِبَهُ مِنَ التُّجَّارِ ، وَكَانَ فِي صُحْبَتِهِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَخُو أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشِّيعِيِّ ، فَقَدَّمَهُ الْمَهْدِيُّ إِلَى الْقَيْرَوَانِ بِبَعْضِ مَا مَعَهُ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَلْحَقَ بِكُتَامَةَ. |
| فَلَمَّا وَصَلَ أَبُو الْعَبَّاسِ إِلَى الْقَيْرَوَانِ وَجَدَ الْخَبَرَ قَدْ سَبَقَهُ إِلَى زِيَادَةِ اللَّهِ بِخَبَرِ الْمَهْدِيِّ ، فَسَأَلَ عَنْهُ رُفْقَتَهُ ، فَأَخْبَرُوا أَنَّهُ تَخَلَّفَ بِطَرَابُلُسَ ، وَأَنَّ صَاحِبَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ بِالْقَيْرَوَانِ ، فَأُخِذَ أَبُو الْعَبَّاسِ ، وَقُرِّرَ فَأَنْكَرَ ، وَقَالَ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ تَاجِرٌ صَحِبْتُ رَجُلًا فِي الْقَفْلِ ، فَحَبَسَهُ. |
| وَسَمِعَ الْمَهْدِيُّ ، فَسَارَ إِلَى قَسْطِيلَةَ ، وَوَصَلَ كِتَابُ زِيَادَةِ اللَّهِ إِلَى عَامِلِ طَرَابُلُسَ بِأَخْذِهِ ، وَكَانَ الْمَهْدِيُّ قَدْ أَهْدَى لَهُ وَاجْتَمَعَ بِهِ ، فَكَتَبَ الْعَامِلُ يُخْبِرُهُ أَنَّهُ قَدْ سَارَ وَلَمْ يُدْرِكْهُ ، فَلَمَّا وَصَلَ الْمَهْدِيُّ إِلَى قَسْطِيلَةَ تَرَكَ قَصْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشِّيعِيِّ ، لِأَنَّ أَخَاهُ أَبَا الْعَبَّاسِ كَانَ قَدْ أُخِذَ ، فَعَلِمَ أَنَّهُ إِذَا قَصَدَ أَخَاهُ تَحَقَّقُوا الْأَمْرَ وَقَتَلُوهُ ، فَتَرَكَهُ وَسَارَ إِلَى سِجِلْمَاسَةَ ، وَلَمَّا سَارَ مِنْ قَسْطِيلَةَ وَصَلَ الرُّسُلُ فِي طَلَبِهِ فَلَمْ يُوجَدْ ، وَوَصَلَ سِجِلْمَاسَةَ ، فَأَقَامَ بِهَا ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ عَلَيْهِ الْعُيُونُ فِي طَرِيقِهِ. |
| وَكَانَ صَاحِبُ سِجِلْمَاسَةَ رَجُلًا يُسَمَّى أَلْيَسَعُ بْنُ مِدْرَارٍ ، فَأَهْدَى لَهُ الْمَهْدِيُّ ، وَوَاصَلَهُ ، فَقَرَّبَهُ أَلْيَسَعُ ، وَأَحَبَّهُ ، فَأَتَاهُ كِتَابُ زِيَادَةِ اللَّهِ يُعَرِّفُهُ أَنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشِّيعِيُّ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ وَحَبَسَهُ ، فَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوسًا حَتَّى أَخْرَجَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَى مَا نَذْكُرُهُ. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ وَهَرَبِ زِيَادَةِ اللَّهِ أَمِيرِهَا قَدْ ذَكَرْنَا مِنْ حَالِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مَا تَقَدَّمَ ، ثُمَّ إِنَّ زِيَادَةَ اللَّهِ لَمَّا رَأَى اسْتِيلَاءَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَى الْبِلَادِ ، وَأَنَّهُ قَدْ فَتَحَ مَدِينَةَ مِيلَةَ وَمَدِينَةَ سَطِيفَ ، وَغَيْرَهُمَا ، أَخَذَ فِي جَمْعِ الْعَسَاكِرِ ، وَبَذْلِ الْأَمْوَالِ فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ عَسَاكِرُ عَظِيمَةٌ ، فَقَدَّمَ عَلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمَ بْنَ خُنَيْشٍ وَهُوَ مِنْ أَقَارِبِهِ ، وَكَانَ لَا يَعْرِفُ الْحَرْبَ ، فَبَلَغَتْ عِدَّةُ جَيْشِهِ أَرْبَعِينَ أَلْفًا ، وَسَلَّمَ إِلَيْهِ الْأَمْوَالَ وَالْعُدَدَ ، وَلَمْ يَتْرُكْ بِإِفْرِيقِيَّةَ شُجَاعًا إِلَّا أَخْرَجَهُ مَعَهُ ، وَسَارَ إِلَيْهِ ، فَانْضَافَ إِلَيْهِ مِثْلُ جَيْشِهِ ، فَلَمَّا وَصَلَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ الْهَوَاءِ ، وَهِيَ مَدِينَةٌ قَدِيمَةٌ حَصِينَةٌ ، نَزَلَ بِهَا ، وَأَتَاهُ كَثِيرٌ مِنْ كُتَامَةَ الَّذِينَ لَمْ يُطِيعُوا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَتَلَ فِي طَرِيقِهِ كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، وَخَافَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مِنْهُ ، وَجَمِيعُ كُتَامَةَ ، وَأَقَامَ بِقُسْطَنْطِينِيَّةَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُتَحَصِّنٌ فِي الْجَبَلِ. |
| فَلَمَّا رَأَى إِبْرَاهِيمُ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَا يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ بَادَرَ وَزَحَفَ بِالْعَسَاكِرِ الْمُجْتَمِعَةِ إِلَى بَلَدٍ اسْمُهُ كَرْمَةُ ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ خَيْلًا اخْتَارَهَا لِيَخْتَبِرَ نُزُولَهُ ، فَوَافَاهَا بِالْمَوْضِعِ الْمَذْكُورِ ، فَلَمَّا رَأَى إِبْرَاهِيمُ الْخَيْلَ قَصَدَ إِلَيْهَا بِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يَصْحَبْهُ إِلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ جَيْشِهِ ، وَكَانَتْ أَثْقَالُ الْعَسْكَرِ عَلَى ظُهُورِ الدَّوَابِّ لَمْ تُحَطَّ ، وَنَشِبَتِ الْحَرْبُ ، وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا. |
| وَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، فَزَحَفَ بِالْعَسَاكِرِ ، فَوَقَعَتِ الْهَزِيمَةُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ مَعَهُ ، فَجُرِحَ وَعُقِرَ فَرَسُهُ وَتَمَّتِ الْهَزِيمَةُ عَلَى الْجَيْشِ جَمِيعِهِ ، وَأَسْلَمُوا الْأَثْقَالَ بِأَسْرِهَا ، فَغَنِمَهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَتَمَّ أَمْرُ إِبْرَاهِيمَ إِلَى الْقَيْرَوَانِ ، فَشَاشَتْ بِلَادُ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَعَظُمَ أَمْرُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، وَاسْتَقَرَّتْ دَوْلَتُهُ ، وَكَتَبَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ كِتَابًا إِلَى الْمَهْدِيِّ ، وَهُوَ فِي سِجْنِ سِجِلْمَاسَةَ يُبَشِّرُهُ ، وَسَيَّرَ الْكِتَابَ مَعَ بَعْضِ ثِقَاتِهِ ، فَدَخَلَ السِّجْنَ فِي زِيِّ قَصَّابٍ يَبِيعُ اللَّحْمَ ، فَاجْتَمَعَ بِهِ وَعَرَّفَهُ ذَلِكَ. |
| وَسَارَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ إِلَى مَدِينَةِ طُبْنَةَ فَحَصَرَهَا ، وَنَصَبَ عَلَيْهَا الدَّبَّابَاتِ ، وَنَقَبَ بُرْجًا وَبَدَنَةً ، فَسَقَطَ السُّورُ بَعْدَ قِتَالٍ شَدِيدٍ ، وَمَلَكَ الْبَلَدَ ، فَاحْتَمَى الْمُقْدِمُونَ بِحِصْنِ الْبَلَدِ ، فَحَصَرَهُمْ ، فَطَلَبُوا الْأَمَانَ ، فَأَمَّنَهُمْ ، وَأَمَّنَ أَهْلَ الْبَلَدِ ، وَسَارَ إِلَى مَدِينَةِ بِلُزْمَةَ وَكَانَ قَدْ حَصَرَهَا مِرَارًا كَثِيرَةً فَلَمْ يَظْفَرْ بِهَا فَلَمَّا حَصَرَهَا الْآنَ ضَيَّقَ عَلَيْهَا ، وَجَدَّ فِي الْقِتَالِ وَنَصَبَ عَلَيْهَا الدَّبَّابَاتِ ، وَرَمَاهَا بِالنَّارِ ، فَأَحْرَقَهَا ، وَفَتَحَهَا بِالسَّيْفِ وَقَتَلَ الرِّجَالَ ، وَهَدَمَ الْأَسْوَارَ. |
| وَاتَّصَلَتِ الْأَخْبَارُ بِزِيَادَةِ اللَّهِ ، فَعَظُمَ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، وَأَخَذَ فِي الْجَمْعِ وَالْحَشْدِ ، فَجَمَعَ عَسْكَرًا عُدَّتُهُمُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ هَارُونَ بْنَ الطُّبْنِيِّ ، فَسَارَ ، وَاجْتَمَعَ مَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَقَصَدَ مَدِينَةَ دَارِ مُلُوكٍ ، وَكَانَ أَهْلُهَا قَدْ أَطَاعُوا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَتَلَ هَارُونُ أَهْلَهَا ، وَهَدَمَ الْحِصْنَ ، وَلَقِيَهُ فِي طَرِيقِهِ خَيْلٌ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ كَانَ قَدْ أَرْسَلَهَا لِيَخْتَبِرُوا عَسْكَرَهُ ، فَلَمَّا رَآهَا الْعَسْكَرُ اضْطَرَبُوا وَصَاحُوا صَيْحَةً عَظِيمَةً ، وَهَرَبُوا مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ ، فَظَنَّ أَصْحَابُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهَا مَكِيدَةٌ ، فَلَمَّا ظَهَرَ أَنَّهَا هَزِيمَةٌ اسْتَدْرَكُوا الْأَمْرَ ، وَوَضَعُوا السَّيْفَ ، فَمَا يُحْصَى مَنْ قُتِلُوا ، وَقُتِلَ هَارُونُ أَمِيرُ الْعَسْكَرِ ، وَفَتَحَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مَدِينَةَ تِيجِسَ صُلْحًا ، فَاشْتَدَّ الْأَمْرُ حِينَئِذٍ عَلَى زِيَادَةِ اللَّهِ ، وَأَخْرَجَ الْأَمْوَالَ ، وَجَيَّشَ الْجُيُوشَ وَخَرَجَ بِنَفْسِهِ إِلَى مُحَارَبَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، فَوَصَلَ إِلَى الْأُرْبُسِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَقَالَ لَهُ وُجُوهُ دَوْلَتِهِ إِنَّكَ تُغَرِّرُ بِنَفْسِكَ ، فَإِنْ يَكُنْ عَلَيْكَ لَا يَبْقَى لَنَا مَلْجَأٌ ، وَالرَّأْيُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى مُسْتَقَرِّ مُلْكِكَ ، وَتُرْسِلَ الْجَيْشَ مَعَ مَنْ تَثِقُ بِهِ فَإِنْ كَانَ الْفَتْحُ لَنَا فَنَصِلُ إِلَيْكَ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُ ذَلِكَ فَتَكُونُ مَلْجَأً لَنَا. |
| وَرَجَعَ فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَسَيَّرَ الْجَيْشَ ، وَقَدَّمَ عَلَيْهِ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَمِّهِ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي الْأَغْلَبِ ، وَكَانَ شُجَاعًا ، وَبَلَغَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْخَبَرُ ، وَكَانَ أَهْلُ بَاغَايَةَ قَدْ كَاتَبُوهُ بِالطَّاعَةِ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهَا ، هَرَبَ عَامِلُهَا إِلَى الْأُرْبُسِ ، فَدَخَلَهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، وَتَرَكَ بِهَا جُنْدًا ، وَعَادَ إِلَى إِنْكِجَانَ وَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى زِيَادَةِ اللَّهِ ، فَزَادَهُ غَمًّا وَحُزْنًا ، فَقَالَ لَهُ إِنْسَانٌ كَانَ يُضْحِكُهُ يَا مَوْلَانَا لَقَدْ عَمِلْتُ بَيْتَ شِعْرٍ ، فَعَسَى تَجْعَلُ مَنْ يُلَحِّنُهُ وَتَشْرَبُ عَلَيْهِ ، وَاتْرُكْ هَذَا الْحُزْنَ ، فَقَالَ مَا هُوَ ؟ |
| فَقَالَ الْمُضْحِكُ ، لِلْمُغَنِّينَ غَنُّوا شِعْرًا كَذَا وَقُولُوا بَعْدَ فَرَاغِ كُلِّ بَيْتٍ اشْرَبْ وَاسْقِنَا مِنَ الْقَرْنِ يَكْفِينَا فَلَمَّا غَنَّوْا طَرِبَ زِيَادَةُ اللَّهِ وَشَرِبَ ، وَانْهَمَكَ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالشَّهَوَاتِ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَصْحَابُهُ سَاعَدُوهُ عَلَى مُرَادِهِ. |
| ثُمَّ إِنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَخْرَجَ خَيْلًا إِلَى مَدِينَةِ مَجَانَةَ فَافْتَتَحَهَا عَنْوَةً ، وَقَتَلَ عَامِلَهَا ، وَسَيَّرَ عَسْكَرًا آخَرَ إِلَى مَدِينَةِ تِيفَاشَ ، فَمَلَكَهَا وَأَمَّنَ أَهْلَهَا. |
| وَقَصَدَ جَمَاعَةٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الْقَبَائِلِ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَطْلُبُونَ مِنْهُ الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُمْ وَسَارَ بِنَفْسِهِ إِلَى مِسْكِيَانَةَ ثُمَّ إِلَى تَبِسَّةَ ، ثُمَّ إِلَى مُدْبِرَةَ ، فَوَجَدَ فِيهَا أَهْلَ قَصْرِ الْإِفْرِيقِيِّ وَمَدِينَةِ مَرْمَجَنَّةَ ، وَمَدِينَةِ مَجَانَةَ وَأَخْلَاطًا مِنَ النَّاسِ قَدِ الْتَجَئُوا إِلَيْهَا وَتُحَصَّنُوا فِيهَا ، وَهِيَ حَصِينَةٌ ، فَنَزَلَ عَلَيْهَا ، وَقَاتَلَهَا ، فَأَصَابَهُ عِلَّةُ الْحَصَى ، وَكَانَتْ تَعْتَادُهُ ، فَشُغِلَ بِنَفْسِهِ ، وَطَلَبَ أَهْلُهَا الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُمْ بَعْضُ أَهْلِ الْعَسْكَرِ ، فَفَتَحُوا الْحِصْنَ ، فَدَخَلَهَا الْعَسْكَرُ ، وَوَضَعُوا السَّيْفَ ، وَانْتَهَبُوا. |
| وَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فَعَظُمَ عَلَيْهِ ، وَرَحَلَ ، فَنَزَلَ عَلَى الْقَصْرَيْنِ مِنْ قَمُّودَةَ وَطَلَبَ أَهْلُهَا الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُمْ ، وَبَلَغَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَبِي الْأَغْلَبِ ، أَمِيرَ الْجَيْشِ الَّذِي سَيَّرَهُ زِيَادَةُ اللَّهِ ، أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يُرِيدُ أَنْ يَقْصِدُ زِيَادَةَ اللَّهِ بِرَقَّادَةَ ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَ زِيَادَةِ اللَّهِ كَبِيرُ عَسْكَرٍ ، فَخَرَجَ مِنَ الْأُرْبُسِ وَنَزَلَ دَرْدَمِينَ ، وَسَيَّرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ سَرِيَّةً إِلَى دَرْدَمِينَ ، فَجَرَى بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ أَصْحَابِ زِيَادَةِ اللَّهِ قِتَالٌ ، فَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَمَاعَةٌ ، وَانْهَزَمَ الْبَاقُونَ. |
| وَاسْتَبْطَأَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ خَبَرَهُمْ ، فَسَارَ فِي جَمِيعِ عَسَاكِرِهِ ، فَلَقِيَ أَصْحَابَهُ مُنْهَزِمِينَ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَوِيَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَرَجَعُوا ، وَكَرُّوا عَلَى أَصْحَابِ إِبْرَاهِيمَ ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ جَمَاعَةً ، وَحَجَزَ اللَّيْلُ بَيْنَهُمْ. |
| ثُمَّ سَارَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ إِلَى قَسْطِيلَةَ ، فَحَصَرَهَا ، فَقَاتَلَهُ أَهْلُهَا ، ثُمَّ طَلَبُوا الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُمْ وَأَخَذَ مَا كَانَ لِزِيَادَةِ اللَّهِ فِيهَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْعُدَدِ وَرَحَلَ إِلَى قَفْصَةَ ، فَطَلَبَ أَهْلُهَا الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُمْ وَرَجَعَ إِلَى بَاغَايَةَ ، فَتَرَكَ بِهَا جَيْشًا وَعَادَ إِلَى جَبَلِ إِنْكِجَانَ. |
| فَسَارَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي الْأَغْلَبِ فِي جَيْشِهِ إِلَى بَاغَايَةَ وَحَصَرَهَا ، فَبَلَغَ الْخَبَرُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، فَجَمَعَ عَسْكَرَهُ وَسَارَ مُجِدًّا إِلَيْهَا ، وَوَجَّهَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ فَارِسٍ ، وَأَمَرَ مُقَدَّمَهُمْ أَنْ يَسِيرَ إِلَى بَاغَايَةَ ، فَإِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ قَدْ رَحَلَ عَنْهَا فَلَا يُجَاوِزْ فَجَّ الْعَرْعَارِ ، فَمَضَى الْجَيْشُ وَكَانَ أَصْحَابُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الَّذِينَ فِي بَاغَايَةَ قَدْ قَاتَلُوا عَسْكَرَ إِبْرَاهِيمَ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَلَمَّا رَأَى صَبْرَهُمْ عَجِبَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ مِنْهُمْ ، فَأَرْعَبَ ذَلِكَ قُلُوبَهُمْ ، ثُمَّ بَلَغَهُمْ قُرْبُ الْعَسْكَرِ مِنْهُمْ فَعَادَ إِبْرَاهِيمُ بِعَسَاكِرِهِ ، فَوَصَلَ عَسْكَرُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فَلَمْ يَرَ وَاحِدًا فَنَهَبُوا مَا وَجَدُوا وَعَادُوا. |
| وَرَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْأُرْبُسِ. |
| وَلَمَّا دَخَلَ فَصْلُ الرَّبِيعِ ، وَطَابَ الزَّمَانُ ، جَمَعَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَسَاكِرَهُ ، فَبَلَغَتْ مِائَتَيْ أَلْفَ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ ، وَاجْتَمَعَ مِنْ عَسَاكِرِ زِيَادَةِ اللَّهِ بِالْأُرْبُسِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ مَا لَا يُحْصَى ، وَسَارَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَوَّلَ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ وَطَالَ زَمَانُهُ ، وَظَهَرَ أَصْحَابُ زِيَادَةِ اللَّهِ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ اخْتَارَ مِنْ أَصْحَابِهِ سِتَّمِائَةِ رَاجِلٍ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَأْتُوا عَسْكَرَ زِيَادَةِ اللَّهِ مِنْ خَلْفِهِمْ ، فَمَضَوْا لِمَا أَمَرَهُمْ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِسُلُوكِهِ. |
| وَاتَّفَقَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَالْتَقَى الطَّائِفَتَانِ ، فَاقْتَتَلُوا فِي مَضِيقٍ هُنَاكَ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ إِبْرَاهِيمَ ، وَوَقَعَ الصَّوْتُ فِي عَسْكَرِهِ بِكَمِينِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَانْهَزَمُوا ، وَتَفَرَّقُوا ، وَهَرَبَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى جِهَةِ بِلَادِهِمْ ، وَهَرَبَ إِبْرَاهِيمُ وَبَعْضُ مَنْ مَعَهُ إِلَى الْقَيْرَوَانِ ، وَتَبِعَهُمْ أَصْحَابُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ ، وَغَنِمُوا الْأَمْوَالَ وَالْخَيْلَ وَالْعُدَدَ ، وَدَخَلَ أَصْحَابُهُ مَدِينَةَ الْأُرْبُسِ فَقَتَلُوا بِهَا خَلْقًا عَظِيمًا ، وَدَخَلَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِهَا الْجَامِعَ فَقُتِلَ فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافٍ وَنَهَبُوا الْبَلَدَ ، وَكَانَتِ الْوَقْعَةُ أَوَاخِرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ وَانْصَرَفَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ إِلَى قَمُّودَةَ. |
| فَلَمَّا وَصَلَ خَبَرُ الْهَزِيمَةِ إِلَى زِيَادَةِ اللَّهِ هَرَبَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا تَقَدَّمَ ، وَلَمَّا هَرَبَ زِيَادَةُ اللَّهِ هَرَبَ أَهْلُ مَدِينَةِ رَقَّادَةَ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، فِي اللَّيْلِ ، إِلَى الْقَصْرِ الْقَدِيمِ ، وَإِلَى الْقَيْرَوَانِ ، وَسُوَسَةَ ، وَدَخَلَ أَهْلُ الْقَيْرَوَانِ رَقَّادَةَ وَنَهَبُوا مَا فِيهَا ، وَأَخَذَ الْقَوِيُّ الضَّعِيفَ ، وَنُهِبَتْ قُصُورُ بَنِيَ الْأَغْلَبِ ، وَبَقِيَ النَّهْبُ سِتَّةَ أَيَّامٍ. |
| وَوَصَلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي الْأَغْلَبِ إِلَى الْقَيْرَوَانِ ، فَقَصَدَ قَصْرَ الْإِمَارَةِ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْقَيْرَوَانِ ، وَنَادَى مُنَادِيهِ بِالْأَمَانِ ، وَتَسْكِينِ النَّاسِ ، وَذَكَرَ لَهُمْ أَحْوَالَ زِيَادَةِ اللَّهِ ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ ، حَتَّى أَفْسَدَ مُلْكَهُ ، وَصَغَّرَ أَمْرَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشِّيعِيِّ ، وَوَعَدَهُمْ أَنْ يُقَاتِلَ عَنْهُمْ ، وَيَحْمِيَ حَرِيمَهُمْ وَبَلَدَهُمْ ، وَطَلَبَ مِنْهُمُ الْمُسَاعَدَةَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالْأَمْوَالِ ، فَقَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ فُقَهَاءُ ، وَعَامَّةٌ ، وَتُجَّارٌ ، وَمَا فِي أَمْوَالِنَا مَا يَبْلُغُ غَرَضَكَ ، وَلَيْسَ لَنَا بِالْقِتَالِ طَاقَةٌ ، فَأَمَرَهُمْ بِالِانْصِرَافِ ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ وَأَعْلَمُوا النَّاسَ بِمَا قَالَهُ صَاحُوا بِهِ اخْرُجْ عَنَّا ، فَمَا لَكَ عِنْدَنَا سَمْعٌ وَلَا طَاعَةٌ! |
| وَشَتَمُوهُ ، فَخَرَجَ عَنْهُمْ وَهُمْ يَرْجُمُونَهُ. |
| وَلَمَّا بَلَغَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ هَرَبُ زِيَادَةِ اللَّهِ كَانَ بِنَاحِيَةِ سَبِيبَةَ ، وَرَحَلَ فَنَزَلَ بِوَادِي النَّمْلِ ، وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَرُوبَةَ بْنَ يُوسُفَ ، وَحَسَنَ بْنَ أَبِي خِنْزِيرٍ ، فِي أَلْفِ فَارِسٍ إِلَى رَقَّادَةَ ، فَوَجَدُوا النَّاسَ يَنْهَبُونَ مَا بَقِيَ مِنَ الْأَمْتِعَةِ وَالْأَثَاثِ ، فَأَمَّنُوهُمْ وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِأَحَدٍ ، وَتَرَكُوا لِكُلٍّ وَاحِدٍ مَا حَمَلَهُ ، فَأَتَى النَّاسُ إِلَى الْقَيْرَوَانِ ، فَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ ، فَفَرِحَ أَهْلُهَا. |
| وَخَرَجَ الْفُقَهَاءُ وَوُجُوهُ الْبَلَدِ إِلَى لِقَاءِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، فَلَقُوهُ ، وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ ، وَهَنَّئُوهُ بِالْفَتْحِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ رَدًّا حَسَنًا ، وَحَدَّثَهُمْ ، وَأَعْطَاهُمُ الْأَمَانَ ، فَأَعْجَبَهُمْ ذَلِكَ وَسَرَّهُمْ ، وَذَمُّوا زِيَادَةَ اللَّهِ ، وَذَكَرُوا مَسَاوِئَهُ ، فَقَالَ لَهُمْ مَا كَانَ إِلَّا قَوِيًّا ، وَلَهُ مَنَعَةٌ ، وَدَوْلَةٌ شَامِخَةٌ ، وَمَا قَصَّرَ فِي مُدَافَعَتِهِ ، وَلَكِنَّ أَمْرَ اللَّهِ لَا يُعَانَدُ وَلَا يُدَافَعُ! |
| فَأَمْسَكُوا عَنِ الْكَلَامِ ، وَرَجَعُوا إِلَى الْقَيْرَوَانِ. |
| وَدَخَلَ رَقَّادَةَ يَوْمَ السَّبْتِ ، مُسْتَهَلَّ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَنَزَلَ بِبَعْضِ قُصُورِهَا ، وَفَرَّقَ دُورَهَا عَلَى كُتَامَةَ ، وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا فِيهَا ، وَأَمَرَ فَنُودِيَ بِالْأَمَانِ ، فَرَجَعَ النَّاسُ إِلَى أَوْطَانِهِمْ ، وَأَخْرَجَ الْعُمَّالَ إِلَى الْبِلَادِ ، وَطَلَبَ أَهْلَ الشَّرِّ فَقَتَلَهُمْ ، وَأَمَرَ أَنْ يُجْمَعَ مَا كَانَ لِزِيَادَةِ اللَّهِ مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَالسِّلَاحِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَاجْتَمَعَ كَثِيرٌ مِنْهُ ، وَفِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْجَوَارِي لَهُنَّ مِقْدَارٌ وَحَظٌّ مِنَ الْجَمَالِ ، فَسَأَلَ عَمَّنْ كَانَ يَكْفُلُهُنَّ ، فَذُكِرَ لَهُ امْرَأَةٌ صَالِحَةٌ كَانَتْ لِزِيَادَةِ اللَّهِ ، فَأَحْضَرَهَا ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهَا ، وَأَمَرَ بِحِفْظِهِنَّ ، وَأَمَرَ لَهُنَّ بِمَا يُصْلِحُهُنَّ وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ. |
| وَلَمَّا حَضَرَتِ الْجُمْعَةُ أَمَرَ الْخُطَبَاءَ بِالْقَيْرَوَانِ وَرَقَّادَةَ ، فَخَطَبُوا وَلَمْ يَذْكُرُوا أَحَدًا ، وَأَمَرَ بِضَرْبِ السِّكَّةِ ، وَأَنْ لَا يُنْقَشَ عَلَيْهَا اسْمٌ ، وَلَكِنَّهُ جَعَلَ مَكَانَ الِاسْمِ مِنْ وَجْهٍ بَلَغَتْ حُجَّةُ اللَّهِ ، وَمِنَ الْوَجْهِ الْآخَرِ تَفَرَّقَ أَعْدَاءُ اللَّهِ ، وَنَقَشَ عَلَى السِّلَاحِ عُدَّةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَوَسَمَ الْخَيْلَ عَلَى أَفْخَاذِهَا الْمُلْكُ لِلَّهِ ، وَأَقَامَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ لُبْسِ الدُّونِ الْخَشِنِ ، وَالْقَلِيلِ مِنَ الطَّعَامِ الْغَلِيظِ. |
| ذِكْرُ مَسِيرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ إِلَى سِجِلْمَاسَةَ وَظُهُورِ الْمَهْدِيِّ لَمَّا اسْتَقَرَّتِ الْأُمُورُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ فِي رَقَّادَةَ وَسَائِرِ بِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ أَتَاهُ أَخُوهُ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدٌ ، فَفَرِحَ بِهِ ، وَكَانَ هُوَ الْكَبِيرَ ، فَسَارَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ مِنْ رَقَّادَةَ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى إِفْرِيقِيَةَ أَخَاهُ أَبَا الْعَبَّاسِ ، وَأَبَا زَاكِي ، وَسَارَ فِي جُيُوشٍ عَظِيمَةٍ ، فَاهْتَزَّ الْمَغْرِبُ لِخُرُوجِهِ ، وَخَافَتْهُ زَنَاتَةُ ، وَزَالَتِ الْقَبَائِلُ عَنْ طَرِيقِهِ ، وَجَاءَتْ رُسُلُهُمْ وَدَخَلُوا فِي طَاعَتِهِ. |
| فَلَمَّا قَرُبَ مِنْ سِجِلْمَاسَةَ ، وَانْتَهَى خَبَرُهُ إِلَى أَلْيَسَعَ بْنِ مِدْرَارٍ ، أَمِيرِ سِجِلْمَاسَةَ ، أَرْسَلَ إِلَى الْمَهْدِيِّ ، وَهُوَ فِي حَبْسِهِ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، يَسْأَلُهُ عَنْ نَسَبِهِ وَحَالِهِ ، وَهَلْ إِلَيْهِ قَصَدَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ؟ |
| فَحَلَفَ لَهُ الْمَهْدِيُّ أَنَّهُ مَا رَأَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، وَلَا عَرَفَهُ ، وَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ تَاجِرٌ ، فَاعْتُقِلَ فِي دَارٍ وَحْدَهُ ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ بِوَلَدِهِ أَبِي الْقَاسِمِ ، وَجَعَلَ عَلَيْهِمَا الْحَرَسَ ، وَقُرِّرَ وَلَدُهُ أَيْضًا ، فَمَا حَالَ عَنْ كَلَامِ أَبِيهِ ، وَقَرَّرَ رِجَالًا كَانُوا مَعَهُ ، وَضَرَبَهُمْ ، فَلَمْ يُقِرُّوا بِشَيْءٍ. |
| وَسَمِعَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ذَلِكَ ، فَشَقَّ عَلَيْهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَلْيَسَعَ يَتَلَطَّفُهُ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَقْصِدِ الْحَرْبَ ، وَإِنَّمَا لَهُ حَاجَةٌ مُهِمَّةٌ عِنْدَهُ ، وَوَعَدَهُ الْجَمِيلَ ، فَرَمَى الْكِتَابَ ، وَقَتَلَ الرُّسُلَ ، فَعَادُوهُ بِالْمُلَاطَفَةِ خَوْفًا عَلَى الْمَهْدِيِّ ، وَلَمْ يَذْكُرْهُ لَهُ ، فَقَتَلَ الرَّسُولَ أَيْضًا ، فَأَسْرَعَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فِي السَّيْرِ ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَلْيَسَعُ ، وَقَاتَلَهُ يَوْمَهُ ذَلِكَ ، وَافْتَرَقُوا ، فَلَمَّا جَنَّهُمُ اللَّيْلُ هَرَبَ أَلْيَسَعُ وَأَصْحَابُهُ مِنْ أَهْلِهِ وَبَنِي عَمِّهِ ، وَبَاتَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ فِي غَمٍّ عَظِيمٍ لَا يَعْلَمُونَ مَا صُنِعَ بِالْمَهْدِيِّ وَوَلَدِهُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ خَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْبَلَدِ ، وَأَعْلَمُوهُ بِهَرَبِ أَلْيَسَعَ ، فَدَخَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ الْبَلَدَ ، وَأَتَوُا الْمَكَانَ الَّذِي فِيهِ الْمَهْدِيُّ ، فَاسْتَخْرَجَهُ ، وَاسْتَخْرَجَ وَلَدَهُ ، فَكَانَتْ فِي النَّاسِ مَسَرَّةٌ عَظِيمَةٌ كَادَتْ تَذْهَبُ بِعُقُولِهِمْ ، فَأَرْكَبَهُمَا ، وَمَشَى هُوَ وَرُؤَسَاءُ الْقَبَائِلِ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ لِلنَّاسِ هَذَا مَوْلَاكُمْ ، وَهُوَ يَبْكِي مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى فُسْطَاطٍ قَدْ ضُرِبَ لَهُ فَنَزَلَ فِيهِ ، وَأَمَرَ بِطَلَبِ أَلْيَسَعَ فَطُلِبَ ، فَأُدْرِكَ ، فَأُخِذَ وَضُرِبَ السِّيَاطَ ثُمَّ قُتِلَ. |
| فَلَمَّا ظَهَرَ الْمَهْدِيُّ أَقَامَ بِسِجِلْمَاسَةَ أَرَبَعِينَ يَوْمًا ، وَسَارَ إِلَى إِفْرِيقِيَةَ ، وَأَحْضَرَ الْأَمْوَالَ مِنْ إِنْكِجَانَ ، فَجَعَلَهَا أَحْمَالًا وَأَخَذَهَا مَعَهُ ، وَوَصَلَ إِلَى رَقَّادَةَ الْعَشْرَ الْأَخِيرَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخَرِ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَزَالَ مُلْكُ بَنِي الْأَغْلَبِ ، وَمُلْكُ بَنِي مِدْرَارٍ الَّذِينَ مِنْهُمْ أَلْيَسَعَ وَكَانَ لَهُمْ ثَلَاثُونَ وَمِائَةُ سَنَةٍ مُنْفَرِدِينَ بِسِجِلْمَاسَةَ ، وَزَالَ مُلْكُ بَنِي رُسْتُمَ مِنْ تَاهَرْتَ ، وَلَهُمْ سِتُّونَ وَمِائَةُ سَنَةٍ تَفَرَّدُوا بِتَاهَرْتَ ، وَمَلَكَ الْمَهْدِيُّ جَمِيعَ ذَلِكَ. |
| فَلَمَّا قَرُبَ مِنْ رَقَّادَةَ تَلَقَّاهُ أَهْلُهَا ، وَأَهْلُ الْقَيْرَوَانِ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، وَرُؤَسَاءُ كُتَامَةَ مُشَاةً بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَوَلَدُهُ خَلْفَهُ ، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ ، فَرَدَّ رَدًّا جَمِيلًا ، وَأَمَرَهُمْ بِالِانْصِرَافِ ، وَنَزَلَ بِقَصْرٍ مِنْ قُصُورِ رَقَّادَةَ ، وَأَمَرَ يَوْمَ الْجُمْعَةِ بِذِكْرِ اسْمِهِ فِي الْخُطْبَةِ فِي الْبِلَادِ ، وَتَلَقَّبَ بِالْمَهْدِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. |
| وَجَلَسَ بَعْدَ الْجُمْعَةِ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِالشَّرِيفِ ، وَمَعَهُ الدُّعَاةُ ، وَأَحْضَرُوا النَّاسَ بِالْعُنْفِ وَالشِّدَّةِ ، وَدَعَوْهُمْ إِلَى مَذْهَبِهِمْ ، فَمَنْ أَجَابَ أُحْسِنَ إِلَيْهِ ، وَمَنْ أَبَى حُبِسَ ، فَلَمْ يَدْخُلْ فِي مَذْهَبِهِمْ إِلَّا بَعْضُ النَّاسِ ، وَهُمْ قَلِيلٌ ، وَقُتِلَ كَثِيرٌ مِمَّنْ لَمْ يُوَافِقْهُمْ عَلَى قَوْلِهِمْ. |
| وَعَرَضَ عَلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ جَوَارِيَ زِيَادَةِ اللَّهِ ، فَاخْتَارَ مِنْهُنَّ كَثِيرًا لِنَفْسِهِ وَلِوَلَدِهِ أَيْضًا ، وَفَرَّقَ مَا بَقِيَ عَلَى وُجُوهِ كُتَامَةَ ، وَقَسَّمَ عَلَيْهِمْ أَعْمَالَ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَدَوَّنَ الدَّوَاوِينَ ، وَجَبَى الْأَمْوَالَ ، وَاسْتَقَرَّتْ قَدَمُهُ ، وَدَانَتْ لَهُ أَهْلُ الْبِلَادِ ، وَاسْتَعْمَلَ الْعُمَّالَ عَلَيْهَا جَمِيعِهَا ، فَاسْتَعْمَلَ عَلَى جَزِيرَةِ صِقِلِّيَةَ الْحَسَنَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي خِنْزِيرٍ ، فَوَصَلَ إِلَى مَازَرَ عَاشِرَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَوَلَّى أَخَاهُ عَلَى جَرْجَنْتَ ، وَجَعَلَ قَاضِيًا بِصِقِلِّيَةَ إِسْحَاقَ بْنَ الْمِنْهَالِ ، وَهُوَ أَوَّلُ قَاضٍ تَوَلَّى بِهَا لِلْمَهْدِيِّ الْعَلَوِيَّ. |
| وَبَقِيَ ابْنُ أَبِي خِنْزِيرٍ إِلَى سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَسَارَ فِي عَسْكَرِهِ إِلَى دَمَنْشَ ، فَغَنِمَ ، وَسَبَى ، وَأَحْرَقَ ، وَعَادَ فَبَقِيَ مُدَّةً يَسِيرَةً ، وَأَسَاءَ السِّيرَةَ فِي أَهْلِهَا ، فَثَارُوا بِهِ ، وَأَخَذُوهُ وَحَبَسُوهُ ، وَكَتَبُوا إِلَى الْمَهْدِيِّ بِذَلِكَ ، وَاعْتَذَرُوا ، فَقَبِلَ عُذْرَهُمْ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَلِيَّ بْنَ عُمَرَ الْبَلَوِيَّ ، فَوَصَلَ آخِرَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشِّيعِيِّ وَأَخِيهِ أَبِي الْعَبَّاسِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ قُتِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشِّيعِيُّ ، قَتَلَهُ الْمَهْدِيُّ عُبَيْدُ اللَّهِ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَهْدِيَّ لَمَّا اسْتَقَامَتْ لَهُ الْبِلَادُ ، وَدَانَتْ لَهُ الْعِبَادُ ، وَبَاشَرَ الْأُمُورَ بِنَفْسِهِ ، وَكَفَّ يَدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، وَيَدَ أَخِيهِ أَبِي الْعَبَّاسِ ، دَاخَلَ أَبَا الْعَبَّاسِ الْحَسَدُ ، وَعَظُمَ عَلَيْهِ الْفِطَامُ عَنِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، وَالْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ ، فَأَقْبَلَ يُزْرِي عَلَى الْمَهْدِيِّ فِي مَجْلِسِ أَخِيهِ ، وَيَتَكَلَّمُ فِيهِ ، وَأَخُوهُ يَنْهَاهُ ، وَلَا يَرْضَى فِعْلَهُ ، فَلَا يَزِيدُهُ ذَلِكَ إِلَّا لَجَاجًا. |
| ثُمَّ إِنَّهُ أَظْهَرَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَى مَا فِي نَفْسِهِ ، وَقَالَ لَهُ مَلَكْتَ أَمْرًا ، فَجِئْتَ بِمَنْ أَزَالَكَ عَنْهُ ، وَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ لَا يُسْقِطَ حَقَّكَ. |
| وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى أَثَّرَ فِي قَلْبِ أَخِيهِ ، فَقَالَ يَوْمًا لِلْمَهْدِيِّ لَوْ كُنْتَ تَجْلِسُ فِي قَصْرِكَ ، وَتَتْرُكُنِي مَعَ كُتَامَةَ آمُرُهُمْ وَأَنْهَاهُمْ ، لِأَنِّي عَارِفٌ بِعَادَاتِهِمْ ، لَكَانَ أَهْيَبَ لَكَ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ. |
| وَكَانَ الْمَهْدِيُّ سَمِعَ شَيْئًا مِمَّا يَجْرِي بَيْنَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَأَخِيهِ ، فَتَحَقَّقَ ذَلِكَ ، غَيْرَ أَنَّهُ رَدَّ رَدًّا لَطِيفًا ، فَصَارَ أَبُو الْعَبَّاسِ يُشِيرُ إِلَى الْمُقَدَّمِينَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، فَمَنْ رَأَى مِنْهُ قَبُولًا كَشَفَ لَهُ مَا فِي نَفْسِهِ ، وَقَالَ مَا جَازَاكُمْ عَلَى مَا فَعَلْتُمْ ، وَذَكَرَ لَهُمُ الْأَمْوَالَ الَّتِي أَخَذَهَا الْمَهْدِيُّ مِنْ إِنْكِجَانَ ، وَقَالَ هَلَّا قَسَّمَهَا فِيكُمْ! |
| وَكُلُّ ذَلِكَ يَتَّصِلُ بِالْمَهْدِيِّ ، وَهُوَ يَتَغَافَلُ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ يُدَارِي ، ثُمَّ صَارَ أَبُو الْعَبَّاسِ يَقُولُ إِنَّ هَذَا لَيْسَ الَّذِي كُنَّا نَعْتَقِدُ طَاعَتَهُ ، وَنَدْعُو إِلَيْهِ لِأَنَّ الْمَهْدِيَّ يَخْتِمُ بِالْحُجَّةِ ، وَيَأْتِي بِالْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ ، فَأَخَذَ قَوْلُهُ بِقُلُوبِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ ، مِنْهُمْ إِنْسَانٌ مِنْ كُتَامَةَ يُقَالُ لَهُ شَيْخُ الْمَشَايِخِ ، فَوَاجَهَ الْمَهْدِيَّ بِذَلِكَ ، وَقَالَ إِنْ كَنْتَ الْمَهْدِيَّ فَأَظْهِرْ لَنَا آيَةً ، فَقَدْ شَكَكْنَا فِيكَ ، فَقَتَلَهُ الْمَهْدِيُّ ، فَخَافَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْمَهْدِيَّ قَدْ تَغَيَّرَ عَلَيْهِ ، فَاتَّفَقَ هُوَ وَأَخُوهُ وَمَنْ مَعَهُمَا عَلَى الِاجْتِمَاعِ عِنْدَ أَبِي زَاكِي ، وَعَزَمُوا عَلَى قَتْلِ الْمَهْدِيِّ وَاجْتَمَعَ مَعَهُمْ قَبَائِلُ كُتَامَةَ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ. |
| وَكَانَ مَعَهُمْ رَجُلٌ يُظْهِرُ أَنَّهُ مِنْهُمْ ، وَيَنْقُلُ مَا يَجْرِي إِلَى الْمَهْدِيِّ ، وَدَخَلُوا عَلَيْهِ مِرَارًا فَلَمْ يَجْسُرُوا عَلَى قَتْلِهِ ، فَاتَّفَقَ أَنَّهُمُ اجْتَمَعُوا لَيْلَةً عِنْدَ أَبِي زَاكِي ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا لَبِسَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ثَوْبَهُ مَقْلُوبًا ، وَدَخَلَ عَلَى الْمَهْدِيِّ ، فَرَأَى ثَوْبَهُ ، فَلَمْ يَعْرِفْهُ بِهِ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَالْقَمِيصُ بِحَالِهِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ مَا هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي أَذْهَلَكَ عَنْ إِصْلَاحِ ثَوْبِكَ ؟ |
| فَهُوَ مَقْلُوبٌ مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَعَلِمْتُ أَنَّكَ مَا نَزَعْتَهُ ، فَقَالَ مَا عَلِمْتُ بِذَلِكَ إِلَّا سَاعَتِي هَذِهِ ، قَالَ أَيْنَ كُنْتَ الْبَارِحَةَ وَاللَّيَالِيَ قَبْلَهَا ؟ |
| فَسَكَتَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ أَلَيْسَ بِتَّ فِي دَارِ أَبِي زَاكِي ؟ |
| قَالَ بَلَى. |
| قَالَ وَمَا الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ دَارِكَ ؟ |
| قَالَ خِفْتُ. |
| قَالَ وَهَلْ يَخَافُ الْإِنْسَانُ إِلَّا مِنْ عَدُوِّهِ ؟ |
| فَعَلِمَ أَنَّ أَمْرَهُ ظَهَرَ لِلْمَهْدِيِّ ، فَخَرَجَ وَأَخْبَرَ أَصْحَابَهُ ، وَخَافُوا ، وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْحُضُورِ. |
| فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلْمَهْدِيِّ ، وَعِنْدَهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْقَدِيمِ ، كَانَ مِنْ جُمْلَةِ الْقَوْمِ ، وَعِنْدَهُ أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ ، مِنْ أَمْوَالِ زِيَادَةِ اللَّهِ ، فَقَالَ يَا مَوْلَايَ إِنْ شِئْتَ أَتَيْتُكَ بِهِمْ ، وَمَضَى فَجَاءَ بِهِمْ ، فَعَلِمَ الْمَهْدِيُّ صِحَّةَ مَا قِيلَ عَنْهُ ، فَلَاطَفَهُمْ وَفَرَّقَهُمْ فِي الْبِلَادِ ، وَجَعَلَ أَبَا زَاكِي وَالِيًا عَلَى طَرَابُلُسَ ، وَكَتَبَ إِلَى عَامِلِهَا أَنْ يَقْتُلَهُ عِنْدَ وُصُولِهِ ، فَلَمَّا وَصَلَهَا قَتَلَهُ عَامِلُهَا ، وَأَرْسَلَ رَأْسَهُ إِلَى الْمَهْدِيِّ ، فَهَرَبَ ابْنُ الْقَدِيمِ ، فَأُخِذَ ، فَأَمَرَ الْمَهْدِيُّ بِقَتْلِهِ فَقُتِلَ. |
| وَأَمَرَ الْمَهْدِيُّ عَرُوبَةَ وَرِجَالًا مَعَهُ أَنْ يَرْصُدُوا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَأَخَاهُ الْعَبَّاسَ ، وَيَقْتُلُوهُمَا ، فَلَمَّا وَصَلَا إِلَى قُرْبِ الْقَصْرِ حَمَلَ عَرُوبَةُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ لَا تَفْعَلْ يَا بُنَيَّ! |
| فَقَالَ الَّذِي أَمَرْتَنَا بِطَاعَتِهِ أَمَرَنَا بِقَتْلِكَ ، فَقُتِلَ هُوَ وَأَخُوهُ ، وَكَانَ قَتْلُهُمَا فِي الْيَوْمِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ أَبُو زَاكِي ، فَقِيلَ إِنَّ الْمَهْدِيَّ صَلَّى عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، وَقَالَ رَحِمَكَ اللَّهُ ، أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، وَجَزَاكَ خَيْرًا بِجَمِيلِ سَعْيِكَ. |
| وَثَارَتْ فِتْنَةٌ بِسَبَبِ قَتْلِهِمَا ، وَجَرَّدَ أَصْحَابُهُمَا السُّيُوفَ ، فَرَكِبَ الْمَهْدِيُّ وَأَمَّنَ النَّاسَ ، فَسَكَنُوا ، ثُمَّ تَتَبَّعَهُمْ حَتَّى قَتَلَهُمْ. |
| وَثَارَتْ فِتْنَةٌ ثَانِيَةٌ بَيْنَ كُتَامَةَ وَأَهْلِ الْقَيْرَوَانِ ، قُتِلَ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَخَرَجَ الْمَهْدِيُّ وَسَكَّنَ الْفِتْنَةَ ، وَكَفَّ الدُّعَاةَ عَنْ طَلَبِ التَّشَيُّعِ مِنَ الْعَامَّةِ. |
| وَلَمَّا اسْتَقَامَتِ الدَّوْلَةُ لِلْمَهْدِيِّ عَهِدَ إِلَى وَلَدِهِ أَبِي الْقَاسِمِ نِزَارٍ بِالْخِلَافَةِ ، وَرَجَعَتْ كُتَامَةُ إِلَى بِلَادِهِمْ ، فَأَقَامُوا طِفْلًا وَقَالُوا هَذَا هُوَ الْمَهْدِيُّ ، ثُمَّ زَعَمُوا أَنَّهُ نَبِيٌّ يُوحَى إِلَيْهِ ، وَزَعَمُوا أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَمْ يَمُتْ ، وَزَحَفُوا إِلَى مَدِينَةِ مِيلَةَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْمَهْدِيَّ فَأَخْرَجَ ابْنَهُ أَبَا الْقَاسِمِ ، فَحَصَرَهُمْ فَقَاتَلُوهُ فَهَزَمَهُمْ وَاتَّبَعَهُمْ حَتَّى أَجْلَاهُمْ إِلَى الْبَحْرِ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا عَظِيمًا ، وَقَتَلَ الطِّفْلَ الَّذِي أَقَامُوهُ. |
| وَخَالَفَ عَلَيْهِ أَهْلُ صِقِلِّيَةَ مَعَ ابْنِ وَهْبٍ ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِمْ أُسْطُولًا ، فَفَتَحَهَا وَأَتَى بِابْنِ وَهْبٍ فَقَتَلَهُ. |
| وَخَالَفَ عَلَيْهِ أَهْلُ تَاهَرْتَ ، فَغَزَاهَا فَفَتَحَهَا ، وَقَتَلَ أَهْلَ الْخِلَافِ ، وَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنْ بَنِي الْأَغْلَبِ بِرَقَّادَةَ كَانُوا قَدْ رَجَعُوا إِلَيْهَا بَعْدَ وَفَاةِ زِيَادَةِ اللَّهِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِيهَا سُيِّرَ الْقَاسِمُ بْنُ سِيمَا وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْقُوَّادِ فِي طَلَبِ الْحُسَيْنِ بْنِ حَمْدَانَ ، فَسَارُوا حَتَّى بَلَغُوا قَرْقِيسِيَاءَ وَالرَّحْبَةَ ، فَلَمْ يَظْفَرُوا بِهِ ، فَكَتَبَ الْمُقْتَدِرُ إِلَى أَبِي الْهَيْجَاءِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدَانَ ، وَهُوَ الْأَمِيرُ بِالْمَوْصِلِ يَأْمُرُهُ بِطَلَبِ أَخِيهِ الْحُسَيْنِ ، فَسَارَ هُوَ وَالْقَاسِمُ بْنُ سِيمَا ، فَالْتَقَوْا عِنْدَ تَكْرِيتَ ، فَانْهَزَمَ الْحُسَيْنُ ، فَأَرْسَلَ أَخَاهُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ حَمْدَانَ يَطْلُبُ الْأَمَانَ ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ ، وَدَخَلَ بَغْدَاذَ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَعَقَدَ لَهُ عَلَى قُمَّ وَقَاشَانَ ، فَسَارَ إِلَيْهَا وَصَرَفَ عَنْهَا الْعَبَّاسَ بْنَ عَمْرٍو. |
| وَفِيهَا وَصَلَ بَارِسُ غُلَامُ إِسْمَاعِيلَ السَّامَانِيِّ ، وَقُلِّدَ دِيَارَ رَبِيعَةَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ. |
| وَفِيهَا كَانَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَ طَاهِرٍ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ وَبَيْنَ سُبْكَرِيٍّ غُلَامِ عَمْرٍو ، فَأَسَرَ طَاهِرًا وَوَجَّهَهُ وَأَخَاهُ يَعْقُوبَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو إِلَى الْمُقْتَدِرِ مَعَ كَاتِبِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَعْفَرٍ الشِّيرَازِيِّ ، فَأُدْخِلَا بَغْدَاذَ أَسِيرَيْنِ ، فَحُبِسَا ، وَكَانَ سُبْكَرِيٌّ قَدْ تَغَلَّبَ عَلَى فَارِسَ بِغَيْرِ أَمْرِ الْخَلِيفَةِ ، فَلَمَّا وَصَلَ كَاتِبُهُ قَرَّرَ أَمْرَهُ عَلَى مَالٍ يَحْمِلُهُ ، وَكَانَ وُصُولُهُ إِلَى بَغْدَاذَ سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ. |
| وَفِيهَا خُلِعَ عَلَى مُؤْنِسٍ الْمُظَفَّرِ الْخَادِمِ ، وَأُمِرَ بِالْمَسِيرِ إِلَى غَزْوِ الرُّومِ ، فَسَارَ فِي جَمْعٍ كَثِيفٍ ، فَغَزَا مِنْ نَاحِيَةِ مَلَطْيَةَ ، وَمَعَهُ أَبُو الْأَعَزِّ السُّلَمِيُّ ، فَظَفِرَ وَغَنِمَ وَأَسَرَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً وَعَادَ . |
| وَفِيهَا قُلِّدَ يُوسُفُ بْنُ أَبِي السَّاجِ أَعْمَالَ أَرْمِينِيَّةَ وَأَذْرَبِيجَانَ ، وَضَمِنَهَا بِمِائَةِ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَسَارَ إِلَيْهَا مِنَ الدِّينَوَرِ. |
| وَفِيهَا سَقَطَ بِبَغْدَاذَ ثَلْجٌ كَثِيرٌ مِنْ بُكْرَةٍ إِلَى الْعَصْرِ ، فَصَارَ عَلَى الْأَرْضِ أَرْبَعَ أَصَابِعَ ، وَكَانَ مَعَهُ بَرْدٌ شَدِيدٌ ، وَجَمُدَ الْمَاءُ وَالْخَلُّ وَالْبَيْضُ وَالْأَدْهَانُ ، وَهَلَكَ النَّخْلُ ، وَكَثِيرٌ مِنَ الشَّجَرِ. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ الْفَضْلُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْهَاشِمِيُّ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ . |
| وَفِيهَا قُتِلَ سَوْسَنٌ حَاجِبُ الْمُقْتَدِرِ ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ لَهُ أَثَرٌ فِي أَمْرِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ ، فَلَمَّا بُويِعَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ وَاسْتُحْجِبَ غَيْرُهُ لَزِمَ الْمُقْتَدِرَ ، فَلَمَّا اسْتُوْزِرَ ابْنُ الْفُرَاتِ تَفَرَّدَ بِالْأُمُورِ ، فَعَادَاهُ سَوْسَنٌ ، وَسَعَى فِي فَسَادِ حَالِهِ ، فَأَعْلَمَ ابْنُ الْفُرَاتِ الْمُقْتَدِرَ بِاللَّهِ بِحَالِ سَوْسَنٍ ، وَأَنَّهُ كَانَ مِمَّنْ أَعَانَ ابْنَ الْمُعْتَزِّ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ وَقَتَلَهُ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ الْجَرَّاحِ عَمُّ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى الْوَزِيرِ ، وَكَانَ عَالِمًا بِالْكِتَابَةِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ خَاقَانَ ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدُّهْكَانِيُّ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ اللَّيْثِ عَلَى فَارِسَ وَقَتْلِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ اللَّيْثُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ اللَّيْثِ مِنْ سِجِسْتَانَ إِلَى فَارِسَ فِي جَيْشٍ وَأَخَذَهَا ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَهَرَبَ سُبْكَرِيٌّ عَنْهَا إِلَى أَرَّجَانَ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْخَبَرُ الْمُقْتَدِرَ جَهَّزَ مُؤْنِسًا الْخَادِمَ وَسَيَّرَهُ إِلَى فَارِسَ ، مَعُونَةً لِسُبْكَرِيٍّ ، فَاجْتَمَعَا بِأَرَّجَانَ. |
| وَبَلَغَ خَبَرُ اجْتِمَاعِهِمَا اللَّيْثَ ، فَسَارَ إِلَيْهِمَا ، فَأَتَاهُ الْخَبَرُ بِمَسِيرِ الْحُسَيْنِ بْنِ حَمْدَانَ مِنْ قُمَّ إِلَى الْبَيْضَاءِ ، مَعُونَةً لِمُؤْنِسٍ ، فَسَيَّرَ أَخَاهُ فِي بَعْضِ جَيْشِهِ إِلَى شِيرَازَ لِيَحْفَظَهَا ، ثُمَّ سَارَ فِي بَعْضِ جُنْدِهِ فِي طَرِيقٍ مُخْتَصَرٍ لِيُوَاقِعَ الْحُسَيْنَ بْنَ حَمْدَانَ ، فَأَخَذَ بِهِ الدَّلِيلُ فِي طَرِيقِ الرَّجَّالَةِ ، فَهَلَكَ أَكْثَرُ دَوَابِّهِ ، وَلَقِيَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ مَشَقَّةً عَظِيمَةً ، فَقَتَلَ الدَّلِيلَ ، وَعَدَلَ عَنْ ذَلِكَ الطَّرِيقِ ، فَأَشْرَفَ عَلَى عَسْكَرِ مُؤْنِسٍ ، فَظَنَّهُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ أَنَّهُ عَسْكَرُهُ الَّذِي سُيِّرَ مَعَ أَخِيهِ إِلَى شِيرَازَ ، فَكَبَّرُوا ، فَثَارَ إِلَيْهِمْ مُؤْنِسٌ وَسُبْكَرِيٌّ فِي جُنْدِهِمَا ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ اللَّيْثِ ، وَأُخِذَ هُوَ أَسِيرًا. |
| فَلَمَّا أَسَرَهُ مُؤْنِسٌ قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ إِنَّ الْمَصْلَحَةَ أَنْ نَقْبِضَ عَلَى سُبْكَرِيٍّ ، وَنَسْتَوْلِيَ عَلَى بِلَادِ فَارِسَ ، وَنَكْتُبَ إِلَى الْخَلِيفَةِ لِيُقِرَّهَا عَلَيْكَ ، فَقَالَ سَأَفْعَلُ غَدًا ، إِذَا صَارَ إِلَيْنَا عَلَى عَادَتِهِ. |
| فَلَمَّا جَاءَ اللَّيْلُ أَرْسَلَ مُؤْنِسٌ إِلَى سُبْكَرِيٍّ سِرًّا يُعَرِّفُهُ مَا أَشَارَ بِهِ أَصْحَابُهُ ، وَأَمَرَهُ بِالْمَسِيرِ مِنْ لَيْلَتِهِ إِلَى شِيرَازَ ، فَفَعَلَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ مُؤْنِسٌ قَالَ لِأَصْحَابِهِ أَرَى سُبْكَرِيًّا قَدْ تَأَخَّرَ عَنَّا ، فَتَعَرَّفُوا خَبَرَهُ ، فَسَارَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ ، وَعَادَ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ سُبْكَرِيًّا سَارَ مِنْ لَيْلَتِهِ إِلَى شِيرَازَ ، فَلَامَ أَصْحَابَهُ ، وَقَالَ مِنْ جِهَتِكُمْ بَلَغَهُ الْخَبَرُ حَتَّى اسْتَوْحَشَ ، وَعَادَ مُؤْنِسٌ وَمَعَهُ اللَّيْثُ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَعَادَ الْحُسَيْنُ بْنُ حَمْدَانَ إِلَى قُمَّ. |
| ذِكْرُ أَخْذِ فَارِسَ مِنْ سُبْكَرِيٍّ لَمَّا عَادَ مُؤْنِسٌ عَنْ سُبْكَرِيٍّ اسْتَوْلَى كَاتِبُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَعْفَرٍ عَلَى الْأُمُورِ فَحَسَدَهُ أَصْحَابُ سُبْكَرِيٍّ فَنَقَلُوا عَنْهُ أَنَّهُ كَاتَبَ الْخَلِيفَةَ ، وَأَنَّهُ قَدْ حَلَّفَ أَكْثَرَ الْقُوَّادِ لَهُ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ وَقَيَّدَهُ وَحَبَسَهُ ، وَاسْتَكْتَبَ مَكَانَهُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيَّ ، فَحَمَلَهُ عَلَى الْعِصْيَانِ وَمَنْعِ مَا كَانَ يَحْمِلُهُ إِلَى الْخَلِيفَةِ فَفَعَلَ ذَلِكَ. |
| فَكَتَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَعْفَرٍ إِلَى ابْنِ الْفُرَاتِ ، وَزِيرِ الْخَلِيفَةِ ، يَعَرِّفُهُ ذَلِكَ وَأَنَّهُ لَمَّا نَهَى سُبْكَرِيًّا عَنِ الْعِصْيَانِ قَبَضَ عَلَيْهِ ، فَكَتَبَ ابْنُ الْفُرَاتِ إِلَى مُؤْنِسٍ ، وَهُوَ بِوَاسِطَ ، يَأْمُرُهُ بِالْعَوْدِ إِلَى فَارِسَ ، وَيُعَجِّزُهُ حَيْثُ لَمْ يَقْبِضْ عَلَى سُبْكَرِيٍّ ، وَيَحْمِلْهُ مَعَ اللَّيْثِ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَعَادَ مُؤْنِسٌ إِلَى الْأَهْوَازِ. |
| وَأَرْسَلَ سُبْكَرِيٌّ مُؤْنِسًا ، وَهَادَاهُ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَتَوَسَّطَ حَالَهُ مَعَ الْخَلِيفَةِ ، فَكَتَبَ فِي أَمْرِهِ ، وَبَذَلَ عَنْهُ مَالًا ، فَلَمْ يَسْتَقِرَّ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ ، وَعَلِمَ ابْنُ الْفُرَاتِ أَنَّ مُؤْنِسًا يَمِيلُ إِلَى سُبْكَرِيٍّ ، فَأَنْفَذَ وَصِيفًا كَاتِبَهُ ، وَجَمَاعَةً مِنَ الْقُوَّادِ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ جَعْفَرٍ الْفِرْيَابِيَّ ، وَعَوَّلَ عَلَيْهِ فِي فَتْحِ فَارِسَ ، وَكَتَبَ إِلَى مُؤْنِسٍ يَأْمُرُهُ بِاسْتِصْحَابِ اللَّيْثِ مَعَهُ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَعَادَ مُؤْنِسٌ. |
| وَسَارَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ إِلَى فَارِسَ ، وَوَاقَعَ سُبْكَرِيًّا عَلَى بَابِ شِيرَازَ فَانْهَزَمَ سُبْكَرِيٌّ إِلَى بُمَّ وَتَحَصَّنُ بِهَا ، وَتَبِعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَحَصَرَهُ بِهَا فَخَرَجَ إِلَيْهِ سُبْكَرِيٌّ وَحَارَبَهُ مَرَّةً ثَانِيَةً ، فَهَزَمَهُ مُحَمَّدٌ وَنَهَبَ مَالَهُ وَدَخَلَ سُبْكَرِيٌّ مَفَازَةَ خُرَاسَانَ ، فَظَفِرَ بِهِ صَاحِبُ خُرَاسَانَ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ ، وَاسْتَوْلَى مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ عَلَى فَارِسَ فَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا فُتَيْحًا خَادِمَ الْأَفْشِينِ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ فَتْحَ فَارِسَ كَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ . |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِيهَا وَجَّهَ الْمُقْتَدِرُ الْقَاسِمَ بْنَ سِيمَا لِغَزْوِ الصَّائِفَةِ ، وَحَجَّ بِالنَّاسِ الْفَضْلُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْهَاشِمِيُّ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ عِيسَى النُّوشَرِيُّ فِي شَعْبَانَ بِمِصْرَ ، بَعْدَ مَوْتِ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ بِسْطَامٍ بِعَشَرَةِ أَيَّامٍ ، وَدُفِنَ بِالْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، وَاسْتَعْمَلَ الْمُقْتَدِرُ مَكَانَهُ تِكِينَ الْخَادِمَ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ مُنْتَصَفَ شَهْرِ رَمَضَانَ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ سَالِمٍ ، صَاحِبُ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيِّ . |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْفَيْضُ بْنُ الْخَضِرِ ، وَقِيلَ ابْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو الْفَيْضِ الْأُولَاسِيُّ الطَّرَسُوسِيُّ. |
| وَأَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ الْأَصْفَهَانِيُّ الْفَقِيهُ الظَّاهِرِيُّ. |
| وَمُوسَى بْنُ إِسْحَاقَ الْقَاضِي. |
| وَالْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ حَمَّادٍ ، وَلَهُ تِسْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَلَى سِجِسْتَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي رَجَبٍ ، اسْتَوْلَى أَبُو نَصْرٍ أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ السَّامَانِيُّ عَلَى سِجِسْتَانَ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا اسْتَقَرَّ أَمْرُهُ ، وَثَبَتَ مُلْكُهُ ، خَرَجَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ إِلَى الرَّيِّ ، وَكَانَ يَسْكُنُ بُخَارَى ، ثُمَّ سَارَ إِلَى هَرَاةَ ، فَسَيَّرَ مِنْهَا جَيْشًا فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ إِلَى سِجِسْتَانَ ، وَسَيَّرَ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ قُوَّادِهِ وَأُمَرَائِهِ ، مِنْهُمْ أَحْمَدُ بْنُ سَهْلٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُظَفَّرِ ، وَسِيمَجُورُ الدَّوَاتِيُّ ، وَهُوَ وَالِدُ آلِ سِيمَجُورَ وُلَاةِ خُرَاسَانَ لِلسَّامَانِيَّةِ ، وَسَيَرِدُ ذِكْرُهُمْ ، وَاسْتَعْمَلَ أَحْمَدُ عَلَى هَذَا الْجَيْشِ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ الْمَرْوَرُوذِيِّ ، فَسَارُوا حَتَّى أَتَوْا سِجِسْتَانَ ، وَبِهَا الْمُعَدَّلُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ اللَّيْثِ الصَّفَّارُ وَهُوَ صَاحِبُهَا. |
| فَلَمَّا بَلَغَ الْمُعَدَّلَ خَبَرُهُمْ سَيَّرَ أَخَاهُ أَبَا عَلِيٍّ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ اللَّيْثِ إِلَى بُسْتَ وَالرُّخَّجِ لِيَحْمِيَ أَمْوَالَهَا ، وَيُرْسِلَ مِنْهَا الْمِيرَةَ إِلَى سِجِسْتَانَ ، فَسَارَ الْأَمِيرُ أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ بِبُسْتَ ، وَجَاذَبَهُ ، وَأَخَذَهُ أَسِيرًا ، وَعَادَ بِهِ إِلَى هَرَاةَ. |
| وَأَمَّا الْجَيْشُ الَّذِي بِسِجِسْتَانَ فَإِنَّهُمْ حَصَرُوا الْمُعَدَّلَ ، وَضَايَقُوهُ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ أَخَاهُ أَبَا عَلِيٍّ مُحَمَّدًا قَدْ أُخِذَ أَسِيرًا ، صَالَحَ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ ، وَاسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ ، فَاسْتَوْلَى الْحُسَيْنُ عَلَى سِجِسْتَانَ ، فَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا الْأَمِيرُ أَحْمَدُ أَبَا صَالِحٍ مَنْصُورَ بْنَ إِسْحَاقَ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّهِ ، وَانْصَرَفَ الْحُسَيْنُ عَنْهَا وَمَعَهُ الْمُعَدَّلُ إِلَى بُخَارَى ، ثُمَّ إِنَّ سِجِسْتَانَ خَالَفَ أَهْلُهَا سَنَةَ ثَلَاثِمِائَةٍ عَلَى مَا نَذْكُرُهُ. |
| وَلَمَّا اسْتَوْلَى السَّامَانِيَّةُ عَلَى سِجِسْتَانَ بَلَغَهُمْ خَبَرُ مَسِيرِ سُبْكَرِيٍّ فِي الْمَفَازَةِ مِنْ فَارِسَ إِلَى سِجِسْتَانَ ، فَسَيَّرُوا إِلَيْهِ جَيْشًا ، فَلَقُوهُ وَهُوَ وَعَسْكَرُهُ قَدْ أَهْلَكَهُمُ التَّعَبُ ، فَأَخَذُوهُ أَسِيرًا ، وَاسْتَوْلَوْا عَلَى عَسْكَرِهِ ، وَكَتَبَ الْأَمِيرُ أَحْمَدُ إِلَى الْمُقْتَدِرِ بِذَلِكَ ، وَبِالْفَتْحِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَشْكُرُهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَيَأْمُرُهُ بِحَمْلِ سُبْكَرِيٍّ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ اللَّيْثِ ، إِلَى بَغْدَاذَ ، فَسَيَّرَهُمَا ، وَأُدْخِلَا بَغْدَاذَ مَشْهُورَيْنِ عَلَى فِيلَيْنِ ، وَأَعَادَ الْمُقْتَدِرُ رُسُلَ أَحْمَدَ ، صَاحِبِ خُرَاسَانَ ، وَمَعَهُمُ الْهَدَايَا وَالْخِلَعُ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِيهَا أَطْلَقَ الْأَمِيرُ أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَمَّهُ إِسْحَاقَ بْنَ أَحْمَدَ مِنْ مَحْبِسِهِ ، وَأَعَادَهُ إِلَى سَمَرْقَنْدَ وَفَرْغَانَةَ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْعَبَرْتَاي ، وَقُنْبُجُ الْخَادِمُ أَمِيرُ فَارِسَ ، فَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْمِسْمَعِيَّ ، وَأَضَافَ إِلَيْهِ كَرْمَانَ. |
| وَفِيهَا جُعِلَتْ أُمُّ مُوسَى الْهَاشِمِيَّةُ قَهْرَمَانَةَ دَارِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ ، فَكَانَتْ تُؤَدِّي الرَّسَائِلَ مِنَ الْمُقْتَدِرِ وَأُمِّهِ ، إِلَى الْوَزِيرِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْنَاهَا لِأَنَّ لَهَا فِيمَا بَعْدُ مِنَ الْحُكْمِ فِي الدَّوْلَةِ مَا أَوْجَبَ ذِكْرَهَا ، وَإِلَّا كَانَ الْإِضْرَابُ عَنْهَا أَوْلَى. |
| وَفِيهَا غَزَا الْقَاسِمُ بْنُ سِيمَا الصَّائِفَةَ. |
| وَفِيهَا فِي رَجَبٍ ، تُوُفِّيَ الْمُظَفَّرُ بْنُ جَاخَ ، أَمِيرُ الْيَمَنِ ، وَحُمِلَ إِلَى مَكَّةَ وَدُفِنَ بِهَا ، وَاسْتَعْمَلَ الْخَلِيفَةُ عَلَى الْيَمَنِ بَعْدَهُ مُلَاحِظًا. |
| وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْفَضْلُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْهَاشِمِيُّ. |
| وَفِيهَا ، فِي شَعْبَانَ ، أُخِذَ جَمَاعَةٌ بِبَغْدَاذَ ، قِيلَ إِنَّهُمْ أَصْحَابُ رَجُلٍ يَدَّعِي الرُّبُوبِيَّةَ ، يُعْرَفُ بِمُحَمَّدِ بْنِ بِشْرٍ. |
| وَفِيهَا هَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ حَارَّةٌ صَفْرَاءُ بِحَدِيثَةِ الْمَوْصِلِ ، فَمَاتَ لِشِدَّةِ حَرِّهَا جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْقَاسِمِ جُنَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصُّوفِيُّ ، وَكَانَ إِمَامَ الدُّنْيَا فِي زَمَانِهِ ، وَأَخَذَ الْفِقْهَ عَنْ أَبِي ثَوْرٍ ، صَاحِبِ الشَّافِعِيِّ ، وَالتَّصَوُّفَ عَنْ سَرِيٍّ السَّقَطِيِّ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو بَرْزَةَ الْحَاسِبُ ، وَاسْمُهُ الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْقَاسِمُ بْنُ الْعَبَّاسِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمَعْشَرِيُّ ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ الْمَعْشَرِيُّ لِأَنَّهُ ابْنُ بِنْتِ أَبِي مَعْشَرٍ نَجِيحٍ الْمَدَنِيِّ ، وَكَانَ زَاهِدًا فَقِيهًا. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ عِصَامٍ أَبُو الْعَبَّاسِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِيَاسٍ وَالِدُ أَبِي زَكَرِيَّاءَ ، صَاحِبُ تَارِيخِ الْمَوْصِلِ ، وَكَانَ خَيِّرًا فَاضِلًا ، وَهُوَ أَزْدِيٌّ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ الْقَبْضِ عَلَى ابْنِ الْفُرَاتِ وَوِزَارَةِ الْخَاقَانِيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَبَضَ الْمُقْتَدِرُ عَلَى الْوَزِيرِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفُرَاتِ فِي ذِي الْحِجَّةِ ، وَكَانَ قَدْ ظَهَرَ ، قَبْلَ الْقَبْضِ عَلَيْهِ بِمُدَّةٍ يَسِيرَةٍ ، ثَلَاثَةُ كَوَاكِبَ مُذَنَّبَةٍ ، أَحَدُهَا ظَهَرَ آخِرَ رَمَضَانَ فِي بُرْجِ الْأَسَدِ ، وَالْآخَرُ ظَهَرَ فِي ذِي الْقِعْدَةِ فِي الْمَشْرِقِ ، وَالثَّالِثُ ظَهَرَ فِي الْمَغْرِبِ فِي ذِي الْقِعْدَةِ أَيْضًا فِي بُرْجِ الْعَقْرَبِ. |
| وَلَمَّا قُبِضَ عَلَى الْوَزِيرِ وُكِّلَ بِدَارِهِ ، وَهَتْكِ حُرَمِهِ ، وَنَهْبِ مَالِهِ ، وَنُهِبَتْ دُورُ أَصْحَابِهِ وَمَنْ يَتَعَلَّقُ بِهِمْ ، وَافْتُتِنَتْ بَغْدَاذُ لِقَبْضِهِ ، وَلَقِيَ النَّاسُ شِدَّةً ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ سَكَنُوا. |
| وَكَانَتْ مُدَّةُ وِزَارَتِهِ هَذِهِ ، وَهِيَ الْوِزَارَةُ الْأُولَى ، ثَلَاثَ سِنِينَ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَقَلِّدَ أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَاقَانَ الْوِزَارَةَ ، فَرَتَّبَ أَصْحَابَ الدَّوَاوِينِ ، وَتَوَلَّى مُنَاظَرَةَ ابْنِ الْفُرَاتِ أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي الْبَغْلِ ، وَكَانَ أَخُوهُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي الْبَغْلِ مُقِيمًا بِأَصْبَهَانَ ، فَسَعَى أَخُوهُ لَهُ فِي الْوِزَارَةِ هُوَ وَأُمُّ مُوسَى الْقَهْرَمَانَةُ ، فَأَذِنَ الْمُقْتَدِرُ فِي حُضُورِهِ لِيَتَوَلَّى الْوِزَارَةَ ، فَحَضَرَ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْخَاقَانِيَّ انْحَلَّتْ أُمُورُهُ ، فَدَخَلَ عَلَى الْخَلِيفَةِ وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ ، فَأَمَرَهُ بِالْقَبْضِ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ وَأَبِي الْحُسَيْنِ أَخِيهِ ، فَقُبِضَ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ وَكَتَبَ فِي الْقَبْضِ عَلَى أَبِي الْحُسَيْنِ ، فَقُبِضَ أَيْضًا ، ثُمَّ خَافَ الْقَهْرَمَانَةَ ، فَأَطْلَقَهُمَا وَاسْتَعْمَلَهُمَا. |
| ثُمَّ إِنَّ أُمُورَ الْخَاقَانِيِّ انْحَلَّتْ لِأَنَّهُ كَانَ ضَجُورًا ، ضَيِّقَ الصَّدْرِ ، مُهْمِلًا لِقِرَاءَةِ كُتُبِ الْعُمَّالِ ، وَجِبَايَةِ الْأَمْوَالِ ، وَكَانَ يَتَقَرَّبُ إِلَى الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ، فَمَنَعَ خَدَمَ السُّلْطَانِ وَخَوَاصَّهُ أَنْ يُخَاطِبُوهُ بِالْعَبْدِ ، وَكَانَ إِذَا رَأَى جَمَاعَةً مِنَ الْمَلَّاحِينَ وَالْعَامَّةِ يُصَلُّونَ جَمَاعَةً ، يَنْزِلُ وَيُصَلِّي مَعَهُمْ ، وَإِذَا سَأَلَهُ أَحَدٌ حَاجَةً دَقَّ صَدْرَهُ ، وَقَالَ نَعَمْ وَكَرَامَةً ، فَسُمِّيَ" دَقَّ صَدْرَهُ "، إِلَّا أَنَّهُ قَصَّرَ فِي إِطْلَاقِ الْأَمْوَالِ لِلْفُرْسَانِ وَالْقَوَّادِ ، فَنَفَرُوا عَنْهُ وَاتَّضَعَتِ الْوِزَارَةُ بِفِعْلِهِ مَا تَقَدَّمَ. |
| وَكَانَ أَوْلَادُهُ قَدْ تَحَكَّمُوا عَلَيْهِ ، فَكُلٌّ مِنْهُمْ يَسْعَى لِمَنْ يَرْتَشِي مِنْهُ ، وَكَانَ يُوَلِّي فِي الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ عِدَّةً مِنَ الْعُمَّالِ ، حَتَّى إِنَّهُ وَلَّى بِالْكُوفَةِ ، فِي مُدَّةِ عِشْرِينَ يَوْمًا ، سَبْعَةً مِنَ الْعُمَّالِ ، فَاجْتَمَعُوا فِي الطَّرِيقِ ، فَعَرَضُوا تَوْقِيعَاتِهِمْ ، فَسَارَ الْأَخِيرُ مِنْهُمْ ، وَعَادَ الْبَاقُونَ يَطْلُبُونَ مَا خَدَمُوا بِهِ أَوْلَادَهُ ، فَقِيلَ فِيهِ وَزِيرٌ قَدْ تَكَامَلَ فِي الرَّقَاعِهْ... |
| يُوَلِّي ثُمَّ يَعْزِلُ بَعْدَ سَاعِهْ إِذَا أَهْلُ الرُّشَى اجْتَمَعُوا لَدَيْهِ... |
| فَخَيْرُ الْقَوْمِ أَوْفَرُهُمْ بِضَاعَهْ وَلَيْسَ يُلَامُ فِي هَذَا بِحَالٍ... |
| لِأَنَّ الشَّيْخَ أَفْلَتَ مِنْ مَجَاعَهْ ثُمَّ زَادَ الْأَمْرُ ، حَتَّى تَحَكَّمَ أَصْحَابُهُ ، فَكَانُوا يُطْلِقُونَ الْأَمْوَالَ وَيُفْسِدُونَ الْأَحْوَالَ ، فَانْحَلَّتِ الْقَوَاعِدُ ، وَخَبُثَتِ النِّيَّاتُ ، وَاشْتَغَلَ الْخَلِيفَةُ بِعَزْلِ وُزَرَائِهِ وَالْقَبْضِ عَلَيْهِمْ ، وَالرُّجُوعِ إِلَى قَوْلِ النِّسَاءِ وَالْخَدَمِ ، وَالتَّصَرُّفِ عَلَى مُقْتَضَى آرَائِهِمْ ، فَخَرَجَتِ الْمَمَالِكُ ، وَطَمِعَ الْعُمَّالُ فِي الْأَطْرَافِ ، وَكَانَ مَا نَذْكُرُهُ فِيمَا بَعْدُ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْخَلِيفَةَ أَحْضَرَ الْوَزِيرَ ابْنَ الْفُرَاتِ مِنْ مَحْبِسِهِ ، فَجَعَلَهُ عِنْدَهُ فِي بَعْضِ الْحُجَرِ مُكَرَّمًا ، فَكَانَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ مُطَالَعَاتِ الْعُمَّالِ وَغَيْرَ ذَلِكَ ، وَأَكْرَمَهُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، بَعْدَ أَنْ أَخَذَ أَمْوَالَهُ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِيهَا غَزَا رُسْتُمُ أَمِيرُ الثُّغُورِ الصَّائِفَةَ مِنْ نَاحِيَةِ طَرَسُوسَ ، وَمَعَهُ دَمْيَانَةُ ، فَحَصَرَ حِصْنَ مَلِيحٍ الْأَرْمَنِيِّ ، ثُمَّ دَخَلَ بَلَدَهُ وَأَحْرَقَهُ. |
| وَفِيهَا دَخَلَ بَغْدَاذَ الْعُطَيْرُ وَالْأَغْبَرُ وَهُمَا مِنْ قُوَّادِ زَكْرَوَيْهِ الْقَرْمَطِيِّ ، دَخَلَا بِالْأَمَانِ ، وَحَجَّ بِالنَّاسِ الْفَضْلُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| وَفِيهَا جَاءَ نَفَرٌ مِنَ الْقَرَامِطَةِ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي سَعِيدٍ الْجَنَّابِيِّ إِلَى بَابِ الْبَصْرَةِ ، وَكَانَ عَلَيْهَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ كُنْدَاجِيقَ ، وَكَانَ وُصُولُهُمْ يَوْمَ الْجُمْعَةِ وَالنَّاسُ فِي الصَّلَاةِ ، فَوَقَعَ الصَّوْتُ بِمَجِيءِ الْقَرَامِطَةِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الْمُوَكَّلُونَ بِحِفْظِ بَابِ الْبَصْرَةِ ، فَرَأَوْا رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِمَا ، فَقَتَلَ الْقَرَامِطَةُ مِنْهُمْ رَجُلًا وَعَادُوا فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي جَمْعٍ ، فَلَمْ يَرَهُمْ ، فَسَيَّرَ فِي أَثَرِهِمْ جَمَاعَةً ، فَأَدْرَكُوهُمْ ، وَكَانُوا نَحْوَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا ، فَقَاتَلُوهُمْ ، فَقُتِلَ بَيْنَهُمْ جَمَاعَةٌ ، وَعَادَ ابْنُ كُنْدَاجِيقَ وَأَغْلَقَ أَبْوَابَ الْبَصْرَةِ ، ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ أُولَئِكَ الْقَرَامِطَةَ كَانُوا مُقَدِّمَةً لِأَصْحَابِهِمْ ، وَكَاتَبَ الْوَزِيرَ بِبَغْدَاذَ يُعَرِّفُهُ وُصُولَ الْقَرَامِطَةِ وَيَسْتَمِدُّهُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ وَلَمْ يَرَ لِلْقَرَامِطَةِ أَثَرًا نَدِمَ عَلَى مَا فَعَلَ ، وَسَيَّرَ إِلَيْهِ مِنْ بَغْدَاذَ عَسْكَرًا مَعَ بَعْضِ الْقُوَّادِ. |
| وَفِيهَا خَالَفَ أَهْلُ طَرَابُلُسَ الْغَرْبِ عَلَى الْمَهْدِيِّ ، عُبَيْدِ اللَّهِ الْعَلَوِيِّ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهَا عَسْكَرًا فَحَاصَرَهَا ، فَلَمْ يَظْفَرْ بِهَا ، فَسَيَّرَ إِلَيْهَا الْمَهْدِيُّ ابْنَهُ أَبَا الْقَاسِمِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَلَاثِمِائَةٍ ، فَحَاصَرَهَا ، وَصَابَرَهَا ، وَاشْتَدَّ فِي الْقِتَالِ ، فَعُدِمَتِ الْأَقْوَاتُ فِي الْبَلَدِ حَتَّى أَكَلَ أَهْلُهُ الْمَيْتَةَ ، فَفَتَحَ الْبَلَدَ عُنْفًا ، وَعَفَا عَنْ أَهْلِهِ ، وَأَخَذَ أَمْوَالًا عَظِيمَةً مِنَ الَّذِينَ أَثَارُوا الْخِلَافَ وَغَرَّمَ أَهْلَ الْبَلَدِ جَمِيعَ مَا أَخْرَجَهُ عَلَى عَسْكَرِهِ ، وَأَخَذَ وُجُوهَ الْبَلَدِ رَهَائِنَ عِنْدَهُ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِ عَامِلًا وَانْصَرَفَ. |
| وَفِيهَا كَانَتْ زَلَازِلُ بِالْقَيْرَوَانِ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا شِدَّةً وَعَظَمَةً ، وَثَارَ أَهْلُ الْقَيْرَوَانِ ، فَقَتَلُوا مِنْ كُتَامَةَ نَحْوَ أَلْفِ رَجُلٍ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ كَيْسَانَ أَبُو الْحَسَنِ النَّحْوِيُّ ، وَكَانَ عَالِمًا بِنَحْوِ الْبَصْرِيِّينَ وَالْكُوفِيِّينَ ، لِأَنَّهُ أَخَذَهُ عَنْ ثَعْلَبٍ وَالْمُبَرِّدِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ السَّرِيِّ الْقَنْطَرِيُّ. |
| وَأَبُو صَالِحٍ الْحَافِظُ ، وَأَبُو عَلِيِّ بْنُ سِيبَوَيْهِ ، وَأَبُو يَعْقُوبَ بْنُ حُنَيْنٍ الطَّبِيبُ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ عَزْلِ الْخَاقَانِيِّ عَنِ الْوِزَارَةِ ، وَوِزَارَةِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى فِي هَذِهِ السَّنَةِ ظَهَرَ لِلْمُقْتَدِرِ تَخْلِيطُ الْخَاقَانِيِّ ، وَعَجْزُهُ فِي الْوِزَارَةِ ، فَأَرَادَ عَزْلَهُ ، وَإِعَادَةَ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفُرَاتِ إِلَى الْوِزَارَةِ ، فَمَنَعَهُ مُؤْنِسٌ الْخَادِمُ عَنِ ابْنِ الْفُرَاتِ لِنُفُورِهِ عَنْهُ لِأُمُورٍ ، مِنْهَا إِنْفَاذُ الْجَيْشِ إِلَى فَارِسَ مَعَ غَيْرِهِ ، وَإِعَادَتُهُ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ ، فَقَالَ لِلْمُقْتَدِرِ مَتَى أَعَدْتَهُ ظَنَّ النَّاسُ أَنَّكَ إِنَّمَا قَبَضْتَ عَلَيْهِ شَرَهًا فِي مَالِهِ ، وَالْمَصْلَحَةُ أَنْ تَسْتَدْعِيَ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى مِنْ مَكَّةَ وَتَجْعَلَهُ وَزِيرًا ، فَهُوَ الْكَافِي الثِّقَةُ ، الصَّحِيحُ الْعَمَلِ ، الْمَتِينُ الدِّينِ. |
| فَأَمَرَ الْمُقْتَدِرُ بِإِحْضَارِهِ ، فَأَنْفَذَ مَنْ يُحْضِرُهُ ، فَوَصَلَ إِلَى بَغْدَاذَ أَوَّلَ سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَجَلَسَ فِي الْوِزَارَةِ ، وَقُبِضَ عَلَى الْخَاقَانِيِّ وَسُلِّمَ إِلَيْهِ ، فَأَحْسَنَ قَبْضَهُ ، وَوَسَّعَ عَلَيْهِ ، وَتَوَلَّى عَلِيُّ بْنُ عِيسَى ، وَلَازَمَ الْعَمَلَ وَالنَّظَرَ فِي الْأُمُورِ ، وَرَدَّ الْمَظَالِمَ ، وَأَطْلَقَ مِنَ الْمُكُوسِ شَيْئًا كَثِيرًا بِمَكَّةَ وَفَارِسَ ، وَأَطْلَقَ الْمَوَاخِيرَ وَالْمُفْسِدَاتِ بِدَوْبَقَ ، وَأَسْقَطَ زِيَادَاتٍ كَانَ الْخَاقَانِيُّ قَدْ زَادَهَا لِلْجُنْدِ ، لِأَنَّهُ عَمِلَ الدَّخْلَ وَالْخَرْجَ ، فَرَأَى الْخَرْجَ أَكْثَرَ ، فَأَسْقَطَ أُولَئِكَ ، وَأَمَرَ بِعِمَارَةِ الْمَسَاجِدِ ، وَتَبْيِيضِهَا وَفَرْشِهَا بِالْحُصْرِ ، وَإِشْعَالِ الْأَضْوَاءِ فِيهَا ، وَأَجْرَى لِلْأَئِمَّةِ ، وَالْقُرَّاءِ ، وَالْمُؤَذِّنِينَ ، أَرْزَاقًا ، وَأَمَرَ بِإِصْلَاحِ الْبِيمَارِسْتَانَاتِ ، وَعَمَلِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمَرْضَى مِنَ الْأَدْوِيَةِ ، وَقَرَّرَ فِيهَا فُضَلَاءَ الْأَطِبَّاءِ ، وَأَنْصَفَ الْمَظْلُومِينَ ، وَأَسْقَطَ مَا زِيدَ فِي خَرَاجِ الضِّيَاعِ ، وَلَمَّا عُزِلَ الْخَاقَانِيُّ أَكْثَرَ النَّاسُ التَّزْوِيرَ عَلَى خَطِّهِ بِمُسَامَحَاتٍ وَإِدَارَاتٍ ، فَنَظَرَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى فِي تِلْكَ الْخُطُوطِ ، فَأَنْكَرَهَا ، وَأَرَادَ إِسْقَاطَهَا ، فَخَافَ ذَمَّ النَّاسِ ، وَرَأَى أَنْ يُنْفِذَهَا إِلَى الْخَاقَانِيِّ لِيُمَيِّزَ الصَّحِيحَ مِنَ الْمُزَوَّرِ عَلَيْهِ ، فَيَكُونَ الذَّمُّ لَهُ ، فَلَمَّا عُرِضَتْ تِلْكَ الْخُطُوطُ عَلَيْهِ ، قَالَ هَذِهِ جَمِيعُهَا خَطِّي وَأَنَا أَمَرْتُ بِهَا ، فَلَمَّا عَادَ الرَّسُولُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ عِيسَى بِذَلِكَ قَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ كَذَبَ ، وَقَدْ عَلِمَ الْمُزَوَّرَ مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَكِنَّهُ اعْتَرَفَ بِهَا لِيَحْمَدَهُ النَّاسُ وَيَذُمُّونِي ، وَأَمَرَ بِهَا فَأُجِيزَتْ. |
| وَقَالَ الْخَاقَانِيُّ لِوَلَدِهِ يَا بُنَيَّ هَذِهِ لَيْسَتْ خَطِّي ، وَلَكِنَّهُ أَنْفَذَهَا إِلَيَّ وَقَدْ عَرَفَ الصَّحِيحَ مِنَ السَّقِيمِ ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ الشَّوْكَ بِأَيْدِينَا ، وَيُبَغِّضَنَا إِلَى النَّاسِ ، وَقَدْ عَكَسْتُ مَقْصُودَهُ. |
| ذِكْرُ خِلَافِ سِجِسْتَانَ وَعَوْدِهَا إِلَى طَاعَةِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ السَّامَانِيِّ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَنْفَذَ الْأَمِيرُ أَبُو نَصْرٍ أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ السَّامَانِيُّ عَسْكَرًا إِلَى سِجِسْتَانَ لِيَفْتَحَهَا ثَانِيًا ، وَكَانَتْ قَدْ عَصَتْ عَلَيْهِ ، وَخَافَ مَنْ بِهَا. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ هُرْمُزَ ، الْمَعْرُوفَ بِالْمَوْلَى الصَّنْدَلِيِّ ، كَانَ خَارِجِيَّ الْمَذْهَبِ ، وَكَانَ قَدْ أَقَامَ بِبُخَارَى وَهُوَ مِنْ أَهْلِ سِجِسْتَانَ ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا ، فَجَاءَ يَوْمًا إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَارِضِ يَطْلُبُ رِزْقَهُ ، فَقَالَ لَهُ إِنَّ الْأَصْلَحَ لِمِثْلِكَ مِنَ الشُّيُوخِ أَنْ يَلْزَمَ رِبَاطًا يَعْبُدُ اللَّهَ فِيهِ ، حَتَّى يُوَافِيَهُ أَجْلُهُ ، فَغَاظَهُ ذَلِكَ ، فَانْصَرَفَ إِلَى سِجِسْتَانَ وَالْوَالِي عَلَيْهَا مَنْصُورُ بْنُ إِسْحَاقَ ، فَاسْتَمَالَ جَمَاعَةً مِنَ الْخَوَارِجِ ، وَدَعَا إِلَى الصَّفَّارِ ، وَبَايَعَ فِي السِّرِّ لِعَمْرِو بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ ، وَكَانَ رَئِيسَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْحَفَّارِ ، وَكَانَ شَدِيدَ الْقُوَّةِ ، فَخَرَجُوا ، وَقَبَضُوا عَلَى مَنْصُورِ بْنِ إِسْحَاقَ أَمِيرِهِمْ وَحَبَسُوهُ فِي سِجْنِ أَرْكٍ وَخَطَبُوا لِعَمْرِو بْنِ يَعْقُوبَ ، وَسَلَّمُوا إِلَيْهِ سِجِسْتَانَ. |
| فَلَمَّا بَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى الْأَمِيرِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ سَيَّرَ الْجُيُوشَ مَعَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، مَرَّةً ثَانِيَةً إِلَى زَرَنْجَ ، فِي سَنَةِ ثَلَاثِمِائَةٍ ، فَحَصَرَهَا تِسْعَةَ أَشْهُرٍ ، فَصَعِدَ يَوْمًا مُحَمَّدُ بْنُ هُرْمُزَ الصَّنْدَلِيُّ إِلَى السُّورِ ، وَقَالَ مَا حَاجَتُكُمْ إِلَى أَذَى شَيْخٍ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلُزُومِ رِبَاطٍ ؟ |
| يُذَكِّرُهُمْ بِمَا قَالَهُ الْعَارِضُ بِبُخَارَى ، وَاتَّفَقَ أَنَّ الصَّنْدَلِيَّ مَاتَ ، فَاسْتَأْمَنَ عَمْرُو بْنُ يَعْقُوبٍ الصَّفَّارُ ، وَابْنُ الْحَفَّارِ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَأَطْلَقُوا عَنْ مَنْصُورِ بْنِ إِسْحَاقَ ، وَكَانَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ يُكْرِمُ ابْنَ الْحَفَّارِ وَيُقَرِّبُهُ ، فَوَاطَأَ ابْنُ الْحَفَّارِ جَمَاعَةً عَلَى الْفَتْكِ بِالْحُسَيْنِ ، فَعَلِمَ الْحُسَيْنُ ذَلِكَ ، وَكَانَ ابْنُ الْحَفَّارِ يَدْخُلُ عَلَى الْحُسَيْنِ ، لَا يُحْجَبُ عَنْهُ ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ يَوْمًا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى سَيْفٍ ، فَأَمَرَ الْحُسَيْنُ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ ، وَأَخَذَهُ مَعَهُ إِلَى بُخَارَى. |
| وَلَمَّا انْتَهَى خَبَرُ فَتْحِ سِجِسْتَانَ إِلَى الْأَمِيرِ أَحْمَدَ اسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا سِيمَجُورَ الدَّوَاتِيَّ ، وَأَمَرَ الْحُسَيْنَ بِالرُّجُوعِ إِلَيْهِ ، فَرَجَعَ وَمَعَهُ عَمْرُو بْنُ يَعْقُوبَ وَابْنُ الْحَفَّارِ وَغَيْرُهُمَا وَكَانَ عَوْدُهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَلَاثِمِائَةٍ ، وَاسْتَعْمَلَ الْأَمِيرُ أَحْمَدُ مَنْصُورًا ابْنَ عَمِّهِ إِسْحَاقَ عَلَى نَيْسَابُورَ وَأَنْفَذَهُ إِلَيْهَا ، وَتُوُفِّيَ ابْنُ الْحَفَّارِ. |
| ذِكْرُ طَاعَةِ أَهْلِ صِقِلِّيَةَ لِلْمُقْتَدِرِ وَعَوْدِهِمْ إِلَى طَاعَةِ الْمَهْدِيِّ الْعَلَوِيِّ قَدْ ذَكَرْنَا سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ اسْتِعْمَالَ الْمَهْدِيِّ عَلِيَّ بْنَ عُمَرَ عَلَى صِقِلِّيَةَ ، فَلَمَّا وَلِيَهَا كَانَ شَيْخًا لَيِّنًا ، فَلَمْ يَرْضَ أَهْلُ صِقِلِّيَةَ بِسِيرَتِهِ ، فَعَزَلُوهُ عَنْهُمْ ، وَوَلَّوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَحْمَدَ بْنَ قَرْهَبَ ، فَلَمَّا وَلِيَ سَيَّرَ سَرِيَّةً إِلَى أَرْضِ قِلُّورِيَةَ ، فَغَنِمُوا مِنْهَا ، وَأَسَرُوا مِنَ الرُّومِ وَعَادُوا. |
| وَأَرْسَلَ سَنَةَ ثَلَاثِمِائَةٍ ابْنَهُ عَلِيًّا إِلَى قَلْعَةِ طَبَرْمِينَ الْمُحْدَثَةِ فِي جَيْشٍ ، وَأَمَرَهُ بِحَصْرِهَا ، وَكَانَ غَرَضُهُ إِذَا مَلَكَهَا أَنْ يَجْعَلَ بِهَا وَلَدَهُ وَأَمْوَالَهُ وَعَبِيدَهُ ، فَإِذَا رَأَى مِنْ أَهْلِ صِقِلِّيَةَ مَا يَكْرَهُ امْتَنَعَ بِهَا ، فَحَصَرَهَا ابْنُهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ اخْتَلَفَ الْعَسْكَرُ عَلَيْهِ ، وَكَرِهُوا الْمُقَامَ ، فَأَحْرَقُوا خَيْمَتَهُ ، وَسَوَادَ الْعَسْكَرِ ، وَأَرَادُوا قَتْلَهُ ، فَمَنَعَهُمُ الْعَرَبُ. |
| وَدَعَا أَحْمَدُ بْنُ قَرْهَبَ النَّاسَ إِلَى طَاعَةِ الْمُقْتَدِرِ ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَخَطَبَ لَهُ بِصِقِلِّيَةَ ، وَقَطَعَ خُطْبَةَ الْمَهْدِيِّ ، وَأَخْرَجَ ابْنُ قَرْهَبَ جَيْشًا فِي الْبَحْرِ إِلَى سَاحِلِ إِفْرِيقِيَّةَ ، فَلَقُوا هُنَاكَ أُسْطُولَ الْمَهْدِيِّ وَمُقَدَّمَهُ الْحَسَنَ بْنَ أَبِي خِنْزِيرٍ ، فَأَحْرَقُوا الْأُسْطُولَ ، وَقَتَلُوا الْحَسَنَ ، وَحَمَلُوا رَأْسَهُ إِلَى ابْنِ قَرْهَبَ ، وَسَارَ الْأُسْطُولُ الصِّقِلِّيُّ إِلَى مَدِينَةِ سَفَاقُسَ ، فَخَرَّبُوهَا ، وَسَارُوا إِلَى طَرَابُلُسَ ، فَوَجَدُوا فِيهَا الْقَائِمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ ، فَعَادُوا. |
| وَوَصَلَتِ الْخِلَعُ السُّودُ وَالْأَلْوِيَةُ إِلَى ابْنِ قَرْهَبَ مِنَ الْمُقْتَدِرِ ، ثُمَّ أَخْرَجَ مَرَاكِبَ فِيهَا جَيْشٌ إِلَى قِلُّورِيَةَ ، فَغَنِمَ جَيْشُهُ ، وَخَرَّبُوا وَعَادُوا ، وَسَيَّرَ أَيْضًا أُسْطُولًا إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِ أُسْطُولُ الْمَهْدِيِّ ، فَظَفِرُوا بِالَّذِي لِابْنِ قَرْهَبَ وَأَخَذُوهُ ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ بَعْدَ ذَلِكَ لِابْنِ قَرْهَبَ حَالٌ ، وَأَدْبَرَ أَمْرُهُ ، وَطَمِعَ فِيهِ النَّاسُ ، وَكَانُوا يَخَافُونَهُ. |
| وَخَافَ مِنْهُ أَهْلُ جَرْجَنْتَ ، وَعَصَوْا أَمْرَهُ ، وَكَاتَبُوا الْمَهْدِيَّ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَهْلُ الْبِلَادِ كَاتَبُوا الْمَهْدِيَّ أَيْضًا ، وَكَرِهُوا الْفِتْنَةَ ، وَثَارُوا بِابْنِ قَرْهَبَ ، وَأَخَذُوهُ أَسِيرًا سَنَةَ ثَلَاثِمِائَةٍ وَحَبَسُوهُ ، وَأَرْسَلُوهُ إِلَى الْمَهْدِيِّ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ خَاصَّتِهِ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ عَلَى قَبْرِ ابْنِ خِنْزِيرٍ ، فَقُتِلُوا ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى صِقِلِّيَةَ أَبَا سَعِيدٍ مُوسَى بْنَ أَحْمَدَ ، وَسَيَّرَ مَعَهُ جَمَاعَةً كَثِيرَةً مِنْ شُيُوخِ كُتَامَةَ ، فَوَصَلُوا إِلَى طَرَابُنُشَ. |
| وَسَبَبُ إِرْسَالِ الْعَسْكَرِ مَعَهُ أَنَّ ابْنَ قَرْهَبَ كَانَ قَدْ كَتَبَ إِلَى الْمَهْدِيِّ يَقُولُ لَهُ إِنَّ أَهْلَ صِقِلِّيَةَ يُكْثِرُونَ الشَّغَبَ عَلَى أُمَرَائِهِمْ ، وَلَا يُطِيعُونَهُمْ ، وَيَنْهَبُونَ أَمْوَالَهُمْ ، وَلَا يَزُولُ ذَلِكَ إِلَّا بِعَسْكَرٍ يَقْهَرُهُمْ وَيُزِيلُ الرِّئَاسَةَ عَنْ رُؤَسَائِهِمْ ، فَفَعَلَ الْمَهْدِيُّ ذَلِكَ ، فَلَمَّا وَصَلَ مَعَهُ الْعَسْكَرُ خَافَ مِنْهُ أَهْلُ صِقِلِّيَةَ ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ جَرْجَنْتَ وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ وَغَيْرُهَا ، فَتَحَصَّنَ مِنْهُمْ أَبُو سَعِيدٍ وَعَمِلَ عَلَى نَفْسِهِ سُورًا إِلَى الْبَحْرِ ، وَصَارَ الْمَرْسَى مَعَهُ فَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ أَهْلُ صِقِلِّيَةَ ، وَقُتِلَ جَمَاعَةٌ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ ، وَأُسِرَ جَمَاعَةٌ وَطَلَبَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ الْأَمَانَ ، فَأَمَّنَهُمْ إِلَّا رَجُلَيْنِ هُمَا أَثَارَا الْفِتْنَةَ ، فَرَضُوا بِذَلِكَ وَتَسَلَّمَ الرَّجُلَيْنِ ، وَسَيَّرَهُمَا إِلَى الْمَهْدِيِّ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، وَتَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ، وَهَدَمَ أَبْوَابَهَا ، وَأَتَاهُ كِتَابُ الْمَهْدِيِّ يَأْمُرُهُ بِالْعَفْوِ عَنِ الْعَامَّةِ. |
| ذِكْرُ وَفَاةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ وَوِلَايَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَاكِمِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْأُمَوِيُّ ، صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَكَانَ عُمْرُهُ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَكَانَ أَبْيَضَ ، أَصْهَبَ ، أَزْرَقَ ، رَبْعَةً ، يَخْضِبُ بِالسَّوَادِ ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا ، وَخَلَّفَ أَحَدَ عَشَرَ وَلَدًا ذَكَرًا ، أَحَدُهُمْ مُحَمَّدٌ الْمَقْتُولُ ، قَتَلَهُ فِي حَدٍّ مِنَ الْحُدُودِ ، وَهُوَ وَالِدُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ. |
| وَلَمَّا تُوُفِّيَ وَلِي بَعْدَهُ ابْنُ ابْنِهِ هَذَا مُحَمَّدٍ ، وَاسْمُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَاكِمِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّاخِلِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ابْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَاكِمِ الْأُمَوِيُّ ، وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ تُسَمَّى مُزْتَةُ ، وَكَانَ عُمْرُهُ لَمَّا قُتِلَ أَبُوهُ عِشْرِينَ يَوْمًا. |
| وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ مِنَ الْمُسْتَطْرَفِ لِأَنَّهُ كَانَ شَابًّا ، وَبِالْحَضْرَةِ أَعْمَامُهُ وَأَعْمَامُ أَبِيهِ ، فَلَمْ يَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ ، وَوُلِّيَ الْإِمَارَةَ وَالْبِلَادَ كُلَّهَا ، وَقَدِ اخْتَلَفَ عَلَيْهِمْ قَبْلَهُ ، وَامْتَنَعَ حُصُونٌ بِكَوْرَةِ رَيَّةَ وَحِصْنِ بُبَشْتَرَ فَحَارَبَهُ ، حَتَّى صَلَحَتِ الْبِلَادُ بِنَاحِيَتِهِ ، وَكَانَ مَنْ بِطُلَيْطِلَةَ أَيْضًا قَدْ خَالَفُوا ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى عَادُوا إِلَى الطَّاعَةِ ، وَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُ الْمُخَالِفِينَ حَتَّى أَذْعَنُوا لَهُ ، وَأَطَاعُوا نَيِّفًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ، فَاسْتَقَامَتِ الْبِلَادُ ، وَأَمِنَتْ فِي دَوْلَتِهِ ، وَمَضَى لِحَالِ سَبِيلِهِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُزِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمِسْمَعِيُّ عَنْ فَارِسَ وَكَرْمَانَ وَاسْتُعْمِلَ عَلَيْهَا بَدْرٌ الْحَمَّامِيُّ ، وَكَانَ بَدْرٌ يَتَقَلَّدُ أَصْبَهَانَ ، وَاسْتُعْمِلَ بَعْدَهُ عَلَى أَصْبَهَانَ عَلِيُّ بْنُ وَهْسُوذَانَ الدَّيْلَمَيُّ. |
| وَفِيهَا وَرَدَ الْخَبَرُ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَرَسُولٌ مِنْ عَامِلِ بَرْقَةَ ، وَهِيَ مِنْ عَمَلِ مِصْرَ وَمَا بَعْدَهَا بِأَرْبَعَةِ فَرَاسِخَ لِمِصْرَ وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ عَمَلِ الْمَغْرِبِ بِخَبَرِ خَارِجِيٍّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ ، وَأَنَّهُمْ ظَفِرُوا بِهِ وَبِعَسْكَرِهِ ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَوَصَلَ عَلَى يَدِ الرَّسُولِ مِنْ أُنُوفِهِمْ وَآذَانِهِمْ شَيْءٌ كَثِيرٌ . |
| وَفِيهَا كَثُرَتِ الْأَمْرَاضُ وَالْعِلَلُ بِبَغْدَاذَ. |
| وَفِيهَا كَلِبَتِ الْكِلَابُ وَالذِّئَابُ بِالْبَادِيَةِ ، فَأَهْلَكَتْ خَلْقًا كَثِيرًا. |
| وَفِيهَا وُلِّيَ بِشْرٌ الْأَفْشِينِيُّ طَرَسُوسَ. |
| وَفِيهَا قُلِّدَ مُؤْنِسٌ الْمُظَفَّرُ الْحَرَمَيْنِ وَالثُّغُورَ. |
| وَفِيهَا انْقَضَّتِ الْكَوَاكِبُ انْقِضَاضًا كَثِيرًا إِلَى جِهَةِ الْمَشْرِقِ . |
| وَفِيهَا مَاتَ إِسْكَنْدَرُوسُ بْنُ لَاوِنَ مَلِكُ الرُّومِ ، وَمَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ ، وَاسْمُهُ قُسْطَنْطِينُ ، وَعُمْرُهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَارُودِيُّ ، وَقِيلَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ وَهُوَ الصَّحِيحُ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَحْمَدُ بْنُ يَعْقُوبَ ابْنُ أَخِي الْعَرَقِ الْمُقْرِئِ ، وَالْحُسَيْنُ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَبِي الْأَحْوَصِ ، وَعَلِيُّ بْنُ طَيْفُورَ النَّشَوِيُّ ، وَأَبُو عُمَرَ الْقَتَّاتُ. |
| وَفِيهَا ، فِي رَبِيعٍ الْآخَرِ ، تُوُفِّيَ يَحْيَى بْنُ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى الْمُنَجِّمُ الْمَعْرُوفُ بِالنَّدِيمِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَثَلَاثِمِائَةٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خُلِعَ عَلَى الْأَمِيرِ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ ، وَقُلِّدَ أَعْمَالَ مِصْرَ وَالْمَغْرِبِ ، وَعُمْرُهُ أَرْبَعُ سِنِينَ ، وَاسْتُخْلِفَ لَهُ عَلَى مِصْرَ مُؤْنِسٌ الْخَادِمُ. |
| وَأَبُو الْعَبَّاسِ هَذَا هُوَ الَّذِي وَلِيَ الْخِلَافَةَ بَعْدَ الْقَاهِرِ بِاللَّهِ ، وَلُقِّبَ بِالرَّاضِي بِاللَّهِ. |
| وَخُلِعَ أَيْضًا عَلَى الْأَمِيرِ عَلِيِّ بْنِ الْمُقْتَدِرِ ، وَوَلِيَ الرَّيَّ ، وَدُنْبَاوَنْدَ ، وَقَزْوِينَ وَزَنْجَانَ ، وَأَبْهَرَ. |
| وَفِيهَا أُحْضِرَ بِدَارِ عِيسَى رَجُلٌ يُعْرَفُ بِالْحَلَّاجِ وَيُكَنَّى أَبَا مُحَمَّدٍ ، وَكَانَ مُشَعْبِذًا فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ ، وَصَاحِبَ حَقِيقَةٍ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ ، وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ ، فَقِيلَ إِنَّهُ يَدَّعِي الرُّبُوبِيَّةَ ، وَصُلِبَ هُوَ وَصَاحِبُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، كُلَّ يَوْمٍ مِنْ بُكْرَةٍ إِلَى انْتِصَافِ النَّهَارِ ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِمَا إِلَى الْحَبْسِ ، وَسَنَذْكُرُ أَخْبَارَهُ وَاخْتِلَافَ النَّاسِ فِيهِ عِنْدَ صَلْبِهِ. |
| وَفِيهَا ، فِي صَفَرٍ ، عُزِلَ أَبُو الْهَيْجَاءِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمْدَانَ عَنِ الْمَوْصِلِ ، وَقُلِّدَ يُمْنٌ الطُّولُونِيُّ الْمَعُونَةَ بِالْمَوْصِلِ ، ثُمَّ صُرِفَ عَنْهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَاسْتُعْمِلَ عَلَيْهَا نِحْرِيرٌ الْخَادِمُ الصَّغِيرُ. |
| وَفِيهَا خَالَفَ أَبُو الْهَيْجَاءِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمْدَانَ عَلَى الْمُقْتَدِرِ فَسُيِّرَ إِلَيْهِ مُؤْنِسٌ الْمُظَفَّرُ وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِ بُنِّيُّ بْنُ نَفِيسٍ ، خَرَجَ إِلَى الْمَوْصِلِ مُنْتَصَفَ صَفَرٍ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْقُوَّادِ ، وَخَرَجَ مُؤْنِسٌ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، فَلَمَّا عَلِمَ أَبُو الْهَيْجَاءِ بِذَلِكَ قَصَدَ مُؤْنِسًا مُسْتَأْمِنًا مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ ، وَوَرَدَ مَعَهُ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَخَلَعَ الْمُقْتَدِرُ عَلَيْهِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ دَمْيَانَةُ أَمِيرُ الثُّغُورِ وَبَحْرِ الرُّومِ ، وَقُلِّدَ مَكَانَهُ ابْنُ بُلْكَ. |
| ذِكْرُ قَتَلِ الْأَمِيرِ أَبِي نَصْرٍ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ السَّامَانِيِّ وَوِلَايَةِ وَلَدِهِ نَصْرٍ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ الْأَمِيرُ أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ السَّامَانِيُّ صَاحِبُ خُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءِ النَّهْرِ ، وَكَانَ مُولَعًا بِالصَّيْدِ ، فَخَرَجَ إِلَى فِرَبْرَ مُتَصَيِّدًا ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَمَرَ بِإِحْرَاقِ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ عَسْكَرُهُ ، وَانْصَرَفَ ، فَوَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُ نَائِبِهِ بِطَبَرِسْتَانَ ، وَهُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ صُعْلُوكٌ ، وَكَانَ يَلِيهَا بَعْدَ وَفَاةِ ابْنِ نُوحٍ بِهَا ، يُخْبِرُهُ بِظُهُورِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْعَلَوِيِّ الْأُطْرُوشِ بِهَا ، وَتَغَلُّبِهِ عَلَيْهَا ، وَأَنَّهُ أَخْرَجَهُ عَنْهَا ، فَغَمَّ ذَلِكَ أَحْمَدَ ، وَعَادَ إِلَى مُعَسْكَرِهِ الَّذِي أَحْرَقَهُ فَنَزَلَ عَلَيْهِ فَتَطَيَّرَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ. |
| وَكَانَ لَهُ أَسَدٌ يَرْبُطُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ عَلَى بَابِ مَبِيتِهِ ، فَلَا يَجْسُرُ أَحَدٌ أَنْ يَقْرَبَهُ ، فَأَغْفَلُوا إِحْضَارَ الْأَسَدِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ غِلْمَانِهِ ، فَذَبَحُوهُ عَلَى سَرِيرِهِ وَهَرَبُوا ، وَكَانَ قَتْلُهُ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَحُمِلَ إِلَى بُخَارَى فَدُفِنَ بِهَا ، وَلُقِّبَ حِينَئِذٍ بِالشَّهِيدِ وَطُلِبَ أُولَئِكَ الْغِلْمَانُ ، فَأُخِذَ بَعْضُهُمْ فَقُتِلَ. |
| وَوَلِيَ الْأَمْرَ بَعْدَهُ وَلَدُهُ أَبُو الْحَسَنِ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ ، وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِي سِنِينَ وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ ثَلَاثِينَ سَنَةً وَثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ يَوْمًا ، وَكَانَ مَوْتُهُ فِي رَجَبٍ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَلُقِّبَ بِالسَّعِيدِ ، وَبَايَعَهُ أَصْحَابُ أَبِيهِ بِبُخَارَى بَعْدَ دَفْنِ أَبِيهِ وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى ذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ اللَّيْثِ ، وَكَانَ مُتَوَلِّي أَمْرِ بُخَارَى فَحَمَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ ، وَبَايَعَ لَهُ النَّاسَ ، وَلَمَّا حَمَلَهُ خَدَمُ أَبِيهِ لِيَظْهَرَ لِلنَّاسِ خَافَهُمْ ، وَقَالَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي كَمَا قَتَلْتُمْ أَبِي ؟ |
| فَقَالُوا لَا إِنَّمَا نُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مَوْضِعَ أَبِيكَ أَمِيرًا ، فَسَكَنَ رُوعُهُ. |
| وَاسْتَصْغَرَ النَّاسُ نَصْرًا ، وَاسْتَضْعَفُوهُ ، وَظَنُّوا أَنَّ أَمْرَهُ لَا يَنْتَظِمُ مَعَ قُوَّةِ عَمِّ أَبِيهِ الْأَمِيرِ إِسْحَاقَ بْنِ أَحْمَدَ ، وَهُوَ شَيْخُ السَّامَانِيَّةِ ، وَهُوَ صَاحِبُ سَمَرْقَنْدَ وَمَيْلُ النَّاسِ بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ سِوَى بُخَارَى إِلَيْهِ وَإِلَى أَوْلَادِهِ ، وَتَوَلَّى تَدْبِيرَ دَوْلَةِ السَّعِيدِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْجَيْهَانِيُّ ، فَأَمْضَى الْأُمُورَ وَضَبَطَ الْمَمْلَكَةَ ، وَاتَّفَقَ هُوَ وَحَشَمُ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ عَلَى تَدْبِيرِ الْأَمْرِ فَأَحْكَمُوهُ وَمَعَ هَذَا ، فَإِنَّ أَصْحَابَ الْأَطْرَافِ طَمِعُوا فِي الْبِلَادِ ، فَخَرَجُوا مِنَ النَّوَاحِي عَلَى مَا نَذْكُرُهُ. |
| فَمِمَّنْ خَرَجَ عَنْ طَاعَتِهِ أَهْلُ سِجِسْتَانَ ، وَعَمُّ أَبِيهِ إِسْحَاقُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَسَدٍ بِسَمَرْقَنْدَ ، وَابْنَاهُ مَنْصُورٌ وَإِلْيَاسُ ابْنَا إِسْحَاقَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مَتٍّ ، وَأَبُو الْحَسَنِ بْنُ يُوسُفَ ، وَالْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَرْوَرُوذِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ حَيْدٍ وَأَحْمَدُ بْنُ سَهْلٍ ، وَلَيْلَى بْنُ نُعْمَانَ صَاحِبُ الْعَلَوِيِّينَ بِطَبَرِسْتَانَ ، وَوَقَّعَهُ سِيمَجُورُ مَعَ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ النَّاصِرِ ، وَقُرَاتِكِينَ ، وَمَاكَانَ بْنُ كَالِيَّ وَخَرَجَ عَلَيْهِ إِخْوَتُهُ يَحْيَى وَمَنْصُورٌ وَإِبْرَاهِيمُ ، أَوْلَادُ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، وَابْنُ دَاوُدَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِلْيَاسَ ، وَنَصْرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَتٍّ ، وَمَرْدَاوِيجُ وَوَشْمَكِيرُ ابْنَا زَيَّارَ ، وَكَانَ السَّعِيدُ مُظَفَّرًا مَنْصُورًا عَلَيْهِمْ. |
| ذِكْرُ أَمْرِ سِجِسْتَانَ وَلَمَّا قُتِلَ الْأَمِيرُ أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ خَالَفَ أَهْلُ سِجِسْتَانَ عَلَى وَلَدِهِ نَصْرٍ وَانْصَرَفَ عَنْهَا سِيمَجُورُ الدَّوَاتِيُّ ، فَوَلَّاهَا الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ بَدْرًا الْكَبِيرَ ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهَا الْفَضْلَ بْنَ حُمَيْدٍ ، وَأَبَا يَزِيدَ خَالِدَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيَّ ، وَكَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ الْجَيْهَانِيُّ بِبُسْتَ ، وَالرُّخَّجِ ، وَسَعْدٌ الطَّالْقَانِيُّ بِغَزْنَةَ مِنْ جِهَةِ السَّعِيدِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ ، فَقَصَدَهُمَا الْفَضْلُ وَخَالِدٌ ، وَانْكَشَفَ عَنْهُمَا عُبَيْدُ اللَّهِ ، وَقَبَضَا عَلَى سَعْدٍ الطَّالْقَانِيُّ وَأَنْفَذَاهُ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَاسْتَوْلَى الْفَضْلُ وَخَالِدٌ عَلَى غَزْنَةَ وَبُسْتَ ثُمَّ اعْتَلَّ الْفَضْلُ ، وَانْفَرَدَ خَالِدٌ بِالْأُمُورِ ، وَعَصَى عَلَى الْخَلِيفَةِ ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ دَرَكًا أَخَا نَجَحٍ الطُّولُونِيِّ ، فَقَاتَلَهُ فَهَزَمَهُ خَالِدٌ. |
| وَسَارَ خَالِدٌ إِلَى كَرْمَانَ ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ بَدْرٌ جَيْشًا ، فَقَاتَلَهُمْ خَالِدٌ ، فَجُرِحَ ، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ ، وَأُخِذَ هُوَ أَسِيرًا ، فَمَاتَ ، فَحُمِلَ رَأْسُهُ إِلَى بَغْدَاذَ. |
| ذِكْرُ خُرُوجِ إِسْحَاقَ بْنِ أَحْمَدَ وَابْنِهِ إِلْيَاسَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَهِيَ إِحْدَى وَثَلَاثِمِائَةٍ ، خَرَجَ عَلَى السَّعِيدِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَمُّ أَبِيهِ إِسْحَاقُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَسَدٍ وَابْنُهُ إِلْيَاسُ ، وَكَانَ إِسْحَاقُ بِسَمَرْقَنْدَ لَمَّا قُتِلَ أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، وَوَلِيَ ابْنُهُ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ عَصَى بِهَا ، وَقَامَ ابْنُهُ إِلْيَاسُ يَأْمُرُ الْجَيْشَ ، وَقَوِيَ أَمْرُهُمَا ، فَسَارُوا نَحْوَ بُخَارَى ، فَسَارَ إِلَيْهِ حَمُّوَيْهِ بْنُ عَلِيٍّ فِي عَسْكَرٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَ إِسْحَاقُ إِلَى سَمَرْقَنْدَ ، ثُمَّ جَمَعَ وَعَادَ مَرَّةً ثَانِيَةً ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَ إِسْحَاقُ أَيْضًا ، وَتَبِعَهُ حَمُّوَيْهِ إِلَى سَمَرْقَنْدَ فَمَلَكَهَا قَهْرًا. |
| وَاخْتَفَى إِسْحَاقُ ، وَطَلَبَهُ حَمُّوَيْهِ ، وَوَضَعَ عَلَيْهِ الْعُيُونَ وَالرَّصَدَ ، فَضَاقَ بِإِسْحَاقَ مَكَانُهُ ، فَأَظْهَرَ نَفْسَهُ ، وَاسْتَأْمَنَ إِلَى حَمُّوَيْهِ فَأَمَّنَهُ وَحَمَلَهُ إِلَى بُخَارَى فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ. |
| وَأَمَّا ابْنُهُ إِلْيَاسُ فَإِنَّهُ سَارَ إِلَى فَرْغَانَةَ ، وَبَقِيَ بِهَا إِلَى أَنْ خَرَجَ ثَانِيًا. |
| ذِكْرُ ظُهُورِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْأُطْرُوشِ وَفِيهَا اسْتَوْلَى الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَى طَبَرِسْتَانَ ، وَكَانَ يُلَقَّبُ بِالنَّاصِرِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ظُهُورِهِ مَا نَذْكُرُهُ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِيمَا تَقَدَّمَ عِصْيَانَ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، وَهَرَبَهُ مِنْهُ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ ، ثُمَّ إِنَّ الْأَمِيرَ أَحْمَدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ اسْتَعْمَلَ عَلَى طَبَرِسْتَانَ أَبَا الْعَبَّاسِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ نُوحٍ ، فَأَحْسَنَ فِيهِمُ السِّيرَةَ ، وَعَدَلَ فِيهِمْ ، وَأَكْرَمَ مَنْ بِهَا مِنَ الْعَلَوِيِّينَ ، وَبَالَغَ فِي الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَرَاسَلَ رُؤَسَاءَ الدَّيْلَمِ ، وَهَادَاهُمْ ، وَاسْتَمَالَهُمْ. |
| وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْأُطْرُوشُ قَدْ دَخَلَ الدَّيْلَمَ بَعْدَ قَتْلِ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ ، وَأَقَامَ بَيْنَهُمْ نَحْوَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَيَقْتَصِرُ مِنْهُمْ عَلَى الْعُشْرِ ، وَيُدَافِعُ عَنْهُمُ ابْنُ حَسَّانَ مَلِكُهُمْ فَأَسْلَمَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ، وَبَنَى فِي بِلَادِهِمْ ، مَسَاجِدَ. |
| وَكَانَ لِلْمُسْلِمِينَ بِإِزَائِهِمْ ثُغُورٌ مِثْلُ قَزْوِينُ ، وَسَالُوسُ ، وَغَيْرُهُمَا وَكَانَ بِمَدِينَةِ سَالُوسَ حِصْنٌ مَنِيعٌ قَدِيمٌ ، فَهَدَمَهُ الْأُطْرُوشُ حِينَ أَسْلَمَ الدَّيْلَمُ وَالْجِيلُ ، ثُمَّ إِنَّهُ جَعَلَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْخُرُوجِ مَعَهُ إِلَى طَبَرِسْتَانَ ، فَلَا يُجِيبُونَهُ إِلَى ذَلِكَ لِإِحْسَانِ ابْنِ نُوحٍ ، فَاتَّفَقَ أَنَّ الْأَمِيرَ أَحْمَدَ عَزَلَ ابْنَ نُوحٍ عَنْ طَبَرِسْتَانَ وَوَلَّاهُمَا سَلَّامًا ، فَلَمْ يُحْسِنْ سِيَاسَةَ أَهْلِهَا ، وَهَاجَ عَلَيْهِ الدَّيْلَمُ ، فَقَاتَلَهُمْ وَهَزَمَهُمْ ، وَاسْتَقَالَ عَنْ وِلَايَتِهَا ، فَعَزَلَهُ الْأَمِيرُ أَحْمَدُ ، وَأَعَادَ إِلَيْهَا ابْنَ نُوحٍ ، فَصَلَحَتِ الْبِلَادُ مَعَهُ. |
| ثُمَّ إِنَّهُ مَاتَ بِهَا ، وَاسْتُعْمِلَ عَلَيْهَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ صُعْلُوكٌ ، فَغَيَّرَ رُسُومَ ابْنَ نُوحٍ ، وَأَسَاءَ السِّيرَةَ ، وَقَطَعَ عَنْ رُؤَسَاءَ الدَّيْلَمِ مَا كَانَ يُهْدِيهِ إِلَيْهِمُ ابْنُ نُوحٍ ، فَانْتَهَزَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْفُرْصَةَ ، وَهَيَّجَ الدَّيْلَمَ عَلَيْهِ وَدَعَاهُمْ إِلَى الْخُرُوجِ مَعَهُ ، فَأَجَابُوهُ وَخَرَجُوا مَعَهُ ، وَقَصَدَهُمْ صُعْلُوكٌ فَالْتَقَوْا بِمَكَانٍ يُسَمَّى نَوْرُوزَ وَهُوَ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ ، عَلَى يَوْمٍ مِنْ سَالُوسَ ، فَانْهَزَمَ ابْنُ صُعْلُوكٍ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ نَحْوُ أَرْبَعَةِ آلَافِ رَجُلٍ ، وَحَصَرَ الْأُطْرُوشُ الْبَاقِينَ ثُمَّ أَمَّنَهُمْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِ ، فَأَمَّنَهُمْ وَعَادَ عَنْهُمْ إِلَى آمُلَ وَانْتَهَى إِلَيْهِمُ الْحَسَنُ بْنُ الْقَاسِمِ الدَّاعِي الْعَلَوِيُّ ، وَكَانَ خَتَنَ الْأُطْرُوشِ ، فَقَتَلَهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَمَّنَهُمْ ، وَلَا عَاهَدَهُمْ وَاسْتَوْلَى الْأُطْرُوشُ عَلَى طَبَرِسْتَانَ. |
| وَخَرَجَ صُعْلُوكٌ إِلَى الرَّيِّ ، وَذَلِكَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِمِائَةٍ ، ثُمَّ سَارَ مِنْهَا إِلَى بَغْدَاذَ وَكَانَ الْأُطْرُوشُ قَدْ أَسْلَمَ عَلَى يَدِهِ مِنَ الدَّيْلَمِ الَّذِينَ هُمْ وَرَاءَ أَسْفِيدَرُوذَ إِلَى نَاحِيَةِ آمُلَ ، وَهُمْ يَذْهَبُونَ مَذْهَبَ الشِّيعَةِ. |
| وَكَانَ الْأُطْرُوشُ زِيْدِيَّ الْمَذْهَبِ ، شَاعِرًا مُفُلِّقًا ، ظَرِيفًا ، عَلَّامَةً ، إِمَامًا فِي الْفِقْهِ وَالدِّينِ ، كَثِيرَ الْمُجُونِ ، حَسَنَ النَّادِرَةِ. |
| حُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ عَلَى جُرْجَانَ ، وَكَانَ يُرْمَى بِالْأُبْنَةِ ، فَاسْتَعْجَزَهُ الْحَسَنُ يَوْمًا فِي شُغْلٍ لَهُ وَأَنْكَرَهُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ! |
| أَنَا أَحْتَاجُ إِلَى رِجَالٍ أَجْلَادٍ يُعِينُونَنِي ، فَقَالَ قَدْ بَلَغَنِي ذَلِكَ. |
| وَكَانَ سَبَبُ صَمَمِهِ أَنَّهُ ضُرِبَ عَلَى رَأْسِهِ بِسَيْفٍ فِي حَرْبِ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ فَطَرِشَ ، وَكَانَ لَهُ مِنَ الْأَوْلَادِ أَبُو الْحَسَنِ ، وَأَبُو الْقَاسِمِ ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ ، فَقَالَ يَوْمًا لِابْنِهِ أَبِي الْحَسَنِ يَا بُنَيَّ! |
| هَاهُنَا شَيْءٌ مِنَ الْغِرَاءِ نَلْصِقُ بِهِ كَاغِدًا ؟ |
| فَقَالَ لَا ، إِنَّمَا هَاهُنَا بِالْخَاءِ ، فَحَقَدَهَا عَلَيْهِ ، وَلَمْ يُوَلِّهِ شَيْئًا ، وَوَلَّى ابْنَيْهِ أَبَا الْقَاسِمِ ، وَأَبَا الْحُسَيْنِ ، وَكَانَ أَبُو الْحَسَنِ يُنْكِرُ تَرْكَهُ مَعْزُولًا ، وَيَقُولُ أَنَا أَشْرَفُ مِنْهُمَا لِأَنَّ أُمِّي حَسَنِيَّةٌ ، وَأُمَّهُمَا أَمَةٌ. |
| وَكَانَ أَبُو الْحَسَنِ شَاعِرًا ، وَلَهُ مُنَاقَضَاتٌ مَعَ ابْنِ الْمُعْتَزِّ ، وَلَحِقَ أَبُو الْحَسَنِ بِابْنِ أَبِي السَّاجِ ، فَخَرَجَ مَعَهُ يَوْمًا مُتَصَيِّدًا ، فَسَقَطَ عَنْ دَابَّتِهِ فَبَقِيَ رَاجِلًا ، فَمَرَّ بِهِ ابْنُ أَبِي السَّاجِ فَقَالَ لَهُ ارْكَبْ مَعِي عَلَى دَابَّتِي! |
| فَقَالَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ لَا يَصْلُحُ بَطَلَانِ عَلَى دَابَّةٍ. |
| ذِكْرُ الْقَرَامِطَةِ وَقَتْلِ الْجَنَّابِيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ أَبُو سَعِيدٍ الْحَسَنُ بْنُ بَهْرَامَ الْجَنَّابِيُّ كَبِيرُ الْقَرَامِطَةِ قَتَلَهُ خَادِمٌ لَهُ صَقْلَبِيٌّ فِي الْحَمَّامِ ، فَلَمَّا قَتَلَهُ اسْتَدْعَى رَجُلًا مِنْ أَكَابِرِ رُؤَسَائِهِمْ وَقَالَ لَهُ السَّيِّدُ يَسْتَدْعِيكَ ، فَلَمَّا دَخَلَ قَتَلَهُ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ ، مِنْ رُؤَسَائِهِمْ ، وَاسْتَدْعَى الْخَامِسَ ، فَلَمَّا دَخَلَ فَطِنَ لِذَلِكَ ، فَأَمْسَكَ بِيَدِ الْخَادِمِ وَصَاحَ ، فَدَخَلَ النَّاسُ ، وَصَاحَ النِّسَاءُ ، وَجَرَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْخَادِمِ مُنَاظَرَاتٌ ثُمَّ قَتَلُوهُ. |
| وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ قَدْ عَهِدَ إِلَى ابْنِهِ سَعِيدٍ ، وَهُوَ الْأَكْبَرُ ، فَعَجَزَ عَنِ الْأَمْرِ ، فَغَلَبَهُ أَخُوهُ الْأَصْغَرُ أَبُو طَاهِرٍ سُلَيْمَانُ ، وَكَانَ شَهْمًا شُجَاعًا ، وَيَرِدُ مِنْ أَخْبَارِهِ مَا يُعْلَمُ بِهِ مَحَلُّهُ. |
| وَلَمَّا قُتِلَ أَبُو سَعِيدٍ كَانَ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَى هَجَرَ وَالْإِحْسَاءِ وَالْقَطِيفِ وَالطَّائِفِ ، وَسَائِرِ بِلَادِ الْبَحْرَيْنِ ، وَكَانَ الْمُقْتَدِرُ قَدْ كَتَبَ إِلَى أَبِي سَعِيدٍ كِتَابًا لَيِّنًا فِي مَعْنَى مَنْ عِنْدَهُ مِنْ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ ، وَيُنَاظِرُهُ ، وَيُقِيمُ الدَّلِيلَ عَلَى فَسَادِ مَذْهَبِهِ ، وَنَفَّذَهُ مَعَ الرُّسُلِ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى الْبَصْرَةِ بَلَغَهُمْ خَبَرُ مَوْتِهِ فَأَعْلَمُوا الْخَلِيفَةَ بِذَلِكَ ، فَأَمَرَهُمْ بِالْمَسِيرِ إِلَى وَلَدِهِ ، فَأَتَوْا أَبَا طَاهِرٍ بِالْكِتَابِ فَأَكْرَمَ الرُّسُلَ ، وَأَطْلَقَ الْأَسْرَى ، وَنَفَّذَهُمْ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَأَجَابَ عَنِ الْكِتَابِ. |
| ذِكْرُ مَسِيرِ جَيْشِ الْمَهْدِيِّ إِلَى مِصْرَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ جَهَّزَ الْمَهْدِيُّ الْعَسَاكِرَ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَسَيَّرَهَا مَعَ وَلَدِهِ أَبِي الْقَاسِمِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فَسَارُوا إِلَى بُرْقَةَ ، وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا فِي ذِي الْحِجَّةِ ، وَسَارُوا إِلَى مِصْرَ ، فَمَلَكَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ وَالْفَيُّومَ ، وَصَارَ فِي يَدِهِ أَكْثَرُ الْبِلَادِ ، وَضَيَّقَ عَلَى أَهْلِهَا ، فَسَيَّرَ إِلَيْهَا الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ مُؤْنِسًا الْخَادِمَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ فَحَارَبَهُمْ وَأَجْلَاهُمْ عَنْ مِصْرَ ، فَعَادُوا إِلَى الْمَغْرِبِ مَهْزُومِينَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَثُرَتِ الْأَمْرَاضُ الدَّمَوِيَّةُ ، وَمَاتَ بِهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ وَأَكْثَرُهُمْ بِالْحَرْبِيَّةِ ، فَإِنَّهَا أُغْلِقَتْ بِهَا دُورٌ كَثِيرَةٌ لِفَنَاءِ أَهْلِهَا. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْفِرْيَابِيُّ بِبَغْدَاذَ ، وَالْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ الثَّقَفِيُّ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِمِائَةٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أُمِرَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الْوَزِيرُ بِالْمَسِيرِ إِلَىِ طَرَسُوسَ لِغَزْوِ الصَّائِفَةِ فَسَارَ فِي أَلْفَيْ فَارِسٍ مَعُونَةً لِبِشْرٍ الْخَادِمِ وَالِي طَرَسُوسَ ، فَلَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُمْ غَزْوُ الصَّائِفَةِ ، فَغَزَوْهَا شَاتِيَةً فِي بَرْدٍ شَدِيدٍ وَثَلْجٍ. |
| وَفِيهَا تَنَحَّى الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْأُطْرُوشُ الْعَلَوِيُّ عَنْ آمُلٍ ، بَعْدَ غَلَبَتِهِ عَلَيْهَا ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، وَسَارَ إِلَى سَالُوسَ ، وَوَجَّهَ إِلَيْهِ صُعْلُوكٌ جَيْشًا مِنَ الرَّيِّ فَلَقِيَهُمُ الْحَسَنُ ، وَهَزَمَهُمْ ، وَعَادَ إِلَى آمُلَ. |
| وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ حَسَنَ السِّيرَةِ ، عَادِلًا ، وَلَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ فِي عَدْلِهِ وَحُسْنِ سِيرَتِهِ ، وَإِقَامَتِهِ الْحَقَّ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ مِسْكَوَيْهِ فِي كِتَابِ" تَجَارِبِ الْأُمَمِ "فَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الدَّاعِي ، وَلَيْسَ بِهِ ، إِنَّمَا الدَّاعِي عَلِيُّ بْنُ الْقَاسِمِ ، وَهُوَ خَتَنُ هَذَا عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ. |
| وَفِيهَا قَبَضَ الْمُقْتَدِرُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْجَصَّاصِ الْجَوْهَرِيِّ ، وَأَخَذَ مَا فِي بَيْتِهِ مِنْ صُنُوفِ الْأَمْوَالِ ، وَكَانَ قِيمَتُهُ أَرْبَعَةَ آلَافِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَكَانَ هُوَ يَدَّعِي أَنَّ قِيمَةَ مَا أُخِذَ مِنْهُ عِشْرُونَ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ. |
| ذِكْرُ مُخَالِفَةِ مَنْصُورِ بْنِ إِسْحَاقَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ خَالَفَ مَنْصُورُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَسَدٍ عَلَى الْأَمِيرِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ ، وَوَافَقَهُ عَلَى الْمُخَالَفَةِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَرْوَرُوذِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ حَيْدٍ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ لَمَّا افْتَتَحَ سِجِسْتَانَ ، الدُّفْعَةَ الْأُولَى عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، لِلْأَمِيرِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ طَمِعَ أَنْ يَتَوَلَّاهَا ، فَوَلِيَهَا الْمَنْصُورُ بْنُ إِسْحَاقَ هَذَا ، فَخَالَفَ أَهْلُهَا ، وَحَبَسُوا مَنْصُورًا ، فَأَنْفَذَ الْأَمِيرُ أَحْمَدُ عَلِيًّا أَيْضًا ، فَافْتَتَحَهَا ثَانِيًا ، وَطَمِعَ أَنْ يَتَوَلَّاهَا فَوَلِيَهَا سِيمَجُورُ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا هَذَا جَمِيعَهُ. |
| فَلَمَّا وَلِيَهَا سِيمَجُورُ اسْتَوْحَشَ عَلِيٌّ لِذَلِكَ ، وَنَفَرَ مِنْهُ ، وَتَحَدَّثَ مَعَ مَنْصُورِ بْنِ إِسْحَاقَ فِي الْمُوَافَقَةِ وَالتَّعَاضُدِ بَعْدَ مَوْتِ الْأَمِيرِ أَحْمَدَ ، وَتَكُونُ إِمَارَةُ خُرَاسَانَ لِمَنْصُورٍ ، وَيَكُونُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ خَلِيفَتَهُ عَلَى أَعْمَالِهِ ، فَاتَّفَقَا عَلَى ذَلِكَ فَلَمَّا قُتِلَ الْأَمِيرُ أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ كَانَ مَنْصُورُ بْنُ إِسْحَاقَ بِنَيْسَابُورَ ، وَالْحُسَيْنُ بِهَرَاةَ ، فَأَظْهَرَ الْحُسَيْنُ الْعِصْيَانَ ، وَسَارَ إِلَى مَنْصُورٍ يَحُثُّهُ عَلَى مَا كَانَ اتَّفَقَا عَلَيْهِ ، فَخَالَفَ أَيْضًا ، وَخُطِبَ لِمَنْصُورٍ بِنَيْسَابُورَ فَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا مِنْ بُخَارَى حَمُّوَيْهِ بْنُ عَلِيٍّ فِي عَسْكَرٍ ضَخْمٍ لِمُحَارَبَتِهِمَا ، فَاتَّفَقَ أَنَّ مَنْصُورًا مَاتَ ، فَقِيلَ إِنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ سَمَّهُ ، فَلَمَّا قَارَبَهُ حَمُّوَيْهِ سَارَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ نَيْسَابُورَ إِلَى هَرَاةَ وَأَقَامَ بِهَا. |
| وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ حَيْدٍ عَلَى شُرْطَةِ بُخَارَى مُدَّةً طَوِيلَةً ، فَسَيَّرَ مِنْ بُخَارَى إِلَى نَيْسَابُورَ لِشُغْلٍ يَقُومُ بِهِ ، فَوَرَدَهَا ، ثُمَّ عَادَ عَنْهَا بِغَيْرِ أَمْرٍ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مِنْ بُخَارَى بِالْإِنْكَارِ عَلَيْهِ ، فَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ ، فَعَدَلَ عَنِ الطَّرِيقِ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بِهَرَاةَ ، فَسَارَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ مِنْ هَرَاةَ إِلَى نَيْسَابُورَ ، وَاسْتَخْلَفَ بِهَرَاةَ أَخَاهُ مَنْصُورَ بْنَ عَلِيٍّ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى نَيْسَابُورَ ، فَسُيِّرَ مِنْ بُخَارَى إِلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ سَهْلٍ لِمُحَارَبَتِهِ ، فَابْتَدَأَ أَحْمَدُ بِهَرَاةَ فَحَصَرَهَا وَأَخَذَهَا ، وَاسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ مَنْصُورُ بْنُ عَلِيٍّ. |
| وَسَارَ أَحْمَدُ مِنْ هَرَاةَ إِلَى نَيْسَابُورَ ، وَكَانَ وُصُولُهُ إِلَيْهَا فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَنَازَلَ الْحُسَيْنَ ، وَحَصَرَهُ ، وَقَاتَلَهُ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ الْحُسَيْنِ ، وَأُسِرَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَأَقَامَ أَحْمَدُ بْنُ سَهْلٍ بِنَيْسَابُورَ. |
| وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَذْكُرَ اسْتِيلَاءَ أَحْمَدَ عَلَى نَيْسَابُورَ ، وَأَسْرَ الْحُسَيْنِ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، لَكِنْ رَأَيْنَا أَنْ نَجْمَعَ سِيَاقَ الْحَادِثَةِ لِئَلَّا يُنْسَى أَوَّلُهَا. |
| وَأَمَّا ابْنُ حَيْدٍ فَإِنَّهُ كَانَ بِمَرْوَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ اسْتِيلَاءُ أَحْمَدَ بْنِ سَهْلٍ عَلَى نَيْسَابُورَ ، وَأَسْرُهُ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ ، سَارَ إِلَيْهِ فَقَبَضَ عَلَيْهِ أَحْمَدُ وَأَخَذَ مَالَهُ وَسَوَادَهُ ، وَسَيَّرَهُ وَالْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ إِلَى بُخَارَى ، فَأَمَّا ابْنُ حَيْدٍ فَإِنَّهُ سُيِّرَ إِلَى خُوَارِزْمَ فَمَاتَ بِهَا. |
| وَأَمَّا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ فَإِنَّهُ حُبِسَ بِبُخَارَى إِلَى أَنْ خَلَّصَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْجَيْهَانِيُّ وَعَادَ إِلَى خِدْمَةِ الْأَمِيرِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَوْمًا عِنْدَهُ إِذْ طَلَبَ الْأَمِيرُ نَصْرٌ مَاءً ، فَأُتِيَ بِمَاءٍ فِي كُوزٍ غَيْرِ حَسَنِ الصَّنْعَةِ ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ لِأَحْمَدَ بْنِ حَمُّوَيْهِ ، وَكَانَ حَاضِرًا أَلَا يُهْدِي وَالِدُكَ إِلَى الْأَمِيرِ مِنْ نَيْسَابُورَ مِنْ هَذِهِ الْكِيزَانِ اللِّطَافِ النِّظَافِ ؟ |
| فَقَالَ أَحْمَدُ إِنَّمَا يُهْدِي أَبِي إِلَى الْأَمِيرِ مِثْلَكَ وَمِثْلَ أَحْمَدَ بْنِ سَهْلٍ ، وَمِثْلَ لَيْلَى الدَّيْلِمِيِّ ، لَا الْكِيزَانَ ، فَأَطْرَقَ الْحُسَيْنُ مُفْحَمًا ، وَأَعْجَبَ نَصْرًا قَوْلُهُ. |
| ذِكْرُ خَبَرِ مِصْرَ مَعَ الْعَلَوِيِّ الْمَهْدِيِّ وَفِيهَا أَنْفَذَ أَبُو مُحَمَّدٍ عُبَيْدُ اللَّهِ الْعَلَوِيُّ الْمُلَقَّبُ بِالْمَهْدِيِّ جَيْشًا مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ مَعَ قَائِدٍ مِنْ قُوَّادِهِ يُقَالُ لَهُ حَبَاسَةُ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، فَغَلَبَ عَلَيْهَا. |
| وَكَانَ مَسِيرُهُ فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ سَارَ مِنْهَا إِلَى مِصْرَ ، فَنَزَلَ بَيْنَ مِصْرَ وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْمُقْتَدِرَ ، فَأَرْسَلَ مُؤْنِسًا الْخَادِمَ فِي عَسْكَرٍ إِلَى مِصْرَ لِمُحَارَبَةِ حَبَاسَةَ وَأَمَدَّهُ بِالسِّلَاحِ وَالْمَالِ ، فَسَارَ إِلَيْهَا ، فَالْتَقَى الْعَسْكَرَانِ فِي جُمَادَى الْأُولَى ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا فَقُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ جَمْعٌ كَثِيرٌ ، وَجُرِحَ مِثْلُهُمْ ، ثُمَّ كَانَ بَيْنَهُمْ وَقْعَةٌ أُخْرَى بِنَحْوِهَا ، ثُمَّ وَقْعَةٌ ثَالِثَةٌ وَرَابِعَةٌ ، فَانْهَزَمَ فِيهَا الْمَغَارِبَةُ أَصْحَابُ الْعَلَوِيِّ ، وَقُتِلُوا ، وَأُسِرُوا ، فَكَانَ مَبْلَغُ الْقَتْلَى سَبْعَةَ آلَافٍ مَعَ الْأَسْرَى وَهَرَبَ الْبَاقُونَ. |
| وَكَانَتْ هَذِهِ الْوَقْعَةُ سَلْخَ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَعَادُوا إِلَى الْغَرْبِ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى الْغَرْبِ قَتَلَ الْمَهْدِيُّ حَبَاسَةَ. |
| وَفِيهَا خَالَفَ عَرُوبَةُ بْنُ يُوسُفَ الْكُتَامِيُّ عَلَى الْمَهْدِيِّ بِالْقَيْرَوَانِ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ كُتَامَةَ وَالْبَرَابِرِ ، فَأَخْرَجَ الْمَهْدِيُّ إِلَيْهِمْ مَوْلَاهُ غَالِبًا ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا فِي مَحْضَرِ الْقَيْرَوَانِ ، فَقُتِلَ عَرُوبَةُ وَبَنُو عَمِّهِ ، وَقُتِلَ مَعَهُمْ عَالَمٌ لَا يُحْصَوْنَ ، وَجُمِعَتْ رُءُوسُ مُقَدَّمِيهِمْ فِي قُفَّةٍ وَحُمِلَتْ إِلَى الْمَهْدِيِّ ، فَقَالَ مَا أَعْجَبَ أُمُورَ الدُّنْيَا! |
| قَدْ جَمَعَتْ هَذِهِ الْقُفَّةُ رُءُوسَ هَؤُلَاءِ ، وَقَدْ كَانَ يَضِيقُ بِعَسَاكِرِهِمْ فَضَاءُ الْمَغْرِبِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِيهَا غَزَا بِشْرٌ الْخَادِمُ وَالِي طَرَسُوسَ بِلَادَ الرُّومِ ، فَفَتَحَ فِيهَا وَغَنِمَ وَسَبَى ، وَأَسَرَ مِائَةً وَخَمْسِينَ بِطْرِيقًا ، وَكَانَ السَّبْيُ نَحْوًا مِنْ أَلْفَيْ رَأْسٍ. |
| وَفِيهَا أَوْقَعَ مُؤْنِسٌ الْخَادِمُ بِنَاحِيَةِ وَادِي الذِّئَابِ بِمَنْ هُنَالِكَ مِنَ الْأَعْرَابِ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَنَهَبَ بُيُوتَهُمْ فَأَصَابَ فِيهَا مِنْ أَمْوَالِ التُّجَّارِ الَّتِي كَانُوا أَخَذُوهَا بِقَطْعِ الطَّرِيقِ مَا لَا يُحْصَى. |
| وَفِيهَا فِي ذِي الْحِجَّةِ مَاتَتْ بِدْعَةُ الْمُغَنِّيَةُ ، مَوْلَاةُ عَرِيبٍ مَوْلَى الْمَأْمُونِ . |
| وَفِيهَا ، فِي ذِي الْحِجَّةِ ، خَرَجَتِ الْأَعْرَابُ مِنَ الْحَاجِرِ عَلَى الْحُجَّاجِ ، فَقَطَعُوا عَلَيْهِمُ الطَّرِيقَ ، وَأَخَذُوا مِنَ الْعَيْنِ وَمَا مَعَهُمْ مِنَ الْأَمْتِعَةِ وَالْجِمَالِ مَا أَرَادُوا ، وَأَخَذُوا مِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ امْرَأَةً ، وَحَجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ الْفَضْلُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ. |
| وَفِيهَا قَلَّدَ أَبُو الْهَيْجَاءِ عَبْدُ اللَّهِ بْنَ حَمْدَانَ الْمَوْصِلَ. |
| وَفِيهَا مَاتَ الشَّاهُ بْنُ مِيكَالَ. |
| وَفِيهَا ، فِي لَيْلَةِ الْأَضْحَى ، انْقَضَّ ثَلَاثَةُ كَوَاكِبَ اثْنَانِ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَوَاحِدٌ آخِرَهُ سِوَى كَوَاكِبَ صِغَارٍ كَثِيرَةٍ. |
| وَإِلَى آخِرِ هَذِهِ السَّنَةِ انْتَهَى تَارِيخُ أَبِي جَعْفَرٍ الطَّبَرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ النُّسَخِ إِلَى آخِرِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَقِيلَ إِنَّ سَنَةَ ثَلَاثٍ هِيَ زِيَادَةٌ فِيهِ ، وَلَيْسَ مِنْ تَارِيخِ الطَّبَرَيِّ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي حَسَّانَ الْأَنْمَاطِيُّ ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ شَرِيكٍ ، وَأَبُو عِيسَى بْنُ الْعَرَّادِ ، وَأَبُو الْعَبَّاسِ الْبَرَّانِيُّ ، وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرِ بْنِ بَسَّامٍ الشَّاعِرُ وَلَهُ نَيِّفٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ أَمْرِ الْحُسَيْنِ بْنِ حَمْدَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ الْحُسَيْنُ بْنُ حَمْدَانَ بِالْجَزِيرَةِ عَنْ طَاعَةِ الْمُقْتَدِرِ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْوَزِيرَ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى طَالَبَهُ بِمَالٍ عَلَيْهِ مِنْ دِيَارِ رَبِيعَةَ ، وَهُوَ يَتَوَلَّاهَا ، فَدَافَعَهُ ، فَأَمَرَهُ بِتَسْلِيمِ الْبِلَادِ إِلَى عُمَّالِ السُّلْطَانِ ، فَامْتَنَعَ. |
| وَكَانَ مُؤْنِسٌ الْخَادِمُ غَائِبًا بِمِصْرَ لِمُحَارَبَةِ عَسْكَرِ الْمَهْدِيِّ الْعَلَوِيِّ ، صَاحِبِ إِفْرِيقِيَّةَ ، فَجَهَّزَ الْوَزِيرُ رَائِقًا الْكَبِيرَ فِي جَيْشٍ وَسَيَّرَهُ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ حَمْدَانَ. |
| وَكَتَبَ إِلَى مُؤْنِسٍ يَأْمُرُهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى دِيَارِ الْجَزِيرَةِ لِقِتَالِ الْحُسَيْنِ ، بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ أَصْحَابِ الْعَلَوِيِّ ، فَسَارَ رَائِقٌ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ حَمْدَانَ. |
| وَجَمَعَ لَهُمُ الْحُسَيْنُ نَحْوَ عِشْرِينَ أَلْفَ فَارِسٍ ، وَسَارَ إِلَيْهِمْ فَوَصَلَ إِلَى الْحَبَشَةِ وَهُمْ قَدْ قَارَبُوهَا ، فَلَمَّا رَأَوْا كَثْرَةَ جَيْشِهِ عَلِمُوا عَجْزَهُمْ عَنْهُ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَرْبَعَةَ آلَافِ فَارِسٍ ، فَانْحَازُوا إِلَى جَانِبِ دِجْلَةَ ، وَنَزَلُوا بِمَوْضِعٍ لَيْسَ لَهُ طَرِيقٌ إِلَّا مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ ، وَجَاءَ الْحُسَيْنُ فَنَزَلَ عَلَيْهِمْ وَحَصَرَهُمْ ، وَمَنَعَ الْمِيرَةَ عَنْهُمْ مِنْ فَوْقٍ وَمِنْ أَسْفَلَ ، فَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَقْوَاتُ وَالْعُلُوفَاتُ ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ يَبْذُلُونَ لَهُ أَنْ يُوَلِّيَهُ الْخَلِيفَةُ مَا كَانَ بِيَدِهِ وَيَعُودَ عَنْهُمْ ، فَلَمْ يُجِبْ إِلَى ذَلِكَ وَلَزِمَ حِصَارَهُمْ ، وَأَدَامَ قِتَالَهُمْ إِلَى أَنْ عَادَ مُؤْنِسٌ مِنَ الشَّامِ ، فَلَمَّا سَمِعَ الْعَسْكَرُ بِقُرْبِهِ قَوِيَتْ نُفُوسُهُمْ وَضَعُفَتْ نُفُوسُ الْحُسَيْنِ وَمَنْ مَعَهُ ، فَخَرَجَ الْعَسْكَرُ إِلَيْهِ لَيْلًا وَكَبَسُوهُ ، فَانْهَزَمَ وَعَادَ إِلَى دِيَارِ رَبِيعَةَ ، وَسَارَ الْعَسْكَرُ فَنَزَلُوا عَلَى الْمَوْصِلِ. |
| وَسَمِعَ مُؤْنِسٌ خَبَرَ الْحُسَيْنِ ، وَجَدَّ مُؤْنِسٌ فِي الْمَسِيرِ نَحْوَ الْحُسَيْنِ ، وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ أَحْمَدَ بْنَ كَيْغَلَغَ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهُ رَاسَلَهُ الْحُسَيْنُ يَعْتَذِرُ ، وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُمَا ، فَلَمْ يَسْتَقِرَّ حَالٌ ، فَرَحَلَ مُؤْنِسٌ نَحْوَ الْحُسَيْنِ حَتَّى نَزَلَ بِإِزَاءِ جَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ ، وَرَحَلَ الْحُسَيْنُ نَحْوَ أَرْمِينِيَّةَ مَعَ ثَقَلِهِ وَأَوْلَادِهِ ، وَتَفَرَّقَ عَسْكَرُ الْحُسَيْنِ عَنْهُ ، وَصَارُوا إِلَى مُؤْنِسٍ. |
| ثُمَّ إِنَّ مُؤْنِسًا جَهَّزَ جَيْشًا فِي أَثَرِ الْحُسَيْنِ ، مُقَدَّمُهُمْ بُلَيْقٌ وَمَعَهُ سِيمَا الْجَزَرِيُّ ، وَجَنَّى الصَّفْوَانِيُّ ، فَتَبِعُوهُ إِلَى تَلِّ فَافَانَ ، فَرَأَوْهَا خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا ، قَدْ قَتَلَ أَهْلَهَا وَأَحْرَقَهَا ، فَجَدُّوا فِي اتِّبَاعِهِ فَأَدْرَكُوهُ فَقَاتَلُوهُ ، فَانْهَزَمَ مَنْ بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَأُسِرَ هُوَ وَمَعَهُ ابْنُهُ عَبْدُ الْوَهَّابِ وَجَمِيعُ أَهْلِهِ وَأَكْثَرُ مَنْ صَحِبَهُ ، وَقَبَضَ أَمْلَاكَهُ. |
| وَعَادَ مُؤْنِسٌ إِلَى بَغْدَاذَ عَلَى طَرِيقِ الْمَوْصِلِ وَالْحُسَيْنُ مَعَهُ ، فَأُرْكِبَ عَلَى جَمَلٍ هُوَ وَابْنُهُ وَعَلَيْهِمَا الْبَرَانِسُ ، وَاللُّبُودُ الطِّوَالُ ، وَقُمْصَانٌ مِنْ شَعْرٍ أَحْمَرَ وَحُبِسَ الْحُسَيْنُ وَابْنُهُ عِنْدَ زَيْدَانَ الْقَهْرَمَانَةِ ، وَقَبَضَ الْمُقْتَدِرُ عَلَى أَبِي الْهَيْجَاءِ بْنِ حَمْدَانَ وَعَلَى جَمِيعِ إِخْوَتِهِ وَحُبِسُوا ، وَكَانَ قَدْ هَرَبَ بَعْضُ أَوْلَادِ الْحُسَيْنِ بْنِ حَمْدَانَ ، فَجَمَعَ جَمْعًا وَمَضَى نَحْوَ آمِدَ ، فَأَوْقَعَ بِهِمْ مُسْتَحْفِظُهَا ، وَقُتِلَ ابْنُ الْحُسَيْنِ وَأُنْفِذَ رَأْسُهُ إِلَى بَغْدَاذَ. |
| ذِكْرُ بِنَاءِ الْمَهْدِيَّةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ الْمَهْدِيُّ بِنَفْسِهِ إِلَى تُونِسَ وَقَرْطَاجَنَّةَ وَغَيْرِهِمَا يَرْتَادُ مَوْضِعًا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ يَتَّخِذُ فِيهِ مَدِينَةً. |
| وَكَانَ يَجِدُ فِي الْكُتُبِ خُرُوجَ أَبِي يَزِيدٍ عَلَى دَوْلَتِهِ ، وَمِنْ أَجْلِهِ بَنَى الْمَهْدِيَّةَ ، فَلَمْ يَجِدْ مَوْضِعًا أَحْسَنَ وَلَا أَحْصَنَ مِنْ مَوْضِعِ الْمَهْدِيَّةِ ، وَهِيَ جَزِيرَةٌ مُتَّصِلَةٌ بِالْبَرِّ كَهَيْئَةِ كَفٍّ مُتَّصِلَةٍ بِزَنْذٍ ، فَبَنَاهَا وَجَعَلَهَا دَارَ مُلْكِهِ ، وَجَعَلَ لَهَا سُورًا مُحْكَمًا وَأَبْوَابًا عَظِيمَةً وَزْنُ كُلِّ مِصْرَاعٍ مِائَةُ قِنْطَارٍ. |
| وَكَانَ ابْتِدَاءُ بِنَائِهَا يَوْمَ السَّبْتَ لِخَمْسٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ السُّورُ أَمَرَ رَامِيًا أَنْ يَرْمِيَ بِالْقَوْسِ سَهْمًا إِلَى نَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ ، فَرَمَى سَهْمَهُ فَانْتَهَى إِلَى مَوْضِعِ الْمُصَلَّى ، فَقَالَ إِلَى مَوْضِعِ هَذَا يَصِلُ صَاحِبُ الْحِمَارِ ، يَعْنِي أَبَا يَزِيدَ الْخَارِجِيَّ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَرْكَبُ حِمَارًا. |
| وَكَانَ يَأْمُرُ الصُّنَّاعَ بِمَا يَعْمَلُونَ ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُنْقَرَ دَارُ صِنَاعَةٍ فِي الْجَبَلِ تَسَعُمِائَةَ شِينِيٍّ ، وَعَلَيْهَا بَابٌ مُغْلَقٌ ، وَنُقِرَ فِي أَرْضِهَا أَهْرَاءُ لِلطَّعَامِ ، وَمَصَانِعُ لِلْمَاءِ ، وَبَنَى فِيهَا الْقُصُورَ وَالدُّورَ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهَا قَالَ الْيَوْمَ أَمِنْتُ عَلَى الْفَاطِمِيَّاتِ ، يَعْنِي بَنَاتِهِ ، وَارْتَحَلَ عَنْهَا. |
| وَلَمَّا رَأَى إِعْجَابَ النَّاسِ بِهَا ، وَبِحَصَانَتِهَا ، كَانَ يَقُولُ هَذَا لِسَاعَةٍ مِنْ نَهَارٍ ، وَكَانَ كَذَلِكَ لِأَنَّ أَبَا يَزِيدَ وَصَلَ إِلَى مَوْضِعِ السَّهْمِ ، وَوَقَفَ فِيهِ سَاعَةً ، وَعَادَ وَلَمْ يَظْفَرْ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِيهَا أَغَارَتِ الرُّومُ عَلَى الثُّغُورِ الْجَزْرِيَّةِ ، وَقَصَدُوا حِصْنَ مَنْصُورٍ ، وَسَبَوْا مَنْ فِيهِ وَجَرَى عَلَى النَّاسِ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، وَكَانَتِ الْجُنُودُ مُتَشَاغِلَةً بِأَمْرِ الْحُسَيْنِ بْنِ حَمْدَانَ. |
| وَفِيهَا عَادَ الْحُجَّاجُ وَقَدْ لَقُوا مِنَ الْعَطَشِ وَالْخَوْفِ شِدَّةً ، وَخَرَجَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ عَلَى أَبِي حَامِدٍ وَرْقَاءَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُرَتَّبِ عَلَى الثَّعْلَبِيَّةِ لِحِفْظِ الطَّرِيقِ ، فَقَاتَلَهُمْ ، وَظَفِرَ بِهِمْ ، وَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنْهُمْ ، وَأَسَرَ الْبَاقِينَ وَحَمَلَهُمْ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَأَمَرَ الْمُقْتَدِرُ بِتَسْلِيمِهِمْ إِلَى صَاحِبِ الشُّرْطَةِ لِيَحْبِسَهُمْ ، فَثَارَتْ بِهِمُ الْعَامَّةُ فَقَتَلُوهُمْ وَأَلْقَوْهُمْ فِي دِجْلَةَ. |
| وَفِيهَا ظَهَرَ بِالْجَامِدَةِ إِنْسَانٌ زَعَمَ أَنَّهُ عَلَوِيٌّ فَقَتَلَ الْعَامِلَ بِهَا وَنَهَبَهَا ، وَأَخَذَ مِنْ دَارِ الْخَرَاجِ أَمْوَالًا كَثِيرَةً ، ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ ظُهُورِهِ بِيَسِيرٍ ، وَقُتِلَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَأُسِرَ جَمَاعَةٌ. |
| وَفِيهَا ظَهَرَتِ الرُّومُ وَعَلَيْهِمُ الْغَثِيطُ فَأَوْقَعُوا بِجَمَاعَةٍ مِنْ مُقَاتِلَةِ طَرَسُوسَ وَالْغُزَاةِ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ نَحْوَ سِتِّمِائَةِ فَارِسٍ ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ صَائِفَةٌ. |
| وَفِيهَا خَرَجَ مَلِيحٌ الْأَرْمَنِيُّ إِلَى مَرْعَشَ ، فَعَاثَ فِي بَلَدِهَا ، وَأَسَرَ جَمَاعَةً مِمَّنْ حَوْلَهَا وَعَادَ. |
| وَفِيهَا وَقَعَ الْحَرِيقُ بِبَغْدَاذَ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ ، فَاحْتَرَقَ كَثِيرٌ مِنْهَا. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبٍ النَّسَائِيُّ ، صَاحِبُ كِتَابِ" السُّنَنِ "، بِمَكَّةَ ، وَدُفِنَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ. |
| وَالْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ النَّسَوِيُّ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَيْنُونَةَ بِنَصِيبِينَ ، وَكَانَ يَتَوَلَّى أَعْمَالَ الْخَرَاجِ وَالضِّيَاعِ بِدِيَارِ رَبِيعَةَ ، وَلَمَّا تُوُفِّيَ وَلِيَ ابْنُهُ الْحَسَنُ مَكَانَهُ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْجُبَّائِيُّ الْمُعْتَزِلِيُّ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ يَمُوتُ بْنُ الْمُزَرِّعِ الْعَبْدِيُّ ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِ الْجَاحِظِ ، تُوُفِّيَ بِدِمَشْقَ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ عَزْلِ ابْنِ وَهْسُوذَانَ عَنْ أَصْبَهَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي الْمُحَرَّمِ ، أَرْسَلَ عَلِيُّ بْنُ وَهْسُوذَانَ ، وَهُوَ مُتَوَلِّي الْحَرْبِ بِأَصْبَهَانَ ، غُلَامًا كَانَ رَبَّاهُ وَتَبَنَّاهُ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ شَاهٍ ، مُتَوَلِّي الْخَرَاجِ ، فِي حَاجَةٍ فَلَقِيَهُ رَاكِبًا فَكَلَّمَهُ فِي حَاجَةِ مَوْلَاهُ ، وَرَفَعَ صَوْتَهُ ، فَشَتَمَهُ أَحْمَدُ ، وَقَالَ يَا مُؤَاجَرُ تُكَلِّمُنِي بِهَذَا عَلَى الطَّرِيقِ! |
| وَحَرَّدَ عَلَيْهِ ، فَعَادَ إِلَى مَوْلَاهُ بَاكِيًا ، وَعَرَّفَهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ صَدَقَ ، لَوْلَا أَنَّكَ مُؤَاجَرٌ لَقَتَلْتَهُ ، فَعَادَ الْغُلَامُ فَلَقِيَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ فَقَتَلَهُ ، فَأَنْكَرَ الْخَلِيفَةُ ذَلِكَ ، وَصَرَفَ عَلِيَّ بْنَ وَهْسُوذَانَ عَنْ أَصْبَهَانَ ، وَوَلَّى مَكَانَهُ أَحْمَدَ بْنَ مَسْرُورٍ الْبَلْخِيَّ ، وَأَقَامَ ابْنُ وَهْسُوذَانَ بِنَوَاحِي الْجَبَلِ. |
| ذِكْرُ وِزَارَةِ ابْنِ الْفُرَاتِ الثَّانِيَةِ وَعَزْلِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي ذِي الْحِجَّةِ ، عُزِلَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى عَنِ الْوِزَارَةِ ، وَأُعِيدَ إِلَيْهَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْفُرَاتِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ بْنَ الْفُرَاتِ كَانَ مَحْبُوسًا ، وَكَانَ الْمُقْتَدِرُ يُشَاوِرُهُ وَهُوَ فِي مَحْبِسِهِ ، وَيَرْجِعُ إِلَى قَوْلِهِ ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى يُمَشِّي أَمْرَ الْوِزَارَةِ ، وَلَمْ يَتَّبِعْ أَصْحَابَ ابْنِ الْفُرَاتِ وَأَسْبَابَهُ وَلَا غَيْرَهُ ، وَكَانَ جَمِيلَ الْمَحْضَرِ قَلِيلَ الشَّرِّ ، فَبَلَغَهُ أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ بْنَ الْفُرَاتِ قَدْ تَحَدَّثَ لَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ الْخَلِيفَةِ فِي إِعَادَتِهِ إِلَى الْوِزَارَةِ ، فَسَارَعَ وَاسْتَعْفَى مِنَ الْوِزَارَةِ ، وَسُئِلَ فِي ذَلِكَ ، فَأَنْكَرَ الْمُقْتَدِرُ عَلَيْهِ ، وَمَنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَسَكَنَ. |
| فَلَمَّا كَانَ آخِرُ ذِي الْقِعْدَةِ جَاءَتْهُ أُمُّ مُوسَى الْقَهْرَمَانَةُ لِتَتَّفِقَ مَعَهُ عَلَى مَا يَحْتَاجُ حُرَمُ الدَّارِ وَالْحَاشِيَةُ الَّتِي لِلدَّارِ مِنَ الْكِسْوَاتِ وَالنَّفَقَاتِ ، فَوَصَلَتْ إِلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ ، فَقَالَ لَهَا حَاجِبُهُ إِنَّهُ نَائِمٌ وَلَا أَجْسُرُ أَنْ أُوقِظَهُ ، فَاجْلِسِي فِي الدَّارِ سَاعَةً حَتَّى يَسْتَيْقِظَ ، فَغَضِبَتْ مِنْ هَذَا وَعَادَتْ ، وَاسْتَيْقَظَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى فِي الْحَالِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا حَاجِبَهُ وَوَلَدَهُ يَعْتَذِرُ ، فَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ ، وَدَخَلَتْ عَلَى الْمُقْتَدِرِ وَتَخَرَّصَتْ عَلَى الْوَزِيرِ عِنْدَهُ وَعِنْدَ أُمِّهِ ، فَعَزَلَهُ عَنِ الْوِزَارَةِ ، وَقَبَضَ عَلَيْهِ ثَامِنَ ذِي الْقِعْدَةِ. |
| وَأُعِيدَ ابْنُ الْفُرَاتِ إِلَى الْوِزَارَةِ ، وَضَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَحْمِلَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ أَلْفَ دِينَارٍ وَخَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ ، فَقَبَضَ عَلَى أَصْحَابِ الْوَزِيرِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى وَعَادَ فَقَبَضَ عَلَى الْخَاقَانِيِّ الْوَزِيرِ وَأَصْحَابِهِ ، وَاعْتَرَضَ الْعُمَّالَ وَغَيْرَهَمْ ، وَعَادَ عَلَيْهِمْ بِأَمْوَالٍ عَظِيمَةٍ لِيَقُومَ بِمَا ضَمِنَهُ. |
| وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى قَدْ تَعَجَّلَ بِمَالٍ مِنَ الْخَرَاجِ لِيُنْفِقَهُ فِي الْعِيدِ ، فَاتَّسَعَ بِهِ ابْنُ الْفُرَاتِ. |
| وَكَانَ قَدْ كَاتَبَ الْعُمَّالَ بِالْبِلَادِ كَفَارِسَ ، وَالْأَهْوَازِ ، وَبِلَادِ الْجَبَلِ ، وَغَيْرِهِمَا فِي حَمْلِ الْمَالِ ، وَحَثَّهُمْ عَلَى ذَلِكَ غَايَةَ الْحَثِّ ، فَوَصَلَ بَعْدَ قَبْضِهِ ، فَادَّعَى ابْنُ الْفُرَاتِ الْكِفَايَةَ وَالنَّهْضَةَ فِي جَمْعِ الْمَالِ. |
| وَكَانَ أَبُو عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ مُسْتَخْفِيًا مُذْ قُبِضَ ابْنُ الْفُرَاتِ إِلَى الْآنَ ، فَلَمَّا عَادَ ابْنُ الْفُرَاتِ إِلَى الْوِزَارَةِ ظَهَرَ ، فَأَشْخَصَهُ ابْنُ الْفُرَاتِ وَقَرَّبَهُ. |
| ذِكْرُ أَمْرِ يُوسُفَ بْنِ أَبِي السَّاجِ كَانَ يُوسُفُ بْنُ أَبِي السَّاجِ عَلَى أَذْرَبِيجَانَ وَأَرْمِينِيَّةَ قَدْ وَلِيَ الْحَرْبَ ، وَالصَّلَاةَ ، وَالْأَحْكَامَ ، وَغَيْرَهَا ، مُنْذُ أَوَّلِ وِزَارَةِ ابْنِ الْفُرَاتِ الْأُولَى ، وَعَلَيْهِ مَالٌ يُؤَدِّيهِ إِلَى دِيوَانِ الْخِلَافَةِ ، فَلَمَّا عُزِلَ ابْنُ الْفُرَاتِ وَوَلِيَ الْخَاقَانِيُّ الْوِزَارَةَ ، وَبَعْدَهُ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى ، طَمِعَ فَأَخَّرَ حَمْلَ بَعْضِ الْمَالِ ، فَاجْتَمَعَ لَهُ مَا قَوِيَتْ بِهِ نَفْسُهُ عَلَى الِامْتِنَاعِ ، وَبَقِيَ كَذَلِكَ إِلَى هَذِهِ السَّنَةِ. |
| فَلَمَّا بَلَغَهُ الْقَبْضُ عَلَى الْوَزِيرِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى أَظْهَرَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ أَنْفَذَ لَهُ عَهْدًا بِالرَّيِّ ، وَأَنَّ الْوَزِيرَ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى سَعَى لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَأَنْفَذَهُ إِلَيْهِ ، وَجَمَعَ الْعَسَاكِرَ وَسَارَ إِلَى الرَّيِّ وَبِهَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ صُعْلُوكٌ يَتَوَلَّى أَمْرَهَا لِصَاحِبِ خُرَاسَانَ ، وَهُوَ الْأَمِيرُ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ السَّامَانِيُّ. |
| وَكَانَ صُعْلُوكٌ قَدْ تَغَلَّبَ عَلَى الرَّيِّ وَمَا يَلِيهَا ، أَيَّامَ وِزَارَةِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى دِيوَانِ الْخِلَافَةِ فَقَاطَعَ عَلَيْهَا بِمَالٍ يَحْمِلُهُ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ مَسِيرُ يُوسُفَ بْنِ أَبِي السَّاجِ نَحْوَهُ سَارَ إِلَى خُرَاسَانَ ، فَدَخَلَ يُوسُفُ الرَّيَّ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا وَعَلَى قَزْوِينَ وَزَنْجَانَ وَأَبْهَرَ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْمُقْتَدِرَ فِعْلُهُ ، وَقَوْلُهُ إِنَّ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى أَنْفَذَ لَهُ الْعَهْدَ وَاللِّوَاءَ بِذَلِكَ ، أَنْكَرَهُ وَاسْتَعْظَمَهُ. |
| وَكَتَبَ يُوسُفُ إِلَى الْوَزِيرِ ابْنِ الْفُرَاتِ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى أَنْفَذَ إِلَيْهِ بِعَهْدِهِ عَلَى هَذِهِ الْأَمَاكِنِ ، وَأَنَّهُ افْتَتَحَهَا وَطَرَدَ مِنْهَا الْمُتَغَلِّبِينَ عَلَيْهَا ، وَيَعْتَذِرُ بِذَلِكَ ، وَيَذْكُرُ كَثْرَةَ مَا أَخْرَجَهُ ، فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُقْتَدِرِ ، وَأَمَرَ ابْنَ الْفُرَاتِ أَنْ يَسْأَلَ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى عَنِ الَّذِي ذَكَرَهُ يُوسُفُ ، فَأَحْضَرَهُ وَسَأَلَهُ ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ ، وَقَالَ سَلُوا الْكُتَّابَ وَحَاشِيَةَ الْخَلِيفَةِ ، فَإِنَّ الْعَهْدَ وَاللِّوَاءَ لَا بُدَّ أَنْ يَسِيرَ بِهِمَا بَعْضُ خَدَمِ الْخَلِيفَةِ ، أَوْ بَعْضُ قُوَّادِهِ ، فَعَلِمُوا صِدْقَهُ. |
| وَكَتَبَ ابْنُ الْفُرَاتِ إِلَى ابْنِ أَبِي السَّاجِ يُنْكِرُ عَلَيْهِ تَعَرُّضَهُ لِهَذِهِ الْبِلَادِ ، وَكَذِبَهُ عَلَى الْوَزِيرِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى ، وَجَهَّزَ الْعَسَاكِرَ لِمُحَارَبَتِهِ ، وَكَانَ مَسِيرُ الْعَسَاكِرِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِمِائَةِ. |
| وَكَانَ الْمُقَدَّمَ عَلَى الْعَسْكَرِ خَاقَانُ الْمُفْلِحِيُّ ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْقُوَّادِ كَأَحْمَدَ بْنِ مَسْرُورٍ الْبَلْخِيِّ ، وَسِيمَا الْجَزَرِيِّ ، وَنِحْرِيرٍ الصَّغِيرِ ، فَسَارُوا ، وَلَقُوا يُوسُفَ ، وَاقْتَتَلُوا ، فَهَزَمَهُمْ يُوسُفُ ، وَأَسَرَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً ، وَأَدْخَلَهُمُ الرَّيَّ مَشْهُورِينَ عَلَى الْجِمَالِ ، فَسَيَّرَ الْخَلِيفَةُ مُؤْنِسًا الْخَادِمَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ إِلَى مُحَارَبَتِهِ ، فَسَارَ ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِ الْعَسْكَرُ الَّذِي كَانَ مَعَ خَاقَانَ ، فَصُرِفَ خَاقَانُ عَنْ أَعْمَالِ الْجَبَلِ ، وَوَلِيَهَا نِحْرِيرٌ الصَّغِيرُ. |
| وَسَارَ مُؤْنِسٌ فَأَتَاهُ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَهُوَ أَخُو مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ صُعْلُوكٍ ، مُسْتَأْمِنًا ، فَأَكْرَمَهُ وَوَصَلَهُ ، وَكَتَبَ ابْنُ أَبِي السَّاجِ يَسْأَلُ الرِّضَى ، وَأَنْ يُقَاطِعَ عَلَى أَعْمَالِ الرَّيِّ وَمَا يَلِيهَا عَلَى سَبْعِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ لِبَيْتِ الْمَالِ ، سِوَى مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْجُنْدُ وَغَيْرُهُمْ ، فَلَمْ يُجِبْهُ الْمُقْتَدِرُ إِلَى ذَلِكَ ، وَلَوْ بَذَلَ مِلْءَ الْأَرْضِ لَمَا أَقَرَّهُ عَلَى الرَّيِّ يَوْمًا وَاحِدًا لِإِقْدَامِهِ عَلَى التَّزْوِيرِ ، فَلَمَّا عَرَفَ ابْنُ أَبِي السَّاجِ ذَلِكَ سَارَ عَنِ الرَّيِّ بَعْدَ أَنْ أَخْرَبَهَا ، وَجَبَى خَرَاجَهَا فِي عَشَرَةِ أَيَّامٍ. |
| وَقَلَّدَ الْخَلِيفَةُ الرَّيَّ وَقَزْوِينَ وَأَبْهَرَ وَصِيفًا الْبُكْتُمْرِيَّ ، وَطَلَبَ ابْنُ أَبِي السَّاجِ أَنْ يُقَاطِعَ عَلَى مَا كَانَ بِيَدِهِ مِنَ الْوِلَايَةِ ، فَأَشَارَ ابْنُ الْفُرَاتِ بِإِجَابَتِهِ إِلَى ذَلِكَ ، فَعَارَضَهُ نَصْرٌ الْحَاجِبُ ، وَابْنُ الْحَوَارِيِّ ، وَقَالَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُجَابَ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَطَأَ الْبِسَاطَ. |
| وَنُسِبَ ابْنُ الْفُرَاتِ إِلَى مُوَاطَأَةِ ابْنِ أَبِي السَّاجِ وَالْمَيْلِ مَعَهُ ، فَحَصَلَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ ابْنِ الْفُرَاتِ عَدَاوَةٌ ، فَامْتَنَعَ الْمُقْتَدِرُ مِنْ إِجَابَتِهِ إِلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَحْضُرَ فِي خِدْمَتِهِ بِنَفْسِهِ ، فَلَمَّا رَأَى يُوسُفُ أَنَّ دَمَهُ عَلَى خَطَرٍ إِنْ حَضَرَ لِخِدْمَتِهِ حَارَبَ مُؤْنِسًا ، فَانْهَزَمَ مُؤْنِسٌ إِلَى زَنْجَانَ ، وَقُتِلَ مِنْ قُوَّادِهِ سِيمَا بْنُ بُوَيْهِ ، وَأُسِرَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ ، فِيهِمْ هِلَالُ بْنُ بَدْرٍ ، فَأَدْخَلَهُمْ أَرْدَبِيلَ مُشْتَهَرِينَ عَلَى الْجِمَالِ. |
| وَأَقَامَ مُؤْنِسٌ بِزَنْجَانَ يَجْمَعُ الْعَسَاكِرَ ، وَيَسْتَمِدُّ الْخَلِيفَةَ ، وَكَاتِبَهُ ابْنَ أَبِي السَّاجِ فِي الصُّلْحِ ، وَتَرَاسَلَا فِي ذَلِكَ ، وَكَتَبَ مُؤْنِسٌ إِلَى الْخَلِيفَةِ ، فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَالْوَزِيرُ يَوْمَئِذٍ حَامِدُ بْنُ الْعَبَّاسِ ، اجْتَمَعَ لِمُؤْنِسٍ عَسْكَرٌ كَبِيرٌ ، فَسَارَ إِلَى يُوسُفَ ، فَتَوَاقَعَا عَلَى بَابِ أَرْدَبِيلَ ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ يُوسُفَ ، وَأُسِرَ يُوسُفُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَعَادَ بِهِمْ مُؤْنِسٌ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَدَخَلَهَا فِي الْمُحَرَّمِ أَيْضًا ، وَأَدْخَلَ يُوسُفَ أَيْضًا بَغْدَاذَ مُشْتَهِرًا عَلَى جَمَلٍ ، وَعَلَيْهِ بُرْنُسٌ بِأَذْنَابِ الثَّعَالِبِ ، فَأُدْخِلَ إِلَى الْمُقْتَدِرِ ، ثُمَّ حُبِسَ بِدَارِ الْخَلِيفَةِ عِنْدَ زَيْدَانَ الْقَهْرَمَانَةِ. |
| وَلَمَّا ظَفِرَ مُؤْنِسٌ بِابْنِ أَبِي السَّاجِ قَلَّدَ عَلِيَّ بْنَ وَهْسُوذَانَ أَعْمَالَ الرَّيِّ ، وَدَنْبَاوَنْدَ ، وَقَزْوِينَ ، وَأَبْهَرَ ، وَزَنْجَانَ ، وَجَعَلَ أَمْوَالَهَا لِرِجَالِهِ ، وَقَلَّدَ أَصْبَهَانَ ، وَقُمَّ ، وَقَاشَانَ ، وَسَاوَةَ لِأَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ صُعْلُوكٍ ، وَسَارَ عَنْ أَذْرَبِيجَانَ. |
| ذِكْرُ حَالِ هَذِهِ الْبِلَادِ بَعْدَ مَسِيرِ مُؤْنِسٍ لَمَّا سَارَ مُؤْنِسٌ عَنْ أَذْرَبِيجَانَ إِلَى الْعِرَاقِ وَثَبَ سُبُكٌ غُلَامُ يُوسُفَ بْنِ أَبِي السَّاجِ عَلَى بِلَادِ أَذْرَبِيجَانَ ، فَمَلَكَهَا ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ عَسْكَرٌ عَظِيمٌ ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ مُؤْنِسٌ مُحَمَّدَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ الْفَارِقِيَّ ، وَقَلَّدَهُ الْبِلَادَ ، وَسَارَ إِلَى سُبُكٍ وَحَارَبَهُ ، فَانْهَزَمَ الْفَارِقِيُّ وَسَارَ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَتَمَكَّنَ سُبُكٌ مِنَ الْبِلَادِ ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى الْخَلِيفَةِ يَسْأَلُ أَنْ يُقَاطِعَ عَلَى أَذْرَبِيجَانَ ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ ، وَقُرِّرَ عَلَيْهِ كُلَّ سَنَةٍ مِائَتَانِ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَأُنْفِذَتْ إِلَيْهِ الْخِلَعُ وَالْعَهْدُ ، فَلَمْ يَقِفْ عَلَى مَا قَرَّرَهُ. |
| ثُمَّ وَثَبَ أَحْمَدُ بْنُ مُسَافِرٍ ، صَاحِبُ الطِّرْمِ ، عَلَى ابْنِ أَخِيهِ عَلِيِّ بْنِ وَهْسُوذَانَ وَهُوَ مُقِيمٌ بِنَاحِيَةِ قَزْوِينَ ، فَقَتَلَهُ عَلَى فِرَاشِهِ ، وَهَرَبَ إِلَى بَلَدِهِ ، فَاسْتَعْمَلَ مَكَانَ عَلِيِّ بْنِ وَهْسُوذَانَ وَصَيفًا الْبُكْتُمَرِيَّ ، وَقَلَّدَ مُحَمَّدَ بْنَ سُلَيْمَانَ صَاحِبَ الْجَيْشِ أَعْمَالَ الْخَرَاجِ بِهَا. |
| وَسَارَ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ صُعْلُوكٍ مِنْ قُمَّ إِلَى الرَّيِّ ، فَدَخَلَهَا ، فَأَنْفَذَ الْخَلِيفَةُ يُنْكِرُ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَيَأْمُرُهُ بِالْعَوْدِ إِلَى قُمَّ فَعَادَ ، ثُمَّ إِنَّهُ أَظْهَرَ الْخِلَافَ ، وَصَرَفَ عُمَّالَ الْخَرَاجِ عَنْ قُمَّ ، وَاسْتَعَدَّ لِلْمَسِيرِ إِلَى الرَّيِّ ، فَكُوتِبَ نِحْرِيرٌ الصَّغِيرُ ، وَهُوَ عَلَى هَمَذَانَ ، لِيَسِيرَ هُوَ وَوَصِيفٌ إِلَى الرَّيِّ لِمَنْعِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ عَنْهَا ، فَسَارُوا إِلَيْهَا ، فَلَقِيَهُمْ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى بَابِ الرَّيِّ ، فَهَزَمَهُمْ أَحْمَدُ ، وَقُتِلَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، وَاسْتَوْلَى أَحْمَدُ عَلَى الرَّيِّ ، وَكَاتَبَ نَصْرًا الْحَاجِبَ لِيُصْلِحَ أَمْرَهُ مَعَ الْخَلِيفَةِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَأَصْلَحَ أَمْرَهُ ، وَقَرَّرَ عَلَيْهِ عَنِ الرَّيِّ وَدَنْبَاوَنْدَ وَقَزْوِينَ وَزَنْجَانَ وَأَبْهَرَ مِائَةً وَسِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ مَحْمُولَةً كُلَّ سَنَةٍ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَنَزَلَ أَحْمَدُ عَنْ قُمَّ ، فَاسْتَعْمَلَ الْخَلِيفَةُ عَلَيْهَا مَنْ يَنْظُرُ فِيهَا. |
| ذِكْرُ تَغَلُّبِ كَثِيرِ بْنِ أَحْمَدَ عَلَى سِجِسْتَانَ وَمُحَارَبَتِهِ كَانَ كَثِيرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ شَهْفُورَ قَدْ تَغَلَّبَ عَلَى أَعْمَالِ سِجِسْتَانَ ، فَكَتَبَ الْخَلِيفَةُ إِلَى بَدْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَمَّامِيِّ ، وَهُوَ مُتَقَلِّدٌ أَعْمَالَ فَارِسَ ، يَأْمُرُهُ أَنْ يُرْسِلَ جَيْشًا يُحَارِبُونَ كَثِيرًا ، وَيُؤَمِّرُ عَلَيْهِمْ دَرَكًا ، وَيَسْتَعْمِلُ عَلَى الْخَرَاجِ بِهَا زَيْدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ ، فَجَهَّزَ بَدْرٌ جَيْشًا كَثِيفًا وَسَيَّرَهُمْ ، فَلَمَّا وَصَلُوا قَاتَلَهُمْ كَثِيرٌ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ بِهِمْ قُوَّةٌ ، وَضَعُفَ أَمْرُهُ وَكَادُوا يَمْلِكُونَ الْبَلَدَ ، فَبَلَغَ أَهْلَ الْبَلَدِ أَنَّ زَيْدًا مَعَهُ قُيُودٌ وَأَغْلَالٌ لِأَعْيَانِهِمْ ، فَاجْتَمَعُوا مَعَ كَثِيرٍ ، وَشَدُّوا مِنْهُ ، وَقَاتَلُوا مَعَهُ فَهَزَمُوا عَسْكَرَ الْخَلِيفَةِ ، وَأَسَرُوا زَيْدًا ، فَوَجَدُوا مَعَهُ الْقُيُودَ وَالْأَغْلَالَ ، فَجَعَلُوهَا فِي رِجْلَيْهِ وَعُنُقِهِ. |
| وَكَتَبَ كَثِيرٌ إِلَى الْخَلِيفَةِ يَتَبَرَّأُ مِنْ ذَلِكَ ، وَيَجْعَلُ الذَّنْبَ فِيهِ لِأَهْلِ الْبَلَدِ ، فَأَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ إِلَى بَدْرٍ الْحَمَّامِيِّ يَأْمُرُهُ أَنْ يَسِيرَ بِنَفْسِهِ إِلَى قِتَالِ كَثِيرٍ ، فَتَجَهَّزَ بَدْرٌ ، فَلَمَّا سَمِعَ كَثِيرٌ ذَلِكَ خَافَ ، فَأَرْسَلَ يَطْلُبُ الْمُقَاطَعَةَ عَلَى مَالٍ يَحْمِلُهُ كُلَّ سَنَةٍ ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ ، وَقُوطِعَ عَلَى خَمْسِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَقُرِّرَتِ الْبِلَادُ عَلَيْهِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي الصَّيْفِ ، خَافَتِ الْعَامَّةُ بِبَغْدَادَ مِنْ حَيَوَانٍ كَانُوا يُسَمُّونَهُ الزَّبْزَبَ ، وَيَقُولُونَ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ فِي اللَّيْلِ عَلَى سُطُوحِهِمْ ، وَإِنَّهُ يَأْكُلُ أَطْفَالَهُمْ ، وَرُبَّمَا عَضَّ يَدَ الرَّجُلِ وَثَدْيَ الْمَرْأَةِ فَقَطَعَهُمَا ، وَهَرَبَ بِهِمَا ، فَكَانَ النَّاسُ يَتَحَارَسُونَ ، وَيَتَزَاعَقُونَ ، وَيَضْرِبُونَ بِالطُّشُوتِ وَالصَّوَانِي وَغَيْرِهَا لِيُفْزِعُوهُ فَارْتَجَّتْ بَغْدَاذُ لِذَلِكَ. |
| ثُمَّ إِنَّ أَصْحَابَ السُّلْطَانِ صَادُوا لَيْلَةً حَيَوَانًا أَبْلَقَ بِسَوَادٍ ، قَصِيرَ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ ، فَقَالُوا هَذَا هُوَ الزَّبْزَبُ ، وَصَلَبُوهُ عَلَى الْجِسْرِ ، فَسَكَنَ النَّاسُ ، وَهَذِهِ دَابَّةٌ تُسَمَّى طَبْرَةَ ، وَأَصَابَ اللُّصُوصُ حَاجَتَهُمْ لِاشْتِغَالِ النَّاسِ عَنْهُمْ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ النَّاصِرُ الْعَلَوِيُّ ، صَاحِبُ طَبَرِسْتَانَ ، فِي شَعْبَانَ وَعُمْرُهُ تِسْعٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً ، وَبَقِيَتْ طَبَرِسْتَانَ فِي أَيْدِي الْعَلَوِيَّةِ إِلَى أَنْ قُتِلَ الدَّاعِي ، وَهُوَ الْحَسَنُ بْنُ الْقَاسِمِ ، سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ عَلَى مَا نَذْكُرُهُ. |
| وَفِيهَا خَالَفَ أَبُو زَيْدٍ خَالِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَادَرَائِيُّ عَلَى الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ بِكَرْمَانَ وَكَانَ يَتَوَلَّى الْخَرَاجَ ، وَسَارَ مِنْهَا إِلَى شِيرَازَ يُرِيدُ التَّغَلُّبَ عَلَى فَارِسَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ بَدْرٌ الْحَمَّامِيُّ فَحَارَبَهُ وَقَتَلَهُ ، وَحَمَلَ رَأْسَهُ إِلَى بَغْدَاذَ وَطِيفَ بِهِ. |
| وَفِيهَا سَارَ مُؤْنِسٌ الْمُظَفَّرُ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ لِغَزَاةِ الصَّائِفَةِ ، فَلَمَّا صَارَ بِالْمَوْصِلِ قَلَّدَ سُبُكًا الْمُفْلِحِيَّ بَازَبْدَى وَقَرْدَى ، وَقَلَّدَ عُثْمَانَ الْعَنْزِيَّ مَدِينَةَ بُلْدَ ، وَبَاعِينَاثَا ، وَسِنْجَارَ ، وَقَلَّدَ وَصِيفًا الْبُكْتُمْرِيَّ بَاقِيَ بِلَادِ رَبِيعَةَ ، وَسَارَ مُؤْنِسٌ إِلَى مَلَطْيَةَ وَغَزَا فِيهَا ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ بِسْطَامٍ أَنْ يَغْزُوَ مِنْ طَرَسُوسَ فِي أَهْلِهَا ، فَفَعَلَ. |
| وَفَتَحَ مُؤْنِسٌ حُصُونًا كَثِيرَةً مِنَ الرُّومِ ، وَأَثَّرَ آثَارًا جَمِيلَةً ، وَعَتَبَ عَلَيْهِ أَهْلُ الثُّغُورِ وَقَالُوا لَوْ شَارَ لَفَعَلَ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ، وَعَادَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَأَكْرَمَهُ الْخَلِيفَةُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ يَمُوتُ بْنُ الْمُزَرِّعِ الْعَبْدِيُّ ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِ الْجَاحِظِ ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ أَبُو مُوسَى النَّحْوِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْحَامِضِ ، أَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ ثَعْلَبٍ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ ثَعْلَبٍ. |
| وَيُوسُفُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ يَعْقُوبَ الرَّازِيُّ ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ ذِي النُّونِ الْمِصْرِيِّ ، وَهُوَ صَاحِبُ قِصَّةِ الْفَأْرَةِ مَعَهُ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي الْمُحَرَّمِ ، وَصَلَ رَسُولَانِ مِنْ مَلِكِ الرُّومِ إِلَى الْمُقْتَدِرِ يَطْلُبَانِ الْمُهَادَنَةَ وَالْفِدَاءَ ، فَأُكْرِمَا إِكْرَامًا كَثِيرًا ، وَأُدْخِلَا عَلَى الْوَزِيرِ وَهُوَ فِي أَكْمَلِ أُبَّهَةٍ ، وَقَدْ صُفَّ الْأَجْنَادُ بِالسِّلَاحِ ، وَالزِّينَةِ التَّامَّةِ ، وَأَدَّيَا الرِّسَالَةَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ إِنَّهُمَا دَخَلَا عَلَى الْمُقْتَدِرِ ، وَقَدْ جَلَسَ لَهُمَا ، وَاصْطَفَّ الْأَجْنَادُ بِالسِّلَاحِ وَالزِّينَةِ التَّامَّةِ ، وَأَدَّيَا الرِّسَالَةَ ، فَأَجَابَهُمَا الْمُقْتَدِرُ إِلَى مَا طَلَبَ مَلِكُ الرُّومِ مِنَ الْفِدَاءِ ، وَسَيَّرَ مُؤْنِسًا الْخَادِمَ لِيُحْضِرَ الْفِدَاءَ ، وَجَعَلَهُ أَمِيرًا عَلَى كُلِّ بَلَدٍ يَدْخُلُهُ يَتَصَرَّفُ فِيهِ عَلَى مَا يُرِيدُ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ عَنْهُ ، وَسَيَّرَ مَعَهُ جَمْعًا مِنَ الْجُنُودِ ، وَأَطْلَقَ لَهُمْ أَرْزَاقًا وَاسِعَةً ، وَأَنْفَذَ مَعَهُ مِائَةَ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفِ دِينَارٍ لِفِدَاءِ أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ ، وَسَارَ مُؤْنِسٌ وَالرُّسُلُ ، وَكَانَ الْفِدَاءُ عَلَى يَدِ مُؤْنِسٍ. |
| وَفِيهَا أُطْلِقَ أَبُو الْهَيْجَاءِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمْدَانَ ، وَإِخْوَتُهُ ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ مِنَ الْحَبْسِ ، وَكَانُوا مَحْبُوسِينَ بِدَارِ الْخَلِيفَةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ حَبْسِهِمْ وَسَبَبِهِ. |
| وَفِيهَا مَاتَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَمْرٍو الْغَنَوِيُّ وَكَانَ مُتَقَلِّدًا أَعْمَالَ الْحَرْبِ بِدِيَارِ مِصْرَ ، فَجُعِلَ مَكَانَهُ وَصِيفٌ الْبُكْتُمْرِيُّ ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ضَبْطِ الْعَمَلِ ، فَعُزِلَ ، وَجُعِلَ مَكَانَهُ جِنِّيٌّ الصَّفْوَانِيُّ ، فَضَبَطَهُ أَحْسَنَ ضَبْطٍ . |
| وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ بِالْبَصْرَةِ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَسَبَبُهَا أَنَّهُ كَانَ الْحَسَنُ بْنُ الْخَلِيلِ بْنِ رَمَّالٍ مُتَقَلِّدًا أَعْمَالَ الْحَرْبِ بِالْبَصْرَةِ ، وَأَقَامَ بِهَا سِنِينَ ، وَجَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَامَّةِ مِنْ مُضَرَ وَرَبِيعَةَ فِتَنٌ كَثِيرَةٌ ، وَسَكَنَتْ ، ثُمَّ ثَارَتْ بَيْنَهُمْ فِتْنَةٌ اتَّصَلَتْ ، فَلَمْ يُمْكِنْهُ الْخُرُوجُ مِنْ مَنْزِلِهِ بِرَحْبَةِ بَنِي نُمَيْرٍ ، وَاجْتَمَعَ الْجُنْدُ كُلُّهُمْ مَعَهُ ، وَكَانَ لَا يُوجَدُ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي طَرِيقٍ إِلَّا قُتِلَ ، حَتَّى حُوصِرَتْ ، وَغُوِّرَتِ الْقَنَاةُ الَّتِي يَجْرِي فِيهَا الْمَاءُ إِلَى بَنِي نُمَيْرٍ ، فَاضْطَرَّ إِلَى الرُّكُوبِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ، فَقَتَلَ مِنَ الْعَامَّةِ خَلْقًا كَثِيرًا. |
| فَلَمَّا عَجَزَ عَنْ إِصْلَاحِهِمْ خَرَجَ هُوَ وَمَعَهُ الْأَعْيَانُ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ إِلَى وَاسِطَ ، فَعُزِلَ عَنْهَا ، وَاسْتُعْمِلَ أَبُو دُلَفٍ هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُزَاعِيُّ عَلَيْهَا فَبَقِيَ نَحْوَ سَنَةٍ وَصُرِفَ عَنْهَا ، وَوَلِيَهَا سُبُكٌ الْمُفْلِحِيُّ نِيَابَةً عَنْ شَفِيعٍ الْمُقْتَدِرِيِّ. |
| وَفِيهَا عُقِدَ لِثُمَالٍ الْخَادِمِ عَلَى الْغَزَاةِ فِي بَحْرِ الرُّومِ ، وَسَارَ وَفِيهَا غَزَا جِنِّيُّ الصَّفْوَانِيُّ بِلَادَ الرُّومِ ، فَغَنِمَ وَنَهَبَ وَسَبَى وَعَادَ سَالِمًا الْوَفَيَاتُ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ أَبُو خَلِيفَةَ الْمُحَدِّثُ الْبَصْرِيُّ. |
| وَفِيهَا ، فِي جُمَادَى الْأُولَى ، مَاتَ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ الْعَسْكَرِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالسَّمَّانِ ، وَيُعْرَفُ أَيْضًا بِالْعَمْرِيِّ ، رَئِيسُ الْإِمَامِيَّةِ ، وَكَانَ يَدَّعِي أَنَّهُ الْبَابُ إِلَى الْإِمَامِ الْمُنْتَظَرِ ، وَأَوْصَى إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ رَوْحٍ. |
| وَفِي آخِرِهَا تُوُفِّيَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ شُرَيْحٍ وَكَانَ عَالِمًا بِمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ عَزْلِ ابْنِ الْفُرَاتِ وَوِزَارَةِ حَامِدِ بْنِ الْعَبَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، قُبِضَ عَلَى الْوَزِيرِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفُرَاتِ ، وَكَانَتْ مُدَّةُ وِزَارَتِهِ هَذِهِ ، وَهِيَ الثَّانِيَةُ ، سَنَةً وَاحِدَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ أَخَّرَ إِطْلَاقَ أَرْزَاقِ الْفُرْسَانِ ، وَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِضِيقِ الْأَمْوَالِ ، وَأَنَّهَا أُخْرِجَتْ فِي مُحَارَبَةِ ابْنِ أَبِي السَّاجِ ، وَأَنَّ الِارْتِفَاعَ نَقَصَ بِأَخْذِ يُوسُفَ أَمْوَالَ الرَّيِّ وَأَعْمَالَهَا ، فَشَغَبَ الْجُنْدُ شَغَبًا عَظِيمًا ، وَخَرَجُوا إِلَى الْمُصَلَّى ، وَالْتَمَسَ ابْنُ الْفُرَاتِ مِنَ الْمُقْتَدِرِ إِطْلَاقَ مِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ الْخَاصِّ لِيُضِيفَ إِلَيْهَا مِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ يُحَصِّلُهَا ، وَيَصْرِفُ الْجَمِيعَ فِي أَرْزَاقِ الْجُنْدِ ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُقْتَدِرِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ إِنَّكَ ضَمِنْتَ أَنَّكَ تُرْضِي جَمِيعَ الْأَجْنَادِ ، وَتَقُومُ بِجَمِيعِ النَّفَقَاتِ الرَّاتِبَةِ عَلَى الْعَادَةِ الْأُولَى وَتَحْمِلُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا ضَمِنْتَ أَنَّكَ تَحْمِلُهُ يَوْمًا بِيَوْمٍ ، فَأَرَاكَ تَطْلُبُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ الْخَاصِّ ، فَاحْتَجَّ بِقِلَّةِ الِارْتِفَاعِ ، وَمَا أَخَذَهُ ابْنُ أَبِي السَّاجِ مِنَ الِارْتِفَاعِ وَمَا خَرَجَ عَلَى مُحَارَبَتِهِ ، فَلَمْ يَسْمَعِ الْمُقْتَدِرُ حُجَّتَهُ وَتَنَكَّرَ لَهُ عَلَيْهِ. |
| وَقِيلَ كَانَ سَبَبُ قَبْضِهِ أَنَّ الْمُقْتَدِرَ قِيلَ لَهُ إِنَّ ابْنَ الْفُرَاتِ يُرِيدُ إِرْسَالَ الْحُسَيْنِ بْنِ حَمْدَانَ إِلَى ابْنِ أَبِي السَّاجِ لِيُحَارِبَهُ ، وَإِذَا صَارَ عِنْدَهُ اتَّفَقَا عَلَيْكَ ، ثُمَّ إِنَّ ابْنَ الْفُرَاتِ قَالَ لِلْمُقْتَدِرِ فِي إِرْسَالِ الْحُسَيْنِ إِلَى ابْنِ أَبِي السَّاجِ ، فَقَتَلَ ابْنَ حَمْدَانَ فِي جُمَادَى الْأُولَى ، وَقَبَضَ عَلَى ابْنِ الْفُرَاتِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ. |
| ثُمَّ إِنَّ بَعْضَ الْعُمَّالِ ذَكَرَ لِابْنِ الْفُرَاتِ مَا يَتَحَصَّلُ لِحَامِدِ بْنِ الْعَبَّاسِ مِنْ أَعْمَالِ وَاسِطَ زِيَادَةً عَلَى ضَمَانِهِ ، فَاسْتَكْثَرَهُ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُكَاتِبَهُ بِذَلِكَ ، فَكَاتَبَهُ ، فَخَافَ حَامِدٌ أَنْ يُؤْخَذَ وَيُطَالَبَ بِذَلِكَ الْمَالِ ، فَكَتَبَ إِلَى نَصْرٍ الْحَاجِبِ وَإِلَى وَالِدِهِ الْمُقْتَدِرِ ، وَضَمِنَ لَهُمَا مَالًا لِيَتَحَدَّثَا لَهُ فِي الْوِزَارَةِ ، فَذَكَرَ لِلْمُقْتَدِرِ حَالَهُ وَسَعَةَ نَفْسِهِ ، وَكَثْرَةَ أَتْبَاعِهِ ، وَأَنَّهُ لَهُ أَرْبَعُمِائَةِ مَمْلُوكٍ يَحْمِلُونَ السِّلَاحَ ، وَاتَّفَقَ ذَلِكَ عِنْدَ نَفْرَةِ الْمُقْتَدِرِ عَنِ ابْنِ الْفُرَاتِ ، فَأَمَرَهُ بِالْحُضُورِ مِنْ وَاسِطَ ، فَحَضَرَ وَقَبَضَ عَلَى ابْنِ الْفُرَاتِ وَوَلَدِهِ الْمُحَسِّنِ وَأَصْحَابِهِمَا وَأَتْبَاعِهِمَا. |
| وَلَمَّا وَصَلَ حَامِدٌ إِلَى بَغْدَاذَ أَقَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي دَارِ الْخَلِيفَةِ ، فَكَانَ يَتَحَدَّثُ مَعَ النَّاسِ ، وَيُضَاحِكُهُمْ ، وَيَقُومُ لَهُمْ ، فَبَانَ لِلْخَدَمِ وَلِأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْحَوَارِيِّ وَحَاشِيَةِ الدَّارِ قِلَّةُ مَعْرِفَتِهِ بِالْوِزَارَةِ ، وَقَالَ لَهُ حَاجِبُهُ يَا مَوْلَانَا! |
| الْوَزِيرُ يَحْتَاجُ إِلَى لُبْسِهِ ، وَجَلْسِهِ ، وَعَبَسِهِ ، فَقَالَ لَهُ تَعْنِي أَنْ تَلْبَسَ ، وَتَقْعُدَ ، فَلَا تَقُومَ لِأَحَدٍ ، وَلَا تَضْحَكَ فِي وَجْهِ أَحَدٍ ، وَلَا تُحَدَّثَ أَحَدًا ؟ |
| قَالَ نَعَمْ. |
| قَالَ حَامِدٌ إِنَّ اللَّهَ أَعْطَانِي وَجْهًا طَلْقًا ، وَخَلْقًا حَسَنًا ، وَمَا كُنْتُ بِالَّذِي أُعَبِّسُ وَجْهِي ، وَأُقَبِّحُ خَلْقِي لِأَجْلِ الْوِزَارَةِ ، فَعَابُوهُ عِنْدَ الْمُقْتَدِرِ ، وَنَسَبُوهُ إِلَى الْجَهْلِ بِأُمُورِ الْوِزَارَةِ ، فَأَمَرَ الْمُقْتَدِرُ بِإِطْلَاقِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى مِنْ مَحْبِسِهِ ، وَجَعَلَهُ يَتَوَلَّى الدَّوَاوِينَ شِبْهَ النَّائِبِ عَنْ حَامِدٍ ، فَكَانَ يُرَاجِعُهُ فِي الْأُمُورِ وَيَصْدُرُ عَنْ رَأْيِهِ ، ثُمَّ إِنَّهُ اسْتَبَدَّ بِالْأَمْرِ دُونَ حَامِدٍ ، وَلَمْ يَبْقَ لِحَامِدٍ غَيْرُ اسْمِ الْوِزَارَةِ وَمَعْنَاهَا لِعَلِيٍّ ، حَتَّى قِيلَ فِيهِمَا هَذَا وَزِيرٌ بِلَا سَوَادٍ وَذَا سَوَادٌ بِلَا وَزِيرٍ ثُمَّ إِنَّ حَامِدًا أَحْضَرَ ابْنَ الْفُرَاتِ لِيُقَابِلَهُ عَلَى أَعْمَالِهِ ، وَوَكَّلَ بِمُنَاظَرَتِهِ عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدَ الْمَادَرَائِيَّ لِيُصَحِّحَ عَلَيْهِ الْأَمْوَالَ ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِثْبَاتِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ ، فَانْتُدِبَ لَهُ حَامِدٌ ، وَسَبَّهُ ، وَنَالَ مِنْهُ ، وَقَامَ إِلَيْهِ فَلَكَمَهُ. |
| وَكَانَ حَامِدٌ سَفِيهًا فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْفُرَاتِ أَنْتَ عَلَى بِسَاطِ السُّلْطَانُ ، وَفِي دَارِ الْمَمْلَكَةِ ، وَلَيْسَ هَذَا الْمَوْضِعُ مِمَّا تَعْرِفُهُ مِنْ بَيْدَرٍ تُقَسِّمُهُ ، أَوْ غَلَّةٍ تَسْتَفْضِلُ فِي كَيْلِهَا ، وَلَا هُوَ مِثْلُ أَكَّارٍ تَشْتُمُهُ ، ثُمَّ قَالَ لِشَفِيعٍ اللُّؤْلُؤِيِّ قُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنِّي إِنَّ حَامِدًا إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى الدُّخُولِ فِي الْوِزَارَةِ ، وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا ، إِنَّنِي أَوْجَبْتُ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفَيْ أَلْفِ دِينَارٍ مِنْ فَضْلِ ضَمَانِهِ ، وَأَلْحَحْتُ فِي مُطَالَبَتِهِ بِهَا ، فَظَنَّ أَنَّهَا تَنْدَفِعُ عَنْهُ بِدُخُولِهِ فِي الْوِزَارَةِ ، وَأَنَّهُ يُضِيفُ إِلَيْهَا غَيْرَهَا ، فَاسْتَشَاطَ حَامِدٌ وَبَالَغَ فِي شَتْمِهِ ، فَأَنْفَذَ الْمُقْتَدِرُ ، فَأَقَامَ ابْنُ الْفُرَاتِ مِنْ مَجْلِسِهِ ، وَرَدَّهُ إِلَى مَحْبِسِهِ ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى ، وَنَصْرٌ الْحَاجِبُ لِحَامِدٍ قَدْ جَنَيْتَ عَلَيْنَا وَعَلَى نَفْسِكَ جِنَايَةً عَظِيمَةً بِمَا فَعَلْتَهُ بِابْنِ الْفُرَاتِ ، وَأَيْقَظْتَ مِنْهُ شَيْطَانًا لَا يَنَامُ. |
| ثُمَّ إِنَّ ابْنَ الْفُرَاتِ صُودِرَ عَلَى مَالٍ عَظِيمٍ ، وَضُرِبَ وَلَدُهُ الْمُحَسِّنُ وَأَصْحَابُهُ ، وَأُخِذَ مِنْهُ أَمْوَالٌ جَمَّةٌ. |
| وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عُزِلَ نِزَارٌ عَنْ شُرْطَةِ بَغْدَاذَ ، وَجُعِلَ فِيهَا نَجَحٌ الطُّولُونِيُّ ، وَجُعِلَ فِي الْأَرْبَاعِ فُقَهَاءُ يَكُونُ عَمَلُ أَصْحَابِ الشُّرْطَةِ بِفَتْوَاهُمْ ، فَضَعُفَتْ هَيْبَةُ السَّلْطَنَةِ بِذَلِكَ ، وَطَمِعَ اللُّصُوصُ وَالْعَيَّارُونَ ، وَكَثُرَتِ الْفِتَنُ ، وَكُبِسَتْ دُورُ التُّجَّارِ ، وَأُخِذَتْ بَنَاتُ النَّاسِ فِي الطَّرِيقِ الْمُنْقَطِعَةِ ، وَكَثُرَ الْمُفْسِدُونَ . |
| ذِكْرُ إِرْسَالِ الْمَهْدِيِّ الْعَلَوِيِّ الْعَسَاكِرَ إِلَى مِصْرَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ جَهَّزَ الْمَهْدِيُّ صَاحِبُ إِفْرِيقِيَّةَ جَيْشًا كَثِيفًا مَعَ ابْنِهِ أَبِي الْقَاسِمِ ، وَسَيَّرَهُمْ إِلَى مِصْرَ ، وَهِيَ الْمَرَّةُ الثَّانِيَةُ ، فَوَصَلَ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فِي رَبِيعٍ الْآخَرِ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَخَرَجَ عَامِلُ الْمُقْتَدِرِ عَنْهَا ، وَدَخَلَهَا الْقَائِمُ ، وَرَحَلَ إِلَى مِصْرَ ، فَدَخَلَ الْجِيزَةَ ، وَمَلَكَ الْأُشْمُونِينَ وَكَثِيرًا مِنَ الصَّعِيدِ ، وَكَتَبَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الدُّخُولِ فِي طَاعَتِهِ فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ. |
| وَوَرَدَتْ بِذَلِكَ الْأَخْبَارُ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَبَعَثَ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ مُؤْنِسًا الْخَادِمَ فِي شَعْبَانَ ، وَجَدَّ فِي السَّيْرِ فَوَصَلَ إِلَى مِصْرَ ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَائِمِ عِدَّةُ وَقَعَاتٍ ، وَوَصَلَ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ ثَمَانُونَ مَرْكَبًا نَجْدَةً لِلْقَائِمِ ، فَأَرْسَتْ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، وَعَلَيْهَا سُلَيْمَانُ الْخَادِمُ ، وَيَعْقُوبُ الْكُتَامِيُّ ، وَكَانَا شُجَاعَيْنِ ، فَأَمَرَ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ أَنْ يُسَيِّرَ مَرَاكِبَ طَرَسُوسَ إِلَيْهِمْ ، فَسَارَ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ مَرْكَبًا ، وَفِيهَا النِّفْطُ وَالْعُدَدُ ، وَمُقَدَّمُهَا أَبُو الْيُمْنِ ، فَالْتَقَتِ الْمَرَاكِبُ بِالْمَرَاكِبِ ، وَاقْتَتَلُوا عَلَى رَشِيدٍ ، فَظَفِرَ أَصْحَابُ مَرَاكِبِ الْمُقْتَدِرِ ، وَأَحْرَقُوا كَثِيرًا مِنْ مَرَاكِبِ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَهَلَكَ أَكْثَرُ أَهْلِهَا ، وَأُسِرَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ ، وَفِي الْأَسْرَى سُلَيْمَانُ الْخَادِمُ ، وَيَعْقُوبُ ، فَقُتِلَ مِنَ الْأَسْرَى كَثِيرٌ ، وَأُطْلِقَ كَثِيرٌ ، وَمَاتَ سُلَيْمَانُ فِي الْحَبْسِ بِمِصْرَ ، وَحُمِلَ يَعْقُوبُ إِلَى بَغْدَاذَ ، ثُمَّ هَرَبَ مِنْهَا وَعَادَ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ. |
| وَأَمَّا عَسْكَرُ الْقَائِمِ فَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُؤْنِسٍ وَقَعَاتٌ كَثِيرَةٌ ، وَكَانَ الظَّفَرُ لِمُؤْنِسٍ فَلُقِّبَ حِينَئِذٍ بِالْمُظَفَّرِ. |
| وَوَقَعَ الْوَبَاءُ فِي عَسْكَرِ الْقَائِمِ ، وَالْغَلَاءُ ، فَمَاتَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَالْخَيْلِ ، فَعَادَ مَنْ سَلِمَ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ ، وَسَارَ عَسْكَرُ مِصْرَ فِي أَثَرِهِمْ ، حَتَّى أُبْعِدُوا ، فَوَصَلَ الْقَائِمُ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ فِي رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا بِشْرٌ الْأَفْشِينِيُّ بِلَادَ الرُّومِ ، فَافْتَتَحَ عِدَّةَ حُصُونٍ ، وَغَنَمَ ، وَسَلِمَ. |
| وَغَزَا ثَمِلٌ فِي بَحْرِ الرُّومِ ، فَغَنِمَ ، وَسَبَى ، وَعَادَ ، وَكَانَ عَلَى الْمَوْصِلِ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ حَمَّادٍ الْمَوْصِلِيُّ. |
| وَفِيهَا دَخَلَ جِنِّيٌّ الصَّفْوَانِيُّ بِلَادَ الرُّومِ ، فَنَهَبَ ، وَخَرَّبَ ، وَأَحْرَقَ ، وَفَتَحَ وَعَادَ ، فَقُرِئَتِ الْكُتُبُ عَلَى الْمَنَابِرِ بِبَغْدَاذَ بِذَلِكَ. |
| وَفِيهَا وَقَعَتْ فِتْنَةٌ بِبَغْدَاذَ بَيْنَ الْعَامَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ ، فَأَخَذَ الْخَلِيفَةُ جَمَاعَةً مِنْهُمْ وَسَيَّرَهُمْ إِلَى الْبَصْرَةِ فَحُبِسُوا. |
| وَفِيهَا أَمَرَ الْمُقْتَدِرُ بِبِنَاءِ بِيمَارِسْتَانَ ، فَبُنِيَ ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ النَّفَقَاتُ الْكَثِيرَةُ ، وَكَانَ يُسَمَّى الْبِيمَارِسْتَانَ الْمُقْتَدَرِيَّ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفِ بْنِ حَيَّانَ أَبُو بَكْرٍ الضَّبِّيُّ الْمَعْرُوفُ بِوَكِيعٍ ، وَكَانَ عَالِمًا بِأَخْبَارِ النَّاسِ وَغَيْرِهَا ، وَلَهُ تَصَانِيفُ حَسَنَةٌ. |
| وَالْقَاضِي أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ شُرَيْحٍ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ وَلَهُ سَبْعٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً. |
| وَفِيهَا مَاتَ كُنَيْزٌ الْمُغَنِّي ، وَهُوَ مَشْهُورٌ بِالْحِذْقِ فِي الْغِنَاءِ. |
| كُنَيْزٌ بِضَمِّ الْكَافِ وَفَتْحِ النُّونِ وَآخِرُهَا زَايٌ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ضَمِنَ حَامِدُ بْنُ الْعَبَّاسِ أَعْمَالَ الْخَرَاجِ ، وَالضِّيَاعِ الْخَاصَّةِ ، وَالْعَامَّةِ ، وَالْمُسْتَحْدَثَةِ ، وَالْفُرَاتِيَّةِ بِسَوَادِ بَغْدَاذَ ، وَالْكُوفَةِ ، وَوَاسِطَ ، وَالْبَصْرَةِ ، وَالْأَهْوَازِ ، وَأَصْبَهَانَ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا رَأَى أَنَّهُ قَدْ تَعَطَّلَ عَنِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَتَفَرَّدَ بِهِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى شَرَعَ فِي هَذَا لِيَصِيرَ لَهُ حَدِيثٌ وَأَمْرٌ وَنَهْيٌ ، وَاسْتَأْذَنَ الْمُقْتَدِرَ فِي الِانْحِدَارِ إِلَى وَاسِطَ لِيُدَبِّرَ أَمْرَ ضَمَانِهِ الْأَوَّلِ ، فَأَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَانْحَدَرَ إِلَيْهَا وَاسْمُ الْوِزَارَةِ عَلَيْهِ ، وَعَلِيُّ بْنُ عِيسَى يُدَبِّرُ الْأُمُورَ ، وَأَظْهَرَ حَامِدٌ زِيَادَةً ظَاهِرَةً فِي الْأَمْوَالِ ، وَزَادَ زِيَادَةً مُتَوَفِّرَةً ، فَسُرَّ الْمُقْتَدِرُ بِذَلِكَ ، وَبَسَطَ يَدَ حَامِدٍ عَلَى الْأَعْمَالِ ، حَتَّى خَافَهُ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى. |
| ثُمَّ إِنَّ السِّعْرَ تَحَرَّكَ بِبَغْدَاذَ ، فَثَارَتِ الْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ لِذَلِكَ ، وَاسْتَغَاثُوا ، وَكَسَرُوا الْمَنَابِرَ ، وَكَانَ حَامِدٌ يُخَزِّنُ الْغِلَالَ ، وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ مِنَ الْقُوَّادِ وَنُهِبَتْ عِدَّةٌ مِنْ دَكَاكِينِ الدَّقَاقِينَ ، فَأَمَرَ الْمُقْتَدِرُ بِإِحْضَارِ حَامِدِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، فَحَضَرَ مِنَ الْأَهْوَازَ ، فَعَادَ النَّاسُ مِنْ شَغَبِهِمْ ، فَأُنْفِذَ حَامِدٌ لِمَنْعِهِمْ ، فَقَاتَلُوهُمْ ، وَأَحْرَقُوا الْجِسْرَيْنِ ، وَأَخْرَجُوا الْمُحَبَّسِينَ مِنَ السُّجُونِ ، وَنَهَبُوا دَارَ صَاحِبِ الشُّرْطَةِ ، وَلَمْ يَتْرُكُوا لَهُ شَيْئًا ، فَأَنْفَذَ الْمُقْتَدِرُ جَيْشًا مَعَ غَرِيبِ الْخَالِ ، فَقَاتَلَ الْعَامَّةَ ، فَهَرَبُوا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَدَخَلُوا الْجَامِعَ بِبَابِ الطَّاقِ ، فَوَكَّلَ بِأَبْوَابِ الْجَامِعِ ، وَأَخَذَ كُلَّ مَنْ فِيهِ فَحَبَسَهُمْ ، وَضَرَبَ بَعْضَهُمْ ، وَقَطَعَ أَيْدِي مَنْ يُعْرَفُ بِالْفَسَادِ. |
| ثُمَّ أَمَرَ الْمُقْتَدِرُ مِنَ الْغَدِ ، فَنُودِيَ فِي النَّاسِ بِالْأَمَانِ ، فَسَكَنَتِ الْفِتْنَةُ ، ثُمَّ إِنْ حَامِدًا رَكِبَ إِلَى دَارِ الْمُقْتَدِرِ فِي الطَّيَّارِ ، فَرَجَمَهُ الْعَامَّةُ ، ثُمَّ أَمَرَ الْمُقْتَدِرُ بِتَسْكِينِهِمْ فَسَكَنُوا ، وَأَمَرَ الْمُقْتَدِرُ بِفَتْحِ مَخَازِنِ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ الَّتِي لِحَامِدٍ ، وَلِأُمِّ الْمُقْتَدِرِ ، وَغَيْرِهِمَا ، وَبَيْعِ مَا فِيهَا ، فَرَخُصَتِ الْأَسْعَارُ ، وَسَكَنَ النَّاسُ ، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى لِلْمُقْتَدِرِ إِنَّ سَبَبَ غَلَاءِ الْأَسْعَارِ إِنَّمَا هُوَ ضَمَانُ حَامِدٍ لِأَنَّهُ مَنَعَ مِنْ بَيْعِ الْغِلَالِ فِي الْبَيَادِرِ وَخَزَنَهَا ، فَأَمَرَ بِفَسْخِ الضَّمَانِ عَنْ حَامِدٍ ، وَصَرْفِ عُمَّالِهِ عَنِ السَّوَادِ ، وَأَمَرَ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى أَنْ يَتَوَلَّى ذَلِكَ ، فَسَكَنَ النَّاسُ وَاطْمَأَنُّوا ، وَكَانَ أَصْحَابُ حَامِدٍ يَقُولُونَ إِنَّ ذَلِكَ الشَّغَبَ كَانَ بِوَضْعٍ مِنْ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى. |
| ذِكْرُ أَمْرِ أَحْمَدَ بْنِ سَهْلٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ظَفِرَ الْأَمِيرُ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ صَاحِبُ خُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ بِأَحْمَدَ بْنِ سَهْلٍ ، وَنَحْنُ نَذْكُرُ حَالَهُ مِنْ أَوَّلِهِ. |
| كَانَ أَحْمَدُ بْنُ سَهْلٍ هَذَا مِنْ كِبَارِ قُوَّادِ الْأَمِيرِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ ، وَوَلَدِهِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، وَوَلَدِهِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ ذِكْرِ تَقَدُّمِهِ عَلَى الْجُيُوشِ فِي الْحُرُوبِ مَا يَدُلُّ عَلَى عُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ. |
| وَهُوَ أَحْمَدُ بْنُ سَهْلِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ جَبَلَةَ بْنِ كَامْكَارَ بْنِ يَزْدَجِرْدَ بْنِ شَهْرَيَارَ الْمَلِكِ ، وَكَانَ كَامْكَارُ دِهْقَانًا بِنُوَاحِي مَرْوَ ، وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ الْوَرْدُ الْكَامْكَارِيُّ ، وَهُوَ الشَّدِيدُ الْحُمْرَةِ ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى بِالرَّيِّ الْقَصْرَانِيَّ ، وَبِالْعِرَاقِ وَالْجَزِيرَةِ وَالشَّامِ الْجُورِيَّ ، يُنْسَبُ إِلَى قَصْرَانَ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ بِالرَّيِّ ، وَإِلَى مَدِينَةِ جُورَ ، وَهِيَ مِنْ مُدُنِ فَارِسَ. |
| وَكَانَ لِأَحْمَدَ إِخْوَةٌ يُقَالُ لَهُمْ مُحَمَّدٌ ، وَالْفَضْلُ ، وَالْحُسَيْنُ ، قُتِلُوا فِي عَصَبِيَّةِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ بِمَرْوَ ، وَكَانَ أَحْمَدُ خَلِيفَةَ عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ عَلَى مَرْوَ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ عَمْرٌو ، وَنَقَلَهُ إِلَى سِجِسْتَانَ ، فَحَبَسَهُ بِهَا ، فَرَأَى وَهُوَ فِي السِّجْنِ كَأَنَّ يُوسُفَ النَّبِيَّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، عَلَى بَابِ السِّجْنِ ، فَقَالَ لَهُ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُخَلِّصَنِي وَيُوَلِّيَنِي! |
| فَقَالَ لَهُ قَدْ أَذِنَ اللَّهُ فِي خَلَاصِكَ ، لَكِنَّكَ لَا تَلِي عَمَلًا بِرَأْسِكَ. |
| ثُمَّ إِنَّ أَحْمَدَ طَلَبَ الْحَمَّامَ فَأُدْخِلُ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَ النُّورَةَ فَطَلَى بِهَا رَأْسَهُ وَلِحْيَتَهُ فَسَقَطَ شَعْرُهُ ، وَخَرَجَ مِنَ الْحَمَّامِ وَلَمْ يَعْرِفْهُ أَحَدٌ ، فَاخْتَفَى ، فَطَلَبَهُ عَمْرٌو فَلَمْ يَظْفَرْ بِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ سِجِسْتَانَ نَحْوَ مَرْوَ ، فَقَبَضَ عَلَى خَلِيفَةِ عَمْرٍو وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَاسْتَأْمَنَ إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ بِبُخَارَى ، فَأَكْرَمَهُ ، وَقَدَّمَهُ ، وَرَفَعَ قَدْرَهُ ، وَكَانَ عَاقِلًا كَتُومًا لِأَسْرَارِهِ. |
| فَلَمَّا عَصَى الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ سَيَّرَ إِلَيْهِ أَحْمَدَ ، فَظَفِرَ بِهِ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَضِمِنَ لَهُ الْأَمِيرُ نَصْرٌ أَشْيَاءَ لَمْ يَفِ لَهُ بِهَا ، فَاسْتَوْحَشَ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَتَاهُ يَوْمًا بَعْضُ أَصْحَابِ أَبِي جَعْفَرٍ صُعْلُوكٍ ، فَحَادَثَهُ ، فَأَنْشَدَهُ أَحْمَدُ بْنُ سَهْلٍ ، وَقَدْ ذَكَرَ حَالَهُ ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَفُوا لَهُ بِمَا وَعَدُوهُ سَتَقْطَعُ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي... |
| يَمِينَكَ ، فَانْظُرْ أَيَّ كَفَّيْكَ تُبْدِّلُ وَفِي النَّاسِ إِنْ رَثَّتْ حِبَالُكَ وَاصَلٌ... |
| وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْعُلَى مُتَحَوَّلُ إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ... |
| عَلَى طَرَفِ الْهِجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ وَتَرْكَبُ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تُضِيمَهُ... |
| إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَرْحَلُ إِذَا انْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكَدْ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ ، آخِرَ الدَّهْرِ ، تُقْبِلُ قَالَ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ أَضْمَرَ الْمُخَالَفَةَ ، فَلَمْ تَمْضِ إِلَّا أَيَّامٌ حَتَّى خَالَفَهُ بِنَيْسَابُورَ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا وَأَسْقَطَ خُطْبَةَ السَّعِيدِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ ، وَأَنْفَذَ رَسُولًا إِلَى بَغْدَاذَ يَخْطُبُ لَهُ أَعْمَالَ خُرَاسَانَ. |
| وَسَارَ مِنْ نَيْسَابُورَ إِلَى جُرْجَانَ وَبِهَا قُرَاتِكِينُ ، فَحَارَبَهُ ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَأَخْرَجَ قُرَائِكِينَ عَنْهَا ، ثُمَّ عَادَ إِلَى خُرَاسَانَ ، وَقَصَدَ مَرْوَ فَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَبَنَى عَلَيْهَا سُورًا وَتَحَصَّنَ بِهَا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ السَّعِيدُ نَصْرٌ الْجُيُوشَ مَعَ حَمُّوَيْهِ بْنِ عَلِيٍّ مِنْ بُخَارَى ، فَوَافَى مَرْوَ الرُّوذَ ، فَأَقَامَ بِنَوَاحِيهَا لِيَخْرُجَ إِلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ سَهْلٍ مِنْهَا ، فَلَمْ يَفْعَلْ. |
| وَدَخَلَ بَعْضُ أَصْحَابِ أَحْمَدَ عَلَيْهِ يَوْمًا ، وَهُوَ يُفَكِّرُ بَعْدَ نُزُولِ حَمُّوَيْهِ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ لَا شَكَّ أَنَّ الْأَمِيرَ مَشْغُولُ الْقَلْبِ لِهَذَا الْخَطْبِ ، فَمَا هُوَ رَأْيُ الْأَمِيرِ ؟ |
| فَقَالَ لَيْسَ بِي مَا تَظُنُّ ، وَلَكِنْ ذَكَرْتُ رُؤْيَا رَأَيْتُهَا فِي حَبْسِ سِجِسْتَانَ ، وَذَكَرَ قَوْلَ يُوسُفَ الصِّدِّيقِ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّكَ لَا تَلِي عَمَلًا بِرَأْسِكَ. |
| قَالَ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الْقَوْمَ يَغْتَنِمُونَ سِلْمَكَ ، وَيُعْطُونَكَ مَا تُرِيدُ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ يَتَوَسَّطَ الْحَالُ فَعَلْنَا ، فَأَنْشَدَ سَأَغْسِلُ عَنِّي الْعَارَ بِالسَّيْفِ جَالِبًا... |
| عَلَيَّ قَضَاءُ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِبًا وَلَمَّا رَأَى حَمُّوَيْهِ أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْ مَرْوَ عَمِلَ الْحِيلَةَ فِي ذَلِكَ ، فَجَعَلَ يَقُولُ قَدْ أَدْخَلْتُ ابْنَ سَهْلٍ فِي جُحْرِ فَأْرٍ ، وَسَدَدْتُ عَلَيْهِ وُجُوهَ الْفِرَارِ ، وَأَشْبَاهَ هَذَا الْكَلَامِ لِيَغْضَبَ أَحْمَدُ فَيَخْرُجَ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ، فَحِينَئِذٍ أَمَرَ حَمُّوَيْهِ جَمَاعَةً مِنْ ثِقَاتِ قُوَّادِهِ ، فَكَاتَبُوا أَحْمَدَ بْنَ سَهْلٍ سِرًّا ، وَأَظْهَرُوا لَهُ الْمَيْلَ ، وَدَعَوْهُ إِلَى الْخُرُوجِ مِنْ مَرْوَ لِيُسَلِّمُوا إِلَيْهِ حَمُّوَيْهِ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، لِمَا فِي نَفْسِهِ مِنَ الْغَيْظِ عَلَى حَمُّوَيْهِ ، فَخَرَجَ عَنْ مَرْوَ نَحْوَ حَمُّوَيْهِ ، فَالْتَقَوْا عَلَى مَرْحَلَةٍ مِنْ مَرْوِ الرُّوذِ فِي رَجَبٍ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ أَحْمَدَ ، وَحَارَبَ هُوَ إِلَى أَنْ عَجَزَتْ دَابَّتُهُ ، فَنَزَلَ عَنْهَا وَاسْتَأْمَنَ ، فَأَخَذُوهُ أَسِيرًا ، وَأَنْفَذُوهُ إِلَى بُخَارَى ، فَمَاتَ بِهَا فِي الْحَبْسِ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ. |
| وَكَانَ الْأَمِيرُ أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ يَقُولُ لَا يَنْبَغِي لِأَحْمَدَ بْنِ سَهْلٍ أَنْ يَغِيبَ عَنْ بَابِ السُّلْطَانِ ، فَإِنَّهُ إِنْ غَابَ عَنْهُ أَثَارَ شُغْلًا عَظِيمًا ، كَأَنَّهُ يَتَوَسَّمُ فِيهِ مَا فَعَلَ ، فَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ فِرَاسَةُ الْمَلِكِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَقَعَ حَرِيقٌ بَالْكَرْخِ مِنْ بَغْدَاذَ ، فَاحْتَرَقَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الدُّورِ وَالنَّاسِ. |
| وَفِيهَا قُلِّدَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْدَانَ دِيَارَ رَبِيعَةَ ، وَقُلِّدَ بُنِّيُّ بْنُ نَفِيسٍ شَهْرَزُورَ فَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِ ، فَاسْتَمَدَّ الْمُقْتَدِرَ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ جَيْشًا ، فَحَصَرَهَا وَلَمْ يَفْتَحْهَا ، وَقُلِّدَ الْقِتَالَ بِالْمَوْصِلِ وَأَعْمَالِهَا. |
| وَفِيهَا أَوْقَعَ ثَمِلٌ مُتَوَلِّي الْغَزْوِ فِي الْبَحْرِ بِمَرَاكِبَ لِلْمَهْدِيِّ الْعَلَوِيِّ ، صَاحِبِ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَقَتَلَ جَمَاعَةً مِمَّنْ فِيهَا ، وَأَسَرَ خَادِمًا لَهُ. |
| وَفِيهَا انْقَضَّ كَوْكَبٌ عَظِيمٌ ، فَاشْتَدَّ ضَوْءُهُ وَعَظُمَ ، وَتَفَرَّقَ ثَلَاثَ فِرَقٍ ، وَسُمِعَ عِنْدَ انْقِضَاضِهِ مِثْلُ صَوْتِ الرَّعْدِ الشَّدِيدِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي السَّمَاءِ غَيْمٌ. |
| وَفِيهَا كَانَتْ فِتْنَةٌ بِالْمَوْصِلِ بَيْنَ أَصْحَابِ الطَّعَامِ وَبَيْنَ الْأَسَاكِفَةِ ، وَاحْتَرَقَ سُوقُ الْأَسَاكِفَةِ وَمَا فِيهِ ، وَكَانَ الْوَالِيَ عَلَى الْمَوْصِلِ وَأَعْمَالِهَا الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ كُنْدَاجَ ، وَكَانَ خَارِجًا عَنِ الْبَلَدِ ، فَسَمِعَ بِالْفِتْنَةِ ، فَرَجَعَ لِيُوقِعَ بِأَهْلِ الْمَوْصِلِ ، فَعَزَمُوا عَلَى قِتَالِهِ ، وَحَصَّنُوا الْبَلَدَ ، وَسَدُّوا الدُّرُوبَ فَلَمَّا عَلِمَ بِذَلِكَ تَرَكَ قِتَالَهُمْ ، وَأَمَرَ الْأَعْرَابَ بِتَخْرِيبِ الْأَعْمَالِ ، فَصَارُوا يَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ عَلَى الْجِسْرِ وَفِي الْمَيْدَانِ ، وَيُقَاسِمُونَهُ. |
| فَخَرَّبَ الْبَلَدَ ، فَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى الْخَلِيفَةِ ، فَعَزَلَهُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَاسْتَعْمَلَ بَعْدَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُحَمَّدٍ الْفَتَّانَ ، وَكَانَ عَفِيفًا ، صَارِمًا ، كَفَّ الْأَعْرَابَ عَنِ الْبَلَدِ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو يَعْلَى أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْمُثَنَّى الْمَوْصِلِيُّ ، صَاحِبُ" الْمُسْنَدِ "بِهَا . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَلَعَ الْمُقْتَدِرُ عَلَى أَبِي الْهَيْجَاءِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدَانَ ، وَقُلِّدَ طَرِيقَ خُرَاسَانَ وَالدِّينَوَرِ ، وَخَلَعَ عَلَى أَخَوَيْهِ أَبِي الْعَلَاءِ وَأَبِي السَّرَايَا. |
| وَفِيهَا وَصَلَ رَسُولُ أَخِي صُعْلُوكٍ بِالْمَالِ ، وَالْهَدَايَا ، وَالتُّحَفِ ، وَيُخْبِرُ بِاسْتِمْرَارِهِ عَلَى الطَّاعَةِ لِلْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْدَانَ فِي الْمُحَرَّمِ. |
| وَفِيهَا قُلِّدَ بَدْرٌ الشَّرَابِيُّ دَقُوقَا ، وَعُكْبَرَا ، وَطَرِيقَ الْمَوْصِلِ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سُفْيَانَ صَاحِبُ مُسْلِمِ بْنِ الْحَجَّاجِ ، وَمِنْ طَرِيقِهِ يُرْوَى" صَحِيحُ مُسْلِمٍ "إِلَى الْيَوْمِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ قَتْلِ لَيْلَى بْنِ النُّعْمَانِ الدَّيْلَمِيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ لَيْلَى بْنُ النُّعْمَانِ الدَّيْلَمِيُّ ، وَكَانَ لَيْلَى هَذَا أَحَدَ قُوَّادِ أَوْلَادِ الْأُطْرُوشِ الْعَلَوِيِّ ، وَكَانَ إِلَيْهِ وِلَايَةُ جُرْجَانَ ، وَكَانَ قَدِ اسْتَعْمَلَهُ عَلَيْهَا الْحَسَنُ بْنُ الْقَاسِمِ الدَّاعِي سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ أَوْلَادُ الْأُطْرُوشِ يُكَاتِبُونَهُ الْمُؤَيِّدُ لِدِينِ اللَّهِ الْمُنْتَصِرُ لِآلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَى بْنُ النُّعْمَانِ ، وَكَانَ كَرِيمًا ، بَذَّالًا لِلْأَمْوَالِ ، شُجَاعًا ، مِقْدَامًا عَلَى الْأَهْوَالِ. |
| وَسَارَ مِنْ جُرْجَانَ إِلَى الدَّامِغَانِ ، فَحَارَبَهُ أَهْلُهَا ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً وَعَادَ إِلَى جُرْجَانَ ، فَابْتَنَى أَهْلُ الدَّامِغَانِ حِصْنًا يَحْمِيهِمْ ، وَسَارَ قُرَاتِكِينُ إِلَيْهِ بِجُرْجَانَ ، فَحَارَبَهُ عَلَى نَحْوِ عَشَرَةِ فَرَاسِخَ مِنْ جُرْجَانَ ، فَانْهَزَمَ قُرَاتِكِينُ ، وَاسْتَأْمَنَ غُلَامُهُ بَارِسُ إِلَى لَيْلَى وَمَعَهُ أَلْفُ فَارِسٍ ، فَأَكْرَمَهُ لَيْلَى ، وَزَوَّجَهُ أُخْتَهُ ، وَاسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ حَفْصٍ ابْنُ أُخْتِ أَحْمَدَ بْنِ سَهْلٍ ، فَأَكْرَمَهُ لَيْلَى. |
| ثُمَّ إِنَّ الْأَجْنَادَ كَثُرُوا عَلَى لَيْلَى بْنِ النُّعْمَانَ ، فَضَاقَتِ الْأَمْوَالُ عَلَيْهِ ، فَسَارَ نَحْوَ نَيْسَابُورَ بِأَمْرِ الْحَسَنِ بْنِ الْقَاسِمِ الدَّاعِي ، وَتَحْرِيضِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ حَفْصٍ وَكَانَ بِهَا قُرَاتِكِينُ ، فَوَرَدَهَا فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَأَقَامَ بِهَا الْخُطْبَةَ لِلدَّاعِي ، وَأَنْفَذَ السَّعِيدُ نَصْرٌ مِنْ بُخَارَى إِلَيْهِ حَمُّوَيْهِ بْنَ عَلِيٍّ ، فَالْتَقَوْا بِطُوسَ ، وَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ أَكْثَرُ أَصْحَابِ حَمُّوَيْهِ بْنِ عَلِيٍّ حَتَّى بَلَغُوا مَرْوَ ، وَثَبَتَ حَمُّوَيْهِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَلْغَمِيُّ ، وَأَبُو جَعْفَرٍ صُعْلُوكٌ ، وَخَوَارِزْمُ شَاهٍ وَسِيمَجُورُ الدَّوَاتِيُّ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ بَعْضُ أَصْحَابِ لَيْلَى ، وَمَضَى لَيْلَى مُنْهَزِمًا ، فَدَخَلَ لَيْلَى سِكَّةً لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهَا مَخْرَجٌ ، وَلَحِقَهُ بُغْرَا فِيهَا ، فَلَمْ يَقْدِرْ لَيْلَى عَلَى الْهَرَبِ ، فَنَزَلَ وَتَوَارَى فِي دَارٍ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ بُغْرَا ، وَأَنْفَذَ إِلَى حَمُّوَيْهِ فَأَعْلَمَهُ بِذَلِكَ ، فَأَنْفَذَ مَنْ قَطَعَ رَأْسَ لَيْلَى ، وَنَصَبَهُ عَلَى رُمْحٍ ، فَلَمَّا رَآهُ أَصْحَابُهُ طَلَبُوا الْأَمَانَ فَأُمِّنُوا. |
| ثُمَّ قَالَ حَمُّوَيْهِ لِلْجُنْدِ قَدْ مَكَّنَكُمُ اللَّهُ مِنْ شَيَاطِينِ الْجِيلِ وَالدَّيْلَمِ ، فَأَبِيدُوهُمْ وَاسْتَرِيحُوا مِنْهُمْ أَبَدَ الدَّهْرِ ، فَلَمْ يَفْعَلُوا ، وَحَامَى كُلُّ قَائِدٍ جَمَاعَةً فَخَرَجَ مِنْهُمْ مَنْ خَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَكَانَ قَتْلُ لَيْلَى فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَحُمِلَ رَأَسُهُ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَبَقِيَ بَارِسُ غُلَامُ قُرَاتِكِينَ بِجُرْجَانَ. |
| وَقِيلَ إِنَّ حَمُّوَيْهِ لَمَّا سَارَ إِلَى قِتَالِ لَيْلَى قِيلَ لَهُ إِنَّ لَيْلَى يَسْتَبْطِئُكَ فِي قَصْدِهِ ، فَقَالَ إِنِّي أَلْبَسُ أَحَدَ خُفَّيَّ لِلْحَرْبِ الْعَامَ ، وَالْآخَرَ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ ، فَبَلَغَ قَوْلُهُ لَيْلَى ، فَقَالَ لَكِنِّي أَلْبَسُ أَحَدَ خُفَّيَّ لِلْحَرْبِ قَاعِدًا ، وَالثَّانِيَ قَائِمًا وَرَاكِبًا فَلَمَّا قُتِلَ قَالَ حَمُّوَيْهِ هَكَذَا مَنْ تَعَجَّلَ إِلَى الْحَرْبِ. |
| ذِكْرُ قَتَلِ الْحُسَيْنِ الْحَلَّاجِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ مَنْصُورٍ الْحَلَّاجُ الصُّوفِيُّ وَأُحْرِقَ ، وَكَانَ ابْتِدَاءُ حَالِهِ أَنَّهُ كَانَ يُظْهِرُ الزُّهْدَ وَالتَّصَوُّفَ ، وَيُظْهِرُ الْكَرَامَاتِ ، وَيُخْرِجُ لِلنَّاسِ فَاكِهَةَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ وَفَاكِهَةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ ، وَيَمُدُّ يَدَهُ إِلَى الْهَوَاءِ فَيُعِيدُهَا مَمْلُوءَةً دَرَاهِمَ عَلَيْهَا مَكْتُوبٌ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، وَيُسَمِّيهَا دَرَاهِمَ الْقُدْرَةِ وَيُخْبِرُ النَّاسَ بِمَا أَكَلُوهُ ، وَمَا صَنَعُوهُ فِي بُيُوتِهِمْ ، وَيَتَكَلَّمُ بِمَا فِي ضَمَائِرِهِمْ فَافْتُتِنَ بِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَاعْتَقَدُوا فِي الْحُلُولِ ، وَبِالْجُمْلَةِ فَإِنَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوا فِيهِ اخْتِلَافَهُمْ فِي الْمَسِيحِ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَمِنْ قَائِلٍ إِنَّهُ حَلَّ فِيهِ جُزْءٌ إِلَهِيٌّ ، وَيَدَّعِي فِيهِ الرُّبُوبِيَّةَ ، وَمِنْ قَائِلٍ إِنَّهُ وَلِيُّ اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِنَّ الَّذِي يَظْهَرُ مِنْهُ مِنْ جُمْلَةِ كَرَامَاتِ الصَّالِحِينَ وَمِنْ قَائِلٍ إِنَّهُ مُشَعْبِذٌ ، وَمُمَخْرِقٌ ، وَسَاحِرٌ كَذَّابٌ ، وَمُتَكَهِّنٌ ، وَالْجِنُّ تُطِيعُهُ فَتَأْتِيهِ بِالْفَاكِهَةِ فِي غَيْرِ أَوَانِهَا. |
| وَكَانَ قَدِمَ مِنْ خُرَاسَانَ إِلَى الْعِرَاقِ وَسَارَ إِلَى مَكَّةَ فَأَقَامَ بِهَا سَنَةً فِي الْحِجْرِ لَا يَسْتَظِلُّ تَحْتَ سَقْفٍ شِتَاءً وَلَا صَيْفًا ، وَكَانَ يَصُومُ الدَّهْرَ ، فَإِذَا جَاءَ الْعَشَاءُ أَحْضَرَ لَهُ الْقَوَّامُ كُوزَ مَاءٍ ، وَقُرْصًا ، فَيَشْرَبُهُ ، وَيَعَضُّ مِنَ الْقُرْصِ ثَلَاثَ عَضَّاتٍ مِنْ جَوَانِبِهِ ، فَيَأْكُلُهَا وَيَتْرُكُ الْبَاقِيَ فَيَأْخُذُونَهُ ، وَلَا يَأْكُلُ شَيْئًا آخَرَ إِلَى الْغَدِ آخِرَ النَّهَارِ. |
| وَكَانَ شَيْخَ الصُّوفِيَّةِ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ عَبْدُ اللَّهِ الْمَغْرِبِيُّ ، فَأَخَذَ أَصْحَابَهُ وَمَشَى إِلَى زِيَارَةِ الْحَلَّاجِ ، فَلَمْ يَجِدْهُ فِي الْحِجْرِ ، وَقِيلَ لَهُ قَدْ صَعِدَ إِلَى جَبَلِ أَبِي قُبَيِسٍ ، فَصَعِدَ إِلَيْهِ ، فَرَآهُ عَلَى صَخْرَةٍ حَافِيًا ، مَكْشُوفَ الرَّأْسِ ، وَالْعَرَقُ يَجْرِي مِنْهُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَأَخَذَ أَصْحَابَهُ وَعَادَ وَلَمْ يُكَلِّمْهُ ، فَقَالَ هَذَا يَتَصَبَّرُ وَيَتَقَوَّى عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ ، سَوْفَ يَبْتَلِيهُ اللَّهُ بِمَا يَعْجَزُ عَنْهُ صَبْرُهُ وَقُدْرَتُهُ وَعَادَ الْحُسَيْنُ إِلَى بَغْدَاذَ. |
| وَأَمَّا سَبَبُ قَتْلِهِ فَإِنَّهُ نُقِلَ عَنْهُ عِنْدَ عَوْدِهِ إِلَى بَغْدَاذَ إِلَى الْوَزِيرِ حَامِدِ بْنِ الْعَبَّاسِ أَنَّهُ أَحْيَا جَمَاعَةً ، وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى ، وَأَنَّ الْجِنَّ يَخْدِمُونَهُ ، وَأَنَّهُمْ يُحْضِرُونَ عِنْدَهُ مَا يَشْتَهِي ، وَأَنَّهُ قَدَّمُوهُ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ حَوَاشِي الْخَلِيفَةِ ، وَأَنَّ نَصْرًا الْحَاجِبَ قَدْ مَالَ إِلَيْهِ وَغَيْرَهُ ، فَالْتَمَسَ حَامِدٌ الْوَزِيرُ مِنَ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ أَنْ يُسَلِّمَ إِلَيْهِ الْحَلَّاجَ وَأَصْحَابَهُ ، فَدَفَعَ عَنْهُ نَصْرٌ الْحَاجِبُ ، فَأَلَحَّ الْوَزِيرُ ، فَأَمَرَ الْمُقْتَدِرُ بِتَسْلِيمِهِ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَهُ ، وَأُخِذَ مَعَهُ إِنْسَانٌ يُعْرَفُ بِالشِّمْرِيِّ ، وَغَيْرِهِ ، قِيلَ إِنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ إِلَهٌ فَقَرَّرَهُمْ ، فَاعْتَرَفُوا أَنَّهُمْ قَدْ صَحَّ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ إِلَهٌ ، وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى ، وَقَابَلُوا الْحَلَّاجَ عَلَى ذَلِكَ ، فَأَنْكَرَهُ وَقَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَدَّعِي الرُّبُوبِيَّةَ ، أَوِ النُّبُوَّةَ ، وَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ أَعْبُدُ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ! |
| فَأَحْضَرَ حَامِدٌ الْقَاضِيَ أَبَا عَمْرٍو وَالْقَاضِيَ أَبَا جَعْفَرِ بْنَ الْبُهْلُولِ ، وَجَمَاعَةً مِنْ وُجُوهِ الْفُقَهَاءِ وَالشُّهُودِ ، فَاسْتَفْتَاهُمْ ، فَقَالُوا لَا يُفْتَى فِي أَمْرِهِ بِشَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَصِحَّ عِنْدَنَا مَا يُوجِبُ قَتْلَهُ ، وَلَا يَجُوزُ قَبُولُ قَوْلِ مَنْ يَدَّعِي عَلَيْهِ مَا ادَّعَاهُ إِلَّا بِبَيِّنَةٍ أَوْ إِقْرَارٍ. |
| وَكَانَ حَامِدٌ يُخْرِجُ الْحَلَّاجَ إِلَى مَجْلِسِهِ ، وَيَسْتَنْطِقُهُ ، فَلَا يَظْهَرُ مِنْهُ مَا تَكْرَهُهُ الشَّرِيعَةُ الْمُطَهَّرَةُ. |
| وَطَالَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ وَحَامِدٌ الْوَزِيرُ مُجِدٌّ فِي أَمْرِهِ ، وَجَرَى لَهُ مَعَهُ قِصَصٌ يَطُولُ شَرْحُهَا وَفِي آخِرِهَا أَنَّ الْوَزِيرَ رَأَى كِتَابًا حَكَى فِيهِ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَرَادَ الْحَجَّ ، وَلَمْ يُمْكِنْهُ ، أَفْرَدَ مِنْ دَارِهِ بَيْتًا لَا يَلْحَقُهُ شَيْءٌ مِنَ النَّجَاسَاتِ ، وَلَا يَدْخُلُهُ أَحَدٌ ، فَإِذَا حَضَرَتْ أَيَّامُ الْحَجِّ طَافَ حَوْلَهُ ، وَفَعَلَ مَا يَفْعَلُهُ الْحَاجُّ بِمَكَّةَ ثُمَّ يَجْمَعُ ثَلَاثِينَ يَتِيمًا ، وَيَعْمَلُ أَجْوَدَ طَعَامٍ يُمْكِنُهُ ، وَيُطْعِمُهُمْ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ ، وَيَخْدِمُهُمْ بِنَفْسِهِ ، فَإِذَا فَرَغُوا كَسَاهُمْ ، وَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ سَبْعَةَ دَرَاهِمَ فَإِذَا ، فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ كَمَنْ حَجَّ . |
| فَلَمَّا قُرِئَ هَذَا عَلَى الْوَزِيرِ قَالَ الْقَاضِي أَبُو عَمْرٍو لِلْحَلَّاجِ مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا ؟ |
| قَالَ مِنْ كِتَابِ" الْإِخْلَاصِ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ "، قَالَ لَهُ الْقَاضِي كَذَبْتَ يَا حَلَالَ الدَّمِ! |
| قَدْ سَمِعْنَاهُ بِمَكَّةَ وَلَيْسَ فِيهِ هَذَا ، فَلَمَّا قَالَ لَهُ يَا حَلَالَ الدَّمِ ، وَسَمِعَهَا الْوَزِيرُ قَالَ لَهُ اكْتُبْ بِهَذَا ، فَدَافَعَهُ أَبُو عَمْرٍو ، فَأَلْزَمَهُ حَامِدٌ ، فَكَتَبَ بِإِبَاحَةِ دَمِهِ ، وَكَتَبَ بَعْدَهُ مَنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ. |
| وَلَمَّا سَمِعَ الْحَلَّاجُ ذَلِكَ قَالَ مَا يَحِلُّ لَكُمْ دَمِي وَاعْتِقَادِي الْإِسْلَامُ وَمَذْهَبِي السُّنَّةُ ، وَلِي كُتُبٌ مَوْجُودَةٌ ، فَاللَّهَ اللَّهَ فِي دَمِي! |
| وَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَكَتَبَ الْوَزِيرُ إِلَى الْخَلِيفَةِ يَسْتَأْذِنُ فِي قَتْلِهِ وَأَرْسَلَ الْفَتَاوَى إِلَيْهِ ، فَأَذِنَ فِي قَتْلِهِ ، فَسَلَّمَهُ الْوَزِيرُ إِلَى صَاحِبِ الشُّرْطَةِ ، فَضَرَبَهُ أَلْفَ سَوْطٍ فَمَا تَأَوَّهَ ثُمَّ قَطَعَ يَدَهُ ، ثُمَّ رِجْلَهُ ، ثُمَّ يَدَهُ ، ثُمَّ رِجْلَهُ ، ثُمَّ قُتِلَ وَأُحْرِقَ بِالنَّارِ فَلَمَّا صَارَ رَمَادًا أُلْقِيَ فِي دِجْلَةَ ، وَنُصِبَ الرَّأْسُ بِبَغْدَاذَ ، وَأُرْسِلَ إِلَى خُرَاسَانَ لِأَنَّهُ كَانَ لَهُ بِهَا أَصْحَابٌ ، فَأَقْبَلَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَمْ يُقْتَلْ ، وَإِنَّمَا أُلْقِيَ شَبَهُهُ عَلَى دَابَّةٍ ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ لَقِيتُهُ عَلَى حِمَارٍ بِطَرِيقِ النَّهْرَوَانِ ، وَإِنَّهُ قَالَ لَهُمْ لَا تَكُونُوا مِثْلَ هَؤُلَاءِ الْبَقَرِ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنِّي ضُرِبْتُ وَقُتِلْتُ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَقَعَ حَرِيقٌ كَبِيرٌ فِي الْكَرْخِ ، فَاحْتَرَقَ فِيهِ بَشَرٌ كَثِيرٌ. |
| وَفِيهَا اسْتَعْمَلَ الْمُقْتَدِرُ عَلَى حَرْبِ الْمَوْصِلِ وَمَعُونَتِهَا مُحَمَّدَ بْنَ نَصْرٍ الْحَاجِبَ فِي جُمَادَى الْأُولَى ، وَسَارَ إِلَيْهَا فِيهِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا أَوْقَعَ بِمَنْ خَالَفَهُ مِنَ الْأَكْرَادِ الْمَارَانِيَّةِ ، فَقَتَلَ ، وَأَسَرَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى بَغْدَاذَ نَيِّفًا وَثَمَانِينَ أَسِيرًا ، فَشُهِرُوا. |
| وَفِيهَا قُلِّدَ دَاوُدُ بْنُ حَمْدَانَ دِيَارَ رَبِيعَةَ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَهْلِ بْنِ عَطَاءٍ الْآدَمِيُّ الصُّوفِيُّ مِنْ كِبَارِ مَشَايِخِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ ، وَأَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَارُونَ الْحَرَّانِيُّ الطَّبِيبُ ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمْدُونَ النَّدِيمُ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ عَشْرٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ عَشْرٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ حَرْبِ سِيمَجُورَ مَعَ أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ الْعَلَوِيِّ قَدْ ذَكَرْنَا قَتْلَ لَيْلَى بْنِ النُّعْمَانِ ، وَأَنَّ جُرْجَانَ تَخَلَّفَ بِهَا بَارِسُ غُلَامُ قُرَاتِكِينَ ، فَلَمَّا قُتِلَ لَيْلَى بْنُ النُّعْمَانِ عَادَ قُرَاتِكِينُ إِلَى جُرْجَانَ ، فَاسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ غُلَامُهُ بَارِسُ ، فَقَتَلَهُ قُرَاتِكِينُ ، وَانْصَرَفَ عَنْ جُرْجَانَ ، وَقَدِمَهَا أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْأُطْرُوشُ الْعَلَوِيُّ ، الْمُلَقَّبُ وَالِدُهُ بِالنَّاصِرِ ، وَأَقَامَ بِهَا فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ السَّعِيدُ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ سِيمَجُورَ الدَّوَاتِيَّ فِي أَرْبَعَةِ آلَافِ فَارِسٍ ، فَنَزَلَ عَلَى فَرْسَخَيْنِ مِنْ جُرْجَانَ ، وَحَاصَرَ أَبَا الْحُسَيْنِ نَحْوَ شَهْرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ. |
| وَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبُو الْحُسَيْنِ فِي ثَمَانِيَةِ آلَافِ رَجُلٍ مِنَ الدَّيْلَمِ ، وَالْجُرْجَانِيَّةِ ، وَصَاحِبُ جَيْشِهِ سُرْخَابُ بْنُ وَهْسُوذَانَ ابْنِ عَمِّ مَاكَانَ بْنِ كَالِي الدَّيْلَمِيِّ ، فَتَحَارَبَا حَرْبًا عَظِيمَةً ، وَكَانَ سِيمَجُورُ قَدْ جَعَلَ كَمِينًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَأَبُطَؤُوا عَنْهُ فَانْهَزَمَ سِيمَجُورُ ، وَوَقَعَ أَصْحَابُ أَبِي الْحُسَيْنِ فِي عَسْكَرِ سِيمَجُورَ ، وَاشْتَغَلُوا بِالنَّهْبِ وَالْغَارَةِ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمُ الْكَمِينُ بَعْدَ الظَّفَرِ ، فَقَتَلُوا مِنَ الدَّيْلَمِ وَالْجُرْجَانِيَّةِ نَحْوَ أَرْبَعَةِ آلَافِ رَجُلٍ ، وَانْهَزَمَ أَبُو الْحُسَيْنِ ، وَرَكِبَ فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى أَسْتِرَابَاذَ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ فَلُّ أَصْحَابِهِ. |
| وَكَانَ سُرْخَابُ قَدْ تَبِعَ سِيمَجُورَ فِي هَزِيمَتِهِ ، فَلَمَّا عَادَ رَأَى أَصْحَابَهُ مُقَتَّلِينَ مُشَرَّدِينَ فَسَارَ إِلَى أَسْتِرَابَاذَ ، وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ عِيَالَ أَصْحَابِهِ وَمُخَلَّفِيهِمْ ، وَأَقَامَ بِهَا مَعَ أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ النَّاصِرِ ، ثُمَّ سَمِعَ سِيمَجُورُ بِظَفَرِ أَصْحَابِهِ ، فَعَادَ إِلَيْهِمْ ، وَأَقَامَ بِجُرْجَانَ ، ثُمَّ اعْتَلَّ سُرْخَابُ وَمَاتَ ، وَرَجَعَ ابْنُ النَّاصِرِ إِلَى سَارِيَةَ وَاسْتَخْلَفَ مَاكَانَ بْنَ كَالِي عَلَى أَسْتِرَابَاذَ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الدَّيْلَمُ ، وَقَدَّمُوهُ وَأَمَّرُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ. |
| ثُمَّ سَارَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الْبَلْغَمِيُّ وَسِيمَجُورُ إِلَى بَابِ أَسْتِرَابَاذَ ، وَحَارَبُوا مَاكَانَ بْنَ كَالِي ، فَلَمَّا طَالَ مُقَامُهُمُ اتَّفَقُوا مَعَهُ عَلَى أَنْ يَخْرُجَ عَنِ أَسْتِرَابَاذَ إِلَى سَارِيَةَ ، وَبَذَلُوا لَهُ عَلَى هَذَا مَالًا لِيَظْهَرَ لِلنَّاسِ أَنَّهُمْ قَدِ افْتَتَحُوهَا ، ثُمَّ يَنْصَرِفُونَ عَنْهَا وَيَعُودُ إِلَيْهَا ، فَفَعَلَ وَسَارَ إِلَى سَارِيَةَ ، ثُمَّ رَحَلُوا عَنْ أَسْتِرَابَاذَ ، فَلَمَّا سَارُوا عَنْهَا عَادَ إِلَيْهَا مَاكَانُ بْنُ كَالِي ، فَفَارَقَهَا بُغْرَا ، إِلَى جُرْجَانَ ، وَأَسَاءَ السِّيرَةَ فِي أَهْلِهَا ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ مَاكَانُ ، فَرَجَعَ بُغْرَا إِلَى نَيْسَابُورَ ، وَأَقَامَ مَاكَانُ بِجُرْجَانَ ، وَنَحْنُ نَذْكُرُ ابْتِدَاءً حَالَ مَاكَانَ ، وَنَنْقُلُهَا عِنْدَ قَتْلِهِ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. |
| ذِكْرُ خُرُوجِ إِلْيَاسَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَسَدٍ السَّامَانِيِّ ثُمَّ خَرَجَ إِلْيَاسُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ أَحْمَدَ ، الْمُقَدَّمُ ذِكْرُهُ أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ أَبِيهِ وَانْهَزَمَ إِلَى فَرْغَانَةَ ، فَلَمَّا بَلَغَ فَرْغَانَةَ أَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ خَرَجَ ثَانِيًا ، وَاسْتَعَانَ عِنْدَ خُرُوجِهِ بِمُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مَتٍّ ، وَجَمَعَ مِنَ التُّرْكِ ، فَاجْتَمَعَ مَعَهُ ثَلَاثُونَ أَلْفَ عَنَانٍ ، فَقَصَدَ سَمَرْقَنْدَ مُشَاقًّا لِلسَّعِيدِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ نَصْرٌ أَبَا عَمْرٍو ، وَمُحَمَّدَ بْنَ أَسَدٍ وَغَيْرَهُ فِي أَلْفَيْنِ وَخَمْسِمِائَةِ رَجُلٍ ، فَكَمَنُوا خَارِجَ سَمَرْقَنْدَ يَوْمَ وُرُودِ إِلْيَاسَ فَلَمَّا وَرَدَهَا ، وَاشْتَغَلَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ بِالنُّزُولِ ، خَرَجَ الْكَمِينُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِ الشَّجَرِ ، وَوَضَعُوا السُّيُوفَ فِيهِمْ ، فَانْهَزَمَ إِلْيَاسُ وَأَصْحَابُهُ ، فَوَصَلَ إِلْيَاسُ إِلَى فَرْغَانَةَ ، وَوَصَلَ ابْنُ مَتٍّ إِلَى أَسْبِيجَابَ ، وَمِنْهَا إِلَى نَاحِيَةِ طِرَازَ ، فَكُوتِبَ دِهْقَانُ النَّاحِيَةِ الَّتِي نَزَلَهَا ، وَأُطْمِعَ ، وَقَبَضَ عَلَيْهِ وَقَتَلَهُ ، وَأَنْفَذَ رَأْسَهُ إِلَى بُخَارَى. |
| وَكَانَ ابْنُ مَتٍّ شُجَاعًا ، وَكَانَ قَدْ سَخَّرَ جِمَالًا عِنْدَ خُرُوجِهِ ، فَجَاءَ أَصْحَابُهُ يَطْلُبُونَهَا مِنْهُ ، فَقَالَ سَأَرَدُّهَا عَلَيْكُمْ بِبَغْدَاذَ ، يَعْنِي أَنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا مِنْ بَغْدَاذَ ، ثِقَةً بِكَثْرَةِ جَمْعِهِ وَقُوَّتِهِ ، فَجَاءَتِ الْأَقْدَارُ بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحِسَابِ. |
| ثُمَّ عَادَ إِلْيَاسُ فَخَرَجَ مَرَّةً ثَالِثَةً ، وَأَعَانَهُ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ أَبِي يُوسُفَ ، صَاحِبُ الشَّاشِ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ مُحَمَّدَ بْنَ أَلْيَسَعَ ، فَحَارَبَهُمْ ، فَانْهَزَمَ إِلْيَاسُ إِلَى كَاشْغَرَ وَأُسِرَ أَبُو الْفَضْلِ ، وَحُمِلَ إِلَى بُخَارَى فَمَاتَ بِهَا. |
| وَأَمَّا إِلْيَاسُ فَصَاهَرَ دِهْقَانُ كَاشْغَرَ طُغَانْتِكِينَ ، وَاسْتَقَرَّ بِهَا ، ثُمَّ وَلِيَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُظَفَّرِ فَرْغَانَةَ ، فَرَجَعَ إِلَيْهَا ابْنُ إِسْحَاقَ مُعَانِدًا ، فَحَارَبَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُظَفَّرِ ، فَهَزَمَهُ مَرَّةً أُخْرَى ، فَعَادَ إِلَى كَاشْغَرَ ، فَكَاتَبَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُظَفَّرِ ، وَاسْتَمَالَهُ ، وَلَطَفَ بِهِ ، فَأَمِنَ إِلْيَاسُ إِلَيْهِ ، وَحَضَرَ إِلَى بُخَارَى ، فَأَكْرَمَهُ السَّعِيدُ ، وَصَاهَرَهُ ، وَأَقَامَ مَعَهُ. |
| ذِكْرُ وَفَاةِ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ ، صَاحِبُ التَّارِيخِ ، بِبَغْدَاذَ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَدُفِنَ لَيْلًا بِدَارِهِ ، لِأَنَّ الْعَامَّةَ اجْتَمَعَتْ ، وَمَنَعَتْ مِنْ دَفْنِهِ نَهَارًا ، وَادَّعَوْا عَلَيْهِ الرَّفْضَ ، ثُمَّ ادَّعَوْا عَلَيْهِ الْإِلْحَادَ ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى يَقُولُ وَاللَّهِ لَوْ سُئِلَ هَؤُلَاءِ عَنْ مَعْنَى الرَّفْضِ وَالْإِلْحَادِ مَا عَرَفُوهُ ، وَلَا فَهِمُوهُ ، هَكَذَا ذَكَرَهُ ابْنُ مِسْكَوَيْهِ صَاحِبُ" تَجَارِبِ الْأُمَمِ "، وَحُوشِيَ ذَلِكَ الْإِمَامُ عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ. |
| وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ عَنْ تَعَصُّبِ الْعَامَّةِ ، فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، وَإِنَّمَا بَعْضُ الْحَنَابِلَةِ تَعَصَّبُوا عَلَيْهِ ، وَوَقَعُوا فِيهِ ، فَتَبِعَهُمْ غَيْرُهُمْ ، وَلِذَلِكَ سَبَبٌ ، وَهُوَ أَنَّ الطَّبَرِيَّ جَمَعَ كِتَابًا ذَكَرَ فِيهِ اخْتِلَافَ الْفُقَهَاءِ ، لَمْ يُصَنَّفْ مِثْلُهُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ لَمْ يَكُنْ فَقِيهًا ، وَإِنَّمَا كَانَ مُحَدِّثًا ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْحَنَابِلَةِ ، وَكَانُوا لَا يُحْصُونَ كَثْرَةً بِبَغْدَاذَ ، فَشَغِبُوا عَلَيْهِ ، وَقَالُوا مَا أَرَادُوا حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ... |
| فَالنَّاسُ أَعْدَاءٌ لَهُ وَخُصُومُ كَضَرَائِرِ الْحَسْنَاءِ قُلْنَ لِوَجْهِهَا... |
| حَسَدًا وَبَغْيًا إِنَّهُ لِدَمِيمُ وَقَدْ ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ كَلَامِ الْأَئِمَّةِ فِي أَبِي جَعْفَرٍ يُعْلَمُ مِنْهُ مَحَلُّهُ فِي الْعِلْمِ ، وَالثِّقَةِ ، وَحُسْنِ الِاعْتِقَادِ. |
| فَمِنْ ذَلِكَ مَا قَالَهُ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ ، بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مَنْ رَوَى الطَّبَرِيُّ عَنْهُ ، وَمَنْ رَوَى عَنِ الطَّبَرِيِّ ، فَقَالَ " وَكَانَ أَحَدَ أَئِمَّةِ الْعُلَمَاءِ يُحْكَمُ بِقَوْلِهِ ، وَيُرْجَعُ إِلَى رَأْيِهِ لِمَعْرِفَتِهِ وَفَضْلِهِ ، وَكَانَ قَدْ جَمَعَ مِنَ الْعُلُومِ مَا لَمْ يُشَارِكْهُ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِ ، وَكَانَ حَافِظًا لِكِتَابِ اللَّهِ ، عَارِفًا بِالْقِرَاءَاتِ ، بَصِيرًا بِالْمَعَانِي ، فَقِيهًا فِي أَحْكَامِ الْقُرْآنِ ، عَالِمًا بِالسُّنَنِ وَطُرُقِهَا ، صَحِيحِهَا وَسَقِيمِهَا ، نَاسِخِهَا وَمَنْسُوخِهَا ، عَارِفًا بِأَقَاوِيلِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ فِي الْأَحْكَامِ ، وَمَسَائِلِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، خَبِيرًا بِأَيَّامِ النَّاسِ وَأَخْبَارِهِمْ ، وَلَهُ الْكِتَابُ الْمَشْهُورُ فِي تَارِيخِ الْأُمَمِ وَالْمُلُوكِ ، وَالْكِتَابُ الَّذِي فِي التَّفْسِيرِ لَمْ يُصَنَّفْ مِثْلُهُ ، وَلَهُ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ وَفُرُوعِهِ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ ، وَأَخْبَارٌ مِنْ أَقَاوِيلِ الْفُقَهَاءِ ، وَتَفَرَّدَ بِمَسَائِلَ حُفِظَتْ عَنْهُ ". |
| وَقَالَ أَبُو أَحْمَدَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ أَوَّلُ مَا سَأَلَنِي الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ خُزَيْمَةَ قَالَ لِي كَتَبْتَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ ؟ |
| قُلْتُ لَا! |
| قَالَ لِمَ ؟ |
| قُلْتُ لَا يَظْهَرُ ، وَكَانَتِ الْحَنَابِلَةُ تَمْنَعُ مِنَ الدُّخُولِ عَلَيْهِ. |
| فَقَالَ بِئْسَ مَا فَعَلْتَ! |
| لَيْتَكَ لَمْ تَكْتُبْ عَنْ كُلِّ مَنْ كَتَبْتَ عَنْهُ ، وَسَمِعْتَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ. |
| وَقَالَ حُسَيْنُكَ ، وَاسْمُهُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ التَّمِيمِيُّ ، عَنِ ابْنِ خُزَيْمَةَ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ. |
| وَقَالَ ابْنُ خُزَيْمَةَ حِينَ طَالَعَ كِتَابَ التَّفْسِيرِ لِلطَّبَرِيِّ مَا أَعْلَمُ عَلَى أَدِيمِ الْأَرْضِ أَعْلَمَ مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ ، وَلَقَدْ ظَلَمَتْهُ الْحَنَابِلَةُ. |
| وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرْغَانِيُّ ، بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ تَصَانِيفَهُ وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ مِمَّنْ لَا يَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ ، وَلَا يَعْدِلُ ، فِي عِلْمِهِ وَتِبْيَانِهِ ، عَنْ حَقٍّ يَلْزَمُهُ لِرَبِّهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ ، إِلَى بَاطِلٍ لِرَغْبَةٍ وَلَا رَهْبَةٍ ، مَعَ عَظِيمِ مَا كَانَ يَلْحَقُهُ مِنَ الْأَذَى وَالشَّنَاعَاتِ مِنْ جَاهِلٍ ، وَحَاسِدٍ ، وَمُلْحِدٍ. |
| وَأَمَّا أَهْلُ الدِّينِ وَالْوَرَعِ فَغَيْرُ مُنْكِرِينَ عِلْمَهُ ، وَفَضْلَهُ ، وَزُهْدَهُ ، وَتَرْكَهُ الدُّنْيَا مَعَ إِقْبَالِهَا عَلَيْهِ ، وَقَنَاعَتِهِ بِمَا كَانَ يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ قَرْيَةٍ خَلَّفَهَا لَهُ أَبُوهُ بِطَبَرِسْتَانَ يَسِيرَةٍ ، وَمَنَاقِبُهُ كَثِيرَةٌ لَا يُحْتَمَلُ هَاهُنَا أَكْثَرُ مِنْ هَذَا. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِيهَا أَطْلَقَ الْمُقْتَدِرُ يُوسُفَ بْنَ أَبِي السَّاجِ مِنَ الْحَبْسِ بِشَفَاعَةِ مُؤْنِسٍ الْخَادِمِ وَحُمِلَ إِلَيْهِ ، وَدَخَلَ إِلَى الْمُقْتَدِرِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ عَقَدَ لَهُ عَلَى الرَّيِّ ، وَقَزْوِينَ ، وَأَبْهَرَ ، وَزَنْجَانَ ، وَأَذْرَبِيجَانَ ، وَقَرَّرَ عَلَيْهِ خَمْسَمِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ مَحْمُولَةً كُلَّ سَنَةٍ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ سِوَى أَرْزَاقِ الْعَسَاكِرِ الَّذِينَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ وَخَلَعَ فِي هَذَا الْيَوْمِ عَلَى وَصِيفٍ الْبُكْتُمْرِيِّ ، وَعَلَى طَاهِرٍ وَيَعْقُوبَ ابْنَيْ مُحَمَّدِ بْنِ اللَّيْثِ. |
| وَتَجَهَّزَ يُوسُفُ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ الْعَسَاكِرَ مَعَ وَصِيفٍ الْبُكْتُمْرِيِّ وَسَارَ عَنْ بَغْدَاذَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ إِلَى أَذْرَبِيجَانَ ، وَأَمَرَ أَنْ يَجْعَلَ طَرِيقَهُ عَلَى الْمَوْصِلِ ، وَيَنْظُرَ فِي أُمُورِ دِيَارِ رَبِيعَةَ ، فَقَدِمَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَنَظَرَ فِي الْأَعْمَالِ ، وَسَارَ إِلَى أَذْرَبِيجَانَ ، فَرَأَى غُلَامَهُ سُبُكًا قَدْ مَاتَ. |
| وَفِيهَا قُلِّدَ نَازُوكُ الشُّرْطَةَ بِبَغْدَاذَ. |
| وَفِيهَا وَصَلَتْ هَدِيَّةٌ إِلَى أَبِي زُقْبُورٍ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ الْمَادِرَانِيِّ مِنْ مِصْرَ وَفِيهَا بَغْلَةٌ ، وَمَعَهَا فِلْوٌ يَتْبَعُهَا ، وَيَرْضَعُ مِنْهَا ، وَغُلَامٌ طَوِيلُ اللِّسَانِ ، يَلْحَقُ لِسَانُهُ أَرْنَبَةَ أَنْفِهِ. |
| وَفِيهَا قَبَضَ الْمُقْتَدِرُ عَلَى أُمِّ مُوسَى الْقَهْرَمَانَةِ ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهَا زَوَّجَتِ ابْنَةَ أُخْتِهَا مِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ ، وَكَانَ مُحْسِنًا ، لَهُ نِعْمَةٌ ظَاهِرَةٌ ، وَمُرُوءَةٌ حَسَنَةٌ ، وَكَانَ يُرَشَّحُ لِلْخِلَافَةِ ، فَلَمَّا صَاهَرَتْهُ أَكْثَرَتْ مِنَ النِّثَارِ وَالدَّعَوَاتِ ، وَخَسِرَتْ أَمْوَالًا جَلِيلَةً ، فَتَكَلَّمَ أَعْدَاؤُهَا ، وَسَعَوْا بِهَا إِلَى الْمُقْتَدِرِ ، وَقَالُوا إِنَّهَا قَدْ سَعَتْ لِأَبِي الْعَبَّاسِ فِي الْخِلَافَةِ ، وَحَلَّفَتْ لَهُ الْقُوَّادَ ، وَكَثُرَ الْقَوْلُ عَلَيْهَا ، فَقَبَضَ عَلَيْهَا ، وَأَخَذَ مِنْهَا أَمْوَالًا عَظِيمَةً وَجَوَاهِرَ نَفِيسَةً. |
| وَفِيهَا غَزَا الْمُسْلِمُونَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، فَغَنِمُوا وَسَلِمُوا . |
| وَفِيهَا كَانَ بِالْمَوْصِلِ شَغَبٌ مِنَ الْعَامَّةِ ، وَقَتَلُوا خَلِيفَةَ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرٍ الْحَاجِبِ بِهَا ، فَتَجَهَّزُ الْعَسْكَرُ مِنْ بَغْدَاذَ إِلَى الْمَوْصِلِ. |
| وَفِيهَا ، فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، انْقَضَّ كَوْكَبٌ عَظِيمٌ لَهُ ذَنَبٌ فِي الْمَشْرِقِ فِي بُرْجِ السُّنْبُلَةِ ، طُولُهُ نَحْوُ ذِرَاعَيْنِ. |
| وَفِيهَا سَارَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ الْحَاجِبُ مِنَ الْمَوْصِلِ إِلَى الْغَزَاةِ عَلَى قَالِيقِلَا ، فَغَزَا الرُّومَ مِنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، وَدَخَلَ أَهْلُ طَرَسُوسَ مَلَطْيَةَ ، فَظَفِرُوا ، وَبَلَغُوا مِنْ بِلَادِ الرُّومِ وَالظَّفَرِ بِهِمْ مَا لَمْ يَظُنُّوهُ وَعَادُوا. |
| الْوَفَيَاتُ . |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ الْأَدِيبُ ، أَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ ثَعْلَبٍ وَالرِّيَاشِيِّ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ عَزْلِ حَامِدٍ وَوِلَايَةِ ابْنِ الْفُرَاتِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي رَبِيعٍ الْآخَرِ ، عَزَلَ الْمُقْتَدِرُ حَامِدَ بْنَ الْعَبَّاسِ عَنِ الْوِزَارَةِ ، وَعَلِيَّ بْنَ عِيسَى عَنِ الدَّوَاوِينِ ، وَخَلَعَ عَلَى أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ الْفُرَاتِ ، وَأُعِيدَ إِلَى الْوِزَارَةِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْمُقْتَدِرَ ضَجِرَ مِنَ اسْتِغَاثَةِ الْأَوْلَادِ ، وَالْحُرَمِ ، وَالْخَدَمِ وَالْحَاشِيَةِ مِنْ تَأْخِيرِ أَرْزَاقِهِمْ ، فَإِنَّ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى كَانَ يُؤَخِّرُهَا فَإِذَا اجْتَمَعَ عِدَّةُ شُهُورٍ أَعْطَاهُمُ الْبَعْضَ ، وَأَسْقَطَ الْبَعْضَ ، وَحَطَّ مِنْ أَرْزَاقِ الْعُمَّالِ فِي كُلِّ سَنَةٍ شَهْرَيْنِ ، وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَهُ رِزْقٌ ، فَزَادَتْ عَدَاوَةُ النَّاسِ لَهُ. |
| وَكَانَ حَامِدُ بْنُ الْعَبَّاسِ قَدْ ضَجِرَ مِنَ الْمُقَامِ بِبَغْدَاذَ وَلَيْسَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ غَيْرَ لُبْسِ السَّوَادِ ، وَأَنِفَ مِنَ اطِّرَاحِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى بِجَانِبِهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يُهِينُهُ فِي تَوْقِيعَاتِهِ بِالْإِطْلَاقِ عَلَيْهِ لِضَمَانِهِ بَعْضَ الْأَعْمَالِ ، وَكَانَ يَكْتُبُ لِيُطْلِقْ جِهْبَذٌ الْوَزِيرُ أَعَزَّهُ اللَّهُ ، وَلْيُبَادِرْ نَائِبُ الْوَزِيرِ. |
| وَكَانَ إِذَا شَكَا إِلَيْهِ بَعْضُ نُوَّابِ حَامِدٍ يَكْتُبُ عَلَى الْقِصَّةِ إِنَّمَا عُقِدَ الضَّمَانُ عَلَى النَّائِبِ الْوَزِيرِيِّ ، عَنِ الْحُقُوقِ الْوَاجِبَةِ السُّلْطَانِيَّةِ ، فَلْيَتَقَدَّمْ إِلَى عُمَّالِهِ بِكَفِّ الظُّلْمِ عَنِ الرَّعِيَّةِ ، فَاسْتَأْذَنَ حَامِدٌ ، وَسَارَ إِلَى وَاسِطَ لِيَنْظُرَ فِي ضَمَانِهِ ، فَأَذِنَ لَهُ ، وَجَرَى بَيْنَ مُفْلِحٍ الْأَسْوَدِ وَبَيْنَ حَامِدٍ كَلَامٌ ، قَالَ لَهُ حَامِدٌ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَشْتِرِيَ مِائَةَ خَادِمٍ أَسْوَدَ ، وَأُسَمِّيهِمْ مُفْلِحًا ، وَأَهَبُهُمْ لِغِلْمَانِي ، فَحَقَدَهُ مُفْلِحٌ ، وَكَانَ خِصِّيصًا بِالْمُقْتَدِرِ ، فَسَعَى مَعَهُ الْمُحَسِّنُ بْنُ الْفُرَاتِ لِوَالِدِهِ بِالْوِزَارَةِ ، وَضَمِنَ أَمْوَالًا جَلِيلَةً وَكَتَبَ عَلَى يَدِهِ رُقْعَةً يَقُولُ إِنْ يُسَلَّمِ الْوَزِيرُ ، وَعَلِيُّ بْنَ عِيسَى ، وَابْنُ الْحَوَارِيِّ ، وَشَفِيعٌ اللُّؤْلُؤِيُّ ، وَنَصْرٌ الْحَاجِبُ ، وَأُمُّ مُوسَى الْقَهْرَمَانَةُ ، وَالْمَادِرَانِيُّونَ يُسْتَخْرَجْ مِنْهُمْ سَبْعَةُ آلَافِ أَلْفِ دِينَارٍ. |
| وَكَانَ الْمُحَسِّنُ مُطْلَقًا ، وَكَانَ يُوَاصِلُ السِّعَايَةَ بِهَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةِ ، وَذَكَرَ ابْنُ الْفُرَاتِ لِلْمُقْتَدِرِ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ ابْنُ الْحَوَارِيِّ كُلَّ سَنَةٍ مِنَ الْمَالِ ، فَاسْتَكْثَرَهُ فَقُبِضَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ عِيسَى فِي رَبِيعٍ الْآخَرِ ، وَسُلِّمَ إِلَى زَيْدَانَ الْقَهْرَمَانَةِ ، فَحَبَسَتْهُ فِي الْحُجْرَةِ الَّتِي كَانَ ابْنُ الْفُرَاتِ مَحْبُوسًا فِيهَا ، وَأُطْلِقَ ابْنُ الْفُرَاتِ ، وَخُلِعَ عَلَيْهِ ، وَتَوَلَّى الْوِزَارَةَ ، وَخُلِعَ عَلَى ابْنِهِ الْمُحَسِّنِ ، وَهَذِهِ الْوِزَارَةُ الثَّالِثَةُ لِابْنِ الْفُرَاتِ. |
| وَكَانَ أَبُو عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ قَدْ سَعَى بِابْنِ الْفُرَاتِ ، وَكَانَ يَتَقَلَّدُ بَعْضَ الْأَعْمَالِ أَيَّامَ حَامِدٍ ، فَحَضَرَ عِنْدَ ابْنِ الْفُرَاتِ ، وَكَانَ ابْنُ الْفُرَاتِ هُوَ الَّذِي قَدَّمَ ابْنَ مُقْلَةَ وَرَبَّاهُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَلَمَّا قِيلَ عَنْهُ إِنَّهُ سَعَى بِهِ لَمْ يُصَدِّقْ ذَلِكَ ، حَتَّى تَكَرَّرَ ذَلِكَ مِنْهُ. |
| ثُمَّ إِنَّ حَامِدًا صَعِدَ مِنْ وَاسِطَ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ ابْنُ الْفُرَاتِ مَنْ يَقْبِضُ عَلَيْهِ فِي الطَّرِيقِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ ، فَقُبِضَ عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ ، وَسَمِعَ حَامِدٌ فَهَرَبَ وَاخْتَفَى بِبَغْدَاذَ ، ثُمَّ إِنَّ حَامِدًا لَبِسَ زِيَّ رَاهِبٍ ، وَخَرَجَ مِنْ مَكَانِهِ الَّذِي اخْتَفَى فِيهِ ، وَمَشَى إِلَى نَصْرٍ الْحَاجِبِ ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، وَسَأَلَهُ إِيصَالَ حَالِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ ، فَاسْتَدْعَى نَصْرٌ مُفْلِحًا الْخَادِمَ ، وَقَالَ هَذَا يَسْتَأْذِنُ إِلَى الْخَلِيفَةِ ، إِذَا كَانَ عِنْدَ حَرَمِهِ . |
| فَلَمَّا حَضَرَ مُفْلِحٌ فَرَأَى حَامِدًا قَالَ أَهْلًا بِمَوْلَانَا الْوَزِيرِ ، أَيْنَ مَمَالِيكُكَ السُّودَانُ الَّذِينَ سَمَّيْتَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مُفْلِحًا ؟ |
| فَسَأَلَهُ نَصْرٌ أَنْ لَا يُؤَاخِذَهُ ، وَقَالَ لَهُ حَامِدٌ يَسْأَلُ أَنْ يَكُونَ مَحْبِسُهُ فِي دَارِ الْخَلِيفَةِ ، وَلَا يُسَلَّمُ إِلَى ابْنِ الْفُرَاتِ. |
| فَدَخَلَ مُفْلِحٌ ، وَقَالَ ضِدَّ مَا قِيلَ لَهُ ، فَأَمَرَ الْمُقْتَدِرُ بِتَسْلِيمِهِ إِلَى ابْنِ الْفُرَاتِ فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ فَحَبَسَهُ فِي دَارٍ حَسَنَةٍ ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ مِنَ الطَّعَامِ ، وَالْكُسْوَةِ ، وَالطِّيبِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مَا كَانَ لَهُ وَهُوَ وَزِيرٌ ، ثُمَّ أَحْضَرَهُ وَأَحْضَرَ الْفُقَهَاءَ وَالْعُمَّالَ ، وَنَاظَرَهُ عَلَى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَالِ ، وَطَالَبَهُ بِهِ ، فَأَقَرَّ بِجِهَاتِ تُقَارِبُ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ وَضَمِنَهُ الْمُحَسِّنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفُرَاتِ مِنَ الْمُقْتَدِرِ بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَسَلَّمَهُ إِلَيْهِ ، فَعَذَّبَهُ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ ، وَأَنْفَذَهُ إِلَى وَاسِطَ مَعَ بَعْضِ أَصْحَابِهِ لِيَبِيعَ مَا لَهُ بِوَاسِطَ ، وَأَمَرَهُمْ بِأَنْ يَسْقُوهُ سُمًّا ، فَسَقَوْهُ سُمًّا فِي بَيْضٍ مَشْوِيٍّ ، وَكَانَ طَلَبَهُ ، فَأَصَابَهُ إِسْهَالٌ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى وَاسِطَ أَفْرَطَ الْإِغْيَامُ بِهِ ، وَكَانَ قَدْ تَسَلَّمَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَزَوْفَرِيُّ ، فَلَمَّا رَأَى حَالَهُ أَحْضَرَ الْقَاضِيَ وَالشُّهُودَ لِيَشْهَدُوا عَلَيْهِ أَنْ لَيْسَ لَهُ فِي أَمْرِهِ صُنْعٌ فَلَمَّا حَضَرُوا عِنْدَ حَامِدٍ قَالَ لَهُمْ إِنَّ أَصْحَابَ الْمُحَسِّنِ سَقَوْنِي سُمًّا فِي بَيْضٍ مَشْوِيٍّ فَأَنَا أَمُوتُ مِنْهُ ، وَلَيْسَ لِمُحَمَّدٍ فِي أَمْرِي صُنْعٌ ، لَكِنَّهُ قَدْ أَخَذَ قِطْعَةً مِنْ أَمْوَالِي وَأَمْتِعَتِي ، وَجَعَلَ يَحْشُوهَا فِي الْمَسَاوِرِ ، وَتُبَاعُ الْمِسْوَرَةُ فِي السُّوقِ بِمَحْضَرٍ مِنْ أَمِينِ السُّلْطَانِ بِخَمْسَةِ دَرَاهِمَ ، وَوَضَعَ عَلَيْهَا مَنْ يَشْتَرِيهَا ، وَيَحْمِلُهَا إِلَيْهِ ، فَيَكُونُ فِيهَا أَمْتِعَةٌ تُسَاوِي ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، فَاشْهَدُوا عَلَى ذَلِكَ. |
| وَكَانَ صَاحِبُ الْخَبَرِ حَاضِرًا ، فَكَتَبَ ذَلِكَ ، وَسَيَّرَهُ ، وَنَدِمَ الْبَزَوْفَرِيُّ عَلَى مَا فَعَلَ ، ثُمَّ مَاتَ حَامِدٌ فِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، ثُمَّ صُودِرَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى بِثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَأَخَذَهُ الْمُحَسِّنُ بْنُ الْفُرَاتِ لِيَسْتَوْفِيَ مِنْهُ الْمَالَ ، فَعَذَّبَهُ وَصَفَعَهُ فَلَمْ يُؤَدِّ إِلَيْهِ شَيْئًا. |
| وَبَلَغَ الْخَبَرُ الْوَزِيرَ أَبَا الْحَسَنِ بْنَ الْفُرَاتَ ، فَأَنْكَرَ عَلَى ابْنِهِ ذَلِكَ ، لِأَنَّ عَلِيًّا كَانَ مُحْسِنًا إِلَيْهِمْ أَيَّامَ وِلَايَتِهِ ، وَكَانَ قَدْ أَعْطَى الْمُحَسِّنَ ، وَقْتَ نَكْبَتِهِ ، عَشَرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَأَدَّى عَلِيُّ بْنُ عِيسَى مَالَ الْمُصَادَرَةِ ، وَسَيَّرَهُ ابْنُ الْفُرَاتِ إِلَى مَكَّةَ وَكَتَبَ إِلَى أَمِيرِ مَكَّةَ لِيُسَيِّرَهُ إِلَى صَنْعَاءَ ، ثُمَّ قَبَضَ ابْنُ الْفُرَاتِ عَلَى أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ ، وَقَبَضَ عَلَى ابْنِ الْحَوَارِيِّ ، وَكَانَ خِصِّيصًا بِالْمُقْتَدِرِ ، وَسَلَّمَهُ إِلَى ابْنِهِ الْمُحَسِّنِ ، فَعَذَّبَهُ عَذَابًا شَدِيدًا ، وَكَانَ الْمُحَسِّنُ وَقِحًا ، سَيِّئَ الْأَدَبِ ، ظَالِمًا ، ذَا قَسْوَةٍ شَدِيدَةٍ ، وَكَانَ النَّاسُ يُسَمُّونَهُ الْخَبِيثَ ابْنَ الطَّيِّبِ ، وَسَيَّرَ ابْنَ الْحَوَارِيِّ إِلَى الْأَهْوَازِ لِيَسْتَخْرِجَ مِنْهُ الْأَمْوَالَ الَّتِي لَهُ ، فَضَرَبَهُ الْمُوَكَّلُ بِهِ حَتَّى مَاتَ ، وَقَبَضَ أَيْضًا عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَادِرَانِيَّيْنِ ، وَكَانَ الْحُسَيْنُ قَدْ تَوَلَّى مِصْرَ وَالشَّامَ ، فَصَادَرَهُمَا عَلَى أَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ وَسَبْعِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، ثُمَّ صَادَرَ جَمَاعَةً مِنَ الْكُتَّابِ وَنَكَبَهُمْ. |
| ثُمَّ إِنَّ ابْنَ الْفُرَاتِ خَوَّفَ الْمُقْتَدِرَ مِنْ مُؤْنِسٍ الْخَادِمِ ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِأَنْ يُسَيِّرَهُ عَنِ الْحَضْرَةِ إِلَى الشَّامِ لِيَكُونَ هُنَالِكَ ، فَسَمِعَ قَوْلَهُ ، وَأَمَرَهُ بِالْمَسِيرِ ، وَكَانَ قَدْ عَادَ مِنَ الْغَزَاةِ ، فَسَأَلَ أَنْ يُقِيمَ عِدَّةَ أَيَّامٍ بَقِيَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ ، وَخَرَجَ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْمَطَرِ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ مُؤْنِسًا لَمَّا قَدِمَ ذَكَرَ لِلْمُقْتَدِرِ مَا اعْتَمَدَهُ ابْنُ الْفُرَاتِ مِنْ مُصَادَرَاتِ النَّاسِ ، وَمَا يَفْعَلُهُ ابْنُهُ مِنْ تَعْذِيبِهِمْ وَضَرْبِهِمْ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، فَخَافَهُ ابْنُ الْفُرَاتِ فَأَبْعَدَهُ عَنِ الْمُقْتَدِرِ ، ثُمَّ سَعَى ابْنُ الْفُرَاتِ بِنَصْرٍ الْحَاجِبِ ، وَأَطْمَعَ الْمُقْتَدِرَ فِي مَالِهِ وَكَثْرَتِهِ ، فَالْتَجَأَ نَصْرٌ إِلَى أُمِّ الْمُقْتَدِرِ ، فَمَنَعَتْهُ مِنِ ابْنِ الْفُرَاتِ. |
| ذِكْرُ الْقَرَامِطَةِ وَفِيهَا قَصَدَ أَبُو طَاهِرٍ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ الْهَجَرِيُّ الْبَصْرَةَ ، فَوَصَلَهَا لَيْلًا فِي أَلْفٍ وَسَبْعِمِائَةِ رَجُلٍ ، وَمَعَهُ السَّلَالِيمُ الشَّعْرُ ، فَوَضَعَهَا عَلَى السُّورِ ، وَصَعِدَ أَصْحَابُهُ فَفَتَحُوا الْبَابَ ، وَقَتَلُوا الْمُوَكَّلِينَ بِهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي رَبِيعٍ الْآخَرِ. |
| وَكَانَ عَلَى الْبَصْرَةِ سُبُكٌ الْمُفْلِحِيُّ ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِمْ إِلَّا فِي السَّحَرِ ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُمُ الْقَرَامِطَةُ بَلِ اعْتَقَدَ أَنَّهُمْ عَرَبٌ تَجَمَّعُوا ، فَرَكِبَ إِلَيْهِمْ ، وَلَقِيَهُمْ ، فَقَتَلُوهُ وَوَضَعُوا السَّيْفَ فِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَهَرَبَ النَّاسُ إِلَى الْكَلَإِ وَحَارَبُوا الْقَرَامِطَةَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ ، فَظَفِرَ بِهِمُ الْقَرَامِطَةُ ، وَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا وَطَرَحَ النَّاسُ أَنْفُسَهُمْ فِي الْمَاءِ ، فَغَرِقَ أَكْثَرُهُمْ. |
| وَأَقَامَ أَبُو طَاهِرٍ سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا يَحْمِلُ مِنْهَا مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَالِ وَالْأَمْتِعَةِ ، وَالنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ ، فَعَادَ إِلَى بَلَدِهِ ، وَاسْتَعْمَلَ الْمُقْتَدِرُ عَلَى الْبَصْرَةِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْفَارِقِيَّ ، فَانْحَدَرَ إِلَيْهَا وَقَدْ سَارَ الْهَجَرِيُّ عَنْهَا. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ ابْنِ أَبِي السَّاجِ عَلَى الرَّيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ يُوسُفُ بْنُ أَبِي السَّاجِ مِنْ أَذْرَبِيجَانَ إِلَى الرَّيِّ فَحَارَبَهُ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ أَخُو صُعْلُوكٍ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ أَحْمَدَ وَقُتِلَ هُوَ فِي الْمَعْرَكَةِ ، وَأُنْفِذَ رَأْسُهُ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ قَدْ فَارَقَ أَخَاهُ صُعْلُوكًا ، وَسَارَ إِلَى الْمُقْتَدِرِ فَأُقْطِعَ الرَّيَّ كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، ثُمَّ عَصَى ، وَهَادَنَ مَاكَانَ بْنَ كَالِي وَأَوْلَادَ الْحَسَنِ بْنَ عَلِيٍّ الْأُطْرُوشِ ، وَهُمْ بِطَبَرِسْتَانَ ، وَجُرْجَانَ وَفَارَقَ طَاعَةَ الْمُقْتَدِرِ وَعَصَى عَلَيْهِ ، وَوَصَلَ رَأْسُهُ إِلَى بَغْدَاذَ. |
| وَكَانَ ابْنُ الْفُرَاتِ يَقَعُ فِي نَصْرٍ الْحَاجِبِ ، وَيَقُولُ لِلْمُقْتَدِرِ إِنَّهُ هُوَ الَّذِي أَمَرَ أَحْمَدَ بْنَ عَلِيٍّ بِالْعِصْيَانِ لِمَوَدَّةٍ بَيْنَهُمَا. |
| وَكَانَ قَتْلُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ آخَرَ ذِي الْقِعْدَةِ ، وَاسْتَوْلَى ابْنُ أَبِي السَّاجِ عَلَى الرَّيِّ ، وَدَخَلَهَا فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنَ السَّنَةِ ، ثُمَّ سَارَ عَنْهَا فِي أَوَّلِ سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ إِلَى هَمَذَانَ ، وَاسْتَخْلَفَ بِالرَّيِّ مُفْلِحًا ، فَأَخْرَجَهُ أَهْلُ الرَّيِّ عَنْهُمْ فَلِحَقَ يُوسُفَ ، وَعَادَ يُوسُفُ إِلَى الرَّيِّ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا غَزَا مُؤْنِسٌ الْمُظَفَّرُ بِلَادَ الرُّومِ ، فَغَنِمَ وَفَتَحَ حُصُونًا ، وَغَزَا ثَمِلٌ أَيْضًا فِي الْبَحْرِ ، فَغَنِمَ مِنَ السَّبْيِ أَلْفَ رَأْسٍ ، وَمِنَ الدَّوَابِّ ثَمَانِيَةَ آلَافِ رَأْسٍ ، وَمِنَ الْغَنَمِ مِائَتَيْ أَلْفِ رَأْسٍ ، وَمِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ شَيْئًا كَثِيرًا. |
| وَفِيهَا ظَهَرَ جَرَادٌ كَثِيرٌ بِالْعِرَاقِ فَأَضَرَّ بِالْغَلَّاتِ وَالشَّجَرِ وَعَظُمَ. |
| وَفِيهَا اسْتُعْمِلَ بُنِّيُّ بْنُ نَفِيسٍ عَلَى حَرْبِ أَصْبَهَانَ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ بَدْرٌ الْمُعْتَضِدِيُّ بِفَارِسَ ، وَهُوَ أَمِيرُهَا ، وَوَلِيَ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ مَكَانَهُ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو مُحَمَّدٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْجُرَيْرِيُّ الصُّوفِيُّ ، وَهُوَ مِنْ مَشَاهِيرِ مَشَايِخِهِمْ الْجُرَيْرِيُّ بِضَمِّ الْجِيمِ ، وَأَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ السِّرِّيجِ الزَّجَّاجُ النَّحْوِيُّ ، صَاحِبُ كِتَابِ مَعَانِي الْقُرْآنِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ حَادِثَةٍ غَرِيبَةٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ظَهَرَ فِي دَارٍ كَانَ يَسْكُنُهَا الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ إِنْسَانٌ أَعْجَمِيٌّ ، وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ فَاخِرَةٌ ، وَتَحْتَهَا مِمَّا يَلِي بَدَنَهُ قَمِيصُ صُوفٍ ، وَمَعَهُ مِقْدَحَةٌ ، وَكِبْرِيتٌ ، وَمِحْبَرَةٌ ، وَأَقْلَامٌ ، وَسِكِّينٌ وَكَاغَدٌ ، وَفِي كِيسٍ سَوِيقٌ ، وَسُكَّرٌ ، وَحَبْلٌ طَوِيلٌ مِنْ قُنَّبٍ ، يُقَالُ إِنَّهُ دَخَلَ مَعَ الصُّنَّاعِ ، فَبَقِيَ هُنَاكَ ، فَعَطِشَ ، فَخَرَجَ يَطْلُبُ الْمَاءَ فَأُخِذَ ، فَأَحْضَرُوهُ عِنْدَ ابْنِ الْفُرَاتِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ لَا أُخْبِرُ إِلَّا صَاحِبَ الدَّارِ ، فَرَفَقَ بِهِ ، فَلَمْ يُخْبِرْهُ بِشَيْءٍ ، وَقَالَ لَا أُخْبِرُ إِلَّا صَاحِبَ الدَّارِ ، فَضَرَبُوهُ لِيُقَرِّرُوهُ ، فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ بَدَأْتُمْ بِالشَّرِّ ؟ |
| وَلَزِمَ هَذِهِ اللَّفْظَةَ ، ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ بِالْفَارِسِيَّةِ نَدَانَمْ مَعْنَاهُ لَا أَدْرِي ، فَأُمِرَ بِهِ فَأُحْرِقَ. |
| وَأَنْكَرَ ابْنُ الْفُرَاتِ عَلَى نَصْرٍ الْحَاجِبِ هَذِهِ الْحَالَ حَيْثُ هُوَ الْحَاجِبُ ، وَعَظُمَ الْأَمْرُ بَيْنَ يَدَيِ الْمُقْتَدِرِ ، وَنَسَبَهُ إِلَى أَنَّهُ أَخْفَاهُ لِيَقْتُلَ الْمُقْتَدِرَ ، فَقَالَ نَصْرٌ لِمَ أَقْتُلُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَدْ رَفَعَنِي مِنَ الثَّرَى إِلَى الثُّرَيَّا ؟ |
| إِنَّمَا يَسْعَى فِي قَتْلِهِ مَنْ صَادَرَهُ ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُ ، وَأَطَالَ حَبْسَهُ هَذِهِ السِّنِينَ ، وَأَخَذَ ضِيَاعَهُ ، وَصَارَ لِابْنِ الْفُرَاتِ بِسَبَبِ هَذَا حَدِيثٌ فِي مَعْنَى نَصْرٍ. |
| ذِكْرُ أَخْذِ الْحَاجِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ أَبُو طَاهِرٍ الْقَرْمَطِيُّ إِلَى الْهَبِيرِ فِي عَسْكَرٍ عَظِيمٍ لِيَلْقَى الْحَاجَّ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ فِي رُجُوعِهِمْ مِنْ مَكَّةَ ، فَأَوْقَعَ بِقَافِلَةٍ تَقَدَّمَتْ مُعْظَمَ الْحَاجِّ ، وَكَانَ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ بَغْدَاذَ وَغَيْرِهِمْ ، فَنَهَبَهُمْ ، وَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِبَاقِي الْحَاجِّ وَهُمْ بِفَيْدَ فَأَقَامُوا بِهَا حَتَّى فَنِيَ زَادُهُمْ ، فَارْتَحَلُوا مُسْرِعِينَ. |
| وَكَانَ أَبُو الْهَيْجَاءِ بْنُ حَمْدَانَ قَدْ أَشَارَ عَلَيْهِمْ بِالْعَوْدِ إِلَى وَادِي الْقُرَى ، وَأَنَّهُمْ لَا يُقِيمُونَ بِفَيْدَ ، فَاسْتَطَالُوا الطَّرِيقَ ، وَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ ، وَكَانَ إِلَى أَبِي الْهَيْجَاءِ طَرِيقُ الْكُوفَةِ ، وَكَثِيرُ الْحَاجِّ ، فَلَمَّا فَنِيَ زَادُهُمْ سَارُوا عَلَى طَرِيقِ الْكُوفَةِ ، فَأَوْقَعَ بِهِمُ الْقَرَامِطَةُ ، وَأَخَذُوهُمْ ، وَأَسَرُوا أَبَا الْهَيْجَاءِ ، وَأَحْمَدَ بْنَ كُشْمُرْدَ ، وَنِحْرِيرًا وَأَحْمَدَ بْنَ بَدْرٍ عَمَّ وَالِدَةِ الْمُقْتَدِرِ ، وَأَخَذَ أَبُو طَاهِرٍ جِمَالَ الْحُجَّاجِ جَمِيعَهَا وَمَا أَرَادَ مِنَ الْأَمْتِعَةِ ، وَالْأَمْوَالِ ، وَالنِّسَاءِ ، وَالصِّبْيَانِ ، وَعَادَ إِلَى هَجَرَ وَتَرَكَ الْحَاجَّ فِي مَوَاضِعِهِمْ ، فَمَاتَ أَكْثَرُهُمْ جُوعًا ، وَمِنْ حَرِّ الشَّمْسِ. |
| وَكَانَ عُمْرُ أَبِي طَاهِرٍ حِينَئِذٍ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَانْقَلَبَتْ بَغْدَاذُ ، وَاجْتَمَعَ حُرَمُ الْمَأْخُوذِينَ إِلَى حُرَمِ الْمَنْكُوبِينَ الَّذِينَ نَكَبَهُمُ ابْنُ الْفُرَاتِ ، وَجَعَلْنَ يُنَادِينَ الْقَرْمَطِيُّ الصَّغِيرُ ، أَبُو طَاهِرٍ قَتَلَ الْمُسْلِمِينَ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ ، وَالْقَرْمَطِيُّ الْكَبِيرُ ابْنُ الْفُرَاتِ قَدْ قَتَلَ الْمُسْلِمِينَ بِبَغْدَاذَ. |
| وَكَانَتْ صُورَةً فَظِيعَةً شَنِيعَةً ، وَكَسَرَ الْعَامَّةُ مَنَابِرَ الْجَوَامِعِ ، وَسَوَّدُوا الْمَحَارِيبَ يَوْمَ الْجُمْعَةِ لِسِتٍّ خَلَوْنَ مِنْ صَفَرٍ ، وَضَعُفَتْ نَفْسُ ابْنِ الْفُرَاتِ ، وَحَضَرَ عِنْدَ الْمُقْتَدِرِ لِيَأْخُذَ أَمْرَهُ فِيمَا يَفْعَلُهُ ، وَحَضَرَ نَصْرٌ الْحَاجِبُ الْمَشُورَةَ فَانْبَسَطَ لِسَانُهُ عَلَى ابْنِ الْفُرَاتِ ، وَقَالَ لَهُ السَّاعَةَ تَقُولُ أَيَّ شَيْءٍ نَصْنَعُ ، وَمَا هُوَ الرَّأْيُ بَعْدَ أَنْ زَعْزَعْتَ أَرْكَانَ الدَّوْلَةِ ، وَعَرَّضْتَهَا لِلزَّوَالِ فِي الْبَاطِنِ بِالْمَيْلِ مَعَ كُلِّ عَدُوٍّ يَظْهَرُ وَمُكَاتَبَتِهِ ، وَمُهَادَنَتِهِ ، وَفِي الظَّاهِرِ بِإِبْعَادِكَ مُؤْنِسًا وَمَنْ مَعَهُ إِلَى الرَّقَّةِ ، وَهُمْ سُيُوفُ الدَّوْلَةِ ، فَمَنْ يَدْفَعُ الْآنَ هَذَا الرَّجُلَ إِنْ قَصَدَ الْحَضْرَةَ أَنْتَ أَوْ وَلَدُكَ ؟ |
| وَقَدْ ظَهَرَ الْآنَ أَنَّ مَقْصُودَكَ بِإِبْعَادِ مُؤْنِسٍ وَبِالْقَبْضِ عَلَيَّ وَعَلَى غَيْرِي أَنْ تَسْتَضْعِفَ الدَّوْلَةَ وَتُقَوِّيَ أَعْدَاءَهَا لِتَشْفِيَ ، غَيْظَ قَلْبِكَ مِمَّنْ صَادَرَكَ وَأَخَذَ أَمْوَالَكَ ، وَمَنِ الَّذِي سَلَّمَ النَّاسَ إِلَى الْقَرْمَطِيِّ غَيْرُكُ لِمَا يُجْمَعُ بَيْنَكُمَا مِنَ التَّشَيُّعِ وَالرَّفْضِ ؟ |
| وَقَدْ أَظْهَرَ أَيْضًا أَنَّ ذَلِكَ الْعَجَمِيَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْقَرْمَطِيِّ ، وَأَنْتَ أَوْصَلْتَهُ. |
| فَحَلَفَ ابْنُ الْفُرَاتِ أَنَّهُ مَا كَاتَبَ الْقَرْمَطِيَّ ، وَلَا هَادَاهُ ، وَلَا رَأَى ذَلِكَ الْأَعْجَمِيَّ إِلَّا تِلْكَ السَّاعَةَ ، وَالْمُقْتَدِرُ مُعْرِضٌ عَنْهُ ، وَأَشَارَ نَصْرٌ عَلَى الْمُقْتَدِرِ أَنْ يُحْضِرَ مُؤْنِسًا وَمَنْ مَعَهُ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِالْحُضُورِ ، فَسَارَ إِلَى ذَلِكَ وَنَهَضَ ابْنُ الْفُرَاتِ ، فَرَكِبَ فِي طَيَّارَةٍ فَرَجَمَهُ الْعَامَّةُ حَتَّى كَادَ يَغْرَقُ. |
| وَتَقَدَّمَ الْمُقْتَدِرُ إِلَى يَاقُوتٍ بِالْمَسِيرِ إِلَى الْكُوفَةِ ، لِيَمْنَعَهَا مِنَ الْقَرَامِطَةِ فَخَرَجَ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، وَمَعَهُ وَلَدَاهُ الْمُظَفَّرُ وَمُحَمَّدٌ ، فَخَرَجَ عَلَى ذَلِكَ الْعَسْكَرِ مَالٌ عَظِيمٌ ، وَوَرَدَ الْخَبَرُ بِعَوْدِ الْقَرَامِطَةِ ، فَعُطِّلَ مَسِيرُ يَاقُوتٍ . |
| وَوَصَلَ مُؤْنِسٌ الْمُظَفَّرُ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَلَمَّا رَأَى الْمُحَسِّنُ ابْنُ الْوَزِيرِ ابْنِ الْفُرَاتِ انْحِلَالَ أُمُورِهِمْ ، أَخَذَ كُلَّ مَنْ كَانَ مَحْبُوسًا عِنْدَهُ مِنَ الْمُصَادَرِينَ ، فَقَتَلَهُمْ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ أَخَذَ مِنْهُمْ أَمْوَالًا جَلِيلَةً وَلَمْ يُوصِلْهَا إِلَى الْمُقْتَدِرِ ، فَخَافَ أَنْ يُقِرُّوا عَلَيْهِ. |
| ذِكْرُ الْقَبْضِ عَلَى الْوَزِيرِ ابْنِ الْفُرَاتِ وَوَلَدِهِ الْمُحَسِّنِ ثُمَّ إِنَّ الْإِرْجَافَ كَثُرَ عَلَى ابْنِ الْفُرَاتِ ، فَكَتَبَ إِلَى الْمُقْتَدِرِ يَعَرِّفُهُ ذَلِكَ ، وَأَنَّ النَّاسَ إِنَّمَا عَادَوْهُ لِنُصْحِهِ وَشَفَقَتِهِ ، وَأَخْذِ حُقُوقِهِ مِنْهُمْ ، فَأَنْفَذَ الْمُقْتَدِرُ إِلَيْهِ يُسَكِّنُهُ وَيُطَيِّبُ قَلْبَهُ فَرَكِبَ هُوَ وَوَلَدُهُ إِلَى الْمُقْتَدِرِ ، فَأَدْخَلَهُمَا إِلَيْهِ فَطَيَّبَ قُلُوبَهُمَا فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ فَمَنَعَهُمَا نَصْرٌ الْحَاجِبُ مِنَ الْخُرُوجِ وَوَكَّلَ بِهِمَا ، فَدَخَلَ عَلَى الْمُقْتَدِرِ ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِتَأْخِيرِ عَزْلِهِ فَأَمَرَ بِإِطْلَاقِهِمَا ، فَخَرَجَ هُوَ وَابْنُهُ الْمُحَسِّنُ ، فَأَمَّا الْمُحَسِّنُ فَإِنَّهُ اخْتَفَى وَأَمَّا الْوَزِيرُ فَإِنَّهُ جَلَسَ عَامَّةَ نَهَارِهِ يُمْضِي الْأَشْغَالَ إِلَى اللَّيْلِ ، ثُمَّ بَاتَ مُفَكِّرًا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ سَمِعَهُ بَعْضُ خَدَمِهِ يُنْشِدُ وَأَصْبَحَ لَا يَدْرِي وَإِنْ كَانَ حَازِمًا... |
| أَقُدَّامَهُ خَيْرٌ لَهُ أَمْ وَرَاءَهُ فَلَمَّا أَصْبَحَ الْغَدُ ، وَهُوَ الثَّامِنُ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَارْتَفَعَ النَّهَارُ أَتَاهُ نَازُوكُ ، وَبُلَيْقٌ فِي عِدَّةٍ مِنَ الْجُنْدِ ، فَدَخَلُوا إِلَى الْوَزِيرِ ، وَهُوَ عِنْدَ الْحَرَمِ ، فَأَخْرَجُوهُ حَافِيًا مَكْشُوفَ الرَّأْسِ ، وَأُخِذَ إِلَى دِجْلَةَ ، فَأَلْقَى عَلَيْهِ بُلَيْقٌ طَيْلَسَانًا غَطَّى بِهِ رَأَسَهُ ، وَحُمِلَ إِلَى طَيَّارٍ فِيهِ مُؤْنِسٌ الْمُظَفَّرُ ، وَمَعَهُ هِلَالُ بْنُ بَدْرٍ ، فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ ابْنُ الْفُرَاتِ ، وَأَلَانَ كَلَامَهُ ، فَقَالَ لَهُ أَنَا الْآنَ الْأُسْتَاذُ ، وَكُنْتُ بِالْأَمْسِ الْخَائِنَ السَّاعِيَ فِي فَسَادِ الدَّوْلَةِ ، وَأَخْرَجْتَنِي وَالْمَطَرُ عَلَى رَأْسِي وَرُءُوسِ أَصْحَابِي ، وَلَمْ تُمْهِلْنِي . |
| ثُمَّ سُلِّمَ إِلَى شَفِيعٍ اللُّؤْلُؤِيِّ ، فَحُبِسَ عِنْدَهُ ، وَكَانَتْ مُدَّةُ وِزَارَتِهِ هَذِهِ عَشَرَةَ أَشْهُرٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَأُخِذَ أَصْحَابُهُ وَأَوْلَادُهُ وَلَمْ يَنْهَجْ مِنْهُمْ إِلَّا الْمُحَسِّنُ ، فَإِنَّهُ اخْتَفَى ، وَصُودِرَ ابْنُ الْفُرَاتِ عَلَى جُمْلَةٍ مِنَ الْمَالِ مَبْلَغُهَا أَلْفُ أَلْفِ دِينَارٍ. |
| ذِكْرُ وِزَارَةِ أَبِي الْقَاسِمِ الْخَاقَانِيِّ وَلَمَّا تَغَيَّرَ حَالُ ابْنِ الْفُرَاتِ سَعَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَاقَانَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي عَلِيٍّ الْخَاقَانِيُّ فِي الْوِزَارَةِ ، وَكَتَبَ خَطَّهُ أَنَّهُ يَتَكَفَّلُ ابْنَ الْفُرَاتِ وَأَصْحَابَهَ بِمُصَادَرَةِ أَلْفَيْ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَسَعَى لَهُ مُؤْنِسٌ الْخَادِمُ ، وَهَارُونُ بْنُ غَرِيبِ الْخَالِ ، وَنَصْرٌ الْحَاجِبُ. |
| وَكَانَ أَبُو عَلِيٍّ الْخَاقَانِيُّ ، وَالِدُ أَبِي الْقَاسِمُ ، مَرِيضًا شَدِيدَ الْمَرَضِ ، وَقَدْ تَغَيَّرَ عَلَيْهِ لِكِبَرِ سِنِّهِ ، فَلَمْ يَعْلَمْ بِشَيْءٍ مِنْ حَالِ وَلَدِهِ ، وَتَوَلَّى أَبُو الْقَاسِمِ الْوِزَارَةَ تَاسِعَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَكَانَ الْمُقْتَدِرُ يَكْرَهُهُ ، فَلَمَّا سَمِعَ ابْنُ الْفُرَاتِ ، وَهُوَ مَحْبُوسٌ ، بِوِلَايَتِهِ قَالَ الْخَلِيفَةُ هُوَ الَّذِي نُكِبَ لَا أَنَا ، يَعْنِي أَنَّ الْوَزِيرَ عَاجِزٌ لَا يَعْرِفُ أَمْرَ الْوِزَارَةِ. |
| وَلَمَّا وَزَرَ الْخَاقَانِيُّ شَفَعَ إِلَيْهِ مُؤْنِسٌ الْخَادِمُ فِي إِعَادَةِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى مَكَّةَ ، فَكَتَبَ إِلَى جَعْفَرٍ عَامِلِ الْيَمَنِ فِي الْإِذْنِ لِعَلِيِّ بْنِ عِيسَى فِي الْعَوْدِ إِلَى مَكَّةَ ، وَأَذِنَ لِعَلِيٍّ فِي الِاطِّلَاعِ عَلَى أَعْمَالِ مِصْرَ وَالشَّامِ. |
| وَمَاتَ أَبُو عَلِيٍّ الْخَاقَانِيُّ فِي وِزَارَةِ وَلَدِهِ هَذِهِ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ ابْنِ الْفُرَاتِ وَوَلَدِهِ الْمُحَسِّنَ وَكَانَ الْمُحَسِّنُ ابْنُ الْوَزِيرِ ابْنِ الْفُرَاتِ مُخْتَفِيًا ، كَمَا ذَكَرْنَا ، وَكَانَ عِنْدَ حَمَاتِهِ حُزَانَةَ ، وَهِيَ وَالِدَةُ الْفَضْلِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الْفُرَاتِ ، وَكَانَتْ تَأْخُذُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ إِلَى الْمَقْبَرَةِ ، وَتَعُودُ بِهِ إِلَى الْمَنَازِلِ الَّتِي يَثِقُ بِأَهْلِهَا عِشَاءً وَهُوَ فِي زِيِّ امْرَأَةٍ ، فَمَضَتْ يَوْمًا إِلَى مَقَابِرِ قُرَيْشٍ ، وَأَدْرَكَهَا اللَّيْلُ ، فَبَعُدَ عَلَيْهَا الطَّرِيقُ ، فَأَشَارَتْ عَلَيْهَا امْرَأَةٌ مَعَهَا أَنْ تَقْصِدَ امْرَأَةً صَالِحَةً تَعْرِفُهَا بِالْخَيْرِ ، تَخْتَفِي عِنْدَهَا ، فَأَخَذَتِ الْمُحَسِّنَ وَقَصَدَتْ تِلْكَ الْمَرْأَةَ وَقَالَتْ لَهَا مَعَنَا صَبِيَّةٌ بِكْرٌ نُرِيدُ بَيْتًا نَكُونُ فِيهِ فَأَمَرَتْهُمْ بِالدُّخُولِ إِلَى دَارِهَا ، وَسَلَّمَتْ إِلَيْهِمْ قُبَّةً فِي الدَّارِ ، فَأَدْخَلْنَ الْمُحَسِّنَ إِلَيْهَا ، وَجَلَسَتِ النِّسَاءُ اللَّاتِي مَعَهُ فِي صُفَّةٍ بَيْنَ يَدَيْ بَابِ الْقُبَّةِ ، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ ، فَرَأَتِ الْمُحَسِّنَ فِي الْقُبَّةِ ، فَعَادَتْ إِلَى مَوْلَاتِهَا ، فَأَخْبَرَتْهَا أَنَّ فِي الدَّارِ رَجُلًا ، فَجَاءَتْ صَاحِبَتُهَا فَلَمَّا رَأَتْهُ عَرَفَتْهُ. |
| وَكَانَ الْمُحَسِّنُ قَدْ أَخَذَ زَوْجَهَا لِيُصَادِرَهُ ، فَلَمَّا رَأَى النَّاسَ فِي دَارِهِ يُجْلَدُونَ ، وَيُشَقَّصُونَ ، وَيُعَذَّبُونَ مَاتَ فَجْأَةً ، فَلَمَّا رَأَتِ الْمَرْأَةُ الْمُحَسِّنَ وَعَرَفَتْهُ رَكِبَتْ فِي سَفِينَةٍ ، وَقَصَدَتْ دَارَ الْخِلَافَةِ ، وَصَاحَتْ مَعِي نَصِيحَةٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ! |
| فَأَحْضَرَهَا نَصْرٌ الْحَاجِبُ ، فَأَخْبَرَتْهُ بِخَبَرِ الْمُحَسِّنِ ، فَانْتَهَى ذَلِكَ إِلَى الْمُقْتَدِرِ ، فَأَمَرَ نَازُوكَ ، صَاحِبَ الشُّرْطَةِ ، أَنْ يَسِيرَ مَعَهَا وَيُحْضِرَهُ ، فَأَخَذَهَا مَعَهُ إِلَى مَنْزِلِهَا ، وَدَخَلَ الْمَنْزِلَ ، وَأَخَذَ الْمُحَسِّنَ وَعَادَ بِهِ إِلَى الْمُقْتَدِرِ ، فَرَدَّهُ إِلَى دَارِ الْوَزِيرِ ، فَعُذِّبَ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ لِيُجِيبَ إِلَى مُصَادَرَةٍ يَبْذُلُهَا ، فَلَمْ يُجِبْهُمْ إِلَى دِينَارٍ وَاحِدٍ ، وَقَالَ لَا أَجْمَعُ لَكُمْ بَيْنَ نَفْسِي وَمَالِي ، وَاشْتَدَّ الْعَذَابُ عَلَيْهِ بِحَيْثُ امْتَنَعَ عَنِ الطَّعَامِ. |
| فَلَمَّا عَلِمَ ذَلِكَ الْمُقْتَدِرُ أَمَرَ بِحَمْلِهِ مَعَ أَبِيهِ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ ، فَقَالَ الْوَزِيرُ أَبُو الْقَاسِمِ لِمُؤْنِسٍ ، وَهَارُونَ بْنِ غَرِيبِ الْخَالِ ، وَنَصْرٍ الْحَاجِبِ إِنْ يُنْقَلِ ابْنُ الْفُرَاتِ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ بَذَلَ أَمْوَالَهُ ، وَأَطْمَعَ الْمُقْتَدِرَ فِي أَمْوَالِنَا ، وَضَمِنَنَا مِنْهُ ، وَتَسَلَّمَنَا فَأَهْلَكَنَا ، فَوَضَعُوا الْقُوَّادَ وَالْجُنْدَ ، حَتَّى قَالُوا لِلْخَلِيفَةِ إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قَتْلِ ابْنِ الْفُرَاتِ وَوَلَدِهِ ، فَإِنَّنَا لَا نَأْمَنُ عَلَى أَنْفُسِنَا مَا دَامَا فِي الْحَيَاةِ. |
| وَتَرَدَّدَتِ الرَّسَائِلُ فِي ذَلِكَ ، وَأَشَارَ مُؤْنِسٌ ، وَهَارُونُ بْنُ غَرِيبٍ ، وَنَصْرٌ الْحَاجِبُ بِمُوَافَقَتِهِمْ وَإِجَابَتِهِمْ إِلَى مَا طَلَبُوا ، فَأَمَرَ نَازُوكَ بِقَتْلِهِمَا ، فَذَبَحَهُمَا كَمَا يُذْبَحُ الْغَنَمُ. |
| وَكَانَ ابْنُ الْفُرَاتِ قَدْ أَصْبَحَ يَوْمَ الْأَحَدِ صَائِمًا ، فَأُتِيَ بِطَعَامٍ فَلَمْ يَأْكُلْهُ ، فَأُتِيَ أَيْضًا بِطَعَامٍ لِيُفْطِرَ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يُفْطِرْ ، وَقَالَ رَأَيْتُ أَخِي الْعَبَّاسَ فِي النَّوْمِ يَقُولُ لِي أَنْتَ وَوَلَدُكَ عِنْدَنَا يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّنَا نُقْتَلُ ، فَقُتِلَ ابْنُهُ الْمُحَسِّنُ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَبِيعٍ الْآخَرِ ، وَحُمِلَ رَأْسُهُ إِلَى أَبِيهِ ، فَارْتَاعَ لِذَلِكَ شَدِيدًا ، ثُمَّ عُرِضَ أَبُوهُ عَلَى السَّيْفِ فَقَالَ لَيْسَ إِلَّا السَّيْفُ ، رَاجِعُوا فِي أَمْرِي ، فَإِنَّ عِنْدِي أَمْوَالًا جَمَّةً ، وَجَوَاهِرَ كَثِيرَةً ، فَقِيلَ لَهُ جَلَّ الْأَمْرُ عَنْ ذَلِكَ! |
| وَقُتِلَ وَكَانَ عُمْرُهُ إِحْدَى وَسَبْعِينَ سَنَةً ، وَعُمْرُ وَلَدِهِ الْمُحَسِّنِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، فَلَمَّا قُتِلَا حُمِلَ رَأْسَاهُمَا إِلَى الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ ، فَأَمَرَ بِتَغْرِيقِهِمَا. |
| وَقَدْ كَانَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْفُرَاتِ يَقُولُ إِنَّ الْمُقْتَدِرَ بِاللَّهِ يَقْتُلُنِي ، فَصَحَّ قَوْلُهُ ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ عَادَ مِنْ عِنْدِهِ يَوْمًا ، وَهُوَ مُفَكِّرٌ كَثِيرُ الْهَمِّ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ كُنْتُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا خَاطَبْتُهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا قَالَ لِي نَعَمْ ، فَقُلْتُ لَهُ الشَّيْءَ وَضِدَّهُ ، فَفِي كُلِّ ذَلِكَ يَقُولُ نَعَمْ ، فَقِيلَ لَهُ هَذَا لِحُسْنِ ظَنِّهِ بِكَ ، وَثِقَتِهِ بِمَا تَقُولُ ، وَاعْتِمَادِهِ عَلَى شَفَقَتِكَ ، فَقَالَ لَا وَاللَّهِ ، وَلَكِنَّهُ أُذُنٌ لِكُلِّ قَائِلٍ ، وَمَا يَؤْمِنِّي أَنْ يُقَالَ لَهُ بِقَتْلِ الْوَزِيرِ ، فَيَقُولَ نَعَمْ وَاللَّهِ إِنَّهُ قَاتِلِي! |
| وَلَمَّا قُتِلَ رَكِبَ هَارُونُ بْنُ غَرِيبٍ مُسْرِعًا إِلَى الْوَزِيرِ الْخَاقَانِيِّ ، وَهَنَّأَهُ بِقَتْلِهِ ، فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ ، حَتَّى ظَنَّ هَارُونُ وَمَنْ هُنَاكَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ ، وَصَرَخَ أَهْلُهُ وَأَصْحَابُهُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَفَاقَ مِنْ غَشْيَتِهِ لَمْ يُفَارِقْهُ هَارُونُ حَتَّى أَخَذَ مِنْهُ أَلْفَيْ دِينَارٍ. |
| وَأَمَّا أَوْلَادُهُ سِوَى الْمُحَسِّنِ فَإِنَّ مُؤْنِسًا الْمُظَفَّرَ شَفَعَ فِي ابْنَيْهِ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي نَصْرٍ ، فَأُطْلِقَا لَهُ فَخَلَعَ عَلَيْهِمَا ، وَوَصَلَهُمَا بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَصُودِرَ ابْنُهُ الْحَسَنُ عَلَى عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَأُطْلِقَ إِلَى مَنْزِلِهِ. |
| وَكَانَ الْوَزِيرُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْفُرَاتِ كَرِيمًا ، ذَا رِئَاسَةٍ وَكِفَايَةٍ فِي عَمَلِهِ حَسَنَ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ سَيِّئَةٌ إِلَّا وَلَدَهُ الْمُحَسِّنَ. |
| وَمِنْ مَحَاسِنِهِ أَنَّهُ جَرَى ذِكْرُ أَصْحَابِ الْأَدَبِ ، وَطَلْبَةِ الْحَدِيثِ ، وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْفَقْرِ وَالتَّعَفُّفِ ، فَقَالَ أَنَا أَحَقُّ مَنْ أَعَانَهُمْ ، وَأَطْلَقَ لِأَصْحَابِ الْحَدِيثِ عِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَلِلشُّعَرَاءِ عِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَلِأَصْحَابِ الْأَدَبِ عِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَلِلْفُقَهَاءِ عِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَلِلصُّوفِيَّةِ عِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَذَلِكَ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ. |
| وَكَانَ إِذَا وَلِيَ الْوِزَارَةَ ارْتَفَعَتْ أَسْعَارُ الثَّلْجِ ، وَالشَّمْعِ ، وَالسُّكَّرِ ، وَالْقَرَاطِيسِ ، لِكَثْرَةِ مَا كَانَ يَسْتَعْمِلُهَا وَيُخْرِجُ مِنْ دَارِهِ لِلنَّاسِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا يُعَابُ بِهِ إِلَّا أَنَّ أَصْحَابَهُ كَانُوا يَفْعَلُونَ مَا يُرِيدُونَ ، وَيَظْلِمُونَ ، فَلَا يَمْنَعُهُمْ ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ بَعْضَهُمْ ظَلَمَ امْرَأَةً فِي مِلْكٍ لَهَا ، فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ تَشْكُو مِنْهُ غَيْرَ مَرَّةٍ ، وَهُوَ لَا يَرُدُّ لَهَا جَوَابًا ، فَلَقِيَتْهُ يَوْمًا ، وَقَالَتْ لَهُ أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ أَنْ تَسْمَعَ مِنِّي كَلِمَةً فَوَقَفَ لَهَا فَقَالَتْ قَدْ كَتَبْتُ إِلَيْكَ فِي ظُلَامَتِي غَيْرَ مَرَّةٍ ، وَلَمْ تُجِبْنِي ، وَقَدْ تَرَكْتُكَ وَكَتَبْتُهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ ، وَرَأَى تَغَيُّرَ حَالِهِ ، قَالَ لِمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ مَا أَظُنُّ إِلَّا جَوَابَ رُقْعَةِ تِلْكَ الْمَرْأَةِ الْمَظْلُومَةِ قَدْ خَرَجَ ، فَكَانَ كَمَا قَالَ. |
| ذِكْرُ دُخُولِ الْقَرَامِطَةِ الْكُوفَةَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ دَخَلَ أَبُو طَاهِرٍ الْقَرْمَطِيُّ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَبَا طَاهِرٍ أَطْلَقَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْأَسْرَى الَّذِينَ كَانَ أَسَرَهُمْ مِنَ الْحُجَّاجِ ، وَفِيهِمُ ابْنُ حَمْدَانَ وَغَيْرُهُ ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْمُقْتَدِرِ يَطْلُبُ الْبَصْرَةَ وَالْأَهْوَازَ ، فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَسَارَ مِنْ هَجَرَ يُرِيدُ الْحَاجَّ. |
| وَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ وَرْقَاءَ الشَّيْبَانِيُّ مُتَقَلِّدًا أَعْمَالَ الْكُوفَةِ وَطَرِيقَ مَكَّةَ ، فَلَمَّا سَارَ الْحُجَّاجُ مِنْ بَغْدَاذَ سَارَ جَعْفَرٌ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ خَوْفًا مِنْ أَبِي طَاهِرٍ ، وَمَعَهُ أَلْفُ رَجُلٍ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ ، وَسَارَ مَعَ الْحُجَّاجِ مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ ثَمِلٌ صَاحِبُ الْبَحْرِ ، وَجِنِّيٌّ الصَّفْوَانِيُّ ، وَطَرِيفٌ السُّبْكَرِيُّ وَغَيْرُهُمْ ، فِي سِتَّةِ آلَافِ رَجُلٍ ، فَلَقِيَ أَبُو طَاهِرٍ الْقَرْمَطِيُّ جَعْفَرًا الشَّيْبَانِيَّ ، فَقَاتَلَهُ جَعْفَرٌ. |
| فَبَيْنَمَا هُوَ يُقَاتِلُهُ إِذْ طَلَعَ جَمْعٌ مِنَ الْقَرَامِطَةِ عَنْ يَمِينِهِ ، فَانْهَزَمَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ فَلَقِيَ الْقَافِلَةَ الْأُولَى وَقَدِ انْحَدَرَتْ مِنَ الْعَقَبَةِ ، فَرَدَّهُمْ إِلَى الْكُوفَةِ وَمَعَهُمْ عَسْكَرُ الْخَلِيفَةِ ، وَتَبِعَهُمْ أَبُو طَاهِرٍ إِلَى بَابِ الْكُوفَةِ ، فَقَاتَلَهُمْ ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ الْخَلِيفَةِ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ ، وَأَسَرَ جِنِّيًّا الصَّفْوَانِيَّ ، وَهَرَبَ الْبَاقُونَ وَالْحُجَّاجُ مِنَ الْكُوفَةِ ، وَدَخَلَهَا أَبُو طَاهِرٍ ، وَأَقَامَ سِتَّةَ أَيَّامٍ بِظَاهِرِ الْكُوفَةِ يَدْخُلُ الْبَلَدَ نَهَارًا فَيُقِيمُ فِي الْجَامِعِ إِلَى اللَّيْلِ ، ثُمَّ يَخْرُجُ يَبِيتُ فِي عَسْكَرِهِ ، وَحَمَلَ مِنْهَا مَا قَدَرَ عَلَى حَمْلِهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالثِّيَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَعَادَ إِلَى هَجَرَ. |
| وَدَخَلَ الْمُنْهَزِمُونَ بَغْدَاذَ ، فَتَقَدَّمَ الْمُقْتَدِرُ إِلَى مُؤْنِسٍ الْمُظَفَّرِ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَسَارَ إِلَيْهَا ، فَبَلَغَهَا وَقَدْ عَادَ الْقَرَامِطَةُ عَنْهَا ، فَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا يَاقُوتًا ، وَسَارَ مُؤْنِسٌ إِلَى وَاسِطَ خَوْفًا عَلَيْهَا مِنْ أَبِي طَاهِرٍ ، وَخَافَ أَهْلُ بَغْدَاذَ وَانْتَقَلَ النَّاسُ إِلَى الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ، وَلَمْ يَحُجَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَلَعَ الْمُقْتَدِرُ عَلَى نَجَحٍ الطُّولُونِيِّ وَوَلِيَ أَصْبَهَانَ. |
| وَفِيهَا وَرَدَ رَسُولُ مَلِكِ الرُّومِ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ ، وَمَعَهُ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَاقِي فَطَلَبَا مِنَ الْمُقْتَدِرِ الْهُدْنَةَ وَتَقْرِيرَ الْفِدَاءِ فَأُجِيبَا إِلَى ذَلِكَ بَعْدَ غَزَاةِ الصَّائِفَةِ. |
| وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ خُلِعَ عَلَى جِنِّيِّ الصَّفْوَانِيِّ بَعْدَ عَوْدِهِ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ. |
| وَفِيهَا اسْتُعْمِلَ سَعِيدُ بْنُ حَمْدَانَ عَلَى الْمَعَاوِنِ وَالْحَرْبِ بِنَهَاوَنْدَ. |
| وَفِيهَا دَخَلَ الْمُسْلِمُونَ بِلَادَ الرُّومِ فَنَهَبُوا ، وَسَبَوْا ، وَعَادُوا. |
| وَفِيهَا ظَهَرَ عِنْدَ الْكُوفَةِ رَجُلٌ ادَّعَى أَنَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَهُوَ رَئِيسُ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ ، وَجَمَعَ جَمْعًا عَظِيمًا مِنَ الْأَعْرَابِ وَأَهْلِ السَّوَادِ ، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ فِي شَوَّالٍ فَسُيِّرَ إِلَيْهِ جَيْشٌ مِنْ بَغْدَاذَ ، فَقَاتَلُوهُ ، فَظَفِرُوا بِهِ وَانْهَزَمَ ، وَقُتِلَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا ، فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ الْحَاجِبُ وَقَدْ كَانَ اسْتُعْمِلَ عَلَى الْمَوْصِلِ ، وَتَقَدَّمَ ذَلِكَ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ شَفِيعٌ اللُّؤْلُؤِيُّ وَكَانَ عَلَى الْبَرِيدِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ ، فَوَلِيَ مَا كَانَ عَلَيْهِ شَفِيعٌ الْمُقْتَدِرِيُّ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ عَزْلِ الْخَاقَانِيِّ عَنِ الْوِزَارَةِ وَوِزَارَةِ الْخَصِيبِيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، عُزِلَ أَبُو الْقَاسِمِ الْخَاقَانِيُّ عَنْ وِزَارَةِ الْخَلِيفَةِ وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْعَبَّاسَ الْخَصِيبِيَّ عَلِمَ بِمَكَانِ امْرَأَةِ الْمُحَسِّنِ بْنِ الْفُرَاتِ ، فَسَأَلَ أَنْ يَتَوَلَّى النَّظَرَ فِي أَمْرِهَا ، فَأَذِنَ لَهُ الْمُقْتَدِرُ فِي ذَلِكَ ، فَاسْتَخْلَصَ مِنْهَا سَبْعَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَحَمَلَهَا إِلَى الْمُقْتَدِرِ ، فَصَارَ لَهُ مَعَهُ حَدِيثٌ ، فَخَافَهُ الْخَاقَانِيُّ ، فَوَضَعَ مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ وَسَعَى بِهِ ، فَلَمْ يُصْعِ الْمُقْتَدِرُ إِلَى ذَلِكَ ، فَلَمَّا عَلِمَ الْخَصِيبِيُّ بِالْحَالِ كَتَبَ إِلَى الْمُقْتَدِرِ يَذْكُرُ مَعَايِبَ الْخَاقَانِيِّ ، وَابْنِهِ عَبْدِ الْوَهَّابِ وَعَجْزِهِمَا ، وَضَيَاعِ الْأَمْوَالِ ، وَطَمَعِ الْعُمَّالِ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْخَاقَانِيَّ مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا وَطَالَ بِهِ ، فَوَقَفَتِ الْأَحْوَالُ ، وَطَلَبُ الْجُنْدُ أَرْزَاقَهُمْ ، وَشَغَبُوا فَأَرْسَلَ الْمُقْتَدِرُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى شَيْءٍ ، فَحِينَئِذٍ عَزَلَهُ ، وَاسْتَوْزَرَ أَبَا الْعَبَّاسِ الْخَصِيبِيَّ وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ يَكْتُبُ لِأُمِّ الْمُقْتَدِرِ ، فَلَمَّا وَزَرَ كَتَبَ لَهَا بَعْدَهُ أَبُو يُوسُفَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَكَانَ قَدْ تَزَهَّدَ وَتَرَكَ عَمَلَ السُّلْطَانِ وَلَبِسَ الصُّوفَ وَالْفُوَطَ ، فَلَمَّا أُسْنِدَ إِلَيْهِ هَذَا الْعَمَلُ تَرَكَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الزُّهْدِ ، فَسَمَّاهُ النَّاسُ الْمُرْتَدُّ. |
| فَلَمَّا وَلِيَ الْخَصِيبِيُّ أَقَرَّ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى عَلَى الْإِشْرَافِ عَلَى أَعْمَالِ مِصْرَ وَالشَّامِ ، فَكَانَ يَتَرَدَّدُ مِنْ مَكَّةَ إِلَيْهَا فِي الْأَوْقَاتِ ، وَاسْتَعْمَلَ الْعُمَّالَ فِي الْأَعْمَالِ ، وَاسْتَعْمَلَ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ الْقَاسِمِ الْكَرْخِيَّ بَعْدَ أَنْ صَادَرَهُ بِثَمَانِيَةٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ عَلَى الْإِشْرَافِ عَلَى الْمَوْصِلِ وَدِيَارِ رَبِيعَةَ. |
| ذِكْرُ مَا فَتَحَهُ أَهْلُ صِقِلِّيَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ جَيْشُ صِقِلِّيَةَ مَعَ أَمِيرِهِمْ سَالِمِ بْنِ رَاشِدٍ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الْمَهْدِيُّ جَيْشًا مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ ، فَسَارَ إِلَى أَرْضِ أَنْكَبْرَدَةَ ، فَفَتَحُوا غَيْرَانَ وَأَبْرَجَةَ ، وَغَنِمُوا غَنَائِمَ كَثِيرَةً ، وَعَادَ جَيْشُ صِقِلِّيَةَ ، وَسَارُوا إِلَى أَرْضِ قِلُّورِيَةَ ، وَقَصَدُوا مَدِينَةَ طَارَنْتَ ، فَحَصَرُوهَا وَفَتَحُوهَا بِالسَّيْفِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَوَصَلُوا إِلَى مَدِينَةِ أَدْرَنْتَ ، فَحَصَرُوهَا ، وَخَرَّبُوا مَنَازِلَهَا فَأَصَابَ الْمُسْلِمِينَ مَرَضٌ شَدِيدٌ كَبِيرٌ ، فَعَادُوا ، وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ صِقِلِّيَةَ يُغِيرُونَ عَلَى مَا بِأَيْدِي الرُّومِ مِنْ جَزِيرَةِ صِقِلِّيَةَ ، وَقِلُّورِيَةَ ، وَيَنْهَبُونَ وَيُخَرِّبُونَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فَتَحَ إِبْرَاهِيمُ الْمِسْمَعِيُّ نَاحِيَةَ الْقَفَصِ ، وَهِيَ مِنْ حُدُودِ كَرْمَانَ ، وَأَسَرَ مِنْهُمْ خَمْسَةَ آلَافِ إِنْسَانٍ وَحَمَلَهُمْ إِلَى فَارِسَ وَبَاعَهُمْ. |
| وَفِيهَا كَثُرَتِ الْأَرْطَابُ بِبَغْدَاذَ ، حَتَّى عَمِلُوا مِنْهَا التُّمُورَ ، وَحُمِلَتْ إِلَى وَاسِطَ وَالْبَصْرَةِ ، فَنُسِبَ أَهْلُ بَغْدَاذَ إِلَى الْبَغْيِ. |
| وَفِيهَا كَتَبَ مَلِكُ الرُّومِ إِلَى أَهْلِ الثُّغُورِ يَأْمُرُهُمْ بِحَمْلِ الْخَرَاجِ إِلَيْهِ ، فَإِنْ فَعَلُوا ، وَإِلَّا قَصَدَهُمْ فَقَتَلَ الرِّجَالَ ، وَسَبَى الذُّرِّيَّةَ ، وَقَالَ إِنَّنِي صَحَّ عِنْدِي ضَعْفُ وُلَاتِكُمْ ، فَلَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ ، وَأَخْرَبَ الْبِلَادَ ، وَدَخَلَ مَلَطْيَةَ فِي سَنَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَأَخْرَبُوهَا ، وَسَبَوْا مِنْهَا ، وَنَهَبُوا ، وَأَقَامَ فِيهَا سِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا. |
| وَفِيهَا اعْتَرَضَ الْقَرَامِطَةُ الْحَاجَّ بِزُبَالَةَ فَقَاتَلَهُمْ أَصْحَابُ الْخَلِيفَةِ ، فَانْهَزَمُوا ، وَوَضَعَ الْقَرَامِطَةُ عَلَى الْحَاجِّ قَطِيعَةً ، فَأَخَذُوهَا ، وَكَفُّوا عَنْهُمْ ، فَسَارُوا إِلَى مَكَّةَ. |
| وَفِيهَا انْقَضَّ كَوْكَبٌ كَبِيرٌ وَقْتَ الْمَغْرِبِ ، لَهُ صَوْتٌ مِثْلُ الرَّعْدِ الشَّدِيدِ وَضَوْءٌ عَظِيمٌ أَضَاءَتْ لَهُ الدُّنْيَا. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْبَاغَنْدِيُّ فِي ذِي الْحِجَّةِ ، وَهُوَ مِنْ حُفَّاظِ الْمُحَدِّثِينَ ، وَأَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مِهْرَانَ السَّرَّاجُ النَّيْسَابُورِيُّ وَعُمْرُهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً ، وَكَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الصَّالِحِينَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَغَوِيُّ ، تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الْفِطْرِ ، وَكَانَ عُمْرُهُ مِائَةَ سَنَةٍ وَسَنَتَيْنِ ، وَهُوَ ابْنُ بِنْتِ أَحْمَدَ بْنِ مَنِيعٍ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بَشَّارٍ أَبُو الْحَسَنِ الزَّاهِدُ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ مَسِيرِ ابْنِ أَبِي السَّاجِ إِلَى وَاسِطَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قَلَّدَ الْمُقْتَدِرُ يُوسُفَ بْنَ أَبِي السَّاجِ نَوَاحِيَ الْمَشْرِقِ ، وَأَذِنَ لَهُ فِي أَخْذِ أَمْوَالِهَا وَصَرْفِهَا إِلَى قُوَّادِهِ وَأَجْنَادِهِ ، وَأَمَرَهُ بِالْقُدُومِ إِلَى بَغْدَاذَ مِنْ أَذْرَبِيجَانَ ، وَالْمَسِيرِ إِلَى وَاسِطَ ، لِيَسِيرَ إِلَى هَجَرَ لِمُحَارَبَةِ أَبِي طَاهِرٍ الْقَرْمَطِيِّ ، فَسَارَ إِلَى وَاسِطَ ، وَكَانَ بِهَا مُؤْنِسٌ الْمُظَفَّرُ ، فَلَمَّا قَارَبَهَا يُوسُفُ صَعِدَ مُؤْنِسٌ إِلَى بَغْدَاذَ لِيُقِيمَ بِهَا ، وَجَعَلَ لَهُ أَمْوَالَ الْخَرَاجِ بِنُوَاحِي هَمَذَانَ ، وَسَاوَةَ ، وَقُمَّ ، وَقَاشَانَ ، وَمَاهَ الْبَصْرَةِ ، وَمَاهَ الْكُوفَةِ ، وَمَاسَبَذَانَ ، لِيُنْفِقَهَا عَلَى مَائِدَتِهِ ، وَيَسْتَعِينَ بِذَلِكَ عَلَى مُحَارَبَةِ الْقَرَامِطَةِ ، وَكَانَ هَذَا كُلُّهُ مِنْ تَدْبِيرِ الْخَصِيبِيِّ. |
| ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدَانَ وَالْأَكْرَادِ وَالْعَرَبِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَفْسَدَ الْأَكْرَادُ وَالْعَرَبُ بِأَرْضِ الْمَوْصِلِ وَطَرِيقِ خُرَاسَانَ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمْدَانَ يَتَوَلَّى الْجَمِيعَ وَهُوَ بِبَغْدَاذَ ، وَابْنُهُ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ بِالْمَوْصِلِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُوهُ يَأْمُرُهُ بِجَمْعِ الرِّجَالِ ، وَالِانْحِدَارِ إِلَى تَكْرِيتَ ، فَفَعَلَ وَسَارَ إِلَيْهَا فَوَصَلَ إِلَيْهَا فِي رَمَضَانَ وَاجْتَمَعَ بِأَبِيهِ ، وَأَحْضَرَ الْعَرَبَ ، وَطَالَبَهُمْ بِمَا أَحْدَثُوا فِي عَمَلِهِ بَعْدَ أَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ ، وَنَكَّلَ بِبَعْضِهِمْ فَرَدُّوا عَلَى النَّاسِ شَيْئًا كَثِيرًا ، وَرَحَلَ بِهِمْ إِلَى شَهْرَزُورَ ، فَوَطِئَ الْأَكْرَادُ الْجَلَالِيَّةَ ، فَقَاتَلَهُمْ ، وَانْضَافَ إِلَيْهِمْ غَيْرُهُمْ ، فَاشْتَدَّتْ شَوْكَتُهُمْ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ انْقَادُوا إِلَيْهِ لَمَّا رَأَوْا قُوَّتَهُ ، وَكَفُّوا عَنِ الْفَسَادِ وَالشَّرِّ. |
| ذِكْرُ عَزْلِ الْخَصِيبِيِّ وَوِزَارَةِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي ذِي الْقِعْدَةِ ، عَزَلَ الْمُقْتَدِرُ أَبَا الْعَبَّاسِ الْخَصِيبِيَّ عَنِ الْوِزَارَةِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْخَصِيبِيَّ أَضَاقَ إِضَاقَةً شَدِيدَةً ، وَوَقَفَتْ أُمُورُ السُّلْطَانِ لِذَلِكَ ، وَاضْطَرَبَ أَمْرُ الْخَصِيبِيِّ. |
| وَكَانَ حِينَ وَلِيَ الْوِزَارَةَ قَدِ اشْتَغَلَ بِالشُّرْبِ كُلَّ لَيْلَةٍ ، وَكَانَ يُصْبِحُ سَكْرَانَ لَا قَصْدَ فِيهِ لِعَمَلٍ وَسَمَاعِ حَدِيثٍ ، وَكَانَ يَتْرُكُ الْكُتُبَ الْوَارِدَةَ الدَّوَاوِينَ لَا يَقْرَؤُهَا إِلَّا بَعْدَ مُدَّةٍ ، وَيُهْمِلُ الْأَجْوِبَةَ عَنْهَا ، فَضَاعَتِ الْأَمْوَالُ ، وَفَاتَتِ الْمَصَالِحُ ، ثُمَّ إِنَّهُ لِضَجَرِهِ وَتَبَرُّمِهِ بِهَا وَبِغَيْرِهَا مِنَ الْأَشْغَالِ ، وَكَلَ الْأُمُورَ إِلَى نُوَّابِهِ ، وَأَهْمَلَ الِاطِّلَاعَ عَلَيْهَا ، فَبَاعُوا مَصْلَحَتَهُ بِمَصْلَحَةِ نُفُوسِهِمْ. |
| فَلَمَّا صَارَ الْأَمْرُ إِلَى هَذِهِ الصُّورَةِ أَشَارَ مُؤْنِسٌ الْمُظَفَّرُ بِعَزْلِهِ ، وَوِلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى ، فَقُبِضَ عَلَيْهِ ، وَكَانَتْ وِزَارَتُهُ سِنَةً وَشَهْرَيْنِ ، وَأُخِذَ ابْنُهُ وَأَصْحَابُهُ فَحُبِسُوا ، وَأَرْسَلَ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ بَالَغْدَ إِلَى دِمَشْقَ يَسْتَدْعِي عَلِيَّ بْنَ عِيسَى ، وَكَانَ بِهَا. |
| وَأَمَرَ الْمُقْتَدِرُ أَبَا الْقَاسِمِ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَلْوَذَانِيَّ بِالنِّيَابَةِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى إِلَى أَنْ يَحْضُرَ ، فَسَارَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى إِلَى بَغْدَاذَ ، فَقَدِمَهَا أَوَائِلَ سَنَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَاشْتَغَلَ بِأُمُورِ الْوِزَارَةِ ، وَلَازَمَ النَّظَرَ فِيهَا ، فَمَشَتِ الْأُمُورُ ، وَاسْتَقَامَتِ الْأَحْوَالُ. |
| وَكَانَ مِنْ أَقْوَمِ الْأَسْبَابِ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْخَصِيبِيَّ كَانَ قَدْ اجْتَمَعَ عِنْدَهُ رِقَاعُ الْمُصَادَرِينَ ، وَكَفَالَاتُ مَنْ كُفِلَ مِنْهُمْ ، وَضَمَانَاتُ الْعُمَّالِ بِمَا ضَمِنُوا مِنَ الْمَالِ بِالسَّوَادِ ، وَالْأَهْوَازِ ، وَفَارِسَ ، وَالْمَغْرِبِ ، فَنَظَرَ فِيهَا عَلِيٌّ ، وَأَرْسَلَ فِي طَلَبِ تِلْكَ الْأَمْوَالِ ، فَأَقْبَلَتْ إِلَيْهِ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ ، فَأَدَّى الْأَرْزَاقَ ، وَأَخْرَجَ الْعَطَاءَ ، وَأَسْقَطَ مِنَ الْجُنْدِ مَنْ لَا يَحْمِلُ السِّلَاحَ ، وَمِنْ أَوْلَادِ الْمُرْتَزَقَةِ مَنْ هُوَ فِي الْمَهْدِ ، فَإِنَّ آبَاءَهُمْ أَثْبَتُوا أَسْمَاءَهُمْ ، وَمِنْ أَرْزَاقِ الْمُغَنِّينَ ، وَالْمَسَاخِرَةِ ، وَالنُّدَمَاءِ ، وَالصَّفَاعِنَةِ ، وَغَيْرِهِمْ ، مِثْلَ الشَّيْخِ الْهَرِمِ ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ سِلَاحٌ ، فَإِنَّهُ أَسْقَطَهُمْ ، وَتَوَلَّى الْأَعْمَالَ بِنَفْسِهِ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَاسْتَعْمَلَ الْعُمَّالَ فِي الْوِلَايَاتِ ، وَاخْتَارَ الْكُفَاةَ. |
| وَأَمَرَ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ بِمُنَاظَرَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ الْخَصِيبِيِّ ، فَأَحْضَرَهُ ، وَأَحْضَرَ الْفُقَهَاءَ وَالْقُضَاةَ وَالْكُتَّابَ وَغَيْرَهُمْ ، وَكَانَ عَلِيٌّ وَقُورًا لَا يَسْفَهُ ، فَسَأَلَهُ عَمَّا صَحَّ مِنَ الْأَمْوَالِ مِنَ الْخَرَاجِ ، وَالنَّوَاحِي ، وَالْأَصْقَاعِ وَالْمُصَادَرَاتِ وَالْمُتَكَلِّفِينَ بِهَا ، وَمِنَ الْبَوَاقِي الْقَدِيمَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَا أَعْلَمُهُ. |
| وَسَأَلَهُ عَنِ الْإِخْرَاجَاتِ ، وَالْوَاصِلِ إِلَى الْمَخْزَنِ ، فَقَالَ لَا أَعْرِفُهُ ، وَقَالَ لَهُ لِمَ أَحْضَرْتَ يُوسُفَ بْنَ أَبِي السَّاجِ ، وَسَلَّمْتَ إِلَيْهِ أَعْمَالَ الْمَشْرِقِ ، سِوَى أَصْبَهَانَ ، وَكَيْفَ تَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَقْدِرُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، وَهُمْ قَدْ أَلِفُوا الْبِلَادَ الْبَارِدَةَ الْكَثِيرَةَ الْمِيَاهِ ، عَلَى سُلُوكِ الْبَرِّيَّةِ الْقَفْرَاءِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى حَرِّ بِلَادِ الْإِحْسَاءِ وَالْقَطِيفِ ، وَلِمَ لَمْ تَجْعَلْ مَعَهُ مُنْفِقًا يُخْرِجُ الْمَالَ عَلَى الْأَجْنَادِ ؟ |
| فَقَالَ ظَنَنْتُ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى قِتَالِ الْقَرَامِطَةِ ، وَامْتَنَعَ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ مُنْفِقٌ. |
| فَقَالَ لَهُ كَيْفَ اسْتَجَزْتَ فِي الدِّينِ وَالْمُرُوءَةِ ضَرْبَ حُرَمِ الْمُصَادَرِينَ وَتَسْلِيمَهُنَّ إِلَى أَصْحَابِكَ ، كَامْرَأَةِ ابْنِ الْفُرَاتِ وَغَيْرِهِ ، فَإِنْ كَانُوا فَعَلُوا مَا لَا يَجُوزُ أَلَسْتَ أَنْتَ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ ؟ |
| ثُمَّ سَأَلَهُ عَنِ الْحَاصِلِ لَهُ ، وَعَنْ إَخْرَاجَاتِهِ ، فَخَلَطَ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ غَرَّرْتَ بِنَفْسِكَ ، وَغَرَّرْتَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَلَا قُلْتَ لَهُ إِنَّنِي لَا أَصْلُحُ لِلْوِزَارَةِ ، فَقَدْ كَانَ الْفُرْسُ ، إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَسْتَوْزِرُوا وَزِيرًا ، نَظَرُوا فِي تَصَرُّفِهِ لِنَفْسِهِ فَإِنْ وَجَدُوهُ حَازِمًا ، ضَابِطًا ، وَلَّوْهُ ، وَإِلَّا قَالُوا مَنْ لَا يُحْسِنُ يُدَبِّرُ نَفْسَهُ فَهُوَ عَنْ غَيْرِ ذَلِكَ أَعْجَزُ ، وَتَرَكُوهُ ، ثُمَّ أَعَادَهُ إِلَى مَحْبِسِهِ. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ السَّامَانِيَّةِ عَلَى الرَّيِّ لَمَّا اسْتَدْعَى الْمُقْتَدِرُ يُوسُفَ بْنَ أَبِي السَّاجِ إِلَى وَاسِطَ كَتَبَ إِلَى السَّعِيدِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ السَّامَانِيِّ بِوِلَايَةِ الرَّيِّ ، وَأَمَرَهُ بِقَصْدِهَا ، وَأَخْذِهَا مِنْ فَاتِكٍ غُلَامِ يُوسُفَ ، فَسَارَ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ إِلَيْهَا ، أَوَائِلَ سَنَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَوَصَلَ إِلَى جَبَلِ قَارِنٍ ، فَمَنَعَهُ أَبُو نَصْرٍ الطَّبَرِيُّ مِنَ الْعُبُورِ ، فَأَقَامَ هُنَاكَ ، فَرَاسَلَهُ ، وَبَذَلَ لَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ حَتَّى مَكَّنَهُ مِنَ الْعُبُورِ ، فَسَارَ حَتَّى قَارَبَ الرَّيَّ فَخَرَجَ فَاتِكٌ عَنْهَا ، وَاسْتَوْلَى نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ عَلَيْهَا فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَأَقَامَ بِهَا شَهْرَيْنِ ، وَوَلَّى عَلَيْهَا سِيمَجُورَ الدَّوَاتِيَّ وَعَادَ عَنْهَا. |
| ثُمَّ اسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ صُعْلُوكٌ ، وَسَارَ نَصْرُ إِلَى بُخَارَى ، وَدَخَلَ صُعْلُوكٌ الرَّيَّ ، فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَوَائِلِ شَعْبَانَ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ فَمَرِضَ ، فَكَاتَبَ الْحَسَنَ الدَّاعِيَ ، وَمَاكَانَ بْنَ كَالِي فِي الْقُدُومِ عَلَيْهِ لِيُسَلِّمَ الرَّيَّ إِلَيْهِمَا ، فَقَدِمَا عَلَيْهِ ، فَسَلَّمَ الرَّيَّ إِلَيْهِمَا وَسَارَ عَنْهَا ، فَلَمَّا بَلَغَ الدَّامِغَانَ مَاتَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ ضَمِنَ أَبُو الْهَيْجَاءِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمْدَانَ أَعْمَالَ الْخَرَاجِ وَالضِّيَاعِ بِالْمَوْصِلِ ، وَقَرْدَى ، وَبَازَبُدَى ، وَمَا يَجْرِي مَعَهَا. |
| وَفِيهَا سَارَ ثَمِلٌ إِلَى عَمَلِهِ بِالثُّغُورِ ، وَكَانَ فِي بَغْدَاذَ. |
| وَفِيهَا ، فِي رَبِيعٍ الْآخَرِ ، خَرَجَتِ الرُّومُ إِلَى مَلَطْيَةَ وَمَا يَلِيهَا مَعَ الدُّمُسْتُقِ ، وَمَعَهُ مَلِيحٌ الْأَرْمَنِيُّ صَاحِبُ الدُّرُوبِ ، فَنَزَلُوا عَلَى مَلَطْيَةَ ، وَحَصَرُوهَا ، فَصَبَرَ أَهْلُهَا ، فَفَتَحَ الرُّومُ أَبْوَابًا مِنَ الرَّبَضِ ، فَدَخَلُوا ، فَقَاتَلَهُمْ أَهْلُهُ ، وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْهُ ، وَلَمْ يَظْفَرُوا مِنَ الْمَدِينَةِ بِشَيْءٍ ، وَخَرَّبُوا قُرًى كَثِيرَةً مِنْ قُرَاهَا ، وَنَبَشُوا الْمَوْتَى ، وَمَثَّلُوا بِهِمْ ، وَرَحَلُوا عَنْهُمْ ، وَقَصَدَ أَهْلُ مَلَطْيَةَ بَغْدَاذَ مُسْتَغِيثِينَ ، فِي جُمَادَى الْأُولَى ، فَلَمْ يُعَانُوا ، فَعَادُوا بِغَيْرِ فَائِدَةٍ ، وَغَزَا أَهْلُ طَرَسُوسَ صَائِفَةً ، فَغَنِمُوا وَعَادُوا. |
| وَفِيهَا جَمُدَتْ دِجْلَةُ عِنْدَ الْمَوْصِلِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى الْحَدِيثَةِ ، حَتَّى عَبَرَ عَلَيْهَا الدَّوَابُّ لِشِدَّةِ الْبَرْدِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْوَزِيرُ أَبُو الْقَاسِمِ الْخَاقَانِيُّ ، وَهَرَبَ ابْنُهُ عَبْدُ الْوَهَّابِ ، وَلَمْ يَحْضُرْ غُسْلَ أَبِيهِ ، وَلَا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ الْوَزِيرُ قَدْ أُطْلِقَ مِنْ مَحْبِسِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ. |
| وَفِيهَا تَوَجَّهَ أَبُو طَاهِرٍ الْقَرْمَطِيُّ نَحْوَ مَكَّةَ ، فَبَلَغَ خَبَرُهُ إِلَى أَهْلِهَا ، فَنَقَلُوا حُرَمَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَى الطَّائِفِ وَغَيْرِهِ خَوْفًا مِنْهُ. |
| وَفِيهَا كَتَبَ الْكَلْوَذَانِيُّ إِلَى الْوَزِيرِ الْخَصِيبِيِّ ، قَبْلَ عَزْلِهِ ، بِأَنَّ أَبَا طَالِبٍ النُّوبَنْدَجَانِيُّ قَدْ صَارَ يَجْرِي مَجْرَى أَصْحَابِ الْأَطْرَافِ ، وَأَنَّهُ قَدْ تَغَلَّبَ عَلَى ضِيَاعِ السُّلْطَانِ ، وَاسْتَغَلَّ مِنْهَا جُمْلَةً عَظِيمَةً ، فَصُودِرَ أَبُو طَالِبٍ عَلَى مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ ابْتِدَاءِ الْوَحْشَةِ بَيْنَ الْمُقْتَدِرِ وَمُؤْنِسٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ هَاجَتِ الرُّومُ ، وَقَصَدُوا الثُّغُورَ ، وَدَخَلُوا سُمَيْسَاطَ ، وَغَنِمُوا جَمِيعَ مَا فِيهَا مِنْ مَالٍ وَسِلَاحٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَضَرَبُوا فِي الْجَامِعِ بِالنَّاقُوسِ أَوْقَاتَ الصَّلَوَاتِ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ خَرَجُوا فِي أَثَرِ الرُّومِ ، وَقَاتَلُوهُمْ ، وَغَنِمُوا مِنْهُمْ غَنِيمَةً عَظِيمَةً ، فَأَمَرَ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ بِتَجْهِيزِ الْعَسَاكِرِ مَعَ مُؤْنِسٍ الْمُظَفَّرِ ، وَخَلَعَ الْمُقْتَدِرُ عَلَيْهِ ، فِي رَبِيعٍ الْآخَرِ ، لِيَسِيرَ ، فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْوَدَاعُ امْتَنَعَ مُؤْنِسٌ مِنْ دُخُولِ دَارِ الْخَلِيفَةِ لِلْوَدَاعِ ، وَاسْتَوْحَشَ مِنَ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ وَظَهَرَ ذَلِكَ. |
| وَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّ خَادِمًا مِنْ خُدَّامِ الْمُقْتَدِرُ حَكَى لِمُؤْنِسٍ أَنَّ الْمُقْتَدِرَ بِاللَّهِ أَمَرَ خَوَاصَّ خَدَمِهِ أَنْ يَحْفِرُوا جُبًّا فِي دَارِ الشَّجَرَةِ ، وَيُغَطُّوهُ بِبُرَايَةٍ وَتُرَابٍ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ يَجْلِسُ فِيهِ لِوَدَاعِ مُؤْنِسٍ ، فَإِذَا حَضَرَ وَقَارَبَهَا أَلْقَاهُ الْخَدَمُ فِيهَا ، وَخَنَقُوهُ ، وَأَظْهَرُوهُ مَيِّتًا ، فَامْتَنَعَ مُؤْنِسٌ مِنْ دُخُولِ دَارِ الْخَلِيفَةِ ، وَرَكِبَ إِلَيْهِ جَمِيعُ الْأَجْنَادِ ، وَفِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمْدَانَ وَإِخْوَتُهُ ، وَخَلَتْ دَارُ الْخَلِيفَةِ ، وَقَالُوا لِمُؤْنِسٍ نَحْنُ نُقَاتِلُ بَيْنَ يَدَيْكَ إِلَى أَنْ تَنْبَتَّ لَكَ لِحْيَةٌ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْمُقْتَدِرُ رُقْعَةً بِخَطِّهِ يَحْلِفُ لَهُ عَلَى بُطْلَانِ مَا بَلَغَهُ ، فَصَرَفَ مُؤْنِسٌ الْجَيْشَ ، وَكَتَبَ الْجَوَابَ أَنَّهُ الْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ ، وَأَنَّ الَّذِي أَبْلَغَهُ ذَلِكَ قَدْ كَانَ وَضَعَهُ مَنْ يُرِيدُ إِيحَاشَهُ مِنْ مَوْلَاهُ ، وَأَنَّهُ مَا اسْتَدْعَى الْجُنْدَ ، وَإِنَّمَا هُمْ حَضَرُوا ، وَقَدْ فَرَّقَهُمْ. |
| ثُمَّ إِنَّ مُؤْنِسًا قَصَدَ دَارَ الْمُقْتَدِرِ فِي جَمْعٍ مِنَ الْقُوَّادِ ، وَدَخَلَ إِلَيْهِ ، وَقَبَّلَ يَدَهُ ، وَحَلَفَ الْمُقْتَدِرُ عَلَى صَفَاءِ نِيَّتِهِ لَهُ ، وَوَدَّعَهُ وَسَارَ إِلَى الثَّغْرِ فِي الْعَشْرِ الْآخَرِ مِنْ رَبِيعٍ الْآخَرِ ، وَخَرَجَ لِوَدَاعِهِ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْمُقْتَدِرِ ، وَهُوَ الرَّاضِي بِاللَّهِ ، وَالْوَزِيرُ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى. |
| ذِكْرُ وُصُولِ الْقَرَامِطَةِ إِلَى الْعِرَاقِ وَقَتْلِ يُوسُفَ بْنِ أَبِي السَّاجِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَرَدَتِ الْأَخْبَارُ بِمَسِيرِ أَبِي طَاهِرٍ الْقَرْمَطِيِّ مِنْ هَجَرَ نَحْوَ الْكُوفَةِ ثُمَّ وَرَدَتِ الْأَخْبَارُ مِنَ الْبَصْرَةِ بِأَنَّهُ اجْتَازَ قَرِيبًا مِنْهُمْ نَحْوَ الْكُوفَةِ. |
| فَكَتَبَ الْمُقْتَدِرُ إِلَى يُوسُفَ بْنِ أَبِي السَّاجِ يُعَرِّفُهُ هَذَا الْخَبَرَ ، وَيَأْمُرُهُ بِالْمُبَادَرَةِ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَسَارَ إِلَيْهَا عَنْ وَاسِطَ ، آخِرَ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ بِالْكُوفَةِ الْأَنْزَالَ لَهُ وَلِعَسْكَرِهِ ، فَلَمَّا وَصَلَهَا أَبُو طَاهِرٍ الْهَجَرِيُّ هَرَبَ نُوَّابُ السُّلْطَانِ عَنْهَا ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا أَبُو طَاهِرٍ ، وَعَلَى تِلْكَ الْأَنْزَالِ وَالْعُلُوفَاتِ ، وَكَانَ فِيهَا مِائَةُ كُرٍّ دَقِيقًا ، وَأَلْفُ كُرٍّ شَعِيرًا ، وَكَانَ قَدْ فَنِيَ مَا مَعَهُ مِنَ الْمِيرَةِ وَالْعَلُوفَةِ ، فَقَوُوا بِمَا أَخَذُوهُ. |
| وَوَصَلَ يُوسُفُ إِلَى الْكُوفَةِ بَعْدَ وُصُولِ الْقَرْمَطِيِّ بِيَوْمٍ وَاحِدٍ ، فَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا ، وَكَانَ وُصُولُهُ يَوْمَ الْجُمْعَةِ ثَامِنَ شَوَّالٍ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى طَاعَةِ الْمُقْتَدِرِ ، فَإِنْ أَبَوْا فَمَوْعِدُهُمُ الْحَرْبُ يَوْمَ الْأَحَدِ ، فَقَالُوا لَا طَاعَةَ عَلَيْنَا إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى ، وَالْمَوْعِدُ بَيْنَنَا لِلْحَرْبِ بُكْرَةَ غَدٍ. |
| فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ ابْتَدَأَ أَوْبَاشُ الْعَسْكَرِ بِالشَّتْمِ وَرَمْيِ الْحِجَارَةِ ، وَرَأَى يُوسُفُ قِلَّةَ الْقَرَامِطَةِ ، فَاحْتَقَرَهُمْ ، وَقَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْكِلَابَ بَعْدَ سَاعَةٍ فِي يَدِي! |
| وَتَقَدَّمَ بِأَنْ يَكْتُبَ كِتَابَ الْفَتْحِ وَالْبِشَارَةِ بِالظَّفَرِ قَبْلَ اللِّقَاءِ تَهَاوُنًا بِهِمْ. |
| وَزَحَفَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، فَسَمِعَ أَبُو طَاهِرٍ أَصْوَاتَ الْبُوقَاتِ وَالزَّعَقَاتِ ، فَقَالَ لِصَاحِبٍ لَهُ مَا هَذَا ؟ |
| فَقَالَ فَشَلٌ! |
| قَالَ أَجَلْ ، لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا ، فَاقْتَتَلُوا مِنْ ضَحْوَةِ النَّهَارِ ، يَوْمَ السَّبْتِ ، إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ ، وَصَبَرَ الْفَرِيقَانِ ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو طَاهِرٍ ذَلِكَ بَاشَرَ الْحَرْبَ بِنَفْسِهِ ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ يَثِقُ بِهِمْ ، وَحَمَلَ بِهِمْ ، فَطَحَنَ أَصْحَابَ يُوسُفَ ، وَدَقَّهُمْ ، فَانْهَزَمُوا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَسَرَ يُوسُفَ وَعَدَدًا كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَكَانَ أَسْرُهُ وَقْتَ الْمَغْرِبِ ، وَحَمَلُوهُ إِلَى عَسْكَرِهِمْ ، وَوَكَّلَ بِهِ أَبُو طَاهِرٍ طَبِيبًا يُعَالِجُ جِرَاحَهُ. |
| وَوَرَدَ الْخَبَرُ إِلَى بَغْدَاذَ بِذَلِكَ ، فَخَافَ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ مِنَ الْقَرَامِطَةِ خَوْفًا شَدِيدًا ، وَعَزَمُوا عَلَى الْهَرَبِ إِلَى حُلْوَانَ وَهَمَذَانَ ، وَدَخَلَ الْمُنْهَزِمُونَ بَغْدَاذَ ، أَكْثَرُهُمْ رَجَّالَةٌ ، حُفَاةٌ ، عُرَاةٌ ، فَبَرَزَ مُؤْنِسٌ الْمُظَفَّرُ لِيَسِيرَ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَأَتَاهُمُ الْخَبَرُ بِأَنَّ الْقَرَامِطَةَ قَدْ سَارُوا إِلَى عَيْنِ التَّمْرِ ، فَأَنْفَذَ مِنْ بَغْدَاذَ خَمْسَمِائَةِ سُمَيْرِيَّةٍ فِيهَا الْمُقَاتِلَةُ لِتَمْنَعَهُمْ مِنْ عُبُورِ الْفُرَاتِ ، وَسَيَّرَ جَمَاعَةً مِنَ الْجَيْشِ إِلَى الْأَنْبَارِ لِحِفْظِهَا ، وَمَنْعِ الْقَرَامِطَةِ مِنَ الْعُبُورِ هُنَالِكَ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْقَرَامِطَةَ قَصَدُوا الْأَنْبَارَ ، فَقَطَعَ أَهْلُهَا الْجِسْرَ ، وَنَزَلَ الْقَرَامِطَةُ غَرْبَ الْفُرَاتِ ، وَأَنْفَذَ أَبُو طَاهِرٍ أَصْحَابَهُ إِلَى الْحَدِيثَةِ ، فَأَتَوْهُ بِسُفُنٍ ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَهْلُ الْأَنْبَارِ بِذَلِكَ ، وَعَبَرَ فِيهَا ثَلَاثُمِائَةِ رَجُلٍ مِنَ الْقَرَامِطَةِ ، فَقَاتَلُوا عَسْكَرَ الْخَلِيفَةِ ، فَهَزَمُوهُمْ ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ جَمَاعَةً ، وَاسْتَوْلَى الْقَرَامِطَةُ عَلَى مَدِينَةِ الْأَنْبَارِ ، وَعَقَدُوا الْجِسْرَ ، وَعَبَرَ أَبُو طَاهِرٍ جَرِيدَةَ وَخَلَّفَ سَوَادَهُ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ. |
| وَلَمَّا وَرَدَ الْخَبَرُ بِعُبُورِ أَبِي طَاهِرٍ إِلَى الْأَنْبَارِ ، خَرَجَ نَصْرٌ الْحَاجِبُ فِي عَسْكَرٍ جَرَّارٍ ، فَلَحِقَ بِمُؤْنِسٍ الْمُظَفَّرِ ، فَاجْتَمَعَا فِي نَيِّفٍ وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ ، سِوَى الْغِلْمَانِ وَمَنْ يُرِيدُ النَّهْبَ ، وَكَانَ مِمَّنْ مَعَهُ أَبُو الْهَيْجَاءِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمْدَانَ ، وَمِنْ إِخْوَتِهِ أَبُو الْوَلِيدِ ، وَأَبُو السَّرَايَا فِي أَصْحَابِهِمْ ، وَسَارُوا حَتَّى بَلَغُوا نَهْرَ زَبَارَا ، عَلَى فَرْسَخَيْنِ مِنْ بَغْدَاذَ ، عِنْدَ عَقْرَقُوفَ ، فَأَشَارَ أَبُو الْهَيْجَاءِ بْنُ حَمْدَانَ بِقَطْعِ الْقَنْطَرَةِ الَّتِي عَلَيْهِ ، فَقَطَعُوهَا ، وَسَارَ أَبُو طَاهِرٍ وَمَنْ مَعَهُ نَحْوَهُمْ ، فَبَلَغُوا نَهْرَ زَبَارَا ، وَفِي أَوَائِلِهِمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ ، فَمَا زَالَ الْأَسْوَدُ يَدْنُو مِنَ الْقَنْطَرَةِ ، وَالنِّشَابُ يَأْخُذُهُ ، وَلَا يَمْتَنِعُ ، حَتَّى أَشْرَفَ عَلَيْهَا ، فَرَآهَا مَقْطُوعَةً ، فَعَادَ وَهُوَ مِثْلُ الْقُنْفُذِ. |
| وَأَرَادَ الْقَرَامِطَةُ الْعُبُورَ فَلَمْ يُمْكِنْهُمْ لِأَنَّ النَّهْرَ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَخَاضَةٌ ، وَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَى عَسْكَرِ الْخَلِيفَةِ هَرَبَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ إِلَى بَغْدَاذَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَلْقَوْهُمْ ، فَلَمَّا رَأَى ابْنُ حَمْدَانَ ذَلِكَ قَالَ لِمُؤْنِسٍ كَيْفَ رَأَيْتَ مَا أَشَرْتُ بِهِ عَلَيْكُمْ ؟ |
| فَوَاللَّهِ لَوْ عَبَرَ الْقَرَامِطَةُ النَّهْرَ لَانْهَزَمَ كُلُّ مَنْ مَعَكَ وَلَأَخَذُوا بَغْدَاذَ ، وَلَمَّا رَأَى الْقَرَامِطَةُ ذَلِكَ ، عَادُوا إِلَى الْأَنْبَارِ ، وَسَيَّرَ مُؤْنِسٌ الْمُظَفَّرُ صَاحِبَهُ بُلَيْقًا فِي سِتَّةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ ، إِلَى عَسْكَرِ الْقَرَامِطَةِ ، غَرْبِيَّ الْفُرَاتِ ، لِيَغْنَمُوهُ وَيُخَلِّصُوا ابْنَ أَبِي السَّاجِ ، فَبَلَغُوا إِلَيْهِمْ ، وَقَدْ عَبَرَ أَبُو طَاهِرٍ الْفُرَاتَ فِي زَوْرَقِ صَيَّادٍ ، وَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَلَمَّا رَآهُ أَصْحَابُهُ قَوِيَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَلَمَّا أَتَاهُمْ عَسْكَرُ مُؤْنِسٍ كَانَ أَبُو طَاهِرٍ عِنْدَهُمْ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ الْخَلِيفَةِ. |
| وَنَظَرَ أَبُو طَاهِرٍ إِلَى ابْنِ أَبِي السَّاجِ وَهُوَ قَدْ خَرَجَ مِنَ الْخَيْمَةِ يَنْظُرُ وَيَرْجُو الْخَلَاصَ ، وَقَدْ نَادَاهُ أَصْحَابُهُ أَبْشِرْ بِالْفَرَجِ! |
| فَلَمَّا انْهَزَمُوا أَحْضَرَهُ وَقَتَلَهُ ، وَقَتَلَ جَمِيعَ الْأَسْرَى مِنْ أَصْحَابِهِ. |
| وَسَلِمَتْ بَغْدَاذُ مِنْ نَهْبِ الْعَيَّارِينَ ، لِأَنَّ نَازُوكَ كَانَ يَطُوفُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَمَنْ وَجَدُوهُ بَعْدَ الْعَتَمَةِ قَتَلُوهُ فَامْتَنَعَ الْعَيَّارُونَ ، وَاكْتَرَى كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ بَغْدَاذَ سُفُنًا ، وَنَقَلُوا إِلَيْهَا أَمْوَالَهُمْ ، وَرَبَطُوهَا لِيَنْحَدِرُوا إِلَى وَاسِطَ ، وَفِيهِمْ مَنْ نَقَلَ مَتَاعَهُ إِلَى وَاسِطَ وَإِلَى حُلْوَانَ لِيَسِيرُوا إِلَى خُرَاسَانَ. |
| وَكَانَ عِدَّةُ الْقَرَامِطَةِ أَلْفَ رَجُلٍ وَخَمْسَمِائَةِ رَجُلٍ مِنْهُمْ سَبْعُمِائَةِ فَارِسٍ وَثَمَانِمِائَةِ رَاجِلٍ ، وَقِيلَ كَانُوا أَلْفَيْنِ وَسَبْعَمِائَةٍ. |
| وَقَصَدَ الْقَرَامِطَةُ مَدِينَةَ هَيْتَ ، وَكَانَ الْمُقْتَدِرُ قَدْ سَيَّرَ إِلَيْهَا سَعِيدَ بْنَ حَمْدَانَ ، وَهَارُونَ بْنَ غَرِيبٍ ، فَلَمَّا بَلَغَهَا الْقَرَامِطَةُ رَأَوْا عَسْكَرَ الْخَلِيفَةِ قَدْ سَبَقَهُمْ فَقَاتَلُوهُمْ عَلَى السُّورِ ، فَقَتَلُوا مِنَ الْقَرَامِطَةِ جَمَاعَةً كَثِيرَةً ، فَعَادُوا عَنْهَا. |
| وَلَمَّا بَلَغَ أَهْلَ بَغْدَاذَ عَوْدُهُمْ مِنْ هَيْتَ سَكَنَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَلَمَّا عَلِمَ الْمُقْتَدِرُ بِعِدَّةِ عَسْكَرِهِ وَعَسْكَرِ الْقَرَامِطَةِ قَالَ لَعَنَ اللَّهُ نَيِّفًا وَثَمَانِينَ أَلْفًا يَعْجَزُونَ عَنْ أَلْفَيْنِ وَسَبْعِمِائَةٍ. |
| وَجَاءَ إِنْسَانٌ إِلَى عَلِيِّ بْنِ عِيسَى ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ فِي جِيرَانِهِ رَجُلًا مِنْ شِيرَازَ عَلَى مَذْهَبِ الْقَرَامِطَةِ يُكَاتِبُ أَبَا طَاهِرٍ بِالْأَخْبَارِ ، فَأَحْضَرَهُ ، وَسَأَلَهُ وَاعْتَرَفَ ، وَقَالَ مَا صَحِبْتُ أَبَا طَاهِرٍ إِلَّا لِمَا صَحَّ عِنْدِي أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ وَأَنْتَ وَصَاحِبُكَ كُفَّارٌ تَأْخُذُونَ مَا لَيْسَ لَكُمْ ، وَلَا بُدَّ لِلَّهِ مِنْ حُجَّةٍ فِي أَرْضِهِ ، وَإِمَامُنَا الْمَهْدِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ فُلَانِ بْنِ فُلَانِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ الْمُقِيمُ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ ، وَلَسْنَا كَالرَّافِضَةِ ، وَالِاثْنَيْ عَشْرِيَّةَ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِجَهْلِهِمْ إِنَّ لَهُمْ إِمَامًا يَنْتَظِرُونَهُ ، وَيَكْذِبُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فَيَقُولُ قَدْ رَأَيْتُهُ وَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقْرَأُ ، وَلَا يُنْكِرُونَ بِجَهْلِهِمْ وَغَبَاوَتِهِمْ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُعْطَى مِنَ الْعُمْرِ مَا يَظُنُّونَهُ ، فَقَالَ لَهُ قَدْ خَالَطْتَ عَسْكَرَنَا وَعَرَفْتَهُمْ ، فَمَنْ فِيهِمْ عَلَى مَذْهَبِكَ ؟ |
| فَقَالَ وَأَنْتَ بِهَذَا الْعَقْلِ تُدَبِّرُ الْوِزَارَةُ ، كَيْفَ تَطْمَعُ مِنِّي أَنَّنِي أُسَلِّمُ قَوْمًا مُؤْمِنِينَ إِلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ يَقْتُلُونَهُمْ ؟ |
| لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ. |
| فَأَمَرَ بِهِ فَضُرِبَ ضَرْبًا شَدِيدًا ، وَمُنِعَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ فَمَاتَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. |
| وَقَدْ كَانَ ابْنُ أَبِي السَّاجِ قَبْلَ قِتَالِهِ الْقَرَامِطَةَ قَدْ قَبَضَ عَلَى وَزِيرِهِ مُحَمَّدِ بْنِ خَلَفٍ النِّيرَمَانِيِّ وَجَعَلَ مَكَانَهُ أَبَا عَلِيٍّ الْحَسَنَ بْنَ هَارُونَ ، وَصَادَرَ مُحَمَّدًا عَلَى خَمْسِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ النِّيرَمَانِيَّ عَظُمَ شَأْنُهُ ، وَكَثُرَ مَالُهُ ، فَحَدَّثَ نَفْسَهُ بِوِزَارَةِ الْخَلِيفَةِ ، فَكَتَبَ إِلَى نَصْرٍ الْحَاجِبِ يَخْطُبُ الْوِزَارَةَ. |
| وَيَسْعَى بِابْنِ أَبِي السَّاجِ ، وَيَقُولُ لَهُ إِنَّهُ قَرْمَطِيٌّ يَعْتَقِدُ إِمَامَةَ الْعَلَوِيِّ الَّذِي بِإِفْرِيقِيَّةَ ، وَإِنَّنِي نَاظِرْتُهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَلَمْ يَرْجِعْ عَنْهُ ، وَإِنَّهُ لَا يَسِيرُ إِلَى قِتَالِ أَبِي طَاهِرٍ الْقَرْمَطِيِّ ، وَإِنَّمَا يَأْخُذُ الْمَالَ بِهَذَا السَّبَبِ ، وَيَقْوَى بِهِ عَلَى قَصْدِ حَضْرَةِ السُّلْطَانِ ، وَإِزَالَةِ الْخِلَافَةِ عَنْ بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَطَوَّلَ فِي ذَلِكَ وَعَرَّضَ. |
| وَكَانَ لِمُحَمَّدِ بْنِ خَلَفٍ أَعْدَاءٌ قَدْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ أَبِي السَّاجِ فَسَعَوْا بِهِ ، فَأَعْلَمُوا يُوسُفَ بْنَ أَبِي السَّاجِ ذَلِكَ ، وَأَرَوْهُ كُتُبًا جَاءَتْهُ مِنْ بَغْدَاذَ فِي الْمَعْنَى مَنْ نَصْرٍ الْحَاجِبِ وَفِيهَا رُمُوزٌ إِلَى قَوَاعِدَ قَدْ تَقَدَّمَتْ وَتَقَرَّرَتْ ، وَفِيهَا الْوَعْدُ لَهُ بِالْوِزَارَةِ ، وَعَزْلِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى الْوَزِيرِ ، فَلَمَّا عَلِمَ ذَلِكَ ابْنُ أَبِي السَّاجِ قَبَضَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أُسِرَ ابْنُ أَبِي السَّاجِ تَخَلَّصَ مِنَ الْحَبْسِ ، وَكَانَ ابْنُ أَبِي السَّاجِ يُسَمَّى الشَّيْخَ الْكَرِيمَ لِمَا جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ مِنْ خِلَالِ الْكَمَالِ وَالْكَرَمِ. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ أَسْفَارٍ عَلَى جُرْجَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَوْلَى أَسْفَارُ بْنُ شِيرُوَيْهِ الدَّيْلَمِيُّ عَلَى جُرْجَانَ ، وَكَانَ ابْتِدَاءُ أَمْرِهِ أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ مَاكَانَ بْنِ كَالِي الدَّيْلَمِيِّ ، وَكَانَ سَيِّئَ الْخُلُقِ وَالْعِشْرَةِ ، فَأَخْرَجَهُ مَاكَانُ مِنْ عَسْكَرِهِ ، فَاتَّصَلَ بِبَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَلْيَسَعَ ، وَهُوَ بِنَيْسَابُورَ ، وَخَدَمَهُ ، فَسَيَّرَهُ بَكْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى جُرْجَانَ لِيَفْتَحَهَا. |
| وَكَانَ مَاكَانُ بْنُ كَالِي ، ذَلِكَ الْوَقْتَ ، بِطَبَرِسْتَانَ ، وَأَخُوهُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ كَالِي بِجُرْجَانَ ، وَقَدِ اعْتَقَلَ أَبَا عَلِيِّ بْنِ أَبِي الْحُسَيْنِ الْأُطْرُوشَ الْعَلَوِيَّ عِنْدَهُ ، فَشَرِبَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ كَالِي لَيْلَةً وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ فَفَرَّقَهُمْ ، وَبَقِيَ فِي بَيْتٍ هُوَ وَالْعَلَوِيُّ ، فَقَامَ إِلَى الْعَلَوِيِّ لِيَقْتُلَهُ ، فَظَفِرَ بِهِ الْعَلَوِيُّ وَقَتَلَهُ ، وَخَرَجَ مِنَ الدَّارِ وَاخْتَفَى ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَرْسَلَ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْقُوَّادِ يُعَرِّفُهُمُ الْحَالَ فَفَرِحُوا بِقَتْلِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ كَالِي ، وَأَخْرَجُوا الْعَلَوِيَّ ، وَأَلْبَسُوهُ الْقَلَنْسُوَةَ وَبَايَعُوهُ ، فَأَمْسَى أَسِيرًا ، وَأَصْبَحَ أَمِيرًا ، وَجَعَلَ مُقَدَّمُ جَيْشِهِ عَلِيَّ بْنَ خُرْشِيدَ وَرَضِيَ بِهِ الْجَيْشُ ، وَكَاتَبُوا أَسْفَارَ بْنَ شِيرُوَيْهِ ، وَعَرَّفُوهُ الْحَالَ ، وَاسْتَقْدَمُوهُ إِلَيْهِمْ ، فَاسْتَأْذَنَ بَكْرَ بْنَ مُحَمَّدٍ وَسَارَ إِلَى جُرْجَانَ ، وَاتَّفَقَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ خُرْشِيدَ ، وَضَبَطُوا تِلْكَ النَّاحِيَةَ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ مَاكَانُ بْنُ كَالِي ، مِنْ طَبَرِسْتَانَ ، فِي جَيْشِهِ ، فَحَارَبُوهُ وَهَزَمُوهُ وَأَخْرَجُوهُ عَنْ طَبَرِسْتَانَ ، وَأَقَامُوا بِهَا وَمَعَهُمُ الْعَلَوِيُّ ، فَلَعِبَ يَوْمًا بِالْكُرَةِ ، فَسَقَطَ عَنْ دَابَّتِهِ فَمَاتَ. |
| ثُمَّ مَاتَ عَلِيُّ بْنُ خُرْشِيدَ صَاحِبُ الْجَيْشِ ، وَعَادَ مَاكَانُ بْنُ كَالِي إِلَى أَسْفَارٍ ، فَحَارَبَهُ ، فَانْهَزَمَ أَسْفَارٌ مِنْهُ ، وَرَجَعَ إِلَى بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَلْيَسَعَ ، وَهُوَ بِجُرْجَانَ ، وَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ بَكْرٌ بِهَا ، فَوَلَّاهَا الْأَمِيرُ السَّعِيدُ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ ، أَسْفَارَ بْنَ شِيرَوَيْهِ ، وَذَلِكَ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَأَرْسَلَ أَسْفَارٌ إِلَى مَرْدَاوِيجَ بْنِ زَيَّارَ الْجِيلِيِّ يَسْتَدْعِيهِ ، فَحَضَرَ عِنْدَهُ ، وَجَعَلَهُ أَمِيرَ الْجَيْشِ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَقَصَدُوا طَبَرِسْتَانَ وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا. |
| وَنَحْنُ نَذْكُرُ حَالَ ابْتِدَاءِ مَرْدَاوِيجَ وَكَيْفَ تَقَلَّبَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ. |
| ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالرُّومِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَتْ سَرِيَّةٌ مِنْ طَرَسُوسَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ ، فَوَقَعَ عَلَيْهَا الْعَدُوُّ فَاقْتَتَلُوا فَاسْتَظْهَرَ الرُّومُ وَأَسَرُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَرْبَعَمِائَةِ رَجُلٍ ، فَقُتِلُوا صَبْرًا. |
| وَفِيهَا سَارَ الدُّمُسْتُقُ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ مِنَ الرُّومِ إِلَى مَدِينَةِ دَبِيلَ ، وَفِيهَا نَصْرٌ السُّبْكِيُّ فِي عَسْكَرٍ يَحْمِيهَا ، وَكَانَ مَعَ الدُّمُسْتُقِ دَبَّابَاتٌ وَمَجَانِيقُ وَمَعَهُ مِزْرَاقٌ يَزْرُقُ بِالنَّارِ عِدَّةَ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا ، فَلَا يَقِرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ أَحَدٌ مِنْ شِدَّةِ نَارِهِ وَاتِّصَالِهِ ، فَكَانَ مِنْ أَشَدِّ شَيْءٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. |
| وَكَانَ الرَّامِي بِهِ ، مُبَاشِرٌ بِالْقِتَالِ ، مِنْ أَشْجَعِهِمْ ، فَرَمَاهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ ، وَأَرَاحَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ شَرِّهِ. |
| وَكَانَ الدُّمُسْتُقُ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيٍّ عَالٍ يُشْرِفُ عَلَى الْبَلَدِ وَعَلَى عَسْكَرِهِ ، فَأَمَرَهُمْ بِالْقِتَالِ عَلَى مَا يَرَاهُ ، فَصَبَرَ لَهُ أَهْلُ الْبَلَدِ ، وَهُوَ مُلَازِمُ الْقِتَالِ ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى سُورِ الْمَدِينَةِ ، فَنَقَبُوا فِيهِ نُقُوبًا كَثِيرَةً ، وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ ، فَقَاتَلَهُمْ أَهْلُهَا وَمَنْ فِيهَا مِنَ الْعَسْكَرِ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ ، وَأَخْرَجُوا الرُّومَ مِنْهَا ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ نَحْوَ عَشَرَةِ آلَافِ رَجُلٍ. |
| وَفِيهَا فِي ذِي الْقِعْدَةِ ، عَادَ ثَمِلٌ إِلَى طَرَسُوسَ مِنَ الْغَزَاةِ الصَّائِفَةِ سَالِمًا هُوَ وَمَنْ مَعَهُ فَلَقَوْا جَمْعًا كَثِيرًا مِنَ الرُّومِ ، فَاقْتَتَلُوا فَانْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ وَقَتَلُوا مِنَ الرُّومِ كَثِيرًا ، وَغَنِمُوا مَا لَا يُحْصَى. |
| وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَا غَنِمُوا أَنَّهُمْ ذَبَحُوا مِنَ الْغَنَمِ فِي بِلَادِ الرُّومِ ثَلَاثَمِائَةِ أَلْفِ رَأْسٍ ، سِوَى مَا سَلِمَ مَعَهُمْ ، وَلَقِيَهُمْ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِابْنِ الضَّحَّاكِ ، وَهُوَ مِنْ رُؤَسَاءِ الْأَكْرَادِ ، وَكَانَ لَهُ حِصْنٌ يُعْرَفُ بِالْجَعْفَرِيِّ ، فَارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ وَصَارَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ فَأَجْزَلَ لَهُ الْعَطِيَّةَ ، وَأَمَرَهُ بِالْعَوْدِ إِلَى حِصْنِهِ ، فَلَقِيَهُ الْمُسْلِمُونَ ، فَقَاتَلُوهُ ، فَأَسَرُوهُ ، وَقَتَلُوا كُلَّ مَنْ مَعَهُ. |
| ذِكْرُ مَسِيرِ جَيْشِ الْمَهْدِيِّ إِلَى الْمَغْرِبِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَيَّرَ الْمَهْدِيُّ الْعَلَوِيُّ ، صَاحِبُ إِفْرِيقِيَّةَ ، ابْنَهُ أَبَا الْقَاسِمِ مِنَ الْمَهْدِيَّةِ إِلَى الْمَغْرِبِ فِي جَيْشٍ كَثِيرٍ ، فِي صَفَرٍ ، لِسَبَبِ مُحَمَّدِ بْنِ خَرَزٍ الزَّنَاتِيِّ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ ظَفِرَ بِعَسْكَرٍ مِنْ كُتَامَةَ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى الْمَهْدِيِّ ، فَسَيَّرَ وَلَدَهُ ، فَلَمَّا خَرَجَ تَفَرَّقَ الْأَعْدَاءُ ، وَسَارَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَا وَرَاءِ تَاهَرْتَ ، فَلَمَّا عَادَ مِنْ سَفْرَتِهِ هَذِهِ خَطَّ بِرُمْحِهِ فِي الْأَرْضِ صِفَةَ مَدِينَةٍ وَسَمَّاهَا الْمُحَمَّدِيَّةَ ، وَهِيَ الْمَسِيلَةُ. |
| وَكَانَتْ خُطَّتُهُ لَبَنِي كُمْلَانَ ، فَأَخْرَجَهُمْ مِنْهَا ، وَنَقَلَهُمْ إِلَى فَحْصِ الْقَيْرَوَانِ ، كَالْمُتَوَقِّعِ مِنْهُمْ أَمْرًا ، فَلِذَلِكَ أَحَبُّوا أَنْ يَكُونُوا قَرِيبًا مِنْهُ ، وَهُمْ كَانُوا أَصْحَابَ أَبِي يَزِيدَ الْخَارِجِيِّ ، وَانْتَقَلَ خَلْقٌ كَثِيرٌ إِلَى الْمُحَمَّدِيَّةِ ، وَأَمَرَ عَامِلَهَا أَنْ يُكْثِرَ مِنَ الطَّعَامِ وَيُخَزِّنَهُ وَيَحْتَفِظَ بِهِ فَفَعَلَ ذَلِكَ ، فَلَمْ يَزَلْ مَخْزُونًا إِلَى أَنْ خَرَجَ أَبُو يَزِيدَ وَلَقِيَهُ الْمَنْصُورُ ، وَمِنَ الْمُحَمَّدِيَّةِ كَانَ يَمْتَارُ مَا يُرِيدُ إِذْ لَيْسَ بِالْمَوْضِعِ مَدِينَةٌ سِوَاهَا. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمِسْمَعِيِّ مِنْ حُمَّى حَادَّةٍ ، وَكَانَ مَوْتُهُ بِالنُّوبَنْدَجَانِ ، فَاسْتَعْمَلَ الْمُقْتَدِرُ مَكَانَهُ عَلَى فَارِسَ يَاقُوتًا ، وَاسْتَعْمَلَ عِوَضَهُ عَلَى كَرْمَانَ أَبَا طَاهِرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الصَّمَدِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِمَا. |
| وَفِيهَا شَغَبَ الْفُرْسَانُ بِبَغْدَاذَ ، وَخَرَجُوا إِلَى الْمُصَلَّى ، وَنَهَبُوا الْقَصْرَ الْمَعْرُوفَ بِالثُّرَيَّا ، وَذَبَحُوا مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْوَحْشِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مُؤْنِسٌ ، وَضَمِنَ لَهُمْ أَرْزَاقَهُمْ ، فَرَجَعُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ. |
| وَفِيهَا ظَفِرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ الْأُمَوِيُّ ، صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ ، بِأَهْلِ طُلَيْطِلَةَ وَكَانَ قَدْ حَصَرَهَا مُدَّةً لِخِلَافٍ كَانَ عَلَيْهِ فِيهَا ، فَلَمَّا ظَفِرَ بِهِمْ أَخَرَبَ كَثِيرًا مِنْ عِمَارَاتِهَا وَشَعَثِهَا ، وَكَانَتْ حِينَئِذٍ دَارَ إِسْلَامٍ. |
| وَفِيهَا قَصَدَ الْأَعْرَابُ سَوَادَ الْكُوفَةِ فَنَهَبُوهُ وَخَرَّبُوهُ ، وَدَخَلُوا الْحِيرَةَ فَنَهَبُوهَا ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِمُ الْخَلِيفَةُ جَيْشًا فَدَفَعُوهُمْ عَنِ الْبِلَادِ. |
| وَفِيهَا ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، انْقَضَّ كَوْكَبٌ عَظِيمٌ ، وَصَارَ لَهُ صَوْتٌ شَدِيدٌ عَلَى سَاعَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنَ النَّهَارِ. |
| وَفِيهَا ، فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، احْتَرَقَ كَثِيرٌ مِنَ الرُّصَافَةِ وَوَصِيفٌ الْجَوْهَرِيُّ وَمُرَبَّعَةُ الْخُرْسِيِّ بِبَغْدَاذَ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ السَّرِيِّ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ السَّرَّاجِ النَّحْوِيُّ ، صَاحِبُ كِتَابِ الْأُصُولِ فِي النَّحْوِ. |
| وَقِيلَ تُوُفِّيَ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . |
| وَفِيهَا ، فِي شَعْبَانَ ، تُوُفِّيَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ فَجْأَةً. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتَّ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتَّ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ أَخْبَارِ الْقَرَامِطَةِ لَمَّا سَارَ الْقَرَامِطَةُ مِنَ الْأَنْبَارِ عَادَ مُؤْنِسٌ الْخَادِمُ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَدَخَلَهَا ثَالِثَ الْمُحَرَّمِ ، وَسَارَ أَبُو طَاهِرٍ الْقَرْمَطِيُّ إِلَى الدَّالِيَةِ مِنْ طَرِيقِ الْفُرَاتِ ، فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا شَيْئًا ، فَقَتَلَ مِنْ أَهْلِهَا جَمَاعَةً ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الرَّحْبَةِ ، فَدَخَلَهَا ثَامِنَ الْمُحَرَّمِ ، بَعْدَ أَنْ حَارَبَهُ أَهْلُهَا ، فَوَضَعَ فِيهِمُ السَّيْفَ بَعْدَ أَنْ ظَفِرَ بِهِمْ ، فَأُمِرَ مُؤْنِسٌ الْمُظَفَّرُ بِالْمَسِيرِ إِلَى الرَّقَّةِ ، فَسَارَ إِلَيْهَا فِي صَفَرٍ ، وَجَعَلَ طَرِيقَهُ عَلَى الْمَوْصِلِ ، فَوَصَلَ إِلَيْهَا فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَنَزَلَ بِهَا ، وَأَرْسَلَ أَهْلُ قَرْقِيسِيَا يَطْلُبُونَ مِنْ أَبِي طَاهِرٍ الْأَمَانَ ، فَأَمَّنَهُمْ وَأَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَظْهَرَ أَحَدٌ بِالنَّهَارِ ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ. |
| وَسَيَّرَ أَبُو طَاهِرٍ سَرِيَّةً إِلَى الْأَعْرَابِ بِالْجَزِيرَةِ فَنَهَبُوهُمْ ، وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ ، فَخَافَهُ الْأَعْرَابُ خَوْفًا شَدِيدًا وَهَرَبُوا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَقَرَّرَ عَلَيْهِمْ إِتَاوَةً عَلَى كُلِّ رَأْسٍ دِينَارٌ يَحْمِلُونَهُ إِلَى هَجَرَ ، ثُمَّ صَعِدَ أَبُو طَاهِرٍ مِنَ الرَّحْبَةِ إِلَى الرِّقَّةِ ، فَدَخَلَ أَصْحَابُهُ الرَّبَضَ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ ثَلَاثِينَ رَجُلًا ، وَأَعَانَ أَهْلُ الرَّقَّةِ أَهَّلَ الرَّبَضِ ، وَقَتَلُوا مِنَ الْقَرَامِطَةِ جَمَاعَةً ، فَقَاتَلَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا آخِرَ رَبِيعٍ الْآخَرِ. |
| وَبَثَّتِ الْقَرَامِطَةُ سَرِيَّةً إِلَى رَأْسِ عَيْنٍ ، وَكَفَرْتُوثَا ، فَطَلَبَ أَهْلُهَا الْأَمَانَ ، فَأَمَّنُوهُمْ ، وَسَارُوا أَيْضًا إِلَى سِنْجَارَ ، فَنَهَبُوا الْجِبَالَ ، وَنَازَلُوا سِنْجَارَ ، فَطَلَبَ أَهْلُهَا الْأَمَانَ ، فَأَمَّنُوهُمْ. |
| وَكَانَ مُؤْنِسٌ قَدْ وَصَلَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَبَلَغَهُ قَصْدُ الْقَرَامِطَةِ إِلَى الرَّقَّةِ فَجَدَّ السَّيْرَ إِلَيْهَا ، فَسَارَ أَبُو طَاهِرٍ عَنْهَا ، وَعَادَ إِلَى الرَّحْبَةِ ، وَوَصَلَ مُؤْنِسٌ إِلَى الرَّقَّةِ بَعْدَ انْصِرَافِ الْقَرَامِطَةِ عَنْهَا ، ثُمَّ إِنَّ الْقَرَامِطَةَ سَارُوا إِلَى هَيْتَ ، وَكَانَ أَهْلُهَا قَدْ أَحْكَمُوا سُورَهَا ، فَقَاتَلُوهُ ، فَعَادَ عَنْهُمْ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَأُخْرِجَ هَارُونُ بْنُ غَرِيبٍ ، وَبُنِّيُّ بْنُ نَفِيسٍ وَنَصْرٌ الْحَاجِبُ إِلَيْهَا ، وَوَصَلَتْ خَيْلُ الْقَرْمَطِيِّ إِلَى قَصْرِ ابْنِ هُبَيْرَةَ ، فَقَتَلُوا مِنْهُ جَمَاعَةً. |
| ثُمَّ إِنَّ نَصْرًا الْحَاجِبَ حُمَّ فِي طَرِيقِهِ حُمَّى حَادَّةً ، فَتَجَلَّدَ وَسَارَ ، فَلَمَّا قَارَبَهُمُ الْقَرْمَطِيُّ لَمْ يَكُنْ فِي نَصْرٍ قُوَّةٌ عَلَى النُّهُوضِ وَالْمُحَارَبَةِ ، فَاسْتَخْلَفَ أَحْمَدَ بْنَ كَيْغَلَغَ ، وَاشْتَدَّ مَرَضُ نَصْرٍ ، وَأُمْسِكَ لِسَانُهُ لِشِدَّةِ مَرَضِهِ ، فَرَدُّوهُ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ فِي أَوَاخِرِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَجُعِلَ مَكَانَهُ عَلَى الْجَيْشِ هَارُونُ بْنُ غَرِيبٍ ، وَرُتِّبَ ابْنُهُ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ فِي الْحَجْبَةِ لِلْمُقْتَدِرِ مَكَانَ أَبِيهِ ، فَانْصَرَفَ الْقَرَامِطَةُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ ، وَعَادَ هَارُونُ إِلَى بَغْدَاذَ فِي الْجَيْشِ ، فَدَخَلَهَا لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ شَوَّالٍ. |
| ذِكْرُ عَزْلِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى وَوِزَارَةِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُزِلَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى عَنْ وِزَارَةِ الْخَلِيفَةِ ، وَرُتِّبَ فِيهَا أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُقْلَةَ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ عَلِيًّا لَمَّا رَأَى نَقْصَ الِارْتِفَاعِ ، وَاخْتِلَالَ الْأَعْمَالِ بِوِزَارَةِ الْخَاقَانِيِّ وَالْخَصِيبِيِّ ، وَزِيَادَةَ النَّفَقَاتِ ، وَأَنَّ الْجُنْدَ لَمَّا عَادُوا مِنَ الْأَنْبَارِ زَادَهُمُ الْمُقْتَدِرُ فِي أَرْزَاقِهِمْ مِائَتَيْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فِي السَّنَةِ ، وَرَأَى أَيْضًا كَثْرَةَ النَّفَقَاتِ لِلْخَدَمِ وَالْحُرَمِ ، لَا سِيَّمَا وَالِدَةُ الْمُقْتَدِرِ ، هَالَهُ ذَلِكَ ، وَعَظُمَ عَلَيْهِ. |
| ثُمَّ إِنَّهُ رَأَى نَصْرًا الْحَاجِبَ يَقْصِدُهُ ، وَيَنْحَرِفُ عَنْهُ لِمَيْلِ مُؤْنِسٍ إِلَيْهِ ، فَإِنَّ نَصْرًا كَانَ يُخَالِفُ مُؤْنِسًا فِي جَمِيعِ مَا يُشِيرُ بِهِ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ذَلِكَ اسْتَعْفَى مِنَ الْوِزَارَةِ ، وَاحْتَجَّ بِالشَّيْخُوخَةِ ، وَقِلَّةِ النَّهْضَةِ ، فَأَمَرَهُ الْمُقْتَدِرُ بِالصَّبْرِ ، وَقَالَ لَهُ أَنْتَ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ وَالِدِي الْمُعْتَضِدِ ، فَأَلَحَّ عَلَيْهِ فِي الِاسْتِعْفَاءِ ، فَشَاوَرَ مُؤْنِسًا فِي ذَلِكَ ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ قَدْ سُمِّيَ لِلْوِزَارَةِ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ الْفَضْلُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الْفُرَاتِ الَّذِي أُمُّهُ حَنْزَانَةُ ، وَأُخْتُهُ زَوْجَةُ الْمُحَسِّنِ بْنِ الْفُرَاتِ ، وَأَبُو عَلِيِّ بْنُ مُقْلَةَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ خَلَفٍ النِّيرَمَانِيُّ الَّذِي كَانَ وَزِيرَ ابْنِ أَبِي السَّاجِ ، فَقَالَ مُؤْنِسٌ أَمَّا الْفَضْلُ فَقَدْ قَتَلْنَا عَمَّهُ الْوَزِيرَ أَبَا الْحَسَنِ ، وَابْنَ عَمِّهِ زَوْجَ أُخْتِهِ الْمُحَسِّنَ ابْنَ الْوَزِيرِ ، وَصَادَرْنَا أُخْتَهُ فَلَا نَأْمَنُهُ ، وَأَمَّا ابْنُ مُقْلَةَ فَحَدَثٌ غِرٌّ لَا تَجْرِبَةَ لَهُ بِالْوِزَارَةِ ، وَلَا يَصْلُحُ لَهَا ، وَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفٍ فَجَاهِلٌ مُتَهَوِّرٌ لَا يُحْسِنُ شَيْئًا ، وَالصَّوَابُ مُدَارَاةُ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى. |
| ثُمَّ لَقِيَ مُؤْنِسٌ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى ، وَسَكَّنَهُ ، فَقَالَ عَلِيٌّ لَوْ كُنْتَ مُقِيمًا لَاسْتَعَنْتُ بِكَ ، وَلَكِنَّكَ سَائِرٌ إِلَى الرَّقَّةِ ثُمَّ إِلَى الشَّامِ. |
| وَبَلَغَ الْخَبَرُ أَبَا عَلِيِّ بْنَ مُقْلَةَ ، فَجَدَّ فِي السَّعْيِ ، وَضَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ الضَّمَانَاتِ ، وَشَاوَرَ الْمُقْتَدِرُ نَصْرًا الْحَاجِبَ فِي هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ ، فَقَالَ أَمَّا الْفَضْلُ بْنُ الْفُرَاتِ فَلَا يُدْفَعُ عَنْ صِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ ، وَالْمَعْرِفَةِ ، وَالْكِفَايَةِ ، وَلَكِنَّكَ بِالْأَمْسِ قَتَلْتَ عَمَّهُ وَابْنَ عَمِّهِ وَصِهْرَهُ ، وَصَادَرْتَ أُخْتَهُ وَأُمَّهُ ، ثُمَّ إِنَّ بَنِي الْفُرَاتِ يَدِينُونَ بِالرَّفْضِ ، وَيُعْرَفُونَ بِوَلَاءِ آلِ عَلِيٍّ وَوَلَدِهِ ، وَأَمَّا أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُقْلَةَ فَلَا هَيْبَةَ لَهُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ ، وَلَا يَرْجِعُ إِلَى كِفَايَةٍ ، وَلَا تَجْرِبَةٍ ، وَأَشَارَ بِمُحَمَّدِ بْنِ خَلَفٍ لِمَوَدَّةٍ كَانَتْ بَيْنَهُمَا ، فَنَفَرَ الْمُقْتَدِرُ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَلَفٍ لِمَا عَلِمَهُ مِنْ جَهْلِهِ وَتَهَوُّرِهِ ، وَوَاصَلَ ابْنُ مُقْلَةَ بِالْهَدِيَّةِ إِلَى نَصْرٍ الْحَاجِبِ ، فَأَشَارَ عَلَى الْمُقْتَدِرِ بِهِ ، فَاسْتَوْزَرَهُ. |
| وَكَانَ ابْنُ مُقْلَةَ لَمَّا قَرُبَ الْهَجَرِيُّ مِنَ الْأَنْبَارِ قَدْ أَنْفَذَ صَاحِبًا لَهُ مَعَهُ خَمْسُونَ طَائِرًا ، وَأَمَرَهُ بِالْمُقَامِ بِالْأَنْبَارِ ، وَإِرْسَالِ الْأَخْبَارِ إِلَيْهِ وَقْتًا بِوَقْتٍ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، فَكَانَتْ الْأَخْبَارُ تَرِدُ مِنْ جِهَتِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ عَلَى يَدِ نَصْرٍ الْحَاجِبِ ، فَقَالَ نَصْرٌ هَذَا فِعْلُهُ فِيمَا لَا يَلْزَمُهُ ، فَكَيْفَ يَكُونُ إِذَا اصْطَنَعْتَهُ! |
| فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي وِزَارَتِهِ. |
| وَتَقَدَّمَ الْمُقْتَدِرُ فِي مُنْتَصَفِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ بِالْقَبْضِ عَلَى الْوَزِيرِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى ، وَأَخِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَخَلَعَ عَلَى أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ ، وَتَوَلَّى الْوِزَارَةَ ، وَأَعَانَهُ عَلَيْهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيُّ لِمَوَدَّةٍ كَانَتْ بَيْنَهُمَا. |
| ذِكْرُ ابْتِدَاءِ حَالِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيِّ وَإِخْوَتِهِ لَمَّا وَلِيَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الْوِزَارَةَ كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْبَرِيدِيِّ قَدْ ضَمِنَ الْخَاصَّةَ ، وَكَانَ أَخُوهُ أَبُو يُوسُفَ عَلَى سُرَّقَ ، فَلَمَّا اسْتَعْمَلَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الْعُمَّالَ ، وَرَتَّبَهُمْ فِي الْأَعْمَالِ ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ تُقَلِّدُ مِثْلَ هَؤُلَاءِ عَلَى هَذِهِ الْأَعْمَالِ الْجَلِيلَةِ ، وَتَقْتَصِرُ بِي عَلَى ضَمَانِ الْخَاصَّةِ بِالْأَهْوَازِ ، وَبِأَخِي أَبِي يُوسُفَ عَلَى سُرَّقَ! |
| لَعَنَ اللَّهُ مَنْ يَقْنَعُ بِهَذَا مِنْكَ ، فَإِنَّ لِطَلَبِي صَوْتًا سَوْفَ يُسْمَعُ بَعْدَ أَيَّامٍ. |
| فَلَمَّا بَلَغَهُ اضْطِرَابُ أَمْرِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى أَرْسَلَ أَخَاهُ أَبَا الْحُسَيْنِ إِلَى بَغْدَاذَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَخْطُبَ لَهُ أَعْمَالَ الْأَهْوَازِ وَمَا يَجْرِي مَعَهَا إِذَا تَجَدَّدَتْ وِزَارَةٌ لِمَنْ يَأْخُذُ الرُّشَا ، وَيَرْتَفِقُ ، فَلَمَّا وَزَرَ أَبُو عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ بَذَلَ لَهُ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ عَلَى ذَلِكَ ، فَقَلَّدَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْأَهْوَازَ جَمِيعَهَا ، سِوَى السُّوسِ وَجُنْدَيْسَابُورَ ، وَقَلَّدَ أَخَاهُ أَبَا الْحُسَيْنِ الْفُرَاتِيَّةَ ، وَقَلَّدَ أَخَاهُمَا أَبَا يُوسُفَ الْخَاصَّةَ وَالْأَسَافِلَ ، عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمَالُ فِي ذِمَّةِ أَبِي أَيُّوبَ السِّمْسَارِ إِلَى أَنْ يَتَصَرَّفُوا فِي الْأَعْمَالِ. |
| وَكَتَبَ أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُقِلَّةَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فِي الْقَبْضِ عَلَى ابْنِ أَبِي السَّلَاسِلِ ، فَسَارَ بِنَفْسِهِ فَقَبَضَ عَلَيْهِ بِتُسْتَرَ ، وَأَخَذَ مِنْهُ عَشَرَةَ آلَافِ دِينَارٍ وَلَمْ يُوصِلْهَا ، وَكَانَ مُتَهَوِّرًا لَا يُفَكِّرُ فِي عَاقِبَةِ أَمْرٍ ، وَسَيَرِدُ مِنْ أَخْبَارِهِ مَا يُعْلَمُ بِهِ دَهَاؤُهُ ، وَمَكْرُهُ وَقِلَّةُ دِينِهِ ، وَتَهَوُّرُهُ. |
| ثُمَّ إِنَّ أَبَا عَلِيِّ بْنَ مُقْلَةَ جَعَلَ أَبَا مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنَ بْنَ أَحْمَدَ الْمَادَرَائِيَّ مُشْرِفًا عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ. |
| الْبَرِيدِيُّ بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَالرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ مَنْسُوبٌ إِلَى الْبَرِيدِ ، هَكَذَا ذَكَرَهُ الْأَمِيرُ ابْنُ مَاكُولَا ، وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ مِسْكَوَيْهِ بِالْيَاءِ الْمُعْجَمَةِ بِاثْنَتَيْنِ مِنْ تَحْتٍ ، وَالزَّايِ ، وَقَالَ كَانَ جَدُّهُ يَخْدِمُ يَزِيدَ بْنَ مَنْصُورٍ الْحِمْيَرِيَّ ، فَنُسِبَ إِلَيْهِ ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ ، وَمَا ذَكَرْنَا قَوْلَ ابْنِ مِسْكَوَيْهِ إِلَّا حَتَّى لَا يَظُنَّ ظَانٌّ أَنَّنَا لَمْ نَقِفْ عَلَيْهِ ، وَأَخْطَأْنَا الصَّوَابَ . |
| ذِكْرُ مَنْ ظَهَرَ بِسَوَادِ الْعِرَاقِ مِنَ الْقَرَامِطَةِ لَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ أَبِي طَاهِرٍ الْقَرْمَطِيِّ مَا ذَكَرْنَاهُ ، اجْتَمَعَ مَنْ كَانَ بِالسَّوَادِ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ مَذْهَبَ الْقَرَامِطَةِ فَيَكْتُمُ اعْتِقَادَهُ خَوْفًا ، فَأَظْهَرُوا اعْتِقَادَهُمْ ، فَاجْتَمَعَ مِنْهُمْ بِسَوَادِ وَاسِطَ أَكْثَرُ مِنْ عَشَرَةِ آلَافِ رَجُلٍ ، وَوَلَّوْا أَمْرَهُمْ رَجُلًا يُعْرَفُ بِحُرَيْثِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَاجْتَمَعَ طَائِفَةٌ أُخْرَى بِعَيْنِ التَّمْرِ وَنَوَاحِيهَا فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، وَوَلَّوْا أَمْرَهُمْ إِنْسَانًا يُسَمَّى عِيسَى بْنَ مُوسَى ، وَكَانُوا يَدْعُونَ إِلَى الْمَهْدِيِّ. |
| وَسَارَ عِيسَى إِلَى الْكُوفَةِ ، وَنَزَلَ بِظَاهِرِهَا ، وَجَبَى الْخَرَاجَ ، وَصَرَفَ الْعُمَّالَ عَنِ السَّوَادِ. |
| وَسَارَ حُرَيْثُ بْنُ مَسْعُودٍ إِلَى أَعْمَالِ الْمُوَفَّقِيِّ وَبَنَى بِهَا دَارًا سَمَّاهَا دَارَ الْهِجْرَةِ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، فَكَانُوا يَنْهَبُونَ ، وَيَسْبُونَ ، وَيَقْتُلُونَ ، وَكَانَ يَتَقَلَّدُ الْحَرْبَ بِوَاسِطَ بُنِّيُّ بْنُ نَفِيسٍ ، فَقَاتَلَهُمْ ، فَهَزَمُوهُ ، فَسَيَّرَ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ إِلَى حُرَيْثِ بْنِ مَسْعُودٍ وَمَنْ مَعَهُ هَارُونَ بْنَ غَرِيبٍ ، وَإِلَى عِيسَى بْنِ مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ بِالْكُوفَةِ صَافِيًا الْبَصْرِيَّ ، فَأَوْقَعَ بِهِمْ هَارُونُ ، وَأَوْقَعَ صَافِي بِمَنْ سَارَ إِلَيْهِمْ ، فَانْهَزَمَتِ الْقَرَامِطَةُ ، وَأُسِرَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ ، وَقُتِلَ أَكْثَرُ مِمَّنْ أُسِرَ ، وَأُخِذَتْ أَعْلَامُهُمْ ، وَكَانَتْ بِيضًا ، وَعَلَيْهَا مَكْتُوبٌ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ القصص فَأُدْخِلَتْ بَغْدَاذَ مَنْكُوسَةً ، وَاضْمَحَلَّ أَمْرُ مَنْ بِالسَّوَادِ مِنْهُمْ ، وَكَفَى اللَّهُ النَّاسَ شَرَّهُمْ. |
| ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ نَازُوكَ وَهَارُونَ بْنِ غَرِيبٍ وَفِيهَا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ نَازُوكَ صَاحِبِ الشُّرْطَةِ ، وَهَارُونَ بْنِ غَرِيبٍ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ سَاسَةَ دَوَابِّ هَارُونَ بْنِ غَرِيبٍ وَسَاسَةَ نَازُوكَ تَغَايَرُوا عَلَى غُلَامٍ أَمْرَدَ ، وَتَضَارَبُوا بِالْعِصِيِّ ، فَحَبَسَ نَازُوكُ سَاسَةَ دَوَابِّ هَارُونَ ، بَعْدَ أَنْ ضَرَبَهُمْ ، فَسَارَ أَصْحَابُ هَارُونَ إِلَى مَحْبِسِ الشُّرْطَةِ ، وَوَثَبُوا عَلَى نَائِبِ نَازُوكَ بِهِ ، وَانْتَزَعُوا أَصْحَابَهُمْ مِنَ الْحَبْسِ ، فَرَكِبَ نَازُوكُ ، وَشَكَا إِلَى الْمُقْتَدِرِ ، فَقَالَ كِلَاكُمَا عَزِيزٌ عَلَيَّ ، وَلَسْتُ أَدْخُلُ بَيْنَكُمَا ، فَعَادَ وَجَمَعَ رِجَالَهُ ، وَجَمَعَ هَارُونُ رِجَالَهُ ، وَزَحَفَ أَصْحَابُ نَازُوكَ إِلَى دَارِ هَارُونَ ، فَأَغْلَقَ بَابَهُ ، وَبَقِيَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ خَارِجَ الدَّارِ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ أَصْحَابُ نَازُوكَ ، وَجَرَحُوا ، فَفَتَحَ هَارُونُ الْبَابَ ، وَخَرَجَ أَصْحَابُهُ ، فَوَضَعُوا السِّلَاحَ فِي أَصْحَابِ نَازُوكَ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ ، وَجَرَحُوا ، وَاشْتَبَكَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ ، فَكَفَّ نَازُوكُ أَصْحَابَهُ. |
| وَأَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ إِلَيْهِمَا يُنْكِرُ عَلَيْهِمَا ذَلِكَ ، فَكَفَّا ، وَسَكَنَتِ الْفِتْنَةُ ، وَاسْتَوْحَشَ نَازُوكُ ، وَاسْتَدَلَّ بِذَلِكَ عَلَى تَغَيُّرِ الْمُقْتَدِرِ ، ثُمَّ رَكِبَ إِلَيْهِ هَارُونُ وَصَالَحَهُ ، وَخَرَجَ بِأَصْحَابِهِ ، وَنَزَلَ بِالْبُسْتَانِ النَّجْمِيِّ لِيَبْعُدَ عَنْ نَازُوكَ ، فَأَكْثَرَ النَّاسُ الْأَرَاجِيفَ ، وَقَالُوا قَدْ صَارَ هَارُونُ أَمِيرَ الْأُمَرَاءِ ، فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ مُؤْنِسٍ ، وَكَتَبُوا إِلَيْهِ بِذَلِكَ ، وَهُوَ بِالرَّقَّةِ ، فَأَسْرَعَ الْعَوْدَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَنَزَلَ بِالشَّمَّاسِيَّةِ فِي أَعْلَى بَغْدَاذَ ، وَلَمْ يَلْقَ الْمُقْتَدِرَ ، فَصَعِدَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْمُقْتَدِرِ ، وَالْوَزِيرُ ابْنُ مُقْلَةَ ، فَأَبْلَغَاهُ سَلَامَ الْمُقْتَدِرِ وَاسْتِيحَاشَهُ لَهُ ، وَعَادَ فَاسْتَشْعَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُقْتَدِرِ وَمُؤْنِسٍ مِنْ صَاحِبِهِ ، وَأَحْضَرَ الْمُقْتَدِرُ هَارُونَ بْنَ غَرِيبٍ ، وَهُوَ ابْنُ خَالِهِ ، فَجَعَلَهُ مَعَهُ فِي دَارِهِ ، فَلَمَّا عَلِمَ مُؤْنِسٌ بِذَلِكَ ازْدَادَ نُفُورًا وَاسْتِيحَاشًا ، وَأَقْبَلَ أَبُو الْهَيْجَاءِ بْنُ حَمْدَانَ مِنْ بِلَادِ الْجَبَلِ ، فَنَزَلَ عِنْدَ مُؤْنِسٍ وَمَعَهُ عَسْكَرٌ كَبِيرٌ ، وَصَارَتِ الْمُرَاسَلَاتُ بَيْنَ الْخَلِيفَةِ وَمُؤْنِسٍ تَتَرَدَّدُ ، وَالْأُمَرَاءُ يَخْرُجُونَ إِلَى مُؤْنِسٍ ، وَانْقَضَتِ السَّنَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ الْحَسَنِ بْنِ الْقَاسِمِ الدَّاعِي فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ الْحَسَنُ بْنُ الْقَاسِمِ الدَّاعِي الْعَلَوِيُّ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا اسْتِيلَاءَ أَسْفَارِ بْنِ شِيرُوَيْهِ الدَّيْلَمِيُّ عَلَى طَبَرِسْتَانَ ، وَمَعَهُ مَرْدَاوِيجُ ، فَلَمَّا اسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا كَانَ الْحَسَنُ بْنُ الْقَاسِمِ بِالرَّيِّ ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا أَصْحَابَ السَّعِيدِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى قَزْوِينَ ، وَزَنْجَانَ ، وَأَبْهَرَ ، وَقُمَّ ، وَكَانَ مَعَهُ مَاكَانُ بْنُ كَالِي الدَّيْلَمِيُّ ، فَسَارَ نَحْوَ طَبَرِسْتَانَ ، وَالْتَقَوْا هُمْ وَأَسْفَارٌ عِنْدَ سَارِيَةَ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَ الْحَسَنُ وَمَاكَانُ بْنُ كَالِي فَلُحِقَ الْحَسَنُ فَقُتِلَ ، وَكَانَ انْهِزَامُ مُعْظَمِ أَصْحَابِ الْحَسَنِ عَلَى تَعَمُّدٍ مِنْهُمْ لِلْهَزِيمَةِ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِالِاسْتِقَامَةِ ، وَمَنَعَهُمْ عَنْ ظُلْمِ الرَّعِيَّةِ ، وَشُرْبِ الْخُمُورِ ، وَكَانُوا يُبْغِضُونَهُ لِذَلِكَ ، ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَسْتَقْدِمُوا هَرُوسِنْدَانَ وَهُوَ أَحَدُ رُؤَسَاءِ الْجِيلِ ، وَكَانَ خَالَ مَرْدَاوِيجَ وَوَشْمَكِيرَ ، لِيُقَدِّمُوهُ عَلَيْهِمْ ، وَيَقْبِضُوا عَلَى الْحَسَنِ الدَّاعِي ، وَيُنَصِّبُوا أَبَا الْحَسَنِ بْنَ الْأُطْرُوشِ ، وَيَخْطُبُوا لَهُ. |
| وَكَانَ هَرُوسِنْدَانُ مَعَ أَحْمَدَ الطَّوِيلِ بِالدَّامِغَانِ بَعْدَ مَوْتِ صُعْلُوكٍ ، فَوَقَفَ أَحْمَدُ عَلَى ذَلِكَ ، فَكَتَبَ إِلَى الْحَسَنِ الدَّاعِي يُعْلِمُهُ ، فَأَخَذَ حِذْرَهُ ، فَلَمَّا قَدِمَ هَرُوسِنْدَانُ لَقِيَهُ مَعَ الْقُوَّادِ ، وَأَخَذَهُمْ إِلَى قَصْرِهِ بِجُرْجَانَ لِيَأْكُلُوا طَعَامًا ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى مَا عَزَمُوا عَلَيْهِ ، وَكَانَ قَدْ وَافَقَ خَوَاصَّ أَصْحَابِهِ عَلَى قَتْلِهِمْ ، وَأَمَرَهُمْ بِمَنْعِ أَصْحَابِ أُولَئِكَ الْقُوَّادِ مِنَ الدُّخُولِ ، فَلَمَّا دَخَلُوا دَارَهُ قَابَلَهُمْ عَلَى مَا يُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلُوهُ ، وَمَا أَقْدَمُوا عَلَيْهِ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ الَّتِي أَحَلَّتْ لَهُ دِمَاءَهُمْ ، ثُمَّ أَمَرَ بِقَتْلِهِمْ عَنْ آخِرِهِمْ ، وَأَخْبَرَ أَصْحَابَهُمُ الَّذِينَ بِبَابِهِ بِقَتْلِهِمْ ، وَأَمْرَهُمْ بِنَهْبِ أَمْوَالِهِمْ ، فَاشْتَغَلُوا بِالنَّهْبِ ، وَتَرَكُوا أَصْحَابَهُمْ ، وَعَظُمَ قَتْلُهُمْ عَلَى أَقْرِبَائِهِمْ وَنَفَرُوا عَنْهُ ، فَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْحَادِثَةُ تَخَلَّوْا عَنْهُ حَتَّى قُتِلَ. |
| وَلَمَّا قُتِلَ اسْتَوْلَى أَسْفَارٌ عَلَى بِلَادِ طَبَرِسْتَانَ ، وَالرَّيِّ ، وَجُرْجَانَ ، وَقَزْوِينَ ، وَزَنْجَانَ ، وَأَبْهَرَ ، وَقُمَّ ، وَالْكَرْخِ ، وَدَعَا لِصَاحِبِ خُرَاسَانَ ، وَهُوَ السَّعِيدُ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ ، وَأَقَامَ بِسَارِيَةَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى آمُلَ هَارُونَ بْنَ بَهْرَامَ ، وَكَانَ هَارُونُ يَحْتَاجُ أَنْ يَخْطُبَ فِيهَا لِأَبِي جَعْفَرٍ الْعَلَوِيِّ ، وَخَافَ أَسْفَارٌ نَاحِيَةَ أَبِي جَعْفَرٍ أَنْ يُجَدِّدَ لَهُ فِتْنَةً وَحَرْبًا ، فَاسْتَدْعَى هَارُونَ إِلَيْهِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ إِلَى أَحَدِ أَعْيَانِ آمُلَ ، وَيُحْضِرَ عُرْسَهُ أَبَا جَعْفَرٍ وَغَيْرَهُ مِنْ رُؤَسَاءِ الْعَلَوِيِّينَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ ذَكَرَهُ أَسْفَارٌ ، ثُمَّ سَارَ أَسْفَارٌ مِنْ سَارِيَةَ مُجِدًّا فَوَافَى آمُلَ وَقْتَ الْمَوْعِدِ ، وَهَجَمَ عَلَى دَارِ هَارُونَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ ، وَقَبَضَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ وَغَيْرِهِ مِنْ أَعْيَانِ الْعَلَوِيِّينَ ، وَحَمَلَهُمْ إِلَى بُخَارَى ، فَاعْتُقِلُوا بِهَا إِلَى أَنْ خَلَصُوا أَيَّامَ فِتْنَةِ أَبِي زَكَرِيَّاءَ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ. |
| وَلَمَّا فَرَغَ أَسْفَارٌ مِنْ أَمْرِ طَبَرِسْتَانَ سَارَ إِلَى الرَّيِّ ، وَبِهَا مَاكَانُ بْنُ كَالِي ، فَأَخَذَهَا مِنْهُ ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَسَارَ مَاكَانُ إِلَى طَبَرِسْتَانَ ، فَأَقَامَ هُنَاكَ. |
| وَأَحَبَّ أَسْفَارٌ أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَى قَلْعَةِ أَلَمُوتَ ، وَهِيَ قَلْعَةٌ عَلَى جَبَلٍ شَاهِقٍ مِنْ حُدُودِ الدَّيْلَمِ ، وَكَانَتْ لِسِيَاهْ جَشْمَ بْنِ مَالِكٍ الدَّيْلَمِيِّ ، وَمَعْنَاهُ الْأَسْوَدُ الْعَيْنِ لِأَنَّهُ كَانَ عَلَى إِحْدَى عَيْنَيْهِ شَامَةٌ سَوْدَاءُ ، فَرَاسَلَهُ أَسْفَارٌ وَهَنَّأَهُ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَ عِيَالَهُ فِي قَلْعَةِ أَلَمُوتَ ، وَوَلَّاهُ قَزْوِينَ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَنَقَلَهُمْ إِلَيْهَا ، ثُمَّ كَانَ يُرْسِلُ إِلَيْهِمْ مَنْ يَثِقُ بِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا حَصَلَ فِيهَا مِائَةُ رَجُلٍ اسْتَدْعَاهُ مِنْ قَزْوِينَ ، فَلَمَّا حَضَرَ عِنْدَهُ قَبَضَ عَلَيْهِ ، وَقَتَلَهُ بَعْدَ أَيَّامٍ. |
| وَكَانَ أَسْفَارٌ لَمَّا اجْتَازَ بِسُمْنَانَ اسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ ابْنُ أَمِيرٍ كَانَ صَاحِبَ جَبَلِ دَنْبَاوَنْدَ ، وَامْتَنَعَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ السُّمَّانِيُّ مِنَ النُّزُولِ إِلَيْهِ ، وَامْتَنَعَ بِحِصْنٍ بِقَرْيَةِ رَأْسِ الْكَلْبِ ، فَحَقَدَهَا عَلَيْهِ أَسْفَارٌ ، فَلَمَّا اسْتَوْلَى عَلَى الرَّيِّ أَنْفَذَ إِلَيْهِ جَيْشًا يَحْصُرُونَهُ ، وَعَلَيْهِمْ إِنْسَانٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ الدَّيْلَمِيُّ ، فَحَصَرُوهُ ، وَلَمْ يُمْكِنْهُمُ الْوُصُولُ إِلَيْهِ ، فَوَضَعَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ مَنْ يُشِيرُ عَلَيْهِ بِمُصَالَحَتِهِ فَفَعَلَ ، وَأَجَابَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الْمَسْأَلَةِ ، ثُمَّ وَضَعَ عَلَيْهِ مَنْ يُحَسِّنُ لَهُ أَنْ يُضِيفَ عَبْدَ الْمَلِكِ ، فَأَضَافَهُ ، فَحَضَرَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ شُجْعَانِ أَصْحَابِهِ ، فَتَرَكَهُمْ تَحْتَ الْحِصْنِ ، وَصَعِدَ وَحْدَهُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ ، فَتَحَادَثَا سَاعَةً ، ثُمَّ اسْتَخْلَاهُ عَبْدُ الْمَلِكِ لِيُشِيرَ إِلَيْهِ شَيْئًا فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمَا أَحَدٌ غَيْرَ غُلَامٍ صَغِيرٍ ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ فَقَتَلَهُ ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ مُنَقْرَسًا زَمِنًا ، وَأَخْرَجَ حَبْلَ إِبْرَيْسَمَ كَانَ قَدْ أَعَدَّهُ فَشَدَّهُ فِي نَافِذَةٍ فِي تِلْكَ الْغُرْفَةِ وَنَزَلَ وَتَخَلَّصَ. |
| وَاسْتَغَاثَ ذَلِكَ الْغُلَامُ ، فَجَاءَ أَصْحَابُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ وَكَسَرُوا الْبَابَ ، وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَدْ أَغْلَقَهُ ، فَلَمَّا دَخَلُوا رَأَوْهُ مَقْتُولًا ، فَقَتَلُوا بِهِ كُلَّ مَنْ عِنْدَهُمْ مِنَ الدَّيْلَمِ ، وَحَفِظُوا نُفُوسَهُمْ. |
| وَعَظُمَتْ جُيُوشُ أَسْفَارٍ وَجَلَّ قَدْرُهُ ، فَتَجَبَّرَ وَعَصَى عَلَى الْأَمِيرِ السَّعِيدِ ، صَاحِبِ خُرَاسَانَ ، وَأَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجًا وَيَنْصِبَ بِالرَّيِّ سَرِيرَ ذَهَبٍ لِلسَّلْطَنَةِ ، وَيُحَارِبَ الْخَلِيفَةَ ، وَصَاحِبَ خُرَاسَانَ ، فَسَيَّرَ الْمُقْتَدِرُ إِلَيْهِ هَارُونَ بْنَ غَرِيبٍ فِي عَسْكَرٍ نَحْوَ قَزْوِينَ ، فَحَارَبَهُ أَصْحَابُ أَسْفَارٍ بِهَا ، فَانْهَزَمَ هَارُونُ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ جَمْعٌ كَثِيرٌ بِبَابِ قَزْوِينَ ، وَكَانَ أَهْلُ قَزْوِينَ قَدْ سَاعَدُوا أَصْحَابَ هَارُونَ ، فَحَقَدَهَا عَلَيْهِمْ أَسْفَارٌ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْأَمِيرَ السَّعِيدَ ، صَاحِبَ خُرَاسَانَ ، سَارَ مِنْ بُخَارَى قَاصِدًا نَحْوَ أَسْفَارٍ لِيَأْخُذَ بِلَادَهُ ، فَبَلَغَ نَيْسَابُورَ ، فَجَمَعَ أَسْفَارٌ عَسْكَرَهُ وَأَشَارَ عَلَى أَسْفَارٍ وَزِيرُهُ مُطَرِّفُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجُرْجَانِيُّ بِمُرَاسَلَةِ صَاحِبِ خُرَاسَانَ ، وَالدُّخُولِ فِي طَاعَتِهِ وَبَذْلِ الْمَالِ لَهُ ، فَإِنْ أَجَابَ ، وَإِلَّا فَالْحَرْبُ بَيْنَ يَدَيْهِ. |
| وَكَانَ فِي عَسْكَرِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَتْرَاكِ صَاحِبِ خُرَاسَانَ قَدْ سَارُوا مَعَهُ فَخَوَّفَهُ وَزِيرُهُ مِنْهُمْ ، فَرَجَعَ إِلَى رَأْيِهِ وَرَاسَلَهُ ، فَأَبَى أَنْ يُجِيبَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَعَزَمَ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَيْهِ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ أَنْ يَقْبَلَ الْأَمْوَالَ ، وَإِقَامَةَ الْخُطْبَةِ لَهُ وَخَوَّفُوهُ الْحَرْبَ وَأَنَّهُ لَا يَدْرِي لِمَنِ النَّصْرُ ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْلِهِمْ ، وَأَجَابَ أَسْفَارٌ إِلَى مَا طَلَبَ ، وَشَرَطَ عَلَيْهِ شُرُوطًا مِنْ حَمْلِ الْأَمْوَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَاتَّفَقَا فَشَرَعَ أَسْفَارٌ بَعْدَ إِتْمَامِ الصُّلْحِ ، وَقَسَّطَ عَلَى الرَّيِّ وَأَعْمَالِهَا ، عَلَى كُلِّ رَجُلٍ دِينَارًا ، سَوَاءٌ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ أَمْ مِنَ الْمُجْتَازِينَ ، فَحَصَلَ لَهُ مَالٌ عَظِيمٌ أَرْضَى صَاحِبَ خُرَاسَانَ بِبَعْضِهِ ، وَرَجَعَ عَنْهُ. |
| فَعَظُمَ أَمْرُ أَسْفَارٍ خِلَافَ مَا كَانَ ، وَزَادَ تَجَبُّرُهُ ، وَقَصَدَ قَزْوِينَ لِمَا فِي نَفْسِهِ عَلَى أَهْلِهَا ، فَأَوْقَعَ بِهِمْ وَقْعَةً عَظِيمَةً أَخَذَ فِيهَا أَمْوَالَهُمْ ، وَعَذَّبَهُمْ ، وَقَتَلَ كَثِيرًا مِنْهُمْ ، وَعَسَّفَهُمْ عَسْفًا شَدِيدًا ، وَسَلَّطَ الدَّيْلَمَ عَلَيْهِمْ ، فَضَاقَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ، وَسَمِعَ مُؤَذِّنَ الْجَامِعِ يُؤَذِّنُ ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُلْقِيَ مِنَ الْمَنَارَةِ إِلَى الْأَرْضِ ، فَاسْتَغَاثَ النَّاسُ مِنْ شَرِّهِ وَظُلْمِهِ ، وَخَرَجَ أَهْلُ قَزْوِينَ إِلَى الصَّحْرَاءِ الرِّجَالُ ، وَالنِّسَاءُ ، وَالْوَلَدَانُ يَتَضَرَّعُونَ وَيَدْعُونَ عَلَيْهِ وَيَسْأَلُونَ اللَّهَ كَشْفَ مَا هُمْ فِيهِ ، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ ، فَضَحِكَ مِنْهُمْ ، وَشَتَمَهُمُ اسْتِهْزَاءً بِالدُّعَاءِ فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ انْهَزَمَ عَلَى مَا نَذْكُرُهُ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ أَسْفَارٍ كَانَ فِي أَصْحَابِ أَسْفَارٍ قَائِدٌ مِنْ أَكْبَرِ قُوَّادِهِ يُقَالُ لَهُ مَرْدَاوِيجُ بْنُ زَيَّارٍ الدَّيْلَمِيُّ ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى سَلَارَ صَاحِبِ شَمِيرَانَ الطِّرْمِ يَدْعُوهُ إِلَى طَاعَتِهِ ، وَسَلَارُ هَذَا هُوَ الَّذِي صَارَ وَلَدُهُ فِيمَا بَعْدُ صَاحِبَ أَذْرَبِيجَانَ وَغَيْرِهَا ، فَلَمَّا وَصَلَ مَرْدَاوِيجُ إِلَيْهِ تَشَاكَيَا مَا كَانَ النَّاسُ فِيهِ مِنَ الْجُهْدِ وَالْبَلَاءِ ، فَتَحَالَفَا ، وَتَعَاقَدَا عَلَى قَصْدِهِ ، وَالتَّسَاعُدِ عَلَى حَرْبِهِ. |
| وَكَانَ أَسْفَارٌ قَدْ وَصَلَ إِلَى قَزْوِينَ ، وَهُوَ يَنْتَظِرُ وَصُولَ مَرْدَاوِيجَ بِجَوَابِهِ ، فَكَتَبَ مَرْدَاوِيجُ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْقُوَّادِ يَثِقُ بِهِمْ يُعَرِّفُهُمْ مَا اتَّفَقَ هُوَ وَسَلَارُ عَلَيْهِ ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَكَانَ الْجُنْدُ قَدْ سَئِمُوا أَسْفَارًا لِسُوءِ سِيرَتِهِ ، وَظُلْمِهِ ، وَجَوْرِهِ ، وَكَانَ فِي جُمْلَةِ مَنْ أَجَابَ إِلَى مُسَاعَدَةِ مَرْدَاوِيجَ مُطَرِّفُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَزِيرُ أَسْفَارٍ ، وَسَارَ مَرْدَاوِيجُ وَسَلَارُ نَحْوَ أَسْفَارٍ ، وَبَلَغَهُ الْخَبَرُ ، وَأَنَّ أَصْحَابَهُ قَدْ بَايَعُوا مَرْدَاوِيجَ ، فَأَحَسَّ بِالشَّرِّ ، وَكَانَ ذَلِكَ عَقِيبَ حَادِثَتِهِ مَعَ أَهْلِ قَزْوِينَ وَدُعَائِهِمْ ، وَثَارَ الْجُنْدُ بِأَسْفَارٍ ، فَهَرَبَ مِنْهُمْ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ غِلْمَانِهِ وَوَرَدَ الرَّيَّ ، فَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ مَالٍ كَانَ عِنْدَ نَائِبِهِ بِهَا شَيْئًا ، فَلَمْ يُعْطِهِ غَيْرَ خَمْسَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، وَقَالَ لَهُ أَنْتَ أَمِيرٌ وَلَا يُعْوِزُكَ مَالٌ ، فَتَرَكَهُ وَانْصَرَفَ إِلَى خُرَاسَانَ ، فَأَقَامَ بِنَاحِيَةِ بَيْهَقَ. |
| وَأَمَّا مَرْدَاوِيجُ فَإِنَّهُ عَادَ مِنْ قَزْوِينَ نَحْوَ الرَّيِّ ، وَكَتَبَ إِلَى مَاكَانَ بْنِ كَالِي ، وَهُوَ بِطَبَرِسْتَانَ ، يَسْتَدْعِيهِ لِيَتَسَاعَدَا وَيَتَعَاضَدَا ، فَسَرَى مَاكَانُ بْنُ كَالِي إِلَى أَسْفَارٍ ، وَكَانَ قَدْ عَسَفَ أَهْلَ النَّاحِيَةِ الَّتِي هُوَ بِهَا ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِمَاكَانَ سَارَ إِلَى بُسْتَ ، وَرَكِبَ الْمَفَازَةَ نَحْوَ الرَّيِّ لِيَقْصِدَ قَلْعَةَ أَلَمُوتَ الَّتِي بِهَا أَهْلُهُ وَأَمْوَالُهُ ، فَانْقَطَعَ عَنْهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ ، وَقَصَدَ مَرْدَاوِيجَ فَأَعْلَمَهُ خَبَرَهُ ، فَخَرَجَ مَرْدَاوِيجُ مِنْ سَاعَتِهِ فِي أَثَرِهِ ، وَقَدَّمَ بَعْضَ قُوَّادِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَلَحِقَهُ ذَلِكَ الْقَائِدُ وَقَدْ نَزَلَ يَسْتَرِيحُ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْإِمْرَةِ ، فَقَالَ لَهُ أَسْفَارٌ لَعَلَّكُمُ اتَّصَلَ بِكُمْ خَبَرِي وَبُعِثْتَ فِي طَلَبِي ؟ |
| قَالَ نَعَمْ ! |
| فَبَكَى أَصْحَابُهُ ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ أَسْفَارٌ ذَلِكَ ، وَقَالَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْقُلُوبِ تَتَجَنَّدُونَ! |
| أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ الْوِلَايَاتِ مَقْرُونَةٌ بِالْبَلِيَّاتِ ؟ |
| ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ذَلِكَ الْقَائِدِ وَهُوَ يَضْحَكُ ، وَسَأَلَهُ عَنْ قُوَّادِهِ الَّذِينَ أَسْلَمُوهُ وَخَذَلُوهُ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ مَرْدَاوِيجَ قَتَلَهُمْ ، فَتَهَلَّلَ وَجْهُهُ وَقَالَ كَانَتْ حَيَاةُ هَؤُلَاءِ غُصَّةً فِي حَلْقِي ، وَقَدْ طَابَتِ الْآنَ نَفْسِي ، فَامْضِ فِي مَا أُمِرْتَ بِهِ ، وَظَنَّ أَنَّهُ أُمِرَ بِقَتْلِهِ ، فَقَالَ مَا أُمِرْتُ فِيكَ بِسُوءٍ ، وَحَمَلَهُ إِلَى مَرْدَاوِيجَ ، فَسَلَّمَهُ إِلَى جَمَاعَةِ أَصْحَابِهِ لِيَحْمِلَهُ إِلَى الرَّيِّ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ إِنَّ أَكْثَرَ مَنْ مَعَكَ كَانُوا أَصْحَابَ هَذَا ، فَانْحَرَفُوا عَنْهُ إِلَيْكَ ، وَقَدْ أَوْحَشْتَ أَكْثَرَهُمْ بِقَتْلِ قُوَّادِهِمْ فَمَا يُؤَمِّنُكَ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَيْهِ غَدًا وَيَقْبِضُوا عَلَيْكَ ؟ |
| فَحِينَئِذٍ أَمَرَ بِقَتْلِهِ وَانْصَرَفَ إِلَى الرَّيِّ. |
| وَقِيلَ فِي قَتْلِهِ إِنَّهُ لَمَّا عَادَ نَحْوَ قَلْعَةِ أَلَمُوتَ نَزَلَ فِي وَادٍ هُنَاكَ يَسْتَرِيحُ ، فَاتَّفَقَ أَنَّ مَرْدَاوِيجَ خَرَجَ يَتَصَيَّدُ ، وَيَسْأَلُ عَنْ أَخْبَارِهِ ، فَرَأَى خَيْلًا يَسِيرَةً فِي وَادٍ هُنَاكَ ، فَأَرْسَلَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ لِيَأْخُذَ خَبَرَهَا ، فَرَأَوْا أَسْفَارَ بْنَ شِيرُوَيْهِ فِي عِدَّةٍ يَسِيرَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، يُرِيدُ الْحِصْنَ لِيَأْخُذَ مَا لَهُ فِيهِ وَيَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى جَمْعِ الْجُيُوشِ ، وَيَعُودَ إِلَى مُحَارَبَةِ مَرْدَاوِيجَ ، فَأَخَذُوهُ وَمَنْ مَعَهُ ، وَحَمَلُوهُ إِلَى مَرْدَاوِيجَ ، فَلَمَّا رَآهُ نَزَلَ إِلَيْهِ فَذَبَحَهُ. |
| وَاسْتَقَرَّ أَمْرُ مَرْدَاوِيجَ فِي الْبِلَادِ ، وَعَادَ إِلَى قَزْوِينَ بَعْدَ قَتْلِ أَسْفَارٍ ، فَأَحْسَنَ إِلَى أَهْلِهَا ، وَوَعَدَهُمُ الْجَمِيلَ. |
| وَقِيلَ بَلْ دَخَلَ أَسْفَارٌ إِلَى رَحًى ، وَقَدْ نَالَ مِنْهُ الْجُوعُ ، فَطَلَبَ مِنَ الطَّحَّانِ شَيْئًا يَأْكُلُهُ ، فَقَدَّمَ لَهُ خُبْزًا وَلَبَنًا ، فَأَكَلَ مِنْهُ هُوَ وَغُلَامٌ لَهُ لَيْسَ مَعَهُ غَيْرُهُ ، فَأَقْبَلَ مَرْدَاوِيجُ إِلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، فَأَشْرَفَ عَلَى الرَّحَى فَرَأَى حَوَافِرَ الدَّوَابِّ ، فَسَأَلَ عَنْهَا ، فَقِيلَ لَهُ قَدْ دَخَلَ فَارِسَانِ إِلَى هَذِهِ الرَّحَى ، فَكَبَسَ مَرْدَاوِيجُ الرَّحَى ، فَرَآهُ وَقَتَلَهُ. |
| ذِكْرُ مُلْكِ مَرْدَاوِيجَ وَلَمَّا انْهَزَمَ أَسْفَارٌ مِنْ مَرْدَاوِيجَ ابْتَدَأَ فِي مِلْكِ الْبِلَادِ ثُمَّ إِنَّهُ ظَفِرَ بِأَسْفَارٍ فَقَتَلَهُ فَتَمَكَّنَ مُلْكُهُ وَثَبَتَ ، وَتَنَقَّلَ فِي الْبِلَادِ يَمْلِكُهَا مَدِينَةً مَدِينَةً ، وَوِلَايَةً وِلَايَةً ، فَمَلَكَ قَزْوِينَ ، وَوَعَدَهُمُ الْجَمِيلَ فَأَحَبُّوهُ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الرَّيِّ فَمَلَكَهَا ، وَمَلَكَ هَمَذَانَ ، وَكَنْكُورَ ، وَالدِّينَوَرَ ، وَبُرُوجَرْدَ ، وَقُمَّ ، وَقَاشَانَ ، وَأَصْبَهَانَ ، وَجَرْبَاذَقَانَ وَغَيْرَهَا. |
| ثُمَّ إِنَّهُ أَسَاءَ السِّيرَةَ فِي أَهْلِ أَصْبَهَانَ خَاصَّةً ، وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ ، وَهَتَكَ الْمَحَارِمَ ، وَطَغَى ، وَعَمِلَ لَهُ سَرِيرًا مِنْ ذَهَبٍ يَجْلِسُ عَلَيْهِ ، وَسَرِيرًا مِنْ فِضَّةٍ يَجْلِسُ عَلَيْهِ أَكَابِرُ قُوَّادِهِ ، وَإِذَا جَلَسَ عَلَى السَّرِيرِ يَقِفُ عَسْكَرُهُ صُفُوفًا بِالْبُعْدِ مِنْهُ ، وَلَا يُخَاطِبُهُ أَحَدٌ إِلَّا الْحُجَّابَ الَّذِينَ رَتَّبَهُمْ لِذَلِكَ ، وَخَافَهُ النَّاسُ خَوْفًا شَدِيدًا. |
| ذِكْرُ مُلْكِ مَرْدَاوِيجَ طَبَرِسْتَانَ قَدْ ذَكَرْنَا اتِّفَاقَ مَاكَانَ بْنِ كَالِي مَعَ مَرْدَاوِيجَ ، وَمُسَاعَدَتَهُ عَلَى أَسْفَارٍ فَلَمَّا اسْتَقَرَّ مُلْكُ مَرْدَاوِيجَ ، وَقَوِيَ أَمْرُهُ ، وَكَثُرَتْ أَمْوَالُهُ وَعَسَاكِرُهُ ، طَمِعَ فِي جُرْجَانَ ، وَطَبَرِسْتَانَ ، وَكَانَتَا مَعَ مَاكَانَ بْنِ كَالِي ، فَجَمَعَ عَسَاكِرَهُ وَسَارَ إِلَى طَبَرِسْتَانَ ، فَثَبَتَ لَهُ مَاكَانُ ، فَاسْتَظْهَرَ عَلَيْهِ مَرْدَاوِيجُ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى طَبَرِسْتَانَ وَرَتَّبَ فِيهَا بَلْقَاسِمَ بْنَ بَانِجِينَ ، وَهُوَ اسْفِهْسِلَارُ عَسْكَرِهِ ، وَكَانَ حَازِمًا شُجَاعًا ، جَيِّدَ الرَّأْيِ. |
| ثُمَّ سَارَ مَرْدَاوِيجُ نَحْوَ جُرْجَانَ ، وَكَانَ بِهَا مِنْ قِبَلِ مَاكَانَ شِيرْزِيلُ بْنُ سَلَارَ ، وَأَبُو عَلِيِّ بْنُ تُرْكِيِّ ، فَهَرَبَا مِنْ مَرْدَاوِيجَ ، وَمَلَكَهَا مَرْدَاوِيجُ وَرَتَّبَ فِيهَا سُرْخَابَ بْنَ بَاوِسَ ، خَالَ وَلَدِ بَلْقَاسِمِ بْنِ بَانْجِينَ ، خَلِيفَةً عَنْ بَلْقَاسِمِ فَجَمَعَ بَلْقَاسِمُ جُرْجَانَ ، وَطَبَرِسْتَانَ ، وَعَادَ مَرْدَاوِيجُ إِلَى أَصْبَهَانَ ظَافِرًا غَانِمًا. |
| وَسَارَ مَاكَانُ إِلَى الدَّيْلَمِ وَاسْتَنْجَدَ أَبَا الْفَضْلِ الثَّائِرَ بِهَا ، فَأَكْرَمَهُ ، وَسَارَ مَعَهُ إِلَى طَبَرِسْتَانَ فَلَقِيَهُمَا بَلْقَاسِمُ ، وَتَحَارَبُوا ، فَانْهَزَمَ مَاكَانُ ، وَالثَّائِرُ ، فَأَمَّا الثَّائِرُ فَقَصَدَ الدَّيْلَمَ ، وَأَمَّا مَاكَانُ فَسَارَ إِلَى نَيْسَابُورَ ، فَدَخَلَ فِي طَاعَةِ السَّعِيدِ نَصْرٍ ، وَاسْتَنْجَدَهُ ، فَأَمَدَّهُ بِأَكْثَرِ جَيْشِهِ ، وَبَالَغَ فِي تَقْوِيَتِهِ ، وَوَصَلَ إِلَيْهِ مَاكَانُ وَأَبُو عَلِيٍّ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَ أَبُو عَلِيٍّ وَمَاكَانُ وَعَادَا إِلَى نَيْسَابُورَ ، ثُمَّ عَادَ مَاكَانُ بْنُ كَالِي إِلَى الدَّامِغَانِ لِيَتَمَلَّكَهَا ، فَسَارَ نَحْوَهُ بَلْقَاسِمُ ، فَصَدَّهُ عَنْهَا ، فَعَادَ إِلَى خُرَاسَانَ. |
| وَسَنَذْكُرُ بَاقِي أَخْبَارِ مَاكَانَ فِيمَا بَعْدُ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِيهَا كَانَ ابْتِدَاءُ أَمْرِ أَبِي يَزِيدَ الْخَارِجِيِّ بِالْمَغْرِبِ ، وَسَنَذْكُرُ أَمْرَهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ مُسْتَقْصًى. |
| وَفِيهَا ظَهَرَ بِسِجِسْتَانَ خَارِجِيٌّ ، وَسَارَ فِي جَمْعٍ إِلَى بِلَادِ فَارِسَ يُرِيدُ التَّغَلُّبَ عَلَيْهَا ، فَقَتَلَهُ أَصْحَابُهُ قَبْلَ الْوُصُولِ إِلَيْهَا ، وَتَفَرَّقُوا. |
| وَفِيهَا صُرِفَ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ الْعُشُورِيُّ عَنْ حَجْبَةِ الْخَلِيفَةِ وَقُلِّدُهَا يَاقُوتٌ ، وَكَانَ يَتَوَلَّى بِفَارِسَ ، وَهُوَ بِهَا ، فَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْحَجْبَةِ ابْنَهُ أَبَا الْفَتْحِ الْمُظَفَّرَ. |
| وَفِيهَا وَصَلَ الدُّمُسْتُقُ فِي جَيْشٍ كَثِيرٍ مِنَ الرُّومِ إِلَى أَرْمِينِيَّةَ ، فَحَصَرُوا خِلَاطَ ، فَصَالَحَهُ أَهْلُهَا ، وَرَحَلَ عَنْهُمْ بَعْدَ أَنْ أَخْرَجَ الْمِنْبَرَ مِنَ الْجَامِعِ وَجَعَلَ مَكَانَهُ صَلِيبًا ، وَفَعَلَ بِبِدْلِيسَ كَذَلِكَ ، وَخَافَهُ أَهْلُ أَرْزَنَ وَغَيْرُهُمْ ، فَفَارَقُوا بِلَادَهُمْ ، وَانْحَدَرَ أَعْيَانُهُمْ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَاسْتَغَاثُوا إِلَى الْخَلِيفَةِ ، فَلَمْ يُغَاثُوا. |
| وَفِيهَا وَصَلَ سَبْعُمِائَةِ رَجُلٍ مِنَ الرُّومِ وَالْأَرْمَنِ إِلَى مَلَطْيَةَ ، وَمَعَهُمُ الْفُؤُوسُ وَالْمَعَاوِلُ ، وَأَظْهَرُوا أَنَّهُمْ يَتَكَسَّبُونَ بِالْعَمَلِ ، ثُمَّ ظَهَرَ أَنَّ مَلِيحًا الْأَرْمَنِيَّ ، صَاحِبَ الدُّرُوبِ ، وَضَعَهُمْ لِيَكُونُوا بِهَا ، فَإِذَا حَصَرَهَا سَلَّمُوهَا إِلَيْهِ ، فَعَلِمَ بِهِمْ أَهْلُ مَلَطْيَةَ ، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا مَا مَعَهُمْ. |
| وَفِيهَا ، فِي مُنْتَصَفِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، قُلِّدَ مُؤْنِسٌ الْمُؤْنِسِيُّ الْمَوْصِلَ وَأَعْمَالَهَا. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ ، وَأَبُو عَوَانَةَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْأَسْفَرَايِنِيُّ ، وَلَهُ مُسْنَدٌ مُخَرَّجٌ عَلَى صَحِيحِ مُسْلِمٍ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ السَّرِيِّ النَّحْوِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ السَّرَّاجِ صَاحِبُ كِتَابِ الْأُصُولِ ، فِي النَّحْوِ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ خَلْعِ الْمُقْتَدِرِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خُلِعَ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ مِنَ الْخِلَافَةِ ، وَبُويِعَ أَخُوهُ الْقَاهِرُ بِاللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُعْتَضِدِ ، فَبَقِيَ يَوْمَيْنِ ثُمَّ أُعِيدَ الْمُقْتَدِرُ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَا فِي السَّنَةِ الَّتِي قَبْلَهَا مِنَ اسْتِيحَاشِ مُؤْنِسٍ وَنُزُولِهِ بِالشَّمَّاسِيَّةِ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ نَازُوكُ ، صَاحِبُ الشُّرْطَةِ ، فِي عَسْكَرِهِ ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ أَبُو الْهَيْجَاءِ بْنُ حَمْدَانَ فِي عَسْكَرِهِ ، مِنْ بَلَدِ الْجَبَلِ ، وَبُنِّيُّ بْنُ نَفِيسٍ ، وَكَانَ الْمُقْتَدِرُ قَدْ أَخَذَ مِنْهُ الدِّينَوَرَ ، فَأَعَادَهَا إِلَيْهِ مُؤْنِسٌ عِنْدَ مَجِيئِهِ إِلَيْهِ. |
| وَجَمَعَ الْمُقْتَدِرُ عِنْدَهُ فِي دَارِهِ ، هَارُونَ بْنَ غَرِيبٍ ، وَأَحْمَدَ بْنَ كَيْغَلَغَ ، وَالْغِلْمَانَ الْحُجَرِيَّةَ ، وَالرَّجَّالَةَ الْمُصَافِيَّةَ ، وَغَيْرَهُمْ ، فَلَمَّا كَانَ آخِرَ النَّهَارِ ذَلِكَ الْيَوْمَ انْفَضَّ أَكْثَرُ مَنْ عِنْدَ الْمُقْتَدِرِ ، وَخَرَجُوا إِلَى مُؤْنِسٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ أَوَائِلَ الْمُحَرَّمِ. |
| ثُمَّ كَتَبَ مُؤْنِسٌ إِلَى الْمُقْتَدِرِ رُقْعَةً يَذْكُرُ فِيهَا أَنَّ الْجَيْشَ عَاتِبٌ مُنْكِرٌ لِلسَّرَفِ فِيمَا يُطْلَقُ بِاسْمِ الْخَدَمِ وَالْحُرَمِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالضِّيَاعِ ، وَلِدُخُولِهِمْ فِي الرَّأْيِ وَتَدْبِيرِ الْمَمْلَكَةِ ، وَيُطَالِبُونَ بِإِخْرَاجِهِمْ مِنَ الدَّارِ ، وَأَخْذِ مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَمْلَاكِ ، وَإِخْرَاجِ هَارُونَ بْنِ غَرِيبٍ مِنَ الدَّارِ. |
| فَأَجَابَهُ الْمُقْتَدِرُ أَنَّهُ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مَا يُمْكِنُهُ فِعْلُهُ ، وَيَقْتَصِرُ عَلَى مَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ ، وَاسْتَعْطَفَهُمْ ، وَذَكَّرَهُمْ بَيْعَتَهُ فِي أَعْنَاقِهِمْ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، وَخَوَّفَهُمْ عَاقِبَةَ النَّكْثِ ، وَأَمَرَ هَارُونَ بِالْخُرُوجِ مِنْ بَغْدَاذَ ، وَأَقْطَعَهُ الثُّغُورَ الشَّامِيَّةَ وَالْجُزُرِيَّةَ ، وَخَرَجَ مِنْ بَغْدَاذَ تَاسِعَ الْمُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَرَاسَلَهُمُ الْمُقْتَدِرُ ، وَذَكَّرَهُمْ نِعَمَهُ عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانَهُ إِلَيْهِمْ ، وَحَذَّرَهُمْ كُفْرَ إِحْسَانِهِ ، وَالسَّعْيَ فِي الشَّرِّ وَالْفِتْنَةِ. |
| فَلَمَّا أَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ دَخَلَ مُؤْنِسٌ وَابْنُ حَمْدَانَ وَنَازُوكُ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَأَرْجَفَ النَّاسُ بِأَنَّ مُؤْنِسًا وَمَنْ مَعَهُ قَدْ عَزَمُوا عَلَى خَلْعِ الْمُقْتَدِرِ وَتَوْلِيَةِ غَيْرِهِ ، فَلَمَّا كَانَ الثَّانِيَ عَشَرَ مِنَ الْمُحَرَّمِ خَرَجَ مُؤْنِسٌ وَالْجَيْشُ إِلَى بَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ ، فَتَشَاوَرُوا سَاعَةً ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى دَارِ الْخَلِيفَةِ بِأَسْرِهِمْ ، فَلَمَّا زَحَفُوا إِلَيْهَا ، وَقَرُبُوا مِنْهَا ، هَرَبَ الْمُظَفَّرُ بْنُ يَاقُوتٍ ، وَسَائِرُ الْحُجَّابِ وَالْخَدَمِ وَغَيْرُهُمْ ، وَالْفَرَّاشُونَ ، وَكُلُّ مَنْ فِي الدَّارِ ، وَكَانَ الْوَزِيرُ أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُقْلَةَ حَاضِرًا ، فَهَرَبَ وَدَخَلَ مُؤْنِسٌ وَالْجَيْشُ دَارَ الْخَلِيفَةِ ، وَأَخْرَجَ الْمُقْتَدِرَ ، وَوَالِدَتَهُ ، وَخَالَتَهُ ، وَخَوَاصَّ جَوَارِيهِ ، وَأَوْلَادَهُ ، مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ ، وَحُمِلُوا إِلَى دَارِ مُؤْنِسٍ ، فَاعْتُقِلُوا بِهَا. |
| وَبَلَغَ الْخَبَرُ هَارُونَ بْنَ غَرِيبٍ ، وَهُوَ بِقُطْرُبُّلَ ، فَدَخَلَ بَغْدَاذَ وَاسْتَتَرَ ، وَمَضَى ابْنُ حَمْدَانَ إِلَى دَارِ ابْنِ طَاهِرٍ ، فَأَحْضَرَ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُعْتَضِدِ ، وَبَايَعُوهُ بِالْخِلَافَةِ ، وَلَقَّبُوهُ الْقَاهِرَ بِاللَّهِ ، وَأَحْضَرُوا الْقَاضِيَ أَبَا عُمَرَ عِنْدَ الْمُقْتَدِرِ لِيَشْهَدَ عَلَيْهِ بِالْخَلْعِ ، وَعِنْدَهُ مُؤْنِسٌ ، وَنَازُوكُ ، وَابْنُ حَمْدَانَ ، وَبُنِّيُّ بْنُ نَفِيسٍ ، فَقَالَ مُؤْنِسٌ لِلْمُقْتَدِرِ لِيَخْلَعَ نَفْسَهُ مِنَ الْخِلَافَةِ ، فَأَشْهَدَ عَلَيْهِ الْقَاضِيَ بِالْخَلْعِ ، فَقَامَ ابْنُ حَمْدَانَ ، وَقَالَ لِلْمُقْتَدِرِ يَا سَيِّدِي يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ أَرَاكَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ، وَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْكَ ، وَأَحْذَرُهَا ، وَأَنْصَحُ لَكَ ، وَأُحَذِّرُكَ عَاقِبَةَ الْقَبُولِ مِنَ الْخَدَمِ ، وَالنِّسَاءِ ، فَتُؤْثِرُ أَقْوَالَهُمْ عَلَى قَوْلِي ، وَكَأَنِّي كُنْتُ أَرَى هَذَا ، وَبَعْدُ فَنَحْنُ عَبِيدُكَ وَخَدَمُكَ. |
| وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَعَيْنَا الْمُقْتَدِرِ ، وَشَهِدَ الْجَمَاعَةُ عَلَى الْمُقْتَدِرِ بِالْخَلْعِ ، وَأَوْدَعُوا الْكِتَابَ بِذَلِكَ عِنْدَ الْقَاضِي أَبِي عُمَرَ ، فَكَتَمَهُ وَلَمْ يُظْهِرْ عَلَيْهِ أَحَدًا ، فَلَمَّا عَادَ الْمُقْتَدِرُ إِلَى الْخِلَافَةِ سَلَّمَهُ إِلَيْهِ ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ لَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ غَيْرَهُ ، فَاسْتَحْسَنَ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَوَلَّاهُ قَضَاءَ الْقُضَاةِ. |
| وَلَمَّا اسْتَقَرَّ الْأَمْرُ لِلْقَاهِرِ أَخْرَجَ مُؤْنِسٌ الْمُظَفَّرُ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى مِنَ الْحَبْسِ ، وَرَتَّبَ أَبَا عَلِيِّ بْنَ مُقْلَةَ فِي الْوِزَارَةِ ، وَأَضَافَ إِلَى نَازُوكَ مَعَ الشُّرْطَةِ حَجْبَ الْخَلِيفَةِ ، وَكَتَبَ إِلَى الْبِلَادِ بِذَلِكَ ، وَأَقْطَعَ ابْنَ حَمْدَانَ ، مُضَافًا إِلَى مَا بِيَدِهِ مِنْ أَعْمَالِ طَرِيقِ خُرَاسَانَ ، حُلْوَانَ ، وَالدِّينَوَرَ ، وَهَمَذَانَ ، وَكَنْكُورَ ، وَكَرْمَانَ ، وَشَاهَانَ ، وَالرَّاذَنَاتِ ، وَدَقُوقًا ، وَخَانِيجَارَ ، وَنَهَاوَنْدَ ، وَالصَّيْمَرَةَ ، وَالسَّيْرَوَانَ ، وَمَاسَبَذَانَ وَغَيْرَهَا ، وَنُهِبَتْ دَارُ الْخَلِيفَةِ ، وَمَضَى بُنِّيُّ بْنُ نَفِيسٍ إِلَى تُرْبَةٍ لِوَالِدَةِ الْمُقْتَدِرِ ، فَأَخْرَجَ مِنْ قَبْرٍ فِيهَا سِتَّمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَحَمَلَهَا إِلَى دَارِ الْخَلِيفَةِ. |
| وَكَانَ خَلْعُ الْمُقْتَدِرِ النِّصْفَ مِنَ الْمُحَرَّمِ ، ثُمَّ سَكَنَ النَّهْبُ ، وَانْقَطَعَتِ الْفِتْنَةُ ، وَلَمَّا تَقَلَّدَ نَازُوكُ حَجْبَةَ الْخَلِيفَةِ أَمَرَ الرَّجَّالَةَ الْمُصَافِيَّةَ بِقَلْعِ خِيَامِهِمْ مِنْ دَارِ الْخَلِيفَةِ ، وَأَمَرَ رِجَالَهُ وَأَصْحَابَهُ أَنْ يُقِيمُوا بِمَكَانِ الْمُصَافِيَّةِ ، فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى خُلَفَاءِ الْحُجَّابِ أَنْ لَا يُمَكِّنُوا أَحَدًا مِنَ الدُّخُولِ إِلَى دَارِ الْخَلِيفَةِ ، إِلَّا مَنْ لَهُ مَرْتَبَةٌ ، فَاضْطَرَبَتِ الْحَجْبَةُ مِنْ ذَلِكَ. |
| ذِكْرُ عَوْدِ الْمُقْتَدِرِ إِلَى الْخِلَافَةِ لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْإِثْنَيْنِ سَابِعَ عَشَرَ مِنَ الْمُحَرَّمِ بَكَّرَ النَّاسُ إِلَى دَارِ الْخَلِيفَةِ لِأَنَّهُ يَوْمُ مَوْكِبِ دَوْلَةٍ جَدِيدَةٍ ، فَامْتَلَأَتِ الْمَمَرَّاتُ ، وَالْمُرَاحَاتُ ، وَالرِّحَابُ ، وَشَاطِئُ دِجْلَةَ مِنَ النَّاسِ ، وَحَضَرَ الرَّجَّالَةُ الْمُصَافِيَّةُ فِي السِّلَاحِ الشَّاكِي ، يُطَالِبُونَ بِحَقِّ الْبَيْعَةِ ، وَرِزْقِ سَنَةٍ ، وَهُمْ حَنِقُونَ بِمَا فَعَلَ بِهِمْ نَازُوكُ ، وَلَمْ يَحْضُرْ مُؤْنِسٌ الْمُظَفَّرُ ذَلِكَ الْيَوْمَ. |
| وَارْتَفَعَتْ زَعَقَاتُ الرَّجَّالَةِ ، فَسَمِعَ بِهَا نَازُوكُ ، فَأَشْفَقَ أَنْ يَجْرِيَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَصْحَابِهِ فِتْنَةٌ وَقِتَالٌ ، فَتَقَدَّمَ إِلَى أَصْحَابِهِ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَعْرِضُوا لَهُمْ ، وَلَا يُقَاتِلُوهُمْ وَزَادَ شَغَبُ الرَّجَّالَةِ ، وَهَجَمُوا يُرِيدُونَ الصَّحْنَ التِّسْعِينِيَّ ، فَلَمْ يَمْنَعْهُمْ أَصْحَابُ نَازُوكَ ، وَدَخَلَ مَنْ كَانَ عَلَى الشَّطِّ بِالسِّلَاحِ ، وَقَرُبَتْ زَعَقَاتُهُمْ مِنْ مَجْلِسِ الْقَاهِرِ بِاللَّهِ ، وَعِنْدَهُ أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُقْلَةَ الْوَزِيرُ ، وَنَازُوكُ ، وَأَبُو الْهَيْجَاءِ بْنُ حَمْدَانَ ، فَقَالَ الْقَاهِرُ لِنَازُوكَ اخْرُجْ إِلَيْهِمْ فَسَكِّنْهُمْ ، وَطَيِّبْ قُلُوبَهُمْ! |
| فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ نَازُوكُ وَهُوَ مَخْمُورٌ ، قَدْ شَرِبَ طُولَ لَيْلَتِهِ ، فَلَمَّا رَآهُ الرَّجَّالَةُ تَقَدَّمُوا إِلَيْهِ لِيَشْكُوا حَالَهُمْ إِلَيْهِ فِي مَعْنَى أَرْزَاقِهِمْ ، فَلَمَّا رَآهُمْ بِأَيْدِيهِمُ السُّيُوفُ يَقْصِدُونَهُ خَافَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ فَهَرَبَ ، فَطَمِعُوا فِيهِ ، فَتَبِعُوهُ ، فَانْتَهَى بِهِ الْهَرَبُ إِلَى بَابٍ كَانَ هُوَ سَدَّهُ أَمْسِ ، فَأَدْرَكُوهُ عِنْدَهُ ، فَقَتَلُوهُ عِنْدَ ذَلِكَ الْبَابِ ، وَقَتَلُوا قَبْلَهُ خَادِمَهُ عَجِيبًا ، وَصَاحُوا يَا مُقْتَدِرُ ، يَا مَنْصُورُ! |
| فَهَرَبَ كُلُّ مَنْ كَانَ فِي الدَّارِ مِنَ الْوَزِيرِ ، وَالْحُجَّابِ ، وَسَائِرِ الطَّبَقَاتِ وَبَقِيَتِ الدَّارُ فَارِغَةً ، وَصَلَبُوا نَازُوكَ وَعَجِيبًا بِحَيْثُ يَرَاهُمَا مَنْ عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةَ. |
| ثُمَّ صَارَ الرَّجَّالَةُ إِلَى دَارِ مُؤْنِسٍ يَصِيحُونَ ، وَيُطَالِبُونَهُ بِالْمُقْتَدِرِ ، وَبَادَرَ الْخَدَمُ فَأَغْلَقُوا أَبْوَابَ دَارِ الْخَلِيفَةِ ، وَكَانُوا جَمِيعُهُمْ خَدَمَ الْمُقْتَدِرِ ، وَمَمَالِيكَهُ ، وَصَنَائِعَهُ ، وَأَرَادَ أَبُو الْهَيْجَاءِ بْنُ حَمْدَانَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدَّارِ ، فَتَعَلَّقَ بِهِ الْقَاهِرُ ، وَقَالَ أَنَا فِي ذِمَامِكَ ، فَقَالَ وَاللَّهِ لَا أُسْلِمُكَ أَبَدًا ، وَأَخَذَ بِيَدِ الْقَاهِرِ ، وَقَالَ قُمْ بِنَا نَخْرُجُ جَمِيعًا ، وَأَدَعُو أَصْحَابِي وَعَشِيرَتِي فَيُقَاتِلُونَ مَعَكَ وَدُونَكَ. |
| فَقَامَا لِيَخْرُجَا ، فَوَجَدَا الْأَبْوَابَ مُغْلَقَةً ، فَتَبِعَهُمَا فَائِقٌ وَجْهُ الْقَصْعَةِ يَمْشِي مَعَهُمَا ، فَأَشْرَفَ الْقَاهِرُ مِنْ سَطْحٍ ، فَرَأَى كَثْرَةَ الْجَمْعِ ، فَنَزَلَ هُوَ وَابْنُ حَمْدَانَ وَفَائِقٌ ، فَقَالَ ابْنُ حَمْدَانَ لِلْقَاهِرِ قِفْ حَتَّى أَعُودَ إِلَيْكَ ، وَنَزَعَ سَوَادَهُ وَثِيَابَهُ ، وَأَخَذَ جُبَّةَ صُوفٍ لِغُلَامٍ هُنَاكَ ، فَلَبِسَهَا وَمَشَى نَحْوَ بَابِ النُّوبِىِّ ، فَرَآهُ مُغْلَقًا وَالنَّاسُ مِنْ وَرَائِهِ ، فَعَادَ إِلَى الْقَاهِرِ ، وَتَأَخَّرَ عَنْهُمَا وَجْهُ الْقَصْعَةِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْخَدَمِ ، فَأَمَرَهُمْ وَجْهُ الْقَصْعَةِ بِقَتْلِهِمَا أَخْذًا بِثَأْرِ الْمُقْتَدِرِ وَمَا صَنَعَا بِهِ ، فَعَادَ إِلَيْهِمَا عَشَرَةٌ مِنَ الْخَدَمِ بِالسِّلَاحِ ، فَعَادَ إِلَيْهِمْ أَبُو الْهَيْجَاءِ وَسَيْفُهُ بِيَدِهِ ، وَنَزَعَ الْجُبَّةَ الصُّوفَ ، وَأَخَذَهَا بِيَدِهِ الْأُخْرَى ، وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ ، فَانْجَفَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَغَشِيَهُمْ ، فَرَمَوْهُ بِالنِّشَابِ ضَرُورَةً ، فَعَادَ عَنْهُمْ ، وَانْفَرَدَ عَنْهُ الْقَاهِرُ وَمَشَى إِلَى آخِرِ الْبُسْتَانِ فَاخْتَفَى مِنْهُ. |
| وَدَخَلَ أَبُو الْهَيْجَاءِ إِلَى بَيْتٍ مِنْ سَاجٍ ، وَتَقَدَّمَ الْخَدَمُ إِلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ أَبُو الْهَيْجَاءِ ، فَوَلَّوْا هَارِبِينَ ، وَدَخَلَ إِلَيْهِمْ بَعْضُ أَكَابِرِ الْغِلْمَانِ الْحُجَرِيَّةِ ، وَمَعَهُ أَسْوَدَانِ بِسِلَاحٍ ، فَقَصَدُوا أَبَا الْهَيْجَاءِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَرُمِيَ بِالسِّهَامِ فَسَقَطَ ، فَقَصَدَهُ بَعْضُهُمْ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى ، وَأَخَذَ رَأْسَهُ فَحَمَلَهُ بَعْضُهُمْ ، وَمَشَى وَهُوَ مَعَهُ. |
| وَأَمَّا الرَّجَّالَةُ فَإِنَّهُمْ لَمَّا انْتَهَوْا إِلَى دَارِ مُؤْنِسٍ وَسَمِعَ زَعَقَاتِهِمْ قَالَ مَا الَّذِي تُرِيدُونَ ؟ |
| فَقِيلَ لَهُ نُرِيدُ الْمُقْتَدِرَ ، فَأَمَرَ بِتَسْلِيمِهِ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا قِيلَ لِلْمُقْتَدِرِ لِيَخْرُجَ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ تَكُونَ حِيلَةً عَلَيْهِ ، فَامْتَنَعَ ، وَحُمِلَ وَأُخْرِجَ إِلَيْهِمْ ، فَحَمَلَهُ الرَّجَّالَةُ عَلَى رِقَابِهِمْ حَتَّى أَدْخَلُوهُ دَارَ الْخِلَافَةِ ، فَلَمَّا حَصَلَ فِي الصَّحْنِ التِّسْعِينِيِّ اطْمَأَنَّ وَقَعَدَ ، فَسَأَلَ عَنْ أَخِيهِ الْقَاهِرِ ، وَعَنِ ابْنِ حَمْدَانَ ، فَقِيلَ هُمَا حَيَّانِ ، فَكَتَبَ لَهُمَا أَمَانًا بِخَطِّهِ ، وَأَمَرَ خَادِمًا بِالسُّرْعَةِ بِكِتَابِ الْأَمَانِ لِئَلَّا يَحْدُثَ عَلَى أَبِي الْهَيْجَاءِ حَادِثٌ ، فَمَضَى بِالْخَطِّ إِلَيْهِ ، فَلَقِيَهُ الْخَادِمُ الْآخَرُ وَمَعَهُ رَأْسٌ ، فَعَادَ مَعَهُ ، فَلَمَّا رَآهُ الْمُقْتَدِرُ ، وَأَخْبَرَهُ بِقَتْلِهِ ، قَالَ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! |
| مَنْ قَتَلَهُ ؟ |
| فَقَالَ الْخَادِمُ مَا نَعْرِفُ قَاتِلَهُ ، وَعَظُمَ عَلَيْهِ قَتْلُهُ ، وَقَالَ مَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَيَّ وَيُسَلِّينِي ، وَيُذْهِبُ عَنِّي الْغَمَّ هَذِهِ الْأَيَّامَ غَيْرُهُ. |
| ثُمَّ أُخِذَ الْقَاهِرُ وَأُحْضِرَ عِنْدَ الْمُقْتَدِرِ ، فَاسْتَدْنَاهُ ، فَأَجْلَسَهُ عِنْدَهُ وَقَبَّلَ جَبِينَهُ وَقَالَ لَهُ يَا أَخِي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَا ذَنْبَ لَكَ ، وَأَنَّكَ قُهِرْتَ ، وَلَوْ لَقَّبُوكَ بِالْمَقْهُورِ لَكَانَ أَوْلَى مِنَ الْقَاهِرِ ، وَالْقَاهِرُ يَبْكِي وَيَقُولُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! |
| نَفْسِي ، نَفْسِي ، اذْكُرِ الرَّحِمَ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ! |
| فَقَالَ لَهُ الْمُقْتَدِرُ وَحَقِّ رَسُولِ اللَّهِ لَا جَرَى عَلَيْكَ سُوءٌ مِنِّي أَبَدًا ، وَلَا وَصَلَ أَحَدٌ إِلَى مَكْرُوهِكَ وَأَنَا حَيٌّ! |
| فَسَكَنَ وَأَخْرَجَ رَأْسَ نَازُوكَ ، وَرَأْسَ أَبِي الْهَيْجَاءِ ، وَشُهِّرَا ، وَنُودِيَ عَلَيْهِمَا هَذَا جَزَاءُ مَنْ عَصَى مَوْلَاهُ. |
| وَأَمَّا بُنِّيُّ بْنُ نَفِيسٍ فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أَشَدِّ الْقَوْمِ عَلَى الْمُقْتَدِرِ ، فَأَتَاهُ الْخَبَرُ بِرُجُوعِهِ إِلَى الْخِلَافَةِ ، فَرَكِبَ جَوَادًا وَهَرَبَ عَنْ بَغْدَاذَ ، وَغَيَّرَ زِيَّهُ ، وَسَارَ حَتَّى بَلَغَ الْمَوْصِلَ ، وَسَارَ مِنْهَا إِلَى أَرْمِينِيَّةَ ، وَسَارَ حَتَّى دَخَلَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ وَتَنَصَّرَ. |
| وَهَرَبَ أَبُو السَّرَايَا نَصْرُ بْنُ حَمْدَانَ أَخُو أَبِي الْهَيْجَاءِ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَسَكَنَتِ الْفِتْنَةُ ، وَأَحْضَرَ الْمُقْتَدِرُ أَبَا عَلِيِّ بْنَ مُقْلَةَ ، وَأَعَادَهُ إِلَى وِزَارَتِهِ ، وَكَتَبَ إِلَى الْبِلَادِ بِمَا تَجَدَّدُ لَهُ ، وَأَطْلَقَ لِلْجُنْدِ أَرْزَاقَهُمْ وَزَادَهُمْ ، وَبَاعَ مَا فِي الْخَزَائِنِ مِنَ الْأَمْتِعَةِ وَالْجَوَاهِرِ ، وَأَذِنَ فِي بَيْعِ الْأَمْلَاكِ مِنَ النَّاسِ ، فَبِيعَ ذَلِكَ بِأَرْخَصِ الْأَثْمَانِ ، لِيُتِمَّ أُعْطِيَاتِ الْجُنْدِ. |
| وَقَدْ قِيلَ إِنَّ مُؤْنِسًا الْمُظَفَّرَ لَمْ يَكُنْ مُؤْثِرًا لِمَا جَرَى عَلَى الْمُقْتَدِرِ مِنَ الْخَلْعِ ، وَإِنَّمَا وَافَقَ الْجَمَاعَةَ مَغْلُوبًا عَلَى رَأْيِهِ ، وَلِعِلْمِهِ أَنَّهُ إِنْ خَالَفَهُمْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ الْمُقْتَدِرُ ، وَوَافَقَهُمْ لِيُؤَمِّنُوهُ ، وَسَعَى مَعَ الْغِلْمَانِ الْمُصَافِيَّةِ وَالْحُجَرِيَّةِ ، وَوَضَعَ قُوَّادَهُمْ عَلَى أَنْ عَمِلُوا مَا عَمِلُوا ، وَأَعَادُوا الْمُقْتَدِرَ إِلَى الْخِلَافَةِ ، وَكَانَ هُوَ قَدْ قَالَ لِلْمُقْتَدِرِ ، لَمَّا كَانَ فِي دَارِهِ مَا تُرِيدُونَ أَنْ نَصْنَعَ ؟ |
| فَلِهَذَا أَمَّنَهُ الْمُقْتَدِرُ ، وَلَمَّا حَمَلُوهُ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ مِنْ دَارِ مُؤْنِسٍ وَرَأَى فِيهَا كَثْرَةَ الْخَلْقِ وَالِاخْتِلَافِ عَادَ إِلَى دَارِ مُؤْنِسٍ لِثِقَتِهِ بِهِ ، وَاعْتِمَادِهِ عَلَيْهِ ، وَلَوْلَا هَوَى مُؤْنِسٍ مَعَ الْمُقْتَدِرِ لَكَانَ حَضَرَ عِنْدَ الْقَاهِرِ مَعَ الْجَمَاعَةِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، وَلَكَانَ أَيْضًا قَتَلَ الْمُقْتَدِرَ لَمَّا طُلِبَ مِنْ دَارِهِ لِيُعَادَ إِلَى الْخِلَافَةِ. |
| وَأَمَّا الْقَاهِرُ فَإِنَّ الْمُقْتَدِرَ حَبَسَهُ عِنْدَ وَالِدَتِهِ ، فَأَحْسَنَتْ إِلَيْهِ ، وَأَكْرَمَتْهُ ، وَوَسَّعَتْ عَلَيْهِ النَّفَقَةَ ، وَاشْتَرَتْ لَهُ السَّرَارِيَ وَالْجَوَارِيَ لِلْخِدْمَةِ ، وَبَالَغَتْ فِي إِكْرَامِهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ بِكُلِّ طَرِيقٍ . |
| ذِكْرُ مَسِيرِ الْقَرَامِطَةِ إِلَى مَكَّةَ وَمَا فَعَلُوهُ بِأَهْلِهَا وَبِالْحُجَّاجِ وَأَخْذِهِمُ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ حَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَنْصُورٌ الدَّيْلِمِيُّ ، وَسَارَ بِهِمْ مِنْ بَغْدَاذَ إِلَى مَكَّةَ ، فَسَلِمُوا فِي الطَّرِيقِ ، فَوَافَاهُمْ أَبُو طَاهِرٍ الْقَرْمَطِيُّ بِمَكَّةَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ ، فَنَهَبَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ أَمْوَالَ الْحُجَّاجِ ، وَقَتَلُوهُمْ حَتَّى فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَفِي الْبَيْتِ نَفْسِهِ ، وَقَلَعَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ وَنَفَّذَهُ إِلَى هَجَرَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ ابْنُ مُحْلِبٍ ، أَمِيرُ مَكَّةَ ، فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَشْرَافِ ، فَسَأَلُوهُ فِي أَمْوَالِهِمْ ، فَلَمْ يُشَفِّعْهُمْ ، فَقَاتَلُوهُ ، فَقَتَلَهُمْ أَجْمَعِينَ ، وَقَلَعَ بَابَ الْبَيْتِ ، وَأَصْعَدَ رَجُلًا لِيَقْلَعَ الْمِيزَابَ فَسَقَطَ فَمَاتَ ، وَطَرَحَ الْقَتْلَى فِي بِئْرِ زَمْزَمَ وَدَفَنَ الْبَاقِينَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَيْثُ قُتِلُوا بِغَيْرِ كَفَنٍ وَلَا غُسْلٍ ، وَلَا صَلَّى عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ ، وَأَخَذَ كُسْوَةَ الْبَيْتُ فَقَسَّمَهَا بَيْنَ أَصْحَابِهِ ، وَنَهَبَ دَوْرَ أَهْلِ مَكَّةَ. |
| فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمَهْدِيَّ أَبَا مُحَمَّدٍ عُبَيْدَ اللَّهِ الْعَلَوِيَّ بِإِفْرِيقِيَّةَ كَتَبَ إِلَيْهِ يُنْكِرُ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، وَيَلُومُهُ ، وَيَلْعَنُهُ ، وَيُقِيمُ عَلَيْهِ الْقِيَامَةَ ، وَيَقُولُ قَدْ حَقَّقْتَ عَلَى شِيعَتِنَا وَدُعَاةِ دَوْلَتِنَا اسْمَ الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ بِمَا فَعَلْتَ ، وَإِنْ لَمْ تَرُدَّ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ وَعَلَى الْحُجَّاجِ وَغَيْرِهِمْ مَا أَخَذْتَ مِنْهُمْ ، وَتَرُدَّ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ إِلَى مَكَانِهِ ، وَتَرُدَّ كُسْوَةَ الْكَعْبَةِ ، فَأَنَا بَرِيءٌ مِنْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. |
| فَلَمَّا وَصَلَهُ هَذَا الْكِتَابُ أَعَادَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ عَلَى مَا نَذْكُرُهُ ، وَاسْتَعَادَ مَا أَمْكَنَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، فَرَدَّهُ ، وَقَالَ إِنَّ النَّاسَ اقْتَسَمُوا كُسْوَةَ الْكَعْبَةِ وَأَمْوَالَ الْحُجَّاجِ ، وَلَا أَقْدِرُ عَلَى مَنْعِهِمْ. |
| ذِكْرُ خُرُوجِ أَبِي زَكَرِيَّاءَ وَإِخْوَتِهِ بِخُرَاسَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ أَبُو زَكَرِيَّاءَ يَحْيَى ، وَأَبُو صَالِحٍ مَنْصُورٌ ، وَأَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ ، أَوْلَادُ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ السَّامَانِيِّ ، عَلَى أَخِيهِمُ السَّعِيدِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ ، وَقِيلَ كَانَ ذَلِكَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ وَثَلَاثَمِائَةٍ وَهُوَ الصَّحِيحُ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَخَاهُمْ نَصْرًا كَانَ قَدْ حَبَسَهُمْ فِي الْقَهَنْدَزِ بِبُخَارَى ، وَوَكَّلَ بِهِمْ مَنْ يَحْفَظُهُمْ ، فَتَخَلَّصُوا مِنْهُ ، وَكَانَ سَبَبُ خَلَاصِهِمْ أَنَّ رَجُلًا يُعْرَفُ بِأَبِي بَكْرٍ الْخَبَّازِ الْأَصْبَهَانِيِّ كَانَ يَقُولُ إِذَا جَرَى ذِكْرُ السَّعِيدِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ إِنَّ لَهُ مِنِّي يَوْمًا طَوِيلَ الْبَلَاءِ وَالْعَنَاءِ ، فَكَانَ النَّاسُ يَضْحَكُونَ مِنْهُ ، فَخَرَجَ السَّعِيدُ إِلَى نَيْسَابُورَ ، وَاسْتَخْلَفَ بِبُخَارَى أَبَا الْعَبَّاسِ الْكَوْسَجَ ، وَكَانَتْ وَظِيفَةُ إِخْوَتِهِ تُحْمَلُ إِلَيْهِمْ مِنْ عِنْدِ أَبِي بَكْرٍ الْخَبَّازِ وَهُمْ فِي السَّجْنِ ، فَسَعَى لَهُمْ أَبُو بَكْرٍ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعَسْكَرِ لِيُخْرِجُوهُمْ ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَأَعْلَمَهُمْ مَا سَعَى لَهُمْ فِيهِ. |
| فَلَمَّا سَارَ السَّعِيدُ عَنْ بُخَارَى تَوَاعَدَ هَؤُلَاءِ لِلِاجْتِمَاعِ بِبَابِ الْقَهَنْدَزِ يَوْمَ جُمْعَةٍ ، وَكَانَ الرَّسْمُ أَنْ لَا يُفْتَحَ بَابُ الْقَهَنْدَزِ أَيَّامَ الْجُمَعِ إِلَّا بَعْدَ الْعَصْرِ ، فَلَمَّا كَانَ الْخَمِيسُ دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ الْخَبَّازُ إِلَى الْقَهَنْدَزِ قَبْلَ الْجُمْعَةِ الَّتِي اتَّعَدُوا الِاجْتِمَاعَ فِيهَا بِيَوْمٍ ، فَبَاتَ فِيهِ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ ، وَهُوَ الْجُمْعَةُ ، جَاءَ الْخَبَّازُ إِلَى بَابَ الْقَهَنْدَزِ ، وَأَظْهَرَ لِلْبَوَّابِ زُهْدًا وَدِينًا ، وَأَعْطَاهُ خَمْسَةَ دَنَانِيرَ لِيَفْتَحَ لَهُ الْبَابَ لِيُخْرِجَهُ لِئَلَّا تَفُوتَهُ الصَّلَاةُ ، فَفَتَحَ لَهُ الْبَابَ ، فَصَاحَ أَبُو بَكْرٍ الْخَبَّازُ بِمَنْ وَافَقَهُمْ عَلَى إِخْرَاجِهِمْ ، وَكَانُوا عَلَى الْبَابِ ، فَأَجَابُوهُ ، وَقَبَضُوا عَلَى الْبَوَّابِ ، وَدَخَلُوا وَأَخْرَجُوا يَحْيَى ، وَمَنْصُورًا ، وَإِبْرَاهِيمَ بَنِي أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ مِنَ الْحَبْسِ مَعَ جَمِيعِ مَنْ فِيهِ مِنَ الدَّيْلَمِ ، وَالْعَلَوِيِّينَ ، وَالْعَيَّارِينَ ، فَاجْتَمَعُوا ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمْ مَنْ كَانَ وَافَقَهُمْ مِنَ الْعَسْكَرِ ، وَرَأَسَهُمْ شُرُوِينُ الْجِيلِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْقُوَّادِ. |
| ثُمَّ إِنَّهُمْ عَظُمَتْ شَوْكَتُهُمْ ، وَنَهَبُوا خَزَائِنَ السَّعِيدِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ وَدُورَهُ وَقُصُورَهُ ، وَاخْتَصَّ يَحْيَى بْنُ أَحْمَدَ أَبَا بَكْرٍ الْخَبَّازَ ، وَقَدَّمَهُ وَقَوَّدَهُ ، وَكَانَ السَّعِيدُ إِذْ ذَاكَ بِنَيْسَابُورَ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُظَفَّرِ ، صَاحِبُ جَيْشِ خُرَاسَانَ ، بِجُرْجَانَ ، فَلَمَّا خَرَجَ يَحْيَى وَبَلَغَ خَبَرُهُ السَّعِيدَ ، عَادَ مِنْ نَيْسَابُورَ إِلَى بُخَارَى ، وَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْمُظَفَّرِ ، فَرَاسَلَ مَاكَانَ بْنَ كَالِي ، وَصَاهَرَهُ ، وَوَلَّاهُ نَيْسَابُورَ ، وَأَمَرَهُ بِمَنْعِهَا مِمَّنْ يَقْصِدُهَا ، فَسَارَ مَاكَانُ إِلَيْهَا ، وَكَانَ السَّعِيدُ قَدْ سَارَ مِنْ نَيْسَابُورَ إِلَى بُخَارَى ، وَكَانَ يَحْيَى وَكَّلَ بِالنَّهْرِ أَبَا بَكْرٍ الْخَبَّازَ ، فَأَخَذَهُ السَّعِيدُ أَسِيرًا ، وَعَبَرَ النَّهْرَ إِلَى بُخَارَى فَبَالَغَ فِي تَعْذِيبِ الْخَبَّازِ ، ثُمَّ أَلْقَاهُ فِي التَّنُّورِ الَّذِي كَانَ يَخْبِزُ فِيهِ فَاحْتَرَقَ. |
| وَسَارَ يَحْيَى مِنْ بُخَارَى إِلَى سَمَرْقَنْدَ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا وَاجْتَازَ بِنَوَاحِي الصَّغَانِيَّانِ وَبِهَا أَبُو عَلِيِّ بْنُ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُظَفَّرِ ، وَسَارَ يَحْيَى إِلَى تِرْمِذَ ، فَعَبَرَ النَّهْرَ إِلَى بَلْخَ وَبِهَا قُرَاتِكِينُ ، فَوَافَقَهُ قُرَاتِكِينُ ، وَخَرَجَا إِلَى مَرْوَ ، وَلَمَّا وَرَدَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُظَفَّرِ بِنَيْسَابُورَ كَاتَبَهُ يَحْيَى ، وَاسْتَمَالَهُ فَأَظْهَرَ لَهُ مُحَمَّدٌ الْمَيْلَ إِلَيْهِ ، وَوَعَدَهُ الْمَسِيرَ نَحْوَهُ ، ثُمَّ سَارَ عَنْ نَيْسَابُورَ ، وَاسْتَخْلَفَ بِهَا مَاكَانَ بْنَ كَالِي ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ مَرْوَ ، ثُمَّ عَدَلَ عَنِ الطَّرِيقِ نَحْوَ بُوشَنْجَ وَهَرَاةَ مُسْرِعًا فِي سَيْرِهِ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِمَا. |
| وَسَارَ مُحَمَّدٌ عَنْ هَرَاةَ نَحْوَ الصَّغَانِيَّانِ عَلَى طَرِيقِ غَرْشِسْتَانَ ، فَبَلَغَ خَبَرُهُ يَحْيَى فَسَيَّرَ إِلَى طَرِيقِهِ عَسْكَرًا فَلَقِيَهُمْ مُحَمَّدٌ فَهَزَمَهُمْ وَسَارَ عَنْ غَرْشِسْتَانَ ، وَاسْتَمَدَّ ابْنَهُ أَبَا عَلِيٍّ مِنَ الصَّغَانِيَّانِ ، فَأَمَدَّهُ بِجَيْشٍ ، وَسَارَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُظَفَّرِ إِلَى بَلْخَ ، وَبِهَا مَنْصُورُ بْنُ قُرَاتِكِينَ ، فَالْتَقَيَا ، وَاقْتَتَلَا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَ مَنْصُورٌ إِلَى الْجَوْزَجَانِ ، وَسَارَ مُحَمَّدٌ إِلَى الصَّغَانِيَّانِ ، فَاجْتَمَعَ بِوَلَدِهِ ، وَكَتَبَ إِلَى السَّعِيدِ يُخْبِرُهُ ، فَسَّرَهُ ذَلِكَ ، وَوَلَّاهُ بَلْخَ وَطُخَارِسْتَانَ وَاسْتَقْدَمَهُ ، فَوَلَّاهُمَا مُحَمَّدٌ ابْنَهُ أَبَا عَلِيٍّ أَحْمَدَ ، وَأَنْفَذَهُ إِلَيْهِمَا ، وَلَحِقَ مُحَمَّدٌ بِالسَّعِيدِ ، فَاجْتَمَعَ بِهِ بِبَلْخَ رُسْتَاقُ ، وَهُوَ فِي أَثَرِ يَحْيَى وَهُوَ بِهَرَاةَ. |
| وَكَانَ يَحْيَى قَدْ سَارَ إِلَى نَيْسَابُورَ ، وَبِهَا مَاكَانُ بْنُ كَالِي ، فَمَنَعَهُ عَنْهَا ، وَنَزَلُوا عَلَيْهَا ، فَلَمْ يَظْفَرُوا بِهَا ، وَكَانَ مَعَ يَحْيَى مُحَمَّدُ بْنُ إِلْيَاسَ فَاسْتَأْمَنَ إِلَى مَاكَانَ ، وَاسْتَأْمَنَ مَنْصُورٌ وَإِبْرَاهِيمُ أَخُو يَحْيَى إِلَى السَّعِيدِ نَصْرٍ فَلَمَّا قَارَبَ السَّعِيدُ هَرَاةَ ، وَبِهَا يَحْيَى وَقُرَاتِكِينُ ، سَارَا عَنْ هَرَاةَ إِلَى بَلْخَ ، فَاحْتَالَ قُرَاتِكِينُ لِيَصْرِفَ السَّعِيدَ عَنْ نَفْسِهِ ، فَأَنْفَذَ يَحْيَى مِنْ بَلْخَ إِلَى بُخَارَى ، وَأَقَامَ هُوَ بِبَلْخَ ، فَعَطَفَ السَّعِيدُ إِلَى بُخَارَى ، فَلَمَّا عَبَرَ النَّهْرَ هَرَبَ يَحْيَى مِنْ بُخَارَى إِلَى سَمَرْقَنْدَ ، ثُمَّ عَادَ مِنْ سَمَرْقَنْدَ ثَانِيًا ، فَلَمْ يُعَاوِنْهُ قُرَاتِكِينُ ، فَسَارَ إِلَى نَيْسَابُورَ ، وَبِهَا مُحَمَّدُ بْنُ إِلْيَاسَ قَدْ قَوِيَ أَمْرُهُ ، وَسَارَ عَنْهَا مَاكَانُ إِلَى جُرْجَانَ ، وَوَافَقَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِلْيَاسَ ، وَخَطَبَ لَهُ ، وَأَقَامُوا بِنَيْسَابُورَ. |
| وَكَانَ السَّعِيدُ فِي أَثَرِ يَحْيَى لَا يُمَكِّنُهُ مِنَ الِاسْتِقْرَارِ ، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ خَبَرُ مَجِيءِ السَّعِيدِ إِلَى نَيْسَابُورَ تَفَرَّقُوا ، فَخَرَجَ ابْنُ إِلْيَاسَ إِلَى كَرْمَانَ وَأَقَامَ بِهَا ، وَخَرَجَ قُرَاتِكِينُ وَمَعَهُ يَحْيَى إِلَى بُسْتَ وَالرُّخَّجِ ، فَأَقَامَا بِهَا ، وَوَصَلَ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ نَيْسَابُورَ فِي سَنَةِ عِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَأَنْفَذَ إِلَى قُرَاتِكِينَ ، وَوَلَّاهُ بَلْخَ ، وَبَذَلَ الْأَمَانَ لِيَحْيَى ، فَجَاءَ إِلَيْهِ ، وَزَالَتِ الْفِتْنَةُ ، وَانْقَطَعَ الشَّرُّ وَكَانَ قَدْ دَامَ هَذِهِ الْمُدَّةَ كُلَّهَا. |
| وَأَقَامَ السَّعِيدُ بِنَيْسَابُورَ إِلَى أَنْ حَضَرَ عِنْدَهُ يَحْيَى ، فَأَكْرَمَهُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ مَضَى بِهَا لِسَبِيلِهِ هُوَ وَأَخُوهُ أَبُو صَالِحٍ مَنْصُورٌ ، فَلَمَّا رَأَى أَخُوهُمَا إِبْرَاهِيمُ ذَلِكَ هَرَبَ مِنْ عِنْدِ السَّعِيدِ إِلَى بَغْدَاذَ ، ثُمَّ مِنْهَا إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَسَيَأْتِي خَبَرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. |
| وَأَمَّا قُرَاتِكِينُ فَإِنَّهُ مَاتَ بِبُسْتَ ، وَنُقِلَ إِلَى أَسْبِيجَابَ ، فَدُفِنَ بِهَا فِي رِبَاطِهِ الْمَعْرُوفِ بِرِبَاطِ قُرَاتِكِينَ ، وَلَمْ يَمْلِكْ ضَيْعَةً قَطُّ ، وَكَانَ يَقُولُ يَنْبَغِي لِلْجُنْدِيِّ أَنْ يَصْحَبَهُ كُلُّ مَا مَلَكَ أَيْنَ سَارَ ، حَتَّى لَا يَعْتَقِلَهُ شَيْءٌ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مُنْتَصَفَ الْمُحَرَّمِ ، وَقَعَتْ فِتْنَةٌ بِالْمَوْصِلِ بَيْنَ أَصْحَابِ الطَّعَامِ وَبَيْنَ أَهْلِ الْمُرَبَّعَةِ وَالْبَزَّازِينَ ، فَظَهَرَ أَصْحَابُ الطَّعَامِ عَلَيْهِمْ أَوَّلَ النَّهَارِ ، فَانْضَمَّ الْأَسَاكِفَةُ إِلَى أَهْلِ الْمُرَبَّعَةِ وَالْبَزَّازِينَ فَاسْتَظْهَرُوا بِهِمْ ، وَقَهَرُوا أَصْحَابَ الطَّعَامِ وَهَزَمُوهُمْ وَأَحْرَقُوا أَسْوَاقَهُمْ. |
| وَتَتَابَعَتِ الْفِتْنَةُ بَعْدَ الْحَادِثَةِ وَاجْتَرَأَ أَهْلُ الشَّرِّ ، وَتَعَاقَدَ أَصْحَابُ الْخُلُقَانِ وَالْأَسَاكِفَةُ عَلَى أَصْحَابِ الطَّعَامِ ، وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا دَامَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ ظَفِرَ أَصْحَابُ الطَّعَامِ فَهَزَمُوا الْأَسَاكِفَةَ وَمَنْ مَعَهُمْ ، وَأَحْرَقُوا سُوقَهُمْ ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ ، وَرَكِبَ أَمِيرُ الْمَوْصِلِ ، وَهُوَ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدَانَ الَّذِي لُقِّبَ بَعْدُ بِنَاصِرِ الدَّوْلَةِ لِيُسَكِّنَ النَّاسَ ، فَلَمْ يَسْكُنُوا وَلَا كَفُّوا ، ثُمَّ دَخَلَ بَيْنَهُمْ نَاسٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَأَهْلِ الدِّينِ ، فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمْ. |
| وَفِيهَا وَقَعَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ بِبَغْدَاذَ بَيْنَ أَصْحَابِ أَبِي بَكْرٍ الْمَرْوَزِيِّ الْحَنْبَلِيِّ وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْعَامَّةِ ، وَدَخَلَ كَثِيرٌ مِنَ الْجُنْدِ فِيهَا ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَصْحَابَ الْمَرْوَزِيِّ قَالُوا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا الإسراء ، هُوَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُقْعِدُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ ، وَقَالَتِ الطَّائِفَةُ الْأُخْرَى إِنَّمَا هُوَ الشَّفَاعَةُ ، فَوَقَعَتِ الْفِتْنَةُ وَاقْتَتَلُوا ، فَقُتِلَ بَيْنَهُمْ قَتْلَى كَثِيرَةٌ. |
| وَفِيهَا ضَعُفَتِ الثُّغُورُ الْجُزُرِيَّةُ عَنْ دَفْعِ الرُّومِ عَنْهُمْ ، مِنْهَا مَلَطْيَةُ وَمَيَّافَارِقِينُ وَآمِدُ وَأَرْزَنُ وَغَيْرُهَا ، وَعَزَمُوا عَلَى طَاعَةِ مَلِكِ الرُّومِ وَالتَّسْلِيمِ إِلَيْهِ لِعَجْزِ الْخَلِيفَةِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ عَنْ نَصْرِهِمْ ، وَأَرْسَلُوا إِلَى بَغْدَاذَ يَسْتَأْذِنُونَ فِي التَّسْلِيمِ ، وَيَذْكُرُونَ عَجْزَهُمْ ، وَيَسْتَمِدُّونَ الْعَسَاكِرَ لِتَمْنَعَ عَنْهُمْ ، فَلَمْ يَحْصُلُوا عَلَى فَائِدَةٍ ، فَعَادُوا. |
| وَفِيهَا قُلِّدَ الْقَاضِي أَبُو عُمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ قَضَاءَ الْقُضَاةِ. |
| وَفِيهَا قُلِّدَ ابْنَا رَائِقٍ شُرْطَةَ بَغْدَاذَ مَكَانَ نَازُوكَ. |
| وَفِيهَا مَاتَ أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ. |
| وَفِيهَا أَقَرَّ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ الْحَسَنَ بْنَ أَبِي الْهَيْجَاءِ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ حَمْدَانَ عَلَى مَا بِيَدِهِ مِنْ أَعْمَالِ قَرْدَى وَبَازَبْدَى ، وَعَلَى أَقَطَاعِ أَبِيهِ وَضِيَاعِهِ. |
| وَفِيهَا قُلِّدَ نِحْرِيرٌ الصَّغِيرُ أَعْمَالَ الْمَوْصِلِ ، فَسَارَ إِلَيْهَا ، فَمَاتَ بِهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَوَلِيَهَا بَعْدَهُ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدَانَ فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . |
| وَفِيهَا سَارَ حَاجُّ الْعِرَاقِ إِلَى مَكَّةَ عَلَى طَرِيقِ الشَّامِ فَوَصَلُوا إِلَى الْمَوْصِلِ أَوَّلَ شَهْرِ رَمَضَانَ ، ثُمَّ مِنْهَا إِلَى الشَّامِ ، لِانْقِطَاعِ الطَّرِيقِ بِسَبَبِ الْقَرْمَطِيِّ ، وَكَانَتْ كُسْوَةُ الْكَعْبَةِ مَعَ ابْنِ عَبْدُوسَ الْجَهْشَيَارِيِّ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْوَزِيرِ . |
| وَفِيهَا ، فِي شَعْبَانَ ، ظَهَرَ بِالْمَوْصِلِ خَارِجِيٌّ يُعْرَفُ بِابْنِ مَطَرٍ ، وَقَصَدَ نَصِيبِينَ ، فَسَارَ إِلَيْهَا نَاصِرُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ ، فَقَاتَلَهُ ، فَأَسَرَهُ. |
| وَظَهَرَ فِيهَا أَيْضًا خَارِجِيٌّ اسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ بِالْبَوَازِيجِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ أَبُو السَّرَايَا نَصْرُ بْنُ حَمْدَانَ ، فَأَخَذَهُ أَيْضًا . |
| وَفِيهَا الْتَقَى مُفْلِحٌ السَّاجِيُّ وَالدُّمُسْتُقُ ، فَاقْتَتَلَا ، فَانْهَزَمَ الدُّمُسْتُقُ وَدَخَلَ مُفْلِحٌ وَرَاءَهُ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ. |
| وَفِيهَا ، آخِرَ ذِي الْقِعْدَةِ ، انْقَضَّ كَوْكَبٌ عَظِيمٌ ، وَصَارَ لَهُ ضَوْءٌ عَظِيمٌ جِدًّا. |
| وَفِيهَا هَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ ، وَحَمَلَتْ رَمْلًا أَحْمَرَ شَدِيدَ الْحُمْرَةِ ، فَعَمَّ جَانِبَيْ بَغْدَاذَ ، وَامْتَلَأَتْ مِنْهُ الْبُيُوتُ وَالدُّرُوبُ ، يُشْبِهُ رَمْلَ طَرِيقِ مَكَّةَ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ شُقَيْرٍ النَّحْوِيُّ ، كَانَ عَالِمًا بِمَذْهَبِ الْكُوفِيِّينَ ، وَلَهُ فِيهِ تَصَانِيفُ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ هَلَاكِ الرِّجَالِ الْمُصَافِيَّةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي الْمُحَرَّمِ هَلَكَ الرَّجَّالَةُ الْمُصَافِيَّةُ ، وَأُخْرِجُوا مِنْ بَغْدَاذَ بَعْدَ مَا عَظُمَ شَرُّهُمْ ، وَقَوِيَ أَمْرُهُمْ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمَّا أَعَادُوا الْمُقْتَدِرَ إِلَى الْخِلَافَةِ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، زَادَ إِدْلَالُهُمْ وَاسْتِطَالَتُهُمْ ، وَصَارُوا يَقُولُونَ أَشْيَاءَ لَا يَحْتَمِلُهَا الْخُلَفَاءُ ، مِنْهَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا سَلَّطَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَمَنْ يُصْعِدُ الْحِمَارَ إِلَى السَّطْحِ يَقْدِرُ يَحُطُّهُ ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلِ الْمُقْتَدِرُ مَعَنَا مَا نَسْتَحِقُّهُ ، قَاتَلْنَاهُ بِمَا يَسْتَحِقُّ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. |
| وَكَثُرَ شَغَبُهُمْ وَمُطَالَبَتُهُمْ ، وَأَدْخَلُوا فِي الْأَرْزَاقِ أَوْلَادَهُمْ ، وَأَهْلِيهِمْ ، وَمَعَارِفَهَمْ ، وَأَثْبَتُوا أَسْمَاءَهُمْ ، فَصَارَ لَهُمْ فِي الشَّهْرِ مِائَةُ أَلْفٍ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ. |
| وَاتَّفَقَ أَنْ شَغَبَ الْفُرْسَانُ فِي طَلَبِ أَرْزَاقِهِمْ ، فَقِيلَ لَهُمْ إِنَّ بَيْتَ الْمَالِ فَارِغٌ وَقَدِ انْصَرَفَتِ الْأَمْوَالُ إِلَى الرَّجَّالَةِ فَثَارَ بِهِمُ الْفُرْسَانُ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَقُتِلَ مِنَ الْفُرْسَانِ جَمَاعَةٌ ، وَاحْتَجَّ الْمُقْتَدِرُ بِقَتْلِهِمْ عَلَى الرَّجَّالَةِ ، وَأَمَرَ مُحَمَّدَ بْنَ يَاقُوتٍ فَرَكِبَ ، وَكَانَ قَدِ اسْتُعْمِلَ عَلَى الشُّرْطَةِ ، فَطَرَدَ الرَّجَّالَةَ عَنْ دَارِ الْمُقْتَدِرِ ، وَنُودِيَ فِيهِمْ بِخُرُوجِهِمْ عَنْ بَغْدَاذَ ، وَمَنْ أَقَامَ قُبِضَ عَلَيْهِ وَحُبِسَ ، وَهُدِمَتْ دُورُ زُعَمَائِهِمْ ، وَقُبِضَتْ أَمْلَاكُهُمْ ، وَظَفِرَ بَعْدَ النِّدَاءِ ، بِجَمَاعَةٍ مِنْهُمْ فَضَرَبَهُمْ ، وَحَلَقَ لِحَاهُمْ ، وَشَهَّرَ بِهِمْ. |
| وَهَاجَ السُّودَانُ تَعَصُّبًا لِلرَّجَّالَةِ ، فَرَكِبَ مُحَمَّدٌ أَيْضًا فِي الْحُجَرِيَّةِ ، وَأَوْقَعَ بِهِمْ ، وَأَحْرَقَ مَنَازِلَهُمْ ، فَاحْتَرَقَ فِيهَا جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهُمْ ، وَمِنْ أَوْلَادِهِمْ ، وَمِنْ نِسَائِهِمْ ، فَخَرَجُوا إِلَى وَاسِطَ ، وَاجْتَمَعَ بِهَا مِنْهُمْ جَمْعٌ كَثِيرٌ ، وَتَغَلَّبُوا عَلَيْهَا ، وَطَرَحُوا عَامِلَ الْخَلِيفَةِ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ مُؤْنِسٌ ، فَأَوْقَعَ بِهِمْ ، وَأَكْثَرَ الْقَتْلَ فِيهِمْ ، فَلَمْ تَقُمْ لَهُمْ بَعْدَهَا رَايَةٌ. |
| ذِكْرُ عَزْلِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ عَنِ الْمَوْصِلِ وَوِلَايَةِ عَمَّيْهِ سَعِيدٍ وَنَصْرٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، عُزِلَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدَانَ عَنِ الْمَوْصِلِ ، وَوَلِيَهَا عَمَّاهُ سَعِيدٌ وَنَصْرٌ ابْنَا حَمْدَانَ ، وَوَلِيَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ دِيَارَ رَبِيعَةَ ، وَنَصِيبِينَ ، وَسِنْجَارَ ، وَالْخَابُورَ ، وَرَأْسَ عَيْنٍ ، وَمَعَهَا مِنْ دِيَارِ بَكْرٍ ، مَيَّافَارِقِينُ وَأَرْزَنُ ، ضَمِنَ ذَلِكَ بِمَالٍ مَبْلَغُهُ مَعْلُومٌ ، فَسَارَ إِلَيْهَا ، وَوَصَلَ سَعِيدٌ إِلَى الْمَوْصِلِ فِي رَبِيعٍ الْآخَرِ . |
| ذِكْرُ عَزْلِ ابْنِ مُقْلَةَ وَوِزَارَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْحَسَنِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عُزِلَ الْوَزِيرُ أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ مُقْلَةَ مِنْ وِزَارَةِ الْخَلِيفَةِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ عَزْلِهِ أَنَّ الْمُقْتَدِرَ كَانَ يَتَّهِمُهُ بِالْمَيْلِ إِلَى مُؤْنِسٍ الْمُظَفَّرِ ، وَكَانَ الْمُقْتَدِرُ مُسْتَوْحِشًا مِنْ مُؤْنِسٍ ، وَيُظْهِرُ لَهُ الْجَمِيلَ ، فَاتَّفَقَ أَنَّ مُؤْنِسًا خَرَجَ إِلَى أَوَانَا ، وَعُكْبَرَا ، فَرَكِبَ ابْنُ مُقْلَةَ إِلَى دَارِ الْمُقْتَدِرِ آخِرَ جُمَادَى الْأُولَى ، فَقُبِضَ عَلَيْهِ. |
| وَكَانَ بَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ يَاقُوتٍ وَبَيْنَ ابْنِ مُقْلَةَ عَدَاوَةٌ ، فَأَنْفَذَ إِلَى دَارِهِ ، بَعْدَ أَنْ قَبَضَ عَلَيْهِ ، وَأَحْرَقَهَا لَيْلًا. |
| وَأَرَادَ الْمُقْتَدِرُ أَنْ يَسْتَوْزِرَ الْحُسَيْنَ بْنَ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَانَ مُؤْنِسٌ قَدْ عَادَ فَأَنْفَذَ إِلَى الْمُقْتَدِرِ مَعَ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى يَسْأَلُ أَنْ يُعَادَ ابْنُ مُقْلَةَ ، فَلَمْ يُجِبِ الْمُقْتَدِرُ إِلَى ذَلِكَ ، وَأَرَادَ قَتْلَ ابْنِ مُقْلَةَ ، فَرَدَّهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَسَأَلَ مُؤْنِسٌ أَنْ لَا يَسْتَوْزِرَ الْحُسَيْنَ ، فَتَرَكَهُ ، وَاسْتَوْزَرَ سُلَيْمَانَ بْنَ الْحَسَنِ مُنْتَصَفَ جُمَادَى الْأُولَى ، وَأَمَرَ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى بِالِاطِّلَاعِ عَلَى الدَّوَاوِينِ ، وَأَنْ لَا يَنْفَرِدَ سُلَيْمَانُ عَنْهُ بِشَيْءٍ ، وَصُودِرَ أَبُو عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ بِمِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَكَانَتْ مُدَّةُ وِزَارَتِهِ سَنَتَيْنِ وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. |
| ذِكْرُ الْقَبْضِ عَلَى أَوْلَادِ الْبَرِيدِيِّ كَانَ أَوْلَادُ الْبَرِيدِيِّ ، وَهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، وَأَبُو يُوسُفَ ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ ، قَدْ ضَمِنُوا الْأَهْوَازَ ، كَمَا تَقَدَّمَ ، فَلَمَّا عُزِلَ الْوَزِيرُ ابْنُ مُقْلَةَ كَتَبَ الْمُقْتَدِرُ بِخَطِّ يَدِهِ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ الْقُشُورِيِّ الْحَاجِبِ يَأْمُرُهُ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِمْ ، فَفَعَلَ ، وَأَوْدَعَهُمْ عِنْدَهُ فِي دَارِهِ. |
| فَفِي بَعْضِ الْأَيَّامِ سَمِعَ ضَجَّةً عَظِيمَةً ، وَأَصْوَاتًا هَائِلَةً ، فَسَأَلَ مَا الْخَبَرُ ؟ |
| فَقِيلَ إِنَّ الْوَزِيرَ قَدْ كَتَبَ بِإِطْلَاقِ بَنِي الْبَرِيدِيِّ ، وَأَنْفَذَ إِلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ كِتَابًا مُزَوَّرًا يَأْمُرُهُ فِيهِ بِإِطْلَاقِهِمْ ، وَإِعَادَتِهِمْ إِلَى أَعْمَالِهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ أَحْمَدُ هَذَا كِتَابُ الْخَلِيفَةِ بِخَطِّهِ ، يَقُولُ فِيهِ لَا تُطْلِقْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ كِتَابٌ آخَرُ بِخَطِّي. |
| ثُمَّ ظَهَرَ أَنَّ الْكِتَابَ مُزَوَّرٌ ، ثُمَّ أَنْفَذَ الْمُقْتَدِرُ فَاسْتَحْضَرَهُمْ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَصُودِرُوا عَلَى أَرْبَعِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَكَانَ لَا يَطْمَعُ فِيهَا مِنْهُمْ ، وَإِنَّمَا طَلَبُ مِنْهُمْ هَذَا الْقَدْرَ لِيُجِيبُوا إِلَى بَعْضِهِ ، فَأَجَابُوا إِلَيْهِ جَمِيعَهُ لِيَتَخَلَّصُوا وَيَعُودُوا إِلَى عَمَلِهِمْ. |
| ذِكْرُ خُرُوجِ صَالِحٍ وَالْأَغَرِّ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي جُمَادَى الْأُولَى ، خَرَجَ خَارِجِيٌّ مِنْ بَجِيلَةَ ، مِنْ أَهْلِ الْبَوَازِيجِ ، اسْمُهُ صَالِحُ بْنُ مَحْمُودٍ ، وَعَبَرَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي مَالِكٍ ، وَسَارَ إِلَى سِنْجَارَ فَأَخَذَ مِنْ أَهْلِهَا مَالًا فَلَقِيَهُ قَوَافِلُ ، فَأَخَذَ عُشْرَهَا ، وَخَطَبَ بِسِنْجَارَ ، فَذَكَّرَ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَحَذَّرَ ، وَأَطَالَ فِي هَذَا ، ثُمَّ قَالَ نَتَوَلَّى الشَّيْخَيْنِ ، وَنَبْرَأُ مِنَ الْخَبِيثَيْنِ ، وَلَا نَرَى الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ. |
| وَسَارَ مِنْهَا إِلَى الشَّجَاجِيَّةِ ، مِنْ أَرْضِ الْمَوْصِلِ ، فَطَالَبَ أَهْلَهَا وَأَهْلَ أَعْمَالِ الْفَرَجِ بِالْعُشْرِ ، وَأَقَامَ أَيَّامًا ، وَانْحَدَرَ إِلَى الْحَدِيثَةِ ، تَحْتَ الْمَوْصِلِ ، فَطَالَبَ الْمُسْلِمِينَ بِزَكَاةِ أَمْوَالِهِمْ ، وَالنَّصَارَى بِجِزْيَةِ رُءُوسِهِمْ ، فَجَرَى بَيْنَهُمْ حَرْبٌ ، فَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ جَمَاعَةٌ ، وَمَنَعُوهُ مِنْ دُخُولِهَا ، فَأَحْرَقَ لَهُمْ سِتَّ عُرُوبٍ ، وَعَبَرَ إِلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ، وَأَسَرَ أَهْلُ الْحَدِيثَةِ ابْنًا لِصَالِحٍ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ ، فَأَخَذَهُ نَصْرُ بْنُ حَمْدَانَ بْنِ حَمْدُونَ ، وَهُوَ الْأَمِيرُ بِالْمَوْصِلِ ، فَأَدْخَلَهُ إِلَيْهَا ، ثُمَّ سَارَ صَالِحٌ إِلَى السِّنِّ ، فَصَالَحَهُ أَهْلُهَا عَلَى مَالٍ أَخَذَهُ مِنْهُمْ ، وَانْصَرَفَ إِلَى الْبَوَازِيجِ ، وَسَارَ مِنْهَا إِلَى تَلِّ خُوسَا ، قَرْيَةٍ مِنْ أَعْمَالِ الْمَوْصِلِ عِنْدَ الزَّابِ الْأَعْلَى ، وَكَاتَبَ أَهْلَ الْمَوْصِلِ فِي أَمْرِ وَلَدِهِ ، وَتَهَدَّدَهُمْ إِنْ لَمْ يَرُدُّوهُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى السَّلَامِيَّةِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ نَصْرُ بْنُ حَمْدَانَ لِخَمْسٍ خَلَوْنَ مِنْ شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، فَفَارَقَهَا صَالِحٌ إِلَى الْبَوَازِيجِ ، فَطَلَبَهُ نَصْرٌ ، فَأَدْرَكَهُ بِهَا ، فَحَارَبَهُ حَرْبًا شَدِيدًا قُتِلَ فِيهِ مِنْ رِجَالِ صَالِحٍ نَحْوُ مِائَةِ رَجُلٍ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ نَصْرٍ جَمَاعَةٌ ، وَأُسِرَ صَالَحٌ وَمَعَهُ ابْنَانِ لَهُ ، وَأُدْخِلُوا إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَحُمِلُوا إِلَى بَغْدَاذَ فَأُدْخِلُوا مَشْهُورِينَ. |
| وَفِيهَا ، فِي شَعْبَانَ خَرَجَ بِأَرْضِ الْمَوْصِلِ خَارِجِيٌّ اسْمُهُ الْأَغَرُّ بْنُ مَطَرَةَ الثَّعْلَبِيُّ ، وَكَانَ يَذْكُرُ أَنَّهُ مِنْ وَلَدِ عَتَّابِ بْنِ كُلْثُومٍ الثَّعْلَبِيِّ أَخِي عَمْرِو بْنِ كُلْثُومٍ الشَّاعِرِ ، وَكَانَ خُرُوجُهُ بِنَوَاحِي رَأْسِ الْعَيْنِ ، وَقَصَدَ كَفَرْتُوثَا وَقَدِ اجْتَمَعَ مَعَهُ نَحْوُ أَلْفَيْ رَجُلٍ ، فَدَخَلَهَا وَنَهَبَهَا وَقَتَلَ فِيهَا. |
| وَسَارَ إِلَى نَصِيبِينَ ، فَنَزَلَ بِالْقُرْبِ مِنْهَا ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَالِيهَا وَمَعَهُ جَمْعٌ مِنَ الْجُنْدِ وَمِنَ الْعَامَّةِ ، فَقَاتَلُوهُ ، فَقَتَلَ الشَّارِيُّ مِنْهُمْ مِائَةَ رَجُلٍ ، وَأَسَرَ أَلْفَ رَجُلٍ ، فَبَاعَهُمْ نُفُوسَهُمْ ، وَصَالَحَهُ أَهْلُ نَصِيبِينَ عَلَى أَرْبَعِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. |
| وَبَلَغَ خَبَرُهُ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ بْنَ حَمْدَانَ ، وَهُوَ أَمِيرُ دِيَارِ رَبِيعَةَ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ جَيْشًا ، فَقَاتَلُوهُ ، فَظَفِرُوا بِهِ وَأَسَرُوهُ ، وَسَيَّرَهُ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ إِلَى بَغْدَاذَ. |
| ذِكْرُ مُخَالِفَةِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ وَعَوْدِهِ كَانَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ أَبِي دَاوُدَ مُقِيمًا بِالْخُتَّلِ ، وَالِيًا عَلَيْهَا لِلسَّامَانِيَّةِ فَبَدَتْ مِنْهُ أُمُورٌ نُسِبَ بِسَبَبِهَا إِلَى الِاسْتِعْصَاءِ ، فَكُوتِبَ أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُظَفَّرِ بِقَصْدِهِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ ، وَحَارَبَهُ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ ، وَحَمَلَهُ إِلَى بُخَارَى ، وَذَلِكَ قَبْلَ مُخَالَفَةِ أَبِي زَكَرِيَّاءَ يَحْيَى ، فَلَمَّا حُمِلَ إِلَى بُخَارَى حُبِسَ فِيهَا ، فَلَمَّا خَالَفَ أَبُو زَكَرِيَّاءَ يَحْيَى أَخْرَجَهُ مِنَ الْحَبْسِ وَصَحِبَهُ ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ فِي الْعَوْدِ إِلَى وِلَايَةِ الْخُتَّلِ وَجَمْعِ الْجُيُوشِ لَهُ بِهَا ، فَأَذِنَ لَهُ فَسَارَ إِلَيْهَا ، وَأَقَامَ بِهَا ، وَتَمَسَّكَ بِطَاعَةِ السَّعِيدِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ ، فَصَلُحَ حَالُهُ ، وَذَلِكَ سَنَةَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. |
| الْخُتَّلُ بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَالتَّاءُ فَوْقَهَا نُقْطَتَانِ وَالْخَاءُ مَضْمُومَةٌ وَالتَّاءُ مُشَدَّدَةٌ مَفْتُوحَةٌ . |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ شَغَبَ الْفُرْسَانُ ، وَتَهَدَّدُوا بِخَلْعِ الطَّاعَةِ ، فَأَحْضَرَ الْمُقْتَدِرُ قُوَّادَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَوَعَدَهُمُ الْجَمِيلَ ، وَأَنْ يُطْلِقَ أَرْزَاقَهُمْ فِي الشَّهْرِ الْمُقْبِلِ ، فَسَكَنُوا ، ثُمَّ شَغَبَ الرَّجَّالَةُ ، فَأُطْلِقَتْ أَرْزَاقُهُمْ. |
| وَفِيهَا خَلَعَ الْمُقْتَدِرُ عَلَى ابْنِهِ هَارُونَ ، وَرَكِبَ مَعَهُ الْوَزِيرُ ، وَالْجَيْشُ ، وَأَعْطَاهُ وِلَايَةَ فَارِسَ وَكَرْمَانَ وَسِجِسْتَانَ وَمَكْرَانَ. |
| وَفِيهَا أَيْضًا خَلَعَ عَلَى ابْنِهِ أَبِي الْعَبَّاسِ ، وَأَقْطَعُهُ بِلَادَ الْغَرْبِ وَمِصْرَ ، وَالشَّامِ ، وَجَعَلَ مُؤْنِسًا الْمُظَفَّرَ يَخْلُفُهُ فِيهَا. |
| وَفِيهَا صُرِفَ ابْنَا رَائِقٍ عَنِ الشُّرْطَةِ ، وَقُلِّدَهَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ يَاقُوتٍ. |
| وَفِيهَا وَقَعَتْ فِتْنَةٌ بِنَصِيبِينَ بَيْنَ أَهْلِ بَابِ الرُّومِ وَالْبَابِ الشَّرْقِيِّ ، وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَأَدْخَلُوا إِلَيْهِمْ قَوْمًا مِنَ الْعَرَبِ وَالسَّوَادِ فَقُتِلَ بَيْنَهُمْ جَمَاعَةٌ ، وَأُحْرِقَتِ الْمَنَازِلُ وَالْحَوَانِيتُ ، وَنُهِبَتِ الْأَمْوَالُ ، وَنَزَلَ بِهِمْ قَافِلَةٌ عَظِيمَةٌ تُرِيدُ الشَّامُ ، فَنَهَبُوهَا. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ الْبَغْدَاذِيُّ وَكَانَ عُمْرُهُ تِسْعِينَ سَنَةً ، وَهُوَ مِنْ فُضَلَاءِ الْمُحَدِّثِينَ ، وَالْقَاضِي أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ الْبُهْلُولِ التَّنُوخِيُّ الْفَقِيهُ الْحَنَفِيُّ ، وَكَانَ عَالِمًا بِالْأَدَبِ وَنَحْوِ الْكُوفِيِّينَ ، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ تَجَدُّدِ الْوَحْشَةِ بَيْنَ مُؤْنِسٍ وَالْمُقْتَدِرِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تَجَدَّدَتِ الْوَحْشَةُ بَيْنَ مُؤْنِسٍ الْمُظَفَّرِ وَبَيْنَ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ. |
| وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ يَاقُوتٍ كَانَ مُنْحَرِفًا عَلَى الْوَزِيرِ سُلَيْمَانَ ، وَمَائِلًا إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ الْقَاسِمِ ، وَكَانَ مُؤْنِسٌ يَمِيلُ إِلَى سُلَيْمَانَ ، بِسَبَبِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى ، وَثِقَتِهِمْ بِهِ ، وَقَوِيَ أَمْرُ مُحَمَّدِ بْنِ يَاقُوتٍ ، وَقُلِّدَ ، مَعَ الشُّرْطَةِ ، الْحِسْبَةَ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ رِجَالًا ، فَقَوِيَ بِهِمْ ، فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى مُؤْنِسٍ ، وَسَأَلَ الْمُقْتَدِرَ صَرْفَ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحِسْبَةِ ، وَقَالَ هَذَا شُغْلٌ لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَوَلَّاهُ غَيْرُ الْقُضَاةِ وَالْعُدُولِ ، فَأَجَابَهُ الْمُقْتَدِرُ. |
| وَجَمَعَ مُؤْنِسٌ إِلَيْهِ أَصْحَابَهُ ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَمَعَ يَاقُوتٌ وَابْنُهُ الرِّجَالَ فِي دَارِ السُّلْطَانِ ، وَفِي دَارِ مُحَمَّدِ بْنِ يَاقُوتٍ ، وَقِيلَ لِمُؤْنِسٍ إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ يَاقُوتٍ قَدْ عَزَمَ عَلَى كَبْسِ دَارِكَ لَيْلًا ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِ أَصْحَابُهُ حَتَّى أَخْرَجُوهُ إِلَى بَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ فَضَرَبُوا مَضَارِبَهُمْ هُنَاكَ ، وَطَالَبَ الْمُقْتَدِرَ بِصَرْفِ يَاقُوتٍ عَنِ الْحِسْبَةِ وَصَرْفِ ابْنِهِ عَنِ الشُّرْطَةِ ، وَإِبْعَادِهِمَا عَنِ الْحَضْرَةِ ، فَأُخْرِجَا إِلَى الْمَدَائِنِ. |
| وَقَلَّدَ الْمُقْتَدِرُ يَاقُوتًا أَعْمَالَ فَارِسَ وَكَرْمَانَ ، وَقَلَّدَ ابْنَهُ الْمُظَفَّرَ بْنَ يَاقُوتٍ أَصْبَهَانَ وَقَلَّدَ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ يَاقُوتٍ سِجِسْتَانَ ، وَتَقَلَّدَ ابْنَا رَائِقٍ إِبْرَاهِيمُ وَمُحَمَّدٌ مَكَانَ يَاقُوتٍ وَوَلَدِهِ الْحِسْبَةَ وَالشُّرْطَةَ ، وَأَقَامَ يَاقُوتٌ بِشِيرَازَ مُدَّةً. |
| وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ خَلَفِ بْنِ طَيَّابٍ ضَامِنًا أَمْوَالَ الضِّيَاعِ وَالْخَرَاجِ بِهَا. |
| فَتَضَافَرَا ، وَتَعَاقَدَا ، وَقَطَعَا الْحِمْلَ عَلَى الْمُقْتَدِرِ ، إِلَى أَنْ مَلَكَ عَلِيُّ بْنُ بُوَيْهِ الدَّيْلَمِيُّ بِلَادَ فَارِسَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. |
| ذِكْرُ قَبْضِ الْوَزِيرِ سُلَيْمَانَ وَوِزَارَةِ أَبِي الْقَاسِمِ الْكَلْوَذَانِيِّ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قَبَضَ الْمُقْتَدِرُ عَلَى وَزِيرِهِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْحَسَنِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ سُلَيْمَانَ ضَاقَتِ الْأَمْوَالُ عَلَيْهِ إِضَاقَةً شَدِيدَةً ، وَكَثُرَتْ عَلَيْهِ الْمُطَالَبَاتُ ، وَوَقَفَتْ وَظَائِفُ السُّلْطَانِ ، وَاتَّصَلَتْ رِقَاعُ مَنْ يُرَشِّحُ نَفْسَهُ لِلْوِزَارَةِ بِالسِّعَايَةِ لَهَا وَالضَّمَانِ بِالْقِيَامِ بِالْوَظَائِفِ ، وَأَرْزَاقِ الْجُنْدِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ ، وَنَقَلَهُ إِلَى دَارِهِ. |
| وَكَانَ الْمُقْتَدِرُ كَثِيرَ الشَّهْوَةِ لِتَقْلِيدِ الْحَسَنِ بْنِ الْقَاسِمِ الْوِزَارَةَ ، فَامْتَنَعَ مُؤْنِسٌ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَشَارَ بِوِزَارَةِ أَبِي الْقَاسِمِ الْكَلْوَذَانِيِّ ، فَاضْطَرَّ الْمُقْتَدِرُ إِلَى ذَلِكَ ، فَاسْتَوْزَرَهُ لِثَلَاثٍ بَقِينَ مِنْ رَجَبٍ ، فَكَانَتْ وِزَارَةُ سُلَيْمَانَ سَنَةً وَاحِدَةً وَشَهْرَيْنِ ، وَكَانَتْ وِزَارَتُهُ غَيْرَ مُتَمَكِّنَةٍ أَيْضًا ، فَإِنَّهُ كَانَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى مَعَهُ عَلَى الدَّوَاوِينِ وَسَائِرِ الْأُمُورِ ، وَأُفْرِدَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى عَنْهُ بِالنَّظَرِ فِي الْمَظَالِمِ ، وَاسْتُعْمِلَ عَلَى دِيوَانِ السَّوَادِ غَيْرُهُ ، فَانْقَطَعَتْ مَوَادُّ الْوَزِيرِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يُقِيمُ مِنْ قِبَلِهِ مَنْ يَشْتَرِي تَوْقِيعَاتِ أَرْزَاقِ جَمَاعَةٍ لَا يُمْكِنُهُمْ مُفَارَقَةُ مَا هُمْ عَلَيْهِ بِصَدَدِهِ مِنَ الْخِدْمَةِ ، فَكَانَ يُعْطِيهِمْ نِصْفَ الْمَبْلَغِ ، وَكَانَتْ إِدْرَارَاتُ الْفُقَهَاءِ وَأَرْبَابِ الْبُيُوتِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. |
| وَكَانَ أَبُو بَكْرِ بْنُ قُرَابَةَ مُنْتَمِيًا إِلَى مُفْلِحٍ الْخَادِمِ ، فَأَوْصَلَهُ إِلَى الْمُقْتَدِرِ ، فَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ يَعْرِفُ وُجُوهَ مَرَافِقِ الْوُزَرَاءِ ، فَاسْتَعْمَلَهُ عَلَيْهَا لِيُصْلِحَهُ لِلْخَلِيفَةِ ، فَسَعَى فِي تَحْصِيلِ ذَلِكَ مِنَ الْعُمَّالِ ، وَالضُّمَّانِ ، وَالتُّنَّاءِ ، وَغَيْرِهِمْ ، فَأَخْلَقَ بِذَلِكَ الْخِلَافَةَ وَفَضَحَ الدِّيوَانَ وَوَقَفَتْ أَحْوَالُ النَّاسِ ، فَإِنَّ الْوُزَرَاءَ وَأَرْبَابَ الْوِلَايَاتِ لَا يَقُومُونَ بِأَشْغَالِ الرَّعَايَا وَالتَّعَبِ مَعَهُمْ إِلَّا لِرِفْقٍ يَحْصُلُ لَهُمْ ، وَلَيْسَ لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا يَحْمِلُهُمْ عَلَى النَّظَرِ فِي أَحْوَالِهِمْ ، فَإِنَّهُ بَعِيدٌ مِنْهُمْ ، فَإِذَا مُنِعُوا تِلْكَ الْمَرَافِقَ تَرَكُوا النَّاسَ يَضْطَرِبُونَ ، وَلَا يَجِدُونَ مَنْ يَأْخُذُ بِأَيْدِيهِمْ ، وَلَا يَقْضِي حَوَائِجَهُمْ ، فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ هَذَا عِيَانًا فِي زَمَانِنَا هَذَا ، وَفَاتَ بِهِ مِنَ الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ مَا لَا يُحْصَى. |
| ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ هَارُونَ وَعَسْكَرِ مَرْدَاوِيجَ قَدْ ذَكَرْنَا فِيمَا تَقَدَّمَ قَتْلَ أَسْفَارٍ وَمُلْكَ مَرْدَاوِيجَ ، وَأَنَّهُ اسْتَوْلَى عَلَى بَلَدِ الْجَبَلِ وَالرَّيِّ وَغَيْرِهِمَا ، وَأَقْبَلَتِ الدَّيْلَمُ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ لِبَذْلِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَى جُنْدِهِ ، فَعَظُمَتْ جُيُوشُهُ ، وَكَثُرَتْ عَسَاكِرُهُ ، وَكَثُرَ الْخَرَاجُ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَكْفِهِ مَا فِي يَدِهِ ، فَفَرَّقَ نُوَّابَهُ فِي النَّوَاحِي الْمُجَاوِرَةِ لَهُ. |
| فَكَانَ مِمَّنْ سَيَّرَهُ إِلَى هَمَذَانَ ابْنُ أُخْتٍ لَهُ فِي جَيْشٍ كَثِيرٍ ، وَكَانَ بِهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفٍ فِي عَسْكَرِ الْخَلِيفَةِ ، فَتَحَارَبُوا حُرُوبًا كَثِيرَةً ، وَأَعَانَ أَهْلُ هَمَذَانَ عَسْكَرَ الْخَلِيفَةِ ، فَظَفِرُوا بِالدَّيْلَمِ ، وَقُتِلَ ابْنُ أُخْتِ مَرْدَاوِيجَ ، فَسَارَ مَرْدَاوِيجُ مِنَ الرَّيِّ إِلَى هَمَذَانَ ، فَلَمَّا سَمِعَ أَصْحَابُ الْخَلِيفَةِ بِمَسِيرِهِ انْهَزَمُوا مِنْ هَمَذَانَ ، فَجَاءَ إِلَى هَمَذَانَ ، وَنَزَلَ عَلَى بَابِ الْأَسَدِ ، فَتَحَصَّنَ مِنْهُ أَهْلُهَا ، فَقَاتَلَهُمْ ، فَظَفِرَ بِهِمْ وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَأَحْرَقَ وَسَبَى ، ثُمَّ رَفَعَ السَّيْفَ عَنْهُمْ وَأَمَّنَ بَقِيَّتَهُمْ. |
| فَأَنْفَذَ الْمُقْتَدِرُ هَارُونَ بْنَ غَرِيبِ الْخَالِ فِي عَسَاكِرَ كَثِيرَةٍ إِلَى مُحَارَبَتِهِ ، فَالْتَقَوْا بِنُوَاحِي هَمَذَانَ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَ هَارُونُ وَعَسْكَرُ الْخَلِيفَةِ ، وَاسْتَوْلَى مَرْدَاوِيجُ عَلَى بِلَادِ الْجَبَلِ جَمِيعِهَا ، وَمَا وَرَاءَ هَمَذَانَ ، وَسَيَّرَ قَائِدًا كَبِيرًا مِنْ أَصْحَابِهِ يُعْرَفُ بِابْنِ عَلَّانَ الْقَزْوِينِيِّ إِلَى الدِّينَوَرِ ، فَفَتَحَهَا بِالسَّيْفِ ، وَقَتَلَ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِهَا ، وَبَلَغَتْ عَسَاكِرُهُ إِلَى نَوَاحِي حُلْوَانَ ، فَغَنِمَتْ ، وَنَهَبَتْ ، وَقَتَلَتْ ، وَسَبَتِ الْأَوْلَادَ وَالنِّسَاءَ ، وَعَادُوا إِلَيْهِ. |
| ذِكْرُ مَا فَعَلَهُ لَشْكَرِيُّ مِنَ الْمُخَالَفَةِ كَانَ لَشْكَرِيُّ الدَّيْلَمِيُّ مِنْ أَصْحَابِ أَسْفَارٍ ، وَاسْتَأْمَنَ إِلَى الْخَلِيفَةِ ، فَلَمَّا انْهَزَمَ هَارُونُ بْنُ غَرِيبٍ مِنْ مَرْدَاوِيجَ سَارَ مَعَهُ إِلَى قَرْمِيسِينَ ، وَأَقَامَ هَارُونُ بِهَا ، وَاسْتَمَدَّ الْمُقْتَدِرَ لِيُعَاوِدَ مُحَارَبَةَ مَرْدَاوِيجَ ، وَسَيَّرَ هَارُونُ لَشْكَرِيَّ هَذَا إِلَى نَهَاوَنْدَ لِحَمْلِ مَالٍ بِهَا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا صَارَ لَشْكَرِيُّ بِنَهَاوَنْدَ ، وَرَأَى غِنَى أَهْلِهَا طَمِعَ فِيهِمْ ، وَصَادَرَهُمْ عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَاسْتَخْرَجَهَا فِي مُدَّةِ أُسْبُوعٍ ، وَجَنَّدَ بِهَا جُنْدًا ، ثُمَّ مَضَى إِلَى أَصْبَهَانَ هَارِبًا مِنْ هَارُونَ فِي الْجُنْدِ الَّذِينَ انْضَمُّوا إِلَيْهِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ. |
| وَكَانَ الْوَالِيَ عَلَى أَصْبَهَانَ حِينَئِذٍ أَحْمَدُ بْنُ كَيْغَلَغَ ، وَذَلِكَ قَبْلَ اسْتِيلَاءِ مَرْدَاوِيجَ عَلَيْهَا ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَحْمَدُ فَحَارَبَهُ ، فَانْهَزَمَ أَحْمَدُ هَزِيمَةً قَبِيحَةً ، وَمَلَكَ لَشْكَرِيُّ أَصْبَهَانَ ، وَدَخَلَ أَصْحَابُهُ إِلَيْهَا فَنَزَلُوا فِي الدُّورِ وَالْخَانَاتِ وَغَيْرِهَا وَلَمْ يَدْخُلْ لَشْكَرِيُّ مَعَهُمْ. |
| وَلَمَّا انْهَزَمَ أَحْمَدُ نَجَا إِلَى بَعْضِ قُرَى أَصْبَهَانَ فِي ثَلَاثِينَ فَارِسًا ، وَرَكِبَ لَشْكَرِيُّ يَطُوفُ بِسُورِ أَصْبَهَانَ مِنْ ظَاهِرِهِ ، فَنَظَرَ إِلَى أَحْمَدَ فِي جَمَاعَتِهِ ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَا شَكَّ أَنَّهُ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَدَ بْنِ كَيْغَلَغَ ، فَسَارَ فِيمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ نَحْوَهُمْ ، وَكَانُوا عِدَّةً يَسِيرَةً ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهُ تَعَارَفُوا ، فَاقْتَتَلُوا ، فَقُتِلَ لَشْكَرِيُّ ، قَتَلَهُ أَحْمَدُ بْنُ كَيْغَلَغَ ، ضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى رَأْسِهِ ، فَقَدَّ الْمِغْفَرَ وَالْخُوذَةَ ، وَنَزَلَ السَّيْفُ حَتَّى خَالَطَ دِمَاغَهُ ، فَسَقَطَ مَيِّتًا. |
| وَكَانَ عُمْرُ أَحْمَدَ إِذْ ذَاكَ قَدْ جَاوَزَ السَّبْعِينَ ، فَلَمَّا قُتِلَ لَشْكَرِيُّ انْهَزَمَ مَنْ مَعَهُ ، فَدَخَلُوا أَصْبَهَانَ ، وَأَعْلَمُوا أَصْحَابَهُمْ ، فَهَرَبُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ ، وَتَرَكُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَكْثَرَ رِحَالِهِمْ ، وَدَخَلَ أَحْمَدُ إِلَى أَصْبَهَانَ ، وَكَانَ هَذَا قَبْلَ اسْتِيلَاءِ مَرْدَاوِيجَ عَلَى أَصْبَهَانَ ، وَكَانَ هَذَا مِنَ الْفَتْحِ الظَّرِيفِ ، وَكَانَ جَزَاؤُهُ أَنْ صُرِفَ عَنْ أَصْبَهَانَ ، وَوَلِيَ عَلَيْهَا الْمُظَفَّرُ بْنُ يَاقُوتٍ. |
| ذِكْرُ مُلْكِ مَرْدَاوِيجَ أَصْبَهَانَ ثُمَّ أَنْفَذَ مَرْدَاوِيجُ طَائِفَةً أُخْرَى إِلَى أَصْبَهَانَ ، مَلَكُوهَا وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا ، وَبَنَوْا لَهُ فِيهَا مَسَاكِنَ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي دُلَفَ الْعِجْلِيِّ ، وَالْبَسَاتِينَ ، فَسَارَ مَرْدَاوِيجُ إِلَيْهَا فَنَزَلَهَا وَهُوَ فِي أَرْبَعِينَ أَلْفًا ، وَقِيلَ خَمْسِينَ أَلْفًا ، وَأَرْسَلَ جَمْعًا آخَرَ إِلَى الْأَهْوَازِ ، فَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا وَعَلَى خُوزِسْتَانَ ، وَجَبَوْا أَمْوَالَ هَذِهِ الْبِلَادِ وَالنَّوَاحِي ، وَقَسَمَهَا فِي أَصْحَابِهِ ، وَجَمَعَ مِنْهَا الْكَثِيرَ فَاذَّخَرَهُ. |
| ثُمَّ إِنَّهُ أَرْسَلَ إِلَى الْمُقْتَدِرِ رَسُولًا يُقَرِّرُ عَلَى نَفْسِهِ مَالًا عَلَى هَذِهِ الْبِلَادِ كُلِّهَا ، وَنَزَلَ لِلْمُقْتَدِرِ عَنْ هَمَذَانَ وَمَاهِ الْكُوفَةِ ، فَأَجَابَهُ الْمُقْتَدِرُ إِلَى ذَلِكَ ، وَقُوطِعَ عَلَى مِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ كُلَّ سَنَةٍ. |
| ذِكْرُ عَزْلِ الْكَلْوَذَانِيِّ وَوِزَارَةِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْقَاسِمِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُزِلَ أَبُو الْقَاسِمِ الْكَلْوَذَانِيُّ عَنْ وِزَارَةِ الْخَلِيفَةِ وَوَزَرَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ بِبَغْدَاذَ إِنْسَانٌ يُعْرَفُ بِالدَّانِيَالِيِّ ، وَكَانَ زَرَّاقًا ، ذَكِيًّا مُحْتَالًا ، وَكَانَ يُعَتِّقُ الْكَاغَدَ ، وَيَكْتُبُ فِيهِ بِخَطِّهِ مَا يُشْبِهُ الْخَطَّ الْعَتِيقَ ، وَيَذْكُرُ فِيهِ إِشَارَاتٍ وَرُمُوزًا يُودِعُهَا أَسْمَاءَ أَقْوَامٍ مِنْ أَرْبَابِ الدَّوْلَةِ ، فَيَحْصُلُ لَهُ بِذَلِكَ رِفْقٌ كَثِيرٌ. |
| فَمِنْ جُمْلَةِ مَا فَعَلَهُ أَنَّهُ وَضَعَ فِي جُمْلَةِ كِتَابٍ مِيمٌ مِيمٌ مِيمٌ ، يَكُونُ مِنْهُ كَذَا وَكَذَا ، وَأَحْضَرَهُ عِنْدَ مُفْلِحٍ وَقَالَ هَذَا كِنَايَةٌ عَنْكَ ، فَإِنَّكَ مُفْلِحٌ مَوْلَى الْمُقْتَدِرِ ، وَذَكَرَ لَهُ عَلَامَاتٍ تَدُلُّ عَلَيْهِ ، فَأَغْنَاهُ ، فَتَوَصَّلَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ مَعَهُ ، حَتَّى جَعَلَ اسْمَهُ فِي كِتَابٍ وَضَعَهُ وَعَتَّقَهُ ، وَذَكَرَ فِيهِ عَلَامَةَ وَجْهِهِ ، وَمَا فِيهِ مِنَ الْآثَارِ ، وَيَقُولُ إِنَّهُ يَزِرُ لِلْخَلِيفَةِ الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَتَسْتَقِيمُ الْأُمُورُ عَلَى يَدَيْهِ ، وَيَقْهَرُ الْأَعَادِيَ ، وَتَتَعَمَّرُ الدُّنْيَا فِي أَيَّامِهِ ، وَجَعَلَ هَذَا كُلَّهُ فِي جُمْلَةِ كِتَابٍ ذَكَرَ فِيهِ حَوَادِثَ قَدْ وَقَعَتْ ، وَأَشْيَاءَ لَمْ تَقَعْ بَعْدُ ، وَنَسَبَ ذَلِكَ إِلَى دَانْيَالَ ، وَعَتَّقَ الْكِتَابَ وَأَخَذَهُ وَقَرَأَهُ عَلَى مُفْلِحٍ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَخَذَ الْكِتَابَ وَأَحْضَرَهُ عِنْدَ الْمُقْتَدِرِ ، وَقَالَ لَهُ أَتَعْرِفُ فِي الْكُتَّابِ مَنْ هُوَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ ؟ |
| فَقَالَ مَا أَعْرِفُهُ إِلَّا الْحُسَيْنَ بْنَ الْقَاسِمِ ، فَقَالَ صَدَقْتَ وَإِنَّ قَلْبِي لِيَمِيلُ إِلَيْهِ ، فَإِنْ جَاءَكَ مِنْهُ رَسُولٌ بِرُقْعَةٍ فَاعْرِضْهَا عَلَيَّ ، وَاكْتُمْ حَالَهُ وَلَا تُطْلِعْ عَلَى أَمْرِهِ أَحَدًا. |
| وَخَرَجَ مُفْلِحٌ إِلَى الدَّانْيَالِيِّ فَسَأَلَهُ هَلْ تَعْرِفُ أَحَدًا مِنَ الْكُتَّابِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ ؟ |
| فَقَالَ لَا أَعْرِفُ أَحَدًا ، قَالَ فَمِنْ أَيْنَ وَصَلَ إِلَيْكَ هَذَا الْكِتَابُ ؟ |
| فَقَالَ مِنْ أَبِي ، وَهُوَ وَرِثَهُ مِنْ آبَائِهِ ، وَهُوَ مِنْ مَلَاحِمِ دَانْيَالَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَأَعَادَ ذَلِكَ عَلَى الْمُقْتَدِرِ ، فَقَبِلَهُ ، فَعَرَّفَ الدَّانْيَالِيُّ ذَلِكَ الْحُسَيْنَ بْنَ الْقَاسِمِ ، فَلَمَّا أَعْلَمَهُ كَتَبَ رُقْعَةً إِلَى مُفْلِحٍ ، فَأَوْصَلَهَا إِلَى الْمُقْتَدِرِ ، وَوَعَدَهُ الْجَمِيلَ ، وَأَمَرَهُ بِطَلَبِ الْوِزَارَةِ وَإِصْلَاحِ مُؤْنِسٍ الْخَادِمِ ، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ فِي وِزَارَتِهِ مَعَ كَثْرَةِ الْكَارِهِينَ لَهُ. |
| ثُمَّ اتَّفَقَ أَنَّ الْكَلْوَذَانِيَّ عَمِلَ حِسْبَةً بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ النَّفَقَاتِ ، وَعَلَيْهَا خَطُّ أَصْحَابِ الدِّيوَانِ ، فَبَقِيَ مُحْتَاجًا إِلَى سَبْعِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَعَرَضَهَا عَلَى الْمُقْتَدِرِ ، وَقَالَ لَيْسَ لِهَذِهِ جِهَةٌ إِلَّا مَا يُطْلِقُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِأُنْفِقَهُ ، فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُقْتَدِرِ. |
| وَكَتَبَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ لَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ يَضْمَنُ جَمِيعَ النَّفَقَاتِ ، وَلَا يُطَالِبُهُ بِشَيْءٍ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ ، وَضَمِنَ أَنَّهُ يَسْتَخْرِجُ سِوَى ذَلِكَ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ يَكُونُ فِي بَيْتِ الْمَالِ ، فَعُرِضَتْ رُقْعَتُهُ عَلَى الْكَلْوَذَانِيِّ فَاسْتَقَالَ ، وَأَذِنَ فِي وِزَارَةِ الْحُسَيْنِ ، وَمَضَى الْحُسَيْنُ إِلَى بُلَيْقٍ ، وَضَمِنَ لَهُ مَالًا لِيَصْلُحَ لَهُ قَلْبُ مُؤْنِسٍ ، فَفَعَلَ ، فَعُزِلَ الْكَلْوَذَانِيُّ فِي رَمَضَانَ ، وَتَوَلَّى الْحُسَيْنُ الْوِزَارَةَ لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ رَمَضَانَ أَيْضًا ، وَكَانَتْ وِلَايَةُ الْكَلْوَذَانِيِّ شَهْرَيْنِ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَاخْتَصَّ بِالْحُسَيْنِ بَنُو الْبَرِيدِيِّ وَابْنُ قُرَابَةَ ، وَشَرَطَ أَنْ لَا يَطَّلِعَ مَعَهُ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ ، وَشَرَعَ فِي إِخْرَاجِهِ مِنْ بَغْدَاذَ ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ ، فَأُخْرِجَ إِلَى الصَّافِيَّةِ. |
| ذِكْرُ تَأَكُّدِ الْوَحْشَةِ بَيْنَ مُؤْنِسٍ وَالْمُقْتَدِرِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي ذِي الْحِجَّةِ ، تَجَدَّدَتِ الْوَحْشَةُ بَيْنَ مُؤْنِسٍ وَالْمُقْتَدِرِ ، حَتَّى آلَ ذَلِكَ إِلَى قَتْلِ الْمُقْتَدِرِ. |
| وَكَانَ سَبَبُهَا مَا ذَكَرْنَا أَوَّلًا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ ، فَلَمَّا كَانَ الْآنَ بَلَغَ مُؤْنِسًا أَنَّ الْوَزِيرَ الْحُسَيْنَ بْنَ الْقَاسِمِ قَدْ وَافَقَ جَمَاعَةً مِنَ الْقُوَّادِ فِي التَّدْبِيرِ عَلَيْهِ ، فَتَنَكَّرَ لَهُ مُؤْنِسٌ ، وَبَلَغَ الْحُسَيْنَ أَنَّ مُؤْنِسًا قَدْ تَنَكَّرَ لَهُ ، وَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَكْبِسَ دَارَهُ لَيْلًا وَيَقْبِضَ عَلَيْهِ ، فَتَنَقَّلَ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ ، وَكَانَ لَا يَحْضُرُ دَارَهُ إِلَّا بُكْرَةً ، ثُمَّ إِنَّهُ انْتَقَلَ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ ، فَطَلَبَ مُؤْنِسٌ مِنَ الْمُقْتَدِرِ عَزْلَ الْحُسَيْنِ وَمُصَادَرَتَهُ ، فَأَجَابَ إِلَى عَزْلِهِ وَلَمْ يُصَادِرْهُ ، وَأَمَرَ الْحُسَيْنَ بِلُزُومِ بَيْتِهِ ، فَلَمْ يَقْنَعْ مُؤْنِسٌ بِذَلِكَ فَبَقِيَ فِي وِزَارَتِهِ . |
| وَأَوْقَعَ الْحُسَيْنُ عِنْدَ الْمُقْتَدِرِ أَنَّ مُؤْنِسًا يُرِيدُ أَخْذَ وَلَدِهِ أَبِي الْعَبَّاسِ ، وَهُوَ الرَّاضِي ، مِنْ دَارِهِ بِالْمُحَرَّمِ ، وَالْمَسِيرِ بِهِ إِلَى الشَّامِ ، وَالْبَيْعَةِ لَهُ ، فَرَدَّهُ الْمُقْتَدِرُ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ ، فَعَلِمَ ذَلِكَ أَبُو الْعَبَّاسِ ، فَلَمَّا أَفْضَتِ الْخِلَافَةُ إِلَيْهِ فَعَلَ بِالْحُسَيْنِ مَا نَذْكُرُ. |
| وَكَتَبَ الْحُسَيْنُ إِلَى هَارُونَ ، وَهُوَ بِدَيْرِ الْعَاقُولِ ، بَعْدَ انْهِزَامِهِ مِنْ مَرْدَاوِيجَ ، لِيَسْتَقْدِمَهُ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَكَتَبَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ يَاقُوتٍ ، وَهُوَ بِالْأَهْوَازِ. |
| يَأْمُرُهُ بِالْإِسْرَاعِ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَزَادَ اسْتِشْعَارُ مُؤْنِسٍ ، وَصَحَّ عِنْدَهُ أَنَّ الْحُسَيْنَ يَسْعَى فِي التَّدْبِيرِ عَلَيْهِ ، وَسَنَذْكُرُ تَمَامَ أَمْرِهِ سَنَةَ عِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. |
| ذِكْرُ الْحُرُوبِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالرُّومِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، غَزَا ثَمِلٌ وَالِي طَرَسُوسَ بِلَادَ الرُّومِ ، فَعَبَرَ نَهْرًا ، وَنَزَلَ عَلَيْهِمْ ثَلْجٌ إِلَى صُدُورِ الْخَيْلِ ، وَأَتَاهُمْ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الرُّومِ ، فَوَاقَعُوهُمْ ، فَنَصَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ. |
| فَقَتَلُوا مِنَ الرُّومِ سِتَّمِائَةٍ ، وَأَسَرُوا نَحْوًا مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، وَغَنِمُوا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالدِّيبَاجِ وَغَيْرِهِ شَيْئًا كَثِيرًا. |
| وَفِيهَا فِي رَجَبٍ عَادَ ثَمِلٌ إِلَى طَرَسُوسَ ، وَدَخَلَ بِلَادَ الرُّومِ صَائِفَةٌ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ مِنَ الْفَارِسِ وَالرَّاجِلِ ، فَبَلَغُوا عَمُّورِيَّةَ ، وَكَانَ قَدْ تَجَمَّعَ إِلَيْهَا كَثِيرٌ مِنَ الرُّومِ ، فَفَارَقُوهَا لَمَّا سَمِعُوا خَبَرَ ثَمِلٍ ، وَدَخَلَهَا الْمُسْلِمُونَ ، فَوَجَدُوا فِيهَا مِنَ الْأَمْتِعَةِ وَالطَّعَامِ شَيْئًا كَثِيرًا فَأَخَذُوهُ وَأَحْرَقُوا مَا كَانُوا عَمَّرُوهُ مِنْهَا ، وَأَوْغَلُوا فِي بِلَادِ الرُّومِ يَنْهَبُونَ ، وَيَقْتُلُونَ ، وَيُخَرِّبُونَ ، حَتَّى بَلَغُوا أَنْقَرَةَ ، وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى الْآنَ أَنْكُورِيَةَ ، وَعَادُوا سَالِمِينَ لَمْ يَلْقَوْا كَيْدًا ، فَبَلَغَتْ قِيمَةُ السَّبْيِ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ وَسِتَّةً وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَكَانَ وُصُولُهُمْ إِلَى طَرَسُوسَ آخِرَ رَمَضَانَ. |
| وَفِيهَا كَاتَبَ ابْنُ الدَّيْرَانِيِّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَرْمَنِ ، وَهُمْ بِأَطْرَافِ أَرْمِينِيَّةَ الرُّومَ ، وَحَثُّوهُمْ عَلَى قَصْدِ بِلَادِ الْإِسْلَامِ ، وَوَعَدَهُمُ النُّصْرَةَ ، فَسَارَتِ الرُّومُ فِي خَلْقٍ كَثِيرٍ ، فَخَرَّبُوا بَزْكَرَى وَبِلَادَ خِلَاطَ وَمَا جَاوَرَهَا ، وَقُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَأَسَرُوا كَثِيرًا مِنْهُمْ ، فَبَلَغَ خَبَرُهُمْ مُفْلِحًا غُلَامَ يُوسُفَ بْنِ أَبِي السَّاجِ ، وَهُوَ وَالِي أَذْرَبِيجَانَ ، فَسَارَ فِي عَسْكَرٍ كَبِيرٍ ، وَتَبِعَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَطَوِّعَةِ إِلَى أَرْمِينِيَّةَ ، فَوَصَلَهَا فِي رَمَضَانَ ، وَقَصَدَ بَلَدَ ابْنِ الدَّيْرَانِيِّ وَمَنْ وَافَقَهُ لِحَرْبِهِ ، وَقَتَلَ أَهْلَهُ ، وَنَهَبَ أَمْوَالَهُمْ ، وَتَحَصَّنَ ابْنُ الدَّيْرَانِيِّ بِقَلْعَةٍ لَهُ ، وَبَالَغَ النَّاسُ فِي كَثْرَةِ الْقَتْلَى مِنَ الْأَرْمَنِ ، وَحَتَّى قِيلَ إِنَّهُمْ كَانُوا مِائَةَ أَلْفِ قَتِيلٍ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. |
| وَسَارَتْ عَسَاكِرُ الرُّومِ إِلَى سُمَيْسَاطَ فَحَصَرُوهَا ، فَاسْتَصْرَخَ أَهْلُهَا بِسَعِيدِ بْنِ حَمْدَانَ ، وَكَانَ الْمُقْتَدِرُ قَدْ وَلَّاهُ الْمَوْصِلَ وَدِيَارَ رَبِيعَةَ ، وَشَرَطَ عَلَيْهِ غَزْوَ الرُّومِ ، وَأَنْ يَسْتَنْقِذَ مَلَطْيَةَ مِنْهُمْ ، وَكَانَ أَهْلُهَا قَدْ ضَعُفُوا ، فَصَالَحُوا الرُّومَ ، وَسَلَّمُوا مَفَاتِيحَ الْبَلَدِ إِلَيْهِمْ ، فَحَكَمُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ أَهْلِ سُمَيْسَاطَ إِلَى سَعِيدِ بْنِ حَمْدَانَ تَجَهَّزَ وَسَارَ إِلَيْهِمْ مُسْرِعًا ، فَوَصَلَ وَقَدْ كَانَ الرُّومُ يَفْتَحُونَهَا ، فَلَمَّا قَارَبَهُمْ هَرَبُوا مِنْهُ ، وَسَارَ مِنْهَا إِلَى مَلَطْيَةَ وَبِهَا جَمْعٌ مِنَ الرُّومِ وَمِنْ عَسْكَرِ مَلِيحٍ الْأَرْمَنِيِّ وَمَعَهُ بُنِّيُّ بْنُ نَفِيسٍ ، صَاحِبُ الْمُقْتَدِرِ ، وَكَانَ قَدْ تَنَصَّرَ ، وَهُوَ مَعَ الرُّومِ ، فَلَمَّا أَحَسُّوا بِإِقْبَالِ سَعِيدٍ خَرَجُوا مِنْهَا ، وَخَافُوا أَنْ يَأْتِيَهُمْ فِي عَسْكَرِهِ مِنْ خَارِجِ الْمَدِينَةِ ، وَيَثُورَ أَهْلُهَا بِهِمْ فَيَهْلَكُوا ، فَفَارَقُوهَا. |
| وَدَخَلَهَا سَعِيدٌ ثُمَّ اسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا أَمِيرًا ، وَعَادَ عَنْهَا ، فَدَخَلَ بَلَدَ الرُّومِ غَازِيًا فِي شَوَّالٍ ، وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ سَرِيَّتَيْنِ فَقَتَلَتَا مِنَ الرُّومِ خَلْقًا كَثِيرًا قَبْلَ دُخُولِهِ إِلَيْهَا. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي شَوَّالٍ ، جَاءَ إِلَى تَكْرِيتَ سَيْلٌ كَبِيرٌ مِنَ الْمَطَرِ نَزَلَ فِي الْبَرِّ ، فَغَرِقَ مِنْهَا أَرْبَعُمِائَةِ دَارٍ وَدُكَّانٍ ، وَارْتَفَعَ الْمَاءُ فِي أَسْوَاقِهَا أَرْبَعَةَ عَشَرَ شِبْرًا ، وَغَرِقَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، وَدُفِنَ الْمُسْلِمُونَ وَالنَّصَارَى مُجْتَمِعِينَ لَا يُعْرَفُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ. |
| وَفِيهَا هَاجَتْ بِالْمَوْصِلِ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فِيهَا حُمْرَةٌ شَدِيدَةٌ ، ثُمَّ اسْوَدَّتْ حَتَّى لَا يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ صَاحِبَهُ ، وَظَنَّ النَّاسُ أَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَامَتْ ، ثُمَّ جَاءَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَطَرٍ فَكَشَفَ ذَلِكَ . |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَحْمُودٍ الْبَلْخِيُّ فِي شَعْبَانَ ، وَهُوَ مِنْ مُتَكَلِّمِي الْمُعْتَزِلَةِ الْبَغْدَاذِيِّينَ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ عِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ عِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ مَسِيرِ مُؤْنِسٍ إِلَى الْمَوْصِلِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي الْمُحَرَّمِ ، سَارَ مُؤْنِسٌ الْمُظَفَّرُ إِلَى الْمَوْصِلِ مُغَاضِبًا لِلْمُقْتَدِرِ. |
| وَسَبَبُ مَسِيرِهِ أَنَّهُ لَمَّا صَحَّ عِنْدَهُ إِرْسَالُ الْوَزِيرِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْقَاسِمِ إِلَى هَارُونَ بْنِ غَرِيبٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ يَاقُوتٍ يَسْتَحْضِرُهُمَا ، زَادَ اسْتِيحَاشُهُ ، ثُمَّ سَمِعَ بِأَنَّ الْحُسَيْنَ قَدْ جَمَعَ الرِّجَالَ وَالْغِلْمَانَ الْحُجَرِيَّةَ فِي دَارِ الْخَلِيفَةِ ، وَقَدِ اتَّفَقَ فِيهِمْ وَإِنَّ هَارُونَ بْنَ غَرِيبٍ قَدْ قَرُبَ مِنْ بَغْدَاذَ ، فَأَظْهَرَ الْغَضَبَ ، وَسَارَ نَحْوَ الْمَوْصِلِ وَوَجَّهَ خَادِمَهُ بُشْرَى بِرِسَالَةٍ إِلَى الْمُقْتَدِرِ ، فَسَأَلَهُ الْحُسَيْنُ عَنِ الرِّسَالَةِ ، فَقَالَ لَا أَذْكُرُهَا إِلَّا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ الْمُقْتَدِرُ يَأْمُرُهُ بِذِكْرِ مَا مَعَهُ مِنَ الرِّسَالَةِ لِلْوَزِيرِ ، فَامْتَنَعَ ، وَقَالَ مَا أَمَرَنِي صَاحِبِي بِهَذَا ، فَسَبَّهُ الْوَزِيرُ ، وَشَتَمَ صَاحِبَهُ ، وَأَمَرَ بِضَرْبِهِ ، وَصَادَرَهُ بِثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَأَخَذَ خَطَّهُ بِهَا ، وَحَبَسَهُ وَنَهَبَ دَارَهُ. |
| فَلَمَّا بَلَغَ مُؤْنِسًا مَا جَرَى عَلَى خَادِمِهِ ، وَهُوَ يَنْتَظِرُ أَنْ يُطَيِّبَ الْمُقْتَدِرُ قَلْبَهُ ، وَيُعِيدَهُ ، فَلَمَّا عَلِمَ ذَلِكَ سَارَ نَحْوَ الْمَوْصِلِ وَمَعَهُ جَمِيعُ قُوَّادِهِ ، فَكَتَبَ الْحُسَيْنُ إِلَى الْقُوَّادِ وَالْغِلْمَانِ يَأْمُرُهُمْ بِالرُّجُوعِ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَعَادَ جَمَاعَةٌ ، وَسَارَ مُؤْنِسٌ نَحْوَ الْمَوْصِلِ فِي أَصْحَابِهِ وَمَمَالِيكِهِ ، وَمَعَهُ مِنَ السَّاجِيَّةِ ثَمَانِيمِائَةِ رَجُلٍ وَتَقَدَّمَ الْوَزِيرُ بِقَبْضِ أَقَطَاعِ مُؤْنِسٍ وَأَمْلَاكِهِ وَأَمْلَاكِ مَنْ مَعَهُ ، فَحَصَلَ مِنْ ذَلِكَ مَالٌ عَظِيمٌ ، وَزَادَ ذَلِكَ فِي مَحَلِّ الْوَزِيرِ عِنْدَ الْمُقْتَدِرِ ، فَلَقَّبَهُ" عَمِيدَ الدَّوْلَةِ "، وَضَرَبَ اسْمَهُ عَلَى الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ ، وَتَمَكَّنَ مِنَ الْوِزَارَةِ ، وَوَلَّى وَعَزَلَ. |
| وَكَانَ فِيمَنْ تَوَلَّى أَبُو يُوسُفَ يَعْقُوبُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَرِيدِيُّ ، وَلَّاهُ الْوَزِيرُ الْبَصْرَةَ وَجَمِيعَ أَعْمَالِهَا بِمَبْلَغٍ لَا يَفِي بِالنَّفَقَاتِ عَلَى الْبَصْرَةِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا ، بَلْ فَضَلَ لِأَبِي يُوسُفَ مِقْدَارُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ أَحَالَهُ الْوَزِيرُ بِهَا ، فَلَمَّا عَلِمَ ذَلِكَ الْفَضْلُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُرَاتِ اسْتَدْرَكَ عَلَى أَبِي يُوسُفَ ، وَأَظْهَرَ لَهُ الْغَلَطَ فِي الضَّمَانِ ، وَأَنَّهُ لَا يُمْضِيهِ ، فَأَجَابَ إِلَى أَنْ يَقُومَ بِنَفَقَاتِ الْبَصْرَةِ ، وَيَحْمِلَ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ كُلَّ سَنَةٍ ثَمَانِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَانْتَهَى ذَلِكَ إِلَى الْمُقْتَدِرِ ، فَحَسُنَ مَوْقِعُهُ عِنْدَهُ ، فَقَصَدَهُ الْوَزِيرُ ، فَاسْتَتَرَ ، وَسَعَى بِالْوَزِيرِ إِلَى الْمُقْتَدِرِ إِلَى أَنْ أَفْسَدَ حَالَهُ. |
| ذِكْرُ عَزْلِ الْحُسَيْنِ عَنِ الْوِزَارَةِ وَفِيهَا عُزِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ عَنِ الْوِزَارَةِ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَمْوَالُ ، وَكَثُرَتِ الْإِخْرَاجَاتُ ، فَاسْتَسْلَفَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ جُمْلَةً وَافِرَةً أَخْرَجَهَا فِي سَنَةِ تِسْعَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَأَنْهَى هَارُونُ بْنُ غَرِيبٍ ذَلِكَ إِلَى الْمُقْتَدِرِ ، فَرَتَّبَ مَعَهُ الْخَصِيبِيَّ ، فَلَمَّا تَوَلَّى مَعَهُ نَظَرَ فِي أَعْمَالِهِ ، فَرَآهُ قَدْ عَمِلَ حِسْبَةً إِلَى الْمُقْتَدِرِ لَيْسَ فِيهَا عَلَيْهِ وَجْهٌ ، وَمَوَّهَ وَأَظْهَرَ ذَلِكَ لِلْمُقْتَدِرِ ، فَأَمَرَ بِجَمْعِ الْكُتَّابِ وَكَشْفِ الْحَالِ ، فَحَضَرُوا وَاعْتَرَفُوا بِصِدْقِ الْخَصِيبِيِّ بِذَلِكَ ، وَقَابَلُوا الْوَزِيرَ بِذَلِكَ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخَرِ ، وَكَانَتْ وِزَارَتُهُ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَاسْتَوْزَرَ الْمُقْتَدِرُ أَبَا الْفَتْحِ الْفَضْلَ بْنَ جَعْفَرٍ ، وَسَلَّمَ إِلَيْهِ الْحُسَيْنَ ، فَلَمْ يُؤَاخِذْهُ بِإِسَاءَتِهِ. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ مُؤْنِسٍ عَلَى الْمَوْصِلِ قَدْ ذَكَرْنَا مَسِيرَ مُؤْنِسٍ إِلَى الْمَوْصِلِ فَلَمَّا سَمِعَ الْحُسَيْنُ الْوَزِيرُ بِمَسِيرِهِ كَتَبَ إِلَى سَعِيدٍ ، وَدَاوُدَ ابْنَيْ حَمْدَانَ ، وَإِلَى ابْنِ أَخِيهِمَا نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدَانَ ، يَأْمُرُهُمْ بِمُحَارَبَةِ مُؤْنِسٍ ، وَصَدِّهِ عَنِ الْمَوْصِلِ. |
| وَكَانَ مُؤْنِسٌ كَتَبَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى رُؤَسَاءِ الْعَرَبِ يَسْتَدْعِيهِمْ ، وَيَبْذُلُ لَهُمُ الْأَمْوَالَ وَالْخِلَعَ ، وَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ وَلَّاهُ الْمَوْصِلَ وَدِيَارَ رَبِيعَةَ. |
| وَاجْتَمَعَ بَنُو حَمْدَانَ عَلَى مُحَارَبَةِ مُؤْنِسٍ ، إِلَّا دَاوُدَ بْنَ حَمْدَانَ فَإِنَّهُ امْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ لِإِحْسَانِ مُؤْنِسٍ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ أَخَذَهُ بَعْدَ أَبِيهِ ، وَرَبَّاهُ فِي حِجْرِهِ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ إِحْسَانًا عَظِيمًا ، فَلَمَّا امْتَنَعَ مِنْ مُحَارَبَتِهِ لَمْ يَزَلْ بِهِ إِخْوَتُهُ حَتَّى وَافَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَذَكَرُوا لَهُ إِسَاءَةَ الْحُسَيْنِ وَأَبِي الْهَيْجَاءِ ابْنَيْ حَمْدَانَ إِلَى الْمُقْتَدِرِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، وَأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْسِلُوا تِلْكَ السَّيِّئَةَ ، وَلَمَّا أَجَابَهُمْ قَالَ لَهُمْ وَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَحْمِلُونَنِي عَلَى الْبَغْيِ ، وَكُفْرَانِ الْإِحْسَانِ ، وَمَا آمَنُ أَنْ يَجِيئَنِي سَهْمٌ عَاثِرٌ فَيَقَعَ فِي نَحْرِي فَيَقْتُلَنِي ، فَلَمَّا الْتَقَوْا أَتَاهُ سَهْمٌ كَمَا وَصَفَ فَقَتَلَهُ. |
| وَكَانَ مُؤْنِسٌ إِذَا قِيلَ لَهُ إِنَّ دَاوُدَ عَازِمٌ عَلَى قِتَالِكَ ، يُنْكِرُهُ وَيَقُولُ كَيْفَ يُقَاتِلُنِي وَقَدْ أَخَذْتُهُ طِفْلًا وَرَبَّيْتُهُ فِي حِجْرِي وَلَمَّا قَرُبَ مُؤْنِسٌ مِنَ الْمَوْصِلِ كَانَ فِي ثَمَانِمِائَةِ فَارِسٍ ، وَاجْتَمَعَ بَنُو حَمْدَانَ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، وَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ بَنُو حَمْدَانَ ، وَلَمْ يُقْتَلْ مِنْهُمْ غَيْرُ دَاوُدَ ، وَكَانَ يُلَقَّبُ بِالْمُجَفْجَفِ وَفِيهِ يَقُولُ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ ، وَقَدْ هَجَا أَمِيرًا لَوْ كُنْتَ فِي أَلْفِ أَلْفٍ كُلُّهُمْ بَطَلٌ... |
| مِثْلُ الْمُجَفْجَفِ دَاوُدَ بْنِ حَمْدَانِ وَتَحْتَكَ الرِّيحُ تَجْرِي حَيْثُ تَأْمُرُهَا... |
| وَفِي يَمِينِكَ سَيْفٌ غَيْرُ خَوَّانِ لَكُنْتَ أَوَّلَ فَرَّارٍ إِلَى عَدَنٍ... |
| إِذَا تَحَرَّكَ سَيْفٌ مِنْ خُرَاسَانِ وَكَانَ دَاوُدُ هَذَا مِنْ أَشْجَعِ النَّاسِ ، وَدَخَلَ مُؤْنِسٌ الْمَوْصِلَ ثَالِثَ صَفَرٍ وَاسْتَوْلَى عَلَى أَمْوَالِ بَنِي حَمْدَانَ وَدِيَارِهِمْ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْعَسَاكِرِ مِنْ بَغْدَاذَ ، وَالشَّامِ ، وَمِصْرَ ، مِنْ أَصْنَافِ النَّاسِ لِإِحْسَانِهِ الَّذِي كَانَ إِلَيْهِمْ ، وَعَادَ إِلَيْهِ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ ، فَصَارَ مَعَهُ ، وَأَقَامَ بِالْمَوْصِلِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَعَزَمَ عَلَى الِانْحِدَارِ إِلَى بَغْدَادَ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ الْمُقْتَدِرِ لَمَّا اجْتَمَعَتِ الْعَسَاكِرُ عَلَى مُؤْنِسٍ بِالْمَوْصِلِ قَالُوا لَهُ اذْهَبْ بِنَا إِلَى الْخَلِيفَةِ فَإِنْ أَنْصَفَنَا ، وَأَجْرَى أَرْزَاقَنَا . |
| وَإِلَّا قَاتَلْنَاهُ ، فَانْحَدَرَ مُؤْنِسٌ مِنَ الْمَوْصِلِ فِي شَوَّالٍ ، وَبَلَغَ خَبَرُهُ جُنْدَ بَغْدَاذَ ، فَشَغَبُوا وَطَلَبُوا أَرْزَاقَهُمْ ، فَفَرَّقَ الْمُقْتَدِرُ فِيهِمْ أَمْوَالًا كَثِيرَةً ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَسَعْهُمْ ، وَأَنْفَذَ أَبَا الْعَلَاءِ سَعِيدَ بْنَ حَمْدَانَ وَصَافِيًا الْبَصْرِيَّ فِي خَيْلٍ إِلَى سُرَّ مَنْ رَأَى ، وَأَنْفَذَ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ يَاقُوتٍ فِي أَلْفَيْ فَارِسٍ ، وَمَعَهُ الْغِلْمَانُ الْحُجَرِيَّةُ ، إِلَى الْمَعْشُوقِ. |
| فَلَمَّا وَصَلَ مُؤْنِسٌ إِلَى تَكْرِيتَ أَنْفَذَ طَلَائِعَهُ ، فَلَمَّا قَرُبُوا مِنَ الْمَعْشُوقِ جَعَلَ الْعَسْكَرُ الَّذِينَ مَعَ ابْنِ يَاقُوتٍ يَتَسَلَّلُونَ وَيَهْرُبُونَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَجَعَ إِلَى عُكْبَرَا ، وَسَارَ مُؤْنِسٌ ، فَتَأَخَّرَ ابْنُ يَاقُوتٍ وَعَسْكَرُهُ ، وَعَادُوا إِلَى بَغْدَاذَ ، فَنَزَلَ بِبَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ وَنَزَلَ ابْنُ يَاقُوتٍ وَغَيْرُهُ مُقَابِلَهُمْ ، وَاجْتَهَدَ الْمُقْتَدِرُ بِابْنِ خَالِهِ هَارُونَ بْنِ غَرِيبٍ لِيَخْرُجَ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَقَالَ أَخَافُ مِنْ عَسْكَرِي ، فَإِنَّ بَعْضَهُمْ أَصْحَابُ مُؤْنِسٍ ، وَبَعْضَهُمْ قَدِ انْهَزَمَ أَمْسِ مِنْ مَرْدَاوِيجَ ، فَأَخَافُ أَنْ يُسْلِمُونِي وَيَنْهَزِمُوا عَنِّي ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ الْوَزِيرَ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَخْرَجَهُ ، وَأَشَارُوا عَلَى الْمُقْتَدِرِ بِإِخْرَاجِ الْمَالِ مِنْهُ وَمِنْ وَالِدَتِهِ لِيُرْضِي الْجُنْدَ ، وَمَتَى سَمِعَ أَصْحَابُ مُؤْنِسٍ بِتَفْرِيقِ الْأَمْوَالِ تَفَرَّقُوا عَنْهُ وَاضْطُرَّ إِلَى الْهَرَبِ ، فَقَالَ لَمْ يَبْقَ لِي وَلَا لِوَالِدَتِي جِهَةُ شَيْءٍ. |
| وَأَرَادَ الْمُقْتَدِرُ أَنْ يَنْحَدِرَ إِلَى وَاسِطَ ، وَيُكَاتِبَ الْعَسَاكِرَ مِنْ جِهَةِ الْبَصْرَةِ ، وَالْأَهْوَازِ ، وَفَارِسَ ، وَكَرْمَانَ ، وَغَيْرِهَا ، وَيَتْرُكَ بَغْدَاذَ لِمُؤْنِسٍ إِلَى أَنْ يَجْتَمِعَ عَلَيْهِ الْعَسَاكِرُ ، وَيَعُودَ إِلَى قِتَالِهِ ، فَرَدَّهُ ابْنُ يَاقُوتٍ عَنْ ذَلِكَ ، وَزَيَّنَ لَهُ اللِّقَاءَ ، وَقَوَّى نَفْسَهُ بِأَنَّ الْقَوْمَ مَتَى رَأَوْهُ عَادُوا بِأَجْمَعِهِمْ إِلَيْهِ ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْلِهِ وَهُوَ كَارِهٌ. |
| ثُمَّ أَشَارَ عَلَيْهِ بِحُضُورِ الْحَرْبِ ، فَخَرَجَ وَهُوَ كَارِهٌ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْفُقَهَاءُ وَالْقُرَّاءُ مَعَهُمُ الْمَصَاحِفُ مَشْهُورَةٌ ، وَعَلَيْهِ الْبُرْدَةُ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ ، فَوَقَفَ عَلَى تَلٍّ عَالٍ بَعِيدٍ عَنِ الْمَعْرَكَةِ ، فَأَرْسَلَ قُوَّادُ أَصْحَابِهِ يَسْأَلُونَهُ التَّقَدُّمَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، وَهُوَ وَاقِفٌ ، فَلَمَّا أَلَحُّوا عَلَيْهِ تَقَدَّمَ مِنْ مَوْضِعِهِ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ قَبْلَ وُصُولِهِ إِلَيْهِمْ ، وَكَانَ قَدْ أَمَرَ فَنُودِيَ مَنْ جَاءَ بِأَسِيرٍ فَلَهُ عَشَرَةُ دَنَانِيرَ ، وَمَنْ جَاءَ بِرَأْسٍ فَلَهُ خَمْسَةُ دَنَانِيرَ فَلَمَّا انْهَزَمَ أَصْحَابُهُ لَقِيَهُ عَلِيُّ بْنُ بُلَيْقٍ ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ مُؤْنِسٍ ، فَتَرَجَّلَ وَقَبَّلَ الْأَرْضَ وَقَالَ لَهُ إِلَى أَيْنَ تَمْضِي ؟ |
| ارْجِعْ ، فَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَشَارَ عَلَيْكَ بِالْحُضُورِ! |
| فَأَرَادَ الرُّجُوعَ ، فَلَقِيَهُ قَوْمٌ مِنَ الْمَغَارِبَةِ وَالْبَرْبَرِ ، فَتَرَكَهُ عَلِيٌّ مَعَهُمْ وَسَارَ عَنْهُ ، فَشَهَرُوا عَلَيْهِ سُيُوفَهُمْ ، فَقَالَ وَيْحَكُمْ أَنَا الْخَلِيفَةُ! |
| فَقَالُوا قَدْ عَرَفْنَاكَ يَا سِفْلَةُ ، أَنْتَ خَلِيفَةُ إِبْلِيسَ ، تَبْذُلُ فِي كُلِّ رَأْسٍ خَمْسَةَ دَنَانِيرَ ، وَفِي كُلِّ أَسِيرٍ عَشَرَةَ دَنَانِيرَ! |
| وَضَرَبَهُ أَحَدُهُمْ بِسَيْفِهِ عَلَى عَاتِقِهِ فَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ وَذَبَحَهُ بَعْضُهُمْ ، فَقِيلَ إِنَّ عَلِيَّ بْنَ بُلَيْقٍ غَمَزَ بَعْضَهُمْ فَقَتَلَهُ. |
| وَكَانَ الْمُقْتَدِرُ ثَقِيلَ الْبَدَنِ ، عَظِيمَ الْجُثَّةِ ، فَلَمَّا قَتَلُوهُ رَفَعُوا رَأْسَهُ عَلَى خَشَبَةٍ وَهُمْ يَكْبِّرُونَ وَيَلْعَنُونَهُ ، وَأَخَذُوا جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ حَتَّى سَرَاوِيلَهُ ، وَتَرَكُوهُ مَكْشُوفَ الْعَوْرَةِ ، إِلَى أَنْ مَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَكَرَةِ ، فَسَتَرَهُ بِحَشِيشٍ ، ثُمَّ حَفَرَ لَهُ مَوْضِعَهُ ، وَدُفِنَ ، وَعُفِيَ قَبْرُهُ. |
| وَكَانَ مُؤْنِسٌ فِي الرَّاشِدِيَّةِ لَمْ يَشْهَدِ الْحَرْبَ ، فَلَمَّا حُمِلَ رَأْسُ الْمُقْتَدِرِ إِلَيْهِ بَكَى ، وَلَطَمَ وَجْهَهُ وَرَأْسَهُ ، وَقَالَ يَا مُفْسِدُونَ! |
| مَا هَكَذَا أَوْصَيْتُكُمْ ، وَقَالَ قَتَلْتُمُوهُ ، وَكَانَ هَذَا آخِرَ أَمْرِهِ ، وَاللَّهِ لَنُقْتَلَنَّ كُلُّنَا ، وَأَقَلُّ مَا فِي الْأَمْرِ أَنَّكُمْ تُظْهِرُونَ أَنَّكُمْ قَتَلْتُمُوهُ خَطَأً ، وَلَمْ تَعْرِفُوهُ. |
| وَتَقَدَّمَ مُؤْنِسٌ إِلَى الشَّمَّاسِيَّةِ ، وَأَنْفَذَ إِلَى دَارِ الْخَلِيفَةِ مَنْ يَمْنَعُهَا مِنَ النَّهْبِ ، وَمَضَى عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ الْمُقْتَدِرِ ، وَهَارُونُ بْنُ غَرِيبٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَاقُوتٍ ، وَابْنَا رَائِقٍ إِلَى الْمَدَائِنِ ، وَكَانَ مَا فَعَلَهُ مُؤْنِسٌ سَبَبًا لِجُرْأَةِ أَصْحَابِ الْأَطْرَافِ عَلَى الْخُلَفَاءِ وَطَمَعِهِمْ فِيمَا لَمْ يَكُنْ يَخْطُرُ لَهُمْ عَلَى بَالٍ ، وَانْخَرَقَتِ الْهَيْبَةُ وَضَعُفَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ حَتَّى صَارَ الْأَمْرُ إِلَى مَا نَحْكِيهِ. |
| عَلَى أَنَّ الْمُقْتَدِرَ أَهْمَلَ مِنْ أَحْوَالِ الْخِلَافَةِ كَثِيرًا ، وَحَكَّمَ فِيهَا النِّسَاءَ وَالْخَدَمَ ، وَفَرَّطَ فِي الْأَمْوَالِ ، وَعَزَلَ مِنَ الْوُزَرَاءِ وَوَلَّى مِمَّا أَوْجَبَ طَمَعَ أَصْحَابِ الْأَطْرَافِ وَالنُّوَّابَ ، وَخُرُوجَهَمْ عَنِ الطَّاعَةِ. |
| وَكَانَ جُمْلَةُ مَا أَخْرَجَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ ، تَبْذِيرًا وَتَضْيِيعًا فِي غَيْرِ وَجْهٍ ، نَيِّفًا وَسَبْعِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ ، سِوَى مَا أَنْفَقَهُ فِي الْوُجُوهِ الْوَاجِبَةِ ، وَإِذَا اعْتَبَرْتَ أَحْوَالَ الْخِلَافَةِ فِي أَيَّامِهِ وَأَيَّامِ أَخِيهِ الْمُكْتَفِي وَوَالِدِهِ الْمُعْتَضِدِ ، رَأَيْتَ بَيْنَهُمْ تَفَاوُتًا بَعِيدًا ، وَكَانَتْ مُدَّةُ خِلَافَتِهِ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا وَسِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَكَانَ عُمْرُهُ ثَمَانِيًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَنَحْوًا مِنْ شَهْرَيْنِ. |
| ذِكْرُ خِلَافَةِ الْقَاهِرِ بِاللَّهِ لَمَّا قُتِلَ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ عَظُمَ قَتْلُهُ عَلَى مُؤْنِسٍ ، وَقَالَ الرَّأْيُ أَنْ نُنَصِّبَ وَلَدَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ فِي الْخِلَافَةِ ، فَإِنَّهُ تَرْبِيَتِي ، وَهُوَ صَبِيٌّ عَاقِلٌ ، وَفِيهِ دِينٌ وَكَرْمٌ ، وَوَفَاءٌ بِمَا يَقُولُ ، فَإِذَا جَلَسَ فِي الْخِلَافَةِ سَمَحَتْ نَفْسُ جَدَّتِهِ ، وَالِدَةُ الْمُقْتَدِرِ وَإِخْوَتِهِ ، وَغِلْمَانِ أَبِيهِ بِبَذْلِ الْأَمْوَالِ ، وَلَمْ يَنْتَطِحْ فِي قَتْلِ الْمُقْتَدِرِ عَنْزَانِ ، فَاعْتَرَضَ عَلَيْهِ أَبُو يَعْقُوبَ إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ النُّوبَخْتِيُّ ، وَقَالَ بَعْدَ الْكَدِّ وَالتَّعَبِ اسْتَرَحْنَا مِنْ خَلِيفَةٍ لَهُ أُمٌّ ، وَخَالَةٌ ، وَخَدَمٌ يُدَبِّرُونَهُ فَنَعُودُ إِلَى تِلْكَ الْحَالِ! |
| وَاللَّهِ لَا نَرْضَى إِلَّا بِرَجُلٍ كَامِلٍ ، يُدَبِّرُ نَفْسَهُ ، وَيُدَبِّرُنَا وَمَا زَالَ حَتَّى رَدَّ مُؤْنِسًا عَنْ رَأْيِهِ ، وَذَكَرَ لَهُ أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُعْتَضِدِ فَأَجَابَهُ مُؤْنِسٌ إِلَى ذَلِكَ ، وَكَانَ النُّوبَخْتِيُّ فِي ذَلِكَ كَالْبَاحِثِ عَنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ فَإِنَّ الْقَاهِرَ قَتَلَهُ ، كَمَا نَذْكُرُهُ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ. |
| وَأَمَرَ مُؤْنِسٌ بِإِحْضَارِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُعْتَضِدِ ، فَبَايَعُوهُ بِالْخِلَافَةِ لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ شَوَّالٍ ، وَلَقَّبُوهُ الْقَاهِرَ بِاللَّهِ ، وَكَانَ مُؤْنِسٌ كَارِهًا لِخِلَافَتِهِ ، وَالْبَيْعَةِ لَهُ ، وَيَقُولُ إِنَّنِي عَارِفٌ بِشَرِّهِ ، وَسُوءِ نِيَّتِهِ ، وَلَكِنْ لَا حِيلَةَ. |
| وَلَمَّا بُويِعَ اسْتَحْلَفَهُ مُؤْنِسٌ لِنَفْسِهِ وَلِحَاجِبِهِ بُلَيْقٍ ، وَلِعَلِيِّ بْنِ بُلَيْقٍ وَأَخَذُوا خَطَّهُ بِذَلِكَ وَاسْتَقَرَّتِ الْخِلَافَةُ لَهُ ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ ، وَاسْتَوْزَرَ أَبَا عَلِيِّ بْنَ مُقْلَةَ ، وَكَانَ بِفَارِسَ ، فَاسْتَقْدَمَهُ ، وَوَزَرَ لَهُ ، وَاسْتَحْجَبَ الْقَاهِرُ عَلِيَّ بْنَ بُلَيْقٍ ، وَتَشَاغَلَ الْقَاهِرُ بِالْبَحْثِ عَمَّنِ اسْتَتَرَ مِنْ أَوْلَادِ الْمُقْتَدِرِ وَحُرَمِهِ ، وَبِمُنَاظَرَةِ وَالِدَةِ الْمُقْتَدِرِ ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً قَدِ ابْتَدَأَ بِهَا الِاسْتِسْقَاءُ ، وَقَدْ زَادَ مَرَضُهَا بِقَتْلِ ابْنِهَا ، وَلَمَّا سَمِعَتْ أَنَّهُ بَقِيَ مَكْشُوفَ الْعَوْرَةِ جَزِعَتْ جَزَعًا شَدِيدًا ، وَامْتَنَعَتْ عَنِ الْمَأْكُولِ وَالْمَشْرُوبِ حَتَّى كَادَتْ تَهْلِكُ ، فَوَعَظَهَا النِّسَاءُ حَتَّى أَكَلَتْ شَيْئًا يَسِيرًا مِنَ الْخُبْزِ وَالْمِلْحِ. |
| ثُمَّ أَحْضَرَهَا الْقَاهِرُ عِنْدَهُ ، وَسَأَلَهَا عَنْ مَالِهَا ، فَاعْتَرَفَتْ لَهُ بِمَا عِنْدَهَا مِنَ الْمَصُوغِ وَالثِّيَابِ ، وَلَمْ تَعْتَرِفْ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَالِ وَالْجَوْهَرِ ، فَضَرَبَهَا أَشَدَّ مَا يَكُونُ مِنَ الضَّرْبِ ، وَعَلَّقَهَا بِرِجْلِهَا ، وَضَرَبَ الْمَوَاضِعَ الْغَامِضَةَ مِنْ بَدَنِهَا ، فَحَلَفَتْ أَنَّهَا لَا تَمْلِكُ غَيْرَ مَا أَطْلَعَتْهُ عَلَيْهِ ، وَقَالَتْ لَوْ كَانَ عِنْدِي مَالٌ لَمَا أَسْلَمْتُ وَلَدِي لِلْقَتْلِ ، وَلَمْ تَعْتَرِفْ بِشَيْءٍ. |
| وَصَادَرَ جَمِيعَ حَاشِيَةِ الْمُقْتَدِرِ وَأَصْحَابَهُ ، وَأَخْرَجَ الْقَاهِرُ وَالِدَةَ الْمُقْتَدِرِ لِتُشْهِدَ عَلَى نَفْسِهَا الْقُضَاةَ وَالْعُدُولَ بِأَنَّهَا قَدْ حَلَّتْ أَوْقَافَهَا ، وَوَكَّلَتْ فِي بَيْعِهَا ، فَامْتَنَعَتْ عَنْ ذَلِكَ ، وَقَالَتْ قَدْ أَوْقَفْتُهَا عَلَى أَبْوَابِ الْبِرِّ وَالْقُرَبِ بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالثُّغُورِ ، وَعَلَى الضَّعْفَى وَالْمَسَاكِينِ ، وَلَا أَسْتَحِلُّ حِلَّهَا وَلَا بَيْعَهَا وَإِنَّمَا أُوَكِّلُ عَلَى بَيْعِ أَمْلَاكِي. |
| فَلَمَّا عَلِمَ الْقَاهِرُ بِذَلِكَ أَحْضَرَ الْقَاضِيَ وَالْعُدُولَ ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ حَلَّ وُقُوفَهَا جَمِيعَهَا ، وَوَكَّلَ فِي بَيْعِهَا ، فَبِيعَ ذَلِكَ جَمِيعُهُ مَعَ غَيْرِهِ ، وَاشْتَرَاهُ الْجُنْدُ مِنْ أَرْزَاقِهِمْ ، وَتَقَدَّمَ الْقَاهِرُ بِكَبْسِ الدُّورِ الَّتِي سُعِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ اخْتَفَى فِيهَا وَلَدُ الْمُقْتَدِرِ ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ وَجَدُوا مِنْهُمْ أَبَا الْعَبَّاسِ الرَّاضِيَ ، وَهَارُونَ ، وَعَلِيًّا ، وَالْعَبَّاسَ ، وَإِبْرَاهِيمَ ، وَالْفَضْلَ ، فَحُمِلُوا إِلَى دَارِ الْخَلِيفَةِ فَصُودِرُوا عَلَى مَالٍ كَثِيرٍ ، وَسَلَّمَهُمْ عَلِيُّ بْنُ بُلَيْقٍ إِلَى كَاتِبِهِ الْحَسَنِ بْنِ هَارُونَ فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُمْ. |
| وَاسْتَقَرَّ أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُقْلَةَ فِي الْوِزَارَةِ ، وَعَزَلَ وَوَلَّى ، وَقَبَضَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْعُمَّالِ ، وَقَبَضَ عَلَى بَنِي الْبَرِيدِيِّ ، وَعَزَلَهُمْ عَنْ أَعْمَالِهِمْ وَصَادَرَهُمْ. |
| ذِكْرُ وُصُولِ وَشْمَكِيرَ إِلَى أَخِيهِ مَرْدَاوِيجَ وَفِيهَا أَرْسَلَ مَرْدَاوِيجُ إِلَى أَخِيهِ وَشْمَكِيرَ ، وَهُوَ بِبِلَادِ جِيلَانَ ، يَسْتَدْعِيهِ إِلَيْهِ وَكَانَ الرَّسُولُ ابْنُ الْجَعْدِ ، قَالَ أَرْسَلَنِي مَرْدَاوِيجُ ، وَأَمَرَنِي بِالتَّلَطُّفِ لِإِخْرَاجِ أَخِيهِ وَشْمَكِيرَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا وَصَلَ سَأَلْتُ عَنْهُ ، فَدُلِلْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ مَعَ جَمَاعَةٍ يَزْرَعُونَ الْأُرْزَ فَلَمَّا رَأَوْنِي قَصَدُونِي وَهُمْ حُفَاةٌ عُرَاةٌ عَلَيْهِمْ سَرَاوِيلَاتٌ مُلَوَّنَةُ الْخِرَقِ ، وَأَكْسِيَةٌ مُمَزَّقَةٌ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، وَأَبْلَغْتُهُ رِسَالَةَ أَخِيهِ ، وَأَعْلَمْتُهُ بِمَا مَلَكَ مِنَ الْبِلَادِ وَالْأَمْوَالِ وَغَيْرِهَا ، فَضَرَطَ بِفَمِهِ فِي لِحْيَةِ أَخِيهِ وَقَالَ إِنَّهُ لَبِسَ السَّوَادَ ، وَخَدَمَ الْمُسَوِّدَةَ ، يَعْنِي الْخُلَفَاءَ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ. |
| فَلَمْ أَزَلْ أُمَنِّيهِ وَأُطَمِّعُهُ حَتَّى خَرَجَ مَعِي ، فَلَمَّا بَلَغْنَا قَزْوِينَ اجْتَهَدْتُ بِهِ لِيَلْبَسَ السَّوَادَ ، فَامْتَنَعَ ثُمَّ لَبِسَ بَعْدَ الْجُهْدِ. |
| قَالَ فَرَأَيْتُ مِنْ جَهْلِهِ أَشْيَاءَ أَسْتَحْيِي مِنْ ذِكْرِهَا ، ثُمَّ أَعْطَتْهُ السَّعَادَةُ مَا كَانَ لَهُ فِي الْغَيْبِ فَصَارَ مِنْ أَعْرَفِ الْمُلُوكِ بِتَدْبِيرِ الْمَمَالِكِ وَسِيَاسَةِ الرَّعَايَا. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ الْوَفَيَاتُ فِيهَا تُوُفِّيَ الْقَاضِي أَبُو عُمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ ، وَكَانَ عَالِمًا فَاضِلًا حَلِيمًا ، وَأَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ صَالِحِ بْنِ خَوَّانٍ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، وَكَانَ عَابِدًا وَرِعًا ، أُرِيدَ عَلَى الْقَضَاءِ فَلَمْ يَفْعَلْ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو نُعَيْمٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَدِيٍّ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ الْجُرْجَانِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْأَسْتِرَابَاذِيِّ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ حَالِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ الْمُقْتَدِرِ وَمَنْ مَعَهُ قَدْ ذَكَرْنَا هَرَبَ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ الْمُقْتَدِرِ ، وَهَارُونَ بْنِ غَرِيبٍ ، وَمُفْلِحٍ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ يَاقُوتٍ ، وَابْنَيْ رَائِقٍ ، بَعْدَ قَتْلِ الْمُقْتَدِرِ إِلَى الْمَدَائِنِ ، ثُمَّ إِنَّهُمُ انْحَدَرُوا مِنْهَا إِلَى وَاسِطَ ، وَأَقَامُوا بِهَا ، وَخَافَهُمُ النَّاسُ ، فَابْتَدَأَ هَارُونُ بْنُ غَرِيبٍ وَكَتَبَ إِلَى بَغْدَادَ يَطْلُبُ الْأَمَانَ ، وَيَبْذُلُ مُصَادَرَةَ ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ عَلَى أَنْ يُطْلِقَ لَهُ أَمْلَاكَهُ ، وَيَنْزِلَ عَنِ الْأَمْلَاكِ الَّتِي اسْتَأْجَرَهَا ، وَيُؤَدِّي مِنْ أَمْلَاكِهِ حُقُوقَ بَيْتِ الْمَالِ الْقَدِيمَةَ ، فَأَجَابَهُ الْقَاهِرُ وَمُؤْنِسٌ إِلَى ذَلِكَ ، وَكَتَبَا لَهُ كِتَابَ أَمَانٍ وَقُلِّدَ أَعْمَالَ مَاهِ الْكُوفَةِ ، وَمَاسَبَذَانَ وَمَهْرَجَانِ قَذَقَ ، وَسَارَ إِلَى بَغْدَاذَ. |
| وَخَرَجَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ الْمُقْتَدِرِ مِنْ وَاسِطَ فِيمَنْ بَقِيَ مَعَهُ وَمَضَوْا إِلَى السُّوسِ وَسُوقِ الْأَهْوَازِ ، وَجَبَوُا الْمَالَ ، وَطَرَدُوا الْعُمَّالَ ، وَأَقَامُوا بِالْأَهْوَازِ فَجَهَّزَ مُؤْنِسٌ إِلَيْهِمْ جَيْشًا كَثِيفًا ، وَجَعَلَ عَلَيْهِمْ بُلَيْقًا. |
| وَكَانَ الَّذِي حَرَّضَهُمْ عَلَى إِنْفَاذِ الْجَيْشِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيُّ ، فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ خَرَجَ مِنَ الْحَبْسِ فَخَوَّفَهُمْ عَاقِبَةَ إِهْمَالِ عَبْدِ الْوَاحِدِ وَمَنْ مَعَهُ وَبَذَلَ مُسَاعَدَةً مُعَجَّلَةً خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ يَتَوَلَّى الْأَهْوَازَ ، وَعِنْدَ اسْتِقْرَارِهِ بِتِلْكَ الْبِلَادِ يُعَجِّلُ بَاقِيَ الْمَالِ ، وَأَمَرَ مُؤْنِسٌ بِالتَّجْهِيزِ ، وَأَنْفَقَ ذَلِكَ الْمَالَ ، وَسَارَ الْعَسْكَرُ وَفِيهِمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ. |
| وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ يَاقُوتٍ قَدِ اسْتَبَدَّ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَمْرِ ، فَنَفَرَتْ لِذَلِكَ قُلُوبُ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْقُوَّادِ وَالْجُنْدِ فَلَمَّا قَرُبَ الْعَسْكَرُ مِنْ وَاسِطَ أَظْهَرَ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْقُوَّادِ مَا فِي نُفُوسِهِمْ ، وَفَارَقُوهُ ، وَلَمَّا وَصَلَ بُلَيْقٌ إِلَى السُّوسِ فَارَقَ عَبْدُ الْوَاحِدِ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَاقُوتٍ الْأَهْوَازَ وَسَارَا إِلَى تُسْتَرَ ، فَعَمِلَ الْقَرَارِيطِيُّ ، وَكَانَ مَعَ الْعَسْكَرِ ، بِأَهْلِ الْأَهْوَازِ مَا لَمْ يَفْعَلْهُ أَحَدٌ نَهَبَ أَمْوَالَهُمْ ، وَصَادَرَهُمْ جَمِيعَهُمْ ، وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ. |
| وَنَزَلَ عَبْدُ الْوَاحِدِ وَابْنُ يَاقُوتٍ بِتُسْتَرَ ، وَفَارَقَهُمَا مَنْ مَعَهُمَا مِنَ الْقُوَّادِ إِلَى بُلَيْقٍ بِأَمَانٍ وَبَقِيَ مُفْلِحٌ وَسُرُورٌ الْخَادِمُ مَعَ عَبْدِ الْوَاحِدِ ، فَقَالَا لِمُحَمَّدِ بْنِ يَاقُوتٍ أَنْتَ مُعْتَصِمٌ بِهَذِهِ الْمَدِينَةِ ، وَبِمَالِكَ وَرِجَالِكَ ، وَنَحْنُ فَلَا مَالَ مَعَنَا ، وَلَا رِجَالَ ، وَمُقَامُنَا مَعَكَ يَضُرُّكَ ، وَلَا يَنْفَعُكَ ، وَقَدْ عَزَمْنَا عَلَى أَخْذِ الْأَمَانِ لَنَا وَلِعَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ الْمُقْتَدِرِ ، فَأَذِنَ لَهُمَا فِي ذَلِكَ فَكَتَبَا إِلَى بُلَيْقٍ فَأَمَّنَهُمْ ، فَعَبَرُوا إِلَيْهِ ، وَبَقِيَ مُحَمَّدُ بْنُ يَاقُوتٍ مُنْفَرِدًا ، فَضَعُفَتْ نَفْسُهُ ، وَتَحَيَّرَ ، فَتَرَاسَلَ هُوَ وَبُلَيْقٌ ، وَاسْتَقَرَّ بَيْنَهُمَا أَنَّهُ يَخْرُجُ إِلَى بُلَيْقٍ عَلَى شَرْطٍ أَنَّهُ يُؤَمِّنُهُ ، وَيَضْمَنُ لَهُ أَمَانَ مُؤْنِسٍ وَالْقَاهِرِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ وَحَلَفَ لَهُ ، وَخَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ يَاقُوتٍ مَعَهُ إِلَى بَغْدَاذَ. |
| وَاسْتَوْلَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيُّ عَلَى الْبِلَادِ ، وَعَسَفَ أَهْلَهَا ، وَأَخَذَ أَمْوَالَ التُّجَّارِ وَعَمِلَ بِأَهْلِ الْبِلَادِ مَا لَا يَعْمَلُهُ الْفِرِنْجُ ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ أَحَدٌ عَمَّا يُرِيدُ ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنَ الدِّينِ مَا يَزَعُهُ عَنْ ذَلِكَ ، وَعَادَ إِخْوَتُهُ إِلَى أَعْمَالِهِمْ ، وَلَمَّا عَادَ عَبْدُ الْوَاحِدِ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَاقُوتٍ وَفَى لَهُمُ الْقَاهِرُ ، وَأَطْلَقَ لِعَبْدِ الْوَاحِدِ أَمْلَاكَهُ ، وَتَرَكَ لِوَالِدَتِهِ الْمُصَادَرَةَ الَّتِي صَادَرَهَا بِهَا. |
| ذِكْرُ اسْتِيحَاشِ مُؤْنِسٍ وَأَصْحَابِهِ مِنَ الْقَاهِرِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَوْحَشَ مُؤْنِسٌ الْمُظَفَّرُ وَبُلَيْقٌ الْحَاجِبُ وَوَلَدُهُ عَلِيٌّ وَالْوَزِيرُ أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُقْلَةَ مِنَ الْقَاهِرِ ، وَضَيَّقُوا عَلَيْهِ وَعَلَى أَسْبَابِهِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ يَاقُوتٍ تَقَدَّمَ عِنْدَ الْقَاهِرِ ، وَعَلَتْ مَنْزِلَتُهُ وَصَارَ يَخْلُو بِهِ وَيُشَاوِرُهُ فَغَلُظَ ذَلِكَ عَلَى ابْنِ مُقْلَةَ لِعَدَاوَةٍ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ، فَأَلْقَى إِلَى مُؤْنِسٍ أَنَّ مُحَمَّدًا يَسْعَى بِهِ عِنْدَ الْقَاهِرِ ، وَأَنَّ عِيسَى الطَّبِيبَ يَسْفُرُ بَيْنَهُمَا فِي التَّدْبِيرِ عَلَيْهِ ، فَوَجَّهَ مُؤْنِسٌ عَلِيَّ بْنَ بُلَيْقٍ لِإِحْضَارِ عِيسَى الطَّبِيبِ ، فَوَجَدَهُ بَيْنَ يَدِيِ الْقَاهِرِ ، فَأَخَذَهُ وَأَحْضَرَهُ عِنْدِ مُؤْنِسٍ فَسَيَّرَهُ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَاجْتَمَعُوا عَلَى الْإِيقَاعِ بِمُحَمَّدِ بْنِ يَاقُوتٍ ، وَكَانَ فِي الْخِيَامِ فَرَكِبَ عَلِيُّ بْنُ بُلَيْقٍ فِي جُنْدِهِ لِيَكْبِسَهُ ، فَوَجَدَهُ قَدِ اخْتَفَى ، فَنَهَبَ أَصْحَابَهُ وَاسْتَتَرَ مُحَمَّدُ بْنُ يَاقُوتٍ . |
| وَوَكَّلَ عَلِيُّ بْنُ بُلَيْقٍ عَلَى دَارِ الْخَلِيفَةِ أَحْمَدَ بْنِ زِيرَكَ ، وَأَمَرَهُ بِالتَّضْيِيقِ عَلَى الْقَاهِرِ ، وَتَفْتِيشِ كُلِّ مَنْ يَدْخُلُ الدَّارَ وَيَخْرُجُ مِنْهَا ، وَأَنْ يَكْشِفَ وُجُوهَ النِّسَاءِ الْمُنَقَّبَاتِ ، وَإِنْ وَجَدَ مَعَ أَحَدٍ رُقْعَةً دَفَعَهَا إِلَى مُؤْنِسٍ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَزَادَ عَلَيْهِ ، حَتَّى إِنَّهُ حُمِلَ إِلَى دَارِ الْخَلِيفَةِ لَبَنٌ ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهِ لِئَلَّا يَكُونَ فِيهِ رُقْعَةٌ وَنَقَلَ بُلَيْقٌ مَنْ كَانَ بِدَارِ الْقَاهِرِ مَحْبُوسًا إِلَى دَارِهِ كَوَالِدَةِ الْمُقْتَدِرِ وَغَيْرِهَا وَقَطَعَ أَرْزَاقَ حَاشِيَتِهِ. |
| فَأَمَّا وَالِدَةُ الْمُقْتَدِرِ فَإِنَّهَا كَانَتْ قَدِ اشْتَدَّتْ عِلَّتُهَا لِشِدَّةِ الضَّرْبِ الَّذِي ضَرَبَهَا الْقَاهِرُ ، فَأَكْرَمَهَا عَلِيُّ بْنُ بُلَيْقٍ وَتَرَكَهَا عِنْدَ وَالِدَتِهِ ، فَمَاتَتْ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ وَكَانَتْ مُكَرَّمَةً مُرَفَّهَةً ، وَدُفِنَتْ بِتُرْبَتِهَا بِالرُّصَافَةِ. |
| وَضَيَّقَ عَلِيُّ بْنُ بُلَيْقٍ عَلَى الْقَاهِرِ ، فَعَلِمَ الْقَاهِرُ أَنَّ الْعِتَابَ لَا يُفِيدُ ، وَأَنَّ ذَلِكَ بِرَأْيِ مُؤْنِسٍ وَابْنِ مُقْلَةَ ، فَأَخَذَ فِي الْحِيلَةِ وَالتَّدْبِيرِ عَلَى جَمَاعَتِهِمْ. |
| وَكَانَ قَدْ عَرَفَ فَسَادَ قَلْبِ طَرِيفٍ السُّبْكَرِيِّ وَبُشْرَى خَادِمِ مُؤْنِسٍ لِبُلَيْقٍ وَوَلَدِهِ عَلِيٍّ ، وَحَسَدَهُمَا عَلَى مَرَاتِبِهِمَا ، فَشَرَعَ فِي إِغْرَائِهِمَا بِبُلَيْقٍ وَابْنِهِ. |
| وَعَلِمَ أَيْضًا أَنَّ مُؤْنِسًا وَبُلَيْقًا أَكْثَرُ اعْتِمَادِهِمَا عَلَى السَّاجِيَّةِ أَصْحَابِ يُوسُفَ بْنِ أَبِي السَّاجِ وَغِلْمَانِهِ الْمُنْتَقِلِينَ إِلَيْهِمَا بَعْدَهُ ، وَكَانَا قَدْ وَعَدَا السَّاجِيَّةَ بِالْمَوْصِلِ مَوَاعِيدَ أَخْلَفَاهَا ، فَأَرْسَلَ الْقَاهِرُ إِلَيْهِمْ يُغْرِيهِمْ بِمُؤْنِسٍ ، وَبُلَيْقٍ ، وَيَحْلِفُ لَهُمْ عَلَى الْوَفَاءِ بِمَا أَخْلَفَاهُمْ ، فَتَغَيَّرَتْ قُلُوبُ السَّاجِيَّةِ ، ثُمَّ إِنَّهُ رَاسَلَ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ الْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ مُقْلَةَ ، وَصَاحِبَ مَشُورَتِهِ ، وَوَعَدَهُ الْوِزَارَةَ ، فَكَانَ يُطَالِعُهُ بِالْأَخْبَارِ ، وَبَلَغَ ابْنَ مُقْلَةَ أَنَّ الْقَاهِرَ قَدْ تَغَيَّرَ عَلَيْهِ ، وَأَنَّهُ مُجْتَهِدٌ فِي التَّدْبِيرِ عَلَيْهِ وَعَلَى مُؤْنِسٍ ، وَبُلَيْقٍ ، وَابْنِهِ عَلِيٍّ ، وَالْحَسَنِ بْنِ هَارُونَ ، فَأَخْبَرَهُمُ ابْنُ مُقْلَةَ بِذَلِكَ. |
| ذِكْرُ الْقَبْضِ عَلَى مُؤْنِسٍ وَبُلَيْقٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، أَوَّلَ شَعْبَانَ ، قَبَضَ الْقَاهِرُ بِاللَّهِ عَلَى بُلَيْقٍ وَابْنِهِ ، وَمُؤْنِسٍ الْمُظَفَّرِ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ ابْنُ مُقْلَةَ لِمُؤْنِسٍ وَبُلَيْقٍ مَا هُوَ عَلَيْهِ الْقَاهِرُ مِنَ التَّدْبِيرِ فِي اسْتِئْصَالِهِمْ خَافُوهُ ، وَحَمَلَهُمُ الْخَوْفُ عَلَى الْجِدِّ فِي خَلْعِهِ ، وَاتَّفَقَ رَأْيُهُمْ عَلَى اسْتِخْلَافِ أَبِي أَحْمَدَ بْنِ الْمُكْتَفِي وَعَقَدُوا لَهُ الْأَمْرَ سِرًّا ، وَحَلَفَ لَهُ بُلَيْقٌ وَابْنُهُ عَلِيٌّ ، وَالْوَزِيرُ أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُقْلَةَ ، وَالْحَسَنُ بْنُ هَارُونَ ، وَبَايَعُوهُ ، ثُمَّ كَشَفُوا الْأَمْرَ لِمُؤْنِسٍ فَقَالَ لَهُمْ لَسْتُ أَشُكُّ فِي شَرِّ الْقَاهِرِ وَخُبْثِهِ ، وَلَقَدْ كُنْتُ كَارِهًا لِخِلَافَتِهِ ، وَأَشَرْتُ بِابْنِ الْمُقْتَدِرِ ، فَخَالَفْتُمْ وَقَدْ بَالَغْتُمُ الْآنَ فِي الِاسْتِهَانَةِ بِهِ ، وَمَا صَبَرَ عَلَى الْهَوَانِ إِلَّا مِنْ خُبْثِ طَوِيَّتِهِ لِيُدَبِّرَ عَلَيْكُمْ ، فَلَا تَعْجَلُوا عَلَى أَمْرٍ حَتَّى تُؤْنِسُوهُ وَيَنْبَسِطَ إِلَيْكُمْ ، ثُمَّ فَتِّشُوا لِتَعْرِفُوا مَنْ وَاطَأَهُ مِنَ الْقُوَّادِ وَمِنَ السَّاجِيَّةِ وَالْحُجَرِيَّةِ ، ثُمَّ اعْمَلُوا عَلَى ذَلِكَ ، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ بُلَيْقٍ ، وَالْحَسَنُ بْنُ هَارُونَ مَا يَحْتَاجُ إِلَى هَذَا التَّطْوِيلِ ، فَإِنَّ الْحَجْبَةَ لَنَا ، وَالدَّارَ فِي أَيْدِينَا وَمَا يَحْتَاجُ أَنْ نَسْتَعِينَ فِي الْقَبْضِ عَلَيْهِ بِأَحَدٍ لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ طَائِرٍ فِي قَفَصٍ. |
| وَعَمِلُوا عَلَى مُعَاجَلَتِهِ ، فَاتَّفَقَ أَنْ سَقَطَ بُلَيْقٌ مِنَ الدَّابَّةِ ، فَاعْتَلَّ وَلَزِمَ مَنْزِلَهُ ، وَاتَّفَقَ ابْنُهُ عَلِيٌّ وَأَبُو عَلِيِّ بْنُ مُقْلَةَ وَزَيَّنَا لِمُؤْنِسٍ خَلْعَ الْقَاهِرِ ، وَهَوَّنَا عَلَيْهِ الْأَمْرَ ، فَأَذِنَ لَهُمَا ، فَاتَّفَقَ رَأْيُهُمَا عَلَى أَنْ يُظْهِرُوا أَنَّ أَبَا طَاهِرٍ الْقَرْمَطِيَّ قَدْ وَرَدَ الْكُوفَةَ فِي خَلْقٍ كَثِيرٍ ، وَأَنَّ عَلِيَّ بْنَ بُلَيْقٍ سَائِرٌ إِلَيْهِ فِي الْجَيْشِ لِيَمْنَعَهُ عَنْ بَغْدَاذَ ، فَإِذَا دَخَلَ عَلَى الْقَاهِرِ لِيُودِّعَهُ وَيَأْخُذَ أَمْرَهُ فِيمَا يَفْعَلُ قَبَضَ عَلَيْهِ. |
| فَلَمَّا اتَّفَقَا عَلَى ذَلِكَ جَلَسَ ابْنُ مُقْلَةَ ، وَعِنْدَهُ النَّاسُ ، فَقَالَ لِأَبِي بَكْرِ بْنِ قُرَابَةَ أَعَلِمْتَ أَنَّ الْقَرْمَطِيَّ قَدْ دَخَلَ الْكُوفَةَ فِي سِتَّةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ بِالسِّلَاحِ التَّامِّ ؟ |
| قَالَ لَا قَالَ ابْنُ مُقْلَةَ قَدْ وَصَلَنَا كُتُبُ النُّوَّابِ بِهَا بِذَلِكَ ، فَقَالَ ابْنُ قُرَابَةَ هَذَا كَذِبٌ وَمُحَالٌ ، فَإِنَّ فِي جِوَارِنَا إِنْسَانًا مِنَ الْكُوفَةِ ، وَقَدْ أَتَاهُ الْيَوْمَ كِتَابٌ عَلَى جَنَاحِ طَائِرٍ تَارِيخُهُ الْيَوْمَ يُخْبِرُ فِيهِ بِسَلَامَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ مُقْلَةَ سُبْحَانَ اللَّهِ ، أَنْتُمْ أَعْرَفُ مِنَّا بِالْأَخْبَارِ ؟ |
| فَسَكَتَ ابْنُ قُرَابَةَ. |
| وَكَتَبَ ابْنُ مُقْلَةَ إِلَى الْخَلِيفَةِ يُعَرِّفُهُ ذَلِكَ ، وَيَقُولُ لَهُ إِنِّي قَدْ جَهَّزْتُ جَيْشًا مَعَ عَلِيِّ بْنِ بُلَيْقٍ لِيَسِيرَ يَوْمَنَا هَذَا ، وَالْعَصْرَ يَحْضُرُ إِلَى الْخِدْمَةِ لِيَأْمُرَهُ مَوْلَانَا بِمَا يَرَاهُ ، فَكَتَبَ الْقَاهِرُ فِي جَوَابِهِ يَشْكُرُهُ ، وَيَأْذَنُ لَهُ فِي حُضُورِ ابْنِ بُلَيْقٍ ، فَجَاءَتْ رُقْعَةُ الْقَاهِرِ وَابْنُ مُقْلَةَ نَائِمٌ ، فَتَرَكُوهَا وَلَمْ يُوصِلُوهَا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ عَادَ وَكَتَبَ رُقْعَةً أُخْرَى فِي الْمَعْنَى ، فَأَنْكَرَ الْقَاهِرُ الْحَالَ ، حَيْثُ قَدْ كَتَبَ جَوَابَهُ ، وَخَافَ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مَكْرٌ. |
| وَهُوَ فِي هَذَا إِذْ وَصَلَتْ رُقْعَةُ طَرِيفٍ السُّبْكَرِيِّ يَذْكُرُ أَنَّ عِنْدَهُ نَصِيحَةً وَأَنَّهُ قَدْ حَضَرَ فِي زِيِّ امْرَأَةٍ لِيُنْهِيَهَا إِلَيْهِ ، فَاجْتَمَعَ بِهِ الْقَاهِرُ ، فَذَكَرَ لَهُ جَمِيعَ مَا قَدْ زَعَمُوا عَلَيْهِ ، وَمَا فَعَلُوهُ مِنَ التَّدْبِيرِ لِيَقْبِضَ ابْنُ بُلَيْقٍ عَلَيْهِ إِذَا اجْتَمَعَ بِهِ وَأَنَّهُمْ قَدْ بَايَعُوا أَبَا أَحْمَدَ بْنَ الْمُكْتَفِي ، فَلَمَّا سَمِعَ الْقَاهِرُ ذَلِكَ أَخَذَ حَذَرَهُ وَأَنْفَذَ إِلَى السَّاجِيَّةِ فَأَحْضَرَهُمْ مُتَفَرِّقِينَ ، وَكَمَّنَهُمْ فِي الدَّهَالِيزِ ، وَالْمَمَرَّاتِ ، وَالرِّوَاقَاتِ ، وَحَضَرَ عَلِيُّ بْنُ بُلَيْقٍ بَعْدَ الْعَصْرِ ، وَفِي رَأْسِهِ نَبِيذٌ وَمَعَهُ عَدَدٌ يَسِيرٌ مِنْ غِلْمَانِهِ بِسِلَاحٍ خَفِيفٍ ، فِي طَيَّارَةٍ ، وَأَمَرَ جَمَاعَةً مِنْ عَسْكَرِهِ بِالرُّكُوبِ إِلَى أَبْوَابِ دَارِ الْخَلِيفَةِ ، وَصَعِدَ مِنَ الطَّيَّارَةِ ، وَطَلَبَ الْإِذْنَ ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ الْقَاهِرُ ، فَغَضِبَ وَأَسَاءَ أَدَبَهُ ، وَقَالَ لَا بُدَّ مِنْ لِقَائِهِ شَاءَ أَوْ أَبَى. |
| وَكَانَ الْقَاهِرُ قَدْ أَحْضَرَ السَّاجِيَّةَ ، كَمَا ذَكَرْنَا ، وَهُمْ عِنْدَهُ فِي الدَّارِ فَأَمَرَهُمُ الْقَاهِرُ بِرَدِّهِ ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِ وَشَتَمُوهُ وَشَتَمُوا أَبَاهُ وَشَهَرُوا سِلَاحَهُمْ وَتَقَدَّمُوا إِلَيْهِ جَمِيعُهُمْ ، فَفَرَّ أَصْحَابُهُ عَنْهُ ، وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الطَّيَّارَةِ وَعَبَرَ إِلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ وَاخْتَفَى مِنْ سَاعَتِهِ ، فَبَلَغَ ابْنَ مُقْلَةَ الْخَبَرُ ، فَاسْتَتَرَ وَاسْتَتَرَ الْحَسَنُ بْنُ هَارُونَ أَيْضًا. |
| فَلَمَّا سَمِعَ طَرِيفٌ الْخَبَرَ رَكِبَ فِي أَصْحَابِهِ ، وَعَلَيْهِمُ السِّلَاحُ ، وَحَضَرُوا دَارَ الْخَلِيفَةِ وَوَقَفَ الْقَاهِرُ ، فَعَظُمَ الْأَمْرُ حِينَئِذٍ عَلَى ابْنِ بُلَيْقٍ وَجَمَاعَتِهِمْ وَأَنْكَرَ بُلَيْقٌ مَا جَرَى عَلَى ابْنِهِ ، وَسَبَّ السَّاجِيَّةَ ، وَقَالَ لَا بُدَّ مِنَ الْمُضِيِّ إِلَى دَارِ الْخَلِيفَةِ ، فَإِنْ كَانَ السَّاجِيَّةُ فَعَلُوا هَذَا بِغَيْرِ تَقَدُّمٍ قَابَلْتُهُمْ بِمَا يَسْتَحِقُّونَهُ ، وَإِنْ كَانَ بِتَقَدُّمٍ سَأَلْتُهُ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ. |
| فَحَضَرَ دَارَ الْخَلِيفَةِ وَمَعَهُ جَمِيعُ الْقُوَّادِ الَّذِينَ بِدَارِ مُؤْنِسٍ ، فَلَمْ يُوصِلْهُ الْقَاهِرُ إِلَيْهِ ، وَأَمَرَ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ وَحَبْسِهِ ، وَأَمَرَ بِالْقَبْضِ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ زِيرَكَ صَاحِبِ الشُّرْطَةِ وَحَصَلَ الْجَيْشُ كُلُّهُمْ فِي الدَّارِ ، فَأَنْفَذَ الْقَاهِرُ وَطَيَّبَ نُفُوسَهُمْ ، وَوَعْدَهُمُ الزِّيَادَةَ ، وَأَنَّهُ يُوقِفُ هَؤُلَاءِ عَلَى ذُنُوبِهِمْ ثُمَّ يُطْلِقُهُمْ وَيُحْسِنُ إِلَيْهِمْ ، فَعَادُوا. |
| وَرَاسَلَ الْقَاهِرُ مُؤْنِسًا يَسْأَلُهُ الْحُضُورَ عِنْدَهُ لِيَعْرِضَ عَلَيْهِ مَا رُفِعَ عَلَيْهِمْ لِيَفْعَلَ مَا يَرَاهُ ، وَقَالَ إِنَّهُ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَعْمَلَ شَيْئًا إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ ، فَاعْتَذَرَ مُؤْنِسٌ عَنِ الْحَرَكَةِ ، وَنَهَاهُ أَصْحَابُهُ عَنِ الْحُضُورِ عِنْدَهُ. |
| فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَحْضَرَ الْقَاهِرُ طَرِيفًا السُّبْكَرِيَّ وَنَاوَلَهُ خَاتَمَهُ ، وَقَالَ لَهُ قَدْ فَوَّضْتُ إِلَى وَلَدِي عَبْدِ الصَّمَدِ مَا كَانَ الْمُقْتَدِرُ فَوَّضَهُ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٍ ، وَقَلَّدْتُكَ خِلَافَتَهُ ، وَرِئَاسَةَ الْجَيْشِ ، وَإِمَارَةَ الْأُمَرَاءِ ، وَبُيُوتَ الْأَمْوَالِ ، كَمَا كَانَ ذَلِكَ إِلَى مُؤْنِسٍ ، وَيَجِبُ أَنْ تَمْضِيَ إِلَيْهِ وَتَحْمِلَهُ إِلَى الدَّارِ ، فَإِنَّهُ مَا دَامَ فِي مَنْزِلِهِ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ مَنْ يُرِيدُ الشَّرَّ وَلَا يَأْمَنُ أَنْ يُولَدَ شُغْلٌ ، فَيَكُونَ هَاهُنَا مُرَفَّهًا ، وَمَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ يَخْدِمُهُ عَلَى عَادَتِهِ. |
| فَمَضَى إِلَى دَارِ مُؤْنِسٍ ، وَعِنْدَهُ أَصْحَابُهُ فِي السِّلَاحِ ، وَهُوَ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ الْكِبَرُ وَالضَّعْفُ ، فَسَأَلَهُ أَصْحَابُ مُؤْنِسٍ عَنِ الْحَالِ ، فَذَكَرَ سُوءَ صَنِيعِ بُلَيْقٍ وَابْنِهِ ، فَكُلُّهُمْ سَبَّهُمَا ، وَعَرَّفَهُمْ مَا أَخَذَ لَهُمْ مِنَ الْأَمَانِ وَالْعُهُودِ ، فَسَكَتُوا ، وَدَخَلَ إِلَى مُؤْنِسٍ وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالْحُضُورِ عِنْدَ الْقَاهِرِ ، وَحَمَلَهُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ إِنْ تَأَخَّرْتَ طَمِعَ ، وَلَوْ رَآكَ نَائِمًا مَا تَجَاسَرَ أَنْ يُوقِظَكَ ، وَكَانَ مُوَافِقًا عَلَى مُؤْنِسٍ وَأَصْحَابِهِ لِمَا نَذْكُرُهُ ، فَسَارَ مُؤْنِسٌ إِلَيْهِ فَلَمَّا دَخَلَ الدَّارَ قَبَضَ الْقَاهِرُ عَلَيْهِ وَحَبَسَهُ وَلَمْ يَرَهُ. |
| قَالَ طَرِيفٌ لَمَّا أَعْلَمْتُ الْقَاهِرَ بِمَجِيءِ مُؤْنِسٍ ارْتَعَدَ ، وَتَغَيَّرَتْ أَحْوَالُهُ ، وَزَحَفَ مِنْ صَدْرِ فِرَاشِهِ ، فَخِفْتُهُ أَنْ أُكَلِّمَهُ فِي مَعْنَاهُ ، وَعَلِمْتُ أَنَّنِي قَدْ أَخْطَأْتُ ، وَنَدِمْتُ وَتَيَقَّنْتُ أَنَّنِي لَاحِقٌ بِالْقَوْمِ عَنْ قَرِيبٍ ، وَذَكَرْتُ قَوْلَ مُؤْنِسٍ فِيهِ إِنَّهُ يَعْرِفُهُ بِالْهَوَجِ ، وَالشَّرِّ وَالْإِقْدَامِ ، وَالْجَهْلِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا وَكَانَتْ وِزَارَةُ ابْنِ مُقْلَةَ هَذِهِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. |
| وَاسْتَوْزَرَ الْقَاهِرُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ الْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، مُسْتَهَلَّ شَعْبَانَ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَأَنْفَذَ الْقَاهِرُ وَخَتَمَ عَلَى دُورِ مُؤْنِسٍ ، وَبُلَيْقٍ وَابْنِهِ عَلِيٍّ ، وَابْنِ مُقْلَةَ ، وَأَحْمَدَ بْنِ زِيرَكَ ، وَالْحَسَنِ بْنِ هَارُونَ ، وَنَقَلَ دَوَابَّهُمْ ، وَوَكَّلَ بِحُرَمِهِمْ وَأَنْفَذَ فَاسْتَقْدَمَ عِيسَى الْمُتَطَبِّبَ مِنَ الْمَوْصِلِ ، وَأَمَرَ بِنَقْلِ مَا فِي دَارِ ابْنِ مُقْلَةَ وَإِحْرَاقِهَا ، فَنُهِبَتْ وَأُحْرِقَتْ ، وَنُهِبَتْ دُورُ الْمُتَعَلِّقِينَ بِهِمْ ، وَظَهَرَ مُحَمَّدُ بْنُ يَاقُوتٍ ، وَقَامَ بِالْحَجَبَةِ ثُمَّ رَأَى كَرَاهِيَةَ طَرِيفٍ السُّبْكَرِيِّ وَالسَّاجِيَّةِ لَهُ ، فَاخْتَفَى وَهَرَبَ إِلَى أَبِيهِ بِفَارِسَ ، فَكَاتَبَهُ الْقَاهِرُ يَلُومُهُ عَلَى عَجَلَتِهِ بِالْهَرَبِ ، وَقَلَّدَهُ كُوَرَ الْأَهْوَازِ. |
| وَكَانَ السَّبَبُ فِي مَيْلِ طَرِيفٍ السُّبْكَرِيِّ ، وَالسَّاجِيَّةِ ، وَالْحُجَرِيَّةِ إِلَى الْقَاهِرِ ، وَمُوَاطَأَتِهِمْ عَلَى مُؤْنِسٍ وَبُلَيْقٍ وَابْنِهِ مَا نَذْكُرُهُ ، وَهُوَ أَنَّ طَرِيفًا كَانَ قَدْ أَخَذَ قُوَّادَ مُؤْنِسٍ وَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً ، وَكَانَ بُلَيْقٌ وَابْنُهُ مِمَّنْ يُقَبِّلُ يَدَهُ وَيَخْدُمُهُ فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ الْقَاهِرُ بِاللَّهِ تَقَدَّمَ بُلَيْقٌ وَابْنُهُ ، وَحَكَمَا فِي الدَّوْلَةِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَأَهْمَلَ ابْنُ بُلَيْقٍ جَانِبَ طَرِيفٍ ، وَقَصَدَهُ وَعَطَّلَهُ مِنْ أَكْثَرِ أَعْمَالِهِ ، فَلَمَّا طَالَتْ عُطْلَتُهُ اسْتَحْيَا مِنْهُ بُلَيْقٌ ، وَخَافَ جَانِبَهُ ، فَعَزَمَ عَلَى اسْتِعْمَالِهِ عَلَى دِيَارِ مِصْرَ لِيَقْضِيَ حَقَّهُ ، وَيُبْعِدَهُ ، وَمَعَهُ أَعْيَانُ رُفَقَائِهِ لِيَأْمَنَهُمْ ، وَقَالَ ذَلِكَ لِلْوَزِيرِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ ، فَرَآهُ صَوَابًا ، فَاعْتَذَرَ بُلَيْقٌ إِلَى طَرِيفٍ لِسَبَبِ عَطَلَتِهِ ، وَأَعْلَمَهُ بِحَدِيثِ مِصْرَ فَشَكَرَهُ ، وَشَكَرَ الْوَزِيرَ أَيْضًا ، فَمَنَعَ عَلِيَّ ابْنُ بُلَيْقٍ مِنْ إِتْمَامِهِ ، وَتَوَلَّى هُوَ الْعَمَلَ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَنْ يَخْلُفُهُ فِيهِ ، فَصَارَ طَرِيفٌ عَدُوًّا يَتَرَبَّصُ بِهِمُ الدَّوَائِرَ. |
| وَأَمَّا السَّاجِيَّةُ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عُدَّةَ مُؤْنِسٍ وَعَضُدَهُ ، وَسَارُوا مَعَهُ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَعَادُوا مَعَهُ إِلَى قِتَالِ الْمُقْتَدِرِ ، وَوَعَدَهُمْ مُؤْنِسٌ الْمُظَفَّرُ بِالزِّيَادَةِ فَلَمَّا قُتِلَ الْمُقْتَدِرُ لَمْ يَرَوْا لِمِيعَادِهِ وَفَاءً ، ثَنَاهُ عَنْهُ ابْنُ بُلَيْقٍ ، وَاطَّرَحَهُمُ ابْنُ بُلَيْقٍ أَيْضًا ، وَأَعْرَضَ عَنْهُمْ. |
| وَكَانَ مِنْ جُمْلَتِهِمْ خَادِمٌ أَسْوَدُ اسْمُهُ صَنْدَلٌ ، وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِهِمْ ، وَكَانَ خَادِمٌ اسْمُهُ مُؤْتَمَنٌ ، فَبَاعَهُ ، فَاتَّصَلَ بِالْقَاهِرِ قَبْلَ خِلَافَتِهِ ، فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ قَدَّمَهُ وَجَعَلَهُ لِرَسَائِلِهِ ، فَلَمَّا بُلِيَ الْقَاهِرُ بِابْنِ بُلَيْقٍ وَسُوءِ مُعَامَلَتِهِ كَانَ كَالْغَرِيقِ يَتَمَسَّكُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَكَانَ خَبِيرًا بِالدَّهَاءِ وَالْمَكْرِ ، فَأَمَرَ مُؤْتَمَنًا أَنْ يَقْصِدَ صَنْدَلًا السَّاجِيَّ الَّذِي بَاعَهُ ، وَيَشْكُوَ مِنَ الْقَاهِرِ ، فَإِنْ رَأَى مِنْهُ رَدًّا لِمَا يَقُولُهُ أَعْلَمَهُ بِحَالِ الْقَاهِرِ وَمَا يُقَاسِي مِنِ ابْنِ بُلَيْقٍ وَابْنِهِ ، وَإِنْ رَأَى مِنْهُ خِلَافَ ذَلِكَ سَكَتَ فَجَاءَ إِلَيْهِ وَفَعَلَ مَا أَمَرَهُ. |
| فَلَمَّا شَكَا قَالَ لَهُ صَنْدَلٌ وَفِي أَيِّ شَيْءٍ هُوَ الْخَلِيفَةُ حَتَّى يُعْطِيَكَ ، وَيُوَسِّعَ عَلَيْكَ ؟ |
| إِنْ فَرَجَّ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ هَذَا الْمُفْسِدِ احْتَجْتُ أَنَا وَغَيْرِي إِلَيْكَ ، وَلِلَّهِ عَلَيَّ صَوْمٌ وَصَدَقَةٌ إِنْ مَلَكَ الْخَلِيفَةُ أَمْرَهُ ، وَاسْتَرَاحَ ، وَأَرَاحَنَا مِنْ هَذَا الْمَلْعُونِ ، فَأَعَادَ الْمُؤْتَمَنُ الْحَدِيثَ عَلَى الْقَاهِرِ ، فَأَرْسَلَ عَلَى يَدِهِ هَدِيَّةً جَمِيلَةً مِنْ طِيبٍ وَغَيْرِهِ إِلَى زَوْجَةِ صَنْدَلٍ ، وَقَالَ لَهُ تَحْمِلُهُ إِلَيْهَا ، وَزَوْجُهَا غَائِبٌ عَنْهَا ، وَتَقُولُ لَهَا إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَسَّمَ فِينَا شَيْئًا ، وَهَذَا مِنْ نَصِيبِي أَهْدَيْتُهُ إِلَيْكُمْ ، فَفَعَلَ هَذَا ، فَقَبِلَتْهُ ثُمَّ عَادَ إِلَيْهَا مِنَ الْغَدِ وَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ قَالَ صَنْدَلٌ لَمَّا رَأَى انْبِسَاطِي عَلَيْكُمْ ؟ |
| فَقَالَتْ اجْتَمَعَ هُوَ وَفُلَانٌ ، وَذَكَرَتْ سِتَّةَ نَفَرٍ مِنْ أَعْيَانِهِمْ ، وَرَأَوْا مَا أَهْدَيْتَ إِلَيْنَا فَاسْتَعْمَلُوا مِنْهُ وَدَعَوْا لِلْخَلِيفَةِ. |
| فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَهَا إِذْ حَضَرَ زَوْجُهَا فَشَكَرَ مُؤْتَمَنًا ، وَسَأَلَهُ عَنْ أَحْوَالِ الْخَلِيفَةِ ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَوَصَفَهُ بِالْكَرَمِ ، وَحُسْنِ الْأَخْلَاقِ ، وَصَلَابَتِهِ فِي الدِّينِ ، فَقَالَ صَنْدَلٌ إِنَّ ابْنَ بُلَيْقٍ نَسَبَهُ إِلَى قِلَّةِ الدِّينِ ، وَيَرْمِيهِ بِأَشْيَاءَ قَبِيحَةٍ ، فَحَلَفَ مُؤْتَمَنٌ عَلَى بُطْلَانِ ذَلِكَ ، وَأَنَّ جَمِيعَهُ كَذِبٌ. |
| ثُمَّ أَمَرَ الْقَاهِرُ مُؤْتَمَنًا أَنْ يَقْصِدَ زَوْجَةَ صَنْدَلٍ ، وَيَسْتَدْعِيَهَا إِلَى قَهْرَمَانَةِ الْقَاهِرِ فَتَحْضُرَ مُتَنَكِّرَةً عَلَى أَنَّهَا قَابِلَةٌ يَأْنَسُ بِهَا مَنْ عِنْدَ الْقَاهِرِ ، لَمَّا كَانُوا بِدَارِ ابْنِ طَاهِرٍ وَقَدْ حَضَرَتْ لِحَاجَةِ بَعْضِ أَهْلِ الدَّارِ إِلَيْهَا ، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ ، وَدَخَلَتِ الدَّارَ وَبَاتَتْ عِنْدَهُمْ ، فَحَمَّلَهَا الْقَاهِرُ رِسَالَةً إِلَى زَوْجِهَا وَرُفَقَائِهِ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِمْ رُقْعَةً بِخَطِّهِ يَعِدُهُمْ بِالزِّيَادَةِ فِي الْأَقْطَاعِ وَالْجَارِي ، وَأَعْطَاهَا لِنَفْسِهَا مَالًا ، فَعَادَتْ إِلَى زَوْجِهَا وَأَخْبَرَتْهُ بِمَا كَانَ جَمِيعُهُ ، فَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى ابْنِ بُلَيْقٍ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ دَارِ ابْنِ طَاهِرٍ دَخَلَتْ إِلَى دَارِ الْخَلِيفَةِ ، فَلِهَذَا مَنَعَ ابْنُ بُلَيْقٍ مِنْ دُخُولِ امْرَأَةٍ حَتَّى تُبْصَرَ وَتُعْرَفَ. |
| وَكَانَ لِلسَّاجِيَّةِ قَائِدٌ كَبِيرٌ اسْمُهُ سِيمَا ، وَكُلُّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَى قَوْلِهِ ، فَاتَّفَقَ صَنْدَلٌ وَمَنْ مَعَهُ عَلَى إِعْلَامِ سِيمَا بِذَلِكَ إِذْ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهُ ، وَأَعْلَمُوهُ بِرِسَالَةِ الْقَاهِرِ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ هَذَا صَوَابٌ ، وَالْعَاقِبَةُ فِيهِ جَمِيلَةٌ ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يُدْخِلُوا فِي الْأَمْرِ بَعْضَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ ، يَعْنِي أَصْحَابَ بُلَيْقٍ وَمُؤْنِسٍ ، وَلْيَكُنْ مِنْ أَكَابِرِهِمْ ، فَالْتَقَوْا عَلَى طَرِيفٍ السُّبْكَرِيِّ ، وَقَالُوا هُوَ أَيْضًا مُتَسَخِّطٌ فَحَضَرُوا عِنْدَهُ وَشَكَوْا إِلَيْهِ مَا هُمْ فِيهِ ، وَقَالُوا لَوْ كَانَ الْأُسْتَاذُ ، يَعْنُونَ مُؤْنِسًا ، يَمْلِكُ أَمْرَهُ لَبَلَغْنَا مُرَادَنَا ، وَلَكِنْ قَدْ عَجَزَ وَضَعُفَ ، وَاسْتَبَدَّ عَلَيْهِ ابْنُ بُلَيْقٍ بِالْأُمُورِ ، فَوَجَدُوا عِنْدَهُ مِنْ كَرَاهَتِهِمْ أَضْعَافَ مَا أَرَادُوا ، فَأَعْلَمُوهُ حِينَئِذٍ حَالَهُمْ فَأَجَابَهُمْ إِلَى مُوَافَقَتِهِمْ ، وَاسْتَحْلَفَهُمْ أَنَّهُ لَا يَلْحَقُ مُؤْنِسًا وَبُلَيْقًا وَابْنَهُ مَكْرُوهٌ وَأَذًى فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَبْدَانِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَإِنَّمَا يَلْزَمُ بُلَيْقٌ وَابْنُهُ بُيُوتَهُمْ وَيَكُونُ مُؤْنِسًا عَلَى مَرْتَبَتِهِ لَا يَتَغَيَّرُ ، فَحَلَفُوا عَلَى ذَلِكَ ، وَحَلَفَ لَهُمْ عَلَى الْمُوَافَقَةِ وَطَلَبَ خَطَّ الْقَاهِرِ بِمَا طَلَبَ ، فَأَرْسَلُوا إِلَى الْقَاهِرِ بِمَا كَانَ فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ بِمَا أَرَادُوا وَزَادَ بِأَنْ قَالَ إِنَّهُ يُصَلِّي بِالنَّاسِ ، وَيَخْطُبُ أَيَّامَ الْجُمَعِ ، وَيَحُجُّ بِهِمْ وَيَغْزُو مَعَهُمْ ، وَيَقْعُدُ لِلنَّاسِ وَيَكْشِفُ مَظَالِمَهُمْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ حُسْنِ السِّيرَةِ. |
| ثُمَّ إِنَّ طَرِيفًا اجْتَمَعَ بِجَمَاعَةٍ مِنْ رُؤَسَاءِ الْحُجَرِيَّةِ ، وَكَانَ ابْنُ بُلَيْقٍ قَدْ أَبْعَدَهُمْ عَنِ الدَّارِ وَأَقَامَ بِهَا أَصْحَابَهُ ، فَهُمْ حَنِقُونَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَعْلَمَهُمْ طَرِيفٌ الْأَمْرَ أَجَابُوهُ إِلَيْهِ ، فَظَهَرَ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ إِلَى ابْنِ مُقْلَةَ ، وَابْنِ بُلَيْقٍ ، وَلَمْ يَعْلَمُوا تَفْصِيلَهُ ، فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَقْبِضُوا عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ قُوَّادِ السَّاجِيَّةِ وَالْحُجَرِيَّةِ ، فَلَمْ يَقْدَمُوا عَلَيْهِمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ. |
| وَكَانَ الْقَاهِرُ قَدْ أَظْهَرَ مَرَضًا مِنْ دَمَامِيلَ وَغَيْرِهَا ، فَاحْتَجَبَ عَنِ النَّاسِ خَوْفًا مِنْهُمْ ، فَلَمْ يَكُنْ يَرَاهُ أَحَدٌ إِلَّا خَوَاصَّ خَدَمِهِ مِنَ الْأَوْقَاتِ النَّادِرَةِ فَتَعَذَّرَ عَلَى ابْنِ مُقْلَةَ وَابْنِ بُلَيْقٍ الِاجْتِمَاعُ بِهِ لِيَبْلُغُوا مِنْهُ مَا يُرِيدُونَ ، فَوَضَعَا مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَخْبَارِ الْقَرَامِطَةِ لِيَظْهَرَ لَهُمْ وَيَفْعَلُوا بِهِ مَا أَرَادُوا وَلَمَّا قَبَضَ الْقَاهِرُ عَلَى مُؤْنِسٍ وَجَمَاعَتِهِ اسْتَعْمَلَ الْقَاهِرُ عَلَى الْحَجْبَةِ سَلَامَةَ الطُّولُونِيَّ وَعَلَى الشُّرْطَةِ أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ خَاقَانَ ، وَاسْتَوْزَرَ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ الْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَأَمَرَ بِالنِّدَاءِ عَلَى الْمُسْتَتِرِينَ ، وَإِبَاحَةِ مَالِ مَنْ أَخْفَاهُمْ وَهَدْمِ دَارِهِ ، وَجَدَّ فِي طَلَبِ أَحْمَدَ بْنِ الْمُكْتَفِي ، فَظَفِرَ بِهِ ، فَبَنَى عَلَيْهِ حَائِطًا وَهُوَ حَيٌّ فَمَاتَ ، وَظَفِرَ بِعَلِيِّ بْنِ بُلَيْقٍ فَقَتَلَهُ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ مُؤْنِسٍ وَبُلَيْقٍ وَوَلَدِهِ عَلِيٍّ وَالنُّوبَخْتِيِّ وَفِيهَا ، فِي شَعْبَانَ ، قَتَلَ الْقَاهِرُ مُؤْنِسًا الْمُظَفَّرَ ، وَبُلَيْقًا ، وَعَلِيَّ بْنَ بُلَيْقٍ. |
| وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِمْ أَنَّ أَصْحَابَ مُؤْنِسٍ شَغَبُوا وَثَارُوا ، وَتَبِعَهُمْ سَائِرُ الْجُنْدِ ، وَأَحْرَقُوا رَوْشَنَ دَارِ الْوَزِيرِ أَبِي جَعْفَرٍ ، وَنَادَوْا بِشِعَارِ مُؤْنِسٍ ، وَقَالُوا لَا نَرْضَى إِلَّا بِإِطْلَاقِ مُؤْنِسٍ. |
| وَكَانَ الْقَاهِرُ قَدْ ظَفِرَ بِعَلِيِّ بْنِ بُلَيْقٍ ، وَأَفْرَدَ كُلَّ وَاحِدِ مِنْهُمْ فِي مَنْزِلٍ ، فَلَمَّا شَغَبَ الْجُنْدُ دَخَلَ الْقَاهِرُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ بُلَيْقٍ ، فَأَمَرَ بِهِ فَذُبِحَ وَاحْتُزَّ رَأْسُهُ ، فَوَضَعُوهُ فِي طَشْتٍ ، ثُمَّ مَضَى الْقَاهِرُ وَالطَّشْتُ يُحْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى دَخَلَ عَلَى بُلَيْقٍ فَوَضَعَ الطَّشْتَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَفِيهِ رَأْسُ ابْنِهِ ، فَلَمَّا رَآهُ بَكَى ، وَأَخَذَهُ يُقَبِّلُهُ وَيَتَرَشَّفُهُ ، فَأَمَرَ بِهِ الْقَاهِرُ فَذُبِحَ أَيْضًا ، وَجُعِلَ رَأْسُهُ فِي طَشْتٍ ، وَحُمِلَ بَيْنَ يَدِيِ الْقَاهِرِ ، وَمَضَى حَتَّى دَخَلَ عَلَى مُؤْنِسٍ فَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَى الرَّأْسَيْنِ تَشَهَّدَ ، وَاسْتَرْجَعَ ، وَلَعَنَ قَاتِلَهُمَا ، فَقَالَ الْقَاهِرُ جُرُّوا بِرِجْلِ الْكَلْبِ الْمَلْعُونِ! |
| فَجَرُّوهُ وَذَبَحُوهُ وَجَعَلُوا رَأْسَهُ فِي طَشْتٍ ، وَأَمَرَ فَطِيفَ بِالرُّءُوسِ فِي جَانِبَيْ بَغْدَاذَ ، وَنُودِيَ عَلَيْهَا هَذَا جَزَاءُ مَنْ يَخُونُ الْإِمَامَ ، وَيَسْعَى فِي فَسَادِ دَوْلَتِهِ ، ثُمَّ أُعِيدَتْ وَنُظِّفَتْ وَجُعِلَتْ فِي خِزَانَةِ الرُّءُوسِ ، كَمَا جَرَتِ الْعَادَةُ. |
| وَقِيلَ إِنَّهُ قَتَلَ بُلَيْقًا وَابْنُهُ مُسْتَخِفٍ ، ثُمَّ ظَفِرَ بِابْنِهِ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ بِهِ فَضُرِبَ ، فَأَقْبَلَ ابْنُ بُلَيْقٍ عَلَى الْقَاهِرِ ، وَسَبَّهُ أَقْبَحَ سَبٍّ ، وَأَعْظَمَ شَتْمٍ ، فَأَمَرَ بِهِ الْقَاهِرُ فَقُتِلَ ، وَطِيفَ بِرَأْسِهِ فِي جَانِبَيْ بَغْدَاذَ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى ابْنِ يَعْقُوبَ النُّوبَخْتِيِّ ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِ وَزِيرِهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ ، فَأَخَذَهُ وَحَبَسَهُ ، وَرَأَى النَّاسُ مِنْ شِدَّةِ الْقَاهِرِ مَا عَلِمُوا مَعَهُ أَنَّهُمْ لَا يَسْلَمُونَ مِنْ يَدِهِ ، وَنَدَمَ كُلُّ مَنْ أَعَانَهُ مِنْ سُبُكٍ ، وَالسَّاجِيَّةِ ، وَالْحُجَرِيَّةِ ، حَيْثُ لَمْ يَنْفَعْهُمُ النَّدَمُ. |
| ذِكْرُ وِزَارَةِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ لِلْخَلِيفَةِ وَعَزْلِهِ وَوِزَارَةِ الْخَصِيبِيِّ لَمَّا قَبَضَ الْقَاهِرُ بِاللَّهِ عَلَى مُؤْنِسٍ وَبُلَيْقٍ وَابْنِهِ سَأَلَ عَمَّنْ يَصْلُحُ لِلْوَزَارَةِ ، فَدُلَّ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَاسْتَوْزَرَهُ ، فَبَقِيَ وَزِيرًا إِلَى يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ ثَالِثَ عَشَرَ ذِي الْقِعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ ، فَأَرْسَلَ الْقَاهِرُ فَقَبَضَ عَلَيْهِ ، وَعَلَى أَوْلَادِهِ ، وَعَلَى أَخِيهِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَحُرَمِهِ ، وَكَانَ مَرِيضًا بِقَوْلَنْجَ ، فَبَقِيَ مَحْبُوسًا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَمَاتَ ، فَحُمِلَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَأَطْلَقَ أَوْلَادَهُ ، وَاسْتَوْزَرَ أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْخَصِيبِيَّ ، وَكَانَتْ وِزَارَةُ أَبِي جَعْفَرٍ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَاثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا. |
| ذِكْرُ الْقَبْضِ عَلَى طَرِيفٍ السُّبْكَرِيِّ لَمَّا تَمَكَّنَ الْقَاهِرُ ، وَقَبَضَ عَلَى مُؤْنِسٍ وَأَصْحَابِهِ ، وَقَتَلَهُمْ ، لَمْ يَقِفْ عَلَى الْيَمِينِ وَالْأَمَانِ اللَّذَيْنِ كَتَبَهُمَا لِطَرِيفٍ ، وَكَانَ الْقَاهِرُ يُسْمِعُ طَرِيفًا مَا يَكْرَهُ ، وَيَسْتَخِفُّ بِهِ ، وَيَعْرِضُ لَهُ بِالْأَذَى ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ خَافَهُ ، وَتَيَقَّنَ الْقَبْضَ عَلَيْهِ وَالْقَتْلَ ، فَوَصَّى وَفَرَغَ مِنْ جَمِيعِ مَا يُرِيدُهُ. |
| وَاشْتَغَلَ الْقَاهِرُ عَنْهُ بِقَبْضِ مَنْ قَبَضَ عَلَيْهِ مِنْ وَزِيرٍ وَغَيْرِهِ ، ثُمَّ أَحْضَرَهُ بَعْدَ أَنْ قَبَضَ عَلَى وَزِيرِهِ أَبِي جَعْفَرٍ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ ، فَتَيَقَّنَ الْقَتْلَ أُسْوَةً بِمَنْ قُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَرُفَقَائِهِ ، فَبَقِيَ مَحْبُوسًا يَتَوَقَّعُ الْقَتْلَ صَبَاحًا وَمَسَاءً إِلَى أَنْ خُلِعَ الْقَاهِرُ. |
| ذِكْرُ أَخْبَارِ خُرَاسَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ مَرْدَاوِيجُ مِنَ الرَّيِّ إِلَى جُرْجَانَ ، وَبِهَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُظَفَّرِ مَرِيضًا ، فَلَمَّا قَصَدَهُ مَرْدَاوِيجُ عَادَ إِلَى نَيْسَابُورَ ، وَكَانَ السَّعِيدُ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ بِنَيْسَابُورَ ، فَلَمَّا بَلَغَهَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُظَفَّرِ سَارَ السَّعِيدُ نَحْوَ جُرْجَانَ ، وَكَاتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الْبَلْغَمِيُّ مُطَرِّفَ بْنَ مُحَمَّدٍ وَزِيرَ مَرْدَاوِيجَ ، وَاسْتَمَالَهُ ، فَمَالَ إِلَيْهِ ، فَانْتَهَى الْخَبَرُ بِذَلِكَ إِلَى مَرْدَاوِيجَ ، فَقَبَضَ عَلَى مُطَرِّفٍ وَقَتَلَهُ. |
| وَأَرْسَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الْبَلْغَمِيُّ إِلَى مَرْدَاوِيجَ يَقُولُ لَهُ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَسْتَحْسِنُ كُفْرَ مَا يَفْعَلُهُ مَعَكَ الْأَمِيرُ السَّعِيدُ ، وَأَنَّكَ إِنَّمَا حَمَلَكَ عَلَى قَصْدِ جُرْجَانَ وَزِيرُكَ مُطَرِّفٌ لِيَرَى أَهْلُهَا مَحَلَّهُ مِنْكَ ، كَمَا فَعَلَهُ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ كَاتِبُ عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ ، حَمَلَ عَمْرًا عَلَى قَصْدِ بَلْخَ لِيُشَاهِدَ أَهْلُهَا مَنْزِلَتَهُ مِنْ عَمْرٍو ، فَكَانَ مِنْهُ مَا بَلَغَكَ ، وَأَنَا لَا أَرَى مُنَاصَبَةَ مَلِكٍ يُطِيفُ بِهِ مِائَةُ أَلْفِ رَجُلٍ مِنْ غِلْمَانِهِ وَمَوَالِيهِ وَمَوَالِي أَبِيهِ ، وَالصَّوَابُ أَنَّكَ تَتْرُكُ جُرْجَانَ لَهُ ، وَتَبْذُلُ عَنِ الرَّيِّ مَالًا تُصَالِحُهُ عَلَيْهِ ، فَفَعَلَ مَرْدَاوِيجُ ذَلِكَ ، وَعَادَ عَنْ جُرْجَانَ ، وَبَذَلَ عَنِ الرَّيِّ مَالًا ، وَعَادَ إِلَيْهَا ، وَصَالَحَهُ السَّعِيدُ عَلَيْهَا. |
| ذِكْرُ وِلَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُظَفَّرِ عَلَى خُرَاسَانَ وَلَمَّا فَرَغَ السَّعِيدُ مِنْ أَمْرِ جُرْجَانَ ، وَأَحْكَمَهُ ، اسْتَعْمَلَ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُظَفَّرِ بْنِ مُحْتَاجٍ عَلَى جُيُوشِ خُرَاسَانَ ، وَرَدَّ إِلَيْهِ تَدْبِيرَ الْأُمُورِ بِنَوَاحِي خُرَاسَانَ جَمِيعِهَا ، وَعَادَ إِلَى بُخَارَى مَقَرِّ عِزِّهِ ، وَكُرْسِيِّ مُلْكِهِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ تَقَدُّمِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُظَفَّرِ أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا عِنْدَ السَّعِيدِ ، وَهُوَ يُحَادِثُهُ فِي بَعْضِ مُهِمَّاتِهِ خَالِيًا ، فَلَسَعَتْهُ عَقْرَبٌ فِي إِحْدَى رِجْلَيْهِ عِدَّةَ لَسَعَاتٍ ، فَلَمْ يَتَحَرَّكْ ، وَلَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ أَثَرُ ذَلِكَ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ حَدِيثِهِ ، وَعَادَ مُحَمَّدٌ إِلَى مَنْزِلِهِ ، نَزَعَ خُفَّهُ فَرَأَى الْعَقْرَبَ فَأَخَذَهَا. |
| فَانْتَهَى خَبَرُ ذَلِكَ إِلَى السَّعِيدِ ، فَأُعْجِبَ بِهِ ، وَقَالَ مَا عَجِبْتُ إِلَّا مِنْ فَرَاغِ بَالِكَ لِتَدْبِيرِ مَا قُلْتُهُ لَكَ ، فَهَلَّا قُمْتَ وَأَزَلْتَهَا! |
| فَقَالَ مَا كُنْتُ لِأَقْطَعَ حَدِيثَ الْأَمِيرِ بِسَبَبِ عَقْرَبٍ ، وَإِذَا لَمْ أَصْبِرْ بَيْنَ يَدَيْكَ عَلَى لَسْعَةِ عَقْرَبٍ فَكَيْفَ أَصْبِرُ ، وَأَنَا بَعِيدٌ مِنْكَ عَلَى حَدِّ سُيُوفِ أَعْدَاءِ دَوْلَتِكَ إِذَا دَفَعْتُهُمْ عَنْ مَمْلَكَتِكَ ؟ |
| فَعَظُمَ مَحَلُّهُ عِنْدَهُ ، وَأَعْطَاهُ مِائَتَيْ أَلْفِ دِرْهَمٍ. |
| ذِكْرُ ابْتِدَاءِ دَوْلَةِ بَنِي بُوَيْهِ بَقِيَّةُ سَنَةِ سِتُ هِجْرِيَا وَهُمْ عِمَادُ الدَّوْلَةِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ ، وَرُكْنُ الدَّوْلَةِ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ ، وَمُعِزُّ الدَّوْلَةِ أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ ، أَوْلَادُ أَبِي شُجَاعٍ بُوَيْهِ بْنِ فَنَّاخِسْرُو بْنِ تَمَّامِ بْنِ كُوهِي بْنِ شَيْرَزِيلَ الْأَصْغَرِ بْنِ شَيْرَكَنْدَهَ بْنِ شَيْرَزِيلَ الْأَكْبَرِ بْنِ شَيْرَانَ شَاهَ بْنِ شِيرَوَيْهِ بْنِ سَشْتَانَ شَاهَ بْنِ سَيَسَ فَيْرُوزَ بْنِ شَيْرَوَزِيلَ بْنِ سِنْبَادَ بْنِ بَهْرَامَ جَوْرِ الْمَلِكِ ابْنِ يَزْدَجُرْدَ الْمَلِكِ ابْنِ هُرْمُزَ الْمَلِكِ ابْنِ شَابُورَ الْمَلِكِ بْنِ شَابُورَ ذِي الْأَكْتَافِ ، وَبَاقِي النَّسَبِ قَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ عِنْدَ ذِكْرِ مُلُوكِ الْفُرْسِ ؛ هَكَذَا سَاقَ نَسَبَهُمُ الْأَمِيرُ أَبُو نَصْرِ بْنُ مَاكُولَا ، رَحِمَهُ اللَّهُ. |
| وَأَمَّا ابْنُ مَسْكَوَيْهِ فَإِنَّهُ قَالَ إِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ يَزْدَجُرْدَ بْنِ شَهْرَيَارَ ، آخِرِ مُلُوكِ الْفُرْسِ ، إِلَّا أَنَّ النَّفْسَ أَكْثَرُ ثِقَةً بِنَقْلِ ابْنِ مَاكُولَا; لِأَنَّهُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ بِهَذِهِ الْأُمُورِ ، وَهَذَا نَسَبٌ عَرِيقٌ فِي الْفُرْسِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُمْ نُسِبُوا إِلَى الدَّيْلَمِ حَيْثُ طَالَ مُقَامُهُمْ بِبِلَادِهِمْ. |
| وَأَمَّا ابْتِدَاءُ أَمْرِهِمْ ، فَإِنَّ وَالِدَهُمْ أَبَا شُجَاعٍ بُوَيْهِ كَانَ مُتَوَسِّطَ الْحَالِ ، فَمَاتَتْ زَوْجَتُهُ وَخَلَّفَتْ لَهُ ثَلَاثَةَ بَنِينَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ ، فَلَمَّا مَاتَتِ اشْتَدَّ حُزْنُهُ عَلَيْهَا ، فَحَكَى شَهْرَيَارُ بْنُ رُسْتُمَ الدَّيْلِمِيُّ ، قَالَ كُنْتُ صَدِيقًا لِأَبِي شُجَاعٍ بُوَيْهِ ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ يَوْمًا فَعَذَلْتُهُ عَلَى كَثْرَةِ حُزْنِهِ ، وَقُلْتُ لَهُ أَنْتَ رَجُلٌ يَحْتَمِلُ الْحُزْنَ ، وَهَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينُ أَوْلَادُكَ يُهْلِكُهُمُ الْحُزْنُ ، وَرُبَّمَا مَاتَ أَحَدُهُمْ ، فَيُجَدِّدُ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْزَانِ مَا يُنْسِيكَ الْمَرْأَةَ ، وَسَلَّيْتُهُ بِجُهْدِي ، وَأَخَذْتُهُ فَفَرَّجْتُهُ ، وَأَدْخَلْتُهُ وَمَعَهُ أَوْلَادُهُ إِلَى مَنْزِلِي لِيَأْكُلُوا طَعَامًا ، وَشَغَلْتُهُ عَنْ حُزْنِهِ. |
| فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ اجْتَازَ بِنَا رَجُلٌ يَقُولُ عَنْ نَفْسِهِ إِنَّهُ مُنَجِّمٌ ، وَمُعَزِّمٌ ، وَمُعَبِّرٌ لِلْمَنَامَاتِ ، وَيَكْتُبُ الرُّقَى وَالطَّلْسَمَاتِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ ، فَأَحْضَرَهُ أَبُو شُجَاعٍ ، وَقَالَ لَهُ رَأَيْتُ فِي مَنَامِي كَأَنَّنِي أَبُولُ ، فَخَرَجَ مِنْ ذَكَرِي نَارٌ عَظِيمَةٌ ، اسْتَطَالَتْ وَعَلَتْ حَتَّى كَادَتْ تَبْلُغُ السَّمَاءَ ، ثُمَّ انْفَجَرَتْ فَصَارَتْ ثَلَاثَ شُعَبٍ ، وَتَوَلَّدَ مِنْ تِلْكَ الشُّعَبِ عِدَّةُ شُعَبٍ ، فَأَضَاءَتِ الدُّنْيَا بِتِلْكَ النِّيرَانِ ، وَرَأَيْتُ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ خَاضِعِينَ لِتِلْكَ النِّيرَانِ. |
| فَقَالَ الْمُنَجِّمُ هَذَا مَنَامٌ عَظِيمٌ ، لَا أُفَسِّرُهُ إِلَّا بِخِلْعَةٍ ، وَفَرَسٍ ، وَمَرْكَبٍ ، فَقَالَ أَبُو شُجَاعٍ وَاللَّهِ ، مَا أَمْلِكُ إِلَّا الثِّيَابَ الَّتِي عَلَى جَسَدِي ، فَإِنْ أَخَذْتَهَا بَقِيتُ عُرْيَانًا ، قَالَ الْمُنَجِّمُ فَعَشَرَةُ دَنَانِيرَ ، قَالَ وَاللَّهِ ، مَا أَمْلِكُ دِينَارًا فَكَيْفَ عَشَرَةً ، فَأَعْطَاهُ شَيْئًا ، فَقَالَ الْمُنَجِّمُ اعْلَمْ أَنَّهُ يَكُونُ لَكَ ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ ، يَمْلِكُونَ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ، وَيَعْلُو ذِكْرُهُمْ فِي الْآفَاقِ كَمَا عَلَتْ تِلْكَ النَّارُ ، وَيُولَدُ لَهُمْ جَمَاعَةُ مُلُوكٍ مَا رَأَيْتَ مِنْ تِلْكَ الشُّعَبِ. |
| فَقَالَ أَبُو شُجَاعٍ أَمَا تَسْتَحِي تَسْخَرُ مِنَّا ؟ |
| أَنَا رَجُلٌ فَقِيرٌ ، وَأَوْلَادِي هَؤُلَاءِ فُقَرَاءُ مَسَاكِينُ ، كَيْفَ يَصِيرُونَ مُلُوكًا ؟ |
| فَقَالَ الْمُنَجِّمُ أَخْبِرْنِي بِوَقْتِ مِيلَادِهِمْ ، فَأَخْبَرَهُ ، فَجَعَلَ يَحْسِبُ ، ثُمَّ قَبَضَ عَلَى يَدِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيٍّ فَقَبَّلَهَا ، وَقَالَ هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي يَمْلِكُ الْبِلَادَ ، ثُمَّ هَذَا مِنْ بَعْدِهِ ، وَقَبَضَ عَلَى يَدِ أَخِيهِ أَبِي عَلِيٍّ الْحَسَنِ ، فَاغْتَاظَ مِنْهُ أَبُو شُجَاعٍ ، وَقَالَ لِأَوْلَادِهِ اصْفَعُوا هَذَا الْحَكِيمَ ، فَقَدْ أَفْرَطَ فِي السُّخْرِيَةِ بِنَا ، فَصَفَعُوهُ ، وَهُوَ يَسْتَغِيثُ ، وَنَحْنُ نَضْحَكُ مِنْهُ ، ثُمَّ أَمْسَكُوا ، فَقَالَ لَهُمْ اذْكُرُوا لِي هَذَا إِذَا قَصَدْتُكُمْ وَأَنْتُمْ مُلُوكٌ ، فَضَحِكْنَا مِنْهُ ، وَأَعْطَاهُ أَبُو شُجَاعٍ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ. |
| ثُمَّ خَرَجَ مِنْ بِلَادِ الدَّيْلَمِ جَمَاعَةٌ ، تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ لِيَمْلِكَ الْبِلَادَ مِنْهُمْ مَاكَانُ بْنُ بَالِي ، وَلَيْلَى بْنُ النُّعْمَانِ ، وَأَسْفَارُ بْنُ شِيرَوَيْهِ ، وَمَرْدَاوَيْجْ بْنُ زِيَارْ ، وَخَرَجَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الدَّيْلَمِ ، وَخَرَجَ أَوْلَادُ أَبِي شُجَاعٍ فِي جُمْلَةِ مَنْ خَرَجَ ، وَكَانُوا مِنْ جُمْلَةِ قُوَّادِ مَاكَانَ بْنِ كَالِي ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ مَاكَانَ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي الِاتِّفَاقِ ثُمَّ الِاخْتِلَافِ ، بَعْدَ قَتْلِ أَسْفَارَ ، وَاسْتِيلَاءِ مَرْدَاوَيْجَ عَلَى مَا كَانَ بِيَدِ مَاكَانَ مِنْ طَبَرِسْتَانَ وَجُرْجَانَ ، وَعَوْدُ مَاكَانَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى جُرْجَانَ وَالدَّامَغَانَ ، وَعَوْدُهُ إِلَى نَيْسَابُورَ مَهْزُومًا. |
| فَلَمَّا رَأَى أَوْلَادُ بُوَيْهِ ضَعْفَهُ وَعَجْزَهُ ، قَالَ لَهُ عِمَادُ الدَّوْلَةِ وَرُكْنُ الدَّوْلَةِ نَحْنُ فِي جَمَاعَةٍ ، وَقَدْ صِرْنَا ثُقْلًا عَلَيْكَ وَعِيَالًا ، وَأَنْتَ مُضَيَّقٌ ، وَالْأَصْلَحُ لَكَ أَنْ نُفَارِقَكَ لِنُخَفِّفَ عَنْكَ مَؤُونَتَنَا ، فَإِذَا صَلُحَ أَمْرُنَا عُدْنَا إِلَيْكَ ، فَأَذِنَ لَهُمَا ، فَسَارَا إِلَى مَرْدَاوَيْجَ ، وَاقْتَدَى بِهِمَا جَمَاعَةٌ مِنْ قُوَّادِ مَاكَانَ وَتَبِعُوهُمَا ، فَلَمَّا صَارُوا إِلَيْهِ قَبِلَهُمْ أَحْسَنَ قَبُولٍ ، وَخَلَعَ عَلَى ابْنَيْ بُوَيْهِ ، وَأَكْرَمَهُمَا ، وَقَلَّدَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ قُوَّادِ مَاكَانَ الْوَاصِلِينَ إِلَيْهِ نَاحِيَةً مِنْ نَوَاحِي الْجَبَلِ ، فَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ بُوَيْهِ فَإِنَّهُ قَلَّدَهُ كَرَجَ. |
| ذِكْرُ سَبَبِ تَقَدُّمِ عَلِيِّ بْنِ بُوَيْهِ كَانَ السَّبَبُ فِي ارْتِفَاعِ عَلِيِّ بْنِ بُوَيْهِ مِنْ بَيْنِهِمْ بَعْدَ الْأَقْدَارِ أَنَّهُ كَانَ سَمْحًا ، حَلِيمًا ، شُجَاعًا ، فَلَمَّا قَلَّدَهُ مَرْدَاوَيْجُ كَرَجَ ، وَقَلَّدَ جَمَاعَةَ الْقُوَّادِ الْمُسْتَأْمَنَةِ مَعَهُ الْأَعْمَالَ ، وَكَتَبَ لَهُمُ الْعُهُودَ ، وَسَارُوا إِلَى الرَّيِّ ، وَبِهَا وَشْمَكِيرُ بْنُ زِيَارَ أَخُو مَرْدَاوَيْجَ ، وَمَعَهُ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُلَقَّبُ بِالْعَمِيدِ ، وَهُوَ وَالِدُ أَبِي الْفَضْلِ الَّذِي وَزَرَ لِرُكْنِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ ، وَكَانَ الْعَمِيدُ يَوْمَئِذٍ وَزِيرَ مَرْدَاوَيْجَ. |
| وَكَانَ مَعَ عِمَادِ الدَّوْلَةِ بَغْلَةٌ شَهْبَاءُ مِنْ أَحْسَنِ مَا يَكُونُ ، فَعَرَضَهَا لِلْبَيْعِ ، فَبَلَغَ ثَمَنُهَا مِائَتَيْ دِينَارٍ ، فَعُرِضَتْ عَلَى الْعَمِيدِ ، فَأَخَذَهَا وَأَنْفَذَ ثَمَنَهَا ، فَلَمَّا حُمِلَ الثَّمَنُ إِلَى عِمَادِ الدَّوْلَةِ ، أَخَذَ مِنْهُ عَشَرَةَ دَنَانِيرَ وَرَدَّ الْبَاقِيَ ، وَجَعَلَ مَعَهُ هَدِيَّةً جَمِيلَةً. |
| ثُمَّ إِنَّ مَرْدَاوَيْجَ نَدِمَ عَلَى مَا فَعَلَ مِنْ تَوْلِيَةِ أُولَئِكَ الْقُوَّادِ الْبِلَادَ ، فَكَتَبَ إِلَى أَخِيهِ وَشْمَكِيرَ وَإِلَى الْعَمِيدِ يَأْمُرُهُمَا بِمَنْعِهِمْ مِنَ الْمَسِيرِ إِلَى أَعْمَالِهِمْ ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ قَدْ خَرَجَ ، فَيُرَدُّ. |
| وَكَانَتِ الْكُتُبُ تَصِلُ إِلَى الْعَمِيدِ قَبْلَ وَشْمَكِيرَ ، فَيَقْرَأُهَا ثُمَّ يَعْرِضُهَا عَلَى وَشْمَكِيرَ ، فَلَمَّا وَقَفَ الْعَمِيدُ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ ، أَنْفَذَ إِلَى عِمَادِ الدَّوْلَةِ يَأْمُرُهُ بِالْمَسِيرِ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى عَمَلِهِ ، وَيَطْوِي الْمَنَازِلَ ، فَسَارَ مِنْ وَقْتِهِ ، وَكَانَ الْمَغْرِبُ ، وَأَمَّا الْعَمِيدُ فَلَمَّا أَصْبَحَ ، عَرَضَ الْكِتَابَ عَلَى وَشْمَكِيرَ ، فَمَنَعَ سَائِرَ الْقُوَّادِ مِنَ الْخُرُوجِ مِنَ الرَّيِّ ، وَاسْتَعَادَ التَّوْقِيعَاتِ الَّتِي مَعَهُمْ بِالْبِلَادِ ، وَأَرَادَ وَشْمَكِيرُ أَنْ يُنْفِذَ خَلْفَ عِمَادِ الدَّوْلَةِ مَنْ يَرُدُّهُ ، فَقَالَ الْعَمِيدُ إِنَّهُ لَا يَرْجِعُ طَوْعًا ، وَرُبَّمَا قَاتَلَ مَنْ يَقْصِدُهُ وَخَرَجَ عَنْ طَاعَتِنَا ، فَتَرَكَهُ. |
| وَسَارَ عِمَادُ الدَّوْلَةِ إِلَى كَرَجَ ، وَأَحْسَنَ إِلَى النَّاسِ ، وَلَطَفَ بِعُمَّالِ الْبِلَادِ ، فَكَتَبُوا إِلَى مَرْدَاوَيْجَ يَشْكُرُونَهُ ، وَيَصِفُونَ ضَبْطَهُ الْبَلَدَ ، وَسِيَاسَتَهُ ، وَافْتَتَحَ قِلَاعًا كَانَتْ لِلْخَرْمِيَّةِ ، وَظَفَرَ مِنْهَا بِذَخَائِرَ كَثِيرَةٍ ، صَرَفَهَا جَمِيعَهَا إِلَى اسْتِمَالَةِ الرِّجَالِ ، وَالصِّلَاتِ ، وَالْهِبَاتِ ، فَشَاعَ ذِكْرُهُ ، وَقَصَدَهُ النَّاسُ وَأَحَبُّوهُ. |
| وَكَانَ مَرْدَاوَيْجُ ذَلِكَ الْوَقْتِ بَطَبَرِسْتَانَ ، فَلَمَّا عَادَ إِلَى الرَّيِّ أَطْلَقَ مَالًا لِجَمَاعَةٍ مِنْ قُوَّادِهِ عَلَى كَرَجَ ، فَاسْتَمَالَهُمْ عِمَادُ الدَّوْلَةِ ، وَوَصَلَهُمْ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، حَتَّى مَالُوا إِلَيْهِ ، وَأَحَبُّوا طَاعَتَهُ. |
| وَبَلَغَ ذَلِكَ مَرْدَاوَيْجَ ، فَاسْتَوْحَشَ وَنَدِمَ عَلَى إِنْفَاذِ أُولَئِكَ الْقُوَّادِ إِلَى الْكَرَجِ ، فَكَتَبَ إِلَى عِمَادِ الدَّوْلَةِ وَأُولَئِكَ يَسْتَدْعِيهِمْ إِلَيْهِ ، وَتَلَطَّفَ بِهِمْ ، فَدَافَعَهُ عِمَادُ الدَّوْلَةِ ، وَاشْتَغَلَ بِأَخْذِ الْعُهُودِ ، وَخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَةِ مَرْدَاوَيْجَ ، فَأَجَابُوهُ جَمِيعُهُمْ ، فَجَبَى مَالَ كَرَجَ ، وَاسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ شَيْرَزَادُ ، وَهُوَ مِنْ أَعْيَانِ قُوَّادِ الدَّيْلَمِ ، فَقَوِيَتْ نَفْسُهُ بِذَلِكَ ، وَسَارَ بِهِمْ عَنْ كَرَجَ إِلَى أَصْبَهَانَ ، وَبِهَا الْمُظَفَّرُ بْنُ يَاقُوتٍ ، فِي نَحْوٍ مِنْ عَشَرَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ ، وَعَلَى خَرَاجِهَا أَبُو عَلِيِّ بْنُ رُسْتُمَ ، فَأَرْسَلَ عِمَادُ الدَّوْلَةِ إِلَيْهِمَا يَسْتَعْطِفُهُمَا ، وَيَسْتَأْذِنُهُمَا فِي الِانْحِيَازِ إِلَيْهِمَا ، وَالدُّخُولِ فِي طَاعَةِ الْخَلِيفَةِ ، لِيَمْضِيَ إِلَى الْحَضْرَةِ بِبِغْدَاذَ ، فَلَمْ يُجِيبَاهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَكَانَ أَبُو عَلِيٍّ أَشَدَّهُمَا كَرَاهَةً ، فَاتَّفَقَ لِلسَّعَادَةِ أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ مَاتَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ ، وَبَرَزَ ابْنُ يَاقُوتٍ عَنْ أَصْبَهَانَ ثَلَاثَةَ فَرَاسِخَ ، وَكَانَ فِي أَصْحَابِهِ جِيلٌ وَدَيْلَمٌ مِقْدَارُ سِتِّمِائَةِ رَجُلٍ ، فَاسْتَأْمَنُوا إِلَى عِمَادِ الدَّوْلَةِ لِمَا بَلَغَهُمْ مِنْ كَرَمِهِ ، فَضَعُفَ قَلْبُ ابْنِ يَاقُوتٍ ، وَقَوِيَ جَنَانُ عِمَادِ الدَّوْلَةِ ، فَوَاقَعَهُ ، وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَ ابْنُ يَاقُوتٍ ، وَاسْتَوْلَى عِمَادُ الدَّوْلَةِ عَلَى أَصْبَهَانَ ، وَعَظُمَ فِي عُيُونِ النَّاسِ; لِأَنَّهُ كَانَ فِي تِسْعِمِائَةِ رَجُلٍ هَزَمَ بِهِمْ مَا يُقَارِبُ عَشَرَةَ آلَافِ رَجُلٍ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ الْخَلِيفَةَ فَاسْتَعْظَمَهُ ، وَبَلَغَ خَبَرُ هَذِهِ الْوَقْعَةِ مَرْدَاوَيْجَ فَأَقْلَقَهُ ، وَخَافَ عَلَى مَا بِيَدِهِ مِنَ الْبِلَادِ ، وَاغْتَمَّ لِذَلِكَ غَمًّا شَدِيدًا . |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ ابْنِ بُوَيْهِ عَلَى أَرَّجَانَ وَغَيْرِهَا ، وَمِلْكِ مَرْدَاوَيْجَ أَصْبَهَانَ لَمَّا بَلَغَ خَبَرُ الْوَقْعَةِ إِلَى مَرْدَاوَيْجَ ، خَافَ عِمَادُ الدَّوْلَةِ بْنُ بُوَيْهِ ، فَشَرَعَ فِي إِعْمَالِ الْحِيلَةِ ، فَرَاسَلَهُ يُعَاتِبُهُ وَيَسْتَمِيلُهُ ، وَيَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُظْهِرَ طَاعَتَهُ حَتَّى يَمُدَّهُ بِالْعَسَاكِرِ الْكَثِيرَةِ; لِيَفْتَحَ بِهَا الْبِلَادَ ، وَلَا يُكَلِّفُهُ سِوَى الْخُطْبَةِ لَهُ فِي الْبِلَادِ الَّتِي يَسْتَوْلِي عَلَيْهَا. |
| فَلَمَّا سَارَ الرَّسُولُ ، جَهَّزَ مَرْدَاوَيْجُ أَخَاهُ وَشْمَكِيرَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ لِيَكْبِسَ ابْنَ بُوَيْهِ ، وَهُوَ مُطْمَئِنٌّ إِلَى الرِّسَالَةِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ ، فَعَلِمَ ابْنُ بُوَيْهِ بِذَلِكَ ، فَرَحَلَ عَنْ أَصْبَهَانَ بَعْدَ أَنْ جَبَاهَا شَهْرَيْنِ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى أَرَّجَانَ ، وَبِهَا أَبُو بَكْرِ بْنُ يَاقُوتٍ ، فَانْهَزَمَ أَبُو بَكْرٍ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ ، وَقَصَدَ رَامَهُرْمُزَ ، وَاسْتَوْلَى ابْنُ بُوَيْهِ عَلَى أَرَّجَانَ فِي ذِي الْحِجَّةِ ، وَلَمَّا سَارَ عَنْ أَصْبَهَانَ دَخَلَهَا وَشْمَكِيرُ وَعَسْكَرُ أَخِيهِ مَرْدَاوَيْجَ وَمَلَكُوهَا ، فَلَمَّا سَمِعَ الْقَاهِرُ أَرْسَلَ إِلَى مَرْدَاوَيْجَ قَبْلَ خَلْعِهِ لِيَمْنَعَ أَخَاهُ عَنْ أَصْبَهَانَ وَيُسَلِّمُهَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ يَاقُوتٍ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ وَوَلِيَهَا مُحَمَّدٌ. |
| وَأَمَّا ابْنُ بُوَيْهِ فَإِنَّهُ لَمَّا مَلَكَ أَرَّجَانَ ، اسْتَخْرَجَ مِنْهَا أَمْوَالًا فَقَوِيَ بِهَا ، وَوَرَدَتْ عَلَيْهِ كُتُبُ أَبِي طَالِبٍ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ النَّوْبَنْدَجَانِيِّ يَسْتَدْعِيهِ ، وَيُشِيرُ عَلَيْهِ بِالْمَسِيرِ إِلَى شِيرَازَ ، وَيُهَوِّنُ عَلَيْهِ أَمْرَ يَاقُوتٍ وَأَصْحَابِهِ ، وَيُعَرِّفُهُ تَهَوُّرَهُ ، وَاشْتِغَالَهُ بِجِبَايَةِ الْأَمْوَالِ ، وَكَثْرَةَ مَئُونَتِهِ وَمَئُونَةِ أَصْحَابِهِ ، وَثِقَلَ وَطْأَتِهِمْ عَلَى النَّاسِ ، مَعَ فَشَلِهِمْ وَجُبْنِهِمْ ، فَخَافَ ابْنُ بُوَيْهِ أَنْ يَقْصِدَ يَاقُوتًا مَعَ كَثْرَةِ عَسَاكِرِهِ وَأَمْوَالِهِ ، وَيَحْصُلَ بَيْنَ يَاقُوتٍ وَوَلَدِهِ ، فَلَمْ يَقْبَلْ مَشُورَتَهُ ، وَلَمْ يَبْرَحْ مِنْ مَكَانِهِ ، فَعَادَ أَبُو طَالِبٍ وَكَتَبَ إِلَيْهِ يُشَجِّعُهُ ، وَيُعْلِمُهُ أَنَّ مَرْدَاوَيْجَ قَدْ كَتَبَ إِلَى يَاقُوتٍ يَطْلُبُ مُصَالَحَتَهُ ، فَإِنْ تَمَّ ذَلِكَ اجْتَمَعَا عَلَى مُحَارَبَتِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بِهِمَا طَاقَةٌ ، وَيَقُولُ لَهُ إِنَّ الرَّأْيَ لِمَنْ كَانَ فِي مِثْلِ حَالِهِ أَنْ يُعَاجِلَ مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَا يَنْتَظِرَ بِهِمُ الِاجْتِمَاعَ وَالْكَثْرَةَ ، وَأَنْ يُحْدِقُوا بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَإِنَّهُ إِذَا هَزَمَ مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، خَافَهُ الْبَاقُونَ ، وَلَمْ يَقْدُمُوا عَلَيْهِ. |
| وَلَمْ يَزَلْ أَبُو طَالِبٍ يُرَاسِلُهُ إِلَى أَنْ سَارَ نَحْوَ النُّوَبَنْدِجَانِ فِي رَبِيعٍ الْآخَرِ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَقَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهِمَا مُقَدِّمَةُ يَاقُوتٍ فِي نَحْوِ أَلْفَيْ فَارِسٍ مِنْ شُجْعَانِ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا وَافَاهُمُ ابْنُ بُوَيْهِ ، لَمْ يَثْبُتُوا لَهُ لَمَّا لَقِيَهُمْ ، وَانْهَزَمُوا إِلَى كَرْكَانَ ، وَجَاءَهُمْ يَاقُوتٌ فِي جَمِيعِ أَصْحَابِهِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَتَقَدَّمَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى وُكَلَائِهِ بِالنُّوَبَنْدِجَانِ بِخِدْمَةِ ابْنِ بُوَيْهِ ، وَالْقِيَامِ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَتَنَحَّى هُوَ عَنِ الْبَلَدِ إِلَى بَعْضِ الْقُرَى ، حَتَّى لَا يُعْتَقَدَ فِيهِ الْمُوَاطَأَةُ لَهُ ، فَكَانَ مَبْلَغُ مَا خَسِرَ عَلَيْهِ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا مِقْدَارَ مِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ. |
| وَأَنْفَذَ عِمَادُ الدَّوْلَةِ أَخَاهُ رُكْنُ الدَّوْلَةِ الْحَسَنُ إِلَى كَازْرُوَنَ وَغَيْرِهَا مِنْ أَعْمَالِ فَارِسَ ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا أَمْوَالًا جَلِيلَةً ، فَأَنْفَذَ يَاقُوتٌ عَسْكَرًا إِلَى كَازْرُوَنَ ، فَوَاقَعَهُمْ رُكْنُ الدَّوْلَةِ ، فَهَزَمَهُمْ وَهُوَ فِي نَفَرٍ يَسِيرٍ ، وَعَادَ غَانِمًا سَالِمًا إِلَى أَخِيهِ. |
| ثُمَّ إِنَّ عِمَادَ الدَّوْلَةِ انْتَهَى إِلَيْهِ مُرَاسَلَةُ مَرْدَاوَيْجَ وَأَخِيهِ وَشْمَكِيرَ إِلَى يَاقُوتٍ وَمُرَاسَلَتُهُ إِلَيْهِمَا ، فَخَافَ اجْتِمَاعَهُمْ ، فَسَارَ مِنَ النُّوَبَنْدِجَانِ إِلَى إِصْطَخْرَ ثُمَّ إِلَى الْبَيْضَاءِ ، وَيَاقُوتٌ يَتْبَعُهُ ، وَانْتَهَى إِلَى قَنْطَرَةٍ عَلَى طَرِيقِ كَرْمَانَ ، فَسَبَقَهُ يَاقُوتٌ إِلَيْهَا ، وَمَنَعَهُ مِنْ عُبُورِهَا ، وَاضْطُرَّ إِلَى الْحَرْبِ ، وَذَلِكَ فِي آخِرِ سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . |
| وَدَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اجْتَمَعَتْ بَنُو ثَعْلَبَةَ إِلَى بَنِي أَسَدٍ الْقَاصِدِينَ إِلَى أَرْضِ الْمَوْصِلِ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ طَيٍّ ، فَصَارُوا يَدًا وَاحِدَةً عَلَى بَنِي مَالِكٍ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ تَغْلِبَ ، وَقَرُبَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ لِلْحَرْبِ ، فَرَكِبَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدَانَ فِي أَهْلِهِ وَرِجَالِهِ ، وَمَعَهُ أَبُو الْأَغَرِّ بْنُ سَعِيدِ بْنِ حَمْدَانَ لِلصُّلْحِ بَيْنَهُمْ ، فَتَكَلَّمَ أَبُو الْأَغَرِّ ، فَطَعَنَهُ رَجُلٌ مِنْ حِزْبِ بَنِي ثَعْلَبَةَ فَقَتَلَهُ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ وَمَنْ مَعَهُ ، فَانْهَزَمُوا وَقُتِلَ مِنْهُمْ ، وَمُلِكَتْ بُيُوتُهُمْ ، وَأُخِذَ حَرِيمُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ ، وَنَجَوْا عَلَى ظُهُورِ خُيُولِهِمْ ، وَتَبِعَهُمْ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْحَدِيثَةِ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهَا لَقِيَهُمْ يَأْنَسُ غُلَامُ مُؤْنِسٍ ، وَقَدْ وَلِيَ الْمَوْصِلَ ، وَهُوَ مُصْعِدٌ إِلَيْهَا ، فَانْضَمَّ إِلَيْهِ بَنُو ثَعْلَبَةَ وَبَنُو أَسَدٍ ، وَعَادُوا إِلَى دِيَارِ رَبِيعَةَ. |
| وَفِيهَا وَرَدَ الْخَبَرُ إِلَى بَغْدَاذَ بِوَفَاةِ تِكِينَ الْخَاصَّةِ بِمِصْرَ ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَيْهَا ، فَوَلِيَ مَكَانَهُ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ ، وَأَرْسَلَ لَهُ الْقَاهِرُ بِاللَّهِ الْخِلَعَ ، وَثَارَ الْجُنْدُ بِمِصْرَ ، فَقَاتَلَهُمْ مُحَمَّدٌ وَظَفَرَ بِهِمْ. |
| وَفِيهَا أَمَرَ عَلِيُّ بْنُ بُلَيْقٍ قَبْلَ قَبْضِهِ ، وَكَاتَبَهُ الْحَسَنُ بْنُ هَارُونَ بِلَعْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَابْنِهِ يَزِيدَ عَلَى الْمَنَابِرِ بِبَغْدَادَ ، فَاضْطَرَبَتِ الْعَامَّةُ ، فَأَرَادَ عَلِيُّ بْنُ بُلْيَقٍ أَنْ يَقْبِضَ عَلَى الْبَرْبَهَارِيِّ رَئِيسِ الْحَنَابِلَةِ ، وَكَانَ يُثِيرُ الْفِتَنَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، فَعَلِمَ بِذَلِكَ فَهَرَبَ ، فَأَخَذَ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ أَصْحَابِهِ ، وَحُبِسُوا وَجُعِلُوا فِي زَوْرَقٍ ، وَأُحْدِرُوا إِلَى عُمَانَ. |
| وَفِيهَا أَمَرَ الْقَاهِرُ بِتَحْرِيمِ الْخَمْرِ وَالْغِنَاءِ وَسَائِرِ الْأَنْبِذَةِ ، وَنَفَى بَعْضَ مَنْ كَانَ يُعْرَفُ بِذَلِكَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ ، وَأَمَّا الْجَوَارِي الْمُغَنِّيَاتُ فَأَمَرَ بِبَيْعِهِنَّ عَلَى أَنَّهُنَّ سَوَذِاجُ لَا يَعْرِفْنَ الْغِنَاءَ ، ثُمَّ وَضَعَ مَنْ يَشْتَرِي لَهُ كُلَّ حَاذِقَةٍ فِي صَنْعَةِ الْغِنَاءِ ، فَاشْتَرَى مِنْهُنَّ مَا أَرَادَ بِأَرْخَصِ الْأَثْمَانِ ، وَكَانَ الْقَاهِرُ مُشْتَهِرًا بِالْغِنَاءِ وَالسَّمَاعِ ، فَجَعَلَ ذَلِكَ طَرِيقًا إِلَى تَحْصِيلِ غَرَضِهِ رَخِيصًا ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي لَا يَرْضَاهَا عَامَّةُ النَّاسِ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ اللُّغَوِيُّ فِي شَعْبَانَ ، وَأَبُو هَاشِمِ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ الْجُبَّائِيُّ الْمُتَكَلِّمُ الْمُعْتَزِلِيُّ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، وَدُفِنَا بِمَقَابِرِ الْخَيْزُرَانِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ مَطَرٍ الْفِرَبْرِيُّ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَهُوَ الَّذِي رُوِيَ" صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ "عَنْهُ ، وَكَانَ قَدْ سَمِعَهُ عَشَرَاتُ أُلُوفٍ مِنَ الْبُخَارِيِّ ، فَلَمْ يَنْتَشِرْ إِلَّا عَنْهُ ، وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى فِرَبْرَ بِالْفَاءِ وَالرَّاءَيْنِ الْمُهْمَلَتَيْنِ ، وَبَيْنَهُمَا بَاءٌ مُعْجَمَةٌ مُوَحَّدَةٌ ، وَهِيَ مِنْ قُرَى بُخَارَى. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ ابْنِ بُوَيْهِ عَلَى شِيرَازَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ظَفِرَ عِمَادُ الدَّوْلَةِ بْنُ بُوَيْهِ بِيَاقُوتٍ ، وَمَلِكِ شِيرَازَ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا مَسِيرَ عِمَادِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ إِلَى الْقَنْطَرَةِ ، وَسَبْقِ يَاقُوتٍ إِلَيْهَا ، فَلَمَّا وَصَلَهَا ابْنُ بُوَيْهِ وَصَدَّهُ يَاقُوتٌ عَنْ عُبُورِهَا ، اضْطُرَّ إِلَى مُحَارَبَتِهِ ، فَتَحَارَبَا فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَأَحْضَرَ عَلِيُّ بْنُ بُوَيْهِ أَصْحَابَهُ ، وَوَعَدَهُمْ أَنَّهُ يَتَرَجَّلُ مَعَهُمْ عِنْدَ الْحَرْبِ وَيُقَاتِلُ كَأَحَدِهِمْ ، وَمَنَّاهُمْ وَوَعَدَهُمُ الْإِحْسَانَ. |
| وَكَانَ مِنْ سَعَادَتِهِ أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ اسْتَأْمَنُوا إِلَى يَاقُوتٍ فَحِينَ رَآهُمْ يَاقُوتٌ ، أَمَرَ بِضَرْبِ رِقَابِهِمْ ، فَأَيْقَنَ مَنْ مَعَ ابْنِ بُوَيْهِ أَنَّهُمْ لَا أَمَانَ لَهُمْ عِنْدَهُ ، فَقَاتَلُوا قِتَالَ مُسْتَقْتِلٍ. |
| ثُمَّ إِنَّ يَاقُوتًا قَدَّمَ أَمَامَ أَصْحَابِهِ رَجَّالَةً كَثِيرَةً يُقَاتِلُونَ بِقَوَارِيرِ النَّفْطِ ، فَانْقَلَبَتِ الرِّيحُ فِي وُجُوهِهِمْ ، وَاشْتَدَّتْ ، فَلَمَّا أَلْقَوُا النَّارَ عَادَتِ النَّارُ عَلَيْهِمْ ، فَعَلَقَتْ بِوُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ ، فَاخْتَلَطُوا وَأَكَبَّ عَلَيْهِمْ أَصْحَابُ ابْنِ بُوَيْهِ ، فَقَتَلُوا أَكْثَرَ الرَّجَّالَةِ ، وَخَالَطُوا الْفُرْسَانَ فَانْهَزَمُوا ، فَكَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى يَاقُوتٍ وَأَصْحَابِهِ. |
| فَلَمَّا انْهَزَمَ صَعِدَ عَلَى نَشَزٍ مُرْتَفِعٍ ، وَنَادَى فِي أَصْحَابِهِ الرَّجْعَةَ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَحْوُ أَرْبَعَةِ آلَافِ فَارِسٍ ، فَقَالَ لَهُمْ اثْبُتُوا ، فَإِنَّ الدَّيْلَمَ يَشْتَغِلُونَ بِالنَّهْبِ ، وَيَتَفَرَّقُونَ ، فَنَأْخُذُهُمْ ، فَثَبَتُوا مَعَهُ ، فَلَمَّا رَأَى ابْنَ بُوَيْهِ ثَبَاتَهُمْ ، نَهَى أَصْحَابَهُ عَنِ النَّهْبِ ، وَقَالَ إِنَّ عَدُوَّكُمْ يَرْصُدُكُمْ لِتَشْتَغِلُوا بِالنَّهْبِ ، فَيَعْطِفَ عَلَيْكُمْ وَيَكُونَ هَلَاكُكُمْ ، فَاتْرُكُوا هَذَا ، وَافْرَغُوا مِنَ الْمُنْهَزِمِينَ ثُمَّ عُودُوا إِلَيْهِ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، فَلَمَّا رَأَى يَاقُوتٌ أَنَّهُمْ عَلَى قَصْدِهِ ، وَلَّى مُنْهَزِمًا وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُ ابْنِ بُوَيْهِ ، يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ وَيَغْنَمُونَ الْخَيْلَ وَالسِّلَاحَ. |
| وَكَانَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ بُوَيْهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ أَثَرًا ، وَكَانَ صَبِيًّا لَمْ تَنْبُتْ لِحْيَتُهُ ، وَكَانَ عُمُرُهُ تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةٍ ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى السَّوَادِ ، فَغَنِمُوا وَوَجَدُوا فِي سَوَادِهِ بَرَانِسَ لُبُودٍ عَلَيْهَا أَذْنَابُ الثَّعَالِبِ ، وَوَجَدُوا قُيُودًا وَأَغْلَالًا ، فَسَأَلُوا عَنْهَا ، فَقَالَ أَصْحَابُ يَاقُوتٍ إِنَّ هَذِهِ أُعِدَّتْ لَكُمْ لِتُجْعَلَ عَلَيْكُمْ ، وَيُطَافَ بِكُمْ فِي الْبِلَادِ ، فَأَشَارَ أَصْحَابُ ابْنِ بُوَيْهِ أَنْ يُفْعَلَ بِهِمْ مِثْلُ ذَلِكَ ، فَامْتَنَعَ وَقَالَ إِنَّهُ بَغْيٌ ، وَلُؤْمُ ظَفْرٍ ، وَلَقَدْ لَقِيَ يَاقُوتٌ بَغْيَهُ. |
| ثُمَّ أَحْسَنَ إِلَى الْأَسَارَى وَأَطْلَقَهُمْ ، وَقَالَ هَذِهِ نِعْمَةٌ ، وَالشُّكْرُ عَلَيْهَا وَاجِبٌ يَقْتَضِي الْمَزِيدَ ، وَخَيَّرَ الْأَسَارَى بَيْنَ الْمُقَامِ عِنْدَهُ وَاللُّحُوقِ بِيَاقُوتٍ ، فَاخْتَارُوا الْمُقَامَ عِنْدَهُ ، فَخَلَعَ عَلَيْهِمْ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ. |
| وَسَارَ مِنْ مَوْضِعِ الْوَقْعَةِ حَتَّى نَزَلَ بِشِيرَازَ ، وَنَادَى فِي النَّاسِ بِالْأَمَانِ ، وَبَثَّ الْعَدْلَ ، وَأَقَامَ لَهُمْ شِحْنَةً يَمْنَعُ مَنْ ظَلَمَهُمْ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى تِلْكَ الْبِلَادِ ، وَطَلَبَ الْجُنْدُ أَرْزَاقَهُمْ ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَا يُعْطِيهِمْ ، فَكَادَ يَنْحَلُّ أَمْرُهُ ، فَقَعَدَ فِي غُرْفَةٍ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ بِشِيرَازَ يُفَكِّرُ فِي أَمْرِهِ ، فَرَأَى حَيَّةً خَرَجَتْ مِنْ مَوْضِعٍ فِي سَقْفِ تِلْكَ الْغُرْفَةِ ، وَدَخَلَتْ فِي ثُقْبٍ هُنَاكَ ، فَخَافَ أَنْ تَسْقُطَ عَلَيْهِ ، فَدَعَا الْفَرَّاشِينَ ، فَفَتَحُوا الْمَوْضِعَ ، فَرَأَوْا وَرَاءَهُ بَابًا ، فَدَخَلُوهُ إِلَى غُرْفَةٍ أُخْرَى ، وَفِيهَا عَشَرَةُ صَنَادِيقَ مَمْلُوءَةٌ مَالًا وَمَصُوغًا ، وَكَانَ فِيهَا مَا قِيمَتُهُ خَمْسُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَأَنْفَقَهَا ، وَثَبَّتَ مُلْكَهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ أَشْرَفَ عَلَى الزَّوَالِ. |
| وَحُكِيَ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُفَصِّلَ ثِيَابًا ، فَدَلُّوهُ عَلَى خَيَّاطٍ كَانَ لِيَاقُوتٍ ، فَأَحْضَرَهُ ، فَحَضَرَ خَائِفًا ، وَكَانَ أَصَمَّ ، فَقَالَ لَهُ عِمَادُ الدَّوْلَةِ لَا تَخَفْ ، فَإِنَّمَا أَحْضَرْنَاكَ لِتُفَصِّلَ ثِيَابًا ، فَلَمْ يَعْلَمْ مَا قَالَ ، فَابْتَدَأَ وَحَلَفَ بِالطَّلَاقِ وَالْبَرَاءَةِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ أَنَّ الصَّنَادِيقَ الَّتِي عِنْدَهُ لِيَاقُوتٍ مَا فَتَحَهَا ، فَتَعَجَّبَ الْأَمِيرُ مِنْ هَذَا الِاتِّفَاقِ ، فَأَمَرَهُ بِإِحْضَارِهَا ، فَأَحْضَرَ ثَمَانِيَةَ صَنَادِيقَ فِيهَا مَالٌ وَثِيَابٌ قِيمَتُهُ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، ثُمَّ ظَهَرَ لَهُ مِنْ وَدَائِعِ يَاقُوتٍ وَذَخَائِرِ يَعْقُوبَ وَعَمْرٍو ابْنَيِ اللَّيْثِ جُمْلَةٌ كَثِيرَةٌ ، فَامْتَلَأَتْ خَزَائِنُهُ وَثَبَتَ مُلْكُهُ. |
| فَلَمَّا تَمَكَّنَ مِنْ شِيرَازَ وَفَارِسَ ، كَتَبَ إِلَى الرَّاضِي بِاللَّهِ ، وَكَانَتْ قَدْ أَفْضَتْ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ ، وَإِلَى وَزِيرِهِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ يُعَرِّفُهُمَا أَنَّهُ عَلَى الطَّاعَةِ ، وَيَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُقَاطِعَ عَلَى مَا بِيَدِهِ مِنَ الْبِلَادِ ، وَبَذَلَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ ، فَأَنْفَذُوا لَهُ الْخِلَعَ ، وَشَرَطُوا عَلَى الرَّسُولِ أَنْ لَا يُسَلِّمَ إِلَيْهِ الْخِلَعَ إِلَّا بَعْدَ قَبْضِ الْمَالِ. |
| فَلَمَّا وَصَلَ الرَّسُولُ ، خَرَجَ عِمَادُ الدَّوْلَةِ إِلَى لِقَائِهِ ، وَطَلَبَ مِنْهُ الْخِلَعَ وَاللِّوَاءَ ، فَذَكَرَ لَهُ الشَّرْطَ ، فَأَخَذَهُمَا مِنْهُ قَهْرًا ، وَلَبِسَ الْخِلَعَ ، وَنَشَرَ اللِّوَاءَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَدَخَلَ الْبَلَدَ ، وَغَالَطَ الرَّسُولَ بِالْمَالِ ، فَمَاتَ الرَّسُولُ عِنْدَهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَعَظُمَ شَأْنُهُ ، وَقَصَدَهُ الرِّجَالُ مِنَ الْأَطْرَافِ. |
| وَلَمَّا سَمِعَ مَرْدَاوَيْجُ بِمَا نَالَهُ مِنِ ابْنِ بُوَيْهِ ، قَامَ لِذَلِكَ وَقَعَدَ وَسَارَ إِلَى أَصْبَهَانَ لِلتَّدْبِيرِ عَلَيْهِ ، وَكَانَ بِهَا أَخُوهُ وَشْمَكِيرُ; لِأَنَّهُ لَمَّا خَلَعَ الْقَاهِرُ ، وَتَأَخَّرَ مُحَمَّدُ بْنُ يَاقُوتٍ عَنْهَا ، عَادَ إِلَيْهَا وَشْمَكِيرُ بَعْدَ أَنْ بَقِيَتْ تِسْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا خَالِيَةً مِنْ أَمِيرٍ ، فَلَمَّا وَصَلَهَا مَرْدَاوَيْجُ ، رَدَّ أَخَاهُ وَشْمَكِيرَ إِلَى الرَّيِّ. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ عَلَى كَرْمَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ إِلْيَاسَ مِنْ نَاحِيَةِ كَرْمَانَ إِلَى بِلَادِ فَارِسَ ، وَبَلَغَ إِصْطَخْرَ ، فَأَظْهَرَ لِيَاقُوتٍ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَأْمِنَ إِلَيْهِ حِيلَةً وَمَكْرًا ، فَعَلِمَ يَاقُوتٌ مَكْرَهُ ، فَعَادَ إِلَى كَرْمَانَ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ السَّعِيدُ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ صَاحِبُ خُرَاسَانَ ، مَاكَانَ بْنَ كَالِي فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ ، فَقَاتَلَهُ ، فَانْهَزَمَ ابْنُ إِلْيَاسَ ، وَاسْتَوْلَى مَاكَانُ عَلَى كَرْمَانَ ، نِيَابَةً عَنْ صَاحِبِ خُرَاسَانَ. |
| وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ إِلْيَاسَ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ ، فَغَضِبَ عَلَيْهِ وَحَبَسَهُ ، ثُمَّ شَفَعَ فِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الْبَلْعَمِيُّ ، فَأَخْرَجَهُ ، وَسَيَّرَهُ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُظَفَّرِ إِلَى جُرْجَانَ ، فَلَمَّا خَرَجَ يَحْيَى بْنُ أَحْمَدَ وَإِخْوَتُهُ بِبُخَارَى ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، سَارَ مُحَمَّدُ بْنُ إِلْيَاسَ إِلَيْهِ فَصَارَ مَعَهُ ، فَلَمَّا أَدْبَرَ أَمْرُهُ سَارَ مُحَمَّدٌ مِنْ نَيْسَابُورَ إِلَى كَرْمَانَ ، فَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ ، فَأَزَالَهُ مَاكَانُ عَنْهَا ، فَسَارَ إِلَى الدِّينَوَرِ ، وَأَقَامَ مَاكَانُ بِكَرْمَانَ ، فَلَمَّا عَادَ عَنْهَا عَلَى مَا نَذْكُرُهُ رَجَعَ إِلَيْهَا مُحَمَّدُ بْنُ إِلْيَاسَ. |
| ذِكْرُ خَلْعِ الْقَاهِرِ بِاللَّهِ وَفِيهَا خُلِعَ الْقَاهِرُ بِاللَّهِ فِي جُمَادَى الْأُولَى ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَبَا عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ كَانَ مُسْتَتِرًا مِنَ الْقَاهِرِ ، وَالْقَاهِرُ يَتَطَلَّبُهُ ، وَكَذَلِكَ الْحَسَنُ بْنُ هَارُونَ ، فَكَانَا يُرَاسِلَانِ قُوَّادَ السَّاجِيَّةِ ، وَالْحَجَرِيَّةِ ، وَيُخَوِّفَانِهِمْ مِنْ شَرِّهِ ، وَيَذْكُرَانِ لَهُمْ غَدْرَهُ وَنَكْثَهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، كَقَتْلِ مُؤْنِسٍ ، وَبُلَيْقٍ ، وَابْنِهِ عَلِيٍّ بَعْدَ الْأَيْمَانِ لَهُمْ ، وَكَقَبْضِهِ عَلَى طَرِيفٍ السُّبْكَرِيِّ بَعْدَ الْيَمِينِ لَهُ ، مَعَ نُصْحِ طَرِيفٍ لَهُ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. |
| وَكَانَ ابْنُ مُقْلَةَ يَجْتَمِعُ بِالْقُوَّادِ لَيْلًا ، تَارَةً فِي زِيِّ أَعْمَى ، وَتَارَةً فِي زِيِّ مُكَدٍّ ، وَتَارَةً فِي زِيِّ امْرَأَةٍ ، وَيُغْرِيهِمْ بِهِ. |
| ثُمَّ إِنَّهُ أَعْطَى مُنَجِّمًا كَانَ لِسِيمَا مِائَتَيْ دِينَارٍ ، وَأَعْطَاهُ الْحَسَنُ مِائَةَ دِينَارٍ ، وَكَانَ يَذْكُرُ لِسِيمَا أَنَّ طَالِعَهُ يَقْتَضِي أَنْ يَنْكُبَهُ الْقَاهِرُ وَيَقْتُلَهُ ، وَأَعْطَى ابْنَ مُقْلَةَ أَيْضًا لِمُعَبِّرٍ كَانَ لِسِيمَا يَعَبِّرُ لَهُ الْمَنَامَاتِ ، فَكَانَ يُحَذِّرُهُ أَيْضًا مِنَ الْقَاهِرِ ، وَيُعَبِّرُ لَهُ عَلَى مَا يُرِيدُ ، فَازْدَادَ نُفُورًا مِنَ الْقَاهِرِ . |
| ثُمَّ إِنَّ الْقَاهِرَ شَرَعَ فِي عَمَلِ مَطَامِيرَ فِي الدَّارِ ، فَقِيلَ لِسِيمَا وَلِجَمَاعَةِ قُوَّادِ السَّاجِيَّةِ وَالْحَجَرِيَّةِ إِنَّمَا عَمَلُهَا لِأَجْلِكُمْ ، فَازْدَادَا نُفُورًا ، وَنَقَلَ إِلَى سِيمَا أَنَّ الْقَاهِرَ يُرِيدُ قَتْلَهُ ، فَجَمَعَ السَّاجِيَّةَ ، وَكَانَ هُوَ رَئِيسَهُمُ الْمُقَدَّمَ عَلَيْهِمْ ، وَأَعْطَاهُمُ السِّلَاحَ ، وَأَنْفَذُوا إِلَى الْحَجَرِيَّةِ إِنْ كُنْتُمْ مُوَافِقِينَ لَنَا ، فَجِيئُوا إِلَيْنَا حَتَّى نَحْلِفَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ ، وَتَكُونَ كَلِمَتُنَا وَاحِدَةً ، فَاجْتَمَعُوا جَمِيعُهُمْ ، وَتَحَالَفُوا عَلَى اجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ وَقَتْلِ مَنْ خَالَفَ مِنْهُمْ. |
| فَاتَّصَلَ ذَلِكَ بِالْقَاهِرِ وَوَزِيرِهِ الْخُصَيْبِيِّ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الْوَزِيرُ مَا الَّذِي حَمَلَكُمْ عَلَى هَذَا ؟ |
| فَقَالُوا قَدْ صَحَّ عِنْدَنَا أَنَّ الْقَاهِرَ يُرِيدُ الْقَبْضَ عَلَى سِيمَا ، وَقَدْ عَمِلَ مَطَامِيرَ لِيَحْبِسَ فِيهَا قُوَّادَنَا وَرُؤَسَاءَنَا ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَرْبِعَاءِ لِسِتٍّ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ، اجْتَمَعَ السَّاجِيَّةُ وَالْحَجَرِيَّةُ عِنْدَ سِيمَا ، وَتَحَالَفُوا عَلَى الِاجْتِمَاعِ عَلَى الْقَبْضِ عَلَى الْقَاهِرِ ، فَقَالَ لَهُمْ سِيمَا قُومُوا بِنَا السَّاعَةَ حَتَّى نُمْضِيَ هَذَا الْعَزْمَ ، فَإِنَّهُ إِنْ تَأَخَّرَ عَلِمَ بِهِ ، وَاحْتَرَزَ وَأَهْلَكَنَا. |
| وَبَلَغَ ذَلِكَ الْوَزِيرَ ، فَأَرْسَلَ الْحَاجِبَ سَلَامَةَ وَعِيسَى الطَّبِيبَ لِيُعْلِمَاهُ بِذَلِكَ ، فَوَجَدَاهُ نَائِمًا قَدْ شَرِبَ أَكْثَرَ لَيْلَتِهِ ، فَلَمْ يَقْدِرَا عَلَى إِعْلَامِهِ بِذَلِكَ. |
| وَزَحَفَ الْحَجَرِيَّةُ وَالسَّاجِيَّةُ إِلَى الدَّارِ ، وَوَكَّلَ سِيمَا بِأَبْوَابِهَا مَنْ يَحْفَظُهَا ، وَبَقِيَ هُوَ عَلَى بَابِ الْعَامَّةِ ، وَهَجَمُوا إِلَى الدَّارِ مِنْ سَائِرِ الْأَبْوَابِ ، فَلَمَّا سَمِعَ الْقَاهِرُ الْأَصْوَاتَ وَالْجَلَبَةَ ، اسْتَيْقَظَ مَخْمُورًا ، وَطَلَبَ بَابًا يَهْرُبُ مِنْهُ ، فَقِيلَ لَهُ إِنَّ الْأَبْوَابَ جَمِيعُهَا مَشْحُونَةً بِالرِّجَالِ ، فَهَرَبَ إِلَى سَطْحِ حَمَّامٍ ، فَلَمَّا دَخَلَ الْقَوْمُ لَمْ يَجِدُوهُ ، فَأَخَذُوا الْخَدَمَ وَسَأَلُوهُمْ عَنْهُ ، فَدَلَّهُمْ عَلَيْهِ خَادِمٌ صَغِيرٌ ، فَقَصَدُوهُ ، فَرَأَوْهُ وَبِيَدِهِ السَّيْفُ ، فَاجْتَهَدُوا بِهِ فَلَمْ يَنْزِلْ لَهُمْ ، فَأَلَانُوا لَهُ الْقَوْلَ ، وَقَالُوا نَحْنُ عَبِيدُكَ ، وَإِنَّمَا نُرِيدُ أَنْ نَأْخُذَ عَلَيْكَ الْعُهُودَ ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ ، وَقَالَ مَنْ صَعِدَ إِلَيَّ قَتَلْتُهُ. |
| فَأَخَذَ بَعْضُهُمْ سَهْمًا ، وَقَالَ إِنْ نَزَلْتَ ، وَإِلَّا وَضَعْتُهُ فِي نَحْرِكَ. |
| فَنَزَلَ حِينَئِذٍ إِلَيْهِمْ ، فَأَخَذُوهُ وَسَارُوا بِهِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي فِيهِ طَرِيفٌ السُّبْكَرِيُّ ، فَفَتَحُوهُ وَأَخْرَجُوهُ مِنْهُ ، وَحَبَسُوا الْقَاهِرَ مَكَانَهُ ، ثُمَّ سَلَّمُوهُ ، وَهَرَبَ وَزِيرُهُ الْخُصَيْبِيُّ وَسَلَامَةُ حَاجِبُهُ. |
| وَقِيلَ فِي سَبَبِ خَلْعِهِ وَقِيَامِ السَّاجِيَّةِ وَالْحَجَرِيَّةِ غَيْرُ مَا تَقَدَّمَ ، وَهُوَ أَنَّ الْقَاهِرَ لَمَّا تَمَكَّنَ مِنَ الْخِلَافَةِ ، أَقْبَلَ يَنْقُصُ السَّاجِيَّةَ وَالْحَجَرِيَّةَ عَلَى مَمَرِّ الْأَيَّامِ ، وَلَا يَقْضِي لِأَكَابِرِهِمْ حَاجَةً ، وَيُلْزِمُهُمُ النَّوْبَةَ فِي دَارِهِ ، وَيُؤَخِّرُ أُعْطِيَاتِهِمْ ، وَيُغْلِطُ لِمَنْ يُخَاطِبُهُ مِنْهُمْ فِي أَمْرٍ ، وَيَحْرِمُهُ ، فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ يُنْذِرُ بَعْضًا ، وَيَتَشَاكَوْنَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ إِنَّهُ كَانَ يَقُولُ لِسَلَامَةَ حَاجِبِهِ يَا سَلَامَةُ ، أَنْتَ بَيْنَ يَدَيَّ كَنْزُ مَالٍ يَمْشِي ، فَأَيُّ شَيْءٍ يَبِينُ فِي مَالِكَ لَوْ أَعْطَيْتَنِي أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ ؟ |
| فَيَحْمِلُ ذَلِكَ مِنْهُ عَلَى الْهَزْلِ. |
| وَكَانَ وَزِيرُهُ الْخُصَيْبِيُّ أَيْضًا خَائِفًا لِمَا يَرَى مِنْهُ ، ثُمَّ إِنَّهُ حَفَرَ فِي الدَّارِ نَحْوَ خَمْسِينَ مَطْمُورَةً تَحْتَ الْأَرْضِ ، وَأَحْكَمَ أَبْوَابَهَا ، فَكَانَ يُقَالُ إِنَّهُ عَمِلَهَا لِمُقَدِّمِي السَّاجِيَّةِ وَالْحَجَرِيَّةِ ، فَازْدَادَ نُفُورُهُمْ مِنْهُ وَخَوْفُهُمْ ، ثُمَّ إِنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْقَرَامِطَةِ أَخَذُوا بِفَارِسَ وَأَرْسَلُوا إِلَى بَغْدَاذَ ، كَمَا تَقَدَّمَ ، فَحُبِسُوا فِي تِلْكَ الْمَطَامِيرِ ، ثُمَّ تَقَدَّمَ سِرًّا بِفَتْحِ الْأَبْوَابِ عَلَيْهِمْ ، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَقْوَى بِهِمْ عَلَى الْقَبْضِ عَلَى مُقَدِّمِي الْحَجَرِيَّةِ وَالسَّاجِيَّةِ ، وَبِمَنْ مَعَهُ مِنْ غِلْمَانِهِ. |
| وَأَنْكَرَ الْحَجَرِيَّةُ وَالسَّاجِيَّةُ حَالَ الْقَرَامِطَةِ ، وَكَوْنِهِمْ مَعَهُ فِي دَارِهِ مُحْسِنًا إِلَيْهِمْ ، وَقَالُوا لِوَزِيرِهِ الْخُصَيْبِيِّ ، وَحَاجِبِهِ سَلَامَةَ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَا لَهُ ، فَأَخْرَجَهُمْ مِنَ الدَّارِ ، فَسَلَّمَهُمْ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ يَاقُوتٍ ، وَهُوَ عَلَى شُرْطَةِ بَغْدَاذَ ، فَأَنْزَلَهُمْ فِي دَارٍ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، وَكَانَ يَدْخُلُ إِلَيْهِمْ مَنْ يُرِيدُ ، فَعَظُمَ اسْتِيحَاشُهُمْ. |
| ثُمَّ صَارَ يَذُمُّهُمْ فِي مَجْلِسِهِ ، وَيُظْهِرُ كَرَاهَتَهُمْ ، حَتَّى تَبَيَّنُوا ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ وَحَرَكَاتِهِ مَعَهُمْ ، فَأَظْهَرُوا أَنَّ لِبَعْضِ قُوَّادِهِمْ عُرْسًا ، فَاجْتَمَعُوا بِحُجَّتِهِ ، وَقَرَّرُوا بَيْنَهُمْ مَا أَرَادُوا ، وَافْتَرَقُوا ، وَأَرْسَلُوا إِلَى سَابُوُرَ خَادِمِ وَالِدَةِ الْمُقْتَدِرِ ، فَقَالُوا لَهُ قَدْ عَلِمْتَ مَا فَعَلَهُ بِمَوْلَاتِكَ ، وَقَدْ رَكِبَتْ فِي مُوَافَقَتِهِ كُلَّ عَظِيمٍ ، فَإِنْ وَافَقْتَنَا عَلَى مَا نَحْنُ عَلَيْهِ ، وَتَقَدَّمْتَ إِلَى الْخَدَمِ بِحِفْظِهِ ، فَعَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ مِنْكَ ، وَإِلَّا فَنَحْنُ نَبْدَأُ بِكَ ، فَأَعْلَمَهُمْ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْخَوْفِ وَالْكَرَاهَةِ لِلْقَاهِرِ ، وَأَنَّهُ مُوَافِقُهُمْ ، وَكَانَ ابْنُ مُقْلَةَ مَعَ هَذَا يَصْنَعُ عَلَيْهِ وَيَسْعَى فِيهِ إِلَى أَنْ خُلِعَ ، كَمَا ذَكَرْنَا ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ سَنَةً وَاحِدَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ. |
| ذِكْرُ خِلَافَةِ الرَّاضِي بِاللَّهِ هُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ ، وَلَمَّا قُبِضَ الْقَاهِرُ سَأَلُوا الْخَدَمَ عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْمُقْتَدِرِ ، فَدَلُّوهُمْ عَلَيْهِ ، وَكَانَ هُوَ وَوَالِدَتُهُ مَحْبُوسِينَ ، فَقَصَدُوهُ ، وَفَتَحُوا عَلَيْهِ وَدَخَلُوا فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ ، وَأَخْرَجُوهُ وَأَجْلَسُوهُ عَلَى سَرِيرِ الْقَاهِرِ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ لِسِتٍّ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ، وَلَقَّبُوهُ بِالرَّاضِي بِاللَّهِ ، وَبَايَعَهُ الْقُوَّادُ وَالنَّاسُ ، وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى وَأَخِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَصَدَرَ عَنْ رَأْيِهِمَا فِيمَا يَفْعَلُهُ ، وَاسْتَشَارَهُمَا وَأَرَادَ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى عَلَى الْوِزَارَةِ ، فَامْتَنَعَ لِكِبَرِهِ ، وَعَجْزِهِ ، وَضَعْفِهِ ، وَأَشَارَ بِابْنِ مُقْلَةَ. |
| ثُمَّ إِنَّ سِيمَا قَالَ لِلرَّاضِي إِنَّ الْوَقْتَ لَا يَحْتَمِلُ أَخْلَاقَ عَلِيٍّ ، وَابْنَ مُقْلَةَ أَلْيَقُ بِالْوَقْتِ ، فَكَتَبَ لَهُ أَمَانًا وَأَحْضَرَهُ وَاسْتَوْزَرَهُ ، فَلَمَّا وَزَرَ ، أَحْسَنَ إِلَى كُلِّ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ ، وَأَحْسَنَ سِيرَتَهُ ، وَقَالَ عَاهَدْتُ اللَّهَ عِنْدَ اسْتِتَارِي بِذَلِكَ ، فَوَفَّى بِهِ ، وَأَحْضَرَ الشُّهُودَ وَالْقُضَاةَ ، وَأَرْسَلَهُمْ إِلَى الْقَاهِرِ; لِيَشْهَدُوا عَلَيْهِ بِالْخَلْعِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَسُمِلَ مِنْ لَيْلَتِهِ ، فَبَقِيَ أَعْمَى لَا يُبْصِرُ. |
| وَأَرْسَلَ ابْنُ مُقْلَةَ إِلَى الْخُصَيْبِيِّ وَعِيسَى الْمُتَطَبِّبِ بِالْأَمَانِ ، فَظَهَرَا وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا ، وَاسْتَعْمَلَ الْخُصَيْبِيَّ وَوَلَّاهُ ، وَاسْتَعْمَلَ الرَّاضِيَ بِاللَّهِ عَلَى الشُّرْطَةِ بَدْرًا الْخَرْشَنِيَّ ، وَاسْتَعْمَلَ ابْنَ مُقْلَةَ أَبَا الْفَضْلِ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ الْفُرَاتِ ، فِي جُمَادَى الْأُولَى ، نَائِبًا عَنْهُ عَلَى سَائِرِ الْعُمَّالِ بِالْمَوْصِلِ ، وَقَرْدَى ، وَبَازَبْدِيِّ ، وَمَارِدَيْنِ ، وَطُورِ عَبْدِينَ ، وَدِيَارِ الْجَزِيرَةِ ، وَدِيَارِ بَكْرٍ ، وَطَرِيقِ الْفُرَاتِ ، وَالثُّغُورِ الْجَزْرِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ ، وَأَجْنَادِ الشَّامِ ، وَدِيَارِ مِصْرَ ، يَصْرِفُ مَنْ يَرَى ، وَيَسْتَعْمِلُ مَنْ يَرَى فِي الْخَرَاجِ ، وَالْمُعَاوِنِ ، وَالنَّفَقَاتِ ، وَالْبَرِيدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. |
| وَأَرْسَلَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ رَائِقٍ يَسْتَدْعِيهِ لِيُوَلِّيَهُ الْحَجَبَةَ ، وَكَانَ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَى الْأَهْوَازِ وَأَعْمَالِهَا ، وَدَفَعَ عَنْهَا ابْنَ يَاقُوتٍ ، وَلَمْ يَبْقَ بِيَدِ ابْنِ يَاقُوتٍ مِنْ تِلْكَ الْوَلَايَةِ إِلَّا السُّوسُ ، وَجُنْدَيْسَابُورُ ، وَهُوَ يُرِيدُ الْمَسِيرَ إِلَى أَصْبَهَانَ أَمِيرًا عَلَيْهَا ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ آخَرَ أَيَّامِ الْقَاهِرِ ، فَلَمَّا وَلِيَ الرَّاضِي ، وَاسْتَحْضَرَهُ ، سَارَ إِلَى وَاسِطَ ، وَأَرْسَلَ مُحَمَّدَ بْنَ يَاقُوتٍ يَخْطُبُ الْحَجَبَةَ ، فَأُجِيبُ إِلَيْهَا ، فَسَارَ فِي أَثَرِ ابْنِ رَائِقٍ ، وَبَلَغَ ابْنَ رَائِقٍ الْخَبَرُ ، فَلَمْ يَقِفْ وَسَارَ مِنْ وَاسِطَ مُصْعِدًا إِلَى بَغْدَاذَ يُسَابِقُ ابْنَ يَاقُوتٍ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْمَدَائِنِ ، لَقِيَهُ تَوْقِيعُ الرَّاضِي يَأْمُرُهُ بِتَرْكِ دُخُولِ بَغْدَاذَ ، وَتَقْلِيدِهِ الْحَرْبَ وَالْمُعَاوِنَ بِوَاسِطَ ، مُضَافًا إِلَى مَا بِيَدِهِ مِنَ الْبَصْرَةِ وَغَيْرِهَا ، فَعَادَ مُنْحَدِرًا فِي دِجْلَةَ ، وَلَقِيَهُ ابْنُ يَاقُوتٍ مُصْعِدًا فِيهَا أَيْضًا ، فَسَلَّمَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَأُصْعِدَ ابْنُ يَاقُوتٍ إِلَى بَغْدَاذَ فَتَوَلَّى الْحَجَبَةَ عَلَى مَا نَذْكُرُهُ. |
| ذِكْرُ وَفَاةِ الْمَهْدِيِّ صَاحِبِ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَوَلَايَةِ وَلَدِهِ الْقَائِمِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، تُوُفِّيَ الْمَهْدِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ عُبَيْدُ اللَّهِ الْعَلَوِيُّ بِالْمَهْدِيَّةِ ، وَأَخْفَى وَلَدُهُ أَبُو الْقَاسِمِ مَوْتَهُ سَنَةً لِتَدْبِيرٍ كَانَ لَهُ ، وَكَانَ يَخَافُ أَنْ يَخْتَلِفَ النَّاسُ عَلَيْهِ إِذَا عَلِمُوا بِمَوْتِهِ ، وَكَانَ عُمُرُ الْمَهْدِيِّ لَمَّا تُوُفِّيَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ سَنَةً ، وَكَانَتْ وَلَايَتُهُ مُنْذُ دَخَلَ رَقَّادَةَ وَدُعِيَ لَهُ بِالْإِمَامَةِ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَشَهْرًا وَعِشْرِينَ يَوْمًا. |
| وَلَمَّا تُوُفِّيَ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدٌ ، وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ عَهِدَ إِلَيْهِ ، وَلَمَّا أَظْهَرَ وَفَاةَ وَالِدِهِ كَانَ قَدْ تَمَكَّنَ وَفَرَغَ مِنْ جَمِيعِ مَا أَرَادَهُ ، وَاتَّبَعَ سُنَّةَ أَبِيهِ ، وَثَارَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ ، فَتَمَكَّنَ مِنْهُمْ ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّهِمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ ابْنُ طَالُوتَ الْقُرَشِيُّ فِي نَاحِيَةِ طَرَابُلُسَ ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ وَلَدُ الْمَهْدِيِّ ، فَقَامُوا مَعَهُ ، وَزَحَفَ إِلَى مَدِينَةِ طَرَابُلُسَ ، فَقَاتَلَهُ أَهْلُهَا ، ثُمَّ تَبَيَّنَ لِلْبَرْبَرِ كَذِبُهُ ، فَقَتَلُوهُ وَحَمَلُوا رَأْسَهُ إِلَى الْقَائِمِ. |
| وَجَهَّزَ الْقَائِمُ أَيْضًا جَيْشًا كَثِيفًا مَعَ مَيْسُورِ الْفَتَى إِلَى الْمَغْرِبِ ، فَانْتَهَى إِلَى فَاسَ ، وَإِلَى تَكْرُورَ ، وَهَزَمَ خَارِجِيًّا هُنَاكَ ، وَأَخَذَ وَلَدَهُ أَسِيرًا ، وَسَيَّرَ أَيْضًا جَيْشًا فِي الْبَحْرِ ، وَقَدَّمَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا اسْمُهُ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ إِلَى بَلَدِ الرُّومِ ، فَسَبَى وَغَنِمَ فِي بَلَدِ جِنْوَةَ ، وَسَيَّرَ جَيْشًا آخَرَ مَعَ خَادِمِهِ زَيْدَانَ ، وَبَالَغَ فِي النَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ وَتَجْهِيزِهِمْ إِلَى مِصْرَ ، فَدَخَلُوا الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ مُحَمَّدٌ الْإِخْشِيدُ عَسْكَرًا كَثِيفًا ، فَقَاتَلَهُمْ ، وَهَزَمُوا الْمَغَارِبَةَ ، وَقَتَلُوا فِيهِمْ وَأَسَرُوا ، وَعَادَ الْمَغَارِبَةُ مَفْلُولِينَ. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ مَرْدَاوَيْجَ عَلَى الْأَهْوَازِ لَمَّا بَلَغَ مَرْدَاوَيْجَ اسْتِيلَاءُ عَلِيِّ بْنِ بُوَيْهِ عَلَى فَارِسَ ، اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَسَارَ إِلَى أَصْبَهَانَ لِلتَّدْبِيرِ عَلَى ابْنِ بُوَيْهِ ، فَرَأَى أَنْ يُنْفِذَ عَسْكَرًا إِلَى الْأَهْوَازِ لِيَسْتَوْلِيَ عَلَيْهَا ، وَيَسُدَّ الطَّرِيقَ عَلَى عِمَادِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ إِذَا قَصَدَهُ ، فَلَا يَبْقَى لَهُ طَرِيقٌ إِلَى الْخَلِيفَةِ ، وَيَقْصِدُهُ هُمْ مِنْ نَاحِيَةِ أَصْبَهَانَ ، وَيَقْصِدُهُ عَسْكَرُهُ مِنْ نَاحِيَةِ الْأَهْوَازِ ، فَلَا يَثْبُتُ لَهُمْ. |
| سَارَتْ عَسَاكِرُ مَرْدَاوَيْجَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، حَتَّى بَلَغَتْ إِيذَجَ ، فَخَافَ يَاقُوتٌ أَنْ يَحْصُلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ابْنِ بُوَيْهِ ، فَسَارَ إِلَى الْأَهْوَازِ وَمَعَهُ ابْنُهُ الْمُظَفَّرُ ، وَكَتَبَ إِلَى الرَّاضِي لِيُقَلِّدَهُ أَعْمَالَ الْأَهْوَازِ ، فَقَلَّدَهُ ذَلِكَ ، وَصَارَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْبَرِيدِيُّ كَاتِبُهُ مُضَافًا لَهُ إِلَى مَا بِيَدِهِ مِنْ أَعْمَالِ الْخَرَاجِ بِالْأَهْوَازِ ، وَصَارَ أَخُوهُ أَبُو الْحُسَيْنِ يَخْلُفُ يَاقُوتًا بِبَغْدَاذَ. |
| ثُمَّ اسْتَوْلَى عَسْكَرُ مَرْدَاوَيْجَ عَلَى رَامَهُرْمُزَ ، أَوَّلَ شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَسَارُوا نَحْوَ الْأَهْوَازَ ، فَوَقَفَ لَهُمْ يَاقُوتٌ عَلَى قَنْطَرَةِ أَرْبَقَ ، فَلَمْ يُمَكِّنْهُمْ مِنَ الْعُبُورِ لِشِدَّةِ جَرْيَةِ الْمَاءِ ، فَأَقَامُوا بِإِزَائِهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ رَحَلُوا فَعَبَرُوا عَلَى الْأَطْوَافِ نَهْرَ الْمُسْرَقَانِ ، فَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى يَاقُوتٍ ، وَقَدْ أَتَاهُ مَدَدٌ مِنْ بَغْدَاذَ قَبْلَ ذَلِكَ بِيَوْمَيْنِ ، فَسَارَ بِهِمْ إِلَى قَرْيَةِ الرِّيخِ ، وَسَارَ مِنْهَا إِلَى وَاسِطَ ، وَبِهَا حِينَئِذٍ مُحَمَّدُ بْنُ رَائِقٍ ، فَأَخْلَى لَهُ غَرْبِيَّ وَاسِطَ ، فَنَزَلَ فِيهِ يَاقُوتٌ. |
| وَلَمَّا بَلَغَ عِمَادَ الدَّوْلَةِ اسْتِيلَاءُ مَرْدَاوَيْجَ عَلَى الْأَهْوَازِ ، كَاتَبَ نَائِبَ مَرْدَاوَيْجَ يَسْتَمِيلُهُ ، وَيَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَتَوَسَّطَ الْحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَرْدَاوَيْجَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَسَعَى فِيهِ ، فَأَجَابَهُ مَرْدَاوَيْجُ إِلَى ذَلِكَ عَلَى أَنْ يُطِيعَهُ وَيَخْطُبَ لَهُ ، فَاسْتَقَرَّ الْحَالُ بَيْنَهُمَا ، وَأَهْدَى لَهُ ابْنُ بُوَيْهِ هَدِيَّةً جَلِيلَةً ، وَأَنْفَذَ أَخَاهُ رُكْنَ الدَّوْلَةِ رَهِينَةً ، وَخَطَبَ لِمَرْدَاوَيْجَ فِي بِلَادِهِ ، فَرَضِيَ مَرْدَاوَيْجُ مِنْهُ ، وَاتُّفِقَ أَنَّهُ قُتِلَ عَلَى مَا نَذْكُرُهُ ، فَقَوِيَ أَمْرُ ابْنِ بُوَيْهِ. |
| ذِكْرُ عَوْدِ يَاقُوتٍ إِلَى الْأَهْوَازِ وَلَمَّا وَصَلَ يَاقُوتٌ إِلَى وَاسِطَ ، أَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ قُتِلَ مَرْدَاوَيْجُ ، وَمَعَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيُّ يَكْتُبُ لَهُ ، فَلَمَّا قُتِلَ مَرْدَاوَيْجُ عَادَ يَاقُوتٌ إِلَى الْأَهْوَازِ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى تِلْكَ الْوَلَايَةِ ، وَلَمَّا وَصَلَ يَاقُوتٌ إِلَى عَسْكَرِ مُكْرَمٍ ، بَعْدَ قَتْلِ مَرْدَاوَيْجَ ، كَانَتْ عَسَاكِرُ ابْنِ بُوَيْهِ قَدْ سَبَقَتْهُ ، فَالْتَقَوْا بِنَوَاحِي أَرَّجَانَ ، وَكَانَ ابْنُ بُوَيْهِ قَدْ لَحِقَ بِأَصْحَابِهِ ، وَاشْتَدَّ قِتَالُهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَانْهَزَمَ يَاقُوتٌ ، وَلَمْ يُفْلِحْ بَعْدَهَا. |
| وَرَاسَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيُّ ابْنَ بُوَيْهِ فِي الصُّلْحِ ، فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ ، وَكَتَبَ بِهِ إِلَى الرَّاضِي ، فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ ، وَقَرَّرَ بِلَادَ فَارِسَ عَلَى ابْنِ بُوَيْهِ ، وَاسْتَقَرَّ بِشِيرَازَ ، وَاسْتَقَرَّ يَاقُوتٌ بِالْأَهْوَازِ وَمَعَهُ ابْنُ الْبَرِيدِيِّ. |
| وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ يَاقُوتٍ قَدْ سَارَ إِلَى بَغْدَاذَ وَتَوَلَّى الْحَجَبَةَ ، وَخَلَعَ الرَّاضِيَ عَلَيْهِ ، وَتَوَلَّى مَعَ الْحَجَبَةِ رِئَاسَةَ الْجَيْشِ ، وَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي أَمْرِ الدَّوَاوِينِ ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِأَنْ لَا يَقْبَلُوا تَوْقِيعًا بِوَلَايَةٍ وَلَا عَزْلٍ وَإِطْلَاقٍ إِلَّا إِذَا كَانَ خَطُّهُ عَلَيْهِ ، وَأَمْرَهُمْ بِحُضُورِ مَجْلِسِهِ ، فَصَبَرَ أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُقْلَةَ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَلْزَمَ نَفْسَهُ بِالْمَصِيرِ إِلَى دَارِ يَاقُوتٍ ، فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ ، وَبَقِيَ كَالْمُتَعَطِّلِ. |
| وَلَقَدْ كَانَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ حَوَادِثُ عَظِيمَةٌ مِنْهَا انْصِرَافُ وَشْمَكِيرَ أَخِي مَرْدَاوَيْجَ عَنْ أَصْبَهَانَ بِكِتَابِ الْقَاهِرِ ، بَعْدَ أَنْ مَلَكَهَا ، وَاسْتِعْمَالُ الْقَاهِرِ مُحَمَّدِ بْنِ يَاقُوتٍ عَلَيْهَا ، وَخَلْعُ الْقَاهِرِ ، وَخِلَافَةُ الرَّاضِي ، وَأَمْرُ الْحُجَّةِ لِمُحَمَّدِ بْنِ رَائِقٍ ، ثُمَّ انْفِسَاخُهُ ، وَمَسِيرُ مُحَمَّدِ بْنِ يَاقُوتٍ مِنْ رَامَهُرْمُزَ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَوَلَايَتُهُ الْحَجَبَةَ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ سَائِرًا إِلَى أَصْبَهَانَ لِيَتَوَلَّاهَا ، وَإِعَادَةُ مَرْدَاوَيْجَ أَخَاهُ وَشْمَكِيرَ إِلَيْهَا ، وَمَلَكَ عَلِيُّ بْنُ بُوَيْهِ أَرَّجَانَ ، هَذَا جَمِيعُهُ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ الْقَرِيبَةِ فِي سَبْعِينَ يَوْمًا ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَالْمَلَكُوتُ ، يُصَرِّفُ الْأُمُورَ كَيْفَ يَشَاءُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ هَارُونَ بْنِ غَرِيبٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ هَارُونُ بْنُ غَرِيبٍ ، وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّهُ كَانَ كَمَا ذَكَرْنَا قَدِ اسْتَعْمَلَهُ الْقَاهِرُ عَلَى مَاهِ الْكُوفَةِ ، وَقَصَبَتِهَا الدِّيْنَوَرِ ، وَعَلَى مَاسَبَذَانَ وَغَيْرِهَا ، فَلَمَّا خُلِعَ الْقَاهِرُ وَاسْتُخْلِفَ الرَّاضِي ، رَأَى هَارُونُ أَنَّهُ أَحَقُّ بِالدَّوْلَةِ مِنْ غَيْرِهِ; لِقَرَابَتِهِ مِنَ الرَّاضِي ، حَيْثُ هُوَ ابْنُ خَالِ الْمُقْتَدِرِ ، فَكَاتَبَ الْقُوَّادَ بِبَغْدَاذَ يَعِدُهُمُ الْإِحْسَانَ وَالزِّيَادَةَ فِي الْأَرْزَاقِ ، ثُمَّ سَارَ مِنَ الدِّينَوَرِ إِلَى خَانِقَيْنَ ، فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى ابْنِ مُقْلَةَ وَابْنِ يَاقُوتٍ وَالْحَجَرِيَّةِ وَالسَّاجِيَّةِ ، وَاجْتَمَعُوا وَشَكَوْهُ إِلَى الرَّاضِي ، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ كَارِهٌ لَهُ ، وَأَذِنَ لَهُمْ فِي مَنْعِهِ ، فَرَاسَلُوهُ أَوَّلًا ، وَبَذَلُوا لَهُ طَرِيقَ خُرَاسَانَ زِيَادَةً عَلَى مَا فِي يَدِهِ ، فَلَمْ يَقْنَعْ بِهِ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى النَّهْرَوَانِ ، وَشَرَعَ فِي جِبَايَةِ الْأَمْوَالِ ، وَظَلَمَ النَّاسَ وَعَسَفَهُمْ ، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُ. |
| فَخَرَجَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَاقُوتٍ فِي سَائِرِ جُيُوشِ بَغْدَاذَ ، وَنَزَلَ قَرِيبًا مِنْهُ ، وَوَقَعَتِ الطَّلَائِعُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، وَهَرَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ مُحَمَّدِ بْنِ يَاقُوتٍ إِلَى هَارُونَ ، وَرَاسَلَهُ مُحَمَّدُ يَسْتَمِيلُهُ ، وَيَبْذُلُ لَهُ ، فَلَمْ يُجِبْ إِلَى ذَلِكَ ، وَقَالَ لَا بُدَّ مِنْ دُخُولِ بَغْدَاذَ. |
| فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الثُّلَاثَاءِ لِسِتٍّ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، تَزَاحَفَ الْعَسْكَرَانِ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، وَاسْتَظْهَرَ أَصْحَابُ هَارُونَ لِكَثْرَتِهِمْ ، فَانْهَزَمَ أَكْثَرُ أَصْحَابِ ابْنِ يَاقُوتٍ وَنُهِبَ أَكْثَرُ سَوَادِهِمْ ، وَكَثُرَ فِيهِمُ الْجِرَاحُ وَالْقَتْلُ ، فَسَارَ مُحَمَّدُ بْنُ يَاقُوتٍ حَتَّى قَطَعَ قَنْطَرَةَ نَهْرِ بِينَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ هَارُونَ ، فَسَارَ نَحْوَ الْقَنْطَرَةِ مُنْفَرِدًا عَنْ أَصْحَابِهِ ، طَمَعًا فِي قَتْلِ مُحَمَّدِ بْنِ يَاقُوتٍ ، أَوْ أَسْرِهِ ، فَتَقَنْطَرَ بِهِ فَرَسُهُ ، فَسَقَطَ عَنْهُ فِي سَاقِيَةٍ ، فَلَحِقَهُ غُلَامٌ لَهُ اسْمُهُ يُمْنٌ ، فَضَرَبَهُ بِالطَّبَرْزَيْنِ حَتَّى أَثْخَنَهُ ، وَكَسَّرَ عِظَامَهُ ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَيْهِ فَذَبَحَهُ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ وَتَفَرَّقُوا ، وَدَخَلَ بَعْضُهُمْ بَغْدَاذَ سِرًّا ، وَنُهِبَ سَوَادُ هَارُونَ ، وَقُتِلَ جَمَاعَةٌ مِنْ قُوَّادِهِ وَأُسِرَ جَمَاعَةٌ. |
| وَسَارَ مُحَمَّدٌ إِلَى مَوْضِعِ جُثَّةِ هَارُونَ ، فَأَمَرَ بِحَمْلِهَا إِلَى مَضْرِبِهِ ، وَأَمَرَ بِغَسْلِهِ وَتَكْفِينِهِ ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ وَدَفَنَهُ ، وَأَنْفَذَ إِلَى دَارِهِ مَنْ يَحْفَظُهَا مِنَ النَّهْبِ ، وَدَخَلَ بَغْدَاذَ وَرَأْسُ هَارُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَرُءُوسُ جَمَاعَةٍ مِنْ قُوَّادِهِ ، فَنُصِبَ بِبَغْدَاذَ. |
| ذِكْرُ ظُهُورِ إِنْسَانٍ ادَّعَى النُّبُوَّةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ظَهَرَ بِبَاسِنْدَ مِنْ أَعْمَالِ الصَّغَانِيَانِ رَجُلٌ ادَّعَى النُّبُوَّةَ ، فَقَصَدَهُ فَوْجٌ بَعْدَ فَوْجٍ ، وَاتَّبَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَحَارَبَ مَنْ خَالَفَهُ ، فَقَتَلَ خَلْقًا كَثِيرًا مِمَّنْ كَذَّبَهُ ، فَكَثُرَ أَتْبَاعُهُ مِنْ أَهْلِ الشَّاشِ خُصُوصًا. |
| وَكَانَ صَاحِبُ حِيَلٍ وَمَخَارِيقَ ، وَكَانَ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي حَوْضٍ مَلْآنَ مَاءً ، فَيُخْرِجُهَا مَمْلُوءَةً دَنَانِيرَ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَخَارِيقِ ، فَكَثُرَ جَمْعُهُ ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُظَفَّرِ جَيْشًا ، فَحَارَبُوهُ وَضَيَّقُوا عَلَيْهِ ، وَهُوَ فَوْقَ جَبَلٍ عَالٍ ، حَتَّى قَبَضُوا عَلَيْهِ وَقَتَلُوهُ ، وَحَمَلُوا رَأْسَهُ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ ، وَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا مِمَّنِ اتَّبَعَهُ وَآمَنَ بِهِ ، وَكَانَ يَدَّعِي أَنَّهُ مَتَى مَاتَ ، عَادَ إِلَى الدُّنْيَا ، فَبَقِيَ بِتِلْكَ النَّاحِيَةِ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ عَلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مُدَّةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ اضْمَحَلُّوا وَفَنَوْا. |
| ذِكْرُ قَتْلِ الشَّلْمَغَانِيِّ وَحِكَايَةِ مَذْهَبِهِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّلْمَغَانِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ أَبِي الْعَزَاقِرِ ، وَشَلْمَغَانُ الَّتِي يُنْسَبُ إِلَيْهَا قَرْيَةٌ بِنُوَاحِي وَاسِطَ . |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ مَذْهَبًا غَالِيًا فِي التَّشَيُّعِ وَالتَّنَاسُخِ ، وَحُلُولِ الْإِلَهِيَّةِ فِيهِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَحْكِيهِ ، وَأَظْهَرَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ أَبُو الْقَاسِمِ الْحُسَيْنُ بْنُ رَوْحٍ ، الَّذِي تُسَمِّيهِ الْإِمَامِيَّةُ الْبَابَ ، مُتَدَاوِلُ وِزَارَةِ حَامِدِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، ثُمَّ اتَّصَلَ أَبُو جَعْفَرٍ الشَّلْمَغَانِيُّ بِالْمُحْسِنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفُرَاتِ فِي وِزَارَةِ أَبِيهِ الثَّالِثَةِ ، ثُمَّ إِنَّهُ طَلَبَ فِي وِزَارَةِ الْخَاقَانِيِّ ، فَاسْتَتَرَ وَهَرَبَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَبَقِيَ سِنِينَ عِنْدَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدَانَ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدَانَ ، ثُمَّ انْحَدَرَ إِلَى بَغْدَاذَ وَاسْتَتَرَ ، وَظَهَرَ عَنْهُ بِبَغْدَاذَ أَنَّهُ يَدَّعِي لِنَفْسِهِ الرُّبُوبِيَّةَ ، وَقِيلَ إِنَّهُ اتَّبَعَهُ عَلَى ذَلِكَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ الَّذِي وَزَرَ لِلْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ ، وَأَبُو جَعْفَرٍ ، وَأَبُو عَلِيٍّ ابْنَا بِسْطَامٍ ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَوْنٍ ، وَابْنُ شَبِيبٍ الزَّيَّاتُ ، وَأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدُوسٍ ، كَانُوا يَعْتَقِدُونَ ذَلِكَ فِيهِ ، وَظَهَرَ ذَلِكَ عَنْهُمْ ، وَطَلَبُوا أَيَّامَ وِزَارَةِ ابْنِ مُقْلَةَ لِلْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ ، فَلَمْ يَجِدُوا. |
| فَلَمَّا كَانَ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، ظَهَرَ الشَّلْمَغَانِيُّ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ الْوَزِيرُ ابْنُ مُقْلَةَ وَسَجَنَهُ ، وَكَبَسَ دَارَهُ فَوَجَدَ فِيهَا رِقَاعًا وَكُتُبًا مِمَّنْ يَدَّعِي عَلَيْهِ أَنَّهُ عَلَى مَذْهَبِهِ ، يُخَاطِبُونَهُ بِمَا لَا يُخَاطَبُ بِهِ الْبَشَرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَفِيهَا خَطُّ الْحُسَيْنِ بْنِ الْقَاسِمِ ، فَعُرِضَتِ الْخُطُوطُ فَعَرَفَهَا النَّاسُ ، وَعُرِضَتْ عَلَى الشَّلْمَغَانِيِّ فَأَقَرَّ أَنَّهَا خُطُوطُهُمْ ، وَأَنْكَرَ مَذْهَبَهُ ، وَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ ، وَتَبَرَّأَ مِمَّا يُقَالُ فِيهِ ، وَأَخَذَ ابْنَ أَبِي عَوْنٍ ، وَابْنَ عَبْدُوسٍ مَعَهُ ، وَأُحْضِرَا مَعَهُ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ ، وَأُمِرَا بِصَفْعِهِ فَامْتَنَعَا ، فَلَمَّا أُكْرِهَا مَدَّ ابْنُ عَبْدُوسٍ يَدَهُ وَصَفَعَهُ ، وَأَمَّا ابْنُ أَبِي عَوْنٍ فَإِنَّهُ مَدَّ يَدَهُ إِلَى لِحْيَتِهِ وَرَأْسِهِ ، فَارْتَعَدَتْ يَدُهُ ، فَقَبَّلَ لِحْيَةَ الشَّلْمَغَانِيِّ وَرَأْسِهِ ، ثُمَّ قَالَ إِلَهِي ، وَسَيِّدِي ، وَرَازِقِي ، فَقَالَ لَهُ الرَّاضِي قَدْ زَعَمْتَ أَنَّكَ لَا تَدَّعِي الْإِلَهِيَّةَ ، فَمَا هَذَا ؟ |
| فَقَالَ وَمَا عَلَيَّ مِنْ قَوْلِ ابْنِ أَبِي عَوْنٍ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّنِي مَا قُلْتُ لَهُ إِنَّنِي إِلَهٌ قَطُّ. |
| فَقَالَ ابْنُ عَبْدُوسٍ إِنَّهُ لَمْ يَدَّعِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَإِنَّمَا ادَّعَى أَنَّهُ الْبَابُ إِلَى الْإِمَامِ الْمُنْتَظَرِ ، مَكَانَ ابْنِ رَوْحٍ ، وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ تَقِيَّةً. |
| ثُمَّ أُحْضِرُوا عِدَّةَ مَرَّاتٍ ، وَمَعَهُمُ الْفُقَهَاءُ ، وَالْقُضَاةُ ، وَالْكُتَّابُ ، وَالْقُوَّادُ ، وَفِي آخِرِ الْأَيَّامِ أَفْتَى الْفُقَهَاءُ بِإِبَاحَةِ دَمِهِ ، فَصُلِبَ ابْنُ الشَّلْمَغَانِيِّ ، وَابْنُ أَبِي عَوْنٍ ، فِي ذِي الْقِعْدَةِ فَأُحْرِقَا بِالنَّارِ. |
| وَكَانَ مِنْ مَذْهَبِهِ أَنَّهُ إِلَهُ الْآلِهَةِ الْحَقُّ ، وَأَنَّهُ الْأَوَّلُ الْقَدِيمُ ، الظَّاهِرُ ، الْبَاطِنُ ، الرَّازِقُ ، التَّامُّ ، الْمُومَأُ إِلَيْهِ بِكُلِّ مَعْنًى ، وَكَانَ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَحِلُّ فِي كُلِّ شَيْءٍ عَلَى قَدْرِ مَا يَحْتَمِلُ ، وَإِنَّهُ خَلَقَ الضِّدَّ لِيَدُلَّ عَلَى الْمَضْدُودِ ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ حَلَّ فِي آدَمَ لَمَّا خَلَقَهُ ، وَفِي إِبْلِيسِهِ أَيْضًا ، وَكِلَاهُمَا ضِدٌّ لِصَاحِبِهِ لِمُضَادَّتِهِ إِيَّاهُ فِي مَعْنَاهُ ، وَإِنَّ الدَّلِيلَ عَلَى الْحَقِّ أَفْضَلُ مِنَ الْحَقِّ ، وَإِنَّ الضِّدَّ أَقْرَبُ إِلَى الشَّيْءِ مِنْ شَبَهِهِ ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا حَلَّ فِي جَسَدٍ نَاسُوتِيٍّ ، ظَهَرَ مِنَ الْقُدْرَةِ وَالْمُعْجِزَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ هُوَ ، وَإِنَّهُ لَمَّا غَابَ آدَمُ ، ظَهَرَ اللَّاهُوتُ فِي خَمْسَةِ نَاسُوتِيَّةٍ ، كُلَّمَا غَابَ مِنْهُمْ وَاحِدٌ ، ظَهَرَ مَكَانَهُ آخَرُ ، وَفِي خَمْسَةِ أَبَالِسَةَ أَضْدَادٍ لِتِلْكَ الْخَمْسَةِ ، ثُمَّ اجْتَمَعَتِ اللَّاهُوتِيَّةُ فِي إِدْرِيسَ وَإِبْلِيسِهِ ، وَتَفَرَّقَتْ بَعْدَهُمَا كَمَا تَفَرَّقَتْ بَعْدَ آدَمَ ، وَاجْتَمَعَتْ فِي نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِبْلِيسِهِ ، وَتَفَرَّقَتْ عِنْدَ غَيْبَتِهِمَا ، وَاجْتَمَعَتْ فِي هُودٍ وَإِبْلِيسِهِ ، وَتَفَرَّقَتْ بَعْدَهُمَا ، وَاجْتَمَعَتْ فِي صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِبْلِيسِهِ عَاقِرِ النَّاقَةِ ، وَتَفَرَّقَتْ بَعْدَهُمَا ، وَاجْتَمَعَتْ فِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِبْلِيسِهِ نَمْرُوذَ ، وَتَفَرَّقَتْ لَمَّا غَابَا ، وَاجْتَمَعَتْ فِي هَارُونَ وَإِبْلِيسِهِ فِرْعَوْنَ ، وَتَفَرَّقَتْ بَعْدَهُمَا ، وَاجْتَمَعَتْ فِي سُلَيْمَانَ وَإِبْلِيسِهِ ، وَتَفَرَّقَتْ بَعْدَهُمَا ، وَاجْتَمَعَتْ فِي عِيسَى وَإِبْلِيسِهِ ، فَلَمَّا غَابَا تَفَرَّقَتْ فِي تَلَامِيذِ عِيسَى وَأَبَالِسَتِهِمْ ، ثُمَّ اجْتَمَعَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَإِبْلِيسِهِ. |
| ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ يُظْهِرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، وَكُلِّ مَعْنًى ، وَإِنَّهُ فِي كُلِّ أَحَدٍ بِالْخَاطِرِ الَّذِي يَخْطِرُ بِقَلْبِهِ ، فَيَتَصَوَّرُ لَهُ مَا يَغِيبُ عَنْهُ ، حَتَّى كَأَنَّهُ يُشَاهِدُهُ ، وَإِنَّ اللَّهَ اسْمٌ لِمَعْنًى ، وَإِنَّ مَنِ احْتَاجَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَهُوَ إِلَهٌ ، وَلِهَذَا الْمَعْنَى يَسْتَوْجِبُ كُلُّ أَحَدٍ أَنْ يُسَمَّى إِلَهًا ، وَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ مِنْ أَشْيَاعِهِ يَقُولُ إِنَّهُ رَبٌّ لِمَنْ هُوَ فِي دُونِ دَرَجَتِهِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ يَقُولُ أَنَا رَبٌّ لِفُلَانٍ ، وَفُلَانٌ رَبٌّ لِفُلَانٍ وَفُلَانٌ رَبُّ رَبِّي ، حَتَّى يَقَعَ الِانْتِهَاءُ إِلَى ابْنِ أَبِي الْعَزَاقِرِ ، فَيَقُولُ أَنَا رَبُّ الْأَرْبَابِ ، لَا رُبُوبِيَّةَ بَعْدَهُ. |
| وَلَا يَنْسُبُونَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلَى عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ; لِأَنَّ مَنِ اجْتَمَعَتْ لَهُ الرُّبُوبِيَّةُ لَا يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ ، وَكَانُوا يُسَمُّونَ مُوسَى وَمُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَائِنِينَ; لِأَنَّهُمْ يَدَّعُونَ أَنَّ هَارُونَ أَرْسَلَ مُوسَى ، وَعَلِيًّا أَرْسَلَ مُحَمَّدًا ، فَخَانَاهُمَا ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيًّا أَمْهَلَ مُحَمَّدًا عِدَّةَ سِنِي أَصْحَابِ الْكَهْفِ ، فَإِذَا انْقَضَتْ هَذِهِ الْعِدَّةُ وَهِيَ ثَلَاثُمِائَةٍ وَخَمْسُونَ سَنَةً ، انْتَقَلَتِ الشَّرِيعَةُ ، وَيَقُولُونَ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ كُلُّ مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ وَعَرَفَ الْحَقَّ ، وَإِنَّ الْجَنَّةَ مَعْرِفَتُهُمْ وَانْتِحَالُ مَذْهَبِهِمْ ، وَالنَّارُ الْجَهْلُ بِهِمْ وَالْعُدُولُ عَنْ مَذْهَبِهِمْ. |
| وَيَعْتَقِدُونَ تَرْكَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْعِبَادَاتِ ، وَلَا يَتَنَاكَحُونَ بِعَقْدٍ ، وَيُبِيحُونَ الْفُرُوجَ ، وَيَقُولُونَ إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعِثَ إِلَى كُبَرَاءِ قُرَيْشٍ وَجَبَابِرَةِ الْعَرَبِ ، وَنُفُوسُهُمْ أَبِيَّةٌ ، فَأَمَرَهُمْ بِالسُّجُودِ ، وَإِنَّ الْحِكْمَةَ الْآنَ أَنْ يَمْتَحِنَ النَّاسَ بِإِبَاحَةِ فُرُوجِ نِسَائِهِمْ ، وَإِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُجَامِعَ الْإِنْسَانُ مَنْ شَاءَ مِنْ ذَوِي رَحِمِهِ ، وَحَرَمِ صَدِيقِهِ وَابْنِهِ ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ عَلَى مَذْهَبِهِ ، وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلْفَاضِلِ مِنْهُمْ أَنْ يَنْكِحَ الْمَفْضُولَ لِيُولِجَ النُّورَ فِيهِ ، وَمَنِ امْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ قُلِبَ فِي الدَّوْرِ الَّذِي يَأْتِي بَعْدَ هَذَا الْعَالَمِ امْرَأَةً ، إِذْ كَانَ مَذْهَبُهُمُ التَّنَاسُخَ ، وَكَانُوا يَعْتَقِدُونَ إِهْلَاكَ الطَّالِبِيِّينَ وَالْعَبَّاسِيِّينَ ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ وَالْجَاحِدُونَ عُلَّوًا كَبِيرًا. |
| وَمَا أَشْبَهَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ بِمَقَالَةِ النُّصَيْرِيَّةِ ، وَلَعَلَّهَا هِيَ هِيَ ، فَإِنَّ النُّصَيْرِيَّةَ يَعْتَقِدُونَ فِي ابْنِ الْفُرَاتِ ، وَيَجْعَلُونَهُ رَأْسًا فِي مَذْهَبِهِمْ. |
| وَكَانَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ بِالرَّقَّةِ ، فَأَرْسَلَ الرَّاضِيَ بِاللَّهِ إِلَيْهِ ، فَقُتِلَ آخِرَ ذِي الْقِعْدَةِ ، وَحُمِلَ رَأْسُهُ إِلَى بَغْدَاذَ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَرْسَلَ مُحَمَّدُ بْنُ يَاقُوتٍ حَاجِبُ الْخَلِيفَةِ رَسُولًا إِلَى أَبِي طَاهِرٍ الْقُرْمُطِيِّ يَدْعُوهُ إِلَى طَاعَةِ الْخَلِيفَةِ ، لِيُقِرَّهُ عَلَى مَا بِيَدِهِ مِنَ الْبِلَادِ ، وَيُقَلِّدَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا شَاءَ مِنَ الْبُلْدَانِ ، وَيُحْسِنَ إِلَيْهِ ، وَيَلْتَمِسَ مِنْهُ أَنْ يَكُفَّ عَنِ الْحَاجِّ جَمِيعِهِمْ ، وَأَنْ يَرُدَّ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ إِلَى مَوْضِعِهِ بِمَكَّةَ ، فَأَجَابَ أَبُو طَاهِرٍ إِلَى أَنَّهُ لَا يَتَعَرَّضُ لِلْحَاجِّ ، وَلَا يُصِيبُهُمْ بِمَكْرُوهٍ ، وَلَمْ يُجِبْ إِلَى رَدِّ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ إِلَى مَكَّةَ ، وَسَأَلَ أَنْ يُطْلِقَ لَهُ الْمِيرَةَ مِنَ الْبَصْرَةِ لِيَخْطُبَ فِي أَعْمَالِ هَجَرَ ، فَسَارَ الْحَاجُّ إِلَى مَكَّةَ وَعَادَ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُمُ الْقَرَامِطَةُ. |
| وَفِيهَا فِي ذِي الْقِعْدَةِ عَزَمَ مُحَمَّدُ بْنُ يَاقُوتٍ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى الْأَهْوَازِ; لِمُحَارَبَةِ عَسْكَرِ مَرْدَاوَيْجَ ، فَتَقَدَّمَ إِلَى الْجُنْدِ الْحَجَرِيَّةِ وَالسَّاجِيَّةِ بِالتَّجَهُّزِ لِلْمَسِيرِ مَعَهُ ، وَبَذَلَ مَالًا يَتَجَهَّزُونَ بِهِ ، فَامْتَنَعُوا وَتَجَمَّعُوا وَقَصَدُوا دَارَ مُحَمَّدِ بْنِ يَاقُوتٍ ، فَأَغْلَظَ لَهُمْ فِي الْخِطَابِ ، فَسَبُّوا ، وَرَمَوْا دَارَهُ بِالْحِجَارَةِ ، وَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَصَدُوا دَارَهُ أَيْضًا ، وَأَغْلَظُوا لَهُ فِي الْخِطَابِ ، وَقَاتَلُوا مَنْ بِدَارِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَرَمَاهُمْ أَصْحَابُهُ وَغِلْمَانُهُ بِالنُّشَّابِ ، فَانْصَرَفُوا وَبَطَلَتِ الْحَرَكَةُ إِلَى الْأَهْوَازِ. |
| وَفِيهَا سَارَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي طَاهِرٍ الْقُرْمُطِيِّ إِلَى نُوَاحِي تَوَّجَ فِي مَرَاكِبَ ، وَخَرَجُوا مِنْهَا إِلَى تِلْكَ الْأَعْمَالِ ، فَلَمَّا بَعُدُوا عَنِ الْمَرَاكِبِ ، أَرْسَلَ الْوَالِي فِي الْبِلَادِ إِلَى الْمَرَاكِبِ وَأَحْرَقَهَا ، وَجَمَعَ النَّاسَ وَحَارَبَ الْقَرَامِطَةَ ، فَقَتَلَ بَعْضًا ، وَأَسَرَ بَعْضًا فِيهِمُ ابْنُ الْغَمْرِ ، وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ دُعَاتِهِمْ ، وَسَيَّرَهُمْ إِلَى بَغْدَاذَ أَيَّامَ الْقَاهِرِ ، فَدَخَلُوهَا مَشْهُورِينَ ، وَسُجِنُوا ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي خَلْعِ الْقَاهِرِ. |
| وَفِيهَا قَتَلَ الْقَاهِرُ بِاللَّهِ إِسْحَاقَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ النُّوبَخْتِيَّ ، وَهُوَ الَّذِي أَشَارَ بِاسْتِخْلَافِهِ ، فَكَانَ كَالْبَاحِثِ عَنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ ، وَقَتَلَ أَيْضًا أَبَا السَّرَايَا بْنَ حَمْدَانَ ، وَهُوَ أَصْغَرُ وَلَدِ أَبِيهِ ، وَسَبَبُ قَتْلِهِمَا أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَشْتَرِيَ مُغَنِّيَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَلِيَ الْخِلَافَةَ ، فَزَادَ عَلَيْهِ فِي ثَمَنِهِمَا ، فَحَقَدَ ذَلِكَ عَلَيْهِمَا ، فَلَمَّا أَرَادَ قَتْلَهُمَا اسْتَدْعَاهُمَا لِلْمُنَادَمَةِ ، فَتَزَيَّنَا وَتَطَيَّبَا ، وَحَضَرَا عِنْدَهُ ، فَأَمَرَ بِإِلْقَائِهِمَا إِلَى بِئْرٍ فِي الدَّارِ وَهُوَ حَاضِرٌ ، فَتَضَرَّعَا وَبَكَيَا ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمَا وَأَلْقَاهُمَا فِيهَا وَطَمَّهَا عَلَيْهِمَا. |
| وَفِيهَا أَحْضَرَ أَبُو بَكْرِ بْنُ مِقْسَمٍ بِبَغْدَاذَ فِي دَارِ سَلَامَةَ الْحَاجِبِ ، وَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ قَدِ ابْتَدَعَ قِرَاءَةً لَمْ تُعْرَفْ ، وَأَحْضَرَ ابْنَ مُجَاهِدٍ وَالْقُضَاةَ وَالْقُرَّاءَ وَنَاظَرُوهُ ، فَاعْتَرَفَ بِالْخَطَأِ وَتَابَ مِنْهُ ، وَأُحْرِقَتْ كُتُبُهُ. |
| وَفِيهَا سَارَ الدُّمُسْتُقُ قَرْقَاشُ فِي خَمْسِينَ أَلْفًا مِنَ الرُّومِ ، فَنَازَلَ مَلَطْيَةَ وَحَصَرَهَا مُدَّةً طَوِيلَةً ، وَهَلَكَ أَكْثَرُ أَهْلِهَا بِالْجُوعِ ، وَضَرَبَ خَيْمَتَيْنِ عَلَى إِحْدَاهُمَا صَلِيبٌ ، وَقَالَ مَنْ أَرَادَ النَّصْرَانِيَّةَ ، انْحَازَ إِلَى خَيْمَةِ الصَّلِيبِ لِيَرُدَّ عَلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ ، وَمَنْ أَرَادَ الْإِسْلَامَ ، انْحَازَ إِلَى الْخَيْمَةِ الْأُخْرَى ، وَلَهُ الْأَمَانُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَنُبَلِّغُهُ مَأْمَنَهُ ، فَانْحَازَ أَكْثَرُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْخَيْمَةِ الَّتِي عَلَيْهَا الصَّلِيبُ ، طَمَعًا فِي أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَسَيَّرَ مَعَ الْبَاقِينَ بِطْرِيقًا يُبَلِّغُهُمْ مَأْمَنَهُمْ ، وَفَتَحَهَا بِالْأَمَانِ مُسْتَهَلَّ جُمَادَى الْآخِرَةِ يَوْمَ الْأَحَدِ ، وَمَلَكُوا سُمَيْسَاطَ ، وَخَرَّبُوا الْأَعْمَالَ وَأَكْثَرُوا الْقَتْلَ ، وَفَعَلُوا الْأَفَاعِيلَ الشَّنِيعَةَ ، وَصَارَ أَكْثَرُ الْبِلَادِ فِي أَيْدِيهِمْ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَدِيٍّ أَبُو نُعَيْمٍ الْفَقِيهُ الْجُرْجَانِيُّ الْإِسْتِرَابَاذِيُّ وَأَبُو عَلِيٍّ الرُّوذْبَارِيُّ الصُّوفِيُّ ، وَاسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْقَاسِمِ ، وَقِيلَ تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ خَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّسَّاجُ الصُّوفِيُّ مِنْ أَهْلِ سَامَرَا ، وَكَانَ مِنَ الْأَبْدَالِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ أَبُو بَكْرٍ الْكَتَّانِيُّ الصُّوفِيُّ الْمَشْهُورُ ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ الْجُنَيْدِ ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْخَرَّازِ ، الْخَرَّازُ بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَالرَّاءِ وَالزَّايِ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ قَتْلِ مَرْدَاوَيْجَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ مَرْدَاوَيْجُ الدَّيْلَمِيُّ صَاحِبُ بِلَادِ الْجَبَلِ وَغَيْرِهَا . |
| وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّهُ كَانَ كَثِيرُ الْإِسَاءَةِ لِلْأَتْرَاكِ ، وَكَانَ يَقُولُ إِنَّ رُوحَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَلَّتْ فِيهِ ، وَإِنَّ الْأَتْرَاكَ هُمُ الشَّيَاطِينُ وَالْمَرَدَةُ ، فَإِنْ قَهَرَهُمْ وَإِلَّا أَفْسَدُوا ، فَثَقُلَتْ وَطْأَتُهُ عَلَيْهِمْ وَتَمَنَّوْا هَلَاكَهُ. |
| فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الْمِيلَادِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَهِيَ لَيْلَةُ الْوَقُودِ ، أَمَرَ بِأَنْ يُجْمَعَ الْحَطَبُ مِنَ الْجِبَالِ وَالنَّوَاحِي ، وَأَنْ يُجْعَلَ عَلَى جَانِبَيِ الْوَادِي الْمَعْرُوفِ بِزَنْدَرُوذَ كَالْمَنَابِرِ وَالْقِبَابِ الْعَظِيمَةِ ، وَيُعْمَلُ مِثْلُ ذَلِكَ عَلَى الْجَبَلِ الْمَعْرُوفِ بِكَرِيمِ كَوْهَ الْمُشْرِفِ عَلَى أَصْبَهَانَ ، مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَى أَعْلَاهُ ، بِحَيْثُ إِذَا اشْتَعَلَتْ تِلْكَ الْأَحْطَابُ ، يَصِيرُ الْجَبَلُ كُلُّهُ نَارًا ، وَعَمِلَ مِثْلَ ذَلِكَ بِجَمِيعِ الْجِبَالِ وَالتِّلَالِ الَّتِي هُنَاكَ ، وَأَمَرَ فَجُمِعَ لَهُ النَّفْطُ وَمَنْ يَلْعَبُ بِهِ ، وَعَمِلَ مِنَ الشُّمُوعِ مَا لَا يُحْصَى ، وَصِيدَ لَهُ مِنَ الْغِرْبَانِ وَالْحَدَأِ زِيَادَةٌ عَلَى أَلْفَيْ طَائِرٍ لِيَجْعَلَ فِي أَرْجُلِهَا النَّفْطَ وَتُرْسَلُ لِتَطِيرَ بِالنَّارِ فِي الْهَوَاءِ ، وَأَمَرَ بِعَمَلِ سِمَاطٍ عَظِيمٍ كَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَا فِيهِ مِائَةُ فَرَسٍ ، وَمِائَتَانِ مِنَ الْبَقَرِ مَشْوِيَّةٌ صِحَاحًا ، سِوَى مَا شُوِيَ مِنَ الْغَنَمِ ، فَإِنَّهَا كَانَتْ ثَلَاثَةُ آلَافِ رَأْسٍ ، سِوَى الْمَطْبُوخِ ، وَكَانَ فِيهِ مِنَ الدَّجَاجِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّيْرِ زِيَادَةٌ عَلَى عَشَرَةِ آلَافِ عَدَدٍ ، وَعُمِلَ مِنْ أَلْوَانِ الْحَلْوَاءِ مَا لَا يُحَدُّ ، وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَجْمَعَ النَّاسَ عَلَى ذَلِكَ السِّمَاطِ ، فَإِذَا فَرَغُوا قَامَ إِلَى مَجْلِسِ الشَّرَابِ وَيُشْعِلُ النِّيرَانَ فَيَتَفَرَّجُ. |
| فَلَمَّا كَانَ آخِرُ النَّهَارِ ، رَكِبَ وَحْدَهُ وَغِلْمَانُهُ رَجَّالَةً ، وَطَافَ بِالسِّمَاطِ وَنَظَرَ إِلَيْهِ وَإِلَى تِلْكَ الْأَحْطَابِ ، فَاسْتَحْقَرَ الْجَمِيعَ لِسِعَةِ الصَّحْرَاءِ ، فَتَضَجَّرَ وَغَضِبَ ، وَلَعَنَ مَنْ صَنَعَهُ وَدَبَّرَهُ ، فَخَافَهُ مَنْ حَضَرَ ، فَعَادَ وَنَزَلَ وَدَخَلَ خَرْكَاةً لَهُ فَنَامَ ، فَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ أَنْ يُكَلِّمَهُ. |
| وَاجْتَمَعَ الْأُمَرَاءُ وَالْقُوَّادُ وَغَيْرُهُمْ ، وَأَرْجَفُوا عَلَيْهِ ، فَمِنْ قَائِلٍ إِنَّهُ غَضِبَ لِكَثْرَتِهِ; لِأَنَّهُ كَانَ بَخِيلًا ، وَمِنْ قَائِلٍ إِنَّهُ قَدِ اعْتَرَاهُ جُنُونٌ ، وَقِيلَ بَلْ أَوْجَعَهُ فُؤَادُهُ ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ ، وَكَادَتِ الْفِتْنَةُ تَثُورُ. |
| وَعَرَّفَ الْعَمِيدُ وَزِيرَهُ صُورَةَ الْحَالِ ، فَأَتَاهُ وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى اسْتَيْقَظَ وَعَرَّفَهُ مَا النَّاسُ فِيهِ ، فَخَرَجَ وَجَلَسَ عَلَى الطَّعَامِ ، وَأَكَلَ ثَلَاثَ لُقَمٍ ، ثُمَّ قَامَ وَنَهَبَ النَّاسُ الْبَاقِيَ ، وَلَمْ يَجْلِسْ لِلشَّرَابِ ، وَعَادَ إِلَى مَكَانِهِ ، وَبَقِيَ فِي مُعَسْكَرِهِ بِظَاهِرِ أَصْبَهَانَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا يَظْهَرُ. |
| فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الرَّابِعُ ، تَقَدَّمَ بِإِسْرَاجِ الدَّوَابِّ لِيَعُودَ مِنْ مَنْزِلَتِهِ إِلَى دَارِهِ بِأَصْبَهَانَ ، فَاجْتَمَعَ بِبَابِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَبَقِيَتِ الدَّوَابُّ مَعَ الْغِلْمَانِ ، وَكَثُرَ صَهِيلُهَا وَلَعِبُهَا ، وَالْغِلْمَانُ يَصِيحُونَ بِهَا لِتَسْكُنَ مِنَ الشَّغَبِ ، وَكَانَتْ مُزْدَحِمَةً ، فَارْتَفَعَ مِنَ الْجَمِيعِ أَصْوَاتٌ هَائِلَةٌ. |
| وَكَانَ مَرْدَاوَيْجُ نَائِمًا ، فَاسْتَيْقَظَ ، فَصَعِدَ فَنَظَرَ فَرَأَى ، فَسَأَلَ فَعَرَفَ الْحَالَ ، فَازْدَادَ غَضَبًا ، وَقَالَ أَمَا كَفَى مِنْ خَرْقِ الْحُرْمَةِ مَا فَعَلُوهُ فِي ذَلِكَ الطَّعَامِ ، وَمَا أَرَجَفُوا بِهِ ، حَتَّى انْتَهَى أَمْرِي إِلىَ هَؤُلَاءِ الْكِلَابِ ؟ |
| ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَصْحَابِ الدَّوَابِّ ، فَقِيلَ إِنَّهَا لِلْغِلْمَانِ الْأَتْرَاكِ ، وَقَدْ نَزَلُوا إِلَى خِدْمَتِكَ ، فَأَمَرَ أَنْ تُحَطَّ السُّرُوجُ عَنِ الدَّوَابِّ وَتُجْعَلَ عَلَى ظُهُورِ أَصْحَابِهَا الْأَتْرَاكِ ، وَيَأْخُذُوا بِأَرْسَانِ الدَّوَابِّ إِلَى الْإِسْطَبْلَاتِ ، وَمَنِ امْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ ، ضَرَبَهُ الدَّيْلَمُ بِالْمُقَارِعِ حَتَّى يُطِيعَ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِمْ ، وَكَانَتْ صُورَةً قَبِيحَةً ، يَأْنَفُ مِنْهَا أَحْقَرُ النَّاسِ. |
| ثُمَّ رَكِبَ هُوَ بِنَفْسِهِ مَعَ خَاصَّتِهِ ، وَهُوَ يَتَوَعَّدُ الْأَتْرَاكَ ، حَتَّى صَارَ إِلَى دَارِهِ قُرْبَ الْعِشَاءِ ، وَكَانَ قَدْ ضَرَبَ قَبْلَ ذَلِكَ جَمَاعَةً مِنْ أَكَابِرِ الْغِلْمَانِ الْأَتْرَاكِ ، فَحَقَدُوا عَلَيْهِ وَأَرَادُوا قَتْلَهُ ، فَلَمْ يَجِدُوا أَعْوَانًا ، فَلَمَّا جَرَتْ هَذِهِ الْحَادِثَةُ انْتَهَزُوا الْفُرْصَةَ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَا وَجْهُ صَبْرِنَا عَلَى هَذَا الشَّيْطَانِ ؟ |
| فَاتَّفَقُوا وَتَحَالَفُوا عَلَى الْفَتْكِ بِهِ ، فَدَخَلَ الْحَمَّامَ ، وَكَانَ كُورَتِكِينُ يَحْرُسُهُ فِي خَلَوَاتِهِ وَحَمَّامِهِ ، فَأَمَرَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَنْ لَا يَتْبَعَهُ ، فَتَأَخَّرَ عَنْهُ مُغْضَبًا ، وَكَانَ هُوَ الَّذِي يَجْمَعُ الْحَرَسَ ، فَلِشِدَّةِ غَضَبِهِ لَمْ يَأْمُرْ أَحَدًا أَنْ يَحْضُرَ حِرَاسَتَهُ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا هَيَّأَ أَسْبَابَهُ. |
| وَكَانَ لَهُ أَيْضًا خَادِمٌ أَسْوَدُ يَتَوَلَّى خِدْمَتَهُ بِالْحَمَّامِ ، فَاسْتَمَالُوهُ فَمَالَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالُوا لِلْخَادِمِ أَلَا يَحْمِلُ مَعَهُ سِلَاحًا ؟ ، وَكَانَتِ الْعَادَةُ أَنْ يَحْمِلَ مَعَهُ خِنْجَرًا طُولُهُ نَحْوَ ذِرَاعٍ مَلْفُوفًا فِي مَنْدِيلٍ ، فَلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ لِلْخَادِمِ قَالَ مَا أَجْسَرَ ؛ فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ كَسَرُوا حَدِيدَ الْخِنْجَرِ ، وَتَرَكُوا النِّصَابَ فِي الْغِلَافِ بِغَيْرِ حَدِيدٍ ، فَلَفُّوهُ فِي الْمَنْدِيلِ كَمَا جَرَتِ الْعَادَةُ لِئَلَّا يُنْكِرَ الْحَالَ. |
| فَلَمَّا دَخَلَ مَرْدَاوَيْجُ الْحَمَّامَ ، فَعَلَ الْخَادِمُ مَا قِيلَ لَهُ ، وَجَاءَ خَادِمٌ آخَرُ وَهُوَ أُسْتَاذُ دَارِهِ ، فَجَلَسَ عَلَى بَابِ الْحَمَّامِ ، فَهَجَمَ الْأَتْرَاكُ إِلَى الْحَمَّامِ ، فَقَامَ أُسْتَاذُ دَارِهِ لِيَمْنَعَهُمْ ، وَصَاحَ بِهِمْ ، فَضَرَبَهُ بَعْضُهُمْ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَ يَدَهُ ، فَصَاحَ بِالْأَسْوَدِ وَسَقَطَ ، وَسَمِعَ مَرْدَاوَيْجُ الضَّجَّةَ ، فَبَادَرَ إِلَى الْخِنْجَرِ لِيَدْفَعَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ ، فَوَجَدَهُ مَكْسُورًا ، فَأَخَذَ سَرِيرًا مِنْ خَشَبٍ كَانَ يَجْلِسُ عَلَيْهِ إِذَا اغْتَسَلَ ، فَتَرَسَ بِهِ بَابَ الْحَمَّامِ مِنْ دَاخِلٍ ، وَدَفَعَ الْأَتْرَاكُ الْبَابَ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى فَتْحِهِ ، فَصَعِدَ بَعْضُهُمْ إِلَى السَّطْحِ ، وَكَسَرُوا الْجَامَاتِ ، وَرَمَوْهُ بِالنُّشَّابِ ، فَدَخَلَ الْبَيْتَ الْحَارَّ ، وَجَعَلَ يَتَلَطَّفَهُمْ وَيَحْلِفُ لَهُمْ عَلَى الْإِحْسَانِ ، فَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ ، وَكَسَرُوا بَابَ الْحَمَّامِ وَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ. |
| وَكَانَ الَّذِينَ أَلَّبُوا النَّاسَ عَلَيْهِ وَشَرَعُوا فِي قَتْلِهِ تُوزُونُ ، وَهُوَ الَّذِي صَارَ أَمِيرَ الْعَسَاكِرِ بِبَغْدَاذَ وَيَارُوقُ ، وَابْنُ بِغِرَا ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَنَالَ التُّرْجُمَانُ ، وَوَافَقَهُمْ بُجْكُمُ ، وَهُوَ الَّذِي وَلِيَ أَمْرَ الْعِرَاقِ قَبْلَ تُوزُونَ ، وَسَيَرِدُ ذِكْرُ ذَلِكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. |
| فَلَمَّا قَتَلُوهُ بَادَرُوا فَأَعْلَمُوا أَصْحَابَهُمْ ، فَرَكِبُوا وَنَهَبُوا قَصْرَهُ وَهَرَبُوا ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِمُ الدَّيْلَمُ; لِأَنَّ أَكْثَرَهُمْ كَانُوا قَدْ دَخَلُوا الْمَدِينَةَ لِيَلْحَقَ بِهِمْ ، وَتَخلَفَ الْأَتْرَاكُ مَعَهُ لِهَذَا السَّبَبِ. |
| فَلَمَّا عَلِمَ الدَّيْلَمُ وَالْجِيلُ ، رَكِبُوا فِي أَثَرِهِمْ ، فَلَمْ يُلْحِقُوا مِنْهُمْ إِلَّا نَفَرًا يَسِيرًا وَقَفَتْ دَوَابُّهُمْ ، فَقَتَلُوهُمْ ، وَعَادُوا لِيَنْهَبُوا الْخَزَائِنَ ، فَرَأَوُا الْعَمِيدَ قَدْ أَلْقَى النَّارَ فِيهَا ، فَلَمْ يَصِلُوا إِلَيْهَا ، فَبَقِيَتْ بِحَالِهَا. |
| وَمِنْ عَجِبَ مَا يُحْكَى أَنَّ الْعَسَاكِرَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَمَّا رَأَوْا غَضَبَ مَرْدَاوَيْجَ ، قَعَدُوا يَتَذَاكَرُونَ مَا هُمْ فِيهِ مَعَهُ مِنَ الْجَوْرِ ، وَشِدَّةِ عُتُوِّهِ ، وَتَمَرُّدِهِ عَلَيْهِمْ ، وَدَخَلَ بَيْنَهُمْ رَجُلٌ شَيْخٌ لَا يَعْرِفُهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَهُوَ رَاكِبٌ ، فَقَالَ قَدْ زَادَ أَمْرُ هَذَا الْكَافِرِ ، وَالْيَوْمَ تُكَفِّنُونَهُ وَيَأْخُذُهُ اللَّهُ ، ثُمَّ سَارَ ، فَلَحِقَتِ الْجَمَاعَةُ دَهْشَةٌ ، وَنَظَرَ بَعْضُهُمْ فِي وُجُوهِ بَعْضٍ ، وَمَرَّ الشَّيْخُ ، فَقَالُوا الْمَصْلَحَةُ أَنَّنَا نَتْبَعُهُ وَنَأْخُذُهُ وَنَسْتَعِيدُهُ الْحَدِيثَ ، لِئَلَّا يَسْمَعَ مَرْدَاوَيْجُ مَا جَرَى ، فَلَا نَلْقَى مِنْهُ خَيْرًا ، فَتَبِعُوهُ فَلَمْ يَرَوْا أَحَدًا. |
| وَكَانَ مَرْدَاوَيْجُ قَدْ تَجَبَّرَ قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ وَعَتَا ، وَعُمِلَ لَهُ كُرْسِيًّا مِنْ ذَهَبٍ يَجْلِسُ عَلَيْهِ ، وَعُمِلَ كَرَاسِيُّ مِنْ فِضَّةٍ يَجْلِسُ عَلَيْهَا أَكَابِرُ قُوَّادِهِ ، وَكَانَ قَدْ عَمِلَ تَاجًا مُرَصَّعًا عَلَى صِفَةِ تَاجِ كِسْرَى ، وَقَدْ عَزَمَ عَلَى قَصْدِ الْعِرَاقِ وَالِاسْتِيلَاءِ عَلَيْهِ ، وَبِنَاءِ الْمَدَائِنِ وَدَوْرِ كِسْرَى وَمَسَاكِنِهِ ، وَأَنْ يُخَاطَبَ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ بِشَاهِنْشَاهْ ، فَأَتَاهُ أَمْرُ اللَّهِ وَهُوَ غَافِلٌ عَنْهُ ، وَاسْتَرَاحَ النَّاسُ مِنْ شَرِّهِ ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُرِيحَ النَّاسَ مِنْ كُلِّ ظَالِمٍ سَرِيعًا. |
| وَلَمَّا قُتِلَ مَرْدَاوَيْجُ ، اجْتَمَعَ أَصْحَابُهُ الدَّيْلَمُ وَالْجِيلُ وَتَشَاوَرُوا ، وَقَالُوا إِنْ بَقِينَا بِغَيْرِ رَأْسٍ هَلَكْنَا ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى طَاعَةِ أَخِيهِ وَشْمَكِيرَ بْنِ زِيَارَ ، وَهُوَ وَالِدُ قَابُوسٍ ، وَكَانَ بِالرَّيِّ ، فَحَمَلُوا تَابُوتَ مَرْدَاوَيْجَ وَسَارُوا نَحْوَ الرَّيِّ ، فَخَرَجَ مَنْ بِهَا مِنْ أَصْحَابِهِ مَعَ أَخِيهِ وَشْمَكِيرَ ، فَالْتَقُوهُ عَلَى أَرْبَعَةِ فَرَاسِخَ مُشَاةً حُفَاةً ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا. |
| وَأَمَّا أَصْحَابُهُ الَّذِينَ كَانُوا بِالْأَهْوَازِ وَأَعْمَاِلِهَا ، فَإِنَّهُمْ لَمَّا بَلَغَهُمُ الْخَبَرُ كَتَمُوهُ ، وَسَارُوا نَحْوَ الرَّيِّ ، فَأَطَاعُوا وَشْمَكِيرَ أَيْضًا ، وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ. |
| وَلَمَّا قُتِلَ مَرْدَاوَيْجُ ، كَانَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ بْنُ بُوَيْهِ رَهِينَةً عِنْدَهُ ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، فَبَذَلَ لِلْمُوَكَّلِينَ مَالًا فَأَطْلَقُوهُ ، فَخَرَجَ إِلَى الصَّحْرَاءِ لِيَفُكَّ قُيُودَهُ ، فَأَقْبَلَتْ بِغَالٍ عَلَيْهَا تَبْنٌ ، وَعَلَيْهَا أَصْحَابُهُ وَغِلْمَانُهُ ، فَأُلْقِي التِّبْنُ ، وَكَسَرَ أَصْحَابُهُ قُيُودَهُ وَرَكِبُوا الدَّوَابَّ ، وَنَجَوْا إِلَى أَخِيهِ عِمَادِ الدَّوْلَةِ بِفَارِسَ. |
| ذِكْرُ مَا فَعَلَهُ الْأَتْرَاكُ بَعْدَ قَتْلِهِ لَمَّا قَتَلَ الْأَتْرَاكُ مَرْدَاوَيْجَ ، هَرَبُوا وَافْتَرَقُوا فِرْقَتَيْنِ ، فَفِرْقَةٌ سَارَتْ إِلَى عِمَادِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ مَعَ خَجْخَجَ الَّذِي سَلَّمَهُ تُوزُونُ فِيمَا بَعْدُ ، وَسَنَذْكُرُهُ . |
| وَفِرْقَةٌ سَارَتْ نَحْوَ الْجَبَلِ مَعَ بُجْكُمَ ، وَهِيَ أَكْثَرُهَا ، فَجَبَوْا خَرَاجَ الدِّينَوَرِ وَغَيْرَهَا ، وَسَارُوا إِلَى النَّهْرَوَانِ ، فَكَاتَبُوا الرَّاضِيَ فِي الْمَسِيرِ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَأَذِنَ لَهُمْ ، فَدَخَلُوا بَغْدَاذَ ، فَظَنَّ الْحَجَرِيَّةُ أَنَّهَا حِيلَةٌ عَلَيْهِمْ ، فَطَلَبُوا رَدَّ الْأَتْرَاكِ إِلَى بَلَدِ الْجَبَلِ ، فَأَمَرَهُمُ ابْنُ مُقْلَةَ بِذَلِكَ ، وَأَطْلَقَ لَهُمْ مَالًا ، فَلَمْ يَرْضَوْا بِهِ ، وَغَضِبُوا ، فَكَاتَبَهُمُ ابْنُ رَائِقٍ ، وَهُوَ بِوَاسِطَ ، وَلَهُ الْبَصْرَةُ أَيْضًا ، فَاسْتَدْعَاهُمْ فَمَضَوْا إِلَيْهِ ، وَقَدَّمَ عَلَيْهِمْ بُجْكُمَ ، وَأَمَرَهُ بِمُكَاتَبَةِ الْأَتْرَاكِ وَالدَّيْلَمِ مِنْ أَصْحَابِ مَرْدَاوَيْجَ ، فَكَاتَبَهُمْ ، فَأَتَاهُ مِنْهُمْ عِدَّةٌ وَافِرَةٌ ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِمْ وَإِلَى بُجْكُمَ خَاصَّةً ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى النَّاسِ بُجْكُمُ الرَّائِقِيُّ ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمَا مَا نَذْكُرُهُ. |
| ذِكْرُ حَالِ وَشْمَكِيرَ بَعْدَ قَتْلِ أَخِيهِ وَأَمَّا وَشْمَكِيرُ فَإِنَّهُ لَمَّا قُتِلَ أَخُوهُ ، وَقَصَدَتْهُ الْعَسَاكِرُ الَّتِي كَانَتْ لِأَخِيهِ وَأَطَاعَتْهُ ، وَأَقَامَ بِالرَّيِّ ، فَكَتَبَ الْأَمِيرُ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ السَّامَّانِيُّ إِلَى أَمِيرِ جَيْشِهِ بِخُرَاسَانَ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُظَفَّرِ بْنِ مُحْتَاجٍ ، بِالْمَسِيرِ إِلَى قُومِسَ ، وَكَتَبَ إِلَى مَاكَانَ بْنِ كَالِي ، وَهُوَ بِكَرْمَانَ ، بِالْمَسِيرِ عَنْهَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْمُظَفَّرِ; لِيَقْصِدُوا جُرْجَانَ وَالرَّيَّ. |
| فَسَارَ مَاكَانُ إِلَى الدَّامَغَانَ عَلَى الْمَفَازَةِ ، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ بَانْجِينُ الدَّيْلَمِيُّ مِنْ أَصْحَابِ وَشْمَكِيرَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ ، وَاسْتَمَدَّ مَاكَانُ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُظَفَّرِ ، وَهُوَ بِبِسْطَامٍ ، فَأَمَدَّهُ بِجَمْعٍ كَثِيرٍ أَمَرَهُمْ بِتَرْكِ الْمُحَارِبَةِ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ ، فَخَالَفُوهُ وَحَارَبُوا بَانْجِينَ ، فَلَمْ يَتَعَاوَنُوا وَتَخَاذَلُوا فَهَزَمَهُمْ بَانْجِينُ فَرَجَعُوا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْمُظَفَّرِ ، وَخَرَجُوا إِلَى جُرْجَانَ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ بَانْجِينُ لِيَصُدَّهُمْ عَنْهَا ، فَانْصَرَفُوا إِلَى نَيْسَابُورَ وَأَقَامُوا بِهَا وَجُعِلَتْ وَلَايَتُهَا لِمَاكَانَ بْنِ كَالِي وَأَقَامَ بِهَا ، وَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَأَوَّلَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. |
| وَلَمَّا سَارَ مَاكَانُ عَنْ كَرْمَانَ ، عَادَ إِلَيْهَا أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ إِلْيَاسَ فَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَصَفَتْ لَهُ بَعْدَ حُرُوبٍ لَهُ مَعَ جُنُودِ نَصْرٍ بِكَرْمَانَ ، وَكَانَ الظَّفَرُ لَهُ أَخِيرًا ، وَسَنَذْكُرُ بَاقِيَ خَبَرِهِمْ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. |
| ذِكْرُ الْقَبْضِ عَلَى ابْنَيْ يَاقُوتٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي جُمَادَى الْأُولَى قَبَضَ الرَّاضِي بِاللَّهِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَالْمُظَفَّرِ ابْنَيْ يَاقُوتٍ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْوَزِيرَ أَبَا عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ كَانَ قَدْ قَلِقَ لِتَحَكُّمِ مُحَمَّدِ بْنِ يَاقُوتٍ فِي الْمَمْلَكَةِ بِأَسْرِهَا ، وَأَنَّهُ هُوَ لَيْسَ لَهُ حُكْمٌ فِي شَيْءٍ ، فَسَعَى بِهِ إِلَى الرَّاضِي ، وَأَدَامَ السِّعَايَةَ ، فَبَلَغَ مَا أَرَادَهُ. |
| فَلَمَّا كَانَ خَامِسُ جُمَادَى الْأُولَى ، رَكِبَ جَمِيعُ الْقُوَّادِ إِلَى دَارِ الْخَلِيفَةِ عَلَى عَادَتِهِمْ ، وَحَضَرَ الْوَزِيرُ ، وَأَظْهَرَ الرَّاضِي أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُقَلِّدَ جَمَاعَةً مِنَ الْقُوَّادِ أَعْمَالًا ، وَحَضَرَ مُحَمَّدُ بْنُ يَاقُوتٍ لِلْحَجَبَةِ ، وَمَعَهُ كَاتِبُهُ أَبُو إِسْحَاقَ الْقَرَارِيطِيُّ ، فَخَرَجَ الْخَدَمُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ يَاقُوتٍ ، فَاسْتَدْعَوْهُ إِلَى الْخَلِيفَةِ ، فَدَخَلَ مُبَادِرًا ، فَعَدَلُوا بِهِ إِلَى حُجْرَةٍ هُنَاكَ ، فَحَبَسُوهُ فِيهَا ثُمَّ اسْتَدْعَوُا الْقَرَارِيطِيَّ ، فَدَخَلَ فَعَدَلُوا بِهِ إِلَى حُجْرَةٍ أُخْرَى ، ثُمَّ اسْتَدْعَوُا الْمُظَفَّرَ بْنَ يَاقُوتٍ مِنْ بَيْتِهِ ، وَكَانَ مَخْمُورًا ، فَحَضَرَ ، فَحَبَسُوهُ أَيْضًا. |
| وَأَنْفَذَ الْوَزِيرُ أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُقْلَةَ إِلَى دَارِ مُحَمَّدٍ يَحْفَظُهَا مِنَ النَّهْبِ ، وَكَانَ يَاقُوتٌ حِينَئِذٍ مُقِيمًا بِوَاسِطَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ الْقَبْضُ عَلَى ابْنَيْهِ ، انْحَدَرَ يَطْلُبُ فَارِسَ لِيُحَارِبَ ابْنَ بُوَيْهِ ، وَكَتَبَ إِلَى الرَّاضِي يَسْتَعْطِفُهُ ، وَيَسْأَلُهُ إِنْفَاذَ ابْنَيْهِ لِيُسَاعِدَاهُ عَلَى حُرُوبِهِ ، فَاسْتَبَدَّ ابْنُ مُقْلَةَ بِالْأَمْرِ. |
| ذِكْرُ حَالِ الْبَرِيدِيِّ وَفِيهَا قَوِيَ أَمْرُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيِّ ، وَعَظُمَ شَأْنُهُ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ ضَامِنًا أَعْمَالَ الْأَهْوَازِ ، فَلَمَّا اسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، عَسْكَرُ مَرْدَاوَيْجَ وَانْهَزَمَ يَاقُوتٌ ، كَمَا ذَكَرْنَا ، عَادَ الْبَرِيدِيُّ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَصَارَ يَتَصَرَّفُ فِي أَسَافِلِ أَعْمَالِ الْأَهْوَازِ ، مُضَافًا إِلَى كِتَابَةِ يَاقُوتٍ ، وَسَارَ إِلَى يَاقُوتٍ فَأَقَامَ مَعَهُ بِوَاسِطَ. |
| فَلَمَّا قُبِضَ عَلَى ابْنَيْ يَاقُوتٍ ، كَتَبَ ابْنُ مُقْلَةَ إِلَى ابْنِ الْبَرِيدِيِّ يَأْمُرُهُ أَنْ يُسَكِّنَ يَاقُوتًا ، وَيُعَرِّفَهُ أَنَّ الْجُنْدَ اجْتَمَعُوا وَطَلَبُوا الْقَبْضَ عَلَى وَلَدَيْهِ ، فَقُبِضَا تَسْكِينًا لِلْجُنْدِ ، وَأَنَّهُمَا يَسِيرَانِ إِلَى أَبِيهِمَا عَنْ قَرِيبٍ ، وَأَنَّ الرَّأْيَ أَنْ يَسِيرَ هُوَ لِفَتْحِ فَارِسَ ، فَسَارَ يَاقُوتٌ مِنْ وَاسِطَ عَلَى طَرِيقِ السُّوسِ ، وَسَارَ الْبَرِيدِيُّ عَلَى طَرِيقِ الْمَاءِ إِلَى الْأَهْوَازِ ، وَكَانَ إِلَى أَخَوَيْهِ أَبِي الْحُسَيْنِ وَأَبِي يُوسُفَ ضَمَانُ السُّوسِ وَجُنْدُ يَسَابُورَ ، وَادَّعَيَا أَنَّ دَخْلَ الْبِلَادِ لِسَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ أَخَذَهُ عَسْكَرُ مَرْدَاوَيْجَ ، وَأَنَّ دَخْلَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ لَا يُحَصَّلُ مِنْهُ شَيْءٌ; لِأَنَّ نُوَّابَ مَرْدَاوَيْجَ ظَلَمُوا النَّاسَ ، فَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ مَا يَزْرَعُونَهُ. |
| وَكَانَ الْأَمْرُ بِضِدِّ ذَلِكَ فِي السَّنَتَيْنِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْوَزِيرَ ابْنَ مُقْلَةَ ، فَأَنْفَذَ نَائِبًا لَهُ لِيُحَقِّقَ الْحَالَ ، فَوَاطَأَ ابْنَيِ الْبَرِيدِيِّ ، وَكَتَبَ يُصَدِّقُهُمْ ، فَحَصَّلَ لَهُمْ بِذَلِكَ مَالٌ عَظِيمٌ ، وَقَوِيَتْ حَالُهُمْ ، وَكَانَ مَبْلَغُ مَا أَخَذُوهُ أَرْبَعَةَ آلَافِ أَلْفِ دِينَارٍ. |
| وَأَشَارَ ابْنُ الْبَرِيدِيِّ عَلَى يَاقُوتٍ بِالْمَسِيرِ إِلَى أَرَّجَانَ لِفَتْحِ فَارِسَ ، وَقَامَ هُوَ بِجِبَايَةِ الْأَمْوَالِ مِنَ الْبِلَادِ ، فَحَصَلَ مِنْهَا مَا أَرَادَ ، فَلَمَّا سَارَ يَاقُوتٌ إِلَى فَارِسَ فِي جُمُوعِهِ لَقِيَهُ ابْنُ بُوَيْهِ بِبَابِ أَرَّجَانَ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ يَاقُوتٍ وَبَقِيَ إِلَى آخِرِهِمْ ، ثُمَّ انْهَزَمَ وَسَارَ ابْنُ بُوَيْهِ خَلْفَهُ إِلَى رَامَهُرْمُزَ ، وَسَارَ يَاقُوتٌ إِلَى عَسْكَرِ مَكْرَمٍ ، وَأَقَامَ ابْنُ بُوَيْهِ بِرَامَهُرْمُزَ إِلَى أَنْ وَقَعَ الصُّلْحُ بَيْنَهُمَا. |
| ذِكْرُ فِتْنَةِ الْحَنَابِلَةِ بِبَغْدَاذَ وَفِيهَا عَظُمَ أَمْرُ الْحَنَابِلَةِ ، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُمْ ، وَصَارُوا يَكْسِبُونَ مِنْ دُورِ الْقُوَّادِ وَالْعَامَّةِ ، وَإِنْ وَجَدُوا نَبِيذًا أَرَاقُوهُ ، وَإِنْ وَجَدُوا مُغَنِّيَةً ضَرَبُوهَا وَكَسَرُوا آلَةَ الْغِنَاءِ ، وَاعْتَرَضُوا فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ ، وَمَشَى الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ ، فَإِذَا رَأَوْا ذَلِكَ سَأَلُوهُ عَنِ الَّذِي مَعَهُ مَنْ هُوَ ، فَأَخْبَرَهُمْ ، وَإِلَّا ضَرَبُوهُ وَحَمَلُوهُ إِلَى صَاحِبِ الشُّرْطَةِ ، وَشَهِدُوا عَلَيْهِ بِالْفَاحِشَةِ ، فَأَرْهَجُوا بَغْدَاذَ. |
| فَرَكِبَ بَدْرٌ الْخَرْشَنِيُّ ، وَهُوَ صَاحِبُ الشُّرْطَةِ ، عَاشِرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ وَنَادَى فِي جَانِبَيْ بَغْدَاذَ ، فِي أَصْحَابِ أَبِي مُحَمَّدِ الْبَرْبَهَارِيِّ الْحَنَابِلَةِ ، أَلَا يَجْتَمِعُ مِنْهُمُ اثْنَانِ وَلَا يَتَنَاظَرُوا فِي مَذْهَبِهِمْ ، وَلَا يُصَلِّي مِنْهُمْ إِمَامٌ إِلَّا إِذَا جَهَرَ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَالْعِشَاءَيْنِ ، فَلَمْ يُفِدْ فِيهِمْ ، وَزَادَ شَرُّهُمْ وَفِتْنَتُهُمْ ، وَاسْتَظْهَرُوا بِالْعُمْيَانِ الَّذِينَ كَانُوا يَأْوُونَ الْمَسَاجِدَ ، وَكَانُوا إِذَا مَرَّ بِهِمْ شَافِعِيُّ الْمَذْهَبِ أَغْرَوْا بِهِ الْعُمْيَانَ ، فَيَضْرِبُونَهُ بِعِصِيِّهِمْ ، حَتَّى يَكَادَ يَمُوتُ. |
| فَخَرَجَ تَوْقِيعُ الرَّاضِي بِمَا يُقْرَأُ عَلَى الْحَنَابِلَةِ يُنْكِرُ عَلَيْهِمْ فِعْلَهُمْ ، وَيُوَبِّخُهُمْ بِاعْتِقَادِ التَّشْبِيهِ وَغَيْرِهِ ، فَمِنْهُ تَارَةً أَنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ صُورَةَ وُجُوهِكُمُ الْقَبِيحَةِ السَّمِجَةِ عَلَى مِثَالِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَهَيْئَتَكُمُ الرَّذْلَةِ عَلَى هَيْئَتِهِ ، وَتَذْكُرُونَ الْكَفَّ وَالْأَصَابِعَ وَالرِّجْلَيْنِ وَالنَّعْلَيْنِ الْمُذَهَّبَيْنِ ، وَالشَّعْرَ الْقَطَطِ ، وَالصُّعُودَ إِلَى السَّمَاءِ ، وَالنُّزُولَ إِلَى الدُّنْيَا ، تَبَارَكَ اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ وَالْجَاحِدُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ، ثُمَّ طَعْنُكُمْ عَلَى خِيَارِ الْأَئِمَّةِ ، وَنِسْبَتُكُمْ شِيعَةَ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ ، ثُمَّ اسْتِدْعَاؤُكُمُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الدِّينِ بِالْبِدَعِ الظَّاهِرَةِ وَالْمَذَاهِبِ الْفَاجِرَةِ الَّتِي لَا يَشْهَدُ بِهَا الْقُرْآنُ ، وَإِنْكَارُكُمْ زِيَارَةَ قُبُورِ الْأَئِمَّةِ ، وَتَشْنِيعِكُمْ عَلَى زُوَّارِهَا بِالِابْتِدَاعِ ، وَأَنْتُمْ مَعَ ذَلِكَ تَجْتَمِعُونَ عَلَى زِيَارَةِ قَبْرِ رَجُلٍ مِنَ الْعَوَامِّ لَيْسَ بِذِي شَرَفٍ وَلَا نَسَبٍ ، وَلَا سَبَبٍ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَأْمُرُونَ بِزِيَارَتِهِ ، وَتَدَّعُونَ لَهُ مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ ، فَلَعَنَ اللَّهُ شَيْطَانًا زَيَّنَ لَكُمْ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ ، وَمَا أَغْوَاهُ. |
| وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُقْسِمُ بِاللَّهِ قَسَمًا جَهْدًا إِلَيْهِ يَلْزَمُهُ الْوَفَاءُ بِهِ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا عَنْ مَذْمُومِ مَذْهَبِكُمْ وَمُعْوَجِّ طَرِيقَتِكُمْ لَيُوسِعَنَّكُمْ ضَرْبًا وَتَشْرِيدًا ، وَقَتْلًا وَتَبْدِيدًا ، وَلَيَسْتَعْمِلَنَّ السَّيْفَ فِي رِقَابِكُمْ ، وَالنَّارَ فِي مَنَازِلِكُمْ وَمَحَالِّكُمْ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ أَبِي الْعَلَاءِ بْنِ حَمْدَانَ وَفِيهَا قَتَلَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدَانَ عَمَّهُ أَبَا الْعَلَاءِ بْنَ حَمْدَانَ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَبَا الْعَلَاءِ سَعِيدَ بْنَ حَمْدَانَ ضَمِنَ الْمَوْصِلَ وَدِيَارَ رَبِيعَةَ سِرًّا ، وَكَانَ بِهَا نَاصِرُ الدَّوْلَةِ ابْنُ أَخِيهِ أَمِيرًا ، فَسَارَ عَنْ بَغْدَاذَ فِي خَمْسِينَ رَجُلًا ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ مُتَوَجِّهٌ لِيَطْلُبَ مَالَ الْخَلِيفَةِ مِنِ ابْنِ أَخِيهِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، خَرَجَ ابْنُ أَخِيهِ إِلَى تَلَقِّيهِ ، وَقَصَدَ مُخَالَفَةَ طَرِيقِهِ ، فَوَصَلَ أَبُو الْعَلَاءِ ، وَدَخَلَ دَارَ ابْنِ أَخِيهِ ، وَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ إِنَّهُ خَرَجَ إِلَى لِقَائِكَ ، فَقَعَدَ يَنْتَظِرُهُ ، فَلَمَّا عَلِمَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ بِمَقَامِهِ فِي الدَّارِ ، أَنْفَذَ جَمَاعَةً مِنْ غِلْمَانِهِ ، فَقَبَضُوا عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَنْفَذَ جَمَاعَةً غَيْرَهُمْ فَقَتَلُوهُ. |
| ذِكْرُ مَسِيرِ ابْنِ مُقْلَةَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَمَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ لَمَّا قَتَلَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ عَمَّهُ أَبَا الْعَلَاءِ وَاتَّصَلَ خَبَرُهُ بِالرَّاضِي ، عَظُمَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَأَنْكَرَهُ ، وَأَمَرَ ابْنَ مُقْلَةَ بِالْمَسِيرِ إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَسَارَ إِلَيْهَا فِي الْعَسَاكِرِ فِي شَعْبَانَ ، فَلَمَّا قَارَبَهَا ، رَحَلَ عَنْهَا نَاصِرُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ ، وَدَخَلَ الزَّوْزَانَ ، وَتَبِعَهُ الْوَزِيرُ إِلَى جَبَلِ التِّنِّينِ ، ثُمَّ عَادَ عَنْهُ وَأَقَامَ بِالْمَوْصِلِ يَجْبِي مَالَهَا. |
| وَلَمَّا طَالَ مَقَامُهُ بِالْمَوْصِلِ ، احْتَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ ابْنِ حَمْدَانَ عَلَى وَلَدِ الْوَزِيرِ ، وَكَانَ يَنُوبُ عَنْهُ فِي الْوِزَارَةِ بِبَغْدَاذَ ، فَبَذَلَ لَهُ عَشَرَةَ آلَافِ دِينَارٍ لِيَكْتُبَ إِلَى أَبِيهِ يَسْتَدْعِيهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَقُولُ إِنَّ الْأُمُورَ بِالْحَضْرَةِ قَدِ اخْتَلَّتْ ، وَإِنْ تَأَخَّرَ لَمْ يَأْمَنْ حُدُوثَ مَا يُبْطِلُ بِهِ أَمْرَهُمْ ، فَانْزَعَجَ الْوَزِيرُ لِذَلِكَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَوْصِلِ عَلِيَّ بْنَ خَلَفِ بْنِ طِيَّابٍ وَمَاكِرْدَ الدَّيْلَمَيَّ ، وَهُوَ مِنَ السَّاجِيَّةِ ، وَانْحَدَرَ إِلَى بَغْدَاذَ مُنْتَصَفَ شَوَّالٍ. |
| فَلَمَّا فَارَقَ الْمَوْصِلَ ، عَادَ إِلَيْهَا نَاصِرُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ ، فَاقْتَتَلَ هُوَ وَمَاكِرْدُ الدَّيْلَمَيُّ ، فَانْهَزَمَ ابْنُ حَمْدَانَ ، ثُمَّ عَادَ وَجَمَعَ عَسْكَرًا آخَرَ ، فَالْتَقَوْا عَلَى نَصِيبِينَ فِي ذِي الْحِجَّةِ ، فَانْهَزَمَ مَاكِرْدُ إِلَى الرَّقَّةِ ، وَانْحَدَرَ مِنْهَا إِلَى بَغْدَاذَ ، وَانْحَدَرَ أَيْضًا ابْنُ طِيَّابٍ ، وَاسْتَوْلَى ابْنُ حَمْدَانَ عَلَى الْمَوْصِلِ وَالْبِلَادِ ، وَكَتَبَ إِلَى الْخَلِيفَةِ يَسْأَلُهُ الصَّفْحَ ، وَأَنْ يَضْمَنَ الْبِلَادَ ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ وَاسْتَقَرَّتِ الْبِلَادُ عَلَيْهِ. |
| ذِكْرُ فَتْحِ جَنَوَةَ وَغَيْرِهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَيَّرَ الْقَائِمُ الْعَلَوِيُّ جَيْشًا مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ فِي الْبَحْرِ إِلَى نَاحِيَةِ الْفِرِنْجِ ، فَفَتَحُوا مَدِينَةَ جَنَوَةَ ، وَمَرُّوا بِسَرْدَانِيَّةَ فَأَوْقَعُوا بِأَهْلِهَا ، وَأَحْرَقُوا مَرَاكِبَ كَثِيرَةً ، وَمَرُّوا بِقَرْقِيسِيَا ، فَأَحْرَقُوا مَرَاكِبَهَا وَعَادُوا سَالِمِينَ. |
| ذِكْرُ الْقَرَامِطَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ النَّاسُ إِلَى الْحَجِّ ، فَلَمَّا بَلَغُوا الْقَادِسِيَّةَ اعْتَرَضَهُمْ أَبُو طَاهِرٍ الْقُرْمُطِيُّ ثَانِيَ عَشَرَ ذِي الْقِعْدَةِ ، فَلَمْ يَعْرِفُوهُ ، فَقَاتَلَهُ أَصْحَابُ الْخَلِيفَةِ ، وَأَعَانَهُمُ الْحَجَّاجُ ، ثُمَّ الْتَجَئُوا إِلَى الْقَادِسِيَّةِ ، فَخَرَجَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَلَوِيِّينَ بِالْكُوفَةِ إِلَى أَبِي طَاهِرٍ ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَكُفَّ عَنِ الْحَجَّاجِ ، فَكَفَّ عَنْهُمْ ، وَشَرَطَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى بَغْدَاذَ ، فَرَجَعُوا ، وَلَمْ يَحُجَّ بِهَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْعِرَاقِ أَحَدٌ ، وَسَارَ أَبُو طَاهِرٍ إِلَى الْكُوفَةِ فَأَقَامَ بِهَا عِدَّةَ أَيَّامٍ وَرَحَلَ عَنْهَا. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي الْمُحَرَّمِ قَلَّدَ الرَّاضِي بِاللَّهِ وَلَدَيْهِ أَبَا جَعْفَرٍ وَأَبَا الْفَضْلِ نَاحِيَتَيِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مِمَّا بِيَدِهِ ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى الْبِلَادِ. |
| وَفِيهَا فِي لَيْلَةِ الثَّانِيَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ، وَهِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَوْقَعَ الْقُرْمُطِيُّ بِالْحَجَّاجِ ، انْقَضَّتِ الْكَوَاكِبُ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى آخِرِهِ انْقِضَاضًا دَائِمًا مُسْرِفًا جِدًّا لَمْ يُعْهَدْ مِثْلُهُ. |
| وَفِيهَا مَاتَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ يَاقُوتٍ فِي الْحَبْسِ بِنَفْثِ الدَّمِ ، فَأُحْضِرَ الْقَاضِي وَالشُّهُودُ وَعُرِضَ عَلَيْهِمْ ، فَلَمْ يَرَوْا بِهِ أَثَرَ ضَرْبٍ وَلَا خَنْقٍ ، وَجَذَبُوا شَعْرَهُ فَلَمْ يَكُنْ مَسْمُومًا ، فَسُلِّمَ إِلَى أَهْلِهِ ، وَأَخَذُوا مَالَهُ وَأَمْلَاكَهُ وَمُعَامِلِيهِ وَوُكَلَاءَهُ وَكُلَّ مَنْ يُخَالِطُهُ. |
| وَفِيهَا كَانَ بِخُرَاسَانَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ ، وَمَاتَ مِنْ أَهْلِهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْجُوعِ ، فَعَجَزَ النَّاسُ عَنْ دَفْنِهِمْ ، فَكَانُوا يَجْمَعُونَ الْغُرَبَاءَ وَالْفُقَرَاءَ فِي دَارٍ إِلَى أَنْ يَتَهَيَّأَ لَهُمْ تَكْفِينُهُمْ وَدَفْنُهُمْ. |
| وَفِيهَا جَهَّزَ عِمَادُ الدَّوْلَةِ بْنُ بُوَيْهِ أَخَاهُ رُكْنَ الدَّوْلَةِ الْحَسَنَ إِلَى بِلَادِ الْجَبَلِ ، وَسَيَّرَ مَعَهُ الْعَسَاكِرَ بَعْدَ عَوْدِهِ لَمَّا قُتِلَ مَرْدَاوَيْجُ ، فَسَارَ إِلَى أَصْبَهَانَ ، فَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَأَنْزَلَ عَنْهَا وَعَنْ عِدَّةٍ مِنْ بِلَادِ الْجَبَلِ نُوَّابَ وَشْمَكِيرَ ، وَأَقْبَلَ وَشْمَكِيرُ وَجَهَّزَ الْعَسَاكِرَ نَحْوَهُ ، وَبَقِيَ هُوَ وَشْمَكِيرُ يَتَنَازَعَانِ تِلْكَ الْبِلَادَ ، وَهِيَ أَصْبَهَانُ وَهَمَذَانُ ، وَقُمُّ ، وَقَاجَانُ ، وَكَرَجُ ، وَالرَّيُّ ، وَكِنْكِوَرُ ، وَقَزْوِينُ وَغَيْرُهَا. |
| وَفِيهَا فِي آخِرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، شَغَبَ الْجُنْدُ بِبَغْدَاذَ ، وَقَصَدُوا دَارَ الْوَزِيرِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ وَابْنِهِ ، وَزَادَ شَغَبُهُمْ ، فَمَنَعَهُمْ أَصْحَابُ ابْنِ مُقْلَةَ ، فَاحْتَالَ الْجُنْدُ وَنَقَبُوا دَارَ الْوَزِيرِ مِنْ ظَهْرِهَا وَدَخَلُوهَا ، وَمَلَكُوهَا وَهَرَبَ الْوَزِيرُ وَابْنُهُ إِلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ، فَلَمَّا سَمِعَ السَّاجِيَّةُ بِذَلِكَ ، رَكِبُوا إِلَى دَارِ الْوَزِيرِ ، وَرَفَقُوا بِالْجُنْدِ فَرَدُّوهُمْ ، وَعَادَ الْوَزِيرُ وَابْنُهُ إِلَى مَنَازِلِهِمَا. |
| وَاتَّهَمَ الْوَزِيرُ بِإِثَارَةِ هَذِهِ الْفِتْنَةِ بَعْضَ أَصْحَابِ ابْنِ يَاقُوتٍ ، فَأَمَرَ فَنُودِيَ أَنْ لَا يُقِيمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ ، ثُمَّ عَاوَدَ الْجُنْدُ الشَّغَبَ حَادِيَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ ، وَنَقَبُوا دَارَ الْوَزِيرِ عِدَّةَ نَقُوبٍ ، فَقَاتَلَهُمْ غِلْمَانُهُ وَمَنَعُوهُمْ ، فَرَكِبَ صَاحِبُ الشُّرْطَةِ ، وَحَفِظَ السُّجُونَ حَتَّى لَا تُفْتَحَ ، ثُمَّ سَكَنُوا مِنَ الشَّغَبِ. |
| وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أُطْلِقَ الْمُظَفَّرُ بْنُ يَاقُوتٍ مِنْ حَبْسِ الرَّاضِي بِاللَّهِ بِشَفَاعَةِ الْوَزِيرِ ابْنِ مُقْلَةَ ، وَحَلَفَ لِلْوَزِيرِ أَنَّهُ يُوَالِيهِ وَلَا يَنْحَرِفُ عَنْهُ ، وَلَا يَسْعَى لَهُ وَلَا لِوَلَدِهِ بِمَكْرُوهٍ ، فَلَمْ يَفِ لَهُ وَلَا لِوَلَدِهِ وَوَافَقَ الْحَجَرِيَّةَ عَلَيْهِ ، فَجَرَى فِي حَقِّهِ مَا يَكْرَهُ. |
| وَكَانَ الْمُظَفَّرُ حَقَدَ عَلَى الْوَزِيرِ حِينَ قُتِلَ أَخُوهُ لِأَنَّهُ اتَّهَمَهُ أَنَّهُ سَمَّهُ . |
| وَفِيهَا أَرْسَلَ ابْنُ مُقْلَةَ رَسُولًا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ رَائِقٍ بِوَاسِطَ ، وَكَانَ قَدْ قَطَعَ الْحَمْلَ عَنِ الْخَلِيفَةِ ، فَطَالَبَهُ بِارْتِفَاعِ الْبِلَادِ ، وَاسْطُ وَالْبَصْرَةُ وَمَا بَيْنَهُمَا ، فَأَحْسَنَ إِلَى الرُّسُلِ وَرَدَّهُمْ بِرِسَالَةٍ ظَاهِرَةٍ إِلَى ابْنِ مُقْلَةَ مُغَالَطَةً ، وَأُخْرَى بَاطِنَةٍ إِلَى الْخَلِيفَةِ الرَّاضِي بِاللَّهِ وَحْدَهُ ، مَضْمُونُهَا أَنَّهُ إِنِ اسْتُدْعِيَ إِلَى الْحَضْرَةِ وَفُوِّضَتْ إِلَيْهِ الْأُمُورُ وَتَدْبِيرُ الدَّوْلَةِ ، قَامَ بِكُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ نَفَقَاتِ الْخَلِيفَةِ وَأَرْزَاقِ الْجُنْدِ ، فَلَمَّا سَمِعَ الْخَلِيفَةُ الرِّسَالَةَ ، لَمْ يُعِدْ إِلَيْهِ جَوَابَهَا. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدَوَيْهِ بْنِ سَدُوسٍ الْهُذَلِيُّ مِنْ وَلَدِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ بِالْكُوفَةِ ، وَهُوَ مِنْ نَيْسَابُورَ. |
| وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَرَفَةَ الْمَعْرُوفُ بِنَفْطَوَيْهِ النَّحْوِيِّ ، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ الْقَبْضِ عَلَى ابْنِ مُقْلَةَ وَوِزَارَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عِيسَى لَمَّا عَادَ الرُّسُلُ مِنْ عِنْدِ ابْنِ رَائِقٍ بِغَيْرِ مَالٍ ، رَأَى الْوَزِيرُ أَنْ يُسَيِّرَ ابْنَهُ ، فَتَجَهَّزَ ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ الْأَهْوَازَ ، فَلَمَّا كَانَ مُنْتَصَفُ جُمَادَى الْأُولَى ، حَضَرَ الْوَزِيرُ دَارَ الرَّاضِي لِيُنْفِذَ رَسُولًا إِلَى ابْنِ رَائِقٍ يُعَرِّفُهُ عَزْمَهُ عَلَى قَصْدِ الْأَهْوَازِ; لِئَلَّا يَسْتَوْحِشَ لِحَرَكَتِهِ فَيَحْتَاطُ ، فَلَمَّا دَخَلَ الدَّارَ ، قَبَضَ عَلَيْهِ الْمُظَفَّرُ بْنُ يَاقُوتٍ وَالْحَجَرِيَّةُ ، وَكَانَ الْمُظَفَّرُ قَدْ أُطْلِقَ مِنْ مَحْبَسِهِ عَلَى مَا نَذْكُرُهُ. |
| وَوَجَّهُوا إِلَى الرَّاضِي يُعَرِّفُونَهُ ذَلِكَ ، فَاسْتَحْسَنَ فِعْلَهُمْ ، وَاخْتَفَى أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ وَسَائِرُ أَوْلَادِهِ وَحَرَمِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَطَلَبَ الْحَجَرِيَّةُ وَالسَّاجِيَّةُ مِنَ الرَّاضِي أَنْ يَسْتَوْزِرَ وَزِيرًا ، فَرَدَّ الِاخْتِيَارَ إِلَيْهِمْ ، فَأَشَارُوا بِوِزَارَةِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى ، فَأَحْضَرَهُ الرَّاضِي لِلْوِزَارَةِ ، فَامْتَنَعَ وَأَشَارَ بِأَخِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَاسْتَوْزَرَهُ ، وَسَلَّمَ إِلَيْهِ ابْنَ مُقْلَةَ فَصَادَرَهُ وَصَرَفَ بَدْرًا الْخَرْشَنِيَّ عَنِ الشُّرْطَةِ ، ثُمَّ عَجَزَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ تَمْشِيَةِ الْأُمُورِ وَضَاقَ عَلَيْهِ ، فَاسْتَعْفَى مِنَ الْوِزَارَةِ. |
| ذِكْرُ الْقَبْضِ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَوِزَارَةِ أَبِي جَعْفَرٍ الْكَرْخِيِّ لَمَّا ظَهَرَ عَجْزُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ لِلرَّاضِي وَوُقُوفُ الْأُمُورِ ، قَبَضَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَخِيهِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى ، فَصَادَرَهُ عَلَى مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَصَادَرَ أَخَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بِسَبْعِينَ أَلْفِ دِينَارٍ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ يَاقُوتٍ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ يَاقُوتٌ بِعَسْكَرِ مُكْرَمٍ. |
| وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ ثِقَتُهُ بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيِّ فَخَانَهُ ، وَقَابَلَ إِحْسَانَهُ بِالْإِسَاءَةِ عَلَى مَا نَذْكُرُهُ. |
| وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ارْتَسَمَ بِكِتَابَةِ يَاقُوتٍ مَعَ ضَمَانِ الْأَهْوَازِ ، فَلَمَّا كَتَبَ إِلَيْهِ ، وَثِقَ بِهِ وَعَوَّلَ عَلَى مَا يَقُولُهُ ، وَكَانَ إِذَا قِيلَ لَهُ شَيْءٌ فِي أَمْرِهِ وَخُوِّفَ مِنْ شَرِّهِ ، يَقُولُ إِنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ; لِأَنَّهُ لَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِالْإِمْرَةِ وَقَوْدِ الْعَسَاكِرِ ، وَإِنَّمَا غَايَتُهُ الْكِتَابَةُ ، فَاغْتَرَّ بِهَذَا مِنْهُ. |
| وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ سَلِيمَ الْقَلْبِ ، حَسَنَ الِاعْتِقَادِ ، فَلِهَذَا لَمْ يَخْرُجْ عَنْ طَاعَةِ الْخَلِيفَةِ حِينَ قَبَضَ عَلَى وَلَدَيْهِ بَلْ دَامَ عَلَى الْوَفَاءِ. |
| فَأَمَّا حَالُهُ مَعَ الْبَرِيدِيِّ ، فَإِنَّهُ لَمَّا عَادَ مَهْزُومًا مِنْ عِمَادِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ إِلَى عَسْكَرِ مُكْرَمٍ ، كَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَنْ يُقِيمَ بِعَسْكَرِ مَكْرَمٍ لِيَسْتَرِيحَ ، وَيَقَعَ التَّدْبِيرُ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَكَانَ بِالْأَهْوَازِ ، وَهُوَ يَكْرَهُ الِاجْتِمَاعَ مَعَهُ فِي بَلَدٍ وَاحِدٍ ، فَسَمِعَ يَاقُوتٌ قَوْلَهُ وَأَقَامَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَخَاهُ أَبَا يُوسُفَ الْبَرِيدِيَّ يَتَوَجَّعُ لَهُ وَيُهَنِّيهِ بِالسَّلَامَةِ ، وَقَرَّرَ الْقَاعِدَةَ عَلَى أَنْ يَحْمِلَ لَهُ أَخُوهُ مِنْ مَالِ الْأَهْوَازِ خَمْسِينَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَاحْتَجَّ بِأَنَّ عِنْدَهُ مِنَ الْجُنْدِ خَلْقًا كَثِيرًا مِنْهُمُ الْبَرْبَرُ ، وَالشَّفِيعِيَّةُ ، وَالنَّازُوكِيَّةُ ، وَالْبَلْقِيَّةُ ، وَالْهَارُونِيَّةُ. |
| كَانَ ابْنُ مُقْلَةَ قَدْ مَيَّزَ هَذِهِ الْأَصْنَافَ مِنْ عَسْكَرِ بَغْدَاذَ وَسَيَّرَهُمْ إِلَى الْأَهْوَازِ; لِيَخِفَّ عَلَيْهِ مَؤُونَتُهُمْ ، فَذَكَرَ أَبُو يُوسُفَ أَنَّ هَؤُلَاءِ مَتَى رَأَوُا الْمَالَ يَخْرُجُ عَنْهُمْ إِلَيْكَ شَغَبُوا ، وَيَحْتَاجُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ إِلَى مُفَارَقَةِ الْأَهْوَازِ ، ثُمَّ يَصِيرُ أَمْرُهُمْ إِلَى أَنَّهُمْ يَقْصِدُونَكَ وَلَا نَعْلَمُ كَيْفَ يَكُونُ الْحَالُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ إِنَّ رِجَالَكَ مَعَ سُوءِ أَثَرِهِمْ يَقْنَعُونَ بِالْقَلِيلِ. |
| فَصَدَّقَهُ يَاقُوتٌ فِيمَا قَالَ ، وَأَخَذَ ذَلِكَ الْمَالَ وَفَرَّقَهُ ، وَبَقِيَ عِدَّةَ شُهُورٍ لَمْ يَصِلْهُ مِنْهُ شَيْءٌ إِلَى أَنْ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَضَاقَ الرِّزْقُ عَلَى أَصْحَابِ يَاقُوتٍ وَاسْتَغَاثُوا ، وَذَكَرُوا مَا فِيهِ أَصْحَابُ الْبَرِيدِيِّ بِالْأَهْوَازِ مِنَ السِّعَةِ ، وَمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الضِّيقِ. |
| وَكَانَ قَدِ اتَّصَلَ بِيَاقُوتٍ طَاهِرٌ الْجِيلِيُّ ، وَهُوَ مِنْ كِبَارِ أَصْحَابِ ابْنِ بُوَيْهِ ، فِي ثَمَانِمِائَةِ رَجُلٍ ، وَهُوَ مِنْ أَرْبَابِ الْمَرَاتِبِ الْعَالِيَةِ ، وَمِمَّنْ يَسْمُو إِلَى مَعَالِي الْأُمُورِ. |
| وَسَبَبُ اتِّصَالِهِ بِهِ خَوْفُهُ مِنِ ابْنِ بُوَيْهِ أَنْ يَقْبِضَ عَلَيْهِ خُوفًا مِنْهُ ، فَلَمَّا رَأَى حَالَ يَاقُوتٍ انْصَرَفَ عَنْهُ إِلَى غَرْبَيْ تُسْتَرَ ، وَأَرَادَ أَنْ يَتَغَلَّبَ عَلَى مَاهِ الْبَصْرَةِ ، وَكَانَ مَعَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الصَّيْمَرِيُّ ، وَهُوَ كَاتِبُهُ ، فَسَمِعَ بِهِ عِمَادُ الدَّوْلَةِ بْنُ عِمَادِ بْنِ بُوَيْهِ فَكَبَسَهُ ، فَانْهَزَمَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَاسْتَوْلَى ابْنُ بُوَيْهِ عَلَى عَسْكَرِهِ وَغَنَمِهِ ، وَأَسَرَ الصَّيْمَرِيَّ ، فَأَطْلَقَهُ الْخَيَّاطُ وَزِيرُ عِمَادِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ ، فَمَضَى إِلَى كَرْمَانَ ، وَاتَّصَلَ بِالْأَمِيرِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ بُوَيْهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبُ إِقْبَالِهِ. |
| فَلَمَّا سَارَ طَاهِرٌ مِنْ عِنْدِ يَاقُوتٍ ، ضَعُفَتْ نَفْسُهُ وَاسْتَطَالَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، فَخَافَهُمْ وَرَاسَلَ الْبَرِيدِيَّ وَعَرَّفَهُ مَا هُوَ فِيهِ ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ مُعَوَّلَهُ عَلَى مَا يُدَبِّرُهُ بِهِ ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ الْبَرِيدِيُّ يَقُولُ إِنَّ عَسْكَرَكَ قَدْ فَسَدُوا ، وَفِيهِمْ مَنْ يَنْبَغِي أَنْ يَخْرُجَ ، وَالرَّأْيُ أَنْ يُنْفِذَهُمْ إِلَيْهِ لِيَسْتَصْلِحَهُمْ ، فَإِنَّهُ لَهُ أَشْغَالٌ تَمْنَعُهُ أَنْ يَحْضُرَ عِنْدَهُ ، وَلَوْ حَضَرَ عِنْدَهُ وَالْجُنْدُ مُجْتَمِعُونَ ، لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ الِانْتِصَافِ مِنْهُمْ; لِأَنَّهُمْ يُظَاهِرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَإِذَا حَضَرُوا عِنْدَهُ بِالْأَهْوَازِ مُتَفَرِّقِينَ ، فَعَلَ بِهِمْ مَا أَرَادَ وَلَا يُمْكِنُهُمْ خِلَافُهُ. |
| فَفَعَلَ ذَلِكَ يَاقُوتٌ ، وَأَنْفَذَ أَصْحَابَهُ إِلَيْهِ ، فَاخْتَارَ مِنْهُمْ مَنْ أَرَادَ لِنَفْسِهِ ، وَرَدَّ مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ إِلَى يَاقُوتٍ ، بَعْدَ أَنْ كَسَرَهُمْ وَأَسْقَطَ مِنْ أَرْزَاقِهِمْ ، فَقِيلَ ذَلِكَ لِيَاقُوتٍ ، فَأُشِيرَ عَلَيْهِ بِمُعَاجَلَةِ الْبَرِيدِيِّ قَبْلَ أَنْ يَسْتَفْحِلَ أَمْرُهُ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ وَقَالَ جَعَلْتُهُمْ عِنْدَهُ عِدَّةً لِي. |
| وَأَحْسَنَ الْبَرِيدِيُّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْجُنْدِ ، فَقَالَ أَصْحَابُ يَاقُوتٍ لَهُ فِي ذَلِكَ ، وَطَلَبُوا أَرْزَاقَهُمُ الَّتِي قَرَّرَهَا الْبَرِيدِيُّ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ فَلَمْ يُنْفِذْ شَيْئًا ، فَرَاجَعَهُ فَلَمْ يُنْفِذْ شَيْئًا ، فَسَارَ يَاقُوتٌ إِلَيْهِ جَرِيدَةً لِئَلَّا يَسْتَوْحِشَ مِنْهُ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ خَرَجَ إِلَى لِقَائِهِ ، وَقَبَّلَ يَدَهُ وَقَدَمَهُ ، وَأَنْزَلَهُ دَارَهُ وَقَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَدَّمَ بِنَفْسِهِ الطَّعَامَ لِيَأْكُلَ. |
| وَكَانَ قَدْ وَضَعَ الْجُنْدَ عَلَى إِثَارَةِ الْفِتْنَةِ ، فَحَضَرُوا الْبَابَ وَشَغَبُوا وَاسْتَغَاثُوا ، فَسَأَلَ يَاقُوتٌ عَنِ الْخَبَرِ ، فَقِيلَ لَهُ إِنَّ الْجُنْدَ بِالْأَبْوَابِ قَدْ شَغَبُوا ، وَيَقُولُونَ قَدِ اصْطَلَحَ يَاقُوتٌ وَالْبَرِيدِيُّ ، وَلَا بُدَّ لَنَا مِنْ قَتْلِ يَاقُوتٍ ، فَقَالَ لَهُ الْبَرِيدِيُّ قَدْ تَرَى مَا دَفَعْنَا إِلَيْهِ ، فَانْجُ بِنَفْسِكَ وَإِلَّا قُتِلْنَا جَمِيعًا ، فَخَرَجَ مِنْ بَابٍ آخَرَ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ، وَلَمْ يُفَاتِحِ الْبَرِيدِيَّ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَعَادَ إِلَى عَسْكَرِ مُكْرَمٍ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْبَرِيدِيُّ يَقُولُ لَهُ إِنَّ الْعَسْكَرَ الَّذِينَ شَغَبُوا قَدِ اجْتَهَدْتُ فِي إِصْلَاحِهِمْ وَعَجَزْتُ عَنْ ذَلِكَ ، وَلَسْتُ آمَنُهُمْ أَنْ يَقْصِدُوكَ ، وَبَيْنَ عَسْكَرِ مُكْرَمٍ وَالْأَهْوَازِ ثَمَانِيَةُ فَرَاسِخَ ، وَالرَّأْيُ أَنْ تَتَأَخَّرَ إِلَى تُسْتَرَ لِتَبْعُدَ عَنْهُمْ ، وَهِيَ حَصِينَةٌ ، وَكَتَبَ لَهُ عَلَى عَامِلِ تُسْتَرَ بِخَمْسِينَ أَلْفِ دِينَارٍ. |
| فَسَارَ يَاقُوتٌ إِلَيْهَا ، وَكَانَ لَهُ خَادِمٌ اسْمُهُ مُؤْنِسٌ ، فَقَالَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّ الْبَرِيدِيَّ يَحُزُّ مَفَاصِلَنَا وَيَفْعَلُ بِنَا مَا تَرَى ، وَأَنْتَ مُغْتَرٌّ بِهِ ، وَهُوَ الَّذِي وَضَعَ الْجُنْدَ بِالْأَهْوَازِ حَتَّى فَعَلُوا ذَلِكَ ، وَقَدْ شَرَعَ فِي إِبْعَادِكَ بَعْدَ أَنْ أَخَذَ وُجُوهَ أَصْحَابِكَ ، وَقَدْ أَطْلَقَ لَكَ مَا لَا يَقُومُ بِأَوَدِ أَصْحَابِكِ الَّذِينَ عِنْدَكَ ، وَمَا أَعْطَاكَ ذَلِكَ أَيْضًا إِلَّا حَتَّى تَتَبَلَّغَ بِهِ ، وَتَضِيقَ الْأَرْزَاقُ عَلَيْنَا ، وَيَفْنَى مَا لَنَا مِنْ دَابَّةٍ وَعِدَّةٍ فَنَنْصَرِفَ عَنْكَ عَلَى أَقْبَحِ حَالٍ ، فَحِينَئِذٍ يَبْلُغُ مِنْكَ مَا يُرِيدُهُ ، فَاحْفَظْ نَفْسَكَ مِنْهُ وَلَا تَأْمَنْهُ ، وَلَمْ يَثِقْ لِلْجُنْدِ الْحَجَرِيَّةِ بِبَغْدَاذَ شَيْخٌ غَيْرُكَ ، وَقَدْ كَاتَبُوكَ فَسِرْ إِلَيْهِمْ ، فَكُلُّ مَنْ بِبَغْدَاذَ يُسَلِّمُ إِلَيْكَ الرِّئَاسَةَ ، فَإِنْ فَعَلْتَ ، وَإِلَّا فَسِرْ بِنَا إِلَى الْأَهْوَازِ; لِنَطْرُدَ الْبَرِيدِيَّ عَنْهَا ، وَإِنْ كَانَ أَكْثَرَ مِنَّا ، فَأَنْتَ أَمِيرٌ وَهُوَ كَاتِبٌ. |
| فَقَالَ لَا تَقُلْ فِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ هَذَا ، فَلَوْ كَانَ لِي أَخٌ مَا زَادَ عَلَى مَحَبَّتِهِ. |
| ثُمَّ إِنَّ يَاقُوتًا ظَهَرَ مِنْهُ مَا يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِهِ وَعَجْزِهِ عَنِ الْبَرِيدِيِّ ، فَضَعُفَتْ نُفُوسُ أَصْحَابِهِ ، وَصَارَ كُلُّ لَيْلَةٍ يَمْضِي مِنْهُمْ طَائِفَةٌ إِلَى الْبَرِيدِيِّ ، فَإِذَا قِيلَ ذَلِكَ لِيَاقُوتٍ ، يَقُولُ إِلَى كَاتِبِي يَمْضُونَ ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى بَقِيَ فِي ثَمَانِمِائَةِ رَجُلٍ. |
| ثُمَّ إِنَّ الرَّاضِيَ قَبَضَ عَلَى الْمُظَفَّرِ بْنِ يَاقُوتٍ فِي جُمَادَى الْأُولَى ، وَسَجَنَهُ أُسْبُوعًا ثُمَّ أَطْلَقَهُ وَسَيَّرَهُ إِلَى أَبِيهِ ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ بِهِ بِتُسْتَرَ أَشَارَ عَلَيْهِ بِالْمَسِيرِ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَإِنْ دَخَلَهَا ، فَقَدْ حَصَلَ لَهُ مَا يُرِيدُ ، وَإِلَّا سَارَ إِلَى الْمَوْصِلِ وَدِيَارِ رَبِيعَةَ فَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، فَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ ، فَفَارَقَهُ وَلَدُهُ إِلَى الْبَرِيدِيِّ ، فَأَكْرَمَهُ وَجَعَلَ مُوَكَّلِينَ يَحْفَظُونَهُ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْبَرِيدِيَّ خَافَ مَنْ عِنْدِهِ مِنْ أَصْحَابِ يَاقُوتٍ أَنْ يُعَاوِدُوا الْمَيْلَ وَالْعَصَبِيَّةَ لَهُ ، وَيُنَادُوا بِشِعَارِهِ فَيَهْلَكَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى يَاقُوتٍ يَقُولُ لَهُ إِنَّ كِتَابَ الْخَلِيفَةِ وَرَدَ عَلَيَّ يَأْمُرُنِي أَنْ لَا أَتْرُكَكَ تُقِيمُ بِهَذِهِ الْبِلَادِ ، وَمَا يُمْكِنُنِي مُخَالَفَةُ السُّلْطَانِ ، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُخَيِّرَكَ إِمَّا أَنْ تَمْضِيَ إِلَى حَضْرَتِهِ فِي خَمْسَةَ عَشَرَ غُلَامًا ، وَإِمَّا إِلَى بِلَادِ الْجَبَلِ لِيُوَلِّيَكَ بَعْضَ الْأَعْمَالِ ، فَإِنْ خَرَجْتَ طَائِعًا ، وَإِلَّا أَخْرَجْتُكَ قَهْرًا. |
| فَلَمَّا وَصَلَتِ الرِّسَالَةُ إِلَى يَاقُوتٍ تَحَيَّرَ فِي أَمْرِهِ ، وَاسْتَشَارَ مُؤْنِسَا غُلَامَهُ ، فَقَالَ لَهُ قَدْ نَهَيْتُكَ عَنِ الْبَرِيدِيِّ وَمَا سَمِعْتَ ، وَمَا بَقِيَ لِلرَّأْيِ وَجْهٌ ، فَكَتَبَ يَاقُوتٌ يَسْتَمْهِلُهُ شَهْرًا لِيَتَأَهَّبَ ، وَعَلِمَ حِينَئِذٍ خُبْثَ الْبَرِيدِيِّ حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ. |
| فَلَمَّا وَصَلَ كِتَابُ يَاقُوتٍ يَطْلُبُ الْمُهْلَةَ ، أَجَابَهُ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى الْمُهْلَةِ ، وَسَيَّرَ الْعَسَاكِرَ مِنَ الْأَهْوَازِ إِلَيْهِ ، فَأَرْسَلَ يَاقُوتٌ الْجَوَاسِيسَ لِيَأْتُوهُ بِالْأَخْبَارِ ، فَظَفَرَ الْبَرِيدِيُّ بِجَاسُوسٍ ، فَأَعْطَاهُ مَالًا عَلَى أَنْ يَعُودَ إِلَى يَاقُوتٍ وَيُخْبِرَهُ أَنَّ الْبَرِيدِيَّ وَأَصْحَابَهُ قَدْ وَافُوا عَسْكَرَ مُكْرَمٍ ، وَنَزَلُوا فِي الدُّورِ مُتَفَرِّقِينَ مُطَمْئِنِينَ ، فَمَضَى الْجَاسُوسُ وَأَخْبَرَ يَاقُوتًا بِذَلِكَ ، فَأَحْضَرَ مُؤْنِسًا وَقَالَ قَدْ ظَفِرْنَا بِعَدُوِّنَا وَكَافِرِ نِعْمَتِنَا ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ الْجَاسُوسُ ، وَقَالَ نَسِيرُ مِنْ تُسْتَرَ الْعَتَمَةَ ، وَنُصْبِحُ عَسْكَرَ مُكْرَمٍ وَهُمْ غَارُّونَ ، فَنَكْبِسَهُمْ فِي الدُّورِ ، فَإِنْ وَقَعَ الْبَرِيدِيُّ فَاللَّهُ مَشْكُورٌ ، وَإِنَّ هَرَبَ اتَّبَعْنَاهُ. |
| فَقَالَ مُؤْنِسٌ مَا أَحْسَنَ هَذَا إِنْ صَحَّ ، وَإِنْ كَانَ الْجَاسُوسُ صَادِقًا ، فَقَالَ يَاقُوتٌ إِنَّهُ يُحِبُّنِي وَيَتَوَلَّانِي وَهُوَ صَادِقٌ ، فَسَارَ يَاقُوتٌ فَوَصَلَ إِلَى عَسْكَرِ مُكْرَمٍ طُلُوعَ الشَّمْسِ ، فَلَمْ يَرَ لِلْعَسْكَرِ أَثَرًا ، فَعَبَرَ الْبَلَدَ إِلَى نِهَارِ جَارُودَ ، وَخَيَّمَ هُنَاكَ ، وَبَقِيَ يَوْمَهُ وَلَا يَرَى لِعَسْكَرِ الْبَرِيدِيِّ أَثَرًا ، فَقَالَ لَهُ مُؤْنِسٌ إِنَّ الْجَاسُوسَ كَذَبَنَا ، وَأَنْتَ تَسْمَعُ كَلَامَ الْكَاذِبِينَ ، وَإِنَّنِي خَائِفٌ عَلَيْكَ. |
| فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ الْعَصْرِ ، أَقْبَلَتْ عَسَاكِرُ الْبَرِيدِيِّ ، فَنَزَلُوا عَلَى فَرْسَخٍ مِنْ يَاقُوتٍ ، وَحَجَزَ بَيْنِهِمُ اللَّيْلُ وَأَصْبَحُوا الْغَدَ ، فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ مُنَاوَشَةٌ ، وَاتَّعَدُوا لِلْحَرْبِ الْغَدَ. |
| وَكَانَ الْبَرِيدِيُّ قَدْ سَيَّرَ عَسْكَرًا مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى لِيَصِيرُوا وَرَاءَ يَاقُوتٍ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ ، فَيَكُونُ كَمِينًا يَظْهَرُ عِنْدَ الْقِتَالِ فَهُمْ يَنْتَظِرُونَهُ ، فَلَمَّا كَانَ الْمَوْعِدُ بَاكَرُوا بِالْقِتَالِ ، فَاقْتَتَلُوا مِنْ بُكْرَةٍ إِلَى الظُّهْرِ ، وَكَانَ عَسْكَرُ الْبَرِيدِيِّ قَدْ أَشْرَفَ عَلَى الْهَزِيمَةِ مَعَ كَثْرَتِهِمْ ، وَكَانَ مُقَدِّمُهُمْ أَبَا جَعْفَرٍ الْحَمَّالَ. |
| فَلَمَّا جَاءَ الظُّهْرُ ، ظَهَرَ الْكَمِينُ مِنْ وَرَاءِ عَسْكَرِ يَاقُوتٍ ، فَرَدَّ إِلَيْهِمْ مُؤْنِسًا فِي ثَلَاثِمِائَةِ رَجُلٍ ، فَقَاتَلَهُمْ وَهُمْ فِي ثَلَاثَةِ آلَافِ رَجُلٍ ، فَعَادَ مُؤْنِسٌ مُنْهَزِمًا ، فَحِينَئِذٍ انْهَزَمَ أَصْحَابُ يَاقُوتٍ ، وَكَانُوا سِوَى الثَّلَاثِمِائَةِ خَمْسَمِائَةٍ ، فَلَمَّا رَأَى يَاقُوتٌ ذَلِكَ نَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ ، وَأَلْقَى سِلَاحَهُ ، وَجَلَسَ بِقَمِيصٍ إِلَى جَانِبِ جِدَارِ رِبَاطٍ. |
| وَلَوْ دَخَلَ الرِّبَاطَ وَاسْتَتَرَ فِيهِ لَخَفِيَ أَمْرُهُ ، وَكَانَ أَدْرَكَهُ اللَّيْلُ ، فَرُبَّمَا سَلِمَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا هَيَّأَ أَسْبَابَهُ ، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا. |
| فَلَمَّا جَلَسَ مَعَ الْحَائِطِ غَطَّى وَجْهَهُ بِكُمِّهِ ، وَمَدَّ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَصَدَّقُ وَيَسْتَحْيِي أَنْ يَكْشِفَ وَجْهَهُ ، فَمَرَّ بِهِ قَوْمٌ مِنَ الْبَرْبَرِ مِنْ أَصْحَابِ الْبَرِيدِيِّ فَأَنْكَرُوهُ ، فَأَمَرُوهُ بِكَشْفِ وَجْهِهِ فَامْتَنَعَ ، فَنَخَسَهُ أَحَدُهُمْ بِمِزْرَاقٍ مَعَهُ ، فَكَشَفَ وَجَّهَهُ وَقَالَ أَنَا يَاقُوتٌ ، فَمَا تُرِيدُونَ مِنِّي ؟ |
| احْمِلُونِي إِلَى الْبَرِيدِيِّ ، فَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ ، وَحَمَلُوا رَأْسَهُ إِلَى الْعَسْكَرِ ، وَكَتَبَ أَبُو جَعْفَرٍ الْحَمَّالُ كِتَابًا إِلَى الْبَرِيدِيِّ عَلَى جَنَاحِ طَائِرٍ يَسْتَأْذِنُهُ فِي حَمْلِ رَأْسِهِ إِلَى الْعَسْكَرِ ، فَأَعَادَ الْجَوَابَ بِإِعَادَةِ الرَّأْسِ إِلَى الْجُثَّةِ وَتَكْفِينِهِ وَدَفْنِهِ ، وَأَسْرِ غُلَامِهِ مُؤْنِسٍ وَغَيْرِهِ مِنْ قُوَّادِهِ فَقُتِلُوا ، وَأَرْسَلَ الْبَرِيدِيُّ إِلَى تُسْتَرَ فَحَمَلَ مَا فِيهَا لِيَاقُوتٍ مِنْ جَوَارٍ وَمَالٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَلَمْ يَظْهَرْ لِيَاقُوتٍ غَيْرُ اثْنَيْ عَشْرَ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَحُمِلَ الْجَمِيعُ إِلَيْهِ ، وَقُبِضَ عَلَى الْمُظَفَّرِ بْنِ يَاقُوتٍ ، فَبَقِيَ فِي حَبْسِ الْبَرِيدِيِّ مُدَّةً ثُمَّ نَفَّذَهُ إِلَى بَغْدَاذَ. |
| وَتَجَبَّرَ الْبَرِيدِيُّ بَعْدَ يَاقُوتٍ وَعَصَى ، وَقَدْ أَطَلْنَا فِي ذِكْرِ هَذِهِ الْحَادِثَةِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْنَاهَا عَلَى طُولِهَا لِمَا فِيهَا مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُحَرِّضَةِ عَلَى الِاحْتِيَاطِ وَالِاحْتِرَازِ ، فَإِنَّهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا فِيهَا تَجَارِبُ وَأُمُورٌ يَكْثُرُ وُقُوعُ مِثْلِهَا. |
| ذِكْرُ عَزْلِ أَبِي جَعْفَرٍ وَوِزَارَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْحَسَنِ لَمَّا تَوَلَّى الْوَزِيرُ أَبُو جَعْفَرٍ الْكَرْخِيُّ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ ، رَأَى قِلَّةَ الْأَمْوَالِ وَانْقِطَاعَ الْمَوَادِّ ، فَازْدَادَ عَجْزًا إِلَى عَجْزِهِ ، وَضَاقَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ. |
| وَمَا زَالَتِ الْإِضَاقَةُ تَزِيدُ ، وَطَمَعُ مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمُعَامِلِينَ فِيمَا عِنْدَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَقَطَعَ ابْنُ رَائِقٍ حِمْلَ وَاسِطَ وَالْبَصْرَةِ ، وَقَطَعَ الْبَرِيدِيُّ حِمْلَ الْأَهْوَازِ وَأَعْمَالِهَا. |
| وَكَانَ ابْنُ بُوَيْهِ قَدْ تَغَلَّبَ عَلَى فَارِسَ ، فَتَحَيَّرَ أَبُو جَعْفَرٍ ، وَكَثُرَتِ الْمُطَالَبَاتُ عَلَيْهِ ، وَنَقُصَتْ هَيْبَتُهُ ، وَاسْتَتَرَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ وَنِصْفٍ مِنْ وِزَارَتِهِ ، فَلَمَّا اسْتَتَرَ اسْتَوْزَرَ الرَّاضِي أَبَا الْقَاسِمِ سُلَيْمَانَ بْنَ الْحَسَنِ ، فَكَانَ فِي الْوِزَارَةِ كَأَبِي جَعْفَرٍ فِي وُقُوفِ الْحَالِ وَقِلَّةِ الْمَالِ. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ ابْنِ رَائِقٍ عَلَى أَمْرِ الْعِرَاقِ وَتَفَرُّقِ الْبِلَادِ لَمَّا رَأَى الرَّاضِي وُقُوفَ الْحَالِ عِنْدَهُ ، أَلْجَأَتْهُ الضَّرُورَةُ إِلَى أَنْ رَاسَلَ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ رَائِقٍ وَهُوَ بِوَاسِطَ ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ إِجَابَتَهُ إِلَى مَا كَانَ بَذَلَهُ مِنَ الْقِيَامِ بِالنَّفَقَاتِ وَأَرْزَاقِ الْجُنْدِ بِبَغْدَاذَ ، فَلَمَّا أَتَاهُ الرَّسُولُ بِذَلِكَ فَرِحَ بِهِ ، وَشَرَعَ يَتَجَهَّزُ لِلْمَسِيرِ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ الرَّاضِي السَّاجِيَّةَ ، وَقَلَّدَهُ إِمَارَةَ الْجَيْشِ ، وَجَعْلَهُ أَمِيرَ الْأُمَرَاءِ ، وَوَلَّاهُ الْخَرَاجَ وَالْمُعَاوِنَ فِي جَمِيعِ الْبِلَادِ وَالدَّوَاوِينِ ، وَأَمَرَ بِأَنْ يُخْطَبَ لَهُ عَلَى جَمِيعِ الْمَنَابِرِ ، وَأَنْفَذَ إِلَيْهِ الْخِلَعَ. |
| وَانْحَدَرَ إِلَيْهِ أَصْحَابُ الدَّوَاوِينِ وَالْكُتَّابُ وَالْحُجَّابُ ، وَتَأَخَّرَ الْحَجَرِيَّةُ عَنِ الِانْحِدَارِ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ الَّذِينَ انْحَدَرُوا إِلَى وَاسِطَ ، قَبَضَ ابْنُ رَائِقٍ عَلَى السَّاجِيَّةِ سَابِعَ ذِي الْحِجَّةِ ، وَنَهَبَ رَحْلَهُمْ وَمَالَهُمْ وَدَوَابَّهُمْ ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِتَتَوَفَّرَ أَرْزَاقُهُمْ عَلَى الْحَجَرِيَّةِ ، فَاسْتَوْحَشَ الْحَجَرِيَّةُ مِنْ ذَلِكَ وَقَالُوا الْيَوْمَ لِهَؤُلَاءِ وَغَدًا لَنَا ، وَخَيَّمُوا بِدَارِ الْخَلِيفَةِ ، فَأُصْعِدَ ابْنُ رَائِقٍ إِلَى بَغْدَاذَ وَمَعَهُ بُجْكُمُ ، وَخَلَعَ الْخَلِيفَةُ عَلَيْهِ أَوَاخِرَ ذِي الْحِجَّةِ ، وَأَتَاهُ الْحَجَرِيَّةُ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ ، فَأَمَرَهُمْ بِقَلْعِ خِيَامِهِمْ ، فَقَلَعُوهَا وَعَادُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ. |
| وَبَطَلَتِ الدَّوَاوِينُ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ ، وَبَطَلَتِ الْوِزَارَةُ ، فَلَمْ يَكُنِ الْوَزِيرُ يَنْظُرُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ ، إِنَّمَا كَانَ ابْنُ رَائِقٍ وَكَاتِبِهِ يَنْظُرَانِ فِي الْأُمُورِ جَمِيعِهَا ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ تَوَلَّى إِمْرَةَ الْأُمَرَاءِ بَعْدَهُ ، وَصَارَتِ الْأَمْوَالُ تُحْمَلُ إِلَى خَزَائِنِهِمْ فَيَتَصَرَّفُونَ فِيهَا كَمَا يُرِيدُونَ ، وَيُطْلِقُونَ لِلْخَلِيفَةِ مَا يُرِيدُونَ ، وَبَطَلَتْ بُيُوتُ الْأَمْوَالِ ، وَتَغَلَّبَ أَصْحَابُ الْأَطْرَافِ ، وَزَالَتْ عَنْهُمُ الطَّاعَةُ ، وَلَمْ يَبْقَ لِلْخَلِيفَةِ غَيْرُ بَغْدَاذَ وَأَعْمَالِهَا ، وَالْحُكْمُ فِي جَمِيعِهَا لِابْنِ رَائِقٍ لَيْسَ لِلْخَلِيفَةِ حُكْمٌ. |
| وَأَمَّا بَاقِي الْأَطْرَافِ فَكَانَتِ الْبَصْرَةُ فِي يَدِ ابْنِ رَائِقٍ ، وَخُوزِسْتَانُ فِي يَدِ الْبَرِيدِيِّ. |
| وَفَارِسُ فِي يَدِ عِمَادِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ. |
| وَكَرْمَانُ فِي يَدِ أَبِي عَلِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ إِلْيَاسَ. |
| وَالرَّيُّ وَأَصْبَهَانُ فِي يَدِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ وَيَدِ وَشْمَكِيرَ أَخِي مَرْدَاوَيْجَ يَتَنَازَعَانِ عَلَيْهَا ، وَالْمَوْصِلُ وَدِيَارُ بِكْرٍ وَمُضَرَ وَرَبِيعَةَ فِي يَدِ بَنِي حَمْدَانَ ، وَمِصْرُ وَالشَّامُ فِي يَدِ مُحَمَّدِ بْنِ طُغْجَ. |
| وَالْمَغْرِبُ وَإِفْرِيقِيَّةُ فِي يَدِ أَبِي الْقَاسِمِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ بْنِ الْمَهْدِيِّ الْعَلَوِيِّ ، وَهُوَ الثَّانِي مِنْهُمْ ، وَيُلَقَّبُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْأَنْدَلُسُ فِي يَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُلَقَّبِ بِالنَّاصِرِ الْأُمَوِيِّ ، وَخُرَاسَانُ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ فِي يَدِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ السَّامَانِيِّ. |
| وَطَبَرِسْتَانُ وَجُرْجَانُ فِي يَدِ الدَّيْلَمِ. |
| وَالْبَحْرَيْنِ وَالْيَمَامَةُ فِي يَدِ أَبِي طَاهِرٍ الْقُرْمُطِيِّ. |
| ذِكْرُ مَسِيرِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ إِلَى كَرْمَانَ ، وَمَا جَرَى عَلَيْهِ بِهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ بُوَيْهِ ، الْمُلَقَّبُ بِمُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، إِلَى كَرْمَانَ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ عِمَادَ الدَّوْلَةِ بْنَ بُوَيْهِ وَأَخَاهُ رُكْنُ الدَّوْلَةِ لَمَّا تَمَكَّنَّا مِنْ بِلَادِ فَارِسَ وَبِلَادِ الْجَبَلِ ، وَبَقِيَ أَخُوهُمَا الْأَصْغَرُ أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بِغَيْرِ وَلَايَةٍ يَسْتَبِدُّ بِهَا ، رَأَيَا أَنْ يُسَيِّرَاهُ إِلَى كَرْمَانَ ، فَفَعَلَا ذَلِكَ ، وَسَارَ إِلَى كَرْمَانَ فِي عَسْكَرٍ ضَخْمٍ شُجْعَانٍ ، فَلَمَّا بَلَغَ السِّيرَجَانَ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَجَبَى أَمْوَالَهَا وَأَنْفَقَهَا فِي عَسْكَرِهِ. |
| وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سِيمَجُورَ الدَّوَاتِيُّ يُحَاصِرُ مُحَمَّدَ بْنَ إِلْيَاسَ بْنَ أَلِيَسَعَ بِقَلْعَةٍ هُنَاكَ بِعَسَاكِرِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ صَاحِبِ خُرَاسَانَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ إِقْبَالُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، سَارَ عَنْ كَرْمَانَ إِلَى خُرَاسَانَ ، وَنَفَّسَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِلْيَاسَ ، فَتَخَلَّصَ مِنَ الْقَلْعَةِ ، وَسَارَ إِلَى مَدِينَةِ بَمَّ ، وَهِيَ عَلَى طَرَفِ الْمَفَازَةِ بَيْنَ كَرْمَانَ وَسِجِسْتَانَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ بُوَيْهِ ، فَرَحَلَ مِنْ مَكَانِهِ إِلَى سِجِسْتَانَ بِغَيْرِ قِتَالٍ ، فَسَارَ أَحْمَدُ إِلَى جِيرَفْتَ ، وَهِيَ قَصَبَةُ كَرْمَانَ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى بَمَّ بَعْضَ أَصْحَابِهِ. |
| فَلَمَّا قَارَبَ جِيرَفْتُ أَتَاهُ رَسُولُ عَلِيِّ بْنِ الزِّنْجِيِّ الْمَعْرُوفِ بَعَلِيٍّ كَلِوَيْهِ ، وَهُوَ رَئِيسُ الْقَفَصِ ، وَالْبُلُوصِ ، وَكَانَ هُوَ وَأَسْلَافُهُ مُتَغَلِّبِينَ عَلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، إِلَّا أَنَّهُمْ يُجَامِلُونَ كُلَّ سُلْطَانٍ يَرِدُ الْبِلَادَ وَيُطِيعُونَهُ ، وَيَحْمِلُونَ إِلَيْهِ مَالًا مَعْلُومًا وَلَا يَطَئُونَ بِسَاطَهُ ، فَبَذَلَ لِابْنِ بُوَيْهِ ذَلِكَ الْمَالَ ، فَامْتَنَعَ أَحْمَدُ مِنْ قَبُولِهِ إِلَّا بَعْدَ دُخُولِ جِيرَفْتَ ، فَتَأَخَّرَ عَلِيُّ بْنُ كُلِوَيْهِ نَحْوَ عَشَرَةِ فَرَاسِخَ ، وَنَزَلَ بِمَكَانٍ صَعْبِ الْمَسْلَكِ ، وَدَخَلَ أَحْمَدُ بْنُ بُوَيْهِ جِيرَفْتَ ، وَاصْطَلَحَ هُوَ وَعَلَيٌّ ، وَأَخَذَ رَهَائِنَهُ وَخَطَبَ لَهُ. |
| فَلَمَّا اسْتَقَرَّ الصُّلْحُ وَانْفَصَلَ الْأَمْرُ ، أَشَارَ بَعْضُ أَصْحَابِ ابْنِ بُوَيْهِ عَلَيْهِ بِأَنْ يَقْصِدَ عَلِيًّا وَيَغْدِرَ بِهِ ، وَيَسْرِيَ إِلَيْهِ سِرًّا عَلَى غَفْلَةٍ ، وَأَطْمَعَهُ فِي أَمْوَالِهِ ، وَهَوَّنَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ بِسُكُونِهِ إِلَى الصُّلْحِ ، فَأَصْغَى الْأَمِيرُ أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ إِلَى ذَلِكَ لِحَدَاثَةِ سِنِّهِ ، وَجَمَعَ أَصْحَابَهُ وَأَسْرَى نَحْوَهُمْ جَرِيدَةً. |
| وَكَانَ عَلِيٌّ مُحْتَرِزًا وَمَنْ مَعَهُ قَدْ وَضَعُوا الْعُيُونَ عَلَى ابْنِ بُوَيْهِ ، فَسَاعَةَ تَحَرَّكَ بَلَغَتْهُ الْأَخْبَارُ ، فَجَمَعَ أَصْحَابَهُ وَرَتَّبَهُمْ بِمَضِيقٍ عَلَى الطَّرِيقِ ، فَلَمَّا اجْتَازَ بِهِمُ ابْنُ بُوَيْهِ ثَارُوا بِهِ لَيْلًا مِنْ جَوَانِبِهِ ، فَقَتَلُوا فِي أَصْحَابِهِ ، وَأَسَرُوا ، وَلَمْ يَفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا الْيَسِيرُ ، وَوَقَعَتْ بِالْأَمِيرِ أَبِي الْحُسَيْنِ ضَرَبَاتٌ كَثِيرَةٌ ، وَوَقَعَتْ ضَرْبَةٌ مِنْهَا فِي يَدِهِ الْيُسْرَى فَقَطَعَتْهَا مِنْ نِصْفِ الذِّرَاعِ ، وَأَصَابَ يَدَهُ الْيُمْنَى ضَرْبَةٌ أُخْرَى سَقَطَ مِنْهَا بَعْضُ أَصَابِعِهِ ، وَسَقَطَ مُثْخِنًا بِالْجِرَاحِ بَيْنَ الْقَتْلَى ، وَبَلَغَ الْخَبَرُ بِذَلِكَ إِلَى جِيرَفْتَ ، فَهَرَبَ كُلُّ مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ أَصْحَابِهِ. |
| وَلَمَّا أَصْبَحَ عَلِيٌّ كَلِوَيْهِ تَتَبَّعَ الْقَتْلَى ، فَرَأَى الْأَمِيرَ أَبَا الْحُسَيْنِ قَدْ أَشْرَفَ عَلَى التَّلَفِ ، فَحَمَلَهُ إِلَى جِيرَفْتَ ، وَأَحْضَرَ لَهُ الْأَطِبَّاءَ ، وَبَالَغَ فِي عِلَاجِهِ ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ ، وَأَنْفَذَ رُسُلَهُ يَعْتَذِرُ إِلَى أَخِيهِ عِمَادِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ ، وَيُعَرِّفُهُ غَدْرَ أَخِيهِ ، وَيَبْذُلُ مِنْ نَفْسِهِ الطَّاعَةَ ، فَأَجَابَهُ عِمَادُ الدَّوْلَةِ إِلَى مَا بَذَلَهُ ، وَاسْتَقَرَّ بَيْنَهُمَا الصُّلْحُ ، وَأَطْلَقَ عَلِيٌّ كُلَّ مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْأَسْرَى وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ. |
| وَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِلْيَاسَ بِمَا جَرَى عَلَى أَحْمَدَ بْنِ بُوَيْهِ ، فَسَارَ مِنْ سِجِسْتَانَ إِلَى الْبَلَدِ الْمَعْرُوفِ بِجَنَابَةَ ، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ ابْنُ بُوَيْهِ ، وَوَاقِعَهُ وَدَامَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا عِدَّةَ أَيَّامٍ ، فَانْهَزَمَ ابْنُ إِلْيَاسَ ، وَعَادَ أَحْمَدُ بْنُ بُوَيْهِ ظَافِرًا ، وَسَارَ نَحْوَ عَلِيٍّ كَلِوَيْهِ لِيَنْتَقِمَ مِنْهُ ، فَلَمَّا قَارَبَهُ أَسْرَى إِلَيْهِ فِي أَصْحَابِهِ الرَّجَّالَةِ ، فَكَبَسُوا عَسْكَرَهُ لَيْلًا فِي لَيْلَةٍ شَدِيدَةِ الْمَطَرِ ، فَأَثَّرُوا فِيهِمْ وَقَتَلُوا وَنَهَبُوا وَعَادُوا ، وَبَقِيَ ابْنُ بُوَيْهِ بَاقِيَ لَيْلَتِهِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ سَارَ نَحْوَهُمْ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ عَدَدَاً كَثِيرًا ، وَانْهَزَمَ عَلِيٌّ كَلِوَيْهِ. |
| وَكَتَبَ ابْنُ بُوَيْهِ إِلَى أَخِيهِ عِمَادِ الدَّوْلَةِ بِمَا جَرَى لَهُ مَعَهُ وَمَعَ ابْنِ إِلْيَاسَ وَهَزِيمَتِهِ ، فَأَجَابَهُ أَخُوهُ يَأْمُرُهُ بِالْوُقُوفِ بِمَكَانِهِ وَلَا يَتَجَاوَزُهُ ، وَأَنْفَذَ إِلَيْهِ قَائِدًا مِنْ قُوَّادِهِ يَأْمُرُهُ بِالْعَوْدِ إِلَيْهِ إِلَى فَارِسَ ، وَيُلْزِمُهُ بِذَلِكَ ، فَعَادَ إِلَى أَخِيهِ ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ بِإِصْطَخْرَ إِلَى أَنْ قَصْدَهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيُّ مُنْهَزِمًا مِنِ ابْنِ رَائِقٍ وَبُجْكُمَ ، فَأَطْمَعَ عِمَادُ الدَّوْلَةِ فِي الْعِرَاقِ ، وَسَهُلَ عَلَيْهِ مُلْكُهُ ، فَسَيَّرَ مَعَهُ أَخَاهُ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ أَبَا الْحُسَيْنِ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ مَاكَانَ عَلَى جُرْجَانَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَوْلَى مَاكَانُ بْنُ كَالِي عَلَى جُرْجَانَ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّنَا ذَكَرْنَا أَوَّلًا أَنَّ مَاكَانَ لَمَّا عَادَ مِنْ جُرْجَانَ ، أَقَامَ بِنَيْسَابُورَ ، وَأَقَامَ بَانْجِينُ بِجُرْجَانَ ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ ، خَرَجَ بَانْجِينُ يَلْعَبُ بِالْكُرَةِ ، فَسَقَطَ عَنْ دَابَّتِهِ فَوَقَعَ مَيِّتًا. |
| وَبَلَغَ خَبَرُهُ مَاكَانَ بْنَ كَالِي وَهُوَ بِنَيْسَابُورَ ، وَكَانَ قَدِ اسْتَوْحَشَ مَنْ عَارَضَ جَيْشَ خُرَاسَانَ ، فَاحْتَجَّ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُظَفَّرِ صَاحِبُ الْجَيْشِ بِخُرَاسَانَ بِأَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِهِ قَدْ هَرَبَ مِنْهُ ، وَأَنَّهُ قَدْ يَخْرُجُ فِي طَلَبِهِ ، فَأَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، وَسَارَ عَنْ نَيْسَابُورَ إِلَى أَسْفَرَايِينَ ، فَأَنْفَذَ جَمَاعَةً مِنْ عَسْكَرِهِ إِلَى جُرْجَانَ وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا ، فَأَظْهَرَ الْعِصْيَانَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْمُظَفَّرِ ، وَسَارَ مِنْ أَسْفَرَايِينَ إِلَى نَيْسَابُورَ مُغَافَصَةً ، وَبِهَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُظَفَّرِ ، فَخَذَلَ مُحَمَّدًا أَصْحَابُهُ وَلَمْ يُعَاوِنُوهُ ، وَكَانَ فِي قِلَّةٍ مِنَ الْعَسْكَرِ غَيْرَ مُسْتَعِدٍّ لَهُ ، فَسَارَ نَحْوَ سَرْخَسَ ، وَعَادَ مَاكَانُ مِنْ نَيْسَابُورَ خَوْفًا مِنِ اجْتِمَاعِ الْعَسَاكِرِ عَلَيْهِ ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. |
| ذِكْرُ وِزَارَةِ الْفَضْلِ بْنِ جَعْفَرٍ لِلْخَلِيفَةِ وَفِيهَا كَتَبَ ابْنُ رَائِقٍ كِتَابًا عَنِ الرَّاضِي إِلَى أَبِي الْفَتْحِ الْفَضْلِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الْفُرَاتِ يَسْتَدْعِيهِ لِيَجْعَلَهُ وَزِيرًا ، وَكَانَ يَتَوَلَّى الْخَرَاجَ بِمِصْرَ وَالشَّامِ ، وَظَنَّ ابْنُ رَائِقٍ أَنَّهُ إِذَا اسْتَوْزَرَهُ جَبَى لَهُ أَمْوَالَ الشَّامِ وَمِصْرَ ، فَقَدِمَ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَنُفِّذَتْ لَهُ الْخِلَعُ قَبْلَ وُصُولِهِ ، فَلَقِيَتْهُ بِهِيتَ ، فَلَبِسَهَا وَدَخَلَ بَغْدَاذَ ، وَتَوَلَّى وِزَارَةَ الْخَلِيفَةِ وَوِزَارَةَ ابْنِ رَائِقٍ جَمِيعًا. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَلَّدَ الرَّاضِي مُحَمَّدَ بْنَ طُغْجَ أَعْمَالَ مِصْرَ مُضَافًا إِلَى مَا بِيَدِهِ مِنَ الشَّامِ ، وَعَزَلَ أَحْمَدَ بْنَ كَيَغْلَغَ عَنْ مِصْرَ. |
| وَفِيهَا انْخَسَفَ الْقَمَرُ جَمِيعُهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لِأَرْبَعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَانْخَسَفَ جَمِيعُهُ أَيْضًا لِأَرْبَعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ شَوَّالٍ . |
| وَفِيهَا قُبِضَ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدُوسٍ الْجِهْشَيَارِيِّ ، وَصُودِرَ عَلَى مِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ . |
| وَفِيهَا وُلِدَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ أَبُو شُجَاعٍ فَنَّاخِسْرُو بْنُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَبِي عَلِيٍّ الْحَسَنِ بْنِ بُوَيْهِ بِأَصْبَهَانَ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُوسَى بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ ، الْمَعْرُوفُ بِجِحْظَةَ ، وَلَهُ شِعْرٌ مَطْبُوعٌ ، وَكَانَ عَارِفًا بِفُنُونٍ شَتَّى مِنَ الْعُلُومِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مُجَاهِدٍ فِي شَعْبَانَ ، وَكَانَ إِمَامًا فِي مَعْرِفَةِ الْقِرَاءَاتِ. |
| وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُغَلِّسِ أَبُو الْحَسَنِ الْفَقِيهُ الظَّاهِرِيُّ ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْمَشْهُورَةِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادِ بْنِ وَاصِلِ أَبُو بَكْرٍ النَّيْسَابُورِيُّ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَكَانَ قَدْ جَالَسَ الرَّبِيعَ بْنَ سُلَيْمَانَ وَالْمُزَنِيَّ ، وَيُونُسَ بْنَ عَبْدِ الْأَعْلَى أَصْحَابَ الشَّافِعِيِّ ، وَكَانَ إِمَامًا. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ مَسِيرِ الرَّاضِي بِاللَّهِ إِلَى حَرْبِ الْبَرِيدِيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَشَارَ مُحَمَّدُ بْنُ رَائِقٍ عَلَى الرَّاضِي بِاللَّهِ بِالِانْحِدَارِ مَعَهُ إِلَى وَاسِطَ لِيَقْرُبَ مِنَ الْأَهْوَازِ ، وَيُرَاسِلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنَ الْبَرِيدِيِّ ، فَإِنْ أَجَابَ إِلَى مَا يَطْلُبُ مِنْهُ ، وَإِلَّا قَرُبَ قَصْدُهُ عَلَيْهِ ، فَأَجَابَ الرَّاضِي إِلَى ذَلِكَ ، وَانْحَدَرَ أَوَّلَ الْمُحَرَّمِ ، فَخَالَفَ الْحَجَرِيَّةَ وَقَالُوا هَذِهِ حِيلَةٌ عَلَيْنَا لِيَعْمَلَ بِنَا مِثْلَ مَا عَمِلَ بِالسَّاجِيَّةِ ، فَلَمْ يَلْتَفِتِ ابْنُ رَائِقٍ إِلَيْهِمْ ، وَانْحَدَرَ وَتَبِعَهُ بَعْضُهُمْ ، ثُمَّ انْحَدَرُوا بَعْدَهُ ، فَلَمَّا صَارُوا بِوَاسِطَ ، اعْتَرَضَهُمُ ابْنُ رَائِقٍ ، فَأَسْقَطَ أَكْثَرَهُمْ ، فَاضْطَرَبُوا وَثَارُوا ، فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَ الْحَجَرِيَّةُ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ. |
| وَلَمَّا وَصَلَ الْمُنْهَزِمُونَ إِلَى بَغْدَاذَ ، رَكِبَ لُؤْلُؤٌ صَاحِبُ الشُّرْطَةِ بِبَغْدَاذَ وَلَقِيَهُمْ ، فَأَوْقَعَ بِهِمْ فَاسْتَتَرُوا ، فَنُهِبَتْ دُورُهُمْ ، وَقُبِضَتْ أَمْوَالُهُمْ وَأَمْلَاكُهُمْ ، وَقُطِعَتْ أَرْزَاقُهُمْ. |
| فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُمُ ابْنُ رَائِقٍ ، قَتَلَ مَنْ كَانَ اعْتَقَلَهُ مِنَ السَّاجِيَّةِ سِوَى صَافِي الْخَازِنِ ، وَهَارُونَ بْنِ مُوسَى ، فَلَمَّا فَرَغَ ، أَخْرَجَ مَضَارِبَهُ وَمَضَارِبَ الرَّاضِي نَحْوَ الْأَهْوَازِ لِإِجْلَاءِ ابْنِ الْبَرِيدِيِّ عَنْهَا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فِي مَعْنَى تَأْخِيرِ الْأَمْوَالِ ، وَمَا قَدِ ارْتَكَبَهُ مِنَ الِاسْتِبْدَادِ بِهَا وَإِفْسَادِ الْجُيُوشِ وَتَزْيِينِ الْعِصْيَانِ لَهُمْ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ذِكْرِ مَعَايِبِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِنَّهُ إِنْ حَمَلَ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجُنْدَ الَّذِينَ أَفْسَدَهُمْ أُقِرَّ عَلَى عَمَلِهِ ، وَإِنْ أَبَى قُوبِلَ بِمَا اسْتَحَقَّهُ. |
| فَلَمَّا سَمِعَ الرِّسَالَةَ جَدَّدَ ضَمَانَ الْأَهْوَازِ ، كُلُّ سَنَةٍ بِثَلَاثِمِائَةٍ وَسِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، يَحْمِلُ كُلَّ شَهْرٍ بِقِسْطِهِ ، وَأَجَابَ إِلَى تَسْلِيمِ الْجَيْشِ إِلَى أَنْ يُؤْمَرَ بِتَسْلِيمِهِ إِلَيْهِ مِمَّنْ يَسِيرُ بِهِمْ إِلَى قِتَالِ ابْنِ بُوَيْهِ ، إِذْ كَانُوا كَارِهِينَ لِلْعَوْدِ إِلَى بَغْدَاذَ لِضِيقِ الْأَمْوَالِ بِهَا وَاخْتِلَافِ الْكَلِمَةِ ، فَكَتَبَ الرُّسُلُ ذَلِكَ إِلَى ابْنِ رَائِقٍ ، فَعَرَضَهُ عَلَى الرَّاضِي ، وَشَاوَرَ فِيهِ أَصْحَابَهُ ، فَأَشَارَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ النُّوبَخْتِيُّ بِأَنْ لَا يَقْبَلَ مِنْهُ ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ خِدَاعٌ وَمَكْرٌ لِلْقُرْبِ مِنْهُ ، وَمَتَى عُدْتُمْ عَنْهُ لَمْ يَقِفْ عَلَى مَا بَذَلَهُ. |
| وَأَشَارَ أَبُو بَكْرِ بْنُ مُقَاتِلٍ بِإِجَابَتِهِ إِلَى مَا الْتَمَسَ مِنَ الضَّمَانِ ، وَقَالَ إِنَّهُ لَا يَقُومُ غَيْرُهُ مَقَامَهُ ، وَكَانَ يَتَعَصَّبُ لِلْبَرِيدِيِّ ، فَسُمِعَ قَوْلُهُ وَعُقِدَ الضَّمَانُ عَلَى الْبَرِيدِيِّ ، وَعَادَ هُوَ وَالرَّاضِي إِلَى بَغْدَاذَ ، فَدَخَلَاهَا ثَامِنَ صَفَرٍ. |
| فَأَمَّا الْمَالُ فَمَا حَمَلَ مِنْهُ دِينَارًا وَاحِدًا ، وَأَمَّا الْجَيْشُ فَإِنَّ ابْنَ رَائِقٍ أَنْفَذَ جَعْفَرَ بْنَ وَرْقَاءَ لِيَتَسَلَّمَهُ مِنْهُ وَلِيَسِيرَ إِلَى فَارِسَ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْأَهْوَازِ لَقِيَهُ ابْنُ الْبَرِيدِيِّ فِي الْجَيْشِ جَمِيعِهِ ، وَلَمَّا عَادَ سَارَ الْجَيْشُ مَعَ الْبَرِيدِيِّ إِلَى دَارِهِ وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ جَعْفَرًا وَقَدَّمَ لَهُمْ طَعَامًا كَثِيرًا ، فَأَكَلُوا وَانْصَرَفُوا ، وَأَقَامَ جَعْفَرُ عِدَّةَ أَيَّامٍ. |
| ثُمَّ إِنَّ جَعْفَرًا أَمَرَ الْجَيْشَ فَطَالَبُوهُ بِمَالٍ يُفَرِّقُهُ فِيهِمْ لِيَتَجَهَّزُوا بِهِ إِلَى فَارِسَ ، فَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ ، فَشَتَمُوهُ وَتَهَدَّدُوهُ بِالْقَتْلِ ، فَاسْتَتَرَ مِنْهُمْ وَلَجَأَ إِلَى الْبَرِيدِيِّ ، وَقَالَ لَهُ الْبَرِيدِيُّ لَيْسَ الْعَجَبُ مِمَّنْ أَرْسَلَكَ ، وَإِنَّمَا الْعَجَبُ مِنْكَ كَيْفَ جِئْتَ بِغَيْرِ شَيْءٍ ، فَلَوْ أَنَّ الْجَيْشَ مَمَالِيكٌ لَمَا سَارُوا إِلَّا بِمَالٍ تُرْضِيهِمْ بِهِ ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ لَيْلًا ، وَقَالَ انْجُ بِنَفْسِكَ ، فَسَارَ إِلَى بَغْدَاذَ خَائِبًا. |
| ثُمَّ إِنَّ ابْنَ مُقَاتِلٍ شَرَعَ مَعَ ابْنِ رَائِقٍ فِي عَزْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ النُّوبَخْتِيِّ وَزِيرِهِ ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالِاعْتِضَادِ بِالْبَرِيدِيِّ ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ وَزِيرًا لَهُ عِوَضَ النُّوبَخْتِيِّ ، وَبَذَلَ لَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَلَمْ يَزَلِ ابْنُ مُقَاتِلٍ يَسْعَى وَيَجْتَهِدُ إِلَى أَنْ أَجَابَهُ إِلَيْهِ ، فَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ فِي بُلُوغِ ابْنِ مُقَاتِلٍ غَرَضَهُ أَنَّ النُّوبَخْتِيَّ كَانَ مَرِيضًا ، فَلَمَّا تَحَدَّثَ ابْنُ مُقَاتِلٍ مَعَ ابْنِ رَائِقٍ فِي عَزْلِهِ امْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ لَهُ عَلَيَّ حَقٌّ كَثِيرٌ ، هُوَ الَّذِي سَعَى لِي حَتَّى بَلَغْتُ هَذِهِ الرُّتْبَةَ ، فَلَا أَبْتَغِي بِهِ بَدِيلًا. |
| فَقَالَ ابْنُ مُقَاتِلٍ فَإِنَّ النُّوبَخْتِيَّ مَرِيضٌ لَا مَطْمَعَ فِي عَافِيَتِهِ. |
| قَالَ لَهُ ابْنُ رَائِقٍ فَإِنَّ الطَّبِيبَ قَدْ أَعْلَمَنِي أَنَّهُ قَدْ صَلُحَ وَأَكَلَ الدُّرَّاجَ. |
| فَقَالَ إِنَّ الطَّبِيبَ يَعْلَمُ مَنْزِلَتَهُ مِنْكَ ، وَأَنَّهُ وَزِيرُ الدَّوْلَةِ ، فَلَا يَلْقَاكَ فِي أَمْرِهِ بِمَا تَكْرَهُ ، وَلَكِنْ أَحْضِرِ ابْنَ أَخِي النُّوبَخْتِيِّ وَصِهْرَهُ عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدَ ، وَاسْأَلْهُ عَنْهُ سِرًّا ، فَهُوَ يُخْبِرُكَ بِحَالِهِ. |
| فَقَالَ أَفْعَلُ. |
| وَكَانَ النُّوبَخْتِيُّ قَدِ اسْتَنَابَ ابْنَ أَخِيهِ هَذَا عِنْدَ ابْنِ رَائِقٍ لِيَقُومَ بِخِدْمَتِهِ فِي مَرَضِهِ ، ثُمَّ إِنَّ ابْنَ مُقَاتِلٍ فَارَقَ ابْنَ رَائِقٍ عَلَى هَذَا ، وَاجْتَمَعَ بِعَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ وَقَالَ لَهُ قَدْ قَرَّرْتُ لَكَ مَعَ الْأَمِيرِ ابْنِ رَائِقٍ الْوِزَارَةَ ، فَإِذَا سَأَلَكَ عَنْ عَمِّكِ ، فَأَعْلِمْهُ أَنَّهُ عَلَى الْمَوْتِ وَلَا يَجِيءُ مِنْهُ شَيْءٌ لِتَتِمَّ لَكَ الْوِزَارَةُ. |
| فَلَمَّا اجْتَمَعَ ابْنُ رَائِقٍ بِعَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ سَأَلَهُ عَنْ عَمِّهِ ، فَغُشِيَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ لَطَمَ بِرَأْسِهِ وَوَجْهِهِ ، وَقَالَ يُبْقِي اللَّهُ الْأَمِيرَ وَيُعْظِمُ أَجْرَهُ فِيهِ ، فَلَا يَعُدُّهُ الْأَمِيرُ إِلَّا فِي الْأَمْوَاتِ ، فَاسْتَرْجَعَ وَحَوْقَلَ ، وَقَالَ لَوْ فُدِيَ بِجَمِيعِ مَا أَمْلِكُهُ لَفَعَلْتُ. |
| فَلَمَّا حَضَرَ عِنْدَهُ ابْنُ مُقَاتِلٍ ، قَالَ لَهُ ابْنُ رَائِقٍ قَدْ كَانَ الْحَقُّ مَعَكَ ، وَقَدْ يَئِسْنَا مِنَ النُّوبَخْتِيِّ ، فَاكْتُبْ إِلَى الْبَرِيدِيِّ لِيُرْسِلَ مَنْ يَنُوبُ عَنْهُ فِي وِزَارَتِي ، فَفَعَلَ وَكَتَبَ إِلَى الْبَرِيدِيِّ بِإِنْفَاذِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْكُوفِيِّ لِيَنُوبَ عَنْهُ فِي وِزَارَةِ ابْنِ رَائِقٍ ، فَأَنْفَذَهُ ، فَاسْتَوْلَى عَلَى الْأُمُورِ ، وَتَمَشَّى حَالُ الْبَرِيدِيِّ بِذَلِكَ ، فَإِنَّ النُّوبَخْتِيَّ كَانَ عَارِفًا بِهِ لَا يَتَمَشَّى مَعَهُ مَحَالُّهُ. |
| فَلَمَّا اسْتَوْلَى الْكُوفِيُّ وَابْنُ مُقَاتِلٍ ، شَرَعَا فِي تَضْمِينِ الْبَصْرَةِ مِنْ أَبِي يُوسُفَ بْنِ الْبَرِيدِيِّ أَخِي عَبْدِ اللَّهِ ، فَامْتَنَعَ ابْنُ رَائِقٍ مِنْ ذَلِكَ ، فَخَدَعَاهُ إِلَى أَنْ أَجَابَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ نَائِبُ ابْنِ رَائِقٍ بِالْبَصْرَةِ مُحَمَّدَ بْنَ يَزْدَادَ ، وَقَدْ أَسَاءَ السِّيرَةَ وَظَلَمَ أَهْلَهَا ، فَلَمَّا ضَمِنَهَا الْبَرِيدِيُّ ، حَضَرَ عِنْدَهُ بِالْأَهْوَازِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِهَا فَوَعَدَهُمْ وَمَنَّاهُمْ ، وَذَمَّ ابْنَ رَائِقٍ عِنْدَهُمْ بِمَا كَانَ يَفْعَلُهُ ابْنُ يَزْدَادَ ، فَدَعَوْا لَهُ. |
| ثُمَّ أَنْفَذَ الْبَرِيدِيُّ غُلَامَهُ إِقْبَالًا فِي أَلْفَيْ رَجُلٍ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْمَقَامِ بِحِصْنِ مَهْدِيٍّ إِلَى أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِمَا يَفْعَلُونَ ، فَلَمَّا عَلِمَ ابْنُ يَزْدَادَ بِهِمْ ، قَامَتْ قِيَامَتُهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْبَرِيدِيَّ يُرِيدُ التَّغَلُّبَ عَلَى الْبَصْرَةِ ، وَإِلَّا لَوْ كَانَ يُرِيدُ التَّصَرُّفَ فِي ضَمَانِهِ ، لَكَانَ يَكْفِيهِ عَامِلٌ فِي جَمَاعَتِهِ. |
| وَأَمَرَ الْبَرِيدِيُّ بِإِسْقَاطِ بَعْضِ مَا كَانَ ابْنُ يَزْدَادَ يَأْخُذُهُ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، حَتَّى اطْمَأَنُّوا ، وَقَاتَلُوا مَعَهُ عَسْكَرَ ابْنِ رَائِقٍ ، ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِمْ ، فَعَمِلَ بِهِمْ أَعْمَالًا تَمَنَّوْا مَعَهَا أَيَّامَ ابْنِ رَائِقٍ وَعَدُّوهَا أَعْيَادًا. |
| ذِكْرُ ظُهُورِ الْوَحْشَةِ بَيْنَ ابْنِ رَائِقٍ وَالْبَرِيدِيِّ ، وَالْحَرْبِ بَيْنَهُمَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضًا ظَهَرَتِ الْوَحْشَةُ بَيْنَ ابْنِ رَائِقٍ وَالْبَرِيدِيِّ ، وَكَانَ لِذَلِكَ عِدَّةُ أَسْبَابٍ مِنْهَا أَنَّ ابْنَ رَائِقٍ لَمَّا عَادَ مِنْ وَاسِطَ إِلَى بَغْدَاذَ ، أَمَرَ بِظُهُورِ مَنِ اخْتَفَى مِنَ الْحَجَرِيِّينَ ، فَظَهَرُوا ، فَاسْتَخْدَمَ مِنْهُمْ نَحْوَ أَلْفَيْ رَجُلٍ ، وَأَمَرَ الْبَاقِينَ بِطَلَبِ الرِّزْقِ أَيْنَ أَرَادُوا ، فَخَرَجُوا مِنْ بَغْدَاذَ ، وَاجْتَمَعُوا بِطَرِيقِ خُرَاسَانَ ، ثُمَّ سَارُوا إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيِّ ، فَأَكْرَمَهُمْ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، وَذَمَّ ابْنَ رَائِقٍ وَعَابَهُ ، وَكَتَبَ إِلَى بَغْدَاذَ يَعْتَذِرُ عَنْ قَبُولِهِمْ ، وَيَقُولُ إِنَّنِي خِفْتُهُمْ ، فَلِهَذَا قَبِلْتُهُمْ ، وَجَعَلَهُمْ طَرِيقًا إِلَى قَطْعِ مَا اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَالِ ، وَذُكِرَ أَنَّهُمُ اتَّفَقُوا مَعَ الْجَيْشِ الَّذِي عِنْدَهُ وَمَنَعُوهُ مِنْ حَمْلِ الْمَالِ الَّذِي اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ ابْنُ رَائِقٍ يُلْزِمُهُ بِإِبْعَادِ الْحَجَرِيَّةِ ، فَاعْتَذَرَ وَلَمْ يَفْعَلْ. |
| وَمِنْهَا ابْنُ رَائِقٍ بَلَغَهُ مَا ذَمَّهُ بِهِ ابْنُ الْبَرِيدِيِّ عِنْدَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَسَاءَهُ ذَلِكَ ، وَبَلَغَهُ مَقَامُ إِقْبَالٍ فِي جَيْشِهِ بِحِصْنِ مَهْدِيٍّ ، فَعَظُمَ عَلَيْهِ ، وَاتَّهَمَ الْكُوفِيَّ بِمُحَابَاةِ الْبَرِيدِيِّ ، وَأَرَادَ عَزْلَهُ ، فَمَنَعَهُ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ ، وَكَانَ مَقْبُولَ الْقَوْلِ عِنْدَ ابْنِ رَائِقٍ ، فَأَمَرَ الْكُوفِيَّ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الْبَرِيدِيِّ يُعَاتِبُهُ عَلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ ، وَيَأْمُرُهُ بِإِعَادَةِ عَسْكَرِهِ مِنْ حِصْنِ مَهْدِيٍّ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ ، فَأَجَابَ بِأَنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ يُخْفُونَ الْقَرَامِطَةَ ، وَابْنُ يَزْدَادَ عَاجِزٌ عَنْ حِمَايَتِهِمْ ، وَقَدْ تَمَسَّكُوا بِأَصْحَابِي لِخَوْفِهِمْ. |
| وَكَانَ أَبُو طَاهِرٍ الْهِجْرِيُّ قَدْ وَصَلَ إِلَى الْكُوفَةِ فِي الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخَرِ ، فَخَرَجَ ابْنُ رَائِقٍ فِي عَسَاكِرِهِ إِلَى قَصْرِ ابْنِ هُبَيْرَةَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْقُرْمُطِيِّ ، فَلَمْ يَسْتَقِرَّ بَيْنَهُمْ أَمْرٌ ، فَعَادَ الْقُرْمُطِيُّ إِلَى بَلَدِهِ ، فَعَادَ حِينَئِذٍ ابْنُ رَائِقٍ وَسَارَ إِلَى وَاسِطَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْبَرِيدِيَّ ، فَكَتَبَ إِلَى عَسْكَرِهِ بِحِصْنِ مَهْدِيٍّ يَأْمُرُهُمْ بِدُخُولِ الْبَصْرَةِ ، وَقِتَالِ مَنْ مَنَعَهُمْ ، وَأَنْفَذَ إِلَيْهِمْ جَمَاعَةً مِنَ الْحَجَرِيَّةِ مَعُونَةً لَهُمْ ، فَأَنْفَذَ ابْنُ يَزْدَادَ جَمَاعَةً مِنْ عِنْدِهِ لِيَمْنَعَهُمْ مِنْ دُخُولِ الْبَصْرَةِ ، فَاقْتَتَلُوا بِنَهْرِ الْأَمِيرِ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ ابْنِ يَزْدَادُ ، فَأَعَادَهُمْ ، وَزَادَ فِي عِدَّتِهِمْ كُلُّ مُتَجَنِّدٍ فِي الْبَصْرَةِ ، وَاقْتَتَلُوا ثَانِيًا فَانْهَزَمُوا أَيْضًا. |
| وَدَخَلَ إِقْبَالٌ وَأَصْحَابُ الْبَرِيدِيِّ الْبَصْرَةَ ، وَانْهَزَمَ ابْنَ يَزْدَادَ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَقَامَتِ الْقِيَامَةُ عَلَى ابْنِ رَائِقٍ ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيِّ يَتَهَدَّدُهُ ، وَيَأْمُرُهُ بِإِعَادَةِ أَصْحَابِهِ مِنَ الْبَصْرَةِ ، فَاعْتَذَرَ وَلَمْ يَفْعَلْ ، وَكَانَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ يُرِيدُونَ الْبَرِيدِيَّ لِسُوءِ سِيرَةِ ابْنِ يَزْدَادَ. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ بُجْكُمَ عَلَى الْأَهْوَازِ لَمَّا وَصَلَ جَوَابُ الرِّسَالَةِ مِنَ الْبَرِيدِيِّ إِلَى ابْنِ رَائِقٍ بِالْمُغَالَطَةِ عَنْ إِعَادَةِ جُنْدِهِ مِنَ الْبَصْرَةِ ، اسْتَدْعَى بَدْرًا الْخَرْشَنِيَّ وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَأَحْضَرَ بُجْكُمَ أَيْضًا وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَسَيَّرَهُمَا فِي جَيْشٍ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُقِيمُوا بِالْجَامِدَةِ ، فَبَادَرَ بُجْكُمُ ، وَلَمْ يَتَوَقَّفْ عَلَى بَدْرٍ وَمَنْ مَعَهُ ، وَسَارَ إِلَى السُّوسِ. |
| فَبَلَغَ ذَلِكَ الْبَرِيدِيَّ ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا فِي ثَلَاثَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ ، وَمُقَدِّمُهُمْ غُلَامُهُ مُحَمَّدٌ الْمَعْرُوفُ بِالْحَمَّالِ ، فَاقْتَتَلُوا بِظَاهِرِ السُّوسِ ، وَكَانَ مَعَ بُجْكُمَ مِائَتَانِ وَسَبْعُونَ رَجُلًا مِنَ الْأَتْرَاكِ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ الْبَرِيدِيِّ وَعَادُوا إِلَيْهِ ، فَضَرَبَ الْبَرِيدِيُّ مُحَمَّدًا الْحَمَّالَ ، وَقَالَ انْهَزَمْتَ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنْ ثَلَاثِمِائَةٍ ؟ |
| فَقَالَ لَهُ أَنْتَ ظَنَنْتَ أَنَّكَ تُحَارِبُ يَاقُوتًا الْمُدَبِّرَ ، قَدْ جَاءَكَ خِلَافُ مَا عَهِدْتَ ، فَقَامَ إِلَيْهِ وَجَعَلَ يَلْكُمُهُ بِيَدَيْهِ. |
| ثُمَّ رَجَعَ عَسْكَرُهُ ، وَأَضَافَ إِلَيْهِمْ مَنْ لَمْ يَشْهَدِ الْوَقْعَةَ ، فَبَلَغُوا سِتَّةَ آلَافِ رَجُلٍ ، وَسَيَّرَهُمْ مَعَ الْحَمَّالِ أَيْضًا ، فَالْتَقَوْا عِنْدَ نَهْرِ تُسْتَرَ ، فَبَادَرَ بُجْكُمُ فَعَبَرَ النَّهْرَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، فَلَمَّا رَآهُ أَصْحَابُ الْبَرِيدِيِّ ، انْهَزَمُوا مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ ، فَلَمَّا رَآهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيُّ ، رَكِبَ هُوَ وَإِخْوَتُهُ وَمَنْ يَلْزَمُهُ فِي السُّفُنِ ، فَأَخَذَ مَعَهُ مَا بَقِيَ عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ ، وَهُوَ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَغَرِقَتِ السَّفِينَةُ بِهِمْ ، فَأَخْرَجَهُمُ الْغَوَّاصُونَ وَقَدْ كَادُوا يَغْرَقُونَ ، وَأُخْرِجَ بَعْضُ الْمَالِ ، وَأُخْرِجَ بَاقِي الْمَالِ لِبُجْكُمَ ، وَوَصَلُوا إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَأَقَامُوا بِالْأُبُلَّةِ ، وَأَعَدُّوا الْمَرَاكِبَ لِلْهَرَبِ إِنِ انْهَزَمَ إِقْبَالٌ. |
| وَسَيَّرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيُّ غُلَامَهُ إِقْبَالًا إِلَى مَطَارَا ، وَسَيَّرَ مَعَهُ جَمْعًا مِنْ فِتْيَانِ الْبَصْرَةِ ، فَالْتَقَوْا بِمَطَارَا مَعَ أَصْحَابِ ابْنِ رَائِقٍ ، فَانْهَزَمَتِ الرَّائِقِيَّةُ ، وَأُسِرَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ ، فَأَطْلَقَهُمُ الْبَرِيدِيُّ ، وَكَتَبَ إِلَى ابْنِ رَائِقٍ يَسْتَعْطِفُهُ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَلَمْ يُجِبْهُمْ ، وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَحْلِفَ لِأَهْلِ الْبَصْرَةِ لِيَكُونُوا مَعَهُ وَيُسَاعِدُوهُ ، فَامْتَنَعَ وَحَلَفَ لَئِنْ ظَفِرَ بِهَا لَيَحْرِقَنَّهَا ، وَيَقْتُلُ كُلَّ مَنْ فِيهَا ، فَازْدَادُوا بَصِيرَةً فِي قِتَالِهِ. |
| وَاطْمَأَنَّ الْبَرِيدِيُّونَ بَعْدَ انْهِزَامِ عَسْكَرِ ابْنِ رَائِقٍ ، وَأَقَامُوا حِينَئِذٍ بِالْبَصْرَةِ ، وَاسْتَوْلَى بُجْكُمُ عَلَى الْأَهْوَازِ ، فَلَمَّا بَلَغَ ابْنَ رَائِقٍ هَزِيمَةُ أَصْحَابِهِ ، جَهَّزَ جَيْشًا آخَرَ وَسَيَّرَهُ إِلَى الْبَرِّ وَالْمَاءِ ، فَالتَقَى عَسْكَرُهُ الَّذِي عَلَى الظَّهْرِ مَعَ عَسْكَرِ الْبَرِيدِيِّ ، فَانْهَزَمَ الرَّائِقِيَّةُ ، وَأَمَّا الْعَسْكَرُ الَّذِي فِي الْمَاءِ ، فَإِنَّهُمُ اسْتَوْلَوْا عَلَى الْكِلَاءِ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيُّ ، رَكِبَ فِي السُّفُنِ وَهَرَبَ إِلَى جَزِيرَةِ أُوَالَ ، وَتَرَكَ أَخَاهُ أَبَا الْحُسَيْنِ بِالْبَصْرَةِ فِي عَسْكَرٍ يَحْمِيهَا ، فَخَرَجَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ مَعَ أَبِي الْحُسَيْنِ لِدَفْعِ عَسْكَرِ ابْنِ رَائِقٍ عَنِ الْكِلَاءِ ، فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى أَجْلَوْهُمْ عَنْهُ. |
| فَلَمَّا اتَّصَلَ ذَلِكَ بِابْنِ رَائِقٍ ، سَارَ بِنَفْسِهِ مِنْ وَاسِطَ إِلَى الْبَصْرَةِ عَلَى الظَّهْرِ ، وَكَتَبَ إِلَى بُجْكُمَ لِيَلْحَقَ بِهِ ، فَأَتَاهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْجُنْدِ ، فَتَقَدَّمُوا وَقَاتَلُوا أَهْلَ الْبَصْرَةِ ، فَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، وَحَامَى أَهْلُ الْبَصْرَةِ ، وَشَتَمُوا ابْنَ رَائِقٍ ، فَلَمَّا رَأَى بُجْكُمُ ذَلِكَ هَالَهُ ، وَقَالَ لِابْنِ رَائِقٍ مَا الَّذِي عَمِلْتَ بِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ حَتَّى أَحْوَجْتَهُمْ إِلَى هَذَا ؟ |
| فَقَالَ وَاللَّهِ لَا أَدْرِي. |
| وَعَادَ ابْنُ رَائِقٍ وَبُجْكُمَ إِلَى مُعَسْكَرِهِمَا. |
| وَأَمَّا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيُّ فَإِنَّهُ سَارَ مِنْ جَزِيرَةِ أُوَالَ إِلَى عِمَادِ الدَّوْلَةِ ابْنِ بُوَيْهِ ، وَاسْتَجَارَ بِهِ ، وَأَطْمَعَهُ فِي الْعِرَاقِ ، وَهُوَ عَلَيْهِ أَمْرُ الْخَلِيفَةِ وَابْنُ رَائِقٍ ، فَنَفِذَ مَعَهُ أَخَاهُ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ عَلَى مَا نَذْكُرُهُ. |
| فَلَمَّا سَمِعَ ابْنُ رَائِقٍ بِإِقْبَالِهِمْ مِنْ فَارِسَ إِلَى الْأَهْوَازِ ، سَيَّرَ بُجْكُمُ إِلَيْهَا ، فَامْتَنَعَ مِنَ الْمَسِيرِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِ الْحَرْبُ وَالْخَرَاجُ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ وَسَيَّرَهُ إِلَيْهَا. |
| ثُمَّ إِنَّ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِ الْبَرِيدِيِّ قَصَدُوا عَسْكَرَ ابْنِ رَائِقٍ لَيْلًا ، فَصَاحُوا فِي جَوَانِبِهِ فَانْهَزَمُوا ، فَلَمَّا رَأَى ابْنُ رَائِقٍ ذَلِكَ ، أَمَرَ بِإِحْرَاقِ سَوَادِهِ وَآلَاتِهِ; لِئَلَّا يَغْنَمَهُ الْبَرِيدِيُّ ، وَسَارَ إِلَى الْأَهْوَازِ جَرِيدَةً ، فَأَشَارَ جَمَاعَةٌ عَلَى بُجْكُمَ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَأَقَامَ ابْنُ رَائِقٍ أَيَّامًا ، وَعَادَ إِلَى وَاسِطَ ، وَكَانَ بَاقِي عَسْكَرِهِ قَدْ سَبَقُوهُ إِلَيْهَا. |
| ذِكْرُ الْفِتْنَةِ بَيْنَ أَهْلِ صِقِلِّيَةَ وَأُمَرَائِهِمْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَالَفَ أَهْلُ جُرْجَنْتَ ، وَهِيَ مِنْ بِلَادِ صِقِلِّيَةَ عَلَى أَمِيرِهِمْ سَالِمِ بْنِ رَاشِدٍ ، وَكَانَ اسْتَعْمَلَهُ عَلَيْهِمُ الْقَائِمُ الْعَلَوِيُّ ، صَاحِبُ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَكَانَ سَيِّئَ السِّيرَةِ فِي النَّاسِ ، فَأَخْرَجُوا عَامِلَهُ عَلَيْهِمْ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِمْ سَالِمٌ جَيْشًا كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ صِقِلِّيَةَ وَإِفْرِيقِيَّةَ ، فَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ ، فَهَزَمَهُمْ أَهْلُ جُرْجَنْتَ ، وَتَبِعَهُمْ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ سَالِمٌ وَلَقِيَهُمْ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ وَعَظُمَ الْخَطْبُ ، فَانْهَزَمَ أَهْلُ جُرْجَنْتَ فِي شَعْبَانَ. |
| فَلَمَّا رَأَى أَهْلُ الْمَدِينَةِ خِلَافَ أَهْلِ جُرْجَنْتَ ، خَرَجُوا أَيْضًا عَلَى سَالِمٍ وَخَالَفُوهُ ، وَعَظُمَ شَغَبُهُمْ عَلَيْهِ ، وَقَاتَلُوهُ فِي ذِي الْقِعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، فَهَزَمَهُمْ وَحَصَرَهُمْ فِي الْمَدِينَةِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْقَائِمِ بِالْمَهْدِيَّةِ يُعَرِّفُهُ أَنَّ أَهْلَ صِقِلِّيَةَ قَدْ خَرَجُوا عَنْ طَاعَتِهِ ، وَخَالَفُوا عَلَيْهِ ، وَيَسْتَمِدُّهُ ، فَأَمَدَّهُ الْقَائِمُ بِجَيْشٍ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ خَلِيلَ بْنَ إِسْحَاقَ ، فَسَارُوا حَتَّى وَصَلُوا إِلَى صِقِلِّيَةَ ، فَرَأَى خَلِيلٌ مِنْ طَاعَةِ أَهْلِهَا مَا سَرَّهُ ، وَشَكَوْا إِلَيْهِ مِنْ ظُلْمِ سَالِمٍ وَجَوْرِهِ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ يَبْكُونَ وَيَشْكُونَ ، فَرَقَّ النَّاسُ لَهُمْ ، وَبَكَوْا لِبُكَائِهِمْ. |
| وَجَاءَ أَهْلُ الْبِلَادِ إِلَى خَلِيلٍ وَأَهْلِ جُرْجَنْتَ ، فَلَمَّا وَصَلُوا ، اجْتَمَعَ بِهِمْ سَالِمٌ وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ الْقَائِمَ قَدْ أَرْسَلَ خَلِيلًا لِيَنْتَقِمَ مِنْهُمْ بِمَنْ قَتَلُوا مِنْ عَسْكَرِهِ ، فَعَاوَدُوا الْخِلَافَ ، فَشَرَعَ خَلِيلٌ فِي بِنَاءِ مَدِينَةٍ عَلَى مَرْسَى الْمَدِينَةِ وَحَصَّنَهَا ، وَنَقَضَ كَثِيرًا مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَأَخَذَ أَبْوَابَهَا ، وَسَمَّاهَا الْخَالِصَةَ. |
| وَنَالَ النَّاسُ شِدَّةً فِي بِنَاءِ الْمَدِينَةِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَهْلَ جُرْجَنْتَ ، فَخَافُوا وَتَحَقَّقَ عِنْدَهُمْ مَا قَالَ لَهُمْ سَالِمٌ ، وَحَصَّنُوا مَدِينَتَهُمْ وَاسْتَعَدُّوا لِلْحَرْبِ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ خَلِيلٌ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَحَصَرَهُمْ ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِ وَالْتَحَمَ الْقِتَالُ ، وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ ، وَبَقِيَ مُحَاصِرًا لَهُمْ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ لَا يَخْلُو يَوْمٌ مِنْ قِتَالٍ ، وَجَاءَ الشِّتَاءُ فَرَحَلَ عَنْهُمْ فِي ذِي الْحِجَّةِ إِلَى الْخَالِصَةِ فَنَزَلَهَا. |
| وَلَمَّا دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، خَالَفَ عَلَى خَلِيلٍ جَمِيعُ الْقِلَاعِ وَأَهْلُ مَازَرَ ، كُلُّ ذَلِكَ بِسَعْيِ أَهْلِ جُرْجَنْتَ ، وَبَثُّوا سَرَايَاهُمْ ، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُمْ ، وَكَاتَبُوا مَلِكَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ يَسْتَنْجِدُونَهُ ، فَأَمَدَّهُمْ بِالْمَرَاكِبِ فِيهَا الرِّجَالُ وَالطَّعَامُ ، فَكَتَبَ خَلِيلٌ إِلَى الْقَائِمِ يَسْتَنْجِدُهُ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيرًا ، فَخَرَجَ خَلِيلٌ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ صِقِلِّيَةَ فَحَصَرُوا قَلْعَةَ أَبِي ثَوْرٍ ، فَمَلَكُوهَا وَكَذَلِكَ أَيْضًا الْبَلُّوطُ مَلَكُوهَا ، وَحَصَرُوا قَلْعَةَ أَبَلَاطَنْوَا ، وَأَقَامُوا عَلَيْهَا حَتَّى انْقَضَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. |
| فَلَمَّا دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ ، رَحَلَ خَلِيلٌ عَنْ أَبَلَاطَنْوَا ، وَحَصَرَ جُرْجَنْتَ وَأَطَالَ الْحِصَارَ ، ثُمَّ رَحَلَ عَنْهَا وَتَرَكَ عَلَيْهَا عَسْكَرًا يُحَاصِرُهَا ، مُقَدِّمُهُمْ أَبُو خَلَفِ بْنُ هَارُونَ ، فَدَامَ الْحِصَارُ إِلَى سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَسَارَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِهَا إِلَى بِلَادِ الرُّومِ ، وَطَلَبَ الْبَاقُونَ الْأَمَانَ ، فَأَمَّنَهُمْ عَلَى أَنْ يَنْزِلُوا مِنَ الْقَلْعَةِ ، فَلَمَّا نَزَلُوا غَدَرَ بِهِمْ وَحَمَلَهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ. |
| فَلَمَّا رَأَى أَهْلُ سَائِرِ الْقِلَاعِ ذَلِكَ أَطَاعُوا ، فَلَمَّا عَادَتِ الْبِلَادُ الْإِسْلَامِيَّةُ إِلَى طَاعَتِهِ ، رَحَلَ عَنْ إِفْرِيقِيَّةَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَأَخَذَ مَعَهُ وُجُوهَ أَهْلِ جُرْجَنْتَ ، وَجَعَلَهُمْ فِي مَرْكِبٍ ، وَأَمَرَ بِنَقْبِهِ وَهُوَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرُ فَغَرِقُوا. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَتِ الْفِرِنْجُ إِلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ الَّتِي لِلْمُسْلِمِينَ ، فَنَهَبُوا وَقَتَلُوا وَسَبَوْا ، وَمِمَّنْ قُتِلَ مِنَ الْمَشْهُورِينَ جِحَافُ بْنُ يُمْنٍ قَاضِي بَلَنْسِيَةَ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سُفْيَانَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْخَزَّازُ النَّحْوِيُّ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَكَانَ صَحِبَ ثَعْلَبًا وَالْمُبَرِّدَ ، وَلَهُ تَصَانِيفُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ عَلَى الْأَهْوَازِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ بُوَيْهِ إِلَى الْأَهْوَازِ وَتِلْكَ الْبِلَادِ ، فَمَلَكَهَا وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا . |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ مَسِيرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيِّ إِلَى عِمَادِ الدَّوْلَةِ كَمَا سَبَقَ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ ، أَطْمَعَهُ فِي الْعِرَاقِ وَالِاسْتِيلَاءِ عَلَيْهِ ، فَسَيَّرَ مَعَهُ أَخَاهُ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ إِلَى الْأَهْوَازِ ، وَتَرَكَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيُّ وَلَدَيْهِ أَبَا الْحَسَنِ مُحَمَّدًا ، وَأَبَا جَعْفَرٍ الْفَيَّاضَ عِنْدَ عِمَادِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ رَهِينَةً وَسَارُوا ، فَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى بُجْكُمَ بِنُزُولِهِمْ أَرَّجَانَ ، فَسَارَ لِحَرْبِهِمْ ، فَانْهَزَمَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ. |
| وَكَانَ سَبَبُ الْهَزِيمَةِ أَنَّ الْمَطَرَ اتَّصَلَ أَيَامًا كَثِيرَةً ، فَعُطِّلَتْ أَوْتَارُ قِسِيِّ الْأَتْرَاكِ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى رَمْيِ النُّشَّابِ ، فَعَادَ بُجْكُمُ وَأَقَامَ بِالْأَهْوَازِ ، وَجَعَلَ بَعْضَ عَسْكَرِهِ بِعَسْكَرِ مُكْرَمٍ ، فَقَاتَلُوا مُعِزَّ الدَّوْلَةِ بِهَا ثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، ثُمَّ انْهَزَمُوا إِلَى تُسْتَرَ ، فَاسْتَوْلَى مُعِزُّ الدَّوْلَةِ عَلَى عَسْكَرِ مُكْرَمٍ ، وَسَارَ بُجْكُمُ إِلَى تُسْتَرَ مِنَ الْأَهْوَازِ ، وَأَخَذَ مَعَهُ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ الْأَهْوَازِ ، وَسَارَ هُوَ وَعَسْكَرُهُ إِلَى وَاسِطَ ، وَأَرْسَلَ مِنَ الطَّرِيقِ إِلَى ابْنِ رَائِقٍ يُعْلِمُهُ الْخَبَرَ ، وَيَقُولُ لَهُ إِنَّ الْعَسْكَرَ مُحْتَاجٌ إِلَى الْمَالِ ، فَإِنْ كَانَ مَعَكَ مِائَتَا أَلْفِ دِينَارٍ فَتُقِيمَ بِوَاسِطَ حَتَّى نَصِلَ إِلَيْكَ ، وَتُنْفِقَ فِيهِ الْمَالَ ، وَإِنْ كَانَ الْمَالُ قَلِيلًا ، فَالرَّأْيُ أَنَّكَ تَعُودُ إِلَى بَغْدَاذَ لِئَلًا يَجْرِي مِنَ الْعَسْكَرِ شَغَبٌ. |
| فَلَمَّا بَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى ابْنِ رَائِقٍ ، عَادَ مِنْ وَاسِطَ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَوَصَلَ بُجْكُمُ إِلَى وَاسِطَ فَأَقَامَ بِهَا ، وَاعْتَقَلَ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْأَهْوَازِيِّينَ ، وَطَالَبَهُمْ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَكَانَ فِيهِمْ أَبُو زَكَرِيَّاءَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ السُّوسِيُّ. |
| قَالَ أَبُو زَكَرِيَّاءَ أَرَدْتُ أَنْ أَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِ بُجْكُمَ ، فَأَنْفَذْتُ إِلَيْهِ أَقُولُ عِنْدِي نَصِيحَةٌ ، فَأَحْضَرَنِي عِنْدَهُ ، فَقُلْتُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، أَنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ بِمَمْلَكَةِ الدُّنْيَا ، وَخِدْمَةِ الْخِلَافَةِ ، وَتَدْبِيرِ الْمَمَالِكِ ، كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ تَعْتَقِلَ قَوْمًا مَنْكُوبِينَ قَدْ سُلِبُوا نِعْمَتَهُمْ ، وَتُطَالِبُهُمْ بِمَالٍ وَهُمْ فِي بَلَدِ غُرْبَةٍ ، وَتَأْمُرُ بِتَعْذِيبِهِمْ حِينَ جُعِلَ أَمْسُ طَشْتٌ فِيهِ نَارٌ عَلَى بَطْنَ بَعْضِهِمْ ؟ |
| أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا إِذَا سُمِعَ عَنْكَ اسْتَوْحَشَ مِنْكَ النَّاسُ ، وَعَادَاكَ مَنْ لَا يَعْرِفُكَ ؟ |
| وَقَدْ أَنْكَرْتَ عَلَى ابْنِ رَائِقٍ إِيحَاشَهُ لِأَهْلِ الْبَصْرَةِ ، أَتَرَاهُ أَسَاءَ إِلَى جَمِيعِهِمْ ؟ |
| لَا وَاللَّهِ ، بَلْ أَسَاءَ إِلَى بَعْضِهِمْ ، فَأَبْغَضُوهُ كُلُّهُمْ ، وَعَوَامُّ بَغْدَاذَ لَا تَحْتَمِلُ أَمْثَالَ هَذَا ، وَذَكَرْتُ لَهُ فِعْلَ مَرْدَاوَيْجَ ، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ ، قَالَ قَدْ صَدَقْتَنِي ، وَنَصَحْتَنِي ، ثُمَّ أَمَرَ بِإِطْلَاقِهِمْ. |
| وَلَمَّا اسْتَوْلَى ابْنُ بُوَيْهِ وَالْبَرِيدِيُّ عَلَى عَسْكَرِ مُكْرَمٍ ، سَارَ أَهْلُ الْأَهْوَازِ إِلَى الْبَرِيدِيِّ يُهَنُّونَهُ ، وَفِيهِمْ طَبِيبٌ حَاذِقٌ ، وَكَانَ الْبَرِيدِيُّ يُحَمُّ بِحُمَّى الرِّبْعِ ، فَقَالَ لِذَلِكَ الطَّبِيبِ أَمَا تَرَى يَا أَبَا زَكَرِيَّاءَ حَالِي وَهَذِهِ الْحُمَّى ؟ |
| فَقَالَ لَهُ خَلْطٌ ، يَعْنِي فِي الْمَأْكُولِ ، فَقَالَ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا التَّخْلِيطِ ، قَدْ رَهِجَتِ الدُّنْيَا. |
| ثُمَّ سَارُوا إِلَى الْأَهْوَازِ فَأَقَامُوا بِهَا خَمْسَةً وَثَلَاثِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ هَرَبَ الْبَرِيدِيُّ مِنِ ابْنِ بُوَيْهِ إِلَى الْبَاسِيَّانِ ، فَكَاتَبَهُ بِعَتَبٍ كَثِيرٍ ، وَيَذْكُرُ غَدْرَهُ فِي هَرَبِهِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ هَرَبِهِ أَنَّ ابْنَ بُوَيْهِ طَلَبَ عَسْكَرَهُ الَّذِينَ بِالْبَصْرَةِ لِيَسِيرُوا إِلَى أَخِيهِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ بِأَصْبَهَانَ ، مَعُونَةً لَهُ عَلَى حَرْبِ وَشْمَكِيرَ ، فَأَحْضَرَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةَ آلَافٍ ، فَلَمَّا حَضَرُوا ، قَالَ لِمُعِزِّ الدَّوْلَةِ إِنْ أَقَامُوا ، وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الدَّيْلَمِ فِتْنَةٌ ، وَالرَّأْيُ أَنْ يَسِيرُوا إِلَى السُّوسِ ثُمَّ يَسِيرُوا إِلَى أَصْبَهَانَ ، فَأَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، ثُمَّ طَالَبَهُ بِأَنْ يُحْضِرَ عَسْكَرَهُ الَّذِينَ بِحِصْنِ مَهْدِيٍّ لِيُسَيِّرَهُمْ فِي الْمَاءِ إِلَى وَاسِطَ ، فَخَافَ الْبَرِيدِيُّ أَنْ يُعْمَلَ بِهِ مِثْلُ مَا عَمِلَ هُوَ بِيَاقُوتٍ. |
| وَكَانَ الدَّيْلَمُ يُهِينُونَهُ وَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهِ ، فَهَرَبَ وَأَمَرَ جَيْشَهُ الَّذِي بِالسُّوسِ ، فَسَارُوا إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَكَاتَبَ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ بِالْإِفْرَاجِ لَهُ عَنِ الْأَهْوَازِ حَتَّى يَتَمَكَّنَ مِنْ ضَمَانِهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ ضَمِنَ الْأَهْوَازَ وَالْبَصْرَةَ مِنْ عِمَادِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ ، كُلَّ سَنَةٍ بِثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَرَحَلَ عَنْهَا إِلَى عَسْكَرِ مُكْرَمٍ خَوْفًا مِنْ أَخِيهِ عِمَادِ الدَّوْلَةِ; لِئَلَّا يَقُولُ لَهُ كَسَرْتَ الْمَالَ ، فَانْتَقَلَ الْبَرِيدِيُّ إِلَى بَنَابَاذَ ، وَأَنْفَذَ خَلِيفَتَهُ إِلَى الْأَهْوَازِ ، وَأَنْفَذَ إِلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ يَذْكُرُ حَالَهُ وَخَوْفَهُ مِنْهُ ، وَيَطْلُبُ أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَى السُّوسِ مِنْ عَسْكَرِ مُكْرَمٍ; لِيَبْعُدَ عَنْهُ وَيَأْمَنَ بِالْأَهْوَازِ. |
| فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الصَّيْمَرِيُّ وَغَيْرُهُ إِنَّ الْبَرِيدِيَّ يُرِيدُ أَنْ يَفْعَلَ بِكَ كَمَا فَعَلَ بِيَاقُوتٍ ، وَيُفَرِّقَ أَصْحَابَكَ عَنْكَ ، ثُمَّ يَأْخُذَكَ فَيَتَقَرَّبَ بِكَ إِلَى بُجْكُمَ وَابْنِ رَائِقٍ ، وَيَسْتَعِيدَ أَخَاكَ لِأَجْلِكَ ، فَامْتَنَعَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ مِنْ ذَلِكَ. |
| وَعَلِمَ بُجْكُمُ بِالْحَالِ ، فَأَنْفَذَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَاسْتَوْلَوْا عَلَى السُّوسِ وَجُنْدَيْسَابُورَ ، وَبَقِيَتِ الْأَهْوَازُ بِيَدِ الْبَرِيدِيِّ ، وَلَمْ يَبْقَ بِيَدِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ مِنْ كُورِ الْأَهْوَازِ إِلَّا عَسْكَرُ مُكْرَمٍ ، فَاشْتَدَّ الْحَالُ عَلَيْهِ ، وَفَارَقَهُ بَعْضُ جُنْدِهِ ، وَأَرَادُوا الرُّجُوعَ إِلَى فَارِسَ ، فَمَنَعَهُمْ أَصْفَهَدُوَسْتُ وَمُوسَى قَيَاذَةَ ، هُمَا مِنْ أَكَابِرِ الْقُوَّادِ ، وَضَمِنَا لَهُمْ أَرْزَاقَهُمْ لِيُقِيمُوا شَهْرًا ، فَأَقَامُوا وَكَتَبَ إِلَى أَخِيهِ عِمَادِ الدَّوْلَةِ يُعَرِّفُهُ حَالَهُ ، فَأَنْفَذَ لَهُ جَيْشًا ، فَقَوِيَ بِهِمْ ، وَعَادَ فَاسْتَوْلَى عَلَى الْأَهْوَازِ ، وَهَرَبَ الْبَرِيدِيُّ إِلَى الْبَصْرَةِ وَاسْتَقَرَّ فِيهَا فَاسْتَقَرَّ ابْنُ بُوَيْهِ بِالْأَهْوَازِ. |
| وَأَقَامَ بُجْكُمُ بِوَاسِطَ طَامِعًا فِي الِاسْتِيلَاءِ عَلَى بَغْدَاذَ وَمَكَانِ ابْنِ رَائِقٍ ، وَلَا يُظْهِرُ لَهُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، وَأَنْفَذَ ابْنُ رَائِقٍ عَلِيَّ بْنَ خَلَفِ بْنِ طَيَّابٍ إِلَى بُجْكُمَ لِيَسِيرَ مَعَهُ إِلَى الْأَهْوَازِ وَيُخْرِجَ مِنْهَا ابْنَ بُوَيْهِ ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ كَانَتْ وَلَايَتُهَا لِبُجْكُمَ وَالْخَرَاجُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ خَلَفٍ ، فَلَمَّا وَصَلَ عَلِيٌّ إِلَى بُجْكُمَ بِوَاسِطَ اسْتَوْزَرَهُ بُجْكُمُ ، وَأَقَامَ مَعَهُ وَأَخَذَ بُجْكُمُ جَمِيعَ مَالِ وَاسِطَ. |
| وَلَمَّا رَأَى أَبُو الْفَتْحِ الْوَزِيرَ بِبَغْدَاذَ إِدْبَارَ الْأُمُورِ ، أَطْمَعَ ابْنَ رَائِقٍ فِي مِصْرَ وَالشَّامِ ، وَصَاهَرَهُ ، وَعَقَدَ بَيْنَهُ ابْنُ طُغْجَ عَهْدًا وَصِهْرًا ، وَقَالَ لِابْنِ رَائِقٍ أَنَا أَجْبِي إِلَيْكَ مَالَ مِصْرَ وَالشَّامِ إِنْ سَيَّرْتَنِي إِلَيْهِمَا ، فَأَمَرَهُ بِالتَّجَهُّزِ لِلْحَرَكَةِ ، فَفَعَلَ وَسَارَ أَبُو الْفَتْحِ إِلَى الشَّامِ فِي رَبِيعٍ الْآخَرِ. |
| ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ بُجْكُمَ وَالْبَرِيدِيِّ ، وَالصُّلْحِ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَّا أَقَامَ بُجْكُمُ بِوَاسِطَ وَعَظُمَ شَأْنُهُ ، خَافَهُ ابْنُ رَائِقٍ; لِأَنَّهُ ظَنَّ مَا فَعَلَهُ بُجْكُمُ مِنَ التَّغَلُّبِ عَلَى الْعِرَاقِ ، فَرَاسَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيِّ وَطَلَبَ مِنْهُ الصُّلْحَ عَلَى بُجْكُمَ ، فَإِذَا انْهَزَمَ تَسَلَّمَ الْبَرِيدِيُّ وَاسِطًا ، وَضَمِنَهَا بِسِتِّمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ فِي السَّنَةِ عَلَى أَنْ يُنْفِذَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَسْكَرًا. |
| فَسَمِعَ بُجْكُمُ بِذَلِكَ ، فَخَافَ وَاسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ فِي الَّذِي يَفْعَلُهُ ، فَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يَبْتَدِئَ بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيِّ ، وَأَنْ لَا يَهْجُمَ إِلَى حَضْرَةِ الْخِلَافَةِ ، وَلَا يُكَاشِفَ ابْنَ رَائِقٍ إِلَّا بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْبَرِيدِيِّ ، فَجَمَعَ عَسْكَرَهُ ، وَسَارَ إِلَى الْبَصْرَةِ يُرِيدُ الْبَرِيدِيَّ ، فَسَيَّرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ جَيْشًا بَلَغَتْ عِدَّتُهُمْ عَشَرَةَ آلَافِ رَجُلٍ ، عَلَيْهِمْ غُلَامُهُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدٌ الْحَمَّالُ ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ الْبَرِيدِيِّ ، وَلَمْ يَتْبَعْهُمْ بُجْكُمُ بَلْ كَفَّ عَنْهُمْ. |
| وَكَانَ الْبَرِيدِيُّونَ بِمَطَارَا يَنْتَظِرُونَ مَا يَنْكَشِفُ مِنَ الْحَالِ ، فَلَمَّا انْهَزَمَ عَسْكَرُهُمْ خَافُوا ، وَضَعُفَتْ نُفُوسُهُمْ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا رَأَى عَسْكَرَهُ سَالِمًا لَمْ يُقْتَلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ وَلَا غَرِقَ طَابَ قَلْبُهُ. |
| وَكَانَتْ نِيَّةُ بُجْكُمَ إِذْلَالَ الْبَرِيدِيِّ وَقَطْعَهُ عَنِ ابْنِ رَائِقٍ ، وَنَفْسُهُ مُعَلَّقَةٌ بِالْحَضْرَةِ ، فَأَرْسَلَ ثَانِيَ يَوْمِ الْهَزِيمَةِ إِلَى الْبَرِيدِيِّ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ مِمَّا جَرَى ، وَيَقُولُ لَهُ أَنْتَ بَدَأْتَ وَتَعَرَّضْتَ بِي ، وَقَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ وَعَنْ أَصْحَابِكَ ، وَلَوْ تَبِعْتُهُمْ لَغَرِقَ وَقُتِلَ أَكْثَرُهُمْ ، وَأَنَا أُصَالِحُكَ عَلَى أَنْ أُقَلِّدَكَ وَاسِطًا إِذَا مَلَكْتُ الْحَضْرَةَ ، وَأُصَاهِرَكَ ، فَسَجَدَ الْبَرِيدِيُّ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى ، وَحَلَفَ بُجْكُمُ وَتَصَالَحَا ، وَعَادَ إِلَى وَاسِطَ ، وَأَخَذَ فِي التَّدْبِيرِ عَلَى ابْنِ رَائِقٍ ، وَالِاسْتِيلَاءِ عَلَى الْحَضْرَةِ بِبَغْدَاذَ. |
| ذِكْرُ قَطَعِ يَدِ ابْنِ مُقْلَةَ وَلِسَانِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي مُنْتَصَفِ شَوَّالٍ قُطِعَتْ يَدُ الْوَزِيرِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ. |
| وَكَانَ سَبَبُ قَطْعِهَا أَنَّ الْوَزِيرَ أَبَا الْفَتْحِ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ الْفُرَاتِ لَمَّا عَجَزَ عَنِ الْوِزَارَةِ وَسَارَ إِلَى الشَّامِ ، اسْتَوْزَرَ الْخَلِيفَةُ الرَّاضِي بِاللَّهِ أَبَا عَلِيِّ بْنَ مُقْلَةَ ، وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ، إِنَّمَا الْأَمْرُ جَمِيعُهُ إِلَى ابْنِ رَائِقٍ ، وَكَانَ ابْنُ رَائِقٍ قَبَضَ أَمْوَالَ ابْنِ مُقْلَةَ وَأَمْلَاكَهُ ، وَأَمْلَاكَ ابْنِهِ ، فَخَاطَبَهُ فَلَمْ يَرُدَّهَا ، فَاسْتَمَالَ أَصْحَابَهُ ، وَسَأَلَهُمْ مُخَاطَبَتَهُ فِي رَدِّهَا ، فَوَعَدُوهُ ، فَلَمْ يَقْضُوا حَاجَتَهُ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ، سَعَى بِابْنِ رَائِقٍ ، فَكَاتَبَ بُجْكُمَ يُطَمِّعُهُ فِي مَوْضِعِ ابْنِ رَائِقٍ ، وَكَتَبَ إِلَى وَشْمَكِيرَ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَهُوَ بِالرَّيِّ ، وَكَتَبَ إِلَى الرَّاضِي يُشِيرُ عَلَيْهِ بِالْقَبْضِ عَلَى ابْنِ رَائِقٍ وَأَصْحَابِهِ ، وَيَضْمَنُ أَنَّهُ يَسْتَخْرِجُ مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ آلَافِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِاسْتِدْعَاءِ بُجْكُمَ وَإِقَامَتِهِ مَقَامَ ابْنِ رَائِقٍ ، فَأَطْمَعَهُ الرَّاضِي وَهُوَ كَارِهٌ لِمَا قَالَهُ ، فَعَجَّلَ ابْنُ مُقْلَةَ ، وَكَتَبَ إِلَى بُجْكُمَ يُعَرِّفُهُ إِجَابَةَ الرَّاضِي ، وَيَسْتَحِثُّهُ عَلَى الْحَرَكَةِ وَالْمَجِيءِ إِلَى بَغْدَاذَ. |
| وَطَلَبَ ابْنُ مُقْلَةَ مِنَ الرَّاضِي أَنْ يَنْتَقِلَ وَيُقِيمَ عِنْدَهُ بِدَارِ الْخِلَافَةِ إِلَى أَنْ يُتِمَّ عَلَى ابْنِ رَائِقٍ مَا اتَّفَقَا عَلَيْهِ ، فَأَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَحَضَرَ مُتَنَكِّرًا آخِرَ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ ، وَقَالَ إِنَّ الْقَمَرَ تَحْتَ الشُّعَاعِ ، وَهُوَ يَصْلُحُ لِلْأَسْرَارِ ، فَكَانَ عُقُوبَتُهُ حِينَ نَظَرَ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ أَنْ ذَاعَ سِرُّهُ وَشَهُرَ أَمْرُهُ ، فَلَمَّا حَصَلَ بِدَارِ الْخَلِيفَةِ لَمْ يُوصِلْهُ الرَّاضِي إِلَيْهِ ، وَاعْتَقَلَهُ فِي حُجْرَةٍ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ ، أَنْفَذَ إِلَى ابْنِ رَائِقٍ يُعَرِّفُهُ الْحَالَ ، وَيَعْرِضُ عَلَيْهِ خَطَّ ابْنِ مُقْلَةَ ، فَشَكَرَ الرَّاضِي ، وَمَا زَالَتِ الرُّسُلُ تَتَرَدَّدُ بَيْنَهُمَا فِي مَعْنَى ابْنِ مُقْلَةَ إِلَى مُنْتَصَفِ شَوَّالٍ ، فَأُخْرِجَ ابْنُ مُقْلَةَ مِنْ مَحْبَسِهِ ، وَقُطِعَتْ يَدُهُ ثُمَّ عُولِجَ فَبَرَأَ ، فَعَادَ يُكَاتِبُ الرَّاضِيَ ، وَيَخْطُبُ الْوِزَارَةَ ، وَيَذْكُرُ أَنَّ قَطْعَ يَدِهِ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ عَمَلِهِ ، وَكَانَ يَشُدُّ الْقَلَمَ عَلَى يَدِهِ الْمَقْطُوعَةِ وَيَكْتُبُ. |
| فَلَمَّا قَرُبَ بُجْكُمُ مِنْ بَغْدَاذَ ، سَمِعَ الْخَدَمَ يَتَحَدَّثُونَ بِذَلِكَ ، فَقَالَ إِنْ وَصَلَ بُجْكُمُ فَهُوَ يَسْتَخْلِصُنِي ، وَأُكَافِئُ ابْنَ رَائِقٍ ، وَصَارَ يَدْعُو عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ وَقَطَعَ يَدَهُ ، فَوَصَلَ خَبَرُهُ إِلَى الرَّاضِي وَإِلَى ابْنِ رَائِقٍ ، فَأَمَرَا بِقَطْعِ لِسَانِهِ ، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى مَحْبِسٍ ضَيِّقٍ ، ثُمَّ لَحِقَهُ ذَرَبٌ فِي الْحَبْسِ ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَنْ يَخْدِمُهُ ، فَآلَ الْحَالُ إِلَى أَنْ كَانَ يَسْتَقِي الْمَاءَ مِنَ الْبِئْرِ بِيَدِهِ الْيُسْرَى ، وَيُمْسِكُ الْحَبْلَ بِفِيهِ ، وَلَحِقَهُ شَقَاءٌ شَدِيدٌ إِلَى أَنْ مَاتَ ، وَدُفِنَ بِدَارِ الْخَلِيفَةِ ، ثُمَّ إِنَّ أَهْلَهُ سَأَلُوا فِيهِ ، فَنُبِشَ وَسُلِّمَ إِلَيْهِمْ ، فَدَفَنُوهُ فِي دَارِهِ ، ثُمَّ نُبِشَ فَنُقِلَ إِلَى دَارٍ أُخْرَى. |
| وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّهُ وَلِيَ الْوِزَارَةَ ثَلَاثَ دَفَعَاتٍ ، وَوَزَرَ لِثَلَاثَةِ خُلَفَاءَ ، وَسَافَرَ ثَلَاثَ سَفَرَاتٍ اثْنَتَيْنِ مَنْفِيًّا إِلَى شِيرَازَ ، وَوَاحِدَةً فِي وِزَارَتِهِ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَدُفِنَ بَعْدَ مَوْتِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَخُصَّ بِهِ مَنْ خَدَمَهُ ثَلَاثَةٌ. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ بُجْكُمَ عَلَى بَغْدَاذَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ دَخَلَ بُجْكُمُ بَغْدَاذَ ، وَلَقِيَ الرَّاضِيَ ، وَقُلِّدَ إِمْرَةَ الْأُمَرَاءِ مَكَانَ ابْنِ رَائِقٍ ، وَنَحْنُ نَذْكُرُ ابْتِدَاءً أَمْرَ بُجْكُمَ ، وَكَيْفَ بَلَغَ إِلَى هَذِهِ الْحَالِ ، فَإِنَّ بَعْضَ أَمْرِهِ قَدْ تَقَدَّمَ ، وَإِذَا افْتَرَقَ لَمْ يَحْصُلِ الْغَرَضُ مِنْهُ. |
| كَانَ بُجْكُمُ هَذَا مِنْ غِلْمَانِ أَبِي عَلِيٍّ الْعَارِضِ ، وَكَانَ وَزِيرًا لِمَاكَانَ بْنِ كَالِي الدَّيْلَمَيِّ ، فَطَلَبَهُ مِنْهُ مَاكَانُ ، فَوَهَبَهُ لَهُ ، ثُمَّ إِنَّهُ فَارَقَ مَاكَانَ مَعَ مَنْ فَارَقَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَالْتَحَقَ بِمَرْدَاوَيْجَ ، وَكَانَ فِي جُمْلَةِ مَنْ قَتَلَهُ ، وَسَارَ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَاتَّصَلَ بِابْنِ رَائِقٍ ، وَسَيَّرَهُ إِلَى الْأَهْوَازِ ، فَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا وَطَرَدَ الْبَرِيدِيَّ عَنْهَا. |
| ثُمَّ خَرَجَ الْبَرِيدِيُّ مَعَ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ مِنْ فَارِسَ إِلَى الْأَهْوَازِ ، فَأَخَذُوهَا مِنْ بُجْكُمَ ، وَانْتَقَلَ بُجْكُمُ مِنَ الْأَهْوَازِ إِلَى وَاسِطَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ ذَلِكَ مُفَصَّلًا ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِوَاسِطَ تَعَلَّقَتْ هِمَّتُهُ بِالِاسْتِيلَاءِ عَلَى حَضْرَةِ الْخَلِيفَةِ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُظْهِرُ التَّبَعِيَّةَ لِابنِ رَائِقٍ ، وَكَانَ عَلَى أَعْلَامِهِ وَتِرَاسِهِ بُجْكُمُ الرَّائِقِيُّ ، فَلَمَّا وَصَلَتْهُ كُتُبُ ابْنِ مُقْلَةَ يُعَرِّفُهُ أَنَّهُ قَدِ اسْتَقَرَّ مَعَ الرَّاضِي أَنْ يُقَلِّدَهُ إِمْرَةَ الْأُمَرَاءِ ، طَمِعَ فِي ذَلِكَ ، وَكَاشَفَ ابْنَ رَائِقٍ وَمَحَا نِسْبَتَهُ إِلَيْهِ مِنْ أَعْلَامِهِ ، وَسَارَ مِنْ وَاسِطَ نَحْوَ بَغْدَاذَ غُرَّةَ ذِي الْقِعْدَةِ. |
| وَاسْتَعَدَّ ابْنُ رَائِقٍ لَهُ ، وَسَأَلَ الرَّاضِيَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى بُجْكُمَ يَأْمُرُهُ بِالْعَوْدِ إِلَى وَاسِطَ ، فَكَتَبَ الرَّاضِي إِلَيْهِ ، وَسَيَّرَ الْكُتَّابَ ، فَلَمَّا قَرَأَهُ ، أَلْقَاهُ عَنْ يَدِهِ وَرَمَى بِهِ ، وَسَارَ حَتَّى نَزَلَ شَرْقِيَّ نَهَرَ دِيَالِي ، وَكَانَ أَصْحَابُ ابْنِ رَائِقٍ عَلَى غَرْبَيْهِ ، فَأَلْقَى أَصْحَابُ بُجْكُمَ نُفُوسَهُمْ فِي الْمَاءِ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ ابْنِ رَائِقٍ ، وَعَبَرَ أَصْحَابُ بُجْكُمَ وَسَارُوا إِلَى بَغْدَاذَ ، وَخَرَجَ ابْنُ رَائِقٍ عَنْهَا إِلَى عُكْبَرَا ، وَدَخَلَ بُجْكُمُ بَغْدَاذَ ثَالِثَ عَشَرَ ذِي الْقِعْدَةِ ، وَلَقِيَ الرَّاضِيَ مِنَ الْغَدِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَهُ أَمِيرَ الْأُمَرَاءِ ، وَكَتَبَ كُتُبًا عَنِ الرَّاضِي إِلَى الْقُوَّادِ الَّذِينَ مَعَ ابْنِ رَائِقٍ يَأْمُرُهُمْ بِالرُّجُوعِ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَفَارَقُوهُ جَمِيهُمْ وَعَادُوا. |
| فَلَمَّا رَأَى ابْنُ رَائِقٍ ذَلِكَ ، عَادَ إِلَى بَغْدَاذَ وَاسْتَتَرَ ، وَنَزَلَ بُجْكُمُ بِدَارَ مُؤْنِسٍ ، وَاسْتَقَرَّ أَمْرُهُ بِبَغْدَاذَ ، فَكَانَتْ مُدَّةُ إِمَارَةِ أَبِي بَكْرِ بْنِ رَائِقٍ سَنَةً وَاحِدَةً وَعَشَرَةَ أَشْهُرٍ وَسِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَمِنْ مَكْرِ بُجْكُمَ أَنَّهُ كَانَ يُرَاسِلُ ابْنَ رَائِقٍ عَلَى لِسَانِ أَبِي زَكَرِيَّاءَ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ السُّوسِيِّ ، قَالَ أَبُو زَكَرِيَّاءَ أَشَرْتُ عَلَى بُجْكُمَ أَنَّهُ لَا يُكَاشِفَ ابْنَ رَائِقٍ ، فَقَالَ لِمَ أَشَرْتَ بِهَذَا ؟ |
| فَقُلْتُ لَهُ إِنَّهُ قَدْ كَانَ لَهُ عَلَيْكَ رِئَاسَةٌ وَإِمْرَةٌ ، وَهُوَ أَقْوَى مِنْكَ وَأَكْثَرُ عَدَدًا ، وَالْخَلِيفَةُ مَعَهُ ، وَالْمَالُ عِنْدَهُ كَثِيرٌ ، فَقَالَ أَمَّا كَثْرَةُ رِجَالِهِ ، فَهُوَ جَوْزٌ فَارِغٌ ، وَقَدْ بَلَوْتُهُمْ ، فَمَا أُبَالِي بِهِمْ قَلُّوا أَمْ كَثُرُوا ، وَأَمَّا كَوْنُ الْخَلِيفَةِ مَعَهُ ، فَهَذَا لَا يَضُرُّنِي عِنْدَ أَصْحَابِي ، وَأَمَّا قِلَّةُ الْمَالِ مَعِي ، فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، قَدْ وَفَّيْتُ أَصْحَابِي مُسْتَحَقَّهُمْ ، وَمَعِي مَا يُسْتَظْهَرُ بِهِ ، فَكَمْ تَظُنُّ مَبْلَغَهُ ؟ |
| فَقُلْتُ لَا أَدْرِي. |
| فَقَالَ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، فَقُلْتُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَقَالَ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ، مَعِي خَمْسُونَ أَلْفَ دِينَارٍ لَا أَحْتَاجُ إِلَيْهَا. |
| فَلَمَّا اسْتَوْلَى عَلَى بَغْدَاذَ ، قَالَ لِي يَوْمًا أَتَذْكُرُ إِذْ قُلْتُ لَكَ مَعِي خَمْسُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ؟ |
| وَاللَّهِ لَمْ يَكُنْ مَعِي غَيْرُ خَمْسَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، فَقُلْتُ هَذَا يَدُلُّ عَلَى قِلَّةِ ثِقَتِكِ بِي ؟ |
| قَالَ لَا ، وَلَكِنَّكَ كُنْتَ رَسُولِي إِلَى ابْنِ رَائِقٍ ، فَإِذَا عَلِمْتَ قِلَّةَ الْمَالِ مَعِي ، ضَعُفَتْ نَفْسُكَ ، فَطَمِعَ الْعَدُوُّ فِينَا ، فَأَرَدْتُ أَنْ تَمْضِيَ إِلَيْهِ بِقَلْبٍ قَوِيٍّ ، فَتُكَلِّمَهُ بِمَا تَخْلَعُ بِهِ قَلْبَهُ وَتُضْعِفُ نَفْسَهُ. |
| قَالَ فَعَجِبْتُ مِنْ مَكْرِهِ وَعَقْلِهِ. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ لَشْكُرِيُّ عَلَى أَذْرَبِيجَانَ وَقَتْلِهِ وَفِيهَا تَغَلَّبَ لَشْكُرِيُّ بْنُ مُرْدَى عَلَى أَذْرَبِيجَانَ ، وَلَشْكُرِيُّ هَذَا أَعْظَمُ مِنَ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، فَإِنَّ هَذَا كَانَ خَلِيفَةُ وَشْمَكِيرَ عَلَى أَعْمَالِ الْجَبَلِ ، فَجَمَعَ مَالًا وَرِجَالًا وَسَارَ إِلَى أَذْرَبِيجَانَ ، وَبِهَا يَوْمَئِذٍ دَيْسَمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْكُرْدِيُّ ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ أَبِي السَّاجِ ، فَجَمَعَ عَسْكَرًا وَتَحَارَبَ هُوَ وَلَشْكُرِيُّ ، فَانْهَزَمَ دَيْسَمُ ، ثُمَّ عَادَ وَجَمَعَ ، وَتَصَافَّا مَرَّةً ثَانِيَةً ، فَانْهَزَمَ أَيْضًا وَاسْتَوْلَى لَشْكُرِيُّ عَلَى بِلَادِهِ إِلَّا أَرْدَبِيلَ ، فَإِنَّ أَهْلَهَا امْتَنَعُوا بِهَا لِحَصَانَتِهَا ، وَلَهُمْ بَأْسٌ وَنَجْدَةٌ ، وَهِيَ دَارُ الْمَمْلَكَةِ بِأَذْرَبِيجَانَ ، فَرَاسَلَهُمْ لَشْكُرِيُّ ، وَوَعَدَهُمُ الْإِحْسَانَ لِمَا كَانَ يَبْلُغُهُمْ مِنْ سُوءِ سِيرَةِ الدَّيْلَمِ مَعَ بِلَادِ الْجَبَلِ هَمَذَانَ وَغَيْرِهَا ، فَحَصَرَهُمْ وَطَالَ الْحِصَارُ ، ثُمَّ صَعِدَ أَصْحَابُهُ السُّورَ وَنَقَبُوهُ أَيْضًا فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ وَدَخَلُوا الْبَلَدَ. |
| وَكَانَ لَشْكُرِيُّ يُدْخِلُهُ نَهَارًا ، وَيُخْرِجُ مِنْهُ لَيْلًا إِلَى عَسْكَرِهِ ، فَبَادَرَ أَهْلُ الْبَلَدِ وَأَصْلَحُوا ثَلْمَ السُّورِ ، وَأَظْهَرُوا الْعِصْيَانَ ، وَعَاوَدُوا الْحَرْبَ ، فَنَدَمَ عَلَى التَّفْرِيطِ وَإِضَاعَةِ الْحَزْمِ ، فَأَرْسَلَ أَهْلُ أَرْدَبِيلَ إِلَى دَيْسَمَ يَعَرِّفُونَهُ الْحَالَ وَيُوَاعِدُونَهُ يَوْمًا يَجِيءُ فِيهِ لِيَخْرُجُوا فِيهِ إِلَى قِتَالِ لَشْكُرِيِّ ، وَيَأْتِي هُوَ مِنْ وَرَائِهِ ، فَفَعَلَ وَسَارَ نَحْوَهُمْ ، وَظَهَرُوا يَوْمَ الْمَوْعِدِ فِي عَدَدٍ كَثِيرٍ ، وَقَاتَلُوا لَشْكُرِيَّ ، وَأَتَاهُ دَيْسَمُ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِهِ ، فَانْهَزَمَ أَقْبَحَ هَزِيمَةٍ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَانْحَازَ إِلَى مُوقَانَ ، فَأَكْرَمَهُ أَصْبَهْبَذُهَا وَيُعْرَفُ بِابْنِ دَوْلَةٍ ، وَأَحْسَنَ ضِيَافَتَهُ. |
| وَجَمَعَ لَشْكُرِيُّ وَسَارَ نَحْوَ دَيْسَمَ ، وَسَاعَدَهُ ابْنُ دَوْلَةٍ ، فَهَرَبَ دَيْسَمُ وَعَبَرَ نَهْرَ أُرْسَ ، وَعَبَرَ بَعْضُ أَصْحَابِ لَشْكُرِيِّ إِلَيْهِ ، فَانْهَزَمَ دَيْسَمُ ، وَقَصَدَ وَشْمَكِيرَ ، وَهُوَ بِالرَّيِّ ، وَخَوَّفَهُ مَنْ لَشْكُرِيِّ ، وَبَذَلَ لَهُ مَالًا كُلَّ سَنَةٍ لِيُسَيِّرَ مَعَهُ عَسْكَرًا ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ وَسَيَّرَ مَعَهُ عَسْكَرًا ، وَكَاتَبَ عَسْكَرُ لَشْكُرِيِّ وَشْمَكِيرَ يُعْلِمُونَهُ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ طَاعَتِهِ ، وَأَنَّهُمْ مَتَى رَأَوْا عَسْكَرَهُ صَارُوا مَعَهُ عَلَى لَشْكُرِيِّ ، فَظَفِرَ لَشْكُرِيُّ بِالْكُتُبِ ، فَكَتَمَ ذَلِكَ عَنْهُمْ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهُ عَسْكَرُ وَشْمَكِيرَ ، جَمَعَ أَصْحَابَهُ وَأَعْلَمَهُمْ ذَلِكَ وَأَنَّهُ لَا يَقْوَى بِهِمْ ، وَأَنَّهُ يَسِيرُ بِهِمْ نَحْوَ الزَّوْزَانَ ، وَيَنْهَبُ مَنْ عَلَى طَرِيقِهِ مِنَ الْأَرْمَنِ ، وَيَسِيرُ نَحْوَ الْمَوْصِلِ وَيَسْتَوْلِي عَلَيْهَا وَعَلَى غَيْرِهَا ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَسَارَ بِهِمْ إِلَى أَرْمِينِيَّةَ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ، فَنَهَبَ وَغَنِمَ وَسَبَى ، وَانْتَهَى إِلَى الزَّوْزَانَ وَمَعَهُمُ الْغَنَائِمُ ، فَنَزَلَ بِوَلَايَةِ إِنْسَانٍ أَرْمَنِيٍّ ، وَبَذَلَ لَهُ مَالًا لِيَكُفَّ عَنْهُ وَعَنْ بِلَادِهِ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْأَرْمَنِيَّ كَمَنَ كَمِينًا فِي مَضِيقٍ هُنَاكَ ، وَأَمَرَ بَعْضَ الْأَرْمَنَ أَنْ يَنْهَبَ شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِ لَشْكُرِيَّ وَيَسْلُكُ ذَلِكَ الْمَضِيقَ ، فَفَعَلُوا ، وَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى لَشْكُرِيَّ ، فَرَكِبَ فِي خَمْسَةِ أَنْفُسٍ ، فَسَارَ وَرَاءَهُمْ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِ الْكَمِينُ فَقَتَلُوهُ وَمَنْ مَعَهُ ، وَلَحِقَهُ عَسْكَرُهُ ، فَرَأَوْهُ قَتِيلًا وَمَنْ مَعَهُ ، فَعَادُوا وَوَلَّوْا عَلَيْهِمُ ابْنَهُ لَشْكُرِسْتَانَ ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَسِيرُوا عَلَى عَقَبَةِ التِّنِّينِ ، وَهِيَ تُجَاوِزُ الْجُودِيَّ ، وَيُحْرِزُوا سَوَادَهُمْ ، وَيَرْجِعُوا إِلَى بَلَدِ طَرْمَ الْأَرْمَنِيِّ فَيُدْرِكُوا آثَارَهُمْ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ طَرْمَ ، فَرَتَّبَ الرِّجَالَ عَلَى تِلْكَ الْمَضَايِقِ يَرْمُونَهُمْ بِالْحِجَارَةِ ، وَيَمْنَعُونَهُمُ الْعُبُورَ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَسَلِمَ الْقَلِيلُ مِنْهُمْ ، وَفِيمَنْ سَلِمَ لَشْكُرِسْتَانُ ، وَسَارَ فِيمَنْ مَعَهُ إِلَى نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ بِالْمَوْصِلِ ، فَأَقَامَ بَعْضُهُمْ عِنْدَهُ وَانْحَدَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَغْدَاذَ. |
| فَأَمَّا الَّذِينَ أَقَامُوا بِالْمَوْصِلِ ، فَسَيَّرَهُمْ مَعَ ابْنِ عَمِّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ حَمْدَانَ إِلَى مَا بِيَدِهِ مِنْ أَذْرَبِيجَانَ لَمَّا أَقْبَلَ نَحْوَهُ دَيْسَمُ لِيَسْتَوْلِيَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مِنْ قِبَلِ ابْنِ عَمِّهِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ عَلَى مُعَاوِنِ أَذْرَبِيجَانَ ، فَقَصَدَهُ دَيْسَمُ وَقَاتَلَهُ ، فَلَمْ يَكُنْ لِابْنِ حَمْدَانَ بِهِ طَاقَةٌ ، فَفَارَقَ أَذْرَبِيجَانَ ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا دَيْسَمُ. |
| ذِكْرُ اخْتِلَالِ أُمُورِ الْقَرَامِطَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فَسَدَ حَالُ الْقَرَامِطَةِ ، وَقَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ ابْنُ سَنْبَرٍ ، وَهُوَ مِنْ خَوَاصِّ أَبِي سَعِيدٍ الْقُرْمُطِيِّ وَالْمَطَّلِعِينَ عَلَى سِرِّهِ ، وَكَانَ لَهُ عَدُوٌّ مِنَ الْقَرَامِطَةِ اسْمُهُ أَبُو حَفْصٍ الشَّرِيكُ ، فَعَمَدَ ابْنُ سَنْبَرٍ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْبَهَانَ ، وَقَالَ لَهُ إِذَا مَلَّكْتُكَ أَمْرَ الْقَرَامِطَةِ ، أُرِيدُ مِنْكَ أَنْ تَقْتُلَ عَدُوِّي أَبَا حَفْصٍ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ وَعَاهَدَهُ عَلَيْهِ ، فَأَطْلَعَهُ عَلَى أَسْرَارِ أَبِي سَعِيدٍ ، وَعَلَامَاتٍ كَانَ يَذْكُرُ أَنَّهَا فِي صَاحِبِهِمُ الَّذِي يَدْعُونَ إِلَيْهِ ، فَحَضَرَ عِنْدَ أَوْلَادِ أَبِي سَعِيدٍ ، وَذَكَرَ لَهُمْ ذَلِكَ ، فَقَالَ أَبُو طَاهِرٍ هَذَا الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ ، فَأَطَاعُوهُ ، وَدَانُوا لَهُ ، حَتَّى كَانَ يَأْمُرُ الرَّجُلَ بِقَتْلِ أَخِيهِ فَيَقْتُلُهُ ، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ رَجُلًا يَقُولُ لَهُ إِنَّهُ مَرِيضٌ ، يَعْنِي أَنَّهُ قَدْ شَكَّ فِي دِينِهِ ، وَيَأْمُرُ بِقَتْلِهِ. |
| وَبَلَغَ أَبَا طَاهِرٍ أَنَّ الْأَصْبَهَانَيَّ يُرِيدُ قَتْلَهُ لِيَتَفَرَّدَ بِالْمُلْكِ ، فَقَالَ لِإِخْوَتِهِ لَقَدْ أَخْطَأْنَا فِي هَذَا الرَّجُلِ ، وَسَأَكْشِفُ حَالَهُ ، فَقَالَ لَهُ إِنَّ لَنَا مَرِيضًا ، فَانْظُرْ إِلَيْهِ لِيَبْرَأَ ، فَحَضَرُوا وَأَضْجَعُوا وَالِدَتَهُ وَغَطَّوْهَا بِإِزَارٍ ، فَلَمَّا رَآهَا قَالَ إِنَّ هَذَا الْمَرِيضَ لَا يَبْرَأُ فَاقْتُلُوهُ ، فَقَالُوا لَهُ كَذَبْتَ ، هَذِهِ وَالِدَتُهُ ، ثُمَّ قَتَلُوهُ بَعْدَ أَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ عُظَمَائِهِمْ وَشُجْعَانِهِمْ. |
| وَكَانَ هَذَا سَبَبُ تَمَسُّكِهِمْ بِهَجَرَ ، وَتَرْكِ قَصْدِ الْبِلَادِ ، وَالْإِفْسَادِ فِيهَا. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ الْفِدَاءُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالرُّومِ فِي ذِي الْقِعْدَةِ ، وَكَانَ الْقَيِّمُ بِهِ ابْنُ وَرْقَاءَ الشَّيْبَانِيُّ ، وَكَانَ عِدَّةُ مَنْ فَوِدِيَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سِتَّةَ آلَافٍ وَثَلَاثَمِائَةٍ مِنْ بَيْنِ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَكَانَ الْفِدَاءُ عَلَى نَهَرِ الْبَدْنَدُونِ. |
| وَفِيهَا وُلِدَ الصَّاحِبُ أَبُو الْقَاسِمِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبَّادٍ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ مَسِيرِ الرَّاضِي وَبُجْكُمَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَظُهُورِ ابْنِ رَائِقٍ وَمَسِيرِهِ إِلَى الشَّامِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي الْمُحَرَّمِ سَارَ الرَّاضِي بِاللَّهِ وَبُجْكُمُ إِلَى الْمَوْصِلِ وَدِيَارِ رَبِيعَةَ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ بْنَ حَمْدَانَ أَخَّرَ الْمَالَ الَّذِي عَلَيْهِ مِنْ ضَمَانِ الْبِلَادِ الَّتِي بِيَدِهِ ، فَاغْتَاظَ الرَّاضِي مِنْهُ لِسَبَبِ ذَلِكَ ، فَسَارَ هُوَ وَبُجْكُمُ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَمَعَهُمَا قَاضِي الْقُضَاةِ أَبُو الْحُسَيْنِ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، فَلَمَّا بَلَغُوا تَكْرِيتَ أَقَامَ الرَّاضِي بِهَا ، وَسَارَ بُجْكُمُ ، فَلَقِيَهُ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ بِالْكَحِيلِ عَلَى سِتَّةِ فَرَاسِخَ مِنَ الْمَوْصِلِ ، فَاقْتَتَلُوا ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، وَسَارُوا إِلَى نَصِيبِينَ ، وَتَبِعَهُمْ بُجْكُمُ وَلَمْ يَنْزِلْ بِالْمَوْصِلِ. |
| فَلَمَّا بَلَغَ نَصِيبِينَ سَارَ ابْنُ حَمْدَانَ إِلَى آمِدَ ، وَكَتَبَ بُجْكُمُ إِلَى الرَّاضِي بِالْفَتْحِ ، فَسَارَ مِنْ تَكْرِيتَ فِي الْمَاءِ يُرِيدُ الْمَوْصِلَ ، وَكَانَ مَعَ الرَّاضِي جَمَاعَةٌ مِنَ الْقَرَامِطَةِ ، فَانْصَرَفُوا عَنْهُ إِلَى بَغْدَاذَ قَبْلَ وُصُولِ كِتَابِ بُجْكُمَ ، وَكَانَ ابْنُ رَائِقٍ يُكَاتِبُهُمْ ، فَلَمَّا بَلَغُوا بَغْدَاذَ ظَهَرَ ابْنُ رَائِقٍ مِنِ اسْتِتَارِهِ وَاسْتَوْلَى عَلَى بَغْدَاذَ ، وَلَمْ يَعْرِضْ لِدَارِ الْخَلِيفَةِ. |
| وَبَلَغَ الْخَبَرَ إِلَى الرَّاضِي ، فَأُصْعِدَ مِنَ الْمَاءِ إِلَى الْبَرِّ ، وَسَارَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَكَتَبَ إِلَى بُجْكُمَ بِذَلِكَ ، فَعَادَ عَنْ نَصِيبِينَ ، فَلَمَّا بَلَغَ خَبَرَ عَوْدِهِ إِلَى نَاصِرِ الدَّوْلَةِ سَارَ مِنْ آمِدَ إِلَى نَصِيبِينَ ، فَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا وَعَلَى دِيَارِ رَبِيعَةَ ، فَقَلِقَ بُجْكُمُ لِذَلِكَ ، وَتَسَلَّلَ أَصْحَابُهُ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَاحْتَاجَ أَنْ يَحْفَظَ أَصْحَابَهُ ، وَقَالَ قَدْ حَصَلَ الْخَلِيفَةُ وَأَمِيرُ الْأُمَرَاءِ عَلَى قَصَبَةِ الْمَوْصِلِ حَسْبُ. |
| وَأَنْفَذَ ابْنُ حَمْدَانَ قَبْلَ أَنْ يَتَّصِلَ بِهِ خَبَرُ ابْنِ رَائِقٍ ، يَطْلُبُ الصُّلْحَ وَيُعَجِّلُ خَمْسَمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَفَرِحَ بُجْكُمُ بِذَلِكَ ، وَأَنْهَاهُ إِلَى الرَّاضِي ، فَأَجَابَ إِلَيْهِ ، وَاسْتَقَرَّ الصُّلْحُ بَيْنَهُمْ ، وَانْحَدَرَ الرَّاضِي وَبُجْكُمُ إِلَى بَغْدَاذَ. |
| وَكَانَ قَدْ رَاسَلَهُمُ ابْنُ رَائِقٍ مَعَ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ شَيْرَزَادَ يَلْتَمِسُ الصُّلْحَ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ إِلَى الْمَوْصِلِ وَأَدَّى الرِّسَالَةَ إِلَى بُجْكُمَ ، فَأَكْرَمَهُ بُجْكُمُ وَأَنْزَلَهُ مَعَهُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَقَدَّمَهُ إِلَى الرَّاضِي فَأَبْلَغَهُ الرِّسَالَةَ أَيْضًا ، فَأَجَابَهُ الرَّاضِي وَبُجْكُمُ إِلَى مَا طَلَبَ ، وَأَرْسَلَ فِي جَوَابِ رِسَالَتِهِ قَاضِيَ الْقُضَاةِ أَبَا الْحُسَيْنِ عُمَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ ، وَقَلَّدَهُ طَرِيقَ الْفُرَاتِ وَدِيَارَ مُضَرَ حَرَّانَ ، وَالرُّهَا ، وَمَا جَاوَرَهَا ، وَجُنْدَ قِنَّسْرِينَ ، وَالْعَوَاصِمَ ، فَأَجَابَ ابْنُ رَائِقٍ أَيْضًا إِلَى هَذِهِ الْقَاعِدَةِ ، وَسَارَ عَنْ بَغْدَاذَ إِلَى وَلَايَتِهِ ، وَدَخَلَ الرَّاضِي وَبُجْكُمُ بَغْدَاذَ تَاسِعَ رَبِيعٍ الْآخَرِ. |
| ذِكْرُ وِزَارَةِ الْبَرِيدِيِّ لِلْخَلِيفَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ الْوَزِيرُ أَبُو الْفَتْحِ الْفَضْلُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الْفُرَاتِ بِالرَّمْلَةِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا سَبَبَ مَسِيرِهِ إِلَى الشَّامِ ، فَكَانَتْ وِزَارَتُهُ سَنَةً وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا ، وَلَمَّا سَارَ إِلَى الشَّامِ ، اسْتَنَابَ بِالْحَضْرَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَلِيٍّ النُّقُرِيِّ. |
| وَكَانَ بُجْكُمُ قَدْ قَبَضَ عَلَى وَزِيرِهِ عَلِيِّ بْنِ خَلَفِ بْنِ طِيَّابٍ ، فَاسْتَوْزَرَ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى بْنَ شَيْرَزَادَ ، فَسَعَى أَبُو جَعْفَرٍ فِي الصُّلْحِ بَيْنَ بُجْكُمَ وَالْبَرِيدِيِّ ، فَتَمَّ ذَلِكَ ، ثُمَّ ضَمِنَ الْبَرِيدِيُّ أَعْمَالَ وَاسِطَ بِسِتِّمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ كُلَّ سَنَةٍ ، ثُمَّ شَرَعَ ابْنُ شَيْرَزَادَ أَيْضًا بَعْدَ مَوْتِ أَبِي الْفَتْحِ الْوَزِيرِ بِالرَّمْلَةِ فِي تَقْلِيدِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيِّ الْوِزَارَةَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الرَّاضِي فِي ذَلِكَ ، فَأَجَابَ إِلَيْهِ فِي رَجَبٍ ، وَاسْتَنَابَ بِالْحَضْرَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَلِيٍّ النُّقُرِيَّ أَيْضًا كَمَا كَانَ يُخْلِفُ أَبَا الْفَتْحِ. |
| ذِكْرُ مُخَالَفَةِ بِالُبَا عَلَى الْخَلِيفَةِ كَانَ بُجْكُمُ قَدِ اسْتَنَابَ بَعْضَ قُوَّادِهِ الْأَتْرَاكِ وَيُعْرَفُ بِبَالُبَا عَلَى الْأَنْبَارِ ، فَكَاتَبَهُ يَطْلُبُ أَنْ يُقَلَّدَ أَعْمَالَ طَرِيقِ الْفُرَاتِ بِأَسْرِهَا لِيَكُونَ فِي وَجْهِ ابْنِ رَائِقٍ وَهُوَ بِالشَّامِ ، فَقَلَّدَهُ بُجْكُمُ ذَلِكَ ، فَسَارَ إِلَى الرَّحْبَةِ ، وَكَاتَبَ ابْنَ رَائِقٍ ، وَخَالَفَ عَلَى بُجْكُمَ وَالرَّاضِي ، وَأَقَامَ الدَّعْوَةَ لِابنِ رَائِقٍ وَعَظُمَ أَمْرُهُ. |
| فَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى بُجْكُمَ فَسَيَّرَ طَائِفَةً مِنْ عَسْكَرِهِ وَأَمَرَهَمْ بِالْجِدِّ ، وَأَنْ يَطْوُوا الْمَنَازِلَ وَيَسْبِقُوا خَبَرَهُمْ وَيَكْبِسُوا بِالرَّحْبَةِ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، فَوَصَلُوا إِلَى الرَّحْبَةِ فِي خَمْسَةِ أَيَّامٍ ، وَدَخَلُوهَا عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ بَالُبَا ، وَهُوَ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ الْخَبَرُ ، اخْتَفَى عِنْدَ إِنْسَانٍ حَائِكٍ ، ثُمَّ ظَفِرُوا بِهِ فَأَخَذُوهُ وَأَدْخَلُوهُ بَغْدَاذَ عَلَى جَمَلٍ ثُمَّ حُبِسَ ، فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ. |
| ذِكْرُ وَلَايَةِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُحْتَاجٍ خُرَاسَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَعْمَلَ الْأَمِيرُ السَّعِيدُ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ عَلَى خُرَاسَانَ وَجُيُوشِهَا أَبَا عَلِيٍّ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُظَفَّرِ بْنِ مُحْتَاجٍ ، وَعَزَلَ أَبَاهُ وَاسْتَقْدَمَهُ إِلَى بُخَارَى. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا طَالَ بِهِ ، فَأَنْفَذَ السَّعِيدَ فَأَحْضَرَ ابْنَهُ أَبَا عَلِيٍّ مِنَ الصَّغَانِيَانِ ، وَاسْتَعْمَلَهُ مَكَانَ أَبِيهِ ، وَسَيَّرَهُ إِلَى نَيْسَابُورَ ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِيهِ يَسْتَدْعِيهِ إِلَيْهِ ، فَسَارَ عَنْ نَيْسَابُورَ ، فَلَقِيَهُ وَلَدُهُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاحِلَ مِنْ نَيْسَابُورَ ، فَعَرَّفَهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ ، وَسَارَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى بُخَارَى مَرِيضًا ، وَدَخَلَ وَلَدُهُ أَبُو عَلِيٍّ نَيْسَابُورَ أَمِيرًا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ. |
| وَكَانَ أَبُو عَلِيٍّ عَاقِلًا شُجَاعًا حَازِمًا ، فَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، يَسْتَعِدُّ لِلْمَسِيرِ إِلَى جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ ، وَسَنَذْكُرُ ذَلِكَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. |
| ذِكْرُ غَلَبَةِ وَشْمَكِيرَ عَلَى أَصْبَهَانَ وَأَلَمُوتَ وَفِيهَا أَرْسَلَ وَشْمَكِيرُ بْنُ زِيَارَ أَخُو مَرْدَاوَيْجَ جَيْشًا كَثِيفًا مِنَ الرَّيِّ إِلَى أَصْبَهَانَ ، وَبِهَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ بُوَيْهِ ، وَهُوَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ ، فَأَزَالُوهُ عَنْهَا وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا ، وَخَطَبُوا فِيهَا لِوَشْمَكِيرَ ، ثُمَّ سَارَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ إِلَى بِلَادِ فَارِسَ ، فَنَزَلَ بِظَاهِرِ إِصْطَخْرَ ، وَسَارَ وَشْمَكِيرُ إِلَى قَلْعَةِ أَلَمُوتَ ، فَمَلَكَهَا وَعَادَ عَنْهَا ، وَسَيَرِدُ مِنْ أَخْبَارِهِمَا سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ مَا تَقِفُ عَلَيْهِ. |
| ذِكْرُ الْفِتْنَةِ بِالْأَنْدَلُسِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَصَى أُمَيَّةُ بْنُ إِسْحَاقَ بِمَدِينَةِ شَنْتَرِينَ ، عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأُمَوِيِّ صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ لَهُ أَخٌ اسْمُهُ أَحْمَدُ ، وَكَانَ وَزِيرًا لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَقَتَلَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَكَانَ أُمَيَّةُ بِشَنْتَرِينَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ عَصَى فِيهَا ، وَالْتَجَأَ إِلَى رُدْمِيرَ مَلِكِ الْجَلَالِقَةِ ، وَدَلَّهُ عَلَى عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ خَرَجَ أُمَيَّةُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ يَتَصَيَّدُ ، فَمَنَعَهُ أَصْحَابُهُ مِنْ دُخُولِ الْبَلَدِ ، فَسَارَ إِلَى رُدْمِيرَ فَاسْتَوْزَرَهُ. |
| وَغَزَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِلَادَ الْجَلَالِقَةِ ، فَالْتَقَى هُوَ وَرُدْمِيرُ هَذِهِ السَّنَةَ ، فَانْهَزَمَتِ الْجَلَالِقَةُ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَحَصَرَهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْجَلَالِقَةَ خَرَجُوا عَلَيْهِ وَظَفِرُوا بِهِ وَبِالْمُسْلِمِينَ ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَأَرَادَ اتِّبَاعَهُمْ ، فَمَنَعَهُ أُمَيَّةُ وَخَوَّفَهُ الْمُسْلِمِينَ وَرَغَّبَهُ فِي الْخَزَائِنِ وَالْغَنِيمَةِ. |
| وَعَادَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَعْدَ هَذِهِ الْوَقْعَةِ ، فَجَهَّزَ الْجُيُوشَ إِلَى بِلَادِ الْجَلَالِقَةِ ، فَأَلَحُّوا عَلَيْهِمْ بِالْغَارَاتِ ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ أَضْعَافَ مَا قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ إِنَّ أُمَيَّةَ اسْتَأْمَنَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَأَكْرَمَهُ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ انْكَسَفَ الْقَمَرُ جَمِيعُهُ فِي صَفَرٍ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ الرَّازِيُّ صَاحِبُ" الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ ". |
| وَعُثْمَانُ بْنُ الْخَطَّابِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَبُو الدُّنْيَا الْمَعْرُوفُ بِالْأَشَجِّ الَّذِي يُقَالُ إِنَّهُ لَقِيَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ. |
| وَقِيلَ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَهُ ، وَيُكَنُّونَهُ أَبَا الْحَسَنِ آخِرَ أَيَّامِهِ ، وَلَهُ صَحِيفَةٌ تُرْوَى عَنْهُ وَلَا تَصِحُّ ، وَقَدْ رَوَاهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ مَعَ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِضَعْفِهَا. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَهْلٍ أَبُو بَكْرٍ الْخَرَائِطِيُّ صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْمَشْهُورَةِ ، كَاعْتِلَالِ الْقُلُوبِ وَغَيْرِهِ ، بِمَدِينَةِ يَافَا. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ أَبِي عَلِيٍّ عَلَى جُرْجَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي الْمُحَرَّمِ ، سَارَ أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُحْتَاجٍ فِي جَيْشِ خُرَاسَانَ مِنْ نَيْسَابُورَ إِلَى جُرْجَانَ ، وَكَانَ بِجُرْجَانَ مَاكَانُ بْنُ كَالِي قَدْ خَلَعَ طَاعَةَ الْأَمِيرِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ ، فَوَجَدَهُمْ أَبُو عَلِيٍّ قَدْ غَوَّرُوا الْمِيَاهَ ، فَعَدَلَ عَنِ الطَّرِيقِ إِلَى غَيْرِهِ ، فَلَمْ يَشْعُرُوا بِهِ ، حَتَّى نَزَلَ عَلَى فَرْسَخٍ مِنْ جُرْجَانَ ، فَحَصَرَ مَاكَانَ بِهَا ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِ ، وَقَطَعَ الْمِيرَةَ عَنِ الْبَلَدِ ، فَاسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِ مَاكَانَ ، وَضَاقَ الْحَالُ بِمَنْ بَقِيَ بِجُرْجَانَ حَتَّى صَارَ الرَّجُلُ يَقْتَصِرُ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى حَفْنَةِ سِمْسِمٍ ، أَوْ كَيْلَةٍ مِنْ كُسْبٍ ، أَوْ بَاقَةِ بَقْلٍ. |
| وَاسْتَمَدَّ مَاكَانُ مِنْ وَشْمَكِيرَ وَهُوَ بِالرَّيِّ ، فَأَمَدَّهُ بِقَائِدٍ مِنْ قُوَّادِهِ يُقَالُ لَهُ شَيْرَحُ بْنُ النُّعْمَانِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى جُرْجَانَ وَرَأَى الْحَالَ ، شَرَعَ فِي الصُّلْحِ بَيْنَ أَبِي عَلِيٍّ وَبَيْنَ مَاكَانَ بْنِ كَالِي; لِيَجْعَلَ لَهُ طَرِيقًا يَنْجُوَ فِيهِ ، فَفَعَلَ أَبُو عَلِيٍّ ذَلِكَ ، وَهَرَبَ مَاكَانُ إِلَى طَبَرِسْتَانَ ، وَاسْتَوْلَى أَبُو عَلِيٍّ عَلَى جُرْجَانَ فِي أَوَاخِرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سِيمَجُورَ الدَّوَاتِيُّ ، بَعْدَ أَنْ أَصْلَحَ حَالَهَا وَأَقَامَ بِهَا إِلَى الْمُحَرَّمِ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَسَارَ إِلَى الرَّيِّ عَلَى مَا نَذْكُرُهُ. |
| ذِكْرُ مَسِيرِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ إِلَى وَاسِطَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ بُوَيْهِ إِلَى وَاسِطَ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيَّ أَنْفَذَ جَيْشًا إِلَى السُّوسِ ، وَقَتَلَ قَائِدًا مِنَ الدَّيْلَمِ ، فَتَحَصَّنَ أَبُو جَعْفَرٍ الصَّيْمَرِيُّ بِقَلْعَةِ السُّوسِ ، وَكَانَ عَلَى خَرَاجِهَا. |
| وَكَانَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ بُوَيْهِ بِالْأَهْوَازِ ، فَخَافَ أَنْ يَسِيرَ إِلَيْهِ الْبَرِيدِيُّ مِنَ الْبَصْرَةِ ، فَكَتَبَ إِلَى أَخِيهِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، وَهُوَ بِبَابِ إِصْطَخْرَ قَدْ عَادَ مِنْ أَصْبَهَانَ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، فَلَمَّا أَتَاهُ كِتَابُ أَخِيهِ سَارَ إِلَيْهِ مُجِدًّا يَطْوِي الْمَنَازِلَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى السُّوسِ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى وَاسِطَ لِيَسْتَوْلِيَ عَلَيْهَا إِذْ كَانَ قَدْ خَرَجَ عَنْ أَصْبَهَانَ ، وَلَيْسَ لَهُ مُلْكٌ لِيَسْتَقِلَّ بِهِ ، فَنَزَلَ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ، وَكَانَ البَّرِيدِيُّونَ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ، فَاضْطَرَبَ رِجَالُ ابْنِ بُوَيْهِ ، فَاسْتَأْمَنَ مِنْهُمْ مِائَةُ رَجُلٍ إِلَى الْبَرِيدِيِّ. |
| ثُمَّ سَارَ الرَّاضِي وَبُجْكُمُ مِنْ بَغْدَاذَ نَحْوَ وَاسِطَ لِحَرْبِهِ ، فَخَافَ أَنْ يَكْثُرَ الْجَمْعُ عَلَيْهِ وَيَسْتَأْمِنَ رِجَالُهُ فَيَهْلَكُ; لِأَنَّهُ كَانَ لَهُ سَنَةٌ لَمْ يُنْفِقْ فِيهِمْ مَالًا ، فَعَادَ مِنْ وَاسِطَ إِلَى الْأَهْوَازِ ثُمَّ إِلَى رَامَهُرْمُزَ. |
| ذِكْرُ مُلْكِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَصْبَهَانَ وَفِيهَا عَادَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ فَاسْتَوْلَى عَلَى أَصْبَهَانَ ، سَارَ مِنْ رَامَهُرْمُزَ فَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَأَخْرَجَ عَنْهَا أَصْحَابَ وَشْمَكِيرَ وَقَتَلَ مِنْهُمْ ، وَاسْتَأْسَرَ بِضْعَةَ عَشَرَ قَائِدًا ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ وَشْمَكِيرَ كَانَ قَدْ أَنْفَذَ عَسْكَرَهُ إِلَى مَاكَانَ نَجْدَةً لَهُ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، فَخَلَتْ بِلَادُ وَشْمَكِيرَ مِنَ الْعَسَاكِرِ ، وَسَارَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ إِلَى أَصْبَهَانَ ، وَبِهَا نَفَرٌ يَسِيرٌ مِنَ الْعَسَاكِرِ ، فَهَزَمَهُمْ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَكَاتَبَ هُوَ وَأَخُوهُ عِمَادُ الدَّوْلَةِ أَبَا عَلِيِّ بْنَ مُحْتَاجٍ يُحَرِّضَانِهِ عَلَى مَاكَانَ وَوَشْمَكِيرَ ، وَيَعِدَانِهِ الْمُسَاعَدَةَ عَلَيْهِمَا ، فَصَارَ بَيْنَهُمْ بِذَلِكَ مَوَدَّةٌ. |
| ذِكْرُ مَسِيرِ بُجْكُمَ نَحْوَ بِلَادِ الْجَبَلِ وَعَوْدِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ بُجْكُمُ مِنْ بَغْدَاذَ نَحْوَ بِلَادِ الْجَبَلِ ، ثُمَّ عَادَ عَنْهَا. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ صَالَحَ هَذِهِ السَّنَةَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيَّ وَصَاهَرَهُ ، وَتَزَوَّجَ ابْنَتَهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْبَرِيدِيُّ يُشِيرُ عَلَيْهِ بِأَنْ يَسِيرَ إِلَى بِلَادِ الْجَبَلِ لِفَتْحِهَا وَالِاسْتِيلَاءِ عَلَيْهَا ، وَيُعَرِّفَهُ أَنَّهُ إِذْ سَارَ إِلَى الْجَبَلِ سَارَ هُوَ إِلَى الْأَهْوَازِ وَاسْتَنْقَذَهَا مِنْ يَدِ ابْنِ بُوَيْهِ ، فَاتَّفَقَا عَلَى ذَلِكَ ، وَأَنْفَذَ إِلَيْهِ بُجْكُمُ خَمْسَمِائَةِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ مَعُونَةً لَهُ ، وَأَنْفَذَ إِلَيْهِ صَاحِبَهُ أَبَا زَكَرِيَّاءَ السُّوسِيَّ يَحُثُّهُ عَلَى الْحَرَكَةِ ، وَيَكُونُ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ يَرْحَلَ عَنْ وَاسِطَ إِلَى الْأَهْوَازِ. |
| وَسَارَ بُجْكُمُ إِلَى حُلْوَانَ ، وَصَارَ أَبُو زَكَرِيَّاءَ السُّوسِيُّ يَحُثُّ ابْنَ الْبَرِيدِيِّ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى السُّوسِ وَالْأَهْوَازِ ، وَهُوَ يُدَافِعُ الْأَوْقَاتَ ، وَكَانَ عَازِمًا عَلَى قَصْدِ بَغْدَاذَ إِذَا أَبْعَدَ عَنْهَا بُجْكُمَ لِيَسْتَوْلِيَ عَلَيْهَا ، وَهُوَ يُقَدِّمُ رَجْلًا وَيُؤَخِّرُ أُخْرَى ، وَيَنْتَظِرُ بِهِ الدَّوَائِرَ مِنْ هَزِيمَةٍ أَوْ قَتْلٍ. |
| وَأَقَامَ أَبُو زَكَرِيَّاءَ عِنْدَهُ نَحْوَ شَهْرٍ يَحُثُّهُ عَلَى الْمَسِيرِ ، وَهُوَ يُغَالِطُهُ ، فَعَلِمَ أَبُو زَكَرِيَّاءَ مَقْصُودَهُ ، فَكَتَبَ إِلَى بُجْكُمَ ، فَلَحِقَهُ الْخَبَرُ وَهُوَ سَائِرٌ ، فَرَكِبَ الْجَمَّازَاتِ وَعَادَ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَخَلَّفَ عَسْكَرَهُ وَرَاءَهُ. |
| وَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى الْبَرِيدِيِّ بِدُخُولِ بُجْكُمَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَسَقَطَ فِي يَدِهِ ، ثُمَّ أَتَتْهُ الْأَخْبَارُ بِأَنَّ بُجْكُمَ قَدْ سَارَ نَحْوَهُ. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ بُجْكُمَ عَلَى وَاسِطَ لَمَّا عَادَ بُجْكُمُ إِلَى بَغْدَاذَ ، تَجَهَّزَ لِلِانْحِدَارِ إِلَى وَاسِطَ ، وَحَفِظَ الطُّرُقَ لِئَلَّا يَصِلَ خَبَرُهُ إِلَى الْبَرِيدِيِّ فَيَتَحَرَّزَ ، وَانْحَدَرَ هُوَ فِي الْمَاءِ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ، وَسَيَّرَ عَسْكَرَهُ فِي الْبَرِّ ، وَأَسْقَطَ اسْمَ الْبَرِيدِيِّ مِنَ الْوِزَارَةِ ، وَجَعَلَ مَكَانَهُ أَبَا الْقَاسِمِ سُلَيْمَانَ بْنَ الْحَسَنِ بْنِ مُخَلَّدٍ ، وَكَانَتْ وِزَارَةُ الْبَرِيدِيِّ سَنَةً وَاحِدَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَقُبِضَ عَلَى ابْنِ شَيْرَزَادَ; لِأَنَّهُ هُوَ كَانَ سَبَبَ وَصْلَتِهِ بِالْبَرِيدِيِّ ، وَأَخَذَ مِنْهُ مَائَةً وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . |
| فَمِنْ عَجِيبِ الِاتِّفَاقِ أَنَّ بُجْكُمَ كَانَ لَهُ كَاتِبٌ عَلَى أَمْرِ دَارِهِ وَحَاشِيَتِهِ ، وَهُوَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ عِنْدَ انْحِدَارِهِ إِلَى وَاسِطَ ، فَجَاءَ طَائِرٌ فَسَقَطَ عَلَى صَدْرِ السَّفِينَةِ ، فَأُخِذَ وَأُحْضِرَ عِنْدَ بُجْكُمَ ، فَوَجَدَ عَلَى ذَنَبِهِ كِتَابًا فَفَتَحَهُ ، وَإِذَا هُوَ مِنْ هَذَا الْكَاتِبِ إِلَى أَخٍ لَهُ مَعَ الْبَرِيدِيِّ ، يُخْبِرُهُ بِخَبَرِ بُجْكُمَ ، وَمَا هُوَ عَازِمٌ عَلَيْهِ ، فَأَلْقَى الْكِتَابَ إِلَيْهِ ، فَاعْتَرَفَ بِهِ إِذْ لَمْ يُمْكِنُهُ جَحْدُهُ; لِأَنَّهُ بِخَطِّهِ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ ، فَقُتِلَ وَأَلْقَاهُ فِي الْمَاءِ. |
| وَلَمَّا بَلَغَ خَبَرُ بُجْكُمَ إِلَى الْبَرِيدِيِّ سَارَ عَنْ وَاسِطَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَلَمْ يُقِمْ بِهَا ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا بُجْكُمُ لَمْ يَجِدْ بِهَا أَحَدًا ، فَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَكَانَ بُجْكُمُ قَدْ خَلَّفَ عَسْكَرًا بِبَلَدِ الْجَبَلِ ، قَصْدُهُمُ الدَّيْلَمُ وَالْجِيلُ ، فَانْهَزَمُوا وَعَادُوا إِلَى بَغْدَاذَ. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ ابْنِ رَائِقٍ عَلَى الشَّامِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَوْلَى ابْنُ رَائِقٍ عَلَى الشَّامِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا مَسِيرَهُ فِيمَا تَقَدَّمَ ، فَلَمَّا دَخَلَ الشَّامَ ، قَصَدَ مَدِينَةَ حِمْصَ فَمَلَكَهَا ، ثُمَّ سَارَ إِلَى دِمَشْقَ ، وَبِهَا بَدْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْإِخْشِيدِيُّ الْمَعْرُوفُ بِبُدَيْرٍ ، وَالِيًا عَلَيْهَا لِلْإِخْشِيدِ ، فَأَخْرَجَهُ ابْنُ رَائِقٍ مِنْهَا وَمَلَكَهَا ، وَسَارَ مِنْهَا إِلَى الرَّمْلَةِ فَمَلَكَهَا. |
| وَسَارَ إِلَى عَرِيشِ مِصْرَ يُرِيدُ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ ، فَلَقِيَهُ الْإِخْشِيدُ مُحَمَّدُ بْنُ طُغْجَ ، وَحَارَبَهُ ، فَانْهَزَمَ الْإِخْشِيدُ ، فَاشْتَغَلَ أَصْحَابُ ابْنِ رَائِقٍ بِالنَّهْبِ ، وَنَزَلُوا فِي خِيَمِ أَصْحَابِ الْإِخْشِيدِ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ كَمِينٌ لِلْإِخْشِيدِ ، فَأَوْقَعَ بِهِمْ وَهَزَمَهُمْ وَفَرَّقَهُمْ ، وَنَجَا ابْنُ رَائِقٍ فِي سَبْعِينَ رَجُلًا ، وَوَصَلَ إِلَى دِمَشْقَ عَلَى أَقْبَحِ صُورَةٍ. |
| فَسَيَّرَ إِلَيْهِ الْإِخْشِيدُ أَخَاهُ أَبَا نَصْرِ بْنَ طُغْجَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ ، فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمُ ابْنُ رَائِقٍ ، سَارَ إِلَيْهِمْ مِنْ دِمَشْقَ ، فَالْتَقَوْا بِاللُّجُونِ رَابِعَ ذِي الْحِجَّةِ ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ أَبِي نَصْرٍ وَقُتِلَ هُوَ ، فَأَخَذَهُ ابْنُ رَائِقٍ وَكَفَّنَهُ وَحَمَلَهُ إِلَى أَخِيهِ الْإِخْشِيدِ ، وَهُوَ بِمِصْرَ ، وَأَنْفَذَ مَعَهُ ابْنَهُ مُزَاحِمَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ رَائِقٍ ، وَكَتَبَ إِلَى الْإِخْشِيدِ كِتَابًا يُعَزِّيهِ عَنْ أَخِيهِ ، وَيَعْتَذِرُ مِمَّا جَرَى وَيَحْلِفُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ قَتْلَهُ ، وَأَنَّهُ قَدْ أَنْفَذَ ابْنَهُ لِيَفْدِيَهُ بِهِ إِنْ أَحَبَّ ذَلِكَ ، فَتَلَقَّى الْإِخْشِيدُ مُزَاحِمًا بِالْجَمِيلِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَرَدَّهُ إِلَى أَبِيهِ ، وَاصْطَلَحَا عَلَى أَنْ تَكُونَ الرَّمْلَةُ وَمَا وَرَاءَهَا إِلَى مِصْرَ لِلْإِخْشِيدِ ، وَبَاقِي الشَّامِ لِمُحَمَّدِ بْنِ رَائِقٍ ، وَيَحْمِلُ إِلَيْهِ الْإِخْشِيدُ عَنِ الرَّمْلَةِ كُلَّ سَنَةٍ مِائَةَ أَلْفٍ وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ. |
| ذِكْرُ عِدَّةَ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ طَرِيفُ السُّبْكَرِيُّ. |
| وَفِيهَا عَزَلَ بُجْكُمُ وَزِيرَهُ أَبَا جَعْفَرِ بْنَ شَيْرَزَادَ لِمَا ذَكَرْنَاهُ ، وَصَادَرَهُ عَلَى مِائَةٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَاسْتَوْزَرَ بَعْدَهُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْكُوفِيَّ . |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ أَبُو جَعْفَرٍ الْكُلَيْنِيُّ ، وَهُوَ مِنْ أَئِمَّةِ الْإِمَامِيَّةِ وَعُلَمَائِهِمْ. |
| الْكُلَيْنِيُّ بِالْيَاءِ الْمُعْجَمَةِ بِاثْنَتَيْنِ مِنْ تَحْتٍ ثُمَّ بِالنُّونِ ، وَهُوَ مُمَالٌ . |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الْمُقْرِئُ الْبَغْدَاذِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ شَنَبُوذَ فِي صَفَرٍ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو مُحَمَّدٍ جَعْفَرُ الْمُرْتَعِشُ ، وَهُوَ مِنْ أَعْيَانِ مَشَايِخِ الصُّوفِيَّةِ ، وَهُوَ نَيْسَابُورِيٌّ سَكَنَ بَغْدَاذَ ، وَقَاضِي الْقُضَاةِ عُمَرُ بْنُ أَبِي عُمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ ، وَكَانَ قَدْ وَلِيَ الْقَضَاءَ بَعْدَ أَبِيهِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ بَشَّارٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْأَنْبَارِيِّ ، وَهُوَ مُصَنِّفُ كِتَابِ الْوَقْفِ وَالِابْتِدَاءِ. |
| وَفِيهَا فِي حَادِي عَشَرَ شَوَّالٍ مَاتَ الْوَزِيرُ أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُقْلَةَ فِي الْحَبْسِ. |
| وَفِيهَا لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ شَوَّالٍ ، تُوفِّي الْوَزِيرُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْخُصَيْبِيُّ بِسَكْتَةٍ لَحِقَتْهُ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ مُقْلَةٍ سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا. |
| وَفِيهَا مَاتَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقُمِّيُّ ، وَزِيرُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ ، فَاسْتَوْزَرَ بَعْدَهُ أَبَا الْفَضْلِ بْنَ الْعَمِيدِ ، فَتَمَكَّنَ مِنْهُ ، فَنَالَ مَا لَمْ يَنَلْهُ أَحَدٌ مِنْ وُزَرَاءِ بَنِي بُوَيْهِ ، وَسَيَرِدُ مِنْ أَخْبَارِهِ مَا يُعْلَمُ بِهِ مَحَلُّهُ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ مَوْتِ الرَّاضِي بِاللَّهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ الرَّاضِي بِاللَّهِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الْمُقْتَدِرِ مُنْتَصَفَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ سِتَّ سِنِينَ وَعَشَرَةَ أَشْهُرٍ وَعَشَرَةَ أَيَّامٍ ، وَكَانَ عُمُرُهُ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَشُهُورًا ، وَكَانَتْ عِلَّتُهُ الِاسْتِسْقَاءَ ، وَكَانَ أَدِيبًا شَاعِرًا ، فَمِنْ شِعْرِهِ يَصْفَرُّ وَجْهِي إِذَا تَأَمَّلَهُ... |
| طَرْفِي وَيَحْمَرُّ وَجْهُهُ خَجَلَا حَتَّى كَأَنَّ الَّذِي بِوَجْنَتِهِ... |
| مِنْ دَمِ جِسْمِي إِلَيْهِ قَدْ نُقِلَا وَلَهُ أَيْضًا يَرْثِي أَبَاهُ الْمُقْتَدِرَ وَلَوْ أَنَّ حَيًّا كَانَ قَبْرًا لِمَيِّتٍ... |
| لَصَيَّرْتُ أَحْشَائِي لِأَعْظُمِهِ قَبْرًا وَلَوْ أَنَّ عُمُرِي كَانَ طَوْعَ مَشِيئَتِي... |
| وَسَاعَدَنِي التَّقْدِيرُ قَاسَمْتُهُ الْعُمُرَا بِنَفْسِي ثَرَىً ضَاجَعْتُ فِي تُرْبِهِ الْبِلَى... |
| لَقَدْ ضَمَّ مِنْكَ الْغَيْثَ وَاللَّيْثَ وَالْبَدْرَا وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضًا كُلُّ صَفْوٍ إِلَى كَدَرْ... |
| كُلُّ أَمْنٍ إِلَى حَذَرْ وَمَصِيرُ الشَّبَابِ لِلْ... |
| مَوْتِ فِيهِ أَوِ الْكَدَرْ دَرَّ دَرُّ الْمَشِيبِ مِنْ... |
| وَاعِظٍ يُنْذِرُ الْبَشَرْ أَيُّهَا الْآمِلُ الَّذِي... |
| تَاهَ فِي لُجَّةِ الْغَرَرْ أَيْنَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا... |
| دَرَسَ الْعَيْنُ وَالْأَثَرْ سَيَرُدُّ الْمَعَادُ مَنْ... |
| عُمُرُهُ كُلُّهُ خَطَرْ رَبِّ إِنِّي ذَخَرْتُ عِنْ... |
| دَكَ أَرْجُوكَ مُدَّخَرْ إِنَّنِي مُؤْمِنٌ بِمَا بَيْ... |
| نَ الْوَحْيِ فِي السُّوَرْ وَاعْتِرَافِي بِتَرْكِ نَفْ... |
| عِي وَإِيثَارِي الضَّرَرْ رَبِّ فَاغْفِرْ لِي الْخَطِي... |
| ئَةَ يَا خَيْرَ مَنْ غَفَرْ وَكَانَ الرَّاضِي أَيْضًا سَمْحًا ، سَخِيًّا ، يُحِبُّ مُحَادَثَةَ الْأُدَبَاءِ وَالْفُضَلَاءِ وَالْجُلُوسَ مَعَهُمْ. |
| وَلَمَّا مَاتَ أَحْضَرَ بُجْكُمُ نُدَمَاءَهُ وَجُلَسَاءَهُ ، وَطَمِعَ أَنْ يَنْتَفِعَ بِهِمْ ، فَلَمْ يَفْهَمْ مِنْهُمْ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ ، وَكَانَ مِنْهُمْ سِنَانُ بْنُ ثَابِتٍ الصَّابِيُّ الطَّبِيبُ ، فَأَحْضَرَهُ وَشَكَا إِلَيْهِ غَلَبَةَ الْقُوَّةِ الْغَضَبِيَّةِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ كَارِهٌ لَهَا ، فَمَا زَالَ مَعَهُ فِي تَقْبِيحِ ذَلِكَ عِنْدَهُ وَتَحْسِينِ ضِدِّهِ مِنَ الْحِلْمِ ، وَالْعَفْوِ ، وَالْعَدْلِ ، وَتَوَصَّلَ مَعَهُ حَتَّى زَالَ أَكْثَرُ مَا كَانَ يَجِدُهُ ، وَكَفَّ عَنِ الْقَتْلِ وَالْعُقُوبَاتِ. |
| وَكَانَ الرَّاضِي أَسْمَرَ ، أَعْيَنَ ، خَفِيفَ الْعَارِضِينَ ، وَأُمُّهُ أَمُّ وَلَدٍ اسْمُهَا ظَلُومٌ ، وَخَتَمَ الْخُلَفَاءَ فِي أُمُورٍ عِدَّةٍ ، فَمِنْهَا أَنَّهُ آخِرُ خَلِيفَةٍ لَهُ شِعْرٌ يُدَوَّنُ ، وَآخِرُ خَلِيفَةٍ خَطَبَ كَثِيرًا عَلَى مِنْبَرٍ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ قَدْ خَطَبَ نَادِرًا لَا اعْتِبَارَ بِهِ ، وَكَانَ آخِرَ خَلِيفَةٍ جَالَسَ الْجُلَسَاءَ ، وَوَصَلَ إِلَيْهِ النُّدَمَاءُ ، وَآخِرَ خَلِيفَةٍ كَانَتْ لَهُ نَفَقَتُهُ ، وَجَوَائِزُهُ ، وَعَطَايَاهُ ، وَجِرَايَاتُهُ ، وَخَزَائِنُهُ ، وَمَطَابِخُهُ ، وَمَجَالِسُهُ ، وَخَدَمُهُ ، وَحِجَابُهُ ، وَأُمُورُهُ عَلَى تَرْتِيبِ الْخُلَفَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ. |
| ذِكْرُ خِلَافَةِ الْمُتَّقِي لِلَّهِ لَمَّا مَاتَ الرَّاضِي بِاللَّهِ ، بَقِيَ الْأَمْرُ فِي الْخِلَافَةِ مَوْقُوفًا انْتَظَارًا لِقُدُومِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْكُوفِيِّ كَاتِبِ بُجْكُمَ مِنْ وَاسِطَ ، وَكَانَ بُجْكُمُ بِهَا . |
| وَاحْتِيطَ عَلَى دَارِ الْخِلَافَةِ ، فَوَرَدَ كِتَابُ بُجْكُمَ مَعَ الْكُوفِيِّ يَأْمُرُ فِيهِ بِأَنْ يَجْتَمِعَ مَعَ أَبِي الْقَاسِمِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْحَسَنِ وَزِيرِ الرَّاضِي ، كُلُّ مَنْ تَقَلَّدَ الْوِزَارَةَ ، وَأَصْحَابُ الدَّوَاوِينِ ، وَالْعَلَوِيُّونَ ، وَالْقُضَاةُ ، وَالْعَبَّاسِيُّونَ ، وَوُجُوهُ الْبَلَدِ ، وَيُشَاوِرُهُمُ الْكُوفِيُّ فِيمَنْ يُنَصَّبُ لِلْخِلَافَةِ مِمَّنْ يَرْتَضِي مَذْهَبَهُ وَطَرِيقَتَهُ ، فَجَمَعَهُمُ الْكُوفِيُّ وَاسْتَشَارَهُمْ ، فَذَكَرَ بَعْضُهُمْ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُقْتَدِرِ ، وَتَفَرَّقُوا عَلَى هَذَا. |
| فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ ، اتَّفَقَ النَّاسُ عَلَيْهِ ، فَأُحْضِرَ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ ، وَبُويِعَ لَهُ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ أَلْقَابٌ ، فَاخْتَارَ" الْمُتَّقِي لِلَّهِ "، وَبَايَعَهُ النَّاسُ كَافَّةً ، وَسَيَّرَ الْخِلَعَ وَاللِّوَاءَ إِلَى بُجْكُمَ بِوَاسِطَ. |
| وَكَانَ بُجْكُمُ بَعْدَ مَوْتِ الرَّاضِي وَقَبْلَ اسْتِخْلَافِ الْمُتَّقِي ، قَدْ أَرْسَلَ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ فَأَخَذَ فَرْشًا وَآلَاتٍ كَانَ يَسْتَحْسِنُهَا ، وَجَعَلَ سَلَامَةَ الطُّولُونِيَّ حَاجِبَهُ ، وَأَقَرَّ سُلَيْمَانُ عَلَى وِزَارَتِهِ ، وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْوِزَارَةِ إِلَّا اسْمُهَا ، وَإِنَّمَا التَّدْبِيرُ كُلُّهُ إِلَى الْكُوفِيِّ كَاتِبِ بُجْكُمَ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ مَاكَانَ بْنِ كَالِي ، وَاسْتِيلَاءِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُحْتَاجٍ عَلَى الرَّيِّ قَدْ ذَكَرْنَا مَسِيرَ أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُظَفَّرِ بْنِ مُحْتَاجٍ إِلَى جُرْجَانَ ، وَإِخْرَاجِ مَاكَانَ عَنْهَا ، فَلَمَّا سَارَ عَنْهَا مَاكَانُ ، قَصَدَ طَبَرِسْتَانَ وَأَقَامَ بِهَا ، وَأَقَامَ أَبُو عَلِيٍّ بِجُرْجَانَ يُصْلِحُ أَمْرَهَا ، ثُمَّ اسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا إِبْرَاهِيمَ بْنَ سِيمَجُورَ الدَّوَاتِيَّ ، وَسَارَ نَحْوَ الرَّيِّ فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، فَوَصَلَهَا فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَبِهَا وَشْمَكِيرُ بْنُ زِيَارَ أَخُو مَرْدَاوَيْجَ. |
| وَكَانَ عِمَادُ الدَّوْلَةِ وَرُكْنُ الدَّوْلَةِ ابْنَا بُوَيْهِ يُكَاتِبَانِ أَبَا عَلِيٍّ ، وَيَحُثَّانِهِ عَلَى قَصْدِ وَشْمَكِيرَ ، وَيَعِدَانِهِ الْمُسَاعَدَةَ ، وَكَانَ قَصْدُهُمَا أَنْ تُؤْخَذَ الرَّيُّ مِنْ وَشْمَكِيرَ ، فَإِذَا أَخَذَهَا أَبُو عَلِيٍّ ، لَا يُمْكِنُهُ الْمُقَامُ بِهَا لِسِعَةِ وَلَايَتِهِ بِخُرَاسَانَ ، فَيَغْلِبَانِ عَلَيْهَا. |
| وَبَلَغَ أَمْرُ اتِّفَاقِهِمْ إِلَى وَشْمَكِيرَ. |
| وَكَاتَبَ مَاكَانَ بْنَ كَالِي يَسْتَخْدِمُهُ وَيُعَرِّفُهُ الْحَالَ ، فَسَارَ مَاكَانُ بْنُ كَالِي مَنْ طَبَرِسْتَانَ إِلَى الرَّيِّ ، وَسَارَ أَبُو عَلِيٍّ وَأَتَاهُ عَسْكَرُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ ، فَاجْتَمَعُوا مَعَهُ بِإِسْحَاقَابَاذَ ، وَالْتَقَوْا هُمْ وَوَشْمَكِيرُ ، وَوَقَفَ مَاكَانُ بْنُ كَالِي فِي الْقَلْبِ وَبَاشَرَ الْحَرْبَ بِنَفْسِهِ ، وَعَبَّأَ أَبُو عَلِيٍّ أَصْحَابَهُ كَرَادِيسَ ، وَأَمَرَ مَنْ بِإِزَاءِ الْقَلْبِ أَنْ يَلُحُّوا عَلَيْهِمْ فِي الْقِتَالِ ، ثُمَّ يَتَطَارَدُوا لَهُمْ وَيَسْتَجِرُّوهُمْ ، ثُمَّ وَصَّى مَنْ بِإِزَاءِ الْمَيْمَنَةِ وَالْمَيْسَرَةِ أَنْ يُنَاوِشُوهُمْ مُنَاوَشَةً بِمِقْدَارِ مَا يَشْغَلُونَهُمْ عَنْ مُسَاعَدَةِ مَنْ فِي الْقَلْبِ ، وَلَا يُنَاجِزُوهُمْ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ. |
| وَأَلَحَّ أَصْحَابُهُ عَلَى قَلْبِ وَشْمَكِيرَ بِالْحَرْبِ ، ثُمَّ تَطَارَدُوا لَهُمْ ، فَطَمِعَ فِيهِمْ مَاكَانُ وَمَنْ مَعَهُ ، فَتَبِعُوهُمْ وَفَارَقُوا مَوَاقِفَهُمْ ، فَحِينَئِذٍ أَمَرَ أَبُو عَلِيٍّ الْكَرَادِيسَ الَّتِي بِإِزَاءِ الْمَيْمَنَةِ وَالْمَيْسَرَةِ أَنْ يَتَقَدَّمَ بَعْضُهُمْ ، وَيَأْتِيَ مَنْ فِي قَلْبِ وَشْمَكِيرَ مِنْ وَرَائِهِمْ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو عَلِيٍّ أَصْحَابَهُ قَدْ أَقْبَلُوا مِنْ وَرَاءِ مَاكَانَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ ، أَمْرَ الْمُتَطَارِدِينَ بِالْعَوْدِ وَالْحَمْلَةِ عَلَى مَاكَانَ وَأَصْحَابِهِ ، وَكَانَتْ نُفُوسُهُمْ قَدْ قَوِيَتْ بِأَصْحَابِهِمْ ، فَرَجَعُوا وَحَمَلُوا عَلَى أُولَئِكَ ، وَأَخَذَهُمُ السَّيْفُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ، فَوَلَّوْا مُنْهَزِمِينَ. |
| فَلَمَّا رَأَى مَاكَانُ ذَلِكَ ، تَرَجَّلَ وَأَبْلَى بَلَاءً حَسَنًا ، وَظَهَرَتْ مِنْهُ شَجَاعَةٌ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهَا ، فَأَتَاهُ سَهْمٌ غَرْبٌ ، فَوَقَعَ فِي جَبِينِهِ ، فَنَفَذَ فِي الْخُوذَةِ وَالرَّأْسِ حَتَّى طَلَعَ مِنْ قَفَاهُ وَسَقَطَ مَيِّتًا ، وَهَرَبَ وَشْمَكِيرُ وَمَنْ سَلِمَ مَعَهُ إِلَى طَبَرِسْتَانَ ، فَأَقَامَ بِهَا ، وَاسْتَوْلَى أَبُو عَلِيٍّ عَلَى الرَّيِّ ، وَأَنْفَذَ رَأْسَ مَاكَانَ إِلَى بُخَارَى وَالسَّهْمُ فِيهِ ، وَلَمْ يُحْمَلْ إِلَى بَغْدَاذَ حَتَّى قُتِلَ بُجْكُمُ; لِأَنَّ بُجْكُمَ كَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَجَلَسَ لِلْعَزَاءِ لَمَّا قُتِلَ ، فَلَمَّا قُتِلَ بُجْكُمُ ، حُمِلَ الرَّأْسُ مِنْ بُخَارَى إِلَى بَغْدَاذَ وَالسَّهْمُ فِيهِ وَفِي الْخُوذَةِ ، وَأَنْفَذَ أَبُو عَلِيٍّ الْأَسْرَى إِلَى بُخَارَى أَيْضًا ، وَكَانُوا بِهَا حَتَّى دَخَلَ وَشْمَكِيرُ فِي طَاعَةِ آلِ سَامَانَ ، وَسَارَ إِلَى خُرَاسَانَ فَاسْتَوْهَبَهُمْ ، فَأَطْلَقُوا لَهُ عَلَى مَا نَذْكُرُهُ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . |
| ذِكْرُ قَتْلِ بُجْكُمَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ بُجْكُمُ. |
| وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيَّ أَنْفَذَ جَيْشًا مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى مَذَارَ ، فَأَنْفَذَ بُجْكُمُ جَيْشًا إِلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ تُوزُونُ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا كَانَ أَوَّلًا عَلَى تُوزُونَ ، فَكَتَبَ إِلَى بُجْكُمَ يَطْلُبُ أَنْ يَلْحَقَ بِهِ ، فَسَارَ بُجْكُمُ إِلَيْهِمْ مِنْ وَاسِطَ مُنْتَصَفَ رَجَبٍ ، فَلَقِيَهُ كِتَابُ تُوزُونَ بِأَنَّهُ ظَفِرَ بِهِمْ وَهَزَمَهُمْ ، فَأَرَادَ الرُّجُوعَ إِلَى وَاسِطَ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ بِأَنْ يَتَصَيَّدَ ، فَقَبِلَ مِنْهُ ، وَتَصَيَّدَ حَتَّى بَلَغَ نَهْرَ جُورَ ، فَسَمِعَ أَنَّ هُنَاكَ أَكْرَادًا لَهُمْ مَالٌ وَثَرْوَةٌ ، فَشَرِهَتْ نَفْسُهُ إِلَى أَخْذِهِ ، فَقَصَدَهُمْ فِي قِلَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ بِغَيْرِ جُنَّةٍ تَقِيهِ ، فَهَرَبَ الْأَكْرَادُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَرَمَى هُوَ أَحَدَهُمْ فَلَمْ يُصِبْهُ ، فَرَمَى آخَرَ فَأَخْطَأَهُ أَيْضًا ، وَكَانَ لَا يَخِيبُ سَهْمُهُ ، فَأَتَاهُ غُلَامٌ مِنَ الْأَكْرَادِ مِنْ خَلْفِهِ وَطَعَنَهُ فِي خَاصِرَتِهِ ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ ، فَقَتَلَهُ وَذَلِكَ لِأَرْبَعٍ بَقِينَ مِنْ رَجَبٍ ، وَاخْتَلَفَ عَسْكَرُهُ ، فَمَضَى الدَّيْلَمُ خَاصَّةً نَحْوَ الْبَرِيدِيِّ ، وَكَانُوا أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةٍ ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، وَأَضْعَفَ أَرْزَاقَهُمْ ، وَأَوْصَلَهَا إِلَيْهِمْ دُفْعَةً وَاحِدَةً. |
| وَكَانَ الْبَرِيدِيُّ قَدْ عَزَمَ عَلَى الْهَرَبِ مِنَ الْبَصْرَةِ هُوَ وَإِخْوَتُهُ ، وَكَانَ بُجْكُمُ قَدْ رَاسَلَ أَهْلَ الْبَصْرَةِ وَطَيَّبَ قُلُوبَهُمْ ، فَمَالُوا إِلَيْهِ ، فَأَتَى الْبَرِيدِيِّينَ الْفَرَجُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ، وَعَادَ أَتْرَاكُ بُجْكُمَ إِلَى وَاسِطَ ، وَكَانَ تُكَيْنَكُ مَحْبُوسًا بِهَا ، حَبَسَهُ بُجْكُمُ ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْ مَحْبَسِهِ ، فَسَارَ بِهِمْ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَأَظْهَرُوا طَاعَةَ الْمُتَّقِي لِلَّهِ. |
| وَصَارَ أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ مَيْمُونٍ يُدَبِّرُ الْأُمُورَ ، وَاسْتَوْلَى الْمُتَّقِي عَلَى دَارِ بُجْكُمَ ، فَأَخَذَ مَالَهُ مِنْهَا ، وَكَانَ قَدْ دَفَنَ فِيهَا مَالًا كَثِيرًا ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا فِي الصَّحْرَاءِ; لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَنْكَبَّ فَلَا يَصِلَ إِلَى مَالِهِ فِي دَارِهِ. |
| وَكَانَ مَبْلَغُ مَا أَخَذَ مِنْ مَالِهِ وَدَفَائِنِهِ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ وَمِائَتَيْ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَكَانَتْ مُدَّةُ إِمَارَةِ بُجْكُمَ سَنَتَيْنِ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَتِسْعَةَ أَيَّامٍ. |
| ذِكْرُ إِصْعَادِ الْبَرِيدِيَّينَ إِلَى بَغْدَاذَ لَمَّا قُتِلَ بُجْكُمُ ، اجْتَمَعَتِ الدَّيْلَمُ عَلَى بَلْسَوَازَ بْنِ مَالِكِ بْنِ مُسَافِرٍ ، فَقَتَلَهُ الْأَتْرَاكُ ، فَانْحَدَرَ الدَّيْلَمُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيِّ ، وَكَانُوا مُنْتَخَبِينَ لَيْسَ فِيهِمْ حَشْوٌ ، فَقَوِيَ بِهِمْ ، وَعَظُمَتْ شَوْكَتُهُ ، فَأَصْعَدُوا مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى وَاسِطَ فِي شَعْبَانَ ، فَأَرْسَلَ الْمُتَّقِي لِلَّهِ إِلَيْهِمْ يَأْمُرُهُمْ أَنْ لَا يَصْعَدُوا ، فَقَالُوا نَحْنُ مُحْتَاجُونَ إِلَى مَالٍ ، فَإِنْ أُنْفِذَ لَنَا مِنْهُ شَيْءٌ ، لَمْ نَصْعَدْ ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِمْ مِائَةَ أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَقَالَ الْأَتْرَاكُ لِلْمُتَّقِي نَحْنُ نُقَاتِلُ بَنِي الْبَرِيدِيِّ ، فَأَطْلِقْ لَنَا مَالًا وَانْصُبْ لَنَا مُقَدِّمًا ، فَأَنْفَقَ فِيهِمْ مَالًا ، وَفِي أَجْنَادِ بَغْدَاذَ الْقُدَمَاءِ أَرْبَعُمِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ مِنَ الْمَالِ الَّذِي أُخِذَ لِبُجْكُمَ ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ سَلَامَةَ الطُّولُونِيَّ ، وَبَرَزُوا مَعَ الْمُتَّقِي لِلَّهِ إِلَى نَهْرِ دِيَالِيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ شَعْبَانَ. |
| وَسَارَ الْبَرِيدِيُّ مِنْ وَاسِطَ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَلَمْ يَقِفْ عَلَى مَا اسْتَقَرَّ مَعَهُ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْ بَغْدَاذَ اخْتَلَفَ الْأَتْرَاكُ الْبُجْكُمِيَّةُ ، وَاسْتَأْمَنَ بَعْضُهُمْ إِلَى الْبَرِيدِيِّ ، وَبَعْضُهُمْ سَارَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَاسْتَتَرَ سَلَامَةُ الطُّولُونِيُّ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْكُوفِيُّ ، وَلَمْ يَحْصُلِ الْخَلِيفَةُ إِلَّا عَلَى إِخْرَاجِ الْمَالِ ، وَهُمْ أَرْبَابُ النِّعَمِ وَالْأَمْوَالِ ، بِالِانْتِقَالِ مِنْ بَغْدَاذَ خَوْفًا مِنَ الْبَرِيدِيِّ وَظُلْمِهِ وَتَهَوُّرِهِ. |
| وَدَخَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيُّ بَغْدَاذَ ثَانِ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ ، وَنَزَلَ بِالشَّفِيعِيِّ ، وَلَقِيَهُ الْوَزِيرُ أَبُو الْحُسَيْنِ ، وَالْقُضَاةُ ، وَالْكُتَّابُ ، وَأَعْيَانُ النَّاسِ ، وَكَانَ مَعَهُ مِنْ أَنْوَاعِ السُّفُنِ مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ الْمُتَّقِي يُهَنِّيهِ بِسَلَامَتِهِ ، وَأَنْفَذَ إِلَيْهِ طَعَامًا وَغَيْرَهُ عِدَّةَ لَيَالٍ ، وَكَانَ يُخَاطَبُ بِالْوَزِيرِ ، وَكَذَلِكَ أَبْو الْحُسَيْنِ بْنُ مَيْمُونٍ وَزِيرُ الْخَلِيفَةِ أَيْضًا ، ثُمَّ عُزِلَ أَبُو الْحُسَيْنِ ، وَكَانَتْ مُدَّةُ وِزَارَةِ أَبِي الْحُسَيْنِ ثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ قَبَضَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيُّ عَلَى أَبِي الْحُسَيْنِ وَسَيَّرَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَحَبَسَهُ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ فِي صَفَرٍ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ مِنْ حُمَّى حَادَّةٍ . |
| ثُمَّ أَنْفَذَ الْبَرِيدِيُّ إِلَى الْمُتَّقِي يَطْلُبُ خَمْسَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ لِيُفَرِّقَهَا فِي الْجُنْدِ ، فَامْتَنَعَ عَلَيْهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَتَهَدَّدُهُ ، وَيُذَكِّرَهُ مَا جَرَى عَلَى الْمُعْتَزِّ ، وَالْمُسْتَعِينِ ، وَالْمُهْتَدِي ، وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ تَمَامَ خَمْسِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَلَمْ يَلْقَ الْبَرِيدِيُّ الْمُتَّقِيَ لِلَّهِ مُدَّةَ مَقَامِهِ بِبَغْدَاذَ. |
| ذِكْرُ عَوْدِ الْبَرِيدِيِّ إِلَى وَاسِطَ كَانَ الْبَرِيدِيُّ يَأْمُرُ الْجُنْدَ بِطَلَبِ الْأَمْوَالِ مِنَ الْخَلِيفَةِ ، فَلَمَّا أَنْفَذَ الْخَلِيفَةُ إِلَيْهِ الْمَالَ الْمَذْكُورَ ، انْصَرَفَتْ أَطْمَاعُ الْجُنْدِ عَنِ الْخَلِيفَةِ إِلَى الْبَرِيدِيِّ وَعَادَتْ مَكِيدَتُهُ عَلَيْهِ ، فَشَغَبَ الْجُنْدُ عَلَيْهِ ، وَكَانَ الدَّيْلَمُ قَدْ قَدَّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ كُورَتِكِينُ الدَّيْلَمَيُّ ، وَقَدَّمَ الْأَتْرَاكُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ تُكَيْنَكَ التُّرْكِيَّ غُلَامَ بُجْكُمَ ، وَثَارَ الدَّيْلَمُ إِلَى دَارِ الْبَرِيدِيِّ ، فَأَحْرَقُوا دَارَ أَخِيهِ أَبِي الْحُسَيْنِ الَّتِي كَانَ يَنْزِلُهَا ، وَنَفَرُوا عَنِ الْبَرِيدِيِّ ، وَانْضَافَ تُكَيْنَكُ إِلَيْهِمْ ، وَصَارَتْ أَيْدِيهِمْ وَاحِدَةً ، وَاتَّفَقُوا عَلَى قَصْدِ الْبَرِيدِيِّ وَنَهْبِ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ ، فَسَارُوا إِلَى النَّجْمِيِّ وَوَافَقَهُمُ الْعَامَّةُ ، فَقَطَعَ الْبَرِيدِيُّ الْجِسْرَ ، وَوَقَعَتِ الْحَرْبُ فِي الْمَاءِ ، وَوَثَبَ الْعَامَّةُ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ عَلَى أَصْحَابِ الْبَرِيدِيِّ ، فَهَرَبَ هُوَ وَأَخُوهُ وَابْنُهُ أَبُو الْقَاسِمِ وَأَصْحَابُهُ ، وَانْحَدَرُوا فِي الْمَاءِ إِلَى وَاسِطَ ، وَنُهِبَتْ دَارُهُ فِي النَّجْمِيِّ وَدُورُ قُوَّادِهِ ، وَكَانَ هَرَبُهُ سَلْخَ رَمَضَانَ ، وَكَانَتْ مُدَّةُ مَقَامِهِ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا. |
| ذِكْرُ إِمَارَةِ كُورَتِكِينَ الدَّيْلَمِيِّ لَمَّا هَرَبَ الْبَرِيدِيُّ ، اسْتَوْلَى كُورَتِكِينُ عَلَى الْأُمُورِ بِبَغْدَاذَ ، وَدَخَلَ إِلَى الْمُتَّقِي لِلَّهِ ، فَقَلَّدَهُ إِمَارَةَ الْأُمَرَاءِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَاسْتَدْعَى الْمُتَّقِي عَلِيَّ بْنَ عِيسَى وَأَخَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عِيسَى ، فَأَمَرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ فَدَبَّرَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ تَسْمِيَةٍ بِوِزَارَةٍ ، ثُمَّ إِنَّ كُورَتِكِينَ قَبَضَ تُكَيْنَكَ التُّرْكِيَّ خَامِسَ شَوَّالٍ ، وَغَرَّقَهُ ، وَتَفَرَّدَ بِالْأَمْرِ ، ثُمَّ إِنَّ الْعَامَّةَ اجْتَمَعُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَادِسَ شَوَّالٍ ، وَتَظَلَّمُوا مِنَ الدَّيْلَمِ وَنُزُولِهِمْ فِي دُورِهِمْ ، فَلَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ ، فَمَنَعَتِ الْعَامَّةُ الْخَطِيبَ مِنَ الصَّلَاةِ ، وَاقْتَتَلُوا هُمْ وَالدَّيْلَمُ ، فَقُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ جَمَاعَةٌ. |
| ذِكْرُ عَوْدِ ابْنِ رَائِقٍ إِلَى بَغْدَاذَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَادَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ رَائِقٍ مِنَ الشَّامِ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَصَارَ أَمِيرَ الْأُمَرَاءِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْأَتْرَاكَ الْبُجْكُمِيَّةَ لَمَّا سَارُوا إِلَى الْمَوْصِلِ ، لَمْ يَرَوْا عِنْدَ ابْنِ حَمْدَانَ مَا يُرِيدُونَ ، فَسَارُوا نَحْوَ الشَّامِ إِلَى ابْنِ رَائِقٍ ، وَكَانَ فِيهِمْ مِنَ الْقُوَّادِ تُوزُونُ ، وَخَجْخَجُ ، وَنُوشْتِكِينُ ، وَصِيغُونُ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِ ، أَطْمَعُوهُ فِي الْعَوْدِ إِلَى الْعِرَاقِ ، ثُمَّ وَصَلَتْ إِلَيْهِ كُتُبُ الْمُتَّقِي يَسْتَدْعِيهِ ، فَسَارَ مِنْ دِمَشْقَ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الشَّامِ أَبَا الْحَسَنِ أَحْمَدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ مُقَاتِلٍ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، تَنَحَّى عَنْ طَرِيقِهِ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ ، فَتَرَاسَلَا ، وَاتَّفَقَا عَلَى أَنْ يَتَصَالَحَا ، وَحَمَلَ ابْنُ حَمْدَانَ إِلَيْهِ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَسَارَ ابْنُ رَائِقٍ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَقَبَضَ كُورَتِكِينُ عَلَى الْقَرَارِيطِيِّ الْوَزِيرِ ، وَاسْتَوْزَرَ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ الْقَاسِمِ الْكَرْخِيَّ فِي ذِي الْقِعْدَةِ ، وَكَانَتْ وِزَارَةُ الْقَرَارِيطِيُّ ثَلَاثَةً وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا. |
| وَبَلَغَ خَبَرُ ابْنِ رَائِقٍ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيِّ ، فَسَيَّرَ إِخْوَتَهُ إِلَى وَاسِطَ فَدَخَلُوهَا ، وَأَخْرَجُوا الدَّيْلَمَ عَنْهَا ، وَخَطَبُوا لَهُ بِوَاسِطَ ، وَخَرَجَ كُورَتِكِينُ عَنْ بَغْدَاذَ إِلَى عُكْبَرَا ، وَوَصَلَ إِلَيْهِ ابْنُ رَائِقٍ ، فَوَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ ، وَاتَّصَلَتْ عِدَّةَ أَيَّامٍ. |
| فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الْخَمِيسِ لِتِسْعٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، سَارَ ابْنُ رَائِقٍ لَيلًا مِنْ عُكْبَرَا هُوَ وَجَيْشُهُ ، فَأَصْبَحَ بِبَغْدَاذَ فَدَخَلَهَا مِنَ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ هُوَ وَجَمِيعُ جَيْشِهِ ، وَنَزَلَ فِي النَّجْمِيِّ ، وَعَبَرَ مِنَ الْغَدِ إِلَى الْخَلِيفَةِ فَلَقِيَهُ ، وَرَكِبَ الْمُتَّقِي لِلَّهِ مَعَهُ فِي دِجْلَةَ ، ثُمَّ عَادَ وَوَصَلَ هَذَا الْيَوْمَ بَعْدَ الظُّهْرِ كُورَتِكِينُ مَعَ جَمِيعِ جَيْشِهِ مِنَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ، وَكَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِأَصْحَابِ ابْنِ رَائِقٍ ، وَيَقُولُونَ أَيْنَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْقَافِلَةُ الْوَاصِلَةُ مِنَ الشَّامِ ؟ |
| وَنَزَلُوا بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ. |
| وَلَمَّا دَخَلَ كُورَتِكِينُ بَغْدَاذَ أَيِسَ ابْنُ رَائِقٍ مِنْ وَلَايَتِهَا ، فَأَمَرَ بِحَمْلِ أَثْقَالِهِ وَالْعَوْدِ إِلَى الشَّامِ ، فَرَفَعَ النَّاسُ أَثْقَالَهُمْ ، ثُمَّ إِنَّهُ عَزَمَ أَنْ يُنَاوِشَهُمْ شَيْئًا مِنْ قِتَالٍ قَبْلَ مَسِيرِهِ ، فَأَمَرَ طَائِفَةً مِنْ عَسْكَرِهِ أَنْ يَعْبُرُوا دِجْلَةَ وَيَأْتُوا الْأَتْرَاكَ مِنْ وَرَائِهِمْ ، ثُمَّ إِنَّهُ رَكِبَ فِي سُمَيْرِيِّةٍ ، وَرَكِبَ مَعَهُ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي عِشْرِينَ سُمَيْرِيِّةٍ ، وَوَقَفُوا يَرْمُونَ الْأَتْرَاكَ بِالنُّشَّابِ ، وَوَصَلَ أَصْحَابُهُ وَصَاحُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ، وَاجْتَمَعَتِ الْعَامَّةُ مَعَ أَصْحَابِ ابْنِ رَائِقٍ يَضِجُّونَ ، فَظَنَّ كُورَتِكِينُ أَنَّ الْعَسْكَرَ قَدْ جَاءَهُ مَنْ خَلْفِهِ وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، فَانْهَزَمَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، وَاخْتَفَى هُوَ ، وَرَجَمَهُمُ الْعَامَّةُ بِالْآجُرِّ وَغَيْرِهِ. |
| وَقَوِيَ أَمْرُ ابْنِ رَائِقٍ ، وَأَخَذَ مَنِ اسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ مِنَ الدَّيْلَمِ فَقَتَلَهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ ، وَكَانُوا نَحْوَ أَرْبَعِمِائَةٍ ، فَلَمْ يَسْلَمْ مِنْهُمْ غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ اخْتَفَى بَيْنَ الْقَتْلَى ، وَحُمِلَ مَعَهُمْ فِي الْجَوَالِيقِ ، وَأُلْقِي فِي دِجْلَةَ فَسَلِمَ وَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ دَهْرًا ، وَقُتِلَ الْأَسْرَى مِنْ قُوَّادِ الدَّيْلَمِ ، وَكَانُوا بِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا. |
| وَخَلَعَ الْمُتَّقِي عَلَى ابْنِ رَائِقٍ ، وَجَعَلَهُ أَمِيرَ الْأُمَرَاءِ ، وَأَمَرَ جَعْفَرَ الْكَرْخِيَّ بِلُزُومِ بَيْتِهِ ، وَكَانَتْ وَزَارَتُهُ ثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ يَوْمًا ، وَاسْتَوْلَى أَحْمَدُ الْكُوفِيُّ عَلَى الْأَمْرِ فَدَبَّرَهُ ، ثُمَّ ظَفِرَ ابْنُ رَائِقٍ بِكُورَتِكِينَ فَحُبِسَ بِدَارِ الْخَلِيفَةِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ بِالْعِرَاقِ غَلَاءٌ شَدِيدٌ ، فَاسْتَسْقَى النَّاسُ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، فَسُقُوا مَطَرًا قَلِيلًا لَمْ يَجْرِ مِنْهُ مِيزَابٌ ، ثُمَّ اشْتَدَّ الْغَلَاءُ وَالْوَبَاءُ ، وَكَثُرَ الْمَوْتُ حَتَّى كَانَ يُدْفَنُ الْجَمَاعَةُ فِي الْقَبْرِ الْوَاحِدِ وَلَا يُغَسَّلُونَ ، وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِمْ ، وَرَخَّصَ الْعَقَّارُ بِبَغْدَاذَ الْأَثَاثَ حَتَّى بِيعَ مَا ثَمَنُهُ دِينَارٌ بِدِرْهَمٍ ، وَانْقَضَى تِشْرِينُ الْأَوَّلُ وَتِشْرِينُ الثَّانِي ، وَالْكَانُونَانِ ، وَشُبَاطُ ، وَلَمْ يَجِئْ مَطَرٌ غَيْرُ الْمَطَرَةِ الَّتِي عِنْدَ الِاسْتِسْقَاءِ ، ثُمَّ جَاءَ الْمَطَرُ فِي آذَارَ وَنِيسَانَ. |
| وَفِيهَا فِي شَوَّالٍ ، اسْتَوْزَرَ الْمُتَّقِي لِلَّهِ أَبَا إِسْحَاقَ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ الْإِسْكَافِيَّ الْمَعْرُوفَ بِالْقَرَارِيطِيَّ ، بَعْدَ عَوْدِ بَنِي الْبَرِيدِيِّ مِنْ بَغْدَاذَ ، وَجَعَلَ بَدْرًا الْخَرْشِيَّ حَاجِبَهُ ، فَبَقِيَ وَزِيرًا إِلَى الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ كُورَتِكِينُ ، وَكَانَتْ وَزَارَتُهُ ثَلَاثَةً وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَاسْتَوْزَرَ بَعْدَهُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ الْقَاسِمِ الْكَرْخِيَّ ، فَبَقِيَ وَزِيرًا إِلَى الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، فَعَزَلَهُ ابْنُ رَائِقٍ لَمَّا اسْتَوْلَى عَلَى الْأُمُورِ بِبَغْدَاذَ ، فَكَانَتْ وِزَارَتُهُ اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ يَوْمًا ، وَدَبَّرَ الْأُمُورَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْكُوفِيُّ كَاتِبُ ابْنِ رَائِقٍ مِنْ غَيْرِ تَسْمِيَةٍ بِوِزَارَةٍ. |
| وَفِيهَا عَادَ الْحَجَّاجُ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَلَمْ يَصِلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ ، بَلْ سَلَكُوا الْجَادَّةَ بِسَبَبِ طَالِبِيٍّ ظَهَرَ بِتِلْكَ النَّاحِيَةِ وَقَوِيَ أَمْرُهُ. |
| وَفِيهَا كَثُرَتِ الْحُمَّيَاتُ وَوَجَعُ الْمَفَاصِلِ فِي النَّاسِ ، وَمَنْ عَجَّلَ الْفِصَادَ بَرِئَ وَإِلَّا طَالَ مَرَضُهُ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِي أَيَّامِ الرَّاضِي تُوُفِّيَ أَبُو بِشْرٍ أَخُو مَتَّى بْنِ يُونُسَ الْحَكِيمُ الْفَيْلَسُوفُ ، وَلَهُ تَصَانِيفُ فِي شَرْحِ كُتُبِ أَرِسْطَاطَالِيسَ. |
| وَفِيهَا فِي ذِي الْحِجَّةِ ، مَاتَ بُخْتَيْشُوعُ بْنُ يَحْيَى الطَّبِيبُ. |
| وَفِيهَا مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الْبَلْعَمِيُّ وَزِيرُ السَّعِيدِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ صَاحِبِ خُرَاسَانَ ، وَكَانَ مِنْ عُقَلَاءِ الرِّجَالِ ، وَكَانَ نَصْرٌ قَدْ صَرَفَهُ عَنْ وِزَارَتِهِ سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَجَعَلَ مَكَانَهُ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْجَيْهَانِيَّ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُظَفَّرِ بْنِ مُحْتَاجٍ ، وَدُفِنَ بِالصَّغَانِيَانِ. |
| وَأَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ خَلَفٍ الْبَرْبَهَارِيُّ رَئِيسُ الْحَنَابِلَةِ ، تُوُفِّيَ مُسْتَتِرًا وَدُفِنَ فِي تُرْبَةِ نَصْرِ الْقُشُورِيِّ ، وَكَانَ عُمُرُهُ سِتًّا وَسَبْعِينَ سَنَةً. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ وِزَارَةِ الْبَرِيدِيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَزَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيُّ لِلْمُتَّقِي لِلَّهِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ ابْنَ رَائِقٍ اسْتَوْحَشَ مِنَ الْبَرِيدِيِّ; لِأَنَّهُ أَخَّرَ حَمْلَ الْمَالِ ، وَانْحَدَرَ إِلَى وَاسِطَ عَاشِرَ الْمُحَرَّمِ ، فَهَرَبَ بَنُو الْبَرِيدِيِّ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَسَعَى لَهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْكُوفِيُّ حَتَّى عَادُوا وَضَمِنُوا بَقَايَا وَاسِطَ بِمِائَةٍ وَتِسْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَضَمَنُوهَا كُلَّ سَنَةٍ بِسِتِّمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ. |
| وَعَادَ ابْنُ رَائِقٍ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَشَغَبَ الْجُنْدُ عَلَيْهِ ثَانِيَ رَبِيعٍ الْآخَرِ ، وَفِيهِمْ تُوزُونُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْقُوَّادِ ، وَرَحَلُوا فِي الْعَشْرِ الْآخَرِ مِنْ رَبِيعٍ الْآخَرِ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيِّ بِوَاسِطَ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِ قَوِيَ بِهِمْ ، فَاحْتَاجَ ابْنُ رَائِقٍ إِلَى مُدَارَاتِهِ ، فَكَاتَبَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيَّ بِالْوِزَارَةِ ، وَأَنْفَذَ لَهُ الْخِلَعَ ، وَاسْتَخْلَفَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَيْرَزَادَ. |
| ثُمَّ وَرَدَتِ الْأَخْبَارُ إِلَى بَغْدَاذَ بِعَزْمِ الْبَرِيدِيِّ عَلَى الْإِصْعَادِ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَأَزَالَ ابْنُ رَائِقٍ اسْمَ الْوِزَارَةِ عَنْهُ ، وَأَعَادَ أَبَا إِسْحَاقَ الْقَرَارِيطِيَّ ، وَلَعَنَ بَنِي الْبَرِيدِيِّ عَلَى الْمَنَابِرِ بِجَانِبَيْ بَغْدَاذَ. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ الْبَرِيدِيِّ عَلَى بَغْدَاذَ ، وَإِصْعَادِ الْمُتَّقِي إِلَى الْمَوْصِلِ وَسَيَّرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيُّ أَخَاهُ أَبَا الْحُسَيْنِ إِلَى بَغْدَاذَ فِي جَمِيعِ الْجَيْشِ مِنَ الْأَتْرَاكِ وَالدَّيْلَمِ ، وَعَزَمَ ابْنُ رَائِقٍ عَلَى أَنْ يَتَحَصَّنَ بِدَارِ الْخَلِيفَةِ ، فَأَصْلَحَ سُورَهَا ، وَنَصَبَ عَلَيْهِ الْعَرَّادَاتِ وَالْمَنْجَنِيقَاتِ ، وَعَلَى دِجْلَةَ ، وَأَنْهَضَ الْعَامَّةَ ، وَجَنَّدَ بَعْضَهُمْ ، فَثَارُوا فِي بَغْدَاذَ وَأَحْرَقُوا وَنَهَبُوا ، وَأَخَذُوا النَّاسَ لَيْلًا وَنَهَارًا. |
| وَخَرَجَ الْمُتَّقِي لِلَّهِ وَابْنُ رَائِقٍ إِلَى نَهْرِ دِيَالِي مُنْتَصَفَ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَوَافَاهُمْ أَبُو الْحُسَيْنِ عِنْدَهُ فِي الْمَاءِ وَالْبَرِّ ، وَاقْتَتَلَ النَّاسُ ، وَكَانَتِ الْعَامَّةُ عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةَ فِي الْجَانِبَيْنِ يُقَاتِلُونَ مَنْ فِي الْمَاءِ مِنْ أَصْحَابِ الْبَرِيدِيِّ ، وَانْهَزَمَ أَهْلُ بَغْدَاذَ ، وَاسْتَوْلَى أَصْحَابُ الْبَرِيدِيِّ عَلَى دَارِ الْخَلِيفَةِ ، وَدَخَلُوا إِلَيْهَا فِي الْمَاءِ وَذَلِكَ لِتِسْعٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَهَرَبَ الْمُتَّقِي وَابْنُهُ الْأَمِيرُ أَبُو مَنْصُورٍ فِي نَحْوِ عِشْرِينَ فَارِسًا ، وَلَحِقَ بِهِمَا ابْنُ رَائِقٍ فِي جَيْشِهِ ، فَسَارُوا جَمِيعًا نَحْوَ الْمَوْصِلِ ، وَاسْتَتَرَ الْوَزِيرُ الْقَرَارِيطِيُّ ، وَكَانَتْ مُدَّةُ وِزَارَتِهِ الثَّانِيَةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَإِمَارَةُ ابْنِ رَائِقٍ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، وَقَتَلَ أَصْحَابُ الْبَرِيدِيِّ مَنْ وَجَدُوا فِي دَارِ الْخَلِيفَةِ مِنَ الْحَاشِيَةِ ، وَنَهَبُوهَا ، وَنَهَبُوا دُورَ الْحُرَمِ. |
| وَكَثُرَ النَّهْبُ فِي بَغْدَاذَ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَأَخَذُوا كُورَتِكِينَ مِنْ حَبْسِهِ ، وَأَنْفَذَهُ أَبُو الْحُسَيْنِ إِلَى أَخِيهِ بِوَاسِطَ فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ ، وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِلْقَاهِرِ بِاللَّهِ ، وَنَزَلَ أَبُو الْحُسَيْنِ بِدَارِ مُؤْنِسٍ الَّتِي يَسْكُنُهَا ابْنُ رَائِقٍ وَعَظُمَ النَّهْبُ ، فَأَقَامَ أَبُو الْحُسَيْنِ تُوزُونَ عَلَى الشُّرْطَةِ بِشَرْقِيِّ بَغْدَاذَ ، وَجَعَلَ نُوشْتِكِينَ عَلَى شُرْطَةِ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ، فَسَكَنَ النَّاسُ شَيْئًا يَسِيرًا ، وَأَخَذَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْبَرِيدِيُّ رَهَائِنَ الْقَوَّادِ الَّذِينَ مَعَ تُوزُونَ وَغَيْرِهِ ، وَأَخَذَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ فَسَيَّرَهُمْ إِلَى أَخِيهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بِوَاسِطَ. |
| ذِكْرُ مَا فَعَلَهُ الْبَرِيدِيُّ بِبَغْدَاذَ لَمَّا اسْتَوْلَى عَلَى بَغْدَاذَ أَخَذَ أَصْحَابُهُ فِي النَّهْبِ وَالسَّلْبِ وَأَخْذِ الدَّوَابِّ ، وَجَعَلُوا طَلَبَهَا طَرِيقًا إِلَى غَيْرِهَا مِنَ الْأَثَاثِ ، وَكُبِسَتِ الدُّورُ ، وَأُخْرِجَ أَهْلُهَا مِنْهَا وَنَزَلَتْ ، وَعَظُمَ الْأَمْرُ ، وَجُعِلَ عَلَى كُرٍّ مِنَ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَأَصْنَافِ الْحُبُوبِ خَمْسَةُ دَنَانِيرَ ، وَغَلَتِ الْأَسْعَارُ فَبِيعَ كُرُّ الْحِنْطَةِ بِثَلَاثِمِائَةٍ وَسِتَّةَ عَشَرَ دِينَارًا ، وَالْخُبْزُ الْخَشْكَوَارُ رِطْلَيْنِ بِقِيرَاطَيْنِ صَحِيحٍ أَمِيرِيٍّ ، وَحَبِطَ أَهْلُ الذِّمَّةِ ، وَأَخَذَ الْقَوِيُّ بِالضَّعِيفِ ، وَوَرَدَ مِنَ الْكُوفَةِ وَسَوَادِهَا خَمْسُمِائَةُ كُرٍّ مِنَ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ ، فَأَخَذَهُ جَمِيعَهُ وَادَّعَى أَنَّهُ لِلْعَامِلِ بِتِلْكَ النَّاحِيَةِ. |
| وَوَقَعَتِ الْفِتَنُ بَيْنَ النَّاسِ ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مَعَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْقَرَامِطَةِ ، فَجَرَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْأَتْرَاكِ حَرْبٌ قُتِلَ فِيهَا جَمَاعَةٌ ، وَانْهَزَمَ الْقَرَامِطَةُ ، وَفَارَقُوا بَغْدَاذَ ، وَوَقَعَتْ حَرْبٌ بَيْنَ الدَّيْلَمِ وَالْعَامَّةِ ، قُتِلَ فِيهَا جَمَاعَةٌ مِنْ حَدِّ نَهْرِ طَابَقٍ إِلَى الْقَنْطَرَةِ الْجَدِيدَةِ. |
| وَفِي آخِرِ شَعْبَانَ زَادَ الْبَلَاءُ عَلَى النَّاسِ ، فَكَبَسُوا مَنَازِلَهُمْ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَاسْتَتَرَ أَكْثَرُ الْعُمَّالِ لِعَظِيمِ مَا طُولِبُوا بِهِ مِمَّا لَيْسَ فِي السَّوَادِ ، وَافْتَرَقَ النَّاسُ ، فَخَرَجَ النَّاسُ وَأَصْحَابُ السُّلْطَانِ إِلَى قُرْبٍ مِنْ بَغْدَاذَ ، فَحَصَدُوا مَا اسْتَحْصَدُوا مِنَ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ ، وَحَمَلُوهُ بِسُنْبُلِهِ إِلَى مَنَازِلِهِمْ ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ يَنْهَبُ وَيَعْسِفُ أَهْلَ الْعِرَاقِ وَيَظْلِمُهُمْ ظُلْمًا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ قَطُّ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ. |
| وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا هَذَا الْفَصْلَ لِيَعْلَمَ الظَّلَمَةُ أَنَّ أَخْبَارَهُمْ تُنْقَلُ وَتَبْقَى عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ ، فَرُبَّمَا تَرَكُوا الظُّلْمَ لِهَذَا إِنْ لَمْ يَتْرُكُوهُ لِلَّهِ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. |
| ذِكْرُ قَتْلِ ابْنِ رَائِقٍ ، وَوَلَايَةِ ابْنِ حَمْدَانَ إِمْرَةَ الْأُمَرَاءِ كَانَ الْمُتَّقِي لِلَّهِ قَدْ أَنْفَذَ إِلَى نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ يَسْتَمِدُّهُ عَلَى الْبَرِيدِيِّينَ ، فَأَرْسَلَ أَخَاهُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدَانَ نَجْدَةً لَهُ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ ، فَلَقِيَ الْمُتَّقِيَ وَابْنَ رَائِقٍ بِتَكْرِيتَ قَدِ انْهَزَمَا ، فَخَدَمَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ لِلْمُتَّقِي خِدْمَةً عَظِيمَةً ، وَسَارَ مَعَهُ إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَفَارَقَهَا نَاصِرُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ، وَتَوَجَّهَ نَحْوَ مَعْلَثَايَّا ، وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ رَائِقٍ ، حَتَّى تَعَاهَدَا وَاتَّفَقَا ، فَحَضَرَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ وَنَزَلَ عَلَى دِجْلَةَ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ، فَعَبَرَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ أَبُو مَنْصُورِ بْنُ الْمُتَّقِي وَابْنُ رَائِقٍ يُسَلِّمَانِ عَلَيْهِ ، فَنَثَرَ الدَّنَانِيرَ وَالدَّرَاهِمَ عَلَى وَلَدِ الْمُتَّقِي ، فَلَمَّا أَرَادُوا الِانْصِرَافَ مِنْ عِنْدِهِ رَكِبَ ابْنُ الْمُتَّقِي ، وَأَرَادَ ابْنُ رَائِقٍ الرُّكُوبَ ، فَقَالَ لَهُ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ تُقِيمُ الْيَوْمَ عِنْدِي لِنَتَحَدَّثَ فِيمَا نَفْعَلُهُ ، فَاعْتَذَرَ ابْنُ رَائِقٍ بِابْنِ الْمُتَّقِي ، فَأَلَحَّ عَلَيْهِ ابْنُ حَمْدَانَ ، فَاسْتَرَابَ بِهِ ، وَجَذَبَ كُمَّهُ مِنْ يَدِهِ فَقَطَعَهُ ، وَأَرَادَ الرُّكُوبَ فَشَبَّ بِهِ الْفَرَسُ فَسَقَطَ ، فَصَاحَ ابْنُ حَمْدَانَ بِأَصْحَابِهِ اقْتُلُوهُ. |
| فَقَتَلُوهُ ، وَأَلْقَوْهُ فِي دِجْلَةَ. |
| وَأَرْسَلَ ابْنُ حَمْدَانَ إِلَى الْمُتَّقِي يَقُولُ إِنَّهُ عَلِمَ أَنَّ ابْنَ رَائِقٍ أَرَادَ أَنْ يَغْتَالَهُ ، فَفَعَلَ بِهِ مَا فَعَلَ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ الْمُتَّقِي رَدًّا جَمِيلًا ، وَأَمَرَهُ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِ ، فَسَارَ ابْنُ حَمْدَانَ إِلَى الْمُتَّقِي لِلَّهِ ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَلَقَّبَهُ" نَاصِرَ الدَّوْلَةِ "، وَجَعَلَهُ أَمِيرَ الْأُمَرَاءِ ، وَذَلِكَ مُسْتَهَلَّ شَعْبَانَ ، وَخَلَعَ عَلَى أَخِيهِ أَبِي الْحُسَيْنِ عَلِيٍّ ، وَلَقَّبَهُ" سَيْفَ الدَّوْلَةِ ". |
| وَكَانَ قَتْلُ ابْنِ رَائِقٍ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ لِتِسْعٍ بَقِينَ مِنْ رَجَبٍ. |
| وَلَمَّا قُتِلَ ابْنُ رَائِقٍ ، سَارَ الْإِخْشِيدُ مِنْ مِصْرَ إِلَى دِمَشْقَ ، وَكَانَ بِهَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزْدَادَ خَلِيفَةُ ابْنِ رَائِقٍ ، فَاسْتَأْمَنَ إِلَى الْإِخْشِيدِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ دِمَشْقَ ، فَأَقَرَّهُ عَلَيْهَا ، ثُمَّ نَقَلَهُ عَنْهَا إِلَى مِصْرَ وَجَعَلَهُ عَلَى شُرْطَتِهَا ، وَيُقَالُ أَنْ لِابنِ رَائِقٍ شِعْرًا مِنْهُ يَصْفَرُّ وَجْهِي إِذَا تَأَمَّلَهُ... |
| طَرْفِي وَيَحْمَرُّ وَجْهُهُ خَجَلَا حَتَّى كَأَنَّ الَّذِي بِوَجْنَتِهِ... |
| مِنْ دَمِ قَلْبِي إِلَيْهِ قَدْ نُقِلَا. |
| وَقَدْ قِيلَ إِنَّهَا لِلرَّاضِي بِاللَّهِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ. |
| ذِكْرُ عَوْدِ الْمُتَّقِي إِلَى بَغْدَاذَ ، وَهَرَبِ الْبَرِيدِيِّ عَنْهَا لَمَّا اسْتَوْلَى أَبُو الْحُسَيْنِ الْبَرِيدِيُّ عَلَى بَغْدَاذَ ، وَأَسَاءَ السِّيرَةَ كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، نَفَرَتْ عَنْهُ قُلُوبُ النَّاسِ الْعَامَّةِ وَالْأَجْنَادِ ، فَلَمَّا قُتِلَ ابْنُ رَائِقٍ ، سَارَعَ الْجُنْدُ إِلَى الْهَرَبِ مِنَ الْبَرِيدِيِّ ، فَهَرَبَ خَجْخَجُ إِلَى الْمُتَّقِي ، وَكَانَ قَدِ اسْتَعْمَلَهُ الْبَرِيدِيُّ عَلَى الرَّاذَانَاتِ وَمَا يَلِيهَا ، ثُمَّ تَحَالَفَ تُوزُونُ وَنُوشْتِكِينُ وَالْأَتْرَاكُ عَلَى كَبْسِ أَبِي الْحُسَيْنِ الْبَرِيدِيِّ ، فَغَدَرَ نُوشْتِكِينُ ، فَأَعْلَمَ الْبَرِيدِيَّ الْخَبَرَ ، فَاحْتَاطَ وَأَحْضَرَ الدَّيْلَمَ عِنْدَهُ ، وَقَصَدَهُ تُوزُونُ ، فَحَارَبَهُ الدَّيْلَمُ ، وَعَلِمَ تُوزُونُ غَدْرَ نُوشْتِكِينَ بِهِ ، فَعَادَ وَمَعَهُ جُمْلَةٌ وَافِرَةٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ ، وَسَارَ نَحْوَ الْمَوْصِلِ خَامِسَ رَمَضَانَ ، فَقَوِيَ بِهِمُ ابْنُ حَمْدَانَ ، وَعَزَمَ عَلَى الِانْحِدَارِ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَتَجَهَّزَ وَانْحَدَرَ هُوَ وَالْمُتَّقِي ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى أَعْمَالِ الْخَرَاجِ وَالضِّيَاعِ بِدِيَارِ مُضَرَ ، وَهِيَ الرُّهَا وَحَرَّانُ وَالرَّقَّةُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ طِيَّابٍ ، وَسَيَّرَهُ مِنَ الْمَوْصِلِ. |
| وَكَانَ عَلَى دِيَارِ مُضَرَ أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُقَاتِلٍ خَلِيفَةً لِابْنِ رَائِقٍ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَقُتِلَ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ مُقَاتِلٍ ، وَاسْتَوْلَى ابْنُ طِيَّابٍ عَلَيْهَا ، فَلَمَّا قَارَبَ الْمُتَّقِي لِلَّهِ وَنَاصِرُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ بَغْدَاذَ ، هَرَبَ أَبُو الْحُسَيْنِ مِنْهَا إِلَى وَاسِطَ ، وَاضْطَرَبَتِ الْعَامَّةُ بِبَغْدَاذَ ، وَنَهَبَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَكَانَ مَقَامُ أَبِي الْحُسَيْنِ بِبَغْدَاذَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا ، وَدَخَلَ الْمُتَّقِي لِلَّهِ إِلَى بَغْدَاذَ وَمَعَهُ بَنُو حَمْدَانَ فِي جُيُوشٍ كَثِيرَةٍ ، وَاسْتَوْزَرَ الْمُتَّقِي أَبَا إِسْحَاقَ الْقَرَارِيطِيَّ ، وَقَلَّدَ تُوزُونَ شُرْطَةَ جَانِبَيْ بَغْدَاذَ ، وَذَلِكَ فِي شَوَّالٍ. |
| ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ ابْنِ حَمْدَانَ وَالْبَرِيدِيِّ لَمَّا هَرَبَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْبَرِيدِيُّ إِلَى وَاسِطَ ، وَوَصَلَ بَنُو حَمْدَانَ وَالْمُتَّقِي إِلَى بَغْدَاذَ ، خَرَجَ بَنُو حَمْدَانَ عَنْ بَغْدَاذَ نَحْوَ وَاسِطَ ، وَكَانَ أَبُو الْحُسَيْنِ قَدْ سَارَ مِنْ وَاسِطَ إِلَيْهِمْ بِبَغْدَاذَ ، فَأَقَامَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ بِالْمَدَائِنِ ، وَسَيَّرَ أَخَاهُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ وَابْنَ عَمِّهِ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ حَمْدَانَ فِي الْجَيْشِ إِلَى قِتَالِ أَبِي الْحُسَيْنِ ، فَالْتَقَوْا نَحْوَ الْمَدَائِنِ بِفَرْسَخَيْنِ ، وَاقْتَتَلُوا عِدَّةَ أَيَّامٍ آخِرُهَا رَابِعَ ذِي الْحِجَّةِ ، وَكَانَ تُوزُونُ وَخَجْخَجُ وَالْأَتْرَاكُ مَعَ ابْنِ حَمْدَانَ ، فَانْهَزَمَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى الْمَدَائِنِ ، وَبِهَا نَاصِرُ الدَّوْلَةِ ، فَرَدَّهُمْ وَأَضَافَ إِلَيْهِمْ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْجَيْشِ ، فَعَاوَدُوا الْقِتَالَ ، فَانْهَزَمَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْبَرِيدِيُّ ، وَأُسِرَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِ أَصْحَابِهِ ، وَقُتِلَ جَمَاعَةٌ ، وَعَادَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْبَرِيدِيُّ مُنْهَزِمًا إِلَى وَاسِطَ ، وَلَمْ يَقْدِرْ سَيْفُ الدَّوْلَةِ عَلَى اتِّبَاعِهِ إِلَيْهَا; لِمَا فِي أَصْحَابِهِ مِنَ الْوَهْنِ وَالْجِرَاحِ. |
| وَكَانَ الْمُتَّقِي قَدْ سَيَّرَ أَهْلَهُ مِنْ بَغْدَاذَ إِلَى سُرَّ مَنْ رَأَى ، فَأَعَادَهُمْ ، وَكَانَ أَعْيَانُ النَّاسِ قَدْ هَرَبُوا مِنْ بَغْدَاذَ ، فَلَمَّا انْهَزَمَ الْبَرِيدِيُّ عَادُوا إِلَيْهَا ، وَعَادَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَدَخَلَهَا ثَالِثَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْأَسْرَى عَلَى الْجِمَالِ ، وَلَمَّا اسْتَرَاحَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ وَأَصْحَابُهُ ، انْحَدَرُوا مِنْ مَوْضِعِ الْمَعْرَكَةِ إِلَى وَاسِطَ ، فَرَأَوُا الْبَرِيدِيَّيْنَ قَدِ انْحَدَرُوا إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَأَقَامَ بِوَاسِطَ وَمَعَهُ الْجَيْشُ ، وَسَنَذْكُرُ مِنْ أَخْبَارِهِ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . |
| وَلَمَّا عَادَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ إِلَى بَغْدَاذَ ، نَظَرَ فِي الْعِيَارِ ، فَرَآهُ نَاقِصًا ، فَأَمَرَ بِإِصْلَاحِ الدَّنَانِيرِ ، فَضَرَبَ دَنَانِيرَ سَمَّاهَا الْإِبْرِيزِيَّةَ ، عِيَارُهَا خَيْرٌ مِنْ غَيْرِهَا ، فَكَانَ الدِّينَارُ بِعَشَرَةِ دَارَهِمَ ، فَبِيعَ هَذَا الدِّينَارُ بِثَلَاثَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ الدَّيْلَمِ عَلَى أَذْرَبِيجَانَ كَانَتْ أَذْرَبِيجَانُ بِيَدِ دَيْسَمِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْكُرْدِيِّ ، وَكَانَ قَدْ صَحِبَ يُوسُفَ بْنَ أَبِي السَّاجِ ، وَخَدَمَ وَتَقَدَّمَ حَتَّى اسْتَوْلَى عَلَى أَذْرَبِيجَانَ ، وَكَانَ يَقُولُ بِمَذْهَبِ الشُّرَاةِ هُوَ وَأَبُوهُ ، وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَصْحَابِ هَارُونَ الشَّارِيِّ ، فَلَمَّا قُتِلَ هَارُونُ ، هَرَبَ إِلَى أَذْرَبِيجَانَ ، وَتَزَوَّجَ ابْنَةَ رَئِيسٍ مِنْ أَكْرَادِهَا ، فَوَلَدَتْ لَهُ دَيْسَمَ ، فَانْضَمَّ إِلَى أَبِي السَّاجِ ، فَارْتَفَعَ وَكَبُرَ شَأْنُهُ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى أَنْ مَلَكَ أَذْرَبِيجَانَ بَعْدَ يُوسُفَ بْنِ أَبِي السَّاجِ ، وَكَانَ مُعْظَمُ جُيُوشِهِ الْأَكْرَادُ ، إِلَّا نَفَرًا يَسِيرًا مِنَ الدَّيْلَمِ مِنْ عَسْكَرِ وَشْمَكِيرَ ، أَقَامُوا عِنْدَهُ حِينَ صَحِبُوهُ إِلَى أَذْرَبِيجَانَ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْأَكْرَادَ تَقَوَّوْا ، وَتَحَكَّمُوا عَلَيْهِ ، وَتَغَلَبُّوا عَلَى بَعْضِ قِلَاعِهِ وَأَطْرَافِ بِلَادِهِ ، فَرَأَى أَنْ يَسْتَظْهِرَ عَلَيْهِمْ بِالدَّيْلَمِ ، فَاسْتَكْثَرَ ذَلِكَ مِنْهُمْ ، وَكَانَ فِيهِمْ صُعْلُوكُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُسَافِرٍ ، وَعَلِيُّ بْنُ الْفَضْلِ وَغَيْرُهُمَا ، فَأَكْرَمَهُمْ دَيْسَمُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، وَانْتَزَعَ مِنَ الْأَكْرَادِ مَا تَغَلَّبُوا عَلَيْهِ مِنْ بِلَادِهِ ، وَقَبَضَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ. |
| وَكَانَ وَزِيرُهُ أَبَا الْقَاسِمِ عَلِيَّ بْنَ جَعْفَرٍ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ أَذْرَبِيجَانَ ، فَسَعَى بِهِ أَعْدَاؤُهُ ، فَأَخَافَهُ دَيْسَمُ ، فَهَرَبَ إِلَى الطَّرْمِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مُسَافِرٍ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ رَأَى ابْنَيْهِ وَهْسُوذَانَ وَالْمَرْزُبَانَ قَدِ اسْتَوْحَشَا مِنْهُ ، وَاسْتَوْلَيَا عَلَى بَعْضِ قِلَاعِهِ ، وَكَانَ سَبَبُ وَحْشَتِهِمَا سُوءَ مُعَامَلَتِهِ مَعَهُمَا وَمَعَ غَيْرِهِمَا ، ثُمَّ إِنَّهُمَا قَبَضَا عَلَى أَبِيهِمَا مُحَمَّدِ بْنِ مُسَافِرٍ ، وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُ وَذَخَائِرَهُ ، وَبَقِيَ فِي حِصْنٍ آخَرَ وَحِيدًا فَرِيدًا بِغَيْرِ مَالٍ وَلَا عُدَّةٍ ، فَرَأَى عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ الْحَالَ ، فَتَقَرَّبَ إِلَى الْمَزْرُبَانَ وَخَدَمَهُ وَأَطْعَمَهُ فِي أَذْرَبِيجَانَ ، وَضَمِنَ لَهُ تَحْصِيلَ أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ يَعْرِفُ هُوَ وُجُوهَهَا ، فَقَلَّدَهُ وِزَارَتَهُ. |
| وَكَانَ يَجْمَعْهُمَا مَعَ الَّذِي ذَكَرْنَا أَنَّهُمَا كَانَا مَعَ الشِّيعَةِ ، فَإِنَّ عَلِيَّ بْنَ جَعْفَرٍ كَانَ مِنْ دُعَاةِ الْبَاطِنِيَّةِ ، وَالْمَزْرُبَانُ مَشْهُورٌ بِذَلِكَ ، وَكَانَ دَيْسَمُ كَمَا ذَكَرْنَا يَذْهَبُ إِلَى مَذْهَبِ الْخَوَارِجِ فِي بُغْضِ عَلِيٍّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ. |
| فَنَفَرَ عَنْهُ مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الدَّيْلَمِ ، وَابْتَدَأَ عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ فَكَاتَبَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَسْتَوْحِشُ مِنْ دَيْسَمَ يَسْتَمِيلَهُ ، إِلَى أَنْ أَجَابَهُ أَكْثَرُ أَصْحَابِهِ ، وَفَسَدَتْ قُلُوبُهُمْ عَلَى دَيْسَمَ ، وَخَاصَّةً الدَّيْلَمُ ، وَسَارَ الْمَرْزُبَانُ إِلَى أَذْرَبِيجَانَ ، وَسَارَ دَيْسَمُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا الْتَقَيَا لِلْحَرْبِ عَادَ الدَّيْلَمُ إِلَى الْمَرْزُبَانِ ، وَتَبِعَهُمْ كَثِيرٌ مِنَ الْأَكْرَادِ مُسْتَأْمِنِينَ ، فَحَمَلَ الْمَرْزُبَانُ عَلَى دَيْسَمَ ، فَهَرَبَ فِي طَائِفَةٍ يَسِيرَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى أَرْمِينِيَّةَ ، وَاعْتَصَمَ بِحَاجِيقَ بْنِ الدِّيرَانِيِّ ، لِمَوَدَّةٍ بَيْنِهِمَا ، فَأَكْرَمَهُ وَاسْتَأْنَفَ دَيْسَمُ يُؤَلِّفُ الْأَكْرَادَ ، وَكَانَ أَصْحَابُهُ يُشِيرُونَ عَلَيْهِ بِإِبْعَادِ الدَّيْلَمِ لِمُخَالَفَتِهِمْ إِيَّاهُ فِي الْجِنْسِ وَالْمَذْهَبِ ، فَعَصَاهُمْ وَمَلَّكَ الْمَرْزُبَانَ أَذْرَبِيجَانَ ، وَاسْتَقَامَ أَمْرُهُ إِلَى أَنْ فَسَدَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَزِيرِهِ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ. |
| وَكَانَ سَبَبُ الْوَحْشَةِ بَيْنَهُمَا أَنَّ عَلِيًّا أَسَاءَ السِّيرَةَ مَعَ أَصْحَابِ الْمَرْزُبَانِ ، فَتَضَافَرُوا عَلَيْهِ ، فَأَحَسَّ بِذَلِكَ ، فَاحْتَالَ عَلَى الْمَرْزُبَانِ فَأَطْمَعَهُ فِي أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ يَأْخُذُهَا لَهُ مِنْ بَلَدِ تِبْرِيزَ ، فَضَمَّ جُنْدًا مِنَ الدَّيْلَمِ وَسَيَّرَهُمْ إِلَيْهَا ، فَاسْتَمَالَ أَهْلَ الْبَلَدِ ، فَعَرَّفَهُمْ أَنَّ الْمَرْزُبَانَ إِنَّمَا سَيَّرَهُ إِلَيْهِمْ لِيَأْخُذَ أَمْوَالَهُمْ ، وَحَسَّنَ لَهُمْ قَتْلَ مَنْ عِنْدَهُمْ مِنَ الدَّيْلَمِ ، وَمُكَاتَبَةَ دَيْسَمَ لِيَقَدُمَ عَلَيْهِمْ ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ. |
| وَكَاتَبَ دَيْسَمَ ، وَوَثَبَ أَهْلُ الْبَلَدِ بِالدَّيْلَمِ فَقَتَلُوهُمْ ، وَسَارَ دَيْسَمُ فِيمَنِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنَ الْعَسْكَرِ إِلَى تِبْرِيزَ ، وَكَانَ الْمَرْزُبَانُ قَدْ أَسَاءَ إِلَى مَنِ اسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَكْرَادِ ، فَلَمَّا سَمِعُوا بِدَيْسَمَ أَنَّهُ يُرِيدُ تِبْرِيزَ سَارُوا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا اتَّصَلَ ذَلِكَ بِالْمَرْزُبَانِ ، نَدِمَ عَلَى إِيحَاشِ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ ، ثُمَّ جَمَعَ عَسْكَرَهُ وَسَارَ إِلَى تِبْرِيزَ ، فَتَحَارَبَ هُوَ وَدَيْسَمُ بِظَاهِرِ تِبْرِيزَ ، فَانْهَزَمَ دَيْسَمُ وَالْأَكْرَادُ ، وَعَادُوا فَتَحَصَّنُوا بِتِبْرِيزَ ، وَحَصَرَهُمُ الْمَرْزُبَانُ وَأَخَذَ فِي إِصْلَاحِ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ وَمُرَاسَلَتِهِ ، وَبَذَلَ لَهُ الْأَيْمَانَ عَلَى مَا يُرِيدُهُ ، فَأَجَابَهُ عَلِيٌّ إِنَّنِي لَا أُرِيدُ مِنْ جَمِيعِ مَا بَذَلْتَهُ إِلَّا السَّلَامَةَ وَتَرْكَ الْعَمَلَ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ وَحَلَفَ لَهُ. |
| وَاشْتَدَّ الْحِصَارُ عَلَى دَيْسَمَ ، فَسَارَ مِنْ تِبْرِيزَ إِلَى أَرْدَبِيلَ ، وَخَرَجَ عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ إِلَى الْمَزْرَبَانِ ، فَسَارُوا إِلَى أَرْدَبِيلَ وَتَرَكَ الْمَرْزُبَانُ عَلَى تِبْرِيزِ مَنْ يَحْصُرُهَا ، وَحَصَرَ هُوَ دَيْسَمَ بِأَرْدَبِيلَ ، فَلَمَّا طَالَ الْحِصَارُ عَلَيْهِ طَلَبَ الصُّلْحَ ، وَرَاسَلَ الْمَرْزُبَانَ فِي ذَلِكَ ، فَأَجَابَهُ إِلَيْهِ ، فَاصْطَلَحَا وَتَسَلَّمَ الْمَرْزُبَانُ أَرْدَبِيلَ ، فَأَكْرَمَ دَيْسَمَ وَعَظَّمَهُ ، وَوَفَّى لَهُ بِمَا حَلَفَ لَهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ إِنَّ دَيْسَمَ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْمَرْزُبَانِ ، فَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُسَيِّرَهُ إِلَى قَلْعَتِهِ بِالطَّرْمِ فَيَكُونَ فِيهَا هُوَ وَأَهْلُهُ ، وَيَقْنَعَ بِمَا يَتَحَصَّلُ لَهُ مِنْهَا ، وَلَا يُكَلِّفَهُ شَيْئًا آخَرَ ، فَفَعَلَ الْمَرْزُبَانُ ذَلِكَ ، وَأَقَامَ دَيْسَمُ بِقَلْعَتِهِ هُوَ وَأَهْلُهُ. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُحْتَاجٍ عَلَى بَلَدِ الْجَبَلِ ، وَطَاعَةِ وَشْمَكِيرَ لِلْسَامَانِيِّةِ قَدْ ذَكَرْنَا سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ مَسِيرَ أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُحْتَاجٍ صَاحِبِ جُيُوشِ خُرَاسَانَ لِلْسَامَانِيِّةِ إِلَى الرَّيِّ ، وَأَخَذَهَا مِنْ وَشْمَكِيرَ ، وَمَسِيرَ وَشْمَكِيرَ إِلَى طَبَرِسْتَانَ ، وَأَقَامَ أَبُو عَلِيٍّ بِالرَّيِّ بَعْدَ مِلْكِهَا تِلْكَ الشَّتْوَةِ ، وَسَيَّرَ الْعَسَاكِرَ إِلَى بَلَدِ الْجَبَلِ فَافْتَتَحَهَا ، وَاسْتَوْلَى عَلَى زِنْكَانَ ، وَأَبْهَرَ ، وَقَزْوِينَ ، وَقُمَّ ، وَكَرَجَ ، وَهَمَذَانَ ، وَنَهَاوَنْدَ وَالدِّينَوَرَ إِلَى حُدُودِ حُلْوَانَ ، وَرَتَّبَ فِيهَا الْعُمَّالَ ، وَجَبَى أَمْوَالَهَا. |
| وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ الْفَيْرُزَانِ بِسَارِيَةٍ ، فَقَصَدَهُ وَشْمَكِيرُ وَحَصَرَهُ ، فَسَارَ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ وَاسْتَنْجَدَهُ ، وَأَقَامَ وَشْمَكِيرُ مُتَحَصِّنًا بِسَارِيَةٍ ، فَسَارَ إِلَيْهِ أَبُو عَلِيٍّ وَمَعَهُ الْحَسَنُ وَحَصَرَاهُ بِهَا سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ ، وَأَلَحَّ عَلَيْهِ بِالْقِتَالِ كُلَّ يَوْمٍ ، وَهُمْ فِي شِتَاءٍ شَاتٍ كَثِيرِ الْمَطَرِ ، فَسَأَلَ وَشْمَكِيرُ الْمُوَاعَدَةَ ، فَصَالَحَهُ أَبُو عَلِيٍّ ، وَأَخَذَ رَهَائِنَهُ عَلَى لُزُومِ طَاعَةِ الْأَمِيرِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ السَّامَانِيِّ ، وَرَحَلَ عَنْهُ إِلَى جُرْجَانَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَأَتَاهُ مَوْتُ الْأَمِيرِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ ، فَسَارَ عَنْهَا إِلَى خُرَاسَانَ. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ الْحَسَنِ بْنِ الْفَيْرُزَانِ عَلَى جُرْجَانَ كَانَ الْحَسَنُ بْنُ الْفَيْرُزَانِ عَمَّ مَاكَانَ بْنِ كَالِي ، وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ فِي الشَّجَاعَةِ ، فَلَمَّا قُتِلَ مَاكَانُ ، رَاسَلَهُ وَشْمَكِيرُ لِيَدْخُلَ فِي طَاعَتِهِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَكَانَ بِمَدِينَةِ سَارِيَةَ ، وَصَارَ يَسُبُّ وَشْمَكِيرَ ، وَيَنْسُبُهُ إِلَى الْمُوَاطَأَةِ عَلَى قَتْلِ مَاكَانَ ، فَقَصَدَهُ وَشْمَكِيرُ ، فَسَارَ الْحَسَنُ مِنْ سَارِيَةَ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ صَاحِبِ جُيُوشِ خُرَاسَانَ ، وَاسْتَنْجَدَهُ ، فَسَارَ مَعَهُ أَبُو عَلِيٍّ مِنَ الرَّيِّ ، فَحَصَرَ وَشْمَكِيرَ بِسَارِيَةَ ، وَأَقَامَ يُحَاصِرُهُ إِلَى سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَاصْطَلَحَا. |
| وَعَادَ أَبُو عَلِيٍّ إِلَى خُرَاسَانَ ، وَأَخَذَ ابْنًا لِوَشْمَكِيرَ اسْمُهُ سَالَارُ رَهِينَةً ، وَصَحِبَهُ الْحَسَنُ بْنُ الْفَيْرُزَانِ ، وَهُوَ كَارِهٌ لِلصُّلْحِ ، فَبَلَغَهُ وَفَاةُ السَّعِيدِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ صَاحِبِ خُرَاسَانَ ، فَلَمَّا سَمِعَ الْحَسَنُ ذَلِكَ ، عَزَمَ عَلَى الْفَتْكِ بِأَبِي عَلِيٍّ ، فَثَارَ بِهِ وَبِعَسْكَرِهِ ، فَسَلَّمَ أَبُو عَلَيٍّ ، وَنَهَبَ الْحَسَنُ سَوَادَهُ ، وَأَخَذَ ابْنَ وَشْمَكِيرَ ، وَعَادَ إِلَى جُرْجَانَ فَمَلَكَهَا ، وَمَلَكَ الدَّامَغَانَ وَسَمْنَانَ ، وَلَمَّا وَصَلَ أَبُو عَلِيٍّ إِلَى نَيْسَابُورَ ، رَأَى إِبْرَاهِيمَ بْنَ سِيمَجُورَ الدَّوَاتِيَّ قَدِ امْتَنَعَ عَلَيْهِ بِهَا وَخَالَفَهُ ، فَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُمْ فَاصْطَلَحُوا. |
| ذِكْرُ مِلْكِ وَشْمَكِيرَ الرَّيَّ لَمَّا انْصَرَفَ أَبُو عَلِيٍّ إِلَى خُرَاسَانَ ، وَجَرَى عَلَيْهِ مِنَ الْحَسَنِ مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَعَادَ إِلَى جُرْجَانَ ، سَارَ وَشْمَكِيرُ مِنْ طَبَرِسْتَانَ إِلَى الرَّيِّ ، فَمَلَكَهَا وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَرَاسَلَهُ الْحَسَنُ بْنُ الْفَيْرُزَانِ يَسْتَمِيلُهُ ، وَرَدَّ عَلَيْهِ ابْنَهُ سَالَارَ الَّذِي كَانَ عِنْدَ أَبِي عَلِيٍّ رَهِينَةً ، وَقَصَدَ أَنْ يَتَقَوَّى بِهِ عَلَى الْخُرَاسَانِيَّةِ إِنْ عَادُوا إِلَيْهِ ، فَأَلَانَ لَهُ وَشْمَكِيرُ الْجَوَابَ ، وَلَمْ يُصَرِّحْ بِمَا يُخَالِفُ قَاعِدَتَهُ مَعَ أَبِي عَلِيٍّ. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ عَلَى الرَّيِّ لَمَّا سَمِعَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ وَأَخُوهُ عِمَادُ الدَّوْلَةِ ابْنَا بُوَيْهِ بِمِلْكِ وَشْمَكِيرَ الرَّيَّ ، طَمِعَا فِيهِ; لِأَنَّ وَشْمَكِيرُ كَانَ قَدْ ضَعُفَ ، وَقَلَّتْ رِجَالُهُ وَمَالُهُ بِتِلْكَ الْحَادِثَةِ مَعَ أَبِي عَلِيٍّ ، فَسَارَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ الْحَسَنُ بْنُ بُوَيْهِ إِلَى الرَّيِّ ، وَاقْتَتَلَ هُوَ وَوَشْمَكِيرُ ، فَانْهَزَمَ وَشْمَكِيرُ ، وَاسْتَأْمَنَ كَثِيرٌ مِنْ رِجَالِهِ إِلَى رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، فَسَارَ وَشْمَكِيرُ إِلَى طَبَرِسْتَانَ ، فَقَصَدَهُ الْحَسَنُ بْنُ الْفَيْرُزَانِ ، فَاسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ عَسْكَرِهِ أَيْضًا ، فَانْهَزَمَ وَشْمَكِيرُ إِلَى خُرَاسَانَ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْحَسَنَ بْنَ الْفَيْرُزَانِ رَاسَلَ رُكْنَ الدَّوْلَةِ وَوَاصَلَهُ ، فَتَزَوَّجَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ بِنْتًا لِلْحَسَنِ ، فَوَلَدَتْ لَهُ وَلَدَهُ فَخْرَ الدَّوْلَةِ عَلِيًّا. |
| وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَذْكُرَ هَذِهِ الْحَوَادِثَ بَعْدَ وَفَاةِ السَّعِيدِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْنَاهَا هَاهُنَا; لِيَتْلُوَ بَعْضُهَا بَعْضًا. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ صُرِفَ بَدْرٌ الْخَرْشَنِيُّ عَنْ حَجَبَةِ الْخَلِيفَةِ ، وَجُعِلَ مَكَانَهُ سَلَامَةُ الطُّولُونِيُّ. |
| وَفِيهَا ظَهَرَ كَوْكَبٌ فِي الْمُحَرَّمِ بِذَنَبٍ عَظِيمٍ فِي أَوَّلِ بُرْجِ الْقَوْسِ ، وَآخِرِ بُرْجِ الْعَقْرَبِ بَيْنَ الْغَرْبِ وَالشَّمَالِ ، وَكَانَ رَأْسُهُ فِي الْمَغْرِبِ وَذَنَبُهُ فِي الْمَشْرِقِ ، وَكَانَ عَظِيمًا مُنْتَشِرَ الذَّنَبِ ، وَبَقِيَ ظَاهِرًا ثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَسَارَ فِي الْقَوْسِ وَالْجَدْيِ ، ثُمَّ اضْمَحَلَّ . |
| وَفِيهَا اشْتَدَّ الْغَلَاءُ لَا سِيَّمَا بِالْعِرَاقِ ، وَبِيعَ الْخُبْزُ أَرْبَعَةُ أَرْطَالٍ بِقِيرَاطَيْنِ صَحِيحٍ أَمِيرِيٍّ ، وَأَكَلَ الضُّعَفَاءُ الْمَيْتَةَ ، وَكَثُرَ الْوَبَاءُ وَالْمَوْتُ جِدًّا. |
| وَفِيهَا فِي رَبِيعٍ الْآخَرِ ، وَصَلَ الرُّومُ إِلَى قُرْبِ حَلَبَ ، وَنَهَبُوا وَخَرَّبُوا الْبِلَادَ ، وَسَبَوْا نَحْوَ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ إِنْسَانٍ. |
| وَفِيهَا دَخَلَ الثَّمَلِيُّ مِنْ نَاحِيَةِ طَرَسُوسَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ ، فَقَتَلَ وَسَبَى ، وَغَنِمَ وَعَادَ سَالِمًا ، وَقَدْ أَسَرَ عِدَّةً مِنْ بَطَارِقَتِهِمُ الْمَشْهُورِينَ. |
| وَفِيهَا فِي ذِي الْقِعْدَةِ ، قَلَّدَ الْمُتَّقِي لِلَّهِ بَدْرًا الْخَرْشَنِيَّ طَرِيقَ الْفُرَاتِ ، فَسَارَ إِلَى الْإِخْشِيدِ مُسْتَأْمِنًا ، فَقَلَّدَهُ بَلْدَةَ دِمَشْقَ ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ مُدَّةٍ ، حُمَّ وَمَاتَ بِهَا. |
| وَفِيهَا فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وُلِدَ أَبُو مَنْصُورِ بُوَيْهِ بْنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ ، وَهُوَ مُؤَيِّدُ الدَّوْلَةِ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَعْرُوفُ بِالصَّيْرَفِيِّ ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، وَلَهُ تَصَانِيفُ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْمَحَامِلِيُّ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، وَهُوَ مِنَ الْمُكْثِرِينَ فِي الْحَدِيثِ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَكَانَ عَلَى قَضَاءِ الْكُوفَةِ وَفَارِسَ ، فَاسْتَعْفَى مِنَ الْقَضَاءِ وَأَلَحَّ فِي ذَلِكَ ، فَأُجِيبَ إِلَيْهِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي بِشْرٍ الْأَشْعَرِيُّ الْمُتَكَلِّمُ ، صَاحِبُ الْمَذْهَبِ الْمَشْهُورِ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ سِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ. |
| وَفِيهَا مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَيْهَانِيُّ وَزِيرُ السَّعِيدِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ تَحْتَ الْهَدْمِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ بِشْرِ بْنِ النَّضْرِ الْهَرَوِيُّ ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَأَخَذَ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ صَاحِبِ الشَّافِعِيِّ وَتَعَلَّمَ مِنْهُ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ ظَفْرِ نَاصِرٍ بِعَدْلِ الْبُجْكُمِيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ظَفِرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ حَمْدَانَ بِعَدْلٍ حَاجِبِ بُجْكُمَ ، وَسَمَلَهُ ، وَسَيَّرَهُ إِلَى بَغْدَاذَ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ عَدْلًا صَارَ بَعْدَ قَتْلِ بُجْكُمَ مَعَ ابْنِ رَائِقٍ ، وَسَارَ مَعَهُ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَأَصْعَدَ مَعَهُ إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَلَمَّا قَتَلَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ أَبَا بَكْرِ بْنَ رَائِقٍ ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، صَارَ عَدْلٌ فِي جُمْلَةِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، فَسَيَّرَهُ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ مَعَ عَلِيِّ بْنِ خَلَفِ بْنِ طِيَّابٍ إِلَى دِيَارِ مُضَرَ ، وَالشَّامِ الَّذِي كَانَ بِيَدِ ابْنِ رَائِقٍ ، وَكَانَ بِالرَّحْبَةِ مِنْ جِهَةِ ابْنِ رَائِقٍ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ مُسَافِرُ بْنُ الْحَسَنِ ، فَلَمَّا قُتِلَ ابْنُ رَائِقٍ ، اسْتَوْلَى مُسَافِرٌ هَذَا عَلَى النَّاحِيَةِ ، وَمَنَعَ مِنْهَا ، وَجَبَى خَرَاجَهَا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ابْنُ طِيَّابٍ عَدْلًا فِي جَيْشٍ لِيُخْرِجَهُ عَنِ الرَّحْبَةِ ، فَلَمَّا سَارَ إِلَيْهَا ، فَارَقَهَا مُسَافِرٌ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ ، وَمَلَكَ عَدْلٌ الْحَاجِبُ الْبَلَدَ ، وَكَاتَبَ مَنْ بِبَغْدَادَ مِنَ الْبُجْكُمِيَّةَ ، فَقَصَدُوهُ مُسْتَخْفِينَ ، فَقَوِيَ أَمْرُهُ بِهِمْ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى طَرِيقِ الْفُرَاتِ وَبَعْضِ الْخَابُورِ. |
| ثُمَّ إِنَّ مُسَافِرًا جَمَعَ جَمْعًا مِنْ بَنِي نُمَيرٍ وَسَارَ إِلَى قَرْقِيسِيَا ، فَأَخْرَجَ مِنْهَا أَصْحَابَ عَدْلٍ وَمَلَكَهَا ، فَسَارَ عَدْلٌ إِلَيْهَا ، وَاسْتَتَرَ عَنْهَا ، وَعَزَمَ عَدْلٌ عَلَى قَصْدِ الْخَابُورِ وَمَلْكِهِ ، فَاحْتَاطَ أَهْلُهُ مِنْهُ ، وَاسْتَنْصَرُوا بِبَنِي نُمَيرٍ ، فَلَمَّا عَلِمَ ذَلِكَ عَدْلٌ ، تَرَكَ قَصْدَهُمْ. |
| ثُمَّ صَارَ يَرْكَبُ كُلَّ يَوْمٍ قَبْلَ الْعَصْرِ بِسَاعَةٍ فِي جَمِيعِ عَسْكَرِهِ وَيَطُوفُ صَحَارِيَ قَرْقِيسِيَا إِلَى آخِرِ النَّهَارِ ، وَعُيُونُهُ تَأْتِيهِ مِنْ أَهْلِ الْخَابُورِ بِأَنَّهُمْ يَحْذَرُونَ كُلَّمَا سَمِعُوا بِحَرَكَتِهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، فَلَمَّا رَأَى أَهْلُ الْخَابُورِ اتِّصَالَ رُكُوبِهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَقْصِدُهُمْ ، فَرَّقُوا جَمْعَهُمْ وَأَمِنُوهُ ، فَأَتَتْهُ عُيُونُهُ بِذَلِكَ عَلَى رَسْمِهِ ، فَلَمَّا تَكَامَلَ رِجَالُهُ أَمَرَهُمْ بِالْمَسِيرِ ، وَأَنْ يُرْسِلُوا غِلْمَانَهُمْ فِي حَمْلِ أَثْقَالِهِمْ ، وَسَارَ لِوَقْتِهِ فَصَبَّحَ الشَّمْسَانِيَّةَ ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ قُرَى الْخَابُورِ وَأَحْصَنِهَا ، فَتَحَصَّنَ أَهْلُهَا مِنْهُ ، فَقَاتَلَهُمْ وَنَقَبَ السُّورَ وَمَلَكَهَا وَقَتَلَ فِيهَا ، وَأَخَذَ مِنْ أَهْلِهَا مَالًا كَثِيرًا ، وَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا ، ثُمَّ سَارَ إِلَى غَيرِهَا ، فَبَقِيَ فِي الْخَابُورِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، فَجَبَى الْخَرَاجَ وَالْأَمْوَالَ الْعَظِيمَةَ ، وَاسْتَظْهَرَ بِهَا ، وَقَوِيَ أَصْحَابُهُ بِمَا وَصَلَ إِلَيْهِمْ أَيْضًا ، وَعَادَ إِلَى الرَّحْبَةِ ، وَاتَّسَعَتْ حَالُهُ ، وَاشْتَدَّ أَمْرُهُ ، وَقَصَدَهُ الْعَسَاكِرُ مِنْ بَغْدَاذَ ، فَعَظُمَ حَالُهُ. |
| ثُمَّ إِنَّهُ سَارَ يُرِيدُ نَصِيبِينَ لِعِلْمِهِ بِبُعْدِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ عَنِ الْمَوْصِلِ وَالْبِلَادِ الْجَزِيرِيَّةِ ، وَلَمْ يُمْكِنْهُ قَصْدُ الرَّقَّةِ وَحَرَّانَ لِأَنَّهَا كَانَ بِهَا يَأْنَسُ الْمُؤْنِسِيُّ فِي عَسْكَرٍ ، وَمَعَهُ جَمْعٌ مِنْ بَنِي نُمَيْرٍ ، فَتَرَكَهَا وَسَارَ إِلَى رَأْسِ عَيْنٍ ، وَمِنْهَا إِلَى نَصِيبِينَ ، فَاتَّصَلَ خَبَرُهُ بِالْحُسَيْنِ بْنِ حَمْدَانَ ، فَجَمَعَ الْجَيْشَ وَسَارَ إِلَيْهِ إِلَى نَصِيبِينَ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهُ لَقِيَهُ عَدْلٌ فِي جَيْشِهِ ، فَلَمَّا الْتَقَى الْعَسْكَرَانِ ، اسْتَأْمَنَ أَصْحَابُهُ مِنْ عَدْلٍ إِلَى ابْنِ حَمْدَانَ ، وَبَقِيَ مَعَهُ مِنْهُمْ نَفَرٌ يَسِيرٌ مِنْ خَاصَّتِهِ ، فَأَسَرَهُ ابْنُ حَمْدَانَ ، وَأَسَرَ مَعَهُ ابْنَهُ ، فَسَمَلَ عَدْلًا ، وَسَيَّرَهُمَا إِلَى بَغْدَاذَ ، فَوَصَلَهَا فِي الْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ ، فَشُهِّرَ هُوَ وَابْنُهُ فِيهَا. |
| ذِكْرُ حَالِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بِوَاسِطَ قَدْ ذَكَرْنَا مُقَامَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ عَلِيِّ بْنِ حَمْدَانَ بِوَاسِطَ بَعْدَ انْحِدَارِ الْبَرِيدِيِّينَ عَنْهَا ، وَكَانَ يُرِيدُ الِانْحِدَارَ إِلَى الْبَصْرَةِ لِأَخْذِهَا مِنَ الْبَرِيدِيِّ ، وَلَا يُمْكِنُهُ لِقِلَّةِ الْمَالِ عِنْدَهُ ، وَيَكْتُبُ إِلَى أَخِيهِ فِي ذَلِكَ ، فَلَا يُنْفِذُ إِلَيْهِ شَيْئًا ، وَكَانَ تُوزُونُ وَخَجْخَجُ يُسِيئَانِ الْأَدَبَ وَيَتَحَكَّمَانِ عَلَيْهِ. |
| ثُمَّ إِنَّ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ أَنْفَذَ إِلَى أَخِيهِ مَالًا مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْكُوفِيِّ لِيُفَرِّقَهُ فِي الْأَتْرَاكِ ، فَأَسْمَعَهُ تُوزُونُ وَخَجْخَجُ الْمَكْرُوهَ ، وَثَارَا بِهِ ، فَأَخَذَهُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ وَغَيَّبَهُ عَنْهُمَا وَسَيَّرَهُ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَأَمَرَ تُوزُونَ أَنْ يَسِيرَ إِلَى الْجَامِدَةِ وَيَأْخُذَهَا وَيَنْفَرِدَ بِحَاصِلِهَا ، وَأَمَرَ خَجْخَجَ أَنْ يَسِيرَ إِلَى مَذَارَ وَيَحْفَظَهَا وَيَأْخُذَ حَاصِلَهَا ، وَكَانَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ يَزْهَدُ بِالْأَتْرَاكِ فِي الْعِرَاقِ ، وَيُحْسِنُ لَهُمْ قَصْدَ الشَّامِ مَعَهُ وَالِاسْتِيلَاءَ عَلَيْهِ وَعَلَى مِصْرَ ، وَيَقَعُ فِي أَخِيهِ عِنْدَهُمْ ، فَكَانُوا يُصَدِّقُونَهُ فِي أَخِيهِ ، وَلَا يُجِيبُونَهُ إِلَى الْمَسِيرِ إِلَى الشَّامِ مَعَهُ ، وَيَتَسَحَّبُونَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ يُجِيبُهُمْ إِلَى الَّذِي يُرِيدُونَهُ. |
| فَلَمَّا كَانَ سَلْخُ شَعْبَانَ ، ثَارَ الْأَتْرَاكُ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ فَكَبَسُوهُ لَيْلًا ، فَهَرَبَ مِنْ مُعَسْكَرِهِ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَنَهَبَ سَوَادَهُ ، وَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ. |
| وَأَمَّا نَاصِرُ الدَّوْلَةِ فَإِنَّهُ لَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْكُوفِيُّ وَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، بَرَزَ لِيَسِيرَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَرَكِبَ الْمُتَّقِي إِلَيْهِ ، وَسَأَلَهُ التَّوَقُّفَ عَنِ الْمَسِيرِ ، فَأَظْهَرَ لَهُ الْإِجَابَةَ إِلَى أَنْ عَادَ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الْمَوْصِلِ وَنُهِبَتْ دَارُهُ ، وَثَارَ الدَّيْلَمُ وَالْأَتْرَاكُ وَدَبَّرَ الْأَمْرَ أَبُو إِسْحَاقَ الْقَرَارِيطِيُّ مِنْ غَيْرِ تَسْمِيَةٍ بِوِزَارَةٍ. |
| وَكَانَتْ إِمَارَةُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدَانَ بِبَغْدَاذَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ شَهْرًا وَخَمْسَةَ أَيَّامٍ ، وَوِزَارَةُ أَبِي الْعَبَّاسِ إِلَى الْأَصْبَهَانَيِّ أَحَدًا وَخَمْسِينَ يَوْمًا ، وَوَصَلَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ إِلَى بَغْدَاذَ. |
| ذِكْرُ حَالِ الْأَتْرَاكِ بَعْدَ إِصْعَادِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ لَمَّا هَرَبَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ مِنْ وَاسِطَ ، عَادَ الْأَتْرَاكُ إِلَى مُعَسْكَرِهِمْ ، فَوَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَ تُوزُونَ وَخَجْخَجَ ، وَتَنَازَعَا الْإِمَارَةَ ، ثُمَّ اسْتَقَرَّ الْحَالُ عَلَى أَنْ يَكُونَ تُوزُونُ أَمِيرًا وَخَجْخَجُ صَاحِبَ الْجَيْشِ ، وَتَصَاهَرَا. |
| وَطَمِعَ الْبَرِيدِيُّ فِي وَاسِطَ ، فَأَصْعَدَ إِلَيْهَا ، فَأَمَرَ تُوزُونُ خَجْخَجَ بِالْمَسِيرِ إِلَى نَهَرِ أَبَانٍ ، وَأَرْسَلَ الْبَرِيدِيُّ إِلَى تُوزُونَ يَطْلُبُ أَنْ يُضَمِّنَهُ وَاسِطَ ، فَرَدَّهُ رَدًا جَمِيلًا ، وَلَمْ يَفْعَلْ. |
| وَلَمَّا عَادَ الرَّسُولُ أَتْبَعَهُ تُوزُونُ بِجَاسُوسٍ يَأْتِيهِ بِخَبَرِهِ مَعَ خَجْخَجَ ، فَعَادَ الْجَاسُوسُ فَأَخْبَرَ تُوزُونَ بِأَنَّ الرَّسُولَ اجْتَمَعَ هُوَ وَخَجْخَجُ وَطَالَ الْحَدِيثُ بَيْنَهُمَا ، وَأَنَّ خَجْخَجَ يُرِيدُ أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَى الْبَرِيدِيِّ ، فَسَارَ تُوزُونُ إِلَيْهِ جَرِيدَةً فِي مِائَتَيْ غُلَامٍ يَثِقُ بِهِمْ ، وَكَبَسَهُ فِي فِرَاشِهِ لَيْلَةَ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِ رَكِبَ دَابَّتَهُ بِقَمِيصٍ ، وَفِي يَدِهِ لُتٌّ ، وَدَفَعَ عَنْ نَفْسِهِ قَلَيْلًا ، ثُمَّ أُخِذَ وَحُمِلَ إِلَى تُوزُونَ فَحَمَلَهُ إِلَى وَاسِطَ ، فَسَمَلَهُ وَأَعْمَاهُ ثَانِيَ يَوْمِ وُصُولِهِ إِلَيْهَا. |
| ذِكْرُ عَوْدِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ إِلَى بَغْدَاذَ وَهَرَبِهِ عَنْهَا لَمَّا هَرَبَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَا ، لَحِقَ بِأَخِيهِ ، فَبَلَغَهُ خِلَافُ تُوزُونَ وَخَجْخَجَ ، فَطَمِعَ فِي بَغْدَاذَ ، فَعَادَ وَنَزَلَ بِبَابِ حَرْبٍ ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْمُتَّقِي لِلَّهِ يَطْلُبُ مِنْهُ مَالًا لِيُقَاتِلَ تُوزُونَ إِنْ قَصَدَ بَغْدَاذَ ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَفَرَّقَهَا فِي أَصْحَابِهِ ، وَظَهَرَ مَنْ كَانَ مُسْتَخْفِيًا بِبَغْدَاذَ وَخَرَجُوا إِلَيْهِ ، وَكَانَ وُصُولُهُ ثَالِثَ عَشَرَ رَمَضَانَ. |
| وَلَمَّا بَلَغَ تُوزُونَ وُصُولُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ إِلَى بَغْدَاذَ ، خَلَّفَ بِوَاسِطَ كَيَغْلَغُ فِي ثَلَاثِمِائَةِ رَجُلٍ وَأَصْعَدَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَلَمَّا سَمِعَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بِإِصْعَادِهِ ، رَحَلَ مِنْ بَابِ حَرْبٍ فِيمَنِ انْضَمَّ إِلَيْهِ مِنْ أَجْنَادِ بَغْدَاذَ ، وَفِيهِمُ الْحَسَنُ بْنُ هَارُونَ. |
| ذِكْرُ إِمَارَةِ تُوزُونَ قَدْ ذَكَرْنَا مَسِيرَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ مِنْ بَغْدَاذَ ، فَلَمَّا فَارَقَهَا دَخَلَهَا تُوزُونُ ، وَكَانَ دُخُولُهُ بَغْدَاذَ فِي الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ الْمُتَّقِي لِلَّهِ ، وَجَعَلَهُ أَمِيرَ الْأُمَرَاءِ ، وَصَارَ أَبُو جَعْفَرٍ الْكَرْخِيُّ يَنْظُرُ فِي الْأُمُورِ ، كَمَا كَانَ الْكُوفِيُّ يَنْظُرُ فِيهَا. |
| وَلَمَّا سَارَ تُوزُونُ عَنْ وَاسِطَ ، أَصْعَدَ إِلَيْهَا الْبَرِيدِيُّ ، فَهَرَبَ مَنْ بِهَا مِنْ أَصْحَابِ تُوزُونَ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَلَمْ يُمَكِّنْ تُوزُونَ الْمُبَادَرَةَ إِلَى وَاسِطَ إِلَى أَنْ تَسْتَقِرَّ الْأُمُورُ بِبَغْدَاذَ ، فَأَقَامَ إِلَى أَنْ مَضَى بَعْضُ ذِي الْقِعْدَةِ. |
| وَكَانَ تُوزُونُ قَدْ أَسَرَ غُلَامًا عَزِيزًا عَلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ قَرِيبًا مِنْهُ ، يُقَالُ لَهُ ثِمَالٌ ، فَأَطْلَقَهُ وَأَكْرَمَهُ وَأَنَفَذَهُ إِلَيْهِ ، فَحَسُنُ مَوْقِعُ ذَلِكَ مِنْ بَنِي حَمْدَانَ ، ثُمَّ إِنَّ تُوزُونَ انْحَدَرَ إِلَى وَاسِطَ لِقَصْدِ الْبَرِيدِيِّ ، فَأَتَاهُ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ شَيْرَزَادَ هَارِبًا مِنَ الْبَرِيدِيِّ ، فَقَبِلَهُ وَفَرِحَ بِهِ ، وَقَلَّدَهُ أُمُورَهُ كُلَّهَا. |
| ذِكْرُ مَسِيرِ صَاحِبِ عَمَّانَ إِلَى الْبَصْرَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي ذِي الْحِجَّةِ ، سَارَ يُوسُفُ بْنُ وَجِيهٍ صَاحِبُ عَمَّانَ فِي مَرَاكِبَ كَثِيرَةٍ يُرِيدُ الْبَصْرَةَ ، وَحَارَبَ الْبَرِيدِيَّ فَمَلَكَ الْأُبُلَّةَ ، وَقَوِيَ قُوَّةً عَظِيمَةً ، وَقَارَبَ أَنْ يَمْلِكَ الْبَصْرَةَ ، فَأَشْرَفَ الْبَرِيدِيُّ وَإِخْوَتُهُ عَلَى الْهَلَاكِ. |
| وَكَانَ لَهُ مَلَّاحٌ يُعْرَفُ بِالرَّنَّادِيِّ ، فَضَمِنَ لِلْبَرِيدِيِّ هَزِيمَةَ يُوسُفَ ، فَوَعَدَهُ الْإِحْسَانَ الْعَظِيمَ ، وَأَخَذَ الْمَلَّاحُ زَوْرَقَيْنِ فَمَلَأَهُمَا سَعَفًا يَابِسًا ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ أَحَدٌ ، وَأَحْدَرَهُمَا فِي اللَّيْلِ حَتَّى قَارَبَ الْأُبُلَّةَ. |
| وَكَانَتْ مَرَاكِبُ ابْنُ وَجِيهٍ تُشَدُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فِي اللَّيْلِ ، فَتَصِيرُ كَالْجِسْرِ ، فَلَمَّا انْتَصَفَ اللَّيْلُ ، أَشْعَلَ ذَلِكَ الْمَلَّاحُ النَّارَ فِي السَّعَفِ الَّذِي فِي الزَّوْرَقَيْنِ ، وَأَرْسَلَهُمَا مَعَ الْجَزْرِ وَالنَّارُ فِيهِمَا ، فَأَقْبَلَا أَسْرَعَ مِنَ الرِّيحِ ، فَوَقَعَا فِي تِلْكَ السُّفُنِ وَالْمَرَاكِبِ ، فَاشْتَعَلَتْ وَاحْتَرَقَتْ قُلُوسُهَا ، وَاحْتَرَقَ مَنْ فِيهَا ، وَنَهَبَ النَّاسُ مِنْهَا مَالًا عَظِيمًا ، وَمَضَى يُوسُفُ بْنُ وَجِيهٍ هَارِبًا فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَأَحْسَنَ الْبَرِيدِيُّ إِلَى ذَلِكَ الْمَلَّاحِ ، وَفِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ هَرَبَ ابْنُ شَيْرَزَادَ مِنَ الْبَرِيدِيِّ وَأَصْعَدَ إِلَى تُوزُونَ. |
| ذِكْرُ الْوَحْشَةِ بَيْنَ الْمُتَّقِي لِلَّهِ وَتُوزُونَ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ يَنَالَ التُّرْجُمَانُ مِنْ أَكْبَرِ قُوَّادٍ تُوزُونَ ، وَهُوَ خَلِيفَتُهُ بِبَغْدَاذَ ، فَلَمَّا انْحَدَرَ تُوزُونُ إِلَى وَاسِطَ ، سَعَى بِمُحَمَّدٍ إِلَيْهِ وَقَبُحَ ذِكْرُهُ عِنْدَهُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُحَمَّدًا فَنَفَرَ مِنْهُ. |
| وَكَانَ الْوَزِيرُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ مُقْلَةَ قَدْ ضَمِنَ الْقُرَى الْمُخْتَصَّةَ بِتُوزُونَ بِبَغْدَاذَ ، فَخَسِرَ فِيهَا جُمْلَةً ، فَخَافَ أَنْ يُطَالَبَ بِهَا ، وَانْضَافَ إِلَى ذَلِكَ اتِّصَالُ ابْنِ شَيْرَزَادَ بِتُوزُونَ ، فَخَافَهُ الْوَزِيرُ وَغَيْرُهُ ، وَظَنُّوا أَنَّ مَصِيرَهُ إِلَى تُوزُونَ بِاتِّفَاقٍ مِنَ الْبَرِيدِيِّ ، فَاتَّفَقَ التُّرْجُمَانُ وَابْنُ مُقْلَةَ ، وَكَتَبُوا إِلَى ابْنِ حَمْدَانَ لِيُنْفِذَ عَسْكَرًا يَسِيرًا صُحْبَةَ الْمُتَّقِي لِلَّهِ إِلَيْهِ ، وَقَالُوا لِلْمُتَّقِي قَدْ رَأَيْتَ مَا فَعَلَ مَعَكَ الْبَرِيدِيُّ بِالْأَمْسِ ، أَخَذَ مِنْكَ خَمْسَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَأَخْرَجْتَ عَلَى الْأَجْنَادِ مِثْلَهَا ، وَقَدْ ضَمِنَكَ الْبَرِيدِيُّ مَنْ تُوزُونَ بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ أُخْرَى ، زَعَمَ أَنَّهَا فِي يَدِكَ مِنْ تَرِكَةِ بُجْكُمَ ، وَابْنُ شَيْرَزَادَ وَاصِلٌ لِيَتَسَلَّمَكَ وَيَخْلَعَكَ وَيُسَلِّمَكَ إِلَى الْبَرِيدِيِّ ، فَانْزَعَجَ لِذَلِكَ ، وَعَزَمَ عَلَى الْإِصْعَادِ إِلَى ابْنِ حَمْدَانَ ، وَوَرَدَ ابْنُ شَيْرَزَادَ فِي ثَلَاثِمِائَةِ رَجُلٍ جَرِيدَةً. |
| ذِكْرُ مَوْتِ السَّعِيدِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ السَّعِيدُ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ صَاحِبُ خُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ فِي رَجَبٍ ، وَكَانَ مَرَضُهُ السُّلَّ ، فَبَقِيَ مَرِيضًا ثَلَاثَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ مِنْ مَشَايِخِ دَوْلَتِهِمْ أَحَدٌ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا قَدْ سَعَى بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، فَهَلَكَ بَعْضُهُمْ ، وَمَاتَ بَعْضُهُمْ ، وَكَانَتْ وَلَايَتُهُ ثَلَاثِينَ سَنَةً وَثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ يَوْمًا ، وَكَانَ عُمُرُهُ ثَمَانِيًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً . |
| وَكَانَ حَلِيمًا ، كَرِيمًا ، عَاقِلًا ، فَمِنْ حِلْمِهِ أَنَّ بَعْضَ الْخَدَمِ سَرَقَ جَوْهَرًا نَفِيسًا وَبَاعَهُ مِنْ بَعْضِ التُّجَّارِ بِثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَحَضَرَ التَّاجِرُ عِنْدَ السَّعِيدِ ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ قَدِ اشْتَرَى جَوْهَرًا نَفِيسًا لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلسُّلْطَانِ ، وَأَحْضَرَ الْجَوْهَرَ عِنْدَهُ ، فَحِينَ رَآهُ عَرَفَهُ أَنَّهُ كَانَ لَهُ وَقَدْ سُرِقَ ، فَسَأَلَهُ عَنْ ثَمَنِهِ ، وَمِنْ أَيْنَ اشْتَرَاهُ ، فَذَكَرَ لَهُ الْخَادِمَ وَالثَّمَنَ ، فَأَمَرَ فَأُحْضِرَ ثَمَنُهُ فِي الْحَالِ ، وَأَرْبَحَهُ أَلْفَيْ دِرْهَمٍ زِيَادَةً. |
| ثُمَّ إِنَّ التَّاجِرَ سَأَلَهُ فِي دَمِ الْخَادِمِ ، فَقَالَ لَا بُدَّ مِنْ تَأْدِيبِهِ ، وَأَمَّا دَمُهُ فَهُوَ لَكَ ، فَأَحْضَرَهُ وَأَدَّبَهُ ، ثُمَّ أَنْفَذَهُ إِلَى التَّاجِرِ ، وَقَالَ كُنَّا وَهَبْنَا لَكَ دَمَهُ ، فَقَدَ أَنْفَذْنَاهُ إِلَيْكَ ، فَلَوْ أَنَّ صَاحِبَ الْجَوْهَرِ بَعْضُ الرَّعَايَا ، لَقَالَ هَذَا مَالِي قَدْ عَادَ إِلَيَّ ، وَخُذْ أَنْتَ مَالَكَ مِمَّنْ سَلَّمْتَهُ إِلَيْهِ. |
| وَحُكِيَ أَنَّهُ اسْتَعْرَضَ جُنْدَهُ ، وَفِيهِمْ إِنْسَانٌ اسْمُهُ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ الْعَرْضُ ، سَأَلَهُ عَنِ اسْمِهِ فَسَكَتَ ، فَأَعَادَ السُّؤَالَ فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ اسْمُهُ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ ، وَإِنَّمَا سَكَتَ إِجْلَالًا لِلْأَمِيرِ ، فَقَالَ السَّعِيدُ إِذًا يُوجَبُ حَقُّهُ ، وَنَزِيدُ فِي رِزْقِهِ ، ثُمَّ قَرَّبَهُ وَزَادَ فِي أَرْزَاقِهِ. |
| وَحُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ عَلَيْهِ أَخُوهُ أَبُو زَكَرِيَّاءَ ، نَهَبَ خَزَائِنَهُ وَأَمْوَالَهُ ، فَلَمَّا عَادَ السَّعِيدُ إِلَى مُلْكِهِ ، قِيلَ لَهُ عَنْ جَمَاعَةٍ انْتَهَبُوا مَالَهُ ، فَلَمْ يَعْرِضْ إِلَيْهِمْ ، وَأَخْبَرُوهُ أَنَّ بَعْضَ السُّوقَةِ اشْتَرَى مِنْهَا سِكِّينًا نَفِيسًا بِمِائَتَيْ دِرْهَمٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِائَتَيْ دِرْهَمٍ وَطَلَبَ السِّكِّينَ ، فَأَبَى أَنْ يَبِيعَهُ إِلَّا بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَقَالَ أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا ؟ |
| أَرَى عِنْدَهُ مَالِيَ فَلَمْ أُعَاقِبْهُ ، وَأَعْطَيْتُهُ حَقَّهُ ، فَاشْتَطَّ فِي الطَّلَبِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِرِضَائِهِ. |
| وَحُكِيَ أَنَّهُ طَالَ مَرَضُهُ فَبَقِيَ بِهِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، فَأَقْبَلَ عَلَى الصَّلَاةِ وَالْعِبَادَةِ ، وَبَنَى لَهُ فِي قَصْرِهِ بَيتًا سَمَّاهُ بَيْتَ الْعِبَادَةِ ، فَكَانَ يَلْبَسُ ثِيابًا نِظَافًا وَيَمْشِي إِلَيْهِ حَافِيًا ، وَيُصَلِّي فِيهِ ، وَيَدْعُو وَيَتَضَرَّعُ ، وَيَجْتَنِبُ الْمُنْكَرَاتِ وَالْآثَامِ إِلَى أَنْ مَاتَ وَدُفِنَ عِنْدَ وَالِدِهِ. |
| ذِكْرُ وَلَايَةِ ابْنِهِ الْأَمِيرِ نُوحِ بْنِ نَصْرٍ لَمَّا مَاتَ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ ، تَوَلَّى بَعْدَهُ خُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ ابْنُهُ نُوحٌ ، وَاسْتَقَرَّ فِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ وَحَلَفُوا لَهُ ، وَلُقِّبَ بِالْأَمِيرِ الْحَمِيدِ ، وَفَوَّضَ أَمْرَهُ وَتَدْبِيرَ مَمْلَكَتِهِ إِلَى أَبِي الْفَضْلِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْحَاكِمِ ، وَصَدَرَ عَنْ رَأْيِهِ. |
| وَلَمَّا وَلِيَ نُوحٌ ، هَرَبَ مِنْهُ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَمَوَيْهِ ، وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ أَصْحَابِ أَبِيهِ ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ السَّعِيدَ نَصْرًا كَانَ قَدْ وَلَّى ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ بُخَارَى ، وَكَانَ أَبُو الْفَضْلِ يَتَوَلَّى أَمْرَهُ وَخِلَافَتَهُ ، فَأَسَاءَ السِّيرَةَ مَعَ نُوحٍ وَأَصْحَابِهِ ، فَحَقَدَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ تُوُفِّيَ إِسْمَاعِيلُ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ. |
| وَكَانَ نَصْرٌ يَمِيلُ إِلَى أَبِي الْفَضْلِ وَيُؤْثِرُهُ ، فَقَالَ لَهُ إِذَا حَدَثَ عَلَيَّ حَادِثُ الْمَوْتِ فَانْجُ بِنَفْسِكَ ، فَإِنِّي لَا آمَنُ نُوحًا عَلَيْكَ ، فَلَمَّا مَاتَ الْأَمِيرُ نَصْرٌ ، سَارَ أَبُو الْفَضْلِ مِنْ بُخَارَى وَعَبَرَ جَيْحُونَ ، وَوَرَدَ آمُلَ ، وَكَاتَبَ أَبَا عَلِيِّ بْنَ مُحْتَاجٍ وَهُوَ بِنَيْسَابُورَ ، يُعَرِّفُهُ الْحَالُ ، وَكَانَ بَيْنَهُمَا مُصَاهَرَةٌ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو عَلِيٍّ يَنْهَاهُ عَنِ الْإِلْمَامِ بِنَاحِيَتِهِ لِمَصْلَحَةٍ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْأَمِيرَ نُوحًا أَرْسَلَ إِلَى أَبِي الْفَضْلِ كِتَابَ أَمَانٍ بِخَطِّهِ ، فَعَادَ إِلَيْهِ فَأَحْسَنَ الْفِعْلَ مَعَهُ ، وَوَلَّاهُ سَمَرْقَنْدَ وَكَانَ أَبُو الْفَضْلِ مُعْرِضًا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْحَاكِمِ ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ ، وَيُسَمِّيهِ الْخَيَّاطَ ، فَأَضْمَرَ الْحَاكِمُ بُغْضَهُ وَالْإِعْرَاضَ عَنْهُ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي الْمُحَرَّمِ وَصَلَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بْنُ بُوَيْهِ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَحَارَبَ الْبَرِيدِيِّينَ ، وَأَقَامَ عَلَيْهِمْ مُدَّةً ، ثُمَّ اسْتَأْمَنَ جَمَاعَةٌ مِنْ قُوَّادِهِ إِلَى الْبَرِيدِيِّينَ ، فَاسْتَوْحَشَ مِنَ الْبَاقِينَ ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ. |
| وَفِيهَا تَزَوَّجَ الْأَمِيرُ أَبُو مَنْصُورِ بْنُ الْمُتَّقِي لِلَّهِ بِابْنَةِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ ، وَكَانَ الصَّدَاقُ أَلْفَ أَلْفِ دَرْهَمٍ ، وَالْحِمْلُ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ. |
| وَفِيهَا قَبَضَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ عَلَى الْوَزِيرِ أَبِي إِسْحَاقَ الْقَرَارِيطِيِّ ، وَرَتَّبَ مَكَانَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَصْبَهَانَيَّ فِي رَجَبٍ ، وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْكُوفِيُّ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الْأُمُورَ ، وَكَانَتْ وِزَارَةُ الْقَرَارِيطِيِّ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَسِتَّةَ عَشَرَ يَوَمًا ، وَكَانَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ يَنْظُرُ فِي قِصَصِ النَّاسِ وَتُقَامُ الْحُدُودُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَيَفْعَلُ مَا يَفْعَلُ صَاحِبُ الشُّرْطَةِ. |
| وَفِيهَا كَانَتِ الزَّلْزَلَةُ الْمَشْهُورَةُ بِنَاحِيَةِ نَسَا مِنْ خُرَاسَانَ ، فَخَرِبَتْ قُرًى كَثِيرَةً ، وَمَاتَ تَحْتَ الْهَدْمِ عَالَمٌ عَظِيمٌ ، وَكَانَتْ عَظِيمَةً جِدًّا. |
| وَفِيهَا اسْتَقْدَمَ الْأَمِيرُ نُوحٌ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ النَّسَفِيَّ الْبَرْدَهِيَّ ، وَكَانَ قَدْ طُعِنَ فِيهِ عِنْدَهُ ، فَقَتَلَهُ وَصَلَبَهُ ، فَسُرِقَ مِنَ الْجِذْعِ ، وَلَمْ يُعْلَمْ مَنْ سَرَقَهُ. |
| وَفِيهَا اسْتَوْزَرَ الْمُتَّقِي لِلَّهِ أَبَا الْحُسَيْنِ بْنَ مُقْلَةَ ثَامِنَ شَهْرِ رَمَضَانَ ، بَعْدَ إِصْعَادِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ مِنْ بَغْدَاذَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَقَبْلَ إِصْعَادِ أَخِيهِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ مِنْ وَاسِطَ إِلَى بَغْدَادَ. |
| وَفِيهَا أَرْسَلَ مَلِكُ الرُّومِ إِلَى الْمُتَّقِي لِلَّهِ يَطْلُبُ مِنْدِيلًا ، زَعَمَ أَنَّ الْمَسِيحَ مَسَحَ بِهِ وَجْهَهُ ، فَصَارَتْ صُورَةُ وَجْهِهِ فِيهِ ، وَأَنَّهُ فِي بَيْعَةِ الرُّهَا. |
| وَذَكَرَ أَنَّهُ إِنْ أَرْسَلَ الْمِنْدِيلَ ، أَطْلَقَ عَدَدًا كَثِيرًا مِنْ أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ ، فَأَحْضَرَ الْمُتَّقِي لِلَّهِ الْقُضَاةَ وَالْفُقَهَاءَ ، وَاسْتَفْتَاهُمْ فَاخْتَلَفُوا ، فَبَعْضٌ رَأَى تَسْلِيمَهُ إِلَى الْمَلِكِ وَإِطْلَاقَ الْأَسْرَى ، وَبَعْضٌ قَالَ إِنَّ هَذَا الْمِنْدِيلَ لَمْ يَزَلْ مِنْ قَدِيمِ الدَّهْرِ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ لَمْ يَطْلُبْهُ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ الرُّومِ ، وَفِي دَفْعِهِ إِلَيْهِمْ غَضَاضَةٌ. |
| وَكَانَ فِي الْجَمَاعَةِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الْوَزِيرُ ، فَقَالَ إِنَّ خَلَاصَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْأَسْرِ وَمِنَ الضُّرِّ وَالضَّنْكِ الَّذِي هُمْ فِيهِ أَوْلَى مِنْ حِفْظِ هَذَا الْمِنْدِيلِ ، فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ بِتَسْلِيمِهِ إِلَيْهِمْ ، وَإِطْلَاقِ الْأَسْرَى ، فَفَعَلَ ذَلِكَ وَأَرْسَلَ إِلَى الْمَلِكِ مَنْ يَتَسَلَّمُ الْأَسْرَى مِنْ بِلَادِ الرُّومِ ، فَأُطْلِقُوا. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْفَرَغَانِيُّ الصُّوفِيُّ أُسْتَاذُ أَبِي بَكْرٍ الدَّقَّاقِ ، وَهُوَ مَشْهُورٌ بَيْنَ الْمَشَايِخِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزْدَادَ الشَّهْرُزُورِيُّ ، وَكَانَ يَلِي إِمْرَةَ دِمَشْقَ لِمُحَمَّدِ بْنِ رَائِقٍ ، ثُمَّ اتَّصَلَ بِالْإِخْشِيدِ فَجَعَلَهُ عَلَى شُرْطَتِهِ بِمِصْرَ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ سِنَانُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ قُرَّةَ ، مُسْتَهَلَّ ذِي الْقِعْدَةِ ، بِعِلَّةِ الذَّرَبِ ، وَكَانَ حَاذِقًا فِي الطِّبِّ ، فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُ عِنْدَ دُنُوِّ الْأَجَلِ شَيْئًا. |
| وَفِيهَا أَيْضًا مَاتَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدُوسٍ الْجِهْشَيَارِيُّ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ مَسِيرِ الْمُتَّقِي إِلَى الْمَوْصِلِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أُصْعِدَ الْمُتَّقِي لِلَّهِ إِلَى الْمَوْصِلِ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَاهُ أَوَّلًا مِنْ سِعَايَةِ ابْنِ مُقْلَةَ وَالتُّرْجُمَانِ مَعَ الْمُتَّقِي بِتُوزُونَ وَابْنِ شَيْرَزَادَ ، ثُمَّ إِنَّ ابْنَ شَيْرَزَادَ وَصَلَ خَامِسَ الْمُحَرَّمِ إِلَى بَغْدَاذَ فِي ثَلَاثِمِائَةِ غُلَامٍ جَرِيدَةً ، فَازْدَادَ خَوْفُ الْمُتَّقِي ، وَأَقَامَ بِبَغْدَاذَ يَأْمُرُ وَيَنْهَى ، وَلَا يُرَاجِعُ الْمُتَّقِي فِي شَيْءٍ. |
| وَكَانَ الْمُتَّقِي قَدْ أَنْفَذَ يَطْلُبُ مِنْ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ إِنْفَاذَ جَيْشٍ إِلَيْهِ لِيَصْحَبُوهُ إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَأَنْفَذَهُمْ مَعَ ابْنِ عَمِّهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ حَمْدَانَ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى بَغْدَاذَ نَزَلُوا بِبَابِ حَرْبٍ ، وَاسْتَتَرَ ابْنُ شَيْرَزَادَ ، وَخَرَجَ الْمُتَّقِي إِلَيْهِمْ فِي حَرَمِهِ ، وَأَهْلِهِ ، وَوَزِيرِهِ ، وَأَعْيَانِ بَغْدَاذَ ، مِثْلِ سَلَامَةَ الطُّولُونِيِّ ، وَأَبِي زَكَرِيَّاءَ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ السُّوسِيِّ ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ الْمَارَدَانِيِّ ، وَأَبِي إِسْحَاقَ الْقَرَارِيطِيِّ ، وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمُوسَوِيِّ ، وَثَابِتِ بْنِ سِنَانَ بْنِ ثَابِتِ بْنِ قُرَّةَ الطَّبِيبِ ، وَأَبِي نَصْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ يَنَالَ التُّرْجُمَانِ ، وَغَيْرِهِمْ. |
| وَلَمَّا سَارَ الْمُتَّقِي مِنْ بَغْدَاذَ ، ظَلَمَ ابْنُ شَيْرَزَادَ النَّاسَ وَعَسَفَهُمْ وَصَادَرَهُمْ ، وَأَرْسَلَ إِلَى تُوزُونَ وَهُوَ بِوَاسِطَ يُخْبِرُهُ بِذَلِكَ ، فَلَمَّا بَلَغَ تُوزُونَ الْخَبَرُ ، عَقَدَ ضَمَانَ وَاسِطَ عَلَى الْبَرِيدِيِّ وَزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ ، وَسَارَ إِلَى بَغْدَاذَ وَانْحَدَرَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ وَحْدَهُ إِلَى الْمُتَّقِي لِلَّهِ بِتَكْرِيتَ ، فَأَرْسَلَ الْمُتَّقِي إِلَى نَاصِرِ الدَّوْلَةِ يَسْتَدْعِيهِ وَيَقُولُ لَهُ لَمْ يَكُنِ الشَّرْطُ مَعَكَ إِلَّا أَنْ تَنْحَدِرَ إِلَيْنَا ، فَانْحَدَرَ ، فَوَصَلَ إِلَى تَكْرِيتَ فِي الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخَرِ ، وَرَكِبَ الْمُتَّقِي إِلَيْهِ ، فَلَقِيَهُ بِنَفْسِهِ وَأَكْرَمَهُ. |
| وَأَصْعَدَ الْخَلِيفَةُ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَأَقَامَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ بِتَكْرِيتَ ، وَسَارَ تُوزُونُ نَحْوَ تَكْرِيتَ ، فَالْتَقَى هُوَ وَسَيْفُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ تَحْتَ تَكْرِيتَ بِفَرْسَخَيْنِ ، فَاقْتَتَلُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ انْهَزَمَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ لِثَلَاثٍ بَقِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخَرِ ، وَغَنِمَ تُوزُونُ وَالْأَعْرَابُ سَوَادَهُ وَسَوَادَ أَخِيهِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، وَعَادَا مِنْ تَكْرِيتَ إِلَى الْمَوْصِلِ وَمَعَهُمَا الْمُتَّقِي لِلَّهِ . |
| وَشَغَبَ أَصْحَابُ تُوزُونَ فَعَادَ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَعَادَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ وَانْحَدَرَ ، فَالْتَقَى هُوَ وَتُوزُونُ بِحَرْبَى فِي شَعْبَانَ ، فَانْهَزَمَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ مَرَّةً ثَانِيَةً ، وَتَبِعَهُ تُوزُونُ. |
| وَلَمَّا بَلَغَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْمَوْصِلِ ، سَارَ عَنْهَا هُوَ وَأَخُوهُ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ وَالْمُتَّقِي لِلَّهِ وَمِنْ مَعَهُمْ إِلَى نَصِيبِينَ ، وَدَخَلَ تُوزُونُ الْمَوْصِلَ ، فَسَارَ الْمُتَّقِي إِلَى الرَّقَّةِ ، وَلَحِقَهُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ ، وَأَرْسَلَ الْمُتَّقِي إِلَى تُوزُونَ يَذْكُرُ أَنَّهُ اسْتَوْحَشَ مِنْهُ لِاتِّصَالِهِ بِالْبَرِيدِيِّ ، وَأَنَّهُمَا صَارَا يَدًا وَاحِدَةً ، فَإِنْ آثَرَ رِضَاهُ يُصَالِحُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ وَنَاصِرَ الدَّوْلَةِ لِيَعُودَ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَتَرَدَّدَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُوسَى الْهَاشِمِيُّ مِنَ الْمَوْصِلِ إِلَى تُوزُونَ فِي ذَلِكَ ، فَتَمَّ الصُّلْحُ ، وَعُقِدَ الضَّمَانُ عَلَى نَاصِرِ الدَّوْلَةِ لِمَا بِيَدِهِ مِنَ الْبِلَادِ ثَلَاثَ سِنِينَ ، كُلُّ سَنَةٍ بِثَلَاثَةِ آلَافِ أَلْفِ وَسِتِّمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَعَادَ تُوزُونُ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَأَقَامَ الْمُتَّقِي عِنْدَ بَنِي حَمْدَانَ بِالْمَوْصِلِ ، ثُمَّ سَارُوا عَنْهَا إِلَى الرَّقَّةِ فَأَقَامُوا بِهَا. |
| ذِكْرُ وُصُولِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ إِلَى وَاسِطَ وَدِيَالِي وَعَوْدِهِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ بَلَغَ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ أَبَا الْحُسَيْنِ بْنَ بُوَيْهِ إِصْعَادُ تُوزُونَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَسَارَ هُوَ إِلَى وَاسِطَ لِمِيعَادٍ مِنَ الْبَرِيدِيِّينَ ، وَكَانُوا قَدْ وَعَدُوهُ أَنْ يَمُدُّوهُ بِعَسْكَرٍ فِي الْمَاءِ ، فَأَخْلَفُوهُ. |
| وَعَادَ تُوزُونُ مِنَ الْمَوْصِلِ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَانْحَدَرَ مِنْهَا إِلَى لِقَاءِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَالْتَقَوْا سَابِعَ عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ بِقِبَابِ حُمَيْدٍ ، وَطَالَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا بِضْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، إِلَّا أَنَّ أَصْحَابَ تُوزُونَ يَتَأَخَّرُونَ ، وَالدَّيْلَمُ يَتَقَدَّمُونَ ، إِلَى أَنْ عَبَرَ تُوزُونُ نَهَرَ دِيَالِي ، وَوَقَفَ عَلَيْهِ ، وَمَنَعَ الدَّيْلَمَ مِنَ الْعُبُورِ. |
| وَكَانَ مَعَ تُوزُونَ مُقَابَلَةٌ فِي الْمَاءِ فِي دِجْلَةَ ، فَكَانُوا يَوَدُّونَ أَنَّ الدَّيْلَمَ يَسْتَوْلُونَ عَلَى أَطْرَافِهِمْ ، فَرَأَى ابْنَ بُوَيْهِ أَنْ يَصْعَدَ عَلَى دِيَالِي لِيَبْعُدَ عَنْ دِجْلَةَ وَقِتَالِ مَنْ بِهَا ، وَيَتَمَكَّنَ مِنَ الْمَاءِ ، فَعَلِمَ تُوزُونُ بِذَلِكَ ، فَسَيَّرَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ ، وَعَبَرُوا دِيَالِي وَكَمِنُوا ، فَلَمَّا سَارَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ مُصْعِدًا وَسَارَ سَوَادُهُ فِي أَثَرِهِ ، خَرَجَ الْكَمِينُ عَلَيْهِ ، فَحَالُوا بَيْنَهُمَا ، وَوَقَعُوا فِي الْعَسْكَرِ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ تَعْبِيَةٍ. |
| وَسَمِعَ تُوزُونُ الصِّيَاحَ ، فَتَعَجَّلَ وَعَبَرَ أَكْثَرُ أَصْحَابِهِ سِبَاحَةً ، فَوَقَعُوا فِي عَسْكَرِ ابْنِ بُوَيْهِ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ حَتَّى مَلُّوا ، وَانْهَزَمَ ابْنُ بُوَيْهِ وَوَزِيرُهُ الصَّيْمَرِيُّ إِلَى السُّوسِ رَابِعَ ذِي الْحِجَّةِ ، وَلَحِقَ بِهِ مَنْ سَلِمَ مِنْ عَسْكَرِهِ ، وَكَانَ قَدْ أُسِرَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَائِدًا مِنْهُمُ ابْنُ الدَّاعِي الْعَلَوِيُّ ، وَاسْتَأْمَنَ كَثِيرٌ مِنَ الدَّيْلَمِ إِلَى تُوزُونَ. |
| ثُمَّ إِنَّ تُوزُونَ عَاوَدَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الصَّرَعِ ، فَشُغِلَ بِنَفْسِهِ عَنْ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ وَعَادَ إِلَى بَغْدَاذَ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ أَبِي يُوسُفَ الْبَرِيدِيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَتَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيُّ أَخَاهُ أَبَا يُوسُفَ. |
| وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيَّ كَانَ قَدْ نَفَذَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ فِي مُحَارَبَةِ بَنِي حَمْدَانَ وَمَقَامِهِمْ بِوَاسِطٍ ، وَفِي مُحَارَبَةِ تُوزُونَ ، فَلَمَّا رَأَى جُنْدُهُ قِلَّةَ مَالِهِ ، مَالُوا إِلَى أَخِيهِ أَبِي يُوسُفَ; لِكَثْرَةِ مَالِهِ ، فَاسْتَقْرَضَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مِنْ أَخِيهِ أَبِي يُوسُفَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، وَكَانَ يُعْطِيهِ الْقَلِيلَ مِنَ الْمَالِ ، وَيَعِيبُهُ وَيَذْكُرُ تَضْيِيعَهُ وَسُوءَ تَدْبِيرِهِ وَجُنُونَهُ وَتَهَوُّرَهُ ، فَصَحَّ ذَلِكَ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، ثُمَّ صَحَّ عِنْدَهُ أَنَّهُ يُرِيدُ الْقَبْضَ عَلَيْهِ أَيْضًا ، وَالِاسْتِبْدَادَ بِالْأَمْرِ وَحْدَهُ ، فَاسْتَوْحَشَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ. |
| ثُمَّ إِنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَنْفَذَ إِلَى أَخِيهِ جَوهَرًا نَفِيسًا كَانَ بُجْكُمُ قَدْ وَهَبَهُ لِبِنْتِهِ لَمَّا تَزَوَّجَهَا الْبَرِيدِيُّ ، وَكَانَ قَدْ أَخَذَهُ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ ، فَأَخَذَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مِنْهَا حِينَ تَزَوَّجَهَا ، فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ وَأَبْلَغَهُ ذَلِكَ وَعَرَضَ عَلَيْهِ الْجَوْهَرَ ، أَحْضَرَ الْجَوْهَرِيِّينَ لِيُثَمِّنُوهُ ، فَلَمَّا أَخَذُوا فِي وَصْفِهِ ، أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ ، وَحَرَدَ وَنَزَلَ فِي ثَمَنِهِ إِلَى خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَأَخَذَ فِي الْوَقِيعَةِ فِي أَخِيهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، وَذَكَرَ مَعَايِبَهُ وَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَالِ ، وَأَنْفَذَ مَعَ الرَّسُولِ خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَلَمَّا عَادَ الرَّسُولُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، أَبْلَغَهُ ذَلِكَ فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، وَقَالَ أَلَا قُلْتَ لَهُ جُنُونِي وَقِلَّةُ تَحْصِيلِي أَقْعَدَكَ هَذَا الْمَقْعَدَ وَصَيَّرَكَ كَقَارُونَ ، ثُمَّ عَدَّدَ مَا عَمِلَهُ مَعَهُ مِنَ الْإِحْسَانِ. |
| فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ ، أَقَامَ غِلْمَانَهُ فِي طَرِيقٍ مُسْقَفٍ بَيْنَ دَارِهِ وَالشَّطِّ ، وَأَقْبَلَ أَخُوهُ أَبُو يُوسُفَ مِنَ الشَّطِّ ، فَدَخَلَ فِي ذَلِكَ الطَّرِيقِ ، فَثَارُوا بِهِ فَقَتَلُوهُ وَهُوَ يَصِيحُ يَا أَخِي ، يَا أَخِي ، قَتَلُونِي. |
| وَأَخُوهُ يَسْمَعُهُ ، وَيَقُولُ إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ! |
| فَخَرَجَ أَخُوهُمَا أَبُو الْحُسَيْنِ مِنْ دَارِهِ ، وَكَانَ بِجَنْبِ دَارِ أَخِيهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، وَهُوَ يَسْتَغِيثُ يَا أَخِي ، قَتَلْتَهُ! |
| فَسَبَّهُ وَهَدَّدَهُ ، فَسَكَتَ ، فَلَمَّا قُتِلَ دَفَنَهُ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ الْخَبَرُ الْجُنْدَ ، فَثَارُوا وَشَغَبُوا ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهُ حَيٌّ ، فَأَمَرَ بِهِ فَنُبِشَ وَأَلْقَاهُ عَلَى الطَّرِيقِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ سَكَتُوا ، فَأَمَرَ بِهِ فَدُفِنَ ، وَانْتَقَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ إِلَى دَارِ أَخِيهِ أَبِي يُوسُفَ ، فَأَخَذَ مَا فِيهَا ، وَالْجَوْهَرَ فِي جُمْلَتِهِ ، وَلَمْ يَحْصُلْ مِنْ مَالِ أَخِيهِ عَلَى طَائِلٍ ، فَإِنَّ أَكْثَرَهُ انْكَسَرَ عَلَى النَّاسِ ، وَذَهَبَتْ نَفْسُ أَخِيهِ. |
| ذِكْرُ وَفَاةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيِّ وَفِيهَا فِي شَوَّالٍ مَاتَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيُّ بَعْدَ أَنْ قَتَلَ أَخَاهُ بِثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ بِحُمَّى حَادَّةٍ ، وَاسْتَقَرَّ فِي الْأَمْرِ بَعْدَهُ أَخُوهُ أَبُو الْحُسَيْنِ ، فَأَسَاءَ السِّيرَةَ إِلَى الْأَجْنَادِ ، فَثَارُوا بِهِ لِيَقْتُلُوهُ وَيَجْعَلُوهُ أَبَا الْقَاسِمِ ابْنَ أَخِيهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مَكَانَهُ ، فَهَرَبَ مِنْهُمْ إِلَى هَجَرَ ، وَاسْتَجَارَ بِالْقَرَامِطَةِ فَأَعَانُوهُ ، وَسَارَ مَعَهُ إِخْوَانٌ لِأَبِي طَاهِرٍ الْقُرْمُطِيِّ فِي جَيْشٍ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَرَأَوْا أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ حَفِظَهَا ، فَرَدَّهُمْ عَنْهَا ، فَحَصَرُوهُ مُدَّةً ثُمَّ ضَجِرُوا وَأَصْلَحُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَمِّهِ وَعَادُوا ، وَدَخَلَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْبَصْرَةَ ، فَتَجَهَّزَ مِنْهَا ، وَسَارَ إِلَى بَغْدَاذَ فَدَخَلَ عَلَى تُوزُونَ. |
| ثُمَّ طَمِعَ يَأْنَسُ مَوْلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيِّ فِي التَّقَدُّمِ ، فَوَاطَأَ قَائِدًا مِنْ قُوَّادِ الدَّيْلَمِ عَلَى أَنْ تَكُونَ الرِّئَاسَةُ بَيْنَهُمَا ، وَيُزِيلَا أَبَا الْقَاسِمِ مَوْلَاهُ ، فَاجْتَمَعَتِ الدَّيْلَمُ عِنْدَ ذَلِكَ الْقَائِدِ ، فَأَرْسَلَ أَبُو الْقَاسِمِ إِلَيْهِمْ يَأْنَسُ ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِالْأَمْرِ ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ يَأْنَسُ ، أَشَارَ عَلَيْهِمْ بِالتَّوَقُّفِ ، فَطَمِعَ فِيهِ ذَلِكَ الْقَائِدُ الدَّيْلِمِيُّ ، وَأَحَبَّ التَّفَرُّدَ بِالرِّئَاسَةِ ، فَأُمِرَ بِهِ فَضُرِبَ بِزَوْبِينَ فِي ظَهْرِهِ فَجُرِحَ ، وَهَرَبَ يَأْنَسُ وَاخْتَفَى. |
| ثُمَّ إِنَّ الدَّيْلَمَ اخْتَلَفَتْ كَلِمَتُهُمْ فَتَفَرَّقُوا ، وَاخْتَفَى ذَلِكَ الْقَائِدُ ، فَأُخِذَ وَنُفِيَ ، وَأَمَرَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبَرِيدِيُّ بِمُعَالَجَةِ يَأْنَسَ ، وَقَدْ ظَهَرَ لَهُ حَالُهُ ، فَعُولِجَ حَتَّى بَرَأَ ، ثُمَّ قَبَضَ عَلَيْهِ أَبُو الْقَاسِمِ بَعْدَ نَيِّفٍ وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَصَادَرَهُ عَلَى مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَقَتَلَهُ ، وَاسْتَقَامَ أَمْرُ أَبِي الْقَاسِمِ إِلَى أَنْ أَتَاهُ أَمْرُ اللَّهِ عَلَى مَا نَذْكُرُهُ. |
| ذِكْرُ مُرَاسَلَةِ الْمُتَّقِي تُوزُونَ فِي الْعَوْدِ وَفِيهَا أَرْسَلَ الْمُتَّقِي لِلَّهِ إِلَى تُوزُونَ يَطْلُبُ مِنْهُ الْعَوْدَ إِلَى بَغْدَاذَ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى مِنْ بَنِي حَمْدَانَ تَضَجُّرًا بِهِ وَإِيثَارَ الْمُفَارَقَةِ ، فَاضْطُرَّ إِلَى مُرَاسَلَةِ تُوزُونَ ، فَأَرْسَلَ الْحَسَنَ بْنَ هَارُونَ وَأَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنَ أَبِي مُوسَى الْهَاشِمِيَّ إِلَيْهِ فِي الصُّلْحِ ، فَلَقِيَهُمَا تُوزُونُ وَابْنُ شَيْرَزَادَ بِنِهَايَةِ الرَّغْبَةِ فِيهِ وَالْحِرْصِ عَلَيْهِ ، فَاسْتَوْثَقَا مِنْ تُوزُونَ وَحَلَّفَاهُ لِلْمُتَّقِي لِلَّهِ ، وَأَحْضَرَ لِلْيَمِينِ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الْقُضَاةِ ، وَالْعُدُولِ ، وَالْعَبَّاسِيِّينَ ، وَالْعَلَوِيِّينَ ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَصْنَافِ النَّاسِ ، وَحَلَفَ تُوزُونُ لِلْمُتَّقِي وَالْوَزِيرِ ، وَكَتَبُوا خُطُوطَهُمْ بِذَلِكَ ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِ الْمُتَّقِي لِلَّهِ مَا نَذْكُرُهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. |
| ذِكْرُ مِلْكِ الرُّوسِ مَدِينَةَ بَرْدَعَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الرُّوسِيَّةِ فِي الْبَحْرِ إِلَى نَوَاحِي أَذْرَبِيجَانَ ، وَرَكِبُوا فِي الْبَحْرِ فِي نَهْرِ الْكَرِّ ، وَهُوَ نَهْرٌ كَبِيرٌ ، فَانْتَهَوْا إِلَى بَرْدَعَةَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ نَائِبُ الْمَرْزُبَانِ بِبَرْدَعَةَ فِي جَمْعٍ مِنَ الدَّيْلَمِ وَالْمُطَّوَّعَةِ يَزِيدُونَ عَلَى خَمْسَةِ آلَافِ رَجُلٍ ، فَلَقُوا الرُّوسَ ، فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا سَاعَةً حَتَّى انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ ، وَقُتِلَ الدَّيْلَمُ عَنْ آخِرِهِمْ ، تَبِعَهُمُ الرُّوسُ إِلَى الْبَلَدِ ، فَهَرَبَ مَنْ كَانَ لَهُ مَرْكُوبٌ وَتَرَكَ الْبَلَدَ ، فَنَزَلَهُ الرُّوسُ وَنَادَوْا فِيهِ بِالْأَمَانِ فَأَحْسَنُوا السِّيرَةَ. |
| وَأَقْبَلَتِ الْعَسَاكِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، فَكَانَتِ الرُّوسُ تُقَاتِلُهُمْ ، فَلَا يَثْبُتُ الْمُسْلِمُونَ لَهُمْ ، وَكَانَ عَامَّةُ الْبَلَدِ يَخْرُجُونَ وَيَرْجُمُونَ الرُّوسَ بِالْحِجَارَةِ ، وَيَصِيحُونَ بِهِمْ ، فَيَنْهَاهُمُ الرُّوسُ عَنْ ذَلِكَ ، فَلَمْ يَنْتَهُوا ، سِوَى الْعُقَلَاءِ فَإِنَّهُمْ كَفُّوا أَنْفُسَهُمْ وَسَائِرُ الْعَامَّةِ وَالرُّعَاعُ لَا يَضْبِطُونَ أَنْفُسَهُمْ ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ نَادَى مُنَادِيهِمْ بِخُرُوجِ أَهْلِ الْبَلَدِ مِنْهُ ، وَأَنْ لَا يُقِيمُوا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، فَخَرَجَ مَنْ كَانَ لَهُ ظَهْرٌ يَحْمِلُهُ ، وَبَقِيَ أَكْثَرُهُمْ بَعْدَ الْأَجَلِ ، فَوَضَعَ الرُّوسِيَّةُ فِيهِمُ السِّلَاحَ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَأَسَرُوا بَعْدَ الْقَتْلِ بِضْعَةَ عَشَرَ أَلْفَ نَفْسٍ ، وَجَمَعُوا مَنْ بَقِيَ بِالْجَامِعِ ، وَقَالُوا اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ وَإِلَّا قَتَلْنَاكُمْ ، وَسَعَى لَهُمْ إِنْسَانٌ نَصْرَانِيٌّ ، فَقَرَّرَ عَنْ كُلِّ رَجُلٍ عِشْرِينَ دِرْهَمًا ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ إِلَّا عُقَلَاؤُهُمْ ، فَلَمَّا رَأَى الرُّوسِيَّةُ أَنَّهُ لَا يُحَصَّلُ مِنْهُمْ شَيْءٌ ، قَتَلُوهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ ، وَغَنِمُوا أَمْوَالَ أَهْلِهَا وَاسْتَعْبَدُوا السَّبْيَ ، وَاخْتَارُوا مِنَ النِّسَاءِ مَنِ اسْتَحْسَنُوهَا. |
| ذِكْرُ مَسِيرِ الْمَرْزُبَانِ إِلَيْهِمْ ، وَالظَّفَرِ بِهِمْ لَمَّا فَعَلَ الرُّوسُ بِأَهْلِ بَرْدَعَةَ مَا ذَكَرْنَاهُ ، اسْتَعْظَمَهُ الْمُسْلِمُونَ ، وَتَنَادَوْا بِالنَّفِيرِ ، وَجَمَعَ الْمَرْزُبَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّاسَ وَاسْتَنْفَرَهُمْ ، فَبَلَغَ عِدَّةُ مَنْ مَعَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، وَسَارَ بِهِمْ فَلَمْ يُقَاوِمِ الرُّوسِيَّةَ ، وَكَانَ يُغَادِيهُمُ الْقِتَالَ وَيُرَاوِحُهُمْ ، فَلَا يَعُودُ إِلَّا مَفْلُولًا ، فَبَقُوا كَذَلِكَ أَيَّامًا كَثِيرَةً ، وَكَانَ الرُّوسِيَّةُ قَدْ تَوَجَّهُوا نَحْوَ مَرَاغَةَ ، فَأَكْثَرُوا مِنْ أَكْلِ الْفَوَاكِهِ ، فَأَصَابَهُمُ الْوَبَاءُ ، وَكَثُرَتِ الْأَمْرَاضُ وَالْمَوْتُ فِيهِمْ. |
| وَلَمَّا طَالَ الْأَمْرُ عَلَى الْمَرْزُبَانِ ، أَعْمَلَ الْحِيلَةَ ، فَرَأَى أَنْ يَكْمُنَ كَمِينًا ، ثُمَّ يَلْقَاهُمْ فِي عَسْكَرِهِ ، وَيَتَطَارَدَ لَهُمْ ، فَإِذَا خَرَجَ الْكَمِينُ عَادَ عَلَيْهِمْ ، فَتَقَدَّمَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِذَلِكَ ، وَرَتَّبَ الْكَمِينَ ثُمَّ لَقِيَهُمْ ، وَاقْتَتَلُوا ، فَتَطَارَدَ لَهُمُ الْمَرْزُبَانُ وَأَصْحَابُهُ ، وَتَبِعَهُمُ الرُّوسِيَّةُ حَتَّى جَازَوْا مَوْضِعَ الْكَمِينِ ، فَاسْتَمَرَّ النَّاسُ عَلَى هَزِيمَتِهِمْ لَا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ. |
| فَحَكَى الْمَرْزُبَانُ ، قَالَ صِحْتُ بِالنَّاسِ لِيَرْجِعُوا ، فَلَمْ يَفْعَلُوا لِمَا تَقَدَّمَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ هَيْبَةِ الرُّوسِيَّةِ ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ إِنِ اسْتَمَرَّ النَّاسُ عَلَى الْهَزِيمَةِ ، قَتَلَ الرُّوسُ أَكْثَرَهُمْ ، ثُمَّ عَادُوا إِلَى الْكَمِينِ فَفَطِنُوا بِهِمْ ، فَقَتَلُوهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ. |
| قَالَ فَرَجَعْتُ وَحْدِي ، وَتَبِعَنِي أَخِي وَصَاحِبِي ، وَوَطَّنْتُ نَفْسِي عَلَى الشَّهَادَةِ ، فَحِينَئِذٍ عَادَ أَكْثَرُ الدَّيْلَمِ اسْتِحْيَاءً فَرَجَعُوا وَقَاتَلْنَاهُمْ ، وَنَادَيْنَا بِالْكَمِينِ بِالْعَلَامَةِ بَيْنَنَا ، فَخَرَجُوا مِنْ وَرَائِهِمْ ، وَصَدَقْنَاهُمُ الْقِتَالَ ، فَقَتَلْنَا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا مِنْهُمْ أَمِيرُهُمْ ، وَالْتَجَأَ الْبَاقُونَ إِلَى حِصْنِ الْبَلَدِ ، وَيُسَمَّى شِهْرِسْتَانَ ، وَكَانُوا قَدْ نَقَلُوا إِلَيْهِ مِيرَةً كَثِيرَةً ، وَجَعَلُوا مَعَهُمُ السَّبْيَ وَالْأَمْوَالَ ، فَحَاصَرَهُمُ الْمَرْزُبَانُ وَصَابَرَهُمْ ، فَأَتَاهُ الْخَبَرُ بِأَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ حَمْدَانَ قَدْ سَارَ إِلَى أَذْرَبِيجَانَ ، وَأَنَّهُ وَاصِلٌ إِلَى سَلْمَاسَ ، وَكَانَ ابْنُ عَمِّهِ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ قَدْ سَيَّرَهُ لِيَسْتَوْلِيَ عَلَى أَذْرَبِيجَانَ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى الْمَرْزُبَانِ ، تَرَكَ عَلَى الرُّوسِيَّةِ مَنْ يُحَاصِرُهُمْ وَسَارَ إِلَى ابْنِ حَمْدَانَ ، فَاقْتَتَلُوا ، ثُمَّ نَزَلَ الثَّلْجُ ، فَتَفَرَّقَ أَصْحَابُ ابْنِ حَمْدَانَ; لِأَنَّ أَكْثَرَهُمْ أَعْرَابٌ ، ثُمَّ أَتَاهُ كِتَابُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ يُخْبِرُهُ بِمَوْتِ تُوزُونَ ، وَأَنَّهُ يُرِيدُ الِانْحِدَارَ إِلَى بَغْدَاذَ وَيَأْمُرُهُ بِالْعَوْدِ إِلَيْهِ ، فَرَجَعَ. |
| وَأَمَّا أَصْحَابُ الْمَرْزُبَانِ فَإِنَّهُمْ أَقَامُوا يُقَاتِلُونَ الرُّوسِيَّةَ ، وَزَادَ الْوَبَاءُ عَلَى الرُّوسِيَّةِ فَكَانُوا إِذَا دَفَنُوا الرَّجُلَ ، دَفَنُوا مَعَهُ سِلَاحَهُ ، فَاسْتَخْرَجَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا كَثِيرًا بَعْدَ انْصِرَافِ الرُّوسِ. |
| ثُمَّ إِنَّهُمْ خَرَجُوا مِنَ الْحِصْنِ لَيْلًا وَقَدْ حَمَلُوا عَلَى ظُهُورِهِمْ مَا أَرَادُوا مِنَ الْأَمْوَالِ وَغَيْرِهَا ، وَمَضَوْا إِلَى الْكَرِّ ، وَرَكِبُوا فِي سُفُنِهِمْ وَمَضَوْا ، وَعَجَزَ أَصْحَابُ الْمَرْزُبَانِ عَنِ اتِّبَاعِهِمْ وَأَخْذِ مَا مَعَهُمْ ، فَتَرَكُوهُمْ وَطَهَّرَ اللَّهُ الْبِلَادَ مِنْهُمْ. |
| ذِكْرُ خُرُوجِ ابْنِ أَشْكَامَ عَلَى نُوحٍ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ خَالَفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَشْكَامَ عَلَى الْأَمِيرِ نُوحٍ ، وَامْتَنَعَ بِخُوَارَزْمَ ، فَسَارَ نُوحٌ مِنْ بُخَارَى إِلَى مَرْوَ بِسَبَبِهِ ، وَسَيَّرَ إِلَيْهِ جَيْشًا ، وَجَعَلَ عَلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَارِسَ ، وَسَارُوا نَحْوَهُ ، فَمَاتَ إِبْرَاهِيمُ فِي الطَّرِيقِ ، وَكَاتَبَ ابْنُ أَشْكَامَ مَلِكَ التُّرْكِ وَرَاسَلَهُ ، وَاحْتَمَى بِهِ. |
| وَكَانَ لِمَلِكِ التُّرْكِ وَلَدٌ فِي يَدِ نُوحٍ ، وَهُوَ مَحْبُوسٌ بِبُخَارَى ، فَرَاسَلَ نُوحٌ أَبَاهُ فِي إِطْلَاقِهِ لِيَقْبِضَ عَلَى ابْنِ أَشْكَامَ ، فَأَجَابَهُ مَلِكُ التُّرْكِ إِلَى ذَلِكَ ، فَلَمَّا عَلِمَ ابْنُ أَشْكَامَ الْحَالَ ، عَادَ إِلَى طَاعَةِ نُوحٍ ، وَفَارَقَ خُوَارَزْمَ ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ نُوحٌ وَأَكْرَمَهُ ، وَعَفَا عَنْهُ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي رَمَضَانَ مَاتَ أَبُو طَاهِرٍ الْهَجَرِيُّ رَئِيسُ الْقَرَامِطَةِ ، أَصَابَهُ جُدَرِيٌّ فَمَاتَ ، وَكَانَ لَهُ ثَلَاثَةُ إِخْوَةٍ مِنْهُمْ أَبُو الْقَاسِمِ سَعِيدُ بْنُ الْحَسَنِ ، وَهُوَ الْأَكْبَرُ ، وَأَبُو الْعَبَّاسِ الْفَضْلُ بْنُ الْحَسَنِ ، وَهَذَانَ كَانَا يَتَّفِقَانِ مَعَ أَبِي طَاهِرٍ عَلَى الرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ ، وَكَانَ لَهُمَا أَخٌ ثَالِثٌ لَا يَجْتَمِعُ بِهِمَا ، وَهُوَ مَشْغُولٌ بِالشُّرْبِ وَاللَّهْوِ. |
| وَفِيهَا فِي جُمَادَى الْأُولَى غَلَتِ الْأَسْعَارُ فِي بَغْدَاذَ حَتَّى بِيعَ الْقَفِيزُ الْوَاحِدُ مِنَ الدَّقِيقِ الْخُشْكَارِ بِنَيِّفٍ وَسِتِّينَ دِرْهَمًا ، وَالْخُبْزُ الْخُشْكَارُ ثَلَاثَةُ أَرْطَالٍ بِدِرْهَمٍ. |
| وَكَانَتِ الْأَمْطَارُ كَثِيرَةً مُسْرِفَةً جِدًّا حَتَّى خَرِبَتِ الْمَنَازِلُ ، وَمَاتَ خَلْقٌ كَثِيرٌ تَحْتَ الْهَدْمِ ، وَنَقُصَتْ قِيمَةُ الْعَقَارِ حَتَّى صَارَ مَا كَانَ يُسَاوِي دِينَارًا يُبَاعُ بِأَقَلَّ مِنْ دِرْهَمٍ حَقِيقَةً ، وَمَا يَسْقُطُ مِنَ الْأَبْنِيَةِ لَا يُعَادُ ، وَتَعَطَّلَ كَثِيرٌ مِنَ الْحَمَّامَاتِ ، وَالْمَسَاجِدِ ، وَالْأَسْوَاقِ; لِقِلَّةِ النَّاسِ ، وَتَعَطَّلَ كَثِيرٌ مِنْ أَتَاتِينِ الْآجُرِّ; لِقِلَّةِ الْبِنَاءِ ، وَمَنْ يَضْطَّرُّ إِلَيْهِ اجْتَزَأَ بِالْأَنْقَاضِ ، وَكَثُرَتِ الْكَبْسَاتُ مِنَ اللُّصُوصِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ حَمْدِيٍّ ، وَتَحَارَسَ النَّاسُ بِالْبُوقَاتِ ، وَعَظُمَ أَمْرُ ابْنِ حَمْدِيٍّ فَأَعْجَزَ النَّاسَ ، وَأَمَّنَهُ ابْنُ شَيْرَزَادَ وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَشَرَطَ مَعَهُ أَنْ يُوَصِّلَهُ كُلَّ شَهْرٍ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ مِمَّا يَسْرِقُهُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، وَكَانَ يَسْتَوْفِيهَا مِنِ ابْنِ حَمْدِيٍّ بِالرَّوْزَاتِ ، فَعَظُمَ شَرُّهُ حِينَئِذٍ ، وَهَذَا مَا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ. |
| ثُمَّ إِنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ الدَّيْلِمِيَّ ، صَاحِبَ الشُّرْطَةِ بِبَغْدَاذَ ، ظَفِرَ بِابْنِ حَمْدِيٍّ فَقَتَلَهُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، فَخَفَّ عَنِ النَّاسِ بَعْضُ مَا هُمْ فِيهِ. |
| وَفِيهَا فِي شَعْبَانَ وَهُوَ الْوَاقِعُ فِي نِيسَانَ ، ظَهَرَ فِي الْجَوِّ شَيْءٌ كَثِيرٌ سَتَرَ عَيْنَ الشَّمْسِ بِبَغْدَادَ ، فَتَوَهَّمَهُ النَّاسُ جَرَادًا لِكَثْرَتِهِ ، وَلَمْ يَشُكُّوا فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ سَقَطَ مِنْهُ شَيْءٌ عَلَى الْأَرْضِ ، فَإِذَا هُوَ حَيَوَانٌ يَطِيرُ فِي الْبَسَاتِينِ وَلَهُ جَنَاحَانِ قَائِمَانِ مَنْقُوشَانِ ، فَإِذَا أَخَذَ الْإِنْسَانُ جَنَاحَهُ بِيَدِهِ بَقِيَ أَثَرُ أَلْوَانِ الْجَنَاحِ فِي يَدِهِ وَيَعْدِمُ الْجَنَاحَ ، وَيُسَمِّيهِ الصِّبْيَانُ طَحَّانَ الذَّرِيرَةِ. |
| وَفِيهَا اسْتَوْلَى مُعِزُّ الدَّوْلَةِ عَلَى وَاسِطٍ ، وَانْحَدَرَ مَنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْبَرِيدِيِّ فِيهَا إِلَى الْبَصْرَةِ. |
| وَفِيهَا قَبَضَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ يَنَالَ التُّرْجُمَانِ بِالرَّقَّةِ وَقَتَلَهُ ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَهُ أَنَّهُ قَدْ وَاطَأَ الْمُتَّقِيَ عَلَى الْإِيقَاعِ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ. |
| وَفِيهَا عَرَضَ لِتُوزُونَ صَرَعٌ وَهُوَ جَالِسٌ لِلسَّلَامِ ، وَالنَّاسُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَامَ ابْنُ شَيْرَزَادَ وَمَدَّ فِي وَجْهِهِ مَا سَتَرَهُ عَنِ النَّاسِ ، فَصَرَفَهُمْ وَقَالَ إِنَّهُ قَدْ ثَارَ بِهِ خُمَارٌ لَحِقَهُ. |
| وَفِيهَا ثَارَ نَافِعٌ غُلَامُ يُوسُفَ بْنِ وَجِيهٍ صَاحِبِ عَمَّانَ عَلَى مَوْلَاهُ يُوسُفَ ، وَمَلَكَ الْبَلَدَ بَعْدَهُ. |
| وَفِيهَا دَخَلَ الرُّومُ رَأَسَ عَيْنٍ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، فَأَقَامُوا بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَنَهَبُوهَا ، وَسَبَوْا مِنْ أَهْلِهَا ، وَقَصَدَهُمُ الْأَعْرَابُ ، فَقَاتَلُوهُمْ فَفَارَقَهَا الرُّومُ ، وَكَانَ الرُّومُ فِي ثَمَانِينَ أَلْفًا مَعَ الدُّمُسْتُقِ. |
| وَفِيهَا فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، اسْتَعْمَلَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ مُقَاتِلٍ عَلَى طَرِيقِ الْفُرَاتِ ، وَدِيَارِ مُضَرَ ، وَجُنْدِ قِنَّسْرِينَ ، وَالْعَوَاصِمِ ، وَحِمْصَ ، وَأَنْفَذَهُ إِلَيْهَا مِنَ الْمَوْصِلِ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْقُوَّادِ ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ بَعْدَهُ فِي رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ ابْنَ عَمِّهِ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ حَمْدَانَ عَلَى ذَلِكَ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الرَّقَّةِ مَنَعَهُ أَهْلُهَا ، فَقَاتَلَهُمْ فَظَفِرَ بِهِمْ ، وَأَحْرَقَ مِنَ الْبَلَدِ قِطْعَةً ، وَأَخَذَ رُؤَسَاءَ أَهْلِهَا وَسَارَ إِلَى حَلَبَ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ مَسِيرِ الْمُتَّقِي إِلَى بَغْدَاذَ وَخَلْعِهِ كَانَ الْمُتَّقِي لِلَّهِ قَدْ كَتَبَ إِلَى الْإِخْشِيدِ مُحَمَّدِ بْنِ طُغْجَ مُتَوَلِّي مِصْرَ يَشْكُو حَالَهُ وَيَسْتَقْدِمُهُ إِلَيْهِ ، فَأَتَاهُ مِنْ مِصْرَ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى حَلَبَ ، سَارَ عَنْهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ حَمْدَانَ ، وَكَانَ ابْنُ مُقَاتِلٍ بِهَا مَعَهُ ، فَلَمَّا عَلِمَ بِرَحِيلِهِ عَنْهَا اخْتَفَى ، فَلَمَّا قَدِمَ الْإِخْشِيدُ إِلَيْهَا ، ظَهَرَ إِلَيْهِ ابْنُ مُقَاتِلٍ ، فَأَكْرَمَهُ الْإِخْشِيدُ ، وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى خَرَاجِ مِصْرَ ، وَانْكَسَرَ عَلَيْهِ مَا بَقِيَ مِنَ الْمُصَادَرَةِ الَّتِي صَادَرَهُ بِهَا نَاصِرُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ ، وَمَبْلَغُهُ خَمْسُونَ أَلْفِ دِينَارٍ. |
| وَسَارَ الْإِخْشِيدُ مِنْ حَلَبَ ، فَوَصَلَ إِلَى الْمُتَّقِي مُنْتَصَفَ مُحَرَّمٍ وَهُوَ بِالرَّقَّةِ ، فَأَكْرَمَهُ الْمُتَّقِي وَاحْتَرَمَهُ ، وَوَقَفَ الْإِخْشِيدُ وُقُوفَ الْغِلْمَانِ ، وَمَشَى بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَمَرَهُ الْمُتَّقِي بِالرُّكُوبِ فَلَمْ يَفْعَلْ إِلَى أَنْ نَزَلَ الْمُتَّقِي ، وَحَمَلَ إِلَى الْمُتَّقِي هَدَايَا عَظِيمَةً ، وَإِلَى الْوَزِيرِ أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ مُقْلَةَ وَسَائِرِ الْأَصْحَابِ ، وَاجْتَهَدَ بِالْمُتَّقِي لِيَسِيرَ مَعَهُ إِلَى مِصْرَ وَالشَّامِ ، وَيَكُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالْمُقَامِ مَكَانَهُ ، وَلَا يَرْجِعُ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَخَوَّفَهُ مِنْ تُوزُونَ ، فَلَمْ يَفْعَلْ وَأَشَارَ عَلَى ابْنِ مُقْلَةَ أَنْ يَسِيرَ مَعَهُ إِلَى مِصْرَ لِيُحَكِّمَهُ فِي جَمِيعِ بِلَادِهِ ، فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَخَوَّفَهُ أَيْضًا مَنْ تُوزُونَ ، فَكَانَ ابْنُ مُقْلَةَ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ نَصَحَنِي الْإِخْشِيدُ ، فَلَمْ أَقْبَلْ نَصِيحَتَهُ. |
| وَكَانَ قَدْ أَنْفَذَ رُسُلًا إِلَى تُوزُونَ فِي الصُّلْحِ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، فَحَلَّفُوا تُوزُونَ لِلْخَلِيفَةِ وَالْوَزِيرِ ، فَلَمَّا حَلَفَ كَتَبَ الرُّسُلُ إِلَى الْمُتَّقِي بِذَلِكَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ النَّاسُ أَيْضًا بِمَا شَاهَدُوا مِنْ تَأْكِيدِ الْيَمِينِ ، فَانْحَدَرَ الْمُتَّقِي مِنَ الرَّقَّةِ فِي الْفُرَاتِ إِلَى بَغْدَاذَ لِأَرْبَعٍ بَقِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ ، وَعَادَ الْإِخْشِيدُ إِلَى مِصْرَ ، فَلَمَّا وَصَلَ الْمُتَّقِي إِلَى هَيْتَ أَقَامَ بِهَا ، وَأَنْفَذَ مَنْ يُجَدِّدُ الْيَمِينَ عَلَى تُوزُونَ ، فَعَادَ وَحَلَفَ ، وَسَارَ عَنْ بَغْدَاذَ لِعَشَرٍ بَقِينَ مِنْ صَفَرٍ لِيَلْتَقِيَ الْمُتَّقِيَ ، فَالْتَقَاهُ بِالسَّنَدِيَّةِ ، فَنَزَلَ تُوزُونُ وَقَبَّلَ الْأَرْضَ وَقَالَ هَا أَنَا قَدْ وَفَّيْتُ بِيَمِينِي وَالطَّاعَةُ لَكَ ، ثُمَّ وَكَّلَ بِهِ وَبِالْوَزِيرِ وَبِالْجَمَاعَةِ ، وَأَنْزَلَهُمْ فِي مَضْرِبِ نَفْسِهِ مَعَ حُرَمِ الْمُتَّقِي ، ثُمَّ كَحَّلَهُ فَأَذْهَبَ عَيْنَيْهِ ، فَلَمَّا سَمَلَهُ صَاحَ ، وَصَاحَ مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْحُرَمِ وَالْخَدَمِ ، وَارْتَجَّتِ الدُّنْيَا ، فَأَمَرَ تُوزُونُ بِضَرْبِ الدَّبَادَبِ لِئَلَّا تَظْهَرَ أَصْوَاتُهُمْ ، فَخَفِيَتْ أَصْوَاتُهُمْ ، وَعَمِيَ الْمُتَّقِي لِلَّهِ ، وَانْحَدَرَ تُوزُونُ مِنَ الْغَدِ إِلَى بَغْدَاذَ وَالْجَمَاعَةُ فِي قَبْضَتِهِ. |
| وَكَانَتْ خِلَافَةُ الْمُتَّقِي لِلَّهِ ثَلَاثَ سِنِينَ وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَكَانَ أَبْيَضَ أَشْهَلَ الْعَيْنَيْنِ ، وَأُمُّهُ أَمُّ وَلَدٍ اسْمُهَا خَلُوبُ ، وَكَانَتْ وِزَارَةُ ابْنِ مُقْلَةَ سَنَةً وَاحِدَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَاثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا. |
| ذِكْرُ خِلَافَةِ الْمُسْتَكْفِي بِاللَّهِ هُوَ الْمُسْتَكْفِي بِاللَّهِ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُكْتَفِي بِاللَّهِ عَلِيِّ بْنِ الْمُعْتَضِدِ بِاللَّهِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي أَحْمَدَ الْمُوَفَّقِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ ، يَجْتَمِعُ هُوَ وَالْمُتَّقِي لِلَّهِ فِي الْمُعْتَضِدِ ، لَمَّا قَبَضَ تُوزُونُ عَلَى الْمُتَّقِي لِلَّهِ ، أَحْضَرَ الْمُسْتَكْفِيَ إِلَيْهِ إِلَى السَّنَدِيَّةِ ، وَبَايَعَهُ هُوَ وَعَامَّةُ النَّاسِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ الْبَيْعَةِ لَهُ مَا حَكَاهُ أَبُو الْعَبَّاسِ التَّمِيمِيُّ الرَّازِيُّ ، وَكَانَ مِنْ خَوَاصِّ تُوزُونَ ، قَالَ كُنْتُ أَنَا السَّبَبَ فِي الْبَيْعَةِ لِلْمُسْتَكْفِي ، وَذَلِكَ أَنَّنِي دَعَانِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الزُّوبَيْنَدَارِ الدَّيْلَمَيُّ ، فَمَضَيْتُ إِلَيْهِ ، فَذَكَرَ لِي أَنَّهُ تَزَوَّجَ إِلَى قَوْمٍ وَأَنَّ امْرَأَةً مِنْهُمْ قَالَتْ لَهُ إِنَّ الْمُتَّقِيَ هَذَا قَدْ عَادَاكُمْ وَعَادَيْتُمُوهُ ، وَكَاشَفَكُمْ وَلَا يَصْفُو قَلْبُهُ لَكُمْ ، وَهَا هُنَا رَجُلٌ مِنْ أَوْلَادِ الْخُلَفَاءِ مِنْ وَلَدِ الْمُكْتَفِي وَذَكَرَتْ عَقْلَهُ ، وَأَدَبَهُ ، وَدِينَهُ تُنَصِّبُونَهُ لِلْخِلَافَةِ فَيَكُونُ صَنِيعَتَكُمْ وَغَرْسَكُمْ ، وَيَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْوَالٍ جَلِيلَةٍ لَا يَعْرِفُهَا غَيْرُهُ ، وَتَسْتَرِيحُونَ مِنَ الْخَوْفِ وَالْحِرَاسَةِ. |
| قَالَ فَعَلِمْتُ أَنَّ هَذَا أَمْرٌ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِكَ ، فَدَعَوْتُكَ لَهُ ، فَقُلْتُ أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعُ كَلَامَ الْمَرْأَةِ ، فَجَاءَنِي بِهَا ، فَرَأَيْتُ امْرَأَةً عَاقِلَةً جَزْلَةً ، فَذَكَرَتْ لِي نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ ، فَقُلْتُ لَا بُدَّ أَنْ أَلْقَى الرَّجُلَ ، فَقَالَتْ تَعُودُ غَدًا إِلَى هَا هُنَا حَتَّى أَجْمَعَ بَيْنَكُمَا ، فَعُدْتُ إِلَيْهَا مِنَ الْغَدِ ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ أُخْرِجَ مِنْ دَارِ ابْنِ طَاهِرٍ فِي زِيِّ امْرَأَةٍ ، فَعَرَّفَنِي نَفْسَهُ ، وَضَمِنَ إِظْهَارَ ثَمَانِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ مِنْهَا مِائَةُ أَلْفٍ لِتُوزُونَ ، وَذَكَرَ وُجُوهَهَا وَخَاطَبَنِي خِطَابَ رَجُلٍ فَهْمٍ عَاقِلٍ ، وَرَأَيْتُهُ يَتَشَيَّعُ ، قَالَ فَأَتَيْتُ تُوزُونَ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَوَقَعَ كَلَامِي بِقَلْبِهِ ، وَقَالَ أُرِيدُ أَنْ أُبْصِرَ الرَّجُلَ ، فَقُلْتُ لَكَ ذَلِكَ ، وَلَكِنِ اكْتُمْ أَمْرَنَا مِنِ ابْنِ شَيْرَزَادَ ، فَقَالَ أَفْعَلُ ، وَعُدْتُ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتُهُمُ الَّذِي ذُكِرَ ، وَوَعَدْتُهُمْ حُضُورَ تُوزُونَ مِنَ الْغَدِ. |
| فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الْأَحَدِ لِأَرْبَعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ صَفَرٍ ، مَشَيْتُ مَعَ تُوزُونَ مُسْتَخْفِيَيْنِ ، فَاجْتَمَعْنَا بِهِ ، وَخَاطَبَهُ تُوزُونُ وَبَايَعَهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَكَتَمَ الْأَمْرَ ، فَلَمَّا وَصَلَ الْمُتَّقِي ، قُلْتُ لِتُوزُونَ لَمَّا لَقِيَهُ أَنْتَ عَلَى ذَلِكَ الْعَزْمِ ؟ |
| قَالَ نَعَمْ ، قَلْتُ فَافْعَلْهُ السَّاعَةَ ، فَإِنَّهُ إِنْ دَخَلَ الدَّارَ بَعُدَ عَلَيْكَ مَرَامُهُ ، فَوَكَّلَ بِهِ وَسَمَلَهُ ، وَجَرَى مَا جَرَى. |
| وَبُويِعَ الْمُسْتَكْفِي بِالْخِلَافَةِ يَوْمَ خَلْعِ الْمُتَّقِي. |
| وَأُحْضِرَ الْمُتَّقِي ، فَبَايَعَهُ وَأَخَذَ مِنْهُ الْبُرْدَةَ وَالْقَضِيبَ ، وَصَارَتْ تِلْكَ الْمَرْأَةُ قَهْرَمَانَةَ الْمُسْتَكْفِي ، وَسَمَّتْ نَفْسَهَا عَلَمًا ، وَغَلَبَتْ عَلَى أَمْرِهِ كُلِّهِ. |
| وَاسْتَوْزَرَ الْمُسْتَكْفِي بِاللَّهِ أَبَا الْفَرَجِ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيِّ السَّامَّرِّيَّ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ لِسِتٍّ بَقِينَ مِنْ صَفَرٍ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا اسْمُ الْوِزَارَةِ ، وَالَّذِي يَتَوَلَّى الْأُمُورَ ابْنُ شَيْرَزَادَ ، وَحُبِسَ الْمُتَّقِي ، وَخَلَعَ الْمُسْتَكْفِي بِاللَّهِ عَلَى تُوزُونَ خُلْعَةً وَتَاجًا ، وَطَلَبَ الْمُسْتَكْفِي بِاللَّهِ أَبَا الْقَاسِمِ الْفَضْلَ بْنَ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ ، وَهُوَ الَّذِي وَلِيَ الْخِلَافَةَ ، وَلُقِّبَ" الْمُطِيعُ لِلَّهِ "; لِأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُهُ يَطْلُبُ الْخِلَافَةَ ، فَاسْتَتَرَ مُدَّةَ خِلَافَةِ الْمُسْتَكْفِي ، فَهُدِمَتْ دَارُهُ الَّتِي عَلَى دِجْلَةَ عِنْدَ دَارِ ابْنِ طَاهِرٍ ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهَا شَيْءٌ. |
| ذِكْرُ خُرُوجِ أَبِي يَزِيدَ الْخَارِجِيِّ بِإِفْرِيقِيَّةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اشْتَدَّتْ شَوْكَةُ أَبِي يَزِيدَ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، وَكَثُرَ أَتْبَاعُهُ وَهَزَمَ الْجُيُوشَ ، وَكَانَ ابْتِدَاءُ أَمْرِهِ أَنَّهُ مِنْ زَنَاتَةَ ، وَاسْمُ وَالِدِهِ كَيْدَادُ مِنْ مَدِينَةِ تَوْزَرَ مِنْ قَسْطِيلِيَّةَ ، وَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى بِلَادِ السُّودَانِ لِتِجَارَةٍ ، فَوُلِدَ لَهُ بِهَا أَبُو يَزِيدَ مِنْ جَارِيَةٍ هَوَّارِيَّةٍ ، فَأَتَى بِهَا إِلَى تَوْزَرَ ، فَنَشَأَ بِهَا ، وَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ، وَخَالَطَ جَمَاعَةً مِنَ النَّكَارِيَّةِ ، فَمَالَتْ نَفْسُهُ إِلَى مَذْهَبِهِمْ ، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى تَاهَرْتَ فَأَقَامَ بِهَا يُعَلِّمُ الصِّبْيَانَ إِلَى أَنْ خَرَجَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشِّيعِيُّ إِلَى سِجِلْمَاسَةَ فِي طَلَبِ الْمَهْدِيِّ ، فَانْتَقَلَ إِلَى تَقْيَوَسَ ، وَاشْتَرَى ضَيْعَةً وَأَقَامَ يُعَلِّمُ فِيهَا. |
| وَكَانَ مَذْهَبُهُ تَكْفِيرَ أَهْلِ الْمِلَّةِ ، وَاسْتِبَاحَةَ الْأَمْوَالِ وَالدِّمَاءِ وَالْخُرُوجَ عَلَى السُّلْطَانِ ، فَابْتَدَأَ يَحْتَسِبُ عَلَى النَّاسِ فِي أَفْعَالِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ ، فَصَارَ لَهُ جَمَاعَةٌ يُعَظِّمُونَهُ ، وَذَلِكَ أَيَّامَ الْمَهْدِيِّ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنِ اشْتَدَّتْ شَوْكَتُهُ ، وَكَثُرَ أَتْبَاعُهُ فِي أَيَّامِ الْقَائِمِ وَلَدِ الْمَهْدِيِّ ، فَصَارَ يُغُيْرُ وَيَحْرِقُ وَيُفْسِدُ ، وَزَحَفَ إِلَى بِلَادِ الْقَائِمِ وَحَاصَرَ بَاغَايَةَ ، وَهَزَمَ الْجُيُوشَ الْكَثِيرَةَ عَلَيْهَا ، ثُمَّ حَاصَرَ قَسْطِيلِيَّةَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَفَتَحَ تَبْسَةَ وَمَجَانَةَ وَهَدَمَ سُورَهَا ، وَأَمَّنَ أَهْلَهَا ، وَدَخَلَ مَرْمَجَنَّةَ ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِهَا ، وَأَهْدَى لَهُ حِمَارًا أَشْهَبَ مَلِيحَ الصُّورَةِ ، فَرَكِبَهُ أَبُو يَزِيدَ مِنْ ذَلِكَ الْيَومِ. |
| وَكَانَ قَصِيرًا أَعْرَجَ يَلْبِسُ جُبَّةَ صُوفٍ قَصِيرَةً ، قَبِيحَ الصُّورَةِ. |
| ثُمَّ إِنَّهُ هَزَمَ كُتَامَةَ ، وَأَنْفَذَ طَائِفَةً مِنْ عَسْكَرِهِ إِلَى سَبِيبَةَ ، فَفَتَحَهَا وَصَلَبَ عَامِلَهَا ، وَسَارَ إِلَى الْأَرْبَسِ ، فَفَتَحَهَا وَأَحْرَقَهَا وَنَهَبَهَا ، وَجَاءَ النَّاسُ إِلَى الْجَامِعِ ، فَقَتَلَهُمْ فِيهِ ، فَلَمَّا اتَّصَلَ ذَلِكَ بِأَهْلِ الْمَهْدِيَّةِ اسْتَعْظَمُوهُ ، وَقَالُوا لِلْقَائِمِ الْأَرْبَسُ بَابُ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَلَمَّا أُخِذَتْ ، زَالَتْ دَوْلَةُ بَنِي الْأَغْلَبِ ، فَقَالَ لَا بُدَّ أَنْ يَبْلُغَ أَبُو يَزِيدَ الْمُصَلَّى ، وَهُوَ أَقْصَى غَايَتَهُ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْقَائِمَ أَخْرَجَ الْجُيُوشَ لِضَبْطِ الْبِلَادِ ، فَأَخْرَجَ جَيْشًا إِلَى رَقَّادَةَ ، وَجَيْشًا إِلَى الْقَيْرَوَانِ ، وَجَمَعَ الْعَسَاكِرَ ، فَخَافَ أَبُو يَزِيدَ ، وَعَوَّلَ عَلَى أَخْذِ بِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ وَإِخْرَابِهَا وَقَتْلِ أَهْلِهَا ، وَسَيَّرَ الْقَائِمُ الْجَيْشَ الَّذِي اجْتَمَعَ لَهُ مَعَ فَتَاهُ مَيْسُورٍ ، وَسَيَّرَ بَعْضَهُ مَعَ فَتَاهُ بُشْرَى إِلَى بَاجَّةَ ، فَلَمَّا بَلَغَ أَبَا يَزِيدَ خَبَرُ بُشْرَى ، تَرَكَ أَثْقَالَهُ وَسَارَ جَرِيدَةً إِلَيْهِ ، فَالْتَقَوْا بِبَاجَّةَ ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ أَبِي يَزِيدَ ، وَبَقِيَ فِي نَحْوِ أَرْبَعِمِائَةِ مُقَاتِلٍ ، فَقَالَ لَهُمْ مِيلُوا بِنَا نُخَالِفُهُمْ إِلَى خِيَامِهِمْ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، فَانْهَزَمَ بُشْرَى إِلَى تُونُسَ ، وَقُتِلَ مِنْ عَسْكَرِهِ كَثِيرٌ مِنْ وُجُوهِ كُتَامَةَ وَغَيْرِهِمْ ، وَدَخَلَ أَبُو يَزِيدَ بَاجَّةَ فَأَحْرَقَهَا وَنَهَبَهَا ، وَقَتَلُوا الْأَطْفَالَ ، وَأَخَذُوا النِّسَاءَ ، وَكَتَبَ إِلَى الْقَبَائِلِ يَدْعُوهُمْ إِلَى نَفْسِهِ فَأَتَوْهُ ، وَعَمِلَ الْأَخْبِيَةَ وَالْبُنُودَ وَآلَاتِ الْحَرْبِ. |
| وَلَمَّا وَصَلَ بُشْرَى إِلَى تُونُسَ ، جَمَعَ النَّاسَ وَأَعْطَاهُمُ الْأَمْوَالَ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَجَهَّزَهُمْ وَسَيَّرَهُمْ إِلَى أَبِي يَزِيدَ ، وَسَيَّرَ إِلَيْهِمْ أَبُو يَزِيدَ جَيْشًا ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ أَبِي يَزِيدَ ، وَرَجَعَ أَصْحَابُ بُشْرَى إِلَى تُونُسَ غَانِمِينَ ، وَوَقَعَتْ فِتْنَةٌ فِي تُونُسَ ، وَنَهَبَ أَهْلُهَا دَارَ عَامِلِهَا ، فَهَرَبَ ، وَكَاتَبُوا أَبَا يَزِيدَ ، فَأَعْطَاهُمُ الْأَمَانَ ، وَوَلَّى عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ رَحْمُونُ ، وَانْتَقَلَ إِلَى فَحْصِ أَبِي صَالِحٍ ، وَخَافَهُ النَّاسُ ، فَانْتَقَلُوا إِلَى الْقَيْرَوَانِ ، وَأَتَاهُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ خَوفًا وَرُعْبًا. |
| وَأَمَرَ الْقَائِمُ بُشْرَى أَنْ يَتَجَسَّسَ أَخْبَارَ أَبِي يَزِيدَ ، فَمَضَى نَحْوَهُ ، وَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى أَبِي يَزِيدَ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِمْ طَائِفَةٌ مِنْ عَسْكَرِهِ ، وَأَمَرَ مُقَدِّمَهُ أَنْ يَقْتُلَ ، وَيُمَثِّلَ وَيَنْهَبَ ، لِيُرْعِبَ قُلُوبَ النَّاسِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَالْتَقَى هُوَ وَبُشْرَى ، وَاقْتَتَلُوا وَانْهَزَمَ عَسْكَرُ أَبِي يَزِيدَ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ ، وَأُسِرَ خَمْسُمِائَةٍ ، فَسَيَّرَهُمْ بُشْرَى إِلَى الْمَهْدِيَّةِ فِي السَّلَاسِلِ ، فَقَتَلَهُمُ الْعَامَّةُ. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ أَبِي يَزِيدَ عَلَى الْقَيْرَوَانِ وَرَقَّادَةَ لَمَّا انْهَزَمَ أَصْحَابُ أَبِي يَزِيدَ ، غَاظَهُ ذَلِكَ ، وَجَمَعَ الْجُمُوعَ ، وَرَحَلَ وَسَارَ إِلَى قِتَالِ الْكُتَامِيِّينَ ، فَوَصَلَ إِلَى الْجَزِيرَةِ ، وَتَلَاقَتِ الطَّلَائِعُ ، وَجَرَى بَيْنَهُمَا قِتَالٌ ، فَانْهَزَمَتْ طَلَائِعُ الْكُتَامِيِّينَ ، وَتَبِعَهُمُ الْبَرْبَرُ إِلَى رَقَّادَةَ ، وَنَزَلَ أَبُو يَزِيدَ بِالْغَرْبِ مِنَ الْقَيْرَوَانِ فِي مِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ ، وَنَزَلَ مِنَ الْغَدِ شَرْقِيَّ رَقَّادَةَ ، وَعَامِلُهَا خَلِيلٌ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى أَبِي يَزِيدَ ، وَلَا يُبَالِي بِهِ ، وَالنَّاسُ يَأْتُونَهُ وَيُخْبِرُونَهُ بِقُرْبِهِمْ ، فَأَمَرَ أَنْ لَا يَخْرُجَ أَحَدٌ لِقِتَالٍ ، وَكَانَ يَنْتَظِرُ وُصُولَ مَيْسُورٍ فِي الْجَيْشِ الَّذِي مَعَهُ. |
| فَلَمَّا عَلِمَ أَبُو يَزِيدَ ذَلِكَ ، زَحَفَ إِلَى الْبَلَدِ بَعْضُ عَسْكَرِهِ ، فَأَنْشَبُوا الْقِتَالَ ، فَجَرَى بَيْنَهُمْ قَتِالٌ عَظِيمٌ قُتِلَ فِيهِ مِنْ أَهْلِ الْقَيْرَوَانِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَانْهَزَمُوا وَخَلِيلٌ لَمْ يَخْرُجْ مَعَهُمْ ، فَصَاحَ بِهِ النَّاسُ ، فَخَرَجَ مُتَكَارِهًا مِنْ بَابِ تُونُسَ ، وَأَقْبَلَ أَبُو يَزِيدَ ، فَانْهَزَمَ خَلِيلٌ بِغَيْرِ قِتَالٍ ، وَدَخَلَ الْقَيْرَوَانَ وَنَزَلَ بِدَارِهِ وَأَغْلَقَ بَابَهَا يَنْتَظِرُ وُصُولَ مَيْسُورٍ ، وَفَعَلَ كَذَلِكَ أَصْحَابُهُ ، وَدَخَلَ الْبَرْبَرُ الْمَدِينَةَ فَقَتَلُوا وَأَفْسَدُوا ، وَقَاتَلَ بَعْضُ النَّاسِ فِي أَطْرَافِ الْبَلَدِ. |
| وَبَعَثَ أَبُو يَزِيدَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ اسْمُهُ أَيُّوبُ الزُّوَيْلِيُّ إِلَى الْقَيْرَوَانِ بِعَسْكَرٍ ، فَدَخَلَهَا أَوَاخِرَ صَفَرٍ ، فَنَهَبَ الْبَلَدَ وَقَتَلَ ، وَعَمِلَ أَعْمَالًا عَظِيمَةً ، وَحَصَرَ خَلِيلًا فِي دَارِهِ ، فَنَزَلَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ بِالْأَمَانِ ، فَحُمِلَ خَلِيلٌ إِلَى أَبِي يَزِيدَ فَقَتَلَهُ ، وَخَرَجَ شُيُوخُ أَهْلِ الْقَيْرَوَانِ إِلَى أَبِي يَزِيدَ وَهُوَ بِرَقَّادَةَ ، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَطَلَبُوا الْأَمَانَ ، فَمَاطَلَهُمْ ، وَأَصْحَابُهُ يَقْتُلُونَ وَيَنْهَبُونَ ، فَعَاوَدُوا الشَّكْوَى ، وَقَالُوا خَرِبَتِ الْمَدِينَةُ ، فَقَالَ وَمَا يَكُونُ ؟ |
| خَرِبَتْ مَكَّةُ ، وَالْبَيْتُ الْمُقَدَّسُ! |
| ثُمَّ أَمَرَ بِالْأَمَانِ ، وَبَقِيَ طَائِفَةٌ مِنَ الْبَرْبَرِ يَنْهَبُونَ ، فَأَتَاهُمُ الْخَبَرُ بِوُصُولِ مَيْسُورٍ فِي عَسَاكِرَ عَظِيمَةً ، فَخَرَجَ عِنْدَ ذَلِكَ الْبَرْبَرُ مِنَ الْمَدِينَةِ خَوفًا مِنْهُ. |
| وَقَارَبَ مَيْسُورٌ مَدِينَةَ الْقَيْرَوَانِ ، وَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِالْقَائِمِ أَنَّ بَنِي كَمْلَانَ قَدْ كَاتَبَ بَعْضُهُمْ أَبَا يَزِيدَ عَلَى أَنْ يُمَكِّنُوهُ مِنْ مَيْسُورٍ ، فَكَتَبَ إِلَى مَيْسُورٍ يُعَرِّفُهُ وَيُحَذِّرُهُ ، وَيَأْمُرُهُ بِطَرْدِهِمْ ، فَرَجَعُوا إِلَى أَبِي يَزِيدَ ، وَقَالُوا لَهُ إِنْ عَجَّلْتَ ظَفِرْتَ بِهِ ، فَسَارَ مِنْ يَوْمِهِ ، فَالْتَقَوْا ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ ، وَانْهَزَمَتْ مَيْسَرَةُ أَبِي يَزِيدَ ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو يَزِيدَ ذَلِكَ ، حَمَلَ عَلَى مَيْسُورٍ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ مَيْسُورٍ ، فَعَطَفَ مَيْسُورٌ فَرَسَهُ ، فَكَبَا بِهِ ، فَسَقَطَ عَنْهُ ، وَقَاتَلَ أَصْحَابُهُ عَلَيْهِ لِيَمْنَعُوهُ ، فَقَصَدَهُ بَنُو كَمْلَانَ الَّذِينَ طَرَدَهُمْ ، فَاشْتَدَّ الْقِتَالُ حِينَئِذٍ ، فَقُتِلَ مَيْسُورٌ ، وَحُمِلَ رَأْسُهُ إِلَى أَبِي يَزِيدَ ، وَانْهَزَمَ عَامَّةُ عَسْكَرِهِ ، وَسَيَّرَ الْكُتُبَ إِلَى عَامَّةِ الْبِلَادِ يُخْبِرُ بِهَذَا الظَّفَرِ ، وَطِيفَ بِرَأْسِ مَيْسُورٍ بِالْقَيْرَوَانِ. |
| وَاتَّصَلَ خَبَرُ الْهَزِيمَةِ بِالْقَائِمِ ، فَخَافَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ بِالْمَهْدِيَّةِ ، وَانْتَقَلَ أَهْلُهَا مِنْ أَرْبَاضِهَا إِلَى الْبَلَدِ ، فَاجْتَمَعُوا وَاحْتَمَوْا بِسُورِهِ ، فَمَنَعَهُمُ الْقَائِمُ ، وَوَعَدَهُمُ الظَّفَرَ ، فَعَادُوا إِلَى زَوِيلَةَ ، وَاسْتَعَدُّوا لِلْحِصَارِ ، وَأَقَامَ أَبُو يَزِيدَ شَهْرَيْنِ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ فِي خِيَمِ مَيْسُورٍ ، وَهُوَ يَبْعَثُ السَّرَايَا إِلَى كُلِّ نَاحِيَةٍ ، فَيَغْنَمُونَ وَيَعُودُونَ ، وَأَرْسَلَ سَرِيَّةً إِلَى سُوسَةَ فَفَتَحُوهَا بِالسَّيْفِ ، وَقَتَلُوا الرِّجَالَ ، وَسَبَوُا النِّسَاءَ ، وَأَحْرَقُوهَا ، وَشَقُّوا فُرُوجَ النِّسَاءِ ، وَبَقَرُوا الْبُطُونَ ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِي إِفْرِيقِيَّةَ مَوْضِعٌ مَعْمُورٌ وَلَا سَقْفٌ مَرْفُوعٌ ، وَمَضَى جَمِيعُ مَنْ بَقِيَ إِلَى الْقَيْرَوَانِ حُفَاةً عُرَاةً ، وَمَنْ تَخَلَّصَ مِنَ السَّبْيِ ، مَاتَ جُوعًا وَعَطَشًا. |
| وَفِي آخِرِ رَبِيعٍ الْآخَرِ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ أَمَرَ الْقَائِمُ بِحَفْرِ الْخَنَادِقِ حَوْلَ أَرْبَاضِ الْمَهْدِيَّةِ ، وَكَتَبَ إِلَى زِيرِي بْنِ مَنَادٍ سَيِّدِ صِنْهَاجَةَ ، وَإِلَى سَادَاتِ كُتَامَةَ وَالْقَبَائِلِ يُحُثُّهُمْ عَلَى الِاجْتِمَاعِ بِالْمَهْدِيَّةِ وَقِتَالِ النِّكَارِ ، فَتَأَهَّبُوا لِلْمَسِيرِ إِلَى الْقَائِمِ. |
| ذِكْرُ حِصَارِ أَبِي يَزِيدَ الْمَهْدِيَّةَ لَمَّا سَمِعَ أَبُو يَزِيدَ بِتَأَهُّبِ صِنْهَاجَةَ وَكُتَامَةَ وَغَيْرِهِمْ لِنُصْرَةِ الْقَائِدِ ، خَافَ وَرَحَلَ مِنْ سَاعَتِهِ نَحْوَ الْمَهْدِيَّةِ ، فَنَزَلَ عَلَى خَمْسَةَ عَشَرَ مِيلًا مِنْهَا ، وَبَثَّ سَرَايَاهُ إِلَى نَاحِيَةِ الْمَهْدِيَّةِ ، فَانْتَهَبَتْ مَا وَجَدَتْ ، وَقَتَلَتْ مَنْ أَصَابَتْ ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ ، وَاتَّفَقَتْ كُتَامَةُ وَأَصْحَابُ الْقَائِمِ عَلَى أَنْ يَخْرُجُوا إِلَى أَبِي يَزِيدَ لِيَضْرِبُوا عَلَيْهِ فِي مُعَسْكَرِهِ ؛ لَمَّا سَمِعُوا أَنَّ عَسْكَرَهُ قَدْ تَفَرَّقَ فِي الْغَارَةِ ، فَخَرَجُوا يَوْمَ الْخَمِيسِ لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنَ السَّنَةِ. |
| وَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا يَزِيدَ ، وَقَدْ أَتَاهُ فَضْلٌ بِعَسْكَرٍ مِنَ الْقَيْرَوَانِ ، فَوَجَّهَهُمْ إِلَى قِتَالِ كُتَامَةَ ، وَقَدَّمَ عَلَيْهِمُ ابْنَهُ ، فَالْتَقَوْا عَلَى سِتَّةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَهْدِيَّةِ وَاقْتَتَلُوا ، وَبَلَغَ الْخَبَرُ أَبَا يَزِيدَ ، فَرَكِبَ بِجَمِيعِ مَنْ بَقِيَ مَعَهُ ، فَلَقِيَ أَصْحَابَهُ مُنْهَزِمِينَ ، وَقَدْ قُتِلَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ ، فَلَمَّا رَآهُ الْكُتَامِيُّونَ انْهَزَمُوا مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ ، وَأَبُو يَزِيدَ فِي أَثَرِهِمْ إِلَى بَابِ الْفَتْحِ ، وَاقْتَحَمَ قَوْمٌ مِنَ الْبَرْبَرِ فَدَخَلُوا بَابَ الْفَتْحِ ، فَأَشْرَفَ أَبُو يَزِيدَ عَلَى الْمَهْدِيَّةِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، فَأَتَى بَابَ الْفَتْحِ ، وَوَجَّهَ زَوِيلَةَ إِلَى بَابِ بَكْرٍ ، ثُمَّ وَقَفَ هُوَ عَلَى الْخَنْدَقِ الْمُحْدَثِ ، وَبِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَبِيدِ ، فَنَاشَبَهُمْ أَبُو يَزِيدَ الْقِتَالَ عَلَى الْخَنْدَقِ ، ثُمَّ اقْتَحَمَ أَبُو يَزِيدَ وَمَنْ مَعَهُ الْبَحْرَ ، فَبَلَغَ الْمَاءُ صُدُورَ الدَّوَابِّ ، حَتَّى جَاوَزُوا السُّورَ الْمُحْدَثَ ، فَانْهَزَمَ الْعَبِيدُ ، وَأَبُو يَزِيدَ فِي طَلَبِهِمْ. |
| وَوَصَلَ أَبُو يَزِيدَ إِلَى بَابِ الْمَهْدِيَّةِ ، عِنْدَ الْمُصَلَّى الَّذِي لِلْعِيدِ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَهْدِيَّةِ رَمْيَةَ سَهْمٍ ، وَتَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ فِي زَوِيلَةَ يَنْهَبُونَ وَيَقْتُلُونَ ، وَأَهْلُهَا يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ ، وَالْقِتَالُ عِنْدَ بَابِ الْفَتْحِ بَيْنَ كُتَامَةَ وَالْبَرْبَرِ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَا صَنَعَ أَبُو يَزِيدَ فِي ذَلِكَ الْجَانِبِ ، فَحَمَلَ الْكُتَّامِيُّونَ عَلَى الْبَرْبَرِ ، فَهَزَمُوهُمْ وَقَتَلُوا فِيهِمْ ، وَسَمِعَ أَبُو يَزِيدَ بِذَلِكَ ، وَوُصُولَ زِيرِي بْنِ مَنَادٍ فِي صِنْهَاجَةَ ، فَخَافَ الْمَقَامَ ، فَقَصَدَ بَابَ الْفَتْحِ لِيَأْتِيَ زِيرِي وَكُتَامَةَ مِنْ وَرَائِهِمْ بِطُبُولِهِ وَبُنُودِهِ ، فَلَمَّا رَأَى أَهْلُ الْأَرْبَاضِ ذَلِكَ ، ظَنُّوا أَنَّ الْقَائِمَ قَدْ خَرَجَ بِنَفْسِهِ مِنَ الْمَهْدِيَّةِ ، فَكَبَّرُوا وَقَوِيَتْ نُفُوسُهُمْ ، وَاشْتَدَّ قِتَالُهُمْ ، فَتَحَيَّرَ أَبُو يَزِيدَ ، وَعَرَفَهُ أَهْلُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، فَمَالُوا عَلَيْهِ لِيَقْتُلُوهُ ، فَاشْتَدَّ الْقِتَالُ عِنْدَهُ ، فَهَدَمَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ حَائِطًا وَخَرَجَ مِنْهُ فَتَخَلَّصَ ، وَوَصَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ ، وَهُمْ يُقَاتِلُونَ الْعَبِيدَ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَوِيَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَانْهَزَمَ الْعَبِيدُ وَافْتَرَقُوا. |
| ثُمَّ رَحَلَ أَبُو يَزِيدَ إِلَى ثَرْنُوطَةَ ، وَحَفَرَ عَلَى عَسْكَرِهِ خَنْدَقًا ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ خَلْقٌ عَظِيمٌ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَالْبَرْبَرِ ، وَنَفُوسَةَ ، وَالزَّابِّ ، وَأَقَاصِي الْمَغْرِبِ ، فَحَصَرَ الْمَهْدِيَّةَ حِصَارًا شَدِيدًا ، وَمَنَعَ النَّاسَ مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهَا وَالْخُرُوجِ مِنْهَا ، ثُمَّ زَحَفَ إِلَيْهَا لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنَ السَّنَةِ ، فَجَرَى قِتَالٌ عَظِيمٌ قُتِلَ فِيهِ جَمَاعَةٌ مِنْ وُجُوهِ عَسْكَرِ الْقَائِمِ ، وَاقْتَحَمَ أَبُو يَزِيدَ بِنَفْسِهِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى قُرْبِ الْبَابِ ، فَعَرَفَهُ بَعْضُ الْعَبِيدِ ، فَقَبَضَ عَلَى لِجَامِهِ وَصَاحَ هَذَا أَبُو يَزِيدَ فَاقْتُلُوهُ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي يَزِيدَ فَقَطَعَ يَدَهُ ، وَخَلَّصَ أَبُو يَزِيدَ. |
| فَلَمَّا رَأَى شِدَّةَ قِتَالِ أَصْحَابِ الْقَائِمِ ، كَتَبَ إِلَى عَامِلِ الْقَيْرَوَانِ يَأْمُرُهُ بِإِرْسَالِ مُقَاتِلَةِ أَهْلِهَا إِلَيْهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، فَوَصَلُوا إِلَيْهِ ، فَزَحَفَ بِهِمْ آخِرَ رَجَبٍ ، فَجَرَى قِتَالٌ شَدِيدٌ انْهَزَمَ فِيهِ أَبُو يَزِيدَ هَزِيمَةً مُنْكَرَةً ، وَقُتِلَ فِيهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْقَيْرَوَانِ ، ثُمَّ زَحَفَ الزَّحْفَةَ الرَّابِعَةَ فِي الْعَشْرِ الْآخَرِ مِنْ شَوَّالٍ ، فَجَرَى قِتَالٌ عَظِيمٌ ، وَانْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَكَثُرَ خُرُوجُ النَّاسِ مِنَ الْجُوعِ وَالْغَلَاءِ ، فَفَتَحَ عِنْدَ ذَلِكَ الْقَائِمُ الْأَهْرَاءَ الَّتِي عَمِلَهَا الْمَهْدِيُّ وَمَلَأَهَا طَعَامًا ، وَفَرَّقَ مَا فِيهَا عَلَى رِجَالِهِ ، وَعَظُمَ الْبَلَاءُ عَلَى الرَّعِيَّةِ حَتَّى أَكَلُوا الدَّوَابَّ وَالْمَيْتَةَ ، وَخَرَجَ مِنَ الْمَهْدِيَّةِ أَكْثَرُ السُّوقَةِ وَالتُّجَّارِ ، وَلَمْ يَبْقَ بِهَا سِوَى الْجُنْدِ ، فَكَانَ الْبَرْبَرُ يَأْخُذُونَ مَنْ خَرَجَ وَيَقْتُلُونَهُمْ وَيَشُقُّونَ بُطُونَهُمْ طَلَبًا لِلذَّهَبِ. |
| ثُمَّ وَصَلَتْ كُتَامَةُ فَنَزَلَتْ بِقَسَنْطِينَةَ ، فَخَافَ أَبُو يَزِيدَ ، فَسَارَ رَجُلٌ مِنْ عَسْكَرِهِ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ مِنْ وَرْفَجُومَةَ وَغَيْرِهِمْ إِلَى كُتَامَةَ ، فَقَاتَلَهُمْ فَهَزَمَهُمْ ، فَتَفَرَّقُوا ، وَكَانَ الْبَرْبَرُ يَأْتُونَ إِلَى أَبِي يَزِيدَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَيَنْهَبُونَ ، وَيَقْتُلُونَ ، وَيَرْجِعُونَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ ، حَتَّى أَفْنَوْا مَا كَانَ فِي إِفْرِيقِيَّةَ فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ مَا يُنْهَبُ ، تَوَقَّفُوا عَنِ الْمَجِيءِ إِلَيْهِ فَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ سِوَى أَهْلِ أُورَاسَ وَبَنِي كَمْلَانَ. |
| فَلَمَّا عَلِمَ الْقَائِمُ تَفَرُّقَ عَسَاكِرِهِ ، أَخْرَجَ عَسْكَرَهُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ شَدِيدٌ لِسِتٍّ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، ثُمَّ صَبَّحُوهُمْ مِنَ الْغَدِ ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ أَحَدٌ ، وَكَانَ أَبُو يَزِيدَ قَدْ بَعَثَ فِي طَلَبِ الرِّجَالِ مِنْ أُورَاسَ ، ثُمَّ زَحَفَتْ عَسَاكِرُ الْقَائِمِ إِلَيْهِ ، فَخَرَجَ مِنْ خَنْدَقِهِ ، وَاقْتَتَلُوا ، وَاشْتَدَّ بَيْنَهُمُ الْقِتَالُ ، فَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي يَزِيدَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ وُجُوهِ أَصْحَابِهِ ، فَعَظُمَ قَتْلُهُ عَلَيْهِ ، وَدَخَلَ خَنْدَقَهُ ثُمَّ عَاوَدَ الْقِتَالَ ، فَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ مُظْلِمَةٌ ، فَكَانَ الرَّجُلُ لَا يُبْصِرُ صَاحِبَهُ ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ الْقَائِمِ وَقُتِلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ وَعَادَ الْحِصَارُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ ، وَهَرَبَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْمَهْدِيَّةِ إِلَى جَزِيرَةِ صِقِلِّيَةَ ، وَطَرَابُلُسَ ، وَمِصْرَ ، وَبَلَدِ الرُّومِ. |
| وَفِي آخِرِ ذِي الْقِعْدَةِ اجْتَمَعَ عِنْدَ أَبِي يَزِيدَ جُمُوعٌ عَظِيمَةٌ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ فَقَاتَلَ عَلَيْهَا ، فَتَخَيَّرَ الْكُتَامِيُّونَ مِنْهُمْ مِائَتَيْ فَارِسٍ ، فَحَمَلُوا حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَقَتَلُوا فِي أَصْحَابِهِ كَثِيرًا ، وَأَسَرُوا مِثْلَهُمْ ، وَكَادُوا يَصِلُونَ إِلَيْهِ ، فَقَاتَلَ أَصْحَابُهُ دُونَهُ وَخَلَّصُوهُ ، وَفَرِحَ أَهْلُ الْمَهْدِيَّةِ ، وَأَخَذُوا الْأَسْرَى فِي الْحِبَالِ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ ، وَدَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى الْمَهْدِيَّةِ . |
| وَفِي الْمُحَرَّمِ مِنْهَا ظَهَرَ بِإِفْرِيقِيَّةَ رَجُلٌ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى نَفْسِهِ ، فَأَجَابَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَأَطَاعُوهُ ، وَادَّعَى أَنَّهُ عَبَّاسِيٌّ وَرَدَ مِنْ بَغْدَاذَ وَمَعَهُ أَعْلَامٌ سُودٌ ، فَظَفِرَ بِهِ بَعْضُ أَصْحَابِ أَبِي يَزِيدَ وَقَبَضَ عَلَيْهِ ، وَسَيَّرَهُ إِلَى أَبِي يَزِيدَ فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ إِنَّ بَعْضَ أَصْحَابِ أَبِي يَزِيدَ هَرَبَ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ ؛ بِسَبَبِ عَدَاوَةٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَقْوَامٍ سَعَوْا بِهِمْ إِلَيْهِ ، فَخَرَجُوا مِنَ الْمَهْدِيَّةِ مَعَ أَصْحَابِ الْقَائِمِ فَقَتَلُوا أَصْحَابَ أَبِي يَزِيدَ ، فَظَفِرُوا ، فَتَفَرَّقَ عِنْدَ ذَلِكَ أَصْحَابُ أَبِي يَزِيدَ ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ غَيْرُ هَوَارَةَ وَأُورَاسَ وَبَنِي كَمْلَانَ ، وَكَانَ اعْتِمَادُهُ عَلَيْهِمْ. |
| ذِكْرُ رَحِيلِ أَبِي يَزِيدَ عَنِ الْمَهْدِيَّةِ لَمَّا تَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ عَنْهُ كَمَا ذَكَرْنَا ، اجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ مَنْ بَقِيَ مَعَهُ وَتَشَاوَرُوا ، وَقَالُوا نَمْضِي إِلَى الْقَيْرَوَانِ ، وَنَجْمَعُ الْبَرْبَرَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَنَرْجِعُ إِلَى أَبِي يَزِيدَ ، فَإِنَّنَا لَا نَأْمَنُ أَنْ يَعْرِفَ الْقَائِمُ خَبَرَنَا فَيَقْصِدَنَا ، فَرَكِبُوا وَمَضَوْا ، وَلَمْ يُشَاوِرُوا أَبَا يَزِيدَ ، وَمَعَهُمْ أَكْثَرُ الْعَسْكَرِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ أَبُو يَزِيدَ لِيَرُدَّهُمْ ، فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ ، فَرَحَلَ مُسْرِعًا فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا ، وَتَرَكَ جَمِيعَ أَثْقَالِهِ ، فَوَصَلَ إِلَى الْقَيْرَوَانِ سَادِسَ صَفَرٍ ، فَنَزَلَ الْمُصَلَّى ، وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْقَيْرَوَانِ سِوَى عَامِلِهِ ، وَخَرَجَ الصِّبْيَانُ يَلْعَبُونَ حَوْلَهُ وَيَضْحَكُونَ مِنْهُ. |
| وَبَلَغَ الْقَائِمُ رُجُوعَهُ ، فَخَرَجَ النَّاسُ إِلَى أَثْقَالِهِ ، فَوَجَدُوا الطَّعَامَ وَالْخِيَامَ وَغَيْرَ ذَلِكَ عَلَى حَالِهِ ، فَأَخَذُوهُ وَحَسُنَتْ أَحْوَالُهُمْ ، وَاسْتَرَاحُوا مِنْ شِدَّةِ الْحِصَارِ ، وَرَخُصَتِ الْأَسْعَارُ ، وَأَنْفَذَ الْقَائِمُ إِلَى الْبِلَادِ عُمَّالًا يَطْرُدُونَ عُمَّالَ أَبِي يَزِيدَ عَنْهَا ، فَلَمَّا رَأَى أَهْلُ الْقَيْرَوَانِ قِلَّةَ عَسْكَرِ أَبِي يَزِيدَ خَافُوا الْقَائِمَ ، فَأَرَادُوا أَنْ يَقْبِضُوا أَبَا يَزِيدَ ، ثُمَّ هَابُوهُ ، فَكَاتَبُوا الْقَائِمَ يَسْأَلُونَهُ الْأَمَانَ ، فَلَمْ يُجِبْهُمْ. |
| وَبَلَغَ أَبَا يَزِيدَ الْخَبَرُ ، فَأَنْكَرَ عَلَى عَامِلِهِ بِالْقَيْرَوَانِ اشْتِغَالَهُ بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُخْرِجَ الْعَسَاكِرَ مِنَ الْقَيْرَوَانِ لِلْجِهَادِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَأَلَانَ لَهُمُ الْقَوْلَ ، وَخَوَّفَهُمُ الْقَائِمُ ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِ. |
| وَتَسَامَعَ النَّاسُ فِي الْبِلَادِ بِذَلِكَ ، فَأَتَاهُ الْعَسَاكِرُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَكُلُّ أَهْلِ الْمَدَائِنِ وَالْقُرَى لَمَّا سُمِعُوا تَفَرُّقَ عَسَاكِرِهِ عَنْهُ ، أَخَذُوا عُمَّالَهُ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُرْسِلَ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ. |
| وَثَارَ أَهْلُ سُوسَةَ ، فَقَبَضُوا عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَأَرْسَلُوهُمْ إِلَى الْقَائِمِ ، فَشَكَرَ لَهُمْ ذَلِكَ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ سَبْعَةَ مَرَاكِبَ مِنَ الطَّعَامِ ، فَلَمَّا اجْتَمَعَتْ عَسَاكِرُ أَبِي يَزِيدَ ، أَرْسَلَ الْجُيُوشَ إِلَى الْبِلَادِ وَأَمَرَهُمْ بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَالنَّهْبِ وَالْخَرَابِ وَإِحْرَاقِ الْمَنَازِلِ ، فَوَصَلَ عَسْكَرُهُ إِلَى تُونُسَ ، فَدَخَلُوهَا بِالسَّيْفِ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَنَهَبُوا جَمِيعَ مَا فِيهَا ، وَسَبَوُا النِّسَاءَ وَالْأَطْفَالَ ، وَقَتَلُوا الرِّجَالَ ، وَهَدَمُوا الْمَسَاجِدَ ، وَنَجَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَى الْبَحْرِ فَغَرِقَ. |
| فَسَيَّرَ إِلَيْهِمُ الْقَائِمُ عَسْكَرًا إِلَى تُونُسَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ أَصْحَابُ أَبِي يَزِيدَ ، وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ الْقَائِمِ هَزِيمَةً قَبِيحَةً ، وَحَالَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ ، وَالْتَجَئُوا إِلَى جَبَلِ الرُّصَاصِ ، ثُمَّ إِلَى اصْطَفُورَةَ ، فَتَبِعَهُمْ عَسْكَرُ أَبِي يَزِيدَ فَلَحِقُوهُمْ وَاقْتَتَلُوا ، وَصَبَرَ عَسْكَرُ الْقَائِمِ ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ أَبِي يَزِيدَ وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلَقٌ كَثِيرٌ ، وَقَتَلُوا ، حَتَّى دَخَلُوا تُونُسَ خَامِسَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ وَأَخْرَجُوا مَنْ فِيهَا مِنْ أَصْحَابِ أَبِي يَزِيدَ بَعْدَ أَنْ قَتَلُوا أَكْثَرَهُمْ ، وَأُخِذَ لَهُمْ مِنَ الطَّعَامِ شَيْءٌ كَثِيرٌ. |
| وَكَانَ لِأَبِي يَزِيدَ وَلَدٌ اسْمُهُ أَيُّوبُ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ الْخَبَرُ أَخْرَجَ مَعَهُ عَسْكَرًا كَثِيرًا ، فَاجْتَمَعَ مَعَ مَنْ سَلِمَ مِنْ ذَلِكَ الْجَيْشِ ، وَرَجَعُوا إِلَى تُونُسَ فَقَتَلُوا مَنْ عَادَ إِلَيْهَا وَأَحْرَقُوا مَا بَقِيَ فِيهَا ، وَتَوَجَّهَ إِلَى بَاجَّةَ ، فَقَتَلَ مَنْ بِهَا مِنْ أَصْحَابِ الْقَائِمِ ، وَدَخَلَهَا بِالسَّيْفِ وَأَحْرَقَهَا ، وَكَانَ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ مِنَ الْقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَالتَّخْرِيبِ مَا لَا يُوصَفُ. |
| وَاتَّفَقَ جَمَاعَةٌ عَلَى قَتْلِ أَبِي يَزِيدَ ، وَأَرْسَلُوا إِلَى الْقَائِمِ فَرَغَّبَهُمْ وَوَعَدَهُمْ ، فَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِأَبِي يَزِيدَ فَقَتَلَهُمْ ، وَهَجَمَ رِجَالٌ مِنَ الْبَرْبَرِ فِي اللَّيْلِ عَلَى رَجُلٍ مَنْ أَهْلِ الْقَيْرَوَانِ ، وَأَخَذُوا مَالَهُ وَثَلَاثَ بَنَاتٍ أَبْكَارٍ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ ، قَامَ الرَّجُلُ فِي الْجَامِعِ وَصَاحَ ، وَذَكَرَ مَا حَلَّ بِهِ ، فَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ وَصَاحُوا ، فَاجْتَمَعَ الْخَلْقُ الْعَظِيمُ ، وَوَصَلُوا إِلَى أَبِي يَزِيدَ فَأَسْمَعُوهُ كَلَامًا غَلِيظًا ، فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ وَلَطَفَ بِهِمْ وَأَمَرَ بَرِدِّ الْبَنَاتِ. |
| فَلَمَّا انْصَرَفُوا وَجَدُوا فِي طَرِيقِهِمْ رَجُلًا مَقْتُولًا ، فَسَأَلُوا عَنْهُ ، فَقِيلَ إِنَّ فَضْلَ بْنَ أَبِي يَزِيدَ قَتَلَهُ وَأَخَذَ امْرَأَتَهُ ، وَكَانَتْ جَمِيلَةً ، فَحَمَلَ النَّاسُ الْمَقْتُولَ إِلَى الْجَامِعِ ، وَقَالُوا لَا طَاعَةَ إِلَّا لِلْقَائِمِ ، وَأَرَادُوا الْوُثُوبَ بِأَبِي يَزِيدَ ، فَاجْتَمَعَ أَصْحَابُ أَبِي يَزِيدَ عِنْدَهُ وَلَامُوهُ ، وَقَالُوا فَتَحْتَ عَلَى نَفْسِكِ مَا لَا طَاقَةَ لَكَ بِهِ لَا سِيَّمَا وَالْقَائِمُ قَرِيبٌ مِنَّا ، فَجَمَعَ أَهْلَ الْقَيْرَوَانِ ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ ، وَأَعْطَاهُمُ الْعُهُودَ أَنَّهُ لَا يَقْتُلُ ، وَيَنْهَبُ ، وَلَا يَأْخُذُ الْحَرِيمَ ، فَأَتَاهُ سَبْيُ أَهْلِ تُونُسَ وَهُمْ عِنْدَهُ ، فَوَثَبُوا إِلَيْهِمْ وَخَلَّصُوهُمْ. |
| وَكَانَ الْقَائِمُ قَدْ أَرْسَلَ إِلَى مُقَدَّمٍ مِنْ أَصْحَابِهِ يُسَمَّى عَلِيَّ بْنَ حَمْدُونَ يَأْمُرُهُ بِجَمْعِ الْعَسَاكِرِ وَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَسِيلَةِ ، فَجَمَعَ مِنْهَا وَمِنْ سَطِيفَ وَغَيْرِهَا ، فَاجْتَمَعَ لَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَتَبِعَهُ بَعْضُ بَنِي هَرَاسَ فَقَصَدَ الْمَهْدِيَّةَ ، فَسَمِعَ بِهِ أَيُّوبُ بْنُ أَبِي يَزِيدَ ، وَهُوَ بِمَدِينَةِ بَاجَّةَ ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ عَلِيُّ بْنُ حَمْدُونَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ أَيُّوبُ وَكَبَسَهُ وَاسْتَبَاحَ عَسْكَرَهُ ، وَقَتَلَ فِيهِمْ وَغَنِمَ أَثْقَالَهُمْ ، وَهَرَبَ عَلِيٌّ الْمَذْكُورُ ، ثُمَّ سَيَّرَ أَيُّوبُ جَرِيدَةَ خَيْلٍ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْ عَسْكَرِ الْمَهْدِيِّ خَرَجُوا إِلَى تُونُسَ ، فَسَارُوا وَاجْتَمَعُوا ، وَوَقَعَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَكَانَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ قِتَالٌ عَظِيمٌ قُتِلَ فِيهِ جَمْعٌ كَثِيرٌ وَانْهَزَمَ عَسْكَرُ الْقَائِمِ ، ثُمَّ عَادُوا ثَانِيَةً وَثَالِثَةً ، وَعَزَمُوا عَلَى الْمَوْتِ ، وَحَمَلُوا حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ أَبِي يَزِيدَ وَقَتَلُوا قَتْلًا ذَرِيعًا ، وَأُخِذَتْ أَثْقَالُهُمْ وَعِدَدُهُمْ ، وَانْهَزَمَ أَيُّوبُ وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْقَيْرَوَانِ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. |
| فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى أَبِي يَزِيدَ ، وَأَرَادَ أَنْ يَهْرَبَ عَنِ الْقَيْرَوَانِ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ بِالتَّوَقُّفِ وَتَرْكِ الْعَجَلَةِ ، ثُمَّ جَمَعَ عَسْكَرًا عَظِيمًا ، وَأَخْرَجَ ابْنَهُ أَيُّوبَ ثَانِيَةً لِقِتَالِ عَلِيِّ بْنِ حَمْدُونَ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ بَلْطَةُ ، وَكَانُوا يَقْتَتِلُونَ ، فَمَرَّةً يَظْفَرُ أَيُّوبُ ، وَمَرَّةً يَظْفَرُ عَلِيٌّ ، وَكَانَ عَلِيٌّ قَدْ وَكَّلَ بِحِرَاسَةِ الْمَدِينَةِ مَنْ يَثِقُ بِهِ ، وَكَانَ يَحْرُسُ بَابًا مِنْهَا رَجُلٌ اسْمُهُ أَحْمَدُ ، فَرَاسَلَ أَيُّوبَ فِي التَّسْلِيمِ إِلَيْهِ عَلَى مَالٍ يَأْخُذُهُ ، فَأَجَابَهُ أَيُّوبُ إِلَى مَا طَلَبَ ، وَقَاتَلَ عَلَى ذَلِكَ الْبَابِ ، فَفَتَحَهُ أَحْمَدُ وَدَخَلَهُ أَصْحَابُ أَبِي يَزِيدَ ، فَقَتَلُوا مَنْ كَانَ بِهَا ، وَهَرَبَ عَلِيٌّ إِلَى بِلَادِ كُتَامَةَ فِي ثَلَاثِمِائَةِ فَارِسٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ رَاجِلٍ ، وَكَتَبَ إِلَى قَبَائِلِ كُتَامَةَ وَنَفْزَةَ وَمَزَاتَةَ وَغَيْرِهِمْ ، فَاجْتَمَعُوا وَعَسْكَرُوا عَلَى مَدِينَةِ الْقَسَنْطِينَةِ. |
| وَوَجَّهَ عَسْكَرًا إِلَى هَوَّارَةَ ، فَقَتَلُوا هَوَّارَةَ ، وَغَنِمُوا أَمْوَالَهُمْ ، وَكَانَ اعْتِمَادُ أَبِي يَزِيدَ عَلَيْهِمْ ، فَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِأَبِي يَزِيدَ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِمْ عَسَاكِرَ عَظِيمَةً يَتْبَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ ، وَالْفَتْحُ وَالظَّفَرُ فِي كُلِّهَا لِعَلِيٍّ وَعَسْكَرِ الْقَائِمِ ، وَمَلَكَ مَدِينَةَ تَيْجَسَ ، وَمَدِينَةَ بَاغَايَةَ ، وَأَخَذَهُمَا مِنْ أَبِي يَزِيدَ. |
| ذِكْرُ مُحَاصَرَةِ أَبِي يَزِيدَ سُوسَةَ وَانْهِزَامِهِ مِنْهَا لَمَّا رَأَى أَبُو يَزِيدَ مَا جَرَى عَلَى عَسْكَرِهِ مِنَ الْهَزِيمَةِ ، جَدَّ فِي أَمْرِهِ ، فَجَمَعَ الْعَسَاكِرَ وَسَارَ إِلَى سُوسَةَ سَادِسَ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنَ السَّنَةِ ، وَبِهَا جَيْشٌ كَثِيرٌ لِلْقَائِمِ ، فَحَصَرَهَا حَصْرًا شَدِيدًا ، فَكَانَ يُقَاتِلُهَا كُلَّ يَوْمٍ ، فَمَرَّةً لَهُ ، وَمَرَّةً عَلَيْهِ ، وَعَمِلَ الدَّبَّابَاتِ وَالْمَنْجَنِيقَاتِ ، فَقُتِلَ مِنْ أَهْلِ سُوسَةَ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَحَاصَرَهَا إِلَى أَنْ فَوَّضَ الْقَائِمُ الْعَهْدَ إِلَى وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ الْمَنْصُورِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَتُوُفِّيَ الْقَائِمُ وَمَلَكَ الْمُلْكَ ابْنُهُ الْمَنْصُورُ عَلَى مَا نَذْكُرُهُ ، وَكَتَمَ مَوْتَ أَبِيهِ خَوْفًا مِنْ أَبِي يَزِيدَ لِقُرْبِهِ ، وَهُوَ عَلَى مَدِينَةِ سُوسَةَ. |
| فَلَمَّا وَلِيَ عَمِلَ الْمَرَاكِبَ ، وَشَحَنَهَا بِالرِّجَالِ ، وَسَيَّرَهَا إِلَى سُوسَةَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا رَشِيقًا الْكَاتِبَ ، وَيَعْقُوبَ بْنَ إِسْحَاقَ ، وَوَصَّاهُمَا أَنْ لَا يُقَاتِلَا حَتَّى يَأْمُرَهُمَا ، ثُمَّ سَارَ مِنَ الْغَدِ يُرِيدُ السُّوسَةَ ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَصْحَابُهُ ذَلِكَ ، فَلَمَّا انْتَصَفَ الطَّرِيقُ عَلِمُوا فَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِ ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَعُودَ وَلَا يُخَاطِرَ بِنَفْسِهِ ، فَعَادَ وَأَرْسَلَ إِلَى رَشِيقٍ وَيَعْقُوبَ بِالْجِدِّ فِي الْقِتَالِ ، فَوَصَلُوا إِلَى سُوسَةَ وَقَدْ أَعَدَّ أَبُو يَزِيدَ الْحَطَبَ لِإِحْرَاقِ السُّورِ ، وَعَمِلَ دَبَّابَةً عَظِيمَةً فَوَصَلَ أُسْطُولُ الْمَنْصُورِ إِلَى سُوسَةَ ، وَاجْتَمَعُوا بِمَنْ فِيهَا ، وَخَرَجُوا إِلَى قِتَالِ أَبِي يَزِيدَ ، فَرَكِبَ بِنَفْسِهِ ، وَاقْتَتَلُوا وَاشْتَدَّتِ الْحَرْبُ ، وَانْهَزَمَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْمَنْصُورِ حَتَّى دَخَلُوا الْمَدِينَةَ ، فَأَلْقَى رَشِيقٌ النَّارَ فِي الْحَطَبِ الَّذِي جَمَعَهُ أَبُو يَزِيدَ ، وَفِي الدَّبَّابَةِ ، فَأَظْلَمَ الْجَوُّ بِالدُّخَانِ ، وَاشْتَعَلَتِ النَّارُ. |
| فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُو يَزِيدَ وَأَصْحَابُهُ خَافُوا ، وَظَنُّوا أَنَّ أَصْحَابَهُ فِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ قَدْ هَلَكُوا ، فَلِهَذَا تَمَكَّنَ أَصْحَابُ الْمَنْصُورِ مِنْ إِحْرَاقِ الْحَطَبِ إِذْ لَمْ يَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَانْهَزَمَ أَبُو يَزِيدَ وَأَصْحَابُهُ ، وَخَرَجَتْ عَسَاكِرُ الْمَنْصُورِ ، فَوَضَعُوا السَّيْفَ فِيمَنْ تَخَلَّفَ مِنَ الْبَرْبَرِ ، وَأَحْرَقُوا خِيَامَهُ. |
| وَجَدَّ أَبُو يَزِيدَ هَارِبًا حَتَّى دَخَلَ الْقَيْرَوَانَ مِنْ يَوْمِهِ ، وَهَرَبَ الْبَرْبَرُ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، فَمَنْ سَلِمَ مِنَ السَّيْفِ ، مَاتَ جُوعًا وَعَطَشًا. |
| وَلَمَّا وَصَلَ أَبُو يَزِيدَ إِلَى الْقَيْرَوَانِ ، أَرَادَ الدُّخُولَ إِلَيْهَا ، فَمَنَعَهُ أَهْلُهَا ، وَرَجَعُوا إِلَى دَارِ عَامِلِهِ فَحَصَرُوهُ ، وَأَرَادُوا كَسْرَ الْبَابِ ، فَنَثَرَ الدَّنَانِيرَ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ فَاشْتَغَلُوا عَنْهُ ، فَخَرَجَ إِلَى أَبِي يَزِيدَ ، وَأَخَذَ أَبُو يَزِيدَ امْرَأَتَهُ أَمَّ أَيُّوبَ ، وَتَبِعَهُ أَصْحَابُهُ بِعِيَالَاتِهِمْ ، وَرَحَلُوا إِلَى نَاحِيَةِ سَبِيبَةَ ، وَهِيَ عَلَى مَسَافَةِ يَوْمَيْنِ مِنَ الْقَيْرَوَانِ ، فَنَزَلُوهَا. |
| ذِكْرُ مِلْكِ الْمَنْصُورِ مَدِينَةَ الْقَيْرَوَانِ وَانْهِزَامِ أَبِي يَزِيدَ لَمَّا بَلَغَ الْمَنْصُورَ الْخَبَرُ ، سَارَ إِلَى مَدِينَةِ سُوسَةَ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ ، فَنَزَلَ خَارِجًا مِنْهَا ، وَسُرَّ بِمَا فَعَلَهُ أَهْلُ الْقَيْرَوَانِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ كِتَابًا يُؤَمِّنُهُمْ فِيهِ; لِأَنَّهُ كَانَ وَاجِدًا عَلَيْهِمْ لِطَاعَتِهِمْ أَبَا يَزِيدَ ، وَأَرْسَلَ مَنْ يُنَادِي فِي النَّاسِ بِالْأَمَانِ ، وَطَابَتْ نُفُوسُهُمْ ، وَرَحَلَ إِلَيْهِمْ ، فَوَصَلَهَا يَوْمَ الْخَمِيسِ لِسِتٍّ بَقِينَ مِنْ شَوَّالٍ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُهَا ، فَأَمَّنَهُمْ وَوَعَدَهُمْ خَيْرًا. |
| وَوَجَدَ فِي الْقَيْرَوَانِ مِنْ حُرَمِ أَبِي يَزِيدَ وَأَوْلَادِهِ جَمَاعَةً ، فَحَمَلَهُمْ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ وَأَجْرَى عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ. |
| ثُمَّ إِنَّ أَبَا يَزِيدَ جَمَعَ عَسَاكِرَهُ ، وَأَرْسَلَ سَرِيَّةً إِلَى الْقَيْرَوَانِ يَتَخَبَّرُونَ لَهُ ، فَاتَّصَلَ خَبَرُهُمْ بِالْمَنْصُورِ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِمْ سَرِيَّةً ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا ، وَكَانَ أَصْحَابُ أَبِي يَزِيدَ قَدْ جَعَلُوا كَمِينًا ، فَانْهَزَمُوا ، وَتَبِعَهُمْ أَصْحَابُ الْمَنْصُورِ ، فَخَرَجَ الْكَمِينُ عَلَيْهِمْ ، فَأَكْثَرَ فِيهِمُ الْقَتْلَ وَالْجِرَاحَ. |
| فَلَمَّا سَمِعَ النَّاسُ ذَلِكَ ، سَارَعُوا إِلَى أَبِي يَزِيدَ ، فَكَثُرَ جَمْعُهُ ، فَعَادَ وَنَازَلَ الْقَيْرَوَانَ ، وَكَانَ الْمَنْصُورُ قَدْ جَعَلَ خَنْدَقًا فِي عَسْكَرِهِ ، فَفَرَّقَ أَبُو يَزِيدَ عَسْكَرَهُ ثَلَاثَ فِرَقٍ ، وَقَصَدَ هُوَ بِشُجْعَانِ أَصْحَابِهِ إِلَى خَنْدَقِ الْمَنْصُورِ ، فَاقْتَتَلُوا ، وَعَظُمَ الْأَمْرُ ، وَكَانَ الظَّفَرُ لِلْمَنْصُورِ ، ثُمَّ عَاوَدُوا الْقِتَالَ ، فَبَاشَرَ الْمَنْصُورُ الْقِتَالَ بِنَفْسِهِ ، وَجَعَلَ يَحْمِلُ يَمِينًا وَشِمَالًا ، وَالْمِظَلَّةُ عَلَى رَأْسِهِ كَالْعَلَمِ ، وَمَعَهُ خَمْسُمِائَةِ فَارِسٍ ، وَأَبُو يَزِيدَ فِي مِقْدَارِ ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ الْمَنْصُورِ هَزِيمَةً عَظِيمَةً حَتَّى دَخَلُوا الْخَنْدَقَ وَنَهَبُوا ، وَبَقِيَ الْمَنْصُورُ فِي نَحْوِ عِشْرِينَ فَارِسًا. |
| وَأَقْبَلَ أَبُو يَزِيدَ قَاصِدًا إِلَى الْمَنْصُورِ ، فَلَمَّا رَآهُمْ شَهَرَ سَيْفَهُ وَثَبَتَ مَكَانَهُ ، وَحَمَلَ بِنَفْسِهِ عَلَى أَبِي يَزِيدَ حَتَّى كَادَ يَقْتُلُهُ ، فَوَلَّى أَبُو يَزِيدَ هَارِبًا ، وَقَتَلَ الْمَنْصُورُ مَنْ أَدْرَكَ مِنْهُمْ ، وَأَرْسَلَ مَنْ يَرُدُّ عَسْكَرَهُ فَعَادُوا ، وَكَانُوا قَدْ سَلَكُوا طَرِيقَ الْمَهْدِيَّةِ وَسُوسَةَ ، وَتَمَادَى الْقِتَالُ إِلَى الظُّهْرِ فَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَكَانَ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ الْمَشْهُودَةِ لَمْ يَكُنْ فِي مَاضِي الْأَيَّامِ مِثْلُهُ. |
| وَرَأَى النَّاسُ مِنْ شَجَاعَةِ الْمَنْصُورِ مَا لَمْ يَظُنُّوهُ ، فَزَادَتْ هَيْبَتُهُ فِي قُلُوبِهِمْ ، وَرَحَلَ أَبُو يَزِيدَ عَنِ الْقَيْرَوَانِ أَوَاخِرَ ذِي الْقِعْدَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهَا فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ ، وَنَادَى الْمَنْصُورُ مَنْ أَتَى بِرَأْسِ أَبِي يَزِيدَ ، فَلَهُ عَشَرَةُ آلَافِ دِينَارٍ ، وَأَذِنَ النَّاسُ فِي الْقِتَالِ ، فَجَرَى قِتَالٌ شَدِيدٌ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ الْمَنْصُورِ حَتَّى دَخَلُوا الْخَنْدَقَ ، ثُمَّ رَجَعَتِ الْهَزِيمَةُ عَلَى أَبِي يَزِيدَ ، فَافْتَرَقُوا وَقَدِ انْتَصَفَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، وَقُتِلَ بَيْنَهُمْ جَمْعٌ عَظِيمٌ ، وَعَادَتِ الْحَرْبُ مَرَّةً لِهَذَا وَمَرَّةً لِهَذَا ، وَصَارَ أَبُو يَزِيدَ يُرْسِلُ السَّرَايَا ، فَيَقْطَعُ الطَّرِيقَ بَيْنَ الْمَهْدِيَّةِ وَالْقَيْرَوَانِ وَسْوَسَةَ. |
| ثُمَّ إِنَّهُ أَرْسَلَ إِلَى الْمَنْصُورِ يَسْأَلُ أَنْ يُسَلَّمَ إِلَيْهِ حَرَمَهُ وَعِيَالَهُ الَّذِينَ خَلَّفَهُمْ بِالْقَيْرَوَانِ وَأَخَذَهُمُ الْمَنْصُورُ ، فَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ ، دَخَلَ فِي طَاعَتِهِ عَلَى أَنْ يُؤَمِّنَهُ وَأَصْحَابَهُ ، وَحَلَفَ لَهُ بِأَغْلَظِ الْأَيْمَانِ عَلَى ذَلِكَ ، فَأَجَابَهُ الْمَنْصُورُ إِلَى مَا طَلَبَ ، وَأَحْضَرَ عِيَالَهُ وَسَيَّرَهُمْ إِلَيْهِ مُكَرَّمِينَ ، بَعْدَ أَنْ وَصَلَهُمْ ، وَأَحْسَنَ كُسْوَتَهُمْ ، وَأَكْرَمَهُمْ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِ ، نَكَثَ جَمِيعَ مَا عَقَدَهُ ، وَقَالَ إِنَّمَا وَجَّهَهُمْ خَوفًا مِنِّي ، فَانْقَضَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَدَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَهُمْ عَلَى حَالِهِمْ فِي الْقِتَالِ . |
| فَفِي خَامِسِ الْمُحَرَّمِ مِنْهَا زَحَفَ أَبُو يَزِيدَ ، وَرَكِبَ الْمَنْصُورُ ، وَكَانَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ قِتَالٌ مَا سُمِعَ بِمِثْلِهِ ، وَحَمَلَتِ الْبَرْبَرُ عَلَى الْمَنْصُورِ وَحَمَلَ عَلَيْهَا ، وَجَعَلَ يَضْرِبُ فِيهِمْ ، فَانْهَزَمُوا مِنْهُ بَعْدَ أَنْ قُتِلَ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَلَمَّا انْتَصَفَ الْمُحَرَّمُ عَبَّأَ الْمَنْصُورُ عَسْكَرَهُ ، فَجَعَلَ فِي الْمَيْمَنَةِ أَهْلَ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَكُتَامَةَ فِي الْمَيْسَرَةِ ، وَهُوَ فِي عَبِيدِهِ وَخَاصَّتِهِ فِي الْقَلْبِ ، فَوَقَعَ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ شَدِيدٌ ، فَحَمَلَ أَبُو يَزِيدَ عَلَى الْمَيْمَنَةِ فَهَزَمَهَا ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَى الْقَلْبِ فَبَادَرَ إِلَيْهِ الْمَنْصُورُ ، وَقَالَ هَذَا يَوْمُ الْفَتْحِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. |
| وَحَمَلَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَانْهَزَمَ أَبُو يَزِيدَ ، وَأَخَذَتِ السُّيُوفُ أَصْحَابَهُ فَوَلُّوا مُنْهَزِمِينَ ، وَأَسْلَمُوا أَثْقَالَهُمْ ، وَهَرَبَ أَبُو يَزِيدَ عَلَى وَجْهِهِ ، فَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ مَا لَا يُحْصَى ، فَكَانَ مَا أَخَذَهُ أَطْفَالُ أَهْلِ الْقَيْرَوَانِ مِنْ رُءُوسِ الْقَتْلَى عَشَرَةَ آلَافِ رَأْسٍ ، وَسَارَ أَبُو يَزِيدَ إِلَى تَاهِ مَدِيتَ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ أَبِي يَزِيدَ لَمَّا تَمَّتِ الْهَزِيمَةُ عَلَى أَبِي يَزِيدَ ، أَقَامَ الْمَنْصُورُ يَتَجَهَّزُ لِلْمَسِيرِ فِي أَثَرِهِ ، ثُمَّ رَحَلَ أَوَاخِرَ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْبَلَدِ مَذَامًا الصِّقِلِّيَّ ، فَأَدْرَكَ أَبَا يَزِيدَ وَهُوَ مُحَاصِرٌ مَدِينَةَ بَاغَايَةَ; لِأَنَّهُ أَرَادَ دُخُولَهَا لَمَّا انْهَزَمَ ، فَمُنِعَ مِنْ ذَلِكَ ، فَحَصَرَهَا ، فَأَدْرَكَهُ الْمَنْصُورُ وَقَدْ كَادَ يَفْتَحُهَا ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهُ هَرَبَ أَبُو يَزِيدَ ، وَجَعَلَ كُلَّمَا قَصَدَ مَوْضِعًا يَتَحَصَّنُ فِيهِ ، سَبَقَهُ الْمَنْصُورُ ، حَتَّى وَصَلَ طَبَنَةَ ، فَوَصَلَتْ رُسُلُ مُحَمَّدِ بْنِ خَزَرٍ الزُّنَاتِيِّ ، وَهُوَ مِنْ أَعْيَانِ أَصْحَابِ أَبِي يَزِيدَ يَطْلُبُ الْأَمَانَ ، فَأَمَّنَهُ الْمَنْصُورُ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْصُدَ أَبَا يَزِيدَ ، وَاسْتَمَرَّ الْهَرَبُ بِأَبِي يَزِيدَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى جَبَلِ الْبَرْبَرِ وَيُسَمَّى بَرْزَالَ ، وَأَهْلُهُ عَلَى مَذْهَبِهِ ، وَسَلَكَ الرِّمَالَ لِيَخْتَفِيَ أَثَرُهُ ، فَاجْتَمَعَ مَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَعَادَ إِلَى نَوَاحِي مَقْبَرَةَ وَالْمَنْصُورُ بِهَا ، فَكَمَّنَ أَبُو يَزِيدَ أَصْحَابَهُ ، فَلَمَّا وَصَلَ عَسْكَرُ الْمَنْصُورِ رَآهُمْ ، فَحَذَّرُوا مِنْهُمْ ، فَعَبَّأَ حِينَئِذٍ أَبُو يَزِيدَ أَصْحَابَهُ ، وَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَتْ مَيْمَنَةُ الْمَنْصُورِ ، وَحَمَلَ هُوَ بِنَفْسِهِ وَمَنْ مَعَهُ ، فَانْهَزَمَ أَبُو يَزِيدَ إِلَى جَبَلِ سَالَّاتَ ، وَرَحَلَ الْمَنْصُورُ فِي أَثَرِهِ ، فَدَخَلَ مَدِينَةَ الْمَسِيلَةِ ، وَرَحَلَ فِي أَثَرِ أَبِي يَزِيدَ فِي جِبَالٍ وَعِرَةٍ ، وَأَوْدِيَةٍ عَمِيقَةٍ خَشِنَةِ الْأَرْضِ ، فَأَرَادَ الدُّخُولَ وَرَاءَهُ ، فَعَرَّفَهُ الْأَدِلَّاءُ أَنَّ هَذِهِ الْأَرْضَ لَمْ يَسْلُكْهَا جَيْشٌ قَطُّ ، وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ عَلَى أَهْلِ الْعَسْكَرِ ، فَبَلَغَ عَلِيقُ كُلِّ دَابَّةٍ دِينَارًا وَنِصْفًا ، وَبَلَغَتْ قِرْبَةُ الْمَاءِ دِينَارًا ، وَإِنَّ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ رِمَالٌ وَقِفَارُ بِلَادِ السُّودَانِ ، لَيْسَ فِيهَا عِمَارَةٌ ، وَإِنَّ أَبَا يَزِيدَ اخْتَارَ الْمَوْتَ جُوعًا وَعَطَشًا عَلَى الْقَتْلِ بِالسَّيْفِ. |
| فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ ، رَجَعَ إِلَى بِلَادِ صِنْهَاجَةَ ، فَوَصَلَ إِلَى مَوْضِعٍ يُسَمَّى قَرْيَةَ دَمُرَهُ ، فَاتَّصَلَ بِهِ الْأَمِيرُ زِيرِي بْنُ مَنَادٍ الصِّنْهَاجِيُّ الْحِمْيَرِيُّ بِعَسَاكِرِ صِنْهَاجَةَ ، وَزِيرِي هَذَا هُوَ جَدُّ بَنِي بَادِيسَ مُلُوكِ إِفْرِيقِيَّةَ كَمَا يَأْتِي ذِكْرُهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فَأَكْرَمَهُ الْمَنْصُورُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَوَصَلَ كِتَابُ مُحَمَّدِ بْنِ خَزَرٍ يَذْكُرُ الْمَوْضِعَ الَّذِي فِيهِ أَبُو يَزِيدَ مِنَ الرِّمَالِ. |
| وَمَرِضَ الْمَنْصُورُ مَرَضًا شَدِيدًا أَشَفَى مِنْهُ ، فَلَمَّا أَفَاقَ مِنْ مَرَضِهِ ، رَحَلَ إِلَى الْمَسِيلَةِ ثَانِيَ رَجَبٍ ، وَكَانَ أَبُو يَزِيدَ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهَا لَمَّا بَلَغَهُ مِنْ مَرَضِ الْمَنْصُورِ ، وَحَصَرَهَا ، فَلَمَّا قَصَدَهُ الْمَنْصُورُ ، هَرَبَ مِنْهُ يُرِيدُ بِلَادَ السُّودَانِ ، فَأَبَى ذَلِكَ بَنُو كَمْلَانَ وَهَوَارَةَ وَخَدَعُوهُ ، وَصَعِدَ إِلَى جِبَالِ كُتَامَةَ وَعَجِيسَةَ وَغَيْرِهِمْ ، فَتَحَصَّنَ بِهَا وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلُهَا ، وَصَارُوا يَنْزِلُونَ يَتَخَطَّفُونَ النَّاسَ ، فَسَارَ الْمَنْصُورُ عَاشِرَ شَعْبَانَ إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَنْزِلْ أَبُو يَزِيدَ ، فَلَمَّا عَادَ نَزَلَ إِلَى سَاقَةِ الْعَسْكَرِ ، فَرَجَعَ الْمَنْصُورُ ، وَوَقَعَتِ الْحَرْبُ فَانْهَزَمَ أَبُو يَزِيدَ ، وَأَسْلَمَ أَوْلَادَهُ وَأَصْحَابَهُ ، وَلَحِقَهُ فَارِسَانِ فَعَقَرَا فَرَسَهُ فَسَقَطَ عَنْهُ ، فَأَرْكَبَهُ بَعْضَ أَصْحَابِهِ ، وَلَحِقَهُ زِيرِي بْنُ مُنَادٍ فَطَعَنَهُ فَأَلْقَاهُ ، وَكَثُرَ الْقِتَالُ عَلَيْهِ ، فَخَلَّصَهُ أَصْحَابُهُ وَخَلَصُوا مَعَهُ ، وَتَبِعَهُمْ أَصْحَابُ الْمَنْصُورِ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَا يَزِيدُ عَلَى عَشَرَةِ آلَافٍ. |
| ثُمَّ سَارَ الْمَنْصُورُ فِي أَثَرِهِ أَوَّلَ شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَاقْتَتَلُوا أَيْضًا أَشَدَّ قِتَالٍ ، وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ عَلَى الْهَزِيمَةِ لِضِيقِ الْمَكَانِ وَخُشُونَتِهِ ، ثُمَّ انْهَزَمَ أَبُو يَزِيدَ أَيْضًا ، وَاحْتَرَقَتْ أَثْقَالُهُ وَمَا فِيهَا ، وَطَلَعَ أَصْحَابُهُ عَلَى رُءُوسِ الْجِبَالِ يَرْمُونَ بِالصَّخْرِ ، وَأَحَاطَ الْقِتَالُ بِالْمَنْصُورِ وَتَوَاخَذُوا بِالْأَيْدِي ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُ الْفَنَاءُ ، وَافْتَرَقُوا عَلَى السَّوَاءِ ، وَالْتَجَأَ أَبُو يَزِيدَ إِلَى قَلْعَةِ كُتَامَةَ ، وَهِيَ مَنِيعَةٌ ، فَاحْتَمَى بِهَا. |
| وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَتَى إِلَى الْمَنْصُورِ جُنْدٌ لَهُ مَنْ كُتَامَةَ بِرَجُلٍ ظَهَرَ فِي أَرْضِهِمُ ادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ ، فَأَمَرَ الْمَنْصُورُ بِقَتْلِهِ ، وَأَقْبَلَتْ هَوَارَةُ وَأَكْثَرُ مَنْ مَعَ أَبِي يَزِيدَ يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ ، فَأَمَّنَهُمُ الْمَنْصُورُ ، وَسَارَ إِلَى قَلْعَةِ كُتَامَةَ ، فَحَصَرَ أَبَا يَزِيدَ فِيهَا ، وَفَرَّقَ جُنْدَهُ حَوْلَهَا ، فَنَاشَبَهُ أَصْحَابُ أَبِي يَزِيدَ الْقِتَالَ ، وَزَحَفَ إِلَيْهَا الْمَنْصُورُ غَيْرَ مَرَّةٍ ، فَفِي آخِرِهَا مَلَكَ أَصْحَابُهُ بَعْضَ الْقَلْعَةِ ، وَأَلْقَوْا فِيهَا النِّيرَانَ ، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُ أَبِي يَزِيدَ وَقُتِلُوا قَتْلًا ذَرِيعًا ، وَدَخَلَ أَبُو يَزِيدَ وَأَوْلَادُهُ وَأَعْيَانُ أَصْحَابِهِ إِلَى قَصْرٍ فِي الْقَلْعَةِ ، فَاجْتَمَعُوا فِيهِ ، فَاحْتَرَقَتْ أَبْوَابُهُ وَأَدْرَكَهُمُ الْقَتْلُ ، فَأَمَرَ الْمَنْصُورُ بِإِشْعَالِ النَّارِ فِي شِعَارِي الْجَبَلِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ لِئَلًا يَهْرَبَ أَبُو يَزِيدَ ، فَصَارَ اللَّيْلُ كَالنَّهَارِ. |
| فَلَمَّا كَانَ آخِرُ اللَّيْلِ ، خَرَجَ أَصْحَابُهُ وَهُمْ يَحْمِلُونَهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ ، وَحَمَلُوا عَلَى النَّاسِ حَمْلَةً مُنْكَرَةً ، فَأَفْرَجُوا لَهُمْ ، فَنَجَوْا بِهِ ، وَنَزَلَ مِنَ الْقَلْعَةِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَأُخِذُوا ، فَأَخْبَرُوا بِخُرُوجِ أَبِي يَزِيدَ ، فَأَمَرَ الْمَنْصُورُ يَطْلُبُهُ ، وَقَالَ مَا أَظُنُّهُ إِلَّا قَرِيبًا مِنَّا ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أُتِيَ بِأَبِي يَزِيدَ ، وَذَلِكَ أَنَّ ثَلَاثَةً مِنْ أَصْحَابِهِ حَمَلُوهُ مِنَ الْمَعْرَكَةِ ثُمَّ وَلَّوْا عَنْهُ ، وَإِنَّمَا حَمَلُوهُ لِقُبْحِ عَرَجِهِ ، فَذَهَبَ لِيَنْزِلَ مِنَ الْوَعْرِ ، فَسَقَطَ فِي مَكَانٍ صَعْبٍ ، فَأُدْرِكَ فَأُخِذَ وَحُمِلَ إِلَى الْمَنْصُورِ ، فَسَجَدَ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى ، وَالنَّاسُ يُكَبِّرُونَ حَوْلَهُ ، وَبَقِيَ عِنْدَهُ إِلَى سَلْخِ الْمُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَمَاتَ مِنَ الْجِرَاحِ الَّتِي بِهِ ، فَأَمَرَ بِإِدْخَالِهِ فِي قَفَصٍ عُمِلَ لَهُ ، وَجَعَلَ مَعَهُ قِرْدَيْنِ يَلْعَبَانِ عَلَيْهِ ، وَأَمَرَ بِسَلْخِ جِلْدِهِ وَحَشَاهُ تِبْنًا ، وَأَمَرَ بِالْكُتُبِ إِلَى سَائِرِ الْبِلَادِ بِالْبِشَارَةِ. |
| ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِ عِدَّةُ خَوَارِجَ مِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ خَزَرٍ ، فَظَفِرَ بِهِ الْمَنْصُورُ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ يُرِيدُ نُصْرَةَ أَبِي يَزِيدَ ، وَخَرَجَ أَيْضًا فَضْلُ بْنُ أَبِي يَزِيدَ ، وَأَفْسَدَ وَقَطَعَ الطَّرِيقَ ، فَغَدَرَ بِهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ وَقَتَلَهُ ، وَحَمَلَ رَأْسَهُ إِلَى الْمَنْصُورِ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ أَيْضًا ، وَعَادَ الْمَنْصُورُ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ ، فَدَخَلَهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ. |
| ذِكْرُ قَتْلِ أَبِي الْحُسَيْنِ الْبَرِيدِيِّ وَإِحْرَاقِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، قَدِمَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْبَرِيدِيُّ إِلَى بَغْدَاذَ مُسْتَأْمِنًا إِلَى تُوزُونَ ، فَأَمَّنَهُ ، وَأَنْزَلَهُ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ شَيْرَزَادَ إِلَى جَانِبِ دَارِهِ ، وَأَكْرَمَهُ ، وَطَلَبَ أَنْ يُقَوِّيَ يَدَهُ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ ، وَضَمِنَ أَنَّهُ إِذَا أَخَذَ الْبَصْرَةَ يُوصِلُ لَهُ مَالًا كَثِيرًا ، فَوَعَدُوهُ النَّجْدَةَ وَالْمُسَاعَدَةَ ، فَأَنْفَذَ ابْنُ أَخِيهِ مِنَ الْبَصْرَةِ مَالًا كَثِيرًا خَدَمَ بِهِ تُوزُونَ وَابْنَ شَيْرَزَادَ ، فَأَنْفَذُوا لَهُ الْخِلَعَ وَأَقَرُّوهُ عَلَى عَمَلِهِ. |
| فَلَمَّا عَلِمَ أَبُو الْحُسَيْنِ بِذَلِكَ سَعَى فِي أَنْ يَكْتُبَ لِتُوزُونَ ، وَيَقْبِضَ عَلَى ابْنِ شَيْرَزَادَ ، فَعَلَمَ ابْنُ شَيْرَزَادَ بِذَلِكَ ، فَسَعَى بِهِ إِلَى أَنْ قُبِضَ عَلَيْهِ ، وَقُيِّدَ وَضُرِبَ ضَرْبًا عَنِيفًا ، وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي مُوسَى الْهَاشِمِيُّ قَدْ أَخَذَ أَيَّامَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ فَتْوَى الْفُقَهَاءِ وَالْقُضَاةِ بِإِحْلَالِ دَمِهِ ، فَأَحْضَرَهَا ، وَأَحْضَرَ الْقُضَاةَ وَالْفُقَهَاءَ فِي دَارِ الْخَلِيفَةِ ، وَأُخْرِجَ أَبُو الْحُسَيْنِ ، وَسُئِلَ الْفُقَهَاءُ عَنِ الْفَتَاوَى ، فَاعْتَرَفُوا أَنَّهُمْ أَفْتَوْا بِذَلِكَ ، فَأَمَرَ بِضَرْبِ رَقَبَتِهِ ، فَقُتِلَ وَصُلِبَ ، ثُمَّ أُنْزِلَ وَأُحْرِقَ ، وَنُهِبَتْ دَارُهُ ، وَكَانَ هَذَا آخِرَ أَمْرِ الْبَرِيدِيِّينَ ، وَكَانَ قَتْلُهُ مُنْتَصَفَ ذِي الْحِجَّةِ. |
| وَفِيهَا نَقَلَ الْمُسْتَكْفِي بِاللَّهِ الْقَاهِرَ بِاللَّهِ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ إِلَى دَارِ ابْنِ طَاهِرٍ ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَ بِهِ الضُّرُّ وَالْفَقْرُ إِلَى أَنْ كَانَ مُلْتَفًّا بِقُطْنِ جُبَّةٍ ، وَفِي رِجْلِهِ قَبْقَابُ خَشَبٍ. |
| ذِكْرُ مَسِيرِ أَبِي عَلِيٍّ إِلَى الرَّيِّ وَعَوْدِهِ قَبْلَ مِلْكِهَا لَمَّا اسْتَقَرَّ الْأَمِيرُ نُوحٌ فِي وَلَايَتِهِ بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَخُرَاسَانَ ، أَمَرَ أَبَا عَلِيِّ بْنَ مُحْتَاجٍ أَنْ يَسِيرَ فِي عَسَاكِرِ خُرَاسَانَ إِلَى الرَّيِّ وَيَسْتَنْقِذَهَا مِنْ يَدِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ ، فَسَارَ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، فَلَقِيَهُ وَشْمَكِيرُ بِخُرَاسَانَ وَهُوَ يَقْصِدُ الْأَمِيرَ نُوحًا ، فَسَيَّرَهُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ نُوحٌ حِينَئِذٍ بِمَرْوَ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ أَكْرَمَهُ وَأَنْزَلَهُ ، وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ. |
| وَأَمَّا أَبُو عَلِيٍّ فَإِنَّهُ سَارَ نَحْوَ الرَّيِّ ، فَلَمَّا نَزَلَ بِبِسْطَامَ خَالَفَ عَلَيْهِ بَعْضُ مَنْ مَعَهُ ، وَعَادُوا عَنْهُ مَعَ مَنْصُورِ بْنِ قَرَاتَكِينَ ، وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ أَصْحَابِ نُوحٍ وَخَوَاصِّهِ ، فَسَارُوا نَحْوَ جُرْجَانَ ، وَبِهَا الْحَسَنُ بْنُ الْفَيْرُزَانِ ، فَصَدَّهُمُ الْحَسَنُ عَنْهَا ، فَانْصَرَفُوا إِلَى نَيْسَابُورَ ، وَسَارَ أَبُو عَلِيٍّ نَحْوَ الرَّيِّ فِيمَنْ بَقِيَ مَعَهُ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رُكْنُ الدَّوْلَةِ مُحَارِبًا ، فَالْتَقَوْا عَلَى ثَلَاثَةِ فَرَاسِخَ مِنَ الرَّيِّ ، وَكَانَ مَعَ أَبِي عَلِيٍّ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْأَكْرَادِ ، فَغَدَرُوا بِهِ ، وَاسْتَأْمَنُوا إِلَى رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، فَانْهَزَمَ أَبُو عَلِيٍّ ، وَعَادَ نَحْوَ نَيْسَابُورَ وَغَنِمُوا بَعْضَ أَثْقَالِهِ. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ وَشْمَكِيرَ عَلَى جُرْجَانَ لَمَّا عَادَ أَبُو عَلِيٍّ إِلَى نَيْسَابُورَ ، لَقِيَهُ وَشْمَكِيرُ ، وَقَدْ سَيَّرَهُ الْأَمِيرُ نُوحٍ وَمَعَهُ جَيْشٌ فِيهِمْ مَالِكُ بْنُ شَكَرْتَكِينَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ يَأْمُرُهُ بِمُسَاعَدَةِ وَشْمَكِيرَ ، فَوُجِّهَ فِيمَنْ مَعَهُ إِلَى جُرْجَانَ ، وَبِهَا الْحَسَنُ بْنُ الْفَيْرُزَانِ ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا فَانْهَزَمَ الْحَسَنُ ، وَاسْتَوْلَى وَشْمَكِيرُ عَلَى جُرْجَانَ فِي صَفَرٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ أَبِي عَلِيٍّ عَلَى الرَّيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ أَبُو عَلِيٍّ مِنْ نَيْسَابُورَ إِلَى نُوحٍ ، وَهُوَ بِمَرْوَ ، فَاجْتَمَعَ بِهِ فَأَعَادَهُ إِلَى نَيْسَابُورَ ، وَأَمَرَهُ بِقَصْدِ الرَّيِّ ، وَأَمَدَّهُ بِجَيْشٍ كَثِيرٍ ، فَعَادَ إِلَى نَيْسَابُورَ ، وَسَارَ مِنْهَا إِلَى الرَّيِّ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَبِهَا رُكْنُ الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا عَلِمَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ بِكَثْرَةِ جُمُوعِهِ ، سَارَ عَنِ الرَّيِّ وَاسْتَوْلَى أَبُو عَلِيٍّ عَلَيْهَا وَعَلَى سَائِرِ أَعْمَالِ الْجِبَالِ ، وَأَنْفَذَ نُوَّابَهُ إِلَى الْأَعْمَالِ ، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْأَمِيرَ نُوحًا سَارَ مِنْ مَرْوَ إِلَى نَيْسَابُورَ ، فَوَصَلَ إِلَيْهَا فِي رَجَبٍ ، وَأَقَامَ بِهَا خَمْسِينَ يَوْمًا ، فَوَضَعَ أَعْدَاءَ أَبِي عَلِيٍّ جَمَاعَةً مِنَ الْغَوْغَاءِ وَالْعَامَّةِ ، فَاجْتَمَعُوا وَاسْتَغَاثُوا عَلَيْهِ ، وَشَكُوا سُوءَ سِيرَتِهِ وَسِيرَةِ نُوَّابِهِ ، فَاسْتَعْمَلَ الْأَمِيرُ نُوحٌ عَلَى نَيْسَابُورَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سِيمَجُورَ وَعَادَ عَنْهَا إِلَى بُخَارَى فِي رَمَضَانَ ، وَكَانَ مُرَادُهُمْ بِذَلِكَ أَنْ يَقْطَعُوا طَمَعَ أَبِي عَلِيٍّ عَنْ خُرَاسَانَ لِيُقِيمَ بِالرَّيِّ وَبِلَادِ الْجَبَلِ ، فَاسْتَوْحَشَ أَبُو عَلِيٍّ لِذَلِكَ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ يُحْسِنُ إِلَيْهِ بِسَبَبِ فَتْحِ الرَّيِّ وَتِلْكَ الْأَعْمَالِ ، فَلَمَّا عُزِلَ شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَوَجَّهَ أَخَاهُ أَبَا الْعَبَّاسِ الْفَضْلَ بْنَ مُحَمَّدٍ إِلَى كُوَرِ الْجِبَالِ ، وَوَلَّاهُ هَمَذَانَ ، وَجَعَلَهُ خَلِيفَةً عَلَى مَنْ مَعَهُ مِنَ الْعَسَاكِرِ ، فَقَصَدَ الْفَضْلُ نَهَاوَنْدَ وَالدِّينَوَرَ وَغَيْرَهُمَا وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَاسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ رُؤَسَاءُ الْأَكْرَادِ مِنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، وَأَنْفَذُوا رَهَائِنَهُمْ. |
| ذِكْرُ وَصُولِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ إِلَى وَاسِطَ وَعَوْدِهِ عَنْهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ آخِرَ رَجَبٍ ، وَصَلَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ بُوَيْهِ إِلَى مَدِينَةِ وَاسِطَ ، فَسَمِعَ تُوزُونَ بِهِ ، فَسَارَ هُوَ وَالْمُسْتَكْفِي بِاللَّهِ مِنْ بَغْدَاذَ إِلَى وَاسِطَ ، فَلَمَّا سَمِعَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بِمَسِيرِهِمْ إِلَيْهِ ، فَارَقَهَا سَادِسَ رَمَضَانَ ، وَوَصَلَ الْخَلِيفَةُ وَتُوزُونُ إِلَى وَاسِطَ ، فَأَرْسَلَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبَرِيدِيُّ يَضْمَنُ الْبَصْرَةَ ، فَأَجَابَهُ تُوزُونُ إِلَى ذَلِكَ وَضَمِنَهُ ، وَسَلَّمَهَا إِلَيْهِ ، وَعَادَ الْخَلِيفَةُ وَتُوزُونُ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَدَخَلَاهَا ثَامِنَ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ. |
| ذِكْرُ مِلْكِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ مَدِينَةَ حَلَبَ وَحِمْصَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي الْهَيْجَاءِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدَانَ إِلَى حَلَبَ ، فَمَلَكَهَا وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَكَانَ مَعَ الْمُتَّقِي لِلَّهِ بِالرَّقَّةِ ، فَلَمَّا عَادَ الْمُتَّقِي إِلَى بَغْدَاذَ وَانْصَرَفَ الْإِخْشِيدُ إِلَى الشَّامِ ، بَقِيَ يَأْنَسُ الْمُؤْنِسِيُّ بِحَلَبَ ، فَقَصَدَهُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا نَازَلَهَا ، فَارَقَهَا يَأْنَسُ وَسَارَ إِلَى الْإِخْشِيدِ ، فَمَلَكَهَا سَيْفُ الدَّوْلَةِ ، ثُمَّ سَارَ مِنْهَا إِلَى حِمْصَ ، فَلَقِيَهُ بِهَا عَسْكَرُ الْإِخْشِيدِ مُحَمَّدِ بْنِ طُغْجَ ، صَاحِبِ الشَّامِ وَمِصْرَ مَعَ مَوْلَاهُ كَافُورٍ ، وَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ الْإِخْشِيدِ وَكَافُورٌ ، وَمَلَكَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ مَدِينَةَ حِمْصَ ، وَسَارَ إِلَى دِمَشْقَ فَحَصَرَهَا ، فَلَمْ يَفْتَحْهَا أَهْلُهَا لَهُ فَرَجَعَ. |
| وَكَانَ الْإِخْشِيدُ قَدْ خَرَجَ مِنْ مِصْرَ إِلَى الشَّامِ ، وَسَارَ خَلْفَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، فَالْتَقَيَا بِقِنَّسْرِينَ ، فَلَمْ يَظْفَرْ أَحَدُ الْعَسْكَرَيْنِ بِالْآخَرِ ، وَرَجَعَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْجَزِيرَةِ ، فَلَمَّا عَادَ الْإِخْشِيدُ إِلَى دِمَشْقَ ، رَجَعَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ إِلَى حَلَبَ ، وَلَمَّا مَلَكَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ حَلَبَ ، سَارَتِ الرُّومُ إِلَيْهَا ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ، فَقَاتَلَهُمْ بِالْقُرْبِ مِنْهَا ، فَظَفَرَ بِهِمْ وَقَتَلَ مِنْهُمْ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ثَامِنِ جُمَادَى الْأُولَى ، قَبَضَ الْمُسْتَكْفِي بِاللَّهِ عَلَى كَاتِبِهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ وَعَلَى أَخِيهِ ، وَاسْتَكْتَبَ أَبَا أَحْمَدَ الْفَضْلَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشِّيرَازِيَّ عَلَى خَاصِّ أَمْرِهِ ، وَكَانَ أَبُو أَحْمَدَ لَمَّا تَقَلَّدَ الْمُسْتَكْفِي الْخِلَافَةَ بِالْمَوْصِلِ ، يَكْتُبُ لِنَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ خَبَرُ تَقَلُّدِهِ الْخِلَافَةَ ، انْحَدَرَ إِلَى بَغْدَاذَ; لِأَنَّهُ كَانَ يَخْدِمُ الْمُسْتَكْفِيَ بِاللَّهِ ، وَيَكْتُبُ لَهُ وَهُوَ فِي دَارِ ابْنِ طَاهِرٍ. |
| وَفِيهَا فِي رَجَبٍ سَارَ تُوزُونُ وَمَعَهُ الْمُسْتَكْفِي بِاللَّهِ مِنْ بَغْدَاذَ يُرِيدَانِ الْمَوْصِلَ ، وَقَصَدَ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ; لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ أَخَّرَ حَمْلَ الْمَالِ الَّذِي عَلَيْهِ مِنْ ضَمَانِ الْبِلَادِ ، وَاسْتَخْدَمَ غِلْمَانًا هَرَبُوا مِنْ تُوزُونَ ، وَكَانَ الشَّرْطُ بَيْنَهُمْ أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ أَحَدًا مِنْ عَسْكَرِ تُوزُونَ. |
| فَلَمَّا خَرَجَ الْخَلِيفَةُ وَتُوزُونُ مِنْ بَغْدَاذَ ، تَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ فِي الصُّلْحِ ، وَتَوَسَّطَ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ شَيْرَزَادَ الْأَمْرَ ، وَانْقَادَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ لِحَمْلِ الْمَالِ ، وَكَانَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ مُكْرَمٍ كَاتِبُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ هُوَ الرَّسُولُ فِي ذَلِكَ ، وَلَمَّا تَقَرَّرَ الصُّلْحُ عَادَ الْمُسْتَكْفِي وَتُوزُونُ فَدَخَلَا بَغْدَاذَ. |
| وَفِيهَا فِي سَابِعِ رَبِيعٍ الْآخَرِ ، قَبَضَ الْمُسْتَكْفِي عَلَى وَزِيرِهِ أَبِي الْفَرَجِ السُّرْمَرَائِيِّ ، وَصُودِرَ عَلَى ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَكَانَتْ مُدَّةُ وِزَارَتِهِ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ مَوْتِ تُوزُونَ وَإِمَارَةِ ابْنِ شَيْرَزَادَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي الْمُحَرَّمِ ، مَاتَ تُوزُونُ فِي دَارِهِ بِبَغْدَاذَ ، وَكَانَتْ مُدَّةُ إِمَارَتِهِ سَنَتَيْنِ وَأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَكَتَبَ لَهُ ابْنُ شَيْرَزَادَ مُدَّةَ إِمَارَتِهِ ، غَيْرَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. |
| وَلَمَّا مَاتَ تُوزُونُ كَانَ ابْنُ شَيْرَزَادَ بِهَيْتَ لِتَخْلِيصِ أَمْوَالِهَا ، فَلَمَّا بَلَغَهُ الْخَبَرُ ، عَزَمَ عَلَى عَقْدِ الْإِمَارَةِ لِنَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ ، فَاضْطَرَبَتِ الْأَجْنَادُ ، وَعَقَدُوا الرِّئَاسَةَ عَلَيْهِمْ لِابْنِ شَيْرَزَادَ ، فَحَضَرَ وَنَزَلَ بِبَابِ حَرْبٍ مُسْتَهَلَّ صَفَرٍ ، وَخَرَجَ عَلَيْهِ الْأَجْنَادُ جَمِيعُهُمْ ، وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ وَحَلَفُوا لَهُ ، وَوَجَّهَ إِلَى الْمُسْتَكْفِي بِاللَّهِ لِيَحْلِفَ لَهُ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَحَلَفَ لَهُ بِحَضْرَةِ الْقُضَاةِ وَالْعُدُولِ ، وَدَخَلَ إِلَيْهِ ابْنُ شَيْرَزَادَ ، وَعَادَ مُكْرَمًا يُخَاطَبُ بِأَمِيرِ الْأُمَرَاءِ ، وَزَادَ الْأَجْنَادُ زِيَادَةً كَثِيرَةً ، فَضَاقَتِ الْأَمْوَالُ عَلَيْهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى نَاصِرِ الدَّوْلَةِ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُوسَى الْهَاشِمِيِّ وَهُوَ بِالْمَوْصِلِ ، يُطَالِبُهُ بِحَمْلِ الْمَالِ ، وَيَعِدُهُ بِرَدِّ الرِّئَاسَةِ إِلَيْهِ ، وَأَنْفَذَ لَهُ خَمْسَمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَطَعَامًا كَثِيرًا ، فَفَرَّقَهَا فِي عَسْكَرِهِ ، فَلَمْ يُؤَثِّرْ ، فَقَسَّطَ الْأَمْوَالَ عَلَى الْعُمَّالِ وَالْكُتَّابِ وَالتُّجَّارِ وَغَيْرِهِمْ لِأَرْزَاقِ الْجُنْدِ ، وَظُلِمَ النَّاسُ بِبَغْدَاذَ. |
| وَظَهَرَ اللُّصُوصُ وَأَخَذُوا الْأَمْوَالَ ، وَجَلَا التُّجَّارُ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى وَاسِطَ يَنَالُ كُوشَةَ ، وَعَلَى تَكْرِيتَ الْلَشْكُرِيَّ ، فَأَمَّا يَنَالُ فَإِنَّهُ كَاتِبُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ ، وَاسْتَقْدَمَهُ وَصَارَ مَعَهُ ، وَأَمَّا الْفَتْحُ الْلَشْكُرِيُّ فَإِنَّهُ سَارَ إِلَى نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بِالْمَوْصِلِ ، وَصَارَ مَعَهُ ، فَأَقَرَّهُ عَلَى تَكْرِيتَ. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ عَلَى بَغْدَاذَ لَمَّا كَاتَبَ يَنَالُ كُوشَةَ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ بْنَ بُوَيْهِ وَهُوَ بِالْأَهْوَازِ ، وَدَخَلَ فِي طَاعَتِهِ ، سَارَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ نَحْوَهُ ، فَاضْطَرَبَ النَّاسُ بِبَغْدَاذَ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بَاجِسْرَى ، اخْتَفَى الْمُسْتَكْفِي بِاللَّهِ وَابْنُ شَيْرَزَادَ ، وَكَانَتْ إِمَارَتُهُ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا ، فَلَمَّا اسْتَتَرَ ، سَارَ الْأَتْرَاكُ إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَلَمَّا أُبْعِدُوا ظَهَرَ الْمُسْتَكْفِي وَعَادَ إِلَى بَغْدَاذَ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ ، وَقَدِمَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ صَاحِبُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَاجْتَمَعَ بِابْنِ شَيْرَزَادَ بِالْمَكَانِ الَّذِي اسْتَتَرَ فِيهِ ، ثُمَّ اجْتَمَعَ بِالْمُسْتَكْفِي ، فَأَظْهَرَ الْمُسْتَكْفِي السُّرُورَ بِقُدُومِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ إِنَّمَا اسْتَتَرَ مِنَ الْأَتْرَاكِ لِيَتَفَرَّقُوا فَيَحْصُلَ الْأَمْرُ لِمُعِزِّ الدَّوْلَةِ بِلَا قِتَالٍ. |
| وَوَصَلَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى بَغْدَاذَ حَادِي عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى ، فَنَزَلَ بِبَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ ، وَدَخَلَ مِنَ الْغَدِ عَلَى الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَكْفِي وَبَايَعَهُ ، وَحَلَفَ لَهُ الْمُسْتَكْفِي ، وَسَأَلَهُ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ أَنْ يَأْذَنَ لِابْنِ شَيْرَزَادَ بِالظُّهُورِ ، وَأَنْ يَأْذَنَ أَنْ يَسْتَكْتِبَهُ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَظَهَرَ ابْنُ شَيْرَزَادَ ، وَلَقِيَ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ ، فَوَلَّاهُ الْخَرَاجَ وَجِبَايَةَ الْأَمْوَالِ ، وَخَلَعَ الْخَلِيفَةُ عَلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَلَقَّبَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ" مُعِزَّ الدَّوْلَةِ "، وَلَقَّبَ أَخَاهُ عَلِيًّا " عِمَادَ الدَّوْلَةِ "، وَلَقَّبَ أَخَاهُ الْحَسَنَ" رُكْنَ الدَّوْلَةِ "، وَأَمَرَ أَنْ تُضْرَبَ أَلْقَابُهُمْ وَكُنَاهُمْ عَلَى الدَّنَانِيرِ وَالدَّرَاهِمِ. |
| وَنَزَلَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بِدَارِ مُؤْنِسٍ ، وَنَزَلَ أَصْحَابُهُ فِي دُورِ النَّاسِ ، فَلَحِقَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ شِدَّةً عَظِيمَةً ، وَصَارَ رَسْمًا عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَهُ بِبَغْدَاذَ ، وَلَمْ يُعْرَفْ بِهَا قَبْلَهُ. |
| وَأُقِيمُ لِلْمُسْتَكْفِي بِاللَّهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ لِنَفَقَاتِهِ ، وَكَانَتْ رُبَّمَا تَأَخَّرَتْ عَنْهُ ، فَأُقِرَّتْ لَهُ مَعَ ذَلِكَ ضَيَاعٌ سُلِّمَتْ إِلَيْهِ تَوَلَّاهَا أَبُو أَحْمَدَ الشِّيرَازِيُّ كَاتِبُهُ. |
| ذِكْرُ خَلْعِ الْمُسْتَكْفِي بِاللَّهِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ خُلِعَ الْمُسْتَكْفِي بِاللَّهِ لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ عَلَمًا الْقَهْرَمَانَةَ صَنَعَتْ دَعْوَةً ، حَضَرَهَا جَمَاعَةٌ مِنْ قُوَّادِ الدَّيْلَمِ وَالْأَتْرَاكِ ، فَاتَّهَمَهَا مُعِزُّ الدَّوْلَةِ أَنَّهَا فَعَلَتْ ذَلِكَ لِتَأْخُذَ عَلَيْهِمُ الْبَيْعَةَ لِلْمُسْتَكْفِي وَيُزِيلُوا مُعِزَّ الدَّوْلَةِ ، فَسَاءَ ظَنُّهُ لِذَلِكَ لَمَّا رَأَى مِنْ إِقْدَامِ عَلَمٍ ، وَحَضَرَ أَصْفَهَدُوَسْتُ عِنْدَ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَقَالَ قَدْ رَاسَلَنِي الْخَلِيفَةُ فِي أَنْ أَلْقَاهُ مُتَنَكِّرًا. |
| فَلَمَّا مَضَى اثْنَانِ وَعِشْرُونَ يَوْمًا مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، حَضَرَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ وَالنَّاسُ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ ، وَحَضَرَ رَسُولُ صَاحِبِ خُرَاسَانَ ، وَمُعِزُّ الدَّوْلَةِ جَالِسٌ ، ثُمَّ حَضَرَ رَجُلًا مِنْ نُقَبَاءِ الدَّيْلَمِ يَصِيحَانِ ، فَتَنَاوَلَا يَدَ الْمُسْتَكْفِي بِاللَّهِ ، فَظَنَّ أَنَّهُمَا يُرِيدَانِ تَقْبِيلَهَا ، فَمَدَّهَا إِلَيْهِمَا ، فَجَذَبَاهُ عَنْ سَرِيرِهِ ، وَجَعَلَا عِمَامَتَهُ فِي حَلْقِهِ ، وَنَهَضَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ ، وَاضْطَرَبَ النَّاسُ ، وَنُهِبَتِ الْأَمْوَالُ ، وَسَاقَ الدَّيْلَمِيَّانِ الْمُسْتَكْفِيَ بِاللَّهِ مَاشِيًا إِلَى دَارِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، فَاعْتُقِلَ بِهَا ، وَنُهِبَتْ دَارُ الْخِلَافَةِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ بِهَا شَيْءٌ ، وَقُبِضَ عَلَى أَبِي أَحْمَدَ الشِّيرَازِيِّ كَاتِبِ الْمُسْتَكْفِي ، وَأُخِذَتْ عَلَمُ الْقَهْرَمَانَةُ فَقُطِعَ لِسَانُهَا. |
| وَكَانَتْ مُدَّةُ خِلَافَةِ الْمُسْتَكْفِي سَنَةً وَاحِدَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، وَمَا زَالَ مَغْلُوبًا عَلَى أَمْرِهِ مَعَ تُوزُونَ وَابْنِ شَيْرَزَادَ ، وَلَمَّا بُويِعَ الْمُطِيعُ لِلَّهِ ، سُلِّمَ إِلَيْهِ الْمُسْتَكْفِي ، فَسَمَلَهُ وَأَعْمَاهُ ، وَبَقِيَ مَحْبُوسًا إِلَى أَنْ مَاتَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ ثَالِثَ عَشَرَ صَفَرٍ سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَأُمُّهُ أَمُّ وَلَدٍ اسْمُهَا غُصْنٌ. |
| وَكَانَ أَبْيَضَ ، حَسَنَ الْوَجْهِ ، قَدْ وَخَطَهُ الشَّيْبُ. |
| ذِكْرُ خِلَافَةِ الْمُطِيعِ لِلَّهِ لَمَّا وَلِيَ الْمُسْتَكْفِي بِاللَّهِ الْخِلَافَةَ ، خَافَهُ الْمُطِيعُ ، وَهُوَ أَبُو الْقَاسِمِ الْفَضْلُ بْنُ الْمُقْتَدِرِ; لِأَنَّهُ كَانَ بَيْنَهُمَا مُنَازَعَةٌ ، وَكَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا يَطْلُبُ الْخِلَافَةَ ، وَهُوَ يَسْعَى فِيهَا ، فَلَمَّا وَلِيَ الْمُسْتَكْفِي خَافَهُ وَاسْتَتَرَ مِنْهُ ، فَطَلَبَهُ الْمُسْتَكْفِي أَشَدَّ الطَّلَبِ ، فَلَمْ يَظْفَرْ بِهِ ، فَلَمَّا قَدِمَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بَغْدَاذَ ، قِيلَ إِنَّ الْمُطِيعَ انْتَقَلَ إِلَيْهِ ، وَاسْتَتَرَ عِنْدَهُ ، وَأَغْرَاهُ بِالْمُسْتَكْفِي حَتَّى قَبَضَ عَلَيْهِ وَسَمَلَهُ ، فَلَمَّا قُبِضَ الْمُسْتَكْفِي ، بُويِعَ لِلْمُطِيعِ لِلَّهِ بِالْخِلَافَةِ يَوْمَ الْخَمِيسَ ثَانِي عَشَرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَلُقِّبَ الْمُطِيعُ لِلَّهِ ، وَأَحْضَرَ الْمُسْتَكْفِيَ عِنْدَهُ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ ، وَأَشْهَدَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْخَلْعِ. |
| وَازْدَادَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ إِدْبَارًا ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ الْبَتَّةَ ، وَقَدْ كَانُوا يُرَاجَعُونَ وَيُؤْخَذُ أَمْرُهُمْ فِيمَا يُفْعَلُ ، وَالْحُرْمَةُ قَائِمَةٌ بَعْضَ الشَّيْءِ ، فَلَمَّا كَانَ أَيَّامُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، زَالَ ذَلِكَ جَمِيعُهُ ، بِحَيْثُ أَنَّ الْخَلِيفَةَ لَمْ يَبْقَ لَهُ وَزِيرٌ ، إِنَّمَا كَانَ لَهُ كَاتِبٌ يُدَبِّرُ أَقْطَاعَهُ وَإِخْرَاجَاتِهِ لَا غَيْرَ ، وَصَارَتِ الْوِزَارَةُ لِمُعِزِّ الدَّوْلَةِ يَسْتَوْزِرُ لِنَفْسِهِ مَنْ يُرِيدُ. |
| وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ فِي ذَلِكَ أَنَّ الدَّيْلَمَ كَانُوا يَتَشَيَّعُونَ ، وَيُغَالُونَ فِي التَّشَيُّعِ ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْعَبَّاسِيِّينَ قَدْ غَصَبُوا الْخِلَافَةَ وَأَخَذُوهَا مِنْ مُسْتَحِقِّيهَا ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ بَاعِثٌ دِينِيٌّ يَحُثُّهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ ، حَتَّى لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ اسْتَشَارَ جَمَاعَةً مِنْ خَوَاصِّ أَصْحَابِهِ فِي إِخْرَاجِ الْخِلَافَةِ مِنَ الْعَبَّاسِيِّينَ وَالْبَيْعَةِ لِلْمُعِزِّ لِدِينِ اللَّهِ الْعَلَوِيِّ ، أَوْ لِغَيْرِهِ مِنَ الْعَلَوِيِّينَ ، فَكُلُّهُمْ أَشَارَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ مَا عَدَا بَعْضَ خَوَاصِّهِ ، فَإِنَّهُ قَالَ لَيْسَ هَذَا بِرَأْيٍ فَإِنَّكَ الْيَوْمَ مَعَ خَلِيفَةٍ تَعْتَقِدُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْخِلَافَةِ ، وَلَوْ أَمَرْتَهُمْ بِقَتْلِهِ لَقَتَلُوهُ مُسْتَحِلِّينَ دَمَهُ ، وَمَتَى أَجْلَسْتَ بَعْضَ الْعَلَوِيِّينَ خَلِيفَةً ، كَانَ مَعَكَ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ صِحَّةَ خِلَافَتِهِ ، فَلَوْ أَمَرَهُمْ بِقَتْلِكَ لَفَعَلُوهُ ، فَأَعْرِضْ عَنْ ذَلِكَ ، فَهَذَا كَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ فِي زَوَالِ أَمْرِهِمْ وَنَهْبِهِمْ مَعَ حُبِّ الدُّنْيَا وَطَلَبِ التَّفَرُّدِ بِهَا. |
| وَتَسَلَّمَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ الْعِرَاقَ بِأَسْرِهِ ، وَلَمْ يَبْقَ بِيَدِ الْخَلِيفَةِ مِنْهُ شَيْءٌ الْبَتَّةَ ، إِلَّا مَا أَقْطَعَهُ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ مِمَّا يَقُومُ بِبَعْضِ حَاجَتِهِ. |
| ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ وَمُعِزِّ الدَّوْلَةِ وَفِيهَا فِي رَجَبٍ ، سَيَّرَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ عَسْكَرًا فِيهِمْ مُوسَى فَيَادَةَ وَيَنَالُ كُوشَةَ إِلَى الْمَوْصِلِ فِي مُقَدِّمَتِهِ ، فَلَمَّا نَزَلُوا عُكْبَرَا أَوْقَعَ يَنَالُ كُوشَةَ بِمُوسَى فَيَادَةَ ، وَنُهِبَ سَوَادُهُ ، وَمَضَى هُوَ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ قَدْ خَرَجَ مِنَ الْمَوْصِلِ نَحْوَ الْعِرَاقِ ، وَوَصَلَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ إِلَى سَامِرَّا فِي شَعْبَانَ ، وَوَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَصْحَابِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بِعُكْبَرَا. |
| وَفِي رَمَضَانَ سَارَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ مَعَ الْمُطِيعِ لِلَّهِ إِلَى عُكْبَرَا ، فَلَمَّا سَارَ عَنْ بَغْدَاذَ لَحِقَ ابْنُ شَيْرَزَادَ بِنَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، وَعَادَ إِلَى بَغْدَاذَ مَعَ عَسْكَرٍ لِنَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، فَاسْتَوْلُوا عَلَيْهَا ، وَدَبَّرَ ابْنُ شَيْرَزَادَ الْأُمُورَ بِهَا نِيَابَةً عَنْ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، وَنَاصِرُ الدَّوْلَةِ يُحَارِبُ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا كَانَ عَاشِرُ رَمَضَانَ ، سَارَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ مِنْ سَامِرَّا إِلَى بَغْدَاذَ فَأَقَامَ بِهَا ، فَلَمَّا سَمِعَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ الْخَبَرَ ، سَارَ إِلَى تَكْرِيتَ فَنَهَبَهَا; لِأَنَّهَا كَانَتْ لِنَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، وَعَادَ الْخَلِيفَةُ مَعَهُ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَنَزَلُوا بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ، وَنَزَلَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ، وَلَمْ يُخْطَبْ لِلْمُطِيعِ بِبَغْدَاذَ. |
| ثُمَّ وَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ بِبَغْدَاذَ ، وَانْتَشَرَتْ أَعْرَابُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ، فَمَنَعُوا أَصْحَابَ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ مِنَ الْمِيرَةِ وَالْعَلَفِ ، فَغَلَتِ الْأَسْعَارُ عَلَى الدَّيْلَمِ ، حَتَّى بَلَغَ الْخُبْزُ عِنْدَهُمْ كُلُّ رِطْلٍ بِدِرْهَمٍ وَرُبُعٍ ، وَكَانَ السِّعْرُ عِنْدَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ رَخِيصًا ، كَانَتْ تَأْتِيهِ الْمِيرَةُ فِي دِجْلَةَ مِنَ الْمَوْصِلِ ، فَكَانَ الْخُبْزُ عِنْدَهُ كُلُّ خَمْسَةِ أَرْطَالٍ بِدِرْهَمٍ. |
| وَمَنَعَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ مِنَ الْمُعَامَلَةِ بِالدَّنَانِيرِ الَّتِي عَلَيْهَا اسْمُ الْمُطِيعِ ، وَضَرَبَ دَنَانِيرَ وَدَرَاهِمَ عَلَى سِكَّةِ سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَعَلَيْهَا اسْمُ الْمُتَّقِي لِلَّهِ ، وَاسْتَعَانَ ابْنُ شَيْرَزَادَ بِالْعَيَّارِينَ وَالْعَامَّةِ عَلَى حَرْبِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، فَكَانَ يَرْكَبُ فِي الْمَاءِ وَهُمْ مَعَهُ وَيُقَاتِلُ الدَّيْلَمَ. |
| وَفِي بَعْضِ اللَّيَالِي عَبَرَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ فِي أَلْفِ فَارِسٍ لِكَبْسِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، فَلَقِيَهُمْ أَسْفَهْدُوَسْتُ فَهَزَمَهُمْ ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ شَجَاعَةً ، وَضَاقَ الْأَمْرُ بِالدَّيْلَمِ حَتَّى عَزَمَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ عَلَى الْعَوْدِ إِلَى الْأَهْوَازِ ، وَقَالَ نَعْمَلُ مَعَهُمْ حِيلَةً هَذِهِ الْمَرَّةَ ، فَإِنْ أَفَادَتْ وَإِلَّا عُدْنَا ، فَرَتَّبَ مَا مَعَهُ مِنَ الْمَعَابِرِ بِنَاحِيَةِ الثَّمَّارِينَ ، وَأَمَرَ وَزِيرَهُ أَبَا جَعْفَرٍ الصَّيْمَرِيَّ وَأَسْفَهْدُوَسْتَ بِالْعُبُورِ ، ثُمَّ أَخَذَ مَعَهُ بَاقِيَ الْعَسْكَرِ ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يَعْبُرُ فِي قُطْرَبُّلَ ، وَسَارَ لَيْلًا وَمَعَهُ الْمَشَاعِلُ عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةَ ، فَسَارَ أَكْثَرُ عَسْكَرِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بِإِزَائِهِ لِيَمْنَعُوهُ مِنَ الْعُبُورِ ، فَتَمَكَّنَ الصَّيْمَرِيُّ وَأَسْفَهْدُوَسْتُ مِنَ الْعُبُورِ ، فَعَبَرُوا وَتَبِعَهُمْ أَصْحَابُهُمْ. |
| فَلَمَّا عَلِمَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بِعُبُورِ أَصْحَابِهِ عَادَ إِلَى مَكَانِهِ ، فَعَلِمُوا بِحِيلَتِهِ ، فَلَقِيَهُمْ يَنَالُ كُوشَةَ فِي جَمَاعَةِ أَصْحَابِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، فَهَزَمُوهُ وَاضْطَرَبَ عَسْكَرُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، وَمَلَكَ الدَّيْلَمُ الْجَانِبَ الشَّرْقِيَّ ، وَأُعِيدَ الْخَلِيفَةَ إِلَى دَارِهِ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَغَنِمَ الدَّيْلَمُ وَنَهَبُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِبَغْدَاذَ ، فَكَانَ مِقْدَارُ مَا غَنَمُوهُ وَنَهَبُوهُ مِنْ أَمْوَالِ الْمَعْرُوفِينَ دُونَ غَيْرِهِمْ عَشَرَةَ آلَافِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَأَمَرَهُمْ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بِرَفْعِ السَّيْفِ وَالْكَفِّ عَنِ النَّهْبِ ، وَأَمَّنَ النَّاسَ فَلَمْ يَنْتَهُوا ، فَأَمَرَ وَزِيرَهُ أَبَا جَعْفَرٍ الصَّيْمَرِيَّ ، فَرَكِبَ وَقَتَلَ وَصَلَبَ جَمَاعَةً ، وَطَافَ بِنَفْسِهِ فَامْتَنَعُوا. |
| وَاسْتَقَرَّ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بِبَغْدَاذَ ، وَأَقَامَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ بِعُكْبَرَا ، وَأَرْسَلَ فِي الصُّلْحِ بِغَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْأَتْرَاكِ التُّوزُونِيَّةِ ، فَهَمُّوا بِقَتْلِهِ ، فَسَارَ عَنْهُمْ مُجِدًّا نَحْوَ الْمَوْصِلِ. |
| ثُمَّ اسْتَقَرَّ الصُّلْحُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . |
| ذِكْرُ وَفَاةِ الْقَائِمِ وَوَلَايَةِ الْمَنْصُورِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ الْعَلَوِيُّ صَاحِبُ إِفْرِيقِيَّةَ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ شَوَّالٍ ، وَقَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ ابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ وَتُلُقِّبَ الْمَنْصُورُ بِاللَّهِ ، وَكَتَمَ مَوْتَهُ خَوْفًا أَنْ يَعْلَمَ بِذَلِكَ أَبُو يَزِيدَ ، وَهُوَ بِالْقُرْبِ مِنْهُ عَلَى سُوسَةَ ، وَأَبْقَى الْأُمُورَ عَلَى حَالِهَا ، وَلَمْ يَتَسَمَّ بِالْخَلِيفَةِ ، وَلَمْ يُغَيِّرِ السِّكَّةَ ، وَلَا الْخُطْبَةَ ، وَلَا الْبُنُودَ ، وَبَقِيَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ فَرَغَ مِنْ أَمْرِ أَبِي يَزِيدَ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ أَظْهَرَ مَوْتَهُ ، وَتَسَمَّى بِالْخِلَافَةِ ، وَعَمِلَ آلَاتِ الْحَرْبِ وَالْمَرَاكِبِ ، وَكَانَ شَهْمًا شُجَاعًا وَضَبَطَ الْمُلْكَ وَالْبِلَادَ. |
| ذِكْرُ أَقَطَاعِ الْبِلَادِ وَتَخْرِيبِهَا فِيهَا شَغَبَ الْجُنْدُ عَلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ ، وَأَسْمَعُوهُ الْمَكْرُوهَ ، فَضَمِنَ لَهُمْ إِيصَالَ أَرْزَاقِهِمْ فِي مُدَّةٍ ذَكَرَهَا لَهُمْ ، فَاضْطُرَّ إِلَى خَبْطِ النَّاسِ ، وَأَخْذِ الْأَمْوَالِ مِنْ غَيْرِ وُجُوهِهَا ، وَأَقْطَعَ قُوَّادَهُ وَأَصْحَابَهُ الْقُرَى جَمِيعَهَا الَّتِي لِلسُّلْطَانِ وَأَصْحَابِ الْأَمْلَاكِ ، فَبَطَلَ لِذَلِكَ أَكْثَرُ الدَّوَاوِينِ ، وَزَالَتْ أَيْدِي الْعُمَّالِ ، وَكَانَتِ الْبِلَادُ قَدْ خَرِبَتْ مِنَ الِاخْتِلَافِ ، وَالْغَلَاءِ ، وَالنَّهْبِ ، فَأَخَذَ قُوَّادُهُ الْقُرَى الْعَامِرَةَ ، وَزَادَتْ عِمَارَتُهَا مَعَهُمْ ، وَتَوَفَّرَ دَخْلُهَا بِسَبَبِ الْجَاهِ ، فَلَمْ يُمْكِنْ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ الْعَوْدَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ. |
| وَأَمَّا الْأَتْبَاعُ فَإِنَّ الَّذِي أَخَذُوهُ ازْدَادَ خَرَابًا ، فَرَدُّوهُ وَطَلَبُوا الْعِوَضَ عَنْهُ ، فَعُوِّضُوا ، وَتَرَكَ الْأَجْنَادُ الِاهْتِمَامَ بِمَشَارِبِ الْقُرَى وَتَسْوِيَةِ طُرُقِهَا ، فَهَلَكَتْ وَبَطَلَ الْكَثِيرُ مِنْهَا. |
| وَأَخَذَ غِلْمَانُ الْمُقْطَعِينَ فِي ظُلْمِ وَتَحْصِيلِ الْعَاجِلِ ، فَكَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا عَجَزَ الْحَاصِلُ تَمَّمَهُ بِمُصَادَرَاتِهَا . |
| ثُمَّ إِنَّ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ فَوَّضَ حِمَايَةَ كُلِّ مَوْضِعٍ إِلَى بَعْضِ أَكَابِرِ أَصْحَابِهِ فَاتَّخَذَهُ مَسْكَنًا وَأَطْمَعَهُ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمُ الْإِخْوَةُ ، وَصَارَ الْقُوَّادُ يَدَّعُونَ الْخَسَارَةَ فِي الْحَاصِلِ ، فَلَا يَقْدِرُ وَزِيرُهُ وَلَا غَيْرُهُ عَلَى تَحْقِيقِ ذَلِكَ ، فَإِنِ اعْتَرَضَهُمْ مُعْتَرِضٌ صَارُوا أَعْدَاءً لَهُ ، فَتُرِكُوا وَمَا يُرِيدُونَ ، فَازْدَادَ طَمَعُهُمْ ، وَلَمْ يَقِفُوا عِنْدَ غَايَةٍ ، فَتَعَذَّرَ عَلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ جَمْعُ ذَخِيرَةٍ تَكُونُ لِلنَّوَائِبِ وَالْحَوَادِثِ ، وَأَكْثَرَ مِنْ إِعْطَاءِ غِلْمَانِهِ الْأَتْرَاكِ وَالزِّيَادَةِ لَهُمْ فِي الْأَقْطَاعِ ، فَحَسَدَهُمُ الدَّيْلَمُ وَتَوَلَّدَ مِنْ ذَلِكَ الْوَحْشَةُ وَالْمُنَافَرَةُ ، فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ مَا نَذْكُرُهُ. |
| ذِكْرُ مَوْتِ الْإِخْشِيدِ وَمِلْكِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ دِمَشْقَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي ذِي الْحِجَّةِ ، مَاتَ الْإِخْشِيدُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ طُغْجَ صَاحِبُ دِيَارِ مِصْرَ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ بِبَغْدَاذَ ، وَكَانَ مَوْتُهُ بِدِمَشْقَ ، وَقِيلَ مَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَوَلِيَ الْأَمْرَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو الْقَاسِمِ أَنُوجُورُ ، فَاسْتَوْلَى عَلَى الْأَمْرِ كَافُورٌ الْخَادِمُ الْأَسْوَدُ ، وَهُوَ مِنْ خَدَمِ الْإِخْشِيدِ ، وَغَلَبَ أَبَا الْقَاسِمَ وَاسْتَضْعَفَهُ وَتَفَرَّدَ بِالْوَلَايَةِ ، وَكَافُورٌ هَذَا هُوَ الَّذِي مَدَحَهُ الْمُتَنَبِّي ثُمَّ هَجَاهُ. |
| وَكَانَ أَبُو الْقَاسِمِ صَغِيرًا ، وَكَانَ كَافُورٌ أَتَابِكَهُ ، فَلِهَذَا اسْتَضْعَفَهُ وَحَكَمَ عَلَيْهِ ، فَسَارَ كَافُورٌ إِلَى مِصْرَ ، فَقَصَدَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ دِمَشْقَ ، فَمَلَكَهَا وَأَقَامَ بِهَا ، فَاتَّفَقَ أَنَّهُ كَانَ يَسِيرُ هُوَ وَالشَّرِيفُ الْعَقِيلِيُّ بِنَوَاحِي دِمَشْقَ ، فَقَالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ مَا تَصْلُحُ هَذِهِ الْغُوطَةُ إِلَّا لِرَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَقَالَ لَهُ الْعَقِيلِيُّ هِيَ لِأَقْوَامٍ كَثِيرَةٍ ، فَقَالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ لَئِنْ أَخَذَتْهَا الْقَوَانِينُ السُّلْطَانِيَّةُ لَيَنْبَرُونَ مِنْهَا ، فَأَعْلَمَ الْعَقِيلِيُّ أَهْلَ دِمَشْقَ بِذَلِكَ ، فَكَاتَبُوا كَافُورًا يَسْتَدْعُونَهُ ، فَجَاءَهُمْ ، فَأَخْرَجُوا سَيْفَ الدَّوْلَةِ عَنْهُمْ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ أَنُوجُورُ مَعَ كَافُورٍ ، فَتَبِعُوا سَيْفَ الدَّوْلَةِ إِلَى حَلَبَ ، فَخَافَهُمْ سَيْفُ الدَّوْلَةِ فَعَبَرَ إِلَى الْجَزِيرَةِ ، وَأَقَامَ أَنُوجُورُ عَلَى حَلَبَ ، ثُمَّ اسْتَقَرَّ الْأَمْرُ بَيْنَهُمَا ، وَعَادَ أَنُوجُورُ إِلَى مِصْرَ وَعَادَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ إِلَى حَلَبَ ، وَأَقَامَ كَافُورٌ بِدِمَشْقَ يَسِيرًا وَوَلِيَ عَلَيْهَا بَدْرٌ الْإِخْشِيدِيُّ ، وَيُعْرَفُ بِبُدَيرٍ ، وَعَادَ إِلَى مِصْرَ ، فَبَقِيَ بُدَيْرٌ عَلَى دِمَشْقَ سَنَةً ، ثُمَّ وَلِيَهَا أَبُو الْمُظَفَّرِ بْنُ طُغْجَ وَقَبَضَ عَلَى بُدَيْرٍ. |
| ذِكْرُ مُخَالِفَةِ أَبِي عَلِيٍّ عَلَى الْأَمِيرِ نُوحٍ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ خَالَفَ أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُحْتَاجٍ عَلَى الْأَمِيرِ نُوحٍ ، صَاحِبِ خُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ لَمَّا عَادَ مِنْ مَرْوَ إِلَى نَيْسَابُورَ وَتَجَهَّزَ لِلْمَسِيرِ إِلَى الرَّيِّ ، أَنْفَذَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ نُوحٌ عَارِضًا يَسْتَعْرِضُ الْعَسْكَرَ ، فَأَسَاءَ الْعَارِضُ السِّيرَةَ مَعَهُمْ ، وَأَسْقَطَ مِنْهُمْ وَنَقَصَ ، فَنَفَرَتْ قُلُوبُهُمْ ، فَسَارُوا وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ وَانْضَافَ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ نُوحًا أَنَفَذَ مَعَهُمْ مَنْ يَتَوَلَّى أَعْمَالَ الدِّيوَانِ ، وَجَعَلَ إِلَيْهِ الْحَلَّ وَالْعَقْدَ وَالْإِطْلَاقَ بَعْدَ أَنْ كَانَ جَمِيعُهُ أَيَّامَ السَّعِيدِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ ، فَنَفَرَ قَلْبُهُ لِذَلِكَ ، ثُمَّ إِنَّهُ عُزِلَ عَنْ خُرَاسَانَ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا إِبْرَاهِيمَ بْنَ سِيمَجُورَ كَمَا ذَكَرْنَاهُ . |
| ثُمَّ إِنَّ الْمُتَوَلِّيَ أَسَاءَ إِلَى الْجُنْدِ فِي مُعَامَلَاتِهِمْ وَحَوَائِجِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ ، فَازْدَادُوا نُفُورًا ، فَشَكَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، وَهُمْ إِذْ ذَاكَ بِهَمَذَانَ ، وَاتَّفَقَ رَأْيُهُمْ عَلَى مُكَاتَبَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَمِّ نُوحٍ ، وَاسْتِقْدَامِهِ إِلَيْهِمْ وَمُبَايَعَتِهِ وَتَمْلِيكِهِ الْبِلَادَ. |
| وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ حِينَئِذٍ بِالْمَوْصِلِ فِي خِدْمَةِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ سَبَبُ مَسِيرِهِ إِلَيْهَا مَا ذَكَرْنَاهُ قَبْلُ ، فَلَمَّا اتَّفَقُوا عَلَى ذَلِكَ أَظْهَرُوا عَلَيْهِ أَبَا عَلِيٍّ ، فَنَهَاهُمْ عَنْهُ ، فَتَوَعَّدُوهُ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ إِنْ خَالَفَهُمْ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا ، فَكَاتَبُوا إِبْرَاهِيمَ وَعَرَّفُوهُ حَالَهُمْ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ فِي تِسْعِينَ فَارِسًا ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ فِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَلَقِيَهُ أَبُو عَلِيٍّ بِهَمَذَانَ وَسَارُوا مَعَهُ إِلَى الرَّيِّ فِي شَوَّالٍ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهَا اطَّلَعَ أَبُو عَلِيٍّ مِنْ أَخِيهِ الْفَضْلِ عَلَى كِتَابٍ كَتَبَهُ إِلَى الْأَمِيرِ نُوحٍ يُطْلِعُهُ عَلَى حَالِهِمْ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ وَعَلَى ذَلِكَ الْمُتَوَلِّي الَّذِي أَسَاءَ إِلَى الْجُنْدِ ، وَسَارَ إِلَى نَيْسَابُورَ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الرَّيِّ وَالْجَبَلِ نُوَّابَهُ. |
| وَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى الْأَمِيرِ نُوحٍ ، فَتَجَهَّزَ وَسَارَ إِلَى مَرْوَ مِنْ بُخَارَى ، وَكَانَ الْأَجْنَادُ قَدْ مَلُّوا مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْحَاكِمِ الْمُتَوَلِّي لِلْأُمُورِ لِسُوءِ سِيرَتِهِ ، فَقَالُوا لِنُوحٍ إِنَّ الْحَاكِمَ أَفْسَدَ عَلَيْكَ الْأُمُورَ بِخُرَاسَانَ ، وَأَحْوَجَ أَبَا عَلِيٍّ إِلَى الْعِصْيَانِ ، وَأَوْحَشَ الْجُنُودَ ، وَطَلَبُوا تَسْلِيمَهُ إِلَيْهِمْ ، وَإِلَّا سَارُوا إِلَى عَمِّهِ إِبْرَاهِيمَ وَأَبِي عَلِيٍّ ، فَسَلَّمَهُ إِلَيْهِمْ ، فَقَتَلُوهُ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . |
| وَلَمَّا وَصَلَ أَبُو عَلِيٍّ إِلَى نَيْسَابُورَ ، كَانَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سِيمَجُورَ ، وَمَنْصُورُ بْنُ قَرَاتَكِينَ ، وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْقُوَّادِ ، فَاسْتَمَالَهُمَا أَبُو عَلِيٍّ ، فَمَالَا إِلَيْهِ وَصَارَا مَعَهُ ، وَدَخَلَهَا فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، ثُمَّ ظَهَرَ لَهُ مِنْ مَنْصُورٍ مَا يَكْرَهُ فَقَبَضَ عَلَيْهِ. |
| ثُمَّ سَارَ أَبُو عَلِيٍّ وَإِبْرَاهِيمُ مِنْ نَيْسَابُورَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ إِلَى مَرْوَ ، وَبِهَا الْأَمِيرُ نُوحٌ ، فَهَرَبَ الْفَضْلُ أَخُو أَبِي عَلِيٍّ مِنْ مَحْبَسِهِ ، احْتَالَ عَلَى الْمُوَكَّلِينَ بِهِ وَهَرَبَ إِلَى قُوهِسْتَانَ فَأَقَامَ بِهَا ، وَسَارَ أَبُو عَلِيٍّ إِلَى مَرْوَ ، فَلَمَّا قَارَبَهَا أَتَاهُ كَثِيرٌ مِنْ عَسْكَرِ نُوحٍ ، وَسَارَ نُوحٌ عَنْهَا إِلَى بُخَارَى ، وَاسْتَوْلَى أَبُو عَلِيٍّ عَلَى مَرْوَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا ، وَأَتَاهُ أَكْثَرُ أَجْنَادِ نُوحٍ وَسَارَ نَحْوَ بُخَارَى ، وَعَبَرَ النَّهْرَ إِلَيْهَا ، فَفَارَقَهَا نُوحٌ وَسَارَ إِلَى سَمَرْقَنْدَ ، وَدَخَلَ أَبُو عَلِيٍّ بُخَارَى فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَخَطَبَ فِيهَا لِإِبْرَاهِيمَ الْعَمِّ ، وَبَايَعَ لَهُ النَّاسُ. |
| ثُمَّ إِنَّ أَبَا عَلِيٍّ اطَّلَعَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَى سُوءٍ قَدْ أَضْمَرَهُ لَهُ ، فَفَارَقَهُ وَسَارَ إِلَى تِرْكِسْتَانَ ، وَبَقِيَ إِبْرَاهِيمُ فِي بُخَارَى ، وَفِي خِلَالِ ذَلِكَ أَطْلَقَ أَبُو عَلِيٍّ مَنْصُورَ بْنَ قَرَاتَكِينَ ، فَسَارَ إِلَى الْأَمِيرِ نُوحٍ. |
| ثُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَافَقَ جَمَاعَةً فِي السِّرِّ عَلَى أَنْ يَخْلَعَ نَفْسَهُ مِنَ الْأَمْرِ وَيَرُدَّهُ إِلَى وَلَدِ أَخِيهِ الْأَمِيرِ نُوحٍ ، وَيَكُونَ هُوَ صَاحِبَ جَيْشِهِ ، وَيَتَّفِقَ مَعَهُ عَلَى قَصْدِ أَبِي عَلِيٍّ ، وَدَعَا أَهْلَ بُخَارَى إِلَى ذَلِكَ ، فَأَجَابُوهُ وَاجْتَمَعُوا وَخَرَجُوا إِلَى أَبِي عَلِيٍّ وَقَدْ تَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، وَرَكِبَ إِلَيْهِمْ فِي خَيْلٍ ، فَرَدَّهُمْ إِلَى الْبَلَدِ أَقْبَحَ رَدٍّ ، وَأَرَادَ إِحْرَاقَ الْبَلَدِ ، فَشَفَعَ إِلَيْهِ مَشَايِخُ بُخَارَى ، فَعَفَا عَنْهُمْ وَعَادَ إِلَى مَكَانِهِ ، وَاسْتَحْضَرَ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ ، وَهُوَ أَخُو الْأَمِيرِ نُوحٍ ، وَعَقَدَ لَهُ الْإِمَارَةَ وَبَايَعَ لَهُ ، وَخَطَبَ لَهُ فِي النَّوَاحِي كُلِّهَا. |
| ثُمَّ ظَهَرَ لِأَبِي عَلِيٍّ فَسَادَ نِيَّاتِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْجُنْدِ ، فَرَتَّبَ أَبَا جَعْفَرٍ فِي الْبَلَدِ ، وَرَتَبَ مَا يَجِبُ تَرْتِيبُهُ ، وَخَرَجَ عَنِ الْبَلَدِ يُظْهِرُ الْمَسِيرَ إِلَى سَمَرْقَنْدَ ، وَيُضْمِرُ الْعَوْدَ إِلَى الصَّغَانِيَانِ ، وَمِنْهَا إِلَى نَسْفَ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْبَلَدِ ، رَدَّ جَمَاعَةً مِنَ الْجُنْدِ وَالْحَشَمِ إِلَى بُخَارَى ، وَكَاتَبَ نُوحًا بِإِفْرَاجِهِ عَنْهَا. |
| ثُمَّ سَارَ إِلَى الصَّغَانِيَانِ فِي شَعْبَانَ ، وَلَمَّا فَارَقَ أَبُو عَلِيٍّ بُخَارَى ، خَرَجَ إِبْرَاهِيمُ وَأَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ إِلَى سَمَرْقَنْدَ مُسْتَأْمِنِينَ إِلَى نُوحٍ ، مَظْهِرِينَ النَّدَمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ ، فَقَرَّبَهُمْ وَقَبِلَهُمْ وَوَعَدَهُمْ وَعَادَ إِلَى بُخَارَى فِي رَمَضَانَ ، وَقَتَلَ نُوحٌ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ طَغَانَ الْحَاجِبَ ، وَسَمَلَ عَمَّهُ إِبْرَاهِيمَ ، وَأَخَوَيْهِ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدًا وَأَحْمَدَ ، وَعَادَتِ الْجُيُوشُ فَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ وَالْأَجْنَادُ ، وَأَصْلَحَ الْفَسَادَ. |
| وَأَمَّا الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَخُو أَبِي عَلِيٍّ فَإِنَّهُ لَمَّا هَرَبَ مِنْ أَخِيهِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَلَحِقَ بِقُوهِسْتَانَ ، جَمَعَ جَمْعًا كَثِيرًا وَسَارَ نَحْوَ نَيْسَابُورَ ، وَبِهَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ مِنْ قِبَلِ أَبِي عَلِيٍّ ، فَخَرَجَ مِنْهَا الْفَضْلُ ، فَالْتَقَيَا وَتَحَارَبَا ، فَانْهَزَمَ الْفَضْلُ وَمَعَهُ فَارِسٌ وَاحِدٌ ، فَلَحِقَ بِبُخَارَى ، فَأَكْرَمَهُ الْأَمِيرُ نُوحٌ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَقَامَ فِي خِدْمَتِهِ. |
| ذِكْرُ اسْتِعْمَالِ مَنْصُورِ بْنِ قَرَاتَكِينَ عَلَى خُرَاسَانَ لَمَّا عَادَ الْأَمِيرُ نُوحٌ إِلَى بُخَارَى وَأَصْلَحَ الْبِلَادَ ، وَكَانَ أَبُو عَلِيٍّ بِالصَّغَانِيَانِ ، وَبِمَرْوَ أَبُو أَحْمَدَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْقَزْوِينِيُّ ، فَرَأَى نُوحٌ أَنْ يَجْعَلَ مَنْصُورَ بْنَ قَرَاتَكِينَ عَلَى جُيُوشِ خُرَاسَانَ ، فَوَلَّاهُ ذَلِكَ ، وَسَيَّرَهُ إِلَى مَرْوَ وَبِهَا أَبُو أَحْمَدَ ، وَقَدْ غَوَّرَ الْمَنَاهِلَ مَا بَيْنَ آمُلَ وَمَرْوَ ، وَوَافَقَ أَبَا عَلِيٍّ ثُمَّ تَخَلَّى عَنْهُ. |
| وَسَارَ إِلَيْهِ مَنْصُورٌ جَرِيدَةً فِي أَلْفَيْ فَارِسٍ ، فَلَمْ يَشْعُرِ الْقَزْوِينِيُّ إِلَّا بِنُزُولِ مَنْصُورٍ بِكُشْمَاهِنَ عَلَى خَمْسَةِ فَرَاسِخَ مِنْ مَرْوَ ، وَاسْتَوْلَى مَنْصُورٌ عَلَى مَرْوَ ، وَاسْتَقْبَلَهُ أَبُو أَحْمَدَ الْقَزْوِينِيُّ فَأَكْرَمَهُ ، وَسَيَّرَهُ إِلَى بُخَارَى مَعَ مَالِهِ وَأَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا بَلَغَهَا أَكْرَمَهُ الْأَمِيرُ نُوحٌ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ إِلَّا أَنَّهُ وَكَّلَ بِهِ ، فَظَفِرَ بَعْضَ الْأَيَّامِ بِرُقْعَةٍ قَدْ كَتَبَهَا الْقَزْوِينِيُّ بِمَا أَنْكَرَهُ ، فَأَحْضَرَهُ وَبَكَّتَهُ بِذُنُوبِهِ ثُمَّ قَتَلَهُ. |
| ذِكْرُ مُصَالَحَةِ أَبِي عَلِيٍّ مَعَ نُوحٍ ثُمَّ إِنَّ أَبَا عَلِيٍّ أَقَامَ بِالصَّغَانِيَانِ ، فَبَلَغَهُ أَنَّ الْأَمِيرَ نُوحًا قَدْ عَزَمَ عَلَى تَسْيِيرِ عَسْكَرٍ إِلَيْهِ ، فَجَمَعَ أَبُو عَلِيٍّ الْجُيُوشَ وَخَرَجَ إِلَى بَلْخَ وَأَقَامَ بِهَا ، وَأَتَاهُ رَسُولُ الْأَمِيرِ نُوحٍ فِي الصُّلْحِ ، فَأَجَابَ إِلَيْهِ ، فَأَبَى عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِمَّنْ مَعَهُ مِنْ قُوَّادِ نُوحٍ الَّذِينَ انْتَقَلُوا إِلَيْهِ ، وَقَالُوا نُحِبُّ أَنْ تَرُدَّنَا إِلَى مَنَازِلِنَا ، ثُمَّ صَالَحَ ، فَخَرَجَ أَبُو عَلِيٍّ نَحْوَ بُخَارَى ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ نُوحٌ فِي عَسَاكِرِهِ ، وَجَعَلَ الْفَضْلَ بْنَ مُحَمَّدٍ أَخَا أَبِي عَلِيٍّ صَاحِبَ جَيْشِهِ ، فَالْتَقَوْا بِجُرْجِيكَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَتُحَارَبُوا قُبَيْلَ الْعَصْرِ ، فَاسْتَأْمَنَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْحَسَنِ الدَّاعِيَ إِلَى نُوحٍ ، وَتَفَرَّقَ الْعَسْكَرُ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ ، فَانْهَزَمَ وَرَجَعَ إِلَى الصَّغَانِيَانِ. |
| ثُمَّ بَلَغَهُ أَنَّ الْأَمِيرَ نُوحًا قَدْ أَمَرَ الْعَسَاكِرَ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِ مِنْ بُخَارَى وَبَلْخَ وَغَيْرِهِمَا ، وَأَنَّ صَاحِبَ الْخُتَّلِ قَدْ تَجَهَّزَ لِمُسَاعَدَةِ أَبِي عَلِيٍّ ، فَسَارَ أَبُو عَلِيٍّ فِي جَيْشِهِ إِلَى تِرْمِذَ ، وَعَبَرَ جَيْحُونَ ، وَسَارَ إِلَى بَلْخَ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا وَعَلَى طَخَارِسْتَانَ ، وَجَبَى مَالَ تِلْكَ النَّاحِيَةِ. |
| وَسَارَ مِنْ بُخَارَى عَسْكَرٌ جَرَّارٌ إِلَى الصَّغَانِيَانِ ، فَأَقَامُوا بِنَسْفَ وَمَعَهُمُ الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَخُو أَبِي عَلِيٍّ ، فَكَتَبَ جَمَاعَةٌ مِنْ قُوَّادِ الْعَسْكَرِ إِلَى الْأَمِيرِ نُوحٍ بِأَنَّ الْفَضْلَ قَدِ اتَّهَمُوهُ بِالْمَيْلِ إِلَى أَخِيهِ ، فَأَمَرَهُمْ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ ، فَقَبَضُوا عَلَيْهِ وَسَيَّرُوهُ إِلَى بُخَارَى. |
| وَبَلَغَ خَبَرُ الْعَسْكَرِ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ ، وَهُوَ بِطَخَارِسْتَانَ ، فَعَادَ إِلَى الصَّغَانِيَانِ وَوَقَعَتْ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِمْ أَبُو عَلِيٍّ فِي الْعَلُوفَةِ ، فَانْتَقَلُوا إِلَى قَرْيَةٍ أُخْرَى عَلَى فَرْسَخَيْنِ مِنَ الصَّغَانِيَانِ ، فَقَاتَلَهُمْ أَبُو عَلِيٍّ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَقَهَرُوهُ ، وَسَارَ إِلَى شُومَانَ وَهِيَ عَلَى سِتَّةَ عَشَرَ فَرْسَخًا مِنَ الصَّغَانِيَانِ ، وَدَخَلَ عَسْكَرُ نُوحٍ إِلَى الصَّغَانِيَانِ ، فَأَخْرَبُوا قُصُورَ أَبِي عَلِيٍّ وَمَسَاكِنَهُ ، وَتَبِعُوا أَبَا عَلِيٍّ ، فَعَادَ إِلَيْهِمْ وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْكَتِيبَةُ ، وَضَيَّقَ عَلَى عَسْكَرِ نُوحٍ ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمَسَالِكَ ، فَانْقَطَعَتْ عَنْهُمْ أَخْبَارُ بُخَارَى ، وَأَخْبَارُهُمْ عَنْ بُخَارَى نَحْوَ عِشْرِينَ يَوْمًا ، فَأَرْسَلُوا إِلَى أَبِي عَلِيٍّ يَطْلُبُونَ الصُّلْحَ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَيْهِ وَاتَّفَقُوا عَلَى إِنْفَاذِ ابْنِهِ أَبِي الْمُظَفَّرِ عَبْدِ اللَّهِ رَهِينَةً إِلَى الْأَمِيرِ نُوحٍ ، وَاسْتَقَرَّ الصُّلْحُ بَيْنَهُمَا فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. |
| وَسَيَّرَ ابْنَهُ إِلَى بُخَارَى ، فَأَمَرَ نُوحٌ بِاسْتِقْبَالِهِ ، فَأَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ قَدْ دَخَلَ إِلَيْهِ بِعِمَامَةٍ ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ الْقَلَنْسُوَةَ ، وَجَعَلَهُ مِنْ نُدَمَائِهِ ، وَزَالَ الْخُلْفُ. |
| وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَذْكُرَ هَذِهِ الْحَوَادِثَ فِي السِّنِينَ الَّتِي هِيَ فِيهَا كَانَتْ ، وَإِنَّمَا أَوْرَدْنَاهَا مُتَتَابِعَةً فِي هَذِهِ السَّنَةِ لِئَلَّا يَتَفَرَّقُ ذِكْرُهَا. |
| هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ أَصْحَابُ التَّوَارِيخِ مِنَ الْخُرَاسَانِيِّينَ ، وَقَدْ ذَكَرَ الْعِرَاقِيُّونَ هَذِهِ الْحَوَادِثَ عَلَى غَيْرِ هَذِهِ السِّيَاقَةِ ، وَأَهْلُ كُلِّ بَلَدٍ أَعْلَمُ بِأَحْوَالِهِمْ ، وَنَحْنُ نَذْكُرُ مَا ذَكَرَهُ الْعِرَاقِيُّونَ مُخْتَصَرًا ، قَالُوا إِنَّ أَبَا عَلِيٍّ لَمَّا سَارَ نَحْوَ الرَّيِّ فِي عَسَاكِرِ خُرَاسَانَ ، كَتَبَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ إِلَى أَخِيهِ عِمَادِ الدَّوْلَةِ يَسْتَمِدُّهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ بِمُفَارَقَةِ الرَّيِّ وَالْوُصُولِ إِلَيْهِ لِتَدْبِيرٍ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَفَعَلَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ ذَلِكَ. |
| وَدَخَلَ أَبُو عَلِيٍّ الرَّيَّ ، فَكَتَبَ عِمَادُ الدَّوْلَةِ إِلَى نُوحٍ سِرًّا يَبْذُلُ لَهُ فِي الرَّيِّ فِي كُلِّ سَنَةٍ زِيَادَةً عَلَى مَا بَذَلَهُ أَبُو عَلِيٍّ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَيُعَجِّلُ ضَمَانَ سَنَةٍ ، وَيَبْذُلُ مِنْ نَفْسِهِ مُسَاعَدَتَهُ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ حَتَّى يَظْفَرَ بِهِ وَخَوَّفَهُ مِنْهُ ، فَاسْتَشَارَ نُوحٌ أَصْحَابَهُ ، وَكَانُوا يَحْسُدُونَ أَبَا عَلِيٍّ وَيُعَادُونَهُ ، فَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِإِجَابَتِهِ ، فَأَرْسَلَ نُوحٌ إِلَى ابْنِ بُوَيْهِ مَنْ يُقَرِّرُ الْقَاعِدَةَ وَيَقْبِضُ الْمَالَ ، فَأَكْرَمَ الرَّسُولَ وَوَصَلَهُ بِمَالٍ جَزِيلٍ ، وَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ يُعْلِمُهُ خَبَرَ هَذِهِ الرِّسَالَةِ ، وَأَنَّهُ مُقِيمٌ عَلَى عَهْدِهِ وَوُدِّهِ ، وَحَذَّرَهُ مِنْ غَدْرِ الْأَمِيرِ نُوحٍ ، فَأَنْفَذَ أَبُو عَلِيٍّ رَسُولَهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ بِالْمَوْصِلِ يَسْتَدْعِيهِ لِيُمَلِّكَهُ الْبِلَادَ ، فَسَارَ إِبْرَاهِيمُ ، فَلَقِيَهُ أَبُو عَلِيٍّ بِهَمَذَانَ ، وَسَارُوا إِلَى خُرَاسَانَ. |
| وَكَتَبَ عِمَادُ الدَّوْلَةِ إِلَى أَخِيهِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ يَأْمُرُهُ بِالْمُبَادَرَةِ إِلَى الرَّيِّ ، فَعَادَ إِلَيْهِ ، وَاضْطَرَبَتْ خُرَاسَانُ ، وَرَدَّ عِمَادُ الدَّوْلَةِ رَسُولَ نُوحٍ بِغَيْرِ مَالٍ ، وَقَالَ أَخَافُ أَنْ أُنْفِذَ الْمَالَ فَيَأْخُذَهُ أَبُو عَلِيٍّ ، وَأَرْسَلَ إِلَى نُوحٍ يُحَذِّرُهُ مِنْ أَبِي عَلِيٍّ وَيَعِدُهُ الْمُسَاعَدَةَ عَلَيْهِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ يَعِدُهُ بِإِنْفَاذِ الْعَسَاكِرِ نَجْدَةً لَهُ ، وَيُشِيرُ عَلَيْهِ بِسُرْعَةِ اللِّقَاءِ ، وَإِنَّ نُوحًا سَارَ فَالْتَقَى هُوَ وَأَبُو عَلِيٍّ بِنَيْسَابُورَ ، فَانْهَزَمَ نُوحٌ وَعَادَ إِلَى سَمَرْقَنْدَ ، وَاسْتَوْلَى أَبُو عَلِيٍّ عَلَى بُخَارَى ، وَإِنَّ أَبَا عَلِيٍّ اسْتَوْحَشَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ فَانْقَبَضَ عَنْهُ. |
| وَجَمَعَ نُوحٌ الْعَسَاكِرَ وَعَادَ إِلَى بُخَارَى ، وَحَارَبَ عَمَّهُ إِبْرَاهِيمَ ، فَلَمَّا الْتَقَى الصَّفَّانِ ، عَادَ جَمَاعَةٌ مِنْ قُوَّادِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى نُوحٍ ، وَانْهَزَمَ الْبَاقُونَ ، وَأُخِذَ إِبْرَاهِيمُ أَسِيرًا ، فَسُمِلَ هُوَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، سَمَلَهُمْ نُوحٌ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اصْطَلَحَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ وَأَبُو الْقَاسِمِ الْبَرِيدِيُّ ، وَضَمِنَ أَبُو الْقَاسِمِ مَدِينَةَ وَاسِطَ وَأَعْمَالَهَا مِنْهُ. |
| وَفِيهَا اشْتَدَّ الْغَلَاءُ بِبَغْدَادَ حَتَّى أَكَلَ النَّاسُ الْمَيْتَةَ ، وَالْكِلَابَ ، وَالسَّنَانِيرَ ، وَأُخِذَ بَعْضُهُمْ وَمَعَهُ صَبِيٌّ قَدْ شَوَاهُ لِيَأْكُلَهُ ، وَأَكَلَ النَّاسُ خَرُّوبَ الشَّوْكِ فَأَكْثَرُوا مِنْهُ ، وَكَانُوا يَسْلُقُونَ حَبَّهُ وَيَأْكُلُونَهُ ، فَلِحَقَ النَّاسَ أَمْرَاضٌ وَأَوْرَامٌ فِي أَحْشَائِهِمْ ، وَكَثُرَ فِيهِمُ الْمَوْتُ ، حَتَّى عَجَزَ النَّاسُ عَنْ دَفْنِ الْمَوْتَى ، فَكَانَتِ الْكِلَابُ تَأْكُلُ لُحُومَهُمْ ، وَانْحَدَرَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ بَغْدَاذَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَمَاتَ أَكْثَرُهُمْ فِي الطَّرِيقِ ، وَمَنْ وَصَلَ مِنْهُمْ ، مَاتَ بَعْدَ مُدَيْدَةٍ يَسِيرَةٍ ، وَبِيعَتِ الدُّورُ وَالْعَقَارُ بِالْخُبْزِ ، فَلَمَّا دَخَلَتِ الْغَلَّاتُ انْحَلَّ السِّعْرُ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى بْنِ دَاوُدَ بْنِ الْجَرَّاحِ الْوَزِيرُ وَلَهُ تِسْعُونَ سَنَةً ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ أَخْبَارِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى دِينِهِ وَكِفَايَتِهِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْقَاسِمِ عُمَرُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخِرَقِيُّ الْفَقِيهُ الْحَنْبَلِيُّ بِبَغْدَاذَ. |
| وَأَبُو بَكْرٍ الشِّبْلِيُّ الصُّوفِيُّ ، تُوُفِّيَ فِي ذِي الْحِجَّةِ. |
| وَمُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، وَيُعْرَفُ بِابْنِ أَبِي مُوسَى الْحَنَفِيِّ ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي الْمُحَرَّمِ ، اسْتَقَرَّ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بِبَغْدَاذَ ، وَأَعَادَ الْمُطِيعَ لِلَّهِ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ بَعْدَ أَنِ اسْتَوْثَقَ مِنْهُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذَلِكَ مُفَصَّلًا. |
| وَفِيهَا اصْطَلَحَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ وَنَاصِرُ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَتِ الرُّسُلُ تَتَرَدَّدُ بَيْنَهُمَا بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنَ الْأَتْرَاكِ التُّوزُونِيَّةِ ، وَكَانَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ نَازِلًا شَرْقِيَّ تَكْرِيتَ ، فَلَمَّا عَلِمَ الْأَتْرَاكُ بِذَلِكَ ثَارُوا بِنَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، فَهَرَبَ مِنْهُمْ وَعَبَرَ دِجْلَةَ إِلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ، فَنَزَلَ عَلَى مُلْهَمٍ وَالْقَرَامِطَةِ ، فَأَجَارُوهُ وَسَيَّرُوهُ وَمَعَهُ ابْنُ شَيْرَزَادَ إِلَى الْمَوْصِلِ. |
| ذِكْرُ حَرْبِ تِكِينَ وَنَاصِرِ الدَّوْلَةِ لَمَّا هَرَبَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ مِنَ الْأَتْرَاكِ وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ ، اتَّفَقُوا عَلَى تَأْمِيرِ تِكِينَ الشِّيرَازِيِّ ، وَقَبَضُوا عَلَى ابْنِ قُرَابَةَ ، وَعَلَى كُتَّابِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ وَمَنْ تَخَلَّفَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَقَبَضَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ عَلَى ابْنِ شَيْرَزَادَ عِنْدَ وُصُولِهِ إِلَى جُهَيْنَةَ ، وَلَمْ يَلْبَثْ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ بِالْمَوْصِلِ بَلْ سَارَ إِلَى نَصِيبِينَ ، وَدَخَلَ تِكِينُ وَالْأَتْرَاكُ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَسَارُوا فِي طَلَبِهِ ، فَمَضَى إِلَى سِنْجَارَ ، فَتَبِعَهُ تِكِينُ إِلَيْهَا ، فَسَارَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ مِنْ سِنْجَارَ إِلَى الْحَدِيثَةِ ، فَتَبِعَهُ تِكِينُ. |
| وَكَانَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ قَدْ كَتَبَ إِلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ يَسْتَصْرِخُهُ ، فَسَيَّرَ الْجُيُوشَ إِلَيْهِ ، فَسَارَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ مِنَ الْحَدِيثَةِ إِلَى السِّنِّ ، فَاجْتَمَعَ هُنَاكَ بِعَسْكَرِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَفِيهِمْ وَزِيرُهُ أَبُو جَعْفَرٍ الصَّيْمَرِيُّ ، وَسَارُوا بِأَسْرِهِمْ إِلَى الْحَدِيثَةِ لِقِتَالِ تِكِينَ ، فَالْتَقَوْا بِهَا ، وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَ تِكِينُ وَالْأَتْرَاكُ بَعْدَ أَنْ كَادُوا يَسْتَظْهِرُونَ ، فَلَمَّا انْهَزَمُوا ، تَبِعَهُمُ الْعَرَبُ مِنْ أَصْحَابِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، فَأَدْرَكُوهُمْ وَأَكْثَرُوا الْقَتْلَ فِيهِمْ ، وَأَسَرُوا تِكِينَ الشِّيرَازِيَّ وَحَمَلُوهُ إِلَى نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، فَسَمَلَهُ فِي الْوَقْتِ فَأَعْمَاهُ ، وَحَمَلَهُ إِلَى قَلْعَةٍ مِنْ قِلَاعِهِ فَسَجَنَهُ بِهَا. |
| وَسَارَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ وَالصَّيْمَرِيُّ إِلَى الْمَوْصِلِ فَنَزَلُوا شَرْقِيَّهَا ، وَرَكِبَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ إِلَى خَيْمَةِ الصَّيْمَرِيِّ ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَلَمْ يَعُدْ إِلَيْهِ. |
| فَحُكِيَ عَنْ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ أَنَّهُ قَالَ نَدِمْتُ حِينَ دَخَلْتُ خَيْمَتَهُ ، فَبَادَرْتُ وَخَرَجْتُ. |
| وَحُكِيَ عَنِ الصَّيْمَرِيِّ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا خَرَجَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ مِنْ عِنْدِي ، نَدِمْتُ حَيْثُ لَمْ أَقْبِضْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ تَسَلَّمَ الصَّيْمَرِيُّ بْنُ شَيْرَزَادَ مِنْ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ أَلْفَ كَرٍّ حِنْطَةً وَشَعِيرًا وَغَيْرَ ذَلِكَ. |
| ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ عَلَى الرَّيِّ لَمَّا كَانَ مِنْ عَسَاكِرِ خُرَاسَانَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الِاخْتِلَافِ ، وَعَادَ أَبُو عَلِيٍّ إِلَى خُرَاسَانَ ، رَجَعَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ إِلَى الرَّيِّ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا وَعَلَى سَائِرِ أَعْمَالِ الْجَبَلِ ، وَأَزَالَ عَنْهَا الْخُرَاسَانِيَّةَ ، وَعَظُمَ مُلْكُ بَنِي بُوَيْهِ ، فَإِنَّهُمْ صَارَ بِأَيْدِيهِمْ أَعْمَالُ الرَّيِّ ، وَالْجَبَلِ ، وَفَارِسَ ، وَالْأَهْوَازِ ، وَالْعِرَاقِ ، وَيُحْمَلُ إِلَيْهِمْ ضَمَانُ الْمَوْصِلِ ، وَدِيَارُ بَكْرٍ ، وَدِيَارُ مُضَرَ مِنَ الْجَزِيرَةِ . |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اخْتَلَفَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بْنُ بُوَيْهِ وَأَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْبَرِيدِيِّ وَالِي الْبَصْرَةِ ، فَأَرْسَلَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ جَيْشًا إِلَى وَاسِطَ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِمُ ابْنُ الْبَرِيدِيِّ جَيْشًا مِنَ الْبَصْرَةِ فِي الْمَاءِ وَعَلَى الظَّهْرِ ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ الْبَرِيدِيِّ ، وَأُسِرَ مِنْ أَعْيَانِهِمْ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ. |
| وَفِيهَا كَانَ الْفِدَاءُ بِالثُّغُورِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالرُّومِ عَلَى يَدِ نَصْرِ الثَّمَلِيِّ أَمِيرِ الثُّغُورِ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ ، وَكَانَ عِدَّةُ الْأَسْرَى أَلْفَيْنِ وَأَرْبَعِمِائَةِ أَسِيرٍ وَثَمَانِينَ أَسِيرًا مَنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَفَضَلَ لِلرُّومِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِائَتَانِ وَثَلَاثُونَ أَسِيرًا لِكَثْرَةِ مِنْ مَعَهُمْ مِنَ الْأَسْرَى ، فَوَفَّاهُمْ ذَلِكَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ. |
| وَفِيهَا فِي شَعْبَانَ ، قَبَضَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ عَلَى أَبِي إِسْحَاقَ مُحَمَّدٍ الْقَرَارِيطِيِّ ، وَكَانَ اسْتَكْتَبَهُ اسْتِظْهَارًا عَلَى أَبِي الْفَرَجِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ السُّرِّ مِنْ رَائِي ، وَاسْتَكْتَبَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ فَهْدٍ الْمَوْصِلِيَّ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَحْرٍ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْفَارِسِيُّ ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، فِي شَوَّالٍ ، ومُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ صُولٍ أَبُو بَكْرٍ الصُّولِيُّ ، وَكَانَ عَالِمًا بِفُنُونِ الْآدَابِ وَالْأَخْبَارِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ عَلَى الْبَصْرَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ وَمَعَهُ الْمُطِيعُ لِلَّهِ إِلَى الْبَصْرَةِ; لِاسْتِنْقَاذِهَا مِنْ يَدِ أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيِّ ، وَسَلَكُوا الْبَرِّيَّةَ إِلَيْهَا ، فَأَرْسَلَ الْقَرَامِطَةُ مِنْ هَجَرَ إِلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ يُنْكِرُونَ عَلَيْهِ مَسِيرَهُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ بِغَيْرِ أَمْرِهِمْ ، وَهِيَ لَهُمْ ، فَلَمْ يُجِبْهُمْ عَنْ كِتَابِهِمْ ، وَقَالَ لِلرَّسُولِ قُلْ لَهُمْ مَنْ أَنْتُمْ حَتَّى تَسْتَأْمِرُوا ، وَلَيْسَ قَصْدِي مِنْ أَخْذِ الْبَصْرَةِ غَيْرَكُمْ ، وَسَتَعْلَمُونَ مَا تَلْقَوْنَ مِنِّي. |
| وَلَمَّا وَصَلَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى الدَّرْهَمِيَّةِ ، اسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ عَسَاكِرُ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَرِيدِيِّ ، وَهَرَبَ أَبُو الْقَاسِمِ فِي الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخَرِ إِلَى هَجَرَ ، وَالْتَجَأَ إِلَى الْقَرَامِطَةِ ، وَمَلَكَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ الْبَصْرَةَ ، فَانْحَلَّتِ الْأَسْعَارُ بِبَغْدَاذَ انْحِلَالًا كَثِيرًا. |
| وَسَارَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى الْأَهْوَازِ لِيَلْقَى أَخَاهُ عِمَادَ الدَّوْلَةِ ، وَأَقَامَ الْخَلِيفَةُ وَأَبُو جَعْفَرٍ الصَّيْمَرِيُّ بِالْبَصْرَةِ ، وَخَالَفَ كُورَكِيرُ ، وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ الْقُوَّادِ ، عَلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ الصَّيْمَرِيُّ ، فَقَاتَلَهُ فَانْهَزَمَ كُورَكِيرُ وَأُخِذَ أَسِيرًا ، فَحَبَسَهُ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بِقَلْعَةِ رَامَهُرْمُزَ ، وَلَقِيَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ أَخَاهُ عِمَادَ الدَّوْلَةِ بِأَرَّجَانَ فِي شَعْبَانَ ، وَقَبَّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَكَانَ يَقِفُ قَائِمًا عِنْدَهُ ، فَيَأْمُرُهُ بِالْجُلُوسِ ، فَلَا يَفْعَلُ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَعَادَ الْمُطِيعُ أَيْضًا إِلَيْهَا ، وَأَظْهَرَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَسِيرَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، وَاسْتَقَرَّ الصُّلْحُ وَحُمِلَ الْمَالُ إِلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ فَسَكَتَ عَنْهُ. |
| ذِكْرُ مُخَالِفَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بِطُوسَ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بِطُوسَ وَأَعْمَالِهَا ، وَهِيَ فِي يَدِهِ وَيَدِ نُوَّابِهِ ، فَخَالَفَ عَلَى الْأَمِيرِ نُوحِ بْنِ نَصْرٍ السَّامَانِيِّ ، وَكَانَ مَنْصُورُ بْنُ قَرَاتَكِينَ صَاحِبَ جَيْشِ خُرَاسَانَ بِمَرْوَ عِنْدَ نُوحٍ ، فَوَصَلَ إِلَيْهِمَا وَشْمَكِيرُ مُنْهَزِمًا مِنْ جُرْجَانَ ، قَدْ غَلَبَهُ عَلَيْهَا الْحَسَنُ بْنُ الْفَيْرُزَانِ ، فَأَمَرَ نُوحٌ مَنْصُورًا بِالْمَسِيرِ إِلَى نَيْسَابُورَ ، وَمُحَارَبَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ وَأَخْذِ مَا بِيَدِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ ، ثُمَّ يَسِيرُ مَعَ وَشْمَكِيرَ إِلَى جُرْجَانَ ، فَسَارَ مَنْصُورٌ وَوَشْمَكِيرُ إِلَى نَيْسَابُورَ ، وَكَانَ بِهَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ، فَفَارَقَهَا نَحْوَ أُسْتُوا ، فَاتَّبَعَهُ مَنْصُورٌ ، فَسَارَ مُحَمَّدٌ إِلَى جُرْجَانَ ، وَكَاتَبَ رُكْنَ الدَّوْلَةِ بْنَ بُوَيْهِ ، وَاسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ ، فَأَمَرَهُ بِالْوُصُولِ إِلَى الرَّيِّ. |
| وَسَارَ مَنْصُورٌ مِنْ نَيْسَابُورَ إِلَى طُوسَ ، وَحَصَرُوا رَافِعَ بْنَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بِقَلْعَةِ شَمِيلَانَ ، فَاسْتَأْمَنَ بَعْضُ أَصْحَابِ رَافِعٍ إِلَيْهِ ، فَهَرَبَ رَافِعٌ مِنْ شَمِيلَانَ إِلَى حِصْنِ دَرَكَ ، فَاسْتَوْلَى مَنْصُورٌ عَلَى شَمِيلَانَ ، وَأَخَذَ مَا فِيهَا مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ ، وَاحْتَمَى رَافِعٌ بِدَرَكَ ، وَبِهَا أَهْلُهُ وَوَالِدَتُهُ ، وَهِيَ عَلَى ثَلَاثَةِ فَرَاسِخَ مِنْ شَمِيلَانَ ، فَأَخْرَبَ مَنْصُورٌ شَمِيلَانَ ، وَسَارَ إِلَى دَرَكَ فَحَاصَرَهَا ، وَحَارَبَهُمْ عِدَّةَ أَيَّامٍ ، فَتَغَيَّرَتِ الْمِيَاهُ بِدَرَكَ ، فَاسْتَأْمَنَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ إِلَى مَنْصُورٍ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي عَمِّهِ وَأَهْلِهِ ، وَعَمِدَ أَخُوهُ رَافِعٌ إِلَى الصَّامِتِ مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَالْجَوَاهِرِ ، وَأَلْقَاهَا فِي الْبُسُطِ إِلَى تَحْتِ الْقَلْعَةِ ، وَنَزَلَ هُوَ وَجَمَاعَةٌ فَأَخَذُوا تِلْكَ الْأَمْوَالَ وَتَفَرَّقُوا فِي الْجِبَالِ. |
| وَاحْتَوَى مَنْصُورٌ عَلَى مَا كَانَ فِي قَلْعَةِ دَرَكَ ، وَأَنْفَذَ عِيَالَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ وَوَالِدَتِهِ إِلَى بُخَارَى فَاعْتُقِلُوا بِهَا ، وَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ فَإِنَّهُ سَارَ مِنْ جُرْجَانَ إِلَى الرَّيِّ ، وَبِهَا رُكْنُ الدَّوْلَةِ بْنُ بُوَيْهِ ، فَأَكْرَمَهُ رُكْنُ الدَّوْلَةِ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْأَمْوَالِ وَغَيْرِهَا ، وَسَرَّحَهُ إِلَى مُحَارَبَةِ الْمَرْزُبَانِ عَلَى مَا نَذْكُرُهُ. |
| ذِكْرُ وَلَايَةِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ صِقِلِّيَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَعْمَلَ الْمَنْصُورُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْكَلْبِيَّ عَلَى جَزِيرَةِ صِقِلِّيَةَ ، وَكَانَ لَهُ مَحَلٌّ كَبِيرٌ عِنْدَ الْمَنْصُورِ ، وَلَهُ أَثَرٌ عَظِيمٌ فِي قِتَالِ أَبِي يَزِيدَ. |
| وَكَانَ سَبَبُ وَلَايَتِهِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا قَدِ اسْتَضْعَفَهُمُ الْكُفَّارُ بِهَا أَيَّامَ عَطَّافٍ لِعَجْزِهِ وَضَعْفِهِ ، وَامْتَنَعُوا مِنْ إِعْطَاءِ مَالِ الْهُدْنَةِ ، وَكَانُوا بِصِقِلِّيَةَ بَنُو الطَّبَرِيِّ مِنْ أَعْيَانِ الْجَمَاعَةِ ، وَلَهُمْ أَتْبَاعٌ كَثِيرُونَ ، فَوَثَبُوا بِعَطَّافٍ أَيْضًا ، وَأَعَانَهُمْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عَلَيْهِ يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَقَتَلُوا جَمَاعَةً مِنْ رِجَالِهِ ، وَأَفْلَتَ عَطَّافٌ هَارِبًا بِنَفْسِهِ إِلَى الْحِصْنِ ، فَأَخَذُوا أَعْلَامَهُ وَطُبُولَهُ وَانْصَرَفُوا إِلَى دِيَارِهِمْ ، فَأَرْسَلَ أَبُو عَطَّافٍ إِلَى الْمَنْصُورِ يُعْلِمُهُ الْحَالَ وَيَطْلُبُ الْمَدَدَ. |
| فَلَمَّا عَلِمَ الْمَنْصُورُ ذَلِكَ ، اسْتَعْمَلَ عَلَى الْوَلَايَةِ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ ، وَأَمَرَهُ بِالْمَسِيرِ ، فَسَارَ فِي الْمَرَاكِبِ ، فَأَرْسَى بِمَدِينَةِ مَازَرَ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، فَبَقِيَ يَوْمَهُ ، فَأَتَاهُ فِي اللَّيْلِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَكُتَامَةَ ، وَغَيْرِهِمْ ، وَذَكَرُوا أَنَّهُمْ خَافُوا الْحُضُورَ عِنْدَهُ مِنِ ابْنِ الطَّبَرِيِّ وَمَنِ اتَّفَقَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْبِلَادَ ، وَأَنَّ عَلِيَّ بْنَ الطَّبَرِيِّ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ عَبْدُونَ ، وَغَيْرَهُمَا قَدْ سَارُوا إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ ، وَأَوْصَوْا بَنِيهِمْ لِيَمْنَعُوهُ مِنْ دُخُولِ الْبَلَدِ ، وَمُفَارَقَةِ مَرَاكِبِهِ إِلَى أَنْ تَصِلَ كُتُبُهُمْ بِمَا يَلْقَوْنَ مِنَ الْمَنْصُورِ ، وَقَدْ مَضَوْا يَطْلُبُونَ أَنْ يُوَلِّيَ الْمَنْصُورُ غَيْرَهُ. |
| ثُمَّ أَتَاهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الطَّبَرِيِّ وَمَنْ مَعَهُ لِيُشَاهِدُوا مَنْ مَعَهُ ، فَرَأَوْهُ فِي قِلَّةٍ ، فَطَمِعُوا فِيهِ ، وَخَادَعُوهُ وَخَادَعَهُمْ ، ثُمَّ عَادُوا إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَقَدْ وَعَدَهُمْ أَنَّهُ يُقِيمُ بِمَكَانِهِ إِلَى أَنْ يَعُودُوا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا فَارَقُوهُ جَدَّ السَّيْرَ إِلَى الْمَدِينَةِ قَبْلَ أَنْ يَجْمَعُوا أَصْحَابَهُمْ وَيَمْنَعُوهُ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْبَيْضَاءِ ، أَتَاهُ حَاكِمُ الْبَلَدِ وَأَصْحَابُ الدَّوَاوِينِ ، وَكُلُّ مَنْ يُرِيدُ الْعَافِيَةَ ، فَلَقِيَهُمْ وَأَكْرَمَهُمْ ، وَسَأَلَهُمْ عَنْ أَحْوَالِهِمْ ، فَلَمَّا سَمِعَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الطَّبَرِيِّ بِخُرُوجِ هَذَا الْجَمْعِ إِلَيْهِ ، اضْطُرَّ إِلَى الْخُرُوجِ إِلَيْهِ ، فَلَقِيَهُ الْحَسَنُ وَأَكْرَمَهُ وَعَادَ إِلَى دَارِهِ ، وَدَخَلَ الْحَسَنُ الْبَلَدَ ، وَمَالَ إِلَيْهِ كُلُّ مُنْحَرِفٍ عَنْ بَنِي الطَّبَرِيِّ وَمَنْ مَعَهُمْ. |
| فَلَمَّا رَأَى ابْنُ الطَّبَرِيِّ ذَلِكَ ، أَمَرَ رَجُلًا صِقِلِّيًّا ، فَدَعَا بَعْضَ عَبِيدِ الْحَسَنِ وَكَانَ مَوْصُوفًا بِالشَّجَاعَةِ ، فَلَمَّا دَخَلَ بَيْتَهُ ، خَرَجَ الرَّجُلُ يَسْتَغِيثُ وَيَصِيحُ وَيَقُولُ إِنَّ هَذَا دَخَلَ بَيْتِي ، وَأَخَذَ امْرَأَتِي بِحَضْرَتِي غَصْبًا ، فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْبَلَدِ لِذَلِكَ ، وَحَرَّكَهُمُ ابْنُ الطَّبَرِيِّ وَخَوَّفَهُمْ وَقَالَ هَذَا فِعْلُهُمْ ، وَلَمْ يَتَمَكَّنُوا مِنَ الْبَلَدِ ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالْحُضُورِ عِنْدَ الْحَسَنِ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ لَا يُعَاقِبُ مَمْلُوكَهُ ، فَيَثُورُ النَّاسُ بِهِ ، فَيُخْرِجُونَهُ مِنَ الْبَلَدِ. |
| فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ ، وَذَلِكَ الرَّجُلُ يَصِيحُ وَيَسْتَغِيثُ ، أَحْضَرَهُ الْحَسَنُ عِنْدَهُ ، وَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ ، فَحَلَّفَهُ بِاللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا يَقُولُ ، فَحَلَفَ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِ الْغُلَامِ فَقُتِلَ ، فَسُّرَّ أَهْلُ الْبَلَدِ وَقَالُوا الْآنَ طَابَتْ نُفُوسُنَا ، وَعَلِمْنَا أَنَّ بَلَدَنَا يَتَعَمَّرُ ، وَيَظْهَرُ فِيهِ الْعَدْلُ ، فَانْعَكَسَ الْأَمْرُ عَلَى ابْنِ الطَّبَرِيِّ ، وَأَقَامَ الْحَسَنُ وَهُوَ خَائِفٌ مِنْهُمْ. |
| ثُمَّ إِنَّ الْمَنْصُورَ أَرْسَلَ إِلَى الْحَسَنِ يُعَرِّفُهُ أَنَّهُ قَبَضَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الطَّبَرِيِّ ، وَعَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدُونَ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ جُنَّا ، وَمَنْ مَعَهُمْ ، وَيَأْمُرُهُ بِالْقَبْضِ عَلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ الطَّبَرِيِّ ، وَرَجَاءِ بْنِ جُنَّا وَمُحَمَّدٍ.. |
| وَمُخْلِفِي الْجَمَاعَةِ الْمَقْبُوضِينَ ، فَاسْتَعْظَمَ الْأَمْرَ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى ابْنِ الطَّبَرِيِّ يَقُولُ لَهُ كُنْتَ قَدْ وَعَدْتَنِي أَنْ نَتَفَرَّجَ فِي الْبُسْتَانِ الَّذِي لَكَ ، فَتَحْضُرَ لِنَمْضِيَ إِلَيْهِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْجَمَاعَةِ عَلَى لِسَانِ ابْنِ الطَّبَرِيِّ يَقُولُ تَحْضُرُونَ لِنَمْضِيَ مَعَ الْأَمِيرِ إِلَى الْبُسْتَانِ ، فَحَضَرُوا عِنْدَهُ ، وَجَعَلَ يُحَادِثُهُمْ وَيَطُولُ إِلَى أَنْ أَمْسَوْا ، فَقَالَ قَدْ فَاتَ اللَّيْلُ ، وَتَكُونُونَ أَضْيَافَنَا ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِهِمْ يَقُولُ إِنَّهُمُ اللَّيْلَةَ فِي ضِيَافَةِ الْأَمِيرِ ، فَتَعُودُونَ إِلَى بُيُوتِهِمْ إِلَى الْغَدِ ، فَمَضَى أَصْحَابُهُمْ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِمْ ، وَأَخَذَ جَمِيعَ أَمْوَالِهِمْ ، وَكَثُرَ جَمْعُهُ ، وَاتَّفَقَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَقَوِيَتْ نُفُوسُهُمْ ، فَلَمَّا رَأَى الرُّومُ ذَلِكَ ، أَحْضَرَ الرَّاهِبُ مَالَ الْهُدْنَةِ لِثَلَاثِ سِنِينَ. |
| ثُمَّ إِنَّ مَلِكَ الرُّومِ أَرْسَلَ بِطْرِيقًا فِي الْبَحْرِ فِي جَيْشٍ كَثِيرٍ إِلَى صِقِلِّيَةَ ، وَاجْتَمَعَ هُوَ وَالسَّرْدَغُوسُ ، فَأَرْسَلَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى الْمَنْصُورِ يُعَرِّفُهُ الْحَالَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أُسْطُولًا فِيهِ سَبْعَةُ آلَافِ فَارِسٍ ، وَثَلَاثَةُ آلَافٍ وَخَمْسُمِائَةِ رَاجِلٍ سِوَى الْبَحْرِيَّةِ ، وَجَمَعَ الْحَسَنُ إِلَيْهِمْ جَمْعًا كَثِيرًا ، وَسَارَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، فَوَصَلَ إِلَى مَسِّينِي ، وَعَدَتِ الْعَسَاكِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ إِلَى رِيُّو ، وَبَثَّ الْحَسَنُ السَّرَايَا فِي أَرْضِ قِلَّوْرِيَةَ ، وَنَزَلَ الْحَسَنُ عَلَى جَرَاجَةَ ، وَحَاصَرَهَا أَشَدَّ حِصَارٍ ، وَأَشْرَفُوا عَلَى الْهَلَاكِ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ ، فَوَصَلَهُمُ الْخَبَرُ أَنَّ الرُّومَ قَدْ زَحَفُوا إِلَيْهِ ، فَصَالَحَ أَهْلَ جَرَاجَةَ عَلَى مَالٍ أَخَذَهُ مِنْهُمْ ، وَسَارَ إِلَى لِقَاءِ الرُّومِ ، فَفَرُّوا مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ إِلَى مَدِينَةِ بَارَّةَ ، وَنَزَلَ الْحَسَنُ عَلَى قَلْعَةِ قِسَّانَةَ ، وَبَثَّ سَرَايَاهُ إِلَى قِلَّوْرِيَةَ ، وَأَقَامَ عَلَيْهَا شَهْرًا ، فَسَأَلُوهُ الصُّلْحَ ، فَصَالَحَهُمْ عَلَى مَالٍ أَخَذَهُ مِنْهُمْ. |
| وَدَخَلَ الشِّتَاءُ ، فَرَجَعَ الْجَيْشُ إِلَى مَسِّينِي ، وَشَتَّى الْأُسْطُولُ بِهَا ، فَأَرْسَلَ الْمَنْصُورُ يَأْمُرُهُ بِالرُّجُوعِ إِلَى قِلَّوْرِيَةَ ، فَسَارَ الْحَسَنُ ، وَعَدَا الْمَجَازَ إِلَى جَرَاجَةَ ، فَالْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالسَّرْدَغُوسُ وَمَعَهُ الرُّومُ يَوْمَ عَرَفَةَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ رَآهُ النَّاسُ ، فَانْهَزَمَتِ الرُّومُ ، وَرَكِبَ الْمُسْلِمُونَ أَكْتَافَهُمْ إِلَى اللَّيْلِ ، وَأَكْثَرُوا الْقَتْلَ فِيهِمْ ، وَغَنِمُوا أَثْقَالَهُمْ وَسِلَاحَهُمْ وَدَوَابَّهُمْ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ فَقَصَدَ الْحَسَنُ جَرَاجَةَ فَحَصَرَهَا ، فَأَرْسَلَ إِلَى قُسْطَنْطِينَ مَلِكِ الرُّومِ يَطْلُبُ مِنْهُ الْهُدْنَةَ ، فَهَادَنَهُ ، وَعَادَ الْحَسَنُ إِلَى رِيُّو وَبَنَى بِهَا مَسْجِدًا كَبِيرًا فِي وَسَطِ الْمَدِينَةِ ، وَبَنَى فِي أَحَدِ أَرْكَانِهِ مِئْذَنَةً ، وَشَرَطَ عَلَى الرُّومِ أَنَّهُمْ لَا يَمْنَعُونَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ عِمَارَتِهِ ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ فِيهِ ، وَالْأَذَانِ ، وَأَنْ لَا يَدْخُلَهُ نَصْرَانِيُّ ، وَمَنْ دَخَلَهُ مِنَ الْأَسَارَى الْمُسْلِمِينَ ، فَهُوَ آمِنٌ سَوَاءً كَانَ مُرْتَدًا أَوْ مُقِيمًا عَلَى دِينِهِ ، وَإِنْ أَخْرَجُوا حَجَرًا مِنْهُ ، هُدِمَتْ كَنَائِسُهُمْ كُلُّهَا بِصِقِلِّيَةَ وَإِفْرِيقِيَّةَ ، فَوَفَى الرُّومُ بِهَذِهِ الشُّرُوطِ كُلِّهَا ذِلَّةً وَصَغَارًا. |
| وَبَقِيَ الْحَسَنُ بِصِقِلِّيَةَ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ الْمَنْصُورُ وَمَلَكَ الْمُعِزُّ ، فَسَارَ إِلَيْهِ وَكَانَ مَا نَذْكُرُهُ. |
| ذِكْرُ عِصْيَانِ جُمَانَ بِالرَّحْبَةِ وَمَا كَانَ مِنْهُ كَانَ جُمَانُ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ تُوزُونَ ، وَصَارَ فِي جُمْلَةِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ ، فَلَمَّا كَانَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ بِبَغْدَاذَ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ، وَهُوَ يُحَارِبُ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ ، ضَمَّ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ جَمِيعَ الدَّيْلَمِ الَّذِينَ مَعَهُ إِلَى جُمَانَ لِقِلَّةِ ثِقَتِهِ بِهِمْ ، وَقَلَّدَهُ الرَّحْبَةَ وَأَخْرَجَهُ إِلَيْهَا ، فَعَظُمَ أَمْرُهُ هُنَاكَ ، وَقَصَدَهُ الرِّجَالُ ، فَأَظْهَرَ الْعِصْيَانَ عَلَى نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، وَعَزَمَ عَلَى التَّغَلُّبِ عَلَى الرَّقَّةِ وَدِيَارِ مُضَرَ ، فَسَارَ إِلَى الرَّقَّةِ فَحَصَرَهَا سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، فَحَارَبَهُ أَهْلُهَا وَهَزَمُوهُ ، وَوَثَبَ أَهْلُ الرَّحْبَةِ بِأَصْحَابِهِ وَعُمَّالِهِ ، فَقَتَلُوهُمْ لِشِدَّةِ ظُلْمِهِمْ ، وَسُوءِ مُعَامَلَتِهِمْ. |
| فَلَمَّا عَادَ مِنَ الرَّقَّةِ ، وَضَعَ السَّيْفَ فِي أَهْلِهَا ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ حَاجِبَهُ يَارُوخُ فِي جَيْشٍ ، فَاقْتَتَلُوا عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ ، فَانْهَزَمَ جُمَانُ ، فَوَقَعَ فِي الْفُرَاتِ فَغَرِقَ ، وَاسْتَأْمَنَ أَصْحَابُهُ إِلَى يَارُوخَ ، وَأُخْرِجَ جُمَانُ مِنَ الْمَاءِ فَدُفِنَ مَكَانُهُ. |
| ذِكْرُ مِلْكِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ طَبَرِسْتَانَ وَجُرْجَانَ وَفِيهَا فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، اجْتَمَعَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ بْنُ بُوَيْهِ ، وَالْحَسَنُ بْنُ الْفَيْرُزَانِ ، وَقَصَدَا بِلَادَ وَشْمَكِيرَ ، فَالْتَقَاهُمَا وَشْمَكِيرُ وَانْهَزَمَ مِنْهُمَا ، وَمَلَكَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ طَبَرِسْتَانَ ، وَسَارَ مِنْهَا إِلَى جُرْجَانَ فَمَلَكَهَا ، وَاسْتَأْمَنَ مِنْ قُوَّادِ وَشْمَكِيرَ مِائَةٌ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ قَائِدًا ، فَأَقَامَ الْحَسَنُ بْنُ الْفَيْرُزَانِ بِجُرْجَانَ ، وَمَضَى وَشْمَكِيرُ إِلَى خُرَاسَانَ مُسْتَجِيرًا وَمُسْتَنْجِدًا لِإِعَادَةِ بِلَادِهِ ، فَكَانَ مَا نَذْكُرُهُ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي صَفَرٍ ، ظَهَرَ كَوْكَبٌ لَهُ ذَنَبٌ طُولُهُ نَحْوَ ذِرَاعَيْنِ فِي الْمَشْرِقِ ، وَبَقِيَ نَحْوَ عَشَرَةُ أَيَّامٍ وَاضْحَمَلَّ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ سَلَامَةُ الطُّولُونِيُّ الَّذِي كَانَ حَاجِبَ الْخُلَفَاءِ ، فَأَخَذَ مَالَهُ وَعِيَالَهُ ، وَسَارَ إِلَى الشَّامِ أَيَّامَ الْمُسْتَكْفِي ، فَمَاتَ هُنَاكَ ، وَلَمَّا سَارَ عَنْ بَغْدَاذَ ، أُخِذَ مَالُهُ فِي الطَّرِيقِ وَمَاتَ هُوَ الْآنَ ، فَذَهَبَتْ نِعْمَتُهُ وَنَفْسُهُ حَيْثُ ظَنَّ السَّلَامَةَ وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ حَيْثُ يَقُولُ وَإِذَا خَشِيتَ مِنَ الْأُمُورِ مُقَدَّرًا... |
| فَهَرَبَتْ مِنْهُ فَنَحْوَهُ تَتَقَدَّمُ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَمَّادٍ أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَثْرَمُ الْمُقْرِئُ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ مِلْكِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ الْمَوْصِلَ وَعَوْدِهِ عَنْهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ مِنْ بَغْدَاذَ إِلَى الْمَوْصِلِ قَاصِدًا لِنَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا سَمِعَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ بِذَلِكَ ، سَارَ عَنِ الْمَوْصِلِ إِلَى نَصِيبِينَ ، وَوَصَلَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ فَمَلَكَ الْمَوْصِلَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَظَلَمَ أَهْلَهَا وَعَسَفَهُمْ ، وَأَخَذَ أَمْوَالَ الرَّعَايَا ، فَكَثُرَ الدُّعَاءُ عَلَيْهِ. |
| وَأَرَادَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ أَنْ يَمْلِكَ جَمِيعَ بِلَادِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، فَأَتَاهُ الْخَبَرُ مِنْ أَخِيهِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَنَّ عَسَاكِرَ خُرَاسَانَ قَدْ قَصَدَتْ جُرْجَانَ وَالرَّيَّ ، وَيَسْتَمِدُّهُ وَيَطْلُبُ مِنْهُ الْعَسَاكِرَ ، فَاضْطُرَّ إِلَى مُصَالَحَةِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، فَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ ، وَاسْتَقَرَّ الصُّلْحُ بَيْنَهُمَا عَلَى أَنْ يُؤَدِّيَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ عَنِ الْمَوْصِلِ ، وَدِيَارِ الْجَزِيرَةِ كُلِّهَا ، وَالشَّامِ ، كُلَّ سَنَةٍ ثَمَانِيَةَ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَيَخْطُبُ فِي بِلَادِهِ لِعِمَادِ الدَّوْلَةِ ، وَرُكْنِ الدَّوْلَةِ ، وَمُعِزِّ الدَّوْلَةِ بَنِي بُوَيْهِ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ الصُّلْحُ عَادَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى بَغْدَاذَ فَدَخَلَهَا فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنَ السَّنَةِ. |
| ذِكْرُ مَسِيرِ عَسْكَرِ خُرَاسَانَ إِلَى جُرْجَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ مَنْصُورُ بْنُ قَرَاتَكِينَ فِي جُيُوشِ خُرَاسَانَ إِلَى جُرْجَانَ ، صُحْبَةَ وَشْمَكِيرَ ، وَبِهَا الْحَسَنُ بْنُ الْفَيْرُزَانِ ، وَكَانَ مَنْصُورٌ مُنْحَرِفًا عَنْ وَشْمَكِيرَ فِي السَّيْرِ ، فَتَسَاهَلَ لِذَلِكَ مَعَ الْحَسَنِ ، وَصَالَحَهُ وَأَخَذَ ابْنَهُ رَهِينَةً. |
| ثُمَّ بَلَغَ مَنْصُورًا أَنَّ الْأَمِيرَ نُوحًا اتَّصَلَ بِابْنَةِ خَتَكِينَ ، مَوْلَى قَرَاتَكِينَ ، وَهُوَ صَاحِبُ بُسْتَ وَالرُّخَّجِ ، فَسَاءَ ذَلِكَ مَنْصُورًا وَأَقْلَقَهُ ، وَكَانَ نُوحٌ قَدْ زَوَّجَ قَبْلَ ذَلِكَ بِنْتًا لِمَنْصُورٍ مِنْ بَعْضِ مَوَالِيهِ ، اسْمُهُ فَتَكِينُ ، فَقَالَ مَنْصُورٌ يَتَزَوَّجُ الْأَمِيرُ بِابْنَةِ مَوْلَايَ ، وَتُزَوَّجُ ابْنَتِي مِنْ مَوْلَاهُ ؟ |
| فَحَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَى مُصَالَحَةِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَيْرُزَانِ وَأَعَادَ عَلَيْهِ ابْنَهُ ، وَعَادَ عَنْهُ إِلَى نَيْسَابُورَ ، وَأَقَامَ الْحَسَنُ بِزَوْزَنَ ، وَبَقِيَ وَشْمَكِيرُ بِجُرْجَانَ. |
| ذِكْرُ مَسِيرِ الْمَرْزُبَانِ إِلَى الرَّيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ الْمَرْزُبَانُ مُحَمَّدُ بْنُ مُسَافِرٍ صَاحِبُ أَذْرَبِيجَانَ إِلَى الرَّيِّ. |
| وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَهُ خُرُوجُ عَسَاكِرِ خُرَاسَانَ إِلَى الرَّيِّ ، وَأَنَّ ذَلِكَ يَشْغَلُ رُكْنَ الدَّوْلَةِ عَنْهُ ، ثُمَّ إِنَّهُ كَانَ أَرْسَلَ رَسُولًا إِلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، فَحَلَقَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ لِحْيَتَهُ ، وَسَبَّهُ وَسَبَّ صَاحِبَهُ ، وَكَانَ سَفِيهًا ، فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى الْمَرْزُبَانِ ، وَأَخَذَ فِي جَمْعِ الْعَسَاكِرِ ، وَاسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ بَعْدُ قُوَّادِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، وَأَطْمَعَهُ فِي الرَّيِّ ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ مَنْ وَرَاءَهُ مِنَ الْقُوَّادِ يُرِيدُونَهُ ، فَطَمِعَ لِذَلِكَ ، فَرَاسَلَهُ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ يَعِدُ الْمُسَاعَدَةَ ، وَيُشِيرُ عَلَيْهِ أَنْ يَبْتَدِئَ بِبَغْدَاذَ ، فَخَالَفَهُ ، ثُمَّ أَحْضَرَ أَبَاهُ وَأَخَاهُ وَهْسُوذَانَ ، وَاسْتَشَارَهُمَا فِي ذَلِكَ ، فَنَهَاهُ أَبُوهُ عَنْ قَصْدِ الرَّيِّ ، فَلَمْ يَقْبَلْ ، فَلَمَّا وَدَّعَهُ بَكَى أَبُوهُ وَقَالَ يَا بُنَيَّ ، أَيْنَ أَطْلُبُكَ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا ؟ |
| قَالَ إِمَّا فِي دَارِ الْإِمَارَةِ بِالرَّيِّ ، وَإِمَّا بَيْنَ الْقَتْلَى. |
| فَلَمَّا عَرَفَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ خَبَرَهُ ، كَتَبَ إِلَى أَخَوَيْهِ عِمَادِ الدَّوْلَةِ وَمُعِزِّ الدَّوْلَةِ يَسْتَمِدُّهُمَا ، فَسَيَّرَ عِمَادُ الدَّوْلَةِ أَلْفَيْ فَارِسٍ ، وَسَيَّرَ إِلَيْهِ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ جَيْشًا مَعَ سُبُكْتِكِينَ التُّرْكِيِّ ، وَأَنْفَذَ عَهْدًا مِنَ الْمُطِيعِ لِلَّهِ لِرُكْنِ الدَّوْلَةِ بِخُرَاسَانَ ، فَلَمَّا صَارُوا بِالدِّينَوَرِ خَالَفَ الدَّيْلَمُ عَلَى سُبُكْتِكِينَ ، وَكَبَسُوهُ لَيْلًا ، فَرَكِبَ فَرَسَ النَّوْبَةِ وَنَجَا ، وَاجْتَمَعَ الْأَتْرَاكُ عَلَيْهِ ، فَعَلِمَ الدَّيْلَمُ أَنَّهُمْ لَا قُوَّةَ لَهُمْ بِهِ ، فَعَادُوا إِلَيْهِ وَتَضَرَّعُوا ، فَقَبِلَ عُذْرَهُمْ. |
| وَكَانَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ قَدْ شَرَعَ مَعَ الْمَرْزُبَانِ فِي الْمُخَادَعَةِ ، وَإِعْمَالِ الْحِيلَةِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَتَوَاضَعُ لَهُ وَيُعَظِّمُهُ ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَنْصَرِفَ عَنْهُ عَلَى شَرْطِ أَنْ يُسَلِّمَ إِلَيْهِ رُكْنُ الدَّوْلَةِ زَنْجَانَ ، وَأَبْهَرَ ، وَقَزْوِينَ ، وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ وَصْلَهُ الْمَدَدُ مِنْ عِمَادِ الدَّوْلَةِ وَمُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَأَحْضَرَ مَعَهُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ، وَأَنْفَذَ لَهُ الْحَسَنُ بْنُ الْفَيْرُزَانِ عَسْكَرًا مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ مَاكَانَ ، فَلَمَّا كَثُرَ جَمْعُهُ قَبَضَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِمَّنْ كَانَ يَتَّهِمُهُمْ مِنْ قُوَّادِهِ وَسَارَ إِلَى قَزْوِينَ ، فَعَلِمَ الْمَرْزُبَانُ عَجْزَهُ عَنْهُ ، وَأَنِفَ مِنَ الرُّجُوعِ ، فَالْتَقَيَا ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ الْمَرْزُبَانِ ، وَأُخِذَ أَسِيرًا ، وَحُمِلَ إِلَى سُمَيْرِمَ فَحُبِسَ بِهَا ، وَعَادَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ ، وَنَزَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بِنَوَاحِي أَذْرَبِيجَانَ. |
| وَأَمَّا أَصْحَابُ الْمَرْزُبَانِ فَإِنَّهُمُ اجْتَمَعُوا عَلَى أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ مُسَافِرٍ ، وَوَلُّوهُ أَمْرَهُمْ ، فَهَرَبَ مِنْهُ ابْنُهُ وَهْسُوذَانُ إِلَى حِصْنٍ لَهُ ، فَأَسَاءَ مُحَمَّدُ السِّيرَةَ مَعَ الْعَسْكَرِ ، فَأَرَادُوا قَتْلَهُ ، فَهَرَبَ إِلَى ابْنِهِ وَهْسُوذَانَ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِ حَتَّى مَاتَ ، ثُمَّ تَحَيَّرَ وَهْسُوذَانُ فِي أَمْرِهِ ، فَاسْتَدْعَى دَيْسَمَ الْكُرْدِيَّ لِطَاعَةِ الْأَكْرَادِ لَهُ ، وَقَوَّاهُ ، وَسَيَّرَهُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ، فَالْتَقَيَا ، فَانْهَزَمَ دَيْسَمُ ، وَقَوِيَ ابْنُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ، فَأَقَامَ بِنَوَاحِي أَذْرَبِيجَانَ يَجْبِي أَمْوَالَهَا ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرَّيِّ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَاتَبَ الْأَمِيرَ نُوحًا ، وَأَهْدَى لَهُ هَدِيَّةً ، وَسَأَلَهُ الصَّفْحَ ، فَقَبِلَ عُذْرَهُ ، وَكَاتَبَ وَشْمَكِيرَ بِمُهَادَنَتِهِ ، فَهَادَنَهُ ، ثُمَّ عَادَ مُحَمَّدٌ إِلَى طُوسَ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ لَمَّا خَرَجَ مَنْصُورٌ إِلَى الرَّيِّ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ إِلَى بَلَدِ الرُّومِ ، فَلَقِيَهُ الرُّومُ ، وَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ ، وَأَخَذَ الرُّومُ مَرْعَشَ ، وَأَوْقَعُوا بِأَهْلِ طَرَسُوسَ. |
| وَفِيهَا قَبَضَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ عَلَى أَسْفَهْدُوَسْتَ ، وَهُوَ خَالُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ مِنْ أَكَابِرِ قُوَّادِهِ ، وَأَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يُكْثِرُ الدَّالَّةَ عَلَيْهِ ، وَيَعِيبُهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَفْعَالِهِ ، وَنُقِلَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يُرَاسِلُ الْمُطِيعَ لِلَّهِ فِي قَتْلِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ ، وَسَيَّرَهُ إِلَى رَامَهُرْمُزَ فَسَجَنَهُ بِهَا. |
| وَفِيهَا اسْتَأْمَنَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبَرِيدِيُّ إِلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَقَدِمَ بَغْدَاذَ فَلَقِيَ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَقْطَعَهُ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ حَالِ عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَفْحَلَ أَمْرُ عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ ، وَقَوِيَ شَأْنُهُ ، وَكَانَ ابْتِدَاءُ حَالِهِ أَنَّهُ مَنْ أَهْلِ الْجَامِدَةِ ، فَجَبَى جِبَايَاتٍ ، فَهَرَبَ إِلَى الْبَطِيحَةِ خَوفًا مِنَ السُّلْطَانِ ، وَأَقَامَ بَيْنَ الْقَصَبِ وَالْآجَامِ ، وَاقْتَصَرَ عَلَى مَا يَصِيدُهُ مِنَ السَّمَكِ وَطُيُورِ الْمَاءِ قُوتًا ، ثُمَّ صَارَ يَقْطَعُ الطَّرِيقَ عَلَى مَنْ يَسَلُكُ الْبَطِيحَةَ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّيَّادِينَ ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ اللُّصُوصِ ، فَقَوِيَ بِهِمْ ، وَحَمَى جَانِبَهُ مِنَ السُّلْطَانِ ، فَلَمَّا خَافَ أَنْ يُقْصَدَ ، اسْتَأْمَنَ إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ الْبَرِيدِيِّ ، فَقَلَّدَهُ حِمَايَةَ الْجَامِدَةِ وَنَوَاحِي الْبَطَائِحِ ، وَمَا زَالَ يَجْمَعُ الرِّجَالَ إِلَى أَكْثَرِ أَصْحَابِهِ ، وَقَوِيَ وَاسْتَعَدَّ بِالسِّلَاحِ ، وَاتَّخَذَ مَعَاقِلَ عَلَى التَّلُولِ الَّتِي بِالْبَطِيحَةِ ، وَغَلَبَ عَلَى تِلْكَ النَّوَاحِي. |
| فَلَمَّا اشْتَدَّ أَمْرُهُ ، سَيَّرَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى مُحَارَبَتِهِ وَزِيرَهُ أَبَا جَعْفَرٍ الصَّيْمَرِيَّ ، فَسَارَ إِلَيْهِ فِي الْجُيُوشِ ، وَحَارَبَهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، وَاسْتَأْسَرَ أَهْلَهُ وَعِيَالَهُ ، وَهَرَبَ عِمْرَانُ بْنُ شَاهِينَ وَاسْتَتَرَ ، وَأَشْرَفَ عَلَى الْهَلَاكِ. |
| فَاتَّفَقَ أَنَّ عِمَادَ الدَّوْلَةِ بْنَ بُوَيْهِ مَاتَ ، وَاضْطَرَبَ جَيْشُهُ بِفَارِسَ ، فَكَتَبَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى الصَّيْمَرِيِّ بِالْمُبَادَرَةِ إِلَى شِيرَازَ لِإِصْلَاحِ الْأُمُورِ بِهَا ، فَتَرَكَ عِمْرَانَ وَسَارَ إِلَى شِيرَازَ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ فِي مَوْتِ عِمَادِ الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا سَارَ الصَّيْمَرِيُّ عَنِ الْبَطَائِحِ ، ظَهَرَ عِمْرَانُ بْنُ شَاهِينَ مِنِ اسْتِتَارِهِ ، وَعَادَ إِلَى أَمْرِهِ ، وَجَمَعَ مَنْ تَفَرَّقَ عَنْهُ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَقَوِيَ أَمْرُهُ ، وَسَنَذْكُرُ مِنْ أَخْبَارِهِ فِيمَا بَعْدُ مَا تَدْعُو الْحَاجَةُ إِلَيْهِ. |
| ذِكْرُ مَوْتِ عِمَادِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ عِمَادُ الدَّوْلَةِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ بُوَيْهِ بِمَدِينَةِ شِيرَازَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَكَانَتْ عِلَّتُهُ الَّتِي مَاتَ بِهَا قُرْحَةٌ فِي كُلْيَتِهِ طَالَتْ بِهِ ، وَتَوَالَتْ عَلَيْهِ الْأَسْقَامُ وَالْأَمْرَاضُ ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِالْمَوْتِ ، أَنْفَذَ إِلَى أَخِيهِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُنْفِذَ ابْنَهُ عَضُدَ الدَّوْلَةِ فَنَّاخِسْرُو لِيَجْعَلَهُ وَلِيَّ عَهْدِهِ ، وَوَارِثِ مَمْلَكَتِهِ بِفَارِسَ; لِأَنَّ عِمَادَ الدَّوْلَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ ذَكَرٌ ، فَأَنْفَذَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ وَلَدَهُ عَضُدَ الدَّوْلَةِ ، فَوَصَلَ فِي حَيَاةِ عَمِّهِ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنَةٍ ، وَسَارَ فِي جُمْلَةِ ثِقَاتِ أَصْحَابِ رَكْنِ الدَّوْلَةِ ، فَخَرَجَ عِمَادُ الدَّوْلَةِ إِلَى لِقَائِهِ فِي جَمِيعِ عَسْكَرِهِ ، وَأَجْلَسَهُ فِي دَارِهِ عَلَى السَّرِيرِ ، وَوَقَفَ هُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالسَّلَامِ عَلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ وَالِانْقِيَادِ لَهُ ، وَكَانَ يَوْمًا عَظِيمًا مَشْهُودًا. |
| وَكَانَ فِي قُوَّادِ عِمَادِ الدَّوْلَةِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَكَابِرِ يَخَافُهُمْ ، وَيَعْرِفُهُمْ بِطَلَبِ الرِّئَاسَةِ ، وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنْفُسَهُمْ أَكْبَرَ مِنْهُ نَفْسًا وَبَيْتًا ، وَأَحَقَّ بِالتَّقَدُّمِ ، وَكَانَ يُدَارِيهِمْ ، فَلَمَّا جَعَلَ وَلَدَ أَخِيهِ فِي الْمُلْكِ ، خَافَهُمْ عَلَيْهِ ، فَأَفْنَاهُمْ بِالْقَبْضِ ، وَكَانَ مِنْهُمْ قَائِدٌ كَبِيرٌ يُقَالُ لَهُ شَيْرَنْحِينُ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ ، فَشَفَعَ فِيهِ أَصْحَابُهُ وَقُوَّادُهُ ، فَقَالَ لَهُمْ إِنِّي أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ بِحَدِيثٍ ، فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ أُطْلِقَهُ فَعَلْتُ ، فَحَدَّثَهُمْ أَنَّهُ كَانَ فِي خُرَاسَانَ فِي خِدْمَةِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ ، وَنَحْنُ شِرْذِمَةٌ قَلِيلَةٌ مِنَ الدَّيْلَمِ ، وَمَعَنَا هَذَا ، فَجَلَسَ يَوْمًا نَصْرٌ وَفِي خِدْمَتِهِ مِنْ مَمَالِيكِهِ وَمَمَالِيكِ أَبِيهِ بِضْعَةَ عَشَرَ أَلْفًا سِوَى سَائِرِ الْعَسْكَرِ ، فَرَأَيْتُ شَيْرَنْحِينَ هَذَا قَدْ جَرَّدَ سِكِّينًا مَعَهُ وَلَفَّهُ فِي كِسَائِهِ ، فَقُلْتُ مَا هَذَا ؟ |
| فَقَالَ أُرِيدُ أَنَّ أَقْتُلَ هَذَا الصَّبِيَّ ، يَعْنِي نَصْرًا ، وَلَا أُبَالِيَ بِالْقَتْلِ بَعْدَهُ ، فَإِنِّي قَدْ أَنِفَتْ نَفْسِي مِنَ الْقِيَامِ فِي خِدْمَتِهِ. |
| وَكَانَ عُمُرُ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ يَوْمَئِذٍ عِشْرِينَ سَنَةً ، وَقَدْ خَرَجَتْ لِحْيَتُهُ ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ ، لَمْ يُقْتَلْ وَحْدَهُ بَلْ نُقْتَلُ كُلُّنَا ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ وَقُلْتُ لَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ حَدِيثٌ ، فَمَضَيْتُ بِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ ، وَجَمَعْتُ الدَّيْلَمَ ، وَحَدَّثْتُهُمْ حَدِيثَهُ ، فَأَخَذُوا مِنْهُ السِّكِّينَ ، فَتُرِيدُونَ مِنِّي بَعْدَ أَنْ سَمِعْتُمْ حَدِيثَهُ فِي مَعْنَى نَصْرٍ أَنْ أُمَكِّنَهُ مِنَ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْ هَذَا الصَّبِيِّ ، يَعْنِي ابْنَ أَخِي ؟ |
| فَأَمْسَكُوا عَنْهُ ، وَبَقِيَ مَحْبُوسًا حَتَّى مَاتَ فِي مَحْبَسِهِ. |
| وَمَاتَ عِمَادُ الدَّوْلَةِ وَبَقِيَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ بِفَارِسَ ، فَاخْتَلَفَ أَصْحَابُهُ ، فَكَتَبَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى وَزِيرِهِ الصَّيْمَرِيِّ بِالْمَسِيرِ إِلَى شِيرَازَ ، وَتَرْكِ مُحَارَبَةِ عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ ، فَسَارَ إِلَى فَارِسَ ، وَوَصَلَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ أَيْضًا ، وَاتَّفَقَا عَلَى تَقْرِيرِ قَاعِدَةِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ قَدِ اسْتَخْلَفَ عَلَى الرَّيِّ عَلِيَّ بْنَ كَامَةَ ، وَهُوَ مِنْ أَعْيَانِ أَصْحَابِهِ ، وَلَمَّا وَصَلَ رُكْنَ الدَّوْلَةِ إِلَى شِيرَازَ ، ابْتَدَأَ بِزِيَارَةِ قَبْرِ أَخِيهِ بِإِصْطَخْرَ ، فَمَشَى حَافِيًا حِاسِرًا وَمَعَهُ الْعَسَاكِرُ عَلَى حَالِهِ ، وَلَزِمَ الْقَبْرَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَى أَنْ سَأَلَهُ الْقُوَّادُ الْأَكَابِرُ لِيَرْجِعَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَرَجَعَ إِلَيْهَا ، وَأَقَامَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ ، وَأَنْفَذَ إِلَى أَخِيهِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْمَالِ وَالسِّلَاحِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. |
| وَكَانَ عِمَادُ الدَّوْلَةِ فِي حَيَاتِهِ هُوَ أَمِيرُ الْأُمَرَاءِ ، فَلَمَّا مَاتَ ، صَارَ أَخُوهُ رُكْنُ الدَّوْلَةِ أَمِيرَ الْأُمَرَاءِ ، وَكَانَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ هُوَ الْمُسْتَوْلِي عَلَى الْعِرَاقِ وَالْخِلَافَةِ ، وَهُوَ كَالنَّائِبِ عَنْهُمَا ، وَكَانَ عِمَادُ الدَّوْلَةِ كَرِيمًا ، حَلِيمًا ، عَاقِلًا ، حَسَنَ السِّيَاسَةِ لِلْمُلْكِ وَالرَّعِيَّةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ أَخْبَارِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى عَقْلِهِ وَسِيَاسَتِهِ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، قَلَّدَ أَبُو السَّائِبِ عُتْبَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَضَاءَ الْقُضَاةِ بِبَغْدَاذَ. |
| وَفِيهَا فِي رَبِيعٍ الْآخَرِ ، مَاتَ الْمُسْتَكْفِي بِاللَّهِ فِي دَارِ السُّلْطَانِ ، وَكَانَتْ عِلَّتُهُ نَفْثَ الدَّمِ. |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ مَوْتِ الصَّيْمَرِيِّ وَوِزَارَةِ الْمُهَلَّبِيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الصَّيْمَرِيُّ ، وَزِيرُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بِأَعْمَالِ الْجَامِدَةِ ، وَكَانَ قَدْ عَادَ مِنْ فَارِسَ إِلَيْهَا ، وَأَقَامَ يُحَاصِرُ عِمْرَانَ بْنَ شَاهِينَ ، فَأَخَذَتْهُ حُمَّى حَادَّةٌ مَاتَ مِنْهَا. |
| وَاسْتَوْزَرَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ أَبَا مُحَمَّدٍ الْحَسَنَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيَّ فِي جُمَادَى الْأُولَى ، وَكَانَ يَخْلُفُ الصَّيْمَرِيَّ بِحَضْرَةِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، فَعَرَفَ أَحْوَالَ الدَّوْلَةِ وَالدَّوَاوِينِ ، فَامْتَحَنَهُ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ ، فَرَأَى فِيهِ مَا يُرِيدُهُ مِنَ الْأَمَانَةِ ، وَالْكِفَايَةِ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِمَصَالِحِ الدَّوْلَةِ ، وَحُسْنِ السِّيرَةِ ، فَاسْتَوْزَرَهُ وَمَكَّنَهُ مِنْ وِزَارَتِهِ ، فَأَحْسَنَ السِّيرَةَ ، وَأَزَالَ كَثِيرًا مِنَ الْمَظَالِمِ خُصُوصًا بِالْبَصْرَةِ ، فَإِنَّ الْبَرِيدِيِّينَ كَانُوا قَدْ أَظْهَرُوا فِيهَا كَثِيرًا مِنَ الْمَظَالِمِ ، فَأَزَالَهَا وَقَرَّبَ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، وَتَنَقَّلَ فِي الْبِلَادِ لِكَشْفِ مَا فِيهَا مِنَ الْمَظَالِمِ وَتَخْلِيصِ الْأَمْوَالِ ، فَحَسُنَ أَثَرُهُ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. |
| ذِكْرُ غَزْوِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بِلَادَ الرُّومِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ دَخَلَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ ، فَغَزَا وَأَوْغَلَ فِيهَا ، وَفَتَحَ فِيهَا حُصُونًا كَثِيرَةً ، وَسَبَى وَغَنِمَ ، فَلَمَّا أَرَادَ الْخُرُوجَ مِنْ بَلَدِ الرُّومِ ، أَخَذُوا عَلَيْهِ الْمَضَايِقَ فَهَلَكَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَسْرًا وَقَتْلًا ، وَاسْتَرَدَّ الرُّومُ الْغَنَائِمَ وَالسَّبْيَ ، وَغَنِمُوا أَثْقَالَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالَهُمْ ، وَنَجَا سَيْفُ الدَّوْلَةِ فِي عَدَدٍ يَسِيرٍ. |
| ذِكْرُ إِعَادَةِ الْقَرَامِطَةِ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَعَادَ الْقَرَامِطَةُ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ إِلَى مَكَّةَ ، وَقَالُوا أَخَذْنَاهُ بِأَمْرٍ ، وَأَعَدْنَاهُ بِأَمْرٍ. |
| وَكَانَ بُجْكُمُ قَدْ بَذَلَ لَهُمْ فِي رَدِّهِ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَلَمْ يُجِيبُوهُ ، وَرَدُّوهُ الْآنَ بِغَيْرِ شَيْءٍ فِي ذِي الْقِعْدَةِ ، فَلَمَّا أَرَادُوا رَدَّهُ حَمَلُوهُ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَعَلَّقُوهُ بِجَامِعِهَا حَتَّى رَآهُ النَّاسُ ، ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَكَّةَ ، وَكَانُوا أَخَذُوهُ مِنْ رُكْنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ مُكْثُهُ عِنْدَهُمُ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً . |
| ذِكْرُ مَسِيرِ الْخُرَاسَانِيِّينَ إِلَى الرَّيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ مَنْصُورُ بْنُ قَرَاتَكِينَ مِنْ نَيْسَابُورَ إِلَى الرَّيِّ فِي صَفَرٍ ، أَمَرَهُ الْأَمِيرُ نُوحٌ بِذَلِكَ ، وَكَانَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ بِبِلَادِ فَارِسَ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، فَوَصَلَ مَنْصُورٌ إِلَى الرَّيِّ وَبِهَا عَلِيُّ بْنُ كَامَةَ خَلِيفَةُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، فَسَارَ عَلِيٌّ عَنْهَا إِلَى أَصْبَهَانَ ، وَدَخَلَ مَنْصُورٌ الرَّيَّ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَفَرَّقَ الْعَسَاكِرَ فِي الْبِلَادِ فَمَلَكُوا بِلَادَ الْجَبَلِ إِلَى قِرْمِيسِينَ ، وَأَزَالُوا عَنْهَا نُوَّابَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، وَاسْتَوْلُوا عَلَى هَمَذَانَ وَغَيْرِهَا. |
| فَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى رُكْنِ الدَّوْلَةِ وَهُوَ بِفَارِسَ ، فَكَتَبَ إِلَى أَخِيهِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ يَأْمُرُهُ بِإِنْفَاذِ عَسْكَرٍ بِدَفْعِ تِلْكَ الْعَسَاكِرِ عَنِ النَّوَاحِي الْمُجَاوِرَةِ لِلْعِرَاقِ ، فَسَيَّرَ سُبُكْتِكِينَ الْحَاجِبَ فِي عَسْكَرٍ ضَخْمٍ مِنَ الْأَتْرَاكِ ، وَالدَّيْلَمِ ، وَالْعَرَبِ ، فَلَمَّا سَارَ سُبُكْتِكِينُ عَنْ بَغْدَاذَ ، خَلَّفَ أَثْقَالَهُ ، وَأَسْرَى جَرِيدَةً إِلَى مَنْ بِقِرْمِيسِينَ مِنَ الْخُرَاسَانِيِّينَ ، فَكَبَسَهُمْ وَهُمْ غَارُّونَ ، فَقَتَلَ فِيهِمْ ، وَأَسَرَ مُقَدِّمَهُمْ مِنَ الْحَمَّامِ وَاسْمُهُ بُجْكُمُ الْخَمَارَتَكِينِيُّ ، فَأَنْفَذَهُ مَعَ الْأَسْرَى إِلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، فَحَبَسَهُ مُدَّةً ثُمَّ أَطْلَقَهُ. |
| فَلَمَّا بَلَغَ الْخُرَاسَانِيَّةَ ذَلِكَ ، اجْتَمَعُوا إِلَى هَمَذَانَ ، فَسَارَ سُبُكْتِكِينُ نَحْوَهُمْ ، فَفَارَقُوا هَمَذَانَ وَلَمْ يُحَارِبُوهُ ، وَدَخَلَ سُبُكْتِكِينُ هَمَذَانَ ، وَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنَّ وَرَدَ عَلَيْهِ رُكْنُ الدَّوْلَةِ فِي شَوَّالٍ. |
| وَسَارَ مَنْصُورٌ مِنَ الرَّيِّ فِي الْعَسَاكِرِ نَحْوَ هَمَذَانَ ، وَبِهَا رُكْنُ الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا بَقِيَ بَيْنَهُمَا مِقْدَارُ عِشْرِينَ فَرْسَخًا ، عَدَلَ مَنْصُورٌ إِلَى أَصْبَهَانَ ، وَلَوْ قَصَدَ هَمَذَانَ ، لَانْحَازَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ عَنْهُ ، وَكَانَ مَلَكَ الْبِلَادَ بِسَبَبِ اخْتِلَافٍ كَانَ فِي عَسْكَرِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، وَلَكِنَّهُ عَدَلَ عَنْهُ لِأَمْرٍ يُرِيدُهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَتَقَدَّمَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ إِلَى سُبُكْتِكِينَ بِالْمَسِيرِ فِي مُقَدِّمَتِهِمْ ، فَلَمَّا أَرَادَ الْمَسِيرَ ، شَغَبَ عَلَيْهِ بَعْضُ الْأَتْرَاكِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، فَقَالَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ هَؤُلَاءِ أَعْدَاؤُنَا وَمَعَنَا ، وَالرَّأْيُ أَنْ نَبْدَأَ بِهِمْ ، فَوَاقَعَهُمْ وَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ الْأَتْرَاكُ. |
| وَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، فَكَتَبَ إِلَى ابْنِ أَبِي الشَّوْكِ الْكُرْدِيِّ وَغَيْرِهِ يَأْمُرُهُمْ بِطَلَبِهِمْ وَالْإِيقَاعِ بِهِمْ ، فَطَلَبُوهُمْ وَأَسَرُوا مِنْهُمْ وَقَتَلُوا ، وَمَضَى مَنْ سَلِمَ مِنْهُمْ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَسَارَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ نَحْوَ أَصْبَهَانَ ، وَوَصَلَ ابْنُ قَرَاتَكِينَ إِلَى أَصْبَهَانَ ، فَانْتَقَلَ مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ أَصْحَابِ رَكْنِ الدَّوْلَةِ ، وَأَهْلِهِ وَأَسْبَابِهِ ، وَرَكِبُوا الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ ، حَتَّى الْبَقَرِ وَالْحَمِيرِ ، وَبَلَغَ كِرَاءُ الثَّوْرِ وَالْحِمَارِ إِلَى خَانِ لِنْجَانَ مِائَةَ دِرْهَمٍ ، وَهِيَ عَلَى تِسْعَةِ فَرَاسِخَ مِنْ أَصْبَهَانَ ، فَلَمْ يُمْكِنْهُمْ مُجَاوَرَةَ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، وَلَوْ سَارَ إِلَيْهِمْ مَنْصُورٌ لِغَنَمِهِمْ وَأَخَذَ مَا مَعَهُمْ ، وَمَلَكَ مَا وَرَاءَهُمْ ، إِلَّا أَنَّهُ دَخَلَ أَصْبَهَانَ وَأَقَامَ بِهَا. |
| وَوَصَلَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ فَنَزَلَ بِخَانِ لَنْجَانَ ، وَجَرَتْ بَيْنَهُمَا حُرُوبٌ عِدَّةَ أَيَّامٍ ، وَضَاقَتِ الْمِيرَةُ عَلَى الطَّائِفَتَيْنِ ، وَبَلَغَ بِهِمُ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ ذَبَحُوا دَوَابَّهُمْ ، وَلَوْ أَمْكَنَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ الِانْهِزَامُ لَفَعَلَ ، وَلَكِنَّهُ تَعَذَّرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، وَاسْتَشَارَ وَزِيرَهُ أَبَا الْفَضْلِ بْنَ الْعَمِيدِ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي فِي الْهَرَبِ ، فَقَالَ لَهُ لَا مَلْجَأَ لَكَ إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى ، فَانْوِ لِلْمُسْلِمِينَ خَيرًا ، وَصَمِّمِ الْعَزْمَ عَلَى حُسْنِ السِّيرَةِ ، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، فَإِنَّ الْحِيَلَ الْبَشَرِيَّةَ كُلُّهَا تَقَطَّعَتْ بِنَا ، وَإِنِ انْهَزَمْنَا ، تَبِعُونَا وَأَهْلَكُونَا وَهُمْ أَكْثَرُ مِنَّا ، فَلَا يُفْلِتُ مِنَّا أَحَدٌ ، فَقَالَ لَهُ قَدْ سَبَقْتُكَ إِلَى هَذَا . |
| فَلَمَّا كَانَ الثُّلُثُ الْأَخِيرُ مِنَ اللَّيْلِ ، أَتَاهُمُ الْخَبَرُ أَنَّ مَنْصُورًا وَعَسْكَرَهُ قَدْ عَادُوا إِلَى الرَّيِّ وَتَرَكُوا خِيَامَهُمْ ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْمِيرَةَ وَالْعَلُوفَةَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَيْضًا ، إِلَّا أَنَّ الدَّيْلَمَ كَانُوا يَصْبِرُونَ ، وَيَقْنَعُونَ بِالْقَلِيلِ مِنَ الطَّعَامِ ، وَإِذَا ذَبَحُوا دَابَّةً أَوْ جَمَلًا ، اقْتَسَمَهُ الْخَلْقُ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ ، وَكَانَ الْخُرَاسَانِيَّةُ بِالضِّدِّ مِنْهُمْ لَا يَصْبِرُونَ وَلَا يَكْفِيهِمُ الْقَلِيلُ ، فَشَغَبُوا عَلَى مَنْصُورٍ وَاخْتَلَفُوا ، وَعَادُوا إِلَى الرَّيِّ ، فَكَانَ عَوْدُهُمْ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَأَتَى الْخَبَرُ رُكْنَ الدَّوْلَةِ فَلَمْ يُصَدِّقْهُ حَتَّى تَوَاتَرَ عِنْدَهُ ، فَرَكِبَ هُوَ وَعَسْكَرُهُ ، وَاحْتَوَى عَلَى مَا خَلَّفَهُ الْخُرَاسَانِيَّةُ. |
| حَكَى أَبُو الْفَضْلِ بْنُ الْعَمِيدِ ، قَالَ اسْتَدْعَانِي رُكْنُ الدَّوْلَةِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ الثُّلُثَ الْأَخِيرَ ، وَقَالَ لِي قَدْ رَأَيْتُ السَّاعَةَ فِي مَنَامِي كَأَنِّي عَلَى دَابَّتِي فَيْرُوزَ ، وَقَدِ انْهَزَمَ عَدُوُّنَا ، وَأَنْتَ تَسِيرُ إِلَى جَانِبٍ ، وَقَدْ جَاءَنَا الْفَرَجُ مِنْ حَيْثُ لَا نَحْتَسِبُ ، فَمَدَدْتُ عَيْنِيَ فَرَأَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ خَاتَمًا ، فَأَخَذْتُهُ فَإِذَا فَصُّهُ مِنْ فَيْرُوزَجَ ، فَجَعَلْتُهُ فِي إِصْبَعِي ، وَتَبَرَّكْتُ بِهِ ، وَانْتَبَهْتُ وَقَدْ أَيْقَنْتُ بِالظَّفَرِ ، فَإِنَّ الْفَيْرُوزَجَ مَعْنَاهُ الظَّفَرُ ، وَلِذَلِكَ لَقَّبَ الدَّابَّةَ فَيْرُوزَ. |
| قَالَ ابْنُ الْعَمِيدِ فَأَتَانَا الْخَبَرُ وَالْبِشَارَةُ بِأَنَّ الْعَدُوَّ قَدْ رَحَلَ ، فَمَا صَدَّقْنَا حَتَّى تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ ، فَرَكِبْنَا وَلَا نَعْرِفُ سَبَبَ هَرَبِهِمْ ، وَسِرْنَا حَذِرِينَ مِنْ كَمِينٍ ، وَسِرْتُ إِلَى جَانِبِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ فَيْرُوزَ ، فَصَاحَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ بِغُلَامٍ بَيْنَ يَدَيْهِ نَاوِلْنِي ذَلِكَ الْخَاتَمَ ، فَأَخَذَ خَاتَمًا مِنَ الْأَرْضِ فَنَاوَلَهُ إِيَّاهُ ، فَإِذَا هُوَ فَيْرُوزَجُ ، فَجَعَلَهُ فِي إِصْبَعِهِ وَقَالَ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ ، وَهَذَا الْخَاتَمُ الَّذِي رَأَيْتُ مُنْذُ سَاعَةٍ. |
| وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا يُحْكَى وَأَعْجَبِهِ. |
| ذِكْرُ أَخْبَارِ عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ ، وَانْهِزَامِ عَسَاكِرِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ وَقَدْ ذَكَرْنَا حَالَ عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ بَعْدَ مَسِيرِ الصَّيْمَرِيِّ عَنْهُ ، وَأَنَّهُ زَادَ قُوَّةً وَجُرْأَةً ، فَأَنْفَذَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى قِتَالِهِ رُوزْبَهَانَ ، وَهُوَ مِنْ أَعْيَانِ عَسْكَرِهِ ، فَنَازَلَهُ وَقَاتَلَهُ ، فَطَاوَلَهُ عِمْرَانُ ، وَتَحَصَّنَ مِنْهُ فِي مَضَايِقِ الْبَطِيحَةِ ، فَضَجَرَ رُوزْبَهَانُ وَأَقْدَمَ عَلَيْهِ طَالِبًا لِلْمُنَاجَزَةِ ، فَاسْتَظْهَرَ عَلَيْهِ عِمْرَانُ وَهَزَمَهُ وَأَصْحَابَهُ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ وَغَنِمَ جَمِيعَ مَا مَعَهُمْ مِنَ السِّلَاحِ وَآلَاتِ الْحَرْبِ ، فَقَوِيَ بِهَا ، وَتَضَاعَفَتْ قُوَّتُهُ ، فَطَمِعَ أَصْحَابُهُ فِي السُّلْطَانِ ، فَصَارُوا إِذَا اجْتَازَ بِهِمْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ ، يَطْلُبُونَ مِنْهُ الْبَذْرَقَةَ وَالْخِفَارَةَ ، فَإِنْ أَعْطَاهُمْ ، وَإِلَّا ضَرَبُوهُ وَاسْتَخَفُّوا بِهِ وَشَتَمُوهُ. |
| وَكَانَ الْجُنْدُ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ الْعُبُورِ عَلَيْهِمْ إِلَى ضَيَاعِهِمْ وَمَعَايِشِهِمْ بِالْبَصْرَةِ وَغَيْرِهَا ، ثُمَّ انْقَطَعَ الطَّرِيقُ إِلَى الْبَصْرَةِ إِلَّا عَلَى الظَّهْرِ ، فَشَكَا النَّاسُ ذَلِكَ إِلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، فَكَتَبَ إِلَى الْمُهَلَّبِيِّ بِالْمَسِيرِ إِلَى وَاسِطَ لِهَذَا السَّبَبِ ، وَكَانَ بِالْبَصْرَةِ ، فَأَصْعَدَ إِلَيْهَا ، وَأَمَدَّهُ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بِالْقُوَّادِ وَالْأَجْنَادِ وَالسِّلَاحِ ، وَأَطْلَقَ يَدَهُ فِي الْإِنْفَاقِ ، فَزَحَفَ إِلَى الْبَطِيحَةِ وَضَيَّقَ عَلَى عِمْرَانَ ، وَسَدَّ الْمَذَاهِبَ عَلَيْهِ ، فَانْتَهَى إِلَى الْمَضَايِقِ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا عِمْرَانُ وَأَصْحَابُهُ ، وَأَحَبَّ رُوزْبَهَانُ أَنْ يُصِيبَ الْمُهَلَّبِيَّ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْهَزِيمَةِ ، وَلَا يَسْتَبِدَّ بِالظَّفَرِ وَالْفَتْحِ ، وَأَشَارَ عَلَى الْمُهَلَّبِيِّ بِالْهُجُومِ عَلَى عِمْرَانَ ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ ، فَكَتَبَ إِلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ يُعَجِّزُ الْمُهَلَّبِيَّ ، وَيَقُولُ إِنَّهُ يُطَاوِلُ لِيُنْفِقَ الْأَمْوَالَ وَيَفْعَلَ مَا يُرِيدُ ، فَكَتَبَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بِالْعَتَبِ وَالِاسْتِبْطَاءِ ، فَتَرَكَ الْمُهَلَّبِيُّ الْحَزْمَ ، وَمَا كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَفْعَلَهُ ، وَدَخَلَ بِجَمِيعِ عَسْكَرِهِ ، وَهَجَمَ عَلَى مَكَانِ عِمْرَانَ ، وَكَانَ قَدْ جَعَلَ الْكُمَنَاءَ فِي تِلْكَ الْمَضَايِقِ ، وَتَأَخَّرَ رُوزْبَهَانُ لِيَسْلَمَ عِنْدَ الْهَزِيمَةِ. |
| فَلَمَّا تَقَدَّمَ الْمُهَلَّبِيُّ ، خَرَجَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ الْكُمَنَاءُ ، وَوَضَعُوا فِيهِمُ السِّلَاحَ ، فَقُتِلُوا ، وَغُرِّقُوا ، وَأُسِرُوا ، وَانْصَرَفَ رُوزْبَهَانُ سَالِمًا هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، وَأَلْقَى الْمُهَلَّبِيُّ نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ فَنَجَا سِبَاحَةً ، وَأَسَرَ عِمْرَانُ الْقَوَّادَ وَالْأَكَابِرَ ، فَاضْطُرَّ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى مُصَالَحَتِهِ وَإِطْلَاقِ مَنْ عِنْدِهِ مِنْ أَهْلِ عِمْرَانَ وَإِخْوَتِهِ ، فَأَطْلَقَ عِمْرَانُ مَنْ فِي أَسْرِهِ مِنْ أَصْحَابِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَقَلَّدَهُ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ الْبَطَائِحَ ، فَقَوِيَ وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ. |
| ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ لَيْلَةَ يَوْمِ السَّبْتِ رَابِعَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ ، طَلَعَ الْقَمَرُ مُنْكَسِفًا ، وَانْكَسَفَ جَمِيعُهُ. |
| الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا فِي الْمُحَرَّمِ ، تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ قُرَابَةَ بِالْمَوْصِلِ ، وَحُمِلَ تَابُوتُهُ إِلَى بَغْدَاذَ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو نَصْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَارَابِيُّ ، الْحَكِيمُ الْفَيْلَسُوفُ ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ فِيهَا ، وَكَانَ مَوْتُهُ بِدِمَشْقَ ، وَكَانَ تِلْمِيذَ يُوحَنَّا بْنِ جِيلَانَ ، وَكَانَتْ وَفَاةُ يُوحَنَّا أَيَّامَ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ. |
| وَفِيهَا مَاتَ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ الزَّجَّاجِيُّ النَّحْوِيُّ ، وَقِيلَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . |
| ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ وَفَاةِ مَنْصُورِ بْنِ قَرَاتَكِينَ وَأَبِي الْمُظَفَّرِ بْنِ مُحْتَاجٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ مَنْصُورُ بْنُ قَرَاتَكِينَ صَاحِبُ الْجُيُوشِ الْخُرَاسَانِيَّةِ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، بَعْدَ عَوْدِهِ مِنْ أَصْبَهَانَ إِلَى الرَّيِّ ، فَذَكَرَ الْعِرَاقِيُّونَ أَنَّهُ أَدْمَنَ الشُّرْبَ عِدَّةَ أَيَّامٍ بِلَيَالِيهَا ، فَمَاتَ فَجْأَةً ، وَقَالَ الْخُرَاسَانِيُّونَ إِنَّهُ مَرِضَ وَمَاتَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. |
| وَلَمَّا مَاتَ ، رَجَعَتِ الْعَسَاكِرُ الْخَرَاسَانِيَّةُ إِلَى نَيْسَابُورَ ، وَحُمِلَ تَابُوتُ مَنْصُورٍ ، وَدُفِنَ إِلَى جَانِبِ وَالِدِهِ بِأَسْبِيجَابَ. |
| وَمِنْ عَجِيبِ مَا يُحْكَى أَنَّ مَنْصُورًا لَمَّا سَارَ مِنْ نَيْسَابُورَ إِلَى الرَّيِّ ، سَيَّرَ غُلَامًا لَهُ إِلَى أَسْبِيجَابَ لِيُقِيمَ فِي رِبَاطِ وَالِدِهِ قَرَاتَكِينَ الَّذِي فِيهِ قَبْرُهُ ، فَلَمَّا وَدَّعَهُ ، قَالَ كَأَنَّكَ بِي قَدْ حُمِلْتُ فِي تَابُوتٍ إِلَى تِلْكَ الْبَرِّيَّةِ ، فَكَانَ كَمَا قَالَ بَعْدَ قَلِيلٍ مَاتَ وَحُمِلَ تَابُوتُهُ إِلَى ذَلِكَ الرِّبَاطِ ، وَدُفِنَ عِنْدَ قَبْرِ وَالِدِهِ. |
| وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْمُظَفَّرِ بْنُ أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُحْتَاجٍ بِبُخَارَى ، كَانَ قَدْ رَكِبَ دَابَّةً أَنْفَذَهَا إِلَيْهِ أَبُوهُ ، فَأَلْقَتْهُ وَسَقَطَتْ عَلَيْهِ فَهَشَّمَتْهُ ، وَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ ، وَذَلِكَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَعَظُمَ مَوْتُهُ عَلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَشَقَّ مَوْتُهُ عَلَى الْأَمِيرِ نُوحٍ ، وَحُمِلَ إِلَى الصَّغَانِيَانِ إِلَى وَالِدِهِ أَبِي عَلِيٍّ ، وَكَانَ مُقِيمًا بِهَا. |
| ذِكْرُ عَوْدِ أَبِي عَلِيٍّ إِلَى خُرَاسَانَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أُعِيدَ أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُحْتَاجٍ إِلَى قِيَادَةِ الْجُيُوشِ بِخُرَاسَانَ ، وَأُمِرِ بِالْعَوْدِ إِلَى نَيْسَابُورَ. |
| وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ مَنْصُورَ بْنَ قَرَاتَكِينَ كَانَ قَدْ تَأَذَّى بِالْجُنْدِ ، وَاسْتَصْعَبَ إِيَالَتَهُمْ ، وَكَانُوا قَدِ اسْتَبَدُّوا بِالْأُمُورِ دُونَهُ ، وَعَاثُوا فِي نَوَاحِي نَيْسَابُورَ ، فَتَوَاتَرَتْ كُتُبُهُ إِلَى الْأَمِيرِ نُوحٍ بِالِاسْتِعْفَاءِ مِنْ وَلَايَتِهِمْ ، وَيَطْلُبُ أَنْ يُقْتَصَرَ بِهِ عَلَى هَرَاةَ ، وَيُوَلِّيَ مَا بِيَدِهِ مَنْ أَرَادَ نُوحٌ ، فَكَانَ نُوحٌ يُرْسِلُ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ يَعِدُهُ بِإِعَادَتِهِ إِلَى مَرْتَبَتِهِ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ مَنْصُورٌ ، أَرْسَلَ الْأَمِيرُ نُوحٌ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ الْخِلَعَ وَاللِّوَاءَ ، وَأَمَرَهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى نَيْسَابُورَ ، وَأَقْطَعَهُ الرَّيَّ وَأَمَرَهُ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهَا ، فَسَارَ عَنِ الصَّغَانِيَانِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَاسْتَخْلَفَ مَكَانَهُ ابْنَهُ أَبَا مَنْصُورٍ ، وَوَصَلَ إِلَى مَرْوَ وَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ أَصْبَحَ أَمْرُ خُوَارِزْمَ ، وَكَانَتْ شَاغِرَةً ، وَسَارَ إِلَى نَيْسَابُورَ ، فَوَرَدَهَا فِي ذِي الْحِجَّةِ فَأَقَامَ بِهَا. |
|  |

ذِكْرُ الْحَرْبِ بِصِقِلِّيَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالرُّومِ كَانَ الْمَنْصُورُ الْعَلَوِيُّ صَاحِبَ إِفْرِيقِيَّةَ قَدِ اسْتَعْمَلَ عَلَى صِقِلِّيَةَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الْحُسَيْنِ الْكَلْبِيَّ ، فَدَخَلَهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، وَغَزَا الرُّومَ الَّذِينَ بِهَا عِدَّةَ غَزَوَاتٍ ، فَاسْتَمَدُّوا مَلِكَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ فَسَيَّرَ إِلَيْهِمْ جَيْشًا كَثِيرًا ، فَنَزَلُوا أَذْرَنْتَ ، فَأَرْسَلَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى الْمَنْصُورِ يُعَرِّفُهُ الْحَالَ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا مَعَ خَادِمِهِ فَرَحٍ ، فَجَمَعَ الْحَسَنَ جُنْدَهُ مَعَ الْوَاصِلِينَ ، وَسَارَ إِلَى رِيُّو ، وَبَثَّ السَّرَايَا فِي أَرْضِ قِلَّوْرِيَةَ ، وَحَاصَرَ الْحَسَنُ جَرَاجَةَ أَشَدَّ حِصَارٍ ، فَأَشْرَفَ أَهْلُهَا عَلَى الْهَلَاكِ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَخْذُهَا ، فَأَتَاهُ الْخَبَرُ أَنَّ عَسْكَرَ الرُّومِ وَاصِلٌ إِلَيْهِ ، فَهَادَنَ أَهْلَ جَرَاجَةَ عَلَى مَالٍ يُؤَدُّونَهُ ، وَسَارَ إِلَى الرُّومِ ، فَلَمَّا سَمِعُوا بِقُرْبِهِ مِنْهُمُ ، انْهَزَمُوا بِغَيْرِ قِتَالٍ وَتَرَكُوا أَذْرَنْتَ.وَنَزَلَ الْحَسَنُ عَلَى قَلْعَةِ قِسَانَةَ ، وَبَثَّ سَرَايَاهُ تَنْهَبُ ، فَصَالَحَهُ أَهْلُ قِسَانَةَ عَلَى مَالٍ ، وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ إِلَى شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ ، وَكَانَ الْمَصَافُّ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَعَسْكَرِ قُسْطَنْطِينِيَّةَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الرُّومِ الَّذِينَ بِصِقِلِّيَةَ لَيْلَةَ الْأَضْحَى ، وَاقْتَتَلُوا وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، فَانْهَزَمَ الرُّومُ ، وَرَكِبَهُمُ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ إِلَى اللَّيْلِ ، وَغَنِمُوا جَمِيعَ أَثْقَالِهِمْ ، وَسِلَاحِهِمْ ، وَدَوَابِّهِمْ ، وَسَيَّرَ الرُّءُوسَ إِلَى مَدَائِنِ صِقِلِّيَةَ ، وَإِفْرِيقِيَّةَ ، وَحَصَرَ الْحَسَنُ جَرَاجَةَ ، فَصَالَحُوهُ عَلَى مَالٍ يَحْمِلُونَهُ ، وَرَجَعَ عَنْهُمْ ، وَسَيَّرَ سَرِيَّةً إِلَى الْمَدِينَةِ بِطَرْقُوقَةَ فَفَتَحُوهَا ، وَغَنِمُوا مَا فِيهَا.وَلَمْ يَزَلِ الْحَسَنُ بِجَزِيرَةِ صِقِلِّيَةَ إِلَى سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَمَاتَ الْمَنْصُورُ ، فَسَارَ عَنْهَا إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ ، وَاتَّصَلَ بِالْمُعِزِّ بْنِ الْمَنْصُورِ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى صِقِلِّيَةَ ابْنَهُ أَبَا الْحَسَنِ أَحْمَدَ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ رُفِعَ إِلَى الْمُهَلَّبِيِّ أَنَّ رَجُلًا يُعْرَفُ بِالْبَصْرِيِّ مَاتَ بِبَغْدَاذَ ، وَهُوَ مُقَدَّمُ الْقَرَاقِرِيَّةِ يَدَّعِي أَنَّ رُوحَ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الْقَرَاقِرِ قَدْ حَلَّتْ فِيهِ ، وَأَنَّهُ خَلَّفَ مَالًا كَثِيرًا كَانَ يَجْبِيهِ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ ، وَأَنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَعْتَقِدُونَ رُبُوبِيَّتَهُ ، وَأَنَّ أَرْوَاحَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ حَلَّتْ فِيهِمْ ، فَأَمَرَ بِالْخَتْمِ عَلَى التَّرِكَةِ ، وَالْقَبْضِ عَلَى أَصْحَابِهِ ، وَالَّذِي قَامَ بِأَمْرِهِمْ بَعْدَهُ ، فَلَمْ يَجِدْ إِلَّا مَالًا يَسِيرًا ، وَرَأَى دَفَاتِرَ فِيهَا أَشْيَاءُ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ.وَكَانَ فِيهِمْ غُلَامٌ شَابٌّ يَدَّعِي أَنَّ رُوحَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حَلَّتْ فِيهِ ، وَامْرَأَةٌ يُقَالُ لَهَا فَاطِمَةُ تَدَّعِي أَنَّ رُوحَ فَاطِمَةَ حَلَّتْ فِيهَا ، وَخَادِمٌ لِبَنِي بِسِطَامَ يَدَّعِي أَنَّهُ مِيكَائِيلُ ، فَأَمَرَ بِهِمُ الْمُهَلَّبِيُّ فَضُرِبُوا وَنَالَهُمْ مَكْرُوهٌ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ تَوَصَّلُوا بِمَنْ أَلْقَى إِلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ أَنَّهُمْ مِنْ شِيعَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَأَمَرَ بِإِطْلَاقِهِمْ ، وَخَافَ الْمُهَلَّبِيُّ أَنْ يُقِيمَ عَلَى تَشَدُّدِهِ فِي أَمْرِهِمْ فَيُنْسَبُ إِلَى تَرْكِ التَّشَيُّعِ ، فَسَكَتَ عَنْهُمْ. الْوَفَيَاتُ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ لَالٍ أَبُو الْحَسَنِ الْكَرْخِيُّ الْفَقِيهُ الْحَنَفِيُّ الْمَشْهُورُ فِي شَعْبَانَ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ سِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَكَانَ عَابِدًا مُعْتَزِلِيًّا.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو جَعْفَرٍ الْفَقِيهُ بِبُخَارَى. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ حِصَارِ الْبَصْرَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ يُوسُفُ بْنُ وَجِيهٍ صَاحِبُ عَمَّانَ فِي الْبَحْرِ وَالْبَرِّ إِلَى الْبَصْرَةِ فَحَصَرَهَا.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ لَمَّا سَلَكَ الْبَرِّيَّةَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَأَرْسَلَ الْقَرَامِطَةُ يُنْكِرُونَ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، وَأَجَابَهُمْ بِمَا ذَكَرْنَاهُ ، عَلِمَ يُوسُفُ بْنُ وَجِيهٍ اسْتِيحَاشَهُمْ مِنْ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ يُطْمِعُهُمْ فِي الْبَصْرَةِ ، وَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَمُدُّوهُ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَرِّ ، فَأَمَدُّوهُ بِجَمْعٍ كَثِيرٍ مِنْهُمْ ، وَسَارَ يُوسُفُ فِي الْبَحْرِ ، فَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى الْوَزِيرِ الْمُهَلَّبِيِّ وَقَدْ فَرَغَ مِنَ الْأَهْوَازِ وَالنَّظَرِ فِيهَا ، فَسَارَ مُجِدًّا فِي الْعَسَاكِرِ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَدَخَلَهَا قَبْلَ وُصُولِ يُوسُفَ إِلَيْهَا ، وَشَحَنَهَا بِالرِّجَالِ ، وَأَمَدَّهُ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بِالْعَسَاكِرِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَتَحَارَبَ هُوَ وَابْنُ وَجِيهٍ أَيَّامًا ، ثُمَّ انْهَزَمَ ابْنُ وَجِيهٍ ، وَظَفَرَ الْمُهَلَّبِيُّ بِمَرَاكِبِهِ وَمَا مَعَهُ مِنْ سِلَاحٍ وَغَيْرِهِ.ذِكْرُ وَفَاةِ الْمَنْصُورِ الْعَلَوِيِّ وَمِلْكِ وَلَدِهِ الْمُعِزِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ الْمَنْصُورُ بِاللَّهِ أَبُو الطَّاهِرِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْقَائِمِ أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ سَلْخَ شَوَّالٍ ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ سَبْعَ سِنِينَ وَسِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَكَانَ عُمُرُهُ تِسْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَكَانَ خَطِيبًا بَلِيغًا ، يَخْتَرِعُ الْخُطْبَةَ لِوَقْتِهِ ، وَأَحْوَالُهُ مَعَ أَبِي يَزِيدَ الْخَارِجِيِّ وَغَيْرِهِ تَدُلُّ عَلَى شَجَاعَةٍ وَعَقْلٍ.وَكَانَ سَبَبُ وَفَاتِهِ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى سَفَاقُسَ وَتُونُسَ ثُمَّ إِلَى قَابِسَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى أَهْلِ جَزِيرَةِ جَرْبَةَ يَدْعُوهُمْ إِلَى طَاعَتِهِ ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ رِجَالًا مَعَهُ وَعَادَ ، وَكَانَتْ سُفْرَتُهُ شَهْرًا ، وَعَهِدَ إِلَى ابْنِهِ مَعَدٍّ بِوَلَايَةِ الْعَهْدِ ، فَلَمَّا كَانَ رَمَضَانُ ، خَرَجَ مُتَنَزِّهًا أَيْضًا إِلَى مَدِينَةِ جَلُولَاءَ ، وَهُوَ مَوْضِعٌ كَثِيرُ الثِّمَارِ ، وَفِيهِ مِنَ الْأُتْرُجِّ مَا لَا يُرَى مِثْلُهُ فِي عِظَمِهِ ، يَكُونُ شَيْءٌ يَحْمِلُ الْجَمَلُ مِنْهُ أَرْبَعَ أُتْرُجَّاتٍ ، فَحَمَلَ مِنْهُ إِلَى قَصْرِهِ.وَكَانَ لِلْمَنْصُورِ جَارِيَةٌ حَظِيَّةٌ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ اسْتَحْسَنَتْهُ ، وَسَأَلَتِ الْمَنْصُورَ أَنْ تَرَاهُ فِي أَغْصَانِهِ ، فَأَجَابَهَا إِلَى ذَلِكَ ، وَرَحَلَ إِلَيْهَا فِي خَاصَّتِهِ ، وَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَنْصُورِيَّةِ ، فَأَصَابَهُ فِي الطَّرِيقِ رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَبَرْدٌ وَمَطَرٌ ، وَدَامَ عَلَيْهِ فَصَبَرَ وَتَجَلَّدَ ، وَكَثُرَ الثَّلْجُ ، فَمَاتَ جَمَاعَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَهُ ، وَاعْتَلَّ الْمَنْصُورُ عِلَّةً شَدِيدَةً ، لِأَنَّهُ لَمَّا وَصَلَ إِلَى الْمَنْصُورِيَّةِ أَرَادَ دُخُولَ الْحَمَّامِ ، فَنَهَاهُ طَبِيبُهُ إِسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْإِسْرَائِيلِيُّ عَنْ ذَلِكَ ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ وَدَخَلَ الْحَمَّامَ ، فَفَنِيَتِ الْحَرَارَةُ الْغَرِيزِيَّةُ مِنْهُ وَلَازَمَهُ السَّهَرُ ، فَأَقْبَلَ إِسْحَاقُ يُعَالِجُ الْمَرَضَ وَالسَّهَرُ بَاقٍ بِحَالِهِ ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمَنْصُورِ ، فَقَالَ لِبَعْضِ الْخَدَمِ أَمَا فِي الْقَيْرَوَانِ طَبِيبٌ غَيْرُ إِسْحَاقَ يُخَلِّصُنِي مِنْ هَذَا الْأَمْرِ ؟قَالَ هَاهُنَا شَابٌّ قَدْ نَشَأَ الْآنَ اسْمُهُ إِبْرَاهِيمُ ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ ، وَشَكَا إِلَيْهِ مَا يَجِدُهُ مِنَ السَّهَرِ ، فَجَمَعَ لَهُ أَشْيَاءَ مُنَوِّمَةٍ ، وَجُعِلَتْ فِي قِنِّينَةٍ عَلَى النَّارِ ، وَكَلَّفَهُ شَمَّهَا ، فَلَمَّا أَدْمَنَ شَمَّهَا نَامَ.وَخَرَجَ إِبْرَاهِيمُ وَهُوَ مَسْرُورٌ بِمَا فَعَلَ ، وَبَقِيَ الْمَنْصُورُ نَائِمًا ، فَجَاءَ إِسْحَاقُ فَطَلَبَ الدُّخُولَ عَلَيْهِ ، فَقِيلَ هُوَ نَائِمٌ ، فَقَالَ إِنْ كَانَ صَنَعَ لَهُ شَيْءٌ يَنَامُ مِنْهُ فَقَدْ مَاتَ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَوَجَدُوهُ مَيِّتًا ، فَدُفِنَ فِي قَصْرِهِ وَأَرَادُوا قَتْلَ إِبْرَاهِيمَ ، فَقَالَ إِسْحَاقُ مَا لَهُ ذَنْبٌ ، إِنَّمَا دَاوَاهُ بِمَا ذَكَرَهُ الْأَطِبَّاءُ ، غَيْرَ أَنَّهُ جَهِلَ أَصْلَ الْمَرَضِ وَمَا عَرَفْتُمُوهُ ، وَذَلِكَ أَنَّنِي كُنْتُ فِي مُعَالَجَتِهِ أَنْظُرُ فِي تَقْوِيَةِ الْحَرَارَةِ الْغَرِيزِيَّةِ وَبِهَا يَكُونُ النَّوْمُ ، فَلَمَّا عُولِجَ بِالْأَشْيَاءِ الْمُطْفِئَةِ لَهَا ، عَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ.وَلَمَّا مَاتَ وَلِيَ الْأَمْرَ بَعْدَهُ ابْنُهُ مَعَدٌّ ، وَهُوَ الْمُعِزُّ لِدِينِ اللَّهِ ، وَأَقَامَ فِي تَدْبِيرِ الْأُمُورِ إِلَى سَابِعِ ذِي الْحِجَّةِ ، فَأَذِنَ لِلنَّاسِ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، وَجَلَسَ لَهُمْ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ ، وَكَانَ عُمُرُهُ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً.فَلَمَّا دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ صَعِدَ جَبَلَ أُورَاسَ ، وَجَالَ فِيهِ عَسْكَرُهُ ، وَهُوَ مَلْجَأُ كُلِّ مُنَافِقٍ عَلَى الْمُلُوكِ ، وَكَانَ فِيهِ بَنُو كَمْلَانَ ، وَمُلَيْلَةَ ، وَقَبِيلَتَانِ مِنْ هَوَارَةَ ، لَمْ يَدْخُلُوا فِي طَاعَةِ مَنْ تَقَدَّمَهُ ، فَأَطَاعُوا الْمُعِزَّ ، وَدَخَلُوا مَعَهُ الْبِلَادَ ، وَأَمَرَ نُوَّابَهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْبَرْبَرِ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَتَاهُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمُ الْمُعِزُّ ، وَعَظُمَ أَمْرُهُ ، وَمِنْ جُمْلَةِ مَنِ اسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ خَزَرٍ الزَّنَاتِيُّ أَخُو مَعْبَدٍ ، فَأَمَّنَهُ الْمُعِزُّ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، ضَرَبَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ وَزِيرَهُ أَبَا مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيَّ بِالْمَقَارِعِ مِائَةً وَخَمْسِينَ مِقْرَعَةً ، وَوَكَّلَ بِهِ فِي دَارِهِ وَلَمْ يَعْزِلْهُ مِنْ وِزَارَتِهِ ، وَكَانَ نَقِمَ عَلَيْهِ أُمُورًا ضَرْبَهُ بِسَبَبِهَا.وَفِيهَا فِي رَبِيعٍ الْآخَرِ ، وَقَعَ حَرِيقٌ عَظِيمٌ بِبَغْدَاذَ فِي سُوقِ الثُّلَاثَاءِ ، فَاحْتَرَقَ فِيهِ لِلنَّاسِ مَا لَا يُحْصَى.وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَلِكَ الرُّومُ مَدِينَةَ سِرُوجَ ، وَسَبَوْا أَهْلَهَا وَغَنِمُوا أَمْوَالَهُمْ ، وَأَخْرَبُوا الْمَسَاجِدَ.وَفِيهَا سَارَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ مِنَ الرَّيِّ إِلَى طَبَرِسْتَانَ وَجُرْجَانَ ، فَسَارَ عَنْهَا إِلَى نَاحِيَةِ نَسَا وَأَقَامَ بِهَا ، وَاسْتَوْلَى رُكْنُ الدَّوْلَةِ عَلَى تِلْكَ الْبِلَادِ ، وَعَادَ عَنْهَا إِلَى الرَّيِّ ، وَاسْتَخْلَفَ بِجُرْجَانَ الْحَسَنَ بْنَ فَيْرُزَانَ وَعَلِيَّ بْنَ كَامَةَ ، فَلَمَّا رَجَعَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ عَنْهَا ، قَصَدَهَا وَشْمَكِيرُ فَانْهَزَمُوا مِنْهُ ، وَاسْتَرَدَّهَا وَشْمَكِيرُ.وَفِيهَا وُلِدَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ ، وَهُوَ فَخْرُ الدَّوْلَةِ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو عَلِيٍّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الصَّفَارُ النَّحْوِيُّ الْمُحَدِّثُ ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ الْمُبَرِّدِ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَكَانَ مُكْثِرًا مِنَ الْحَدِيثِ . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ هَرَبِ دَيْسَمَ عَنْ أَذْرَبِيجَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ هَرَبَ دَيْسَمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَبُو سَالِمٍ عَنْ أَذْرَبِيجَانَ ، وَكُنَّا قَدْ ذَكَرْنَا اسْتِيلَاءَهُ عَلَيْهَا.وَأَمَّا سَبَبُ هَرَبِهِ عَنْهَا فَإِنَّهُ كَانَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ بْنُ بُوَيْهِ قَدْ قَبَضَ عَلَى بَعْضِ قُوَّادِهِ ، وَاسْمُهُ عَلِيُّ بْنُ مَيْسَكِيِّ ، فَأَفْلَتَ مِنَ الْحَبْسِ وَقَصَدَ الْجَبَلَ ، وَجَمَعَ جَمْعًا وَسَارَ إِلَى وَهْسُوذَانَ أَخِي الْمَرْزُبَانِ ، فَاتَّفَقَ مَعَهُ وَتَسَاعَدَا عَلَى دَيْسَمَ.ثُمَّ إِنَّ الْمَرْزُبَانَ اسْتَوْلَى عَلَى قَلْعَةِ سُمَيْرِمَ عَلَى مَا نَذْكُرُهُ ، وَوَصَلَتْ كُتُبُهُ إِلَى أَخِيهِ وَعَلِيِّ بْنِ مَيْسَكِيِّ بِخَلَاصِهِ ، وَكَاتَبَ الدَّيْلَمَ وَاسْتَمَالَهُمْ ، وَلَمْ يَعْلَمْ دَيْسَمُ بِخَلَاصِهِ ، إِنَّمَا كَانَ يَظُنُّ أَنَّ وَهْسُوذَانَ وَعَلِيَّ بْنَ مَيْسَكِيِّ يُقَاتِلَانِهِ.وَكَانَ لَهُ وَزِيرٌ يُعْرَفُ بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ النُّعَيْمِيِّ ، فَشَرَهَ إِلَى مَالِهِ وَقَبَضَ عَلَيْهِ ، وَاسْتَكْتَبَ إِنْسَانًا كَانَ يَكْتُبُ لِلنُّعَيْمِيِّ ، فَاحْتَالَ النُّعَيْمِيُّ بِأَنْ أَجَابَهُ إِلَى كُلِّ مَا الْتَمَسَ مِنْهُ ، وَضَمِنَ مِنْهُ ذَلِكَ الْكَاتِبَ بِمَالٍ ، فَأَطْلَقَهُ دَيْسَمُ ، وَسَلَّمَ إِلَيْهِ كَاتِبَهُ وَأَعَادَهُ إِلَى حَالِهِ.ثُمَّ سَارَ دَيْسَمُ وَخَلَّفَهُ بِأَرْدَبِيلَ لِيُحَصِّلَ الْمَالَ الَّذِي بَذَلَهُ ، فَقَتَلَ النُّعَيْمِيُّ ذَلِكَ الْكَاتِبَ وَهَرَبَ بِمَا مَعَهُ مِنَ الْمَالِ إِلَى عَلِيِّ بْنِ مَيْسَكِيِّ ، فَبَلَغَ الْخَبَرُ دَيْسَمَ بِقُرْبِ زَنْجَانَ ، فَعَادَ إِلَى أَرْدَبِيلَ ، فَشَغَبَ الدَّيْلَمُ عَلَيْهِ ، فَفَرَّقَ فِيهِمْ مَا كَانَ لَهُ مِنْ مَالٍ ، وَأَتَاهُ الْخَبَرُ بِمَسِيرِ عَلِيِّ بْنِ مَيْسَكِيِّ إِلَى أَرْدَبِيلَ فِي عِدَّةٍ يَسِيرَةٍ ، فَسَارَ نَحْوَهُ وَالْتَقَيَا وَاقْتَتَلًا ، فَانْحَازَ الدَّيْلَمُ إِلَى عَلِيٍّ ، وَانْهَزَمَ دَيْسَمُ إِلَى أَرْمِينِيَّةَ فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَكْرَادِ ، فَحَمَلَ إِلَيْهِ مُلُوكَهَا مَا تَمَاسَكَ بِهِ.وَوَرَدَ عَلَيْهِ الْخَبَرُ بِمَسِيرِ الْمَرْزُبَانِ عَنْ قَلْعَةِ سُمَيْرِمَ إِلَى أَرْدَبِيلَ ، وَاسْتِيلَائِهِ عَلَى أَذْرَبِيجَانَ ، وَإِنْفَاذِهِ جَيْشًا نَحْوَهُ ، فَلَمْ يُمْكِنْهُ الْمَقَامُ ، فَهَرَبَ عَنْ أَرْمِينِيَّةَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَكَانَ وُصُولُهُ هَذِهِ السَّنَةَ ، فَلَقِيَهُ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ وَأَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ فِي أَرْغَدِ عَيْشٍ.ثُمَّ كَاتَبَهُ أَهْلُهُ وَأَصْحَابُهُ بِأَذْرَبِيجَانَ يَسْتَدْعُونَهُ ، فَرَحَلَ عَنْ بَغْدَاذَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَطَلَبَ مِنْ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ أَنْ يُنْجِدَهُ بِعَسْكَرٍ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ؛ لِأَنَّ الْمَرْزُبَانَ كَانَ قَدْ صَالَحَ رُكْنَ الدَّوْلَةِ وَصَاهَرَهُ ، فَلَمْ يُمْكِنْ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ مُخَالَفَةَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، فَسَارَ دَيْسَمُ إِلَى نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ بِالْمَوْصِلِ يَسْتَنْجِدُهُ ، فَلَمْ يُنْجِدْهُ ، فَسَارَ إِلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ بِالشَّامِ ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ إِلَى سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.وَاتُّفِقَ أَنَّ الْمَرْزُبَانَ خَرَجَ عَلَيْهِ جَمْعٌ بِبَابِ الْأَبْوَابِ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ ، فَأَرْسَلَ مُقَدَّمٌ مِنْ أَكْرَادِ أَذْرَبِيجَانَ إِلَى دَيْسَمَ يَسْتَدْعِيهِ إِلَى أَذْرَبِيجَانَ لِيُعَاضِدَهُ عَلَى مَلِكِهَا ، فَسَارَ إِلَيْهَا ، وَمَلَكَ مَدِينَةَ سَلْمَاسَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمَرْزُبَانُ قَائِدًا مِنْ قُوَّادِهِ ، فَقَاتَلَهُ ، فَاسْتَأْمَنَ أَصْحَابُ الْقَائِدِ إِلَى دَيْسَمَ ، فَعَادَ الْقَائِدُ مُنْهَزِمًا ، وَبَقِيَ دَيْسَمُ بِسَلْمَاسَ.فَلَمَّا فَرَغَ الْمَرْزُبَانُ مِنْ أَمْرِ الْخَوَارِجِ عَلَيْهِ ، عَادَ إِلَى أَذْرَبِيجَانَ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْ دَيْسَمَ ، فَارَقَ سَلْمَاسَ وَسَارَ إِلَى أَرْمِينِيَّةَ وَقَصَدَ ابْنَ الدَّيَرَانِيَّ وَابْنَ حَاجِيقَ لِثِقَتِهِ بِهِمَا ، فَكَتَبَ الْمَرْزُبَانُ إِلَى ابْنِ الدَّيَرَانِيِّ يَأْمُرُهُ بِالْقَبْضِ عَلَى دَيْسَمَ ، فَدَافَعَهُ ثُمَّ قَبَضَ عَلَيْهِ خَوفًا مِنَ الْمَرْزُبَانِ ، فَلَمَّا قَبَضَ عَلَيْهِ أَمَرَهُ الْمَرْزُبَانُ بِأَنْ يَحْمِلَهُ إِلَيْهِ ، فَدَافَعَهُ ثُمَّ اضْطُرَّ إِلَى تَسْلِيمِهِ ، فَلَمَّا تَسَلَّمَهُ الْمَرْزُبَانُ سَمَلَهُ وَأَعْمَاهُ ، ثُمَّ حَبَسَهُ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ الْمَرْزُبَانُ قَتَلَ دَيْسَمَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْمَرْزُبَانِ خَوفًا مِنْ غَائِلَتِهِ.ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ الْمَرْزُبَانِ عَلَى سُمَيْرِمَ قَدْ ذَكَرْنَا أَسْرَ الْمَرْزُبَانِ وَحَبْسَهُ بِسُمَيْرِمَ ، وَأَمَّا سَبَبُ خَلَاصِهِ فَإِنَّ وَالِدَتَهُ ، وَهِيَ ابْنَةُ جِسْتَانَ بْنِ وَهْسُوذَانَ الْمَلِكِ ، وَضَعَتْ جَمَاعَةً لِلسَّعْيِ فِي خَلَاصِهِ ، فَقَصَدُوا سُمَيْرِمَ ، وَأَظْهَرُوا أَنَّهُمْ تُجَّارٌ ، وَأَنَّ الْمَرْزُبَانَ قَدْ أَخَذَ مِنْهُمْ أَمْتِعَةً نَفِيسَةً وَلَمْ يُوصِلْ ثَمَنَهَا إِلَيْهِمْ ، وَاجْتَمَعُوا بِمُتَوَلِّي سُمَيْرِمَ ، وَيُعْرَفُ بِبَشِيرِ أَسْفَارْ ، وَعَرَّفُوهُ مَا ظَلَمَهُمْ بِهِ الْمَرْزُبَانُ ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُمْ لِيُحَاسِبُوهُ وَلِيَأْخُذُوا خَطَّهُ إِلَى وَالِدَتِهِ بِإِيصَالِ مَا لَهُمْ إِلَيْهِمْ ، فَرَقَّ لَهُمْ بَشِيرُ أَسْفَارٍ وَجَمَعَ بَيْنَهُمْ ، فَطَالَبُوهُ بِمَالِهِمْ ، فَأَنْكَرَ الْمَرْزُبَانُ ذَلِكَ ، فَغَمَزَهُ أَحَدُهُمْ ، فَفَطِنَ لَهُمْ وَاعْتَرَفَ لَهُمْ ، وَقَالَ حَتَّى أَتَذَكَّرَ مَالَكُمْ ، فَإِنَّنِي لَا أَعْرِفُ مِقْدَارَهُ ، فَأَقَامُوا هُنَاكَ ، وَبَذَلُوا الْأَمْوَالَ لِبَشِيرِ أَسْفَارٍ وَالْأَجْنَادِ ، وَضَمِنُوا لَهُمُ الْأَمْوَالَ الْجَلِيلَةَ إِذَا خَلُصَ مَا لَهُمْ عِنْدَ الْمَرْزُبَانِ ، فَصَارُوا لِذَلِكَ يَدْخُلُونَ الْحِصْنَ بِغَيْرِ إِذْنٍ ، وَكَثُرَ اجْتِمَاعُهُمْ بِالْمَرْزُبَانِ وَأَوْصَلُوا إِلَيْهِ أَمْوَالًا مِنْ عِنْدِ وَالِدَتِهِ ، وَأَخْبَارًا ، وَأَخَذُوا مِنْهُ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ.وَكَانَ لِبَشِيرِ أَسْفَارٍ غُلَامٌ أَمَرَدُ ، جَمِيلُ الْوَجْهِ ، يَحْمِلُ تُرْسَهُ وَزَوْبِينَهُ ، فَأَظْهَرَ الْمَرْزُبَانُ لِذَلِكَ الْغُلَامِ مَحَبَّةً شَدِيدَةً وَعِشْقًا ، وَأَعْطَاهُ مَالًا كَثِيرًا مِمَّا جَاءَهُ مِنْ وَالِدَتِهِ ، فَوَاطَأَهُ عَلَى مَا يُرِيدُ ، وَأَوْصَلَ إِلَيْهِ دِرْعًا وَمَبَارِدَ ، فَبَرَدَ قَيْدَهُ ، وَاتَّفَقَ الْمَرْزُبَانُ وَذَلِكَ الْغُلَامُ وَالَّذِينَ جَاءُوا لِتَخْلِيصِ الْمَرْزُبَانِ عَلَى أَنْ يَقْتُلُوا بَشِيرَ أَسْفَارٍ فِي يَوْمٍ ذَكَرُوهُ.وَكَانَ بَشِيرُ أَسْفَارٍ يَقْصِدُ الْمَرْزُبَانَ كُلَّ أُسْبُوعٍ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَفْتَقِدُهُ وَقُيُودَهُ وَيُصَبِّرُهُ وَيَعُودُ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْمَوْعِدِ ، دَخَلَ أَحَدُ أُولَئِكَ التُّجَّارِ ، فَقَعَدَ عِنْدَ الْمَرْزُبَانِ ، وَجَلَسَ آخَرُ عِنْدَ الْبَوَّابِ ، وَأَقَامَ الْبَاقُونَ عِنْدَ بَابِ الْحِصْنِ يَنْتَظِرُونَ الصَّوْتَ ، وَدَخَلَ بَشِيرُ أَسْفَارٍ إِلَى الْمَرْزُبَانِ ، فَتَلَطَّفَ بِهِ الْمَرْزُبَانُ وَسَأَلَهُ أَنْ يُطْلِقَهُ ، وَبَذَلَ لَهُ أَمْوَالًا جَلِيلَةً وَإِقْطَاعًا كَثِيرًا ، فَامْتَنَعَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَا أَخُونُ رُكْنَ الدَّوْلَةِ أَبَدًا.فَنَهَضَ الْمَرْزُبَانُ وَقَدْ أَخْرَجَ رِجْلَهُ مِنْ قَيْدِهِ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى الْبَابِ ، فَأَخَذَ التُّرْسَ وَالزَّوْبِينَ مِنْ ذَلِكَ الْغُلَامِ ، وَعَادَ إِلَى بَشِيرِ أَسْفَارٍ ، فَقَتَلَهُ هُوَ وَذَلِكَ التَّاجِرُ الَّذِي عِنْدَهُ ، وَثَارَ الرَّجُلُ الَّذِي عِنْدَ الْبَوَّابِ بِهِ فَقَتَلَهُ ، وَدَخَلَ مَنْ كَانَ عِنْدَ بَابِ الْحِصْنِ إِلَى الْمَرْزُبَانِ.وَكَانَ أَجْنَادُ الْقَلْعَةِ مُتَفَرِّقِينَ ، فَلَمَّا وَقَعَ الصَّوْتُ اجْتَمَعُوا ، فَرَأَوْا صَاحِبَهُمْ قَتِيلًا ، فَسَأَلُوا الْأَمَانَ ، فَأَمَّنَهُمُ الْمَرْزُبَانُ ، وَأَخْرَجَهُمْ مِنَ الْقَلْعَةِ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ وَغَيْرُهُمْ ، وَكَثُرَ جَمْعُهُ ، وَخَرَجَ فَلَحِقَ بِأُمِّهِ وَأَخِيهِ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى الْبِلَادِ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ قَبْلُ.ذِكْرُ مَسِيرِ أَبِي عَلِيٍّ إِلَى الرَّيِّ لَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ وَشْمَكِيرَ وَرُكْنِ الدَّوْلَةِ مَا ذَكَرْنَاهُ ، كَتَبَ وَشْمَكِيرُ إِلَى الْأَمِيرِ نُوحٍ يَسْتَمِدُّهُ ، فَكَتَبَ نُوحٌ إِلَى أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُحْتَاجٍ يَأْمُرُهُ بِالْمَسِيرِ فِي جُيُوشِ خُرَاسَانَ إِلَى الرَّيِّ وَقِتَالِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، فَسَارَ أَبُو عَلِيٍّ فِي جُيُوشٍ كَثِيرَةٍ ، وَاجْتَمَعَ مَعَهُ وَشْمَكِيرُ ، فَسَارَا إِلَى الرَّيِّ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.وَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، فَعَلِمَ أَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُ بِمَنْ قَصَدَهُ ، فَرَأَى أَنْ يَحْفَظَ بَلَدَهُ ، وَيُقَاتِلَ عَدُوَّهُ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ ، فَحَارَبَ الْخُرَاسَانِيِّينَ بِطَبَرَكَ ، وَأَقَامَ عَلَيْهِ أَبُو عَلِيٍّ عِدَّةَ شُهُورٍ يُقَاتِلُهُ ، فَلَمْ يَظْفَرْ بِهِ وَهَلَكَتْ دَوَابُّ الْخُرَاسَانِيَّةِ ، وَأَتَاهُمُ الشِّتَاءُ وَمَلُّوا فَلَمْ يَصْبِرُوا ، فَاضْطُرَّ أَبُو عَلِيٍّ إِلَى الصُّلْحِ ، فَتَرَاسَلُوا فِي ذَلِكَ ، وَكَانَ الرَّسُولُ أَبَا جَعْفَرٍ الْخَازِنَ ، صَاحِبَ كِتَابِ زِيجِ الصَّفَائِحِ ، وَكَانَ عَارِفًا بِعُلُومِ الرِّيَاضَةِ ، وَكَانَ الْمُشِيرُ بِهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الْمُقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، فَتَصَالَحَا وَتَقَرَّرَ عَلَى رُكْنِ الدَّوْلَةِ كُلَّ سَنَةٍ مِائَتَا أَلْفِ دِينَارٍ ، وَعَادَ أَبُو عَلِيٍّ إِلَى خُرَاسَانَ.وَكَتَبَ وَشْمَكِيرُ إِلَى الْأَمِيرِ نُوحٍ يُعَرِّفُهُ الْحَالَ ، وَيَذْكُرُ لَهُ أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ لَمْ يَصْدُقْ فِي الْحَرْبِ ، وَأَنَّهُ مَالَأَ رُكْنَ الدَّوْلَةِ ، فَاغْتَاظَ نُوحٌ مِنْ أَبِي عَلِيٍّ ، وَأَمَّا رُكْنُ الدَّوْلَةِ فَإِنَّهُ لَمَّا عَادَ عَنْهُ أَبُو عَلِيٍّ ، سَارَ نَحْوَ وَشْمَكِيرَ ، فَانْهَزَمَ وَشْمَكِيرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ إِلَى أَسْفَرَايِينَ ، وَاسْتَوْلَى رُكْنُ الدَّوْلَةِ عَلَى طَبَرِسْتَانَ.ذِكْرُ عَزْلِ أَبِي عَلِيٍّ عَنْ خُرَاسَانَ لَمَّا اتَّصَلَ خَبَرُ أَبِي عَلِيٍّ عَنِ الرَّيِّ إِلَى الْأَمِيرِ نُوحٍ ، سَاءَهُ ذَلِكَ ، وَكَتَبَ وَشْمَكِيرُ إِلَى نُوحٍ يُلْزِمُ الذَّنْبَ فِيهِ أَبَا عَلِيٍّ ، فَكَتَبَ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ بِعَزْلِهِ عَنْ خُرَاسَانَ ، وَكَتَبَ إِلَى الْقُوَّادِ يُعَرِّفُهُمْ أَنَّهُ قَدْ عَزَلَهُ عَنْهُمْ ، فَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْجُيُوشِ بَعْدَهُ أَبَا سَعِيدٍ بَكْرَ بْنَ مَالِكٍ الْفَرْغَانِيَّ ، فَأَنْفَذَ أَبُو عَلِيٍّ يَعْتَذِرُ ، وَرَاسَلَ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ نَيْسَابُورَ يُقِيمُونَ عُذْرَهُ ، وَيَسْأَلُونَ أَنْ لَا يُعْزَلَ عَنْهُمْ ، فَلَمْ يُجَابُوا إِلَى ذَلِكَ ، وَعُزِلَ أَبُو عَلِيٍّ عَنْ خُرَاسَانَ ، وَأَظْهَرَ الْخِلَافَ وَخَطَبَ لِنَفْسِهِ بِنَيْسَابُورَ.وَكَتَبَ نُوحٌ إِلَى وَشْمَكِيرَ وَالْحَسَنِ بْنِ فَيَرُزَانَ يَأْمُرُهُمَا بِالصُّلْحِ ، وَأَنْ يَتَسَاعَدَا عَلَى مَنْ يُخَالِفُ الدَّوْلَةَ ، فَفَعَلَا ذَلِكَ ، فَلَمَّا عَلِمَ أَبُو عَلِيٍّ بِاتِّفَاقِ النَّاسِ مَعَ نُوحٍ ، كَاتَبَ عَلَيْهِ رُكْنَ الدَّوْلَةِ فِي الْمَصِيرِ إِلَيْهِ; لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ يُمْكِنُهُ الْمَقَامُ بِخُرَاسَانَ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْعَوْدِ إِلَى الصَّغَانِيَانِ ، فَاضْطُرَّ إِلَى مُكَاتَبَةِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ فِي الْمَصِيرِ إِلَيْهِ ، فَأَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ شُبَاطَ ، ظَهَرَ بِسَوَادِ الْعِرَاقِ جَرَادٌ كَثِيرٌ أَقَامَ أَيَّامًا ، وَأَثَّرَ فِي الْغَلَّاتِ آثَارًا قَبِيحَةً ، وَكَذَلِكَ ظَهَرَ بِالْأَهْوَازِ ، وَدِيَارِ الْمَوْصِلِ ، وَالْجَزِيرَةِ وَالشَّامِ ، وَسَائِرِ النَّوَاحِي ، فَفَعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلَهُ بِالْعِرَاقِ.وَفِيهَا عَادَ رُسُلٌ كَانَ الْخَلِيفَةُ أَرْسَلَهُمْ إِلَى خُرَاسَانَ لِلصُّلْحِ بَيْنَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ وَنُوحٍ صَاحِبِ خُرَاسَانَ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى حُلْوَانَ ، خَرَجَ عَلَيْهِمُ ابْنُ أَبِي الشَّوْكِ فِي أَكْرَادِهِ ، فَنَهَبَهُمْ وَنَهَبَ الْقَافِلَةَ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُمْ ، وَأَسَرَ الرُّسُلَ ثُمَّ أَطْلَقَهُمْ ، فَسَيَّرَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ عَسْكَرًا إِلَى حُلْوَانَ ، فَأَوْقَعُوا بِالْأَكْرَادِ وَأَصْلَحُوا الْبِلَادَ هُنَاكَ وَعَادُوا.وَفِيهَا سَيَّرَ الْحُجَّاجَ الشَّرِيفَانِ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ يَحْيَى الْعَلَوِيَّانِ ، فَجَرَى بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ عَسَاكِرِ الْمِصْرِيِّينَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ طُغْجَ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ ، وَكَانَ الظَّفَرُ لَهُمَا ، فَخَطَبَ لِمُعِزِّ الدَّوْلَةِ بِمَكَّةَ ، فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ مَكَّةَ ، لِحَقَهُمَا عَسْكَرُ مِصْرَ ، فَقَاتَلَهُمَا فَظَفِرَا بِهِ أَيْضًا. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي الْفَهْمِ دَاوُدُ أَبُو الْقَاسِمِ جَدُّ الْقَاضِي عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ التَّنُوخِيِّ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَكَانَ عَالِمًا بِأُصُولِ الْمُعْتَزِلَةِ وَالنُّجُومِ ، وَلَهُ شِعْرٌ.وَفِيهَا فِي رَمَضَانَ ، مَاتَ الشَّرِيفُ أَبُو عَلِيٍّ عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَلَوِيُّ الْكُوفِيُّ بِبَغْدَاذَ بِصَرْعٍ لَحِقَهُ.وَفِيهَا فِي شَوَّالٍ ، مَاتَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ فَهْدٍ الْمَوْصِلِيُّ.وَفِيهَا مَاتَ أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ بْنُ فَسَانْجِسَ بِالْبَصْرَةِ مِنْ ذَرَبٍ لَحِقَهُ ، وَحُمِلَ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَدُفِنَ بِمَشْهَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ ، وَتَقَلَّدَ الدِّيوَانَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو الْفَرَجِ ، وَجَرَى عَلَى قَاعِدَةِ أَبِيهِ.وَفِيهَا فِي ذِي الْقِعْدَةِ مَاتَتْ بِدْعَةُ الْمُغَنِّيَةُ الْمَشْهُورَةُ ، الْمَعْرُوفَةُ بِبِدْعَةَ الْحَمْدُونِيَّةِ عَنِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ سَنَةً. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ حَالِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُحْتَاجٍ قَدْ ذَكَرْنَا مِنْ أَخْبَارِ أَبِي عَلِيٍّ مَا تَقَدَّمَ ، فَلَمَّا كَتَبَ إِلَى رُكْنِ الدَّوْلَةِ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْمَصِيرِ إِلَيْهِ ، أَذِنَ لَهُ ، فَسَارَ إِلَى الرَّيِّ ، فَلَقِيَهُ رُكْنُ الدَّوْلَةِ وَأَكْرَمَهُ ، وَأَقَامَ الْأَتْرَاكُ الضِّيَافَةَ لَهُ وَلِمَنْ مَعَهُ ، وَطَلَبَ أَبُو عَلِيٍّ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ عَهْدًا مِنْ جِهَةِ الْخَلِيفَةِ بِوَلَايَةِ خُرَاسَانَ ، فَأَرْسَلَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ إِلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ فِي ذَلِكَ ، فَسَيَّرَ لَهُ عَهْدًا بِمَا طَلَبَ ، وَسَيَّرَ لَهُ نَجْدَةً مِنْ عَسْكَرِهِ ، فَسَارَ أَبُو عَلِيٍّ إِلَى خُرَاسَانَ وَاسْتَوْلَى عَلَى نَيْسَابُورَ ، وَخَطَبَ لِلْمُطِيعِ بِهَا وَبِمَا اسْتَوْلَى عَلَيْهِ مِنْ خُرَاسَانَ ، وَلَمْ يَكُنْ يُخْطَبُ لَهُ بِهَا قَبْلَ ذَلِكَ.ثُمَّ إِنَّ نُوحًا مَاتَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ ، وَتَوَلَّى بَعْدَهُ وَلَدُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ أَمْرُهُ ، سَيَّرَ بَكْرُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى خُرَاسَانَ مِنْ بُخَارَى ، وَجَعَلَهُ مُقَدَّمًا عَلَى جُيُوشِهَا ، وَأَمَرَهُ بِإِخْرَاجِ أَبِي عَلِيٍّ مِنْ خُرَاسَانَ ، فَسَارَ فِي الْعَسَاكِرِ نَحْوَ أَبِي عَلِيٍّ ، فَتَفَرَّقَ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ أَصْحَابُهُ وَعَسْكَرُهُ ، وَبَقِيَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ مِائَتَا رَجُلٍ سِوَى مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الدَّيْلَمِ نَجْدَةً لَهُ ، فَاضْطُرَّ إِلَى الْهَرَبِ ، فَسَارَ نَحْوَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، فَأَنْزَلَهُ مَعَهُ فِي الرَّيِّ ، وَاسْتَوْلَى ابْنُ مَالِكٍ عَلَى خُرَاسَانَ ، فَأَقَامَ بِنَيْسَابُورَ وَتَتَبَّعَ أَصْحَابَ أَبِي عَلِيٍّ.ذِكْرُ مَوْتِ الْأَمِيرِ نُوحِ بْنِ نَصْرٍ ، وَوَلَايَةِ ابْنِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ.وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ الْأَمِيرُ نُوحُ بْنُ نَصْرِ السَّامَانِيُّ فِي رَبِيعٍ الْآخَرِ ، وَكَانَ يُلَقَّبُ بِالْأَمِيرِ الْحَمِيدِ ، وَكَانَ حَسَنَ السِّيرَةِ ، كَرِيمَ الْأَخْلَاقِ ، وَلَمَّا تُوُفِّيَ ، مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَكَانَ قَدِ اسْتَعْمَلَ بَكْرَ بْنَ مَالِكٍ عَلَى جُيُوشِ خُرَاسَانَ ، كَمَا ذَكَرْنَا ، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَسِيرَ بَكْرٌ إِلَى خُرَاسَانَ ، فَقَامَ بَكْرٌ بِأَمْرِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ نُوحٍ ، وَقَرَّرَ أَمْرَهُ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ حَالُهُ وَثَبَّتَ مُلْكَهُ ، أَمَرَ بَكْرًا بِالْمَسِيرِ إِلَى خُرَاسَانَ ، فَسَارَ إِلَيْهَا ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَعَ أَبِي عَلِيٍّ مَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ.ذِكْرُ غَزَاةٍ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، غَزَا سَيْفُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ بِلَادَ الرُّومِ ، فَقَتَلَ وَأَسَرَ ، وَسَبَى وَغَنِمَ ، وَكَانَ فِيمَنْ قُتِلَ قُسْطَنْطِينُ بْنُ الدُّمُسْتُقِ ، فَعَظُمَ الْأَمْرُ عَلَى الرُّومِ ، وَعَظُمَ الْأَمْرُ عَلَى الدُّمُسْتُقِ ، فَجَمَعَ عَسَاكِرَهُ مِنَ الرُّومِ وَالرُّوسِ وَالْبُلْغَارِ وَغَيْرِهِمْ وَقَصَدَ الثُّغُورَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ ، فَالْتَقَوْا عِنْدَ الْحَدَثِ فِي شَعْبَانَ ، فَاشْتَدَّ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ وَصَبَرَ الْفَرِيقَانِ ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَصَرَ الْمُسْلِمِينَ ، فَانْهَزَمَ الرُّومُ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ وَمِمَّنْ مَعَهُمْ خَلْقٌ عَظِيمٌ ، وَأُسِرَ صِهْرُ الدُّمُسْتُقِ وَابْنِ ابْنَتِهِ وَكَثِيرٌ مِنْ بَطَارِقَتِهِ ، وَعَادَ الدُّمُسْتُقُ مَهْزُومًا مَسْلُولًا.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ بِخُرَاسَانَ وَالْجِبَالِ وَبَاءٌ عَظِيمٌ ، هَلَكَ فِيهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً.وَفِيهَا صُرِفَ الْأَبْرَعَاجِيُّ عَنْ شُرْطَةِ بَغْدَاذَ ، وَصُودِرَ عَلَى ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَرُتِّبَ مَكَانُهُ بَكْبِيكُ نَقِيبُ الْأَتْرَاكِ.وَفِيهَا سَارَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ إِلَى جُرْجَانَ وَمَعَهُ أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُحْتَاجٍ ، فَدَخَلَهَا بِغَيْرِ حَرْبٍ ، وَانْصَرَفَ وَشْمَكِيرُ عَنْهَا إِلَى خُرَاسَانَ.وَفِيهَا وَقَعَتِ الْحَرْبُ بِمَكَّةَ بَيْنَ أَصْحَابِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ وَأَصْحَابِ ابْنِ طُغْجَ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ ، فَكَانَتِ الْغَلَبَةُ لِأَصْحَابِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، فَخُطِبَ بِمَكَّةَ وَالْحِجَازِ لِرُكْنِ الدَّوْلَةِ وَمُعِزِّ الدَّوْلَةِ وَوَلَدِهِ عِزِّ الدَّوْلَةِ بَخْتِيَارَ ، وَبَعْدَهُمْ لِابْنِ طُغْجَ.وَفِيهَا أَرْسَلَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ سُبُكْتِكِينَ فِي جَيْشٍ إِلَى شَهْرَزُورَ فِي رَجَبٍ ، وَمَعَهُ الْمَنْجَنِيقَاتُ لِفَتْحِهَا ، فَسَارَ إِلَيْهَا وَأَقَامَ بِتِلْكَ الْوَلَايَةِ إِلَى الْمُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَعَادَ وَلَمْ يُمْكِنُهُ فَتْحُهَا; لِأَنَّهُ اتَّصَلَ بِهِ خُرُوجُ عَسَاكِرِ خُرَاسَانَ إِلَى الرَّيِّ عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، فَعَادَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَدَخَلَهَا فِي الْمُحَرَّمِ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا فِي شَوَّالٍ ، مَاتَ أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْوَلِيدِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ النَّحْوِيِّ الْفَقِيهُ.وَفِيهَا فِي شَوَّالٍ أَيْضًا ، مَاتَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْكَرْخِيُّ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ مَرِضِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ وَمَا فَعَلَهُ ابْنُ شَاهِينَ كَانَ قَدْ عَرَضَ لِمُعِزِّ الدَّوْلَةِ فِي ذِي الْقِعْدَةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ مَرَضٌ يُسَمَّى فَرْيَافَسْمَسَ ، وَهُوَ دَوَامُ الْإِنْعَاظِ مَعَ وَجَعٍ شَدِيدٍ فِي ذَكَرِهِ ، مَعَ تَوَتُّرِ أَعْصَابِهِ ، وَكَانَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ خَوَّارًا فِي أَمْرَاضِهِ ، فَأُرْجِفَ النَّاسُ بِهِ ، وَاضْطَرَبَتْ بَغْدَاذُ ، فَاضْطُرَّ إِلَى الرُّكُوبِ ، فَرَكِبَ فِي ذِي الْحِجَّةِ عَلَى مَا بِهِ مِنْ شِدَّةِ الْمَرَضِ ، فَلَمَّا كَانَ فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، أَوْصَى إِلَى ابْنِهِ بَخْتِيَارَ ، وَقَلَّدَهُ الْأَمْرَ بَعْدَهُ ، وَجَعَلَهُ أَمِيرَ الْأُمَرَاءِ.وَبَلَغَ عِمْرَانَ بْنَ شَاهِينَ أَنَّ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ قَدْ مَاتَ ، وَاجْتَازَ عَلَيْهِ مَالٌ يُحْمَلُ إِلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ مِنَ الْأَهْوَازِ ، وَفِي صُحْبَتِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ التُّجَّارِ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَأَخَذَ الْجَمِيعَ ، فَلَمَّا عُوفِيَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ ، رَاسَلَ ابْنَ شَاهِينَ فِي الْمَعْنَى ، فَرَدَّ عَلَيْهِ مَا أَخَذَهُ لَهُ ، وَحَصَّلَ لَهُ أَمْوَالَ التُّجَّارِ ، وَانْفَسَخَ الصُّلْحُ بَيْنَهُمَا ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي الْمُحَرَّمِ.ذِكْرُ خُرُوجِ الْخُرَاسَانِيَّةِ إِلَى الرَّيِّ وَأَصْبَهَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ عَسْكَرُ خُرَاسَانَ إِلَى الرَّيِّ وَبِهَا رُكْنُ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ قَدْ قَدِمَهَا مِنْ جُرْجَانَ أَوَّلَ الْمُحَرَّمِ ، فَكَتَبَ إِلَى أَخِيهِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ يَسْتَمِدُّهُ ، فَأَمَدَّهُ بِعَسْكَرٍ مُقَدَّمُهُمُ الْحَاجِبُ سُبُكْتِكِينُ ، وَسَيَّرَ مِنْ خُرَاسَانَ عَسْكَرًا آخَرَ إِلَى أَصْبَهَانَ عَلَى طَرِيقِ الْمَفَازَةِ ، وَبِهَا الْأَمِيرُ أَبُو مَنْصُورٍ بُوَيْهِ بْنُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ.فَلَمَّا بَلَغَهُ خَبَرُهُمْ ، سَارَ عَنْ أَصْبَهَانَ بِالْخَزَائِنِ وَالْحُرَمِ الَّتِي لِأَبِيهِ ، فَبَلَغُوا خَانَ لِنْجَانَ ، وَكَانَ مُقَدَّمُ الْعَسْكَرِ الْخُرَاسَانِيِّ مُحَمَّدَ بْنَ مَاكَانَ ، فَوَصَلُوا إِلَى أَصْبَهَانَ ، فَدَخَلُوهَا وَخَرَجَ ابْنُ مَاكَانَ مِنْهَا فِي طَلَبِ بُوَيْهِ ، فَأَدْرَكَ الْخَزَائِنَ فَأَخَذَهَا وَسَارَ فِي أَثَرِهِ ، وَكَانَ مِنْ لُطْفِ اللَّهِ بِهِ أَنَّ الْأُسْتَاذَ أَبَا الْفَضْلِ بْنَ الْعَمِيدِ وَزِيرَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، اتَّصَلَ بِهِمْ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ ، فَعَارَضَ ابْنَ مَاكَانَ وَقَاتَلَهُ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ ابْنِ الْعَمِيدِ عَنْهُ ، وَاشْتَغَلَ أَصْحَابُ ابْنِ مَاكَانَ بِالنَّهْبِ.قَالَ ابْنُ الْعَمِيدِ فَبَقِيتُ وَحْدِي وَأَرَدْتُ اللَّحَاقَ بِأَصْحَابِي ، فَفَكَّرْتُ وَقُلْتُ بِأَيِّ وَجْهٍ أَلْقَى صَاحِبِي وَقَدْ أَسْلَمْتُ أَوْلَادَهُ ، وَأَهْلَهُ ، وَأَمْوَالَهُ ، وَمُلْكَهُ ، وَنَجَوْتُ بِنَفْسِي ؟فَرَأَيْتُ الْقَتْلَ أَيْسَرَ عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ ، فَوَقَفْتُ ، وَعَسْكَرُ ابْنُ مَاكَانَ يَنْهَبُ أَثْقَالِي وَأَثْقَالَ عَسْكَرِي ، فَلَحِقَ بِابْنِ الْعَمِيدِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَوَقَفُوا مَعَهُ ، وَأَتَاهُمْ غَيْرُهُمْ فَاجْتَمَعَ مَعَهُمْ جَمَاعَةٌ ، فَحَمَلَ عَلَى الْخُرَاسَانِيِّينَ وَهُمْ مَشْغُولُونَ بِالنَّهْبِ ، وَصَاحُوا فِيهِمْ ، فَانْهَزَمَ الْخُرَاسَانِيُّونَ فَأُخِذُوا مِنْ بَيْنِ قَتِيلٍ وَأَسِيرٍ ، وَأُسِرَ ابْنُ مَاكَانَ وَأُحْضِرَ عِنْدَ ابْنِ الْعَمِيدِ ، وَسَارَ ابْنُ الْعَمِيدِ إِلَى أَصْبَهَانَ ، فَأَخْرَجَ مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ مَاكَانَ ، وَأَعَادَ أَوْلَادَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ وَحُرَمَهُ إِلَى أَصْبَهَانَ ، وَاسْتَنْقَذَ أَمْوَالَهُ.ثُمَّ إِنَّ رُكْنَ الدَّوْلَةِ رَاسَلَ بَكْرَ بْنَ مَالِكٍ صَاحِبَ جُيُوشِ خُرَاسَانَ ، وَاسْتَمَالَهُ فَاصْطَلَحَا عَلَى مَالٍ يَحْمِلُهُ رُكْنُ الدَّوْلَةِ إِلَيْهِ ، وَيَكُونُ الرَّيُّ وَبَلَدُ الْجَبَلِ بِأَسْرِهِ مَعَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، وَأَرْسَلَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ إِلَى أَخِيهِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ يَطْلُبُ خِلَعًا وَلِوَاءً بِوَلَايَةِ خُرَاسَانَ لِبَكْرِ بْنِ مَالِكٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ذَلِكَ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَقَعَ بِالرَّيِّ وَبَاءٌ كَثِيرٌ ، مَاتَ فِيهِ مِنَ الْخَلْقِ مَا لَا يُحْصَى ، وَكَانَ فِيمَنْ مَاتَ أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُحْتَاجٍ الَّذِي كَانَ صَاحِبَ جُيُوشِ خُرَاسَانَ ، وَمَاتَ مَعَهُ وَلَدُهُ ، وَحُمِلَ أَبُو عَلِيٍّ إِلَى الصَّغَانِيَانِ ، وَعَادَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْقُوَّادِ إِلَى خُرَاسَانَ.وَفِيهَا وَقَعَ الْأَكْرَادُ بِنَاحِيَةِ سَاوَةَ عَلَى قُفْلٍ مِنَ الْحُجَّاجِ فَاسْتَبَاحُوهُ ، وَفِيهَا خَرَجَ بِنَاحِيَةِ دُنْبَاوَنْدَ رَجُلٌ ادَّعَى النُّبُوَّةَ ، فَقُتِلَ ، وَخَرَجَ بِأَذْرَبِيجَانَ رَجُلٌ آخَرُ يَدَّعِي أَنَّهُ يُحَرِّمُ اللُّحُومَ وَمَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَيَوَانِ ، وَأَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ ، فَأَضَافَهُ رَجُلٌ أَطْعَمَهُ كِشْكِيَّةً بِشَحْمٍ ، فَلَمَّا أَكَلَهَا قَالَ لَهُ أَلَسْتَ تُحَرِّمُ اللَّحْمَ وَمَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَيَوَانِ ، وَأَنَّكَ تَعْلَمُ الْغَيْبَ ؟قَالَ بَلَى.قَالَ فَهَذِهِ الْكِشْكِيَّةُ بِشَحْمٍ ، وَلَوْ عَلِمْتَ الْغَيْبَ لَمَا خَفِيَ عَلَيْكَ ذَلِكَ ، فَأَعْرَضَ النَّاسُ عَنْهُ.وَفِيهَا أَنْشَأَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأُمَوِيُّ صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ مَرْكِبًا كَبِيرًا لَمْ يُعْمَلْ مِثْلُهُ ، وَسَيَّرَ فِيهِ أَمْتِعَةً إِلَى بِلَادِ الشَّرْقِ ، فَلَقِيَ فِي الْبَحْرِ مَرْكِبًا فِيهِ رَسُولٌ مِنْ صِقِلِّيَةَ إِلَى الْمُعِزِّ ، فَقَطَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَرْكِبِ الْأَنْدَلُسِيِّ ، وَأَخَذُوا مَا فِيهِ ، وَأَخَذُوا الْكُتُبَ الَّتِي إِلَى الْمُعِزِّ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْمُعِزَّ ، فَعَمَّرَ أُسْطُولًا وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ صَاحِبَ صِقِلِّيَةَ ، وَسَيَّرَهُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، فَوَصَلُوا إِلَى الْمِرْيَةِ ، فَدَخَلُوا الْمَرْسَى وَأَحْرَقُوا جَمِيعَ مَا فِيهِ مِنَ الْمَرَاكِبِ ، وَأَخَذُوا ذَلِكَ الْمَرْكِبَ ، وَكَانَ قَدْ عَادَ مِنَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، وَفِيهِ أَمْتِعَةٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَجِوَارٍ مُغَنِّيَاتٍ ، وَصَعِدَ مِنَ الْأُسْطُولِ إِلَى الْبَرِّ فَقَتَلُوا وَنَهَبُوا ، وَرَجَعُوا سَالِمِينَ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ.وَلَمَّا سَمِعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأُمَوِيُّ ، سَيَّرَ أُسْطُولًا إِلَى بَعْضِ بِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ ، فَنَزَلُوا وَنَهَبُوا ، فَقَصَدَتْهُمْ عَسَاكِرُ الْمُعِزِّ ، فَعَادُوا إِلَى مَرَاكِبِهِمْ ، وَرَجَعُوا إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَقَدْ قَتَلُوا وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ عِصْيَانِ رُوزْبَهَانَ عَلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ رُوزْبَهَانُ بْنُ وَنْدَادَ خُرْشِيدَ الدَّيْلَمِيُّ عَلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَعَصَى عَلَيْهِ ، وَخَرَجَ أَخُوهُ بَلَكَا بِشِيرَازَ ، وَخَرَجَ أَخُوهُمَا أَسْفَارٌ بِالْأَهْوَازِ ، وَلَحِقَ رُوزْبَهَانُ إِلَى الْأَهْوَازِ ، وَكَانَ يُقَاتِلُ عِمْرَانَ بِالْبَطِيحَةِ ، فَعَادَ إِلَى وَاسِطَ وَسَارَ إِلَى الْأَهْوَازِ فِي رَجَبٍ ، وَبِهَا الْوَزِيرُ الْمُهَلَّبِيُّ ، فَأَرَادَ مُحَارَبَةَ رُوزْبَهَانَ ، فَاسْتَأْمَنَ رِجَالُهُ إِلَى رُوزْبَهَانَ ، فَانْحَازَ الْمُهَلَّبِيُّ عَنْهُ.وَوَرَدَ الْخَبَرُ بِذَلِكَ إِلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ فَلَمْ يُصَدِّقْهُ لِإِحْسَانِهِ إِلَيْهِ ، لِأَنَّهُ رَفَعَهُ بَعْدَ الضِّعَةِ ، وَنَوَّهَ بِذِكْرِهِ بَعْدَ الْخُمُولِ ، فَتَجَهَّزَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى مُحَارَبَتِهِ ، وَمَالَ الدَّيْلَمُ بِأَسْرِهِمْ إِلَى رُوزْبَهَانَ ، وَلَقُوا مُعِزَّ الدَّوْلَةِ بِمَا يَكْرَهُ ، وَاخْتَلَفُوا عَلَيْهِ وَتَتَابَعُوا عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى رُوزْبَهَانَ ، وَسَارَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ عَنْ بَغْدَاذَ خَامِسَ شَعْبَانَ ، وَخَرَجَ الْخَلِيفَةُ الْمُطِيعُ لِلَّهِ مُنْحَدِرًا إِلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ; لِأَنَّ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ لَمَّا بَلَغَهُ الْخَبَرُ ، سَيَّرَ الْعَسَاكِرَ مِنَ الْمَوْصِلِ مَعَ وَلَدِهِ أَبِي الْمُرَجَّى جَابِرٍ لِقَصْدِ بَغْدَاذَ وَالِاسْتِيلَاءِ عَلَيْهَا ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْخَلِيفَةَ ، انْحَدَرَ مِنْ بَغْدَاذَ ، فَأَعَادَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ الْحَاجِبَ سُبُكْتِكِينَ وَغَيْرَهُ مِمَّنْ يَثِقُ بِهِمْ مِنْ عَسْكَرِهِ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَشَغَبَ الدَّيْلَمُ الَّذِينَ بِبَغْدَادَ ، فَوُعِدُوا بِأَرْزَاقِهِمْ فَسَكَنُوا وَهُمْ عَلَى قُنُوطٍ مِنْ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ. وَأَمَّا مُعِزُّ الدَّوْلَةِ فَإِنَّهُ سَارَ إِلَى أَنْ بَلَغَ قَنْطَرَةَ أَرْبُقَ ، فَنَزَلَ هُنَاكَ وَجَعَلَ عَلَى الطُّرُقِ مَنْ يَحْفَظُ أَصْحَابَ الدَّيْلَمِ مِنَ الِاسْتِئْمَانِ إِلَى رُوزْبَهَانَ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْخُذُونَ الْعَطَاءَ مِنْهُ ثُمَّ يَهْرُبُونَ عَنْهُ ، وَكَانَ اعْتِمَادُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ عَلَى أَصْحَابِهِ الْأَتْرَاكِ وَمَمَالِيكِهِ وَنَفَرٍ يَسِيرٍ مِنَ الدَّيْلَمِ.فَلَمَّا كَانَ سَلْخُ رَمَضَانَ ، أَرَادَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ الْعُبُورَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ يَثِقُ بِهِمْ إِلَى مُحَارَبَةِ رُوزْبَهَانَ ، فَاجْتَمَعَ الدَّيْلَمُ وَقَالُوا لِمُعِزِّ الدَّوْلَةِ إِنْ كُنَّا رِجَالَكَ ، فَأَخْرِجْنَا مَعَكَ نُقَاتِلْ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَإِنَّهُ لَا صَبْرَ لَنَا عَلَى الْقُعُودِ مَعَ الصِّبْيَانِ وَالْغِلْمَانِ ، فَإِنْ ظَفِرْتَ كَانَ الِاسْمُ لِهَؤُلَاءِ دُونَنَا ، وَإِنْ ظَفِرَ عَدُوُّكَ لَحِقَنَا الْعَارُ ، وَإِنَّمَا قَالُوا هَذَا الْكَلَامَ خَدِيعَةً لِيُمَكِّنَهُمْ مِنَ الْعُبُورِ مَعَهُ فَيَتَمَكَّنُوا مِنْهُ ، فَلَمَّا سَمِعَ قَوْلَهُمْ سَأَلَهُمُ التَّوَقُّفَ ، وَقَالَ إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أَذُوقَ حَرْبَهُمْ ثُمَّ أَعُودُ ، فَإِذَا كَانَ الْغَدُ لَقِينَاهُمْ بِأَجْمَعِنَا وَنَاجَزْنَاهُمْ ، وَكَانَ يُكْثِرُ لَهُمُ الْعَطَاءَ فَأَمْسَكُوا عَنْهُ.وَعَبَرَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ ، وَعَبَّأَ أَصْحَابَهُ كَرَادِيسَ تَتَنَاوَبُ الْحَمَلَاتِ ، فَمَا زَالُوا كَذَلِكَ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ ، فَفَنِيَ نُشَّابُ الْأَتْرَاكِ وَتَعِبُوا ، وَشَكَوْا إِلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ التَّعَبِ ، وَقَالُوا نَسْتَرِيحُ اللَّيْلَةَ وَنَعُودُ غَدًا ، فَعَلِمَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ أَنَّهُ إِنْ رَجَعَ ، زَحَفَ إِلَيْهِ رُوزْبَهَانُ وَالدَّيْلَمُ ، وَثَارَ مَعَهُمْ أَصْحَابُهُ الدَّيْلَمُ ، فَيَهْلَكُ وَلَا يُمْكِنُهُ الْهَرَبُ ، فَبَكَى بَيْنَ يَدَيْ أَصْحَابِهِ ، وَكَانَ سَرِيعَ الدَّمْعَةِ ، ثُمَّ سَأَلَهُمْ أَنْ تُجْمَعَ الْكَرَادِيسُ كُلُّهَا وَيَحْمِلُوا حَمْلَةً وَاحِدَةً ، وَهُوَ فِي أَوَّلِهِمْ ، فَإِمَّا أَنْ يَظْفَرُوا ، وَإِمَّا أَنْ يُقْتَلَ أَوَّلَ مَنْ يُقْتَلُ ، فَطَالَبُوهُ بِالنُّشَّابِ ، فَقَالَ قَدْ بَقِيَ مَعَ صِغَارِ الْغِلْمَانِ نُشَّابٌ ، فَخُذُوهُ وَاقْسِمُوهُ.وَكَانَ جَمَاعَةٌ صَالِحَةٌ مِنَ الْغِلْمَانِ الْأَصَاغِرِ تَحْتَهُمُ الْخَيْلُ الْجِيَادُ ، وَعَلَيْهِمُ اللُّبْسُ الْجَيِّدُ ، وَكَانُوا سَأَلُوا مُعِزَّ الدَّوْلَةِ أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ فِي الْحَرْبِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَقَالَ إِذَا جَاءَ وَقْتٌ يَصْلُحُ لَكُمْ أَذِنْتُ لَكُمْ فِي الْقِتَالِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ تِلْكَ السَّاعَةِ مَنْ يَأْخُذُ مِنْهُمُ النُّشَّابَ ، وَأَوْمَأَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ أَنِ اقْبَلُوا مِنْهُ وَسَلِّمُوا إِلَيْهِ النُّشَّابَ ، فَظَنُّوا أَنَّهُ يَأْمُرُهُمْ بِالْحَمْلَةِ ، فَحَمَلُوا وَهُمْ مُسْتَرِيحُونَ ، فَصَدَمُوا صُفُوفَ رُوزْبَهَانَ فَخَرَقُوهَا ، وَأَلْقَوْا بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، فَصَارُوا خَلْفَهُمْ ، وَحَمَلَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ فَيْمَنْ مَعَهُ بِاللَّتُوتِ ، فَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ عَلَى رُوزْبَهَانَ وَأَصْحَابِهِ ، وَأُخِذَ رُوزْبَهَانُ أَسِيرًا وَجَمَاعَةٌ مِنْ قُوَّادِهِ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَكَتَبَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بِذَلِكَ ، فَلَمْ يُصَدِّقِ النَّاسُ لِمَا عَلِمُوا مِنْ قُوَّةِ رُوزْبَهَانَ وَضَعْفِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَعَادَ إِلَى بَغْدَاذَ وَمَعَهُ رُوزْبَهَانُ لِيَرَاهُ النَّاسُ ، وَسَيَّرَ سُبُكْتِكِينَ إِلَى أَبِي الْمُرَجَّى بْنِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ بِعُكْبَرَا ، فَلَمْ يَلْحَقْهُ لِأَنَّهُ لَمَّا بَلَغَهُ الْخَبَرُ ، عَادَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَسَجَنَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ رُوزْبَهَانَ ، فَبَلَغَهُ أَنَّ الدَّيْلَمَ قَدْ عَزَمُوا عَلَى إِخْرَاجِهِ قَهْرًا وَالْمُبَايَعَةِ لَهُ ، فَأَخْرَجَهُ لَيْلًا وَغَرَّقَهُ.وَأَمَّا أَخُو رُوزْبَهَانَ الَّذِي خَرَجَ بِشِيرَازَ ، فَإِنَّ الْأُسْتَاذَ أَبَا الْفَضْلِ بْنَ الْعَمِيدِ سَارَ إِلَيْهِ فِي الْجُيُوشِ ، فَقَاتَلَهُ فَظَفِرَ بِهِ ، وَأَعَادَ عَضُدَ الدَّوْلَةِ بْنَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ إِلَى مُلْكِهِ ، وَانْطَوَى خَبَرُ رُوزْبَهَانَ وَإِخْوَتِهِ ، وَكَانَ قَدِ اشْتَعَلَ اشْتِعَالَ النَّارِ.وَقَبَضَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الدَّيْلَمِ ، وَتَرَكَ مَنْ سِوَاهُمْ ، وَاصْطَنَعَ الْأَتْرَاكَ وَقَدَّمَهُمْ ، وَأَمَرَهُمْ بِتَوْبِيخِ الدَّيْلَمِ وَالِاسْتِطَالَةِ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ أَطْلَقَ لِلْأَتْرَاكِ إِطْلَاقَاتٍ زَائِدَةً عَلَى وَاسِطَ وَالْبَصْرَةِ ، فَسَارُوا لِقَبْضِهَا مُدِلِّينَ بِمَا صَنَعُوا ، فَأَخْرَبُوا الْبِلَادَ وَنَهَبُوا الْأَمْوَالَ ، وَصَارَ ضَرَرُهُمْ أَكْثَرَ مِنْ نَفْعِهِمْ.ذِكْرُ غَزْوِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بِلَادَ الرُّومِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي رَجَبٍ ، سَارَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ فِي جُيُوشٍ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ وَغَزَاهَا حَتَّى بَلَغَ خَرْشَنَةَ ، وَصَارِخَةَ ، وَفَتَحَ عِدَّةَ حُصُونٍ ، وَسَبَى وَأَسَرَ ، وَأَحْرَقَ وَخَرَّبَ ، وَأَكْثَرَ الْقَتْلَ فِيهِمْ ، وَرَجَعَ إِلَى أُذُنَةَ فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى جَاءَهُ رَئِيسُ طَرَسُوسَ ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ شَيْئًا كَثِيرًا ، وَعَادَ إِلَى حَلَبَ.فَلَمَّا سَمِعَ الرُّومُ بِمَا فَعَلَ ، جَمَعُوا وَسَارُوا إِلَى مَيَّافَارِقِينَ ، وَأَحْرَقُوا سَوَادَهَا وَنَهَبُوهُ ، وَخَرَّبُوا وَسَبَوْا أَهْلَهُ ، وَنَهَبُوا أَمْوَالَهُمْ وَعَادُوا.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بِأَصْبَهَانَ بَيْنَ أَهْلِهَا وَبَيْنَ أَهْلِ قُمَّ بِسَبَبِ الْمَذَاهِبِ ، وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّهُ قِيلَ عَنْ رَجُلٍ قُمِّيٍّ إِنَّهُ سَبَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ شِحْنَةِ أَصْبَهَانَ ، فَثَارَ أَهْلُهَا ، وَاسْتَغَاثُوا بِأَهْلِ السَّوَادِ ، فَاجْتَمَعُوا فِي خَلْقٍ لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً ، وَحَضَرُوا دَارَ الشِّحْنَةِ ، وَقُتِلَ بَيْنَهُمْ قَتْلَى ، وَنَهَبَ أَهْلُ أَصْبَهَانَ أَمْوَالَ التُّجَّارِ مَنْ أَهْلِ قُمَّ ، فَبَلَغَ الْخَبَرُ رُكْنَ الدَّوْلَةِ ، فَغَضِبَ لِذَلِكَ وَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَطَرَحَ عَلَى أَهْلِهَا مَالًا كَثِيرًا. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ أَبُو عَمْرٍو الزَّاهِدُ ، غُلَامُ ثَعْلَبٍ ، فِي ذِي الْقِعْدَةِ.وَفِيهَا كَانَتِ الزَّلْزَلَةُ بِهَمَذَانَ ، وَأَسْتَرَابَاذَ وَنَوَاحِيهَا ، وَكَانَتْ عَظِيمَةً أَهْلَكَتْ تَحْتَ الْهَدْمِ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَانْشَقَّتْ مِنْهَا حِيطَانُ قَصْرِ شِيرِينَ مِنْ صَاعِقَةٍ.وَفِيهَا فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، سَارَ الرُّومُ فِي الْبَحْرِ ، فَأَوْقَعُوا بِأَهْلِ طَرَسُوسَ ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ أَلْفًا وَثَمَانَمِائَةِ رَجُلٍ ، وَأَحْرَقُوا الْقُرَى الَّتِي حَوْلَهَا.وَفِيهَا سَارَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ صَاحِبُ صِقِلِّيَةَ عَلَى أُسْطُولٍ كَثِيرٍ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ مَوْتِ الْمَرْزُبَانِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي رَمَضَانَ ، تُوُفِّيَ السَّلَّارُ الْمَرْزُبَانُ بِأَذْرَبِيجَانَ ، وَهُوَ صَاحِبُهَا ، فَلَمَّا يَئِسَ مِنْ نَفْسِهِ ، أَوْصَى إِلَى أَخِيهِ وَهْسُوذَانَ بِالْمُلْكِ ، وَبَعْدَهُ لِابْنِهِ جِسْتَانَ بْنِ الْمَرْزُبَانِ.وَكَانَ الْمَرْزُبَانُ قَدْ تَقَدَّمَ أَوَّلًا إِلَى نُوَّابِهِ بِالْقِلَاعِ أَنْ لَا يُسَلِّمُوهَا بَعْدَهُ إِلَّا إِلَى وَلَدِهِ جِسْتَانَ ، فَإِنْ مَاتَ فَإِلَى ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ ، فَإِنْ مَاتَ فَإِلَى ابْنِهِ نَاصِرٍ ، فَإِنْ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ فَإِلَى أَخِيهِ وَهْسُوذَانَ ، فَلَمَّا أَوْصَى هَذِهِ الْوَصِيَّةَ إِلَى أَخِيهِ ، عَرَّفَهُ عَلَامَاتٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نُوَّابِهِ فِي قِلَاعِهِ لِيَسْتَلِمَهَا مِنْهُمْ ، فَلَمَّا مَاتَ الْمَرْزُبَانُ ، أَنْفَذَ أَخُوهُ وَهْسُوذَانُ خَاتَمَهُ وَعَلَامَاتِهِ إِلَيْهِمْ ، فَأَظْهَرُوا وَصِيَّتَهُ الْأَوْلَى ، فَظَنَّ وَهْسُوذَانُ أَخَاهُ خَدَعَهُ بِذَلِكَ ، فَأَقَامَ مَعَ أَوْلَادِ أَخِيهِ ، فَاسْتَبَدُّوا بِالْأَمْرِ دُونَهُ ، فَخَرَجَ مِنْ أَرْدَبِيلَ كَالْهَارِبِ إِلَى الطَّرْمِ ، فَاسْتَبَدَّ جِسْتَانُ بِالْأَمْرِ ، وَأَطَاعَهُ إِخْوَتُهُ ، وَقَلَّدَ وِزَارَتَهُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ النُّعَيْمِيُّ ، وَأَتَاهُ قُوَّادُ أَبِيهِ إِلَّا جِسْتَانَ بْنَ شَرْمِزَنَّ فَإِنَّهُ عَزَمَ عَلَى التَّغَلُّبِ عَلَى أَرْمِينِيَّةَ ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهَا.وَشَرَعَ وَهْسُوذَانُ فِي الْإِفْسَادِ بَيْنَ أَوْلَادِ أَخِيهِ وَتَفْرِيقِ كَلِمَتِهِمْ ، وَإِطْمَاعِ أَعْدَائِهِمْ فِيهِمْ ، حَتَّى بَلَغَ مَا أَرَادَ وَقُتِلَ بَعْضُهُمْ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَثُرَ بِبَغْدَاذَ وَنَوَاحِيهِمَا أَوْرَامُ الْحَلْقِ وَالْمَاشَرَا ، وَكَثُرَ الْمَوْتُ بِهِمَا ، وَمَوْتُ الْفَجْأَةِ ، وَكُلُّ مَنِ افْتَصَدَ ، انْصَبَّ إِلَى ذِرَاعَيْهِ مَادَّةٌ حَادَّةٌ عَظِيمَةٌ ، تَبِعَهَا حُمَّى حَادَّةٌ ، وَمَا سَلِمَ أَحَدٌ مِمَّنِ افْتَصَدَ ، وَكَانَ الْمَطَرُ مَعْدُومًا.وَفِيهَا تَجَهَّزَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ وَسَارَ نَحْوَ الْمَوْصِلِ لِقَصْدِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بِسَبَبِ مَا فَعَلَهُ ، فَرَاسَلَهُ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ ، وَبَذَلَ لَهُ مَالًا ، وَضَمِنَ الْبِلَادَ مِنْهُ كُلَّ سَنَةٍ بِأَلْفَيْ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَحُمِلَ إِلَيْهِ مِثْلُهَا ، فَعَادَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بِسَبَبِ خَرَابِ بِلَادِهِ لِلْفِتْنَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَلِأَنَّهُ لَمْ يَثِقْ بِأَصْحَابِهِ.ثُمَّ إِنَّ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ مَنَعَ حَمْلَ الْمَالِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ عَلَى مَا نَذْكُرُهُ.وَفِيهَا نَقُصَ الْبَحْرُ ثَمَانِينَ بَاعًا ، فَظَهَرَتْ فِيهِ جَزَائِرُ وَجِبَالٌ لَمْ تُعْرَفْ قَبْلُ ذَلِكَ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ يُوسُفَ بْنِ مَعْقِلٍ الْأُمَوِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْأَصَمِّ ، وَكَانَ عَالِيَ الْإِسْنَادِ فِي الْحَدِيثِ ، وَصَحِبَ الرَّبِيعَ بْنَ سُلَيْمَانَ صَاحِبَ الشَّافِعِيِّ ، وَرَوَى عَنْهُ كُتُبَ الشَّافِعِيِّ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ الْفَقِيهُ الْبُخَارِيُّ الْأَمِينُ.وَفِيهَا كَانَتْ بِالْعِرَاقِ وَبِلَادِ الْجِبَالِ وَقُمَّ وَنَوَاحِيهَا زَلَازِلُ كَثِيرَةٌ مُتَتَابِعَةٌ دَامَتْ نَحْوَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا تَسْكُنُ وَتَعُودُ ، فَتَهَدَّمَتِ الْأَبْنِيَةُ ، وَغَارَتِ الْمِيَاهُ ، وَهَلَكَ تَحْتَ الْهَدْمِ مِنَ الْأُمَمِ الْكَثِيرُ ، وَكَذَلِكَ كَانَتْ زَلْزَلَةٌ بِالرَّيِّ وَنَوَاحِيهَا مُسْتَهَلَّ ذِي الْحِجَّةِ ، أَخْرَبَتْ كَثِيرًا مِنَ الْبَلَدِ ، وَهَلَكَ مِنْ أَهْلِهَا كَثِيرٌ وَكَذَلِكَ أَيْضًا كَانَتِ الزَّلْزَلَةُ بِالطَّالَقَانِ وَنَوَاحِيهَا عَظِيمَةً جِدًّا ، أَهْلَكَتْ أُمَمًا كَثِيرَةً. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ عَلَى الْمَوْصِلِ وَعَوْدِهِ عَنْهَا قَدْ ذَكَرْنَا صُلْحَ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ مَعَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ عَلَى أَلْفَيْ أَلْفِ دِرْهَمٍ كُلَّ سَنَةٍ ، فَلَمَّا كَانَ هَذِهِ السَّنَةُ ، أَخَّرَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ حَمْلَ الْمَالِ ، فَتَجَهَّزَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى الْمَوْصِلِ وَسَارَ نَحْوَهَا مُنْتَصَفَ جُمَادَى الْأُولَى ، وَمَعَهُ وَزِيرُهُ الْمُهَلَّبِيُّ ، فَفَارَقَهَا نَاصِرُ الدَّوْلَةِ إِلَى نَصِيبِينَ ، وَاسْتَوْلَى مُعِزُّ الدَّوْلَةِ عَلَى الْمَوْصِلِ.فَكَانَ مِنْ عَادَةِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ إِذَا قَصَدَهُ أَحَدٌ ، سَارَ عَنِ الْمَوْصِلِ وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ جَمِيعَ الْكُتَّابِ ، وَالْوُكَلَاءِ ، وَمَنْ يَعْرِفُ أَبْوَابَ الْمَالِ ، وَمَنَافِعَ السُّلْطَانِ ، وَرُبَّمَا جَعَلَهُمْ فِي قِلَاعِهِ كَقَلْعَةِ كُوَاشَى ، وَالزَّعْفَرَانِ ، وَغَيْرِهِمَا ، وَكَانَتْ قَلْعَةُ كُوَاشَى تُسَمَّى ذَلِكَ الْوَقْتَ قَلْعَةُ أَرْدُمُشْتَ ، وَكَانَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ يَأْمُرُ الْعَرَبَ بِالْإِغَارَةِ عَلَى الْعَلَّافَةِ وَمَنْ يَحْمِلُ الْمِيرَةَ ، فَكَانَ الَّذِي يَقْصِدُ بِلَادَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ يَبْقَى مَحْصُورًا مُضَيَّقًا عَلَيْهِ.فَلَمَّا قَصَدَهُ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ هَذِهِ الْمَرَّةِ فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ ، فَضَاقَتِ الْأَقْوَاتُ عَلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ وَعَسْكَرِهِ ، وَبَلَغَهُ أَنَّ بِنَصِيبِينَ مِنَ الْغَلَّاتِ السُّلْطَانِيَّةِ شَيْئًا كَثِيرًا ، فَسَارَ عَنِ الْمَوْصِلِ نَحْوَهَا ، وَاسْتَخْلَفَ بِالْمَوْصِلِ سُبُكْتِكِينَ الْحَاجِبَ الْكَبِيرَ ، فَلَمَّا تَوَسَّطَ الطَّرِيقَ ، بَلَغَهُ أَنَّ أَوْلَادَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ أَبَا الْمُرَجَّى وَهِبَةَ اللَّهِ بِسِنْجَارَ فِي عَسْكَرٍ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِمْ عَسْكَرًا ، فَلَمْ يَشْعُرْ أَوْلَادُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بِالْعَسْكَرِ إِلَّا وَهُوَ مَعَهُمْ ، فَعُجِّلُوا عَنْ أَخْذِ أَثْقَالِهِمْ ، فَعَادَ أَوْلَادُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ إِلَيْهِمْ وَهُمْ غَارُّونَ ، فَوَضَعُوا السَّيْفَ فِيهِمْ فَقَتَلُوا ، وَأَسَرُوا ، وَأَقَامُوا بِسِنْجَارَ.وَسَارَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى نَصِيبِينَ ، فَفَارَقَهَا نَاصِرُ الدَّوْلَةِ إِلَى مَيَّافَارِقِينَ ، فَفَارَقَهُ أَصْحَابُهُ وَعَادُوا إِلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ مُسْتَأْمِنِينَ ، فَلَمَّا رَأَى نَاصِرُ الدَّوْلَةِ ذَلِكَ سَارَ إِلَى أَخِيهِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بِحَلَبَ ، فَلَمَّا وَصَلَ خَرَجَ إِلَيْهِ وَلَقِيَهُ ، وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِ ، وَخَدَمَهُ بِنَفْسِهِ ، حَتَّى إِنَّهُ نَزَعَ خُفَّهُ بِيَدَيْهِ.وَكَانَ أَصْحَابُ نَاصِرٍ فِي حُصُونِهِ بِبَلَدِ الْمَوْصِلِ ، وَالْجَزِيرَةِ ، يُغِيرُونَ عَلَى أَصْحَابِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بِالْبَلَدِ ، فَيَقْتُلُونَ فِيهِمْ ، وَيَأْسِرُونَ مِنْهُمْ ، وَيَقْطَعُونَ الْمِيرَةَ عَنْهُمْ.ثُمَّ إِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ رَاسَلَ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ فِي الصُّلْحِ ، وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ فِي ذَلِكَ ، فَامْتَنَعَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ فِي تَضْمِينِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ لِخُلْفِهِ مَعَهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، فَضَمِنَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْبِلَادَ مِنْهُ بِأَلْفَيْ دِرْهَمٍ وَتِسْعِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَإِطْلَاقَ مَنْ أَسَرَ مِنْ أَصْحَابِهِ بِسِنْجَارَ وَغَيْرِهَا ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .وَإِنَّمَا أَجَابَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى الصُّلْحِ بَعْدَ تَمَكُّنِهِ مِنَ الْبِلَادِ; لِأَنَّهُ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَمْوَالُ ، وَتَقَاعَدَ النَّاسُ فِي حَمْلِ الْخَرَاجِ ، وَاحْتَجُّوا بِأَنَّهُمْ لَا يَصِلُونَ إِلَى غَلَّاتِهِمْ ، وَطَلَبُوا الْحِمَايَةَ مِنَ الْعَرَبِ أَصْحَابِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، فَاضْطُرَّ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى الِانْحِدَارِ ، وَأَنِفَ مِنْ ذَلِكَ ، فَلَمَّا وَرَدَتْ عَلَيْهِ رِسَالَةُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، اسْتَرَاحَ إِلَيْهَا ، وَأَجَابَهُ إِلَى مَا طَلَبَهُ مِنَ الصُّلْحِ ، ثُمَّ انْحَدَرَ إِلَى بَغْدَاذَ.ذِكْرُ مَسِيرِ جُيُوشِ الْمُعِزِّ الْعَلَوِيِّ إِلَى أَقَاصِي الْمَغْرِبِ وَفِيهَا عَظُمَ أَمْرُ أَبِي الْحَسَنِ جَوْهَرٍ عِنْدَ الْمُعِزِّ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، وَعَلَا مَحَلَّهُ ، وَصَارَ فِي رُتْبَةِ الْوِزَارَةِ ، فَسَيَّرَهُ الْمُعِزُّ فِي صَفَرٍ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ مِنْهُمْ زِيرِي بْنُ مُنَادٍ الصِّنْهَاجِيُّ وَغَيْرُهُ ، وَأَمْرَهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى أَقَاصِي الْمَغْرِبِ ، فَسَارَ إِلَى تَاهَرْتَ ، فَحَضَرَ عِنْدَهُ يَعْلَى بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّنَاتِيُّ ، فَأَكْرَمَهُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ خَالَفَ عَلَى جَوْهَرٍ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ ، وَثَارَ أَصْحَابُهُ ، فَقَاتَلَهُمْ جَوْهَرٌ ، فَانْهَزَمُوا وَتَبِعَهُمْ جَوْهَرٌ إِلَى مَدِينَةِ أَفَكَانَ ، فَدَخَلَهَا بِالسَّيْفِ وَنَهَبَهَا ، وَنَهَبَ قُصُورَ يَعْلَى ، وَأَخَذَ وَلَدَهُ ، وَكَانَ صَبِيًّا ، وَأَمَرَ بِهَدْمِ أَفَكَانَ وَإِحْرَاقِهَا بِالنَّارِ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ.ثُمَّ سَارَ مِنْهَا إِلَى فَاسَ ، وَبِهَا صَاحِبُهَا أَحْمَدُ بْنُ بَكْرٍ ، فَأَغْلَقَ أَبْوَابَهَا ، فَنَازَلَهَا جَوْهَرٌ وَقَاتَلَهَا مُدَّةً ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهَا ، وَأَتَتْهُ هَدَايَا الْأُمَرَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ بِأَقَاصِي السُّوسِ ، وَأَشَارَ عَلَى جَوْهَرٍ وَأَصْحَابِهِ بِالرَّحِيلِ إِلَى سِجِلْمَاسَةَ ، وَكَانَ صَاحِبُهَا مُحَمَّدُ بْنُ وَاسُولَ قَدْ تُلُقِّبَ بِالشَّاكِرِ لِلَّهِ ، وَيُخَاطَبُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَضَرَبَ السِّكَّةَ بِاسْمِهِ ، وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً ، فَلَمَّا سَمِعَ بِجَوْهَرٍ هَرَبَ ، ثُمَّ أَرَادَ الرُّجُوعَ إِلَى سِجِلْمَاسَةَ ، فَلَقِيَهُ أَقْوَامٌ ، فَأَخَذُوهُ أَسِيرًا ، وَحَمَلُوهُ إِلَى جَوْهَرٍ.وَمَضَى جَوْهَرٌ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ ، فَأَمَرَ أَنْ يُصْطَادَ لَهُ مِنْ سَمَكِهِ فَاصْطَادُوا لَهُ ، فَجَعَلَهُ فِي قِلَالِ الْمَاءِ وَحَمَلَهُ إِلَى الْمُعِزِّ ، وَسَلَكَ تِلْكَ الْبِلَادَ جَمِيعَهَا فَافْتَتَحَهَا وَعَادَ إِلَى فَاسَ ، فَقَاتَلَهَا مُدَّةً طَوِيلَةً ، فَقَامَ زِيرِي بْنُ مُنَادٍ فَاخْتَارَ مِنْ قَوْمِهِ رِجَالًا لَهُمْ شَجَاعَةٌ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا السَّلَالِيمَ ، وَقَصَدُوا الْبَلَدَ فَصَعِدُوا إِلَى السُّورِ الْأَدْنَى فِي السَّلَالِيمِ ، وَأَهْلُ فَاسَ آمِنُونَ ، فَلَمَّا صَعِدُوا عَلَى السُّورِ ، قَتَلُوا مَنْ عَلَيْهِ وَنَزَلُوا إِلَى السُّورِ الثَّانِي ، وَفَتَحُوا الْأَبْوَابَ ، وَأَشْعَلُوا الْمَشَاعِلَ ، وَضَرَبُوا الطُّبُولَ ، وَكَانَتِ الْإِمَارَةُ بَيْنَ زِيرِي وَجَوْهَرٍ ، فَلَمَّا سَمِعَهَا جَوْهَرٌ ، رَكِبَ فِي الْعَسَاكِرِ فَدَخَلَ فَاسًا ، فَاسْتَخْفَى صَاحِبُهَا ، وَأُخِذَ بَعْدَ يَوْمَيْنِ ، وَجُعِلَ مَعَ صَاحِبِ سِجِلْمَاسَةَ ، وَكَانَ فَتْحُهَا فِي رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَحَمَلَهُمَا فِي قَفَصَيْنِ إِلَى الْمُعِزِّ بِالْمَهْدِيَّةِ ، وَأَعْطَى تَاهَرْتَ لِزِيرِي بْنِ مُنَادٍ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ بِبِلَادِ الْجَبَلِ وَبَاءٌ عَظِيمٌ ، مَاتَ فِيهِ أَكْثَرُ أَهْلِ الْبِلَادِ ، وَكَانَ أَكْثَرُ مَنْ مَاتَ فِي النِّسَاءِ ، وَالصِّبْيَانِ ، وَتَعَذَّرَ عَلَى النَّاسِ عِيَادَةُ الْمَرْضَى ، وَشُهُودُ الْجَنَائِزِ لِكَثْرَتِهَا.وَفِيهَا انْخَسَفَ الْقَمَرُ جَمِيعُهُ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْبُوشَنْجِيُّ الصُّوفِيُّ بِنَيْسَابُورَ ، وَهُوَ أَحَدُ الْمَشْهُورِينَ مِنْهُمْ ، وَأَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الشَّوَارِبِ قَاضِي بَغْدَاذَ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَأَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ يَزِيدَ الْحَافِظُ النَّيْسَابُورِيُّ فِي جُمَادَى الْأُولَى.وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ دَرَسْتَوَيْهِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْفَارِسِيُّ النَّحْوِيُّ فِي صَفَرٍ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَأَخَذَ النَّحْوَ عَنِ الْمُبَرِّدِ . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ .فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي الْمُحَرَّمِ ، تَمَّ الصُّلْحُ بَيْنَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَمُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَعَادَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَرَجَعَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْمَوْصِلِ.وَفِيهَا أَنْفَذَ الْخَلِيفَةُ لِوَاءً وَخِلْعَةً لِأَبِي عَلِيِّ بْنِ إِلْيَاسَ صَاحِبِ كَرْمَانَ.وَفِيهَا مَاتَ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَافَرُّوخِيُّ كَاتِبُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَكَتَبَ بَعْدَهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ.وَفِيهَا كَانَتْ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ بَيْنَ عَلِيِّ بْنِ كَامَةَ ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، وَبَيْنَ بِيسْتُونَ بْنِ وَشْمَكِيرَ ، فَانْهَزَمَ بِيسْتُونُ.وَفِيهَا غَرِقَ مِنْ حُجَّاجِ الْمَوْصِلِ فِي الْمَاءِ بِضْعَةَ عَشْرَ زَوْرَقًا.وَفِيهَا غَزَتِ الرُّومُ طَرَسُوسَ وَالرُّهَا ، فَقَتَلُوا وَسَبَوْا ، وَغَنِمُوا وَعَادُوا سَالِمِينَ.وَفِيهَا سَارَ مُؤَيِّدُ الدَّوْلَةِ بْنُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ مِنَ الرَّيِّ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَتَزَوَّجَ بِابْنَةِ عَمِّهِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَنَقَلَهَا مَعَهُ إِلَى الرَّيِّ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى أَصْبَهَانَ.وَفِيهَا فِي جُمَادَى الْأُولَى ، وَقَعَتْ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ بَيْنَ عَامَّةِ بَغْدَاذَ ، وَقُتِلَ فِيهَا جَمَاعَةٌ ، وَاحْتَرَقَ مِنَ الْبَلَدِ كَثِيرٌ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ الْحَسَنِ ، الْفَقِيهُ الْحَنْبَلِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالنِّجَادِ ، وَكَانَ عُمُرُهُ خَمْسًا وَتِسْعِينَ سَنَةً ، وَجَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نُصَيْرٍ الْخُلْدِيُّ الصُّوفِيُّ ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ الْجُنَيْدِ ، فَرَوَى الْحَدِيثَ وَأَكْثَرَ.وَفِيهَا انْقَطَعَتِ الْأَمْطَارُ ، وَغَلَتِ الْأَسْعَارُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبِلَادِ ، فَخَرَجَ النَّاسُ يَسْتَسْقُونَ فِي كَانُونَ الثَّانِي فِي الْبِلَادِ ، وَمِنْهَا بَغْدَاذُ ، فَمَا سُقُوا ، فَلَمَّا كَانَ فِي آذَارَ ، ظَهَرَ جَرَادٌ عَظِيمٌ ، فَأَكَلَ مَا كَانَ قَدْ نَبَتَ مِنَ الْخُضْرَوَاتِ وَغَيْرِهَا ، فَاشْتَدَّ الْأَمْرُ عَلَى النَّاسِ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ ظُهُورِ الْمُسْتَجِيرِ بِاللَّهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ظَهَرَ بِأَذْرَبِيجَانَ رَجُلٌ مِنْ أَوْلَادِ عِيسَى بْنِ الْمُكْتَفِي بِاللَّهِ ، وَتَلَقَّبَ بِالْمُسْتَجِيرِ بِاللَّهِ ، وَبَايَعَ لِلرِّضَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ، وَلَبِسَ الصُّوفَ وَأَظْهَرَ الْعَدْلَ ، وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَكَثُرَ أَتْبَاعُهُ.وَكَانَ السَّبَبُ فِي ظُهُورِهِ أَنَّ جِسْتَانَ بْنَ الْمَرْزُبَانِ صَاحِبُ أَذْرَبِيجَانَ ، تَرَكَ سِيرَةَ وَالِدِهِ فِي سِيَاسَةِ الْجَيْشِ ، وَاشْتَغَلَ بِاللَّعِبِ ، وَمُشَاوَرَةِ النِّسَاءِ ، وَكَانَ جِسْتَانُ بْنُ شَرْمِزَنَّ بِأُرْمِيَةَ مُتَحَصِّنًا بِهَا ، وَكَانَ وَهْسُوذَانُ بِالطَّرْمِ يَضْرِبُ بَيْنَ أَوْلَادِ أَخِيهِ لِيَخْتَلِفُوا.ثُمَّ إِنَّ جِسْتَانَ بْنَ الْمَرْزُبَانِ قَبَضَ عَلَى وَزِيرِهِ النُّعَيْمِيِّ ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَزِيرِ جِسْتَانَ بْنِ شَرْمِزَنَّ مُصَاهَرَةٌ ، وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْدَوَيْهِ ، فَاسْتَوْحَشَ أَبُو الْحَسَنِ لِقَبْضِ النُّعَيْمِيِّ ، فَحَمَلَ صَاحِبَهُ ابْنَ شَرْمِزَنَّ عَلَى مُكَاتَبِةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَرْزُبَانِ ، وَكَانَ بِأَرْمِينِيَّةَ ، فَكَاتَبَهُ وَأَطْمَعَهُ فِي الْمُلْكِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ فَقَصَدُوا مَرَاغَةَ وَاسْتَوْلُوا عَلَيْهَا ، فَلَمَّا عَلِمَ جِسْتَانُ بْنُ الْمَرْزُبَانِ بِذَلِكَ ، رَاسَلَ ابْنَ شَرْمِزَنَّ وَوَزِيرَهُ أَبَا الْحَسَنِ ، فَأَصْلَحَهُمَا ، وَضَمِنَ لَهُمَا إِطْلَاقَ النُّعَيْمِيِّ ، فَعَادَ عَنْ نُصْرَةِ إِبْرَاهِيمَ ، وَظَهَرَ لَهُ وَلِأَخِيهِ نِفَاقُ ابْنِ شَرْمِزَنَّ ، فَتَرَاسَلَا وَاتَّفَقَا عَلَيْهِ.ثُمَّ إِنَّ النُّعَيْمِيَّ هَرَبَ مِنْ حَبْسِ جِسْتَانَ بْنِ الْمَرْزُبَانِ ، وَسَارَ إِلَى مُوقَانَ ، وَكَاتَبَ ابْنَ عِيسَى بْنِ الْمُكْتَفِي بِاللَّهِ ، وَأَطْمَعَهُ فِي الْخِلَافَةِ ، وَأَنْ يَجْمَعَ لَهُ الرِّجَالَ ، وَيَمْلِكَ لَهُ أَذْرَبِيجَانَ ، فَإِذَا قَوِيَ قَصَدَ الْعِرَاقَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ فِي نَحْوِ ثَلَاثِمِائِةِ رَجُلٍ ، وَأَتَاهُ جِسْتَانُ بْنُ شَرْمِزَنَّ فَقَوِيَ بِهِ ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ ، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ جِسْتَانُ وَإِبْرَاهِيمُ ابْنَا الْمَرْزُبَانِ قَاصِدِينَ قِتَالَهُمْ ، فَلَمَّا الْتَقَوُا ، انْهَزَمَ أَصْحَابُ الْمُسْتَجِيرِ ، وَأُخِذَ أَسِيرًا فَعُدِمَ ، فَقِيلَ إِنَّهُ قُتِلَ ، وَقِيلَ بَلْ مَاتَ.ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ وَهْسُوذَانَ عَلَى بَنِي أَخِيهِ وَقَتْلِهِمْ وَأَمَّا وَهْسُوذَانُ فَإِنَّهُ لَمَّا رَأَى اخْتِلَافَ أَوْلَادِ أَخِيهِ ، وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَدِ انْطَوَى عَلَى غِشِّ صَاحِبِهِ ، رَاسَلَ إِبْرَاهِيمَ بَعْدَ وَقْعَةِ الْمُسْتَجِيرِ ، وَاسْتَزَارَهُ فَزَارَهُ ، فَأَكْرَمَهُ عَمُّهُ ، وَوَصَلَهُ بِمَا مَلَأَ عَيْنَهُ ، وَكَاتَبَ نَاصِرًا وَلَدَ أَخِيهِ أَيْضًا ، وَاسْتَغْوَاهُ ، فَفَارَقَ أَخَاهُ جِسْتَانَ وَصَارَ إِلَى مُوقَانَ ، فَوَجَدَهُ الْجُنْدُ طَرِيقًا إِلَى تَحْصِيلِ الْأَمْوَالِ ، فَفَارَقَ أَكْثَرُهُمْ جِسْتَانَ وَصَارُوا إِلَى أَخِيهِ نَاصِرٍ ، فَقَوِيَ بِهِمْ عَلَى أَخِيهِ جِسْتَانَ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى أَرْدَبِيلَ.ثُمَّ إِنَّ الْأَجْنَادَ طَالَبُوا نَاصِرًا بِالْأَمْوَالِ ، فَعَجَزَ عَنْ ذَلِكَ ، وَقَعَدَ عَمُّهُ وَهْسُوذَانُ عَنْ نُصْرَتِهِ ، فَعَلِمَ أَنَّهُ كَانَ يَغْوِيهِ ، فَرَاسَلَ أَخَاهُ جِسْتَانَ ، وَتَصَالَحَا وَاجْتَمَعَا ، وَهُمَا فِي غَايَةِ مَا يَكُونُ مِنْ قِلَّةِ الْأَمْوَالِ وَاضْطِرَابِ الْأُمُورِ ، وَتَغَلَّبَ أَصْحَابُ الْأَطْرَافِ عَلَى مَا بِأَيْدِيهِمْ ، فَاضْطُرَّ جِسْتَانُ وَنَاصِرٌ ابْنَا الْمَرْزُبَانِ إِلَى الْمَسِيرِ إِلَى عَمِّهِمَا وَهْسُوذَانَ مَعَ وَالِدَتِهِمَا ، فَرَاسَلَاهُ فِي ذَلِكَ ، وَأَخَذَا عَلَيْهِ الْعُهُودَ وَسَارُوا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا حَصَلُوا عِنْدَهُ نَكَثَ ، وَغَدَرَ بِهِمْ ، وَقَبَضَ عَلَيْهِمْ ، وَهُمْ جِسْتَانُ وَنَاصِرٌ وَوَالِدَتُهُمَا ، وَاسْتَوْلَى عَلَى الْعَسْكَرِ ، وَعَقَدَ الْإِمَارَةَ لِابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ أَكْثَرَ قِلَاعِهِ ، وَأَخْرَجَ الْأَمْوَالَ وَأَرْضَى الْجُنْدَ.وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَرْزُبَانِ قَدْ سَارَ إِلَى أَرْمِينِيَّةَ ، فَتَأَهَّبَ لِمُنَازَعَةِ إِسْمَاعِيلَ وَاسْتِنْفَاذِ أَخَوَيْهِ مِنْ حَبْسِ عَمِّهِمَا وَهْسُوذَانَ ، فَلَمَّا عَلِمَ وَهْسُوذَانُ ذَلِكَ وَرَأَى اجْتِمَاعَ النَّاسِ عَلَيْهِ ، بَادَرَ فَقَتَلَ جِسْتَانَ وَنَاصِرًا ابْنَيْ أَخِيهِ وَأُمَّهُمَا ، وَكَاتَبَ جِسْتَانَ بْنَ شَرْمِزَنَّ ، وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَقْصِدَ إِبْرَاهِيمَ ، وَأَمَدَّهُ بِالْجُنْدِ وَالْمَالِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَاضْطُرَّ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْهَرَبِ وَالْعَوْدِ إِلَى أَرْمِينِيَّةَ ، وَاسْتَوْلَى ابْنُ شَرْمِزَنَّ عَلَى عَسْكَرِهِ وَعَلَى مَدِينَةِ مَرَاغَةَ مَعَ أُرْمِيَةَ.ذِكْرُ غَزْوِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بِلَادَ الرُّومِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا سَيْفُ الدَّوْلَةِ بِلَادَ الرُّومِ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، فَأَثَّرَ فِيهَا آثَارًا كَثِيرَةً ، وَأَحْرَقَ وَفَتَحَ عِدَّةَ حُصُونٍ ، وَأَخَذَ مِنَ السَّبْيِ وَالْغَنَائِمِ وَالْأَسْرَى شَيْئًا كَثِيرًا ، وَبَلَغَ إِلَى خَرْشَنَةَ ، ثُمَّ إِنَّ الرُّومَ أَخَذُوا عَلَيْهِ الْمَضَايِقَ ، فَلَمَّا أَرَادَ الرُّجُوعَ ، قَالَ لَهُ مَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ طَرَسُوسَ إِنَّ الرُّومَ قَدْ مَلَكُوا الدَّرْبَ خَلْفَ ظَهْرِكَ ، فَلَا تَقْدِرُ عَلَى الْعَوْدِ مِنْهُ وَالرَّأْيُ أَنْ تَرْجِعَ مَعَنَا ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ وَكَانَ مُعْجَبًا بِرَأْيِهِ يُحِبُّ أَنْ يَسْتَبِدَّ وَلَا يُشَاوِرَ أَحَدًا; لِئَلَّا يُقَالَ إِنَّهُ أَصَابَ بِرَأْيِ غَيْرِهِ وَعَادَ فِي الدَّرْبِ الَّذِي دَخَلَ مِنْهُ ، فَظَهَرَ الرُّومُ عَلَيْهِ وَاسْتَرَدُّوا مَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الْغَنَائِمِ ، وَأَخَذُوا أَثْقَالَهُ ، وَوَضَعُوا السَّيْفَ فِي أَصْحَابِهِ فَأَتَوْا عَلَيْهِمْ قَتْلًا وَأَسْرًا ، وَتَخَلَّصَ هُوَ فِي ثَلَاثِمِائَةِ رَجُلٍ بَعْدَ جَهْدٍ وَمَشَقَّةٍ ، وَهَذَا مِنْ سُوءِ رَأْيِ كُلِّ مَنْ يَجْهَلُ آرَاءَ النَّاسِ الْعُقَلَاءِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ .ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَبَضَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ نُوحٍ صَاحِبُ خُرَاسَانَ ، وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَكَابِرِ قُوَّادِهِ وَأُمَرَائِهِ يُسَمَّى نَجْتَكِينَ ، وَقَتَلَهُ ، فَاضْطَرَبَتْ خُرَاسَانُ.وَفِيهَا اسْتَأْمَنَ أَبُو الْفَتْحِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْعُرْبَانِ ، أَخُو عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ صَاحِبِ الْبَطِيحَةِ ، إِلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ ، وَكَانَ خَافَ أَخَاهُ ، فَأَكْرَمَهُ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ.وَفِيهَا مَاتَ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيُّ.وَفِيهَا أَسْلَمَ مِنَ الْأَتْرَاكِ نَحْوَ مِائَتَيْ أَلْفِ خَرْكَاةٍ.وَفِيهَا انْصَرَفَ حُجَّاجُ مِصْرَ مِنَ الْحَجِّ ، فَنَزَلُوا وَادِيًا وَبَاتُوا فِيهِ ، فَأَتَاهُمُ السَّيْلُ لَيْلًا ، فَأَخَذَهُمْ جَمِيعَهُمْ مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَجِمَالِهِمْ ، فَأَلْقَاهُمْ فِي الْبَحْرِ.وَفِيهَا سَارَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ مِنَ الرَّيِّ إِلَى جُرْجَانَ ، فَلَقِيَهُ الْحَسَنُ بْنُ الْفَيْرُزَانِ وَابْنُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ، فَوَصَلَهُمَا بِمَالٍ جَلِيلٍ.وَفِيهَا كَانَ بِالْبِلَادِ غَلَاءٌ شَدِيدٌ ، وَكَانَ أَكْثَرُهُ بِالْمَوْصِلِ ، فَبَلَغَ الْكُرُّ مِنَ الْحِنْطَةِ أَلْفًا وَمِائَتَيْ دِرْهَمٍ ، وَالْكُرُّ مِنَ الشَّعِيرِ ثَمَانُمِائَةِ دِرْهَمٍ ، وَهَرَبَ أَهْلُهَا إِلَى الشَّامِ وَالْعِرَاقِ.وَفِيهَا خَامِسَ شَعْبَانَ ، وَكَانَ بِبَغْدَادَ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ الْعَامَّةِ ، وَتَعَطَّلَتِ الْجُمُعَةُ مِنَ الْغَدِ لِاتِّصَالِ الْفِتْنَةِ فِي الْجَانِبَيْنِ ، سِوَى مَسْجِدِ بَرَاثَا ، فَإِنَّ الْجُمُعَةَ تَمَّتْ فِيهِ ، وَقُبِضَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ اتُّهِمُوا أَنَّهُمْ سَبَبُ الْفِتْنَةِ ، ثُمَّ أُطْلِقُوا مِنَ الْغَدِ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْخَيْرِ الْأَقْطَعُ التِّينَاتِيُّ ، أَوْ قَرِيبًا مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَكَانَ عُمُرُهُ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَلَهُ كَرَامَاتٌ مَشْهُورَةٌ مَسْطُورَةٌ. التِّينَاتِيُّ بِالتَّاءِ الْمَكْسُورَةِ الْمُعْجَمَةِ بِاثْنَتَيْنِ مِنْ فَوْقُ ، ثُمَّ الْيَاءُ الْمُعْجَمَةُ بِاثْنَتَيْنِ مِنْ تَحْتُ ، ثُمَّ بِالنُّونِ وَالْأَلِفِ ثُمَّ بِالتَّاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ فَوْقُ أَيْضًا .وَفِيهَا مَاتَ أَبُو إِسْحَاقَ بْنُ ثَوَابَةَ كَاتِبُ الْخَلِيفَةِ وَمُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَقُلِّدَ دِيوَانَ الرَّسَائِلِ بَعْدَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِلَالٍ الصَّابِيُّ.وَفِيهَا فِي آخِرِهَا ، مَاتَ أَنُوجُورُ بْنُ الْإِخْشِيدِ صَاحِبُ مِصْرَ ، وَتَقَلَّدَ أَخُوهُ عَلِيٌّ مَكَانَهُ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ بِنَاءِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ دَوْرَهُ بِبَغْدَاذَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي الْمُحَرَّمِ ، مَرِضَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ ، وَامْتَنَعَ عَلَيْهِ الْبَوْلُ ، ثُمَّ كَانَ يَبُولُ بَعْدَ جَهْدٍ وَمَشَقَّةٍ دَمًا ، وَتَبِعَهُ الْبَوْلُ ، وَالْحَصَى ، وَالرَّمْلُ ، فَاشْتَدَّ جَزَعُهُ وَقَلَقُهُ ، وَأَحْضَرَ الْوَزِيرَ الْمُهَلَّبِيَّ ، وَالْحَاجِبَ سُبُكْتِكِينَ ، فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمَا ، وَوَصَّاهُمَا بِابْنِهِ بَخْتِيَارَ ، وَسَلَّمَ جَمِيعَ مَالِهِ إِلَيْهِ.ثُمَّ إِنَّهُ عُوفِيَ ، فَعَزَمَ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى الْأَهْوَازِ; لِأَنَّهُ اعْتَقَدَ أَنَّ مَا اعْتَادَهُ مِنَ الْأَمْرَاضِ إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ مَقَامِهِ بِبَغْدَاذَ ، وَظَنَّ أَنَّهُ إِنْ عَادَ إِلَى الْأَهْوَازِ ، عَاوَدَهُ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الصِّحَّةِ ، وَنَسِيَ الْكِبَرَ وَالشَّبَابَ ، فَلَمَّا انْحَدَرَ إِلَى كَلْوَاذَى لِيَتَوَجَّهَ إِلَى الْأَهْوَازِ ، أَشَارَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ بِالْمَقَامِ ، وَأَنْ يُفَكِّرَ فِي هَذِهِ الْحَرَكَةِ وَلَا يُعَجِّلَ ، فَأَقَامَ بِهَا ، وَلَمْ يُؤْثِرْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ انْتِقَالَهُ لِمُفَارَقَةِ أَوْطَانِهِمْ وَأَسَفًا عَلَى بَغْدَاذَ كَيْفَ تُخَرَّبُ بِانْتِقَالِ دَارِ الْمُلْكِ عَنْهَا ، فَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِالْعَوْدِ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَأَنْ يَبْنِيَ بِهَا لَهُ دَارًا فِي أَعْلَى بَغْدَاذَ لِتَكُونَ أَرَقَّ هَوَاءً ، وَأَصْفَى مَاءً ، فَفَعَلَ ، وَشَرَعَ فِي بِنَاءِ دَارِهِ فِي مَوْضِعِ الْمُسَنَّاةِ الْمُعِزِّيَّةِ ، فَكَانَ مَبْلَغُ مَا خَرَجَ عَلَيْهَا إِلَى أَنْ مَاتَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَاحْتَاجَ بِسَبَبِ ذَلِكَ إِلَى مُصَادَرَةِ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ.ذِكْرُ مَوْتِ الْأَمِيرِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ نُوحٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَقَطَ الْفَرَسُ تَحْتَ الْأَمِيرِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ نُوحٍ صَاحِبِ خُرَاسَانَ ، فَوَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ ، فَمَاتَ مِنْ سَقْطَتِهِ ، وَافْتَتَنَتْ خُرَاسَانُ بَعْدَهُ ، وَوَلِيَ بَعْدَهُ أَخُوهُ مَنْصُورُ بْنُ نُوحٍ ، وَكَانَ مَوْتُهُ يَوْمَ الْخَمِيسِ حَادِيَ عَشَرَ شَوَّالٍ.ذِكْرُ وَفَاةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ ، وَوَلَايَةِ ابْنِهِ الْحَاكِمِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ ، الْمُلَقَّبُ بِالنَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ ، فِي رَمَضَانَ ، فَكَانَتْ إِمَارَتُهُ خَمْسِينَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ ، وَكَانَ عُمُرُهُ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ سَنَةً ، كَانَ أَبْيَضَ ، أَشْهَلَ ، حَسَنَ الْوَجْهِ ، عَظِيمَ الْجِسْمِ ، قَصِيرَ السَّاقَيْنِ ، كَانَ رِكَابُ سَرْجِهِ يُقَارِبُ الشِّبْرَ ، وَكَانَ طَوِيلَ الظَّهْرِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَلَقَّبَ مِنَ الْأُمَوِيِّينَ بِأَلْقَابِ الْخُلَفَاءِ ، تَسَمَّى بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَخَلَّفَ أَحَدَ عَشَرَ وَلَدًا ذَكَرًا ، وَكَانَ مَنْ تَقَدَّمَهُ مِنْ آبَائِهِ يُخَاطَبُونَ وَيُخْطَبُ لَهُمْ بِالْأَمِيرِ وَأَبْنَاءِ الْخَلَائِفِ.وَبَقِيَ هُوَ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ مَضَى مِنْ إِمَارَتِهِ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ضَعْفُ الْخُلَفَاءِ بِالْعِرَاقِ وَظُهُورُ الْعَلَوِيِّينَ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، وَمُخَاطَبَتُهُمْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَرَ حِينَئِذٍ أَنْ يُلَقَّبَ النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ ، وَيُخْطَبَ لَهُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيَقُولَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ إِنَّهُ أَوَّلُ خَلِيفِةٍ وَلِي بَعْدَ جَدِّهِ ، كَانَتْ أُمُّهُ أَمُّ وَلَدٍ اسْمُهَا مُزْنَةُ ، وَلَمْ يَبْلُغْ أَحَدٌ مِمَّنْ تَلَقَّبَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُدَّتَهُ فِي الْخِلَافَةِ غَيْرُ الْمُسْتَنْصِرِ الْعَلَوِيِّ صَاحِبِ مِصْرَ ، فَإِنَّ خِلَافَتَهُ كَانَتْ سِتِّينَ سَنَةً.وَلَمَّا مَاتَ وَلِيَ الْأَمْرَ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْحَاكِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَتَلَقَّبَ بِالْمُسْتَنْصِرِ ، وَأَمُّهُ أَمُّ وَلَدٍ تُسَمَّى مَرْجَانَةُ ، وَخَلَّفَ النَّاصِرُ عِدَّةَ أَوْلَادٍ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ ، وَكَانَ شَافِعِيُّ الْمَذْهَبِ ، عَالِمًا بِالشَّعْرِ وَالْأَخْبَارِ وَغَيْرِهِمَا ، وَكَانَ نَاسِكًا.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ قُفْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أَنْطَاكِيَةَ إِلَى طَرَسُوسَ وَمَعَهُمْ صَاحِبُ أَنْطَاكِيَةَ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ كَمِينٌ لِلرُّومِ ، فَأَخَذَ مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَتَلَ كَثِيرًا مِنْهُمْ ، وَأَفْلَتَ صَاحِبُ أَنْطَاكِيَةَ وَبِهِ جِرَاحَاتٌ.وَفِيهَا فِي رَمَضَانَ ، دَخَلَ نَجَا غُلَامُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بِلَادَ الرُّومِ مِنْ نَاحِيَةِ مَيَّافَارِينَ غَازِيًا ، وَإِنَّهُ فِي رَمَضَانَ غَنِمَ مَا قِيمَتُهُ قِيمَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَسَبَى ، وَأَسَرَ وَخَرَجَ سَالِمًا. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ الْقَاضِي أَبُو السَّائِبِ عُتْبَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَقُبِضَتْ أَمْلَاكُهُ ، وَتَوَلَّى قَضَاءَ الْقُضَاةِ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الشَّوَارِبِ ، وَضَمِنَ أَنْ يُؤَدِّيَ كُلَّ سَنَةٍ مِائَتَيْ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ ضَمِنَ الْقَضَاءَ ، وَكَانَ ذَلِكَ أَيَّامَ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَلَمْ يُسْمَعْ بِذَلِكَ قَبْلَهُ ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ الْخَلِيفَةُ الْمُطِيعُ لِلَّهِ بِالدُّخُولِ عَلَيْهِ ، وَأَمَرَ بِأَنْ لَا يَحْضُرَ الْمَوْكِبَ لَمِا ارْتَكَبَهُ مِنْ ضَمَانِ الْقَضَاءِ ، ثُمَّ ضَمِنَتْ بَعْدَهُ الْحِسْبَةُ وَالشُّرْطَةُ بِبَغْدَاذَ.وَفِيهَا وَصَلَ أَبُو الْقَاسِمِ أَخُو عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ إِلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ مُسْتَأْمِنًا.وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ كَامِلٍ ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ الطَّبَرِيِّ وَكَانَ يَرْوِي تَارِيخَهُ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ الرُّومِ عَلَى عَيْنِ زَرْبَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي الْمُحَرَّمِ ، نَزَلَ الرُّومُ مَعَ الدُّمُسْتُقِ عَلَى عَيْنِ زَرْبَةَ ، وَهِيَ فِي سَفْحِ جَبَلٍ عَظِيمٍ ، وَهُوَ مُشْرِفٌ عَلَيْهَا ، وَهُمْ جَمْعٌ عَظِيمٌ ، فَأَنْفَذَ بَعْضَ عَسْكَرِهِ ، فَصَعِدُوا الْجَبَلَ فَمَلَكُوهُ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَهْلُهَا ، وَأَنَّ الدُّمُسْتُقَ قَدْ ضَيَّقَ عَلَيْهِمْ وَمَعَهُ الدَّبَّابَاتُ ، وَقَدْ وَصَلَ إِلَى السُّورِ وَشَرَعَ فِي النَّقْبِ ، طَلَبُوا الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُمُ الدُّمُسْتُقُ ، وَفَتَحُوا لَهُ بَابَ الْمَدِينَةِ فَدَخَلَهَا ، فَرَأَى أَصْحَابُهُ الَّذِينَ فِي الْجَبَلِ قَدْ نَزَلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَنَدِمَ عَلَى إِجَابَتِهِمْ إِلَى الْأَمَانِ.وَنَادَى فِي الْبَلَدِ أَوَّلَ اللَّيْلِ بِأَنْ يَخْرُجَ جَمِيعُ أَهْلِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ، وَمَنْ تَأَخَّرَ فِي مَنْزِلِهِ قُتِلَ ، فَخَرَجَ مَنْ أَمْكَنَهُ الْخُرُوجُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَنْفَذَ رِجَّالَتَهُ فِي الْمَدِينَةِ ، وَكَانُوا سِتِّينَ أَلْفًا ، وَأَمَرَهُمْ بِقَتْلِ مَنْ وَجَدُوهُ فِي مَنْزِلِهِ ، فَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ ، وَأَمَرَ بِجَمْعِ مَا فِي الْبَلَدِ مِنَ السِّلَاحِ فَجُمِعَ ، فَكَانَ شَيْئًا كَثِيرًا .وَأَمَرَ مَنْ فِي الْمَسْجِدِ بِأَنْ يَخْرُجُوا مِنَ الْبَلَدِ حَيْثُ شَاءُوا يَوْمَهُمْ ذَلِكَ ، وَمَنْ أَمْسَى قُتِلَ ، فَخَرَجُوا مُزْدَحِمَيْنِ ، فَمَاتَ بِالزَّحْمَةِ جَمَاعَةٌ ، وَمَرُّوا عَلَى وُجُوهِهِمْ لَا يَدْرُونَ أَيْنَ يَتَوَجَّهُونَ ، فَمَاتُوا فِي الطُّرُقَاتِ ، وَقَتَلَ الرُّومُ مَنْ وَجَدُوهُ بِالْمَدِينَةِ آخِرَ النَّهَارِ ، وَأَخَذُوا كُلَّ مَا خَلَّفَهُ النَّاسُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَمْتِعَتِهِمْ ، وَهَدَمُوا سُورَيِ الْمَدِينَةِ.وَأَقَامَ الدُّمُسْتُقُ فِي بَلَدِ الْإِسْلَامِ أَحَدًا وَعِشْرِينَ يَوْمًا ، وَفَتَحَ حَوْلَ عَيْنِ زَرْبَةَ أَرْبَعَةً وَخَمْسِينَ حِصْنًا لِلْمُسْلِمِينَ بَعْضُهَا بِالسَّيْفِ وَبَعْضُهَا بِالْأَمَانِ ، وَإِنَّ حِصْنًا مِنْ تِلْكَ الْحُصُونِ الَّتِي فُتِحَتْ بِالْأَمَانِ أَمَرَ أَهْلَهُ بِالْخُرُوجِ مِنْهُ فَخَرَجُوا ، فَتَعَرَّضَ أَحَدُ الْأَرْمَنِ لِبَعْضِ حُرَمِ الْمُسْلِمِينَ ، فَلِحَقَ الْمُسْلِمِينَ غَيْرَةٌ عَظِيمَةٌ ، فَجَرَّدُوا سُيُوفَهُمْ ، فَاغْتَاظَ الدُّمُسْتُقُ لِذَلِكَ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَكَانُوا أَرْبَعَمِائَةِ رَجُلٍ ، وَقَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ ، وَلَمْ يَتْرُكْ إِلَّا مَنْ يَصْلُحُ أَنْ يُسْتَرَقَّ.فَلَمَّا أَدْرَكَهُ الصَّوْمُ ، انْصَرَفَ عَلَى أَنْ يَعُودَ بَعْدَ الْعِيدِ ، وَخَلَّفَ جَيْشَهُ بِقَيْسَارِيَّةَ ، وَكَانَ ابْنُ الزَّيَّاتِ صَاحِبُ طَرَسُوسَ ، قَدْ خَرَجَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافِ رَجُلٍ مِنَ الطَرَسُوسِيِّينَ ، فَأَوْقَعَ بِهِمُ الدُّمُسْتُقُ ، فَقَتَلَ أَكْثَرَهُمْ ، وَقَتَلَ أَخًا لِابْنِ الزَّيَّاتِ ، فَعَادَ إِلَى طَرَسُوسَ ، وَكَانَ قَدْ قَطَعَ الْخُطْبَةَ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ ، فَلَمَّا أَصَابَهُمْ هَذَا الْوَهَنُ ، أَعَادَ أَهْلُ الْبَلَدِ الْخُطْبَةَ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ وَرَاسَلُوهُ بِذَلِكَ ، فَلَمَّا عَلِمَ ابْنُ الزَّيَّاتِ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ ، صَعِدَ إِلَى رَوْشَنَ فِي دَارِهِ فَأَلْقَى نَفْسَهُ مِنْهُ إِلَى نَهْرٍ تَحْتَهُ فَغَرِقَ ، وَرَاسَلَ أَهْلُ بَغْرَاسَ الدُّمُسْتُقَ ، وَبَذَلُوا لَهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَأَقَرَّهُمْ وَتَرَكَ مُعَارَضَتَهُمْ.ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ الرُّومِ عَلَى مَدِينَةِ حَلَبَ وَعَوْدِهِمْ عَنْهَا بِغَيْرِ سَبَبٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَوْلَى الرُّومُ عَلَى مَدِينَةِ حَلَبَ دُونَ قَلْعَتِهَا.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الدُّمُسْتُقَ سَارَ إِلَى حَلَبَ ، وَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ الْمُسْلِمُونَ; لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ خَلَّفَ عَسْكَرَهُ بِقَيْسَارِيَّةَ وَدَخَلَ بِلَادَهُمْ كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، فَلَمَّا قَضَى صَوْمَ النَّصَارَى ، خَرَجَ إِلَى عَسْكَرِهِ مِنَ الْبِلَادِ جَرِيدَةً ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ أَحَدٌ ، وَسَارَ بِهِمْ عِنْدَ وُصُولِهِ ، فَسَبَقَ خَبَرَهُ ، وَكَبَسَ مَدِينَةَ حَلَبَ ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ وَلَا غَيْرُهُ.فَلَمَّا بَلَغَهَا وَعَلِمَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْخَبَرَ ، أَعْجَلَهُ الْأَمْرُ عَنِ الْجَمْعِ وَالِاحْتِشَادِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فِيمَنْ مَعَهُ ، فَقَاتَلَهُ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ قُوَّةُ الصَّبْرِ لِقِلَّةِ مَنْ مَعَهُ ، فَقُتِلَ أَكْثَرُهُمْ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَوْلَادِ دَاوُدَ بْنِ حَمْدَانَ أَحَدٌ ، قُتِلُوا جَمِيعُهُمْ ، فَانْهَزَمَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ فِي نَفَرٍ يَسِيرٍ ، وَظَفِرَ الدُّمُسْتُقُ بِدَارِهِ ، وَكَانَتْ خَارِجَ مَدِينَةِ حَلَبَ ، تُسَمَّى الدَّارَيْنَ ، فَوُجِدَ فِيهَا لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ ثَلَاثِمِائَةِ بُدْرَةٍ مِنَ الدَّرَاهِمِ ، وَأَخَذَ لَهُ أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةِ بَغْلٍ ، وَمِنْ خَزَائِنِ السِّلَاحِ مَا لَا يُحْصَى ، فَأَخَذَ الْجَمِيعَ ، وَخَرَّبَ الدَّارَ ، وَمَلَكَ الْحَاضِرَ ، وَحَصَرَ الْمَدِينَةَ ، فَقَاتَلَهُ أَهْلُهَا.وَهَدَمَ الرُّومُ فِي السُّورِ ثُلْمَةً ، فَقَاتَلَهُمْ أَهْلُ حَلَبَ عَلَيْهَا ، فَقُتِلَ مِنَ الرُّومِ كَثِيرٌ ، وَدَفَعُوهُمْ عَنْهَا ، فَلَمَّا جَنَّهُمُ اللَّيْلُ عَمَّرُوهَا ، فَلَمَّا رَأَى الرُّومُ ذَلِكَ ، تَأَخَّرُوا إِلَى جَبَلِ جَوْشَنَ.ثُمَّ إِنَّ رِجَّالَةَ الشُّرْطَةِ بِحَلَبَ قَصَدُوا مَنَازِلَ النَّاسِ ، وَخَانَاتِ التُّجَّارِ لِيَنْهَبُوهَا ، فَلَحِقَ النَّاسُ أَمْوَالَهُمْ لِيَمْنَعُوهَا ، فَخَلَا السُّورُ مِنْهُمْ ، فَلَمَّا رَأَى الرُّومُ السُّورَ خَالِيًا مِنَ النَّاسِ ، قَصَدُوهُ وَقَرُبُوا مِنْهُ ، فَلَمْ يَمْنَعْهُمْ أَحَدٌ ، فَصَعِدُوا إِلَى أَعْلَاهُ ، فَرَأَوُا الْفِتْنَةَ قَائِمَةً فِي الْبَلَدِ بَيْنَ أَهْلِهِ ، فَنَزَلُوا وَفَتَحُوا الْأَبْوَابَ ، وَدَخَلُوا الْبَلَدَ بِالسَّيْفِ يَقْتُلُونَ مَنْ وَجَدُوا ، وَلَمْ يَرْفَعُوا السَّيْفَ إِلَى أَنْ تَعِبُوا وَضَجِرُوا.وَكَانَ فِي حَلَبَ أَلْفٌ وَأَرْبَعُمِائَةٍ مِنَ الْأَسَارَى ، فَتَخَلَّصُوا ، وَأَخَذُوا السِّلَاحَ وَقَتَلُوا النَّاسَ ، وَسُبِيَ مِنَ الْبَلَدِ بِضْعَةَ عَشَرَ أَلْفَ صَبِيٍّ وَصَبِيَّةٍ ، وَغَنِمُوا مَا لَا يُوصَفُ كَثْرَةً ، فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ مَعَ الرُّومِ مَا يَحْمِلُونَ عَلَيْهِ الْغَنِيمَةَ أَمَرَ الدُّمُسْتُقُ بِإِحْرَاقِ الْبَاقِيَ ، وَأَحْرَقَ الْمَسَاجِدَ ، وَكَانَ قَدْ بَذَلَ لِأَهْلِ الْبَلَدِ الْأَمَانَ عَلَى أَنْ يُسَلِّمُوا إِلَيْهِ ثَلَاثَةَ آلَافِ صَبِيٍّ وَصَبِيَّةٍ وَمَالًا ذَكَرَهُ ، وَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ ، فَلَمْ يُجِيبُوهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَمَلَكَهُمْ كَمَا ذَكَرْنَا ، وَكَانَ عِدَّةُ عَسْكَرِهِ مِائَتَيْ أَلْفِ رَجُلٍ ، مِنْهُمْ ثَلَاثُونَ أَلْفَ رَجُلٍ بِالْجَوَاشِنِ ، وَثَلَاثُونَ أَلْفًا لِلْهَدْمِ ، وَإِصْلَاحِ الطُّرُقِ مِنَ الثَّلْجِ ، وَأَرْبَعَةُ آلَافِ بَغْلٍ يَحْمِلُ الْحَسَكَ الْحَدِيدَ.وَلَمَّا دَخَلَ الرُّومُ الْبَلَدَ ، قَصَدَ النَّاسُ الْقَلْعَةَ ، فَمَنْ دَخَلَهَا نَجَا بِحُشَاشَةِ نَفْسِهِ ، وَأَقَامَ الدُّمُسْتُقُ تِسْعَةَ أَيَّامٍ ، وَأَرَادَ الِانْصِرَافَ عَنِ الْبَلَدِ بِمَا غَنِمَ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ أُخْتِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ مَعَهُ هَذَا الْبَلَدُ قَدْ حَصَلَ فِي أَيْدِينَا ، وَلَيْسَ مَنْ يَدْفَعُنَا عَنْهُ ، فَلِأَيِّ سَبَبٍ نَنْصَرِفُ عَنْهُ ؟فَقَالَ الدُّمُسْتُقُ قَدْ بَلَغَنَا مَا لَمْ يَكُنِ الْمَلِكُ يُؤَمِّلُهُ ، وَغَنِمْنَا وَقَتَلْنَا ، وَخَرَّبْنَا وَأَحْرَقْنَا ، وَخَلَّصْنَا أَسْرَانَا ، وَبَلَغْنَا مَا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ ، فَتَرَاجَعَا الْكَلَامَ إِلَى أَنْ قَالَ لَهُ الدُّمُسْتُقُ انْزِلْ عَلَى الْقَلْعَةِ فَحَاصِرْهَا ، فَإِنَّنِي مُقِيمٌ بِعَسْكَرِي عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ ، فَتَقَدَّمَ ابْنُ أُخْتِ الْمَلِكِ إِلَى الْقَلْعَةِ ، وَمَعَهُ سَيْفٌ وَتُرْسٌ ، وَتَبِعَهُ الرُّومُ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْ بَابِ الْقَلْعَةِ ، أُلْقِيَ عَلَيْهِ حَجَرٌ فَسَقَطَ ، وَرُمِيَ بِخَشَبٍ فَقُتِلَ ، فَأَخَذَهُ أَصْحَابُهُ وَعَادُوا إِلَى الدُّمُسْتُقِ ، فَلَمَّا رَآهُ قَتِيلًا ، قَتَلَ مَنْ مَعَهُ مِنْ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانُوا أَلْفًا وَمِائَتَيْ رَجُلٍ ، وَعَادَ إِلَى بِلَادِهِ ، وَلَمْ يَعْرِضْ لِسَوَادِ حَلَبَ ، وَأَمَرَ أَهْلَهُ بِالزِّرَاعَةِ وَالْعِمَارَةِ لِيَعُودَ إِلَيْهِمْ بِزَعْمِهِ.ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ عَلَى طَبَرِسْتَانَ وَجُرْجَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي الْمُحَرَّمِ ، سَارَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ إِلَى طَبَرِسْتَانَ ، وَبِهَا وَشْمَكِيرُ ، فَنَزَلَ عَلَى مَدِينَةِ سَارِيَةَ فَحَصَرَهَا وَمَلَكَهَا ، فَفَارَقَ حِينَئِذٍ وَشْمَكِيرُ طَبَرِسْتَانَ وَقَصَدَ جُرْجَانَ ، فَأَقَامَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ بِطَبَرِسْتَانَ إِلَى أَنْ مَلَكَهَا كُلَّهَا ، وَأَصْلَحَ أُمُورَهَا ، وَسَارَ فِي طَلَبِ وَشْمَكِيرَ إِلَى جُرْجَانَ ، فَأَزَاحَ وَشْمَكِيرَ عَنْهَا ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَاسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ مِنْ عَسْكَرِ وَشْمَكِيرَ ثَلَاثَةُ آلَافِ رَجُلٍ ، فَازْدَادَ قُوَّةً ، وَازْدَادَ وَشْمَكِيرُ ضَعْفًا وَوَهْنًا ، فَدَخَلَ بِلَادَ الْجَبَلِ.ذِكْرُ مَا كُتِبَ عَلَى مَسَاجِدِ بَغْدَاذَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي رَبِيعٍ الْآخَرِ ، كَتَبَ عَامَّةُ الشِّيعَةِ بِبَغْدَاذَ بِأَمْرِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ عَلَى الْمَسَاجِدِ مَا هَذِهِ صُورَتُهُ لَعَنَ اللَّهُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ ، وَلَعَنَ مَنْ غَصَبَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَدْكًا ، وَمَنْ مَنَعَ مِنْ أَنْ يُدْفَنَ الْحَسَنُ عِنْدَ قَبْرِ جَدِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمَنْ نَفَى أَبَا ذَرٍّ الْغِفَارِيَّ ، وَمَنْ أَخْرَجَ الْعَبَّاسَ مِنَ الشُّورَى ، فَأَمَّا الْخَلِيفَةُ فَكَانَ مَحْكُومًا عَلَيْهِ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْمَنْعِ ، وَأَمَّا مُعِزُّ الدَّوْلَةِ فَبِأَمْرِهِ كَانَ ذَلِكَ.فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ، حَكَّهُ بَعْضُ النَّاسِ ، فَأَرَادَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِعَادَتَهُ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ الْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ بِأَنْ يَكْتُبَ مَكَانَ مَا مُحِيَ لَعَنَ اللَّهُ الظَّالِمِينَ لِآلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا يَذْكُرُ أَحَدًا فِي اللَّعْنِ إِلَّا مُعَاوِيَةَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ.ذِكْرُ فَتْحِ طَبَرْمِينَ مِنْ صِقِلِّيَةَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَتْ جُيُوشُ الْمُسْلِمِينَ بِصِقِلِّيَةَ ، وَأَمِيرُهُمْ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الْحُسَيْنِ إِلَى قَلْعَةِ طَبَرْمِينَ مِنْ صِقِلِّيَةَ أَيْضًا ، وَهِيَ بِيَدِ الرُّومِ ، فَحَصَرُوهَا ، وَهِيَ مِنْ أَمْنَعِ الْحُصُونِ وَأَشَدِّهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَامْتَنَعَ أَهْلُهَا ، وَدَامَ الْحِصَارُ عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا رَأَى الْمُسْلِمُونَ ذَلِكَ ، عَمَدُوا إِلَى الْمَاءِ الَّذِي يَدْخُلُهَا فَقَطَعُوهُ عَنْهَا ، وَأَجْرُوهُ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ ، فَعَظُمَ الْأَمْرُ عَلَيْهِمْ ، وَطَلَبُوا الْأَمَانَ ، فَلَمْ يُجَابُوا إِلَيْهِ ، فَعَادُوا وَطَلَبُوا أَنْ يُؤَمَّنُوا عَلَى دِمَائِهِمْ ، وَيَكُونُوا رَقِيقًا لِلْمُسْلِمِينَ ، وَأَمْوَالُهُمْ فَيْئًا ، فَأُجِيبُوا إِلَى ذَلِكَ ، وَأُخْرِجُوا مِنَ الْبَلَدِ ، وَمَلَكَهُ الْمُسْلِمُونَ فِي ذِي الْقِعْدَةِ.وَكَانَتْ مُدَّةُ الْحِصَارِ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَنِصْفًا ، وَأُسْكِنَتِ الْقَلْعَةُ نَفَرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَسُمِّيَتِ الْمُعِزِّيَّةُ ، نِسْبَةٌ إِلَى الْمُعِزِّ الْعَلَوِيِّ صَاحِبِ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَسَارَ جَيْشٌ إِلَى رَمْطَةَ مَعَ الْحَسَنِ بْنِ عَمَّارٍ ، فَحَصَرُوهَا وَضَيَّقُوا عَلَيْهَا ، فَكَانَ مَا نَذْكُرُهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، أَرْسَلَ الْأَمِيرُ مَنْصُورُ بْنُ نُوحٍ ، صَاحِبُ خُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ إِلَى بَعْضِ قُوَّادِهِ الْكِبَارِ ، وَاسْمُهُ الْفَتَكِينُ يَسْتَدْعِيهِ ، فَامْتَنَعَ ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ جَيْشًا ، فَلَقِيَهُمُ الْفَتَكِينُ فَهَزَمَهُمْ ، وَأَسَرَ وُجُوهَ الْقُوَّادِ مِنْهُمْ ، وَفِيهِمْ خَالُ مَنْصُورٍ.وَفِيهَا فِي مُنْتَصَفِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ أَيْضًا ، انْخَسَفَ الْقَمَرُ جَمِيعُهُ.وَفِيهَا جُمَادَى الْأُولَى ، كَانَتْ فِتْنَةٌ بِالْبَصْرَةِ وَبِهَمَذَانَ أَيْضًا بَيْنَ الْعَامَّةِ بِسَبَبِ الْمَذَاهِبِ ، قُتِلَ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ.وَفِيهَا أَيْضًا فَتَحَ الرُّومُ حِصْنَ دُلُوكَ وَثَلَاثَةَ حُصُونٍ مُجَاوِرَةٍ لَهُ بِالسَّيْفِ.وَفِيهَا لَقَّبَ الْخَلِيفَةُ الْمُطِيعُ لِلَّهِ فَنَّاخِسْرُو بْنَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ بِعَضُدِ الدَّوْلَةِ .وَفِيهَا فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، أَعَادَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بِنَاءَ عَيْنِ زَرْبَةَ ، وَسَيَّرَ حَاجِبَهُ فِي جَيْشٍ مَعَ أَهْلِ طَرَسُوسَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ ، فَغَنِمُوا ، وَقَتَلُوا ، وَسَبَوْا وَعَادُوا ، فَقَصَدَ الرُّومُ حِصْنَ سَيْسِيَّةَ فَمَلَكُوهُ.وَفِيهَا سَارَ نَجَا غُلَامُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ فِي جَيْشٍ إِلَى حِصْنِ زِيَادٍ ، فَلَقِيَهُ جَمْعٌ مِنَ الرُّومِ ، فَهَزَمَهُمْ ، وَاسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ مِنَ الرُّومِ خَمْسُمِائَةِ رَجُلٍ.وَفِيهَا فِي شَوَّالٍ ، أَسَرَتِ الرُّومُ أَبَا فِرَاسِ بْنَ سَعِيدِ بْنِ حَمْدَانَ مِنْ مَنْبِجَ ، وَكَانَ مُتَقَلِّدًا لَهَا ، وَلَهُ دِيوَانُ شِعْرٍ جَيِّدٍ.وَفِيهَا سَارَ جَيْشٌ مِنَ الرُّومِ فِي الْبَحْرِ إِلَى جَزِيرَةِ أَقْرِيطِشَ ، فَأَرْسَلَ أَهْلُهَا إِلَى الْمُعِزِّ لِدِينِ اللَّهِ الْعَلَوِيِّ صَاحِبِ إِفْرِيقِيَّةَ يَسْتَنْجِدُونَهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ نَجْدَةً ، فَقَاتَلُوا الرُّومَ ، فَانْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ ، وَأُسِرَ مَنْ كَانَ بِالْجَزِيرَةِ مِنَ الرُّومِ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ زِيَادٍ النَّقَّاشُ الْمُقْرِئُ ، صَاحِبُ كِتَابِ "شِفَاءِ الصُّدُورِ" ، وَعَبْدُ الْبَاقِي بْنُ قَانِعٍ مَوْلَى بَنِي أُمَيَّةَ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَدَعْلَجُ بْنُ أَحْمَدَ السِّجْزِيُّ الْمُعَدَّلُ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُوسَى الْهَاشِمِيُّ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ عِصْيَانِ أَهْلِ حَرَّانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي صَفَرٍ ، امْتَنَعَ أَهْلُ حَرَّانَ عَلَى صَاحِبِهَا هِبَةَ اللَّهِ بْنَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ ، وَعَصَوْا عَلَيْهِ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مُتَقَلِّدًا لَهَا وَلِغَيْرِهَا مِنْ دِيَارِ مُضَرَ مِنْ قِبَلِ عَمِّهِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، فَعَسَفَهُمْ نُوَّابُهُ وَظَلَمُوهُمْ ، وَطَرَحُوا الْمُتْعَةَ عَلَى التُّجَّارِ مَنْ أَهْلِ حَرَّانَ ، وَبَالَغُوا فِي ظُلْمِهِمْ.وَكَانَ هِبَةُ اللَّهِ عِنْدَ عَمِّهِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بِحَلَبَ ، فَثَارَ أَهْلُهَا عَلَى نُوَّابِهِ وَطَرَدُوهُمْ ، فَسَمِعَ هِبَةُ اللَّهِ بِالْخَبَرِ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ وَحَارَبَهُمْ ، وَحَصَرَهُمْ ، فَقَاتَلَهُمْ وَقَاتَلُوهُ أَكْثَرَ مِنْ شَهْرَيْنِ ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَلَمَّا رَأَى سَيْفُ الدَّوْلَةِ شِدَّةَ الْأَمْرِ وَاتِّصَالَ الشَّرِّ ، قَرُبَ مِنْهُمْ وَرَاسَلَهُمْ ، وَأَجَابَهُمْ إِلَى مَا يُرِيدُونَ ، فَاصْطَلَحُوا وَفَتَحُوا أَبْوَابَ الْبَلَدِ ، وَهَرَبَ مِنْهُ الْعَيَّارُونَ خَوْفًا مِنْ هِبَةِ اللَّهِ.ذِكْرُ وَفَاةِ الْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ الْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ وَزِيرُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ إِلَى عَمَّانَ لِيَفْتَحَهَا ، فَلَمَّا بَلَغَ الْبَحْرَ اعْتَلَّ ، وَاشْتَدَّتْ عِلَّتُهُ ، فَأُعِيدَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ فِي شَعْبَانَ ، وَحُمِلَ تَابُوتُهُ إِلَى بَغْدَاذَ فَدُفِنَ بِهَا ، وَقَبَضَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ أَمْوَالَهُ وَذَخَائِرَهُ وَكُلَّ مَا كَانَ لَهُ ، وَأَخَذَ أَهْلَهُ وَأَصْحَابَهُ وَحَوَاشِيهِ ، حَتَّى مَلَّاحَهُ ، وَمَنْ خَدَمَهُ يَوْمًا وَاحِدًا ، فَقَبَضَ عَلَيْهِمْ وَحَبَسَهُمْ ، فَاسْتَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ وَاسْتَقْبَحُوهُ.وَكَانَتْ مُدَّةُ وِزَارَتِهِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، وَكَانَ كَرِيمًا فَاضِلًا ذَا عَقْلٍ وَمُرُوَّةٍ ، فَمَاتَ بِمَوْتِهِ الْكَرَمُ.وَنَظَرَ فِي الْأُمُورِ بَعْدَهُ أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ بْنُ الْحُسَيْنِ الشِّيرَازِيُّ ، وَأَبُو الْفَرَجِ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ فَسَانِجَسَ مِنْ غَيْرِ تَسْمِيَةٍ لِأَحَدِهِمَا بِوِزَارَةٍ.ذِكْرُ غَزْوَةٍ إِلَى الرُّومِ وَعِصْيَانِ حَرَّانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي شَوَّالٍ ، دَخَلَ أَهْلُ طَرَسُوسَ بِلَادَ الرُّومِ غَازِينَ ، وَدَخَلَهَا أَيْضًا نَجَا غُلَامُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ مِنْ دَرْبٍ آخَرَ ، وَلَمْ يَكُنْ سَيْفُ الدَّوْلَةِ مَعَهُمْ لِمَرَضِهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ لَحِقَهُ قَبْلَ ذَلِكَ بِسَنَتَيْنِ فَالِجٌ ، فَأَقَامَ عَلَى رَأْسِ دَرْبٍ مِنْ تِلْكَ الدُّرُوبِ ، فَأَوْغَلَ أَهْلُ طَرَسُوسَ فِي غَزْوَتِهِمْ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى قَوْنِيَّةَ وَعَادُوا ، فَرَجَعَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ إِلَى حَلَبَ ، فَلَحِقَهُ فِي الطَّرِيقِ غَشْيَةٌ أَرْجَفَ عَلَيْهِ النَّاسُ بِالْمَوْتِ ، فَوَثَبَ هِبَةُ اللَّهِ ابْنُ أَخِيهِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ بِابْنِ نَجَا النَّصْرَانِيِّ فَقَتَلَهُ ، وَكَانَ خِصِّصِيًا بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ ، وَإِنَّمَا قَتَلَهُ لِأَنَّهُ كَانَ يَتَعَرَّضُ لِغُلَامٍ لَهُ ، فَغَارَ لِذَلِكَ.ثُمَّ أَفَاقَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا عَلِمَ هِبَةُ اللَّهِ أَنَّ عَمَّهُ لَمْ يَمُتْ ، هَرَبَ إِلَى حَرَّانَ ، فَلَمَّا دَخَلَهَا ، أَظْهَرَ لِأَهْلِهَا أَنَّ عَمَّهُ مَاتَ ، وَطَلَبَ مِنْهُمُ الْيَمِينَ عَلَى أَنْ يَكُونُوا سِلْمًا لِمَنْ سَالَمَهُ ، وَحَرْبًا لِمَنْ حَارَبَهُ ، فَحَلَفُوا لَهُ ، وَاسْتَثْنَوْا عَمَّهُ فِي الْيَمِينِ ، فَأَرْسَلَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ غُلَامَهُ نَجَا إِلَى حَرَّانَ فِي طَلَبِ هِبَةِ اللَّهِ ، فَلَمَّا قَارَبَهَا ، هَرَبَ هِبَةُ اللَّهِ إِلَى أَبِيهِ بِالْمَوْصِلِ ، فَنَزَلَ نَجَا عَلَى حَرَّانَ فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ ، فَخَرَجَ أَهْلُهَا إِلَيْهِ مِنَ الْغَدِ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِمْ ، وَصَادَرَهُمْ عَلَى أَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَوَكَّلَ بِهِمْ حَتَّى أَدَّوْهَا فِي خَمْسَةِ أَيَّامٍ ، بَعْدَ الضَّرْبِ الْوَجِيعِ بِحَضْرَةِ عِيَالَاتِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ ، فَأَخْرَجُوا أَمْتِعَتَهُمْ فَبَاعُوا كُلَّ مَا يُسَاوِي دِينَارًا بِدِرْهَمٍ; لِأَنَّ أَهْلَ الْبَلَدِ كُلُّهُمْ كَانُوا يَبِيعُونَ لَيْسَ فِيهِمْ مَنْ يَشْتَرِي; لِأَنَّهُمْ مُصَادِرُونَ ، فَاشْتَرَى ذَلِكَ أَصْحَابُ نَجَا بِمَا أَرَادُوا ، وَافْتَقَرَ أَهْلُ الْبَلَدِ ، وَسَارَ نَجَا إِلَى مَيَّافَارِقِينَ ، وَتَرَكَ حَرَّانَ شَاغِرَةً بِغَيْرِ وَالٍ ، فَتَسَلَّطَ الْعَيَّارُونَ عَلَى أَهْلِهَا ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِ نَجَا مَا نَذْكُرُهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَاشِرَ الْمُحَرَّمِ ، أَمَرَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ النَّاسَ أَنْ يُغَلِّقُوا دَكَاكِينَهُمْ ، وَيُبَطِّلُوا الْأَسْوَاقَ وَالْبَيْعَ وَالشِّرَاءَ ، وَأَنْ يُظْهِرُوا النِّيَاحَةَ ، وَيَلْبِسُوا قِبَابًا عَمَلُوهَا بِالْمُسُوحِ ، وَأَنْ يَخْرُجَ النِّسَاءُ مُنَشِّرَاتٍ الشُّعُورَ ، مُسَوِّدَاتٍ الْوُجُوهَ ، قَدْ شَقَقْنَ ثِيَابَهُنَّ ، يَدُرْنَ فِي الْبَلَدِ بِالنَّوَائِحِ ، وَيَلْطِمْنَ وُجُوهَهُنَّ عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَفَعَلَ النَّاسُ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَكُنْ لِلسُّنَّةِ قُدْرَةٌ عَلَى الْمَنْعِ مِنْهُ لِكَثْرَةِ الشِّيعَةِ; وَلِأَنَّ السُّلْطَانَ مَعَهُمْ.وَفِيهَا فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، اجْتَمَعَ مِنْ رِجَالِهِ الْأَرْمَنِ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ ، وَقَصَدُوا الرُّهَا فَأَغَارُوا عَلَيْهَا ، فَغَنِمُوا وَأَسَرُوا ، وَعَادُوا مَوْفُورِينَ.وَفِيهَا عُزِلَ ابْنُ أَبِي الشَّوَارِبِ عَنْ قَضَاءِ بَغْدَاذَ ، وَتَقَلَّدَ مَكَانَهُ أَبُو بِشْرٍ عَمْرُو بْنُ أَكْثَمَ ، وَعُفِيَ عَمَّا كَانَ يَحْمِلُهُ ابْنُ أَبِي الشَّوَارِبِ مِنَ الضَّمَانِ عَنِ الْقَضَاءِ ، وَأَمَرَ بِإِبْطَالِ أَحْكَامِهِ وَسِجِلَّاتِهِ.وَفِيهَا فِي شَعْبَانَ ، ثَارَ الرُّومُ بِمَلِكِهِمْ فَقَتَلُوهُ وَمَلَّكُوا غَيْرَهُ ، وَصَارَ ابْنُ شَمَشْقِيقَ دُمُسْتُقًا ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُهُ الْعَامَّةُ ابْنُ الشَّمْشَكِيِّ.وَفِيهَا فِي الثَّامِنِ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ ، أَمَرَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بِإِظْهَارِ الزِّينَةِ فِي الْبَلَدِ ، وَأُشْعِلَتِ النِّيرَانُ بِمَجْلِسِ الشُّرْطَةِ ، وَأُظْهِرَ الْفَرَحُ ، وَفُتِحَتِ الْأَسْوَاقُ بِاللَّيْلِ ، كَمَا يُفْعَلُ لَيَالِيَ الْأَعْيَادِ فُعِلَ ذَلِكَ فَرَحًا بَعِيدِ الْغَدِيرِ ، يَعْنِي غَدِيرَ خُمٍّ ، وَضُرِبَتِ الدَّبَادِبُ وَالْبُوقَاتُ ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.وَفِيهَا فِي ذِي الْحِجَّةِ الْوَاقِعِ فِي كَانُونَ الثَّانِي ، خَرَجَ النَّاسُ فِي الْعِرَاقِ لِلِاسْتِسْقَاءِ لِعَدَمِ الْمَطَرِ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ عِصْيَانِ نَجَا وَقَتْلِهِ وَمِلْكِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بَعْضَ أَرْمِينِيَّةَ قَدْ ذَكَرْنَا سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ مَا فَعَلَهُ نَجَا غُلَامُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ بِأَهْلِ حَرَّانَ ، وَمَا أَخَذَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، فَلَمَّا اجْتَمَعَتْ عِنْدَهُ تِلْكَ الْأَمْوَالُ ، قَوِيَ بِهَا وَبَطَرَ ، وَلَمْ يَشْكُرْ وَلِيَّ نِعْمَتِهِ بَلْ كَفَرَهُ ، وَسَارَ إِلَى مَيَّافَارِقِينَ ، وَقَصَدَ بِلَادَ أَرْمِينِيَّةَ ، وَكَانَ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْهَا رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ يُعْرَفُ بِأَبِي الْوَرْدِ ، فَقَاتَلَهُ نَجَا ، فَقُتِلَ أَبُو الْوَرْدِ وَأَخَذَ نَجَا قِلَاعَهُ وَبِلَادَهُ خِلَاطَ ، وَمَلَازَكَرْدَ ، وَمُوشَ ، وَغَيْرَهَا ، وَحَصَلَ لَهُ مِنْ أَمْوَالِ أَبِي الْوَرْدِ شَيْءٌ كَثِيرٌ ، فَأَظْهَرَ الْعِصْيَانَ عَلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ.فَاتُّفِقَ أَنَّ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ بْنَ بُوَيْهِ سَارَ مِنْ بَغْدَاذَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَنَصِيبِينَ ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَطَرَدَ عَنْهَا نَاصِرَ الدَّوْلَةِ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ آنِفًا ، فَكَاتَبَهُ نَجَا وَرَاسَلَهُ ، وَهُوَ بِنَصِيبِينَ ، يَعِدُهُ الْمُعَاضَدَةَ وَالْمُسَاعَدَةَ عَلَى مَوَالِيهِ بَنِي حَمْدَانَ ، فَلَمَّا عَادَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى بَغْدَاذَ وَاصْطَلَحَ هُوَ وَنَاصِرُ الدَّوْلَةِ ، سَارَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ إِلَى نَجَا لِيُقَاتِلَهُ عَلَى عِصْيَانِهِ عَلَيْهِ ، وَخُرُوجِهِ عَنْ طَاعَتِهِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَيَّافَارِقِينَ ، هَرَبَ نَجَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، فَمَلَكَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بِلَادَهُ وَقِلَاعَهُ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ أَبِي الْوَرْدِ ، وَاسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ نَجَا فَقَتَلَهُمْ ، وَاسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ أَخُو نَجَا ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَكْرَمَهُ ، وَأَرْسَلَ إِلَى نَجَا يُرَغِّبُهُ وَيُرَهِّبُهُ إِلَى أَنْ أُحْضِرَ عِنْدَهُ ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَعَادَهُ إِلَى مَرْتَبَتِهِ.ثُمَّ إِنَّ غِلْمَانَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَثَبُوا عَلَى نَجَا فِي دَارِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بِمَيَّافَارِقِينَ ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَقَتَلُوهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَغُشِيَ عَلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، وَأُخْرِجَ نَجَا فَأُلْقِي فِي مَجْرَى الْمَاءِ وَالْأَقْذَارِ ، وَبَقِيَ إِلَى الْغَدِ ثُمَّ أُخْرِجَ وَدُفِنَ.ذِكْرُ حَصْرِ الرُّومِ الْمَصِّيصَةَ وَوُصُولِ الْغُزَاةِ مِنْ خُرَاسَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ حَصَرَ الرُّومُ مَعَ الدُّمُسْتُقِ الْمَصِّيصَةَ ، وَقَاتَلُوا أَهْلَهَا ، وَنَقَبُوا سُورَهَا ، وَاشْتَدَّ قِتَالُ أَهْلِهَا عَلَى النَّقْبِ حَتَّى دَفَعَهُمْ عَنْهُ بَعْدَ قِتَالٍ عَظِيمٍ ، وَأَحْرَقَ الرُّومُ رُسْتَاقَهَا وَرُسْتَاقَ أَذَنَةَ وَطَرَسُوسَ لِمُسَاعَدَتِهِمْ أَهْلَهَا ، فَقُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ رَجُلٍ ، وَأَقَامَ الرُّومُ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا لَمْ يَقْصِدْهُمْ مَنْ يُقَاتِلُهُمْ ، فَعَادُوا لِغَلَاءِ الْأَسْعَارِ وَقِلَّةِ الْأَقْوَاتِ.ثُمَّ إِنَّ إِنْسَانًا وَصَلَ إِلَى الشَّامِ مِنْ خُرَاسَانَ يُرِيدُ الْغُزَاةَ وَمَعَهُ نَحْوُ خَمْسَةُ آلَافِ رَجُلٍ ، وَكَانَ طَرِيقُهُمْ عَلَى أَرْمِينِيَّةَ وَمَيَّافَارِقِينَ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ فِي صَفَرٍ ، أَخَذَهُمْ سَيْفُ الدَّوْلَةِ وَسَارَ بِهِمْ نَحْوَ بِلَادِ الرُّومِ لِدَفْعِهِمْ عَنِ الْمُسْلِمِينَ ، فَوَجَدُوا الرُّومَ قَدْ عَادُوا ، فَتَفَرَّقَ الْغُزَاةُ الْخُرَاسَانِيَّةُ فِي الثُّغُورِ لِشِدَّةِ الْغَلَاءِ ، وَعَادَ أَكْثَرُهُمْ إِلَى بَغْدَاذَ وَمِنْهَا إِلَى خُرَاسَانَ.وَلَمَّا أَرَادَ الدُّمُسْتُقُ الْعُودَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ ، أَرْسَلَ إِلَى أَهْلِ الْمَصِّيصَةِ وَأَذَنَةَ وَطَرَسُوسَ إِنِّي مُنْصَرِفٌ عَنْكُمْ لَا لِعَجْزٍ ، وَلَكِنْ لِضِيقِ الْعَلُوفَةِ وَشِدَّةِ الْغَلَاءِ ، وَأَنَا عَائِدٌ إِلَيْكُمْ ، فَمَنِ انْتَقَلَ مِنْكُمْ فَقَدْ نَجَا ، وَمَنْ وَجَدْتُهُ بَعْدَ عَوْدِي قَتَلْتُهُ.ذِكْرُ مِلْكِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ الْمَوْصِلَ وَعَوْدِهِ عَنْهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي رَجَبٍ ، سَارَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ مِنْ بَغْدَاذَ إِلَى الْمَوْصِلِ وَمَلَكَهَا.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ كَانَ قَدِ اسْتَقَرَّ الصُّلْحُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ عَلَى أَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، يَحْمِلُهَا نَاصِرُ الدَّوْلَةِ كُلَّ سَنَةٍ ، فَلَمَّا حَصَلَتِ الْإِجَابَةُ مِنْ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، بَذَلَ زِيَادَةً لِيَكُونَ الْيَمِينُ أَيْضًا لِوَلَدِهِ أَبِي تَغْلِبَ فَضْلِ اللَّهِ الْغَضَنْفَرِ مَعَهُ ، وَأَنْ يَحْلِفَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ لَهُمَا ، فَلَمْ يُجَبْ إِلَى ذَلِكَ ، وَتَجَهَّزَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ وَسَارَ إِلَى الْمَوْصِلِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، فَلَمَّا قَارَبَهَا ، سَارَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ إِلَى نَصِيبِينَ ، وَوَصَلَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى الْمَوْصِلِ وَمَلَكَهَا فِي رَجَبٍ ، وَسَارَ يَطْلُبُ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ حَادِيَ عَشَرَ شَعْبَانَ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَوْصِلِ أَبَا الْعَلَاءِ صَاعِدَ بْنَ ثَابِتٍ لِيَحْمِلَ الْغَلَّاتِ وَيَجْبِيَ الْخَرَاجَ ، وَخَلَّفَ بِكْتُوزُونَ وَسُبُكْتِكِينَ الْعَجَمِيَّ فِي جَيْشٍ لِيَحْفَظَ الْبَلَدَ.فَلَمَّا قَارَبَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ نَصِيبِينَ ، فَارَقَهَا نَاصِرُ الدَّوْلَةِ ، وَمَلَكَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ نَصِيبِينَ ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَيَّ جِهَةٍ قَصَدَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ ، فَخَافَ أَنْ يُخَالِفَهُ إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَعَادَ عَنْ نَصِيبِينَ نَحْوَ الْمَوْصِلِ ، وَتَرَكَ بِهَا مَنْ يَحْفَظُهَا ، وَكَانَ أَبُو تَغْلِبَ بْنُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ قَدْ قَصَدَ الْمَوْصِلَ ، وَحَارَبَ مِنْ أَصْحَابِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَيْهِ ، فَانْصَرَفَ بَعْدَ أَنْ أَحْرَقَ السُّفُنَ الَّتِي لِمُعِزِّ الدَّوْلَةِ وَأَصْحَابِهِ.وَلَمَّا انْتَهَى الْخَبَرُ إِلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بِظَفَرِ أَصْحَابِهِ ، سَكَنَتْ نَفْسُهُ ، وَأَقَامَ بِبَرْقَعِيدَ يَتَوَقَّعُ أَخْبَارَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، فَبَلَغَهُ أَنَّهُ نَزَلَ بِجَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ ، فَرَحَلَ عَنْ بَرْقَعِيدَ إِلَيْهَا ، فَوَصَلَهَا سَادِسَ شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَلَمْ يَجِدْ بِهَا نَاصِرَ الدَّوْلَةِ ، فَمَلَكَهَا وَسَأَلَ عَنْ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، فَقِيلَ إِنَّهُ بِالْحَسَنِيَّةِ ، وَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ ، وَإِنَّمَا كَانَ قَدِ اجْتَمَعَ هُوَ وَأَوْلَادُهُ وَعَسَاكِرُهُ وَسَارَ نَحْوَ الْمَوْصِلِ ، فَأَوقَعَ بِمَنْ فِيهَا مِنْ أَصْحَابِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، فَقَتَلَ كَثِيرًا مِنْهُمْ ، وَأَسَرَ كَثِيرًا ، وَفِي الْأَسْرَى أَبُو الْعَلَاءِ ، وَسُبُكْتِكِينُ ، وَبِكْتُوزُونُ ، وَمَلَكَ جَمِيعَ مَا خَلَّفَهُ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ مِنْ مَالٍ وَسِلَاحٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَحُمِلَ جَمِيعُهُ مَعَ الْأَسْرَى إِلَى قَلْعَةِ كُوَاشَى.فَلَمَّا سَمِعَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بِمَا فَعَلَهُ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ ، سَارَ يَقْصِدُهُ ، فَرَحَلَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ إِلَى سِنْجَارَ ، فَلَمَّا وَصَلَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ ، بَلَغَهُ مَسِيرُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ إِلَى سِنْجَارَ ، فَعَادَ إِلَى نَصِيبِينَ ، فَسَارَ أَبُو تَغْلِبَ بْنُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَنَزَلَ بِظَاهِرِهَا عِنْدَ الدَّيْرِ الْأَعْلَى ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ إِلَى أَحَدٍ مِمَّنْ بِهَا مِنْ أَصْحَابِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا سَمِعَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بِنُزُولِ أَبِي تَغْلِبَ بِالْمَوْصِلِ سَارَ إِلَيْهَا ، فَفَارَقَهَا أَبُو تَغْلِبَ وَقَصَدَ الزَّابَّ فَأَقَامَ عِنْدَهُ ، وَرَاسَلَ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ فِي الصُّلْحِ ، فَأَجَابَهُ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ مَتَى فَارَقَ الْمَوْصِلَ ، عَادُوا وَمَلَكُوهَا ، وَمَتَى أَقَامَ بِهَا لَا يَزَالُ مُتَرَدِّدًا وَهُمْ يُغِيرُونَ عَلَى النَّوَاحِي ، فَأَجَابَهُ إِلَى مَا الْتَمَسَهُ ، وَعَقَدَ عَلَيْهِ ضَمَانَ الْمَوْصِلِ وَدِيَارِ رَبِيعَةَ وَالرَّحْبَةِ وَمَا كَانَ فِي يَدِ أَبِيهِ بِمَالٍ قَرَّرَهُ ، وَأَنْ يُطْلِقَ مَنْ عِنْدَهُمْ مِنَ الْأَسْرَى ، فَاسْتَقَرَّتِ الْقَوَاعِدُ عَلَى ذَلِكَ ، وَرَحَلَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَكَانَ مَعَهُ فِي سُفْرَتِهِ هَذِهِ ثَابِتُ بْنُ سِنَانَ بْنِ ثَابِتِ بْنِ قُرَّةَ.ذِكْرُ حَالِ الدَّاعِي الْعَلَوِيِّ كَانَ قَدْ هَرَبَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الدَّاعِي مِنْ بَغْدَاذَ ، وَهُوَ حَسَنِيٌّ مِنْ أَوْلَادِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَسَارَ نَحْوَ بِلَادِ الدَّيْلَمِ ، وَتَرَكَ أَهْلَهُ وَعِيَالَهُ بِبَغْدَاذَ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بِلَادِ الدَّيْلَمِ ، اجْتَمَعَ عَلَيْهِ عَشَرَةُ آلَافِ رَجُلٍ ، فَهَرَبَ ابْنُ النَّاصِرِ الْعَلَوِيُّ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَتَلَقَّبَ ابْنُ الدَّاعِي بِالْمَهْدِيِّ لِدِينِ اللَّهِ ، وَعَظُمَ شَأْنُهُ ، وَأَوقَعَ بِقَائِدٍ كَبِيرٍ مِنْ قُوَّادِ وَشْمَكِيرَ فَهَزَمَهُ.ذِكْرُ حَصْرِ الرُّومِ طَرَسُوسَ وَالْمَصِّيصَةَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضًا نَزَلَ مَلِكُ الرُّومِ عَلَى طَرَسُوسَ وَحَصَرَهَا ، وَجَرَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِهَا حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ سَقَطَ فِي بَعْضِهَا الدُّمُسْتُقُ بْنُ الشَّمَشْقِيقِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَكَادَ يُؤْسَرُ فَقَاتَلَ عَلَيْهِ الرُّومُ وَخَلَّصُوهُ ، وَأَسَرَ أَهْلُ طَرَسُوسَ بِطْرِيقًا كَبِيرًا مِنْ بَطَارِقَةِ الرُّومِ ، وَرَحَلَ الرُّومُ عَنْهُمْ ، وَتَرَكُوا عَسْكَرًا عَلَى الْمَصِّيصَةِ مَعَ الدُّمُسْتُقِ ، فَحَصَرَهَا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ لَمْ يَمْنَعْهُمْ مِنْهَا أَحَدٌ ، فَاشْتَدَّ الْغَلَاءُ عَلَى الرُّومِ ، وَكَانَ شَدِيدًا قَبْلَ نُزُولِهِمْ ، فَلِهَذَا طَمِعُوا فِي الْبِلَادِ لِعَدَمِ الْأَقْوَاتِ عِنْدَهُمْ ، فَلَمَّا نَزَلَ الرُّومُ زَادَ شِدَّةً ، وَكَثُرَ الْوَبَاءُ أَيْضًا ، فَمَاتَ مِنَ الرُّومِ كَثِيرٌ ، فَاضْطُرُّوا إِلَى الرَّحِيلِ.ذِكْرُ فَتْحِ رَمْطَةَ وَالْحَرْبِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالرُّومِ بِصِقِلِّيَةَ قَدْ ذَكَرْنَا سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ فَتْحَ طَبَرْمِينَ وَحَصْرَ رَمْطَةَ وَالرُّومُ فِيهَا ، فَلَمَّا رَأَى الرُّومُ ذَلِكَ ، خَافُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى مَلِكِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ يُعْلِمُونَهُ الْحَالَ ، وَيَطْلُبُونَ مِنْهُ أَنْ يَنْجِدَهُمْ بِالْعَسَاكِرِ ، فَجَهَّزَ إِلَيْهِمْ عَسْكَرًا عَظِيمًا يَزِيدُونَ عَلَى أَرْبَعِينَ أَلْفِ مُقَاتِلٍ ، وَسَيَّرَهُمْ فِي الْبَحْرِ ، فَوَصَلَتِ الْأَخْبَارُ إِلَى الْأَمِيرِ أَحْمَدَ أَمِيرِ صِقِلِّيَةَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْمُعِزِّ بِإِفْرِيقِيَّةَ يَعْرِفُهُ ذَلِكَ وَيَسْتَمِدُّهُ ، وَيَسْأَلُ إِرْسَالَ الْعَسَاكِرِ إِلَيْهِ سَرِيعًا ، وَشَرَعَ هُوَ فِي إِصْلَاحِ الْأُسْطُولِ ، وَالزِّيَادَةِ فِيهِ ، وَجَمَعَ الرِّجَالَ الْمُقَاتِلَةَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ.وَأَمَّا الْمُعِزُّ فَإِنَّهُ جَمَعَ الرِّجَالَ ، وَحَشَدَ وَفَرَّقَ فِيهِمُ الْأَمْوَالَ الْجَلِيلَةَ ، وَسَيَّرَهُمْ مَعَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَالِدِ أَحْمَدَ ، فَوَصَلُوا إِلَى صِقِلِّيَةَ فِي رَمَضَانَ ، وَسَارَ بَعْضُهُمْ إِلَى الَّذِينَ يُحَاصِرُونَ رَمْطَةَ ، فَكَانُوا مَعَهُمْ عَلَى حِصَارِهَا.فَأَمَّا الرُّومُ فَإِنَّهُمْ وَصَلُوا أَيْضًا إِلَى صِقِلِّيَةَ ، وَنَزَلُوا عِنْدَ مَدِينَةِ مَسِّينِي فِي شَوَّالٍ ، وَزَحَفُوا مِنْهَا بِجُمُوعِهِمُ الَّتِي لَمْ يَدْخُلْ صِقِلِّيَةَ مِثْلُهَا إِلَى رَمْطَةَ ، فَلَمَّا سَمِعَ الْحَسَنُ بْنُ عَمَّارٍ مُقَدَّمُ الْجَيْشِ الَّذِينَ يُحَاصِرُونَ رَمْطَةَ ذَلِكَ ، جَعَلَ عَلَيْهَا طَائِفَةً مِنْ عَسْكَرِهِ يَمْنَعُونَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَبَرَزَ بِالْعَسَاكِرِ لِلِقَاءِ الرُّومِ وَقَدْ عَزَمُوا عَلَى الْمَوْتِ ، وَوَصَلَ الرُّومُ وَأَحَاطُوا بِالْمُسْلِمِينَ.وَنَزَلَ أَهْلُ رَمْطَةَ إِلَى مَنْ يَلِيهِمْ لِيَأْتُوا الْمُسْلِمِينَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ، فَقَاتَلَهُمُ الَّذِينَ جُعِلُوا هُنَاكَ لِمَنْعِهِمْ ، وَصَدُّوهُمْ عَمَّا أَرَادُوا ، وَتَقَدَّمَ الرُّومُ إِلَى الْقِتَالِ ، وَهُمْ مُدِلُّونَ بِكَثْرَتِهِمْ وَبِمَا مَعَهُمْ مِنَ الْعُدَدِ وَغَيْرِهَا ، وَالْتَحَمَ الْقِتَالُ وَعَظُمَ الْأَمْرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَأَلْحَقَهُمُ الْعَدُوُّ بِخِيَامِهِمْ ، وَأَيْقَنَ الرُّومُ بِالظَّفَرِ ، فَلَمَّا رَأَى الْمُسْلِمُونَ عِظَمَ مَا نَزَلْ بِهِمُ ، اخْتَارُوا الْمَوْتَ ، وَرَأَوْا أَنَّهُ أَسْلَمُ لَهُمْ ، وَأَخَذُوا بِقَوْلِ الشَّاعِرِ تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ...لِنَفْسَي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا.فَحَمَلَ بِهِمُ الْحَسَنُ بْنُ عَمَّارٍ أَمِيرُهُمْ ، وَحَمِيَ الْوَطِيسُ حِينَئِذٍ ، وَحَرَّضَهُمْ عَلَى قِتَالِ الْكُفَّارِ ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ بَطَارِقَةُ الرُّومِ ، حَمَلُوا وَحَرَّضُوا عَسَاكِرَهُمْ.وَحَمَلَ مَنْوِيلُ مُقَدَّمُ الرُّومِ ، فَقَتَلَ فِي الْمُسْلِمِينَ ، فَطَعَنَهُ الْمُسْلِمُونَ ، فَلَمْ يُؤَثِّرْ فِيهِ لِكَثْرَةِ مَا عَلَيْهِ مِنَ اللِّبَاسِ ، فَرَمَى بَعْضُهُمْ فَرَسَهُ فَقَتَلَهُ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ عَلَيْهِ ، فَقُتِلَ هُوَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ بَطَارِقَتِهِ ، فَلَمَّا قُتِلَ انْهَزَمَ الرُّومُ أَقْبَحَ هَزِيمَةٍ ، وَأَكْثَرَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِمُ الْقَتْلَ ، وَوَصَلَ الْمُنْهَزِمُونَ إِلَى جَرْفِ خَنْدَقٍ عَظِيمٍ كَالْحُفْرَةِ ، فَسَقَطُوا فِيهَا مِنْ خَوْفِ السَّيْفِ ، فَقَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى امْتَلَأَتْ ، وَكَانَتِ الْحَرْبُ مِنْ بُكْرَةٍ إِلَى الْعَصْرِ ، وَبَاتَ الْمُسْلِمُونَ يُقَاتِلُونَهُمْ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَغَنِمُوا مِنَ السِّلَاحِ وَالْخَيْلِ ، وَصُنُوفِ الْأَمْوَالِ مَا لَا يُحَدُّ.وَكَانَ فِي جُمْلَةِ الْغَنِيمَةِ سَيْفٌ هِنْدِيٌّ عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ هَذَا سَيْفٌ هِنْدِيٌّ ، وَزْنُهُ مِائَةٌ وَسَبْعُونَ مِثْقَالًا ، طَالَمَا ضُرِبَ بِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأُرْسِلَ إِلَى الْمُعِزِّ مَعَ الْأَسْرَى وَالرُّءُوسِ ، وَسَارَ مَنْ سَلِمَ مِنَ الرُّومِ إِلَى رَيُّو.وَأَمَّا أَهْلُ رَمْطَةَ فَإِنَّهُمْ ضَعُفَتْ نُفُوسُهُمْ ، وَكَانَتِ الْأَقْوَاتُ قَدْ قَلَّتْ عِنْدَهُمْ ، فَأَخْرَجُوا مَنْ فِيهَا مِنَ الضُّعَفَاءِ ، وَبَقِيَ الْمُقَاتِلَةُ ، فَزَحَفَ إِلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ وَقَاتَلُوهُمْ إِلَى اللَّيْلِ ، وَلَزِمُوا الْقِتَالَ فِي اللَّيْلِ أَيْضًا ، وَتَقَدَّمُوا بِالسَّلَالِيمِ فَمَلَكُوهَا عَنْوَةً ، وَقَتَلُوا مَنْ فِيهَا ، وَسَبَوُا الْحُرَمَ وَالصِّغَارَ ، وَغَنِمُوا مَا فِيهَا ، وَكَانَ شَيْئًا كَثِيرًا عَظِيمًا ، وَرَتَّبَ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يُعَمِّرُهَا وَيُقِيمُ فِيهَا.ثُمَّ إِنَّ الرُّومَ تَجَمَّعَ مَنْ سَلِمَ مِنْهَا ، وَأَخَذُوا مَعَهُمْ مَنْ فِي صِقِلِّيَةَ وَجَزِيرَةِ رَيُّو مِنْهُمْ ، وَرَكِبُوا مَرَاكِبَهُمْ يَحْفَظُونَ نُفُوسَهُمْ ، فَرَكِبَ الْأَمِيرُ أَحْمَدُ فِي عَسَاكِرِهِ وَأَصْحَابِهِ فِي الْمَرَاكِبِ أَيْضًا ، وَزَحَفَ إِلَيْهِمْ فِي الْمَاءِ وَقَاتَلَهُمْ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ ، وَأَلْقَى جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ نُفُوسَهُمْ فِي الْمَاءِ ، وَخَرَقُوا كَثِيرًا مِنَ الْمَرَاكِبِ الَّتِي لِلرُّومِ ، فَغَرِقَتْ ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ فِي الرُّومِ ، فَانْهَزَمُوا لَا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ، وَسَارَتْ سَرَايَا الْمُسْلِمِينَ فِي مَدَائِنِ الرُّومِ ، فَغَنِمُوا مِنْهَا ، فَبَذَلَ أَهْلُهَا لَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَهَادَنُوهُمْ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَهَذِهِ الْوَقْعَةُ الْأَخِيرَةُ هِيَ الْمَعْرُوفَةُ بِوَقْعَةِ الْمَجَازِ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَاشِرَ الْمُحَرَّمِ ، أُغْلِقَتِ الْأَسْوَاقُ بِبَغْدَاذَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، وَفَعَلَ النَّاسُ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، فَثَارَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ الشِّيعَةِ وَالسُّنَّةِ ، جُرِحَ فِيهَا كَثِيرٌ ، وَنُهِبَتِ الْأَمْوَالُ.وَفِيهَا فِي ذِي الْحِجَّةِ ، ظَهَرَ بِالْكُوفَةِ إِنْسَانٌ ادَّعَى أَنَّهُ عَلَوِيٌّ ، وَكَانَ مُبَرْقَعًا ، فَوَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الْعَلَوِيِّ وَقَائِعَ ، فَلَمَّا عَادَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ مِنَ الْمَوْصِلِ ، هَرَبَ الْمُبَرْقَعُ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ الرُّومِ عَلَى الْمَصِّيصَةِ وَطَرَسُوسَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فَتَحَ الرُّومُ الْمَصِّيصَةَ وَطَرَسُوسَ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ نِقْفُورَ مَلِكَ الرُّومِ بَنَى بِقَيْسَارِيَّةَ مَدِينَةً لِيَقْرُبَ مِنْ بِلَادِ الْإِسْلَامِ ، وَأَقَامَ بِهَا ، وَنَقَلَ أَهْلَهُ إِلَيْهَا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَهْلُ طَرَسُوسَ وَالْمَصِّيصَةَ يَبْذُلُونَ لَهُ إِتَاوَةً ، وَيَطْلُبُونَ مِنْهُ أَنْ يُنْفِذَ إِلَيْهِمْ بَعْضُ أَصْحَابِهِ يُقِيمُ عِنْدَهُمْ ، فَعَزَمَ عَلَى إِجَابَتِهِمْ إِلَى ذَلِكَ.فَأَتَاهُ الْخَبَرُ بِأَنَّهُمْ قَدْ ضَعُفُوا وَعَجَزُوا ، وَأَنَّهُمْ لَا نَاصِرَ لَهُمْ ، وَأَنَّ الْغَلَاءَ قَدِ اشْتَدَّ عَلَيْهِمْ ، وَقَدْ عَجَزُوا عَنِ الْقُوتِ ، وَأَكَلُوا الْكِلَابَ وَالْمَيْتَةَ ، وَقَدْ كَثُرَ فِيهِمُ الْوَبَاءُ ، فَيَمُوتُ مِنْهُمْ فِي الْيَوْمِ ثَلَاثُمِائَةِ نَفْسٍ ، فَعَادَ نَقْفُورُ عَنْ إِجَابَتِهِمْ ، وَأَحْضَرَ الرَّسُولَ وَأَحْرَقَ الْكِتَابَ عَلَى رَأْسِهِ ، وَاحْتَرَقَتْ لِحْيَتُهُ ، وَقَالَ لَهُمْ أَنْتُمْ كَالْحَيَّةِ ، فِي الشِّتَاءِ تُخَدَّرُ وَتَذْبُلُ حَتَّى تَكَادَ تَمُوتُ ، فَإِنْ أَخَذَهَا إِنْسَانٌ وَأَحْسَنَ إِلَيْهَا وَأَدْفَأَهَا ، انْتَعَشَتْ وَنَهَشَتْهُ ، وَأَنْتُمْ إِنَّمَا أَطَعْتُمْ لِضَعْفِكُمْ ، وَإِنْ تَرَكْتُكُمْ حَتَّى تَسْتَقِيمَ أَحْوَالُكُمْ ، تَأَذَّيْتُ بِكُمْ.وَأَعَادَ الرَّسُولَ ، وَجَمَعَ جُيُوشَ الرُّومِ ، وَسَارَ إِلَى الْمَصِّيصَةِ بِنَفْسِهِ ، فَحَاصَرَهَا وَفَتَحَهَا عَنْوَةً بِالسَّيْفِ يَوْمَ السَّبْتِ ثَالِثَ عَشَرَ رَجَبٍ ، وَوَضَعَ السَّيْفَ فِيهِمْ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، ثُمَّ رَفَعَ السَّيْفَ وَنَقَلَ كُلَّ مَنْ بِهَا إِلَى بَلَدِ الرُّومِ ، كَانُوا نَحْوَ مِائَتَيْ أَلْفِ إِنْسَانٍ.ثُمَّ سَارَ إِلَى طَرَسُوسَ فَحَصَرَهَا ، فَأَذْعَنَ أَهْلُهَا بِالطَّاعَةِ ، وَطَلَبُوا الْأَمَانَ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَيْهِ وَفَتَحُوا الْبَلَدَ ، فَلَقِيَهُمْ بِالْجَمِيلِ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَحْمِلُوا مِنْ سِلَاحِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ مَا يُطِيقُونَ وَيَتْرُكُوا الْبَاقِيَ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، وَسَارُوا بَرًا وَبَحْرًا ، وَسَيَّرَ مَعَهُمْ مَنْ يَحْمِيهِمْ حَتَّى بَلَغُوا أَنْطَاكِيَّةَ.وَجَعَلَ الْمَلِكُ الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ إِصْطَبْلًا لِدَوَابِّهِ ، وَأَحْرَقَ الْمِنْبَرَ ، وَعَمَّرَ طَرَسُوسَ وَحِصْنَهَا ، وَجَلَبَ الْمِيرَةَ إِلَيْهَا حَتَّى رَخُصَتِ الْأَسْعَارُ ، وَتَرَاجَعَ إِلَيْهَا كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِهَا ، وَدَخَلُوا فِي طَاعَةِ الْمَلِكِ ، وَتَنَصَّرَ بَعْضُهُمْ.وَأَرَادَ الْمَقَامَ بِهَا لِيَقْرُبَ مِنْ بِلَادِ الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَأَرَادَ الدُّمُسْتُقُ وَهُوَ ابْنُ الشَّمَشْقِيقِ أَنْ يَقْصِدَ مَيَّافَارِقِينَ ، وَبِهَا سَيْفُ الدَّوْلَةِ ، فَأَمَرَهُ الْمَلِكُ بِاتِّبَاعِهِ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، فَمَضَى إِلَيْهِ.ذِكْرُ مُخَالِفَةِ أَهْلِ أَنْطَاكِيَّةَ عَلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَصَى أَهْلُ أَنْطَاكِيَّةَ عَلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ إِنْسَانًا مَنْ أَهْلِ طَرَسُوسَ كَانَ مُتَقَدِّمًا فِيهَا ، يُسَمَّى رَشِيقًا النَّسِيمِيَّ ، كَانَ فِي جُمْلَةِ مَنْ سَلَّمَهَا إِلَى الرُّومِ وَخَرَجَ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ ، فَلَمَّا وَصَلَهَا ، خَدَمَهُ إِنْسَانٌ يُعَرَفُ بِابْنِ الْأَهْوَازِيِّ كَانَ يَضْمَنُ الْأَرْحَاءَ بِأَنْطَاكِيَّةَ ، فَسَلَّمَ إِلَيْهِ مَا اجْتَمَعَ عِنْدَهُ مِنْ حَاصِلِ الْأَرْحَاءِ ، وَحَسُنَ لَهُ الْعِصْيَانُ ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ بِمَيَّافَارِقِينَ قَدْ عَجَزَ عَنِ الْعَوْدِ إِلَى الشَّامِ ، فَعَصَى وَاسْتَوْلَى عَلَى أَنْطَاكِيَّةَ ، وَسَارَ إِلَى حَلَبَ ، وَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّائِبِ عَنْ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، وَهُوَ قَرْغُوَيْهِ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ ، وَصَعِدَ قَرْغُوَيْهِ إِلَى قَلْعَةِ حَلَبَ فَتَحَصَّنَ بِهَا ، وَأَنْفَذَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ عَسْكَرًا مَعَ خَادِمِهِ بَشَّارَةَ نَجْدَةً لِقَرْغُوَيْهِ ، فَلَمَّا عَلِمَ بِهِمْ رَشِيقٌ ، انْهَزَمَ عَنْ حَلَبَ ، فَسَقَطَ عَنْ فَرَسِهِ ، فَنَزَلَ إِلَيْهِ إِنْسَانٌ عَرَبِيٌّ فَقَتَلَهُ ، وَأَخَذَ رَأْسَهُ وَحَمَلَهُ إِلَى قَرْغُوَيْهِ وَبَشَّارَةَ.وَوَصَلَ ابْنُ الْأَهْوَازِيِّ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ ، فَأَظْهَرَ إِنْسَانًا مِنَ الدَّيْلَمِ اسْمُهُ دَزْبَرُ ، وَسَمَّاهُ الْأَمِيرُ ، وَتَقْوَّى بِإِنْسَانٍ عَلَوِيٍّ لِيُقِيمَ لَهُ الدَّعْوَةَ ، وَتَسَمَّى هُوَ بِالْأُسْتَاذِ ، فَظَلَمَ النَّاسَ ، وَجَمَعَ الْأَمْوَالَ ، وَقَصَدَ قَرْغُوَيْهِ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ ، وَجَرَتْ بَيْنَهُمَا وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ ، فَكَانَتْ عَلَى ابْنِ الْأَهْوَازِيِّ أَوَّلًا ، ثُمَّ عَادَتْ عَلَى قَرْغُوَيْهِ ، فَانْهَزَمَ وَعَادَ إِلَى حَلَبَ.ثُمَّ إِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ عَادَ عَنْ مَيَّافَارِقِينَ عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الْغُزَاةِ إِلَى حَلَبَ ، فَأَقَامَ بِهَا لَيْلَةً ، وَخَرَجَ مِنَ الْغَدِ ، فَوَاقَعَ دَزْبَرَ وَابْنَ الْأَهْوَازِيِّ ، فَقَاتَلَ مَنْ بِهَا فَانْهَزَمُوا ، وَأَسَرَ دَزْبَرَ وَابْنَ الْأَهْوَازِيِّ ، فَقَتَلَ دَزْبَرَ ، وَسَجَنَ ابْنَ الْأَهْوَازِيِّ مُدَّةً ثُمَّ قَتَلَهُ.ذِكْرُ عِصْيَانِ أَهْلِ سِجِسْتَانَ وَفِي السَّنَةِ عَصَى أَهْلُ سِجِسْتَانَ عَلَى أَمِيرِهِمْ خَلَفِ بْنِ أَحْمَدَ ، وَكَانَ خَلَفُ هَذَا هُوَ صَاحِبُ سِجِسْتَانَ حِينَئِذٍ ، وَكَانَ عَالِمًا مُحِبًا لِأَهْلِ الْعِلْمِ ، فَاتُّفِقَ أَنَّهُ حَجَّ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ ثَلَاثِمِائَةٍ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى أَعْمَالِهِ إِنْسَانًا مِنْ أَصْحَابِهِ يُسَمَّى طَاهِرَ بْنَ الْحُسَيْنِ ، فَطَمِعَ فِي الْمُلْكِ ، وَعَصَى عَلَى خَلَفٍ لَمَّا عَادَ مِنَ الْحَجِّ ، فَسَارَ خَلَفٌ إِلَى بُخَارَى ، وَاسْتَنْصَرَ بِالْأَمِيرِ مَنْصُورِ بْنِ نُوحٍ ، وَسَأَلَهُ مَعُونَتَهُ ، وَرَدَّهُ إِلَى مُلْكِهِ ، فَأَنْجَدَهُ وَجَهَّزَ مَعَهُ الْعَسَاكِرَ ، فَسَارَ بِهِمْ نَحْوَ سِجِسْتَانَ ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِمْ طَاهِرٌ ، فَارَقَ مَدِينَةَ خَلَفٍ وَتَوَجَّهَ نَحْوَ اسْفِرَارَ ، وَعَادَ خَلَفٌ إِلَى قَرَارِهِ وَمُلْكِهِ وَفَرَّقَ الْعَسَاكِرَ.فَلَمَّا عَلِمَ طَاهِرٌ بِذَلِكَ ، عَادَ إِلَيْهِ ، وَغَلَبَ عَلَى سِجِسْتَانَ ، وَفَارَقَهَا خَلَفٌ ، وَعَادَ إِلَى حَضْرَةِ الْأَمِيرِ مَنْصُورٍ أَيْضًا بِبُخَارَى ، فَأَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَأَنْجَدَهُ بِالْعَسَاكِرِ الْكَثِيرَةِ ، وَرَدَّهُ إِلَى سِجِسْتَانَ ، فَوَافَقَ وُصُولُهُ مَوْتَ طَاهِرٍ ، وَانْتِصَابِ ابْنِهِ الْحُسَيْنِ مَكَانَهُ ، فَحَاصَرَهُ خَلَفٌ وَضَايَقَهُ ، وَكَثُرَ بَيْنَهُمُ الْقَتْلَى ، وَاسْتَظْهَرَ خَلَفٌ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ كَتَبَ إِلَى بُخَارَى يَعْتَذِرُ وَيَتَنَصَّلُ ، وَيُظْهِرُ الطَّاعَةَ ، وَيَسْأَلُ الْإِقَالَةَ ، فَأَجَابَهُ الْأَمِيرُ مَنْصُورٌ إِلَى مَا طَلَبَهُ ، وَكَتَبَ فِي تَمْكِينِهِ مِنَ الْمَسِيرِ إِلَيْهِ فَسَارَ مِنْ سِجِسْتَانَ إِلَى بُخَارَى ، فَأَحْسَنَ الْأَمِيرُ مَنْصُورٌ إِلَيْهِ.وَاسْتَقَرَّ خَلَفُ بْنُ أَحْمَدَ بِسِجِسْتَانَ ، وَدَامَتْ أَيَّامُهُ فِيهَا ، وَكَثُرَتْ أَمْوَالُهُ وَرِجَالُهُ ، فَقَطَعَ مَا كَانَ يَحْمِلُهُ إِلَى بُخَارَى مِنَ الْخِلَعِ وَالْخَدَمِ وَالْأَمْوَالِ الَّتِي اسْتَقَرَّتِ الْقَاعِدَةُ عَلَيْهَا ، فَجُهِّزَتِ الْعَسَاكِرُ إِلَيْهِ ، وَجُعِلَ مُقَدَّمُهَا الْحَسَنُ بْنُ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمَذْكُورُ ، فَسَارُوا إِلَى سِجِسْتَانَ ، وَحَصَرُوا خَلَفَ بْنَ أَحْمَدَ بِحِصْنِ أَرَكَ ، وَهُوَ مِنْ أَمْنَعِ الْحُصُونِ وَأَعْلَاهَا مَحَلًّا وَأَعْمَقِهَا خَنْدَقًا ، فَدَامَ الْحِصَارُ عَلَيْهِ سَبْعَ سِنِينَ.وَكَانَ خَلَفٌ يُقَاتِلُهُمْ بِأَنْوَاعِ السِّلَاحِ ، وَيُعْمِلُ بِهِمْ أَنْوَاعَ الْحِيَلِ ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يَأْمُرُهُمْ بِصَيْدِ الْحَيَّاتِ وَيَجْعَلُهَا فِي جِرَابٍ وَيَقْذِفُهَا فِي الْمَنْجَنِيقِ إِلَيْهِمْ ، فَكَانُوا يَنْتَقِلُونَ لِذَلِكَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ.فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ الْحِصَارُ ، وَفَنِيَتِ الْأَمْوَالُ وَالْآلَاتُ ، كَتَبَ نُوحُ بْنُ مَنْصُورٍ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ بْنِ سِيمْجُورَ الَّذِي كَانَ أَمِيرَ جُيُوشِ خُرَاسَانَ ، وَكَانَ حِينَئِذٍ قَدْ عُزِلَ عَنْهَا عَلَى مَا سَنَذْكُرُهُ ، يَأْمُرُهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى خَلَفٍ وَمُحَاصَرَتِهِ ، وَكَانَ بِقُوهِسْتَانَ ، فَسَارَ مِنْهَا إِلَى سِجِسْتَانَ ، وَحَصَرَ خَلَفًا ، وَكَانَ بَيْنَهُمَا مَوَدَّةٌ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَبُو الْحَسَنِ يُشِيرُ عَلَيْهِ بِالنُّزُولِ عَنْ حِصْنِ أَرَكَ وَتَسْلِيمِهِ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ طَاهِرٍ ، لِيَصِيرَ لِمَنْ قَدْ حَصَرَهُ مِنَ الْعَسَاكِرِ طَرِيقٌ وَحُجَّةٌ يَعُودُونَ بِهَا إِلَى بُخَارَى ، فَإِذَا تَفَرَّقَتِ الْعَسَاكِرُ عَاوَدَ هُوَ مُحَارَبَةَ الْحُسَيْنِ وَبَكْرُ بْنُ الْحُسَيْنِ مُفْرَدًا مِنَ الْعَسَاكِرِ ، فَقَبِلَ خَلَفٌ مَشُورَتَهُ ، وَفَارَقَ حِصْنَ أَرَكَ إِلَى حِصْنِ الطَّارِقِ ، وَدَخَلَ أَبُو الْحَسَنِ السِّيمْجُورِيُّ إِلَى أَرَكَ ، وَأَقَامَ بِهِ الْخُطْبَةَ لِلْأَمِيرِ نُوحٍ ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ ، وَقَرَّرَ الْحُسَيْنُ بْنُ طَاهِرٍ فِيهِ.وَسَنُورِدُ مَا يَتَجَدَّدُ فِيمَا بَعْدُ ، وَكَانَ هَذَا أَوَّلَ وَهْنٍ دَخَلَ عَلَى دَوْلَةِ السَّامَانِيَّةِ ، فَطَمِعَ أَصْحَابُ الْأَطْرَافِ فِيهِمْ لِسُوءِ طَاعَةِ أَصْحَابِهِمْ لَهُمْ ، وَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ نُورِدَ كُلَّ حَادِثٍ مِنْ هَذِهِ الْحَوَادِثِ فِي سَنَتِهِ ، لَكِنَّنَا جَمَعْنَاهُ لِقِلَّتِهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يُنْسَى أَوَّلُهُ لِبُعْدِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ آخِرِهِ.ذِكْرُ طَاعَةِ أَهْلِ عُمَانَ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ وَمَا كَانَ مِنْهُمْ وَفِيهَا سَيَّرَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ عَسْكَرًا إِلَى عُمَانَ ، فَلَقَوْا أَمِيرَهَا ، وَهُوَ نَافِعٌ مَوْلَى يُوسُفَ بْنِ وَجِيهٍ ، وَكَانَ يُوسُفُ قَدْ هَلَكَ ، وَمَلَكَ نَافِعٌ الْبَلَدَ بَعْدَهُ ، وَكَانَ أَسْوَدَ ، فَدَخَلَ نَافِعٌ فِي طَاعَةِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَخَطَبَ لَهُ ، وَضَرَبَ لَهُ اسْمَهُ عَلَى الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ ، فَلَمَّا عَادَ الْعَسْكَرُ عَنْهُ وَثَبَ بِهِ أَهْلُ عُمَانَ فَأَخْرَجُوهُ عَنْهُمْ ، وَأَدْخَلُوا الْقَرَامِطَةَ الْهَجَرِيِّينَ إِلَيْهِمْ ، وَتَسَلَّمُوا الْبَلَدَ ، فَكَانُوا يُقِيمُونَ فِيهِ نَهَارًا وَيَخْرُجُونَ لَيْلًا إِلَى مُعَسْكَرِهِمْ ، وَكَتَبُوا إِلَى أَصْحَابِهِمْ بِهَجَرَ يُعَرِّفُونَهُمُ الْخَبَرَ لِيَأْمُرُوهُمْ بِمَا يَفْعَلُونَ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ لَيْلَةَ السَّبْتِ رَابِعَ عَشَرَ صَفَرَ انْخَسَفَ الْقَمَرُ جَمِيعُهُ.وَفِيهَا نَزَلَتْ طَائِفَةٌ مِنَ التُّرْكِ عَلَى بِلَادِ الْخَزَرِ ، فَانْتَصَرَ الْخَزَرُ بِأَهْلِ خُوَارَزْمَ فَلَمْ يُنْجِدُوهُمْ وَقَالُوا أَنْتُمْ كُفَّارٌ ، فَإِنْ أَسْلَمْتُمْ نَصَرْنَاكُمْ ، فَأَسْلَمُوا إِلَّا مِلْكَهُمْ ، فَنَصَرَهُمْ أَهْلُ خُوَارَزْمَ وَأَزَالُوا التُّرْكَ عَنْهُمْ ، ثُمَّ أَسْلَمَ مَلِكُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ.وَفِيهَا ، رَابِعُ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، تَقَلَّدَ الشَّرِيفُ أَبُو أَحْمَدَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُوسَى وَالِدُ الرَّضِيِّ وَالْمُرْتَضَى نِقَابَةَ الْعَلَوِيِّينَ ، وَإِمَارَةَ الْحَاجِّ ، وَكُتِبَ لَهُ مَنْشُورٌ مِنْ دِيوَانِ الْخَلِيفَةِ.وَفِيهَا أَنْفَذَ الْقَرَامِطَةُ سَرِيَّةً إِلَى عُمَانَ ، وَالشُّرَاةُ فِي جِبَالِهَا كَثِيرٌ فَاجْتَمَعُوا ، فَأَوْقَعُوا بِالْقَرَامِطَةِ فَقَتَلُوا كَثِيرًا مِنْهُمْ ، وَعَادَ الْبَاقُونَ.وَفِيهَا ثَارَ إِنْسَانٌ مِنَ الْقَرَامِطَةِ الَّذِينَ اسْتَأْمَنُوا إِلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، وَاسْمُهُ مَرْوَانُ وَكَانَ يَتَقَلَّدُ السَّوَاحِلَ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا تَمَكَّنَ ثَارَ بِحِمْصَ فَمَلَكَهَا وَمَلَكَ غَيْرَهَا ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ غُلَامٌ لِقَرْغَوَيْهِ حَاجِبِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، اسْمُهُ بَدْرٌ وَوَاقَعَ الْقَرْمَطِيَّ عِدَّةَ وَقَعَاتٍ ، فَفِي بَعْضِهَا رَمَى بَدْرٌ مَرْوَانَ بِنُشَّابَةٍ مَسْمُومَةٍ ، وَاتُّفِقَ أَنَّ أَصْحَابَ مَرْوَانَ أَسَرُوا بَدْرًا ، فَقَتَلَهُ مَرْوَانُ ، ثُمَّ عَاشَ بَعْدَ قَتْلِهِ أَيَّامًا وَمَاتَ.وَفِيهَا قُتِلَ الْمُتَنَبِّي الشَّاعِرُ ، وَاسْمُهُ أَبُو الطِّيِّبِ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْكِنْدِيُّ ، قَرِيبًا مِنَ النُّعْمَانِيَّةِ وَقُتِلَ مَعَهُ ابْنُهُ ، وَكَانَ قَدْ عَادَ مِنْ عِنْدِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بِفَارِسَ ، فَقَتَلَهُ الْأَعْرَابُ هُنَاكَ وَأَخَذُوا مَا مَعَهُ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ حِبَّانَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حِبَّانَ أَبُو حَاتِمٍ الْبَسْتِيُّ ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْمَشْهُورَةِ ، وَأَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ مِقْسَمٍ الْمُفَسِّرُ النَّحْوِيُّ الْمُقْرِئُ ، وَكَانَ عَالِمًا بِنَحْوِ الْكُوفِيِّينَ وَلَهُ تَفْسِيرٌ كَبِيرٌ حَسَنٌ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدَوَيْهِ أَبُو بَكْرٍ الشَّافِعِيُّ فِي ذِي الْحِجَّةِ ، وَكَانَ عَالِمًا بِالْحَدِيثِ عَالِيَ الْإِسْنَادِ. حِبَّانُ بِكَسْرِ الْحَاءِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ مَا تَجَدَّدَ بِعُمَانَ وَاسْتِيلَاءِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ عَلَيْهِ قَدْ ذَكَرْنَا فِي السَّنَةِ الَّتِي قَبْلَ هَذِهِ خَبَرَ عُمَانَ وَدُخُولَ الْقَرَامِطَةِ إِلَيْهَا ، وَهَرَبَ نَافِعٍ عَنْهَا ، فَلَمَّا هَرَبَ نَافِعٌ ، وَاسْتَوْلَى الْقَرَامِطَةُ عَلَى الْبَلَدِ ، كَانَ مَعَهُمْ كَاتِبٌ يُعْرَفُ بِعَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ يَنْظُرُ فِي أَمْرِ الْبَلَدِ ، وَكَانَ بِعُمَانَ قَاضٍ لَهُ عَشِيرَةٌ وَجَاهٌ ، فَاتَّفَقَ هُوَ وَأَهْلُ الْبَلَدِ أَنْ يُنَصِّبُوا فِي الْإِمْرَةِ رَجُلًا يُعْرَفُ بِابْنِ طُغَانَ ، وَكَانَ مِنْ صِغَارِ الْقُوَّادِ بِعُمَانَ ، وَأَدْنَاهُمْ مَرْتَبَةً ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْإِمْرَةِ خَافَ مِمَّنْ فَوْقَهُ مِنَ الْقُوَّادِ ، فَقَبَضَ عَلَى ثَمَانِينَ قَائِدًا ، فَقَتَلَ بَعْضَهُمْ ، وَغَرَّقَ بَعْضَهُمْ.وَقَدِمَ الْبَلَدَ ابْنَا أُخْتٍ لِرَجُلٍ مِمَّنْ قَدْ غَرَّقَهُمْ ، فَأَقَامَا مُدَّةً ، ثُمَّ إِنَّهُمَا دَخَلَا عَلَى طُغَانَ يَوْمًا مِنْ أَيَّامِ السَّلَامِ ، فَسَلَّمَا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا تَقَوَّضَ الْمَجْلِسُ قَتَلَاهُ ، فَاجْتَمَعَ رَأْيُ النَّاسِ عَلَى تَأْمِيرِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مَرْوَانَ ، وَهُوَ مِنْ أَقَارِبِ الْقَاضِي ، فَوَلِيَ الْإِمَارَةَ بَعْدَ امْتِنَاعٍ مِنْهُ ، وَاسْتَكْتَبَ عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدَ الَّذِي كَانَ مَعَ الْهَجَرِيِّينَ ، فَأَمَرَ عَبْدُ الْوَهَّابِ كَاتِبَهُ عَلِيًّا أَنْ يُعْطِيَ الْجُنْدَ أَرْزَاقَهُمْ صِلَةً ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الزِّنْجِ ، وَكَانُوا سِتَّةَ آلَافِ رَجُلٍ ، وَلَهُمْ بَأْسٌ وَشِدَّةٌ ، قَالَ لَهُمْ عَلِيٌّ إِنَّ الْأَمِيرَ عَبْدَ الْوَهَّابِ أَمَرَنِي أَنْ أُعْطِيَ الْبِيضَ مِنَ الْجُنْدِ كَذَا وَكَذَا ، وَأَمَرَ لَكُمْ بِنِصْفِ ذَلِكَ ، فَاضْطَرَبُوا وَامْتَنَعُوا ، فَقَالَ لَهُمْ هَلْ لَكَمَ أَنْ تُبَايِعُونِي فَأُعْطِيَكُمْ مِثْلَ سَائِرِ الْأَجْنَادِ ؟فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَبَايَعُوهُ ، وَأَعْطَاهُمْ مِثْلَ الْبِيضِ مِنَ الْجُنْدِ ، فَامْتَنَعَ الْبِيضُ مِنْ ذَلِكَ ، وَوَقَعَ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ ، فَظَهَرَ الزِّنْجُ عَلَيْهِمْ ، فَسَكَنُوا ، وَاتَّفَقُوا مَعَ الزِّنْجِ وَأَخْرَجُوا عَبْدَ الْوَهَّابِ مِنَ الْبَلَدِ ، فَاسْتَقَرَّ فِي الْإِمَارَةِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ.ثُمَّ إِنَّ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ سَارَ إِلَى وَاسِطَ لِحَرْبِ عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ ، وَلِإِرْسَالِ جَيْشٍ إِلَى عُمَانَ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى وَاسِطَ قَدِمَ عَلَيْهِ نَافِعٌ الْأَسْوَدُ الَّذِي كَانَ صَاحِبَ عُمَانَ ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَأَقَامَ لِلْفَرَاغِ مِنْ أَمْرِ عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.وَانْحَدَرَ مِنْ وَاسِطَ إِلَى الْأُبُلَّةِ ، فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَأَقَامَ بِهَا يُجَهِّزُ الْجَيْشَ وَالْمَرَاكِبَ لِيَسِيرُوا إِلَى عُمَانَ ، فَفَرَغَ مِنْهُ ، وَسَارُوا مُنْتَصَفَ شَوَّالٍ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ أَبَا الْفَرَجِ مُحَمَّدَ بْنَ الْعَبَّاسِ بْنِ فَسَانْجِسَ ، وَكَانُوا فِي مِائَةِ قِطْعَةٍ ، فَلَمَّا كَانُوا بِسِيرَافَ انْضَمَّ إِلَيْهِمُ الْجَيْشُ الَّذِي جَهَّزَهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ مِنْ فَارِسَ نَجْدَةً لِعَمِّهِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، فَاجْتَمَعُوا وَسَارُوا إِلَى عُمَانَ ، وَدَخَلَهَا تَاسِعَ ذِي الْحِجَّةِ ، وَخَطَبَ لِمُعِزِّ الدَّوْلَةِ فِيهَا ، وَقَتَلَ مِنْ أَهْلِهَا مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَأُحْرِقَتْ مَرَاكِبُهُمْ ، وَهِيَ تِسْعَةٌ وَثَمَانُونَ مَرْكَبًا.ذِكْرُ هَزِيمَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَرْزُبَانِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ انْهَزَمَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَرْزُبَانِ عَنْ أَذْرَبِيجَانَ إِلَى الرَّيِّ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا انْهَزَمَ مِنْ جَسْتَانَ بْنِ شَرْمَزَنَ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، قَصَدَ أَرْمِينِيَّةَ ، وَشَرَعَ يَسْتَعِدُّ وَيَتَجَهَّزُ لِلْعَوْدِ إِلَى أَذْرَبِيجَانَ ، وَكَانَتْ مُلُوكُ أَرْمِينِيَّةَ مِنَ الْأَرْمَنِ وَالْأَكْرَادِ ، وَرَاسَلَ جَسْتَانَ بْنَ شَرْمَزَنَ وَأَصْلَحَهُ ، فَأَتَاهُ الْخَلْقُ الْكَثِيرُ.وَاتُّفِقَ أَنَّ إِسْمَاعِيلَ ابْنَ عَمِّهِ وَهْسُوذَانَ تُوُفِّيَ ، فَسَارَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى أَرْدَبِيلَ فَمَلَكَهَا ، وَانْصَرَفَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ مَسِيكِيَّ إِلَى وَهْسُوذَانَ ، وَصَارَ مَعَهُ ، وَسَارَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى عَمِّهِ وَهْسُوذَانَ يُطَالِبُهُ بِثَأْرِ إِخْوَتِهِ ، فَخَافَهُ عَمُّهُ وَهْسُوذَانُ ، وَسَارَ هُوَ وَابْنُ مَسِيكِيَّ إِلَى بَلَدِ الدَّيْلَمِ ، وَاسْتَوْلَى إِبْرَاهِيمُ عَلَى أَعْمَالِ عَمِّهِ ، وَخَبَطَ أَصْحَابَهُ ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُ الَّتِي ظَفِرَ بِهَا.وَجَمَعَ وَهْسُوذَانُ الرِّجَالَ وَعَادَ إِلَى قَلْعَتِهِ بِالطَّرْمِ ، وَسَيَّرَ أَبَا الْقَاسِمِ بْنَ مَسِيكِيَّ فِي الْجُيُوشِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ، فَلَقِيَهُمْ إِبْرَاهِيمُ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَانْهَزَمَ إِبْرَاهِيمُ وَتَبِعَهُ الطُّلَّبُ فَلَمْ يُدْرِكُوهُ ، وَسَارَ وَحْدَهُ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الرَّيِّ إِلَى رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، فَأَكْرَمَهُ رُكْنُ الدَّوْلَةِ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ زَوْجَ أُخْتِ إِبْرَاهِيمَ ، فَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِ لِذَلِكَ ، وَأَجْزَلَ لَهُ الْهَدَايَا وَالصِّلَاتِ.ذِكْرُ خَبَرِ الْغُزَاةِ الْخُرَاسَانِيَّةِ مَعَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي رَمَضَانَ ، خَرَجَ مِنْ خُرَاسَانَ جَمْعٌ عَظِيمٌ يَبْلُغُونَ عِشْرِينَ أَلْفًا إِلَى الرَّيِّ بِنِيَّةِ الْغَزَاةِ ، فَبَلَغَ خَبَرُهُمْ إِلَى رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، وَكَثْرَةُ جَمْعِهِمْ ، وَمَا فَعَلُوهُ فِي أَطْرَافِ بِلَادِهِ مِنَ الْفَسَادِ ، وَأَنَّ رُؤَسَاءَهُمْ لَمْ يَمْنَعُوهُمْ عَنْ ذَلِكَ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ الْأُسْتَاذُ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ الْعَمِيدِ ، وَهُوَ وَزِيرُهُ ، بِمَنْعِهِمْ مِنْ دُخُولِ بِلَادِهِ مُجْتَمِعِينَ ، فَقَالَ لَا تَتَحَدَّثُ الْمُلُوكُ أَنَّنِي خِفْتُ جَمْعًا مِنَ الْغُزَاةِ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِتَأْخِيرِهِمْ إِلَى أَنْ يَجْمَعَ عَسْكَرَهُ ، وَكَانُوا مُتَفَرِّقِينَ فِي أَعْمَالِهِمْ ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ ، فَقَالَ لَهُ أَخَافُ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ مَعَ صَاحِبِ خُرَاسَانَ مُوَاطَأَةً عَلَى بِلَادِكَ وَدَوْلَتِكَ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلِهِ.فَلَمَّا وَرَدُوا الرَّيَّ اجْتَمَعَ رُؤَسَاؤُهُمْ ، وَفِيهِمُ الْقَفَّالُ الْفَقِيهُ ، وَحَضَرُوا مَجْلِسَ ابْنِ الْعَمِيدِ ، وَطَلَبُوا مَالًا يُنْفِقُونَهُ ، فَوَعَدَهُمْ فَاشْتَطُّوا فِي الطَّلَبِ وَقَالُوا نُرِيدُ خَرَاجَ هَذِهِ الْبِلَادِ جَمِيعِهَا ، فَإِنَّهُ لِبَيْتِ الْمَالِ ، وَقَدْ فَعَلَ الرُّومُ بِالْمُسْلِمِينَ مَا بَلَغَكُمْ ، وَاسْتَوْلَوْا عَلَى بِلَادِكُمْ ، وَكَذَلِكَ الْأَرْمَنُ ، وَنَحْنُ غُزَاةٌ ، وَفُقَرَاءُ ، وَأَبْنَاءُ سَبِيلٍ ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمَالِ مِنْكُمْ ، وَطَلَبُوا جَيْشًا يَخْرُجُ مَعَهُمْ ، وَاشْتَطُّوا فِي الِاقْتِرَاحِ ، فَعَلِمَ ابْنُ الْعَمِيدِ حِينَئِذٍ خُبْثَ سَرَائِرِهِمْ ، وَتَيَقَّنَ مَا كَانَ ظَنُّهُ فِيهِمْ ، فَرَفَقَ بِهِمْ وَدَارَاهُمْ ، فَعَدَلُوا عَنْهُ إِلَى مُشَاتَمَةِ الدَّيْلَمِ ، وَلَعْنِهِمْ ، وَتَكْفِيرِهِمْ ، ثُمَّ قَامُوا عَنْهُ ، وَشَرَعُوا يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيَسْلُبُونَ الْعَامَّةَ بِحُجَّةِ ذَلِكَ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ أَثَارُوا الْفِتْنَةَ ، وَحَارَبُوا جَمَاعَةً مِنَ الدَّيْلَمِ إِلَى أَنَّ حَجَزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ ، ثُمَّ بَاكَرُوا الْقِتَالَ وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ ، وَنَهَبُوا دَارَ الْوَزِيرِ ابْنِ الْعَمِيدِ وَجَرَحُوهُ ، وَسَلِمَ مِنَ الْقَتْلِ.وَخَرَجَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ إِلَيْهِمْ فِي أَصْحَابِهِ ، وَكَانَ فِي قِلَّةٍ ، فَهَزَمَهُ الْخُرَاسَانِيَّةُ ، فَلَوْ تَبِعُوهُ لَأَتَوْا عَلَيْهِ وَمَلَكُوا الْبَلَدَ مِنْهُ ، لَكِنَّهُمْ عَادُوا عَنْهُ لِأَنَّ اللَّيْلَ أَدْرَكَهُمْ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا رَاسَلَهُمْ رُكْنُ الدَّوْلَةِ وَلَطُفَ بِهِمْ ، لَعَلَّهُمْ يَسِيرُونَ مِنْ بَلَدِهِ ، فَلَمْ يَفْعَلُوا ، وَكَانُوا يَنْتَظِرُونَ مَدَدًا يَأْتِيهِمْ مِنْ صَاحِبِ خُرَاسَانَ ، فَإِنَّهُمْ كَانَ بَيْنَهُمْ مُوَاعَدَةٌ عَلَى تِلْكَ الْبِلَادِ.ثُمَّ إِنَّهُمُ اجْتَمَعُوا وَقَصَدُوا الْبَلَدَ لِيَمْلِكُوهُ ، فَخَرَجَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ إِلَيْهِمْ فَقَاتَلَهُمْ ، وَأَمَرَ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِهِ أَنْ يَسِيرُوا إِلَى مَكَانٍ يَرَاهُمْ ، ثُمَّ يُثِيرُوا غَبَرَةً شَدِيدَةً ، وَيُرْسِلُوا إِلَيْهِ مَنْ يُخْبِرُهُ أَنَّ الْجُيُوشَ قَدْ أَتَتْهُ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ.وَكَانَ أَصْحَابُهُ قَدْ خَافُوا لِقِلَّتِهِمْ ، وَكَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوُا الْغَبَرَةَ وَأَتَاهُمْ مَنْ أَخْبَرَهُمْ أَنَّ أَصْحَابَهُ لَحِقُوهُمْ قَوِيَتْ نُفُوسُهُمْ ، وَقَالَ لَهُمْ رُكْنُ الدَّوْلَةِ احْمِلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ لَعَلَّنَا نَظْفَرُ بِهِمْ قَبْلَ وُصُولِ أَصْحَابِنَا ، فَيَكُونُ الظَّفَرُ وَالْغَنِيمَةُ لَنَا ، فَكَبَّرُوا ، وَحَمَلُوا حَمْلَةً صَادِقَةً ، فَكَانَ لَهُمُ الظَّفَرُ ، وَانْهَزَمَ الْخُرَاسَانِيَّةُ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَأُسِرَ أَكْثَرُ مِمَّنْ قُتِلَ ، وَتَفَرَّقَ الْبَاقُونَ ، فَطَلَبُوا الْأَمَانَ ، فَأَمَّنَهُمْ رُكْنُ الدَّوْلَةِ.وَكَانَ قَدْ دَخَلَ الْبَلَدَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ يُكَبِّرُونَ كَأَنَّهُمْ يُقَاتِلُونَ الْكُفَّارَ ، وَيَقْتُلُونَ كُلَّ مَنْ رَأَوْهُ بِزِيِّ الدَّيْلَمِ ، وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ رَافِضَةٌ ، فَبَلَغَهُمْ خَبَرُ انْهِزَامِ أَصْحَابِهِمْ ، وَقَصْدِهِمُ الدَّيْلَمَ لِيَقْتُلُوهُمْ ، فَمَنَعَهُمْ رُكْنُ الدَّوْلَةِ وَأَمَّنَهُمْ ، وَفَتَحَ لَهُمُ الطَّرِيقَ لِيَعُودُوا ، وَوَصَلَ بَعْدَهُمْ نَحْوُ أَلْفَيْ رَجُلٍ بِالْعُدَّةِ وَالسِّلَاحِ ، فَقَاتَلَهُمْ رُكْنُ الدَّوْلَةِ ، فَهَزَمَهُمْ وَقَتَّلَ فِيهِمْ ، ثُمَّ أَطْلَقَ الْأَسَارَى ، وَأَمَرَ لَهُمْ بِنَفَقَاتٍ ، وَرَدَّهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَرْزُبَانِ عِنْدَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، فَأَثَّرَ فِيهِمْ آثَارًا حَسَنَةً.ذِكْرُ عَوْدِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَرْزُبَانِ إِلَى أَذْرَبِيجَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَادَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَرْزُبَانِ إِلَى أَذْرَبِيجَانَ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا قَصَدَ رُكْنَ الدَّوْلَةِ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، جَهَّزَ الْعَسَاكِرَ مَعَهُ ، وَسَيَّرَ مَعَهُ الْأُسْتَاذَ أَبَا الْفَضْلِ بْنَ الْعَمِيدِ لِيَرُدَّهُ إِلَى وِلَايَتِهِ ، وَيُصْلِحَ لَهُ أَصْحَابَ الْأَطْرَافِ ، فَسَارَ مَعَهُ إِلَيْهَا ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَأَصْلَحَ لَهُ جَسْتَانَ بْنَ شَرْمَزَنَ ، وَقَادَهُ إِلَى طَاعَتِهِ ، وَغَيْرِهِ مِنْ طَوَائِفِ الْأَكْرَادِ ، وَمَكَّنَهُ مِنَ الْبِلَادِ.وَكَانَ ابْنُ الْعَمِيدِ لَمَّا وَصَلَ إِلَى تِلْكَ الْبِلَادِ رَأَى كَثْرَةَ دَخْلِهَا ، وَسَعَةَ مِيَاهِهَا وَرَأَى مَا يَتَحَصَّلُ لِإِبْرَاهِيمَ مِنْهَا ، فَوَجَدَهُ قَلِيلًا لِسُوءِ تَدْبِيرِهِ ، وَطَمَعِ النَّاسِ فِيهِ لِاشْتِغَالِهِ بِالشُّرْبِ وَالنِّسَاءِ ، فَكَتَبَ إِلَى رُكْنِ الدَّوْلَةِ يُعَرِّفُهُ الْحَالَ ، وَيُشِيرُ بِأَنْ يُعَوِّضَهُ مِنْ بَعْضِ وِلَايَتِهِ بِمِقْدَارِ مَا يَتَحَصَّلُ لَهُ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ وَيَأْخُذُهَا مِنْهُ ، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ لَهُ حَالٌ مَعَ الَّذِينَ بِهَا ، وَإِنَّهَا تُؤْخَذُ مِنْهُ ، فَامْتَنَعَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ مِنْ قَبُولِ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَقَالَ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ عَنِّي أَنِّي اسْتَجَارَ بِي إِنْسَانٌ وَطَمِعْتُ فِيهِ ، وَأَمَرَ أَبَا الْفَضْلِ بِالْعَوْدِ عَنْهُ وَتَسْلِيمِ الْبِلَادِ إِلَيْهِ ، فَفَعَلَ وَعَادَ وَحَكَى لِرُكْنِ الدَّوْلَةِ صُورَةَ الْحَالِ ، وَحَذَّرَهُ خُرُوجَ الْبِلَادِ مِنْ يَدِ إِبْرَاهِيمَ ، وَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرَهُ ، حَتَّى أُخِذَ إِبْرَاهِيمُ وَحُبِسَ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ.ذِكْرُ خُرُوجِ الرُّومِ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي شَوَّالٍ ، خَرَجَتِ الرُّومُ ، فَقَصَدُوا مَدِينَةَ آمِدَ ، وَنَزَلُوا عَلَيْهَا ، وَحَصَرُوهَا وَقَاتَلُوا أَهْلَهَا ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ ثَلَاثُمِائَةِ رَجُلٍ ، وَأُسِرَ نَحْوُ أَرْبَعِمِائَةِ أَسِيرٍ ، وَلَمْ يُمْكِنْهُمْ فَتْحُهَا ، فَانْصَرَفُوا إِلَى دَارَا ، وَقَرُبُوا مِنْ نَصِيبِينَ ، وَلَقِيَهُمْ قَافِلَةٌ وَارِدَةٌ مِنْ مَيَّافَارِقِينَ ، فَأَخَذُوهَا ، وَهَرَبَ النَّاسُ مِنْ نَصِيبِينَ خَوْفًا مِنْهُمْ ، حَتَّى بَلَغَتْ أُجْرَةُ الدَّابَّةِ مِائَةَ دِرْهَمٍ.وَرَاسَلَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْأَعْرَابَ لِيَهْرَبَ مَعَهُمْ ، وَكَانَ فِي نَصِيبِينَ ، فَاتَّفَقَ أَنَّ الرُّومَ عَادُوا قَبْلَ هَرَبِهِ ، فَأَقَامَ بِمَكَانِهِ ، وَسَارُوا مِنْ دِيَارِ الْجَزِيرَةِ إِلَى الشَّامِ ، فَنَازَلُوا أَنْطَاكِيَةَ ، فَأَقَامُوا عَلَيْهَا مُدَّةً طَوِيلَةً يُقَاتِلُونَ أَهْلَهَا ، فَلَمْ يُمْكِنْهُمْ فَتْحُهَا ، فَخَرَّبُوا بَلَدَهَا وَنَهَبُوهُ ، وَعَادُوا إِلَى طَرَسُوسَ.ذِكْرُ مَا جَرَى لِمُعِزِّ الدَّوْلَةِ مَعَ عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ قَدْ ذَكَرْنَا انْحِدَارَ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ إِلَى وَاسِطَ لِأَجْلِ قَصْدِ وِلَايَةِ عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ بِالْبَطَائِحِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى وَاسِطَ أَنْفَذَ الْجَيْشَ مَعَ أَبِي الْفَضْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْحَسَنِ ، فَسَارُوا ، فَنَزَلُوا الْجَامِدَةَ ، وَشَرَعُوا فِي سَدِّ الْأَنْهَارِ الَّتِي تَصُبُّ إِلَى الْبَطَائِحِ.وَسَارَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى الْأُبُلَّةِ ، وَأَرْسَلَ الْجَيْشَ إِلَى عُمَانَ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَعَادَ إِلَى وَاسِطَ لِإِتْمَامِ حَرْبِ عِمْرَانَ وَمِلْكِ بَلَدِهِ ، فَأَقَامَ بِهَا ، فَمَرِضَ ، وَأَصْعَدَ إِلَى بَغْدَادَ لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَهُوَ عَلِيلٌ ، وَخَلَّفَ الْعَسْكَرَ بِهَا ، وَوَعَدَهُمْ أَنَّهُ يَعُودُ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بَغْدَاذَ تُوُفِّيَ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ ، فَدَعَتِ الضَّرُورَةُ إِلَى مُصَالَحَةِ عِمْرَانَ وَالِانْصِرَافِ عَنْهُ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَتْ بَنُو سُلَيْمٍ عَلَى الْحُجَّاجِ السَّائِرِينَ مِنْ مِصْرَ وَالشَّامِ ، وَكَانُوا عَالَمًا كَثِيرًا ، وَمَعَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ مَا لَا حَدَّ عَلَيْهِ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الثُّغُورِ وَالشَّامِ هَرَبُوا مِنْ خَوْفِهِمْ مِنَ الرُّومِ ، بِأَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ ، وَقَصَدُوا مَكَّةَ لِيَسِيرُوا مِنْهَا إِلَى الْعِرَاقِ ، فَأُخِذُوا ، وَمَاتَ مِنَ النَّاسِ فِي الْبَرِّيَّةِ مَا لَا يُحْصَى ، وَلَمْ يَسْلَمْ إِلَّا الْقَلِيلُ.وَفِيهَا عَظُمَ أَمْرُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الدَّاعِي بِالدَّيْلَمِ ، وَلَبِسَ الصُّوفَ ، وَأَظْهَرَ النُّسُكَ وَالْعِبَادَةَ ، وَحَارَبَ ابْنَ وَشْمَكِيرَ ، فَهَزَمَهُ وَعَزَمَ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى طَبَرِسْتَانَ ، وَكَتَبَ إِلَى الْعِرَاقِ كِتَابًا يَدْعُوهُمْ فِيهِ إِلَى الْجِهَادِ.وَفِيهَا تَمَّ الْفِدَاءُ بَيْنَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَالرُّومِ ، وَسَلَّمَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ ابْنَ عَمِّهِ أَبَا فِرَاسِ بْنَ حَمْدَانَ ، وَأَبَا الْهَيْثَمِ ابْنَ الْقَاضِي أَبِي الْحُصَيْنِ.وَفِيهَا انْخَسَفَ الْقَمَرُ جَمِيعُهُ لَيْلَةَ السَّبْتِ ثَالِثَ عَشَرَ شَعْبَانَ ، وَغَابَ مُنْخَسِفًا. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَالِمٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْجِعَابِيِّ الْحَافِظُ الْبَغْدَادِيُّ بِهَا ، وَكَانَ يَتَشَيَّعُ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْوَضَّاحِ الْوَضَّاحِيُّ ، الشَّاعِرُ الْأَنْبَارِيُّ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ مَوْتِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ وَوِلَايَةِ ابْنِهِ بَخْتِيَارَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، ثَالِثَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْآخِرِ ، تُوُفِّيَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بِعِلَّةِ الذَّرَبِ ، وَكَانَ بِوَاسِطَ ، وَقَدْ جَهَّزَ الْجُيُوشَ لِمُحَارَبَةِ عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ ، فَابْتَدَأَ بِهِ الْإِسْهَالُ ، وَقَوِيَ عَلَيْهِ ، فَسَارَ نَحْوَ بَغْدَاذَ ، وَخَلَّفَ أَصْحَابَهُ ، وَوَعَدَهُمْ أَنَّهُ يَعُودُ إِلَيْهِمْ لِأَنَّهُ رَجَا الْعَافِيَةَ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بَغْدَاذَ اشْتَدَّ مَرَضُهُ ، وَصَارَ لَا يَثْبُتُ فِي مَعِدَتِهِ شَيْءٌ ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِالْمَوْتِ عَهِدَ إِلَى ابْنِهِ عِزِّ الدَّوْلَةِ بَخْتِيَارَ ، وَأَظْهَرَ التَّوْبَةَ ، وَتَصَدَّقَ بِأَكْثَرِ مَالِهِ ، وَأَعْتَقَ مَمَالِيكَهُ ، وَرَدَّ شَيْئًا كَثِيرًا عَلَى أَصْحَابِهِ ، وَتُوُفِّيَ وَدُفِنَ بِبَابِ التِّبْنِ فِي مَقَابِرِ قُرَيْشٍ ، فَكَانَتْ إِمَارَتُهُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا وَيَوْمَيْنِ.وَكَانَ حَلِيمًا كَرِيمًا عَاقِلًا ، وَلَمَّا مَاتَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ وَجَلَسَ ابْنُهُ عِزُّ الدَّوْلَةِ فِي الْإِمَارَةِ مُطِرَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بِلَيَالِيهَا مَطَرًا دَائِمًا مَنَعَ النَّاسَ مِنَ الْحَرَكَةِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْقُوَّادِ فَأَرْضَاهُمْ ، فَانْجَلَتِ السَّمَاءُ ، وَقَدْ رَضُوا فَسَكَنُوا وَلَمْ يَتَحَرَّكْ أَحَدٌ.وَكَتَبَ عِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى الْعَسْكَرِ بِمُصَالَحَةِ عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ ، فَفَعَلُوا وَعَادُوا.وَكَانَتْ إِحْدَى يَدَيْ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ مَقْطُوعَةً ، وَاخْتُلِفَ فِي سَبَبِ قَطْعِهَا ، فَقِيلَ قُطِعَتْ بِكَرْمَانَ لَمَّا سَارَ إِلَى قِتَالِ مَنْ بِهَا ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ ، وَهُوَ الَّذِي أَحْدَثَ أَمْرَ السُّعَاةِ ، وَأَعْطَاهُمْ عَلَيْهِ الْجِرَايَاتِ الْكَثِيرَةَ ، لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَصِلَ خَبَرُهُ إِلَى أَخِيهِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ سَرِيعًا ، فَنَشَأَ فِي أَيَّامِهِ فَضْلٌ وَمَرْعُوشٌ ، وَفَاقَا جَمِيعَ السُّعَاةِ ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَسِيرُ فِي الْيَوْمِ نَيِّفًا وَأَرْبَعِينَ فَرْسَخًا ، وَتَعَصَّبَ لَهُمَا النَّاسُ ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا سَاعِيَ السُّنَّةِ ، وَالْآخَرُ سَاعِيَ الشِّيعَةِ.ذِكْرُ سُوءِ سِيرَةِ بَخْتِيَارَ وَفَسَادِ حَالِهِ لَمَّا حَضَرَتْ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ الْوَفَاةُ وَصَّى وَلَدَهُ بَخْتِيَارَ بِطَاعَةِ عَمِّهِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، وَاسْتِشَارَتِهِ فِي كُلِّ مَا يَفْعَلُهُ ، وَبِطَاعَةِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ابْنِ عَمِّهِ ، لِأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًّا ، وَأَقْوَمُ بِالسِّيَاسَةِ ، وَوَصَّاهُ بِتَقْرِيرِ كَاتِبَيْهِ أَبِي الْفَضْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَأَبِي الْفَرَجِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، لِكِفَايَتِهِمَا وَأَمَانَتِهِمَا ، وَوَصَّاهُ بِالدَّيْلَمِ وَالْأَتْرَاكِ وَبِالْحَاجِبِ سُبُكْتِكِينَ ، فَخَالَفَ هَذِهِ الْوَصَايَا جَمِيعَهَا ، وَاشْتَغَلَ بِاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ ، وَعِشْرَةِ النِّسَاءِ ، وَالْمَسَاخِرِ ، وَالْمُغَنِّينَ ، وَشَرَعَ فِي إِيحَاشِ كَاتِبَيْهِ وَسُبُكْتِكِينَ ، فَاسْتَوْحَشُوا ، وَانْقَطَعَ سُبُكْتِكِينُ عَنْهُ فَلَمْ يَحْضُرْ دَارَهُ.وَنَفَى كِبَارُ الدَّيْلَمِ عَنْ مَمْلَكَتِهِ شَرَّهَا إِلَى إِقْطَاعَاتِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَمْوَالِ الْمُتَّصِلِينَ بِهِمْ ، فَاتَّفَقَ أَصَاغِرُهُمْ عَلَيْهِ ، وَطَلَبُوا الزِّيَادَاتِ ، وَاضْطَرَّ إِلَى مَرْضَاتِهِمْ ، وَاقْتَدَى بِهِمُ الْأَتْرَاكُ فَعَمِلُوا مِثْلَ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَتِمَّ لَهُ عَلَى سُبُكْتِكِينَ مَا يُرِيدُ لِاحْتِيَاطِهِ ، وَاتَّفَقَ الْأَتْرَاكُ مَعَهُ ، وَخَرَجَ الدَّيْلَمُ إِلَى الصَّحْرَاءِ ، وَطَالَبُوا بَخْتِيَارَ بِإِعَادَةِ مَنْ أَسْقَطَ مِنْهُمْ ، فَاحْتَاجَ أَنْ يُجِيبَهُمْ لِتَغَيُّرِ سُبُكْتِكِينَ عَلَيْهِ ، وَفَعَلَ الْأَتْرَاكُ أَيْضًا مِثْلَ فِعْلِهِمْ.وَاتَّصَلَ خَبَرُ مَوْتِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بِكَاتِبِهِ أَبِي الْفَرَجِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، وَهُوَ مُتَوَلِّي أَمْرِ عُمَانَ ، فَسَلَّمَهَا إِلَى نُوَّابِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ وَسَارَ نَحْوَ بَغْدَاذَ.وَكَانَ سَبَبُ تَسْلِيمِهَا إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ أَنَّ بَخْتِيَارَ لَمَّا مَلَكَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ تَفَرَّدَ أَبُو الْفَضْلِ بِالنَّظَرِ فِي الْأُمُورِ ، فَخَافَ أَبُو الْفَرَجِ أَنْ يَسْتَمِرَّ انْفِرَادُهُ عَنْهُ ، فَسَلَّمَ عُمَانَ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ لِئَلَّا يُؤْمَرَ بِالْمُقَامِ فِيهَا لِحِفْظِهَا وَإِصْلَاحِهَا ، وَسَارَ إِلَى بَغْدَادَ ، فَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ الَّذِي أَرَادَ ، وَتَفَرَّدَ أَبُو الْفَضْلِ بِالْوِزَارَةِ.ذِكْرُ خُرُوجِ عَسَاكِرِ خُرَاسَانَ وَمَوْتِ وَشْمَكِيرَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ جَهَّزَ الْأَمِيرُ مَنْصُورُ بْنُ نُوحٍ صَاحِبُ خُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ الْجُيُوشَ إِلَى الرَّيِّ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَبَا عَلِيِّ بْنَ إِلْيَاسَ سَارَ مِنْ كَرْمَانَ إِلَى بُخَارَى مُلْتَجِئًا إِلَى الْأَمِيرِ مَنْصُورٍ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ أَكْرَمَهُ وَعَظَّمَهُ ، فَأَطْمَعَهُ فِي مَالِكِ بَنِي بُوَيْهٍ ، وَحَسَّنَ لَهُ قَصْدَهَا ، وَعَرَّفَهُ أَنَّ نُوَّابَهُ لَا يُنَاصِحُونَهُ ، وَأَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ الرِّشَى مِنَ الدَّيْلَمِ ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَا كَانَ يَذْكُرُهُ لَهُ وَشْمَكِيرُ ، فَكَاتَبَ الْأَمِيرُ مَنْصُورٌ وَشْمَكِيرَ ، وَالْحَسَنَ بْنَ الْفَيْرَزَانِ ، يُعَرِّفُهُمَا مَا عَزَمَ عَلَيْهِ مِنْ قَصْدِ الرَّيِّ ، وَيَأْمُرُهُمَا بِالتَّجَهُّزِ لِذَلِكَ لِيَسِيرَا مَعَ عَسْكَرِهِ.ثُمَّ إِنَّهُ جَهَّزَ الْعَسَاكِرَ وَسَيَّرَهَا مَعَ صَاحِبِ جُيُوشِ خُرَاسَانَ ، وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ سِيمْجُورُ الدَّوَاتِيُّ ، وَأَمَرَهُ بِطَاعَةِ وَشَمْكِيرَ ، وَالِانْقِيَادِ لَهُ ، وَالتَّصَرُّفِ بِأَمْرِهِ ، وَجَعْلِهِ مُقَدَّمَ الْجُيُوشِ جَمِيعِهَا.فَلَمَّا بَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَتَاهُ مَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِهِ ، وَأَخْذَهُ الْمُقِيمَ الْمُقْعَدَ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ بَلَغَ الْغَايَةَ ، فَسَيَّرَ أَوْلَادَهُ وَأَهْلَهُ إِلَى أَصْبَهَانَ ، وَكَاتَبَ وَلَدَهُ عَضُدَ الدَّوْلَةِ يَسْتَمِدُّهُ ، وَكَاتَبَ ابْنَ أَخِيهِ عِزَّ الدَّوْلَةِ بَخْتِيَارَ يَسْتَنْجِدُهُ أَيْضًا.فَأَمَّا عَضُدُ الدَّوْلَةِ فَإِنَّهُ جَهَّزَ الْعَسَاكِرَ وَسَيَّرَهُمْ إِلَى طَرِيقِ خُرَاسَانَ ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ قَصْدَ خُرَاسَانَ لِخُلُوِّهَا مِنَ الْعَسَاكِرِ ، فَبَلَغَ الْخَبَرُ أَهْلَ خُرَاسَانَ فَأَحْجَمُوا قَلِيلًا ، ثُمَّ سَارُوا حَتَّى بَلَغُوا الدَّامَغَانَ ، وَبَرَزَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ فِي عَسَاكِرِهِ مِنَ الرَّيِّ نَحْوَهُمْ ، فَاتَّفَقَ مَوْتَ وَشْمِكِيرَ ، فَكَانَ سَبَبُ مَوْتِهِ أَنَّهُ وَصَلَهُ مِنْ صَاحِبِ خُرَاسَانَ هَدَايَا مِنْ جُمْلَتِهَا خَيْلٌ ، فَاسْتَعْرَضَ الْخَيْلَ وَاخْتَارَ أَحَدَهَا وَرَكِبَهُ لِلصَّيْدِ ، فَعَارَضَهُ خِنْزِيرٌ قَدْ رُمِيَ بِحَرْبَةٍ ، وَهِيَ ثَابِتَةٌ فِيهِ ، فَحَمَلَ الْخِنْزِيرُ عَلَى وَشْمَكِيرَ ، وَهُوَ غَافِلٌ ، فَضَرَبَ الْفَرَسَ ، فَشَبَّ تَحْتَهُ ، فَأَلْقَاهُ إِلَى الْأَرْضِ ، وَخَرَجَ الدَّمُ مِنْ أُذُنَيْهِ وَأَنْفِهِ ، فَحُمِلَ مَيِّتًا ، وَذَلِكَ فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَانْتَقَضَ جَمِيعُ مَا كَانُوا فِيهِ ، وَكَفَى اللَّهُ رُكْنَ الدَّوْلَةِ شَرَّهُمْ.وَلَمَّا مَاتَ وَشْمَكِيرُ قَامَ ابْنُهُ بِيسَتُونُ مَقَامَهُ ، وَرَاسَلَ رُكْنَ الدَّوْلَةِ وَصَالَحَهُ ، فَأَمَدَّ رُكْنَ الدَّوْلَةِ بِالْمَالِ وَالرَّجُلِ.وَمِنْ أَعْجَبِ مَا يُحْكَى مِمَّا يُرَغِّبُ فِي حُسْنِ النِّيَّةِ وَكَرَمِ الْمَقْدِرَةِ أَنَّ وَشْمِكِيرَ لَمَّا اجْتَمَعَتْ مَعَهُ عَسَاكِرُ خُرَاسَانَ وَسَارَ كَتَبَ إِلَى رُكْنِ الدَّوْلَةِ يَتَهَدَّدُهُ بِضُرُوبٍ مِنَ الْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ ، وَيَقُولُ وَاللَّهِ لَئِنْ ظَفِرْتُ بِكَ لَأَفْعَلَنَّ بِكَ وَلَأَصْنَعَنَّ ، بِأَلْفَاظٍ قَبِيحَةٍ ، فَلَمْ يَتَجَاسَرِ الْكَاتِبُ أَنْ يَقْرَأَهُ ، فَأَخَذَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ فَقَرَأَهُ وَقَالَ لِلْكَاتِبِ اكْتُبْ إِلَيْهِ أَمَّا جَمْعُكَ وَأَحْشَادُكَ فَمَا كُنْتَ قَطُّ أَهْوَنَ مِنْكَ عَلَيَّ الْآنَ ، وَأَمَّا تَهْدِيدُكَ وَإِيعَادُكَ فَوَاللَّهِ لَئِنْ ظَفِرْتُ بِكَ لَأُعَامِلَنَّكَ بِضِدِّهِ ، وَلَأُحْسِنَنَّ إِلَيْكَ وَلَأُكْرِمَنَّكَ ، فَلَقِيَ وَشْمَكِيرُ سُوءَ نِيَّتِهِ ، وَلَقِيَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ حُسْنَ نِيَّتِهِ.وَكَانَ بِطَبَرِسْتَانَ عَدُوٌّ لِرُكْنِ الدَّوْلَةِ يُقَالُ لَهُ نُوحُ بْنُ نَصْرٍ ، شَدِيدَ الْعَدَاوَةِ لَهُ ، لَا يَزَالُ يَجْمَعُ لَهُ وَيَقْصِدُ أَطْرَافَ بِلَادِهِ ، فَمَاتَ الْآنَ ، وَعَصَى عَلَيْهِ بِهَمَذَانَ إِنْسَانٌ يُقَالُ لَهُ أَحْمَدُ بْنُ هَارُونَ الْهَمَذَانِيُّ لَمَّا رَأَى خُرُوجَ عَسَاكِرِ خُرَاسَانَ ، وَأَظْهَرَ الْعِصْيَانَ ، فَلَمَّا أَتَاهُ خَبَرُ مَوْتِ وَشْمَكِيرَ مَاتَ لِوَقْتِهِ ، وَكَفَى اللَّهُ رُكْنَ الدَّوْلَةِ هَمَّ الْجَمِيعِ.ذِكْرُ الْقَبْضِ عَلَى نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَبَضَ أَبُو تَغْلِبَ بْنُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ عَلَى أَبِيهِ ، وَحَبَسَهُ فِي الْقَلْعَةِ ، لَيْلَةَ السَّبْتِ لِسِتٍّ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى.وَكَانَ سَبَبُ قَبْضِهِ أَنَّهُ كَانَ قَدْ كَبُرَ وَسَاءَتْ أَخْلَاقُهُ ، وَضَيَّقَ عَلَى أَوْلَادِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَخَالَفَهُمْ فِي أَغْرَاضِهِمْ لِلْمَصْلَحَةِ ، فَضَجِرُوا مِنْهُ.وَكَانَ فِيمَا خَالَفَهُمْ فِيهِ أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ عَزَمَ أَوْلَادُهُ عَلَى قَصْدِ الْعِرَاقِ وَأَخْذِهِ مِنْ بَخْتِيَارَ ، فَنَهَاهُمْ وَقَالَ لَهُمْ إِنْ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ قَدْ خَلَّفَ مَالًا يَسْتَظْهِرُ بِهِ ابْنُهُ عَلَيْكُمْ ، فَاصْبِرُوا حَتَّى يُفَرِّقَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ ، ثُمَّ اقْصُدُوهُ وَفَرِّقُوا الْأَمْوَالَ ، فَإِنَّكُمْ تَظْفَرُونَ بِهِ لَا مَحَالَةَ ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ أَبُو تَغْلِبَ ، فَقَبَضَهُ ، وَرَفَعَهُ إِلَى الْقَلْعَةِ ، وَوَكَّلَ بِهِ مَنْ يَخْدِمُهُ ، وَيَقُومُ بِحَاجَاتِهِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ .فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ خَالَفَهُ بَعْضُ إِخْوَتِهِ ، وَانْتَشَرَ أَمْرُهُمُ الَّذِي كَانَ يَجْمَعُهُمْ ، وَصَارَ قُصَارَاهُمْ حِفْظَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَاحْتَاجَ أَبُو تَغْلِبَ إِلَى مُدَارَاةِ عِزِّ الدَّوْلَةِ بَخْتِيَارَ ، وَتَجْدِيدِ عَقْدِ الضَّمَانِ لِيَحْتَجَّ بِذَلِكَ عَلَى إِخْوَتِهِ ، وَمَنْ خَلْفَهُ ، فَضَمَّنَهُ الْبِلَادَ بِأَلْفِ أَلْفٍ وَمِائَتَيْ أَلْفَ دِرْهَمٍ كُلَّ سَنَةٍ.ذِكْرُ مَنْ مَاتَ هَذِهِ السَّنَةَ مِنَ الْمُلُوكِ مَاتَ فِيهَا وَشْمَكِيرُ بْنُ زِيَادٍ ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، وَمُعِزُّ الدَّوْلَةِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ ، وَالْحَسَنُ بْنُ الْفَيْرَزَانِ ، وَكَافُورٌ الْإِخْشِيدِيُّ ، وَنَقْفُورُ مَلِكُ الرُّومِ ، وَأَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ إِلْيَاسَ صَاحِبُ كَرْمَانَ ، وَسَيْفُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ.فَأَمَّا سَيْفُ الدَّوْلَةِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي الْهَيْجَاءِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدَانَ بْنِ حَمْدُونَ التَّغْلِبِيُّ الرَّبَعِيُّ فَإِنَّهُ مَاتَ بِحَلَبَ فِي صَفَرَ ، وَحُمِلَ تَابُوتُهُ إِلَى مَيَّافَارِقِينَ فَدُفِنَ بِهَا ، وَكَانَتْ عِلَّتُهُ الْفَالِجَ ، وَقِيلَ عُسْرُ الْبَوْلِ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ جَوَادًا كَرِيمًا ، شُجَاعًا ، وَأَخْبَارُهُ مَشْهُورَةٌ فِي ذَلِكَ ، وَكَانَ يَقُولُ الشِّعْرَ فِي أَخِيهِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ وُهَبْتُ لَكَ الْعَلْيَا وَقَدْ كُنْتَ أَهْلَهَا...وَقُلْتُ لَهُمْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَخِي فَرْقُ وَمَا كَانَ بِي عَنْهَا نُكُولٌ وَإِنَّمَا...تَجَاوَزْتُ عَنْ حَقِّي فَتَمَّ لَكَ الْحَقُّ أَمَا كُنْتَ تَرْضَى أَنْ أَكُونَ مُصَلِّيًا...إِذَا كُنْتُ أَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ السَّبْقُ وَلَهُ أَيْضًا قَدْ جَرَى فِي دَمْعِهِ دَمُهُ...فَإِلَى كَمْ أَنْتَ تَظْلِمُهُ ؟رُدَّ عَنْهُ الطَّرْفَ مِنْكَ فَقَدْ...جَرَحَتْهُ مِنْكَ أَسْهُمُهُ كَيْفَ يَسْتَطِيعُ التَّجَلُّدَ مَنْ...خَطَرَاتُ الْوَهْمِ تُؤْلِمُهُ وَلَمَّا تُوُفِّيَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ مَلَكَ بِلَادَهُ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو الْمَعَالِي شَرِيفٌ .وَأَمَّا أَبُو عَلِيِّ بْنُ إِلْيَاسَ فَسَيَرِدُ ذِكْرُ مَوْتِهِ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .وَأَمَّا كَافُورٌ فَإِنَّهُ كَانَ صَاحِبَ مِصْرَ ، وَكَانَ مِنْ مَوَالِي الْإِخْشِيدِ مُحَمَّدِ بْنِ طُغُجَ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى مِصْرَ وَدِمَشْقَ بَعْدَ مَوْتِ الْإِخْشِيدِ لِصِغَرِ أَوْلَادِهِ ، وَكَانَ خَصِيًّا أَسْوَدَ ، وَلِلْمُتَنَبِّي فِيهِ مَدِيحٌ وَهَجْوٌ ، وَكَانَ قَصْدُهُ إِلَى مِصْرَ ، وَخَبَرُهُ مَعَهُ مَشْهُورٌ ، وَلَمَّا دُفِنَ كُتِبَ عَلَى قَبْرِهِ انْظُرْ إِلَى غَيْرِ الْأَيَّامِ مَا صَنَعَتْ...أَفْنَتْ أُنَاسًا بِهَا كَانُوا وَقَدْ فَنِيَتْ دُنْيَاهُمُ ضَحِكَتْ أَيَّامَ دَوْلَتِهِمْ...حَتَّى إِذَا انْقَرَضُوا نَاحَتْ لَهُمْ وَبَكَتْ الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْفَرَجِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْأَصْبَهَانِيُّ الْأُمَوِيُّ ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ الْأُمَوِيِّ ، وَكَانَ شِيعِيًّا ، وَهَذَا مِنَ الْعَجَبِ ، وَهُوَ صَاحِبُ كِتَابِ "الْأَغَانِي" وَغَيْرِهِ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَبِي عُمَرَ الْقَاضِي ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَوَلِيَ قَضَاءَ بَغْدَاذَ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ وَبَعْدَهُ. وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَالِمٍ صَاحِبُ سَهْلٍ التُّسْتَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ عِصْيَانِ حُبْشِيِّ بْنِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ عَلَى بَخْتِيَارَ بِالْبَصْرَةِ وَأَخْذِهِ قَهْرًا فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَصَى حُبْشِيُّ بْنُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ عَلَى أَخِيهِ بَخْتِيَارَ ، وَكَانَ بِالْبَصْرَةِ لَمَّا مَاتَ وَالِدُهُ ، فَحَسَّنَ لَهُ مَنْ عِنْدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ الِاسْتِبْدَادَ بِالْبَصْرَةِ ، وَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ أَخَاهُ بَخْتِيَارَ لَا يَقْدِرُ عَلَى قَصْدِهِ ، فَشَرَعَ فِي ذَلِكَ ، فَانْتَهَى الْخَبَرُ إِلَى أَخِيهِ ، فَسَيَّرَ وَزِيرَهُ أَبَا الْفَضْلِ الْعَبَّاسَ بْنَ الْحُسَيْنِ إِلَيْهِ ، وَأَمَرَهُ بِأَخْذِهِ كَيْفَ أَمْكَنَ ، فَأَظْهَرَ الْوَزِيرُ أَنَّهُ يُرِيدُ الِانْحِدَارَ إِلَى الْأَهْوَازِ.وَلَمَّا بَلَغَ وَاسِطَ أَقَامَ بِهَا لِيُصْلِحَ أَمْرَهَا ، وَكَتَبَ إِلَى حُبْشِيٍّ يَعِدُهُ أَنَّهُ يُسَلِّمُ إِلَيْهِ الْبَصْرَةَ سِلْمًا ، وَيُصَالِحُهُ عَلَيْهَا ، وَيَقُولُ لَهُ إِنَّنِي قَدْ لَزِمَنِي مَالٌ عَلَى الْوِزَارَةِ ، وَلَا بُدَّ مِنْ مُسَاعَدَتِي ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ حُبْشِيٌّ مِائَتَيْ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَتَيَقَّنَ حُصُولَ الْبَصْرَةِ لَهُ ، وَأَرْسَلَ الْوَزِيرُ إِلَى عَسْكَرِ الْأَهْوَازِ يَأْمُرُهُمْ بِقَصْدِ الْأُبُلَّةِ فِي يَوْمٍ ذَكَرَهُ لَهُمْ ، وَسَارَ هُوَ مِنْ وَاسِطَ نَحْوَ الْبَصْرَةِ ، فَوَصَلَهَا هُوَ وَعَسْكَرُ الْأَهْوَازِ لِمِيعَادِهِمْ ، فَلَمْ يَتَمَكَّنْ حُبْشِيٌّ مِنْ إِصْلَاحِ شَأْنِهِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، فَظَفِرُوا بِهِ وَأَخَذُوهُ أَسِيرًا وَحَبَسُوهُ بِرَامَهُرْمُزَ ، فَأَرْسَلَ عَمُّهُ رُكْنُ الدَّوْلَةِ وَخَلَّصَهُ ، فَسَارَ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، فَأَقْطَعَهُ إِقْطَاعًا وَافِرًا ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ رُكْنٌ إِلَى أَنْ مَاتَ فِي آخِرِ سَنَةِ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَأَخَذَ الْوَزِيرُ مِنْ أَمْوَالِهِ بِالْبَصْرَةِ شَيْئًا كَثِيرًا ، وَمِنْ جُمْلَةِ مَا أَخَذَ لَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ مُجَلَّدًا سِوَى الْأَجْزَاءِ وَالْمُسَرَّسِ وَمَا لَيْسَ لَهُ جِلْدٌ.ذِكْرُ الْبَيْعَةِ لِمَحُمَّدِ بْنِ الْمُسْتَكْفِي فِي هَذِهِ السَّنَةِ ظَهَرَ بِبَغْدَاذَ بَيْنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ ، دَعْوَةٌ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ اسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَقِيلَ إِنَّهُ الدَّجَّالُ الَّذِي وَعَدَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفُ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُجَدِّدُ مَا عَفَا مِنْ أُمُورِ الدِّينِ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ قِيلَ لَهُ إِنَّهُ عَبَّاسِيٌّ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشِّيعَةِ قِيلَ لَهُ إِنَّهُ عَلَوِيٌّ فَكَثُرَتِ الدُّعَاةُ إِلَيْهِ وَالْبَيْعَةُ لَهُ.وَكَانَ الرَّجُلُ بِمِصْرَ وَقَدْ أَكْرَمَهُ كَافُورٌ الْإِخْشِيدِيُّ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَكَانَ فِي جُمْلَةِ مَنْ بَايَعَ لَهُ سُبُكْتِكِينُ الْعَجَمِيُّ وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ قُوَّادِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ يَتَشَيَّعُ فَظَنَّهُ عَلَوِيًّا وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَسْتَدْعِيهِ مِنْ مِصْرَ فَسَارَ إِلَى الْأَنْبَارِ وَخَرَجَ سُبُكْتِكِينُ إِلَى طَرِيقِ الْفُرَاتِ وَكَانَ يَتَوَلَّى حِمَايَتَهُ فَلَقِيَ ابْنَ الْمُسْتَكْفِي وَتَرَجَّلَ لَهُ وَخَدَمَهُ وَأَخَذَهُ وَعَادَ إِلَى بَغْدَاذَ وَهُوَ لَا يَشُكُّ فِي حُصُولِ الْأَمْرِ لَهُ.ثُمَّ ظَهَرَ لِسُبُكْتِكِينَ أَنَّ الرَّجُلَ عَبَّاسِيٌّ فَعَادَ عَنْ ذَلِكَ الرَّأْيِ فَفَطِنَ ابْنُ الْمُسْتَكْفِي وَخَافَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فَهَرَبُوا وَتَفَرَّقُوا فَأُخِذَ ابْنُ الْمُسْتَكْفِي وَمَعَهُ أَخٌ لَهُ وَأُحْضِرَا عِنْدَ بَخْتِيَارَ فَأَعْطَاهُمَا الْأَمَانَ ثُمَّ إِنَّ الْمُطِيعَ تَسَلَّمَهُ مِنْ بَخْتِيَارَ فَجَدَعَ أَنْفَهُ ثُمَّ خَفِيَ خَبَرُهُ.ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ عَلَى كَرْمَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَلَكَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ بِلَادَ كَرْمَانَ وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَبَا عَلِيِّ بْنَ إِلْيَاسَ كَانَ صَاحِبَهَا مُدَّةً طَوِيلَةً عَلَى مَا ذَكَرْنَاهَ ثُمَّ إِنَّهُ أَصَابَهُ فَالِجٌ خَافَ مِنْهُ عَلَى نَفْسِهِ فَجَمَعَ أَكَابِرَ أَوْلَادِهِ وَهُمْ ثَلَاثَةٌ إِلْيَسَعُ وَإِلْيَاسُ وَسُلَيْمَانُ فَاعْتَذَرَ إِلَى إِلْيَسَعَ مِنْ جَفْوَةٍ كَانَتْ مِنْهُ لَهُ قَدِيمًا وَوَلَّاهُ الْأَمْرَ ثُمَّ بَعْدَهُ أَخَاهُ إِلْيَاسَ وَأَمَرَ سُلَيْمَانَ بِالْعَوْدِ إِلَى بِلَادِهِمْ وَهِيَ بِلَادُ الصُّغْدِ وَأَمَرَهُ بِأَخْذِ أَمْوَالٍ لَهُ هُنَاكَ وَقَصَدَ إِبْعَادَهُ عَنْ إِلْيَسَعَ لِعَدَاوَةٍ كَانَتْ بَيْنَهُمَا.فَسَارَ مِنْ عِنْدِ أَبِيهِ وَاسْتَوْلَى عَلَى السِّيرَجَانِ فَلَمَّا بَلَغَ أَبَاهُ ذَلِكَ أَنْفَذَ إِلَيْهِ إِلَيْسَعَ فِي جَيْشٍ وَأَمَرَهُ بِمُحَارَبَتِهِ وَإِجْلَائِهِ عَنِ الْبِلَادِ وَلَمْ يُمَكِّنْهُ مِنْ قَصْدِ الصُّغْدِ إِنْ طَلَبَ ذَلِكَ فَسَارَ إِلَيْهِ وَحَصَرَهُ وَاسْتَظْهَرَ عَلَيْهِ إِلْيَسَعُ بِالسِّيرَجَانِ وَمَلَكَهَا وَأَمَرَ بِنَهْبِهَا فَنُهِبَتْ فَسَأَلَهُ الْقَاضِي وَأَعْيَانُ الْبَلَدِ الْعَفْوَ عَنْهُمْ فَعَفَا.ثُمَّ إِنَّ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِ وَالِدِهِ خَافُوهُ ، فَسَعَوْا بِهِ إِلَى أَبِيهِ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ وَسَجَنَهُ فِي قَلْعَةٍ لَهُ ، فَمَشَتْ وَالِدَتُهُ إِلَى أَخِيهِ إِلْيَاسَ وَقَالَتْ لَهَا إِنَّ صَاحِبَنَا قَدْ فَسَخَ مَاكَانَ عَقَدَهُ لِوَلَدِي ، وَبَعْدَهُ يَفْعَلُ بِوَلَدِكِ مِثْلَهُ ، وَيُخْرِجُ الْمُلْكَ عَنْ آلِ إِلْيَاسَ ، وَالرَّأْيُ أَنْ تُسَاعِدِينِي عَلَى تَخْلِيصِ وَلَدِي لِيَعُودَ الْأَمْرُ إِلَى مَاكَانَ عَلَيْهِ.وَكَانَ وَالِدُهُ أَبُو عَلِيٍّ تَأْخُذُهُ غَشْيَةٌ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ ، فَيَمْكُثُ زَمَانًا طَوِيلًا لَا يَعْقِلُ ، فَاتَّفَقَتِ الْمَرْأَتَانِ وَجَمَعَتَا الْجَوَارِيَ فِي وَقْتِ غَشْيَتِهِ ، وَأَخْرَجْنَ إِلْيَسَعَ مِنْ حَبِسِهِ وَدَلَّيْنَهُ مِنْ ظَهْرِ الْقَلْعَةِ إِلَى الْأَرْضِ ، فَكَسَرَ قَيْدَهُ وَقَصَدَ الْعَسْكَرَ ، فَاسْتَبْشَرُوا بِهِ وَأَطَاعُوهُ ، وَهَرَبَ مِنْهُ مَنْ كَانَ أَفْسَدَ حَالَهُ مَعَ أَبِيهِ ، وَأَخَذَ بَعْضَهُمْ ، وَنَجَا بَعْضُهُمْ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى الْقَلْعَةِ لِيَحْصُرَهَا.فَلَمَّا أَفَاقَ وَالِدُهُ وَعَرَفَ الصُّورَةَ رَاسَلَ وَلَدَهُ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَكُفَّ عَنْهُ وَيُؤَمِّنَهُ عَلَى مَالِهِ وَأَهْلِهِ حَتَّى يُسَلَّمَ إِلَيْهِ الْقَلْعَةَ وَجَمِيعَ أَعْمَالِ كَرْمَانَ ، وَيَرْحَلَ إِلَى خُرَاسَانَ ، وَيَكُونَ عَوْنًا لَهُ هُنَاكَ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَسَلَّمَ إِلَيْهِ الْقَلْعَةَ وَكَثِيرًا مِنَ الْمَالِ ، وَأَخَذَ مَعَهُ مَا أَرَادَ إِلَى خُرَاسَانَ وَقَصَدَ بُخَارَى ، فَأَكْرَمَهُ الْأَمِيرُ مَنْصُورُ بْنُ نُوحٍ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَقَرَّبَهُ مِنْهُ ، فَحَمَلَ مَنْصُورًا عَلَى تَجْهِيزِ الْعَسَاكِرِ إِلَى الرَّيِّ وَقَصْدِ بَنِي بُوَيْهٍ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ بِعِلَّةِ الْفَالِجِ ، عَلَى مَاذَكَرْنَاهُ.وَكَانَ ابْنُهُ سُلَيْمَانُ بُبَخَارَى أَيْضًا وَأَمَّا إِلْيَسَعُ فَإِنَّهُ صَفَتْ لَهُ كَرْمَانُ ، فَحَمَلَهُ تَرَفُ الشَّبَابِ وَجَهْلُهُ عَلَى مُغَالَبَةِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ عَلَى بَعْضِ حُدُودِ عَمَلِهِ ، وَأَتَاهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ عَادَ بَعْضُهُمْ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، فَاتَّهَمَ إِلْيَسَعُ الْبَاقِينَ ، فَعَاقَبَهُمْ ، وَمَثَّلَ بِهِمْ.ثُمَّ إِنَّ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ اسْتَأْمَنُوا إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَأَكْرَمَهُمْ وَوَصَلَهُمْ ، فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابُهُ تَبَاعُدَ مَابَيْنَ الْحَالَيْنِ تَأَلَّبُوا عَلَيْهِ وَفَارَقُوهُ مُتَسَلِّلِينَ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَأَتَاهُ مِنْهُمْ فِي دُفْعَةٍ وَاحِدَةٍ نَحْوُ أَلْفِ رَجُلٍ مِنْ وُجُوهِ أَصْحَابِهِ ، فَبَقِيَ فِي خَاصَّتِهِ ، وَفَارَقَهُ مُعْظَمُ عَسْكَرِهِ.فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَخَذَ أَمْوَالَهُ وَأَهْلَهُ وَسَارَ بِهِمْ نَحْوَ بُخَارَى لَا يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ ، وَسَارَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ إِلَى كَرْمَانَ فَاسْتَوَى عَلَيْهَا وَمَلَكَهَا وَأَخَذَ مَا بِهَا مِنْ أَمْوَالِ آلِ إِلْيَاسَ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَأَقْطَعَهَا وَلَدَهُ أَبَا الْفَوَارِسِ ، وَهُوَ الَّذِي لُقِّبَ بَعْدَ ذَلِكَ شَرَفَ الدَّوْلَةِ ، وَمَلَكَ الْعِرَاقَ ، وَاسْتَخْلَفَ ، عَلَيْهَا كُورْتِكِينَ بْنَ جَسْتَانَ ، وَعَادَ إِلَى فَارِسَ وَرَاسَلَهُ صَاحِبُ سِجِسْتَانَ ، وَخَطَبَ لَهُ بِهَا ، وَكَانَ هَذَا أَيْضًا مِنَ الْوَهْنِ عَلَى بَنِي سَامَانَ وَمِمَّا طَرَقَ الطَّمَعَ فِيهِمْ.وَأَمَّا إِلْيَسَعُ فَإِنَّهُ لَمَّا وَصَلَ إِلَى بُخَارَى أَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَصَارَ يَذُمُّ أَهْلَ سَامَانَ فِي قُعُودِهِمْ عَنْ نَصْرِهِ ، وَإِعَادَتِهِ إِلَى مُلْكِهِ ، فَنُفِيَ عَنْ بُخَارَى إِلَى خُوَارَزْمَ.وَبَلَغَ أَبَا عَلِيِّ بْنَ سِيمْجُورَ خَبَرُهُ ، فَقَصَدَ مَالَهُ وَأَثْقَالَهُ ، وَكَانَ خَلْفَهَا بِبَعْضِ نَوَاحِي خُرَاسَانَ ، فَاسْتَوْلَى عَلَى ذَلِكَ جَمِيعِهِ ، وَأَصَابَ إِلْيَسَعَ رَمَدٌ شَدِيدٌ بِخُوَارَزْمَ ، فَأَقْلَقَهُ ، فَحَمَلَهُ الضَّجَرُ وَعَدَمُ السَّعَادَةِ إِلَى أَنْ قَلَعَ عَيْنَهُ الرَّمِدَةَ بِيَدِهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ هَلَاكِهِ ، وَلَمْ يَعُدْ لِآلِ إِلْيَاسَ بِكَرْمَانَ دَوْلَةٌ ، وَكَانَ الَّذِي أَصَابَهُ لِشُؤْمِ عِصْيَانِ وَالِدِهِ وَثَمَرَةِ عُقُوقِهِ.ذِكْرُ قَتْلِ أَبِي فِرَاسِ بْنِ حَمْدَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ ، قُتِلَ أَبُو فِرَاسِ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ سَعِيدِ بْنِ حَمْدَانَ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مُقِيمًا بِحِمْصَ ، فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي الْمَعَالِي بْنِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ وَحْشَةٌ ، فَطَلَبَهُ أَبُو الْمَعَالِي ، فَانْحَازَ أَبُو فِرَاسٍ إِلَى صَدَدَ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ فِي طَرَفِ الْبَرِّيَّةِ عِنْدَ حِمْصَ ، فَجَمَعَ أَبُو الْمَعَالِي الْأَعْرَابَ مِنْ بَنِي كِلَابٍ وَغَيْرِهِمْ ، وَسَيَّرَهُمْ فِي طَلَبِهِ مَعَ قَرْغَوَيْهِ ، فَأَدْرَكَهُ بِصَدَدَ ، فَكَبَسُوهُ ، فَاسْتَأْمَنَ أَصْحَابَهُ ، وَاخْتَلَطَ هُوَ بِمَنِ اسْتَأْمَنَ مِنْهُمْ ، فَقَالَ قَرْغَوَيْهِ لِغُلَامٍ لَهُ اقْتُلْهُ ، فَقَتَلَهُ وَأَخَذَ رَأْسَهُ وَتُرِكَتْ جُثَّتُهُ فِي الْبَرِّيَّةِ ، حَتَّى دَفَنَهَا بَعْضُ الْأَعْرَابِ.وَأَبُو فِرَاسٍ هُوَ خَالُ أَبِي الْمَعَالِي بْنِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، وَلَقَدْ صَدَقَ مَنْ قَالَ إِنَّ الْمُلْكَ عَقِيمٌ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، مُنْتَصَفَ شَعْبَانَ ، مَاتَ الْمُتَّقِي لِلَّهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُقْتَدِرِ فِي دَارِهِ وَدُفِنَ فِيهَا.وَفِيهَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، وَصَلَتْ سَرِيَّةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الرُّومِ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ فَقَتَلُوا فِي سَوَادِهَا وَغَنِمُوا ، وَسَبَوُا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ.وَفِيهَا كَانَ بَيْنَ هِبَةِ الرِّفْعَايِّ وَبَنِي أَسَدِ بْنِ وَزِيرِ الْغُبَرِيِّ حَرْبٌ ، فَاسْتَمَدَّتْ أَسَدٌ خَزَرَ الْيَشْكُرِيَّ الَّذِي مَعَ عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ ، صَاحِبِ الْبَطَائِحِ ، وَأَوْقَعَ بِهِبَةَ ، وَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً وَهَزَمَهُ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى جُنْبُلَا وَقُسِّينَ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ ، فَسَارَ سُبُكْتِكِينُ الْعَجَمِيُّ إِلَى خَزَرٍ ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِ ، فَمَضَى إِلَى الْبَصْرَةِ وَاسْتَأْمَنَ إِلَى الْوَزِيرِ أَبِي الْفَضْلِ ، وَفِيهَا عَمِلَ أَهْلُ بَغْدَاذَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَغَدِيرَ خُمٍّ ، كَمَا جَرَتْ بِهِ عَادَتُهُمْ مِنْ إِظْهَارِ الْحُزْنِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، وَالسُّرُورِ يَوْمَ الْغَدِيرِ ، الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَلِيُّ بْنُ بُنْدَارِ بْنِ الْحُسَيْنِ أَبُو الْحَسَنِ الصُّوفِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالصَّيْرَفِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ مُلْكِ الْمُعِزِّ الْعَلَوِيِّ مِصْرَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَيَّرَ الْمُعِزُّ لِدِينِ اللَّهِ أَبُو تَمِيمٍ مَعْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَنْصُورَ بِاللَّهِ الْقَائِدَ أَبَا الْحَسَنِ جَوْهَرًا ، غُلَامَ وَالِدِهِ الْمَنْصُورِ ، وَهُوَ رُومِيٌّ ، فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، فَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ كَافُورٌ الْإِخْشِيدِيُّ ، صَاحِبُ مِصْرَ ، اخْتَلَفَتِ الْقُلُوبُ فِيهَا ، وَوَقَعَ بِهَا غَلَاءٌ شَدِيدٌ ، حَتَّى بَلَغَ الْخُبْزُ كُلُّ رِطْلٍ بِدِرْهَمَيْنِ ، وَالْحِنْطَةُ كُلُّ وَيْبَةٍ بِدِينَارٍ وَسُدْسٍ مِصْرِيٍّ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْخَبَرُ بِهَذِهِ الْأَحْوَالِ إِلَى الْمُعِزِّ ، وَهُوَ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، سَيَّرَ جَوْهَرًا إِلَيْهَا ، فَلَمَّا اتَّصَلَ خَبَرُ مَسِيرِهِ إِلَى الْعَسَاكِرِ الْإِخْشِيدِيَّةِ بِمِصْرَ هَرَبُوا عَنْهَا جَمِيعُهُمْ قَبْلَ وُصُولِهِ.ثُمَّ إِنَّهُ قَدِمَهَا سَابِعَ عَشَرَ شَعْبَانَ ، وَأُقِيمَتِ الدَّعْوَةُ لِلْمُعِزِّ بِمِصْرَ فِي الْجَامِعِ الْعَتِيقِ فِي شَوَّالٍ ، وَكَانَ الْخَطِيبُ أَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحُسَيْنِ الشِّمْشَاطِيَّ.وَفِي جُمَادَى الْأُولَى مِنَ سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ سَارَ جَوْهَرٌ إِلَى جَامِعِ ابْنِ طُولُونَ ، وَأَمَرَ الْمُؤَذِّنَ فَأَذَّنَ بِحَيِّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَا أُذِّنَ بِمِصْرَ ثُمَّ أُذِّنَ بَعْدَهُ فِي الْجَامِعِ الْعَتِيقِ ، وَجَهَرَ فِي الصَّلَاةِ بِبَسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَلَمَّا اسْتَقَرَّ جَوْهَرٌ بِمِصْرَ شَرَعَ فِي بِنَاءِ الْقَاهِرَةِ.ذِكْرُ مُلْكِ عَسْكَرِ الْمُعِزِّ دِمَشْقَ وَغَيْرِهَا مِنْ بِلَادِ الشَّامِ لَمَّا اسْتَقَرَّ جَوْهَرٌ بِمِصْرَ ، وَثَبَّتَ قَدَمَهُ ، سَيَّرَ جَعْفَرَ بْنَ فَلَاحٍ الْكُتَامِيَّ إِلَى الشَّامِ فِي جَمْعٍ كَبِيرٍ ، فَبَلَغَ الرَّمْلَةَ ، وَبِهَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طُغُجَ ، فَقَاتَلَهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنَ السَّنَةِ ، وَجَرَتْ بَيْنَهُمَا حُرُوبٌ كَانَ الظَّفَرُ فِيهَا لِجَعْفَرِ بْنِ فَلَاحٍ ، وَأُسِرَ ابْنُ طُغُجَ وَغَيْرُهُ مِنَ الْقُوَّادِ فَسَيَّرَهُمْ إِلَى جَوْهَرٍ ، وَسَيَّرَهُمْ جَوْهَرٌ إِلَى الْمُعِزِّ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، وَدَخَلَ ابْنُ الْفَلَاحِ الْبَلَدَ عَنْوَةً ، فَقَتَلَ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِهِ ، ثُمَّ أَمَّنَ مَنْ بَقِيَ ، وَجَبَى الْخَرَاجَ وَسَارَ إِلَى طَبَرِيَّةَ ، فَرَأَى ابْنَ مُلْهَمٍ قَدْ أَقَامَ الدَّعْوَةَ لِلْمُعِزِّ لِدِينِ اللَّهِ ، فَسَارَ عَنْهَا إِلَى دِمَشْقَ ، فَقَاتَلَهُ أَهْلُهَا ، فَظَفِرَ بِهِمْ وَمَلَكَ الْبَلَدَ ، وَنَهَبَ بَعْضَهُ وَكَفَّ عَنِ الْبَاقِي ، وَأَقَامَ الْخُطْبَةَ لِلْمُعِزِّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِأَيَّامٍ خَلَتْ مِنَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَقُطِعَتِ الْخُطْبَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ.وَكَانَ بِدِمَشْقَ الشَّرِيفُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ أَبِي يَعْلَى الْهَاشِمِيُّ ، وَكَانَ جَلِيلَ الْقَدْرِ ، نَافِذَ الْحُكْمِ فِي أَهْلِهَا ، فَجَمَعَ أَحْدَاثَهَا وَمَنْ يُرِيدُ الْفِتْنَةَ ، فَثَارَ بِهِمْ فِي الْجُمُعَةِ الثَّانِيَةِ ، وَأَبْطَلَ الْخُطْبَةَ لِلْمُعِزِّ لِدِينِ اللَّهِ وَأَعَادَ خُطْبَةَ الْمُطِيعِ لِلَّهِ.وَلَبِسَ السَّوَادَ وَعَادَ إِلَى دَارِهِ ، فَقَاتَلَهُ جَعْفَرُ بْنُ فَلَاحٍ وَمَنْ مَعَهُ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَصَبَرَ أَهْلُ دِمَشْقَ ، ثُمَّ افْتَرَقُوا آخِرَ النَّهَارِ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ تَزَاحَفَ الْفَرِيقَانِ وَاقْتَتَلُوا وَنَشَبَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا ، وَكَثُرَ الْقَتْلَى مِنَ الْجَانِبَيْنِ وَدَامَ الْقِتَالُ ، فَعَادَ عَسْكَرُ دِمَشْقَ مُنْهَزِمِينَ وَالشَّرِيفُ بْنُ أَبِي يَعْلَى مُقِيمٌ عَلَى بَابِ الْبَلَدِ يُحَرِّضُ النَّاسَ عَلَى الْقِتَالِ ، وَيَأْمُرُهُمْ بِالصَّبْرِ.وَوَاصَلَ الْمَغَارِبَةُ الْحَمَلَاتِ عَلَى الدَّمَاشِقَةِ حَتَّى أَلْجَئُوهُمْ إِلَى بَابِ الْبَلَدِ ، وَوَصَلَ الْمَغَارِبَةُ إِلَى قَصْرِ حَجَّاجٍ ، وَنَهَبُوا مَا وَجَدُوا ، فَلَمَّا رَأَى ابْنُ أَبِي يَعْلَى الْهَاشِمِيَّ وَالْأَحْدَاثَ مَا لَقِيَ النَّاسُ مِنَ الْمَغَارِبَةِ خَرَجُوا مِنَ الْبِلَادِ لَيْلًا ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ حَيَارَى ، فَدَخَلَ الشَّرِيفُ الْجَعْفَرِيُّ ، وَكَانَ خَرَجَ مِنَ الْبَلَدِ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ فَلَاحٍ فِي الصُّلْحِ ، فَأَعَادَهُ وَأَمَرَهُ بِتَسْكِينِ النَّاسِ وَتَطْيِيبِ قُلُوبِهِمْ ، وَوَعْدِهِمْ بِالْجَمِيلِ ، فَفَعَلَ مَا أَمَرَهُ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى الْجُنْدِ وَالْعَامَّةِ بِلُزُومِ مَنَازِلِهِمْ ، وَأَنْ لَا يَخْرُجُوا مِنْهَا إِلَى أَنْ يَدْخُلَ جَعْفَرُ بْنُ فَلَاحٍ الْبَلَدَ وَيَطُوفَ فِيهِ وَيَعُودَ إِلَى عَسْكَرِهِ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ.فَلَمَّا دَخَلَ الْمَغَارِبَةُ الْبَلَدَ عَاثُوا فِيهِ ، وَنَهَبُوا قُطْرًا مِنْهُ ، فَثَارَ النَّاسُ ، وَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ ، وَوَضَعُوا السَّيْفَ فِيهِمْ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ جَمَاعَةً ، وَشَرَعُوا فِي تَحْصِينِ الْبَلَدِ وَحَفْرِ الْخَنَادِقِ ، وَعَزَمُوا عَلَى اصْطِلَاءِ الْحَرْبِ ، وَبَذْلِ النُّفُوسِ فِي الْحِفْظِ ، وَأَحْجَمَتِ الْمَغَارِبَةُ عَنْهُمْ ، وَمَشَى النَّاسُ إِلَى الشَّرِيفِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي يَعْلَى ، فَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَسْعَى فِيمَا يَعُودُ بِصَلَاحِ الْحَالِ ، فَفَعَلَ ، وَدَبَّرَ الْحَالَ إِلَى أَنْ تَقَرَّرَ الصُّلْحُ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِسِتَّ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ الْحَرِيقُ قَدْ أَتَى عَلَى عِدَّةٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الدُّورِ وَقْتَ الْحَرْبِ.وَدَخَلَ صَاحِبُ الشُّرْطَةِ جَعْفَرُ بْنُ فَلَاحٍ الْبَلَدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَصَلَّى مَعَ النَّاسِ وَسَكَّنَهُمْ وَطَيَّبَ قُلُوبَهُمْ ، وَقَبَضَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَحْدَاثِ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَقَبَضَ عَلَى الشَّرِيفِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي يَعْلَى الْهَاشِمِيِّ الْمَذْكُورِ ، وَسَيَّرَهُ إِلَى مِصْرَ ، وَاسْتَقَرَّ أَمْرُ دِمَشْقَ. وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُؤَخَّرَ مِلْكُ ابْنِ الْفَلَاحِ دِمَشْقَ إِلَى آخِرِ السَّنَةِ ، وَإِنَّمَا قَدَّمْتُهُ لِيَتَّصِلَ خَبَرُ الْمَغَارِبَةِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ.ذِكْرُ اخْتِلَافِ أَوْلَادِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ وَمَوْتِ أَبِيهِمْ كَانَ سَبَبُ اخْتِلَافِ أَوْلَادِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ أَنَّهُ كَانَ أَقْطَعَ وَلَدَهُ حَمْدَانَ مَدِينَةَ الرُّحْبَةِ وَمَارِدِينَ وَغَيْرَهُمَا.وَكَانَ أَبُو تَغْلِبَ وَأَبُو الْبَرَكَاتِ وَأُخْتُهُمَا جُمْلَةَ أَوْلَادِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ مِنْ زَوْجَتِهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ أَحْمَدَ الْكُرْدِيَّةِ ، وَكَانَتْ مَالِكَةَ أَمْرِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، فَاتَّفَقَتْ مَعَ ابْنِهَا أَبِي تَغْلِبَ ، وَقَبَضُوا عَلَى نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، فَابْتَدَأَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ يُدَبِّرُ فِي الْقَبْضِ عَلَيْهِمْ ، فَكَاتَبَ ابْنَهُ حَمْدَانَ يَسْتَدْعِيهِ لِيَتَقَوَّى بِهِ عَلَيْهِمْ ، فَظَفِرَ أَوْلَادُهُ بِالْكِتَابِ ، فَلَمْ يُنْفِذُوهُ ، وَخَافُوا أَبَاهُمْ وَحَذِرُوهُ ، فَحَمَلَهُمْ خَوْفُهُ عَلَى نَقْلِهِ إِلَى قَلْعَةِ كَوَاشِي.وَاتَّصَلَ ذَلِكَ بِحَمْدَانَ ، فَعَظُمَ عَلَيْهِ ، وَصَارَ عَدُوًّا مُبَايِنًا ، وَكَانَ أَشْجَعَهُمْ ، وَكَانَ قَدْ سَارَ عِنْدَ وَفَاةِ عَمِّهِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ مِنَ الرُّحْبَةِ إِلَى الرَّقَّةِ فَمَلَكَهَا ، وَسَارَ إِلَى نَصِيبِينَ وَجَمَعَ مَنْ أَطَاعَهُ ، وَطَالَبَ إِخْوَتَهُ بِالْإِفْرَاجِ عَنْ وَالِدِهِ وَإِعَادَتِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَسَارَ أَبُو تَغْلِبَ ، إِلَيْهِ لِيُحَارِبَهُ ، فَانْهَزَمَ حَمْدَانُ قَبْلَ اللِّقَاءِ إِلَى الرَّقَّةِ ، فَنَازَلَهُ أَبُو تَغْلِبَ وَحَصَرَهُ ثُمَّ اصْطَلَحَا عَلَى دَخَنٍ ، وَعَادَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى مَوْضِعِهِ.وَعَاشَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْهَيْجَاءِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدَانَ بْنِ حَمْدُونَ التَّغْلِبِيُّ شُهُورًا ، وَمَاتَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَدُفِنَ بِتَلِّ تَوْبَةَ ، شَرْقِيَّ الْمَوْصِلِ ، وَقَبَضَ أَبُو تَغْلِبَ أَمْلَاكَ أَخِيهِ حَمْدَانَ ، وَسَيَّرَ أَخَاهُ أَبَا الْبَرَكَاتِ إِلَى حَمْدَانَ ، فَلَمَّا قَرُبَ الرُّحْبَةَ اسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِ حَمْدَانَ ، فَانْهَزَمَ حِينَئِذٍ ، وَقَصَدَ الْعِرَاقَ مُسْتَأْمِنًا إِلَى بَخْتِيَارَ ، فَوَصَلَ بَغْدَاذَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَأَكْرَمَهُ بَخْتِيَارُ وَعَظَّمَهُ ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ هَدِيَّةً كَثِيرَةً جَلِيلَةَ الْمِقْدَارِ وَمَعَهَا كُلُّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِثْلُهُ ، وَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي تَغْلِبَ النَّقِيبَ أَبَا أَحْمَدَ الْمُوسَوِيَّ وَالِدَ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ فِي الصُّلْحِ مَعَ أَخِيهِ ، فَاصْطَلَحَا ، وَعَادَ حَمْدَانُ إِلَى الرُّحْبَةِ ، وَكَانَ مَسِيرُهُ مِنْ بَغْدَاذَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو الْبَرَكَاتِ بِمَسِيرِ أَخِيهِ حَمْدَانَ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ فَارَقَ الرُّحْبَةَ ، وَدَخَلَهَا حَمْدَانُ ، وَرَاسَلَهُ أَخُوهُ أَبُو تَغْلِبَ فِي الِاجْتِمَاعِ بِهِ ، فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ ، فَعَادَ أَبُو تَغْلِبَ وَسَيَّرَ إِلَيْهِ أَخَاهُ أَبَا الْبَرَكَاتِ ، فَلَمَّا عَلِمَ حَمْدَانُ بِذَلِكَ فَارَقَهَا ، فَاسْتَوْلَى أَبُو الْبَرَكَاتِ عَلَيْهَا ، وَاسْتَنَابَ بِهَا مَنْ يَحْفَظُهَا فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْجَيْشِ ، وَعَادَ إِلَى الرَّقَّةِ ثُمَّ إِلَى عَرَبَانَ.فَلَمَّا سَمِعَ حَمْدَانُ بِعَوْدَتِهِ عَنْهَا ، وَكَانَ بِبَرِّيَّةِ تَدْمُرَ ، عَادَ إِلَيْهَا فِي شَعْبَانَ ، فَوَافَاهَا لَيْلًا ، فَأَصْعَدَ جَمَاعَةً مِنْ غِلْمَانِهِ السُّورَ ، وَفَتَحُوا لَهُ بَابَ الْبَلَدِ فَدَخَلَهُ ، وَلَا يَعْلَمُ مَنْ بِهِ مِنَ الْجُنْدِ ، فَلَمَّا صَارَ فِي الْبَلَدِ وَأَصْبَحَ أَمَرَ بِضَرْبِ الْبُوقِ ، فَبَادَرَ مَنْ بِالرُّحْبَةِ مِنَ الْجُنْدِ مُنْقَطِعِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ صَوْتَ الْبُوقِ مِنْ خَارِجِ الْبَلَدِ ، وَكُلُّ مَنْ وَصَلَ إِلَى حَمْدَانَ أَسَرَهُ ، حَتَّى أَخَذَهُمْ جَمِيعَهُمْ ، فَقَتَلَ بَعْضًا وَاسْتَبْقَى بَعْضًا ، فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو الْبَرَكَاتِ بِذَلِكَ عَادَ إِلَى قَرْقِيسِيَّا ، وَاجْتَمَعَ هُوَ وَأَخُوهُ حَمْدَانُ مُنْفَرِدَيْنِ ، فَلَمْ يَسْتَقِرَّ بَيْنَهُمَا قَاعِدَةٌ ، فَقَالَ أَبُو الْبَرَكَاتِ لِحَمْدَانَ أَنَا أَعُودُ إِلَى عَرَبَانَ ، وَأَرْسِلْ إِلَى أَبِي تَغْلِبَ يُجِيبُ إِلَى مَا تَلْتَمِسُهُ مِنْهُ.فَسَارَ عَائِدًا إِلَى عَرَبَانَ ، وَعَبَرَ حَمْدَانُ الْفُرَاتَ فِي مَخَاضَةٍ بِهَا ، وَسَارَ فِي أَثَرِ أَخِيهِ أَبِي الْبَرَكَاتِ ، فَأَدْرَكَهُ بِعَرَبَانَ وَهُوَ آمِنٌ ، فَلَقِيَهُمْ أَبُو الْبَرَكَاتِ بِغَيْرِ جُنَّةٍ وَلَا سِلَاحٍ ، فَقَاتَلَهُمْ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ ، وَحَمَلَ أَبُو الْبَرَكَاتِ بِنَفْسِهِ فِي وَسَطِهِمْ ، فَضَرَبَهُ أَخُوهُ حَمْدَانُ فَأَلْقَاهُ وَأَخَذَهُ أَسِيرًا ، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ ، وَهُوَ ثَالِثُ رَمَضَانَ ، فَحُمِلَ فِي تَابُوتٍ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَدُفِنَ بِتَلِّ تَوْبَةَ عِنْدَ أَبِيهِ.وَتَجَهَّزَ أَبُو تَغْلِبَ لِيَسِيرَ إِلَى حَمْدَانَ ، وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَخَاهُ أَبَا الْفَوَارِسِ مُحَمَّدًا إِلَى نَصِيبِينَ ، فَلَمَّا وَصَلَهَا كَاتَبَ أَخَاهُ حَمْدَانَ وَمَالَأَ عَلَى أَبِي تَغْلِبَ ، فَبَلَغَ الْخَبَرُ أَبَا تَغْلِبَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَسْتَدْعِيهِ لِيَزِيدَ فِي إِقْطَاعِهِ ، فَلَمَّا حَضَرَ عِنْدَهُ قَبَضَ عَلَيْهِ وَسَيَّرَهُ إِلَى قَلْعَةِ كَوَاشِي ، مِنْ بَلَدِ الْمَوْصِلِ ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُ ، وَكَانَتْ قِيمَتُهَا خَمْسَمِائَةِ أَلْفَ دِينَارٍ.فَلَمَّا قَبَضَ عَلَيْهِ سَارَ إِبْرَاهِيمُ وَالْحُسَيْنُ ابْنَا نَاصِرِ الدَّوْلَةِ إِلَى أَخِيهِمَا حَمْدَانَ ، خَوْفًا مِنْ أَبِي تَغْلِبَ ، فَاجْتَمَعَا مَعَهُ ، وَسَارُوا إِلَى سِنْجَارَ ، فَسَارَ أَبُو تَغْلِبَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمَوْصِلِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ بِلِقَائِهِ طَاقَةٌ ، فَرَاسَلَهُ أَخُوهُ إِبْرَاهِيمُ وَالْحُسَيْنُ يَطْلُبَانِ الْعَوْدَ إِلَيْهِ خَدِيعَةً مِنْهُمَا لِيُؤَمِّنَهُمَا وَيَفْتِكَا بِهِ ، فَأَجَابَهُمَا إِلَى ذَلِكَ ، فَهَرَبَا إِلَيْهِ ، وَتَبِعَهُمَا كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِ حَمْدَانَ ، فَعَادَ حَمْدَانُ حِينَئِذٍ مِنْ سِنْجَارَ إِلَى عَرَبَانَ ، وَاسْتَأْمَنَ إِلَى أَبِي تَغْلِبَ ، صَاحِبِ حَمْدَانَ وَأَطْلَعَهُ حِيلَةَ أَخَوَيْهِ عَلَيْهِ ، وَهُمَا إِبْرَاهِيمُ وَالْحُسَيْنُ ، فَأَرَادَ الْقَبْضَ عَلَيْهِمَا فَحَذِرَا وَهَرَبَا.ثُمَّ إِنَّ غُلَامَ حَمْدَانَ وَنَائِبَهُ بِالرُّحْبَةِ أَخَذَ جَمِيعَ مَالِهِ وَهَرَبَ إِلَى أَصْحَابِ أَبِي تَغْلِبَ بَحَرَّانَ ، وَكَانُوا مَعَ صَاحِبِهِ سَلَامَةَ الْبَرْقَعِيدِيِّ ، فَاضْطَرَّ حَمْدَانُ إِلَى الْعَوْدِ إِلَى الرُّحْبَةِ ، وَسَارَ أَبُو تَغْلِبَ إِلَى قَرْقِيسِيَّا ، وَأَرْسَلَ سَرِيَّةً عَبَرُوا الْفُرَاتَ وَكَبَسُوا حَمْدَانَ بِالرُّحْبَةِ ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ ، فَنَجَا هَارِبًا ، وَاسْتَوْلَى أَبُو تَغْلِبَ عَلَيْهَا ، وَعَمَّرَ سُورَهَا ، وَعَادَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَدَخَلَهَا فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. وَسَارَ حَمْدَانُ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَدَخَلَهَا آخِرَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ مُلْتَجِئًا إِلَى بَخْتِيَارَ وَمَعَهُ أَخُوهُ إِبْرَاهِيمُ ، وَكَانَ أَخُوهُمَا الْحُسَيْنُ قَدْ عَادَ إِلَى أَخِيهِ أَبِي تَغْلِبَ مُسْتَأْمِنًا ، وَحَمَلَ بَخْتِيَارُ إِلَى حَمْدَانَ وَأَخِيهِ إِبْرَاهِيمَ هَدَايَا جَلِيلَةَ الْمِقْدَارِ ، وَأَكْرَمَهُمَا وَاحْتَرَمَهُمَا.ذِكْرُ مَا فَعَلَهُ الرُّومُ بِالشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ دَخَلَ مَلِكُ الرُّومِ الشَّامَ ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ أَحَدٌ ، وَلَا قَاتَلَهُ ، فَسَارَ فِي الْبِلَادِ إِلَى طَرَابُلُسَ ، وَأَحْرَقَ رَبَضَهَا ، وَحَصَرَ قَلْعَةَ عِرْقَةَ ، فَمَلَكَهَا وَنَهَبَهَا وَسَبَى مَنْ فِيهَا.وَكَانَ صَاحِبُ طَرَابُلُسَ قَدْ أَخْرَجَهُ أَهْلُهَا لِشِدَّةِ ظُلْمِهِ ، فَقَصَدَ عِرْقَةَ ، فَأَخَذَهُ الرُّومُ وَجَمِيعَ مَالِهِ ، وَكَانَ كَثِيرًا.وَقَصَدَ مَلِكُ الرُّومِ حِمْصَ ، وَكَانَ أَهْلُهَا قَدِ انْتَقَلُوا عَنْهَا وَأَخْلَوْهَا فَأَحْرَقَهَا مَلِكُ الرُّومِ وَرَجَعَ إِلَى بُلْدَانِ السَّاحِلِ فَأَتَى عَلَيْهَا نَهْبًا وَتَخْرِيبًا ، وَمَلَكَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِنْبَرًا ، فَأَمَّا الْقِرَى فَكَثِيرٌ لَا يُحْصَى ، وَأَقَامَ فِي الشَّامِ شَهْرَيْنِ يَقْصِدُ أَيَّ مَوْضِعٍ شَاءَ ، وَلَا يَمْنَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَنَّ بَعْضَ الْعَرَبِ كَانُوا يُغِيرُونَ عَلَى أَطْرَافِهِمْ ، فَأَتَاهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ وَتَنَصَّرُوا وَكَادُوا الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ ، فَامْتَنَعَتِ الْعَرَبُ مِنْ قَصْدِهِمْ ، وَصَارَ لِلرُّومِ الْهَيْبَةُ الْعَظِيمَةُ فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَرَادَ أَنْ يَحْضُرَ أَنْطَاكِيَةَ وَحَلَبَ ، فَبَلَغَهُ أَنَّ أَهْلَهَا قَدْ أَعَدُّوا الذَّخَائِرَ وَالسِّلَاحَ وَمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ، فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ وَعَادَ وَمَعَهُ مِنَ السَّبْيِ نَحْوُ مِائَةِ أَلْفَ رَأْسٍ ، وَلَمْ يَأْخُذْ إِلَّا الصِّبْيَانَ ، وَالصَّبَايَا ، وَالشُّبَّانَ ، فَأَمَّا الْكُهُولُ ، وَالشُّيُوخُ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَتَلَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَطْلَقَهُ.وَكَانَ بِحَلَبَ قَرْغَوَيْهِ ، غُلَامُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ ، وَقَدْ أَخْرَجَ أَبَا الْمَعَالِي بْنَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ مِنْهَا ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ ، فَصَانَعَ الرُّومَ عَلَيْهَا ، فَعَادُوا إِلَى بِلَادِهِمْ ، فَقِيلَ كَانَ سَبَبُ عَوْدِهِمْ كَثْرَةَ الْأَمْرَاضِ ، وَالْمَوْتِ ، وَقِيلَ ضَجِرُوا مِنْ طُولِ السَّفَرِ وَالْغَيْبَةِ عَنْ بِلَادِهِمْ ، فَعَادُوا عَلَى عَزْمِ الْعَوْدِ.وَسَيَّرَ مَلِكُ الرُّومِ سَرِيَّةً كَثِيرَةً إِلَى الْجَزِيرَةِ ، فَبَلَغُوا كَفْرَ تُوثَا ، وَنَهَبُوا وَسَبَوْا وَأَحْرَقُوا وَعَادُوا ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَبِي تَغْلِبَ بْنِ حَمْدَانَ فِي ذَلِكَ نَكِيرٌ وَلَا أَثَرٌ.ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ قَرْغَوَيْهِ عَلَى حَلَبَ وَإِخْرَاجِ أَبِي الْمَعَالِي بْنِ حَمْدَانَ مِنْهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضًا اسْتَوْلَى قَرْغَوَيْهِ غُلَامُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ عَلَى حَلَبَ ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا أَبَا الْمَعَالِي شَرِيفَ بْنَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ ، فَسَارَ أَبُو الْمَعَالِي إِلَى حَرَّانَ ، فَمَنَعَهُ أَهْلُهَا مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهِمْ ، فَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَأْذَنُوا لِأَصْحَابِهِ أَنْ يَدْخُلُوا فَيَتَزَوَّدَا مِنْهَا يَوْمَيْنِ فَأَذِنُوا لَهُمْ ، وَدَخَلَ إِلَى وَالِدَتِهِ بِمَيَّافَارِقِينَ ، وَهِيَ ابْنَةُ سَعِيدِ بْنِ حَمْدَانَ ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَكْثَرُ أَصْحَابِهِ وَمَضَوْا إِلَى أَبِي تَغْلِبَ بْنِ حَمْدَانَ.فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى وَالِدَتِهِ بَلَغَهَا أَنَّ غِلْمَانَهُ وَكُتَّابَهُ قَدْ عَمِلُوا عَلَى الْقَبْضِ عَلَيْهَا وَحَبْسِهَا ، كَمَا فَعَلَ أَبُو تَغْلِبَ بِأَبِيهِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، فَأَغْلَقَتْ أَبْوَابَ الْمَدِينَةِ وَمَنَعَتِ ابْنَهَا مِنْ دُخُولِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، حَتَّى أَبْعَدَتْ مَنْ تُحِبُّ إِبْعَادَهُ ، وَاسْتَوْثَقَتْ لِنَفْسِهَا ، وَأَذِنَتْ لَهُ وَلِمَنْ بَقِيَ مَعَهُ فِي دُخُولِ الْبَلَدِ وَأَطْلَقَتْ لَهُمُ الْأَرْزَاقَ ، وَبَقِيَتْ حَرَّانُ لَا أَمِيرَ عَلَيْهَا ، وَلَكِنَّ الْخُطْبَةَ فِيهَا لِأَبِي الْمَعَالِي بْنِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، وَفِيهَا جَمَاعَةٌ مِنْ مُقَدَّمِي أَهْلِهَا يَحْكُمُونَ فِيهَا ، وَيُصْلِحُونَ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ.ثُمَّ إِنَّ أَبَا الْمَعَالِي عَبَرَ الْفُرَاتَ إِلَى الشَّامِ ، وَقَصَدَ حَمَاةَ فَأَقَامَ بِهَا ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.ذِكْرُ خُرُوجِ أَبِي خَزَرٍ بِإِفْرِيقِيَّةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ بِإِفْرِيقِيَّةَ أَبُو خَزَرٍ الزَّنَاتِيُّ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جُمُوعٌ عَظِيمَةٌ مِنَ الْبَرْبَرِ وَالنَّكَارِ ، فَخَرَجَ الْمُعِزُّ إِلَيْهِ بِنَفْسِهِ يُرِيدُ قِتَالَهُ ، حَتَّى بَلَغَ مَدِينَةَ بَاغَايَةَ ، وَكَانَ أَبُو خَزَرٍ قَرِيبًا مِنْهَا ، وَهُوَ يُقَاتِلُ نَائِبَ الْمُعِزِّ عَلَيْهَا ، فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو خَزَرٍ بِقُرْبِ الْمُعِزِّ تَفَرَّقَتْ عَنْهُ جُمُوعُهُ ، وَسَارَ الْمُعِزُّ فِي طَلَبِهِ فَسَلَكَ الْأَوْعَارَ ، فَعَادَ الْمُعِزُّ وَأَمَرَ أَبَا الْفُتُوحِ يُوسُفَ بُلُكِّينَ بْنَ زِيرِي بِالْمَسِيرِ فِي طَلَبِهِ أَيْنَ سَلَكَ ، فَسَارَ فِي أَثَرِهِ حَتَّى خَفِيَ عَلَيْهِ خَبَرُهُ ، وَوَصَلَ الْمُعِزُّ إِلَى مُسْتَقَرِّهِ بِالْمَنْصُورِيَّةِ.فَلَمَّا كَانَ رَبِيعٌ الْآخِرُ مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَصَلَ أَبُو خَزَرٍ الْخَارِجِيُّ إِلَى الْمُعِزِّ مُسْتَأْمِنًا ، وَيَطْلُبُ الدُّخُولَ فِي طَاعَتِهِ ، فَقَبِلَ مِنْهُ الْمُعِزُّ ذَلِكَ وَفَرِحَ بِهِ ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ رِزْقًا كَثِيرًا.وَوَصَلَهُ ، عُقَيْبَ هَذِهِ الْحَالِ ، كَتَبَ جَوْهَرٌ بِإِقَامَةِ الدَّعْوَةِ لَهُ فِي مِصْرَ وَالشَّامِ ، وَيَدْعُوهُ إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْهِ ، فَفَرِحَ الْمُعِزُّ فَرَحًا شَدِيدًا أَظْهَرَهُ لِلنَّاسِ كَافَّةً وَمَدَحَهُ الشُّعَرَاءُ ، فَمِمَّنْ ذَكَرَ ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ هَانِئٍ الْأَنْدَلُسِيُّ فَقَالَ يَقُولُ بَنُو الْعَبَّاسِ قَدْ فُتِحَتْ مِصْرُ فَقُلْ لِبَنِي الْعَبَّاسِ قَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ ذِكْرُ قَصْدِ أَبِي الْبَرَكَاتِ بْنِ حَمْدَانَ مَيَّافَارِقِينَ وَانْهِزَامِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، سَارَ أَبُو الْبَرَكَاتِ بْنُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ فِي عَسْكَرِهِ إِلَى مَيَّافَارِقِينَ ، فَأَغْلَقَتْ زَوْجَةُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ أَبْوَابَ الْبَلَدِ فِي وَجْهِهِ ، وَمَنَعَتْهُ مِنْ دُخُولِهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا يَقُولُ إِنَّنِي مَا قَصَدْتُ إِلَّا الْغُزَاةَ ، وَيَطْلُبُ مِنْهَا مَا يَسْتَعِينُ بِهِ ، فَاسْتَقَرَّ بَيْنَهُمَا أَنْ تَحْمِلَ إِلَيْهِ مِائَتَيْ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَتُسَلِّمَ إِلَيْهِ قَرَايًا كَانَتْ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ بِالْقُرْبِ مِنْ نَصِيبِينَ.ثُمَّ ظَهَرَ لَهَا أَنَّهُ يَعْمَلُ سِرًّا فِي دُخُولِ الْبَلَدِ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى مَنْ مَعَهُ مِنْ غِلْمَانِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ تَقُولُ لَهُمْ مَا مِنْ حَقِّ مَوْلَاكُمْ أَنْ تَفْعَلُوا بِحُرَمِهِ وَأَوْلَادِهِ هَذَا ، فَنَكَلُوا عَنِ الْقِتَالِ وَالْقَصْدِ ، ثُمَّ جَمَعَتْ رَجَّالَةً وَكَبَسَتْ أَبَا الْبَرَكَاتِ لَيْلًا ، فَانْهَزَمَ وَنُهِبَ سَوَادُهُ وَعَسْكَرُهُ ، وَقُتِلَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَغِلْمَانِهِ ، فَرَاسَلَهَا إِنَّنِي لَمْ أَقْصِدْ لِسُوءٍ ، فَرَدَّتْ رَدًّا جَمِيلًا ، وَأَعَادَتْ إِلَيْهِ بَعْضَ مَا نُهِبَ مِنْهُ ، وَحَمَلَتْ إِلَيْهِ مِائَةَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَأَطْلَقَتِ الْأَسْرَى ، فَعَادَ عَنْهَا.وَكَانَ ابْنُهَا أَبُو الْمَعَالِي بْنُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ عَلَى حَلَبَ يُقَاتِلُ قَرْغَوَيْهِ غُلَامَ أَبِيهِ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، عَاشِرَ الْمُحَرَّمِ ، عَمِلَ أَهْلُ بَغْدَاذَ مَا قَدْ صَارَ عَادَةً مِنْ إِغْلَاقِ الْأَسْوَاقِ ، وَتَعْطِيلِ الْمَعَاشِ ، وَإِظْهَارِ النَّوْحِ وَالْمَأْتَمِ ، بِسَبَبِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا.وَفِيهَا أَرْسَلَ الْقَرَامِطَةُ رُسُلًا إِلَى بَنِي نُمَيْرٍ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ يَدْعُونَهُمْ إِلَى طَاعَتِهِمْ ، فَأَجَابُوا إِلَى ذَلِكَ ، وَأُخِذَتْ عَلَيْهِمُ الْأَيْمَانُ بِالطَّاعَةِ ، وَأَرْسَلَ أَبُو تَغْلِبَ بْنُ حَمْدَانَ إِلَى الْقَرَامِطَةِ بِهَجَرَ هَدَايَا جَمِيلَةً قِيمَتُهَا خَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.وَفِيهَا طَلَبَ سَابُورُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ الْقَرْمَطِيُّ مِنْ أَعْمَامِهِ أَنْ يُسَلِّمُوا الْأَمِيرَ إِلَيْهِ وَالْجَيْشَ ، وَذَكَرَ أَنَّ أَبَاهُ عَهِدَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ ، فَحَبَسُوهُ فِي دَارِهِ ، وَوَكَّلُوا بِهِ ، ثُمَّ أُخْرِجَ مَيِّتًا فِي نِصْفِ رَمَضَانَ ، فَدُفِنَ وَمُنِعَ أَهْلُهُ مِنَ الْبُكَاءِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أُذِنَ لَهُمْ بَعْدَ أُسْبُوعٍ أَنْ يَعْمَلُوا مَا يُرِيدُونَ.وَفِيهَا ، لَيْلَةَ الْخَمِيسِ رَابِعَ عَشَرَ رَجَبٍ ، انْخَسَفَ الْقَمَرُ جَمِيعُهُ ، وَغَابَ مُنْخَسِفًا.وَفِيهَا فِي شَعْبَانَ ، وَقَعَتْ حَرْبٌ بَيْنَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الدَّاعِي الْعَلَوِيِّ وَبَيْنَ عَلَوِيٍّ آخَرَ يُعْرَفُ بِأُمَيْرَكْ ، وَهُوَ أَبُو جَعْفَرٍ الثَّائِرُ فِي اللَّهِ ، قُتِلَ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الدَّيْلَمِ وَالْجِيلِ ، وَأُسِرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الدَّاعِي ، وَسُجِنَ فِي قَلْعَةٍ ، ثُمَّ أُطْلِقَ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَعَادَ إِلَى رِئَاسَتِهِ ، وَصَارَ أَبُو جَعْفَرٍ صَاحِبَ جَيْشِهِ.وَفِيهَا قَبَضَ بَخْتِيَارُ عَلَى وَزِيرِهِ أَبِي الْفَضْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَعَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِهِ ، وَقَبَضَ أَمْوَالَهُمْ وَأَمْلَاكَهُمْ ، وَاسْتَوْزَرَ أَبَا الْفَرَجِ مُحَمَّدَ بْنَ الْعَبَّاسِ ، ثُمَّ عَزَلَ أَبَا الْفَرَجِ وَأَعَادَ أَبَا الْفَضْلِ.وَفِيهَا اشْتَدَّ الْغَلَاءُ بِالْعِرَاقِ ، وَاضْطَرَبَ النَّاسُ ، فَسَعَّرَ السُّلْطَانُ الطَّعَامَ ، فَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ ، فَدَعَتْهُ الضَّرُورَةُ إِلَى إِزَالَةِ التَّسْعِيرِ ، فَسَهَّلَ الْأَمْرَ ، وَخَرَجَ النَّاسُ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى الْمَوْصِلِ وَالشَّامِ وَخُرَاسَانَ مِنَ الْغَلَاءِ.وَفِيهَا نُفِيَ شِيرَزَادُ ، وَكَانَ قَدْ غُلِبَ عَلَى أَمْرِ بَخْتِيَارَ ، وَصَارَ يَحْكُمُ عَلَى الْوَزِيرِ وَالْجُنْدِ وَغَيْرِهِمْ ، فَأَوْحَشَ الْأَجْنَادَ ، وَعَزَمَ الْأَتْرَاكُ عَلَى قَتْلِهِ ، فَمَنَعَهُمْ سُبُكْتِكِينُ وَقَالَ لَهُمْ خَوِّفُوهُ لِيَهْرَبَ ، فَهَرَبَ مِنْ بَغْدَاذَ ، وَعَهِدَ إِلَى بَخْتِيَارَ لِيَحْفَظَ مَالَهُ وَمُلْكَهُ ، فَلَمَّا سَارَ عَنْ بَغْدَاذَ قَبَضَ بَخْتِيَارُ أَمْوَالَهُ وَأَمْلَاكَهُ وَدُورَهُ وَكَانَ هَذَا مِمَّا يُعَابُ بِهِ بَخْتِيَارُ.ثُمَّ إِنَّ شِيرَزَادَ سَارَ إِلَى رُكْنِ الدَّوْلَةِ لِيُصْلِحَ أَمْرَهُ مَعَ بَخْتِيَارَ ، فَتُوُفِّيَ بِالرَّيِّ عِنْدَ وُصُولِهِ إِلَيْهَا. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ أَبُو الْفَتْحِ النَّحْوِيُّ ، الْمَعْرُوفُ بِجَخْجَخَ.وَفِيهَا مَاتَ عِيسَى الطَّبِيبُ الَّذِي كَانَ طَبِيبَ الْقَاهِرِ بِاللَّهِ ، وَالْحَاكِمِ فِي دَوْلَتِهِ ، وَكَانَ قَدْ عَمِيَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنَتَيْنِ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِيِنَ وَمِائَتَيْنِ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ مُلْكِ الرُّومِ مَدِينَةَ أَنْطَاكِيَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي الْمُحَرَّمِ ، مَلَكَ الرُّومُ مَدِينَةَ أَنْطَاكِيَةَ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُمْ حَصَرُوا حِصْنًا بِالْقُرْبِ مِنْ أَنْطَاكِيَةَ يُقَالُ لَهُ حِصْنُ لُوقَا ، وَأَنَّهُمْ وَافَقُوا أَهْلَهُ ، وَهُمْ نَصَارَى ، عَلَى أَنْ يَرْتَحِلُوا مِنْهُ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ ، وَيُظْهِرُوا أَنَّهُمْ إِنَّمَا انْتَقَلُوا مِنْهُ خَوْفًا مِنَ الرُّومِ ، فَإِذَا صَارُوا بِأَنْطَاكِيَةَ أَعَانُوهُمْ عَلَى فَتْحِهَا ، وَانْصَرَفَ الرُّومُ عَنْهُمْ بَعْدَ مُوَافَقَتِهِمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَانْتَقَلَ أَهْلُ الْحِصْنِ وَنَزَلُوا بِأَنْطَاكِيَةَ بِالْقُرْبِ مِنَ الْجَبَلِ الَّذِي بِهَا.فَلَمَّا كَانَ انْتِقَالُهُمْ بِشَهْرَيْنِ وَافَى الرُّومُ مَعَ أَخِي نَقْفُورَ الْمَلِكِ ، وَكَانُوا نَحْوَ أَرْبَعِينَ أَلْفَ رَجُلٍ ، فَأَحَاطُوا بِسُورِ أَنْطَاكِيَةَ ، وَصَعِدُوا الْجَبَلَ إِلَى النَّاحِيَةِ الَّتِي بِهَا أَهْلُ حِصْنِ لُوقَا ، فَلَمَّا رَآهُمْ أَهْلُ الْبَلَدِ قَدْ مَلَكُوا تِلْكَ النَّاحِيَةَ طَرَحُوا أَنْفُسَهُمْ مِنَ السُّورِ ، وَمَلَكَ الرُّومُ الْبَلَدَ ، وَوَضَعُوا فِي أَهْلِهِ السَّيْفَ ، ثُمَّ أَخْرَجُوا الْمَشَايِخَ ، وَالْعَجَائِزَ ، وَالْأَطْفَالَ مِنَ الْبَلَدِ ، وَقَالُوا لَهُمُ اذْهَبُوا حَيْثُ شِئْتُمْ ، فَأَخَذُوا الشَّبَابَ مِنَ الرِّجَالِ ، وَالنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ ، وَالصَّبَايَا ، فَحَمَلُوهُمْ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ سَبْيًا ، وَكَانُوا يَزِيدُونَ عَلَى أَلْفِ إِنْسَانٍ ، وَكَانَ حَصْرُهُمْ لَهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ.ذِكْرُ مُلْكِ الرُّومِ مَدِينَةَ حَلَبَ وَعَوْدِهِمْ عَنْهَا لَمَّا مَلَكَ الرُّومُ أَنْطَاكِيَةَ أَنْفَذُوا جَيْشًا كَثِيفًا إِلَى حَلَبَ ، وَكَانَ أَبُو الْمَعَالِي شَرِيفُ بْنُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ مُحَاصِرًا لَهَا ، وَبِهَا قَرْغَوَيْهِ السَّيْفِيُّ مُتَغَلِّبًا عَلَيْهَا.فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو الْمَعَالِي خَبَرَهُمْ فَارَقَ حَلَبَ وَقَصَدَ الْبَرِّيَّةَ لِيَبْعُدَ عَنْهُمْ ، وَحَصَرُوا الْبَلَدَ ، وَفِيهِ قَرْغَوَيْهِ وَأَهْلُ الْبَلَدِ قَدْ تَحَصَّنُوا بِالْقَلْعَةِ ، فَمَلَكَ الرُّومُ الْمَدِينَةَ ، وَحَصَرُوا الْقَلْعَةَ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ حَلَبَ ، وَتَوَسَّطُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قَرْغَوَيْهِ ، وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ ، فَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ بَيْنَهُمْ عَلَى هُدْنَةٍ مُؤَبَّدَةٍ عَلَى مَالٍ يَحْمِلُهُ قَرْغَوَيْهِ إِلَيْهِمْ ، وَأَنْ يَكُونَ لِلرُّومِ إِذَا أَرَادُوا الْغَزَاةَ أَنْ لَا يُمَكِّنَ قَرْغَوَيْهِ أَهْلَ الْقَرَايَا مِنَ الْجَلَاءِ عَنْهَا لِيَبْتَاعَ الرُّومُ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْهَا.وَكَانَ مَعَ حَلَبَ حَمَاةُ ، وَحِمْصُ ، وَكَفْرُ طَابَ ، وَالْمَعَرَّةُ ، وَأَفَامِيَةُ ، وَشَيْزَرُ ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنَ الْحُصُونِ وَالْقَرَايَا ، وَسَلَّمُوا الرَّهَائِنَ إِلَى الرُّومِ ، وَعَادُوا عَنْ حَلَبَ وَتَسَلَّمَهَا الْمُسْلِمُونَ.ذِكْرُ مُلْكِ الرُّومِ مَلَازْكَرْدَ وَفِيهَا أَرْسَلَ مَلِكُ الرُّومِ جَيْشًا إِلَى مَلَازْكَرْدَ مِنْ أَعْمَالِ أَرْمِينِيَّةَ ، فَحَصَرُوهَا ، وَضَيَّقُوا عَلَى مَنْ بِهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَمَلَكُوهَا عَنْوَةً وَقَهْرًا ، وَعَظُمَتْ شَوْكَتُهُمْ ، وَخَافَهُمُ الْمُسْلِمُونَ فِي أَقْطَارِ الْبِلَادِ ، وَصَارَتْ كُلُّهَا سَائِبَةً لَا تَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ يَقْصِدُونَ أَيُّهَا شَاءُوا.ذِكْرُ مَسِيرِ ابْنِ الْعَمِيدِ إِلَى حَسْنُوَيْهِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ جَهَّزَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ وَزِيرَهُ أَبَا الْفَضْلِ بْنَ الْعَمِيدِ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ ، وَسَيَّرَهُمْ إِلَى بَلَدِ حَسْنُوَيْهِ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ حَسْنُوَيْهِ بْنَ الْحَسَنِ الْكُرْدِيَّ كَانَ قَدْ قَوِيَ وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ لِاشْتِغَالِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ بِمَا هُوَ أَهَمُّ مِنْهُ ، وَلِأَنَّهُ كَانَ يُعِينُ الدَّيْلَمَ عَلَى جُيُوشِ خُرَاسَانَ إِذَا قَصَدَتْهُمْ ، فَكَانَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ يُرَاعِيهِ لِذَلِكَ وَيُغْضِي عَلَى مَا يَبْدُو مِنْهُ ، وَكَانَ يَتَعَرَّضُ إِلَى الْقَوَافِلِ وَغَيْرِهَا بِخِفَارَةٍ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رُكْنَ الدَّوْلَةِ ، فَسَكَتَ عَنْهُ.فَلَمَّا كَانَ الْآنَ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَهْلَانَ بْنِ مُسَافِرٍ خِلَافٌ أَدَّى إِلَى أَنْ قَصَدَهُ سَهْلَانُ وَحَارَبَهُ ، وَهَزَمَهُ حَسْنُوَيْهِ ، فَانْحَازَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ إِلَى مَكَانٍ اجْتَمَعُوا فِيهِ ، فَقَصْدَهُمْ حَسْنُوَيْهِ وَحَصَرَهُمْ فِيهِ ، ثُمَّ إِنَّهُ جَمَعَ مِنَ الشَّوْكِ وَالنَّبَاتِ وَغَيْرِهِ شَيْئًا كَثِيرًا ، وَفَرَّقَهُ فِي نَوَاحِي أَصْحَابِ سَهْلَانَ وَأَلْقَى فِيهِ النَّارَ ، وَكَانَ الزَّمَانُ صَيْفًا ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ حَتَّى كَادُوا يَهْلَكُونَ ، فَلَمَّا عَايَنُوا الْهَلَاكَ طَلَبُوا الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُمْ فَأَخَذَهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ.وَبَلَغَ ذَلِكَ رُكْنَ الدَّوْلَةِ فَلَمْ يَتَحَمَّلْ لَهُ ، فَحِينَئِذٍ أَمَرَ ابْنَ الْعَمِيدِ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِ ، فَتَجَهَّزَ وَسَارَ فِي الْمُحَرَّمِ وَمَعَهُ وَلَدُهُ أَبُو الْفَتْحِ ، وَكَانَ شَابًّا مَرِحًا ، قَدْ أَبْطَرَهُ الشَّبَابُ وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ ، وَكَانَ يَظْهَرُ مِنْهُ مَا يَغْضَبُ بِسَبَبِهِ وَالِدُهُ ، وَازْدَادَتْ عِلَّتُهُ ، وَكَانَ بِهِ نِقْرِسٌ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَمْرَاضِ.فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى هَمَذَانَ تُوُفِّيَ بِهَا ، وَقَامَ وَلَدُهُ مَقَامَهُ ، فَصَالَحَ حَسْنُوَيْهِ عَلَى مَالٍ أَخَذَهُ مِنْهُ ، وَعَادَ إِلَى الرَّيِّ إِلَى خِدْمَةِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ.وَكَانَ وَالِدُهُ يَقُولُ عِنْدَ مَوْتِهِ مَا قَتَلَنِي إِلَّا وَلَدِي ، وَمَا أَخَافُ عَلَى بَيْتِ الْعَمِيدِ أَنْ يُخَرَّبَ وَيَهْلَكُوا إِلَّا مِنْهُ.فَكَانَ عَلَى مَا ظَنَّ.وَكَانَ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ الْعَمِيدِ بْنِ مَحَاسِنِ الدُّنْيَا ، قَدِ اجْتَمَعَ فِيهِ مَا لَمْ يَجْتَمِعْ فِي غَيْرِهِ مِنْ حُسْنِ التَّدْبِيرِ ، وَسِيَاسَةِ الْمُلْكِ ، وَالْكِتَابَةِ الَّتِي أَتَى فِيهَا بِكُلِّ بَدِيعٍ.وَكَانَ عَالِمًا فِي عِدَّةِ فُنُونٍ مِنْهَا الْأَدَبُ ، فَإِنَّهُ كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِهِ ، وَمِنْهَا حِفْظُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ ، فَإِنَّهُ حَفِظَ مِنْهَا مَا لَمْ يَحْفَظْ غَيْرُهُ مِثْلَهُ ، وَمِنْهَا عُلُومُ الْأَوَائِلِ فَإِنَّهُ كَانَ مَاهِرًا فِيهَا مَعَ سَلَامَةِ اعْتِقَادٍ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْفَضَائِلِ ، وَمَعَ حُسْنِ خُلُقٍ وَلِينِ عِشْرَةٍ مَعَ أَصْحَابِهِ وَجُلَسَائِهِ ، وَشَجَاعَةٍ تَامَّةٍ ، وَمَعْرِفَةٍ بِأُمُورِ الْحَرْبِ وَالْمُحَاصَرَاتِ ، وَبِهِ تَخَرَّجَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ ، وَمِنْهُ تَعَلَّمَ سِيَاسَةَ الْمُلْكِ ، وَمَحَبَّةَ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ ، وَكَانَ عُمْرُ ابْنِ الْعَمِيدِ قَدْ زَادَ عَلَى سِتِّينَ سَنَةً يَسِيرًا ، وَكَانَتْ وِزَارَتُهُ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً.ذِكْرُ قَتْلِ نَقْفُورَ مَلِكِ الرُّومِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ نَقْفُورُ مَلِكُ الرُّومِ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ ، وَإِنَّمَا كَانَ دُمُسْتُقًا ، وَالدُّمُسْتُقُ عِنْدَهُمُ الَّذِي كَانَ يَلِي بِلَادَ الرُّومِ الَّتِي هِيَ شَرْقِيَّ خَلِيجِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَأَكْثَرُهَا الْيَوْمَ بِيَدِ أَوْلَادِ فَلْجَ أَرْسِلَانَ ، وَكَانَ كُلُّ مَنْ يَلِيهَا يُلَقَّبُ بِالدُّمُسْتُقِ ، وَكَانَ نَقْفُورُ هَذَا شَدِيدًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَهُوَ الَّذِي أَخَذَ حَلَبَ أَيَّامَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ فَعَظُمَ شَأْنُهُ عِنْدَ الرُّومِ ، وَهُوَ أَيْضًا الَّذِي فَتَحَ طَرَسُوسَ ، وَالْمِصِّيصَةَ ، وَأَذَنَةَ ، وَعَيْنَ زَرْبَةَ ، وَغَيْرَهَا.وَلَمْ يَكُنْ نَصْرَانِيَّ الْأَصْلِ ، وَإِنَّمَا هُوَ مَنْ وَلَدِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ مِنْ أَهْلِ طَرَسُوسَ يُعْرَفُ بِابْنِ الْفَقَّاسِ تَنَصَّرَ ، وَكَانَ ابْنُهُ هَذَا شَهْمًا ، شُجَاعًا ، حَسَنَ التَّدْبِيرِ لِمَا يَتَوَلَّاهُ.فَلَمَّا عَظُمَ أَمْرُهُ وَقَوِيَ شَأْنُهُ قَتَلَ الْمَلِكَ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ ، وَمَلَكَ الرُّومَ بَعْدَهُ.وَقَدْ ذَكَرْنَا هَذَا جَمِيعَهُ.فَلَمَّا مَلَكَ تَزَوَّجَ امْرَأَةَ الْمَلِكِ الْمَقْتُولِ عَلَى كُرْهٍ مِنْهَا ، وَكَانَ لَهَا مِنَ الْمَلِكِ الْمَقْتُولِ ابْنَانِ ، وَجَعَلَ نَقْفُورُ هِمَّتَهُ قَصْدَ بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَالِاسْتِيلَاءَ عَلَيْهَا ، وَتَمَّ لَهُ مَا أَرَادَ بِاشْتِغَالِ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ، فَدَوَّخَ الْبِلَادَ وَكَانَ قَدْ بَنَى أَمْرَهُ عَلَى أَنْ يَقْصِدَ سَوَادَ الْبِلَادِ فَيَنْهَبَهُ وَيُخَرِّبَهُ ، فَيُضْعِفَ الْبِلَادَ فَيَمْلِكُهَا ، وَغَلَبَ عَلَى ثُغُورِ الْجَزَرِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ وَسَبَى ، وَأَسَرَ مَا يَخْرُجُ عَنِ الْحَصْرِ ، وَهَابَهُ الْمُسْلِمُونَ هَيْبَةً عَظِيمَةً ، وَلَمْ يَشُكُّوا فِي أَنَّهُ يَمْلِكُ جَمِيعَ الشَّامِ ، وَمِصْرَ ، وَالْجَزِيرَةِ وَدِيَارَ بَكْرٍ لِخُلُوِّ الْجَمِيعِ مِنْ مَانِعٍ.فَلَمَّا اسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ أَتَاهُ أَمْرُ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبْ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ عَزَمَ عَلَى أَنْ يُخْصِيَ ابْنَيِ الْمَلِكِ الْمَقْتُولِ لِيَنْقَطِعَ نَسْلُهُمَا ، وَلَا يُعَارِضَ أَحَدٌ أَوْلَادَهُ فِي الْمُلْكِ ، فَلَمَّا عَلِمَتْ أُمُّهُمَا ذَلِكَ قَلِقَتْ مِنْهُ ، وَاحْتَالَتْ عَلَى قَتْلِهِ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى ابْنِ الشَّمْشَقِيقِ ، وَهُوَ الدُّمُسْتُقُ حِينَئِذٍ ، وَوَافَقَتْهُ عَلَى أَنْ يَصِيرَ إِلَيْهَا فِي زِيِّ النِّسَاءِ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ ، وَقَالَتْ لِزَوْجِهَا إِنَّ نِسْوَةً مِنْ أَهْلِهَا قَدْ زَارُوهَا ، فَلَمَّا صَارَ إِلَيْهَا هُوَ وَمَنْ مَعَهُ جَعَلَهُمْ فِي بَيْعَةٍ تَتَّصِلُ بِدَارِ الْمُلْكِ ، وَكَانَ الشَّمْشَقِيقُ شَدِيدَ الْخَوْفِ مِنْهُ لِعِظَمِ هَيْبَتِهِ ، فَاسْتَجَابَ لِلْمَرْأَةِ إِلَى مَا دَعَتْهُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الْمِيلَادِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ نَامَ ، وَاسْتَقَلَّ فِي نَوْمِهِ ، فَفَتَحَتِ امْرَأَتُهُ الْبَابَ وَدَخَلُوا إِلَيْهِ فَقَتَلُوهُ ، وَثَارَ بِهِمْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِهِ وَخَاصَّتِهِ ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ نَيِّفٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا ، وَأُجْلِسَ فِي الْمُلْكِ الْأَكْبَرُ مِنْ وَلَدَيِ الْمَلِكِ الْمَقْتُولِ ، وَصَارَ الْمُدَبِّرُ لَهُ ابْنَ الشَّمْشَقِيقِ ، وَيُقَالُ إِنَّ نَقْفُورَ مَا بَاتَ قَطُّ إِلَّا بِسِلَاحٍ إِلَّا تِلْكَ اللَّيْلَةَ لِمَا يُرِيدُهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ قَتْلِهِ وَفَنَاءِ أَجَلِهِ.ذِكْرُ مُلْكِ أَبِي تَغْلِبَ مَدِينَةَ حَرَّانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ، سَارَ أَبُو تَغْلِبَ بْنُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ إِلَى حَرَّانَ ، فَرَأَى أَهْلَهَا قَدْ أَغْلَقُوا أَبْوَابَهَا ، وَامْتَنَعُوا مِنْهُ ، فَنَازَلَهُمْ وَحَصَرَهُمْ ، فَرَعَى أَصْحَابُهُ زُرُوعَ تِلْكَ الْأَعْمَالِ ، وَكَانَ الْغَلَاءُ فِي الْعَسْكَرِ كَثِيرًا ، فَبَقِيَ كَذَلِكَ إِلَى ثَالِثَ عَشَرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ نَفَرَانِ مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِهَا لَيْلًا وَصَالَحَاهُ ، وَأَخَذَا الْأَمَانَ لِأَهْلِ الْبَلَدِ وَعَادَا.فَلَمَّا أَصْبَحَا أَعْلَمَا أَهْلَ حَرَّانَ مَا فَعَلَاهُ ، فَاضْطَرَبُوا ، وَحَمَلُوا السِّلَاحَ وَأَرَادُوا قَتْلَهُمَا ، فَسَكَّنَهُمْ بَعْضُ أَهْلِهَا ، فَسَكَنُوا ، وَاتَّفَقُوا عَلَى إِتْمَامِ الصُّلْحِ ، وَخَرَجُوا جَمِيعُهُمْ إِلَى أَبِي تَغْلِبَ ، وَفَتَحُوا أَبْوَابَ الْبَلَدِ وَدَخَلَهُ أَبُو تَغْلِبَ وَإِخْوَتُهُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَصَلَّوْا بِهِ الْجُمُعَةَ وَخَرَجُوا إِلَى مُعَسْكَرِهِمْ ، وَاسْتُعْمِلَ عَلَيْهِمْ سَلَامَةُ الْبَرْقَعِيدِيُّ لِأَنَّهُ طَلَبَهُ أَهْلُهُ لِحُسْنِ سِيرَتِهِ ، وَكَانَ إِلَيْهِ أَيْضًا عَمَلُ الرَّقَّةِ ، وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ أَصْحَابِ بَنِي حَمْدَانَ ، وَعَادَ أَبُو تَغْلِبَ إِلَى الْمَوْصِلِ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَحْدَاثِ حَرَّانَ ، وَسَبَبُ سُرْعَةِ عَوْدِهِ أَنَّ بَنِي نُمَيْرٍ عَاثُوا فِي بَلَدِ الْمَوْصِلِ ، وَقَتَلُوا الْعَامِلَ بِبَرْقَعِيدَ ، فَعَادَ إِلَيْهِمْ لِيَكْفِيَهُمْ.ذِكْرُ قَتْلِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ إِلْيَاسَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي عَلِيِّ بْنِ إِلْيَاسَ الَّذِي كَانَ وَالِدُهُ صَاحِبَ كَرْمَانَ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ ذَكَرَ لِلْأَمِيرِ مَنْصُورِ بْنِ نُوحٍ صَاحِبِ خُرَاسَانَ أَنَّ أَهْلَ كَرْمَانَ مِنَ الْقُفْصِ وَالْبِلَّوْصِ مَعَهُ وَفِي طَاعَتِهِ ، وَأَطْمَعَهُ فِي كَرْمَانَ ، فَسَيَّرَ مَعَهُ عَسْكَرًا إِلَيْهَا ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا وَافَقَهُ الْقُفْصُ وَالْبِلَّوْصُ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْأُمَمِ الْمُفَارِقَةِ لِطَاعَةِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، فَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ ، وَعَظُمَ جَمْعُهُ ، فَلَقِيَهُ كُورْكِيرُ بْنُ جَسْتَانَ ، خَلِيفَةُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بِكَرْمَانَ ، وَحَارَبَهُ ، فَقُتِلَ سُلَيْمَانُ وَابْنَا أَخِيهِ إِلْيَسَعَ ، وَهُمَا بَكْرٌ وَالْحُسَيْنُ ، وَعَدَدٌ كَثِيرٌ مِنَ الْقُوَّادِ وَالْخُرَاسَانِيَّةِ ، وَحُمِلَتْ رُءُوسُهُمْ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ بِشِيرَازَ ، فَسَيَّرَهَا إِلَى أَبِيهِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، فَأَخَذَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً كَثِيرَةً أَسْرَى.ذِكْرُ الْفِتْنَةِ بِصِقِلِّيَّةَ وَفِي السَّنَةِ اسْتَعْمَلَ الْمُعِزُّ لِدِينِ اللَّهِ الْخَلِيفَةُ الْعَلَوِيُّ ، عَلَى جَزِيرَةِ صِقِلِّيَّةَ ، يَعِيشَ مَوْلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الْحُسَيْنِ ، فَجَمَعَ الْقَبَائِلَ فِي دَارِ الصِّنَاعَةِ فَوَقَعَ الشَّرُّ بَيْنَ مَوَالِي كُتَامَةَ وَالْقَبَائِلِ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَقُتِلَ مِنْ مَوَالِي كُتَامَةَ كَثِيرٌ ، وَقُتِلَ مِنَ الْمَوَالِي بِنَاحِيَةِ سَرَقُوسَةَ جَمَاعَةٌ.وَازْدَادَ الشَّرُّ بَيْنَهُمْ ، وَتَمَكَّنَتِ الْعَدَاوَةُ ، وَسَعَى يَعِيشُ فِي الصُّلْحِ ، فَلَمْ يُوَافِقُوهُ ، وَتَطَاوَلَ أَهْلُ الشَّرِّ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَنَهَبُوا وَأَفْسَدُوا ، وَاسْتَطَالُوا عَلَى أَهْلِ الْمَرَاعِي ، وَاسْتَطَالُوا عَلَى أَهْلِ الْقِلَاعِ الْمُسْتَأْمَنَةِ ، فَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى الْمُعِزِّ ، فَعَزَلَ يَعِيشَ ، وَاسْتَعْمَلَ أَبَا الْقَاسِمِ بْنَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الْحُسَيْنِ نِيَابَةً عَنْ أَخِيهِ أَحْمَدَ ، فَسَارَ إِلَيْهَا ، فَلَمَّا وَصَلَ فَرِحَ بِهِ النَّاسُ ، وَزَالَ الشَّرُّ مِنْ بَيْنِهِمْ ، وَاتَّفَقُوا عَلَى طَاعَتِهِ.ذِكْرُ حَصْرِ عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي شَوَّالٍ ، انْحَدَرَ بَخْتِيَارُ إِلَى مُحَاصَرَةِ عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ ، فَأَقَامَ بِوَاسِطَ يَتَصَيَّدُ شَهْرًا ، ثُمَّ أَمَرَ وَزِيرَهُ أَبَا الْفَضْلِ أَنْ يَنْحَدِرَ إِلَى الْجَامِدَةِ ، وَطُفُوفِ الْبَطِيحَةِ ، وَبَنَى أَمْرَهُ عَلَى أَنْ يَسُدَّ أَفْوَاهَ الْأَنْهَارِ وَمَجَارِيَ الْمِيَاهِ إِلَى الْبَطِيحَةِ ، وَيَرُدَّهَا إِلَى دِجْلَةَ وَالْفَارُوثَ ، وَرَبْعَ طَيْرٍ ، فَبَنَى الْمَسْنِيَّاتِ الَّتِي يُمْكِنُ السُّلُوكُ عَلَيْهَا إِلَى الْعِرَاقِ ، فَطَالَتِ الْأَيَّامُ ، وَزَادَتْ دِجْلَةُ فَخَرَّبَتْ مَا عَمِلُوهُ.وَانْتَقَلَ عِمْرَانُ إِلَى مَعْقِلٍ آخَرَ مِنْ مَعَاقِلِ الْبَطِيحَةِ وَنَقَلَ كُلَّ مَالِهِ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا نَقَصَتِ الْمِيَاهُ ، وَاسْتَقَامَتِ الطُّرُقُ ، وَجَدُوا مَكَانَ عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ فَارِغًا ، فَطَالَتِ الْأَيَّامُ ، وَضَجِرَ النَّاسُ مِنَ الْمُقَامِ ، وَكَرِهُوا تِلْكَ الْأَرْضَ مِنَ الْحَرِّ ، وَالْبَقِّ ، وَالضَّفَادِعِ ، وَانْقِطَاعِ الْمَوَادِّ الَّتِي أَلِفُوهَا ، وَشَغَبَ الْجُنْدُ عَلَى الْوَزِيرِ ، وَشَتَمُوهُ ، وَأَبَوْا أَنْ يُقِيمُوا ، فَاضْطُرَّ بَخْيِتَارُ إِلَى مُصَالَحَةِ عِمْرَانَ عَلَى مَالٍ يَأْخُذُهُ مِنْهُ.وَكَانَ عِمْرَانُ قَدْ خَافَهُ فِي الْأَوَّلِ ، وَبَذَلَ لَهُ خَمْسَةَ آلَافِ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَلَمَّا رَأَى اضْطَرَابَ أَمْرِ بَخْتِيَارَ بَذَلَ أَلْفَيْ أَلْفَ دِرْهَمٍ فِي نُجُومٍ ، وَلَمْ يُسَلِّمْ إِلَيْهِمْ رَهَائِنَ ، وَلَا حَلَفَ لَهُمْ عَلَى تَأْدِيَةِ الْمَالِ ، وَلَمَّا رَحَلَ الْعَسْكَرُ تَخَطَّفَ عِمْرَانُ أَطْرَافَ النَّاسِ فَغَنِمَ مِنْهُمْ ، وَفَسَدَ عَسْكَرُ بَخْتِيَارَ ، وَزَالَتْ عَنْهُمُ الطَّاعَةُ وَالْهَيْبَةُ ، وَوَصَلَ بَخْتِيَارُ إِلَى بَغْدَاذَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ ، اصْطَلَحَ قَرْغَوَيْهِ ، غُلَامُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ ، وَأَبُو الْمَعَالِي بْنُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، وَخُطِبَ لِأَبِي الْمَعَالِي بِحَلَبَ ، وَكَانَ بِحِمْصَ ، وَخَطَبَ هُوَ وَقَرْغَوَيْهِ فِي أَعْمَالِهِ لِلْمُعِزِّ لِدِينِ اللَّهِ الْعَلَوِيِّ ، صَاحِبِ الْمَغْرِبِ وَمِصْرَ.وَفِيهَا ، فِي رَمَضَانَ ، وَقَعَ حَرِيقٌ عَظِيمٌ بِبَغْدَاذَ فِي سُوقِ الثُّلَاثَاءِ ، فَاحْتَرَقَ جَمَاعَةُ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ ، وَأَمَّا الرِّحَالُ ، وَغَيْرُهَا فَكَثِيرٌ ، وَوَقَعَ الْحَرِيقُ أَيْضًا فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ مِنَ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ فِيهَا أَيْضًا.وَفِيهَا كَانَتِ الْخُطْبَةُ بِمَكَّةَ لِلْمُطِيعِ لِلَّهِ وَلِلْقَرَامِطَةِ الْهَجَرِيِّينَ ، وَخُطِبَ بِالْمَدِينَةِ لِلْمُعِزِّ لِدِينِ اللَّهِ الْعَلَوِيِّ ، وَخَطَبَ أَبُو أَحْمَدَ الْمُوسَوِيُّ وَالِدُ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ خَارِجَ الْمَدِينَةِ لِلْمُطِيعِ لِلَّهِ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ أَبُو الْقَاسِمِ الْعَبْسِيُّ الْمُقْرِئُ الشَّافِعِيُّ بِقُرْطُبَةَ ، وَلَهُ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ بِبَغْدَاذَ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَأَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ الدِّينَوَرِيُّ الصُّوفِيُّ ، الْمَعْرُوفُ بِالرَّقِّيِّ وَهُوَ مِنْ مَشَاهِيرِ مَشَايِخِهِمْ ، وَقِيلَ مَاتَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْقَاضِي أَبُو الْعَلَاءِ مُحَارِبُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَكَانَ عَالِمًا بِالْفِقْهِ وَالْكَلَامِ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ عِصْيَانِ أَهْلِ كَرْمَانَ عَلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ لَمَّا مَلَكَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ كَرْمَانَ ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، اجْتَمَعَ الْقُفْصُ وَالْبِلَّوْصُ ، وَفِيهِمْ أَبُو سَعِيدٍ الْبِلَّوْصِيُّ وَأَوْلَادُهُ ، عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْخِلَافِ ، وَتَحَالَفُوا عَلَى الثَّبَاتِ وَالِاجْتِهَادِ ، فَضَمَّ عَضُدُ الدَّوْلَةِ إِلَى كُورْكِيرِ بْنِ جَسْتَانَ عَابِدَ بْنَ عَلِيٍّ فَسَارَا إِلَى جِيرُفْتَ فِيمَنْ مَعَهُمَا مِنَ الْعَسَاكِرِ ، فَالْتَقَوْا عَاشِرَ صَفَرَ ، فَاقْتَتَلُوا ، وَصَبَرَ الْفَرِيقَانِ ثُمَّ انْهَزَمَ الْقُفْصُ وَمَنْ مَعَهُمْ ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ خَمْسَةُ آلَافٍ مِنْ شُجْعَانِهِمْ وَوُجُوهِهِمْ ، وَقُتِلَ ابْنَانِ لِأَبِي سَعِيدٍ.ثُمَّ سَارَ عَابِدُ بْنُ عَلِيٍّ يَقُصُّ آثَارَهُمْ لِيَسْتَأْصِلَهُمْ ، فَأَوْقَعَ بِهِمْ عِدَّةَ وَقَائِعَ ، وَأَثْخَنَ فِيهِمْ ، وَانْتَهَى إِلَى هَرْمُوزَ فَمَلَكَهَا ، وَاسْتَوْلَى عَلَى بِلَادِ التَّيْزِ وَمَكْرَانَ ، وَأَسَرَ أَلْفَيْ أَسِيرٍ ، وَطَلَبَ الْبَاقُونَ الْأَمَانَ ، وَبَذَلُوا تَسْلِيمَ مَعَاقِلِهِمْ وَجِبَالِهِمْ ، عَلَى أَنْ يَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ ، وَيَنْزِعُوا شِعَارَ الْحَرْبِ ، وَيُقِيمُوا حُدُودَ الْإِسْلَامِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ.ثُمَّ سَارَ عَابِدٌ إِلَى طَوَائِفَ أُخَرَ يُعْرَفُونَ بِالْحَرُومِيَّةِ وَالْحَاسِكِيَّةِ يُخِيفُونَ السَّبِيلَ فِي الْبَحْرِ وَالْبَرِّ ، وَكَانُوا قَدْ أَعَانُوا سُلَيْمَانَ بْنَ أَبِي عَلِيِّ بْنِ إِلْيَاسَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ ، فَأَوْقَعَ بِهِمْ ، وَقَتَلَ كَثِيرًا مِنْهُمْ ، وَأَنْقَذَهُمْ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، فَاسْتَقَامَتْ تِلْكَ الْأَرْضُ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ.ثُمَّ لَمْ يَلْبَثِ الْبِلَّوْصُ أَنْ عَادُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ سَفْكِ الدَّمِ وَقَطْعِ الطَّرِيقِ ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ تَجَهَّزَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ وَسَارَ إِلَى كَرْمَانَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى السِّيرَجَانِ رَأَى فَسَادَهُمْ وَمَا فَعَلُوهُ مِنْ قَطْعِ الطَّرِيقِ بِكَرْمَانَ وَسِجِسْتَانَ وَخُرَاسَانَ ، فَجَرَّدَ عَابِدَ بْنَ عَلِيٍّ فِي عَسْكَرٍ كَثِيفٍ ، وَأَمَرَهُ بِاتِّبَاعِهِمْ ، فَلَمَّا أَحَسُّوا بِهِ أَوْغَلُوا فِي الْهَرَبِ إِلَى مَضَايِقَ ظَنُّوا أَنَّ الْعَسْكَرَ لَا يَتَوَغَّلُهَا ، فَأَقَامُوا آمِنِينَ.فَسَارَ فِي آثَارِهِمْ ، فَلَمْ يَشْعُرُوا إِلَّا وَقَدْ أَطَلَّ عَلَيْهِمْ ، فَلَمْ يُمْكِنْهُمُ الْهَرَبُ ، فَصَبَرُوا يَوْمَهُمْ ، وَهُوَ تَاسِعُ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، ثُمَّ انْهَزَمُوا آخِرَ النَّهَارِ ، وَقُتِلَ أَكْثَرُ رِجَالِهِمُ الْمُقَاتِلَةِ ، وَسُبِيَ الذَّرَارِي وَالنِّسَاءُ ، وَبَقِيَ الْقَلِيلُ ، وَطَلَبُوا الْأَمَانَ فَأُجِيبُوا إِلَيْهِ ، وَنُقِلُوا عَنْ تِلْكَ الْجِبَالِ ، وَأَسْكَنَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ مَكَانَهُمُ الْأَكَرَةَ وَالزَّرَّاعِينَ ، حَتَّى طَبَّقُوا تِلْكَ الْأَرْضَ بِالْعَمَلِ ، وَتَتَبَّعَ عَابِدٌ تِلْكَ الطَّوَائِفَ بَرًّا حَتَّى أَتَى عَلَيْهِمْ وَبَدَّدَ شَمْلَهُمْ.ذِكْرُ مُلْكِ الْقَرَامِطَةِ دِمَشْقَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، وَصَلَ الْقَرَامِطَةُ إِلَى دِمَشْقَ فَمَلَكُوهَا ، وَقَتَلُوا جَعْفَرَ بْنَ فَلَاحٍ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمَّا بَلَغَهُمُ اسْتِيلَاءُ جَعْفَرِ بْنِ فَلَاحٍ عَلَى الشَّامِ أَهَمَّهُمْ وَأَزْعَجَهُمْ وَقَلِقُوا لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ تَقَرَّرَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ابْنِ طُغُجَ أَنْ يَحْمِلَ إِلَيْهِمْ كُلَّ سَنَةٍ ثَلَاثَمِائَةِ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَلَمَّا مَلَكَهَا جَعْفَرٌ عَلِمُوا أَنَّ الْمَالَ يَفُوتُهُمْ ، فَعَزَمُوا عَلَى قَصْدِ الشَّامِ ، وَصَاحِبُهُمْ حِينَئِذٍ الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بَهْرَامَ الْقَرْمَطِيُّ ، فَأَرْسَلَ إِلَى عِزِّ الدَّوْلَةِ بَخْتِيَارَ يَطْلُبُ مِنْهُ الْمُسَاعَدَةَ بِالسِّلَاحِ وَالْمَالِ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَاسْتَقَرَّ الْحَالُ أَنَّهُمْ إِذَا وَصَلُوا إِلَى الْكُوفَةِ سَائِرِينَ إِلَى الشَّامِ حُمِلَ الَّذِي اسْتَقَرَّ ، فَلَمَّا وَصَلُوا "إِلَى الْكُوفَةِ أَوْصَلَ إِلَيْهِمْ ذَلِكَ ، وَسَارُوا إِلَى دِمَشْقَ.وَبَلَغَ خَبَرُهُمْ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ فَلَاحٍ فَاسْتَهَانَ بِهِمْ وَلَمْ يَحْتَرِزْ مِنْهُمْ ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِمْ حَتَّى كَبَسُوهُ بِظَاهِرِ دِمَشْقَ وَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا مَالَهُ وَسِلَاحَهُ وَدَوَابَّهُ ، وَمَلَكُوا دِمَشْقَ ، وَأَمَّنُوا أَهْلَهَا ، وَسَارُوا إِلَى الرَّمْلَةِ ، وَاسْتَوْلَوْا عَلَى جَمِيعِ مَا بَيْنَهُمَا.فَلَمَّا سَمِعَ مَنْ بِهَا مِنَ الْمَغَارِبَةِ خَبَرَهُمْ سَارُوا عَنْهَا إِلَى يَافَا فَتَحَصَّنُوا بِهَا ، وَمَلَكَ الْقَرَامِطَةُ الرَّمْلَةَ ، وَسَارُوا إِلَى مِصْرَ ، وَتَرَكُوا عَلَى يَافَا مَنْ يَحْصُرُهَا ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى مِصْرَ اجْتَمَعَ مَعَهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَالْجُنْدُ وَالْإِخْشِيدِيَّةُ وَالْكَافُورِيَّةُ ، فَاجْتَمَعُوا بِعَيْنِ شَمْسٍ عِنْدَ مِصْرَ ، وَاجْتَمَعَ عَسَاكِرُ جَوْهَرٍ وَخَرَجُوا إِلَيْهِمْ ، فَاقْتَتَلُوا غَيْرَ مَرَّةٍ ، الظَّفَرُ فِي جَمِيعِ تِلْكَ الْأَيَّامِ لِلْقَرَامِطَةِ ، وَحَصَرُوا الْمَغَارِبَةَ حَصْرًا شَدِيدًا ، ثُمَّ إِنَّ الْمَغَارِبَةَ خَرَجُوا فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ مِنْ مِصْرَ ، وَحَمَلُوا عَلَى مَيْمَنَةِ الْقَرَامِطَةِ ، فَانْهَزَمَ مَنْ بِهَا مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ ، وَقَصَدُوا سَوَادَ الْقَرَامِطَةِ فَنَهَبُوهُ ، فَاضْطَرُّوا إِلَى الرَّحِيلِ ، فَعَادُوا إِلَى الشَّامِ ، فَنَزَلُوا الرَّمْلَةَ.ثُمَّ حَصَرُوا يَافَا حَصْرًا شَدِيدًا ، وَضَيَّقُوا عَلَى مَنْ بِهَا ، فَسَيَّرَ جَوْهَرٌ مِنْ مِصْرَ نَجْدَةً إِلَى أَصْحَابِهِ الْمَحْصُورِينَ بِيَافَا ، وَمَعَهُمْ مِيرَةٌ فِي خَمْسَةَ عَشَرَ مَرْكَبًا ، فَأَرْسَلَ الْقَرَامِطَةُ مَرَاكِبَهُمْ إِلَيْهَا ، فَأَخَذُوا مَرَاكِبَ جَوْهَرٍ ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهَا غَيْرُ مَرْكَبَيْنِ ، فَغَنِمَهَا مَرَاكِبُ الرُّومِ.وَلِلْحُسَيْنِ بْنِ بَهْرَامَ مُقَدَّمِ الْقَرَامِطَةِ شِعْرٌ ، فَمِنْهُ فِي الْمَغَارِبَةِ أَصْحَابِ الْمُعِزِّ لِدِينِ اللَّهِ زَعَمَتْ رِجَالُ الْغَرْبِ أَنِّي...هِبْتُهَا فَدَمِي إِذًا مَا بَيْنَهُمْ مَطْلُولُ يَا مِصْرُ إِنْ لَمْ أَسْقِ أَرْضَكِ مِنْ...دَمٍ يَرْوِي ثَرَاكِ فَلَا سَقَانِي النِّيلُ ذِكْرُ قَتْلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الزَّنَاتِيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَتَلَ يُوسُفُ بُلُكِّينُ بْنُ زِيرِي مُحَمَّدَ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ خَزَرٍ الزَّنَاتِيَّ وَجَمَاعَةً مِنْ أَهْلِهِ وَبَنِي عَمِّهِ ، وَكَانَ قَدْ عَصَى عَلَى الْمُعِزِّ لِدِينِ اللَّهِ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، وَكَثُرَ جَمْعُهُ مِنْ زَنَاتَةَ وَالْبَرْبَرِ ، فَأَهَمَّ الْمُعِزَّ أَمْرُهُ لِأَنَّهُ أَرَادَ الْخُرُوجَ إِلَى مِصْرَ ، فَخَافَ أَنْ يُخَلِّفَ مُحَمَّدًا فِي الْبِلَادِ عَاصِيًا ، وَكَانَ جَبَّارًا عَاتِيًا طَاغِيًا.وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ قَتْلِهِ فَإِنَّهُ كَانَ يَشْرَبُ هُوَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ ، فَعَلِمَ يُوسُفُ بِهِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ جَرِيدَةً مُتَخَفِّيًا ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ مُحَمَّدٌ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَآهُ مُحَمَّدٌ قَتَلَ نَفْسَهُ بِسَيْفِهِ ، وَقَتَلَ يُوسُفُ الْبَاقِينَ وَأَسَرَ مِنْهُمْ ، فَحَلَّ ذَلِكَ عِنْدَ الْمُعِزِّ مَحِلًّا عَظِيمًا ، وَقَعَدَ لِلْهَنَاءِ بِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَبَضَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ عَلَى كُورْكِيرَ بْنِ جَسْتَانَ قَبْضًا فِيهِ إِبْقَاءٌ وَمَوْضِعٌ لِلصُّلْحِ.وَفِيهَا تَزَوَّجَ أَبُو تَغْلِبَ بْنُ حَمْدَانَ ابْنَةَ عِزِّ الدَّوْلَةِ بَخْتِيَارَ ، وَعُمْرُهَا ثَلَاثُ سِنِينَ ، عَلَى صَدَاقِ مِائَةِ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَكَانَ الْوَكِيلُ فِي قَبُولِ الْعَقْدِ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ صَاحِبَ أَبِي تَغْلِبَ بْنِ حَمْدَانَ ، وَوَقَعَ الْعَقْدُ فِي صَفَرَ.وَفِيهَا قُتِلَ رَجُلَانِ بِمَسْجِدِ دَيْرِ مَارَ مِيخَائِيلَ بِظَاهِرِ الْمَوْصِلِ ، فَصَادَرَ أَبُو تَغْلِبَ جَمَاعَةً مِنَ النَّصَارَى.وَفِيهَا اسْتَوْزَرَ مُؤَيِّدُ الدَّوْلَةِ بْنُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَبَا الْقَاسِمَ بْنَ عَبَّادٍ ، وَأَصْلَحَ أُمُورَهُ كُلَّهَا. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ أَبُو الْقَاسِمِ سُلَيْمَانُ بْنُ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ صَاحِبُ الْمَعَاجِمِ الثَّلَاثَةِ بِأَصْبَهَانَ وَكَانَ عُمْرُهُ مِائَةَ سَنَةٍ ، وَأَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْآجُرِّيُّ بِمَكَّةَ ، وَهُمَا مِنْ حُفَّاظِ الْمُحَدِّثِينَ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ السَّرِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ السَّرِيِّ أَبُو الْحَسَنِ الْكِنْدِيُّ الرَّفَّا ، الشَّاعِرُ الْمَوْصِلِيُّ ، بِبَغْدَادَ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ مَا فَعَلَهُ الرُّومُ بِالْجَزِيرَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي الْمُحَرَّمِ ، أَغَارَ مَلِكُ الرُّومِ عَلَى الرَّهَا وَنَوَاحِيهَا ، وَسَارَ فِي دِيَارِ الْجَزِيرَةِ حَتَّى بَلَغُوا نَصِيبِينَ ، فَغَنِمُوا ، وَسَبَوْا وَأَحْرَقُوا وَخَرَّبُوا الْبِلَادَ ، وَفَعَلُوا مِثْلَ ذَلِكَ بِدِيَارِ بَكْرٍ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَبِي تَغْلِبَ بْنِ حَمْدَانَ فِي ذَلِكَ حَرَكَةٌ ، وَلَا سَعْيٌ فِي دَفْعِهِ ، لَكِنَّهُ حَمَلَ إِلَيْهِ مَالًا كَفَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ .فَسَارَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْبِلَادِ إِلَى بَغْدَاذَ مُسْتَنْفِرِينَ ، وَقَامُوا فِي الْجَوَامِعِ وَالْمَشَاهَدِ ، وَاسْتَنْفَرُوا الْمُسْلِمِينَ ، وَذَكَرُوا مَا فَعَلَهُ الرُّومُ مِنَ النَّهْبِ ، وَالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ ، وَالسَّبْيِ ، فَاسْتَعْظَمَهُ النَّاسُ ، وَخَوَّفَهُمْ أَهْلُ الْجَزِيرَةِ مِنِ انْفِتَاحِ الطَّرِيقِ وَطَمَعِ الرُّومِ ، وَأَنَّهُمْ لَا مَانِعَ لَهُمْ عِنْدَهُمْ ، فَاجْتَمَعَ مَعَهُمْ أَهْلُ بَغْدَاذَ ، وَقَصَدُوا دَارَ الْخَلِيفَةِ الطَّائِعِ لِلَّهِ ، وَأَرَادُوا الْهُجُومَ عَلَيْهِ ، فَمُنِعُوا مِنْ ذَلِكَ ، وَأُغْلِقَتِ الْأَبْوَابُ ، فَأُسْمِعُوا مَا يَقْبُحُ ذِكْرُهُ.وَكَانَ بَخْتِيَارُ حِينَئِذٍ يَتَصَيَّدُ الْكُوفَةَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ وُجُوهُ أَهْلِ بَغْدَاذَ مُسْتَغِيثِينَ ، مُنْكِرِينَ عَلَيْهِ اشْتِغَالَهُ بِالصَّيْدِ ، وَقِتَالَ عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ وَهُوَ مُسْلِمٌ ، وَتَرْكَ جِهَادِ الرُّومِ ، وَمَنَعَهُمْ عَنْ بِلَادِ الْإِسْلَامِ حَتَّى تَوَغَّلُوهَا ، فَوَعَدَهُمُ التَّجَهُّزَ لِلْغُزَاةِ وَأَرْسَلَ إِلَى سُبُكْتِكِينَ يَأْمُرُهُ بِالتَّجَهُّزِ لِلْغَزْوِ وَأَنْ يَسْتَنْفِرَ الْعَامَّةَ ، فَفَعَلَ سُبُكْتِكِينُ ذَلِكَ ، فَاجْتَمَعَ مِنَ الْعَامَّةِ عَدَدٌ كَثِيرٌ لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً ، وَكَتَبَ بَخْتِيَارُ إِلَى أَبِي تَغْلِبَ بْنِ حَمْدَانَ ، صَاحِبِ الْمَوْصِلِ ، يَأْمُرُهُ بِإِعْدَادِ الْمِيرَةِ وَالْعُلُوفَاتِ ، وَيُعَرِّفُهُ عَزْمَهُ عَلَى الْغَزَاةِ ، فَأَجَابَهُ بِإِظْهَارِ الْفَرَحِ ، وَإِعْدَادِ مَا طُلِبَ مِنْهُ.ذِكْرُ الْفِتْنَةِ بِبَغْدَاذَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَقَعَتْ بِبَغْدَاذَ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَأَظْهَرُوا الْعَصَبِيَّةَ الزَّائِدَةَ ، وَتَحَزَّبَ النَّاسُ ، وَظَهَرَ الْعَيَّارُونَ وَأَظْهَرُوا الْفَسَادَ وَأَخَذُوا أَمْوَالَ النَّاسِ.وَكَانَ سَبَبُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنِ اسْتِنْفَارِ الْعَامَّةِ لِلْغَزَاةِ ، فَاجْتَمَعُوا وَكَثُرُوا فَتَوَلَّدَ بَيْنَهُمْ مِنْ أَصْنَافِ الْبَنَوِيَّةِ ، وَالْفِتْيَانِ ، وَالسُّنَّةُ ، وَالشِّيعَةِ ، وَالْعَيَّارِينَ ، فَنُهِبَتِ الْأَمْوَالُ ، وَقُتِلَ الرِّجَالُ ، وَأُحْرِقَتِ الدُّورُ ، وَفِي جُمْلَةِ مَا احْتَرَقَ مَحَلَّةُ الْكَرْخِ ، وَكَانَتْ مَعْدِنَ التُّجَّارِ وَالشِّيعَةِ ، وَجَرَى بِسَبَبِ ذَلِكَ فِتْنَةٌ بَيْنَ النَّقِيبِ أَبِي أَحْمَدَ الْمُوسَوِيِّ وَالْوَزِيرِ أَبِي الْفَضْلِ الشِّيرَازِيِّ وَعَدَاوَةٌ.ثُمَّ إِنَّ بَخْتِيَارَ أَنْفَذَ إِلَى الْمُطِيعِ لِلَّهِ يَطْلُبُ مِنْهُ مَالًا يُخْرِجُهُ فِي الْغَزَاةِ ، فَقَالَ الْمُطِيعُ إِنَّ الْغَزَاةَ وَالنَّفَقَةَ عَلَيْهَا ، وَغَيْرَهَا مِنْ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ ، تَلْزَمُنِي إِذَا كَانَتِ الدُّنْيَا فِي يَدِي وَتُجْبَى إِلَيَّ الْأَمْوَالُ ، وَأَمَّا إِذَا كَانَتْ حَالِي هَذِهِ فَلَا يَلْزَمُنِي شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا يَلْزَمُ مَنِ الْبِلَادُ فِي يَدِهِ وَلَيْسَ لِي إِلَّا الْخُطْبَةُ ، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ أَعْتَزِلَ فَعَلْتُ.وَتَرَدَّدَتِ الرَّسَائِلُ بَيْنَهُمَا ، حَتَّى بَلَغَ إِلَى التَّهْدِيدِ ، فَبَذَلَ الْمُطِيعُ لِلَّهِ أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَاحْتَاجَ إِلَى بَيْعِ ثِيَابِهِ وَأَنْقَاضِ دَارِهِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَشَاعَ بَيْنَ النَّاسِ مِنَ الْعِرَاقِيِّينَ وَحُجَّاجِ خُرَاسَانَ وَغَيْرِهِمْ أَنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ صُودِرَ.فَلَمَّا قَبَضَ بَخْتِيَارُ الْمَالَ صَرَفَهُ فِي مَصَالِحِهِ ، وَبَطَلَ حَدِيثُ الْغَزَاةِ.ذِكْرُ مَسِيرِ الْمُعِزِّ لِدِينِ اللَّهِ الْعَلَوِيِّ مِنَ الْغَرْبِ إِلَى مِصْرَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ الْمُعِزُّ لِدِينِ اللَّهِ الْعَلَوِيُّ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ يُرِيدُ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ .وَكَانَ أَوَّلُ مَسِيرِهِ أَوَاخِرَ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ أَوَّلُ رَحِيلِهِ مِنَ الْمَنْصُورِيَّةِ ، فَأَقَامَ بِسَرْدَانِيَةَ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ قَرِيبَةٌ مِنَ الْقَيْرَوَانِ ، وَلَحِقَهُ بِهَا رِجَالُهُ ، وَعُمَّالُهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ وَجَمِيعُ مَا كَانَ لَهُ فِي قَصْرِهِ مِنْ أَمْوَالٍ وَأَمْتِعَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، حَتَّى إِنَّ الدَّنَانِيرَ سُكِبَتْ وَجُعِلَتْ كَهَيْئَةِ الطَّوَاحِينِ وَحُمِلَ كُلُّ طَاحُونَتَيْنِ عَلَى جَمَلٍ.وَسَارَ عَنْهَا وَاسْتَعْمَلَ عَلَى بِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ يُوسُفَ بُلُكِّينَ بْنِ زِيرِي بْنِ مَنَادٍ الصِّنْهَاجِيَّ الْحِمْيَرِيَّ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ حُكْمًا عَلَى جَزِيرَةِ صِقِلِّيَّةَ ، وَلَا عَلَى مَدِينَةِ طَرَابُلُسَ الْغَرْبِ ، وَلَا عَلَى أَجْدَابِيَّةَ ، وَسُرْتُ ، وَجَعَلَ عَلَى صِقِلِّيَّةَ حَسَنَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الْحُسَيْنِ ، عَلَى مَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ ، وَجَعَلَ عَلَى طَرَابُلُسَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَخْلُفَ الْكُتَامِيَّ ، وَكَانَ أَثِيرًا عِنْدَهُ وَجَعَلَ عَلَى جِبَايَةِ أَمْوَالِ إِفْرِيقِيَّةَ زِيَادَةَ اللَّهِ بْنَ زِيَادِ بْنِ الْقَدِيمِ ، وَعَلَى الْخَرَاجِ عَبْدَ الْجَبَّارِ الْخُرَاسَانِيَّ ، وَحُسَيْنَ بْنَ خَلَفٍ الْمُوصِدِيَّ ، وَأَمَرَهُمْ بِالِانْقِيَادِ لِيُوسُفَ بْنِ زِيرِي.فَأَقَامَ بِسَرْدَانِيَةَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ حَتَّى فَرَغَ مِنْ جَمِيعِ مَا يُرِيدُ ، ثُمَّ رَحَلَ عَنْهَا ، وَمَعَهُ يُوسُفُ بُلُكِّينُ وَهُوَ يُوصِيهِ بِمَا يَفْعَلُهُ ، وَنَحْنُ نَذْكُرُ مِنْ سَلَفِ يُوسُفَ بُلُكِّينَ وَأَهْلِهِ مَا تَمَسُّ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ ، وَرُدَّ يُوسُفُ إِلَى أَعْمَالِهِ ، وَسَارَ إِلَى طَرَابُلُسَ وَمَعَهُ جُيُوشُهُ وَحَوَاشِيهِ ، فَهَرَبَ مِنْهُ بِهَا جَمْعٌ مِنْ عَسْكَرِهِ إِلَى جِبَالِ نَفُوسَةَ فَطَلَبَهُمْ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِمْ.ثُمَّ سَارَ إِلَى مِصْرَ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بَرْقَةَ وَمَعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ هَانِئٍ الشَّاعِرُ الْأَنْدَلُسِيُّ ، قُتِلَ غِيلَةً ، فَرُؤِيَ مُلْقًى عَلَى جَانِبِ الْبَحْرِ قَتِيلًا لَا يُدْرَى مَنْ قَتَلَهُ ، وَكَانَ قَتْلُهُ أَوَاخِرَ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ مِنَ الشُّعَرَاءِ الْمُجِيدِينَ إِلَّا أَنَّهُ غَالَى فِي مَدْحِ الْمُعِزِّ حَتَّى كَفَّرَهُ الْعُلَمَاءُ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ مَا شِئْتَ لَا مَا شَاءَتِ الْأَقْدَارُ...فَاحْكُمْ فَأَنْتَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ وَقَوْلُهُ وَلَطَالَ مَا زَاحَمْتُ حَوْلَ رِكَابِهِ جِبْرِيلَا وَمِنْ ذَلِكَ مَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ وَلَمْ أَجِدْهَا فِي دِيوَانِهِ قَوْلُهُ حَلَّ بِرِقَّادَةَ الْمَسِيحُ...حَلَّ بِهَا آدَمُ وَنُوحُ حَلَّ بِهَا اللَّهُ ذُو الْمَعَالِي...فَكُلُّ شَىْءٍ سِوَاهُ رِيحُ وَرِقَّادَةُ اسْمُ مَدِينَةٍ بِالْقُرْبِ مِنَ الْقَيْرَوَانِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، وَقَدْ تَأَوَّلَ ذَلِكَ مَنْ يَتَعَصَّبُ لَهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، وَبِالْجُمْلَةِ فَقَدْ جَازَ حَدَّ الْمَدِيحِ.ثُمَّ سَارَ الْمُعِزُّ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ أَوَاخِرَ شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ ، وَأَتَاهُ أَهْلُ مِصْرَ وَأَعْيَانُهَا ، فَلَقِيَهُمْ ، وَأَكْرَمَهُمْ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، وَسَارَ فَدَخَلَ الْقَاهِرَةَ خَامِسَ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَأَنْزَلَ عَسَاكِرَهُ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةَ فِي الدِّيَارِ ، وَبَقِيَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فِي الْخِيَامِ.وَأَمَّا يُوسُفُ بُلُكِّينُ فَإِنَّهُ لَمَّا عَادَ مِنْ وَدَاعِ الْمُعِزِّ أَقَامَ بِالْمَنْصُورِيَّةِ يَعْقِدُ الْوِلَايَاتِ لِلْعُمَّالِ عَلَى الْبِلَادِ ، ثُمَّ سَارَ فِي الْبِلَادِ ، وَبَاشَرَ الْأَعْمَالَ ، وَطَيَّبَ قُلُوبَ النَّاسِ ، فَوَثَبَ أَهْلُ بَاغَايَةَ عَلَى عَامِلِهِ فَقَاتَلُوهُ فَهَزَمُوهُ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِمْ يُوسُفُ جَيْشًا فَقَاتَلَهُمْ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِمْ ، فَأَرْسَلَ إِلَى يُوسُفَ يُعَرِّفُهُ الْحَالَ فَتَأَهَّبَ يُوسُفُ ، وَجَمَعَ الْعَسَاكِرَ لِيَسِيرَ إِلَيْهِمْ ، فَبَيْنَمَا هُوَ فِي التَّجَهُّزِ أَتَاهُ الْخَبَرُ عَنْ تَاهَرْتَ أَنَّ أَهْلَهَا قَدْ عَصَوْا ، وَخَالَفُوا ، وَأَخْرَجُوا عَامِلَهُ ، فَرَحَلَ إِلَى تَاهَرْتَ فَقَاتَلَهَا ، فَظَفِرَ بِأَهْلِهَا ، وَخَرَّبَهَا ، فَأَتَاهُ الْخَبَرُ بِهَا أَنَّ زَنَاتَةَ قَدْ نَزَلُوا عَلَى تِلِمْسَانَ ، فَرَحَلَ إِلَيْهِمْ ، فَهَرَبُوا مِنْهُ ، وَأَقَامَ عَلَى تِلِمْسَانَ فَحَصَرَهَا مُدَّةً ثُمَّ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ فَعَفَا عَنْهُمْ ، إِلَّا أَنَّهُ نَقَلَهُمْ إِلَى مَدِينَةَ أَشِيرَ ، فَبَنَوْا عِنْدَهَا مَدِينَةً سَمَّوْهَا تِلْمِسَانَ.ثُمَّ إِنَّ زِيَادَةَ اللَّهِ بْنَ الْقُدَيْمِ جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَامِلٍ آخَرَ كَانَ مَعَهُ ، اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ ، مُنَافَسَةٌ صَارَتْ إِلَى مُحَارَبَةٍ ، وَاجْتَمَعَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا جَمَاعَةٌ ، وَكَانَ بَيْنَهُمَا حُرُوبٌ عِدَّةُ دَفَعَاتٍ ، وَكَانَ يُوسُفُ بُلُكِّينُ مَائِلًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ لِصُحْبَةٍ قَدِيمَةٍ بَيْنَهُمَا ، ثُمَّ إِنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ قَبَضَ عَلَى ابْنِ الْقُدَيْمِ وَسَجَنَهُ وَاسْتَبَدَّ بِالْأُمُورِ بَعْدَهُ ، وَبَقِيَ ابْنُ الْقُدَيْمِ مَحْبُوسًا حَتَّى تُوُفِّيَ الْمُعِزُّ بِمِصْرَ ، وَقَوِيَ أَمْرُ يُوسُفَ بُلُكِّينَ.وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ طَلَعَ خَلَفُ بْنُ حُسَيْنٍ إِلَى قَلْعَةٍ مَنِيعَةٍ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْبَرْبَرِ وَغَيْرِهِمْ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الْقُدَيْمِ الْمُسَاعِدِينَ لَهُ ، فَسَمِعَ يُوسُفُ بِذَلِكَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ وَنَازَلَ الْقَلْعَةَ وَحَارَبَهُ ، فَقُتِلَ بَيْنَهُمَا عِدَّةُ قَتْلَى ، وَافْتَتَحَهَا ، وَهَرَبَ خَلَفُ بْنُ حُسَيْنٍ ، وَقُتِلَ مِمَّنْ كَانَ بِهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَبَعَثَ إِلَى الْقَيْرَوَانِ مِنْ رُءُوسِهِمْ سَبْعَةَ آلَافِ رَأْسٍ ، ثُمَّ أُخِذَ خَلَفٌ وَأُمِرَ بِهِ فَطِيفَ بِهِ عَلَى جَمَلٍ ، ثُمَّ صُلِبَ وَسُيِّرَ رَأْسُهُ إِلَى مِصْرَ ، فَلَمَّا سَمِعَ أَهْلُ بَاغَايَةَ بِذَلِكَ خَافُوا ، فَصَالَحُوا يُوسُفَ وَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ ، فَأَخْرَجَهُمْ مِنْ بَاغَايَةَ وَخَرَّبَ سُورَهَا.ذِكْرُ خَبَرِ يُوسُفَ بُلُكِّينَ بْنِ زِيرِي بْنِ مَنَادٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ هُوَ يُوسُفُ بُلُكِّينُ بْنُ زِيرِي بْنِ مَنَادٍ الصِّنْهَاجِيُّ الْحِمْيَرِيُّ ، اجْتَمَعَتْ صِنْهَاجَةُ وَمَنْ وَالَاهَا بِالْمَغْرِبِ عَلَى طَاعَتِهِ ، قَبْلَ أَنْ يُقَدِّمَهُ الْمَنْصُورُ ، وَكَانَ أَبُوهُ مَنَادٌ كَبِيرًا فِي قَوْمِهِ ، كَثِيرَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ ، حَسَنَ الضِّيَافَةِ لِمَنْ يَمُرُّ بِهِ ، وَيُقَدِّمُ ابْنَهُ زِيرِي فِي أَيَّامِهِ ، وَقَادَ كَثِيرًا مِنْ صِنْهَاجَةَ ، وَأَغَارَ بِهِمْ ، وَسَبَى ، فَحَسَدَتْهُ زَنَاتَةَ ، وَجَمَعَتْ لَهُ لِتَسِيرَ إِلَيْهِ وَتُحَارِبَهُ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ مُجِدًّا ، فَكَبَسَهُمْ لَيْلًا وَهُمْ غَارُّونَ بِأَرْضِ مُغِيلَةَ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ كَثِيرًا ، وَغَنِمَ مَا مَعَهُمْ ، فَكَثُرَ تَبَعُهُ ، فَضَاقَتْ بِهِمْ أَرْضُهُمْ ، فَقَالُوا لَهُ لَوِ اتَّخَذْتَ لَنَا بَلَدًا غَيْرَ هَذَا ، فَسَارَ بِهِمْ إِلَى مَوْضِعِ مَدِينَةِ أَشِيرَ ، فَرَأَى مَا فِيهِ مِنَ الْعُيُونِ ، فَاسْتَحْسَنَهُ ، وَبَنَى فِيهِ مَدِينَةَ أَشِيرَ ، وَسَكَنَهَا هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.وَكَانَتْ زَنَاتَةُ تُفْسِدُ فِي الْبِلَادِ ، فَإِذَا طَلَبُوا احْتَمَوْا بِالْجِبَالِ وَالْبَرَارِي ، فَلَمَّا بُنِيَتْ أَشِيرُ صَارَتْ صِنْهَاجَةُ بَيْنَ زَنَاتَةَ وَالْبَرْبَرِ ، فَسُرَّ بِذَلِكَ الْقَائِمُ.وَسَمِعَ زِيرِي بِغِمَارَةَ وَفَسَادِهِمْ ، وَاسْتِحْلَالِهِمُ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَأَنَّهُمْ قَدْ ظَهَرَ فِيهِمْ نَبِيٌّ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ وَغَزَاهُمْ ، وَظَفِرَ بِهِمْ ، وَأَخَذَ الَّذِي كَانَ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ أَسِيرًا ، وَأَحْضَرَ الْفُقَهَاءَ فَقَتَلَهُ.ثُمَّ كَانَ لَهُ أَثَرٌ حَسَنٌ فِي حَادِثَةِ أَبِي يَزِيدَ الْخَارِجِيِّ ، وَحَمَلَ الْمِيرَةَ إِلَى الْقَائِمِ بِالْمَهْدِيَّةِ ، فَحَسُنَ مَوْقِعُهَا مِنْهُ.ثُمَّ إِنَّ زَنَاتَةَ حَصَرَتْ مَدِينَةَ أَشِيرَ ، فَجَمَعَ لَهُمْ زِيرِي جُمُوعًا كَثِيرَةً ، وَجَرَى بَيْنَهُمْ عِدَّةُ وَقَعَاتٍ قُتِلَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ ، ثُمَّ ظَفِرَ بِهِمْ وَاسْتَبَاحَهُمْ.ثُمَّ ظَهَرَ بِجَبَلِ أُورَاسَ رَجُلٌ ، وَخَالَفَ عَلَى الْمَنْصُورِ ، وَكَثُرَ جَمْعُهُ ، يُقَالُ لَهُ سَعِيدُ بْنُ يُوسُفَ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ زِيرِي وَلَدَهُ بُلُكِّينَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ ، فَلَقِيَهُ عِنْدَ بَاغَايَةَ ، وَاقْتَتَلُوا ، فَقُتِلَ الْخَارِجِيُّ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ هَوَارَةَ وَغَيْرِهِمْ ، فَزَادَ مَحَلُّهُ عِنْدَ الْمَنْصُورِ ، وَكَانَ لَهُ فِي فَتْحِ مَدِينَةِ فَاسَ أَثَرٌ عَظِيمٌ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ.ثُمَّ إِنَّ بُلُكِّينَ بْنَ زِيرِي قَصَدَ مُحَمَّدَ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ خَزَرٍ الزَّنَاتِيَّ ، وَقَدْ خَرَجَ عَنْ طَاعَةِ الْمُعِزِّ ، وَكَثُرَ جَمْعُهُ ، وَعَظُمَ شَأْنُهُ ، فَظَفِرَ بِهِ يُوسُفُ بُلُكِّينُ ، وَأَكْثَرَ الْقَتْلَ فِي أَصْحَابِهِ ، فَسُرَّ الْمُعِزُّ بِذَلِكَ سُرُورًا عَظِيمًا لِأَنَّهُ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَخْلِفَ يُوسُفَ بُلُكِّينَ عَلَى الْغَرْبِ لِقُوَّتِهِ ، وَكَثْرَةِ أَتْبَاعِهِ ، وَكَانَ يَخَافُ أَنْ يَتَغَلَّبَ عَلَى الْبِلَادِ بَعْدَ مَسِيرِهِ عَنْهَا إِلَى مِصْرَ.فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتِ الْوَحْشَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ زَنَاتَةَ أَمِنَ تَغَلُّبَهُ عَلَى الْبِلَادِ.ثُمَّ إِنَّ جَعْفَرَ بْنَ عَلِيٍّ ، صَاحِبَ مَدِينَةِ مَسِيلَةَ وَأَعْمَالِ الزَّابِ ، كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ زِيرِي مُحَاسَدَةٌ ، فَلَمَّا كَثُرَ تَقَدُّمُ زِيرِي عِنْدَ الْمُعِزِّ سَاءَ ذَلِكَ جَعْفَرًا ، فَفَارَقَ بِلَادَهُ وَلَحِقَ بِزَنَاتَةَ فَقَبِلُوهُ قَبُولًا عَظِيمًا ، وَمَلَّكُوهُ عَلَيْهِمْ عَدَاوَةً لِزِيرِي ، وَعَصَى عَلَى الْمُعِزِّ ، فَسَارَ زِيرِي إِلَيْهِ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ مِنْ صِنْهَاجَةَ وَغَيْرِهِمْ ، فَالْتَقَوْا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ ، فَكَبَا بِزِيرِي فَرَسُهُ فَوَقَعَ فَقُتِلَ ، وَرَأَى جَعْفَرٌ مِنْ زَنَاتَةَ تَغَيُّرًا عَنْ طَاعَتِهِ ، وَنَدَمًا عَلَى قَتْلِ زِيرِي ، فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ ابْنَهُ يُوسُفَ بُلُكِّينَ لَا يَتْرُكُ ثَأْرَ أَبِيهِ ، وَلَا يَرْضَى بِمَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ ، وَالرَّأْيُ أَنْ نَتَحَصَّنَ بِالْجِبَالِ الْمَنِيعَةِ ، وَالْأَوْعَارِ ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَحَمَلَ مَالَهُ وَأَهْلَهُ فِي الْمَرَاكِبِ ، وَبَقِيَ هُوَ مَعَ الزَّنَاتِيِّينَ ، وَأَمَرَ عَبِيدَهُ فِي الْمَرَاكِبِ أَنْ يَعْمَلُوا فِي الْمَرَاكِبِ فِتْنَةً ، فَفَعَلُوا وَهُوَ يُشَاهِدُهُمْ مِنَ الْبَرِّ ، فَقَالَ لِزَنَاتَةَ أُرِيدُ أَنْ أَنْظُرَ مَا سَبَبُ هَذَا الشَّرِّ ، فَصَعِدَ الْمَرْكَبَ ، وَنَجَا مَعَهُمْ ، وَسَارَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ إِلَى الْحَاكِمِ الْأُمَوِيِّ ، فَأَكْرَمَهُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَنَدِمَتْ زَنَاتَةُ كَيْفَ لَمْ يَقْتُلُوهُ وَيَغْنَمُوا مَا مَعَهُ.ثُمَّ إِنَّ يُوسُفَ بُلُكِّينَ جَمَعَ فَأَكْثَرَ ، وَقَصَدَ زَنَاتَةَ ، وَأَكْثَرَ الْقَتْلَ فِيهِمْ وَسَبَى نِسَاءَهُمْ ، وَغَنِمَ أَوْلَادَهُمْ ، وَأَمَرَ أَنْ تُجْعَلَ الْقُدُورُ عَلَى رُءُوسِهِمْ ، وَيُطْبَخَ فِيهَا ، وَلَمَّا سَمِعَ الْمُعِزُّ بِذَلِكَ سَرَّهُ أَيْضًا ، وَزَادَ فِي أَقَطَاعِ بُلُكِّينَ الْمَسِيلَةَ وَأَعْمَالَهَا ، وَعَظُمَ شَأْنُهُ ، وَنَذْكُرُ بَاقِيَ أَحْوَالِهِ بَعْدَ مُلْكِهِ إِفْرِيقِيَّةَ.ذِكْرُ الصُّلْحِ بَيْنَ الْأَمِيرِ مَنْصُورِ بْنِ نُوحٍ وَبَيْنَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ وَعَضُدِ الدَّوْلَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تَمَّ الصُّلْحُ بَيْنَ الْأَمِيرِ مَنْصُورِ بْنِ نُوحٍ السَّامَانِيِّ ، صَاحِبِ خُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، وَبَيْنَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ وَابْنِهِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، عَلَى أَنْ يَحْمِلَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ وَابْنُهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ ، إِلَيْهِ كُلَّ سَنَةٍ مِائَةَ أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَتَزَوَّجَ نُوحٌ بِابْنَةِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْهَدَايَا وَالتُّحَفِ مَا لَمْ يُحْمَلْ مِثْلُهُ ، وَكُتِبَ بَيْنَهُمْ كِتَابٌ صَالِحٌ ، وَشَهِدَ فِيهِ أَعْيَانُ خُرَاسَانَ ، وَفَارِسَ ، وَالْعِرَاقِ.وَكَانَ الَّذِي سَعَى فِي هَذَا الصُّلْحِ وَقَرَّرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سِيمْجُورَ ، صَاحِبُ جُيُوشِ خُرَاسَانَ مِنْ جِهَةِ الْأَمِيرِ مَنْصُورٍ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي صَفَرَ ، انْقَضَّ كَوْكَبٌ عَظِيمٌ ، وَلَهُ نُورٌ كَثِيرٌ ، وَسُمِعَ لَهُ عِنْدَ انْقِضَاضِهِ صَوْتٌ كَالرَّعْدِ ، وَبَقِيَ ضَوْءُهُ.وَفِي شَوَّالٍ مِنْهَا مَلَكَ أَبُو تَغْلِبَ بْنُ حَمْدَانَ قَلْعَةَ مَارِدِينَ ، سَلَّمَهَا إِلَيْهِ نَائِبُ أَخِيهِ حَمْدَانَ ، فَأَخَذَ أَبُو تَغْلِبَ كُلَّ مَا كَانَ لِأَخِيهِ فِيهَا مِنْ أَهْلٍ وَمَالٍ وَأَثَاثٍ وَسِلَاحٍ ، وَحَمَلَ الْجَمِيعَ إِلَى الْمَوْصِلِ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَيْنِ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَيْنِ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.ذِكْرُ انْهِزَامِ الرُّومِ وَأَسْرِ الدُّمُسْتُقِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ وَقَعَتْ بَيْنَ هِبَةِ اللَّهِ بْنِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ وَبَيْنَ الدُّمُسْتُقِ بِنَاحِيَةِ مَيَّافَارِقِينَ.وَكَانَ سَبَبُهَا مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ غَزْوِ الدُّمُسْتُقِ بِلَادَ الْإِسْلَامِ ، وَنَهْبِهِ دِيَارَ رَبِيعَةَ وَدِيَارَ بَكْرٍ ، فَلَمَّا رَأَى الدُّمُسْتُقُ أَنَّهُ لَا مَانِعَ لَهُ مِنْ مُرَادِهِ لَهُ قَوِيَ طَمَعُهُ عَلَى أَخْذِ آمِدَ إِلَيْهَا ، وَبِهَا هَزَارْمَرْدُ غُلَامُ أَبِي الْهَيْجَاءِ بْنِ حَمْدَانَ ، فَكَتَبَ إِلَى أَبِي تَغْلِبَ يَسْتَصْرِخُهُ وَيَسْتَنْجِدُهُ ، وَيُعْلِمُهُ الْحَالَ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ أَخَاهُ أَبَا الْقَاسِمِ هِبَةَ اللَّهِ بْنَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، وَاجْتَمَعَا عَلَى حَرْبِ الدُّمُسْتُقِ ، وَسَارَا فَلَقِيَاهُ سَلْخَ رَمَضَانَ ، وَكَانَ الدُّمُسْتُقُ فِي كَثْرَةٍ لَكِنْ لَقِيَاهُ فِي مَضِيقٍ لَا تَجُولُ فِيهِ الْخَيْلُ ، وَالرُّومُ عَلَى غَيْرِ أُهْبَةٍ ، فَانْهَزَمُوا ، وَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ الدُّمُسْتُقَ أَسِيرًا ، وَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوسًا إِلَى أَنْ مَرِضَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَبَالَغَ أَبُو تَغْلِبَ فِي عِلَاجِهِ ، وَاجْتَمَعَ الْأَطِبَّاءُ لَهُ ، فَلَمْ يَنْفَعْهُ ذَلِكَ وَمَاتَ.ذِكْرُ حَرِيقِ الْكَرْخِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي شَعْبَانَ ، احْتَرَقَ الْكَرْخُ حَرِيقًا عَظِيمًا.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ الْمَعُونَةِ قَتَلَ عَامِّيًّا ، فَثَارَ بِهِ الْعَامَّةُ وَالْأَتْرَاكُ ، فَهَرَبَ وَدَخَلَ دَارَ بَعْضِ الْأَتْرَاكِ ، فَأُخْرِجَ مِنْهَا مَسْحُوبًا ، وَقُتِلَ وَأُحْرِقَ ، وَفُتِحَتِ السُّجُونُ فَأُخْرِجَ مَنْ فِيهَا ، فَرَكِبَ الْوَزِيرُ أَبُو الْفَضْلِ لِأَخْذِ الْجُنَاةِ ، وَأَرْسَلَ حَاجِبًا لَهُ يُسَمَّى صَافِيًا فِي جَمْعٍ لِقِتَالِ الْعَامَّةِ بِالْكَرْخِ ، وَكَانَ شَدِيدَ الْعَصَبِيَّةِ لِلسُّنَّةِ ، فَأَلْقَى النَّارَ فِي عِدَّةِ أَمَاكِنَ ، فَاحْتَرَقَ حَرِيقًا عَظِيمًا ، وَكَانَ عُدَّةُ مَنِ احْتَرَقَ فِيهِ سَبْعَةَ عَشَرَ أَلْفَ إِنْسَانٍ ، وَثَلَاثَمِائَةِ دُكَّانٍ ، وَكَثِيرًا مِنَ الدُّورِ ، وَثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ مَسْجِدًا ، ، وَمِنَ الْأَمْوَالِ مَا لَا يُحْصَى.ذِكْرُ عَزْلِ أَبِي الْفَضْلِ مِنْ وِزَارَةِ عِزِّ الدَّوْلَةِ وَوِزَارَةِ ابْنِ بَقِيَّةَ وَفِيهَا أَيْضًا عُزِلُ الْوَزِيرُ أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ بْنُ الْحُسَيْنِ مِنْ وِزَارَةِ عِزِّ الدَّوْلَةِ بَخْتِيَارَ فِي ذِي الْحِجَّةِ ، وَاسْتُوزِرَ مُحَمَّدُ بْنُ بَقِيَّةَ ، فَعَجِبَ النَّاسُ لِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ وَضِيعًا فِي نَفْسِهِ ، وَأَهْلِ أَوَانَا ، وَكَانَ أَبُوهُ أَحَدَ الزَّرَّاعِينَ ، لَكِنَّهُ كَانَ قَرِيبًا مِنْ بَخْتِيَارَ ، وَكَانَ يَتَوَلَّى لَهُ الْمَطْبَخَ ، وَيُقَدِّمُ إِلَيْهِ الطَّعَامَ وَمِنْدِيلُ الْخِوَانِ عَلَى كَتِفِهِ ، إِلَى أَنِ اسْتُوزِرَ.وَحُبِسَ الْوَزِيرُ أَبُو الْفَضْلِ ، فَمَاتَ عَنْ قَرِيبٍ ، فَقِيلَ إِنَّهُ مَاتَ مَسْمُومًا ، وَكَانَ فِي وِلَايَتِهِ مُضَيِّعًا لِجَانِبِ اللَّهِ.فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ أَحْرَقَ الْكَرْخَ بِبَغْدَاذَ ، فَهَلَكَ فِيهِ مِنَ النَّاسِ وَالْأَمْوَالِ مَا لَا يُحْصَى ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ ظَلَمَ الرَّعِيَّةَ ، وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ لِيُفَرِّقَهَا عَلَى الْجُنْدِ لِيَسْلَمَ ، فَمَا سَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَلَا نَفَعَهُ ذَلِكَ ، وَصَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ يَقُولُ « مَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ ».وَكَانَ مَا فَعَلَهُ مِنْ ذَلِكَ أَبْلَغَ الطُّرُقِ الَّتِي سَلَكَهَا أَعْدَاؤُهُ مِنَ الْوَقِيعَةِ فِيهِ ، وَالسَّعْيِ بِهِ ، وَتَمَشَّى لَهُمْ مَا أَرَادُوا لِمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ تَفْرِيطِهِ فِي أَمْرِ دِينِهِ ، وَظُلْمِ رَعِيَّتِهِ ، وَعَقِبَ ذَلِكَ أَنَّ زَوْجَتَهُ مَاتَتْ وَهُوَ مَحْبُوسٌ وَحَاجِبَهُ وَكَاتِبَهُ ، فَخَرِبَتْ دَارُهُ ، وَعُفِيَ أَثَرُهَا ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُوءِ الْأَقْدَارِ ، وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَخْتِمَ بِخَيْرٍ أَعْمَالَنَا ، فَإِنَّ الدُّنْيَا إِلَى زَوَالٍ مَا هِيَ.وَأَمَّا ابْنُ بَقِيَّةَ فَإِنَّهُ اسْتَقَامَتْ أُمُورُهُ ، وَمَشَتِ الْأَمْوَالُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِمَا أَخَذَهُ مِنْ أَمْوَالِ أَبِي الْفَضْلِ ، وَأَمْوَالِ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا فَنِيَ ذَلِكَ عَادَ إِلَى ظُلْمِ الرَّعِيَّةِ ، فَانْتَشَرَتِ الْأُمُورُ عَلَى يَدِهِ ، وَخَرِبَتِ النَّوَاحِي ، وَظَهَرَ الْعَيَّارُونَ ، وَعَمِلُوا مَا أَرَادُوا ، وَزَادَ الِاخْتِلَافُ بَيْنَ الْأَتْرَاكِ وَبَيْنَ بَخْتِيَارَ ، فَشَرَعَ ابْنُ بَقِيَّةَ فِي إِصْلَاحِ الْحَالِ مَعَ بَخْتِيَارَ وَسُبُكْتِكِينَ ، فَاصْطَلَحُوا ، وَكَانَتْ هُدْنَةً عَلَى دَخَنٍ وَرَكِبَ سُبُكْتِكِينُ إِلَى بَخْتِيَارَ وَمَعَهُ الْأَتْرَاكُ ، فَاجْتَمَعَ بِهِ ، ثُمَّ عَادَ الْحَالُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْفَسَادِ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ دَيْلَمِيًّا اجْتَازَ بِدَارِ سُبُكْتِكِينَ وَهُوَ سَكْرَانُ ، فَرَمَى الرَّوْشَنَ بِزُوبَيْنِ فِي يَدِهِ ، فَأَثْبَتَهُ فِيهِ ، وَأَحَسَّ بِهِ سُبُكْتِكِينُ ، فَصَاحَ بِغِلْمَانِهِ فَأَخَذُوهُ ، وَظَنَّ سُبُكْتِكِينُ أَنَّهُ قَدْ وُضِعَ عَلَى قَتْلِهِ ، فَقَرَّرَهُ فَلَمْ يَعْتَرِفْ ، وَأَنْفَذَهُ إِلَى بَخْتِيَارَ وَعَرَّفَهُ الْحَالَ ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ ، فَقَوِيَ ظَنُّ سُبُكْتِكِينَ أَنَّهُ كَانَ وَضْعُهُ عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا قَتَلَهُ لِئَلَّا يُفْشِيَ ذَلِكَ ، وَتَحَرَّكَ الدَّيْلَمُ بِقَتْلِهِ ، وَحَمَلُوا السِّلَاحَ ، ثُمَّ أَرْضَاهُمْ بَخْتِيَارُ فَرَجَعُوا.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي ذِي الْحِجَّةِ ، أَرْسَلَ عِزُّ الدَّوْلَةِ بَخْتِيَارُ الشَّرِيفَ أَبَا أَحْمَدَ الْمُوسَوِيَّ ، وَالِدَ الرَّضِيِّ وَالْمُرْتَضِي ، فِي رِسَالَةٍ إِلَى أَبِي تَغْلِبَ بْنِ حَمْدَانَ بِالْمَوْصِلِ ، فَمَضَى إِلَيْهِ ، وَعَادَ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ سَعِيدٍ الْمُخَرِّمِيُّ الصُّوفِيُّ صَاحِبُ الشِّبْلِيِّ بِمَكَّةَ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ بَخْتِيَارَ عَلَى الْمَوْصِلِ وَمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، سَارَ بَخْتِيَارُ إِلَى الْمَوْصِلِ لِيَسْتَوْلِيَ عَلَيْهَا وَعَلَى أَعْمَالِهَا وَمَا بِيَدِ أَبِي تَغْلِبَ بْنِ حَمْدَانَ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ مَسِيرِ حَمْدَانَ بْنِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ وَأَخِيهِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى بَخْتِيَارَ ، وَاسْتِجَارَتِهِمَا بِهِ ، وَشَكْوَاهُمَا إِلَيْهِ مِنْ أَخِيهِمَا أَبِي تَغْلِبَ ، فَوَعَدَهُمَا أَنْ يَنْصُرَهُمَا وَيُخَلِّصَ أَعْمَالَهُمَا وَأَمْوَالَهُمَا مِنْهُ ، وَيَنْتَقِمَ لَهُمَا ، وَاشْتَغَلَ عَنْ ذَلِكَ بِمَا كَانَ مِنْهُ فِي الْبَطِيحَةِ وَغَيْرِهَا ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ جَمِيعِ أَشْغَالِهِ عَاوَدَ حَمْدَانُ وَإِبْرَاهِيمُ الْحَدِيثَ مَعَهُ ، وَبَذَلَ لَهُ حَمْدَانُ مَالًا جَزِيلًا ، وَصَغُرَ عِنْدَهُ أَمْرُ أَخِيهِ أَبِي تَغْلِبَ ، وَطَلَبَ أَنْ يُضَمِّنَهُ بِلَادَهُ لِيَكُونَ فِي طَاعَتِهِ ، وَيَحْمِلَ إِلَيْهِ الْأَمْوَالَ وَيُقِيمَ لَهُ الْخُطْبَةَ.ثُمَّ إِنَّ الْوَزِيرَ أَبَا الْفَضْلِ حَسَّنَ ذَلِكَ ، وَأَشَارَ بِهِ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ الْأَمْوَالَ تَكْثُرُ عَلَيْهِ فَتَمْشِي الْأُمُورُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ هَرَبَ مِنْ عِنْدِ بَخْتِيَارَ ، وَعَادَ إِلَى أَخِيهِ أَبِي تَغْلِبَ ، فَقَوِيَ عَزْمُ بَخْتِيَارَ عَلَى قَصْدِ الْمَوْصِلِ أَيْضًا ، ثُمَّ عَزَلَ أَبَا الْفَضْلِ الْوَزِيرَ وَاسْتَوْزَرَ ابْنَ بَقِيَّةَ ، فَكَاتَبَهُ أَبُو تَغْلِبَ ، فَقَصَّرَ فِي خِطَابِهِ فَأَغْرَى بِهِ بَخْتِيَارُ ، وَحَمَلَهُ عَلَى قَصْدِهِ ، فَسَارَ عَنْ بَغْدَاذَ ، وَوَصَلَ إِلَى الْمَوْصِلِ تَاسِعَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْآخِرِ وَنَزَلَ بِالدَّيْرِ الْأَعْلَى.وَكَانَ أَبُو تَغْلِبَ بْنُ حَمْدَانَ قَدْ سَارَ عَنِ الْمَوْصِلِ لَمَّا قَرُبَ مِنْهُ بَخْتِيَارُ ، وَقَصَدَ سِنْجَارَ ، وَكَسَرَ الْعَرُوبَ ، وَأَخْلَى الْمَوْصِلَ مِنْ كُلِّ مِيرَةٍ ، وَكَاتَبَ الدِّيوَانَ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى سِنْجَارَ يَطْلُبُ بَغْدَاذَ ، وَلَمْ يَعْرِضْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ سَوَادِهَا بَلْ كَانَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ يَشْتَرُونَ الْأَشْيَاءَ بِأَوْفَى الْأَثْمَانِ.فَلَمَّا سَمِعَ بَخْتِيَارُ بِذَلِكَ أَعَادَ وَزِيرَهُ ابْنَ بَقِيَّةَ ، وَالْحَاجِبَ سُبُكْتِكِينَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَأَمَّا ابْنُ بَقِيَّةَ فَدَخَلَ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَأَمَّا سُبُكْتِكِينُ فَأَقَامَ بِحَرْبَى ، وَكَانَ أَبُو تَغْلِبَ قَدْ قَارَبَ بَغْدَاذَ ، فَثَارَ الْعَيَّارُونَ بِهَا ، وَأَهْلُ الشَّرِّ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ، وَوَقَعَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالشِّيعَةِ ، وَحَمَلَ أَهْلُ سُوقِ الطَّعَامِ ، وَهُمْ مِنَ السُّنَّةِ ، امْرَأَةً عَلَى جَمَلٍ وَسَمَّوْهَا عَائِشَةَ ، وَسَمَّى بَعْضُهُمْ نَفْسَهُ طَلْحَةَ ، وَبَعْضُهُمُ الزُّبَيْرُ ، وَقَاتَلُوا الْفِرْقَةَ الْأُخْرَى ، وَجَعَلُوا يَقُولُونَ نُقَاتِلُ أَصْحَابَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، وَأَمْثَالَ هَذَا الشَّرِّ.وَكَانَ الْجَانِبُ الشَّرْقِيُّ آمِنًا ، وَالْجَانِبُ الْغَرْبِيُّ مَفْتُونًا ، فَأُخِذَ جَمَاعَةٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الْعَيَّارِينَ وَقُتِلُوا ، فَسَكَنَ النَّاسُ بَعْضَ السُّكُونِ ، وَأَمَّا أَبُو تَغْلِبَ لَمَّا بَلَغَهُ دُخُولُ ابْنِ بَقِيَّةَ بَغْدَاذَ ، وَنُزُولُ سُبُكْتِكِينَ الْحَاجِبَ بِحَرْبَى ، عَادَ عَنْ بَغْدَاذَ ، وَنَزَلَ بِالْقُرْبِ مِنْهُ ، وَجَرَى بَيْنَهُمَا مُطَارَدَةٌ يَسِيرَةٌ ، ثُمَّ اتَّفَقَا فِي السِّرِّ عَلَى أَنْ يُظْهِرَا الِاخْتِلَافَ إِلَى أَنْ يَتَمَكَّنَا مِنَ الْقَبْضِ عَلَى الْخَلِيفِهِ وَالْوَزِيرِ وَوَالِدَةِ بَخْتِيَارَ وَأَهْلِهِ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ انْتَقَلَ سُبُكْتِكِينُ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَعَادَ أَبُو تَغْلِبَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَيَبْلُغُ مِنْ بَخْتِيَارَ مَا أَرَادَ وَيَمْلِكُ دَوْلَتَهُ.ثُمَّ إِنَّ سُبُكْتِكِينَ خَافَ سُوءَ الْأُحْدُوثَةِ ، فَتَوَقَّفَ وَسَارَ الْوَزِيرُ ابْنُ بَقِيَّةَ إِلَى سُبُكْتِكِينَ ، فَاجْتَمَعَ بِهِ ، وَانْفَسَخَ مَا كَانَ بَيْنَهُمَا وَتَرَاسَلُوا فِي الصُّلْحِ عَلَى أَنَّ أَبَا تَغْلِبَ يَضْمَنُ الْبِلَادَ عَلَى مَا كَانَتْ مَعَهُ ، وَعَلَى أَنْ يُطْلِقَ لِبَخْتِيَارَ ثَلَاثَةَ آلَافِ كُرٍّ غَلَّةً عِوَضًا عَنْ مَئُونَةِ سَفَرِهِ ، وَعَلَى أَنْ يَرُدَّ عَلَى أَخِيهِ حَمْدَانَ أَمْلَاكَهُ وَأَقْطَاعَهُ ، إِلَّا مَارِدِينَ.وَلَمَّا اصْطَلَحُوا أَرْسَلُوا إِلَى بَخْتِيَارَ بِذَلِكَ لِيَرْحَلَ عَنِ الْمَوْصِلِ ، وَعَادَ أَبُو تَغْلِبَ إِلَيْهَا وَدَخَلَ سُبُكْتِكِينُ بَغْدَاذَ ، وَأَسْلَمَ بَخْتِيَارُ.فَلَمَّا سَمِعَ بَخْتِيَارُ بِقُرْبِ أَبِي تَغْلِبَ مِنْهُ خَافَهُ لِأَنَّ عَسْكَرَهُ قَدْ عَادَ أَكْثَرُهُ مَعَ سُبُكْتِكِينَ ، وَطَلَبَ الْوَزِيرُ ابْنُ بَقِيَّةَ مِنْ سُبُكْتِكِينَ أَنْ يَسِيرَ نَحْوَ بَخْتِيَارَ ، فَتَثَاقَلَ ، ثُمَّ فَكَّرَ فِي الْعَوَاقِبِ ، فَسَارَ عَلَى مَضَضٍ ، وَكَانَ أَظْهَرَ لِلنَّاسِ مَا كَانَ هَمَّ بِهِ.وَأَمَّا بَخْتِيَارُ فَإِنَّهُ جَمَعَ أَصْحَابَهُ وَهُوَ بِالدَّيْرِ الْأَعْلَى ، وَنَزَلَ أَبُو تَغْلِبَ بِالْحَصْبَاءِ ، تَحْتَ الْمَوْصِلِ ، وَبَيْنَهُمَا عُرْضُ الْبَلَدِ ، وَتَعَصَّبَ أَهْلُ الْمَوْصِلِ لِأَبِي تَغْلِبَ ، وَأَظْهَرُوا مَحَبَّتَهُ لِمَا نَالَهُمْ مِنْ بَخْتِيَارَ مِنَ الْمُصَادَرَاتِ وَأَخْذِ الْأَمْوَالِ ، وَدَخَلَ النَّاسُ بَيْنَهُمَا فِي الصُّلْحِ ، فَطَلَبَ أَبُو تَغْلِبَ مِنْ بَخْتِيَارَ أَنْ يُلَقَّبَ لَقَبًا سُلْطَانِيًّا ، وَأَنْ يُسَلِّمَ إِلَيْهِ زَوْجَتَهُ ابْنَةَ بَخْتِيَارَ ، وَأَنْ يَحُطَّ عَنْهُ الْقَرَارَ.فَأَجَابَهُ بَخْتِيَارُ خَوْفًا مِنْهُ ، وَتَحَالَفَا ، وَسَارَ بَخْتِيَارُ عَنِ الْمَوْصِلِ عَائِدًا إِلَى بَغْدَاذَ ، فَأَظْهَرَ أَهْلُ الْمَوْصِلِ السُّرُورَ بِرَحِيلِهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ أَسَاءَ مَعَهُمُ السِّيرَةَ وَظَلَمَهُمْ.فَلَمَّا وَصَلَ بَخْتِيَارُ إِلَى الْكُحَيْلِ بَلَغَهُ أَنَّ أَبَا تَغْلِبَ قَدْ قَتَلَ قَوْمًا كَانُوا مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَقَدِ اسْتَأْمَنُوا إِلَى بَخْتِيَارَ ، فَعَادُوا إِلَى الْمَوْصِلِ لِيَأْخُذُوا مَا لَهُمْ بِهَا مِنْ أَهْلٍ وَمَالٍ فَقَتَلَهُمْ.فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ اشْتَدَّ عَلَيْهِ ، وَأَقَامَ بِمَكَانِهِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْوَزِيرِ أَبِي طَاهِرِ بْنِ بَقِيَّةَ وَالْحَاجِبِ سُبُكْتِكِينَ يَأْمُرُهُمَا بِالْإِصْعَادِ إِلَيْهِ ، وَكَانَ قَدْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمَا يَأْمُرُهُمَا بِالتَّوَقُّفِ ، وَيَقُولُ لَهُمَا إِنَّ الصُّلْحَ قَدِ اسْتَقَرَّ ، فَلَمَّا أَرْسَلَ إِلَيْهَا يَطْلُبُهَا أُصْعِدَا إِلَيْهِ فِي الْعَسَاكِرِ ، فَعَادُوا جَمِيعُهُمْ ، إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَنَزَلُوا بِالدَّيْرِ الْأَعْلَى أَوَاخِرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَفَارَقَهَا أَبُو تَغْلِبَ إِلَى تَلِّ يَعْفُرَ ، وَعَزَمَ عِزُّ الدَّوْلَةِ عَلَى قَصْدِهِ وَطَلَبِهِ أَيْنَ سَلَكَ ، فَأَرْسَلَ أَبُو تَغْلِبَ كَاتِبَهُ وَصَاحِبَهُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي عَمْرٍو إِلَى عِزِّ الدَّوْلَةِ ، فَاعْتَقَلَهُ ، وَاعْتَقَلَ مَعَهُ أَبَا الْحَسَنِ بْنَ عُرْسٍ ، وَأَبَا أَحْمَدَ بْنَ حَوْقَلٍ.وَمَا زَالَتِ الْمُرَاسَلَاتُ بَيْنَهُمَا ، وَحَلَفَ أَبُو تَغْلِبَ أَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ بِقَتْلِ أُولَئِكَ ، فَعَادَ الصُّلْحُ وَاسْتَقَرَّ ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ مَا اسْتَقَرَّ مِنَ الْمَالِ ، فَأَرْسَلَ عِزُّ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَ أَبَا أَحْمَدَ الْمُوسَوِيَّ ، وَالْقَاضِيَ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَحَلَّفَا أَبَا تَغْلِبَ ، وَتَجَدَّدَ الصُّلْحُ ، وَانْحَدَرَ عِزُّ الدَّوْلَةِ عَنِ الْمَوْصِلِ سَابِعَ عَشَرَ رَجَبٍ ، وَعَادَ أَبُو تَغْلِبَ إِلَى بَلَدِهِ.وَلَمَّا عَادَ بَخْتِيَارُ عَنِ الْمَوْصِلِ جَهَّزَ ابْنَتَهُ وَسَيَّرَهَا إِلَى أَبِي تَغْلِبَ ، وَبَقِيَتْ مَعَهُ إِلَى أَنْ أُخِذَتْ مِنْهُ ، وَلَمْ يُعْرَفْ لَهَا بَعْدَ ذَلِكَ خَبَرٌ.ذِكْرُ الْفِتْنَةِ بَيْنَ بَخْتِيَارَ وَأَصْحَابِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ابْتَدَأَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ الْأَتْرَاكِ وَالدَّيْلَمِ بِالْأَهْوَازِ ، فَعَمَّتِ الْعِرَاقَ جَمِيعَهُ ، وَاشْتَدَّتْ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ عِزَّ الدَّوْلَةِ بَخْتِيَارَ قَلَّتْ عَنْهُ الْأَمْوَالُ ، وَكَثُرَ إِدْلَالُ جُنْدِهِ ، وَاطِّرَاحُهُمْ لِجَانِبِهِ ، وَشَغَبُهُمْ ، فَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ الْقَرَارُ ، وَلَمْ يَجِدْ دِيوَانُهُ وَوَزِيرُهُ جِهَةً يَحْتَالُ مِنْهَا بِشَيْءٍ ، وَتَوَجَّهُوا إِلَى الْمَوْصِلِ لِهَذَا السَّبَبِ ، فَلَمْ يَنْفَتِحْ عَلَيْهِمْ ، فَرَأَوْا أَنْ يَتَوَجَّهُوا إِلَى الْأَهْوَازِ ، وَيَتَعَرَّضُوا لِبُخْتِكِينَ آزَادْرَوَيْهِ وَكَانَ مُتَوَلِّيَهَا ، وَيَعْمَلُوا لَهُ حُجَّةً يَأْخُذُونَ مِنْهُ مَالًا وَمِنْ غَيْرِهِ ، فَسَارَ بَخْتِيَارُ وَعَسْكَرُهُ ، وَتَخَلَّفَ عَنْهُ سُبُكْتِكِينُ التُّرْكِيُّ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى الْأَهْوَازِ خَدَمَ بَخْتِيَارَ وَحَمَلَ لَهُ أَمْوَالًا جَلِيلَةَ الْمِقْدَارِ ، وَبَذَلَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ الطَّاعَةَ ، وَبَخْتِيَارُ يُفَكِّرُ فِي طَرِيقٍ يَأْخُذُهُ بِهِ.فَاتَّفَقَ أَنَّهُ جَرَى فِتْنَةٌ بَيْنَ الْأَتْرَاكِ وَالدَّيْلَمِ ، وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّ بَعْضَ الدَّيْلَمِ نَزَلَ دَارًا بِالْأَهْوَازَ ، وَنَزَلَ قَرِيبًا مِنْهُ بَعْضُ الْأَتْرَاكِ ، وَكَانَ هُنَاكَ لَبِنٌ مَوْضُوعٌ فَأَرَادَ غُلَامُ الدَّيْلَمِيِّ أَنْ يَبْنِيَ مِنْهُ مَعْلِفًا لِلدَّوَابِّ ، فَمَنَعَهُ غُلَامُ التُّرْكِيِّ ، فَتَضَارَبَا ، وَخَرَجَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ التُّرْكِيِّ وَالدَّيْلَمِيِّ إِلَى نُصْرَةِ غُلَامِهِ ، فَضَعُفَ التُّرْكِيُّ عَنْهُ ، فَرَكِبَ ، وَاسْتَنْصَرَ بِالْأَتْرَاكِ ، فَرَكِبُوا الدَّيْلَمَ ، وَأَخَذُوا السِّلَاحَ ، فَقُتِلَ بَيْنَهُمْ بَعْضُ قُوَّادِ الْأَتْرَاكِ ، وَطَلَبَ الْأَتْرَاكُ بِثَأْرِ صَاحِبِهِمْ ، وَقَتَلُوا بِهِ مِنَ الدَّيْلَمِ قَائِدًا أَيْضًا ، وَخَرَجُوا إِلَى الْبَلَدِ.وَاجْتَهَدَ فِي تَسْكِينِ الْفِتْنَةِ ، فَلَمْ يُمْكِنْهُ ذَلِكَ ، فَاسْتَشَارَ الدَّيْلَمَ فِيمَا يَفْعَلُهُ ، كَانَ أُذُنًا يَتْبَعُ كُلَّ قَائِلٍ ، فَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِقَبْضِ رُؤَسَاءِ الْأَتْرَاكِ لِتَصْفُوَ لَهُ الْبِلَادُ ، فَأَحْضَرُوا آزَادْرَوَيْهِ وَكَاتِبَهُ سَهْلَ بْنَ بِشْرٍ ، وَسَبَاشَى الْخُوَارَزْمِيَّ بَكْتِيجُورَ ، وَكَانَ حَمًا لِسُبُكْتِكِينَ ، فَحَضَرُوا ، فَاعْتَقَلَهُمْ وَقَيَّدَهُمْ ، وَأَطْلَقَ الدَّيْلَمَ فِي الْأَتْرَاكِ ، فَنَهَبُوا أَمْوَالَهُمْ وَدَوَابَّهُمْ وَقُتِلَ بَيْنَهُمْ قَتْلَى ، وَهَرَبَ الْأَتْرَاكُ ، وَاسْتَوْلَى بَخْتِيَارُ عَلَى أَقْطَاعِ سُبُكْتِكِينَ فَأَخَذَهُ ، وَأَمَرَ فَنُودِيَ بِالْبَصْرَةِ بِإِبَاحَةِ دَمِ الْأَتْرَاكِ.ذِكْرُ حِيلَةٍ لِبَخْتِيَارَ عَادَتْ عَلَيْهِ كَانَ بَخْتِيَارُ قَدْ وَاطَأَ وَالِدَتَهُ وَإِخْوَتَهُ أَنَّهُ إِذَا كَتَبَ إِلَيْهِمْ بِالْقَبْضِ عَلَى الْأَتْرَاكِ يُظْهِرُونَ أَنَّ بَخْتِيَارَ قَدْ مَاتَ ، وَيَجْلِسُونَ لِلْعَزَاءِ ، فَإِذَا حَضَرَ سُبُكْتِكِينُ عِنْدَهُمْ قَبَضُوا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا قَبَضَ بَخْتِيَارُ عَلَى الْأَتْرَاكِ كَتَبَ إِلَيْهِمْ عَلَى أَجْنِحَةِ الطُّيُورِ يُعَرِّفُهُمْ بِذَلِكَ ، فَلَمَّا وَقَفُوا عَلَى الْكُتُبِ وَقَعَ الصُّرَاخُ فِي دَارِهِ ، وَأَشَاعُوا مَوْتَهُ ، ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ سُبُكْتِكِينَ يَحْضُرُ عِنْدَهُمْ سَاعَةَ يَبْلُغُهُ الْخَبَرُ ، فَلَمَّا سَمِعَ الصُّرَاخَ أَرْسَلَ يَسْأَلُ عَنِ الْخَبَرِ ، فَأَعْلَمُوهُ ، فَأَرْسَلَ يَسْأَلُ عَنِ الَّذِي أَخْبَرَهُمْ ، وَكَيْفَ أَتَاهُمُ الْخَبَرُ ، فَلَمْ يَجِدْ نَقْلًا يَثِقُ الْقَلْبُ بِهِ ، فَارْتَابَ بِذَلِكَ.ثُمَّ وَصَلَهُ رُسُلُهُ الْأَتْرَاكُ بِمَا جَرَى ، فَعَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مَكِيدَةً عَلَيْهِ ، وَدَعَاهُ الْأَتْرَاكُ إِلَى أَنْ يَتَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ ، فَتَوَقَّفَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ يُعْلِمُهُ أَنَّ الْحَالَ قَدِ انْفَسَدَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ ، فَلَا يُرْجَى صَلَاحُهُ ، وَأَنَّهُ لَا يَرَى الْعُدُولَ عَنْ طَاعَةِ مَوَالِيهِ وَإِنْ أَسَاءُوا إِلَيْهِ ، يَدْعُوهُ إِلَى أَنْ يَعْقِدَ الْأَمْرَ لَهُ.فَعَرَضَ قَوْلَهُ عَلَى وَالِدَتِهِ ، فَمَنَعَتْهُ.فَلَمَّا رَأَى سُبُكْتِكِينُ ذَلِكَ رَكِبَ فِي الْأَتْرَاكِ ، وَحَصَرَ دَارَ بَخْتِيَارَ يَوْمَيْنِ ، ثُمَّ أَحْرَقَهَا وَدَخَلَهَا ، وَأَخَذَ أَبَا إِسْحَاقَ وَأَبَا طَاهِرٍ ابْنَيْ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ وَوَالِدَتَهُمَا وَمَنْ كَانَ مَعَهُمَا ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يُمَكِّنَهُمْ مِنَ الِانْحِدَارِ إِلَى وَاسِطَ ، فَفَعَلَ ، وَانْحَدَرُوا ، وَانْحَدَرَ مَعَهُمُ الْمُطِيعُ لِلَّهِ فِي الْمَاءِ ، فَأَنْفَذَ سُبُكْتِكِينُ فَأَعَادَهُ وَرَدَّهُ إِلَى دَارِهِ وَذَلِكَ تَاسِعُ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى مَا كَانَ لِبَخْتِيَارَ جَمِيعِهِ بِبَغْدَاذَ ، وَنَزَلَ الْأَتْرَاكُ فِي دُورِ الدَّيْلَمِ ، وَتَتَبَّعُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَخَذُوهَا ، وَثَارَتِ الْعَامَّةُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ يَنْصُرُونَ سُبُكْتِكِينُ لِأَنَّهُ كَانَ يَتَسَنَّنُ ، فَخَلَعَ عَلَيْهِمْ ، وَجَعَلَ لَهُمُ الْعُرَفَاءَ وَالْقُوَّادَ ، فَثَارُوا بِالشِّيعَةِ وَحَارَبُوا وَسُفِكَتْ بَيْنَهُمُ الدِّمَاءُ ، وَأُحْرِقَتِ الْكَرْخُ حَرِيقًا ثَانِيًا ، وَظَهَرَتِ السُّنَّةُ عَلَيْهِمْ.ذِكْرُ خَلْعِ الْمُطِيعِ وَخِلَافَةِ الطَّائِعِ لِلَّهِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ ، مُنْتَصَفَ ذِي الْقَعْدَةِ ، خُلِعَ الْمُطِيعُ لِلَّهِ ، وَكَانَ بِهِ مَرَضُ الْفَالِجِ ، وَقَدْ ثَقُلَ لِسَانُهُ ، وَتَعَذَّرَتِ الْحَرَكَةُ عَلَيْهِ ، وَهُوَ يَسْتَرُ ذَلِكَ ، فَانْكَشَفَ حَالُهُ لِسُبُكْتِكِينَ هَذِهِ الدَّفْعَةَ ، فَدَعَاهُ إِلَى أَنْ يَخْلَعَ نَفْسَهُ مِنَ الْخِلَافَةِ وَيُسَلِّمَهَا إِلَى وَالِدِهِ الطَّائِعِ لِلَّهِ ، وَاسْمُهُ أَبُو الْفَضْلِ عَبْدُ الْكَرِيمِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَأَشْهَدَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْخَلْعِ ثَالِثَ عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ.وَكَانَتْ مُدَّةُ خِلَافَتِهِ تِسْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ غَيْرَ أَيَّامٍ ، وَبُويِعَ لِلطَّائِعِ لِلَّهِ بِالْخِلَافَةِ ، وَاسْتَقَرَّ أَمْرُهُ.ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ الْمُعِزِّ لِدِينِ اللَّهِ الْعَلَوِيِّ وَالْقَرَامِطَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ الْقَرَامِطَةُ ، وَمُقَدَّمُهُمُ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ ، مِنَ الْأَحْسَاءِ إِلَى دِيَارِ مِصْرَ فَحَصَرَهَا ، وَلَمَّا سَمِعَ الْمُعِزُّ لِدِينِ اللَّهِ صَاحِبُ مِصْرَ بِأَنَّهُ يُرِيدُ قَصْدَ مِصْرَ كَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا يَذْكُرُ فِيهِ فَضْلَ نَفْسِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ ، وَأَنَّ الدَّعْوَةَ وَاحِدَةٌ ، وَأَنَّ الْقَرَامِطَةَ إِنَّمَا كَانَتْ دَعْوَتُهُمْ إِلَيْهِ ، وَإِلَى آبَائِهِ مِنْ قَبْلِهِ ، وَوَعَظَهُ وَبَالَغَ ، وَتَهَدَّدَهُ ، وَسَيَّرَ الْكِتَابَ إِلَيْهِ.فَكَتَبَ جَوَابَهُ وَصَلَ كِتَابُكَ الَّذِي قَلَّ تَحْصِيلُهُ وَكَثُرَ تَفْضِيلُهُ ، وَنَحْنُ سَائِرُونَ إِلَيْكَ عَلَى أَثَرِهِ ، وَالسَّلَامُ.وَسَارَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى مِصْرَ ، فَنَزَلَ عَلَى عَيْنِ شَمْسٍ بِعَسْكَرِهِ ، وَأَنْشَبَ الْقِتَالَ ، وَبَثَّ السَّرَايَا فِي الْبِلَادِ يَنْهَبُونَهَا فَكَثُرَتْ جُمُوعُهُ ، وَأَتَاهُ مِنَ الْعَرَبِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَكَانَ مِمَّنْ أَتَاهُ حَسَّانُ بْنُ الْجَرَّاحِ الطَّائِيُّ ، أَمِيرُ الْعَرَبِ بِالشَّامِ ، وَمَعَهُ جَمْعٌ عَظِيمٌ.فَلَمَّا رَأَى الْمُعِزُّ كَثْرَةَ جُمُوعِهِ اسْتَعْظَمَ ذَلِكَ وَأَهَمَّهُ ، وَتَحَيَّرَ فِي أَمْرِهِ ، وَلَمْ يُقْدِمْ عَلَى إِخْرَاجِ عَسْكَرِهِ لِقِتَالِهِ ، فَاسْتَشَارَ أَهْلَ الرَّأْيِ مِنْ نُصَحَائِهِ ، فَقَالُوا لَيْسَ حِيلَةٌ غَيْرَ السَّعْيِ فِي تَفْرِيقِ كَلِمَتِهِمْ ، وَإِلْقَاءِ الْخُلْفِ بَيْنَهُمْ ، وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ إِلَّا بِابْنِ الْجَرَّاحِ ، فَرَاسَلَهُ الْمُعِزُّ وَاسْتَمَالَهُ ، وَبَذَلَ لَهُ مِائَةَ أَلْفَ دِينَارٍ إِنْ هُوَ خَالَفَ عَلَى الْقَرْمَطِيِّ ، فَأَجَابَهُ ابْنُ الْجَرَّاحِ إِلَى مَا طَلَبَ مِنْهُ ، فَاسْتَحْلَفُوهُ ، فَحَلَفَ أَنَّهُ إِذَا وَصَلَ إِلَيْهِ الْمَالُ الْمُقَرَّرُ انْهَزَمَ بِالنَّاسِ.فَأَحْضَرُوا الْمَالَ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ اسْتَكْثَرُوهُ ، فَضَرَبُوا أَكْثَرَهَا دَنَانِيرَ مِنْ صَفَرَ ، وَأَلْبَسُوهَا الذَّهَبَ ، وَجَعَلُوهَا فِي أَسْفَلِ الْأَكْيَاسِ ، وَجَعَلُوا الذَّهَبَ الْخَاصَّ عَلَى رُءُوسِهَا ، وَحُمِلَ إِلَيْهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْمُعِزِّ أَنْ يَخْرُجَ فِي عَسْكَرِهِ يَوْمَ كَذَا وَيُقَاتِلُوهُ وَهُوَ فِي الْجِهَةِ الْفُلَانِيَّةِ فَإِنَّهُ يَنْهَزِمُ ، فَفَعَلَ الْمُعِزُّ ذَلِكَ فَانْهَزَمَ وَتَبِعَهُ الْعَرَبُ كَافَّةً ، فَلَمَّا رَآهُ الْحَسَنُ الْقَرْمَطِيُّ مُنْهَزِمًا تَحَيَّرَ فِي أَمْرِهِ ، وَثَبَتَ ، وَقَاتَلَ بِعَسْكَرِهِ إِلَّا أَنَّ عَسْكَرَ الْمُعِزِّ طَمِعُوا فِيهِ وَتَابَعُوا الْحَمَلَاتِ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَأَرْهَقُوهُ ، فَوَلَّى مُنْهَزِمًا ، وَاتَّبَعُوا أَثَرَهُ ، وَظَفِرُوا بِمُعَسْكَرِهِ فَأَخَذُوا مَنْ فِيهِ أَسْرَى ، وَكَانُوا نَحْوَ أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةِ أَسِيرٍ ، فَضُرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ ، وَنُهِبَ مَا فِي الْمُعَسْكَرِ.وَجُرِّدَ الْمُعِزُّ الْقَائِدُ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ جَعْفَرٍ فِي عَشَرَةِ آلَافِ رَجُلٍ ، وَأَمَرَهُ بِاتِّبَاعِ الْقَرَامِطَةِ بِهِمْ ، فَاتَّبَعَهُمْ ، وَتَثَاقَلَ فِي سَيْرِهِ خَوْفًا أَنْ تَرْجِعَ الْقَرَامِطَةُ إِلَيْهِ ، وَأَمَّا هُمْ فَإِنَّهُمْ سَارُوا حَتَّى نَزَلُوا أَذْرِعَاتٍ ، وَسَارُوا مِنْهُمْ إِلَى بَلَدِهِمُ الْأَحْسَاءِ ، وَيُظْهِرُونَ أَنَّهُمْ يَعُودُونَ.ذِكْرُ مُلْكِ الْمُعِزِّ دِمَشْقَ وَمَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْفِتَنِ لَمَّا بَلَغَ الْمُعِزَّ انْهَزَامُ الْقَرْمَطِيِّ مِنَ الشَّامِ ، وَعَوْدُهُ إِلَى بِلَادِهِ ، أَرْسَلَ الْقَائِدَ ظَالِمَ بْنَ مَوْهِبٍ الْعُقَيْلِيَّ وَالِيًا عَلَى دِمَشْقَ ، فَدَخَلَهَا ، وَعَظُمَ حَالُهُ ، وَكَثُرَتْ جُمُوعُهُ وَأَمْوَالُهُ وَعُدَّتُهُ ، لِأَنَّ أَبَا الْمُنَجَّى وَابْنَهُ صَاحِبَيِ الْقَرْمَطِيِّ كَانَا بِدِمَشْقَ ، وَمَعَهُمَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْقَرَامِطَةِ ، فَأَخْذَهُمْ ظَالِمٌ وَحَبَسَهُمْ ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ وَجَمِيعَ مَا يَمْلِكُونَ.ثُمَّ إِنَّ الْقَائِدَ أَبَا مَحْمُودٍ الَّذِي سَيَّرَهُ الْمُعِزُّ يَتْبَعُ الْقَرَامِطَةَ وَصَلَ إِلَى دِمَشْقَ بَعْدَ وُصُولِ ظَالِمٍ إِلَيْهَا بِأَيَّامٍ قَلِيلَةٍ ، فَخَرَجَ ظَالِمٌ مُتَلَقِّيًا لَهُ مَسْرُورًا بِقُدُومِهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ مُسْتَشْعِرًا مِنْ عَوْدِ الْقَرْمَطِيِّ إِلَيْهِ ، فَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَنْزِلَ بِعَسْكَرِهِ بِظَاهِرِ دِمَشْقَ ، فَفَعَلَ ، وَسَلَّمَ إِلَيْهِ أَبَا الْمُنَجَّى وَابْنَهُ وَرَجُلًا آخَرَ يُعْرَفُ بِالنَّابُلُسِيِّ ، وَكَانَ هَرَبَ مِنَ الرَّمْلَةِ ، وَتَقَرَّبَ إِلَى الْقَرْمَطِيِّ ، فَأُسِرَ بِدِمَشْقَ أَيْضًا ، فَحَمَلَهُمْ أَبُو مُحَمَّدٍ إِلَى مِصْرَ ، فَسُجِنَ أَبُو الْمُنَجَّى وَابْنُهُ ، وَقِيلَ لِلنَّابُلُسِيِّ أَنْتَ الَّذِي قُلْتَ لَوْ أَنَّ مَعِي عَشَرَةَ أَسْهُمٍ لَرَمَيْتُ تِسْعَةً فِي الْمَغَارِبَةِ وَوَاحِدًا فِي الرُّومِ ؟فَاعْتَرَفَ ، فَسُلِخَ جِلْدُهُ وَحُشِيَ تِبْنًا وَصُلِبَ.وَلَمَّا نَزَلَ أَبُو مَحْمُودٍ بِظَاهِرِ دِمَشْقَ امْتَدَّتْ أَيْدِي أَصْحَابِهِ بِالْعَيْثِ وَالْفَسَادِ ، وَقَطْعِ الطُّرُقِ ، فَاضْطَرَبَ النَّاسُ وَخَافُوا ، ثُمَّ إِنَّ صَاحِبَ الشُّرْطَةِ أَخَذَ إِنْسَانًا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ فَقَتَلَهُ ، فَثَارَ بِهِ الْغَوْغَاءُ وَالْأَحْدَاثُ ، وَقَتَلُوا أَصْحَابَهُ ، وَأَقَامَ ظَالِمٌ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ يُدَارِيهِمْ ، وَانْتَزَحَ أَهْلُ الْقُرَى مِنْهَا لِشِدَّةِ نَهْبِ الْمَغَارِبَةِ أَمْوَالَهُمْ ، وَظُلْمِهِمْ لَهُمْ.وَدَخَلُوا الْبَلَدَ ، فَلَمَّا كَانَ نِصْفُ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ وَقَعَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ عَسْكَرِ أَبِي مَحْمُودٍ وَبَيْنَ الْعَامَّةِ ، وَجَرَى بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ قِتَالٌ شَدِيدٌ ، وَظَالِمٌ مَعَ الْعَامَّةِ يُظْهِرُ أَنَّهُ يُرِيدُ الْإِصْلَاحَ ، وَلَمْ يُكَاشِفْ أَبَا مَحْمُودٍ ، وَانْفَصَلُوا.ثُمَّ إِنَّ أَصْحَابَ أَبِي مَحْمُودٍ أَخَذُوا مِنَ الْغُوطَةِ قُفْلًا مِنْ حُورَانَ ، وَقَتَلُوا مِنْهُ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ ، فَأَخَذَهُمْ أَهْلُوهُمْ وَأَلْقَوْهُمْ فِي الْجَامِعِ ، فَأُغْلِقَتِ الْأَسْوَاقُ ، وَخَافَ النَّاسُ ، وَأَرَادُوا الْقِتَالَ ، فَسَكَّنَهُمْ عُقَلَاؤُهُمْ.ثُمَّ إِنَّ الْمَغَارِبَةَ أَرَادُوا نَهْبَ قَيْنِيَةَ وَاللُّؤْلُؤَةَ ، فَوَقَعَ الصَّائِحُ فِي أَهْلِ الْبَلَدِ ، فَنَفَرُوا ، وَقَاتَلُوا الْمَغَارِبَةَ فِي السَّابِعَ عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَرَكِبَ أَبُو مَحْمُودٍ فِي جُمُوعِهِ وَزَحَفَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، فَقَوِيَ الْمَغَارِبَةُ ، وَانْهَزَمَ الْعَامَّةُ إِلَى سُورِ الْبَلَدِ ، فَصَبَرُوا عِنْدَهُ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُمْ ، وَكَثُرَ النَّشَّابُ عَلَى الْمَغَارِبَةِ فَأَثْخَنَ فِيهِمْ ، فَعَادُوا ، فَتَبِعَهُمُ الْعَامَّةُ ، فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى الْعَوْدَةِ ، فَعَادُوا ، وَحَمَلُوا عَلَى الْعَامَّةِ فَانْهَزَمُوا ، وَتَبِعُوهُمْ إِلَى الْبَلَدِ ، وَخَرَجَ ظَالِمٌ مِنْ دَارِ الْإِمَارَةِ.وَأَلْقَى الْمَغَارِبَةُ النَّارَ فِي الْبَلَدِ مِنْ نَاحِيَةِ بَابِ الْفَرَادِيسِ ، وَأَحْرَقُوا تِلْكَ النَّاحِيَةَ فَأَخَذَتِ النَّارُ إِلَى الْقِبْلَةِ فَأَحْرَقَتْ مِنَ الْبَلَدِ كَثِيرًا ، وَهَلَكَ فِيهِ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ ، وَمَا لَا يُحَدُّ مِنَ الْأَثَاثِ وَالرِّحَالِ وَالْأَمْوَالِ ، وَبَاتَ النَّاسُ عَلَى أَقْبَحِ صُورَةٍ ، ثُمَّ إِنَّهُمُ اصْطَلَحُوا هُمْ وَأَبُو مَحْمُودٍ ، ثُمَّ انْتَقَضُوا ، وَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ إِلَى رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.ذِكْرُ وِلَايَةِ جَيْشِ بْنِ الصَّمْصَامَةِ دِمَشْقَ ثُمَّ عَادَتِ الْفِتْنَةُ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَتَرَدَّدُوا فِي الصُّلْحِ ، فَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ بَيْنَ الْقَائِدِ أَبِي مَحْمُودٍ وَالدِّمَشْقِيِّينَ عَلَى إِخْرَاجِ ظَالِمٍ مِنَ الْبَلَدِ ، وَأَنْ يَلِيَهُ جَيْشُ بْنُ الصَّمْصَامَةِ ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِ أَبِي مَحْمُودٍ ، وَاتَّفَقُوا عَلَى ذَلِكَ وَخَرَجَ ظَالِمٌ مِنَ الْبَلَدِ ، وَوَلِيَهُ جَيْشُ بْنُ الصَّمْصَامَةِ ، وَسَكَنَتِ الْفِتْنَهُ وَاطْمَأَنَّ النَّاسُ.ثُمَّ إِنَّ الْمَغَارِبَةَ بَعْدَ أَيَّامٍ عَاثُوا وَأَفْسَدُوا بَابَ الْفَرَادِيسِ ، فَثَارَ النَّاسُ عَلَيْهِمْ وَقَاتَلُوهُمْ ، وَقَتَلُوا مَنْ لَحِقُوهُ ، وَصَارُوا إِلَى الْقَصْرِ الَّذِي فِيهِ جَيْشٌ ، فَهَرَبَ مِنْهُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْجُنْدِ الْمَغَارِبَةِ ، وَلَحِقَ بِالْعَسْكَرِ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ ، وَهُوَ أَوَّلُ جُمَادَى الْأُولَى مِنَ السَّنَةِ ، زَحَفَ جَيْشٌ فِي الْعَسْكَرِ إِلَى الْبَلَدِ ، وَقَاتَلَهُ أَهْلُهُ ، فَظَفِرَ بِهِمْ وَهَزَمَهُمْ ، وَأَحْرَقَ مِنَ الْبَلَدِ مَا كَانَ سَلِمَ ، وَدَامَ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ أَيَّامًا كَثِيرَةً فَاضْطَرَبَ النَّاسُ وَخَافُوا ، وَخَرِبَتِ الْمَنَازِلُ ، وَانْقَطَعَتِ الْمَوَادُّ ، وَانْسَدَّتِ الْمَسَالِكُ ، وَبَطَلَ الْبَيْعُ وَالشِّرَاءُ ، وَقُطِعَ الْمَاءُ عَنِ الْبَلَدِ ، فَبَطَلَتِ الْقَنَوَاتُ وَالْحَمَّامَاتُ ، وَمَاتَ كَثِيرٌ مِنَ الْفُقَرَاءِ عَلَى الطُّرُقَاتِ مِنَ الْجُوعِ وَالْبَرْدِ ، فَأَتَاهُمُ الْفَرَجُ بِعَزْلِ أَبِي مَحْمُودٍ.ذِكْرُ وِلَايَةِ رَيَّانَ الْخَادِمِ دِمَشْقَ لَمَّا كَانَ بِدِمَشْقَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْقِتَالِ ، وَالتَّحْرِيقِ ، وَالتَّخْرِيبِ ، وَصَلَ الْخَبَرُ بِذَلِكَ إِلَى الْمُعِزِّ صَاحِبِ مِصْرَ ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ وَاسْتَبْشَعَهُ وَاسْتَعْظَمَهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْقَائِدِ رَيَّانَ الْخَادِمِ ، وَالِي طَرَابُلُسَ ، وَيَأْمُرُهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى دِمَشْقَ لِمُشَاهَدَةِ حَالِهَا وَكَشْفِ أُمُورِ أَهْلِهَا ، وَتَعْرِيفِهِ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ ، وَأَنْ يَصْرِفَ الْقَائِدَ أَبَا مَحْمُودٍ عَنْهَا ، فَامْتَثَلَ رَيَّانُ ذَلِكَ ، وَسَارَ إِلَى دِمَشْقَ ، وَكَشَفَ الْأَمْرُ فِيهَا وَكَتَبَ بِهِ إِلَى الْمُعِزِّ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى الْقَائِدِ أَبِي مَحْمُودٍ بِالِانْصِرَافِ عَنْهَا ، فَسَارَ فِي جَمَاعَةٍ قَلِيلَةٍ مِنَ الْعَسْكَرِ إِلَى الرَّمْلَةِ ، وَبَقِيَ الْأَكْثَرُ مِنْهُمْ مَعَ رَيَّانَ.وَبَقِيَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ وَلِيَ الْفَتْكِينُ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ.ذِكْرُ حَالِ بَخْتِيَارَ بَعْدَ قَبْضِ الْأَتْرَاكِ لَمَّا فَعَلَ بَخْتِيَارُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ قَبْضِ الْأَتْرَاكِ ظَفِرَ بِذَخِيرَةٍ لِآزَادْرَوَيْهِ بِجَنْدِيسَابُورَ ، فَأَخَذَهَا ، ثُمَّ رَأَى مَا فَعَلَهُ الْأَتْرَاكُ مَعَ سُبُكْتِكِينَ ، وَأَنَّ بَعْضَهُمْ بِسَوَادِ الْأَهْوَازِ قَدْ عَصَوْا عَلَيْهِ ، وَاضْطَرَبَ عَلَيْهِ غِلْمَانُهُ الَّذِينَ فِي دَارِهِ ، وَأَتَاهُ مَشَايِخُ الْأَتْرَاكِ مِنَ الْبَصْرَةِ ، فَعَاتَبُوهُ عَلَى مَا فَعَلَ بِهِمْ ، وَقَالَ لَهُ عُقَلَاءُ الدَّيْلَمِ لَا بُدَّ لَنَا فِي الْحَرْبِ مِنَ الْأَتْرَاكِ يَدْفَعُونَ عَنَّا بِالنُّشَّابِ ، فَاضْطَرَبَ رَأْيُ بَخْتِيَارَ ، ثُمَّ أَطْلَقَ آزَادْرَوَيْهِ ، وَجَعَلَهُ صَاحِبَ الْجَيْشِ مَوْضِعَ سُبُكْتِكِينَ ، وَظَنَّ أَنَّ الْأَتْرَاكَ يَأْنَسُونَ بِهِ ، وَأَطْلَقَ الْمُعْتَقَلِينَ وَسَارَ إِلَى وَالِدَتِهِ وَإِخْوَتِهِ بِوَاسِطَ ، وَكَتَبَ إِلَى عَمِّهِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ وَإِلَى ابْنِ عَمِّهِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ يَسْأَلُهُمَا أَنْ يُنْجِدَاهُ ، وَيَكْشِفَا مَا نَزَلَ بِهِ ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي تَغْلِبَ بْنِ حَمْدَانَ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُسَاعِدَهُ بِنَفْسِهِ ، وَأَنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ أَسْقَطَ عَنْهُ الْمَالَ الَّذِي عَلَيْهِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ بِالْبَطِيحَةِ خِلَعًا وَأَسْقَطَ عَنْهُ بَاقِيَ الْمَالِ الَّذِي اصْطَلَحَا عَلَيْهِ وَخَطَبَ إِلَيْهِ إِحْدَى بَنَاتِهِ ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُسَيِّرَ إِلَيْهِ عَسْكَرًا.فَأَمَّا رُكْنُ الدَّوْلَةِ عَمُّهُ فَإِنَّهُ جَهَّزَ عَسْكَرًا مَعَ وَزِيرِهِ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ الْعَمِيدِ ، وَكَتَبَ إِلَى ابْنِهِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ يَأْمُرُ بِالْمَسِيرِ إِلَى عَمِّهِ وَالِاجْتِمَاعِ مَعَ ابْنِ الْعَمِيدِ.وَأَمَّا عَضُدُ الدَّوْلَةِ فَإِنَّهُ وَعَدَ بِالْمَسِيرِ ، وَانْتَظَرَ بِبَخْتِيَارَ الدَّوَائِرَ طَمَعًا فِي مُلْكِ الْعِرَاقِ.وَأَمَّا عِمْرَانُ بْنُ شَاهِينَ فَإِنَّهُ قَالَ أَمَّا إِسْقَاطُ الْمَالِ فَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ لَا أَصْلَ لَهُ ، وَقَدْ قَبِلْتُهُ ، وَأَمَّا الْوَصْلَةُ فَإِنَّنِي لَا أَتَزَوَّجُ أَحَدًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ الذِّكْرُ مِنْ عِنْدِي ، وَقَدْ خَطَبَ إِلَيَّ الْعَلَوِيُّونَ ، وَهُمْ مَوَالِينَا ، فَمَا أَجَبْتُهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، وَأَمَّا الْخِلَعُ وَالْفَرسُ فَإِنَّنِي لَسْتُ مِمَّنْ يَلْبَسُ مَلْبُوسَكُمْ ، وَقَدْ قَبِلَهَا ابْنِي ، وَأَمَّا إِنْقَاذُ عَسْكَرٍ فَإِنَّ رِجَالِي لَا يَسْكُنُونَ إِلَيْكُمْ لِكَثْرَةِ مَا قَتَلُوا مِنْكُمْ.ثُمَّ ذَكَرَ مَا عَامَلَهُ بِهِ هُوَ وَأَبُوهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، وَقَالَ وَمَعَ هَذَا فَلَا بُدَّ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ بَيْتِي مُسْتَجِيرًا بِي ، وَاللَّهِ وَلَأُعَامِلَنَّهُ بِضِدِّ مَا عَامَلَنِي بِهِ هُوَ وَأَبُوهُ ، فَكَانَ كَذَلِكَ.وَأَمَّا أَبُو تَغْلِبَ بْنُ حَمْدَانَ فَإِنَّهُ أَجَابَ إِلَى الْمُسَارَعَةِ ، وَأَنْفَذَ أَخَاهُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنَ بْنَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ إِلَى تَكْرِيتَ فِي عَسْكَرٍ ، وَانْتَظَرَ انْحِدَارَ الْأَتْرَاكِ عَنْ بَغْدَاذَ ، فَإِنْ ظَفِرُوا بِبَخْتِيَارَ دَخَلَ بَغْدَاذَ مَالِكًا لَهَا ، فَلَمَّا انْحَدَرَ الْأَتْرَاكُ عَنْ بَغْدَاذَ سَارَ أَبُو تَغْلِبَ إِلَيْهَا لِيُوجِبَ عَلَى بَخْتِيَارَ الْحُجَّةَ فِي إِسْقَاطِ الْمَالِ الَّذِي عَلَيْهِ ، وَوَصَلَ إِلَى بَغْدَاذَ وَالنَّاسُ فِي بَلَاءٍ عَظِيمٍ مَعَ الْعَيَّارِينَ ، فَحَمَى الْبَلَدَ ، وَكَفَّ أَهْلَ الْفَسَادِ.وَأَمَّا الْأَتْرَاكُ فَإِنَّهُمُ انْحَدَرُوا مَعَ سُبُكْتِكِينَ إِلَى وَاسِطَ ، وَأَخَذُوا مَعَهُمُ الْخَلِيفَةَ الطَّائِعَ لِلَّهِ ، وَالْمُطِيعَ أَيْضًا وَهُوَ مَخْلُوعٌ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى دَيْرِ الْعَاقُولِ تُوُفِّيَ بِهَا الْمُطِيعُ لِلَّهِ ، وَمَرِضَ سُبُكْتِكِينُ فَمَاتَ بِهَا أَيْضًا ، فَحُمِلَا إِلَى بَغْدَاذَ ، وَقَدَّمَ الْأَتْرَاكُ عَلَيْهِمُ الْفَتْكِينَ ، وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ قُوَّادِهِمْ وَمَوَالِي مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَفَرِحَ بَخْتِيَارُ بِمَوْتِ سُبُكْتِكِينَ ، وَظَنَّ أَنَّ أَمْرَ الْأَتْرَاكِ يَنْحَلُّ وَيَنْتَشِرُ بِمَوْتِهِ ، فَلَمَّا رَأَى انْتِظَامَ أُمُورِهِمْ سَاءَهُ ذَلِكَ.ثُمَّ إِنَّ الْأَتْرَاكَ سَارُوا إِلَيْهِ ، وَهُوَ بِوَاسِطَ ، فَنَزَلُوا قَرِيبًا مِنْهُ ، وَصَارُوا يُقَاتِلُونَهُ نَوَائِبَ ، نَحْوَ خَمْسِينَ يَوْمًا ، وَلَمْ تَزَلِ الْحَرْبُ بَيْنَ الْأَتْرَاكِ وَبَخْتِيَارَ مُتَّصِلَةً ، وَالظَّفَرُ لِلْأَتْرَاكِ فِي كُلِّ ذَلِكَ ، وَحَصَرُوا بَخْتِيَارَ ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحِصَارُ ، وَأَحْدَقُوا بِهِ ، وَصَارَ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ، وَتَابَعَ إِنْفَاذَ الرُّسُلِ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ بِالْحَثِّ وَالْإِسْرَاعِ وَكَتَبَ إِلَيْهِ فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولًا فَكُنْ أَنْتَ آكِلِي وَإِلَّا فَأَدْرِكْنِي وَلَمَّا أُمَزَّقِ فَلَمَّا رَأَى عَضُدُ الدَّوْلَةِ ذَلِكَ ، وَأَنَّ الْأَمْرَ قَدْ بَلَغَ بِبَخْتِيَارَ مَا كَانَ يَرْجُوهُ ، سَارَ نَحْوَ الْعِرَاقِ نَجْدَةً لَهُ فِي الظَّاهِرِ ، وَبَاطِنُهُ بِضِدِّ ذَلِكَ.ذِكْرُ مُلْكِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ عُمَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَوْلَى الْوَزِيرُ أَبُو الْقَاسِمِ الْمُطَهِّرُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَزِيرُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ عَلَى جِبَالِ عُمَانَ ، وَمَنْ بِهَا مِنَ الشُّرَاةِ ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ لَمَّا تُوُفِّيَ ، وَبِعُمَانَ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْعَبَّاسِ ، نَائِبُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، فَارَقَهَا ، فَتَوَلَّى أَمْرَهَا عُمَرُ بْنُ نَهْبَانَ الطَّائِيُّ ، وَأَقَامَ الدَّعْوَةَ لِعَضُدِ الدَّوْلَةِ ، ثُمَّ إِنَّ الزِّنْجَ غَلَبَتْ عَلَى الْبَلَدِ ، وَمَعَهُمْ طَوَائِفُ مِنَ الْجُنْدِ ، وَقَتَلُوا ابْنَ نَهْبَانَ ، وَأَمَّرُوا عَلَيْهِمْ إِنْسَانًا يُعْرَفُ بِابْنِ حَلَّاجٍ ، فَسَيَّرَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ جَيْشًا مِنْ كَرْمَانَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ أَبَا حَرْبٍ طُغَانَ ، فَسَارُوا فِي الْبَحْرِ إِلَى عُمَانَ ، فَخَرَجَ أَبُو حَرْبٍ مِنَ الْمَرْكَبِ إِلَى الْبَرِّ وَسَارَتِ الْمَرَاكِبُ فِي الْبَحْرِ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ ، فَتَوَافَوْا عَلَى صُحَارِ قَصَبَةِ عُمَانَ فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الْجُنْدُ وَالزِّنْجُ وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، فَظَفِرَ أَبُو حَرْبٍ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى صُحَارَ ، وَانْهَزَمَ أَهْلُهَا ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .ثُمَّ إِنَّ الزِّنْجَ اجْتَمَعُوا إِلَى بَرِيمٍ ، وَهُوَ رُسْتَاقٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صُحَارَ مَرْحَلَتَانِ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ أَبُو حَرْبٍ ، فَأَوْقَعَ بِهِمْ وَقْعَةً أَتَتْ عَلَيْهِمْ قَتْلًا وَأَسْرًا ، فَاطْمَأَنَّتِ الْبِلَادُ.ثُمَّ إِنَّ جِبَالَ عُمَانَ اجْتَمَعَ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ الشُّرَاةِ ، وَجَعَلُوا لَهُمْ أَمِيرًا اسْمُهُ وَرْدُ بْنُ زِيَادٍ ، وَجَعَلُوا لَهُمْ خَلِيفَةً اسْمُهُ حَفْصُ بْنُ رَاشِدٍ ، فَاشْتَدَّتْ شَوْكَتُهُمْ ، فَسَيَّرَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ الْمُطَهِّرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فِي الْبَحْرِ أَيْضًا ، فَبَلَغَ إِلَى نَوَاحِي حَرْفَانَ مِنْ أَعْمَالِ عُمَانَ ، فَأَوْقَعَ بِأَهْلِهَا ، وَأَثْخَنَ فِيهِمْ ، وَأَسَرَ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى دَمَا وَهِيَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ مِنْ صُحَارَ ، فَقَاتَلَ مَنْ بِهَا ، وَأَوْقَعَ بِهِمْ وَقْعَةً عَظِيمَةً فِيهَا وَأَسَرَ كَثِيرًا مِنْ رُؤَسَائِهِمْ ، وَانْهَزَمَ أَمِيرُهُمْ وَرْدٌ ، وَإِمَامُهُمْ حَفْصٌ ، وَاتَّبَعَهُمُ الْمُطَهِّرُ إِلَى نَزْوَى وَهِيَ قَصَبَةُ تِلْكَ الْجِبَالِ ، فَانْهَزَمُوا مِنْهُ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِمُ الْعَسَاكِرَ ، فَأَوْقَعُوا بِهِمْ وَقْعَةً أَتَتْ عَلَى بَاقِيهِمْ ، وَقُتِلَ وَرْدٌ ، وَانْهَزَمَ حَفْصٌ إِلَى الْيَمَنِ ، فَصَارَ مُعَلِّمًا ، وَسَارَ الْمُطَهِّرُ إِلَى مَكَانٍ يُعْرَفُ بِالشَّرَفِ بِهِ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْعَرَبِ ، نَحْوُ عَشَرَةِ آلَافٍ ، فَأَوْقَعَ بِهِمْ ، وَاسْتَقَامَتِ الْبِلَادُ ، وَدَانَتْ بِالطَّاعَةِ ، وَلَمْ يَبْقَ فِيهَا مُخَالِفٌ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا خُطِبَ لِلْمُعِزِّ لِدِينِ اللَّهِ الْعَلَوِيِّ ، صَاحِبِ مِصْرَ ، بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، فِي الْمَوْسِمِ.وَفِيهَا خَرَجَ بَنُو هِلَالٍ وَجَمْعٌ مِنَ الْعَرَبِ عَلَى الْحَاجِّ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَضَاقَ الْوَقْتُ ، فَبَطَلَ الْحَجُّ ، وَلَمْ يَسْلَمْ إِلَّا مَنْ مَضَى مَعَ الشَّرِيفِ أَبِي أَحْمَدَ الْمُوسَوِيِّ ، وَالِدِ الرَّضِيِّ ، عَلَى طَرِيقِ الْمَدِينَةِ ، فَتَمَّ حَجُّهُمْ.وَفِيهَا كَانَتْ بِوَاسِطَ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ فِي ذِي الْحِجَّةِ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي يَزْدَادَ الْفَقِيهُ الْحَنْبَلِيُّ الْمَعْرُوفُ بِغُلَامِ الْخَلَّالِ وَعُمْرُهُ ثَمَانٍ وَسَبْعُونَ سَنَةً.وَإِلَى آخِرِ هَذِهِ السَّنَةِ انْتَهَى" تَارِيخُ "ثَابِتِ بْنِ سِنَانِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ قُرَّةَ ، وَأَوَّلُهُ مِنْ خِلَافَةِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ عَلَى الْعِرَاقِ وَقَبْضِ بَخْتِيَارَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَصَلَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ وَاسْتَوْلَى عَلَى الْعِرَاقِ ، وَقَبَضَ بَخْتِيَارَ ثُمَّ عَادَ فَأَخْرَجَهُ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ بَخْتِيَارَ لَمَّا تَابَعَ كُتُبَهُ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ يَسْتَنْجِدُهُ ، وَيَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى الْأَتْرَاكِ ، وَسَارَ إِلَيْهِ فِي عَسَاكِرِ فَارِسَ ، وَاجْتَمَعَ بِهِ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ الْعَمِيدِ ، وَزِيرُ أَبِيهِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، فِي عَسَاكِرِ الرَّيِّ بِالْأَهْوَازِ ، وَسَارُوا إِلَى وَاسِطَ.فَلَمَّا سَمِعَ الْفَتْكِينُ بِخَبَرِ وُصُولِهِمْ رَجَعَ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَجْعَلَهَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، وَيُقَاتِلَ عَلَى دَيَالَى.وَوَصَلَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ فَاجْتَمَعَ بِهِ بَخْتِيَارُ ، وَسَارَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ إِلَى بَغْدَاذَ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ، وَأَمَرَ بَخْتِيَارَ أَنْ يَسِيرَ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ.وَلَمَّا بَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى أَبِي تَغْلِبَ بِقُرْبِ الْفَتْكِينَ مِنْهُ عَادَ عَنْ بَغْدَاذَ إِلَى الْمَوْصِلِ لِأَنَّ أَصْحَابَهُ شَغَبُوا عَلَيْهِ ، فَلَمْ يُمْكِنْهُ الْمُقَامَ ، وَوَصَلَ الْفَتْكِينُ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَحَصَلَ مَحْصُورًا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ بَخْتِيَارَ كَتَبَ إِلَى ضَبَّةَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَسَدِيِّ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ عَيْنِ التَّمْرِ ، وَهُوَ الَّذِي هَجَاهُ الْمُتَنَبِّي ، فَأَمَرَهُ بِالْإِغَارَةِ عَلَى أَطْرَافِ بَغْدَاذَ ، وَبِقَطْعِ الْمِيرَةِ عَنْهَا ، وَكَتَبَ بِمِثْلِ ذَلِكَ إِلَى بَنِي شَيْبَانَ.وَكَانَ أَبُو تَغْلِبَ بْنُ حَمْدَانَ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَوْصِلِ يَمْنَعُ الْمِيرَةَ وَيُنَفِّذُ سَرَايَاهُ ، فَغَلَا السِّعْرُ بِبَغْدَاذَ ، وَثَارَ الْعَيَّارُونَ وَالْمُفْسِدُونَ فَنَهَبُوا النَّاسَ بِبَغْدَاذَ ، وَامْتَنَعَ النَّاسُ مِنَ الْمَعَاشِ لِخَوْفِ الْفِتَنِ ، وَعَدَمِ الطَّعَامِ وَالْقُوتِ بِهَا ، وَكَبْسِ الْفَتْكِينِ الْمَنَازِلَ فِي طَلَبِ الطَّعَامِ.وَسَارَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ نَحْوَ بَغْدَاذَ ، فَلَقِيَهُ الْفَتْكِينُ وَالْأَتْرَاكُ بَيْنَ دَيَالَى وَالْمَدَائِنِ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَانْهَزَمَ الْأَتْرَاكُ فَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَوَصَلُوا إِلَى دَيَالَى فَعَبَرُوا عَلَى جُسُورٍ كَانُوا عَمِلُوهَا عَلَيْهِ ، فَغَرِقَ مِنْهُمْ أَكْثَرُهُمْ مِنَ الزَّحْمَةِ ، وَكَذَلِكَ قُتِلَ وَغَرِقَ مِنَ الْعَيَّارِينَ الَّذِينَ أَعَانُوهُمْ مِنْ بَغْدَاذَ ، وَاسْتَبَاحُوا عَسْكَرَهُمْ ، وَكَانَتِ الْوَقْعَةُ رَابِعَ عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى.وَسَارَ الْأَتْرَاكُ إِلَى تَكْرِيتَ ، وَسَارَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ فَنَزَلَ بِظَاهِرِ بَغْدَاذَ ، فَلَمَّا عَلِمَ وُصُولَ الْأَتْرَاكِ إِلَى تَكْرِيتَ دَخَلَ بَغْدَاذَ وَنَزَلَ بِدَارِ الْمَمْلَكَةِ ، وَكَانَ الْأَتْرَاكُ قَدْ أَخَذُوا الْخَلِيفَةَ مَعَهُمْ كَارِهًا ، فَسَعَى عَضُدُ الدَّوْلَةِ حَتَّى رَدَّهُ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَوَصَلَهَا ثَامِنَ رَجَبٍ فِي الْمَاءِ وَخَرَجَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ فَلَقِيَهُ فِي الْمَاءِ أَيْضًا ، وَامْتَلَأَتْ دِجْلَةُ بِالسُّمَيْرِيَّاتِ وَالزَّبَازِبِ ، وَلَمْ يَبْقَ بِبَغْدَاذَ أَحَدٌ ، وَلَوْ أَرَادَ إِنْسَانٌ أَنْ يَعْبُرَ دِجْلَةَ عَلَى السُّمَيْرِيَّاتِ مِنْ وَاحِدَةٍ إِلَى أُخْرَى لَأَمْكَنَهُ ذَلِكَ لِكَثْرَتِهَا ، وَسَارَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ مَعَ الْخَلِيفَةِ وَأَنْزَلَهُ بِدَارِ الْخِلَافَةِ.وَكَانَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ قَدْ طَمِعَ فِي الْعِرَاقِ ، وَاسْتَضْعَفَ بَخْتِيَارَ ، وَإِنَّمَا خَافَ أَبَاهُ رُكْنَ الدَّوْلَةِ ، فَوَّضَ جُنْدَ بَخْتِيَارَ عَلَى أَنْ يَثُورُوا بِهِ وَيَشْغَبُوا عَلَيْهِ ، وَيُطَالِبُوهُ بِأَمْوَالِهِمْ وَالْإِحْسَانِ لِأَجْلِ صَبْرِهِمْ مُقَابِلَ الْأَتْرَاكِ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ وَبَالَغُوا ، وَكَانَ بَخْتِيَارُ لَا يَمْلِكُ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا ، وَقَدْ نُهِبَ الْبَعْضُ ، وَأَخْرَجَ هُوَ الْبَاقِيَ ، وَالْبِلَادُ خَرَابٌ ، فَلَا تَصِلُ يَدُهُ إِلَى أَخْذِ شَيْءٍ مِنْهَا.وَأَشَارَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ عَلَى بَخْتِيَارَ بِتَرْكِ الِالْتِفَاتِ إِلَيْهِمْ ، وَالْغِلْظَةِ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ ، وَأَنْ لَا يَعِدَهُمْ بِمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَأَنْ يُعَرِّفَهُمْ أَنَّهُ لَا يُرِيدُ الْإِمَارَةَ وَالرِّئَاسَةَ عَلَيْهِمْ ، وَوَعَدَهُ أَنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ تَوَسَّطَ الْحَالَ بَيْنَهُمْ عَلَى مَا يُرِيدُهُ.فَظَنَّ بَخْتِيَارُ أَنَّهُ نَاصِحٌ لَهُ ، مُشْفِقٌ عَلَيْهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَاسْتَعْفَى مِنَ الْإِمَارَةِ ، وَأَغْلَقَ بَابَ دَارِهِ ، وَصَرَفَ كُتَّابَهُ وَحُجَّابَهُ ، فَرَاسَلَهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ ظَاهِرًا بِمَحْضَرٍ مِنْ مُقَدَّمِي الْجُنْدِ يُشِيرُ عَلَيْهِ بِمُقَارَبَتِهِمْ ، وَتَطْيِيبِ قُلُوبِهِمْ ، وَكَانَ أَوْصَاهُ سِرًّا أَنْ لَا يَقْبَلَ مِنْهُ ذَلِكَ.فَعَمِلَ بَخْتِيَارُ بِمَا أَوْصَاهُ ، وَقَالَ لَسْتُ أَمِيرًا لَهُمْ ، وَلَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ مُعَامَلَةٌ ، وَقَدْ بَرِئْتُ مِنْهُمْ.فَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَعَضُدُ الدَّوْلَةِ يُغْرِيهِمْ بِهِ ، وَالشَّغْبُ يَزِيدُ ، وَأَرْسَلَ بَخْتِيَارُ إِلَيْهِ يَطْلُبُ نَجَازَ مَا وَعَدَهُ بِهِ ، فَفَرَّقَ الْجُنْدَ عَلَى عِدَةٍ جَمِيلَةٍ ، وَاسْتَدْعَى بَخْتِيَارَ وَإِخْوَتَهُ إِلَيْهِ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِمْ ، وَوَكَّلَ بِهِمْ ، وَجَمَعَ النَّاسَ وَأَعْلَمَهُمُ اسْتِعْفَاءَ بَخْتِيَارَ عَنِ الْإِمَارَةِ عَجْزًا عَنْهَا ، وَوَعَدَهُمُ الْإِحْسَانَ وَالنَّظَرَ فِي أُمُورِهِمْ فَسَكَنُوا إِلَى قَوْلِهِ.وَكَانَ قَبْضُهُ عَلَى بَخْتِيَارَ فِي السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ.وَكَانَ الْخَلِيفَةُ الطَّائِعُ لِلَّهِ نَافِزًا عَنْ بَخْتِيَارَ لِأَنَّهُ كَانَ مَعَ الْأَتْرَاكِ فِي حُرُوبِهِمْ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ قَبْضُهُ سَرَّهُ ذَلِكَ ، وَعَادَ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، فَأَظْهَرَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ مِنْ تَعْظِيمِ الْخِلَافَةِ مَا كَانَ قَدْ نُسِيَ وَتُرِكَ ، وَأَمَرَ بِعِمَارَةِ الدَّارِ ، وَالْإِكْثَارِ مِنَ الْآلَاتِ ، وَعِمَارَةِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْخَلِيفَةِ ، وَحِمَايَةِ أَقْطَاعِهِ ، وَلَمَّا دَخَلَ الْخَلِيفَةُ إِلَى بَغْدَاذَ وَدَخَلَ دَارَ الْخِلَافَةِ أَنْفَذَ إِلَيْهِ عَضُدُ الدَّوْلَةِ مَالًا كَثِيرًا ، وَغَيْرَهُ مِنَ الْأَمْتِعَةِ وَالْفُرُشِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.ذِكْرُ عَوْدِ بَخْتِيَارَ إِلَى مُلْكِهِ لَمَّا قُبِضَ بَخْتِيَارُ كَانَ وَلَدُهُ الْمَرْزُبَانُ بِالْبَصْرَةِ مُتَوَلِّيًا لَهَا ، فَلَمَّا بَلَغَهُ قَبْضُ وَالِدِهِ امْتَنَعَ فِيهَا عَلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَكَتَبَ إِلَى رُكْنِ الدَّوْلَةِ يَشْكُو مَا جَرَى عَلَى وَالِدِهِ وَعَمَّيْهِ مِنْ عَضُدِ الدَّوْلَةِ وَمِنْ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ الْعَمِيدِ ، وَيَذْكُرُ لَهُ الْحِيلَةَ الَّتِي تَمَّتْ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا سَمِعَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ ذَلِكَ أَلْقَى نَفْسَهُ عَنْ سَرِيرِهِ إِلَى الْأَرْضِ وَتَمَرَّغَ عَلَيْهَا ، وَامْتَنَعَ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ عِدَّةَ أَيَّامٍ ، وَمَرِضَ مَرَضًا لَمْ يَسْتَقِلَّ مِنْهُ بَاقِيَ حَيَاتِهِ.وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ بَقِيَّةَ ، بَعْدَ بَخْتِيَارَ ، قَدْ خَدَمَ عَضُدَ الدَّوْلَةِ ، وَضَمِنَ مِنْهُ مَدِينَةَ وَاسِطَ وَأَعْمَالَهَا ، فَلَمَّا صَارَ إِلَيْهَا خَلَعَ طَاعَةَ الدَّوْلَةِ ، وَخَالَفَ عَلَيْهِ وَأَظْهَرَ الِامْتِعَاضَ لِقَبْضِ بَخْتِيَارَ ، وَكَاتَبَ عِمْرَانَ بْنَ شَاهِينَ ، وَطَلَبَ مُسَاعَدَتَهُ ، وَحَذَّرَهُ مَكْرَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، فَأَجَابَهُ عِمْرَانُ إِلَى مَا الْتَمَسَ.وَكَانَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ قَدْ ضَمَّنَ سَهْلَ بْنَ بِشْرٍ ، وَزِيرَ الْفَتْكِينَ ، بَلَدَ الْأَهْوَازِ ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ حَبْسِ بَخْتِيَارَ ، فَكَاتَبَهُ مُحَمَّدُ بْنُ بَقِيَّةَ وَاسْتَمَالَهُ ، فَأَجَابَهُ ، فَلَمَّا عَصَى ابْنُ بَقِيَّةَ أَنْفَذَ إِلَيْهِ عَضُدُ الدَّوْلَةِ جَيْشًا قَوِيًّا ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ ابْنُ بَقِيَّةَ فِي الْمَاءِ وَمَعَهُ عَسْكَرٌ قَدْ سَيَّرَهُ إِلَيْهِ عِمْرَانُ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ أَقْبَحَ هَزِيمَةٍ ، وَكَاتَبَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ بِحَالِهِ حَالَ بَخْتِيَارَ ، فَكَتَبَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ إِلَيْهِ وَإِلَى الْمَرْزُبَانِ وَغَيْرِهِمَا مِمَّنِ احْتَمَى لِبَخْتِيَارَ ، يَأْمُرُهُمْ بِالثَّبَاتِ وَالصَّبْرِ ، وَيُعَرِّفُهُمْ أَنَّهُ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى الْعِرَاقِ لِإِخْرَاجِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ وَإِعَادَةِ بَخْتِيَارَ.فَاضْطَرَبَتِ النَّوَاحِي عَلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَتَجَاسَرَ عَلَيْهِ الْأَعْدَاءُ حَيْثُ عَلِمُوا إِنْكَارَ أَبِيهِ عَلَيْهِ ، وَانْقَطَعَتْ عَنْهُ مَوَادُّ فَارِسَ وَالْبَحْرِ ، وَلَمْ يَبْقَ بِيَدِهِ إِلَّا قَصَبَةُ بَغْدَاذَ ، وَطَمِعَ فِيهِ الْعَامَّةُ وَأَشْرَفَ عَلَى مَا يَكْرَهُ ، فَرَأَى إِنْفَاذَ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ الْعَمِيدِ بِرِسَالَةٍ إِلَى أَبِيهِ يُعَرِّفُهُ مَا جَرَى لَهُ وَمَا فَرَّقَ مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَضَعُفَ بَخْتِيَارُ عَنْ حِفْظِ الْبِلَادِ ، وَإِنْ أُعِيدَ إِلَى حَالِهِ خَرَجَتِ الْمَمْلَكَةُ وَالْخِلَافَةُ عَنْهُمْ ، وَكَانَ بَوَارُهُمْ ، وَيَسْأَلُ تَرْكَ نُصْرَةِ بَخْتِيَارَ ، وَقَالَ لِأَبِي الْفَتْحِ فَإِنْ أَجَابَ إِلَى مَا تُرِيدُ مِنْهُ ، وَإِلَّا فَقُلْ لَهُ إِنَّنِي أَضْمَنُ مِنْكَ أَعْمَالَ الْعِرَاقِ ، وَأَحْمِلُ إِلَيْكَ مِنْهَا كُلَّ سَنَةٍ ثَلَاثِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَأَبْعَثُ بَخْتِيَارَ وَأَخَوَيْهِ إِلَيْكَ لِتَجْعَلَهُمْ بِالْخِيَارِ ، فَإِنِ اخْتَارُوا أَقَامُوا عَنْكَ ، وَإِنِ اخْتَارُوا بَعْضَ بِلَادِ فَارِسَ سَلَّمْتُهُ إِلَيْهِمْ ، وَوَسَّعْتَ عَلَيْهِمْ ، وَإِنْ أَجَبْتَ أَنْتَ أَنْ تَحْضُرَ فِي الْعِرَاقِ لِتَلِيَ تَدْبِيرَ الْخِلَافَةِ ، وَتُنْفِذَ بَخْتِيَارَ إِلَى الرَّيِّ وَأَعُودُ أَنَا إِلَى فَارِسَ فَالْأَمْرُ إِلَيْكَ.وَقَالَ لِابْنِ الْعَمِيدِ فَإِنْ أَجَابَ إِلَى مَا ذَكَرْتَ لَهُ ، وَإِلَّا فَقُلْ لَهُ أَيُّهَا السَّيِّدُ الْوَالِدُ ، أَنْتَ مَقْبُولُ الْحُكْمِ وَالْقَوْلِ ، وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى إِطْلَاقِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ بَعْدَ مُكَاشَفَتِهِمْ ، وَإِظْهَارِ الْعَدَاوَةِ ، وَسَيُقَاتِلُونَنِي بِغَايَةِ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ ، فَتَنْتَشِرُ الْكَلِمَةُ ، وَيَخْتَلِفُ أَهْلُ الْبَيْتِ أَبَدًا ، فَإِنْ قَبِلْتَ مَا ذَكَرْتُهُ فَأَنَا الْعَبْدُ الطَّائِعُ ، وَإِنْ أَبَيْتَ ، وَحَكَمْتَ بِانْصِرَافِي ، فَإِنِّي سَأَقْتُلُ بَخْتِيَارَ وَأَخَوَيْهِ ، وَأَقْبِضُ عَلَى كُلِّ مَنْ أَتَّهِمُهُ بِالْمَيْلِ إِلَيْهِمْ وَأَخْرُجُ عَنِ الْعِرَاقِ ، وَأَتْرُكُ الْبِلَادَ سَائِبَةً لِيُدَبِّرَهَا مَنِ اتَّفَقْتُ لَهُ.فَخَافَ ابْنُ الْعَمِيدِ أَنْ يَسِيرَ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ ، وَأَشَارَ أَنْ يَسِيرَ بِهَا غَيْرُهُ ، وَيَسِيرَ هُوَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَيَكُونُ كَالْمُشِيرِ عَلَى رُكْنِ الدَّوْلَةِ بِإِجَابَتِهِ إِلَى مَا طَلَبَ ، فَأَرْسَلَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ رَسُولًا بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ ، وَسَيَّرَ بَعْدَهُ ابْنَ الْعَمِيدِ عَلَى الْجَمَّازَاتِ ، فَلَمَّا حَضَرَ الرَّسُولُ عِنْدَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، وَذَكَرَ بَعْضَ الرِّسَالَةِ ، وَثَبَ إِلَيْهِ لِيَقْتُلَهُ ، فَهَرَبَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، ثُمَّ رَدَّهُ بَعْدَ أَنْ سَكَنَ غَضَبُهُ ، وَقَالَ قُلْ لِفُلَانٍ ، يَعْنِي عَضُدَ الدَّوْلَةِ ، وَسَمَّاهُ بِغَيْرِ اسْمِهِ ، وَشَتَمَهُ ، خَرَجْتَ إِلَى نُصْرَةِ ابْنِ أَخِي وَلِلطَّمَعِ فِي مَمْلَكَتِهِ ، أَمَا عَرَفْتَ أَنِّي نَصَرْتُ الْحَسَنَ بْنَ الْفَيْرَزَانِ ، وَهُوَ غَرِيبٌ مِنِّي ، مِرَارًا كَثِيرَةً أُخَاطِرُ فِيهَا بِمُلْكِي وَنَفْسِي ، فَإِذَا أَعَدْتُ لَهُ بِلَادَهُ ، وَلَمْ أَقْبَلْ مِنْهُ مَا قِيمَتُهُ دِرْهَمٌ وَاحِدٌ.ثُمَّ انْصَرَفَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَرْزُبَانِ ، وَأَعَدْتُهُ إِلَى أَذْرَبِيجَانَ ، وَأَنْفَذْتُ وَزِيرِي وَعَسَاكِرِي فِي نُصْرَتِهِ ، وَلَمْ آخُذْ مِنْهُ دِرْهَمًا وَاحِدًا ، كُلُّ ذَلِكَ طَلَبًا لِحُسْنِ الذِّكْرِ ، وَمُحَافَظَةً عَلَى الْفُتُوَّةِ ، تُرِيدُ أَنْ تَمُنَّ أَنْتَ عَلَيَّ بِدِرْهَمَيْنِ أَنْفَقْتَهُمَا أَنْتَ عَلَيَّ وَعَلَى أَوْلَادِ أَخِي ، ثُمَّ تَطْمَعُ فِي مَمَالِكِهِمْ وَتُهَدِّدُنِي بِقَتْلِهِمْ!.فَعَادَ الرَّسُولُ وَوَصَلَ ابْنُ الْعَمِيدِ ، فَحَجَبَهُ عَنْهُ ، وَلَمْ يَسْمَعْ حَدِيثَهُ ، وَتَهَدَّدَهُ بِالْهَلَاكِ ، وَأَنْفَذَ إِلَيْهِ يَقُولُ لَهُ لَأَتْرُكُنَّكَ وَذَلِكَ الْفَاعِلَ ، يَعْنِي عَضُدَ الدَّوْلَةِ ، تَجْتَهِدَانِ جُهْدَكُمَا ، ثُمَّ لَا أَخْرُجُ إِلَيْكُمَا إِلَّا فِي ثَلَاثِمِائَةِ جَمَّازَةٍ وَعَلَيْهَا الرَّجُلُ ، ثُمَّ اثْبُتُوا إِنْ شِئْتُمْ ، فَوَاللَّهِ لَا قَاتَلْتُكُمَا إِلَّا بِأَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْكُمَا.وَكَانَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ يَقُولُ إِنَّنِي أَرَى أَخِي مُعِزَّ الدَّوْلَةِ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي الْمَنَامِ يَعَضُّ عَلَى أَنَامِلِهِ وَيَقُولُ يَا أَخِي هَكَذَا ضَمِنْتَ لِي أَنْ تَخْلُفَنِي فِي وَلَدِي.وَكَانَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ يُحِبُّ أَخَاهُ مَحَبَّةً شَدِيدَةً لِأَنَّهُ رَبَّاهُ ، فَكَانَ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ الْوَلَدِ.ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ سَعَوْا لِابْنِ الْعَمِيدِ ، وَتَوَسَّطُوا الْحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، وَقَالُوا إِنَّمَا تَحَمَّلَ ابْنُ الْعَمِيدِ هَذِهِ الرِّسَالَةَ لِيَجْعَلَهَا طَرِيقًا لِلْخَلَاصِ مِنْ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَالْوُصُولِ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَ بِمَا تَرَاهُ.فَأَذِنَ لَهُ فِي الْحُضُورِ عِنْدَهُ ، فَاجْتَمَعَ بِهِ ، وَضَمِنَ لَهُ إِعَادَةَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ إِلَى فَارِسَ ، وَتَقْرِيرَ بَخْتِيَارَ بِالْعِرَاقِ ، فَرَدَّهُ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَعَرَّفَهُ جَلِيَّةَ الْحَالِ.فَلَمَّا رَأَى عَضُدُ الدَّوْلَةِ انْحِرَافَ الْأُمُورِ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ إِلَى الْمَسِيرِ إِلَى فَارِسَ وَإِعَادَةَ بَخْتِيَارَ ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ مَحْبِسِهِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَشَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ نَائِبًا عَنْهُ بِالْعِرَاقِ ، وَيَخْطُبُ لَهُ ، وَيَجْعَلُ أَخَاهُ أَبَا إِسْحَاقَ أَمِيرَ الْجَيْشِ لِضَعْفِ بَخْتِيَارَ ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ جَمِيعَ مَا كَانَ لَهُمْ ، وَسَارَ إِلَى فَارِسَ فِي شَوَّالٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَأَمَرَ أَبَا الْفَتْحِ بْنَ الْعَمِيدِ ، وَزِيرَ أَبِيهِ ، أَنْ يَلْحَقَهُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ.فَلَمَّا سَارَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ أَقَامَ ابْنُ الْعَمِيدِ عِنْدَ بَخْتِيَارَ مُتَشَاغِلًا بِالذَّاتِ ، وَبِمَا هُوَ بَخْتِيَارُ مُغْرًى بِهِ مِنَ اللَّعِبِ ، وَاتَّفَقَا بَاطِنًا عَلَى أَنَّهُ إِذَا مَاتَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ سَارَ إِلَيْهِ وَوَزَرَ لَهُ ، وَاتَّصَلَ ذَلِكَ بِعَضُدِ الدَّوْلَةِ ، فَكَانَ سَبَبَ هَلَاكِ ابْنِ الْعَمِيدِ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ.وَاسْتَقَرَّ بَخْتِيَارُ بِبَغْدَاذَ ، وَلَمْ يَقِفْ لِعَضُدِ الدَّوْلَةِ عَلَى الْعُهُودِ.فَلَمَّا ثَبَتَ أَمْرُ بَخْتِيَارَ أَنْفَذَ ابْنَ بَقِيَّةَ مِنْ خَلْفِهِ لَهُ ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ ، وَأَكَّدَ الْوَحْشَةَ بَيْنَ بَخْتِيَارَ وَعَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَثَارَتِ الْفِتْنَةُ بَعْدَ مَسِيرِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَاسْتَمَالَ ابْنُ بَقِيَّةَ الْأَجْنَادَ ، وَجَبَى كَثِيرًا مِنَ الْأَمْوَالِ إِلَى خِزَانَتِهِ ، وَكَانَ إِذَا طَالَبَهُ بَخْتِيَارُ بِالْمَالِ وَضَعَ الْجُنْدَ عَلَى مُطَالَبَتِهِ ، فَثَقُلَ عَلَى بَخْتِيَارٍ فَاسْتَشَارَ فِي مَكْرُوهٍ يُوقِعُهُ بِهِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ بَقِيَّةَ ، فَعَاتَبَ بَخْتِيَارَ عَلَيْهِ ، فَأَنْكَرَهُ وَحَلَفَ لَهُ فَاحْتَرَزَ ابْنُ بَقِيَّةَ مِنْهُ.ذِكْرُ اضْطِرَابَ كَرْمَانَ عَلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ وَعَوْدِهَا لَهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَالَفَ أَهْلُ كَرْمَانَ عَلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْجُرُومِيَّةِ ، وَهِيَ الْبِلَادُ ، يُقَالُ لَهُ طَاهِرُ بْنُ الصِّمَّةِ ، ضَمِنَ مِنْ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ضَمَانَاتٍ ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ ، فَطَمِعَ فِيهَا ، وَكَانَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ قَدْ سَارَ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَسَيَّرَ وَزِيرَهُ الْمُطَهِّرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى عُمَانَ لِيَسْتَوْلِيَ عَلَيْهَا ، فَخَلَتْ كَرْمَانُ مِنَ الْعَسَاكِرِ ، فَجَمَعَ طَاهِرٌ الرِّجَالَ الْجُرُومِيَّةَ وَغَيْرَهُمْ ، فَاجْتَمَعَ لَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ.وَاتُّفِقَ أَنَّ بَعْضَ الْأَتْرَاكِ السَّامَانِيَّةِ ، اسْمُهُ يُوزْتَمَرُ ، كَانَ قَدْ اسْتَوْحَشَ مِنْ أَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سِيمْجُورَ ، صَاحِبِ جَيْشِ خُرَاسَانَ لِلسَّامَانِيَّةِ ، فَكَاتَبَهُ طَاهِرٌ ، وَأَطْمَعَهُ فِي أَعْمَالِ كَرْمَانَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ ، وَاتَّفَقَا ، وَكَانَ يُوزْتَمَرُ هُوَ الْأَمِيرَ ، فَاتُّفِقَ أَنَّ الرِّجَالَ الْجُرُومِيَّةَ شَغَبُوا عَلَى يُوزْتَمَرَ ، فَظَنَّ أَنَّ طَاهِرًا وَضَعَهُمْ ، فَاخْتَلَفَا وَاقْتَتَلَا ، فَظَفِرَ يُوزْتَمَرُ بِطَاهِرٍ وَأَسَرَهُ ، وَظَفِرَ بِأَصْحَابِهِ.وَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ إِلْيَاسَ ، وَهُوَ بِخُرَاسَانَ ، فَطَمِعَ فِي الْبِلَادِ ، فَجَمَعَ جَمْعًا وَسَارَ إِلَيْهَا ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ بِهَا جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ.ثُمَّ إِنَّ الْمُطَهِّرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ اسْتَوْلَى عَلَى عُمَانَ وَجِبَالِهَا ، وَأَوْقَعَ بِالشُّرَاةِ فِيهَا وَعَادَ ، فَوَصَلَهُ كِتَابُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ مِنْ بَغْدَاذَ يَأْمُرُهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى كَرْمَانَ ، فَسَارَ إِلَيْهَا مُجِدًّا ، وَأَوْقَعَ فِي طَرِيقِهِ بِأَهْلِ الْعَيْثِ وَالْفَسَادِ ، وَقَتَلَهُمْ وَصَلَبَهُمْ ، وَمَثَّلَ بِهِمْ ، وَوَصَلَ إِلَى يُوزْتَمَرَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْهُ ، فَاقْتَتَلُوا بِنَوَاحِي مَدِينَةِ بَمَّ ، فَانْهَزَمَ يُوزْتَمَرُ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ وَحَصَرَهُ الْمُطَهِّرُ فِي حِصْنٍ فِي وَسَطِ الْمَدِينَةِ ، فَطَلَبَ الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَمَعَهُ طَاهِرٌ فَأَمَرَ الْمُطَهِّرَ بِطَاهِرٍ فَشُهِرَ ، ثُمَّ ضُرِبَ عُنُقُهُ.وَأَمَّا يُوزْتَمَرُ فَإِنَّهُ رَفَعَهُ إِلَى الْقِلَاعِ ، فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ ، وَسَارَ الْمُطَهِّرُ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ إِلْيَاسَ ، فَرَأَى كَثْرَةَ مَنْ مَعَهُ ، فَخَافَ جَانِبَهُمْ ، وَلَمْ يَجِدْ مِنَ اللِّقَاءِ بُدًّا ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَ الْحُسَيْنُ عَلَى بَابِ جِيرُفْتَ ، وَانْهَزَمَ عَسْكَرُهُ فَمَنَعَهُمْ سُورُ الْمَدِينَةِ مِنَ الْهَرَبِ ، فَكَثُرَ فِيهِمُ الْقَتْلُ ، وَأُخِذَ الْحُسَيْنُ أَسِيرًا ، وَأُحْضِرَ عِنْدَ الْمُطَهِّرِ ، فَلَمْ يُعْرَفْ لَهُ بَعْدُ خَبَرٌ ، وَصَلُحَتْ كَرْمَانُ لِعَضُدِ الدَّوْلَةِ.ذِكْرُ وِلَايَةِ الْفَتْكِينِ دِمَشْقَ وَمَاكَانَ مِنْهُ إِلَى أَنْ مَاتَ قَدْ ذَكَرْنَا مَا كَانَ مِنِ انْهِزَامِ الْفَتْكِينِ التُّرْكِيِّ ، مَوْلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهٍ ، مِنْ مَوْلَاهُ بَخْتِيَارَ بْنِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَمِنْ عَضُدِ الدَّوْلَةِ فِي فِتْنَةِ الْأَتْرَاكِ بِالْعِرَاقِ ، فَلَمَّا انْهَزَمَ مِنْهُمْ سَارَ فِي طَائِفَةٍ صَالِحَةٍ مِنَ الْجُنْدِ التُّرْكِ ، فَوَصَلَ إِلَى حِمْصَ ، فَنَزَلَ بِالْقُرْبِ مِنْهَا ، فَقَصَدَهُ ظَالِمُ بْنُ مَوْهُوبٍ الْعُقَيْلِيُّ الَّذِي كَانَ أَمِيرَ دِمَشْقَ لِلْمُعِزِّ لِدِينِ اللَّهِ لِيَأْخُذَهُ ، فَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ أَخْذِهِ ، فَعَادَ عَنْهُ وَسَارَ الْفَتْكِينُ إِلَى دِمَشْقَ فَنَزَلَ بِظَاهِرِهَا.وَكَانَ أَمِيرُهَا حِينَئِذٍ رَيَّانَ الْخَادِمَ لِلْمُعِزِّ ، وَكَانَ الْأَحْدَاثُ قَدْ غَلَبُوا عَلَيْهَا ، وَلَيْسَ لِلْأَعْيَانِ مَعَهُمْ حُكْمٌ ، وَلَا لِلسَّلْطَنَةِ عَلَيْهِمْ طَاعَةٌ ، فَلَمَّا نَزَلَ خَرَجَ أَشْرَافُهَا وَشُيُوخُهَا إِلَيْهِ ، وَأَظْهَرُوا لَهُ السُّرُورَ بِقُدُومِهِ ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَهُمْ ، وَيَمْلِكَ بَلَدَهُمْ ، وَيُزِيلَ عَنْهُمْ سِمَةَ الْمِصْرِيِّينَ ، فَإِنَّهُمْ يَكْرَهُونَهَا بِمُخَالَفَةِ الِاعْتِقَادِ ، وَلِظُلْمِ عُمَّالِهِمْ ، وَيَكُفُّ عَنْهُمْ شَرَّ الْأَحْدَاثِ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، وَاسْتَخْلَفَهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْمُسَاعَدَةِ ، وَحَلَفَ لَهُمْ عَلَى الْحِمَايَةِ وَكَفَّ الْأَذَى عَنْهُمْ مِنْهُ وَمِنْ غَيْرِهِ ، وَدَخَلَ الْبَلَدَ ، وَأَخْرَجَ عَنْهُ رَيَّانَ الْخَادِمَ ، وَقَطَعَ خُطْبَةَ الْمُعِزِّ ، وَخَطَبَ لِلطَّائِعِ لِلَّهِ فِي شَعْبَانَ ، وَقَمَعَ أَهْلَ الْعَيْثِ وَالْفَسَادِ ، وَهَابَهُ النَّاسُ كَافَّةً ، وَأَصْلَحَ كَثِيرًا مِنْ أُمُورِهِمْ.فَكَانَتِ الْعَرَبُ قَدِ اسْتَوْلَتْ عَلَى سَوَادِ الْبَلَدِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهِ ، فَقَصَدَهُمْ ، وَأَوْقَعَ بِهِمْ ، وَقَتَلَ كَثِيرًا مِنْهُمْ ، وَأَبَانَ عَنْ شَجَاعَةٍ ، وَقُوَّةِ نَفْسٍ ، وَحُسْنِ تَدْبِيرٍ ، فَأَذْعَنُوا لَهُ وَأُقْطِعَ الْبِلَادَ ، وَكَثُرَ جَمْعُهُ ، وَتَوَفَّرَتْ أَمْوَالُهُ ، وَثَبَتَ قَدَمُهُ.وَكَاتَبَ الْمُعِزَّ بِمِصْرَ يُدَارِيهِ ، وَيُظْهِرُ لَهُ الِانْقِيَادَ ، فَشَكَرَهُ ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُحْضِرَهُ عِنْدَهُ لِيَخْلَعَ عَلَيْهِ ، وَيُعِيدَهُ وَالِيًا مِنْ جَانِبِهِ ، فَلَمْ يَثِقْ بِهِ ، وَامْتَنَعَ مِنَ الْمَسِيرِ فَتَجَهَّزَ الْمُعِزُّ وَجَمَعَ الْعَسَاكِرَ لِقَصْدِهِ ، فَمَرِضَ وَمَاتَ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَوُلِّيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ ، فَأَمِنَ الْفَتْكِينَ بِمَوْتِهِ جِهَةَ مِصْرَ ، فَقَصَدَ بِلَادَ الْعَزِيزِ الَّتِي بِسَاحِلِ الشَّامِ ، فَعَمَدَ إِلَى صَيْدَا فَحَصَرَهَا وَبِهَا ابْنُ الشَّيْخِ ، وَمَعَهُ رُءُوسُ الْمَغَارِبَةِ ، وَمَعَهُمْ ظَالِمُ بْنُ مَوْهُوبٍ الْعُقَيْلِيُّ ، فَقَاتَلَهُمْ وَكَانُوا فِي كَثْرَةٍ ، فَطَمِعُوا فِيهِ وَخَرَجُوا إِلَيْهِ ، فَاسْتَجَرَّهُمْ حَتَّى أُبْعِدُوا ، ثُمَّ عَادَ عَلَيْهِمْ فَقَتَلَ مِنْهُمْ نَحْوَ أَرْبَعَةِ آلَافِ قَتِيلٍ.وَطَمِعَ فِي أَخْذِ عَكَّا ، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا ، وَقَصَدَ طَبَرِيَةَ ، فِيهَا مِنَ الْقَتْلِ وَالنَّهْبِ مِثْلَ صَيْدَا ، وَعَادَ إِلَى دِمَشْقَ.فَلَمَّا سَمِعَ الْعَزِيزُ بِذَلِكَ اسْتَشَارَ وَزِيرَهُ يَعْقُوبَ بْنَ كِلِّسٍ فِيمَا يَفْعَلُ ، فَأَشَارَ بِإِرْسَالِ جَوْهَرٍ فِي الْعَسَاكِرِ إِلَى الشَّامِ ، فَجَهَّزَهُ وَسَيَّرَهُ.فَلَمَّا سَمِعَ الْفَتْكِينُ بِمَسِيرِهِ جَمَعَ أَهْلَ دِمَشْقَ وَقَالَ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّنِي مَا وَلِيتُ أَمْرَكُمْ إِلَّا عَنْ رِضًى مِنْكُمْ ، وَطَلَبٍ مِنْ كَبِيرِكُمْ وَصَغِيرِكُمْ لِي ، وَإِنَّمَا كُنْتُ مُجْتَازًا وَقَدْ أَظَلَّكُمْ هَذَا الْأَمْرُ ، وَأَنَا سَائِرٌ عَنْكُمْ لِئَلَّا يَنَالَكُمْ أَذًى بِسَبَبِي.فَقَالُوا لَا نُمَكِّنُكَ مِنْ فِرَاقِنَا ، وَنَحْنُ نَبْذُلُ الْأَنْفُسَ وَالْأَمْوَالَ فِي هَوَاكَ ، وَنَنْصُرُكَ ، وَنَقُومُ مَعَكَ ، فَاسْتَحْلَفَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، فَحَلَفُوا لَهُ ، فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ.فَوَصَلَ جَوْهَرٌ إِلَى الْبَلَدِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَحَصَرَهُ ، فَرَأَى مِنْ قِتَالِ الْفَتْكِينِ وَمَنْ مَعَهُ مَا اسْتَعْظَمَهُ ، وَدَامَتِ الْحَرْبُ شَهْرَيْنِ ، قُتِلَ فِيهَا عَدَدٌ كَثِيرٌ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ.فَلَمَّا رَأَى أَهْلُ دِمَشْقَ طُولَ مُقَامِ الْمَغَارِبَةِ عَلَيْهِمْ أَشَارُوا عَلَى الْفَتْكِينِ بِمُكَاتَبَةِ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ الْقَرْمَطِيِّ ، وَاسْتِنْجَادِهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، فَسَارَ الْقَرْمَطِيُّ إِلَيْهِ مِنَ الْأَحْسَاءِ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهُ رَحَلَ جَوْهَرٌ عَنْ دِمَشْقَ ، خَوْفًا أَنْ يَبْقَى بَيْنَ عَدُوَّيْنِ ، وَكَانَ مُقَامُهُ عَلَيْهَا سَبْعَةَ أَشْهُرٍ ، وَوَصَلَ الْقَرْمَطِيُّ وَاجْتَمَعَ هُوَ وَالْفَتْكِينُ ، وَسَارَا فِي أَثَرِ جَوْهَرٍ ، فَأَدْرَكَاهُ وَقَدْ نَزَلَ بِظَاهِرِ الرَّمْلَةِ ، وَسَيَّرَ أَثْقَالَهُ إِلَى عَسْقَلَانَ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَكَانَ جَمْعُ الْفَتْكِينِ وَالْقَرْمَطِيِّ كَثِيرًا مِنْ رِجَالِ الشَّامِ وَالْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ ، فَكَانُوا نَحْوَ خَمْسِينَ أَلْفَ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ ، فَنَزَلُوا عَلَى نَهْرِ الطَّوَاحِينِ ، عَلَى ثَلَاثَةِ فَرَاسِخَ مِنَ الْبَلَدِ ، وَمِنْهُ مَاءُ أَهْلِ الْبَلَدِ ، فَقَطَعُوهُ عَنْهُمْ ، فَاحْتَاجَ جَوْهَرٌ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى مَاءِ الْمَطَرِ فِي الصَّهَارِيجِ وَهُوَ قَلِيلٌ لَا يَقُومُ بِهِمْ ، فَرَحَلَ إِلَى عَسْقَلَانَ ، وَتَبِعَهُ الْفَتْكِينُ وَالْقَرْمَطِيُّ فَحَصَرَاهُ بِهَا ، وَطَالَ الْحِصَارُ فَقَلَّتِ الْمِيرَةُ ، وَعُدِمَتِ الْأَقْوَاتُ ، وَكَانَ الزَّمَانُ شِتَاءً ، فَلَمْ يُمْكِنْ حَمْلُ الذَّخَائِرِ فِي الْبَحْرِ مِنْ مِصْرَ وَغَيْرِهَا ، فَاضْطَرُّوا إِلَى أَكْلِ الْمَيْتَةِ ، وَبَلَغَ الْخُبْزُ كُلُّ خَمْسَةِ أَرْطَالٍ ، بِالشَّامِيِّ ، بِدِينَارٍ مِصْرِيٍّ.وَكَانَ جَوْهَرٌ يُرَاسِلُ الْفَتْكِينَ ، وَيَدْعُوهُ إِلَى الْمُوَافَقَةِ وَالطَّاعَةِ ، وَيَبْذُلُ لَهُ الْبُذُولَ الْكَثِيرَةَ ، فَيَهِمُّ أَنْ يَفْعَلَ ، فَيَمْنَعُهُ الْقَرْمَطِيُّ وَيُخَوِّفُهُ مِنْهُ ، فَزَادَتِ الشِّدَّةُ عَلَى جَوْهَرٍ وَمَنْ مَعَهُ ، فَعَايَنُوا الْهَلَاكَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْفَتْكِينِ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَجْتَمِعَ بِهِ ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَاجْتَمَعَا رَاكِبِينَ.فَقَالَ لَهُ جَوْهَرٌ قَدْ عَرَفْتُ مَا يَجْمَعُنَا مِنْ عِصْمَةِ الْإِسْلَامِ وَحُرْمَةِ الدِّينِ ، وَقَدْ طَالَتْ هَذِهِ الْفِتْنَةُ ، وَأُرِيقَتْ فِيهَا الدِّمَاءُ وَنُهِبَتِ الْأَمْوَالُ ، وَنَحْنُ الْمُؤَاخَذُونَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَقَدْ دَعَوْتُكَ إِلَى الصُّلْحِ وَالطَّاعَةِ وَالْمُوَافَقَةِ ، وَبَذَلْتُ لَكَ الرَّغَائِبَ ، فَأَبَيْتَ إِلَّا الْقَبُولَ مِمَّنْ يُشِبُّ نَارَ الْفِتْنَةِ فَرَاقِبِ اللَّهَ تَعَالَى ، وَرَاجِعْ نَفْسَكَ ، وَغَلِّبْ رَأْيَكَ عَلَى هَوَى غَيْرِكَ.فَقَالَ الْفَتْكِينُ أَنَا وَاللَّهِ وَاثِقٌ بِكَ فِي صِحَّةِ الرَّأْيِ وَالْمَشُورَةِ مِنْكَ ، لَكِنِّي غَيْرُ مُتَمَكِّنٍ مِمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ بِسَبَبِ الْقَرْمَطِيِّ الَّذِي أَحْوَجَتْنِي أَنْتَ إِلَى مُدَارَاتِهِ وَالْقَبُولِ مِنْهُ.فَقَالَ جَوْهَرٌ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ذَكَرْتَ فَإِنَّنِي أُصْدِقُكَ الْحَالَ تَعْوِيلًا عَلَى أَمَانَتِكَ ، وَمَا أَجِدُهُ مِنَ الْفُتُوَّةِ عِنْدَكَ ، وَقَدْ ضَاقَ الْأَمْرُ بِنَا ، وَأُرِيدُ أَنْ تَمُنَّ عَلَيَّ بِنَفْسِي وَبِمَنْ مَعِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَتَذُمَّ لَنَا ، وَأَعُودُ إِلَى صَاحِبِي شَاكِرًا لَكَ وَتَكُونُ قَدْ جَمَعْتَ بَيْنَ حَقْنِ الدِّمَاءِ وَاصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ.فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَحَلَفَ لَهُ عَلَى الْوَفَاءِ بِهِ ، وَعَادَ وَاجْتَمَعَ بِالْقَرْمَطِيِّ وَعَرَّفَهُ الْحَالَ فَقَالَ لَقَدْ أَخْطَأْتَ فَإِنَّ جَوْهَرًا لَهُ رَأْيٌ وَحَزْمٌ وَمَكِيدَةٌ ، وَسَيَرْجِعُ إِلَى صَاحِبِهِ فَيَحْمِلُهُ عَلَى قَصْدِنَا بِمَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ، وَالصَّوَابُ أَنْ تَرْجِعَ عَنْ ذَلِكَ لِيَمُوتُوا جَوْعًا ، وَنَأْخُذُهُمْ بِالسَّيْفِ ، فَامْتَنَعَ الْفَتْكِينُ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ لَا أَغْدِرُ بِهِ ، وَأَذِنَ لِجَوْهَرٍ وَلِمَنْ مَعَهُ بِالسَّيْرِ إِلَى مِصْرَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ ، وَاجْتَمَعَ بِالْعَزِيزِ ، وَشَرَحَ لَهُ الْحَالَ وَقَالَ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُهُمْ فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ بِنَفْسِكَ ، وَإِلَّا فَهَمَّ وَاصِلُونَ عَلَى أَثَرِي ، فَبَرَزَ الْعَزِيزُ ، وَفَرَّقَ الْأَمْوَالَ ، وَجَمَعَ الرِّجَالَ ، وَسَارَ وَجَوْهَرٌ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ.وَوَرَدَ الْخَبَرُ إِلَى الْفَتْكِينِ وَالْقَرْمَطِيِّ فَعَادَا إِلَى الرَّمْلَةِ ، وَجَمَعَا الْعَرَبَ وَغَيْرَهَا ، وَحَشَدَا ، وَوَصَلَ الْعَزِيزُ فَنَزَلَ بِظَاهِرِ الرَّمْلَةِ ، وَنَزَلَا بِالْقُرْبِ مِنْهُ ، ثُمَّ اصْطَفَوْا لِلْحَرْبِ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَرَأَى الْعَزِيزُ مِنْ شَجَاعَةِ الْفَتْكِينِ مَا أَعْجَبَهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي تِلْكَ الْحَالِ يَدْعُوهُ إِلَى طَاعَتِهِ ، وَيَبْذُلُ لَهُ الرَّغَائِبَ وَالْوِلَايَاتِ ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ مُقَدِّمَ عَسْكَرِهِ ، وَالْمَرْجُوعَ إِلَيْهِ فِي دَوْلَتِهِ ، وَيَطْلُبُ أَنْ يَحْضُرَ عِنْدَهُ وَيَسْمَعَ قَوْلَهُ ، فَتَرَجَّلَ وَقَبَّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ ، وَقَالَ لِلرَّسُولِ قُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ قَدَّمَ هَذَا الْقَوْلَ لَسَارَعْتُ وَأَطَعْتُ ، وَأَمَّا الْآنَ فَلَا يُمْكِنُ إِلَّا مَا تَرَى. وَحُمِلَ عَلَى الْمَسِيرَةِ فَهَزَمَهَا ، وَقَتَلَ كَثِيرًا مِنْهَا فَلَمَّا رَأَى الْعَزِيزُ ذَلِكَ حُمِلَ مِنَ الْقَلْبِ ، وَأَمَرَ الْمَيْمَنَةَ فَحُمِلَتْ ، فَانْهَزَمَ الْقَرْمَطِيُّ وَالْفَتْكِينُ وَمَنْ مَعَهُمَا ، وَوَضَعَ الْمَغَارِبَةُ السَّيْفَ ، فَأَكْثَرُوا الْقَتْلَ ، وَقَتَلُوا نَحْوَ عِشْرِينَ أَلْفًا.وَنَزَلَ الْعَزِيزُ فِي خِيَامِهِ ، وَجَاءَهُ النَّاسُ بِالْأَسْرَى ، فَكُلُّ مَنْ أَتَاهُ بِأَسِيرٍ خَلَعَ عَلَيْهِ ، وَبَذَلَ لِمَنْ أَتَاهُ بِالْفَتْكِينِ أَسِيرًا مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَكَانَ الْفَتْكِينُ قَدْ مَضَى مُنْهَزِمًا فَكَظَّهُ الْعَطَشُ ، فَلَقِيَهُ الْمُفَرِّجُ بْنُ دَغْفَلٍ الطَّائِيُّ وَكَانَ بَيْنَهُمَا أُنْسٌ قَدِيمٌ ، فَطَلَبَ مِنْهُ الْفَتْكِينُ مَاءً ، فَسَقَاهُ ، وَأَخَذَهُ مَعَهُ إِلَى بَيْتِهِ فَأَنْزَلَهُ وَأَكْرَمَهُ ، وَسَارَ إِلَى الْعَزِيزِ بِاللَّهِ فَأَعْلَمَهُ بِأَسْرِ الْفَتْكِينِ ، وَطَلَبَ مِنْهُ الْمَالَ ، فَأَعْطَاهُ مَا ضَمِنَهُ ، وَسَيَّرَ مَعَهُ مَنْ تَسَلَّمَ الْفَتْكِينُ مِنْهُ ، فَلَمَّا وَصَلَ الْفَتْكِينُ إِلَى الْعَزِيزِ لَمْ يَشُكَّ أَنَّهُ يَقْتُلُهُ لِوَقْتِهِ ، فَرَأَى مِنْ إِكْرَامِ الْعَزِيزِ لَهُ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ مَا أَعْجَزَهُ ، وَأَمَرَ لَهُ بِالْخِيَامِ فَنُصِبَتْ ، وَأَعَادَ إِلَيْهِ جَمِيعَ مَنْ كَانَ يَخْدِمُهُ ، فَلَمْ يَفْقِدْ مِنْ حَالِهِ شَيْئًا ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ مِنَ التُّحَفِ وَالْأَمْوَالِ مَا لَمْ يُرَ مِثْلُهُ ، وَأَخَذَهُ مَعَهُ إِلَى مِصْرَ وَجَعَلَهُ مَنْ أَخَصِّ خَدَمِهِ وَحُجَّابِهِ.وَأَمَّا الْحَسَنُ الْقَرْمَطِيُّ فَإِنَّهُ وَصَلَ مُنْهَزِمًا إِلَى طَبَرِيَةَ ، فَأَدْرَكَهُ رَسُولُ الْعَزِيزِ يَدْعُوهُ إِلَى الْعَوْدِ إِلَيْهِ لِيُحْسِنَ إِلَيْهِ ، وَيَفْعَلَ أَكْثَرَ مِمَّا فَعَلَ مَعَ الْفَتْكِينِ ، فَلَمْ يَرْجِعْ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْعَزِيزُ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَجَعَلَهَا كُلَّ سَنَةٍ ، فَكَانَ يُرْسِلُهَا إِلَيْهِ ، وَعَادَ إِلَى الْأَحْسَاءِ.وَلَمَّا عَادَ الْعَزِيزُ إِلَى مِصْرَ أَنْزَلَ الْفَتْكِينُ عِنْدَهُ قَصْرَهُ ، وَزَادَ أَمْرُهُ ، وَتَحَكَّمَ ، فَتَكَبَّرَ عَلَى وَزِيرِهِ يَعْقُوبَ بْنِ كِلِّسٍ ، وَتَرَكَ الرُّكُوبَ إِلَيْهِ ، فَصَارَ بَيْنَهُمَا عَدَاوَةٌ مُتَأَكِّدَةٌ ، فَوَضَعَ عَلَيْهِ مَنْ سَقَاهُ سُمًّا فَمَاتَ ، فَحَزِنَ عَلَيْهِ الْعَزِيزُ وَاتَّهَمَ الْوَزِيرَ فَحَبَسَهُ نَيِّفًا وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَأَخَذَ مِنْهُ خَمْسَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، ثُمَّ وَقَفَتْ أُمُورُ دَوْلَةِ الْعَزِيزِ بِاعْتِزَالِ الْوَزِيرِ ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَأَعَادَهُ إِلَى وِزَارَتِهِ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ الْحَجَّاجُ إِلَى سُمَيْرَاءَ فَرَأَوْا هِلَالَ ذِي الْحِجَّةِ بِهَا ، وَالْعَادَةُ جَارِيَةٌ بِأَنْ يُرَى الْهِلَالُ بَعْدَهُ بِأَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ، وَبَلَغَهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ الْمَاءَ إِلَى غَمْرَةَ ، وَهُوَ بِهَا أَيْضًا قَلِيلٌ ، وَبَيْنَهُمَا نَحْوُ عَشَرَةِ أَيَّامٍ ، فَغَدَوْا إِلَى الْمَدِينَةِ فَوَقَفُوا بِهَا وَعَادُوا ، فَكَانُوا أَوَّلَ الْمُحَرَّمِ فِي الْكُوفَةِ.وَفِيهَا ظَهَرَ بِإِفْرِيقِيَّةَ كَوْكَبٌ عَظِيمٌ مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ ، وَلَهُ ذُؤَابَةٌ وَضَوْءٌ عَظِيمٌ ، فَبَقِيَ يَطْلُعُ كَذَلِكَ نَحْوًا مِنْ شَهْرٍ ثُمَّ غَابَ فَلَمْ يُرَ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ أَبِي مُوسَى الْمُخَرِّمِيُّ الصُّوفِيُّ نَزِيلُ مَكَّةَ ، وَكَانَ قَدْ صَحِبَ أَبَا عَلِيٍّ الرُّوذْبَارِيَّ وَطَبَقَتَهُ وَغَيْرَهُ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ وَفَاةِ الْمُعِزِّ لِدِينِ اللَّهِ الْعَلَوِيِّ وَوِلَايَةِ ابْنِهِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ الْمُعِزُّ لِدِينِ اللَّهِ أَبُو تَمِيمٍ مَعَدُّ بْنُ الْمَنْصُورِ بِاللَّهِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَهْدِيِّ أَبِي مُحَمَّدٍ عُبَيْدِ اللَّهِ الْعَلَوِيِّ الْحُسَيْنِيِّ بِمِصْرَ ، وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ ، وَكَانَ مَوْتُهُ سَابِعَ عَشَرَ شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَوُلِدَ بِالْمَهْدِيَّةِ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ حَادِيَ عَشَرَ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَعُمْرُهُ خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً وَسِتَّةُ أَشْهُرٍ تَقْرِيبًا.وَكَانَ سَبَبُ مَوْتِهِ أَنَّ مَلِكَ الرُّومِ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولًا كَانَ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، فَخَلَا بِهِ بَعْضَ الْأَيَّامِ ، فَقَالَ لَهُ الْمُعِزُّ أَتَذْكُرُ إِذْ أَتَيْتَنِي رَسُولًا ، وَأَنَا بِالْمَهْدِيَّةِ ، فَقُلْتُ لَكَ لَتَدْخُلَنَّ عَلَيَّ وَأَنَا بِمِصْرَ مَالِكًا لَهَا ؟قَالَ نَعَمْ!قَالَ وَأَنَا أَقُولُ لَكَ لَتَدْخُلَنَّ عَلَيَّ بِبَغْدَاذَ وَأَنَا خَلِيفَةٌ.فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ إِنْ أَمَّنْتَنِي عَلَى نَفْسِي ، وَلَمْ تَغْضَبْ ، قُلْتُ لَكَ مَا عِنْدِي.قَالَ لَهُ الْمُعِزُّ قُلْ وَأَنْتَ آمِنٌ ، قَالَ بَعَثَنِي إِلَيْكَ الْمَلِكُ ذَلِكَ الْعَامَ ، فَرَأَيْتُ مِنْ عَظَمَتِكَ فِي عَيْنِي وَكَثْرَةِ أَصْحَابِكَ مَا كِدْتُ أَمُوتُ مِنْهُ ، وَوَصَلْتُ إِلَى قَصْرِكَ ، فَرَأَيْتُ عَلَيْهِ نُورًا عَظِيمًا غَطَّى بَصَرِي ، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْكَ ، فَرَأَيْتُكَ عَلَى سَرِيرِكَ ، فَظَنَنْتُكَ خَالِقًا ، فَلَوْ قُلْتَ لِي إِنَّكَ تَعْرُجُ إِلَى السَّمَاءِ لَتَحَقَّقْتُ ذَلِكَ ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَيْكَ الْآنَ ، فَمَا رَأَيْتُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ، أَشْرَفْتُ عَلَى مَدِينَتِكَ ، فَكَانَتْ فِي عَيْنِي سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ ، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْكَ ، فَمَا وَجَدْتُ مِنَ الْمَهَابَةِ مَا وَجَدْتُهُ ذَلِكَ الْعَامَ ، فَقُلْتُ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ أَمْرًا مُقْبِلًا ، وَإِنَّهُ الْآنَ بِضِدِّ مَا كَانَ عَلَيْهِ.فَأَطْرَقَ الْمُعِزُّ وَخَرَجَ الرَّسُولُ مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَخَذَتِ الْمُعِزَّ الْحُمَّى لِشِدَّةِ مَا وَجَدَ ، وَاتَّصَلَ مَرَضُهُ حَتَّى مَاتَ.وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَعَشَرَةَ أَيَّامٍ ، مِنْهَا مُقَامُهُ بِمِصْرَ ، وَالْبَاقِي بِإِفْرِيقِيَّةَ ، وَهُوَ أَوَّلُ الْخُلَفَاءِ الْعَلَوِيِّينَ مَلَكَ مِصْرَ وَخَرَجَ إِلَيْهَا ، وَكَانَ مُغْرًى بِالنُّجُومِ ، وَيَعْمَلُ بِأَقْوَالِ الْمُنَجِّمِينَ.قَالَ لَهُ مُنَجِّمُهُ إِنَّ عَلَيْهِ قَطْعًا فِي وَقْتِ كَذَا ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِعَمَلِ سِرْدَابٍ يَخْتَفِي فِيهِ إِلَى أَنْ يَجُوزَ ذَلِكَ الْوَقْتُ ، فَفَعَلَ مَا أَمَرَهُ وَأَحْضَرَ قُوَّادَهُ ، فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ عَهْدًا أَنَا مَاضٍ إِلَيْهِ ، وَقَدِ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمُ ابْنِي نِزَارًا ، يَعْنِي الْعَزِيزَ ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا.وَنَزَلَ السِّرْدَابَ ، فَكَانَ أَحَدُ الْمَغَارِبَةِ إِذَا رَأَى سَحَابًا نَزَلَ وَأَوْمَأَ بِالسَّلَامِ إِلَيْهِ ، ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ الْمُعِزَّ فِيهِ.فَغَابَ سَنَةً ثُمَّ ظَهَرَ ، وَبَقِيَ مُدَيْدَةً ، وَمَرِضَ وَتُوُفِّيَ ، فَسَتَرَ ابْنُهُ الْعَزِيزُ مَوْتَهُ إِلَى عِيدِ النَّحْرِ مِنَ السَّنَةِ ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ وَخَطَبَهُمْ ، وَدَعَا لِنَفْسِهِ ، وَعَزَّى بِأَبِيهِ.وَكَانَ الْمُعِزُّ عَالِمًا ، فَاضِلًا ، جَوَّادًا شُجَاعًا ، جَارِيًا عَلَى مِنْهَاجِ أَبِيهِ مِنْ حُسْنِ السِّيرَةِ ، وَإِنْصَافِ الرَّعِيَّةِ ، وَسَتْرِ مَا يَدْعُونَ إِلَيْهِ ، إِلَّا عَنِ الْخَاصَّةِ ، ثُمَّ أَظْهَرُهُ ، وَأَمَرَ الدُّعَاةَ بِإِظْهَارِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ فِيهِ إِلَى حَدٍّ يُذَمُّ بِهِ.وَلَمَّا اسْتَقَرَّ الْعَزِيزُ فِي الْمُلْكِ أَطَاعَهُ الْعَسْكَرُ وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ، وَكَانَ هُوَ يُدَبِّرُ الْأُمُورَ مُنْذُ مَاتَ أَبُوهُ إِلَى أَنْ أَظْهَرَهُ ، ثُمَّ سَيَّرَ إِلَى الْغَرْبِ دَنَانِيرَ عَلَيْهَا اسْمُهُ ، فُرِّقَتْ فِي النَّاسِ ، وَأَقَرَّ يُوسُفُ بُلُكِّينُ عَلَى وِلَايَةِ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَأَضَافَ إِلَيْهِ مَا كَانَ أَبُوهُ اسْتَعْمِلْ عَلَيْهِ غَيْرَ يُوسُفَ ، وَهِيَ طَرَابُلُسَ ، وَسُرْتُ ، وَأَجْدَابِيَّةَ ، فَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا يُوسُفُ عُمَّالَهُ ، وَعَظُمَ حِينَئِذٍ ، وَأَمِنَ نَاحِيَةَ الْعَزِيزِ ، وَاسْتَبَدَّ بِالْمُلْكِ ، وَكَانَ يُظْهِرُ الطَّاعَةَ مُجَامَلَةً ، وَمُرَاقَبَةً لَا طَائِلَ وَرَاءَهَا.ذِكْرُ حَرْبِ يُوسُفَ بُلُكِّينَ مَعَ زَنَاتَةَ وَغَيْرِهَا بِإِفْرِيقِيَّةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ جَمَعَ خَزَرُونُ بْنُ فَلْفُولِ بْنِ خَزَرٍ الزَّنَاتِيَّ جَمْعًا كَثِيرًا ، وَسَارَ إِلَى سِجِلْمَاسَةَ ، فَلَقِيَهُ صَاحِبُهَا فِي رَمَضَانَ فَقَتَلَهُ خَزَرُونُ وَمَلِكَ سِجِلْمَاسَةَ ، وَأَخَذَ مِنْهَا ، مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْعُدَدِ ، شَيْئًا كَثِيرًا وَبَعَثَ بِرَأْسِ صَاحِبِهَا إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، وَعَظُمَ شَأْنُ زَنَاتَةَ ، وَاشْتَدَّ مُلْكُهَا.وَكَانَ بُلُكِّينُ عِنْدَ سَبْتَةَ ، وَكَانَ قَدْ رَحَلَ إِلَى فَاسَ وَسِجِلْمَاسَةَ وَأَرْضِ الْهَبْطِ ، وَمَلَكَهُ كُلَّهُ وَطَرَدَ عَنْهُ عُمَّالَ بَنِي أُمَيَّةَ وَهَرَبَتْ زَنَاتَةُ مِنْهُ ، فَلَجَأَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ إِلَى سَبْتَةَ ، وَهِيَ لِلْأُمَوِيِّ صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ ، وَكَانَ فِي طَرِيقِهِ شِعَارِي مُشْتَبِكَةً ، وَلَا تَسْلُكُ ، فَأَمَرَ بِقَطْعِهَا وَإِحْرَاقِهَا ، فَقُطِعَتْ وَأُحْرِقَتْ حَتَّى صَارَتْ لِلْعَسْكَرِ طَرِيقًا.ثُمَّ مَضَى بِنَفْسِهِ حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى سَبْتَةَ مِنْ جَبَلٍ مُطِلٍّ عَلَيْهَا ، فَوَقَفَ نِصْفَ نَهَارٍ لِيَنْظُرَ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ يُحَاصِرُهَا وَيُقَاتِلُهَا ، فَرَأَى أَنَّهَا لَا تُؤْخَذُ إِلَّا بِأُسْطُولٍ ، فَخَافَهُ أَهْلُهَا خَوْفًا عَظِيمًا ، ثُمَّ رَجَعَ عَنْهَا نَحْوَ الْبَصْرَةِ ، وَهِيَ مَدِينَةٌ حَسَنَةٌ تُسَمَّى بُصْرَةَ فِي الْمَغْرِبِ ، فَلَمَّا سَمِعَتْ بِهِ زَنَاتَةُ رَحَلُوا إِلَى أَقَاصِي الْغَرْبِ فِي الرِّمَالِ وَالصَّحَارَى هَارِبِينَ مِنْهُ فَدَخَلَ يُوسُفَ الْبَصْرَةَ ، وَكَانَ قَدْ عَمَّرَهَا صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ عِمَارَةً عَظِيمَةً ، فَأَمَرَ بِهَدْمِهَا وَنَهْبِهَا ، وَرَحَلَ إِلَى بَلَدِ بِرْغَوَاطَةَ.وَكَانَ مَلِكُهُمْ عَبْسُ بْنُ أُمِّ الْأَنْصَارِ وَكَانَ مُشَعْبِذًا ، سَاحِرًا وَادَّعَى النُّبُوَّةَ ، فَأَطَاعُوهُ فِي كُلِّ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ ، وَجَعَلَ لَهُمْ شَرِيعَةً ، فَغَزَاهُ بُلُكِّينُ ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ عَظِيمَةٌ لَا تُوصَفُ كَانَ الظَّفَرُ فِي آخِرِهَا لِبُلُكِّينَ ، وَقَتَلَ اللَّهُ عَبْسَ بْنَ أُمِّ الْأَنْصَارِ ، وَهَزَمَ عَسَاكِرَهُ ، وَقُتِلُوا قَتْلًا ذَرِيعًا ، وَسَبَى مِنْ نِسَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ مَا لَا يُحْصَى ، وَسَيَّرَهُ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ ، فَقَالَ أَهْلُ إِفْرِيقِيَّةَ إِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ إِلَيْهِمْ مِنَ السَّبْيِ مِثْلُهُ قَطُّ ، وَأَقَامَ يُوسُفُ بُلُكِّينُ بِتِلْكَ النَّاحِيَةِ قَاهِرًا لِأَهْلِهَا ، وَأَهْلُ سَبْتَةَ مِنْهُ خَائِفُونَ ، وَزَنَاتَةُ هَارِبُونَ فِي الرِّمَالِ إِلَى سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.ذِكْرُ حَصْرِ كَسَنْتَةَ وَغَيْرِهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ أَمِيرُ صِقِلِّيَّةَ ، وَهُوَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الْحُسَيْنِ ، فِي عَسَاكِرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُصْلِحِينَ وَالْعُلَمَاءِ ، فَنَازَلَ مَدِينَةَ مَسِّينِي فِي رَمَضَانَ ، فَهَرَبَ الْعَدُوُّ عَنْهَا ، وَعَدَا الْمُسْلِمُونَ إِلَى كَسَنْتَةَ فَحَصَرُوهَا أَيَّامًا ، فَسَأَلَ أَهْلُهَا الْأَمَانَ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَيْهِ ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ مَالًا ، وَرَحَلَ عَنْهَا إِلَى قَلْعَةِ جَلُّوا ، فَفَعَلَ كَذَلِكَ بِهَا وَبِغَيْرِهَا ، وَأَمَرَ أَخَاهُ الْقَاسِمَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْأُسْطُولِ إِلَى نَاحِيَةِ بَرْبُولَةَ وَيَبُثُّ السَّرَايَا فِي جَمِيعِ قِلَّوْرِيَةَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ فَغَنِمَ غَنَائِمَ كَثِيرَةً ، وَقَتَلَ وَسَبَى ، وَعَادَ هُوَ وَأَخُوهُ إِلَى الْمَدِينَةِ.فَلَمَّا كَانَ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ أَمَرَ أَبُو الْقَاسِمِ بِعِمَارَةِ رَمْطَةَ ، وَكَانَتْ قَدْ خَرِبَتْ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَعَاوَدَ الْغَزْوَ وَجَمَعَ الْجُيُوشَ ، وَسَارَ فَنَازَلَ قَلْعَةَ إِغَاثَةَ ، فَطَلَبَ أَهْلُهَا الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُمْ ، وَسَلَّمُوا إِلَيْهِ الْقَلْعَةَ بِجَمِيعِ مَا فِيهَا وَرَحَلَ إِلَى مَدِينَةِ طَارَنْتَ ، فَرَأَى أَهْلَهَا قَدْ هَرَبُوا مِنْهَا وَأَغْلَقُوا أَبْوَابَهَا ، فَصَعِدَ النَّاسُ السُّورَ ، وَفَتَحُوا الْأَبْوَابَ ، وَدَخَلَهَا النَّاسُ ، فَأَمَرَ الْأَمِيرُ بِهَدْمِهَا فَهُدِمَتْ وَأُحْرِقَتْ ، وَأَرْسَلَ السَّرَايَا فَبَلَغُوا أَذَرَنْتَ وَغَيْرَهَا ، وَنَزَلَ هُوَ عَلَى مَدِينَةِ عَرْدَلِيَةَ ، فَقَاتَلَهَا ، فَبَذَلَ أَهْلُهَا لَهُ مَالًا صَالَحَهُمْ عَلَيْهِ وَعَادَ إِلَى الْمَدِينَةِ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خُطِبَ لِلْعَزِيزِ الْعَلَوِيِّ بِمَكَّةَ ، حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى ، بَعْدَ أَنْ أَرْسَلَ جَيْشًا إِلَيْهَا فَحَصَرُوهَا ، وَضَيَّقُوا عَلَى أَهْلِهَا ، وَمَنَعُوهُمُ الْمِيرَةَ ، فَغَلَتِ الْأَسْعَارُ بِهَا ، وَلَقِيَ أَهْلُهَا شِدَّةً شَدِيدَةً.وَفِيهَا أَقَامَ بَسِيلُسُ بْنُ أَرْمَانُوسَ مَلِكُ الرُّومِ وَرْدًا ، الْمَعْرُوفَ بِسَقْلَارُوسَ ، دَمَسْتَقًا ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْوِلَايَةِ اسْتَوْحَشَ مِنَ الْمُلْكِ ، فَعَصَى عَلَيْهِ ، وَاسْتَظْهَرَ بِأَبِي تَغْلِبَ بْنِ حَمْدَانَ ، وَصَاهَرَهُ ، وَلَبِسَ التَّاجَ وَطَلَبَ الْمُلْكَ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ عُدَيٍّ الْجُرْجَانِيُّ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَهُوَ إِمَامٌ مَشْهُورٌ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَدْرٍ الْكَبِيرُ الْحَمَامِيُّ ، غُلَامُ ابْنِ طُولُونَ ، وَكَانَ قَدْ وَلِيَ فَارِسَ بَعْدَ أَبِيهِ.وَفِيهَا ، فِي ذِي الْقِعْدَةِ ، تُوُفِّيَ ثَابِتُ بْنُ سِنَانِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ قُرَّةَ الصَّابِيُّ ، صَاحِبُ" التَّارِيخِ ". ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ وَفَاةِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ وَمُلْكِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي الْمُحَرَّمِ ، تُوُفِّيَ رُكْنُ الدِّينِ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ بُوَيْهٍ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى مَمَالِكِهِ ابْنَهُ عَضُدَ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ ابْتِدَاءُ مَرَضِهِ حِينَ سَمِعَ بِقَبْضِ بَخْتِيَارَ ابْنَ أَخِيهِ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ ابْنُهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ قَدْ عَادَ مِنْ بَغْدَاذَ ، بَعْدَ أَنْ أَطْلَقَ بَخْتِيَارَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ.وَظَهَرَ عِنْدَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ غَضَبُ وَالِدِهِ عَلَيْهِ ، فَخَافَ أَنْ يَمُوتَ أَبُوهُ وَهُوَ عَلَى حَالِ غَضَبِهِ فَيَخْتَلَّ مُلْكُهُ ، وَتَزُولَ طَاعَتُهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي الْفَتْحِ بْنِ الْعَمِيدِ ، وَزِيرِ وَالِدِهِ ، يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَتَوَصَّلَ مَعَ أَبِيهِ وَإِحْضَارَهُ عِنْدَهُ ، وَأَنْ يَعْهَدَ إِلَيْهِ بِالْمُلْكِ بَعْدَهُ.فَسَعَى أَبُو الْفَتْحِ فِي ذَلِكَ ، فَأَجَابَهُ إِلَيْهِ رُكْنُ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ قَدْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ خِفَّةً ، فَسَارَ مِنَ الرَّيِّ إِلَى أَصْبَهَانَ ، فَوَصَلَهَا فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَأُحْضِرَ وَلَدُهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ مِنْ فَارِسَ ، وَجَمَعَ عِنْدَهُ أَيْضًا سَائِرَ أَوْلَادِهِ بِأَصْبَهَانَ ، فَعَمِلَ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ الْعَمِيدِ دَعْوَةً عَظِيمَةً حَضَرَهَا رُكْنُ الدَّوْلَةِ وَأَوْلَادَهُ ، وَالْقُوَّادُ وَالْأَجْنَادُ.فَلَمَّا فَرَغُوا مِنَ الطَّعَامِ عَهِدَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ إِلَى وَلَدِهِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بِالْمُلْكِ ، وَجَعَلَ لِوَلَدِهِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيٍّ هَمَذَانَ وَأَعْمَالَ الْجَبَلِ ، وَلِوَلَدِهِ مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ أَصْبَهَانَ وَأَعْمَالَهُ ، وَجَعَلَهُمَا فِي هَذِهِ الْبِلَادِ بِحُكْمِ أَخِيهِمَا عَضُدِ الدَّوْلَةِ. وَخَلَعَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ ، ذَلِكَ الْيَوْمَ ، الْأَقْبِيَةَ وَالْأَكْسِيَةَ عَلَى زِيِّ الدَّيْلَمِ ، وَحَيَّاهُ الْقُوَّادُ وَإِخْوَتُهُ بِالرَّيْحَانِ عَلَى عَادَتِهِمْ مَعَ مُلُوكِهِمْ ، وَأَوْصَى رُكْنُ الدَّوْلَةِ أَوْلَادَهُ بِالِاتِّفَاقِ وَتَرْكِ الِاخْتِلَافِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِمْ.ثُمَّ سَارَ عَنْ أَصْبَهَانَ فِي رَجَبٍ نَحْوَ الرَّيِّ ، فَدَامَ مَرَضُهُ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ ، فَأُصِيبَ بِهِ الدِّينُ وَالدُّنْيَا جَمِيعًا لِاسْتِكْمَالِ جَمِيعِ خِلَالِ الْخَيْرِ فِيهِ ، وَكَانَ عُمْرُهُ قَدْ زَادَ عَلَى سَبْعِينَ سَنَةً ، وَكَانَتْ إِمَارَتُهُ أَرْبَعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً.ذِكْرُ بَعْضِ سِيرَتِهِ كَانَ حَلِيمًا ، كَرِيمًا وَاسِعَ الْكَرَمِ ، كَثِيرَ الْبَذْلِ ، حَسَنَ السِّيَاسَةِ لِرَعَايَاهُ وَجُنْدِهِ ، رَءُوفًا بِهِمْ ، عَادِلًا فِي الْحُكْمِ بَيْنَهُمْ ، وَكَانَ بَعِيدَ الْهِمَّةِ ، عَظِيمَ الْجِدِّ وَالسَّعَادَةِ ، مُتَحَرِّجًا مِنَ الظُّلْمِ ، مَانِعًا لِأَصْحَابِهِ مِنْهُ ، عَفِيفًا عَنِ الدِّمَاءِ ، يَرَى حَقْنَهَا وَاجِبًا إِلَّا فِيمَا لَا بُدَّ مِنْهُ ، وَكَانَ يُحَامِي عَلَى أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ ، وَكَانَ يُجْرِي عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ ، وَيَصُونُهُمْ عَنِ التَّبَذُّلِ ، وَكَانَ يَقْصِدُ الْمَسَاجِدَ الْجَامِعَةَ ، فِي أَشْهُرِ الصِّيَامِ ، لِلصَّلَاةِ ، وَيَنْتَصِبُ لِرَدِّ الْمَظَالِمِ ، وَيَتَعَهَّدُ الْعَلَوِيِّينَ بِالْأَمْوَالِ الْكَثِيرَةِ ، وَيَتَصَدَّقُ بِالْأَمْوَالِ الْجَلِيلَةِ عَلَى ذَوِي الْحَاجَاتِ ، وَيَلِينُ جَانِبُهُ لِلْخَاصِّ وَالْعَامِّ.قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فِي ذَلِكَ ، ، وَذَكَرَ لَهُ شَدَّ مَرْدَاوِيجَ ، فَقَالَ انْظُرُ كَيْفَ اخْتُرِمَ ، وَوَثَبَ عَلَيْهِ أَخَصُّ أَصْحَابِهِ بِهِ ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْهُ لِعُنْفِهِ وَشِدَّتِهِ ، وَكَيْفَ عَمَّرْتُ ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ لِلِينِ جَانِبِي.وَحُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ سَارَ فِي سَفَرٍ ، فَنَزَلَ فِي خَرْكَاةٍ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ قَبْلَ أَصْحَابِهِ ، وَقُدِّمَ إِلَيْهِ طَعَامٌ ، فَقَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ لِأَيٍّ قِيلَ فِي الْمَثَلِ خَيْرُ الْأَشْيَاءِ فِي الْقَرْيَةِ الْإِمَارَةُ ؟فَقَالَ صَاحِبُهُ لِقُعُودِكَ فِي الْخَرْكَاةِ ، وَهَذَا الطَّعَامُ بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَأَنَا لَا خَرْكَاةَ وَلَا طَعَامَ ، فَضَحِكَ وَأَعْطَاهُ الْخَرْكَاةَ وَالطَّعَامَ ، فَانْظُرْ إِلَى هَذَا الْخُلُقِ مَا أَحْسَنَهُ وَمَا أَجْمَلَهُ.وَفِي فِعْلِهِ فِي حَادِثَةِ بَخْتِيَارَ مَا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ مُرُوءَتِهِ وَحُسْنِ عَهْدِهِ ، وَصِلَتِهِ لِرَحِمِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ ، وَكَانَ لَهُ حُسْنُ عَهْدٍ وَمَوَدَّةٍ وَإِقْبَالٍ .ذِكْرُ مَسِيرِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ إِلَى الْعِرَاقِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تَجَهَّزَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ وَسَارَ يَطْلُبُ الْعِرَاقَ لِمَا كَانَ يَبْلُغُهُ عَنْ بَخْتِيَارَ وَابْنِ بَقِيَّةَ مِنِ اسْتِمَالَةِ أَصْحَابِ الْأَطْرَافِ كَحَسْنُوَيْهِ الْكُرْدِيِّ ، وَفَخْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، وَأَبِي تَغْلِبَ بْنِ حَمْدَانَ ، وَعِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ ، وَغَيْرِهِمْ وَالِاتِّفَاقِ عَلَى مُعَادَاتِهِ ، وَلِمَا كَانَا يَقُولَانِهِ مِنَ الشَّتْمِ الْقَبِيحِ لَهُ ، وَلِمَا رَأَى مِنْ حُسْنِ الْعِرَاقِ وَعِظَمِ مَمْلَكَتِهِ غَيْرَ ذَلِكَ.وَانْحَدَرَ بَخْتِيَارُ إِلَى وَاسِطَ عَلَى عَزْمِ مُحَارَبَةِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ حَسْنُوَيْهِ وَعَدَهُ أَنَّهُ يَحْضُرُ بِنَفْسِهِ لِنُصْرَتِهِ ، وَكَذَلِكَ أَبُو تَغْلِبَ بْنُ حَمْدَانَ ، فَلَمْ يَفِ لَهُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا.ثُمَّ سَارَ بَخْتِيَارُ إِلَى الْأَهْوَازِ ، أَشَارَ بِذَلِكَ ابْنُ بَقِيَّةَ ، وَسَارَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ مِنْ فَارِسَ نَحْوَهُمْ ، فَالْتَقَوْا فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَاقْتَتَلُوا ، فَخَامَرَ عَلَى بَخْتِيَارَ بَعْضُ عَسْكَرِهِ ، وَانْتَقَلُوا إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، فَانْهَزَمَ بَخْتِيَارُ ، وَأُخِذَ مَالُهُ وَمَالُ ابْنِ بَقِيَّةَ ، وَنُهِبَتِ الْأَثْقَالُ وَغَيْرُهَا ، وَلَمَّا وَصَلَ بَخْتِيَارُ إِلَى وَاسِطَ حَمَلَ إِلَيْهِ ابْنُ شَاهِينَ صَاحِبُ الْبَطِيحَةِ مَالًا ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْهَدَايَا النَّفِيسَةِ ، وَدَخَلَ بَخْتِيَارُ إِلَيْهِ ، فَأَكْرَمَهُ ، وَحَمَلَ مَالًا جَلِيلًا ، وَأَعْلَاقًا نَفِيسَةً ، وَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ قَوْلِ عِمْرَانَ إِنَّ بَخْتِيَارَ سَيَدْخُلُ مَنْزِلِي وَسَيَسْتَجِيرُ بِي ، فَكَانَ كَمَا ذَكَرَ ، ثُمَّ أَصْعَدَ بَخْتِيَارَ إِلَى وَاسِطَ.وَأَمَّا عَضُدُ الدَّوْلَةِ فَإِنَّهُ سَيَّرَ إِلَى الْبَصْرَةِ جَيْشًا فَمَلَكُوهَا.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَهَا اخْتَلَفُوا ، وَكَانَتْ مُضَرُ تَهْوَى عَضُدَ الدَّوْلَةِ ، وَتَمِيلُ إِلَيْهِ لِأَسْبَابٍ قَرَّرَهَا مَعَهُمْ ، وَخَالَفَتْهُمْ رَبِيعَةُ ، وَمَالَتْ إِلَى بَخْتِيَارَ ، فَلَمَّا انْهَزَمَ ضَعُفُوا ، وَقَوِيَتْ مُضَرُ ، وَكَاتَبُوا عَضُدَ الدَّوْلَةِ ، وَطَلَبُوا مِنْهُ إِنْفَاذَ جَيْشٍ إِلَيْهِمْ ، فَسَيَّرَ جَيْشًا تَسَلَّمَ الْبَلَدَ وَأَقَامَ عِنْدَهُمْ.وَأَقَامَ بَخْتِيَارُ بِوَاسِطَ ، وَأَحْضَرَ مَا كَانَ لَهُ بِبَغْدَاذَ وَالْبَصْرَةِ مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ فَفَرَّقَهُ فِي أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ إِنَّهُ قَبَضَ عَلَى ابْنِ بَقِيَّةَ لِأَنَّهُ اطَّرَحَهُ وَاسْتَبَدَّ بِالْأُمُورِ دُونَهُ ، وَجَبَى الْأَمْوَالَ إِلَى نَفْسِهِ ، وَلَمْ يُوصِلْ إِلَى بَخْتِيَارَ مِنْهَا شَيْئًا ، وَأَرَادَ أَيْضًا التَّقَرُّبَ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ بِقَبْضِهِ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ يُفْسِدُ الْأَحْوَالَ بَيْنَهُمْ.وَلَمَّا قَبَضَ عَلَيْهِ أَخَذَ أَمْوَالَهُ فَفَرَّقَهَا ، وَرَاسَلَ عَضُدَ الدَّوْلَةِ فِي الصُّلْحِ ، وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بِذَلِكَ ، وَكَانَ أَصْحَابُ بَخْتِيَارَ يَخْتَلِفُونَ عَلَيْهِ ، فَبَعْضُهُمْ يُشِيرُ بِهِ ، وَبَعْضُهُمْ يَنْهَى عَنْهُ ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَبَدْرٌ ابْنَا حَسْنُوَيْهِ فِي نَحْوِ أَلْفِ فَارِسٍ مَعُونَةً لَهُ ، فَلَمَّا وَصَلَا إِلَيْهِ أَظْهَرَ الْمُقَامَ بِوَاسِطَ وَمُحَارَبَةَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ.فَاتَّصَلَ بِعَضُدِ الدَّوْلَةِ أَنَّهُ نَقَضَ الشَّرْطَ ، ثُمَّ بَدَا لِبَخْتِيَارَ فِي الْمَسِيرِ ، فَسَارَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَعَادَ عَنْهُ ابْنَا حَسْنُوَيْهِ إِلَى أَبِيهِمَا ، وَأَقَامَ بَخْتِيَارُ بِبَغْدَاذَ وَانْقَضَتِ السَّنَةُ وَهُوَ بِهَا ، وَسَارَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ إِلَى وَاسِطَ ، ثُمَّ سَارَ مِنْهَا إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَأَصْلَحَ بَيْنَ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ ، وَكَانُوا فِي الْحُرُوبِ وَالِاخْتِلَافِ نَحْوَ مِائَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً.وَمِنْ عَجِيبِ مَا جَرَى لِبَخْتِيَارَ فِي هَذِهِ الْحَادِثَةِ أَنَّهُ كَانَ لَهُ غُلَامٌ تُرْكِيٌّ يَمِيلُ إِلَيْهِ ، فَأُخِذَ فِي جُمْلَةِ الْأَسْرَى ، وَانْقَطَعَ خَبَرُهُ عَنْ بَخْتِيَارَ ، فَحَزِنَ لِذَلِكَ ، وَامْتَنَعَ مِنْ لَذَّاتِهِ وَالِاهْتِمَامِ بِمَا رُفِعَ إِلَيْهِ مِنْ زَوَالِ مُلْكِهِ وَذَهَابِ نَفْسِهِ ، حَتَّى قَالَ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ إِنَّ فَجِيعَتِي بِهَذَا الْغُلَامِ أَعْظَمُ مِنْ فَجِيعَتِي بِذَهَابِ مُلْكِي ، ثُمَّ سَمِعَ أَنَّهُ فِي جُمْلَةِ الْأَسْرَى ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ يَبْذُلُ لَهُ مَا أَحَبَّ فِي رَدِّهِ إِلَيْهِ ، فَأَعَادَهُ عَلَيْهِ ، وَسَارَتْ هَذِهِ الْحَادِثَةُ عَنْهُ ، فَازْدَادَ فَضِيحَةً وَهَوَانًا عِنْدَ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ.ذِكْرُ وَفَاةِ مَنْصُورِ بْنِ نُوحٍ وَمُلْكِ ابْنِهِ نُوحٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ الْأَمِيرُ مَنْصُورُ بْنُ نُوحٍ صَاحِبُ خُرَاسَانَ ، وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، مُنْتَصَفَ شَوَّالٍ ، وَكَانَ مَوْتُهُ بِبُخَارَى ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَوَلِيَ الْأَمْرَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو الْقَاسِمِ نُوحٌ ، وَكَانَ عُمْرُهُ حِينَ وَلِيَ الْأَمْرَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَلُقِّبَ بِالْمَنْصُورِ.ذِكْرُ وَفَاةِ الْقَاضِي مُنْذِرٌ الْبَلُّوطِيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، مَاتَ الْقَاضِي مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ الْبَلُّوطِيُّ ، أَبُو الْحَاكِمِ ، قَاضِي قُضَاةِ الْأَنْدَلُسِ ، وَكَانَ إِمَامًا فَقِيهًا ، خَطِيبًا ، شَاعِرًا ، فَصِيحًا ، ذَا دِينٍ مَتِينٍ ، دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ ، صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ ، بَعْدَ أَنْ فَرَغَ مِنْ بِنَاءِ الزَّهْرَاءِ وَقُصُورِهَا ، وَقَدْ قَعَدَ فِي قُبَّةٍ مُزَخْرَفَةٍ بِالذَّهَبِ ، وَالْبِنَاءِ الْبَدِيعِ الَّذِي لَمْ يُسْبَقْ إِلَيْهِ ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَعْيَانِ ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ هَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ أَحَدًا بَنَى مِثْلَ هَذَا الْبِنَاءِ ؟فَقَالَ لَهُ الْجَمَاعَةُ لَمْ نَرَ وَلَمْ نَسْمَعْ بِمِثْلِهِ ، وَأَثْنَوْا وَبَالَغُوا ، وَالْقَاضِي مُطْرِقٌ ، فَاسْتَنْطَقَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، فَبَكَى الْقَاضِي ، وَانْحَدَرَتْ دُمُوعُهُ عَلَى لِحْيَتِهِ ، وَقَالَ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الشَّيْطَانَ ، أَخْزَاهُ اللَّهُ تَعَالَى ، يَبْلُغُ مِنْكَ هَذَا الْمَبْلَغَ ، وَلَا أَنْ تُمَكِّنَهُ مِنْ قِيَادِكَ هَذَا التَّمَكُّنَ ، مَعَ مَا آتَاكَ اللَّهُ ، وَفَضَّلَكَ بِهِ ، حَتَّى أَنْزَلَكَ مَنَازِلَ الْكَافِرِينَ.فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ انْظُرْ مَا تَقُولُ ، وَكَيْفَ أَنْزَلَنِي مَنْزِلَ الْكَافِرِينَ ؟فَقَالَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ وَزُخْرُفًا الزخرف إِلَى قَوْلِهِ وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ الزخرف .فَوَجَمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبَكَى ، وَقَالَ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ، وَأَكْثَرَ فِي الْمُسْلِمِينَ مِثْلَكَ.وَأَخْبَارُ هَذَا الْقَاضِي كَثِيرَةٌ حَسَنَةٌ جِدًّا ، مِنْهَا أَنَّهُ قَحَطَ النَّاسُ وَأَرَادُوا الْخُرُوجَ لِلِاسْتِسْقَاءِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَأْمُرُهُ بِالْخُرُوجِ ، فَقَالَ الْقَاضِي لِلرَّسُولِ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي يَصْنَعُهُ الْأَمِيرُ يَوْمَنَا هَذَا ؟فَقَالَ مَا رَأَيْتُهُ قَطُّ أَخْشَعَ مِنْهُ الْآنَ ، قَدْ لَبِسَ خَشِنَ الثِّيَابِ ، وَافْتَرَشَ التُّرَابَ ، وَجَعَلَهُ عَلَى رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ ، وَبَكَى ، وَاعْتَرَفَ بِذُنُوبِهِ ، وَيَقُولُ هَذِهِ نَاصِيَتِي بِيَدَيْكَ ، أَتُرَاكَ تُعَذِّبُ هَذَا الْخَلْقَ لِأَجْلِي ؟فَقَالَ الْقَاضِي يَا غُلَامُ احْمِلِ الْمِمْطَرَ مَعَكَ ، فَقَدْ أَذِنَ اللَّهُ بِسُقْيَانَا ، إِذَا خَشَعَ جَبَّارُ الْأَرْضِ رَحِمَ جَبَّارُ السَّمَاءِ ، فَخَرَجَ وَاسْتَسْقَى بِالنَّاسِ ، فَلَمَّا صَعِدَ الْمِنْبَرَ وَرَأَى النَّاسَ قَدْ شَخَصُوا إِلَيْهِ بِأَبْصَارِهِمْ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ الأنعام الْآيَةَ ، وَكَرَّرَهَا ، فَضَجَّ النَّاسُ بِالْبُكَاءِ وَالتَّوْبَةِ ، وَتَمَّمَ خُطْبَتَهُ فَسُقِيَ النَّاسُ.ذِكْرُ الْقَبْضِ عَلَى أَبِي الْفَتْحِ بْنِ الْعَمِيدِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَبَضَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ عَلَى أَبِي الْفَتْحِ بْنِ الْعَمِيدِ ، وَزِيرِ أَبِيهِ ، وَسَمَلَ عَيْنَهُ الْوَاحِدَةَ وَقَطَعَ أَنْفَهُ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَبَا الْفَتْحِ لَمَّا كَانَ بِبَغْدَاذَ مَعَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، عَلَى مَا شَرَحْنَاهُ ، وَسَارَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ نَحْوَ فَارِسَ تَقَدَّمَ إِلَى أَبِي الْفَتْحِ بِتَعْجِيلِ الْمَسِيرِ عَنْ بَغْدَاذَ إِلَى الرَّيِّ ، فَخَالَفَهُ وَأَقَامَ ، وَأَعْجَبَهُ الْمُقَامُ بِبَغْدَاذَ ، وَشَرِبَ مَعَ بَخْتِيَارَ ، وَمَالَ فِي هَوَاهُ ، وَاقْتَنَى بِبَغْدَاذَ أَمْلَاكًا وَدُورًا عَلَى عَزْمِ الْعَوْدِ إِلَيْهَا إِذَا مَاتَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ ، ثُمَّ صَارَ يُكَاتِبُ بَخْتِيَارَ بِأَشْيَاءَ يَكْرَهُهَا عَضُدُ الدَّوْلَةِ. وَكَانَ لَهُ نَائِبٌ يَعْرِضُهَا عَلَى بَخْتِيَارَ ، فَكَانَ ذَلِكَ النَّائِبُ يُكَاتِبُ بِهَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ سَاعَةً فَسَاعَةً ، فَلَمَّا مَلَكَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ ، كَتَبَ إِلَى أَخِيهِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ بِالرَّيِّ يَأْمُرُهُ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَانْقَلَعَ بَيْتُ الْعَمِيدِ عَلَى يَدِهِ كَمَا ظَنَّهُ أَبُوهُ الْفَضْلُ.وَكَانَ أَبُو الْفَتْحِ لَيْلَةَ قُبِضَ قَدْ أَمْسَى مَسْرُورًا ، فَأَحْضَرَ النُّدَمَاءَ وَالْمُغَنِّينَ ، وَأَظْهَرَ مِنَ الْآلَاتِ الذَّهَبِيَّةِ ، وَالزُّجَاجِ الْمَلِيحِ ، وَأَنْوَاعِ الطِّيبِ مَا لَيْسَ لِأَحَدٍ مِثْلُهُ ، وَشَرِبُوا ، وَعَمِلَ شِعْرًا وَغُنِّيَ لَهُ فِيهِ وَهُوَ دَعَوْتُ الْمُنَى وَدَعَوْتُ الْعُلَى...فَلَمَّا أَجَابَا دَعَوْتُ الْقَدَحْ وَقُلْتُ لِأَيَّامِ شَرْخِ الشَّبَابِ...إِلَيَّ فَهَذَا أَوَانُ الْفَرَحْ إِذَا بَلَغَ الْمَرْءُ آمَالَهُ...فَلَيْسَ لَهُ بَعْدَهَا مُقْتَرَحْ فَلَمَّا غُنِّيَ فِي الشِّعْرِ اسْتَطَابَهُ ، وَشَرِبَ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ سَكِرَ ، وَقَامَ وَقَالَ لِغِلْمَانِهِ اتْرُكُوا الْمَجْلِسَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ لِنَصْطَبِحَ غَدًا ، وَقَالَ لِنُدَمَائِهِ بَكِّرُوا إِلَيَّ غَدًا لِنَصْطَبِحَ ، وَلَا تَتَأَخَّرُوا.فَانْصَرَفَ النُّدَمَاءُ ، وَدَخَلَ هُوَ إِلَى بَيْتِ مَنَامِهِ ، فَلَمَّا كَانَ السَّحَرُ دَعَاهُ مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ فَقَبَضَ عَلَيْهِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى دَارِهِ فَأَخَذَ جَمِيعَ مَا فِيهَا وَمِنْ جُمْلَتِهِ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ بِمَا فِيهِ.ذِكْرُ وَفَاةِ الْحَاكِمِ وَوِلَايَةِ ابْنِهِ هِشَامٍ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ الْحَاكِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ الْأُمَوِيُّ ، صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ ، وَكَانَتْ إِمَارَتُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ ، وَعُمْرُهُ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ سَنَةً وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ ، وَكَانَ أَصْهَبَ أَعْيَنَ ، أَقْنَى ، عَظِيمَ الصَّوْتِ ، ضَخْمَ الْجِسْمِ ، أَفْقَمَ ، وَكَانَ مُحِبًّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ ، عَالِمًا فَقِيهًا فِي الْمَذَاهِبِ ، عَالِمًا بِالْأَنْسَابِ وَالتَّوَارِيخِ ، جَمَّاعًا لِلْكُتُبِ وَالْعُلَمَاءِ ، مُكْرِمًا لَهُمْ ، مُحْسِنًا إِلَيْهِمْ ، أَحْضَرَهُمْ مِنَ الْبُلْدَانِ الْبَعِيدَةِ لِيَسْتَفِيدَ مِنْهُمْ وَيُحْسِنَ إِلَيْهِمْ.وَلَمَّا تُوُفِّيَ وَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ هِشَامٌ بِعَهْدِ أَبِيهِ ، وَلَهُ عَشْرُ سِنِينَ ، وَلُقِّبَ الْمُؤَيَّدَ بِاللَّهِ ، وَاخْتَلَفَتِ الْبِلَادُ فِي أَيَّامِهِ ، وَأُخِذَ وَحُبِسَ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْإِمَارَةِ.وَسَبَبُهُ أَنَّهُ لَمَّا وَلِيَ الْمُؤَيَّدُ تَحَجَّبَ لَهُ الْمَنْصُورُ أَبُو عَامِرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ الْمَعَافِرِيُّ ، وَابْنَاهُ الْمُظَفَّرُ وَالنَّاصِرُ ، فَلَمَّا حَجَبَ لَهُ أَبُو عَامِرٍ حَجَبَهُ عَنِ النَّاسِ ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَرَاهُ وَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ ، وَقَامَ بِأَمْرِ دَوْلَتِهِ الْقِيَامَ الْمَرْضِيَّ ، وَعَدَلَ فِي الرَّعِيَّةِ ، وَأَقْبَلَتِ الدُّنْيَا إِلَيْهِ ، وَاشْتَغَلَ بِالْغَزْوِ ، وَفَتَحَ مِنْ بِلَادِ الْأَعْدَاءِ كَثِيرًا ، وَامْتَلَأَتْ بِلَادُ الْأَنْدَلُسِ بِالْغَنَائِمِ وَالرَّقِيقِ ، وَجَعَلَ أَكْثَرَ جُنْدِهِ مِنْهُمْ كَوَاضِحٍ الْفَتَى وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَشْهُورِينَ ، وَكَانُوا يُعْرَفُونَ بِالْعَامِرِيِّينَ. وَأَدَامَ اللَّهُ لَهُ الْحَالَ سِتًّا وَعِشْرِينَ سَنَةً ، غَزَا فِيهَا اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ غَزَاةً مَا بَيْنَ صَائِفَةٍ وَشَاتِيَةٍ ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ حَازِمًا ، قَوِيَّ الْعَزْمِ ، كَثِيرَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، حَسَنَ السِّيَاسَةِ.فَمِنْ مَحَاسِنِ أَعْمَالِهِ أَنَّهُ دَخَلَ بِلَادَ الْفِرِنْجِ غَازِيًا ، فَجَازَ الدَّرْبَ إِلَيْهَا ، وَهُوَ مَضِيقٌ بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، وَأَوْغَلَ فِي بِلَادِ الْفِرِنْجِ يَسْبِي ، وَيُخَرِّبُ ، وَيَغْنَمُ ، فَلَمَّا أَرَادَ الْخُرُوجَ رَآهُمْ قَدْ سَدُّوا الدَّرْبَ وَهُمْ عَلَيْهِ يَحْفَظُونَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ الْمُقَامَ فِي بِلَادِهِمْ ، وَشَرَعَ هُوَ وَعَسْكَرُهُ فِي عِمَارَةِ الْمَسَاكِنِ وَزَرْعِ الْغَلَّاتِ ، وَأَحْضَرُوا الْحَطَبَ ، وَالتِّبْنَ ، وَالْمِيرَةَ ، وَمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَوْا عَزْمَهُ عَلَى الْمُقَامِ مَالُوا إِلَى السِّلْمِ ، فَرَاسَلُوهُ فِي تَرْكِ الْغَنَائِمِ وَالْجَوَازِ إِلَى بِلَادِهِ ، فَقَالَ أَنَا عَازِمٌ عَلَى الْمُقَامِ ، فَتَرَكُوا لَهُ الْغَنَائِمَ ، فَلَمْ يُجِبْهُمْ إِلَى الصُّلْحِ ، فَبَذَلُوا لَهُ مَالًا ، وَدَوَابَّ تَحْمِلُ لَهُ مَا غَنِمَهُ مِنْ بِلَادِهِمْ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى الصُّلْحِ ، وَفَتَحُوا الدَّرْبَ ، فَجَازَ إِلَى بِلَادِهِ.وَكَانَ أَصْلُهُ مِنَ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ ، وَوَرَدَ شَابًّا إِلَى قُرْطُبَةَ ، طَالِبًا لِلْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَسَمَاعِ الْحَدِيثِ ، فَبَرَعَ فِيهَا وَتَمَيَّزَ ، ثُمَّ تَعَلَّقَ بِخِدْمَةِ صُبْحَ وَالِدَةِ الْمُؤَيَّدِ ، وَعَظُمَ مَحَلُّهُ عِنْدَهَا ، فَلَمَّا مَاتَ الْحَاكِمُ الْمُسْتَنْصِرُ كَانَ الْمُؤَيَّدُ صَغِيرًا ، فَخِيفَ عَلَى الْمُلْكِ أَنْ يَخْتَلَّ ، فَضَمِنَ لِصُبْحَ سُكُونَ الْبِلَادِ ، وَزَوَالَ الْخَوْفِ ، وَكَانَ قَوِيَّ النَّفْسِ ، وَسَاعَدَتْهُ الْمَقَادِيرُ ، وَأَمَدَّتْهُ الْأُمَرَاءُ بِالْأَمْوَالِ ، فَاسْتَمَالَ الْعَسَاكِرَ ، وَجَرَتِ الْأُمُورُ عَلَى أَحْسَنِ نِظَامٍ.وَكَانَتْ أُمُّهُ تَمِيمِيَّةً ، وَأَبُوهُ مَعَافِرِيًّا ، بَطْنٌ مِنْ حِمْيَرَ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ الْمُلَقَّبُ بِالْمُظَفَّرِ ، فَسَارَ كَسَيْرَةِ أَبِيهِ ، وَتُوَفِّيَ سُنَّةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَكَانَتْ وِلَايَتُهُ سَبْعَ سِنِينَ.وَكَانَ سَبَبُ مَوْتِهِ أَنَّ أَخَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ سَمَّهُ فِي تُفَّاحَةٍ قَطَعَهَا بِسِكِّينٍ كَانَ قَدْ سَمَّ أَحَدَ جَانِبَيْهَا ، فَنَاوَلَ أَخَاهُ مَا يَلِي الْجَانِبَ الْمَسْمُومَ ، وَأَخَذَ هُوَ مَا يَلِي الْجَانِبَ الصَّحِيحَ ، فَأَكَلَهُ بِحَضْرَتِهِ ، فَاطْمَأَنَّ الْمُظَفَّرُ ، وَأَكَلَ مَا بِيَدِهِ مِنْهَا فَمَاتَ.فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَلِي بَعْدَهُ أَخُوهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمُلَقَّبُ بِالنَّاصِرِ ، فَسَلَكَ غَيْرَ طَرِيقِ أَبِيهِ وَأَخِيهِ ، وَأَخَذَ فِي الْمُجُونِ ، وَشُرْبِ الْخُمُورِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، ثُمَّ دَسَّ إِلَى الْمُؤَيَّدِ مَنْ خَوَّفَهُ مِنْهُ إِنْ لَمْ يَجْعَلْهُ وَلِيَّ عَهْدِهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، فَحَقَدَ النَّاسُ وَبَنُو أُمَيَّةَ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، وَأَبْغَضُوهُ ، وَتَحَرَّكُوا فِي أَمْرِهِ إِلَى أَنْ قُتِلَ.وَغَزَا شَاتِيَةً ، وَأَوْغَلَ فِي بِلَادِ الْجَلَالِقَةِ ، فَلَمْ يُقْدِمْ مَلِكُهَا عَلَى لِقَائِهِ ، وَتَحَصَّنَ مِنْهُ فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَى اتِّبَاعِهِ لِزِيَادَةِ الْأَنْهَارِ ، وَكَثْرَةِ الثُّلُوجِ ، فَأَثْخَنَ فِي الْبِلَادِ الَّتِي وَطِئَهَا ، وَخَرَجَ مَوْفُورًا ، فَبَلَغَهُ فِي طَرِيقِهِ ظُهُورُ مُحَمَّدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ بِقُرْطُبَةَ ، وَاسْتِيلَاؤُهُ عَلَيْهَا وَأَخْذُهُ الْمُؤَيَّدَ أَسِيرًا ، فَتَفَرَّقَ عَنْهُ عَسْكَرُهُ ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا خَاصَّتُهُ ، فَسَارَ إِلَى قُرْطُبَةَ لِيَتَلَافَى ذَلِكَ الْخَطْبَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَسْكَرُ مُحَمَّدِ بْنِ هِشَامٍ فَقَتَلُوهُ وَحَمَلُوا رَأْسَهُ إِلَى قُرْطُبَةَ فَطَافُوا بِهِ ، وَكَانَ قَتْلُهُ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، ثُمَّ صَلَبُوهُ.ذِكْرُ ظُهُورِ مُحَمَّدِ بْنِ هِشَامٍ بِقُرْطُبَةَ وَفِي سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ظَهَرَ بِقُرْطُبَةَ مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ الْأُمَوِيِّ ، وَمَعَهُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا ، فَبَايَعَهُ النَّاسُ.وَكَانَ ظُهُورُهُ سَلْخَ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَتَلَقَّبَ بِالْمَهْدِيِّ بِاللَّهِ ، وَمَلَكَ قُرْطُبَةَ ، وَأَخَذَ الْمُؤَيَّدَ فَحَبَسَهُ مَعَهُ فِي الْقَصْرِ ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ وَأَخْفَاهُ ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ مَاتَ.وَكَانَ قَدْ مَاتَ إِنْسَانٌ نَصْرَانِيٌّ يُشْبِهُ الْمُؤَيَّدَ ، فَأَبْرَزَهُ لِلنَّاسِ فِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَذَكَرَ لَهُمْ أَنَّهُ الْمُؤَيَّدُ ، فَلَمْ يَشُكُّوا فِي مَوْتِهِ ، وَصَلَّوْا عَلَيْهِ ، وَدَفَنُوهُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ إِنَّهُ أَظْهَرَهُ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ ، وَأَكْذَبَ نَفْسَهُ ، فَكَانَتْ مُدَّةُ وِلَايَةِ الْمُؤَيَّدِ هَذِهِ إِلَى أَنْ حُبِسَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، وَنَقَمَ النَّاسُ عَلَى ابْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ أَشْيَاءَ مِنْهَا أَنَّهُ كَانَ يَعْمَلُ النَّبِيذَ فِي قَصْرِهِ ، فَسَمَّوْهُ نَبَّاذًا ، وَمِنْهَا فِعْلُهُ بِالْمُؤَيَّدِ ، وَأَنَّهُ كَانَ كَذَّابًا ، مُتَلَوِّنًا ، مُبْغِضًا لِلْبَرْبَرِ ، فَانْقَلَبَ النَّاسُ عَلَيْهِ.ذِكْرُ خُرُوجِ هِشَامِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ لَمَّا اسْتَوْحَشَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ مِنِ ابْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ ، وَأَبْغَضُوهُ ، قَصَدُوا هِشَامَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ ، فَأَخْرَجُوهُ مِنْ دَارِهِ ، وَبَايَعُوهُ ، فَتَلَقَّبَ بِالرَّشِيدِ ، وَذَلِكَ لِأَرْبَعٍ بَقِينَ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَاجْتَمَعُوا بِظَاهِرِ قُرْطُبَةَ ، وَحَصَرُوا ابْنَ عَبْدِ الْجَبَّارِ ، وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُمْ لِيَخْلَعَ ابْنَ عَبْدِ الْجَبَّارِ مِنَ الْمُلْكِ عَلَى أَنْ يُؤَمِّنَهُ وَأَهْلَهُ وَجَمِيعَ أَصْحَابِهِ .ثُمَّ إِنَّ ابْنَ عَبْدِ الْجَبَّارِ جَمَعَ أَصْحَابَهُ وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَاتَلَهُمْ ، فَانْهَزَمَ هِشَامٌ وَأَصْحَابُهُ ، وَأُخِذَ هِشَامٌ أَسِيرًا فَقَتَلَهُ ابْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ ، وَقَتَلَ مَعَهُ عِدَّةً مِنْ قُوَّادِهِ ، اسْتَقَرَّ أَمْرُ ابْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ ، وَكَانَ عَمَّ هِشَامٍ.ذِكْرُ خُرُوجِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ أَيْضًا وَلَمَّا قَتَلَ ابْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ هِشَامَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ نَاصِرٍ وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ ، انْهَزَمَ مَعَهُمْ سُلَيْمَانُ بْنُ الْحَاكِمِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ نَاصِرٍ ، وَهُوَ ابْنُ أَخِي هِشَامٍ الْمَقْتُولِ ، فَبَايَعَهُ أَصْحَابُ عَمِّهِ ، وَأَكْثَرُهُمُ الْبَرْبَرُ ، بَعْدَ الْوَقْعَةِ بِيَوْمَيْنِ ، وَلَقَّبُوهُ الْمُسْتَعِينَ بِاللَّهِ ، ثُمَّ لُقِّبَ بِالظَّاهِرِ بِاللَّهِ ، وَسَارُوا إِلَى النَّصَارَى فَصَالَحُوهُمْ وَاسْتَنْجَدُوهُمْ وَأَنْجَدُوهُمْ ، وَسَارُوا مَعَهُمْ إِلَى قُرْطُبَةَ ، فَاقْتَتَلُوا هُمْ وَابْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ بِقَنْتِيجَ ، وَهِيَ الْوَقْعَةُ الْمَشْهُورَةُ غَزَوْا فِيهَا وَقُتِلَ مَا لَا يُحْصَى ، فَانْهَزَمَ ابْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ ، وَتَحَصَّنَ بِقَصْرِ قُرْطُبَةَ ، وَدَخَلَ سُلَيْمَانُ الْبَلَدَ ، وَحَصَرَهُ فِي الْقَصْرِ.فَلَمَّا رَأَى ابْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ مَا نَزَلَ بِهِ أَظْهَرَ الْمُؤَيَّدَ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ يُخْلَعُ هُوَ وَسُلَيْمَانُ وَيَرْجِعُ الْأَمْرُ إِلَى الْمُؤَيَّدِ ، فَلَمْ يُوَافِقْهُ أَحَدٌ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ الْمُؤَيِّدَ قَدْ مَاتَ.فَلَمَّا أَعْيَاهُ الْأَمْرُ احْتَالَ فِي الْهَرَبِ ، فَهَرَبَ سِرًّا وَاخْتَفَى ، وَدَخَلَ سُلَيْمَانُ الْقَصْرَ ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ بِالْخِلَافَةِ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ أَرْبَعِمِائَةٍ ، وَبَقِيَ بِقُرْطُبَةَ أَيَّامًا ، وَكَانَ عِدَّةُ الْقَتْلَى بِقَنْتِيجَ نَحْوَ خَمْسَةٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا ، وَأَغَارَ الْبَرْبَرُ وَالرُّومُ عَلَى قُرْطُبَةَ فَنَهَبُوا وَسَبَوْا وَأَسَرُوا عَدَدًا عَظِيمًا.ذِكْرُ عَوْدِ ابْنِ الْجَبَّارِ وَقَتْلِهِ وَعَوْدِ الْمُؤَيَّدِ لَمَّا اخْتَفَى ابْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ سَارَ سِرًّا إِلَى طُلَيْطِلَةَ ، وَأَتَاهُ وَاضِحٌ الْفَتَى الْعَامِرِيُّ فِي أَصْحَابِهِ ، وَجَمَعَ لَهُ النَّصَارَى وَسَارَ بِهِمْ إِلَى قُرْطُبَةَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ سُلَيْمَانُ فَالْتَقَوْا بِقُرْبِ عَقَبَةِ الْبَقَرِ ، وَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ ، فَانْهَزَمَ سُلَيْمَانُ وَمَنْ مَعَهُ مُنْتَصَفَ شَوَّالٍ سَنَةَ أَرْبَعِمِائَةٍ ، وَمَضَى سُلَيْمَانُ إِلَى شَاطِبَةَ ، وَدَخَلَ ابْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ قُرْطُبَةَ وَجَدَّدَ الْبَيْعَةَ لِنَفَسِهِ ، وَجَعَلَ الْحِجَابَةَ لِوَاضِحٍ وَتَصَرَّفَ بِالِاخْتِيَارِ.ثُمَّ إِنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْفِتْيَانِ الْعَامِرِيِّينَ ، مِنْهُمْ عَنْبَرٌ ، وَخَيْرُونُ ، وَغَيْرُهُمَا ، كَانُوا مَعَ سُلَيْمَانَ ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ يَطْلُبُونَ قَبُولَ طَاعَتِهِمْ ، وَأَنْ يَجْعَلَهُمْ فِي جُمْلَةِ رِجَالِهِ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ مَكِيدَةً بِهِ لِيَقْتُلُوهُ ، فَلَمَّا دَخَلُوا قُرْطُبَةَ اسْتَمَالُوا وَاضِحًا فَأَجَابَهُمْ إِلَى قَتْلِهِ ، فَلَمَّا كَانَ تَاسِعُ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ أَرْبَعِمِائَةٍ اجْتَمَعُوا فِي الْقَصْرِ فَمَلَكُوهُ ، وَأَخَذُوا ابْنَ عَبْدِ الْجَبَّارِ أَسِيرًا ، وَأَخْرَجُوا الْمُؤَيَّدَ بِاللَّهِ فَأَجْلَسُوهُ مَجْلِسَ الْخِلَافَةِ وَبَايَعُوهُ ، وَأَحْضَرُوا ابْنَ عَبْدِ الْجَبَّارِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَعَدَّدَ ذُنُوبَهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قُتِلَ ، وَطِيفَ بِرَأْسِهِ فِي قُرْطُبَةَ ، وَكَانَ عُمْرُهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ.وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَذْكُرَ هَذِهِ الْحَوَادِثَ مُتَأَخِّرَةً ، وَإِنَّمَا قَدَّمْنَاهَا لِتَعَلُّقِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ ، وَلِأَنَّ كُلًّا مِنْهُمْ لَيْسَ لَهُ مِنْ طُولِ الْمُدَّةِ مَا تُؤَخَّرُ أَخْبَارُهُ وَتُفَرَّقُ .ذِكْرُ عَوْدِ أَبِي الْمَعَالِي بْنِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ إِلَى مُلْكِ حَلَبَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَادَ أَبُو الْمَعَالِي شَرِيفُ بْنُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ مُلْكَ حَلَبَ وَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّ قَرْغَوَيْهِ لَمَّا تَغَلَّبَ عَلَيْهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَوْلَاهُ أَبَا الْمَعَالِي ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَسَارَ أَبُو الْمَعَالِي إِلَى وَالِدَتِهِ بِمَيَّافَارِقِينَ ، ثُمَّ أَتَى حَمَاةَ ، وَهِيَ لَهُ ، فَنَزَلَ بِهَا ، وَكَانَتِ الرُّومُ قَدْ خَرَّبَتْ حِمْصَ وَأَعْمَالَهَا ، وَقَدْ ذُكِرَ أَيْضًا ، فَنَزَلَ إِلَيْهِ يَارْقَتَاشُ مَوْلَى أَبِيهِ ، وَهُوَ بِحِصْنِ بَرْزُويَهْ ، وَخَدَمَهُ ، وَعَمَّرَ لَهُ مَدِينَةَ حِمْصَ ، فَكَثُرَ أَهْلُهَا.وَكَانَ قَرْغَوَيْهِ قَدِ اسْتَنَابَ بِحَلَبَ مَوْلًى لَهُ اسْمُهُ بَكْجُورُ ، فَقَوِيَ بَكْجُورُ وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ ، وَقَبَضَ عَلَى مَوْلَاهُ قَرْغَوَيْهِ ، وَحَبَسَهُ فِي قَلْعَةِ حَلَبَ ، وَأَقَامَ بِهَا نَحْوَ سِتِّ سِنِينَ ، فَكَتَبَ مَنْ بِحَلَبَ مِنْ أَصْحَابِ قَرْغَوَيْهِ إِلَى أَبِي الْمَعَالِي بْنِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ لِيَقْصِدَ حَلَبَ وَيَمْلِكَهَا ، فَسَارَ إِلَيْهَا ، وَحَصَرَهَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَمَلَكَهَا.وَبَقِيَتِ الْقَلْعَةُ بِيَدِ بَكْجُورَ ، فَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُمَا ، فَأَجَابَ إِلَى التَّسْلِيمِ عَلَى أَنَّ يُؤَمِّنَهُ فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ ، وَيُوَلِّيَهُ حِمْصَ ، وَطَلَبَ بَكْجُورُ أَنْ يَحْضُرَ هَذَا الْأَمَانَ وَالْعَهْدَ وُجُوهُ بَنِي كِلَابٍ ، فَفَعَلَ أَبُو الْمَعَالِي ذَلِكَ ، وَأَحْضَرَهُمُ الْأَمَانَ وَالْعَهْدَ ، وَسَلَّمَ قَلْعَةَ حَلَبَ إِلَى أَبِي الْمَعَالِي ، وَسَارَ بَكْجُورُ إِلَى حِمْصَ فَوَلِيَهَا لِأَبِي الْمَعَالِي ، وَصَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَى عِمَارَتِهَا ، وَحِفْظِ الطُّرُقِ ، فَازْدَادَتْ عِمَارَتُهَا ، وَكَثُرَ الْخَيْرُ بِهَا ، ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْهَا إِلَى وِلَايَةِ دِمَشْقَ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.ذِكْرُ ابْتِدَاءِ دَوْلَةِ آلِ سُبُكْتِكِينَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَلَكَ سُبُكْتِكِينُ مَدِينَةَ غَزْنَةَ وَأَعْمَالَهَا ، وَكَانَ ابْتِدَاءُ أَمْرِهِ أَنَّهُ كَانَ مِنْ غِلْمَانِ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ الْبَتْكِينِ ، صَاحِبِ جَيْشِ غَزْنَةَ لِلسَّامَانِيَّةِ ، وَكَانَ مُقَدَّمًا عِنْدَهُ ، وَعَلَيْهِ مَدَارُ أَمْرِهِ ، وَقَدِمَ إِلَى بُخَارَى ، أَيَّامَ الْأَمِيرِ مَنْصُورِ بْنِ نُوحٍ ، مَعَ أَبِي إِسْحَاقَ ، فَعَرَفَهُ أَرْبَابُ تِلْكَ الدَّوْلَةِ بِالْعَقْلِ ، وَالْعِفَّةِ ، وَجَوْدَةِ الرَّأْيِ وَالصَّرَامَةِ ، وَعَادَ مَعَهُ إِلَى غَزْنَةَ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَبُو إِسْحَاقَ أَنْ تُوُفِّيَ ، وَلَمْ يُخَلِّفْ مِنْ أَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ مَنْ يَصْلُحُ لِلتَّقَدُّمِ ، فَاجْتَمَعَ عَسْكَرُهُ وَنَظَرُوا فِيمَنْ يَلِي أَمْرَهُمْ ، وَيَجْمَعُ كَلِمَتَهُمْ ، فَاخْتَلَفُوا ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَى سُبُكْتِكِينَ ، لِمَا عَرَفُوهُ مِنْ عَقْلِهِ ، وَدِينِهِ ، وَمُرُوءَتِهِ ، وَكَمَالِ خِلَالِ الْخَيْرِ فِيهِ ، فَقَدَّمُوهُ عَلَيْهِمْ ، وَوَلَّوْهُ أَمْرَهُمْ ، وَحَلَفُوا لَهُ وَأَطَاعُوهُ فَوَلِيَهُمْ وَأَحْسَنَ السِّيرَةَ فِيهِمْ ، وَسَاسَ أُمُورَهُمْ سِيَاسَةً حَسَنَةً ، وَجَعَلَ نَفْسَهُ كَأَحَدِهِمْ فِي الْحَالِ وَالْمَالِ ، وَكَانَ يَذَّخِرُ مِنْ أَقَطَاعِهِ مَا يَعْمَلُ مِنْهُ طَعَامًا لَهُمْ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ مَرَّتَيْنِ.ثُمَّ إِنَّهُ جَمَعَ الْعَسَاكِرَ وَسَارَ نَحْوَ الْهِنْدِ مُجَاهِدًا ، وَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْهُنُودِ حُرُوبٌ يَشِيبُ لَهَا الْوَلِيدُ ، وَكَشَفَ بِلَادَهُمْ ، وَشَنَّ الْغَارَاتِ عَلَيْهَا ، وَطَمِعَ فِيهَا ، وَخَافَهُ الْهُنُودُ ، فَفَتَحَ مِنْ بِلَادِهِمْ حُصُونًا وَمَعَاقِلَ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ مَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْإِحْصَاءِ.وَاتُّفِقَ لَهُ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ أَنَّ الْهُنُودَ اجْتَمَعُوا فِي خَلْقٍ كَثِيرٍ ، وَطَاوَلُوهُ الْأَيَّامَ ، وَمَاطَلُوهُ الْقِتَالَ ، فَعَدِمَ الزَّادُ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ ، وَعَجَزُوا عَنِ الِامْتِيَارِ ، فَشَكَوْا إِلَيْهِ مَا هُمْ فِيهِ ، فَقَالَ لَهُمْ إِنِّي اسْتَصْحَبْتُ لِنَفْسِي شَيْئًا مِنَ السَّوِيقِ اسْتِظْهَارًا ، وَأَنَا أَقْسِمُهُ بَيْنَكُمْ قِسْمَةً عَادِلَةً عَلَى السَّوَاءِ إِلَى أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ بِالْفَرَجِ ، فَكَانَ يُعْطِي كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مِلْءَ قَدَحٍ مَعَهُ ، وَيَأْخُذُ لِنَفْسِهِ مِثْلَ أَحَدِهِمْ ، فَيَجْتَزِئُ بِهِ يَوْمًا وَلَيْلَةً ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يُقَاتِلُونَ الْكُفَّارَ ، فَرَزَقَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّصْرَ عَلَيْهِمْ وَالظَّفَرَ بِهِمْ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ وَأَسَرُوا خَلْقًا كَثِيرًا.ذِكْرُ وِلَايَةِ سُبُكْتِكِينَ عَلَى قُصْدَارَ وَبُسْتَ ثُمَّ إِنَّ سُبُكْتِكِينَ عَظُمَ شَأْنُهُ ، وَارْتَفَعَ قَدْرُهُ ، وَحَسُنَ بَيْنَ النَّاسِ ذِكْرُهُ ، وَتَعَلَّقَتِ الْأَطْمَاعُ بِالِاسْتِعَانَةِ بِهِ ، فَأَتَاهُ بَعْضُ الْأُمَرَاءِ الْكِبَارِ ، وَهُوَ صَاحِبُ بُسْتَ وَاسْمُهُ طَغَانُ ، مُسْتَعِينًا بِهِ مُسْتَنْصِرًا.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ خَرَجَ عَلَيْهِ أَمِيرٌ يُعْرَفُ بِبَابِي تُورَ ، فَمَلَكَ مَدِينَةَ بُسْتَ عَلَيْهِ ، وَأَجْلَاهُ عَنْهَا بَعْدَ حَرْبٍ شَدِيدَةٍ ، فَقَصَدَ سُبُكْتِكِينَ مُسْتَنْصِرًا بِهِ ، وَضَمِنَ لَهُ مَالًا مُقَرَّرًا ، وَطَاعَةً يَبْذُلُهَا لَهُ ، فَتَجَهَّزَ وَسَارَ مَعَهُ حَتَّى نَزَلَ عَلَى بُسْتَ وَخَرَجَ إِلَيْهِ بَابِي تُورُ فَقَاتَلَهُ قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ انْهَزَمَ بَابِي تُورُ وَتَفَرَّقَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَتَسَلَّمَ طَغَانُ الْبَلَدَ.فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِيهِ طَالَبَهُ سُبُكْتِكِينَ بِمَا اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَالِ ، فَأَخَذَ فِي الْمَطْلِ ، فَأَغْلَظَ لَهُ فِي الْقَوْلِ لِكَثْرَةِ مَطْلِهِ ، فَحَمَلَ طَغَانُ جَهْلَهُ عَلَى أَنْ سَلَّ السَّيْفَ فَضَرَبَ يَدَ سُبُكْتِكِينَ فَجَرَحَهَا ، فَأَخَذَ سُبُكْتِكِينُ السَّيْفَ وَضَرَبَهُ أَيْضًا فَجَرَحَهُ ، وَحَجَزَ الْعَسْكَرُ بَيْنَهُمَا ، وَقَامَتِ الْحَرْبُ عَلَى سَاقٍ ، فَانْهَزَمَ طَغَانُ وَاسْتَوْلَى سُبُكْتِكِينُ عَلَى بُسْتَ.ثُمَّ إِنَّهُ سَارَ إِلَى قُصْدَارَ ، وَكَانَ مُتَوَلِّيهَا قَدْ عَصَى عَلَيْهِ لِصُعُوبَةِ مَسَالِكِهَا ، وَحَصَانَتِهَا ، وَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ يَمْنَعُهُ ، فَسَارَ إِلَيْهِ جَرِيدَةً مُجِدًّا ، فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا وَالْخَيْلُ مَعَهُ ، فَأُخِذَ مِنْ دَارِهِ ، ثُمَّ إِنَّهُ مَنَّ عَلَيْهِ وَرَدَّهُ إِلَى وِلَايَتِهِ ، وَقَرَّرَ عَلَيْهِ مَالًا يَحْمِلُهُ إِلَيْهِ كُلَّ سَنَةٍ.ذِكْرُ مَسِيرِ الْهِنْدِ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَمَا كَانَ مِنْهُمْ مَعَ سُبُكْتِكِينَ لَمَّا فَرَغَ سُبُكْتِكِينُ مَنْ بُسْتَ وَقُصْدَارَ غَزَا الْهِنْدَ ، فَافْتَتَحَ قِلَاعًا حَصِينَةً عَلَى شَوَاهِقِ الْجِبَالِ ، وَعَادَ سَالِمًا ظَافِرًا.وَلَمَّا رَأَى جِيبَالُ مَلِكُ الْهِنْدِ مَا دَهَاهُ ، وَأَنَّ بِلَادَهُ تُمْلَكُ مِنْ أَطْرَافِهَا ، أَخَذَهُ مَا قَدُمَ وَحَدُثَ ، فَحَشَدَ وَجَمَعَ وَاسْتَكْثَرَ مِنَ الْفُيُولِ ، وَسَارَ حَتَّى اتَّصَلَ بِوِلَايَةِ سُبُكْتِكِينَ ، وَقَدْ بَاضَ الشَّيْطَانُ فِي رَأْسِهِ وَفَرَّخَ ، فَسَارَ سُبُكْتِكِينُ عَنْ غَزْنَةَ إِلَيْهِ وَمَعَهُ عَسَاكِرُهُ وَخَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَطَوِّعَةِ ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا أَيَّامًا كَثِيرَةً ، وَصَبَرَ الْفَرِيقَانِ . وَكَانَ بِالْقُرْبِ مِنْهُمْ عَقَبَةُ غُورَكَ ، وَفِيهَا عَيْنُ مَاءٍ لَا تَقْبَلُ نَجَسًا وَلَا قَذَرًا ، وَإِذَا أُلْقِيَ بِهَا شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ اكْفَهَرَّتِ السَّمَاءُ وَهَبَّتِ الرِّيَاحُ ، وَكَثُرَ الرَّعْدُ وَالْبَرْقُ وَالْأَمْطَارُ وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ تَطْهُرَ مِنَ الَّذِي أُلْقِيَ فِيهَا فَأَمَرَ سُبُكْتِكِينُ بِإِلْقَاءِ نَجَاسَةٍ فِي تِلْكَ الْعَيْنِ ، فَجَاءَ الْغَيْمُ وَالرَّعْدُ وَالْبَرْقُ ، وَقَامَتِ الْقِيَامَةُ عَلَى الْهُنُودِ لِأَنَّهُمْ رَأَوْا مَا لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ ، وَتَوَالَتْ عَلَيْهِمُ الصَّوَاعِقُ وَالْأَمْطَارُ ، وَاشْتَدَّ الْبَرْدُ ، حَتَّى هَلَكُوا ، وَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْمَذَاهِبُ ، وَاسْتَسْلَمُوا لِشِدَّةِ مَا عَايَنُوهُ.وَأَرْسَلَ مَلِكُ الْهِنْدِ إِلَى سُبُكْتِكِينَ يَطْلُبُ الصُّلْحَ ، وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ فَأَجَابَهُمْ إِلَيْهِ بَعْدَ امْتِنَاعٍ مِنْ وَلَدِهِ مَحْمُودٍ ، عَلَى مَالٍ يُؤَدِّيهِ ، وَبِلَادٍ يُسَلِّمُهَا ، وَخَمْسِينَ فِيلًا يَحْمِلُهَا إِلَيْهِ ، فَاسْتَقَرَّ ذَلِكَ ، وَرَهَنَ عِنْدَهُ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِهِ عَلَى تَسْلِيمِ الْبِلَادِ ، وَسَيَّرَ مَعَهُ سُبُكْتِكِينُ مَنْ يَتَسَلَّمُهَا ، فَإِنَّ الْمَالَ وَالْفِيَلَةَ كَانَتْ مُعَجَّلَةً ، فَلَمَّا أَبْعَدَ جِيبَالُ مَلِكُ الْهِنْدِ قَبَضَ عَلَى مَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَجَعَلَهُمْ عِنْدَهُ عِوَضًا عَنْ رَهَائِنِهِ.فَلَمَّا سَمِعَ سُبُكْتِكِينُ بِذَلِكَ جَمَعَ الْعَسَاكِرَ وَسَارَ نَحْوَ الْهِنْدِ ، فَأَخْرَبَ كُلَّ مَا مَرَّ عَلَيْهِ مِنْ بِلَادِهِمْ ، وَقَصَدَ لَمْغَانَ ، وَهِيَ مِنْ أَحْصَنِ قِلَاعِهِمْ ، فَافْتَتَحَهَا عَنْوَةً وَهَدَمَ بُيُوتَ الْأَصْنَامِ ، وَأَقَامَ فِيهَا شِعَارَ الْإِسْلَامِ ، وَسَارَ عَنْهَا يَفْتَحُ الْبِلَادَ وَيَقْتُلُ أَهْلَهَا فَلَمَّا بَلَغَ مَا أَرَادَهُ عَادَ إِلَى غَزْنَةَ.فَلَمَّا بَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى جِيبَالَ سُقِطَ فِي يَدِهِ ، وَجَمَعَ الْعَسَاكِرَ وَسَارَ فِي مِائَةِ أَلْفَ مُقَاتِلٍ ، فَلَقِيَهُ سُبُكْتِكِينُ ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَتَنَاوَبُوا الْقِتَالَ مَعَ الْهُنُودِ فَفَعَلُوا ذَلِكَ فَضَجِرَ الْهُنُودُ مِنْ دَوَامِ الْقِتَالِ مَعَهُمْ ، وَحَمَلُوا حَمْلَةً وَاحِدَةً ، فَعِنْدَ ذَلِكَ اشْتَدَّ الْأَمْرُ وَعَظُمَ الْخَطْبُ ، وَحَمَلَ أَيْضًا الْمُسْلِمُونَ جَمِيعُهُمْ ، وَاخْتَلَطَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، فَانْهَزَمَ الْهُنُودُ ، وَأَخَذَهُمُ السَّيْفُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَأَسَرَ مِنْهُمْ مَا لَا يُعَدُّ وَغَنِمَ أَمْوَالَهُمْ وَأَثْقَالَهُمْ وَدَوَابَّهُمُ الْكَثِيرَةَ.وَذَلَّ الْهُنُودُ بَعْدَ هَذِهِ الْوَقْعَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَعْدَهَا رَايَةٌ ، وَرَضُوا بِأَنْ لَا يُطْلَبُوا فِي أَقَاصِي بِلَادِهِمْ ، وَلَمَّا قَوِيَ سُبُكْتِكِينُ ، بَعْدَ هَذِهِ الْوَقْعَةِ ، أَطَاعَهُ الْأَفْغَانِيَّةُ وَالْخُلْجُ وَصَارُوا فِي طَاعَتِهِ.ذِكْرُ مُلْكِ قَابُوسَ بْنِ وَشْكَمِيرَ جُرْجَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ ظَهِيرُ الدَّوْلَةِ بِيسَتُونَ بْنُ وَشْكَمِيرَ بِجُرْجَانَ ، وَكَانَ قَابُوسٌ أَخُوهُ زَائِرًا خَالَهُ رُسْتُمَ بِجَبَلِ شَهْرَيَارَ ، وَخَلَّفَ بِيسَتُونُ ابْنًا صَغِيرًا بِطَبَرِسْتَانَ مَعَ جَدِّهِ لِأُمِّهِ ، فَطَمِعَ أَنْ يَأْخُذَ الْمُلْكَ ، فَبَادَرَ إِلَى جُرْجَانَ ، فَرَأَى بِهَا جَمَاعَةً مِنَ الْقُوَّادِ قَدْ مَالُوا إِلَى قَابُوسٍ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِمْ ، وَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى قَابُوسٍ فَسَارَ إِلَى جُرْجَانَ ، فَلَمَّا قَارَبَهَا خَرَجَ الْجَيْشُ إِلَيْهِ ، وَأَجْمَعُوا عَلَيْهِ ، وَمَلَّكُوهُ ، وَهَرَبَ مَنْ كَانَ مَعَ ابْنِ بِيسَتُونَ ، فَأَخَذَهُ عَمُّهُ قَابُوسٌ وَكَفَلَهُ ، وَجَعَلَهُ أُسْوَةَ أَوْلَادِهِ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي جُمَادَى الْأُولَى ، نُقِلَتِ ابْنَةُ عِزِّ الدَّوْلَةِ بَخْتِيَارَ إِلَى الطَّائِعِ لِلَّهِ ، وَكَانَ تَزَوَّجَهَا. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَكَرِيَّاءَ بْنِ حَيَّوَيْهِ فِي رَجَبٍ.وَفِي صَفَرَ مِنْهَا تُوُفِّيَّ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ وَصِيفٍ النَّاشِئُ الْمَعْرُوفُ بِالْخَلَّالِ ، صَاحِبُ الْمَرَاثِي الْكَثِيرَةِ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو يَعْقُوبَ يُوسُفُ بْنُ الْحَسَنِ الْجَنَّابِيُّ صَاحِبُ هَجَرَ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَتَوَلَّى أَمْرَ الْقَرَامِطَةِ بَعْدَهُ سِتَّةُ نَفَرٍ شَرِكَةً ، وَسُمُّوا السَّادَةَ ، وَكَانُوا مُتَّفِقِينَ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ عَلَى الْعِرَاقِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى بَخْتِيَارَ يَدْعُوهُ إِلَى طَاعَتِهِ ، وَأَنْ يَسِيرَ عَنِ الْعِرَاقِ إِلَى أَيِّ جِهَةٍ أَرَادَ ، وَضَمِنَ مُسَاعَدَتَهُ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَالٍ وَسِلَاحٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ.فَاخْتَلَفَ أَصْحَابُ بَخْتِيَارَ عَلَيْهِ فِي الْإِجَابَةِ إِلَى ذَلِكَ ، إِلَّا أَنَّهُ أَجَابَ إِلَيْهِ لِضَعْفِ نَفْسِهِ ، فَأَنْفَذَ لَهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ خِلْعَةً ، فَلَبِسَهَا ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَطْلُبُ مِنْهُ ابْنَ بَقِيَّةَ ، فَقَلَعَ عَيْنَيْهِ وَأَنْفَذَهُ إِلَيْهِ. وَتَجَهَّزَ بَخْتِيَارُ بِمَا أَنْفَذَهُ إِلَيْهِ عَضُدُ الدَّوْلَةِ ، وَخَرَجَ عَنْ بَغْدَاذَ عَازِمًا عَلَى قَصْدِ الشَّامِ ، وَسَارَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ فَدَخَلَ بَغْدَاذَ ، وَخُطِبَ لَهُ بِهَا ، وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ يُخْطَبُ لِأَحَدٍ بِبَغْدَاذَ ، وَضَرَبَ عَلَى بَابِهِ ثَلَاثَ نُوَبٍ ، وَلَمْ تَجْرِ بِذَلِكَ عَادَةُ مَنْ تَقَدَّمَهُ ، وَأَمَرَ بِأَنْ يُلْقَى ابْنُ بَقِيَّةَ بَيْنَ قَوَائِمِ الْفِيَلَةِ لِتَقْتُلَهُ ، فَفُعِلَ بِهِ ذَلِكَ ، وَخَبَطَتْهُ الْفِيَلَةُ حَتَّى قَتَلَتْهُ ، وَصُلِبَ عَلَى رَأْسِ الْجِسْرِ فِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، فَرَثَاهُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَنْبَارِيُّ بِأَبْيَاتٍ حَسَنَةٍ فِي مَعْنَاهَا وَهِيَ عُلُوٌّ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ...لَحَقٌّ تِلْكَ إِحْدَى الْمُعْجِزَاتِ كَأَنَّ النَّاسَ حَوْلَكَ حِينَ قَامُوا...وُفُودُ نَدَاكَ أَيَّامَ الصِّلَاتِ كَأَنَّكَ قَائِمٌ فِيهِمْ خَطِيبًا ، وَكُلُّهُمْ قِيَامٌ لِلصَّلَاةِ مَدَدْتَ يَدَيْكَ نَحْوَهُمُ اقْتِفَاءً ، كَمَدِّهِمَا إِلَيْهِمْ فِي الْهِبَاتِ...وَلَمَّا ضَاقَ بَطْنُ الْأَرْضِ عَنْ أَنْ يَضُمَّ عُلَاكَ مِنْ بَعْدِ الْمَمَاتِ...أَصَارُوا الْجَوَّ قَبْرَكَ ، وَاسْتَنَابُوا عَنِ الْأَكْفَانِ ثَوْبَ السَّافِيَاتِ...لِعُظْمِكَ فِي النُّفُوسِ تَبِيتُ تُرْعَى بِحُرَّاسٍ وَحُفَّاظٍ ثِقَاتِ...وَتُشْعَلُ عِنْدَكَ النِّيرَانُ لَيْلًا كَذَلِكَ كُنْتَ أَيَّامَ الْحَيَاةِ...وَلَمْ أَرَ قَبْلَ جِذْعِكَ قَطُّ جِذْعًا تَمَكَّنَ مِنْ عِنَاقِ الْمَكْرُمَاتِ...رَكِبْتَ مَطِيَّةً مِنْ قَبْلُ زَيْدٌ عَلَاهَا فِي السِّنِينَ الذَّاهِبَاتِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ ، قَوْلُهُ زَيْدٌ عَلَاهَا يَعْنِي زَيْدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَمَّا قُتِلَ وَصُلِبَ أَيَّامَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَقَدْ ذُكِرَ ، وَبَقِيَ ابْنُ بَقِيَّةَ مَصْلُوبًا إِلَى أَيَّامِ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ فَأُنْزِلَ مِنْ جِذْعِهِ وَدُفِنَ.ذِكْرُ قَتْلِ بَخْتِيَارَ لَمَّا سَارَ بَخْتِيَارُ عَنْ بَغْدَاذَ عَزَمَ قَصْدَ الشَّامِ وَمَعَهُ ابْنُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ابْنِ حَمْدَانَ ، فَلَمَّا صَارَ بَخْتِيَارُ بِعُكْبَرَا حَسَّنَ لَهُ حَمْدَانُ قَصْدَ الْمَوْصِلِ ، وَكَثْرَةَ أَمْوَالِهَا ، وَأَطْمَعَهُ فِيهَا ، وَقَالَ إِنَّهَا خَيْرٌ مِنَ الشَّامِ وَأَسْهَلُ.فَسَارَ بَخْتِيَارُ نَحْوَ الْمَوْصِلِ ، وَكَانَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ قَدْ حَلَّفَهُ أَنَّهُ لَا يَقْصِدُ وِلَايَةَ أَبِي تَغْلِبَ بْنِ حَمْدَانَ لِمَوَدَّةٍ وَمُكَاتَبَةٍ كَانَتْ بَيْنَهُمَا ، فَنَكَثَ وَقَصَدَهَا ، فَلَمَّا صَارَ إِلَى تَكْرِيتَ أَتَتْهُ رُسُلُ أَبِي تَغْلِبَ تَسْأَلُهُ أَنْ يَقْبِضَ عَلَى أَخِيهِ حَمْدَانَ وَيُسَلِّمَهُ إِلَيْهِ ، وَإِذَا فَعَلَ سَارَ بِنَفْسِهِ وَعَسَاكِرِهِ إِلَيْهِ ، وَقَاتَلَ مَعَهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ ، وَأَعَادَهُ إِلَى مُلْكِهِ بَغْدَاذَ ، فَقَبَضَ بَخْتِيَارُ عَلَى حَمْدَانَ وَسَلَّمَهُ إِلَى نُوَّابِ أَبِي تَغْلِبَ ، فَحَبَسَهُ فِي قَلْعَةٍ لَهُ ، وَسَارَ بَخْتِيَارُ إِلَى الْحَدِيثَةِ ، وَاجْتَمَعَ مَعَ أَبِي تَغْلِبَ ، وَسَارَا جَمِيعًا نَحْوَ الْعِرَاقِ ، وَكَانَ مَعَ أَبِي تَغْلِبَ نَحْوٌ مِنْ عِشْرِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ.وَبَلَغَ ذَلِكَ عَضُدَ الدَّوْلَةِ فَسَارَ عَنْ بَغْدَاذَ نَحْوَهُمَا ، فَالْتَقَوْا بِقَصْرِ الْجِصِّ بِنَوَاحِي تَكْرِيتَ ثَامِنَ عَشَرَ شَوَّالٍ ، فَهَزَمَهُمَا ، وَأَسَرَ بَخْتِيَارَ ، وَأُحْضِرَ عِنْدَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، فَلَمْ يَأْذَنْ بِإِدْخَالِهِ إِلَيْهِ ، وَأَمَرَ بِقَتْلِهِ فَقُتِلَ ، وَذَلِكَ بِمَشُورَةِ أَبِي الْوَفَاءِ طَاهِرِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَاسْتَقَرَّ مُلْكُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَكَانَ عُمْرُ بَخْتِيَارَ سِتًّا وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَمَلَكَ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً وَشُهُورًا .ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ عَلَى مُلْكِ بَنِي حَمْدَانَ لَمَّا انْهَزَمَ أَبُو تَغْلِبَ وَبَخْتِيَارُ سَارَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ نَحْوَ الْمَوْصِلِ ، فَمَلَكَهَا ثَانِيَ عَشْرَةَ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا ، وَظَنَّ أَبُو تَغْلِبَ أَنَّهُ كَمَا كَانَ غَيْرُهُ يَفْعَلُ ، يُقِيمُ يَسِيرًا ، ثُمَّ يَضْطَرُّ إِلَى الْمُصَالَحَةِ ، وَيَعُودُ.وَكَانَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ أَحْزَمَ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ لَمَّا قَصَدَ الْمَوْصِلَ حَمَلَ مَعَهُ الْمِيرَةَ وَالْعُلُوفَاتِ ، وَمَنْ يَعْرِفُ وِلَايَةَ الْمَوْصِلِ وَأَعْمَالَهَا ، وَأَقَامَ بِالْمَوْصِلِ مُطْمَئِنًّا ، وَبَثَّ السَّرَايَا فِي طَلَبِ أَبِي تَغْلِبَ ، فَأَرْسَلَ أَبُو تَغْلِبَ يَطْلُبُ أَنْ يَضْمَنَ الْبِلَادَ ، فَلَمْ يُجِبْهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ إِلَى ذَلِكَ ، وَقَالَ هَذِهِ الْبِلَادُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْعِرَاقِ.وَكَانَ مَعَ أَبِي تَغْلِبَ الْمَرْزُبَانُ بْنُ بَخْتِيَارَ ، وَأَبُو إِسْحَاقَ ، وَأَبُو طَاهِرٍ ابْنَا مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَوَالِدَتُهُمَا ، وَهِيَ أُمُّ بَخْتِيَارَ ، وَأَسْبَابُهُمْ ، فَسَارَ أَبُو تَغْلِبَ إِلَى نَصِيبِينَ ، فَسَيَّرَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ سَرِيَّةً عَلَيْهَا حَاجِبُهُ أَبُو حَرْبٍ طَغَانُ إِلَى جَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ ، وَسَيَّرَ فِي طَلَبِ أَبِي تَغْلِبَ سَرِيَّةً ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا أَبَا الْوَفَاءِ طَاهِرَ بْنَ مُحَمَّدٍ ، عَلَى طَرِيقِ سِنْجَارَ ، فَسَارَ أَبُو تَغْلِبَ مُجِدًّا ، فَبَلَغَ مَيَّافَارِقِينَ ، وَأَقَامَ بِهَا وَمَعَهُ أَهْلُهُ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ مَسِيرُ أَبِي الْوَفَاءِ إِلَيْهِ سَارَ نَحْوَ بَدْلِيسَ وَمَعَهُ النِّسَاءُ وَغَيْرُهُنَّ مِنْ أَهْلِهِ ، وَوَصَلَ أَبُو الْوَفَاءِ إِلَى مَيَّافَارِقِينَ ، فَأُغْلِقَتْ دُونَهُ وَهِيَ حَصِينَةٌ مِنْ حُصُونِ الرُّومِ الْقَدِيمَةِ ، وَتَرَكَهَا وَطَلَبَ أَبَا تَغْلِبَ. وَكَانَ أَبُو تَغْلِبَ قَدْ عَدَلَ مِنْ أَرْزَنِ الرُّومِ إِلَى الْحُسَنِيَّةِ مِنْ أَعْمَالِ الْجَزِيرَةِ وَصَعِدَ إِلَى قَلْعَةِ كَوَاشَى وَغَيْرِهَا مِنْ قِلَاعِهِ ، وَأَخَذَ مَا لَهُ فِيهَا مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَعَادَ أَبُو الْوَفَاءِ إِلَى مَيَّافَارِقِينَ وَحَصَرَهَا.وَلَمَّا اتَّصَلَ بِعَضُدِ الدَّوْلَةِ مَجِئُ أَبِي تَغْلِبَ إِلَى قِلَاعِهِ سَارَ إِلَيْهِ بِنَفْسِهِ ، فَلَمْ يُدْرِكْهُ ، وَلَكِنَّهُ اسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ أَكْثَرَ أَصْحَابِهِ ، وَعَادَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَسَيَّرَ فِي أَثَرِ أَبِي تَغْلِبَ عَسْكَرًا مَعَ قَائِدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ يُقَالُ لَهُ طَغَانُ ، فَتَعَسَّفَ أَبُو تَغْلِبَ إِلَى بَدْلِيسَ ، وَظَنَّ أَنَّهُ لَا يَتْبَعُهُ أَحَدٌ ، فَتَبِعَهُ طُغَانُ ، فَهَرَبَ مِنْ بَدْلِيسَ وَقَصَدَ بِلَادَ الرُّومِ لِيَتَّصِلَ بِمَلِكِهِمُ الْمَعْرُوفِ بِوَرْدٍ الرُّومِيِّ ، وَلَيْسَ مِنْ بَيْتِ الْمُلْكِ ، وَإِنَّمَا تَمَلَّكَ عَلَيْهِمْ قَهْرًا ، وَاخْتَلَفَ الرُّومُ عَلَيْهِ ، وَنَصَّبُوا غَيْرَهُ مِنْ أَوْلَادِ مُلُوكِهِمْ ، فَطَالَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ ، فَصَاهَرَ وَرْدٌ هَذَا أَبَا تَغْلِبَ لِيَتَقَوَّى بِهِ فَقُدِّرَ أَنَّ أَبَا تَغْلِبَ احْتَاجَ إِلَى الِاعْتِضَادِ بِهِ.وَلَمَّا سَارَ أَبُو تَغْلِبَ مِنْ بَدْلِيسَ أَدْرَكَهُ عَسْكَرُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَهُمْ حَرِيصُونَ عَلَى أَخْذِ مَا مَعَهُ مِنَ الْمَالِ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا قَدْ سَمِعُوا بِكَثْرَتِهِ ، فَلَمَّا وَقَعُوا عَلَيْهِ نَادَى أَمِيرُهُمْ لَا تَتَعَرَّضُوا لِهَذَا الْمَالِ ، فَهُوَ لِعَضُدِ الدَّوْلَةِ ، فَفَتُرُوا عَنِ الْقِتَالِ.فَلَمَّا رَآهُمْ أَبُو تَغْلِبَ فَاتِرِينَ حَمَلَ عَلَيْهِمْ فَانْهَزَمُوا ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً وَنَجَا مِنْهُمْ ، فَنَزَلَ بِحِصْنِ زِيَادٍ وَيُعْرَفُ الْآنَ بِخَرْتَبِرْتَ ، وَأَرْسَلَ وَرْدٌ الْمَذْكُورُ فَعَرَّفَهُ مَا هُوَ بِصَدَدِهِ مِنِ اجْتِمَاعِ الرُّومِ عَلَيْهِ وَاسْتَمَدَّهُ وَقَالَ إِذَا فَرَغْتُ عُدْتُ إِلَيْكَ.فَسَيَّرَ إِلَيْهِ أَبُو تَغْلِبَ طَائِفَةً مِنْ عَسْكَرِهِ ، فَاتُّفِقَ أَنَّ وَرْدًا انْهَزَمَ ، فَلَمَّا عَلِمَ أَبُو تَغْلِبَ بِذَلِكَ يَئِسَ مِنْ نَصْرِهِ ، وَعَادَ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ ، فَنَزَلَ بِآمِدَ ، وَأَقَامَ بِهَا شَهْرَيْنِ إِلَى أَنْ فُتِحَتْ مَيَّافَارِقِينَ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِيهَا ظَهَرَ بِإِفْرِيقِيَّةَ فِي السَّمَاءِ حُمْرَةٌ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالشَّمَالِ ، مِثْلُ لَهَبِ النَّارِ فَخَرَجَ النَّاسُ يَدْعُونَ اللَّهَ تَعَالَى ، وَيَتَضَرَّعُونَ إِلَيْهِ.وَكَانَ بِالْمَهْدِيَّةِ زَلَازِلُ وَأَهْوَالٌ أَقَامَتْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، حَتَّى فَارَقَ أَهْلُهَا مَنَازِلَهُمْ ، وَأَسْلَمُوا أَمْتِعَتَهُمْ.وَفِيهَا سَيَّرَ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ الْعَلَوِيُّ صَاحِبُ مِصْرَ وَإِفْرِيقِيَّةَ أَمِيرًا عَلَى الْمَوْسِمِ لِيَحُجَّ بِالنَّاسِ ، وَكَانَتِ الْخُطْبَةُ لَهُ بِمَكَّةَ ، وَكَانَ الْأَمِيرُ عَلَى الْمَوْسِمِ بَادِيسَ بْنَ زِيرِي أَخَا يُوسُفَ بُلُكِّينَ ، خَلِيفَتُهُ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَكَّةَ أَتَاهُ اللُّصُوصُ بِهَا فَقَالُوا لَهُ نَتَقَبَّلُ مِنْكَ الْمَوْسِمَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَلَا تَتَعَرَّضُ لَنَا ، فَقَالَ لَهُمْ أَفْعَلُ ذَلِكَ ، اجْمَعُوا إِلَيَّ أَصْحَابَكُمْ حَتَّى يَكُونَ الْعَقْدُ مَعَ جَمِيعِكُمْ ، فَاجْتَمَعُوا فَكَانُوا نَيِّفًا وَثَلَاثِينَ رَجُلًا ، فَقَالَ هَلْ بَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدٌ ؟ فَحَلَفُوا أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ كُلَّهُمْ.وَفِيهَا زَادَتْ دِجْلَةُ زِيَادَةً عَظِيمَةً ، وَغَرَّقَتْ كَثِيرًا مِنَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ بِبَغْدَاذَ ، وَغَرَّقَتْ أَيْضًا مَقَابِرَ بِبَابِ التِّبْنِ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْهَا ، وَبَلَغَتِ السَّفِينَةُ أُجْرَةً وَافِرَةً ، وَأَشْرَفَتِ النَّاسُ عَلَى الْهَلَاكِ ، ثُمَّ نَقَصَ الْمَاءُ فَأَمِنُوا. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ قُرَيْعَةَ ، وَلَهُ نَوَادِرُ مَجْمُوعَةٌ ، وَعُمْرُهُ خَمْسٌ وَسِتُّونَ سَنَةً.وَفِيهَا خُلِعَ عَلَى الْقَاضِي عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ أَحْمَدَ بِالرَّيِّ ، وَوَلِيَ الْقَضَاءَ بِهَا وَبِمَا تَحْتَ حُكْمِ مُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ مِنَ الْبِلَادِ ، وَهُوَ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُعْتَزِلَةِ ، وَيَرِدُ فِي تَرَاجِمِ تَصَانِيفِهِ قَاضِي الْقُضَاةِ ، وَيَعْنِي بِهِ قَاضِيَ قُضَاةِ أَعْمَالِ الرَّيِّ ، وَبَعْضُ مَنْ لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ يَظُنُّهُ قَاضِيَ الْقُضَاةِ مُطْلَقًا وَلَيْسَ كَذَلِكَ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ فَتْحِ مَيَّافَارِقِينَ وَآمِدَ وَغَيْرِهِمَا مِنْ دِيَارِ بَكْرٍ عَلَى يَدِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ لَمَّا عَادَ أَبُو الْوَفَاءِ مِنْ طَلَبِ أَبِي تَغْلِبَ نَازَلَ مَيَّافَارِقِينَ ، وَكَانَ الْوَالِي عَلَيْهَا هَزَارْمَرْدَ ، فَضَبَطَ الْبَلَدَ ، وَبَالَغَ فِي قِتَالِ أَبِي الْوَفَاءِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ مَاتَ هَزَارْمَرْدُ ، فَكُوتِبَ أَبُو تَغْلِبَ بِذَلِكَ ، فَأَمَرَ أَنْ يُقَامَ مَقَامَهُ غُلَامٌ مِنَ الْحَمْدَانِيَّةِ اسْمُهُ مُؤْنِسٌ فَوَلِيَ الْبَلَدَ وَلَمْ يَكُنْ لِأَبِي الْوَفَاءِ فِيهِ حِيلَةٌ ، فَعَدَلَ عَنْهُ ، وَأَرْسَلَ رَجُلًا مِنْ أَعْيَانِ الْبَلَدِ اسْمُهُ أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَاسْتَمَالَهُ فَأَجَابَهُ ، وَشَرَعَ فِي اسْتِمَالَةِ الرَّعِيَّةِ إِلَى أَبِي الْوَفَاءِ ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَعَظُمَ أَمْرُهُ ، وَأَرْسَلَ إِلَى مُؤْنِسٍ يَطْلُبُ لَهُ الْأَمَانَ ، فَأَرْسَلَ أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ إِلَى أَبِي الْوَفَاءِ فِي ذَلِكَ فَأَمَّنَهُ ، وَأَمَّنَ سَائِرَ أَهْلِ الْبَلَدِ ، فَفَتَحَ لَهُ الْبَلَدَ وَسَلَّمَهُ إِلَيْهِ.وَكَانَ أَبُو الْوَفَاءِ مُدَّةَ مُقَامِهِ عَلَى مَيَّافَارِقِينَ قَدْ بَثَّ سَرَايَاهُ فِي تِلْكَ الْحُصُونِ الْمُجَاوِرَةِ لَهَا ، فَافْتَتَحَهَا جَمِيعَهَا ، فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو تَغْلِبَ بِذَلِكَ سَارَ عَنْ آمِدَ نَحْوَ الرُّحْبَةِ ، هُوَ وَأُخْتُهُ جَمِيلَةُ ، وَأَمَرَ بَعْضَ أَهْلِهِ بِالِاسْتِئْمَانِ إِلَى أَبِي الْوَفَاءِ ، فَفَعَلُوا ، ثُمَّ إِنَّ أَبَا الْوَفَاءِ سَارَ إِلَى آمِدَ فَحَصَرَهَا ، فَلَمَّا رَأَى أَهْلُهَا ذَلِكَ سَلَكُوا مَسْلَكَ أَهْلِ مَيَّافَارِقِينَ ، فَسَلَّمُوا الْبَلَدَ بِالْأَمَانِ فَاسْتَوْلَى أَبُو الْوَفَاءِ عَلَى سَائِرِ دِيَارِ بَكْرٍ ، وَقَصَدَهُ أَصْحَابُ أَبِي تَغْلِبَ وَأَهْلُهُ مُسْتَأْمِنِينَ إِلَيْهِ ، فَأَمَّنَهُمْ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، وَعَادَ إِلَى الْمَوْصِلِ.وَأَمَّا أَبُو تَغْلِبَ فَإِنَّهُ لَمَّا قَصَدَ الرُّحْبَةَ أَنْفَذَ رَسُولًا إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ يَسْتَعْطِفُهُ ، وَيَسْأَلُهُ الصَّفْحَ ، فَأَحْسَنَ جَوَابَ الرُّسُلِ ، وَبَذَلَ لَهُ إِقْطَاعًا يُرْضِيهِ ، عَلَى أَنْ يَطَأَ بِسَاطَهُ ، فَلَمْ يُجِبْهُ أَبُو تَغْلِبَ إِلَى ذَلِكَ ، وَسَارَ إِلَى الشَّامِ ، إِلَى الْعَزِيزِ بِاللَّهِ صَاحِبِ مِصْرَ .ذِكْرُ فَتْحِ دِيَارِ مُضَرَ عَلَى يَدِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ كَانَ مُتَوَلِّي دِيَارِ مُضَرَ لِأَبِي تَغْلِبَ بْنِ حَمْدَانَ سَلَامَةَ الْبَرْقَعِيدِيَّ ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ سَعْدُ الدَّوْلَةِ بْنُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ مِنْ حَلَبَ جَيْشًا ، فَجَرَتْ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ ، وَكَانَ سَعْدُ الدَّوْلَةِ قَدْ كَاتَبَ عَضُدَ الدَّوْلَةِ ، وَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَيْهِ ، فَأَنْفَذَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ النَّقِيبَ أَبَا أَحْمَدَ ، وَالِدَ الرَّضِيِّ ، إِلَى الْبِلَادِ الَّتِي بِيَدِ سَلَامَةَ ، فَتَسَلَّمَهَا بَعْدَ حَرْبٍ شَدِيدَةٍ ، وَدَخَلَ أَهْلُهَا فِي الطَّاعَةِ ، فَأَخَذَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ لِنَفْسِهِ الرَّقَّةَ حَسْبُ ، وَرَدَّ بَاقِيَهَا إِلَى سَعْدِ الدَّوْلَةِ فَصَارَتْ لَهُ.ثُمَّ اسْتَوْلَى عَضُدُ الدَّوْلَةِ عَلَى الرُّحْبَةِ ، وَتَفَرَّغَ بَعْدَ ذَلِكَ لِفَتْحِ قِلَاعِهِ وَحُصُونِهِ ، وَهِيَ قَلْعَةُ كَوَاشَى ، وَكَانَ فِيهَا خَزَائِنُهُ وَأَمْوَالُهُ ، وَقَلْعَةُ هَرُورَ وَالْمَلَاسِي وَبُرْقَى وَالشِّعْبَانِيُّ وَغَيْرُهَا مِنَ الْحُصُونِ ، فَلَمَّا اسْتَوْلَى عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِ أَبِي تَغْلِبَ اسْتَخْلَفَ أَبَا الْوَفَاءِ عَلَى الْمَوْصِلِ ، وَعَادَ إِلَى بَغْدَاذَ فِي سَلْخِ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَلَقِيَهُ الطَّائِعُ لِلَّهِ ، وَجَمْعٌ مِنَ الْجُنْدِ وَغَيْرُهُمْ.ذِكْرُ وِلَايَةِ قَسَّامٍ دِمَشْقَ لَمَّا فَارَقَ الْفَتْكِينُ دِمَشْقَ كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، تَقَدَّمَ عَلَى أَهْلِهَا قَسَّامٌ ، وَكَانَ سَبَبُ تَقَدُّمِ قَسَّامٍ أَنَّ الْفَتْكِينَ قَرَّبَهُ وَوَثِقَ إِلَيْهِ ، وَعَوَّلَ فِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِهِ عَلَيْهِ ، فَعَلَا ذِكْرُهُ وَصِيتُهُ ، وَكَثُرَ أَتْبَاعُهُ مِنَ الْأَحْدَاثِ ، فَاسْتَوْلَى عَلَى الْبَلَدِ وَحَكَمَ فِيهِ.وَكَانَ الْقَائِدُ أَبُو مَحْمُودٍ قَدْ عَادَ إِلَى الْبَلَدِ عَلَيْهِ وَالِيًا عَلَيْهِ لِلْعَزِيزِ ، فَلَمْ يَتِمَّ لَهُ مَعَ قَسَّامٍ أَمْرٌ ، وَكَانَ لَا حُكْمَ لَهُ ، وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ قَسَّامٍ عَلَى دِمَشْقَ نَافِذًا ، وَهُوَ يَدْعُو لِلْعَزِيزِ بِاللَّهِ الْعَلَوِيِّ.وَوَصَلَ إِلَيْهِ أَبُو تَغْلِبَ بْنُ حَمْدَانَ ، صَاحِبُ الْمَوْصِلِ ، مُنْهَزِمًا كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، فَمَنَعَهُ قَسَّامٌ مِنْ دُخُولِ دِمَشْقَ ، وَخَافَهُ عَلَى الْبَلَدِ أَنْ يَتَوَلَّاهُ ، إِمَّا غَلَبَةً ، وَإِمَّا بِأَمْرِ الْعَزِيزِ ، فَاسْتَوْحَشَ أَبُو تَغْلِبَ وَجَرَى بَيْنَ أَصْحَابِهِ وَأَصْحَابِ أَبِي تَغْلِبَ شَيْءٌ مِنْ قِتَالٍ ، فَرَحَلَ أَبُو تَغْلِبَ إِلَى طَبَرِيَةَ.وَوَرَدَ مِنْ عِنْدِ الْعَزِيزِ قَائِدٌ اسْمُهُ الْفَضْلُ فِي جَيْشٍ ، فَحَصَرَ قَسَّامًا بِدِمَشْقَ ، فَلَمْ يَظْفَرْ بِهِ ، فَعَادَ عَنْهُ ، وَبَقِيَ قَسَّامٌ كَذَلِكَ إِلَى سَنَةِ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَسَيَّرَ مِنْ مِصْرَ أَمِيرًا إِلَى دِمَشْقَ اسْمُهُ سَلْمَانُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ فَلَاحٍ ، فَوَصَلَ إِلَيْهَا ، فَنَزَلَ بِظَاهِرِهَا ، وَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ دُخُولِهَا ، وَأَقَامَ فِي غَيْرِ شَيْءٍ ، فَنَهَى النَّاسَ عَنْ حَمْلِ السِّلَاحِ ، فَلَمْ يَسْمَعُوا مِنْهُ ، وَوَضَعَ قَسَّامٌ أَصْحَابَهُ عَلَى سَلْمَانَ ، فَقَاتَلُوهُ وَأَخْرَجُوهُ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ فِيهِ.وَكَانَ قَسَّامٌ بِالْجَامِعِ ، وَالنَّاسُ عِنْدَهُ ، فَكَتَبَ مَحْضَرًا وَسَيَّرَهُ إِلَى الْعَزِيزِ يَذْكُرُ أَنَّهُ كَانَ بِالْجَامِعِ عِنْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ ، وَلَمْ يَشْهَدْهَا ، وَبَذَلَ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ إِنْ قَصَدَهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ بْنُ بُوَيْهٍ أَوْ عَسْكَرٌ لَهُ قَاتَلَهُ ، وَمَنَعَهُ مِنَ الْبَلَدِ ، فَأَغْضَى الْعَزِيزُ لِقَسَّامٍ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ لِأَنَّهُ يَخَافُ أَنْ يَقْصِدَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ الشَّامَ ، فَلَمَّا فَارَقَ سَلْمَانُ دِمَشْقَ عَادَ إِلَيْهَا الْقَائِدُ أَبُو مَحْمُودٍ ، وَلَا حُكْمَ لَهُ ، وَالْحُكْمُ جَمِيعُهُ لِقَسَّامٍ ، فَدَامَ ذَلِكَ .ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ زَلَازِلُ شَدِيدَةٌ كَثِيرَةٌ ، وَكَانَ أَشَدُّهَا بِالْعِرَاقِ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْقَاضِي أَبُو سَعِيدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السِّيرَافِيُّ النَّحْوِيُّ مُصَنِّفُ" شَرْحِ كِتَابِ سِيبَوَيْهِ "، وَكَانَ فَقِيهًا ، فَاضِلًا ، مُهَنْدِسًا مَنْطِقِيًّا ، فِيهِ كُلُّ فَضِيلَةٍ ، وَعُمْرُهُ أَرْبَعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً ، وَوَلِيَ بَعْدَهُ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ مَعْرُوفٍ الْحَاكِمُ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ بِبَغْدَاذَ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ قَتْلِ أَبِي تَغْلِبَ بْنِ حَمْدَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي صَفَرَ ، قُتِلَ أَبُو تَغْلِبَ فَضْلُ اللَّهِ بْنُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ.وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّهُ سَارَ إِلَى الشَّامِ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، وَوَصَلَ إِلَى دِمَشْقَ ، وَبِهَا قَسَّامٌ قَدْ تَغَلَّبَ عَلَيْهَا ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، فَلَمْ يُمَكِّنْ أَبَا تَغَلُّبٍ مِنْ دُخُولِهَا فَنَزَلَ بِظَاهِرِ الْبَلَدِ ، وَأَرْسَلَ رَسُولًا إِلَى الْعَزِيزِ بِمِصْرَ يَسْتَنْجِدُهُ لِيَفْتَحَ لَهُ دِمَشْقَ ، فَوَقَعَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ ، وَأَصْحَابِ قَسَّامٍ فِتْنَةٌ ، فَرَحَلَ إِلَى نَوَى ، وَهِيَ مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ ، فَأَتَاهُ كِتَابُ رَسُولِهِ مِنْ مِصْرَ يَذْكُرُ أَنَّ الْعَزِيزَ يُرِيدُ أَنْ يَحْضُرَ هُوَ عِنْدَهُ بِمِصْرَ لِيَسِيرَ مَعَهُ الْعَسَاكِرُ ، فَامْتَنَعَ ، وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ ، وَرَحَلَ إِلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَةَ ، وَسَيَّرَ الْعَزِيزُ عَسْكَرًا إِلَى دِمَشْقَ مَعَ قَائِدٍ اسْمُهُ الْفَضْلُ ، فَاجْتَمَعَ بِأَبِي تَغْلِبَ عِنْدَ طَبَرِيَةَ ، وَوَعْدَهُ ، عَنِ الْعَزِيزِ ، بِكُلِّ مَا أَحَبَّ ، وَأَرَادَ أَبُو تَغْلِبَ الْمَسِيرَ مَعَهُ إِلَى دِمَشْقَ ، فَمَنَعَهُ بِسَبَبِ الْفِتْنَةِ الَّتِي جَرَتْ بَيْنَ أَصْحَابِهِ وَأَصْحَابِ قَسَّامٍ ، لِئَلَّا يَسْتَوْحِشَ قَسَّامٌ ، وَأَرَادَ أَخْذَ الْبَلَدِ مِنْهُ سِلْمًا ، وَرَحَلَ الْفَضْلُ إِلَى دِمَشْقَ فَلَمْ يَفْتَحْهَا.وَكَانَ بِالرَّمْلَةِ دَغْفَلُ بْنُ الْمُفَرِّجِ بْنِ الْجَرَّاحِ الطَّائِيُّ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَى هَذِهِ النَّاحِيَةِ ، وَأَظْهَرَ طَاعَةَ الْعَزِيزِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَصَرَّفَ بِأَحْكَامِهِ ، وَكَثُرَ جَمْعُهُ ، وَسَارَ إِلَى أَحْيَاءِ عُقَيْلٍ الْمُقِيمَةِ بِالشَّامِ لِيُخْرِجَهَا مِنَ الشَّامِ ، فَاجْتَمَعَتْ عُقَيْلٌ إِلَى أَبِي تَغْلِبَ وَسَأَلَتْهُ نُصْرَتَهَا ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ دَغْفَلٌ يَسْأَلُهُ أَنْ لَا يَفْعَلَ ، فَتَوَسَّطَ أَبُو تَغْلِبَ الْحَالَ ، فَرَضُوا بِمَا يَحْكُمُ بِهِ الْعَزِيزُ. وَرَحَلَ أَبُو تَغْلِبَ ، فَنَزَلَ فِي جِوَارِ عُقَيْلٍ ، فَخَافَهُ دَغْفَلٌ ، وَالْفَضْلُ صَاحِبُ الْعَزِيزِ ، وَظَنَّا أَنَّهُ يُرِيدُ أَخْذَ تِلْكَ الْأَعْمَالِ.ثُمَّ إِنَّ أَبَا تَغْلِبَ سَارَ إِلَى الرَّمْلَةِ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَلَمْ يَشُكَّ ابْنُ الْجَرَّاحِ وَالْفَضْلُ أَنَّهُ يُرِيدُ حَرْبَهُمَا ، وَكَانَا بِالرَّمْلَةِ ، فَجَمَعَ الْفَضْلُ الْعَسَاكِرَ مِنَ السَّوَاحِلِ ، وَكَذَلِكَ جَمَعَ دَغْفَلٌ مَنْ أَمْكَنَهُ جَمْعُهُ ، وَتَصَافَّ النَّاسُ لِلْحَرْبِ ، فَلَمَّا رَأَتْ عُقَيْلٌ كَثْرَةَ الْجَمْعِ انْهَزَمَتْ ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَ أَبِي تَغْلِبَ إِلَّا نَحْوُ سَبْعِمِائَةِ رَجُلٍ ، مِنْ غِلْمَانِهِ وَغِلْمَانِ أَبِيهِ ، فَانْهَزَمَ وَلَحِقَهُ الطُّلَبُ ، فَوَقَفَ يَحْمِي نَفْسَهُ وَأَصْحَابَهُ ، فَضُرِبَ عَلَى رَأْسِهِ فَسَقَطَ ، وَأُخِذَ أَسِيرًا ، وَحُمِلَ إِلَى دَغْفَلٍ فَأَسَرَهُ وَكَتَّفَهُ.وَأَرَادَ الْفَضْلُ أَخْذَهُ وَحَمْلَهُ إِلَى الْعَزِيزِ بِمِصْرَ ، فَخَافَ دَغْفَلٌ أَنْ يَصْطَنِعَهُ الْعَزِيزُ ، كَمَا فَعَلَ بِالْفَتْكِينِ ، وَيَجْعَلَهُ عِنْدَهُ ، فَقَتَلَهُ ، فَلَامَهُ الْفَضْلُ عَلَى قَتْلِهِ ، وَأَخَذَ رَأْسَهُ وَحَمَلَهُ إِلَى مِصْرَ ، وَكَانَ مَعَهُ أُخْتُهُ جَمِيلَةُ بِنْتُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ وَزَوْجَتُهُ ، وَهِيَ بِنْتُ عَمِّهِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا قُتِلَ حَمَلَهُمَا بَنُو عُقَيْلٍ إِلَى حَلَبَ إِلَى سَعْدِ الدَّوْلَةِ بْنِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، فَأَخَذَ أُخْتَهُ ، وَسَيَّرَ جَمِيلَةَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَسُلِّمَتْ إِلَى أَبِي الْوَفَاءِ نَائِبِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، فَأَرْسَلَهَا إِلَى بَغْدَاذَ ، فَاعْتُقِلَتْ فِي حُجْرَةِ دَارِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ.ذِكْرُ مُحَارَبَةِ الْحَسَنِ بْنِ عِمْرَانَ مَعَ جُيُوشِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ عِمْرَانُ بْنُ شَاهِينَ ، فَجْأَةً ، فِي الْمُحَرَّمِ ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ ، بَعْدَ أَنْ طَلَبَهُ الْمُلُوكُ وَالْخُلَفَاءُ وَبَذَلُوا الْجُهْدَ فِي أَخْذِهِ ، وَأَعْمَلُوا الْحِيَلَ ، أَرْبَعِينَ سَنَةً ، فَلَمْ يُقَدِّرْهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَمَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ.فَلَمَّا مَاتَ وَلِيَ مَكَانَهُ ابْنُهُ الْحَسَنُ ، فَتَجَدَّدَ لِعَضُدِ الدَّوْلَةِ طَمَعٌ فِي أَعْمَالِ الْبَطِيحَةِ ، فَجَهَّزَ الْعَسَاكِرَ مَعَ وَزِيرِهِ الْمُطَهِّرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَأَمَدَّهُمْ بِالْأَمْوَالِ وَالسِّلَاحِ وَالْآلَاتِ ، وَسَارَ الْمُطَهِّرُ فِي صَفَرَ ، فَلَمَّا وَصَلَ شَرَعَ فِي سَدِّ أَفْوَاهِ الْأَنْهَارِ الدَّاخِلَةِ فِي الْبَطَائِحِ ، فَضَاعَ فِيهَا الزَّمَانُ وَالْأَمْوَالُ ، وَجَاءَتِ الْمُدُودُ ، وَبَثَقَ الْحَسَنُ بْنُ عِمْرَانَ بَعْضَ تِلْكَ السُّدُودِ ، فَأَعَانَهُ الْمَاءُ فَقَلَعَهَا.وَكَانَ الْمُطَهِّرُ إِذَا سَدَّ جَانِبًا انْفَتَحَتْ عِدَّةُ جَوَانِبَ ، ثُمَّ جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَسَنِ وَقْعَةٌ فِي الْمَاءِ فَاسْتَظْهَرَ عَلَيْهِ الْحَسَنُ ، وَكَانَ الْمُطَهِّرُ سَرِيعًا قَدْ أَلِفَ الْمُنَاجَزَةَ ، وَلَمْ يَأْلَفْ فِي الْمُصَابَرَةِ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ.وَكَانَ مَعَهُ فِي عَسْكَرِهِ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْعَلَوِيُّ الْكُوفِيُّ ، فَاتَّهَمَهُ بِمُرَاسَلَةِ الْحَسَنِ ، وَإِطْلَاعِهِ عَلَى أَسْرَارِهِ ، وَخَافَ الْمُطَهِّرُ أَنْ تَنْقُصَ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَيَشْمَتَ بِهِ أَعْدَاؤُهُ ، كَأَبِي الْوَفَاءِ وَغَيْرِهِ ، فَعَزَمَ عَلَى قَتْلِ نَفْسِهِ ، فَأَخَذَ سِكِّينًا وَقَطَعَ شَرَايِينَ ذِرَاعِهِ ، فَخَرَجَ الدَّمُ مِنْهُ ، فَدَخَلَ فَرَّاشٌ لَهُ ، فَرَأَى الدَّمَ فَصَاحَ ، فَدَخَلَ النَّاسُ فَرَأَوْهُ ، وَظَنُّوا أَنَّ أَحَدًا فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ ، فَتَكَلَّمَ ، وَكَانَ بِآخِرِ رَمَقٍ ، وَقَالَ إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عُمَرَ أَحْوَجَنِي إِلَى هَذَا ، ثُمَّ مَاتَ وَحُمِلَ إِلَى بَلَدِهِ كَازَرُونَ ، فَدُفِنَ فِيهَا.وَأَرْسَلَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ مَنْ حَفَظَ الْعَسْكَرَ ، وَصَالَحَ الْحَسَنَ بْنَ عِمْرَانَ عَلَى مَالٍ يُؤَدِّيهِ ، وَأَخَذَ رَهَائِنَهُ ، وَانْفَرَدَ نَصْرُ بْنُ هَارُونَ بِوِزَارَةِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ مُقِيمًا بِفَارِسَ فَاسْتَخْلَفَ لَهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ بِحَضْرَتِهِ أَبَا الرَّيَّانِ حَمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ.ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ بَنِي شَيْبَانَ وَعَسْكَرِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي رَجَبٍ ، سَيَّرَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ جَيْشًا إِلَى بَنِي شَيْبَانَ ، وَكَانُوا قَدْ أَكْثَرُوا الْغَارَاتِ عَلَى الْبِلَادِ وَالْفَسَادَ ، وَعَجَزَ الْمُلُوكُ عَنْ طَلَبِهِمْ ، وَكَانُوا قَدْ عَقَدُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَكْرَادِ شَهْرَزُورَ مُصَاهِرَاتٍ ، وَكَانَتْ شَهْرَزُورُ مُمْتَنِعَةً عَلَى الْمُلُوكِ ، فَأَمَرَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ عَسْكَرَهُ بِمُنَازَلَةِ شَهْرَزُورَ لِيَنْقَطِعَ طَمَعُ بَنِي شَيْبَانَ عَنِ التَّحَصُّنِ بِهَا ، فَاسْتَوْلَى أَصْحَابُهُ عَلَيْهَا وَمَلَكُوهَا ، فَهَرَبَ بَنُو شَيْبَانَ ، وَسَارَ الْعَسْكَرُ فِي طَلَبِهِمْ ، وَأَوْقَعُوا بِهِمْ وَقِيعَةً عَظِيمَةً قُتِلَ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَنُهِبَتْ أَمْوَالُهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ ، وَأُسِرَ مِنْهُمْ ثَمَانُمِائَةِ أَسِيرٍ وَحُمِلُوا إِلَى بَغْدَاذَ.ذِكْرُ وَصُولِ وَرْدٍ الرُّومِيِّ إِلَى دِيَارِ بَكْرٍ وَمَا كَانَ مِنْهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَصَلَ وَرْدٌ الرُّومِيُّ إِلَى دِيَارِ بَكْرٍ مُسْتَجِيرًا بِعَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَسْتَنْصِرُهُ عَلَى مُلُوكِ الرُّومِ ، وَيَبْذُلُ لَهُ الطَّاعَةَ إِذَا مَلَكَ وَحَمْلَ الْخَرَاجِ.وَكَانَ سَبَبُ قُدُومِهِ أَنَّ أَرْمَانُوسَ مَلِكَ الرُّومِ لَمَّا تُوُفِّيَ خَلَّفَ وَلَدَيْنِ لَهُ صَغِيرَيْنِ ، فَمَلَكَا بَعْدَهُ ، وَكَانَ نَفْقُورُ ، وَهُوَ حِينَئِذٍ الدُّمُسْتُقُ ، قَدْ خَرَجَ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ فَنَكَى فِيهَا وَعَادَ ، فَلَمَّا قَارَبَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ بَلَغَهُ مَوْتُ أَرْمَانُوسَ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْجُنْدُ وَقَالُوا إِنَّهُ لَا يَصْلُحُ لِلنِّيَابَةِ عَنِ الْمَلِكَيْنِ غَيْرُكُ ، فَإِنَّهُمَا صَغِيرَانِ ، فَامْتَنَعَ ، فَأَلَحُّوا عَلَيْهِ فَأَجَابَهُمْ ، وَخَدَمَ الْمَلِكَيْنِ ، وَتَزَوَّجَ بِوَالِدَتِهِمَا ، وَلَبِسَ التَّاجَ.ثُمَّ إِنَّهُ جَفَا وَالِدَتَهُمَا ، فَرَاسَلَتِ ابْنَ الشَّمْشَقِيقِ فِي قَتْلِ نَقْفُورَ وَإِقَامَتِهِ مَقَامَهُ ، فَأَجَابَهَا إِلَى ذَلِكَ ، وَسَارَ إِلَيْهِ سِرًّا هُوَ وَعَشَرَةُ رِجَالٍ ، فَاغْتَالُوا الدُّمُسْتُقَ فَقَتَلُوهُ ، وَاسْتَوْلَى ابْنُ الشَّمْشَقِيقِ عَلَى الْأَمْرِ ، وَقَبَضَ عَلَى لَاوِنَ أَخِي الدُّمُسْتُقِ ، وَعَلَى وَرْدِيسَ بْنِ لَاوِنَ ، وَاعْتَقَلَهُ فِي بَعْضِ الْقِلَاعِ ، وَسَارَ إِلَى أَعْمَالِ الشَّامِ فَأَوْغَلَ فِيهَا ، وَنَالَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَا أَرَادَ ، وَبَلَغَ إِلَى طَرَابُلُسَ فَامْتَنَعَ عَلَيْهِ أَهْلُهَا فَحَصَرَهُمْ.وَكَانَ لِوَالِدَةِ الْمَلِكَيْنِ أَخٌ خَصِيٌّ ، وَهُوَ حِينَئِذٍ الْوَزِيرُ ، فَوَضَعَ عَلَى ابْنِ الشَّمْشَقِيقِ مَنْ سَقَاهُ سُمًّا ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِ أَسْرَعَ الْعَوْدَ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، فَمَاتَ فِي طَرِيقِهِ.وَكَانَ وَرْدُ بْنُ مُنِيرٍ مِنْ أَكَابِرِ أَصْحَابِ الْجُيُوشِ وَعُظَمَاءِ الْبَطَارِقَةِ ، فَطَمِعَ فِي الْأَمْرِ ، وَكَاتَبَ أَبَا تَغْلِبَ بْنَ حَمْدَانَ وَصَاهَرَهُ ، وَاسْتَجَاشَ بِالْمُسْلِمِينَ مِنَ الثُّغُورِ ، فَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ، فَقَصَدَ الرُّومَ ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ الْمَلِكَانِ جَيْشًا بَعْدَ جَيْشٍ وَهُوَ يَهْزِمُهُمْ ، فَقَوِيَ جِنَانُهُ وَعَظُمَ شَأْنُهُ ، وَقَصَدَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ ، فَخَافَهُ الْمَلِكَانِ ، فَأَطْلَقَا وَرْدِيسَ بْنَ لَاوِنَ ، وَقَدَّمَاهُ عَلَى الْجُيُوشِ ، وَسَيَّرَاهُ لِقِتَالِ وَرْدٍ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَطَالَ الْأَمْرُ بَيْنَهُمَا ، ثُمَّ انْهَزَمَ وَرْدٌ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ ، فَقَصَدَ دِيَارَ بَكْرٍ ، وَنَزَلَ بِظَاهِرِ مَيَّافَارِقِينَ ، وَرَاسَلَ عَضُدَ الدَّوْلَةِ ، وَأَنْفَذَ إِلَيْهِ أَخَاهُ يَبْذُلُ الطَّاعَةَ وَالِاسْتِنْصَارَ بِهِ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ وَوَعَدَهُ بِهِ.ثُمَّ إِنَّ مَلِكَيِ الرُّومِ رَاسَلَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ وَاسْتَمَالَاهُ ، فَقَوِيَ فِي نَفْسِهِ تَرْجِيحُ جَانِبِ الْمَلِكَيْنِ ، وَعَادَ عَنْ نُصْرَةِ وَرْدٍ ، وَكَاتَبَ أَبَا عَلِيٍّ التَّمِيمِيَّ ، وَهُوَ حِينَئِذٍ يَنُوبُ عَنْهُ بِدِيَارِ بَكْرٍ ، بِالْقَبْضِ عَلَى وَرْدٍ وَأَصْحَابِهِ ، فَشَرَعَ يُدَبِّرُ الْحِيلَةَ عَلَيْهِ ، وَاجْتَمَعَ إِلَى وَرْدٍ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا لَهُ إِنَّ مُلُوكَ الرُّومِ قَدْ كَاتَبُوا عَضُدَ الدَّوْلَةِ وَرَاسَلُوهُ فِي أَمْرِنَا ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُمْ يُرَغِّبُونَهُ فِي الْمَالِ وَغَيْرِهِ فَيُسَلِّمُنَا إِلَيْهِمْ ، وَالرَّأْيُ أَنْ نَرْجِعَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ عَلَى صُلْحٍ إِنْ أَمْكَنَنَا ، أَوْ عَلَى حَرْبٍ نَبْذُلُ فِيهَا أَنْفُسَنَا ، فَإِمَّا ظَفِرْنَا أَوْ مُتْنَا كِرَامًا.فَقَالَ مَا هَذَا رَأْيٌ ، وَلَا رَأَيْنَا مِنْ عَضُدِ الدَّوْلَةِ إِلَّا الْجَمِيلَ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ نَنْصَرِفَ عَنْهُ قَبْلَ أَنْ نَعْلَمَ مَا عِنْدَهُ ، فَفَارَقَهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَطَمِعَ فِيهِ أَبُو عَلِيٍّ التَّمِيمِيُّ ، وَرَاسَلَهُ فِي الِاجْتِمَاعِ ، فَأَجَابَهُ فِي ذَلِكَ ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ بِهِ قَبَضَ عَلَيْهِ ، وَعَلَى وَلَدِهِ وَأَخِيهِ ، وَجَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَاعْتَقَلَهُمْ بِمَيَّافَارِقِينَ ثُمَّ حَمَلَهُمْ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَبَقَوْا فِي الْحَبْسِ إِلَى أَنَّ فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ ، وَكَانَ قَبْضُهُ سَنَةَ سَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.ذِكْرُ عِمَارَةِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بَغْدَاذَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ شَرَعَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ فِي عِمَارَةِ بَغْدَاذَ ، وَكَانَتْ قَدْ خَرِبَتْ بِتَوَالِي الْفِتَنِ فِيهَا ، وَعَمَّرَ مَسَاجِدَهَا وَأَسْوَاقَهَا ، وَأَدَرَّ الْأَمْوَالَ عَلَى الْأَئِمَّةِ ، وَالْمُؤَذِّنِينَ ، وَالْعُلَمَاءِ ، وَالْقُرَّاءِ ، وَالْغُرَبَاءِ ، وَالضُّعَفَاءِ ، الَّذِينَ يَأْوُونَ إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَأَلْزَمَ أَصْحَابَ الْأَمْلَاكِ الْخَرَابِ بِعِمَارَتِهَا ، وَجَدَّدَ مَا دُثِرَ مِنَ الْأَنْهَارِ ، وَأَعَادَ حَفْرَهَا وَتَسْوِيَتَهَا ، وَأَطْلَقَ مُكُوسَ الْحُجَّاجِ ، وَأَصْلَحَ الطَّرِيقَ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى مَكَّةَ ، شَرَّفَهَا اللَّهُ تَعَالَى ، وَأَطْلَقَ الصِّلَاتِ لِأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ وَالشَّرَفِ ، وَالضُّعَفَاءِ الْمُجَاوِرِينَ بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، وَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ بِمَشْهَدَيْ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَسَكَّنَ النَّاسَ مِنَ الْفِتَنِ ، وَأَجْرَى الْجِرَايَاتِ عَلَى الْفُقَهَاءِ ، وَالْمُحَدِّثِينَ ، وَالْمُتَكَلِّمِينَ ، وَالْمُفَسِّرِينَ ، وَالنُّحَاةِ ، وَالشُّعَرَاءِ ، وَالنَّسَّابِينَ ، وَالْأَطِبَّاءِ ، وَالْحُسَّابِ ، وَالْمُهَنْدِسِينَ ، وَأَذِنَ لِوَزِيرِهِ نَصْرِ بْنِ هَارُونَ ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا ، فِي عِمَارَةِ الْبِيَعِ وَالدِّيرَةِ ، وَإِطْلَاقِ الْأَمْوَالِ لِفُقَرَائِهِمْ.ذِكْرُ وَفَاةِ حَسْنُوَيْهِ الْكُرْدِيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ حَسْنُوَيْهِ بْنُ الْحُسَيْنِ الْكُرْدِيُّ الْبَرْزِيكَانِيُّ بِسَرْمَاجَ ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ مِنَ الْبَرْزِيكَانِ يُسَمَّوْنَ الْبَرْزِينِيَّةَ ، وَكَانَ خَالَاهُ وَنْدَادٌ وَغَانِمٌ ابْنَا أَحْمَدَ أَمِيرَيْنِ صِنْفٍ آخَرَ مِنْهُمْ يُسَمَّوْنَ الْعَيْشَانِيَّةَ ، وَغَلَبَا عَلَى أَطْرَافِ نَوَاحِي الدِّينَوَرِ ، وَهَمَذَانَ ، وَنَهَاوَنْدَ ، وَالصَّامَغَانِ ، وَبَعْضِ أَطْرَافِ أَذْرَبِيجَانَ إِلَى حَدِّ شَهْرَزُورَ نَحْوَ خَمْسِينَ سَنَةً.وَكَانَ يَقُودُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عِدَّةَ أُلُوفٍ ، فَتُوُفِّيَ غَانِمٌ سَنَةَ خَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَكَانَ ابْنُهُ أَبُو سَالِمٍ دَيْسَمُ بْنُ غَانِمٍ مَكَانَهُ بِقَلْعَتِهِ قِسَانٍ ، إِلَى أَنْ أَزَالَهُ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ الْعَمِيدِ ، وَاسْتَصْفَى قِلَاعَهُ الْمُسَمَّاةَ قِسْنَانَ ، وَغَانِمَ آبَاذَ وَغَيْرَهُمَا.وَتُوُفِّيَ وَنْدَادُ بْنُ أَحْمَدَ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَقَامَ مَقَامَهُ ابْنُهُ أَبُو الْغَنَائِمِ عَبْدُ الْوَهَّابِ إِلَى أَنْ أَسَرَهُ الشَّاذَنْخَانُ وَسَلَّمُوهُ إِلَى حَسْنُوَيْهِ ، فَأَخَذَ قِلَاعَهُ وَأَمْلَاكَهُ.وَكَانَ حَسْنُوَيْهِ مَجْدُودًا ، حَسَنَ السِّيَاسَةِ وَالسِّيرَةِ ، ضَابِطًا لِأَمْرِهِ ، وَمَنَعَ أَصْحَابَهُ مِنَ التَّلَصُّصِ ، وَبَنَى قَلْعَةَ سِرْمَاجَ بِالصُّخُورِ الْمُهَنْدَمَةِ ، وَبَنَى بِالدِّينَوَرِ جَامِعًا عَلَى هَذَا الْبِنَاءِ ، وَكَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَةِ بِالْحَرَمَيْنِ ، إِلَى أَنْ مَاتَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَافْتَرَقَ أَوْلَادُهُ مِنْ بَعْدِهِ ، فَبَعْضُهُمُ انْحَازَ إِلَى فَخْرِ الدَّوْلَةِ ، وَبَعْضُهُمْ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَهُمْ أَبُو الْعَلَاءِ ، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ ، وَأَبُو النَّجْمِ بَدْرٌ ، وَعَاصِمٌ ، وَأَبُو عَدْنَانَ ، وَبَخْتِيَارُ ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ.وَكَانَ بَخْتِيَارُ بِقَلْعَةِ سَرْمَاجَ وَمَعَهُ الْأَمْوَالُ وَالذَّخَائِرُ ، فَكَاتَبَ عَضُدَ الدَّوْلَةِ وَرَغِبَ فِي طَاعَتِهِ ، ثُمَّ تَلَوَّنَ عَنْهُ وَتَغَيَّرَ ، فَسَيَّرَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ إِلَيْهِ جَيْشًا فَحَصَرَهُ وَأَخَذَ قَلْعَتَهُ ، وَكَذَلِكَ قِلَاعُ غَيْرِهِ مِنْ إِخْوَتِهِ ، وَاصْطَنَعَ مِنْ بَيْنِهِمْ أَبَا النَّجْمِ بَدْرَ بْنَ حَسْنُوَيْهِ ، وَقَوَّاهُ بِالرِّجَالِ ، فَضَبَطَ تِلْكَ النَّوَاحِي ، وَكَفَّ عَادِيَّةَ مَنْ بِهَا مِنَ الْأَكْرَادِ ، وَاسْتَقَامَ أَمْرُهُ ، وَكَانَ عَاقِلًا.ذِكْرُ قَصْدِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ أَخَاهُ فَخْرَ الدَّوْلَةِ وَأَخْذِ بِلَادِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ إِلَى بِلَادِ الْجَبَلِ ، فَاحْتَوَى عَلَيْهَا.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ بَخْتِيَارَ بْنَ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ كَانَ يُكَاتِبُ ابْنَ عَمِّهِ فَخْرَ الدَّوْلَةِ ، بَعْدَ مَوْتِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، وَيَدْعُوهُ إِلَى الِاتِّفَاقِ مَعَهُ عَلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ وَاتَّفَقَا.وَعَلِمَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ بِهِ ، فَكَتَمَ ذَلِكَ إِلَى الْآنَ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ أَعْدَائِهِ كَأَبِي تَغْلِبَ ، وَبَخْتَيِارَ ، وَغَيْرِهِمَا ، وَمَاتَ حَسْنُوَيْهِ بْنُ الْحُسَيْنِ ، ظَنَّ عَضُدُ الدَّوْلَةِ أَنَّ الْأَمْرَ يُصْلِحُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخَوَيْهِ ، فَرَاسَلَ أَخَوَيْهِ فَخْرَ الدَّوْلَةِ ، وَمُؤَيَّدَ الدَّوْلَةِ ، وَقَابُوسَ بْنَ وَشْمَكِيرَ.فَأَمَّا رِسَالَتُهُ إِلَى أَخِيهِ مُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ ، فَيَشْكُرُهُ عَلَى طَاعَتِهِ وَمُوَافَقَتِهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ مُطِيعًا لَهُ غَيْرَ مُخَالِفٍ.وَأَمَّا إِلَى فَخْرِ الدَّوْلَةِ ، فَيُعَاتِبُهُ وَيَسْتَمِيلُهُ ، وَيَذْكُرُ لَهُ مَا يَلْزَمُهُ بِهِ الْحُجَّةُ.وَأَمَّا إِلَى قَابُوسٍ ، فَيُشِيرُ عَلَيْهِ بِحِفْظِ الْعُهُودِ الَّتِي بَيْنَهُمَا.فَأَجَابَ فَخْرُ الدَّوْلَةِ جَوَابَ الْمُنَاظِرِ الْمُنَاوِئِ ، وَنَسِيَ كِبَرَ السِّنِّ ، وَسَعَةَ الْمُلْكِ وَعَهْدَ أَبِيهِ.وَأَمَّا قَابُوسٌ فَأَجَابَ جَوَابَ الْمُرَاقِبِ.وَكَانَ الرَّسُولُ خَوَاشَادَهْ ، وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ أَصْحَابِهِ ، فَاسْتَمَالَ أَصْحَابَ فَخْرِ الدَّوْلَةِ ، فَضَمِنَ لَهُ الْإِقْطَاعَاتِ ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعُهُودَ ، فَلَمَّا عَادَ الرَّسُولُ بَرَزَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ مِنْ بَغْدَاذَ عَلَى عَزْمِ الْمَسِيرِ إِلَى الْجَبَلِ وَإِصْلَاحِ تِلْكَ الْأَعْمَالِ ، وَابْتَدَأَ فَقَدَّمَ الْعَسَاكِرَ بَيْنَ يَدَيْهِ يَتْلُو بَعْضُهَا بَعْضًا ، مِنْهُمْ أَبُو الْوَفَاءِ عَلَى عَسْكَرٍ ، وَخَوَاشَادَهْ عَلَى عَسْكَرٍ ، وَأَبُو الْفَتْحِ الْمُظَفَّرُ بْنُ مُحَمَّدٍ فِي عَسْكَرٍ ، فَسَارَتْ هَذِهِ الْعَسَاكِرُ ، وَأَقَامَ هُوَ بِظَاهِرِ بَغْدَاذَ.ثُمَّ سَارَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ ، فَلَقِيَتْهُ الْبَشَائِرُ بِدُخُولِ جُيُوشِهِ هَمَذَانَ ، وَاسْتِئْمَانِ الْعَدَدِ الْكَثِيرِ مِنْ قُوَّادِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ وَرِجَالِ حَسْنُوَيْهِ ، وَوَصَلَ إِلَيْهِ أَبُو الْحَسَنِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْدَوَيْهِ وَزِيرُ فَخْرِ الدَّوْلَةِ ، وَمَعَهُ جَمَاهِيرُ أَصْحَابِهِ ، فَانْحَلَّ أَمْرُ فَخْرِ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ بِهَمَذَانَ ، فَخَافَ مِنْ أَخِيهِ ، وَتَذَكَّرَ قَتْلَ ابْنِ عَمِّهِ بَخْتِيَارَ ، فَخَرَجَ هَارِبًا ، وَقَصَدَ بَلَدَ الدَّيْلَمِ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا إِلَى جُرْجَانَ ، فَنَزَلَ عَلَى شَمْسِ الْمَعَالِي قَابُوسِ بْنِ وَشْمَكِيرَ ، وَالْتَجَأَ إِلَيْهِ فَأَمَّنَهُ وَآوَاهُ ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ فَوْقَ مَا حَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ ، وَشَرَكَهُ فِيمَا تَحْتَ يَدِهِ مِنْ مُلْكٍ وَغَيْرِهِ.وَمَلَكَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ مَا كَانَ بِيَدِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ هَمَذَانَ ، وَالرَّيَّ ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْبِلَادِ وَسَلَّمَهَا إِلَى أَخِيهِ مُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهٍ ، وَجَعَلَهُ خَلِيفَتَهُ وَنَائِبَهُ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ ، وَنَزَلَ الرَّيَّ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى تِلْكَ النَّوَاحِي.ثُمَّ عَرَجَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ إِلَى وِلَايَةِ حَسْنُوَيْهِ الْكُرْدِيِّ ، فَقَصَدَ نَهَاوَنْدَ ، وَكَذَلِكَ الدِّينَوَرُ ، وَقَلْعَةُ سَرْمَاجُ ، وَأَخَذَ مَا فِيهَا مِنْ ذَخَائِرِ حَسْنُوَيْهِ ، وَكَانَتْ جَلِيلَةَ الْمِقْدَارِ ، وَمَلَكَ مَعَهَا عِدَّةً مِنْ قِلَاعِ حَسْنُوَيْهِ ، وَلَحِقَهُ فِي هَذِهِ السَّفْرَةِ صَرَعٌ ، وَكَانَ هَذَا قَدْ أَخَذَهُ بِالْمَوْصِلِ ، وَحَدَّثَ بِهِ فِيهَا ، فَكَتَمَهُ ، وَصَارَ كَثِيرَ النِّسْيَانِ لَا يَذْكُرُ الشَّيْءَ إِلَّا بَعْدَ جَهْدٍ ، وَكَتَمَ ذَلِكَ أَيْضًا ، وَهَذَا دَأْبُ الدُّنْيَا لَا تَصْفُو لِأَحَدٍ.وَأَتَاهُ أَوْلَادُ حَسْنُوَيْهِ ، فَقَبَضَ عَلَى عَبْدِ الرَّزَّاقِ ، وَأَبِي الْعَلَاءِ ، وَأَبِي عَدْنَانَ ، وَأَحْسَنَ إِلَى بَدْرِ بْنِ حَسْنُوَيْهِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَوَلَّاهُ رِعَايَةَ الْأَكْرَادِ ، هَذَا آخِرُ مَا فِي" تَجَارِبِ الْأُمَمِ "تَأْلِيفُ أَبِي عَلِيِّ بْنِ مِسْكَوَيْهِ .ذِكْرُ مُلْكِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بَلَدَ الْهَكَّارِيَّةِ وَمَا مَعَهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَيَّرَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ جَيْشًا إِلَى الْأَكْرَادِ الْهَكَّارِيَّةِ مِنْ أَعْمَالِ الْمَوْصِلِ ، فَأَوْقَعَ بِهِمْ وَحَصَرَ قِلَاعَهُمْ ، وَطَالَ مُقَامُ الْجُنْدِ فِي حَصْرِهَا.وَكَانَ مَنْ بِالْحُصُونِ مِنَ الْأَكْرَادِ يَنْتَظِرُونَ نُزُولَ الثَّلْجِ لِتَرْحَلَ الْعَسَاكِرُ عَنْهُمْ ، فَقَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الثَّلْجَ تَأَخَّرَ نُزُولُهُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ ، فَأَرْسَلُوا يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ ، فَأُجِيبُوا إِلَى ذَلِكَ ، وَسَلَّمُوا قِلَاعَهُمْ ، وَنَزَلُوا مَعَ الْعَسْكَرِ إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَلَمْ يُفَارِقُوا أَعْمَالَهُمْ غَيْرَ يَوْمٍ وَاحِدٍ حَتَّى نَزَلَ الثَّلْجُ.ثُمَّ إِنَّ مُقَدَّمَ الْجَيْشِ غَدَرَ بِهِمْ ، وَصَلَبَهُمْ عَلَى جَانِبَيِ الطَّرِيقِ مِنْ مَعْلَثَايَا إِلَى الْمَوْصِلِ نَحْوَ خَمْسَةِ فَرَاسِخَ وَكَفَّ اللَّهُ شَرَّهُمْ عَنِ النَّاسِ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَرَدَ رَسُولُ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ صَاحِبِ مِصْرَ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ بِرَسَائِلَ أَدَّاهَا.وَفِيهَا قَبَضَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الْعَلَوِيِّ وَأَنْفَذَهُ إِلَى فَارِسَ ، وَكَانَ سَبَبُ قَبْضِهِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الْمُطَهِّرُ فِي حَقِّهِ عِنْدَ مَوْتِهِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْكُوفَةِ فَقَبَضَ أَمْوَالَهُ ، فَوَجَدَ لَهُ مِنَ الْمَالِ وَالسِّلَاحِ وَالذَّخَائِرِ مَا لَا يُحْصَى ، وَاصْطَنَعَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ أَخَاهُ أَبَا الْفَتْحِ أَحْمَدَ ، وَوَلَّاهُ الْحَجَّ بِالنَّاسِ.وَفِيهَا تَجَدَّدَتْ وَصْلَةٌ بَيْنَ الطَّائِعِ لِلَّهِ وَبَيْنَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، فَتَزَوَّجَ الطَّائِعُ ابْنَتَهُ ، وَكَانَ غَرَضُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ أَنْ تَلِدَ ابْنَتُهُ وَلَدًا ذَكَرًا فَيَجْعَلُهُ وَلِيَّ عَهْدِهِ ، فَتَكُونُ الْخِلَافَةُ فِي وَلَدٍ لَهُمْ فِيهِ نَسَبٌ ، وَكَانَ الصَّدَاقُ مِائَةَ أَلْفَ دِينَارٍ.وَفِيهَا كَانَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ عَامَّةِ شِيرَازَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَبَيْنَ الْمَجُوسِ ، نُهِبَتْ فِيهَا دُورُ الْمَجُوسِ ، وَضُرِبُوا ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ ، فَسَمِعَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ الْخَبَرَ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِمْ مَنْ جَمَعَ كُلَّ مَنْ لَهُ أَثَرٌ فِي ذَلِكَ ، وَضَرَبَهُمْ ، وَبَالَغَ فِي تَأْدِيبِهِمْ وَزَجْرِهِمْ.وَفِيهَا أَرْسَلَ سِرِيَّةً إِلَى عَيْنِ التَّمْرِ ، وَبِهَا ضَبَّةُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَسَدِيُّ ، وَكَانَ يَسْلُكُ سَبِيلَ اللُّصُوصِ وَقُطَّاعَ الطَّرِيقِ ، فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا وَالْعَسَاكِرُ مَعَهُ ، فَتَرَكَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ وَنَجَا بِنَفْسِهِ فَرِيدًا ، وَأُخِذَ مَالُهُ وَأَهْلُهُ ، وَمُلِّكَتْ عَيْنُ التَّمْرِ ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ نَهَبَ مَشْهَدَ الْحُسَيْنِ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، فَعُوقِبَ بِهَذَا.وَفِيهَا قَبَضَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ عَلَى النَّقِيبِ أَبِي أَحْمَدَ الْحُسَيْنِ الْمُوسَوِيِّ ، وَالِدِ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ ، وَعَلَى أَخِيهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، وَعَلَى قَاضِي الْقُضَاةِ أَبِي مُحَمَّدٍ وَسَيَّرَهُمْ إِلَى فَارِسَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى قَضَاءِ الْقُضَاةِ أَبَا سَعْدٍ بِشْرَ بْنَ الْحُسَيْنِ ، وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، وَكَانَ مُقِيمًا بِفَارِسَ ، وَاسْتَنَابَ عَلَى الْقَضَاءِ بِبَغْدَاذَ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ عَطَاءِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَطَاءٍ الرُّوذْبَارِيُّ ، الصُّوفِيُّ ، بِنَوَاحِي عَكَّا ، وَكَانَ قَدِ انْتَقَلَ مِنْ بَغْدَاذَ إِلَى الشَّامِ.وَفِيهَا ، فِي ذِي الْحِجَّةِ ، تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بْنِ عَمْرَوَيْهِ أَبُو أَحْمَدَ الْجَلُودِيُّ الزَّاهِدُ ، رَاوِي" صَحِيحِ مُسْلِمٍ "عَنِ ابْنِ سُفْيَانَ ، وَدُفِنَ بِالْحِيرَةِ فِي نَيْسَابُورَ وَلَهُ ثَمَانُونَ سَنَةً . الْجَلُودِيُّ بِفَتْحِ الْجِيمِ ، وَقِيلَ بِضَمِّهَا ، وَهُوَ قَلِيلٌ ، وَالْحِيرَةُ بِكَسْرِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَبِالرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَهِيَ مَحَلَّةٌ بِنَيْسَابُورَ .وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ زَكَرِيَّاءَ بْنِ فَارِسٍ اللُّغَوِيُّ ، صَاحِبُ كِتَابِ" الْمُجْمَلِ "وَغَيْرِهِ ، وَلَهُ شِعْرٌ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِيَوْمَيْنِ يَا رَبِّ إِنَّ ذُنُوبِي قَدْ أَحَطْتَ بِهَا...عِلْمًا ، وَبِي وَبِإِعْلَانِي وَإِسْرَارِي أَنَا الْمُوَحِّدُ لَكِنِّي الْمُقِرُّ بِهَا ، فَهَبْ ذُنُوبِي لِتَوْحِيدِي وَإِقْرَارِي وَفِي شَوَّالٍ تُوُفِّيَ أَبُو الْحَسَنِ ثَابِتُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَرَّانِيُّ الْمُتَطَبِّبُ ، الصَّابِيُّ ، وَمَوْلِدُهُ بِالرَّقَّةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَكَانَ عَارِفًا حَاذِقًا فِي الطِّبِّ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ إِقْطَاعِ مُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ هَمَذَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَرْسَلَ الصَّاحِبُ أَبُو الْقَاسِمِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبَّادٍ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ بِهَمَذَانَ رَسُولًا مِنْ عِنْدِ أَخِيهِ مُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ يَبْذُلُ لَهُ الطَّاعَةَ وَالْمُوَافَقَةَ ، فَالْتَقَاهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ بِنَفْسِهِ ، وَأَكْرَمَهُ ، وَأَقْطَعُ أَخَاهُ مُؤَيَّدَ الدَّوْلَةِ هَمَذَانَ وَغَيْرَهَا ، وَأَقَامَ عِنْدَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ إِلَى أَنْ عَادَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَرَدَّهُ إِلَى مُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ ، فَأَقْطَعَهُ إِقْطَاعًا كَثِيرًا ، وَسَيَّرَ مَعَهُ عَسْكَرًا يَكُونُ عِنْدَ مُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ فِي خِدْمَتِهِ.ذِكْرُ قَتْلِ أَوْلَادِ حَسْنُوَيْهِ سِوَى بَدْرٍ لَمَّا خَلَعَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ عَلَى بَدْرٍ وَأَخَوَيْهِ عَاصِمٍ وَعَبْدِ الْمَلِكِ ، وَفَضَّلَ بَدْرًا عَلَيْهِمَا وَوَلَّاهُ الْأَكْرَادَ حَسَدَهُ أَخَوَاهُ ، فَشَقَّا الْعَصَا ، وَخَرَجَا عَنِ الطَّاعَةِ ، وَاسْتَمَالَ عَاصِمٌ جَمَاعَةَ الْأَكْرَادِ الْمُخَالِفِينَ ، فَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ عَضُدُ الدَّوْلَةِ عَسْكَرًا ، فَأَوْقَعُوا بِعَاصِمٍ وَمَنْ مَعَهُ ، فَانْهَزَمُوا ، وَأُسِرَ عَاصِمٌ ، وَأُدْخِلَ هَمَذَانُ عَلَى جَمَلٍ ، وَلَمْ يُعْرَفْ لَهُ خَبَرٌ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَقُتِلَ أَوْلَادُ حَسْنُوَيْهِ ، إِلَّا بَدْرًا فَإِنَّهُ تُرِكَ عَلَى حَالِهِ ، وَأُقِرَّ عَلَى عَمَلِهِ ، وَكَانَ عَاقِلًا ، لَبِيبًا ، حَازِمًا ، كَرِيمًا ، حَلِيمًا ، وَسَيَرِدُ مِنْ أَخْبَارِهِ مَا يُعْلَمُ بِهِ ذَلِكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ مُلْكِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ قَلْعَةَ سَنْدَهْ وَغَيْرَهَا وَفِيهَا اسْتَوْلَى عَضُدُ الدَّوْلَةِ عَلَى قِلَاعِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمُرِّيِّ بِنَوَاحِي الْجَبَلِ ، وَكَانَ مَنْزِلُهُ بِسَنْدَهْ ، وَلَهُ فِيهَا مَسَاكِنُ نَفِيسَةٌ ، وَكَانَ قَدِيمَ الْبَيْتِ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَوْلَادِهِ وَاعْتَقَلَهُمْ ، فَبَقَوْا كَذَلِكَ إِلَى أَنْ أَطْلَقَهُمُ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ فِيمَا بَعْدُ ، وَاسْتَخْدَمَ ابْنَهُ أَبَا طَاهِرٍ ، وَاسْتَكْتَبَهُ ، وَكَانَ حَسَنَ الْخَطِّ وَاللَّفْظِ.ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ عَسْكَرِ الْعَزِيزِ وَابْنِ جَرَّاحٍ وَعَزْلِ قَسَّامٍ عَنْ دِمَشْقَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سُيِّرَتِ الْعَسَاكِرُ مِنْ مِصْرَ لِقِتَالِ الْمُفَرِّجِ بْنِ جَرَّاحٍ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ ابْنَ جَرَّاحٍ عَظُمَ شَأْنُهُ بِأَرْضِ فِلَسْطِينَ ، وَكَثُرَ جَمْعُهُ ، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُ ، وَبَالَغَ هُوَ فِي الْعَيْثِ وَالْفَسَادِ ، وَتَخْرِيبِ الْبِلَادِ ، فَجَهَّزَ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ الْعَسَاكِرَ وَسَيَّرَهَا ، وَجَعَلَ عَلَيْهَا الْقَائِدَ يَلْتَكِينَ التُّرْكِيَّ ، فَسَارَ إِلَى الرَّمْلَةِ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنَ الْعَرَبِ ، مِنْ قَيْسٍ وَغَيْرِهَا ، جَمْعٌ كَثِيرٌ ، وَكَانَ مَعَ ابْنِ جَرَّاحٍ جَمْعٌ يَرْمُونَ بِالنُّشَّابِ ، وَيُقَاتِلُونَ قِتَالَ التُّرْكِ ، فَالْتَقَوْا وَنَشِبَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا ، وَجَعَلَ يَلْتَكِينُ كَمِينًا ، فَخَرَجَ عَلَى عَسْكَرِ ابْنِ جَرَّاحٍ ، مِنْ وَرَاءِ ظُهُورِهِمْ ، عِنْدَ اشْتِدَادِ الْحَرْبِ ، فَانْهَزَمُوا وَأَخَذَتْهُمْ سُيُوفُ الْمِصْرِيِّينَ ، وَمَضَى ابْنُ جَرَّاحٍ مُنْهَزِمًا إِلَى أَنْطَاكِيَةَ ، فَاسْتَجَارَ بِصَاحِبِهَا فَأَجَارَهُ ، وَصَادَفَ خُرُوجَ مَلِكِ الرُّومِ مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي عَسَاكِرَ عَظِيمَةٍ يُرِيدُ بِلَادَ الْإِسْلَامِ ، فَخَافَ ابْنُ جَرَّاحٍ ، وَكَاتَبَ بَكْجُورَ بِحِمْصَ وَالْتَجَأَ إِلَيْهِ.وَأَمَّا عَسْكَرُ مِصْرَ فَإِنَّهُمْ نَازَلُوا دِمَشْقَ ، مُخَادِعِينَ لِقَسَّامٍ ، لَمْ يُظْهِرُوا لَهُ إِلَّا أَنَّهُمْ جَاءُوا لِإِصْلَاحِ الْبَلَدِ ، وَكَفِّ الْأَيْدِي الْمُتَطَرِّقَةِ إِلَى الْأَذَى وَكَانَ الْقَائِدُ أَبُو مَحْمُودٍ قَدْ مَاتَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَهُوَ وَالِي الْبَلَدِ ، وَلَا حُكْمَ لَهُ ، وَإِنَّمَا الْحُكْمُ لِقَسَّامٍ ، فَلَمَّا مَاتَ قَامَ بَعْدَهُ فِي الْوِلَايَةِ جَيْشُ بْنُ الصَّمْصَامَةِ ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِ أَبِي مَحْمُودٍ ، فَخَرَجَ إِلَى يَلْتَكِينَ ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ يُرِيدُ إِصْلَاحَ الْبَلَدِ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَخْرُجَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ وَيَنْزِلُوا بِظَاهِرِ الْبَلَدِ ، فَفَعَلُوا.وَحَذَّرَ قَسَّامٌ ، وَأَمَرَ مَنْ مَعَهُ بِمُبَاشَرَةِ الْحَرْبِ ، فَقَاتَلُوا دَفْعَاتٍ عِدَّةً فَقَوِيَ عَسْكَرُ يَلْتَكِينَ ، وَدَخَلُوا أَطْرَافَ الْبَلَدِ ، وَمَلَكُوا الشَّاغُورَ ، وَأَحْرَقُوا وَنَهَبُوا ، فَاجْتَمَعَ مَشَايِخُ الْبَلَدِ عِنْدَ قَسَّامٍ ، وَكَلَّمُوهُ فِي أَنْ يَخْرُجُوا إِلَى يَلْتَكِينَ ، وَيَأْخُذُوا أَمَانًا لَهُمْ وَلَهُ ، فَانْخَذَلَ وَذَلَّ ، وَخَضَعَ بَعْدَ تَجَبُّرِهِ وَتَكَبُّرِهِ وَقَالَ افْعَلُوا مَا شِئْتُمْ.وَعَادَ أَصْحَابُ قَسَّامٍ إِلَيْهِ ، فَوَجَدُوهُ خَائِفًا ، مُلْقِيًا بِيَدِهِ ، فَأَخَذَ كُلٌّ لِنَفْسِهِ.وَخَرَجَ شُيُوخُ الْبَلَدِ إِلَى يَلْتَكِينَ ، فَطَلَبُوا مِنْهُ الْأَمَانَ لَهُمْ وَلِقَسَّامٍ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَيْهِ وَقَالَ أُرِيدُ أَنْ أَتَسَلَّمَ الْبَلَدَ الْيَوْمَ فَقَالُوا افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ!فَأَرْسَلَ وَالِيًا يُقَالُ لَهُ ابْنُ خَطْلَخَ ، وَمَعَهُ خَيْلٌ وَرَجْلٌ.وَكَانَ مَبْدَأُ هَذِهِ الْحَرْبِ وَالْحَصْرِ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعِينَ وَ ثَلَاثِمِائَةٍ لِعَشْرٍ بَقِينَ مِنْهُ ، وَالدُّخُولُ إِلَى الْبَلَدِ لِثَلَاثٍ بَقِينَ مِنْهُ ، وَلَمْ يَعْرِضْ لِقَسَّامٍ وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَأَقَامَ قَسَّامٌ فِي الْبَلَدِ يَوْمَيْنِ ثُمَّ اسْتَتَرَ ، فَأَخَذَ كُلَّ مَا فِي دَارِهِ وَمَا حَوْلَهَا مِنْ دُورِ أَصْحَابِهِ وَغَيْرِهِمْ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْخِيَامِ ، فَقَصَدَ حَاجِبَ يَلْتَكِينَ وَعَرَّفَهُ نَفْسَهُ ، فَأَخَذَهُ وَحَمَلَهُ إِلَى يَلْتَكِينَ ، فَحَمَلَهُ يَلْتَكِينُ إِلَى مِصْرَ ، فَأَطْلَقَهُ الْعَزِيزُ ، وَاسْتَرَاحَ النَّاسُ مِنْ تَحَكُّمِهِ عَلَيْهِمْ ، وَتَغَلُّبِهِ بِمَنْ تَبِعَهُ مِنَ الْأَحْدَاثِ ، مِنْ أَهْلِ الْعَيْثِ وَالْفَسَادِ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَحْدَبُ الْمُزَوِّرُ ، وَكَانَ يَكْتُبُ عَلَى خَطِّ كُلِّ وَاحِدٍ فَلَا يَشُكُّ الْمَكْتُوبُ عَنْهُ أَنَّهُ خَطُّهُ ، وَكَانَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ إِذَا أَرَادَ الْإِيقَاعَ بَيْنَ الْمُلُوكِ أَمَرَهُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَى خَطِّ بَعْضِهِمْ إِلَيْهِ فِي الْمُوَافَقَةِ عَلَى مَنْ يُرِيدُ إِفْسَادَ الْحَالِ بَيْنَهُمَا ، ثُمَّ يَتَوَصَّلُ لِيَصِلَ الْمَكْتُوبُ إِلَيْهِ ، فَيَفْسُدُ الْحَالُ.وَكَانَ هَذَا الْأَحْدَبُ رُبَّمَا خُتِمَتْ يَدُهُ لِهَذَا السَّبَبِ.وَفِيهَا زَادَتِ الْفُرَاتُ زِيَادَةً عَظِيمَةً جَاوَزَتِ الْمَأْلُوفَ ، وَغَرِقَ كَثِيرٌ مِنَ الْغَلَّاتِ ، وَتَمَرَّدَتِ الصَّرَاةُ ، وَخَرِبَتْ قَنَاطِرُهَا الْعَتِيقَةُ الْجَدِيدَةُ ، وَأَشْفَى أَهْلُ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ بَغْدَاذَ عَلَى الْغَرَقِ ، وَبَقِيَتِ الزِّيَادَةُ بِهَا وَبِدِجْلَةَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ثُمَّ نَقَصَتْ.وَفِيهَا زُفَّتِ ابْنَةُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ إِلَى الْخَلِيفَةِ الطَّائِعِ ، وَمَعَهَا مِنَ الْجَوَاهِرِ شَيْءٌ لَا يُحْصَى.وَفِيهَا وَرَدَ عَلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ هَدِيَّةٌ مِنْ صَاحِبِ الْيَمَنِ فِيهَا قِطْعَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ عَنْبَرٍ وَزْنُهَا سِتَّةٌ وَخَمْسُونَ ، رِطْلًا وَحَجَّ بِالنَّاسِ أَبُو الْفَتْحِ أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ يَحْيَى الْعَلَوِيُّ ، وَخَطَبَ بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ لِلْعَزِيزِ بِاللَّهِ صَاحِبِ مِصْرَ الْعَلَوِيِّ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الرَّازِيُّ ، إِمَامُ الْفُقَهَاءِ الْحَنَفِيَّةِ فِي زَمَانِهِ ، وَطُلِبَ لِيَلِيَ قَضَاءَ الْقُضَاةِ ، فَامْتَنَعَ ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ الْكَرْخِيِّ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ الزُّبَيْرُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ مُوسَى أَبُو يَعْلَى الْبَغْدَاذِيُّ ، سَمِعَ الْبَغَوِيَّ وَابْنَ صَاعِدٍ ، وَسَافَرَ إِلَى أَصْبَهَانَ وَخُرَاسَانَ وَأَذْرَبِيجَانَ وَغَيْرِهَا ، وَسَمِعَ فِيهَا الْكَثِيرَ ، وَتُوُفِّيَ بِالْمَوْصِلِ هَذِهِ السَّنَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَبُو بَكْرٍ الْمُفِيدُ ، الْمَعْرُوفُ بِغُنْدَرٍ ، تُوُفِّيَ بِمَفَازَةِ بُخَارَى ، وَأَبُو الْفَرَجِ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ فَسَانْجِسَ ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الْأَصْبَهَانِيُّ ، وَالْحَسَنُ بْنُ بِشْرٍ الْآمِدِيُّ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْقَائِدُ أَبُو مَحْمُودٍ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْفَرٍ وَالِي دِمَشْقَ لِلْعَزِيزِيِّ ، وَقَامَ بَعْدَهُ جَيْشُ بْنُ الصَّمْصَامَةِ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ عَزْلِ ابْنِ سِيمْجُورَ عَنْ خُرَاسَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُزِلَ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سِيمْجُورَ عَنْ قِيَادَةِ جُيُوشِ خُرَاسَانَ ، وَاسْتُعْمِلَ عِوَضَهُ حُسَامُ الدَّوْلَةِ أَبُو الْعَبَّاسِ تَاشْ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْأَمِيرَ نُوحَ بْنَ مَنْصُورٍ لَمَّا مَلَكَ خُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، وَهُوَ صَبِيٌّ ، اسْتَوْزَرَ أَبَا الْحُسَيْنِ الْعُتْبِيَّ ، فَقَامَ فِي حِفْظِ الدَّوْلَةِ الْقِيَامَ الْمَرْضِيَّ ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيمْجُورَ قَدِ اسْتَوْطَنَ خُرَاسَانَ ، وَطَالَتْ أَيَّامُهُ فِيهَا ، فَلَا يُطِيعُ إِلَّا فِيمَا يُرِيدُ ، فَعَزَلَهُ أَبُو الْحُسَيْنِ الْعُتْبِيُّ عَنْهَا ، وَاسْتَعْمَلَ مَكَانَهُ حُسَامُ الدَّوْلَةِ أَبَا الْعَبَّاسِ تَاشْ ، وَسَيَّرَهُ مِنْ بُخَارَى إِلَى نَيْسَابُورَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فَاسْتَقَرَّ بِهَا وَدَبَّرَ خُرَاسَانَ ، وَنَظَرَ فِي أُمُورِهَا ، وَأَطَاعَهُ جُنْدُهَا.ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ عَلَى جُرْجَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، اسْتَوْلَى عَضُدُ الدَّوْلَةِ عَلَى بِلَادِ جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ ، وَأَجْلَى عَنْهَا صَاحِبَهَا قَابُوسَ بْنَ وَشْمَكِيرَ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ عَضُدَ الدَّوْلَةِ لَمَّا اسْتَوْلَى عَلَى بِلَادِ أَخِيهِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ انْهَزَمَ فَخْرُ الدَّوْلَةِ ، فَلَحِقَ بِقَابُوسٍ ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ عَضُدَ الدَّوْلَةِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى قَابُوسٍ يَبْذُلُ لَهُ الرَّغَائِبَ مِنَ الْبِلَادِ ، وَالْأَمْوَالِ ، وَالْعُهُودِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، لِيُسَلِّمَ إِلَيْهِ أَخَاهُ فَخْرَ الدَّوْلَةِ ، فَامْتَنَعَ قَابُوسٌ مِنْ ذَلِكَ ، ، وَلَمْ يُجِبْ إِلَيْهِ.فَجَهَّزَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ أَخَاهُ مُؤَيَّدَ الدَّوْلَةِ ، وَسَيَّرَهُ ، وَمَعَهُ الْعَسَاكِرُ ، وَالْأَمْوَالُ ، وَالْعُدَدُ ، إِلَى جُرْجَانَ.وَبَلَغَ الْخَبَرُ قَابُوسًا ، فَسَارَ إِلَيْهِ ، فَلَقِيَهُ بِنُوَاحِي أَسْتَرَابَاذَ ، فَاقْتَتَلُوا مِنْ بُكْرَةٍ إِلَى الظُّهْرِ ، فَانْهَزَمَ قَابُوسٌ وَأَصْحَابُهُ فِي جُمَادَى الْأُولَى ، وَقَصَدَ قَابُوسٌ بَعْضَ قِلَاعِهِ الَّتِي فِيهَا ذَخَائِرُهُ وَأَمْوَالُهُ ، فَأَخَذَ مَا أَرَادَ وَسَارَ نَحْوَ نَيْسَابُورَ ، فَلَمَّا وَرَدَهَا لَحِقَ بِهِ فَخْرُ الدَّوْلَةِ ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِمَا مَنْ تَفَرَّقَ مِنْ أَصْحَابِهِمَا.وَكَانَ وُصُولُهُمَا إِلَيْهَا عِنْدَ وِلَايَةِ حُسَامِ الدَّوْلَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ تَاشْ خُرَاسَانَ ، فَكَتَبَ حُسَامُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْأَمِيرِ أَبِي الْقَاسِمِ نُوحِ بْنِ مَنْصُورٍ يُعَرِّفُهُ خَبَرَ وُصُولِهِمَا ، وَكَتَبَا أَيْضًا إِلَى نُوحٍ يُعَرِّفَانِهِ حَالَهُمَا ، وَيَسْتَنْصُرَانِهِ عَلَى مُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ.فَوَرَدَتْ كُتُبُ نُوحٍ عَلَى حُسَامِ الدَّوْلَةِ يَأْمُرُهُ بِإِجْلَالِ مَحَلِّهِمَا ، وَإِكْرَامِهِمَا ، وَجَمْعِ الْعَسَاكِرِ وَالْمَسِيرِ مَعَهُمَا ، وَإِعَادَتِهِمَا إِلَى مُلْكِهِمَا ، وَكَتَبَ وَزِيرُهُ أَبُو الْحُسَيْنِ بِذَلِكَ أَيْضًا.ذِكْرُ مَسِيرِ حُسَامِ الدَّوْلَةِ وَقَابُوسٍ إِلَى جُرْجَانَ فَلَمَّا وَرَدَتِ الْكُتُبُ مِنَ الْأَمِيرِ نُوحٍ عَلَى حُسَامِ الدَّوْلَةِ بِالْمَسِيرِ بِعَسَاكِرِ خُرَاسَانَ جَمِيعِهَا مَعَ فَخْرِ الدَّوْلَةِ وَقَابُوسٍ ، جَمَعَ الْعَسَاكِرَ وَحَشَدَ ، فَاجْتَمَعَ بِنَيْسَابُورَ عَسَاكِرٌ سَدَّتِ الْفَضَاءَ ، وَسَارُوا نَحْوَ جُرْجَانَ فَنَازَلُوهَا وَحَصَرُوهَا ، وَبِهَا مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ ، وَمَعَهُ مِنْ عَسَاكِرِهِ وَعَسَاكِرِ أَخِيهِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ جَمْعٌ كَثِيرٌ ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يُقَارِبُونَ عَسَاكِرَ خُرَاسَانَ ، فَحَصَرَهُمْ حُسَامُ الدَّوْلَةِ شَهْرَيْنِ يُغَادِيهِمُ الْقِتَالَ وَيُرَاوِحُهُمْ ، وَضَاقَتِ الْمِيرَةُ عَلَى أَهْلِ جُرْجَانَ ، حَتَّى كَانُوا يَأْكُلُونَ نُخَالَةَ الشَّعِيرِ مَعْجُونَةً بِالطِّينِ ، فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ خَرَجُوا مِنْ جُرْجَانَ ، فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، عَلَى عَزْمِ صِدْقِ الْقِتَالِ إِمَّا لَهُمْ وَإِمَّا عَلَيْهِمْ.فَلَمَّا رَآهُمْ أَهْلُ خُرَاسَانَ ظَنُّوهَا كَمَا تَقَدَّمَ مِنَ الدَّفْعَاتِ ، يَكُونُ قِتَالٌ ، ثُمَّ تَحَاجُزٌ ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَرَأَوُا الْأَمْرَ خِلَافَ مَا ظَنُّوهُ.وَكَانَ مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ قَدْ كَاتَبَ بَعْضَ قُوَّادِ خُرَاسَانَ ، يُسَمَّى فَائِقَ الْخَاصَّةِ ، وَأَطْمَعَهُ وَرَغَّبَهُ ، فَأَجَابَهُ إِلَى الِانْهِزَامِ عِنْدَ اللِّقَاءِ.وَسَيَرِدُ مِنْ أَخْبَارِ فَائِقٍ هَذَا مَا يُعْرَفُ بِهِ مَحَلُّهُ مِنَ الدَّوْلَةِ.فَلَمَّا خَرَجَ مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ ، هَذَا الْيَوْمَ ، حَمَلَ عَسْكَرَهُ عَلَى فَائِقٍ وَأَصْحَابِهِ ، فَانْهَزَمَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ ، وَتَبِعَهُ النَّاسُ ، وَثَبَتَ فَخْرُ الدَّوْلَةِ ، وَحُسَامُ الدَّوْلَةِ فِي الْقَلْبِ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ ، فَلَمَّا رَأَوْا تَلَاحُقَ النَّاسِ فِي الْهَزِيمَةِ لَحِقُوا بِهِمْ ، وَغَنِمَ أَصْحَابُ مُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ مِنْهُمْ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، وَأَخَذُوا مِنَ الْأَقْوَاتِ شَيْئًا كَثِيرًا.وَعَادَ حُسَامُ الدَّوْلَةِ ، وَفَخْرُ الدَّوْلَةِ ، وَقَابُوسٌ إِلَى نَيْسَابُورَ ، وَكَتَبُوا إِلَى بُخَارَى بِالْخَبَرِ ، فَأَتَاهُمُ الْجَوَابُ يُمَنِّيهِمْ ، وَيَعِدُهُمْ بِإِنْفَاذِ الْعَسَاكِرِ وَالْعَوْدِ إِلَى جُرْجَانَ وَالرَّيِّ ، وَأَمَرَ الْأَمِيرُ نُوحٌ سَائِرَ الْعَسَاكِرِ بِالْمَسِيرِ إِلَى نَيْسَابُورَ ، فَأَتَوْهَا مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، فَاجْتَمَعَ بِظَاهِرِ نَيْسَابُورَ مِنَ الْعَسَاكِرِ أَكْثَرُ مِنَ الْمَرَّةِ الْأُولَى ، وَحُسَامُ الدَّوْلَةِ يَنْتَظِرُ تَلَاحُقَ الْأَمْدَادِ لِيَسِيرَ بِهِمْ ، فَأَتَاهُمُ الْخَبَرُ بِقَتْلِ الْوَزِيرِ أَبِي الْحُسَيْنِ الْعُتْبِيِّ ، فَتَفَرَّقَ ذَلِكَ الْجَمْعُ ، وَبَطَلَ ذَلِكَ التَّدْبِيرُ.وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ بْنَ سِيمْجُورَ وَضَعَ جَمَاعَةً مِنَ الْمَمَالِيكِ عَلَى قَتْلِهِ ، فَوَثَبُوا بِهِ فَقَتَلُوهُ ، فَلَمَّا قُتِلَ كَتَبَ الرَّضِيُّ نُوحُ بْنُ مَنْصُورٍ إِلَى حُسَامِ الدَّوْلَةِ يَسْتَدْعِيهِ إِلَى بُخَارَى لِيُدَبِّرَ دَوْلَتَهُ ، وَيَجْمَعَ مَا انْتَشَرَ مِنْهَا بِقَتْلِ أَبِي الْحُسَيْنِ ، فَسَارَ عَنْ نَيْسَابُورَ إِلَيْهَا ، وَقَتَلَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْ قَتَلَةِ أَبِي الْحُسَيْنِ ، وَكَانَ قَتْلُهُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .ذِكْرُ قَتْلِ الْأَمِيرِ أَبِي الْقَاسِمِ أَمِيرِ صِقِلِّيَّةَ وَهَزِيمَةِ الْفِرِنْجِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، سَارَ الْأَمِيرُ أَبُو الْقَاسِمِ ، أَمِيرُ صِقِلِّيَّةَ ، مِنَ الْمَدِينَةِ يُرِيدُ الْجِهَادَ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الْفِرِنْجِ ، يُقَالُ لَهُ بَرْدَوِيلُ ، خَرَجَ فِي جُمُوعٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْفِرِنْجِ إِلَى صِقِلِّيَّةَ ، فَحَصَرَ قَلْعَةَ مَلْطَةَ ، وَمَلَكَهَا ، وَأَصَابَ سَرِيَّتَيْنِ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَسَارَ الْأَمِيرُ أَبُو الْقَاسِمِ بِعَسَاكِرِهِ لِيُرَحِّلَهُ عَنِ الْقَلْعَةِ ، فَلَمَّا قَارَبَهَا خَافَ وَجَبُنَ فَجَمَعَ وُجُوهَ أَصْحَابِهِ ، وَقَالَ لَهُمْ إِنِّي رَاجِعٌ مِنْ مَكَانِي هَذَا فَلَا تَكْسِرُوا عَلَيَّ رَأْيِي.فَرَجَعَ هُوَ وَعَسَاكِرُهُ.وَكَانَ أُسْطُولُ الْكُفَّارِ يُسَايِرُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْبَحْرِ ، فَلَمَّا رَأَوُا الْمُسْلِمِينَ رَاجِعِينَ أَرْسَلُوا إِلَى بَرْدَوِيلَ ، مَلِكِ الرُّومِ ، يُعْلِمُونَهُ وَيَقُولُونَ لَهُ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ خَائِفُونَ مِنْكَ ، فَالْحَقْ بِهِمْ فَإِنَّكَ تَظْفَرُ.فَجَرَّدَ الْفِرِنْجِيُّ عَسْكَرَهُ مِنْ أَثْقَالِهِمْ ، وَسَارَ جَرِيدَةً ، وَجَدَّ فِي السَّيْرِ ، فَأَدْرَكَهُمْ فِي الْعِشْرِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَتَعَبَّأَ الْمُسْلِمُونَ لِلْقِتَالِ ، وَاقْتَتَلُوا ، وَاشْتَدَّتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ ، فَحَمَلَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْفِرِنْجِ عَلَى الْقَلْبِ وَالْأَعْلَامِ ، فَشَقُّوا الْعَسْكَرَ وَوَصَلُوا إِلَيْهَا ، وَقَدْ تَفَرَّقَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ أَمِيرِهِمْ ، وَاخْتَلَّ نِظَامُهُمْ ، فَوَصَلَ الْفِرِنْجُ إِلَيْهِ ، فَأَصَابَتْهُ ضَرْبَةٌ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ فَقُتِلَ ، وَقُتِلَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِ النَّاسِ وَشُجْعَانِهِمْ.ثُمَّ إِنَّ الْمُنْهَزِمِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَجَعُوا مُصَمِّمِينَ عَلَى الْقِتَالِ لِيَظْفَرُوا أَوْ يَمُوتُوا ، وَاشْتَدَّ حِينَئِذٍ الْأَمْرُ ، وَعَظُمَ الْخَطْبُ عَلَى الطَّائِفَتَيْنِ ، فَانْهَزَمَ الْفِرِنْجُ أَقْبَحَ هَزِيمَةٍ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ نَحْوُ أَرْبَعَةِ آلَافِ قَتِيلٍ ، وَأُسِرَ مِنْ بَطَارِقَتِهِمْ كَثِيرٌ وَتَبِعُوهُمْ إِلَى أَنْ أَدْرَكَهُمُ اللَّيْلُ ، وَغَنِمُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ كَثِيرًا.وَأَفْلَتَ مَلِكُ الْفِرِنْجِ هَارِبًا وَمَعَهُ رَجُلٌ يَهُودِيٌّ كَانَ خِصِّيصًا بِهِ ، فَوَقَفَ فَرَسُ الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ ارْكَبْ فَرَسِي ، فَإِنْ قُتِلْتُ فَأَنْتَ لِوَلَدِي فَرَكِبَهُ الْمَلِكُ وَقُتِلَ الْيَهُودِيُّ ، فَنَجَا الْمَلِكُ إِلَى خِيَامِهِ وَبِهَا زَوْجَتُهُ وَأَصْحَابُهُ فَأَخَذَهُمْ وَعَادَ إِلَى رُومِيَّةَ.وَلَمَّا قُتِلَ الْأَمِيرُ أَبُو الْقَاسِمِ كَانَ مَعَهُ ابْنُهُ جَابِرٌ ، فَقَامَ مَقَامَ أَبِيهِ ، وَرَحَلَ بِالْمُسْلِمِينَ لِوَقْتِهِمْ ، وَلَمْ يُمَكِّنْهُمْ مِنْ إِتْمَامِ الْغَنِيمَةِ ، فَتَرَكُوا كَثِيرًا مِنْهَا ، وَسَأَلَهُ أَصْحَابُهُ لِيُقِيمَ إِلَى أَنْ يَجْمَعَ السِّلَاحَ وَغَيْرَهُ وَيُعَمِّرَ بِهِ الْخَزَائِنَ ، فَلَمْ يَفْعَلْ.وَكَانَتْ وِلَايَةُ أَبِي الْقَاسِمِ عَلَى صِقِلِّيَّةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةَ أَيَّامٍ ، وَكَانَ عَادِلًا ، حَسَنَ السِّيرَةِ ، كَثِيرَ الشَّفَقَةِ عَلَى رَعِيَّتِهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، عَظِيمَ الصَّدَقَةِ ، لَمْ يُخَلِّفْ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَلَا عَقَارًا ، فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ وَقَفَ جَمِيعَ أَمْلَاكِهِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَأَبْوَابِ الْبِرِّ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَقَعَ حَرِيقٌ بِالْكَرْخِ بِبَغْدَاذَ فَاحْتَرَقَ فِيهَا مَوَاضِعُ كَثِيرَةٌ هَلَكَ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، وَبَقِيَ الْحَرِيقُ أُسْبُوعًا.وَفِيهَا قَبَضَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ عَلَى الْقَاضِي أَبِي عَلِيٍّ الْمُحْسِنِ بْنِ عَلِيٍّ التَّنُوخِيِّ ، وَأَلْزَمَهُ مَنْزِلَهُ ، وَعَزَلَهُ عَنْ أَعْمَالِهِ الَّتِي كَانَ يَتَوَلَّاهَا ، وَكَانَ حَنَفِيَّ الْمَذْهَبِ شَدِيدَ التَّعَصُّبِ عَلَى الشَّافِعِيِّ يُطْلِقُ لِسَانَهُ فِيهِ ، قَاتَلَهُ اللَّهُ!.وَفِيهَا أَفْرَجَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هِلَالٍ الصَّابِيِّ الْكَاتِبِ.وَكَانَ الْقَبْضُ عَلَيْهِ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .وَكَانَ سَبَبُ قَبْضِهِ أَنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ عَنْ بَخْتِيَارَ كُتُبًا فِي مَعْنَى الْخُلْفِ الْوَاقِعِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، فَكَانَ يَنْصَحُ صَاحِبَهُ ، فَمِمَّا كَتَبَهُ عَنِ الْخَلِيفَةِ الطَّائِعِ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ فِي الْمَعْنَى ، وَقَدْ لُقِّبَ عِزُّ الدَّوْلَةِ بِشَاهِنْشَاهْ ، فَتَزَحْزَحَ لَهُ عَنْ سُنَنِ الْمُسَاوَاةِ ، فَنَقَمَ عَلَيْهِ عَضُدُ الدَّوْلَةِ ذَلِكَ ، وَهَذَا مِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَعْظُمَ فِي عَيْنِهِ لِنُصْحِهِ لِصَاحِبِهِ ، فَلَمَّا أَطْلَقَهُ أَمْرَهُ بِعَمَلِ كِتَابٍ يَتَضَمَّنُ أَخْبَارَهُمْ وَمَحَاسِنَهَا ، فَعَمِلَ التَّاجِيُّ فِي دَوْلَةِ الدَّيْلَمِ.وَفِيهَا أَرْسَلَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ الْقَاضِيَ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ الطَّيِّبِ الْأَشْعَرِيَّ الْمَعْرُوفَ بِابْنِ الْبَاقِلَّانِيِّ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ فِي جَوَابِ رِسَالَةٍ وَرَدَتْ مِنْهُ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْمَلِكِ قِيلَ لَهُ لِيُقَبِّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَقِيلَ لَا سَبِيلَ إِلَى الدُّخُولِ إِلَّا مَعَ تَقْبِيلِ الْأَرْضِ فَأَصَرَّ عَلَى الِامْتِنَاعِ ، فَعَمِلَ الْمَلِكُ بَابًا صَغِيرًا يَدْخُلُ مِنْهُ الْقَاضِي مُنْحَنِيًا لِيُوهِمَ الْحَاضِرِينَ أَنَّهُ قَبَّلَ الْأَرْضَ ، فَلَمَّا رَأَى الْقَاضِي الْبَابَ عَلِمَ ذَلِكَ ، فَاسْتَدْبَرَهُ وَدَخَلَ مِنْهُ ، فَلَمَّا جَازَهُ اسْتَقْبَلَ الْمَلِكَ وَهُوَ قَائِمٌ ، فَعَظُمَ عِنْدَهُمْ مَحَلُّهُ.وَفِيهَا فُتِحَ الْمَارَسْتَانُ الْعَضُدِيُّ ، غَرْبِيَّ بَغْدَاذَ ، وَنُقِلَ إِلَيْهِ جَمِيعُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَدْوِيَةِ. الْوَفَيَاتُ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ الْجُرْجَانِيُّ ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، وَكَانَ عَالِمًا بِالْحَدِيثِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْعُلُومِ ، وَالْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَبُو زَيْدٍ الْمَرْوَزِيُّ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ الزَّاهِدُ ، يَرْوِي صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ عَنِ الْفَرَبْرِيِّ ، وَتُوُفِّيَ فِي رَجَبٍ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ خَفِيفٍ الشِّيرَازِيُّ ، شَيْخُ الصُّوفِيَّةِ فِي وَقْتِهِ ، صَحِبَ الْجَرِيرِيَّ وَابْنَ عَطَاءٍ وَغَيْرَهُمَا. وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الصُّوفِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْحُصْرِيِّ . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ وِلَايَةِ بَكْجُورَ دِمَشْقَ قَدْ ذَكَرْنَا سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وِلَايَةَ بَكْجُورَ حِمْصَ لِأَبِي الْمَعَالِي بْنِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ ، فَلَمَّا وَلِيَهَا عَمَّرَهَا وَكَانَ بَلَدُ دِمَشْقَ قَدْ خَرَّبَهُ الْعَرَبُ وَأَهْلُ الْعَيْثِ وَالْفَسَادِ مُدَّةَ تَحَكُّمِ قَسَّامٍ عَلَيْهَا ، وَانْتَقَلَ أَهْلُهُ إِلَى أَعْمَالِ حِمْصَ ، فَعَمُرَتْ ، وَكَثُرَ أَهْلُهَا وَالْغَلَّاتُ فِيهَا ، وَوَقَعَ الْغَلَاءُ وَالْقَحْطُ بِدِمَشْقَ ، فَحَمَلَ بَكْجُورُ الْأَقْوَاتَ مِنْ حِمْصَ إِلَيْهَا وَتَرَدَّدَ النَّاسُ فِي حَمْلِ الْغَلَّاتِ ، وَحِفْظَ الطُّرُقَ وَحَمَاهَا.وَكَاتَبَ الْعَزِيزَ بِاللَّهِ بِمِصْرَ ، وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ ، فَوَعَدَهُ وِلَايَةَ دِمَشْقَ ، فَبَقِيَ كَذَلِكَ إِلَى هَذِهِ السَّنَةِ.وَوَقَعَتْ وَحْشَةٌ بَيْنَ سَعْدِ الدَّوْلَةِ أَبِي الْمَعَالِي بْنِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَبَيْنَ بَكْجُورَ ، فَأَرْسَلَ سَعْدُ الدَّوْلَةِ يَأْمُرُهُ بِأَنْ يُفَارِقَ بَلَدَهُ ، فَأَرْسَلَ بَكْجُورُ إِلَى الْعَزِيزِ بِاللَّهِ يَطْلُبُ نِجَازَ مَا وَعَدَهُ مِنْ إِمَارَةِ دِمَشْقَ.وَكَانَ الْوَزِيرُ ابْنُ كِلِّسٍ يَمْنَعُ الْعَزِيزَ مِنْ وِلَايَتِهِ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ.وَكَانَ الْقَائِدُ يَلْتَكِينُ قَدْ وَلِيَ دِمَشْقَ بَعْدَ قَسَّامٍ ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، فَهُوَ مُقِيمٌ بِهَا.فَاجْتَمَعَ الْمَغَارِبَةُ بِمِصْرَ عَلَى الْوُثُوبِ بِالْوَزِيرِ ابْنِ كِلِّسٍ وَقَتْلِهِ ، فَدَعَتْهُ الضَّرُورَةُ إِلَى أَنْ يَسْتَحْضِرَ يَلْتَكِينَ مِنْ دِمَشْقَ ، فَأَمَرَهُ الْعَزِيزُ بِإِحْضَارِهِ وَتَسْلِيمِ دِمَشْقَ إِلَى بَكْجُورَ.فَقَالَ إِنَّ بَكْجُورَ إِنْ وَلِيَهَا عَصَى فِيهَا.فَلَمْ يُصْغِ إِلَى قَوْلِهِ وَأَرْسَلَ إِلَى يَلْتَكِينَ يَأْمُرُهُ بِقَصْدِ مِصْرَ ، وَتَسْلِيمِ دِمَشْقَ إِلَى بَكْجُورَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَدَخَلَهَا فِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ وَالِيًا عَلَيْهَا ، فَأَسَاءَ السِّيرَةَ إِلَى أَصْحَابِ الْوَزِيرِ ابْنِ كِلِّسٍ وَالْمُتَعَلِّقِينَ بِهِ ، حَتَّى إِنَّهُ صَلَبَ بَعْضَهُمْ ، وَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي أَهْلِ الْبَلَدِ ، وَظَلَمَ النَّاسَ ، وَكَانَ لَا يَخْلُو مِنْ أَخْذِ مَالٍ ، وَقَتْلٍ ، وَصَلْبٍ ، وَعُقُوبَةٍ ، فَبَقِيَ كَذَلِكَ إِلَى سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَسَنَذْكُرُ هُنَاكَ عَزْلَهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ وَفَاةِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي شَوَّالٍ ، اشْتَدَّتْ عِلَّةُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَهُوَ مَا كَانَ يَعْتَادُهُ مِنَ الصَّرَعِ فَضَعُفَتْ قُوَّتُهُ عَنْ دَفْعِهِ ، فَخَنَقَهُ ، فَمَاتَ مِنْهُ ثَامِنَ شَوَّالٍ بِبَغْدَاذَ ، وَحُمِلَ إِلَى مَشْهَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَدُفِنَ بِهِ.وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ بِالْعِرَاقِ خَمْسَ سِنِينَ وَنِصْفًا.وَلَمَّا تُوُفِّيَ جَلَسَ ابْنُهُ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ أَبُو كَالِيجَارَ لِلْعَزَاءِ ، فَأَتَاهُ الطَّائِعُ لِلَّهِ مُعَزِّيًا ، وَكَانَ عُمْرُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ سَبْعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً.وَكَانَ قَدْ سَيَّرَ وَلَدَهُ شَرَفَ الدَّوْلَةِ أَبَا الْفَوَارِسِ إِلَى كَرْمَانَ مَالِكًا لَهَا ، قَبْلَ أَنْ يَشْتَدَّ مَرَضُهُ ، وَقِيلَ إِنَّهُ لَمَّا احْتُضِرَ لَمْ يَنْطَلِقْ لِسَانُهُ إِلَّا بِتِلَاوَةِ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ الحاقة .وَكَانَ عَاقِلًا ، فَاضِلًا ، حَسَنَ السِّيَاسَةِ ، كَثِيرَ الْإِصَابَةِ ، شَدِيدَ الْهَيْبَةِ ، بَعِيدَ الْهِمَّةِ ، ثَاقِبَ الرَّأْيِ ، مُحِبًّا لِلْفَضَائِلِ وَأَهْلِهَا ، بَاذِلًا فِي مَوَاضِعِ الْعَطَاءِ ، مَانِعًا فِي أَمَاكِنِ الْحَزْمِ نَاظِرًا فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ.قِيلَ لَمَّا مَاتَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ بَلَغَ خَبَرُهُ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ ، وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِ الْفُضَلَاءِ ، فَتَذَاكَرُوا الْكَلِمَاتِ الَّتِي قَالَهَا الْحُكَمَاءُ عِنْدَ مَوْتِ الْإِسْكَنْدَرِ ، وَقَدْ ذَكَرْتُهَا فِي أَخْبَارِهِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَوْ قُلْتُمْ أَنْتُمْ مِثْلَهَا لَكَانَ ذَلِكَ يُؤْثَرُ عَنْكُمْ.فَقَالَ أَحَدُهُمْ لَقَدْ وَزَنَ هَذَا الشَّخْصُ الدُّنْيَا بِغَيْرِ مِثْقَالِهَا ، وَأَعْطَاهَا فَوْقَ قِيمَتِهَا ، وَطَلَبَ الرِّبْحَ فِيهَا فَخَسِرَ رُوحَهُ فِيهَا.وَقَالَ الثَّانِي مَنِ اسْتَيْقَظَ لِلدُّنْيَا فَهَذَا نَوْمُهُ ، وَمَنْ حَلَمَ فِيهَا فَهَذَا انْتِبَاهُهُ.وَقَالَ الثَّالِثُ مَا رَأَيْتُ عَاقِلًا فِي عَقْلِهِ ، وَلَا غَافِلًا فِي غَفْلَتِهِ مِثْلَهُ ، لَقَدْ كَانَ يَنْقُضُ جَانِبًا وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ مُبْرَمٌ ، وَيَغْرَمُ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ غَانِمٌ.وَقَالَ الرَّابِعُ مَنْ جَدَّ لِلدُّنْيَا هَزَلَتْ بِهِ ، وَمَنْ هَزَلَ رَاغِبًا عَنْهَا جَدَّتْ لَهُ.وَقَالَ الْخَامِسُ تَرَكَ هَذَا الدُّنْيَا شَاغِرَةً ، وَرَحَلَ عَنْهَا بِلَا زَادٍ وَلَا رَاحِلَةٍ.وَقَالَ السَّادِسُ إِنَّ مَاءً أَطْفَأَ هَذِهِ النَّارَ لَعَظِيمٌ ، وَإِنَّ رِيحًا زَعْزَعَتْ هَذَا الرُّكْنَ لَعَصُوفٌ.وَقَالَ السَّابِعُ إِنَّمَا سَلَبَكَ مَنْ قَدَرَ عَلَيْكَ.وَقَالَ الثَّامِنُ أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ مُعْتَبِرًا فِي حَيَاتِهِ لَمَا صَارَ عِبْرَةً فِي مَمَاتِهِ.وَقَالَ التَّاسِعُ الصَّاعِدُ فِي دَرَجَاتِ الدُّنْيَا إِلَى اسْتِفَالٍ ، وَالنَّازِلُ فِي دَرَجَاتِهَا إِلَى تَعَالٍ.وَقَالَ الْعَاشِرُ كَيْفَ غَفَلْتَ عَنْ كَيْدِ هَذَا الْأَمْرِ حَتَّى نَفَذَ فِيكَ ، وَهَلَّا اتَّخَذْتَ دُونَهُ جُنَّةً تَقِيكَ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لِعِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ ، وَإِنَّكَ لَآيَةٌ لِلْمُسْتَبْصِرِينَ.وَبَنَى عَلَى مَدِينَةِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَّمَ ، سُورًا.وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ ، فَمِنْ شِعْرِهِ لَمَّاَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ أَبُو تَغْلِبَ بْنُ حَمْدَانَ يَعْتَذِرُ مِنْ مُسَاعَدَتِهِ بَخْتِيَارَ ، وَيَطْلُبُ الْأَمَانَ ، فَقَالَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ أَأَفَاقَ حِينَ وَطِئْتُ ضَيْقَ خِنَاقِهِ ، يَبْغِي الْأَمَانَ وَكَانَ يَبْغِي صَارِمًا...فَلْأَرْكَبَنَّ عَزِيمَةً عَضُدِيَّةً ، تَاجِيَّةً ، تَدَعُ الْأُنُوفَ رَوَاغِمَا وَقَالَ أَبْيَاتًا مِنْهَا بَيْتٌ لَمْ يُفْلِحْ بَعْدَهُ ، وَهِيَ هَذِهِ لَيْسَ شُرْبُ الْكَأْسِ إِلَّا...فِي الْمَطَرْ ، وَغِنَاءٌ مِنْ جِوَارٍ فِي السَّحَرْ غَانِيَّاتٍ ، سَالِبَاتٍ...لِلنُّهَى ، نَاغِمَاتٍ فِي تَضَاعِيفِ الْوَتَرْ مُبْرِزَاتِ الْكَأْسِ مِنْ مَطْلَعِهَا ، سَاقِيَاتِ الرَّاحِ مَنْ فَاقَ الْبَشَرْ...عَضُدَ الدَّوْلَةِ وَابْنَ رُكْنِهَا ، مَلِكَ الْأَمْلَاكِ غَلَّابَ الْقَدَرْ وَهَذَا الْبَيْتُ هُوَ الْمُشَارُ إِلَيْهِ.وَحُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ فِي قَصْرِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْغِلْمَانِ يَحْمِلُ إِلَيْهِمْ مُشَاهَرَاتِهِمْ مِنَ الْخِزَانَةِ ، فَأَمَرَ أَبَا نَصْرٍ خُوَاشَاذَهْ أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى الْخَازِنِ بِأَنْ يُسَلِّمَ جَامَكِيَّةِ الْغِلْمَانِ إِلَى نَقِيبِهِمْ فِي شَهْرٍ قَدْ بَقِيَ مِنْهُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ.قَالَ أَبُو نَصْرٍ فَأُنْسِيتُ ذَلِكَ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ ، فَسَأَلَنِي عَضُدُ الدَّوْلَةِ عَنْ ذَلِكَ فَقُلْتُ أُنْسِيتُهُ فَأَغْلَظَ لِي ، فَقُلْتُ أَمْسِ اسْتَهَلَّ الشَّهْرُ ، وَالسَّاعَةَ نَحْمِلُ الْمَالَ ، وَمَا هَاهُنَا مَا يُوجِبُ شَغْلَ الْقَلْبِ.فَقَالَ الْمُصِيبَةُ بِمَا لَا تَعْلَمُهُ مِنَ الْغَلَطِ أَكْثَرُ مِنْهَا فِي التَّفْرِيطِ ، أَلَا تَعْلَمُ أَنَّا إِذَا أَطْلَقْنَا لَهُمْ مَالَهُمْ قَبْلَ مَحَلِّهِ كَانَ الْفَضْلُ لَنَا عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا أَخَّرْنَا ذَلِكَ عَنْهُمْ ، حَتَّى اسْتَهَلَّ الشَّهْرُ الْآخَرُ ، حَضَرُوا عِنْدَ عَارِضِهِمْ وَطَالَبُوهُ ، فَيَعِدُهُمْ فَيَحْضُرُونَهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي ، فَيَعِدُهُمْ ، ثُمَّ يَحْضُرُونَهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ ، وَيَبْسُطُونَ أَلْسِنَتَهُمْ ، فَتَضِيعُ الْمِنَّةُ ، وَتَحْصُلُ الْجُرْأَةُ ، وَنَكُونُ إِلَى الْخَسَارَةِ أَقْرَبَ مِنَّا إِلَى الرِّبْحِ.وَكَانَ لَا يُعَوِّلُ فِي الْأُمُورِ إِلَّا عَلَى الْكُفَاةِ ، وَلَا يَجْعَلُ لِلشَّفَاعَاتِ طَرِيقًا إِلَى مُعَارَضَةِ مَنْ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ الشَّافِعِ ، وَلَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ.حُكِيَ عَنْهُ أَنَّ مُقَدَّمَ جَيْشِهِ أَسْفَارُ بْنُ كَرْدَوَيْهِ شَفَعَ فِي بَعْضِ أَبْنَاءِ الْعُدُولِ لِيَتَقَدَّمَ إِلَى الْقَاضِي لِيَسْمَعَ تَزْكِيَتَهُ وَيَعْدِلَهُ ، فَقَالَ لَيْسَ هَذَا مِنْ أَشْغَالِكَ ، إِنَّمَا الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِكَ الْخِطَابُ فِي زِيَادَةِ قَائِدٍ ، وَنَقْلِ مَرْتَبَةِ جُنْدِيٍّ ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِمْ ، وَأَمَّا الشَّهَادَةُ وَقَبُولُهَا فَهُوَ إِلَى الْقَاضِي وَلَيْسَ لَنَا وَلَا لَكَ الْكَلَامُ فِيهِ ، وَمَتَى عَرَفَ الْقُضَاةُ مِنْ إِنْسَانٍ مَا يَجُوزُ مَعَهُ قَبُولُ شَهَادَتِهِ ، فَعَلُوا ذَلِكَ بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ.وَكَانَ يُخْرِجُ فِي ابْتِدَاءِ كُلِّ سَنَةٍ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْأَمْوَالِ لِلصَّدَقَةِ وَالْبِرِّ فِي سَائِرِ بِلَادِهِ ، وَيَأْمُرُ بِتَسْلِيمِ ذَلِكَ إِلَى الْقُضَاةِ وَوُجُوهِ النَّاسِ لِيَصْرِفُوهُ إِلَى مُسْتَحِقِّيهِ.وَكَانَ يُوصِلُ إِلَى الْعُمَّالِ الْمُتَعَطِّلِينَ مَا يَقُومُ بِهِمْ وَيُحَاسِبُهُمْ بِهِ إِذَا عَمِلُوا.وَكَانَ مُحِبًّا لِلْعُلُومِ وَأَهْلِهَا ، مُقَرِّبًا لَهُمْ ، مُحْسِنًا إِلَيْهِمْ ، وَكَانَ يَجْلِسُ مَعَهُمْ يُعَارِضُهُمْ فِي الْمَسَائِلِ ، فَقَصَدَهُ الْعُلَمَاءُ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ ، وَصَنَّفُوا لَهُ الْكُتُبَ مِنْهَا" الْإِيضَاحُ "فِي النَّحْوِ ، وَ" الْحُجَّةُ "فِي الْقِرَاءَاتِ ، وَ" الْمَلَكِيُّ "فِي الطِّبِّ ، وَ" التَّاجِيُّ "فِي التَّارِيخِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، وَعَمِلَ الْمَصَالِحَ فِي سَائِرِ الْبِلَادِ كَالْبِيمَارِسْتَانَاتِ وَالْقَنَاطِرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ ، إِلَّا أَنَّهُ أَحْدَثَ فِي آخِرِ أَيَّامِهِ رُسُومًا جَائِرَةً فِي الْمِسَاحَةِ ، وَالضَّرَائِبِ عَلَى بَيْعِ الدَّوَابِّ ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَمْتِعَةِ ، وَزَادَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ، وَمَنَعَ مِنْ عَمَلِ الثَّلْجِ ، وَالْقَزِّ ، وَجَعَلَهُمَا مَتْجَرًا لِلْخَاصِّ ، وَكَانَ يَتَوَصَّلُ إِلَى أَخْذِ الْمَالِ بِكُلِّ طَرِيقٍ.وَلَمَّا تُوُفِّيَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ قَبَضَ عَلَى نَائِبِهِ أَبِي الرَّيَّانِ مِنَ الْغَدِ ، فَأُخِذَ مِنْ كُمِّهِ رُقْعَةٌ فِيهَا أَيَا وَاثِقًا بِالدَّهْرِ عِنْدَ انْصِرَافِهِ!...رُوَيْدَكَ إِنِّي بِالزَّمَانِ أَخُو خُبْرِ وَيَا شَامِتًا مَهْلًا ، فَكَمْ ذِي شَمَاتَةٍ...تَكُونُ لَهُ الْعُقْبَى بِقَاصِمَةِ الظَّهْرِ ذِكْرُ وِلَايَةِ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ الْعِرَاقَ وَمُلْكِ أَخِيهِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ بِلَادَ فَارِسَ لَمَّا تُوُفِّيَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ اجْتَمَعَ الْقُوَّادُ وَالْأُمَرَاءُ عَلَى وَلَدِهِ أَبِي كَالِيجَارَ الْمَرْزُبَانِ ، فَبَايَعُوهُ وَوَلَّوْهُ الْإِمَارَةَ ، وَلَقَّبُوهُ صَمْصَامَ الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا وَلِيَ خَلَعَ عَلَى أَخَوَيْهِ أَبِي الْحُسَيْنِ أَحْمَدَ ، وَأَبِي طَاهِرٍ فَيْرُوزْشَاهْ ، وَأَقْطَعَهُمَا فَارِسَ ، وَأَمَرَهُمَا بِالْجِدِّ فِي السَّيْرِ لِيَسْبِقَا أَخَاهُمَا شَرَفَ الدَّوْلَةِ أَبَا الْفَوَارِسِ شِيرَزِيلَ إِلَى شِيرَازَ.فَلَمَّا وَصَلَا إِلَى أَرَّجَانَ أَتَاهُمَا خَبَرُ وُصُولِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ إِلَى شِيرَازَ ، فَعَادَا إِلَى الْأَهْوَازِ.وَكَانَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ بِكَرْمَانَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ خَبَرُ وَفَاةِ أَبِيهِ سَارَ مُجِدًّا إِلَى فَارِسَ فَمَلَكَهَا ، وَقَبَضَ عَلَى نَصْرِ بْنِ هَارُونَ النَّصْرَانِيِّ ، وَزِيرِ أَبِيهِ ، وَقَتَلَهُ لِأَنَّهُ كَانَ يُسِيءُ صُحْبَتَهُ أَيَّامَ أَبِيهِ ، وَأَصْلَحَ أَمْرَ الْبِلَادِ ، وَأَطْلَقَ الشَّرِيفَ أَبَا الْحُسَيْنِ مُحَمَّدَ بْنَ عُمَرَ الْعَلَوِيَّ وَالنَّقِيبَ أَبَا أَحْمَدَ الْمُوسَوِيَّ وَالِدَ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ ، وَالْقَاضِيَ أَبَا مُحَمَّدِ بْنَ مَعْرُوفٍ ، وَأَبَا نَصْرٍ خُوَاشَاذَهْ ، وَكَانَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ حَبَسَهُمْ ، وَأَظْهَرَ مُشَاقَّةَ أَخِيهِ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ ، وَقَطَعَ خُطْبَتَهُ ، وَخَطَبَ لِنَفْسِهِ ، وَتَلَقَّبَ بِتَاجِ الدَّوْلَةِ ، وَفَرَّقَ الْأَمْوَالَ ، وَجَمَعَ الرِّجَالَ ، وَمَلَكَ الْبَصْرَةَ وَأَقْطَعَهَا أَخَاهُ أَبَا الْحُسَيْنِ ، فَبَقِيَ كَذَلِكَ ثَلَاثَ سِنِينَ إِلَى أَنْ قَبَضَ عَلَيْهِ شَرَفُ الدَّوْلَةِ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.فَلَمَّا سَمِعَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ بِمَا فَعَلَهُ شَرَفُ الدَّوْلَةِ سَيَّرَ إِلَيْهِ جَيْشًا وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمُ الْأَمِيرَ أَبَا الْحَسَنِ بْنَ دَبْعَشَ ، حَاجِبَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، فَجَهَّزَ تَاجُ الدَّوْلَةِ عَسْكَرًا ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمُ الْأَمِيرَ أَبَا الْأَعَزِّ دُبَيْسَ بْنَ عَفِيفٍ الْأَسَدِيَّ ، فَالْتَقَيَا بِظَاهِرِ قُرْقُوبَ ، وَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ ، وَأُسِرَ دَبْعَشُ ، فَاسْتَوْلَى حِينَئِذٍ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ عَلَى الْأَهْوَازِ ، وَأَخَذَ مَا فِيهَا وَفِي رَامَهُرْمُزَ ، وَطَمِعَ فِي الْمُلْكِ ، وَكَانَتِ الْوَقْعَةُ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.ذِكْرُ قَتْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ ، صَاحِبُ الْبَطِيحَةِ ، قَتَلَهُ أَخُوهُ أَبُو الْفَرَجِ وَاسْتَوْلَى عَلَى الْبَطِيحَةِ.وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّهُ حَسَدَهُ عَلَى وِلَايَتِهِ وَمَحَبَّةِ النَّاسِ لَهُ ، فَاتُّفِقَ أَنَّ أُخْتًا لَهُمَا مَرِضَتْ ، فَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ لِأَخِيهِ الْحُسَيْنِ إِنَّ أُخْتَنَا مُشْفِيَةً ، فَلَوْ عُدْتَهَا فَفَعَلَ وَسَارَ إِلَيْهَا ، وَرَتَّبَ أَبُو الْفَرَجِ فِي الدَّارِ نَفَرًا يُسَاعِدُونَهُ عَلَى قَتْلِهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ الْحُسَيْنُ الدَّارَ تَخَلَّفَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، وَدَخَلَ أَبُو الْفَرَجِ مَعَهُ وَبِيَدِهِ سَيْفُهُ ، فَلَمَّا خَلَا بِهِ قَتَلَهُ ، وَوَقَعَتِ الصَّيْحَةُ ، فَصَعِدَ إِلَى السَّطْحِ وَأَعْلَمَ الْعَسْكَرَ بِقَتْلِهِ ، وَوَعَدَهُمُ الْإِحْسَانَ فَسَكَتُوا ، وَبَذَلَ لَهُمُ الْمَالَ ، فَأَقَرُّوهُ فِي الْأَمْرِ ، وَكَتَبَ إِلَى بَغْدَاذَ يُظْهِرُ الطَّاعَةَ ، وَيَطْلُبُ تَقْلِيدَهُ الْوِلَايَةَ ، وَكَانَ مُتَهَوِّرًا جَاهِلًا.ذِكْرُ عَوْدِ ابْنِ سِيمْجُورَ إِلَى خُرَاسَانَ لَمَّا عُزِلَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ سِيمْجُورَ عَنْ قِيَادَةِ جُيُوشِ خُرَاسَانَ وَوَلِيَهَا أَبُو الْعَبَّاسِ سَارَ ابْنُ سِيمْجُورَ إِلَى سِجِسْتَانَ فَأَقَامَ بِهَا ، فَلَمَّا انْهَزَمَ أَبُو الْعَبَّاسِ عَنْ جُرْجَانَ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، رَأَى الْفِتْنَةَ قَدْ رَفَعَتْ رَأْسَهَا ، سَارَ عَنْ سِجِسْتَانَ نَحْوَ خُرَاسَانَ ، وَأَقَامَ بِقُهُسْتَانَ.فَلَمَّا سَارَ أَبُو الْعَبَّاسِ إِلَى بُخَارَى ، وَخَلَتْ مِنْهُ خُرَاسَانُ ، كَاتَبَ ابْنَ سِيمْجُورُ فَائِقًا يَطْلُبُ مُوَافَقَتَهُ عَلَى الِاسْتِيلَاءِ عَلَى خُرَاسَانَ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَاجْتَمَعَا بِنَيْسَابُورَ ، وَاسْتَوْلَيَا عَلَى تِلْكَ النَّوَاحِي.وَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ فَسَارَ عَنْ بُخَارَى فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ إِلَى مَرْوَ ، وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُمْ ، فَاصْطَلَحُوا عَلَى أَنْ تَكُونَ نَيْسَابُورُ وَقِيَادَةُ الْجُيُوشِ لِابْنِ الْعَبَّاسِ ، وَتَكُونَ بَلْخَ لِفَائِقٍ ، وَتَكُونَ هَرَاةُ لِأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ سِيمْجُورَ ، وَتَفَرَّقُوا عَلَى ذَلِكَ ، وَقَصَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وِلَايَتَهُ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ الْوَفَيَاتُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ نَقِيبُ النُّقَبَاءِ أَبُو تَمَّامٍ الزَّيْنَبِيُّ ، وَوَلِيَ النِّقَابَةَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو الْحَسَنِ ، وَتُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْمَعْرُوفُ بِزَوْجِ الْحُرَّةِ فِي صَفَرَ بِبَغْدَاذَ ، وَتُوُفِّيَ فِي جُمَادَى الْأُولَى مَنْصُورُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ هَارُونَ الزَّاهِدُ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ مَوْتِ مُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ وَعَوْدِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ إِلَى مَمْلَكَتِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي شَعْبَانَ ، تُوُفِّيَ مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ أَبُو مَنْصُورٍ بُوَيْهُ بْنُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ بِجُرْجَانَ ، وَكَانَتْ عِلَّتُهُ الْخَوَانِيقَ ، وَقَالَ لَهُ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ لَوْ عَهِدْتَ إِلَى أَحَدٍ فَقَالَ أَنَا فِي شُغْلٍ عَنْ هَذَا ، وَلَمْ يَعْهَدْ بِالْمُلْكِ إِلَى أَحَدٍ وَكَانَ عُمْرُهُ ثَلَاثًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً.وَجَلَسَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ لِلْعَزَاءِ بِبَغْدَاذَ ، فَأَتَاهُ الطَّائِعُ لِلَّهِ مُعَزِّيًا ، فَلَقِيَهُ فِي طَيَّارَةٍ.وَلَمَّا مَاتَ مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ تَشَاوَرَ أَكَابِرُ دَوْلَتِهِ فِيمَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ ، فَأَشَارَ الصَّاحِبُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبَّادٍ بِإِعَادَةِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ إِلَى مَمْلَكَتِهِ ، إِذْ هُوَ كَبِيرُ الْبَيْتِ ، وَمَالِكُ تِلْكَ الْبِلَادِ قَبْلَ مُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ ، وَلِمَا فِيهِ مِنْ آيَاتِ الْإِمَارَةِ وَالْمُلْكِ.فَكَتَبَ إِلَيْهِ وَاسْتَدْعَاهُ ، وَهُوَ بِنَيْسَابُورَ ، وَأَرْسَلَ الصَّاحِبُ إِلَيْهِ مَنِ اسْتَخْلَفَهُ لِنَفْسِهِ ، وَأَقَامَ فِي الْوَقْتِ خُسْرُو فَيْرُوزَ بْنَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ لِيَسْكُنَ النَّاسُ إِلَى قُدُومِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ.فَلَمَّا وَصَلَتِ الْأَخْبَارُ إِلَى فَخْرِ الدَّوْلَةِ سَارَ إِلَى جُرْجَانَ ، فَلَقِيَهُ الْعَسْكَرُ بِالطَّاعَةِ ، وَجَلَسَ فِي دَسْتٍ مَلَكِيٍّ فِي رَمَضَانَ بِغَيْرِ مِنَّةٍ لِأَحَدٍ ، فَسُبْحَانَ مَنْ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا كَانَ.وَلَمَّا عَادَ إِلَى مَمْلَكَتِهِ قَالَ لَهُ الصَّاحِبُ يَا مَوْلَانَا قَدْ بَلَّغَكَ اللَّهُ ، وَبَلَّغَنِي فِيكَ مَا أَمَّلْتَهُ ، مِنْ حُقُوقِ خِدْمَتِي لَكَ إِجَابَتِي إِلَى تَرْكِ الْجُنْدِيَّةِ ، وَمُلَازَمَةِ دَارِي وَالتَّوَفُّرِ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ.فَقَالَ لَا تَقُلْ هَذَا ، فَمَا أُرِيدُ الْمُلْكَ إِلَّا لَكَ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ لِي أَمْرٌ إِلَّا بِكَ ، وَإِذَا كَرِهْتَ مُلَابَسَةَ الْأُمُورِ كَرِهْتُهَا أَنَا أَيْضًا وَانْصَرَفْتُ.فَقَبَّلَ الْأَرْضَ ، وَقَالَ الْأَمْرُ لَكَ فَاسْتَوْزَرَهُ وَأَكْرَمَهُ وَعَظَّمَهُ ، وَصَدَرَ عَنْ رَأْيِهِ فِي جَلِيلِ الْأُمُورِ وَصَغِيرِهَا.وَسُيِّرَتِ الْخِلَعُ مِنَ الْخَلِيفَةِ إِلَى فَخْرِ الدَّوْلَةِ ، وَالْعَهْدِ ، وَاتَّفَقَ فَخْرُ الدَّوْلَةِ وَصَمْصَامُ الدَّوْلَةِ فَصَارَا يَدًا وَاحِدَةً.ذِكْرُ عَزْلِ أَبِي الْعَبَّاسِ عَنْ خُرَاسَانَ وَوِلَايَةِ ابْنِ سِيمْجُورَ لَمَّا عَادَ أَبُو الْعَبَّاسِ عَنْ بُخَارَى إِلَى نَيْسَابُورَ ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، ، اسْتَوْزَرَ الْأَمِيرُ نُوحٌ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُزَيْرٍ ، وَكَانَ ضِدًّا لِأَبِي الْحُسَيْنِ الْعُتْبِيِّ ، وَأَبِي الْعَبَّاسِ ، فَلَمَّا وَلِيَ الْوِزَارَةَ بَدَأَ بِعَزْلِ أَبِي الْعَبَّاسِ عَنْ خُرَاسَانَ ، وَإِعَادَةِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ سِيمْجُورَ إِلَيْهَا ، فَكَتَبَ مَنْ بِخُرَاسَانَ مِنَ الْقُوَّادِ إِلَيْهِ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يُقِرَّ أَبَا الْعَبَّاسِ عَلَى عَمَلِهِ ، فَلَمْ يُجِبْهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، فَكَتَبَ أَبُو الْعَبَّاسِ إِلَى فَخْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهٍ يَسْتَمِدُّهُ ، فَأَمَدَّهُ بِمَالٍ كَثِيرٍ وَعَسْكَرٍ ، فَأَقَامُوا بِنَيْسَابُورَ ، وَأَتَاهُمْ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ مُعَاضِدًا لَهُمْ عَلَى ابْنِ سِيمْجُورَ.وَكَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ حِينَئِذٍ بِمَرْوَ ، فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ سِيمْجُورَ وَفَائِقٌ بِوُصُولِ عَسْكَرِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ إِلَى نَيْسَابُورَ قَصَدُوهُمْ ، فَانْحَازَ عَسْكَرُ فَخْرِ الدَّوْلَةِ وَابْنِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ، وَأَقَامُوا يَنْتَظِرُونَ أَبَا الْعَبَّاسِ ، وَنَزَلَ ابْنُ سِيمْجُورَ وَمَنْ مَعَهُ بِظَاهِرِ نَيْسَابُورَ ، وَوَصَلَ أَبُو الْعَبَّاسِ فِيمَنْ مَعَهُ وَاجْتَمَعَ بِعَسْكَرِ الدَّيْلَمِ ، وَنَزَلَ بِالْجَانِبِ الْآخَرِ ، وَجَرَى بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ عِدَّةَ أَيَّامٍ ، وَتَحَصَّنَ ابْنُ سِيمْجُورَ بِالْبَلَدِ ، وَأَنْفَذَ فَخْرُ الدَّوْلَةِ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ عَسْكَرًا آخَرَ ، أَكْثَرَ مِنْ أَلْفَيْ فَارِسٍ ، فَلَمَّا رَأَى ابْنُ سِيمْجُورَ قُوَّةَ أَبِي الْعَبَّاسِ انْحَازَ عَنْ نَيْسَابُورَ ، فَسَارَ عَنْهَا لَيْلًا ، وَتَبِعَهُ عَسْكَرُ أَبِي الْعَبَّاسِ ، فَغَنِمُوا كَثِيرًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَدَوَابِّهِمْ ، وَاسْتَوْلَى أَبُو الْعَبَّاسِ عَلَى نَيْسَابُورَ ، وَرَاسَلَ الْأَمِيرَ نُوحَ بْنَ مَنْصُورٍ يَسْتَمِيلُهُ وَيَسْتَعْطِفُهُ ، وَلَجَّ ابْنُ عُزَيْرٍ فِي عَزْلِهِ ، وَوَافَقَهُ عَلَى ذَلِكَ وَالِدَةُ الْأَمِيرِ نُوحٍ ، وَكَانَتْ تَحْكُمُ فِي دَوْلَةِ وَلَدِهَا ، وَكَانُوا يَصْدُرُونَ عَنْ رَأْيِهَا ، فَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَصْرِ فِي ذَلِكَ شَيْئَانِ يَعْجِزُ ذُو الرِّيَاضَةِ عَنْهُمَا...رَأْيُ النِّسَاءِ ، وَإِمْرَةُ الصِّبْيَانِ أَمَّا النِّسَاءُ فَمَيْلُهُنَّ إِلَى الْهَوَى...وَأَخُو الصِّبَا يَجْرِي بِغَيْرِ عِنَانِ ذِكْرُ انْهِزَامِ أَبِي الْعَبَّاسِ إِلَى جُرْجَانَ وَوَفَاتِهِ لَمَّا انْهَزَمَ ابْنُ سِيمْجُورَ أَقَامَ أَبُو الْعَبَّاسِ بِنَيْسَابُورَ يَسْتَعْطِفُ الْأَمِيرَ نُوحًا وَوَزِيرَهُ ابْنَ عُزَيْرٍ ، وَتَرَكَ اتِّبَاعَ ابْنِ سِيمْجُورَ وَإِخْرَاجَهُ مِنْ خُرَاسَانَ ، فَتَرَاجَعَ إِلَى ابْنِ سِيمْجُورَ أَصْحَابُهُ الْمُنْهَزِمُونَ ، وَعَادَتْ قُوَّتُهُ ، وَأَتَتْهُ الْأَمْدَادُ مِنْ بُخَارَى ، وَكَاتَبَ شَرَفَ الدَّوْلَةِ أَبَا الْفَوَارِسِ بْنَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَهُوَ بِفَارِسَ ، يَسْتَمِدُّهُ ، فَأَمَدَّهُ بِأَلْفَيْ فَارِسٍ مُرَاغَمَةً لِعَمِّهِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا كَثُفَ جَمْعُهُ قَصَدَ أَبَا الْعَبَّاسِ ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا إِلَى آخِرِ النَّهَارِ ، فَانْهَزَمَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَأَصْحَابُهُ ، وَأُسِرَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ.وَقَصَدَ أَبُو الْعَبَّاسِ جُرْجَانَ ، وَبِهَا فَخْرُ الدَّوْلَةِ ، فَأَكْرَمَهُ وَعَظَّمَهُ ، وَتَرَكَ لَهُ جُرْجَانَ وَدِهِسْتَانَ وَأَسْتَرَابَاذَ صَافِيَةً لَهُ وَلِمَنْ مَعَهُ ، وَسَارَ عَنْهَا إِلَى الرَّيِّ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْآلَاتِ مَا يَجِلُّ عَنِ الْوَصْفِ.وَأَقَامَ أَبُو الْعَبَّاسِ بِجُرْجَانَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، وَجَمَعَ الْعَسَاكِرَ وَسَارَ نَحْوَ خُرَاسَانَ ، فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا ، وَعَادَ إِلَى جُرْجَانَ وَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثَ سِنِينَ ، ثُمَّ وَقَعَ بِهَا وَبَاءٌ شَدِيدٌ مَاتَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ مَاتَ هُوَ أَيْضًا ، وَكَانَ مَوْتُهُ سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَقِيلَ إِنَّهُ مَاتَ مَسْمُومًا.وَكَانَ أَصْحَابُهُ قَدْ أَسَاءُوا السِّيرَةَ مَعَ أَهْلِ جُرْجَانَ ، فَلَمَّا مَاتَ ثَارَ بِهِمْ أَهْلُهَا وَنَهَبُوهُمْ ، وَجَرَتْ بَيْنَهُمْ وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ أَجْلَتْ عَنْ هَزِيمَةِ الْجُرْجَانِيَّةِ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَأُحْرِقَتْ دُورُهُمْ ، وَنُهِبَتْ أَمْوَالُهُمْ ، وَطَلَبَ مَشَايِخُهُمُ الْأَمَانَ ، فَكَفُّوا عَنْهُمْ ، وَتَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ ، فَسَارَ أَكْثَرُهُمْ إِلَى خُرَاسَانَ ، وَاتَّصَلُوا بِأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ سِيمْجُورَ ، وَكَانَ حِينَئِذٍ صَاحِبَ الْجَيْشِ مَكَانَ أَبِيهِ ، وَكَانَ وَالِدُهُ قَدْ تُوُفِّيَ فَجْأَةً ، وَهُوَ يُجَامِعُ بَعْضَ حَظَايَاهُ ، فَمَاتَ عَلَى صَدْرِهَا ، فَلَمَّا مَاتَ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو عَلِيٍّ ، وَاجْتَمَعَ إِخْوَتُهُ عَلَى طَاعَتِهِ ، مِنْهُمْ أَخُوهُ أَبُو الْقَاسِمِ وَغَيْرُهُ ، فَنَازَعَهُ فَائِقٌ الْوِلَايَةَ ، وَسَنَذْكُرُ ذَلِكَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ عِنْدَ مُلْكِ التُّرْكِ بُخَارَى ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ قَتْلِ أَبِي الْفَرَجِ مُحَمَّدِ بْنِ عِمْرَانَ وَمُلْكِ أَبِي الْمَعَالِي ابْنِ أَخِيهِ الْحَسَنِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ أَبُو الْفَرَجِ مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ صَاحِبُ الْبَطِيحَةِ ، وَوَلِيَ ، أَبُو الْمَعَالِي ابْنُ أَخِيهِ الْحَسَنِ.وَسَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّ أَبَا الْفَرَجِ قَدَّمَ الْجَمَاعَةَ الَّذِينَ سَاعَدُوهُ عَلَى قَتْلِ أَخِيهِ ، وَوَضَعَ مِنْ حَالِ مُقَدَّمِي الْقُوَّادِ ، فَجَمَعَهُمُ الْمُظَفَّرُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَاجِبُ ، وَهُوَ أَكْبَرُ قُوَّادِ أَبِيهِ عِمْرَانَ وَأَخِيهِ الْحَسَنِ ، وَحَذَّرَهُمْ عَاقِبَةَ أَمْرِهِمْ ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِ أَبِي الْفَرَجِ ، فَقَتَلَهُ الْمُظَفَّرُ وَأَجْلَسَ أَبَا الْمَعَالِي مَكَانَهُ ، وَتَوَلَّى تَدْبِيرَهُ بِنَفْسِهِ ، وَقَتَلَ كُلَّ مَنْ كَانَ يَخَافُهُ مِنَ الْقُوَّادِ ، وَلَمْ يَتْرُكْ مَعَهُ إِلَّا مَنْ يَثِقُ بِهِ ، وَكَانَ أَبُو الْمَعَالِي صَغِيرًا.ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ الْمُظَفَّرِ عَلَى الْبَطِيحَةِ لَمَّا طَالَتْ أَيَّامُ عَلِيٍّ الْمُظَفَّرِ بْنِ عَلِيٍّ الْحَاجِبِ ، وَقَوِيَ أَمْرُهُ ، طَمِعَ فِي الِاسْتِقْلَالِ بِأَمْرِ الْبَطِيحَةِ ، فَوَضَعَ كِتَابًا عَنْ لِسَانِ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ إِلَيْهِ يَتَضَمَّنُ التَّعْوِيلَ عَلَيْهِ فِي وِلَايَةِ الْبَطِيحَةِ ، وَسَلَّمَهُ إِلَى رِكَابِيٍّ غَرِيبٍ ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ إِذَا كَانَ الْقُوَّادُ وَالْأَجْنَادُ عِنْدَهُ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَأَتَاهُ وَعَلَيْهِ أَثَرُ الْغُبَارِ ، وَسَلَّمَ إِلَيْهِ الْكِتَابَ ، فَقَبَّلَهُ وَفَتَحَهُ ، وَقَرَأَهُ بِمَحْضَرٍ مِنَ الْأَجْنَادِ ، وَأَجَابَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَعَزَلَ أَبَا الْمَعَالِي ، وَجَعَلَهُ مَعَ وَالِدَتِهِ ، وَأَجْرَى عَلَيْهِمَا جِرَايَةً ، ثُمَّ أَخْرَجَهُمَا إِلَى وَاسِطَ ، وَكَانَ يَصِلُهُمَا بِمَا يُنْفِقَانِهِ ، وَاسْتَبَدَّ بِالْأَمْرِ وَأَحْسَنَ السِّيرَةَ ، وَعَدَلَ فِي النَّاسِ مُدَّةً.ثُمَّ إِنَّهُ عَهِدَ إِلَى ابْنِ أُخْتِهِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ نَصْرٍ الْمُلَقَّبِ بِمُهَذَّبِ الدَّوْلَةِ وَكَانَ يُلَقَّبُ حِينَئِذٍ بِالْأَمِيرِ الْمُخْتَارِ ، وَبَعْدَهُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِهِ الْأُخْرَى ، وَانْقَرَضَ بَيْتُ عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ ، وَكَذَلِكَ الدُّنْيَا دُوَلٌ ، وَمَا أَشْبَهَ حَالَهُ بِحَالِ بَاذٍ ، فَإِنَّهُ مَلَكَ ، وَانْتَقَلَ الْمُلْكُ إِلَى ابْنِ أُخْتِهِ مُمَهِّدِ الدَّوْلَةِ ابْنِ مَرْوَانَ.ذِكْرُ عِصْيَانِ مُحَمَّدِ بْنِ غَانِمٍ وَفِيهَا عَصَى مُحَمَّدُ بْنُ غَانِمٍ الْبَرْزِيكَانِيُّ بِنَاحِيَةِ كُورَدْرَ ، مِنْ أَعْمَالٍ قُمَّ ، عَلَى فَخْرِ الدَّوْلَةِ ، وَأَخَذَ بَعْضَ غَلَّاتِ السُّلْطَانِ ، وَامْتَنَعَ بِحِصْنِ الْهَفْتَجَانِ ، وَجَمَعَ الْبَرْزِيكَانِيَّ إِلَى نَفْسِهِ ، فَسَارَتْ إِلَيْهِ الْعَسَاكِرُ ، فِي شَوَّالٍ ، لِقِتَالِهِ ، فَهَزَمَهَا ، وَأُعِيدَتْ إِلَيْهِ مِنَ الرَّيِّ مَرَّةً أُخْرَى فَهَزَمَهَا.فَأَرْسَلَ فَخْرُ الدَّوْلَةِ إِلَى أَبِي النَّجْمِ بَدْرِ بْنِ حَسْنُوَيْهِ يُنْكِرُ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَيَأْمُرُهُ بِإِصْلَاحِ الْحَالِ مَعَهُ ، فَفَعَلَ ، وَرَاسَلَهُ ، فَاصْطَلَحُوا أَوَّلَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَبَقِيَ إِلَى سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ جَيْشٌ لِفَخْرِ الدَّوْلَةِ ، فَقَاتَلَهُ ، فَأَصَابَتْهُ طَعْنَةٌ ، وَأُخِذَ أَسِيرًا ، فَمَاتَ مِنْ طَعْنَتِهِ.ذِكْرُ انْتِقَالِ بَعْضِ صِنْهَاجَةَ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَمَا فَعَلُوهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ انْتَقَلَ أَوْلَادُ زِيرِي بْنِ مَنَادٍ ، وَهُمْ زَاوِي وَجَلَالَةُ وَمَاكْسَنُ إِخْوَةُ بُلُكِّينَ ، إِلَى الْأَنْدَلُسِ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُمْ وَقَعَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَخِيهِمْ حَمَّادٍ حُرُوبٌ وَقِتَالٌ عَلَى بِلَادٍ بَيْنَهُمْ ، فَغَلَبَهُمْ حَمَّادٌ ، فَتَوَجَّهُوا إِلَى طَنْجَةَ وَمِنْهَا إِلَى قُرْطُبَةَ ، فَأَنْزَلَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ وَسُرَّ بِهِمْ ، وَأَجْرَى عَلَيْهِمُ الْوَظَائِفَ وَأَكْرَمَهُمْ ، وَسَأَلَهُمْ عَنْ سَبَبِ انْتِقَالِهِمْ ، فَأَخْبَرُوهُ ، وَقَالُوا لَهُ إِنَّمَا اخْتَرْنَاكَ عَلَى غَيْرِكَ ، وَأَحْبَبْنَا أَنْ نَكُونَ مَعَكَ نُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.فَاسْتَحْسَنَ ذَلِكَ مِنْهُمْ ، وَوَعَدَهُمْ وَوَصَلَهُمْ ، فَأَقَامُوا أَيَّامًا.ثُمَّ دَخَلُوا عَلَيْهِ وَسَأَلُوهُ إِتْمَامَ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ مِنَ الْغَزْوِ ، فَقَالَ انْظُرُوا مَا أَرَدْتُمْ مِنَ الْجُنْدِ نُعْطِكُمْ فَقَالُوا مَا يَدْخُلُ مَعَنَا بِلَادَ الْعَدُوِّ غَيْرُنَا إِلَّا الَّذِينَ مَعَنَا مِنْ بَنِي عَمِّنَا ، وَصِنْهَاجَةَ وَمَوَالِينَا فَأَعْطَاهُمُ الْخَيْلَ وَالسِّلَاحَ وَالْأَمْوَالَ ، وَبَعَثَ مَعَهُمْ دَلِيلًا ، وَكَانَ الطَّرِيقُ ضَيِّقًا ، فَأَتَوْا أَرْضَ جِلِّيقِيَّةَ ، فَدَخَلُوهَا لَيْلًا ، وَكَمَنُوا فِي بُسْتَانٍ بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَقَتَلُوا كُلَّ مَنْ بِهِ وَقَطَعُوا أَشْجَارَهُ.فَلَمَّا أَصْبَحُوا خَرَجَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْبَلَدِ فَضَرَبُوا عَلَيْهِمْ وَأَخَذُوهُمْ وَقَتَلُوهُمْ جَمِيعَهُمْ وَرَجَعُوا.وَتَسَامَعَ الْعَدُوُّ ، فَرَكِبُوا فِي أَثَرِهِمْ ، فَلَمَّا أَحَسُّوا بِذَلِكَ كَمَنُوا وَرَاءَ رَبْوَةٍ ، فَلَمَّا جَاوَزَهُمُ الْعَدُوُّ خَرَجُوا عَلَيْهِمْ مِنْ وَرَائِهِمْ ، وَضَرَبُوا فِي سَاقَتِهِمْ وَكَبَّرُوا ، فَلَمَّا سَمِعَ الْعَدُوُّ تَكْبِيرَهُمْ ظَنُّوا أَنَّ الْعَدَدَ كَثِيرٌ ، فَانْهَزَمُوا ، وَتَبِعَهُمْ صِنْهَاجَةُ ، فَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا ، وَغَنِمُوا دَوَابَّهُمْ وَسِلَاحَهُمْ وَعَادُوا إِلَى قُرْطُبَةَ ، فَعَظُمَ ذَلِكَ عِنْدَ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ ، وَرَأَى مِنْ شَجَاعَتِهِمْ مَا لَمْ يَرَهُ مِنْ جُنْدِ الْأَنْدَلُسِ ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَجَعَلَهُمْ بِطَانَتَهُ.ذِكْرُ غَزْوِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ إِلَى الْفِرِنْجِ بِالْأَنْدَلُسِ لَمَّا رَأَى أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فِعْلَ صِنْهَاجَةَ حَسَدُوهُمْ ، وَرَغِبُوا فِي الْجِهَادِ ، وَقَالُوا لِلْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ لَقَدْ نَشَّطْنَا هَؤُلَاءِ لِلْغَزْوِ.فَجَمَعَ الْجُيُوشَ الْكَثِيرَةَ مِنْ سَائِرِ الْأَقْطَارِ ، وَخَرَجَ إِلَى الْجِهَادِ ، وَكَانَ رَأَى فِي مَنَامِهِ ، تِلْكَ اللَّيَالِيَ ، كَأَنَّ رَجُلًا أَعْطَاهُ الْأَسْبَرَاجَ ، فَأَخَذَهُ مِنْ يَدِهِ وَأَكَلَ مِنْهُ ، فَعَبَرَهُ عَلَى ابْنِ أَبِي جُمْعَةَ ، فَقَالَ لَهُ اخْرُجْ إِلَى بَلَدِ إَلْيُونَ فَإِنَّكَ سَتَفْتَحُهَا فَقَالَ مِنْ أَيْنَ أَخَذْتَ هَذَا ؟فَقَالَ لِأَنَّ الْأَسْبَرَاجَ يُقَالُ لَهُ فِي الْمَشْرِقِ الْهِلْيَوْنُ ، فَمَلَكُ الرُّؤْيَا قَالَ لَكَ هَا لِيُونُ.فَخَرَجَ إِلَيْهَا وَنَازَلَهَا ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ مَدَائِنِهِمْ ، وَاسْتَمَدَّ أَهْلُهَا الْفِرِنْجَ ، فَأَمَدُّوهُمْ بِجُيُوشٍ كَثِيرَةٍ ، وَاقْتَتَلُوا لَيْلًا وَنَهَارًا ، فَكَثُرَ الْقَتْلُ فِيهِمْ ، وَصَبَرَتْ صِنْهَاجَةُ صَبْرًا عَظِيمًا ، ثُمَّ خَرَجَ قُومَصٌ كَبِيرٌ مِنَ الْفِرِنْجِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِثْلُهُ ، فَجَالَ بَيْنَ الصُّفُوفِ وَطَلَبَ الْبَرَازَ ، فَبَرَزَ إِلَيْهِ جَلَالَةُ بْنُ زِيرِي الصِّنْهَاجِيُّ فَحَمَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ ، فَطَعَنَهُ الْفِرِنْجِيُّ فَمَالَ عَنِ الطَّعْنَةِ وَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى عَاتِقِهِ فَأَبَانَ عَاتِقَهُ ، فَسَقَطَ الْفِرِنْجِيُّ إِلَى الْأَرْضِ ، وَحَمَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى النَّصَارَى ، فَانْهَزَمُوا إِلَى بِلَادِهِمْ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ مَا لَا يُحْصَى وَمَلَكَ الْمَدِينَةَ .وَغَنِمَ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ غَنِيمَةً عَظِيمَةً لَمْ يُرَ مِثْلُهَا ، وَاجْتَمَعَ مِنَ السَّبْيِ ثَلَاثُونَ أَلْفًا ، وَأَمَرَ بِالْقَتْلَى فَنُضِّدَتْ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، وَأَمَرَ مُؤَذِّنًا أَذَّنَ فَوْقَ الْقَتْلَى الْمَغْرِبَ ، وَخَرَّبَ مَدِينَةَ قَامُونَةَ ، وَرَجَعَ سَالِمًا هُوَ وَعَسَاكِرُهُ.ذِكْرُ وَفَاةِ يُوسُفَ بُلُكِّينَ وَوِلَايَةِ ابْنِهِ الْمَنْصُورِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، تُوُفِّيَ يُوسُفُ بُلُكِّينُ بْنُ زِيرِي صَاحِبُ إِفْرِيقِيَّةَ بِوَارْقَلِينَ.وَسَبَبُ مُضِيِّهِ إِلَيْهَا أَنَّ خَزَرُونَ الزَّنَاتِيَّ دَخَلَ سِجِلْمَاسَةَ ، وَطَرَدَ عَنْهَا نَائِبَ يُوسُفَ بُلُكِّينَ ، وَنَهَبَ مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْعُدَدِ ، وَتَغَلَّبَ عَلَى فَاسَ زِيرِي بْنُ عَطِيَّةَ الزَّنَاتِيُّ ، فَرَحَلَ يُوسُفُ إِلَيْهَا ، فَاعْتَلَّ فِي الطَّرِيقِ بِقُولَنْجٍ ، وَقِيلَ خَرَجَ فِي يَدِهِ بَثْرَةٌ فَمَاتَ مِنْهَا ، فَأَوْصَى بِوِلَايَةِ ابْنِهِ الْمَنْصُورِ ، وَكَانَ الْمَنْصُورُ بِمَدِينَةِ أَشِيرَ ، فَجَلَسَ لِلْعَزَاءِ بِأَبِيهِ ، وَأَتَاهُ أَهْلُ الْقَيْرَوَانِ وَسَائِرِ الْبِلَادِ يُعَزُّونَهُ بِأَبِيهِ وَيُهَنُّونَهُ بِالْوِلَايَةِ ، فَأَحْسَنَ إِلَى النَّاسِ وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ أَبِي يُوسُفَ وَجَدِّي زِيرِي كَانَا يَأْخُذَانِ النَّاسَ بِالسَّيْفِ ، وَأَنَا لَا آخُذُهُمْ إِلَّا بِالْإِحْسَانِ ، وَلَسْتُ مِمَّنْ يُوَلَّى بِكِتَابٍ وَيُعْزَلُ بِكِتَابٍ ، يَعْنِي أَنَّ الْخَلِيفَةَ بِمِصْرَ لَا يَقْدِرُ عَلَى عَزْلِهِ بِكِتَابٍ.ثُمَّ سَارَ إِلَى الْقَيْرَوَانِ ، وَسَكَنَ بِرِقَّادَةَ ، وَوَلِيَ الْأَعْمَالَ ، وَاسْتَعْمَلَ الْأُمَرَاءَ وَأَرْسَلَ هَدِيَّةً عَظِيمَةً إِلَى الْعَزِيزِ بِاللَّهِ بِمِصْرَ ، قِيلَ كَانَتْ قِيمَتُهَا أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى أَشِيرَ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى جِبَايَةِ الْأَمْوَالِ بِالْقَيْرَوَانِ ، وَالْمَهْدِيَّةِ ، وَجَمِيعِ إِفْرِيقِيَّةَ إِنْسَانًا يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْكَاتِبِ.ذِكْرُ أَمْرِ بَاذٍ الْكُرْدِيِّ خَالِ بَنِي مَرْوَانَ وَمُلْكِهِ الْمَوْصِلَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَوِيَ أَمْرُ بَاذٍ الْكُرْدِيِّ ، وَاسْمُهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ دُوسْتَكَ وَهُوَ مِنَ الْأَكْرَادِ الْحُمَيْدِيَّةِ ، وَكَانَ ابْتِدَاءُ أَمْرِهِ أَنَّهُ كَانَ يَغْزُو بِثُغُورِ دِيَارِ بَكْرٍ كَثِيرًا ، وَكَانَ عَظِيمَ الْخِلْقَةِ ، لَهُ بَأْسٌ وَشِدَّةٌ ، فَلَمَّا مَلَكَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ الْمَوْصِلَ حَضَرَ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا رَأَى عَضُدَ الدَّوْلَةِ خَافَهُ وَقَالَ مَا أَظُنُّهُ يُبْقِي عَلَيَّ فَهَرَبَ حِينَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ، وَطَلَبَهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ بَعْدَ خُرُوجِهِ لِيَقْبِضَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ بَأْسٌ وَشِدَّةٌ ، وَفِيهِ شَرٌّ ، وَيَجُوزُ الْإِبْقَاءُ عَلَى مِثْلِهِ فَأُخْبِرَ بِهَرَبِهِ فَكَفَّ عَنْ طَلَبِهِ.وَحَصَلَ بِثُغُورِ دِيَارِ بَكْرٍ ، وَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنِ اسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ وَقَوِيَ ، وَمَلَكَ مَيَّافَارِقِينَ وَكَثِيرًا مِنْ دِيَارِ بَكْرٍ بَعْدَ مَوْتِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَوَصَلَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ إِلَى نَصِيبِينَ ، فَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، فَجَهَّزَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ إِلَيْهِ الْعَسَاكِرَ مَعَ أَبِي سَعْدٍ بَهْرَامَ بْنِ أَرْدَشِيَرَ ، فَوَاقَعَهُ ، فَانْهَزَمَ بَهْرَامُ وَأُسِرَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَقَوِيَ أَمْرُ بَاذٍ ، فَأَرْسَلَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ إِلَيْهِ أَبَا الْقَاسِمِ سَعْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْحَاجِبَ فِي عَسْكَرٍ كَثِيرٍ ، فَالْتَقَوْا بِبَاجُلَايَا عَلَى خَابُورِ الْحُسَيْنِيَّةِ ، مِنْ بَلَدِ كَوَاشَى ، وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَ سَعْدٌ وَأَصْحَابُهُ ، وَاسْتَوْلَى بَاذٌ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الدَّيْلَمِ ، فَقَتَلَ وَأَسَرَ ، ثُمَّ قَتَلَ الْأَسْرَى صَبْرًا.وَفِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ يَقُولُ أَبُو الْحَسَنِ الْبَشْنَوِيُّ بِبَاجُلَايَا جَلَوْنَا عَنْهُ غُمَّتَهُ ، وَنَحْنُ فِي الرَّوْعِ جَلَّاءُونَ لِلْكُرَبِ يَعْنِي بَاذًا ، وَسَنَذْكُرُ سَبَبَهُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.وَلَمَّا هَزَمَ بَاذٌ الدَّيْلَمَ وَسَعْدًا ، وَفَعَلَ بِهِمْ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، سَبَقَهُ سَعْدٌ فَدَخَلَ الْمَوْصِلَ ، وَسَارَ بَاذٌ فِي أَثَرِهِ ، فَثَارَ الْعَامَّةُ بِسَعْدٍ لِسُوءِ سِيرَةِ الدَّيْلَمِ فِيهِمْ ، فَنَجَا مِنْهُمْ بِنَفْسِهِ ، وَدَخَلَ بَاذٌ إِلَى الْمَوْصِلِ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُ ، وَحَدَّثَ نَفْسَهُ بِالتَّغَلُّبِ عَلَى بَغْدَاذَ وَإِزَالَةِ الدَّيْلَمِ عَنْهَا ، وَخَرَجَ مِنْ حَدِّ الْمُتَطَرِّفِينَ ، وَصَارَ فِي عِدَادِ أَصْحَابِ الْأَطْرَافِ.فَخَافَهُ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ ، وَأَهَمَّهُ أَمْرُهُ ، وَشَغَلَهُ عَنْ غَيْرِهِ ، وَجَمَعَ الْعَسَاكِرَ لِيُسَيِّرَهَا إِلَيْهِ ، فَانْقَضَتِ السَّنَةُ.وَقَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْدِقَائِنَا مِنَ الْأَكْرَادِ الْحُمَيْدِيَّةِ مِمَّنْ يَعْتَنِي بِأَخْبَارِ بَاذٍ أَنَّ بَاذًا كُنْيَتُهُ أَبُو شُجَاعٍ ، وَاسْمُهُ بَاذٍ ، وَأَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ هُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ دُوسْتَكَ ، وَهُوَ أَخُو بَاذٍ ، وَكَانَ ابْتِدَاءُ أَمْرِهِ أَنَّهُ ، كَانَ يَرْعَى الْغَنَمَ ، وَكَانَ كَرِيمًا جَوَادًا ، وَكَانَ يَذْبَحُ الْغَنَمَ الَّتِي لَهُ وَيُطْعِمُ النَّاسَ ، فَظَهَرَ عَنْهُ اسْمُ الْجُودِ ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ ، وَصَارَ يَقْطَعُ الطَّرِيقَ ، وَكُلَّمَا حَصَلَ لَهُ شَيْءٌ أَخْرَجَهُ ، فَكَثُرَ جَمْعُهُ ، وَصَارَ يَغْزُو ، ثُمَّ إِنَّهُ دَخَلَ أَرْمِينِيَّةَ ، فَمَلَكَ مَدِينَةَ أَرْجِيشَ ، وَهِيَ أَوَّلُ مَدِينَةٍ مَلَكَهَا ، فَقَوِيَ بِهَا ، وَسَارَ مِنْهَا إِلَى دِيَارِ بَكْرٍ ، فَمَلَكَ مَدِينَةَ آمِدَ ، ثُمَّ مَلَكَ مَدِينَةَ مَيَّافَارِقِينَ وَغَيْرَهَا مِنْ دِيَارِ بَكْرٍ ، وَسَارَ إِلَى الْمَوْصِلِ فَمَلَكَهَا كَمَا ذَكَرْنَاهُ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَعْمَلَ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ الْخَلِيفَةُ الْعَلَوِيُّ عَلَى دِمَشْقَ وَأَعْمَالِهَا بَكْجُورَ التُّرْكِيَّ مَوْلَى قَرْغَوَيْهِ أَحَدِ غِلْمَانِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ ، وَكَانَ لَهُ حِمْصُ ، فَسَارَ مِنْهَا إِلَى دِمَشْقَ ، وَظَلَمَ أَهْلَهَا ، وَعَسَفَهُمْ وَأَسَاءَ السِّيرَةَ فِيهِمْ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ مُسْتَقْصًى.وَفِيهَا وَزَرَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ فَسَانْجِسَ لِشَرَفِ الدَّوْلَةِ.وَفِيهَا ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، انْقَضَّ كَوْكَبٌ عَظِيمٌ أَضَاءَتْ لَهُ الدُّنْيَا ، وَسُمِعَ لَهُ مِثْلُ دَوِيِّ الرَّعْدِ الشَّدِيدِ.وَفِيهَا غَلَتِ الْأَسْعَارُ بِالْعِرَاقِ وَمَا يُجَاوِرُهُ مِنَ الْبِلَادِ ، وَعَدَمَتِ الْأَقْوَاتُ ، فَمَاتَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ جُوعًا.وَفِيهَا وَزَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَعْدَانَ لِصَمْصَامِ الدَّوْلَةِ.وَفِيهَا وَرَدَ الْقَرَامِطَةُ إِلَى قُرَيْبِ بَغْدَاذَ ، وَطَمِعُوا بِمَوْتِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، فَصُولِحُوا عَلَى مَالٍ أَخَذُوهُ وَعَادُوا. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا ، فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، تُوُفِّيَ سَعِيدُ بْنُ سَلَامٍ أَبُو عُثْمَانَ الْمَغْرِبِيُّ بِنَيْسَابُورَ ، وَمَوْلِدُهُ بِالْقَيْرَوَانِ ، وَدَخَلَ الشَّامَ ، فَصَحِبَ الشُّيُوخَ مِنْهُمْ أَبُو الْخَيْرِ الْأَقْطَعُ وَغَيْرُهُ ، وَكَانَ مِنْ أَرْبَابِ الْأَحْوَالِ . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمَائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ ذِكْرُ عَوْدِ الدَّيْلَمِ إِلَى الْمَوْصِلِ وَانْهِزَامِ بَاذٍ لَمَّا اسْتَوْلَى بَاذٌ الْكُرْدِيُّ عَلَى الْمَوْصِلِ اهْتَمَّ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ وَوَزِيرُهُ ابْنُ سَعْدَانَ بِأَمْرِهِ ، فَوَقَعَ الِاخْتِيَارُ عَلَى إِنْفَاذِ زَيَّارِ بْنِ شَهْرَاكَوَيْهِ ، وَهُوَ أَكْبَرُ قُوَّادِهِمْ ، فَأَمَرَهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى قِتَالِهِ ، وَجَهَّزَهُ ، وَبَالَغَ فِي أَمْرِهِ ، وَأَكْثَرَ مَعَهُ الرِّجَالَ وَالْعُدَدَ وَالْأَمْوَالَ ، وَسَارَ إِلَى بَاذٍ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ، وَلَقِيَهُمْ فِي صَفَرَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، فَأَجْلَتِ الْوَقْعَةُ عَنْ هَزِيمَةِ بَاذٍ وَأَصْحَابِهِ وَأُسِرَ كَثِيرٌ مِنْ عَسْكَرِهِ وَأَهْلِهِ ، وَحُمِلُوا إِلَى بَغْدَاذَ فَشُهِّرُوا بِهَا ، وَمَلَكَ الدَّيْلَمُ الْمَوْصِلَ.وَأَرْسَلَ زَيَّارٌ عَسْكَرًا مَعَ سَعْدٍ الْحَاجِبِ فِي طَلَبِ بَاذٍ ، فَسَلَكُوا عَلَى جَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ ، وَأَرْسَلَ عَسْكَرًا آخَرَ إِلَى نَصِيبِينَ ، فَاخْتَلَفُوا عَلَى مُقَدَّمِيهِمْ ، فَلَمْ يُطَاوِعُوهُمْ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَيْهِ ، وَكَانَ بَاذٌ بِدِيَارِ بَكْرٍ قَدْ جَمَعَ خَلْقًا كَثِيرًا ، فَكَتَبَ وَزِيرُ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ إِلَى سَعْدِ الدَّوْلَةِ بْنِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ ، وَبَذَلَ لَهُ تَسْلِيمَ دِيَارِ بَكْرٍ إِلَيْهِ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهَا جَيْشًا ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ قُوَّةٌ بِأَصْحَابِ بَاذٍ ، فَعَادُوا إِلَى حَلَبَ ، وَكَانُوا قَدْ حَصَرُوا مَيَّافَارِقِينَ ، فَلَمَّا شَاهَدَ سَعْدٌ ذَلِكَ مِنْ عَسْكَرِهِ أَعْمَلَ الْحِيلَةَ فِي قَتْلِ بَاذٍ ، فَوَضَعَ رَجُلًا عَلَى ذَلِكَ فَدَخَلَ الرَّجُلُ خَيْمَةَ بَاذٍ لَيْلًا ، وَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ يَضْرِبُ رَأْسَهُ ، فَوَقَعَتِ الضَّرْبَةُ عَلَى سَاقِهِ ، فَصَاحَ ، وَهَرَبَ ذَلِكَ الرَّجُلُ ، فَمَرِضَ بَاذٌ مِنْ تِلْكَ الضَّرْبَةِ ، فَأَشْفَى عَلَى الْمَوْتِ ، وَكَانَ قَدْ جَمَعَ مَعَهُ مِنَ الرِّجَالِ خَلْقًا كَثِيرًا ، فَرَاسَلَ زَيَّارًا وَسَعْدًا يَطْلُبُ الصُّلْحَ ، فَاسْتَقَرَّ الْحَالُ بَيْنَهُمْ ، وَاصْطَلَحُوا عَلَى أَنْ تَكُونَ دِيَارُ بَكْرٍ لِبَاذٍ ، وَالنِّصْفُ مِنْ طَوْرِ عَبْدِينَ أَيْضًا ، وَانْحَدَرَ زَيَّارٌ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَأَقَامَ سَعْدٌ بِالْمَوْصِلِ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُلِّدَ أَبُو طَرِيفٍ عِلْيَانُ بْنُ ثُمَالَ الْخَفَاجِيُّ حِمَايَةَ الْكُوفَةِ ، وَهِيَ أَوَّلُ إِمَارَةِ بَنِي ثُمَالَ.وَفِيهَا خَطَبَ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بِالْأَهْوَازِ لِفَخْرِ الدَّوْلَةِ ، وَخَطَبَ لَهُ أَبُو طَاهِرِ بْنُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بِالْبَصْرَةِ ، وَنَقْشَا اسْمَهُ عَلَى السِّكَّةِ.وَفِيهَا خُطِبَ لِصَمْصَامِ الدَّوْلَةِ بِعُمَانَ ، وَكَانَتْ لِشَرَفِ الدَّوْلَةِ ، وَنَائِبُهُ بِهَا أُسْتَاذُ هُرْمُزَ ، فَصَارَ مَعَ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى شَرَفِ الدَّوْلَةِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ جَيْشًا ، فَانْهَزَمَ أُسْتَاذُ هُرْمُزَ وَأُخِذَ أَسِيرًا ، وَعَادَتْ عُمَانُ إِلَى شَرَفِ الدَّوْلَةِ ، وَحُبِسَ أُسْتَاذُ هُرْمُزَ فِي بَعْضِ الْقِلَاعِ وَطُولِبَ بِمَالٍ كَثِيرٍ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَلِيُّ بْنُ كَامَةَ ، مُقَدَّمُ عَسْكَرِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ.وَفِيهَا أَفْرَجَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ عَنْ أَبِي مَنْصُورِ بْنِ صَالِحَانَ وَاسْتَوْزَرَهُ ، وَقَبَضَ عَلَى وَزِيرِهِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ فَسَانْجِسَ.وَفِيهَا أَرْسَلَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ رَسُولًا إِلَى الْقَرَامِطَةِ ، فَلَمَّا عَادَ قَالَ إِنَّ الْقَرَامِطَةَ سَأَلُونِي عَنِ الْمَلِكِ فَأَخْبَرْتُهُمْ بِحُسْنِ سِيرَتِهِ فَقَالُوا مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ اسْتَوْزَرَ ثَلَاثَةً فِي سَنَةٍ لِغَيْرِ سَبَبٍ ، فَلَمْ يُغَيِّرْ شَرَفُ الدَّوْلَةِ بَعْدَ هَذَا عَلَى وَزِيرِهِ أَبِي مَنْصُورِ بْنِ صَالِحَانَ. الْوَفَيَاتُ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَزْدِيُّ الْمَوْصِلِيُّ ، الْحَافِظُ الْمَشْهُورُ ، وَقِيلَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ ضَعِيفًا فِي الْحَدِيثِ . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ سَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ سَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ الْفِتْنَةِ بِبَغْدَاذَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ جَرَتْ فِتْنَةٌ بِبَغْدَاذَ بَيْنَ الدَّيْلَمِ ، وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّ أَسْفَارَ بْنَ كَرْدَوَيْهِ ، وَهُوَ مَنْ أَكَابِرِ الْقُوَّادِ ، اسْتُنْفِرَ مِنْ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ ، وَاسْتَمَالَ كَثِيرًا مِنَ الْعَسْكَرِ إِلَى طَاعَةِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ ، وَاتَّفَقَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يُوَلُّوا الْأَمِيرَ بَهَاءَ الدَّوْلَةِ أَبَا نَصْرِ بْنَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ الْعِرَاقَ نِيَابَةً عَنْ أَخِيهِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ .وَكَانَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ مَرِيضًا ، فَتَمَكَّنَ أَسْفَارٌ مِنَ الَّذِي عَزَمَ عَلَيْهِ ، وَأَظْهَرَ ذَلِكَ ، وَتَأَخَّرَ عَنِ الدَّارِ ، وَرَاسَلَهُ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ يَسْتَمِيلُهُ وَيُسَكِّنُهُ ، فَمَا زَادَهُ إِلَّا تَمَادِيًا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْ حَالِهِ رَاسَلَ الطَّائِعَ يَطْلُبُ مِنْهُ الرُّكُوبَ مَعَهُ ، وَكَانَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ قَدْ أَبَلَّ مِنْ مَرَضِهِ ، فَامْتَنَعَ الطَّائِعُ مِنْ ذَلِكَ ، فَشَرَعَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ ، وَاسْتَمَالَ فُولَاذَ زَمَانْدَارَ ، وَكَانَ مُوَافِقًا لِأَسْفَارَ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَأْنَفُ مِنْ مُتَابَعَتِهِ لِكِبَرِ شَأْنِهِ.فَلَمَّا رَاسَلَهُ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ أَجَابَهُ ، وَاسْتَحْلَفَهُ عَلَى مَا أَرَادَ ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ، وَقَاتَلَ أَسْفَارَ ، فَهَزَمَهُ فُولَاذٌ ، وَأُخِذَ الْأَمِيرُ أَبُو نَصْرٍ أَسِيرًا ، وَأُحْضِرَ عِنْدَ أَخِيهِ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ ، فَرَقَّ لَهُ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا ذَنْبَ لَهُ ، فَاعْتَقَلَهُ مُكَرَّمًا ، وَكَانَ عُمْرُهُ حِينَئِذٍ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً.وَثَبَتَ أَمْرُ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ ، وَسَعَى إِلَيْهِ بِابْنِ سَعْدَانَ الَّذِي كَانَ وَزِيرَهُ ، فَعَزَلَهُ ، وَقِيلَ إِنَّهُ كَانَ هَوَاهُ مَعَهُمْ ، فَقَتَلَ وَمَضَى أَسْفَارُ إِلَى الْأَهْوَازِ ، وَاتَّصَلَ بِالْأَمِيرِ أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَخَدَمَهُ ، وَسَارَ بَاقِي الْعَسْكَرِ إِلَى شَرَفِ الدَّوْلَةِ.ذِكْرُ أَخْبَارِ الْقَرَامِطَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَرَدَ إِسْحَاقُ وَجَعْفَرٌ الْبَحْرِيَّانِ ، وَهُمَا مِنَ السِّتَّةِ الْقَرَامِطَةِ الَّذِينَ يُلَقَّبُونَ بِالسَّادَةِ ، فَمَلَكَا الْكُوفَةَ وَخَطَبَا لِشَرَفِ الدَّوْلَةِ ، فَانْزَعَجَ النَّاسُ لِذَلِكَ لِمَا فِي النُّفُوسِ مِنْ هَيْبَتِهِمْ وَبَأْسِهِمْ وَكَانَ لَهُمْ مِنَ الْهَيْبَةِ مَا إِنَّ عَضُدَ الدَّوْلَةِ وَبَخْتِيَارُ أَقْطَعَاهُمُ الْكَثِيرَ.وَكَانَ نَائِبُهُمْ بِبَغْدَاذَ يُعْرَفُ بِأَبِي بَكْرِ بْنِ شَاهَوَيْهِ يَتَحَكَّمُ تَحَكُّمَ الْوُزَرَاءِ فَقَبَضَ عَلَيْهِ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا وَرَدَ الْقَرَامِطَةُ الْكُوفَةَ كَتَبَ إِلَيْهِمَا صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ يَتَلَطَّفُهُمَا وَيَسْأَلُهُمَا عَنْ سَبَبِ حَرَكَتِهِمَا ، فَذَكَرَا أَنَّ قَبْضَ نَائِبِهِمْ هُوَ السَّبَبُ فِي قَصْدِهِمْ بِلَادَهُ ، وَبَثَّا أَصْحَابَهُمَا وَجَبَيَا الْمَالَ.وَوَصَلَ أَبُو قَيْسٍ الْحَسَنُ بْنُ الْمُنْذِرِ إِلَى الْجَامِعَيْنِ ، وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِهِمْ ، فَأَرْسَلَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ الْعَسَاكِرَ وَمَعَهُمُ الْعَرَبُ فَعَبَرُوا الْفُرَاتَ إِلَيْهِ وَقَاتَلُوهُ فَانْهَزَمَ عَنْهُمْ ، وَأُسِرَ أَبُو قَيْسٍ وَجَمَاعَةٌ مِنْ قُوَّادِهِمْ فَقُتِلُوا فَعَادَ الْقَرَامِطَةُ وَسَيَّرُوا جَيْشًا آخَرَ فِي عَدَدٍ كَثِيرٍ وَعُدَّةٍ فَالْتَقَوْا هُمْ وَعَسَاكِرُ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ بِالْجَامِعَيْنِ أَيْضًا ، فَأَجْلَتِ الْوَقْعَةُ عَنْ هَزِيمَةِ الْقَرَامِطَةِ ، وَقُتِلَ مُقَدَّمُهُمْ وَغَيْرُهُ ، وَأُسِرَ جَمَاعَةٌ ، وَنُهِبَ سَوَادُهُمْ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْمُنْهَزِمُونَ إِلَى الْكُوفَةِ رَحَلَ الْقَرَامِطَةُ وَتَبِعَهُمُ الْعَسْكَرُ إِلَى الْقَادِسِيَّةِ فَلَمْ يُدْرِكُوهُمْ وَزَالَ مِنْ حِينَئِذٍ نَامُوسُهُمْ.ذِكْرُ الْإِفْرَاجِ عَنْ وَرْدٍ الرُّومِيِّ وَمَا صَارَ أَمْرُهُ إِلَيْهِ وَدُخُولِ الرُّوسِ فِي النَّصْرَانِيَّةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَفْرَجَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ عَنْ وَرْدٍ الرُّومِيِّ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ حَبْسِهِ.فَلَمَّا كَانَ الْآنَ أَفْرَجَ عَنْهُ وَأَطْلَقَهُ ، وَشَرَطَ عَلَيْهِ إِطْلَاقَ عَدَدٍ كَثِيرٍ مِنْ أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ ، وَأَنْ يُسَلِّمَ إِلَيْهِ سَبْعَةَ حُصُونٍ مِنْ بَلَدِ الرُّومِ بِرَسَاتِيقِهَا ، وَأَنْ لَا يَقْصِدَ بِلَادَ الْإِسْلَامِ هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مَا عَاشَ ، وَجَهَّزَهُ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ ، فَسَارَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ ، وَاسْتَمَالَ فِي طَرِيقِهِ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الْبَوَادِي وَغَيْرِهِمْ ، وَأَطْمَعَهُمْ فِي الْعَطَاءِ وَالْغَنِيمَةِ ، وَسَارَ حَتَّى نَزَلَ بِمَلَطْيَةَ ، فَتَسَلَّمَهَا ، وَقَوِيَ بِهَا وَبِمَا فِيهَا مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ.وَقَصَدَ وَرْدِيسَ بْنَ لَاوَنَ ، فَتَرَاسَلَا ، وَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ بَيْنَهُمَا عَلَى أَنْ تَكُونَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ ، وَمَا جَاوَرَهَا مِنْ شَمَالِيِّ الْخَلِيجِ ، لِوَرْدِيسَ.وَهَذَا الْجَانِبُ مِنَ الْخَلِيجِ لِوَرْدٍ ، وَتَحَالَفَا وَاجْتَمَعَا ، فَقَبَضَ وَرْدِيسُ عَلَى وَرْدٍ وَحَبَسَهُ ، ثُمَّ إِنَّهُ نَدِمَ فَأَطْلَقَهُ عَنْ قَرِيبٍ ، وَعَبَرَ وَرْدِيسُ الْخَلِيجَ ، وَحَصَرَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ وَبِهَا الْمَلَكَانِ ابْنَا أَرْمَانُوسَ ، وَهُمَا بَسِيلُ وَقُسْطَنْطِينُ ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِمَا ، فَرَاسَلَا مَلِكَ الرُّوسِيَّةِ ، وَاسْتَنْجَدَاهُ وَزَوَّجَاهُ بِأُخْتٍ لَهُمَا ، فَامْتَنَعَتْ مِنْ تَسْلِيمِ نَفْسِهَا إِلَى مَنْ يُخَالِفُهَا فِي الدِّينِ ، فَتَنَصَّرَ ، وَكَانَ هَذَا أَوَّلَ النَّصْرَانِيَّةِ بِالرُّوسِ ، وَتَزَوَّجَهَا وَسَارَ إِلَى لِقَاءِ وَرْدِيسَ ، فَاقْتَتَلُوا وَتَحَارَبُوا فَقُتِلَ وَرْدِيسُ ، وَاسْتَقَرَّ الْمَلِكَانِ فِي مُلْكِهِمَا ، وَرَاسَلَا وَرْدًا وَأَقَرَّاهُ عَلَى مَا بِيَدِهِ ، فَبَقِيَ مُدَيْدَةً وَمَاتَ ، وَقِيلَ إِنَّهُ مَاتَ مَسْمُومًا.وَتَقَدَّمَ بَسِيلُ فِي الْمُلْكِ ، وَكَانَ شُجَاعًا عَادِلًا ، وَحَسَنَ الرَّأْيِ ، وَدَامَ مُلْكُهُ ، وَحَارَبَ الْبُلْغَارَ خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَظَفِرَ بِهِمْ ، وَأَجْلَى كَثِيرًا مِنْهُمْ مِنْ بِلَادِهِمْ ، وَأَسْكَنَهَا الرُّومَ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْإِحْسَانِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَالْمَيْلِ إِلَيْهِمْ.ذِكْرُ مُلْكِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ الْأَهْوَازَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ أَبُو الْفَوَارِسِ بْنُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ مِنْ فَارِسَ يَطْلُبُ الْأَهْوَازَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى أَخِيهِ أَبِي الْحُسَيْنِ وَهُوَ بِهَا يُطَيِّبُ نَفْسَهُ ، وَيَعِدُهُ الْإِحْسَانَ ، وَأَنْ يُقِرَّهُ عَلَى مَا بِيَدِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ مَقْصِدَهُ الْعِرَاقُ ، وَتَخْلِيصُ أَخِيهِ الْأَمِيرِ أَبِي نَصْرٍ مِنْ مَحْبِسِهِ ، فَلَمْ يُصْغِ أَبُو الْحُسَيْنِ إِلَى قَوْلِهِ ، وَعَزَمَ عَلَى مَنْعِهِ ، وَتَجَهَّزَ لِذَلِكَ ، فَأَتَاهُ الْخَبَرُ بِوُصُولِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ إِلَى أَرَّجَانَ ، ثُمَّ إِلَى رَامَهُرْمُزَ ، فَتَسَلَّلَ أَجْنَادُهُ إِلَى شَرَفِ الدَّوْلَةِ وَنَادَوْا بِشِعَارِهِ ، فَهَرَبَ أَبُو الْحُسَيْنِ نَحْوَ الرَّيِّ إِلَى عَمِّهِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ ، فَبَلَغَ أَصْبَهَانَ وَأَقَامَ بِهَا ، وَاسْتَنْصَرَ عَمُّهُ فَأَطْلَقَ لَهُ مَالًا وَوَعَدَهُ بِنَصْرِهِ.فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ قَصَدَ التَّغَلُّبَ عَلَى أَصْبَهَانَ وَنَادَى بِشِعَارِ أَخِيهِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ ، فَثَارَ بِهِ جُنْدُهَا وَأَخَذُوهُ أَسِيرًا وَسَيَّرُوهُ إِلَى الرَّيِّ ، فَحَبَسَهُ عَمُّهُ ، وَبَقِيَ مَحْبُوسًا إِلَى أَنْ مَرِضَ عَمُّهُ فَخْرُ الدَّوْلَةِ مَرَضَ الْمَوْتِ ، فَلَمَّا اشْتَدَّ مَرَضُهُ أَرْسَلَ إِلَيْهِ مَنْ قَتَلَهُ ، وَكَانَ يَقُولُ شِعْرًا ، فَمِنْ قَوْلِهِ هَبِ الدَّهْرَ أَرْضَانِي وَأَعْتَبَ صَرْفُهُ...وَأَعْقَبَ بِالْحُسْنَى ، وَفَكَّ مِنَ الْأَسْرِ فَمَنْ لِي بِأَيَّامِ الشَّبَابِ الَّتِي مَضَتْ...وَمَنْ لِي بِمَا قَدْ فَاتَ فِي الْحَبْسِ مِنْ عُمْرِي وَأَمَّا شَرَفُ الدَّوْلَةِ فَإِنَّهُ سَارَ إِلَى الْأَهْوَازِ وَمَلَكَهَا ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْبَصْرَةِ فَمَلَكَهَا ، وَقَبَضَ عَلَى أَخِيهِ أَبِي طَاهِرٍ ، وَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ ، فَرَاسَلَهُ فِي الصُّلْحِ ، فَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ عَلَى أَنْ يَخْطُبَ لِشَرَفِ الدَّوْلَةِ بِالْعِرَاقِ قَبْلَ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ ، وَيَكُونُ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ نَائِبًا عَنْهُ ، وَيُطْلِقُ أَخَاهُ الْأَمِيرَ بَهَاءَ الدَّوْلَةِ أَبَا نَصْرٍ ، فَأَطْلَقَهُ وَسَيَّرَهُ إِلَيْهِ ، وَصَلُحَ الْحَالُ وَاسْتَقَامَ.وَكَانَ قُوَّادُ شَرَفِ الدَّوْلَةِ يُحِبُّونَ الصُّلْحَ لِأَجْلِ الْعَوْدِ إِلَى أَوْطَانِهِمْ ، وَخُطِبَ لِشَرَفِ الدَّوْلَةِ بِالْعِرَاقِ ، وَسُيِّرَتْ إِلَيْهِ الْخِلَعُ وَالْأَلْقَابُ مِنَ الطَّائِعِ لِلَّهِ ، فَإِلَى أَنْ عَادَتِ الرُّسُلُ إِلَى شَرَفِ الدَّوْلَةِ لِيُحَلِّفُوهُ أَلْقَتْ إِلَيْهِ الْبِلَادُ مَقَالِيدَهَا كَوَاسِطَ وَغَيْرِهَا ، وَكَاتَبَهُ الْقَوَّادُ بِالطَّاعَةِ ، فَعَادَ عَنِ الصُّلْحِ ، وَعَزَمَ عَلَى قَصْدِ بَغْدَاذَ وَالِاسْتِيلَاءِ عَلَى الْمُلْكِ ، وَلَمْ يَحْلِفْ لِأَخِيهِ.وَكَانَ مَعَهُ الشَّرِيفُ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ يُشِيرُ عَلَيْهِ بِقَصْدِ الْعِرَاقِ ، وَيَحُثُّهُ عَلَيْهِ ، وَيُطْمِعُهُ فِيهِ ، فَوَافَقَهُ عَلَى ذَلِكَ.وَسَنَذْكُرُ بَاقِيَ خَبَرِهِ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ انْهِزَامِ عَسَاكِرِ الْمَنْصُورِ مِنْ صَاحِبِ سِجِلْمَاسَةَ قَدْ ذَكَرْنَا اسْتِيلَاءَ خَزَرُونَ وَزِيرِي الزَّنَاتِيَّيْنِ عَلَى سِجِلْمَاسَةَ وَفَاسَ ، وَمَوْتَ يُوسُفَ بُلُكِّينَ لَمَّا قَصَدَهُمَا ، فَلَمَّا مَاتَ تَمَكَّنَا مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ فَلَمَّا اسْتَقَرَّ الْمَنْصُورُ سَيَّرَ جَيْشًا كَثِيفًا إِلَيْهِمَا لِيَرُدَّهُمَا إِلَى طَاعَتِهِ ، فَلَمَّا صَارَ الْجَيْشُ قُرَيْبَ فَاسَ خَرَجَ إِلَيْهِمْ صَاحِبُهَا زِيرِي بْنُ عَطِيَّةَ الزَّنَاتِيُّ ، الْمَعْرُوفُ بِالْقِرْطَاسِ ، فِي عَسَاكِرِهِ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ الْمَنْصُورِ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَأُسِرَ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ ، وَثَبَتَ قَدَمُهُ فِي وِلَايَتِهِ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ بِعُمَانَ طَائِرٌ مِنَ الْبَحْرِ كَبِيرٌ ، أَكْبَرُ مِنَ الْفِيلِ ، وَوَقَفَ عَلَى تَلٍّ هُنَاكَ ، وَصَاحَ بِصَوْتٍ عَالٍ ، وَلِسَانٍ فَصِيحٍ قَدْ قَرُبَ ، قَدْ قَرُبَ ، قَدْ قَرُبَ ، ثَلَاثًا ثُمَّ غَاصَ فِي الْبَحْرِ ، فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ غَابَ وَلَمْ يُرَ بَعْدَ ذَلِكَ.وَفِيهَا جَدَّدَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ بِبَغْدَاذَ عَلَى الثِّيَابِ الْإِبْرِيسَمِ وَالْقُطْنِ الْمَبِيعَةِ ضَرِيبَةً مِقْدَارُهَا عُشْرُ الثَّمَنِ ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ فِي جَامِعِ الْمَنْصُورِ ، وَعَزَمُوا عَلَى قَطْعِ الصَّلَاةِ ، وَكَادَ الْبَلَدُ يَفْتَتِنُ ، فَأُعْفُوا مِنْ ذَلِكَ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ ابْنُ مُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهٍ ، فَجَلَسَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ لِلْعَزَاءِ ، فَأَتَاهُ الطَّائِعُ لِلَّهِ مُعَزِّيًا.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ الْمَشْهُورُ ، وَأَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الدَّارَكِيُّ ، وَكَانَ رَئِيسَ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ بِالْعِرَاقِ ، وَتُوُفِّيَ فِي شَوَّالٍ وَلَهُ نَيِّفٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً ، وَأَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ الْفَقِيهُ الْمَالِكِيُّ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَسُئِلَ أَنْ يَلِيَ قَضَاءَ الْقُضَاةِ فَامْتَنَعَ.وَالْوَلِيدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَلِيدِ أَبُو الْعَبَّاسِ الزَّوَزَنِيُّ الصُّوفِيُّ الْمُحَدِّثُ ، كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْحَقَائِقِ ، وَلَهُ تَصَانِيفُ حَسَنَةٌ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ مُلْكِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ الْعِرَاقَ وَقَبْضِ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ أَبُو الْفَوَارِسِ بْنُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ مِنَ الْأَهْوَازَ إِلَى وَاسِطَ فَمَلَكَهَا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ أَخَاهُ أَبَا نَصْرٍ يَسْتَعْطِفُهُ بِإِطْلَاقِهِ ، وَكَانَ مَحْبُوسًا عِنْدَهُ ، فَلَمْ يَتَعَطَّفْ لَهُ ، وَاتَّسَعَ الْخَرْقُ عَلَى صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ ، وَشَغَبَ عَلَيْهِ جُنْدُهُ ، ، فَاسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ فِي قَصْدِ أَخِيهِ وَالدُّخُولِ فِي طَاعَتِهِ ، فَنَهَوْهُ عَنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ الرَّأْيُ أَنَّنَا نَصْعَدُ إِلَى عُكْبَرَا لِنَعْلَمَ بِذَلِكَ مَنْ هُوَ لَنَا مِمَّنْ هُوَ عَلَيْنَا ، فَإِنْ رَأَيْنَا عُدَّتَنَا كَثِيرَةً قَاتَلْنَاهُمْ وَأَخْرَجْنَا الْأَمْوَالَ ، وَإِنْ عَجَزْنَا سِرْنَا إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَهِيَ وَسَائِرُ بِلَادِ الْجَبَلِ لَنَا ، فَيَقْوَى أَمْرُنَا ، وَلَا بُدَّ أَنَّ الدَّيْلَمَ وَالْأَتْرَاكَ تَجْرِي بَيْنَهُمْ مُنَافَسَةٌ وَمُحَاسَدَةٌ وَيَحْدُثُ اخْتِلَالٌ فَنَبْلُغُ الْغَرَضَ.وَقَالَ بَعْضُهُمْ الرَّأْيُ أَنَّنَا نَسِيرُ إِلَى قِرْمِيسِينَ تُكَاتِبُ عَمَّكَ فَخْرَ الدَّوْلَةِ وَتَسْتَنْجِدُهُ ، وَتَسِيرُ عَلَى طَرِيقِ خُرَاسَانَ وَأَصْبَهَانَ إِلَى فَارِسَ ، فَتَتَغَلَّبُ عَلَيْهَا ، عَلَى خَزَائِنِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ وَذَخَائِرِهِ ، فَمَا هُنَاكَ مُمَانِعٌ وَلَا مُدَافِعٌ ، فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ لَا يَقْدِرُ شَرَفُ الدَّوْلَةِ عَلَى الْمُقَامِ بِالْعِرَاقِ ، فَيَعُودُ حِينَئِذٍ فَيَقَعُ الصُّلْحُ.فَأَعْرَضَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ عَنِ الْجَمِيعِ ، وَسَارَ فِي طَيَّارٍ إِلَى أَخِيهِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ فِي خَوَاصِّهِ ، فَوَصَلَ إِلَى أَخِيهِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ ، فَلَقِيَهُ وَطَيَّبَ قَلْبَهُ.فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ قَبَضَ عَلَيْهِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى بَغْدَاذَ مَنْ يَحْتَاطُ عَلَى دَارِ الْمَمْلَكَةِ ، وَسَارَ فَوَصَلَ إِلَى بَغْدَاذَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَنَزَلَ بِالشُّفَيْعِيِّ ، وَأَخُوهُ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ مَعَهُ تَحْتَ الِاعْتِقَالِ ، وَكَانَتْ إِمَارَتُهُ بِالْعِرَاقِ ثَلَاثَ سِنِينَ وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا.ذِكْرُ الْفِتْنَةِ بَيْنَ الْأَتْرَاكِ وَالدَّيْلَمِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ جَرَتْ فِتْنَةٌ بَيْنَ الدَّيْلَمِ وَالْأَتْرَاكِ الَّذِينَ مَعَ شَرَفِ الدَّوْلَةِ بِبَغْدَاذَ.وَسَبَبُهَا أَنَّ الدَّيْلَمَ اجْتَمَعُوا مَعَ شَرَفِ الدَّوْلَةِ فِي خَلْقٍ كَثِيرٍ بَلَغَتْ عُدَّتُهُمْ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ رَجُلٍ ، وَكَانَ الْأَتْرَاكُ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، فَاسْتَطَالَ عَلَيْهِمُ الدَّيْلَمُ ، فَجَرَتْ مُنَازَعَةٌ بَيْنَ بَعْضِهِمْ فِي دَارٍ وَإِصْطَبْلٍ ، ثُمَّ صَارَتْ إِلَى الْمُحَارَبَةِ ، فَاسْتَظْهَرَ الدَّيْلَمُ لِكَثْرَتِهِمْ ، وَأَرَادُوا إِخْرَاجَ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ وَإِعَادَتَهُ إِلَى مُلْكِهِ.وَبَلَغَ شَرَفَ الدَّوْلَةِ الْخَبَرُ ، فَوَكَّلَ بِصَمْصَامِ الدَّوْلَةِ مَنْ يَقْتُلُهُ إِنْ هَمَّ الدَّيْلَمُ بِإِخْرَاجِهِ.ثُمَّ إِنَّ الدَّيْلَمَ لَمَّا اسْتَظْهَرُوا عَلَى الْأَتْرَاكِ تَبِعُوهُمْ ، فَتَشَوَّشَتْ صُفُوفُهُمْ ، فَعَادَتِ الْأَتْرَاكُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمَامِهِمْ وَخَلْفِهِمْ ، فَانْهَزَمُوا وَقُتِلَ مِنْهُمْ زِيَادَةٌ عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، وَدَخَلَ الْأَتْرَاكُ الْبَلَدَ ، فَقَتَلُوا مَنْ وَجَدُوهُ مِنْهُمْ ، وَنَهَبُوا أَمْوَالَهُمْ ، وَتَفَرَّقَ الدَّيْلَمُ ، فَبَعْضُهُمُ اعْتَصَمَ بِشَرَفِ الدَّوْلَةِ ، وَبَعْضُهُمْ سَارَ عَنْهُ.فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ دَخَلَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ بَغْدَاذَ ، وَالدَّيْلَمُ الْمُعْتَصِمُونَ بِهِ مَعَهُ ، فَخَرَجَ الطَّائِعُ لِلَّهِ وَلَقِيَهُ وَهَنَّأَهُ بِالسَّلَامَةِ ، وَقَبَّلَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ الْأَرْضَ ، وَأَخَذَ الدَّيْلَمُ يَذْكُرُونَ صَمْصَامَ الدَّوْلَةِ ، فَقِيلَ لِشَرَفِ الدَّوْلَةِ اقْتُلْهُ ، وَإِلَّا مَلَّكُوهُ الْأَمْرَ.ثُمَّ إِنَّ شَرَفَ الدَّوْلَةِ أَصْلَحَ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ ، وَحَلَفَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، وَحُمِلَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ إِلَى فَارِسَ ، فَاعْتُقِلَ فِي قَلْعَةٍ هُنَاكَ ، فَرَدَّ شَرَفُ الدَّوْلَةِ عَلَى الشَّرِيفِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ جَمِيعَ أَمْلَاكِهِ وَزَادَهُ عَلَيْهَا ، وَكَانَ خَرَاجُ أَمْلَاكِهِ كُلَّ سَنَةٍ أَلْفَيْ أَلْفٍ وَخَمْسَ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَرَدَّ عَلَى النَّقِيبِ أَبِي أَحْمَدَ الْمُوسَوِيِّ أَمْلَاكَهُ ، وَأَقَرَّ النَّاسَ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ ، وَمَنَعَ النَّاسَ مِنَ السِّعَايَاتِ وَلَمْ يَقْبَلْهَا ، فَأَمِنُوا وَسَكَنُوا وَوَزَرَ لَهُ أَبُو مَنْصُورِ بْنُ صَالِحَانَ.ذِكْرُ وِلَايَةِ مُهَذَّبِ الدَّوْلَةِ الْبَطِيحَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ الْمُظَفَّرُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُ أُخْتِهِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ نَصْرٍ بِالْعَهْدِ الْمَذْكُورِ ، وَكَتَبَ إِلَى شَرَفِ الدَّوْلَةِ يَبْذُلُ لَهُ الطَّاعَةَ ، وَيَطْلُبُ التَّقْلِيدَ ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ ، وَلُقِّبَ بِمُهَذَّبِ الدَّوْلَةِ ، فَأَحْسَنَ السِّيرَةَ ، وَبَذَلَ الْخَيْرَ وَالْإِحْسَانَ ، فَقَصَدَهُ النَّاسُ ، وَأَمِنَ عِنْدَهُ الْخَائِفُ.وَصَارَتِ الْبَطِيحَةُ مَعْقِلًا لِكُلِّ مَنْ قَصْدَهَا ، وَاتَّخَذَهَا الْأَكَابِرُ وَطَنًا ، وَبَنَوْا فِيهَا الدُّورَ الْحَسَنَةَ ، وَوَسِعَهُمْ بِرُّهُ وَإِحْسَانُهُ ، وَكَاتَبَ مُلُوكَ الْأَطْرَافِ وَكَاتَبُوهُ ، وَزَوَّجَهُ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ ابْنَتَهُ ، وَعَظُمَ شَأْنُهُ إِلَى أَنْ قَصَدَهُ الْقَادِرُ بِاللَّهِ فَحَمَاهُ ، وَبَقِيَ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ أَبُو الْحُسَيْنِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُمَرَ الصُّوفِيُّ ، الْمُنَجِّمُ لِعَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ بِالرَّيِّ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ.وَفِيهَا كَانَ بِالْمَوْصِلِ زَلْزَلَةٌ شَدِيدَةٌ تَهَدَّمَ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمَنَازِلِ ، وَهَلَكَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ.وَفِيهَا قَتَلَ الْمَنْصُورُ بْنُ يُوسُفَ ، صَاحِبُ إِفْرِيقِيَّةَ ، عَبْدَ اللَّهِ الْكَاتِبَ ، وَقَامَ عَلَى وِلَايَةِ الْأَعْمَالِ بِإِفْرِيقِيَّةَ عِوَضَهُ يُوسُفُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ ، وَكَانَ وَالِيَ قَفْصَةَ قَبْلَ ذَلِكَ.وَفِيهَا كَانَ بِالْعِرَاقِ غَلَاءٌ شَدِيدٌ جَلَا لِشِدَّتِهِ أَكْثَرُ أَهْلِهِ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ الْبُهْلُولِ التَّنُوخِيُّ الْأَزْرَقُ ، الْأَنْبَارِيُّ الْكَاتِبُ.وَأَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ أَبُو حَامِدٍ الْمَرْوَزِيُّ ، وَيُعْرَفُ بِابْنِ الطَّبَرِيِّ الْفَقِيهُ الْحَنَفِيُّ ، تَفَقَّهَ بِبَغْدَاذَ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الْكَرْخِيِّ ، وَوَلِيَ قَضَاءَ الْقُضَاةِ بِخُرَاسَانَ ، وَمَاتَ فِي صَفَرَ وَكَانَ عَابِدًا مُحَدِّثًا ثِقَةً.وَإِسْحَاقُ بْنُ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ أَبُو مُحَمَّدٍ وَالِدُ الْقَادِرِ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ الْقَادِرُ وَهُوَ حِينَئِذٍ أَمِيرٌ.وَأَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْغَفَّارِ الْفَارِسِيُّ النَّحْوِيُّ ، صَاحِبُ" الْإِيضَاحِ "قِيلَ كَانَ مُعْتَزِلِيًّا.وَقَدْ جَاوَزَ تِسْعِينَ سَنَةً.وَأَبُو أَحْمَدَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْغِطْرِيفِ الْجُرْجَانِيُّ ، تُوُفِّيَ فِي رَجَبٍ ، وَهُوَ عَالِي الْإِسْنَادِ فِي الْحَدِيثِ . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ بَدْرِ بْنِ حَسْنُوَيْهِ وَعَسْكَرِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ جَهَّزَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ عَسْكَرًا كَثِيفًا مَعَ قُرَاتِكِينَ الْجَهْشِيَارِيِّ ، وَهُوَ مُقَدَّمُ عَسْكَرِهِ وَكَبِيرُهُمْ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْمَسِيرِ إِلَى بَدْرِ بْنِ حَسْنُوَيْهِ وَقِتَالِهِ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ شَرَفَ الدَّوْلَةِ كَانَ مَغِيظًا حَنِقًا عَلَى بَدْرٍ لِانْحِرَافِهِ عَنْهُ ، وَمَيْلِهِ إِلَى عَمِّهِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ مُلْكُهُ بِبَغْدَاذَ وَأَطَاعَهُ النَّاسُ شَرَعَ فِي أَمْرِ بَدْرٍ ، وَكَانَ قُرَاتِكِينُ قَدْ جَاوَزَ الْحَدَّ فِي التَّحَكُّمِ وَالْإِدْلَالِ ، وَحِمَايَةِ النَّاسِ عَلَى نُوَّابِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ ، فَرَأَى أَنْ يُخْرِجَهُ فِي هَذَا الْوَجْهِ ، فَإِنْ ظَفِرَ بِبَدْرٍ شَفَى غَيْظَهُ مِنْهُ ، وَإِنْ ظَفِرَ بِهِ بَدْرٌ اسْتَرَاحَ مِنْهُ.فَسَارُوا نَحْوَ بَدْرٍ ، وَتَجَهَّزَ بَدْرٌ وَجَمَعَ الْعَسَاكِرَ ، وَتَلَاقَيَا عَلَى الْوَادِي بِقِرْمِيسِينَ ، فَلَمَّا اقْتَتَلُوا انْهَزَمَ بَدْرٌ حَتَّى تَوَارَى عَنْهُ ، وَظَنَّ قُرَاتِكِينُ وَأَصْحَابُهُ أَنَّهُ مَضَى عَلَى وَجْهِهِ ، فَنَزَلُوا عَنْ خُيُولِهِمْ وَتَفَرَّقُوا فِي خِيَامِهِمْ ، فَلَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً حَتَّى كَرَّ بَدْرٌ رَاجِعًا إِلَيْهِمْ ، وَأَكَبَّ عَلَيْهِمْ ، وَأَعْجَلَهُمْ عَنِ الرُّكُوبِ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَاحْتَوَى عَلَى جَمِيعِ مَا فِي عَسْكَرِهِمْ ، وَنَجَا قُرَاتِكِينُ فِي نَفَرٍ مِنْ غِلْمَانِهِ ، فَبَلَغَ جِسْرَ النَّهْرَوَانِ ، وَأَقَامَ بِهِ حَتَّى اجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْمُنْهَزِمُونَ ، وَدَخَلَ بَغْدَاذَ.وَاسْتَوْلَى بَدْرٌ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى أَعْمَالِ الْجَبَلِ وَمَا وَالَاهَا ، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُ.وَأَمَّا قُرَاتِكِينُ فَإِنَّهُ لَمَّا عَادَ مِنَ الْهَزِيمَةِ زَادَ إِدْلَالُهُ وَتَجَنِّيهِ ، وَأَغْرَى الْعَسْكَرَ بِالشَّغَبِ ، وَالتَّوَثُّبِ عَلَى الْوَزِيرِ أَبِي مَنْصُورِ بْنِ صَالِحَانَ ، فَلَقُوهُ بِمَا يَكْرَهُ ، فَلَاطَفَهُمْ وَدَفَعَهُمْ ، وَأَصْلَحَ لِشَرَفِ الدَّوْلَةِ بَيْنَ الْوَزِيرِ وَبَيْنَ قُرَاتِكِينَ ، وَشَرَعَ فِي إِعْمَالِ الْحِيلَةِ عَلَى قُرَاتِكِينَ ، فَلَمْ تَمْضِ غَيْرُ أَيَّامٍ حَتَّى قَبَضَ عَلَيْهِ وَعَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَكُتَّابِهِ ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ، وَشَغَبَ الْجُنْدُ لِأَجْلِهِ ، فَقَتَلَهُ شَرَفُ الدَّوْلَةِ ، فَسَكَنُوا ، وَقَدَّمَ عَلَيْهِمْ طُغَانَ الْحَاجِبَ ، فَصَلُحَتْ طَاعَتُهُ.ذِكْرُ مَسِيرِ الْمَنْصُورِ بْنِ يُوسُفَ لِحَرْبِ كُتَامَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ جَمَعَ الْمَنْصُورُ ، صَاحِبُ إِفْرِيقِيَّةَ ، عَسَاكِرَهُ وَسَارَ إِلَى كُتَامَةَ قَاصِدًا حَرْبَهَا.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْعَزِيزَ بِاللَّهِ الْعَلَوِيَّ بِمِصْرَ كَانَ قَدْ أَرْسَلَ دَاعِيًا لَهُ إِلَى كُتَامَةَ ، يُقَالُ لَهُ أَبُو الْفَهْمِ ، وَاسْمُهُ حَسَنُ بْنُ نَصْرٍ ، يَدْعُوهُمْ إِلَى طَاعَتِهِ ، وَغَرَضُهُ أَنْ تَمِيلَ كُتَامَةُ إِلَيْهِ وَتُرْسِلَ إِلَيْهِ جُنْدًا يُقَاتِلُونَ الْمَنْصُورَ ، وَيَأْخُذُونَ إِفْرِيقِيَّةَ مِنْهُ ، لِمَا رَأَى مِنْ قُوَّتِهِ.فَدَعَاهُمْ أَبُو الْفَهْمِ ، فَكَثُرَ تَبَعُهُ ، وَقَادَ الْجُيُوشَ ، وَعَظُمَ شَأْنُهُ ، وَعَزَمَ الْمَنْصُورُ عَلَى قَصْدِهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْعَزِيزِ بِمِصْرَ يُعَرِّفُهُ الْحَالَ ، فَأَرْسَلَ الْعَزِيزُ رَسُولَيْنِ إِلَى الْمَنْصُورِ يَنْهَاهُ عَنِ التَّعَرُّضِ لِأَبِي الْفَهْمِ وَكُتَامَةَ ، وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَسِيرَا إِلَى كُتَامَةَ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ رِسَالَةِ الْمَنْصُورِ.فَلَمَّا وَصَلَا إِلَى الْمَنْصُورِ وَأَبْلَغَاهُ رِسَالَةَ الْعَزِيزِ أَغْلَظَ الْقَوْلَ لَهُمَا وَلِلْعَزِيزِ أَيْضًا ، وَأَغْلَظَا لَهُ ، فَأَمَرَهُمَا بِالْمُقَامِ عِنْدَهُ بَقِيَّةَ شَعْبَانَ وَرَمَضَانَ ، وَلَمْ يَتْرُكْهُمَا يَمْضِيَانِ إِلَى كُتَامَةَ ، وَتَجَهَّزَ لِحَرْبِ كُتَامَةَ وَأَبِي الْفَهْمِ ، وَسَارَ بَعْدَ عِيدِ الْأَضْحَى ، فَقَصَدَ مَدِينَةَ مِيلَةَ ، وَأَرَادَ قَتْلَ أَهْلِهَا وَسَبْيَ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيهِمْ ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِ يَتَضَرَّعُونَ وَيَبْكُونَ فَعَفَا عَنْهُمْ ، وَخَرَّبَ سُورَهَا ، وَسَارَ مِنْهَا إِلَى كُتَامَةَ وَالرَّسُولَانِ مَعَهُ .فَكَانَ لَا يَمُرُّ بِقَصْرٍ وَلَا مَنْزِلٍ إِلَّا هَدَمَهُ ، حَتَّى بَلَغَ مَدِينَةَ سَطِيفَ ، وَهِيَ كُرْسِيُّ عِزِّهِمْ ، فَاقْتَتَلُوا عِنْدَهَا قِتَالًا عَظِيمًا ، فَانْهَزَمَتْ كُتَامَةُ ، وَهَرَبَ أَبُو الْفَهْمِ إِلَى جَبَلٍ وَعْرٍ فِيهِ نَاسٌ مِنْ كُتَامَةَ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو إِبْرَاهِيمَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الْمَنْصُورُ يَتَهَدَّدُهُمْ إِنْ لَمْ يُسَلِّمُوهُ ، فَقَالُوا هُوَ ضَيْفُنَا وَلَا نُسَلِّمُهُ ، وَلَكِنْ أَرْسِلْ أَنْتَ إِلَيْهِ فَخُذْهُ وَنَحْنُ لَا نَمْنَعُهُ.فَأَرْسَلَ فَأَخَذَهُ ، وَضَرَبَهُ ضَرْبًا شَدِيدًا ، ثُمَّ قَتَلَهُ وَسَلَخَهُ ، وَأَكَلَتْ صِنْهَاجَةُ وَعَبِيدُ الْمَنْصُورِ لَحْمَهُ ، وَقَتَلَ مَعَهُ جَمَاعَةً مِنَ الدُّعَاةِ وَوُجُوهِ كُتَامَةَ ، وَعَادَ إِلَى أَشِيرَ ، وَرَدَّ الرَّسُولَيْنِ إِلَى الْعَزِيزِ ، فَأَخْبَرَاهُ بِمَا فَعَلَ بِأَبِي الْفَهْمِ ، وَقَالَا جِئْنَا مِنْ عِنْدِ شَيَاطِينَ يَأْكُلُونَ النَّاسَ.فَأَرْسَلَ الْعَزِيزُ إِلَى الْمَنْصُورِ يُطَيِّبُ قَلْبَهُ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ هَدِيَّةً ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ أَبَا الْفَهْمِ.ذِكْرُ مُعَاوَدَةِ بَاذٍ الْقِتَالَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تَجَدَّدَ لِبَاذٍ الْكُرْدِيِّ طَمَعٌ فِي بِلَادِ الْمَوْصِلِ وَغَيْرِهَا.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ سَعْدًا الْحَاجِبَ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ تُوُفِّيَ بِالْمَوْصِلِ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهَا شَرَفُ الدَّوْلَةِ أَبَا نَصْرٍ خُوَاشَاذَهْ ، وَجَهَّزَ إِلَيْهِ الْعَسَاكِرَ ، وَكَتَبَ يَسْتَمِدُّ مِنْ شَرَفِ الدَّوْلَةِ الْعَسَاكِرَ وَالْأَمْوَالَ ، فَتَأَخَّرَتِ الْأَمْوَالُ عَنْهُ فَأَحْضَرَ الْعَرَبَ مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ وَأَقْطَعَهُمُ الْبِلَادَ لِيَمْنَعُوا عَنْهَا ، وَانْحَدَرَ بَاذٌ فَاسْتَوْلَى عَلَى طَوْرِ عَبْدِينَ ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى النُّزُولِ إِلَى الصَّحْرَاءِ ، وَأَرْسَلَ أَخَاهُ فِي عَسْكَرٍ ، فَقَاتَلُوا الْعَرَبَ ، فَقُتِلَ أَخُوهُ وَانْهَزَمَ عَسْكَرُهُ ، وَأَقَامَ بَعْضُهُمْ مُقَابِلَ بَعْضٍ.فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ أَتَاهُمُ الْخَبَرُ بِمَوْتِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ ، فَعَادَ خُوَاشَاذَهْ إِلَى الْمَوْصِلِ وَأَظْهَرَ مَوْتَهُ ، وَأَقَامَتِ الْعَرَبُ بِالصَّحْرَاءِ تَمْنَعُ بَاذًا مِنَ النُّزُولِ إِلَيْهَا ، وَبَاذٌ بِالْجَبَلِ ، وَكَانَ خُوَاشَاذَهْ يُصْلِحُ أَمْرَهُ لِيُعَاوِدَ حَرْبَ بَاذٍ ، فَأَتَاهُ إِبْرَاهِيمُ وَأَبُو الْحَسَنِ ابْنَا نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ جَلَسَ الطَّائِعُ لِلَّهِ لِشَرَفِ الدَّوْلَةِ جُلُوسًا عَامًّا حَضَرَهُ أَعْيَانُ الدَّوْلَةِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَحَلَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ.وَفِيهَا وُلِدَ الْأَمِيرُ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ فَخْرِ الدَّوْلَةِ فِي رَجَبٍ.وَفِيهَا سَارَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ إِلَى طَبَرِسْتَانَ فَأَصْلَحَهَا ، وَنَفَى الْمُتَغَلِّبِينَ عَنْهَا ، وَفَتَحَ عِدَّةَ حُصُونٍ مِنْهَا حِصْنُ قُرَيْمٍ ، وَعَادَ فِي سَنَتِهِ.وَفِيهَا عَصَى الْأَمِيرُ أَبُو مَنْصُورِ بْنُ كُورِيكَنْجَ ، صَاحِبُ قَزْوِينَ ، عَلَى فَخْرِ الدَّوْلَةِ ، فَلَاطَفَهُ فَخْرُ الدَّوْلَةِ ، وَبَذَلَ لَهُ الْأَمَانَ وَالْإِحْسَانَ ، فَعَادَ إِلَى طَاعَتِهِ.وَفِيهَا ، فِي رَمَضَانَ ، حَدَثَتْ فِتْنَةٌ شَدِيدَةٌ بَيْنَ الدَّيْلَمِ وَالْعَامَّةِ بِمَدِينَةِ الْمَوْصِلِ ، قُتِلَ فِيهَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، ثُمَّ أُصْلِحَ الْحَالُ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ.وَفِيهَا تَأَخَّرَ الْمَطَرُ حَتَّى انْتَصَفَ كَانُونُ الثَّانِي ، وَغَلَتِ الْأَسْعَارُ بِالْعِرَاقِ وَمَا يُجَاوِرُهُ مِنَ الْبِلَادِ ، وَاسْتَسْقَى النَّاسُ مَرَّتَيْنِ فَلَمْ يُسْقَوْا ، حَتَّى جَاءَ الْمَطَرُ سَابِعَ عَشَرَ كَانُونَ الثَّانِي ، وَزَالَ الْقُنُوطُ ، وَتَتَابَعَتِ الْأَمْطَارُ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ الْقَبْضِ عَلَى شُكْرٍ الْخَادِمِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَبَضَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ عَلَى شُكْرٍ الْخَادِمِ ، وَكَانَ أَخَصَّ النَّاسِ عِنْدَ وَالِدِهِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ وَأَقْرَبَهُمْ إِلَيْهِ ، يَرْجِعُ إِلَى قَوْلِهِ وَيُعَوِّلُ عَلَيْهِ.وَكَانَ سَبَبُ قَبْضِهِ أَنَّهُ كَانَ أَيَّامَ وَالِدِهِ يَقْصِدُ شَرَفَ الدَّوْلَةِ وَيُؤْذِيهِ ، وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى إِبْعَادَهُ إِلَى كَرْمَانَ مِنْ بَغْدَاذَ ، وَقَامَ بِأَمْرِ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ ، فَحَقَدَ عَلَيْهِ شَرَفُ الدَّوْلَةِ ذَلِكَ ، فَلَمَّا مَلَكَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ الْعِرَاقَ اخْتَفَى شُكْرٌ ، فَطَلَبَهُ أَشَدَّ الطَّلَبِ فَلَمْ يُوجَدْ ، وَكَانَ لَهُ جَارِيَةٌ حَبَشِيَّةٌ قَدْ تَزَوَّجَهَا ، فَطَلَبَهَا إِلَيْهِ ، فَأَقَامَتْ عِنْدَهُ مُدَّةً تَخْدِمُهُ.وَكَانَ قَدْ عَلِقَ بِقَلْبِهَا غَيْرُهُ ، فَصَارَتْ تَأْخُذُ الْمَأْكُولَ وَغَيْرَهُ وَتَحْمِلُهُ إِلَى حَيْثُ شَاءَتْ ، فَأَحَسَّ بِهَا شُكْرٌ ، فَلَمْ يَحْتَمِلْهَا ، فَضَرَبَهَا ، فَخَرَجَتْ غَضْبَى إِلَى بَابِ دَارِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ ، فَأَخْبَرَتْ بِحَالِ شُكْرٍ ، فَأُخِذَ وَأُحْضِرَ عِنْدَ شَرَفِ الدَّوْلَةِ ، فَأَرَادَ قَتْلَهُ ، فَشَفَعَ فِيهِ نِحْرِيرٌ الْخَادِمُ ، فَوَهَبَهُ لَهُ ، وَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْحَجِّ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَسَارَ إِلَى مَكَّةَ ثُمَّ مِنْهَا إِلَى مِصْرَ ، فَنَالَ هُنَاكَ مَنْزِلَةً كَبِيرَةً ، وَسَيَرِدُ خَبَرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ عَزْلِ بَكْجُورَ عَنْ دِمَشْقَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُزِلَ بَكْجُورُ عَنْ دِمَشْقَ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ أَسَاءَ السِّيرَةَ فِي دِمَشْقَ ، وَفَعَلَ الْأَعْمَالَ الذَّمِيمَةَ ، وَكَانَ الْوَزِيرُ يَعْقُوبُ بْنُ كِلِّسٍ مُنْحَرِفًا عَنْهُ ، يُسِيءُ الرَّأْيَ فِيهِ ، وَانْضَافَ إِلَى ذَلِكَ مَا فَعَلَهُ بِأَصْحَابِهِ بِدِمَشْقَ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ.فَلَمَّا بَلَغَهُ فِعْلُهُ بِدِمَشْقَ تَحَرَّكَ فِي عَزْلِهِ ، وَقَبُحَ ذِكْرُهُ عِنْدَ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَجُهِّزَتِ الْعَسَاكِرُ مِنْ مِصْرَ مَعَ الْقَائِدِ مُنِيرٍ الْخَادِمِ ، فَسَارُوا إِلَى الشَّامِ.فَجَمَعَ بَكْجُورُ الْعَرَبَ وَغَيْرَهَا وَخَرَجَ ، فَلَقِيَ الْعَسْكَرَ الْمِصْرِيَّ عِنْدَ دَارَيَّا ، وَقَاتَلَهُمْ فَاشْتَدَّ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ ، فَانْهَزَمَ بَكْجُورُ وَعَسْكَرُهُ ، وَخَافَ مِنْ وُصُولِ نَزَّالٍ وَالِي طَرَابُلُسَ ، وَكَانَ قَدْ كُوتِبَ مِنْ مِصْرَ بِمُعَاضَدَةِ مُنِيرٍ ، فَلَمَّا انْهَزَمَ بَكْجُورُ خَافَ أَنْ يَجِيءَ نَزَّالٌ فَيُؤْخَذُ ، فَأَرْسَلَ يَطْلُبُ الْأَمَانَ لِيُسَلِّمَ الْبَلَدَ إِلَيْهِمْ ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَجَمَعَ مَالَهُ جَمِيعَهُ وَسَارَ ، وَأَخْفَى أَثَرَهُ لِئَلَّا يَغْدِرَ الْمِصْرِيُّونَ بِهِ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى الرَّقَّةِ فَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَتَسَلَّمَ مُنِيرٌ الْبَلَدَ ، فَفَرِحَ بِهِ أَهْلُهُ وَسَرَّهُمْ وِلَايَتُهُ ، وَسَنَذْكُرُ سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ بَاقِيَ أَخْبَارِهِ وَقَتْلَهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ ظَفَرِ الْأَصْفَرِ بِالْقَرَامِطَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ جَمَعَ إِنْسَانٌ يُعْرَفُ بِالْأَصْفَرِ مِنْ بَنِي الْمُنْتَفِقِ جَمْعًا كَثِيرًا ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَمْعٍ مِنَ الْقَرَامِطَةِ وَقْعَةٌ شَدِيدَةٌ قُتِلَ فِيهَا مُقَدَّمُ الْقَرَامِطَةِ ، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ وَقُتِلَ مِنْهُمْ ، وَأُسِرَ كَثِيرٌ.وَسَارَ الْأَصْفَرُ إِلَى الْأَحْسَاءِ ، فَتَحَصَّنَ مِنْهُ الْقَرَامِطَةُ ، فَعَدَلَ إِلَى الْقَطِيفِ فَأَخَذَ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ عَبِيدِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَمَوَاشِيهِمْ وَسَارَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ.ذِكْرُ نُكْتَةٍ حَسَنَةٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَهْدَى الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ ، أَوَّلَ الْمُحَرَّمِ ، إِلَى فَخْرِ الدَّوْلَةِ دِينَارًا وَزْنُهُ أَلْفُ مِثْقَالٍ ، وَكَانَ عَلَى أَحَدِ جَانِبَيْهِ مَكْتُوبٌ وَأَحْمَرَ يَحْكِي الشَّمْسَ شَكْلًا وَصُورَةً...فَأَوْصَافُهُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ صِفَاتِهِ فَإِنْ قِيلَ دِينَارٌ فَقَدْ صَدَقَ اسْمُهُ...وَإِنْ قِيلَ أَلْفٌ كَانَ بَعْضَ سِمَاتِهِ بَدِيعٌ ، وَلَمْ يُطْبَعْ عَلَى الدَّهْرِ مِثْلُهُ وَلَا ضُرِبَتْ أَضْرَابُهُ لِسُرَاتِهِ...فَقَدْ أَبْرَزَتْهُ دَوْلَةٌ فَلَكِيَّةٌ أَقَامَ بِهَا الْإِقْبَالُ صَدْرَ قَنَاتِهِ...وَصَارَ إِلَى شَاهَانْشَاهَ انْتِسَابُهُ عَلَى أَنَّهُ مُسْتَصْغِرٌ لِعُفَاتِهِ...يُخَبِّرُ أَنْ يَبْقَى سِنِينَ كَوَزْنِهِ لِتَسْتَبْشِرَ الدُّنْيَا بِطُولِ حَيَاتِهِ...تَأَنَّقَ فِيهِ عَبْدُهُ ، وَابْنُ عَبْدِهِ وَغَرْسُ أَيَادِيهِ ، وَكَافِي كُفَاتِهِ وَكَانَ عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ سُورَةُ الْإِخْلَاصِ ، وَلَقَبُ الْخَلِيفَةِ الطَّائِعِ لِلَّهِ ، وَلَقَبُ فَخْرِ الدَّوْلَةِ ، وَاسْمُ جُرْجَانَ لِأَنَّهُ ضُرِبَ بِهَا.قَوْلُهُ " دَوْلَةٌ فَلَكِيَّةٌ "يَعْنِي أَنَّ لَقَبَ فَخْرِ الدَّوْلَةِ كَانَ فَلَكَ الْأُمَّةِ.وَقَوْلُهُ " وَكَافِي كُفَاتِهِ "، فَإِنَّ الصَّاحِبَ كَانَ لَقَبُهُ كَافِيَ الْكُفَاةِ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تَتَابَعَتِ الْأَمْطَارُ ، وَكَثُرَتِ الْبُرُوقُ وَالرُّعُودُ ، وَالْبَرَدُ الْكِبَارُ ، وَسَالَتْ مِنْهُ الْأَوْدِيَةُ ، وَامْتَلَأَتِ الْأَنْهَارُ وَالْآبَارُ بِبِلَادِ الْجَبَلِ ، وَخَرِبَتِ الْمَسَاكِنُ ، وَامْتَلَأَتِ الْأَقْنَاءُ طِينًا وَحِجَارَةً ، وَانْقَطَعَتِ الطُّرُقُ.وَفِيهَا عَصَى نَصْرُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْفَيْرَزَانِ بِالدَّامَغَانَ عَلَى فَخْرِ الدَّوْلَةِ ، وَاجْتَازَ بِهِ أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الشَّبِيبِيُّ الْخُرَاسَانِيُّ مُقْبِلًا مِنَ الرَّيِّ وَمَعَهُ عَسْكَرٌ مِنَ الدَّيْلَمِ لِمُحَارَبَتِهِ ، فَلَمَّا رَأَى الْجِدَّ فِي أَمْرِهِ رَاسَلَ فَخْرَ الدَّوْلَةِ ، وَعَاوَدَ طَاعَتَهُ ، فَأَجَابَهُ إِلَى قَبُولِ ذَلِكَ مِنْهُ وَأَقَرَّهُ عَلَى حَالِهِ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْأَمِيرُ أَبُو عَلِيِّ بْنُ فَخْرِ الدَّوْلَةِ فِي رَجَبٍ.وَفِيهَا وَقَعَ الْوَبَاءُ بِالْبَصْرَةِ وَالْبَطَائِحِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ ، فَمَاتَ خَلْقٌ كَثِيرٌ حَتَّى امْتَلَأَتْ مِنْهُمُ الشَّوَارِعُ.وَفِي شَعْبَانَ كَثُرَتِ الرِّيَاحُ الْعَوَاصِفُ ، وَجَاءَتْ وَقْتَ الْعَصْرِ ، خَامِسَ شَعْبَانَ ، رِيحٌ عَظِيمَةٌ بِفَمِ الصِّلْحِ ، فَهَدَمَتْ قِطْعَةً مِنَ الْجَامِعِ ، وَأَهْلَكَتْ جَمَاعَةً مِنَ النَّاسِ ، وَغَرَّقَتْ كَثِيرًا مِنَ السُّفُنِ الْكِبَارِ الْمَمْلُوءَةِ ، وَاحْتَمَلَتْ زَوْرَقًا مُنْحَدِرًا فِيهِ دَوَابُّ ، وَعِدَّةً مِنَ السُّفُنِ ، وَأَلْقَتِ الْجَمِيعَ عَلَى مَسَافَةٍ مِنْ مَوْضِعِهَا. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ الْمُفِيدُ ، كَانَ مُحَدِّثًا مُكْثِرًا ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ.وَأَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ الْحَاكِمُ النَّيْسَابُورِيُّ ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَهُوَ صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْمَشْهُورَةِ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ سَمْلِ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ كَانَ نِحْرِيرٌ الْخَادِمُ يُشِيرُ عَلَى شَرَفِ الدَّوْلَةِ بِقَتْلِ أَخِيهِ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ ، وَشَرَفُ الدَّوْلَةِ يُعْرِضُ عَنْ كَلَامِهِ ، فَلَمَّا اعْتَلَّ شَرَفُ الدَّوْلَةِ وَاشْتَدَّتْ عِلَّتُهُ أَلَحَّ عَلَيْهِ نِحْرِيرٌ وَقَالَ لَهُ الدَّوْلَةُ مَعَهُ عَلَى خَطَرٍ ، فَإِنْ لَمْ تَقْتُلْهُ فَاسْمُلْهُ.فَأَرْسَلَ فِي ذَلِكَ مُحَمَّدًا الشِّيرَازِيَّ الْفَرَّاشَ ، فَمَاتَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ الْفَرَّاشُ إِلَى صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا وَصَلَ الْفَرَّاشُ إِلَى الْقَلْعَةِ الَّتِي بِهَا صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ لَمْ يُقْدِمْ عَلَى سَمْلِهِ ، فَاسْتَشَارَ أَبَا الْقَاسِمِ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَسَنِ النَّاظِرَ هُنَاكَ ، فَأَشَارَ بِذَلِكَ ، فَسَمَلَهُ.وَكَانَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ يَقُولُ مَا أَعْمَانِي إِلَّا الْعَلَاءُ لِأَنَّهُ أَمْضَى فِي حُكْمِ سُلْطَانٍ قَدْ مَاتَ.ذِكْرُ وَفَاةِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ وَمُلْكِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، مُسْتَهَلِّ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، تُوُفِّيَ الْمَلِكُ شَرَفُ الدَّوْلَةِ أَبُو الْفَوَارِسِ شِيرَزِيلُ بْنُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ مُسْتَسْقِيًا ، وَحُمِلَ إِلَى مَشْهَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَدُفِنَ بِهِ ، وَكَانَتْ إِمَارَتُهُ بِالْعِرَاقِ سَنَتَيْنِ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ ، وَكَانَ عُمْرُهُ ثَمَانِيًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ.وَلَمَّا اشْتَدَّتْ عِلَّتُهُ سَيَّرَ وَلَدَهُ أَبَا عَلِيٍّ إِلَى بِلَادِ فَارِسَ ، وَأَصْحَبَهُ الْخَزَائِنَ وَالْعُدَدَ وَجَمَاعَةً كَثِيرَةً مِنَ الْأَتْرَاكِ ، فَلَمَّا أَيِسَ أَصْحَابُهُ مِنْهُ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَعْيَانُهُمْ وَسَأَلُوهُ أَنْ يُمَلِّكَ أَحَدًا ، فَقَالَ أَنَا فِي شُغْلٍ عَمَّا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ.فَقَالُوا لَهُ لِيَأْمُرَ أَخَاهُ بَهَاءَ الدَّوْلَةِ أَبَا نَصْرٍ أَنْ يَنُوبَ عَنْهُ إِلَى أَنْ يُعَافَى لِيَحْفَظَ النَّاسَ لِئَلَّا تَثُورَ فِتْنَةٌ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَتَوَقَّفَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ ثُمَّ أَجَابَ إِلَيْهِ.فَلَمَّا مَاتَ جَلَسَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ فِي الْمَمْلَكَةِ ، وَقَعَدَ لِلْعَزَاءِ ، وَرَكِبَ الطَّائِعُ لِلَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْعَزَاءِ فِي الزَّبْزَبِ ، فَتَلَقَّاهُ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ ، وَقَبَّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَانْحَدَرَ الطَّائِعُ لِلَّهِ إِلَى دَارِهِ ، وَخَلَعَ عَلَى بَهَاءِ الدَّوْلَةِ خِلَعَ السَّلْطَنَةِ ، وَأَقَرَّ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ أَبَا مَنْصُورِ بْنَ صَالِحَانَ عَلَى وِزَارَتِهِ.ذِكْرُ مَسِيرِ الْأَمِيرِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ إِلَى فَارِسَ وَمَا كَانَ مِنْهُ مَعَ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ لَمَّا اشْتَدَّ مَرَضُ شَرَفِ الدَّوْلَةِ جَهَّزَ وَلَدَهُ الْأَمِيرَ أَبَا عَلِيٍّ وَسَيَّرَهُ إِلَى فَارِسَ وَمَعَهُ وَالِدَتُهُ وَجَوَارِيهِ ، وَسَيَّرَ مَعَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْجَوَاهِرِ وَالسِّلَاحِ أَكْثَرَهَا.فَلَمَّا بَلَغَ الْبَصْرَةَ أَتَاهُمُ الْخَبَرُ بِمَوْتِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ ، فَسَيَّرَ مَا مَعَهُ فِي الْبَحْرِ إِلَى أَرَّجَانَ ، وَسَارَ هُوَ مُجِدًّا إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَيْهَا ، وَاجْتَمَعَ مَعَهُ مَنْ بِهَا مِنَ الْأَتْرَاكِ ، وَسَارُوا نَحْوَ شِيرَازَ ، وَكَاتَبَهُمْ مُتَوَلِّيهَا وَهُوَ أَبُو الْقَاسِمِ الْعَلَاءُ بْنُ الْحَسَنِ بِالْوُصُولِ إِلَيْهَا لِيُسَلِّمَهَا إِلَيْهِمْ ، وَكَانَ الْمُرَتِّبُونَ فِي الْقَلْعَةِ الَّتِي بِهَا صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ وَأَخُوهُ أَبُو طَاهِرٍ قَدْ أَطْلَقُوهُمَا وَمَعَهُمَا فُولَاذٌ وَسَارُوا إِلَى سِيرَافَ. وَاجْتَمَعَ عَلَى صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ كَثِيرٌ مِنَ الدَّيْلَمِ.وَسَارَ الْأَمِيرُ أَبُو عَلِيٍّ إِلَى شِيرَازَ ، وَوَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بِهَا بَيْنَ الْأَتْرَاكِ وَالدَّيْلَمِ ، وَخَرَجَ الْأَمِيرُ أَبُو عَلِيٍّ مِنْ دَارِهِ إِلَى مُعَسْكَرِ الْأَتْرَاكِ ، فَنَزَلَ مَعَهُمْ ، وَاجْتَمَعَ الدَّيْلَمُ وَقَصَدُوا لِيَأْخُذُوهُ وَيُسَلِّمُوهُ إِلَى صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ ، فَرَأَوْهُ قَدِ انْتَقَلَ إِلَى الْأَتْرَاكِ ، فَكَشَفُوا الْقِنَاعَ ، وَنَابَذُوا الْأَتْرَاكَ ، وَجَرَى بَيْنَهُمْ قِتَالٌ عِدَّةَ أَيَّامٍ.ثُمَّ سَارَ أَبُو عَلِيٍّ وَالْأَتْرَاكُ إِلَى فَسَا ، فَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا وَأَخَذُوا مَا بِهَا مِنَ الْمَالِ ، وَقَتَلُوا مَنْ بِهَا مِنَ الدَّيْلَمِ ، وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ وَسِلَاحَهُمْ فَقَوَوْا بِذَلِكَ.وَسَارَ أَبُو عَلِيٍّ إِلَى أَرَّجَانَ ، وَعَادَ الْأَتْرَاكُ إِلَى شِيرَازَ ، فَقَاتَلُوا صَمْصَامَ الدَّوْلَةِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الدَّيْلَمِ ، وَنَهَبُوا الْبَلَدَ ، وَعَادُوا إِلَى أَبِي عَلِيٍّ بِأَرَّجَانَ وَأَقَامُوا مَعَهُ مُدَيْدَةً.ثُمَّ وَصَلَ رَسُولٌ مِنْ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ وَأَدَّى الرِّسَالَةَ ، وَطَيَّبَ قَلْبَهُ وَوَعَدَهُ ، ثُمَّ إِنَّهُ رَاسَلَ الْأَتْرَاكَ سِرًّا ، وَاسْتَمَالَهُمْ إِلَى نَفْسِهِ وَأَطْمَعَهُمْ ، فَحَسَّنُوا لِأَبِي عَلِيٍّ الْمَسِيرَ إِلَى بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ ، فَلَقِيَهُ بِوَاسِطَ مُنْتَصَفَ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَأَنْزَلَهُ وَأَكْرَمَهُ ، وَتَرَكَهُ عِدَّةَ أَيَّامٍ ، وَقَبَضَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَتَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِيَسِيرٍ ، وَتَجَهَّزَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ لِلْمَسِيرِ إِلَى الْأَهْوَازِ لِقَصْدِ بِلَادِ فَارِسَ.ذِكْرُ الْفِتْنَةِ بِبَغْدَاذَ بَيْنَ الْأَتْرَاكِ وَالدَّيْلَمِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضًا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بِبَغْدَاذَ بَيْنَ الْأَتْرَاكِ وَالدَّيْلَمِ وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ ، وَدَامَ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ خَمْسَةَ أَيَّامٍ ، وَبَهَاءُ الدَّوْلَةِ فِي دَارِهِ يُرَاسِلُهُمْ فِي الصُّلْحِ ، فَلَمْ يَسْمَعُوا قَوْلَهُ ، وَقُتِلَ بَعْضُ رُسُلِهِ.ثُمَّ إِنَّهُ خَرَجَ إِلَى الْأَتْرَاكِ ، وَحَضَرَ الْقِتَالَ مَعَهُمْ ، فَاشْتَدَّ حِينَئِذٍ الْأَمْرُ ، وَعَظُمَ الشَّرُّ ، ثُمَّ إِنَّهُ شَرَعَ فِي الصُّلْحِ ، وَرَفَقَ بِالْأَتْرَاكِ ، وَرَاسَلَ الدَّيْلَمَ ، فَاسْتَقَرَّ الْحَالُ بَيْنَهُمْ ، وَحَلَفَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، وَكَانَتْ مُدَّةُ الْحَرْبِ اثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا.ثُمَّ إِنَّ الدَّيْلَمَ تَفَرَّقُوا ، فَمَضَى فَرِيقٌ بَعْدَ فَرِيقٍ ، وَأُخْرِجَ بَعْضُهُمْ ، وَقُبِضَ عَلَى الْبَعْضِ ، فَضَعُفَ أَمْرُهُمْ ، وَقَوِيَتْ شَوْكَةُ الْأَتْرَاكِ ، وَاشْتَدَّتْ حَالُهُمْ.ذِكْرُ مَسِيرِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ إِلَى الْعِرَاقِ وَمَا كَانَ مِنْهُ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ فَخْرُ الدَّوْلَةِ بْنُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ مِنَ الرَّيِّ إِلَى هَمَذَانَ عَازِمًا عَلَى قَصْدِ الْعِرَاقِ وَالِاسْتِيلَاءِ عَلَيْهَا.وَكَانَ سَبَبُ حَرَكَتِهِ أَنَّ الصَّاحِبَ بْنَ عَبَّادٍ كَانَ يُحِبُّ الْعِرَاقَ لَا سِيَّمَا بَغْدَاذَ ، وَيُؤْثِرُ التَّقَدُّمَ بِهَا وَيَرْصُدُ أَوْقَاتَ الْفُرْصَةِ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ عَلِمَ أَنَّ الْفُرْصَةَ قَدْ أَمْكَنَتْ ، فَوَضَعَ عَلَى فَخْرِ الدَّوْلَةِ مَنْ يُعَظِّمُ عِنْدَهُ مُلْكَ الْعِرَاقِ وَيُسَهِّلُ أَمْرَهُ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يُبَاشِرْ عَلَى ذَلِكَ خَوْفًا مِنْ خَطَرِ الْعَاقِبَةِ ، إِلَى أَنْ قَالَ لَهُ فَخْرُ الدَّوْلَةِ مَا عِنْدَكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ ؟فَأَحَالَ عَلَى أَنَّ سَعَادَتَهُ تُسَهِّلُ كُلَّ صَعْبٍ ، وَعَظَّمَ الْبِلَادَ.فَتَجَهَّزَ وَسَارَ إِلَى هَمَذَانَ ، وَأَتَاهُ بَدْرُ بْنُ حَسْنُوَيْهِ ، وَقَصَدَهُ دُبَيْسُ بْنُ عَفِيفٍ الْأَسَدِيُّ ، فَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ عَلَى أَنْ يَسِيرَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ وَبَدْرٌ إِلَى الْعِرَاقِ عَلَى الْجَادَّةِ ، وَيَسِيرَ فَخْرُ الدَّوْلَةِ عَلَى خُوزِسْتَانَ ، فَلَمَّا سَارَ الصَّاحِبُ حَذِرَ فَخْرُ الدَّوْلَةِ مِنْ نَاحِيَتِهِ وَقِيلَ لَهُ رُبَّمَا اسْتَمَالَهُ أَوْلَادُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ.فَاسْتَعَادَهُ إِلَيْهِ ، وَأَخَذَهُ مَعَهُ إِلَى الْأَهْوَازِ فَمَلَكَهَا وَأَسَاءَ السِّيرَةَ مَعَ جُنْدِهَا وَضَيَّقَ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَبْذُلِ الْمَالَ فَخَابَتْ ظُنُونُ النَّاسِ فِيهِ ، وَاسْتَشْعَرَ مِنْهُ أَيْضًا عَسْكَرُهُ وَقَالُوا هَكَذَا يَفْعَلُ بِنَا إِذَا تَمَكَّنَ مِنْ إِرَادَتِهِ فَتَخَاذَلُوا.وَكَانَ الصَّاحِبُ قَدْ أَمْسَكَ نَفْسَهُ تَأَثُّرًا بِمَا قِيلَ عَنْهُ مِنِ اتِّهَامِهِ ، فَالْأُمُورُ بِسُكُوتِهِ غَيْرُ مُسْتَقِيمَةٍ ، فَلَمَّا سَمِعَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ بِوُصُولِهِمْ إِلَى الْأَهْوَازِ سَيَّرَ إِلَيْهِمُ الْعَسَاكِرَ ، وَالْتَقَوْا هُمْ وَعَسَاكِرُ فَخْرِ الدَّوْلَةِ.فَاتُّفِقَ أَنَّ دِجْلَةَ الْأَهْوَازِ زَادَتِ الْوَقْتَ زِيَادَةً عَظِيمَةً ، وَانْفَتَحَتِ الْبُثُوقُ مِنْهَا فَظَنَّهَا عَسْكَرُ فَخْرِ الدَّوْلَةِ مَكِيدَةً فَانْهَزَمُوا ، فَقَلِقَ فَخْرُ الدَّوْلَةِ مِنْ ذَلِكَ ، وَكَانَ قَدِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ ، فَعَادَ حِينَئِذٍ إِلَى رَأْيِ الصَّاحِبِ ، فَأَشَارَ لِبَذْلِ الْمَالِ وَاسْتِصْلَاحِ الْجُنْدِ وَقَالَ لَهُ إِنَّ الرَّأْيَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ إِخْرَاجُ الْمَالِ ، وَتَرْكُ مُضَايَقَةِ الْجُنْدِ ، فَإِنْ أَطْلَقْتَ الْمَالَ ضَمِنْتُ لَكَ حُصُولَ أَضْعَافِهِ بَعْدَ سَنَةٍ.فَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنْ عَسْكَرِ الْأَهْوَازِ ، وَاتَّسَعَ الْخَرْقُ عَلَيْهِ وَضَاقَتِ الْأُمُورُ بِهِ ، فَعَادَ إِلَى الرَّيِّ وَقَبَضَ فِي طَرِيقِهِ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْقُوَّادِ الرَّازِيِّينَ وَمَلَكَ أَصْحَابُ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ الْأَهْوَازَ.ذِكْرُ هَرَبِ الْقَادِرِ بِاللَّهِ إِلَى الْبَطِيحَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ هَرَبَ الْقَادِرُ بِاللَّهِ مِنَ الطَّائِعِ لِلَّهِ إِلَى الْبَطِيحَةِ فَاحْتَمَى فِيهَا.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ إِسْحَاقَ بْنَ الْمُقْتَدِرِ وَالِدَ الْقَادِرِ لَمَّا تُوُفِّيَ جَرَى بَيْنَ الْقَادِرِ وَبَيْنَ أُخْتٍ لَهُ مُنَازَعَةٌ فِي ضَيْعَةٍ طَالَ الْأَمْرُ بَيْنَهُمَا.ثُمَّ إِنَّ الطَّائِعَ لِلَّهِ مَرِضَ مَرَضًا أَشْفَى مِنْهُ ، ثُمَّ أَبَلَّ ، فَسَعَتْ إِلَيْهِ بِأَخِيهِ الْقَادِرِ وَقَالَتْ لَهُ إِنَّهُ شَرَعَ فِي طَلَبِ الْخِلَافَةِ عِنْدَ مَرَضِكَ فَتَغَيَّرَ رَأْيُهُ فِيهِ ، فَأَنْفَذَ أَبَا الْحَسَنِ بْنَ النُّعْمَانِ وَغَيْرَهُ لِلْقَبْضِ عَلَيْهِ ، وَكَانَ بِالْحَرِيمِ الطَّاهِرِيِّ ، فَأَصْعَدُوا فِي الْمَاءِ إِلَيْهِ.وَكَانَ الْقَادِرُ قَدْ رَأَى فِي مَنَامِهِ كَأَنَّ رَجُلًا يَقْرَأُ عَلَيْهِ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ آل عمران فَهُوَ يَحْكِي هَذَا الْمَنَامَ لِأَهْلِهِ وَيَقُولُ أَنَا خَائِفٌ مِنْ طَالِبٍ يَطْلُبُنِي وَوَصَلَ أَصْحَابُ الطَّائِعِ لِلَّهِ إِلَيْهِ وَاسْتَدْعَوْهُ ، فَأَرَادَ لُبْسَ ثِيَابِهِ ، فَلَمْ يُمَكِّنُوهُ مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ ، فَأَخَذَهُ النِّسَاءُ مِنْهُمْ قَهْرًا ، وَخَرَجَ عَنْ دَارِهِ وَاسْتَتَرَ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الْبَطِيحَةِ ، فَنَزَلَ عَلَى مُهَذَّبِ الدَّوْلَةِ ، فَأَكْرَمَ نُزُلَهُ ، وَوَسَّعَ عَلَيْهِ ، وَحَفِظَهُ ، وَبَالَغَ فِي خِدْمَتِهِ ، وَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ ، فَلَمَّا وَلِيَهَا جَعَلَ عَلَامَتَهُ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ آل عمران .ذِكْرُ عَوْدِ بَنِي حَمْدَانَ إِلَى الْمَوْصِلِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَلَكَ أَبُو طَاهِرٍ إِبْرَاهِيمُ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ ابْنَا نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ الْمَوْصِلَ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُمَا كَانَا فِي خِدْمَةِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ بِبَغْدَاذَ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَمَلَكَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ اسْتَأْذَنَا فِي الْإِصْعَادِ إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَأَذِنَ لَهُمَا ، فَأَصْعَدَا ، ثُمَّ عَلِمَ الْقُوَّادُ الْغَلَطَ فِي ذَلِكَ ، فَكَتَبَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ إِلَى خُوَاشَاذَهْ ، وَهُوَ يَتَوَلَّى الْمَوْصِلَ ، يَأْمُرُهُ بِدَفْعِهِمَا عَنْهَا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمَا خُوَاشَاذَهْ يَأْمُرُهُمَا بِالْعَوْدِ عَنْهُ ، فَأَعَادَا جَوَابًا جَمِيلًا ، وَجَدَّا فِي السَّيْرِ حَتَّى نَزَلَا بِالدَّيْرِ الْأَعْلَى بِظَاهِرِ الْمَوْصِلِ.وَثَارَ أَهْلُ الْمَوْصِلِ بِالدَّيْلَمِ وَالْأَتْرَاكِ ، فَنَهَبُوهُمْ ، وَخَرَجُوا إِلَى بَنِي حَمْدَانَ ، وَخَرَجَ الدَّيْلَمُ إِلَى قِتَالِهِمْ ، فَهَزَمَهُمُ الْمَوَاصِلَةُ وَبَنُو حَمْدَانَ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَاعْتَصَمَ الْبَاقُونَ بِدَارِ الْإِمَارَةِ ، وَعَزَمَ أَهْلُ الْمَوْصِلِ عَلَى قَتْلِهِمْ وَالِاسْتِرَاحَةِ مِنْهُمْ ، فَمَنَعَهُمْ بَنُو حَمْدَانَ عَنْ ذَلِكَ ، وَسَيَّرُوا خُوَاشَاذَهْ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَأَقَامُوا بِالْمَوْصِلِ ، وَكَثُرَ الْعَرَبُ عِنْدَهُمْ.ذِكْرُ خِلَافِ كُتَامَةَ عَلَى الْمَنْصُورِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ إِنْسَانٌ آخَرُ مِنْ كُتَامَةَ يُقَالُ لَهُ أَبُو الْفَرَجِ ، لَا يُعْرَفُ مِنْ أَيِّ مَوْضِعٍ هُوَ ، وَزَعَمَ أَنَّ أَبَاهُ وَلَدُ الْقَائِمِ الْعَلَوِيِّ ، جَدِّ الْمُعِزِّ لِدِينِ اللَّهِ ، فَعَمِلَ أَكْثَرَ مِمَّا عَمِلَهُ أَبُو الْفَهْمِ ، وَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ كُتَامَةُ ، وَاتَّخَذَ الْبُنُودَ وَالطُّبُولَ ، وَضَرَبَ السِّكَّةَ ، وَجَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَائِبِ الْمَنْصُورِ وَعَسَاكِرِهِ بِمَدِينَةِ مِيلَةَ وَسَطِيفَ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ وَوَقَعَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ ، فَسَارَ الْمَنْصُورُ إِلَيْهِ فِي عَسَاكِرِهِ ، وَزَحَفَ هُوَ إِلَى الْمَنْصُورِ فِي عَسَاكِرِ كُتَامَةَ ، فَكَانَ بَيْنَهُمَا حَرْبٌ شَدِيدَةٌ ، فَانْهَزَمَ أَبُو الْفَرَجِ وَكُتَامَةُ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَاخْتَفَى أَبُو الْفَرَجِ فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ غُلَامَانِ كَانَا لَهُ فَأَخَذَاهُ وَأَتَيَا بِهِ الْمَنْصُورَ ، فَسَّرَهُ ذَلِكَ وَقَتَلَهُ شَرَّ قِتْلَةٍ.وَشَحَنَ الْمَنْصُورُ بِلَادَ كُتَامَةَ بِالْعَسَاكِرِ ، وَبَثَّ عُمَّالَهُ فِيهَا ، وَلَمْ يَدْخُلْهَا عَامِلٌ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَجَبَوْا أَمْوَالَهَا وَضَيَّقُوا عَلَى أَهْلِهَا.وَرَجَعَ الْمَنْصُورُ إِلَى مَدِينَةِ أَشِيرَ ، فَأَتَاهُ سَعِيدُ بْنُ خَزَرُونَ الزَّنَاتِيُّ ، وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ تَغَلَّبَ عَلَى سِجِلْمَاسَةَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَصَارَ فِي طَاعَةِ الْمَنْصُورِ ، وَاخْتَصَّ بِهِ ، وَعَلَتْ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ يَوْمًا يَا سَعِيدُ هَلْ تَعْرِفُ أَحَدًا أَكْرَمَ مِنِّي ؟وَكَانَ قَدْ وَصَلَهُ بِمَالٍ كَثِيرٍ ، فَقَالَ نَعَمْ!أَنَا أَكْرَمُ مِنْكَ.فَقَالَ الْمَنْصُورُ وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟قَالَ لِأَنَّكَ جُدْتَ عَلَيَّ بِالْمَالِ ، وَأَنَا جُدْتُ عَلَيْكَ بِنَفْسِي.فَاسْتَعْمَلَهُ الْمَنْصُورُ عَلَى طُبْنَةَ ، وَزَوَّجَ ابْنَهُ بِبَعْضِ بَنَاتِ سَعِيدٍ.فَلَامَهُ عَلَى ذَلِكَ بَعْضُ أَهْلِهِ ، فَقَالَ كَانَ أَبِي وَجَدِّي يَسْتَتْبِعَانِهِمْ بِالسَّيْفِ ، وَأَمَّا أَنَا فَمَنْ رَمَانِي بِرُمْحِ رَمَيْتُهُ بِكِيسٍ ، حَتَّى تَكُونَ مَوَدَّتُهُمْ طَبْعًا وَاخْتِيَارًا.وَرَجَعَ سَعِيدٌ إِلَى أَهْلِهِ ، وَبَقِيَ إِلَى سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَنْصُورِ زَائِرًا ، فَاعْتَلَّ سَعِيدٌ أَيَّامًا ، وَتُوُفِّيَ أَوَّلَ رَجَبٍ.ثُمَّ قَدِمَ فُلْفُلُ بْنُ سَعِيدٍ عَلَى الْمَنْصُورِ ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ مَالًا كَثِيرًا ، فَرَدَّهُ إِلَى طُبْنَةَ وِلَايَةِ أَبِيهِ.ذِكْرُ خِلَافِ عَمِّ الْمَنْصُورِ عَلَيْهِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضًا خَالَفَ أَبُو الْبَهَارِ عَمُّ الْمَنْصُورِ بْنِ يُوسُفَ بُلُكِّينَ ، صَاحِبُ إِفْرِيقِيَّةَ ، عَلَيْهِ لِشَيْءٍ جَرَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَنْصُورِ لَمْ يَحْمِلْهُ لَهُ لِعِزَّةِ نَفْسِهِ ، فَسَارَ الْمَنْصُورُ إِلَيْهِ بِتَاهَرْتَ ، فَفَارَقَهَا عَمُّهُ إِلَى الْغَرْبِ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَدَخَلَ عَسْكَرُ الْمَنْصُورِ تَاهَرْتَ فَانْتَهَبُوهَا ، ثُمَّ طَلَبَ أَهْلُهَا الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُمْ ، ثُمَّ سَارَ فِي طَلَبِ عَمِّهِ حَتَّى جَاوَزَ تَاهَرْتَ سَبْعَ عَشْرَةَ مَرْحَلَةً ، وَلَقِيَ الْعَسْكَرُ شِدَّةً.وَقَصَدَ عَمُّهُ زِيرِي بْنَ عَطِيَّةَ ، صَاحِبَ فَاسَ ، فَأَكْرَمَهُ ، وَأَعْلَى مَحَلَّهُ ، وَبَقِيَ جُنْدُهُ يُغِيرُونَ عَلَى نَوَاحِي الْمَنْصُورِ.وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ قَصَدُوا النَّوَاحِيَ الْمُجَاوِرَةَ لِفَاسَ ، فَأَوْقَعُوا بِأَصْحَابِ الْمَنْصُورِ بِهَا وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا.ثُمَّ نَدِمَ أَبُو الْبَهَارِ ، فَسَارَ إِلَى الْمَنْصُورِ مُعْتَذِرًا مِمَّا جَرَى مِنْهُ ، فَقَبِلَهُ الْمَنْصُورُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَكْرَمَهُ ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ كُلَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَبَضَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الْعَلَوِيِّ الْكُوفِيِّ ، وَكَانَ قَدْ عَظُمَ شَأْنُهُ مَعَ شَرَفِ الدَّوْلَةِ ، وَاتَّسَعَ جَاهُهُ ، وَكَثُرَتْ أَمْوَالُهُ ، فَلَمَّا وَلِيَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ سَعَى بِهِ أَبُو الْحَسَنِ الْمُعَلِّمُ إِلَيْهِ ، وَأَطْمَعَهُ فِي أَمْوَالِهِ وَمُلْكِهِ ، وَعَظُمَ ذَلِكَ عِنْدَهُ وَقَبَضَ عَلَيْهِ.وَفِيهَا أَسْقَطَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ مَا كَانَ يُؤْخَذُ مِنَ الْمَرَاعِي مِنْ سَائِرِ السَّوَادِ.وَفِيهَا وُلِدَ الْأَمِيرُ أَبُو طَالِبٍ رُسْتَمُ بْنُ فَخْرِ الدَّوْلَةِ.وَفِيهَا خَرَجَ ابْنُ الْجَرَّاحِ الطَّائِيُّ عَلَى الْحُجَّاجِ بَيْنَ سَمِيرَاءَ وَفَيْدَ وَنَازَلَهُمْ ، فَصَالَحُوهُ عَلَى ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَشَيْءٍ مِنَ الثِّيَابِ ، فَأَخَذَهَا وَانْصَرَفَ.وَفِيهَا بُنِيَ جَامِعُ الْقَطِيعَةِ بِبَغْدَاذَ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ جَلَّادٍ أَبُو الْعَبَّاسِ السُّلَمِيُّ النَّقَّاشُ ، كَانَ مِنْ مُتَكَلِّمِي الْأَشْعَرِيَّةِ ، وَعَنْهُ أَخَذَ أَبُو عَلِيِّ بْنُ شَاذَانَ الْكَلَامَ ، وَكَانَ ثِقَةً فِي الْحَدِيثِ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ قَتْلِ بَاذٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ بَاذٌ الْكُرْدِيُّ ، صَاحِبُ دِيَارِ بَكْرٍ.وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّ أَبَا طَاهِرٍ وَالْحُسَيْنَ ابْنَيْ حَمْدَانَ لَمَّا مَلَكَا الْمَوْصِلَ طَمِعَ فِيهَا بَاذٌ ، وَجَمَعَ الْأَكْرَادَ فَأَكْثَرَ ، وَمِمَّنْ أَطَاعَهُ الْأَكْرَادُ الْبَشْنَوِيَّةُ أَصْحَابُ قَلْعَةِ فَنَكَ ، وَكَانُوا كَثِيرًا ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْحُسَيْنُ الْبَشْنَوِيُّ الشَّاعِرُ لِبَنِي مَرْوَانَ يَعْتَدُّ عَلَيْهِمْ بِنَجْدَتِهِمْ خَالَهُمْ بَاذًا مِنْ قَصِيدَةٍ الْبَشْنَوِيَّةُ أَنْصَارٌ لِدَوْلَتِكُمْ وَلَيْسَ فِي ذَا...خَفًا فِي الْعُجْمِ وَالْعَرَبِ أَنْصَارُ بَاذٍ بِأَرْجِيشَ وَشِيعَتِهِ...بِظَاهِرِ الْمَوْصِلِ الْحَدْبَاءِ فِي الْعَطَبِ بِبَاجُلَايَا جَلَوْنَا عَنْهُ غُمَّتَهُ...وَنَحْنُ فِي الرَّوْعِ جَلَّاءُونَ لِلْكُرَبِ وَكَاتَبَ أَهْلَ الْمَوْصِلِ فَاسْتَمَالَهُمْ ، فَأَجَابَهُ بَعْضُهُمْ فَسَارَ إِلَيْهِمْ ، وَنَزَلَ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ، فَضَعُفَا عَنْهُ ، وَرَاسَلَا أَبَا الذَّوَّادِ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ ، أَمِيرَ بَنَى عُقَيْلٍ ، وَاسْتَنْصَرَاهُ ، فَطَلَبَ مِنْهُمَا جَزِيرَةَ ابْنِ عُمَرَ ، وَنَصِيبِينَ ، وَبَلَدًا ، وَغَيْرَ ذَلِكَ ، فَأَجَابَاهُ إِلَى مَا طَلَبَ ، وَاتَّفَقُوا ، وَسَارَ إِلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حَمْدَانَ وَأَقَامَ أَبُو طَاهِرٍ بِالْمَوْصِلِ يُحَارِبُ بَاذًا.فَلَمَّا اجْتَمَعَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَأَبُو الذَّوَّادِ سَارَا إِلَى بَلَدٍ ، وَعَبَرَا دِجْلَةَ ، وَصَارَا مَعَ بَاذٍ عَلَى أَرْضٍ وَاحِدَةٍ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، فَأَتَاهُ الْخَبَرُ بِعُبُورِهِمَا وَقَدْ قَارَبَاهُ ، فَأَرَادَ الِانْتِقَالَ إِلَى الْجَبَلِ لِئَلَّا يَأْتِيَهُ هَؤُلَاءِ مِنْ خَلْفِهِ وَأَبُو طَاهِرٍ مِنْ أَمَامِهِ ، فَاخْتَلَطَ أَصْحَابُهُ ، وَأَدْرَكَهُ الْحَمْدَانِيَّةُ ، فَنَاوَشُوهُمُ الْقِتَالَ ، وَأَرَادَ بَاذٌ الِانْتِقَالَ مِنْ فَرَسٍ إِلَى آخَرَ ، فَسَقَطَ وَانْدَقَّتْ تَرْقُوَتُهُ ، فَأَتَاهُ ابْنُ أُخْتِهِ أَبُو عَلِيِّ بْنُ مَرْوَانَ ، وَأَرَادَهُ عَلَى الرُّكُوبِ فَلَمْ يَقْدِرْ ، فَتَرَكُوهُ وَانْصَرَفُوا وَاحْتَمَوْا بِالْجَبَلِ.وَوَقَعَ بَاذٌ بَيْنَ الْقَتْلَى فَعَرَفَهُ بَعْضُ الْعَرَبِ فَقَتَلَهُ وَحَمَلَ رَأَسَهُ إِلَى بَنِي حَمْدَانَ وَأَخَذَ جَائِزَةً سَنِيَّةً ، وَصُلِبَتْ جُثَّتُهُ عَلَى دَارِ الْإِمَارَةِ ، فَثَارَ الْعَامَّةُ وَقَالُوا رَجُلٌ غَازٍ ، وَلَا يَحِلُّ فِعْلُ هَذَا بِهِ.وَظَهَرَ مِنْهُمْ مَحَبَّةٌ كَثِيرَةٌ لَهُ ، وَأَنْزَلُوهُ وَكَفَّنُوهُ وَصَلَّوْا عَلَيْهِ وَدَفَنُوهُ.ذِكْرُ ابْتِدَاءِ دَوْلَةِ بَنِي مَرْوَانَ لَمَّا قُتِلَ بَاذٌ سَارَ ابْنُ أُخْتِهِ أَبُو عَلِيِّ بْنُ مَرْوَانَ فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْجَيْشِ إِلَى حِصْنِ كِيفَا ، وَهُوَ عَلَى دِجْلَةَ ، وَهُوَ مِنْ أَحْصَنِ الْمَعَاقِلِ ، وَكَانَ بِهِ امْرَأَةُ بَاذٍ وَأَهْلُهُ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْحِصْنَ قَالَ لِزَوْجَةِ خَالِهِ قَدْ أَنْفَذَنِي خَالِي إِلَيْكِ فِي مُهِمٍّ فَظَنَّتْهُ حَقًّا ، فَلَمَّا صَعِدَ إِلَيْهَا أَعْلَمَهَا بِهَلَاكِهِ ، وَأَطْمَعَهَا فِي التَّزَوُّجِ بِهَا ، فَوَافَقَتْهُ عَلَى مُلْكِ الْحِصْنِ وَغَيْرِهِ ، وَنَزَلَ وَقَصَدَ حِصْنًا حِصْنًا ، حَتَّى مَلَكَ مَا كَانَ لِخَالِهِ ، وَسَارَ إِلَى مَيَّافَارِقِينَ وَسَارَ إِلَيْهِ أَبُو طَاهِرٍ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنَا حَمْدَانَ وَطَمِعَا فِيهِ ، وَمَعَهُمَا رَأْسُ بَاذٍ ، فَوَجَدَا أَبَا عَلِيٍّ قَدْ أَحْكَمَ أَمْرَهُ ، فَتَصَافُّوا وَاقْتَتَلُوا ، وَظَفِرَ أَبُو عَلِيٍّ وَأَسَرَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنَ حَمْدَانَ ، فَأَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ فَسَارَ إِلَى أَخِيهِ أَبِي طَاهِرٍ ، وَهُوَ بِآمِدَ يَحْصُرُهَا ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِمُصَالَحَةِ ابْنِ مَرْوَانَ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَاضْطَرَّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ إِلَى مُوَافَقَتِهِ ، وَسَارَا إِلَى ابْنِ مَرْوَانَ فَوَاقَعَاهُ ، فَهَزَمَهُمَا ، وَأَسَرَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَيْضًا فَأَسَاءَ إِلَيْهِ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ ، إِلَى أَنْ كَاتَبَهُ صَاحِبُ مِصْرَ وَشَفَعَ فِيهِ فَأَطْلَقَهُ ، وَمَضَى إِلَى مِصْرَ وَتَقَلَّدَ مِنْهَا وِلَايَةَ حَلَبَ ، وَأَقَامَ بِتِلْكَ الدِّيَارِ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ.وَأَمَّا أَبُو طَاهِرٍ فَإِنَّهُ لَمَّا وَصَلَ إِلَى نَصِيبِينَ قَصَدَهُ أَبُو الذَّوَّادِ فَأَسَرَهُ وَعَلِيًّا ابْنَهُ ، وَالْمُزَعْفَرَ أَمِيرَ بَنِي نُمَيْرٍ ، وَقَتَلَهُمْ صَبْرًا.وَأَقَامَ ابْنُ مَرْوَانَ بِدِيَارِ بَكْرٍ وَضَبَطَهَا ، وَأَحْسَنَ إِلَى أَهْلِهَا ، وَأَلَانَ جَانِبَهُ لَهُمْ ، فَطَمِعَ فِيهِ أَهْلُ مَيَّافَارِقِينَ ، فَاسْتَطَالُوا عَلَى أَصْحَابِهِ ، فَأَمْسَكَ عَنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْعِيدِ ، وَقَدْ خَرَجُوا إِلَى الْمُصَلَّى ، فَلَمَّا تَكَامَلُوا فِي الصَّحْرَاءِ وَافَى إِلَى الْبَلَدِ ، وَأَخَذَ أَبَا الصَّقْرِ شَيْخَ الْبَلَدِ فَأَلْقَاهُ مِنْ عَلَى السُّورِ ، وَقَبَضَ عَلَى مَنْ كَانَ مَعَهُ ، وَأَخَذَ الْأَكْرَادُ ثِيَابَ النَّاسِ خَارِجَ الْبَلَدِ ، وَأَغْلَقَ أَبْوَابَ الْبَلَدِ ، وَأَمَرَ أَهْلَهُ أَنْ يَنْصَرِفُوا حَيْثُ شَاءُوا ، وَلَمْ يُمَكِّنْهُمْ مِنَ الدُّخُولِ فَذَهَبُوا كُلَّ مَذْهَبٍ.وَكَانَ قَدْ تَزَوَّجَ سِتَّ النَّاسِ بِنْتَ سَعْدِ الدَّوْلَةِ بْنِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ ، فَأَتَتْهُ مِنْ حَلَبَ ، فَعَزَمَ عَلَى زِفَافِهَا بِآمِدَ ، فَخَافَ شَيْخُ الْبَلَدِ ، وَاسْمُهُ عَبْدُ الْبَرِّ ، أَنْ يَفْعَلَ بِهِ مِثْلَ فِعْلِهِ بِأَهْلِ مَيَّافَارِقِينَ ، فَأَحْضَرَ ثِقَاتَهُ وَحَلَّفَهُمْ عَلَى كِتْمَانِ سِرِّهِ ، وَقَالَ لَهُمْ قَدْ صَحَّ عَزْمُ الْأَمِيرِ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ بِكُمْ مِثْلَ فِعْلِهِ بِأَهْلِ مَيَّافَارِقِينَ ، وَهُوَ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ الْمَاءِ وَيَخْرُجُ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ ، فَقِفُوا لَهُ فِي الدَّرَكَاهِ ، وَانْثُرُوا عَلَيْهِ هَذِهِ الدَّرَاهِمَ ، ثُمَّ اعْتَمِدُوا بِهَا وَجْهَهُ ، فَإِنَّهُ سَيُغَطِّيهِ بِكُمِّهِ ، فَاضْرِبُوهُ بِالسَّكَاكِينِ فِي مَقْتَلِهِ فَفَعَلُوا.وَجَرَتِ الْحَالُ كَمَا وَصَفَ ، وَتَوَلَّى قَتْلَهُ إِنْسَانٌ يُقَالُ لَهُ ابْنُ دِمْنَةَ كَانَ فِيهِ إِقْدَامٌ وَجُرْأَةٌ ، فَاخْتَبَطَ النَّاسُ وَمَاجُوا ، فَرَمَى بِرَأْسِهِ إِلَيْهِمْ ، فَأَسْرَعُوا السَّيْرَ إِلَى مَيَّافَارِقِينَ.وَحَدَّثَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَكْرَادِ نُفُوسَهُمْ بِمُلْكِ الْبَلَدِ ، فَاسْتَرَابَ بِهِمْ مُسْتَحْفِظُ مَيَّافَارِقِينَ لِإِسْرَاعِهِمْ ، وَقَالَ إِنْ كَانَ الْأَمِيرُ حَيًّا فَادْخُلُوا مَعَهُ ، وَإِنْ كَانَ قُتِلَ فَأَخُوهُ مُسْتَحِقٌّ لِمَوْضِعِهِ.فَمَا كَانَ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ وَصَلَ مُمَهِّدُ الدَّوْلَةِ أَبُو مَنْصُورِ بْنُ مَرْوَانَ أَخُو أَبِي عَلِيٍّ إِلَى مَيَّافَارِقِينَ ، فَفُتِحَ لَهُ بَابُ الْبَلَدِ فَدَخَلَهُ وَمَلَكَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهِ إِلَّا السِّكَّةُ وَالْخُطْبَةُ لِمَا نَذْكُرُهُ.وَأَمَّا عَبْدُ الْبَرِّ فَاسْتَوْلَى عَلَى آمِدَ ، وَزَوَّجَ ابْنَ دِمْنَةَ ، الَّذِي قَتَلَ أَبَا عَلِيٍّ ، ابْنَتَهُ فَعَمِلَ لَهُ ابْنُ دِمْنَةَ دَعْوَةً وَقَتَلَهُ ، وَمَلَكَ آمِدَ ، وَعَمَّرَ الْبَلَدَ وَبَنَى لِنَفْسِهِ قَصْرًا عِنْدَ السُّورِ ، وَأَصْلَحَ أَمْرَهُ مَعَ مُمَهِّدِ الدَّوْلَةِ ، وَهَادَى مَلِكَ الرُّومِ ، وَصَاحِبَ مِصْرَ ، وَغَيْرَهُمَا مِنَ الْمُلُوكِ وَانْتَشَرَ ذِكْرُهُ.وَأَمَا مُمَهِّدُ الدَّوْلَةِ فَإِنَّهُ كَانَ مَعَهُ إِنْسَانٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يُسَمَّى شَرْوَةَ ، حَاكِمًا فِي مَمْلَكَتِهِ ، وَكَانَ لِشَرْوَةَ غُلَامٌ قَدْ وَلَّاهُ الشُّرْطَةَ ، وَكَانَ مُمَهِّدُ الدَّوْلَةِ يُبْغِضُهُ ، وَيُرِيدُ قَتْلَهُ ، وَيَتْرُكُهُ احْتِرَامًا لِصَاحِبِهِ ، فَفَطِنَ الْغُلَامُ لِذَلِكَ ، فَأَفْسَدَ مَا بَيْنَهُمَا ، فَعَمِلَ شَرْوَةُ طَعَامًا بِقَلْعَةِ الْهَتَّاخِ ، وَهِيَ إِقْطَاعُهُ ، وَدَعَا إِلَيْهَا مُمَهِّدَ الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا حَضَرَ عِنْدَهُ قَتَلَهُ ، وَذَلِكَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَخَرَجَ مِنَ الدَّارِ إِلَى بَنِي عَمِّ مُمَهِّدِ الدَّوْلَةِ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِمْ وَقَيَّدَهُمْ ، وَأَظْهَرَ أَنَّ مُمَهِّدَ الدَّوْلَةِ أَمَرَهُ بِذَلِكَ ، وَمَضَى إِلَى مَيَّافَارِقِينَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْمَشَاعِلُ ، فَفَتَحُوا لَهُ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهُ مُمَهِّدُ الدَّوْلَةِ ، فَمَلَكَهَا ، وَكَتَبَ إِلَى أَصْحَابِ الْقِلَاعِ يَسْتَدْعِيهِمْ ، وَأَنْفَذَ إِنْسَانًا إِلَى أَرْزَنَ لِيُحْضِرَ مُتَوَلِّيَهَا ، وَيُعْرَفُ بِخَوَاجَهْ أَبِي الْقَاسِمِ ، فَسَارَ خَوَاجَهْ نَحْوَ مَيَّافَارِقِينَ ، وَلَمْ يُسَلِّمِ الْقَلْعَةَ إِلَى الْقَاصِدِ إِلَيْهِ.فَلَمَّا تَوَسَّطَ الطَّرِيقَ سَمِعَ بِقَتْلِ مُمَهِّدِ الدَّوْلَةِ فَعَادَ إِلَى أَرْزَنَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى أَسْعَرْدَ ، فَأَحْضَرَ أَبَا نَصْرِ بْنَ مَرْوَانَ أَخَا مُمَهِّدِ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ أَخُوهُ قَدْ أَبْعَدَهُ عَنْهُ ، وَكَانَ يُبْغِضُهُ لِمَنَامٍ رَآهُ ، وَهُوَ أَنَّهُ رَأَى كَأَنَّ الشَّمْسَ سَقَطَتْ فِي حِجْرِهِ ، فَنَازَعَهُ أَبُو نَصْرٍ عَلَيْهَا وَأَخَذَهَا ، فَأَبْعَدَهُ لِهَذَا ، وَتَرَكَهُ بِأَسْعَرْدَ مُضَيَّقًا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا اسْتَدْعَاهُ خَوَاجَهْ قَالَ لَهُ دُبَيْرٌ تَفْلَحُ ؟قَالَ نَعَمْ.وَكَانَ شَرْوَةُ قَدْ أَنْفَذَ إِلَى أَبِي نَصْرٍ ، فَوَجَدُوهُ قَدْ سَارَ إِلَى أَرْزَنَ ، فَعَلِمَ حِينَئِذٍ انْتِقَاضَ أَمْرِهِ.وَكَانَ مَرْوَانُ وَالِدُ مُمَهِّدِ الدَّوْلَةِ قَدْ أَضَرَّ ، وَهُوَ بِأَرْزَنَ ، عِنْدَ قَبْرِ ابْنِهِ أَبِي عَلِيٍّ ، وَهُوَ وَزَوْجَتُهُ ، فَأَحْضَرَ خَوَاجَهْ أَبَا نَصْرٍ عِنْدَهُمَا ، وَحَلَّفَهُ عَلَى الْقَبُولِ مِنْهُ ، وَالْعَدْلِ ، وَأَحْضَرَ الْقَاضِي وَالشُّهُودَ عَلَى الْيَمِينِ وَمَلَّكَهُ أَرْزَنَ ، ثُمَّ مَلَكَ سَائِرَ بِلَادِ دِيَارِ بَكْرٍ ، فَدَامَتْ أَيَّامُهُ ، وَأَحْسَنَ السِّيرَةَ ، وَكَانَ مَقْصِدًا لِلْعُلَمَاءِ مِنْ سَائِرِ الْآفَاقِ ، وَكَثُرُوا بِبِلَادِهِ.وَمِمَّنْ قَصَدَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْكَازَرُونِيُّ ، وَعَنْهُ انْتَشَرَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ بِدِيَارِ بَكْرٍ ، وَقَصَدَهُ الشُّعَرَاءُ وَأَكْثَرُوا مَدْحَهُ وَأَجْزَلَ جَوَائِزَهُمْ ، وَبَقِيَ كَذَلِكَ مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِمِائَةٍ إِلَى سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ ، فَتُوُفِّيَ فِيهَا وَكَانَ عُمْرُهُ نَيِّفًا وَثَمَانِينَ سَنَةً ، وَكَانَتِ الثُّغُورُ مَعَهُ آمِنَةً ، وَسِيرَتُهُ فِي رَعِيَّتِهِ أَحْسَنَ سِيرَةٍ ، فَلَمَّا مَاتَ مَلَكَ بِلَادَهُ وَلَدُهُ.ذِكْرُ مُلْكِ آلِ الْمُسَيَّبِ الْمَوْصِلَ لَمَّا انْهَزَمَ أَبُو طَاهِرِ بْنُ حَمْدَانَ مِنْ أَبِي عَلِيِّ بْنِ مَرْوَانَ ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، سَارَ إِلَى نَصِيبِينَ فِي قِلَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَكَانُوا قَدْ تَفَرَّقُوا ، فَطَمِعَ فِيهِ أَبُو الذَّوَّادِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ، أَمِيرُ بَنِي عُقَيْلٍ ، وَكَانَ صَاحِبَ نَصِيبِينَ حِينَئِذٍ ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، فَثَارَ بِأَبِي طَاهِرٍ ، فَأَسَرَهُ وَأَسَرَ وَلَدَهُ وَعُدَّةً مِنْ قُوَّادِهِمْ ، وَقَتَلَهُمْ ، وَسَارَ إِلَى الْمَوْصِلِ فَمَلَكَهَا وَأَعْمَالَهَا ، وَكَاتَبَ بَهَاءَ الدَّوْلَةِ يَسْأَلُهُ أَنْ يُنْفِذَ إِلَيْهِ مَنْ يُقِيمُ عِنْدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ يَتَوَلَّى الْأُمُورَ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ قَائِدًا مِنْ قُوَّادِهِ.وَكَانَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ قَدْ سَارَ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى الْأَهْوَازِ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.وَأَقَامَ نَائِبُ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، لَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ وَلَا يَحْكُمُ إِلَّا فِيمَا يُرِيدُهُ أَبُو الذَّوَّادِ ، وَسَيَرِدُ مِنْ ذِكْرِهِ وَذِكْرِ عَقِبِهِ مَا تَقِفُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ مَسِيرِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ إِلَى الْأَهْوَازِ وَمَا كَانَ مِنْهُ وَمِنْ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ عَنْ بَغْدَاذَ إِلَى خُوزِسْتَانَ عَازِمًا عَلَى قَصْدِ فَارِسَ ، وَاسْتَخْلَفَ بِبَغْدَاذَ أَبَا نَصْرٍ خُوَاشَاذَهْ ، وَوَصَلَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَدَخَلَهَا ، وَسَارَ عَنْهَا إِلَى خُوزِسْتَانَ ، فَأَتَاهُ نَعْيُ أَخِيهِ أَبِي طَاهِرٍ ، فَجَلَسَ لِلْعَزَاءِ بِهِ ، وَدَخَلَ أَرَّجَانَ فَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا وَأَخَذَ مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَالِ ، فَكَانَ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ وَثَمَانِيَةَ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَمِنَ الثِّيَابِ وَالْجَوَاهِرِ وَمَا لَا يُحْصَى ، فَلَمَّا عَلِمَ الْجُنْدُ بِذَلِكَ شَغَبُوا شَغَبًا مُتَتَابِعًا فَأُطْلِقَتْ تِلْكَ الْأَمْوَالُ كُلُّهَا لَهُمْ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا الْقَلِيلُ.ثُمَّ سَارَتْ مُقَدَّمَتُهُ وَعَلَيْهَا أَبُو الْعَلَاءِ بْنُ الْفَضْلِ إِلَى النَّوْبَنْدَجَانِ ، وَبِهَا عَسَاكِرُ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ ، فَهَزَمَهُمْ ، وَبَثَّ أَصْحَابَهُ فِي نَوَاحِي فَارِسَ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِمْ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ عَسْكَرًا وَعَلَيْهِمْ فُولَاذٌ زَمَانْدَارُ ، فَوَاقَعَهُمْ ، فَانْهَزَمَ أَبُو الْعَلَاءِ وَعَادَ مَهْزُومًا.وَكَانَ سَبَبُ الْهَزِيمَةِ أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ الْعَسْكَرَيْنِ وَادٍ عَلَيْهِ قَنْطَرَةٌ ، وَكَانَ أَصْحَابُ أَبِي الْعَلَاءِ يَعْبُرُونَ الْقَنْطَرَةَ وَيُغِيرُونَ عَلَى أَثْقَالِ الدَّيْلَمِ ، عَسْكَرِ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ ، فَوَضَعَ فُولَاذٌ كَمِينًا عِنْدَ الْقَنْطَرَةِ ، فَلَمَّا عَبَرَ أَصْحَابُ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ خَرَجُوا عَلَيْهِمْ فَقَتَلُوهُمْ جَمِيعَهُمْ ، وَرَاسَلَ فُولَاذٌ أَبَا الْعَلَاءِ وَخَدَعَهُ ، ثُمَّ سَارَ إِلَيْهِ وَكَبَسَهُ ، فَانْهَزَمَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَعَادَ إِلَى أَرَّجَانَ مَهْزُومًا ، وَغَلَتِ الْأَسْعَارُ بِهَا.وَلَمَّا بَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ سَارَ عَنْ شِيرَازَ إِلَى فُولَاذٍ ، وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ فِي الصُّلْحِ ، فَتَمَّ عَلَى أَنْ يَكُونَ لِصَمْصَامِ الدَّوْلَةِ بِلَادُ فَارِسَ وَأَرَّجَانَ ، وَلِبَهَاءِ الدَّوْلَةِ خُوزِسْتَانُ وَالْعِرَاقُ ، وَأَنْ يَكُونَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِقْطَاعٌ فِي بَلَدِ صَاحِبِهِ ، وَحَلَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ ، وَعَادَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْأَهْوَازِ.وَلَمَّا سَارَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ عَنْ بَغْدَاذَ ثَارَ الْعَيَّارُونَ بِجَانِبَيْ بَغْدَاذَ ، وَوَقَعَتِ الْفِتَنُ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالشِّيعَةِ ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ بَيْنَهُمْ ، وَزَالَتِ الطَّاعَةُ ، وَأُحْرِقَ عِدَّةُ مَحَالٍّ ، وَنُهِبَتِ الْأَمْوَالُ ، وَأُخْرِبَتِ الْمَسَاكِنُ ، وَدَامَ ذَلِكَ عِدَّةَ شُهُورٍ إِلَى أَنْ عَادَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ إِلَى بَغْدَاذَ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَبَضَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ عَلَى وَزِيرِهِ أَبِي مَنْصُورِ بْنِ صَالِحَانَ ، وَاسْتَوْزَرَ أَبَا نَصْرٍ سَابُورَ بْنَ أَرْدَشِيَرَ قَبْلَ مَسِيرِهِ إِلَى خُوزِسْتَانَ ، وَكَانَ الْمُدَبِّرُ لِدَوْلَةِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ أَبَا الْحُسَيْنِ الْمُعَلِّمَ ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْفَرَجِ يَعْقُوبُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ كِلِّسٍ ، وَزِيرُ الْعَزِيزِ ، صَاحِبُ مِصْرَ ، وَكَانَ كَامِلَ الْأَوْصَافِ ، مُتَمَكِّنًا مِنْ صَاحِبِهِ ، فَلَمَّا مَرِضَ عَادَهُ الْعَزِيزُ صَاحِبُ مِصْرَ ، وَقَالَ وَدِدْتُ أَنَّكَ تُبَاعُ فَأَبْتَاعُكَ بِمُلْكِي ، فَهَلْ مِنْ حَاجَةٍ تَرْضَى بِهَا ؟فَبَكىَ ، وَقَبَّلَ يَدَهُ ، وَوَضَعَهَا عَلَى عَيْنِهِ ، وَقَالَ أَمَّا فِيمَا يَخُصُّنِي فَإِنَّكَ أَرْعَى لِحَقِّي مِنْ أَنْ أُوصِيَكَ بِمُخَلَّفِي ، وَلَكِنْ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِدَوْلَتِكَ سَالِمِ الْحَمْدَانِيَّةَ مَا سَالَمُوكَ ، وَاقْنَعْ مِنْهُمْ بِالدَّعَةِ ، وَإِنْ ظَفِرْتَ بِالْمُفَرِّجِ فَلَا تُبْقِ عَلَيْهِ.فَلَمَّا مَاتَ حَزِنَ الْعَزِيزُ عَلَيْهِ ، وَحَضَرَ جِنَازَتَهُ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ، وَأَلْحَدَهُ بِيَدِهِ فِي قَصْرِهِ ، وَأَغْلَقَ الدَّوَاوِينَ عِدَّةَ أَيَّامٍ ، وَاسْتَوْزَرَ بَعْدَهُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْمَوْصِلِيَّ ، ثُمَّ صَرَفَهُ ، وَقَلَّدَ عِيسَى بْنَ نَسْطُورَسَ النَّصْرَانِيَّ ، فَمَالَ إِلَى النَّصَارَى وَوَلَّاهُمْ ، وَاسْتَنَابَ بِالشَّامِ يَهُودِيًّا يُعْرَفُ بِمَنْشَا ، فَفَعَلَ مَعَ الْيَهُودِ مِثْلَ مَا فَعَلَ عِيسَى بِالنَّصَارَى ، وَجَرَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ تَحَامُلٌ عَظِيمٌ.وَفِيهَا ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، قُلِّدَ الشَّرِيفُ أَبُو أَحْمَدَ وَالِدُ الرَّضِيِّ نِقَابَةَ الْعَلَوِيِّينَ وَالْمَظَالِمِ ، وَإِمَارَةَ الْحَجِّ ، وَحَجَّ بِالنَّاسِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَلَوِيُّ نِيَابَةً عَنِ النَّقِيبِ أَبِي أَحْمَدَ الْمُوسَوِيِّ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَقِيهُ الْحَنَفِيُّ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ عِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ النَّمَرِيُّ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَالِدُ الْإِمَامِ أَبِي عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ الْقَبْضِ عَلَى الطَّائِعِ لِلَّهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُبِضَ الطَّائِعُ لِلَّهِ ، قَبَضَهُ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ ، وَهُوَ الطَّائِعُ لِلَّهِ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ الْفَضْلِ الْمُطِيعِ لِلَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ بْنِ الْمُعْتَضِدِ بِاللَّهِ بْنِ أَبِي أَحْمَدَ الْمُوَفَّقِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْأَمِيرَ بَهَاءَ الدَّوْلَةِ قَلَّتْ عِنْدَهُ الْأَمْوَالُ ، فَكَثُرَ شَغَبُ الْجُنْدِ ، فَقَبَضَ عَلَى وَزِيرِهِ سَابُورَ ، فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُ ذَلِكَ شَيْئًا.وَكَانَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْمُعَلِّمِ قَدْ غَلَبَ عَلَى بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَحَكَمَ فِي مَمْلَكَتِهِ ، فَحَسُنَ لَهُ الْقَبْضُ عَلَى الطَّائِعِ ، وَأَطْمَعَهُ فِي مَالِهِ ، وَهَوَّنَ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَسَهَّلَهُ ، فَأَقْدَمَ عَلَيْهِ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى الطَّائِعِ وَسَأَلَهُ الْإِذْنَ فِي الْحُضُورِ فِي خِدْمَتِهِ لِيُجَدِّدَ الْعَهْدَ بِهِ ، فَأَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، وَجَلَسَ لَهُ كَمَا جَرَتِ الْعَادَةُ ، فَدَخَلَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ وَمَعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ ، فَلَمَّا دَخَلَ قَبَّلَ الْأَرْضَ ، وَأُجْلِسَ عَلَى كُرْسِيٍّ ، فَدَخَلَ بَعْضُ الدَّيْلَمِ كَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُقَبِّلَ يَدَ الْخَلِيفَةِ فَجَذَبَهُ ، فَأَنْزَلَهُ عَنْ سَرِيرِهِ ، وَالْخَلِيفَةُ يَقُولُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ!وَهُوَ يَسْتَغِيثُ وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ ، وَأُخِذَ مَا فِي دَارِ الْخَلِيفَةِ مِنَ الذَّخَائِرِ فَمَشَوْا بِهِ فِي الْحَالِ ، وَنَهَبَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَتِهِمُ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ فَبَادَرَ بِالْخُرُوجِ فَسَلِمَ وَقَالَ أَبْيَاتًا مِنْ جُمْلَتِهَا مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ رَبُّ الْمُلْكِ مُبْتَسِمًا إِلَيَّ أَدْنُوهُ فِي النَّجْوَى وَيُدْنِينِي أَمْسَيْتُ أَرْحَمُ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَغْبِطُهُ لَقَدْ تَقَارَبَ بَيْنَ الْعِزِّ وَالْهُونِ وَمَنْظَرٌ كَانَ بِالسَّرَّاءِ يُضْحِكُنِي يَا قُرْبَ مَا عَادَ بِالضَّرَّاءِ يُبْكِينِي هَيْهَاتَ أَغْتَرُّ بِالسُّلْطَانِ ثَانِيَةً قَدْ ضَلَّ وُلَّاجُ أَبْوَابِ السَّلَاطِينِ وَلَمَّا حُمِلَ الطَّائِعُ إِلَى دَارِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ أَشْهَدَ عَلَيْهِ بِالْخَلْعِ ، وَكَانَتْ مُدَّةُ خِلَافَتِهِ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَثَمَانِيَةَ شُهُورٍ وَسِتَّةَ أَيَّامٍ ، وَحُمِلَ إِلَى الْقَادِرِ بِاللَّهِ لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ ، فَبَقِيَ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، لَيْلَةَ الْفِطْرِ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ الْقَادِرُ بِاللَّهِ ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِ خَمْسًا.وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ أَبْيَضَ ، مَرْبُوعًا ، حَسَنَ الْجِسْمِ وَكَانَ أَنْفُهُ كَبِيرًا جِدًّا ، وَكَانَ شَدِيدَ الْقُوَّةِ ، كَثِيرَ الْإِقْدَامِ ، اسْمُ أُمِّهِ عُتْبَ ، وَعَاشَتْ إِلَى أَنْ أَدْرَكَتْ أَيَّامَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الْحُكْمِ فِي وِلَايَتِهِ مَا يُعْرَفُ بِهِ حَالٌ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى سِيرَتِهِ.ذِكْرُ خِلَافَةِ الْقَادِرِ بِاللَّهِ لَمَّا قُبِضَ عَلَى الطَّائِعِ لِلَّهِ ذَكَرَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ مَنْ يَصْلُحُ لِلْخِلَافَةِ ، فَاتَّفَقُوا عَلَى الْقَادِرِ بِاللَّهِ وَهُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ الْمُقْتَدِرِ بْنِ الْمُعْتَضِدِ ، وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ اسْمُهَا دِمْنَةُ ، وَقِيلَ تُمْنَى ، وَكَانَ بِالْبَطِيحَةِ ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ خَوَاصَّ أَصْحَابِهِ لِيُحْضِرُوهُ إِلَى بَغْدَاذَ لِيَتَوَلَّى الْخِلَافَةَ ، فَانْحَدَرُوا إِلَيْهِ ، وَشَغَبَ الدَّيْلَمُ بِبَغْدَاذَ ، وَمَنَعُوا مِنَ الْخُطْبَةِ ، فَقِيلَ عَلَى الْمِنْبَرِ اللَّهُمَّ أَصْلِحْ عَبْدَكَ وَخَلِيفَتَكَ الْقَادِرَ بِاللَّهِ ، وَلَمْ يَذْكُرُوا اسْمَهُ ، وَأَرْضَاهُمْ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ.وَلَمَّا وَصَلَ الرُّسُلُ إِلَى الْقَادِرِ بِاللَّهِ كَانَ تِلْكَ السَّاعَةَ يَحْكِي مَنَامًا رَآهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَهُوَ مَا حَكَاهُ هِبَةُ اللَّهِ بْنُ عِيسَى كَاتِبُ مُهَذَّبِ الدَّوْلَةِ قَالَ كُنْتُ أَحْضُرُ عِنْدَ الْقَادِرِ بِاللَّهِ كُلَّ أُسْبُوعٍ مَرَّتَيْنِ ، فَكَانَ يُكْرِمُنِي ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا فَوَجَدْتُهُ قَدْ تَأَهَّبَ تَأَهُّبًا لَمْ تَجْرِ بِهِ عَادَتُهُ ، وَلَمْ أَرَ مِنْهُ مِمَّا أَلِفْتُهُ مِنْ إِكْرَامِهِ ، وَاخْتَلَفَتْ بِي الظُّنُونُ فَسَأَلْتُهُ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ ، فَإِنْ كَانَ لِزَلَّةٍ مِنِّي اعْتَذَرْتُ عَنْ نَفْسِي.فَقَالَ بَلْ رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ فِي مَنَامِي كَأَنَّ نَهْرَكُمْ هَذَا ، نَهْرَ الصَّلِيقِ ، قَدِ اتَّسَعَ ، فَصَارَ مِثْلَ دِجْلَةَ ، دَفَعَاتٍ ، فَسِرْتُ عَلَى حَافَّتِهِ مُتَعَجِّبًا مِنْهُ ، وَرَأَيْتُ قَنْطَرَةً عَظِيمَةً ، فَقُلْتُ مَنْ قَدْ حَدَّثَ نَفْسَهُ بِعَمَلِ هَذِهِ الْقَنْطَرَةِ عَلَى هَذَا الْبَحْرِ الْعَظِيمِ ؟ثُمَّ صَعَدْتُهَا ، وَهِيَ مُحْكَمَةٌ ، فَبَيْنَمَا أَنَا عَلَيْهَا أَتَعَجَّبُ مِنْهَا إِذْ رَأَيْتُ شَخْصًا قَدْ تَأَمَّلَنِي مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ ، فَقَالَ أَتُرِيدُ أَنْ تَعْبُرَ ؟قُلْتُ نَعَمْ فَمَدَّ يَدَهُ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَيَّ ، فَأَخَذَنِي وَعَبَّرَنِي ، فَهَالَنِي وَتَعَاظَمَنِي فِعْلُهُ ، قُلْتُ مَنْ أَنْتَ ؟قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، هَذَا الْأَمْرُ صَائِرٌ إِلَيْكَ ، وَيَطُولُ عُمْرُكَ فِيهِ ، فَأَحْسِنْ إِلَى وَلَدِي ، وَشِيعَتِي.فَمَا انْتَهَى الْقَادِرُ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ حَتَّى سَمِعْنَا صِيَاحَ الْمَلَّاحِينَ وَغَيْرِهِمْ ، وَسَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ ، وَإِذَا هُمُ الْوَارِدُونَ إِلَيْهِ لِإِصْعَادِهِ لِيَتَوَلَّى الْخِلَافَةَ ، فَخَاطَبْتُهُ بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَبَايَعْتُهُ ، وَقَامَ مُهَذَّبُ الدَّوْلَةِ بِخِدْمَتِهِ أَحْسَنَ قِيَامٍ ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَالِ وَغَيْرِهِ مَا يَحْمِلُهُ كِبَارُ الْمُلُوكِ لِلْخُلَفَاءِ وَشَيَّعَهُ.فَسَارَ الْقَادِرُ بِاللَّهِ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَلَمَّا دَخَلَ جَبُّلَ انْحَدَرَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ وَأَعْيَانُ النَّاسِ لِاسْتِقْبَالِهِ ، وَسَارُوا فِي خِدْمَتِهِ ، فَدَخَلَ دَارَ الْخِلَافَةِ ثَانِيَ عَشَرَ رَمَضَانَ ، وَبَايَعَهُ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ وَالنَّاسُ ، وَخُطِبَ لَهُ ثَالِثَ عَشَرَ رَمَضَانَ ، وَجَدَّدَ أَمْرَ الْخِلَافَةِ ، وَعَظَّمَ نَامُوسَهَا ، وَسَيَرِدُ مِنْ أَخْبَارِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، مَا يُعْلَمُ بِهِ ذَلِكَ ، وَحُمِلَ إِلَيْهِ بَعْضُ مَا نُهِبَ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ ، وَكَانَتْ مُدَّةُ مُقَامِهِ فِي الْبَطِيحَةِ سَنَتَيْنِ وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا ، وَلَمْ يُخْطَبْ لَهُ فِي جَمِيعِ خُرَاسَانَ ، كَانَتِ الْخُطْبَةُ فِيهَا لِلطَّائِعِ لِلَّهِ .ذِكْرُ مُلْكِ خَلَفِ بْنِ أَحْمَدَ كَرْمَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَنْفَذَ خَلَفُ بْنُ أَحْمَدَ ، صَاحِبُ سِجِسْتَانَ ، وَهُوَ ابْنُ بَانُوَا بِنْتِ عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ الصَّفَّارِ ، ابْنَهُ عَمْرًا إِلَى كَرْمَانَ فَمَلَكَهَا.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ لَمَّا قَوِيَ أَمْرُهُ ، وَجَمَعَ الْأَمْوَالَ الْكَثِيرَةَ ، حَدَّثَ نَفْسَهُ بِمُلْكِ كَرْمَانَ ، وَلَمْ يَتَهَيَّأْ لَهُ ذَلِكَ لِهُدْنَةٍ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ.فَلَمَّا مَاتَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ ، وَمَلَكَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ اسْتَقَرَّ أَمْرُهُ وَانْتَظَمَ ، وَأَمَّنَ مُلْكَهُ ، وَلَمْ يَتَحَرَّكْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.فَلَمَّا تُوُفِّيَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ ، وَاضْطَرَبَ مُلُوكُ بَنِي بُوَيْهٍ ، وَوَقَعَ الْخُلْفُ بَيْنَ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ وَبَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، قَوِيَ طَمَعُهُ ، وَانْتَهَزَ الْفُرْصَةَ ، وَجَهَّزَ وَلَدَهُ عَمْرًا ، وَسَيَّرَهُ فِي عَسْكَرٍ كَثِيرٍ إِلَى كَرْمَانَ ، وَبِهَا قَائِدٌ يُقَالُ لَهُ تَمَرْتَاشُ كَانَ قَدِ اسْتَعْمَلَهُ شَرَفُ الدَّوْلَةِ ، فَلَمْ يَشْعُرْ تَمَرْتَاشُ إِلَّا وَعَمْرٌو قَدْ قَارَبَهُ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِمَنْ مَعَهُ حِيلَةٌ إِلَّا الدُّخُولُ إِلَى بَرْدَسِيرَ ، وَحَمَلُوا مَا أَمْكَنَهُمْ حَمْلُهُ ، وَغَنِمَ عَمْرٌو الْبَاقِيَ ، وَمَلَكَ كَرْمَانَ مَا عَدَا بَرْدَسِيرَ ، وَصَادَرَ النَّاسَ وَجَبَى الْأَمْوَالَ.فَلَمَّا وَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ ، وَهُوَ صَاحِبُ فَارِسَ ، جَهَّزَ الْعَسَاكِرَ وَسَيَّرَهَا إِلَى تَمَرْتَاشَ ، وَقَدَّمَ عَلَيْهِمْ قَائِدًا يُقَالُ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ ، وَأَمَرَهُ بِالْقَبْضِ عَلَى تَمَرْتَاشَ عِنْدَ الِاجْتِمَاعِ بِهِ ، لِأَنَّهُ اتَّهَمَهُ بِالْمَيْلِ إِلَى أَخِيهِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ.فَسَارَ أَبُو جَعْفَرٍ ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ بِتَمَرْتَاشَ أَنْزَلَهُ عِنْدَهُ بِعِلَّةِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى مَا يَفْعَلَانِهِ ، وَقَبَضَ عَلَيْهِ وَحَمَلَهُ إِلَى شِيرَازَ ، فَسَارَ أَبُو جَعْفَرٍ بِالْعَسْكَرِ جَمِيعِهِ يَقْصِدُ عَمْرَو بْنَ خَلَفٍ لِيُحَارِبَهُ ، فَالْتَقَوْا بِدَارَزِينَ وَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ أَبُو جَعْفَرٍ وَالدَّيْلَمُ ، وَعَادُوا عَلَى طَرِيقِ جِيرُفْتَ.وَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ وَأَصْحَابِهِ ، فَانْزَعَجُوا لِذَلِكَ ، ثُمَّ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى إِنْفَاذِ الْعَبَّاسِ بْنِ أَحْمَدَ فِي عَسْكَرٍ أَكْثَرَ مِنَ الْأَوَّلِ ، فَسَيَّرُوهُ فِي عَدَدٍ كَثِيرٍ وَعُدَّةٍ ظَاهِرَةٍ ، فَسَارَ حَتَّى بَلَغَ عَمْرًا ، فَالْتَقَوْا بِقُرْبِ السِّيرَجَانِ ، وَاقْتَتَلُوا فَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ عَلَى عَمْرِو بْنِ خَلَفٍ وَأُسِرَ جَمَاعَةٌ مِنْ قُوَّادِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَكَانَ هَذَا فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَعَادَ عَمْرٌو إِلَى أَبِيهِ بِسِجِسْتَانَ مَهْزُومًا ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ لَامَهُ وَوَبَّخَهُ ، ثُمَّ حَبَسَهُ أَيَّامًا ، ثُمَّ قَتَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَوَلَّى غَسْلَهُ وَالصَّلَاةَ عَلَيْهِ ، وَدَفَنَهُ فِي الْقَلْعَةِ.فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا كَانَ أَقْسَى قَلْبَ هَذَا الرَّجُلِ مَعَ عِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ!.ثُمَّ إِنَّ صَمْصَامَ الدَّوْلَةِ عَزَلَ الْعَبَّاسَ عَنْ كَرْمَانَ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا أُسْتَاذَ هُرْمُزَ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى كَرْمَانَ خَافَهُ خَلَفُ بْنُ أَحْمَدَ ، فَكَاتَبَهُ فِي تَجْدِيدِ الصُّلْحِ ، وَاعْتَذَرَ عَنْ فِعْلِهِ ، فَاسْتَقَرَّ الصُّلْحُ ، وَأَنْفَذَ خَلَفٌ قَاضِيًا كَانَ بِسِجِسْتَانَ يُعْرَفُ بِأَبِي يُوسُفَ وَكَانَ لَهُ قَبُولٌ عِنْدَ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ ، وَوَضَعَ عَلَيْهِ إِنْسَانًا يَكُونُ مَعَهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْقِيَهُ سُمًّا إِذَا صَارَ عِنْدَ أُسْتَاذِ هُرْمُزَ وَيَعُودَ مُسْرِعًا وَيُشِيعَ بِأَنَّ أُسْتَاذَ هُرْمُزَ قَتَلَهُ.فَسَارَ أَبُو يُوسُفَ إِلَى كَرْمَانَ ، فَصَنَعَ لَهُ أُسْتَاذُ هُرْمُزَ طَعَامًا ، فَحَضَرَهُ وَأَكَلَ مِنْهُ ، فَلَمَّا عَادَ إِلَى مَنْزِلِهِ سَقَاهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ سُمًّا فَمَاتَ مِنْهُ ، وَرَكِبَ جَمَّازَةً وَسَارَ مُجِدًّا إِلَى خَلَفٍ ، فَجَمَعَ لَهُ خَلَفٌ وُجُوهَ النَّاسِ لِيَسْمَعُوا لَهُ ، فَذَكَرَ أَنَّ أُسْتَاذَ هُرْمُزَ قَتَلَ الْقَاضِيَ أَبَا يُوسُفَ ، وَبَكَى خَلَفٌ وَأَظْهَرَ الْجَزَعَ عَلَيْهِ ، وَنَادَى فِي النَّاسِ بِغَزْوِ كَرْمَانَ وَالْأَخْذِ بِثَأْرِ أَبِي يُوسُفَ ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ وَاحْتَشَدُوا ، فَسَيَّرَهُمْ مَعَ وَلَدِهِ طَاهِرٍ ، فَوَصَلُوا إِلَى نَرْمَاسِيرَ ، وَبِهَا عَسْكَرُ الدَّيْلَمِ ، فَهَزَمُوهُمْ وَأَخَذُوا الْبَلَدَ مِنْهُمْ.وَلَحِقَ الدَّيْلَمُ بِجِيرُفْتَ ، فَاجْتَمَعُوا بِهَا ، وَجَعَلُوا بِبَرْدَسِيرَ مَنْ يَحْمِيهَا ، وَهِيَ أَصْلُ بِلَادِ كَرْمَانَ وَمَصْرُهَا ، فَقَصَدَهَا طَاهِرٌ وَحَصَرَهَا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، فَضَاقَ بِأَهْلِهَا ، وَكَتَبُوا إِلَى أُسْتَاذِ هُرْمُزَ يُعْلِمُونَهُ حَالَهُمْ ، وَأَنَّهُ إِنْ لَمْ يُدْرِكْهُمْ سَلَّمُوا الْبَلَدَ.فَرَكِبَ الْخَطَرَ وَسَارَ مُجِدًّا فِي مَضَايِقِ جِبَالٍ وَعْرَةٍ ، حَتَّى أَتَى بَرْدَسِيرَ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا رَحَلَ طَاهِرٌ وَمَنْ مَعَهُ عَنْهَا ، وَعَادُوا إِلَى سِجِسْتَانَ ، وَاسْتَقَرَّتْ كَرْمَانُ لِلدَّيْلَمِ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.ذِكْرُ عِصْيَانِ بَكْجُورَ عَلَى سَعْدِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ وَقَتْلِهِ لَمَّا وَصَلَ بَكْجُورُ إِلَى الرَّقَّةِ مُنْهَزِمًا مِنْ عَسَاكِرِ مِصْرَ بِدِمَشْقَ وَأَقَامَ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى الرُّحْبَةِ وَمَا يُجَاوِرُ الرَّقَّةَ ، وَرَاسَلَ الْمَلِكَ بَهَاءَ الدَّوْلَةِ بْنَ بُوَيْهٍ بِالِانْضِمَامِ إِلَيْهِ ، وَكَاتَبَ أَيْضًا بَاذًا الْكُرْدِيَّ الْمُتَغَلِّبَ عَلَى دِيَارِ بَكْرٍ وَالْمَوْصِلِ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِ ، وَرَاسَلَ سَعْدَ الدَّوْلَةِ بْنَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ ، صَاحِبَ حَلَبَ ، بِأَنْ يَعُودَ إِلَى طَاعَتِهِ عَلَى قَاعِدَتِهِ الْأُولَى ، وَيُقْطِعَهُ مِنْهُ مَدِينَةَ حِمْصَ كَمَا كَانَتْ لَهُ ، فَلَيْسَ فِيهِمْ مَنْ أَجَابَهُ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا طَلَبَ ، فَبَقِيَ فِي الرَّقَّةِ يُرَاسِلُ جَمَاعَةً رُفَقَاءَ مِنْ مَمَالِيكِ سَعْدِ الدَّوْلَةِ ، وَيَسْتَمِيلُهُمْ ، فَأَجَابُوهُ إِلَى الْمُوَافَقَةِ عَلَى قَصْدِ بَلَدِ سَعْدِ الدَّوْلَةِ ، وَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ مَشْغُولٌ بِلَذَّاتِهِ وَشَهَوَاتِهِ عَنْ تَدْبِيرِ الْمُلْكِ فَأَرْسَلَ حِينَئِذٍ بَكْجُورُ إِلَى الْعَزِيزِ بِاللَّهِ ، صَاحِبِ مِصْرَ ، يُطْمِعُهُ فِي حَلَبَ ، وَيَقُولُ لَهُ إِنَّهَا دِهْلِيزُ الْعِرَاقِ ، وَمَتَى أُخِذَتْ كَانَ مَا بَعْدَهَا أَسْهَلَ مِنْهَا ، وَيَطْلُبُ الْإِنْجَادَ بِالْعَسَاكِرِ.فَأَجَابَهُ الْعَزِيزُ إِلَى ذَلِكَ وَأَرْسَلَ إِلَى نَزَّالٍ ، وَالِي طَرَابُلُسَ ، وَإِلَى وُلَاةِ غَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ يَأْمُرُهُمْ بِتَجْهِيزِ الْعَسَاكِرِ مَعَ نَزَّالٍ إِلَى بَكْجُورَ ، وَالتَّصَرُّفِ عَلَى مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ مِنْ قِتَالِ سَعْدِ الدَّوْلَةِ وَقَصْدِ بِلَادِهِ.وَكَتَبَ عِيسَى بْنُ نَسْطُورَسَ النَّصْرَانِيُّ ، وَزِيرُ الْعَزِيزِ ، إِلَى نَزَّالٍ يَأْمُرُهُ بِمُدَافَعَةِ بَكْجُورَ ، وَإِطْمَاعِهِ فِي الْمَسِيرِ إِلَيْهِ ، فَإِذَا تَوَرَّطَ فِي قَصْدِ سَعْدِ الدَّوْلَةِ تَخَلَّى عَنْهُ.وَكَانَ السَّبَبُ فِي فِعْلِ عِيسَى هَذَا بِبَكْجُورَ أَنَّهُ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَكْجُورَ عَدَاوَةٌ مُسْتَحْكَمَةٌ ، وَوَلِيَ الْوِزَارَةَ بَعْدَ وَفَاةِ ابْنِ كِلِّسٍ ، فَكَتَبَ إِلَى نَزَّالٍ مَا ذَكَرْنَاهُ.فَلَمَّا وَصَلَ أَمْرُ الْعَزِيزِ إِلَى نَزَّالٍ بِإِنْجَادِ بَكْجُورَ كَتَبَ إِلَيْهِ يُعَرِّفُهُ مَا أُمِرَ بِهِ مِنْ نَجْدَتِهِ بِنَفْسِهِ وَبِالْعَسَاكِرِ مَعَهُ ، وَقَالَ لَهُ بَكْجُورُ مَسِيرُكَ عَنِ الرَّقَّةِ يَوْمَ كَذَا ، وَمَسِيرِي أَنَا عَنْ طَرَابُلُسَ يَوْمَ كَذَا ، وَيَكُونُ اجْتِمَاعُنَا عَلَى حَلَبَ يَوْمَ كَذَا وَتَابَعَ رُسُلَهُ إِلَيْهِ بِذَلِكَ ، فَسَارَ مُغْتَرًّا بِقَوْلِهِ إِلَى بَالِسَ ، فَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِ ، فَحَصَرَهَا خَمْسَةَ أَيَّامٍ فَلَمْ يَظْفَرْ بِهَا فَسَارَ عَنْهَا.وَبَلَغَ الْخَبَرُ بِمَسِيرِ بَكْجُورَ إِلَى سَعْدِ الدَّوْلَةِ ، فَسَارَ عَنْ حَلَبَ وَمَعَهُ لُؤْلُؤٌ الْكَبِيرُ ، مَوْلَى أَبِيهِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، وَكَتَبَ إِلَى بَكْجُورَ يَسْتَمِيلُهُ وَيَدْعُوهُ إِلَى الْمُوَادَعَةِ ، وَرِعَايَةِ حَقِّ الرِّقِّ وَالْعُبُودِيَّةِ ، وَيَبْذُلُ لَهُ أَنْ يَقْطَعَهُ مِنَ الرَّقَّةِ إِلَى حِمْصَ ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ ذَلِكَ.وَكَانَ سَعْدُ الدَّوْلَةِ قَدْ كَاتَبَ الْوَالِيَ بِأَنْطَاكِيَةَ لِمَلِكِ الرُّومِ يَسْتَنْجِدُهُ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيرًا مِنَ الرُّومِ ، وَكَاتَبَ أَيْضًا مَنْ مَعَ بَكْجُورَ مِنَ الْعَرَبِ يُرَغِّبُهُمْ فِي الْإِقْطَاعِ ، وَالْعَطَاءِ الْكَثِيرِ ، وَالْعَفْوِ عَنْ مُسَاعَدَتِهِمْ بَكْجُورَ ، فَمَالُوا إِلَيْهِ ، وَوَعَدُوهُ الْهَزِيمَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَلَمَّا الْتَقَى الْعَسْكَرَانِ اقْتَتَلُوا ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، فَلَمَّا اخْتَلَطَ النَّاسُ فِي الْحَرْبِ وَشُغِلَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ عَطَفَ الْعَرَبُ عَلَى سَوَادِ بَكْجُورَ فَنَهَبُوهُ ، وَاسْتَأْمَنُوا إِلَى سَعْدِ الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا رَأَى بَكْجُورُ ذَلِكَ اخْتَارَ مِنْ شُجْعَانِ أَصْحَابِهِ أَرْبَعَمِائَةِ رَجُلٍ ، وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَقْصِدَ مَوْقِفَ سَعْدِ الدَّوْلَةِ وَيُلْقِيَ نَفْسَهُ عَلَيْهِ ، فَإِمَّا لَهُ وَإِمَّا عَلَيْهِ ، فَهَرَبَ وَاحِدٌ مِمَّنْ حَضَرَ الْحَالَ إِلَى لُؤْلُؤٍ الْكَبِيرِ وَعَرَّفَهُ ذَلِكَ ، فَطَلَبَ لُؤْلُؤٌ مِنْ سَعْدِ الدَّوْلَةِ أَنْ يَتَحَرَّكَ مِنْ مَوْقِفِهِ وَيَقِفَ مَكَانَهُ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ بَعْدَ امْتِنَاعٍ.فَحَمَلَ بَكْجُورُ وَمَنْ مَعَهُ ، فَوَصَلُوا إِلَى مَوْقِفِ لُؤْلُؤٍ بَعْدَ قِتَالٍ شَدِيدٍ عَجِبَ النَّاسُ مِنْهُ وَاسْتَعْظَمُوهُ كُلُّهُمْ ، فَلَمَّا رَأَى لُؤْلُؤًا أَلْقَى نَفْسَهُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَظُنُّهُ سَعْدَ الدَّوْلَةِ ، فَضَرَبَهُ عَلَى رَأْسِهِ ، فَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ ، فَظَهَرَ حِينَئِذٍ سَعْدُ الدَّوْلَةِ وَعَادَ إِلَى مَوْقِفِهِ ، فَفَرِحَ بِهِ أَصْحَابُهُ وَقَوِيَتْ نُفُوسُهُمْ ، وَأَحَاطُوا بِبَكْجُورَ وَصَدَقُوهُ الْقِتَالَ فَمَضَى مُنْهَزِمًا هُوَ وَعَامَّةُ أَصْحَابِهِ ، وَتَفَرَّقُوا ، وَبَقِيَ مِنْهُمْ مَعَهُ سَبْعَةُ أَنْفُسٍ ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ فِي الْبَاقِينَ.وَلَمَّا طَالَ الشَّوْطُ بِبَكْجُورَ أَلْقَى سِلَاحَهُ وَسَارَ ، فَوَقَفَ فَرَسُهُ ، فَنَزَلَ عَنْهُ وَسَارَ رَاجِلًا ، فَلَحِقَهُ نَفَرٌ مِنَ الْعَرَبِ ، فَأَخَذُوا مَا عَلَيْهِ ، وَقَصَدَ بَعْضَ الْعَرَبِ فَنَزَلَ عَلَيْهِ وَعَرَّفَهُ نَفْسَهُ ، وَضَمِنَ لَهُ حِمْلَ بَعِيرٍ ذَهَبًا لِيُوَصِّلَهُ إِلَى الرَّقَّةِ ، فَلَمْ يُصَدِّقْهُ لِبُخْلِهِ الْمَشْهُورِ عَنْهُ ، فَتَرَكَهُ فِي بَيْتِهِ وَتَوَجَّهَ إِلَى سَعْدِ الدَّوْلَةِ فَعَرَّفَهُ أَنَّ بَكْجُورَ عِنْدَهُ ، فَحَكَّمَهُ سَعْدُ الدَّوْلَةِ فِي مَطَالِبِهِ ، فَطَلَبَ مِائَتَيْ فَدَّانٍ مِلْكًا ، وَمِائَةَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَمِائَةَ جَمَلٍ تَحْمِلُ لَهُ حِنْطَةً ، وَخَمْسِينَ قِطْعَةَ ثِيَابٍ ، فَأَعْطَاهُ ذَلِكَ أَجْمَعَ وَزِيَادَةً وَسَيَّرَ مَعَهُ سَرِيَّةً ، فَتَسَلَّمُوا بَكْجُورَ وَأَحْضَرُوهُ عِنْدَ سَعْدِ الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا رَآهُ أَمَرَ بِقَتْلِهِ ، فَقُتِلَ ، وَلَقِيَ عَاقِبَةَ بَغْيِهِ وَكُفْرِهِ إِحْسَانَ مَوْلَاهُ.فَلَمَّا قَتَلَهُ سَعْدُ الدَّوْلَةِ سَارَ إِلَى الرَّقَّةِ فَنَازَلَهَا ، وَبِهَا سَلَامَةُ الرَّشِيقِيُّ ، وَمَعَهُ أَوْلَادُ بَكْجُورَ وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الْمَغْرِبِيُّ وَزِيرُ بَكْجُورَ ، فَسَلَّمُوا الْبَلَدَ إِلَيْهِ بِأَمَانٍ وَعُهُودٍ أَكَّدُوهَا وَأَخَذُوهَا عَلَيْهِ لِأَوْلَادِ بَكْجُورَ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَلِلْوَزِيرِ الْمَغْرِبِيِّ ، وَلِسَلَامَةَ الرَّشِيقِيِّ ، وَلِأَمْوَالِهِمْ ، فَلَمَّا خَرَجَ أَوْلَادُ بَكْجُورَ بِأَمْوَالِهِمْ رَأَى سَعْدُ الدَّوْلَةِ مَا مَعَهُمْ ، فَاسْتَعْظَمَهُ وَاسْتَكْثَرَهُ.وَكَانَ عِنْدَهُ الْقَاضِي ابْنُ أَبِي الْحِصْنِ ، فَقَالَ سَعْدُ الدَّوْلَةِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ بَكْجُورَ يَمْلِكُ هَذَا جَمِيعَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي لِمَ لَا تَأْخُذُهُ ؟فَهُوَ لَكَ لِأَنَّهُ مَمْلُوكٌ وَلَا يَمْلِكُ شَيْئًا ، وَلَا حَرَجَ عَلَيْكَ وَلَا حِنْثَ.فَلَمَّا سَمِعَ هَذَا أَخَذَ الْمَالَ جَمِيعَهُ وَقَبَضَ عَلَيْهِمْ ، وَهَرَبَ الْوَزِيرُ الْمَغْرِبِيُّ إِلَى مَشْهَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَتَبَ أَوْلَادُ بَكْجُورَ إِلَى الْعَزِيزِ يَسْأَلُونَهُ الشَّفَاعَةَ فِيهِمْ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يُشَفِّعُ فِيهِمْ ، وَيَأْمُرُهُ أَنْ يُسَيِّرَهُمْ إِلَى مِصْرَ وَيَتَهَدَّدُهُ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ.فَأَهَانَ الرَّسُولَ وَقَالَ لَهُ قُلْ لِصَاحِبِكَ أَنَا سَائِرٌ إِلَيْكَ.وَسَيَّرَ مُقَدَّمَتَهُ إِلَى حِمْصَ لِيَلْحَقَهُمْ.ذِكْرُ وَفَاةِ سَعْدِ الدَّوْلَةِبْنِ حَمْدَانَ فَلَمَّا بَرَزَ سَعْدُ الدَّوْلَةِ لِيَسِيرَ إِلَى دِمَشْقَ لَحِقَهُ قَوْلَنْجُ ، فَعَادَ إِلَى حَلَبَ لِيَتَدَاوَى ، فَزَالَ مَا بِهِ وَعُوفِيَ ، وَعَزَمَ عَلَى الْعَوْدِ إِلَى مُعَسْكَرِهِ ، وَحَضَرَ عِنْدَ إِحْدَى سَرَارِيهِ فَوَاقَعَهَا فَسَقَطَ عَنْهَا وَقَدْ فُلِجَ وَبَطَلَ نِصْفُهُ ، فَاسْتَدْعَى الطَّبِيبَ ، فَقَالَ لَهُ أَعْطِنِي يَدَكَ لِآخُذَ مَجَسَّكَ فَأَعْطَاهُ الْيُسْرَى ، فَقَالَ أَعْطِنِي الْيَمِينَ فَقَالَ لَا تُرِكَتْ لِيَ الْيَمِينُ يَمِينًا ، يَعْنِي نَكْثَهُ بِأَوْلَادِ بَكْجُورَ هُوَ الَّذِي أَهْلَكَهُ ، وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ ، وَنَدِمَ عَلَيْهِ حَيْثُ لَمْ تَنْفَعْهُ النَّدَامَةُ ، وَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَمَاتَ بَعْدَ أَنْ عَهِدَ إِلَى وَلَدِهِ أَبِي الْفَضَائِلِ ، وَوَصَّى إِلَى لُؤْلُؤٍ بِهِ وَبِسَائِرِ أَهْلِهِ.فَلَمَّا تُوُفِّيَ قَامَ أَبُو الْفَضَائِلِ ، وَأَخَذَ لَهُ لُؤْلُؤٌ الْعَهْدَ عَلَى الْأَجْنَادِ ، وَتَرَاجَعَتِ الْعَسَاكِرُ إِلَى حَلَبَ.وَكَانَ الْوَزِيرُ أَبُو الْحَسَنِ الْمَغْرِبِيُّ قَدْ سَارَ مِنْ مَشْهَدِ عَلِيٍّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِلَى الْعَزِيزِ بِمِصْرَ ، وَأَطْمَعَهُ فِي حَلَبَ ، فَسَيَّرَ جَيْشًا وَعَلَيْهِمْ مَنْجُوتِكِينُ أَحَدُ أُمَرَائِهِ إِلَى حَلَبَ ، فَسَارَ إِلَيْهَا فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ فَحَصَرَهَا ، وَبِهَا أَبُو الْفَضَائِلِ وَلُؤْلُؤٌ ، فَكَتَبَا إِلَى بَسِيلَ مَلِكِ الرُّومِ يَسْتَنْجِدَانِهِ ، وَهُوَ يُقَاتِلُ الْبُلْغَارَ ، فَأَرْسَلَ بَسِيلُ إِلَى نَائِبِهِ بِأَنْطَاكِيَةَ يَأْمُرُهُ بِإِنْجَادِ أَبِي الْفَضَائِلِ ، فَسَارَ فِي خَمْسِينَ أَلْفًا ، حَتَّى نَزَلَ عَلَى الْجِسْرِ الْجَدِيدِ بِالْعَاصِي ، فَلَمَّا سَمِعَ مَنْجُوتِكِينُ الْخَبَرَ سَارَ إِلَى الرُّومِ لِيَلْقَاهُمْ قَبْلَ اجْتِمَاعِهِمْ بِأَبِي الْفَضَائِلِ ، وَعَبَرَ إِلَيْهِمُ الْعَاصِيَ ، وَأَوْقَعُوا بِالرُّومِ فَهَزَمُوهُمْ وَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ فِيهِمْ.وَسَارَ مَنْجُوتِكِينُ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ ، فَنَهَبَ بَلَدَهَا وَقُرَاهَا وَأَحْرَقَهَا ، وَأَنْفَذَ أَبُو الْفَضَائِلِ إِلَى بَلَدِ حَلَبَ ، فَنَقَلَ مَا فِيهِ مِنَ الْغِلَالِ وَأَحْرَقَ الْبَاقِيَ إِضْرَارًا بِعَسَاكِرِ مِصْرَ ، وَعَادَ مَنْجُوتِكِينُ إِلَى حَلَبَ فَحَصَرَهَا ، فَأَرْسَلَ لُؤْلُؤٌ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الْمَغْرِبِيِّ وَغَيْرِهِمْ وَبَذَلَ لَهُمْ مَالًا لِيَرُدَّا مَنْجُوتِكِينَ عَنْهُمْ ، هَذِهِ السَّنَةَ ، بِعِلَّةِ تَعَذُّرِ الْأَقْوَاتِ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، وَكَانَ مَنْجُوتِكِينُ قَدْ ضَجِرَ مِنَ الْحَرْبِ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَيْهِ وَسَارَ إِلَى دِمَشْقَ.وَلَمَّا بَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى الْعَزِيزِ غَضِبَ وَكَتَبَ بِعَوْدِ الْعَسْكَرِ إِلَى حَلَبَ ، وَإِبْعَادِ الْمَغْرِبِيِّ ، وَأَنْفَذَ الْأَقْوَاتَ مِنْ مِصْرَ فِي الْبَحْرِ إِلَى طَرَابُلُسَ ، وَمِنْهَا إِلَى الْعَسْكَرِ ، فَنَازَلَ الْعَسْكَرُ حَلَبَ ، وَأَقَامُوا عَلَيْهَا ثَلَاثَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، فَقَلَّتِ الْأَقْوَاتُ بِحَلَبَ.وَعَادَ إِلَى مُرَاسَلَةِ مَلِكِ الرُّومِ وَالِاعْتِضَادِ بِهِ ، وَقَالَ لَهُ مَتَى أُخِذَتْ حَلَبُ أُخِذَتْ أَنْطَاكِيَةُ وَعَظُمَ عَلَيْكَ الْخَطْبُ.وَكَانَ قَدْ تَوَسَّطَ بِلَادَ الْبُلْغَارِ ، فَعَادَ وَجَدَّ فِي السَّيْرِ ، وَكَانَ الزَّمَانُ رَبِيعًا ، وَعَسَكَرُ مِصْرَ قَدْ أَرْسَلَ إِلَى مَنْجُوتِكِينَ يُعَرِّفُهُ الْحَالَ ، وَأَتَتْهُ جَوَاسِيسُهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ ، فَأَخْرَبَ مَا كَانَ بَنَاهُ مِنْ سُوقٍ وَحَمَّامٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَسَارَ كَالْمُنْهَزِمِ عَنْ حَلَبَ ، وَوَصَلَ مَلِكُ الرُّومِ فَنَزَلَ عَلَى بَابِ حَلَبَ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبُو الْفَضَائِلِ وَلُؤْلُؤٌ ، وَعَادَ إِلَى حَلَبَ ، وَرَحَلَ بَسِيلُ إِلَى الشَّامِ ، فَفَتَحَ حِمْصَ وَشَيْزَرَ وَنَهَبَهُمَا ، وَسَارَ إِلَى طَرَابُلُسَ فَنَازَلَهَا ، فَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِ ، وَأَقَامَ عَلَيْهَا نَيِّفًا وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، فَلَمَّا أَيِسَ مِنْهَا عَادَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ.وَلَمَّا بَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى الْعَزِيزِ عَظُمَ عَلَيْهِ ، وَنَادَى فِي النَّاسِ بِالنَّفِيرِ لِغَزْوِ الرُّومِ ، وَبَرَزَ مِنَ الْقَاهِرَةِ ، وَحَدَثَ بِهِ أَمْرَاضٌ مَنَعَتْهُ ، وَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ الْمَنْصُورُ ، صَاحِبُ إِفْرِيقِيَّةَ ، نَائِبَهُ فِي الْبِلَادِ يُوسُفَ ، وَاسْتَعْمَلَ بَعْدَهُ عَلَى الْبِلَادِ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي الْعَرَبِ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْقَائِدُ جَوْهَرٌ ، بَعْدَ عَزْلِهِ ، وَجَوْهَرٌ هَذَا هُوَ الَّذِي فَتَحَ مِصْرَ لِلْمُعِزِّ الْعَلَوِيِّ.وَفِيهَا قَبَضَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ عَلَى وَزِيرِهِ أَبِي نَصْرٍ سَابُورَ بِالْأَهْوَازِ ، وَاسْتَوْزَرَ أَبَا الْقَاسِمِ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ يُوسُفَ. وَفِيهَا أَيْضًا قَبَضَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ عَلَى أَبِي نَصْرٍ خُوَاشَاذَهْ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، بَعْدَ عَوْدِهِ مِنْ خُوزِسْتَانَ ، وَكَانَ سَبَبُ قَبْضِهِمَا أَنَّ أَبَا نَصْرٍ كَانَ شَحِيحًا ، فَلَمْ يُوَاصِلِ ابْنَ الْمُعَلِّمِ بِخَدَمِهِ وَهَدَايَاهُ ، فَشَرَعَ فِي الْقَبْضِ عَلَيْهِ.وَفِيهَا هَرَبَ فُولَاذٌ زَمَانْدَرُ مِنْ عِنْدِ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ إِلَى الرَّيِّ ، وَكَانَ سَبَبُ هَرَبِهِ أَنَّهُ تَحَكَّمَ عَلَى صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ تَحَكُّمًا عَظِيمًا أَنِفَ مِنْهُ ، فَأَرَادَ الْقَبْضَ عَلَيْهِ ، فَعَلِمَ بِهِ فَهَرَبَ مِنْهُ.وَفِيهَا كَتَبَ أَهْلُ الرُّحْبَةِ إِلَى بَهَاءِ الدَّوْلَةِ يَطْلُبُونَ إِنْفَاذَ مَنْ يُسَلِّمُونَ إِلَيْهِ الرُّحْبَةَ ، فَأَنْفَذَ خُمَارْتِكِينَ الْحَفْصِيَّ إِلَى الرُّحْبَةِ فَتَسَلَّمَهَا ، وَسَارَ مِنْهَا إِلَى الرَّقَّةِ ، وَبِهَا بَدْرٌ غُلَامُ سَعْدِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ ، فَجَرَتْ بَيْنَهُمَا وَقَعَاتٌ ، فَلَمْ يَظْفَرْ بِهَا ، وَبَلَغَهُ اخْتِلَافٌ بِبَغْدَاذَ ، فَعَادَ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِ بَعْضُ الْعَرَبِ ، فَأَخَذُوهُ أَسِيرًا ، ثُمَّ افْتَدَى مِنْهُمْ بِمَالٍ كَثِيرٍ.وَفِيهَا حَلَفَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ لِلْقَادِرِ بِاللَّهِ عَلَى الطَّاعَةِ ، وَالْقِيَامِ بِشُرُوطِ الْبَيْعَةِ ، وَحَلَفَ لَهُ الْقَادِرُ بِالْوَفَاءِ وَالْخُلُوصِ ، وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَلَّدَهُ مَا وَرَاءَ بَابِهِ.وَفِيهَا كَثُرَتِ الْفِتَنُ بَيْنَ الْعَامَّةِ بِبَغْدَاذَ ، وَزَالَتْ هَيْبَةُ السَّلْطَنَةِ ، وَتَكَرَّرَ الْحَرِيقُ فِي الْمَحَالِّ ، وَاسْتَمَرَّ الْفَسَادُ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ قَاضِي الْقُضَاةِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَعْرُوفٍ أَبُو مُحَمَّدٍ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ فَاضِلًا ، عَفِيفًا ، نَزِيهًا ، وَكَانَ مُعْتَزِلِيًّا ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَاصِمِ بْنِ زَاذَانَ أَبُو بَكْرٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْمُقْرِي الْأَصْبَهَانِيُّ ، وَلَهُ سِتٌّ وَتِسْعُونَ سَنَةً ، وَهُوَ رَاوِي مُسْنَدِ أَبِي يَعْلَى الْمَوْصِلِيِّ عَنْهُ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ عَوْدِ الدَّيْلَمِ إِلَى الْمَوْصِلِ كَانَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ قَدْ أَنْفَذَ أَبَا جَعْفَرٍ الْحَجَّاجَ بْنَ هُرْمُزَ فِي عَسْكَرٍ كَثِيرٍ إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَمَلَكَهَا آخِرَ سَنَةٍ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَاجْتَمَعَتْ عُقَيْلٌ ، وَأَمِيرُهُمْ أَبُو الذَّوَّادِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ، عَلَى حَرْبِهِ ، فَجَرَى بَيْنَهُمْ عِدَّةُ وَقَائِعَ ظَهَرَ مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ فِيهَا بِأْسٌ شَدِيدٌ ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يَضَعُ لَهُ كُرْسِيًّا بَيْنَ الصَّفَّيْنِ وَيَجْلِسُ عَلَيْهِ ، فَهَابَهُ الْعَرَبُ ، وَاسْتَمَدَّ مِنْ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ عَسْكَرًا ، فَأَمَدَّهُ بِالْوَزِيرِ أَبِي الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ ، وَكَانَ مَسِيرُهُ أَوَّلَ هَذِهِ السَّنَةِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْعَسْكَرِ كَتَبَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ ، فَعَلِمَ أَبُو جَعْفَرٍ أَنَّهُ إِنْ قَبَضَ عَلَيْهِ اخْتَلَفَ الْعَسْكَرُ ، وَظَفِرَ بِهِ الْعَرَبُ ، فَتَرَاجَعَ فِي أَمْرِهِ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ ابْنَ الْمُعَلِّمِ كَانَ عَدُوًّا لَهُ ، فَسَعَى بِهِ عِنْدَ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، فَأَمَرَ بِقَبْضِهِ ، كَانَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ أُذُنًا يَسْمَعُ مَا يُقَالُ لَهُ وَيَفْعَلُ بِهِ ، وَعَلِمَ الْوَزِيرُ الْخَبَرَ ، فَشَرَعَ فِي صُلْحِ أَبِي الذُّوَّادِ وَأَخَذَ رَهَائِنَهُ وَالْعَوْدَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ بِاللَّحَاقِ بِأَبِي الذَّوَّادِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ أَنَفَةً ، وَحُسْنَ عَهْدٍ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بَغْدَاذَ رَأَى ابْنَ الْمُعَلِّمِ قَدْ قُبِضَ وَقُتِلَ وَكُفِيَ شَرَّهُ.وَلَمَّا أَتَاهُ خَبَرُ قَبْضِ ابْنِ الْمُعَلِّمِ وَقَتْلِهِ ظَهَرَ عَلَيْهِ الِانْكِسَارُ ، فَقَالَ لَهُ خَوَاصُّهُ مَا هَذَا الْهَمُّ وَقَدْ كُفِيتَ شَرَّ عَدُوِّكَ فَقَالَ إِنَّ مَلِكًا قَرَّبَ رَجُلًا كَمَا قَرَّبَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ ابْنَ الْمُعَلِّمِ ، ثُمَّ فَعَلَ بِهِ هَذَا ، لَحَقِيقٌ بِأَنْ تُخَافَ مُلَابَسَتُهُ.وَكَانَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ قَدْ أَرْسَلَ الشَّرِيفَ أَبَا أَحْمَدَ الْمُوسَوِيَّ رَسُولًا إِلَى أَبِي الذَّوَّادِ ، فَأَسَرَهُ الْعَرَبُ ، ثُمَّ أَطْلَقُوهُ ، فَوَرَدَ إِلَى الْمَوْصِلِ وَانْحَدَرَ إِلَى بَغْدَاذَ.ذِكْرُ تَسْلِيمِ الطَّائِعِ إِلَى الْقَادِرِ وَمَا فَعَلَهُ مَعَهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي رَجَبٍ ، سَلَّمَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ الطَّائِعَ لِلَّهِ إِلَى الْقَادِرِ بِاللَّهِ ، فَأَنْزَلَهُ حُجْرَةً مِنْ خَاصِّ حُجَرِهِ ، وَوَكَّلَ بِهِ مَنْ ثِقَاتِ خَدَمِهِ مَنْ يَقُومُ بِخِدْمَتِهِ ، وَأَحْسَنَ ضِيَافَتَهُ ، وَكَانَ يَطْلُبُ الزِّيَادَةَ فِي الْخِدْمَةِ كَمَا كَانَ أَيَّامَ الْخِلَافَةِ ، فَيُؤْمَرُ لَهُ بِذَلِكَ.حُكِيَ عَنْهُ أَنَّ الْقَادِرَ بِاللَّهِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ طِيبًا فَقَالَ مَنْ هَذَا يَتَطَيَّبُ أَبُو الْعَبَّاسِ ؟يَعْنِي الْقَادِرَ ، فَقَالُوا نَعَمْ فَقَالَ قُولُوا لَهُ عَنِّي فِي الْمَوْضِعِ الْفُلَانِيِّ كُنْدُوجٌ فِيهِ مِمَّا كُنْتُ أَسْتَعْمِلُهُ ، فَلْيُرْسِلْ إِلَيَّ بَعْضَهُ وَيَأْخُذَ الْبَاقِيَ لِنَفْسِهِ.فَفَعَلَ ذَلِكَ.وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَوْمًا الْقَادِرُ بِاللَّهِ عَدَسِيَّةً ، فَقَالَ مَا هَذَا ؟فَقَالُوا عَدَسٌ وَسِلْقٌ ، فَقَالَ أَوَ قَدْ أَكَلَ أَبُو الْعَبَّاسِ مِنْ هَذَا ؟قَالُوا نَعَمْ قَالَ قُولُوا لَهُ عَنِّي لَمَّا أَرَدْتَ أَنْ تَأْكُلَ عَدَسِيَّةً لِمَ اخْتَفَيْتَ ، فَمَا كَانَتِ الْعَدَسِيَّةُ تُعْوِزُكَ ، وَلِمَ تَقَلَّدْتَ هَذَا الْأَمْرَ ؟فَأَمَرَ حِينَئِذٍ الْقَادِرُ أَنْ يُفْرَدَ لَهُ جَارِيَةٌ مِنْ طَبَّاخَاتِهِ تَطْبُخُ لَهُ مَا يَلْتَمِسُهُ كُلَّ يَوْمٍ ، فَأَقَامَ عَلَى هَذَا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَبَضَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ عَلَى أَبَى الْحَسَنِ بْنِ الْمُعَلِّمِ ، وَكَانَ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَى الْأُمُورِ كُلِّهَا ، وَخَدَمَهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ ، حَتَّى الْوُزَرَاءُ ، فَأَسَاءَ السِّيرَةَ مَعَ النَّاسِ ، فَشَغَبَ الْجُنْدُ فِي هَذَا الْوَقْتِ ، وَشَكَوْا مِنْهُ ، وَطَلَبُوا مِنْهُ تَسْلِيمَهُ إِلَيْهِمْ ، فَرَاجَعَهُمْ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ ، وَوَعَدَهُمْ كَفَّ يَدِهِ عَنْهُمْ ، فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِهِ ، فَظَنَّ أَنَّ الْجُنْدَ يَرْجِعُونَ ، فَلَمْ يَرْجِعُوا ، فَسَلَّمَهُ إِلَيْهِمْ ، فَسَقَوْهُ السُّمَّ مَرَّتَيْنِ ، فَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ شَيْئًا ، فَخَنَقُوهُ وَدَفَنُوهُ.وَفِيهَا ، فِي شَوَّالٍ ، تَجَدَّدَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ أَهْلِ الْكَرْخِ وَغَيْرِهِمْ ، وَاشْتَدَّ الْحَالُ ، فَرَكِبَ أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْحَاجِبُ ، فَقَتَلَ وَصَلَبَ ، فَسَكَنَ الْبَلَدَ.وَفِيهَا غَلَتِ الْأَسْعَارُ بِبَغْدَاذَ ، فَبِيعَ رِطْلُ الْخُبْزِ بِأَرْبَعِينَ دِرْهَمًا.وَفِيهَا قَبَضَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ عَلَى وَزِيرِهِ أَبِي الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الْمَذْكُورِ ، وَكَانَ سَبَبُ قَبْضِهِ أَنَّ بَهَاءَ الدَّوْلَةِ اتَّهَمَهُ بِمُكَاتَبَةِ الْجُنْدِ فِي أَمْرِ ابْنِ الْمُعَلِّمِ ، وَاسْتَوْزَرَ أَبَا نَصْرِ بْنَ سَابُورَ ، وَأَبَا مَنْصُورِ بْنَ صَالِحَانَ ، وَجَمَعَ بَيْنَهُمَا فِي الْوِزَارَةِ.وَفِيهَا قَبَضَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ عَلَى وَزِيرِهِ أَبِي الْقَاسِمِ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَسَنِ بِشِيرَازَ ، وَكَانَ غَالِبًا عَلَى أَمْرِهِ ، وَبَقِيَ مَحْبُوسًا إِلَى سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَأَخْرَجَهُ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ وَاسْتَوْزَرَهُ ، وَكَانَ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مُدَّةَ حَبْسِهِ أَبُو الْقَاسِمِ الْمُدْلِجِيُّ.وَفِيهَا نَزَلَ مَلِكُ الرُّومِ بِأَرْمِينِيَّةَ ، وَحَصَرَ خِلَاطَ ، وَمَلَازْكُرْدَ ، وَأَرْجِيشَ ، فَضَعُفَتْ نُفُوسُ النَّاسِ عَنْهُ ، ثُمَّ هَادَنَهُ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ مَرْوَانَ مُدَّةَ عَشْرِ سِنِينَ ، وَعَادَ مُلْكُ الرُّومِ.وَفِيهَا ، فِي شَوَّالٍ ، وُلِدَ الْأَمِيرُ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ الْقَادِرِ بِاللَّهِ.وَفِيهَا سَارَ بَغْرَاخَانُ أَيْلَكُ ، مَلِكُ التُّرْكِ ، بِعَسَاكِرِهِ إِلَى بُخَارَى ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ نُوحُ بْنُ مَنْصُورٍ جَيْشًا كَثِيرًا وَلَقِيَهُمُ أَيْلَكُ وَهَزَمَهُمْ ، فَعَادُوا إِلَى بُخَارَى مَفْلُولِينَ ، وَهُوَ فِي أَثَرِهِمْ ، فَخَرَجَ نُوحٌ بِنَفْسِهِ وَسَائِرِ عَسْكَرِهِ ، وَلَقِيَهُ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا وَأَجْلَتِ الْمَعْرَكَةُ عَنْ هَزِيمَةِ أَيْلَكَ ، فَعَادَ مُنْهَزِمًا إِلَى بَلَاسَاغُونَ ، وَهِيَ كُرْسِيُّ مَمْلَكَتِهِ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو عَمْرٍو مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ حَيَّوَيْهِ الْخَزَّازُ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ خُرُوجِ أَوْلَادِ بَخْتِيَارَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ظَهَرَ أَوْلَادُ بَخْتِيَارَ مِنْ مَحْبِسِهِمْ ، وَاسْتَوْلَوْا عَلَى الْقَلْعَةِ الَّتِي كَانُوا مُعْتَقَلِينَ بِهَا.وَكَانَ سَبَبُ حَبْسِهِمْ أَنَّ شَرَفَ الدَّوْلَةِ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، بَعْدَ وَالِدِهِ ، وَأَطْلَقَهُمْ ، وَأَنْزَلَهُمْ بِشِيرَازَ ، وَأَقْطَعَهُمْ ، فَلَمَّا مَاتَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ حُبِسُوا فِي قَلْعَةٍ بِبِلَادِ فَارِسَ ، فَاسْتَمَالُوا مُسْتَحْفِظَهَا ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الدَّيْلَمِ ، فَأَفْرَجُوا عَنْهُمْ ، وَأَنْفَذُوا إِلَى أَهْلِ تِلْكَ النَّوَاحِي ، وَأَكْثَرُهُمْ رَجَّالَةٌ ، فَجَمَعُوهُمْ تَحْتَ الْقَلْعَةِ.وَعَرَفَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ الْحَالَ ، فَسَيَّرَ أَبَا عَلِيِّ بْنَ أُسْتَاذِ هُرْمُزَ فِي عَسْكَرٍ ، فَلَمَّا قَارَبَهُمْ تَفَرَّقَ مَنْ مَعَهُمْ مِنَ الرَّجَّالَةِ ، وَتَحَصَّنَ بَنُو بَخْتِيَارَ ، وَكَانُوا سِتَّةً ، وَمَنْ مَعَهُمْ مِنَ الدَّيْلَمِ بِالْقَلْعَةِ ، وَحَصَرَهُمْ أَبُو عَلِيٍّ ، وَرَاسَلَ أَحَدَ وُجُوهِ الدَّيْلَمِ وَأَطْمَعَهُ فِي الْإِحْسَانِ ، فَأَصْعَدَهُمْ إِلَى الْقَلْعَةِ سِرًّا ، فَمَلَكُوهَا ، وَأَخَذُوا أَوْلَادَ بَخْتِيَارَ أُسَرَاءَ ، فَأَمَرَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ بِقَتْلِ اثْنَيْنِ مِنْهُمْ وَحَبْسِ الْبَاقِينَ ، فَفُعِلَ ذَلِكَ بِهِمْ.ذِكْرُ مُلْكِ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ خُوزِسْتَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَلَكَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ خُوزِسْتَانَ.وَكَانَ سَبَبُ نَقْضِ الصُّلْحِ أَنَّ بَهَاءَ الدَّوْلَةِ سَيَّرَ أَبَا الْعَلَاءِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْفَضْلِ إِلَى الْأَهْوَازِ ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ بِأَنْ يَكُونَ مُسْتَعِدًّا لِقَصْدِ بِلَادِ فَارِسَ ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ يُسَيِّرُ إِلَيْهِ الْعَسَاكِرَ مُتَفَرِّقِينَ ، فَإِذَا اجْتَمَعُوا عِنْدَهُ سَارَ بِهِمْ إِلَى بِلَادِ فَارِسَ بَغْتَةً ، فَلَا يَشْعُرُ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ إِلَّا وَهُمْ مَعَهُ فِي بِلَادِهِ.فَسَارَ أَبُو الْعَلَاءِ ، وَلَمْ يَتَهَيَّأْ لِبَهَاءِ الدَّوْلَةِ إِمْدَادُهُ بِالْعَسَاكِرِ ، وَظَهَرَ الْخَبَرُ ، فَجَهَّزَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ عَسْكَرَهُ وَسَيَّرَهُمْ إِلَى خُوزِسْتَانَ ، وَكَتَبَ أَبُو الْعَلَاءِ إِلَى بَهَاءِ الدَّوْلَةِ بِالْخَبَرِ وَبِطَلَبِ إِمْدَادِهِ بِالْعَسَاكِرِ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ عَسْكَرًا كَثِيرًا ، وَوَصَلَتْ عَسَاكِرُ فَارِسَ ، فَلَقِيَهُمْ أَبُو الْعَلَاءِ ، فَانْهَزَمَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَأُخِذَ أَسِيرًا وَحُمِلَ إِلَى صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ ، فَأُلْبِسَ ثِيَابًا مُصْبَغَةً وَطِيفَ بِهِ ، وَسَأَلَتْ فِيهِ وَالِدَةُ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ ، فَلَمْ يَقْتُلْهُ ، وَاعْتَقَلَهُ.وَلَمَّا سَمِعَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ بِذَلِكَ أَزْعَجَهُ وَأَقْلَقَهُ ، وَكَانَتْ خِزَانَتُهُ قَدْ خَلَتْ مِنَ الْأَمْوَالِ ، فَأَرْسَلَ وَزِيرَهُ أَبَا نَصْرِ بْنَ سَابُورَ إِلَى وَاسِطَ لِيُحَصِّلَ مَا أَمْكَنَهُ ، وَأَعْطَاهُ رُهُونًا مِنَ الْجَوَاهِرِ وَالْأَعْلَاقِ النَّفِيسَةِ لِيَقْتَرِضَ عَلَيْهَا مِنْ مُهَذَّبِ الدَّوْلَةِ ، صَاحِبِ الْبَطِيحَةِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى وَاسِطَ تَقَرَّبَ مِنْهَا إِلَى مُهَذَّبِ الدَّوْلَةِ ، وَتَرَكَ مَا مَعَهُ مِنَ الرُّهُونِ بِحَالِهِ ، وَأَرْسَلَ بَهَاءَ الدَّوْلَةِ وَرَهَنَهَا وَاقْتَرَضَ عَلَيْهَا.ذِكْرُ مُلْكِ التُّرْكِ بُخَارَى فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَلَكَ مَدِينَةَ بُخَارَى شِهَابُ الدَّوْلَةِ هَارُونُ بْنُ سُلَيْمَانَ أيْلَكَ الْمَعْرُوفُ بِبَغْرَاخَانَ التُّرْكِيِّ ، وَكَانَ لَهُ كَاشْغَرُ وَبَلَاسَاغُونُ إِلَى حَدِّ الصِّينِ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ بْنَ سِيمْجُورَ لَمَّا مَاتَ وَوَلِيَ ابْنُهُ أَبُو عَلِيٍّ خُرَاسَانَ بَعْدَهُ ، كَاتَبَ الْأَمِيرَ الرَّضِيَّ نُوحَ بْنَ مَنْصُورٍ يَطْلُبُ أَنْ يُقِرَّهُ عَلَى مَا كَانَ أَبُوهُ يَتَوَلَّاهُ ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ ، وَحُمِلَتْ إِلَيْهِ الْخِلَعُ ، وَهُوَ لَا يَشُكُّ أَنَّهَا لَهُ ، فَلَمَّا بَلَغَ الرَّسُولُ طَرِيقَ هَرَاةَ عَدَلَ إِلَيْهَا ، وَبِهَا فَائِقٌ ، فَأَوْصَلَ الْخِلَعَ وَالْعَهْدَ بِخُرَاسَانَ إِلَيْهِ ، فَعَلِمَ أَبُو عَلِيٍّ أَنَّهُمْ مَكَرُوا بِهِ ، وَأَنَّ هَذَا دَلِيلُ سُوءٍ يُرِيدُونَهُ بِهِ ، فَلَبِسَ فَائِقٌ الْخِلَعَ وَسَارَ عَنْ هَرَاةَ نَحْوَ أَبِي عَلِيٍّ فَبَلَّغَهُ الْخَبَرَ ، فَسَارَ جَرِيدَةً فِي نُخْبَةِ أَصْحَابِهِ ، وَطَوَى الْمَنَازِلَ حَتَّى سَبَقَ خَبَرَهُ ، فَأَوْقَعَ بِفَائِقٍ فِيمَا بَيْنَ بُوشَنْجَ وَهَرَاةَ ، فَهَزَمَ فَائِقًا وَأَصْحَابَهُ ، وَقَصَدُوا مَرْوَ الرُّوذِ.وَكَتَبَ أَبُو عَلِيٍّ إِلَى الْأَمِيرِ نُوحٍ يُجَدِّدُ طَلَبَ وِلَايَةِ خُرَاسَانَ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَجَمَعَ لَهُ وِلَايَةَ خُرَاسَانَ جَمِيعَهَا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ هَرَاةُ لِفَائِقٍ ، فَعَادَ أَبُو عَلِيٍّ إِلَى نَيْسَابُورَ ظَافِرًا ، وَجَبَى أَمْوَالَ خُرَاسَانَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ نُوحٌ يَسْتَنْزِلُهُ عَنْ بَعْضِهَا لِيَصْرِفَهُ فِي أَرْزَاقِ جُنْدِهِ ، فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَلَمْ يَفْعَلْ ، وَخَافَ عَاقِبَةَ الْمَنْعِ ، فَكَتَبَ إِلَى بَغْرَاخَانَ الْمَذْكُورِ يَدْعُوهُ إِلَى أَنْ يَقْصِدَ بُخَارَى وَيَمْلِكَهَا عَلَى السَّامَانِيَّةِ ، وَأَطْمَعَهُ فِيهِمْ ، وَاسْتَقَرَّ الْحَالُ بَيْنَهُمَا عَلَى أَنْ يَمْلِكَ بَغْرَاخَانُ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ كُلِّهِ ، وَيَمْلِكُ أَبُو عَلِيٍّ خُرَاسَانَ ، فَطَمِعَ بَغْرَاخَانُ فِي الْبِلَادِ ، وَتَجَدَّدَ لَهُ إِلَيْهَا حَرَكَةٌ.وَأَمَّا فَائِقٌ فَإِنَّهُ أَقَامَ بِمَرْوَ الرُّوذِ حَتَّى انْجَبَرَ كَسْرُهُ وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ وَسَارَ نَحْوَ بُخَارَى مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ ، فَارْتَابَ الْأَمِيرُ نُوحٌ بِهِ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ الْجُيُوشَ وَأَمَرَهُمْ بِمَنْعِهِ ، فَلَمَّا لَقَوْهُ قَاتَلُوهُ ، فَانْهَزَمَ فَائِقٌ وَأَصْحَابُهُ ، وَعَادَ عَلَى عَقِبَيْهِ ، وَقَصَدَ تِرْمِذَ.فَكَتَبَ الْأَمِيرُ نُوحٌ إِلَى صَاحِبِ الْجُوزَجَانِ مِنْ قَبْلِهِ ، وَهُوَ أَبُو الْحَرْثِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَرِيغُونِيُّ ، وَأَمَرَهُ بِقَصْدِ فَائِقٍ فَجَمَعَ جَمْعًا كَثِيرًا وَسَارَ نَحْوَهُ ، فَأَوْقَعَ بِهِمْ فَائِقٌ فَهَزَمَهُمْ وَغَنِمَ أَمْوَالَهُمْ.وَكَاتَبَ أَيْضًا بَغْرَاخَانَ يُطْمِعُهُ فِي الْبِلَادِ ، فَسَارَ نَحْوَ بُخَارَى وَقَصَدَ بِلَادَ السَّامَانِيَّةِ ، فَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ فَسَيَّرَ إِلَيْهِ نُوحٌ جَيْشًا كَثِيرًا ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ قَائِدًا كَبِيرًا مِنْ قُوَّادِهِ اسْمُهُ انْجُ ، فَلَقِيَهُمْ بَغْرَاخَانُ ، فَهَزَمَهُمْ ، وَأَسَرَ انْجَ وَجَمَاعَةً مِنَ الْقُوَّادِ ، فَلَمَّا ظَفِرَ بِهِمْ قَوِيَ طَمَعُهُ فِي الْبِلَادِ ، وَضَعُفَ نُوحٌ وَأَصْحَابُهُ ، وَكَاتَبَ الْأَمِيرُ نُوحٌ أَبَا عَلِيِّ بْنَ سِيمْجُورَ يَسْتَنْصِرُهُ ، وَيَأْمُرُهُ بِالْقُدُومِ إِلَيْهِ بِالْعَسَاكِرِ ، فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَلَا لَبَّى دَعْوَتَهُ ، وَقَوِيَ طَمَعُهُ فِي الِاسْتِيلَاءِ عَلَى خُرَاسَانَ.وَسَارَ بَغْرَاخَانُ نَحْوَ بُخَارَى ، فَلَقِيَهُ فَائِقٌ ، وَاخْتَصَّ بِهِ ، وَصَارَ فِي جُمْلَتِهِ وَنَازَلُوا بُخَارَى ، فَاخْتَفَى الْأَمِيرُ نُوحٌ ، وَمَلَكَهَا بَغْرَاخَانُ وَنَزَلَهَا ، وَخَرَجَ نُوحٌ مِنْهَا مُسْتَخْفِيًا فَعَبَرَ النَّهْرَ إِلَى آمُلِ الشَّطِّ ، وَأَقَامَ بِهَا وَلَحِقَ بِهِ أَصْحَابُهُ ، فَاجْتَمَعَ عِنْدَهُ مِنْهُمْ جَمْعٌ كَثِيرٌ ، وَأَقَامُوا هُنَاكَ.وَتَابَعَ نُوحٌ كُتُبَهُ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ وَرُسُلِهِ يَسْتَنْجِدُهُ وَيَخْضَعُ لَهُ ، فَلَمْ يُصْغِ إِلَى ذَلِكَ.وَأَمَّا فَائِقٌ فَإِنَّهُ اسْتَأْذَنَ بَغْرَاخَانَ فِي قَصْدِ بَلْخَ وَالِاسْتِيلَاءِ عَلَيْهَا ، فَأَمَرَهُ بِذَلِكَ ، فَسَارَ نَحْوَهَا وَنَزَلَهَا.ذِكْرُ عَوْدِ نُوحٍ إِلَى بُخَارَى وَمَوْتِ بَغْرَاخَانَ لَمَّا نَزَلَ بَغْرَاخَانُ بُخَارَى وَأَقَامَ بِهَا اسْتَوْخَمَهَا ، فَلَحِقَهُ مَرَضٌ ثَقِيلٌ ، فَانْتَقَلَ عَنْهَا نَحْوَ بِلَادِ التُّرْكِ ، فَلَمَّا فَارَقَهَا ثَارَ أَهْلُهَا بِسَاقَةِ عَسْكَرٍ فَفَتَكُوا بِهِمْ وَغَنِمُوا أَمْوَالَهُمْ ، وَوَافَقَهُمُ الْأَتْرَاكُ الْغُزِّيَّةُ عَلَى النَّهْبِ وَالْقَتْلِ لِعَسْكَرِ بَغْرَاخَانَ.فَلَمَّا سَارَ بَغْرَاخَانُ عَنْ بُخَارَى أَدْرَكَهُ أَجْلُهُ فَمَاتَ ، وَلَمَّا سَمِعَ الْأَمِيرُ نُوحٌ بِمَسِيرِهِ عَنْ بُخَارَى بَادَرَ إِلَيْهَا فِيمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَدَخَلَهَا ، وَعَادَ إِلَى دَارِ مُلْكِهِ وَمُلْكِ آبَائِهِ ، وَفَرِحَ أَهْلُهَا بِهِ وَتَبَاشَرُوا بِقُدُومِهِ.وَأَمَّا بَغْرَاخَانُ فَإِنَّهُ لَمَّا مَاتَ عَادَ أَصْحَابُهُ إِلَى بِلَادِهِمْ ، وَكَانَ دَيِّنًا ، خَيِّرًا ، عَادِلًا ، حَسَنَ السِّيرَةِ ، مُحِبًّا لِلْعِلْمِ وَأَهْلِ الدِّينِ ، مُكْرِمًا لَهُمْ ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُكْتَبَ عَنْهُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَلِيَ أَمْرَ التُّرْكِ بَعْدَهُ أَيْلَكُ خَانْ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَثُرَ شَغَبُ الدَّيْلَمِ عَلَى بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَنَهَبُوا دَارَ الْوَزِيرِ أَبِي نَصْرِ بْنِ سَابُورَ ، وَاخْتَفَى مِنْهُمْ ، وَاسْتَعْفَى ابْنُ صَالِحَانَ مِنَ الِانْفِرَادِ بِالْوِزَارَةِ فَأُعْفِيَ ، وَاسْتَوْزَرَ أَبَا الْقَاسِمِ عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدَ ، ثُمَّ هَرَبَ ، وَعَادَ سَابُورُ إِلَى الْوِزَارَةِ بَعْدَ أَنْ أَصْلَحَ الدَّيْلَمَ.وَفِيهَا جَلَسَ الْقَادِرُ بِاللَّهِ لِأَهْلِ خُرَاسَانَ ، بَعْدَ عَوْدِهِمْ مِنَ الْحَجِّ ، وَقَالَ لَهُمْ.فِي مَعْنَى الْخُطْبَةِ لَهُ ، وَحَمَلُوا رِسَالَةً وَكُتُبًا إِلَى صَاحِبِ خُرَاسَانَ فِي الْمَعْنَى.وَفِيهَا عُقِدَ النِّكَاحُ لِلْقَادِرِ عَلَى بِنْتِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ بِصَدَاقٍ مَبْلَغُهُ مِائَةُ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَكَانَ الْعَقْدُ بِحَضْرَتِهِ ، وَالْوَلِيُّ النَّقِيبُ أَبُو أَحْمَدَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُوسَى ، وَالِدُ الرَّضِيِّ ، وَمَاتَتْ قَبْلَ النَّقْلَةِ.وَفِيهَا كَانَ بِالْعِرَاقِ غَلَاءٌ شَدِيدٌ فَبِيعَتْ كَارَّةُ الدَّقِيقِ بِمِائَتَيْنِ وَسِتِّينَ دِرْهَمًا ، وَكُرُّ الْحِنْطَةِ بِسِتَّةِ آلَافٍ وَسِتِّمِائَةِ دِرْهَمٍ غِيَاثِيَّةٍ.وَفِيهَا بَنَى أَبُو نَصْرٍ سَابُورُ بْنُ أَرْدَشِيَرَ بِبَغْدَاذَ دَارًا لِلْعِلْمِ ، وَوَقَفَ فِيهَا كُتُبًا كَثِيرَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْمُنْتَفِعِينَ بِهَا. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَهْلٍ الْمَاسَرْجِسِيُّ ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، شَيْخُ أَبِي الطَّيِّبِ الطَّبَرِيِّ بِنَيْسَابُورَ وَأَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْخُوَارَزْمِيُّ الشَّاعِرُ ، وَأَبُو طَالِبٍ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ الْحَسَنِ الْمَأْمُونِيُّ ، وَهُوَ مِنْ أَوْلَادِ الْمَأْمُونِ ، وَكَانَ فَاضِلًا حَسَنَ الشِّعْرِ . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ وِلَايَةِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ خُرَاسَانَ وَإِجْلَاءِ أَبِي عَلِيٍّ عَنْهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلَّى الْأَمِيرُ نُوحٌ مَحْمُودَ بْنَ سُبُكْتِكِينَ خُرَاسَانَ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ نُوحًا لَمَّا عَادَ إِلَى بُخَارَى ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، سُقِطَ فِي يَدِ أَبِي عَلِيٍّ ، وَنَدِمَ عَلَى مَا فَرَّطَ فِيهِ مِنْ تَرْكِ مَعُونَتِهِ عِنْدَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ.وَأَمَّا فَائِقٌ فَإِنَّهُ لَمَّا اسْتَقَرَّ نُوحٌ بِبُخَارَى حَدَّثَ نَفْسَهُ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِ ، وَالِاسْتِيلَاءِ عَلَيْهِ ، وَالْحُكْمِ فِي دَوْلَتِهِ ، فَسَارَ عَنْ بَلْخَ إِلَى بُخَارَى.فَلَمَّا عَلِمَ نُوحٌ بِذَلِكَ سَيَّرَ إِلَيْهِ الْجُيُوشَ لِتَرُدَّهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَلَقُوهُ وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَ فَائِقٌ وَأَصْحَابُهُ ، وَلَحِقُوا بِأَبِي عَلِيٍّ ، فَفَرِحَ بِهِمْ ، وَقَوِيَ جَنَانُهُ بِقُرْبِهِمْ ، وَاتَّفَقُوا عَلَى مُكَاشَفَةِ الْأَمِيرِ نُوحٍ بِالْعِصْيَانِ ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ كَتَبَ الْأَمِيرُ نُوحٌ إِلَى سُبُكْتِكِينَ ، وَهُوَ حِينَئِذٍ بِغَزْنَةَ ، يُعَرِّفُهُ الْحَالَ ، وَيَأْمُرُهُ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِ لِيُنْجِدَهُ ، وَوَلَّاهُ خُرَاسَانَ.وَكَانَ سُبُكْتِكِينُ فِي هَذِهِ الْفِتَنِ مَشْغُولًا بِالْغَزْوِ ، غَيْرَ مُلْتَفِتٍ إِلَى مَا هُمْ فِيهِ ، فَلَمَّا أَتَاهُ كِتَابُ نُوحٍ وَرَسُولُهُ أَجَابَهُ إِلَى مَا أَرَادَ ، وَسَارَ نَحْوَهُ جَرِيدَةً ، وَاجْتَمَعَ بِهِ ، وَقَرَّرَا بَيْنَهُمَا مَا يَفْعَلَانِهِ ، وَعَادَ سُبُكْتِكِينُ فَجَمَعَ الْعَسَاكِرَ وَحَشَدَ ، فَلَمَّا بَلَغَ أَبَا عَلِيٍّ وَفَائِقًا الْخَبَرُ جَمَعَا وَرَاسَلَا فَخْرَ الدَّوْلَةِ بْنَ بُوَيْهٍ يَسْتَنْجِدَانِهِ ، وَيَطْلُبَانِ مِنْهُ عَسْكَرًا ، فَأَجَابَهُمَا إِلَى ذَلِكَ وَسَيَّرَ إِلَيْهِمَا عَسْكَرًا كَثِيرًا وَكَانَ وَزِيرُهُ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ هُوَ الَّذِي قَرَّرَ الْقَاعِدَةَ فِي ذَلِكَ.وَسَارَ سُبُكْتِكِينُ مِنْ غَزْنَةَ ، وَمَعَهُ وَلَدُهُ مَحْمُودٌ نَحْوَ خُرَاسَانَ وَسَارَ نُوحٌ فَاجْتَمَعَ هُوَ وَسُبُكْتِكِينُ فَقَصَدُوا أَبَا عَلِيٍّ وَفَائِقًا ، فَالْتَقَوْا بِنَوَاحِي هَرَاةَ.وَاقْتَتَلُوا ، فَانْحَازَ دَارُ بْنُ قَابُوسِ بْنِ وَشْمَكِيرَ مِنْ عَسْكَرِ أَبِي عَلِيٍّ إِلَى نُوحٍ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ أَبِي عَلِيٍّ ، وَرَكِبَهُمْ أَصْحَابُ سُبُكْتِكِينَ يَأْسِرُونَ وَيَقْتُلُونَ وَيَغْنَمُونَ ، وَعَادَ أَبُو عَلِيٍّ وَفَائِقٌ نَحْوَ نَيْسَابُورَ ، وَأَقَامَ سُبُكْتِكِينُ وَنُوحٌ بِظَاهِرِ هَرَاةَ حَتَّى اسْتَرَاحُوا وَسَارُوا نَحْوَ نَيْسَابُورَ ، فَلَمَّا عَلِمَ بِهِمْ أَبُو عَلِيٍّ سَارَ هُوَ وَفَائِقٌ نَحْوَ جُرْجَانَ ، وَكَتَبَا إِلَى فَخْرِ الدَّوْلَةِ بِخَبَرِهِمَا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمَا الْهَدَايَا وَالتُّحَفَ وَالْأَمْوَالَ وَأَنْزَلَهُمَا بِجُرْجَانَ.وَاسْتَوْلَى نُوحٌ عَلَى نَيْسَابُورَ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا وَعَلَى جُيُوشِ خُرَاسَانَ مَحْمُودَ بْنَ سُبُكْتِكِينَ وَلَقَّبَهُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ وَلَقَّبَ أَبَاهُ سُبُكْتِكِينَ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ ، فَأَحْسَنَا السِّيرَةَ ، وَعَادَ نُوحٌ إِلَى بُخَارَى وَسُبُكْتِكِينُ إِلَى هَرَاةَ ، وَأَقَامَ مَحْمُودٌ بِنَيْسَابُورَ.ذِكْرُ عَوْدِ الْأَهْوَازِ إِلَى بَهَاءِ الدَّوْلَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَلَكَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ الْأَهْوَازَ.وَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّهُ أَنْفَذَ عَسْكَرًا إِلَيْهَا عُدَّتُهُمْ سَبْعُمِائَةِ رَجُلٍ وَقَدَّمَ عَلَيْهِمْ طُغَانَ التُّرْكِيَّ ، فَلَمَّا بَلَغُوا السُّوسَ رَحَلَ عَنْهَا أَصْحَابُ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ ، فَدَخَلَهَا عَسْكَرُ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَانْتَشَرُوا فِي أَعْمَالِ خُوزِسْتَانَ ، وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ مِنَ التُّرْكِ ، فَعَلَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى الدَّيْلَمِ ، وَتَوَجَّهَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْأَهْوَازِ وَمَعَهُ عَسْكَرُ الدَّيْلَمِ وَتَمِيمٍ وَأَسَدٍ ، فَلَمَّا بَلَغَ تُسْتَرَ رَحَلَ لَيْلًا لِيَكْبِسَ الْأَتْرَاكَ مِنْ عَسْكَرِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، فَضَلَّ الْأَدِلَّاءُ فِي الطَّرِيقِ ، فَأَصْبَحَ عَلَى بُعْدٍ مِنْهُمْ ، وَرَأَتْهُمْ طَلَائِعُ الْأَتْرَاكِ ، فَعَادُوا بِالْخَبَرِ ، فَحَذَّرُوا ، وَاجْتَمَعُوا ، وَاصْطَفُّوا ، وَجَعَلَ مُقَدَّمَهُمْ ، وَاسْمُهُ طَغَانُ ، كَمِينًا ، فَلَمَّا الْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا خَرَجَ الْكَمِينُ عَلَى الدَّيْلَمِ ، فَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ ، وَانْهَزَمَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الدَّيْلَمِ ، وَكَانُوا أُلُوفًا كَثِيرَةً ، وَاسْتَأْمَنَ مِنْهُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفَيْ رَجُلٍ ، وَغَنِمَ الْأَتْرَاكُ مِنْ أَثْقَالِهِمْ شَيْئًا كَثِيرًا.وَضَرَبَ طَغَانُ لِلْمُسْتَأْمِنَةِ خِيَمًا يَسْكُنُونَهَا ، فَلَمَّا نَزَلُوا اجْتَمَعَ الْأَتْرَاكُ وَتَشَاوَرُوا وَقَالُوا هَؤُلَاءِ أَكْثَرُ مِنْ عُدَّتِنَا ، وَنَحْنُ نَخَافُ أَنْ يَثُورُوا بِنَا ، وَاسْتَقَرَّ رَأْيُهُمْ عَلَى قَتْلِهِمْ ، فَلَمْ يَشْعُرِ الدَّيْلَمُ إِلَّا وَقَدْ أُلْقِيَتِ الْخِيَامُ عَلَيْهِمْ ، وَوَقَعَ الْأَتْرَاكُ فِيهِمْ بِالْعَمْدِ حَتَّى أَتَوْا عَلَيْهِمْ فَقُتِلُوا كُلُّهُمْ.وَوَرَدَ الْخَبَرُ عَلَى بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَهُوَ بِوَاسِطَ ، قَدِ اقْتَرَضَ مَالًا مِنْ مُهَذَّبِ الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ سَارَ إِلَى الْأَهْوَازِ ، وَكَانَ طَغَانُ وَالْأَتْرَاكُ قَدْ مَلَكُوهَا قَبْلَ وُصُولِهِ إِلَيْهَا.وَأَمَّا صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ فَإِنَّهُ لَبِسَ السَّوَادَ وَسَارَ إِلَى شِيرَازَ فَدَخَلَهَا ، فَغَيَّرَتْ وَالِدَتُهُ مَا عَلَيْهِ مِنَ السَّوَادِ ، وَأَقَامَ يَتَجَهَّزُ لِلْعَوْدِ إِلَى أَخِيهِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ بِخُوزِسْتَانَ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُقِدَ النِّكَاحُ لِمُهَذَّبِ الدَّوْلَةِ عَلَى ابْنَةِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَلِلْأَمِيرِ أَبِي مَنْصُورٍ بُوَيْهِ بْنِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ عَلَى ابْنَةِ مُهَذَّبِ الدَّوْلَةِ وَكَانَ الصَّدَاقُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ مِائَةَ أَلْفَ دِينَارٍ.وَفِيهَا قَبَضَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ عَلَى أَبِي نَصْرٍ خُوَاشَاذَهْ.وَفِيهَا عَادَ الْحُجَّاجُ مِنَ الثَّعْلَبِيَّةِ ، وَلَمْ يَحُجَّ مِنَ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ أَحَدٌ ، وَسَبَبُ عَوْدِهِمْ أَنَّ الْأُصَيْفِرَ ، أَمِيرَ الْعَرَبِ ، اعْتَرَضَهُمْ وَقَالَ إِنَّ الدَّرَاهِمَ الَّتِي أَرْسَلَهَا السُّلْطَانُ عَامَ أَوَّلَ كَانَتْ نُقْرَةً مَطْلِيَّةً ، وَأُرِيدُ الْعِوَضَ فَطَالَتِ الْمُخَاطَبَةُ وَالْمُرَاسَلَةُ وَضَاقَ الْوَقْتُ عَلَى الْحُجَّاجِ فَرَجَعُوا.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْقَاسِمِ النَّقِيبُ الزَّيْنَبِيُّ ، وَوَلِيَ النِّقَابَةَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو الْحَسَنِ.وَفِيهَا وَلِيَ نِقَابَةَ الطَّالِبِيِّينَ أَبُو الْحَسَنِ النَّهْرَسَابُسِيُّ ، وَعُزِلَ عَنْهَا أَبُو أَحْمَدَ الْمُوسَوِيُّ ، وَكَانَ يَنُوبُ عَنْهُ فِيهَا ابْنَاهُ الْمُرْتَضَى وَالرَّضِيُّ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نَافِعِ بْنِ مُكْرِمٍ أَبُو الْعَبَّاسِ الْبُسْتِيُّ الزَّاهِدُ ، وَكَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ ، حَجَّ مِنْ نَيْسَابُورَ مَاشِيًا ، وَبَقِيَ سَبْعِينَ سَنَةً لَا يَسْتَنِدُ إِلَى حَائِطٍ وَلَا إِلَى مِخَدَّةٍ ، وَعَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ حَمَوَيْهِ بْنِ زَيْدٍ أَبُو الْحَسَنِ الصُّوفِيُّ ، سَمِعَ الْحَدِيثَ وَحَدَّثَ ، وَصَحِبَ أَبَا الْخَيْرِ الْأَقْطَعَ وَغَيْرَهُ ، وَعَلِيُّ بْنُ عِيسَى بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَبُو الْحَسَنِ النَّحْوِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالرُّمَّانِيِّ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، رَوَى عَنِ ابْنِ دُرَيْدٍ وَغَيْرِهِ ، وَلَهُ" تَفْسِيرٌ "كَبِيرٌ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْقَزَّازِ أَبُو الْحَسَنِ ، سَمِعَ الْكَثِيرَ ، وَكَتَبَ الْكَثِيرَ ، وَخَطُّهُ حُجَّةٌ فِي صِحَّةِ النَّقْلِ وَجَوْدَةِ الضَّبْطِ ، وَأَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ الْمَرْزُبَانِيُّ الْكَاتِبُ ، وَالْمُحْسِنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْفَهْمِ أَبُو عَلِيٍّ التَّنُوخِيُّ الْقَاضِي ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ فَاضِلًا.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِلَالٍ الصَّابِيُّ ، الْكَاتِبُ الْمَشْهُورُ ، وَكَانَ عُمْرُهُ إِحْدَى وَتِسْعِينَ سَنَةً ، وَكَانَ قَدْ زَمِنَ ، وَضَاقَتْ بِهِ الْأُمُورُ ، وَقَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَمْوَالُ .وَفِيهَا اشْتَدَّ أَمْرُ الْعَيَّارِينَ بِبَغْدَاذَ ، وَوَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ أَهْلِ الْكَرْخِ وَأَهْلِ بَابِ الْبَصْرَةِ ، وَاحْتَرَقَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَحَالِّ ، ثُمَّ اصْطَلَحُوا. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ عَوْدِ أَبِي عَلِيٍّ إِلَى خُرَاسَانَ.لَمَّا عَادَ الْأَمِيرُ نُوحٌ إِلَى بُخَارَى ، وَسُبُكْتِكِينُ إِلَى هَرَاةَ ، وَبَقِيَ مَحْمُودٌ بِنَيْسَابُورَ ، طَمِعَ أَبُو عَلِيٍّ وَفَائِقٌ فِي خُرَاسَانَ ، فَسَارَا عَنْ جُرْجَانَ إِلَى نَيْسَابُورَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، فَلَمَّا بَلَغَ مَحْمُودًا خَبَرُهُمَا كَتَبَ إِلَى أَبِيهِ بِذَلِكَ ، وَبَرَزَ هُوَ فَنَزَلَ بِظَاهِرِ نَيْسَابُورَ وَأَقَامَ يَنْتَظِرُ الْمَدَدَ ، فَأَعْجَلَاهُ فَصَبَرَ لَهُمَا فَقَاتَلَاهُ ، وَكَانَ فِي قِلَّةٍ مِنَ الرِّجَالِ فَانْهَزَمَ عَنْهُمَا نَحْوَ أَبِيهِ ، وَغَنِمَ أَصْحَابُهُمَا مِنْهُ شَيْئًا كَثِيرًا ، وَأَشَارَ أَصْحَابُ أَبِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ بِاتِّبَاعِهِ وَإِعْجَالِهِ وَوَالِدِهِ عَنِ الْجَمْعِ وَالِاحْتِشَادِ فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَأَقَامَ بِنَيْسَابُورَ وَكَاتَبَ الْأَمِيرَ نُوحًا يَسْتَمِيلُهُ وَيَسْتَقِيلُ مِنْ عَثْرَتِهِ وَزَلَّتِهِ ، وَكَذَلِكَ كَاتَبَ سُبُكْتِكِينَ بِمِثْلِ ذَلِكَ ، وَأَحَالَ بِمَا جَرَى عَلَى فَائِقٍ فَلَمْ يُجِيبَاهُ إِلَى مَا أَرَادَ.وَجَمَعَ سُبُكْتِكِينُ الْعَسَاكِرَ فَأَتَوْهُ عَلَى كُلِّ صَعْبٍ وَذَلُولٍ وَسَارَ نَحْوَ أَبِي عَلِيٍّ فَالْتَقَوْا بِطُوسَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ فَاقْتَتَلُوا عَامَّةَ يَوْمِهِمْ ، وَأَتَاهُمْ مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ فِي عَسْكَرٍ ضَخْمٍ مِنْ وَرَائِهِمْ ، فَانْهَزَمُوا وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَنَجَا أَبُو عَلِيٍّ وَفَائِقٌ فَقَصَدَا أَبِيوَرْدَ ، فَتَبِعَهُمْ سُبُكْتِكِينُ وَاسْتَخْلَفَ ابْنَهُ مَحْمُودًا بِنَيْسَابُورَ ، فَقَصَدَا مَرْوَ ثُمَّ آمُلَ الشَّطِّ ، وَرَاسَلَا الْأَمِيرَ نُوحًا يَسْتَعْطِفَانِهِ ، فَأَجَابَ أَبَا عَلِيٍّ إِلَى مَا طَلَبَ مِنْ قَبُولِ عُذْرِهِ إِنْ فَارَقَا فَائِقًا وَنَزَلَا بِالْجُرْجَانِيَّةِ فَفَعَلَ ذَلِكَ ، فَحَذَّرَهُ فَائِقٌ ، وَخَوَّفَهُ مِنْ مَكِيدَتِهِمْ بِهِ وَمَكْرِهِمْ فَلَمْ يَلْتَفِتْ لِأَمْرٍ يُرِيدُهُ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فَفَارَقَ فَائِقًا وَسَارَ نَحْوَ الْجُرْجَانِيَّةِ وَنَزَلَ بِقَرْيَةٍ بِقُرْبِ خُوَارَزْمَ تُسَمَّى هِزَارَ أَسْبَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ خُوَارَزْمُشَاهْ مَنْ أَقَامَ لَهُ ضِيَافَةً ، وَوَعَدَهُ أَنْ يَقْصِدَهُ لِيَجْتَمِعَ بِهِ ، فَسَكَنَ إِلَى ذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ أَرْسَلَ إِلَيْهِ خُوَارَزْمُشَاهْ جَمْعًا مِنْ عَسْكَرِهِ فَأَحَاطُوا بِهِ وَأَخَذُوهُ أَسِيرًا فِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، فَاعْتَقَلَهُ فِي بَعْضِ دُورِهِ ، وَطَلَبَ أَصْحَابَهُ فَأَسَرَ أَعْيَانَهُمْ وَتَفَرَّقَ الْبَاقُونَ.وَأَمَّا فَائِقٌ فَإِنَّهُ سَارَ إِلَى أَيْلَكَ خَانْ بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ فَأَكْرَمَهُ وَعَظَّمَهُ وَوَعَدَهُ أَنْ يُعِيدَهُ إِلَى قَاعِدَتِهِ ، وَكَتَبَ إِلَى نُوحٍ يَشْفَعُ فِي فَائِقٍ ، وَأَنْ يُوَلَّى سَمَرْقَنْدَ فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ وَأَقَامَ بِهَا.ذِكْرُ خَلَاصِ أَبِي عَلِيٍّ وَقَتْلِ خُوَارَزْمَشَاهْ لَمَّا أُسِرَ أَبُو عَلِيٍّ بَلَغَ خَبَرُهُ إِلَى مَأْمُونِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَالِي الْجُرْجَانِيَّةِ ، فَقَلِقَ لِذَلِكَ وَعَظُمَ عَلَيْهِ ، وَجَمَعَ عَسَاكِرَهُ وَسَارَ نَحْوَ خُوَارَزْمَشَاهْ ، وَعَبَرَ إِلَى كَاثَ ، وَهِيَ مَدِينَةُ خُوَارَزْمَشَاهْ ، فَحَصَرُوهَا وَقَاتَلُوهَا ، وَفَتَحُوهَا عَنْوَةً ، وَأَسَرُوا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ خُوَارَزْمَشَاهْ ، وَأَحْضَرُوا أَبَا عَلِيٍّ فَفَكُّوا عَنْهُ قَيْدَهُ وَأَخَذُوهُ وَعَادُوا إِلَى الْجُرْجَانِيَّةِ ، وَاسْتَخْلَفَ مَأْمُونٌ بِخُوَارَزْمَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ ، وَصَارَتْ فِي جُمْلَةِ مَا بِيَدِهِ ، وَأَحْضَرَ خُوَارَزْمَشَاهْ وَقَتَلَهُ بَيْنَ يَدَيْ أَبِي عَلِيٍّ سِيمْجُورَ.ذِكْرُ قَبْضِ أَبِي عَلِيٍّ سِيمْجُورَ وَمَوْتِهِ لَمَّا حَصَلَ أَبُو عَلِيٍّ عِنْدَ مَأْمُونِ بْنِ مُحَمَّدٍ بِالْجُرْجَانِيَّةِ كَتَبَ إِلَى الْأَمِيرِ نُوحٍ يَشْفَعُ فِيهِ ، وَيَسْأَلُ الصَّفْحَ عَنْهُ ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ ، وَأَمَرَ أَبَا عَلِيٍّ بِالْمَسِيرِ إِلَى بُخَارَى ، فَسَارَ إِلَيْهَا فِيمَنْ بَقِيَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا بَلَغُوا بُخَارَى لَقِيَهُمُ الْأُمَرَاءُ وَالْعَسَاكِرُ ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى الْأَمِيرِ نُوحٍ أَمَرَ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِمْ.وَبَلَغَ سُبُكْتِكِتِينَ أَنَّ ابْنَ عُزَيْرٍ ، وَزِيرَ الْأَمِيرِ نُوحٍ ، يَسْعَى فِي خَلَاصِ أَبِي عَلِيٍّ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَطْلُبُ أَبَا عَلِيٍّ إِلَيْهِ ، فَحَبَسَهُ ، فَمَاتَ فِي حَبْسِهِ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ خَاتِمَةَ أَمْرِهِ ، وَآخِرَ حَالِ بَيْتِ سِيمْجُورَ جَزَاءً لِكُفْرَانِ إِحْسَانِ مَوْلَاهُمْ ، فَتَبَارَكَ الْحَيُّ الدَّائِمُ الْبَاقِي الَّذِي لَا يَزُولُ مُلْكُهُ.وَكَانَ ابْنُهُ أَبُو الْحَسَنِ قَدْ لَحِقَ بِفَخْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهٍ ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَكْرَمَهُ ، فَسَارَ عَنْهُ سِرًّا إِلَى خُرَاسَانَ لِهَوًى كَانَ لَهُ بِهَا ، وَظَنَّ أَنَّ أَمْرَهُ يَخْفَى ، فَظَهَرَ حَالُهُ ، فَأُخِذَ أَسِيرًا وَسُجِنَ عِنْدَ وَالِدِهِ.وَأَمَّا أَبُو الْقَاسِمِ أَخُو أَبِي عَلِيٍّ فَإِنَّهُ أَقَامَ فِي خِدْمَةِ سُبُكْتِكِينَ مُدَّةً يَسِيرَةً ، ثُمَّ ظَهَرَ مِنْهُ خِلَافُ الطَّاعَةِ ، وَقَصَدَ نَيْسَابُورَ ، فَلَمْ يَتِمَّ لَهُ مَا أَرَادَ ، وَعَادَ مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ إِلَيْهِ ، فَهَرَبَ مِنْهُ وَقَصَدَ فَخْرَ الدَّوْلَةِ وَبَقِيَ عِنْدَهُ ، وَسَيَرِدُ بَاقِي أَخْبَارِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ وَفَاةِ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ الصَّاحِبُ أَبُو الْقَاسِمِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبَّادٍ ، وَزِيرُ فَخْرِ الدَّوْلَةِ بِالرَّيِّ ، وَكَانَ وَاحِدَ زَمَانِهِ عِلْمًا وَفَضْلًا ، وَتَدْبِيرًا ، وَجَوْدَةَ رَأْيٍ ، وَكَرَمًا ، عَالِمًا بِأَنْوَاعِ الْعُلُومِ ، وَعَارِفًا بِالْكِتَابَةِ وَمَوَادِّهَا ، وَرَسَائِلُهُ مَشْهُورَةٌ مُدَوَّنَةٌ ، وَجَمَعَ مِنَ الْكُتُبِ مَا لَمْ يَجْمَعْهُ غَيْرُهُ ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يَحْتَاجُ فِي نَقْلِهَا إِلَى أَرْبَعِمِائَةِ جَمَلٍ.وَلَمَّا مَاتَ وَزَرَ بَعْدَهُ لِفَخْرِ الدَّوْلَةِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الضَّبِّيُّ الْمُلَقَّبُ بِالْكَافِي.وَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِفَخْرِ الدَّوْلَةِ قَدْ خَدَمْتُكَ خِدْمَةً اسْتَفْرَغْتُ فِيهَا وُسْعِي وَسِرْتُ سَيْرَةً جَلَبَتْ لَكَ حُسْنَ الذِّكْرِ ، فَإِنْ أَجْرَيْتَ الْأُمُورَ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ نُسِبَ ذَلِكَ الْجَمِيلُ إِلَيْكَ وَتُرِكْتُ أَنَا ، وَإِنْ عَدَلْتَ عَنْهُ كُنْتُ أَنَا الْمَشْكُورُ وَنُسِبَتِ الطَّرِيقَةُ الثَّانِيَةُ إِلَيْكَ وَقَدَحَ ذَلِكَ فِي دَوْلَتِكَ.فَكَانَ هَذَا نُصْحَهُ لَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ.فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَنْفَذَ فَخْرُ الدَّوْلَةِ مَنِ احْتَاطَ عَلَى مَالِهِ وَدَارِهِ ، وَنَقَلَ جَمِيعَ مَا فِيهَا إِلَيْهِ ، فَقَبَّحَ اللَّهُ خِدْمَةَ الْمُلُوكِ ، هَذَا فِعْلُهُمْ مَعَ مَنْ نَصَحَ لَهُمْ ، فَكَيْفَ مَعَ غَيْرِهِ.وَنُقِلَ الصَّاحِبُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى أَصْبَهَانَ ، وَكَثِيرٌ مَا بَيْنَ فِعْلِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ مَعَ ابْنِ عَبَّادٍ وَبَيْنَ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ الْعَلَوِيِّ مَعَ وَزِيرِهِ يَعْقُوبَ بْنِ كِلِّسٍ وَقَدْ تَقَدَّمَ.وَكَانَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ قَدْ أَحْسَنَ إِلَى الْقَاضِي عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ أَحْمَدَ الْمُعْتَزِلِيِّ وَقَدَّمَهُ ، وَوَلَّاهُ قَضَاءَ الرَّيِّ وَأَعْمَالَهَا ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ قَالَ عَبْدُ الْجَبَّارِ لَا أَرَى التَّرَحُّمَ عَلَيْهِ ، لِأَنَّهُ مَاتَ عَنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ ظَهَرَتْ مِنْهُ ، فَنُسِبَ عَبْدُ الْجَبَّارِ إِلَى قِلَّةِ الْوَفَاءِ.ثُمَّ إِنَّ فَخْرَ الدَّوْلَةِ قَبَضَ عَلَى عَبْدِ الْجَبَّارِ وَصَادَرَهُ ، فَبَاعَ فِي جُمْلَةِ مَا بَاعَ أَلْفَ طَيْلَسَانٍ ، وَأَلْفَ ثَوْبٍ صُوفٍ رَفِيعٍ ، فَلِمَ لَا نَظَرَ لِنَفْسِهِ ، وَتَابَ عَنْ أَخْذِ مِثْلِ هَذَا وَاذِّخَارِهِ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ ؟.ثُمَّ إِنَّ فَخْرَ الدَّوْلَةِ قَبَضَ عَلَى أَصْحَابِ ابْنِ عَبَّادٍ وَأَبْطَلَ كُلَّ مُسَامَحَةٍ كَانَتْ مِنْهُ ، وَقَرَّرَ هُوَ وَوُزَرَاؤُهُ الْمُصَادَرَاتِ فِي الْبِلَادِ ، فَاجْتَمَعَ لَهُ مِنْهَا كَثِيرٌ ، ثُمَّ تَمَزَّقَ بَعْدَ وَفَاتِهِ فِي أَقْرَبِ مُدَّةٍ ، وَحَصَلَ بِالْوِزْرِ وَسُوءِ الذِّكْرِ.ذِكْرُ إِيقَاعِ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ بِالْأَتْرَاكِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَمَرَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ بِقَتْلِ مَنْ بِفَارِسَ مِنَ الْأَتْرَاكِ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً ، وَهَرَبَ الْبَاقُونَ فَعَاثُوا فِي الْبِلَادِ وَانْصَرَفُوا إِلَى كَرْمَانَ ثُمَّ مِنْهَا إِلَى بِلَادِ السِّنْدِ ، وَاسْتَأْذَنُوا مَلِكَهَا فِي دُخُولِ بِلَادِهِ ، فَأَذِنَ لَهُمْ وَخَرَجَ إِلَى تَلَقِّيهِمْ وَوَافَقَ أَصْحَابُهُ عَلَى الْإِيقَاعِ بِهِمْ ، فَلَمَّا رَآهُمْ جَعَلَ أَصْحَابَهُ صَفَّيْنِ ، فَلَمَّا حَصَلَ الْأَتْرَاكُ فِي وَسَطِهِمْ أَطْبَقُوا عَلَيْهِمْ وَقَتَلُوهُمْ فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا نَفَرٌ جَرْحَى وَقَعُوا بَيْنَ الْقَتْلَى وَهَرَبُوا تَحْتَ اللَّيْلِ ذِكْرُ وَفَاةِ خُوَاشَاذَهْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ أَبُو نَصْرٍ خُوَاشَاذَهْ بِالْبَطَائِحِ ، وَكَانَ قَدْ هَرَبَ إِلَيْهَا بَعْدَ أَنْ قُبِضَ ، وَكَاتَبَهُ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ ، وَفَخْرُ الدَّوْلَةِ ، وَصَمْصَامُ الدَّوْلَةِ ، وَبَدْرُ بْنُ حَسْنُوَيْهِ ، كُلٌّ مِنْهُمْ يَسْتَدْعِيهِ ، وَيَبْذُلُ لَهُ مَا يُرِيدُهُ ، وَقَالَ لَهُ فَخْرُ الدَّوْلَةِ لَعَلَّكَ تُسِيءُ الظَّنَّ بِمَا قَدَّمْتَهُ فِي خِدْمَةِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَمَا كُنَّا لِنُؤَاخِذَكَ بِطَاعَةِ مَنْ قَدَّمَكَ وَمُنَاصَحَتِهِ ، وَقَدْ عَلِمْتَ مَا عَمِلْتُهُ مَعَ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ ، وَتَرَكْنَا مَا فَعَلَهُ مَعَنَا.فَعَزَمَ عَلَى قَصْدِهِ ، فَأَدْرَكَهُ أَجَلُهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَتُوُفِّيَ ، وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ ، قُوَّادِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ.ذِكْرُ عَوْدِ عَسْكَرِ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ إِلَى الْأَهْوَازِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ جَهَّزَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ عَسْكَرَهُ مِنَ الدَّيْلَمِ وَرَدَّهُمْ إِلَى الْأَهْوَازِ مَعَ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَسَنِ ، وَاتُّفَقَ أَنَّ طُغَانَ ، نَائِبَ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ بِالْأَهْوَازِ ، تُوُفِّيَ ، وَعَزَمَ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْأَتْرَاكِ عَلَى الْعَوْدِ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَكَتَبَ مَنْ هُنَاكَ إِلَى بَهَاءِ الدَّوْلَةِ بِالْخَبَرِ ، فَأَقْلَقَهُ ذَلِكَ وَأَزْعَجَهُ ، فَسَيَّرَ أَبَا كَالِيجَارَ الْمَرْزُبَانَ بْنَ شَهْفِيرُوزَ إِلَى الْأَهْوَازِ نَائِبًا عَنْهُ ، وَأَنْفَذَ أَبَا مُحَمَّدٍ الْحَسَنَ بْنَ مُكْرَمٍ إِلَى الْفَتْكِينِ ، وَهُوَ بِرَامَهُرْمُزَ ، قَدْ عَادَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ عَسْكَرِ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ إِلَيْهَا ، يَأْمُرُهُ بِالْمُقَامِ بِمَوْضِعِهِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَعَادَ إِلَى الْأَهْوَازِ ، فَكَتَبَ إِلَى أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ مُكْرَمٍ بِالنَّظَرِ فِي الْأَعْمَالِ ، وَسَارَ بَعْدَهُمْ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ نَحْوَ خُوزِسْتَانَ ، فَكَاتَبَهُ الْعَلَاءُ ، وَسَلَكَ طَرِيقَ اللِّينِ ، وَالْخِدَاعِ.ثُمَّ سَارَ عَلَى نَهْرِ الْمَسْرُقَانِ إِلَى أَنْ حَصَلَ بِخَانِ طُوقَ ، وَوَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ مُكْرَمٍ وَالْفَتْكِينِ ، وَزَحَفَ الدَّيْلَمُ بَيْنَ الْبَسَاتِينِ ، حَتَّى دَخَلُوا الْبَلَدَ ، وَانْزَاحَ عَنْهُ ابْنُ مُكْرَمٍ وَالْفَتْكِينُ ، وَكَتَبَا إِلَى بَهَاءِ الدَّوْلَةِ يُشِيرَانِ عَلَيْهِ بِالْعُبُورِ إِلَيْهَا فَتَوَقَّفَ عَنْ ذَلِكَ وَوَعْدَهُمَا بِهِ وَسَيَّرَ إِلَيْهِمَا ثَمَانِينَ غُلَامًا مِنَ الْأَتْرَاكِ ، فَعَبَرُوا وَحَمَلُوا عَلَى الدَّيْلَمِ مِنْ خَلْفِهِمْ ، فَأَفْرَجَ لَهُمُ الدَّيْلَمُ ، فَلَمَّا تَوَسَّطُوا بَيْنَهُمْ أَطْبَقُوا عَلَيْهِمْ فَقَتَلُوهُمْ.فَلَمَّا عَرَفَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ ذَلِكَ ضَعُفَتْ نَفْسُهُ وَعَزَمَ عَلَى الْعَوْدِ ، وَلَمْ يُظْهِرْ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ بِإِسْرَاجِ الْخَيْلِ وَحَمْلِ السِّلَاحِ فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَسَارَ نَحْوَ الْأَهْوَازِ يَسِيرًا ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْبَصْرَةِ فَنَزَلَ بِظَاهِرِهَا.فَلَمَّا عَرَفَ ابْنُ مُكْرَمٍ خَبَرَ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ عَادَ إِلَى عَسْكَرِ مُكْرَمٍ ، وَتَبِعَهُمُ الْعَلَاءُ وَالدَّيْلَمُ فَأَجْلَوْهُمْ عَنْهَا ، فَنَزَلُوا بِرَامِلَانَ بَيْنَ عَسْكَرِ مُكْرَمٍ وَتُسْتَرَ ، وَتَكَرَّرَتِ الْوَقَائِعُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ مُدَّةً.وَكَانَ بِيَدِ الْأَتْرَاكِ ، أَصْحَابِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ مِنْ تُسْتَرَ إِلَى رَامَهُرْمُزَ وَمَعَ الدَّيْلَمِ مِنْهَا إِلَى أَرَّجَانَ ، وَأَقَامُوا سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الْأَهْوَازِ ، ثُمَّ عَبَرَ بِهِمُ النَّهْرَ إِلَى الدَّيْلَمِ ، وَاقْتَتَلُوا نَحْوَ شَهْرَيْنِ ، ثُمَّ رَحَلَ الْأَتْرَاكُ وَتَبِعَهُمُ الْعَلَاءُ ، فَوَجَدَهُمْ قَدْ سَلَكُوا طَرِيقَ وَاسِطَ ، فَكَفَّ عَنْهُمْ ، وَأَقَامَ بِعَسْكَرِ مكْرَمٍ.ذِكْرُ حَادِثَةٍ غَرِيبَةٍ بِالْأَنْدَلُسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَيَّرَ الْمَنْصُورُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ ، أَمِيرُ الْأَنْدَلُسِ لِهِشَامٍ الْمُؤَيَّدِ عَسْكَرًا إِلَى بِلَادِ الْفِرِنْجِ لِلْغَزَاةِ ، فَنَالُوا مِنْهُمْ وَغَنِمُوا ، وَأَوْغَلُوا فِي دِيَارِهِمْ ، وَأَسَرُوا غَرْسِيَّةَ ، وَهُوَ مَلِكٌ لِلْفِرِنْجِ ابْنُ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِهِمْ يُقَالُ لَهُ شَانْجَةُ ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ مُلُوكِهِمْ وَأَمْنَعِهِمْ ، وَكَانَ مِنَ الْقَدَرِ أَنَّ شَاعِرًا لِلْمَنْصُورِ ، يُقَالُ لَهُ أَبُو الْعَلَاءِ صَاعِدُ بْنُ الْحَسَنِ الرَّبَعِيُّ ، قَدْ قَصَدَهُ مِنْ بِلَادِ الْمَوْصِلِ ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ وَامْتَدَحَهُ قَبْلَ هَذَا التَّارِيخِ ، فَلَمَّا كَانَ الْآنَ أَهْدَى أَبُو الْعَلَاءِ إِلَى الْمَنْصُورِ أُيَّلًا.وَكَتَبَ مَعَهُ أَبْيَاتًا مِنْهَا يَا حِرْزَ كُلِّ مُخَوَّفٍ وَأَمَانَ كُلِّ...مُشَرَّدٍ وَمُعِزَّ كُلِّ مُذَلَّلِ جَدْوَاكَ إِنْ تُخْصَصْ بِهِ فَلِأَهْلِهِ...وَتَعُمُّ بِالْإِحْسَانِ كُلَّ مُؤَمِّلِ يَقُولُ فِيهَا مَوْلَايَ مُؤْنِسَ غُرْبَتِي ، مُتَخَطِّفِي...مِنْ ظُفْرِ أَيَّامِي ، مُمَنِّعَ مَعْقِلِي عَبْدٌ رَفَعْتَ بِضَبْعِهِ ، وَغَرَسْتَهُ...فِي نِعْمَةٍ أَهْدَى إِلَيْكَ بِأَيَّلِ سَمَّيْتُهُ غَرْسِيَّةَ ، وَبَعَثْتُهُ...فِي حَبْلِهِ لِيُتَاحَ فِيهِ تَفَاؤُلِي فَلَئِنْ قَبِلْتَ ، فَتِلْكَ أَسْنَى نِعْمَةٍ...أَسْدَى بِهَا ذُو نِعْمَةٍ وَتَطَوُّلِ فَسَمَّى هَذَا الشَّاعِرُ الْأَيَّلَ غَرْسِيَّةَ تُفَاؤُلًا بِأَسَرِ ذَلِكَ غَرْسِيَّةَ ، فَكَانَ أَسْرُهُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَهْدَى فِيهِ الْأَيَّلَ ، فَانْظُرْ إِلَى هَذَا الِاتِّفَاقِ مَا أَعْجَبَهُ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَرَدَ الْوَزِيرُ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْأَبَرْقُوهِيُّ مِنَ الْبَطِيحَةِ إِلَى بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، بَعْدَ عَوْدِهِ مِنْ خُوزِسْتَانَ وَكَانَ قَدِ الْتَجَأَ إِلَى مُهَذَّبِ الدَّوْلَةِ ، فَأَرْسَلَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ يَطْلُبُهُ لِيَسْتَوْزِرَهُ ، فَحَضَرَ عِنْدَهُ ، فَلَمْ يَتِمَّ لَهُ ذَلِكَ ، فَعَادَ إِلَى الْبَطِيحَةِ ، وَكَانَ الْفَاضِلُ ، وَزِيرُ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، مَعَهُ بِوَاسِطَ ، فَلَمَّا عَلِمَ الْحَالَ اسْتَأْذَنَ فِي الْإِصْعَادِ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَأَذِنَ لَهُ فَأَصْعَدَ ، فَعَادَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ وَطَلَبَهُ لِيَرْجِعَ إِلَيْهِ ، فَغَالَطَهُ وَلَمْ يَعُدْ. الْوَفَيَاتُ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي ذِي الْحِجَّةِ تُوُفِّيَ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَيُّوبَ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ شَاهِينَ الْوَاعِظِ ، مَوْلِدُهُ فِي صَفَرَ سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَكَانَ مُكْثِرًا مِنَ الْحَدِيثِ ثِقَةً.وَفِيهَا ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، تُوُفِّيَ الْإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مَهْدِيٍّ الْمَعْرُوفُ بِالدَّارَقُطْنِيِّ الْإِمَامِ الْمَشْهُورِ.وَفِيهَا ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَكْرَةَ الْهَاشِمِيُّ مِنْ وَلَدِ عَلِيِّ بْنِ الْمَهْدِيِّ بِاللَّهِ ، وَكَانَ مُنْحَرِفًا عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَانَ خَبِيثَ اللِّسَانِ يُتَّقَى سَفَهُهُ ، وَمِنْ جَيِّدِ شِعْرِهِ فِي وَجْهِ إِنْسَانَةٍ كَلِفْتُ بِهَا...أَرْبَعَةٌ مَا اجْتَمَعْنَ فِي أَحَدِ الْوَجْهُ بَدْرٌ ، وَالصُّدْغُ غَالِيَةٌ...وَالرِّيقُ خَمْرٌ ، وَالثَّغْرُ مِنْ بَرَدِ وَفِيهَا تُوُفِّيَ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ بْنِ مَسْرُورٍ ، أَبُو الْفَتْحِ الْقَوَّاسُ ، الزَّاهِدُ ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَلَهُ خَمْسٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ وَفَاةِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ وَوِلَايَةِ ابْنِهِ الْحَاكِمِ وَمَا كَانَ مِنَ الْحُرُوبِ إِلَى أَنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ الْعَزِيزُ أَبُو مَنْصُورٍ نِزَارُ بْنُ الْمُعِزِّ أَبِي تَمِيمٍ مَعَدٍّ الْعَلَوِيُّ ، صَاحِبُ مِصْرَ ، لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ رَمَضَانَ ، وَعُمْرُهُ اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً وَثَمَانِيَةُ أَشْهُرٍ وَنِصْفٌ ، بِمَدِينَةِ بُلْبَيْسَ ، وَكَانَ بَرَزَ إِلَيْهَا لِغَزْوِ الرُّومِ ، فَلَحِقَهُ عِدَّةُ أَمْرَاضٍ مِنْهَا النِّقْرِسُ وَالْحَصَا وَالْقُولَنْجُ ، فَاتَّصَلَتْ بِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ.وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَنِصْفًا ، وَمَوْلِدُهُ بِالْمَهْدِيَّةِ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ.وَكَانَ أَسْمَرَ طَوِيلًا ، أَصْهَبَ الشَّعْرِ ، عَرِيضَ الْمَنْكِبَيْنِ ، عَارِفًا بِالْخَيْلِ وَالْجَوْهَرِ ، قِيلَ إِنَّهُ وَلَّى عِيسَى بْنَ نَسْطُورَسَ النَّصْرَانِيَّ كِتَابَتَهُ ، وَاسْتَنَابَ بِالشَّامِ يَهُودِيًّا اسْمُهُ مَنْشَا ، فَاعْتَزَّ بِهِمَا النَّصَارَى وَالْيَهُودُ ، وَآذَوُا الْمُسْلِمِينَ ، فَعَمَدَ أَهْلُ مِصْرَ وَكَتَبُوا قِصَّةً وَجَعَلُوهَا فِي يَدِ صُورَةٍ عَمِلُوهَا مِنْ قَرَاطِيسَ ، فِيهَا بِالَّذِي أَعَزَّ الْيَهُودَ بِمَنْشَا وَالنَّصَارَى بِعِيسَى بْنِ نَسْطُورَسَ ، وَأَذَلَّ الْمُسْلِمِينَ بِكَ إِلَّا كَشَفْتَ ظُلَامَتِي ، وَأَقْعَدُوا تِلْكَ الصُّورَةَ عَلَى طَرِيقِ الْعَزِيزِ ، وَالرُّقْعَةُ بِيَدِهَا ، فَلَمَّا رَآهَا أَمَرَ بِأَخْذِهَا ، فَلَمَّا قَرَأَ مَا فِيهَا ، وَرَأَى الصُّورَةَ مِنْ قَرَاطِيسَ ، عَلِمَ مَا أُرِيدُ بِذَلِكَ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِمَا ، وَأَخَذَ مِنْ عِيسَى ثَلَاثَمِائَةِ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَمِنَ الْيَهُودِيِّ شَيْئًا كَثِيرًا.وَكَانَ يُحِبُّ الْعَفْوَ وَيَسْتَعْمِلُهُ ، فَمِنْ حِلْمِهِ أَنَّهُ كَانَ بِمِصْرَ شَاعِرٌ اسْمُهُ الْحَسَنُ بْنُ بِشْرٍ الدِّمَشْقِيُّ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْهِجَاءِ ، فَهَجَا يَعْقُوبَ بْنَ كِلِّسٍ وَزِيرَ الْعَزِيزِ وَكَاتِبَ الْإِنْشَاءِ مِنْ جِهَتِهِ أَبَا نَصْرٍ عَبْدَ اللَّهِ الْحُسَيْنَ الْقَيْرَوَانِيَّ ، فَقَالَ قُلْ لِأَبِي نَصْرٍ صَاحِبِ الْقَصْرِ...وَالْمُتَأَتِّي لِنَقْضِ ذَا الْأَمْرِ انْقُضْ عُرَى الْمُلْكِ لِلْوَزِيرِ تَفُزْ...مِنْهُ بِحُسْنِ الثَّنَاءِ وَالذِّكْرِ وَأَعْطِ ، وَامْنَعْ ، وَلَا تَخَفْ أَحَدًا...فَصَاحِبُ الْقَصْرِ لَيْسَ فِي الْقَصْرِ وَلَيْسَ يَدْرِي مَاذَا يُرَادُ بِهِ...وَهُوَ إِذَا مَا دَرَى ، فَمَا يَدْرِي فَشَكَاهُ ابْنُ كِلِّسٍ إِلَى الْعَزِيزِ ، وَأَنْشَدَهُ الشِّعْرَ فَقَالَ لَهُ هَذَا شَيْءٌ اشْتَرَكْنَا فِيهِ فِي الْهِجَاءِ فَشَارِكْنِي فِي الْعَفْوِ عَنْهُ.ثُمَّ قَالَ هَذَا الشَّاعِرُ أَيْضًا وَعَرَّضَ بِالْفَضْلِ الْقَائِدِ تَنَصَّرْ ، فَالتَّنَصُّرُ دِينُ حَقٍّ...عَلَيْهِ زَمَانُنَا هَذَا يَدُلُّ وَقُلْ بِثَلَاثَةٍ عَزُّوا وَجَلُّوا...وَعَطِّلْ مَا سِوَاهُمْ فَهُوَ عُطْلُ فَيَعْقُوبُ الْوَزِيرُ أَبٌ ، وَهَذَا...الْعَزِيزُ ابْنٌ ، وَرُوحُ الْقُدُسِ فَضْلُ فَشَكَاهُ أَيْضًا إِلَى الْعَزِيزِ ، فَامْتَعَضَ مِنْهُ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ اعْفُ عَنْهُ فَعَفَا عَنْهُ.ثُمَّ دَخَلَ الْوَزِيرُ عَلَى الْعَزِيزِ ، فَقَالَ لَمْ يَبْقَ لِلْعَفْوِ عَنْ هَذَا مَعْنًى ، وَفِيهِ غَضٌّ مِنَ السِّيَاسَةِ ، وَنَقْضٌ لِهَيْبَةِ الْمُلْكِ ، فَإِنَّهُ قَدْ ذَكَرَكَ وَذَكَرَنِي وَذَكَرَ ابْنَ زَبَارِجَ نَدِيمَكَ ، وَسَبَّكَ بِقَوْلِهِ زَبَارِجِيٌّ نَدِيمٌ وَكِلِّسِيٌّ وَزِيرُ...نَعَمْ عَلَى قَدْرِ الْكَلْبِ يَصْلُحُ السَّاجُورُ فَغَضِبَ الْعَزِيزُ ، وَأَمَرَ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ لِوَقْتِهِ ، ثُمَّ بَدَا لِلْعَزِيزِ إِطْلَاقُهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَسْتَدْعِيهِ ، وَكَانَ لِلْوَزِيرِ عَيْنٌ فِي الْقَصْرِ ، فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ فَقُتِلَ.فَلَمَّا وَصَلَ رَسُولُ الْعَزِيزِ فِي طَلَبِهِ أَرَاهُ رَأْسَهُ مَقْطُوعًا ، فَعَادَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ ، فَاغْتَمَّ لَهُ.وَلَمَّا مَاتَ الْعَزِيزُ وَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو عَلِيٍّ الْمَنْصُورُ ، وَلُقِّبَ الْحَاكِمَ بِأَمْرِ اللَّهِ ، بِعَهْدٍ مِنْ أَبِيهِ ، فَوَلِيَ وَعُمْرُهُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً وَسِتَّةُ أَشْهُرٍ ، وَأَوْصَى الْعَزِيزُ إِلَى أَرْجُوَانَ الْخَادِمِ ، وَكَانَ يَتَوَلَّى أَمْرَ دَارِهِ ، وَجَعَلَهُ مُدَبِّرَ دَوْلَةِ ابْنِهِ الْحَاكِمِ ، فَقَامَ بِأَمْرِهِ ، وَبَايَعَ لَهُ ، وَأَخَذَ لَهُ الْبَيْعَةَ عَلَى النَّاسِ ، وَتَقَدَّمَ الْحَسَنُ بْنُ عَمَّارٍ ، شَيْخُ كُتَامَةَ وَسَيِّدُهَا ، وَحَكَمَ فِي دَوْلَتِهِ ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَتَلَقَّبَ بِأَمِينِ الدَّوْلَةِ ، هُوَ أَوَّلُ مَنْ تَلَقَّبَ فِي دَوْلَةِ الْعَلَوِيِّينَ الْمِصْرِيِّينَ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ ثِقَاتُهُ بِقَتْلِ الْحَاكِمِ ، وَقَالُوا لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى مَنْ يَتَعَبَّدُنَا ، فَلَمْ يَفْعَلِ احْتِقَارًا لَهُ ، وَاسْتِصْغَارًا لِسِنِّهِ.وَانْبَسَطَتْ كُتَامَةُ فِي الْبِلَادِ ، وَحَكَمُوا فِيهَا ، وَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى أَمْوَالِ الرَّعِيَّةِ وَحَرِيمِهِمْ ، وَأَرْجُوَانُ مُقِيمٌ مَعَ الْحَاكِمِ فِي الْقَصْرِ يَحْرُسُهُ ، وَاتَّفَقَ مَعَهُ شُكْرٌ خَادِمُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا قَبْضَ شَرَفِ الدَّوْلَةِ عَلَيْهِ وَمَسِيرَهُ إِلَى مِصْرَ ، فَلَمَّا اتَّفَقَا ، وَصَارَتْ كَلِمَتُهُمَا وَاحِدَةً ، كَتَبَ أَرْجُوَانُ إِلَى مَنْجُوتِكِينَ يَشْكُو مَا يَتِمُّ عَلَيْهِ مِنِ ابْنِ عَمَّارٍ ، فَتَجَهَّزَ وَسَارَ مِنْ دِمَشْقَ نَحْوَ مِصْرَ ، فَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى ابْنِ عَمَّارٍ ، فَأَظْهَرُ أَنَّ مَنْجُوتِكِينَ قَدْ عَصَى عَلَى الْحَاكِمِ ، وَنَدَبَ الْعَسَاكِرَ إِلَى قِتَالِهِ ، وَسَيَّرَ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيرًا ، وَجَعَلَ عَلَيْهِمْ أَبَا تَمِيمٍ سُلَيْمَانَ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ فَلَاحٍ الْكُتَامِيَّ ، فَسَارُوا إِلَيْهِ فَلَقُوهُ بِعَسْقَلَانَ ، فَانْهَزَمَ مَنْجُوتِكِينُ وَأَصْحَابُهُ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ أَلْفَا رَجُلٍ ، وَأُسِرَ مَنْجُوتِكِينُ وَحُمِلَ إِلَى مِصْرَ ، فَأَبْقَى عَلَيْهِ ابْنُ عَمَّارٍ ، وَأَطْلَقَهُ اسْتِمَالَةً لِلْمَشَارِقَةِ بِذَلِكَ.وَاسْتَعْمَلَ ابْنُ عَمَّارٍ عَلَى الشَّامِ أَبَا تَمِيمٍ الْكُتَامِيَّ ، وَاسْمُهُ سُلَيْمَانُ بْنُ جَعْفَرٍ ، فَسَارَ إِلَى طَبَرِيَةَ ، فَاسْتَعْمَلَ عَلَى دِمَشْقَ أَخَاهُ عَلِيًّا ، فَامْتَنَعَ أَهْلُهَا عَلَيْهِ ، فَكَاتَبَهُمْ أَبُو تَمِيمٍ يَتَهَدَّدُهُمْ فَخَافُوا وَأَذْعَنُوا بِالطَّاعَةِ ، وَاعْتَذَرُوا مِنْ فِعْلِ سُفَهَائِهِمْ ، وَخَرَجُوا إِلَى عَلِيٍّ فَلَمْ يَعْبَأْ بِهِمْ وَرَكِبَ وَدَخَلَ الْبَلَدَ فَأَحْرَقَ وَقَتَلَ وَعَادَ إِلَى مُعَسْكَرِهِ.وَقَدِمَ عَلَيْهِمْ أَبُو تَمِيمٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَأَمَّنَهُمْ ، وَأَطْلَقَ الْمُحَبَّسِينَ وَنَظَرَ فِي أَمْرِ السَّاحِلِ ، وَاسْتَعْمَلَ أَخَاهُ عَلِيًّا عَلَى طَرَابُلُسَ ، وَعَزَلَ عَنْهَا جَيْشَ بْنَ الصَّمْصَامَةِ الْكُتَامِيَّ ، فَمَضَى إِلَى مِصْرَ ، وَاجْتَمَعَ مَعَ أَرْجُوَانَ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ عَمَّارٍ ، فَانْتَهَزَ أَرْجُوَانُ الْفُرْصَةَ بِبُعْدِ كُتَامَةَ عَنْ مِصْرَ مَعَ أَبِي تَمِيمٍ ، فَوَضَعَ الْمَشَارِقَةَ عَلَى الْفَتْكِ بِمَنْ بَقِيَ بِمِصْرَ مِنْهُمْ ، وَبِابْنِ عَمَّارٍ مَعَهُمْ.فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَمَّارٍ ، فَعَمِلَ عَلَى الْإِيقَاعِ بِأَرْجُوَانَ وَشُكْرٍ الْعَضُدِيِّ فَأَخْبَرَهُمَا عُيُونٌ لَهُمَا عَلَى ابْنِ عَمَّارٍ بِذَلِكَ ، فَاحْتَاطَا وَدَخَلَا قَصْرَ الْحَاكِمِ بَاكِينَ ، وَثَارَتِ الْفِتْنَةُ ، وَاجْتَمَعَتِ الْمَشَارِقَةُ ، فَفَرَّقَ فِيهِمُ الْمَالَ ، وَوَاقَعُوا ابْنَ عَمَّارٍ وَمَنْ مَعَهُ ، فَانْهَزَمَ وَاخْتَفَى.فَلَمَّا ظَفِرَ أَرْجُوَانُ أَظْهَرَ الْحَاكِمَ ، وَأَجْلَسَهُ ، وَجَدَّدَ لَهُ الْبَيْعَةَ ، وَكَتَبَ إِلَى وُجُوهِ الْقُوَّادِ وَالنَّاسِ بِدِمَشْقَ بِالْإِيقَاعِ بِأَبِي تَمِيمٍ ، فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا وَقَدْ هَجَمُوا عَلَيْهِ وَنَهَبُوا خَزَائِنَهُ ، فَخَرَجَ هَارِبًا ، وَقَتَلُوا مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْ كُتَامَةَ ، وَعَادَتِ الْفِتْنَةُ بِدِمَشْقَ ، وَاسْتَوْلَى الْأَحْدَاثُ.ثُمَّ إِنَّ أَرْجُوَانَ أَذِنَ لِلْحَسَنِ بْنِ عَمَّارٍ فِي الْخُرُوجِ مِنِ اسْتِتَارِهِ ، وَأَجْرَاهُ عَلَى إِقْطَاعِهِ ، وَأَمَرَهُ بِإِغْلَاقِ بَابِهِ.وَعَصَى أَهْلُ صُورَ ، وَأَمَّرُوا عَلَيْهِمْ رَجُلًا مَلَّاحًا يُعْرَفُ بِعِلَاقَةَ ، وَعَصَى أَيْضًا الْمُفَرِّجُ بْنُ دَغْفَلِ بْنِ الْجَرَّاحِ ، وَنَزَلَ عَلَى الرَّمْلَةِ وَعَاثَ فِي الْبِلَادِ.وَاتُّفِقَ أَنَّ الدُّوقَسَ ، صَاحِبَ الرُّومِ ، نَزَلَ عَلَى حِصْنِ أَفَامِيَةَ ، فَأَخْرَجَ أَرْجُوَانُ جَيْشَ ابْنِ الصَّمْصَامَةِ فِي عَسْكَرٍ ضَخْمٍ ، فَسَارَ حَتَّى نَزَلَ بِالرَّمْلَةِ ، فَأَطَاعَهُ وَالِيهَا ، وَظَفِرَ فِيهَا بِأَبِي تَمِيمٍ فَقَبَضَ عَلَيْهِ ، وَسَيَّرَ عَسْكَرًا إِلَى صُورَ ، وَعَلَيْهِمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ ، فَغَزَاهَا بَرًّا وَبَحْرًا.فَأَرْسَلَ عِلَاقَةُ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ يَسْتَنْجِدُهُ فَسَيَّرَ إِلَيْهِ عِدَّةَ مَرَاكِبَ مَشْحُونَةٍ بِالرِّجَالِ ، فَالْتَقَوْا بِمَرَاكِبِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صُورَ فَاقْتَتَلُوا ، وَظَفِرَ الْمُسْلِمُونَ ، وَانْهَزَمَ الرُّومُ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ جَمْعٌ ، فَلَمَّا انْهَزَمُوا انْخَذَلَ أَهْلُ صُورَ ، وَضَعُفَتْ نُفُوسُهُمْ ، فَمَلَكَ الْبَلَدَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حَمْدَانَ ، وَنَهَبَهُ ، وَأُخِذَتِ الْأَمْوَالُ ، وَقُتِلَ كَثِيرٌ مِنْ جُنْدِهِ ، وَكَانَ أَوَّلُ فَتْحٍ كَانَ عَلَى يَدِ أَرْجُوَانَ ، وَأُخِذَ عِلَاقَةُ أَسِيرًا فَسَيَّرَهُ إِلَى مِصْرَ ، فَسُلِخَ وَصُلِبَ بِهَا ، وَأَقَامَ بِصُورَ ، وَسَارَ جَيْشُ بْنِ الصَّمْصَامَةِ لِقَصْدِ الْمُفَرِّجِ بْنِ دَغْفَلٍ ، فَهَرَبَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَأَرْسَلَ يَطْلُبُ الْعَفْوَ فَأَمَّنَهُ.وَسَارَ جَيْشٌ أَيْضًا إِلَى عَسْكَرِ الرُّومِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى دِمَشْقَ تَلَقَّاهُ أَهْلُهَا مُذْعِنِينَ ، فَأَحْسَنَ إِلَى رُؤَسَاءِ الْأَحْدَاثِ ، وَأَطْلَقَ الْمُؤَنَ ، وَأَبَاحَ دَمَ كُلِّ مَغْرِبِيٍّ يَتَعَرَّضُ لِأَهْلِهَا ، فَاطْمَأَنُّوا إِلَيْهِ.وَسَارَ إِلَى أَفَامِيَةَ ، فَصَافَّ الرُّومَ عِنْدَهَا ، فَانْهَزَمَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، مَا عَدَا بِشَارَةَ الْإِخْشِيدِيَّ ، فَإِنَّهُ ثَبَتَ فِي خَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ.وَنَزَلَ الرُّومُ إِلَى سَوَادِ الْمُسْلِمِينَ يَغْنَمُونَ مَا فِيهِ ، وَالدُّوقَسُ وَاقِفٌ عَلَى رَايَتِهِ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَلَدُهُ وَعِدَّةُ غِلْمَانٍ ، فَقَصَدَهُ كُرْدِيٌّ يُعْرَفُ بِأَحْمَدَ بْنِ الضَّحَّاكِ ، مِنْ أَصْحَابِ بِشَارَةَ ، وَمَعَهُ خَشَتٌ ، فَظَنَّهُ الدُّوقَسُ مُسْتَأْمَنًا ، فَلَمْ يَحْتَرِزُ مِنْهُ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ حَمَلَ عَلَيْهِ وَضَرَبَهُ بِالْخَشَتِ فَقَتَلَهُ ، فَصَاحَ الْمُسْلِمُونَ قُتِلَ عَدُوُّ اللَّهِ!وَعَادُوا وَنَزَلَ النَّصْرُ عَلَيْهِمْ ، فَانْهَزَمَتِ الرُّومُ وَقُتِلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ.وَسَارَ جَيْشٌ إِلَى بَابِ أَنْطَاكِيَةَ يَغْنَمُ وَيَسْبِي وَيَحْرِقُ ، وَعَادَ إِلَى دِمَشْقَ فَنَزَلَ بِظَاهِرِهَا ، وَكَانَ الزَّمَانُ شِتَاءً ، فَسَأَلَهُ أَهْلُ دِمَشْقَ لِيَدْخُلَ الْبَلَدَ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَنَزَلَ بِبَيْتِ لَهْيَا ، وَأَحْسَنَ السِّيرَةَ فِي أَهْلِ دِمَشْقَ ، وَاسْتَخَصَّ رُؤَسَاءَ الْأَحْدَاثِ ، وَاسْتَحْجَبَ جَمَاعَةً مِنْهُمْ ، وَجَعَلَ يَبْسُطُ الطَّعَامَ كُلَّ يَوْمٍ لَهُمْ وَلِمَنْ يَجِئُ مَعَهُمْ مِنْ أَصْحَابِهِمْ ، فَكَانَ يَحْضُرُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ فِي جَمْعٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَشْيَاعِهِ ، وَأَمَرَهُمْ إِذَا فَرَغُوا مِنَ الطَّعَامِ أَنْ يَحْضُرُوا إِلَى حُجْرَةٍ لَهُ يَغْسِلُونَ أَيْدِيَهُمْ فِيهَا ، فَعَبَرَ عَلَى ذَلِكَ بُرْهَةً مِنَ الزَّمَانِ ، فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنَّ رُؤَسَاءَ الْأَحْدَاثِ ، إِذَا دَخَلُوا الْحُجْرَةَ لِغَسْلِ أَيْدِيهِمْ ، أَنْ يُغْلِقُوا بَابَ الْحُجْرَةِ عَلَيْهِمْ ، وَيَضَعُوا السَّيْفَ فِي أَصْحَابِهِمْ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ حَضَرُوا الطَّعَامَ ، وَقَامَ الرُّؤَسَاءُ إِلَى الْحُجْرَةِ ، فَأُغْلِقَتِ الْأَبْوَابُ عَلَيْهِمْ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِمْ نَحْوُ ثَلَاثَةِ آلَافِ رَجُلٍ ، وَدَخَلَ دِمَشْقَ فَطَافَهَا ، فَاسْتَغَاثَ النَّاسُ وَسَأَلُوهُ الْعَفْوَ وَعَفَا عَنْهُمْ ، وَأَحْضَرَ أَشْرَافَ أَهْلِهَا ، وَقَتَلَ رُؤَسَاءَ الْأَحْدَاثِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، وَسَيَّرَ الْأَشْرَافَ إِلَى مِصْرَ ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ وَنِعَمَهُمْ ، ثُمَّ مَرِضَ بِالْبَوَاسِيرِ وَشِدَّةِ الضَّرَبَانِ فَمَاتَ.وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ هَذِهِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ.ثُمَّ إِنَّ أَرْجُوَانَ بَعْدَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ رَاسَلَ بَسِيلَ مَلِكَ الرُّومِ وَهَادَنَهُ عَشْرَ سِنِينَ ، وَاسْتَقَامَتِ الْأُمُورُ عَلَى يَدِ أَرْجُوَانَ.وَسَيَّرَ أَيْضًا جَيْشًا إِلَى بَرْقَةَ ، وَطَرَابُلُسَ الْغَرْبِ فَفَتَحَهَا ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا أَنَسًا الصَّقْلَبِيَّ وَنَصَحَ الْحَاكِمَ ، وَبَالَغَ فِي ذَلِكَ ، وَلَازَمَ خِدْمَتَهُ فَثَقُلَ مَكَانُهُ عَلَى الْحَاكِمِ ، فَقَتَلَهُ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .وَكَانَ خَصِيًّا أَبْيَضَ ، وَكَانَ لِأَرْجُوَانَ وَزِيرٌ نَصْرَانِيٌّ اسْمُهُ فَهْدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، فَاسْتَوْزَرَهُ الْحَاكِمُ ، ثُمَّ إِنَّ الْحَاكِمَ رَتَّبَ الْحُسَيْنَ بْنَ جَوْهَرٍ مَوْضِعَ أَرْجُوَانَ ، وَلَقَّبَهُ قَائِدَ الْقُوَّادِ ثُمَّ قَتَلَ الْحَسَنَ بْنَ عَمَّارٍ ، الْمُقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، ثُمَّ قَتَلَ الْحُسَيْنَ بْنَ جَوْهَرٍ ، وَلَمْ يَزَلْ يُقِيمُ الْوَزِيرَ بَعْدَ الْوَزِيرِ وَيَقْتُلُهُمْ.ثُمَّ جَهَّزَ يَارَخْتِكِينَ لِلْمَسِيرِ إِلَى حَلَبَ ، وَحَصَرَهَا ، وَسَيَّرَ مَعَهُ الْعَسَاكِرَ الْكَثِيرَةَ ، فَسَارَ عَنْهَا ، فَخَافَهُ حَسَّانُ بْنُ الْمُفَرِّجِ الطَّائِيُّ ، فَلَمَّا رَحَلَ مِنْ غَزَّةَ إِلَى عَسْقَلَانَ كَمَنَ لَهُ حَسَّانٌ وَوَالِدُهُ ، وَأَوْقَعَا بِهِ وَبِمَنْ مَعَهُ ، وَأَسَرَاهُ وَقَتَلَاهُ ، وَقُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ قَتْلَى كَثِيرٌ ، وَحَصَرَا الرَّمْلَةَ ، وَنَهَبَا النَّوَاحِيَ ، وَكَثُرَ جَمْعُهُمَا ، وَمَلَكَا الرَّمْلَةَ وَمَا وَالَاهَا ، فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى الْحَاكِمِ ، وَأَرْسَلَ يُعَاتِبُهُمَا ، وَسَبَقَ السَّيْفُ الْعَذَلَ ، فَأَرْسَلَا إِلَى الشَّرِيفِ أَبِي الْفُتُوحِ الْحَسَنِ بْنِ جَعْفَرٍ الْعَلَوِيِّ الْحَسَنِيِّ ، أَمِيرِ مَكَّةَ ، وَخَاطَبَاهُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَطَلَبَاهُ إِلَيْهِمَا لِيُبَايِعَا لَهُ بِالْخِلَافَةِ ، فَحَضَرَ ، وَاسْتَنَابَ بِمَكَّةَ ، وَخُوطِبَ بِالْخِلَافَةِ.ثُمَّ إِنَّ الْحَاكِمَ رَاسَلَ حَسَّانًا وَأَبَاهُ ، وَضَمِنَ لَهُمَا الْأَقْطَاعَ الْكَثِيرَةَ وَالْعَطَاءَ الْجَزِيلَ ، وَاسْتَمَالَهُمَا ، فَعَدَلَا عَنْ أَبِي الْفُتُوحِ ، وَرَدَّاهُ إِلَى مَكَّةَ ، وَعَادَا إِلَى طَاعَةِ الْحَاكِمِ.ثُمَّ إِنَّ الْحَاكِمَ جَهَّزَ عَسْكَرًا إِلَى الشَّامِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَلِيَّ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ فَلَاحٍ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الرَّمْلَةِ أَزَاحَ حَسَّانَ بْنَ الْمُفَرِّجِ وَعَشِيرَتَهُ عَنْ تِلْكَ الْأَرْضِ ، وَأَخَذَ مَا كَانَ لَهُ مِنَ الْحُصُونِ بِجَبَلِ الشَّرَّانِ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى أَمْوَالِهِ وَذَخَائِرِهِ ، وَسَارَ إِلَى دِمَشْقَ وَالِيًا عَلَيْهَا ، فَوَصَلَ إِلَيْهَا فِي شَوَّالٍ سَنَةَ تِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.وَأَمَّا حَسَّانٌ فَإِنَّهُ بَقِيَ شَرِيدًا نَحْوُ سَنَتَيْنِ ، ثُمَّ أَرْسَلَ وَالِدَهُ إِلَى الْحَاكِمِ فَأَمَّنَهُ وَأَقْطَعُهُ ، فَسَارَ حَسَّانٌ إِلَيْهِ بِمِصْرَ ، فَأَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ الْمُفَرِّجُ وَالِدُ حَسَّانٍ قَدْ تُوُفِّيَ مَسْمُومًا ، وَضَعَ الْحَاكِمُ عَلَيْهِ مَنْ سَمَّهُ ، فَبِمَوْتِهِ ضَعُفَ أَمْرُ حَسَّانٍ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ.ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ عَلَى الْبَصْرَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ قَائِدٌ كَبِيرٌ مِنْ قُوَّادِ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ ، اسْمُهُ لَشُكْرِسْتَانُ ، إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَأَجْلَى عَنْهَا نُوَّابَ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْأَتْرَاكَ لَمَّا عَادُوا عَنِ الْعَلَاءِ ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، كَانَ لَشُكْرِسْتَانُ هَذَا مَعَ الْعَلَاءِ ، فَأَتَاهُمْ مِنَ الدَّيْلَمِ الَّذِينَ مَعَ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ أَرْبَعُمِائَةِ رَجُلٍ مُسْتَأْمَنِينَ ، فَأَخَذَهُمْ لَشُكْرِسْتَانُ ، وَسَارَ بِهِمْ بِمَنْ مَعَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَكَثُرَ جَمْعُهُ ، فَنَزَلُوا قُرْبَ الْبَصْرَةِ بَيْنَ الْبَسَاتِينِ يُقَاتِلُونَ أَصْحَابَ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَمَالَ إِلَيْهِمْ بَعْضُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَمُقَدَّمُهُمْ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ الْعَلَوِيُّ ، وَكَانُوا يَحْمِلُونَ إِلَيْهِمُ الْمِيرَةَ.وَعَلِمَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ بِذَلِكَ ، فَأَنْفَذَ مَنْ يَقْبِضُ عَلَيْهِمْ ، فَهَرَبَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ إِلَى لَشُكْرِسْتَانَ ، فَقَوِيَ بِهِمْ ، وَجَمَعُوا السُّفُنَ وَحَمَلُوهُ فِيهَا ، وَنَزَلُوا إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَقَاتَلُوا أَصْحَابَ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ بِهَا ، وَأَخْرَجُوهُمْ عَنْهَا ، وَمَلَكَ لَشُكْرِسْتَانُ الْبَصْرَةَ ، وَقَتَلَ مِنْ أَهْلِهَا كَثِيرًا وَهَرَبَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ ، وَأَخَذَ كَثِيرًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ.فَكَتَبَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ إِلَى مُهَذَّبِ الدَّوْلَةِ ، صَاحِبِ الْبَطِيحَةِ ، يَقُولُ أَنْتَ أَحَقُّ بِالْبَصْرَةِ.فَسَيَّرَ إِلَيْهَا جَيْشًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْزُوقٍ ، فَأَجْلَى لَشُكْرِسْتَانَ عَنِ الْبَصْرَةِ ، فَقِيلَ إِنَّهُ سَارَ عَنِ الْبَصْرَةِ بِغَيْرِ حَرْبٍ وَدَخَلَهَا ابْنُ مَرْزُوقٍ.وَقِيلَ إِنَّمَا فَارَقَهَا بَعْدَ أَنْ حَارَبَ فِيهَا ، وَضَعُفَ عَنِ الْمُقَامِ بَيْنَ يَدَيْهِ.وَصَفَتِ الْبَصْرَةُ لِمُهَذَّبِ الدَّوْلَةِ.ثُمَّ إِنَّ لَشُكْرِسْتَانَ عَمِلَ عَلَى الْعَوْدِ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَهَجَمَ عَلَيْهَا فِي السُّفُنِ ، وَنَزَلَ أَصْحَابُهُ بِسُوقِ الطَّعَامِ ، وَاقْتَتَلُوا ، فَاسْتَظْهَرَ لَشُكْرِسْتَانُ ، وَكَاتَبَ بَهَاءَ الدَّوْلَةِ يَطْلُبُ الْمُصَالَحَةَ ، وَيَبْذُلُ الطَّاعَةَ ، وَيَخْطُبُ لَهُ بِالْبَصْرَةِ ، فَأَجَابَهُ مُهَذَّبُ الدَّوْلَةِ إِلَى ذَلِكَ ، وَأَخَذَ ابْنَهُ رَهِينَةً.وَكَانَ لَشُكْرِسْتَانُ يُظْهِرُ طَاعَةَ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ وَبَهَاءِ الدَّوْلَةِ وَمُهَذَّبِ الدَّوْلَةِ ، وَعَسَفَ أَهْلَ الْبَصْرَةِ مُدَّةً ، فَتَفَرَّقُوا ، ثُمَّ إِنَّهُ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَعَدَلَ فِيهِمْ ، فَعَادُوا.ذِكْرُ وِلَايَةِ الْمُقَلِّدِ الْمَوْصِلَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَلَكَ الْمُقَلِّدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ مَدِينَةَ الْمَوْصِلِ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَخَاهُ أَبَا الذَّوَّادِ تُوُفِّيَ هَذِهِ السُّنَّةَ ، فَطَمِعَ الْمُقَلِّدُ فِي الْإِمَارَةِ ، فَلَمْ تُسَاعِدْهُ عُقَيْلٌ عَلَى ذَلِكَ ، وَقَلَّدُوا أَخَاهُ عَلِيًّا لِأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْهُ ، فَأَسْرَعَ الْمُقَلِّدُ وَاسْتَمَالَ الدَّيْلَمَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ أَبِي جَعْفَرٍ الْحَجَّاجِ بِالْمَوْصِلِ ، فَمَالَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ ، وَكَتَبَ إِلَى بَهَاءِ الدَّوْلَةِ يَضْمَنُ مِنْهُ الْبَلَدَ بِأَلْفَيْ أَلْفَ دِرْهَمٍ كُلَّ سَنَةٍ.ثُمَّ حَضَرَ عِنْدَ أَخِيهِ عَلِيٍّ ، وَأَظْهَرَ لَهُ أَنَّ بَهَاءَ الدَّوْلَةِ قَدْ وَلَّاهُ الْمَوْصِلَ ، وَسَأَلَهُ مُسَاعَدَتَهُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ لِأَنَّهُ قَدْ مَنَعَهُ عَنْهَا ، فَسَارُوا وَنَزَلُوا عَلَى الْمَوْصِلِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ كُلُّ مَنِ اسْتَمَالَهُ الْمُقَلِّدُ مِنَ الدَّيْلَمِ ، وَضَعُفَ الْحَجَّاجُ ، وَطَلَبَ مِنْهُمُ الْأَمَانَ ، فَأَمَّنُوهُ ، وَوَاعَدَهُمْ يَوْمًا يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ فِيهِ.ثُمَّ إِنَّهُ انْحَدَرَ فِي السُّفُنِ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَلَمْ يَشْعُرُوا بِهِ إِلَّا بَعْدَ انْحِدَارِهِ ، فَتَبِعُوهُ ، فَلَمْ يَنَالُوا مِنْهُ شَيْئًا ، وَنَجَا بِمَالِهِ مِنْهُمْ ، وَسَارَ إِلَى بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَدَخَلَ الْمُقَلِّدُ الْبَلَدَ ، وَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ عَلَى أَنْ يُخْطَبَ لَهُمَا ، وَيُقَدَّمَ عَلِيٌّ لِكِبَرِهِ ، وَيَكُونَ لَهُ مَعَهُ نَائِبٌ يَجْبِي الْمَالَ ، وَاشْتَرَكَا فِي الْبَلَدِ وَالْوِلَايَةِ ، وَسَارَ عَلِيٌّ إِلَى الْبَرِّ ، وَأَقَامَ الْمُقَلِّدُ ، وَجَرَى الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ مُدَيْدَةً ، ثُمَّ تَشَاجَرُوا وَاخْتَصَمُوا وَكَانَ مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.وَكَانَ الْمُقَلِّدُ يَتَوَلَّى حِمَايَةَ غَرْبِيَّ الْفُرَاتِ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ ، وَكَانَ لَهُ بِبَغْدَاذَ نَائِبٌ فِيهِ تَهَوُّرٌ ، فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَصْحَابِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ مُشَاجَرَةٌ ، فَكَتَبَ إِلَى الْمُقَلِّدِ يَشْكُو ، فَانْحَدَرَ مِنَ الْمَوْصِلِ فِي عَسَاكِرِهِ وَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَصْحَابِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ حَرْبٌ انْهَزَمُوا فِيهَا ، وَكَتَبَ إِلَى بَهَاءِ الدَّوْلَةِ يَعْتَذِرُ ، وَطَلَبَ إِنْفَاذَ مَنْ يَعْقِدُ عَلَيْهِ ضَمَانَ الْقَصْرِ وَغَيْرِهِ.وَكَانَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ مَشْغُولًا بِمَنْ يُقَاتِلُهُ مَنْ عَسْكَرِ أَخِيهِ فَاضْطَرَّ إِلَى الْمُغَالَطَةِ ، وَمَدَّ الْمُقَلِّدُ يَدَهُ فَأَخَذَ الْأَمْوَالَ ، فَبَرَزَ نَائِبُ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ بِبَغْدَاذَ ، وَهُوَ حِينَئِذٍ أَبُو عَلِيِّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، وَخَرَجَ إِلَى حَرْبِ الْمُقَلِّدِ ، فَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَيْهِ ، فَأَنْفَذَ أَصْحَابَهُ لَيْلًا ، فَاقْتَتَلُوا ، وَعَادُوا إِلَى الْمُقَلِّدِ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى بَهَاءِ الدَّوْلَةِ بِمَجِئِ أَصْحَابِ الْمُقَلِّدِ إِلَى بَغْدَاذَ ، أَنْفَذَ أَبَا جَعْفَرٍ الْحَجَّاجَ إِلَى بَغْدَاذَ ، أَمَرَهُ بِمُصَالَحَةِ الْمُقَلِّدِ وَالْقَبْضِ عَلَى أَبِي عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، فَسَارَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فِي آخِرِ ذِي الْحِجَّةِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا رَاسَلَهُ الْمُقَلِّدُ فِي الصُّلْحِ ، فَاصْطَلَحَا عَلَى أَنْ يَحْمِلَ إِلَى بَهَاءِ الدَّوْلَةِ عَشَرَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، وَلَا يَأْخُذُ مِنَ الْبِلَادِ إِلَّا رَسْمَ الْحِمَايَةِ ، وَيَخْطُبُ لِأَبِي جَعْفَرٍ بَعْدَ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَأَنْ يَخْلَعَ عَلَى الْمُقَلِّدِ الْخِلَعَ السُّلْطَانِيَّةَ ، وَيُلَقَّبَ بِحُسَامِ الدَّوْلَةِ ، وَيُقْطَعَ الْمَوْصِلَ ، وَالْكُوفَةَ ، وَالْقَصْرَ وَالْجَامِعَيْنِ ، وَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ ، وَجَلَسَ الْقَادِرُ بِاللَّهِ لَهُ.وَلَمْ يَفِ الْمُقَلِّدُ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِحَمْلِ الْمَالِ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى الْبِلَادِ ، وَمَدَّ يَدَهُ فِي الْمَالِ ، وَقَصَدَهُ الْمُتَصَرِّفُونَ وَالْأَمَاثِلُ ، وَعَظُمَ قَدْرُهُ ، وَقَبَضَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ ، ثُمَّ هَرَبَ أَبُو عَلِيٍّ ، نَائِبُ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَاسْتَتَرَ وَسَارَ إِلَى الْبَطِيحَةِ مُسْتَتِرًا ، مُلْتَجِئًا إِلَى مُهَذَّبِ الدَّوْلَةِ.ذِكْرُ وَفَاةِ الْمَنْصُورِ بْنِ يُوسُفَ وَوِلَايَةِ ابْنِهِ بَادِيسَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ الْمَنْصُورُ بْنُ يُوسُفَ بُلُكِّينَ أَمِيرُ إِفْرِيقِيَّةَ ، أَوَائِلَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، خَارِجَ صَبْرَةَ ، وَدُفِنَ بِقَصْرِهِ.وَكَانَ مَلِكًا كَرِيمًا ، شُجَاعًا ، حَازِمًا ، وَلَمْ يَزَلْ مُظَفَّرًا مَنْصُورًا ، حَسَنَ السِّيرَةِ ، مُحِبًّا لِلْعَدْلِ وَالرَّعِيَّةِ ، أَوْسَعَهُمْ عَدْلًا ، وَأَسْقَطَ الْبَقَايَا عَنْ أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَكَانَتْ مَالًا جَلِيلًا.وَلَمَّا تُوُفِّيَ وَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ بَادِيسُ ، وَيُكَنَّى أَبَا مَنَادٍ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْأَمْرِ سَارَ إِلَى سَرْدَانِيَةَ ، وَأَتَاهُ النَّاسُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ لِلتَّعْزِيَةِ وَالتَّهْنِئَةِ ، وَأَرَادَ بَنُو زِيرِي أَعْمَامُ أَبِيهِ أَنْ يُخَالِفُوا عَلَيْهِ ، فَمَنَعَهُمْ أَصْحَابُ أَبِيهِ وَأَصْحَابُهُ.وَكَانَ مَوْلِدُ بَادِيسَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَأَتَتْهُ الْخِلَعُ وَالْعَهْدُ بِالْوِلَايَةِ مِنَ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ مِنْ مِصْرَ ، فَقُرِئَ الْعَهْدُ ، وَبَايَعَ لِلْحَاكِمِ هُوَ وَجَمَاعَةُ بَنِي عَمِّهِ وَالْأَعْيَانُ مِنَ الْقُوَّادِ.وَفِيهَا ثَارَ عَلَى بَادِيسَ رَجُلٌ صِنْهَاجِيٌّ اسْمُهُ خَلِيفَةُ بْنُ مُبَارَكٍ ، فَأُخِذَ وَحُمِلَ إِلَى بَادِيسَ ، فَأُرْكِبَ حِمَارًا ، وَجُعِلَ خَلْفَهُ رَجُلٌ أَسْوَدُ يَصْفَعُهُ ، وَطِيفَ بِهِ ، وَلَمْ يُقْتَلِ احْتِقَارًا لَهُ وَسُجِنَ.وَفِيهَا اسْتَعْمَلَ بَادِيسُ عَمَّهُ حَمَّادَ بْنَ يُوسُفَ بُلُكِّينَ عَلَى أَشِيرَ ، وَأَقْطَعَهُ إِيَّاهَا ، وَأَعْطَاهُ مِنَ الْخَيْلِ وَالسِّلَاحِ وَالْعُدَدِ شَيْئًا كَثِيرًا ، فَخَرَجَ إِلَيْهَا ، وَحَمَّادٌ هَذَا هُوَ جَدُّ بَنِي حَمَّادٍ الَّذِينَ كَانُوا مُلُوكَ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَالْقَلْعَةُ الْمَنْسُوبَةُ إِلَيْهِمْ مَشْهُورَةٌ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، وَمِنْهُمْ أَخَذَهَا عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ عَلِيٍّ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَبَضَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ عَلَى الْفَاضِلِ وَزِيرِهِ ، وَأَخَذَ مَالَهُ ، وَاسْتَوْزَرَ بَهَاءَ الدَّوْلَةِ سَابُورَ بْنَ أَرْدَشِيَرَ ، فَأَقَامَ نَحْوَ شَهْرَيْنِ ، وَفَرَّقَ الْأَمْوَالَ ، وَوَقَّعَ بِهَا لِلْقُوَّادِ قَصْدًا لِيُضْعِفَ بِهَاءَ الدَّوْلَةِ ، ثُمَّ هَرَبَ إِلَى الْبَطِيحَةِ ، وَبَقِيَ مَنْصِبُ الْوِزَارَةِ فَارِغًا ، وَاسْتُوزِرَ أَبُو الْعَبَّاسِ عِيسَى بْنُ سَرْجِسَ.وَفِيهَا اسْتَكْتَبَ الْقَادِرُ بِاللَّهِ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ حَاجِبِ النُّعْمَانِ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ أَبُو حَامِدِ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ الْمُزَكِّيُّ ، النَّيْسَابُورِيُّ ، فِي شَعْبَانَ ، وَكَانَ إِمَامًا ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ أَبُو إِسْحَاقَ الْحِمْيَرِيُّ ، الْمَعْرُوفُ بِالسُّكَّرِيِّ ، وَبِالْحَرْبِيِّ ، وَبِالْكَيَّالِ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْأَغَرِّ دُبَيْسُ بْنُ عَفِيفٍ الْأَسَدِيُّ بِخُوزِسْتَانَ ، وَأَبُو طَالِبٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَطِيَّةَ الْمَكِّيُّ ، صَاحِبُ" قُوتِ الْقُلُوبِ "، رُوِيَ أَنَّهُ صَنَّفَ" قُوتَ الْقُلُوبِ "وَكَانَ قُوتُهُ عُرُوقَ الْبَرْدِيِّ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ مَوْتِ الْأَمِيرِ نُوحِ بْنِ مَنْصُورٍ وَوِلَايَةِ ابْنِهِ مَنْصُورٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ الْأَمِيرُ الرَّضِيُّ نُوحُ بْنُ مَنْصُورٍ السَّامَانِيُّ فِي رَجَبٍ ، وَاخْتَلَّ بِمَوْتِهِ مُلْكُ آلِ سَامَانَ ، وَضَعُفَ أَمْرُهُمْ ضَعْفًا ظَاهِرًا ، وَطَمِعَ فِيهِمْ أَصْحَابُ الْأَطْرَافِ ، فَزَالَ مُلْكُهُمْ بَعْدَ مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ.وَلَمَّا تُوُفِّيَ قَامَ بِالْمُلْكِ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو الْحَرْثِ مَنْصُورُ بْنُ نُوحٍ ، وَبَايَعَهُ الْأُمَرَاءُ وَالْقُوَّادُ وَسَائِرُ النَّاسِ ، وَفَرَّقَ فِيهِمْ بَقَايَا الْأَمْوَالِ ، فَاتَّفَقُوا عَلَى طَاعَتِهِ.وَقَامَ بِأَمْرِ دَوْلَتِهِ وَتَدْبِيرِهَا بَكْتُوزُونُ.وَلَمَّا بَلَغَ خَبَرُ مَوْتِهِ إِلَى أَيْلَكَ خَانْ سَارَ إِلَى سَمَرْقَنْدَ ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِ فَائِقُ الْخَاصَّةِ ، فَسَيَّرَهُ جَرِيدَةً إِلَى بُخَارَى ، فَلَمَّا سَمِعَ بِمَسِيرِهِ الْأَمِيرُ مَنْصُورٌ تَحَيَّرَ فِي أَمْرِهِ ، وَأَعْجَلَهُ عَنِ التَّجَهُّزِ ، فَسَارَ عَنْ بُخَارَى ، وَقَطَعَ النَّهْرَ ، وَدَخَلَ فَائِقٌ بُخَارَى ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ إِنَّمَا قَصَدَ الْمُقَامَ بِخِدْمَةِ الْأَمِيرِ مَنْصُورٍ ، رِعَايَةً لِحَقِّ أَسْلَافِهِ عَلَيْهِ ، إِذْ هُوَ مَوْلَاهُمْ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَشَايِخُ بُخَارَى وَمُقَدَّمُهُمْ فِي الْعَوْدِ إِلَى بَلَدِهِ وَمُلْكِهِ ، وَأَعْطَاهُ مِنْ نَفْسِهِ مَا يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعُهُودِ وَالْمَوَاثِيقِ ، فَعَادَ إِلَيْهَا وَدَخَلَهَا وَوَلِيَ فَائِقٌ أَمْرَهُ وَحَكَمَ فِي دَوْلَتِهِ ، وَوَلِيَ بَكْتُوزُونُ إِمْرَةَ الْجُيُوشِ بِخُرَاسَانَ.وَكَانَ مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ حِينَئِذٍ مَشْغُولًا بِمُحَارَبَةِ أَخِيهِ إِسْمَاعِيلَ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَسَارَ بَكْتُوزُونُ إِلَى خُرَاسَانَ فَوَلِيَهَا ، وَاسْتَقَرَّتِ الْقَوَاعِدُ بِهَا.ذِكْرُ مَوْتِ سُبُكْتِكِينَ وَمُلْكِ وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ سُبُكْتِكِينُ فِي شَعْبَانَ ، وَكَانَ مُقَامُهُ بِبَلْخَ ، وَقَدِ ابْتَنَى بِهَا دُورًا وَمَسَاكِنَ ، فَمَرِضَ ، وَطَالَ مَرَضُهُ ، وَانْزَاحَ إِلَى هَوَاءِ غَزْنَةَ ، فَسَارَ عَنْ بَلْخَ إِلَيْهَا ، فَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ ، فَنُقِلَ مَيِّتًا إِلَى غَزْنَةَ وَدُفِنَ فِيهَا ، وَكَانَتْ مُدَّةُ مُلْكِهِ نَحْوَ عِشْرِينَ سَنَةً.وَكَانَ عَادِلًا ، خَيِّرًا ، كَثِيرَ الْجِهَادِ ، حَسَنَ الِاعْتِقَادِ ، ذَا مُرُوَّةٍ تَامَّةٍ ، وَحُسْنِ عَهْدٍ وَوَفَاءٍ ، لَا جَرَمَ بَارَكَ اللَّهُ فِي بَيْتِهِ ، وَدَامَ مُلْكُهُمْ مُدَّةً طَوِيلَةً جَازَتْ مُدَّةَ مُلْكِ السَّامَانِيَّةِ وَالسَّلْجُوقِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ.وَكَانَ ابْنُهُ مَحْمُودٌ أَوَّلَ مَنْ لُقِّبَ بِالسُّلْطَانِ ، لَمْ يُلَقَّبْ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ.وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ عَهِدَ إِلَى وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ بِالْمُلْكِ بَعْدَهُ ، فَلَمَّا مَاتَ بَايَعَ الْجُنْدُ لِإِسْمَاعِيلَ ، وَحَلَفُوا لَهُ ، وَأَطْلَقَ لَهُمُ الْأَمْوَالَ ، وَكَانَ أَصْغَرَ مِنْ أَخِيهِ مَحْمُودٍ ، فَاسْتَضْعَفَهُ الْجُنْدُ ، فَاشْتَطُّوا فِي الطَّلَبِ حَتَّى أَفْنَى الْخَزَائِنَ الَّتِي خَلَّفَهَا أَبُوهُ.ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ أَخِيهِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ عَلَى الْمُلْكِ لَمَّا تُوُفِّيَ سُبُكْتِكِينُ ، وَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى وَلَدِهِ يَمِينِ الدَّوْلَةِ مَحْمُودٍ بِنَيْسَابُورَ ، جَلَسَ لِلْعَزَاءِ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَخِيهِ إِسْمَاعِيلَ يُعَزِّيهِ بِأَبِيهِ ، وَيُعَرِّفُهُ أَنَّ أَبَاهُ إِنَّمَا عَهِدَ إِلَيْهِ لِبُعْدِهِ عَنْهُ ، وَيُذَكِّرُهُ مَا يَتَعَيَّنُ مِنْ تَقْدِيمِ الْكَبِيرِ ، وَيَطْلُبُ مِنْهُ الْوِفَاقَ ، وَإِنْفَاذَ مَا يَخُصُّهُ مِنْ تَرِكَةِ أَبِيهِ.فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُمَا فَلَمْ تَسْتَقِرَّ الْقَاعِدَةُ فَسَارَ مَحْمُودٌ عَنْ نَيْسَابُورَ إِلَى هَرَاةَ عَازِمًا عَلَى قَصْدِ أَخِيهِ بِغَزْنَةَ ، وَاجْتَمَعَ بِعَمِّهِ بَغْرَاجِقَ بِهَرَاةَ ، فَسَاعَدَهُ عَلَى أَخِيهِ إِسْمَاعِيلَ ، وَسَارَ نَحْوَ بُسْتَ ، وَبِهَا أَخُوهُ نَصْرٌ ، فَتَبِعَهُ وَأَعَانَهُ وَسَارَ مَعَهُ إِلَى غَزْنَةَ.وَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى إِسْمَاعِيلَ ، وَهُوَ بِبَلْخَ ، فَسَارَ عَنْهَا مُجِدًّا ، فَسَبَقَ أَخَاهُ مَحْمُودًا إِلَيْهَا ، وَكَانَ الْأُمَرَاءُ الَّذِينَ مَعَ إِسْمَاعِيلَ كَاتَبُوا أَخَاهُ مَحْمُودًا يَسْتَدْعُونَهُ ، وَوَعَدُوهُ الْمَيْلَ إِلَيْهِ ، فَجَدَّ فِي الْمَسِيرِ ، وَالْتَقَى هُوَ وَإِسْمَاعِيلُ بِظَاهِرِ غَزْنَةَ ، وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَ إِسْمَاعِيلُ وَصَعِدَ إِلَى قَلْعَةِ غَزْنَةَ فَاعْتَصَمَ بِهَا ، فَحَصَرَهُ أَخُوهُ مَحْمُودٌ وَاسْتَنْزَلَهُ بِأَمَانٍ.فَلَمَّا نَزَلَ إِلَيْهِ أَكْرَمَهُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَأَعْلَى مَنْزِلَتَهُ ، وَشَرَكَهُ فِي مُلْكِهِ وَعَادَ إِلَى بَلْخَ وَاسْتَقَامَتِ الْمَمَالِكُ لَهُ.وَكَانَتْ مُدَّةُ مُلْكِ إِسْمَاعِيلَ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ ، وَهُوَ فَاضِلٌ ، حَسَنُ الْمَعْرِفَةِ ، لَهُ نَظْمٌ وَنَثْرٌ ، وَخُطَبٌ فِي بَعْضِ الْجُمُعَاتِ ، فَكَانَ يَقُولُ بَعْدَ الْخُطْبَةِ لِلْخَلِيفَةِ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ يوسف .ذِكْرُ وَفَاةِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهٍ وَمُلْكِ ابْنِهِ مَجْدِ الدَّوْلَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ فَخْرُ الدَّوْلَةِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَبِي عَلِيٍّ الْحَسَنِ بْنِ بُوَيْهٍ بِقَلْعَةِ طَبَرْقَ فِي شَعْبَانَ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ أَكَلَ لَحْمًا مَشْوِيًّا ، وَأَكَلَ بَعْدَهُ عِنَبًا ، فَأَخَذَهُ الْمَغَصُ ، ثُمَّ اشْتَدَّ مَرَضُهُ فَمَاتَ مِنْهُ.فَلَمَّا مَاتَ كَانَتْ مَفَاتِيحُ الْخَزَائِنِ بِالرَّيِّ عِنْدَ أُمِّ وَلَدِهِ مَجْدِ الدَّوْلَةِ ، فَطَلَبُوا لَهُ كَفَنًا فَلَمْ يَجِدُوهُ ، وَتَعَذَّرَ النُّزُولُ إِلَى الْبَلَدِ لِشِدَّةِ شَغَبِ الدَّيْلَمِ ، فَاشْتَرَوْا لَهُ مِنْ قَيِّمِ الْجَامِعِ ثَوْبًا كَفَّنُوهُ فِيهِ ، وَزَادَ شَغَبُ الْجُنْدِ فَلَمْ يُمْكِنْهُمْ دَفْنُهُ فَبَقِيَ حَتَّى أَنْتَنَ ثُمَّ دَفَنُوهُ.وَحِينَ تُوُفِّيَ قَامَ بِمُلْكِهِ بَعْدَهُ وَلَدُهُ مَجْدُ الدَّوْلَةِ أَبُو طَالِبٍ رُسْتَمُ ، وَعُمْرُهُ أَرْبَعُ سِنِينَ ، أَجْلَسَهُ الْأُمَرَاءُ فِي الْمُلْكِ ، وَجَعَلُوا أَخَاهُ شَمْسَ الدَّوْلَةِ بِهَمَذَانَ وَقِرْمِيسِينَ إِلَى حُدُودِ الْعِرَاقِ.وَكَانَ الْمَرْجِعُ إِلَى وَالِدَةِ أَبِي طَالِبٍ فِي تَدَبُّرِ الْمُلْكِ ، وَعَنْ رَأْيِهَا يَصْدُرُونَ ، وَبَيْنَ يَدَيْهَا ، فِي مُبَاشَرَةِ الْأَعْمَالِ ، أَبُو طَاهِرٍ صَاحِبُ فَخْرِ الدَّوْلَةِ ، وَأَبُو الْعَبَّاسِ الضَّبِّيُّ الْكَافِي.ذِكْرُ وَفَاةِ مَأْمُونِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَوِلَايَةِ ابْنِهِ عَلِيٍّ وَفِيهَا تُوُفِّيَ مَأْمُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، صَاحِبُ خُوَارَزْمَ وَالْجُرْجَانِيَّةِ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ اجْتَمَعَ أَصْحَابُهُ عَلَى وَلَدِهِ عَلِيٍّ وَبَايَعُوهُ ، وَاسْتَقَرَّ لَهُ مَا كَانَ لِأَبِيهِ ، وَرَاسَلَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ مَحْمُودَ بْنَ سُبُكْتِكِينَ ، وَخَطَبَ إِلَيْهِ أُخْتَهُ ، فَزَوَّجَهُ ، وَاتَّفَقَتْ كَلِمَتُهُمَا وَصَارَا يَدًا وَاحِدَةً إِلَى أَنْ مَاتَ عَلِيٌّ وَقَامَ بَعْدَهُ أَخُوهُ أَبُو الْعَبَّاسِ مَأْمُونُ بْنُ مَأْمُونٍ ، وَاسْتَقَرَّ فِي الْمُلْكِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى يَمِينِ الدَّوْلَةِ يَخْطُبُ أُخْتَهُ أَيْضًا ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَزَوَّجَهُ ، فَدَامَا أَيْضًا عَلَى الِاتِّفَاقِ وَالِاتِّحَادِ مُدَّةً.وَسَيَرِدُ مِنْ أَخْبَارِهِ مَعَهُ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مَا تَقِفُ عَلَيْهِ.ذِكْرُ وَفَاةِ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَسَنِ وَمَا كَانَ بَعْدَهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ أَبُو الْقَاسِمِ الْعَلَاءُ بْنُ الْحَسَنِ نَائِبُ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ بِخُوزِسْتَانَ ، وَكَانَ مَوْتُهُ بِعَسْكَرِ مُكْرَمٍ ، وَكَانَ شَهْمًا ، شُجَاعًا ، حَسَنَ التَّدْبِيرِ ، فَأَنْفَذَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ أَبَا عَلِيِّ بْنَ أُسْتَاذِ هُرْمُزَ ، وَمَعَهُ الْمَالُ ، فَفَرَّقَهُ فِي الدَّيْلَمِ ، وَسَارَ إِلَى جُنْدِيسَابُورَ فَدَفَعَ أَصْحَابُ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ عَنْهَا ، وَجَرَتْ لَهُ مَعَهُمْ وَقَائِعُ كَثِيرَةٌ كَانَ الظَّفَرُ فِيهَا لَهُ ، وَأَزَاحَ الْأَتْرَاكَ عَنْ خُوزِسْتَانَ ، وَعَادُوا إِلَى وَاسِطَ ، وَخَلَتْ لِأَبِي عَلِيٍّ الْبِلَادُ ، وَرَتَّبَ الْعُمَّالَ ، وَجَبَى الْأَمْوَالَ ، وَكَاتَبَ أَتْرَاكَ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ وَاسْتَمَالَهُمْ ، فَأَتَاهُ بَعْضُهُمْ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، وَاسْتَمَرَّ حَالُ أَبِي عَلِيٍّ فِي أَعْمَالِ خُوزِسْتَانَ.ثُمَّ إِنَّ أَبَا مُحَمَّدِ بْنَ مُكْرَمٍ وَالْأَتْرَاكَ عَادُوا مِنْ وَاسِطَ ، وَاسْتَعَدَّ أَبُو عَلِيٍّ لِلْحَرْبِ ، وَجَرَى بَيْنَهُمْ وَقَائِعُ.وَلَمْ يَكُنْ لِلْأَتْرَاكِ قُوَّةٌ عَلَى الدَّيْلَمِ ، فَعَزَمُوا عَلَى الْعَوْدِ إِلَى وَاسِطَ ثَانِيًا ، فَاتَّفَقَ مَسِيرُ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى الْقَنْطَرَةِ الْبَيْضَاءِ ، وَكَانَ مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.ذِكْرُ الْقَبْضِ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَبَضَ الْمُقَلِّدُ عَلَى أَخِيهِ عَلِيٍّ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الِاخْتِلَافِ الْوَاقِعِ بَيْنَ أَصْحَابِهِمَا بِالْمَوْصِلِ ، وَاشْتَغَلَ الْمُقَلِّدُ بِمَا ذَكَرْنَاهُ بِالْعِرَاقِ ، فَلَمَّا خَلَا وَجْهُهُ وَعَادَ إِلَى الْمَوْصِلِ عَزَمَ عَلَى الِانْتِقَامِ مِنْ أَصْحَابِ أَخِيهِ ، ثُمَّ خَافَهُ ، فَأَعْمَلَ الْحِيلَةَ فِي قَبْضِ أَخِيهِ ، فَأَحْضَرَ عَسْكَرَهُ مِنَ الدَّيْلَمِ وَالْأَكْرَادِ وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ يُرِيدُ قَصْدَ دَقُوقَا ، وَحَلَّفَهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ ، وَكَانَتْ دَارُهُ مُلَاصِقَةً دَارَ أَخِيهِ ، فَنَقَّبَ فِي الْحَائِطِ وَدَخَلَ إِلَيْهِ وَهُوَ سَكْرَانُ ، فَأَخَذَهُ وَأَدْخَلَهُ الْخِزَانَةَ ، وَقَبَضَ عَلَيْهِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى زَوْجَتِهِ يَأْمُرُهَا بِأَخْذِ وَلَدَيْهِ قِرْوَاشٍ وَبَدْرَانَ وَاللَّحَاقِ بَتَكْرِيتَ ، قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ أَخُوهُ الْحَسَنُ الْخَبَرَ ، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ ، وَخَلَصَتْ ، وَكَانَتْ فِي الْحُلَّةِ الَّتِي لَهُ عَلَى أَرْبَعَةِ فَرَاسِخَ مِنْ تَكْرِيتَ.وَسَمِعَ الْحَسَنُ الْخَبَرَ ، فَبَادَرَ إِلَى الْحُلَّةِ لِيَقْبِضَ أَوْلَادَ أَخِيهِ ، فَلَمْ يَجِدْهُمْ وَأَقَامَ الْمُقَلِّدُ بِالْمَوْصِلِ يَسْتَدْعِي رُؤَسَاءَ الْعَرَبِ وَيَخْلَعُ عَلَيْهِمْ ، فَاجْتَمَعَ عِنْدَهُ زُهَاءُ أَلْفَيْ فَارِسٍ ، وَسَارَ الْحَسَنُ فِي حُلَلِ أَخِيهِ ، وَمَعَهُ أَوْلَادُ أَخِيهِ عَلِيٍّ وَحُرَمُهُ ، وَيَسْتَنْفِرُهُمْ عَلَى الْمُقَلِّدِ ، فَاجْتَمَعَ مَعَهُمْ نَحْوُ عَشَرَةِ آلَافٍ ، وَرَاسَلَ الْمُقَلِّدُ يُؤْذِنُهُ بِالْحَرْبِ ، فَسَارَ عَنِ الْمَوْصِلِ ، وَبَقِيَ بَيْنَهُمْ مَنْزِلٌ وَاحِدٌ ، وَنَزَلَ بِإِزَاءِ الْعَلْثِ ، فَحَضَرَهُ وُجُوهُ الْعَرَبِ ، وَاخْتَلَفُوا عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَشَارَ بِالْحَرْبِ وَمِنْهُمْ رَافِعُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُقْنٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَشَارَ بِالْكَفِّ عَنِ الْقِتَالِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ ، وَمِنْهُمْ غَرِيبُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُقْنٍ ، وَتَنَازَعَ هُوَ وَأَخُوهُ.فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ قِيلَ لِمُقَلِّدٍ إِنَّ أُخْتَكَ رُهَيْلَةَ بِنْتَ الْمُسَيَّبِ تُرِيدُ لِقَاءَكَ وَقَدْ جَاءَتْكَ ، فَرَكِبَ وَخَرَجَ إِلَيْهَا ، فَلَمْ تَزَلْ مَعَهُ حَتَّى أَطْلَقَ أَخَاهُ عَلِيًّا ، وَرَدَّ إِلَيْهِ مَالَهُ وَمِثْلَهُ مَعَهُ ، وَأَنْزَلَهُ فِي خِيَمٍ ضَرَبَهَا لَهُ.فَسُرَّ النَّاسُ بِذَلِكَ ، وَتَحَالَفَا ، وَعَادَ عَلِيٌّ إِلَى حُلَّتِهِ.وَعَادَ الْمُقَلِّدُ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَتَجَهَّزَ لِلْمَسِيرِ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مَزَيْدٍ الْأَسَدِيِّ لِأَنَّهُ تَعَصَّبَ لِأَخِيهِ عَلِيٍّ ، وَقَصَدَ وِلَايَةَ الْمُقَلِّدِ بِالْأَذَى فَسَارَ إِلَيْهِ.وَلَمَّا خَرَجَ عَلِيٌّ مِنْ مَحْبِسِهِ اجْتَمَعَ الْعَرَبُ إِلَيْهِ ، وَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِقَصْدِ أَخِيهِ الْمُقَلِّدِ ، فَسَارَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَبِهَا أَصْحَابُ الْمُقَلِّدِ ، فَامْتَنَعُوا عَلَيْهِ ، فَافْتَتَحَهَا فَسَمِعَ الْمُقَلِّدُ بِذَلِكَ ، فَعَادَ إِلَيْهِ ، وَاجْتَازَ فِي طَرِيقِهِ بِحُلَّةِ أَخِيهِ الْحَسَنِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ ، وَرَأَى كَثْرَةَ عَسْكَرِهِ ، فَخَافَ عَلَى أَخِيهِ عَلِيٍّ مِنْهُ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالْوُقُوفِ لِيُصْلِحَ الْأَمْرَ ، وَسَارَ إِلَى أَخِيهِ عَلِيٍّ وَقَالَ لَهُ إِنَّ الْأَعْوَرَ ، يَعْنِي الْمُقَلِّدَ قَدْ أَتَاكَ بِحَدِّهِ وَحَدِيدِهِ وَأَنْتَ غَافِلٌ ، وَأَمَرَهُ بِإِفْسَادِ عَسْكَرِ الْمُقَلِّدِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ ، فَظَفِرَ الْمُقَلِّدُ بِالْكُتُبِ فَأَخَذَهَا وَسَارَ مُجِدًّا إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَخَوَاهُ عَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَصَالَحَاهُ ، وَدَخَلَ الْمَوْصِلَ وَهُمَا مَعَهُ.ثُمَّ خَافَ عَلِيٌّ فَهَرَبَ مِنَ الْمَوْصِلِ لَيْلًا ، وَتَبِعَهُ الْحَسَنُ ، وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُمْ ، فَاصْطَلَحُوا عَلَى أَنْ يَدْخُلَ أَحَدُهُمَا الْبَلَدَ فِي غَيْبَةِ الْآخَرِ ، وَبَقَوْا كَذَلِكَ إِلَى سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .وَمَاتَ عَلِيٌّ سَنَةَ تِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَقَامَ الْحَسَنُ مَقَامَهُ ، فَقَصَدَهُ الْمُقَلِّدُ وَمَعَهُ بَنُو خَفَاجَةَ ، فَهَرَبَ الْحَسَنُ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَتَبِعَهُ الْمُقَلِّدُ فَلَمْ يُدْرِكْهُ فَعَادَ.وَلَمَّا اسْتَقَرَّ أَمْرُ الْمُقَلِّدِ ، بَعْدَ أَخِيهِ عَلِيٍّ ، سَارَ إِلَى بَلَدِ عَلِيِّ بْنِ مَزْيَدٍ الْأَسَدِيِّ فَدَخَلَهُ ثَانِيَةً ، وَالْتَجَأَ ابْنُ مَزْيَدٍ إِلَى مُهَذَّبِ الدَّوْلَةِ ، فَتَوَسَّطَ مَا بَيَّنَهُ وَبَيْنَ الْمُقَلِّدِ ، وَأَصْلَحَ الْأَمْرَ مَعَهُ ، وَسَارَ الْمُقَلِّدُ إِلَى دَقُوقَا فَمَلَكَهَا.ذِكْرُ مُلْكِ جُبْرَئِيلَ دَقُوقَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَلَكَ جُبْرَئِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ دَقُوقَا.وَجُبْرَئِيلُ هَذَا كَانَ مِنَ الرَّجَّالَةِ الْفُرْسِ بِبَغْدَاذَ ، وَخَدَمَ مُهَذَّبَ الدَّوْلَةِ بِالْبَطِيحَةِ ، فَهَمَّ بِالْغَزْوِ ، وَجَمَعَ جَمْعًا كَثِيرًا ، وَاشْتَرَى السِّلَاحَ وَسَارَ فَاجْتَازَ فِي طَرِيقِهِ بِدَقُوقَا ، فَوَجَدَ الْمُقَلِّدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يُحَاصِرُهَا ، فَاسْتَغَاثَ أَهْلُهَا بِجُبْرَئِيلَ فَحَمَاهُمْ وَمَنَعَ عَنْهُمْ.وَكَانَ بِدَقُوقَا رَجُلَانِ نَصْرَانِيَّانِ قَدْ تَمَكَّنَا فِي الْبَلَدِ ، وَحَكَمَا فِيهِ ، وَاسْتَعْبَدَا أَهْلَهُ ، فَاجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى جُبْرَئِيلَ وَقَالُوا لَهُ إِنَّكَ تُرِيدُ الْغَزْوَ ، وَلَسْتَ تَدْرِي أَتَبْلُغُ غَرَضًا أَمْ لَا ، وَعِنْدَنَا مِنْ هَذَيْنِ النَّصْرَانِيَّيْنِ مَنْ قَدْ تَعَبَّدَنَا ، وَحَكَمَ عَلَيْنَا ، فَلَوْ أَقَمْتَ عِنْدَنَا ، وَكَفَيْتَنَا أَمْرَهُمَا ، سَاعَدْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ.فَأَقَامَ وَقَبَضَ عَلَيْهِمَا ، وَأَخَذَ مَالَهُمَا ، وَقَوِيَ أَمْرُهُ ، فَمَلَكَ الْبَلَدَ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَثَبَتَ قَدَمُهُ ، وَأَحْسَنَ مُعَامَلَةَ أَهْلِ الْبَلَدِ ، وَعَدَلَ فِيهِمْ ، وَبَقِيَ مُدَّةً عَلَى اخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ.ثُمَّ مَلَكَهَا الْمُقَلِّدُ ، وَمَلَكَهَا بَعْدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عِنَازٍ ، ثُمَّ أَخَذَهَا بَعْدَهُ قِرْوَاشٌ ، ثُمَّ انْتَقَلَتْ إِلَى فَخْرِ الدَّوْلَةِ أَبِي غَالِبٍ ، فَعَادَ جُبْرَئِيلُ هَذَا حِينَئِذٍ إِلَى دَقُوقَا ، وَاجْتَمَعَ مَعَ أَمِيرٍ مِنَ الْأَكْرَادِ يُقَالُ لَهُ مُوصَكُ بْنُ جَكَوَيْهِ ، وَدَفَعَا عُمَّالَ فَخْرِ الدَّوْلَةِ عَنْهَا وَأَخَذَاهَا ، فَقَصَدَهَا بَدْرَانُ بْنُ الْمُقَلِّدِ وَغَلَبَهُمَا وَأَخَذَهَا مِنْهُمَا.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مَزْيَدٍ عَنْ طَاعَةِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ عَسْكَرًا ، فَهَرَبَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ إِلَى مَكَانٍ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْوُصُولِ إِلَيْهِ فِيهِ ، ثُمَّ أَرْسَلَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ وَأَصْلَحَ حَالَهُ مَعَهُ وَعَادَ إِلَى طَاعَتِهِ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْوَفَاءِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُهَنْدِسِيِّ الْحَاسِبُ.وَفِيهَا ، فِي الْمُحَرَّمِ ، تُوُفِّيَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْدَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْعُكْبَرِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ بَطَّةَ الْحَنْبَلِيُّ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ زَاهِدًا ، عَابِدًا ، عَالِمًا ، ضَعِيفًا فِي الرِّوَايَةِ.وَفِيهَا ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، تُوُفِّيَ أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ سَمْعُونَ ، الْوَاعِظُ ، الزَّاهِدُ ، لَهُ كَرَامَاتٌ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَلَاثِمِائَةٍ.وَفِيهَا ، تَاسِعَ ذِي الْحِجَّةِ ، تُوُفِّيَ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ أَبُو أَحْمَدَ الْعَسْكَرِيُّ ، الرَّاوِيَةُ ، الْعَلَّامَةُ ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْكَثِيرَةِ فِي الْأَدَبِ ، وَاللُّغَةِ ، وَالْأَمْثَالِ ، وَغَيْرِهَا. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ عَوْدِ أَبِي الْقَاسِمِ السِّيمْجُورِيُّ إِلَى نَيْسَابُورَ قَدْ ذَكَرْنَا مَسِيرَ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ سِيمْجُورَ أَخِي أَبِي عَلِيٍّ إِلَى جُرْجَانَ وَمُقَامِهِ بِهَا.فَلَمَّا مَاتَ فَخْرُ الدَّوْلَةِ أَقَامَ عِنْدَ وَلَدِهِ مَجْدِ الدَّوْلَةِ ، وَاجْتَمَعَ عِنْدَهُ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ أَصْحَابِ أَخِيهِ.وَكَانَ قَدْ أَرْسَلَ إِلَى شَمْسِ الْمَعَالِي يَسْتَدْعِيهِ مِنْ نَيْسَابُورَ لِيُسَلِّمَهَا إِلَيْهِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ حَتَّى وَافَى جُرْجَانَ ، فَلَمَّا بَلَغَهَا رَأَى أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ سَارَ عَنْهَا ، فَعَادَ شَمْسُ الْمَعَالِي إِلَى نَيْسَابُورَ.فَكَتَبَ فَائِقٌ مِنْ بُخَارَى إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ يُغْرِيهِ بِبَكْتُوزُونَ ، وَيَأْمُرُهُ بِقَصْدِ خُرَاسَانَ ، وَإِخْرَاجِ بَكْتُوزُونَ عَنْهَا لِعَدَاوَةٍ بَيْنَهُمَا.فَسَارَ أَبُو الْقَاسِمِ عَنْ جُرْجَانَ نَحْوَ نَيْسَابُورَ ، وَسَيَّرَ سَرِيَّةً إِلَى أَسْفَرَايِينَ ، وَبِهَا عَسْكَرٌ لِبَكْتُوزُونَ ، فَقَاتَلُوهُمْ وَأَجْلَوْهُمْ عَنْ أَسْفَرَايِينَ ، وَاسْتَوْلَى أَصْحَابُ أَبِي الْقَاسِمِ عَلَيْهَا ، وَسَارَ أَبُو الْقَاسِمِ إِلَى نَيْسَابُورَ ، فَالْتَقَى هُوَ وَبَكْتُوزُونُ بِظَاهِرِهَا فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَاقْتَتَلُوا ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ فَانْهَزَمَ أَبُو الْقَاسِمِ وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأُسِرَ خَلْقٌ كَثِيرٌ.وَسَارَ أَبُو الْقَاسِمِ إِلَى قُهُسْتَانَ وَأَقَامَ بِهَا حَتَّى اجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، وَسَارَ إِلَى بُوشَنْجَ وَاحْتَوَى عَلَيْهَا ، وَتَصَرَّفَ فِيهَا ، فَسَارَ إِلَيْهِ بَكْتُوزُونَ ، وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُمَا ، حَتَّى اصْطَلَحَا وَتَصَاهَرَا ، وَعَادَ بَكْتُوزُونُ إِلَى نَيْسَابُورَ.ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ عَلَى نَيْسَابُورَ وَعَوْدِهِ عَنْهَا لَمَّا فَرَغَ مَحْمُودٌ مِنْ أَمْرِ أَخِيهِ ، وَمَلَكَ غَزْنَةَ ، وَعَادَ إِلَى بَلْخَ رَأَى بَكْتُوزُونَ قَدْ وَلِيَ خُرَاسَانَ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْأَمِيرِ مَنْصُورِ بْنِ نُوحٍ يَذْكُرُ طَاعَتَهُ وَالْمُحَامَاةَ عَنْ دَوْلَتِهِ ، وَيَطْلُبُ خُرَاسَانَ ، فَأَعَادَ الْجَوَابَ يَعْتَذِرُ عَنْ خُرَاسَانَ وَيَأْمُرُهُ بِأَخْذِ تِرْمِذَ وَبَلْخَ وَمَا وَرَاءَهَا مِنْ أَعْمَالِ بُسْتَ وَهَرَاةَ ، فَلَمْ يَقْنَعْ بِذَلِكَ ، وَأَعَادَ الطَّلَبَ ، فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَلَمَّا تَيَقَّنَ الْمَنْعَ سَارَ إِلَى نَيْسَابُورَ ، وَبِهَا بَكْتُوزُونُ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ خَبَرُ مَسِيرِهِ نَحْوَهُ رَحَلَ عَنْهَا ، فَدَخَلَهَا مَحْمُودٌ وَمَلَكَهَا.فَلَمَّا سَمِعَ الْأَمِيرُ مَنْصُورُ بْنُ نُوحٍ سَارَ عَنْ بُخَارَى نَحْوَ نَيْسَابُورَ ، فَلَمَّا عَلِمَ مَحْمُودٌ بِذَلِكَ سَارَ عَنْ نَيْسَابُورَ إِلَى مَرْوَ الرُّوذِ ، وَنَزَلَ عِنْدَ قَنْطَرَةِ رَاعُولَ يَنْتَظِرُ مَا يَكُونُ مِنْهُمْ.ذِكْرُ عَوْدِ قَابُوسٍ إِلَى جُرْجَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَادَ شَمْسُ الْمَعَالِي قَابُوسُ بْنُ وَشْمَكِيرَ إِلَى جُرْجَانَ وَمَلَكَهَا ، وَلَمَّا مَلَكَ فَخْرُ الدَّوْلَةِ بْنُ بُوَيْهٍ جُرْجَانَ وَالرَّيَّ أَرَادَ أَنْ يُسَلِّمَ جُرْجَانَ إِلَى قَابُوسٍ ، فَرَدَّهُ عَنْ ذَلِكَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ ، وَعَظَّمَهَا فِي عَيْنِهِ ، فَأَعْرَضَ عَنِ الَّذِي أَرَادَهُ ، وَنَسِيَ مَا كَانَ بَيْنَهُمَا مِنَ الصُّحْبَةِ بِخُرَاسَانَ ، وَأَنَّهُ بِسَبَبِهِ خَرَجَتِ الْبِلَادُ عَنْ يَدِ قَابُوسٍ ، وَالْمُلْكُ عَقِيمٌ. وَقَدْ ذَكَرْنَا كَيْفَ أُخِذَتْ مِنْهُ ، وَمُقَامَهُ بِخُرَاسَانَ ، وَإِنْفَاذَ مُلُوكِ السَّامَانِيَّةِ الْجُيُوشَ فِي نُصْرَتِهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، فَلَمْ يُقَدِّرِ اللَّهُ تَعَالَى عَوْدَةَ الْمُلْكِ إِلَيْهِ .وَلَمَّا وَلِيَ سُبُكْتِكِينُ خُرَاسَانَ اجْتَمَعَ بِهِ وَوَعَدَهُ أَنْ يُسَيِّرَ مَعَهُ الْجُيُوشَ لِيَرُدَّهُ إِلَى مَمْلَكَتِهِ ، فَمَضَى إِلَى بَلْخَ وَمَرِضَ وَمَاتَ.فَلَمَّا كَانَ هَذِهِ السَّنَةُ ، بَعْدَ مَوْتِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ ، وَسَيَّرَ شَمْسُ الْمَعَالِي قَابُوسُ الْأَصْبَهْبَذَ شَهْرَيَارَ بْنَ شَرْوِينَ إِلَى جَبَلِ شَهْرَيَارَ ، وَعَلَيْهِ رُسْتَمُ بْنُ الْمَرْزُبَانِ ، خَالُ مَجْدِ الدَّوْلَةِ بْنِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ ، فَاقْتَتَلَا ، فَانْهَزَمَ رُسْتَمُ ، وَاسْتَوْلَى الْأَصْبَهْبَذُ عَلَى الْجَبَلِ ، وَخَطَبَ لِشَمْسِ الْمَعَالِي ، وَكَانَ بَاتِي بْنُ سَعِيدٍ بِنَاحِيَةِ الاسْتِنْدَارِيَّةِ ، وَلَهُ مَيْلٌ إِلَى شَمْسِ الْمَعَالِي ، فَسَارَ إِلَى آمُلَ ، وَبِهَا عَسْكَرٌ لِمَجْدِ الدَّوْلَةِ ، فَطَرَدَهُمْ عَنْهَا وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَخَطَبَ لِقَابُوسٍ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ.ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ جُرْجَانَ كَتَبُوا إِلَى قَابُوسٍ يَسْتَدْعُونَهُ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ مِنْ نَيْسَابُورَ ، وَسَارَ الْأَصْبَهْبَذُ وَبَاتِي بْنُ سَعِيدٍ إِلَى جُرْجَانَ ، وَبِهَا عَسْكَرٌ لِمَجْدِ الدَّوْلَةِ ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ مَجْدِ الدَّوْلَةِ إِلَى جُرْجَانَ ، فَلَمَّا بَلَغُوهَا صَادَفُوا مُقَدَّمَةَ قَابُوسٍ قَدْ بَلَغَتْهَا ، فَأَيْقَنُوا بِالْهَلَاكِ ، وَانْهَزَمُوا مِنْ أَصْحَابِ قَابُوسٍ هَزِيمَةً ثَانِيَةً ، وَكَانَتْ قَرْحًا عَلَى قَرْحٍ ، وَدَخَلَ شَمْسُ الْمَعَالِي جُرْجَانَ فِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.وَبَلَغَ الْمُنْهَزِمُونَ الرَّيَّ ، فَجُهِّزَتِ الْعَسَاكِرُ مِنَ الرَّيِّ نَحْوَ جُرْجَانَ ، فَسَارُوا وَحَصَرُوهَا ، فَغَلَتِ الْأَسْعَارُ بِالْبَلَدِ ، وَضَاقَتِ الْأُمُورُ بِالْعَسْكَرِ أَيْضًا ، وَتَوَالَتْ عَلَيْهِمُ الْأَمْطَارُ وَالرِّيَاحُ ، فَاضْطَرُّوا إِلَى الرَّحِيلِ ، فَتَبِعَهُمْ شَمْسُ الْمَعَالِي فَلِحَقَهُمْ وَوَاقَعَهُمْ فَاقْتَتَلُوا ، وَانْهَزَمَ عَسْكَرُ الرَّيِّ وَأُسِرَ مِنْ أَعْيَانِهِمْ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ ، وَقُتِلَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ ، فَأَطْلَقَ شَمْسُ الْمَعَالِي الْأَسْرَى ، وَاسْتَوْلَى عَلَى تِلْكَ الْأَعْمَالِ مَا بَيْنَ جُرْجَانَ وَأَسْتَرَابَاذَ.ثُمَّ إِنَّ الْأَصْبَهْبَذَ حَدَّثَ نَفْسَهُ بِالِاسْتِقْلَالِ ، وَالتَّفَرُّدِ عَنْ قَابُوسٍ ، وَاغْتَرَّ بِمَا اجْتَمَعَ عِنْدَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالذَّخَائِرِ ، فَسَارَتْ إِلَيْهِ الْعَسَاكِرُ مِنَ الرَّيِّ ، وَعَلَيْهَا الْمَرْزُبَانُ ، خَالُ مَجْدِ الدَّوْلَةِ ، فَهَزَمُوا الْأَصْبَهْبَذَ وَأَسَرُوهُ ، وَنَادَوْا بِشِعَارِ شَمْسِ الْمَعَالِي لِوَحْشَةٍ كَانَتْ عِنْدَ الْمَرْزُبَانِ مِنْ مَجْدِ الدَّوْلَةِ ، وَكَتَبَ إِلَى شَمْسِ الْمَعَالِيَ بِذَلِكَ ، وَانْضَافَتْ مَمْلَكَةُ الْجَبَلِ جَمِيعُهَا إِلَى مَمَالِكِ جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ ، فَوَلَّاهَا شَمْسُ الْمَعَالِي وَلَدَهُ مَنُوجَهْرَ ، فَفَتَحَ الرُّويَانَ وَسَالُوسَ ، وَرَاسَلَ قَابُوسٌ يَمِينَ الدَّوْلَةِ مَحْمُودًا ، وَهَادَاهُ ، وَصَالَحَهُ ، وَاتَّفَقَا عَلَى ذَلِكَ.ذِكْرُ مَسِيرِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ إِلَى وَاسِطَ وَمَا كَانَ مِنْهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَادَ أَبُو عَلِيِّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ إِلَى طَاعَةِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَهُوَ بِوَاسِطَ ، فَوَزَرَ لَهُ ، وَدَبَّرَ أَمْرَهُ ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالْمَسِيرِ إِلَى أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ مُكْرَمٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْجُنْدِ وَمُسَاعَدَتِهِمْ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَسَارَ عَلَى كُرْهٍ وَضِيقٍ ، فَنَزَلَ بِالْقَنْطَرَةِ الْبَيْضَاءِ ، وَثَبَّتَ أَبُو عَلِيِّ بْنُ أُسْتَاذِ هُرْمُزَ وَعَسْكَرُهُ ، وَجَرَى لَهُمْ مَعَهُ وَقَائِعُ كَثِيرَةٌ.وَضَاقَ الْأَمْرُ بِبَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَتَعَذَّرَتْ عَلَيْهِ الْأَقْوَاتُ ، فَاسْتَمَدَّ بَدْرَ بْنَ حَسْنُوَيْهِ ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ شَيْئًا قَامَ بِبَعْضِ مَا يُرِيدُهُ ، وَأَشْرَفَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ عَلَى الْخَطَرِ ، وَسَعَى أَعْدَاءُ أَبِي عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بِهِ حَتَّى كَادَ يَبْطِشُ بِهِ ، فَتَجَدَّدَ مِنْ أَمْرِ ابْنَيْ بَخْتِيَارَ وَقَتْلِ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ مَا يَأْتِي ذِكْرُهُ ، وَأَتَاهُ الْفَرَجُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبْ ، وَصَلُحَ أَمْرُ أَبِي عَلِيٍّ عِنْدَهُ ، وَاجْتَمَعَتِ الْكَلِمَةُ عَلَيْهِ ، وَسَيَأْتِي شَرْحُ ذَلِكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ قَتْلِ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي ذِي الْحِجَّةِ ، قُتِلَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ بْنُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ جَمَاعَةً كَثِيرَةً مِنَ الدَّيْلَمِ اسْتَوْحَشُوا مِنْ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ لِأَنَّهُ أَمَرَ بِعَرْضِهِمْ ، وَإِسْقَاطِ مَنْ لَيْسَ بِصَحِيحِ النَّسَبِ ، فَأَسْقَطَ مِنْهُمْ مِقْدَارَ أَلْفِ رَجُلٍ ، فَبَقَوْا حَيَارَى لَا يَدْرُونَ مَا يَصْنَعُونَ.وَاتُّفِقَ أَنَّ أَبَا الْقَاسِمِ وَأَبَا نَصْرٍ ابْنَيْ عِزِّ الدَّوْلَةِ بَخْتِيَارَ كَانَا مَقْبُوضَيْنِ ، فَخَدَعَا الْمُوَكَّلِينَ بِهِمَا فِي الْقَلْعَةِ ، فَأَفْرَجُوا عَنْهُمَا فَجَمَعَا لَفِيفًا مِنَ الْأَكْرَادِ ، وَاتَّصَلَ خَبَرُهُمَا بِالَّذِينِ أُسْقِطُوا مِنَ الدَّيْلَمِ ، فَأَتَوْهُمْ ، وَقَصَدُوا إِلَى أَرَّجَانَ ، فَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهَا الْعَسَاكِرُ ، وَتَحَيَّرَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَنْ يُدَبِّرُهُ.وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ أُسْتَاذُ هُرْمُزَ مُقِيمًا بِفَسَا ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بَعْضُ مَنْ عِنْدَهُ بِتَفْرِيقِ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ فِي الرِّجَالِ ، وَالْمَسِيرِ إِلَى صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ ، وَأَخَذَهُ إِلَى عَسْكَرِهِ بِالْأَهْوَازِ وَخَوَّفَهُ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ.فَشَحَّ بِالْمَالِ ، فَثَارَ بِهِ الْجُنْدُ وَنَهَبُوا دَارَهُ وَهَرَبُوا ، فَاخْتَفَى ، فَأُخِذَ وَأُتِيَ بِهِ إِلَى ابْنِي بَخْتِيَارَ ، فَحُبِسَ ، ثُمَّ احْتَالَ فَنَجَا.وَأَمَّا صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ فَإِنَّهُ أَشَارَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ بِالصُّعُودِ إِلَى الْقَلْعَةِ الَّتِي عَلَى بَابِ شِيرَازَ وَالِامْتِنَاعِ بِهَا إِلَى أَنْ يَأْتِيَ عَسْكَرُهُ وَمَنْ يَمْنَعُهُ ، فَأَرَادَ الصُّعُودَ إِلَيْهَا ، فَلَمْ يُمَكِّنْهُ الْمُسْتَحْفِظُ بِهَا ، وَكَانَ مَعَهُ ثَلَاثُمِائَةِ رَجُلٍ ، فَقَالُوا لَهُ الرَّأْيُ أَنَّنَا نَأْخُذُكَ وَوَالِدَتَكَ ، وَنَسِيرُ إِلَى أَبِي عَلِيِّ بْنِ أُسْتَاذِ هُرْمُزَ ، وَأَشَارَ بَعْضُهُمْ بِقَصْدِ الْأَكْرَادِ وَأَخْذِهِمْ وَالتَّقَوِّي بِهِمْ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَخَرَجَ مَعَهُمْ بِخَزَائِنِهِ وَأَمْوَالِهِ ، فَنَهَبُوهُ ، وَأَرَادُوا أَخْذَهُ فَهَرَبَ وَسَارَ إِلَى الدُّودَمَانِ ، عَلَى مَرْحَلَتَيْنِ مِنْ شِيرَازَ.وَعَرَفَ أَبُو نَصْرِ بْنُ بَخْتِيَارَ الْخَبَرَ ، فَبَادَرَ إِلَى شِيرَازَ ، وَوَثَبَ رَئِيسُ الدُّودَمَانِ ، وَاسْمُهُ طَاهِرٌ ، بِصَمْصَامِ الدَّوْلَةِ فَأَخَذَهُ ، وَأَتَاهُ أَبُو نَصْرِ بْنُ بَخْتِيَارَ وَأَخَذَهُ مِنْهُ فَقَتَلَهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ ، فَلَمَّا حُمِلَ رَأْسُهُ إِلَيْهِ قَالَ هَذِهِ سُنَّةٌ سَنَّهَا أَبُوكَ ، يَعْنِي مَا كَانَ مِنْ قَتْلِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بَخْتِيَارَ.وَكَانَ عُمْرُ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَمُدَّةُ إِمَارَتِهِ بِفَارِسَ تِسْعَ سِنِينَ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ ، وَكَانَ كَرِيمًا حَلِيمًا.وَأَمَّا وَالِدَتُهُ فَسُلِّمَتْ إِلَى بَعْضِ قُوَّادِ الدَّيْلَمِ ، فَقَتَلَهَا وَبَنَى عَلَيْهَا دَكَّةً فِي دَارِهِ فَلَمَّا مَلَكَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ فَارِسَ أَخْرَجَهَا وَدَفَنَهَا فِي تُرْبَةِ بَنِي بُوَيْهٍ.ذِكْرُ هَرَبِ ابْنِ الْوَثَّابِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ هَرَبَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْوَثَّابِ مِنَ الِاعْتِقَالِ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ.وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ يَقْرُبُ بِالنَّسَبِ مِنَ الطَّائِعِ ، فَلَمَّا خُلِعَ الطَّائِعُ هَرَبَ هَذَا وَصَارَ عِنْدَ مُهَذَّبِ الدَّوْلَةِ ، فَأَرْسَلَ الْقَادِرُ بِاللَّهِ فِي أَمْرِهِ ، فَأَخْرَجَهُ ، فَسَارَ إِلَى الْمَدَائِنِ ، وَأَتَى خَبَرُهُ إِلَى الْقَادِرِ فَأَخَذَهُ وَحَبَسَهُ ، فَهَرَبَ هَذِهِ السَّنَةَ ، وَمَضَى إِلَى كِيلَانَ ، وَادَّعَى أَنَّهُ هُوَ الطَّائِعُ لِلَّهِ ، وَذَكَرَ مِنْ أُمُورِ الْخِلَافَةِ مَا كَانَ يَعْرِفُهُ ، وَزَوَّجَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ ، مُقَدَّمُ كِيلَانَ ، وَشَدَّ مِنْهُ ، وَأَقَامَ لَهُ الدَّعْوَةَ ، وَأَطَاعَهُ أَهْلُ نَوَاحٍ أُخَرَ ، وَأَدَّوْا إِلَيْهِ الْعُشْرَ عَلَى عَادَتِهِمْ.وَوَرَدَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ جَمَاعَةٌ يَحُجُّونَ ، فَأَحْضَرَهُمُ الْقَادِرُ وَكَشَفَ لَهُمْ حَالَهُ ، وَكَتَبَ عَلَى أَيْدِيهِمْ كُتُبًا فِي الْمَعْنَى ، فَلَمْ يَقْدَحْ ذَلِكَ فِيهِ.وَكَانَ أَهْلُ كِيلَانَ يَرْجِعُونَ إِلَى الْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ كَجٍّ ، فَكُوتِبَ مِنْ بَغْدَاذَ فِي الْمَعْنَى ، فَكَشَفَ لَهُمُ الْأَمْرَ ، فَأَخْرَجُوا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَنْهُمْ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَظُمَ أَمْرُ بَدْرِ بْنِ حَسْنُوَيْهِ ، وَعَلَا شَأْنُهُ ، وَلُقِّبَ ، مِنْ دِيوَانِ الْخَلِيفَةِ ، نَاصِرَ الدِّينِ وَالدَّوْلَةِ ، وَكَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ بِالْحَرَمَيْنِ ، وَيُكْثِرُ الْخَرْجَ عَلَى الْعَرَبِ بِطَرِيقِ مَكَّةَ لِيَكُفُّوا عَنْ أَذَى الْحُجَّاجِ ، وَمَنَعَ أَصْحَابَهُ مِنَ الْفَسَادِ وَقَطْعِ الطَّرِيقِ ، فَعَظُمَ مَحَلُّهُ وَسَارَ ذِكْرُهُ.وَفِيهَا نَظَرَ أَبُو عَلِيِّ بْنُ أَبِي الرَّيَّانِ فِي الْوِزَارَةِ بِوَاسِطَ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يُوسُفَ الْجَكَّارُ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ الْقَبْضِ عَلَى الْأَمِيرِ مَنْصُورِ بْنِ نُوحٍ وَمُلْكِ أَخِيهِ عَبْدِ الْمَلِكِ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُبِضَ عَلَى الْأَمِيرِ مَنْصُورِ بْنِ نُوحِ بْنِ مَنْصُورٍ السَّامَانِيِّ ، صَاحِبِ بُخَارَى وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، وَمَلَكَ أَخُوهُ عَبْدُ الْمَلِكِ.وَسَبَبُ قَبْضِهِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ قَصْدِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ بَكْتُوزُونَ بِخُرَاسَانَ ، وَعَوْدِهِ عَنْ نَيْسَابُورَ إِلَى مَرْوَ الرُّوذِ ، فَلَمَّا نَزَلَهَا سَارَ بَكْتُوزُونُ إِلَى الْأَمِيرِ مَنْصُورٍ وَهُوَ بِسَرَخْسَ ، فَاجْتَمَعَ بِهِ فَلَمْ يَرَ مِنْ إِكْرَامِهِ وَبِرِّهِ مَا كَانَ يُؤَمِّلُهُ ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى فَائِقٍ فَقَابَلَهُ فَائِقٌ بِأَضْعَافِ شَكْوَاهُ ، فَاتَّفَقَا عَلَى خَلْعِهِ مِنَ الْمُلْكِ ، وَإِقَامَةِ أَخِيهِ مَقَامَهُ ، وَأَجَابَهُمَا إِلَى ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِ الْعَسْكَرِ ، فَاسْتَحْضَرَهُ بَكْتُوزُونُ بِعِلَّةِ الِاجْتِمَاعِ لِتَدَبُّرِ مَا هُمْ بِصَدَدِهِ مِنْ أَمْرِ مَحْمُودٍ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا بِهِ قَبَضُوا عَلَيْهِ ، وَأَمَرَ بَكْتُوزُونُ مَنْ سَمَلَهُ فَأَعْمَاهُ ، وَلَمْ يُرَاقِبِ اللَّهَ وَلَا إِحْسَانَ مَوَالِيهِ ، وَأَقَامُوا أَخَاهُ عَبْدَ الْمَلِكِ مَقَامَهُ فِي الْمُلْكِ ، وَهُوَ صَبِيٌّ صَغِيرٌ.وَكَانَتْ مُدَّةُ وِلَايَةِ مَنْصُورٍ سَنَةً وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ.وَمَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ ، وَأَرْسَلَ مَحْمُودٌ إِلَى فَائِقٍ وَبَكْتُوزُونَ يَلُومُهُمَا وَيُقَبِّحُ فِعْلَهُمَا ، وَقَوِيَتْ نَفْسُهُ عَلَى لِقَائِهِمَا ، وَطَمِعَ فِي الِاسْتِقْلَالِ بِالْمُلْكِ ، فَسَارَ نَحْوَهُمَا عَازِمًا عَلَى الْقِتَالِ.ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ يَمِينِ الدَّوْلَةِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ عَلَى خُرَاسَانَ لَمَّا قُبِضَ الْأَمِيرُ مَنْصُورٌ سَارَ مَحْمُودٌ نَحْوَ فَائِقٍ وَبَكْتُوزُونَ ، وَمَعَهُمَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ نُوحٍ ، فَلَمَّا سَمِعُوا بِمَسِيرِهِ سَارُوا إِلَيْهِ ، فَالْتَقَوْا بِمَرْوَ آخِرَ جُمَادَى الْأُولَى ، وَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ رَآهُ النَّاسُ إِلَى اللَّيْلِ ، فَانْهَزَمَ بَكْتُوزُونُ وَفَائِقٌ وَمَنْ مَعَهُمَا.فَأَمَّا عَبْدُ الْمَلِكِ وَفَائِقٌ فَإِنَّهُمَا لَحِقَا بِبُخَارَى ، وَقَصَدَ بَكْتُوزُونُ نَيْسَابُورَ ، وَقَصَدَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ سِيمْجُورُ قُهُسْتَانَ ، فَرَأَى مَحْمُودٌ أَنْ يَقْصِدَ بَكْتُوزُونَ وَأَبَا الْقَاسِمِ ، وَيُعَجِّلَهُمَا عَنِ الِاجْتِمَاعِ وَالِاحْتِشَادِ فَسَارَ إِلَى طُوسَ ، فَهَرَبَ مِنْهُ بَكْتُوزُونُ إِلَى نَوَاحِي جُرْجَانَ ، فَأَرْسَلَ مَحْمُودٌ خَلْفَهُ أَكْبَرَ قُوَّادِهِ وَأُمَرَائِهِ وَهُوَ أَرْسِلَانُ الْجَاذِبُ فِي عَسْكَرٍ جَرَّارٍ ، فَاتَّبَعَهُ حَتَّى أَلْحَقَهُ بِجُرْجَانَ ، وَعَادَ فَاسْتَخْلَفَهُ مَحْمُودٌ عَلَى طُوسَ ، وَسَارَ إِلَى هَرَاةَ.فَلَمَّا عَلِمَ بَكْتُوزُونُ بِمَسِيرِ مَحْمُودٍ عَنْ نَيْسَابُورَ عَادَ إِلَيْهَا فَمَلَكَهَا ، فَقَصَدَهُ مَحْمُودٌ ، فَأَجْفَلَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ إِجْفَالَ الظَّلِيمِ ، وَاجْتَازَ بِمَرْوَ فَنَهَبَهَا ، وَسَارَ عَنْهَا إِلَى بُخَارَى ، وَاسْتَقَرَّ مُلْكُ مَحْمُودٍ بِخُرَاسَانَ ، فَأَزَالَ عَنْهَا اسْمَ السَّامَانِيَّةِ ، وَخُطِبَ فِيهَا لِلْقَادِرِ بِاللَّهِ ، وَكَانَ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ لَا يُخْطَبُ لَهُ فِيهَا ، إِنَّمَا كَانَ يُخْطَبُ لِلطَّائِعِ لِلَّهِ ، وَاسْتَقَلَّ بِمُلْكِهَا مُنْفَرِدًا ، وَتِلْكَ سُنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَنْزِعُهُ مِمَّنْ يَشَاءُ.وَوَلَّى مَحْمُودٌ قِيَادَةَ جُيُوشِ خُرَاسَانَ أَخَاهُ نَصْرًا ، وَجَعَلَهُ بِنَيْسَابُورَ عَلَى مَا كَانَ يَلِيهِ آلُ سِيمْجُورَ لِلسَّامَانِيَّةِ ، وَسَارَ هُوَ إِلَى بَلْخَ ، مُسْتَقَرِّ وَالِدِهِ ، فَاتَّخَذَهَا دَارَ مُلْكٍ ، وَاتَّفَقَ أَصْحَابُ الْأَطْرَافِ بِخُرَاسَانَ عَلَى طَاعَتِهِ كَآلِ فَرِيغُونَ ، أَصْحَابِ الْجُوزَجَانِ ، وَنَحْنُ نَذْكُرُهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَكَالشَّارِ الشَّاهْ ، صَاحِبِ غَرْشِسْتَانَ ، وَنَحْنُ نَذْكُرُ هَاهُنَا أَخْبَارَ هَذَا الشَّارِ ، فَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا اللَّقَبَ هُوَ الشَّارُ ، لَقَبُ كُلِّ مَنْ يَمْلِكُ بِلَادَ غَرْشِسْتَانَ ، كَكِسْرَى لِلْفُرْسِ ، وَقَيْصَرَ لِلرُّومِ ، وَالنَّجَّاشِيِّ لِلْحَبَشَةِ ، وَكَانَ الشَّارُ أَبُو نَصْرٍ قَدِ اعْتَزَلَ الْمُلْكَ وَسَلَّمَهُ إِلَى وَلَدِهِ الشَّاهْ ، وَفِيهِ لُوثَةٌ وَهَوَجٌ ، وَاشْتَغَلَ وَالِدُهُ أَبُو نَصْرٍ بِالْعُلُومِ وَمُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ.وَلَمَّا عَصَى أَبُو عَلِيِّ بْنُ سِيمْجُورَ عَلَى الْأَمِيرِ نُوحٍ أَرْسَلَ إِلَى غَرْشِسْتَانَ مَنْ حَصَرَهَا ، وَأَجْلَى عَنْهَا الشَّاهِ الشَّارَ وَوَالِدَهُ أَبَا نَصْرٍ ، فَقَصَدَا حِصْنًا مَنِيعًا فِي آخِرِ وِلَايَتِهِمَا ، فَتَحَصَّنَا بِهِ إِلَى أَنْ جَاءَ سُبُكْتِكِينُ إِلَى نُصْرَةِ الْأَمِيرِ نُوحٍ ، فَنَزَلَا إِلَيْهِ وَأَعَانَاهُ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ وَعَادَا إِلَى مُلْكِهِمَا.فَلَمَّا مَلَكَ الْآنَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ مَحْمُودٌ خُرَاسَانَ أَطَاعَاهُ وَخَطَبَا لَهُ.ثُمَّ إِنَّ يَمِينَ الدَّوْلَةِ ، بَعْدَ هَذَا ، أَرَادَ الْغَزْوَةَ إِلَى الْهِنْدِ ، فَجَمَعَ لَهَا وَتَجَهَّزَ ، وَكَتَبَ إِلَى الشَّاهِ الشَّارِ يَسْتَدْعِيهِ لِيَشْهَدَ مَعَهُ غَزْوَتَهُ فَامْتَنَعَ وَعَصَى ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غَزْوَتِهِ ، سَيَّرَ إِلَيْهِ الْجُيُوشَ لِيَمْلِكُوا بِلَادَهُ ، فَلَمَّا دَخَلُوا الْبِلَادَ طَلَبَ وَالِدُهُ أَبُو نَصْرٍ الْأَمَانَ ، فَأُجِيبُ إِلَى ذَلِكَ ، وَحُمِلَ إِلَى يَمِينِ الدَّوْلَةِ فَأَكْرَمَهُ ، وَاعْتَذَرَ أَبُو نَصْرٍ بِعُقُوقِ وَلَدِهِ ، وَخِلَافِهِ عَلَيْهِ فَأَمَرَهُ بِالْمُقَامِ بِهَرَاةَ مُتَوَسَّعًا عَلَيْهِ إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.وَأَمَّا وَلَدُهُ الشَّاهْ ، فَإِنَّهُ قَصَدَ ذَلِكَ الْحِصْنَ الَّذِي احْتَمَى بِهِ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ ، فَأَقَامَ بِهِ وَمَعَهُ أَمْوَالُهُ وَأَصْحَابُهُ ، فَحَصَرَهُ عَسْكَرُ يَمِينِ الدَّوْلَةِ فِي حِصْنِهِ ، وَنَصَبُوا عَلَيْهِ الْمَجَانِيقَ ، وَأَلَحُّوا عَلَيْهِ بِالْقِتَالِ لَيْلًا وَنَهَارًا ، فَانْهَدَمَتْ أَسْوَارُ حِصْنِهِ ، وَتَسَلَّقَ الْعَسْكَرُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا أَيْقَنَ بِالْعَطَبِ طَلَبَ الْأَمَانَ ، وَالْعَسْكَرُ يُقَاتِلُهُ ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى أُخِذَ أَسِيرًا ، وَحُمِلَ إِلَى يَمِينِ الدَّوْلَةِ ، فَضُرِبَ تَأْدِيبًا لَهُ ، ثُمَّ أُودِعَ السِّجْنَ إِلَى أَنْ مَاتَ ، وَكَانَ مَوْتُهُ قَبْلَ مَوْتِ وَالِدِهِ.وَرَأَيْتُ عِدَّةَ مُجَلَّدَاتٍ مِنْ كِتَابِ" التَّهْذِيبِ "لِلْأَزْهَرِيِّ فِي اللُّغَةِ بِخَطِّهِ ، وَعَلَيْهِ مَا هَذِهِ نُسْخَتُهُ " يَقُولُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْأَزْهَرِيِّ قَرَأَ عَلَيَّ الشَّارُ أَبُو نَصْرٍ هَذَا الْجُزْءَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ ، وَكَتَبَهُ بِيَدِهِ صَحَّ ".فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى اشْتِغَالِهِ وَعِلْمِهِ بِالْعَرَبِيَّةِ ، فَإِنَّ مَنْ يَصْحَبُ مِثْلَ الْأَزْهَرِيِّ ، وَيَقْرَأُ كِتَابَهُ" التَّهْذِيبَ "، يَكُونُ فَاضِلًا.ذِكْرُ انْقِرَاضِ دَوْلَةِ السَّامَانِيَّةِ وَمُلْكِ التُّرْكِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ انْقَرَضَتْ دَوْلَةُ آلِ سَامَانَ عَلَى يَدِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ ، وَأَيْلَكَ الْخَانِ التُّرْكِيِّ ، وَاسْمُهُ أَبُو نَصْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَلَقَبُهُ شَمْسُ الدَّوْلَةِ.فَأَمَّا مَحْمُودٌ فَإِنَّهُ مَلَكَ خُرَاسَانَ ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، وَبَقِيَ بِيَدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ نُوحٍ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، فَلَمَّا انْهَزَمَ مِنْ مَحْمُودٍ قَصَدَ بُخَارَى وَاجْتَمَعَ بِهَا هُوَ وَفَائِقٌ وَبَكْتُوزُونُ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْأَكَابِرِ ، فَقَوِيَتْ نُفُوسُهُمْ ، وَشَرَعُوا فِي جَمْعِ الْعَسَاكِرِ ، وَعَزَمُوا عَلَى الْعَوْدِ إِلَى خُرَاسَانَ ، فَاتُّفِقَ أَنْ مَاتَ فَائِقٌ ، وَكَانَ مَوْتُهُ فِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، فَلَمَّا مَاتَ ضَعُفَتْ نُفُوسُهُمْ ، وَوَهَنَتْ قُوَّتُهُمْ ، فَإِنَّهُ كَانَ هُوَ الْمُشَارَ إِلَيْهِ مِنْ بَيْنِهِمْ ، وَكَانَ خَصِيًّا مِنْ مَوَالِي نُوحِ بْنِ نَصْرٍ.وَبَلَغَ خَبَرُهُمْ إِلَى أَيْلَكَ الْخَانِ ، فَسَارَ فِي جَمْعِ الْأَتْرَاكِ إِلَى بُخَارَى ، وَأَظْهَرَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ الْمَوَدَّةَ وَالْمُوَالَاةَ ، وَالْحَمِيَّةَ لَهُ ، فَظَنُّوهُ صَادِقًا ، وَلَمْ يَحْتَرِسُوا مِنْهُ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ بَكْتُوزُونُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْقُوَّادِ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا قَبَضَ عَلَيْهِمْ ، وَسَارَ حَتَّى دَخَلَ بُخَارَى يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ عَاشِرَ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، فَلَمْ يَدْرِ عَبْدُ الْمَلِكِ مَا يَصْنَعُ لِقِلَّةِ عَدَدِهِ ، فَاخْتَفَى وَنَزَلَ أَيْلَكُ الْخَانُ دَارَ الْإِمَارَةِ ، وَبَثَّ الطَّلَبَ وَالْعُيُونَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، حَتَّى ظَفِرَ بِهِ ، فَأَوْدَعَهُ بَافْكَنْدَ فَمَاتَ بِهَا ، وَكَانَ آخِرَ مُلُوكِ السَّامَانِيَّةِ ، وَانْتَقَضَتْ دَوْلَتُهُمْ عَلَى يَدِهِ كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ، كَدَأْبِ الدُّوَلِ قَبْلَهَا ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ.وَحُبِسَ مَعَهُ أَخُوهُ أَبُو الْحَرْثِ مَنْصُورُ بْنُ نُوحٍ الَّذِي كَانَ فِي الْمُلْكِ قَبْلَهُ ، وَأَخَوَاهُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ ، وَأَبُو يَعْقُوبَ ابْنَا نُوحٍ ، وَعَمَّاهُ أَبُو زَكَرِيَّاءَ وَأَبُو سُلَيْمَانَ ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ آلِ سَامَانَ ، وَأَفْرَدَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي حُجْرَةٍ.وَكَانَتْ دَوْلَتُهُمْ قَدِ انْتَشَرَتْ وَطَبَّقَتْ كَثِيرًا مِنَ الْأَرْضِ مِنْ حُدُودِ حُلْوَانَ إِلَى بِلَادِ التُّرْكِ ، بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، وَكَانَتْ مِنْ أَحْسَنِ الدُّوَلِ سِيرَةً وَعَدْلًا ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ هَذَا هُوَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ نُوحِ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ نُوحِ بْنِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ كُلُّهُمْ مَلَكُوا ، وَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ لَيْسَ مَذْكُورًا فِي هَذَا النَّسَبِ ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ نُوحِ بْنِ نَصْرٍ مَلَكَ قَبْلَ أَخِيهِ مَنْصُورِ بْنِ نُوحٍ الْمَذْكُورِ ، وَكَانَ مِنْهُمْ أَيْضًا مَنْصُورُ بْنُ نُوحِ بْنِ مَنْصُورٍ أَخُو عَبْدِ الْمَلِكِ هَذَا الْأَخِيرِ الَّذِي زَالَ الْمُلْكُ فِي وِلَايَتِهِ وَلِيَ قَبْلَهُ.ذِكْرُ مُلْكِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ فَارِسَ وَخُوزِسْتَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ دَخَلَ الدَّيْلَمُ الَّذِينَ مَعَ أَبِي عَلِيِّ بْنُ أُسْتَاذِ هُرْمُزَ بِالْأَهْوَازِ فِي طَاعَةِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ ابْنَيْ بَخْتِيَارَ لَمَّا قَتَلَا صَمْصَامَ الدَّوْلَةِ ، كَمَا تَقَدَّمَ ، وَمَلَكَا بِلَادَ فَارِسَ ، كَتَبَا إِلَى أَبِي عَلِيِّ بْنِ أُسْتَاذِ هُرْمُزَ بِالْخَبَرِ ، وَيَذْكُرَانِ تَعْوِيلَهُمَا عَلَيْهِ ، وَاعْتِضَادَهُمَا بِهِ ، وَيَأْمُرَانِهِ بِأَخْذِ الْيَمِينِ لَهُمَا عَلَى مَنْ مَعَهُ مِنَ الدَّيْلَمِ ، وَالْمُقَامِ بِمَكَانِهِ ، وَالْجِدِّ بِمُحَارَبَةِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ.فَخَافَهُمَا أَبُو عَلِيٍّ لِمَا كَانَ أَسْلَفَهُ إِلَيْهِمَا مِنْ قِبَلِ أَخَوَيْهِمَا وَأَسْرِهِمَا ، فَجَمَعَ الدَّيْلَمَ الَّذِي مَعَهُ وَأَخْبَرَهُمُ الْحَالَ ، وَاسْتَشَارَهُمْ فِيمَا يَفْعَلُ ، فَأَشَارُوا بِطَاعَةِ ابْنَيْ بَخْتِيَارَ وَمُقَاتَلَةِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، فَلَمْ يُوَافِقْهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَرَأَى أَنْ يُرَاسِلَ بَهَاءَ الدَّوْلَةِ وَيَسْتَمِيلَهُ وَيُحَلِّفَهُ لَهُمْ ، فَقَالُوا إِنَّا نَخَافُ الْأَتْرَاكَ ، وَقَدْ عَرَفْتَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، فَسَكَتَ عَنْهُمْ وَتَفَرَّقُوا.وَرَاسَلَهُ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ يَسْتَمِيلُهُ ، وَيَبْذُلُ لَهُ وَلِلدَّيْلَمِ الْأَمَانَ وَالْإِحْسَانَ ، وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ ، وَقَالَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ إِنَّ ثَأْرِي وَثَأْرَكُمْ عِنْدَ مَنْ قَتَلَ أَخِي ، فَلَا عُذْرَ لَكُمْ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْأَخْذِ بِثَأْرِهِ ، وَاسْتَمَالَ الدَّيْلَمَ فَأَجَابُوهُ إِلَى الدُّخُولِ فِي طَاعَتِهِ ، وَأَنْفَذُوا جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِهِمْ إِلَى بَهَاءِ الدَّوْلَةِ فَحَلَّفُوهُ وَاسْتَوْثَقُوا مِنْهُ ، وَكَتَبُوا إِلَى أَصْحَابِهِمُ الْمُقِيمِينَ بِالسُّوسِ بِصُورَةِ الْحَالِ.وَرَكِبَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ مِنَ الْغَدِ إِلَى بَابِ السُّوسِ ، رَجَاءَ أَنْ يَخْرُجَ مَنْ فِيهِ إِلَى طَاعَتِهِ ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِ فِي السِّلَاحِ ، وَقَاتَلُوهُ قِتَالًا شَدِيدًا لَمْ يُقَاتِلُوا مِثْلَهُ ، فَضَاقَ صَدْرُهُ ، فَقِيلَ لَهُ إِنَّ هَذِهِ عَادَةُ الدَّيْلَمِ أَنْ يَشْتَدَّ قِتَالُهُمْ عِنْدَ الصُّلْحِ ، لِئَلَّا يُظَنَّ بِهِمْ ، ثُمَّ كَفُّوا عَنِ الْقِتَالِ وَأَرْسَلُوا مَنْ يُحَلِّفُهُ لَهُمْ ، وَنَزَلُوا إِلَى خِدْمَتِهِ ، وَاخْتَلَطَ الْعَسْكَرَانِ ، وَسَارُوا إِلَى الْأَهْوَازِ ، فَقَرَّرَ أَبُو عَلِيِّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ أُمُورَهَا ، وَقَسَّمَ الْإِقْطَاعَاتِ بَيْنَ الْأَتْرَاكِ وَالدَّيْلَمِ ، ثُمَّ سَارُوا إِلَى رَامَهُرْمُزَ فَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا وَعَلَى أَرَّجَانَ وَغَيْرِهَا مِنْ بِلَادِ خُوزِسْتَانَ.وَسَارَ أَبُو عَلِيِّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ إِلَى شِيرَازَ ، فَنَزَلَ بِظَاهِرِهَا ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ ابْنَا بَخْتِيَارَ فِي أَصْحَابِهِمَا ، فَحَارَبُوهُ ، فَلَمَّا اشْتَدَّتِ الْحَرْبُ مَالَ بَعْضُ مَنْ مَعَهُمَا إِلَيْهِ ، وَدَخَلَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ الْبَلَدَ ، وَنَادَوْا بِشِعَارِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ النَّقِيبُ أَبُو أَحْمَدَ الْمُوسَوِيُّ بِشِيرَازَ قَدْ وَرَدَهَا رَسُولًا مِنْ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ إِلَى صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا قُتِلَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ كَانَ بِشِيرَازَ ، فَلَمَّا سَمِعَ النِّدَاءَ بِشِعَارِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ظَنَّ أَنَّ الْفَتْحَ قَدْ تَمَّ ، فَقَصَدَ الْجَامِعَ ، وَكَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَأَقَامَ الْخُطْبَةَ لِبَهَاءِ الدَّوْلَةِ.ثُمَّ عَادَ ابْنَا بَخْتِيَارَ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمَا أَصْحَابُهُمَا ، فَخَافَ النَّقِيبُ ، فَاخْتَفَى ، وَحُمِلَ فِي سَلَّةٍ إِلَى أَبِي عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ثُمَّ إِنَّ أَصْحَابَ ابْنَيْ بَخْتِيَارَ قَصَدُوا أَبَا عَلِيٍّ وَأَطَاعُوهُ ، فَاسْتَوْلَى عَلَى شِيرَازَ ، وَهَرَبَ ابْنَا بَخْتِيَارَ فَأَمَّا أَبُو نَصْرٍ فَإِنَّهُ لَحِقَ بِبِلَادِ الدَّيْلَمِ ، وَأَمَّا الثَّانِي ، وَهُوَ أَبُو الْقَاسِمِ ، فَلَحِقَ بِبَدْرِ بْنِ حَسْنُوَيْهِ ثُمَّ قَصَدَ الْبَطِيحَةَ.وَلَمَّا مَلَكَ أَبُو عَلِيٍّ شِيرَازَ كَتَبَ إِلَى بَهَاءِ الدَّوْلَةِ بِالْفَتْحِ ، فَسَارَ إِلَيْهَا وَنَزَلَهَا ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهَا أَمَرَ بِنَهْبِ قَرْيَةِ الدُّودَمَانِ وَإِحْرَاقِهَا ، وَقَتْلِ كُلِّ مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ أَهْلِهِمْ فَاسْتَأْصَلَهُمْ ، وَأَخْرَجَ أَخَاهُ صَمْصَامَ الدَّوْلَةِ وَجَدَّدَ أَكْفَانَهُ ، وَحُمِلَ إِلَى التُّرْبَةِ بِشِيرَازَ فَدُفِنَ بِهَا ، وَسَيَّرَ عَسْكَرًا مَعَ أَبِي الْفَتْحِ أُسْتَاذِ هُرْمُزَ إِلَى كَرْمَانَ فَمَلَكَهَا وَأَقَامَ بِهَا نَائِبًا عَنْ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ.إِلَى هَاهُنَا آخِرُ مَا فِي" ذَيْلِ "الْوَزِيرِ أَبِي شُجَاعٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ.ذِكْرُ مَسِيرِ بَادِيسَ إِلَى زَنَاتَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، مُنْتَصَفَ صَفَرَ ، أَمَرَ بَادِيسُ بْنُ الْمَنْصُورِ ، صَاحِبُ إِفْرِيقِيَّةَ ، نَائِبَهُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي الْعَرَبِ بِالتَّجَهُّزِ وَالِاسْتِكْثَارِ مِنَ الْعَسَاكِرِ وَالْعُدَدِ ، وَالْمَسِيرِ إِلَى زَنَاتَةَ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ عَمَّهُ يَطُّوفَتَ كَتَبَ إِلَيْهِ يُعْلِمُهُ أَنَّ زِيرِيَ بْنَ عَطِيَّةَ الْمُلَقَّبَ بِالْقِرْطَاسِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، نَزَلَ عَلَيْهِ بِتَاهَرْتَ مُحَارِبًا ، فَأَمَرَ مُحَمَّدًا بِالتَّجَهُّزِ إِلَيْهِ ، فَسَارَ فِي عَسَاكِرَ كَثِيرَةٍ حَتَّى وَصَلَ إِلَى أَشِيرَ ، وَبِهَا حَمَّادُ بْنُ يُوسُفَ عَمُّ بَادِيسَ ، كَانَ قَدْ أَقْطَعَهُ إِيَّاهَا بَادِيسُ ، فَرَحَلَ حَمَّادٌ مَعَهُ ، فَوَصَلَ إِلَى تَاهَرْتَ ، وَاجْتَمَعَا بَيَطُّوفَتَ ، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ زِيرِي بْنِ عَطِيَّةَ مَرْحَلَتَانِ ، فَزَحَفُوا إِلَيْهِ ، فَكَانَتْ بَيْنَهُمَا حُرُوبٌ عَظِيمَةٌ.وَكَانَ أَكْثَرُ عَسْكَرِ حَمَّادٍ يَكْرَهُونَهُ لِقِلَّةِ عَطَائِهِ ، فَلَمَّا اشْتَدَّ الْقِتَالُ انْهَزَمُوا ، فَتَبِعَهُمْ جَمِيعُ الْعَسْكَرِ ، فَأَرَادَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَرَبِ أَنْ يَرُدَّ النَّاسَ ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ ، وَتَمَّتِ الْهَزِيمَةُ ، وَمَلَكَ زِيرِي بْنُ عَطِيَّةَ مَالَهُمْ وَعُدَدَهُمْ وَرَجَعَتِ الْعَسَاكِرُ إِلَى أَشِيرَ.وَبَلَغَ خَبَرُ الْهَزِيمَةِ إِلَى بَادِيسَ ، فَرَحَلَ ، فَلَمَّا قَارَبَ طُبْنَةَ بَعَثَ فِي طَلَبِ فُلْفُلِ بْنِ سَعِيدٍ ، فَخَافَ فَأَرْسَلَ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ ، وَطَلَبَ عَهْدًا بِإِقْطَاعِ مَدِينَةِ طُبْنَةَ ، فَكَتَبَ لَهُ ، وَسَارَ بَادِيسُ ، فَلَمَّا أَبْعَدَ قَصَدَ فُلْفُلٌ مَدِينَةَ طُبْنَةَ ، وَغَلَبَ عَلَى مَا حَوْلَهَا ، وَقَصَدَ بَاغَايَةَ فَحَصَرَهَا ، وَبَادِيسُ سَائِرٌ إِلَى أَشِيرَ.فَلَمَّا سَمِعَ زِيرِي بْنُ عَطِيَّةَ بِأَنَّهُ قَدْ قَرُبَ مِنْهُ رَحَلَ إِلَى تَاهَرْتَ ، فَقَصَدَهُ بَادِيسُ ، فَسَارَ زِيرِي إِلَى الْعَرَبِ.فَلَمَّا سَمِعَ بَادِيسُ بِرَحِيلِهِ اسْتَعْمَلَ عَمَّهُ يَطُّوفَتَ عَلَى أَشِيرَ ، وَأَعْطَاهُ أَمْوَالًا وَعُدَدًا ، وَعَادَ إِلَى أَشِيرَ ، فَبَلَغَهُ مَا فَعَلَ فُلْفُلُ بْنُ سَعِيدٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْعَسَاكِرَ ، وَبَقِيَ يَطُّوفَتُ وَمَعَهُ أَعْمَامُهُ وَأَوْلَادُ أَعْمَامِهِ ، فَلَمَّا أَبْعَدَ عَنْهُمْ بَادِيسُ عَصَوْا ، وَخَالَفُوا عَلَيْهِ ، مِنْهُمْ مَاكْسَنُ ، وَزَاوِي وَغَيْرُهُمَا ، وَقَبَضُوا عَلَى يَطُّوفَتَ ، وَأَخَذُوا جَمِيعَ مَا مَعَهُ مِنَ الْمَالِ ، فَهَرَبَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَعَادَ إِلَى بَادِيسَ.وَأَمَّا فُلْفُلُ بْنُ سَعِيدٍ فَإِنَّهُ لَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ الْعَسْكَرُ الْمُسَيَّرُ إِلَى قِتَالِهِ لَقِيَهُمْ وَقَاتَلَهُمْ وَهَزَمَهُمْ ، وَقَتَّلَ فِيهِمْ ، وَسَارَ يَطْلُبُ الْقَيْرَوَانَ.فَسَارَ عِنْدَ ذَلِكَ بَادِيسُ إِلَى بَاغَايَةَ ، فَلَقِيَهُ أَهْلُهَا ، فَعَرَّفُوهُ مَا قَاسَوْهُ مِنْ قِتَالِ فُلْفُلٍ ، وَأَنَّهُ حَصَرَهُمْ خَمْسَةً وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، فَشَكَرَهُمْ ، وَوَعَدَهُمُ الْإِحْسَانَ ، وَسَارَ يَطْلُبُ فُلْفُلًا ، فَوَصَلَ إِلَى مَرْمَجَنَّةَ ، وَسَارَ فُلْفُلٌ إِلَيْهِ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ مِنَ الْبَرْبَرِ وَزَنَاتَةَ ، وَمَعَهُ كُلُّ مَنْ فِي نَفْسِهِ حِقْدٌ عَلَى بَادِيسَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ ، فَالْتَقَوْا بِوَادِي أَغْلَانَ وَكَانَ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ عَظِيمَةٌ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا ، وَطَالَ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ ، وَصَبَرَ الْفَرِيقَانِ ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى نَصْرَهُ عَلَى بَادِيسَ وَصِنْهَاجَةَ ، وَانْهَزَمَ الْبَرْبَرُ وَزَنَاتَةُ هَزِيمَةً قَبِيحَةً ، وَانْهَزَمَ فُلْفُلٌ فَأَبْعَدَ فِي الْهَزِيمَةِ ، وَقُتِلَ مِنْ زُوَيْلَةَ تِسْعَةُ آلَافِ قَتِيلٍ سِوَى مَنْ قُتِلَ مِنَ الْبَرْبَرِ ، وَعَادَ بَادِيسُ إِلَى قَصْرِهِ ، وَفَرِحَ أَهْلُ الْقَيْرَوَانِ لِأَنَّهُمْ خَافُوا أَنْ يَأْتِيَهُمْ فُلْفُلٌ.ثُمَّ إِنَّ عُمُومَةَ بَادِيسَ اتَّصَلُوا بِفُلْفُلٍ ، وَصَارُوا مَعَهُ عَلَى بَادِيسَ ، فَلَمَّا سَمِعَ بَادِيسُ بِذَلِكَ سَارَ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا وَصَلَ قَصْرَ الْإِفْرِيقِيِّ وَصَلَهُ أَنَّ عُمُومَتَهُ فَارَقُوا فُلْفُلًا ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ سِوَى مَاكْسَنَ بْنِ زِيرِي ، وَذَلِكَ أَوَّلُ سَنَةِ تِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.ذِكْرُ مُلْكِ الْحَاكِمِ طَرَابُلُسِ الْغَرْبِ وَعَوْدِهَا إِلَى بَادِيسَ كَانَ لِبَادِيسَ نَائِبٌ بِطَرَابُلُسِ الْغَرْبِ ، فَكَاتَبَ الْحَاكِمَ بِأَمْرِ اللَّهِ بِمِصْرَ ، وَطَلَبَ أَنْ يُسَلِّمَ إِلَيْهِ طَرَابُلُسَ وَيَلْتَحِقَ بِهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْحَاكِمُ يَأْنَسَ الصِقِلِّيَّ ، وَكَانَ خِصِّيصًا بِالْحَاكِمِ ، وَهُوَ الْمُتَوَلِّي لِبِلَادِ بَرْقَةَ ، فَوَصَلَ يَأْنَسُ وَتَسَلَّمَ طَرَابُلُسَ وَأَقَامَ بِهَا ، وَذَلِكَ سَنَةَ تِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .فَأَرْسَلَ بَادِيسُ إِلَى يَأْنَسَ يَسْأَلُهُ عَنْ سَبَبِ وُصُولِهِ إِلَى طَرَابُلُسَ ، وَقَالَ لَهُ إِنْ كَانَ الْحَاكِمُ اسْتَعْمَلَكَ عَلَيْهَا فَأَرْسِلِ الْعَهْدَ لِأَقِفَ عَلَيْهِ.فَقَالَ يَأْنَسُ إِنَّمَا أَرْسَلَنِي مُعِينًا وَنَجْدَةً إِنِ احْتِيجَ إِلَيَّ ، مِثْلِي لَا يُطْلَبُ مِنْهُ عَهْدٌ بِوِلَايَةٍ لِمَحَلِّي مِنْ دَوْلَةِ الْحَاكِمِ.فَسَيَّرَ إِلَيْهِ جَيْشًا ، فَلَقِيَهُمْ يَأْنَسُ خَارِجَ طَرَابُلُسَ فَقُتِلَ فِي الْمَعْرَكَةِ ، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ وَدَخَلُوا طَرَابُلُسَ فَتَحَصَّنُوا بِهَا.وَكَانَ قَدْ قُتِلَ مِنْهُمْ فِي الْمَعْرَكَةِ كَثِيرٌ ، وَنَزَلَ عَلَيْهِمُ الْجَيْشُ وَحَصَرَهُمْ ، وَأَرْسَلُوا إِلَى الْحَاكِمِ يَسْتَمِدُّونَهُ ، فَجَهَّزَ جَيْشًا عَلَيْهِمْ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ الْأَنْدَلُسِيُّ ، وَسَيَّرَهُمْ إِلَى طَرَابُلُسَ ، وَأَطْلَقَ لَهُمْ مَالًا عَلَى بَرْقَةَ ، فَلَمْ يَجِدْ يَحْيَى فِيهَا مَالًا ، فَاخْتَلَّتْ حَالُهُ ، فَسَارَ إِلَى فُلْفُلٍ وَكَانَ قَدْ دَخَلَ إِلَى طَرَابُلُسَ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، فَأَقَامَ مَعَهُ فِيهَا ، وَاسْتَوْطَنَهَا مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ.وَسَنَذْكُرُ بَاقِيَ خَبَرِهِمْ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ سَارَ مَاكْسَنُ بْنُ زِيرِي ، عَمُّ أَبِي بَادِيسَ ، إِلَى أَشِيرَ ، وَبِهَا ابْنُ أَخِيهِ حَمَّادُ بْنُ يُوسُفَ بُلُكِّينَ ، فَكَانَ بَيْنَهُمَا حَرْبٌ شَدِيدَةٌ قُتِلَ فِيهَا مَاكْسَنُ وَأَوْلَادُهُ مُحْسِنٌ ، وَبَادِيسُ ، وَحَبَّاسَةُ ، وَتُوُفِّيَ زِيرِي بْنُ عَطِيَّةَ بَعْدَ قَتْلِ مَاكْسَنَ بِتِسْعَةِ أَيَّامٍ .ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، عَاشِرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، انْقَضَّ كَوْكَبٌ عَظِيمٌ ضَحْوَةَ نَهَارٍ.وَفِيهَا عَمِلَ أَهْلُ بَابِ الْبَصْرَةِ يَوْمَ السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ زِينَةً عَظِيمَةً وَفَرَحًا كَثِيرًا ، وَكَذَلِكَ عَمِلُوا ثَامِنَ عَشَرَ الْمُحَرَّمِ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ الشِّيعَةُ فِي عَاشُورَاءَ ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الشِّيعَةَ بِالْكَرْخِ كَانُوا يَنْصِبُونَ الْقِبَابَ ، وَتُعَلَّقُ الثِّيَابُ لِلزِّينَةِ ، الْيَوْمَ الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، وَهُوَ يَوْمُ الْغَدِيرِ ، وَكَانُوا يَعْمَلُونَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ مِنَ الْمَأْتَمِ ، وَالنَّوْحِ ، وَإِظْهَارِ الْحُزْنِ مَا هُوَ مَشْهُورٌ ، فَعَمِلَ أَهْلُ بَابِ الْبَصْرَةِ فِي مُقَابِلِ ذَلِكَ ، بَعْدَ يَوْمِ الْغَدِيرِ بِثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ ، مِثْلُهُمْ قَالُوا هُوَ يَوْمٌ دَخَلَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَّمَ ، وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْغَارَ ، وَعَمِلُوا بَعْدَ عَاشُورَاءَ بِثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ مِثْلَ مَا يَعْمَلُونَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، وَقَالُوا هُوَ يَوْمٌ قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ. الْوَفَيَاتُ وَتُوُفِّيَ هَذِهِ السَّنَةَ زَاهِرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى أَبُو مُحَمَّدٍ السَّرَخْسِيُّ الْمُقْرِئُ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي إِسْحَاقَ الْمَرْوَزِيِّ ، وَلَهُ رِوَايَةٌ لِلْحَدِيثِ أَيْضًا ، وَكَانَ شَيْخَ خُرَاسَانَ فِي زَمَانِهِ ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى ابْنِ مُجَاهِدٍ ، وَالْأَدَبَ عَلَى ابْنِ الْأَنْبَارِيِّ ، وَمَاتَ وَلَهُ سِتٌّ وَتِسْعُونَ سَنَةً ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ سُلَيْمَانَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبَزَّازُ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ حَبَابَةَ ، وَكَانَ شَيْخَ الْحَنَابِلَةِ فِي زَمَانِهِ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ خُرُوجِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ نُوحٍ وَمَا جَرَى لَهُ بِخُرَاسَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ نُوحٍ مِنْ مَحْبِسِهِ ، وَكَانَ قَدْ حَبَسَهُ أَيْلَكُ الْخَانُ لَمَّا مَلَكَ بُخَارَى مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِهِ.وَسَبَبُ خَلَاصِهِ أَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِ جَارِيَةٌ تَخْدِمُهُ ، وَتَتَعَرَّفُ أَحْوَالَهُ ، فَلَبِسَ مَا كَانَ عَلَيْهَا وَخَرَجَ ، فَظَنَّهُ الْمُوَكَّلُونَ الْجَارِيَةَ فَلَمَّا خَرَجَ اسْتَخْفَى عِنْدَ عَجُوزٍ مِنْ أَهْلِ بُخَارَى ، فَلَمَّا سَكَنَ الطَّلَبُ عَنْهُ سَارَ مِنْ بُخَارَى إِلَى خُوَارَزْمَ ، وَتَلَقَّبَ الْمُنْتَصِرَ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ بَقَايَا الْقُوَّادِ السَّامَانِيَّةِ وَالْأَجْنَادِ ، فَكَثُفَ جَمْعُهُ ، وَسَيَّرَ قَائِدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي عَسْكَرٍ إِلَى بُخَارَى ، فَبَيَّتَ مَنْ بِهَا مِنْ أَصْحَابِ أَيْلَكَ الْخَانِ ، فَهَزَمَهُمْ وَقَتَلَ مِنْهُمْ ، وَكَبَسَ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِهِمْ ، مِثْلِ جَعْفَرٍ تِكِينَ وَغَيْرِهِ ، وَتَبِعَ الْمُنْهَزِمِينَ نَحْوَ أَيْلَكَ الْخَانِ إِلَى حُدُودِ سَمَرْقَنْدَ ، فَلَقِيَ هُنَاكَ عَسْكَرًا جَرَّارًا جَعَلَهُمُ أَيْلَكُ الْخَانُ يَحْفَظُونَ سَمَرْقَنْدَ ، فَانْضَافَ إِلَيْهِمُ الْمُنْهَزِمُونَ ، وَلَقَوْا عَسْكَرَ الْمُنْتَصِرِ ، فَانْهَزَمَ أَيْضًا عَسْكَرُ أَيْلَكَ الْخَانِ ، وَتَبِعَهُمْ عَسْكَرُ الْمُنْتَصِرِ ، فَغَنِمُوا أَثْقَالَهُمْ فَصَلُحَتْ أَحْوَالُهُمْ بِهَا ، وَعَادُوا إِلَى بُخَارَى ، فَاسْتَبْشَرَ أَهْلُهَا بِعَوْدِ السَّامَانِيَّةِ.ثُمَّ إِنَّ أَيْلَكَ جَمَعَ التُّرْكَ وَقَصَدَ بُخَارَى ، فَانْحَازَ مَنْ بِهَا مِنَ السَّامَانِيَّةِ وَعَبَرُوا النَّهْرَ إِلَى آمُلِ الشَّطِّ ، فَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ ، فَسَارُوا هُمْ وَالْمُنْتَصِرُ نَحْوَ أَبِيوَرْدَ فَمَلَكَهَا ، وَجَبَوْا أَمْوَالَهَا ، وَسَارُوا نَحْوَ نَيْسَابُورَ ، وَبِهَا مَنْصُورُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ ، نَائِبًا عَنْ أَخِيهِ مَحْمُودٍ ، فَالْتَقَوْا قُرْبَ نَيْسَابُورَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ مَنْصُورٌ وَأَصْحَابُهُ ، وَقَصَدُوا هَرَاةَ ، وَمَلَكَ الْمُنْتَصِرُ نَيْسَابُورَ ، وَكَثُرَ جَمْعُهُ.وَبَلَغَ يَمِينَ الدَّوْلَةِ الْخَبَرُ ، فَسَارَ مُجِدًّا نَحْوَ نَيْسَابُورَ ، فَلَمَّا قَارَبَهَا سَارَ عَنْهَا الْمُنْتَصِرُ إِلَى أَسْفَرَايِينَ ، فَلَمَّا أَزْعَجَهُ الطَّلَبُ سَارَ نَحْوَ شَمْسِ الْمَعَالِي قَابُوسِ بْنِ وَشْمَكِيرَ مُلْتَجِئًا إِلَيْهِ وَمُتَكَثِّرًا بِهِ ، فَأَكْرَمَ مَوْرِدَهُ ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ شَيْئًا كَثِيرًا ، وَأَشَارَ عَلَى الْمُنْتَصِرِ بِقَصْدِ الرَّيِّ إِذْ كَانَتْ لَيْسَ بِهَا مَنْ يَذُبُّ عَنْهَا ، لِاشْتِغَالِ أَصْحَابِهَا بِاخْتِلَافِهِمْ ، وَوَعَدَهُ بِأَنْ يُنْجِدَهُ بِعَسْكَرٍ جَرَّارٍ مَعَ أَوْلَادِهِ ، فَقَبِلَ مَشُورَتَهُ وَسَارَ نَحْوَ الرَّيِّ ، فَنَازَلَهَا ، فَضَعُفَ مَنْ بِهَا عَنْ مُقَاوَمَتِهِ ، إِلَّا أَنَّهُمْ حَفِظُوا الْبَلَدَ مِنْهُ ، وَدَسُّوا إِلَى أَعْيَانِ عَسْكَرِهِ كَأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ سِيمْجُورَ وَغَيْرِهِ ، وَبَذَلُوا لَهُمُ الْأَمْوَالَ لِيَرُدُّوهُ عَنْهُمْ ، فَفَعَلُوا ، ذَلِكَ ، وَصَغَّرُوا أَمْرَ الرَّيِّ عِنْدَهُ وَحَسَّنُوا لَهُ الْعَوْدَ إِلَى خُرَاسَانَ.فَسَارَ نَحْوَ الدَّامِغَانِ ، وَعَادَ عَنْهُ عَسْكَرُ قَابُوسٍ.وَوَصَلَ الْمُنْتَصِرُ إِلَى نَيْسَابُورَ فِي آخِرِ شَوَّالٍ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَجَبَى لَهُ الْأَمْوَالَ بِهَا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ، يَمِينُ الدَّوْلَةِ جَيْشًا فَلَقَوْهُ ، فَانْهَزَمَ الْمُنْتَصِرُ وَسَارَ نَحْوَ أَبِيوَرْدَ ، وَقَصَدَ جُرْجَانَ ، فَرَدَّهُ شَمْسُ الْمَعَالِي عَنْهَا ، فَقَصَدَ سَرَخْسَ وَجَبَى أَمْوَالَهَا وَسَكَنَهَا.فَسَارَ إِلَيْهِ مَنْصُورُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ مِنْ نَيْسَابُورَ ، فَالْتَقَوْا بِظَاهِرِ سَرَخْسَ وَاقْتَتَلُوا فَانْهَزَمَ الْمُنْتَصِرُ وَأَصْحَابُهُ ، وَأُسِرَ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سِيمْجُورَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِ عَسْكَرِهِ ، وَحُمِلُوا إِلَى الْمَنْصُورِ ، فَسَيَّرَهُمْ إِلَى غَزْنَةَ ، وَذَلِكَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .وَسَارَ الْمُنْتَصِرُ تَائِهًا حَتَّى وَافَى الْأَتْرَاكَ الْغُزِّيَّةَ وَلَهُمْ مَيْلٌ إِلَى آلِ سَامَانَ ، فَحَرَّكَتْهُمُ الْحَمِيَّةُ ، وَاجْتَمَعُوا مَعَهُ ، وَسَارَ بِهِمْ نَحْوَ أَيْلَكَ الْخَانِ وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَلَقِيَهُمْ أَيْلَكُ بِنَوَاحِي سَمَرْقَنْدَ ، فَهَزَمُوهُ وَاسْتَوْلَوْا عَلَى أَمْوَالِهِ وَسَوَادِهِ ، وَأَسَرُوا جَمَاعَةً مِنْ قُوَّادِهِ وَعَادُوا إِلَى أَوْطَانِهِمْ ، وَاجْتَمَعُوا عَلَى إِطْلَاقِ الْأَسْرَى تَقُرُّبًا إِلَى أَيْلَكَ الْخَانِ بِذَلِكَ.فَعَلِمَ الْمُنْتَصِرُ ، فَاخْتَارَ مِنْ أَصْحَابِهِ جَمَاعَةً يَثِقُ بِهِمْ ، وَسَارَ بِهِمْ ، فَعَبَرَ النَّهْرَ ، وَنَزَلَ بِآمُلِ الشَّطِّ ، فَلَمْ يَقْبَلْهُ مَكَانٌ ، وَكُلَّمَا قَصَدَ مَكَانًا رَدَّهُ أَهْلُهُ خَوْفًا مِنْ مَعَرَّتِهِ ، فَعَادَ وَعَبَرَ النَّهْرَ إِلَى بُخَارَى ، وَطَلَبَ وَالِيَهَا لِأَيْلَكَ الْخَانِ ، فَلَقِيَهُ وَاقْتَتَلُوا فَانْهَزَمَ الْمُنْتَصِرُ إِلَى دَبُوسِيَةَ وَجَمَعَ بِهَا ، ثُمَّ عَاوَدَهُمْ فَهَزَمَهُمْ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ فِتْيَانِ سَمَرْقَنْدَ ، وَصَارُوا فِي جُمْلَتِهِ ، وَحَمَلَ لَهُ أَهْلُهَا الْمَالَ وَالْآلَاتِ وَالثِّيَابَ وَالدَّوَابَّ وَغَيْرَ ذَلِكَ.فَلَمَّا سَمِعَ أَيْلَكُ الْخَانُ بِحَالِهِ جَمَعَ الْأَتْرَاكَ وَسَارَ إِلَيْهِ فِي قَضِّهِ وَقَضِيضِهِ ، وَالْتَقَوْا بِنَوَاحِي سَمَرْقَنْدَ ، وَاشْتَدَّتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ ، فَانْهَزَمَ أَيْلَكُ الْخَانُ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَغَنِمُوا أَمْوَالَهُ وَدَوَابَّهُ.وَعَادَ أَيْلَكُ الْخَانُ إِلَى بِلَادِ التُّرْكِ ، فَجَمَعَ وَحَشَدَ وَعَادَ إِلَى الْمُنْتَصِرِ ، فَوَافَقَ عَوْدُهُ تَرَاجُعَ الْغُزِّيَّةِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ الْمُنْتَصِرِ إِلَى أَوْطَانِهِمْ ، وَقَدْ زَحَفَ جَمْعُهُ ، فَاقْتَتَلُوا بِنُوَاحِي أَسْرُوشَنَةَ ، فَانْهَزَمَ الْمُنْتَصِرُ ، وَأَكْثَرَ التُّرْكُ فِي أَصْحَابِهِ الْقَتْلَ.وَسَارَ الْمُنْتَصِرُ مُنْهَزِمًا ، حَتَّى عَبَرَ النَّهْرَ ، وَسَارَ إِلَى الْجُوزَجَانَ فَنَهَبَ أَمْوَالَهَا ، وَسَارَ يَطْلُبُ مَرْوَ ، فَسَيَّرَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ الْعَسَاكِرَ ، فَفَارَقَ مَكَانَهُ وَسَارَ وَهُمْ فِي أَثَرِهِ ، حَتَّى أَتَى بِسْطَامٌ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ قَابُوسٌ عَسْكَرًا أَزْعَجَهُ عَنْهَا ، فَلَمَّا ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْمَذَاهِبُ عَادَ إِلَى مَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، فَعَبَرَ أَصْحَابُهُ وَقَدْ ضَجِرُوا وَسَئِمُوا مِنَ السَّهَرِ وَالتَّعَبِ وَالْخَوْفِ ، فَفَارَقَهُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِ أَيْلَكَ الْخَانِ ، فَأَعْلَمُوهُمْ بِمَكَانِهِ ، فَلَمْ يَشْعُرِ الْمُنْتَصِرُ إِلَّا وَقَدْ أَحَاطَتِ الْخَيْلُ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَطَارَدَهُمْ سَاعَةً ثُمَّ وَلَّاهُمُ الدُّبُرَ وَسَارَ فَنَزَلَ بِحُلَّةٍ مِنَ الْعَرَبِ فِي طَاعَةِ يَمِينِ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ قَدْ أَوْصَاهُمْ بِطَلَبِهِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ أَمْهَلُوهُ حَتَّى أَظْلَمَ اللَّيْلُ ، ثُمَّ وَثَبُوا عَلَيْهِ فَأَخَذُوهُ وَقَتَلُوهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ خَاتِمَةَ أَمْرِهِ ، وَإِنَّمَا أَوْرَدْتُ الْحَادِثَةَ هَذِهِ السَّنَةَ لِتَرِدَ مُتَتَابِعَةً ، فَلَوْ تَفَرَّقَتْ فِي السِّنِينَ لَمْ تُعْلَمْ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ لِقِلَّتِهَا.ذِكْرُ مُحَاصَرَةِ يَمِينِ الدَّوْلَةِ سِجِسْتَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ إِلَى سِجِسْتَانَ ، وَصَاحِبُهَا خَلَفُ بْنُ أَحْمَدَ ، فَحَصَرَهُ بِهَا.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ يَمِينَ الدَّوْلَةِ لَمَّا اشْتَغَلَ بِالْحُرُوبِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا سَيَّرَ خَلَفُ بْنُ أَحْمَدَ ابْنَهُ طَاهِرًا إِلَى قُهُسْتَانَ فَمَلَكَهَا ، ثُمَّ سَارَ مِنْهَا إِلَى بُوشَنْجَ فَمَلَكَهَا ، وَكَانَتْ هِيَ وَهَرَاةُ لِبَغْرَاجِقَ ، عَمِّ يَمِينِ الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا فَرَغَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ مِنْ تِلْكَ الْحُرُوبِ اسْتَأْذَنَهُ عَمُّهُ فِي إِخْرَاجِ طَاهِرِ بْنِ خَلَفٍ مِنْ وِلَايَتِهِ ، فَأَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ ، فَلَقِيَهُ طَاهِرٌ بِنَوَاحِي بُوشَنْجَ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ طَاهِرٌ وَلَجَّ بَغْرَاجِقُ فِي طَلَبِهِ ، فَعَطَفَ عَلَيْهِ طَاهِرٌ فَقَتَلَهُ وَنَزَلَ إِلَيْهِ وَأَخَذَ رَأْسَهُ.فَلَمَّا سَمِعَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ بِقَتْلِ عَمِّهِ عَظُمَ عَلَيْهِ ، وَكَبُرَ لَدَيْهِ ، وَجَمَعَ عَسَاكِرَهُ وَسَارَ نَحْوَ خَلَفِ بْنِ أَحْمَدَ ، فَتَحَصَّنَ مِنْهُ خَلَفٌ بِحِصْنِ أَصْبَهْبَذَ ، وَهُوَ حِصْنٌ يُنَاطِحُ النُّجُومَ عُلُوًّا وَارْتِفَاعًا ، فَحَصَرَهُ فِيهِ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ ، فَذَلَّ وَخَضَعَ ، وَبَذَلَ أَمْوَالًا جَلِيلَةً لِيُنَفِّسَ عَنْ خُنَاقِهِ ، فَأَجَابَهُ يَمِينُ الدَّوْلَةِ إِلَى ذَلِكَ ، وَأَخَذَ رَهْنَهُ عَلَى الْمَالِ.ذِكْرُ قَتْلِ ابْنِ بَخْتِيَارَ بِكَرْمَانَ وَاسْتِيلَاءِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ عَلَيْهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، قُتِلَ الْأَمِيرُ أَبُو نَصْرِ بْنُ بَخْتِيَارَ ، الَّذِي كَانَ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَى بِلَادِ فَارِسَ.وَسَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّهُ لَمَّا انْهَزَمَ مِنْ عَسْكَرِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ بِشِيرَازَ سَارَ إِلَى بِلَادِ الدَّيْلَمِ ، وَكَاتَبَ الدَّيْلَمَ بِفَارِسَ وَكَرْمَانَ مِنْ هُنَاكَ يَسْتَمِيلُهُمْ ، وَكَاتَبُوهُ وَاسْتَدْعَوْهُ ، فَسَارَ إِلَى بِلَادِ فَارِسَ ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الزُّطِّ ، وَالدَّيْلَمِ ، وَالْأَتْرَاكِ ، وَتَرَدَّدَ فِي تِلْكَ النَّوَاحِي.ثُمَّ سَارَ إِلَى كَرْمَانَ ، فَلَمْ يَقْبَلْهُ الدَّيْلَمُ الَّذِينَ بِهَا ، وَكَانَ الْمُقَدَّمَ عَلَيْهِمْ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ أُسْتَاذِ هُرْمُزَ ، فَجَمَعَ وَقَصَدَ أَبَا جَعْفَرٍ ، فَالْتَقَيَا ، فَانْهَزَمَ أَبُو جَعْفَرٍ إِلَى السِّيرَجَانِ ، وَمَضَى ابْنُ بَخْتِيَارَ إِلَى جِيرُفْتَ فَمَلَكَهُ ، وَمَلَكَ أَكْثَرَ كَرْمَانَ ، فَعَظُمَ الْأَمْرُ عَلَى بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ الْمُوَفَّقَ عَلِيَّ بْنَ إِسْمَاعِيلَ فِي جَيْشٍ كَثِيرٍ ، وَسَارَ مُجِدًّا حَتَّى أَطَلَّ عَلَى جِيرُفْتَ ، فَاسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ مَنْ بِهَا مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ بَخْتِيَارَ وَدَخَلَهَا.فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْقُوَّادِ سُرْعَةَ سَيْرِهِ ، وَخَوَّفُوهُ عَاقِبَةَ ذَلِكَ ، فَلَمْ يُصْغِ إِلَيْهِمْ ، وَسَأَلَ عَنْ حَالِ ابْنِ بَخْتِيَارَ ، فَأُخْبِرَ أَنَّهُ عَلَى ثَمَانِيَةِ فَرَاسِخَ مِنْ جِيرُفْتَ ، فَاخْتَارَ ثَلَاثَمِائَةِ رَجُلٍ مِنْ شُجْعَانِ أَصْحَابِهِ وَسَارَ بِهِمْ ، وَتَرَكَ الْبَاقِينَ مَعَ السَّوَادِ بِجِيرُفْتَ.فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمَكَانَ لَمْ يَجِدْهُ وَدُلَّ عَلَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ يَتْبَعُهُ مِنْ مَنْزِلٍ إِلَى مَنْزِلٍ ، حَتَّى لَحِقَهُ بِدَارَزِينَ ، فَسَارَ لَيْلًا ، وَقُدِّرَ وُصُولُهُ إِلَيْهِ عِنْدَ الصُّبْحِ فَأَدْرَكَهُ.فَرَكِبَ ابْنُ بَخْتِيَارَ وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَسَارَ الْمُوَفَّقُ فِي نَفَرٍ مِنْ غِلْمَانِهِ ، فَأَتَى ابْنُ بَخْتِيَارَ مِنْ وَرَائِهِ ، فَانْهَزَمَ ابْنُ بَخْتِيَارَ وَأَصْحَابُهُ ، وَوُضِعَ فِيهِمُ السَّيْفُ ، فَقُتِلَ مِنْهُمُ الْخَلْقُ الْكَثِيرُ.فَغَدَرَ بِابْنِ بَخْتِيَارَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ ، وَضَرَبَهُ بِلِتُّ فَأَلْقَاهُ وَعَادَ إِلَى الْمُوَفَّقِ لِيُخْبِرَهُ بِقَتْلِهِ ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَرَآهُ وَقَدْ قَتَلَهُ غَيْرُهُ ، وَحُمِلَ رَأْسُهُ إِلَى الْمُوَفَّقِ.وَأَكْثَرَ الْمُوَفَّقُ الْقَتْلَ فِي أَصْحَابِ ابْنِ بَخْتِيَارَ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى بِلَادِ كَرْمَانَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا أَبَا مُوسَى سَيَاهَجِيلَ ، وَعَادَ إِلَى بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، فَخَرَجَ بِنَفْسِهِ وَلَقِيَهُ ، وَأَكْرَمَهُ وَعَظَّمَهُ ثُمَّ قَبَضَ عَلَيْهِ بَعْدَ أَيَّامٍ.وَمِنْ أَعْجَبِ مَا يُذْكَرُ أَنَّ الْمُوَفَّقَ أَخْبَرَهُ مُنَجِّمٌ أَنَّهُ يَقْتُلُ ابْنَ بَخْتِيَارَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ ، فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ الِاثْنَيْنِ بِخَمْسَةِ أَيَّامٍ قَالَ لِلْمُنَجِّمِ قَدْ بَقِيَ خَمْسَةُ أَيَّامٍ وَلَيْسَ لَنَا عِلْمٌ بِهِ.فَقَالَ لَهُ الْمُنَجِّمُ إِنْ لَمْ تَقْتُلْهُ فَاقْتُلْنِي عِوَضَهُ ، وَإِلَّا فَأَحْسِنْ إِلَيَّ.فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ أَدْرَكَهُ وَقَتَلَهُ ، وَأَحْسَنَ إِلَى الْمُنَجِّمِ إِحْسَانًا كَثِيرًا.ذِكْرُ الْقَبْضِ عَلَى الْمُوَفَّقِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ قَدْ ذَكَرْنَا مَسِيرَهُ إِلَى قِتَالِ ابْنِ بَخْتِيَارَ ، وَقَتَلَهُ ابْنُ بَخْتِيَارَ ، فَلَمَّا عَادَ أَكْرَمَهُ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ وَلَقِيَهُ بِنَفْسِهِ ، فَاسْتَعْفَى الْمُوَفَّقَ مِنَ الْخِدْمَةِ ، فَلَمْ يُعْفِهِ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ ، فَأَلَحَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ، فَأَشَارَ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ مُكْرَمٍ عَلَى الْمُوَفَّقِ بِتَرْكِ ذَلِكَ ، فَلَمْ يَقْبَلْ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُ ، وَكَتَبَ إِلَى وَزِيرِهِ سَابُورَ بِبَغْدَاذَ بِالْقَبْضِ عَلَى أَنْسَابِ الْمُوَفَّقِ ، فَعَرَّفَهُمْ ذَلِكَ سِرًّا ، فَاحْتَالُوا لِنُفُوسِهِمْ وَهَرَبُوا ، وَاسْتَعْمَلَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ أَبَا مُحَمَّدِ بْنَ مُكْرَمٍ عَلَى عُمَانَ ، ثُمَّ إِنَّ بَهَاءَ الدَّوْلَةِ قَتَلَ الْمُوَفَّقَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَعْمَلَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ أَبَا عَلِيٍّ الْحَسَنَ بْنَ أُسْتَاذِ هُرْمُزَ عَلَى خُوزِسْتَانَ ، وَكَانَتْ قَدْ فَسَدَتْ أَحْوَالُهَا بِوِلَايَةِ أَبِي جَعْفَرٍ الْحَجَّاجِ لَهَا ، وَمُصَادَرَتِهِ لِأَهْلِهَا ، فَعَمَّرَهَا أَبُو عَلِيٍّ ، وَلَقَّبَهُ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ عَمِيدَ الْجُيُوشِ ، وَحَمَلَ إِلَى بَهَاءِ الدَّوْلَةِ مِنْهَا أَمْوَالًا جَلِيلَةً مَعَ حُسْنِ سِيرَةٍ فِي أَهْلِهَا وَعَدْلٍ.وَفِيهَا ظَهَرَ فِي سِجِسْتَانَ مَعْدِنُ الذَّهَبِ ، فَكَانُوا يَحْفِرُونَ التُّرَابَ وَيُخْرِجُونَ مِنْهُ الذَّهَبَ الْأَحْمَرَ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ الشَّرِيفُ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْعَلَوِيَّ ، وَدُفِنَ بِالْكَرْخِ ، وَعُمْرُهُ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً ، وَهُوَ مَشْهُورٌ بِكَثْرَةِ الْمَالِ وَالْعَقَارِ ، وَالْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ ابْنُ قَاضِي الْقُضَاةِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ مَعْرُوفٍ ، الْقَاضِي أَبُو الْفَرَجِ الْمُعَافَى بْنُ زَكَرِيَّاءَ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ طَرَارٍ الْجَرِيرِيِّ ، بِفَتْحِ الْجِيمِ ، مَنْسُوبٌ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ لِأَنَّهُ كَانَ يَتَفَقَّهُ عَلَى مَذْهَبِهِ ، وَكَانَ عَالِمًا بِفُنُونِ الْعُلُومِ ، كَثِيرَ الرِّوَايَةِ وَالتَّصْنِيفِ فِيهَا. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ قَتْلِ الْمُقَلِّدِ وَوِلَايَةِ ابْنِهِ قِرْوَاشٍ هَذِهِ السَّنَةُ قَتَلَ حُسَامُ الدَّوْلَةِ الْمُقَلِّدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ الْعُقَيْلِيَّ غِيلَةً ، قَتَلَهُ مَمَالِيكُ لَهُ تُرْكٌ.وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْغِلْمَانَ كَانُوا قَدْ هَرَبُوا مِنْهُ ، فَتَبِعَهُمْ وَظَفِرَ بِهِمْ وَقَتَلَ مِنْهُمْ وَقَطَعَ ، وَأَعَادَ الْبَاقِينَ ، فَخَافُوهُ عَلَى نُفُوسِهِمْ ، فَاغْتَنَمَ بَعْضُهُمْ غَفْلَتَهُ وَقَتَلَهُ بِالْأَنْبَارِ ، وَكَانَ قَدْ عَظُمَ أَمْرُهُ ، وَرَاسَلَ وُجُوهَ الْعَسَاكِرِ بِبَغْدَاذَ وَأَرَادَ التَّغَلُّبَ عَلَى الْمَلِكِ ، فَأَتَاهُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ.وَلَمَّا قُتِلَ كَانَ وَلَدُهُ الْأَكْبَرُ قِرْوَاشٌ غَائِبًا ، وَكَانَتْ أَمْوَالُهُ وَخَزَائِنُهُ بِالْأَنْبَارِ ، فَخَافَ نَائِبُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شَهْرَوَيْهِ بَادِرَةَ الْجُنْدِ ، فَرَاسَلَ أَبَا مَنْصُورِ بْنَ قُرَادٍ اللَّدِيدَ ، وَكَانَ بِالسِّنْدِيَّةِ ، فَاسْتَدْعَاهُ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ أَنَا أَجْعَلُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ قِرْوَاشٍ عَهْدًا ، وَأُزَوِّجُهُ ابْنَتَكَ وَأُقَاسِمُكَ عَلَى مَا خَلَّفَهُ أَبُوهُ ، وَنُسَاعِدُهُ عَلَى عَمِّهِ الْحَسَنِ إِنْ قَصَدَهُ وَطَمِعَ فِيهِ.فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ وَحَمَى الْخَزَائِنَ وَالْبَلَدَ.وَأَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى قِرْوَاشٍ يَحُثُّهُ عَلَى الْوُصُولِ ، فَوَصَلَ وَقَاسَمَهُ عَلَى الْمَالِ ، وَأَقَامَ قُرَادٌ عِنْدَهُ.ثُمَّ إِنَّ الْحَسَنَ بْنَ الْمُسَيَّبِ جَمَعَ مَشَايِخَ عُقَيْلٍ ، وَشَكَا قِرْوَاشًا إِلَيْهِمْ وَمَا صَنَعَ مَعَ قُرَادٍ ، فَقَالُوا لَهُ خَوْفُهُ مِنْكَ حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَبَذَلَ مِنْ نَفْسِهِ الْمُوَافَقَةَ لَهُ ، وَالْوُقُوفَ عِنْدَ رِضَاهُ ، وَسَفَّرَ الْمَشَايِخَ بَيْنَهُمَا فَاصْطَلَحَا ، وَاتَّفَقَا عَلَى أَنْ يَسِيرَ الْحَسَنُ إِلَى قِرْوَاشٍ شِبْهَ الْمُحَارِبِ ، وَيَخْرُجَ هُوَ وَقُرَادٌ لِقِتَالِهِ ، فَإِذَا لَقِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَادُوا جَمِيعًا عَلَى قُرَادٍ فَأَخَذُوهُ ، فَسَارَ الْحَسَنُ وَخَرَجَ قِرْوَاشٌ وَقُرَادٌ لِقِتَالِهِ.فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ جَاءَ بَعْضُ أَصْحَابِ قُرَادٍ إِلَيْهِ فَأَعْلَمَهُ الْحَالَ ، فَهَرَبَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ ، وَتَبِعَهُ قِرْوَاشٌ وَالْحَسَنُ فَلَمْ يُدْرِكَاهُ ، وَعَادَ قِرْوَاشٌ إِلَى بَيْتِ قُرَادٍ فَأَخَذَ مَا فِيهِ مِنَ الْأَمْوَالِ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ قِرْوَاشٍ ، وَهِيَ بِحَالِهَا ، وَسَارَ قِرْوَاشٌ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَأَوْقَعَ بِخَفَاجَةَ عِنْدَهَا وَقْعَةً عَظِيمَةً ، فَسَارُوا بَعْدَهَا إِلَى الشَّامِ ، فَأَقَامُوا هُنَاكَ حَتَّى أَحْضَرَهُمْ أَبُو جَعْفَرٍ الْحَجَّاجُ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.ذِكْرُ الْبَيْعَةِ لِوَلِيِّ الْعَهْدِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، أَمَرَ الْقَادِرُ بِاللَّهِ بِالْبَيْعَةِ لِوَلَدِهِ أَبِي الْفَضْلِ بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ ، وَأَحْضَرَ حُجَّاجَ خُرَاسَانَ وَأَعْلَمَهُمْ ذَلِكَ ، وَلَقَّبَهُ الْغَالِبَ بِاللَّهِ.وَكَانَ سَبَبُ الْبَيْعَةِ لَهُ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عُثْمَانَ الْوَاثِقِيَّ ، مِنْ وَلَدِ الْوَاثِقِ بِاللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، كَانَ مِنْ أَهْلِ نَصِيبِينَ ، فَقَصَدَ بَغْدَاذَ ، ثُمَّ سَارَ عَنْهَا إِلَى خُرَاسَانَ ، وَعَبَرَ النَّهْرَ إِلَى هَارُونَ بْنِ أَيْلَكَ بَغْرَاخَاقَانَ ، وَصَحِبَهُ الْفَقِيهُ أَبُو الْفَضْلِ التَّمِيمِيُّ ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ الْخَلِيفَةِ إِلَى هَارُونَ يَأْمُرُهُ بِالْبَيْعَةِ لِهَذَا الْوَاثِقِيِّ ، فَإِنَّهُ وَلِيُّ عَهْدٍ ، فَأَجَابَهُ خَاقَانُ إِلَى ذَلِكَ ، وَبَايَعَ لَهُ وَخَطَبَ لَهُ بِبِلَادِهِ وَأَنْفَقَ عَلَيْهِ.فَبَلَغَ ذَلِكَ الْقَادِرَ بِاللَّهِ ، فَعَظُمَ عَلَيْهِ ، وَرَاسَلَ خَاقَانَ فِي مَعْنَاهُ ، فَلَمْ يُصْغِ إِلَى رِسَالَتِهِ.فَلَمَّا تُوُفِّيَ هَارُونُ خَاقَانُ ، وَوَلِيَ بَعْدَهُ أَحْمَدُ قُرَّاخَاقَانُ ، كَاتَبَهُ الْخَلِيفَةُ فِي مَعْنَاهُ ، فَأَمَرَ بِإِبْعَادِهِ ، فَحِينَئِذٍ بَايَعَ الْخَلِيفَةُ لِوَلَدِهِ بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ.وَأَمَّا الْوَاثِقِيُّ فَإِنَّهُ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ أَحْمَدَ قُرَّاخَاقَانَ وَقَصَدَ بَغْدَاذَ فَعُرِفَ بِهَا وَطُلِبَ ، فَهَرَبَ مِنْهَا إِلَى الْبَصْرَةِ ، ثُمَّ إِلَى فَارِسَ وَكَرْمَانَ ، ثُمَّ إِلَى بِلَادِ التُّرْكِ ، فَلَمْ يَتِمَّ لَهُ مَا أَرَادَ ، وَرَاسَلَ الْخَلِيفَةُ الْمُلُوكَ يَطْلُبُهُ ، فَضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ ، وَسَارَ إِلَى خُوَارَزْمَ وَأَقَامَ بِهَا ، ثُمَّ فَارَقَهَا ، فَأَخَذَهُ يَمِينُ الدَّوْلَةِ مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ فَحَبَسَهُ فِي قَلْعَةٍ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ بِهَا.ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ طَاهِرِ بْنِ خَلَفٍ عَلَى كَرْمَانَ وَعَوْدِهِ عَنْهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ طَاهِرُ بْنُ خَلَفِ بْنِ أَحْمَدَ ، صَاحِبُ سِجِسْتَانَ ، إِلَى كَرْمَانَ طَالِبًا مُلْكَهَا.وَكَانَ سَبَبُ مَسِيرِهِ إِلَيْهَا أَنَّهُ كَانَ قَدْ خَرَجَ عَنْ طَاعَةِ أَبِيهِ ، وَجَرَى بَيْنَهُمَا حُرُوبٌ كَانَ الظَّفَرُ فِيهَا لِأَبِيهِ ، فَفَارَقَ سِجِسْتَانَ وَسَارَ إِلَى كَرْمَانَ ، وَبِهَا عَسْكَرُ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَهِيَ لَهُ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، فَاجْتَمَعَ مَنْ بِهَا مِنَ الْعَسْكَرِ إِلَى الْمُقَدَّمِ عَلَيْهِمْ وَمُتَوَلِّي أَمْرِ الْبِلَادِ ، هُوَ أَبُو مُوسَى سَيَاهَجِيلُ ، فَقَالُوا لَهُ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ وَصَلَ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ ، وَالرَّأْيُ أَنْ تُبَادِرَهُ قَبْلَ أَنْ يَقْوَى أَمْرُهُ وَيَكْثُرَ جَمْعُهُ.فَلَمْ يَفْعَلْ وَاسْتَهَانَ بِهِ ، فَكَثُرَ جَمْعُ طَاهِرٍ ، وَصَعِدَ إِلَى الْجِبَالِ ، وَبِهَا قَوْمٌ مِنَ الْعُصَاةِ عَلَى السُّلْطَانِ ، فَاحْتَمَى بِهِمْ وَقَوِيَ ، فَنَزَلَ إِلَى جِيرُفْتَ فَمَلَكَهَا وَمَلَكَ غَيْرَهَا ، وَقَوِيَ طَمَعُهُ فِي الْبَاقِي.فَقَصَدَهُ أَبُو مُوسَى وَالدَّيْلَمُ ، فَهَزَمَهُمْ ، وَأَخَذَ بَعْضَ مَا بَقِيَ بِأَيْدِيهِمْ ، فَكَاتَبُوا بَهَاءَ الدَّوْلَةِ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِمْ جَيْشًا عَلَيْهِمْ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ أُسْتَاذِ هُرْمُزَ ، فَسَارَ إِلَى كَرْمَانَ ، وَقَصَدَ بَمَّ ، وَبِهَا طَاهِرٌ ، فَجَرَى بَيْنَ طَلَائِعِ الْعَسْكَرَيْنِ حَرْبٌ ، وَعَادَ طَاهِرٌ إِلَى سِجِسْتَانَ ، وَفَارَقَ كَرْمَانَ ، فَلَمَّا بَلَغَ سِجِسْتَانَ أَطْلَقَ الْمَأْسُورِينَ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى قِتَالِ أَبِيهِ مَعَهُ ، وَحَلَفَ لَهُمْ أَنَّهُمْ إِذَا نَصَرُوهُ وَقَاتَلُوا مَعَهُ أَطْلَقَهُمْ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، وَقَاتَلَ أَبَاهُ ، فَهَزَمَهُ وَمَلَكَ طَاهِرٌ الْبِلَادَ وَدَخَلَ أَبُوهُ إِلَى حِصْنٍ لَهُ مَنِيعٍ فَاحْتَمَى بِهِ.وَأَحَبَّ النَّاسُ طَاهِرًا لِحُسْنِ سِيرَتِهِ ، وَسُوءِ سِيرَةِ وَالِدِهِ ، وَأَطْلَقَ طَاهِرٌ الدَّيْلَمَ ، ثُمَّ إِنَّ أَبَاهُ رَاسَلَ أَصْحَابَهُ لِيُفْسِدَهُمْ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَفْعَلُوا فَعَدَلَ إِلَى مُخَادَعَتِهِ ، وَرَاسَلَهُ يُظْهِرُ لَهُ النَّدَمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، وَيَسْتَمِيلُهُ بِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ غَيْرَهُ ، وَأَنَّهُ يَخَافُ أَنْ يَمُوتَ فَيَمْلِكَ بِلَادَهُ غَيْرُ وَلَدِهِ.ثُمَّ اسْتَدْعَاهُ إِلَيْهِ جَرِيدَةً لِيَجْتَمِعَ بِهِ وَيُعَرِّفَهُ أَحْوَالَهُ ، فَتَوَاعَدَا تَحْتَ قَلْعَةِ خَلَفٍ ، فَأَتَاهُ ابْنُهُ جَرِيدَةً ، وَنَزَلَ هُوَ إِلَيْهِ كَذَلِكَ ، وَكَانَ قَدْ كَمَّنَ بِالْقُرْبِ مِنْهُ كَمِينًا ، فَلَمَّا لَقِيَهُ اعْتَنَقَهُ ، وَبَكَى خَلَفٌ ، وَصَاحَ فِي بُكَائِهِ ، فَخَرَجَ الْكَمِينُ وَأَسَرُوا طَاهِرًا ، فَقَتَلَهُ أَبَوْهُ بِيَدِهِ ، وَغَسَلَهُ وَدَفَنَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ غَيْرَهُ.فَلَمَّا قُتِلَ طَمِعَ النَّاسُ فِي خَلَفٍ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَخَافُونَ ابْنَهُ لِشَهَامَتِهِ ، وَقَصَدَهُ حِينَئِذٍ مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ ، فَمَلَكَ بِلَادَهُ عَلَى مَا نَذْكُرُهُ ، وَأَمَّا الْعُتْبِيُّ فَذَكَرَ فِي سَبَبِ فَتْحِهَا غَيْرَ هَذَا ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ثَارَ الْأَتْرَاكُ بِبَغْدَاذَ بِنَائِبِ السُّلْطَانِ ، وَهُوَ أَبُو نَصْرٍ سَابُورُ ، فَهَرَبَ مِنْهُمْ ، وَوَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ الْأَتْرَاكِ الْعَامَّةِ مِنْ أَهْلِ الْكَرْخِ ، وَقُتِلَ بَيْنَهُمْ قَتْلَى كَثِيرَةٌ ، ثُمَّ إِنَّ السُّنَّةَ مِنْ أَهْلِ بَغْدَاذَ سَاعَدُوا الْأَتْرَاكَ عَلَى أَهْلِ الْكَرْخِ ، فَضَعُفُوا عَنِ الْجَمِيعِ ، فَسَعَى الْأَشْرَافُ فِي إِصْلَاحِ الْحَالِ فَسَكَنَتِ الْفِتْنَةُ.وَفِيهَا وُلِدَ الْأَمِيرُ أَبُو جَعْفَرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْقَادِرِ ، وَهُوَ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، تُوُفِّيَ أَبُو الْقَاسِمِ عِيسَى بْنُ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى ، وَكَانَ فَاضِلًا عَالِمًا بِعُلُومِ الْإِسْلَامِ وَبِالْمَنْطِقِ ، وَكَانَ يَجْلِسُ لِلتَّحْدِيثِ ، وَرَوَى النَّاسُ عَنْهُ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ الْجَوْزِيُّ ، وَكَانَ عَلَى مَذْهَبِ دَاوُدَ الظَّاهِرِيِّ ، وَكَانَ يَصْحَبُ عَضُدَ الدَّوْلَةِ قَدِيمًا.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَجَّاجِ الشَّاعِرُ بِطَرِيقِ النِّيلِ ، وَحُمِلَ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَدِيوَانُهُ مَشْهُورٌ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ بَكْرَانُ بْنُ أَبِي الْفَوَارِسِ خَالُ الْمَلِكِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ بِوَاسِطَ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ جَعْفَرُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُرَاتِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ حِنْزَابَةَ ، الْوَزِيرِ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ سَارَ إِلَى مِصْرَ فَوَلِيَ وِزَارَةَ كَافُورٍ وَرَوَى حَدِيثًا كَثِيرًا. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ وَقْعَةٍ لِيَمِينِ الدَّوْلَةِ بِالْهِنْدِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَوْقَعَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ بِجِيبَالَ مَلِكِ الْهِنْدِ وَقْعَةً عَظِيمَةً.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا اشْتَغَلَ بِأَمْرِ خُرَاسَانَ وَمُلْكَهَا ، وَفَرَغَ مِنْهَا وَمِنْ قِتَالِ خَلَفِ بْنِ أَحْمَدَ ، وَخَلَا وَجْهُهُ مِنْ ذَلِكَ ، أَحَبَّ أَنْ يَغْزُوَ الْهِنْدَ غَزْوَةً تَكُونُ كَفَّارَةً لِمَا كَانَ مِنْهُ مِنْ قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ ، فَثَنَى عِنَانَهُ نَحْوَ تِلْكَ الْبِلَادِ ، فَنَزَلَ عَلَى مَدِينَةِ بَرْشُورَ ، فَأَتَاهُ عَدُوُّ اللَّهِ جِيبَالُ مَلِكُ الْهِنْدِ فِي عَسَاكِرَ كَثِيرَةٍ ، فَاخْتَارَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ مِنْ عَسَاكِرِهِ وَالْمُطَّوَّعَةِ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا ، وَسَارَ نَحْوَهُ ، فَالْتَقَوْا فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، فَاقْتَتَلُوا ، وَصَبَرَ الْفَرِيقَانِ.فَلَمَّا انْتَصَفَ النَّهَارُ انْهَزَمَ الْهِنْدُ ، وَقُتِلَ فِيهِمْ مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَأُسِرَ جِيبَالُ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ أَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ ، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ أَمْوَالًا جَلِيلَةً ، وَجَوَاهِرَ نَفِيسَةً ، وَأُخِذَ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ جِيبَالَ قِلَادَةٌ مِنَ الْجَوْهَرِ الْعَدِيمِ النَّظِيرِ قُوِّمَتْ بِمِائَتَيْ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَأُصِيبَ أَمْثَالُهَا فِي أَعْنَاقِ مُقَدَّمِي الْأَسْرَى ، وَغَنِمُوا خَمْسَمِائَةِ أَلْفَ رَأْسٍ مِنَ الْعَبِيدِ ، وَفَتَحَ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ بِلَادًا كَثِيرَةً ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غَزَوَاتِهِ أَحَبَّ أَنْ يُطْلِقَ جِيبَالَ لِيَرَاهُ الْهُنُودُ فِي شِعَارِ الذُّلِّ ، فَأَطْلَقَهُ بِمَالٍ ، قَرَّرَهُ عَلَيْهِ ، فَأَدَّى الْمَالَ.وَمِنْ عَادَةِ الْهِنْدِ أَنَّهُمْ مَنْ حَصَلَ مِنْهُمْ فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ أَسِيرًا لَمْ يَنْعَقِدْ لَهُ بَعْدَهَا رِئَاسَةٌ ، فَلَمَّا رَأَى جِيبَالُ حَالَهُ بَعْدَ خَلَاصِهِ حَلَقَ رَأْسَهُ ، ثُمَّ أَلْقَى نَفْسَهُ فِي النَّارِ ، فَأُحْرِقَ بِنَارِ الدُّنْيَا قَبْلَ نَارِ الْآخِرَةِ.ذِكْرُ غَزْوَةٍ أُخْرَى إِلَى الْهِنْدِ أَيْضًا فَلَمَّا فَرَغَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ مِنْ أَمْرِ جِيبَالَ رَأَى أَنْ يَغْزُوَ غَزْوَةً أُخْرَى ، فَسَارَ نَحْوَ وَيْهَنْدَ ، فَأَقَامَ عَلَيْهَا مُحَاصِرًا لَهَا ، حَتَّى فَتَحَهَا قَهْرًا ، وَبَلَغَهُ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْهِنْدِ قَدِ اجْتَمَعُوا بِشِعَابِ تِلْكَ الْجِبَالِ عَازِمِينَ عَلَى الْفَسَادِ وَالْعِنَادِ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِمْ طَائِفَةً مِنْ عَسْكَرِهِ ، فَأَوْقَعُوا بِهِمْ ، وَأَكْثَرُوا الْقَتْلَ فِيهِمْ ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ الْفَرِيدُ ، وَعَادَ إِلَى غَزْنَةَ سَالِمًا ظَافِرًا.ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ قِرْوَاشٍ وَعَسْكَرِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَيَّرَ قِرْوَاشُ بْنُ الْمُقَلِّدِ جَمْعًا مِنْ عُقَيْلٍ إِلَى الْمَدَائِنِ فَحَصَرُوهَا ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِمْ أَبُو جَعْفَرٍ نَائِبُ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ جَيْشًا فَأَزَالُوهُمْ عَنْهَا ، فَاجْتَمَعَتْ عُقَيْلٌ وَأَبُو الْحَسَنِ مَزْيَدٌ فِي بَنِي أَسَدٍ ، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُمْ ، فَخَرَجَ الْحَجَّاجُ إِلَيْهِمْ ، وَاسْتَنْجَدَ خَفَاجَةَ ، وَأَحْضَرَهُمْ مِنَ الشَّامِ ، فَاجْتَمَعُوا مَعَهُ ، وَاقْتَتَلُوا بِنَوَاحِي بَاكَرْمَ فِي رَمَضَانَ ، فَانْهَزَمَتِ الدَّيْلَمُ وَالْأَتْرَاكُ ، وَأُسِرَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَاسْتُبِيحَ عَسْكَرُهُمْ.فَجَمَعَ أَبُو جَعْفَرٍ مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْعَسْكَرِ وَخَرَجَ إِلَى بَنِي عُقَيْلٍ وَابْنِ مَزْيَدٍ فَالْتَقَوْا بِنَوَاحِي الْكُوفَةِ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ ، فَانْهَزَمَتْ عُقَيْلٌ وَابْنُ مَزْيَدٍ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَأُسِرَ مِثْلُهُمْ ، وَسَارَ إِلَى حُلَلِ ابْنِ مَزْيَدٍ فَأَوْقَعَ بِمَنْ فِيهَا فَانْهَزَمُوا أَيْضًا ، فَنُهِبَتِ الْحُلَلُ وَالْبُيُوتُ وَالْأَمْوَالُ ، وَرَأَوْا فِيهَا مِنَ الْعَيْنِ وَالْمَصَاغِ وَالثِّيَابِ مَا لَا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ.وَلَمَّا سَارَ أَبُو جَعْفَرٍ عَنْ بَغْدَاذَ اخْتَلَتِ الْأَحْوَالُ بِهَا ، وَعَادَ أَمْرُ الْعَيَّارِينَ فَظَهَرَ ، وَاشْتَدَّ الْفَسَادُ ، وَقُتِلَتِ النُّفُوسُ ، وَنُهِبَتِ الْأَمْوَالُ ، وَأُحْرِقَتِ الْمِسَاكِنُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ بَهَاءَ الدَّوْلَةِ ، فَسَيَّرَ إِلَى الْعِرَاقِ لِحِفْظِهِ أَبَا عَلِيِّ بْنَ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَعْرُوفَ بِأُسْتَاذِ هُرْمُزَ ، وَلَقَّبَهُ عَمِيدَ الْجُيُوشِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ الْحَجَّاجِ ، وَطَيَّبَ قَلْبَهُ ، وَوَصَلَ أَبُو عَلِيٍّ إِلَى بَغْدَاذَ فَأَقَامَ السِّيَاسَةَ ، وَمَنَعَ الْمُفْسِدِينَ ، فَسَكَنَتِ الْفِتْنَةُ وَأَمِنَ النَّاسُ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ أَبُو بَكْرٍ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الدَّقَّاقِ ، صَاحِبُ الْأُصُولِ . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ مُلْكِ يَمِينِ الدَّوْلَةِ سِجِسْتَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَلَكَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ سِجِسْتَانَ ، وَانْتَزَعَهَا مِنْ يَدِ خَلَفِ بْنِ أَحْمَدَ.قَالَ الْعُتْبِيُّ وَكَانَ سَبَبُ أَخْذِهَا أَنَّ يَمِينَ الدَّوْلَةِ لَمَّا رَحَلَ عَنْ خَلَفٍ بَعْدَ أَنْ صَالَحَهُ ، كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ سَنَةَ تِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، عَهِدَ خَلَفٌ إِلَى وَلَدِهِ طَاهِرٍ ، وَسَلَّمَ إِلَيْهِ مَمْلَكَتَهُ ، وَانْعَكَفَ هُوَ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالْعِلْمِ ، وَكَانَ عَالِمًا ، فَاضِلًا ، مُحِبًّا لِلْعُلَمَاءِ ، وَكَانَ قَصْدُهُ أَنْ يُوهِمَ يَمِينَ الدَّوْلَةِ أَنَّهُ تَرَكَ الْمُلْكَ وَأَقْبَلَ عَلَى طَلَبِ الْآخِرَةِ لِيَقْطَعَ طَمَعَهُ عَنْ بِلَادِهِ.فَلَمَّا اسْتَقَرَّ طَاهِرٌ فِي الْمُلْكِ عَقَّ أَبَاهُ وَأَهْمَلَ أَمْرَهُ ، فَلَاطَفَهُ أَبُوهُ وَرَفَقَ بِهِ ، ثُمَّ إِنَّهُ تَمَارَضَ فِي حِصْنِهِ الْمَذْكُورِ ، وَاسْتَدْعَى وَلَدَهُ لِيُوصِيَ إِلَيْهِ ، فَحَضَرَ عِنْدَهُ غَيْرَ مُحْتَاطٍ ، وَنَسِيَ إِسَاءَتَهُ ، فَلَمَّا صَارَ عِنْدَهُ قَبَضَ عَلَيْهِ وَسَجَنَهُ ، وَبَقِيَ فِي السِّجْنِ إِلَى أَنْ مَاتَ فِيهِ ، وَأُظْهِرَ عَنْهُ أَنَّهُ قَتَلَ نَفْسَهُ.وَلَمَّا سَمِعَ عَسْكَرُ خَلَفٍ وَصَاحِبُ جَيْشِهِ بِذَلِكَ تَغَيَّرَتْ نِيَّاتُهُمْ فِي طَاعَتِهِ ، وَكَرِهُوهُ ، وَامْتَنَعُوا عَلَيْهِ فِي مَدِينَتِهِ ، وَأَظْهَرُوا طَاعَةَ يَمِينِ الدَّوْلَةِ ، وَخَطَبُوا لَهُ ، وَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ يَطْلُبُونَ مَنْ يَتَسَلَّمُ الْمَدِينَةَ ، فَفَعَلَ وَمَلَكَهَا ، وَاحْتَوَى عَلَيْهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَعَزَمَ عَلَى قَصْدِ خَلَفٍ وَأَخْذِ مَا بِيَدِهِ وَالِاسْتِرَاحَةِ مِنْ مَكْرِهِ.فَسَارَ إِلَيْهِ ، وَهُوَ فِي حِصْنِ الطَّاقِ ، وَلَهُ سَبْعَةُ أَسْوَارٍ مُحْكَمَةٍ ، يُحِيطُ بِهَا خَنْدَقٌ عَمِيقٌ ، عَرِيضٌ ، لَا يُخَاضُ إِلَّا مِنْ طَرِيقٍ عَلَى جِسْرٍ يُرْفَعُ عِنْدَ الْخَوْفِ ، فَنَازَلَهُ وَضَايَقَهُ فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ ، فَأَمَرَ بِطَمِّ الْخَنْدَقِ لِيُمْكِنَ الْعُبُورُ إِلَيْهِ ، فَقُطِعَتِ الْأَخْشَابُ وَطُمَّ بِهَا بِالتُّرَابِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَكَانًا يَعْبُرُونَ فِيهِ وَيُقَاتِلُونَ مِنْهُ.وَزَحَفَ النَّاسُ وَمَعَهُمُ الْفُيُولُ ، وَاشْتَدَّتِ الْحَرْبُ ، وَعَظُمَ الْأَمْرُ ، وَتَقَدَّمَ أَعْظَمُ الْفُيُولِ إِلَى بَابِ السُّورِ فَاقْتَلَعَهُ بِنَابَيْهِ وَأَلْقَاهُ ، وَمَلَكَهُ أَصْحَابُ يَمِينِ الدَّوْلَةِ ، وَتَأَخَّرَ أَصْحَابُ خَلَفٍ إِلَى السُّورِ الثَّانِي ، فَلَمْ يَزَلْ أَصْحَابُ يَمِينِ الدَّوْلَةِ يَدْفَعُونَهُمْ عَنْ سُورٍ سُورٍ ، فَلَمَّا رَأَى خَلَفٌ اشْتِدَادَ الْحَرْبِ ، وَأَنَّ أَسْوَارَهُ تُمْلَكُ عَلَيْهِ ، وَأَنَّ أَصْحَابَهُ قَدْ عَجَزُوا ، وَأَنَّ الْفِيَلَةَ تُحَطِّمُ النَّاسَ طَارَ قَلْبُهُ خَوْفًا وَفَرَقًا ، فَأَرْسَلَ يَطْلُبُ الْأَمَانَ ، فَأَجَابَهُ يَمِينُ الدَّوْلَةِ إِلَى مَا طَلَبَ وَكَفَّ عَنْهُ ، فَلَمَّا حَضَرَ عِنْدَهُ أَكْرَمَهُ وَاحْتَرَمَهُ ، وَأَمَرَهُ بِالْمُقَامِ فِي أَيِّ الْبِلَادِ شَاءَ ، فَاخْتَارَ أَرْضَ الْجُوزَجَانِ ، فَسُيِّرَ إِلَيْهَا فِي هَيْئَةٍ حَسَنَةٍ ، فَأَقَامَ بِهَا نَحْوَ أَرْبَعِ سِنِينَ.وَنُقِلَ إِلَى يَمِينِ الدَّوْلَةِ عَنْهُ أَنَّهُ يُرَاسِلُ أَيْلَكَ الْخَانَ يُغْرِيهِ بِقَصْدِ يَمِينِ الدَّوْلَةِ ، فَنَقَلَهُ إِلَى جَرْدِينَ ، وَاحْتَاطَ عَلَيْهِ هُنَاكَ ، إِلَى أَنْ أَدْرَكَهُ أَجَلُهُ فِي رَجَبٍ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَسَلَّمَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ جَمِيعَ مَا خَلَّفَهُ إِلَى وَلَدِهِ أَبِي حَفْصٍ.وَكَانَ خَلَفٌ مَشْهُورًا بِطَلَبِ الْعِلْمِ وَجَمْعِ الْعُلَمَاءِ ، وَلَهُ كِتَابٌ صَنَّفَهُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ مِنْ أَكْبَرِ الْكُتُبِ.ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ عَمِيدِ الْجُيُوشِ أَبِي عَلِيٍّ وَبَيْنَ أَبِي جَعْفَرٍ الْحَجَّاجِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ أَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ أُسْتَاذِ هُرْمُزَ ، وَبَيْنَ أَبِي جَعْفَرٍ الْحَجَّاجِ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ كَانَ نَائِبًا عَنْ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ بِالْعِرَاقِ ، فَجَمَعَ وَغَزَا ، وَاسْتَنَابَ بَعْدَهُ عَمِيدَ الْجُيُوشِ أَبَا عَلِيٍّ ، فَأَقَامَ أَبُو جَعْفَرٍ بِنَوَاحِي الْكُوفَةِ ، وَلَمْ يَسْتَقِرَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي عَلِيٍّ صُلْحٌ.وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ قَدْ جَمَعَ جَمْعًا مِنَ الدَّيْلَمِ وَالْأَتْرَاكِ وَخَفَاجَةَ فَجَمَعَ أَبُو عَلِيٍّ أَيْضًا جَمْعًا كَثِيرًا وَسَارَ إِلَيْهِ ، وَالْتَقَوْا بِنَوَاحِي النُّعْمَانِيَّةِ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا عَظِيمًا ، وَأَرْسَلَ أَبُو عَلِيٍّ بَعْضَ عَسْكَرِهِ ، فَأَتَوْا أَبَا جَعْفَرٍ مِنْ وَرَائِهِ ، فَانْهَزَمَ أَبُو جَعْفَرٍ وَمَضَى مُنْهَزِمًا.فَلَمَّا أَمِنَ أَبُو عَلِيٍّ سَارَ مِنَ الْعِرَاقِ ، بَعْدَ الْهَزِيمَةِ ، إِلَى خُوزِسْتَانَ ، وَبَلَغَ السُّوسَ ، وَأَتَاهُ الْخَبَرُ أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ قَدْ عَادَ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَرَجَعَ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي جَعْفَرٍ مُنَازَعَاتٌ وَمُرَاجَعَاتٌ إِلَى أَنْ آلَ الْأَمْرُ إِلَى الْحَرْبِ فَاسْتَنْجَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بَنِي عُقَيْلٍ وَبَنِيَ خَفَاجَةَ وَبَنِي أَسَدٍ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ أَرْسَلَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ إِلَى عَمِيدِ الْجُيُوشِ أَبِي عَلِيٍّ يَسْتَدْعِيهِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ إِلَى خُوزِسْتَانَ لِأَجْلِ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ وَاصِلٍ ، صَاحِبِ الْبَطِيحَةِ.ذِكْرُ عِصْيَانِ سِجِسْتَانَ وَفَتْحِهَا ثَانِيَةً لَمَّا مَلَكَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ سِجِسْتَانَ عَادَ عَنْهَا وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا أَمِيرًا كَبِيرًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، يُعْرَفُ بِقَنْجَى الْحَاجِبِ ، فَأَحْسَنَ السِّيرَةَ فِي أَهْلِهَا.ثُمَّ إِنَّ طَوَائِفَ مِنْ أَهْلِ الْعَيْثِ وَالْفَسَادِ قَدَّمُوا عَلَيْهِمْ رَجُلًا يَجْمَعُهُمْ ، وَخَالَفُوا عَلَى السُّلْطَانِ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ يَمِينُ الدَّوْلَةِ ، وَحَصَرَهُمْ فِي حِصْنِ أَرَكَ ، وَنَشِبَتِ الْحَرْبُ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، فَظَهَرَ عَلَيْهِمْ ، وَظَفِرَ بِهِمْ ، وَمَلَكَ حِصْنَهُمْ ، وَأَكْثَرَ الْقَتْلَ فِيهِمْ ، وَانْهَزَمَ بَعْضُهُمْ فَسَيَّرَ فِي آثَارِهِمْ مَنْ يَطْلُبُهُمْ ، فَأَدْرَكُوهُمْ ، فَأَكْثَرُوا الْقَتْلَ فِيهِمْ حَتَّى خَلَتْ سِجِسْتَانُ مِنْهُمْ وَصَفَتْ لَهُ وَاسْتَقَرَّ مُلْكُهَا عَلَيْهِ ، فَأَقْطَعَهَا أَخَاهُ نَصْرًا مُضَافَةً إِلَى نَيْسَابُورَ.ذِكْرُ وَفَاةِ الطَّائِعِ لِلَّهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي شَوَّالٍ مِنْهَا ، ، تُوُفِّيَ الطَّائِعُ لِلَّهِ الْمَخْلُوعُ ابْنُ الْمُطِيعِ لِلَّهِ ، وَحَضَرَ الْأَشْرَافُ وَالْقُضَاةُ وَغَيْرُهُمْ دَارَ الْخِلَافَةِ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَالتَّعْزِيَةِ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ الْقَادِرُ بِاللَّهِ ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِ خَمْسًا ، وَتَكَلَّمَتِ الْعَامَّةُ فِي ذَلِكَ فَقِيلَ إِنَّ هَذَا مِمَّا يُفْعَلُ بِالْخُلَفَاءِ ، وَشَيَّعَ جِنَازَتَهُ ابْنُ حَاجِبٍ النُّعْمَانُ ، وَرَثَاهُ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ فَقَالَ مَا بَعْدَ يَوْمِكَ مَا يَسْلُو بِهِ السَّالِي وَمِثْلُ يَوْمِكَ لَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالَى وَهِيَ طَوِيلَةٌ.ذِكْرُ وَفَاةِ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ أَبُو عَامِرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ الْمَعَافِرِيُّ ، الْمُلَقَّبُ بِالْمَنْصُورِ ، أَمِيرُ الْأَنْدَلُسِ مَعَ الْمُؤَيِّدِ هِشَامِ بْنِ الْحَاكِمِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ عِنْدَ ذِكْرِ الْمُؤَيِّدِ ، وَكَانَ أَصْلُهُ مِنَ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ مِنْ بَيْتٍ مَشْهُورٍ بِهَا ، وَقَدِمَ قُرْطُبَةَ طَالِبًا لِلْعِلْمِ ، وَكَانَتْ لَهُ هِمَّةٌ ، فَتَعَلَّقَ بِوَالِدَةِ الْمُؤَيَّدِ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ الْمُسْتَنْصِرِ.فَلَمَّا وَلِيَ هِشَامٌ كَانَ صَغِيرًا ، فَتَكَفَّلَ الْمَنْصُورُ لِوَالِدَتِهِ الْقِيَامَ بِأَمْرِهِ ، وَإِخْمَادَ الْفِتَنِ الثَّائِرَةِ عَلَيْهِ ، وَإِقْرَارَ الْمُلْكِ عَلَيْهِ ، فَوَلَّتْهُ أَمْرَهُ وَكَانَ شَهْمًا ، شُجَاعًا ، قَوِيَّ النَّفْسِ ، حَسَنَ التَّدَبُّرِ ، فَاسْتَمَالَ الْعَسَاكِرَ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، فَقَوِيَ أَمْرُهُ ، وَتَلَقَّبَ بِالْمَنْصُورِ ، وَتَابَعَ الْغَزَوَاتِ إِلَى الْفِرِنْجِ وَغَيْرِهِمْ ، وَسَكَنَتِ الْبِلَادُ مَعَهُ ، فَلَمْ يَضْطَرِبْ مِنْهَا شَيْءٌ.وَكَانَ عَالِمًا ، مُحِبًّا لِلْعُلَمَاءِ ، يُكْثِرُ مُجَالَسَتَهُمْ وَيُنَاظِرُهُمْ ، وَقَدْ أَكْثَرَ الْعُلَمَاءُ ذِكْرَ مَنَاقِبِهِ ، وَصَنَّفُوا لَهَا تَصَانِيفَ كَثِيرَةً ، وَلَمَّا مَرِضَ كَانَ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْغَزْوِ ، فَلَمْ يَرْجِعْ ، وَدَخَلَ بِلَادَ الْعَدُوِّ فَنَالَ مِنْهُمْ وَعَادَ وَهُوَ مُثْقَلٌ ، فَتُوُفِّيَ بِمَدِينَةِ سَالِمٍ ، وَكَانَ قَدْ جَمَعَ الْغُبَارَ الَّذِي وَقَعَ عَلَى دِرْعِهِ فِي غَزَوَاتِهِ شَيْئًا صَالِحًا ، فَأَمَرَ أَنْ يُجْعَلَ فِي كَفَنِهِ تَبَرُّكًا بِهِ.وَكَانَ حَسَنَ الِاعْتِقَادِ وَالسِّيرَةِ ، عَادِلًا ، كَانَتْ أَيَّامُهُ أَعْيَادًا لِنَضَارَتِهَا ، وَأَمِنَ النَّاسُ فِيهَا ، رَحِمَهُ اللَّهُ.وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ تَمِيمِيَّةً ، وَلَمَّا مَاتَ وَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْمُظَفَّرُ أَبُو مَرْوَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَجَرَى مَجْرَى أَبِيهِ.ذِكْرُ مُحَاصَرَةِ فُلْفُلٍ مَدِينَةَ قَابِسَ وَمَا كَانَ مِنْهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ الْأَنْدَلُسِيُّ وَفُلْفُلٌ مِنْ طَرَابُلُسَ إِلَى مَدِينَةِ قَابِسَ فِي عَسْكَرٍ كَثِيرٍ ، فَحَصَرُوهَا ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى طَرَابُلُسَ.وَلَمَّا رَأَى يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ قِلَّةِ الْمَالِ ، وَاخْتِلَالِ حَالِهِ وَسُوءِ مُجَاوَرَةِ فُلْفُلٍ وَأَصْحَابِهِ لَهُ ، رَجَعَ إِلَى مِصْرَ إِلَى الْحَاكِمِ ، بَعْدَ أَنْ أَخَذَ فُلْفُلٌ وَأَصْحَابُهُ خُيُولَهُمْ ، وَمَا اخْتَارُوهُ مِنْ عُدَدِهِمْ بَيْنَ الشِّرَاءِ وَالْغَصْبِ ، فَأَرَادَا الْحَاكِمُ قَتْلَهُ ثُمَّ عَفَا عَنْهُ.وَأَقَامَ فُلْفُلٌ بِطَرَابُلُسَ إِلَى سَنَةِ أَرْبَعِمِائَةٍ ، فَمَرِضَ وَتُوُفِّيَ ، وَوُلِيَ أَخُوهُ وَرُّو ، فَأَطَاعَتْهُ زَنَاتَةُ ، وَاسْتَقَامَ أَمْرُهُ ، فَرَحَلَ بَادِيسُ إِلَى طَرَابُلُسَ لِحَرْبِ زَنَاتَةَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ رَحِيلُهُ فَارَقُوهَا وَمَلَكَهَا بَادِيسُ ، فَفَرَّ أَهْلُهَا وَأَرْسَلَ وَرُّو أَخُو فُلْفُلٍ إِلَى بَادِيسَ يَطْلُبُ أَنْ يَكُونَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ زَنَاتَةَ فِي أَمَانِهِ ، وَيَدْخُلُونَ فِي طَاعَتِهِ ، وَيَجْعَلُهُمْ عُمَّالًا كَسَائِرِ عُمَّالِهِ ، فَأَمَّنَهُمْ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَأَعْطَاهُمْ نِفْزَاوَةَ وَقَسْطِيلَةَ عَلَى أَنْ يَرْحَلُوا مِنْ أَعْمَالِ طَرَابُلُسَ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ.ثُمَّ إِنَّ خَزْرُونَ بْنَ سَعِيدٍ أَخَا وَرُّو جَاءَ إِلَى بَادِيسَ ، وَدَخَلَ فِي طَاعَتِهِ ، وَفَارَقَ أَخَاهُ ، فَأَكْرَمَهُ بَادِيسُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِنَّ أَخَاهُ خَالَفَ عَلَى بَادِيسَ ، وَسَارَ إِلَى طَرَابُلُسَ فَحَصَرَهَا ، وَسَارَ إِلَيْهِ خَزْرُونُ لِيَمْنَعَهُ عَنْ حِصَارِهَا ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي رَمَضَانَ ، طَلَعَ كَوْكَبٌ كَبِيرٌ لَهُ ذُؤَابَةٌ ، وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ انْقَضَّ كَوْكَبٌ كَبِيرٌ أَيْضًا كَضَوْءِ الْقَمَرِ عِنْدَ تَمَامِهِ ، وَانْمَحَقَ نُورُهُ وَبَقِيَ جَرْمُهُ يَتَمَوَّجُ.وَفِيهَا اشْتَدَّتِ الْفِتْنَةُ بِبَغْدَاذَ ، وَانْتَشَرَ الْعَيَّارُونَ وَالْمُفْسِدُونَ ، فَبَعَثَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ عَمِيدَ الْجُيُوشِ أَبَا عَلِيِّ بْنَ أُسْتَاذِ هُرْمُزَ إِلَى الْعِرَاقِ لِيُدَبِّرَ أَمْرَهُ ، فَوَصَلَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَزُيِّنَتْ لَهُ ، وَقَمَعَ الْمُفْسِدِينَ ، وَمَنَعَ السُّنَّةَ وَالشِّيعَةَ مِنْ إِظْهَارِ مَذَاهِبِهِمْ ، وَنَفَى ، بَعْدَ ذَلِكَ ، ابْنَ الْمُعَلِّمِ فَقِيهَ الْإِمَامِيَّةِ ، فَاسْتَقَامَ الْبَلَدُ.وَفِيهَا ، فِي ذِي الْحِجَّةِ ، وُلِدَ الْأَمِيرُ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَهُوَ الَّذِي مَلَكَ الْأَمْرَ ، وَتَلَقَّبَ بِمُشْرِفِ الدَّوْلَةِ.وَفِيهَا هَرَبَ الْوَزِيرُ أَبُو الْعَبَّاسِ الضَّبِّيُّ ، وَزِيرُ مَجْدِ الدَّوْلَةِ بْنِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهٍ ، مِنَ الرَّيِّ إِلَى بَدْرِ بْنِ حَسْنُوَيْهِ ، فَأَكْرَمَهُ ، وَقَامَ بِالْوِزَارَةِ بَعْدَهُ الْخُطَيْرُ أَبُو عَلِيٍّ.وَفِيهَا وَلَّى الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ عَلَى دِمَشْقَ ، وَقِيَادَةِ الْعَسَاكِرِ الشَّامِيَّةِ ، أَبَا مُحَمَّدٍ الْأَسْوَدَ ، وَاسْمُهُ تَمْصُولْتُ ، فَقَدِمَ إِلَيْهَا ، وَنَزَلَ فِي قَصْرِ الْإِمَارَةِ ، فَأَقَامَ وَالِيًا عَلَيْهَا سَنَةً وَشَهْرَيْنِ وَمِنْ أَعْمَالِهِ فِيهَا أَنَّهُ أَطَافَ إِنْسَانًا مَغْرِبِيًّا ، وَشَهَّرَهُ ، وَنَادَى عَلَيْهِ هَذَا جَزَاءُ مَنْ يُحِبُّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ!ثُمَّ أَخْرَجَهُ عَنْهَا. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ عُثْمَانُ بْنُ جِنِّيٍّ النَّحْوِيُّ ، مُصَنِّفُ" اللُّمَعِ "وَغَيْرِهَا ، بِبَغْدَاذَ ، وَلَهُ شِعْرٌ بَارِزٌ.وَالْقَاضِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجُرْجَانِيُّ بِالرَّيِّ ، وَكَانَ إِمَامًا فَاضِلًا ، ذَا فُنُونٍ كَثِيرَةٍ.وَالْوَلِيدُ بْنُ بَكْرِ بْنِ مُخَلَّدٍ الْأَنْدَلُسِيُّ الْفَقِيهُ الْمَالِكِيُّ ، وَهُوَ مُحَدِّثٌ مَشْهُورٌ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّلَامِيُّ الشَّاعِرُ الْبَغْدَاذَيُّ وَمِنْ شِعْرِهِ يَصِفُ الدِّرْعَ ، وَهِيَ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ يَا رُبَّ سَابِغَةٍ حَبَتْنِي نِعْمَةً...كَافَأْتُهَا بِالسُّوءِ غَيْرَ مُفَنَّدِ أَضْحَتْ تَصُونُ عَنِ الْمَنَايَا مُهْجَتِي...وَظَلَلْتُ أَبْذُلُهَا لِكُلِّ مُهَنَّدِ وَلَهُ مِنْ أَحْسَنِ الْمَدِيحِ فِي عَضُدِ الدَّوْلَةِ وَلِيتَ ، وَعَزْمِي وَالظَّلَامُ وَصَارِمِي...ثَلَاثَةُ أَشْبَاحٍ كَمَا اجْتَمَعَ النَّسْرُ وَبَشَّرْتُ آمَالِي بِمُلْكٍ هُوَ الْوَرَى وَدَارٍ هِيَ الدُّنْيَا ، وَيَوْمٍ هُوَ الدَّهْرُ وَقَدِمَ الْمَوْصِلَ ، فَاجْتَمَعَ بِالْخَالِدِيِّينَ مِنَ الشُّعَرَاءِ مِنْهُمْ أَبُو الْفَرَجِ الْبَبَّغَاءُ ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ التَّلْعَفْرِيُّ ، فَامْتَحَنُوهُ ، وَكَانَ صَبِيًّا ، فَبَرَزَ عِنْدَ الِامْتِحَانِ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْخُوَارَزْمِيُّ الْأَدِيبُ الشَّاعِرُ ، وَكَانَ فَاضِلًا ، وَتُوُفِّيَ بِنَيْسَابُورَ .وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَكَرِيَّاءَ أَبُو طَاهِرٍ الْمُخَلِّصُ الْمُحَدِّثُ الْمَشْهُورُ ، وَأَوَّلُ سَمَاعِهِ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ أَبِي الْعَبَّاسِ عَلَى الْبَطِيحَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي شَعْبَانَ ، غَلَبَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ وَاصِلٍ عَلَى الْبَطِيحَةِ ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا مُهَذَّبُ الدَّوْلَةِ.وَكَانَ ابْتِدَاءُ حَالِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَنَّهُ كَانَ يَنُوبُ عَنْ طَاهِرِ بْنِ زِيرَكٍ الْحَاجِبِ فِي الْجَهْبَذَةِ ، وَارْتَفَعَ مَعَهُ ، ثُمَّ أَشْفَقَ مِنْهُ فَفَارَقَهُ وَسَارَ إِلَى شِيرَازَ ، وَاتَّصَلَ بِخِدْمَةِ فُولَاذٍ ، وَتَقَدَّمَ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا قُبِضَ عَلَى فُولَاذٍ عَادَ أَبُو الْعَبَّاسِ إِلَى الْأَهْوَازِ بِحَالٍ سَيِّئَةٍ ، فَخَدَمَ فِيهَا.ثُمَّ أُصْعِدَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَضَاقَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ ، فَخَرَجَ مِنْهَا ، وَخَدَمَ أَبَا مُحَمَّدِ بْنَ مُكْرَمٍ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى خِدْمَةِ مُهَذَّبِ الدَّوْلَةِ بِالْبَطِيحَةِ ، فَجَرَّدَ مَعَهُ عَسْكَرًا ، وَسَيَّرَهُ إِلَى حَرْبِ لَشْكُرِسْتَانَ حِينَ اسْتَوْلَى عَلَى الْبَصْرَةِ ، وَمَضَى إِلَى سِيرَافَ وَأَخَذَ مَا بِهَا لِأَبِي مُحَمَّدِ بْنِ مُكْرَمٍ مِنْ سُفُنٍ وَمَالٍ ، وَأَتَى أَسَافِلَ دِجْلَةَ ، فَغَلَبَ عَلَيْهَا ، وَخَلَعَ طَاعَةَ مُهَذَّبِ الدَّوْلَةِ.فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مُهَذَّبُ الدَّوْلَةِ مِائَةَ سُمَيْرِيَّةٍ فِيهَا مُقَاتِلَةٌ ، فَغَرِقَ بَعْضُهَا ، وَأَخَذَ أَبُو الْعَبَّاسِ مَا بَقِيَ مِنْهَا ، وَعَدَلَ إِلَى الْأُبُلَّةِ ، فَهَزَمَ أَبَا سَعْدِ بْنَ مَاكُولَا ، وَهُوَ يَصْحَبُ لَشُكْرِسْتَانَ ، فَانْهَزَمَ أَيْضًا لَشُكْرِسْتَانُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَاسْتَوْلَى ابْنُ وَاصِلٍ عَلَى الْبَصْرَةِ ، وَنَزَلَ دَارَ الْإِمَارَةِ ، وَأَمِنَ الدَّيْلَمَ وَالْأَجْنَادَ.وَقَصَدَ لَشُكْرِسْتَانُ مُهَذَّبَ الدَّوْلَةِ ، فَأَعَادَهُ إِلَى قِتَالِ أَبِي الْعَبَّاسِ فِي جَيْشٍ ، فَلَقِيَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ وَقَاتَلَهُ ، فَانْهَزَمَ لَشْكُرِسْتَانُ وَقُتِلَ كَثِيرٌ مِنْ رِجَالِهِ ، وَاسْتَوْلَى أَبُو الْعَبَّاسِ عَلَى ثَقَلِهِ وَأَمْوَالِهِ ، وَأَصْعَدَ إِلَى الْبَطِيحَةِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى مُهَذَّبِ الدَّوْلَةِ يَقُولُ لَهُ قَدْ هَزَمْتُ جُنْدَكَ ، وَدَخَلْتُ بَلَدَكَ ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ ، فَسَارَ مُهَذَّبُ الدَّوْلَةِ إِلَى بَشَامْنِي ، وَصَارَ عِنْدَ أَبِي شُجَاعٍ فَارِسِ بْنِ مَرْدَانَ وَابْنِهِ صَدَقَةَ ، فَغَدَرَا بِهِ وَأَخَذَا أَمْوَالَهُ ، فَاضْطَرَّ إِلَى الْهَرَبِ ، وَسَارَ إِلَى وَاسِطَ فَوَصَلَهَا عَلَى أَقْبَحِ صُورَةٍ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُهَا فَلَقَوْهُ وَأَصْعَدَتْ زَوْجَتُهُ ابْنَةُ الْمَلِكِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ إِلَى بَغْدَاذَ وَأَصْعَدَ مُهَذَّبُ الدَّوْلَةِ إِلَيْهَا فَلَمْ يُمَكَّنْ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهَا.وَأَمَّا ابْنُ وَاصِلٍ فَإِنَّهُ اسْتَوْلَى عَلَى أَمْوَالِ مُهَذَّبِ الدَّوْلَةِ وَبِلَادِهِ ، وَكَانَتْ عَظِيمَةً ، وَوَكَّلَ بِدَارِ زَوْجَتِهِ ابْنَةِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ مَنْ يَحْرُسُهَا ، ثُمَّ جَمَعَ كُلَّ مَا فِيهَا وَأَرْسَلَهُ إِلَى أَبِيهَا ، وَاضْطَرَبَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْبَطَائِحِ وَاخْتَلَفُوا ، فَسَيَّرَ سَبْعَمِائَةِ فَارِسٍ إِلَى الْجَازِرَةِ لِإِصْلَاحِهَا ، فَقَاتَلَهُمْ أَهْلُهَا ، فَظَفِرُوا بِالْعَسْكَرِ ، وَقَتَلُوا فِيهِمْ كَثِيرًا.وَانْتَشَرَ الْأَمْرُ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ وَاصِلٍ.فَعَادَ إِلَى الْبَصْرَةِ خَوْفًا أَنْ يَنْتَشِرَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ بِهَا ، وَتَرَكَ الْبَطَائِحَ شَاغِرَةً لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ يَحْفَظُهَا.وَلَمَّا سَمِعَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ بِحَالِ أَبِي الْعَبَّاسِ وَقُوَّتِهِ خَافَهُ عَلَى الْبِلَادِ ، فَسَارَ مِنْ فَارِسَ إِلَى الْأَهْوَازِ لِتَلَافِي أَمْرِهِ ، وَأَحْضَرَ عِنْدَهُ عَمِيدَ الْجُيُوشِ مِنْ بَغْدَاذَ ، وَجَهَّزَ مَعَهُ عَسْكَرًا كَثِيفًا وَسَيَّرَهُمْ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ ، فَأَتَى إِلَى وَاسِطَ وَعَمِلَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ سُفُنٍ وَغَيْرِهَا ، وَسَارَ إِلَى الْبَطَائِحِ ، وَفَرَّقَ جُنْدَهُ فِي الْبِلَادِ لِتَقْرِيرِ قَوَاعِدِهَا.وَسَمِعَ أَبُو الْعَبَّاسِ بِمَسِيرِهِ إِلَيْهِ ، فَأَصْعَدَ إِلَيْهِ مِنَ الْبَصْرَةِ ، وَأَرْسَلَ يَقُولُ لَهُ مَا أَحْوَجَكَ تَتَكَلَّفُ الِانْحِدَارَ ، وَقَدْ أَتَيْتُكَ فَخُذْ لِنَفْسِكَ.وَوَصَلَ إِلَى عَمِيدِ الْجُيُوشِ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ مِنْ تَفَرُّقِ الْعَسْكَرِ عَنْهُ ، فَلَقِيَهُ فِيمَنْ مَعَهُ بِالصَّلِيقِ ، فَانْهَزَمَ عَمِيدُ الْجُيُوشِ ، وَوَقَعَ مَنْ مَعَهُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَلَقِيَ عَمِيدُ الْجُيُوشِ شِدَّةً إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى وَاسِطَ ، وَذَهَبَ ثَقَلُهُ وَخِيَامُهُ وَخَزَائِنُهُ ، فَأَخْبَرَهُ خَازِنُهُ أَنَّهُ قَدْ دَفَنَ فِي الْخَيْمَةِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَأَنْفَذَ مَنْ أَحْضَرَهَا ، فَقَوِيَ بِهَا.وَنَذْكُرُ بَاقِيَ خَبَرِ الْبَطَائِحِ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَلَّدَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ النَّقِيبَ أَبَا أَحْمَدَ الْمُوسَوِيَّ ، وَالِدَ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ ، نِقَابَةَ الْعَلَوِيِّينَ بِالْعِرَاقِ ، وَقَضَاءَ الْقُضَاةِ ، وَالْحَجَّ ، وَالْمَظَالِمَ ، وَكَتَبَ عَهْدَهُ بِذَلِكَ مِنْ شِيرَازَ ، وَلَقَّبَ الطَّاهِرَ ذَا الْمَنَاقِبِ ، فَامْتَنَعَ الْخَلِيفَةُ مِنْ تَقْلِيدِهِ قَضَاءَ الْقُضَاةِ ، وَأَمْضَى مَا سِوَاهُ.وَفِيهَا خَرَجَ الْأُصَيْفِرُ الْمُنْتَفِقِي عَلَى الْحَاجِّ ، وَحَصَرَهُمْ بِالْبَطَانِيَةِ ، وَعَزَمَ عَلَى أَخْذِهِمْ وَكَانَ فِيهِمْ أَبُو الْحَسَنِ الرَّفَّاءُ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الدَّجَاجِيُّ وَكَانَا يَقْرَآنِ الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتٍ لَمْ يُسْمَعْ مِثْلُهَا ، فَحَضَرَا عِنْدَ الْأُصَيْفِرِ وَقَرَآ الْقُرْآنَ ، فَتَرَكَ الْحُجَّاجَ وَعَادَ ، وَقَالَ لَهُمَا قَدْ تَرَكْتُ لَكُمَا أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ عَوْدِ مُهَذَّبِ الدَّوْلَةِ إِلَى الْبَطِيحَةِ قَدْ ذَكَرْنَا انْهِزَامَ عَمِيدِ الْجُيُوشِ مِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ وَاصِلٍ ، فَلَمَّا انْهَزَمَ أَقَامَ بِوَاسِطَ ، وَجَمَعَ الْعَسَاكِرَ عَازِمًا عَلَى الْعَوْدِ إِلَى الْبَطَائِحِ ، وَكَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ قَدْ تَرَكَ بِهَا نَائِبًا لَهُ ، فَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ الْمُقَامِ بِهَا ، فَفَارَقَهَا إِلَى صَاحِبِهِ ، فَأَرْسَلَ عَمِيدُ الْجُيُوشِ إِلَيْهَا نَائِبًا مِنْ أَهْلِ الْبَطَائِحِ ، فَعَسَفَ النَّاسَ ، وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى عَمِيدِ الْجُيُوشِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَغْدَاذَ وَأَحْضَرَ مُهَذَّبَ الدَّوْلَةِ ، وَسَيَّرَ مَعَهُ الْعَسَاكِرَ فِي السُّفُنِ إِلَى الْبَطِيحَةِ ، فَلَمَّا وَصَلَهَا لَقِيَهُ أَهْلُ الْبِلَادِ ، وَسُرُّوا بِقُدُومِهِ ، وَسَلَّمُوا إِلَيْهِ جَمِيعَ الْوِلَايَاتِ ، وَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ كُلَّ سَنَةٍ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَلَمْ يَعْتَرِضْ عَلَيْهِ ابْنُ وَاصِلٍ ، فَاشْتَغَلَ عَنْهُ بِالتَّجْهِيزِ إِلَى خُوزِسْتَانَ ، وَحَفَرَ نَهْرًا إِلَى جَانِبِ النَّهْرِ الْعَضُدِيِّ ، بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَالْأَهْوَازِ ، وَكَثُرَ مَاؤُهُ ، وَكَانَ قَدِ اجْتَمَعَ عِنْدَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الدَّيْلَمِ وَأَنْوَاعِ الْأَجْنَادِ.وَلَمَّا كَثُرَ مَالُهُ وَذَخَائِرُهُ ، وَ مَا اسْتَوْلَى عَلَيْهِ مِنَ الْبَطِيحَةِ ، قَوِيَ طَمَعُهُ فِي الْمُلْكِ ، وَسَارَ هُوَ وَعَسْكَرُهُ إِلَى الْأَهْوَازِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، فَجَهَّزَ إِلَيْهَا بَهَاءُ الدَّوْلَةِ جَيْشًا فِي الْمَاءِ ، فَالْتَقَوْا بِنَهْرِ السِّدْرَةِ ، فَاقْتَتَلُوا ، وَخَاتَلَهُمْ أَبُو الْعَبَّاسِ ، وَسَارَ إِلَى الْأَهْوَازِ وَتَبِعَهُ مَنْ كَانَ قَدْ لَقِيَهُ مِنَ الْعَسْكَرِ ، فَالْتَقَوْا بِظَاهِرِ الْأَهْوَازِ ، وَانْضَافَ إِلَى عَسْكَرِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَسَاكِرُ الَّتِي بِالْأَهْوَازِ ، فَاسْتَظْهَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ عَلَيْهِمْ.وَرَحَلَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ إِلَى قَنْطَرَةِ أَرْبُقَ ، عَازِمًا عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى فَارِسَ ، وَدَخَلَ أَبُو الْعَبَّاسِ إِلَى دَارِ الْمَمْلَكَةِ وَأَخَذَ مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْتِعَةِ وَالْأَثَاثِ الْمُتَخَلَّفِ عَنْ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُمْكِنْهُ الْمُقَامُ لِأَنَّ بَهَاءَ الدَّوْلَةِ كَانَ قَدْ جَهَّزَ عَسْكَرًا لِيَسِيرَ فِي الْبَحْرِ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَخَافَ أَبُو الْعَبَّاسِ مِنْ ذَلِكَ ، وَرَاسَلَ بَهَاءَ الدَّوْلَةِ ، وَصَالَحَهُ وَزَادَ فِي أَقْطَاعِهِ ، وَحَلَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ ، وَعَادَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَحَمَلَ مَعَهُ كُلَّ مَا أَخَذَهُ مِنْ دَارِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ وَدُورِ الْأَكَابِرِ وَالْقُوَّادِ وَالتُّجَّارِ.ذِكْرُ غَزْوَةِ بَهَاطِيَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا يَمِينُ الدَّوْلَةِ بَهَاطِيَةَ مِنْ أَعْمَالِ الْهِنْدِ ، وَهِيَ وَرَاءَ الْمُولْتَانِ ، وَصَاحِبُهَا يُعْرَفُ بِبَحِيرَا ، وَهِيَ مَدِينَةٌ حَصِينَةٌ ، عَالِيَةُ السُّورِ ، يُحِيطُ بِهَا خَنْدَقٌ عَظِيمٌ ، فَامْتَنَعَ صَاحِبُهَا بِهَا ، ثُمَّ إِنَّهُ خَرَجَ إِلَى ظَاهِرِهَا ، فَقَاتَلَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ انْهَزَمَ فِي الرَّابِعِ ، وَطَلَبَ الْمَدِينَةَ لِيَدْخُلَهَا ، فَسَبَقَهُمُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى بَابِ الْبَلَدِ فَمَلَكُوهُ عَلَيْهِمْ ، وَأَخَذَتْهُمُ السُّيُوفُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ، فَقُتِلَ الْمُقَاتِلَةُ وَسُبِيَتِ الذُّرِّيَّةُ وَأُخِذَتِ الْأَمْوَالُ.أَمَّا بَحِيرَا فَإِنَّهُ لَمَّا عَايَنَ الْهَلَاكَ أَخَذَ جَمَاعَةً مِنْ ثِقَاتِهِ وَسَارَ إِلَى رُءُوسِ تِلْكَ الْجِبَالِ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ يَمِينُ الدَّوْلَةِ سَرِيَّةً ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِمْ بَحِيرَا إِلَّا وَقَدْ أَحَاطُوا بِهِ ، وَحَكَّمُوا السُّيُوفَ فِي أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا أَيْقَنَ بِالْعَطَبِ أَخَذَ خِنْجَرًا مَعَهُ فَقَتَلَ بِهِ نَفْسَهُ ، وَأَقَامَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ بِبَهَاطِيَةَ حَتَّى أَصْلَحَ أَمْرَهَا ، وَرَتَّبَ قَوَاعِدَهَا ، وَعَادَ عَنْهَا إِلَى غَزْنَةَ ، وَاسْتَخْلَفَ بِهَا مَنْ يُعَلِّمُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِهَا وَمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ تَعَلُّمُهُ ، وَلَقِيَ فِي عَوْدِهِ شِدَّةً شَدِيدَةً مِنَ الْأَمْطَارِ وَكَثْرَتِهَا ، وَزِيَادَةِ الْأَنْهَارِ ، فَغَرِقَ مِنْهُ مِنْ عَسْكَرِهِ عَظِيمٌ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ بِإِفْرِيقِيَّةَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ بِحَيْثُ تَعَطَّلَتِ الْمَخَابِزُ وَالْحَمَّامَاتُ ، وَهَلَكَ النَّاسُ ، وَذَهَبَتِ الْأَمْوَالُ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ ، وَكَثُرَ الْوَبَاءُ ، فَكَانَ يَمُوتُ كُلَّ يَوْمٍ مَا بَيْنَ خَمْسِمِائَةٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ.وَفِيهَا وَصَلَ قِرْوَاشٌ وَأَبُو جَعْفَرٍ الْحَجَّاجُ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَقَبَضَا عَلَى أَبِي عَلِيٍّ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الْعَلَوِيِّ ، وَأَخَذَ مِنْهُ قِرْوَاشٌ مِائَةَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَحَمَلَهُ مَعَهُ إِلَى الْأَنْبَارِ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْدَانَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ نُوحٍ أَبُو إِبْرَاهِيمَ الْمُهَلَّبِيُّ. وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي إِسْمَاعِيلَ الْعَلَوِيُّ الْهَمَذَانِيُّ ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ غَزْوَةِ الْمُولْتَانِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا السُّلْطَانُ يَمِينُ الدَّوْلَةِ الْمُولْتَانَ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ وَالِيَهَا أَبَا الْفُتُوحِ نُقِلَ عَنْهُ خُبْثُ اعْتِقَادِهِ ، وَنُسِبَ إِلَى الْإِلْحَادِ ، وَأَنَّهُ قَدْ دَعَا أَهْلَ وِلَايَتِهِ إِلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، فَأَجَابُوهُ.فَرَأَى يَمِينُ الدَّوْلَةِ أَنْ يُجَاهِدَهُ وَيَسْتَنْزِلَهُ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ ، فَسَارَ نَحْوَهُ ، فَرَأَى الْأَنْهَارَ الَّتِي فِي طَرِيقِهِ كَثِيرَةَ الزِّيَادَةِ ، عَظِيمَةَ الْمَدِّ ، وَخَاصَّةً سَيْحُونَ ، فَإِنَّهُ مَنَعَ جَانِبَهُ مِنَ الْعُبُورِ فَأَرْسَلَ إِلَى أَنْدِبَالَ يَطْلُبُ إِلَيْهِ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي الْعُبُورِ بِبِلَادِهِ إِلَى الْمُولْتَانِ ، فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَابْتَدَأَ بِهِ قَبْلَ الْمُولْتَانِ ، وَقَالَ نَجْمَعُ بَيْنَ غَزْوَتَيْنِ ، لِأَنَّهُ لَا غَزْوَ إِلَّا التَّعْقِيبُ فَدَخَلَ بِلَادَهُ ، وَجَاسَهَا ، وَأَكْثَرَ الْقَتْلَ فِيهَا ، وَالنَّهْبَ لِأَمْوَالِ أَهْلِهَا ، وَالْإِحْرَاقَ لِأَبْنِيَتِهَا ، فَفَرَّ أَنْدِبَالُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَهُوَ فِي أَثَرِهِ كَالشِّهَابِ فِي أَثَرِ الشَّيْطَانِ ، مِنْ مَضِيقٍ إِلَى مَضِيقٍ ، إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى قِشْمِيرَ.وَلَمَّا سَمِعَ أَبُو الْفُتُوحِ بِخَبَرِ إِقْبَالِهِ إِلَيْهِ عَلِمَ عَجْزَهُ عَنِ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْعِصْيَانِ عَلَيْهِ ، فَنَقَلَ أَمْوَالَهُ إِلَى سَرَنْدِيبَ ، وَأَخْلَى الْمُولْتَانَ ، فَوَصَلَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ إِلَيْهَا وَنَازَلَهَا ، فَإِذَا أَهْلُهَا فِي ضَلَالِهِمْ يَعْمَهُونَ ، فَحَصَرَهُمْ ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِمْ ، وَتَابَعَ الْقِتَالَ حَتَّى افْتَتَحَهَا عَنْوَةً ، وَأَلْزَمَ أَهْلَهَا عِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ عُقُوبَةً لِعِصْيَانِهِمْ.ذِكْرُ غَزْوَةِ كَوَاكِيرَ ثُمَّ سَارَ عَنْهَا إِلَى قَلْعَةِ كَوَاكِيرَ ، وَكَانَ صَاحِبُهَا يُعْرَفُ بِبِيدَا ، وَكَانَ بِهَا سِتُّمِائَةِ صَنَمٍ ، فَافْتَتَحَهَا وَأَحْرَقَ الْأَصْنَامَ ، فَهَرَبَ صَاحِبُهَا إِلَى قَلْعَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ بِكَالَنْجَارَ ، فَسَارَ خَلْفَهُ إِلَيْهَا ، وَهُوَ حِصْنٌ كَبِيرٌ يَسَعُ خَمْسَمِائَةِ أَلْفَ إِنْسَانٍ ، وَفِيهِ خَمْسُمِائَةِ فِيلٍ ، وَعِشْرُونَ أَلْفَ دَابَّةٍ ، وَفِي الْحِصْنِ مَا يَكْفِي الْجَمِيعَ مُدَّةً.فَلَمَّا قَارَبَهَا يَمِينُ الدَّوْلَةِ بَقِيَ بَيْنَهُمَا سَبْعَةُ فَرَاسِخَ رَأَى مِنَ الْغِيَاضِ الْمَانِعَةِ مِنْ سُلُوكِ الطَّرِيقِ مَا لَا حَدَّ عَلَيْهِ ، فَأَمَرَ بِقَطْعِهَا ، وَرَأَى فِي الطَّرِيقِ وَادِيًا عَظِيمَ الْعُمْقِ ، بَعِيدَ الْقَعْرِ ، فَأَمَرَ أَنْ يُطَمَّ مِنْهُ مِقْدَارُ مَا يَسَعُ عِشْرِينَ فَارِسًا ، ، فَطَّمُوهُ بِالْجُلُودِ الْمَمْلُوءَةِ تُرَابًا ، وَوَصَلَ إِلَى الْقَلْعَةِ فَحَصَرَهَا ثَلَاثَةً وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَرَاسَلَهُ صَاحِبُهَا فِي الصُّلْحِ فَلَمْ يُجِبْهُ.ثُمَّ بَلَغَهُ عَنْ خُرَاسَانَ اخْتِلَافٌ بِسَبَبِ قَصْدِ أَيْلَكَ الْخَانِ لَهَا ، فَصَالَحَ مَلِكَ الْهِنْدِ عَلَى خَمْسِمِائَةِ فِيلٍ ، وَثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنْ فِضَّةٍ ، وَلَبِسَ خِلْعَةَ يَمِينِ الدَّوْلَةِ بَعْدَ أَنِ اسْتَعْفَى مِنْ شَدِّ الْمِنْطَقَةِ ، فَإِنَّهُ اشْتَدَّ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يُجِبْهُ يَمِينُ الدَّوْلَةِ إِلَى ذَلِكَ ، فَشَدَّ الْمِنْطَقَةَ ، وَقَطَعَ إِصْبَعَهُ الْخِنْصَرَ وَأَنْفَذَهَا إِلَى يَمِينِ الدَّوْلَةِ تَوْثِقَةً فِيمَا يَعْتَقِدُونَهُ ، وَعَادَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ إِلَى خُرَاسَانَ لِإِصْلَاحِ مَا اخْتُلِفَ فِيهَا ، وَكَانَ عَازِمًا عَلَى الْوُغُولِ فِي بِلَادِ الْهِنْدِ.ذِكْرُ عُبُورِ عَسْكَرِ أَيْلَكَ الْخَانِ إِلَى خُرَاسَانَ كَانَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ لَمَّا اسْتَقَرَّ لَهُ مُلْكُ خُرَاسَانَ ، وَمَلَكَ أَيْلِكُ الْخَانُ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، قَدْ رَاسَلَهُ وَوَافَقَهُ ، وَتَزَوَّجَ ابْنَتَهُ وَانْعَقَدَتْ بَيْنَهُمَا مُصَاهَرَةٌ وَمُصَالَحَةٌ ، فَلَمْ تَزَلِ السَّعَادَةُ حَتَّى أَفْسَدُوا ذَاتَ بَيْنِهِمَا ، وَكَتَمَ أَيْلَكُ الْخَانُ مَا فِي نَفْسِهِ ، فَلَمَّا سَارَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْمُولْتَانِ اغْتَنَمَ أَيْلَكُ الْخَانُ خُلُوَّ خُرَاسَانَ ، فَسَيَّرَ سَبَاشِي تِكِينَ ، صَاحِبَ جَيْشِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، إِلَى خُرَاسَانَ فِي مُعْظَمِ جُنْدِهِ ، وَسَيَّرَ أَخَاهُ جَعْفَرَ تِكِينَ إِلَى بَلْخَ فِي عِدَّةٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ.وَكَانَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ قَدْ جَعَلَ بِهَرَاةَ أَمِيرًا مِنْ أَكَابِرِ أُمَرَائِهِ يُقَالُ لَهُ أَرْسِلَانُ الْجَاذِبُ.فَأَمَرُهُ إِذَا ظَهَرَ عَلَيْهِ مُخَالِفٌ أَنْ يَنْحَازَ إِلَى غَزْنَةَ.فَلَمَّا عَبَرَ سَبَاشِي تِكِينُ إِلَى خُرَاسَانَ سَارَ أَرْسِلَانُ إِلَى غَزْنَةَ ، وَمَلَكَ سَبَاشِي هَرَاةَ وَأَقَامَ بِهَا ، وَأَرْسَلَ إِلَى نَيْسَابُورَ مَنِ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا.وَاتَّصَلَتِ الْأَخْبَارُ بِيَمِينِ الدَّوْلَةِ ، وَهُوَ بِالْهِنْدِ ، فَرَجَعَ إِلَى غَزْنَةَ لَا يَلْوِي عَلَى دَارٍ ، وَلَا يَرَكَنُ إِلَى قَرَارٍ ، فَلَمَّا بَلَغَهَا فَرَّقَ فِي عَسَاكِرِهِ الْأَمْوَالَ ، وَقَوَّاهُمْ ، وَأَصْلَحَ مَا أَرَادَ إِصْلَاحَهُ ، وَاسْتَمَدَّ الْأَتْرَاكَ الْخُلَّجِيَّةَ ، فَجَاءَهُ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَسَارَ بِهِمْ نَحْوَ بَلْخَ ، وَبِهَا جَعْفَرٌ تِكِينُ أَخُو أَيْلَكَ الْخَانِ ، فَعَبَرَ إِلَى تِرْمِذَ ، وَنَزَلَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ بِبَلْخَ ، وَسَيَّرَ الْعَسَاكِرَ إِلَى سَبَاشِي تِكِينَ بِهَرَاةَ ، فَلَمَّا قَارَبُوهُ سَارَ نَحْوَ مَرْوَ لِيَعْبُرَ النَّهْرَ ، فَلَقِيَهُ التُّرْكُمَانُ الْغُزِّيَّةُ ، فَقَاتَلُوهُ فَهَزَمَهُمْ وَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً.ثُمَّ سَارَ نَحْوَ أَبِيوَرْدَ لِتَعَذُّرِ الْعُبُورِ عَلَيْهِ ، فَتَبِعَهُ عَسْكَرُ يَمِينِ الدَّوْلَةِ ، كُلَّمَا رَحَلَ نَزَلُوا ، حَتَّى سَاقَهُ الْخَوْفُ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى جُرْجَانَ فَأُخْرِجَ عَنْهَا ، ثُمَّ عَادَ إِلَى خُرَاسَانَ ، فَعَارَضَهُ يَمِينُ الدَّوْلَةِ ، فَمَنَعَهُ عَنْ مَقْصِدِهِ ، وَأُسِرَ أَخُو سَبَاشِي تِكِينَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ قُوَّادِهِ ، وَنَجَا هُوَ فِي خُفٍّ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَعَبَرَ النَّهْرَ.وَكَانَ أَيْلَكُ الْخَانُ قَدْ عَبَّرَ أَخَاهُ جَعْفَرَ تِكِينَ إِلَى بَلْخَ لِيَلْفِتَ يَمِينَ الدَّوْلَةِ عَنْ طَلَبِ سَبَاشِي ، فَلَمْ يَرْجِعْ ، وَجَعَلَ دَأْبَهُ إِخْرَاجَ سَبَاشِي مِنْ خُرَاسَانَ ، فَلَمَّا أَخْرَجَهُ عَنْهَا عَادَ إِلَى بَلْخَ ، فَانْهَزَمَ مَنْ كَانَ بِهَا مَعَ جَعْفَرٍ تِكِينَ ، وَسُلِّمَتْ خُرَاسَانُ لِيَمِينِ الدَّوْلَةِ.ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ عَسْكَرِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ وَالْأَكْرَادِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَيَّرَ عَمِيدُ الْجُيُوشِ عَسْكَرًا إِلَى الْبَنْدَنِيجِينِ ، وَجَعَلَ الْمُقَدَّمَ عَلَيْهِمْ قَائِدًا كَبِيرًا مِنَ الدَّيْلَمِ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهَا سَارَ إِلَيْهِمْ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَكْرَادِ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ الدَّيْلَمُ ، وَغَنِمَ الْأَكْرَادُ رَحْلَهُمْ وَدَوَابَّهُمْ ، وَجَرَّدَ الْمُقَدَّمَ عَلَيْهِمْ مِنْ ثِيَابِهِ ، فَأَخَذَ قَمِيصًا مِنْ رَجُلٍ سَوَادِيٍّ ، وَعَادَ رَاجِلًا حَافِيًا ، وَلَمْ يَكُنْ مُقَامُهُمْ غَيْرَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُلِّدَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ نِقَابَةَ الطَّالِبِيِّينَ بِالْعِرَاقِ ، وَلُقِّبَ بِالرَّضِيِّ ذِي الْحَسَبَيْنِ ، وَلُقِّبَ أَخُوهُ الْمُرْتَضَى ذَا الْمَجْدَيْنِ ، فَعَلَ ذَلِكَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو أَحْمَدَ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْمَرْزُبَانِ الْأَصْبَهَانِيُّ ، قَاضِي خُرَاسَانَ ، وَكَانَ إِلَيْهِ أَمْرُ الْبِيمَارِسْتَانِ بِبَغْدَاذَ.وَفِيهَا ، مُسْتَهَلَّ شَعْبَانَ ، طَلَعَ كَوْكَبٌ كَبِيرٌ يُشْبِهُ الزَّهْرَةَ عَنْ يَسْرَةِ قِبْلَةِ الْعِرَاقِ ، لَهُ شُعَاعٌ عَلَى الْأَرْضِ كَشُعَاعِ الْقَمَرِ ، وَبَقِيَ إِلَى مُنْتَصَفِ ذِي الْقَعْدَةِ وَغَابَ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو سَعْدٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ ، الْإِمَامُ ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، بِجُرْجَانَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ.وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ مَنْدَهْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ الْأَصْبَهَانِيُّ الْمَشْهُورُ ، لَهُ التَّصَانِيفُ الْمَعْرُوفَةُ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ هَزِيمَةِ أَيْلَكَ الْخَانِ لَمَّا أَخْرَجَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ عَسَاكِرَ أَيْلَكَ الْخَانِ مِنْ خُرَاسَانَ ، رَاسَلَ أَيْلَكُ الْخَانُ قَدْرَ خَانَ بْنَ بَغْرَا خَانَ مَلِكَ الْخُتَنِ لِقَرَابَةٍ بَيْنَهُمَا ، وَذَكَرَ لَهُ حَالَهُ ، وَاسْتَعَانَ بِهِ وَاسْتَنْصَرَهُ ، وَاسْتَنْفَرَ التُّرْكَ مِنْ أَقَاصِي بِلَادِهَا ، وَسَارَ نَحْوَ خُرَاسَانَ ، وَاجْتَمَعَ هُوَ وَأَيْلَكُ الْخَانُ ، فَعَبَرَا النَّهْرَ.وَبَلَغَ الْخَبَرُ يَمِينَ الدَّوْلَةِ ، وَهُوَ بِطَخَارِسْتَانَ ، فَسَارَ وَسَبَقَهُمَا إِلَى بَلْخَ ، وَاسْتَعَدَّ لِلْحَرْبِ ، وَجَمَعَ التُّرْكَ الْغُزِّيَّةَ وَالْخَلَجَ ، وَالْهِنْدَ ، وَالْأَفْغَانِيَّةَ وَالْغَزْنَوِيَّةَ ، وَخَرَجَ عَنْ بَلْخَ ، فَعَسْكَرَ عَلَى فَرْسَخَيْنِ بِمَكَانٍ فَسِيحٍ يَصْلُحُ لِلْحَرْبِ ، وَتَقَدَّمَ أَيْلَكُ الْخَانُ ، وَقَدْرُخَانُ فِي عَسْكَرِهِمَا ، فَنَزَلُوا بِإِزَائِهِ ، وَاقْتَتَلُوا يَوْمَهُمْ ذَلِكَ إِلَى اللَّيْلِ.فَلَمَّا حَانَ الْغَدُ بَرَزَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَاقْتَتَلُوا ، وَاعْتَزَلَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ إِلَى نَشَزٍ مُرْتَفِعٍ يَنْظُرُ إِلَى الْحَرْبِ ، وَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ وَعَفَّرَ وَجْهَهُ عَلَى الصَّعِيدِ تَوَاضُعًا لِلَّهِ تَعَالَى ، وَسَأَلَهُ النَّصْرَ وَالظَّفَرَ ، ثُمَّ نَزَلَ وَحَمَلَ فِي فِيَلَتِهِ عَلَى قَلْبِ أَيْلَكَ الْخَانِ ، فَأَزَالَهُ عَنْ مَكَانِهِ ، وَوَقَعَتِ الْهَزِيمَةُ فِيهِمْ ، وَتَبِعَهُمْ أَصْحَابُ يَمِينِ الدَّوْلَةِ يَقْتُلُونَ ، وَيَأْسِرُونَ ، وَيَغْنَمُونَ إِلَى أَنْ عَبَرُوا بِهِمُ النَّهْرَ ، وَأَكْثَرَ الشُّعَرَاءُ تَهْنِئَةَ يَمِينِ الدَّوْلَةِ بِهَذَا الْفَتْحِ.ذِكْرُ غَزْوِهِ إِلَى الْهِنْدِ فَلَمَّا فَرَغَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ مِنَ التُّرْكِ سَارَ نَحْوَ الْهِنْدِ لِلْغَزَاةِ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ أَوْلَادِ مُلُوكِ الْهِنْدِ ، يُعْرَفُ بِنُوَاسَهْ شَاهْ ، كَانَ قَدْ أَسْلَمَ عَلَى يَدِهِ ، وَاسْتَخْلَفَهُ عَلَى بَعْضِ مَا افْتَتَحَهُ مِنْ بِلَادِهِمْ.فَلَمَّا كَانَ الْآنَ بَلَغَهُ أَنَّهُ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَمَالَأَ أَهْلَ الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ مُجِدًّا ، فَحِينَ قَارَبَهُ فَرَّ الْهِنْدِيُّ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَاسْتَعَادَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ تِلْكَ الْوِلَايَةَ ، وَأَعَادَهَا إِلَى حُكْمِ الْإِسْلَامِ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا بَعْضَ أَصْحَابِهِ ، وَعَادَ إِلَى غَزْنَةَ.ذِكْرُ حَصْرِ أَبِي جَعْفَرٍ الْحَجَّاجِ بِغَدَاذَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ جَمَعَ أَبُو جَعْفَرٍ الْحَجَّاجُ جَمْعًا كَثِيرًا ، وَأَمَدَّهُ بَدْرُ بْنُ حَسَنَوَيْهِ بِجَيْشٍ كَثِيرٍ ، فَسَارَ بِالْجَمِيعِ وَحَصَرَ بَغْدَاذَ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ كَانَ نَازِلًا عَلَى قَلَجَ حَامِي طَرِيقِ خُرَاسَانَ ، وَكَانَ قَلَجُ مُبَايِنًا لِعَمِيدِ الْجُيُوشِ ، فَاجْتَمَعَا لِذَلِكَ.فَتُوُفِّيَ قَلَجُ هَذِهِ السَّنَةَ ، فَجَعَلَ عَمِيدُ الْجُيُوشِ عَلَى حِمَايَةِ الطَّرِيقِ أَبَا الْفَتْحِ بْنَ عَنَّازٍ ، وَكَانَ عَدُوًّا لِبَدْرِ بْنِ حَسَنَوَيْهِ ، فَحَقَدَ ذَلِكَ بَدْرٌ ، فَاسْتَدْعَى أَبَا جَعْفَرٍ الْحَجَّاجَ ، وَجَمَعَ لَهُ جَمْعًا كَثِيرًا ، مِنْهُمُ الْأَمِيرُ هِنْدِيُّ بْنُ سَعْدِيٍّ ، وَأَبُو عِيسَى شَاذِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَوَرَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَغَيْرُهُمْ ، وَسَيَّرَهُمْ إِلَى بَغْدَاذَ.وَكَانَ الْأَمِيرُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مَزْيَدٍ الْأَسَدِيُّ قَدْ عَادَ مِنْ عِنْدِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ بِخُوزِسْتَانَ مُغْضَبًا ، فَاجْتَمَعَ مَعَهُمْ ، فَزَادَتْ عِدَّتُهُمْ عَلَى عَشَرَةِ آلَافِ فَارِسٍ.وَكَانَ عَمِيدُ الْجُيُوشِ عِنْدَ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ لِقِتَالِ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ وَاصِلٍ ، فَسَارَ أَبُو جَعْفَرٍ وَمَنِ اجْتَمَعَ مَعَهُ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَنَزَلُوا عَلَى فَرْسَخٍ مِنْهَا ، وَأَقَامُوا شَهْرًا ، وَبِبَغْدَاذَ جَمْعٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ ، وَمَعَهُمْ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ عَنَّازٍ ، فَحَفِظُوا الْبَلَدَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ أَتَاهُمْ خَبَرُ انْهِزَامِ أَبِي الْعَبَّاسِ وَقُوَّةِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، فَفَتَّ ذَلِكَ فِي أَعْضَادِ أَبِي جَعْفَرٍ وَمَنْ مَعَهُ ، فَتَفَرَّقُوا ، فَعَادَ ابْنُ مَزْيَدٍ إِلَى بَلَدِهِ ، وَسَارَ أَبُو جَعْفَرٍ وَأَبُو عِيسَى إِلَى حُلْوَانَ ، وَرَاسَلَ أَبُو جَعْفَرٍ فِي إِصْلَاحِ حَالِهِ مَعَ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَحَضَرَ عِنْدَهُ بِتُسْتَرَ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ لِئَلَّا يَسْتَوْحِشَ عَمِيدَ الْجُيُوشِ.ذِكْرُ قِصَّةِ بَدْرٍ وَوِلَايَةِ رَافِعِ بْنِ مَقْنٍ كَانَ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ عَنَّازٍ الْتَجَأَ إِلَى رَافِعِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَقْنٍ ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ ، حِينَ أَخَذَ بَدْرُ بْنُ حَسَنَوَيْهِ مِنْهُ حُلْوَانَ وَقَرْمِيسِينَ ، فَأَرْسَلَ بَدْرٌ إِلَى رَافِعٍ يَذْكُرُ مَوَدَّةَ أَبِيهِ ، وَحُقُوقَهُ عَلَيْهِ ، وَيَعْتِبُ عَلَيْهِ حَيْثُ آوَى خَصْمَهُ ، وَيَطْلُبُ إِلَيْهِ أَنْ يُبْعِدَهُ لِيَدُومَ لَهُ عَلَى الْعَهْدِ وَالْوُدِّ الْقَدِيمِ.فَلَمْ يَفْعَلْ رَافِعٌ ذَلِكَ ، فَأَرْسَلَ بَدْرٌ جَيْشًا إِلَى أَعْمَالِ رَافِعٍ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ دِجْلَةَ فَنَهَبَهَا ، وَقَصَدُوا دَارَهُ بِالْمَطِيرَةِ فَنَهَبُوهَا ، وَأَحْرَقُوهَا وَسَارُوا إِلَى قَلْعَةِ الْبَرَدَانِ ، وَهِيَ لِرَافِعٍ أَيْضًا ، فَفَتَحُوهَا قَهْرًا ، وَأَحْرَقُوا مَا كَانَ بِهَا مِنَ الْغَلَّاتِ ، وَطَمُّوا بِئْرَهَا ، فَسَارَ أَبُو الْفَتْحِ إِلَى عَمِيدِ الْجُيُوشِ بِبَغْدَاذَ ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَكْرَمَهُ وَوَعَدَهُ نَصْرَهُ.ذِكْرُ قَتْلِ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ وَاصِلٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ وَاصِلٍ صَاحِبُ الْبَصْرَةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ ابْتِدَاءِ حَالِهِ ، وَارْتِفَاعِهِ ، وَاسْتِيلَائِهِ عَلَى الْبَطِيحَةِ ، وَمَا أَخَذَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَمَا هَزَمَ مِنْ جُيُوشِ السُّلْطَانِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَذْكُورٌ فِي مَوَاضِعِهِ.فَلَمَّا عَظُمَ أَمْرُهُ سَارَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ مِنْ فَارِسَ إِلَى الْأَهْوَازِ لِيَحْفَظَ خُوزِسْتَانَ مِنْهُ ، وَكَانَ فِي الْبَطَائِحِ مُقَابِلَ عَمِيدِ الْجُيُوشِ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ سَارَ إِلَى الْأَهْوَازِ ، وَبِهَا بَهَاءُ الدَّوْلَةِ ، فَمَلَكَهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَعَادَ عَنْهَا عَلَى صُلْحٍ مَعَ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ أَيْضًا.ثُمَّ تَجَدَّدَ مَا أَوْجَبَ عَوْدَهُ إِلَى الْأَهْوَازِ ، فَعَادَ إِلَيْهَا فِي جَيْشِهِ ، وَبَهَاءُ الدَّوْلَةِ مُقِيمٌ بِهَا ، فَلَمَّا قَارَبَهَا رَحَلَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ عَنْهَا لِقِلَّةِ عَسْكَرِهِ ، وَتَفَرُّقِهِمْ بَعْضُهُمْ بِفَارِسَ ، وَبَعْضُهُمْ بِالْعِرَاقِ ، وَقَطَعَ قَنْطَرَةَ أَرْبَقَ ، وَبَقِيَ النَّهْرُ يَحْجُزُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، فَاسْتَوْلَى أَبُو الْعَبَّاسِ عَلَى الْأَهْوَازِ ، وَأَتَاهُ مَدَدٌ مِنْ بَدْرِ بْنِ حَسَنَوَيْهِ ثَلَاثَةُ آلَافِ فَارِسٍ ، فَقَوِيَ بِهِمْ.وَعَزَمَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ عَلَى الْعَوْدِ إِلَى فَارِسَ ، فَمَنَعَهُ أَصْحَابُهُ فَأَصْلَحَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْقَنْطَرَةَ ، وَجَرَى بَيْنَ الْعَسْكَرَيْنِ قِتَالٌ شَدِيدٌ دَامَ إِلَى السَّحَرِ ، ثُمَّ عَبَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ عَلَى الْقَنْطَرَةِ بَعْدَ أَنْ أَصْلَحَهَا ، وَالْتَقَى الْعَسْكَرَانِ وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، فَانْهَزَمَ أَبُو الْعَبَّاسِ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ كَثِيرٌ ، وَعَادَ إِلَى الْبَصْرَةِ مَهْزُومًا مُنْتَصَفَ رَمَضَانَ سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.فَلَمَّا عَادَ مُنْهَزِمًا جَهَّزَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ إِلَيْهِ الْعَسَاكِرَ مَعَ وَزِيرِهِ أَبِي غَالِبٍ ، فَسَارَ إِلَيْهِ ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ مُحَاصِرًا لَهُ ، وَجَرَى بَيْنَ الْعَسْكَرَيْنِ الْقِتَالُ ، وَضَاقَ الْأَمْرُ عَلَى الْوَزِيرِ ، وَقَلَّ الْمَالُ عِنْدَهُ ، وَاسْتَمَدَّ بَهَاءَ الدَّوْلَةِ فَلَمْ يَمُدَّهُ ثُمَّ إِنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ جَمَعَ سُفُنَهُ وَعَسَاكِرَهُ ، وَأَصْعَدَ إِلَى عَسْكَرِ الْوَزِيرِ ، وَهَجَمَ عَلَيْهِ ، فَانْهَزَمَ الْوَزِيرُ ، وَكَادَ يُتِمُّ عَلَى الْهَزِيمَةِ ، فَاسْتَوْقَفَهُ بَعْضُ الدَّيْلَمِ وَثَبَّتَهُ ، وَحَمَلُوا عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ فَانْهَزَمَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، وَأَخَذَ الْوَزِيرُ سُفُنَهُ ، فَاسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ.وَمَضَى أَبُو الْعَبَّاسِ مُنْهَزِمًا ، وَرَكِبَ مَعَ حَسَّانَ بْنِ ثِمَالٍ الْخَفَاجِيِّ هَارِبًا إِلَى الْكُوفَةِ ، وَدَخَلَ الْوَزِيرُ الْبَصْرَةَ ، وَكَتَبَ إِلَى بَهَاءِ الدَّوْلَةِ بِالْفَتْحِ.ثُمَّ إِنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ سَارَ مِنَ الْكُوفَةِ ، وَقَطَعَ دِجْلَةَ ، وَمَضَى عَازِمًا عَلَى اللَّحَاقِ بِبَدْرِ بْنِ حَسَنَوَيْهِ ، فَبَلَغَ خَانِقِينَ ، وَبِهَا جَعْفَرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي طَاعَةِ بَدْرٍ ، فَأَنْزَلَهُ وَأَكْرَمَهُ ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالْمَسِيرِ فِي وَقْتِهِ ، وَحَذَّرَهُ الطَّلَبَ ، فَاعْتَلَّ بِالتَّعَبِ ، وَطَلَبَ الِاسْتِرَاحَةَ ، وَنَامَ ، وَبَلَغَ خَبَرُهُ إِلَى أَبِي الْفَتْحِ بْنِ عَنَّازٍ ، وَهُوَ فِي طَاعَةِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُمْ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ بِخَانِقِينَ ، وَهُوَ بِهَا ، فَحَصَرَهُ وَأَخَذَهُ وَسَارَ بِهِ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَسَيَّرَهُ عَمِيدُ الْجُيُوشِ إِلَى بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، فَلَقِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ قَاصِدٌ مِنْ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ يَأْمُرُ بِقَتْلِهِ ، فَقُتِلَ وَحُمِلَ رَأْسُهُ إِلَى بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَطِيفَ بِهِ بِخُوزِسْتَانَ وَفَارِسَ ، وَكَانَ بِوَاسِطَ عَاشِرَ صَفَرٍ.ذِكْرُ مَسِيرِ عَمِيدِ الْجُيُوشِ إِلَى حَرْبِ بَدْرٍ وَصُلْحِهِ مَعَهُ كَانَ فِي نَفْسِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ عَلَى بَدْرِ بْنِ حَسَنَوَيْهِ حِقْدٌ لِمَا اعْتَمَدَهُ فِي بِلَادِهِ لِاشْتِغَالِهِ عَنْهُ بِأَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ وَاصِلٍ ، فَلَمَّا قُتِلَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَمَرَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ عَمِيدَ الْجُيُوشِ بِالْمَسِيرِ إِلَى بِلَادِهِ ، وَأَعْطَاهُ مَالًا أَنْفَقَهُ فِي الْجُنْدِ ، فَجَمَعَ عَسْكَرًا وَسَارَ يُرِيدُ بِلَادَهُ ، فَنَزَلَ جُنْدَيْسَابُورَ.فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بَدْرٌ إِنَّكَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى أَنْ تَأْخُذَ مَا تَغَلَّبَ عَلَيْهِ بَنُو عُقَيْلٍ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَغْدَاذَ فَرْسَخٌ ، حَتَّى صَالَحْتَهُمْ ، فَكَيْفَ تَقْدِرُ عَلَى أَخْذِ بِلَادِي وَحُصُونِي مِنِّي ، وَمَعِي مِنَ الْأَمْوَالِ مَا لَيْسَ مَعَكَ مِثْلُهَا ؟وَأَنَا مَعَكَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِنْ حَارَبْتُكَ ، فَالْحَرْبُ سِجَالٌ ، وَلَا نَعْلَمُ لِمَنِ الْعَاقِبَةُ ، فَإِنِ انْهَزَمْتُ أَنَا لَمْ يَنْفَعْكَ ذَلِكَ لِأَنَّنِي أَحْتَمِي بِقِلَاعِي وَمَعَاقِلِي ، وَأُنْفِقُ أَمْوَالِي ، وَإِذَا عَجَزْتُ فَأَنَا رَجُلٌ صَحْرَاوِيٌّ ، صَاحِبُ عَمَدٍ ، أَبْعُدُ ثُمَّ أَقْرُبُ ، وَإِنِ انْهَزَمْتَ أَنْتَ لَمْ تَجْتَمِعْ ، وَتَلْقَى مِنْ صَاحِبِكَ الْعَتْبَ ، وَالرَّأْيُ أَنْ أَحْمِلَ إِلَيْكَ مَالًا تُرْضِي بِهِ صَاحِبَكَ ، وَنَصْطَلِحُ فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَصَالَحَهُ ، وَأَخَذَ مِنْهُ مَا كَانَ أَخْرَجَهُ عَلَى تَجْهِيزِ الْجَيْشِ وَعَادَ عَنْهُ.ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ قِرْوَاشٍ وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ ثِمَالٍ الْخَفَاجِيِّ فِي الْمُحَرَّمِ جَرَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَ مُعْتَمَدِ الدَّوْلَةِ أَبِي الْمَنِيعِ قِرْوَاشِ بْنِ الْمُقَلَّدِ الْعُقَيْلِيِّ ، وَبَيْنَ أَبِي عَلِيِّ بْنِ ثِمَالٍ الْخَفَاجِيِّ ، وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّ قِرْوَاشًا جَمَعَ جَمْعًا كَثِيرًا وَسَارَ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَأَبُو عَلِيٍّ غَائِبٌ عَنْهَا ، فَدَخَلَهَا وَنَزَلَ بِهَا ، وَعَرَفَ أَبُو عَلِيٍّ الْخَبَرَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ قِرْوَاشٌ وَعَادَ إِلَى الْأَنْبَارِ مَفْلُولًا وَمَلَكَ أَبُو عَلِيٍّ الْكُوفَةَ ، وَأَخَذَ أَصْحَابَ قِرْوَاشٍ فَصَادَرَهُمْ.ذِكْرُ خُرُوجِ أَبِي رَكْوَةَ عَلَى الْحَاكِمِ بِمِصْرَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ظَفِرَ الْحَاكِمُ بِأَبِي رَكْوَةَ ، وَنَحْنُ نَذْكُرُ هَاهُنَا خَبَرَهُ أَجْمَعَ.كَانَ أَبُو رَكْوَةَ اسْمُهُ الْوَلِيدُ وَإِنَّمَا كُنِّيَ أَبَا رَكْوَةَ لِرَكْوَةٍ كَانَ يَحْمِلُهَا فِي أَسْفَارِهِ ، سُنَّةُ الصُّوفِيَّةِ ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَيَقْرُبُ فِي النَّسَبِ مِنَ الْمُؤَيَّدِ هِشَامِ بْنِ الْحَاكِمِ الْأُمَوِيِّ ، صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ ، وَإِنَّ الْمَنْصُورَ بْنَ أَبِي عَامِرٍ لَمَّا اسْتَوْلَى عَلَى الْمُؤَيَّدِ وَأَخْفَاهُ عَنِ النَّاسِ ، تَتَبَّعَ أَهْلَهُ وَمَنْ يَصْلُحُ مِنْهُمْ لِلْمُلْكِ ، فَطَلَبَهُ ، فَقُتِلَ الْبَعْضُ ، وَهَرَبَ الْبَعْضُ.وَكَانَ أَبُو رَكْوَةَ مِمَّنْ هَرَبَ ، وَعُمْرُهُ حِينَئِذٍ قَدْ زَادَ عَلَى الْعِشْرِينَ سَنَةً ، وَقَصَدَ مِصْرَ ، وَكَتَبَ الْحَدِيثَ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى مَكَّةَ وَالْيَمَنِ ، وَعَادَ إِلَى مِصْرَ وَدَعَا بِهَا إِلَى الْقَائِمِ ، فَأَجَابَهُ بَنُو قُرَّةَ وَغَيْرُهُمْ.وَسَبَبُ اسْتِجَابَتِهِمْ أَنَّ الْحَاكِمَ بِأَمْرِ اللَّهِ كَانَ قَدْ أَسْرَفَ فِي مِصْرَ فِي قَتْلِ الْقُوَّادِ ، وَحَبْسِهِمْ ، وَأَخْذِ أَمْوَالِهِمْ ، وَسَائِرُ الْقَبَائِلِ مَعَهُ فِي ضَنْكٍ وَضِيقٍ ، وَيَوَدُّونَ خُرُوجَ الْمُلْكِ عَنْ يَدِهِ ، وَكَانَ الْحَاكِمُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي دَعَا أَبُو رَكْوَةَ بَنِي قُرَّةَ قَدْ آذَاهُمْ ، وَحَبَسَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِهِمْ ، وَقَتَلَ بَعْضَهُمْ ، فَلَمَّا دَعَاهُمْ أَبُو رَكْوَةَ انْقَادُوا لَهُ.وَكَانَ بَيْنَ بَنِي قُرَّةَ وَبَيْنَ زِنَاتَةَ حُرُوبٌ وَدِمَاءٌ ، فَاتَّفَقُوا عَلَى الصُّلْحِ ، وَمَنْعِ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْحَاكِمِ ، فَقَصَدَ بَنِي قُرَّةَ ، وَفَتَحَ يُعَلِّمُ الصِّبْيَانَ الْخَطَّ ، وَتَظَاهَرَ بِالدِّينِ وَالنُّسُكِ ، وَأَمَّهُمْ فِي صَلَوَاتِهِمْ ، فَشَرَعَ فِي دَعْوَتِهِمْ إِلَى مَا يُرِيدُ ، فَأَجَابُوهُ وَبَايَعُوهُ ، وَاتَّفَقُوا عَلَيْهِ ، وَعَرَّفَهُمْ حِينَئِذٍ نَفْسَهُ ، وَذَكَرَ لَهُمْ أَنَّ عِنْدَهُمْ فِي الْكُتُبِ أَنَّهُ يَمْلِكُ مِصْرَ وَغَيْرَهَا ، وَوَعَدَهُمْ وَمَنَّاهُمْ ، وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا.فَاجْتَمَعَتْ بَنُو قُرَّةَ وَزِنَاتَةُ عَلَى بَيْعَتِهِ ، وَخَاطَبُوهُ بِالْإِمَامَةِ ، وَكَانُوا بِنَوَاحِي بَرْقَةَ.فَلَمَّا سَمِعَ الْوَالِي بِبَرْقَةَ خَبَرَهُ كَتَبَ إِلَى الْحَاكِمِ يُنْهِيهِ إِلَيْهِ ، وَيَسْتَأْذِنُهُ فِي قَصْدِهِمْ وَإِصْلَاحِهِمْ ، فَأَمَرَهُ بِالْكَفِّ عَنْهُمْ وَاطِّرَاحِهِمْ.ثُمَّ إِنَّ أَبَا رَكْوَةَ جَمَعَهُمْ وَسَارَ إِلَى بَرْقَةَ ، وَاسْتَقَرَّ بَيْنَهُمْ عَلَى أَنْ يَكُونَ الثُّلُثُ مِنَ الْغَنَائِمِ لَهُ ، وَالثُّلُثَانِ لِبَنِي قُرَّةَ وَزِنَاتَةَ ، فَلَمَّا قَارَبَهَا خَرَجَ إِلَيْهِ وَالِيهَا ، فَالْتَقَوْا ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ الْحَاكِمِ ، وَمَلَكَ أَبُو رَكْوَةَ بَرْقَةَ ، وَقَوِيَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ بِمَا أَخَذُوا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالسِّلَاحِ وَغَيْرِهِ ، وَنَادَى بِالْكَفِّ عَنِ الرَّعِيَّةِ وَالنَّهْبِ ، وَأَظْهَرَ الْعَدْلَ وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ.فَلَمَّا وَصَلَ الْمُنْهَزِمُونَ إِلَى الْحَاكِمِ عَظُمَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ ، وَأَهَمَّتْهُ نَفْسُهُ وَمُلْكُهُ ، وَعَاوَدَ الْإِحْسَانَ إِلَى النَّاسِ ، وَالْكَفَّ عَنْ أَذَاهُمْ ، وَنَدَبَ عَسْكَرًا نَحْوَ خَمْسَةِ آلَافِ فَارِسٍ وَسَيَّرَهُمْ ، وَقَدَّمَ عَلَيْهِمْ قَائِدًا يُعْرَفُ بِيَنَالَ الطَّوِيلِ ، وَسَيَّرَهُ ، فَبَلَغَ ذَاتَ الْحَمَّامِ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ بَرْقَةَ مَفَازَةٌ فِيهَا مَنْزِلَانِ ، لَا يَلْقَى السَّالِكُ الْمَاءَ إِلَّا فِي آبَارٍ عَمِيقَةٍ بِصُعُوبَةٍ وَشِدَّةٍ.فَسَيَّرَ أَبُو رَكْوَةَ قَائِدًا فِي أَلْفِ فَارِسٍ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْمَسِيرِ إِلَى يَنَالَ وَمَنْ مَعَهُ وَمُطَارَدَتِهِمْ قَبْلَ الْوُصُولِ إِلَى الْمَنْزِلَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ ، وَأَمَرَهُمْ إِذَا عَادُوا أَنْ يُغَوِّرُوا الْآبَارَ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ وَعَادُوا ، فَحِينَئِذٍ سَارَ أَبُو رَكْوَةَ فِي عَسَاكِرِهِ وَلَقِيَهُمْ وَقَدْ خَرَجُوا مِنَ الْمَفَازَةِ عَلَى ضَعْفٍ وَعَطَشٍ ، فَقَاتَلَهُمْ ، فَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، فَحَمَلَ يَنَالُ عَلَى عَسْكَرِ أَبِي رَكْوَةَ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَأَبُو رَكْوَةَ وَاقِفٌ لَمْ يَحْمِلْ هُوَ وَلَا عَسْكَرُهُ ، فَاسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ كُتَامَةَ لِمَا نَالَهُمْ مِنَ الْأَذَى وَالْقَتْلِ مِنَ الْحَاكِمِ ، وَأَخَذُوا الْأَمَانَ لِمَنْ بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِهِمْ ، وَلَحِقَهُمُ الْبَاقُونَ ، فَحَمَلَ حِينَئِذٍ بِهِمْ عَلَى عَسَاكِرِ الْحَاكِمِ ، فَانْهَزَمَتْ وَأُسِرَ يَنَالُ وَقُتِلَ ، وَأُسِرَ أَكْثَرُ عَسْكَرِهِ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَعَادَ إِلَى بَرْقَةَ وَقَدِ امْتَلَأَتْ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْغَنَائِمِ.وَانْتَشَرَ ذِكْرُهُ ، وَعَظُمَتْ هَيْبَتُهُ ، وَأَقَامَ بِبَرْقَةَ ، وَتَرَدَّدَتْ سَرَايَاهُ إِلَى الصَّعِيدِ وَأَرْضِ مِصْرَ ، وَقَامَ الْحَاكِمُ مِنْ ذَلِكَ وَقَعَدَ ، وَسَقَطَ فِي يَدِهِ ، وَنَدِمَ عَلَى مَا فَرَّطَ ، وَفَرِحَ جُنْدُ مِصْرَ وَأَعْيَانُهَا ، وَعَلِمَ الْحَاكِمُ ذَلِكَ ، فَاشْتَدَّ قَلَقُهُ ، وَأَظْهَرَ الِاعْتِذَارَ عَنِ الَّذِي فَعَلَهُ.وَكَتَبَ النَّاسُ إِلَى أَبِي رَكْوَةَ يَسْتَدْعُونَهُ ، وَمِمَّنْ كَتَبَ إِلَيْهِ الْحُسَيْنُ بْنُ جَوْهَرٍ الْمَعْرُوفُ بِقَائِدِ الْقُوَّادِ ، فَسَارَ حِينَئِذٍ عَنْ بَرْقَةَ إِلَى الصَّعِيدِ ، وَعَلِمَ الْحَاكِمُ ، فَاشْتَدَّ خَوْفُهُ ، وَبَلَغَ الْأَمْرُ كُلَّ مَبْلَغٍ ، وَجَمَعَ عَسَاكِرَهُ وَاسْتَشَارَهُمْ ، وَكَتَبَ إِلَى الشَّامِ يَسْتَدْعِي الْعَسَاكِرَ فَجَاءَتْهُ ، وَفَرَّقَ الْأَمْوَالَ ، وَالدَّوَابَ ، وَالسِّلَاحَ ، وَسَيَّرَهُمْ وَهُمُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ رَجُلٍ بَيْنَ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ ، سِوَى الْعَرَبِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمُ الْفَضْلَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ.فَلَمَّا قَارَبُوا أَبَا رَكْوَةَ لَقِيَهُمْ فِي عَسَاكِرِهِ ، وَرَامَ مُنَاجَزَةَ الْمِصْرِيِّينَ ، وَالْفَضْلُ يُحَاجِزُهُ وَيُدَافِعُ ، وَيُرَاسِلُ أَصْحَابَ أَبِي رَكْوَةَ يَسْتَمِيلُهُمْ وَيَبْذُلُ لَهُمُ الرَّغَائِبَ ، فَأَجَابَهُ قَائِدٌ كَبِيرٌ مِنْ بَنِي قُرَّةَ يُعْرَفُ بِالْمَاضِي ، وَكَانَ يُطَالِعُهُ بِأَخْبَارِ الْقَوْمِ وَمَا هُمْ عَازِمُونَ ، فَيُدَبِّرُ الْفَضْلُ أَمْرَهُ عَلَى حَسَبِ مَا يَعْلَمُهُ مِنْهُ.وَضَاقَتِ الْمِيرَةُ عَلَى الْعَسَاكِرِ فَاضْطُرَّ الْفَضْلُ إِلَى اللِّقَاءِ ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا بِكَوْمِ شَرِيكٍ ، فَقُتِلَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ قَتْلَى كَثِيرَةٌ ، وَرَأَى الْفَضْلُ مِنْ جَمْعِ أَبِي رَكْوَةَ مَا هَالَهُ ، وَخَافَ الْمُنَاجَزَةَ فَعَادَ إِلَى عَسْكَرِهِ.وَرَاسَلَ بَنُو قُرَّةَ الْعَرَبَ الَّذِينَ فِي عَسْكَرِ الْحَاكِمِ يَسْتَدْعُونَهُمْ إِلَيْهِمْ وَيُذَكِّرُونَهُمْ أَعْمَالَ الْحَاكِمِ بِهِمْ ، فَأَجَابُوهُمْ ، وَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ أَنْ يَكُونَ الشَّامُ لِلْعَرَبِ وَيَصِيرَ لِأَبِي رَكْوَةَ وَمَنْ مَعَهُ مِصْرُ ، وَتَوَاعَدُوا لَيْلَةً يَسِيرُ فِيهَا أَبُو رَكْوَةَ إِلَى الْفَضْلِ ، فَإِذَا وَصَلَ إِلَيْهِ انْهَزَمَتِ الْعَرَبُ ، وَلَا يَبْقَى دُونَ مِصْرَ مَانِعٌ.فَكَتَبَ الْمَاضِي إِلَى الْفَضْلِ بِذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْمِيعَادِ جَمَعَ الْفَضْلُ رُؤَسَاءَ الْعَرَبِ لِيُفْطِرُوا عِنْدَهُ ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ صَائِمٌ ، وَطَاوَلَهُمُ الْحَدِيثَ ، وَتَرَكَهُمْ فِي خَيْمَةٍ وَاعْتَزَلَهُمْ ، وَوَصَّى أَصْحَابَهُ بِالْحَذَرِ ، وَرَامَ الْعَرَبُ الْعَوْدَ إِلَى خِيَامِهِمْ ، فَعَلَّلَهُمْ وَطَاوَلَهُمْ ، ثُمَّ أَحْضَرَ الطَّعَامَ وَأَحْضَرَهُمْ ، فَأَكَلُوا وَتَحَدَّثُوا.وَسَيَّرَ الْفَضْلُ سَرِيَّةً إِلَى طَرِيقِ أَبِي رَكْوَةَ ، فَلَقُوا الْعَسْكَرَ الْوَارِدَ مِنْ عِنْدِهِ ، فَاقْتَتَلُوا ، وَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى الْعَسْكَرِ وَارْتَجَّ ، وَأَرَادَ الْعَرَبُ الرُّكُوبَ ، فَمَنَعَهُمْ ، وَأَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ فَأَمَرَهُمْ بِالرُّكُوبِ وَالْقِتَالِ ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ بِمَا فَعَلَ رُؤَسَاؤُهُمْ ، فَرَكِبُوا وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، وَرَأَى بَنُو قُرَّةَ الْأَمْرَ عَلَى خِلَافِ مَا قَرَّرُوهُ.ثُمَّ رَكِبَ الْفَضْلُ وَمَعَهُ رُؤَسَاءُ الْعَرَبِ ، وَقَدْ فَاتَهُمْ مَا عَزَمُوا عَلَيْهِ ، فَبَاشَرُوا الْحَرْبَ وَغَاصُوا فِيهَا ، وَوَرَدَ أَبُو رَكْوَةَ مَدَدًا لِأَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا رَآهُ الْفَضْلُ رَدَّ أَصْحَابَهُ وَعَادَ إِلَى الْمُدَافَعَةِ.وَجَهَّزَ الْحَاكِمُ عَسْكَرًا آخَرَ ، أَرْبَعَةَ آلَافِ فَارِسٍ ، وَعَبَرُوا إِلَى الْجِيزَةِ ، فَسَمِعَ أَبُو رَكْوَةَ بِهِمْ ، فَسَارَ مُجِدًّا فِي عَسْكَرِهِ لِيُوَافِقَهُمْ عِنْدَ مِصْرَ ، وَضَبَطَ الطُّرُقَ لِئَلَّا يَسْمَعَ الْفَضْلُ ، وَلَمْ يَكُنِ الْمَاضِي يُكَاتِبُهُ ، فَسَارُوا ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مِنَ الطَّرِيقِ يُعَرِّفُهُ الْخَبَرَ ، وَقَطَعَ أَبُو رَكْوَةَ مَسِيرَةَ خَمْسِ لَيَالٍ فِي لَيْلَتَيْنِ ، وَكَبَسُوا عَسْكَرَ الْحَاكِمِ بِالْجِيزَةِ ، وَقَتَلُوا نَحْوَ أَلْفِ فَارِسٍ ، وَخَافَ أَهْلُ مِصْرَ ، وَلَمْ يَبْرُزِ الْحَاكِمُ مِنْ قَصْرِهِ ، وَأَمَرَ الْحَاكِمُ مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْعَسَاكِرِ بِالْعُبُورِ إِلَى الْجِيزَةِ ، وَرَجَعَ أَبُو رَكْوَةَ فَنَزَلَ عِنْدَ الْهَرَمَيْنِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ مِنْ يَوْمِهِ ، وَكَتَبَ الْحَاكِمُ إِلَى الْفَضْلِ كِتَابًا ظَاهِرًا يَقُولُ فِيهِ إِنَّ أَبَا رَكْوَةَ انْهَزَمَ مِنْ عَسَاكِرِنَا ، لِيَقْرَأَهُ عَلَى الْقُوَّادِ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ سِرًّا يُعْلِمُهُ الْحَالَ.فَأَظْهَرَ الْفَضْلُ الْبِشَارَةَ بِانْهِزَامِ أَبِي رَكْوَةَ تَسْكِينًا لِلنَّاسِ.ثُمَّ سَارَ أَبُو رَكْوَةَ إِلَى مَوْضِعٍ يُعْرَفُ بِالسَّبَخَةِ ، كَثِيرِ الْأَشْجَارِ ، وَتَبِعَهُ الْفَضْلُ ، وَكَمَنَ أَبُو رَكْوَةَ بَيْنَ الْأَشْجَارِ ، وَطَارَدَ عَسْكَرَ الْفَضْلِ ، وَرَجَعَ عَسْكَرُهُ الْقَهْقَرَى لِيَسْتَجِرُّوا عَسْكَرَ الْفَضْلِ وَيَخْرُجَ الْكَمِينُ عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا رَأَى الْكُمَنَاءُ رُجُوعَ عَسْكَرِ أَبِي رَكْوَةَ ظَنُّوهَا الْهَزِيمَةَ لَا شَكَّ فِيهَا ، فَوَلَّوْا يَتْبَعُونَهُمْ ، وَرَكِبَهُمْ أَصْحَابُ الْفَضْلِ ، وَعَلَوْهُمْ بِالسُّيُوفِ فَقُتِلَ مِنْهُمْ أُلُوفٌ كَثِيرَةٌ ، وَانْهَزَمَ أَبُو رَكْوَةَ وَمَعَهُ بَنُو قُرَّةَ وَسَارُوا إِلَى حُلَلِهِمْ ، فَلَمَّا بَلَغُوهَا ثَبَّطَهُمُ الْمَاضِي عَنْهُ فَقَالُوا لَهُ قَدْ قَاتَلْنَا مَعَكَ ، وَلَمْ يَبْقَ فِينَا قِتَالٌ ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَانْجُ; فَسَارَ إِلَى بَلَدِ النُّوبَةِ ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى حِصْنٍ يُعْرَفُ بِحِصْنِ الْجَبَلِ لِلنُّوبَةِ أَظْهَرَ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ الْحَاكِمِ إِلَى مَلِكِهِمْ ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ الْحِصْنِ الْمَلِكُ عَلِيلٌ ، وَلَا بُدَّ مِنِ اسْتِخْرَاجِ أَمْرِهِ فِي مَسِيرِكَ إِلَيْهِ.وَبَلَغَ الْفَضْلَ الْخَبَرُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبِ الْقَلْعَةِ بِالْخَبَرِ عَلَى حَقِيقَتِهِ ، فَوَكَّلَ بِهِ مَنْ يَحْفَظُهُ ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْمَلِكِ بِالْحَالِ ، وَكَانَ مَلِكُ النُّوبَةِ قَدْ تُوُفِّيَ وَمَلَكَ وَلَدُهُ فَأَمَرَ بِأَنْ يُسَلَّمَ إِلَى نَائِبِ الْحَاكِمِ ، فَتَسَلَّمَهُ رَسُولُ الْفَضْلِ وَسَارَ بِهِ ، فَلَقِيَهُ الْفَضْلُ وَأَكْرَمَهُ وَأَنْزَلَهُ فِي مَضَارِبِهِ ، وَحَمَلَهُ إِلَى مِصْرَ فَأُشْهِرَ بِهَا ، وَطِيفَ بِهِ.وَكَتَبَ أَبُو رَكْوَةَ إِلَى الْحَاكِمِ رُقْعَةً يَقُولُ فِيهَا يَا مَوْلَانَا الذُّنُوبُ عَظِيمَةٌ ، وَأَعْظَمُ مِنْهَا عَفْوُكَ ، وَالدِّمَاءُ حَرَامٌ مَا لَمْ يُحَلِّلْهَا سُخْطُكَ ، وَقَدْ أَحْسَنْتَ وَأَسَأْتُ وَمَا ظَلَمْتُ إِلَّا نَفْسِي ، وَسُوءُ عَمَلِي أَوْبَقَنِي ، وَأَقُولُ فَرَرْتُ فَلَمْ يُغْنِ الْفِرَارُ ، وَمَنْ يَكُنْ...مَعَ اللَّهِ لَمْ يُعْجِزْهُ فِي الْأَرْضِ هَارِبُ وَوَاللَّهِ مَا كَانَ الْفِرَارُ لِحَاجَةٍ ، سِوَى فَزَعِ الْمَوْتِ الَّذِي أَنَا شَارِبُ...وَقَدْ قَادَنِي جُرْمِي إِلَيْكَ بِرُمَّتِي ، كَمَا خَرَّ مَيِّتٌ فِي رَحَا الْمَوْتِ سَارِبُ وَأَجْمَعَ كُلُّ النَّاسِ أَنَّكَ قَاتِلِي ، فَيَا رُبَّ ظَنٍّ رَبُّهُ فِيكَ كَاذِبُ...وَمَا هُوَ إِلَّا الِانْتِقَامُ ، وَيَنْتَهِي ، وَأَخْذُكَ مِنْهُ وَاجِبًا لَكَ وَاجِبُ وَلَمَّا طِيفَ بِهِ أُلْبِسَ طُرْطُورًا ، وَجُعِلَ خَلْفَهُ قِرْدٌ يَصْفَعُهُ ، كَانَ مُعَلَّمًا بِذَلِكَ ، ثُمَّ حُمِلَ إِلَى ظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ لِيُقْتَلَ وَيُصْلَبَ ، فَتُوُفِّيَ قَبْلَ وُصُولِهِ ، فَقُطِعَ رَأْسُهُ وَصُلِبَ ، وَبَالَغَ الْحَاكِمُ فِي إِكْرَامِ الْفَضْلِ إِلَى حَدِّ أَنَّهُ عَادَهُ فِي مَرْضَةٍ مَرِضَهَا دَفْعَتَيْنِ ، فَاسْتَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ ، ثُمَّ إِنَّهُ عَمِلَ فِي قَتْلِ الْفَضْلِ لَمَّا عُوفِيَ فَقَتَلَهُ.ذِكْرُ الْقَبْضِ عَلَى مَجْدِ الدَّوْلَةِ وَعَوْدِهِ إِلَى مُلْكِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَبَضَتْ وَالِدَةُ مَجْدِ الدَّوْلَةِ بْنِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ ، صَاحِبِ الرَّيِّ وَبَلَدِ الْجَبَلِ عَلَيْهِ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْحُكْمَ كَانَ إِلَيْهَا فِي جَمِيعِ أَعْمَالِ ابْنِهَا ، فَلَمَّا وَزَرَ لَهُ الْخَطِيرُ أَبُو عَلِيِّ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْقَاسِمِ اسْتَمَالَ الْأُمَرَاءَ ، وَوَضَعَهُمْ عَلَيْهَا ، وَالشَّكْوَى عَلَيْهَا ، وَخَوَّفَ ابْنَهَا مِنْهَا ، فَصَارَ كَالْمَحْجُورِ عَلَيْهِ.فَخَرَجَتْ مِنَ الرَّيِّ إِلَى الْقَلْعَةِ فَوَضَعَ عَلَيْهَا مَنْ يَحْفَظُهَا ، فَعَمِلَتِ الْحِيلَةَ حَتَّى هَرَبَتْ إِلَى بَدْرِ بْنِ حَسَنَوَيْهِ ، وَاسْتَعَانَتْ بِهِ فِي رَدِّهَا إِلَى الرَّيِّ.وَجَاءَهَا وَلَدُهَا شَمْسُ الدَّوْلَةِ ، وَعَسَاكِرُ هَمَذَانَ ، وَسَارَ مَعَهَا بَدْرٌ إِلَى الرَّيِّ فَحَصَرُوهَا ، وَجَرَى بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ قِتَالٌ كَثِيرٌ مُدَّةً ، ثُمَّ اسْتَظْهَرَ بَدْرٌ ، وَدَخَلَ الْبَلَدَ ، وَأَسَرَ مَجْدَ الدَّوْلَةِ ، فَقَيَّدَتْهُ وَالِدَتُهُ وَسَجَنَتْهُ بِالْقَلْعَةِ ، وَأَجْلَسَتْ أَخَاهُ شَمْسَ الدَّوْلَةِ فِي الْمُلْكِ وَصَارَ الْأَمْرُ إِلَيْهَا.وَعَادَ بَدْرٌ إِلَى بَلَدِهِ ، وَبَقِيَ شَمْسُ الدَّوْلَةِ فِي الْمُلْكِ نَحْوَ سَنَةٍ ، فَرَأَتْ وَالِدَتُهُ مِنْهُ تَنَكُّرًا وَتَغَيُّرًا ، وَأَنَّ أَخَاهُ مَجْدَ الدَّوْلَةِ أَلْيَنُ عَرِيكَةً ، وَأَسْلَمُ جَانِبًا ، فَأَعَادَتْهُ إِلَى الْمُلْكِ ، وَسَارَ شَمْسُ الدَّوْلَةِ إِلَى هَمَذَانَ ، وَكَرِهَ بَدْرٌ هَذِهِ الْحَالَةَ إِلَّا أَنَّهُ اشْتَغَلَ بِوَلَدِهِ هِلَالٍ عَنِ الْحَرَكَةِ فِيهَا ، وَصَارَتْ هِيَ تُدَبِّرُ الْأَمْرَ ، وَتَسْمَعُ رَسَائِلَ الْمُلُوكِ ، وَتُعْطِي الْأَجْوِبَةَ.وَأَرْسَلَ شَمْسُ الدَّوْلَةِ إِلَى بَدْرٍ يَسْتَمِدُّهُ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ جُنْدًا ، فَأَخَذَهُمْ وَسَارَ بِهِمْ إِلَى قُمٍّ ، فَحَصَرُوهَا ، فَمَنَعَهَا أَهْلُهَا.ثُمَّ إِنَّ الْعَسَاكِرَ دَخَلُوا طَرَفًا مِنْهَا وَاشْتَغَلُوا بِالنَّهْبِ ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِمُ الْعَامَّةُ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ نَحْوَ سَبْعِمِائَةِ رَجُلٍ ، وَانْهَزَمَ الْبَاقُونَ إِلَى مُعَسْكَرِهِمْ ، ثُمَّ قَبَضَ هِلَالُ بْنُ بَدْرٍ عَلَى أَبِيهِ ، فَتَفَرَّقَ ذَلِكَ الْجَمْعُ كُلُّهُ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اشْتَدَّ الْغَلَاءُ بِالْعِرَاقِ ، فَضَجَّ الْعَامَّةُ ، وَشَغَبَ الْجُنْدُ وَكَانَتْ فِتْنَةٌ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَبْدُ الصَّمَدِ الزَّاهِدُ ، وَدُفِنَ عِنْدَ قَبْرِ أَحْمَدَ ، وَكَانَ غَايَةً فِي الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ.وَفِيهَا هَبَّ عَلَى الْحُجَّاجِ رِيحٌ سَوْدَاءُ بِالثَّعْلَبِيَّةِ أَظْلَمَتْ لَهَا الْأَرْضُ ، وَلَمْ يَرَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَأَصَابَهُمْ عَطَشٌ شَدِيدٌ ، وَمَنَعَهُمُ ابْنُ الْجَرَّاحِ الطَّائِيُّ مِنَ الْمَسِيرِ لِيَأْخُذَ مِنْهُمْ مَالًا ، فَضَاقَ الْوَقْتُ عَلَيْهِمْ ، فَعَادُوا وَلَمْ يَحُجُّوا.وَفِيهَا مَاتَ عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ أَبُو الْحَسَنِ الْفَقِيهُ الْمَالِكِيُّ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْقَصَّارِ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ذِكْرُ غَزْوَةِ بَهِيمِ نُغُرَ لَمَّا فَرَغَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ مِنَ الْغَزْوَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَعَادَ إِلَى غَزْنَةَ ، وَاسْتَرَاحَ هُوَ وَعَسْكَرُهُ ، اسْتَعَدَّ لِغَزْوَةٍ أُخْرَى ، فَسَارَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، فَانْتَهَى إِلَى شَاطِئِ نَهْرِ هِنْدَمَنْدَ ، فَلَاقَاهُ هُنَاكَ إِبْرَهْمَنُ بَالُ بْنُ إِنْدِبَالَ فِي جُيُوشِ الْهِنْدِ ، فَاقْتَتَلُوا مَلِيًّا مِنَ النَّهَارِ ، وَكَادَتِ الْهِنْدُ تَظْفَرُ بِالْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَصَرَ عَلَيْهِمْ ، فَظَفِرَ بِهِمُ الْمُسْلِمُونَ فَانْهَزَمُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ ، وَأَخَذَهُمُ الْمُسْلِمُونَ بِالسَّيْفِ.وَتَبِعَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ أَثَرَ إِبْرَهْمَنَ بَالَ ، حَتَّى بَلَغَ قَلْعَةَ بَهِيمِ نُغُرَ ، وَهِيَ عَلَى جَبَلٍ عَالٍ كَانَ الْهِنْدُ قَدْ جَعَلُوهَا خِزَانَةً لِصَنَمِهِمُ الْأَعْظَمِ ، فَيَنْقُلُونَ إِلَيْهَا أَنْوَاعَ الذَّخَائِرِ ، قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ ، وَأَعْلَاقَ الْجَوَاهِرِ ، وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ ذَلِكَ دِينًا وَعِبَادَةً ، فَاجْتَمَعَ فِيهَا عَلَى طُولِ الْأَزْمَانِ مَا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ ، فَنَازَلَهُمْ يَمِينُ الدَّوْلَةِ وَحَصَرَهُمْ وَقَاتَلَهُمْ.فَلَمَّا رَأَى الْهُنُودُ كَثْرَةَ جَمْعِهِ ، وَحِرْصِهِمْ عَلَى الْقِتَالِ ، وَزَحْفِهِمْ إِلَيْهِمْ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، خَافُوا وَجَبُنُوا ، وَطَلَبُوا الْأَمَانَ ، وَفَتَحُوا بَابَ الْحِصْنِ ، وَمَلَكَ الْمُسْلِمُونَ الْقَلْعَةَ ، وَصَعِدَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ إِلَيْهَا فِي خَوَاصِّ أَصْحَابِهِ وَثِقَاتِهِ ، فَأَخَذَ مِنْهَا مِنَ الْجَوَاهِرِ مَا لَا يُحَدُّ ، وَمِنَ الدَّرَاهِمِ تِسْعِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ شَاهِيَّةٍ ، وَمِنَ الْأَوَانِي الذَّهَبِيَّاتِ وَالْفِضِّيَّاتِ سَبْعَمِائَةِ أَلْفٍ وَأَرْبَعَمِائَةِ مَنٍّ ، وَكَانَ فِيهَا بَيْتٌ مَمْلُوءٌ مِنْ فِضَّةٍ طُولُهُ ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا وَعَرْضُهُ خَمْسَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْتِعَةِ.وَعَادَ إِلَى غَزْنَةَ بِهَذِهِ الْغَنَائِمِ ، فَفَرَشَ تِلْكَ الْجَوَاهِرَ فِي صَحْنِ دَارِهِ ، وَكَانَ قَدِ اجْتَمَعَ عِنْدَهُ رُسُلُ الْمُلُوكِ ، فَأَدْخَلَهُمْ إِلَيْهِ ، فَرَأَوْا مَا لَمْ يَسْمَعُوا بِمِثْلِهِ.ذِكْرُ حَالِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ كَاكَوَيْهِ هُوَ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ دَشْمَنَزْيَارَ ، وَإِنَّمَا قِيلَ كَاكَوَيْهِ لِأَنَّهُ كَانَ ابْنَ خَالِ وَالِدَةِ مَجْدِ الدَّوْلَةِ بْنِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ ، وَكَاكَوَيْهِ هُوَ الْخَالُ بِالْفَارِسِيَّةِ ، وَكَانَتْ وَالِدَةُ مَجْدِ الدَّوْلَةِ قَدِ اسْتَعْمَلَتْهُ عَلَى أَصْبَهَانَ ، فَلَمَّا فَارَقَتْ وَلَدَهَا فَسَدَ حَالُهُ ، فَقَصَدَ الْمَلِكَ بَهَاءَ الدَّوْلَةِ وَأَقَامَ عِنْدَهُ مُدَّةً ، ثُمَّ عَادَتْ وَالِدَةُ مَجْدِ الدَّوْلَةِ إِلَى ابْنِهَا بِالرَّيِّ فَهَرَبَ أَبُو جَعْفَرٍ وَسَارَ إِلَيْهَا ، فَأَعَادَتْهُ إِلَى أَصْبَهَانَ ، وَاسْتَقَرَّ فِيهَا قَدَمُهُ ، وَعَظُمَ شَأْنُهُ وَسَيَأْتِي مِنْ أَخْبَارِهِ مَا يُعْلَمُ بِهِ صِحَّةُ ذَلِكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ وَقَعَ ثَلْجٌ كَثِيرٌ بِبَغْدَاذَ وَوَاسِطٍ وَالْكُوفَةِ ، وَالْبَطَائِحِ إِلَى عَبَّادَانَ ، وَكَانَ بِبَغْدَاذَ نَحْوَ ذِرَاعٍ ، وَبَقِيَ فِي الطُّرُقِ نَحْوَ عِشْرِينَ يَوْمًا.وَفِيهَا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بِبَغْدَاذَ فِي رَجَبٍ ، وَكَانَ أَوَّلُهَا أَنَّ بَعْضَ الْهَاشِمِيِّينَ مِنْ بَابِ الْبَصْرَةِ أَتَى ابْنَ الْمُعَلِّمِ فَقِيهَ الشِّيعَةِ فِي مَسْجِدِهِ بِالْكَرْخِ ، فَآذَاهُ ، وَنَالَ مِنْهُ ، فَثَارَ بِهِ أَصْحَابُ ابْنِ الْمُعَلِّمِ ، وَاسْتَنْفَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَقَصَدُوا أَبَا حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِينِيَّ وَابْنَ الْأَكْفَانِيِّ فَسَبُّوهُمَا وَطَلَبُوا الْفُقَهَاءَ لِيُوقِعُوا بِهِمْ ، فَهَرَبُوا ، وَانْتَقَلَ أَبُو حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِينِيُّ إِلَى دَارِ الْقُطْنِ ، وَعَظُمَتِ الْفِتْنَةُ ، ثُمَّ إِنَّ السُّلْطَانَ أَخَذَ جَمَاعَةً وَسَجَنَهُمْ ، فَسَكَنُوا ، وَعَادَ أَبُو حَامِدٍ إِلَى مَسْجِدِهِ ، وَأَخْرَجَ ابْنَ الْمُعَلِّمِ مِنْ بَغْدَاذَ ، فَشَفَعَ فِيهِ عَلِيُّ بْنُ مَزْيَدٍ فَأُعِيدَ.وَفِيهَا وَقَعَ الْغَلَاءُ بِمِصْرَ وَاشْتَدَّ ، وَعَظُمَ الْأَمْرُ ، وَعُدِمَتِ الْأَقْوَاتُ ، ثُمَّ تَعَقَّبَهُ وَبَاءٌ كَثِيرٌ أَفْنَى كَثِيرًا مِنْ أَهْلِهَا.وَفِيهَا زُلْزِلَتِ الدِّينَوَرُ زَلْزَلَةً شَدِيدَةً خَرَّبَتِ الْمَسَاكِنَ ، وَهَلَكَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِهَا ، وَكَانَ الَّذِينَ دُفِنُوا سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفًا سِوَى مَنْ بَقِيَ تَحْتَ الْهَدْمِ وَلَمْ يُشَاهَدْ.وَفِيهَا أَمَرَ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ ، صَاحِبَ مِصْرَ ، بِهَدْمِ بِيعَةِ قُمَامَةَ ، وَهِيَ بِالْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، وَتُسَمِّيهَا الْعَامَّةُ الْقِيَامَةَ ، وَفِيهَا الْمَوْضِعُ الَّذِي دُفِنَ فِيهِ الْمَسِيحُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فِيمَا يَزْعُمُهُ النَّصَارَى ، وَإِلَيْهَا يَحُجُّونَ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ ، وَأَمَرَ بِهَدْمِ الْبِيَعِ فِي جَمِيعِ مَمْلَكَتِهِ ، فَهُدِمَتْ ، وَأَمَرَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى إِمَّا أَنْ يُسْلِمُوا ، أَوْ يَسِيرُوا إِلَى بِلَادِ الرُّومِ وَيَلْبَسُوا الْغِيَارَ ، فَأَسْلَمَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ ، ثُمَّ أَمَرَ بِعِمَارَةِ الْبِيَعِ وَمَنِ اخْتَارَ الْعَوْدَ إِلَى دِينِهِ عَادَ ، فَارْتَدَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّصَارَى. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الضَّبِّيُّ ، وَزِيرُ مَجْدِ الدَّوْلَةِ ، بِبَرُوجِرْدَ ، وَكَانَ سَبَبُ مَجِيئِهِ إِلَيْهَا أَنَّ أُمَّ مَجْدِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ اتَّهَمَتْهُ أَنَّهُ سَمَّ أَخَاهُ فَمَاتَ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَخُوهُ طَلَبَتْ مِنْهُ مِائَتَيْ دِينَارٍ لِتُنْفِقَهَا فِي مَأْتَمِهِ ، فَلَمْ يُعْطِهَا ، فَأَخْرَجَتْهُ ، فَقَصَدَ بَرُوجِرْدَ ، وَهِيَ مِنْ أَعْمَالِ بَدْرِ بْنِ حَسَنَوَيْهِ ، فَبَذَلَ بَعْدَ ذَلِكَ مِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ لِيَعُودَ إِلَى عَمَلِهِ ، فَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ ، فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ ، وَأَوْصَى أَنْ يُدْفَنَ بِمَشْهَدِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقِيلَ لِلشَّرِيفِ أَبِي أَحْمَدَ ، وَالِدِ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ ، أَنْ يَبِيعَهُ بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ مَوْضِعَ قَبْرِهِ ، فَقَالَ مَنْ يُرِيدُ جِوَارَ جَدِّي لَا يُبَاعُ ؛ وَأَمَرَ أَنْ يُعْمَلَ لَهُ قَبْرٌ ، وَسَيَّرَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ خَمْسِينَ رَجُلًا ، فَدَفَنَهُ بِالْمَشْهَدِ.وَتُوُفِّيَ بَعْدَهُ بِيَسِيرٍ ابْنُهُ أَبُو الْقَاسِمِ سَعْدٌ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْجُرْجَانِيُّ الْحَنَفِيُّ بَعْدَ أَنْ فُلِجَ ، وَأَبُو الْفَرَجِ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ نَصْرٍ الْمَعْرُوفُ بِالْبَبَّغَاءِ الشَّاعِرِ ، وَدِيوَانُهُ مَشْهُورٌ ، وَالْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الضَّبِّيُّ بِالْبَصْرَةِ ، وَالْبَدِيعُ أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْهَمَذَانِيُّ ، صَاحِبُ الْمَقَامَاتِ الْمَشْهُورَةِ ، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ ، وَقَرَأَ الْأَدَبَ عَلَى أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ فَارِسٍ مُصَنِّفِ الْمُجْمَلِ.وَتُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ لَالٍ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ الْهَمَذَانِيُّ بِنَوَاحِي عَكَّا بِالشَّامِ ، وَكَانَ انْتَقَلَ إِلَى هُنَاكَ . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمَائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ ذِكْرُ ابْتِدَاءِ حَالِ صَالِحِ بْنِ مِرْدَاسٍ لَمَّا قَتَلَ عِيسَى بْنُ خَلَّاطٍ أَبَا عَلِيِّ بْنَ ثِمَالٍ بِالرَّحْبَةِ وَمَلَكَهَا ، أَقَامَ فِيهَا مُدَّةً ، ثُمَّ قَصَدَهُ بَدْرَانُ بْنُ الْمُقَلَّدُ الْعُقَيْلِيُّ ، فَأَخَذَ الرَّحْبَةَ مِنْهُ وَبَقِيَتْ لِبَدْرَانَ.فَأَمَرَ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ نَائِبَهُ بِدِمَشْقَ لُؤْلُؤًا الْبَشَّارِيَّ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهَا ، فَقَصَدَ الرِّقَّةَ أَوَّلًا وَمَلَكَهَا ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الرَّحْبَةِ وَمَلَكَهَا ، ثُمَّ عَادَ إِلَى دِمَشْقَ.وَكَانَ بِالرَّحْبَةِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِهَا يُعْرَفُ بِابْنِ مَحْكَانَ ، فَمَلَكَ الْبَلَدَ ، وَاحْتَاجَ إِلَى مَنْ يَجْعَلُهُ ظَهْرَهُ ، وَيَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى مَنْ يَطْمَعُ فِيهِ ، فَكَاتَبَ صَالِحَ بْنَ مِرْدَاسٍ الْكِلَابِيَّ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ وَأَقَامَ عِنْدَهُ مُدَّةً ، ثُمَّ إِنَّ صَالِحًا تَغَيَّرَ عَنْ ذَلِكَ ، فَسَارَ إِلَى ابْنِ مَحْكَانَ وَقَاتَلَهُ عَلَى الْبَلَدِ ، وَقَطَعَ الْأَشْجَارَ ، ثُمَّ تَصَالَحَا ، وَتَزَوَّجَ ابْنَةَ ابْنِ مَحْكَانَ ، وَدَخَلَ صَالِحٌ الْبَلَدَ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ أَكْثَرُ مُقَامِهِ بِالْحِلَّةِ.ثُمَّ إِنَّ ابْنَ مَحْكَانَ رَاسَلَ أَهْلَ عَانَةَ فَأَطَاعُوهُ ، وَنَقَلَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ إِلَيْهِمْ ، وَأَخَذَ رَهَائِنَهُمْ ، ثُمَّ خَرَجُوا عَنْ طَاعَتِهِ وَأَخَذُوا مَالَهُ ، وَاسْتَعَادُوا رَهَائِنَهُمْ ، وَرَدُّوا أَوْلَادَهُ ، فَاجْتَمَعَ ابْنُ مَحْكَانَ وَصَالِحٌ عَلَى قَصْدِ عَانَةَ ، فَسَارَا إِلَيْهَا ، فَوَضَعَ صَالِحٌ عَلَى ابْنِ مَحْكَانَ مَنْ يَقْتُلُهُ ، فَقُتِلَ غِيلَةً ، وَسَارَ صَالَحٌ إِلَى الرَّحْبَةِ فَمَلَكَهَا ، وَأَخَذَ أَمْوَالَ ابْنِ مَحْكَانَ وَأَحْسَنَ إِلَى الرَّعِيَّةِ ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى ذَلِكَ ، إِلَّا أَنَّ الدَّعْوَةَ لِلْمِصْرِيِّينَ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ أَبُو عَلِيِّ بْنُ ثِمَالٍ الْخَفَاجِيُّ ، وَكَانَ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ صَاحِبُ مِصْرَ ، قَدْ وَلَّاهُ الرَّحْبَةَ ، فَسَارَ إِلَيْهَا ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ عِيسَى بْنُ خَلَّاطٍ الْعُقَيْلِيُّ فَقَتَلَهُ وَمَلَكَ الرَّحْبَةَ ، ثُمَّ مَلَكَهَا بَعْدَهُ غَيْرُهُ ، فَصَارَ أَمْرُهَا إِلَى صَالِحِ بْنِ مِرْدَاسٍ الْكِلَابِيِّ صَاحِبِ حَلَبَ.وَفِيهَا صُرِفَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْهَاشِمِيُّ عَنْ قَضَاءِ الْبَصْرَةِ ، وَكَانَ قَدْ عَلَا إِسْنَادُهُ فِي رِوَايَةِ السُّنَنِ لِأَبِي دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيِّ ، وَمِنْ طَرِيقِهِ سَمِعْنَاهُ ، وَوَلِيَ الْقَضَاءَ بَعْدَهُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي الشَّوَارِبِ ، فَقَالَ الْعُصْفُرِيُّ الشَّاعِرُ عِنْدِي حَدِيثٌ طَرِيفٌ بِمِثْلِهِ يُتَغَنَّى...مِنْ قَاضِيَيْنِ يُعَزَّى هَذَا وَهَذَا يُهَنَّا فَذَا يَقُولُ أَكْرَهُونَا وَذَا يَقُولُ اسْتَرَحْنَا...وَيَكْذِبَانِ وَنَهْذِي فَمَنْ يُصَدَّقُ مِنَّا الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو دَاوُدَ بْنُ سِيَامِرْدَ بْنِ بَاجَعْفَرٍ ، وَدُفِنَ عِنْدَ قَبْرِ النُّذُورِ بِنَهْرِ الْمُعَلَّى ، وَقُبَّتُهُ مَشْهُورَةٌ ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ الْبَافِيُّ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، وَهُوَ الْقَائِلُ يَا ذَا الَّذِي قَاسَمَنِي فِي الْبِلَى ، فَاخْتَارَ أَنْ يَسْكُنَهُ أَوَّلَا...مَا وَطَّنْتُ نَفْسِي ، وَلَكِنَّهَا تَسْرِي إِلَيْكُمْ مَنْزِلًا مَنْزِلَا ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ وَقْعَةِ نَارَيْنَ بِالْهِنْدِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تَجَهَّزَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْهِنْدِ عَازِمًا عَلَى غَزْوِهَا ، فَسَارَ إِلَيْهَا وَاخْتَرَقَهَا وَاسْتَبَاحَهَا وَنَكَّسَ أَصْنَامَهَا.فَلَمَّا رَأَى مَلِكُ الْهِنْدِ أَنَّهُ لَا قُوَّةَ لَهُ بِهِ رَاسَلَهُ فِي الصُّلْحِ وَالْهُدْنَةِ عَلَى مَالٍ يُؤَدِّيهِ ، وَخَمْسِينَ فِيلًا ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُ فِي خِدْمَتِهِ أَلْفَا فَارِسٍ لَا يُزَالُونَ.فَقَبَضَ مِنْهُ مَا بَذَلَهُ وَعَادَ عَنْهُ إِلَى غَزْنَةَ.ذِكْرُ الْخُلْفِ بَيْنَ بَدْرِ بْنِ حَسَنَوَيْهِ وَابْنِهِ هِلَالٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ حَرْبٌ بَيْنَ بَدْرِ بْنِ حَسَنَوَيْهِ الْكُرْدِيِّ وَبَيْنَ ابْنِهِ هِلَالٍ.وَكَانَ سَبَبُ الْوَحْشَةِ بَيْنَهُمَا أَنَّ أُمَّ هِلَالٍ كَانَتْ مِنَ الشَّاذَنْجَانَ ، فَاعْتَزَلَهَا أَبُوهُ عِنْدَ وِلَادَتِهِ ، فَنَشَأَ هِلَالٌ مُبْعَدًا مِنْهُ لَا يَمِيلُ إِلَيْهِ ، وَكَانَتْ نِعْمَةُ بَدْرٍ لِابْنِهِ الْآخَرِ أَبِي عِيسَى.فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ خَرَجَ هِلَالٌ مَعَ أَبِيهِ مُتَصَيِّدًا ، فَرَأَيَا سَبُعًا ، وَكَانَ بَدْرٌ إِذَا رَأَى سَبُعًا قَتَلَهُ بِيَدِهِ ، فَتَقَدَّمَ هِلَالٌ إِلَى الْأَسَدِ بِغَيْرِ إِذَنْ أَبِيهِ فَقَتَلَهُ ، فَاغْتَاظَ أَبُوهُ وَقَالَ كَأَنَّكَ قَدْ فَتَحْتَ فَتْحًا ، وَأَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ السَّبُعِ وَالْكَلْبِ ؟وَرَأَى إِبْعَادَهُ عَنْهُ لِشِدَّتِهِ ، فَأَقْطَعَهُ الصَّامَغَانَ ، وَسَهَّلَ ذَلِكَ عَلَى هِلَالٍ لِيَنْفَرِدَ بِنَفْسِهِ عَنْ أَبِيهِ ، فَأَوَّلُ مَا فَعَلَهُ أَنَّهُ أَسَاءَ مُجَاوَرَةَ ابْنِ الْمَاضِي صَاحِبِ شَهْرَزُورَ ، وَكَانَ مُوَافِقًا لِأَبِيهِ بَدْرٍ ، فَنَهَى بَدْرٌ ابْنَهُ هِلَالًا عَنْ مُعَارَضَتِهِ فَلَمْ يَسْمَعْ قَوْلَهُ ، وَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ الْمَاضِي يَتَهَدَّدُهُ ، فَأَعَادَ بَدْرٌ مُرَاسَلَةَ ابْنِهِ فِي مَعْنَاهُ ، وَتَهَدَّدَهُ إِنْ تَعَرَّضَ بِشَيْءٍ هُوَ لَهُ ، فَكَانَ جَوَابُ نَهْيِهِ أَنَّهُ جَمَعَ عَسْكَرَهُ وَحَصَرَ شَهْرَزُورَ فَفَتَحَهَا ، وَقَتَلَ ابْنَ الْمَاضِي وَأَهْلَهُ ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ.فَوَرَدَ عَلَى بَدْرٍ مِنْ ذَلِكَ مَا أَزْعَجَهُ وَأَقْلَقَهُ ، وَأَظْهَرَ السُّخْطَ عَلَى هِلَالٍ.وَشَرَعَ هِلَالٌ يُفْسِدُ جُنْدَ أَبِيهِ وَيَسْتَمِيلُهُمْ وَيَبْذُلُ لَهُمْ ، فَكَثُرَ أَصْحَابُ هِلَالٍ لِإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَبَذْلِهِ الْمَالَ لَهُمْ ، وَأَعْرَضَ النَّاسُ عَنْ بَدْرٍ لِإِمْسَاكِهِ الْمَالَ ، فَسَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ ، فَالْتَقَيَا عَلَى بَابِ الدِّينَوَرَ ، فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ انْحَازَتِ الْأَكْرَادُ إِلَى هِلَالٍ ، فَأُخِذَ بَدْرٌ أَسِيرًا ، وَحُمِلَ إِلَى ابْنِهِ ، فَأُشِيرَ عَلَى هِلَالٍ بِقَتْلِهِ ، وَقَالُوا لَا يَجُوزُ أَنْ تَسْتَبْقِيَهُ بَعْدَمَا أَوْحَشْتَهُ ، فَقَالَ مَا بَلَغَ مِنْ عُقُوقِي لَهُ أَنْ أَقْتُلَهُ ، وَحَضَرَ عِنْدَ أَبِيهِ وَقَالَ لَهُ أَنْتَ الْأَمِيرُ ، وَأَنَا مُدَبِّرُ جَيْشِكِ.فَخَادَعُهُ أَبُوهُ بِأَنْ قَالَ لَهُ لَا يَسْمَعَنَّ هَذَا مِنْكَ أَحَدٌ فَيَكُونَ هَلَاكُنَا جَمِيعًا ، وَهَذِهِ الْقَلْعَةُ لَكَ ، وَالْعَلَامَةُ فِي تَسْلِيمِهَا كَذَا وَكَذَا ، وَاحْفَظِ الْمَالَ الَّذِي بِهَا ، فَإِنَّكَ الْأَمِيرُ مَا دَامَ النَّاسُ يَظُنُّونَ بَقَاءَهُ ، وَأُرِيدُ أَنْ تُفْرِدَ لِي قَلْعَةً أَتَفَرَّغُ فِيهَا لِلْعِبَادَةِ.فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَأَعْطَاهُ جُمْلَةً مِنَ الْمَالِ.فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بَدْرٌ بِالْقَلْعَةِ عَمَّرَهَا وَحَصَّنَهَا ، وَرَاسَلَ أَبَا الْفَتْحِ بْنَ عَنَّازٍ ، وَأَبَا عِيسَى شَاذِي بْنَ مُحَمَّدٍ ، وَهُوَ بِأَسَادَابَاذَ ، يَقُولُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِيَقْصِدَ أَعْمَالَ هِلَالٍ وَيُشَعِّثَهَا.فَسَارَ أَبُو الْفَتْحِ إِلَى قَرْمِيسِينَ فَمَلَكَهَا ، وَسَارَ أَبُو عِيسَى إِلَى سَابُورَ خَوَاسْتَ ، فَنَهَبَ حُلَلَ هِلَالٍ ، وَمَضَى إِلَى نَهَاوَنْدَ ، وَبِهَا أَبُو بَكْرِ بْنُ رَافِعٍ ، فَاتَّبَعَهُ هِلَالٌ إِلَيْهَا وَوَضَعَ السَّيْفَ فِي الدَّيْلَمِ فَقَتَلَ مِنْهُمْ أَرْبَعَمِائَةِ نَفْسٍ ، مِنْهُمْ تِسْعُونَ أَمِيرًا ، وَأَسْلَمَ ابْنُ رَافِعٍ أَبَا عِيسَى إِلَى هِلَالٍ فَعَفَا عَنْهُ ، وَلَمْ يُؤَاخِذْهُ عَلَى فِعْلِهِ ، وَأَخَذَهُ مَعَهُ.وَأَرْسَلَ بَدْرٌ إِلَى الْمَلِكِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ يَسْتَنْجِدُهُ فَجَهَّزَ فَخْرَ الْمُلْكِ أَبَا غَالِبٍ فِي جَيْشٍ وَسَيَّرَهُ إِلَى بَدْرٍ ، فَسَارَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى سَابُورَ خَوَاسْتَ فَقَالَ هِلَالٌ لِأَبِي عِيسَى شَاذِي قَدْ جَاءَتْ عَسَاكِرُ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، فَمَا الرَّأْيُ ؟قَالَ الرَّأْيُ أَنْ تَتَوَقَّفَ عَنْ لِقَائِهِمْ ، وَتَبْذُلَ لِبَهَاءِ الدَّوْلَةِ الطَّاعَةَ.وَتُرْضِيهِ بِالْمَالِ فَإِنْ لَمْ يُجِيبُوكَ فَضَيِّقْ عَلَيْهِمْ ، وَانْصَرِفْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْمُطَاوَلَةَ ، وَلَا تَظُنَّ هَذَا الْعَسْكَرَ كَمَنْ لَقِيتَهُ بِبَابِ نَهَاوَنْدَ ، فَإِنَّ أُولَئِكَ ذَلَّلَهُمْ أَبُوكَ عَلَى مَمَرِّ السِّنِينَ.فَقَالَ غَشَشْتَنِي وَلَمْ تَنْصَحْنِي ، وَأَرَدْتَ بِالْمُطَاوَلَةِ أَنْ يَقْوَى أَبِي وَأَضْعُفَ أَنَا ، وَقَتَلَهُ ، وَسَارَ لِيَكْبِسَ الْعَسْكَرَ لَيْلًا.فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمْ وَقَعَ الصَّوْتُ ، فَرَكِبَ فَخْرُ الْمُلْكِ فِي الْعَسَاكِرِ ، وَجَعَلَ عِنْدَ أَثْقَالِهِمْ مَنْ يَحْمِيهَا ، وَتَقَدَّمَ إِلَى قِتَالِ هِلَالٍ ، فَلَمَّا رَأَى هِلَالٌ صُعُوبَةَ الْأَمْرِ نَدِمَ ، وَعَلِمَ أَنَّ أَبَا عِيسَى بْنَ شَاذِي نَصَحَهُ ، فَنَدِمَ عَلَى قَتْلِهِ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى فَخْرِ الْمُلْكِ يَقُولُ لَهُ إِنَّنِي مَا جِئْتُ لِقِتَالٍ وَحَرْبٍ ، إِنَّمَا جِئْتُ لِأَكُونَ قَرِيبًا مِنْكَ وَأَنْزِلَ عَلَى حُكْمِكَ ، فَتَرُدَّ الْعَسْكَرَ عَنِ الْحَرْبِ ، فَإِنَّنِي أَدْخُلُ فِي الطَّاعَةِ.فَمَالَ فَخْرُ الْمُلْكِ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ ، وَأَرْسَلَ الرَّسُولَ إِلَى بَدْرٍ لِيُخْبِرَهُ بِمَا جَاءَ بِهِ.فَلَمَّا رَأَى بَدْرٌ الرَّسُولَ سَبَّهُ وَطَرَدَهُ ، وَأَرْسَلَ إِلَى فَخْرِ الْمُلْكِ يَقُولُ لَهُ إِنَّ هَذَا مَكْرٌ مِنْ هِلَالٍ ، لَمَّا رَأَى ضَعْفَهُ ، وَالرَّأْيُ أَنْ لَا تُنَفِّسَ خِنَاقَهُ.فَلَمَّا سَمِعَ فَخْرُ الْمُلْكِ الْجَوَابَ قَوِيَتْ نَفْسُهُ ، وَكَانَ يَتَّهِمُ بَدْرًا بِالْمَيْلِ إِلَى ابْنِهِ وَتَقَدَّمَ إِلَى الْجَيْشِ بِالْحَرْبِ ، فَقَاتَلُوا ، فَلَمْ يَكُنْ أَسْرَعَ مِنْ أَنْ أُتِيَ بِهِلَالٍ أَسِيرًا ، فَقَبَّلَ الْأَرْضَ ، وَطَلَبَ أَنْ لَا يُسَلِّمَهُ إِلَى أَبِيهِ فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَطَلَبَ عَلَامَتَهُ بِتَسْلِيمِ الْقَلْعَةِ ، فَأَعْطَاهُمُ الْعَلَامَةَ ، فَامْتَنَعَتْ أُمُّهُ وَمَنْ بِالْقَلْعَةِ مِنَ التَّسْلِيمِ ، وَطَلَبُوا الْأَمَانَ ، فَأَمَّنَهُمْ فَخْرُ الْمُلْكِ ، وَصَعِدَ الْقَلْعَةَ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ ، ثُمَّ نَزَلَ مِنْهَا وَسَلَّمَهَا إِلَى بَدْرٍ ، وَأَخَذَ مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَغَيْرِهَا ، وَكَانَتْ عَظِيمَةً ، قِيلَ كَانَ بِهَا أَرْبَعُونَ أَلْفَ بَدْرَةٍ دَرَاهِمَ ، وَأَرْبَعُمِائَةِ بَدْرَةٍ ذَهَبًا ، سِوَى الْجَوَاهِرِ النَّفِيسَةِ ، وَالثِّيَابِ ، وَالسِّلَاحِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.وَأَكْثَرَ الشُّعَرَاءُ ذِكْرَ هَذَا ، فَمِمَّنْ قَالَ مِهْيَارُ فَظَنُّوكَ تَعِبًا بِحَمْلِ الْعِرَاقِ ، كَأَنْ لَمْ يَرَوْكَ حَمَلْتَ الْجِبَالَا...وَلَوْ لَمْ تَكُنْ فِي الْعُلُوِّ السَّمَاءُ لَمَا كَانَ غُنْمُكَ مِنْهَا هِلَالَا...سَرَيْتَ إِلَيْهِ ، فَكُنْتَ السِّرَارَ لَهُ ، وَلِبَدْرٍ أَبِيهِ كَمَالَا وَهِيَ كَثِيرَةٌ.ذِكْرُ عَوْدِ الْمُؤَيَّدِ إِلَى إِمَارَةِ الْأَنْدَلُسِ وَمَا كَانَ مِنْهُ قَدْ ذَكَرْنَا سَبَبَ خَلْعِهِ وَحَبْسِهِ ، فَلَمَّا كَانَ هَذِهِ السَّنَةُ أُعِيدَ إِلَى خِلَافَتِهِ ، وَاسْمُهُ هِشَامُ بْنُ الْحَاكِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ ، وَكَانَ عَوْدُهُ تَاسِعَ ذِي الْحِجَّةِ ، وَكَانَ الْحُكْمُ فِي دَوْلَتِهِ هَذِهِ إِلَى وَاضِحٍ الْعَامِرِيِّ ، وَأَدْخَلَ أَهْلَ قُرْطُبَةَ إِلَيْهِ ، فَوَعَدَهُمْ وَمَنَّاهُمْ ، وَكَتَبَ إِلَى الْبَرْبَرِ الَّذِينَ مَعَ سُلَيْمَانَ بْنِ الْحَاكِمِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى طَاعَتِهِ وَالْوَفَاءِ بِبَيْعَتِهِ ، فَلَمْ يُجِيبُوهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَأَمَرَ أَجْنَادَهُ وَأَهْلَ قُرْطُبَةَ بِالْحَذَرِ وَالِاحْتِيَاطِ ، فَأَحَبَّهُ النَّاسُ.ثُمَّ نُقِلَ إِلَيْهِ أَنْ نَفَرًا مِنَ الْأُمَوِيِّينَ بِقُرْطُبَةَ قَدْ كَاتَبُوا سُلَيْمَانَ ، وَوَاعَدُوهُ لِيَكُونَ بِقُرْطُبَةَ فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ لِيُسَلِّمُوا إِلَيْهِ الْبَلَدَ ، فَأَخَذَهُمْ وَحَبَسَهُمْ ، فَلَمَّا كَانَ الْمِيعَادُ قَدِمَ الْبَرْبَرُ إِلَى قُرْطُبَةَ ، فَرَكِبَ الْجُنْدُ وَأَهْلُ قُرْطُبَةَ ، وَخَرَجُوا إِلَيْهِمْ مَعَ الْمُؤَيَّدِ ، فَعَادَ الْبَرْبَرُ وَتَبِعَتْهُمْ عَسَاكِرُهُ ، فَلَمْ يَلْحَقُوهُمْ.وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُمْ فَلَمْ يَتَّفِقُوا عَلَى شَيْءٍ.ثُمَّ إِنَّ سُلَيْمَانَ وَالْبَرْبَرَ رَاسَلُوا مَلِكَ الْفِرِنْجَ يَسْتَمِدُّونَهُ ، وَبَذَلُوا لَهُ تَسْلِيمَ حُصُونٍ كَانَ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ قَدْ فَتَحَهَا مِنْهُمْ ، فَأَرْسَلَ مَلِكُ الْفِرِنْجَ إِلَى الْمُؤَيَّدِ يُعَرِّفُهُ الْحَالَ ، وَيَطْلُبُ مِنْهُ تَسْلِيمَ هَذِهِ الْحُصُونِ لِئَلَّا يَمُدَّ سُلَيْمَانَ بِالْعَسَاكِرِ.فَاسْتَشَارَ أَهْلَ قُرْطُبَةَ فِي ذَلِكَ ، فَأَشَارُوا بِتَسْلِيمِهَا إِلَيْهِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يُنْجِدُوا سُلَيْمَانَ ، وَاسْتَقَرَّ الصُّلْحُ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِمِائَةٍ.فَلَمَّا أَيِسَ الْبَرْبَرُ مِنْ إِنْجَادِ الْفِرِنْجَ رَحَلُوا ، فَنَزَلُوا قَرِيبًا مِنْ قُرْطُبَةَ فِي صَفَرٍ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَجَعَلَتْ خَيْلُهُمْ تُغِيرُ يَمِينًا وَشِمَالًا ، وَخَرَّبُوا الْبِلَادَ.وَعَمِلَ الْمُؤَيَّدُ وَوَاضِحٌ الْعَامِرِيُّ سُورًا وَخَنْدَقًا عَلَى قُرْطُبَةَ أَمَامَ السُّورِ الْكَبِيرِ ، ثُمَّ نَزَلَ سُلَيْمَانُ قُرْطُبَةَ خَمْسَةً وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، فَلَمْ يَمْلِكْهَا ، فَانْتَقَلَ إِلَى الزَّهْرَاءِ وَحَصَرَهَا ، وَقَاتَلَ مَنْ بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.ثُمَّ إِنَّ بَعْضَ الْمُوَكَّلِينَ بِحِفْظِهَا سَلَّمَ إِلَيْهِ الْبَابَ الَّذِي هُوَ مُوَكَّلٌ بِحِفْظِهِ ، فَصَعِدَ الْبَرْبَرُ السُّورَ ، وَقَاتَلُوا مَنْ عَلَيْهِ حَتَّى أَزَالُوهُمْ ، وَمَلَكُوا الْبَلَدَ عَنْوَةً ، وَقُتِلَ أَكْثَرُ مَنْ بِهِ مِنَ الْجُنْدِ ، وَصَعِدَ أَهْلُ الْجَبَلِ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ بِالْجَامِعِ ، فَأَخَذَهُمُ الْبَرْبَرُ وَذَبَحُوهُمْ حَتَّى النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ ، وَأَلْقَوُا النَّارَ فِي الْجَامِعِ وَالْقَصْرِ وَالدِّيَارِ ، فَاحْتَرَقَ أَكْثَرُ ذَلِكَ وَنُهِبَتِ الْأَمْوَالُ.ثُمَّ إِنَّ وَاضِحًا كَاتَبَ سُلَيْمَانَ يُعَرِّفُهُ أَنَّهُ يُرِيدُ الِانْتِقَالَ عَنْ قُرْطُبَةَ سِرًّا ، وَيُشِيرُ عَلَيْهِ بِمُنَازَلَتِهَا بَعْدَ مَسِيرِهِ عَنْهَا ، وَنَمَى الْخَبَرُ إِلَى الْمُؤَيَّدِ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ وَقَتَلَهُ ، وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ بِقُرْطُبَةَ ، وَعَظُمَ الْخَطْبُ ، وَقَلَّتِ الْأَقْوَاتُ ، وَكَثُرَ الْمَوْتُ ، وَكَانَتِ الْأَقْوَاتُ عِنْدَ الْبَرْبَرِ أَقَلَّ مِنْهَا بِالْبَلَدِ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ خَرَّبُوا الْبِلَادَ ، وَجَلَا أَهْلُ قُرْطُبَةَ ، وَقَتَلَ الْمُؤَيَّدُ كُلَّ مَنْ مَالَ إِلَى سُلَيْمَانَ.ثُمَّ إِنَّ الْبَرْبَرَ وَسُلَيْمَانَ لَازَمُوا الْحِصَارَ وَالْقِتَالَ لِأَهْلِ قُرْطُبَةَ ، وَضَيَّقُوا عَلَيْهِمْ ، وَفِي مُدَّةِ هَذَا الْحِصَارِ ظَهَرَ بِطُلَيْطِلَةَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ ، وَبَايَعَهُ أَهْلُهَا ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِمُ الْمُؤَيَّدُ جَيْشًا ، فَحَصَرُوهُمْ ، فَعَادُوا إِلَى الطَّاعَةِ ، وَأُخِذَ عُبَيْدُ اللَّهِ أَسِيرًا ، وَقُتِلَ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِمِائَةٍ.ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ قُرْطُبَةَ قَاتَلُوا فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ الْبَرْبَرَ فَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَغَرِقَ فِي النَّهْرِ مِثْلُهُمْ ، فَرَحَلُوا عَنْهَا ، وَسَارُوا إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ فَحَصَرُوهَا ، فَأَرْسَلَ الْمُؤَيَّدُ إِلَيْهَا جَيْشًا فَحَمَاهَا وَمَنَعَ الْبَرْبَرَ عَنْهَا ، وَرَاسَلَ سُلَيْمَانُ نَائِبَ الْمُؤَيَّدِ بِسَرَقُسْطَةَ وَغَيْرِهَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، فَأَجَابُوهُ وَأَطَاعُوهُ ، فَسَارَ الْبَرْبَرُ وَسُلَيْمَانُ عَنْ إِشْبِيلِيَّةَ إِلَى قَلْعَةِ رَبَاحٍ فَمَلَكُوهَا وَغَنِمُوا مَا فِيهَا ، وَاتَّخَذُوهَا دَارًا ، ثُمَّ عَادُوا إِلَى قُرْطُبَةَ فَحَصَرُوهَا ، وَقَدْ خَرَجَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِهَا وَعَسَاكِرِهَا مِنَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ عَلَيْهَا ، وَمَلَكَهَا سُلَيْمَانُ عَنْوَةً وَقَهْرًا ، وَقَتَلُوا مَنْ وَجَدُوا فِي الطُّرُقِ ، وَنَهَبُوا الْبَلَدَ وَأَحْرَقُوهُ ، فَلَمْ تُحْصَ الْقَتْلَى لِكَثْرَتِهِمْ.وَنَزَلَ الْبَرْبَرُ فِي الدُّورِ الَّتِي لَمْ تُحْرَقْ ، فَنَالَ أَهْلُ قُرْطُبَةَ مِنْ ذَلِكَ مَا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ ، وَأُخْرِجَ الْمُؤَيَّدُ مِنَ الْقَصْرِ ، وَحُمِلَ إِلَى سُلَيْمَانَ ، وَدَخَلَ سُلَيْمَانُ قُرْطُبَةَ مُنْتَصَفَ شَوَّالٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَبُويِعَ لَهُ بِهَا.ثُمَّ إِنَّ الْمُؤَيَّدَ جَرَى لَهُ مَعَ سُلَيْمَانَ أَقَاصِيصُ طَوِيلَةٌ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ عِنْدِهِ .وَكَانَ مِمَّنْ قُتِلَ فِي هَذَا الْحَصْرِ أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ الْفَرَضِيِّ مَظْلُومًا رَحِمَهُ اللَّهُ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَرْسَلَ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ مِنْ مِصْرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَفُتِحَ بَيْتُ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ ، وَأُخْرِجَ مِنْهُ مُصْحَفٌ وَسَيْفٌ وَكِسَاءٌ وَقَعْبٌ وَسَرِيرٌ.وَفِيهَا نَقَصَ الْمَاءُ بِدِجْلَةَ حَتَّى أُصْلِحَتْ مَا بَيْنَ أَوَانَا وَقَرِيبِ بَغْدَاذَ ، حَتَّى جَرَتِ السُّفُنُ فِيهَا.وَفِيهَا مَرِضَ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ سَهْلَانَ ، فَاشْتَدَّ مَرَضُهُ ، فَنَذَرَ إِنْ عُوفِيَ بَنَى سُورًا عَلَى مَشْهَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَعُوفِيَ ، فَأَمَرَ بِبِنَاءِ سُورٍ عَلَيْهِ ، فَبُنِيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، تَوَلَّى بِنَاءَهُ أَبُو إِسْحَاقَ الْأَرَّجَانِيُّ.وَفِيهَا وُلِدَ عَدْنَانُ بْنُ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ النَّقِيبُ أَبُو أَحْمَدَ الْمُوسَوِيُّ ، وَالِدُ الرَّضِيِّ ، بَعْدَ أَنْ أَضَرَّ ، وَوَقَفَ بَعْضَ أَمْلَاكِهِ عَلَى الْبِرِّ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ الْأَكْبَرُ الْمُرْتَضَى ، وَدُفِنَ بِدَارِهِ ، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى مَشْهَدِ الْحُسَيْنِ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَيْضًا أَبُو جَعْفَرٍ الْحَجَّاجُ بْنُ هُرْمُزَ ، بِالْأَهْوَازِ ، وَعُمْدَةُ الدَّوْلَةِ أَبُو إِسْحَاقَ بْنُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ بِمِصْرَ.وَفِيهَا مَرِضَ الْخَلِيفَةُ الْقَادِرُ بِاللَّهِ ، وَاشْتَدَّ مَرَضُهُ ، فَأُرْجِفَ عَلَيْهِ ، فَجَلَسَ لِلنَّاسِ وَبِيَدِهِ الْقَضِيبُ ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ أَبُو حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِينِيُّ ، فَقَالَ لِابْنِ حَاجِبٍ النُّعْمَانِ اسْأَلْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقْرَأَ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ لِيَسْمَعَ النَّاسُ قِرَاءَتَهُ ، فَقَرَأَ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ الأحزاب الْآيَاتِ الثَّلَاثَ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْعَبَّاسِ النَّامِي الشَّاعِرُ. وَأَبُو الْفَتْحِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبُسْتِيُّ الْكَاتِبُ الشَّاعِرُ ، صَاحِبُ الطَّرِيقَةِ الْمَشْهُورَةِ فِي التَّجْنِيسِ ، فَمِنْ شِعْرِهِ يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ مَذْهَبِي...لِيَقْتَدِي فِيهِ بِمِنْهَاجِي مِنْهَاجِيَ الْعَدْلُ.وَقَمْعُ الْهَوَى ، فَهَلْ لِمِنْهَاجِي مِنْ هَاجِي ؟ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَأَرْبَعِمِائَة ذِكْرُ غَزْوَةِ يَمِينِ الدَّوْلَةِ بِلَادَ الْغَوْرِ وَغَيْرِهَا بِلَادُ الْغَوْرِ تُجَاوِرُ غَزْنَةَ ، وَكَانَ الْغَوْرُ يَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ ، وَيُخِيفُونَ السَّبِيلَ ، وَبِلَادُهُمْ جِبَالٌ وَعْرَةٌ ، وَمَضَايِقُ غَلِقَةٌ ، وَكَانُوا يَحْتَمُونَ بِهَا ، وَيَعْتَصِمُونَ بِصُعُوبَةِ مَسْلَكِهَا ، فَلَمَّا كَثُرَ ذَلِكَ مِنْهُمْ أَنِفَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ أَنَّ يَكُونَ مِثْلَ أُولَئِكَ الْمُفْسِدِينَ جِيرَانَهُ ، وَهُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مِنَ الْفَسَادِ وَالْكُفْرِ ، فَجَمَعَ الْعَسَاكِرَ وَسَارَ إِلَيْهِمْ وَعَلَى مُقَدَّمَتِهِ الْتُونْتَاشُ الْحَاجِبُ ، صَاحِبُ هَرَاةَ ، وَأَرْسَلَانُ الْجَاذِبُ ، صَاحِبُ طُوسَ ، وَهُمَا أَكْبَرُ أُمَرَائِهِ ، فَسَارَا فَيِمَنْ مَعَهُمَا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى مَضِيقٍ قَدْ شُحِنَ بِالْمُقَاتَلَةِ ، فَتَنَاوَشُوا الْحَرْبَ ، وَصَبَرَ الْفَرِيقَانِ.فَسَمِعَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ الْحَالَ ، فَجَدَّ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ ، وَمَلَكَ عَلَيْهِمْ مَسَالِكَهُمْ ، فَتَفَرَّقُوا ، وَسَارُوا إِلَى عَظِيمِ الْغُورِيَّةِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ سُورَى ، فَانْتَهَوْا إِلَى مَدِينَتِهِ الَّتِي تُدْعَى آهِنَكْرَانَ ، فَبَرَزَ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي عَشَرَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ ، فَقَاتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى أَنِ انْتَصَفَ النَّهَارُ ، فَرَأَوْا أَشْجَعَ النَّاسِ وَأَقْوَاهُمْ عَلَى الْقِتَالِ ، فَأَمَرَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ أَنْ يُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِدْرَاجِ ، فَفَعَلُوا.فَلَمَّا رَأَى الْغَوْرِيَّةُ ذَلِكَ ظَنُّوهُ هَزِيمَةً ، فَاتَّبَعُوهُمْ حَتَّى أَبْعَدُوا عَنْ مَدِينَتِهِمْ ، فَحِينَئِذٍ عَطَفَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ وَوَضَعُوا السُّيُوفَ فِيهِمْ فَأَبَادُوهُمْ قَتْلًا وَأَسْرًا ، وَكَانَ فِي الْأَسْرَى كَبِيرُهُمْ وَزَعِيمُهُمُ ابْنُ سُورَى ، وَدَخَلَ الْمُسْلِمُونَ الْمَدِينَةَ وَمَلَكُوهَا ، وَغَنِمُوا مَا فِيهَا ، وَفَتَحُوا تِلْكَ الْقِلَاعَ وَالْحُصُونَ الَّتِي لَهُمْ جَمِيعَهَا ، فَلَمَّا عَايَنَ ابْنُ سُورَى مَا فَعَلَ الْمُسْلِمُونَ بِهِمْ شَرِبَ سُمًّا كَانَ مَعَهُ ، فَمَاتَ وَخَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ الحج .وَأَظْهَرَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ فِي تِلْكَ الْأَعْمَالِ شِعَارَ الْإِسْلَامِ ، وَجَعَلَ عِنْدَهُمْ مَنْ يُعَلِّمُهُمْ شَرَائِعَهُ وَعَادَ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى طَائِفَةٍ أُخْرَى مِنَ الْكُفَّارِ ، فَقَطَعَ عَلَيْهِمْ مَفَازَةً مِنْ رَمْلٍ ، وَلَحِقَ عَسَاكِرَهُ عَطَشٌ شَدِيدٌ وَكَادُوا يَهْلِكُونَ ، فَلَطَفَ اللَّهُ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، بِهِمْ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ مَطَرًا سَقَاهُمْ ، وَسَهَّلَ عَلَيْهِمُ السَّيْرَ فِي الرَّمْلِ ، فَوَصَلَ إِلَى الْكُفَّارِ ، وَهُمْ جَمْعٌ عَظِيمٌ ، وَمَعَهُمْ سِتُّمِائَةِ فِيلٍ ، فَقَاتَلَهُمْ أَشَدَّ قِتَالٍ صَبَرَ فِيهِ ، بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ نَصَرَ الْمُسْلِمِينَ ، وَهَزَمَ الْكُفَّارَ ، وَأَخَذَ غَنَائِمَهُمْ ، وَعَادَ سَالِمًا مُظَفَّرًا مَنْصُورًا.ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ أَيْلَكَ الْخَانِ وَبَيْنَ أَخِيهِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ أَيْلَكُ الْخَانُ فِي جُيُوشٍ قَاصِدًا قِتَالَ أَخِيهِ طُغَانَ خَانَ ، فَلَمَّا بَلَغَ يَوْزَكَنْدَ سَقَطَ مِنَ الثَّلْجِ مَا مَنَعَهُمْ مِنْ سُلُوكِ الطُّرُقِ ، فَعَادَ إِلَى سَمَرْقَنْدَ.وَكَانَ سَبَبُ قَصْدِهِ أَنَّ أَخَاهُ أَرْسَلَ إِلَى يَمِينِ الدَّوْلَةِ يَعْتَذِرُ ، وَيَتَنَصَّلُ مِنْ قَصْدِ أَخِيهِ أَيْلَكَ الْخَانِ بِلَادَ خُرَاسَانَ ، وَيَقُولُ إِنَّنِي مَا رَضِيتُ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَيُلْزِمُ أَخَاهُ وَحْدَهُ الذَّنْبَ ، وَتَبَرَّأَ هُوَ مِنْهُ ، فَلَمَّا عَلِمَ أَخُوهُ أَيْلَكُ الْخَانُ ذَلِكَ سَاءَهُ وَحَمَلَهُ عَلَى قَصْدِهِ.ذِكْرُ الْخُطْبَةِ لِلْمِصْرِيِّينَ الْعَلَوِيِّينَ بِالْكُوفَةِ وَالْمَوْصِلِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضًا خَطَبَ قِرْوَاشُ بْنُ الْمُقَلَّدِ أَمِيرُ بَنِي عُقَيْلٍ لِلْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ الْعَلَوِيِّ ، صَاحِبِ مِصْرَ ، بِأَعْمَالِهِ كُلِّهَا ، وَهِيَ الْمَوْصِلُ ، وَالْأَنْبَارُ ، وَالْمَدَائِنُ ، وَالْكُوفَةُ وَغَيْرُهَا ، وَكَانَ ابْتِدَاءُ الْخُطْبَةِ بِالْمَوْصِلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي انْجَلَتْ بِنُورِهِ غَمَرَاتُ الْغَضَبِ.وَانْهَدَّتْ بِقُدْرَتِهِ أَرْكَانُ النَّصْبِ.وَاطَّلَعَ بِنُورِهِ شَمْسُ الْحَقِّ مِنَ الْغَرْبِ.فَأَرْسَلَ الْقَادِرُ بِاللَّهِ ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، الْقَاضِيَ أَبَا بَكْرِ بْنَ الْبَاقِلَّانِيِّ إِلَى بَهَاءِ الدَّوْلَةِ يُعَرِّفُهُ ذَلِكَ ، وَأَنَّ الْعَلَوِيِّينَ وَالْعَبَّاسِيِّينَ انْتَقَلُوا مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَأَكْرَمَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ الْقَاضِيَ أَبَا بَكْرٍ ، وَكَتَبَ إِلَى عَمِيدِ الْجُيُوشِ يَأْمُرُهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى حَرْبِ قِرْوَاشٍ ، وَأَطْلَقَ لَهُ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ يُنْفِقُهَا فِي الْعَسْكَرِ ، وَخَلَعَ عَلَى الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ ، وَوَلَّاهُ قَضَاءَ عُمَانَ وَالسَّوَاحِلِ.وَسَارَ عَمِيدُ الْجُيُوشِ إِلَى حَرْبِ قِرْوَاشٍ فَأَرْسَلَ يَعْتَذِرُ ، وَقَطَعَ خُطْبَةَ الْعَلَوِيِّينَ وَأَعَادَ خُطْبَةَ الْقَادِرِ بِاللَّهِ.ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ بَنِي مَزْيَدٍ وَبَنِي دُبَيْسٍ كَانَ أَبُو الْغَنَائِمِ مُحَمَّدُ بْنُ مَزْيَدٍ مُقِيمًا عِنْدَ بَنِي دُبَيْسٍ فِي جَزِيرَتِهِمْ ، بِنَوَاحِي خُوزِسْتَانَ ، لِمُصَاهَرَةٍ بَيْنَهُمْ ، فَقَتَلَ أَبُو الْغَنَائِمِ أَحَدَ وُجُوهِهِمْ ، وَلَحِقَ بِأَخِيهِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مَزْيَدٍ ، فَتَبِعُوهُ فَلَمْ يُدْرِكُوهُ ، وَانْحَدَرَ إِلَيْهِمْ سَنَدُ الدَّوْلَةِ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ مَزْيَدٍ فِي أَلْفَيْ فَارِسٍ ، وَاسْتَنْجَدَ عَمِيدُ الْجُيُوشِ ، فَانْحَدَرَ إِلَيْهِ عَجِلًا فِي زَبْزَبَةٍ فِي ثَلَاثِينَ دَيْلَمِيًّا ، وَسَارَ ابْنُ مَزْيَدٍ إِلَيْهِمْ فَلَقِيَهُمْ ، وَاقْتَتَلُوا فَقُتِلَ أَبُو الْغَنَائِمِ ، وَانْهَزَمَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ مَزْيَدٍ ، فَوَصَلَ الْخَبَرُ بِهَزِيمَتِهِ إِلَى عَمِيدِ الْجُيُوشِ وَهُوَ مُنْحَدِرٌ فَعَادَ.ذِكْرُ وَفَاةِ عَمِيدِ الْجُيُوشِ وَوِلَايَةِ فَخْرِ الْمُلْكِ الْعِرَاقَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ عَمِيدُ الْجُيُوشِ أَبُو عَلِيِّ بْنُ أَسْتَاذِ هُرْمُزَ بِبَغْدَاذَ ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ ثَمَانِيَ سِنِينَ وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَسَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَكَانَ عُمْرُهُ تِسْعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَتَوَلَّى تَجْهِيزَهُ وَدَفْنَهُ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ ، دَفَنَهُ بِمَقَابِرِ قُرَيْشٍ ، وَرَثَاهُ الرَّضِيُّ وَغَيْرُهُ.وَكَانَ أَبُوهُ ، أَبُو جَعْفَرٍ أَسْتَاذُ هُرْمُزَ ، مِنْ حُجَّابِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَجَعَلَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ عَمِيدَ الْجُيُوشِ فِي خِدْمَةِ ابْنِهِ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا قُتِلَ اتَّصَلَ بِخِدْمَةِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ.فَلَمَّا اسْتَوْلَى الْخَرَابُ عَلَى بَغْدَاذَ ، وَظَهَرَ الْعَيَّارُونَ ، وَانْحَلَّتِ الْأُمُورُ بِهَا ، أَرْسَلَهُ إِلَيْهَا ، فَأَصْلَحَ الْأُمُورَ ، وَقَمَعَ الْمُفْسِدِينَ وَقَتَلَهُمْ.فَلَمَّا مَاتَ اسْتَعْمَلَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ مَكَانَهُ بِالْعِرَاقِ فَخْرَ الْمُلْكِ أَبَا غَالِبٍ ، فَأَصْعَدَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَلَقِيَهُ الْكُتَّابُ وَالْقُوَّادُ وَأَعْيَانُ النَّاسِ ، وَزَيَّنُوا لَهُ الْبِلَادَ ، وَوَصَلَ بَغْدَاذَ فِي ذِي الْحِجَّةِ ، وَمَدَحَهُ مِهْيَارُ وَغَيْرُهُ مِنَ الشُّعَرَاءِ.وَمِنْ مَحَاسِنِ أَعْمَالِ عَمِيدِ الْجُيُوشِ أَنَّهُ حُمِلَ إِلَيْهِ مَالٌ كَثِيرٌ قَدْ خَلَّفَهُ بَعْضُ التُّجَّارِ الْمِصْرِيِّينَ ، وَقِيلَ لَهُ لَيْسَ لِلْمَيِّتِ وَارِثٌ فَقَالَ لَا يَدْخُلُ خِزَانَةَ السُّلْطَانِ مَا لَيْسَ لَهَا ، يُتْرَكُ إِلَى أَنْ يَصِحَّ خَبَرُهُ.فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ مُدَّةٍ جَاءَ أَخٌ لِلْمَيِّتِ بِكِتَابٍ مِنْ مِصْرَ بِأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِلتَّرِكَةِ ، فَقَصَدَ بَابَ عَمِيدِ الْجُيُوشِ لِيُوصِلَ الْكِتَابَ ، فَرَآهُ يُصَلِّي عَلَى رَوْشَنِ دَارِهِ فَظَنَّهُ بَعْضَ الْحُجَّابِ ، فَأَوْصَلَ الْكِتَابَ إِلَيْهِ فَقَضَى حَاجَتَهُ ، فَلَمَّا عَلِمَ التَّاجِرُ أَنَّ الَّذِي أَخَذَ الْكِتَابَ كَانَ عَمِيدَ الْجُيُوشِ عَظَّمَ الْأَمْرَ عِنْدَهُ ، فَأَظْهَرَ ذَلِكَ فَاسْتَحْسَنَهُ النَّاسُ ، وَلَمَّا وَصَلَ التَّاجِرُ إِلَى مِصْرَ أَظْهَرَ الدُّعَاءَ لَهُ ، فَضَجَّ النَّاسُ بِالدُّعَاءِ لَهُ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، فَبَلَغَهُ الْخَبَرُ فَسَرَّهُ ذَلِكَ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اشْتَدَّ الْغَلَاءُ بِخُرَاسَانَ جَمِيعِهَا ، وَعُدِمَ الْقُوتُ حَتَّى أَكَلَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَكَانَ الْإِنْسَانُ يَصِيحُ الْخُبْزَ الْخُبْزَ وَيَمُوتُ ، ثُمَّ تَبِعَهُ وَبَاءٌ عَظِيمٌ حَتَّى عَجِزَ النَّاسُ عَنْ دَفْنِ الْمَوْتَى. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ عَنَّازٍ بِحُلْوَانَ ، وَكَانَتْ إِمَارَتُهُ عِشْرِينَ سَنَةً ، وَقَامَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو الشَّوْكِ فَسُيِّرَتْ إِلَيْهِ الْعَسَاكِرُ مِنْ بَغْدَاذَ لِقِتَالِهِ وَلَقِيَهُمْ أَبُو الشَّوْكِ وَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَانْهَزَمَ أَبُو الشَّوْكِ إِلَى حُلْوَانَ ، وَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ أَصْلَحَ حَالَهُ مَعَ الْوَزِيرِ أَبِي غَالِبٍ لَمَّا قَدِمَ الْعِرَاقَ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَقْنِ بْنِ مُقَلَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْمُهَيَّا الْعُقَيْلِيُّ ، وَفِي مُقَلَّدٍ يَجْتَمِعُ آلُ الْمُسَيَّبِ وَآلُ مَقْنٍ ، وَكَانَ عُمُرُهُ مِائَةً وَعَشْرَ سِنِينَ ، وَكَانَ بَخِيلًا شَدِيدَ الْبُخْلِ ، وَشَهِدَ مَعَ الْقَرَامِطَةِ أَخْذَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْأَمِيرُ أَبُو نَصْرٍ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَارِثِ مُحَمَّدِ بْنِ فَرِيغَوْنَ صَاحِبُ الْجُوزَجَانِ ، وَكَانَ صِهْرَ يَمِينِ الدَّوْلَةِ عَلَى أُخْتِهِ ، وَكَانَ هُوَ وَأَبُوهُ قَبْلَهُ يُحِبَّانِ الْعُلَمَاءَ وَيُحْسِنَانِ إِلَيْهِمْ.وَفِيهَا انْقَضَّ كَوْكَبٌ كَبِيرٌ لَمْ يُرَ أَكْبَرَ مِنْهُ.وَفِيهَا زَادَتْ دِجْلَةُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ ذِرَاعًا ، وَغَرِقَ كَثِيرٌ مِنْ بَغْدَاذَ وَالْعِرَاقِ ، وَتَفَجَّرَتِ الْبُثُوقُ ، وَلَمْ يَحُجَّ هَذِهِ السَّنَةَ مِنَ الْعِرَاقِ أَحَدٌ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدٍ أَبُو مَسْعُودٍ الدِّمَشْقِيُّ الْحَافِظُ ، سَافَرَ الْكَثِيرَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ ، وَلَهُ عِنَايَةٌ بِصَحِيحَيِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ.وَتُوُفِّيَ أَيْضًا خَلَفُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ حَمْدُونَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْوَاسِطِيُّ ، كَانَ فَاضِلًا ، وَلَهُ" أَطْرَافُ الصَّحِيحَيْنِ "أَيْضًا. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِمِائَة ذِكْرُ مُلْكِ يَمِينِ الدَّوْلَةِ قُصْدَارَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَوْلَى يَمِينُ الدَّوْلَةِ عَلَى قُصْدَارَ ، وَمَلَكَهَا.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ مَلِكَهَا كَانَ قَدْ صَالَحَهُ عَلَى قَطِيعَةٍ يُؤَدِّيهَا إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَطَعَهَا اغْتِرَارًا بِحَصَانَةِ بَلَدِهِ ، وَكَثْرَةِ الْمَضَايِقِ فِي الطَّرِيقِ ، وَاحْتَمَى بِأَيْلَكَ الْخَانِ ، وَكَانَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ يُرِيدُ قَصْدَهَا ، فَيَتَّقِي نَاحِيَةَ أَيْلَكَ الْخَانِ.فَلَمَّا فَسَدَ ذَاتُ بَيْنِهِمَا صَمَّمَ الْعَزْمَ وَقَصَدَهَا وَتَجَهَّزَ ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ هَرَاةَ.فَسَارَ مِنْ غَزْنَةَ فِي جُمَادَى الْأَوَّلِ ، فَلَمَّا اسْتَقَلَّ عَلَى الطَّرِيقِ سَارَ نَحْوَ قُصْدَارَ ، فَسَبَقَ خَبَرُهُ ، وَقَطَعَ تِلْكَ الْمَضَايِقَ وَالْجَبَلَ ، فَلَمْ يَشْعُرْ صَاحِبُهَا إِلَّا وَعَسْكَرُ يَمِينِ الدَّوْلَةِ قَدْ أَحَاطَ بِهِ لَيْلًا ، فَطَلَبَ الْأَمَانَ فَأَجَابَهُ وَأَخَذَ مِنْهُ الْمَالَ الَّذِي كَانَ قَدِ اجْتَمَعَ عِنْدَهُ ، وَأَقَرَّهُ عَلَى وِلَايَتِهِ وَعَادَ.ذِكْرُ أَسْرِ صَالِحِ بْنِ مِرْدَاسٍ وَمُلْكِهِ حَلَبَ وَمُلْكِ أَوْلَادِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَ أَبِي نَصْرِ بْنِ لُؤْلُؤٍ صَاحِبِ حَلَبَ ، وَبَيْنَ صَالِحِ بْنِ مِرْدَاسٍ ، وَكَانَ ابْنُ لُؤْلُؤٍ مِنْ مَوَالِي سَعْدِ الدَّوْلَةِ بْنِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ ، فَقَوِيَ عَلَى وَلَدِ سَعْدِ الدَّوْلَةِ وَأَخَذَ الْبَلَدَ مِنْهُ ، وَخَطَبَ لِلْحَاكِمِ صَاحِبِ مِصْرَ ، وَلَقَّبَهُ الْحَاكِمُ مُرْتَضَى الدَّوْلَةِ.ثُمَّ فَسَدَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَاكِمِ ، فَطَمِعَ فِيهِ ابْنُ مِرْدَاسٍ ، وَبَنُو كِلَابٍ ، وَكَانُوا يُطَالِبُونَهُ بِالصِّلَاتِ وَالْخِلَعِ.ثُمَّ إِنَّهُمُ اجْتَمَعُوا هَذِهِ السَّنَةَ فِي خَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ ، وَدَخَلُوا مَدِينَةَ حَلَبَ ، فَأَمَرَ ابْنُ لُؤْلُؤٍ بِإِغْلَاقِ الْأَبْوَابِ وَالْقَبْضِ عَلَيْهِمْ ، فَقَبَضَ عَلَى مِائَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا ، مِنْهُمْ صَالِحُ بْنُ مِرْدَاسٍ ، وَحَبَسَهُمْ ، وَقَتَلَ مِائَتَيْنِ ، وَأَطْلَقَ مَنْ لَمْ يُفَكِّرْ بِهِ.وَكَانَ صَالِحٌ قَدْ تَزَوَّجَ بِابْنَةِ عَمٍّ لَهُ يُسَمَّى جَابِرًا ، وَكَانَتْ جَمِيلَةً ، فَوُصِفَتْ لِابْنِ لُؤْلُؤٍ ، فَخَطَبَهَا إِلَى إِخْوَتِهَا ، وَكَانُوا فِي حَبْسِهِ ، فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ صَالِحًا قَدْ تَزَوَّجَهَا ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ ، وَتَزَوَّجَهَا ، ثُمَّ أَطْلَقَهُمْ ، وَبَقِيَ صَالِحُ بْنُ مِرْدَاسٍ فِي الْحَبْسِ ، فَتَوَصَّلَ حَتَّى صَعِدَ مِنَ السُّورِ وَأَلْقَى نَفْسَهُ مِنْ أَعْلَى الْقَلْعَةِ إِلَى تَلِّهَا ، وَاخْتَفَى فِي مَسِيلِ مَاءٍ.وَوَقَعَ الْخَبَرُ بِهَرَبِهِ ، فَأَرْسَلَ ابْنُ لُؤْلُؤٍ الْخَيْلَ فِي طَلَبِهِ ، فَعَادُوا وَلَمْ يَظْفَرُوا بِهِ.فَلَمَّا سَكَنَ عَنْهُ الطَّلَبُ سَارَ بِقَيْدِهِ وَلَبِنَةِ حَدِيدٍ فِي رِجْلَيْهِ ، حَتَّى وَصَلَ قَرْيَةً تُعْرَفُ بِالْيَاسِرِيَّةِ ، فَرَأَى نَاسًا مِنَ الْعَرَبِ فَعَرَفُوهُ وَحَمَلُوهُ إِلَى أَهْلِهِ بِمَرْجِ دَابِقٍ ، فَجَمَعَ أَلْفَيْ فَارِسٍ فَقَصَدَ حَلَبَ وَحَاصَرَهَا اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ يَوْمًا ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ ابْنُ لُؤْلُؤٍ ، فَقَاتَلَهُ ، فَهَزَمَهُمْ صَالِحٌ وَأَسَرَ ابْنَ لُؤْلُؤٍ ، وَقَيَّدَهُ بِقَيْدِهِ الَّذِي كَانَ فِي رِجْلِهِ وَلَبِنَتِهِ.وَكَانَ لِابْنِ لُؤْلُؤٍ أَخٌ فَنَجَا وَحَفِظَ مَدِينَةَ حَلَبَ.ثُمَّ إِنَّ ابْنَ لُؤْلُؤٍ بَذَلَ لِابْنِ مِرْدَاسٍ مَالًا عَلَى أَنْ يُطْلِقَهُ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ الْحَالُ بَيْنَهُمَا أَخَذَ رَهَائِنَهُ وَأَطْلَقَهُ ، فَقَالَتْ أَمُّ صَالِحٍ لِابْنِهَا قَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ مَا لَا كُنْتَ تُؤَمِّلُهُ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُتِمَّ صَنِيعَكَ بِإِطْلَاقِ الرَّهَائِنِ فَهُوَ الْمَصْلَحَةُ ، فَإِنَّهُ إِنْ أَرَادَ الْغَدْرَ بِكَ لَا يَمْنَعُهُ مَنْ عِنْدَكَ ؛ فَأَطْلَقَهُمْ ، فَلَمَّا دَخَلُوا الْبَلَدَ حَمَلَ ابْنُ لُؤْلُؤٍ إِلَيْهِ أَكْثَرَ مِمَّا اسْتَقَرَّ ، وَكَانَ قَدْ تَقَرَّرَ عَلَيْهِ مِائَتَا أَلْفِ دِينَارٍ ، وَمِائَةُ ثَوْبٍ ، وَإِطْلَاقُ كُلِّ أَسِيرٍ عِنْدَهُ مِنْ بَنِي كِلَابٍ فَلَمَّا انْفَصَلَ الْحَالُ وَرَحَلَ صَالِحٌ أَرَادَ ابْنُ لُؤْلُؤٍ قَبْضَ غُلَامِهِ فَتْحٍ ، وَكَانَ دَزْدَارَ الْقَلْعَةِ ، لِأَنَّهُ اتَّهَمَهُ بِالْمُمَالَأَةِ عَلَى الْهَزِيمَةِ ، وَكَانَ خِلَافَ ظَنِّهِ ، فَأَطْلَعَ عَلَى ذَلِكَ غُلَامًا لَهُ اسْمُهُ سُرُورٌ ، وَأَرَادَ أَنْ يَجْعَلَهُ مَكَانَ فَتْحٍ ، فَأَعْلَمَ سُرُورٌ بَعْضَ أَصْدِقَائِهِ وَيُعْرَفُ بِابْنِ غَانِمٍ.وَسَبَبُ إِعْلَامِهِ أَنَّهُ حَضَرَ عِنْدَهُ ، وَكَانَ يَخَافُ ابْنَ لُؤْلُؤٍ لِكَثْرَةِ مَالِهِ ، فَشَكَا إِلَى سُرُورٍ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ سَيَكُونُ أَمْرٌ تَأْمَنُ مَعَهُ; فَسَأَلَهُ ، فَكَتَمَهُ ، فَلَمْ يَزَلْ يَخْدَعُهُ حَتَّى أَعْلَمَهُ الْخَبَرَ.وَكَانَ بَيْنَ ابْنِ غَانِمٍ وَبَيْنَ فَتْحٍ مَوَدَّةٌ ، فَصَعِدَ إِلَيْهِ بِالْقَلْعَةِ مُتَنَكِّرًا ، فَأَعْلَمَهُ الْخَبَرَ ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِمُكَاتَبَةِ الْحَاكِمِ صَاحِبِ مِصْرَ ، وَأَمَرَ ابْنُ لُؤْلُؤٍ أَخَاهُ أَبَا الْجَيْشِ بِالصُّعُودِ إِلَى الْقَلْعَةِ بِحُجَّةِ افْتِقَادِ الْخَزَائِنِ ، فَإِذَا صَارَ فِيهَا قَبَضَ عَلَى فَتْحٍ ، وَأَرْسَلَ إِلَى فَتْحٍ يُعْلِمُهُ أَنَّهُ يُرِيدُ افْتِقَادَ الْخَزَائِنِ ، وَيَأْمُرُهُ بِفَتْحِ الْأَبْوَابِ ، فَقَالَ فَتْحٌ إِنَّنِي قَدْ شَرِبْتُ الْيَوْمَ دَوَاءً ، وَأَسْأَلُ تَأْخِيرَ الصُّعُودِ فِي هَذَا الْيَوْمِ ، فَإِنَّنِي لَا أَثِقُ فِي فَتْحِ الْأَبْوَابِ لِغَيْرِي; وَقَالَ لِلرَّسُولِ إِذَا لَقِيتَهُ فَارْدُدْهُ.فَلَمَّا عَلِمَ ابْنُ لُؤْلُؤٍ الْحَالَ ، أَرْسَلَ وَالِدَتَهُ إِلَى فَتْحٍ لِيَعْلَمَ سَبَبَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا صَعِدَتْ إِلَيْهِ أَكْرَمَهَا ، وَأَظْهَرَ لَهَا الطَّاعَةَ ، فَعَادَتْ وَأَشَارَتْ عَلَى ابْنِهَا بِتَرْكِ مُحَاقَّتِهِ فَفَعَلَ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَطْلُبُ جَوْهَرًا كَانَ لَهُ بِالْقَلْعَةِ ، فَغَالَطَهُ فَتْحٌ وَلَمْ يُرْسِلْهُ ، فَسَكَتَ عَلَى مَضَضٍ لِعِلْمِهِ أَنَّ الْمُحَاقَّةَ لَا تُفِيدُ لِحَصَانَةِ الْقَلْعَةِ ، وَأَشَارَتْ وَالِدَةُ ابْنِ لُؤْلُؤٍ عَلَيْهِ بِأَنْ يَتَمَارَضَ ، وَيُظْهِرَ شِدَّةَ الْمَرَضِ ، وَيَسْتَدْعِيَ الْفَتْحَ لِيَنْزِلَ إِلَيْهِ لِيَجْعَلَهُ وَصِيًّا ، فَإِذَا حَضَرَ قَبَضَهُ.فَفَعَلَ ذَلِكَ ، فَلَمْ يَنْزِلِ الْفَتْحُ ، وَاعْتَذَرَ ، وَكَاتَبَ الْحَاكِمَ ، وَأَظْهَرَ طَاعَتَهُ ، وَخَطَبَ لَهُ ، وَأَظْهَرَ الْعِصْيَانَ عَلَى أُسْتَاذِهِ ، وَأَخَذَ مِنَ الْحَاكِمِ صَيْدَا ، وَبَيْرُوتَ ، وَكُلَّ مَا فِي حَلَبَ مِنَ الْأَمْوَالِ.وَخَرَجَ ابْنُ لُؤْلُؤٍ مِنْ حَلَبَ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ ، وَبِهَا الرُّومُ ، فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ.وَكَانَ صَالِحُ بْنُ مِرْدَاسٍ قَدْ مَالَأَ الْفَتْحَ عَلَى ذَلِكَ ، فَلَمَّا عَادَ عَنْ حَلَبَ اسْتَصْحَبَ مَعَهُ وَالِدَةَ ابْنِ لُؤْلُؤٍ وَنِسَاءَهُ ، وَتَرَكَهُنَّ بِمَنْبِجَ ، وَتَسَلَّمَ حَلَبَ نُوَّابُ الْحَاكِمِ ، وَتَنَقَّلَتْ بِأَيْدِيهِمْ حَتَّى صَارَتْ بِيَدِ إِنْسَانٍ مِنَ الْحَمْدَانِيَّةِ يُعْرَفُ بِعَزِيزِ الْمُلْكِ ، فَقَدَّمَهُ الْحَاكِمُ وَاصْطَنَعَهُ وَوَلَّاهُ حَلَبَ ، فَلَمَّا قُتِلَ الْحَاكِمُ وَوَلِيَ الظَّاهِرُ عَصَى عَلَيْهِ ، فَوَضَعَتْ سِتُّ الْمَلِكِ أُخْتُ الْحَاكِمِ فَرَّاشًا لَهُ عَلَى قَتْلِهِ فَقَتَلَهُ.وَكَانَ لِلْمِصْرِيِّينَ بِالشَّامِ نَائِبٌ يُعْرَفُ بِأَنُوشْتِكِينَ الدِّزْبَرِيِّ ، وَبِيَدِهِ دِمَشْقُ ، وَالرَّمْلَةُ ، وَعَسْقَلَانُ ، وَغَيْرُهَا ، فَاجْتَمَعَ حَسَّانُ أَمِيرُ بَنِي طَيٍّ ، وَصَالِحُ بْنُ مِرْدَاسٍ أَمِيرُ بَنِي كِلَابٍ ، وَسِنَانُ بْنُ عُلَيَّانَ ، وَتَحَالَفُوا ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَكُونَ مِنْ حَلَبَ إِلَى عَانَةَ لِصَالِحٍ ، وَمِنَ الرَّمْلَةِ إِلَى مِصْرَ لِحَسَّانَ ، وَدِمَشْقُ لِسِنَانٍ ، فَسَارَ حَسَّانُ إِلَى الرَّمْلَةِ فَحَصَرَهَا ، وَبِهَا أَنُوشْتِكِينُ ، فَسَارَ عَنْهَا إِلَى عَسْقَلَانَ ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا حَسَّانُ وَنَهَبَهَا وَقَتَلَ أَهْلَهَا ، وَذَلِكَ سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، أَيَّامَ الظَّاهِرِ لِإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ خَلِيفَةِ مِصْرَ.وَقَصَدَ صَالِحٌ حَلَبَ ، وَبِهَا إِنْسَانٌ يُعْرَفُ بِابْنِ ثُعْبَانٍ يَتَوَلَّى أَمْرَهَا لِلْمِصْرِيِّينَ ، وَبِالْقَلْعَةِ خَادِمٌ يُعْرَفُ بِمَوْصُوفٍ ، فَأَمَّا أَهْلُ الْبَلَدِ فَسَلَّمُوهُ إِلَى صَالِحٍ لِإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ ، وَلِسُوءِ سِيرَةِ الْمِصْرِيِّينَ مَعَهُمْ ، وَصَعِدَ ابْنُ ثُعْبَانٍ إِلَى الْقَلْعَةِ ، فَحَصَرَهُ صَالِحٌ بِالْقَلْعَةِ ، فَغَارَ الْمَاءُ الَّذِي بِهَا فَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ مَا يَشْرَبُونَ ، فَسَلَّمَ الْجُنْدُ الْقَلْعَةَ إِلَيْهِ ، وَذَلِكَ سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَمَلَكَ مِنْ بَعْلَبَكَّ إِلَى عَانَةَ ، وَأَقَامَ بِحَلَبَ سِتَّ سِنِينَ.فَلَمَّا كَانَ سَنَةُ عِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، جَهَّزَ الظَّاهِرُ صَاحِبُ مِصْرَ جَيْشًا ، وَسَيَّرَهُمْ إِلَى الشَّامِ لِقِتَالِ صَالِحٍ وَحَسَّانَ ، وَكَانَ مُقَدَّمُ الْعَسْكَرِ أَنُوشْتِكِينَ الدِّزْبَرِيَّ ، فَاجْتَمَعَ صَالِحٌ وَحَسَّانُ عَلَى قِتَالِهِ ، فَاقْتَتَلُوا بِالْأُقْحُوَانَةِ عَلَى الْأُرْدُنِّ ، عِنْدَ طَبْرِيَّةَ ، فَقُتِلَ صَالِحٌ وَوَلَدُهُ الْأَصْغَرُ ، وَأُنْفِذَ رَأْسَاهُمَا إِلَى مِصْرَ ، وَنَجَا وَلَدُهُ أَبُو كَامِلٍ نَصْرُ بْنُ صَالِحٍ ، فَجَاءَ إِلَى حَلَبَ وَمَلَكَهَا ، وَكَانَ لَقَبُهُ شِبْلَ الدَّوْلَةِ.فَلَمَّا عَلِمَتِ الرُّومُ بِأَنْطَاكِيَةَ الْحَالَ ، تَجَهَّزُوا إِلَى حَلَبَ فِي عَالَمٍ كَثِيرٍ ، فَخَرَجَ أَهْلُهَا فَحَارَبُوهُمْ فَهَزَمُوهُمْ ، وَنَهَبُوا أَمْوَالَهُمْ ، وَعَادُوا إِلَى أَنْطَاكِيَةَ ، وَبَقِيَ شِبْلُ الدَّوْلَةِ مَالِكًا لِحَلَبَ إِلَى سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الدِّزْبَرِيُّ الْعَسَاكِرَ الْمِصْرِيَّةَ ، وَصَاحِبُ مِصْرَ حِينَئِذٍ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ ، فَلَقِيَهُمْ عِنْدَ حَمَاةَ ، فَقُتِلَ فِي شَعْبَانَ وَمَلَكَ الدِّزْبَرِيُّ حَلَبَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَمَلَكَ الشَّامَ جَمِيعَهُ ، وَعَظُمَ أَمْرُهُ ، وَكَثُرَ مَالُهُ ، وَأَرْسَلَ يَسْتَدْعِي الْجُنْدَ الْأَتْرَاكَ مِنَ الْبِلَادِ ، فَبَلَغَ الْمِصْرِيِّينَ عَنْهُ أَنَّهُ عَازِمٌ عَلَى الْعِصْيَانِ ، فَتَقَدَّمُوا إِلَى أَهْلِ دِمَشْقَ بِالْخُرُوجِ عَنْ طَاعَتِهِ ، فَفَعَلُوا ، فَسَارَ عَنْهَا نَحْوَ حَلَبَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَتُوُفِّيَ بَعْدَ ذَلِكَ بِشَهْرٍ وَاحِدٍ.وَكَانَ أَبُو عُلْوَانَ ثِمَالُ بْنُ صَالِحِ بْنِ مِرْدَاسٍ الْمُلَقَّبُ بِمُعِزِّ الدَّوْلَةِ بِالرَّحْبَةِ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ مَوْتُ الدِّزْبَرِيِّ جَاءَ إِلَى حَلَبَ فَمَلَكَهَا تَسْلِيمًا مِنْ أَهْلِهَا ، وَحَاصَرَ امْرَأَةَ الدِّزْبَرِيِّ وَأَصْحَابِهِ بِالْقَلْعَةِ أَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا ، وَمَلَكَهَا فِي صَفَرٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فَبَقِيَ فِيهَا إِلَى سَنَةِ أَرْبَعِينَ.فَأَنْفَذَ الْمِصْرِيُّونَ إِلَى مُحَارَبَتِهِ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ ، فَخَرَجَ أَهْلُ حَلَبَ إِلَى حَرْبِهِ ، فَهَزَمَهُمْ ، وَاخْتَنَقَ مِنْهُمْ بِالْبَابِ جَمَاعَةٌ ، ثُمَّ إِنَّهُ رَحَلَ عَنْ حَلَبَ وَعَادَ إِلَى مِصْرَ ، وَأَصَابَهُمْ سَيْلٌ ذَهَبَ بِكَثِيرٍ مِنْ دَوَابِّهِمْ وَأَثْقَالِهِمْ.فَأَنْفَذَ الْمِصْرِيُّونَ إِلَى قِتَالِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ خَادِمًا يُعْرَفُ بِرِفْقٍ فَخَرَجَ إِلَيْهِ فِي أَهْلِ حَلَبَ فَقَاتَلُوهُ ، فَانْهَزَمَ الْمِصْرِيُّونَ ، وَأُسِرَ رِفْقٌ ، وَمَاتَ عِنْدَهُمْ ، وَكَانَ أَسْرُهُ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ.ثُمَّ إِنَّ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ بَعْدَ ذَلِكَ أَرْسَلَ الْهَدَايَا إِلَى الْمِصْرِيِّينَ ، وَأَصْلَحَ أَمْرَهُ مَعَهُمْ ، وَنَزَلَ لَهُمْ عَنْ حَلَبَ ، فَأَنْفَذُوا إِلَيْهَا أَبَا عَلِيٍّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ مُلْهَمٍ ، وَلَقَّبُوهُ مَكِينَ الدَّوْلَةِ ، فَتَسَلَّمَهَا مِنْ ثِمَالٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَسَارَ ثِمَالٌ إِلَى مِصْرَ فِي ذِي الْحِجَّةِ وَسَارَ أَخُوهُ أَبُو ذُؤَابَةَ عَطِيَّةُ بْنُ صَالِحٍ إِلَى الرَّحْبَةِ ، وَأَقَامَ ابْنُ مُلْهَمٍ بِحَلَبَ ، فَجَرَى بَيْنَ بَعْضِ السُّودَانِ وَأَحْدَاثِ حَلَبَ حَرْبٌ.وَسَمِعَ ابْنُ مُلْهَمٍ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ حَلَبَ قَدْ كَاتَبَ مَحْمُودَ بْنَ شِبْلِ الدَّوْلَةِ نَصْرِ بْنِ صَالِحٍ يَسْتَدْعُونَهُ لِيُسَلِّمُوا الْبَلَدَ إِلَيْهِ ، فَقَبَضَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ ، وَكَانَ مِنْهُمْ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِكَامِلِ بْنِ نُبَاتَةَ ، فَخَافَ ، فَجَلَسَ يَبْكِي ، وَكَانَ يَقُولُ لِكُلِّ مَنْ سَأَلَهُ عَنْ بُكَائِهِ إِنَّ أَصْحَابَنَا الَّذِينَ أُخِذُوا قَدْ قُتِلُوا ، وَأَخَافُ عَلَى الْبَاقِينَ ، فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْبَلَدِ ، وَاشْتَدُّوا ، وَرَاسَلُوا مَحْمُودًا ، وَهُوَ عَنْهُمْ مَسِيرَةَ يَوْمٍ ، يَسْتَدْعُونَهُ ، وَحَصَرُوا ابْنَ مُلْهَمٍ ، وَجَاءَ مَحْمُودٌ وَحَصَرَهُ مَعَهُمْ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .وَوَصَلَتِ الْأَخْبَارُ إِلَى مِصْرَ ، فَسَيَّرُوا نَاصِرَ الدَّوْلَةِ أَبَا عَلِيِّ بْنَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ فِي عَسْكَرٍ ، بَعْدَ اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ يَوْمًا مِنْ دُخُولِ مَحْمُودٍ حَلَبَ ، فَلَمَّا قَارَبَ الْبَلَدَ خَرَجَ مَحْمُودٌ عَنْ حَلَبَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ ، وَاخْتَفَى الْأَحْدَاثُ جَمِيعُهُمْ ، وَكَانَ عَطِيَّةُ بْنُ صَالِحٍ نَازِلًا بِقُرْبِ الْبَلَدِ ، وَقَدْ كَرِهَ فِعْلَ مَحْمُودِ ابْنِ أَخِيهِ ، فَقَبَضَ ابْنُ مُلْهَمٍ عَلَى مِائَةٍ وَخَمْسِينَ مِنَ الْأَحْدَاثِ ، وَنَهَبَ وَسَطَ الْبَلَدِ ، وَأَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ.وَأَمَّا نَاصِرُ الدَّوْلَةِ فَلَمْ يُمَكِّنْ أَصْحَابَهُ مِنْ دُخُولِ الْبَلَدِ وَنَهْبِهِ ، وَسَارَ فِي طَلَبِ مَحْمُودٍ ، فَالْتَقَيَا بِالْفُنَيْدِقِ فِي رَجَبٍ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ ابْنِ حَمْدَانَ ، وَثَبَتَ هُوَ فَجُرِحَ ، وَحُمِلَ إِلَى مَحْمُودٍ أَسِيرًا ، فَأَخَذَهُ وَسَارَ إِلَى حَلَبَ فَمَلَكَهَا ، وَمَلَكَ الْقَلْعَةَ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَأَطْلَقَ ابْنَ حَمْدَانَ ، فَسَارَ هُوَ وَابْنُ مُلْهَمٍ إِلَى مِصْرَ ، فَجَهَّزَ الْمِصْرِيُّونَ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ ثِمَالَ بْنَ صَالِحٍ إِلَى ابْنِ أَخِيهِ ، فَحَصَرَهُ فِي حَلَبَ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنَ السَّنَةِ ، فَاسْتَنْجَدَ مَحْمُودٌ خَالَهُ مَنِيعَ بْنَ شَبِيبِ بْنِ وَثَّابٍ النُّمَيْرِيَّ ، صَاحِبَ حَرَّانَ ، فَجَاءَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا بَلَغَ ثِمَالًا مَجِيئُهُ سَارَ عَنْ حَلَبَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .وَعَادَ مَنِيعٌ إِلَى حَرَّانَ ، فَعَادَ ثِمَالٌ إِلَى حَلَبَ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ مَحْمُودُ ابْنُ أَخِيهِ ، فَاقْتَتَلُوا ، وَقَاتَلَ مَحْمُودٌ قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ انْهَزَمَ مَحْمُودٌ فَمَضَى إِلَى أَخْوَالِهِ بَنِي نُمَيْرٍ بِحَرَّانَ ، وَتَسَلَّمَ ثِمَالٌ حَلَبَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَخَرَجَ إِلَى الرُّومِ ، فَغَزَاهُمْ ، ثُمَّ تُوُفِّيَ بِحَلَبَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَكَانَ كَرِيمًا ، وَحَلِيمًا ، وَأَوْصَى بِحَلَبَ لِأَخِيهِ عَطِيَّةَ بْنِ صَالِحٍ فَمَلَكَهَا.وَنَزَلَ بِهِ قَوْمٌ مِنَ التُّرْكُمَانِ مَعَ ابْنِ خَانَ التُّرْكُمَانِيِّ ، فَقَوِيَ بِهِمْ ، فَأَشَارَ أَصْحَابُهُ بِقَتْلِهِمْ ، فَأَمَرَ أَهْلَ الْبَلَدِ بِذَلِكَ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ جَمَاعَةً ، وَنَجَا الْبَاقُونَ ، فَقَصَدُوا مَحْمُودًا بِحَرَّانَ ، وَاجْتَمَعُوا مَعَهُ عَلَى حِصَارِ حَلَبَ ، فَحَصَرَهَا وَمَلَكَهَا فِي رَمَضَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .وَقَصَدَ عَمُّهُ عَطِيَّةُالرَّقَّةَ فَمَلَكَهَا ، وَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى أَخَذَهَا مِنْهُ شَرَفُ الدَّوْلَةِ مُسْلِمُ بْنُ قُرَيْشٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَسَارَ عَطِيَّةُ إِلَى بَلَدِ الرُّومِ ، فَمَاتَ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ.وَأَرْسَلَ مَحْمُودٌ التُّرْكُمَانَ مَعَ أَمِيرِهِمُ ابْنِ خَانَ إِلَى أَرْتَاحَ ، فَحَصَرَهَا وَأَخَذَهَا مِنَ الرُّومِ سَنَةَ سِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَسَارَ مَحْمُودٌ إِلَى طَرَابُلُسَ ، فَحَصَرَهَا ، وَأَخَذَ مِنْ أَهْلِهَا مَالًا وَعَادَ ، وَأَرْسَلَهُ مَحْمُودٌ فِي رِسَالَةٍ إِلَى السُّلْطَانِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ ، وَمَاتَ مَحْمُودٌ فِي حَلَبَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فِي ذِي الْحِجَّةِ ، وَوَصَّى بِهَا بَعْدَهُ لِابْنِهِ شَيْبٍ ، فَلَمْ يُنَفِّذْ أَصْحَابُهُ وَصِيتَهُ لِصِغَرِهِ ، وَسَلَّمُوا الْبَلَدَ إِلَى وَلَدِهِ الْأَكْبَرِ ، وَاسْمُهُ نَصْرٌ ، وَجَدُّهُ لِأُمِّهِ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ بْنُ الْمَلِكِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ وَتَزَوَّجَهَا عِنْدَ دُخُولِهِمْ مِصْرَ لَمَّا مَلَكَ طُغْرُلْبَكَ الْعِرَاقَ.وَكَانَ نَصْرٌ يُدْمِنُ شُرْبَ الْخَمْرِ ، فَحَمَلَهُ السُّكْرُ عَلَى أَنْ خَرَجَ إِلَى التُّرْكُمَانِ الَّذِينَ مَلَّكُوا أَبَاهُ الْبَلَدَ ، وَهُمْ بِالْحَاضِرِ ، يَوْمَ الْفِطْرِ ، فَلَقُوهُ ، وَقَبَّلُوا الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَسَبَّهُمْ وَأَرَادَ قَتْلَهُمْ ، فَرَمَاهُ أَحَدُهُمْ بِنُشَّابَةٍ فَقَتَلَهُ ، وَمَلَكَ أَخُوهُ سَابِقٌ ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ أَبُوهُ أَوْصَى لَهُ بِحَلَبَ ، فَلَمَّا صَعِدَ الْقَلْعَةَ اسْتَدْعَى أَحْمَدَ شَاهَ مُقَدَّمَ التُّرْكُمَانِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَبَقِيَ فِيهَا إِلَى سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَقَصَدَهُ تُتُشُ بْنُ أَلْبِ أَرْسَلَانَ ، فَحَصَرَهُ بِحَلَبَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَنِصْفًا ، ثُمَّ رَحَلَ عَنْهُ ، وَنَازَلَهُ شَرَفُ الدَّوْلَةِ ، فَأَخَذَ الْبَلَدَ مِنْهُ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى; فَهَذِهِ جَمِيعُ أَخْبَارِ بَنِي مِرْدَاسٍ أَتَيْتُ بِهَا مُتَتَابِعَةً لِئَلَّا تُجْهَلَ إِذَا تَفَرَّقَتْ .ذِكْرُ قَتْلِ جَمَاعَةٍ مِنْ خَفَاجَةَ لَمَّا فَتَحَ الْمَلِكُ فَخْرُ الدَّوْلَةِ دَيْرَ الْعَاقُولِ أَتَاهُ سُلْطَانٌ ، وَعُلْوَانُ ، وَرَجَبٌ ، أَوْلَادُ ثِمَالٍ الْخَفَاجِيِّ ، وَمَعَهُمْ أَعْيَانُ عَشَائِرِهِمْ ، وَضَمِنُوا حِمَايَةَ سَقْيِ الْفُرَاتِ ، وَدَفْعِ عُقَيْلٍ عَنْهَا ، وَسَارُوا مَعَهُ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَأَكْرَمَهُمْ وَخَلَعَ عَلَيْهِمْ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْمَسِيرِ مَعَ ذِي السَّعَادَتَيْنِ الْحَسَنِ بْنِ مَنْصُورٍ إِلَى الْأَنْبَارِ ، فَسَارُوا ، فَلَمَّا صَارُوا بِنَوَاحِي الْأَنْبَارِ أَفْسَدُوا وَعَاثُوا ، فَقَبَضَ ذُو السَّعَادَتَيْنِ عَلَى نَفَرٍ مِنْهُمْ ، ثُمَّ أَطْلَقَهُمْ وَاسْتَحْلَفَهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ ، وَالْكَفِّ عَنِ الْأَذَى ، فَأَشَارَ كَاتِبٌ نَصْرَانِيٌّ مِنْ أَهْلِ دَقُوقَا عَلَى سُلْطَانِ بْنِ ثِمَالٍ بِالْقَبْضِ عَلَى ذِي السَّعَادَتَيْنِ ، وَأَنْ يُظْهِرَ أَنَّ عُقَيْلًا قَدْ أَغَارُوا ، فَإِذَا خَرَجَ عَسْكَرُ ذِي السَّعَادَتَيْنِ انْفَرَدَ بِهِ فَأَخَذَهُ.فَوَصَلَ إِلَى ذِي السَّعَادَتَيْنِ الْخَبَرُ.ثُمَّ إِنَّ سُلْطَانًا أَرْسَلَ إِلَيْهِ يَقُولُ لَهُ إِنَّ عُقَيْلًا قَدْ قَارَبُوا الْأَنْبَارَ ، وَيَطْلُبُ مِنْهُ إِنْفَاذَ الْعَسْكَرِ ، فَقَالَ ذُو السَّعَادَتَيْنِ أَنَا أَرْكَبُ وَآخُذُ الْعَسَاكِرَ ثُمَّ دَافَعَهُ إِلَى أَنْ فَاتَ وَقْتُ السَّيْرِ ، فَانْتَقَضَ عَلَى سُلْطَانٍ مَا دَبَّرَهُ ، فَأَرْسَلَ يَقُولُ قَدْ أَخَذْتُ جَمَاعَةً مِنْ عُقَيْلٍ ، ثُمَّ إِنَّ ذَا السَّعَادَتَيْنِ صَنَعَ طَعَامًا كَثِيرًا ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ سُلْطَانٌ وَكَاتِبُهُ النَّصْرَانِيُّ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِ خَفَاجَةَ ، فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِقَتْلِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ ، وَقَبَضَ عَلَى سُلْطَانٍ وَكَاتِبِهِ وَجَمَاعَتِهِ ، وَنَهَبَ بُيُوتَهُمْ وَمَا فِيهَا ، وَحَبَسَ سُلْطَانًا وَمَنْ مَعَهُ بِبَغْدَاذَ ، حَتَّى شَفَعَ فِيهِمْ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ مَزْيَدٍ ، وَبَذَلَ مَالًا عَنْهُمْ فَأُطْلِقُوا.وَذَكَرَ ابْنُ نُبَاتَةَ وَغَيْرُهُ هَذِهِ الْحَادِثَةَ.ذِكْرُ الْقَدْحِ فِي نَسَبِ الْعَلَوِيِّينَ الْمِصْرِيِّينَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كُتِبَ بِبَغْدَاذَ مَحْضَرٌ يَتَضَمَّنُ الْقَدْحَ فِي نَسَبِ الْعَلَوِيِّينَ خُلَفَاءِ مِصْرَ ، وَكَتَبَ فِيهِ الْمُرْتَضَى وَأَخُوهُ الرَّضِيُّ ، وَابْنُ الْبَطْحَاوِيُّ الْعَلَوِيُّ ، وَابْنُ الْأَزْرَقِ الْمُوسَوِيُّ ، وَالزَّكِيُّ أَبُو يَعْلَى مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ أَبِي يَعْلَى ، وَمِنَ الْقُضَاةِ وَالْعُلَمَاءِ ابْنُ الْأَكْفَانِيِّ وَابْنُ الْخَرَزِيِّ ، وَأَبُو الْعَبَّاسِ الْأَبِيوَرْدِيُّ ، وَأَبُو حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِينِيُّ ، وَالْكَشْفَلِيُّ ، وَالْقُدُورِيُّ ، وَالصَّيْمَرِيُّ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْبَيْضَاوِيُّ ، وَأَبُو الْفَضْلِ النَّسَوِيُّ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ النُّعْمَانِ فَقِيهُ الشِّيعَةِ ، وَغَيْرُهُمْ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا الِاخْتِلَافَ فِيهِمْ عِنْدَ ابْتِدَاءِ دَوْلَتِهِمْ سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ذِكْرُ أَخْذِ بَنِي خَفَاجَةَ الْحُجَّاجَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَتْ خَفَاجَةُ إِلَى وَاقِصَةَ ، وَنَزَحُوا مَاءَ الْبَرْمَكِيِّ وَالرَّيَّانِ وَأَلْقَوْا فِيهِمَا الْحَنْظَلَ وَوَصَلَ الْحُجَّاجُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْعَقَبَةِ ، فَلَقِيَهُمْ خَفَاجَةُ وَمَنَعُوهُمُ الْمَاءَ ، ثُمَّ قَاتَلُوهُمْ فَلَمْ يَكُنْ فِيهِمُ امْتِنَاعٌ ، فَأَكْثَرُوا الْقَتْلَ ، وَأَخَذُوا الْأَمْوَالَ ، وَلَمْ يَسْلَمْ مِنَ الْحَاجِّ إِلَّا الْيَسِيرُ ، فَبَلَغَ الْخَبَرُ فَخْرَ الْمُلْكِ الْوَزِيرَ بِبَغْدَاذَ ، فَسَيَّرَ الْعَسَاكِرَ فِي إِثْرِهِمْ ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مَزْيَدٍ يَأْمُرُهُ بِطَلَبِ الْعَرَبِ ، وَالْأَخْذِ مِنْهُمْ بِثَأْرِ الْحَاجِّ ، وَالِانْتِقَامِ ، فَسَارَ خَلْفَهُمْ فَلَحِقَهُمْ وَقَدْ قَارَبُوا الْبَصْرَةَ ، فَأَوْقَعُوا بِهِمْ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ وَأَسَرَ جَمْعًا كَثِيرًا ، وَأَخَذَ مِنْ أَمْوَالِ الْحَاجِّ مَا رَآهُ ، وَكَانَ الْبَاقِي قَدْ أَخَذَهُ الْعَرَبُ وَتَفَرَّقُوا ، وَأَرْسَلَ الْأَسْرَى وَمَا اسْتَرَدَّهُ مِنْ أَمْتِعَةِ الْحَاجِّ إِلَى الْوَزِيرِ ، فَحَسُنَ مَوْقِعُهُ مِنْهُ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ الْوَفَيَاتُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ اللَّبَّانِ الْفَرَضِيُّ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَتُوُفِّيَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ عُثْمَانُ بْنُ عِيسَى أَبُو عَمْرٍو الْبَاقِلَّانِيُّ الْعَابِدُ ، وَكَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ ، رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ قَتْلِ قَابُوسَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ شَمْسُ الْمَعَالِي قَابُوسُ بْنُ وَشْمَكِيرَ.وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّهُ كَانَ مَعَ كَثْرَةِ فَضَائِلِهِ وَمَنَاقِبِهِ ، عَظِيمَ السِّيَاسَةِ ، شَدِيدَ الْأَخْذِ ، قَلِيلَ الْعَفْوِ ، يَقْتُلُ عَلَى الذَّنْبِ الْيَسِيرِ ، فَضَجِرَ أَصْحَابُهُ مِنْهُ ، وَاسْتَطَالُوا أَيَّامَهُ ، وَاتَّفَقُوا عَلَى خَلْعِهِ وَالْقَبْضِ عَلَيْهِ.وَكَانَ حِينَئِذٍ غَائِبًا عَنْ جُرْجَانَ ، فَخَفِيَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ ، فَلَمْ يَشْعُرْ ذَاتَ لَيْلَةٍ إِلَّا وَقَدْ أَحَاطَ الْعَسْكَرُ بِبَابِ الْقَلْعَةِ الَّتِي كَانَ بِهَا ، وَانْتَهَبُوا أَمْوَالَهُ ، وَدَوَابَّهُ ، وَأَرَادُوا اسْتِنْزَالَهُ مِنَ الْحِصْنِ ، فَقَاتَلَهُمْ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ خَوَاصِّهِ وَأَصْحَابِهِ ، فَعَادُوا وَلَمْ يَظْفَرُوا بِهِ ، وَدَخَلُوا جُرْجَانَ وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا ، وَعَصَوْا عَلَيْهِ بِهَا ، وَبَعَثُوا إِلَى ابْنِهِ مُنُوجَهْرَ ، وَهُوَ بِطَبَرِسْتَانَ ، يُعَرِّفُونَهُ الْحَالَ ، وَيَسْتَدْعُونَهُ لِيُوَلُّوهُ أَمْرَهُمْ ، فَأَسْرَعَ السَّيْرَ نَحْوَهُمْ خَوْفًا مِنْ خُرُوجِ الْأَمْرِ عَنْهُ ، فَالْتَقَوْا وَاتَّفَقُوا عَلَى طَاعَتِهِ إِنْ هُوَ خَلَعَ أَبَاهُ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ عَلَى كُرْهٍ.وَكَانَ أَبُوهُ شَمْسُ الْمَعَالِي قَدْ سَارَ نَحْوَ بِسْطَامَ عِنْدَ حُدُوثِ هَذِهِ الْفِتْنَةِ لِيَنْظُرَ فِيمَا تُسْفِرُ عَنْهُ ، فَأَخَذُوا مُنُوجَهْرَ مَعَهُمْ ، عَازِمِينَ عَلَى قَصْدِ وَالِدِهِ وَإِزْعَاجِهِ مِنْ مَكَانِهِ ، فَسَارَ مَعَهُمْ مُضْطَرًّا ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى أَبِيهِ أَذِنَ لَهُ وَحْدَهُ دُونَ غَيْرِهِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَعِنْدَهُ جَمْعٌ مِنْ أَصْحَابِهِ الْمُحَامِينَ عَنْهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ تَشَاكَيَا مَا هُمَا فِيهِ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ مُنُوجَهْرُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي قِتَالِ أُولَئِكَ الْقَوْمِ وَدَفْعِهِمْ وَإِنْ ذَهَبَتْ نَفْسُهُ.فَرَأَى شَمْسُ الْمَعَالِي ضِدَّ ذَلِكَ ، وَسَهُلَ عَلَيْهِ حَيْثُ صَارَ الْمُلْكُ إِلَى وَلَدِهِ ، فَسَلَّمَ إِلَيْهِ خَاتَمَ الْمُلْكِ ، وَوَصَّاهُ بِمَا يَفْعَلُهُ ، وَاتَّفَقَا عَلَى أَنْ يَنْتَقِلَ هُوَ إِلَى قَلْعَةِ جَنَاشْكَ يَتَفَرَّغُ لِلْعِبَادَةِ إِلَى أَنْ يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ وَيَنْفَرِدَ مُنُوجَهْرُ بِتَدْبِيرِ الْمُلْكِ.وَسَارَ إِلَى الْقَلْعَةِ الْمَذْكُورَةِ مَعَ مَنِ اخْتَارَهُ لِخِدْمَتِهِ ، وَسَارَ مُنُوجَهْرُ إِلَى جُرْجَانَ ، وَتَوَلَّى الْمُلْكَ وَضَبَطَهُ ، وَدَارَى أُولَئِكَ الْأَجْنَادَ ، وَهُمْ نَافِرُونَ خَائِفُونَ مِنْ شَمْسِ الْمَعَالِي مَا دَامَ حَيًّا ، فَمَا زَالُوا يَحْتَالُونَ وَيُجِيلُونَ الرَّأْيَ حَتَّى دَخَلُوا إِلَى مُنُوجَهْرَ وَخَوَّفُوهُ مِنْ أَبِيهِ مِثْلَ مَا جَرَى لِهِلَالِ بْنِ بَدْرٍ مَعَ أَبِيهِ ، وَقَالُوا لَهُ مَهْمَا كَانَ وَالِدُكَ فِي الْحَيَاةِ لَا نَأْمَنُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ وَاسْتَأْذَنُوهُ فِي قَتْلِهِ ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ جَوَابًا ، فَمَضَوْا إِلَيْهِ إِلَى الدَّارِ الَّتِي هُوَ فِيهَا ، وَقَدْ دَخَلَ إِلَى الطَّهَارَةِ مُتَخَفِّفًا ، فَأَخَذُوا مَا عِنْدَهُ مِنْ كِسْوَةٍ ، وَكَانَ الزَّمَانُ شِتَاءًا ، وَكَانَ يَسْتَغِيثُ أَعْطُونِي وَلَوْ جُلَّ دَابَّةٍ فَلَمْ يَفْعَلُوا ، فَمَاتَ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ وَجَلَسَ وَلَدُهُ لِلْعَزَاءِ ، وَلَقَّبَ الْقَادِرُ بِاللَّهِ مُنُوجَهْرَ فَلَكَ الْمَعَالِي.ثُمَّ إِنَّ مُنُوجَهْرَ رَاسَلَ يَمِينَ الدَّوْلَةِ ، وَدَخَلَ فِي طَاعَتِهِ ، وَخَطَبَ لَهُ عَلَى مَنَابِرِ بِلَادِهِ ، وَخَطَبَ إِلَيْهِ أَنْ يُزَوِّجَهُ بَعْضَ بَنَاتِهِ ، فَفَعَلَ ، فَقَوِيَ جَنَانُهُ ، وَشَرَعَ فِي التَّدْبِيرِ عَلَى أُولَئِكَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَبَاهُ ، فَأَبَادَهُمْ بِالْقَتْلِ وَالتَّشْرِيدِ.وَكَانَ قَابُوسُ عَزِيزَ الْأَدَبِ ، وَافِرَ الْعِلْمِ ، لَهُ رَسَائِلُ وَشِعْرٌ حَسَنٌ ، وَكَانَ عَالِمًا بِالنُّجُومِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْعُلُومِ ، فَمِنْ شِعْرِهِ قُلْ لِلَّذِي ، بِصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيَّرَنَا...هَلْ عَانَدَ الدَّهْرَ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ أَمَا تَرَى الْبَحْرَ يَطْفُو فَوْقَهُ جِيَفٌ...وَتَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَعْرِهِ الدُّرَرُ فَإِنْ تَكُنْ نَشَبَتْ أَيْدِي الْخُطُوبِ بِنَا وَمَسَّنَا مِنْ تَوَالِي صَرْفِهَا ضَرَرُ فَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ لَا عِدَادَ لَهَا ...وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ذِكْرُ مَوْتِ أَيْلَكَ الْخَانِ وَوِلَايَةِ أَخِيهِ طُغَانَ خَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ أَيْلَكُ الْخَانُ وَهُوَ يَتَجَهَّزُ لِلْعَوْدِ إِلَى خُرَاسَانَ ، لِيَأْخُذَ بِثَأْرِهِ مِنْ يَمِينِ الدَّوْلَةِ ، وَكَاتَبَ قَدْرَ خَانَ وَطُغَانَ خَانَ لِيُسَاعِدَاهُ عَلَى ذَلِكَ.فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَلِيَ بَعْدَهُ أَخُوهُ طُغَانَ ، فَرَاسَلَ يَمِينَ الدَّوْلَةِ وَصَالَحَهُ ، وَقَالَ لَهُ الْمَصْلَحَةُ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ أَنْ تَشْتَغِلَ أَنْتَ بِغَزْوِ الْهِنْدِ ، وَأَشْتَغِلُ أَنَا بِغَزْوِ التُّرْكِ ، وَأَنْ يَتْرُكَ بَعْضُنَا بَعْضًا ، فَوَافَقَ ذَلِكَ هَوَاهُ ، فَأَجَابَهُ إِلَيْهِ ، وَزَالَ الْخِلَافُ ، وَاشْتَغَلَا بِغَزْوِ الْكُفَّارِ.وَكَانَ أَيْلَكُ الْخَانُ خَيِّرًا ، عَادِلًا ، حَسَنَ السِّيرَةِ ، مُحِبًّا لِلدِّينِ وَأَهْلِهِ ، مُعَظِّمًا لِلْعِلْمِ وَأَهْلِهِ ، مُحْسِنًا إِلَيْهِمْ.ذِكْرُ وَفَاةِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ وَمُلْكِ سُلْطَانِ الدَّوْلَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، خَامِسِ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، تُوُفِّيَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ أَبُو نَصْرِ بْنُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ ، وَهُوَ الْمَلِكُ حِينَئِذٍ بِالْعِرَاقِ ، وَكَانَ مَرَضُهُ تَتَابُعَ الصَّرَعِ مِثْلَ مَرَضِ أَبِيهِ ، وَكَانَ مَوْتُهُ بِأَرَّجَانَ ، وَحُمِلَ إِلَى مَشْهَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَدُفِنَ عِنْدَ أَبِيهِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ عُمْرُهُ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَنِصْفًا ، وَمُلْكُهُ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً.وَلَمَّا تُوُفِّيَ وَلِيَ الْمُلْكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ أَبُو شُجَاعٍ ، وَسَارَ مِنْ أَرَّجَانَ إِلَى شِيرَازَ ، وَوَلَّى أَخَاهُ جَلَالَ الدَّوْلَةِ أَبَا طَاهِرِ بْنَ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ الْبَصْرَةَ ، وَأَخَاهُ أَبَا الْفَوَارِسِ كِرْمَانَ.ذِكْرُ وِلَايَةِ سُلَيْمَانَ الْأَنْدَلُسَ ، الدَّوْلَةُ الثَّانِيَةُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَلَكَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ الْأُمَوِيُّ ، وَلُقِّبَ الْمُسْتَعِينَ ، وَهَذِهِ غُبْرُ وِلَايَتِهِ ، مُنْتَصَفُ شَوَّالٍ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ سَنَةَ أَرْبَعِمِائَةٍ ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ وَخَرَجَ أَهْلُ قُرْطُبَةَ إِلَيْهِ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ ، فَأَنْشَدَ مُتَمَثِّلًا إِذَا مَا رَأَوْنِي طَالِعًا مِنْ ثَنِيِّةٍ...يَقُولُونَ مَنْ هَذَا ، وَقَدْ عَرَفُونِي يَقُولُونَ لِي أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا...وَلَوْ ظَفِرُوا بِي سَاعَةً قَتَلُونِي وَكَانَ سُلَيْمَانُ أَدِيبًا شَاعِرًا بَلِيغًا ، وَأُرِيقَ فِي أَيَّامِهِ دِمَاءٌ كَثِيرَةٌ لَا تُحَدُّ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ ذَلِكَ سَنَةَ أَرْبَعِمِائَةٍ ، وَكَانَ الْبَرْبَرُ هُمُ الْحَاكِمِينَ فِي دَوْلَتِهِ لَا يَقْدِرُ عَلَى خِلَافِهِمْ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَامَّةَ جُنْدِهِ ، وَهُمُ الَّذِينَ قَامُوا مَعَهُ حَتَّى مَلَّكُوهُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ ذَلِكَ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَلَعَ سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مَزْيَدٍ الْأَسَدِيِّ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ.وَفِيهَا قُلِّدَ الرَّضِيُّ الْمُوسَوِيُّ ، صَاحِبُ الدِّيوَانِ الْمَشْهُورِ ، نِقَابَةَ الْعَلَوِيِّينَ بِبَغْدَاذَ ، وَخُلِعَ عَلَيْهِ سَوَادٌ ، وَهُوَ أَوَّلُ طَالِبِيٍّ خُلِعَ عَلَيْهِ السَّوَادُ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيُّ ، وَاسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى ، الْفَقِيهُ الْحَنَفِيُّ ، وَأَبُو الْحَارِثِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الْعَلَوِيُّ ، نَقِيبُ الْكُوفَةِ ، وَكَانَ يَسِيرُ بِالْحَاجِّ عَشْرَ سِنِينَ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنُ بْنُ حَامِدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مَرْوَانَ ، الْفَقِيهُ الْحَنْبَلِيُّ ، وَلَهُ تَصَانِيفُ فِي الْفِقْهِ ، وَالْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الطَّيِّبِ الْمُتَكَلِّمُ الْأَشْعَرِيُّ ، وَكَانَ مَالِكِيَّ الْمَذْهَبِ ، رَثَاهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ انْظُرْ إِلَى جَبَلٍ تَمْشِي الرِّجَالُ بِهِ...وَانْظُرْ إِلَى الْقَبْرِ مَا يَحْوِي مِنَ الصَّلَفِ وَانْظُرْ إِلَى صَارِمِ الْإِسْلَامِ مُنْغَمِدًا...وَانْظُرْ إِلَى دُرَّةِ الْإِسْلَامِ فِي الصَّدَفِ وَفِيهَا قُتِلَ أَبُو الْوَلِيدِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْفَرَضِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ ، بِقُرْطُبَةَ ، قَتَلَهُ الْبَرْبَرُ . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ فَتْحِ يَمِينِ الدَّوْلَةِ نَارْدِينَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْهِنْدِ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ وَحَشْدٍ كَثِيرٍ ، وَقَصَدَ وَاسِطَةَ الْبِلَادِ مِنَ الْهِنْدِ ، فَسَارَ شَهْرَيْنِ ، حَتَّى قَارَبَ مَقْصِدَهُ ، وَرَتَّبَ أَصْحَابَهُ وَعَسَاكِرَهُ ، فَسَمِعَ عَظِيمُ الْهِنْدِ بِهِ ، فَجَمَعَ مَنْ عِنْدَهُ مِنْ قُوَّادِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَبَرَزَ إِلَى جَبَلٍ هُنَاكَ ، صَعْبِ الْمُرْتَقَى ، ضَيِّقِ الْمَسْلَكِ ، فَاحْتَمَى بِهِ ، وَطَاوَلَ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَتَبَ إِلَى الْهُنُودِ يَسْتَدْعِيهِمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ كُلُّ مَنْ يَحْمِلُ سِلَاحًا ، فَلَمَّا تَكَامَلَتْ عُدَّتُهُ نَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ ، وَتَصَافَّ هُوَ وَالْمُسْلِمُونَ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ وَعَظُمَ الْأَمْرُ.ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَنَحَ الْمُسْلِمِينَ أَكْتَافَهُمْ فَهَزَمُوهُمْ ، وَأَكْثَرُوا الْقَتْلَ فِيهِمْ ، وَغَنِمُوا مَا مَعَهُمْ مِنْ مَالٍ ، وَفِيلٍ ، وَسِلَاحٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.وَوُجِدَ فِي بَيْتٍ بُدًّا عَظِيمًا حَجَرًا مَنْقُورًا دَلَّتْ كِتَابَتُهُ عَلَى أَنَّهُ مَبْنِيٌّ مُنْذُ أَرْبَعِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، فَعَجِبَ النَّاسُ لِقِلَّةِ عُقُولِهِمْ.فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غَزْوَتِهِ عَادَ إِلَى غَزْنَةَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْقَادِرِ بِاللَّهِ يَطْلُبُ مِنْهُ مَنْشُورًا وَعَهْدًا بِخُرَاسَانَ وَمَا بِيَدِهِ مِنَ الْمَمَالِكِ ، فَكُتِبَ لَهُ ذَلِكَ ، وَلُقِّبَ نِظَامَ الدِّينِ.ذِكْرُ مَا فَعَلَهُ خَفَاجَةُ دُفْعَةً أُخْرَى فِي هَذِهِ السَّنَةِ جَاءَ سُلْطَانُ بْنُ ثِمَالٍ ، وَاسْتَشْفَعَ بِأَبِي الْحَسَنِ بْنِ مَزْيَدٍ إِلَى فَخْرِ الْمُلْكِ لِيَرْضَى عَنْهُ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَأَخَذَ عَلَيْهِ الْعُهُودَ بِلُزُومِ مَا يُحْمَدُ أَمْرُهُ ، فَلَمَّا خَرَجَ وَصَلَتِ الْأَخْبَارُ بِأَنَّهُمْ نَهَبُوا سَوَادَ الْكُوفَةِ ، وَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنَ الْجُنْدِ ، وَأَتَى أَهْلُ الْكُوفَةِ مُسْتَغِيثِينَ ، فَسَيَّرَ فَخْرُ الْمُلْكِ إِلَيْهِمْ عَسْكَرًا ، وَكَتَبَ إِلَى ابْنِ مَزْيَدٍ وَغَيْرِهِ بِمُحَارَبَتِهِمْ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ ، وَأَوْقَعَ بِهِمْ بِنَهْرِ الرُّمَّانِ وَأَسَرَ مُحَمَّدَ بْنَ ثِمَالٍ وَجَمَاعَةً مَعَهُ ، وَنَجَا سُلْطَانٌ ، وَأُدْخِلَ الْأَسْرَى إِلَى بَغْدَاذَ مُشَهَّرِينَ وَحُبِسُوا.وَهَبَّ عَلَى الْمُنْهَزِمِينَ مِنْ بَنِي خَفَاجَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ حَارَّةٌ ، فَقَتَلَتْ مِنْهُمْ نَحْوَ خَمْسِمِائَةِ رَجُلٍ ، وَأَفْلَتَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ مِمَّنْ كَانُوا أُسِرُوا مِنَ الْحُجَّاجِ ، وَكَانُوا يَرْعَوْنَ إِبِلَهُمْ وَغَنَمَهُمْ ، فَعَادُوا إِلَى بَغْدَاذَ ، فَوَجَدَ بَعْضُهُمْ نِسَاءَهُمْ قَدْ تَزَوَّجْنَ وَوَلَدْنَ ، وَاقْتُسِمَتْ تَرِكَاتُهُمْ.ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ طَاهِرِ بْنِ هِلَالٍ عَلَى شَهْرَزُورَ قَدْ ذَكَرْنَا حَالَ شَهْرَزُورَ ، وَأَنَّ بَدْرَ بْنَ حَسَنَوَيْهِ سَلَّمَهَا إِلَى عَمِيدِ الْجُيُوشِ ، فَجَعَلَ فِيهَا نُوَّابَهُ.فَلَمَّا كَانَ الْآنَ سَارَ طَاهِرُ بْنُ هِلَالِ بْنِ بَدْرٍ إِلَى شَهْرَزُورَ ، وَقَاتَلَ مَنْ بِهَا مِنْ عَسْكَرِ فَخْرِ الْمُلْكِ ، وَأَخَذَهَا مِنْهُمْ فِي رَجَبٍ ، فَلَمَّا سَمِعَ الْوَزِيرُ الْخَبَرَ أَرْسَلَ إِلَى طَاهِرٍ يُعَاتِبُهُ ، وَيَأْمُرُهُ بِإِطْلَاقِ مَنْ أُسِرَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَفَعَلَ ، وَلَمْ تَزَلْ شَهْرَزُورُ بِيَدِ طَاهِرٍ إِلَى أَنْ قَتَلَهُ أَبُو الشَّوْكِ ، وَأَخَذَهَا مِنْهُ ، وَجَعَلَهَا لِأَخِيهِ مُهَلْهِلٍ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مَزْيَدٍ الْأَسَدِيُّ إِلَى أَبِي الشَّوْكِ عَلَى عَزْمِ مُحَارَبَتِهِ ، فَاصْطَلَحَا مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ وَتَزَوَّجَ ابْنُهُ أَبُو الْأَغَرِّ دُبَيْسُ بْنُ عَلِيٍّ بِأُخْتِ أَبِي الشَّوْكِ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ سَعِيدٍ الْإِصْطَخْرِيُّ ، وَهُوَ شَيْخٌ مِنْ شُيُوخِ الْمُعْتَزِلَةِ وَمَشْهُورِيهِمْ ، وَكَانَ عُمْرُهُ قَدْ زَادَ عَلَى ثَمَانِينَ سَنَةً ، وَلَهُ تَصَانِيفُ فِي الرَّدِّ عَلَى الْبَاطِنِيَّةِ . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ غَزْوَةِ تَانِيشَرَ قَدْ ذُكِرَ لِيَمِينِ الدَّوْلَةِ أَنَّ بِنَاحِيَةِ تَانِيشَرَ فِيَلَةٌ مِنْ جِنْسِ فِيَلَةِ الصَّيْلَمَانِ الْمَوْصُوفَةِ فِي الْحَرْبِ ، وَأَنَّ صَاحِبَهَا غَالٍ فِي الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ ، وَالْعِنَادِ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَعَزَمَ عَلَى غَزْوِهِ فِي عُقْرِ دَارِهِ ، وَأَنْ يُذِيقَهُ شَرْبَةً مِنْ كَأْسِ قِتَالِهِ ، فَسَارَ فِي الْجُنُودِ وَالْعَسَاكِرِ وَالْمُتَطَوِّعَةِ ، فَلَقِيَ فِي طَرِيقِهِ أَوْدِيَةً بَعِيدَةَ الْقَعْرِ ، وَعْرَةَ الْمَسَالِكِ ، وَقِفَارًا فَسِيحَةَ الْأَقْطَارِ وَالْأَطْرَافِ ، بَعِيدَةَ الْأَكْنَافِ ، وَالْمَاءُ بِهَا قَلِيلٌ ، فَلَقُوا شِدَّةً ، وَقَاسَوْا مَشَقَّةً إِلَى أَنْ قَطَعُوهَا.فَلَمَّا قَارَبُوا مَقْصِدَهُمْ لَقُوا نَهْرًا شَدِيدَ الْجَرْيَةِ ، صَعْبَ الْمَخَاضَةِ ، وَقَدْ وَقَفَ صَاحِبُ تِلْكَ الْبِلَادِ عَلَى طَرَفِهِ ، يَمْنَعُ مِنْ عُبُورِهِ ، وَمَعَهُ عَسَاكِرُهُ وَفِيَلَتُهُ الَّتِي كَانَ يُدِلُّ بِهَا.فَأَمَرَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ شُجْعَانَ عَسْكَرِهِ بِعُبُورِ النَّهْرِ ، وَإِشْغَالِ الْكَافِرِ بِالْقِتَالِ لِيَتَمَكَّنَ بَاقِي الْعَسْكَرِ مِنَ الْعُبُورِ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، وَقَاتَلُوا الْهُنُودَ ، وَشَغَلُوهُمْ عَنْ حِفْظِ النَّهْرِ ، حَتَّى عَبَرَ سَائِرُ الْعَسْكَرِ فِي الْمَخَاضَاتِ ، وَقَاتَلُوهُمْ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِمْ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ ، فَانْهَزَمَ الْهِنْدُ ، وَظَفِرَ الْمُسْلِمُونَ ، وَغَنِمُوا مَا مَعَهُمْ مِنْ أَمْوَالٍ وَفِيَلَةٍ ، وَعَادُوا إِلَى غَزْنَةَ مَوْفِّرِينَ ظَافِرِينَ.ذِكْرُ قَتْلِ بَدْرِ بْنِ حَسَنَوَيْهِ وَإِطْلَاقِ ابْنِهِ هِلَالٍ وَقَتْلِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ بَدْرُ بْنُ حَسَنَوَيْهِ أَمِيرُ الْجَبَلِ.وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّهُ سَارَ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ مَسْعُودٍ الْكُرْدِيِّ لِيَمْلِكَ عَلَيْهِ بِلَادَهُ ، فَحَصَرَهُ بِحِصْنِ كُوسَحْدَ ، فَضَجِرَ أَصْحَابُ بَدْرٍ مِنْهُ لِهُجُومِ الشِّتَاءِ ، فَعَزَمُوا عَلَى قَتْلِهِ ، فَأَتَاهُ بَعْضُ خَوَاصِّهِ وَعَرَّفَهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ فَمَنْ هُمُ الْكِلَابُ حَتَّى يَفْعَلُوا ذَلِكَ ، وَأَبْعَدَهُمْ ، فَعَادَ إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ ، فَقَالَ مِنْ وَرَاءِ الْخَرْكَاةِ الَّذِي أَعْلَمْتُكَ قَدْ قَوِيَ الْعَزْمُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ.وَخَرَجَ فَجَلَسَ عَلَى تَلٍّ ، فَثَارُوا بِهِ ، فَقَتَلَهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ تُسَمَّى الْجُورَقَانَ ، وَنَهَبُوا عَسْكَرَهُ ، وَتَرَكُوهُ وَسَارُوا.فَنَزَلَ الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ ، فَرَآهُ مُلْقًى عَلَى الْأَرْضِ ، فَأَمَرَ بِتَجْهِيزِهِ وَحَمْلِهِ إِلَى مَشْهَدِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيُدْفَنَ فِيهِ ، فَفُعِلَ ذَلِكَ.وَكَانَ عَادِلًا ، كَثِيرَ الصَّدَقَةِ وَالْمَعْرُوفِ ، كَبِيرَ النَّفْسِ ، عَظِيمَ الْهِمَّةِ.وَلَمَّا قُتِلَ هَرَبَ الْجُورَقَانُ إِلَى شَمْسِ الدَّوْلَةِ أَبِي طَاهِرِ بْنِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ ، فَدَخَلُوا فِي طَاعَتِهِ.وَكَانَ طَاهِرُ بْنُ هِلَالِ بْنِ بَدْرٍ هَارِبًا مِنْ جَدِّهِ بِنَوَاحِي شَهْرَزُورَ ، فَلَمَّا عَرَفَ بِقَتْلِهِ بَادَرَ يَطْلُبُ مُلْكَهُ ، فَوَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَمْسِ الدَّوْلَةِ حَرْبٌ ، فَأُسِرَ طَاهِرٌ وَحُبِسَ وَأُخِذَ مَا كَانَ قَدْ جَمَعَهُ بَعْدَ أَنْ مَلَكَ نَائِبًا مِنْ أَبِيهِ هِلَالٍ ، وَكَانَ عَظِيمًا ، وَحَمَلَهُ إِلَى هَمَذَانَ ، وَسَارَ اللُّرِيَّةُ وَالشَّاذِنْجَانَ إِلَى أَبِي الشَّوْكِ فَدَخَلُوا فِي طَاعَتِهِ.وَحِينَ قُتِلَ كَانَ ابْنُهُ هِلَالٌ مَحْبُوسًا عِنْدَ الْمَلِكِ سُلْطَانِ الدَّوْلَةِ ، كَمَا ذَكَرْنَا ، فَلَمَّا قُتِلَ بَدْرٌ اسْتَوْلَى شَمْسُ الدَّوْلَةِ بْنُ فَخْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ عَلَى بَعْضِ بِلَادِهِ ، فَلَمَّا عَلِمَ سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ بِذَلِكَ أَطْلَقَ هِلَالًا وَجَهَّزَهُ وَسَيَّرَهُ وَمَعَهُ الْعَسَاكِرُ لِيَسْتَعِيدَ مَا مَلَكَهُ شَمْسُ الدَّوْلَةِ مِنْ بِلَادِهِ.فَسَارَ إِلَى شَمْسِ الدَّوْلَةِ ، فَالْتَقَيَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، وَاقْتَتَلَ الْعَسْكَرَانِ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ هِلَالٍ ، وَأُسِرَ هُوَ ، فَقُتِلَ أَيْضًا ، وَعَادَتِ الْعَسَاكِرُ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ إِلَى بَغْدَاذَ عَلَى أَسْوَءِ حَالٍ.وَكَانَ مِمَّنْ أُسِرَ مَعَهُ أَبُو الْمُظَفَّرِ أَنُوشْتِكِينُ الْأَعْرَابِيُّ ، وَكَانَ فِي مَمْلَكَةِ بَدْرٍ سَابُورُ خَوَاسْتَ ، وَالدِّينَوَرُ ، وَبُرُوجِرْدُ ، وَنَهَاوَنْدُ ، وَأَسْدَابَاذُ ، وَقِطْعَةٌ مِنْ أَعْمَالِ الْأَهْوَازِ ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنَ الْقِلَاعِ وَالْوِلَايَاتِ.ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ عَلِيِّ بْنِ مَزْيَدٍ وَبَيْنَ بَنِي دُبَيْسٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي الْمُحَرَّمِ ، كَانَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مَزْيَدٍ الْأَسَدِيِّ وَبَيْنَ مُضَرَ ، وَنَبْهَانَ ، وَحَسَّانَ ، وَطِرَادُ بَنِي دُبَيْسٍ.وَسَبَبُهَا أَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا أَبَا الْغَنَائِمِ بْنَ مَزْيَدٍ أَخَا أَبِي الْحَسَنِ فِي حَرْبٍ بَيْنَهُمْ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا ، وَحَالَتِ الْأَيَّامُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَخْذِ بِثَأْرِهِ ، فَلَمَّا كَانَ الْآنَ تَجَهَّزَ لِقَصْدِهِمْ ، وَجَمَعَ الْعَرَبَ ، وَالشَّاذِنْجَانَ ، وَالْجَوَّانِيَّةَ ، وَغَيْرَهُمَا مِنَ الْأَكْرَادِ ، وَسَارَ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهُمْ خَرَجَتْ زَوْجَتُهُ ابْنَةُ دُبَيْسٍ وَقَصَدَتْ أَخَاهَا مُضَرَ بْنَ دُبَيْسٍ لَيْلًا ، وَقَالَتْ لَهُ قَدْ أَتَاكُنَّ ابْنُ مَزْيَدٍ فِيمَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ ، وَهُوَ يَقْنَعُ مِنْكُمْ بِإِبْعَادِ نَبْهَانَ قَاتِلِ أَخِيهِ ، فَأَبْعِدُوهُ ، وَقَدْ تَفَرَّقَتْ هَذِهِ الْعَسَاكِرُ.فَأَجَابَهَا أَخُوهَا مُضَرُ إِلَى ذَلِكَ ، وَامْتَنَعَ أَخُوهُ حَسَّانُ.فَلَمَّا سَمِعَ ابْنُ مَزْيَدٍ بِمَا فَعَلَتْهُ زَوْجَتُهُ أَنْكَرَهُ ، وَأَرَادَ طَلَاقَهَا ، فَقَالَتْ لَهُ خِفْتُ أَنْ أَكُونَ فِي هَذِهِ الْحَرْبِ بَيْنَ فَقْدِ أَخٍ حَمِيمٍ ، أَوْ زَوْجٍ كَرِيمٍ ، فَفَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ رَجَاءَ الصَّلَاحِ ، فَزَالَ مَا عِنْدَهُ مِنْهَا ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ ، وَتَقَدَّمُوا إِلَيْهِ بِالْحُلَلِ وَالْبُيُوتِ ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ لِمَا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الذُّحُولِ ، فَظَفَرَ ابْنُ مَزْيَدٍ بِهِمْ ، وَهَزَمَهُمْ ، وَقَتَلَ حَسَّانَ وَنَبْهَانَ ابْنَيْ دُبَيْسٍ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى الْبُيُوتِ وَالْأَمْوَالِ ، وَلَحِقَ مَنْ سَلِمَ مِنَ الْهَزِيمَةِ بِالْحُوَيْزَةِ.وَلَمَّا ظَفِرَ بِهِمْ رَأَى عِنْدَهُمْ مُكَاتَبَاتِ فَخْرِ الْمُلْكِ يَأْمُرُهُمْ بِالْجِدِّ فِي أَمْرِهِ وَيَعِدُهُمُ النُّصْرَةَ ، فَعَاتَبَهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَحَصَلَ بَيْنَهُمَا نُفْرَةٌ ، وَدَعَتْ فَخْرَ الْمُلْكِ الضَّرُورَةُ إِلَى تَقْلِيدِ ابْنِ مَزْيَدٍ الْجَزِيرَةَ الدُّبَيْسِيَّةِ ، وَاسْتَثْنَى مَوَاضِعَ مِنْهَا الطَّيِّبَ وَقُرْقُوبَ وَغَيْرَهُمَا ، وَبَقِيَ أَبُو الْحَسَنِ هُنَاكَ إِلَى جُمَادَى الْأُولَى.ثُمَّ إِنَّ مُضَرَ بْنَ دُبَيْسٍ جَمَعَ جَمْعًا ، وَكَبَسَ أَبَا الْحَسَنِ لَيْلًا ، فَهَرَبَ فِي نَفَرٍ يَسِيرٍ ، وَاسْتَوْلَى مُضَرُ عَلَى حُلَلِهِ وَأَمْوَالِهِ ، وَكُلِّ مَالِهِ ، وَلَحِقَ أَبُو الْحَسَنِ بِبَلَدِ النِّيلِ مُنْهَزِمًا.ذِكْرُ مُلْكِ شَمْسِ الدَّوْلَةِ الرَّيَّ وَعَوْدِهِ عَنْهَا لَمَّا مَلَكَ شَمْسُ الدَّوْلَةِ بْنُ فَخْرِ الدَّوْلَةِ وِلَايَةَ بَدْرِ بْنِ حَسَنَوَيْهِ وَأَخَذَ مَا فِي قِلَاعِهِ مِنَ الْأَمْوَالِ عَظُمَ شَأْنُهُ ، وَاتَّسَعَ مُلْكُهُ ، فَسَارَ إِلَى الرَّيِّ ، وَبِهَا أَخُوهُ مَجْدُ الدَّوْلَةِ ، فَرَحَلَ عَنِ الرَّيِّ وَمَعَهُ وَالِدَتُهُ إِلَى دُنْبَاوَنْدَ ، وَخَرَجَتْ عَسَاكِرُ الرَّيِّ إِلَى شَمْسِ الدَّوْلَةِ مُذْعِنَةً بِالطَّاعَةِ ، وَدَخَلَ الرَّيَّ وَمَلَكَهَا وَخَرَجَ مِنْهَا يَطْلُبُ أَخَاهُ وَوَالِدَتَهُ ، فَشَغَبَ الْجُنْدُ عَلَيْهِ ، وَزَادَ خَطْبُهُمْ ، وَطَالَبُوهُ مُطَالَبَاتٍ اتَّسَعَ الْخَرْقُ بِهَا ، فَعَادَ إِلَى هَمَذَانَ وَأَرْسَلَ إِلَى أَخِيهِ وَوَالِدَتِهِ يَأْمُرُهُمَا بِالْعَوْدِ إِلَى الرَّيِّ ، فَعَادَا.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ الْوَفَيَاتُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي شَعْبَانَ ، تُوُفِّيَ أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَتِّيُّ ، الْكَاتِبُ الشَّاعِرُ ، وَمِنْ شِعْرِهِ فِي تِكَّةٍ لِمَ لَا أَتِيَهُ وَمَضْجَعِي بَيْنَ الرَّوَادِفِ وَالْخُصُورِ...وَإِذَا نُسِجْتُ ، فَإِنَّنِي بَيْنَ التَّرَائِبِ وَالنُّحُورِ وَلَقَدْ نَشَأْتُ صَغِيرَةً بِأَكُفِّ رَبَّاتِ الْخُدُورِ وَلَهُ نَوَادِرُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا أَنَّهُ شَرِبَ فُقَّاعًا فِي دَارِ فَخْرِ الْمُلْكِ ، فَلَمْ يَسْتَطِبْهُ ، فَجَلَسَ مُفَكِّرًا ، فَقَالَ لَهُ الْفُقَّاعِيُّ فِي أَيِّ شَيْءٍ تُفَكِّرُ ؟فَقَالَ فِي دِقَّةِ صَنْعَتِكَ ، كَيْفَ أَمْكَنَكَ الْخِرَاءُ فِي هَذِهِ الْكِيزَانِ الضَّيِّقَةِ كُلِّهَا ؟.وَفِي رَمَضَانَ مِنْهَا قُتِلَ الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ يُوسُفُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ كَجٍّ الْفَقِيهُ ، وَكَانَ مِنْ أَئِمَّةِ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ ، وَكَانَ قَاضِيَ الدِّينَوَرِ ، قَتَلَهُ طَائِفَةٌ مِنْ عَامَّتِهَا خَوْفًا مِنْهُ.وَتُوُفِّيَ أَبُو نَصْرٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عُمَرَ بْنِ نُبَاتَةَ السَّعْدِيُّ الشَّاعِرُ ، وَالْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ الْأَكْفَانِيِّ ، قَاضِي بَغْدَاذَ ، وَوَلِيَ بَعْدَهُ قَضَاءَ الْقُضَاةِ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي الشَّوَارِبِ الْبَصْرِيُّ.وَتُوُفِّيَ أَبُو أَحْمَدَ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ الْأَدِيبُ ، وَأَبُو الْقَاسِمِ هِبَةُ اللَّهِ بْنُ عِيسَى ، كَاتِبُ مُهَذِّبِ الدَّوْلَةِ بِالْبَطِيحَةِ ، وَهُوَ مِنَ الْكُتَّابِ الْمُفْلِقِينَ ، وَمُكَاتَبَاتُهُ مَشْهُورَةٌ ، وَكَانَ مُمَدَّحًا ، وَمِمَّنْ مَدَحَهُ ابْنُ الْحَجَّاجِ.وَتُوُفِّيَ أَيْضًا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِدْرِيسَ أَبُو سَعْدٍ الْإِدْرِيسِيُّ ، الْإِسْتِرَابَاذِيُّ ، الْحَافِظُ ، نَزِيلُ سَمَرْقَنْدَ ، وَهُوَ مُصَنِّفُ تَارِيخِ سَمَرْقَنْدَ.وَتُوُفِّيَ أَيْضًا الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّيْسَابُورِيُّ ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْحَسَنَةِ الْمَشْهُورَةِ ، وَأَبُو الْحَسَنِ بْنُ عِيَاضٍ ، وَكَانَ يُلَقَّبُ النَّاصِرَ ، وَكَانَ يَتَوَلَّى الْأَهْوَازَ ، وَقَامَ وَلَدُهُ بِنَكِيرِ مَقَامِهِ ، وَأَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ حَمْكَانَ الْهَمَذَانِيُّ ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، وَكَانَ إِمَامًا عَالِمًا. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ الْفِتْنَةِ بَيْنَ بَادِيسَ وَعَمِّهِ حَمَّادٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ظَهَرَ الِاخْتِلَافُ بَيْنَ الْأَمِيرِ بَادِيسَ صَاحِبِ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَعَمِّهِ حَمَّادٍ حَتَّى آلَ الْأَمْرُ بَيْنَهُمَا إِلَى الْحَرْبِ الَّتِي لَا بُقْيَا بَعْدَهَا.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ بَادِيسَ أُبْلِغَ عَنْ عَمِّهِ حَمَّادٍ قَوَارِصَ وَأُمُورًا أَنْكَرَهَا ، فَأَغْضَى عَلَيْهَا ، حَتَّى كَثُرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ لِبَادِيسَ وَلَدٌ اسْمُهُ الْمَنْصُورُ أَرَادَ أَنْ يُقَدِّمَهُ وَيَجْعَلَهُ وَلِيَّ عَهْدِهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَمِّهِ حَمَّادٍ يَقُولُ لَهُ بِأَنْ يُسَلِّمَ بَعْضَ مَا بِيَدِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي أَقْطَعَهُ إِلَى نَائِبِ ابْنِهِ الْمَنْصُورِ ، وَهِيَ مَدِينَةُ تِيجَسَ ، وَقَصْرُ الْإِفْرِيقِيِّ وَقُسَنْطِينَةُ ، وَسَيَّرَ إِلَى تَسْلِيمِ ذَلِكَ هَاشِمَ بْنَ جَعْفَرٍ ، وَهُوَ مِنْ كِبَارِ قُوَّادِهِمْ ، وَسَيَّرَ مَعَهُ عَمَّهُ إِبْرَاهِيمَ لِيَمْنَعَ أَخَاهُ حَمَّادًا مِنْ أَمْرٍ إِنْ أَرَادَهُ.فَسَارَا إِلَى أَنْ قَارَبَا حَمَّادًا ، فَفَارَقَ إِبْرَاهِيمُ هَاشِمًا ، وَتَقَدَّمَ إِلَى أَخِيهِ حَمَّادٍ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ حَسَّنَ لَهُ الْخِلَافَ عَلَى بَادِيسَ ، وَوَافَقَهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَخَلَعَا الطَّاعَةَ ، وَأَظْهَرَا الْعِصْيَانَ ، وَجَمَعَا الْجُمُوعَ الْكَثِيرَةَ ، فَكَانُوا ثَلَاثِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ.فَبَلَغَ ذَلِكَ بَادِيسَ ، فَجَمَعَ عَسَاكِرَهُ وَسَارَ إِلَيْهِمَا ، وَرَحَلَ حَمَّادٌ وَأَخُوهُ إِبْرَاهِيمُ إِلَى هَاشِمِ بْنِ جَعْفَرٍ وَالْعَسْكَرُ الَّذِينَ مَعَهُ ، وَهُوَ بِقَلْعَةِ شُقَنْبَارِيَّةَ ، فَكَانَ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ انْهَزَمَ فِيهَا ابْنُ جَعْفَرٍ وَلَجَأَ إِلَى بَاجَةَ ، وَغَنِمَ حَمَّادٌ مَالَهُ وَعُدَدَهُ ، فَرَحَلَ بَادِيسُ إِلَى مَكَانٍ يُسَمَّى قَبْرَ الشَّهِيدِ ، فَأَتَاهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنْ عَسْكَرِ عَمِّهِ حَمَّادٍ ، وَوَصَلَتْ كُتُبُ حَمَّادٍ وَإِبْرَاهِيمَ إِلَى بَادِيسَ أَنَّهُمَا مَا فَارَقَا الْجَمَاعَةَ ، وَلَا خَرَجَا عَنِ الطَّاعَةِ ، فَكَذَّبَهُمَا مَا ظَهَرَ مِنْ أَفْعَالِهِمَا مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ ، وَقَتْلِ الْأَطْفَالِ ، وَإِحْرَاقِ الزُّرُوعِ وَالْمَسَاكِنِ ، وَسَبْيِ النِّسَاءِ.وَوَصَلَ حَمَّادٌ إِلَى بَاجَةَ فَطَلَبَ أَهْلُهَا مِنْهُ الْأَمَانَ ، فَأَمَّنَهُمْ ، وَاطْمَأَنُّوا إِلَى عَهْدِهِ ، فَدَخَلَهَا يَقْتُلُ وَيَنْهَبُ وَيَحْرِقُ وَيَأْخُذُ الْأَمْوَالَ.وَتَقَدَّمَ بَادِيسُ إِلَيْهِ بِعَسَاكِرِهِ ، فَلَمَّا كَانَ فِي صَفَرٍ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَصَلَ حَمَّادٌ إِلَى مَدِينَةِ أَشِيرَ ، وَهِيَ لَهُ ، فِيهَا نَائِبُهُ ، وَاسْمُهُ خَلَفٌ الْحِمْيَرِيُّ ، فَمَنَعَهُ خَلَفٌ مِنْ دُخُولِهَا ، وَصَارَ فِي طَاعَةِ بَادِيسَ ، فَسَقَطَ فِي يَدِ حَمَّادٍ ، فَإِنَّهَا هِيَ كَانَتْ مُعَوَّلَهُ لِحَصَانَتِهَا وَقُوَّتِهَا.وَوَصَلَ بَادِيسُ إِلَى مَدِينَةِ الْمَسِيلَةِ ، وَلَقِيَهُ أَهْلُهَا ، وَفَرِحُوا بِهِ ، وَسَيَّرَ جَيْشًا إِلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي أَحْدَثَهَا حَمَّادٌ ، فَخَرَّبُوهَا إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَأْخُذُوا مَالَ أَحَدٍ ، وَهَرَبَ إِلَى بَادِيسَ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ جُنْدِ الْقَلْعَةِ الَّتِي لَهُ ، وَفِيهَا أَخُوهُ إِبْرَاهِيمُ ، فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ أَبْنَاءَهُمْ ، وَذَبَحَهُمْ عَلَى صُدُورِ أُمَّهَاتِهِمْ ، فَقِيلَ إِنَّهُ ذَبَحَ بِيَدِهِ مِنْهُمْ سِتِّينَ طِفْلًا ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْأَطْفَالِ قَتَلَ الْأُمَّهَاتِ.وَتَقَارَبَ بَادِيسُ وَحَمَّادٌ ، وَالْتَقَوْا مُسْتَهَلَّ جُمَادَى الْأُولَى ، وَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ وَأَعْظَمَهُ ، وَوَطَّنَ أَصْحَابُ بَادِيسَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى الصَّبْرِ أَوِ الْمَوْتِ لِمَا كَانَ حَمَّادٌ يَفْعَلُهُ لِمَنْ يَظْفَرُ بِهِ ، وَاخْتَلَطَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ ، ثُمَّ انْهَزَمَ حَمَّادٌ وَعَسْكَرُهُ لَا يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ ، وَغَنِمَ عَسْكَرُ بَادِيسَ أَثْقَالَهُ وَأَمْوَالَهُ ، وَفِي جُمْلَةِ مَا غَنِمَ مِنْهُ عَشَرَةُ آلَافِ دَرَقَةٍ مُخْتَارَةٍ لَمْطٍ ، وَلَوْلَا اشْتِغَالُ الْعَسْكَرِ بِالنَّهْبِ لَأُخِذَ حَمَّادٌ أَسِيرًا.وَسَارَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى قَلْعَتِهِ تَاسِعَ جُمَادَى الْأُولَى ، وَجَاءَ إِلَى مَدِينَةِ دَكْمَةَ ، فَتَجَنَّى عَلَى أَهْلِهَا ، فَوَضَعَ السَّيْفَ فِيهِمْ ، فَقَتَلَ ثَلَاثَمِائَةِ رَجُلٍ.فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَقِيهٌ مِنْهَا وَقَالَ لَهُ يَا حَمَّادُ إِذَا لَقِيتَ الْجُيُوشَ انْهَزَمْتَ ، وَإِذَا قَاوَمَتْكَ الْجُمُوعُ فَرَرْتَ ، وَإِنَّمَا قُدْرَتُكَ وَسُلْطَانُكَ عَلَى أَسِيرٍ لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْكَ ؛ فَقَتَلَهُ وَحَمَلَ جَمِيعَ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ طَعَامٍ وَمِلْحٍ وَذَخِيرَةٍ إِلَى الْقَلْعَةِ الَّتِي لَهُ.وَسَارَ بَادِيسُ خَلْفَهُ ، وَعَزَمَ عَلَى الْمُقَامِ بِنَاحِيَتِهِ ، وَأَمَرَ بِالْبِنَاءِ ، وَبَذَلَ الْأَمْوَالَ لِرِجَالِهِ ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى حَمَّادٍ ، وَأَنْكَرَ رِجَالَهُ ، وَضَعُفَتْ نَفْسُهُ ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ.ثُمَّ مَاتَ وِرِّوُ بْنُ سَعِيدٍ الزِّنَاتِيُّ الْمُتَغَلِّبُ عَلَى نَاحِيَةِ طَرَابُلُسَ ، وَاخْتَلَفَتْ كَلِمَةُ زِنَاتَةَ ، فَمَالَتْ فِرْقَةٌ مَعَ أَخِيهِ خَزَرُونَ ، وَفِرْقَةٌ مَعَ ابْنِ وِرِّوٍ ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ أَيْضًا عَلَى حَمَّادٍ ، وَكَانَ يَطْمَعُ أَنَّ زِنَاتَةَ تَغْلِبُ عَلَى بَعْضِ الْبِلَادِ ، فَيَضْطَرُّ بَادِيسُ إِلَى الْحَرَكَةِ إِلَيْهِمْ.ذِكْرُ وَفَاةِ بَادِيسَ وَوِلَايَةِ ابْنِهِ الْمُعِزِّ لَمَّا كَانَ يَوْمُ الثُّلَاثَاءِ ، سَلْخُ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، أَمَرَ بَادِيسُ بِعَرْضِ الْعَسَاكِرِ ، فَرَأَى مَا سَرَّهُ ، وَرَكِبَ آخِرَ النَّهَارِ ، وَنَزَلَ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَفَارَقُوهُ إِلَى خِيَامِهِمْ ، فَلَمَّا كَانَ نِصْفُ اللَّيْلِ تُوُفِّيَ.وَخَرَجَ الْخَادِمُ فِي الْوَقْتِ إِلَى حَبِيبِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ ، وَبَادِيسَ بْنِ أَبِي حَمَامَةَ ، وَأَيُّوبَ بْنِ يَطَّوَّفْتَ ، وَهُمْ أَكْبَرُ قُوَّادِهِ ، فَأَعْلَمَهُمْ بِوَفَاتِهِ .وَكَانَ بَيْنَ حَبِيبٍ وَبَادِيسَ بْنِ حَمَامَةَ عَدَاوَةٌ ، فَخَرَجَ حَبِيبٌ مُسْرِعًا إِلَى بَادِيسَ وَخَرَجَ بَادِيسُ إِلَيْهِ أَيْضًا ، فَالْتَقَيَا فِي الطَّرِيقِ ، فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ قَدْ عَرَفْتَ الَّذِي بَيْنَنَا ، وَالْأَوْلَى أَنَّ نَتَّفِقَ عَلَى إِصْلَاحِ هَذَا الْخَلَلِ ، فَإِذَا انْقَضَى رَجَعْنَا إِلَى الْمُنَافَسَةِ.فَاجْتَمَعَا مَعَ أَيُّوبَ وَقَالُوا إِنَّ الْعَدُوَّ قَرِيبٌ مِنَّا ، وَصَاحِبَنَا بَعِيدٌ عَنَّا ، وَمَتَى لَمْ نُقَدِّمْ رَأْسًا نَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي أُمُورِنَا لَمْ نَأْمَنِ الْعَدُوَّ ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ مَيْلَ صِنْهَاجَةَ إِلَى الْمُعِزِّ ، وَغَيْرِهِمْ إِلَى كَرَامَتَ بْنِ الْمَنْصُورِ أَخِي بَادِيسَ ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى تَوْلِيَةِ كَرَامَتَ ظَاهِرًا ، فَإِذَا وَصَلُوا إِلَى مَوْضِعِ الْأَمْنِ ، وَلَّوُا الْمُعِزَّ بْنَ بَادِيسَ ، وَيَنْقَطِعُ الشَّرُّ.فَأَحْضَرُوا كَرَامَتَ وَبَايَعُوهُ ، وَوَلَّوْهُ فِي الْحَالِ ، وَأَصْبَحُوا وَلَيْسَ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْعَسْكَرِ خَبْرٌ مِنْ ذَلِكَ ، وَعَزَمُوا أَنْ يَقُولُوا لِلنَّاسِ بُكْرَةً إِنَّ بَادِيسَ قَدْ شَرِبَ دَوَاءً ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَغْلَقَ أَهْلُ مَدِينَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ أَبْوَابَهَا ، وَكَأَنَّمَا نُودِيَ فِيهِمْ بِمَوْتِ بَادِيسَ ، فَشَاعَ الْخَبَرُ ، وَخَافَ النَّاسُ خَوْفًا عَظِيمًا ، وَاضْطَرَبُوا لِمَوْتِهِ وَأَظْهَرُوا وِلَايَةَ كَرَامَتَ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَبِيدُ بَادِيسَ وَمَنْ مَعَهُمْ أَنْكَرُوهُ ، فَخَلَا حَبِيبٌ بِأَكَابِرِهِمْ ، وَعَرَّفَهُمُ الْحَالَ فَسَكَنُوا.وَمَضَى كَرَامَتُ إِلَى مَدِينَةِ أَشِيرَ لِيَجْمَعَ صِنْهَاجَةَ ، وَتَلْكَاتَةَ ، وَغَيْرَهُمْ ، وَأَعْطَوْهُمْ مِنَ الْخَزَائِنِ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ.وَأَمَّا الْمُعِزُّ فَإِنَّهُ كَانَ عُمْرُهُ ثَمَانِيَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَأَيَّامًا تَقْرِيبًا ، لِأَنَّ مَوْلِدَهُ كَانَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ الْخَبَرُ بِمَوْتِ أَبِيهِ أَجْلَسَهُ مَنْ عِنْدَهُ لِلْعَزَاءِ ، ثُمَّ رَكِبَ فِي الْمَوْكِبِ ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ فَكَانَ يَرْكَبُ كُلَّ يَوْمٍ ، وَيُطْعِمُ النَّاسَ كُلَّ يَوْمٍ بَيْنَ يَدَيْهِ.وَأَمَّا الْعَسَاكِرُ فَإِنَّهُمْ رَحَلُوا مِنْ مَدِينَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ إِلَى الْمُعِزِّ ، وَجَعَلُوا بَادِيسَ فِي تَابُوتٍ بَيْنَ يَدَيِ الْعَسْكَرِ ، وَالطُّبُولَ وَالْبُنُودَ عَلَى رَأْسِهِ ، وَالْعَسَاكِرُ تَتْبَعُهُ مَيْمَنَةً وَمَيْسَرَةً ، وَكَانَ وُصُولُهُمْ إِلَى الْمَنْصُورِيَّةِ رَابِعَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَوَصَلُوا إِلَى الْمَهْدِيَّةِ ، وَالْمُعِزُّ بِهَا ثَامِنَ الْمُحَرَّمِ ، فَرَكِبَ الْمُعِزُّ وَوَقَفَ حَبِيبٌ يُعْلِمُهُ بِهِمْ ، وَيَذْكُرُ لَهُ أَسْمَاءَهُمْ ، وَيُعَرِّفُهُ بِقُوَّادِهِمْ وَأَكَابِرِهِمْ ، فَرَحَلَ الْمُعِزُّ مِنَ الْمَهْدِيَّةِ فَوَصَلَ إِلَى الْمَنْصُورِيَّةِ مُنْتَصَفَ الْمُحَرَّمِ.وَهَذَا الْمُعِزُّ أَوَّلُ مَنْ حَمَلَ النَّاسَ بِإِفْرِيقِيَّةَ عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ ، وَكَانَ الْأَغْلَبَ عَلَيْهِمْ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ.وَأَمَّا كَرَامَتُ فَإِنَّهُ لَمَّا وَصَلَ إِلَى مَدِينَةَ أَشِيرَ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ قَبَائِلُ صِنْهَاجَةَ وَغَيْرِهِمْ ، فَأَتَاهُ حَمَّادٌ فِي أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ كَرَامَتُ فِي سَبْعَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَرَجَعَ بَعْضُ أَصْحَابِ كَرَامَتَ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ فَانْتَهَبُوهُ وَهَرَبُوا ، فَتَمَّتِ الْهَزِيمَةُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ ، وَوَصَلَ إِلَى مَدِينَةِ أَشِيرَ فَأَشَارَ عَلَيْهِ قَاضِيهَا وَأَعْيَانُ أَهْلِهَا بِالْمُقَامِ وَمَنْعِ حَمَّادٍ عَنْهَا ، فَفَعَلَ ، وَنَازَلَهُمْ حَمَّادٌ ، وَطَلَبَ كَرَامَتَ لِيَجْتَمِعَ بِهِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ ، فَأَعْطَاهُ مَالًا ، وَأَذِنَ لَهُ فِي الْمَسِيرِ إِلَى الْمُعِزِّ ، وَقَتَلَ حَمَّادٌ مِنْ أَهْلِ أَشِيرَ كَثِيرًا حَيْثُ أَشَارُوا عَلَى كَرَامَتَ بِحِفْظِ الْبَلَدِ وَمَنْعِ حَمَّادٍ مِنْهُ ، وَوَصَلَ كَرَامَتُ إِلَى الْمُعِزِّ فِي الْمُحَرَّمِ هَذِهِ السَّنَةَ ، فَأَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ.وَفِي آخِرِ ذِي الْحِجَّةِ سَيَّرَ الْحَاكِمُ الْخِلَعَ مِنْ مِصْرَ إِلَى الْمُعِزِّ ، وَلَقَّبَهُ شَرَفَ الدَّوْلَةِ ، وَلَمْ يَذْكُرْ مَا كَانَ مِنْهُ إِلَى الشِّيعَةِ مِنَ الْقَتْلِ وَالْإِحْرَاقِ ، وَسَارَ الْمُعِزُّ إِلَى حَمَّادٍ لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ صَفَرٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ بِالْعَسَاكِرِ لِمَنْعِهِ عَنِ الْبِلَادِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يُحَاصِرُ بَاغَايَةَ وَغَيْرَهَا ، فَلَمَّا قَارَبَهُ رَحَلَ عَنْ بَاغَايَةَ ، وَالْتَقَوْا آخِرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَمَا كَانَ إِلَّا سَاعَةٌ حَتَّى انْهَزَمَ حَمَّادٌ وَأَصْحَابُهُ ، وَوَضَعَ أَصْحَابُ الْمُعِزِّ فِيهِمُ السَّيْفَ ، وَغَنِمُوا مَا لَهُمْ مِنْ عِدَدٍ وَمَالٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَنَادَى الْمُعِزُّ مَنْ أَتَى بِرَأْسٍ فَلَهُ أَرْبَعَةُ دَنَانِيرَ ، فَأُتِيَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ ، وَأُسِرَ إِبْرَاهِيمُ أَخُو حَمَّادٍ ، وَنَجَا حَمَّادٌ وَقَدْ أَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، وَرَجَعَ الْمُعِزُّ ، وَوَرَدَ رَسُولٌ مِنْ حَمَّادٍ إِلَيْهِ يَعْتَذِرُ ، وَيُقِرُّ بِالْخَطَإِ ، وَيَسْأَلُ الْعَفْوَ ، فَأَجَابَهُ الْمُعِزُّ إِنْ كُنْتَ عَلَى مَا قُلْتَهُ فَأَرْسِلْ وَلَدَكَ الْقَائِدَ إِلَيْنَا.وَاسْتَعْمَلَ الْمُعِزُّ عَلَى جَمِيعِ الْعَرَبِ الْمُجَاوِرَةِ لِإِبْرَاهِيمَ عَمِّهِ كَرَامَتَ ، فَعَادَ جَوَابُ حَمَّادٍ أَنَّهُ إِذَا وَصَلَهُ كِتَابُ أَخِيهِ إِبْرَاهِيمَ بِالْعَلَامَاتِ الَّتِي بَيْنَهُمْ أَنَّهُ قَدْ أَخَذَ لَهُعَهْدَ الْمُعِزِّ ، بَعَثَ وَلَدَهُ الْقَائِدَ ، أَوْ حَضَرَ هُوَ بِنَفْسِهِ.فَحَضَرَ إِبْرَاهِيمُ وَأَخَذَ الْعُهُودَ عَلَى الْمُعِزِّ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يُعَرِّفُهُ ذَلِكَ وَيَشْكُرُ الْمُعِزَّ عَلَى إِحْسَانِهِ إِلَيْهِ ، وَوَصَلَ الْمُعِزُّ إِلَى قَصْرِهِ آخِرَ جُمَادَى الْأُولَى ، وَلَمَّا وَصَلَ أَطْلَقَ عَمَّهُ إِبْرَاهِيمَ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَأَعْطَاهُ الْأَمْوَالَ وَالدَّوَابَّ وَجَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا سَمِعَ حَمَّادٌ ذَلِكَ أَرْسَلَ وَلَدَهُ الْقَائِدَ إِلَى الْمُعِزِّ ، وَكَانَ وُصُولُهُ لِلنِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ ، فَأَكْرَمَهُ وَأَعْطَاهُ شَيْئًا كَثِيرًا ، وَأَقْطَعَهُ الْمَسِيلَةَ وَطُبْنَةَ وَغَيْرَهُمَا ، وَعَادَ إِلَى أَبِيهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَرَضِيَ الصُّلْحَ ، وَحَلَفَ عَلَيْهِ ، وَاسْتَقَرَّتِ الْأُمُورُ بَيْنَهُمَا ، وَتَصَاهَرَا ، وَزَوَّجَ الْمُعِزُّ أُخْتَهُ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمَّادٍ ، فَازْدَادُوا اتِّفَاقًا وَأَمْنًا.وَكَانَ بِإِفْرِيقِيَّةَ وَالْغَرْبِ غَلَاءٌ بِسَبَبِ الْجَرَادِ ، وَاخْتِلَافِ الْمُلُوكِ ، وَلَمَّا اسْتَقَرَّ الصُّلْحُ وَالِاتِّفَاقُ سَيَّرَ الْمُعِزُّ الْجُيُوشَ إِلَى الْقَبَائِلِ مِنَ الْبَرْبَرِ وَغَيْرِهِمْ ، فَإِنَّ الْحُرُوبَ بَيْنَهُمْ كَانَتْ بِسَبَبِ الِاخْتِلَافِ كَثِيرَةً ، وَالدِّمَاءُ مَسْفُوكَةً ، فَلَمَّا رَأَوْا عَسَاكِرَ السُّلْطَانِ رَجَعُوا إِلَى السُّكُونِ وَتَرْكِ الْحَرْبِ ، وَمَنْ أَبَى قُوتِلَ ، فَقُتِلَ الْمُفْسِدُونَ ، وَأُصْلِحَ مَا بَيْنَ الْقَبَائِلِ.وَوَصَلَ مِنْ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ زَاوِي بْنُ زِيرِي بْنِ مُنَادٍ ، عَمُّ أَبِي الْمُعِزِّ ، وَأَهْلُهُ وَوَلَدُهُ وَحَشَمُهُ ، وَكَانَ قَدْ أَقَامَ بِالْأَنْدَلُسِ مُدَّةً طَوِيلَةً ، وَقَدْ ذَكَرْنَا سَبَبَ دُخُولِهِ الْأَنْدَلُسَ ، وَمَلَكَ بِالْأَنْدَلُسِ غَرْنَاطَةَ وَقَاسَى حُرُوبًا كَثِيرَةً ، وَوَصَلَ مَعَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْعُدَدِ وَالْجَوَاهِرِ شَيْءٌ كَثِيرٌ لَا يُحَدُّ ، فَأَكْرَمَهُمُ الْمُعِزُّ ، وَحَمَلَ لَهُمْ شَيْئًا عَظِيمًا ، وَإِقَامَاتٍ زَائِدَةً ، وَأَقَامُوا عِنْدَهُ.وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُكْتَبَ وَفَاةُ بَادِيسَ وَمَا بَعْدَهُ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَإِنَّمَا أَتْبَعْنَا بَعْضَ أَخْبَارِهِمْ بَعْضًا.ذِكْرُ غَزْوَةِ مَحْمُودٍ إِلَى الْهِنْدِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ الْهِنْدَ عَلَى عَادَتِهِ ، فَضَلَّ أَدِلَّاؤُهُ الطَّرِيقَ ، وَوَقَعَ هُوَ وَعَسْكَرُهُ فِي مِيَاهٍ فَاضَتْ مِنَ الْبَحْرِ ، فَغَرِقَ كَثِيرٌ مِمَّنْ مَعَهُ ، وَخَاضَ الْمَاءَ بِنَفْسِهِ أَيَّامًا حَتَّى تَخَلَّصَ ، وَعَادَ إِلَى خُرَاسَانَ.ذِكْرُ قَتْلِ فَخْرِ الْمُلْكِ وَوَزَارَةِ ابْنِ سَهْلَانَ وَفِيهَا قَبَضَ سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ عَلَى نَائِبِهِ بِالْعِرَاقِ وَوَزِيرِهِ فَخْرِ الْمُلْكِ أَبِي غَالِبٍ ، وَقُتِلَ سَلْخَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَكَانَ عُمْرُهُ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ سَنَةً وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا ، وَكَانَ نَظَرُهُ بِالْعِرَاقِ خَمْسَ سِنِينَ وَأَرْبَعَةَ شُهُورٍ وَاثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا ، وَكَانَ كَافِيًا حَسَنَ الْوِلَايَةِ وَالْآثَارِ ، وَوُجِدَ لَهُ أَلْفُ أَلْفِ دِينَارٍ عَيْنًا سِوَى مَا نُهِبَ ، وَسِوَى الْأَعْرَاضِ ، وَكَانَ قَبْضُهُ بِالْأَهْوَازِ ، وَلَمَّا مَاتَ نُقِلَ إِلَى مَشْهَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَدُفِنَ هُنَاكَ.قِيلَ كَانَ ابْنُ عَلْمَكَارَ ، وَهُوَ مِنْ كِبَارِ قُوَّادِهِمْ ، وَقَدْ قَتَلَ إِنْسَانًا بِبَغْدَاذَ ، فَكَانَتْ زَوْجَتُهُ تَكْتُبُ إِلَى فَخْرِ الْمُلْكِ أَبِي غَالِبٍ تَتَظَلَّمُ مِنْهُ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا ، فَلَقِيَتْهُ يَوْمًا وَقَالَتْ لَهُ تِلْكَ الرِّقَاعُ الَّتِي كُنْتُ أَكْتُبُهَا إِلَيْكَ صِرْتُ أَكْتُبُهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.فَلَمْ يَمْضِ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُ قَلِيلٍ حَتَّى قُبِضَ هُوَ وَابْنُ عَلْمَكَارَ ، فَقَالَ لَهُ فَخْرُ الْمُلْكِ قَدْ بَرَزَ جَوَابُ رِقَاعِ تِلْكَ الْمَرْأَةِ.وَلَمَّا قُبِضَ فَخْرُ الْمُلْكِ اسْتَوْزَرَ سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ أَبَا مُحَمَّدٍ الْحَسَنَ بْنَ سَهْلَانَ فَلُقِّبَ عَمِيدَ أَصْحَابِ الْجُيُوشِ وَكَانَ مَوْلِدُهُ بِرَامَهُرْمُزَ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.ذِكْرُ قَتْلِ طَاهِرِ بْنِ هِلَالِ بْنِ بَدْرٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَطْلَقَ شَمْسُ الدَّوْلَةِ بْنُ فَخْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ طَاهِرَ بْنَ هِلَالِ بْنِ بَدْرٍ ، وَاسْتَحْلَفَهُ عَلَى الطَّاعَةِ لَهُ ، وَاجْتَمَعَ مَعَهُ طَوَائِفُ فَقَوِيَ بِهِمْ.وَحَارَبَ أَبَا الشَّوْكِ فَهَزَمَهُ ، وَقُتِلَ سَعْدِيٌّ أَخُو أَبِي الشَّوْكِ ثُمَّ انْهَزَمَ أَبُو الشَّوْكِ مِنْهُ مَرَّةً ثَانِيَةً ، وَمَضَى مُنْهَزِمًا إِلَى حُلْوَانَ ، وَبَذَلَ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ مَزْيَدٍ الْأَسَدِيُّ الْمُعَاوَنَةَ ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ مُعَاوَدَةُ الْحَرْبِ.وَأَقَامَ طَاهِرٌ بِالنَّهْرَوَانِ ، وَصَالَحَ أَبَا الشَّوْكِ ، وَتَزَوَّجَ أُخْتَهُ ، فَلَمَّا أَمَّنَهُ طَاهِرٌ وَثَبَ عَلَيْهِ أَبُو الشَّوْكِ فَقَتَلَهُ بِثَأْرِ أَخِيهِ سَعْدِيٍّ ، وَحَمَلَهُ وَأَصْحَابُهُ فَدَفَنُوهُ بِمَشْهَدِ بَابِ التِّبْنِ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ الْوَفَيَاتُ فِيهَا تُوُفِّيَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُوسَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ أَبُو الْحَسَنِ ، صَاحِبُ الدِّيوَانِ الْمَشْهُورِ ، وَشَهِدَ جِنَازَتَهُ النَّاسُ كَافَّةً ، وَلَمْ يَشْهَدْهَا أَخُوهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى جِنَازَتِهِ ، فَأَقَامَ بِالْمَشْهَدِ إِلَى أَنْ أَعَادَهُ الْوَزِيرُ فَخْرُ الْمُلْكِ إِلَى دَارِهِ ، وَرَثَاهُ كَثِيرٌ مِنَ الشُّعَرَاءِ مِنْهُمْ أَخُوهُ الْمُرْتَضَى ، فَقَالَ يَا لِلرِّجَالِ لِفَجْعَةٍ جَذَمَتْ يَدِي ، وَوَدِدْتُهَا ذَهَبَتْ عَلَيَّ بِرَاسِي...مَا زِلْتُ آبَى وِرْدَهَا ، حَتَّى أَتَتْ فَحَسَوْتُهَا فِي بَعْضِ مَا أَنَا حَاسِي...وَمَطَلْتُهَا زَمَنًا ، فَلَمَّا صَمَّمَتْ لَمْ يَثْنِهَا مَطْلِي ، وَطُولُ مِكَاسِي...لَا تُنْكِرُوا مِنْ فَيْضِ دَمْعِي عَبْرَةً فَالدَّمْعُ خَيْرُ مُسَاعِدٍ وَمُؤَاسِ...وَاهًا لِعُمْرِكَ مِنْ قَصِيرٍ طَاهِرٍ وَلَرُبَّ عُمْرٍ طَالَ بِالْأَرْجَاسِ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو طَالِبٍ أَحْمَدُ بْنُ بَكْرٍ الْعَبْدِيُّ النَّحْوِيُّ ، مُصَنِّفُ" شَرْحِ الْإِيضَاحِ "، وَأَبُو أَحْمَدَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ الْفَرَضِيُّ ، وَالْإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْإِسْفَرَايِينِيُّ إِمَامُ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ ، وَكَانَ يَحْضُرُ دِرَاسَتَهُ أَرْبَعُمِائَةِ مُتَفَقِّهٍ ، وَكَانَ يُدَرِّسُ بِمَسْجِدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ بِقَطِيعَةِ الْفُقَهَاءِ ، وَكَانَ عُمْرُهُ إِحْدَى وَسِتِّينَ سَنَةً وَأَشْهُرًا.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو جَعْفَرٍ أُسْتَاذُ هُرْمُزَ بْنِ الْحَسَنِ وَالِدِ عَمِيدِ الْجُيُوشِ ، بِشِيرَازَ ، وَكَانَ عُمْرُهُ مِائَةً وَخَمْسَ سِنِينَ ، وَتُوُفِّيَ شِهَابُ الدَّوْلَةِ أَبُو دِرْعٍ رَافِعُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَقْنٍ ، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ ، مِنْهُ وَمَا زِلْتُ أَبْكِي فِي الدِّيَارِ تَأَسُّفًا...لِبَيْنِ خَلِيلٍ ، أَوْ فِرَاقِ حَبِيبِ فَلَمَّا عَرَفْتُ الرَّبَعَ لَا شَكَّ أَنَّهُ...هُوَ الرَّبَعُ فَاضَتْ مُقْلَتِي بِغُرُوبِ وَجَرَّبْتُ دَهْرِي نَاسِيًا ، فَوَجَدْتُهُ...أَخَا غِيَرٍ لَا تَنْقَضِي وَخُطُوبِ وَعَاشَرْتُ أَبْنَاءَ الزَّمَانِ ، فَلَمْ أَجِدْ...مِنَ النَّاسِ خِدْنًا حَافِظًا لِمَغِيبِ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ حَافِظٌ لِذِمَامِهِ...وَلَا نَاصِرٌ يَرْعَى جِوَارَ قَرِيبِ وَفِيهَا تُوُفِّيَ خَاشَاذَهُ أَبُو نَصْرٍ الَّذِي كَانَ صَاحِبَ غَرْشِسَحْتَانَ مِنْ خُرَاسَانَ ، فِي قَبْضِ يَمِينِ الدَّوْلَةِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا سَبَبَ ذَلِكَ. عِدَّةُ حَوَادِثَ وَفِيهَا ، فِي صَفَرٍ ، قُلِّدَ الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى أَبُو الْقَاسِمِ أَخُو الرَّضِيِّ نِقَابَةَ الْعَلَوِيِّينَ ، وَالْحَجِّ ، وَالْمَظَالِمِ ، بَعْدَ مَوْتِ أَخِيهِ الرَّضِيِّ. وَفِيهَا وَقَعَتْ فِتْنَةٌ بِبَغْدَاذَ بَيْنَ أَهْلِ الْكَرْخِ وَبَيْنَ أَهْلِ بَابِ الشَّعِيرِ ، وَنَهَبُوا الْقَلَّائِينَ ، فَأَنْكَرَ فَخْرُ الْمُلْكِ عَلَى أَهْلِ الْكَرْخِ ، وَمُنِعُوا مِنَ النَّوْحِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، وَمِنْ تَعْلِيقِ الْمُسُوحِ.وَفِيهَا وَقَعَ بِالْبَصْرَةِ وَمَا جَاوَرَهَا وَبَاءٌ شَدِيدٌ عَجَزَ مَعَهُ الْحَفَّارُونَ عَنْ حَفْرِ الْقُبُورِ.وَفِيهَا ، فِي حُزَيْرَانَ ، جَاءَ مَطَرٌ شَدِيدٌ فِي بِلَادِ الْعِرَاقِ وَكَثِيرٌ مِنَ الْبِلَادِ . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ قَتْلِ خُوَارَزْمَشَاهِ وَمُلْكِ يَمِينِ الدَّوْلَةِ خُوَارَزْمَ وَتَسْلِيمِهَا إِلَى التُّونْتَاشِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ خُوَارَزْمَشَاهِ أَبُو الْعَبَّاسِ مَأْمُونُ بْنُ مَأْمُونٍ وَمَلَكَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ خُوَارَزْمَ .وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ كَانَ قَدْ مَلَكَ خُوَارَزْمَ وَالْجُرْجَانِيَّةَ ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، وَخَطَبَ إِلَى يَمِينِ الدَّوْلَةِ ، فَزَوَّجَهُ أُخْتَهُ ، ثُمَّ إِنَّ يَمِينَ الدَّوْلَةِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ يَطْلُبُ أَنْ يُخْطَبَ لَهُ عَلَى مَنَابِرِ بِلَادِهِ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَأَحْضَرَ أُمَرَاءَ دَوْلَتِهِ وَاسْتَشَارَهُمْ فِي ذَلِكَ ، فَأَظْهَرُوا الِامْتِنَاعَ ، وَنَهَوْهُ عَنْهُ ، وَتَهَدَّدُوهُ بِالْقَتْلِ إِنْ فَعَلَهُ ، فَعَادَ الرَّسُولُ وَحَكَى لِيَمِينِ الدَّوْلَةِ مَا شَاهَدَهُ.ثُمَّ إِنَّ الْأُمَرَاءَ خَافُوهُ حَيْثُ رَدُّوا أَمْرَهُ ، فَقَتَلُوهُ غِيلَةً ، وَلَمْ يُعْلَمْ قَاتِلُهُ ، وَأَجْلَسُوا مَكَانَهُ أَحَدَ أَوْلَادِهِ ، وَعَلِمُوا أَنَّ يَمِينَ الدَّوْلَةِ يَسُوءُهُ ذَلِكَ ، وَرُبَّمَا طَالَبَهُمْ بِثَأْرِهِ ، فَتَعَاهَدُوا عَلَى مُقَاتَلَتِهِ وَمُقَارَعَتِهِ.وَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِيَمِينِ الدَّوْلَةِ فَجَمَعَ الْعَسَاكِرَ وَسَارَ نَحْوَهُمْ ، فَلَمَّا قَارَبَهُمْ جَمَعَهُمْ صَاحِبُ جَيْشِهِمْ ، وَيُعْرَفُ بِالْبَتْكِينِ الْبُخَارِيِّ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْخُرُوجِ إِلَى لِقَاءِ مُقَدِّمَةِ يَمِينِ الدَّوْلَةِ وَالْإِيقَاعِ بِمَنْ فِيهَا مِنَ الْأَجْنَادِ ، فَسَارُوا مَعَهُ وَقَاتَلُوا مُقَدِّمَةِ يَمِينِ الدَّوْلَةِ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ.وَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِيَمِينِ الدَّوْلَةِ ، فَتَقَدَّمَ نَحْوَهُمْ فِي سَائِرِ جُيُوشِهِ ، فَلَحِقَهُمْ وَهُمْ فِي الْحَرْبِ ، فَثَبَتَ الْخُوَارَزْمِيَّةُ إِلَى أَنِ انْتَصَفَ النَّهَارُ ، وَأَحْسَنُوا الْقِتَالَ ، ثُمَّ إِنَّهُمُ انْهَزَمُوا ، وَرَكِبَهُمْ أَصْحَابُ يَمِينِ الدَّوْلَةِ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ ، وَلَمْ يَسْلَمْ إِلَّا الْقَلِيلُ.ثُمَّ إِنَّ الْبَتْكِينَ رَكِبَ سَفِينَةً لِيَنْجُوَ فِيهَا ، فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ مَعَهُ مُنَافَرَةٌ ، فَقَامُوا عَلَيْهِ وَأَوْثَقُوهُ ، وَرَدُّوا السَّفِينَةَ إِلَى نَاحِيَةِ يَمِينِ الدَّوْلَةِ وَسَلَّمُوهُ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَهُ وَسَائِرَ الْقُوَّادِ الْمَأْسُورِينَ مَعَهُ ، وَصَلَبَهُمْ عِنْدَ قَبْرِ أَبِي الْعَبَّاسِ خُوَارَزْمَشَاهَ ، وَأَخَذَ الْبَاقِينَ مِنَ الْأَسْرَى ، فَسَيَّرَهُمْ إِلَى غَزْنَةَ ، فَوْجًا بَعْدَ فَوْجٍ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا بِهَا أَفْرَجَ عَنْهُمْ ، وَأَجْرَى لَهُمُ الْأَرْزَاقَ ، وَسَيَّرَهُمْ إِلَى أَطْرَافِ بِلَادِهِ مِنْ أَرْضِ الْهِنْدِ يَحْمُونَهَا مِنَ الْأَعْدَاءِ ، وَيَحْفَظُونَهَا مِنْ أَهْلِ الْفَسَادِ ، وَأَخَذَ خُوَارَزْمَ وَاسْتَنَابَ بِهَا حَاجِبَهُ التُّونْتَاشَ.ذِكْرُ غَزْوَةِ قِشْمِيرَ وَقَنُّوجَ وَغَيْرِهِمَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا يَمِينُ الدَّوْلَةِ بِلَادَ الْهِنْدِ ، بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ خُوَارَزْمَ ، فَسَارَ مِنْهَا إِلَى غَزْنَةَ وَمِنْهَا إِلَى الْهِنْدِ عَازِمًا عَلَى غَزْوِ قِشْمِيرَ ، إِذْ كَانَ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَى بِلَادِ الْهِنْدِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ قِشْمِيرَ ، وَأَتَاهُ مِنَ الْمُتَطَوِّعَةِ نَحْوُ عِشْرِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ مِنْ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، وَغَيْرِهِ مِنِ الْبِلَادِ ، وَسَارَ إِلَيْهَا مِنْ غَزْنَةَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ سَيْرًا دَائِمًا ، وَعَبَرَ نَهْرَ سَيْحُونَ ، وَجِيلُومَ ، وَهُمَا نَهْرَانِ عَمِيقَانِ شَدِيدَا الْجَرْيَةِ ، فَوَطِئَ أَرْضَ الْهِنْدِ ، وَأَتَاهُ رُسُلُ مُلُوكِهَا بِالطَّاعَةِ وَبَذْلِ الْإِتَاوَةِ.فَلَمَّا بَلَغَ دَرْبَ قِشْمِيرَ أَتَاهُ صَاحِبُهَا وَأَسْلَمَ عَلَى يَدِهِ ، وَسَارَ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى مَقْصِدِهِ ، فَبَلَغَ مَاجُونَ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ ، وَفَتَحَ مَا حَوْلَهَا مِنَ الْوِلَايَاتِ الْفَسِيحَةِ وَالْحُصُونِ الْمَنِيعَةِ ، حَتَّى بَلَغَ حِصْنَ هُودَبَ ، وَهُوَ آخِرُ مُلُوكِ الْهِنْدِ ، فَنَظَرَ هُودَبُ مِنْ أَعْلَى حِصْنِهِ ، فَرَأَى مِنَ الْعَسَاكِرِ مَا هَالَهُ وَرَعَبَهُ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يُنْجِيهِ إِلَّا الْإِسْلَامُ ، فَخَرَجَ فِي نَحْوِ عَشَرَةِ آلَافٍ يُنَادُونَ بِكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ ، طَلَبًا لِلْخَلَاصِ فَقَبِلَهُ يَمِينُ الدَّوْلَةِ ، وَسَارَ عَنْهُ إِلَى قَلْعَةِ كُلْجُنَدَ ، وَهُوَ مِنْ أَعْيَانِ الْهِنْدِ وَشَيَاطِينِهِمْ ، وَكَانَ عَلَى طَرِيقِهِ غِيَاضٌ مُلْتَفَّةٌ لَا يَقْدِرُ السَّالِكُ عَلَى قَطْعِهَا إِلَّا بِمَشَقَّةٍ ، فَسَيَّرَ كُلْجُنْدُ عَسَاكِرَهُ وَفُيُولَهُ إِلَى أَطْرَافِ تِلْكَ الْغِيَاضِ يَمْنَعُونَ مِنْ سُلُوكِهَا ، فَتَرَكَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ عَلَيْهِمْ مَنْ يُقَاتِلُهُمْ ، وَسَلَكَ طَرِيقًا مُخْتَصَرَةً إِلَى الْحِصْنِ ، فَلَمْ يَشْعُرُوا بِهِ إِلَّا وَهُوَ مَعَهُمْ ، فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَلَمْ يُطِيقُوا الصَّبْرَ عَلَى حَدِّ السُّيُوفِ ، فَانْهَزَمُوا ، وَأَخَذَهُمُ السَّيْفُ مِنْ خَلْفِهِمْ ، وَلَقُوا نَهْرًا عَمِيقًا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، فَاقْتَحَمُوهُ ، فَغَرِقَ أَكْثَرُهُمْ وَكَانَ الْقَتْلَى وَالْغَرْقَى قَرِيبًا مِنْ خَمْسِينَ أَلْفًا ، وَعَمَدَ كُلْجُنْدُ إِلَى زَوْجَتِهِ فَقَتَلَهَا ثُمَّ قَتَلَ نَفْسَهُ بَعْدَهَا ، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ أَمْوَالَهُ وَمَلَكُوا حُصُونَهُ.ثُمَّ سَارَ نَحْوَ بَيْتٍ مُتَعَبَّدٍ لَهُمْ ، وَهُوَ مَهَرَةُ الْهِنْدِ ، وَهُوَ مِنْ أَحْصَنِ الْأَبْنِيَةِ عَلَى نَهْرٍ ، وَلَهُمْ بِهِ مِنَ الْأَصْنَامِ كَثِيرٌ ، مِنْهَا خَمْسَةُ أَصْنَامٍ مِنَ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ الْمُرَصَّعِ بِالْجَوَاهِرِ ، وَكَانَ فِيهَا مِنَ الذَّهَبِ سِتُّمِائَةِ أَلْفٍ وَتِسْعُونَ أَلْفًا وَثَلَاثُمِائَةِ مِثْقَالٍ ، وَكَانَ بِهَا مِنَ الْأَصْنَامِ الْمَصُوغَةِ مِنَ النُّقْرَةِ نَحْوُ مِائَتَيْ صَنَمٍ ، فَأَخَذَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ ذَلِكَ جَمِيعَهُ ، وَأَحْرَقَ الْبَاقِيَ ، وَسَارَ نَحْوَ قَنُّوجَ ، وَصَاحِبُهَا رَاجِيَالُ ، فَوَصَلَ إِلَيْهَا فِي شَعْبَانَ ، فَرَأَى صَاحِبَهَا قَدْ فَارَقَهَا وَعَبَرَ الْمَاءَ الْمُسَمَّى كَنْكُ ، وَهُوَ مَاءٌ شَرِيفٌ عِنْدَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَأَنَّ مَنْ غَرَّقَ نَفْسَهُ فِيهِ طُهِّرَ مِنَ الْآثَامِ ، فَأَخَذَهَا يَمِينُ الدَّوْلَةِ ، وَأَخَذَ قِلَاعَهَا وَأَعْمَالَهَا ، وَهِيَ سَبْعٌ عَلَى الْمَاءِ الْمَذْكُورِ ، وَفِيهَا قَرِيبٌ مِنْ عَشَرَةِ آلَافِ بَيْتِ صَنَمٍ ، يَذْكُرُونَ أَنَّهَا عُمِلَتْ مِنْ مِائَتَيْ أَلْفِ سَنَةٍ إِلَى ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفٍ كَذِبًا مِنْهُمْ وَزُورًا ، وَلَمَّا فَتَحَهَا أَبَاحَهَا عَسْكَرُهُ.ثُمَّ سَارَ إِلَى قَلْعَةِ الْبَرَاهِمَةِ ، فَقَاتَلُوهُ وَثَبَتُوا ، فَلَمَّا عَضَّهُمُ السِّلَاحُ عَلِمُوا أَنَّهُمْ لَا طَاقَةَ لَهُمْ ، فَاسْتَسْلَمُوا لِلسَّيْفِ فَقُتِلُوا ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ.ثُمَّ سَارَ نَحْوَ قَلْعَةِ آسِي ، وَصَاحَبِهَا جُنْدُ بَالَ ، فَلَمَّا قَارَبَهَا هَرَبَ جُنْدُ بَالَ ، وَأَخَذَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ حِصْنَهُ وَمَا فِيهِ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى قَلْعَةِ شَرْوَةَ ، وَصَاحِبُهَا جُنْدُرَآيِ ، فَلَمَّا قَارَبَهُ نَقَلَ مَالَهُ وَفُيُولَهُ نَحْوَ جِبَالٍ هُنَاكَ مَنِيعَةٍ يَحْتَمِي بِهَا ، وَعَمِيَ خَبَرُهُ فَلَمْ يُدْرَ أَيْنَ هُوَ ، فَنَازَلَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ حِصْنَهُ فَافْتَتَحَهُ وَغَنِمَ مَا فِيهِ ، وَسَارَ فِي طَلَبِ جُنْدُرَآيِ جَرِيدَةً ، وَقَدْ بَلَغَهُ خَبَرُهُ ، فَلَحِقَ بِهِ فِي آخِرِ شَعْبَانَ فَقَاتَلَهُ ، فَقَتَلَ أَكْثَرَ جُنْدِ جَنْدُرَآيِ ، وَأَسَرَ أَكْثَرَ مِنْهُمْ ، وَغَنِمَ مَا مَعَهُ مِنْ مَالٍ وَفِيَلٍ ، وَهَرَبَ جَنْدُرَآيُ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَنَجَا.وَكَانَ السَّبْيُ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ كَثِيرًا حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ كَانَ يُبَاعُ بِأَقَلَّ مِنْ عَشَرَةِ دَرَاهِمَ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى غَزْنَةَ ظَافِرًا ، وَلَمَّا عَادَ مِنْ هَذِهِ الْغَزْوَةِ أَمَرَ بِبِنَاءِ جَامِعِ غَزْنَةَ ، فَبُنِيَ بِنَاءً لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ ، وَوَسَّعَ فِيهِ ، وَكَانَ جَامِعُهَا الْقَدِيمُ صَغِيرًا ، وَأَنْفَقَ مَا غَنِمَهُ فِي هَذِهِ الْغَزَاةِ فِي بِنَائِهِ.ذِكْرُ حَالِ ابْنِ فُولَاذٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَظُمَتْ شَوْكَةُ ابْنِ فُولَاذٍ وَكَبُرَ شَأْنُهُ.وَكَانَ ابْتِدَاءُ أَمْرِهِ أَنَّهُ كَانَ وَضِيعًا ، فَنَجَمَ فِي دَوْلَةِ بَنِي بُوَيْهِ ، وَعَلَا صِيتُهُ ، وَارْتَفَعَ قَدْرُهُ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الرِّجَالُ ، فَلَمَّا كَانَ الْآنَ طَلَبَ مِنْ مَجْدِ الدَّوْلَةِ وَوَالِدَتِهِ أَنْ يُقْطِعَاهُ قَزْوِينَ لِتَكُونَ لَهُ وَلِمَنْ مَعَهُ مِنَ الرِّجَالِ ، فَلَمْ يَفْعَلَا ، وَاعْتَذَرَا إِلَيْهِ ، فَقَصَدَ أَطْرَافَ وِلَايَةِ الرَّيِّ ، وَأَظْهَرَ الْعِصْيَانَ ، وَجَعَلَ يُفْسِدُ وَيُغِيرُ ، وَيَقْطَعُ السُّبُلَ ، وَمَلَكَ مَا يَلِيهِ مِنَ الْقُرَى ، فَعَجَزَا عَنْهُ ، فَاسْتَعَانَا بِإِصْبَهْبَذَ الْمُقِيمِ بِفِرِيمَ ، فَأَتَاهُمَا فِي رِجَالِ الْجِيلِ ، وَجَرَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ابْنِ فُولَاذٍ عِدَّةُ حُرُوبِ ، وَجُرِحَ ابْنُ فُولَاذٍ ، وَوَلَّى مُنْهَزِمًا حَتَّى بَلَغَ الدَّامَغَانَ ، فَأَقَامَ حَتَّى عَادَ أَصْحَابُهُ إِلَيْهِ وَرَجَعَ إِصْبَهْبَذُ إِلَى بِلَادِهِ.وَكَتَبَ ابْنُ فُولَاذٍ إِلَى مُنُوجَهْرَ بْنِ قَابُوسَ يَطْلُبُ أَنْ يُنْفِذَ لَهُ عَسْكَرًا لِيَمْلِكَ الْبِلَادَ ، وَيُقِيمَ لَهُ الْخُطْبَةَ فِيهَا ، وَيَحْمِلَ إِلَيْهِ الْمَالَ ، فَأَنْفَذَ لَهُ أَلْفَيْ رَجُلٍ ، فَسَارَ بِهِمْ حَتَّى نَزَلَ بِظَاهِرِ الرَّيِّ ، وَأَعَادَ الْإِغَارَةَ ، وَمَنَعَ الْمِيرَةَ عَنْهَا ، فَضَاقَتِ الْأَقْوَاتُ بِهَا ، فَاضْطَرَّ مَجْدُ الدَّوْلَةِ وَوَالِدَتُهُ إِلَى مُدَارَاتِهِ وَإِعْطَائِهِ مَا يَلْتَمِسُهُ ، فَاسْتَقَرَّ بَيْنَهُمْ أَنْ يُسَلِّمَا إِلَيْهِ مَدِينَةَ أَصْبَهَانَ ، فَسَارَ إِلَيْهَا ، وَأَعَادَ عَسْكَرَ مُنُوجَهْرَ إِلَيْهِ ، وَزَالَ الْفَسَادُ ، وَعَادَ إِلَى طَاعَةِ مَجْدِ الدَّوْلَةِ.ذِكْرُ ابْتِدَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَلَوِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ وَقَتْلِ سُلَيْمَانَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلِيَ الْأَنْدَلُسَ عَلِيُّ بْنُ حَمُّودِ بْنِ أَبِي الْعَيْشِ بْنِ مَيْمُونِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ إِدْرِيسَ بْنِ إِدْرِيسَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقِيلَ فِي نَسَبِهِ غَيْرُ ذَلِكَ مَعَ اتِّفَاقٍ عَلَى صِحَّةِ نَسَبِهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ .وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْفَتَى خَيْرَانَ الْعَامِرِيَّ لَمْ يَكُنْ رَاضِيًا بِوِلَايَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْحَاكِمِ الْأُمَوِيِّ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْمُؤَيَّدِ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ قَبْلُ ، فَلَمَّا مَلَكَ سُلَيْمَانُ قُرْطُبَةَ انْهَزَمَ خَيْرَانُ فِي جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْفِتْيَانِ الْعَامِرِيِّينَ ، فَتَبِعَهُمُ الْبَرْبَرُ وَوَاقَعَهُمْ ، فَاشْتَدَّ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ ، وَجُرِحَ خَيْرَانُ عِدَّةَ جِرَاحَاتٍ وَتُرِكَ عَلَى أَنَّهُ مَيِّتٌ ، فَلَمَّا فَارَقُوهُ قَامَ يَمْشِي ، فَأَخَذَهُ رَجُلٌ مِنَ الْبَرْبَرِ إِلَى دَارِهِ بِقُرْطُبَةَ وَعَالَجَهُ فَبَرِأَ وَأَعْطَاهُ مَالًا ، وَخَرَجَ مِنْهَا سِرًّا إِلَى شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ ، فَكَثُرَ جَمْعُهُ ، وَقَوِيَتْ نَفْسُهُ ، وَقَاتَلَ مَنْ هُنَاكَ مِنَ الْبَرْبَرِ ، وَمَلَكَ الْمَرِيَّةَ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْأَجْنَادُ ، وَأَزَالَ الْبَرْبَرَ عَنِ الْبِلَادِ الْمُجَاوِرَةِ لَهُ ، فَغَلُظَ أَمْرُهُ وَعَظُمَ شَأْنُهُ.وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ حَمُّودٍ بِمَدِينَةِ سَبْتَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَنْدَلُسِ عُدْوَةُ الْمَجَازِ مَالِكًا لَهَا ، وَكَانَ أَخُوهُ الْقَاسِمُ بْنُ حَمُّودٍ بِالْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ مُسْتَوْلِيًا عَلَيْهَا ، وَبَيْنَهُمَا الْمَجَازُ ، وَسَبَبُ مُلْكِهِمَا أَنَّهُمَا كَانَا مِنْ جُمْلَةِ أَصْحَابِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْحَاكِمِ ، فَقَوَّدَهُمَا عَلَى الْمَغَارِبَةِ ، ثُمَّ وَلَّاهُمَا هَذِهِ الْبِلَادَ ، وَكَانَ خَيْرَانُ يَمِيلُ إِلَى دَوْلَةِ الْمُؤَيَّدِ ، وَيَرْغَبُ فِيهَا ، وَيَخْطُبُ لَهُ عَلَى مَنَابِرِ بِلَادِهِ الَّتِي اسْتَوْلَى عَلَيْهَا لِأَنَّهُ كَانَ يَظُنُّ حَيَاتَهُ حَيْثُ فُقِدَ مِنَ الْقَصْرِ ، فَحَدَثَ لِعَلِيِّ بْنِ حَمُّودٍ طَمَعٌ فِي مُلْكِ الْأَنْدَلُسِ لِمَا رَأَى مِنَ الِاخْتِلَافِ ، فَكَتَبَ إِلَى خَيْرَانَ يَذْكُرُ لَهُ أَنَّ الْمُؤَيَّدَ كَانَ كَتَبَ لَهُ بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ وَالْأَخْذِ بِثَأْرِهِ إِنْ هُوَ قُتِلَ فَدَعَا لِعَلِيِّ بْنِ حَمُّودٍ بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ.وَكَانَ خَيْرَانُ يُكَاتِبُ النَّاسَ ، وَيَأْمُرُهُمْ بِالْخُرُوجِ عَلَى سُلَيْمَانَ ، فَوَافَقَهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ عَامِرُ بْنُ فَتُّوحٍ وَزِيرُ الْمُؤَيَّدِ ، وَهُوَ بِمَالِقَةَ ، وَكَاتَبُوا عَلِيَّ بْنَ حَمُّودٍ ، وَهُوَ بِسَبْتَةَ ، لِيَعْبَرَ إِلَيْهِمْ وَلِيَقُومُوا مَعَهُ وَيَسِيرُوا إِلَى قُرْطُبَةَ ، فَعَبَرَ إِلَى مَالِقَةَ فِي سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَخَرَجَ عَنْهَا عَامِرُ بْنُ فَتُّوحٍ ، وَسَلَّمَهَا إِلَيْهِ ، وَدَعَا لَهُ بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ ، وَسَارَ خَيْرَانُ وَمَنْ أَجَابَهُ إِلَيْهِ ، فَاجْتَمَعُوا بِالْمَنْكِبِ ، وَهِيَ مَا بَيْنَ الْمَرِيَّةِ وَمَالِقَةَ ، سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَقَرَّرُوا مَا يَفْعَلُونَهُ ، وَعَادُوا يَتَجَهَّزُونَ لِقَصْدِ قُرْطُبَةَ ، فَتَجَهَّزُوا وَجَمَعُوا مَنْ وَافَقَهُمْ ، وَسَارُوا إِلَى قُرْطُبَةَ وَبَايَعُوا عَلِيًّا عَلَى طَاعَةِ الْمُؤَيَّدِ الْأُمَوِيِّ.فَلَمَّا بَلَغُوا غَرْنَاطَةَ وَافَقَهُمْ أَمِيرُهَا ، وَسَارَ مَعَهُمْ إِلَى قُرْطُبَةَ ، فَخَرَجَ سُلَيْمَانُ وَالْبَرْبَرُ إِلَيْهِمْ ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا عَلَى عَشَرَةِ فَرَاسِخَ مِنْ قُرْطُبَةَ ، وَنَشَبَ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ ، فَانْهَزَمَ سُلَيْمَانُ وَالْبَرْبَرُ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَأُخِذَ سُلَيْمَانُ أَسِيرًا فَحُمِلَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ حَمُّودٍ وَمَعَهُ أَخُوهُ وَأَبُوهُ الْحَاكِمُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ ، وَدَخَلَ عَلِيُّ بْنُ حَمُّودٍ قُرْطُبَةَ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَدَخَلَ خَيْرَانُ وَغَيْرُهُ إِلَى الْقَصْرِ طَمَعًا فِي أَنْ يَجِدُوا الْمُؤَيَّدَ حَيًّا فَلَمْ يَجِدُوهُ ، وَرَأَوْا شَخْصًا مَدْفُونًا فَنَبَشُوهُ ، وَجَمَعُوا لَهُ النَّاسَ ، وَأَحْضَرُوا بَعْضَ فِتْيَانِهِ الَّذِينَ رَبَّاهُمْ وَعَرَضُوهُ عَلَيْهِ ، فَفَتَّشَهُ ، وَفَتَّشَ أَسْنَانَهُ لِأَنَّهُ كَانَ لَهُ سِنٌّ سَوْدَاءُ وَكَانَ يَعْرِفُهَا ذَلِكَ الْفَتَى ، فَأَجْمَعَ هُوَ وَغَيْرُهُ عَلَى أَنَّهُ الْمُؤَيَّدُ خَوْفًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ عَلِيٍّ فَأَخْبَرُوا خَيْرَانَ أَنَّهُ الْمُؤَيَّدُ ، وَكَانَ ذَلِكَ الْفَتَى يَعْلَمُ أَنَّ الْمُؤَيَّدَ حَيٌّ ، فَأَخَذَ عَلِيُّ بْنُ حَمُّودٍ سُلَيْمَانَ وَقَتَلَهُ سَابِعَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَقَتَلَ أَبَاهُ وَأَخَاهُ.وَلَمَّا حَضَرَ أَبُوهُ بَيْنَ يَدَيْ عَلِيِّ بْنِ حَمُّودٍ قَالَ لَهُ يَا شَيْخُ قَتَلْتُمُ الْمُؤَيَّدَ ، فَقَالَ وَاللَّهِ مَا قَتَلْنَاهُ ، وَإِنَّهُ لَحَيٌّ فَحِينَئِذٍ أَسْرَعَ فِي قَتْلِهِ ، وَكَانَ شَيْخًا صَالِحًا مُنْقَبِضًا لَمْ يَتَدَنَّسْ بِشَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِ ابْنِهِ ، وَاسْتَوْلَى عَلِيُّ بْنُ حَمُّودٍ عَلَى قُرْطُبَةَ ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى بَيْعَتِهِ ، فَبُويِعَ ، وَاجْتَمَعَ لَهُ الْمُلْكُ ، وَلُقِّبَ الْمُتَوَكِّلَ عَلَى اللَّهِ.ثُمَّ إِنَّ خَيْرَانَ أَظْهَرَ الْخِلَافَ عَلَيْهِ لِأَشْيَاءَ مِنْهَا أَنَّهُ كَانَ طَامِعًا أَنْ يَجِدَ الْمُؤَيَّدَ فَلَمْ يَجِدْهُ ، وَمِنْهَا أَنَّهُ نُقِلَ إِلَيْهِ أَنَّ عَلِيًّا يُرِيدُ قَتْلَهُ فَخَرَجَ عَنْ قُرْطُبَةَ وَأَظْهَرَ الْخِلَافَ عَلَيْهِ.ذِكْرُ ظُهُورِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأُمَوِيِّ لَمَّا خَالَفَ خَيْرَانُ عَلَيًّا أَرْسَلَ يَسْأَلُ عَنْ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَدُلَّ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ الْأُمَوِيِّ ، وَكَانَ قَدْ خَرَجَ مِنْ قُرْطُبَةَ مُسْتَخْفِيًا ، وَنَزَلَ بِجَيَّانَ ، وَكَانَ أَصْلَحَ مَنْ بَقِيَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَبَايَعَهُ خَيْرَانُ وَغَيْرُهُ ، وَلَقَّبُوهُ الْمُرْتَضَى ، وَرَاسَلَ خَيْرَانُ مُنْذِرَ بْنَ يَحْيَى التُّجِيبِيَّ أَمِيرَ سَرَقُسْطَةَ وَالثَّغْرِ الْأَعْلَى ، وَرَاسَلَ أَهْلَ شَاطِبَةَ ، وَبَلَنْسِيَةَ ، وَطَرْطُوشَةَ ، وَالْبُنْتَ ، فَأَجَابُوا كُلُّهُمْ إِلَى بَيْعَتِهِ ، وَالْخِلَافِ عَلَى عَلِيِّ بْنِ حَمُّودٍ ، فَاتَّفَقَ عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْأَنْدَلُسِ ، وَاجْتَمَعُوا بِمَوْضِعٍ يُعْرَفُ بِالرَّيَاحِينِ فِي الْأَضْحَى سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَمَعَهُمُ الْفُقَهَاءُ ، وَالشُّيُوخُ ، وَجَعَلُوا الْخِلَافَةَ شُورَى ، وَأَصْفَقُوا عَلَى بَيْعَتِهِ ، وَسَارُوا مَعَهُ إِلَى صِنْهَاجَةَ وَالنُّزُولِ عَلَى غَرْنَاطَةَ.وَأَقْبَلَ الْمُرْتَضَى عَلَى أَهْلِ بَلَنْسِيَةَ ، وَشَاطِبَةَ ، وَأَظْهَرَ الْجَفَاءَ لِمُنْذِرِ بْنِ يَحْيَى التُّجِيبِيِّ ، وَلِخَيْرَانَ ، وَلَمْ يُقْبِلْ عَلَيْهِمَا ، فَنَدِمَا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمَا ، وَسَارَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى غَرْنَاطَةَ ، فَوَصَلَ إِلَيْهَا ، وَنَزَلَ عَلَيْهَا ، وَقَاتَلُوا أَيَّامًا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَغَلَبَهُمْ أَهْلُ غَرْنَاطَةَ وَأَمِيرُهُمْ زَاوِي بْنُ زِيرِي الصِّنْهَاجِيُّ ، وَانْهَزَمَ الْمُرْتَضَى وَعَسْكَرُهُ ، وَاتَّبَعَتْهُمْ صِنْهَاجَةُ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ ، وَقُتِلَ الْمُرْتَضَى فِي هَذِهِ الْهَزِيمَةِ وَعُمْرُهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً ، وَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ أَخِيهِ هِشَامٍ ، وَسَارَ أَخُوهُ هِشَامٌ إِلَى الْبُنْتِ ، وَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ خُوطِبَ بِالْخِلَافَةِ ، وَلَمْ يَزَلْ عَلِيُّ بْنُ حَمُّودٍ بَعْدَ هَذِهِ الْهَزِيمَةِ يَقْصِدُ بِلَادَ خَيْرَانَ وَالْعَامِرِيِّينَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى.ذِكْرُ قَتْلِ عَلِيِّ بْنِ حَمُّودٍ الْعَلَوِيِّ فَلَمَّا كَانَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، تَجَهَّزَ عَلِيُّ بْنُ حَمُّودٍ ، لِلْمَسِيرِ إِلَى جَيَّانَ لِقِتَالِ مَنْ بِهَا مِنْ عَسْكَرِ خَيْرَانَ ، فَلَمَّا كَانَ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ مِنْهُ بَرَزَتِ الْعَسَاكِرُ إِلَى ظَاهِرِ قُرْطُبَةَ بِالْبُنُودِ وَالطُّبُولِ ، وَوَقَفُوا يَنْتَظِرُونَ خُرُوجَهُ ، فَدَخَلَ الْحَمَّامَ وَمَعَهُ غِلْمَانُهُ ، فَقَتَلُوهُ ، فَلَمَّا طَالَ عَلَى النَّاسِ انْتِظَارُهُ بَحَثُوا عَنْ أَمْرِهِ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، فَرَأَوْهُ مَقْتُولًا ، فَعَادَ الْعَسْكَرُ إِلَى الْبَلَدِ.وَكَانَ لَقَبُهُ الْمُتَوَكِّلَ عَلَى اللَّهِ ، وَقِيلَ النَّاصِرَ لِدِينِ اللَّهِ ، كَانَ أَسْمَرَ ، أَعْيَنَ ، أَكْحَلَ ، خَفِيفَ الْجِسْمِ ، طَوِيلَ الْقَامَةِ ، حَازِمًا ، عَازِمًا ، عَادِلًا ، حَسَنَ السِّيرَةِ ، وَكَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى أَنْ يُعِيدَ إِلَى أَهْلِ قُرْطُبَةَ أَمْوَالَهُمُ الَّتِي أَخَذَهَا الْبَرْبَرُ ، فَلَمْ تَطُلْ أَيَّامُهُ ، وَكَانَ يُحِبُّ الْمَدْحَ ، وَيُجْزِلُ الْعَطَاءَ عَلَيْهِ.ثُمَّ وَلِيَ بَعْدَهُ أَخُوهُ الْقَاسِمُ ، وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْ عَلِيٍّ بِعِدَّةِ أَعْوَامٍ ، وَكَانَ عُمْرُ عَلِيٍّ ثَمَانِيًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ، بَنُوهُ يَحْيَى وَإِدْرِيسُ ، وَأُمُّهُ قُرَشِيَّةٌ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو الْحَسَنِ ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ سَنَةً وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ.ذِكْرُ وِلَايَةِ الْقَاسِمِ بْنِ حَمُّودٍ الْعَلَوِيِّ بِقُرْطُبَةَ قَدْ ذَكَرْنَا قَتْلَ أَخِيهِ عَلِيِّ بْنِ حَمُّودٍ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَلَمَّا قُتِلَ بَايَعَ النَّاسُ أَخَاهُ الْقَاسِمَ ، وَلُقِّبَ الْمَأْمُونَ ، فَلَمَّا وَلِيَ ، وَاسْتَقَرَّ مُلْكُهُ ، كَاتَبَ الْعَامِرِيِّينَ وَاسْتَمَالَهُمْ وَأَقْطَعَ زُهَيْرًا جَيَّانَ ، وَقَلْعَةَ رَبَاحٍ ، وَبَيَّاسَةَ ، وَكَاتَبَ خَيْرَانَ وَاسْتَعْطَفَهُ ، فَلَجَأَ إِلَيْهِ وَاجْتَمَعَ بِهِ ، ثُمَّ عَادَ عَنْهُ إِلَى الْمَرِيَّةَ ، وَبَقِيَ الْقَاسِمُ مَالِكًا لِقُرْطُبَةَ وَغَيْرِهَا إِلَى سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.وَكَانَ وَادِعًا ، لَيِّنًا ، يُحِبُّ الْعَافِيَةَ ، فَأَمِنَ النَّاسُ مَعَهُ ، وَكَانَ يَتَشَيَّعُ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُظْهِرْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، فَسَارَ عَنْ قُرْطُبَةَ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ ، فَخَالَفَهُ يَحْيَى ابْنُ أَخِيهِ فِيهَا.ذِكْرُ دَوْلَةِ يَحْيَى بْنِ عَلِيِّ بْنِ حَمُّودٍ وَمَا كَانَ مِنْهُ وَمِنْ عَمِّهِ لَمَّا سَارَ الْقَاسِمُ بْنُ حَمُّودٍ عَنْ قُرْطُبَةَ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ سَارَ ابْنُ أَخِيهِ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ مِنْ مَالِقَةَ إِلَى قُرْطُبَةَ ، فَدَخَلَهَا بِغَيْرِ مَانِعٍ ، فَلَمَّا تَمَكَّنَ بِقُرْطُبَةَ دَعَا النَّاسَ إِلَى بَيْعَتِهِ فَأَجَابُوهُ ، فَكَانَتِ الْبَيْعَةُ مُسْتَهَلَّ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَلُقِّبَ بِالْمُعْتَلِي ، وَبَقِيَ بِقُرْطُبَةَ يُدْعَى لَهُ بِالْخِلَافَةِ وَعَمُّهُ الْقَاسِمُ بِإِشْبِيلِيَّةَ يُدْعَى لَهُ بِالْخِلَافَةِ ، إِلَى ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.فَسَارَ يَحْيَى عَنْ قُرْطُبَةَ إِلَى مَالِقَةَ.وَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى عَمِّهِ ، فَرَكِبَ وَجَدَّ فِي السَّيْرِ لَيْلًا وَنَهَارًا إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى قُرْطُبَةَ فَدَخَلَهَا ثَامِنَ عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَكَانَ مُدَّةُ مُقَامِهِ بِإِشْبِيلِيَّةَ ، قَدِ اسْتَمَالَ الْعَسَاكِرَ مِنَ الْبَرْبَرِ وَقَوِيَ بِهِمْ ، وَبَقِيَ الْقَاسِمُ بِقُرْطُبَةَ شُهُورًا ، ثُمَّ اضْطَرَبَ أَمْرُهُ بِهَا ، وَسَارَ ابْنُ أَخِيهِ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ إِلَى الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ ، وَغَلَبَ عَلَيْهَا وَبِهَا أَهْلُ عَمِّهِ وَمَالِهِ ، وَغُلِبَ أَخُوهُ إِدْرِيسُ بْنُ عَلِيٍّ ، صَاحِبُ سَبْتَةَ ، عَلَى طَنْجَةَ ، وَهِيَ كَانَتْ عِدَّةَ الْقَاسِمِ الَّتِي يَلْجَأُ إِلَيْهَا إِنْ رَأَى مَا يَخَافُ بِالْأَنْدَلُسِ ، فَلَمَّا مَلَكَ ابْنَا أَخِيهِ بِلَادَهُ طَمِعَ فِيهِ النَّاسُ ، وَتَسَلَّطَ الْبَرْبَرُ عَلَى قُرْطُبَةَ فَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ ، فَاجْتَمَعَ أَهْلُهَا وَبَرَزُوا إِلَى قِتَالِهِ عَاشِرَ جُمَادَى الْأُولَى إِلَى سَنَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ سَكَنَتِ الْحَرْبُ ، وَأَمِنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَى مُنْتَصَفِ جُمَادَى الْأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ ، وَالْقَاسِمُ بِالْقَصْرِ يُظْهِرُ التَّوَدُّدَ لِأَهْلِ قُرْطُبَةَ ، وَأَنَّهُ مَعَهُمْ ، وَبَاطِنُهُ مَعَ الْبَرْبَرِ.فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ مُنْتَصَفَ جُمَادَى الْآخِرَةِ صَلَّى النَّاسُ الْجُمُعَةَ ، فَلَمَّا فَرَغُوا تَنَادَوْا السِّلَاحَ!السِّلَاحَ!فَاجْتَمَعُوا وَلَبِسُوا السِّلَاحَ ، وَحَفِظُوا الْبَلَدَ ، وَدَخَلُوا قَصْرَ الْإِمَارَةِ ، فَخَرَجَ عَنْهَا الْقَاسِمُ ، وَاجْتَمَعَ مَعَهُ الْبَرْبَرُ ، وَقَاتَلُوا أَهْلَ الْبَلَدِ ، وَضَيَّقُوا عَلَيْهِمْ ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَهْلِهِ ، فَبَقُوا كَذَلِكَ نَيِّفًا وَخَمْسِينَ يَوْمًا وَالْقِتَالُ مُتَّصِلٌ ، فَخَافَ أَهْلُ قُرْطُبَةَ ، وَسَأَلُوا الْبَرْبَرَ فِي أَنْ يَفْتَحُوا لَهُمُ الطَّرِيقَ وَيُؤَمِّنُوهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ ، فَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يَقْتُلُوهُمْ ، فَصَبَرُوا حِينَئِذٍ عَلَى الْقِتَالِ ، وَخَرَجُوا مِنَ الْبَلَدِ ثَانِيَ عَشَرَ شَعْبَانَ ، وَقَاتَلُوهُمْ قِتَالَ مُسْتَقْتِلٍ ، فَنَصَرَهُمُ اللَّهُ عَلَى الْبَرْبَرِ ، وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ الحج ، وَانْهَزَمَ الْبَرْبَرُ هَزِيمَةً عَظِيمَةً ، وَلَحِقَ كُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ بِبَلَدٍ فَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهِ.وَأَمَّا الْقَاسِمُ بْنُ حَمُّودٍ فَإِنَّهُ سَارَ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ ، وَكَتَبَ إِلَى أَهْلِهَا فِي إِخْلَاءِ أَلْفِ دَارٍ لِيَسْكُنَهَا الْبَرْبَرُ ، فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ بِهَا ابْنَا مُحَمَّدٍ وَالْحَسَنِ ، فَثَارَ بِهِمَا أَهْلُهَا ، فَأَخْرَجُوهُمَا عَنْهُمْ وَمَنْ مَعَهُمَا ، وَضَبَطُوا الْبَلَدَ ، وَقَدَّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ثَلَاثَةً مِنْ شُيُوخِهِمْ وَكُبَرَائِهِمْ وَهُمْ الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبَّادٍ اللَّخْمِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَرِيمَ الْأَلْهَانِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الزُّبَيْدِيُّ ، وَكَانُوا يُدَبِّرُونَ أَمْرَ الْبَلَدِ وَالنَّاسِ ثُمَّ اجْتَمَعَ ابْنُ يَرِيمَ وَالزُّبَيْدِيُّ ، وَسَأَلُوا ابْنَ عَبَّادٍ أَنْ يَنْفَرِدَ بِتَدْبِيرِ أُمُورِهِمْ ، فَامْتَنَعَ وَأَلَحُّوا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا خَافَ عَلَى الْبَلَدِ بِامْتِنَاعِهِ أَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، وَانْفَرَدَ بِالتَّدْبِيرِ وَحِفْظِ الْبَلَدِ.فَلَمَّا رَأَى الْقَاسِمُ ذَلِكَ سَارَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ ، ثُمَّ إِنَّهُ نَزَلَ بِشَرِيشَ ، فَزَحَفَ إِلَيْهِ يَحْيَى ابْنُ أَخِيهِ عَلِيٍّ ، وَمَعَهُ جَمْعٌ مِنَ الْبَرْبَرِ فَحَصَرُوهُ ثُمَّ أَخَذُوهُ أَسِيرًا ، فَحَبَسَهُ يَحْيَى فَبَقِيَ فِي حَبْسِهِ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ يَحْيَى وَمَلَكَ أَخُوهُ إِدْرِيسُ ، فَلَمَّا مَلَكَ قَتَلَهُ ، وَقِيلَ بَلْ مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ ، وَحُمِلَ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٍ ، وَهُوَ بِالْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ فَدَفَنَهُ.وَكَانَتْ مُدَّةُ وِلَايَةِ الْقَاسِمِ بِقُرْطُبَةَ ، مُذْ تَسَمَّى بِالْخِلَافَةِ إِلَى أَنْ أَسَرَهُ ابْنُ أَخِيهِ ، سِتَّةَ أَعْوَامٍ ، وَبَقِيَ مَحْبُوسًا سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً إِلَى أَنْ قُتِلَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَكَانَ لَهُ ثَمَانُونَ سَنَةً ، وَلَهُ مِنَ الْوَلَدِ مُحَمَّدٌ وَالْحَسَنُ ، وَأُمُّهُمَا أَمِيرَةُ بِنْتُ الْحَسَنِ بْنِ الْقَاسِمِ الْمَعْرُوفِ بِقَتُّونَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ إِدْرِيسَ بْنِ إِدْرِيسَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَانَ أَسْمَرَ ، أَعْيَنَ ، أَكْحَلَ ، مُصْفَرَّ اللَّوْنِ ، طَوِيلًا ، خَفِيفَ الْعَارِضَيْنِ.ذِكْرُ عَوْدِ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَى قُرْطُبَةَ وَوِلَايَةِ الْمُسْتَظْهِرِ لَمَّا انْهَزَمَ الْبَرْبَرُ وَالْقَاسِمُ بْنُ عَلِيٍّ مِنْ أَهْلِ قُرْطُبَةَ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، اتَّفَقَ رَأْيُ أَهْلِ قُرْطُبَةَ عَلَى رَدِّ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَاخْتَارُوا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ الْأُمَوِيَّ ، فَبَايَعُوهُ بِالْخِلَافَةِ ثَالِثَ عَشَرَ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَعُمْرُهُ حِينَئِذٍ اثْنَتَانِ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، وَتَلَقَّبَ بِالْمُسْتَظْهِرِ بِاللَّهِ ، فَكَانَتْ وِلَايَتُهُ شَهْرًا وَاحِدًا وَسَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا وَقُتِلَ.وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّهُ أَخَذَ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ قُرْطُبَةَ فَسَجَنَهُمْ لِمَيْلِهِمْ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُرْتَضَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ، فَسَعَوْا عَلَيْهِ مِنَ السِّجْنِ ، وَأَلَّبُوا النَّاسَ ، فَأَجَابَهُمْ صَاحِبُ الشُّرْطَةِ وَغَيْرُهُ ، وَاجْتَمَعُوا وَقَصَدُوا السِّجْنَ فَأَخْرَجُوا مَنْ فِيهِ.وَكَانَ مِمَّنْ وَافَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأُمَوِيُّ فِي جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ ، فَظَفِرُوا بِالْمُسْتَظْهِرِ ، فَقَتَلُوهُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، وَلَمْ يُعْقِبْ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو الْمُطَرِّفِ ، وَأُمُّهُ أَمُّ وَلَدٍ ، وَكَانَ أَبْيَضَ أَشْقَرَ ، أَعْيَنَ ، شَثْنَ الْكَفَّيْنِ ، رَحْبَ الصَّدْرِ ، وَكَانَ أَدِيبًا ، خَطِيبًا ، بَلِيغًا ، رَقِيقَ الطَّبْعِ وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ ، وَكَانَ وَزِيرُهُ أَبَا مُحَمَّدٍ عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ حَزْمٍ ، وَكَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُرْتَضَى قَدْ مَاتَ قَبْلَ قَتْلِهِ بِعَشَرَةِ أَيَّامٍ.ذِكْرُ وِلَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَمَّا قُتِلَ الْمُسْتَظْهِرُ بَايَعَ النَّاسُ بِقُرْطُبَةَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ النَّاصِرِ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأُمَوِيُّ ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَخَطَبُوا لَهُ بِالْخِلَافَةِ ، وَلَقَّبُوهُ الْمُسْتَكْفِيَ بِاللَّهِ ، وَكَانَ هَمُّهُ لَا يَعْدُو فَرْجَهُ وَبَطْنَهُ ، وَلَيْسَ لَهُ هَمٌّ وَلَا فِكْرٌ فِي سِوَاهُمَا ، وَبَقِيَ بِهَا سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا وَأَيَّامًا ، وَثَارَ عَلَيْهِ أَهْلُ قُرْطُبَةَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَخَلَعُوهُ وَخَرَجَ عَنْ قُرْطُبَةَ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، حَتَّى صَارَ إِلَى أَعْمَالِ مَدِينَةِ سَالِمٍ فَضَجِرَ مِنْهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ ، فَشَوَى لَهُ دَجَاجَةً ، وَعَمِلَ فِيهَا شَيْئًا مِنَ الْبِيشِ ، فَأَكَلَهَا فَمَاتَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.وَكَانَ فِي غَايَةِ التَّخَلُّفِ ، وَلَهُ أَخْبَارٌ يَقْبُحُ ذِكْرُهَا ، وَكَانَ رَبْعَةً ، أَشْقَرَ ، أَزْرَقَ ، مُدَوَّرَ الْوَجْهِ ، ضَخْمَ الْجِسْمِ ، وَكَانَ عُمْرُهُ نَحْوَ خَمْسِينَ سَنَةً ، وَلَمَّا تُوُفِّيَ أَعَادَ أَهْلُ قُرْطُبَةَ دَعْوَةَ الْمُعْتَلِي بِاللَّهِ يَحْيَى بْنِ عَلِيِّ بْنِ حَمُّودٍ الْعَلَوِيِّ بِهَا.ذِكْرُ عَوْدِ يَحْيَى الْعَلَوِيِّ إِلَى قُرْطُبَةَ وَقَتْلِهِ لَمَّا مَاتَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأُمَوِيُّ ، وَصَحَّ عِنْدَ أَهْلِ قُرْطُبَةَ خَبَرُ مَوْتِهِ ، سَعَى مَعَهُمْ بَعْضُ أَهْلِهَا لِيَحْيَى بْنِ عَلِيِّ بْنِ حَمُّودٍ الْعَلَوِيِّ لِيُعِيدُوهُ إِلَى الْخِلَافَةِ ، وَكَانَ بِمَالِقَةَ يَخْطُبُ لِنَفْسِهِ بِالْخِلَافَةِ ، فَكَتَبُوا إِلَيْهِ وَخَاطَبُوهُ بِالْخِلَافَةِ ، وَخَطَبُوا لَهُ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَطَّافٍ الْيَفُرَنِيَّ وَالِيًا عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَحْضُرْ هُوَ بِاخْتِيَارِهِ ، فَبَقِيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِيهَا إِلَى مُحَرَّمٍ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ مُجَاهِدٌ ، وَخَيْرَانُ الْعَامِرِيَّانِ ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْهَا ، فِي جَيْشٍ كَثِيرٍ ، فَلَمَّا قَارَبُوا قُرْطُبَةَ ثَارَ أَهْلُهَا بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَأَخْرَجُوهُ ، وَقَتَلُوا مِنْ أَصْحَابِهِ جَمَاعَةً كَثِيرَةً ، وَنَجَا الْبَاقُونَ.وَأَقَامَ خَيْرَانُ وَمُجَاهِدٌ بِهَا نَحْوَ شَهْرٍ ، ثُمَّ اخْتَلَفَا ، فَخَافَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ، فَعَادَ خَيْرَانُ عَنْ قُرْطُبَةَ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ مِنَ السَّنَةِ إِلَى الْمَرِيَّةِ ، وَبَقِيَ بِهَا إِلَى سَنَةِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ وَتُوُفِّيَ ، وَقِيلَ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ ، وَصَارَتِ الْمَرِيَّةُ بَعْدَهُ لِصَاحِبِهِ زُهَيْرٍ الْعَامِرِيِّ ، فَخَالَفَ حَبُّوسُ بْنُ مَاكِسَنَ الصِّنْهَاجِيُّ الْبَرْبَرِيُّ وَأَخُوهُ عَلَى طَاعَةِ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ الْعَلَوِيِّ ، وَبَقِيَ مُجَاهِدٌ مُدَّةً ثُمَّ سَارَ إِلَى دَانِيَةَ ، وَقُطِعَتْ خُطْبَةُ يَحْيَى مِنْهَا ، وَأُعِيدَتْ خُطْبَةُ الْأُمَوِيِّينَ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ فِيمَا بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَبَقِيَ يَتَرَدَّدُ عَلَيْهَا بِالْعَسَاكِرِ ، وَاتَّفَقَ الْبَرْبَرُ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَسَلَّمُوا إِلَيْهِ مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْحُصُونِ وَالْمُدُنِ ، فَقَوِيَ وَعَظُمَ شَأْنُهُ وَبَقِيَ كَذَلِكَ مُدَّةً.ثُمَّ سَارَ إِلَى قَرْمُونَةَ ، فَأَقَامَ بِهَا مُحَاصِرًا لِإِشْبِيلِيَّةَ ، طَامِعًا فِي أَخْذِهَا ، فَأَتَاهُ الْخَبَرُ يَوْمًا أَنَّ خَيْلًا لِأَهْلِ إِشْبِيلِيَّةَ قَدْ أَخْرَجَهَا الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عَبَّادٍ إِلَى نَوَاحِي قَرْمُونَةَ ، فَرَكِبَ إِلَيْهِمْ وَلَقِيَهُمْ ، وَقَدْ كَمَنُوا لَهُ ، فَلَمْ يَكُنْ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ قُتِلَ ، وَذَلِكَ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَخَلَّفَ مِنَ الْوَلَدِ الْحَسَنَ وَإِدْرِيسَ لِأُمَّيْ وَلَدٍ ، وَكَانَ أَسْمَرَ أَعْيَنَ ، أَكْحَلَ ، طَوِيلَ الظَّهْرِ ، قَصِيرَ السَّاقَيْنِ ، وَقُورًا ، هَيِّنًا ، لَيِّنًا ، وَكَانَ عُمْرُهُ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَأُمُّهُ بَرْبَرِيَّةٌ.ذِكْرُ أَخْبَارِ أَوْلَادِ يَحْيَى وَأَوْلَادِ أَخِيهِ وَغَيْرِهِمْ وَقَتْلِ ابْنِ عَمَّارٍ نَذْكُرُ هَاهُنَا مَا كَانَ مِنْ أَخْبَارِ أَوْلَادِهِ ، وَأَوْلَادِ أَخِيهِ ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعَلَوِيِّينَ ، مُتَتَابِعًا لِئَلَّا يَنْقَطِعَ الْكَلَامُ ، وَلِيَأْخُذَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ.وَلَمَّا قُتِلَ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ رَجَعَ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي مُوسَى الْمَعْرُوفُ بِابْنِ بَقِيَّةَ ، وَنَجَا الْخَادِمُ الصَّقْلَبِيُّ ، وَهُمَا مُدَبِّرَا دَوْلَةِ الْعَلَوِيِّينَ ، فَأَتَيَا مَالِقَةَ ، وَهِيَ دَارُ مَمْلَكَتِهِمْ ، فَخَاطَبَا أَخَاهُ إِدْرِيسَ بْنَ عَلِيٍّ ، وَكَانَ لَهُ سَبْتَةُ وَطَنْجَةُ ، وَطَلَبَاهُ فَأَتَى إِلَى مَالِقَةَ ، وَبَايَعَاهُ بِالْخِلَافَةِ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ حَسَنَ بْنَ يَحْيَى الْمَقْتُولَ مَكَانَهُ بِسَبْتَةَ ، فَأَجَابَهُمَا إِلَى ذَلِكَ ، فَبَايَعَاهُ ، وَسَارَ حَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، وَنَجَا إِلَى سَبْتَةَ وَطَنْجَةَ ، وَتَلَقَّبَ إِدْرِيسُ بِالْمُتَأَيِّدِ بِاللَّهِ ، فَبَقِيَ كَذَلِكَ إِلَى سَنَةِ ثَلَاثِينَ ، أَوْ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.فَسَيَّرَ الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عَبَّادٍ وَلَدَهُ إِسْمَاعِيلَ فِي عَسْكَرٍ لِيَتَغَلَّبَ عَلَى تِلْكَ الْبِلَادِ ، فَأَخَذَ قَرْمُونَةَ ، وَأَخَذَ أَيْضًا أُشْبُونَةَ ، وَإِسْتَجَةَ ، فَأَرْسَلَ صَاحِبُهَا إِلَى إِدْرِيسَ ، وَإِلَى بَادِيسَ بْنِ حَبُّوسٍ ، صَاحِبِ صِنْهَاجَةَ ، فَأَتَاهُ صَاحِبُ صِنْهَاجَةَ بِنَفْسِهِ ، وَأَمَدَّهُ إِدْرِيسُ بِعَسْكَرٍ يَقُودُهُ ابْنُ بَقِيَّةَ مُدَبِّرُ دَوْلَتِهِ ، فَلَمْ يَجْسُرُوا عَلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبَّادٍ ، فَعَادُوا عَنْهُ ، فَسَارَ إِسْمَاعِيلُ مُجِدًّا لِيَأْخُذَ عَلَى صِنْهَاجَةَ الطَّرِيقَ ، فَأَدْرَكَهُمْ وَقَدْ فَارَقَهُمْ عَسْكَرُ إِدْرِيسَ قَبْلَ ذَلِكَ بِسَاعَةٍ ، فَأَرْسَلَتْ صِنْهَاجَةُ مَنْ رَدَّهُمْ فَعَادُوا ، وَقَاتَلُوا إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَبَّادٍ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَصْحَابُهُ أَنِ انْهَزَمُوا وَأَسْلَمُوهُ ، فَقُتِلَ وَحُمِلَ رَأْسُهُ إِلَى إِدْرِيسَ.وَكَانَ إِدْرِيسُ قَدْ أَيْقَنَ بِالْهَلَاكِ ، وَانْتَقَلَ عَنْ مَالِقَةَ إِلَى جَبَلٍ يَحْتَمِي بِهِ وَهُوَ مَرِيضٌ ، فَلَمَّا أَتَاهُ الرَّأْسُ عَاشَ بَعْدَهُ يَوْمَيْنِ ، وَمَاتَ وَتَرَكَ مِنَ الْوَلَدِ يَحْيَى ، وَمُحَمَّدًا ، وَحَسَنًا ، وَكَانَ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ الْمَقْتُولُ قَدْ حَبَسَ ابْنَيْ عَمِّهِ مُحَمَّدًا وَالْحَسَنَ ابْنَيِ الْقَاسِمِ بْنِ حَمُّودٍ بِالْجَزِيرَةِ ، فَلَمَّا مَاتَ إِدْرِيسُ أَخْرَجَهُمَا الْمُوكَّلُ بِهِمَا ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهِمَا ، فَبَايَعَهُمَا السُّودَانُ خَاصَّةً قَبْلَ النَّاسِ لِمَيْلِ أَبِيهِمَا إِلَيْهِمْ فَمَلَكَ مُحَمَّدٌ الْجَزِيرَةَ ، وَلَمْ يَتَّسِمْ بِالْخِلَافَةِ.وَأَمَّا الْحَسَنُ بْنُ الْقَاسِمِ فَإِنَّهُ تَنَسَّكَ وَتَرَكَ الدُّنْيَا وَحَجَّ ، وَكَانَ ابْنُ بَقِيَّةَ قَدْ أَقَامَ يَحْيَى بْنَ إِدْرِيسَ بَعْدَ مَوْتِ وَالِدِهِ بِمَالِقَةَ ، فَسَارَ إِلَيْهَا نَجَا الصَّقْلَبِيُّ مِنْ سَبْتَةَ هُوَ وَالْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، فَهَرَبَ ابْنُ بَقِيَّةَ ، وَدَخَلَهَا الْحَسَنُ وَنَجَا ، فَاسْتَمَالَا ابْنَ بَقِيَّةَ حَتَّى حَضَرَ ، فَقَتَلَهُ الْحَسَنُ وَقَتَلَ ابْنَ عَمِّهِ يَحْيَى بْنَ إِدْرِيسَ ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ بِالْخِلَافَةِ ، وَلُقِّبَ بِالْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ ، وَرَجَعَ نَجَا إِلَى سَبْتَةَ ، وَتَرَكَ مَعَ الْحَسَنِ الْمُسْتَنْصِرِ نَائِبًا لَهُ يُعْرَفُ بِالشَّطِيفِيِّ ، فَبَقِيَ حَسَنٌ كَذَلِكَ نَحْوًا مِنْ سَنَتَيْنِ ، ثُمَّ مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَقِيلَ إِنَّ زَوْجَتَهُ ابْنَةَ عَمِّهِ إِدْرِيسَ سَمَّتْهُ أَسَفًا عَلَى أَخِيهَا يَحْيَى ، فَلَمَّا مَاتَ الْمُسْتَنْصِرُ ، اعْتَقَلَ الشَّطِيفِيُّ إِدْرِيسَ بْنَ يَحْيَى ، وَسَارَ نَجَا مِنْ سَبْتَةَ إِلَى مَالِقَةَ ، وَعَزَمَ عَلَى مَحْوِ أَمْرِ الْعَلَوِيِّينَ ، وَأَنْ يَضْبُطَ الْبِلَادَ لِنَفْسِهِ ، وَأَظْهَرَ الْبَرْبَرَ عَلَى ذَلِكَ ، فَعَظُمَ عِنْدَهُمْ ، فَقَتَلُوهُ ، وَقَتَلُوا الشَّطِيفِيَّ وَأَخْرَجُوا إِدْرِيسَ بْنَ يَحْيَى ، وَبَايَعُوهُ بِالْخِلَافَةِ ، وَتَسَمَّى بِالْعَالِي ، وَكَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَةِ يَتَصَدَّقُ كُلَّ جُمُعَةٍ بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ ، وَرَدَّ كُلَّ مَطْرُودٍ عَنْ وَطَنِهِ وَأَعَادَ عَلَيْهِمْ أَمْلَاكَهُمْ.وَكَانَ مُتَأَدِّبًا ، حَسَنَ اللِّقَاءِ ، لَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَصْحَبُ الْأَرْذَالَ وَلَا يَحْجُبُ نِسَاءَهُ عَنْهُمْ ، وَكُلُّ مَنْ طَلَبَ مِنْهُمْ حِصْنًا مِنْ بِلَادِهِ أَعْطَاهُ ، فَأَخَذَ مِنْهُ صِنْهَاجَةُ عِدَّةَ حُصُونٍ ، وَطَلَبُوا وَزِيرَهُ وَمُدَبِّرَ أَمْرِهِ صَاحِبَ أَبِيهِ مُوسَى بْنَ عَفَّانَ لِيَقْتُلُوهُ ، فَسَلَّمَهُ إِلَيْهِمْ فَقَتَلُوهُ ، وَكَانَ قَدِ اعْتَقَلَ ابْنَيْ عَمِّهِ مُحَمَّدًا وَالْحَسَنَ ابْنَيْ إِدْرِيسَ بْنِ عَلِيٍّ فِي حِصْنِ أَيْرَشَ ، فَلَمَّا رَأَى ثِقَتَهُ بِأَيْرَشَ اضْطِرَابَ آرَائِهِ خَالَفَ عَلَيْهِ وَبَايَعَهُ ابْنُ عَمِّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ عَلِيٍّ ، وَثَارَ بِإِدْرِيسَ بْنِ يَحْيَى مَنْ عِنْدَهُ مِنَ السُّودَانِ ، وَطَلَبُوا مُحَمَّدًا فَجَاءَ إِلَيْهِمْ فَسَلَّمَ إِلَيْهِ إِدْرِيسُ الْأَمْرَ ، وَبَايَعَ لَهُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَاعْتَقَلَهُ مُحَمَّدٌ ، وَتَلَقَّبَ بِالْمَهْدِيِّ ، وَوَلَّى أَخَاهُ الْحَسَنَ عَهْدَهُ ، وَلَقَّبَهُ السَّامِي.وَظَهَرَتْ مِنَ الْمَهْدِيِّ شَجَاعَةٌ وَجُرْأَةٌ ، فَهَابَهُ الْبَرْبَرُ وَخَافُوهُ ، فَرَاسَلُوا الْمُوَكَّلَ بِإِدْرِيسَ بْنِ يَحْيَى ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى إِخْرَاجِهِ ، وَأَخْرَجَهُ وَبَايَعَ لَهُ ، وَخَطَبَ لَهُ بِسَبْتَةَ وَطَنْجَةَ بِالْخِلَافَةِ ، وَبَقِيَ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .ثُمَّ إِنَّ الْمَهْدِيَّ رَأَى مِنْ أَخِيهِ السَّامِي مَا أَنْكَرَهُ ، فَنَفَاهُ عَنْهُ ، فَسَارَ إِلَى الْعُدْوَةِ إِلَى جِبَالِ غَمَارَةَ ، وَأَهْلُهَا يَنْقَادُونَ لِلْعَلَوِيِّينَ وَيُعَظِّمُونَهُمْ ، فَبَايَعُوهُ ، ثُمَّ إِنَّ الْبَرْبَرَ خَاطَبُوا مُحَمَّدَ بْنَ الْقَاسِمِ بِالْجَزِيرَةِ ، وَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ وَبَايَعُوهُ بِالْخِلَافَةِ ، وَتَسَمَّى بِالْمَهْدِيِّ أَيْضًا ، فَصَارَ الْأَمْرُ فِي غَايَةِ الْأُخْلُوقَةِ وَالْفَضِيحَةِ ، أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ يُسَمَّى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي رُقْعَةٍ مِنَ الْأَرْضِ مِقْدَارُهَا ثَلَاثُونَ فَرْسَخًا ، فَرَجَعَتِ الْبَرَابِرُ عَنْهُ ، عَادَ إِلَى الْجَزِيرَةِ ، فَمَاتَ بَعْدَ أَيَّامٍ ، فَوَلِيَ الْجَزِيرَةَ ابْنُهُ الْقَاسِمُ ، وَلَمْ يَتَّسِمْ بِالْخِلَافَةِ ، وَبَقِيَ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ بِمَالِقَةَ إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَكَانَ إِدْرِيسُ بْنُ يَحْيَى الْمَعْرُوفُ بِالْعَالِي عِنْدَ بَنِي يَفُرَنَ بِتَاكُرُنَّا ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ عَلِيٍّ قَصَدَ إِدْرِيسُ بْنُ يَحْيَى مَالِقَةَ فَمَلَكَهَا ، ثُمَّ انْتَقَلَتْ إِلَى صِنْهَاجَةَ.ذِكْرُ وِلَايَةِ هِشَامٍ الْأُمَوِيِّ قُرْطُبَةَ لَمَّا قُطِعَتْ دَعْوَةُ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ الْعَلَوِيِّ عَنْ قُرْطُبَةَ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ قَبْلُ ، أَجْمَعَ أَهْلُهَا عَلَى خَلْعِ الْعَلَوِيِّينَ لِمَيْلِهِمْ إِلَى الْبَرْبَرِ ، وَإِعَادَةِ الْخِلَافَةِ بِالْأَنْدَلُسِ إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ ، وَكَانَ رَأْسُهُمْ فِي ذَلِكَ أَبَا الْحَزْمِ جَهْوَرَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ جَهْوَرٍ ، فَرَاسَلُوا أَهْلَ الثُّغُورِ وَالْمُتَغَلِّبِينَ هُنَاكَ فِي هَذَا ، فَاتَّفَقُوا مَعَهُمْ ، فَبَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ هِشَامَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ الْأُمَوِيَّ ، وَكَانَ مُقِيمًا بِالْبُنْتِ مُذْ قُتِلَ أَخُوهُ الْمُرْتَضَى ، فَبَايَعُوهُ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ ، وَتَلَقَّبَ بِالْمُعْتَدِّ بِاللَّهِ ، وَكَانَ أَسَنَّ مِنَ الْمُرْتَضَى ، وَنَهَضَ إِلَى الثُّغُورِ فَتَرَدَّدَ فِيهَا ، وَجَرَى لَهُ هُنَاكَ فِتَنٌ وَاضْطِرَابٌ شَدِيدٌ مِنَ الرُّؤَسَاءِ إِلَى أَنِ اتَّفَقَ أَمْرُهُمْ عَلَى أَنْ يَسِيرَ إِلَى قُرْطُبَةَ دَارِ الْمُلْكِ ، فَسَارَ إِلَيْهَا وَدَخَلَهَا ثَامِنَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ عِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَبَقِيَ بِهَا حَتَّى خُلِعَ ثَانِيَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ.وَكَانَ سَبَبُ خَلْعِهِ أَنَّ وَزِيرَهُ أَبَا عَاصِي بْنَ سَعِيدٍ الْقَزَّازَ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَدِيمُ رِئَاسَةٍ ، وَكَانَ يُخَالِفُ الْوُزَرَاءَ الْمُتَقَدِّمِينَ ، وَيَتَسَبَّبُ إِلَى أَخْذِ أَمْوَالِ التُّجَّارِ وَغَيْرِهِمْ ، وَكَانَ يَصِلُ الْبَرْبَرَ ، وَيُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُقَرِّبُهُمْ ، فَنَفَرَ عَنْهُ أَهْلُ قُرْطُبَةَ ، فَوَضَعُوا عَلَيْهِ مَنْ قَتَلَهُ ، فَلَمَّا قَتَلُوهُ اسْتَوْحَشُوا مِنْ هِشَامٍ فَخَلَعُوهُ بِسَبَبِهِ ، فَلَمَّا خُلِعَ هِشَامٌ قَامَ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ النَّاصِرِ ، وَتَسَوَّرَ الْقَصْرَ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَحْدَاثِ ، وَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ ، فَبَايَعَهُ مِنْ سَوَادِ النَّاسِ كَثِيرٌ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَهْلِ قُرْطُبَةَ نَخْشَى عَلَيْكَ أَنْ تُقْتَلَ فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ ، فَإِنَّ السَّعَادَةَ قَدْ وَلَّتْ عَنْكُمْ فَقَالَ بَايِعُونِي الْيَوْمَ وَاقْتُلُونِي غَدًا.فَأَنْفَذَ أَهْلَ قُرْطُبَةَ وَأَعْيَانَهُمْ إِلَيْهِ وَإِلَى الْمُعْتَدِّ بِاللَّهِ يَأْمُرُونَهُمَا بِالْخُرُوجِ عَنْ قُرْطُبَةَ فَوَدَّعَ الْمُعْتَدُّ أَهْلَهُ وَخَرَجَ إِلَى حِصْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الشَّوْرِ بِجَبَلِ قُرْطُبَةَ ، فَبَقِيَ مَعَهُ إِلَى أَنْ غَدَرَ أَهْلُ الْحِصْنِ بِمُحَمَّدِ بْنِ الشَّوْرِ فَقَتَلُوهُ ، وَأَخْرَجُوا الْمُعْتَدَّ إِلَى حِصْنٍ آخَرَ حَبَسُوهُ فِيهِ ، فَاحْتَالَ فِي الْخُرُوجِ مِنْهُ لَيْلًا ، وَسَارَ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ هُودٍ الْجُذَامِيِّ ، فَأَكْرَمَهُ وَبَقِيَ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ فِي صَفَرٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَدُفِنَ بِنَاحِيَةِ لَارِدَةَ ، وَهُوَ آخِرُ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ.وَأَمَّا أُمَيَّةُ فَإِنَّهُ اخْتَفَى بِقُرْطُبَةَ ، فَنَادَى أَهْلُ قُرْطُبَةَ بِالْأَسْوَاقِ وَالْأَرْبَاضِ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ بِهَا ، وَلَا يَتْرُكُهُمْ عِنْدَهُ أَحَدٌ ، فَخَرَجَ أُمَيَّةُ فِيمَنْ خَرَجَ ، وَانْقَطَعَ خَبَرُهُ مُدَّةً ، ثُمَّ أَرَادَ الْعَوْدَ إِلَيْهَا ، فَعَادَ طَمَعًا فِي أَنْ يَسْكُنَهَا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ شُيُوخُ قُرْطُبَةَ مَنْ مَنَعَهُ عَنْهَا ، وَقِيلَ قُتِلَ وَغُيِّبَ ، وَذَلِكَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، ثُمَّ انْحَلَّ عِقْدُ الْجَمَاعَةِ وَانْتَشَرَ وَافْتَرَقَتِ الْبِلَادُ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ.ذِكْرُ تَفَرُّقِ مَمَالِكِ الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ إِنَّ الْأَنْدَلُسَ اقْتَسَمَهُ أَصْحَابُ الْأَطْرَافِ وَالرُّؤَسَاءُ ، فَتَغَلَّبَ كُلُّ إِنْسَانٍ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ ، فَصَارُوا مِثْلَ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ ، وَكَانَ ذَلِكَ أَضَرَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَطَمِعَ بِسَبَبِهِ الْعَدُوُّ الْكَافِرُ ، خَذَلَهُ اللَّهُ ، فِيهِمْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ اجْتِمَاعٌ إِلَى أَنْ مَلَكَهُ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ عَلِيُّ بْنُ يُوسُفَ بْنِ تَاشِفِينَ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.فَأَمَّا قُرْطُبَةُ فَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا أَبُو الْحَزْمِ جَهْوَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَهْوَرٍ ، الْمُقَدَّمُ ذِكْرُهُ ، وَكَانَ مِنْ وَزَارَةِ الدَّوْلَةِ الْعَامِرِيَّةِ ، قَدِيمَ الرِّئَاسَةِ ، مَوْصُوفًا بِالدَّهَاءِ وَالْعَقْلِ ، وَلَمْ يَدْخُلْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْفِتَنِ قَبْلَ هَذَا بَلْ كَانَ يَتَصَاوَنُ عَنْهَا فَلَمَّا خَلَا لَهُ الْجَوُّ وَأَمْكَنَتْهُ الْفُرْصَةُ ، وَثَبَ عَلَيْهَا فَتَوَلَّى أَمْرَهَا وَقَامَ بِحِمَايَتِهَا ، وَلَمْ يَتَنَقَّلْ إِلَى رُتْبَةِ الْإِمَارَةِ ظَاهِرًا ، بَلْ دَبَّرَهَا تَدْبِيرًا لَمْ يُسْبَقْ إِلَيْهِ ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ حَامٍ لِلْبَلَدِ إِلَى أَنْ يَجِيءَ مَنْ يَسْتَحِقُّهُ ، وَيَتَّفِقُ عَلَيْهِ النَّاسُ ، فَيُسَلِّمُهُ إِلَيْهِ ، وَرَتَّبَ الْبَوَّابِينَ وَالْحَشَمَ عَلَى أَبْوَابِ قُصُورِ الْإِمَارَةِ ، وَلَمْ يَتَحَوَّلْ هُوَ عَنْ دَارِهِ إِلَيْهَا ، وَجَعَلَ مَا يَرْتَفِعُ مِنَ الْأَمْوَالِ السُّلْطَانِيَّةِ بِأَيْدِي رِجَالٍ رَتَّبَهُمْ لِذَلِكَ ، وَهُوَ الْمُشْرِفُ عَلَيْهِمْ ، وَصَيَّرَ أَهْلَ الْأَسْوَاقِ جُنْدًا ، وَجَعَلَ أَرْزَاقَهُمْ رِبْحَ أَمْوَالٍ تَكُونُ بِأَيْدِيهِمْ دَيْنًا عَلَيْهِمْ ، فَيَكُونُ الرِّبْحُ لَهُمْ ، وَرَأْسُ الْمَالِ بَاقِيًا عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ يَتَعَهَّدُهُمْ فِي الْأَوْقَاتِ الْمُتَفَرِّقَةِ لِيَنْظُرَ كَيْفَ حِفْظُهُمْ لَهَا ، وَفَرَّقَ السِّلَاحَ عَلَيْهِمْ ، فَكَانَ أَحَدُهُمْ لَا يُفَارِقُهُ سِلَاحُهُ حَتَّى يُعَجِّلَ حُضُورَهُ إِنِ احْتَاجَ إِلَيْهِ.وَكَانَ جَهْوَرٌ يَشْهَدُ الْجَنَائِزَ ، وَيَعُودُ الْمَرْضَى ، وَيَحْضُرُ الْأَفْرَاحَ عَلَى طَرِيقَةِ الصَّالِحِينَ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ تَدْبِيرَ الْمُلُوكِ ، وَكَانَ مَأْمُونَ الْجَانِبِ ، وَأَمِنَ النَّاسُ فِي أَيَّامِهِ ، وَبَقِيَ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ مَاتَ فِي صَفَرٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَقَامَ بِأَمْرِهَا بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو الْوَلِيدِ مُحَمَّدُ بْنُ جَهْوَرٍ عَلَى هَذَا التَّدْبِيرِ إِلَى أَنْ مَاتَ ، فَغَلَبَ عَلَيْهَا الْأَمِيرُ الْمُلَقَّبُ بِالْمَأْمُونِ ، صَاحِبُ طُلَيْطِلَةَ ، فَدَبَّرَهَا إِلَى أَنْ مَاتَ بِهَا. خَبَرُ إِشْبِيلِيَّةَ وَأَمَّا إِشْبِيلِيَّةُ فَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبَّادٍ اللَّخْمِيُّ ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا سَبَبَ ذَلِكَ فِي دَوْلَةِ يَحْيَى بْنِ عَلِيِّ بْنِ حَمُّودٍ قَبْلَ هَذَا.وَفِي هَذَا الْوَقْتِ ظَهَرَ أَمْرُ الْمُؤَيَّدِ هِشَامِ بْنِ الْحَاكِمِ ، وَكَانَ قَدِ اخْتَفَى وَانْقَطَعَ خَبَرُهُ ، وَكَانَ ظُهُورُهُ بِمَالِقَةَ ، ثُمَّ سَارَ مِنْهَا إِلَى الْمَرِيَّةِ ، فَخَافَهُ صَاحِبُهَا زُهَيْرٌ الْعَامِرِيُّ فَأَخْرَجَهُ مِنْهَا فَقَصَدَ قَلْعَةَ رَبَاحٍ ، فَأَطَاعَهُ أَهْلُهَا ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ صَاحِبُهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ ذِي النُّونِ وَحَارَبَهُمْ ، فَضَعُفُوا عَنْ مُقَاوَمَتِهِ ، فَأَخْرَجُوهُ ، فَاسْتَدْعَاهُ الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبَّادٍ إِلَيْهِ بِإِشْبِيلِيَّةَ ، وَأَذَاعَ أَمْرَهُ ، وَقَامَ بِنَصْرِهِ ، وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْأَنْدَلُسِ فِي طَاعَتِهِ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ صَاحِبُ بَلَنْسِيَةَ وَنَوَاحِيهَا ، وَصَاحِبُ قُرْطُبَةَ ، وَصَاحِبُ دَانِيَةَ وَالْجَزَائِرِ ، وَصَاحِبُ طُرْطُوشَةَ ، وَأَقَرُّوا بِخِلَافَتِهِ وَخَطَبُوا لَهُ ، وَجُدِّدَتْ بَيْعَتُهُ بِقُرْطُبَةَ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.ثُمَّ إِنَّ ابْنَ عَبَّادٍ سَيَّرَ جَيْشًا إِلَى زُهَيْرٍ الْعَامِرِيِّ لِأَنَّهُ لَمْ يَخْطُبْ لِلْمُؤَيَّدِ ، فَاسْتَنْجَدَ زُهَيْرٌ حَبُّوسَ بْنَ مَاكِسَنَ الصِّنْهَاجِيَّ صَاحِبَ غَرْنَاطَةَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ بِجَيْشِهِ ، فَعَادَتْ عَسَاكِرُ ابْنِ عَبَّادٍ ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْعَسْكَرَيْنِ قِتَالٌ ، وَأَقَامَ زُهَيْرٌ فِي بَيَّاسَةَ ، وَعَادَ حَبُّوسٌ إِلَى مَالِقَةَ ، فَمَاتَ فِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ بَادِيسُ ، وَاجْتَمَعَ هُوَ وَزُهَيْرٌ لِيَتَّفِقَا كَمَا كَانَ زُهَيْرٌ وَحَبُّوسٌ ، فَلَمْ تَسْتَقِرَّ بَيْنَهُمَا قَاعِدَةٌ ، وَاقْتَتَلَا ، فَقُتِلَ زُهَيْرٌ وَجَمْعٌ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ أَوَاخِرَ سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .ثُمَّ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ الْتَقَى عَسْكَرُ ابْنِ عَبَّادٍ وَعَلَيْهِمُ ابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ مَعَ بَادِيسَ بْنِ حَبُّوسٍ وَعَسْكَرِ إِدْرِيسَ الْعَلَوِيِّ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ عِنْدَ أَخْبَارِ الْعَلَوِيِّينَ فِيمَا تَقَدَّمَ ، إِلَّا أَنَّهُمُ اقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَقُتِلَ إِسْمَاعِيلُ ، ثُمَّ مَاتَ بَعْدَهُ أَبُوهُ الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو عَمْرٍو عَبَّادُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَلُقِّبَ بِالْمُعْتَضِدِ بِاللَّهِ فَضَبَطَ مَا وَلِيَ ، وَأَظْهَرَ مَوْتَ الْمُؤَيَّدِ.هَذَا قَوْلُ ابْنِ أَبِي الْفَيَّاضِ فِي الْمُؤَيَّدِ ، وَقَالَ غَيْرُهُ إِنَّ الْمُؤَيَّدَ لَمْ يَظْهَرْ خَبَرُهُ مُنْذُ عُدِمَ مِنْ قُرْطُبَةَ عَنْ دُخُولِ عَلِيِّ بْنِ حَمُّودٍ إِلَيْهَا ، وَقَتَلَهُ سُلَيْمَانُ ، وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا مِنْ تَمْوِيهَاتِ ابْنِ عَبَّادٍ وَحِيَلِهِ وَمَكْرِهِ ، وَأَعْجَبُ مِنِ اخْتِفَاءِ حَالِ الْمُؤَيَّدِ ، ثُمَّ تَصْدِيقِ النَّاسِ ابْنَ عَبَّادٍ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ حَيَاتِهِ ، أَنَّ إِنْسَانًا حَضَرِيًّا ظَهَرَ بَعْدَ مَوْتِ الْمُؤَيَّدِ بِعِشْرِينَ سَنَةً وَادَّعَى أَنَّهُ الْمُؤَيَّدُ ، فَبُويِعَ بِالْخِلَافَةِ ، وَخُطِبَ لَهُ عَلَى مَنَابِرِ جَمِيعِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ فِي أَوْقَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ ، وَسُفِكَتِ الدِّمَاءُ بِسَبَبِهِ ، وَاجْتَمَعَتِ الْعَسَاكِرُ فِي أَمْرِهِ.وَلَمَّا أَظْهَرَ ابْنُ عَبَّادٍ مَوْتَ هِشَامٍ الْمُؤَيَّدِ ، وَاسْتَقَلَّ بِأَمْرِ إِشْبِيلِيَّةَ وَمَا انْضَافَ إِلَيْهَا ، بَقِيَ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ مَاتَ مِنْ ذُبَحَةٍ لَحِقَتْهُ لِلَيْلَتَيْنِ خَلَتَا مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ ابْنِ الْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ ، وَلُقِّبَ بِالْمُعْتَمِدِ عَلَى اللَّهِ ، فَاتَّسَعَ مُلْكُهُ ، وَشَمَخَ سُلْطَانُهُ ، وَمَلَكَ كَثِيرًا مِنَ الْأَنْدَلُسِ ، وَمَلَكَ قُرْطُبَةَ أَيْضًا ، وَوَلَّى عَلَيْهَا ابْنَهُ الظَّافِرَ بِاللَّهِ ، فَبَلَغَ خَبَرُ مُلْكِهِ لَهَا إِلَى يَحْيَى بْنِ ذِي النُّونِ ، صَاحِبِ طُلَيْطِلَةَ ، فَحَسَدَهُ عَلَيْهَا ، فَضَمِنَ لَهُ جَرِيرُ بْنُ عُكَّاشٍ أَنْ يَجْعَلَ مُلْكَهَا لَهُ ، وَسَارَ إِلَى قُرْطُبَةَ ، وَأَقَامَ بِهَا يَسْعَى فِي ذَلِكَ وَهُوَ يَنْتَهِزُ الْفُرْصَةَ.فَاتَّفَقَ أَنَّ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي جَاءَ مَطَرٌ عَظِيمٌ وَمَعَهُ رِيحٌ شَدِيدٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ، فَثَارَ جَرِيرٌ فِيمَنْ مَعَهُ ، وَوَصَلَ إِلَى قَصْرِ الْإِمَارَةِ ، فَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُمَانِعُهُ ، فَدَخَلَ صَاحِبُ الْبَابِ إِلَى الظَّافِرِ وَأَعْلَمَهُ ، فَخَرَجَ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْعَبِيدِ وَالْحَرَسِ ، وَكَانَ صَغِيرَ السِّنِّ ، وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ ، وَدَفَعَهُمْ عَنِ الْبَابِ ، ثُمَّ إِنَّهُ عَثَرَ فِي بَعْضِ كَرَّاتِهِ فَسَقَطَ ، فَوَثَبَ بَعْضُ مَنْ يُقَاتِلُهُ وَقَتَلَهُ ، وَلَمْ يَبْلُغِ الْخَبَرُ إِلَى الْأَجْنَادِ وَأَهْلِ الْبَلَدِ إِلَّا وَالْقَصْرُ قَدْ مُلِكَ ، وَتَلَاحَقَ بِجَرِيرٍ أَصْحَابُهُ وَأَشْيَاعُهُ ، وَتُرِكَ الظَّافِرُ مُلْقًى عَلَى الْأَرْضِ عُرْيَانًا ، فَمَرَّ عَلَيْهِ بَعْضُ أَهْلِ قُرْطُبَةَ ، فَأَبْصَرَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، فَنَزَعَ رِدَاءَهُ وَأَلْقَاهُ عَلَيْهِ ، وَكَانَ أَبُوهُ إِذَا ذَكَرَهُ يَتَمَثَّلُ وَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ...عَلَى أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضِ وَلَمْ يَزَلِ الْمُعْتَمِدُ يَسْعَى فِي أَخْذِهَا ، حَتَّى عَادَ مَلَكَهَا ، وَتَرَكَ وَلَدَهُ الْمَأْمُونَ فِيهَا ، فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى أَخَذَهَا جَيْشُ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ يُوسُفَ بْنِ تَاشِفِينَ ، وَقُتِلَ فِيهَا بَعْدَ حُرُوبٍ كَثِيرَةٍ يَأْتِي ذِكْرُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .وَأُخِذَتْ إِشْبِيلِيَّةُ مِنْ أَبِيهِ الْمُعْتَمِدِ فِي السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَبَقِيَ مَحْبُوسًا فِي أَغْمَاتَ إِلَى أَنْ مَاتَ بِهَا ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَكَانَ هُوَ وَأَوْلَادُهُ جَمِيعُهُمُ الرَّشِيدُ ، وَالْمَأْمُونُ.وَالرَّاضِي ، وَالْمُعْتَمِدُ ، وَأَبُوهُ ، وَجَدُّهُ عُلَمَاءَ فُضَلَاءَ شُعَرَاءَ. خَبَرُ بَطْلَيُوسَ وَأَمَّا بَطْلَيُوسُ فَقَامَ بِهَا سَابُورُ الْفَتَى الْعَامِرِيُّ وَتَلَقَّبَ بِالْمَنْصُورِ ، ثُمَّ انْتَقَلَتْ بَعْدَهُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْلَمَةَ ، الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْأَفْطَسِ ، أَصْلُهُ مِنْ بَرْبَرِ مِكْنَاسَةَ ، لَكِنَّهُ وُلِدَ أَبُوهُ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَنَشَأُوا بِهَا ، وَتَخَلَّقُوا تَخَلُّقَ أَهْلِهَا ، وَانْتَسَبُوا إِلَى تُجِيبَ ، وَشَاكَلَهُمُ الْمُلْكُ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ صَارَتْ بَعْدَهُ إِلَى ابْنِهِ أَبِي مُحَمَّدٍ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَاتَّسَعَ مُلْكُهُ إِلَى أَقْصَى الْمَغْرِبِ ، وَقُتِلَ صَبْرًا مَعَ وَلَدَيْنِ لَهُ عِنْدَ تَغَلُّبِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ . خَبَرُ طُلَيْطِلَةَ وَأَمَّا طُلَيْطِلَةُ فَقَامَ بِأَمْرِهَا ابْنُ يَعِيشَ ، فَلَمْ تَطُلْ مُدَّتُهُ ، وَصَارَتْ رِئَاسَتُهُ إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَامِرِ بْنِ مُطَرِّفِ بْنِ ذِي النُّونِ ، وَلَقَبُهُ الظَّافِرُ بِحَوْلِ اللَّهِ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْبَرْبَرِ وَوُلِدَ بِالْأَنْدَلُسِ ، تَأَدَّبَ بِآدَابِ أَهْلِهَا ، وَكَانَ مَوْلِدُ إِسْمَاعِيلَ سَنَةَ تِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَكَانَ عَالِمًا بِالْأَدَبِ ، وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ ، وَصَنَّفَ كِتَابًا فِي الْآدَابِ وَالْأَخْبَارِ.وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ يَحْيَى فَاشْتَغَلَ ، بِالْخَلَاعَةِ وَالْمُجُونِ ، وَأَكْثَرَ مُهَادَاةَ الْفِرِنْجِ وَمُصَانَعَتَهُمْ لِيَتَلَذَّذَ بِاللَّعِبِ ، وَامْتَدَّتْ يَدُهُ إِلَى أَمْوَالِ الرَّعِيَّةِ ، وَلَمْ تَزَلِ الْفِرِنْجُ تَأْخُذُ حُصُونَهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ ، حَتَّى أَخَذَتْ طُلَيْطِلَةَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَصَارَ هُوَ بِبَلَنْسِيَةَ ، وَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ قَتَلَهُ الْقَاضِي ابْنُ جَحَّافٍ الْأَحْنَفُ ، وَفِيهِ يَقُولُ الرَّئِيسُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ أَيُّهَا الْأَحْنَفُ مَهْلًا...فَلَقَدْ جِئْتَ عَوِيصَا إِذَا قَتَلْتَ الْمَلِكَ يَحْيَى...وَتَقَمَّصْتَ الْقَمِيصَا رُبَّ يَوْمٍ فِيهِ تَجْرِي...إِنْ تَجِدْ فِيهِ مَحِيصَا خَبَرُ سَرَقُسْطَةَ وَأَمَّا سَرَقُسْطَةُ وَالثَّغْرُ الْأَعْلَى فَكَانَ بِيَدِ مُنْذِرِ بْنِ يَحْيَى التُّجِيبِيِّ ، ثُمَّ تُوُفِّيَ وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ يَحْيَى ، ثُمَّ صَارَتْ بَعْدَهُ لِسُلَيْمَانَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ هُودٍ الْجُذَامِيِّ وَكَانَ يُلَقَّبُ بِالْمُسْتَعِينِ بِاللَّهِ ، وَكَانَ مِنْ قُوَّادِ مُنْذِرٍ عَلَى مَدِينَةِ لَارِدَةَ ، وَلَهُ وَقْعَةٌ مَشْهُورَةٌ بِالْفِرِنْجِ بِطُلَيْطِلَةَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، ثُمَّ تُوُفِّيَ وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ ، وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ يُوسُفُ بْنُ أَحْمَدَ الْمُؤْتَمَنُ ، ثُمَّ وَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَحْمَدُ الْمُسْتَعِينُ بِاللَّهِ عَلَى لَقَبِ جَدِّهِ ، ثُمَّ وَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ عِمَادُ الدَّوْلَةِ ، ثُمَّ وَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ ، وَعَلَيْهِ انْقَرَضَتْ دَوْلَتُهُمْ عَلَى رَأْسِ الْخَمْسِمِائَةِ ، فَصَارَتْ بِلَادُهُمْ جَمِيعًا لِابْنِ تَاشِفِينَ .وَرَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلَادِهِمْ بِدِمَشْقَ سَنَةَ تِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَهُوَ فَقِيرٌ جِدًّا ، وَهُوَ قَيِّمُ الرَّبْوَةِ ، فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَزُولُ ، وَلَا تُغَيِّرُهُ الدُّهُورُ. خَبَرُ طُرْطُوشَةَ وَأَمَّا طُرْطُوشَةُ فَوَلِيَهَا لَبِيبٌ الْفَتَى الْعَامِرِيُّ. خَبَرُ بَلَنْسِيَةَ وَأَمَّا بَلَنْسِيَةُ فَكَانَ بِهَا الْمَنْصُورُ أَبُو الْحَسَنِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ الْمَعَافِرِيُّ.ثُمَّ انْضَافَ إِلَيْهِ الْمَرِيَّةُ وَمَا كَانَ إِلَيْهَا ، وَبَعْدَهُ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ ، وَدَامَ فِيهَا إِلَى أَنْ غَدَرَ بِهِ صِهْرُهُ الْمَأْمُونُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ ذِي النُّونِ وَأَخَذَ مِنْهُ رِئَاسَةَ بَلَنْسِيَةَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَانْتَزَحَ إِلَى الْمَرِيَّةِ ، وَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ خُلِعَ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. خَبَرُ السَّهْلَةِ وَأَمَّا السَّهْلَةُ فَمَلَكَهَا عَبُّودُ بْنُ رَزِينٍ ، وَأَصْلُهُ بَرْبَرِيٌّ ، وَمَوْلِدُهُ بِالْأَنْدَلُسِ ، فَلَمَّا هَلَكَ وَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَكَانَ أَدِيبًا شَاعِرًا ، ثُمَّ وَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ عِزُّ الدَّوْلَةِ ، وَمِنْهُ مَلَكَهَا الْمُلَثَّمُونَ. خَبَرُ دَانِيَةَ وَالْجَزَائِرِ وَأَمَّا دَانِيَةُ وَالْجَزَائِرُ فَكَانَتْ بِيَدِ الْمُوَفَّقِ أَبِي الْحَسَنِ مُجَاهِدٍ الْعَامِرِيِّ ، وَسَارَ إِلَيْهِ مِنْ قُرْطُبَةَ الْفَقِيهُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ الْمُعَيْطِيُّ وَمَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَأَقَامَهُ مُجَاهِدٌ شِبْهَ خَلِيفَةٍ يَصْدُرُ عَنْ رَأْيِهِ ، وَبَايَعَهُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَأَقَامَ الْمُعَيْطِيُّ بِدَانِيَةَ مَعَ مُجَاهِدٍ وَمَنِ انْضَمَّ إِلَيْهِ نَحْوَ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ سَارَ هُوَ وَمُجَاهِدٌ فِي الْبَحْرِ إِلَى الْجَزَائِرِ الَّتِي فِي الْبَحْرِ ، وَهِيَ مَيُورْقَةُ بِالْيَاءِ ، وَمَنُورْقَةُ بِالنُّونِ ، وَيَابِسَةُ.ثُمَّ بَعَثَ الْمُعَيْطِيُّ بَعْدَ ذَلِكَ مُجَاهِدًا إِلَى سَرْدَانِيَةَ فِي مِائَةٍ وَعِشْرِينَ مَرْكَبًا بَيْنَ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ وَمَعَهُ أَلْفُ فَارِسٍ ، فَفَتَحَهَا فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَقَتَلَ بِهَا خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ النَّصَارَى ، وَسَبَى مِثْلَهُمْ ، فَسَارَ إِلَيْهِ الْفِرِنْجُ وَالرُّومُ مِنَ الْبَرِّ فِي آخِرِ هَذِهِ السَّنَةِ ، فَأَخْرَجُوهُ مِنْهَا ، وَرَجَعَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَالْمُعَيْطِيُّ قَدْ تُوُفِّيَ ، فَغَاصَ مُجَاهِدٌ فِي تِلْكَ الْفِتَنِ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ ، وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ عَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ ، وَكَانَا جَمِيعًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْمَحَبَّةِ لِأَهْلِهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَجَلَبَاهُمْ مِنْ أَقَاصِي الْبِلَادِ وَأَدَانِيهَا ، ثُمَّ مَاتَ ابْنُهُ عَلِيٌّ فَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو عَامِرٍ ، وَلَمْ يَكُنْ مِثْلَ أَبِيهِ وَجَدِّهِ ، ثُمَّ إِنَّ دَانِيَةَ وَسَائِرَ بِلَادِ بَنِي مُجَاهِدٍ صَارَتْ إِلَى الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ هُودٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. خَبَرُ مُرْسِيَةَ وَأَمَّا مُرْسِيَةُ فَوَلِيَهَا بَنُو طَاهِرٍ ، وَاسْتَقَامَتْ رِئَاسَتُهَا لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مِنْهُمْ ، الْمَدْعُوُّ بِالرَّئِيسِ ، وَدَامَتْ رِئَاسَتُهُ إِلَى أَنْ أَخَذَهَا مِنْهُ الْمُعْتَمِدُ بْنُ عَبَّادٍ عَلَى يَدِ وَزِيرِهِ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَمَّارٍ الْمَهْرِيِّ ، فَلَمَّا مَلَكَهَا عَصَى عَلَى الْمُعْتَمِدِ فِيهَا ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ عَسْكَرًا مُقَدَّمُهُمْ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ رَشِيقٍ الْقُشَيْرِيُّ ، فَحَصَرُوهُ وَضَيَّقُوا عَلَيْهِ حَتَّى هَرَبَ مِنْهَا ، فَلَمَّا دَخَلَهَا الْقُشَيْرِيُّ عَصَى فِيهَا أَيْضًا عَلَى الْمُعْتَمِدِ ، إِلَى أَنْ دَخَلَ فِي طَاعَةِ الْمُلَثَّمِينَ ، وَبَقِيَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ طَاهِرٍ بِمَدِينَةِ بَلَنْسِيَةَ إِلَى أَنْ مَاتَ بِهَا سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَدُفِنَ بِمُرْسِيَةَ ، وَقَدْ نَيَّفَ عَلَى تِسْعِينَ سَنَةً. خَبَرُ الْمَرِيَّةِ وَأَمَّا الْمَرِيَّةُ فَمَلَكَهَا خَيْرَانُ الْعَامِرِيُّ ، وَتُوُفِّيَ كَمَا ذَكَرْنَا ، وَوَلِيَهَا بَعْدَهُ زُهَيْرٌ الْعَامِرِيُّ ، وَاتَّسَعَ مُلْكُهُ إِلَى شَاطِبَةَ ، إِلَى مَا يُجَاوِرُ عَمَلَ طُلَيْطِلَةَ ، وَدَامَ إِلَى أَنْ قُتِلَ ، كَمَا تَقَدَّمَ ، وَصَارَتْ مَمْلَكَتُهُ إِلَى الْمَنْصُورِ أَبِي الْحَسَنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ ، فَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بِبَلَنْسِيَةَ أَقَامَ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ بِالْمَرِيَّةِ ، وَهُوَ يُدَبِّرُ بَلَنْسِيَةَ ، فَانْتَهَزَ الْفُرْصَةَ فِيهَا الْمَأْمُونُ يَحْيَى بْنُ ذِي النُّونِ وَأَخَذَهَا مِنْهُ ، وَبَقِيَ بِالْمَرِيَّةِ إِلَى أَنْ أَخَذَهَا مِنْهُ صِهْرُهُ ذُو الْوَزَارَتَيْنِ أَبُو الْأَحْوَصِ الْمُعْتَصِمُ مَعْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صُمَادِحٍ التُّجِيبِيُّ ، وَدَانَتْ لَهُ لُورَقَةُ ، وَبَيَّاسَةُ ، وَجَيَّانُ ، وَغَيْرُهَا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو يَحْيَى مُحَمَّدُ بْنُ مَعْنٍ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، فَكَفَلَهُ عَمُّهُ أَبُو عُتْبَةَ بْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ ، فَبَقِيَ أَبُو يَحْيَى مُسْتَضْعَفًا لِصِغَرِهِ ، وَأُخِذَتْ بِلَادُهُ الْبَعِيدَةُ عَنْهُ ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ غَيْرُ الْمَرِيَّةِ وَمَا يُجَاوِرُهَا.فَلَمَّا كَبِرَ أَخَذَ نَفْسَهُ بِالْعُلُومِ ، وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، فَامْتَدَّ صِيتُهُ ، وَاشْتَهَرَ ذِكْرُهُ ، وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ ، وَالْتَحَقَ بِأَكَابِرِ الْمُلُوكِ ، وَدَامَ بِهَا إِلَى أَنْ نَازَلَهُ جَيْشُ الْمُلَثَّمِينَ ، فَمَرِضَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ ، وَكَانَ الْقِتَالُ تَحْتَ قَصْرِهِ ، فَسَمِعَ يَوْمًا صِيَاحًا وَجَلَبَةً ، فَقَالَ نُغِّصَ عَلَيْنَا كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْمَوْتُ!وَتُوُفِّيَ فِي مَرَضِهِ ذَلِكَ لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَدَخَلَ أَوْلَادُهُ وَأَهْلُهُ الْبَحْرَ فِي مَرْكَبٍ إِلَى بِجَايَةَ قَاعِدَةِ مَمْلَكَةِ بَنِي حَمَّادٍ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَمَلَكَ الْمُلَثَّمُونَ الْمَرِيَّةَ وَمَا مَعَهَا. خَبَرُ مَالِقَةَ وَأَمَّا مَالِقَةُ فَمَلَكَهَا بَنُو عَلِيِّ بْنِ حَمُّودٍ ، فَلَمْ تَزَلْ فِي مَمْلَكَةِ الْعَلَوِيِّينَ يُخْطَبُ لَهُمْ فِيهَا إِلَى أَنْ أَخَذَهَا مِنْهُمْ بَادِيسُ بْنُ حَبُّوسٍ صَاحِبُ غَرْنَاطَةَ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَانْقَضَى أَمْرُ الْعَلَوِيِّينَ بِالْأَنْدَلُسِ. خَبَرُ غَرْنَاطَةَ وَأَمَّا غَرْنَاطَةُ فَمَلَكَهَا حَبُّوسُ بْنُ مَاكِسَنَ الصِّنْهَاجِيُّ ثُمَّ مَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ بَادِيسُ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُ أَخِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُلَكِّينَ ، وَبَقِيَ إِلَى أَنْ مَلَكَهَا مِنْهُ الْمُلَثَّمُونَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَانْقَرَضَتْ دُوَلُ جَمِيعِهِمْ ، وَصَارَتِ الْأَنْدَلُسُ جَمِيعُهَا لِلْمُلَثَّمِينَ ، وَمَلَكَهُمْ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ يُوسُفُ بْنُ تَاشِفِينَ وَاتَّصَلَتْ مَمْلَكَتُهُ مِنَ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى إِلَى آخِرِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَنْدَلُسِ نَعُودُ إِلَى سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ سُلْطَانِ الدَّوْلَةِ وَأَخِيهِ أَبِي الْفَوَارِسِ قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الْمَلِكَ سُلْطَانَ الدَّوْلَةِ لَمَّا مَلَكَ بَعْدَ أَبِيهِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ وَلَّى أَخَاهُ أَبَا الْفَوَارِسِ بْنَ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ كِرْمَانَ ، فَلَمَّا وَلِيَهَا ، اجْتَمَعَ إِلَيْهِ الدَّيْلَمُ ، وَحَسَّنُوا لَهُ مُحَارَبَةَ أَخِيهِ وَأَخْذَ الْبِلَادِ مِنْهُ ، فَتَجَهَّزَ وَتَوَجَّهَ إِلَى شِيرَازَ ، فَلَمْ يَشْعُرْ سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ حَتَّى دَخَلَ أَبُو الْفَوَارِسِ إِلَى شِيرَازَ ، فَجَمَعَ عَسَاكِرَهُ ، وَسَارَ إِلَيْهِ فَحَارَبَهُ فَانْهَزَمَ أَبُو الْفَوَارِسِ ، وَعَادَ إِلَى كِرْمَانَ ، فَتَبِعَهُ إِلَيْهَا فَخَرَجَ مِنْهَا هَارِبًا إِلَى خُرَاسَانَ ، وَقَصَدَ يَمِينَ الدَّوْلَةِ مَحْمُودَ بْنَ سُبُكْتِكِينَ وَهُوَ بِبُسْتَ فَأَكْرَمَهُ وَعَظَّمَهُ وَحَمَلَ إِلَيْهِ شَيْئًا كَثِيرًا ، وَأَجْلَسَهُ فَوْقَ دَارَا بْنِ قَابُوسَ بْنِ وَشْمَكِيرَ فَقَالَ دَارَا نَحْنُ أَعْظَمُ مَحَلًّا مِنْهُمْ لِأَنَّ أَبَاهُ وَأَعْمَامَهُ خَدَمُوا آبَائِي ، فَقَالَ مَحْمُودٌ لَكِنَّهُمْ أَخَذُوا الْمُلْكَ بِالسَّيْفِ ، أَرَادَ بِهَذَا نُصْرَةَ نَفْسِهِ حَيْثُ أَخَذَ خُرَاسَانَ مِنَ السَّامَانِيَّةِ وَوَعَدَ مَحْمُودٌ أَنْ يَنْصُرَهُ.ثُمَّ إِنَّ أَبَا الْفَوَارِسِ بَاعَ جَوْهَرَتَيْنِ كَانَتَا عَلَى جَبْهَةِ فَرَسِهِ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِينَارٍ فَاشْتَرَاهُمَا مَحْمُودٌ وَحَمَلَهُمَا إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ مِنْ غَلَطِكُمْ تَتْرُكُونَ هَذَا عَلَى جَبْهَةِ الْفَرَسِ وَقِيمَتُهَا سِتُّونَ أَلْفَ دِينَارٍ.ثُمَّ إِنَّ مَحْمُودًا سَيَّرَ جَيْشًا مَعَ أَبِي الْفَوَارِسِ إِلَى كِرْمَانَ ، مُقَدَّمُهُمْ أَبُو سَعْدٍ الطَّائِيُّ وَهُوَ مِنْ أَعْيَنِ قُوَّادِهِ ، فَسَارَ إِلَى كِرْمَانَ فَمَلَكَهَا وَقَصَدَ بِلَادَ فَارِسَ وَقَدْ فَارَقَهَا سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَدَخَلَ شِيرَازَ.فَلَمَّا سَمِعَ سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ عَادَ إِلَى فَارِسَ فَالْتَقَوْا هُنَاكَ وَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ أَبُو الْفَوَارِسِ وَقُتِلَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَعَادَ بِأَسْوَإِ حَالٍ ، وَمَلَكَ سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ بِلَادَ فَارِسَ ، وَهَرَبَ أَبُو الْفَوَارِسِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ إِلَى كِرْمَانَ ، فَسَيَّرَ سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ الْجُيُوشَ فِي أَثَرِهِ ، فَأَخَذُوا كِرْمَانَ مِنْهُ ، فَلَحِقَ بِشَمْسِ الدَّوْلَةِ بْنِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ ، صَاحِبِ هَمَذَانَ ، وَلَمْ يُمْكِنْهُ الْعَوْدُ إِلَى يَمِينِ الدَّوْلَةِ ، لِأَنَّهُ أَسَاءَ السِّيرَةَ مَعَ أَبِي سَعْدٍ الطَّائِيِّ.ثُمَّ فَارَقَ شَمْسَ الدَّوْلَةِ ، وَلَحِقَ بِمُهَذِّبِ الدَّوْلَةِ ، صَاحِبِ الْبَطِيحَةِ ، فَأَكْرَمَهُ وَأَنْزَلَهُ دَارَهُ ، وَأَنْفَذَ إِلَيْهِ أَخُوهُ جَلَالُ الدَّوْلَةِ مِنَ الْبَصْرَةِ مَالًا وَثِيَابًا ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ الِانْحِدَارَ إِلَيْهِ فَلَمْ يَفْعَلْهُ ، وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سُلْطَانِ الدَّوْلَةِ ، فَأَعَادَ إِلَيْهِ كِرْمَانَ ، وَسُيِّرَتْ إِلَيْهِ الْخِلَعُ وَالتَّقْلِيدُ بِذَلِكَ ، وَحُمِلَتْ إِلَيْهِ الْأَمْوَالُ ، فَعَادَ إِلَيْهَا.ذِكْرُ قَتْلِ الشِّيعَةِ بِإِفْرِيقِيَّةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي مُحَرَّمٍ ، قُتِلَتِ الشِّيعَةُ بِجَمِيعِ بِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْمُعِزَّ بْنَ بَادِيسَ رَكِبَ وَمَشَى فِي الْقَيْرَوَانِ وَالنَّاسُ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ وَيَدْعُونَ لَهُ ، فَاجْتَازَ بِجَمَاعَةٍ ، فَسَأَلَ عَنْهُمْ ، فَقِيلَ هَؤُلَاءِ رَافِضَةٌ يَسُبُّونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ!فَانْصَرَفَتِ الْعَامَّةُ مِنْ فَوْرِهَا إِلَى دَرْبِ الْمُعَلَّى مِنَ الْقَيْرَوَانِ ، وَهُوَ مَكَانٌ تَجْتَمِعُ بِهِ الشِّيعَةُ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ ، وَكَانَ ذَلِكَ شَهْوَةَ الْعَسْكَرِ وَأَتْبَاعِهِمْ ، طَمَعًا فِي النَّهْبِ ، وَانْبَسَطَتْ أَيْدِي الْعَامَّةِ فِي الشِّيعَةِ ، وَأَغْرَاهُمْ عَامِلُ الْقَيْرَوَانِ وَحَرَّضَهُمْ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ أَصْلَحَ أُمُورَ الْبَلَدِ ، فَبَلَغَهُ أَنَّ الْمُعِزَّ بْنَ بَادِيسَ يُرِيدُ عَزْلَهُ فَأَرَادَ فَسَادَهُ ، فَقُتِلَ مِنَ الشِّيعَةِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَأُحْرِقُوا بِالنَّارِ وَنُهِبَتْ دِيَارُهُمْ ، وَقُتِلُوا فِي جَمِيعِ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَاجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ إِلَى قَصْرِ الْمَنْصُورِ قَرِيبِ الْقَيْرَوَانِ فَتَحَصَّنُوا بِهِ فَحَصَرَهُمُ الْعَامَّةُ وَضَيَّقُوا عَلَيْهِمْ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْجُوعُ ، فَأَقْبَلُوا يَخْرُجُونَ وَالنَّاسُ يَقْتُلُونَهُمْ حَتَّى قُتِلُوا عَنْ آخِرِهِمْ ، وَلَجَأَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ بِالْمَهْدِيَّةِ إِلَى الْجَامِعِ فَقُتِلُوا كُلُّهُمْ ، وَكَانَتِ الشِّيعَةُ تُسَمَّى بِالْمَغْرِبِ الْمَشَارِقَةَ نِسْبَةً إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشِّيعِيِّ ، وَكَانَ مِنَ الْمَشْرِقِ ، وَأَكْثَرَ الشُّعَرَاءُ ذِكْرَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ فَمِنْ فَرِحٍ مَسْرُورٍ وَمِنْ بَاكٍ حَزِينٍ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، احْتَرَقَتْ قُبَّةُ مَشْهَدِ الْحُسَيْنِ وَالْأَرْوِقَةِ ، وَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّهُمْ أَشْعَلُوا شَمْعَتَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ ، فَسَقَطَتَا فِي اللَّيْلِ عَلَى التَّأْزِيرِ ، فَاحْتَرَقَ ، وَتَعَدَّتِ النَّارُ ، وَفِيهِ أَيْضًا احْتَرَقَ نَهْرُ طَابِقٍ وَدَارُ الْقُطْنِ ، وَكَثِيرٌ مِنْ بَابِ الْبَصْرَةِ وَاحْتَرَقَ جَامِعُ سُرَّ مَنْ رَأَى.وَفِيهَا تَشَعَّثَ الرُّكْنُ الْيَمَانِيُّ مِنَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَسَقَطَ حَائِطٌ بَيْنَ يَدَيْ حُجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَقَعَتِ الْقُبَّةُ الْكَبِيرَةُ عَلَى الصَّخْرَةِ بِالْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ.وَفِيهَا كَانَتْ فِتْنَةٌ كَبِيرَةٌ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالشِّيعَةِ بِوَاسِطٍ ، فَانْتَصَرَ السُّنَّةُ وَهَرَبَ وُجُوهُ الشِّيعَةِ وَالْعَلَوِيِّينَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ مَزْيَدٍ فَاسْتَنْصَرُوهُ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا ، فِي رَجَبٍ ، مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ أَبُو الْحُسَيْنِ الضَّبِّيُّ الْقَاضِي الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْمَحَامِلِيِّ وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ الْفُقَهَاءِ الشَّافِعِيَّةِ وَكِبَارِ الْمُحَدِّثِينَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْهَيْثَمِ أَبُو عُمَرُ الْبِسْطَامِيُّ ، الْوَاعِظُ ، الْفَقِيهُ ، الشَّافِعِيُّ وَلِيَ قَضَاءَ نَيْسَابُورَ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ خُرُوجِ التُّرْكِ مِنَ الصِّينِ وَمَوْتِ طُغَانَ خَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ التُّرْكُ مِنَ الصِّينِ فِي عَدَدٍ كَثِيرٍ يَزِيدُونَ عَلَى ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ خَرْكَاةٍ مِنْ أَجْنَاسِ التُّرْكِ ، مِنْهُمُ الْخِطَائِيَّةُ الَّذِينَ مَلَكُوا مَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، وَسَيَرِدُ خَبَرُ مُلْكِهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.وَكَانَ سَبَبُ خُرُوجِهِمْ أَنَّ طُغَانَ خَانَ لَمَّا مَلَكَ تُرْكِسْتَانَ مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا ، وَطَالَ بِهِ الْمَرَضُ فَطَمِعُوا فِي الْبِلَادِ لِذَلِكَ ، فَسَارُوا إِلَيْهَا وَمَلَكُوا بَعْضَهَا وَغَنِمُوا وَسَبَوْا وَبَقِيَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَلَاسَاغُونَ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ فَلَمَّا بَلَغَهُ الْخَبَرُ كَانَ بِهَا مَرِيضًا ، فَسَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُعَافِيَهُ لِيَنْتَقِمَ مِنَ الْكَفَرَةِ ، وَيَحْمِيَ الْبِلَادَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَفْعَلَ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ مَا أَرَادَ ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ وَشَفَاهُ ، فَجَمَعَ الْعَسَاكِرَ ، وَكَتَبَ إِلَى سَائِرِ بِلَادِ الْإِسْلَامِ يَسْتَنْفِرُ النَّاسَ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنَ الْمُتَطَوِّعَةِ مِائَةُ أَلْفٍ وَعِشْرُونَ أَلْفًا ، فَلَمَّا بَلَغَ التُّرْكَ خَبَرُ عَافِيَتِهِ وَجَمْعِهِ الْعَسَاكِرَ وَكَثْرَةِ مَنْ مَعَهُ عَادُوا إِلَى بِلَادِهِمْ ، فَسَارَ خَلْفَهُمْ نَحْوَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ حَتَّى أَدْرَكَهُمْ وَهُمْ آمِنُونَ لِبُعْدِ الْمَسَافَةِ ، فَكَبَسَهُمْ وَقَتَلَ مِنْهُمْ زِيَادَةً عَلَى مِائَتَيْ أَلْفِ رَجُلٍ ، وَأَسَرَ نَحْوَ مِائَةِ أَلْفٍ ، وَغَنِمَ مِنَ الدَّوَابِّ وَالْخَرْكَاهَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَوَانِي الذَّهَبِيَّةِ وَالْفِضِّيَّةِ وَمَعْمُولِ الصِّينِ مَا لَا عَهْدَ لِأَحَدٍ بِمِثْلِهِ ، وَعَادَ إِلَى بَلَاسَاغُونَ ، فَلَمَّا بَلَغَهَا ، عَاوَدَهُ مَرَضُهُ فَمَاتَ مِنْهُ.وَكَانَ عَادِلًا ، خَيِّرًا ، دَيِّنًا ، يُحِبُّ الْعِلْمَ وَأَهْلَهُ ، وَيَمِيلُ إِلَى أَهْلِ الدِّينِ ، وَيَصِلُهُمْ وَيُقَرِّبُهُمْ ، وَمَا أَشْبَهَ قِصَّتَهُ بِقِصَّةِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيِّ ، وَقَدْ تَقَدَّمَتْ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ ، وَقِيلَ كَانَتْ هَذِهِ الْحَادِثَةُ مَعَ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ قَرَاخَانَ ، أَخِي طُغَانَ خَانَ ، وَإِنَّهَا كَانَتْ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.ذِكْرُ مُلْكِ أَخِيهِ أَرْسَلَانَ خَانَ لَمَّا مَاتَ طُغَانُ خَانَ مَلَكَ بَعْدَهُ أَخُوهُ أَبُو الْمُظَفَّرِ أَرْسَلَانُ خَانَ ، وَلَقَبُهُ شَرَفُ الدَّوْلَةِ ، فَخَالَفَ عَلَيْهِ قَدْرُ خَانَ يُوسُفُ بْنُ بَغْرَا خَانَ هَارُونَ بْنِ سُلَيْمَانَ الَّذِي مَلَكَ بُخَارَى ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، وَكَانَ يَنُوبُ عَنْ طُغَانَ خَانَ بِسَمَرْقَنْدَ ، فَكَاتَبَ يَمِينَ الدَّوْلَةِ يَسْتَنْجِدُهُ عَلَى أَرْسَلَانَ خَانَ ، فَعَقَدَ عَلَى جَيْحُونَ جِسْرًا مِنَ السُّفُنِ ، وَضَبَطَهُ بِالسَّلَاسِلِ ، فَعَبَرَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَكُنْ يُعْرَفُ هُنَاكَ قَبْلَ هَذَا ، وَأَعَانَهُ عَلَى أَرْسَلَانَ خَانَ.ثُمَّ إِنَّ يَمِينَ الدَّوْلَةِ خَافَهُ ، فَعَادَ إِلَى بِلَادِهِ ، فَاصْطَلَحَ قَدْرُ خَانَ وَأَرْسَلَانُ خَانَ عَلَى قَصْدِ بِلَادِ يَمِينِ الدَّوْلَةِ وَاقْتِسَامِهَا ، وَسَارَا إِلَى بَلْخَ.وَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى يَمِينِ الدَّوْلَةِ ، فَقَصَدَهُمَا ، وَاقْتَتَلُوا ، وَصَبَرَ الْفَرِيقَانِ ، ثُمَّ انْهَزَمَ التُّرْكُ وَعَبَرُوا جَيْحُونَ ، فَكَانَ مَنْ غَرِقَ مِنْهُمْ أَكْثَرَ مِمَّنْ نَجَا.وَوَرَدَ رَسُولُ مُتَوَلِّي خُوَارَزْمَ إِلَى يَمِينِ الدَّوْلَةِ يُهَنِّئُهُ بِالْفَتْحِ عَقِيبَ الْوَقْعَةِ ، فَقَالَ لَهُ مِنْ أَيْنَ عَلِمْتُمْ ؟فَقَالَ مِنْ كَثْرَةِ الْقَلَانِسِ الَّتِي جَاءَتْ عَلَى الْمَاءِ ، وَعَبَرَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ ، فَشَكَا أَهْلُ تِلْكَ الْبِلَادِ إِلَى قَدْرَ خَانَ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ عَسْكَرِ يَمِينِ الدَّوْلَةِ ، فَقَالَ قَدْ قَرُبَ الْأَمْرُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُوِّنَا ، فَإِنْ ظَفِرْنَا مَنَعْنَا عَنْكُمْ ، وَإِنْ ظَفِرَ عَدُوُّنَا فَقَدِ اسْتَرَحْتُمْ مِنَّا.ثُمَّ اجْتَمَعَ هُوَ وَقَدْرُ خَانَ ، وَأَكَلَا طَعَامًا ، وَكَانَ قَدْرُ خَانَ عَادِلًا ، حَسَنَ السِّيرَةِ ، كَثِيرَ الْجِهَادِ ، فَمِنْ فُتُوحِهِ خُتَنُ ، وَهِيَ بِلَادٌ بَيْنَ الصِّينِ وَتُرْكُسْتَانَ وَهِيَ كَثِيرَةُ الْعُلَمَاءِ وَالْفُضَلَاءِ ، وَبَقِيَ كَذَلِكَ إِلَى سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فَتُوُفِّيَ فِيهَا ، وَكَانَ يُدِيمُ الصَّلَاةَ فِي الْجَمَاعَةِ.وَلَمَّا تُوُفِّيَ خَلَّفَ ثَلَاثَةَ بَنِينَ مِنْهُمْ أَبُو شُجَاعٍ أَرْسَلَانُ خَانَ ، وَكَانَ لَهُ كَاشْغَرُ ، وَخُتَنُ ، وَبَلَاسَاغُونُ ، وَخُطِبَ لَهُ عَلَى مَنَابِرِهَا ، وَكَانَ لَقَبُهُ شَرَفَ الدَّوْلَةِ ، وَلَمْ يَشْرَبِ الْخَمْرَ قَطُّ ، وَكَانَ دَيِّنًا ، مُكْرِمًا لِلْعُلَمَاءِ وَأَهْلِ الدِّينِ ، فَقَصَدُوهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، فَوَصَلَهُمْ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، وَخَلَّفَ أَيْضًا بَغْرَا خَانَ بْنَ قَدْرَ خَانَ ، وَكَانَ لَهُ طِرَازٌ وَإِسْبِيجَابُ ، فَقَدِمَ أَخُوهُ أَرْسَلَانُ وَأَخَذَ مَمْلَكَتَهُ ، فَتَحَارَبَا ، فَانْهَزَمَ أَرْسَلَانُ خَانَ وَأُخِذَ أَسِيرًا ، فَأَوْدَعُوهُ الْحَبْسَ ، وَمَلَكَ بِلَادَهُ.ثُمَّ إِنَّ بَغْرَا خَانَ عَهِدَ بِالْمُلْكِ لِوَلَدِهِ الْأَكْبَرِ ، وَاسْمُهُ حُسَيْنُ جَغْرِي تِكِينَ ، وَجَعَلَهُ وَلِيَّ عَهْدِهِ ، وَكَانَ لِبَغْرَا خَانَ امْرَأَةٌ لَهُ مِنْهَا وَلَدٌ صَغِيرٌ ، فَغَاظَهَا ذَلِكَ ، فَعَمَدَتْ إِلَيْهِ وَسَمَّتْهُ فَمَاتَ هُوَ وَعِدَّةٌ مِنْ أَهْلِهِ ، وَخَنَقَتْ أَخَاهُ أَرْسَلَانَ خَانَ بْنَ قَدْرَ خَانَ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَقَتَلَتْ وُجُوهَ أَصْحَابِهِ ، وَمَلَّكَتِ ابْنَهُ ، وَاسْمُهُ إِبْرَاهِيمُ ، وَسَيَّرَتْهُ فِي جَيْشٍ إِلَى مَدِينَةٍ تُعْرَفُ بِبَرْسُخَانَ ، وَصَاحِبُهَا يُعْرَفُ بِيَنَالْتَكِينَ ، فَظَفِرَ بِهِ يَنَالْتَكِينُ وَقَتَلَهُ ، وَانْهَزَمَ عَسْكَرُهُ إِلَى أُمِّهِ ، وَاخْتَلَفَ أَوْلَادُ بَغْرَا خَانَ ، فَقَصَدَهُمْ طُفْغَاجُ خَانَ صَاحِبُ سَمَرْقَنْدَ.ذِكْرُ مُلْكِ طُفْغَاجَ خَانَ وَوَلَدِهِ وَكَانَ طُفْغَاجُ خَانَ أَبُو الْمُظَفَّرِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ نَصْرِ أَيْلَكَ يُلَقَّبُ عِمَادَ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ بِيَدِهِ سَمَرْقَنْدُ وَفَرْغَانَةُ ، وَكَانَ أَبُوهُ زَاهِدًا وَمُتَعَبِّدًا ، وَهُوَ الَّذِي مَلَكَ سَمَرْقَنْدَ ، فَلَمَّا مَاتَ وَرِثَهُ ابْنُهُ طُفْغَاجُ ، وَمَلَكَ بَعْدَهُ ، وَكَانَ طُفْغَاجُ مُتَدَيِّنًا لَا يَأْخُذُ مَالًا حَتَّى يَسْتَفْتِيَ الْفُقَهَاءَ ، فَوَرَدَ عَلَيْهِ أَبُو شُجَاعٍ الْعَلَوِيُّ الْوَاعِظُ ، وَكَانَ زَاهِدًا ، فَوَعَظَهُ وَقَالَ لَهُ إِنَّكَ لَا تَصْلُحُ لِلْمُلْكِ.فَأَغْلَقَ طُفْغَاجُ بَابَهُ ، وَعَزَمَ عَلَى تَرْكِ الْمُلْكِ ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْبَلَدِ وَقَالُوا قَدْ أَخْطَأَ هَذَا ، وَالْقِيَامُ بِأُمُورِنَا مُتَعَيَّنٌ عَلَيْهِ.فَعِنْدَ ذَلِكَ فَتَحَ بَابَهُ ، وَمَاتَ سَنَةَ سِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.وَكَانَ السُّلْطَانُ أَلْبُ أَرْسَلَانَ قَدْ قَصَدَ بِلَادَهُ وَنَهَبَهَا أَيَّامَ عَمِّهِ طُغْرُلْبَكَ ، فَلَمْ يُقَابِلِ الشَّرَّ بِمِثْلِهِ ، وَأَرْسَلَ رَسُولًا إِلَى الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ يُهَنِّئُهُ بِعَوْدِهِ إِلَى مُسْتَقَرِّهِ ، وَيَسْأَلُ التَّقَدُّمَ إِلَى أَلْبِ أَرْسَلَانَ بِالْكَفِّ عَنْ بِلَادِهِ ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْخِلَعَ وَالْأَلْقَابَ ، ثُمَّ فُلِجَ سَنَةَ سِتِّينَ.وَكَانَ فِي حَيَاتِهِ قَدْ جَعَلَ الْمُلْكَ فِي وَلَدِهِ شَمْسِ الْمُلْكِ ، فَقَصَدَهُ أَخُوهُ طُغَانُ خَانَ بْنُ طُفْغَاجَ ، وَحَصَرَهُ بِسَمَرْقَنْدَ ، فَاجْتَمَعَ أَهْلُهَا إِلَى شَمْسِ الْمُلْكِ ، وَقَالُوا لَهُ قَدْ خَرَّبَ أَخُوكَ ضَيَاعَنَا وَأَفْسَدَهَا ، وَلَوْ كَانَ غَيْرَهُ لَسَاعَدْنَاكَ ، وَلَكِنَّهُ أَخُوكَ فَلَا نَدْخُلُ بَيْنَكُمَا فَوَعَدَهُمُ الْمُنَاجَزَةَ ، وَخَرَجَ مِنَ الْبَلَدِ نِصْفَ اللَّيْلِ فِي خَمْسِمِائَةِ غُلَامٍ مُعَدِّينَ ، وَكَبَسَ أَخَاهُ ، وَهُوَ غَيْرُ مُحْتَاطٍ ، فَظَفِرَ بِهِ ، فَهَزَمَهُ ، وَكَانَ هَذَا وَأَبُوهُمَا حَيٌّ.ثُمَّ قَصَدَهُ هَارُونُ بَغْرَا خَانَ بْنُ يُوسُفَ قَدْرَ خَانَ ، وَطُغْرُلُ قَرَا خَانَ ، وَكَانَ طُفْغَاجُ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَى مَمَالِكِهِمَا ، وَقَارَبَا سَمَرْقَنْدَ ، فَلَمْ يَظْفَرْ بِشَمْسِ الْمُلْكِ ، فَصَالَحَاهُ وَعَادَا فَصَارَتِ الْأَعْمَالُ الْمُتَاخِمَةُ لِجَيْحُونَ لِشَمْسِ الْمُلْكِ ، وَأَعْمَالِ الْخَاهِرَ فِي أَيْدِيهِمَا ، وَالْحَدُّ بَيْنَهُمَا خُجَنْدَةُ.وَكَانَ السُّلْطَانُ أَلْبُ أَرْسَلَانَ قَدْ تَزَوَّجَ ابْنَةَ قَدْرَ خَانَ ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ مَسْعُودِ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ ، وَتَزَوَّجَ شَمْسُ الْمُلْكِ ابْنَةَ أَلْبِ أَرْسَلَانَ ، وَزَوَّجَ بِنْتَ عَمِّهِ عِيسَى خَانَ مِنَ السُّلْطَانِ مَلِكْشَاهْ ، وَهُوَ خَاتُونُ الْجَلَالِيَّةُ أَمُّ الْمَلِكِ مَحْمُودٍ الَّذِي وَلِيَ السَّلْطَنَةَ بَعْدَ أَبِيهِ ، وَسَنَذْكُرُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ثُمَّ اخْتَلَفَ أَلْبُ أَرْسَلَانَ وَشَمْسُ الْمُلْكِ ، وَسَنَذْكُرُهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ عِنْدَ قَتْلِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ ، ثُمَّ مَاتَ شَمْسُ الْمُلْكِ ، فَوَلِيَ بَعْدَهُ أَخُوهُ خِضْرُ خَانَ ثُمَّ مَاتَ فَوَلِيَ ابْنُهُ أَحْمَدُ خَانَ وَهُوَ الَّذِي قَبَضَ عَلَيْهِ مَلِكْشَاهْ ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ وَأَعَادَهُ إِلَى وِلَايَتِهِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ ، وَسَنَذْكُرُهُ هُنَاكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ثُمَّ إِنَّ جُنْدَهُ ثَارُوا بِهِ فَقَتَلُوهُ وَمَلَكَ بَعْدَهُ مَحْمُودُ خَانَ ، وَكَانَ جَدُّهُ مِنْ مُلُوكِهِمْ ، وَكَانَ أَصَمَّ ، فَقَصَدَهُ طُغَانُ خَانَ بْنُ قَرَا خَانَ ، صَاحِبُ طِرَازَ ، فَقَتَلَهُ وَاسْتَوْلَى عَلَى الْمُلْكِ ، وَاسْتَنَابَ بِسَمَرْقَنْدَ أَبَا الْمَعَالِي مُحَمَّدَ بْنَ زَيْدٍ الْعَلَوِيَّ الْبَغْدَاذِيَّ ، فَوَلِيَ ثَلَاثَ سِنِينَ ثُمَّ عَصَى عَلَيْهِ ، فَحَاصَرَهُ طُغَانُ خَانَ وَأَخَذَهُ وَقَتَلَهُ ، وَقَتَلَ خَلْقًا كَثِيرًا مَعَهُ.ثُمَّ خَرَجَ طُغَانُ خَانَ إِلَى تِرْمِذَ يُرِيدُ خُرَاسَانَ ، فَلَقِيَهُ السُّلْطَانُ سِنْجَرُ وَظَفِرَ بِهِ وَقَتَلَهُ وَصَارَتْ أَعْمَالُ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ لَهُ ، فَاسْتَنَابَ بِهَا مُحَمَّدَ خَانَ بْنَ كَمَشْتَكِينَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ طُفْغَاجَ خَانَ ، فَأَخَذَهَا مِنْهُ عُمَرُ خَانَ ، وَمَلَكَ سَمَرْقَنْدَ ، ثُمَّ هَرَبَ مِنْ جُنْدِهِ وَقَصَدَ خُوَارَزْمَ فَظَفِرَ بِهِ السُّلْطَانُ سَنْجَرُ فَقَتَلَهُ وَوَلِيَ سَمَرْقَنْدَ مُحَمَّدُ خَانَ وَوَلِيَ بُخَارَى مُحَمَّدُ تِكِينَ بْنُ طُغَانْتِكِينَ.ذِكْرُ كَاشْغَرَ وَتُرْكُسْتَانَ وَأَمَّا كَاشْغَرُ ، وَهِيَ مَدِينَةُ تُرْكُسْتَانَ ، فَإِنَّهَا كَانَتْ لِأَرْسَلَانَ خَانَ بْنِ يُوسُفَ قَدْرَ خَانَ ، كَمَا ذَكَرْنَا ، ثُمَّ صَارَتْ بَعْدَهُ لِمَحْمُودِ بَغْرَا خَانَ ، صَاحِبِ طِرَازَ وَالشَّاشَ ، خَمْسَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، ثُمَّ مَاتَ فَوَلِيَ بَعْدَهُ طُغْرُلُ خَانَ بْنُ يُوسُفَ قَدْرَ خَانَ فَاسْتَوْلَى عَلَى الْمُلْكِ ، وَمَلَكَ بَلَاسَاغُونَ ، وَكَانَ مُلْكُهُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً ثُمَّ تُوُفِّيَ.وَمَلَكَ ابْنُهُ طُغْرُلْتِكِينُ ، وَأَقَامَ شَهْرَيْنِ ، ثُمَّ أَتَى هَارُونُ بَغْرَا خَانَ أَخُو يُوسُفَ طُغْرُلْخَانَ بْنِ طُفْغَاجَ بَغْرَا خَانَ ، وَعَبَرَ كَاشْغَرَ ، وَقَبَضَ عَلَى هَارُونَ ، وَأَطَاعَهُ عَسْكَرُهُ ، وَمَلَكَ كَاشْغَرَ ، وَخُتَنَ ، وَمَا يَتَّصِلُ بِهِمَا إِلَى بَلَاسَاغُونَ ، وَأَقَامَ مَالِكًا تِسْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَوَلِيَ ابْنُهُ أَحْمَدُ بْنُ أَرْسَلَانَ خَانَ ، وَأَرْسَلَ رَسُولًا إِلَى الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَظْهِرِ بِاللَّهِ يَطْلُبُ مِنْهُ الْخِلَعَ وَالْأَلْقَابَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَا طَلَبَ ، وَلَقَّبَهُ نُورَ الدَّوْلَةِ.ذِكْرُ وَفَاةِ مُهَذِّبِ الدَّوْلَةِ وَحَالِ الْبَطِيحَةِ بَعْدَهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي جُمَادَى الْأُولَى ، تُوُفِّيَ مُهَذِّبُ الدَّوْلَةِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ نَصْرٍ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَهُوَ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الْقَادِرُ بِاللَّهِ.وَكَانَ سَبَبُ مَوْتِهِ أَنَّهُ افْتَصَدَ ، فَانْتَفَخَ سَاعِدُهُ ، وَمَرِضَ مِنْهُ ، وَاشْتَدَّ مَرَضُهُ فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ تَحَدَّثَ الْجُنْدُ بِإِقَامَةِ وَلَدِهِ أَبِي الْحُسَيْنِ أَحْمَدَ مَقَامَهُ ، فَبَلَغَ ابْنَ أُخْتِ مُهَذِّبِ الدَّوْلَةِ ، وَهُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَنِّي ، فَاسْتَدْعَى الدَّيْلَمَ وَالْأَتْرَاكَ ، وَرَغَّبَهُمْ وَوَعَدَهُمْ ، وَاسْتَحْلَفَهُمْ لِنَفْسِهِ ، وَقَرَّرَ مَعَهُمُ الْقَبْضَ عَلَى أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ مُهَذِّبِ الدَّوْلَةِ وَتَسْلِيمِهِ إِلَيْهِ ، فَمَضَوْا إِلَيْهِ لَيْلًا وَقَالُوا لَهُ أَنْتَ وَلَدُ الْأَمِيرِ ، وَوَارِثُ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ ، فَلَوْ قُمْتَ مَعَنَا إِلَى دَارِ الْإِمَارَةِ لِيَظْهَرَ أَمْرُكَ وَتَجْتَمِعَ الْكَلِمَةُ عَلَيْكَ لَكَانَ حَسَنًا.فَخَرَجَ مِنْ دَارِهِ مَعَهُمْ ، فَلَمَّا فَارَقَهَا قَبَضُوا عَلَيْهِ وَحَمَلُوهُ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ ، فَسَمِعَتْ وَالِدَتُهُ ، فَدَخَلَتْ إِلَى مُهَذِّبِ الدَّوْلَةِ قَبْلَ مَوْتِهِ بِيَوْمٍ ، فَأَعْلَمَتْهُ الْخَبَرَ ، فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَقْدِرُ أَعْمَلُ وَأَنَا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ؟وَتُوُفِّيَ فِي الْغَدِ ، وَوَلِيَ الْأَمْرَ أَبُو مُحَمَّدٍ ، وَتَسَلَّمَ الْأَمْوَالَ وَالْبَلَدَ ، وَأَمَرَ بِضَرْبِ أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ مُهَذِّبِ الدَّوْلَةِ ، فَضُرِبَ ضَرْبًا شَدِيدًا تُوُفِّيَ مِنْهُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ مَوْتِ أَبِيهِ.وَبَقِيَ أَبُو مُحَمَّدٍ أَمِيرًا إِلَى مُنْتَصَفِ شَعْبَانَ ، وَتُوُفِّيَ بِالذُّبَحَةِ ، وَكَانَ قَدْ قَالَ قَبْلَ مَوْتِهِ رَأَيْتُ مُهَذِّبَ الدَّوْلَةِ فِي الْمَنَامِ وَقَدْ مَسَكَ حَلْقِي لِيَخْنُقَنِي ، وَيَقُولُ قَتَلْتَ ابْنِي أَحْمَدَ ، وَقَابَلْتَ نِعْمَتِي عَلَيْكَ بِذَاكَ.فَمَاتَ بَعْدَ أَيَّامٍ ، فَكَانَ مُلْكُهُ أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ.فَلَمَّا تُوُفِّيَ اتَّفَقَ الْجَمَاعَةُ عَلَى تَأْمِيرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ بَكْرٍ الشَّرَابِيِّ ، وَكَانَ مِنْ خَوَاصِّ مُهَذِّبِ الدَّوْلَةِ فَصَارَ أَمِيرَ الْبَطِيحَةِ ، وَبَذَلَ لِلْمَلِكِ سُلْطَانِ الدَّوْلَةِ بُذُولًا ، فَأَقَرَّهُ عَلَيْهَا ، وَبَقِيَ إِلَى سَنَةِ عَشْرٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ صَدَقَةَ بْنَ فَارِسٍ الْمَازِيَارِيَّ ، فَمَلَكَ الْبَطِيحَةَ ، وَأَسَرَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الشَّرَابِيَّ ، فَبَقِيَ عِنْدَهُ أَسِيرًا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ صَدَقَةُ وَخُلِّصَ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ وَفَاةِ عَلِيِّ بْنِ مَزْيَدٍ وَإِمَارَةِ ابْنِهِ دُبَيْسٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، تُوُفِّيَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مَزْيَدٍ الْأَسَدِيُّ ، وَقَامَ بَعْدَهُ ابْنُهُ نُورُ الدَّوْلَةِ أَبُو الْأَغَرِّ دُبَيْسٌ ، وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ جَعَلَهُ وَلِيَّ عَهْدِهِ فِي حَيَاتِهِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ سُلْطَانَ الدَّوْلَةِ ، وَأَذِنَ فِي وِلَايَتِهِ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَالِدُهُ اخْتَلَفَتِ الْعَشِيرَةُ عَلَى دُبَيْسٍ ، فَطَلَبَ أَخُوهُ الْمُقَلَّدُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيٍّ الْإِمَارَةَ ، وَسَارَ إِلَى بَغْدَاذَ وَبَذَلَ لِلْأَتْرَاكِ بُذُولًا كَثِيرَةً لِيُعَاضِدُوهُ ، فَسَارَ مَعَهُ مِنْهُمْ جَمْعٌ كَثِيرٌ ، وَكَبَسُوا دُبَيْسًا بِالنُّعْمَانِيَّةِ وَنَهَبُوا حُلَّتَهُ ، فَانْهَزَمَ إِلَى نَوَاحِي وَاسِطٍ ، وَعَادَ الْأَتْرَاكُ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَقَامَ الْأَثِيرُ الْخَادِمُ بِأَمْرِ دُبَيْسٍ حَتَّى ثَبَتَ قَدَمُهُ ، وَمَضَى الْمُقَلَّدُ أَخُوهُ إِلَى بَنِي عُقَيْلٍ وَنَذْكُرُ بَاقِيَ أَخْبَارِهِ مَوْضِعَهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ضَعُفَ أَمْرُ الدَّيْلَمِ بِبَغْدَاذَ ، وَطَمِعَ فِيهِمُ الْعَامَّةُ ، فَانْحَدَرُوا إِلَى وَاسِطٍ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَامَّتُهَا وَأَتْرَاكُهَا فَقَاتَلُوهُمْ ، فَدَفَعَ الدَّيْلَمُ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَقَتَلُوا مِنْ أَتْرَاكِ وَاسِطٍ وَعَامَّتِهَا خَلْقًا كَثِيرًا ، وَعَظُمَ أَمْرُ الْعَيَّارِينَ بِبَغْدَاذَ ، فَأَفْسَدُوا وَنَهَبُوا الْأَمْوَالَ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْحَاجِبُ أَبُو طَاهِرٍ شَبَاشِيُّ الْمُشَطَّبِ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَعْرُوفِ.وَأَبُو الْحَسَنِ الْهُمَانِيُّ وَكَانَ مُتَوَلِّيَ الْبَصْرَةِ وَغَيْرِهَا وَهُوَ الَّذِي مَدَحَهُ مِهْيَارُ بِقَوْلِهِ أَسْتَنْجِدُ الصَّبْرَ فِيكُمْ ، وَهُوَ مَغْلُوبٌ ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا قَدِمَ سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ بَغْدَاذَ ، وَضُرِبَ الطَّبْلُ فِي أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، وَلَمْ تَجْرِ بِهِ عَادَةٌ ، إِنَّمَا كَانَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي أَوْقَاتِ ثَلَاثِ صَلَوَاتٍ.وَفِيهَا هَرَبَ ابْنُ سَهْلَانَ مِنْ سُلْطَانِ الدَّوْلَةِ إِلَى هِيتَ وَأَقَامَ عِنْدَ قِرْوَاشٍ ، وَوَلَّى سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ مَوْضِعَهُ أَبَا الْقَاسِمِ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ فَسَانْجِسَ ، وَمَوْلِدُهُ بِبَغْدَاذَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. وَفِيهَا كَانَتْ بِبَغْدَاذَ فِتْنَةٌ بَيْنَ أَهْلِ الْكَرْخِ مِنَ الشِّيعَةِ وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ مِنَ السُّنَّةِ اشْتَدَّتْ.وَفِيهَا اسْتَنَابَ الْقَادِرُ بِاللَّهِ الْمُعْتَزِلَةَ وَالشِّيعَةَ وَغَيْرَهُمَا مِنْ أَرْبَابِ الْمَقَالَاتِ الْمُخَالِفَةِ لِمَا يَعْتَقِدُهُ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ ، وَنَهَى مِنَ الْمُنَاظَرَةِ فِي شَيْءٍ مِنْهَا ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ نُكِّلَ بِهِ وَعُوقِبَ . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ وِلَايَةِ ابْنِ سَهْلَانَ الْعِرَاقَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَرَضَ سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ عَلَى الرُّخَّجِيِّ وِلَايَةَ الْعِرَاقِ ، فَقَالَ وِلَايَةُ الْعِرَاقِ تَحْتَاجُ إِلَى مَنْ فِيهِ عَسْفٌ وَخَرَقٌ ، وَلَيْسَ غَيْرُ ابْنِ سَهْلَانَ ، وَأَنَا أَخْلُفُهُ هَاهُنَا.فَوَلَّاهُ سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ الْعِرَاقَ فِي الْمُحَرَّمِ ، فَسَارَ مِنْ عِنْدِ سُلْطَانِ الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ تَرَكَ ثَقَلَهُ ، وَالْكُتَّابَ ، وَأَصْحَابَهُ ، وَسَارَ جَرِيدَةً فِي خَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ مَعَ طَرَّادِ بْنِ دُبَيْسٍ الْأَسَدِيِّ يَطْلُبُ مُهَارِشَ وَمُضَرًا ابْنَيْ دُبَيْسٍ ، وَكَانَ مُضَرُ قَدْ قُبِضَ قَدِيمًا عَلَيْهِ بِأَمْرِ فَخْرِ الْمُلْكِ ، فَكَانَ يَبْغَضُهُ لِذَلِكَ ، وَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ جَزِيرَةَ بَنِي أَسَدٍ مِنْهُ وَيُسَلِّمُهَا إِلَى طَرَّادٍ.فَلَمَّا عَلِمَ مُضِرُ وَمُهَارِشُ قَصْدَهُ لَهُمَا سَارَا عَنِ الْمَذَارِ ، فَتَبِعَهُمَا ، وَالْحَرُّ شَدِيدٌ ، فَكَادَ يَهْلِكُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ عَطَشًا فَكَانَ مِنْ لُطْفِ اللَّهِ بِهِ أَنَّ بَنِي أَسَدٍ اشْتَغَلُوا بِجَمْعِ أَمْوَالِهِمْ وَإِبْعَادِهَا ، وَبَقِيَ الْحَسَنُ بْنُ دُبَيْسٍ فَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَقُتِلَ جَمَاعَةٌ مِنَ الدَّيْلَمِ وَالْأَتْرَاكِ ، ثُمَّ انْهَزَمُوا وَنَهَبَ ابْنُ سَهْلَانَ أَمْوَالَهُمْ ، وَصَانَ حُرَمَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ ، فَلَمَّا نَزَلَ فِي خَيْمَتِهِ قَالَ الْآنَ وَلَدَتْنِي أُمِّي ، وَبَذَلَ الْأَمَانَ لِمُهَارِشَ وَمُضَرَ وَأَهْلِهِمَا ، وَأَشْرَكَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ طَرَّادٍ فِي الْجَزِيرَةِ وَرَحَلَ.وَأَنْكَرَ عَلَى سُلْطَانِ الدَّوْلَةِ فِعْلَهُ ذَلِكَ ، وَوَصَلَ إِلَى وَاسِطٍ وَالْفِتَنُ بِهَا قَائِمَةٌ ، فَأَصْلَحَهَا ، وَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِهَا.وَوَرَدَ عَلَيْهِ الْخَبَرُ بِاشْتِدَادِ الْفِتَنِ بِبَغْدَاذَ ، فَسَارَ إِلَيْهَا ، فَدَخَلَهَا أَوَاخِرَ شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ ، فَهَرَبَ مِنْهُ الْعَيَّارُونَ ، وَنَفَى جَمَاعَةً مِنَ الْعَبَّاسِيِّينَ وَغَيْرَهُمْ ، وَنَفَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنَ النُّعْمَانِ فَقِيهَ الشِّيعَةِ ، وَأَنْزَلَ الدَّيْلَمَ أَطْرَافَ الْكَرْخِ وَبَابَ الْبَصْرَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَفَعَلُوا مِنَ الْفَسَادِ مَا لَمْ يُشَاهَدْ مِثْلُهُ.فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمَسْتُورِينَ أَغْلَقَ بَابَهُ عَلَيْهِ خَوْفًا مِنْهُمْ ، فَلَمَّا كَانَ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ خَرَجَ لِحَاجَتِهِ ، فَرَآهُمْ عَلَى حَالٍ عَظِيمٍ مِنْ شُرْبِ الْخَمْرِ وَالْفَسَادِ ، فَأَرَادَ الرُّجُوعَ إِلَى بَيْتِهِ ، فَأَكْرَهُوهُ عَلَى الدُّخُولِ مَعَهُمْ إِلَى دَارٍ نَزَلُوهَا ، وَأَلْزَمُوهُ بِشُرْبِ الْخَمْرِ فَامْتَنَعَ فَصَبُّوهَا فِي فِيهِ قَهْرًا ، وَقَالُوا لَهُ قُمْ إِلَى هَذِهِ الْمَرْأَةِ فَافْعَلْ بِهَا ، فَامْتَنَعَ فَأَلْزَمُوهُ فَدَخَلَ مَعَهَا إِلَى بَيْتٍ فِي الدَّارِ ، وَأَعْطَاهَا دَرَاهِمَ ، وَقَالَ هَذَا أَوَّلُ يَوْمٍ فِي رَمَضَانَ ، وَالْمَعْصِيَةُ فِيهِ تَتَضَاعَفُ ، وَأُحِبُّ أَنْ تُخْبِرِيهِمْ أَنَّنِي قَدْ فَعَلْتُ.فَقَالَتْ لَا كَرَامَةَ وَلَا عَزَازَةَ ، أَنْتَ تَصُونُ دِينَكَ عَنِ الزِّنَاءِ ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَصُونَ أَمَانَتِي فِي هَذَا الشَّهْرِ عَنِ الْكَذِبِ!فَصَارَتْ هَذِهِ الْحِكَايَةُ سَائِرَةً فِي بَغْدَاذَ.ثُمَّ إِنَّ أَبَا مُحَمَّدِ بْنَ سَهْلَانَ أَفْسَدَ الْأَتْرَاكَ وَالْعَامَّةَ ، فَانْحَدَرَ الْأَتْرَاكُ إِلَى وَاسِطٍ ، فَلَقُوا بِهَا سُلْطَانَ الدَّوْلَةِ ، فَشَكَوْا إِلَيْهِ فَسَكَّنَهُمْ وَوَعَدَهُمُ الْإِصْعَادَ إِلَى بَغْدَاذَ وَإِصْلَاحَ الْحَالِ.وَاسْتَحْضَرَ سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ ابْنَ سَهْلَانَ ، فَخَافَهُ وَمَضَى إِلَى بَنِي خَفَاجَةَ ثُمَّ أَصْعَدَ إِلَى الْمَوْصِلِ فَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً ، ثُمَّ انْحَدَرَ إِلَى الْأَنْبَارِ وَمِنْهَا إِلَى الْبَطِيحَةِ.فَأَرْسَلَ سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْبَطِيحَةِ رَسُولًا مِنَ الشَّرَابِيِّ ، فَلَمْ يُسَلِّمْهُ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهَا عَسْكَرًا فَانْهَزَمَ الشَّرَابِيُّ ، وَانْحَدَرَ ابْنُ سَهْلَانَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَاتَّصَلَ بِالْمَلِكِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ الرُّخَّجِيُّ قَدْ خَرَجَ مَعَ ابْنِ سَهْلَانَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَفَارَقَهُ بِهَا ، وَأَصْلَحَ حَالَهُ مَعَ سُلْطَانِ الدَّوْلَةِ وَعَادَ إِلَيْهِ.ذِكْرُ غَزْوَةِ يَمِينِ الدَّوْلَةِ إِلَى الْهِنْدِ وَالْأَفْغَانِيَّةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْهِنْدِ غَازِيًا ، وَاحْتَشَدَ وَجَمَعَ ، وَاسْتَعَدَّ وَأَعَدَّ أَكْثَرَ مِمَّا تَقَدَّمَ.وَسَبَبُ هَذَا الِاهْتِمَامِ أَنَّهُ لَمَّا فَتَحَ قَنُّوجَ ، وَهَرَبَ صَاحِبُهَا مِنْهُ ، وَيُلَقَّبُ رَآي قَنُّوجَ ، وَمَعْنَى رَآي هُوَ لَقَبُ الْمَلِكِ كَقَيْصَرَ وَكِسْرَى ، فَلَمَّا عَادَ إِلَى غَزْنَةَ أَرْسَلَ بِيدَا اللَّعِينُ ، وَهُوَ أَعْظَمُ مُلُوكِ الْهِنْدِ مَمْلَكَةً ، وَأَكْثَرُهُمْ جَيْشًا ، وَتُسَمَّى مَمْلَكَتُهُ كَجُورَاهَةَ ، رُسُلًا إِلَى رَآي قَنُّوجَ ، وَاسْمُهُ رَاجِيبَالُ ، يُوَبِّخُهُ عَلَى انْهِزَامِهِ ، وَإِسْلَامِ بِلَادِهِ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَطَالَ الْكَلَامُ بَيْنَهُمَا ، وَآلَ أَمْرُهُمَا إِلَى الِاخْتِلَافِ.وَتَأَهَّبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ ، وَسَارَ إِلَيْهِ ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا ، فَقُتِلَ رَاجِيبَالُ ، وَأَتَى الْقَتْلُ عَلَى أَكْثَرِ جُنُودِهِ ، فَازْدَادَ بِيدَا بِمَا اتَّفَقَ لَهُ شَرًّا وَعُتُوًّا ، وَبُعْدَ صِيتٍ فِي الْهِنْدِ ، وَعُلُوًّا ، وَقَصَدَهُ بَعْضُ مُلُوكِ الْهِنْدِ الَّذِي مَلَكَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ بِلَادَهُ ، وَهَزَمَهُ وَأَبَادَ أَجْنَادَهُ ، وَصَارَ فِي جُمْلَتِهِ وَخِدْمَتِهِ وَالْتَجَأَ إِلَيْهِ ، فَوَعَدَهُ بِإِعَادَةِ مُلْكِهِ إِلَيْهِ ، وَحِفْظِ ضَالَّتِهِ عَلَيْهِ ، وَاعْتَذَرَ بِهُجُومِ الشِّتَاءِ وَتَتَابُعِ الْأَنْدَاءِ.فَنَمَتْ هَذِهِ الْأَخْبَارُ إِلَى يَمِينِ الدَّوْلَةِ فَأَزْعَجَتْهُ وَتَجَهَّزَ لِلْغَزْوِ ، وَقَصَدَ بِيدَا ، وَأَخَذَ مُلْكَهُ مِنْهُ ، وَسَارَ عَنْ غَزْنَةَ ، وَابْتَدَأَ فِي طَرِيقِهِ بِالْأَفْغَانِيَّةِ ، وَهُمْ كُفَّارٌ يَسْكُنُونَ الْجِبَالَ ، وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ، وَيَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ بَيْنَ غَزْنَةَ وَبَيْنَهُ ، فَقَصَدَ بِلَادَهُمْ ، وَسَلَكَ مَضَايِقَهَا ، وَفَتَحَ مَغَالِقَهَا ، وَخَرَّبَ عَامِرَهَا ، وَغَنِمَ أَمْوَالَهُمْ ، وَأَكْثَرَ الْقَتْلَ فِيهِمْ وَالْأَسْرَ ، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمُ الْكَثِيرَ.ثُمَّ اسْتَقَلَّ عَلَى الْمَسِيرِ ، وَبَلَغَ إِلَى مَكَانٍ لَمْ يَبْلُغْهُ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ غَزَوَاتِهِ ، وَعَبَرَ نَهْرَ كُنْكَ ، وَلَمْ يَعْبُرْهُ قَبْلَهَا ، فَلَمَّا جَازَهُ رَأَى قَفَلًا قَدْ بَلَغَتْ عِدَّةُ أَحْمَالِهِمْ أَلْفَ عَدَدٍ ، فَغَنِمَهَا ، وَهِيَ مِنَ الْعُودِ ، وَالْأَمْتِعَةِ الْفَائِقَةِ ، وَجَدَّ بِهِ السَّيْرُ ، فَأَتَاهُ فِي الطَّرِيقِ خَبَرُ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الْهِنْدِ يُقَالُ لَهُ تُرُوجِنْبَالُ ، قَدْ سَارَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مُلْتَجِئًا إِلَى بِيدَا لِيَحْتَمِيَ بِهِ عَلَيْهِ ، فَطَوَى الْمَرَاحِلَ ، فَلَحِقَ تُرُوجِنْبَالَ وَمَنْ مَعَهُ ، رَابِعَ عَشَرَ شَعْبَانَ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْهُنُودِ نَهْرٌ عَمِيقٌ فَعَبَرَ إِلَيْهِمْ بَعْضُ أَصْحَابِهِ وَشَغَلَهُمْ بِالْقِتَالِ ، ثُمَّ عَبَرَ هُوَ وَبَاقِي الْعَسْكَرِ إِلَيْهِمْ ، فَاقْتَتَلُوا عَامَّةَ نَهَارِهِمْ وَانْهَزَمَ تُرُوجِنْبَالُ وَمَنْ مَعَهُ ، وَكَثُرَ فِيهِ الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ ، وَأَسْلَمُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ ، فَغَنِمَهَا الْمُسْلِمُونَ ، وَأَخَذُوا مِنْهُمُ الْكَثِيرَ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَأُخِذَ مَا يَزِيدُ عَلَى مِائَتَيْ فِيلٍ ، وَسَارَ الْمُسْلِمُونَ يَقْتَصُّونَ آثَارَهُمْ ، وَانْهَزَمَ مَلِكُهُمْ جَرِيحًا وَتَحَيَّرَ فِي أَمْرِهِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى يَمِينِ الدَّوْلَةِ يَطْلُبُ الْأَمَانَ فَلَمْ يُؤَمِّنْهُ ، وَلَمْ يَقْنَعْ مِنْهُ إِلَّا الْإِسْلَامَ ، وَقُتِلَ مِنْ عَسَاكِرِهِ مَا لَا يُحْصَى.وَسَارَ تُرُوجِنْبَالُ لِيَلْحَقَ بِبِيدَا ، فَانْفَرَدَ بِهِ بَعْضُ الْهُنُودِ فَقَتَلَهُ.فَلَمَّا رَأَى مُلُوكُ الْهِنْدِ ذَلِكَ تَابَعُوا رُسُلَهُمْ إِلَى يَمِينِ الدَّوْلَةِ يَبْذُلُونَ لَهُ الطَّاعَةَ وَالْإِتَاوَةَ ، وَسَارَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ بَعْدَ الْوَقْعَةِ إِلَى مَدِينَةِ بَارِي ، وَهِيَ مِنْ أَحْصَنِ الْقِلَاعِ وَالْبِلَادِ وَأَقْوَاهَا ، فَرَآهَا مِنْ سُكَّانِهَا خَالِيَةً ، وَعَلَى عُرُوشِهَا خَاوِيَةً ، فَأَمَرَ بِهَدْمِهَا وَتَخْرِيبِهَا وَعَشْرِ قِلَاعٍ مَعَهَا مُتَنَاهِيَةِ الْحَصَانَةِ ، وَقَتَلَ مِنْ أَهْلِهَا خَلْقًا كَثِيرًا ، وَسَارَ يَطْلُبُ بِيدَا الْمَلِكَ فَلَحِقَهُ وَقَدْ نَزَلَ إِلَى جَانِبِ نَهْرٍ ، وَأَجْرَى الْمَاءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَصَارَ وَحْلًا ، وَتَرَكَ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ طَرِيقًا يَبَسًا يُقَاتِلُ مِنْهُ إِذَا أَرَادَ الْقِتَالَ ، وَكَانَ عِدَّةُ مَنْ مَعَهُ سِتَّةً وَخَمْسِينَ أَلْفَ فَارِسٍ ، وَمِائَةَ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةً وَثَمَانِينَ أَلْفَ رَاجِلٍ ، وَسَبْعَمِائَةٍ وَسِتَّةً وَأَرْبَعِينَ فِيلًا.فَأَرْسَلَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ طَائِفَةً مِنْ عَسْكَرِهِ لِلْقِتَالِ ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ بِيدَا مِثْلَهُمْ ، وَلَمْ يَزَلْ كُلُّ عَسْكَرٍ يَمُدُّ أَصْحَابَهُ ، حَتَّى كَثُرَ الْجَمْعَانِ ، وَاشْتَدَّ الضَّرْبُ وَالطِّعَانُ ، فَأَدْرَكَهُمُ اللَّيْلُ وَحَجَزَ بَيْنَهُمْ.فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ بَكَّرَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ إِلَيْهِمْ ، فَرَأَى الدِّيَارَ مِنْهُمْ بَلَاقِعَ ، وَرَكِبَ كُلُّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَرِيقًا مُخَالِفًا لِطَرِيقِ الْأُخْرَى.وَوَجَدَ خَزَائِنَ الْأَمْوَالِ وَالسِّلَاحِ بِحَالِهَا ، فَغَنِمُوا الْجَمِيعَ ، وَاقْتَفَى آثَارَ الْمُنْهَزِمِينَ ، فَلَحِقُوهُمْ فِي الْغِيَاضِ وَالْآجَامِ ، وَأَكْثَرُوا فِيهِمُ الْقَتْلَ وَالْأَسْرَ ، وَنَجَا بِيدَا فَرِيدًا وَحِيدًا ، وَعَادَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ إِلَى غَزْنَةَ مَنْصُورًا.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَبَضَ سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ عَلَى وَزِيرِهِ ابْنِ فَسَانْجَسَ وَإِخْوَتِهِ ، وَوَلَّى وَزَارَتَهُ ذَا السَّعَادَتَيْنِ أَبَا غَالِبٍ الْحَسَنَ بْنَ مَنْصُورٍ ، وَمَوْلِدُهُ بِسِيرَافَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْغَالِبُ بِاللَّهِ وَلِيُّ عَهْدِ أَبِيهِ الْقَادِرِ بِاللَّهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَتُوُفِّيَ أَيْضًا أَبُو أَحْمَدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَلَّانَ ، قَاضِي الْأَهْوَازِ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَلَهُ تَصَانِيفُ حَسَنَةٌ ، وَكَانَ مُعْتَزِلِيًّا.وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ عَبْدُ الْغَنِيِّ بْنُ سَعِيدِ بْنِ بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ الْحَافِظُ الْمِصْرِيُّ ، صَاحِبُ" الْمُؤْتَلِفِ وَالْمُخْتَلِفِ "، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.وَتُوُفِّيَ رَجَاءُ بْنُ عِيسَى بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَنْصِنَاوِيُّ ، وَأَنْصِنَا مِنْ قُرَى مِصْرَ ، وَهُوَ مِنَ الْفُقَهَاءِ الْمَالِكِيَّةِ وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ عَشْرٍ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ عَشْرٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ الْقَبْضِ عَلَى الْوَزِيرِ ابْنِ مَاكُولَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَبَضَ الْمَلِكُ جَلَالُ الدَّوْلَةِ أَبُو طَاهِرِ بْنُ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ عَلَى وَزِيرِهِ أَبِي سَعْدٍ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مَاكُولَا ، وَكَانَ ابْنُ عَمِّهِ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودٍ كَاتِبًا فَاضِلًا ، وَكَانَ يَعْرِضُ الدَّيْلَمَ لِعَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَلِأَبِي سَعْدٍ شِعْرٌ مِنْهُ وَإِنَّ لِقَائِي لِلشُّجَاعِ لَهَيِّنٌ...وَلَكِنَّ حَمْلَ الضَّيْمِ مِنْهُ شَدِيدُ إِذَا كَانَ قَلْبُ الْقِرْنِ يَنْبُو عَنِ الْوَغَى...فَإِنَّ جَنَانِي جَلْمَدٌ وَحَدِيدُ الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ وَثَّابُ بْنُ سَابِقٍ النُّمَيْرِيُّ ، صَاحِبُ حَرَّانَ ، وَأَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَسَدٍ الْكَاتِبُ ، وَأَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الْهَاشِمِيُّ الْقَاضِي بِالْبَصْرَةِ ، وَأَبُو الْفَضْلِ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ التَّمِيمِيُّ ، الْفَقِيهُ الْحَنْبَلِيُّ الْبَغْدَاذِيُّ ، عَمُّ أَبِي مُحَمَّدٍ.قَالَ أَبُو الْفَضْلِ سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ بْنَ الْقَصَّابِ الصُّوفِيَّ قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَجَمَاعَةٌ إِلَى الْبَيْمَارِسْتَانِ بِبَغْدَاذَ ، فَرَأَيْنَا شَابًّا مَجْنُونًا شَدِيدَ الْهَوَسِ فَوَلِعْنَا بِهِ ، فَرَدَّ بِفَصَاحَةٍ وَقَالَ انْظُرُوا إِلَى شُعُورٍ مُطَرَّرَةٍ.وَأَجْسَادٍ مُعَطَّرَةٍ...وَقَدْ جَعَلُوا اللَّهْوَ صِنَاعَةً.وَاللَّعِبَ بِضَاعَةً.وَجَانَبُوا الْعِلْمَ رَأْسًا.فَقُلْتُ أَتَعْرِفُ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ فَنَسْأَلُكَ ؟قَالَ نَعَمْ إِنَّ عِنْدِي عِلْمًا جَمًّا ، فَاسْأَلُونِي.فَقَالَ بَعْضُنَا مَنِ الْكَرِيمُ فِي الْحَقِيقَةِ ؟قَالَ مَنْ رُزِقَ أَمْثَالُكُمْ ، وَأَنْتُمْ لَا تُسَاوُونَ ثُومَةً.فَأَضْحَكَنَا.فَقَالَ آخَرُ مَنْ أَقَلُّ النَّاسِ شُكْرًا ؟فَقَالَ مَنْ عُوفِيَ مِنْ بَلِيَّةٍ ثُمَّ رَآهَا فِي غَيْرِهِ فَتَرَكَ الِاعْتِبَارَ ، فَإِنَّ الشُّكْرَ عَلَيْهَا وَاجِبٌ.فَأَبْكَانَا بَعْدَ أَنْ أَضْحَكَنَا.فَقُلْنَا مَا الظُّرْفُ ؟قَالَ خِلَافُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ.ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ إِنْ لَمْ تَرُدَّ عَقْلِي ، فَرُدَّ يَدِي لِأَصْفَعَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ صَفْعَةً!فَتَرَكْنَاهُ وَانْصَرَفْنَا.وَفِيهَا مَاتَ الْأُصَيْفِرُ الْمُنْتَفِقِيُّ الَّذِي كَانَ يُؤْذِي الْحَاجَّ فِي طَرِيقِهِمْ ، وَأَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى بْنِ مَرْدَوَيْهِ الْحَافِظُ الْأَصْبَهَانِيُّ ، وَعَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ بَابَكَ أَبُو الْقَاسِمِ الشَّاعِرُ ، قَدِمَ عَلَى الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ فَقَالَ أَنْتَ ابْنُ بَابَكَ فَقَالَ أَنَا ابْنُ بَابِكَ ، فَاسْتَحْسَنَ قَوْلَهُ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ قَتْلِ الْحَاكِمِ وَوِلَايَةِ ابْنِهِ الظَّاهِرِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، لَيْلَةَ الِاثْنَيْنِ لِثَلَاثٍ بَقِينَ مِنْ شَوَّالٍ ، فُقِدَ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبُو عَلِيٍّ الْمَنْصُورُ بْنُ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ نِزَارِ بْنِ الْمُعِزِّ الْعَلَوِيُّ ، صَاحِبُ مِصْرَ بِهَا ، وَلَمْ يُعْرَفْ لَهُ خَبَرٌ.وَكَانَ سَبَبُ فَقْدِهِ أَنَّهُ خَرَجَ يَطُوفُ لَيْلَةً عَلَى رَسْمِهِ ، وَأَصْبَحَ عِنْدَ قَبْرِ الْفُقَّاعِيِّ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى شَرْقَيْ حُلْوَانَ وَمَعَهُ رِكَابِيَّانِ ، فَأَعَادَ أَحَدَهُمَا مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْعَرَبِ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ ، وَأَمَرَ لَهُمْ بِجَائِزَةٍ ثُمَّ عَادَ الرِّكَابِيُّ الْآخَرُ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ خَلَّفَهُ عِنْدَ الْعَيْنِ وَالْمَقْصَبَةِ.وَبَقِيَ النَّاسُ عَلَى رَسْمِهِمْ يَخْرُجُونَ كُلَّ يَوْمٍ يَلْتَمِسُونَ رُجُوعَهُ إِلَى سَلْخِ شَوَّالٍ ، فَلَمَّا كَانَ ثَالِثُ ذِي الْقَعْدَةِ خَرَجَ مُظَفَّرٌ الصَّقْلَبِيُّ ، صَاحِبُ الْمِظَلَّةِ وَغَيْرُهُ مِنْ خَوَاصِّ الْحَاكِمِ ، وَمَعَهُمُ الْقَاضِي ، فَبَلَغُوا سُلْوَانَ ، وَدَخَلُوا فِي الْجَبَلِ ، فَبَصُرُوا بِالْحِمَارِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ رَاكِبًا ، وَقَدْ ضُرِبَتْ يَدَاهُ بِسَيْفٍ فَأَثَّرَ فِيهِمَا ، وَعَلَيْهِ سَرْجُهُ وَلِجَامُهُ ، فَاتَّبَعُوا الْأَثَرَ ، فَانْتَهَوْا بِهِ إِلَى الْبِرْكَةِ الَّتِي شَرْقَيْ حُلْوَانَ ، فَرَأَوْا ثِيَابَهُ ، وَهِيَ سَبْعُ قِطَعٍ صُوفٍ ، وَهِيَ مُزَرَّرَةٌ بِحَالِهَا ، لَمْ تُحَلَّ وَفِيهَا أَثَرُ السَّكَاكِينِ ، فَعَادُوا وَلَمْ يَشُكُّوا فِي قَتْلِهِ.وَقِيلَ كَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّ أَهْلَ مِصْرَ كَانُوا يَكْرَهُونَهُ لِمَا يَظْهَرُ مِنْهُ مِنْ سُوءِ أَفْعَالِهِ ، فَكَانُوا يَكْتُبُونَ إِلَيْهِ الرِّقَاعَ فِيهَا سَبُّهُ ، وَسَبُّ أَسْلَافِهِ ، وَالدُّعَاءُ عَلَيْهِ ، حَتَّى إِنَّهُمْ عَمِلُوا مِنْ قَرَاطِيسَ صُورَةَ امْرَأَةٍ وَبِيَدِهَا رُقْعَةٌ ، فَلَمَّا رَآهَا ظَنَّ أَنَّهَا امْرَأَةٌ تَشْتَكِي ، فَأَمَرَ بِأَخْذِ الرُّقْعَةِ مِنْهَا ، فَقَرَأَهَا ، وَفِيهَا كُلُّ لَعْنٍ وَشَتِيمَةٍ قَبِيحَةٍ ، وَذِكْرِ حُرَمِهِ بِمَا يَكْرَهُ ، فَأَمَرَ بِطَلَبِ الْمَرْأَةِ ، فَقِيلَ إِنَّهَا مِنْ قَرَاطِيسَ ، فَأَمَرَ بِإِحْرَاقِ مِصْرَ وَنَهْبِهَا ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، وَقَاتَلَ أَهْلُهَا أَشَدَّ قِتَالٍ ، وَانْضَافَ إِلَيْهِمْ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ الْأَتْرَاكُ وَالْمَشَارِقَةُ ، فَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُمْ وَأَرْسَلُوا إِلَى الْحَاكِمِ يَسْأَلُونَهُ الصَّفْحَ وَيَعْتَذِرُونَ ، فَلَمْ يَقْبَلْ ، فَصَارُوا إِلَى التَّهْدِيدِ ، فَلَمَّا رَأَى قُوَّتَهُمْ أَمَرَ بِالْكَفِّ عَنْهُمْ ، وَقَدْ أَحْرَقَ بَعْضَ مِصْرَ وَنَهَبَ بَعْضَهَا ، وَتَتَبَّعَ الْمِصْرِيُّونَ مَنْ أَخَذَ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ ، فَابْتَاعُوا ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ فَضَحُوهُنَّ ، فَازْدَادَ غَيْظُهُمْ مِنْهُ وَحُنْقُهُمْ عَلَيْهِ.ثُمَّ إِنَّهُ أَوْحَشَ أُخْتَهُ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهَا مُرَاسَلَاتٍ قَبِيحَةً يَقُولُ فِيهَا بَلَغَنِي أَنَّ الرِّجَالَ يُدْخِلُونَ إِلَيْكِ ، وَتَهَدَّدَهَا بِالْقَتْلِ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى قَائِدٍ كَبِيرٍ مِنْ قُوَّادِ الْحَاكِمِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ دَوَّاسٍ ، وَكَانَ أَيْضًا يَخَافُ الْحَاكِمَ ، تَقُولُ لَهُ إِنَّنِي أُرِيدُ أَنْ أَلْقَاكَ فَحَضَرَتْ عِنْدَهُ وَقَالَتْ لَهُ قَدْ جِئْتُ إِلَيْكَ فِي أَمْرٍ تَحْفَظُ فِيهِ نَفْسَكَ وَنَفْسِي ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا يَعْتَقِدُهُ أَخِي فِيكَ ، وَأَنَّهُ مَتَى تَمَكَّنَ مِنْكَ لَا يُبْقِي عَلَيْكَ ، وَأَنَا كَذَلِكَ ، وَقَدِ انْضَافَ إِلَى هَذَا مَا تَظَاهَرَ بِهِ مِمَّا يَكْرَهُهُ الْمُسْلِمُونَ ، وَلَا يَصْبِرُونَ عَلَيْهِ ، وَأَخَافُ أَنْ يَثُورُوا بِهِ فَيَهْلِكَ هُوَ وَنَحْنُ مَعَهُ ، وَتَنْقَلِعَ هَذِهِ الدَّوْلَةُ ، فَأَجَابَهَا إِلَى مَا تُرِيدُ ، فَقَالَتْ إِنَّهُ يَصْعَدُ إِلَى هَذَا الْجَبَلِ غَدًا ، وَلَيْسَ مَعَهُ غُلَامٌ إِلَّا الرِّكَابِيُّ وَصَبِيٌّ ، وَيَنْفَرِدُ بِنَفْسِهِ ، فَتُقِيمُ رَجُلَيْنِ تَثِقُ بِهِمَا يَقْتُلَانِهِ ، وَيَقْتُلَانِ الصَّبِيَّ ، وَتُقِيمُ وَلَدَهُ بَعْدَهُ ، وَتَكُونُ أَنْتَ مُدَبِّرَ الدَّوْلَةِ ، وَأَزِيدُ فِي إِقْطَاعِكَ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ.فَأَقَامَ رَجُلَيْنِ ، وَأَعْطَتْهُمَا هِيَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَمَضَيَا إِلَى الْجَبَلِ ، وَرَكِبَ الْحَاكِمُ عَلَى عَادَتِهِ ، وَسَارَ مُنْفَرِدًا إِلَيْهِ ، فَقَتَلَاهُ ، وَكَانَ عُمْرُهُ سِتًّا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ ، وَوِلَايَتُهُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا ، وَكَانَ جَوَّادًا بِالْمَالِ ، سَفَّاكًا لِلدِّمَاءِ ، قَتَلَ عَدَدًا كَثِيرًا مِنْ أَمَاثِلِ دَوْلَتِهِ وَغَيْرِهِمْ ، فَكَانَتْ سِيرَتُهُ عَجِيبَةً.مِنْهَا أَنَّهُ أَمَرَ فِي صَدْرِ خِلَافَتِهِ بِسَبِّ الصَّحَابَةِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَأَنْ تُكْتَبَ عَلَى حِيطَانِ الْجَوَامِعِ وَالْأَسْوَاقِ ، وَكَتَبَ إِلَى سَائِرِ عُمَّالِهِ بِذَلِكَ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.ثُمَّ أَمَرَ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ بِالْكَفِّ عَنِ السَّبِّ ، وَتَأْدِيبِ مَنْ يَسُبُّهُمْ ، أَوْ يَذْكُرُهُمْ بِسُوءٍ ، ثُمَّ أَمَرَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ بِتَرْكِ صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ بِالْجَامِعِ الْعَتِيقِ وَصَلَّى بِهِمْ إِمَامٌ جَمِيعَ رَمَضَانَ ، فَأَخَذَهُ وَقَتَلَهُ ، وَلَمْ يُصَلِّ أَحَدٌ التَّرَاوِيحَ إِلَى سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَرَجَعَ عَنْ ذَلِكَ ، وَأَمَرَ بِإِقَامَتِهَا عَلَى الْعَادَةِ.وَبَنَى الْجَامِعَ بِرَاشِدَةَ ، وَأَخْرَجَ إِلَى الْجَوَامِعِ وَالْمَسَاجِدِ مِنَ الْآلَاتِ وَالْمَصَاحِفِ ، وَالسُّتُورِ ، وَالْحُصْرِ ، مَا لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ ، وَحَمَلَ أَهْلَ الذِّمَّةِ عَلَى الْإِسْلَامِ ، أَوِ الْمَسِيرِ إِلَى مَأْمَنِهِمْ أَوْ لُبْسِ الْغِيَارِ ، فَأَسْلَمَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ ، ثُمَّ كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ يَلْقَاهُ فَيَقُولُ لَهُ إِنَّنِي أُرِيدُ الْعَوْدَةَ إِلَى دِينِي ، فَيَأْذَنُ لَهُ ، وَمَنَعَ النِّسَاءَ مِنَ الْخُرُوجِ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَقَتَلَ مَنْ خَرَجَ مِنْهُنَّ ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ مَنْ لَا قَيِّمَ لَهَا يَقُومُ بِأَمْرِهَا ، فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَحْمِلُوا كُلَّ مَا يُبَاعُ فِي الْأَسْوَاقِ إِلَى الدُّرُوبِ وَيَبِيعُوهُ عَلَى النِّسَاءِ ، وَأَمَرَ مَنْ يَبِيعُ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ شِبْهُ الْمِغْرَفَةِ بِسَاعِدٍ طَوِيلٍ يَمُدُّهُ إِلَى الْمَرْأَةِ ، وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ ، وَفِيهِ مَا تَشْتَرِيهِ ، فَإِذَا رَضِيَتْ وَضَعَتِ الثَّمَنَ فِي الْمِغْرَفَةِ ، وَأَخَذَتْ مَا فِيهَا لِئَلَّا يَرَاهَا ، فَنَالَ النَّاسَ مِنْ ذَلِكَ شِدَّةٌ عَظِيمَةٌ. وَلَمَّا فُقِدَ الْحَاكِمُ وَلِيَ الْأَمْرَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ ، وَلُقِّبَ الظَّاهِرَ لِإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ ، وَأُخِذَتْ لَهُ الْبَيْعَةُ ، وَرَدَّ النَّظَرَ فِي الْأُمُورِ جَمِيعِهَا إِلَى الْوَزِيرِ أَبِي الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الْجَرْجَرَائِيِّ .ذِكْرُ مُلْكِ مُشَرِّفِ الدَّوْلَةِ الْعِرَاقَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي ذِي الْحِجَّةِ ، عَظُمَ أَمْرُ أَبِي عَلِيٍّ مُشَرِّفِ الدَّوْلَةِ بْنِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَخُوطِبَ بِأَمِيرِ الْأُمَرَاءِ ، ثُمَّ مَلِكِ الْعِرَاقِ ، وَأَزَالَ عَنْهُ أَخَاهُ سُلْطَانَ الدَّوْلَةِ.وَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّ الْجُنْدَ شَغَبُوا عَلَى سُلْطَانِ الدَّوْلَةِ ، وَمَنَعُوهُ مِنَ الْحَرَكَةِ ، وَأَرَادَ تَرْتِيبَ أَخِيهِ مُشَرِّفِ الدَّوْلَةِ فِي الْمُلْكِ ، فَأُشِيرَ عَلَى سُلْطَانِ الدَّوْلَةِ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يُمْكِنْهُ ذَلِكَ ، وَأَرَادَ سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ الِانْحِدَارَ إِلَى وَاسِطٍ ، فَقَالَ الْجُنْدُ إِمَّا أَنْ تَجْعَلَ عِنْدَنَا وَلَدَكَ أَوْ أَخَاكَ مُشَرِّفَ الدَّوْلَةِ.فَرَاسَلَ أَخَاهُ بِذَلِكَ ، فَامْتَنَعَ ، ثُمَّ أَجَابَ بَعْدَ مُعَاوَدَةٍ ، ثُمَّ إِنَّهُمَا اتَّفَقَا ، وَاجْتَمَعَا بِبَغْدَاذَ ، وَاسْتَقَرَّ بَيْنَهُمَا أَنَّهُمَا لَا يَسْتَخْدِمَانِ ابْنَ سَهْلَانَ ، وَفَارَقَ سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ بَغْدَاذَ ، وَقَصَدَ الْأَهْوَازَ وَاسْتَخْلَفَ أَخَاهُ مُشَرِّفَ الدَّوْلَةِ عَلَى الْعِرَاقِ.فَلَمَّا انْحَدَرَ سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ وَوَصَلَ إِلَى تُسْتَرَ اسْتَوْزَرَ ابْنَ سَهْلَانَ ، فَاسْتَوْحَشَ مُشَرِّفُ الدَّوْلَةِ ، فَأَنْفَذَ سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ وَزِيرَهُ ابْنَ سَهْلَانَ لِيُخْرِجَ أَخَاهُ مُشَرِّفَ الدَّوْلَةِ مِنَ الْعِرَاقِ ، فَجَمَعَ مُشَرِّفُ الدَّوْلَةِ عَسْكَرًا كَثِيرًا مِنْهُمْ أَتْرَاكُ وَاسِطٍ ، وَأَبُو الْأَغَرِّ دُبَيْسُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مَزْيَدٍ ، وَلَقِيَ ابْنَ سَهْلَانَ عِنْدَ وَاسِطٍ ، فَانْهَزَمَ ابْنُ سَهْلَانَ وَتَحَصَّنَ بِوَاسِطٍ ، وَحَاصَرَهُ مُشَرِّفُ الدَّوْلَةِ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ ، فَغَلَتِ الْأَسْعَارُ حَتَّى بَلَغَ الْكُرُّ مِنَ الطَّعَامِ أَلْفَ دِينَارٍ قَاسَانِيَّةٍ ، وَأَكَلَ النَّاسُ الدَّوَابَّ ، حَتَّى الْكِلَابَ ، فَلَمَّا رَأَى ابْنُ سَهْلَانَ إِدْبَارَ أُمُورِهِ سَلَّمَ الْبَلَدَ ، وَاسْتَحْلَفَ مُشَرِّفَ الدَّوْلَةِ وَخَرَجَ إِلَيْهِ ، وَخُوطِبَ حِينَئِذٍ مُشَرِّفُ الدَّوْلَةِ بِشَاهِنْشَاهْ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي آخِرِ ذِي الْحِجَّةِ ، وَمَضَتِ الدَّيْلَمُ الَّذِينَ كَانُوا بِوَاسِطٍ فِي خِدْمَتِهِ ، وَسَارُوا مَعَهُ ، فَحَلَفَ لَهُمْ وَأَقْطَعَهُمْ ، وَاتَّفَقَ هُوَ وَأَخُوهُ جَلَالُ الدَّوْلَةِ أَبُو طَاهِرٍ ، فَلَمَّا سَمِعَ سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ ذَلِكَ سَارَ عَنِ الْأَهْوَازِ إِلَى أَرَّجَانَ ، وَقُطِعَتْ خُطْبَتُهُ مِنَ الْعِرَاقِ ، وَخُطِبَ لِأَخِيهِ بِبَغْدَاذَ آخِرَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَقُبِضَ عَلَى ابْنِ سَهْلَانَ وَكُحِّلَ.وَلَمَّا سَمِعَ سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ بِذَلِكَ ضَعُفَتْ نَفْسُهُ ، وَسَارَ إِلَى الْأَهْوَازِ فِي أَرْبَعِمِائَةِ فَارِسٍ ، فَقَلَّتْ عَلَيْهِمُ الْمِيرَةُ ، فَنَهَبُوا السَّوَادَ فِي طَرِيقِهِمْ ، فَاجْتَمَعَ الْأَتْرَاكُ الَّذِينَ بِالْأَهْوَازِ ، وَقَاتَلُوا أَصْحَابَ سُلْطَانِ الدَّوْلَةِ ، وَنَادَوْا بِشِعَارِ مُشَرِّفِ الدَّوْلَةِ وَسَارُوا مِنْهَا ، فَقَطَعُوا الطَّرِيقَ عَلَى قَافِلَةٍ وَأَخَذُوهَا وَانْصَرَفُوا.ذِكْرُ وِلَايَةِ الظَّاهِرِ لِإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ لَمَّا قُتِلَ الْحَاكِمُ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، بَقِيَ الْجُنْدُ خَمْسَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ اجْتَمَعُوا إِلَى أُخْتِهِ وَاسْمُهَا سِتُّ الْمُلْكِ ، وَقَالُوا قَدْ تَأَخَّرَ مَوْلَانَا وَلَمْ تَجْرِ عَادَتُهُ بِذَلِكَ.فَقَالَتْ قَدْ جَاءَتْنِي رُقْعَتُهُ بِأَنَّهُ يَأْتِي بَعْدَ غَدٍ.فَتَفَرَّقُوا ، وَبَعَثَتْ بِالْأَمْوَالِ إِلَى الْقُوَّادِ عَلَى يَدِ ابْنِ دَوَّاسٍ ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ السَّابِعُ أَلْبَسَتْ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيًّا ابْنَ أَخِيهَا الْحَاكِمِ أَفْخَرَ الْمَلَابِسِ ، وَكَانَ الْجُنْدُ قَدْ حَضَرُوا لِلْمِيعَادِ ، فَلَمْ يَرُعْهُمْ إِلَّا وَقَدْ أُخْرِجَ أَبُو الْحَسَنِ ، وَهُوَ صَبِيٌّ ، وَالْوَزِيرُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَصَاحَ يَا عَبِيدَ الدَّوْلَةِ ، مَوْلَاتُنَا تَقُولُ لَكُمْ هَذَا مَوْلَاكُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَسَلِّمُوا عَلَيْهِ!فَقَبَّلَ ابْنُ دَوَّاسٍ الْأَرْضَ ، وَالْقُوَّادُ الَّذِينَ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمُ الْأَمْوَالَ ، وَدَعَوْا لَهُ ، فَتَبِعَهُمُ الْبَاقُونَ وَمَشَوْا مَعَهُ ، وَلَمْ يَزَلْ رَاكِبًا إِلَى الظُّهْرِ ، فَنَزَلَ وَدَعَا النَّاسَ مِنَ الْغَدِ فَبَايَعُوا لَهُ ، وَلُقِّبَ الظَّاهِرَ لِإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ ، وَكُتِبَتِ الْكُتُبُ إِلَى الْبِلَادِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ بِأَخْذِ الْبَيْعَةِ لَهُ.وَجَمَعَتْ أُخْتُ الْحَاكِمِ النَّاسَ ، وَوَعَدَتْهُمْ ، وَأَحْسَنَتْ إِلَيْهِمْ ، وَرَتَّبَتِ الْأَمْرَ تَرْتِيبًا حَسَنًا ، وَجَعَلَتِ الْأَمْرَ بِيَدِ ابْنِ دَوَّاسٍ ، وَقَالَتْ لَهُ إِنَّنَا نُرِيدُ أَنْ نَرُدَّ جَمِيعَ أَحْوَالِ الْمَمْلَكَةِ إِلَيْكَ ، وَنَزِيدُ فِي إِقْطَاعِكَ ، وَنُشَرِّفُكَ بِالْخِلَعِ ، فَاخْتَرْ يَوْمًا يَكُونُ ذَلِكَ.فَقَبَّلَ الْأَرْضَ وَدَعَا ، وَظَهَرَ الْخَبَرُ بِهِ بَيْنَ النَّاسِ ، ثُمَّ أَحْضَرَتْهُ ، وَأَحْضَرَتِ الْقُوَّادَ مَعَهُ ، وَأَغْلَقَتْ أَبْوَابَ الْقَصْرِ ، وَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ خَادِمًا وَقَالَتْ لَهُ قُلْ لِلْقُوَّادِ إِنَّ هَذَا قَتَلَ سَيِّدَكُمْ ، وَاضْرِبْهُ بِالسَّيْفِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَقَتَلَهُ ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ رَجُلَانِ ، وَبَاشَرَتِ الْأُمُورَ بِنَفْسِهَا ، وَقَامَتْ هَيْبَتُهَا عِنْدَ النَّاسِ ، وَاسْتَقَامَتِ الْأُمُورُ ، وَعَاشَتْ بَعْدَ الْحَاكِمِ أَرْبَعَ سِنِينَ وَمَاتَتْ.ذِكْرُ الْفِتْنَةِ بَيْنَ الْأَتْرَاكِ وَالْأَكْرَادِ بِهَمَذَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ زَادَ شَغَبُ الْأَتْرَاكِ بِهَمَذَانَ عَلَى صَاحِبِهِمْ شَمْسِ الدَّوْلَةِ بْنِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ قَدْ تَقَدَّمَ ذَلِكَ مِنْهُمْ غَيْرَ مَرَّةٍ ، وَهُوَ يَحْلُمُ عَنْهُمْ بَلْ يَعْجِزُ ، فَقَوِيَ طَمَعُهُمْ فَزَادُوا فِي التَّوَثُّبِ وَالشَّغَبِ ، وَأَرَادُوا إِخْرَاجَ الْقُوَّادِ الْقُوهِيَّةِ مِنْ عِنْدِهِ ، فَلَمْ يُجِبْهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، فَعَزَمُوا عَلَى الْإِيقَاعِ بِهِمْ بِغَيْرِ أَمْرِهِ ، فَاعْتَزَلَ الْأَكْرَادُ مَعَ وَزِيرِهِ تَاجِ الْمُلْكِ أَبِي نَصْرِ بْنِ بَهْرَامَ إِلَى قَلْعَةِ بَرْجِينَ ، فَسَارَ الْأَتْرَاكُ إِلَيْهِمْ فَحَصَرُوهُمْ ، وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى شَمْسِ الدَّوْلَةِ فَكَتَبَ الْوَزِيرُ إِلَى أَبِي جَعْفَرِ بْنِ كَاكَوَيْهِ صَاحِبِ أَصْبَهَانَ ، يَسْتَنْجِدُهُ ، وَعَيَّنَ لَهُ لَيْلَةً يَكُونُ قُدُومُ الْعَسَاكِرِ إِلَيْهِ فِيهَا بَغْتَةً ، لِيَخْرُجَ هُوَ أَيْضًا تِلْكَ اللَّيْلَةَ لِيَكْبِسُوا الْأَتْرَاكَ. فَفَعَلَ أَبُو جَعْفَرٍ ذَلِكَ ، وَسَيَّرَ أَلْفَيْ فَارِسٍ ، وَضَبَطُوا الطُّرُقَ لِئَلَّا يَسْبِقَهُمُ الْخَبَرُ ، وَكَبَسُوا الْأَتْرَاكَ سَحَرًا عَلَى غَفْلَةٍ ، وَنَزَلَ الْوَزِيرُ وَالْقُوهِيَّةُ مِنَ الْقَلْعَةِ ، فَوَضَعُوا فِيهِمُ السَّيْفَ ، فَأَكْثَرُوا الْقَتْلَ ، وَأَخَذُوا الْمَالَ ، وَمَنْ سَلِمَ مِنَ الْأَتْرَاكِ نَجَا فَقِيرًا.وَفَعَلَ شَمْسُ الدَّوْلَةِ بِمَنْ عِنْدَهُ فِي هَمَذَانَ كَذَلِكَ ، وَأَخْرَجَهُمْ ، فَمَضَى ثَلَاثُمِائَةٍ مِنْهُمْ إِلَى كِرْمَانَ ، وَخَدَمُوا أَبَا الْفَوَارِسِ بْنَ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ صَاحِبَهَا.ذِكْرُ الْقَبْضِ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ الْمَغْرِبِيِّ وَابْنِ فَهْدٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَبَضَ مُعْتَمَدُ الدَّوْلَةِ قِرْوَاشُ بْنُ الْمُقَلَّدِ عَلَى وَزِيرِهِ أَبِي الْقَاسِمِ الْمَغْرِبِيِّ ، وَعَلَى أَبِي الْقَاسِمِ سُلَيْمَانَ بْنِ فَهْدٍ بِالْمَوْصِلِ ، وَكَانَ ابْنُ فَهْدٍ يَكْتُبُ فِي حَدَاثَتِهِ بَيْنَ يَدَيِ الصَّابِي ، وَخَدَمَ الْمُقَلَّدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ وَأَصْعَدَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَاقْتَنَى بِهَا ضِيَاعًا ، وَنَظَرَ فِيهَا لِقِرْوَاشٍ ، فَظَلَمَ أَهْلَهَا وَصَادَرَهُمْ ، ثُمَّ سَخِطَ قِرْوَاشٌ عَلَيْهِمَا فَحَبَسَهُمَا ، وَطُولِبَ سُلَيْمَانُ بِالْمَالِ ، فَادَّعَى الْفَقْرَ فَقُتِلَ.وَأَمَّا الْمَغْرِبِيُّ فَإِنَّهُ خَدَعَ قِرْوَاشًا ، وَوَعَدَهُ بِمَالٍ لَهُ فِي الْكُوفَةِ وَبَغْدَاذَ ، فَأَمَرَ بِحَمْلِهِ وَتُرِكَ.وَفِي قِرْوَاشٍ وَابْنِ فَهْدٍ يَقُولُ الشَّاعِرُ ، وَهُوَ ابْنُ الزَّمَكْدَمِ وَلَيْلٍ كَوَجْهِ الْبَرْقَعِيدِيِّ ظُلْمَةً...وَبَرْدِ أَغَانِيهِ ، وَطُولِ قُرُونِهِ سَرَّيْتُ ، وَنَوْمِي فِيهِ نَوْمٌ مُشَرَّدٌ...كَعَقْلِ سُلَيْمَانَ بْنِ فَهْدٍ وَدِينِهِ عَلَى أَوْلَقٍ فِيهِ الْتِفَاتٌ كَأَنَّهُ أَبُو جَابِرٍ فِي خَطْبِهِ وَجُنُونِهِ...إِلَى أَنْ بَدَا ضَوْءُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ سَنَا وَجْهِ قِرْوَاشٍ وَضَوْءَ جَبِينِهِ وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ قَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْبَيَانِ عَلَى أَنَّهَا غَايَةٌ فِي الْجَوْدَةِ لَمْ يُقَلْ خَيْرٌ مِنْهَا فِي مَعْنَاهَا.ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ قِرْوَاشٍ وَغَرِيبِ بْنِ مَقْنٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، اجْتَمَعَ غَرِيبُ بْنُ مَقْنٍ ، وَنُورُ الدَّوْلَةِ دُبَيْسُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مَزْيَدٍ الْأَسَدِيُّ ، وَأَتَاهُمْ عَسْكَرٌ مِنْ بَغْدَاذَ ، فَقَاتَلُوا قِرْوَاشًا ، وَمَعَهُ رَافِعُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، عِنْدَ كَرْخِ سُرَّ مَنْ رَأَى ، فَانْهَزَمَ قِرْوَاشٌ وَمَنْ مَعَهُ ، وَأُسِرَ فِي الْمَعْرَكَةِ ، وَنُهِبَتْ خَزَائِنَهُ وَأَثْقَالُهُ ، وَاسْتَجَارَ رَافِعٌ بِغَرِيبٍ ، وَفَتَحُوا تَكْرِيتَ عَنْوَةً ، وَعَادَ عَسْكَرُ بَغْدَاذَ إِلَيْهَا بَعْدَ عَشَرَةِ أَيَّامٍ.ثُمَّ إِنَّ قِرْوَاشًا خَلَصَ ، وَقَصَدَ سُلْطَانَ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ ثِمَالٍ ، أَمِيرَ خَفَاجَةَ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ ، فَعَادَ قِرْوَاشٌ وَانْهَزَمَ ثَانِيًا هُوَ وَسُلْطَانٌ ، وَكَانَتِ الْوَقْعَةُ بَيْنَهُمْ غَرْبَيِ الْفُرَاتِ.وَلَمَّا انْهَزَمَ قِرْوَاشٌ مَدَّ نُوَّابُ السُّلْطَانِ أَيْدِيَهُمْ إِلَى أَعْمَالِهِ ، فَأَرْسَلَ يَسْأَلُ الصَّفْحَ عَنْهُ ، وَيَبْذُلُ الطَّاعَةَ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِيهَا أَغَارَتْ زِنَاتَةُ بِإِفْرِيقِيَّةَ عَلَى دَوَابِّ الْمُعِزِّ بْنِ بَادِيسَ ، صَاحِبِ الْبِلَادِ لِيَأْخُذُوهَا ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَامِلُ مَدِينَةِ قَابِسٍ فَقَاتَلَهُمْ فَهَزَمَهُمْ.وَفِيهَا ، فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ ، نَشَأَتْ سَحَابَةٌ بِإِفْرِيقِيَّةَ أَيْضًا شَدِيدَةُ الْبَرْقِ وَالرَّعْدِ فَأَمْطَرَتْ حِجَارَةً كَثِيرَةً مَا رَأَى النَّاسُ أَكْبَرَ مِنْهَا ، فَهَلَكَ كُلُّ مَنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْهَا . الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْعَنْبَرِيُّ الشَّاعِرُ ، وَدِيوَانُهُ مَشْهُورٌ ، وَمِنْ قَوْلِهِ ذَنْبِي إِلَى الدَّهْرِ أَنِّي لَمْ أَمُدَّ يَدِي...فِي الرَّاغِبِينَ ، وَلَمْ أَطْلُبْ وَلَمْ أَسَلِ وَأَنَّنِي كُلَّمَا نَابَتْ نَوَائِبُهُ...أَلْفَيْتَنِي بِالرَّزَايَا غَيْرَ مُحْتَفِلِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ الْخُطْبَةِ لِمُشَرِّفِ الدَّوْلَةِ بِبَغْدَاذَ وَقَتْلِ وَزِيرِهِ أَبِي غَالِبٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي الْمُحَرَّمِ ، قُطِعَتْ خُطْبَةُ سُلْطَانِ الدَّوْلَةِ مِنَ الْعِرَاقِ ، وَخُطِبَ لِمُشَرِّفِ الدَّوْلَةِ ، فَطَلَبَ الدَّيْلَمُ مِنْ مُشَرِّفِ الدَّوْلَةِ أَنْ يَنْحَدِرُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ بِخُوزِسْتَانَ ، فَأَذِنَ لَهُمْ وَأَمَرَ وَزِيرَهُ أَبَا غَالِبٍ بِالِانْحِدَارِ مَعَهُمْ ، فَقَالَ لَهُ إِنِّي إِنْ فَعَلْتُ خَاطَرْتُ بِنَفْسِي ، وَلَكِنْ أَبْذُلُهَا فِي خِدْمَتِكَ.ثُمَّ انْحَدَرَ فِي الْعَسَاكِرِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْأَهْوَازِ نَادَى الدَّيْلَمُ بِشِعَارِ سُلْطَانِ الدَّوْلَةِ ، وَهَجَمُوا عَلَى أَبِي غَالِبٍ فَقَتَلُوهُ ، فَسَارَ الْأَتْرَاكُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ إِلَى طَرَّادِ بْنِ دُبَيْسٍ الْأَسَدِيِّ بِالْجَزِيرَةِ الَّتِي لِبَنِي دُبْيَسٍ ، وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَدْفَعُوا عَنْهُ ، فَكَانَتْ وَزَارَتُهُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَعُمْرُهُ سِتِّينَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ ، فَأُخِذَ وَلَدُهُ أَبُو الْعَبَّاسِ ، وَصُودِرَ عَلَى ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ.فَلَمَّا بَلَغَ سُلْطَانَ الدَّوْلَةِ قَتْلُهُ اطْمَأَنَّ ، وَقَوِيَتْ نَفْسُهُ ، وَكَانَ قَدْ خَافَهُ ، وَأَنْفَذَ ابْنَهُ أَبَا كَالِيجَارَ إِلَى الْأَهْوَازِ فَمَلَكَهَا.ذِكْرُ وَفَاةِ صَدَقَةَ صَاحِبِ الْبَطِيحَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَرِضَ صَدَقَةُ صَاحِبُ الْبَطِيحَةِ ، فَقَصَدَهَا أَبُو الْهَيْجَاءِ مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ ، فِي صَفَرٍ ، لِيَمْلِكَهَا ، وَكَانَ أَبُو الْهَيْجَاءِ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ قَدْ تَمَزَّقَ فِي الْبِلَادِ; تَارَةً بِمِصْرَ ، وَتَارَةً عِنْدَ بَدْرِ بْنِ حَسَنَوَيْهِ ، وَتَارَةً بَيْنَهُمَا ، فَلَمَّا وَلِيَ الْوَزِيرُ أَبُو غَالِبٍ أَنْفَقَ عَلَيْهِ لِأَدَبٍ كَانَ فِيهِ ، فَكَاتَبَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْبَطِيحَةِ لِيُسَلِّمُوا إِلَيْهِ فَسَارَ إِلَيْهِمْ فَسَمِعَ بِهِ صَدَقَةُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِيَوْمَيْنِ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ جَيْشًا فَقَاتَلُوهُ فَانْهَزَمَ أَبُو الْهَيْجَاءِ وَأُخِذَ أَسِيرًا فَأَرَادَ اسْتِبْقَاءَهُ فَمَنَعَهُ سَابُورُ بْنُ الْمَرْزُبَانِ بْنِ مَرْوَانَ وَقَتَلَهُ بِيَدِهِ.ثُمَّ تُوُفِّيَ صَدَقَةُ ، بَعْدَ قَتْلِهِ ، فِي صَفَرٍ فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْبَطِيحَةِ عَلَى وِلَايَةِ سَابُورَ بْنِ الْمَرْزُبَانِ فَوَلِيَهُمْ وَكَتَبَ إِلَى مُشَرِّفِ الدَّوْلَةِ يَطْلُبُ أَنْ يُقَرِّرَ عَلَيْهِ مَا كَانَ عَلَى صَدَقَةَ مِنَ الْحَمْلِ ، وَيَسْتَعْمِلَ عَلَى الْبَطِيحَةِ فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَزَادَ فِي الْقَرَارِ عَلَيْهِ وَاسْتَقَرَّ فِي الْأَمْرِ.ثُمَّ إِنَّ أَبَا نَصْرٍ شِيرَازَ بْنَ الْحَسَنِ بْنِ مَرْوَانَ زَادَ فِي الْمُقَاطَعَةِ ، فَلَمْ يَدْخُلْ سَابُورُ فِي الزِّيَادَةِ ، فَوَلِيَ أَبُو نَصْرٍ الْبَطِيحَةَ ، وَسَارَ إِلَيْهَا وَفَارَقَهَا سَابُورُ إِلَى جَزِيرَةِ بَنِي دُبَيْسٍ ، وَاسْتَقَرَّ أَبُو نَصْرٍ فِي الْوِلَايَةِ ، وَأَمِنَتْ بِهِ الطُّرُقُ. ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ عَلِيُّ بْنُ هِلَالٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْبَوَّابِ ، الْكَاتِبُ الْمَشْهُورُ ، وَإِلَيْهِ انْتَهَى الْخَطُّ ، وَدُفِنَ بِجِوَارِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، وَكَانَ يَقُصُّ بِجَامِعِ بَغْدَاذَ ، وَرَثَاهُ الْمُرْتَضَى ، وَقِيلَ كَانَ مَوْتُهُ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.وَفِيهَا حَجَّ النَّاسُ مِنَ الْعِرَاقِ ، وَكَانَ قَدِ انْقَطَعَ سَنَةَ عَشْرٍ وَسَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ ، فَلَمَّا كَانَ هَذِهِ السَّنَةُ قَصَدَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِ خُرَاسَانَ السُّلْطَانَ مَحْمُودَ بْنَ سُبُكْتِكِينَ وَقَالُوا لَهُ أَنْتَ أَعْظَمُ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ ، وَأَثَرُكَ فِي الْجِهَادِ مَشْهُورٌ ، وَالْحَجُّ قَدِ انْقَطَعَ كَمَا تَرَى ، وَالتَّشَاغُلُ بِهِ وَاجِبٌ ، وَقَدْ كَانَ بَدْرُ بْنُ حَسَنَوَيْهِ ، وَفِي أَصْحَابِكَ كَثِيرٌ أَعْظَمُ مِنْهُ ، يَسِيرُ الْحَاجُّ بِتَدْبِيرِهِ ، وَمَا لَهُ عِشْرُونَ ، فَاجْعَلْ لِهَذَا الْأَمْرِ حَظًّا مِنِ اهْتِمَامِكَ.فَتَقَدَّمَ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ النَّاصِحِيِّ قَاضِي قُضَاةِ بِلَادِهِ بِأَنْ يَسِيرَ بِالْحَاجِّ ، وَأَعْطَاهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ يُعْطِيهَا لِلْعَرَبِ وَسِوَى النَّفَقَةِ فِي الصَّدَقَاتِ ، وَنَادَى فِي خُرَاسَانَ بِالتَّأَهُّبِ لِلْحَجِّ ، فَاجْتَمَعَ خَلْقٌ عَظِيمٌ ، وَسَارُوا ، وَحَجَّ بِهِمْ أَبُو الْحَسَنِ الْأَقْسَاسِيُّ ، فَلَمَّا بَلَغُوا فَيْدَ حَصَرَهُمُ الْعَرَبُ ، فَبَذَلَ لَهُمُ النَّاصِحِيُّ خَمْسَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، فَلَمْ يَقْنَعُوا ، وَصَمَّمُوا الْعَزْمَ عَلَى أَخْذِ الْحَاجِّ ، وَكَانَ مُقَدَّمَهُمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ حِمَارُ بْنُ عُدَيٍّ ، بِضَمِّ الْعَيْنِ ، مِنْ بَنِي نَبْهَانَ فَرَكِبَ فَرَسَهُ ، وَعَلَيْهِ دِرْعُهُ وَسِلَاحُهُ ، وَجَالَ جَوْلَةً يُرْهِبُ بِهَا ، وَكَانَ مِنْ سَمَرْقَنْدَ شَابٌّ يُوصَفُ بِجَوْدَةِ الرَّمْيِ ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ ، وَتَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ ، وَسَلِمَ الْحَاجُّ فَحَجُّوا ، وَعَادُوا سَالِمِينَ.وَفِيهَا قَلَّدَ أَبُو جَعْفَرٍ السِّمْنَانِيُّ الْحِسْبَةَ ، وَالْمَوَارِيثَ ، بِبَغْدَاذَ ، وَالْمَوْتَى. الْوَفَيَاتُ وَتُوُفِّيَ هَذِهِ السَّنَةَ أَبُو سَعْدٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَالِينِيُّ الصُّوفِيُّ بِمِصْرَ ، فِي شَوَّالٍ ، وَهُوَ مِنَ الْمُكْثِرِينَ فِي الْحَدِيثِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ رِزْقٍ الْبَزَّازُ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ رَزْقَوَيْهِ ، شَيْخُ الْخَطِيبِ أَبِي بَكْرٍ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ فَقِيهًا شَافِعِيًّا ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ السُّلَمِيُّ الصُّوفِيُّ ، النَّيْسَابُورِيُّ ، صَاحِبُ" طَبَقَاتِ الصُّوفِيَّةِ "، وَأَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الدَّقَّاقُ النَّيْسَابُورِيُّ ، الصُّوفِيُّ ، شَيْخُ أَبِي الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ وَأَبُو الْفَتْحِ بْنُ أَبِي الْفَوَارِسِ . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ الصُّلْحِ بَيْنَ سُلْطَانِ الدَّوْلَةِ وَمُشَرِّفِ الدَّوْلَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اصْطَلَحَ سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ وَأَخُوهُ مُشَرِّفُ الدَّوْلَةِ وَحَلَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ ، وَكَانَ الصُّلْحُ بِسَعْيٍ مِنْ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ مُكْرَمٍ ، وَمُؤَيِّدِ الْمُلْكِ الرُّخَّجِيِّ وَزِيرِ مُشَرِّفِ الدَّوْلَةِ ، عَلَى أَنْ يَكُونَ الْعِرَاقُ جَمِيعُهُ لِمُشَرِّفِ الدَّوْلَةِ ، وَفَارِسُ وَكِرْمَانُ لِسُلْطَانِ الدَّوْلَةِ.ذِكْرُ قَتْلِ الْمُعِزِّ وَزِيرَهُ وَصَاحِبَ جَيْشِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَتَلَ الْمُعِزُّ بْنُ بَادِيسَ ، صَاحِبُ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَزِيرَهُ وَصَاحِبَ جَيْشِهِ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ أَقَامَ سَبْعَ سِنِينَ لَمْ يَحْمِلْ إِلَى الْمُعِزِّ مِنَ الْأَمْوَالِ شَيْئًا بَلْ يَجْبِيهَا وَيَرْفَعُهَا عِنْدَهُ ، وَطَمِعَ طَمَعًا عَظِيمًا ، لَا يُصْبَرُ عَلَى مِثْلِهِ ، بِكَثْرَةِ أَتْبَاعِهِ ، وَلِأَنَّ أَخَاهُ عَبْدَ اللَّهِ بِطَرَابُلُسَ الْغَرْبِ مُجَاوِرٌ لِزِنَاتَةَ ، وَهُمْ أَعْدَاءُ دَوْلَتِهِ ، فَصَارَ الْمُعِزُّ لَا يُكَاتِبُ مَلِكًا ، وَلَا يُرَاسِلُهُ ، إِلَّا وَيَكْتُبُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مَعَهُ عَنْ نَفْسِهِ ، فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُعِزِّ وَقَتَلَهُ.يُحْكَى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ سَهِرْتُ لَيْلَةً أُفَكِّرُ فِي شَيْءٍ أُحْدِثُهُ فِي النَّاسِ وَأُخْرِجُهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْخَدَمِ الَّتِي الْتَزَمْتُهَا ، فَنِمْتُ فَرَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبَ ، وَكَانَ وَزِيرًا لِبَادِيسَ ، وَالِدِ هَذَا الْمُعِزِّ ، وَكَانَ عَظِيمَ الْقَدْرِ وَالْمَحَلِّ ، وَهُوَ يَقُولُ لِي اتَّقِ اللَّهَ ، أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، فِي النَّاسِ كَافَّةً ، وَفِي نَفْسِكَ خَاصَّةً ، فَقَدْ أَسَهَرْتَ عَيْنَيْكَ ، وَأَبْرَمْتَ حَافِظَيْكَ ، وَقَدْ بَدَا لِي مِنْكَ مَا خَفِيَ عَلَيْكَ ، وَعَنْ قَلِيلٍ تَرِدُ عَلَى مَا وَرَدْنَا ، وَتُقْدِمُ عَلَى مَا قَدِمْنَا.فَاكْتُبْ عَنِّي مَا أَقُولُ فَإِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا.فَأَمْلَى عَلَيَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ وُلِّيتَ ، وَقَدْ رَأَيْتَ مَصِيرَ قَوْمٍ...هُمْ كَانُوا السَّمَاءَ وَكُنْتَ أَرْضَا سَمَوْا دَرَجَ الْعُلَى حَتَّى اطْمَأَنُّوا...وَهَدَّ بِهِمْ ، فَعَادَ الرَّفْعُ خَفْضَا وَأَعْظَمُ أُسْوَةٍ لَكَ بِي لِأَنِّي...مَلَكْتُ وَلَمْ أَعِشْ طُولًا وَعَرْضَا فَلَا تَغْتَرَّ بِالدُّنْيَا وَأَقْصِرْ...فَإِنَّ أَوَانَ أَمْرِكَ قَدْ تَقَضَّى قَالَ فَانْتَبَهْتُ مَرْعُوبًا ، وَرَسَخَتِ الْأَبْيَاتُ فِي حِفْظِي ، فَلَمْ يَبْقَ بَعْدَ هَذَا الْمَنَامِ غَيْرُ شَهْرَيْنِ حَتَّى قُتِلَ.وَلَمَّا وَصَلَ خَبَرُ قَتْلِهِ إِلَى أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بِطَرَابُلُسَ بَعَثَ إِلَى زِنَاتَةَ فَعَاهَدَهُمْ ، وَأَدْخَلَهُمْ مَدِينَةَ طَرَابُلُسَ ، فَقَتَلُوا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ صِنْهَاجَةَ وَسَائِرِ الْجَيْشِ ، وَأَخَذُوا الْمَدِينَةَ.فَلَمَّا سَمِعَ الْمُعِزُّ ذَلِكَ أَخَذَ أَوْلَادَ عَبْدِ اللَّهِ وَنَفَرًا مِنْ أَهْلِهِمْ فَحَبَسَهُمْ ، ثُمَّ قَتَلَهُمْ بَعْدَ أَيَّامٍ ، لِأَنَّ نِسَاءَ الْمَقْتُولِينَ بِطَرَابُلُسَ اسْتَغَثْنَ إِلَى الْمُعِزِّ فِي قَتْلِهِمْ فَقَتَلَهُمْ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا كَانَ بِإِفْرِيقِيَّةَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ ، وَمَجَاعَةٌ عَظِيمَةٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهَا فِي تَعَذُّرِ الْأَقْوَاتِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَمُتْ فِيهَا أَحَدٌ بِسَبَبِ الْجُوعِ ، وَلَمْ يَجِدِ النَّاسُ كَبِيرَ مَشَقَّةٍ.وَفِيهَا ، فِي شَهْرِ رَمَضَانَ اسْتَوْزَرَ مُشَرِّفُ الدَّوْلَةِ أَبَا الْحُسَيْنِ بْنَ الْحَسَنِ الرُّخَّجِيَّ وَلُقِّبَ مُؤَيِّدَ الْمُلْكِ ، وَامْتَدَحَهُ مِهْيَارُ وَغَيْرُهُ مِنَ الشُّعَرَاءِ وَبَنَى مَارَسْتَانًا بِوَاسِطٍ ، وَأَكْثَرَ فِيهِ مِنَ الْأَدْوِيَةِ وَالْأَشْرِبَةِ ، وَرَتَّبَ لَهُ الْخُزَّانَ وَالْأَطِبَّاءَ ، وَوَقَفَ عَلَيْهِ الْوُقُوفَ الْكَثِيرَةَ ، وَكَانَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ الْوَزَارَةَ فَيَأْبَاهَا ، فَلَمَّا قُتِلَ أَبُو غَالِبٍ أَلْزَمَهُ بِهَا مُشَرِّفُ الدَّوْلَةِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الِامْتِنَاعِ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى السُّكَّرِيُّ شَاعِرُ السُّنَّةِ ، وَمَوْلِدُهُ بِبَغْدَاذَ فِي صَفَرٍ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.وَكَانَ قَدْ قَرَأَ الْكَلَامَ عَلَى الْقَاضِي أَبِي بَكْرِ بْنِ الْبَاقِلَّانِيِّ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ شَاعِرَ السُّنَّةِ لِأَنَّهُ أَكْثَرَ مَدْحَ الصَّحَابَةِ ، وَمُنَاقَضَاتِ شُعَرَاءِ الشِّيعَةِ .وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو عَلِيٍّ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الْعَلَوِيُّ ، وَأَخَذَ السُّلْطَانُ مَالَهُ جَمِيعَهُ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْمُعَلِّمِ ، فَقِيهُ الْإِمَامِيَّةِ ، وَرَثَاهُ الْمُرْتَضَى. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ عَلَى هَمَذَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَوْلَى أَبُو جَعْفَرِ بْنُ كَاكَوَيْهِ عَلَى هَمَذَانَ وَمَلَكَهَا وَكَذَلِكَ غَيْرَهَا مِمَّا يُقَارِبُهَا.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ فَرْهَاذَ بْنَ مَرْدَاوِيجَ الدَّيْلَمِيَّ ، مُقْطَعُ بُرُوجِرْدَ ، قَصَدَهُ سَمَاءُ الدَّوْلَةِ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ شَمْسِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ ، صَاحِبُ هَمَذَانَ ، وَحَصَرَهُ فَالْتَجَأَ فَرْهَاذُ إِلَى عَلَاءِ الدَّوْلَةِ ، فَحَمَاهُ وَمَنَعَ عَنْهُ ، وَسَارَا جَمِيعًا إِلَى هَمَذَانَ فَحَصَرَاهَا وَقَطَعَا الْمِيرَةَ عَنْهَا ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا مَنْ بِهَا مِنَ الْعَسْكَرِ ، فَاقْتَتَلُوا فَرَحَلَ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ إِلَى جَرَبَاذَقَانَ ، فَهَلَكَ مِنْ عَسْكَرِهِ ثَلَاثُمِائَةِ رَجُلٍ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ.فَسَارَ إِلَيْهِ تَاجُ الْمُلْكِ الْقُوهِيُّ ، مُقَدَّمُ عَسْكَرِ هَمَذَانَ ، فَحَصَرَهُ بِهَا ، فَصَانَعَ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ الْأَكْرَادَ الَّذِينَ مَعَ تَاجِ الْمُلْكِ ، فَرَحَلُوا عَنْهُ ، فَخَلَصَ مِنَ الْحِصَارِ ، وَشَرَعَ بِالتَّجَهُّزِ لِيُعَاوِدَ حِصَارَ هَمَذَانَ ، فَأَكْثَرَ مِنَ الْجُمُوعِ ، وَسَارَ إِلَيْهَا.فَلَقِيَهُ سَمَاءُ الدَّوْلَةِ فِي عَسَاكِرِهِ وَمَعَهُ تَاجُ الْمُلْكِ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ هَمَذَانَ ، وَمَضَى تَاجُ الْمُلْكِ إِلَى قَلْعَةٍ فَاحْتَمَى بِهَا ، وَتَقَدَّمَ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ إِلَى سَمَاءِ الدَّوْلَةِ ، فَتَرَجَّلَ لَهُ وَخَدَمَهُ ، وَأَخَذَهُ وَأَنْزَلَهُ فِي خَيْمَتِهِ وَحَمَلَ إِلَيْهِ الْمَالَ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَسَارَ وَهُوَ مَعَهُ إِلَى الْقَلْعَةِ الَّتِي بِهَا تَاجُ الْمُلْكِ ، فَحَصَرَهُ وَقَطَعَ الْمَاءَ عَنِ الْقَلْعَةِ ، فَطَلَبَ تَاجُ الْمُلْكِ الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُ فَنَزَلَ إِلَيْهِ ، وَدَخَلَ مَعَهُ هَمَذَانَ.وَلَمَّا مَلَكَ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ هَمَذَانَ سَارَ إِلَى الدِّينَوَرِ فَمَلَكَهَا ، ثُمَّ إِلَى سَابُورَ خُوَاسْتَ فَمَلَكَهَا أَيْضًا ، وَجَمَعَ تِلْكَ الْأَعْمَالَ ، وَقَبَضَ عَلَى أُمَرَاءِ الدَّيْلَمِ الَّذِينَ بِهَمَذَانَ ، وَسَجَنَهُمْ بِقَلْعَةٍ عِنْدَ أَصْبَهَانَ ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ وَأَقْطَاعَهُمْ ، وَأَبْعَدَ كُلَّ مَنْ فِيهِ شَرٌّ مِنَ الدَّيْلَمِ ، وَتَرَكَ عِنْدَهُ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا شَرَّ فِيهِ ، وَأَكْثَرَ الْقَتْلَ ، فَقَامَتْ هَيْبَتُهُ ، وَخَافَهُ النَّاسُ ، وَضَبَطَ الْمَمْلَكَةَ.وَقَصَدَ حُسَامَ الدَّوْلَةِ أَبَا الشَّوْكِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مُشَرِّفُ الدَّوْلَةِ يَشْفَعُ فِيهِ ، فَعَادَ عَنْهُ.ذِكْرُ وَزَارَةِ أَبِي الْقَاسِمِ الْمَغْرِبِيِّ لِمُشَرِّفِ الدَّوْلَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَبَضَ مُشَرِّفُ الدَّوْلَةِ عَلَى وَزِيرِهِ مُؤَيِّدِ الْمُلْكِ الرُّخَّجِيِّ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَكَانَتْ وَزَارَتُهُ سَنَتَيْنِ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.وَكَانَ سَبَبُ عَزْلِهِ أَنَّ الْأَثِيرَ الْخَادِمَ تَغَيَّرَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ صَادِرَ ابْنَ شَعْيَا الْيَهُودِيَّ عَلَى مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَكَانَ مُتَعَلِّقًا عَلَى الْأَثِيرِ ، فَسَعَى وَعَزَلَهُ ، وَاسْتَوْزَرَ بَعْدَهُ أَبَا الْقَاسِمِ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمَغْرِبِيَّ ، وَمَوْلِدُهُ بِمِصْرَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَصْحَابِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ فِي هَمَذَانَ ، فَسَارَ إِلَى مِصْرَ ، فَتَوَلَّى بِهَا ، فَقَتَلَهُ الْحَاكِمُ ، فَهَرَبَ وَلَدُهُ أَبُو الْقَاسِمِ إِلَى الشَّامِ ، وَقَصَدَ حَسَّانَ بْنَ الْفَرَجِ بْنِ الْجَرَّاحِ الطَّائِيَّ ، وَحَمَلَهُ عَلَى مُخَالَفَةِ الْحَاكِمِ وَالْخُرُوجِ عَنْ طَاعَتِهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَحَسَّنَ لَهُ أَنْ يُبَايِعَ أَبَا الْفُتُوحِ الْحَسَنَ بْنَ جَعْفَرٍ الْعَلَوِيَّ ، أَمِيرَ مَكَّةَ ، فَأَجَابَهُ إِلَيْهِ ، وَاسْتَقْدَمَهُ إِلَى الرَّمْلَةِ ، وَخُوطِبَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.فَأَنْفَذَ الْحَاكِمُ إِلَى حَسَّانَ مَالًا جَلِيلًا ، وَأَفْسَدَ مَعَهُ حَالَ أَبِي الْفُتُوحِ ، فَأَعَادَهُ حَسَّانُ إِلَى وَادِي الْقُرَى ، وَسَارَ أَبُو الْفُتُوحِ مِنْهُ إِلَى مَكَّةَ.ثُمَّ قَصَدَ أَبُو الْقَاسِمِ الْعِرَاقَ وَاتَّصَلَ بِفَخْرِ الْمُلْكِ ، فَاتَّهَمَهُ الْقَادِرُ بِاللَّهِ لِأَنَّهُ مِنْ مِصْرَ ، فَأَبْعَدَهُ فَخْرُ الْمُلْكِ ، فَقَصَدَ قِرْوَاشًا بِالْمَوْصِلِ ، فَكَتَبَ لَهُ ، ثُمَّ عَادَ عَنْهُ وَتَنَقَّلَتْ بِهِ الْحَالُ إِلَى أَنْ وَزَرَ بَعْدَ مُؤَيِّدِ الْمُلْكِ الرُّخَّجِيِّ.وَكَانَ خَبِيثًا ، مُحْتَالًا ، حَسُودًا ، إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ ذُو فَضِيلَةٍ سَأَلَهُ عَنْ غَيْرِهَا لِيُظْهِرَ لِلنَّاسِ جَهْلَهُ.وَفِيهَا ، فِي الْمُحَرَّمِ ، قَدِمَ مُشَرِّفُ الدَّوْلَةِ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَلَقِيَهُ الْقَادِرُ بِاللَّهِ فِي الطَّيَّارِ ، وَعَلَيْهِ السَّوَادُ ، وَلَمْ يَلْقَ قَبْلَهُ أَحَدًا مِنْ مُلُوكِ بَنِي بُوَيْهِ.وَفِيهَا قُتِلَ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ سَهْلَانَ ، قَتَلَهُ نَبْكِيرُ بْنُ عِيَاضٍ عِنْدَ إِيذَجَ.ذِكْرُ الْفِتْنَةِ بِمَكَّةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ يَوْمُ النَّفْرِ الْأَوَّلِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ مِصْرَ ، بِإِحْدَى يَدَيْهِ سَيْفٌ مَسْلُولٌ ، وَفِي الْأُخْرَى دَبُّوسٌ ، بَعْدَمَا فَرَغَ الْإِمَامُ مِنَ الصَّلَاةِ ، فَقَصَدَ ذَلِكَ الرَّجُلُ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ كَأَنَّهُ يَسْتَلِمُهُ ، فَضَرَبَ الْحَجَرَ ثَلَاثَ ضَرَبَاتٍ بِالدَّبُّوسِ ، وَقَالَ إِلَى مَتَى يُعْبَدُ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ وَمُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ ؟فَلْيَمْنَعْنِي مَانِعٌ مِنْ هَذَا ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَهْدِمَ الْبَيْتَ.فَخَافَ أَكْثَرُ الْحَاضِرِينَ وَتَرَاجَعُوا عَنْهُ ، وَكَادَ يُفْلِتُ فَثَارَ بِهِ رَجُلٌ فَضَرَبَهُ بِخِنْجَرٍ فَقَتَلَهُ ، وَقَطَّعَهُ النَّاسُ وَأَحْرَقُوهُ ، وَقُتِلَ مِمَّنِ اتُّهِمَ بِمُصَاحَبَتِهِ جَمَاعَةٌ وَأُحْرِقُوا ، وَثَارَتِ الْفِتْنَةُ ، وَكَانَ الظَّاهِرُ مِنَ الْقَتْلَى أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ رَجُلًا غَيْرَ مَنِ اخْتَفَى مِنْهُمْ.وَأَلَحَّ النَّاسُ ، ذَلِكَ الْيَوْمَ ، عَلَى الْمَغَارِبَةِ وَالْمِصْرِيِّينَ بِالنَّهْبِ وَالسَّلْبِ ، وَعَلَى غَيْرِهِمْ فِي طَرِيقِ مِنًى إِلَى الْبَلَدِ.فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ مَاجَ النَّاسُ وَاضْطَرَبُوا ، وَأَخَذُوا أَرْبَعَةً مِنْ أَصْحَابِ ذَلِكَ الرَّجُلِ ، فَقَالُوا نَحْنُ مِائَةُ رَجُلٍ فَضُرِبَتْ أَعْنَاقُ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ ، وَتَقَشَّرَ بَعْضُ وَجْهِ الْحَجَرِ مِنَ الضَّرَبَاتِ ، فَأُخِذَ ذَلِكَ الْفُتَاتُ وَعُجِنَ بِلَكٍّ وَأُعِيدَ إِلَى مَوْضِعِهِ.ذِكْرُ فَتْحِ قَلْعَةٍ مِنَ الْهِنْدِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَوْغَلَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ فِي بِلَادِ الْهِنْدِ ، فَغَنِمَ وَقَتَلَ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى قَلْعَةٍ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ مَنِيعٍ ، وَلَيْسَ لَهُ مِصْعَدٌ إِلَّا مِنْ مَوْضِعٍ وَاحِدٍ ، وَهِيَ كَبِيرَةٌ تَسَعُ خَلْقًا ، وَبِهَا خَمْسُمِائَةِ فِيلٍ ، وَفِي رَأْسِ الْجَبَلِ مِنَ الْغَلَّاتِ ، وَالْمِيَاهِ ، وَجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ ، فَحَصَرَهُمْ يَمِينُ الدَّوْلَةِ ، وَأَدَامَ الْحِصَارَ ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِمْ ، وَاسْتَمَرَّ الْقِتَالُ ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ.فَلَمَّا رَأَوْا مَا حَلَّ بِهِمْ أَذْعَنُوا لَهُ ، وَطَلَبُوا الْأَمَانَ ، فَأَمَّنَهُمْ وَأَقَرَّ مَلِكَهُمْ فِيهَا عَلَى خَرَاجٍ يَأْخُذُهُ مِنْهُ ، وَأَهْدَى لَهُ هَدَايَا كَثِيرَةً ، مِنْهَا طَائِرٌ عَلَى هَيْئَةِ الْقُمْرِيِّ مِنْ خَاصِّيَّتِهِ إِذَا أُحْضِرَ الطَّعَامُ وَفِيهِ سُمٌّ دَمَعَتْ عَيْنَا هَذَا الطَّائِرِ وَجَرَى مِنْهُمَا مَاءٌ وَتَحَجَّرَ ، فَإِذَا حُكَّ وَجُعِلَ عَلَى الْجِرَاحَاتِ الْوَاسِعَةِ أَلْحَمَهَا.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ الْوَفَيَاتُ فِيهَا تُوُفِّيَ الْقَاضِي عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ أَحْمَدَ الْمُعْتَزِلِيُّ الرَّازِيُّ ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْمَشْهُورَةِ فِي الْكَلَامِ وَغَيْرِهِ ، وَكَانَ مَوْتُهُ بِمَدِينَةِ الرَّيِّ ، وَقَدْ جَاوَزَ تِسْعِينَ سَنَةً ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْكَشْفُلِيُّ ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ.وَأَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَقِيهُ الْحَنَفِيُّ النَّسَفِيُّ ، وَكَانَ زَاهِدًا مُصَنِّفًا وَهِلَالُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ أَبُو الْفَتْحِ الْحَفَّارُ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ عَالِمًا بِالْحَدِيثِ ، عَالِيَ الْإِسْنَادِ . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ الْخُلْفِ بَيْنَ مُشَرِّفِ الدَّوْلَةِ وَالْأَتْرَاكِ وَعَزْلِ الْوَزِيرِ الْمَغْرِبِيِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تَأَكَّدَتِ الْوَحْشَةُ بَيْنَ الْأَثِيرِ عَنْبَرٍ الْخَادِمِ ، وَمَعَهُ الْوَزِيرُ ابْنُ الْمَغْرِبِيِّ ، وَبَيْنَ الْأَتْرَاكِ ، فَاسْتَأْذَنَ الْأَثِيرُ وَالْوَزِيرُ ابْنُ الْمَغْرِبِيِّ الْمَلِكَ مُشَرِّفَ الدَّوْلَةِ فِي الِانْتِزَاحِ إِلَى بَلَدٍ يَأْمَنَانِ فِيهِ عَلَى أَنْفُسِهِمَا ، فَقَالَ أَنَا أَسِيرُ مَعَكُمَا.فَسَارُوا جَمِيعًا وَمَعَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنْ مُقَدَّمِي الدَّيْلَمِ إِلَى السِّنْدِيَّةِ ، وَبِهَا قِرْوَاشٌ ، فَأَنْزَلَهُمْ ، ثُمَّ سَارُوا كُلُّهُمْ إِلَى أَوَانَا.فَلَمَّا عَلِمَ الْأَتْرَاكُ ذَلِكَ عَظُمَ عَلَيْهِمْ ، وَانْزَعَجُوا مِنْهُ ، وَأَرْسَلُوا الْمُرْتَضَى وَأَبَا الْحَسَنِ الزَّيْنَبِيَّ وَجَمَاعَةً مِنْ قُوَّادِ الْأَتْرَاكِ يَعْتَذِرُونَ ، وَيَقُولُونَ نَحْنُ الْعَبِيدُ فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو الْقَاسِمِ الْمَغْرِبِيُّ إِنَّنِي تَأَمَّلْتُ مَا لَكَمَ مِنَ الْجَامَكِيَّاتِ ، فَإِذَا هِيَ سِتُّمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَعَمِلْتُ دَخْلَ بَغْدَاذَ ، فَإِذَا هُوَ أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَإِنْ أَسْقَطْتُمْ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ تَحَمَّلْتُ بِالْبَاقِي فَقَالُوا نَحْنُ نُسْقِطُهَا ، فَاسْتَشْعَرَ مِنْهُمْ أَبُو الْقَاسِمِ الْمَغْرِبِيُّ ، فَهَرَبَ إِلَى قِرْوَاشٍ ، فَكَانَتْ وَزَارَتُهُ عَشَرَةَ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةَ أَيَّامٍ ، فَلَمَّا أَبْعَدَ خَرَجَ الْأَتْرَاكُ فَسَأَلُوا الْمَلِكَ وَالْأَثِيرَ الِانْحِدَارَ مَعَهُمْ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ وَانْحَدَرُوا جَمِيعُهُمْ .ذِكْرُ الْفِتْنَةِ بِالْكُوفَةِ وَوَزَارَةِ أَبِي الْقَاسِمِ الْمَغْرِبِيِّ لِابْنِ مَرْوَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَقَعَتْ فِتْنَةٌ بِالْكُوفَةِ بَيْنَ الْعَلَوِيِّينَ وَالْعَبَّاسِيِّينَ.وَسَبَبُهَا أَنَّ الْمُخْتَارَ أَبَا عَلِيِّ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ الْعَلَوِيَّ وَقَعَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الزَّكِيِّ أَبِي عَلِيٍّ النَّهْرَسَابُسِيِّ ، وَبَيْنَ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبِ بْنِ عُمَرَ مُبَايَنَةٌ ، فَاعْتَضَدَ ، الْمُخْتَارُ بِالْعَبَّاسِيِّينَ ، فَسَارُوا إِلَى بَغْدَاذَ ، وَشَكَوْا مَا يَفْعَلُ بِهِمُ النَّهْرَسَابُسِيُّ ، فَتَقَدَّمَ الْخَلِيفَةُ الْقَادِرُ بِاللَّهِ بِالْإِصْلَاحِ بَيْنَهُمْ مُرَاعَاةً لِأَبِي الْقَاسِمِ الْوَزِيرِ الْمَغْرِبِيِّ لِأَنَّ النَّهْرَسَابُسِيَّ كَانَ صَدِيقَهُ ، وَابْنُ أَبِي طَالِبٍ كَانَ صِهْرَهُ ، فَعَادُوا ، وَاسْتَعَانَ كُلُّ فَرِيقٍ بِخَفَاجَةَ ، فَأَعَانَ كُلَّ فَرِيقٍ مِنَ الْكُوفِيِّينَ طَائِفَةٌ مِنْ خَفَاجَةَ ، فَجَرَى بَيْنَهُمْ قِتَالٌ ، فَظَهَرَ الْعَلَوِيُّونَ ، وَقُتِلَ مِنَ الْعَبَّاسِيِّينَ سِتَّةُ نَفَرٍ ، وَأُحْرِقَتْ دُورُهُمْ وَنُهِبَتْ ، فَعَادُوا إِلَى بَغْدَاذَ وَمُنِعُوا مِنَ الْخُطْبَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَثَارُوا ، وَقَتَلُوا ابْنَ أَبِي الْعَبَّاسِ الْعَلَوِيَّ وَقَالُوا إِنَّ أَخَاهُ كَانَ فِي جُمْلَةِ الْفَتَكَةِ بِالْكُوفَةِ.فَبَرَزَ أَمْرُ الْخَلِيفَةِ إِلَى الْمُرْتَضَى يَأْمُرُهُ بِصَرْفِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ عَنْ نِقَابَةِ الْكُوفَةِ وَرَدِّهَا إِلَى الْمُخْتَارِ ، فَأَنْكَرَ الْوَزِيرُ الْمَغْرِبِيُّ مَا يَجْرِي عَلَى صِهْرِهِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ مِنَ الْعَزْلِ وَكَانَ عِنْدَ قِرْوَاشٍ بِسُرَّ مَنْ رَأَى ، فَاعْتَرَضَ أَرْحَاءً كَانَتْ لِلْخَلِيفَةِ بِدَرْزِيجَانَ ، فَأَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ الْقَاضِيَ أَبَا جَعْفَرٍ السِّمْنَانِيَّ فِي رِسَالَةٍ إِلَى قِرْوَاشٍ يَأْمُرُهُ بِإِبْعَادِ الْمَغْرِبِيِّ عَنْهُ فَفَعَلَ ، فَسَارَ الْمَغْرِبِيُّ إِلَى ابْنِ مَرْوَانَ بِدِيَارِ بَكْرٍ ، وَغَضِبَ الْخَلِيفَةُ عَلَى النَّهْرَسَابُسِيِّ ، وَبَقِيَ تَحْتَ السُّخْطِ إِلَى سَنَةِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَشَفَعَ فِيهِ الْأَتْرَاكُ وَغَيْرُهُمْ ، فَرَضِيَ عَنْهُ ، وَحَلَّفَهُ عَلَى الطَّاعَةِ فَحَلَفَ.ذِكْرُ وَفَاةِ سُلْطَانِ الدَّوْلَةِ وَمُلْكِ وَلَدِهِ أَبِي كَالِيجَارَ وَقَتْلِ ابْنِ مُكْرَمٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي شَوَّالٍ ، تُوُفِّيَ الْمَلِكُ سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ أَبُو شُجَاعِ بْنُ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ أَبِي نَصْرِ بْنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بِشِيرَازَ ، وَكَانَ عُمْرُهُ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ.وَكَانَ ابْنُهُ أَبُو كَالِيجَارَ بِالْأَهْوَازِ ، فَطَلَبَهُ الْأَوْحَدُ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ مُكْرَمٍ لِيَمْلِكَ بَعْدَ أَبِيهِ ، وَكَانَ هَوَاهُ مَعَهُ ، وَكَانَ الْأَتْرَاكُ يُرِيدُونَ عَمَّهُ أَبَا الْفَوَارِسِ بْنَ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، صَاحِبَ كِرْمَانَ ، فَكَاتَبُوهُ يَطْلُبُونَهُ إِلَيْهِمْ أَيْضًا ، فَتَأَخَّرَ أَبُو كَالِيجَارَ عَنْهَا ، فَسَبَقَهُ عَمُّهُ أَبُو الْفَوَارِسِ إِلَيْهَا فَمَلَكَهَا.وَكَانَ أَبُو الْمَكَارِمِ بْنُ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ مُكْرَمٍ قَدْ أَشَارَ عَلَى أَبِيهِ ، لَمَّا رَأَى الِاخْتِلَافَ ، أَنْ يَسِيرَ إِلَى مَكَانٍ يَأْمَنُ فِيهِ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمْ يَقْبَلْ قَوْلَهُ ، فَسَارَ وَتَرَكَهُ وَقَصَدَ الْبَصْرَةَ فَنَدِمَ أَبُوهُ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْعَادِلُ أَبُو مَنْصُورِ بْنُ مَافَنَّةَ الْمَصْلَحَةُ أَنْ تَقْصِدَ سِيرَافَ ، وَتَكُونَ مَالِكَ أَمْرِكَ ، وَابْنُكَ أَبُو الْقَاسِمِ بِعُمَانَ ، فَتَحْتَاجُ الْمُلُوكُ إِلَيْكَ.فَرَكِبَ سَفِينَةً لِيَمْضِيَ إِلَيْهَا ، فَأَصَابَهُ بَرْدٌ ، فَبَطَلَ عَنِ الْحَرَكَةِ ، وَأَرْسَلَ الْعَادِلَ بْنَ مَافَنَّةَ إِلَى كِرْمَانَ لِإِحْضَارِ أَبِي الْفَوَارِسِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ الْعَادِلُ ، وَأَبْلَغَهُ رِسَالَةَ ابْنِ مُكْرَمٍ بِاسْتِدْعَائِهِ ، فَسَارَ مُجِدًّا وَمَعَهُ الْعَادِلُ ، فَوَصَلُوا إِلَى فَارِسَ ، وَخَرَجَ ابْنُ مُكْرَمٍ يَلْتَقِي أَبَا الْفَوَارِسِ وَمَعَهُ النَّاسُ ، فَطَالَبَهُ الْأَجْنَادُ بِحَقِّ الْبَيْعَةِ ، فَأَحَالَهُمْ عَلَى ابْنِ مُكْرَمٍ ، فَتَضَجَّرَ ابْنُ مُكْرَمٍ ، فَقَالَ لَهُ الْعَادِلُ الرَّأْيُ أَنْ تَبْذُلَ مَالَكَ وَأَمْوَالَنَا حَتَّى تَمْشِيَ الْأُمُورُ ، فَانْتَهَرَهُ فَسَكَتَ ، وَتَلَوَّمَ ابْنُ مُكْرَمٍ بِإِيصَالِ الْمَالِ إِلَى الْأَجْنَادِ ، فَشَكَوْهُ إِلَى أَبِي الْفَوَارِسِ فَقَبَضَ عَلَيْهِ وَعَلَى الْعَادِلِ بْنِ مَافَنَّةَ ، ثُمَّ قَتَلَ ابْنَ مُكْرَمٍ وَاسْتَبْقَى ابْنَ مَافَنَّةَ.فَلَمَّا سَمِعَ ابْنُهُ أَبُو الْقَاسِمِ بِقَتْلِهِ صَارَ مَعَ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ وَأَطَاعَهُ ، وَتَجَهَّزَ أَبُو كَالِيجَارَ ، وَقَامَ بِأَمْرِهِ أَبُو مُزَاحِمٍ صَنْدَلٌ الْخَادِمُ ، وَكَانَ مُرَبِّيهِ ، وَسَارُوا بِالْعَسَاكِرِ إِلَى فَارِسَ ، فَسَيَّرَ عَمُّهُ أَبُو الْفَوَارِسِ عَسْكَرًا مَعَ وَزِيرِهِ أَبِي مَنْصُورٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْفَسَوِيِّ لِقِتَالِهِ ، فَوَصَلَ أَبُو كَالِيجَارَ وَالْوَزِيرُ مُتَهَاوِنٌ بِهِ لِكَثْرَةِ عَسْكَرِهِ ، فَأَتَوْهُ وَهُوَ نَائِمٌ ، وَقَدْ تَفَرَّقَ عَسْكَرُهُ فِي الْبَلَدِ يَبْتَاعُونَ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ جَاهِلًا بِالْحَرْبِ ، فَلَمَّا شَاهَدُوا أَعْلَامَ أَبِي كَالِيجَارَ شَرَعَ الْوَزِيرُ يُرَتِّبُ الْعَسْكَرَ ، وَقَدْ دَاخَلَهُمُ الرُّعْبُ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ أَبُو كَالِيجَارَ وَهُمْ عَلَى اضْطِرَابٍ ، فَانْهَزَمُوا ، وَغَنِمَ أَبُو كَالِيجَارَ وَعَسْكَرُهُ أَمْوَالَهُمْ ، وَدَوَابَّهُمْ وَكُلَّ مَا لَهُمْ ، فَلَمَّا انْتَهَى خَبَرُ الْهَزِيمَةِ إِلَى عَمِّهِ أَبِي الْفَوَارِسِ سَارَ إِلَى كِرْمَانَ ، وَمَلَكَ أَبُو كَالِيجَارَ بِلَادَ فَارِسَ وَدَخَلَ شِيرَازَ.ذِكْرُ عَوْدِ أَبِي الْفَوَارِسِ إِلَى فَارِسَ وَإِخْرَاجِهِ عَنْهَا وَلَمَّا مَلَكُ أَبُو كَالِيجَارَ بِلَادَ فَارِسَ دَخَلَ شِيرَازَ جَرَى عَلَى الدَّيْلَمِ الشِّيرَازِيَّةِ مِنْ عَسْكَرِهِ مَا أَخْرَجَهُمْ عَنْ طَاعَتِهِ وَتَمَنَّوْا مَعَهُ أَنَّهُمْ كَانُوا قُتِلُوا مَعَ عَمِّهِ.وَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ الدَّيْلَمِ بِمَدِينَةِ فَسَا فِي طَاعَةِ أَبِي الْفَوَارِسِ ، وَهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُصْلِحُوا حَالَهُمْ مَعَ أَبِي كَالِيجَارَ وَيَصِيرُوا مَعَهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الدَّيْلَمُ الَّذِينَ بِشِيرَازَ يُعَرِّفُونَهُمْ مَا يَلْقَوْنَ مِنَ الْأَذَى ، وَيَأْمُرُونَهُمْ بِالتَّمَسُّكِ بِطَاعَةِ أَبِي الْفَوَارِسِ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ.ثُمَّ إِنَّ عَسْكَرَ أَبِي كَالِيجَارَ طَالَبُوهُ بِالْمَالِ ، وَشَغَبُوا عَلَيْهِ ، فَأَظْهَرَ الدَّيْلَمُ الشِّيرَازِيَّةُ مَا فِي نُفُوسِهِمْ مِنَ الْحِقْدِ ، فَعَجَزَ عَنِ الْمُقَامِ مَعَهُمْ ، فَسَارَ عَنْ شِيرَازَ إِلَى النُّوبَنْدَجَانَ ، وَلَقِيَ شِدَّةً فِي طَرِيقِهِ ، ثُمَّ انْتَقَلَ عَنْهَا لِشِدَّةِ حَرِّهَا ، وَوَخَامَةِ هَوَائِهَا ، وَمَرِضَ أَصْحَابُهُ ، فَأَتَى شِعْبَ بَوَّانَ فَأَقَامَ بِهِ.فَلَمَّا سَارَ عَنْ شِيرَازَ أَرْسَلَ الدَّيْلَمُ الشِّيرَازِيَّةُ إِلَى عَمِّهِ أَبِي الْفَوَارِسِ يَحُثُّونَهُ عَلَى الْمَجِيءِ إِلَيْهِمْ ، وَيُعَرِّفُونَهُ بُعْدَ أَبِي كَالِيجَارَ عَنْهُمْ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ ، فَسَلَّمُوا إِلَيْهِ شِيرَازَ ، وَقَصَدَ إِلَى أَبِي كَالِيجَارَ بِشِعْبِ بَوَّانَ لِيُحَارِبَهُ وَيُخْرِجَهُ عَنِ الْبِلَادِ ، فَاخْتَارَ الْعَسْكَرَانِ الصُّلْحَ ، فَسَفَرُوا فِيهِ ، فَاسْتَقَرَّ لِأَبِي الْفَوَارِسِ كِرْمَانُ وَفَارِسُ ، وَلِأَبِي كَالْيَجَارَ خُوزِسْتَانُ ، وَعَادَ أَبُو الْفَوَارِسِ إِلَى شِيرَازَ ، وَسَارَ أَبُو كَالْيَجَارَ إِلَى أَرْجَانَ.ثُمَّ إِنَّ وَزِيرَ أَبِي الْفَوَارِسِ خَبَّطَ النَّاسَ ، وَأَفْسَدَ قُلُوبَهُمْ ، وَصَادَرَهُمْ ، وَجَازَ بِهِ مَالَ لِأَبِي كَالِيجَارَ وَالدَّيْلَمِ الَّذِينَ مَعَهُ ، فَأَخَذَهُ ، فَحِينَئِذٍ حَثَّ الْعَادِلُ بْنُ مَافَنَّةَ صَنْدَلًا الْخَادِمَ عَلَى الْعَوْدِ إِلَى شِيرَازَ ، وَكَانَ قَدْ فَارَقَ بِهَا نِعْمَةً عَظِيمَةً ، وَصَارَ مَعَ أَبِي كَالِيجَارَ ، وَكَانَ الدَّيْلَمُ يُطِيعُونَهُ ، فَعَادَتِ الْحَالُ إِلَى أَشَدَّ مِمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ ، فَسَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَبِي كَالِيجَارَ وَعَمِّهِ أَبِي الْفَوَارِسِ إِلَى صَاحِبِهِ وَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ أَبُو الْفَوَارِسِ إِلَى دَارَابْجِرْدَ وَمَلَكَ أَبُو كَالِيجَارَ فَارِسَ ، وَعَادَ أَبُو الْفَوَارِسِ فَجَمَعَ الْأَكْرَادَ فَأَكْثَرَ ، فَاجْتَمَعَ مَعَهُ مِنْهُمْ نَحْوُ عَشَرَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ ، فَالْتَقَوْا بَيْنَ الْبَيْضَاءِ وَإِصْطَخْرَ فَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ مِنَ الْقِتَالِ الْأَوَّلِ ، فَعَاوَدَ أَبُو الْفَوَارِسِ الْهَزِيمَةُ ، فَسَارَ إِلَى كِرْمَانَ ، وَاسْتَقَرَّ مُلْكُ أَبِي كَالِيجَارَ بِفَارِسَ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَكَانَ أَهْلُ شِيرَازَ يَكْرَهُونَهُ.ذِكْرُ خُرُوجِ زِنَاتَةَ وَالظَّفَرِ بِهِمْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ بِإِفْرِيقِيَّةَ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنْ زِنَاتَةَ ، فَقَطَعُوا الطَّرِيقَ ، وَأَفْسَدُوا بِقَسْطِيلِيَةَ وَنِفْزَاوَةَ ، وَأَغَارُوا وَغَنِمُوا ، وَاشْتَدَّتْ شَوْكَتُهُمْ ، وَكَثُرَ جَمْعُهُمْ.فَسَيَّرَ إِلَيْهِمُ الْمُعِزُّ بْنُ بَادِيسَ جَيْشًا جَرِيدَةً ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَجِدُّوا السَّيْرَ وَيَسْبِقُوا أَخْبَارَهُمْ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، وَكَتَمُوا خَبَرَهُمْ ، وَطَوَوُا الْمَرَاحِلَ حَتَّى أَدْرَكُوهُمْ وَهُمْ آمِنُونَ مِنَ الطَّلَبِ ، فَوَضَعُوا فِيهِمُ السَّيْفَ ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَعُلِّقَ خَمْسُمِائَةِ رَأْسٍ فِي أَعْنَاقِ الْخُيُولِ وَسُيِّرَتْ إِلَى الْمُعِزِّ ، وَكَانَ يَوْمُ دُخُولِهَا يَوْمًا مَشْهُودًا.ذِكْرُ عَوْدِ الْحَاجِّ عَلَى الشَّامِ وَمَا كَانَ مِنَ الظَّاهِرِ إِلَيْهِمْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَادَ الْحُجَّاجُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْعِرَاقِ عَلَى الشَّامِ لِصُعُوبَةِ الطَّرِيقِ الْمُعْتَادِ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى مَكَّةَ بَذَلَ لَهُمُ الظَّاهِرُ الْعَلَوِيُّ ، صَاحِبُ مِصْرَ ، أَمْوَالًا جَلِيلَةً وَخِلَعًا نَفِيسَةً ، وَتَكَلَّفَ شَيْئًا كَثِيرًا ، وَأَعْطَى لِكُلِّ رَجُلٍ فِي الصُّحْبَةِ جُمْلَةً مِنَ الْمَالِ لِيُظْهِرَ لِأَهْلِ خُرَاسَانَ ذَلِكَ.وَكَانَ عَلَى تَسْيِيرِ الْحُجَّاجِ الشَّرِيفُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَقْسَاسِيُّ ، وَعَلَى حُجَّاجِ خُرَاسَانَ حَسَنَكُ نَائِبُ يَمِينِ الدَّوْلَةِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ ، فَعَظُمَ مَا جَرَى عَلَى الْخَلِيفَةِ الْقَادِرِ بِاللَّهِ ، وَعَبَرَ حَسَنَكُ دِجْلَةَ عِنْدَ أَوَانَا ، وَسَارَ إِلَى خُرَاسَانَ ، وَتَهَدَّدَ الْقَادِرُ بِاللَّهِ ابْنَ الْأَقْسَاسِيِّ ، فَمَرِضَ فَمَاتَ ، وَرَثَاهُ الْمُرْتَضَى وَغَيْرُهُ ، وَأَرْسَلَ إِلَى يَمِينِ الدَّوْلَةِ فِي الْمَعْنَى ، فَسَيَّرَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ الْخِلَعَ الَّتِي خُلِعَتْ عَلَى صَاحِبِهِ حَسَنَكَ إِلَى بَغْدَاذَ فَأُحْرِقَتْ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تَزَوَّجَ السُّلْطَانُ مُشَرِّفُ الدَّوْلَةِ بِابْنَةِ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ كَاكَوَيْهِ ، وَكَانَ الصَّدَاقُ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَتَوَلَّى الْعَقْدَ الْمُرْتَضَى.وَفِيهَا قُلِّدَ الْقَاضِي أَبُو جَعْفَرٍ السِّمْنَانِيُّ قَضَاءَ الرُّصَافَةِ وَبَابِ الطَّاقِ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ السِّمْسِمِيُّ الْأَدِيبُ ، وَابْنُ الدَّقِيقِيِّ النَّحْوِيُّ ، أَبُو الْحَسَنِ بْنُ بِشْرَانَ الْمُحَدِّثُ ، وَعُمْرُهُ سَبْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً ، وَالْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ أَبِي حَامِدٍ الْمَرْوَرُّوذِيُّ قَاضِي الْبَصْرَةِ بِهَا ، وَأَبُو الْفَرَجِ أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْمَسْلَمَةِ ، الشَّاهِدِ ، وَهُوَ جَدُّ رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ ، وَأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْقَاسِمِ أَبُو الْحَسَنِ الْمَحَامِلِيُّ ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، تَفَقَّهَ عَلَى أَبِي حَامِدٍ ، وَصَنَّفَ الْمُصَنَّفَاتِ الْمَشْهُورَةَ وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْرَسِ أَبُو الْقَاسِمِ الْمُقْرِئُ ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتَّ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتَّ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ فَتْحِ سُومَنَاتَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فَتَحَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ فِي بِلَادِ الْهِنْدِ عِدَّةَ حُصُونٍ وَمُدُنٍ ، وَأَخَذَ الصَّنَمَ الْمَعْرُوفَ بِسُومَنَاتَ ، وَهَذَا الصَّنَمُ كَانَ أَعْظَمَ أَصْنَامِ الْهِنْدِ ، وَهُمْ يَحُجُّونَ إِلَيْهِ كُلَّ لَيْلَةِ خُسُوفٍ ، فَيَجْتَمِعُ عِنْدَهُ مَا يَنِيفُ عَلَى مِائَةِ أَلْفِ إِنْسَانٍ ، وَتَزْعُمُ الْهُنُودُ أَنَّ الْأَرْوَاحَ إِذَا فَارَقَتِ الْأَجْسَامَ اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ عَلَى مَذْهَبِ التَّنَاسُخِ ، فَيُنْشِئُهَا فِيمَنْ شَاءَ ، وَأَنَّ الْمَدَّ وَالْجَزْرَ الَّذِي عِنْدَهُ إِنَّمَا هُوَ عِبَادَةُ الْبَحْرِ عَلَى قَدْرِ اسْتِطَاعَتِهِ.وَكَانُوا يَحْمِلُونَ إِلَيْهِ كُلَّ عِلْقٍ نَفِيسٍ ، وَيُعْطُونَ سَدَنَتَهُ كُلَّ مَالٍ جَزِيلٍ ، وَلَهُ مِنَ الْمَوْقُوفِ مَا يَزِيدُ عَلَى عَشَرَةِ آلَافِ قَرْيَةٍ ، وَقَدِ اجْتَمَعَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ فِيهِ مِنْ نَفِيسِ الْجَوْهَرِ مَا لَا تُحْصَى قِيمَتُهُ.وَلِأَهْلِ الْهِنْدِ نَهْرٌ كَبِيرٌ يُسَمَّى كُنْكَ يُعَظِّمُونَهُ غَايَةَ التَّعْظِيمِ ، وَيُلْقُونَ فِيهِ عِظَامَ مَنْ يَمُوتُ مِنْ كُبَرَائِهِمْ ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا تُسَاقُ إِلَى جَنَّةِ النَّعِيمِ.وَبَيْنَ هَذَا النَّهْرِ وَبَيْنَ سُومَنَاتَ نَحْوُ مِائَتَيْ فَرْسَخٍ ، وَكَانَ يُحْمَلُ مِنْ مَائِهِ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى سُومَنَاتَ مَا يُغْسَلُ بِهِ ، وَيَكُونُ عِنْدَهُ مِنَ الْبَرَهْمِيِّينَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفُ رَجُلٍ لِعِبَادَتِهِ وَتَقْدِيمِ الْوُفُودِ إِلَيْهِ ، وَثَلَاثُمِائَةِ رَجُلٍ يَحْلِقُونَ رُءُوسَ زُوَّارِهِ وَلِحَاهُمْ ، وَثَلَاثُمِائَةِ رَجُلٍ وَخَمْسُمِائَةِ أَمَةٍ يُغَنُّونَ وَيَرْقُصُونَ عَلَى بَابِ الصَّنَمِ ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ شَيْءٌ مَعْلُومٌ كُلَّ يَوْمٍ.وَكَانَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ كُلَّمَا فَتَحَ مِنَ الْهِنْدِ فَتْحًا ، وَكَسَرَ صَنَمًا يَقُولُ الْهُنُودُ إِنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ قَدْ سَخِطَ عَلَيْهَا سُومَنَاتُ ، وَلَوْ أَنَّهُ رَاضٍ عَنْهَا لَأَهْلَكَ مَنْ تَقَصَّدَهَا بِسُوءٍ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ يَمِينَ الدَّوْلَةِ عَزَمَ عَلَى غَزْوِهِ وَإِهْلَاكِهِ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ الْهُنُودَ إِذَا فَقَدُوهُ ، وَرَأَوْا كَذِبَ ادِّعَائِهِمُ الْبَاطِلِ ، دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ فَاسْتَخَارَ اللَّهَ تَعَالَى وَسَارَ عَنْ غَزْنَةَ عَاشِرَ شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي ثَلَاثِينَ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ عَسَاكِرِهِ سِوَى الْمُتَطَوِّعَةِ ، وَسَلَكَ سَبِيلَ الْمُلْتَانِ ، فَوَصَلَهَا مُنْتَصَفَ شَهْرِ رَمَضَانَ.وَفِي طَرِيقِهِ إِلَى الْهِنْدِ بَرِيَّةُ قَفْرٍ ، لَا سَاكِنَ فِيهَا ، وَلَا مَاءَ ، وَلَا مِيرَةَ.فَتَجَهَّزَ هُوَ وَعَسْكَرُهُ عَلَى قَدْرِهَا ، ثُمَّ زَادَ بَعْدَ الْحَاجَةِ عِشْرِينَ أَلْفَ جَمَلٍ تَحْمِلُ الْمَاءَ وَالْمِيرَةَ ، وَقَصَدَ أَنْهَلْوَارَةَ ، فَلَمَّا قَطَعَ الْمَفَازَةَ رَأَى فِي طَرَفِهَا حُصُونًا مَشْحُونَةً بِالرِّجَالِ ، وَعِنْدَهَا آبَارٌ قَدْ غَوَّرُوهَا لِيَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ حَصْرُهَا ، فَيَسَّرَ اللَّهُ تَعَالَى فَتْحَهَا عِنْدَ قُرْبِهِ مِنْهَا بِالرُّعْبِ الَّذِي قَذَفَهُ فِي قُلُوبِهِمْ ، وَتَسَلَّمَهَا ، وَقَتَلَ سُكَّانَهَا وَأَهْلَكَ أَوْثَانَهَا ، وَامْتَارُوا مِنْهَا الْمَاءَ وَمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ.وَسَارَ إِلَى أَنْهَلْوَارَةَ فَوَصَلَهَا مُسْتَهَلَّ ذِي الْقَعْدَةِ ، فَرَأَى صَاحِبَهَا الْمَدْعُوَّ بَهِيمَ قَدْ أَجْفَلَ عَنْهَا وَتَرَكَهَا وَأَمْعَنَ فِي الْهَرَبِ ، وَقَصَدَ حِصْنًا لَهُ يَحْتَمِي بِهِ فَاسْتَوْلَى يَمِينُ الدَّوْلَةِ عَلَى الْمَدِينَةِ ، وَسَارَ إِلَى سُومَنَاتَ ، فَلَقِيَ فِي طَرِيقِهِ عِدَّةَ حُصُونٍ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَوْثَانِ شِبْهَ الْحُجَّابِ وَالنُّقَبَاءِ لِسُومَنَاتَ ، عَلَى مَا سَوَّلَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ ، فَقَاتَلَ مَنْ بِهَا ، وَفَتَحَهَا وَخَرَّبَهَا ، وَكَسَرَ أَصْنَامَهَا ، وَسَارَ إِلَى سُومَنَاتَ فِي مَفَازَةٍ قَفْرَةٍ قَلِيلَةِ الْمَاءِ ، فَلَقِيَ فِيهَا عِشْرِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ مِنْ سُكَّانِهَا لَمْ يَدِينُوا لِلْمَلِكِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ السَّرَايَا ، فَقَاتَلُوهُمْ فَهَزَمُوهُمْ وَغَنِمُوا مَالَهُمْ ، وَامْتَارُوا مِنْ عِنْدِهِمْ ، وَسَارُوا حَتَّى بَلَغُوا دَبُولْوَارَةَ ، وَهِيَ عَلَى مَرْحَلَتَيْنِ مِنْ سُومَنَاتَ ، وَقَدْ ثَبَتَ أَهْلُهَا لَهُ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ سُومَنَاتَ يَمْنَعُهُمْ وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ ، فَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَشَلَّ رِجَالَهَا ، وَغَنِمَ أَمْوَالَهَا ، وَسَارَ عَنْهَا إِلَى سُومَنَاتَ ، فَوَصَلَهَا يَوْمَ الْخَمِيسِ مُنْتَصَفَ ذِي الْقَعْدَةِ فَرَأَى حِصْنًا حَصِينًا مَبْنِيًّا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ بِحَيْثُ تَبْلُغُهُ أَمْوَاجُهُ ، وَأَهْلُهُ عَلَى الْأَسْوَارِ يَتَفَرَّجُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَاثِقِينَ أَنَّ مَعْبُودَهُمْ يَقْطَعُ دَابِرَهُمْ وَيُهْلِكُهُمْ.فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ ، هُوَ الْجُمُعَةُ ، زَحَفَ وَقَاتَلَ مَنْ بِهِ ، فَرَأَى الْهُنُودُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قِتَالًا لَمْ يَعْهَدُوا مِثْلَهُ ، فَفَارَقُوا السُّورَ فَنَصَبَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ السَّلَالِمَ ، وَصَعِدُوا إِلَيْهِ وَأَعْلَنُوا بِكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ ، وَأَظْهَرُوا شِعَارَ الْإِسْلَامِ ، فَحِينَئِذٍ اشْتَدَّ الْقِتَالُ ، وَعَظُمَ الْخَطْبُ وَتَقَدَّمَ جَمَاعَةُ الْهُنُودِ إِلَى سُومَنَاتَ ، فَعَفَّرُوا لَهُ خُدُودَهُمْ ، وَسَأَلُوهُ النَّصْرَ ، وَأَدْرَكَهُمُ اللَّيْلُ فَكَفَّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ.فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ بَكَّرَ الْمُسْلِمُونَ إِلَيْهِمْ وَقَاتَلُوهُمْ ، فَأَكْثَرُوا فِي الْهُنُودِ الْقَتْلَ ، وَأَجْلُوهُمْ عَنِ الْمَدِينَةِ إِلَى بَيْتِ صَنَمِهِمْ سُومَنَاتَ ، فَقَاتَلُوا عَلَى بَابِهِ أَشَدَّ قِتَالٍ ، وَكَانَ الْفَرِيقُ مِنْهُمْ بَعْدَ الْفَرِيقِ يَدْخُلُونَ إِلَى سُومَنَاتَ فَيَعْتَنِقُونَهُ وَيَبْكُونَ ، وَيَتَضَرَّعُونَ إِلَيْهِ ، وَيَخْرُجُونَ فَيُقَاتِلُونَ إِلَى أَنْ يُقْتَلُوا ، حَتَّى كَادَ الْفَنَاءُ يَسْتَوْعِبُهُمْ ، فَبَقِيَ مِنْهُمُ الْقَلِيلُ ، فَدَخَلُوا الْبَحْرَ إِلَى مَرْكَبَيْنِ لَهُمْ لِيَنْجُوا فِيهِمَا ، فَأَدْرَكَهُمُ الْمُسْلِمُونَ فَقَتَلُوا بَعْضًا وَغَرِقَ بَعْضٌ.وَأَمَّا الْبَيْتُ الَّذِي فِيهِ سُومَنَاتُ فَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى سِتٍّ وَخَمْسِينَ سَارِيَةً مِنَ السَّاجِ الْمُصَفَّحِ بِالرَّصَاصِ ، وَسُومَنَاتُ مِنْ حَجَرٍ طُولُهُ خَمْسَةُ أَذْرُعٍ ثَلَاثَةٌ مُدَوَّرَةٌ ظَاهِرَةٌ ، وَذِرَاعَانِ فِي الْبِنَاءِ ، وَلَيْسَ بِصُورَةٍ مُصَوَّرَةٍ ، فَأَخَذَهُ يَمِينُ الدَّوْلَةِ فَكَسَرَهُ ، وَأَحْرَقَ بَعْضَهُ ، وَأَخَذَ بَعْضَهُ مَعَهُ إِلَى غَزْنَةَ ، فَجَعَلَهُ عَتَبَةَ الْجَامِعِ.وَكَانَ بَيْتُ الصَّنَمِ مُظْلِمًا ، وَإِنَّمَا الضَّوْءُ الَّذِي عِنْدَهُ مِنْ قَنَادِيلِ الْجَوْهَرِ الْفَائِقِ ، وَكَانَ عِنْدَهُ سِلْسِلَةُ ذَهَبٍ فِيهَا جَرَسٌ ، وَوَزْنُهَا مِائَتَا مَنٍّ ، كُلَّمَا مَضَى طَائِفَةٌ مَعْلُومَةٌ مِنَ اللَّيْلِ حُرِّكَتِ السِّلْسِلَةُ فَيُصَوِّتُ الْجَرَسُ فَيَقُومُ طَائِفَةٌ مِنَ الْبَرَهْمِيِّينَ إِلَى عِبَادَتِهِمْ ، وَعِنْدَهُ خِزَانَةٌ فِيهَا عَدَدٌ مِنَ الْأَصْنَامِ الذَّهَبِيَّةِ وَالْفِضِّيَّةِ ، وَعَلَيْهَا السُّتُورُ الْمُعَلَّقَةُ الْمُرَصَّعَةُ بِالْجَوْهَرِ ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مَنْسُوبٌ إِلَى عَظِيمٍ مِنْ عُظَمَائِهِمْ ، وَقِيمَةُ مَا فِي الْبُيُوتِ تَزِيدُ عَلَى عِشْرِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَأُخِذَ الْجَمِيعُ ، وَكَانَتْ عَدَدُ الْقَتْلَى تَزِيدُ عَلَى خَمْسِينَ أَلْفَ قَتِيلٍ.ثُمَّ إِنَّ يَمِينَ الدَّوْلَةِ وَرَدَ عَلَيْهِ الْخَبَرُ أَنَّ بَهِيمَ صَاحِبَ أَنْهَلْوَارَةَ قَدْ قَصَدَ قَلْعَةً تُسَمَّى كَنَدْهَةَ فِي الْبَحْرِ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَرِّ مِنْ جِهَةِ سُومَنَاتَ أَرْبَعُونَ فَرْسَخًا ، فَسَارَ إِلَيْهَا يَمِينُ الدَّوْلَةِ مِنْ سُومَنَاتَ ، فَلَمَّا حَاذَى الْقَلْعَةَ رَأَى رَجُلَيْنِ مِنَ الصَّيَّادِينَ ، فَسَأَلَهُمَا عَنْ خَوْضِ الْبَحْرِ هُنَاكَ ، فَعَرَّفَاهُ أَنَّهُ يُمْكِنُ خَوْضُهُ لَكِنْ إِنْ تَحَرَّكَ الْهَوَاءُ يَسِيرًا غَرِقَ مَنْ فِيهِ.فَاسْتَخَارَ اللَّهَ تَعَالَى ، وَخَاضَهُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ فَخَرَجُوا سَالِمِينَ ، فَرَأَوْا بَهِيمَ وَقَدْ فَارَقَ قَلْعَتَهُ وَأَخْلَاهَا فَعَادَ عَنْهَا ، وَقَصَدَ الْمَنْصُورَةَ ، وَكَانَ صَاحِبُهَا قَدِ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ خَبَرُ مَجِيءِ يَمِينِ الدَّوْلَةِ فَارَقَهَا وَاحْتَمَى بِغِيَاضِ أَشِبَةَ ، فَقَصَدَهُ يَمِينُ الدَّوْلَةِ مِنْ مَوْضِعَيْنِ ، فَأَحَاطَ بِهِ وَبِمَنْ مَعَهُ ، فَقَتَلَ أَكْثَرَهُمْ ، وَغَرِقَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ.ثُمَّ سَارَ إِلَى بَهَاطِيَةَ ، فَأَطَاعَهُ أَهْلُهَا ، وَدَانُوا لَهُ ، فَرَحَلَ إِلَى غَزْنَةَ ، فَوَصَلَهَا عَاشِرَ صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.ذِكْرُ وَفَاةِ مُشَرِّفِ الدَّوْلَةِ وَمُلْكِ أَخِيهِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، تُوُفِّيَ الْمَلِكُ مُشَرِّفُ الدَّوْلَةِ أَبُو عَلِيِّ بْنُ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ بِمَرَضٍ حَادٍّ ، وَعُمْرُهُ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً وَثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ ، وَمُلْكُهُ خَمْسَ سِنِينَ وَخَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ يَوْمًا ، وَكَانَ كَثِيرَ الْخَيْرِ ، قَلِيلَ الشَّرِّ ، عَادِلًا ، حَسَنَ السِّيرَةِ ، وَكَانَتْ وَالِدَتُهُ فِي الْحَيَاةِ ، وَتُوُفِّيَتْ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .وَلَمَّا تُوُفِّيَ مُشَرِّفُ الدَّوْلَةِ خُطِبَ بِبَغْدَاذَ ، بَعْدَ مَوْتِهِ ، لِأَخِيهِ أَبِي ظَاهِرٍ جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَهُوَ بِالْبَصْرَةِ ، وَطُلِبَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَلَمْ يَصْعَدْ إِلَيْهَا ، وَإِنَّمَا بَلَغَ إِلَى وَاسِطٍ ، وَأَقَامَ بِهَا ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَقُطِعَتْ خُطْبَتُهُ ، وَخُطِبَ لِابْنِ أَخِيهِ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ بْنِ سُلْطَانِ الدَّوْلَةِ بْنِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ فِي شَوَّالٍ ، وَهُوَ حِينَئِذٍ صَاحِبُ خُوزِسْتَانَ ، وَالْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَمِّهِ أَبِي الْفَوَارِسِ ، صَاحِبِ كِرْمَانَ ، بِفَارِسَ ، فَلَمَّا سَمِعَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ بِذَلِكَ أَصْعَدَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَانْحَدَرَ عَسْكَرُهَا لِيَرُدُّوهُ عَنْهَا ، فَلَقُوهُ بِالسَّيِّبِ مِنْ أَعْمَالِ النَّهْرَوَانِ ، فَرَدُّوهُ فَلَمْ يَرْجِعْ ، فَرَمَوْهُ بِالنِّشَابِ ، وَنَهَبُوا بَعْضَ خَزَائِنِهِ ، فَعَادَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَأَرْسَلُوا إِلَى الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ لِيَصْعَدَ إِلَى بَغْدَاذَ لِيُمَلِّكُوهُ فَوَعَدَهُمُ الْإِصْعَادَ ، وَلَمْ يُمْكِنْهُ لِأَجْلِ صَاحِبِ كِرْمَانَ وَلَمَّا أُصْعِدَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ كَانَ وَزِيرُهُ أَبَا سَعْدِ بْنِ مَاكُولَا.ذِكْرُ مُلْكِ نَصْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ مَرْوَانَ مَدِينَةَ الرُّهَا وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَلَكَ نَصْرُ الدَّوْلَةِ بْنُ مَرْوَانَ ، صَاحِبُ دِيَارِ بَكْرٍ ، مَدِينَةَ الرُّهَا.وَكَانَ سَبَبُ مُلْكِهَا أَنَّ الرُّهَا كَانَتْ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي نُمَيْرٍ يُسَمَّى عُطَيْرًا ، وَفِيهِ شَرٌّ وَجَهْلٌ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا نَائِبًا لَهُ اسْمُهُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، فَأَحْسَنَ السِّيرَةَ ، وَعَدَلَ فِي الرَّعِيَّةِ ، فَمَالُوا إِلَيْهِ.وَكَانَ عُطَيْرٌ يُقِيمُ بِحُلَّتِهِ ، وَيَدْخُلُ الْبَلَدَ فِي الْأَوْقَاتِ الْمُتَفَرِّقَةِ ، فَرَأَى أَنَّ نَائِبَهُ يَحَكُمُ فِي الْبَلَدِ ، وَيَأْمُرُ وَيَنْهَى ، فَحَسَدَهُ ، فَقَالَ لَهُ يَوْمًا قَدْ أَكَلْتَ مَالِي ، وَاسْتَوْلَيْتَ عَلَى بَلَدِي ، وَصِرْتَ الْأَمِيرَ وَأَنَا النَّائِبُ ، فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَقْبَلْ عُذْرَهُ وَقَتَلَهُ.فَأَنْكَرَتِ الرَّعِيَّةُ قَتْلَهُ ، وَغَضِبُوا عَلَى عُطَيْرٍ ، وَكَاتَبُوا نَصْرَ الدَّوْلَةِ بْنَ مَرْوَانَ لِيُسَلِّمُوا إِلَيْهِ الْبَلَدَ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِمْ نَائِبًا كَانَ لَهُ بِآمِدَ يُسَمَّى زَنْكَ ، فَتَسَلَّمَهَا وَأَقَامَ بِهَا وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَجْنَادِ ، وَمَضَى عُطَيْرٌ إِلَى صَالِحِ بْنِ مِرْدَاسٍ ، وَسَأَلَهُ الشَّفَاعَةَ لَهُ إِلَى نَصْرِ الدَّوْلَةِ ، فَشَفَعَ فِيهِ ، فَأَعْطَاهُ نِصْفَ الْبَلَدِ ، وَدَخَلَ عُطَيْرٌ إِلَى نَصْرِ الدَّوْلَةِ بِمَيَّافَارِقِينَ ، فَأَشَارَ أَصْحَابُ نَصْرِ الدَّوْلَةِ بِقَبْضِهِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ وَقَالَ لَا أَغْدِرُ بِهِ وَإِنْ كَانَ أَفْسَدَ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُفَّ شَرَّهُ بِالْوَفَاءِ.وَتَسَلَّمَ عُطَيْرٌ نِصْفَ الْبَلَدِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ، وَأَقَامَ فِيهِ مَعَ نَائِبِ نَصْرِ الدَّوْلَةِ.ثُمَّ إِنَّ نَائِبَ نَصْرِ الدَّوْلَةِ عَمِلَ طَعَامًا وَدَعَاهُ فَأَكَلَ وَشَرِبَ ، وَاسْتَدْعَى وَلَدًا كَانَ لِأَحْمَدَ الَّذِي قَتَلَهُ عُطَيْرٌ ، وَقَالَ تُرِيدُ أَنْ تَأْخُذَ بِثَأْرِ أَبِيكَ ؟قَالَ نَعَمْ!قَالَ هَذَا عُطَيْرٌ عِنْدِي فِي نَفَرٍ يَسِيرٍ ، فَإِذَا خَرَجَ فَتَعَلَّقْ بِهِ فِي السُّوقِ وَقُلْ لَهُ يَا ظَالِمُ قَتَلْتَ أَبِي فَإِنَّهُ سَيُجَرِّدُ سَيْفَهُ عَلَيْكَ ، فَإِذَا فَعَلَ فَاسْتَنْفِرِ النَّاسَ عَلَيْهِ وَاقْتُلْهُ وَأَنَا مِنْ وَرَائِكَ.فَفَعَلَ مَا أَمَرَهُ ، وَقَتَلَ عُطَيْرًا وَمَعَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِنَ الْعَرَبِ.فَاجْتَمَعَ بَنُو نُمَيْرٍ وَقَالُوا هَذَا فِعْلُ زَنْكَ ، وَلَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَسْكُتَ عَنْ ثَأْرِنَا ، وَلَئِنْ لَمْ نَقْتُلْهُ لَيُخْرِجُنَا مِنْ بِلَادِنَا.فَاجْتَمَعَتْ نُمَيْرٌ ، وَكَمَنُوا لَهُ بِظَاهِرِ الْبَلَدِ كَمِينًا ، وَقَصَدَ فَرِيقٌ مِنْهُمُ الْبَلَدَ ، فَأَغَارُوا عَلَى مَا يُقَارِبُهُ.فَسَمِعَ زَنْكُ الْخَبَرَ ، فَخَرَجَ فِيمَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْعَسَاكِرِ ، وَطَلَبَ الْقَوْمَ ، فَلَمَّا جَاوَزَ الْكُمَنَاءَ خَرَجُوا عَلَيْهِ ، فَقَاتَلَهُمْ ، فَأَصَابَهُ حَجَرُ مِقْلَاعٍ فَسَقَطَ وَقُتِلَ ، وَكَانَ قَتْلُهُ سَنَةَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فِي أَوَّلِهَا ، وَخَلَصَتِ الْمَدِينَةُ لِنَصْرِ الدَّوْلَةِ.ثُمَّ إِنَّ صَالِحَ بْنَ مِرْدَاسٍ شَفَعَ فِي ابْنِ عُطَيْرٍ وَابْنِ شِبْلٍ النُّمَيْرِيَّيْنِ لِيَرُدَّ الرُّهَا إِلَيْهِمَا ، فَشَفَّعَهُ وَسَلَّمَهَا إِلَيْهِمَا ، وَكَانَ فِيهَا بُرْجَانِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ ، فَأَخَذَ ابْنُ عُطَيْرٍ الْبُرْجَ الْكَبِيرَ ، وَأَخَذَ ابْنُ شِبْلٍ الْبُرْجَ الصَّغِيرَ ، وَأَقَامَا فِي الْبَلَدِ ، إِلَى أَنْ بَاعَهُ ابْنُ عُطَيْرٍ مِنَ الرُّومِ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ غَرَقِ الْأُسْطُولِ بِجَزِيرَةِ صِقِلِّيَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ الرُّومُ إِلَى جَزِيرَةِ صِقِلِّيَةَ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، وَمَلَكُوا مَا كَانَ لِلْمُسْلِمِينَ فِي جَزِيرَةِ قِلَّوْرِيَةَ ، وَهِيَ مُجَاوِرَةٌ لِجَزِيرَةِ صِقِلِّيَةَ ، وَشَرَعُوا فِي بِنَاءِ الْمَسَاكِنِ يَنْتَظِرُونَ وُصُولَ مَرَاكِبِهِمْ وَجُمُوعِهِمْ مَعَ ابْنِ أُخْتِ الْمَلِكِ.فَبَلَغَ ذَلِكَ الْمُعِزَّ بْنَ بَادِيسَ ، فَجَهَّزَ أُسْطُولًا كَبِيرًا أَرْبَعَمِائَةِ قِطْعَةٍ ، وَحَشَدَ فِيهَا ، وَجَمَعَ خَلْقًا كَثِيرًا وَتَطَوَّعَ جَمْعٌ كَثِيرٌ بِالْجِهَادِ ، رَغْبَةً فِي الْأَجْرِ ، فَسَارَ الْأُسْطُولُ فِي كَانُونَ الثَّانِي ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْ جَزِيرَةِ قَوْصَرَةَ ، وَهِيَ قَرِيبٌ مِنْ بَرِّ إِفْرِيقِيَّةَ ، خَرَجَ عَلَيْهِمْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ ، وَنَوْءٌ عَظِيمٌ ، فَغَرِقَ أَكْثَرُهُمْ وَلَمْ يَنْجُ إِلَّا الْيَسِيرُ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ظَهَرَ أَمْرُ الْعَيَّارِينَ بِبَغْدَاذَ وَعَظُمَ شَرُّهُمْ ، فَقَتَلُوا النُّفُوسَ ، وَنَهَبُوا الْأَمْوَالَ ، وَفَعَلُوا مَا أَرَادُوا ، وَأَحْرَقُوا الْكَرْخَ ، وَغَلَا السِّعْرُ بِهَا حَتَّى بِيعَ كُرُّ الْحِنْطَةِ بِمِائَتَيْ دِينَارٍ قَاسَانِيَّةٍ.وَفِيهَا قَبَضَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ عَلَى وَزِيرِهِ أَبِي سَعْدِ بْنِ مَاكُولَا ، وَاسْتَوْزَرَ ابْنَ عَمِّهِ أَبَا عَلِيِّ بْنَ مَاكُولَا.وَفِيهَا أَرْسَلَ الْقَادِرُ بِاللَّهِ الْقَاضِيَ أَبَا جَعْفَرٍ السِّمْنَانِيَّ إِلَى قِرْوَاشٍ يَأْمُرُهُ بِإِبْعَادِ الْوَزِيرِ أَبِي الْقَاسِمِ الْمَغْرِبِيِّ وَكَانَ عِنْدَهُ ، فَأَبْعَدَهُ ، فَقَصَدَ نَصْرَ الدَّوْلَةِ بْنَ مَرْوَانَ بِمَيَّافَارِقِينَ وَقَدْ تَقَدَّمَ السَّبَبُ فِيهِ .وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْوَزِيرُ أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ صَالِحَانِ ، وَزِيرُ مُشَرِّفِ الدَّوْلَةِ أَبِي الْفَوَارِسِ ، وَعُمْرُهُ سِتٌّ وَسَبْعُونَ سَنَةً.وَقَاضِي الْقُضَاةِ أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الشَّوَارِبِ ، وَمَوْلِدُهُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَكَانَ عَفِيفًا نَزِهًا ، وَقِيلَ تُوُفِّيَ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ.وَبَسِيلُ مَلِكُ الرُّومِ ، وَمَلَكَ بَعْدَهُ أَخُوهُ قُسْطَنْطِينُ.وَفِيهَا وَرَدَ رَسُولُ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ إِلَى الْقَادِرِ بِاللَّهِ وَمَعَهُ خِلَعٌ قَدْ سَيَّرَهَا لَهُ الظَّاهِرُ لِإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ الْعَلَوِيُّ ، صَاحِبُ مِصْرَ ، وَيَقُولُ أَنَا الْخَادِمُ الَّذِي أَرَى الطَّاعَةَ مَرَضًا ، وَيَذْكُرُ إِرْسَالَ هَذِهِ الْخَالِعِ إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُ سَيَّرَهَا إِلَى الدِّيوَانِ لِيَرْسِمَ فِيهَا بِمَا يَرَى ، فَأُحْرِقَتْ عَلَى بَابِ النُّوبِيِّ ، فَخَرَجَ مِنْهَا ذَهَبٌ كَثِيرٌ تُصُدِّقَ بِهِ عَلَى ضُعَفَاءِ بَنِي هَاشِمٍ. تَابِعُ الْوَفَيَاتِ وَفِيهَا تُوُفِّيَ سَابُورُ بْنُ أَرْدَشِيرَ ، وَزِيرُ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ وَكَانَ كَاتِبًا سَدِيدًا ، وَعَمِلَ دَارَ الْكُتُبِ بِبَغْدَادَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَجَعَلَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ عَشَرَةِ آلَافِ مُجَلَّدٍ ، وَبَقِيَتْ إِلَى أَنِ احْتَرَقَتْ عِنْدَ مَجِيءِ طُغْرُلْبَكَ إِلَى بَغْدَاذَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ عُثْمَانُ الْخَرْكُوشِيُّ ، الْوَاعِظُ النَّيْسَابُورِيُّ ، وَكَانَ صَالِحًا ، خَيِّرًا ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ يَقُومُ وَيَلْتَقِيهِ ، وَكَانَ مَحْمُودٌ قَدْ قَسَّطَ عَلَى نَيْسَابُورَ مَالًا يَأْخُذُهُ مِنْهُمْ ، فَقَالَ لَهُ الْخَرْكُوشِيُّ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُكَدِّي النَّاسَ ، وَضَاقَ صَدْرِي ، فَقَالَ وَكَيْفَ ؟قَالَ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَأْخُذُ أَمْوَالَ الضُّعَفَاءِ ، وَهَذِهِ كُدْيَةٌ.فَتَرَكَ الْقِسْطَ وَأَطْلَقَهُ.وَفِيهَا بَطَلَ الْحَجُّ مِنَ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ عَسْكَرِ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ وَالْجُوزَقَانِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ بَيْنَ عَسَاكِرِ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ كَاكَوَيْهِ وَبَيْنَ الْأَكْرَادِ الْجُوزَقَانِ.وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّ عَلَاءَ الدَّوْلَةِ اسْتَعْمَلَ أَبَا جَعْفَرٍ ابْنَ عَمِّهِ عَلَى سَابُورَ خُوَاسْتَ وَتِلْكَ النَّوَاحِي ، فَضَمَّ إِلَيْهِ الْأَكْرَادَ الْجُوزَقَانَ ، وَجَعَلَ مَعَهُ عَلَى الْأَكْرَادِ أَبَا الْفَرَجِ الْبَابُونِيَّ ، مَنْسُوبٌ إِلَى بَطْنٍ مِنْهُمْ ، فَجَرَى بَيْنَ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي الْفَرَجِ مُشَاجَرَةٌ أَدَّتْ إِلَى الْمُنَافَرَةِ ، فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمَا عَلَاءُ الدَّوْلَةِ ، وَأَعَادَهُمَا إِلَى عَمَلِهِمَا.فَلَمْ يَزَلِ الْحِقْدُ يَقْوَى ، وَالشَّرُّ يَتَجَدَّدُ ، فَضَرَبَ أَبُو جَعْفَرٍ أَبَا الْفَرَجِ بِلُتٍّ كَانَ فِي يَدِهِ فَقَتَلَهُ ، فَنَفَرَ الْجُوزَقَانُ بِأَسْرِهِمْ ، وَنَهَبُوا وَأَفْسَدُوا ، فَطَلَبَهُمْ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ ، وَسَيَّرَ عَسْكَرًا ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ أَبَا مَنْصُورٍ ابْنَ عَمِّهِ أَخَا أَبِي جَعْفَرٍ الْأَكْبَرِ ، وَجَعَلَ مَعَهُ فَرْهَاذَ بْنَ مَرْدَاوَيْجَ ، وَعَلِيَّ بْنَ عِمْرَانَ.فَلَمَّا عَلِمَ الْجُوزَقَانُ ذَلِكَ أَرْسَلُوا عَلِيَّ بْنَ عِمْرَانَ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يُصْلِحَ حَالَهُمْ مَعَ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَقَصَدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ ، فَشَرَعَ فِي الْإِصْلَاحِ فَطَالَبَهُ أَبُو جَعْفَرٍ وَفَرْهَاذُ بِالْجَمَاعَةِ الَّذِينَ قَصَدُوهُ لِيُسَلِّمَهُمْ إِلَيْهِمَا ، وَأَرَادَا أَخْذَهُمْ مِنْهُ قَهْرًا ، فَانْتَقَلَ إِلَى الْجُوزَقَانِ ، وَاحْتَمَى كُلٌّ مِنْهُمْ بِصَاحِبِهِ ، وَجَرَى بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ قِتَالٌ غَيْرَ مَرَّةٍ كَانَ فِي آخِرِهِ لِعَلِيِّ بْنِ عِمْرَانَ وَالْجُوزَقَانِ فَانْهَزَمَ فَرْهَاذُ ، وَأُسِرَ أَبُو مَنْصُورٍ وَأَبُو جَعْفَرٍ ، ابْنَا عَمِّ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ.فَأَمَّا أَبُو جَعْفَرٍ فَقُتِلَ قِصَاصًا بِأَبِي الْفَرَجِ وَأَمَّا أَبُو مَنْصُورٍ فَسُجِنَ.فَلَمَّا قُتِلَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلِمَ عَلِيُّ بْنُ عِمْرَانَ أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ فَسَدَ مَعَ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ وَلَا يُمْكِنُ إِصْلَاحُهُ ، فَشَرَعَ فِي الِاحْتِيَاطِ.ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ قِرْوَاشٍ وَبَنِي أَسَدٍ وَخَفَاجَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اجْتَمَعَ دُبَيْسُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مَزْيَدٍ الْأَسَدِيُّ وَأَبُو الْفِتْيَانِ مَنِيعُ بْنُ حَسَّانَ ، أَمِيرُ بَنِي خَفَاجَةَ ، وَجَمَعَا عَشَائِرَهُمَا وَغَيْرَهُمْ ، وَانْضَافَ إِلَيْهِمَا عَسْكَرُ بَغْدَاذَ عَلَى قِتَالِ قِرْوَاشِ بْنِ الْمُقَلَّدِ الْعُقَيْلِيِّ.وَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّ خَفَاجَةَ تَعَرَّضُوا إِلَى السَّوَادِ وَمَا بِيَدِ قِرْوَاشٍ مِنْهُ ، فَانْحَدَرَ مِنَ الْمَوْصِلِ لِدَفْعِهِمْ فَاسْتَعَانُوا بِدُبَيْسٍ فَسَارَ إِلَيْهِمْ ، وَاجْتَمَعُوا ، فَأَتَاهُمْ عَسْكَرُ بَغْدَاذَ فَالْتَقَوْا بِظَاهِرِ الْكُوفَةِ ، وَهِيَ لِقِرْوَاشٍ ، فَجَرَى بَيْنَ مُقَدَّمَتِهِ وَمُقَدَّمَتِهِمَا مُنَاوَشَةٌ.وَعَلِمَ قِرْوَاشٌ أَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِمْ ، فَسَارَ لَيْلًا جَرِيدَةً فِي نَفَرٍ يَسِيرٍ ، وَعَلِمَ أَصْحَابُهُ بِذَلِكَ ، فَتَبِعُوهُ مُنْهَزِمِينَ ، فَوَصَلُوا إِلَى الْأَنْبَارِ ، وَسَارَتْ أَسَدٌ وَخَفَاجَةُ خَلْفَهُمْ ، فَلَمَّا قَارَبُوا الْأَنْبَارَ فَارَقَهَا قِرْوَاشٌ إِلَى حُلَلِهِ ، فَلَمْ يُمْكِنْهُمُ الْإِقْدَامُ عَلَيْهِ ، وَاسْتَوْلَوْا عَلَى الْأَنْبَارِ ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا.ذِكْرُ الْفِتْنَةِ بِبَغْدَاذَ وَطَمَعِ الْأَتْرَاكِ وَالْعَيَّارِينَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَثُرَ تَسَلُّطُ الْأَتْرَاكِ بِبَغْدَاذَ ، فَأَكْثَرُوا مُصَادَرَاتِ النَّاسِ ، وَأَخَذُوا الْأَمْوَالَ حَتَّى إِنَّهُمْ قَسَّطُوا عَلَى الْكَرْخِ خَاصَّةً مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَعَظُمَ الْخَطْبُ ، وَزَادَ الشَّرُّ وَأُحْرِقَتِ الْمَنَازِلُ ، وَالدُّرُوبُ ، وَالْأَسْوَاقُ ، وَدَخَلَ فِي الطَّمَعِ الْعَامَّةُ وَالْعَيَّارُونَ ، فَكَانُوا يَدْخُلُونَ عَلَى الرَّجُلِ فَيُطَالِبُونَهُ بِذَخَائِرِهِ ، كَمَا يَفْعَلُ السُّلْطَانُ بِمَنْ يُصَادِرُهُ ، فَعَمِلَ النَّاسُ الْأَبْوَابَ عَلَى الدُّرُوبِ ، فَلَمْ تُغْنِ شَيْئًا وَوَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ الْجُنْدِ وَالْعَامَّةِ ، فَظَفِرَ الْجُنْدُ ، وَنَهَبُوا الْكَرْخَ وَغَيْرَهُ ، فَأُخِذَ مِنْهُ مَالٌ جَلِيلٌ ، وَهَلَكَ أَهْلُ السِّتْرِ وَالْخَيْرِ.فَلَمَّا رَأَى الْقُوَّادُ وَعُقَلَاءُ الْجُنْدِ أَنَّ الْمَلِكَ أَبَا كَالِيجَارَ لَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ ، وَأَنَّ الْبِلَادَ قَدْ خَرِبَتْ ، وَطَمِعَ فِيهِمُ الْمُجَاوِرُونَ مِنَ الْعَرَبِ وَالْأَكْرَادِ ، رَاسَلُوا جَلَالَ الدَّوْلَةِ فِي الْحُضُورِ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَحَضَرَ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ سَنَةَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.ذِكْرُ إِصْعَادِ الْأَثِيرِ إِلَى الْمَوْصِلِ وَالْحَرْبِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ بَنِي عُقَيْلٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَصْعَدَ الْأَثِيرُ عَنْبَرٌ إِلَى الْمَوْصِلِ مِنْ بَغْدَاذَ.وَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّ الْأَثِيرَ كَانَ حَاكِمًا فِي الدَّوْلَةِ الْبُوَيْهِيَّةِ ، مَاضِيَ الْحُكْمِ ، نَافِذَ الْأَمْرِ ، وَالْجُنْدُ مِنْ أَطْوَعِ النَّاسِ لَهُ ، وَأَسْمَعِهِمْ لِقَوْلِهِ.فَلَمَّا كَانَ الْآنَ زَالَ ذَلِكَ ، وَخَالَفَهُ الْجُنْدُ ، فَزَالَتْ طَاعَتُهُ عَنْهُمْ ، فَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ ، فَخَافَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ ، فَسَارَ إِلَى قِرْوَاشٍ ، فَنَدِمَ الْجُنْدُ عَلَى ذَلِكَ ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَعُودَ فَلَمْ يَفْعَلْ وَأَصْعَدَ إِلَى الْمَوْصِلِ مَعَ قِرْوَاشٍ فَأَخَذَ مُلْكَهُ وَإِقْطَاعَهُ بِالْعِرَاقِ.ثُمَّ إِنَّ نَجْدَةَ الدَّوْلَةِ بْنَ قُرَادٍ وَرَافِعَ بْنَ الْحُسَيْنِ جَمَعَا جَمْعًا كَثِيرًا مِنْ عُقَيْلٍ ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِمْ بَدْرَانُ أَخُو قِرْوَاشٍ وَسَارُوا يُرِيدُونَ حَرْبَ قِرْوَاشٍ ، وَكَانَ قِرْوَاشٌ لَمَّا سَمِعَ خَبَرَهُمْ قَدِ اجْتَمَعَ هُوَ وَغَرِيبُ بْنُ مَقْنٍ ، وَالْأَثِيرُ عَنْبَرٌ ، وَأَتَاهُ مَدَدٌ مِنِ ابْنِ مَرْوَانَ فَاجْتَمَعَ فِي ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفِ مُقَاتِلٍ فَالْتَقَوْا عِنْدَ بَلَدٍ وَاقْتَتَلُوا ، وَثَبَتَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ ، فَفَعَلَ ثَرْوَانُ بْنُ قُرَادٍ فِعْلًا جَمِيلًا ، وَذَاكَ أَنَّهُ قَصَدَ غَرِيبًا فِي وَسَطِ الْمَصَافِّ وَاعْتَنَقَهُ وَصَالَحَهُ ، وَفَعَلَ أَبُو الْفَضْلِ بَدْرَانُ بْنُ الْمُقَلَّدِ بِأَخِيهِ قِرْوَاشٍ كَذَلِكَ ، فَاصْطَلَحَ الْجَمِيعُ ، وَأَعَادَ قِرْوَاشٌ إِلَى أَخِيهِ بَدْرَانَ مَدِينَةَ نَصِيبِينَ.ذِكْرُ إِحْرَاقِ خَفَاجَةَ الْأَنْبَارَ وَطَاعَتِهِمْ لِأَبِي كَالِيجَارَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ مَنِيعُ بْنُ حَسَّانَ أَمِيرُ خَفَاجَةَ إِلَى الْجَامِعَيْنِ ، وَهِيَ لِنُورِ الدَّوْلَةِ دُبَيْسٍ ، فَنَهَبَهَا ، فَسَارَ دُبَيْسٌ فِي طَلَبِهِ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَفَارَقَهَا وَقَصَدَ الْأَنْبَارَ ، وَهِيَ لِقِرْوَاشٍ كَانَ اسْتَعَادَهَا بَعْدَ مَا ذَكَرْنَاهُ قَبْلُ.فَلَمَّا نَازَلَهَا مَنِيعٌ قَاتَلَهُ أَهْلُهَا ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ بِخَفَاجَةَ طَاقَةٌ ، فَدَخَلَ خَفَاجَةُ الْأَنْبَارَ وَنَهَبُوهَا ، وَأَحْرَقُوا أَسْوَاقَهَا ، فَانْحَدَرَ قِرْوَاشٌ إِلَيْهِمْ لِيَمْنَعَهُمْ ، وَكَانَ مَرِيضًا ، وَمَعَهُ غَرِيبٌ وَالْأَثِيرُ عَنْبَرٌ ، إِلَى الْأَنْبَارِ ثُمَّ تَرَكَهَا وَمَضَى إِلَى الْقَصْرِ ، فَاشْتَدَّ طَمَعُ خَفَاجَةَ ، وَعَادُوا إِلَى الْأَنْبَارِ فَأَحْرَقُوهَا مَرَّةً ثَانِيَةً.وَسَارَ قِرْوَاشٌ إِلَى الْجَامِعَيْنِ ، فَاجْتَمَعَ هُوَ وَنُورُ الدَّوْلَةِ دُبَيْسُ بْنُ مَزْيَدٍ فِي عَشَرَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ ، وَكَانَتْ خَفَاجَةُ فِي أَلْفٍ ، فَلَمْ يُقْدِمْ قِرْوَاشٌ فِي ذَلِكَ الْجَيْشِ الْعَظِيمِ عَلَى هَذِهِ الْأَلْفِ ، وَشَرَعَ أَهْلُ الْأَنْبَارِ فِي بِنَاءِ سُورٍ عَلَى الْبَلَدِ وَأَعَانَهُمْ قِرْوَاشٌ وَأَقَامَ عِنْدَهُمُ الشِّتَاءَ.ثُمَّ إِنَّ مَنِيعَ بْنَ حَسَّانَ سَارَ إِلَى الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ ، فَأَطَاعَهُ ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَأَتَى مَنِيعٌ الْخَفَاجِيُّ إِلَى الْكُوفَةِ فَخَطَبَ فِيهَا لِأَبِي كَالِيجَارَ ، وَأَزَالَ حُكْمَ عُقَيْلٍ عَنْ سَقْيِ الْفُرَاتِ.ذِكْرُ الصُّلْحِ بِإِفْرِيقِيَّةَ بَيْنَ كُتَامَةَ وَزِنَاتَةَ وَبَيْنَ الْمُعِزِّ بْنِ بَادِيسَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَرَدَتْ رُسُلُ زِنَاتَةَ وَكُتَامَةَ إِلَى الْمُعِزِّ بْنِ بَادِيسَ ، صَاحِبِ إِفْرِيقِيَّةَ ، يَطْلُبُونَ مِنْهُ الصُّلْحَ ، وَأَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمُ الطَّاعَةَ وَالدُّخُولَ تَحْتَ حُكْمِهِ ، وَشَرَطُوا أَنَّهُمْ يَحْفَظُونَ الطَّرِيقَ ، وَأَعْطَوْا عَلَى ذَلِكَ عُهُودَهُمْ وَمَوَاثِيقَهُمْ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى مَا سَأَلُوا ، وَجَاءَتْ مَشْيَخَةُ زِنَاتَةَ وَكُتَامَةَ إِلَيْهِ ، فَقَبِلَهُمْ وَأَنْزَلَهُمْ وَوَصَلَهُمْ ، وَبَذَلَ لَهُمْ أَمْوَالًا جَلِيلَةً.ذِكْرُ وَفَاةِ حَمَّادِ بْنِ الْمَنْصُورِ وَوِلَايَةِ ابْنِهِ الْقَائِدِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ حَمَّادُ بْنُ بُلَكِّينَ ، عَمُّ الْمُعِزِّ بْنِ بَادِيسَ ، صَاحِبِ إِفْرِيقِيَّةَ وَكَانَ خَرَجَ مِنْ قَلْعَتِهِ مُتَنَزِّهًا ، فَمَرِضَ وَمَاتَ وَحُمِلَ إِلَى الْقَلْعَةِ فَدُفِنَ بِهَا ، وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْقَائِدُ ، وَعَظُمَ عَلَى الْمُعِزِّ مَوْتُهُ ، لِأَنَّ الْأَمْرَ بَيْنَهُمَا كَانَ قَدْ صَلُحَ ، وَاسْتَقَامَتِ الْأُمُورُ لِلْمُعِزِّ بَعْدَهُ ، وَأَذْعَنَ لَهُ أَوْلَادُ عَمِّهِ حَمَّادٍ بِالطَّاعَةِ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ بِالْعِرَاقِ بَرْدٌ شَدِيدٌ جَمَدَ فِيهِ الْمَاءُ فِي دِجْلَةَ وَالْأَنْهَارِ الْكَبِيرَةِ ، فَأَمَّا السَّوَاقِي فَإِنَّهَا جَمَدَتْ كُلُّهَا ، وَتَأَخَّرَ الْمَطَرُ وَزِيَادَةُ دِجْلَةَ ، فَلَمْ يُزْرَعْ فِي السَّوَادِ إِلَّا الْقَلِيلُ.وَفِيهَا بَطَلَ الْحَجُّ مِنْ خُرَاسَانَ وَالْعِرَاقِ. وَفِيهَا انْقَضَّ كَوْكَبٌ عَظِيمٌ اسْتَنَارَتْ لَهُ الْأَرْضُ ، فَسُمِعَ لَهُ دَوِيٌّ عَظِيمٌ ، كَانَ ذَلِكَ فِي رَمَضَانَ . الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ أَبُو سَعْدِ بْنُ مَاكُولَا ، وَزِيرُ جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، فِي مَحْبِسِهِ.وَأَبُو حَازِمٍ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْعَبْدَوِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ الْحَافِظُ ، وَهُوَ مِنْ مَشَايِخِ خَطِيبِ بَغْدَاذَ.وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الْحَمَّامِيُّ الْمُقْرِئُ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ وَإِصْبَهْبَذَ وَمَنْ مَعَهُ وَمَا تَبِعَ ذَلِكَ مِنَ الْفِتَنِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، كَانَتْ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ بَيْنَ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ كَاكَوَيْهِ وَبَيْنَ الْإِصْبَهْبَذِ وَمَنْ مَعَهُ.وَكَانَ سَبَبُهَا مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ خُرُوجِ عَلِيِّ بْنِ عِمْرَانَ عَنْ طَاعَةِ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ.فَلَمَّا فَارَقَهُ اشْتَدَّ خَوْفُهُ مِنْ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ ، فَكَاتَبَ إِصْبَهْبَذَ صَاحِبَ طَبَرِسْتَانَ.وَكَانَ مُقِيمًا بِالرَّيِّ مَعَ وَلْكِينَ بْنِ وَنَدْرِينَ ، وَحَثَّهُ عَلَى قَصْدِ بِلَادِ الْجَبَلِ ، وَكَاتَبَ أَيْضًا مُنُوجَهْرَ بْنَ قَابُوسَ بْنِ وَشْمَكِيرَ ، وَاسْتَمَدَّهُ ، وَأَوْهَمَ الْجَمِيعَ أَنَّ الْبِلَادَ فِي يَدِهِ لَا دَافِعَ لَهُ عَنْهَا.وَكَانَ إِصْبَهْبَذُ مُعَادِيًا لِعَلَاءِ الدَّوْلَةِ ، فَسَارَ هُوَ وَوَلْكِينَ إِلَى هَمَذَانَ ، فَمَلَكَاهَا وَمَلَكَا أَعْمَالَ الْجَبَلِ ، وَأَجْلَيَا عَنْهَا عُمَّالَ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَأَتَاهُمْ عَسْكَرُ مُنُوجَهْرَ وَعَلِيِّ بْنِ عِمْرَانَ ، فَازْدَادُوا قُوَّةً ، وَسَارُوا كُلُّهُمْ إِلَى أَصْبَهَانَ ، فَتَحَصَّنَ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ بِهَا ، وَأَخْرَجَ الْأَمْوَالَ فَحَصَرُوهُ ، وَجَرَى بَيْنَهُمْ قِتَالٌ اسْتَظْهَرَ فِيهِ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ ، وَقَصَدَهُ كَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَسْكَرِ ، وَهُوَ يَبْذُلُ لِمَنْ يَجِيءُ إِلَيْهِ الْمَالَ الْجَزِيلَ وَيُحْسِنُ إِلَيْهِمْ ، فَأَقَامُوا أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْمِيرَةُ ، فَعَادُوا عَنْهَا.وَتَبِعَهُمْ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ ، وَاسْتَمَالَ الْجُوزَقَانَ ، فَمَالَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ ، وَتَبِعَهُمْ إِلَى نَهَاوَنْدَ ، فَالْتَقَوْا عِنْدَهَا ، وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا كَثُرَ فِيهِ الْقَتْلَى وَالْأَسْرَى فَظَفِرَ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ وَقَتَلَ ابْنَيْنِ لِوَلْكِينَ فِي الْمَعْرَكَةِ.وَأُسِرَ الْإِصْبَهْبَذُ وَابْنَانِ لَهُ وَوَزِيرُهُ ، وَمَضَى وَلْكِينُ فِي نَفَرٍ يَسِيرٍ إِلَى جُرْجَانَ.وَقَصَدَ عَلِيُّ بْنُ عِمْرَانَ قَلْعَةَ كِنْكَوَرَ ، فَتَحَصَّنَ بِهَا ، فَسَارَ إِلَيْهِ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ فَحَصَرَهُ بِهَا ، وَبَقِيَ إِصْبَهْبَذُ مَحْبُوسًا عِنْدَ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.ثُمَّ إِنَّ وَلْكِينَ بْنَ وَنَدْرِينَ سَارَ بَعْدَ خَلَاصِهِ مِنَ الْوَقْعَةِ إِلَى مُنُوجَهْرَ بْنِ قَابُوسَ ، وَأَطْمَعَهُ فِي الرَّيِّ وَمُلْكِهَا ، وَهَوَّنَ عَلَيْهِ أَمْرَ الْبِلَادِ لَا سِيَّمَا مَعَ اشْتِغَالِ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ بِمُحَاصَرَةِ عَلِيِّ بْنِ عِمْرَانَ ، وَانْضَافَ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ وَلَدَ وَلْكِينَ ، كَانَ صِهْرَ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ عَلَى ابْنَتِهِ ، وَقَدْ أَقْطَعَهُ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ مَدِينَةَ قُمٍّ ، فَعَصَى عَلَيْهِ وَصَارَ مَعَ أَبِيهِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَحُثُّهُ عَلَى قَصْدِ الْبِلَادِ ، فَسَارَ إِلَيْهَا وَمَعَهُ عَسْكَرُهُ ، وَعَسَاكِرُ مُنُوجَهْرَ ، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الرَّيِّ ، وَقَاتَلُوا مَجْدَ الدَّوْلَةِ بْنَ بُوَيْهِ وَمَنْ مَعَهُ ، وَجَرَى بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ وَقَائِعُ اسْتَظْهَرَ فِيهَا أَهْلُ الرَّيِّ.فَلَمَّا رَأَى عَلَاءُ الدَّوْلَةِ ذَلِكَ صَالَحَ عَلِيَّ بْنَ عِمْرَانَ.فَلَمَّا بَلَغَ وَلْكِينَ الصُّلْحُ بَيْنَ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ وَعَلِيِّ بْنِ عِمْرَانَ رَحَلَ عَنِ الرَّيِّ مِنْ غَيْرِ بُلُوغِ غَرَضٍ ، فَتَوَجَّهَ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ إِلَى الرَّيِّ ، وَرَاسَلَ مُنُوجَهْرَ ، وَوَبَّخَهُ وَتَهَدَّدَهُ ، وَأَظْهَرَ قَصْدَ بِلَادِهِ ، فَسَمِعَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ عِمْرَانَ قَدْ كَاتَبَ مُنُوجَهْرَ ، وَأَطْمَعَهُ وَوَعَدَهُ النُّصْرَةَ ، وَحَثَّهُ عَلَى الْعَوْدِ إِلَى الرَّيِّ ، فَعَادَ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ عَنْ قَصْدِ بِلَادِ مُنُوجَهْرَ ، وَتَجَهَّزَ لِقَصْدِ عَلِيِّ بْنِ عِمْرَانَ ، فَأَرْسَلَ ابْنُ عِمْرَانَ إِلَى مُنُوجَهْرَ يَسْتَمِدُّهُ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ سِتَّمِائَةِ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ مَعَ قَائِدٍ مِنْ قُوَّادِهِ وَتَحَصَّنَ ابْنُ عِمْرَانَ ، وَجَمَعَ عِنْدَهُ الذَّخَائِرَ بِكِنْكَوَرَ ، وَقَصَدَهُ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ وَحَصَرَهُ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ ، فَفَنِيَ مَا عِنْدَهُ ، فَأَرْسَلَ يَطْلُبُ الصُّلْحَ ، فَاشْتَرَطَ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ أَنْ يُسَلِّمَ قَلْعَةَ كِنْكَوَرَ وَالَّذِينَ قَتَلُوا أَبَا جَعْفَرٍ ابْنَ عَمِّهِ ، وَالْقَائِدَ الَّذِي سَيَّرَهُ إِلَيْهِ مُنُوجَهْرُ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ وَسَيَّرَهُمْ إِلَيْهِ فَقَتَلَ قَتَلَةَ ابْنِ عَمِّهِ ، وَسَجَنَ الْقَائِدَ ، وَتَسَلَّمَ الْقَلْعَةَ ، وَأَقْطَعَ عَلِيًّا عِوَضًا عَنْهَا مَدِينَةَ الدِّينَوَرِ ، وَأَرْسَلَ مُنُوجَهْرُ إِلَى عَلَاءِ الدَّوْلَةِ فَصَالَحَهُ ، فَأَطْلَقَ صَاحِبَهُ.ذِكْرُ عِصْيَانِ الْبَطِيحَةِ عَلَى أَبِي كَالِيجَارَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَصَى أَهْلُ الْبَطِيحَةِ عَلَى الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ ، وَمُقَدَّمُهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ بَكْرٍ الشَّرَابِيُّ ، الَّذِي كَانَ قَدِيمًا صَاحِبَ الْبَطِيحَةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ خَبَرُهُ.وَكَانَ سَبَبُ هَذَا الْخِلَافِ أَنَّ الْمَلِكَ أَبَا كَالِيجَارَ سَيَّرَ وَزِيرَهُ أَبَا مُحَمَّدِ بْنَ بَابَشَاذَ إِلَى الْبَطِيحَةِ ، فَعَسَفَ النَّاسَ ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ، وَأَمَرَ الشَّرَابِيَّ فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ دَارٍ بِالصَّلِيقِ قِسْطًا ، وَكَانَ فِي صُحْبَتِهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، فَتَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ ، وَفَارَقُوا أَوْطَانَهُمْ ، فَعَزَمَ مَنْ بَقِيَ عَلَى أَنْ يَسْتَدْعُوا مَنْ يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِمْ فِي الْعِصْيَانِ عَلَى أَبِي كَالِيجَارَ ، وَقَتْلِ الشَّرَابِيِّ ، وَكَانُوا يَنْسُبُونَ كُلَّ مَا يَجْرِي عَلَيْهِمْ إِلَى الشَّرَابِيِّ .فَعَلِمَ الشَّرَابِيُّ بِذَلِكَ ، فَحَضَرَ عِنْدَهُمْ ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ ، وَبَذَلَ مِنْ نَفْسِهِ مُسَاعَدَتَهُمْ عَلَى مَا يُرِيدُونَهُ ، فَرَضُوا بِهِ ، وَحَلَفُوا لَهُ ، وَحَلَفَ لَهُمْ ، وَأَمَرَهُمْ بِكِتْمَانِ الْحَالِ.وَعَادَ إِلَى الْوَزِيرِ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِإِرْسَالِ أَصْحَابِهِ إِلَى جِهَاتٍ ذَكَرَهَا لِيُحَصِّلُوا الْأَمْوَالَ ، فَقَبِلَ مِنْهُ ، ثُمَّ أَشَارَ عَلَيْهِ بِإِحْضَارِ سُفُنِهِ إِلَى مَكَانٍ ذَكَرَهُ لِيُصْلِحَ مَا فَسَدَ مِنْهَا ، فَفَعَلَ.فَلَمَّا تَمَّ لَهُ ذَلِكَ وَثَبَ هُوَ وَأَهْلُ الْبَطِيحَةِ عَلَيْهِ ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْ عِنْدِهِمْ ، وَكَانَ عِنْدَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنْ عَسْكَرِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ فِي الْحَبْسِ ، فَأَخْرَجُوهُمْ ، وَاسْتَعَانُوا بِهِمْ ، وَاتَّفَقُوا مَعَهُمْ ، وَفَتَحُوا السَّوَاقِيَ ، وَعَادُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ أَيَّامَ مُهَذِّبِ الدَّوْلَةِ ، وَقَاتَلُوا كُلَّ مَنْ قَصَدَهُمْ ، وَامْتَنَعُوا فَتَمَّ لَهُمْ ذَلِكَ.ثُمَّ قَصَدَهُ ابْنُ الْمَعْبَرَانِيِّ فَاسْتَوْلَى عَلَى الْبَطِيحَةِ ، وَفَارَقَهَا الشَّرَابِيُّ إِلَى دُبَيْسِ بْنِ مَزْيَدٍ ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ مُكَرَّمًا.ذِكْرُ صُلْحِ أَبِي كَالِيجَارَ مَعَ عَمِّهِ صَاحِبِ كِرْمَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَقَرَّ الصُّلْحُ بَيْنَ أَبِي كَالِيجَارَ وَبَيْنَ عَمِّهِ أَبِي الْفَوَارِسِ ، صَاحِبِ كِرْمَانَ ، وَكَانَ أَبُو كَالِيجَارَ قَدْ سَارَ إِلَى كِرْمَانَ لِقِتَالِ عَمِّهِ وَأَخْذِ كِرْمَانَ مِنْهُ ، فَاحْتَمَى مِنْهُ بِالْجِبَالِ ، وَحَمِيَ الْحَرُّ عَلَى أَبِي كَالِيجَارَ وَعَسْكَرِهِ ، فَكَثُرَتِ الْأَمْرَاضُ ، فَتَرَاسَلَا فِي الصُّلْحِ ، فَاصْطَلَحَا عَلَى أَنْ تَكُونَ كِرْمَانُ لِأَبِي الْفَوَارِسِ ، وَبِلَادُ فَارِسَ لِأَبِي كَالِيجَارَ ، وَيَحْمِلُ إِلَى عَمِّهِ كُلَّ سَنَةٍ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ.وَلَمَّا عَادَ أَبُو كَالِيجَارَ إِلَى الْأَهْوَازِ جَعَلَ أُمُورَ دَوْلَتِهِ إِلَى الْعَادِلِ بْنِ مَافَنَّةَ ، فَأَجَابَهُ بَعْدَ امْتِنَاعٍ ، وَكَانَ مَوْلِدُ الْعَادِلِ بِكَازَرُونَ سَنَةَ سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَشَرَطَ الْعَادِلُ أَنْ لَا يُعَارَضَ فِي الَّذِي يَفْعَلُهُ ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ.ذِكْرُ الْخُطْبَةِ لِجَلَالِ الدَّوْلَةِ بِبَغْدَاذَ وَإِصْعَادِهِ إِلَيْهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي جُمَادَى الْأُولَى ، خُطِبَ لِلْمَلِكِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ أَبِي طَاهِرِ بْنِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ بِبَغْدَاذَ ، وَأَصْعَدَ إِلَيْهَا مِنَ الْبَصْرَةِ فَدَخَلَهَا ثَالِثَ شَهْرِ رَمَضَانَ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْأَتْرَاكَ لَمَّا رَأَوْا أَنَّ الْبِلَادَ تُخَرَّبُ ، وَأَنَّ الْعَامَّةَ وَالْعَرَبَ وَالْأَكْرَادَ قَدْ طَمِعُوا ، وَأَنَّهُمْ لَيْسَ عِنْدَهُمْ سُلْطَانٌ يَجْمَعُ كَلِمَتَهُمْ ، قَصَدُوا دَارَ الْخِلَافَةِ ، وَأَرْسَلُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَى الْخَلِيفَةِ مِنِ انْفِرَادِهِمْ بِالْخُطْبَةِ لِجَلَالِ الدَّوْلَةِ أَوَّلًا ، ثُمَّ بَرَدِّهِ ثَانِيًا ، وَبِالْخُطْبَةِ لِأَبِي كَالِيجَارَ ، وَيَشْكُرُونَ الْخَلِيفَةَ حَيْثُ لَمْ يُخَالِفْهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالُوا إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَاحِبُ الْأَمْرِ ، وَنَحْنُ الْعَبِيدُ ، وَقَدْ أَخْطَأْنَا وَنَسْأَلُ الْعَفْوَ ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا الْآنَ مَنْ يَجْمَعُ كَلِمَتَنَا ، وَنَسْأَلُ أَنْ تُرْسِلَ إِلَى جَلَالِ الدَّوْلَةِ لِيَصْعَدَ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَيَمْلِكَ الْأَمْرَ ، وَيَجْمَعَ الْكَلِمَةَ ، وَيُخْطُبَ لَهُ فِيهَا ، وَيَسْأَلُونَ أَنْ يُحَلِّفَهُ الرَّسُولُ السَّائِرُ لِإِحْضَارِهِ لَهُمْ.فَأَجَابَهُمُ الْخَلِيفَةُ إِلَى مَا سَأَلُوا ، وَرَاسَلَهُ هُوَ وَقُوَّادُ الْجُنْدِ فِي الْإِصْعَادِ وَالْيَمِينِ لِلْخَلِيفَةِ وَالْأَتْرَاكِ ، فَحَلَفَ لَهُمْ ، وَأَصْعَدَ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَانْحَدَرَ الْأَتْرَاكُ إِلَيْهِ ، فَلَقُوهُ فِي الطَّرِيقِ ، وَأَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ إِلَيْهِ الْقَاضِيَ أَبَا جَعْفَرٍ السِّمْنَانِيَّ ، فَأَعَادَ تَجْدِيدَ الْعَهْدِ عَلَيْهِ لِلْخَلِيفَةِ وَالْأَتْرَاكِ ، فَفَعَلَ.وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بَغْدَاذَ نَزَلَ النَّجْمِيُّ ، فَرَكِبَ الْخَلِيفَةُ فِي الطَّيَّارِ وَانْحَدَرَ يَلْتَقِيهِ فَلَمَّا رَآهُ جَلَالُ الدَّوْلَةِ قَبَّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَرَكِبَ فِي زَبْزَبِهِ ، وَوَقَفَ قَائِمًا ، فَأَمَرَهُ الْخَلِيفَةُ بِالْجُلُوسِ ، فَخَدَمَ وَجَلَسَ وَدَخَلَ إِلَى دَارِ الْمَمْلَكَةِ بَعْدَ أَنْ مَضَى إِلَى مَشْهَدِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ فَزَارَ ، وَقَصَدَ الدَّارَ فَدَخَلَهَا ، وَأَمَرَ بِضَرْبِ الطَّبْلِ أَوْقَاتَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، فَرَاسَلَهُ الْخَلِيفَةُ فِي مَنْعِهِ ، فَقَطَعَهُ غَضَبًا ، حَتَّى أَذِنَ لَهُ فِي إِعَادَتِهِ فَفَعَلَ.وَأَرْسَلَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ مُؤَيِّدَ الْمُلْكِ أَبَا عَالِي الرُّخَّجِيَّ إِلَى الْأَثِيرِ عَنْبَرٍ الْخَادِمِ.وَهُوَ عِنْدَ قِرْوَاشٍ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ ، يُعَرِّفُهُ اعْتِضَادَهُ بِهِ ، وَاعْتِمَادَهُ عَلَيْهِ ، وَمَحَبَّتَهُ لَهُ ، وَيَعْتَذِرُ إِلَيْهِ عَنِ الْأَتْرَاكِ ، فَعَذَرَهُمْ وَقَالَ هُمْ أَوْلَادٌ وَإِخْوَةٌ.ذِكْرُ وَفَاةِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْمَغْرِبِيِّ وَأَبِي الْخَطَّابِ أَمَّا أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْمَغْرِبِيِّ فَتُوُفِّيَ هَذِهِ السَّنَةَ بِمَيَّافَارِقِينَ ، وَكَانَ عُمْرُهُ سِتًّا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَلَمَّا أَحَسَّ بِالْمَوْتِ كَتَبَ كُتُبًا عَنْ نَفْسِهِ إِلَى كُلِّ مَنْ يَعْرِفُهُ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ الَّذِينَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكُوفَةِ ، وَيُعَرِّفُهُمْ أَنَّ حَظِيَّةً لَهُ تُوُفِّيَتْ ، وَأَنَّهُ قَدْ سَيَّرَ تَابُوتَهَا إِلَى مَشْهَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، عَلِيٍّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَخَاطَبَهُمْ فِي الْمُرَاعَاةِ لِمَنْ فِي صُحْبَتِهِ.وَكَانَ قَصْدُهُ أَنْ لَا يَتَعَرَّضَ أَحَدٌ لِتَابُوتِهِ بِمَنْعٍ ، وَيَنْطَوِي خَبَرُهُ.فَلَمَّا تُوُفِّيَ سَارَ بِهِ أَصْحَابُهُ ، كَمَا أَمَرَهُمْ ، وَأَوْصَلُوا الْكُتُبَ ، فَلَمْ يَعْرِضْ أَحَدٌ إِلَيْهِ فَدُفِنَ بِالْمَشْهَدِ ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا بَعْدَ دَفْنِهِ.وَلِأَبِي الْقَاسِمِ شِعْرٌ حَسَنٌ ، فَمِنْهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ وَمَا ظَبْيَةٌ أَدْمَاءُ تَحْنُو عَلَى طَلًا ، تَرَى الْإِنْسَ وَحْشًا وَهِيَ تَأْنَسُ بِالْوَحْشِ...غَدَتْ فَارْتَعَتْ ثُمَّ انْثَنَتْ لِرَضَاعِهِ ، فَلَمْ تُلْفِ شَيْئًا مِنْ قَوَائِمِهِ الْحُمْشِ فَطَافَتْ بِذَاكَ الْقَاعِ وَلْهَى ، فَصَادَفَتْ سِبَاعَ الْفَلَا يَنْهَشْنَهُ أَيَّمَا نَهْشِ بِأَوْجَعَ مِنِّي يَوْمَ ظَلَّتْ أَنَامِلٌ...تُوَدِّعُنِي بِالدُّرِّ مِنْ شَبَكِ النَّقْشِ وَأَجْمَالُهُمْ تُحْدَى وَقَدْ خَيَّلَ الْهَوَى...كَأَنَّ مَطَايَاهُمْ عَلَى نَاظِرَيْ تَمْشِي وَأَعْجَبُ مَا فِي الْأَمْرِ أَنْ عِشْتُ بَعْدَهُمْ...عَلَى أَنَّهُمْ مَا خَلَّفُوا لِي مِنْ بَطْشِ وَأَمَّا أَبُو الْخَطَّابِ حَمْزَةُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ مَاتَ بِكَرْخِ سَامَرَّا مَفْلُوجًا ، غَرِيبًا ، قَدْ زَالَ عَنْهُ أَمْرُهُ وَجَاهُهُ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَرَثَاهُ الْمُرْتَضَى ، وَكَانَ سَبَبُ اتِّصَالِهِ بِبَهَاءِ الدَّوْلَةِ مَعْرِفَةَ النُّجُومِ ، وَبَلَغَ مِنْهُ مَنْزِلَةً لَمْ يَبْلُغْهَا أَمْثَالُهُ ، فَكَانَ الْوُزَرَاءُ يَخْدُمُونَهُ ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ فَخْرُ الْمُلْكِ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ فَاسْتَقَلَّهَا ، وَصَارَ أَمْرُهُ إِلَى مَا صَارَ مِنَ الضِّيقِ وَالْفَقْرِ وَالْغُرْبَةِ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَقَطَ فِي الْعِرَاقِ جَمِيعِهِ بَرَدٌ كِبَارٌ يَكُونُ فِي الْوَاحِدَةِ رِطْلٌ أَوْ رِطْلَانِ ، وَأَصْغَرُهُ كَالْبَيْضَةِ ، فَأَهْلَكَ الْغَلَّاتِ ، وَلَمْ يَصِحَّ مِنْهَا إِلَّا الْقَلِيلُ.وَفِيهَا آخِرَ تِشْرِينَ الثَّانِي هَبَّتْ رِيحٌ بَارِدَةٌ بِالْعِرَاقِ جَمَدَ مِنْهَا الْمَاءُ وَالْخَلُّ ، وَبَطَلَ دَوَرَانُ الدَّوَالِيبِ عَلَى دِجْلَةَ.وَفِيهَا انْقَطَعَ الْحَجُّ مِنْ خُرَاسَانَ وَالْعِرَاقِ.وَفِيهَا نُقِضَتِ الدَّارُ الْمُعِزِّيَةُ ، وَكَانَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بْنُ بُوَيْهِ بَنَاهَا وَعَظَّمَهَا ، وَغَرِمَ عَلَيْهَا أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَأَوَّلُ مَنْ شَرَعَ فِي تَخْرِيبِهَا بَهَاءُ الدَّوْلَةِ ، فَإِنَّهُ لَمَّا عَمَّرَ دَارَهُ بِسُوقِ الثُّلَاثَاءِ نَقَلَ إِلَيْهَا مِنْ أَنْقَاضِهَا ، وَأَخَذَ سَقْفًا مِنْهَا وَأَرَادَ أَنْ يَنْقُلَهُ إِلَى شِيرَازَ ، فَلَمْ يَتِمَّ ذَلِكَ ، فَبَذَلَ فِيهِ مَنْ يَحُكُّ ذَهَبَهُ ثَمَانِيَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، وَنُقِضَتِ الْآنَ ، وَبِيعَ أَنْقَاضُهَا. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ هِبَةُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مَنْصُورٍ أَبُو الْقَاسِمِ اللَّالْكَائِيُّ الرَّازِيُّ ، سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ ، وَتَفَقَّهَ عَلَى أَبِي حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِينِيِّ ، وَصَنَّفَ كُتُبًا.وَأَبُو الْقَاسِمِ طَبَاطَبَا الشَّرِيفُ الْعَلَوِيُّ ، وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ ، فَمِنْهُ أَنَّ صَدِيقًا لَهُ كَتَبَ إِلَيْهِ رُقْعَةً ، فَأَجَابَهُ عَلَى ظَهْرِهَا هَذِهِ الْأَبْيَاتِ وَقَرَأْتُ الَّذِي كَتَبْتَ ، وَمَا...زَالَ نَجِيِّي وَمُؤْنِسِي وَسَمِيرِي وَغَدَا الْفَأْلُ بِامْتِزَاجِ السُّطُورِ...حَاكِمًا بِامْتِزَاجِ مَا فِي الضَّمِيرِ وَاقْتِرَانُ الْكَلَامِ لَفْظًا وَخَطًّا...شَاهِدًا بِاقْتِرَانِ وُدِّ الصُّدُورِ وَتَبَرَّكْتُ بِاجْتِمَاعِ الْكَلَامَيْ...نِ رَجَاءَ اجْتِمَاعِنَا فِي سُرُورِ وَتَفَاءَلْتُ بِالظُّهُورِ عَلَى الْوَا شِيِ ، فَصَارَتْ إِجَابَتِي فِي الصُّدُورِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ بَدْرَانَ وَعَسْكَرِ نَصْرِ الدَّوْلَةِ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي جُمَادَى الْأُولَى ، سَارَ بَدْرَانُ بْنُ الْمُقَلَّدُ الْعُقَيْلِيُّ فِي جَمْعٍ مِنَ الْعَرَبِ إِلَى نَصِيبِينَ وَحَصَرَهَا ، وَكَانَتْ لِنَصْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَسْكَرُ نَصْرِ الدَّوْلَةِ الَّذِينَ بِهَا ، وَقَاتَلُوهُ ، فَهَزَمَهُمْ ، وَاسْتَظْهَرَ عَلَيْهِمْ ، وَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ نَصِيبِينَ وَالْعَسْكَرِ ، فَسَيَّرَ نَصْرُ الدَّوْلَةِ عَسْكَرًا آخَرَ نَجْدَةً لِمَنْ بِنَصِيبِينَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ بَدْرَانُ عَسْكَرًا ، فَلَقُوهُمْ ، فَقَاتَلُوهُمْ وَهَزَمُوهُمْ ، وَقَتَلُوا أَكْثَرَهُمْ.فَأَزْعَجَ ذَلِكَ ابْنَ مَرْوَانَ ، وَأَقْلَقَهُ فَسَيَّرَ عَسْكَرًا آخَرَ ثَلَاثَةَ آلَافِ فَارِسٍ ، فَدَخَلُوا نَصِيبِينَ ، وَاجْتَمَعُوا بِمَنْ فِيهَا ، وَخَرَجُوا إِلَى بَدْرَانَ فَاقْتَتَلُوا فَانْهَزَمَ بَدْرَانُ وَمَنْ مَعَهُ بَعْدَ قِتَالٍ شَدِيدٍ ، وَقْتَ الظُّهْرِ ، وَتَبِعَهُمْ عَسْكَرُ ابْنِ مَرْوَانَ.ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِمْ بَدْرَانُ وَأَصْحَابُهُ ، فَلَمْ يَثْبُتُوا لَهُ ، فَأَكْثَرَ فِيهِمُ الْقَتْلَ وَالْأَسْرَ ، وَغَنِمَ الْأَمْوَالَ ، فَعَادَ عَسْكَرُ ابْنِ مَرْوَانَ مَفْلُولِينَ ، فَدَخَلُوا نَصِيبِينَ ، فَاجْتَمَعُوا بِهَا وَاقْتَتَلُوا مَرَّةً أُخْرَى ، وَكَانُوا عَلَى السَّوَاءِ ، ثُمَّ سَمِعَ بَدْرَانُ بِأَنَّ أَخَاهُ قِرْوَاشًا قَدْ وَصَلَ إِلَى الْمَوْصِلِ فَرَحَلَ خَوْفًا مِنْهُ لِأَنَّهُمَا كَانَا مُخْتَلِفَيْنِ.ذِكْرُ شَغَبِ الْأَتْرَاكِ بِبَغْدَاذَ عَلَى جَلَالِ الدَّوْلَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ثَارَ الْأَتْرَاكُ بِبَغْدَاذَ عَلَى جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَشَغَبُوا ، وَطَالَبُوا الْوَزِيرَ أَبَا عَلِيِّ بْنَ مَاكُولَا بِمَا لَهُمْ مِنَ الْعَلُوفَةِ وَالْإِدْرَارِ ، وَنَهَبُوا دَارَهُ ، وَدُورَ كُتَّابِ الْمَلِكِ وَحَوَاشِيهِ ، حَتَّى الْمُغَنِّينَ وَالْمُخَنَّثِينَ ، وَنَهَبُوا صِيَاغَاتٍ أَخْرَجَهَا جَلَالُ الدَّوْلَةِ لِتُضْرَبَ دَنَانِيرَ وَدَرَاهِمَ ، وَتُفَرَّقَ فِيهِمْ وَحَصَرُوا جَلَالَ الدَّوْلَةِ فِي دَارِهِ ، وَمَنَعُوهُ الطَّعَامَ وَالْمَاءَ حَتَّى شَرِبَ أَهْلُهُ مَاءَ الْبِئْرِ ، وَأَكَلُوا ثَمَرَةَ الْبُسْتَانِ.فَسَأَلَهُمْ أَنْ يُمَكِّنُوهُ مِنَ الِانْحِدَارِ ، فَاسْتَأْجَرُوا لَهُ وَلِأَهْلِهِ وَأَثْقَالِهِ سُفُنًا ، فَجَعَلَ بَيْنَ الدَّارِ وَالسُّفُنِ سُرَادِقًا لِتَجْتَازَ حُرَمُهُ فِيهِ ، لِئَلَّا يَرَاهُمُ الْعَامَّةُ وَالْأَجْنَادُ فَقَصَدَ بَعْضُ الْأَتْرَاكِ السُّرَادِقَ ، فَظَنَّ جَلَالُ الدَّوْلَةِ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْحُرَمَ ، فَصَاحَ بِهِمْ يَقُولُ لَهُمْ بَلَغَ أَمْرُكُمْ إِلَى الْحُرَمِ!وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ ، وَبِيَدِهِ طَبَرٌ ، فَصَاحَ صِغَارُ الْغِلْمَانِ وَالْعَامَّةِ جَلَالُ الدَّوْلَةِ يَا مَنْصُورُ ، وَنَزَلَ أَحَدُهُمْ عَنْ فَرَسِهِ وَأَرْكَبَهُ إِيَّاهُ ، وَقَبَّلُوا الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ.فَلَمَّا رَأَى قُوَّادُ الْأَتْرَاكِ ذَلِكَ هَرَبُوا إِلَى خِيَامِهِمْ بِالرَّمْلَةِ ، وَخَافُوا عَلَى نُفُوسِهِمْ ، وَكَانَ فِي الْخِزَانَةِ سِلَاحٌ كَثِيرٌ ، فَأَعْطَاهُ جَلَالُ الدَّوْلَةِ أَصَاغِرَ الْغِلْمَانِ وَجَعَلَهُمْ عِنْدَهُ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى الْخَلِيفَةِ لِيُصْلِحَ الْأَمْرَ مَعَ أُولَئِكَ الْقُوَّادِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الْخَلِيفَةُ الْقَادِرُ بِاللَّهِ ، فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَحَلَفُوا ، فَقَبَّلُوا الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَرَجَعُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ ، فَلَمْ يَمْضِ غَيْرُ أَيَّامٍ حَتَّى عَادُوا إِلَى الشَّغَبِ ، فَبَاعَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ فَرْشَهُ وَثِيَابَهُ وَخِيَمَهُ وَفَرَّقَ ثَمَنَهُ فِيهِمْ حَتَّى سَكَنُوا.ذِكْرُ الِاخْتِلَافِ بَيْنَ الدَّيْلَمِ وَالْأَتْرَاكِ بِالْبَصْرَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلِيَ النَّفِيسُ أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ أَرْدَشِيرَ الْبَصْرَةَ ، اسْتَعْمَلَهُ عَلَيْهَا جَلَالُ الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْمَشَانِ مُنْحَدِرًا إِلَيْهَا وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الدَّيْلَمِ الَّذِينَ بِالْمَشَانِ وَقْعَةٌ فَاسْتَظْهَرَ عَلَيْهِمْ وَقَتَلَ مِنْهُمْ.وَكَانَتِ الْفِتَنُ بِالْبَصْرَةِ بَيْنَ الْأَتْرَاكِ وَالدَّيْلَمِ ، وَبِهَا الْمَلِكُ الْعَزِيزُ أَبُو مَنْصُورِ بْنُ جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، فَقَوِيَ الْأَتْرَاكُ بِهَا فَأَخْرَجُوا الدَّيْلَمَ ، فَمَضُوا إِلَى الْأُبُلَّةِ ، وَصَارُوا مَعَ بَخْتَيَارَ بْنِ عَلِيٍّ ، فَسَارَ إِلَيْهِمُ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ بِالْأُبُلَّةِ لِيُعِيدَهُمْ وَيُصْلِحَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْأَتْرَاكِ فَكَاشَفُوهُ وَحَمَلُوا عَلَيْهِ ، وَنَادَوْا بِشِعَارِ أَبِي كَالِيجَارَ ، فَعَادَ مُنْهَزِمًا فِي الْمَاءِ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَنَهَبَ بَخْتَيَارُ نَهْرَ الدَّيْرِ وَالْأُبُلَّةِ وَغَيْرَهُمَا مِنَ السَّوَادِ ، وَأَعَانَهُ الدَّيْلَمُ ، وَنَهَبَ الْأَتْرَاكُ أَيْضًا ، وَارْتَكَبُوا الْمَحْظُورَ ، وَنَهَبُوا دَارَ بِنْتِ الْأَوْحَدِ بْنِ مُكْرَمٍ زَوْجَةِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ.ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ أَبِي كَالِيجَارَ عَلَى الْبَصْرَةِ لَمَّا بَلَغَ الْمَلِكَ أَبَا كَالِيجَارَ مَا كَانَ بِالْبَصْرَةِ سَيَّرَ جَيْشًا إِلَى بَخْتَيَارَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْصِدَ الْبَصْرَةَ فَيَأْخُذَهَا.فَسَارُوا إِلَيْهَا ، وَبِهَا الْمَلِكُ الْعَزِيزُ بْنُ جَلَالِ الدَّوْلَةِ فَقَاتَلَهُمْ لِيَمْنَعَهُمْ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ بِهِمْ قُوَّةٌ ، فَانْهَزَمَ مِنْهُمْ ، وَفَارَقَ الْبَصْرَةَ ، وَكَادَ يَهْلِكُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ عَطَشًا ، فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِمَطَرٍ جُودٍ ، فَشَرِبُوا مِنْهُ ، وَأَصْعَدُوا إِلَى وَاسِطٍ.وَمَلَكَ عَسْكَرُ أَبِي كَالِيجَارَ الْبَصْرَةَ ، وَنَهَبَ الدَّيْلَمُ أَسْوَاقَهَا ، وَسَلِمَ مِنْهَا الْبَعْضُ بِمَالٍ بَذَلُوهُ لِمَنْ يَحْمِيهِمْ ، وَتَتَبَّعُوا أَمْوَالَ أَصْحَابِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ مِنَ الْأَتْرَاكِ وَغَيْرِهِمْ.فَلَمَّا بَلَغَ جَلَالَ الدَّوْلَةِ الْخَبَرُ أَرَادَ الِانْحِدَارَ إِلَى وَاسِطٍ ، فَلَمْ يُوَافِقْهُ الْجُنْدُ ، وَطَلَبُوا مِنْهُ مَالًا يُفَرَّقُ فِيهِمْ ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ ، فَمَدَّ يَدَهُ فِي مُصَادَرَاتِ النَّاسِ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ لَا سِيَّمَا أَرْبَابَ الْأَمْوَالِ ، فَصَادَرَ جَمَاعَةً.ذِكْرُ وَفَاةِ صَاحِبِ كِرْمَانَ وَاسْتِيلَاءِ أَبِي كَالِيجَارَ عَلَيْهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، تُوُفِّيَ قِوَامُ الدَّوْلَةِ أَبُو الْفَوَارِسِ بْنُ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، صَاحِبُ كِرْمَانَ ، وَكَانَ قَدْ تَجَهَّزَ لِقَصْدِ بِلَادِ فَارِسَ ، وَجَمَعَ عَسْكَرًا كَثِيرًا ، فَأَدْرَكَهُ أَجَلُهُ.فَلَمَّا تُوُفِّيَ نَادَى أَصْحَابُهُ بِشِعَارِ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ ، وَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ يَطْلُبُونَهُ إِلَيْهِمْ ، فَسَارَ مُجِدًّا ، وَمَلَكَ الْبِلَادَ بِغَيْرِ حَرْبٍ وَلَا قِتَالٍ ، وَأَمِنَ النَّاسُ مَعَهُ ، وَكَانُوا يَكْرَهُونَ عَمَّهُ أَبَا الْفَوَارِسِ لِظُلْمِهِ وَسُوءِ سِيرَتِهِ ، وَكَانَ إِذَا شَرِبَ ضَرَبَ أَصْحَابَهُ ، وَضَرَبَ وَزِيرَهُ يَوْمًا مِائَتَيْ مِقْرَعَةٍ ، وَحَلَّفَهُ بِالطَّلَاقِ أَنَّهُ لَا يَتَأَوَّهُ ، وَلَا يُخْبِرُ بِذَلِكَ أَحَدًا ، فَقِيلَ إِنَّهُمْ سَمُّوهُ فَمَاتَ.ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ مَنْصُورِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَى الْجَزِيرَةِ الدُّبَيْسِيَّةِ كَانَ مَنْصُورُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَسَدِيُّ قَدْ مَلَكَ الْجَزِيرَةَ الدُّبَيْسِيَّةَ ، وَهِيَ تُجَاوِرُ خُوزِسْتَانَ ، وَنَادَى بِشِعَارِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَأَخْرَجَ صَاحِبَهَا طَرَّادَ بْنَ دُبَيْسٍ الْأَسَدِيَّ سَنَةَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَمَاتَ طَرَّادٌ عَنْ قَرِيبٍ ، فَلَمَّا مَاتَ طَرَّادٌ سَارَ ابْنُهُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ إِلَى بَغْدَاذَ يَسْأَلُ أَنْ يُرْسِلَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ مَعَهُ عَسْكَرًا إِلَى بَلَدِهِلِيُخْرِجَ مَنْصُورًا مِنْهُ وَيُسَلِّمَهُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ مَنْصُورٌ قَدْ قَطَعَ خُطْبَةَ جَلَالِ الدَّوْلَةِ وَخَطَبَ لِلْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ ، فَسَيَّرَ مَعَهُ جَلَالُ الدَّوْلَةِ طَائِفَةً مِنَ الْأَتْرَاكِ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى وَاسِطٍ لَمْ يَقِفْ عَلِيُّ بْنُ طَرَّادٍ حَتَّى تَجْتَمِعَ مَعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ عَسْكَرِ وَاسِطٍ ، وَسَارَ عَجِلًا.وَاتَّفَقَ أَنَّ أَبَا صَالِحٍ كُورَكِيرَ كَانَ قَدْ هَرَبَ مِنْ جَلَالِ الدَّوْلَةِ وَهُوَ يُرِيدُ اللَّحَاقَ بِأَبِي كَالِيجَارَ ، فَسَمِعَ هَذَا الْخَبَرَ ، فَقَالَ لِمَنْ مَعَهُ الْمَصْلَحَةُ أَنَّنَا نُعِينُ مَنْصُورًا ، وَلَا نُمَكِّنُ عَسْكَرَ جَلَالِ الدَّوْلَةِ مِنْ إِخْرَاجِهِ ، وَنَتَّخِذُ بِهَذَا الْفِعْلِ يَدًا عِنْدَ أَبِي كَالِيجَارَ.فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَسَارَ إِلَى مَنْصُورٍ وَاجْتَمَعَ مَعَهُ ، وَالْتَقَوْا هُمْ وَعَسْكَرُ جَلَالِ الدَّوْلَةِ الَّذِينَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ طَرَّادٍ بِيَسْبَرُوذَ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَقَتَلَ عَلِيُّ بْنُ طَرَّادٍ جَمَاعَةً كَثِيرَةً مِنَ الْأَتْرَاكِ ، وَهَلَكَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُنْهَزِمِينَ بِالْعَطَشِ ، وَاسْتَقَرَّ مُلْكُ مَنْصُورٍ بِهَا.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ الدِّزْبَرِيُّ وَعَسَاكِرُ مِصْرَ إِلَى الشَّامِ ، فَأَوْقَعُوا بِصَالِحِ بْنِ مِرْدَاسٍ وَابْنِ الْجَرَّاحِ الطَّائِيِّ ، فَهَزَمَهُمَا ، وَقَتَلَ صَالِحًا وَابْنَهُ الْأَصْغَرَ ، وَمَلَكَ جَمِيعَ الشَّامِ ، وَقِيلَ سَنَةَ عِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .وَفِيهَا تُوُفِّيَتْ أَمُّ مَجْدِ الدَّوْلَةِ بْنِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ ، وَهِيَ الَّتِي تُدَبِّرُ الْمَمْلَكَةَ وَتُرَتِّبُ الْأُمُورُ.وَفِيهَا عُزِلَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ أَبُو عَلِيِّ بْنُ مَاكُولَا مِنْ وَزَارَةِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَوَلِيَ الْوَزَارَةَ بَعْدَهُ أَبُو طَاهِرٍ الْمُحْسِنُ بْنُ طَاهِرٍ ثُمَّ عُزِلَ بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَوَلِيَ بَعْدَهُ أَبُو سَعْدِ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ قُسْطَنْطِينُ مَلِكُ الرُّومِ ، وَانْتَقَلَ الْمُلْكُ إِلَى بِنْتٍ لَهُ ، وَقَامَ بِتَدَبُّرِ الْمُلْكِ وَالْجُيُوشِ زَوْجُهَا ، وَهُوَ ابْنُ خَالِهَا.وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْوَزِيرُ أَبُو الْقَاسِمِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ فَسَانْجَسَ بَأَرْبَقَ.وَفِيهَا عُدِمَتِ الْأَرْطَابُ بِالْعِرَاقِلِلْبَرْدِ الَّذِي تَقَدَّمَ فِي السَّنَةِ قَبْلَهَا ، وَكَانَ يُحْمَلُ مِنَ الْأَمَاكِنِ الْبَعِيدَةِ الشَّيْءُ الْيَسِيرُ مِنْهُ.وَفِيهَا انْقَطَعَ الْحَجُّ مِنَ الْعِرَاقِ ، فَمَضَى حُجَّاجُ خُرَاسَانَ إِلَى كِرْمَانَ ، وَرَكِبُوا فِي الْبَحْرِ إِلَى جُدَّةَ ، وَحَجُّوا. الْوَفَيَاتُ وَتُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَخْلَدٍ أَبُو الْحَسَنِ التَّاجِرُ ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ حَدَّثَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّفَّارِ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو الرَّزَّازِ وَعُمَرَ بْنِ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ ، وَكَانَ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ فَسَافَرَ إِلَى مِصْرَ خَوْفَ الْمُصَادَرَةِ ، فَأَقَامَ بِهَا سَنَةً ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَأُخِذَ مَالُهُ فِي التَّقْسِيطِ عَلَى الْكَرْخِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ سَنَةَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَافْتَقَرَ ، فَلَمَّا مَاتَ لَمْ يُوجَدْ لَهُ كَفَنٌ ، فَأَرْسَلَ لَهُ الْقَادِرُ بِاللَّهِ مَا يُكَفَّنُ فِيهِ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ عِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ عِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ مُلْكِ يَمِينِ الدَّوْلَةِ الرَّيَّ وَبَلَدَ الْجَبَلِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ نَحْوَ الرَّيِّ ، فَانْصَرَفَ مُنُوجَهْرُ بْنُ قَابُوسَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَهُوَ صَاحِبُ جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَأَنْزَالًا كَثِيرَةً.وَكَانَ مَجْدُ الدَّوْلَةِ بْنُ فَخْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ ، صَاحِبُ الرَّيِّ ، قَدْ كَاتَبَهُ يَشْكُو إِلَيْهِ جُنْدَهُ وَكَانَ مُتَشَاغِلًا بِالنِّسَاءِ ، وَمُطَالَعَةِ الْكُتُبِ وَنَسْخِهَا ، وَكَانَتْ وَالِدَتُهُ تُدَبِّرُ مَمْلَكَتَهُ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ طَمِعَ جُنْدُهُ فِيهِ.وَاخْتَلَّتْ أَحْوَالُهُ ، فَحِينَ وَصَلَتْ كُتُبُهُ إِلَى مَحْمُودٍ سَيَّرَ إِلَيْهِ جَيْشًا ، وَجَعَلَ مُقَدَّمَهُمْ حَاجِبَهُ ، وَأَمَرَهَ أَنْ يَقْبِضَ عَلَى مَجْدِ الدَّوْلَةِ.فَلَمَّا وَصَلَ الْعَسْكَرُ إِلَى الرَّيِّ رَكِبَ مَجْدُ الدَّوْلَةِ يَلْتَقِيهِمْ.فَقَبَضُوا عَلَيْهِ وَعَلَى أَبِي دُلَفَ وَلَدِهِ.فَلَمَّا انْتَهَى الْخَبَرُ إِلَى يَمِينِ الدَّوْلَةِ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ سَارَ إِلَى الرَّيِّ ، فَوَصَلَهَا فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ ، وَدَخَلَهَا ، وَأَخَذَ مِنَ الْأَمْوَالِ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَمِنَ الْجَوَاهِرِ مَا قِيمَتُهُ خَمْسُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَمِنَ الثِّيَابِ سِتَّةَ آلَافِ ثَوْبٍ ، وَمِنَ الْآلَاتِ وَغَيْرِهَا مَا لَا يُحْصَى ، وَأَحْضَرَ مَجْدَ الدَّوْلَةِ ، وَقَالَ لَهُ أَمَا قَرَأْتَ شَاهْنَامَهْ ، وَهُوَ تَارِيخُ الْفُرْسِ ، وَتَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ، وَهُوَ تَارِيخُ الْمُسْلِمِينَ ؟قَالَ بَلَى!قَالَ مَا حَالُكَ مَنْ قَرَأَهَا.أَمَا لَعِبْتَ بِالشَّطْرَنْجِ ؟قَالَ بَلَى!قَالَ فَهَلْ رَأَيْتَ شَاهًا يَدْخُلُ عَلَى شَاهٍ ؟قَالَ لَا ، قَالَ فَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ سَلَّمْتَ نَفْسَكَ إِلَى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنْكَ ؟ثُمَّ سَيَّرَهُ إِلَى خُرَاسَانَ مَقْبُوضًا ، ثُمَّ مَلَكَ قَزْوِينَ وَقِلَاعَهَا.وَمَدِينَةَ سَاوَةَ وَآبَهَ ، وَيَافَتَ ، وَقَبَضَ عَلَى صَاحِبِهَا وَلْكِينَ بْنِ وَنَدْرِينَ ، وَسَيَّرَهُ إِلَى خُرَاسَانَ.وَلَمَّا مَلَكَ مَحْمُودٌ الرَّيَّ كَتَبَ إِلَى الْخَلِيفَةِ الْقَادِرِ بِاللَّهِ يَذْكُرُ أَنَّهُ وَجَدَ لِمَجْدِ الدَّوْلَةِ مِنَ النِّسَاءِ الْحَرَائِرِ مَا يَزِيدُ عَلَى خَمْسِينَ امْرَأَةً وَلَدْنَ لَهُ نَيِّفًا وَثَلَاثِينَ وَلَدًا ، وَلَمَّا سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ ، قَالَ هَذِهِ عَادَةُ سَلَفِي.وَصُلِبَ مِنْ أَصْحَابِهِ الْبَاطِنِيَّةِ خَلْقًا كَثِيرًا.وَنَفَى الْمُعْتَزِلَةَ إِلَى خُرَاسَانَ ، وَأَحْرَقَ كُتُبَ الْفَلْسَفَةِ وَمَذَاهِبِ الِاعْتِزَالِ وَالنُّجُومِ ، وَأَخَذَ مِنَ الْكُتُبِ مَا سِوَى ذَلِكَ مِائَةَ حِمْلٍ.وَتَحَصَّنَ مِنْهُ مُنُوجَهْرُ بْنُ قَابُوسَ بْنِ وَشْمَكِيرَ بِجِبَالٍ حَصِينَةٍ ، وَعْرَةِ الْمَسَالِكِ ، فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا وَقَدْ أَطَلَّ عَلَيْهِ يَمِينُ الدَّوْلَةِ ، فَهَرَبَ مِنْهُ إِلَى غِيَاضٍ حَصِينَةٍ ، وَبَذَلَ خَمْسَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ لِيُصْلِحَهُ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَأَرْسَلَ الْمَالَ إِلَيْهِ ، فَسَارَ عَنْهُ إِلَى نَيْسَابُورَ.ثُمَّ تُوُفِّيَ مُنُوجَهْرُ عَقِيبَ ذَلِكَ ، وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَنُوشَرْوَانُ ، فَأَقَرَّهُ مَحْمُودٌ عَلَى وِلَايَتِهِ.وَقَرَّرَ عَلَيْهِ خَمْسَمِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ أُخْرَى ، وَخُطِبَ لِمَحْمُودٍ فِي أَكْثَرِ بِلَادِ الْجَبَلِ إِلَى حُدُودِ أَرْمِينِيَّةَ ، وَافْتَتَحَ ابْنُهُ مَسْعُودٌ زَنْجَانَ وَأَبْهَرَ ، وَخَطَبَ لَهُ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ بَأَصْبَهَانَ ، وَعَادَ مَحْمُودٌ إِلَى خُرَاسَانَ وَاسْتَخْلَفَ بِالرَّيِّ ابْنَهُ مَسْعُودًا ، فَقَصَدَ أَصْبَهَانَ ، وَمَلَكَهَا مِنْ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَعَادَ عَنْهَا ، وَاسْتَخْلَفَ بِهَا بَعْضَ أَصْحَابِهِ ، فَثَارَ بِهِ أَهْلُهَا فَقَتَلُوهُ ، فَعَادَ إِلَيْهِمْ فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً نَحْوَ خَمْسَةِ آلَافِ قَتِيلٍ.وَسَارَ إِلَى الرَّيِّ فَأَقَامَ بِهَا.ذِكْرُ مَا فَعَلَهُ السَّالَارُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَرْزُبَانِ بَعْدَ عَوْدِ يَمِينِ الدَّوْلَةِ عَنِ الرَّيِّ هَذَا السَّالَارُ هُوَ إِبْرَاهِيمُ الْمَرْزُبَانُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ وَهْسُوذَانَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُسَافِرٍ الدَّيْلَمِيُّ ، وَكَانَ لَهُ مِنْ بِلَادِ سَرْجَهَانَ ، وَزَنْجَانَ ، وَأَبْهَرَ ، وَشَهْرَزُورَ ، وَغَيْرِهَا ، وَهِيَ مَا اسْتَوْلَى عَلَيْهَا بَعْدَ وَفَاةِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ.فَلَمَّا مَلَكَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ الرَّيَّ سَيَّرَ الْمَرْزُبَانَ بْنَ الْحَسَنِ بْنِ خَرَامِيلَ ، وَهُمْ مِنْ أَوْلَادِ مُلُوكِ الدَّيْلَمِ ، وَكَانَ قَدِ الْتَجَأَ إِلَى يَمِينِ الدَّوْلَةِ ، فَسَيَّرَهُ إِلَى بِلَادِ السَّالَارِ إِبْرَاهِيمَ لِيَمْلِكَهَا فَقَصَدَهَا وَاسْتَمَالَ الدَّيْلَمَ فَمَالَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ.وَاتَّفَقَ عَوْدُ يَمِينِ الدَّوْلَةِ إِلَى خُرَاسَانَ ، فَسَارَ السَّالَارُ إِبْرَاهِيمُ إِلَى قَزْوِينَ ، وَبِهَا عَسْكَرُ يَمِينِ الدَّوْلَةِ فَقَاتَلَهُمْ ، فَأَكْثَرَ الْقَتْلَ فِيهِمْ.وَهَرَبَ الْبَاقُونَ ، وَأَعَانَهُ أَهْلُ الْبَلَدِ ، وَسَارَ السَّالَارُ أَيْضًا إِلَى مَكَانٍ بِقُرْبِ سَرْجَهَانَ تُطِيفُ بِهِ الْأَنْهَارُ وَالْجِبَالُ ، فَتَحَصَّنَ بِهِ.فَسَمِعَ مَسْعُودُ بْنُ يَمِينِ الدَّوْلَةِ ، وَهُوَ بِالرَّيِّ ، بِمَا فَعَلَ فَسَارَ مُجِدًّا إِلَى السَّالَارِ فَجَرَى بَيْنَهُمَا وَقَائِعُ كَانَ الِاسْتِظْهَارُ فِيهَا لِلسَّالَارِ.ثُمَّ إِنَّ مَسْعُودًا رَاسَلَ طَائِفَةً مِنْ جُنْدِ السَّالَارِ وَاسْتَمَالَهُمْ ، وَأَعْطَاهُمُ الْأَمْوَالَ فَمَالُوا إِلَيْهِ.وَدَلُّوهُ عَلَى عَوْرَةِ السَّالَارِ.وَحَمَلُوا طَائِفَةً مِنْ عَسْكَرِهِ فِي طَرِيقٍ غَامِضَةٍ ، حَتَّى جَعَلُوهُ مِنْ وَرَائِهِمْ ، وَكَبَسُوا السَّالَارَ أَوَّلَ رَمَضَانَ وَقَاتَلَهُ مَسْعُودٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَأُولَئِكَ مِنْ خَلْفِهِ فَاضْطَرَبَ السَّالَارُ وَمَنْ مَعَهُ ، وَانْهَزَمُوا وَطَلَبَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مَهْرَبًا ، وَاخْتَفَى السَّالَارُ فِي مَكَانٍ ، فَدَلَّتْ عَلَيْهِ امْرَأَةٌ سَوَادِيَّةٌ ، فَأَخَذَهُ مَسْعُودٌ وَحَمَلَهُ إِلَى سَرْجَهَانَ ، وَبِهَا وَلَدُهُ ، فَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُسَلِّمَهَا فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَعَادَ عَنْهَا وَتَسَلَّمَ بَاقِيَ قِلَاعِهِ وَبِلَادِهِ ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُ ، وَقَرَّرَ عَلَى ابْنِهِ الْمُقِيمِ بِسَرْجَهَانَ مَالًا ، وَعَلَى كُلِّ مَنْ جَاوَرَهُ مِنْ مُقَدَّمِي الْأَكْرَادِ.وَعَادَ إِلَى الرَّيِّ.ذِكْرُ مُلْكِ أَبِي كَالِيجَارَ مَدِينَةَ وَاسِطٍ وَمَسِيرِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ إِلَى الْأَهْوَازِ وَنَهْبِهَا وَعَوْدِ وَاسِطٍ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَصْعَدَ الْمَلِكُ أَبُو كَالِيجَارَ إِلَى مَدِينَةَ وَاسِطٍ فَمَلَكَهَا ، وَكَانَ ابْتِدَاءُ ذَلِكَ أَنَّ نُورَ الدَّوْلَةِ دُبَيْسَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ مَزْيَدٍ ، صَاحِبَ الْحِلَّةِ وَالنِّيلِ ، وَلَمْ تَكُنِ الْحِلَّةُ بُنِيَتْ ذَلِكَ الْوَقْتَ ، خُطِبَ لِأَبِي كَالِيجَارَ فِي أَعْمَالِهِ.وَسَبَبُهُ أَنَّ أَبَا حَسَّانَ الْمُقَلَّدَ بْنَ أَبِي الْأَغَرِّ الْحَسَنِ بْنِ مَزْيَدٍ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نُورِ الدَّوْلَةِ عَدَاوَةٌ ، فَاجْتَمَعَ ، هُوَ وَمَنِيعٌ أَمِيرُ بَنِي خَفَاجَةَ ، وَأَرْسَلَا إِلَى بَغْدَاذَ يَبْذُلَانِ مَالًا يَتَجَهَّزُ بِهِ الْعَسْكَرُ لِقِتَالِ نُورِ الدَّوْلَةِ ، فَاشْتَدَّ الْأَمْرُ عَلَى نُورِ الدَّوْلَةِ ، فَخَطَبَ لِأَبِي كَالِيجَارَ بِهِ وَرَاسَلَهُ يُطْمِعُهُ فِي الْبِلَادِ.ثُمَّ اتَّفَقَ أَنَّهُ مَلَكَ الْبَصْرَةَ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، فَقَوِيَ طَمَعُهُ ، فَسَارَ مِنَ الْأَهْوَازِ إِلَى وَاسِطٍ ، وَبِهَا الْمَلِكُ الْعَزِيزُ بْنُ جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَمَعَهُ جَمْعٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ.فَفَارَقَهَا الْعَزِيزُ ، وَقَصَدَ النُّعْمَانِيَّةَ ، فَفَجَّرَ عَلَيْهِ نُورُ الدَّوْلَةِ الْبُثُوقَ مِنْ بَلَدِهِ ، فَهَلَكَ كَثِيرٌ مِنْ أَثْقَالِهِمْ ، وَغَرِقَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ ، وَخُطِبَ فِي الْبَطِيحَةِ لِأَبِي كَالِيجَارَ ، وَوَرَدَ إِلَيْهِ نُورُ الدَّوْلَةِ.وَأَرْسَلَ أَبُو كَالِيجَارَ إِلَى قِرْوَاشٍ ، صَاحِبِ الْمَوْصِلِ ، وَعِنْدَهُ الْأَثِيرُ عَنْبَرٌ ، يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَنْحَدِرَ إِلَى الْعِرَاقِ لِيَبْقَى جَلَالُ الدَّوْلَةِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ.فَانْحَدَرَ إِلَى الْكُحَيْلِ ، فَمَاتَ بِهِ الْأَثِيرُ عَنْبَرٌ ، وَلَمْ يَنْحَدِرْ مَعَهُ قِرْوَاشٌ ، وَجَمَعَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ عَسَاكِرَهُ ، وَاسْتَنْجَدَ أَبَا الشَّوْكِ وَغَيْرَهُ ، وَانْحَدَرَ إِلَى وَاسِطٍ ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْعَسْكَرَيْنِ قِتَالٌ ، وَتَتَابَعَتِ الْأَمْطَارُ حَتَّى هَلَكُوا.وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ عَلَى جَلَالِ الدَّوْلَةِ لِفَقْرِهِ وَقِلَّةِ الْأَمْوَالِ وَغَيْرِهِ عِنْدَهُ ، فَاسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ فِيمَا يَفْعَلُ ، فَأَشَارُوا أَنْ يَقْصِدُوا الْأَهْوَازَ وَيَنْهَبَهَا ، وَيَأْخُذَ مَا بِهَا مِنْ أَمْوَالِ أَبِي كَالِيجَارَ وَعَسْكَرِهِ.فَسَمِعَ أَبُو كَالِيجَارَ ذَلِكَ فَاسْتَشَارَ أَيْضًا أَصْحَابَهُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ مَا عَدَلَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ عَنِ الْقَتْلِ إِلَّا لِضَعْفٍ فِيهِ ، وَالرَّأْيُ أَنْ تَسِيرَ إِلَى الْعِرَاقِ فَتَأْخُذَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ بِبَغْدَاذَ أَضْعَافَ مَا يَأْخُذُونَ مِنَّا ، فَاتَّفَقُوا عَلَى ذَلِكَ فَأَتَاهُمْ جَاسُوسٌ مِنْ أَبِي الشَّوْكِ يُخْبِرُ بِمَجِيءِ عَسَاكِرِ مَحْمُودِ بْنَ سُبُكْتِكِينَ إِلَى طَخْرٍ ، وَأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْعِرَاقَ ، وَيُشِيرُ بِالصُّلْحِ ، وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ عَلَى دَفْعِهِمْ عَنِ الْبِلَادِ.فَأَنْفَذَ أَبُو كَالِيجَارَ الْكِتَابَ إِلَى جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَقَدْ سَارَ إِلَى الْأَهْوَازِ وَأَقَامَ يَنْتَظِرُ الْجَوَابَ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ جَلَالَ الدَّوْلَةِ يَعُودُ بِالْكِتَابِ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ جَلَالُ الدَّوْلَةِ وَمَضَى إِلَى الْأَهْوَازِ فَنَهَبَهَا ، وَأَخَذَ مِنْ دَارِ الْإِمَارَةِ مِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَأَخَذُوا مَا لَا يُحْصَى ، وَدَخَلَ الْأَكْرَادُ وَالْأَعْرَابُ وَغَيْرُهُمْ إِلَى الْبَلَدِ ، فَأَهْلَكُوا النَّاسَ بِالنَّهْبِ وَالسَّبْيِ ، وَأُخِذَتْ وَالِدَةُ أَبِي كَالِيجَارَ وَابْنَتُهُ وَأُمُّ وَلَدِهِ وَزَوْجَتُهُ ، فَمَاتَتْ أُمُّهُ ، وَحُمِلَ مَنْ عَدَاهَا إِلَى بَغْدَاذَ.وَلَمَّا سَمِعَ أَبُو كَالِيجَارَ الْخَبَرَ سَارَ لِيَلْقَى جَلَالَ الدَّوْلَةِ فَتَخَلَّفَ عَنْهُ دُبَيْسُ بْنُ مَزْيَدٍ ، خَوْفًا عَلَى أَهْلِهِ وَحُلَلِهِ مِنْ خَفَاجَةَ ، وَالْتَقَى أَبُو كَالِيجَارَ ، وَجَلَالُ الدَّوْلَةِ آخِرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَاقْتَتَلُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَانْهَزَمَ أَبُو كَالِيجَارَ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَلْفَا رَجُلٍ ، وَوَصَلَ إِلَى الْأَهْوَازِ بِأَسْوَأِ حَالٍ ، فَأَتَاهُ الْعَادِلُ بْنُ مَافَنَّةَ بِمَالٍ ، فَحَسُنَتْ حَالُهُ.وَأَمَّا جَلَالُ الدَّوْلَةِ فَإِنَّهُ عَادَ وَاسْتَوْلَى عَلَى وَاسِطٍ ، وَجَعَلَ ابْنَهُ الْعَزِيزَ بِهَا ، وَأَصْعَدَ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَمَدَحَهُ الْمُرْتَضَى وَمِهْيَارُ وَغَيْرُهُمَا ، وَهَنَّأُوهُ بِالظَّفَرِ.ذِكْرُ حَالِ دُبَيْسِ بْنِ مَزْيَدٍ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ لَمَّا عَادَ دُبَيْسُ بْنُ مَزْيَدٍ الْأَسَدِيُّ ، وَفَارَقَ أَبَا كَالِيجَارَ ، وَصَلَ إِلَى بَلَدِهِ ، وَكَانَ قَدْ خَالَفَ عَلَيْهِ قَوْمٌ مِنْ بَنِي عَمِّهِ ، وَنَزَلُوا الْجَامِعَيْنِ ، وَأَتَاهُمْ وَقَاتَلَهُمْ ، فَظَفِرَ بِهِمْ ، وَأَسَرَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً مِنْهُمْ شَبِيبٌ ، وَسَرَايَا ، وَوَهْبٌ ، بَنُو حَمَّادِ بْنِ مَزْيَدٍ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْغَنَائِمِ بْنِ مَزْيَدٍ ، وَحَمَلَهُمْ إِلَى الْجَوْسَقِ.ثُمَّ إِنَّ الْمُقَلَّدَ بْنَ أَبِي الْأَعَزِّ بْنِ مَزْيَدٍ وَغَيْرَهُ اجْتَمَعُوا وَمَعَهُمْ عَسْكَرٌ مِنْ جَلَالِ الدَّوْلَةِ وَقَصَدُوا دُبَيْسًا وَقَاتَلُوهُ ، فَانْهَزَمَ مِنْهُمْ ، وَأُسِرَ مِنْ بَنِي عَمِّهِ خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، فَنَزَلَ الْمُعْتَقَلُونَ بِالْجَوْسَقِ ، وَهُمْ شَبِيبٌ وَأَصْحَابُهُ ، إِلَى حُلَلِهِ فَحَرَسُوهَا ، وَسَارَ دُبَيْسٌ مُنْهَزِمًا إِلَى السِّنْدِيَّةِ ، إِلَى نَجْدَةِ الدَّوْلَةِ أَبِي مَنْصُورٍ كَامِلِ بْنِ قُرَادٍ فَاصْطَحَبَهُ إِلَى أَبِي سِنَانٍ غَرِيبِ بْنِ مَقْنٍ ، حَتَّى أَصْلَحَ أَمْرَهُ مَعَ جَلَالِ الدَّوْلَةِ وَعَسْكَرِهِ ، وَتَكَفَّلَ بِهِ ، وَضَمِنَ عَنْهُ عَشَرَةَ آلَافِ دِينَارٍ سَابُورِيَّةٍ إِذَا أُعِيدَ إِلَى وِلَايَتِهِ ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ ، وَخُلِعَ عَلَيْهِ.فَعَرَفَ الْمُقَلَّدُ الْحَالَ وَمَعَهُ جَمْعٌ مِنْ خَفَاجَةَ فَنَهَبُوا مَطِيرَابَاذَ ، وَالنِّيلَ ، وَسُورًا ، أَقْبَحَ نَهْبٍ ، وَاسْتَاقُوا مَوَاشِيَهَا ، وَأَحْرَقُوا مَنَازِلَهَا ، وَعَبَرَ الْمُقَلَّدُ دِجْلَةَ إِلَى أَبِي الشَّوْكِ ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ أَحْكَمَ أَمْرَهُ.ذِكْرُ عِصْيَانِ زِنَاتَةَ وَمُحَارَبَتِهِمْ بِإِفْرِيقِيَّةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تَجَمَّعَتْ زِنَاتَةُ وَعَاوَدَتِ الْخِلَافَ عَلَى الْمُعِزِّ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْمُعِزَّ ، فَجَمَعَ عَسَاكِرَهُ ، وَسَارَ إِلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ ، فَالْتَقَوْا بِمَوْضِعٍ يُعْرَفُ بِحَمْدِيسِ الصَّابُونِ ، وَوَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، فَانْهَزَمَتْ زِنَاتَةُ وَقُتِلَ مِنْهُمْ عَدَدٌ كَثِيرٌ ، وَأُسَرِ مِثْلُهُمْ ، وَعَادَ الْمُعِزُّ ظَافِرًا غَانِمًا.ذِكْرُ مَا فَعَلَهُ يَمِينُ الدَّوْلَةِ وَوَلَدُهُ بَعْدَهُ بِالْغُزِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَوْقَعَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ بِالْأَتْرَاكِ الْغُزِّيَّةِ ، وَفَرَّقَهُمْ فِي بِلَادِهِ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ أَفْسَدُوا فِيهَا ، وَهَؤُلَاءِ كَانُوا أَصْحَابَ أَرْسَلَانَ بْنِ سَلْجُوقَ التُّرْكِيِّ ، وَكَانُوا بِمَفَازَةِ بُخَارَى ، فَلَمَّا عَبَرَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ النَّهْرَ إِلَى بُخَارَى هَرَبَ عَلَيُّ تِكِينَ صَاحِبُهَا مِنْهُ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ.وَحَضَرَ أَرْسَلَانُ بْنُ سَلْجُوقَ عِنْدَ يَمِينِ الدَّوْلَةِ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ وَسَجَنَهُ بِبِلَادِ الْهِنْدِ ، وَأَسْرَى إِلَى خَرْكَاهَاتِهِ ، فَقَتَلَ كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَسَلِمَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَهَرَبُوا مِنْهُ وَلَحِقُوا بِخُرَاسَانَ فَأَفْسَدُوا فِيهَا ، وَنَهَبُوا هَذِهِ السَّنَةَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ جَيْشًا فَسَبَوْهُمْ وَأَجْلَوْهُمْ عَنْ خُرَاسَانَ ، فَسَارَ مِنْهُمْ أَهْلُ أَلْفَيْ خَرْكَاةَ ، فَلَحِقُوا بِأَصْبَهَانَ ، فَكَتَبَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ إِلَى عَلَاءِ الدَّوْلَةِ بِإِنْفَاذِهِمْ ، أَوْ إِنْفَاذِ رُءُوسِهِمْ فَأَمَرَ نَائِبَهُ أَنْ يَعْمَلَ طَعَامًا وَيَدْعُوَهُمْ إِلَيْهِ وَيَقْتُلَهُمْ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ يُرِيدُ إِثْبَاتَ أَسْمَائِهِمْ لِيَسْتَخْدِمَهُمْ ، وَكَمَنَ الدَّيْلَمُ فِي الْبَسَاتِينِ فَحَضَرَ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَلَقِيَهُمْ مَمْلُوكٌ تُرْكِيٌّ لِعَلَاءِ الدَّوْلَةِ ، فَأَعْلَمَهُمُ الْحَالَ ، فَعَادُوا ، فَأَرَادَ نَائِبُ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ أَنْ يَمْنَعَهُمْ مِنَ الْعَوْدِ ، فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ ، فَحَمَلَ دَيْلَمِيُّ مِنْ قُوَّادِ الدَّيْلَمِ عَلَى إِنْسَانٍ مِنْهُمْ ، فَرَمَاهُ التُّرْكِيُّ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ.وَوَقَعَ الصَّوْتُ بِذَلِكَ ، فَخَرَجَتِ الدَّيْلَمُ وَانْضَافَ إِلَيْهِمْ أَهْلُ الْبَلَدِ ، فَجَرَى بَيْنَهُمْ حَرْبٌ ، فَهَزَمُوهُمْ ، فَقَلَعَ التُّرْكُ خَرْكَاهَاتِهِمْ وَسَارُوا ، وَلَمْ يَجْتَازُوا عَلَى قَرْيَةٍ إِلَّا نَهَبُوهَا إِلَى أَنْ وَصَلُوا إِلَى وَهْسُوذَانَ بِأَذْرَبِيجَانَ ، فَرَاعَاهُمْ وَتَفَقَّدَهُمْ.وَبَقِيَ بِخُرَاسَانَ أَكْثَرُ مِمَّنْ قَصَدَ أَصْبَهَانَ ، فَأَتَوْا جَبَلَ بَلْجَانَ وَهُوَ الَّذِي عِنْدَهُ خُوَارَزْمُ الْقَدِيمَةُ ، فَنَزَلَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ مِنَ الْجَبَلِ إِلَى الْبِلَادِ فَنَهَبُوا ، وَأَخْرَبُوا وَقَتَلُوا ، فَجَرَّدَ مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ إِلَيْهِمْ أَرْسَلَانَ الْجَاذِبَ ، أَمِيرَ طُوسَ فَسَارَ إِلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَزَلْ يَتْبَعُهُمْ نَحْوَ سَنَتَيْنِ فِي جُمُوعٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْعَسَاكِرِ ، فَاضْطَرَّ مَحْمُودٌ إِلَى قَصْدِ خُرَاسَانَ بِسَبَبِهِمْ ، فَسَارَ يَطْلُبُهُمْ مِنْ نَيْسَابُورَ إِلَى دِهِسْتَانَ ، فَسَارُوا إِلَى جُرْجَانَ ، ثُمَّ عَادَ عَنْهُمْ ، وَجَعَلَ ابْنَهُ مَسْعُودًا بِالرَّيِّ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ فَاسْتَخْدَمَ بَعْضَهُمْ وَمُقَدَّمُهُمْ يَغْمُرُ.فَلَمَّا مَاتَ مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ سَارَ مَسْعُودٌ ابْنُهُ إِلَى خُرَاسَانَ وَهُمْ مَعَهُ ، فَلَمَّا مَلَكَ غَزْنَةَ سَأَلُوهُ فِيمَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ بِجَبَلِ بَلْجَانَ ، فَأَذِنَ لَهُمْ فِي الْعَوْدِ عَلَى شَرْطِ الطَّاعَةِ وَالِاسْتِقَامَةِ.ثُمَّ إِنَّ مَسْعُودًا قَصَدَ بِلَادَ الْهِنْدِ عِنْدَ عِصْيَانِ أَحْمَدَ يَنَالْتِكِينَ ، فَعَاوَدُوا الْفَسَادَ ، فَسَيَّرَ تَاشَ فِرَاشَ فِي عَسْكَرٍ كَثِيرٍ إِلَى الرَّيِّ لِأَخْذِهَا مِنْ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ فَلَمَّا بَلَغَ نَيْسَابُورَ ، وَرَأَى سُوءَ فِعْلِهِمْ ، دَعَا مُقَدَّمِيهِمْ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ نَيِّفًا وَخَمْسِينَ رَجُلًا ، فِيهِمْ يَغْمُرُ ، فَلَمْ يَنْتَهُوا ، وَسَارُوا إِلَى الرَّيِّ.وَبَلَغَ مَسْعُودًا مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ ، فَأَخَذَ حُلَلَهُمْ ، وَسَيَّرَهَا إِلَى الْهِنْدِ ، وَقَطَعَ أَيْدِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ وَأَرْجُلِهِمْ وَصَلَبَهُمْ.هَذِهِ أَخْبَارُ عَشِيرَةِ أَرْسَلَانِ بْنِ سَلْجُوقَ ، وَأَمَّا أَخْبَارُ طُغْرُلْبَكَ ، وَدَاوُدَ ، وَأَخِيهِمَا بِيغُو ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا نَذْكُرُهُ بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى لِأَنَّهُمْ صَارُوا مُلُوكًا تَجِيءُ أَخْبَارُهُمْ عَلَى السِّنِينَ.وَلَمَّا أَوْقَعَ تَاشُ فِرَاشُ حَاجِبُ السُّلْطَانِ مَسْعُودٍ بِالْغُزِّ سَارُوا إِلَى الرَّيِّ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَذْرَبِيجَانَ ، وَاللَّحَاقَ بِمَنْ مَضَى مِنْهُمْ أَوَّلًا إِلَى هُنَاكَ ، وَيُسَمَّوْنَ الْعِرَاقِيَّةَ ، وَكَانَ اسْمُ أُمَرَاءِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ كُوكْتَاشَ ، وَبُوقَا ، وَقَزَلَ ، وَيَغْمُرَ ، وَنَاصِغْلِي ، فَوَصَلُوا إِلَى الدَّامَغَانِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَسْكَرُهَا وَأَهْلُ الْبَلَدِ لِيَمْنَعُوهُمْ عَنْهُ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا ، فَصَعِدُوا الْجَبَلَ وَتَحَصَّنُوا بِهِ وَدَخَلَ الْغُزُّ الْبَلَدَ وَنَهَبُوا ، وَانْتَقَلُوا إِلَى سِمْنَانَ فَفَعَلُوا فِيهَا مِثْلَ ذَلِكَ ، وَدَخَلُوا خُوَارَ الرَّيِّ فَفَعَلُوا مِثْلَهُ ، وَنَهَبُوا إِسْحَاقَ آبَاذَ وَمَا يُجَاوِرُهَا مِنَ الْقُرَى ، وَسَارُوا إِلَى مُشْكُوَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ الرَّيِّ فَنَهَبُوهَا.وَتَجَهَّزَ أَبُو سَهْلٍ الْحَمْدُونِيُّ ، وَتَاشُ فِرَاشَ ، وَكَاتَبَا الْمَلِكَ مَسْعُودًا ، وَصَاحِبَ جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ بِالْحَالِ ، وَطَلَبَا النَّجْدَةَ ، وَأَخَذَ تَاشُ ثَلَاثَةَ آلَافِ فَارِسٍ ، وَمَا عِنْدَهُ مِنَ الْفِيَلَةِ وَالسِّلَاحِ وَسَارَ إِلَى الْغُزِّ لِيُوَاقِعَهُمْ ، وَبَلَغَهُمْ خَبَرُهُ ، ، فَتَرَكُوا نِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَمَا غَنِمُوا مِنْ خُرَاسَانَ وَهَذِهِ الْبِلَادِ الْمَذْكُورَةِ ، وَسَارُوا جَرِيدَةً ، فَالْتَقَوْا فَرَكِبَ تَاشُ الْفِيلَ ، وَوَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، فَكَانَتْ أَوَّلًا لِتَاشَ ، ثُمَّ إِنَّ الْغُزَّ أَسَرُوا مُقَدَّمَ الْأَكْرَادِ الَّذِينَ مَعَ تَاشَ ، وَأَرَادُوا قَتْلَهُ ، فَقَالَ لَهُمْ اسْتَبْقُونِي حَتَّى آمُرَ الْأَكْرَادَ الَّذِينَ مَعَ تَاشَ بِتَرْكِ قِتَالِهِمْ ، فَتَرَكُوهُ ، وَعَاهَدُوهُ عَلَى إِطْلَاقِهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْأَكْرَادِ يَقُولُ لَهُمْ إِنْ قَاتَلَهُمْ قُتِلْتُ; فَفَتَرُوا فِي الْقِتَالِ.وَحَمَلَتِ الْغُزُّ ، وَكَانُوا خَمْسَةَ آلَافٍ ، عَلَى تَاشَ فِرَاشَ وَعَسْكَرِهِ ، فَانْهَزَمَ الْأَكْرَادُ ، وَثَبَتَ تَاشُ ، وَأَصْحَابُهُ ، فَقَتَلَ الْغُزُّ الْفِيلَ الَّذِي تَحْتَهُ فَسَقَطَ فَقَتَلُوهُ وَقَطَّعُوهُ أَخْذًا بِثَأْرِ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ ، وَقُتِلَ مَعَهُ عَدَدٌ كَثِيرٌ مِنَ الْخُرَاسَانِيَّةِ وَأَكَابِرِ الْقُوَّادِ وَغَنِمُوا بَقِيَّةَ الْفِيَلَةِ وَأَثْقَالِ الْعَسْكَرِ ، وَسَارُوا إِلَى الرَّيِّ فَاقْتَتَلُوا هُمْ وَأَبُو سَهْلٍ الْحَمْدُونِيُّ.وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْجُنْدِ وَأَهْلِ الْبَلَدِ فَصَعِدَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ قَلْعَةَ طَبَرَكَ ، وَدَخَلَ الْغُزُّ الْبَلَدَ ، وَنَهَبُوا عِدَّةَ مَحَالٍّ نَهْبًا اجْتَاحُوا بِهِ الْأَمْوَالَ ، ثُمَّ اقْتَتَلُوا هُمْ وَأَبُو سَهْلٍ ، فَأَسَرَ مِنْهُمُ ابْنَ أُخْتٍ لِيَغْمُرَ أَمِيرِ الْغُزِّ وَقَائِدًا كَبِيرًا مِنْ قُوَّادِهِمْ ، فَبَذَلُوا فِيهِمَا إِعَادَةَ مَا أَخَذُوا مِنْ عَسْكَرِ تَاشَ ، وَإِطْلَاقَ الْأَسْرَى ، وَحَمْلَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَقَالَ لَا أَفْعَلُ إِلَّا بِأَمْرِ السُّلْطَانِ.وَخَرَجَ الْغُزُّ عَنِ الْبَلَدِ ، وَوَصَلَ عَسْكَرٌ مِنْ جُرْجَانَ ، فَلَمَّا قَرَبُوا مِنَ الرَّيِّ سَارَ إِلَيْهِمُ الْغُزُّ فَكَبَسُوهُمْ ، وَأَسَرُوا مُقَدَّمَهُمْ ، وَأَسَرُوا مَعَهُ نَحْوَ أَلْفَيْ رَجُلٍ ، وَانْهَزَمَ الْبَاقُونَ وَعَادُوا ، وَكَانَ هَذَا سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.ذِكْرُ وُصُولِ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ إِلَى الرَّيِّ وَاتِّفَاقِهِ مَعَ الْغُزِّ وَعَوْدِهِمْ إِلَى الْخِلَافِ عَلَيْهِ لَمَّا فَارَقَ الْغُزُّ الرَّيَّ إِلَى أَذْرَبِيجَانَ عَلِمَ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ ذَلِكَ ، فَسَارَ إِلَيْهَا ، وَدَخَلَهَا وَهُوَ يُظْهِرُ طَاعَةَ السُّلْطَانِ مَسْعُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي سَهْلٍ الْحَمْدُونِيِّ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُقَرِّرَ الَّذِي عَلَيْهِ بِمَالٍ يُؤَدِّيهِ فَامْتَنَعَ مِنْ إِجَابَتِهِ مَخَافَةَ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ فَأَرْسَلَ إِلَى الْغُزِّ يَسْتَدْعِيهِمْ لِيُعْطِيَهُمُ الْأَقْطَاعَ ، وَيَتَقَوَّى بِهِمْ عَلَى الْحَمْدُونِيِّ ، فَعَادَ مِنْهُمْ نَحْوُ أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةٍ ، مُقَدَّمُهُمْ قَزَلُ ، وَسَارَ الْبَاقُونَ إِلَى أَذْرَبِيجَانَ.فَلَمَّا وَصَلَ الْغُزُّ إِلَى عَلَاءِ الدَّوْلَةِ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، وَتَمَسَّكَ بِهِمْ ، وَأَقَامُوا عِنْدَهُ ، ثُمَّ ظَهَرَ عَلَى بَعْضِ الْقُوَّادِ الْخُرَاسَانِيَّةِ الَّذِينَ عِنْدَهُ أَنَّهُ دَعَا الْغُزَّ إِلَى مُوَافَقَتِهِ عَلَى الْخُرُوجِ عَلَيْهِ وَالْعِصْيَانِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ وَأَحْضَرَهُ وَقَبَضَ عَلَيْهِ ، وَسَجَنَهُ فِي قَلْعَةِ طَبَرَكَ ، فَاسْتَوْحَشَ الْغُزُّ لِذَلِكَ وَنَفَرُوا فَاجْتَهَدَ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ فِي تَسْكِينِهِمْ فَلَمْ يَفْعَلُوا وَعَاوَدُوا الْفَسَادَ وَالنَّهْبَ وَقَطْعَ الطَّرِيقِ ، وَعَادَ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ فَرَاسَلَ أَبَا سَهْلٍ الْحَمْدُونِيَّ ، وَهُوَ بِطَبَرِسْتَانَ ، وَقَرَّرَ مَعَهُ أَمْرَ الرَّيِّ لِيَكُونَ فِي طَاعَةِ مَسْعُودٍ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَسَارَ إِلَى نَيْسَابُورَ وَبَقِيَ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ بِالرَّيِّ.ذِكْرُ مَا كَانَ مِنَ الْغُزِّ الَّذِينَ بِأَذْرَبِيجَانَ وَمُفَارَقَتِهَا قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ طَائِفَةً مِنَ الْغُزِّ وَصَلُوا إِلَى أَذْرَبِيجَانَ ، فَأَكْرَمَهُمْ وَهْسُوذَانُ ، وَصَاهَرَهُمْ ، رَجَاءَ نَصْرِهِمْ وَكَفِّ شَرِّهِمْ.وَكَانَ أَسْمَاءُ مُقَدَّمِيهِمْ بُوقَا ، وَكُوكَتَاشُ ، وَمَنْصُورٌ ، وَدَانَا ، وَكَانَ مَا أَمَّلَهُ بَعِيدًا فَإِنَّهُمْ لَمْ يَتْرُكُوا الشَّرَّ وَالْفَسَادَ ، وَالْقَتْلَ وَالنَّهْبَ ، وَسَارُوا إِلَى مَرَاغَةَ ، فَدَخَلُوهَا سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَأَحْرَقُوا جَامِعَهَا ، وَقَتَلُوا مِنْ عَوَامِّهَا مَقْتَلَةً كَثِيرَةً ، وَمِنَ الْأَكْرَادِ الْهُذْبَانِيَّةِ كَذَلِكَ ، وَعَظُمَ الْأَمْرُ ، وَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ.فَلَمَّا رَأَى الْأَكْرَادُ مَا حَلَّ بِهِمْ وَبِأَهْلِ الْبِلَادِ شَرَعُوا فِي الصُّلْحِ وَالِاتِّفَاقِ عَلَى دَفْعِ شَرِّهِمْ ، فَاصْطَلَحَ أَبُو الْهَيْجَاءِ بْنُ رَبِيبِ الدَّوْلَةِ وَوَهْسُوذَانُ صَاحِبُ أَذْرَبِيجَانَ وَاتَّفَقَتْ كَلِمَتُهُمَا ، وَاجْتَمَعَ مَعَهُمَا أَهْلُ تِلْكَ الْبِلَادِ ، فَانْتَصَفُوا مِنَ الْغُزِّ.، فَلَمَّا رَأَوُا اجْتِمَاعَ أَهْلِ الْبِلَادِ عَلَى حَرْبِهِمُ انْصَرَفُوا عَنْ أَذْرَبِيجَانَ ، وَتَعَذَّرَ عَلَيْهِمُ الْمُقَامُ بِهَا ، ثُمَّ إِنَّهُمُ افْتَرَقُوا ، فَسَارَ طَائِفَةٌ إِلَى الَّذِينَ عَلَى الرَّيِّ ، وَمُقَدَّمُهُمْ بُوقَا ، وَسَارَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ، وَمُقَدَّمُهُمْ مَنْصُورٌ وَكُوكَتَاشُ إِلَى هَمَذَانَ فَحَصَرُوهَا ، وَبِهَا أَبُو كَالِيجَارَ بْنُ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ كَاكَوَيْهِ ، فَاتَّفَقَ هُوَ وَأَهْلُ الْبِلَادِ عَلَى قِتَالِهِمْ ، وَدَفْعِهِمْ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَبَلَدِهِمْ فَقُتِلَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ ، وَطَالَ مُقَامُهُمْ عَلَى هَمَذَانَ ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو كَالِيجَارَ بْنُ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ ذَلِكَ ، وَضَعْفَهُ عَنْ مُقَاوَمَتِهِمْ ، رَاسَلَ كُوكَتَاشَ وَصَالَحَهُ وَصَاهَرَهُ.وَأَمَّا الَّذِينَ قَصَدُوا الرَّيَّ فَإِنَّهُمْ حَصَرُوهَا ، وَبِهَا عَلَاءُ الدَّوْلَةِ بْنُ كَاكَوَيْهِ ، وَاجْتَمَعَ مَعَهُمْ فَنَّاخَسْرُو بْنُ مَجْدِ الدَّوْلَةِ ، وَكَامْرُو الدَّيْلَمِيُّ ، صَاحِبُ سَاوَةَ ، فَكَثُرَ جَمْعُهُمْ ، وَاشْتَدَّتْ شَوْكَتُهُمْ.فَلَمَّا رَأَى عَلَاءُ الدَّوْلَةِ أَنَّهُمْ كُلَّمَا جَاءَ أَمْرُهُمُ ازْدَادُوا قُوَّةً ، وَضَعُفَ هُوَ ، خَافَ عَلَى نَفْسِهِ ، وَفَارَقَ الْبَلَدَ فِي رَجَبٍ لَيْلًا ، وَمَضَى هَارِبًا إِلَى أَصْبَهَانَ ، وَأَجْفَلَ أَهْلُ الْبَلَدِ وَتَمَزَّقُوا ، وَعَدَلُوا عَنِ الْقِتَالِ إِلَى الِاحْتِيَالِ لِلْهَرَبِ ، وَغَادَاهُمُ الْغُزُّ مِنَ الْغَدِ الْقِتَالَ ، فَلَمْ يَثْبُتُوا لَهُمْ ، وَدَخَلُوا الْبَلَدَ ، وَنَهَبُوا نَهْبًا فَاحِشًا ، وَسَبَوُا النِّسَاءَ ، وَبَقُوا كَذَلِكَ خَمْسَةَ أَيَّامٍ ، حَتَّى لَجَأَ الْحُرَمُ إِلَى الْجَامِعِ ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ وَمَهْرَبٍ ، وَكَانَ السَّعِيدُ مَنْ نَجَا بِنَفْسِهِ ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْوَقْعَةُ بَعْدَ الَّتِي تَقَدَّمَتْهَا مُسْتَأْصِلَةً ، حَتَّى قِيلَ إِنَّ بَعْضَ الْجُمَعِ لَمْ يَكُنْ بِالْجَامِعِ إِلَّا خَمْسُونَ نَفْسًا.وَلَمَّا فَارَقَ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ الرَّيَّ تَبِعَهُ جَمْعٌ مِنَ الْغُزِّ فَلَمْ يُدْرِكُوهُ فَعَدَلُوا إِلَى كَرَجَ فَنَهَبُوهَا ، وَفَعَلُوا فِيهَا الْأَفَاعِيلَ الْقَبِيحَةَ.وَمَضَى طَائِفَةٌ مِنْهُمْ وَمُقَدَّمُهُمْ نَاصُغْلِي ، إِلَى قَزْوِينَ ، فَقَاتَلَهُمْ أَهْلُهَا ، ثُمَّ صَالَحُوهُمْ عَلَى سَبْعَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، وَصَارُوا فِي طَاعَتِهِ.وَكَانَ بِأُرْمِيَةَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ، فَسَارُوا إِلَى بَلَدِ الْأَرْمَنِ ، فَأَوْقَعُوا بِهِمْ وَأَثْخَنُو فِيهِمْ وَأَكْثَرُوا الْقَتْلَ ، وَغَنِمُوا وَسَبَوْا ، وَعَادُوا إِلَى أُرْمِيَةَ وَأَعْمَالِ أَبِي الْهَيْجَاءِ الْهُذْبَانِيِّ ، فَقَاتَلَهُمْ أَكْرَادُهَا لِمَا أَنْكَرُوهُ مِنْ سُوءِ مُجَاوَرَتِهِمْ ، فَقُتِلَ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَنَهَبَ الْغُزُّ سَوَادَ الْبِلَادِ هُنَاكَ ، وَقَتَلُوا مِنَ الْأَكْرَادِ كَثِيرًا.ذِكْرُ مُلْكِ الْغُزِّ هَمَذَانَ قَدْ ذَكَرْنَا حِصَارَ الْغُزِّ هَمَذَانَ وَصُلْحَهُمْ مَعَ صَاحِبِهَا أَبِي كَالِيجَارَ بْنِ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ كَاكَوَيْهِ ، فَلَمَّا كَانَ الْآنَ ، وَمَلَكَ الْغُزُّ الرَّيَّ ، عَاوَدُوا حِصَارَ هَمَذَانَ ، وَسَارُوا إِلَيْهَا مِنَ الرَّيِّ ، مَا عَدَا قَزَلَ وَجَمَاعَتَهُ ، وَاجْتَمَعُوا مَعَ مَنْ بِهَا مِنَ الْغُزِّ.فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو كَالِيجَارَ بِهِمْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْهِمْ ، فَسَارَ عَنْهَا وَمَعَهُ وُجُوهُ التُّجَّارِ وَأَعْيَانُ الْبَلَدِ ، وَتَحَصَّنَ بِكِنْكِوَرَ.وَدَخَلَ الْغُزُّ هَمَذَانَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهَا مِنْ مُقَدَّمِيهِمْ كُوكَتَاشُ ، وَبُوقَا ، وَقَزَلُ ، وَمَعَهُمْ فَنَّاخَسْرُو بْنُ مَجْدِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ فِي عُدَّةٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الدَّيْلَمِ ، فَلَمَّا دَخَلُوهَا نَهَبُوهَا نَهْبًا مُنْكَرًا لَمْ يَفْعَلُوهُ بِغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ ، غَيْظًا مِنْهُمْ ، وَحُنْقًا عَلَيْهِمْ ، حَيْثُ قَاتَلُوهُمْ أَوَّلًا وَأَخَذُوا الْحُرَمَ ، وَضُرِبَتْ سَرَايَاهُمْ إِلَى أَسَدَابَاذَ وَقُرَى الدِّينَوَرِ ، وَاسْتَبَاحُوا تِلْكَ النَّوَاحِي ، وَكَانَ الدَّيْلَمُ أَشَدَّهُمْ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ أَبِي الشَّوْكِ ، ، صَاحِبُ الدِّينَوَرِ ، فَوَاقَعَهُمْ ، وَاسْتَظْهَرَ عَلَيْهِمْ ، وَأَسَرَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً فَرَاسَلَهُ أُمَرَاؤُهُمْ فِي إِطْلَاقِهِمْ ، فَامْتَنَعَ إِلَّا عَلَى صُلْحٍ وَعُهُودٍ ، فَأَجَابُوهُ وَصَالَحُوهُ فَأَطْلَقَهُمْ.ثُمَّ إِنَّ الْغُزَّ بِهَمَذَانَ رَاسَلُوا أَبَا كَالِيجَارَ عَلَاءَ الدَّوْلَةِ وَصَالَحُوهُ ، وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَنْزِلَ إِلَيْهِمْ لِيُدَبِّرَ أَمْرَهُمْ ، وَيَصْدُرُونَ عَنْ رَأْيِهِ ، وَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ زَوْجَتَهُ الَّتِي تَزَوَّجَهَا مِنْهُمْ ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا صَارَ مَعَهُمْ وَثَبُوا عَلَيْهِ فَانْهَزَمَ ، وَنَهَبُوا مَالَهُ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ دَوَابَّ وَغَيْرِهَا.فَسَمِعَ أَبُوهُ فَخَرَجَ مِنْ أَصْبَهَانَ إِلَى أَعْمَالِهِ بِالْجَبَلِ لِيُشَاهِدَهَا ، فَوَقَعَ بِطَائِفَةٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْغُزِّ ، فَظَفِرَ بِهِمْ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ فَأَكْثَرَ ، وَأَسَرَ مِثْلَهُمْ ، وَدَخَلَ أَصْبَهَانَ مَنْصُورًا.ذِكْرُ قَتْلِ الْغُزِّ بِمَدِينَةِ تَبْرِيزَ وَفِرَاقِهِمْ أَذْرَبِيجَانَ إِلَى الْهَكَّارِيَةِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ قَتَلَ وَهْسُوذَانُ بْنُ مَهْلَانَ جَمْعًا كَثِيرًا مِنَ الْغُزِّ بِمَدِينَةِ تَبْرِيزَ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ دَعَا جَمْعًا كَثِيرًا مِنْهُمْ إِلَى طَعَامٍ صَنَعَهُ لَهُمْ ، فَلَمَّا طَعِمُوا وَشَرِبُوا قَبَضَ عَلَى ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ مِنْ مُقَدَّمِيهِمْ ، فَضَعُفَ الْبَاقُونَ ، فَأَكْثَرَ فِيهِمُ الْقَتْلَ ، فَاجْتَمَعَ الْغُزُّ الْمُقِيمُونَ بِأُرْمِيَةَ وَسَارُوا نَحْوَ بِلَادِ الْهَكَّارِيَةِ مِنْ أَعْمَالِ الْمَوْصِلِ فَقَاتَلُهُمْ أَكْرَادُهَا ، وَقَاتَلُوهُمْ قِتَالًا عَظِيمًا ، فَانْهَزَمَ الْأَكْرَادُ وَمَلَكَ الْغُزُّ حُلَلَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَنِسَائَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ ، وَتَعَلَّقَ الْأَكْرَادُ بِالْجِبَالِ وَالْمَضَايِقِ.وَسَارَ الْغُزُّ فِي أَثَرِهِمْ فَوَاقَعُوهُمْ فَظَفِرَ بِهِمُ الْأَكْرَادُ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةِ رَجُلٍ ، وَأَسَرُوا جَمْعًا فِيهِ سَبْعَةٌ مِنْ أُمَرَائِهِمْ ، وَمِائَةُ نَفْسٍ مِنْ وُجُوهِهِمْ ، وَغَنِمُوا سِلَاحَهُمْ وَدَوَابَّهُمْ وَمَا مَعَهُمْ مِنْ غَنِيمَةٍ اسْتَرَدُّوهَا ، وَسَلَكَ الْغُزُّ طَرِيقَ الْجِبَالِ فَتَمَزَّقُوا وَتَفَرَّقُوا ، وَسَمِعَ ابْنُ رَبِيبِ الدَّوْلَةِ الْخَبَرَ ، فَسَيَّرَ فِي آثَارِهِمْ مَنْ يُفْنِي بَاقِيهِمْ.ثُمَّ تُوُفِّيَ قَزَلُ أَمِيرُ الْغُزِّ الْمُقِيمُ بِالرَّيِّ ، وَخَرَجَ إِبْرَاهِيمُ يَنَالَ أَخُو السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَكَ إِلَى الرَّيِّ.فَلَمَّا سَمِعَ بِهِ الْمُقِيمُونَ بِهَا أَجْفَلُوا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَفَارَقُوا بِلَادَ الْجَبَلِ خَوْفًا مِنْهُ وَقَصَدُوا دِيَارَ بَكْرٍ وَالْمَوْصِلَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .ذِكْرُ دُخُولِ الْغُزِّ دِيَارَ بَكْرٍ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فَارَقَ الْغُزُّ أَذْرَبِيجَانَ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ يَنَالَ ، وَهُوَ أَخُو طُغْرُلْبَكَ ، سَارَ إِلَى الرَّيِّ ، فَلَمَّا سَمِعَ الْغُزُّ الَّذِينَ بِهَا خَبَرَهُ أَجْفَلُوا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَفَارَقُوا بِلَادَ الْجَبَلِ خَوْفًا وَقَصَدُوا أَذْرَبِيجَانَ ، وَلَمْ يُمْكِنْهُمُ الْمُقَامُ بِهَا لِمَا فَعَلُوا بِأَهْلِهَا ، وَلِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ يَنَالَ وَرَاءَهُمْ ، وَكَانُوا يَخَافُونَهُ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَهُ وَلِأَخَوَيْهِ طُغْرُلْبَكَ وَدَاوُدَ رَعِيَّةً ، فَأَخَذُوا بَعْضَ الْأَكْرَادِ ، وَعَرَّفَهُمُ الطَّرِيقَ ، فَأَخَذَ بِهِمْ فِي جِبَالٍ وَعْرَةٍ عَلَى الزَّوَزَانِ ، وَخَرَجُوا إِلَى جَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ ، فَسَارَ بُوقَا وَنَاصْغُلِي وَغَيْرُهُمَا إِلَى دِيَارِ بَكْرٍ ، وَنَهَبُوا قَرَدَى ، وَبَازْبَدَى ، وَالْحَسَنِيَّةَ ، وَفِيشَابُورَ وَبَقِيَ مَنْصُورُ بْنُ غَزْغَلِي بِالْجَزِيرَةِ مِنَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ.فَرَاسَلَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ نَصْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ مَرْوَانَ الْمُقِيمُ بِالْجَزِيرَةِ فِي الْمُصَالَحَةِ وَالْمُقَامِ بِأَعْمَالِ الْجَزِيرَةِ إِلَى أَنْ يَنْكَشِفَ الشِّتَاءُ ، وَيَسِيرَ مَعَ بَاقِي الْغُزِّ إِلَى الشَّامِ ، فَتَصَالَحَا وَتَحَالَفَا ، وَأَضْمَرَ سُلَيْمَانُ الْغَدْرَ بِهِ ، فَعَمِلَ لَهُ طَعَامًا احْتَفَلَ فِيهِ وَدَعَاهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ الْجَزِيرَةَ قَبَضَ عَلَيْهِ وَحَبَسَهُ ، وَانْصَرَفَ أَصْحَابُهُ مُتَفَرِّقِينَ فِي كُلِّ جِهَةٍ.فَلَمَّا عَلِمَ بِذَلِكَ قِرْوَاشٌ سَيَّرَ جَيْشًا كَثِيفًا إِلَيْهِمْ ، وَاجْتَمَعَ مَعَهُمُ الْأَكْرَادُ الْبَشْنَوِيَّةُ ، أَصْحَابُ فَنَكَ وَعَسْكَرُ نَصْرِ الدَّوْلَةِ فَتَبِعُوا الْغُزَّ ، فَلَحِقُوهُمْ وَقَاتَلُوهُمْ ، فَبَذَلَ الْغُزُّ جَمِيعَ مَا غَنِمُوهُ عَلَى أَنْ يُؤَمِّنُوهُمْ ، فَلَمْ يَفْعَلُوا ، فَقَاتَلُوا قِتَالَ مَنْ لَا يَخَافُ الْمَوْتَ ، فَجَرَحُوا مِنَ الْعَرَبِ كَثِيرًا ، وَافْتَرَقُوا.وَكَانَ بَعْضُ الْغُزِّ قَدْ قَصَدَ نَصِيبِينَ وَسِنْجَارَ لِلْغَارَةِ ، فَعَادُوا إِلَى الْجَزِيرَةِ وَحَصَرُوهَا ، وَتَوَجَّهَتِ الْعَرَبُ إِلَى الْعِرَاقِ لِيَشْتُوا بِهِ ، فَأَخْرَبَتِ الْغُزُّ دِيَارَ بَكْرٍ ، وَنَهَبُوا وَقَتَلُوا ، فَأَخَذَ نَصْرُ الدَّوْلَةِ مَنْصُورًا أَمِيرَ الْغُزِّ مِنِ ابْنِهِ سُلَيْمَانَ وَرَاسَلَ الْغُزَّ ، وَبَذَلَ لَهُمْ مَالًا ، وَإِطْلَاقَ مَنْصُورٍ لِيُفَارِقُوا عَمَلَهُ ، فَأَجَابُوهُ ، فَأَطْلَقَ مَنْصُورًا ، وَأَرْسَلَ بَعْضَ الْمَالِ فَغَدَرُوا ، وَزَادُوا فِي الشَّرِّ ، وَسَارَ بَعْضُهُمْ إِلَى نَصِيبِينَ وَسِنْجَارَ وَالْخَابُورِ ، فَنَهَبُوا وَعَادُوا وَسَارَ بَعْضُهُمْ إِلَى جُهَيْنَةَ وَأَعْمَالِ الْفَرَجِ فَنَهَبُوهَا ، فَدَخَلَ قِرْوَاشٌ الْمَوْصِلَ خَوْفًا مِنْهُمْ.ذِكْرُ مُلْكِ الْغُزِّ مَدِينَةَ الْمَوْصِلِ لَمَّا خَرَجُوا مِنْ أَذْرَبِيجَانَ إِلَى جَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ ، وَهِيَ مِنْ أَعْمَالِ نَصْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ مَرْوَانَ ، سَارَ بَعْضُهُمْ إِلَى دِيَارِ بَكْرٍ مَعَ أُمَرَائِهِمُ الْمَذْكُورِينَ ، وَسَارَ الْبَاقُونَ إِلَى الْبَقْعَاءِ ، وَنَزَلُوا بَرْقَعِيدَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ قِرْوَاشٌ صَاحِبُ الْمَوْصِلِ مَنْ يَنْظُرُ فِيهِمْ ، وَيَغِيرُ عَلَيْهِمْ.فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ تَقَدَّمُوا إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْتَعْطِفُهُمْ وَيَلِينُ لَهُمْ ، وَبَذَلَ لَهُمْ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ فَلَمْ يَقْبَلُوا فَأَعَادَ مُرَاسَلَتَهُمْ ثَانِيَةً ، فَطَلَبُوا خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَالْتَزَمَهَا ، وَأَحْضَرَ أَهْلَ الْبَلَدِ وَأَعْلَمَهُمُ الْحَالَ.فَبَيْنَمَا هُمْ بِجَمْعِ الْمَالِ وَصَلَ الْغُزُّ إِلَى الْمَوْصِلِ وَنَزَلُوا بِالْحَصْبَاءِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ قِرْوَاشٌ وَأَجْنَادُهُ وَالْعَامَّةُ فَقَاتَلُوهُمْ عَامَّةَ نَهَارِهِمْ وَأَدْرَكَهُمُ اللَّيْلُ فَافْتَرَقُوا فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ عَادُوا إِلَى الْقِتَالِ فَانْهَزَمَتِ الْعَرَبُ وَأَهْلُ الْبَلَدِ ، وَهَرَبَ قِرْوَاشٌ فِي سَفِينَةٍ نَزَلَهَا مِنْ دَارِهِ ، وَخَرَجَ مِنْ جَمِيعِ مَالِهِ إِلَّا الشَّيْءَ الْيَسِيرَ ، وَدَخَلَ الْغُزُّ الْبَلَدَ فَنَهَبُوا كَثِيرًا مِنْهُ ، وَنَهَبُوا جَمِيعَ مَا لِقِرْوَاشٍ مِنْ مَالٍ وَجَوْهَرٍ وَحُلِيٍّ وَثِيَابٍ وَأَثَاثٍ ، وَنَجَا قِرْوَاشٌ فِي السَّفِينَةِ وَمَعَهُ نَفَرٌ ، فَوَصَلَ إِلَى السِّنِّ وَأَقَامَ بِهَا ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْمَلِكِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ يُعَرِّفُهُ الْحَالَ ، وَيَطْلُبُ النَّجْدَةَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى دُبَيْسِ بْنِ مَزْيَدٍ وَغَيْرِهِ مَنْ أُمَرَاءِ الْعَرَبِ وَالْأَكْرَادِ يَسْتَمِدُّهُمْ وَيَشْكُو مَا نَزَلَ بِهِ.وَعَمِلَ الْغُزُّ بِأَهْلِ الْمَوْصِلِ الْأَعْمَالَ الشَّنِيعَةَ مِنَ الْفَتْكِ وَهَتْكِ الْحَرِيمِ وَنَهْبِ الْمَالِ ، وَسَلِمَ عِدَّةُ مَحَالٍّ مِنْهَا سِكَّةُ أَبِي نَجِيحٍ ، وَالْجَصَّاصَةُ ، وَجَارَسُوكَ ، وَشَاطِئُ نَهْرٍ ، وَبَابُ الْقَصَّابِينَ عَلَى مَالٍ ضَمِنُوهُ ، فَكَفُّوا عَنْهُمْ.ذِكْرُ وُثُوبِ أَهْلِ الْمَوْصِلِ بِالْغُزِّ وَمَا كَانَ مِنْهُمْ قَدْ ذَكَرْنَا مُلْكَ الْغُزِّ الْمَوْصِلَ ، فَلَمَّا اسْتَقَرُّوا فِيهَا قَسَّطُوا عَلَى أَهْلِهَا عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَأَخَذُوهَا ، ثُمَّ تَتَبَّعُوا النَّاسَ وَأَخَذُوا كَثِيرًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ بِحُجَّةِ أَمْوَالِ الْعَرَبِ ، ثُمَّ قَسَّطُوا أَرْبَعَةَ آلَافِ دِينَارٍ أُخْرَى ، فَحَضَرَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْغُزِّ عِنْدَ ابْنِ فَرْغَانَ الْمَوْصِلِيِّ ، وَطَالَبُوا إِنْسَانًا بِحَضْرَتِهِ ، وَأَسَاءُوا الْأَدَبَ وَالْقَوْلَ.وَجَرَى بَيْنَ بَعْضِ الْغُزِّ وَبَعْضِ الْمَوَاصِلِةِ مُشَاجَرَةٌ ، فَجَرَحَهُ الْغُزِّيُّ وَقَطَعَ شَعْرَهُ ، وَكَانَ لِلْمَوْصِلِيِّ وَالِدَةٌ سَلِيطَةٌ فَلَطَّخَتْ وَجْهَهَا بِالدَّمِ ، وَأَخَذَتِ الشَّعْرَ بِيَدِهَا وَصَاحَتْ الْمُسْتَغَاثُ بِاللَّهِ وَبِالْمُسْلِمِينَ ، قَدْ قُتِلَ لِي ابْنٌ وَهَذَا دَمُهُ ، وَابْنَةٌ وَهَذَا شَعْرُهَا!وَطَافَتْ فِي الْأَسْوَاقِ ، فَثَارَ النَّاسُ وَجَاءُوا إِلَى ابْنِ فَرْغَانَ ، فَقَتَلُوا مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْغُزِّ وَقَتَلُوا مَنْ ظَفِرُوا بِهِ مِنْهُمْ ثُمَّ حَصَرُوهُمْ فِي دَارٍ ، فَقَاتَلُوا مَنْ بِسَطْحِهَا فَنَقَبَ النَّاسُ عَلَيْهِمُ الدَّارَ وَقَتَلُوهُمْ جَمِيعَهُمْ ، غَيْرَ سَبْعَةِ أَنْفُسٍ مِنْهُمْ أَبُو عَلِيٍّ وَمَنْصُورٌ ، فَخَرَجَ مَنْصُورٌ إِلَى الْحَصْبَاءِ ، وَلَحِقَ بِهِ مَنْ سَلِمَ مِنْهُمْ.وَكَانَ كُوكَتَاشُ قَدْ فَارَقَ الْمَوْصِلَ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ يُعْلِمُونَهُ الْحَالَ ، فَعَادَ إِلَيْهِمْ ، وَدَخَلَ الْبَلَدِ عَنْوَةً فِي الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَوَضَعُوا السَّيْفَ فِي أَهْلِهِ ، وَأَسَرُوا كَثِيرًا ، وَنَهَبُوا الْأَمْوَالَ ، وَأَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ اثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا يَقْتُلُونَ وَيَنْهَبُونَ ، وَسَلِمَتْ سِكَّةُ أَبِي نَجِيحٍ ، فَإِنَّ أَهْلَهَا أَحْسَنُوا إِلَى الْأَمِيرِ مَنْصُورٍ ، فَرَعَى لَهُمْ ذَلِكَ ، وَالْتَجَأَ مَنْ سَلِمَ إِلَيْهَا ، وَبَقِيَ الْقَتْلَى فِي الطَّرِيقِ ، فَأَنْتَنُوا لِعَدَمِ مَنْ يُوَارِيهِمْ ، ثُمَّ طَرَحُوا بَعْدَ ذَلِكَ كُلَّ جَمَاعَةٍ فِي حَفِيرَةٍ.وَكَانُوا يَخْطُبُونَ لِلْخَلِيفَةِ ، ثُمَّ لِطُغْرُلْبَكَ.لَمَّا طَالَ مُقَامُهُمْ بِهَذِهِ الْبِلَادِ ، وَجَرَى مِنْهُمْ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ ، كَتَبَ الْمَلِكُ جَلَالُ الدَّوْلَةِ بْنُ بُوَيْهِ إِلَى طُغْرُلْبَكَ يُعَرِّفُهُ مَا يَجْرِي مِنْهُمْ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ نَصْرُ الدَّوْلَةِ بْنُ مَرْوَانَ يَشْكُو مِنْهُمْ ، فَكَتَبَ إِلَى نَصْرِ الدَّوْلَةِ يَقُولُ لَهُ بَلَغَنِي أَنَّ عَبِيدَنَا قَصَدُوا بِلَادَكَ ، وَأَنَّكَ صَانَعْتَهُمْ بِمَالٍ بَذَلْتَهُ لَهُمْ ، وَأَنْتَ صَاحِبُ ثَغْرٍ يَنْبَغِي أَنْ تُعْطَى مَا تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى قِتَالِ الْكُفَّارِ ، وَيَعِدُهُ أَنَّهُ يُرْسِلُ إِلَيْهِمْ يُرَحِّلُهُمْ مِنْ بَلَدِهِ.وَكَانُوا يَقْصِدُونَ بِلَادَ الْأَرْمَنِ ، وَيَنْهَبُونَ وَيَسْبُونَ ، حَتَّى إِنَّ الْجَارِيَةَ الْحَسْنَاءَ بَلَغَتْ قِيمَتُهَا خَمْسَةَ دَنَانِيرَ ، وَأَمَّا الْغِلْمَانُ فَلَا يُرَادُونَ.فَأَمَّا كِتَابُ طُغْرُلْبَكَ إِلَى جَلَالِ الدَّوْلَةِ فَيَعْتَذِرُ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ التُّرْكُمَانَ كَانُوا لَنَا عَبِيدًا ، وَخَدَمًا ، وَرَعَايَا ، وَتَبَعًا ، يَمْتَثِلُونَ الْأَمْرَ ، وَيَخْدِمُونَ الْبَابَ ، وَلَمَّا نَهَضْنَا لِتَدْبِيرِ خُطَبِ آلِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ وَانْتُدِبْنَا لِكِفَايَةِ أَمْرِ خُوَارَزْمَ ، انْحَازُوا إِلَى الرَّيِّ فَعَاثُوا فِيهَا ، وَأَفْسَدُوا ، فَزَحَفْنَا بِجُنُودِنَا مِنْ خُرَاسَانَ إِلَيْهِمْ مُقَدِّرِينَ أَنَّهُمْ يَلْجَأُونَ إِلَى الْأَمَانِ ، وَيَلُوذُونَ بِالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ ، فَمَلَكَتْهُمُ الْهَيْبَةُ ، وَزَحْزَحَتْهُمُ الْحِشْمَةُ ، وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ نَرُدَّهُمْ إِلَى رَايَاتِنَا خَاضِعِينَ ، وَنُذِيقَهُمْ مِنْ بَأْسِنَا جَزَاءَ الْمُتَمَرِّدِينَ ، قَرُبُوا أَمْ بَعُدُوا ، أَغَارُوا أَمْ أَنْجَدُوا.ذِكْرُ ظَفْرِ قِرْوَاشٍ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ بِالْغُزِّ قَدْ ذَكَرْنَا انْحِدَارَ قِرْوَاشٍ إِلَى السِّنِّ وَمُرَاسَلَتَهُ سَائِرَ أَصْحَابِ الْأَطْرَافِ فِي طَلَبِ النَّجْدَةِ مِنْهُمْ ، فَأَمَّا الْمَلِكُ جَلَالُ الدَّوْلَةِ فَلَمْ يُنْجِدْهُ لِزَوَالِ طَاعَتِهِ عَنْ جُنْدِهِ الْأَتْرَاكِ أَمَّا دُبَيْسُ بْنُ مَزْيَدٍ فَسَارَ إِلَيْهِ ، وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ عُقَيْلٌ كَافَّةً ، وَأَتَتْهُ أَمْدَادُ أَبِي الشَّوْكِ وَابْنِ وَرَّامٍ ، وَغَيْرِهِمَا ، فَلَمْ يُدْرِكُوا الْوَقْعَةَ ، فَإِنَّ قِرْوَاشًا لَمَّا اجْتَمَعَتْ عُقَيْلٌ وَدُبْيَسٌ عِنْدَهُ سَارَ إِلَى الْمَوْصِلِ.وَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى الْغُزِّ فَتَأَخَّرُوا إِلَى تَلَعْفَرَ ، وَبُومَارِيَةَ وَتِلْكَ النَّوَاحِي ، وَرَاسَلُوا الْغُزَّ الَّذِينَ كَانُوا بِدِيَارِ بَكْرٍ ، وَمُقَدَّمُهُمْ نَاصُغْلِي وَبُوقَا ، وَطَلَبَ مِنْهُمُ الْمُسَاعَدَةَ عَلَى الْعَرَبِ ، فَسَارُوا إِلَيْهِمْ.وَسَمِعَ قِرْوَاشٌ بِوُصُولِهِمْ فَلَمْ يُعْلِمْ أَصْحَابَهُ لِئَلَّا يَفْشَلُوا وَيَجْبُنُوا ، وَسَارَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى الْعَجَاجِ ، وَسَارَتِ الْغُزُّ فَنَزَلُوا بِرَأْسِ الْأَيَّلِ مِنَ الْفَرْجِ ، وَبَيْنَهُمَا نَحْوُ فَرْسَخَيْنِ ، وَقَدْ طَمِعَ الْغُزُّ فِي الْعَرَبِ ، فَتَقَدَّمُوا حَتَّى شَارَفُوا حُلَلَ الْعَرَبِ ، وَوَقَعَتِ الْحَرْبُ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ ، فَاسْتَظْهَرَتِ الْغُزُّ ، وَانْهَزَمَتِ الْعَرَبُ حَتَّى صَارَ الْقِتَالُ عِنْدَ حُلَلِهِمْ ، وَنِسَاؤُهُمْ يُشَاهِدْنَ الْقِتَالَ ، فَلَمْ يَزَلِ الظَّفَرُ لِلْغُزِّ إِلَى الظُّهْرِ ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ عَلَى الْعَرَبِ وَانْهَزَمَتِ الْغُزُّ ، وَأَخَذَهُمُ السَّيْفُ وَتَفَرَّقُوا وَكَثُرَ الْقَتْلُ فِيهِمْ ، فَقُتِلَ ثَلَاثَةٌ مِنْ مُقَدَّمِيهِمْ ، وَمَلَكَ الْعَرَبُ حُلَلَ الْغُزِّ وَخَرْكَاهَاتِهِمْ ، وَغَنِمُوا أَمْوَالَهُمْ ، فَعَمَّتْهُمُ الْغَنِيمَةُ ، وَأَدْرَكَهُمُ اللَّيْلُ فَحَجَزَ بَيْنَهُمْ.وَسَيَّرَ قِرْوَاشٌ رُءُوسَ كَثِيرٍ مِنَ الْقَتْلَى فِي سَفِينَةٍ إِلَى بَغْدَاذَ.فَلَمَّا قَارَبَتْهَا أَخَذَهَا الْأَتْرَاكُ وَدَفَنُوهَا ، وَلَمْ يَتْرُكُوهَا تَصِلُ أَنَفَةً وَحَمِيَّةً لِلْجِنْسِ ، وَكَفَى اللَّهُ أَهْلَ الْمَوْصِلِ شَرَّهُمْ ، وَتَبِعَهُمْ قِرْوَاشٌ إِلَى نَصِيبِينَ ، وَعَادَ عَنْهُمْ فَقَصَدُوا دِيَارَ بَكْرٍ فَنَهَبُوهَا ، ثُمَّ مَالُوا عَلَى الْأَرْمَنِ وَالرُّومِ فَنَهَبُوهُمْ ثُمَّ قَصَدُوا بِلَادَ أَذْرَبِيجَانَ ، وَكَتَبَ قِرْوَاشٌ إِلَى الْأَطْرَافِ يُبَشِّرُ بِالظَّفَرِ بِهِمْ ، وَكَتَبَ إِلَى ابْنِ رَبِيبِ الدَّوْلَةِ ، صَاحِبِ أُرْمِيَةَ ، يَذْكُرُ لَهُ أَنَّهُ قَتَلَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ آلَافِ رَجُلٍ فَقَالَ لِلرَّسُولِ هَذَا عَجَبٌ!فَإِنَّ الْقَوْمَ لَمَّا اجْتَازُوا بِبِلَادِي أَقَمْتُ عَلَى قَنْطَرَةٍ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ عُبُورِهَا مِنْ عَدِّهِمْ ، فَكَانُوا نَيِّفًا وَثَلَاثِينَ أَلْفًا مَعَ لِفِيفِهِمْ ، فَلَمَّا عَادُوا بَعْدَ هَزِيمَتِهِمْ لَمْ يَبْلُغُوا خَمْسَةَ آلَافِ رَجُلٍ ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونُوا قُتِلُوا أَوْ هَلَكُوا.وَمَدَحَ الشُّعَرَاءُ قِرْوَاشًا بِهَذَا الْفَتْحِ ، وَمِمَّنْ مَدَحَهُ ابْنُ شِبْلٍ بِقَصِيدَةٍ مِنْهَا بِأَبِي الَّذِي أَرْسَتْ نِزَارٌ بَيْتَهَا...فِي شَامِخٍ مِنْ عِزِّهِ الْمُتَخَيَّرِ وَهِيَ طَوِيلَةٌ.هَذِهِ أَخْبَارُ الْغُزِّ الْعِرَاقِيِّينَ ، وَإِنَّمَا أَوْرَدْنَاهَا مُتَتَابِعَةً لِأَنَّ دَوْلَتَهُمْ لَمْ تَطُلْ حَتَّى نَذْكُرَ حَوَادِثَهَا فِي السِّنِينَ وَإِنَّمَا كَانَتْ سَحَابَةَ صَيْفٍ تَقَشَّعَتْ عَنْ قَرِيبٍ.وَأَمَّا السَّلْجُوقِيَّةُ فَنَحْنُ نَذْكُرُ حَوَادِثَهُمْ فِي السِّنِينَ وَنَذْكُرُ ابْتِدَاءَ أَمْرِهِمْ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ سَيَّرَ الظَّاهِرُ جَيْشًا مِنْ مِصْرَ ، مُقَدَّمُهُمْ أَنُوشْتِكِينُ الْبَرِيدِيُّ ، فَقَتَلَ صَالِحَ بْنَ مِرْدَاسٍ ، وَمَلَكَ نَصْرُ بْنُ صَالِحٍ مَدِينَةَ حَلَبَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .وَفِيهَا سَقَطَ فِي الْبِلَادِ بَرَدٌ عَظِيمٌ ، وَكَانَ أَكْثَرُهُ بِالْعِرَاقِ ، وَارْتَفَعَتْ بَعْدَهُ رِيحٌ شَدِيدَةٌ سَوْدَاءُ ، فَقَلَعَتْ كَثِيرًا مِنَ الْأَشْجَارِ بِالْعِرَاقِ ، فَقَلَعَتْ شَجَرًا كِبَارًا مِنَ الزَّيْتُونِ مِنْ شَرْقَيِ النَّهْرَوَانِ وَأَلْقَتْهُ عَلَى بُعْدٍ مِنْ غَرْبِيِّهَا ، وَقَلَعَتْ نَخْلَةً مِنْ أَصْلِهَا وَحَمَلَتْهَا إِلَى دَارٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَوْضِعِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ثَلَاثُ دُورٍ ، وَقَلَعَتْ سَقْفَ مَسْجِدِ الْجَامِعِ بِبَعْضِ الْقُرَى.وَفِيهَا ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ تَوَلَّى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مَاكُولَا قَضَاءَ الْقُضَاةِ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرَبَعِيُّ النَّحْوِيُّ عَنْ نَيِّفٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ، وَأَخَذَ النَّحْوَ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ ، وَأَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ ، وَكَانَ فَكِهًا ، كَثِيرَ الدُّعَابَةِ ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةَ بِبَغْدَاذَ ، وَالْمَلِكُ جَلَالُ الدَّوْلَةِ ، وَالْمُرْتَضَى وَالرَّضِيُّ كِلَاهُمَا فِي سُمَيْرِيَّةٍ ، وَمَعَهُمَا عُثْمَانُ بْنُ جِنِّي النَّحْوِيُّ ، فَنَادَاهُ الرَبَعِيُّ أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا أَنْتَ صَادِقٌ فِي تَشَيُّعِكَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، يَكُونُ عُثْمَانُ إِلَى جَانِبِكَ ، وَعَلِيٌّ ، يَعْنِي نَفْسَهُ ، هَاهُنَا!فَأَمَرَ بِالسُّمَيْرِيَّةِ فَقُرِّبَتْ إِلَى الشَّاطِئِ وَحَمَلَهُ مَعَهُ.وَقِيلَ إِنَّ هَذَا الْقَوْلَ كَانَ لِلشَّرِيفِ الرَّضِيِّ وَأَخِيهِ الْمُرْتَضَى ، وَمَعَهُمَا عُثْمَانُ بْنُ جِنِّي ، فَقَالَ مَا أَعْجَبَ أَحْوَالَ الشَّرِيفَيْنِ!يَكُونُ عُثْمَانُ مَعَهُمَا ، وَعَلِيٌّ يَمْشِي عَلَى الشَّطِّ.وَفِيهَا أَيْضًا تُوُفِّيَ أَبُو الْمِسْكِ عَنْبَرٌ ، الْمُلَقَّبُ بِالْأَثِيرِ ، وَكَانَ قَدْ أَصْعَدَ إِلَى الْمَوْصِلِ مُغَاضِبًا لِجَلَالِ الدَّوْلَةِ ، فَلَقِيَهُ قِرْوَاشٌ وَأَهْلُهُ ، وَقَبَّلُوا الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ ، وَكَانَ خَصِّيًّا لِبَهَاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَ مَبْلَغًا عَظِيمًا ، لَمْ يَخْلُ أَمِيرٌ وَلَا وَزِيرٌ فِي دَوْلَةِ بَنِي بُوَيْهِ مِنْ تَقْبِيلِ يَدِهِ وَالْأَرْضِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَكَانَ قَدِ اسْتَقَرَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قِرْوَاشٍ وَأَبِي كَالِيجَارَ قَاعِدَةٌ أَنْ يَصْعَدَ أَبُو كَالِيجَارَ مِنْ وَاسِطٍ ، وَيَنْحَدِرَ الْأَثِيرُ وَقِرْوَاشٌ مِنَ الْمَوْصِلِ لِقَصْدِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ الْأَثِيرُ قَدِ انْحَدَرَ مِنَ الْمَوْصِلِ ، فَلَمَّا وَصَلَ مَشْهَدَ الْكُحَيْلِ تُوُفِّيَ فِيهِ.وَفِيهَا انْقَضَّ كَوْكَبٌ عَظِيمٌ ، فِي رَجَبٍ ، أَضَاءَتْ مِنْهُ الْأَرْضُ ، وَسُمِعَ لَهُ صَوْتٌ عَظِيمٌ كَالرَّعْدِ ، وَتَقَطَّعَ أَرْبَعَ قِطَعٍ ، وَانْقَضَّ بَعْدَهُ بِلَيْلَتَيْنِ كَوْكَبٌ آخَرُ دُونَهُ ، وَانْقَضَّ بَعْدَهُمَا كَوْكَبٌ أَكْبَرُ مِنْهُمَا وَأَكْثَرُ ضَوْءًا.وَفِيهَا كَانَتْ بِبَغْدَاذَ فِتْنَةٌ قَوِيَ فِيهَا أَمْرُ الْعَيَّارِينَ وَاللُّصُوصِ ، فَكَانُوا يَأْخُذُونَ الْعَمَلَاتِ ظَاهِرًا.وَفِيهَا قُطِعَتِ الْجُمُعَةُ مِنْ جَامِعِ بِرَاثَا ، وَسَبَبُهَا أَنَّهُ كَانَ يَخْطُبُ فِيهَا إِنْسَانٌ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى أَخِيهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، مُكَلِّمِ الْجُمْجُمَةِ ، وَمُحْيِيهَا الْبَشَرِيِّ الْإِلَهِيِّ ، مُكَلِّمِ الْفِتْيَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْغُلُوِّ ، الْمُبْتَدَعِ ، فَأَقَامَ الْخَلِيفَةُ خَطِيبًا ، فَرَجَمَهُ الْعَامَّةُ ، فَانْقَطَعَتِ الصَّلَاةُ فِيهِ فَاجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِ الْكَرْخِ مَعَ الْمُرْتَضَى ، وَاعْتَذَرُوا إِلَى الْخَلِيفَةِ بِأَنَّ سُفَهَاءَ لَا يَعْرِفُونَ فَعَلُوا ذَلِكَ ، وَسَأَلُوا إِعَادَةَ الْخُطْبَةِ ، فَأُجِيبُوا إِلَى مَا طَلَبُوا ، وَأُعِيدَتِ الصَّلَاةُ وَالْخُطْبَةُ فِيهِ. تَابِعُ الْوَفَيَاتِ وَفِيهَا تُوُفِّيَ ابْنُ أَبِي الْهُبَيْشِ الزَّاهِدُ الْمُقِيمُ بِالْكُوفَةِ ، وَهُوَ مِنْ أَرْبَابِ الطَّبَقَاتِ الْغَالِيَةِ فِي الزُّهْدِ ، وَقَبْرُهُ يُزَارُ إِلَى الْآنِ وَقَدْ زُرْتُهُ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُنُوجَهْرُ بْنُ قَابُوسَ بْنِ وَشْمَكِيرَ ، وَمَلَكَ ابْنُهُ أَنُوشَرْوَانُ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ مُلْكِ مَسْعُودِ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ هَمَذَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَيَّرَ مَسْعُودُ بْنُ يَمِينِ الدَّوْلَةِ مَحْمُودٍ جَيْشًا إِلَى هَمَذَانَ ، فَمَلَكُوهَا ، وَأَخْرَجُوا نُوَّابَ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ كَاكَوَيْهِ عَنْهَا ، وَسَارَ هُوَ إِلَى أَصْبَهَانَ ، فَلَمَّا قَارَبَهَا فَارَقَهَا عَلَاءُ الدَّوْلَةِ ، فَغَنِمَ مَسْعُودٌ مَا كَانَ لَهُ بِهَا مِنْ دَوَابَّ وَسِلَاحٍ وَذَخَائِرَ ، فَإِنَّ عَلَاءَ الدَّوْلَةِ أَعْجَلَ عَنْ أَخْذِهِ فَلَمْ يَأْخُذْ إِلَّا بَعْضَهُ ، وَسَارَ إِلَى خُوزِسْتَانَ ، فَبَلَغَ إِلَى تُسْتَرَ لِيَطْلُبَ مِنَ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ نَجْدَةً ، وَمِنَ الْمَلِكِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَيَعُودَ إِلَى بِلَادِهِ يَسْتَنْقِذُهَا فَبَقِيَ عِنْدَ أَبِي كَالِيجَارَ مُدَّةً ، وَهُوَ عَقِيبَ انْهِزَامِهِ مِنْ جَلَالِ الدَّوْلَةِ ضَعِيفٌ ، وَمَعَ هَذَا فَهُوَ يَعِدُهُ النُّصْرَةَ وَتَسْيِيرَ الْعَسَاكِرِ ، إِذَا اصْطَلَحَ هُوَ وَجَلَالُ الدَّوْلَةِ .فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَهُ إِذْ أَتَاهُ خَبَرُ وَفَاةِ يَمِينِ الدَّوْلَةِ مَحْمُودٍ ، وَمَسِيرِ مَسْعُودٍ إِلَى خُرَاسَانَ ، فَسَارَ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ إِلَى بِلَادِهِ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ غَزْوَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ إِلَى الْهِنْدِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا أَحْمَدُ بْنُ يَنَالْتَكِينَ ، النَّائِبُ عَنْ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ بِبِلَادِ الْهِنْدِ ، مَدِينَةً لِلْهُنُودِ هِيَ مِنْ أَعْظَمِ مُدُنِهِمْ ، يُقَالُ لَهَا نَرْسَى ، وَمَعَ أَحْمَدَ نَحْوُ مِائَةِ أَلْفِ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ ، وَشَنَّ الْغَارَةَ عَلَى الْبِلَادِ ، وَنَهَبَ ، وَسَبَى ، وَخَرَّبَ الْأَعْمَالَ وَأَكْثَرَ الْقَتْلَ وَالْأَسْرَ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ دَخَلَ مِنْ أَحَدِ جَوَانِبِهَا وَنَهَبَ الْمُسْلِمُونَ فِي ذَلِكَ الْجَانِبِ يَوْمًا مِنْ بُكْرَةٍ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ ، وَلَمْ يَفْرَغُوا مِنْ نَهْبِ سُوقِ الْعَطَّارِينَ وَالْجَوْهَرِيِّينَ ، حَسْبُ ، وَبَاقِي أَهْلِ الْبَلَدِ لَمْ يَعْلَمُوا بِذَلِكَ ، لِأَنَّ طُولَهُ مَنْزِلٌ مِنْ مَنَازِلِ الْهُنُودِ وَعَرْضَهُ مِثْلُهُ ، فَلَمَّا جَاءَ الْمَسَاءُ لَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ عَلَى الْمَبِيتِ فِيهِ لِكَثْرَةِ أَهْلِهِ ، فَخَرَجَ مِنْهُ لِيَأْمَنَ عَلَى نَفْسِهِ وَعَسْكَرِهِ.وَبَلَغَ مِنْ كَثْرَةِ مَا نَهَبَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُمُ اقْتَسَمُوا الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ كَيْلًا ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ عَسْكَرٌ لِلْمُسْلِمِينَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ ، فَلَمَّا فَارَقَهُ أَرَادَ الْعَوْدَ إِلَيْهِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ ، مَنَعَهُ أَهْلُهُ عَنْهُ.ذِكْرُ مُلْكِ بَدْرَانَ بْنِ الْمُقَلَّدِ نَصِيبِينَ قَدْ ذَكَرْنَا مُحَاصَرَةَ بَدْرَانَ نَصِيبِينَ وَأَنَّهُ رَحَلَ عَنْهَا خَوْفًا مِنْ قِرْوَاشٍ ، فَلَمَّا رَحَلَ ، شَرَعَ فِي إِصْلَاحِ الْحَالِ مَعَهُ فَاصْطَلَحَا.ثُمَّ جَرَى بَيْنَ قِرْوَاشٍ وَنَصْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ مَرْوَانَ نَفْرَةٌ كَانَ سَبَبُهَا أَنَّ نَصْرَ الدَّوْلَةِ كَانَ قَدْ تَزَوَّجَ ابْنَةَ قِرْوَاشٍ فَآثَرَ عَلَيْهَا غَيْرَهَا.فَأَرْسَلَتْ إِلَى أَبِيهَا تَشْكُو مِنْهُ ، فَأَرْسَلَ يَطْلُبُهَا إِلَيْهِ ، فَسَيَّرَهَا فَأَقَامَتْ بِالْمَوْصِلِ.ثُمَّ إِنَّ وَلَدَ مُسْتَحْفِظِ جَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ وَهِيَ لِابْنِ مَرْوَانَ هَرَبَ إِلَى قِرْوَاشٍ فِي الْجَزِيرَةِ فَأَرْسَلَ إِلَى نَصْرِ الدَّوْلَةِ يَطْلُبُ مِنْهُ صَدَاقَ ابْنَتِهِ وَهُوَ عِشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَيَطْلُبُ الْجَزِيرَةَ لِنَفَقَتِهَا ، وَيَطْلُبُ نَصِيبِينَ لِأَخِيهِ بَدْرَانَ وَيَحْتَجُّ بِمَا أُخْرِجَ بِسَبَبِهَا عَامَ أَوَّلٍ ، وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ فَلَمْ يَسْتَقِرَّ حَالٌ ، فَسَيَّرَ جَيْشًا لِمُحَاصَرَةِ الْجَزِيرَةِ وَجَيْشًا مَعَ أَخِيهِ بَدْرَانَ إِلَى نَصِيبِينَ ، فَحَصَرَهَا بَدْرَانُ وَأَتَاهُ قِرْوَاشٌ فَحَصَرَهَا مَعَهُ فَلَمْ يُمْلَكْ وَاحِدٌ مِنَ الْبَلَدَيْنِ وَتَفَرَّقَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْعَرَبِ وَالْأَكْرَادِ.فَلَمَّا رَأَى بَدْرَانُ تَفَرُّقَ النَّاسِ عَنْ أَخِيهِ سَارَ إِلَى نَصْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ مَرْوَانَ بِمَيَّافَارِقِينَ يَطْلُبُ مِنْهُ نَصِيبِينَ ، فَسَلَّمَهَا إِلَيْهِ وَأَرْسَلَ مِنْ صَدَاقِ ابْنَةِ قِرْوَاشٍ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ وَاصْطَلَحَا.ذِكْرُ مُلْكِ أَبِي الشَّوْكِ دَقُوقَا وَفِيهَا حَصَرَ أَبُو الشَّوْكِ دَقُوقَا ، وَبِهَا مَالِكُ بْنُ بَدْرَانَ بْنِ الْمُقَلَّدِ الْعُقَيْلِيُّ ، فَطَالَ حِصَارُهُ ، وَكَانَ قَدْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ يَقُولُ لَهُ إِنَّ هَذِهِ الْمَدِينَةَ كَانَتْ لِأَبِي.، وَلَا بُدَّ لِي مِنْهَا ، وَالصَّوَابُ أَنْ تَنْصَرِفَ عَنْهَا.فَامْتَنَعَ مِنْ تَسْلِيمِهَا ، فَحَصَرَهُ بِهَا ، ثُمَّ اسْتَظْهَرَ ، وَمَلَكَ الْبَلَدَ ، فَطَلَبَ مِنْهُ مَالِكٌ الْأَمَانَ عَلَى نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَأَصْحَابِهِ ، فَأَمَّنَهُ عَلَى نَفْسِهِ حَسْبُ ، فَلَمَّا خَرَجَ إِلَيْهِ مَالِكٌ قَالَ لَهُ أَبُو الشَّوْكِ قَدْ كُنْتُ سَأَلْتُكَ أَنْ تُسَلِّمَ الْبَلَدَ طَوْعًا ، وَتَحْقِنَ دَمَ الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمْ تَفْعَلْ.فَقَالَ لَوْ فَعَلْتُ لَعَيَّرَتْنِي الْعَرَبُ ، وَأَمَّا الْآنَ فَلَا عَارَ عَلَيَّ.فَقَالَ أَبُو الشَّوْكِ إِنَّ مِنْ إِتْمَامِ الصَّنِيعَةِ تَسْلِيمَ مَالِكٍ وَأَصْحَابِكَ إِلَيْكَ; فَأَعْطَاهُ مَا كَانَ لَهُ أَجْمَعَ ، فَأَخَذَهُ وَعَادَ سَالِمًا.ذِكْرُ وَفَاةِ يَمِينِ الدَّوْلَةِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ وَمُلْكِ وَلَدِهِ مُحَمَّدٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ ، تُوُفِّيَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ أَبُو الْقَاسِمِ مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ ، وَمَوْلِدُهُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ سَنَةَ سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَقِيلَ إِنَّهُ تُوُفِّيَ أَحَدَ عَشَرَ صَفَرٍ ، وَكَانَ مَرَضُهُ سُوءَ مِزَاجٍ وَإِسْهَالًا ، وَبَقِيَ كَذَلِكَ نَحْوَ سَنَتَيْنِ ، وَكَانَ قَوِيَّ النَّفْسِ لَمْ يَضَعْ جَنْبَهُ فِي مَرَضِهِ بَلْ كَانَ يَسْتَنِدُ إِلَى مِخَدَّتِهِ فَأَشَارَ عَلَيْهِ الْأَطِبَّاءُ بِالرَّاحَةِ ، كَانَ يَجْلِسُ لِلنَّاسِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً ، فَقَالَ أَتُرِيدُونَ أَنْ أَعْتَزِلَ الْإِمَارَةَ ؟فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى تُوُفِّيَ قَاعِدًا.فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى بِالْمُلْكِ لِابْنِهِ مُحَمَّدٍ ، وَهُوَ بِبَلْخَ ، وَكَانَ أَصْغَرَ مِنْ مَسْعُودٍ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ مُعْرِضًا عَنْ مَسْعُودٍ لِأَنَّ أَمْرَهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ نَافِذًا ، وَسَعَى بَيْنَهُمَا أَصْحَابُ الْأَغْرَاضِ ، فَزَادُوا أَبَاهُ نُفُورًا عَنْهُ فَلَمَّا وَصَّى بِالْمُلْكِ لِوَلَدِهِ مُحَمَّدٍ تُوُفِّيَ ، فَخُطِبَ لِمُحَمَّدٍ مِنْ أَقَاصِي الْهِنْدِ إِلَى نَيْسَابُورَ ، وَكَانَ لَقَبُهُ جَلَالَ الدَّوْلَةِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَعْيَانُ دَوْلَةِ أَبِيهِ يُخْبِرُونَهُ بِمَوْتِ أَبِيهِ وَوَصِيَّتِهِ لَهُ بِالْمُلْكِ ، وَيَسْتَدْعُونَهُ ، وَيَحُثُّونَهُ عَلَى السُّرْعَةِ ، وَيُخَوِّفُونَهُ مِنْ أَخِيهِ مَسْعُودٍ ، فَحِينَ بَلَغَهُ الْخَبَرُ سَارَ إِلَى غَزْنَةَ ، فَوَصَلَهَا بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ بِأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، فَاجْتَمَعَتِ الْعَسَاكِرُ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَفَرَّقَ فِيهِمُ الْأَمْوَالَ وَالْخِلَعَ النَّفِيسَةَ ، فَأَسْرَفَ فِي ذَلِكَ.ذِكْرُ مُلْكِ مَسْعُودٍ وَخَلْعِ مُحَمَّدٍ لَمَّا تُوُفِّيَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ كَانَ ابْنُهُ مَسْعُودٌ بِأَصْبَهَانَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ الْخَبَرُ سَارَ إِلَى خُرَاسَانَ ، وَاسْتَخْلَفَ بِأَصْبَهَانَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْعَسْكَرِ ، فَحِينَ فَارَقَهَا ثَارَ أَهْلُهَا بِالْوَالِي عَلَيْهِمْ بَعْدَهُ فَقَتَلُوهُ ، وَقَتَلُوا مَنْ مَعَهُ مِنَ الْجُنْدِ.وَأَتَى مَسْعُودًا الْخَبَرُ ، فَعَادَ إِلَيْهَا وَحَصَرَهَا وَفَتَحَهَا عَنْوَةً ، وَقَتَلَ فِيهَا فَأَكْثَرَ ، وَنَهَبَ الْأَمْوَالَ ، وَاسْتَخْلَفَ فِيهَا رَجُلًا كَافِيًا ، وَكَتَبَ إِلَى أَخِيهِ مُحَمَّدٍ يُعْلِمُهُ بِذَلِكَ ، وَأَنَّهُ لَا يُرِيدُ مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي وَصَّى لَهُ أَبُوهُ بِهَا شَيْئًا ، وَأَنَّهُ يَكْتَفِي بِمَا فَتَحَهُ مِنْ بِلَادِ طَبَرِسْتَانَ ، وَبَلَدِ الْجَبَلِ ، وَأَصْبَهَانَ ، وَغَيْرِهَا ، وَيَطْلُبُ مِنْهُ الْمُوَافَقَةَ ، وَأَنْ يُقَدِّمَهُ فِي الْخُطْبَةِ عَلَى نَفْسِهِ ، فَأَجَابَهُ مُحَمَّدٌ جَوَابَ مُغَالِطٍ.وَكَانَ مَسْعُودٌ قَدْ وَصَلَ إِلَى الرَّيِّ ، فَأَحْسَنَ إِلَى أَهْلِهَا ، وَسَارَ مِنْهَا إِلَى نَيْسَابُورَ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَأَمَّا مُحَمَّدٌ فَإِنَّهُ أَخَذَ عَلَى عَسْكَرِهِ الْعُهُودَ وَالْمَوَاثِيقَ عَلَى الْمُنَاصَحَةِ لَهُ ، وَالشَّدِّ مِنْهُ ، وَسَارَ فِي عَسَاكِرِهِ إِلَى أَخِيهِ مَسْعُودٍ مُحَارِبًا لَهُ ، وَكَانَ بَعْضُ عَسَاكِرِهِ يَمِيلُ إِلَى أَخِيهِ مَسْعُودٍ لِكِبَرِهِ وَشَجَاعَتِهِ وَلِأَنَّهُ قَدِ اعْتَادَ التَّقَدُّمَ عَلَى الْجُيُوشِ وَفَتْحَ الْبِلَادِ ، وَبَعْضُهَا يَخَافُهُ لِقُوَّةِ نَفْسِهِ.وَكَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ جَعَلَ مُقَدَّمَ جَيْشِهِ عَمَّهُ يُوسُفَ بْنَ سُبُكْتِكِينَ ، فَلَمَّا هَمَّ الرُّكُوبَ ، فِي دَارِهِ بِغَزْنَةَ ، لِيَسِيرَ سَقَطَتْ قَلَنْسُوَتُهُ مِنْ رَأْسِهِ ، فَتَطَيَّرَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَلْتُونَتَاشُ ، صَاحِبُ خُوَارَزْمَ ، وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ أَصْحَابِ أَبِيهِ مَحْمُودٍ ، يُشِيرُ عَلَيْهِ بِمُوَافَقَةِ أَخِيهِ وَتَرْكِ مُخَالَفَتِهِ ، فَلَمْ يُصْغِ إِلَى قَوْلِهِ ، وَسَارَ فَوَصَلَ إِلَى تَكْنَابَاذَ أَوَّلَ يَوْمِ رَمَضَانَ ، وَأَقَامَ إِلَى الْعِيدِ ، فَعَيَّدَ هُنَاكَ ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الثُّلَاثَاءِ ، ثَالِثُ شَوَّالٍ ، ثَارَ بِهِ جُنْدُهُ ، فَأَخَذُوهُ وَقَيَّدُوهُ وَحَبَسُوهُ ، وَكَانَ مَشْغُولًا بِالشُّرْبِ وَاللَّعِبِ عَنْ تَدْبِيرِ الْمَمْلَكَةِ ، وَالنَّظَرِ فِي أَحْوَالِ الْجُنْدِ وَالرَّعَايَا.وَكَانَ الَّذِي سَعَى فِي خِذْلَانِهِ عَلِيٌّ خُوَيْشَاوَنْدَ ، صَاحِبُ أَبِيهِ ، وَأَعَانَهُ عَلَى ذَلِكَ عَمُّهُ يُوسُفُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ.فَلَمَّا قَبَضُوا عَلَيْهِ نَادَوْا بِشِعَارِ أَخِيهِ مَسْعُودٍ ، وَرَفَعُوا مُحَمَّدًا إِلَى قَلْعَةِ تَكْنَابَاذَ ، وَكَتَبُوا إِلَى مَسْعُودٍ بِالْحَالِ.فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى هَرَاةَ لَقِيَتُهُ الْعَسَاكِرُ مَعَ الْحَاجِبِ عَلِيٍّ خُوَيْشَاوَنْدَ ، فَلَمَّا لَقِيَهُ الْحَاجِبُ عَلِيٌّ قَبَضَ عَلَيْهِ وَقَتَلَهُ ، وَقَبَضَ بَعْدَ ذَلِكَ أَيْضًا عَلَى عَمِّهِ يُوسُفَ ، وَهَذِهِ عَاقِبَةُ الْغَدْرِ ، وَهُمَا سَعَيَا لَهُ فِي رَدِّ الْمُلْكِ إِلَيْهِ ، وَقَبَضَ أَيْضًا عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ أَعْيَانِ الْقُوَّادِ فِي أَوْقَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ ، وَكَانَ اجْتِمَاعُ الْمُلْكِ لَهُ وَاتِّفَاقُ الْكَلِمَةِ عَلَيْهِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، وَأَخْرَجَ الْوَزِيرَ أَبَا الْقَاسِمِ أَحْمَدَ بْنَ الْحَسَنِ الْمِيمَنْدِيَّ الَّذِي كَانَ وَزِيرَ أَبِيهِ مِنْ مَحْبِسِهِ ، وَاسْتَوْزَرَهُ ، وَرَدَّ الْأَمْرَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ قَبَضَ عَلَيْهِ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ لِأُمُورٍ أَنْكَرَهَا ، وَقِيلَ شَرِهَ فِي مَالِهِ ، وَأَخَذَ مِنْهُ لَمَّا قَبَضَ عَلَيْهِ مَالًا وَأَعْرَاضًا بِقِيمَةِ خَمْسَةِ آلَافِ أَلْفِ دِينَارٍ.وَكَانَ وُصُولُ مَسْعُودٍ إِلَى غَزْنَةَ ثَامِنَ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا وَثَبَتَ مُلْكُهُ بِهَا أَتَتْهُ رُسُلُ الْمُلُوكِ مِنْ سَائِرِ الْأَقْطَارِ إِلَى بَابِهِ ، وَاجْتَمَعَ لَهُ مُلْكُ خُرَاسَانَ ، وَغَزْنَةَ ، وَبِلَادِ الْهِنْدِ وَالسِّنْدِ ، وَسِجِسْتَانَ ، وَكِرْمَانَ ، وَمُكْرَانَ ، وَالرَّيِّ ، وَأَصْبَهَانَ ، وَبَلَدِ الْجَبَلِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ ، وَخِيفَ جَانِبُهُ.ذِكْرُ بَعْضِ سِيرَةِ يَمِينِ الدَّوْلَةِ كَانَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ عَاقِلًا ، دَيِّنًا ، خَيِّرًا ، عِنْدَهُ عِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ ، وَصُنِّفَ لَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْكُتُبِ فِي فُنُونِ الْعُلُومِ ، وَقَصَدَهُ الْعُلَمَاءُ مِنْ أَقْطَارِ الْبِلَادِ ، وَكَانَ يُكْرِمُهُمْ ، وَيُقْبِلُ عَلَيْهِمْ ، وَيُعَظِّمُهُمْ ، وَيُحْسِنُ إِلَيْهِمْ ، وَكَانَ عَادِلًا ، كَثِيرَ الْإِحْسَانِ إِلَى رَعِيَّتِهِ وَالرِّفْقِ بِهِمْ ، كَثِيرَ الْغَزَوَاتِ ، مُلَازِمًا لِلْجِهَادِ ، وَفُتُوحُهُ مَشْهُورَةٌ مَذْكُورَةٌ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْهَا مَا وَصَلَ إِلَيْنَا عَلَى بُعْدِ الدَّهْرِ ، وَفِيهِ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى بَذْلِ نَفْسِهِ لِلَّهِ تَعَالَى وَاهْتِمَامِهِ بِالْجِهَادِ.وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا يُعَابُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَتَوَصَّلُ إِلَى أَخْذِ الْأَمْوَالِ بِكُلِّ طَرِيقٍ ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ إِنْسَانًا مِنْ نَيْسَابُورَ كَثِيرُ الْمَالِ ، عَظِيمُ الْغِنَى ، فَأَحْضَرَهُ إِلَى غَزْنَةَ وَقَالَ لَهُ بَلَغَنَا أَنَّكَ قِرْمِطِيٌّ ، فَقَالَ لَسْتُ بِقِرْمِطِيٍّ ، وَلِي مَالٌ يُؤْخَذُ مِنْهُ مَا يُرَادُ وَأُعْفَى مِنْ هَذَا الِاسْمِ ، فَأَخَذَ مِنْهُ مَالًا ، وَكَتَبَ مَعَهُ كِتَابًا بِصِحَّةِ اعْتِقَادِهِ.وَجَدَّدَ عِمَارَةَ الْمَشْهَدِ بِطُوسَ الَّذِي فِيهِ قَبْرُ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا ، وَالرَّشِيدِ ، وَأَحْسَنَ عِمَارَتَهُ ، وَكَانَ أَبُوهُ سُبُكْتِكِينُ أَخْرَبَهُ ، وَكَانَ أَهْلُ طُوسَ يُؤْذُونَ مَنْ يَزُورُهُ ، فَمَنَعَهُمْ عَنْ ذَلِكَ.وَكَانَ سَبَبُ فِعْلِهِ أَنَّهُ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فِي الْمَنَامِ وَهُوَ يَقُولُ لَهُ إِلَى مَتَى هَذَا ؟فَعَلِمَ أَنَّهُ يُرِيدُ أَمْرَ الْمَشْهَدِ ، فَأَمَرَ بِعِمَارَتِهِ.وَكَانَ رَبْعَةً مَلِيحَ اللَّوْنِ ، حَسَنَ الْوَجْهِ ، صَغِيرَ الْعَيْنَيْنِ ، أَحْمَرَ الشَّعْرِ ، وَكَانَ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ يُشْبِهُهُ ، وَكَانَ ابْنُهُ مَسْعُودٌ مُمْتَلِئَ الْبَدَنِ ، طَوِيلًا.ذِكْرُ عَوْدِ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ إِلَى أَصْبَهَانَ وَغَيْرِهَا وَمَا كَانَ مِنْهُ لَمَّا مَاتَ مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ طَمِعَ فَنَّاخَسْرُو بْنُ مَجْدِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ فِي الرَّيِّ ، وَكَانَ قَدْ هَرَبَ مِنْهَا لَمَّا مَلَكَهَا عَسْكَرُ يَمِينِ الدَّوْلَةِ مَحْمُودٍ.فَقَصَدَ قَصْرَانَ ، وَهِيَ حَصِينَةٌ ، فَامْتَنَعَ بِهَا.فَلَمَّا تُوُفِّيَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ وَعَادَ ابْنُهُ مَسْعُودٌ إِلَى خُرَاسَانَ جَمَعَ فَنَّاخَسْرُو هَذَا جَمْعًا مِنَ الدَّيْلَمِ وَالْأَكْرَادِ وَغَيْرِهِمْ ، وَقَصَدُوا الرَّيَّ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ نَائِبُ مَسْعُودٍ بِهَا وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْعَسْكَرِ ، فَقَاتَلُوهُ ، فَانْهَزَمَ مِنْهُمْ وَعَادَ إِلَى بَلَدِهِ ، وَقُتِلَ جَمَاعَةٌ مِنْ عَسْكَرِهِ.ثُمَّ إِنَّ عَلَاءَ الدَّوْلَةِ بْنَ كَاكَوَيْهِ ، لَمَّا بَلَغَهُ وَفَاةُ يَمِينِ الدَّوْلَةِ كَانَ بِخُوزِسْتَانَ عِنْدَ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ كَمَا ذَكَرْنَا.وَقَدْ أَيِسَ مِنْ نَصْرِهِ ، وَتَفَرَّقَ بَعْضُ مَنْ عِنْدَهُ مِنْ عَسْكَرِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَالْبَاقُونَ عَلَى عَزْمِ مُفَارَقَتِهِ وَهُوَ خَائِفٌ مِنْ مَسْعُودٍ أَنْ يَسِيرَ إِلَيْهِ مِنْ أَصْبَهَانَ فَلَا يَقْوَى هُوَ وَأَبُو كَالِيجَارَ بِهِ ، فَأَتَاهُ مِنَ الْفَرَجِ بِمَوْتِ يَمِينِ الدَّوْلَةِ مَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِهِ فَلَمَّا سَمِعَ الْخَبَرَ سَارَ إِلَى أَصْبَهَانَ فَمَلَكَهَا ، وَمَلَكَ هَمَذَانَ ، وَغَيْرَهُمَا مِنَ الْبِلَادِ ، وَسَارَ إِلَى الرَّيِّ فَمَلَكَهَا ، وَامْتَدَّ إِلَى أَعْمَالِ أَنُوشَرْوَانَ بْنِ مُنُوجَهْرَ بْنِ قَابُوسَ فَأَخَذَ مِنْهُ خُوَارَ الرَّيِّ وَدُنْبَاوَنْدَ.فَكَتَبَ أَنُوشَرْوَانُ إِلَى مَسْعُودٍ يُهَنِّئُهُ بِالْمُلْكِ ، وَسَأَلَهُ تَقْرِيرَ الَّذِي عَلَيْهِ بِمَالٍ يَحْمِلُهُ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَسَيَّرَ إِلَيْهِ عَسْكَرًا مِنْ خُرَاسَانَ ، فَسَارُوا إِلَى دُنْبَاوَنْدَ فَاسْتَعَادُوهَا ، وَسَارُوا نَحْوَ الرَّيِّ ، فَأَتَاهُمُ الْمَدَدُ وَالْعَسَاكِرُ ، وَمِمَّنْ أَتَاهُمْ عَلِيُّ بْنُ عِمْرَانَ ، فَكَثُرَ جَمْعُهُمْ فَحَصَرُوا الرَّيَّ ، وَبِهَا عَلَاءُ الدَّوْلَةِ ، فَاشْتَدَّ الْقِتَالُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ، فَدَخَلَ الْعَسْكَرُ الرَّيَّ قَهْرًا ، وَالْفِيَلَةُ مَعَهُمْ ، فَقُتِلَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ وَالدَّيْلَمِ ، وَنُهِبَتِ الْمَدِينَةُ ، وَانْهَزَمَ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ ، وَتَبِعَهُ بَعْضُ الْعَسْكَرِ وَجَرَحَهُ فِي رَأْسِهِ وَكَتِفِهِ ، فَأَلْقَى لَهُمْ دَنَانِيرَ كَانَتْ مَعَهُ ، فَاشْتَغَلُوا بِهَا عَنْهُ ، فَنَجَا ، وَسَارَ إِلَى قَلْعَةِ فَرْدَجَانَ ، عَلَى خَمْسَةَ عَشَرَ فَرْسَخًا مِنْ هَمَذَانَ ، فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ بَرِأَ مِنْ جِرَاحَتِهِ ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا نَذَكُرُهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَخُطِبَ بِالرَّيِّ وَأَعْمَالِ أَنُوشَرْوَانَ لِمَسْعُودٍ ، فَعَظُمَ شَأْنُهُ.ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ عَسْكَرِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ وَأَبِي كَالِيجَارَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي شَوَّالٍ ، سَيَّرَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ عَسْكَرًا إِلَى الْمَذَارِ ، وَبِهَا عَسْكَرُ أَبِي كَالِيجَارَ ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ أَبِي كَالِيجَارَ ، وَاسْتَوْلَى أَصْحَابُ جَلَالِ الدَّوْلَةِ عَلَى الْمَذَارَ ، وَعَمِلُوا بِأَهْلِهَا كُلَّ مَحْظُورٍ.فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو كَالِيجَارَ الْخَبَرَ سَيَّرَ إِلَيْهِمْ عَسْكَرًا كَثِيفًا ، فَاقْتَتَلُوا بِظَاهِرِ الْبَلَدِ فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَقُتِلَ أَكْثَرُهُمْ ، وَثَارَ أَهْلُ الْبَلَدِ بِغِلْمَانِهِمْ فَقَتَلُوهُمْ ، وَنَهَبُوا أَمْوَالَهُمْ لِقَبِيحِ سِيرَتِهِمْ مَعَهُمْ ، وَعَادَ مَنْ سَلِمَ مِنَ الْمَعْرَكَةِ إِلَى وَاسِطٍ.ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ قِرْوَاشٍ وَغَرِيبِ بْنِ مَقْنٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي جُمَادَى الْأُولَى ، اخْتَلَفَ قِرْوَاشٌ وَغَرِيبُ بْنُ مَقْنٍ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ غَرِيبًا جَمَعَ جَمْعًا كَثِيرًا مِنَ الْعَرَبِ وَالْأَكْرَادِ ، وَاسْتَمَدَّ جَلَالَ الدَّوْلَةِ ، فَأَمَدَّهُ بِجُمْلَةٍ صَالِحَةٍ مِنَ الْعَسْكَرِ ، فَسَارَ إِلَى تَكْرِيتَ فَحَصَرَهَا ، وَهِيَ لِأَبِي الْمُسَيَّبِ رَافِعِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَكَانَ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَسَأَلَ قِرْوَاشًا النَّجْدَةَ ، فَجَمَعَا وَحَشَدَا وَسَارَا مُنْحَدِرَيْنِ فِيمَنْ مَعَهُمَا ، فَبَلَغَا الدِّكَّةِ ، وَغَرِيبٌ يُحَاصِرُ تَكْرِيتَ ، وَقَدْ ضَيَّقَ عَلَى مَنْ بِهَا ، وَأَهْلُهَا يَطْلُبُونَ مِنْهُ الْأَمَانَ ، فَلَمْ يُؤَمِّنْهُمْ ، فَحَفِظُوا نُفُوسَهُمْ وَقَاتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ.فَلَمَّا بَلَغَهُ وُصُولُ قِرْوَاشٍ وَرَافِعٍ سَارَ إِلَيْهِمْ ، فَالْتَقَوْا بِالدِّكَّةِ وَاقْتَتَلُوا ، فَغَدَرَ بِغَرِيبٍ بَعْضُ مَنْ مَعَهُ ، وَنَهَبُوا سَوَادَهُ وَسَوَادَ الْأَجْنَادِ الْجَلَالِيَّةِ ، فَانْهَزَمَ ، وَتَبِعَهُمْ قِرْوَاشٌ وَرَافِعٌ ، ثُمَّ كَفُّوا عَنْهُ وَعَنْ أَصْحَابِهِ ، وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا إِلَى حُلَّتِهِ وَمَا لَهُ فِيهَا ، وَحَفِظُوا ذَلِكَ أَجْمَعَ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ تَرَاسَلُوا وَاصْطَلَحُوا وَعَادُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْوِفَاقِ.ذِكْرُ خُرُوجِ مَلِكِ الرُّومِ إِلَى الشَّامِ وَانْهِزَامِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ مَلِكُ الرُّومِ مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ إِلَى الشَّامِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَسِيرُ بِعَسَاكِرِهِ حَتَّى بَلَغُوا قَرِيبَ حَلَبَ ، وَصَاحِبُهَا شِبْلُ الدَّوْلَةِ نَصْرُ بْنُ صَالِحِ بْنِ مِرْدَاسٍ ، فَنَزَلُوا عَلَى يَوْمٍ مِنْهَا ، فَلَحِقَهُمْ عَطَشٌ شَدِيدٌ ، وَكَانَ الزَّمَانُ صَيْفًا ، وَكَانَ أَصْحَابُهُ مُخْتَلِفِينَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَحْسُدُهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكْرَهُهُ.وَمِمَّنْ كَانَ مَعَهُ ابْنُ الدَّوْقَسِ ، وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِهِمْ ، وَكَانَ يُرِيدُ هَلَاكَ الْمَلِكِ لِيَمْلِكَ بَعْدَهُ ، فَقَالَ الْمَلِكُ الرَّأْيُ أَنْ نُقِيمَ حَتَّى تَجِيءَ الْأَمْطَارُ وَتَكْثُرَ الْمِيَاهُ.فَقَبَّحَ ابْنُ الدَّوْقَسِ هَذَا الرَّأْيَ ، وَأَشَارَ بِالْإِسْرَاعِ قَصْدًا لِشَرٍّ يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ ، وَلِتَدْبِيرٍ كَانَ قَدْ دَبَّرَهُ عَلَيْهِ.فَسَارَ ، فَفَارَقَهُ ابْنُ الدَّوْقَسِ ، وَابْنُ لُؤْلُؤٍ فِي عَشَرَةِ آلَافِ فَارِسٍ ، وَسَلَكُوا طَرِيقًا آخَرَ ، فَخَلَا بِالْمَلِكِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ وَأَعْلَمَهُ أَنَّ ابْنَ الدَّوْقَسِ وَابْنَ لُؤْلُؤٍ قَدْ حَالَفَا أَرْبَعِينَ رَجُلًا ، هُوَ أَحَدُهُمْ ، عَلَى الْفَتْكِ بِهِ ، وَاسْتَشْعَرَ مِنْ ذَلِكَ وَخَافَ ، وَرَحَلَ مِنْ يَوْمِهِ رَاجِعًا.وَلَحِقَهُ ابْنُ الدَّوْقَسِ ، وَسَأَلَهُ عَنِ السَّبَبِ الَّذِي أَوْجَبَ عَوْدَهُ ، فَقَالَ لَهُ قَدِ اجْتَمَعَتْ عَلَيْنَا الْعَرَبُ وَقَرُبُوا مِنَّا وَقَبَضَ فِي الْحَالِ عَلَى ابْنِ الدَّوْقَسِ وَابْنِ لُؤْلُؤٍ وَجَمَاعَةٍ مَعَهُمَا ، فَاضْطَرَبَ النَّاسُ وَاخْتَلَفُوا ، وَرَحَلَ الْمَلِكُ ، وَتَبِعَهُمُ الْعَرَبُ وَأَهْلُ السَّوَادِ حَتَّى الْأَرْمَنُ يَقْتُلُونَ وَيَنْهَبُونَ ، وَأَخَذُوا مِنَ الْمَلِكِ أَرْبَعَمِائَةِ بَغْلٍ مُحَمَّلَةٍ مَالًا وَثِيَابًا ، وَهَلَكَ كَثِيرٌ مِنَ الرُّومِ عَطَشًا ، وَنَجَا الْمَلِكُ وَحْدَهُ ، وَلَمْ يَسْلَمْ مَعَهُ مِنْ أَمْوَالِهِ وَخَزَائِنِهِ شَيْءٌ أَلْبَتَّةَ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا.وَقِيلَ فِي عَوْدِهِ غَيْرُ ذَلِكَ ، وَهُوَ أَنَّ جَمْعًا مِنَ الْعَرَبِ لَيْسَ بِالْكَثِيرِ عَبَرَ عَلَى عَسْكَرِهِ ، وَظَنَّ الرُّومُ أَنَّهَا كَبْسَةٌ ، فَلَمْ يَدْرُوا مَا يَفْعَلُونَ ، حَتَّى إِنَّ مَلِكَهُمْ لَبِسَ خُفًّا أَسْوَدَ ، وَعَادَةُ مُلُوكِهِمْ لُبْسُ الْخُفِّ الْأَحْمَرِ ، فَتَرَكَهُ وَلَبِسَ الْأَسْوَدَ لِيَعْمَى خَبَرُهُ عَلَى مَنْ يُرِيدُهُ ، وَانْهَزَمُوا ، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعَ مَا كَانَ مَعَهُمْ.ذِكْرُ مَسِيرِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ مَاكُولَا إِلَى الْبَصْرَةِ وَقَتْلِهِ لَمَّا اسْتَوْلَى الْمَلِكُ جَلَالُ الدَّوْلَةِ عَلَى وَاسِطٍ ، وَجَعَلَ وَلَدَهُ فِيهَا سَيَّرَ وَزِيرَهُ أَبَا عَلِيِّ بْنَ مَاكُولَا إِلَى الْبَطَائِحِ وَالْبَصْرَةِ لِيَمْلِكَهَا ، فَمَلَكَ الْبَطَائِحَ ، وَسَارَ إِلَى الْبَصْرَةِ فِي الْمَاءِ ، وَأَكْثَرَ مِنَ السُّفُنِ وَالرِّجَالِ.وَكَانَ بِالْبَصْرَةِ أَبُو مَنْصُورٍ بَخْتَيَارُ بْنُ عَلِيٍّ نَائِبًا لِأَبِي كَالِيجَارَ ، فَجَهَّزَ جَيْشًا فِي أَرْبَعِمِائَةِ سَفِينَةٍ وَجَعَلَ عَلَيْهِمْ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الشَّرَابِيَّ الَّذِي كَانَ صَاحِبَ الْبَطِيحَةِ ، وَسَيَّرَهُ ، فَالْتَقَى هُوَ وَالْوَزِيرُ أَبُو عَلِيٍّ ، فَعِنْدَ اللِّقَاءِ وَالْقِتَالِ هَبَّتْ رِيحُ شَمَالٍ كَانَتْ عَلَى الْبَصْرِيِّينَ وَمَعُونَةً لِلْوَزِيرِ ، فَانْهَزَمَ الْبَصْرِيُّونَ وَعَادُوا إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَعَزَمَ بَخْتَيَارُ عَلَى الْهَرَبِ إِلَى عَبَّادَانِ ، فَمَنَعَهُ مَنْ سَلِمَ عِنْدَهُ مِنْ عَسْكَرِهِ ، فَأَقَامَ مُتَجَلِّدًا.وَأَشَارَ جَمَاعَةٌ عَلَى الْوَزِيرِ أَبِي عَلِيٍّ أَنْ يُعَجِّلَ الِانْحِدَارَ ، وَيَغْتَنِمَ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ يَعُودَ بَخْتَيَارُ يَجْمَعُ.فَلَمَّا قَارَبَهُمْ ، وَهُوَ فِي أَلْفٍ وَثَلَاثِمَائَةِ عَدَدٍ مِنَ السُّفُنِ سَيَّرَ بَخْتَيَارُ مَا عِنْدَهُ مِنَ السُّفُنِ ، وَهِيَ نَحْوُ ثَلَاثِينَ قِطْعَةً ، وَفِيهَا الْمُقَاتِلَةُ ، وَكَانَ قَدْ سَيَّرَ عَسْكَرًا آخَرَ فِي الْبَرِّ ، وَكَانَ لَهُ فِي فَمِ نَهْرِ أَبِي الْخَصِيبِ نَحْوُ خَمْسِمِائَةِ قِطْعَةٍ فِيهَا مَالُهُ وَلِجَمِيعِ عَسْكَرِهِ مِنَ الْمَالِ وَالْأَثَاثِ وَالْأَهْلِ ، فَلَمَّا تَقَدَّمَتْ سُفُنُهُ صَاحَ مَنْ فِيهَا ، وَأَجَابَهُ مَنْ فِي السُّفُنِ الَّتِي فِيهَا أَهْلُوهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ ، وَوَرَدَ عَلَيْهِمُ الْعَسْكَرُ الَّذِينَ فِي الْبَرِّ ، فَقَالَ الْوَزِيرُ لِمَنْ أَشَارَ عَلَيْهِ بِمُعَاجَلَةِ بَخْتَيَارَ أَلَسْتُمْ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ فِي خُفٍّ مِنَ الْعَسْكَرِ ، وَأَنَّ مُعَاجَلَتَهُ أَوْلَى ، وَأَرَى الدُّنْيَا مَمْلُوئَةً عَسَاكِرَ ؟فَهَوَّنُوا عَلَيْهِ الْأَمْرَ ، فَغَضِبَ ، وَأَمَرَ بِإِعَادَةِ السُّفُنِ إِلَى الشَّاطِئِ ، إِلَى الْغَدِ ، وَيَعُودُ إِلَى الْقِتَالِ.فَلَمَّا أَعَادَ سُفُنَهُ ظَنَّ أَصْحَابُهُ أَنَّهُ قَدِ انْهَزَمَ ، فَصَاحُوا الْهَزِيمَةُ!فَكَانَتْ هِيَ.وَقِيلَ " بَلْ لَمَّا أَعَادَ سُفُنَهُ لَحِقَهُمْ مَنْ فِي سُفُنِ بَخْتَيَارَ ، وَصَاحُوا الْهَزِيمَةُ!الْهَزِيمَةُ!وَأَجَابَهُمْ مَنْ فِي الْبَرِّ مِنْ عَسْكَرِ بَخْتَيَارَ ، وَمَنْ فِي سُفُنِهِمُ الَّتِي فِيهَا أَمْوَالُهُمْ ، فَانْهَزَمَ أَبُو عَلِيٍّ حَقًّا ، وَتَبِعَهُ أَصْحَابُ بَخْتَيَارَ وَأَهْلُ السَّوَادِ ، وَنَزَلَ بَخْتَيَارُ فِي الْمَاءِ ، وَاسْتَصْرَخَ النَّاسُ ، وَسَارَ فِي آثَارِهِمْ يَقْتُلُ وَيَأْسِرُ ، وَهُمْ يَغْرَقُونَ ، فَلَمْ يَسْلَمْ مِنَ السُّفُنِ كُلِّهَا أَكْثَرُ مِنْ خَمْسِينَ قِطْعَةً.وَسَارَ الْوَزِيرُ أَبُو عَلِيٍّ مُنْهَزِمًا ، فَأُخِذَ أَسِيرًا ، وَأُحْضِرَ عِنْدَ بَخْتَيَارَ فَأَكْرَمَهُ وَعَظَّمَهُ ، وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ مَا الَّذِي تَشْتَهِي أَنْ أَفْعَلَ مَعَكَ قَالَ تُرْسِلُنِي إِلَى الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ.فَأَرْسَلَهُ إِلَيْهِ فَأَطْلَقَهُ ، فَاتَّفَقَ أَنَّ غُلَامًا لَهُ وَجَارِيَةً اجْتَمَعَا عَلَى فَسَادٍ ، فَعَلِمَ بِهِمَا ، وَعَرَفَا أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ حَالَهُمَا ، فَقَتَلَاهُ بَعْدَ أَسْرِهِ بِنَحْوٍ مِنْ شَهْرٍ.وَكَانَ قَدْ أَحْدَثَ فِي وِلَايَتِهِ رُسُومًا جَائِرَةً وَسَنَّ سُنُنًا سَيِّئَةً مِنْهَا جِبَايَةُ سُوقِ الدَّقِيقِ ، وَمَقَالِي الْبَاذِنْجَانِ ، وَسُمَيْرِيَّاتِ الْمَشَارِعِ ، وَدِلَالَةِ مَا يُبَاعُ مِنَ الْأَمْتِعَةِ ، وَأُجَرِ الْحَمَّالِينَ الَّذِينَ يَرْفَعُونَ التُّمُورَ إِلَى السُّفُنِ ، وَبِمَا يُعْطِيهِ الذَّبَّاحُونَ لِلْيَهُودِ ، فَجَرَى فِي ذَلِكَ مُنَاوَشَةٌ بَيْنَ الْعَامَّةِ وَالْجُنْدِ.ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ عَسْكَرِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ عَلَى الْبَصْرَةِ وَأَخْذِهَا مِنْهُمْ لَمَّا انْحَدَرَ الْوَزِيرُ أَبُو عَلِيِّ بْنُ مَاكُولَا إِلَى الْبَصْرَةِ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ لَمْ يَسْتَصْحِبْ مَعَهُ الْأَجْنَادَ الْبَصْرِيِّينَ الَّذِينَ مَعَ جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، تَأْنِيسًا لِلدَّيْلَمِ الَّذِينَ بِالْبَصْرَةِ فَلَمَّا أُصِيبَ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَا ، تَجَهَّزَ هَؤُلَاءِ الْبَصْرِيُّونَ وَانْحَدَرُوا إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَوَصَلُوا إِلَيْهَا ، وَقَاتَلُوا مَنْ بِهَا مِنْ عَسْكَرِ أَبِي كَالِيجَارَ ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ أَبِي كَالِيجَارَ ، وَدَخَلَ عَسْكَرُ جَلَالِ الدَّوْلَةِ الْبَصْرَةَ فِي شَعْبَانَ.وَاجْتَمَعَ عَسْكَرُ أَبِي كَالِيجَارَ بِالْأُبُلَّةِ مَعَ بَخْتَيَارَ ، فَأَقَامُوا بِهَا يَسْتَعِدُّونَ لِلْعَوْدِ وَكَتَبُوا إِلَى أَبِي كَالِيجَارَ يَسْتَمِدُّونَهُ فَسَيَّرَ إِلَيْهِمْ عَسْكَرًا كَثِيرًا مَعَ وَزِيرِهِ ذِي السَّعَادَاتِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ فَسَانْجَسَ ، فَقَدِمُوا إِلَى الْأُبُلَّةِ ، وَاجْتَمَعُوا مَعَ بَخْتَيَارَ ، وَوَقَعَ الشُّرُوعُ فِي قِتَالِ مَنْ بِالْبَصْرَةِ مِنْ أَصْحَابِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ فَسَيَّرَ بَخْتَيَارُ جَمْعًا كَثِيرًا فِي عِدَّةٍ مِنَ السُّفُنِ فَقَاتَلُوهُمْ.فَنُصِرَ أَصْحَابُ جَلَالِ الدَّوْلَةِ عَلَيْهِمْ وَهَزَمُوهُمْ ، فَوَبَّخَهُمْ بَخْتَيَارُ ، وَسَارَ مِنْ وَقْتِهِ فِي الْعَدَدِ الْكَثِيرِ ، وَالسُّفُنِ الْكَثِيرَةِ ، فَاقْتَتَلُوا.وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، فَانْهَزَمَ بَخْتَيَارُ وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ وَأُخِذَ هُوَ فَقُتِلَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ لِقَتْلِهِ.وَأَخَذُوا كَثِيرًا مِنْ سُفُنِهِ وَعَادَ كُلُّ فَرِيقٍ إِلَى مَوْضِعِهِ.وَعَزَمَ الْأَتْرَاكُ مِنْ أَصْحَابِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ عَلَى مُبَاكَرَةِ الْحَرْبِ ، وَإِتْمَامِ الْهَزِيمَةِ ، وَطَالَبُوا الْعَامِلَ الَّذِي عَلَى الْبَصْرَةِ بِالْمَالِ ، وَاخْتَلَفُوا ، وَتَنَازَعُوا فِي الْإِقْطَاعَاتِ ، فَأَصْعَدَ ابْنُ الْمَعْبَرَانِيِّ ، صَاحِبُ الْبَطِيحَةِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ الْوَاسِطِيِّينَ لِيَرُدُّوهُ ، فَلَمْ يَرْجِعْ ، فَتَبِعُوهُ ، وَخَافَ مَنْ بَقِيَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ أَنْ لَا يُنَاصِحُوهُمْ ، وَيُسْلِمُوهُمْ عِنْدَ الْحَرْبِ ، فَتَفَرَّقُوا ، وَاسْتَأْمَنَ بَعْضُهُمْ إِلَى ذِي السَّعَادَاتِ ، وَقَدْ كَانَ خَائِفًا مِنْهُمْ ، فَجَاءَهُ مَا لَمْ يُقَدِّرْهُ مِنَ الظَّفَرِ ، وَنَادَى مَنْ بَقِيَ بِالْبَصْرَةِ بِشِعَارِ أَبِي كَالِيجَارَ ، فَدَخَلَهَا عَسْكَرُهُ ، وَأَرَادُوا نَهْبَهَا ، فَمَنَعَهُمْ ذُو السَّعَادَاتِ.ذِكْرُ غَزْوِ فَضْلُونِ الْكُرْدِيِّ الْخَزَرَ وَمَا كَانَ مِنْهُ كَانَ فَضْلُونُ الْكُرْدِيُّ هَذَا بِيَدِهِ قِطْعَةٌ مِنْ أَذْرَبِيجَانَ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَمَلَكَهَا.، فَاتَّفَقَ أَنَّهُ غَزَا الْخَزَرَ ، هَذِهِ السَّنَةَ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ ، وَسَبَى ، وَغَنِمَ شَيْئًا كَثِيرًا ، فَلَمَّا عَادَ إِلَى بَلَدِهِ أَبْطَأَ فِي سَيْرِهِ وَأَمَّلَ الِاسْتِظْهَارَ فِي أَمْرِهِ ، ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ قَدْ دَوَّخَهُمْ وَشَغَلَهُمْ بِمَا عَمِلَهُ بِهِمْ ، فَاتَّبَعُوهُ مُجِدِّينَ ، وَكَبَسُوهُ ، وَقَتَلُوا مِنْ أَصْحَابِهِ وَالْمُطَّوِّعَةِ الَّذِينَ مَعَهُ أَكْثَرَ مِنْ عَشَرَةِ آلَافِ قَتِيلٍ ، وَاسْتَرَدُّوا الْغَنَائِمَ الَّتِي أُخِذَتْ مِنْهُمْ ، وَغَنِمُوا أَمْوَالَ الْعَسَاكِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَعَادُوا.ذِكْرُ الْبَيْعَةِ لِوَلِيِّ الْعَهْدِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَرِضَ الْقَادِرُ بِاللَّهِ ، وَأُرْجِفَ بِمَوْتِهِ ، فَجَلَسَ جَلُوسًا عَامًّا وَأَذِنَ لِلْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ فَوَصَلُوا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا قَامَ الصَّاحِبُ أَبُو الْغَنَائِمِ فَقَالَ خَدَمُ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ دَاعُونَ لَهُ بِإِطَالَةِ الْبَقَاءِ ، وَشَاكِرُونَ لِمَا بَلَغَهُمْ مِنْ نَظَرِهِ لَهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ بِاخْتِيَارِ الْأَمِيرِ أَبِي جَعْفَرٍ لِوِلَايَةِ الْعَهْدِ.فَقَالَ الْخَلِيفَةُ لِلنَّاسِ قَدْ أَذِنَّا فِي الْعَهْدِ لَهُ ، وَكَانَ أَرَادَ أَنْ يُبَايِعَ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَثَنَاهُ عَنْهُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ حَاجِبٍ النُّعْمَانُ.فَلَمَّا عُهِدَ إِلَيْهِ أُلْقِيَتِ السِّتَارَةُ.وَقَعَدَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَى السَّرِيرِ الَّذِي كَانَ قَائِمًا عَلَيْهِ ، وَخَدَمَهُ الْحَاضِرُونَ وَهَنَّأُوهُ.وَتَقَدَّمَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ حَاجِبٍ النُّعْمَانُ فَقَبَّلَ يَدَهُ وَهَنَّأَهُ ، فَقَالَ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا الأحزاب يُعَرِّضُ لَهُ بِإِفْسَادِهِ رَأْيَ الْخَلِيفَةِ فِيهِ ، فَأَكَبَّ عَلَى تَقْبِيلِ قَدَمِهِ.وَتَعْفِيرِ خَدِّهِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالِاعْتِذَارِ.فَقَبِلَ عُذْرَهُ وَدُعِيَ لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِتِسْعٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَوْزَرَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ أَبَا سَعْدِ بْنَ عَبْدِ الرَّحِيمِ بَعْدَ ابْنِ مَاكُولَا ، وَلَقَّبَهُ عَمِيدَ الدَّوْلَةِ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ حَاجِبٍ النُّعْمَانُ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَكَانَ خِصِّيصًا بِالْقَادِرِ بِاللَّهِ ، حَاكِمًا فِي دَوْلَتِهِ كُلِّهَا ، وَكَتَبَ لَهُ وَلِلطَّائِعِ أَرْبَعِينَ سَنَةً.وَفِيهَا ظَهَرَ مُتَلَصِّصَةٌ بِبَغْدَاذَ مِنَ الْأَكْرَادِ ، فَكَانُوا يَسْرِقُونَ دَوَابَّ الْأَتْرَاكِ ، فَنَقَلَ الْأَتْرَاكُ خَيْلَهُمْ إِلَى دُورِهِمْ ، وَنَقَلَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ دَوَابَّهُ إِلَى بَيْتٍ فِي دَارِ الْمَمْلَكَةِ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ الْفَسَوِيُّ ، النَّحْوِيُّ ، بِفَسَا ، وَهُوَ نَسِيبُ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى الْعَلَوِيُّ ، النَّهْرَسَابُسِيُّ ، الْمُلَقَّبُ بِالْكَافِي ، وَكَانَ مَوْتُهُ بِالْكُوفَةِ.وَفِيهَا ، فِي رَجَبٍ ، جَاءَ فِي غَزْنَةَ سَيْلٌ عَظِيمٌ أَهْلَكَ الزَّرْعَ وَالضَّرْعَ ، وَغَرَّقَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَا يُحْصَوْنَ ، وَخَرَّبَ الْجِسْرَ الَّذِي بَنَاهُ عَمْرُو بْنُ اللَّيْثِ ، وَكَانَ هَذَا الْحَادِثُ عَظِيمًا.وَفِيهَا ، فِي رَمَضَانَ ، تَصَدَّقَ مَسْعُودُ بْنُ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ ، فِي غَزْنَةَ ، بِأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَأَدَرَّ عَلَى الْفُقَرَاءِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالرَّعَايَا إِدْرَارَاتٍ كَثِيرَةً. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ مُلْكِ مَسْعُودِ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ التِّيزَ وَمُكْرَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَيَّرَ السُّلْطَانُ مَسْعُودُ بْنُ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ عَسْكَرًا إِلَى التِّيزِ ، فَمَلَكَهَا وَمَا جَاوَرَهَا.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَهَا مَعْدَانَ تُوُفِّيَ ، وَخَلَّفَ وَلَدَيْنِ أَبَا الْعَسَاكِرِ وَعِيسَى ، فَاسْتَبَدَّ عِيسَى بِالْوِلَايَةِ وَالْمَالِ ، فَسَارَ أَبُو الْعَسَاكِرِ إِلَى خُرَاسَانَ ، وَطَلَبَ مِنْ مَسْعُودٍ النَّجْدَةَ ، فَسَيَّرَ مَعَهُ عَسْكَرًا ، وَأَمَرَهُمْ بِأَخْذِ الْبِلَادِ مِنْ عِيسَى ، أَوِ الِاتِّفَاقِ مَعَ أَخِيهِ عَلَى طَاعَتِهِ ، فَوَصَلُوا إِلَيْهَا ، وَدَعَوْا عِيسَى إِلَى الطَّاعَةِ وَالْمُوَافَقَةِ ، فَأَبَى وَجَمَعَ جَمْعًا كَثِيرًا بَلَغُوا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفًا ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ ، فَالْتَقَوْا ، فَاسْتَأْمَنَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِ عِيسَى إِلَى أَخِيهِ أَبِي الْعَسَاكِرِ ، فَانْهَزَمَ عِيسَى ثُمَّ عَادَ وَحَمَلَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَتَوَسَّطَ الْمَعْرَكَةَ فَقُتِلَ ، وَاسْتَوْلَى أَبُو الْعَسَاكِرِ عَلَى الْبِلَادِ ، وَنَهَبَهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَأَجْحَفَ بِأَهْلِهَا.ذِكْرُ مُلْكِ الرُّومِ مَدِينَةَ الرُّهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَلَكَ الرُّومُ مَدِينَةَ الرُّهَا ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الرُّهَا كَانَتْ بِيَدِ نَصْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ مَرْوَانَ ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، فَلَمَّا قُتِلَ عُطَيْرٌ الَّذِي كَانَ صَاحِبَهَا ، شَفَعَ صَالِحُ بْنُ مِرْدَاسٍ ، صَاحِبُ حَلَبَ ، إِلَى نَصْرِ الدَّوْلَةِ لِيُعِيدَ الرُّهَا إِلَى ابْنِ عُطَيْرٍ ، وَإِلَى ابْنِ شِبْلٍ ، بَيْنَهُمَا نِصْفَيْنِ ، فَقَبِلَ شَفَاعَتَهُ ، وَسَلَّمَهَا إِلَيْهِمَا.وَكَانَ لَهُ فِي الرُّهَا بُرْجَانِ حَصِينَانِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ ، فَتَسَلَّمَ ابْنُ عُطَيْرٍ الْكَبِيرَ ، وَابْنُ شِبْلٍ الصَّغِيرَ ، وَبَقِيَتِ الْمَدِينَةُ مَعَهُمَا إِلَى هَذِهِ السَّنَةِ ، فَرَاسَلَ ابْنُ عُطَيْرٍ أَرْمَانُوسَ مَلِكَ الرُّومَ ، وَبَاعَهُ حِصَّتَهُ مِنَ الرُّهَا بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَعِدَّةِ قَرَايَا مِنْ جُمْلَتِهَا قَرْيَةٌ تُعْرَفُ إِلَى الْآنِ بِسِنِّ ابْنِ عُطَيْرٍ ، وَتَسَلَّمُوا الْبُرْجَ الَّذِي لَهُ ، وَدَخَلُوا الْبَلَدَ فَمَلَكُوهُ ، وَهَرَبَ مِنْهُ أَصْحَابُ ابْنِ شِبْلٍ ، وَقَتَلَ الرُّومُ الْمُسْلِمِينَ ، وَخَرَّبُوا الْمَسَاجِدَ.وَسَمِعَ نَصْرُ الدَّوْلَةِ الْخَبَرَ ، فَسَيَّرَ جَيْشًا إِلَى الرُّهَا ، فَحَصَرُوهَا وَفَتَحُوهَا عَنْوَةً ، وَاعْتَصَمَ مَنْ بِهَا مِنَ الرُّومِ بِالْبُرْجَيْنِ ، وَاحْتَمَى النَّصَارَى بِالْبِيعَةِ الَّتِي لَهُمْ ، وَهِيَ مِنْ أَكْبَرِ الْبِيَعِ وَأَحْسَنِهَا عِمَارَةً ، فَحَصَرَهُمُ الْمُسْلِمُونَ بِهَا ، وَأَخْرَجُوهُمْ ، وَقَتَلُوا أَكْثَرَهُمْ ، وَنَهَبُوا الْبَلَدَ ، وَبَقِيَ الرُّومُ فِي الْبُرْجَيْنِ ، وَسَيَّرَ إِلَيْهِمْ عَسْكَرًا نَحْوَ عَشَرَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ ابْنِ مَرْوَانَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ، وَدَخَلُوا الْبَلَدَ وَمَا جَاوَرَهُمْ مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ ، وَصَالَحَهُمُ ابْنُ وَثَّابٍ النُّمَيْرِيُّ عَلَى حَرَّانَ وَسَرُوجَ وَحَمَلَ إِلَيْهِمْ خَرَاجًا.ذِكْرُ مُلْكِ مَسْعُودِ بْنِ مَحْمُودٍ كِرْمَانَ وَعَوْدِ عَسْكَرِهِ عَنْهَا وَفِيهَا سَارَتْ عَسَاكِرُ خُرَاسَانَ إِلَى كِرْمَانَ فَمَلَكُوهَا ، وَكَانَتْ لِلْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ ، فَاحْتَمَى عَسْكَرُهُ بِمَدِينَةِ بَرْدَسِيرَ ، وَحَصَرَهُمُ الْخُرَاسَانِيُّونَ فِيهَا ، وَجَرَى بَيْنَهُمْ عِدَّةُ وَقَائِعَ ، وَأَرْسَلُوا إِلَى الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ يَطْلُبُونَ الْمَدَدَ فَسَيَّرَ إِلَيْهِمُ الْعَادِلَ بَهْرَامَ بْنَ مَافَنَّةَ فِي عَسْكَرٍ كَثِيفٍ ، ثُمَّ إِنَّ الَّذِينَ بِبَرْدَسِيرَ خَرَجُوا إِلَى الْخُرَاسَانِيَّةِ فَوَاقَعُوهُمْ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، وَصَبَرُوا لَهُمْ ، فَأَجْلَتِ الْوَقْعَةُ عَنْ هَزِيمَةِ الْخُرَاسَانِيَّةِ ، وَتَبِعَهُمُ الدَّيْلَمُ حَتَّى أَبْعَدُوا ، ثُمَّ عَادُوا إِلَى بَرْدَسِيرَ.وَوَصَلَ الْعَادِلُ عَقِيبَ ذَلِكَ إِلَى جِيرَفْتَ ، وَسَيَّرَ عَسْكَرَهُ إِلَى الْخُرَاسَانِيَّةِ وَهُمْ بِأَطْرَافِ الْبِلَادِ ، فَوَاقَعُوهُمْ ، فَانْهَزَمَ الْخُرَاسَانِيَّةُ ، وَدَخَلُوا الْمَفَازَةَ عَائِدِينَ إِلَى خُرَاسَانَ ، وَأَقَامَ الْعَادِلُ بِكِرْمَانَ إِلَى أَنْ أَصْلَحَ أُمُورَهَا وَعَادَ إِلَى فَارِسَ.ذِكْرُ وَفَاةِ الْقَادِرِ بِاللَّهِ وَشَيْءٍ مِنْ سِيرَتِهِ وَخِلَافَةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي ذِي الْحِجَّةِ ، تُوُفِّيَ الْإِمَامُ الْقَادِرُ بِاللَّهِ ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَعُمْرُهُ سِتٌّ وَثَمَانُونَ سَنَةً وَعَشَرَةُ أَشْهُرٍ ، وَخِلَافَتُهُ إِحْدَى وَأَرْبَعُونَ سَنَةً وَثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَعِشْرُونَ يَوْمًا ، وَكَانَتِ الْخِلَافَةُ قَبْلَهُ قَدْ طَمِعَ فِيهَا الدَّيْلَمُ وَالْأَتْرَاكُ ، فَلَمَّا وَلِيَهَا الْقَادِرُ بِاللَّهِ أَعَادَ جِدَّتَهَا ، وَجَدَّدَ نَامُوسَهَا ، وَأَلْقَى اللَّهُ هَيْبَتَهُ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ فَأَطَاعُوهُ أَحْسَنَ طَاعَةٍ وَأَتَمَّهَا.وَكَانَ حَلِيمًا ، كَرِيمًا ، خَيِّرًا يُحِبُّ الْخَيْرَ وَأَهْلَهُ ، وَيَأْمُرُ بِهِ ، وَيَنْهَى عَنِ الشَّرِّ وَيَبْغَضُ أَهْلَهُ ، وَكَانَ حَسَنَ الِاعْتِقَادِ ، صَنَّفَ فِيهِ كِتَابًا عَلَى مَذْهَبِ السُّنَّةِ.وَلَمَّا تُوُفِّيَ صَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَكَانَ الْقَادِرُ بِاللَّهِ أَبْيَضَ حَسَنَ الْجِسْمِ ، كَثَّ اللِّحْيَةِ ، طَوِيلَهَا ، يَخْضِبُ ، وَكَانَ يَخْرُجُ مِنْ دَارِهِ فِي زِيِّ الْعَامَّةِ وَيَزُورُ قُبُورَ الصَّالِحِينَ ، كَقَبْرِ مَعْرُوفٍ وَغَيْرِهِ ، وَإِذَا وَصَلَ إِلَيْهِ حَالٌ أَمَرَ فِيهِ بِالْحَقِّ.قَالَ الْقَاضِي الْحُسَيْنُ بْنُ هَارُونَ كَانَ بِالْكَرْخِ مِلْكٌ لِيَتِيمٍ وَكَانَ لَهُ فِيهِ قِيمَةٌ جَيِّدَةٌ ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ ابْنُ حَاجِبٍ النُّعْمَانُ ، وَهُوَ حَاجِبُ الْقَادِرِ.يَأْمُرُنِي أَنْ أَفُكَّ عَنْهُ الْحَجْرَ لِيَشْتَرِيَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ ذَلِكَ الْمِلْكَ ، فَلَمْ أَفْعَلْ فَأَرْسَلَ يَسْتَدْعِينِي ، فَقُلْتُ لِغُلَامِهِ تَقَدَّمْنِي حَتَّى أَلْحَقَكَ ، وَخِفْتُهُ.فَقَصَدْتُ قَبْرَ مَعْرُوفٍ فَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يَكْفِيَنِيَ شَرَّهُ ، وَهُنَاكَ شَيْخٌ ، فَقَالَ لِي عَلَى مَنْ تَدْعُو ؟فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ ، وَوَصَلْتُ إِلَى ابْنِ حَاجِبٍ النُّعْمَانِ ، فَأَغْلَظَ لِي فِي الْقَوْلِ ، وَلَمْ يَقْبَلْ عُذْرِي ، فَأَتَاهُ خَادِمٌ بِرُقْعَةٍ فَفَتَحَهَا وَقَرَأَهَا وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ ، وَنَزَلَ مِنَ الشِّدَّةِ ، فَاعْتَذَرَ إِلَيَّ ثُمَّ قَالَ كَتَبْتَ إِلَى الْخَلِيفَةِ قِصَّةً ؟فَقُلْتُ لَا.وَعَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ الشَّيْخَ كَانَ الْخَلِيفَةَ.وَقِيلَ كَانَ يُقَسِّمُ إِفْطَارَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ فَقِسْمٌ كَانَ يَتْرُكُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقِسْمٌ يُرْسِلُهُ إِلَى جَامِعِ الرُّصَافَةِ ، وَقِسْمٌ يُرْسِلُهُ إِلَى جَامِعِ الْمَدِينَةِ ، يُفَرَّقُ عَلَى الْمُقِيمِينَ فِيهِمَا ، فَاتَّفَقَ أَنَّ الْفَرَّاشَ حَمَلَ لَيْلَةً الطَّعَامَ إِلَى جَامِعِ الْمَدِينَةِ ، فَفَرَّقَهُ عَلَى الْجَمَاعَةِ ، فَأَخَذُوا ، إِلَّا شَابًّا فَإِنَّهُ رَدَّهُ.فَلَمَّا صَلَّوُا الْمَغْرِبَ خَرَجَ الشَّابُّ ، وَتَبِعَهُ الْفَرَّاشُ ، فَوَقَفَ عَلَى بَابٍ فَاسْتَطْعَمَ فَأَطْعَمُوهُ كُسَيْرَاتٍ فَأَخَذَهَا وَعَادَ إِلَى الْجَامِعِ ، فَقَالَ لَهُ الْفَرَّاشُ وَيْحَكَ أَلَا تَسْتَحِي يُنْفِذُ إِلَيْكَ خَلِيفَةُ اللَّهِ بِطَعَامٍ حَلَالٍ فَتَرُدَّهُ وَتَخْرُجَ وَتَأْخُذَ مِنَ الْأَبْوَابِ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا رَدَدْتُهُ إِلَّا لِأَنَّكَ عَرَضْتَهُ عَلَيَّ قَبْلَ الْمَغْرِبِ ، وَكُنْتُ غَيْرَ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا احْتَجْتُ طَلَبْتُ ، فَعَادَ الْفَرَّاشُ فَأَخْبَرَ الْخَلِيفَةَ بِذَلِكَ فَبَكَى وَقَالَ لَهُ رَاعِ مِثْلَ هَذَا ، وَاغْتَنِمْ أَخْذَهُ ، وَأَقِمْ إِلَى وَقْتِ الْإِفْطَارِ.وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَبْهَرِيُّ أَرْسَلَنِي بَهَاءُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْقَادِرِ بِاللَّهِ فِي رِسَالَةٍ ، فَسَمِعْتُهُ يُنْشِدُ سَبَقَ الْقَضَاءُ بِكُلِّ مَا هُوَ كَائِنٌ...وَاللَّهُ يَا هَذَا لِرِزْقِكَ ضَامِنُ تُعْنَى بِمَا يَفْنَى ، وَتَتْرُكُ مَا بِهِ تَغْنَى ، كَأَنَّكَ لِلْحَوَادِثِ آمِنُ...أَوَمَا تَرَى الدُّنْيَا وَمَصْرَعَ أَهْلِهَا فَاعْمَلْ لِيَوْمِ فِرَاقِهَا ، يَا حَائِنُ...وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لَا أَبَا لَكَ فِي الَّذِي أَصْبَحْتَ تَجْمَعُهُ لِغَيْرِكَ خَازِنُ...يَا عَامِرَ الدُّنْيَا أَتَعْمُرُ مَنْزِلًا لَمْ يَبْقَ فِيهِ مَعَ الْمَنِيَّةِ سَاكِنُ...الْمَوْتُ شَيْءٌ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ حَقٌّ ، وَأَنْتَ بِذِكْرِهِ مُتَهَاوِنُ...إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَا تُؤَآمِرُ مَنْ أَتَتْ فِي نَفْسِهِ يَوْمًا وَلَا تَسْتَأْذِنُ فَقُلْتُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِإِنْشَادِ مِثْلِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ.فَقَالَ بَلْ لِلَّهِ الْمِنَّةُ إِذْ أَلْزَمَنَا بِذِكْرِهِ ، وَوَفَّقَنَا لِشُكْرِهِ.أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فِي أَهْلِ الْمَعَاصِي هَانُوا عَلَيْهِ فَعَصَوْهُ ، وَلَوْ عَزُّوا عَلَيْهِ لَعَصَمَهُمْ ، وَمَنَاقِبُهُ كَثِيرَةٌ.ذِكْرُ خِلَافَةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ لَمَّا مَاتَ الْقَادِرُ بِاللَّهِ جَلَسَ فِي الْخِلَافَةِ ابْنُهُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ ، أَبُو جَعْفَرٍ عَبْدُ اللَّهِ ، وَجُدِّدَتْ لَهُ الْبَيْعَةُ ، وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ بَايَعَ لَهُ بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، وَاسْتَقَرَّتِ الْخِلَافَةُ لَهُ ، وَأَوَّلُ مَنْ بَايَعَهُ الشَّرِيفُ أَبُو الْقَاسِمِ الْمُرْتَضَى ، وَأَنْشَدَهُ فَإِمَّا مَضَى جَبَلٌ وَانْقَضَى...فَمِنْكَ لَنَا جَبَلٌ قَدْ رَسَا وَإِمَّا فُجِعْنَا بِبَدْرِ التَّمَامِ فَقَدْ...بَقِيَتْ مِنْهُ شَمْسُ الضُّحَى لَنَا حَزَنٌ فِي مَحَلِّ السُّرُورِ...وَكَمْ ضَحِكَ فِي خِلَالِ الْبُكَا فَيَا صَارِمٌ أَغْمَدَتْهُ يَدٌ لَنَا بَعْدَكَ الصَّارِمُ الْمُنْتَضَى وَهِيَ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا.وَأَرْسَلَ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ قَاضِيَ الْقُضَاةِ أَبَا الْحَسَنِ الْمَاوَرْدِيَّ إِلَى الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ لِيَأْخُذَ عَلَيْهِ الْبَيْعَةَ ، وَيَخْطُبَ لَهُ فِي بِلَادِهِ ، فَأَجَابَ وَبَايَعَ ، وَخَطَبَ لَهُ فِي بِلَادِهِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ هَدَايَا جَلِيلَةً وَأَمْوَالًا كَثِيرَةً.ذِكْرُ الْفِتْنَةِ بِبَغْدَاذَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، تَجَدَّدَتِ الْفِتْنَةُ بِبَغْدَاذَ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالشِّيعَةِ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْمُلَقَّبَ بِالْمَذْكُورِ أَظْهَرَ الْعَزْمَ عَلَى الْغَزَاةِ وَاسْتَأْذَنَ الْخَلِيفَةَ فِي ذَلِكَ ، فَأَذِنَ لَهُ ، وَكُتِبَ لَهُ مَنْشُورٌ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ ، وَأُعْطِيَ عَلَمًا ، فَاجْتَمَعَ لَهُ لَفِيفٌ كَثِيرٌ ، فَسَارَ وَاجْتَازَ بِبَابِ الشَّعِيرِ ، وَطَاقِ الْحَرَّانِيِّ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ الرِّجَالُ بِالسِّلَاحِ فَصَاحُوا بِذِكْرِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَقَالُوا هَذَا يَوْمُ مُعَاوِيَةَ ، فَنَافَرَهُمْ أَهْلُ الْكَرْخِ وَرَمَوْهُمْ ، وَثَارَتِ الْفِتْنَةُ وَنُهِبَتْ دُورُ الْيَهُودِ لِأَنَّهُمْ قِيلَ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ أَعَانُوا أَهْلَ الْكَرْخِ.فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ اجْتَمَعَ السُّنَّةُ مِنَ الْجَانِبَيْنِ ، وَمَعَهُمْ كَثِيرٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ ، وَقَصَدُوا الْكَرْخِ ، فَأَحْرَقُوا وَهَدَمُوا الْأَسْوَاقَ ، وَأَشْرَفَ أَهْلُ الْكَرْخِ عَلَى خُطَّةٍ عَظِيمَةٍ.وَأَنْكَرَ الْخَلِيفَةُ ذَلِكَ إِنْكَارًا شَدِيدًا ، وَنُسِبَ إِلَيْهِمْ تَخْرِيقُ عَلَامَتِهِ الَّتِي مَعَ الْغَزَاةِ ، فَرَكِبَ الْوَزِيرُ ، فَوَقَعَتْ فِي صَدْرِهِ آجُرَّةٌ ، فَسَقَطَتْ عِمَامَتُهُ ، وَقُتِلَ مِنْ أَهْلِ الْكَرْخِ جَمَاعَةٌ ، وَأُحْرِقَ وَخَرِّبَ فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ سُوقُ الْعَرُوسِ ، وَسُوقُ الصَّفَّارِينَ ، وَسُوقُ الْأَنْمَاطِ ، وَسُوقُ الدَّقَّاقِينَ ، وَغَيْرُهَا ، وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ ، فَقَتَلَ الْعَامَّةُ الْكَلَالِكِيَّ ، وَكَانَ يَنْظُرُ فِي الْمَعُونَةِ ، وَأَحْرَقُوهُ.وَوَقَعَ الْقِتَالُ فِي أَصْقَاعِ الْبَلَدِ مِنْ جَانِبَيْهِ ، وَاقْتَتَلَ أَهْلُ الْكَرْخِ ، وَنَهْرِ طَابَقٍ ، وَالْقَلَّائِينَ ، وَبَابِ الْبَصْرَةِ ، وَفِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ أَهْلُ سُوقِ الثُّلَاثَاءِ ، وَسُوقِ يَحْيَى ، وَبَابِ الطَّاقِ ، وَالْأَسَاكِفَةِ ، وَالرَّهَادِرَةِ ، وَدَرْبِ سُلَيْمَانَ ، فَقُطِعَ الْجِسْرُ لِيُفَرَّقَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، وَدَخَلَ الْعَيَّارُونَ الْبَلَدَ ، وَكَثُرَ الِاسْتِقْفَاءُ بِهَا وَالْعَمَلَاتُ لَيْلًا وَنَهَارًا.وَأَظْهَرَ الْجُنْدُ كَرَاهَةَ الْمَلِكِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَأَرَادُوا قَطْعَ خُطْبَتِهِ ، فَفَرَّقَ فِيهِمْ مَالًا وَحَلَفَ لَهُمْ فَسَكَنُوا ، ثُمَّ عَاوَدُوا الشَّكْوَى إِلَى الْخَلِيفَةِ مِنْهُ ، وَطَلَبُوا أَنْ يَأْمُرَ بِقَطْعِ خُطْبَتِهِ ، فَلَمْ يُجِبْهُمْ إِلَى ذَلِكَ فَامْتَنَعَ حِينَئِذٍ جَلَالُ الدَّوْلَةِ مِنَ الْجُلُوسِ ، وَضَرَبَهُ النُّوبَةُ أَوْقَاتَ الصَّلَوَاتِ ، وَانْصَرَفَ الطَّبَّالُونَ لِانْقِطَاعِ الْجَارِي لَهُمْ ، وَدَامَتْ هَذِهِ الْحَالُ إِلَى عِيدِ الْفِطْرِ ، فَلَمْ يُضْرَبْ بُوقٌ ، وَلَا طَبْلٌ ، وَلَا أُظْهِرَتِ الزِّينَةُ ، وَزَادَ الِاخْتِلَاطُ.ثُمَّ حَدَثَ فِي شَوَّالٍ فِتْنَةٌ بَيْنَ أَصْحَابِ الْأَكْسِيَةِ وَأَصْحَابِ الْخِلْعَانِ ، وَهُمَا شِيعَةٌ ، وَزَادَ الشَّرُّ ، وَدَامَ إِلَى ذِي الْحِجَّةِ ، فَنُودِيَ فِي الْكَرْخِ بِإِخْرَاجِ الْعَيَّارِينَ ، فَخَرَجُوا ، وَاعْتَرَضَ أَهْلُ بَابِ الْبَصْرَةِ قَوْمًا مِنْ قُمٍّ أَرَادُوا زِيَارَةَ مَشْهَدِ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ ، وَامْتَنَعَتْ زِيَارَةُ مَشْهَدِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ.ذِكْرُ مُلْكِ الرُّومِ قَلْعَةَ أَفَامِيَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَلَكَ الرُّومُ قَلْعَةَ أَفَامِيَةَ بِالشَّامِ.وَسَبَبُ مُلْكِهَا أَنَّ الظَّاهِرَ خَلِيفَةَ مِصْرَ سَيَّرَ إِلَى الشَّامِ الدِّزْبَرِيَّ ، وَزِيرَهُ ، فَمَلَكَهُ ، وَقَصَدَ حَسَّانَ بْنَ الْمُفَرِّجِ الطَّائِيَّ ، فَأَلَحَّ فِي طَلَبِهِ ، فَهَرَبَ مِنْهُ ، وَدَخَلَ بَلَدَ الرُّومِ ، وَلَبِسَ خِلْعَةَ مَلِكِهِمْ ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَعَلَى رَأْسِهِ عَلَمٌ فِيهِ صَلِيبٌ ، وَمَعَهُ عَسْكَرٌ كَثِيرٌ ، فَسَارَ إِلَى أَفَامِيَةَ فَكَبَسَهَا ، وَغَنِمَ مَا فِيهَا ، وَسَبَى أَهْلَهَا ، وَأَسَرَهُمْ ، وَسَيَّرَ الدِّزْبَرِيِّ إِلَى الْبِلَادِ يَسْتَنْفِرُ النَّاسَ لِلْغَزْوِ.ذِكْرُ الْوَحْشَةِ بَيْنَ بَارَسْطُغَانَ وَجَلَالِ الدَّوْلَةِ اجْتَمَعَ أَصَاغِرُ الْغِلْمَانِ هَذِهِ السَّنَةَ إِلَى جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَقَالُوا لَهُ قَدْ هَلَكْنَا فَقْرًا وَجُوعًا ، وَقَدِ اسْتَبَدَّ الْقُوَّادُ بِالدَّوْلَةِ وَالْأَمْوَالِ عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا ، وَهَذَا بَارَسْطُغَانُ وَيَلْدَرَكُ قَدْ أَفْقَرَانَا وَأَفْقَرَاكَ أَيْضًا.فَلَمَّا بَلَغَهُمَا ذَلِكَ امْتَنَعَا مِنَ الرُّكُوبِ إِلَى جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَاسْتَوْحَشَا ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمَا الْغِلْمَانُ يُطَالِبُونَهُمَا بِمَعْلُومِهِمْ ، فَاعْتَذَرَا بِضِيقِ أَيْدِيهِمَا عَنْ ذَلِكَ ، وَسَارَا إِلَى الْمَدَائِنِ.فَنَدِمَ الْأَتْرَاكُ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمَا جَلَالُ الدَّوْلَةِ مُؤَيِّدَ الْمُلْكِ الرُّخَّجِيَّ وَالْمُرْتَضَى وَغَيْرَهُمَا ، فَرَجَعَا ، وَزَادَ تَسَحُّبُ الْغِلْمَانِ عَلَى جَلَالِ الدَّوْلَةِ إِلَى أَنْ نَهَبُوا مِنْ دَارِهِ فُرُشًا ، وَآلَاتٍ ، وَدَوَابًّا ، وَغَيْرَ ذَلِكَ ، فَرَكِبَ وَقْتَ الْهَاجِرَةِ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ ، وَمَعَهُ نَفَرٌ قَلِيلٌ مِنَ الرِّكَابِيَّةِ وَالْغِلْمَانِ وَجَمْعٍ كَثِيرٍ مِنَ الْعَامَّةِ وَهُوَ سَكْرَانُ ، فَانْزَعَجَ الْخَلِيفَةُ مِنْ حُضُورِهِ ، فَلَمَّا عَلِمَ الْحَالَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ بِالْعَوْدِ إِلَى دَارِهِ ، وَيُطَيِّبُ قَلْبَهُ ، فَقَبَّلَ قَرَبُوسَ سَرْجِهِ وَمَسَحَ حَائِطَ الدَّارِ بِيَدِهِ وَأَمَرَّهَا عَلَى وَجْهِهِ ، وَعَادَ إِلَى دَارِهِ وَالْعَامَّةُ مَعَهُ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَبِلَ قَاضِي الْقُضَاةِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مَاكُولَا شَهَادَةَ أَبِي الْفَضْلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْهَادِي ، وَالْقَاضِي أَبِي الطَّيِّبِ الطَّبَرِيِّ ، وَأَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ الْمُهْتَدِي ، وَشَهِدَ عِنْدَهُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ بِشْرَانَ ، وَكَانَ قَدْ تَرَكَ الشَّهَادَةَ قَبْلَ ذَلِكَ.وَفِيهَا فَوَّضَ مَسْعُودُ بْنُ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ إِمَارَةَ الرَّيِّ ، وَهَمَذَانَ ، وَالْجِبَالِ إِلَى تَاشَ فَرَّاشَ ، وَكَتَبَ لَهُ إِلَى عَامِلِ نَيْسَابُورَ بِإِنْفَاقِ الْأَمْوَالِ عَلَى حَشَمِهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ وَسَارَ إِلَى عَمَلِهِ ، وَأَسَاءَ السِّيرَةَ فِيهِ.وَفِيهَا ، فِي رَجَبٍ ، أَخْرَجَ الْمَلِكُ جَلَالُ الدَّوْلَةِ دَوَابَّهُ مِنَ الْإِصْطَبْلِ ، وَهِيَ خَمْسَ عَشْرَةَ دَابَّةً ، وَسَيَّبَهَا فِي الْمَيْدَانِ بِغَيْرِ سَائِسٍ ، وَلَا حَافِظٍ ، وَلَا عَلَفٍ ، فَعَلَ ذَلِكَ لِسَبَبَيْنِ أَحَدُهُمَا عَدَمُ الْعَلْفِ ، وَالثَّانِي أَنَّ الْأَتْرَاكَ كَانُوا يَلْتَمِسُونَ دَوَابَّهُ وَيَطْلُبُونَهَا كَثِيرًا ، فَضَجِرَ مِنْهُمْ ، فَأَخْرَجَهَا وَقَالَ هَذِهِ دَوَابِّي مِنْهَا خَمْسٌ لِمَرْكُوبِي ، وَالْبَاقِي لِأَصْحَابِي ، ثُمَّ صَرَفَ حَوَاشِيَهُ ، وَفَرَّاشِيهِ ، وَأَتْبَاعَهُ ، وَأَغْلَقَ بَابَ دَارِهِ لِانْقِطَاعِ الْجَارِي لَهُ ، فَثَارَتْ لِذَلِكَ فِتْنَةٌ بَيْنَ الْعَامَّةِ وَالْجُنْدِ وَعَظُمَ الْأَمْرُ ، وَظَهَرَ الْعَيَّارُونَ.وَفِيهَا عُزِلَ عَمِيدُ الدَّوْلَةِ وَزِيرُ جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَوَزَرَ بَعْدَهُ أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ أَرْدَشِيرَ ، فَبَقِيَ أَيَّامًا ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ ، فَعُزِلَ ، وَوَزَرَ بَعْدَهُ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي الْحُسَيْنِ ، وَهُوَ ابْنُ أَخِي أَبِي الْحُسَيْنِ السَّهْلِيُّ ، وَزِيرُ مَأْمُونٍ صَاحِبِ خُوَارَزْمَ ، فَبَقِيَ فِي الْوَزَارَةِ خَمْسَةً وَخَمْسِينَ يَوْمًا وَهَرَبَ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ نَصْرٍ أَبُو نَصْرٍ الْفَقِيهُ الْمَالِكِيُّ بِمِصْرَ ، وَكَانَ بِبَغْدَاذَ فَفَارَقَهَا إِلَى مِصْرَ عَنْ ضَائِقَةٍ ، فَأَغْنَاهُ الْمَغَارِبَةُ . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ وُثُوبِ الْأَجْنَادِ بِجَلَالِ الدَّوْلَةِ وَإِخْرَاجِهِ مِنْ بَغْدَاذَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، تَجَدَّدَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ جَلَالِ الدَّوْلَةِ وَبَيْنَ الْأَتْرَاكِ ، فَأَغْلَقَ بَابَهُ فَجَاءَتِ الْأَتْرَاكُ وَنَهَبُوا دَارَهُ ، وَسَلَبُوا الْكُتَّابَ وَأَرْبَابَ الدِّيوَانِ ثِيَابَهُمْ ، وَطَلَبُوا الْوَزِيرَ أَبَا إِسْحَاقَ السَّهْلِيَّ ، فَهَرَبَ إِلَى حُلَّةِ كَمَالِ الدَّوْلَةِ غَرِيبِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَخَرَجَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ إِلَى عُكْبَرَا فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ ، وَخَطَبَ الْأَتْرَاكُ بِبَغْدَاذَ لِلْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ ، وَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ يَطْلُبُونَهُ وَهُوَ بِالْأَهْوَازِ.فَمَنَعَهُ الْعَادِلُ بْنُ مَافَنَّةَ عَنِ الْإِصْعَادِ إِلَى أَنْ يَحْضُرَ بَعْضُ قُوَّادِهِمْ.فَلَمَّا رَأَوُا امْتِنَاعَهُ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِمْ ، أَعَادُوا خُطْبَةَ جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَسَارُوا إِلَيْهِ ، وَسَأَلُوهُ الْعَوْدَ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَاعْتَذَرُوا ، فَعَادَ إِلَيْهَا بَعْدَ ثَلَاثَةٍ وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَوَزَرَ لَهُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ مَاكُولَا ، ثُمَّ عُزِلَ ، وَوَزَرَ بَعْدَهُ عَمِيدُ الدَّوْلَةِ أَبُو سَعْدِ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ ، فَبَقِيَ وَزِيرًا أَيَّامًا ثُمَّ اسْتَتَرَ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ جَلَالَ الدَّوْلَةِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ بِالْقَبْضِ عَلَى أَبِي الْمُعَمَّرِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْبَسَّامِيِّ طَمَعًا فِي مَالِهِ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَهُ فِي دَارِهِ.فَثَارَ الْأَتْرَاكُ ، وَأَرَادُوا مَنْعَهُ ، وَقَصَدُوا دَارَ الْوَزِيرِ ، وَأَخَذُوهُ وَضَرَبُوهُ ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْ دَارِهِ حَافِيًا ، وَمَزَّقُوا ثِيَابَهُ ، وَأَخَذُوا عِمَامَتَهُ وَقَطَعُوهَا ، وَأَخَذُوا خَوَاتِيمَهُ مِنْ يَدِهِ فَدَمِيَتْ أَصَابِعُهُ ، وَكَانَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ فِي الْحَمَّامِ ، فَخَرَجَ مُرْتَاعًا ، فَرَكِبَ وَظَهَرَ لِيَنْظُرَ مَا الْخَبَرُ ، فَأَكَبَّ الْوَزِيرُ يُقَبِّلُ الْأَرْضَ ، وَيَذْكُرُ مَا فُعِلَ بِهِ ، فَقَالَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ أَنَا ابْنُ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَقَدْ فُعِلَ بِي أَكْثَرُ مِنْ هَذَا; ثُمَّ أَخَذَ مِنَ الْبَسَّامِيِّ أَلْفَ دِينَارٍ وَأَطْلَقَهُ ، وَاخْتَفَى الْوَزِيرُ.ذِكْرُ انْهِزَامِ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ كَاكَوَيْهِ مِنْ عَسْكَرِ مَسْعُودِ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ قَدْ ذَكَرْنَا انْهِزَامَ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ أَبِي جَعْفَرٍ مِنَ الرَّيِّ وَمَسِيرَهُ عَنْهَا ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى قَلْعَةِ فَرْدَجَانَ أَقَامَ بِهَا لِتَنْدَمِلَ جِرَاحُهُ ، وَمَعَهُ فَرْهَاذُ بْنُ مَرْدَاوِيجَ ، كَانَ قَدْ جَاءَهُ مَدَدًا لَهُ ، وَتَوَجَّهُوا مِنْهَا إِلَى بَرُوجِرْدَ فَسَيَّرَ تَاشُ فَرَّاشَ مُقَدَّمَ عَسْكَرِ خُرَاسَانَ جَيْشًا إِلَى عَلَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَلِيَّ بْنَ عِمْرَانَ ، فَسَارَ يَقُصُّ أَثَرَ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ فَلَمَّا قَارَبَ بَرُوجِرْدَ صَعِدَ فَرْهَاذُ إِلَى قَلْعَةِ سَلِيمُوهْ ، وَمَضَى أَبُو جَعْفَرٍ إِلَى سَابُورَ خُوَاسْتَ ، وَنَزَلَ عِنْدَ الْأَكْرَادِ الْجُوزَقَانِ.وَمَلَكَ عَسْكَرُ خُرَاسَانَ بَرُوجِرْدَ ، وَرَاسَلَ فَرْهَاذُ الْأَكْرَادَ الَّذِينَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ عِمْرَانَ ، وَاسْتَمَالَهُمْ ، فَصَارُوا مَعَهُ ، وَأَرَادُوا أَنْ يَفْتِكُوا بِعَلِيٍّ ، وَبَلَغَهُ الْخَبَرُ ، فَرَكِبَ لَيْلًا فِي خَاصَّتِهِ وَسَارَ نَحْوَ هَمَذَانَ ، وَنَزَلَ فِي الطَّرِيقِ بِقَرْيَةٍ تُعْرَفُ بِكَسْبَ ، وَهِيَ مَنِيعَةٌ ، فَاسْتَرَاحَ فِيهَا ، فَلَحِقُهُ فَرْهَاذُ وَعَسْكَرُهُ وَالْأَكْرَادُ الَّذِينَ صَارُوا مَعَهُ ، وَحَصَرُوهُ فِي الْقَرْيَةِ ، فَاسْتَسْلَمَ وَأَيْقَنَ بِالْهَلَاكِ ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ الْيَوْمَ مَطَرًا وَثَلْجًا ، فَلَمْ يُمْكِنْهُمُ الْمُقَامُ عَلَيْهِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا جَرِيدَةً بِغَيْرِ خِيَامٍ وَلَا آلَةِ شِتَاءٍ ، فَرَحَلُوا عَنْهُ ، وَرَاسَلَ عَلِيُّ بْنُ عِمْرَانَ الْأَمِيرَ تَاشَ فَرَّاشَ يَسْتَنْجِدُهُ وَيَطْلُبُ الْعَسْكَرَ إِلَى هَمَذَانَ.ثُمَّ اجْتَمَعَ فَرْهَاذُ وَعَلَاءُ الدَّوْلَةِ بِبَرُوجِرْدَ ، وَاتَّفَقَا عَلَى قَصْدِ هَمَذَانَ ، وَسَيَّرَ عَلَاءَ الدَّوْلَةِ إِلَى أَصْبَهَانَ وَبِهَا ابْنُ أَخِيهِ ، يَطْلُبُهُ ، وَأَمَرَهُ بِإِحْضَارِ السِّلَاحِ وَالْمَالِ ، فَفَعَلَ وَسَارَ.فَبَلَغَ خَبَرُهُ عَلِيَّ بْنَ عِمْرَانَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ مِنْ هَمَذَانَ جَرِيدَةً ، فَكَبَسَهُ بِجَرْبَاذَقَانَ ، وَأَسَرَهُ وَأَسَرَ كَثِيرًا مِنْ عَسْكَرِهِ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ ، وَغَنِمَ مَا مَعَهُ مِنْ سِلَاحٍ وَمَالٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ.وَلَمَّا سَارَ عَلِيٌّ عَنْ هَمَذَانَ دَخَلَهَا عَلَاءُ الدَّوْلَةِ ، وَمَلَكَهَا ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ عَلِيًّا سَارَ مُنْهَزِمًا ، وَسَارَ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ مِنْ هَمَذَانَ إِلَى كَرَجَ ، فَأَتَاهُ خَبَرُ ابْنِ أَخِيهِ فَفَتَّ فِي عَضُدِهِ.وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ عِمْرَانَ قَدْ سَارَ بَعْدَ الْوَقْعَةِ إِلَى أَصْبَهَانَ طَامِعًا فِي الِاسْتِيلَاءِ عَلَيْهَا ، وَعَلَى مَالِ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ وَأَهْلِهِ ، فَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، وَمَنَعَهُ أَهْلُهَا وَالْعَسْكَرُ الَّذِي فِيهَا ، فَعَادَ عَنْهَا ، فَلَقِيَهُ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ وَفَرْهَاذُ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ مِنْهُمَا ، وَأَخَذَا مَا مَعَهُ مِنَ الْأَسْرَى ، إِلَّا أَبَا مَنْصُورٍ ابْنَ أَخِي عَلَاءِ الدَّوْلَةِ فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ سَيَّرَهُ إِلَى تَاشَ فَرَّاشَ ، وَسَارَ عَلِيٌّ مِنَ الْمَعْرَكَةِ مُنْهَزِمًا نَحْوَ تَاشَ فَرَّاشَ ، فَلَقِيَهُ بِكَرَجَ فَعَاتَبَهُ عَلَى تَأَخُّرِهِ عَنْهُ ، وَاتَّفَقَا عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى عَلَاءِ الدَّوْلَةِ وَفَرْهَاذَ ، وَكَانَ قَدْ نَزَلَ بِجَبَلٍ عِنْدَ بَرُوجِرْدَ مُتَحَصِّنًا فِيهِ ، فَافْتَرَقَ تَاشُ وَعَلِيٌّ وَقَصَدَاهُ مِنْ جِهَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا مِنْ خَلْفِهِ ، وَالْأُخْرَى مِنَ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ ، فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا وَقَدْ خَالَطَهُ الْعَسْكَرُ فَانْهَزَمَ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ وَفَرْهَاذُ ، وَقُتِلَ كَثِيرٌ مِنْ رِجَالِهِمَا.فَمَضَى عَلَاءُ الدَّوْلَةِ إِلَى أَصْبَهَانَ ، وَصَعِدَ فَرْهَاذُ إِلَى قَلْعَةِ سَلِيمُوهْ فَتَحَصَّنَ بِهَا.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ قَدْرُ خَانَ مَلِكُ التُّرْكِ بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ.وَفِيهَا وَرَدَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُنْكَدِرِيُّ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ رَسُولًا مِنْ مَسْعُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ إِلَى الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ مُعَزِّيًا لَهُ بِالْقَادِرِ بِاللَّهِ.وَفِيهَا نُقِلَ تَابُوتُ الْقَادِرِ بِاللَّهِ إِلَى الْمَقْبَرَةِ بِالرُّصَافَةِ ، وَشَهِدَهُ الْخَلْقُ الْعَظِيمُ ، وَحُجَّاجُ خُرَاسَانَ ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.وَفِيهَا كَانَ بِالْبِلَادِ غَلَاءٌ شَدِيدٌ ، وَاسْتَسْقَى النَّاسُ فَلَمْ يُسْقَوْا ، وَتَبِعَهُ وَبَاءٌ عَظِيمٌ ، وَكَانَ عَامًّا فِي جَمِيعِ الْبِلَادِ بِالْعِرَاقِ ، وَالْمَوْصِلِ ، وَالشَّامِ ، وَبَلَدِ الْجَبَلِ ، وَخُرَاسَانَ ، وَغَزْنَةَ ، وَالْهِنْدِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَكَثُرَ الْمَوْتُ ، فَدُفِنَ فِي أَصْبَهَانَ ، فِي عِدَّةِ أَيَّامٍ ، أَرْبَعُونَ أَلْفَ مَيِّتٍ وَكَثُرَ الْجُدَرِيُّ فِي النَّاسِ فَأُحْصِيَ بِالْمَوْصِلِ أَنَّهُ مَاتَ بِهِ أَرْبَعَةُ آلَافِ صَبِيٍّ ، وَلَمْ تَخْلُ دَارٌ مِنْ مُصِيبَةٍ لِعُمُومِ الْمَصَائِبِ ، وَكَثْرَةِ الْمَوْتِ ، وَمِمَّنْ جُدِرَ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ وَسَلِمَ.وَفِيهَا جَمَعَ نَائِبُ نَصْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ مَرْوَانَ بِالْجَزِيرَةِ جَمْعًا يَنِيفُ عَلَى عَشَرَةِ آلَافِ رَجُلٍ ، وَغَزَا مَنْ يُقَارِبُهُ مِنَ الْأَرْمَنِ ، وَأَوْقَعَ بِهِمْ ، وَأَثْخَنَ فِيهِمْ ، وَغَنِمَ وَسَبَى كَثِيرًا ، وَعَادَ ظَافِرًا مَنْصُورًا.وَفِيهَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ تُونِسَ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ خُلْفٌ ، فَسَارَ الْمُعِزُّ بْنُ بَادِيسَ إِلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ ، فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ ، وَسَكَّنَ الْفِتْنَةَ وَعَادَ.وَفِيهَا اجْتَمَعَ نَاسٌ كَثِيرٌ مِنَ الشِّيعَةِ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، وَسَارُوا إِلَى أَعْمَالِ نَفْطَةَ ، فَاسْتَوْلَوْا عَلَى بَلَدٍ مِنْهَا وَسَكَنُوهُ فَجَرَّدَ إِلَيْهِمُ الْمُعِزُّ عَسْكَرًا ، فَدَخَلُوا الْبِلَادَ وَحَارَبُوا الشِّيعَةَ وَقَتَلُوهُمْ أَجْمَعِينَ. وَفِيهَا خَرَجَتِ الْعَرَبُ عَلَى حَاجِّ الْبَصْرَةِ وَنَهَبُوهُمْ ، وَحَجَّ النَّاسُ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ إِلَّا مِنَ الْعِرَاقِ . الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ رُضْوَانَ الْمِصْرِيُّ ، النَّحْوِيُّ ، فِي رَجَبٍ.وَفِيهَا قَتَلَ الْمَلِكُ أَبُو كَالِيجَارَ صَنْدَلًا الْخَصِيَّ ، وَكَانَ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَى الْمَمْلَكَةِ ، وَلَيْسَ لِأَبِي كَالِيجَارَ مَعَهُ غَيْرُ الِاسْمِ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ نُعَيْمٍ أَبُو الْحَسَنِ النُّعَيْمِيُّ الْبَصْرِيُّ ، حَدَّثَ عَنْ جَمَاعَةٍ ، وَكَانَ حَافِظًا ، شَاعِرًا ، فَقِيهًا عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ عَوْدِ مَسْعُودٍ إِلَى غَزْنَةَ وَالْفِتَنِ بِالرَّيِّ وَبَلَدِ الْجَبَلِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي رَجَبٍ ، عَادَ الْمَلِكُ مَسْعُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ مِنْ نَيْسَابُورَ إِلَى غَزْنَةَ وَبِلَادِ الْهِنْدِ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ قَدِ اسْتَقَرَّ لَهُ الْمُلْكُ بَعْدَ أَبِيهِ أَقَرَّ بِمَا كَانَ قَدْ فَتَحَهُ أَبُوهُ مِنَ الْهِنْدِ نَائِبًا يُسَمَّى أَحْمَدَ يَنَالْتِكِينَ ، وَقَدْ كَانَ أَبُوهُ مَحْمُودٌ اسْتَنَابَهُ بِهَا ثِقَةً بِجَلَدِهِ وَنَهْضَتِهِ ، فَرَسَتْ قَدَمُهُ فِيهَا ، وَظَهَرَتْ كِفَايَتُهُ.ثُمَّ إِنَّ مَسْعُودًا بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ تَقْرِيرِ قَوَاعِدِ الْمُلْكِ ، وَالْقَبْضِ عَلَى عَمِّهِ يُوسُفَ وَالْمُخَالِفِينَ لَهُ ، سَارَ إِلَى خُرَاسَانَ عَازِمًا عَلَى قَصْدِ الْعِرَاقِ ، فَلَمَّا أَبْعَدَ عَصَى ذَلِكَ النَّائِبُ بِالْهِنْدِ ، فَاضْطَرَّ مَسْعُودٌ إِلَى الْعَوْدِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَلَاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ كَاكَوَيْهِ وَأَمَّرَهُ عَلَى أَصْبَهَانَ بِقَرَارٍ يُؤَدِّيهِ كُلَّ سَنَةٍ ، وَكَانَ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ قَدْ أَرْسَلَ يَطْلُبُ ذَلِكَ ، فَأَجَابَهُ إِلَيْهِ ، وَأَقَرَّ ابْنَ قَابُوسَ بْنِ وَشْمَكِيرَ عَلَى جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ عَلَى مَالٍ يُؤَدِّيهِ إِلَيْهِ ، وَسَيَّرَ أَبَا سَهْلٍ الْحَمْدُونِيَّ إِلَى الرَّيِّ لِلنَّظَرِ فِي أُمُورِ هَذِهِ الْبِلَادِ الْجَبَلِيَّةِ ، وَالْقِيَامِ بِحِفْظِهَا ، وَعَادَ إِلَى الْهِنْدِ ، فَأَصْلَحَ الْفَاسِدَ ، وَأَعَادَ الْمُخَالِفَ إِلَى طَاعَتِهِ ، وَفَتَحَ قَلْعَةً حَصِينَةً تُسَمَّى سُرْسَتَى ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ ، وَقَدْ كَانَ أَبُوهُ حَصَرَهَا غَيْرَ مَرَّةٍ فَلَمْ يَتَهَيَّأْ لَهُ فَتْحُهَا.وَلَمَّا سَارَ أَبُو سَهْلٍ إِلَى الرَّيِّ أَحْسَنَ إِلَى النَّاسِ ، وَأَظْهَرَ الْعَدْلَ ، فَأَزَالَ الْأَقْسَاطَ وَالْمُصَادَرَاتِ.وَكَانَ تَاشُ فَرَّاشَ قَدْ مَلَأَ الْبِلَادَ ظُلْمًا وَجَوْرًا ، حَتَّى تَمَنَّى النَّاسُ الْخَلَاصَ مِنْهُمْ وَمِنْ دَوْلَتِهِمْ ، وَخُرِّبَتِ الْبِلَادُ ، وَتَفَرَّقَ أَهْلُهَا ، فَلَمَّا وَلِيَ الْحَمْدُونِيُّ ، وَأَحْسَنَ ، وَعَدَلَ ، عَادَتِ الْبِلَادُ فَعُمِّرَتْ ، وَالرَّعِيَّةُ أَمِنَتْ ، وَكَانَ الْإِرْجَافُ شَدِيدًا بِالْعِرَاقِ لَمَّا كَانَ الْمَلِكُ مَسْعُودٌ بِنَيْسَابُورَ ، فَلَمَّا عَادَ سَكَنَ النَّاسُ وَاطْمَأَنُّوا.ذِكْرُ ظَفَرِ مَسْعُودٍ بِصَاحِبِ سَاوَةَ وَقَتْلِهِ فِيهَا قَبَضَ عَسْكَرُ السُّلْطَانِ مَسْعُودِ بْنِ مَحْمُودٍ عَلَى شَهْرَيُوشَ بْنِ وَلْكِينَ ، فَأَمَرَ بِهِ مَسْعُودٌ فَقُتِلَ وَصُلِبَ عَلَى سُورِ سَاوَةَ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ شَهْرَيُوشَ كَانَ صَاحِبَ سَاوَةَ وَقُمٍّ وَتِلْكَ النَّوَاحِي ، فَلَمَّا اشْتَغَلَ مَسْعُودٌ بِأَخِيهِ مُحَمَّدٍ بَعْدَ مَوْتِ وَالِدِهِ جَمَعَ شَهْرَيُوشُ جَمْعًا وَسَارَ إِلَى الرَّيِّ مُحَاصِرًا لَهَا ، فَلَمْ يَتِمَّ مَا أَرَادَهُ ، وَجَاءَتِ الْعَسَاكِرُ فَعَادَ عَنْهَا.ثُمَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اعْتَرَضَ الْحُجَّاجَ الْوَارِدِينَ مِنْ خُرَاسَانَ ، وَعَمَّهُمْ أَذَاهُ ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ مَا لَمْ تَجْرِ بِهِ عَادَةٌ ، وَأَسَاءَ إِلَيْهِمْ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ إِلَى مَسْعُودٍ ، فَتَقَدَّمَ إِلَى تَاشَ فَرَّاشَ ، وَإِلَى أَبِي الطَّيِّبِ طَاهِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ خَلِيفَتِهِ مَعَهُ ، يَطْلُبُ شَهْرَيُوشَ وَقَصْدَهُ أَيْنَ كَانَ ، وَاسْتِنْفَادَ الْوُسْعِ فِي قِتَالِهِ ، فَسَارَتِ الْعَسَاكِرُ فِي أَثَرِهِ ، فَاحْتَمَى بِقَلْعَةٍ تُقَارِبُ قُمًّا تُسَمَّى فُسْتُقَ ، وَهِيَ حَصِينَةٌ ، عَالِيَةُ الْمَكَانِ ، وَثِيقَةُ الْبُنْيَانِ ، فَأَحَاطُوا بِهِ وَأَخَذُوهُ ، وَكَتَبُوا إِلَى مَسْعُودٍ فِي أَمْرِهِ ، فَأَمَرَهُمْ بِصَلْبِهِ عَلَى سُورِ سَاوَةَ.ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ عَلَى الْبَصْرَةِ وَخُرُوجِهَا عَنْ طَاعَتِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَتْ عَسَاكِرُ جَلَالِ الدَّوْلَةِ مَعَ وَلَدِهِ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ فَدَخَلُوا الْبَصْرَةَ فِي جُمَادَى الْأُولَى.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ بَخْتَيَارَ مُتَوَلِّي الْبَصْرَةِ تُوُفِّيَ ، فَقَامَ بَعْدَهُ ظُهَيْرُ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ خَالُ وَلَدِهِ لِجَلَدٍ كَانَ فِيهِ ، وَكِفَايَةٍ ، وَهُوَ فِي طَاعَةِ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ ، وَدَامَ كَذَلِكَ ، فَقِيلَ لِأَبِي كَالِيجَارَ إِنَّ أَبَا الْقَاسِمِ لَيْسَ لَكَ مِنْ طَاعَتِهِ غَيْرُ الِاسْمِ ، وَلَوْ رُمْتَ عَزْلَهُ لَتَعَذَّرَ عَلَيْكَ.وَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا الْقَاسِمِ ، فَاسْتَعَدَّ لِلِامْتِنَاعِ وَأَرْسَلَ أَبُو كَالِيجَارَ إِلَيْهِ يَعْزِلُهُ فَامْتَنَعَ ، وَأَظْهَرَ طَاعَةَ جَلَالِ الدَّوْلَةِ.وَخَطَبَ لَهُ ، وَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِهِ ، وَهُوَ بِوَاسِطٍ ، يَطْلُبُهُ ، فَانْحَدَرَ إِلَيْهِ فِي عَسَاكِرِ أَبِيهِ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ بِوَاسِطٍ وَدَخَلُوا الْبَصْرَةَ وَأَقَامُوا بِهَا ، وَأَخْرَجُوا عَسَاكِرَ أَبِي كَالِيجَارَ مِنْهَا.وَبَقِيَ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ بِالْبَصْرَةِ مَعَ أَبِي الْقَاسِمِ إِلَى أَنْ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَلَيْسَ لَهُ مَعَهُ أَمْرٌ ، وَالْحُكْمُ إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ.ثُمَّ إِنَّهُ أَرَادَ الْقَبْضَ عَلَى بَعْضِ الدَّيْلَمِ ، فَهَرَبَ وَدَخَلَ دَارَ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ مُسْتَجِيرًا ، فَاجْتَمَعَ الدَّيْلَمُ إِلَيْهِ ، وَشَكَوْا مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ ، فَصَادَفَتْ شَكْوَاهُمْ صَدْرًا مُوغَرًا حَنِقًا عَلَيْهِ لِسُوءِ صُحْبَتِهِ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى مَا أَرَادُوهُ مِنْ إِخْرَاجِهِ عَنِ الْبَصْرَةِ ، وَاجْتَمَعُوا ، وَعَلِمَ أَبُو الْقَاسِمِ بِذَلِكَ فَامْتَنَعَ بِالْأُبُلَّةِ ، وَجَمَعَ أَصْحَابَهُ وَجَرَى بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ أَجْلَتْ عَنْ خُرُوجِ الْعَزِيزِ عَنِ الْبَصْرَةِ وَعَوْدِهِ إِلَى وَاسِطٍ ، وَعَوْدِ أَبِي الْقَاسِمِ إِلَى طَاعَةِ أَبِي كَالِيجَارَ.ذِكْرُ إِخْرَاجِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ مِنْ دَارِ الْمَمْلَكَةِ وَإِعَادَتِهِ إِلَيْهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي رَمَضَانَ ، شَغَبَ الْجُنْدُ عَلَى جَلَالِ الدَّوْلَةِ وَقَبَضُوا عَلَيْهِ ثُمَّ أَخْرَجُوهُ مِنْ دَارِهِ ، ثُمَّ سَأَلُوهُ لِيَعُودَ إِلَيْهَا فَعَادَ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ اسْتَقْدَمَ الْوَزِيرَ أَبَا الْقَاسِمِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْلَمُوا ، فَلَمَّا قَدِمَ ظَنُّوا أَنَّهُ إِنَّمَا وَرَدَ لِلتَّعَرُّضِ إِلَى أَمْوَالِهِمْ وَنَعَمِهِمْ فَاسْتَوْحَشُوا وَاجْتَمَعُوا إِلَى دَارِهِ وَهَجَمُوا عَلَيْهِ ، وَأَخْرَجُوهُ إِلَى مَسْجِدٍ هُنَاكَ فَوَكَّلُوا بِهِ فِيهِ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ أَسْمَعُوهُ مَا يَكْرَهُ ، وَنَهَبُوا بَعْضَ مَا فِي دَارِهِ ، فَلَمَّا وَكَّلُوا بِهِ جَاءَ بَعْضُ الْقُوَّادِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْجُنْدِ ، وَمَنِ انْضَافَ إِلَيْهِ مِنَ الْعَامَّةِ وَالْعَيَّارِينَ ، فَأَخْرَجَهُ مِنَ الْمَسْجِدِ وَأَعَادَهُ إِلَى دَارِهِ ، فَنَقَلَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ وَلَدَهُ وَحُرَمَهُ وَمَا بَقِيَ لَهُ إِلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ، وَعَبَرَ هُوَ فِي اللَّيْلِ إِلَى الْكَرْخِ فَلَقِيَهُ أَهْلُ الْكَرْخِ بِالدُّعَاءِ ، فَنَزَلَ بِدَارِ الْمُرْتَضَى ، وَعَبَرَ الْوَزِيرُ أَبُو الْقَاسِمِ مَعَهُ.ثُمَّ إِنَّ الْجُنْدَ اخْتَلَفُوا ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ نُخْرِجُهُ مِنْ بِلَادِنَا وَنُمَلِّكُ غَيْرَهُ.وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَيْسَ مِنْ بَنِي بُوَيْهِ غَيْرُهُ وَغَيْرُ أَبِي كَالِيجَارَ ، وَذَلِكَ قَدْ عَادَ إِلَى بِلَادِهِ ، وَلَا بُدَّ مِنْ مُدَارَاةِ هَذَا.فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ يَقُولُونَ لَهُ نُرِيدُ أَنْ تَنْحَدِرَ عَنَّا إِلَى وَاسِطٍ ، وَأَنْتَ مَلِكُنَا ، وَتَتْرُكَ عِنْدَنَا بَعْضَ أَوْلَادِكَ الْأَصَاغِرِ.فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، وَأَرْسَلَ سِرًّا إِلَى الْغِلْمَانِ الْأَصَاغِرِ فَاسْتَمَالَهُمْ ، وَإِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَكَابِرِ ، وَقَالَ إِنَّمَا أَثِقُ بِكَ ، وَأَسْكُنُ إِلَيْكَ وَاسْتَمَالَهُمْ أَيْضًا ، فَعَبَرُوا إِلَيْهِ ، وَقَبَّلُوا الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَسَأَلُوهُ الْعَوْدَ إِلَى دَارِ الْمُلْكِ ، فَعَادَ ، وَحَلَفَ لَهُمْ عَلَى إِخْلَاصِ النِّيَّةِ ، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَحَلَفُوا لَهُ عَلَى الْمُنَاصَحَةِ ، وَاسْتَقَرَّ فِي دَارِهِ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ الْوَزِيرُ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ الْمِيمَنْدِيُّ ، وَزِيرُ مَسْعُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ ، وَوَزَرَ بَعْدَهُ أَبُو نَصْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ ، وَكَانَ وَزِيرَ هَارُونَ أَلْتُونَتَاشَ ، صَاحِبِ خُوَارَزْمَ ، وَوَزَرَ بَعْدَهُ لِهَارُونَ ابْنُهُ عَبْدُ الْجَبَّارِ.وَفِيهَا ثَارَ الْعَيَّارُونَ بِبَغْدَاذَ ، وَأَخَذُوا أَمْوَالَ النَّاسِ ظَاهِرًا ، وَعَظُمَ الْأَمْرُ عَلَى أَهْلِ الْبَلَدِ ، وَطَمِعَ الْمُفْسِدُونَ إِلَى حَدِّ أَنَّ بَعْضَ الْقُوَّادِ الْكِبَارِ أَخَذَ أَرْبَعَةً مِنَ الْعَيَّارِينَ ، فَجَاءَ عَقِيدُهُمْ وَأَخَذَ مِنْ أَصْحَابِ الْقَائِدِ أَرْبَعَةً ، وَحَضَرَ بَابَ دَارِهِ وَدَقَّ عَلَيْهِ الْبَابَ ، فَكَلَّمَهُ مِنْ دَاخِلٍ ، فَقَالَ الْعَقِيدُ قَدْ أَخَذْتُ مِنْ أَصْحَابِكَ أَرْبَعَةً فَإِنْ أَطْلَقْتَ مَنْ عِنْدَكَ أَطْلَقْتُ أَنَا مَنْ عِنْدِي ، وَإِلَّا قَتَلْتُهُمْ ، وَأَحْرَقْتُ دَارَكَ فَأَطْلَقَهُمُ الْقَائِدُ.وَفِيهَا تَأَخَّرَ الْحَاجُّ مِنْ خُرَاسَانَ.وَفِيهَا خَرَجَ حُجَّاجُ الْبَصْرَةِ بِخَفِيرٍ فَغَدَرَ بِهِمْ وَنَهَبَهُمْ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا فِي جُمَادَى الْأُولَى ، تُوُفِّيَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْبَيْضَاوِيِّ ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ عَنْ نَيِّفٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً.وَفِيهَا ، فِي شَوَّالٍ ، تُوُفِّيَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ السَّمَّاكِ الْقَاضِي عَنْ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ فَتْحِ قَلْعَةِ سَرَسْتَى وَغَيْرِهَا مِنْ بَلَدِ الْهِنْدِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فَتَحَ السُّلْطَانُ مَسْعُودُ بْنُ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ قَلْعَةَ سَرَسْتَى وَمَا جَاوَرَهَا مِنْ بَلَدِ الْهِنْدِ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَاهُ ، مِنْ عِصْيَانِ نَائِبِهِ بِالْهِنْدِ أَحْمَدَ يَنَالْتِكِينَ عَلَيْهِ وَمَسِيرِهِ إِلَيْهِ.فَلَمَّا عَادَ أَحْمَدُ إِلَى طَاعَتِهِ ، أَقَامَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ طَوِيلًا حَتَّى أَمِنَتْ وَاسْتَقَرَّتْ ، وَقَصَدَ قَلْعَةَ سَرَسْتَى ، وَهِيَ مِنْ أَمْنَعِ حُصُونِ الْهِنْدِ وَأَحْصَنِهَا ، فَحَصَرَهَا ، وَقَدْ كَانَ أَبُوهُ حَصَرَهَا غَيْرَ مَرَّةٍ ، فَلَمْ يَتَهَيَّأْ لَهُ فَتْحُهَا ، فَلَمَّا حَصَرَهَا مَسْعُودٌ رَاسَلَهُ صَاحِبُهَا ، وَبَذَلَ لَهُ مَالًا عَلَى الصُّلْحِ فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ.وَكَانَ فِيهَا قَوْمٌ مِنَ التُّجَّارِ الْمُسْلِمِينَ ، فَعَزَمَ صَاحِبُهَا عَلَى أَخْذِ أَمْوَالِهِمْ وَحَمْلِهَا إِلَى مَسْعُودٍ مِنْ جُمْلَةِ الْقَرَارِ عَلَيْهِ ، فَكَتَبَ التُّجَّارُ رُقْعَةً فِي نُشَّابَةٍ ، وَرَمَوْا بِهَا إِلَيْهِ يُعَرِّفُونَهُ فِيهَا ضَعْفَ الْهُنُودِ بِهَا ، وَأَنَّهُ إِنْ صَابَرَهُمْ مَلَكَهَا ، فَرَجَعَ عَنِ الصُّلْحِ إِلَى الْحَرْبِ وَطَمَّ خَنْدَقَهَا بِالشَّجَرِ وَقَصَبِ السُّكَّرِ وَغَيْرِهِ ، وَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَقَتَلَ كُلَّ مَنْ فِيهَا ، وَسَبَى ذَرَارِيِّهِمْ ، وَأَخَذَ مَا جَاوَرَهَا مِنَ الْبِلَادِ ، وَكَانَ عَازِمًا عَلَى طُولِ الْمُقَامِ وَالْجِهَادِ ، فَأَتَاهُ مِنْ خُرَاسَانَ خَبَرُ الْغُزِّ ، فَعَادَ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ حَصْرِ قَلْعَةٍ بِالْهِنْدِ أَيْضًا لَمَّا مَلَكَ مَسْعُودٌ قَلْعَةَ سَرَسْتَى رَحَلَ عَنْهَا إِلَى قَلْعَةِ نَغْسَى ، فَوَصَلَ إِلَيْهَا عَاشِرَ صَفَرٍ ، وَحَصَرَهَا فَرَآهَا عَالِيَةً لَا تُرَامُ ، يَرْتَدُّ الْبَصَرُ دُونَهَا وَهُوَ حَسِيرٌ ، إِلَّا أَنَّهُ أَقَامَ عَلَيْهَا يَحْصُرُهَا ، فَخَرَجَتْ عَجُوزٌ سَاحِرَةٌ ، فَتَكَلَّمَتْ بِاللِّسَانِ الْهِنْدِيِّ طَوِيلًا ، وَأَخَذَتْ مِكْنَسَةً فَبَلَّتْهَا بِالْمَاءِ وَرَشَّتْهُ مِنْهَا إِلَى جِهَةِ عَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَمَرِضَ وَأَصْبَحَ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ ، وَضَعُفَتْ قُوَّتُهُ ضَعْفًا شَدِيدًا ، فَرَحَلَ عَنِ الْقَلْعَةِ لِشِدَّةِ الْمَرَضِ ، فَحِينَ فَارَقَهَا زَالَ مَا كَانَ بِهِ ، وَأَقْبَلَتِ الصِّحَّةُ وَالْعَافِيَةُ إِلَيْهِ ، وَسَارَ نَحْوَ غَزْنَةَ.ذِكْرُ الْفِتْنَةِ بِنَيْسَابُورَ لَمَّا اشْتَدَّ أَمْرُ الْأَتْرَاكِ بِخُرَاسَانَ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ ، تَجَمَّعَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفْسِدِينَ وَأَهْلِ الْعَيْثِ وَالشَّرِّ ، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ أَثَارَ الشَّرَّ أَهْلُ أَبِيوَرْدَ وَطُوسَ ، وَاجْتَمَعَ مَعَهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَسَارُوا إِلَى نَيْسَابُورَ لِيَنْهَبُوهَا ، وَكَانَ الْوَالِي عَلَيْهَا قَدْ سَارَ عَنْهَا إِلَى الْمَلِكِ مَسْعُودٍ فَخَافَهُمْ خَوْفًا عَظِيمًا ، وَأَيْقَنُوا بِالْهَلَاكِ.فَبَيْنَمَا هُمْ يَتَرَقَّبُونَ الْبَوَارَ وَالِاسْتِئْصَالَ ، وَذَهَابَ الْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ ، إِذْ وَصَلَ إِلَيْهِمْ أَمِيرُ كِرْمَانَ فِي ثَلَاثِمِائَةِ فَارِسٍ ، قَدِمَ مُتَوَجِّهًا إِلَى مَسْعُودٍ أَيْضًا ، فَاسْتَغَاثَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَهُمْ لِيَكُفَّ عَنْهُمُ الْأَذَى ، فَأَقَامَ عَلَيْهِمْ ، وَقَاتَلَ مَعَهُمْ ، وَعَظُمَ الْأَمْرُ ، وَاشْتَدَّتِ الْحَرْبُ ، وَكَانَ الظَّفَرُ لَهُ وَلِأَهْلِ نَيْسَابُورَ ، فَانْهَزَمَ أَهْلُ طُوسَ وَأَبِيوَرْدَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ ، وَأَخَذَتْهُمُ السُّيُوفُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَعَمِلَ بِهِمْ أَمِيرُ كِرْمَانَ أَعْمَالًا عَظِيمَةً ، وَأَثْخَنَ فِيهِمْ ، وَأَسَرَ كَثِيرًا مِنْهُمْ ، وَصَلَبَهُمْ عَلَى الْأَشْجَارِ فِي الطُّرُقِ ، فَقِيلَ إِنَّهُ عُدِمَ مِنْ أَهْلِ طُوسَ عِشْرُونَ أَلْفَ رَجُلٍ.ثُمَّ إِنَّ أَمِيرَ كِرْمَانَ أَحْضَرَ زُعَمَاءَ قُرَى طُوسَ ، وَأَخَذَ أَوْلَادَهُمْ وَإِخْوَانَهُمْ وَغَيْرَهُمْ مِنْ أَهْلِيهِمْ رَهَائِنَ ، فَأَوْدَعَهُمُ السُّجُونَ ، وَقَالَ إِنِ اعْتَرَضَ مِنْكُمْ وَاحِدٌ إِلَى أَهْلِ نَيْسَابُورَ أَوْ غَيْرِهِمْ ، أَوْ قَطَعَ طَرِيقًا ، فَأَوْلَادُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَرَهَائِنُكُمْ مَأْخُوذُونَ بِجِنَايَاتِكُمْ.فَسَكَنَ النَّاسُ ، وَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْ أَهْلِ نَيْسَابُورَ بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِهِمْ.ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ وَعَسْكَرِ خُرَاسَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اجْتَمَعَ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ بْنُ كَاكَوَيْهِ وَفَرْهَاذُ بْنُ مَرْدَاوِيجَ ، وَاتَّفَقَا عَلَى قِتَالِ عَسْكَرِ مَسْعُودِ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ ، وَكَانَتِ الْعَسَاكِرُ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ خُرَاسَانَ مَعَ أَبِي سَهْلٍ الْحَمْدُونِيِّ ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا صَبَرَ فِيهِ الْفَرِيقَانِ ، ثُمَّ انْهَزَمَ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ ، وَقُتِلَ فَرْهَاذُ ، وَاحْتَمَى عَلَاءُ الدَّوْلَةِ بِجِبَالٍ بَيْنَ أَصْبَهَانَ وَجَرْبَاذَقَانَ ، وَنَزَلَ عَسْكَرُ مَسْعُودٍ بِكَرَجَ.وَأَرْسَلَ أَبُو سَهْلٍ إِلَى عَلَاءِ الدَّوْلَةِ يَقُولُ لَهُ لِيَبْذُلَ الْمَالَ ، وَيُرَاجِعَ الطَّاعَةَ لِيُقِرَّهُ عَلَى مَا بَقِيَ مِنَ الْبِلَادِ.وَيُصْلِحَ حَالَهُ مَعَ مَسْعُودٍ.فَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ ، فَلَمْ يَسْتَقِرَّ بَيْنَهُمْ أَمْرٌ ، فَسَارَ أَبُو سَهْلٍ إِلَى أَصْبَهَانَ فَمَلَكَهَا ، وَانْهَزَمَ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ لَمَّا خَافَ الطَّلَبَ إِلَى إِيذَجَ ، وَهِيَ لِلْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ.وَلَمَّا اسْتَوْلَى أَبُو سَهْلٍ عَلَى أَصْبَهَانَ نَهَبَ خَزَائِنَ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ وَأَمْوَالَهُ ، وَكَانَ أَبُو عَلِيِّ بْنُ سِينَا فِي خِدْمَةِ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ فَأُخِذَتْ كُتُبُهُ وَحُمِلَتْ إِلَى غَزْنَةَ فَجُعِلَتْ فِي خَزَائِنِ كُتُبِهَا إِلَى أَنْ أَحْرَقَهَا عَسَاكِرُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْغُورِيِّ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ نُورِ الدَّوْلَةِ دُبَيْسٍ وَأَخِيهِ ثَابِتٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ بَيْنَ دُبَيْسِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مَزْيَدٍ وَأَخِيهِ أَبِي قَوَّامٍ ثَابِتِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مَزْيَدٍ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ ثَابِتًا كَانَ يَعْتَضِدُ بِالْبَسَاسِيرِيِّ وَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا كَانَ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ سَارَ الْبَسَاسِيرِيُّ مَعَهُ إِلَى قِتَالِ أَخِيهِ دُبَيْسٍ ، فَدَخَلُوا النِّيلَ وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهِ وَعَلَى أَعْمَالِ نُورِ الدَّوْلَةِ فَسَيَّرَ نُورُ الدَّوْلَةِ إِلَيْهِمْ طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِهِ.فَقَاتَلُوهُمْ فَانْهَزَمُوا فَلَمَّا رَأَى دُبَيْسٌ هَزِيمَةَ أَصْحَابِهِ سَارَ عَنْ بَلَدِهِ ، وَبَقِيَ ثَابِتٌ فِيهِ إِلَى الْآنِ فَاجْتَمَعَ دُبَيْسٌ وَأَبُو الْمَغْرَا عَنَّازُ بْنُ الْمَغْرَا ، وَبَنُو أَسَدٍ وَخَفَاجَةَ ، وَأَعَانَهُ أَبُو كَامِلٍ مَنْصُورُ بْنُ قُرَادٍ ، وَسَارُوا جَرِيدَةً لِإِعَادَةِ دُبَيْسٍ إِلَى بَلَدِهِ وَأَعْمَالِهِ ، وَتَرَكُوا حُلَلَهُمْ بَيْنَ خُصَّا وَحَرْبَى.فَلَمَّا سَارُوا لَقِيَهُمْ ثَابِتٌ عِنْدَ جَرْجَرَايَا ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ قُتِلَ فِيهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ ، ثُمَّ تَرَاسَلُوا وَاصْطَلَحُوا لِيَعُودَ دُبَيْسٌ إِلَى أَعْمَالِهِ ، وَيُقْطِعَ أَخَاهُ ثَابِتًا إِقْطَاعًا ، وَتَحَالَفُوا عَلَى ذَلِكَ ، وَسَارَ الْبَسَاسِيرِيُّ نَجْدَةً لِثَابِتٍ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى النُّعْمَانِيَّةِ سَمِعَ بِصُلْحِهِمْ ، فَعَادَ إِلَى بَغْدَاذَ.ذِكْرُ مُلْكِ الرُّومِ قَلْعَةَ بِرْكَوِي هَذِهِ قَلْعَةٌ مُتَاخِمَةٌ لِلْأَرْمَنِ فِي يَدِ أَبِي الْهَيْجَاءِ بْنِ رَبِيبِ الدَّوْلَةِ ، ابْنِ أُخْتِ وَهْسُوذَانَ بْنِ مُمِلَّانَ ، فَتَنَافَرَ هُوَ وَخَالُهُ ، فَأَرْسَلَ خَالُهُ إِلَى الرُّومِ فَأَطْمَعَهُمْ فِيهَا ، فَسَيَّرَ الْمَلِكُ إِلَيْهَا جَمْعًا كَثِيرًا فَمَلَكُوهَا ، فَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى الْخَلِيفَةِ فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي الْهَيْجَاءِ وَخَالِهِ مَنْ يُصْلِحُ بَيْنَهُمَا لِيَتَّفِقَا عَلَى اسْتِعَادَةِ الْقَلْعَةِ ، فَاصْطَلَحَا ، وَلَمْ يَتَمَكَّنَا مِنِ اسْتَعَادَتِهَا ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمَا خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَطَوِّعَةِ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ لِثَبَاتِ قَدَمِ الرُّومِ بِهَا.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَوْزَرَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ عَمِيدَ الدَّوْلَةِ أَبَا سَعْدِ بْنَ عَبْدِ الرَّحِيمِ ، وَهِيَ الْوَزَارَةُ الْخَامِسَةُ ، وَكَانَ قَبْلَهُ فِي الْوَزَارَةِ ابْنُ مَاكُولَا ، فَفَارَقَهَا وَسَارَ إِلَى عُكْبَرَا ، فَرَدَّهُ جَلَالُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْوَزَارَةِ ، وَعَزَلَ أَبَا سَعْدٍ.فَبَقِيَ أَيَّامًا ، ثُمَّ فَارَقَهَا إِلَى أَوَانَا.وَفِيهَا اسْتُخْلِفَ الْبَسَاسِيرِيُّ ، فِي حِمَايَةِ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ بِبَغْدَاذَ لِأَنَّ الْعَيَّارِينَ اشْتَدَّ أَمْرُهُمْ وَعَظُمَ فَسَادُهُمْ ، وَعَجَزَ عَنْهُمْ نُوَّابُ السُّلْطَانِ ، فَاسْتَعْمَلُوا الْبَسَاسِيرِيَّ لِكِفَايَتِهِ وَنَهْضَتِهِ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو سِنَانٍ غَرِيبُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَقْنٍ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ ، فِي كَرْخِ سَامَرَّا ، وَكَانَ يُلَقَّبُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ قَدْ ضَرَبَ دَرَاهِمَ سَمَّاهَا السَّيْفِيَّةَ ، وَقَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو الرَّيَّانِ ، وَخَلَّفَ خَمْسَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَأَمَرَ فَنُودِيَ قَدْ أَحْلَلْتُ كُلَّ مَنْ لِي عِنْدَهُ شَيْءٌ فَحَلِّلُونِي كَذَلِكَ ، فَحَلَّلُوهُ ، وَكَانَ عُمْرُهُ سَبْعِينَ سَنَةً.وَفِيهَا تُوُفِّيَ بَدْرَانُ بْنُ الْمُقَلَّدِ ، وَقَصَدَ وَلَدُهُ عَمَّهُ قِرْوَاشًا ، فَأَقَرَّ عَلَيْهِ حَالَهُ وَمَالَهُ وَوِلَايَةَ نَصِيبِينَ ، وَكَانَ بَنُو نُمَيْرٍ قَدْ طَمِعُوا فِيهَا وَحَصَرُوهَا ، فَسَارَ إِلَيْهِمُ ابْنُ بَدْرَانَ فَدَفَعَهُمْ عَنْهَا.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَرْمَانُوسُ مَلِكُ الرُّومِ ، وَمَلَكَ بَعْدَهُ رَجُلٌ صَيْرَفِيٌّ لَيْسَ مِنْ بَيْتِ الْمُلْكِ ، وَإِنَّمَا بِنْتُ قُسْطَنْطِينَ اخْتَارَتْهُ. تَابِعُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا كَثُرَتِ الزَّلَازِلُ بِمِصْرَ وَالشَّامِ ، وَكَانَ أَكْثَرُهَا بِالرَّمْلَةِ ، فَإِنَّ أَهْلَهَا فَارَقُوا مَنَازِلَهُمْ عِدَّةَ أَيَّامٍ ، وَانْهَدَمَ مِنْهَا نَحْوُ ثُلُثِهَا ، وَهَلَكَ تَحْتَ الْهَدْمِ خَلْقٌ كَثِيرٌ.وَفِيهَا كَانَ بِإِفْرِيقِيَّةَ مَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ وَغَلَاءٌ.وَفِيهَا قَبَضَ قِرْوَاشٌ عَلَى الْبُرْجُمِيِّ الْعَيَّارِ وَغَرَّقَهُ ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ قِرْوَاشًا قَبَضَ عَلَى ابْنِ الْقَلَعِيِّ عَامَلِ عُكْبَرَا ، فَحَضَرَ الْبُرْجُمِيُّ الْعَيَّارُ عِنْدَ قِرْوَاشٍ مُخَاطِبًا فِي أَمْرِهِ لِمَوَدَّةٍ بَيْنَهُمَا ، فَأَخَذَهُ قِرْوَاشٌ وَقَبَضَ عَلَيْهِ ، فَبَذَلَ مَالًا كَثِيرًا لِيُطْلِقَهُ ، فَلَمْ يَفْعَلْ وَغَرَّقَهُ ، وَكَانَ هَذَا الْبُرْجُمِيُّ قَدْ عَظُمَ شَأْنُهُ وَزَادَ شَرُّهُ ، وَكَبَسَ عِدَّةَ مَخَازِنَ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ، وَكَبَسَ دَارَ الْمُرْتَضَى ، وَدَارَ ابْنِ عُدَيْسَةَ ، وَهِيَ مُجَاوِرَةُ دَارِ الْوَزِيرِ ، وَثَارَ الْعَامَّةُ بِالْخَطِيبِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَقَالُوا إِمَّا أَنْ تَخْطُبَ لِلْبُرْجُمِيِّ ، وَإِلَّا فَلَا تَخْطُبْ لِسُلْطَانٍ وَلَا غَيْرِهِ ، وَأَهْلَكَ النَّاسَ بِبَغْدَاذَ ، وَحِكَايَاتُهُ كَثِيرَةٌ ، وَكَانَ مَعَ هَذَا فِيهِ فُتُوَّةٌ ، وَلَهُ مُرُوءَةٌ ، لَمْ يَعْرِضْ إِلَى امْرَأَةٍ ، وَلَا إِلَى مَنْ يَسْتَسْلِمُ إِلَيْهِ.وَفِيهَا هَبَّتْ رِيحٌ سُودٌ بِنَصِيبِينَ فَقَلَعَتْ مِنْ بَسَاتِينِهَا كَثِيرًا مِنَ الْأَشْجَارِ ، وَكَانَ فِي بَعْضِ الْبَسَاتِينِ قَصْرٌ مَبْنِيٌّ بِجَصٍّ وَآجُرٍّ وَكِلْسٍ ، فَقَلَعَتْهُ مِنْ أَصْلِهِ.وَفِيهَا كَثُرَ الْمَوْتُ بِالْخَوَانِيقِ فِي كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ الْعِرَاقِ ، وَالشَّامِ ، وَالْمَوْصِلِ ، وَخُوزِسْتَانَ ، وَغَيْرِهَا حَتَّى كَانَتِ الدَّارُ يُسَدُّ بَابُهَا لِمَوْتِ أَهْلِهَا. وَفِيهَا ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، انْقَضَّ كَوْكَبٌ هَالَ مَنْظَرُهُ النَّاسَ ، وَبَعْدَهُ بِلَيْلَتَيْنِ انْقَضَّ شِهَابٌ آخَرُ أَعْظَمُ مِنْهُ كَأَنَّهُ الْبَرْقُ مُلَاصِقُ الْأَرْضِ ، وَغَلَبَ عَلَى ضَوْءِ الْمَشَاعِلِ ، وَمَكَثَ طَوِيلًا حَتَّى غَابَ أَثَرُهُ . تَابِعُ الْوَفَيَاتِ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَبِيوَرْدِيُّ ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، قَاضِي الْبَصْرَةِ ، وَأَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ غَالِبٍ الْبَرْقَانِيُّ ، الْمُحَدِّثُ ، الْإِمَامُ الْمَشْهُورُ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رَجَبٍ.وَالْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى أَبُو عَلِيٍّ الْبَنْدَنِيجِيُّ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِينِيِّ.وَعَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ أَبُو الْفَرَجِ التَّمِيمِيُّ الْفَقِيهُ الْحَنْبَلِيُّ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ حَالِ الْخِلَافَةِ وَالسَّلْطَنَةِ بِبَغْدَاذَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ انْحَلَّ أَمْرُ الْخِلَافَةِ وَالسَّلْطَنَةِ بِبَغْدَاذَ ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَ الْجُنْدِ خَرَجُوا إِلَى قَرْيَةِ يَحْيَى ، فَلَقِيَهُمْ أَكْرَادٌ ، فَأَخَذُوا دَوَابَّهُمْ ، فَعَادُوا إِلَى قِرَاحِ الْخَلِيفَةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، فَنَهَبُوا شَيْئًا مِنْ ثَمَرَتِهِ ، وَقَالُوا لِلْعُمَّالِينَ فِيهِ أَنْتُمْ عَرَفْتُمْ حَالَ الْأَكْرَادِ وَلَمْ تُعْلِمُونَا.فَسَمِعَ الْخَلِيفَةُ الْحَالَ ، فَعَظُمَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَقْدِرْ جَلَالُ الدَّوْلَةِ عَلَى أَخْذِ أُولَئِكَ الْأَكْرَادِ لِعَجْزِهِ وَوَهَنِهِ ، وَاجْتَهَدَ فِي تَسْلِيمِ الْجُنْدِ إِلَى نَائِبِ الْخَلِيفَةِ ، فَلَمْ يُمْكِنْهُ ذَلِكَ ، فَتَقَدَّمَ الْخَلِيفَةُ إِلَى الْقُضَاةِ بِتَرْكِ الْقَضَاءِ وَالِامْتِنَاعِ عَنْهُ ، وَإِلَى الشُّهُودِ بِتَرْكِ الشَّهَادَةِ ، وَإِلَى الْفُقَهَاءِ بِتَرْكِ الْفَتْوَى.فَلَمَّا رَأَى جَلَالُ الدَّوْلَةِ ذَلِكَ سَأَلَ أُولَئِكَ الْأَجْنَادَ لِيُجِيبُوهُ إِلَى أَنْ يَحْمِلَهُمْ إِلَى دِيوَانِ الْخِلَافَةِ ، فَفَعَلُوا ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ أُطْلِقُوا ، وَعَظُمَ أَمْرُ الْعَيَّارِينَ ، وَصَارُوا يَأْخُذُونَ الْأَمْوَالَ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَلَا مَانِعَ لَهُمْ لِأَنَّ الْجُنْدَ يَحْمُونَهُمْ عَلَى السُّلْطَانِ وَنُوَّابِهِ ، وَالسُّلْطَانُ عَاجِزٌ عَنْ قَهْرِهِمْ ، وَانْتَشَرَ الْعَرَبُ فِي الْبِلَادِ فَنَهَبُوا النَّوَاحِيَ ، وَقَطَعُوا الطَّرِيقَ ، وَبَلَغُوا إِلَى أَطْرَافِ بَغْدَاذَ ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى جَامِعِ الْمَنْصُورِ ، وَأَخَذُوا ثِيَابَ النِّسَاءِ فِي الْمَقَابِرِ.ذِكْرُ إِظْهَارِ أَحْمَدَ يَنَالْتِكِينَ الْعِصْيَانَ وَقَتْلِهِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ عَادَ مَسْعُودُ بْنُ مَحْمُودٍ مِنَ الْهِنْدِ لِقِتَالِ الْغُزِّ ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، فَعَادَ أَحْمَدُ يَنَالْتِكِينَ إِلَى إِظْهَارِ الْعِصْيَانِ بِبِلَادِ الْهِنْدِ ، وَجَمَعَ الْجُمُوعَ ، وَقَصَدَ الْبِلَادَ بِالْأَذَى ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ مَسْعُودٌ جَيْشًا كَثِيفًا ، وَكَانَتْ مُلُوكُ الْهِنْدِ تَمْنَعُهُ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى بِلَادِهِمْ ، وَسَدَّ مَنَافِذَ هَرَبِهِ.وَلَمَّا وَصَلَ الْجَيْشُ الْمُنْفَذُ إِلَيْهِ قَاتَلَهُمْ ، فَانْهَزَمَ وَمَضَى هَارِبًا إِلَى الْمُلْتَانِ ، وَقَصَدَ بَعْضَ مُلُوكِ الْهِنْدِ بِمَدِينَةِ بَهَاطِيةَ وَمَعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنْ عَسَاكِرِهِ الَّذِينَ سَلِمُوا ، فَلَمْ يَكُنْ لِذَلِكَ الْمَلِكِ قُدْرَةٌ عَلَى مَنْعِهِ ، وَطَلَبَ مِنْهُ سُفُنًا لِيَعْبُرَ نَهْرَ السِّنْدِ ، فَأَحْضَرَ لَهُ السُّفُنَ.وَكَانَ فِي وَسَطِ النَّهْرِ جَزِيرَةٌ ظَنَّهَا أَحْمَدُ وَمَنْ مَعَهُ مُتَّصِلَةً بِالْبَرِّ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْمَاءَ مُحِيطٌ بِهَا ، فَتَقَدَّمَ مَلِكُ الْهِنْدِ إِلَى أَصْحَابِ السُّفُنِ بِإِنْزَالِهِمْ فِي الْجَزِيرَةِ وَالْعَوْدِ عَنْهُمْ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، وَبَقِيَ أَحْمَدُ وَمَنْ مَعَهُ فِيهَا وَلَيْسَ مَعَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مَا مَعَهُمْ ، فَبَقُوا بِهَا تِسْعَةَ أَيَّامٍ ، فَفَنِيَ زَادُهُمْ ، وَأَكَلُوا دَوَابَّهُمْ ، وَضَعُفَتْ قُوَاهُمْ ، فَأَرَادُوا خَوْضَ الْمَاءِ فَلَمْ يَتَمَكَّنُوا مِنْهُ لِعُمْقِهِ وَشِدَّةِ الْوَحْلِ فِيهِ ، فَعَبَّرَ الْهِنْدُ إِلَيْهِمْ عَسْكَرَهُمْ فِي السُّفُنِ ، وَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، فَأَوْقَعُوا بِهِمْ وَقَتَلُوا أَكْثَرَهُمْ ، وَأَخَذُوا وَلَدًا لِأَحْمَدَ أَسِيرًا ، فَلَمَّا رَآهُ أَحْمَدُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ قَتَلَ نَفْسَهُ ، وَاسْتَوْعَبَ أَصْحَابَهُ الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ وَالْغَرَقُ.ذِكْرُ مُلْكِ مَسْعُودٍ جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ كَانَ الْمَلِكُ مَسْعُودٌ قَدْ أَقَرَّ دَارَا بْنَ مُنُوجَهْرَ بْنِ قَابُوسَ عَلَى جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ وَتَزَوَّجَ أَيْضًا بِابْنَةِ أَبِي كَالِيجَارَ الْقُوهِيِّ ، مُقَدَّمِ جَيْشِ دَارَا ، وَالْقَيِّمِ بِتَدْبِيرِ أَمْرِهِ اسْتِمَالَةً.فَلَمَّا سَارَ إِلَى الْهِنْدِ مَنَعُوا مَا كَانَ اسْتَقَرَّ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَالِ ، وَرَاسَلُوا عَلَاءَ الدَّوْلَةِ بْنَ كَاكَوَيْهِ وَفَرْهَاذَ بِالِاجْتِمَاعِ عَلَى الْعِصْيَانِ وَالْمُخَالَفَةِ ، وَقَوَّى عَزْمَهُمْ عَلَى ذَلِكَ مَا بَلَغَهُمْ مِنْ خُرُوجِ الْغُزِّ بِخُرَاسَانَ .فَلَمَّا عَادَ مَسْعُودٌ مِنَ الْهِنْدِ وَأَجْلَى الْغُزَّ وَهَزَمَهُمْ سَارَ إِلَى جُرْجَانَ فَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا وَمَلَكَهَا ، وَسَارَ إِلَى آمُلِ طَبَرِسْتَانَ ، وَقَدْ فَارَقَهَا أَصْحَابُهَا ، وَاجْتَمَعُوا بِالْغِيَاضِ وَالْأَشْجَارِ الْمُلْتَفَّةِ ، الضَّيِّقَةِ الْمَدْخَلِ ، الْوَعْرَةِ الْمَسْلَكِ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ وَاقْتَحَمَهَا عَلَيْهِمْ فَهَزَمَهُمْ وَأَسَرَ مِنْهُمْ وَقَتَلَ ، ثُمَّ رَاسَلَهُ دَارَا وَأَبُو كَالِيجَارَ وَطَلَبُوا مِنْهُ الْعَفْوَ وَتَقْرِيرَ الْبِلَادِ عَلَيْهِمْ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، وَحَمَلُوا مِنَ الْأَمْوَالِ مَا كَانَ عَلَيْهِمْ ، وَعَادَ إِلَى خُرَاسَانَ.ذِكْرُ مَسِيرِ ابْنِ وَثَّابٍ وَالرُّومِ إِلَى بَلَدِ ابْنِ مَرْوَانَ فِيهَا جَمَعَ ابْنُ وَثَّابٍ النُّمَيْرِيُّ جَمْعًا كَثِيرًا مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ ، وَاسْتَنْجَدَ مَنْ بِالرُّهَا مِنَ الرُّومِ ، فَسَارَ مَعَهُ مِنْهُمْ جَيْشٌ كَثِيفٌ ، وَقَصَدَ بَلَدَ نَصْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَنَهَبَ وَأَخْرَبَ.فَجَمَعَ ابْنُ مَرْوَانَ جُمُوعَهُ وَعَسَاكِرَهُ وَاسْتَمَدَّ قِرْوَاشًا وَغَيْرَهُ ، وَأَتَتْهُ الْجُنُودُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، فَلَمَّا رَأَى ابْنُ وَثَّابٍ ذَلِكَ وَأَنَّهُ لَا يَتِمُّ لَهُ غَرَضٌ عَادَ عَنْ بِلَادِهِ.وَأَرْسَلَ ابْنُ مَرْوَانَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ يُعَاتِبُهُ عَلَى نَقْضِ الْهُدْنَةِ ، وَفَسْخِ الصُّلْحِ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمَا ، وَرَاسَلَ أَصْحَابَ الْأَطْرَافِ يَسْتَنْجِدُهُمْ لِلْغَزَاةِ ، فَكَثُرَ جَمْعُهُ مِنَ الْجُنْدِ وَالْمُتَطَوِّعَةِ ، وَعَزَمَ عَلَى قَصْدِ الرُّهَا وَمُحَاصَرَتِهَا ، فَوَرَدَتْ رُسُلُ مَلِكِ الرُّومِ يَعْتَذِرُ ، وَيَحْلِفُ أَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ بِمَا كَانَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى عَسْكَرِهِ الَّذِينَ بِالرُّهَا وَالْمُقَدَّمِ عَلَيْهِمْ يُنْكِرُ ذَلِكَ ، وَأَهْدَى إِلَى نَصْرِ الدَّوْلَةِ هَدِيَّةً سَنِيَّةً ، فَتَرَكَ مَا كَانَ عَازِمًا عَلَيْهِ مِنَ الْغَزْوِ ، وَفَرَّقَ الْعَسَاكِرَ الْمُجْتَمِعَةَ عِنْدَهُ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِيهَا خَرَجَ أَبُو سَعْدٍ ، وَزِيرُ جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، إِلَى أَبِي الشَّوْكِ مُفَارِقًا لِلْوَزَارَةِ ، وَوَزَرَ بَعْدَهُ أَبُو الْقَاسِمِ ، وَكَثُرَتْ مُطَالَبَاتُ الْجُنْدِ ، فَهَرَبَ ، فَأُخْرِجَ وَحُمِلَ إِلَى دَارِ الْمَمْلَكَةِ مَكْشُوفَ الرَّأْسِ فِي قَمِيصٍ خَفِيفٍ ، وَكَانَتْ وَزَارَتُهُ هَذِهِ شَهْرَيْنِ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ ، وَعَادَ أَبُو سَعْدِ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ إِلَى الْوَزَارَةِ.وَفِيهَا ، فِي ذِي الْحِجَّةِ ، وَثَبَ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْبَرَكَاتِ بْنِ ثِمَالٍ الْخَفَاجِيُّ بِعَمِّهِ عَلِيِّ بْنِ ثِمَالٍ أَمِيرِ بَنِي خَفَاجَةَ ، فَقَتَلَهُ ، وَقَامَ بِإِمَارَةِ بَنِي خَفَاجَةَ.وَفِيهَا جَمَعَتِ الرُّومُ وَسَارَتْ إِلَى وِلَايَةِ حَلَبَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ صَاحِبُهَا شِبْلُ الدَّوْلَةِ بْنُ صَالِحِ بْنِ مِرْدَاسٍ ، فَتَصَافُّوا وَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَتِ الرُّومُ ، وَتَبِعَهُمْ إِلَى عَزَازَ ، وَغَنِمَ غَنَائِمَ كَثِيرَةً وَعَادَ سَالِمًا.وَفِيهَا قَصَدَتْ خَفَاجَةُ الْكُوفَةَ ، وَمُقَدَّمُهُمُ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْبَرَكَاتِ بْنِ ثِمَالٍ ، فَنَهَبُوهَا ، وَأَرَادُوا تَخْرِيبَهَا ، وَمَنَعُوا النَّخْلَ مِنَ الْمَاءِ فَهَلَكَ أَكْثَرُهُ.وَفِيهَا هَرَبَ الزَّكِيُّ أَبُو عَلِيٍّ النَّهْرَسَابُسِيُّ مِنْ مَحْبِسِهِ ، وَكَانَ قِرْوَاشٌ قَدِ اعْتَقَلَهُ بِالْمَوْصِلِ ، فَبَقِيَ سَنَتَيْنِ إِلَى الْآنَ ، وَلَمْ يَحُجَّ هَذِهِ السَّنَةَ مِنِ الْعِرَاقِ أَحَدٌ. الْوَفَيَاتُ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ أَحْمَدُ بْنُ كُلَيْبٍ ، الْأَدِيبُ ، الشَّاعِرُ الْأَنْدَلُسِيُّ ، وَحَدِيثُهُ مَعَ أَسْلَمَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ مَشْهُورٌ ، وَكَانَ يَهْوَاهُ ، فَقَالَ فِيهِ أَسْلَمَنِي فِي هَوَاهُ...أَسْلَمُ هَذَا الرَّشَا غَزَالٌ لَهُ مُقْلَةٌ...يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَا وَشَى بَيْنَنَا حَاسِدٌ...سَيُسْأَلُ عَمَّا وَشَى وَلَوْ شَاءَ أَنْ يَرْتَشِيَ...عَلَى الْوَصْلِ رُوحِي ارْتَشَى وَمَاتَ كَمَدًا مِنْ هَوَاهُ.وَتُوُفِّيَ فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْهَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ شَهِيدٍ الْأَدِيبُ الْأَنْدَلُسِيُّ ، وَمِنْ شِعْرِهِ إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا نَالَتْهُ مَخْمَصَةٌ...أَبْدَى إِلَى النَّاسِ شَبَعًا ، وَهُوَ طَيَّانُ يَحْنِي الضُّلُوعَ عَلَى مِثْلِ اللَّظَى حُرْقًا...وَالْوَجْهُ غَمْرٌ بِمَاءِ الْبِشْرِ مَلْآنُ وَلَهُ أَيْضًا كَتَبْتُ لَهَا أَنَّنِي عَاشِقٌ...عَلَى مُهْرَقِ اللَّثْمِ بِالنَّاظِرِ فَرَدَّتْ عَلَيَّ جَوَابَ الْهَوَى...بِأَحْوَرَ عَنْ مَائِهِ حَائِرِ مُنَعَّمَةٌ نَطَقَتْ بِالْجُفُونِ ، فَدَلَّتْ عَلَى دِقَّةِ الْخَاطِرِ...كَأَنَّ فُؤَادِي ، إِذَا أَعْرَضَتْ ، تَعَلَّقَ فِي مِخْلَبَيْ طَائِرِ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْمَعَالِي بْنُ سَخْطَةَ الْعَلَوِيُّ النَّقِيبُ بِالْبَصْرَةِ ، وَأَبُو مُحَمَّدِ بْنُ مَعِيَّةَ الْعَلَوِيُّ بِهَا أَيْضًا.وَأَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ شَاذَانَ ، الْمُحَدِّثُ الْأَشْعَرِيُّ مَذْهَبًا ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ بِبَغْدَاذَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمَائِةٍ. وَحَمْزَةُ بْنُ يُوسُفَ الْجُرْجَانِيُّ ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ وُثُوبِ الْجُنْدِ بِجَلَالِ الدَّوْلَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ثَارَ الْجُنْدُ بِبَغْدَاذَ بِجَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَأَرَادُوا إِخْرَاجَهُ مِنْهَا ، فَاسْتَنْظَرَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَلَمْ يُنْظِرُوهُ ، وَرَمَوْهُ بِالْآجُرِّ ، فَأَصَابَهُ بَعْضُهُمْ ، وَاجْتَمَعَ الْغِلْمَانُ فَرَدُّوهُمْ عَنْهُ ، فَخَرَجَ مِنْ بَابٍ لَطِيفٍ فِي سُمَيْرِيَّةٍ مُتَنَكِّرًا ، وَصَعِدَ رَاجِلًا مِنْهَا إِلَى دَارِ الْمُرْتَضَى بِالْكَرْخِ ، وَخَرَجَ مِنْ دَارِ الْمُرْتَضَى ، وَسَارَ إِلَى رَافِعِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مَقْنٍ بِتَكْرِيتَ ، وَكَسَرَ الْأَتْرَاكُ أَبْوَابَ دَارِهِ وَدَخَلُوهَا وَنَهَبُوهَا ، وَقَلَعُوا كَثِيرًا مِنْ سَاجِهَا وَأَبْوَابِهَا ، فَأَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ إِلَيْهِ ، وَقَرَّرَ أَمْرَ الْجُنْدِ وَأَعَادَهُ إِلَى بَغْدَاذَ.ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ أَبِي سَهْلٍ الْحَمْدُونِيِّ وَعَلَاءِ الدَّوْلَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ طَائِفَةٌ مِنَ الْعَسَاكِرِ الْخُرَاسَانِيَّةِ الَّتِي مَعَ الْوَزِيرِ أَبِي سَهْلٍ الْحَمْدُونِيِّ بِأَصْبَهَانَ يَطْلُبُونَ الْمِيرَةَ ، فَوَضَعَ عَلَيْهِمْ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ مَنْ أَطْمَعَهُمْ فِي الِامْتِيَارِ مِنَ النَّوَاحِي الْقَرِيبَةِ مِنْهُ ، فَسَارُوا إِلَيْهَا ، وَلَا يَعْلَمُونَ قُرْبَهُ مِنْهُمْ ، فَلَمَّا أَتَاهُ خَبَرُهُمْ خَرَجَ إِلَيْهِمْ وَأَوْقَعَ بِهِمْ وَغَنِمَ مَا مَعَهُمْ.وَقَوِيَ طَمَعُهُ بِذَلِكَ ، فَجَمَعَ جَمْعًا مِنَ الدَّيْلَمِ وَغَيْرِهِمْ وَسَارَ إِلَى أَصْبَهَانَ ، وَبِهَا أَبُو سَهْلٍ فِي عَسَاكِرِ مَسْعُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِ وَقَاتَلُوهُ ، فَغَدَرَ الْأَتْرَاكُ بِعَلَاءِ الدَّوْلَةِ ، فَانْهَزَمَ وَنُهِبَ سَوَادُهُ فَسَارَ إِلَى بَرُوجِرْدَ ، وَمِنْهَا إِلَى الطِّرْمِ ، فَلَمْ يَقْبَلْهُ ابْنُ السَّلَّارِ ، وَقَالَ لَا قُدْرَةَ لِي عَلَى مُبَايَنَةِ الْخُرَاسَانِيَّةِ فَتَرَكَهُ وَسَارَ عَنْهُ.ذِكْرُ وَفَاةِ الظَّاهِرِ وَوِلَايَةِ ابْنِهِ الْمُسْتَنْصِرِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي مُنْتَصَفِ شَعْبَانَ ، تُوُفِّيَ الظَّاهِرُ لِإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ الْمَنْصُورُ الْحَاكِمُ الْخَلِيفَةُ الْعَلَوِيُّ ، بِمِصْرَ ، وَكَانَ عُمْرُهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَسَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَكَانَ لَهُ مِصْرُ ، وَالشَّامُ ، وَالْخُطْبَةُ لَهُ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، وَكَانَ جَمِيلَ السِّيرَةِ ، حَسَنَ السِّيَاسَةِ ، مُنْصِفًا لِلرَّعِيَّةِ ، إِلَّا أَنَّهُ مُشْتَغِلٌ بِلَذَّاتِهِ مُحِبٌّ لِلدَّعَةِ وَالرَّاحَةِ ، قَدْ فَوَّضَ الْأُمُورَ إِلَى وَزِيرِهِ أَبِي الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الْجَرْجَرَائِيِّ; لِمَعْرِفَتِهِ بِكِفَايَتِهِ وَأَمَانَتِهِ.وَلَمَّا مَاتَ وَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو تَمِيمٍ مَعَدٌّ ، وَلُقِّبَ الْمُسْتَنْصِرَ بِاللَّهِ ، وَمَوْلِدُهُ بِالْقَاهِرَةِ سَنَةَ عَشْرٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَفِي أَيَّامِهِ كَانَتْ قِصَّةُ الْبَسَاسِيرِيِّ ، وَخُطِبَ لَهُ بِبَغْدَاذَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.وَكَانَ الْحَاكِمُ فِي دَوْلَتِهِ بَدْرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْجَمَالِيَّ الْمُلَقَّبَ بِالْأَفْضَلِ ، أَمِيرِ الْجُيُوشِ ، وَكَانَ عَادِلًا ، حَسَنَ السِّيرَةِ.وَفِي سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَصَلَ الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْإِسْمَاعِيلِيُّ فِي زِيِّ تَاجِرٍ إِلَى الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ ، وَخَاطَبَهُ فِي إِقَامَتِهِ الدَّعْوَةَ لَهُ بِخُرَاسَانَ وَبِلَادِ الْعَجَمِ فَأَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَعَادَ وَدَعَا إِلَيْهِ سِرًّا ، وَقَالَ لِلْمُسْتَنْصِرِ مَنْ إِمَامِي بَعْدُ ؟فَقَالَ ابْنِي نِزَارٌ.وَالْإِسْمَاعِيلِيَّةُ يَعْتَقِدُونَ إِمَامَةَ نِزَارٍ ، وَسَيَرِدُ كَيْفَ صُرِفَ الْأَمْرُ عَنْهُ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ فَتْحِ السُّوَيْدَاءِ وَرَبَضِ الرُّهَا فِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ اجْتَمَعَ ابْنُ وَثَّابٍ وَابْنُ عُطَيْرٍ ، وَتَصَاهَرَا ، وَجَمَعَا ، وَأَمَدَّهُمَا نَصْرُ الدَّوْلَةِ بْنُ مَرْوَانَ بِعَسْكَرٍ كَثِيفٍ ، فَسَارُوا جَمِيعَهُمْ إِلَى السُّوَيْدَاءِ ، وَكَانَ الرُّومُ قَدْ أَحْدَثُوا عِمَارَتَهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهَا أَهْلُ الْقُرَى الْمُجَاوِرَةِ لَهَا ، فَحَصَرَهَا الْمُسْلِمُونَ وَفَتَحُوهَا عَنْوَةً ، وَقَتَلُوا فِيهَا ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَخَمْسَمِائَةِ رَجُلٍ ، وَغَنِمُوا مَا فِيهَا ، وَسَبَوْا خَلْقًا كَثِيرًا ، وَقَصَدُوا الرُّهَا فَحَصَرُوهَا ، وَقَطَعُوا الْمِيرَةَ عَنْهَا ، حَتَّى بَلَغَ مَكُّوكُ الْحِنْطَةِ دِينَارًا ، وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ ، فَخَرَجَ الْبِطْرِيقُ الَّذِي فِيهَا مُتَخَفِّيًا ، وَلَحِقَ بِمَلِكِ الرُّومِ ، وَعَرَّفَهُ الْحَالَ ، فَسَيَّرَ مَعَهُ خَمْسَةَ آلَافِ فَارِسٍ ، فَعَادَ بِهِمْ.فَعَرَفَ ابْنُ وَثَّابٍ وَمُقَدَّمُ عَسَاكِرِ نَصْرِ الدَّوْلَةِ الْحَالَ ، فَكَمَنَا لَهُمْ ، فَلَمَّا قَارَبُوهُمْ خَرَجَ الْكَمِينُ عَلَيْهِمْ ، فَقُتِلَ مِنَ الرُّومِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَأُسِرَ مِثْلُهُمْ ، وَأُسِرَ الْبِطْرِيقُ وَحُمِلَ إِلَى بَابِ الرُّهَا ، وَقَالُوا لِمَنْ فِيهَا إِمَّا أَنْ تَفْتَحُوا الْبَلَدَ لَنَا ، وَإِمَّا قَتَلْنَا الْبِطْرِيقَ وَالْأَسْرَى الَّذِينَ مَعَهُ!فَفَتَحُوا الْبَلَدَ لِلْعَجْزِ عَنْ حِفْظِهِ ، وَتَحَصَّنَ أَجْنَادُ الرُّومِ بِالْقَلْعَةِ ، وَدَخَلَ الْمُسْلِمُونَ الْمَدِينَةَ ، وَغَنِمُوا مَا فِيهَا ، وَامْتَلَأَتْ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْغَنَائِمِ وَالسَّبْيِ ، وَأَكْثَرُوا الْقَتْلَ ، وَأَرْسَلَ ابْنُ وَثَّابٍ إِلَى آمِدَ مِائَةً وَسِتِّينَ رَاحِلَةً عَلَيْهَا رُءُوسُ الْقَتْلَى وَأَقَامَ مُحَاصِرًا لِلْقَلْعَةِ.ثُمَّ إِنَّ حَسَّانَ بْنَ الْجَرَّاحِ الطَّائِيَّ سَارَ فِي خَمْسَةِ آلَافِ فَارِسٍ مِنَ الْعَرَبِ وَالرُّومِ نَجْدَةً لِمَنْ بِالرُّهَا فَسَمِعَ ابْنُ وَثَّابٍ بِقُرْبِهِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ مُجِدًّا لِيَلْقَاهُ قَبْلَ وُصُولِهِ ، فَخَرَجَ مِنَ الرُّهَا مِنَ الرُّومِ إِلَى حَرَّانَ فَقَاتَلَهُمْ أَهْلُهَا ، وَسَمِعَ ابْنُ وَثَّابٍ الْخَبَرَ فَعَادَ مُسْرِعًا ، فَوَقَعَ عَلَى الرُّومِ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ كَثِيرًا ، وَعَادَ الْمُنْهَزِمُونَ إِلَى الرُّهَا.ذِكْرُ غَدْرِ السَّنَاسِنَةِ وَأَخْذِ الْحَاجِّ وَإِعَادَةِ مَا أَخَذُوهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَرَدَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَذْرَبِيجَانَ وَخُرَاسَانَ ، وَطَبَرِسْتَانَ ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ يُرِيدُونَ الْحَجَّ ، وَجَعَلُوا طَرِيقَهُمْ عَلَى أَرْمِينِيَّةَ وَخِلَاطَ ، فَوَرَدُوا إِلَى آنِي وَوَسْطَانَ فَثَارَ بِهِمُ الْأَرْمَنُ مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ ، وَأَعَانَهُمُ السَّنَاسِنَةُ ، وَهُمْ مِنَ الْأَرْمَنِ أَيْضًا إِلَّا أَنَّهُمْ لَهُمْ حُصُونٌ مَنِيعَةٌ تُجَاوِرُ خِلَاطَ ، وَهُمْ صُلْحٌ مَعَ صَاحِبِ خِلَاطَ. وَلَمْ تَزَلْ هَذِهِ الْحُصُونُ بِأَيْدِيهِمْ مُنْفَرِدِينَ بِهَا ، إِلَّا أَنَّهُمْ مُتَعَاهِدُونَ إِلَى سَنَةِ ثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، فَمَلَكَهَا الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ ، وَأَزَالُوهُمْ عَنْهَا ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.فَلَمَّا اتَّفَقُوا مَعَ الْأَرْمَنِ مِنْ رَعِيَّةِ الْبِلَادِ أَخَذُوا الْحَاجَّ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ كَثِيرًا ، وَأَسَرُوا ، وَسَبَوْا ، وَنَهَبُوا الْأَمْوَالَ ، وَحَمَلُوا ذَلِكَ أَجْمَعَ إِلَى الرُّومِ ، وَطَمِعَ الْأَرْمَنُ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ ، فَسَمِعَ نَصْرُ الدَّوْلَةِ بْنُ مَرْوَانَ الْخَبَرَ ، فَجَمَعَ الْعَسَاكِرَ وَعَزَمَ عَلَى غَزْوِهِمْ ، فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ ، وَرَأَوْا جِدَّهُ فِيهِ رَاسَلَهُ مَلِكُ السَّنَاسِنَةِ ، وَبَذَلَ إِعَادَةَ جَمِيعِ مَا أَخَذَ أَصْحَابُهُ ، وَإِطْلَاقَ الْأَسْرَى وَالسَّبْيِ فَأَجَابَهُمْ إِلَى الصُّلْحِ ، وَعَادَ عَنْهُمْ لِحَصَانَةِ قِلَاعِهِمْ ، وَكَثْرَةِ الْمَضَايِقِ فِي بِلَادِهِمْ ، وَلِأَنَّهُمْ بِالْقُرْبِ مِنَ الرُّومِ ، فَخَافَ أَنْ يَسْتَنْجِدُوهُمْ وَيَمْتَنِعُوا بِهِمْ ، فَصَالَحَهُمْ.ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ الْمُعِزِّ وَزِنَاتَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اجْتَمَعَتْ زِنَاتَةُ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، وَزَحَفَتْ فِي خَيْلِهَا وَرَجْلِهَا يُرِيدُونَ مَدِينَةَ الْمَنْصُورَةِ ، فَلَقِيَهُمْ جُيُوشُ الْمُعِزِّ بْنِ بَادِيسَ ، صَاحِبِهَا ، بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الْجَفْنَةُ قَرِيبٌ مِنَ الْقَيْرَوَانِ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَانْهَزَمَتْ عَسَاكِرُ الْمُعِزِّ ، فَفَارَقَتِ الْمَعْرَكَةَ ، وَهُمْ عَلَى حَامِيَةٍ ، ثُمَّ عَاوَدُوا الْقِتَالَ ، وَحَرَّضَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَصَبَرَتْ صِنْهَاجَةُ ، وَانْهَزَمَتْ زِنَاتَةُ هَزِيمَةً قَبِيحَةً ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ عَدَدٌ كَثِيرٌ ، وَأُسِرَ خَلْقٌ عَظِيمٌ ، وَتُعْرَفُ هَذِهِ الْوَقْعَةُ بِوَقْعَةِ الْجَفْنَةِ ، وَهِيَ مَشْهُورَةٌ لِعِظَمِهَا عِنْدَهُمْ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي رَجَبٍ ، انْقَضَّ كَوْكَبٌ عَظِيمٌ غَلَبَ نُورُهُ عَلَى نُورِ الشَّمْسِ ، وَشُوهِدَ فِي آخِرِهَا مِثْلُ التِّنِّينِ يَضْرِبُ إِلَى السَّوَادِ ، وَبَقِيَ سَاعَةً وَذَهَبَ.وَفِيهَا كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَظِيمَةٌ اشْتَدَّتْ حَتَّى إِنَّ إِنْسَانًا كَانَ لَا يُبْصِرُ جَلِيسَهُ ، وَأُخِذَ بِأَنْفَاسِ الْخَلْقِ ، فَلَوْ تَأَخَّرَ انْكِشَافُهَا لَهَلَكَ أَكْثَرُهُمْ.وَفِيهَا قُبِضَ عَلَى الْوَزِيرِ أَبِي سَعْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ ، وَزِيرِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَهِيَ الْوَزَارَةُ السَّادِسَةُ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا فِي رَمَضَانَ ، تُوُفِّيَ رَافِعُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مَقْنٍ ، وَكَانَ حَازِمًا ، شُجَاعًا ، وَخَلَّفَ بِتَكْرِيتَ مَا يَزِيدُ عَلَى خَمْسِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَمَلَكَهَا ابْنُ أَخِيهِ خَمِيسُ بْنُ ثَعْلَبٍ ، وَكَانَ طَرِيدًا فِي أَيَّامِ عَمِّهِ.وَحَمَلَ إِلَى جَلَالِ الدَّوْلَةِ ثَمَانِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فَأَصْلَحَ بِهَا الْجُنْدَ ، وَكَانَتْ يَدُهُ قَدْ قُطِعَتْ لِأَنَّ بَعْضَ عَبِيدِ بَنِي عَمِّهِ كَانَ يَشْرَبُ مَعَهُ ، فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ آخَرٍ خُصُومَةٌ ، فَجَرَّدَا سَيْفَيْهِمَا فَقَامَ رَافِعٌ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا ، فَضَرَبَ الْعَبْدُ يَدَهُ فَقَطَعَهَا غَلَطًا ، وَلِرَافِعٍ فِيهَا شِعْرٌ ، وَلَمْ تَمْنَعْهُ مِنْ قِتَالٍ فَقَدَ عَمِلَ لَهُ كَفًّا أُخْرَى يُمْسِكُ بِهَا الْعِنَانَ وَيُقَاتِلُ ، وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ لَهَا رِيقَةٌ ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، إِنَّهَا...أَلَذُّ وَأَشْهَى فِي النُّفُوسِ مِنَ الْخَمْرِ وَصَارِمُ طَرْفٍ لَا يُزَايِلُ جَفْنَهُ ، وَلَمْ أَرَ سَيْفًا قَطُّ فِي جَفْنِهِ يَفْرِي...فَقُلْتُ لَهَا ، وَالْعِيسُ تُحْدَجُ بِالضُّحَى أَعِدِّي لِفَقْدِي مَا اسْتَطَعْتِ مِنَ الصَّبْرِ سَأُنْفِقُ رَيْعَانَ الشَّبِيبَةِ آنِفًا عَلَى طَلَبِ الْعَلْيَاءِ أَوْ طَلَبِ الْأَجْرِ أَلَيْسَ مِنَ الْخُسْرَانِ أَنَّ لَيَالِيًا تَمُرُّ بِلَا نَفْعٍ وَتُحْسَبُ مِنْ عُمْرِي وَفِيهَا ، فِي صَفَرٍ ، أَمَرَ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ بِتَرْكِ التَّعَامُلِ بِالدَّنَانِيرِ الْمَغْرِبِيَّةِ ، وَأَمَرَ الشُّهُودَ أَنْ لَا يَشْهَدُوا فِي كِتَابِ ابْتِيَاعٍ وَلَا غَيْرِهِ يُذْكَرُ فِيهِ هَذَا الصِّنْفُ مِنَ الذَّهَبِ ، فَعَدَلَ النَّاسُ إِلَى الْقَادِرِيَّةِ ، وَالسَّابُورِيَّةِ ، وَالْقَاسَانِيَّةِ . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ الْفِتْنَةِ بَيْنَ جَلَالِ الدَّوْلَةِ وَبَيْنِ بَارَسْطُغَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ جَلَالِ الدَّوْلَةِ وَبَيْنَ بَارَسْطُغَانَ ، وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ الْأُمَرَاءِ وَيُلَقَّبُ حَاجِبَ الْحُجَّابِ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ جَلَالَ الدَّوْلَةِ نَسَبَهُ إِلَى فَسَادِ الْأَتْرَاكِ ، وَالْأَتْرَاكَ نَسَبُوهُ إِلَى أَخْذِ الْأَمْوَالِ ، فَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ ، فَالْتَجَأَ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ فِي رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ الْخَالِيَةِ.وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَ جَلَالِ الدَّوْلَةِ وَالْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ فِي أَمْرِهِ ، فَدَافَعَ الْخَلِيفَةُ عَنْهُ ، وَبَارَسْطُغَانُ يُرَاسِلُ الْمَلِكَ أَبَا كَالِيجَارَ ، فَأَرْسَلَ أَبُو كَالِيجَارَ جَيْشًا ، فَوَصَلُوا إِلَى وَاسِطٍ وَاتَّفَقَ مَعَهُمْ عَسْكَرُ وَاسِطٍ ، وَأَخْرَجُوا الْمَلِكَ الْعَزِيزَ بْنَ جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، فَأَصْعَدَ إِلَى أَبِيهِ ، وَكَشَفَ بَارَسْطُغَانُ الْقِنَاعَ ، فَاسْتَتْبَعَ أَصَاغِرَ الْمَمَالِيكِ وَنَادَوْا بِشِعَارِ أَبِي كَالِيجَارَ ، وَأَخْرَجُوا جَلَالَ الدَّوْلَةِ مِنْ بَغْدَاذَ ، فَسَارَ إِلَى أَوَانَا وَمَعَهُ الْبَسَاسِيرِيُّ ، وَأَخْرَجَ بَارَسْطُغَانُ الْوَزِيرَ أَبَا الْفَضْلِ الْعَبَّاسَ بْنَ الْحَسَنِ بْنِ فَسَانْجَسَ ، فَنَظَرَ فِي الْأُمُورِ نِيَابَةً عَنِ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ ، وَأَرْسَلَ بَارَسْطُغَانُ إِلَى الْخَلِيفَةِ يَطْلُبُ الْخُطْبَةَ لِأَبِي كَالِيجَارَ فَاحْتَجَّ بِعُهُودِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، فَأَكْرَهَ الْخُطَبَاءَ عَلَى الْخُطْبَةِ لِأَبِي كَالِيجَارَ فَفَعَلُوا.وَجَرَى بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ مُنَاوَشَاتٌ ، وَسَارَ الْأَجْنَادُ الْوَاسِطِيُّونَ إِلَى بَارَسْطُغَانَ بِبَغْدَاذَ فَكَانُوا مَعَهُ ، وَتَنَقَّلَتِ الْحَالُ بَيْنَ جَلَالِ الدَّوْلَةِ وَبَارَسْطُغَانَ ، فَعَادَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَنَزَلَ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ وَمَعَهُ قِرْوَاشُ بْنُ الْمُقَلَّدِ الْعُقَيْلِيُّ ، وَدُبَيْسُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مَزْيَدٍ الْأَسَدِيُّ ، وَخُطِبَ لِجَلَالِ الدَّوْلَةِ بِهِ ، وَبِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ لِأَبِي كَالِيجَارَ ، وَأَعَانَ أَبُو الشَّوْكِ ، وَأَبُو الْفَوَارِسِ مَنْصُورُ بْنُ الْحُسَيْنِ بَارَسْطُغَانَ عَلَى طَاعَةِ أَبِي كَالِيجَارَ.ثُمَّ سَارَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْأَنْبَارِ ، وَسَارَ قِرْوَاشٌ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَقَبَضَ بَارَسْطُغَانُ عَلَى ابْنِ فَسَانْجَسَ ، فَعَادَ مَنْصُورُ بْنُ الْحُسَيْنِ إِلَى بَلَدِهِ ، وَأَتَى الْخَبَرُ إِلَى بَارَسْطُغَانَ بِعَوْدِ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ إِلَى فَارِسَ ، فَفَارَقَهُ الدَّيْلَمُ الَّذِينَ جَاءُوا نَجْدَةً لَهُ ، فَضَعُفَ أَمْرُهُ ، فَدَفَعَ مَالَهُ وَحُرَمَهُ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ ، وَانْحَدَرَ إِلَى وَاسِطٍ ، وَعَادَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَأَرْسَلَ الْبَسَاسِيرِيَّ وَالْمُرْشِدَ وَبَنِي خَفَاجَةَ فِي أَثَرِهِ فَتَبِعَهُمْ جَلَالُ الدَّوْلَةِ وَدُبَيْسُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مَزْيَدٍ ، فَلَحِقُوهُ بِالْخَيْزُرَانِيَّةِ ، فَقَاتَلُوهُ فَسَقَطَ عَنْ فَرَسِهِ ، فَأُخِذَ أَسِيرًا وَحُمِلَ إِلَى جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، فَقَتَلَهُ وَحَمَلَ رَأْسَهُ ، وَكَانَ عُمْرُهُ نَحْوَ سَبْعِينَ سَنَةً. وَسَارَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ إِلَى وَاسِطٍ فَمَلَكَهَا ، وَأَصْعَدَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَضَعُفَ أَمْرُ الْأَتْرَاكِ ، وَطَمِعَ فِيهِمُ الْأَعْرَابُ ، وَاسْتَوْلَوْا عَلَى إِقْطَاعَاتِهِمْ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى كَفِّ أَيْدِيهِمْ عَنْهَا ، وَكَانَتْ مُدَّةُ بَارَسْطُغَانَ مِنْ حِينِ كَاشَفَ جَلَالَ الدَّوْلَةِ إِلَى أَنْ قُتِلَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ وَعَشَرَةَ أَيَّامٍ.ذِكْرُ الصُّلْحِ بَيْنَ جَلَالِ الدَّوْلَةِ وَأَبِي كَالِيجَارَ وَالْمُصَاهَرَةِ بَيْنَهُمَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ تَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَ جَلَالِ الدَّوْلَةِ وَابْنِ أَخِيهِ أَبِي كَالِيجَارَ ، سُلْطَانِ الدَّوْلَةِ ، فِي الصُّلْحِ وَالِاتِّفَاقِ ، وَزَوَالِ الْخُلْفِ ، وَكَانَ الرُّسُلُ أَقْضَى الْقُضَاةِ أَبَا الْحَسَنِ الْمَاوَرْدِيَّ ، وَأَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْمَرْدُوسْتِيَّ ، وَغَيْرَهُمَا ، فَاتَّفَقَا عَلَى الصُّلْحِ.وَحَلَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمَلِكَيْنِ لِصَاحِبِهِ ، وَأَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ إِلَى أَبِي كَالِيجَارَ الْخِلَعَ النَّفِيسَةَ ، وَوَقَعَ الْعَقْدُ لِأَبِي مَنْصُورِ بْنِ أَبِي كَالِيجَارَ عَلَى ابْنَةِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ الصَّدَاقُ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ قَاسَانِيَّةٍ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ الْوَفَيَاتُ فِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُكْرَمٍ صَاحِبُ عُمَانَ ، وَكَانَ جَوَّادًا ، مُمَدَّحًا ، وَقَامَ ابْنُهُ مَقَامَهُ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْأَمِيرُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ سَلَامَةَ ، أَمِيرُ تِهَامَةَ ، بِالْيَمَنِ ، وَوَلِيَ ابْنُهُ بَعْدَهُ ، فَعَصَى عَلَيْهِ خَادِمٌ كَانَ لِوَالِدِهِ.وَأَرَادَ أَنْ يَمْلِكَ فَجَرَى بَيْنَهُمَا حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ تَمَادَتْ أَيَّامُهَا ، فَفَارَقَ أَهْلُ تِهَامَةَ أَوْطَانَهُمْ إِلَى غَيْرِ مَمْلَكَةِ وَلَدِ الْحُسَيْنِ هَرَبًا مِنَ الشَّرِّ وَتَفَاقُمِ الْأَمْرِ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ مِهْيَارُ الشَّاعِرُ ، وَكَانَ مَجُوسِيًّا ، فَأَسْلَمَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَصَحِبَ الشَّرِيفَ الرَّضِيَّ ، وَقَالَ لَهُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ بُرْهَانَ يَا مِهْيَارُ قَدِ انْتَقَلْتَ بِإِسْلَامِكَ فِي النَّارِ مِنْ زَاوِيَةٍ إِلَى زَاوِيَةٍ!قَالَ كَيْفَ ؟قَالَ لِأَنَّكَ كُنْتَ مَجُوسِيًّا ، فَصِرْتَ تَسُبُّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي شِعْرِكَ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْقُدُورِيُّ الْفَقِيهُ الْحَنَفِيُّ ، وَالْحَاجِبُ أَبُو الْحُسَيْنِ هِبَةُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ أُخْتِ الْفَاضِلِ ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ ، وَأَبُو عَلِيِّ بْنُ أَبِي الرَّيَّانِ بِمَطِيرَابَاذَ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَقَدْ مَدَحَهُ الرَّضِيُّ وَابْنُ نُبَاتَةَ وَغَيْرُهُمَا.وَفِيهَا عَاوَدَ الْمُعِزُّ بْنُ بَادِيسَ حَرْبَ زِنَاتَةَ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، فَهَزَمَهُمْ وَأَكْثَرَ الْقَتْلَ فِيهِمْ ، وَخَرَّبَ مَسَاكِنَهُمْ وَقُصُورَهُمْ.وَفِي شَعْبَانَ تُوُفِّيَ أَبُو عَلِيِّ بْنُ سِينَا الْحَكِيمُ ، الْفَيْلَسُوفُ الْمَشْهُورُ ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ السَّائِرَةِ عَلَى مَذَاهِبِ الْفَلَاسِفَةِ ، وَكَانَ مَوْتُهُ بِأَصْبَهَانَ ، وَكَانَ يَخْدُمُ عَلَاءَ الدَّوْلَةِ أَبَا جَعْفَرِ بْنِ كَاكَوَيْهِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ كَانَ فَاسِدَ الِاعْتِقَادِ ، فَلِهَذَا أَقْدَمَ ابْنُ سِينَا عَلَى تَصَانِيفِهِ فِي الْإِلْحَادِ ، وَالرَّدِّ عَلَى الشَّرَائِعِ فِي بَلَدِهِ . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ مُحَاصَرَةِ الْأَبْخَازِ تَفْلِيسَ وَعَوْدِهِمْ عَنْهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ حَصَرَ مَلِكُ الْأَبْخَازِ مَدِينَةَ تَفْلِيسَ ، وَامْتَنَعَ أَهْلُهَا عَلَيْهِ ، فَأَقَامَ عَلَيْهِمْ مُحَاصِرًا وَمُضَيِّقًا ، فَنَفِدَتِ الْأَقْوَاتُ ، وَانْقَطَعَتِ الْمِيرَةُ ، فَأَنْفَذَ أَهْلُهَا إِلَى أَذْرَبِيجَانَ يَسْتَنْفِرُونَ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَسْأَلُونَهُمْ إِعَانَتَهُمْ ، فَلَمَّا وَصَلَ الْغُزُّ إِلَى أَذْرَبِيجَانَ ، وَسَمِعَ الْأَبْخَازُ بِقُرْبِهِمْ ، وَبِمَا فَعَلُوا بِالْأَرْمَنِ ، رَحَلُوا عَنْ تَفْلِيسَ مُجْفِلِينَ خَوْفًا.وَلَمَّا رَأَى وَهْسُوذَانُ صَاحِبُ أَذْرَبِيجَانَ قُوَّةَ الْغُزِّ ، وَأَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِمْ ، لَاطَفَهُمْ وَصَاهَرَهُمْ وَاسْتَعَانَ بِهِمْ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ ذَلِكَ .ذِكْرُ مَا فَعَلَهُ طُغْرُلْبَكُ بِخُرَاسَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ دَخَلَ رُكْنُ الدِّينِ أَبُو طَالِبٍ طُغْرُلْبَكُ مُحَمَّدُ بْنُ مِيكَائِيلَ بْنِ سَلْجُوقَ مَدِينَةَ نَيْسَابُورَ مَالِكًا لَهَا.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْغُزَّ السُّلْجُقِيَّةَ لَمَّا ظَهَرُوا بِخُرَاسَانَ أَفْسَدُوا ، وَنَهَبُوا ، وَخَرَّبُوا الْبِلَادَ ، وَسَبَوْا ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَسَمِعَ الْمَلِكُ مَسْعُودُ بْنُ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ الْخَبَرَ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِمْ حَاجِبَهُ سَبَاشِيَ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ مِنْ غَزْنَةَ ، فَلَمَّا بَلَغَ خُرَاسَانَ ثَقُلَ عَلَى مَا سَلِمَ مِنَ الْبِلَادِ بِالْإِقَامَاتِ فَخَرَّبَ السَّالِمَ مِنْ تَخْرِيبِ الْغُزِّ ، فَأَقَامَ مُدَّةَ سَنَةٍ عَلَى الْمُدَافَعَةِ وَالْمُطَاوَلَةِ ، لَكِنَّهُ كَانَ يَتْبَعُ أَثَرَهُمْ إِذَا بَعُدُوا ، وَيَرْجِعُ عَنْهُمْ إِذَا أَقْبَلُوا اسْتِعْمَالًا لِلْمُحَاجَزَةِ ، وَإِشْفَاقًا مِنَ الْمُحَارَبَةِ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَهُوَ بِقَرْيَةٍ بِظَاهِرِ سَرَخْسَ ، وَالْغُزُّ بِظَاهِرِ مَرْوٍ مَعَ طُغْرُلْبَكَ ، وَقَدْ بَلَغَهُمْ خَبَرُهُ ، أَسْرَوْا إِلَيْهِ وَقَاتَلُوهُ يَوْمَ وَصَلُوا فَلَمَّا جَنَّهُمُ اللَّيْلُ أَخَذَ سَبَاشِي مَا خَفَّ مِنْ مَالٍ وَهَرَبَ فِي خَوَاصِّهِ ، وَتَرَكَ خِيَمَهُ وَنِيرَانَهُ عَلَى حَالِهَا ، قِيلَ فَعَلَ ذَلِكَ مُوَاطَأَةً لِلْغُزِّ عَلَى الْهَزِيمَةِ ، فَلَمَّا أَسْفَرَ الصُّبْحُ عَرَفَ الْبَاقُونَ مِنْ عَسْكَرِهِ خَبَرَهُ ، فَانْهَزَمُوا ، وَاسْتَوْلَى الْغُزُّ عَلَى مَا وَجَدُوهُ فِي مُعَسْكَرِهِمْ مِنْ سَوَادِهِمْ ، وَقَتَلُوا مِنَ الْهُنُودِ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا مَقْتَلَةً عَظِيمَةً.وَأَسْرَى دَاوُدُ أَخُو طُغْرُلْبَكَ ، وَهُوَ وَالِدُ السُّلْطَانِ أَلْبِ أَرْسِلَانَ ، إِلَى نَيْسَابُورَ ، وَسَمِعَ أَبُو سَهْلٍ الْحَمْدُونِيُّ وَمَنْ مَعَهُ بِهَا ، فَفَارَقُوهَا ، وَوَصَلَ دَاوُدُ وَمَنْ مَعَهُ إِلَيْهَا ، فَدَخَلُوهَا بِغَيْرِ قِتَالٍ ، وَلَمْ يُغَيِّرُوا شَيْئًا مِنْ أُمُورِهَا ، وَوَصَلَ بَعْدَهُمْ طُغْرُلْبَكُ ثُمَّ وَصَلَتْ إِلَيْهِمْ رُسُلُ الْخَلِيفَةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، وَكَانَ قَدْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَإِلَى الَّذِينَ بِالرَّيِّ وَهَمَذَانَ وَبَلَدِ الْجَبَلِ يَنْهَاهُمْ عَنِ النَّهْبِ وَالْقَتْلِ وَالْإِخْرَابِ ، وَيَعِظُهُمْ ، فَأَكْرَمُوا الرُّسُلَ ، وَعَظَّمُوهُمْ ، وَخَدَمُوهُمْ.وَخَاطَبَ دَاوُدُ طُغْرُلْبَكَ فِي نَهْبِ الْبَلَدِ فَمَنَعَهُ فَامْتَنَعَ وَاحْتَجَّ بِشَهْرِ رَمَضَانَ ، فَلَمَّا انْسَلَخَ رَمَضَانُ صَمَّمَ دَاوُدُ عَلَى نَهْبِهِ ، فَمَنَعَهُ طُغْرُلْبَكُ ، وَاحْتَجَّ عَلَيْهِ بِرُسُلِ الْخَلِيفَةِ وَكِتَابِهِ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ دَاوُدُ إِلَيْهِ ، وَقَوِيَ عَزْمُهُ عَلَى النَّهْبِ ، فَأَخْرَجَ طُغْرُلْبَكُ سِكِّينًا وَقَالَ لَهُ وَاللَّهِ لَئِنْ نَهَبْتَ شَيْئًا لَأَقْتُلَنَّ نَفْسِي!فَكَفَّ عَنْ ذَلِكَ ، وَعَدَلَ إِلَى التَّقْسِيطِ ، فَقَسَّطَ عَلَى أَهْلِ نَيْسَابُورَ نَحْوَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَفَرَّقَهَا فِي أَصْحَابِهِ.وَأَقَامَ طُغْرُلْبَكُ بِدَارِ الْإِمَارَةِ ، وَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ الْمَلِكِ مَسْعُودٍ ، وَصَارَ يَقْعُدُ لِلْمَظَالِمِ يَوْمَيْنِ فِي الْأُسْبُوعِ عَلَى قَاعِدَةِ وُلَاةِ خُرَاسَانَ وَسَيَّرَ أَخَاهُ دَاوُدَ إِلَى سَرَخْسَ فَمَلَكَهَا ، ثُمَّ اسْتَوْلَوْا عَلَى سَائِرِ بِلَادِ خُرَاسَانَ سِوَى بَلْخَ ، وَكَانُوا يَخْطُبُونَ لِلْمَلِكِ مَسْعُودٍ عَلَى سَبِيلِ الْمُغَالَطَةِ.وَكَانُوا ثَلَاثَةَ إِخْوَةٍ طُغْرُلْبَكَ ، وَدَاوُدَ ، وَبِيغُو ، وَكَانَ يَنَالُ ، وَاسْمُهُ إِبْرَاهِيمُ أَخَا طُغْرُلْبَكَ وَدَاوُدَ لِأُمِّهِمَا ، ثُمَّ خَرَجَ مَسْعُودٌ مِنْ غَزْنَةَ وَكَانَ مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ مُخَاطَبَةِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ بِمَلِكِ الْمُلُوكِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَأَلَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ الْخَلِيفَةَ الْقَائِمَ بِأَمْرِ اللَّهِ لِيُخَاطَبَ بِمَلِكِ الْمُلُوكِ ، فَامْتَنَعَ ، ثُمَّ أَجَابَ إِلَيْهِ إِذَا أَفْتَى الْفُقَهَاءُ بِجَوَازِهِ ، فَكَتَبَ فَتْوَى إِلَى الْفُقَهَاءِ فِي ذَلِكَ فَأَفْتَى الْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ الطَّبَرِيُّ ، وَالْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الصَّيْمَرِيُّ ، وَالْقَاضِي ابْنُ الْبَيْضَاوِيِّ ، وَأَبُو الْقَاسِمِ الْكَرْخِيُّ بِجَوَازِهِ ، وَامْتَنَعَ مِنْهُ قَاضِي الْقُضَاةِ أَبُو الْحَسَنِ الْمَاوَرْدِيُّ ، وَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ أَفْتَى بِجَوَازِهِ مُرَاجَعَاتٌ وَخُطِبَ لِجَلَالِ الدَّوْلَةِ بِمَلِكِ الْمُلُوكِ.وَكَانَ الْمَاوَرْدِيُّ مِنْ أَخَصِّ النَّاسِ بِجَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ يَتَرَدَّدُ إِلَى دَارِ الْمَمْلَكَةِ كُلَّ يَوْمٍ ، فَلَمَّا أَفْتَى بِهَذِهِ الْفُتْيَا انْقَطَعَ وَلَزِمَ بَيْتَهُ خَائِفًا ، فَأَقَامَ مُنْقَطِعًا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى يَوْمِ عِيدِ النَّحْرِ ، فَاسْتَدْعَاهُ جَلَالُ الدَّوْلَةِ ، فَحَضَرَ خَائِفًا فَأَدْخَلَهُ وَحْدَهُ وَقَالَ لَهُ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَحَدٍ أَنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ الْفُقَهَاءِ مَالًا وَجَاهًا وَقُرْبًا مِنَّا وَقَدْ خَالَفْتَهُمْ فِيمَا خَالَفَ هَوَايَ ، وَلَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ إِلَّا لِعَدَمِ الْمُحَابَاةِ مِنْكَ ، وَاتِّبَاعِ الْحَقِّ ، وَقَدْ بَانَ لِي مَوْضِعُكَ مِنَ الدِّينِ ، وَمَكَانُكَ مِنَ الْعِلْمِ.وَجَعَلْتُ جَزَاءَ ذَلِكَ إِكْرَامَكَ بِأَنْ أَدْخَلْتُكَ إِلَيَّ وَحْدَكَ ، وَجَعَلْتُ إِذْنَ الْحَاضِرِينَ إِلَيْكَ ، لِيَتَحَقَّقُوا عَوْدِي إِلَى مَا تُحِبُّ.فَشَكَرَهُ وَدَعَا لَهُ ، وَأَذِنَ لِكُلِّ مَنْ حَضَرَ بِالْخِدْمَةِ وَالِانْصِرَافِ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ شِبْلُ الدَّوْلَةِ نَصْرُ بْنُ صَالِحِ بْنِ مِرْدَاسٍ ، صَاحِبُ حَلَبَ ، قَتَلَهُ الدِّزْبَرِيُّ وَعَسَاكِرُ مِصْرَ ، وَمَلَكُوا حَلَبَ.وَفِيهَا أَنْكَرَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَبِي يَعْلَى بْنِ الْفَرَّاءِ الْحَنْبَلِيِّ مَا ضَمَّنَهُ كِتَابَهُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، الْمُشْعِرَةِ بِأَنَّهُ يَعْتَقِدُ التَّجَسُّمَ ، وَحَضَرَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَزْوِينِيُّ الزَّاهِدُ بِجَامِعِ الْمَنْصُورِ ، وَتَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.وَفِيهَا صَالَحَ ابْنُ وَثَّابٍ النُّمَيْرِيُّ صَاحِبُ حَرَّانَ ، الرُّومَ الَّذِينَ بِالرُّهَا لِعَجْزِهِ عَنْهُمْ ، وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ رَبَضَ الرُّهَا ، وَكَانَ تَسَلُّمُهُ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ أَوَّلًا ، فَنَزَلُوا مِنَ الْحِصْنِ الَّذِي لِلْبَلَدِ إِلَيْهِ ، وَكَثُرَ الرُّومُ بِهَا ، وَخَافَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى حَرَّانَ مِنْهُمْ ، وَعَمَّرَ الرُّومُ الرُّهَا الْعِمَارَةَ الْحَسَنَةَ وَحَصَّنُوهَا.وَفِيهَا هَادَنَ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ الْخَلِيفَةُ الْعَلَوِيُّ ، صَاحِبُ مِصْرَ ، مَلِكَ الرُّومِ ، وَشَرَطَ عَلَيْهِ إِطْلَاقَ خَمْسَةِ آلَافِ أَسِيرٍ ، وَشَرَطَ الرُّومُ عَلَيْهِ أَنْ يُعَمِّرُوا بِيعَةَ قُمَامَةَ ، فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ إِلَيْهَا مَنْ عَمَّرَهَا ، وَأَخْرَجَ عَلَيْهَا مَالًا جَلِيلًا.وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَتْ عَسَاكِرُ الْمُعِزِّ بْنِ بَادِيسَ ، بِإِفْرِيقِيَّةَ إِلَى بَلَدِ الزَّابِّ ، فَفَتَحُوا مَدِينَةً تُسَمَّى بُورَسَ ، وَقَتَلُوا مِنَ الْبَرْبَرِ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَفَتَحَ مِنْ بِلَادِ زِنَاتَةَ قَلْعَةً تُسَمَّى كُرُومَ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَخْلَدٍ أَبُو الْفَضْلِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْبَاقَرْحِيِّ فِي رَبِيعٍ الْآخَرِ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ وُصُولِ الْمَلِكِ مَسْعُودٍ مِنْ غَزْنَةَ إِلَى خُرَاسَانَ وَإِجْلَاءِ السُّلْجُقِيَّةِ عَنْهَا فِي صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ وَصَلَ الْمَلِكُ مَسْعُودٌ إِلَى بَلْخَ مِنْ غَزْنَةَ وَزَوَّجَ ابْنَهُ مِنْ ابْنَةِ بَعْضِ مُلُوكِ الْخَانِيَّةِ ، كَانَ يَتَّقِي جَانِبَهُ ، وَأَقْطَعَ خُوَارَزْمَ لِشَاهْ مَلِكَ الْجُنْدِيِّ ، فَسَارَ إِلَيْهَا ، وَبِهَا خُوَارَزْمَشَاهْ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَلْتُونْتَاشَ ، فَجَمَعَ أَصْحَابَهُ ، وَلَقِيَ شَاهْ مَلِكَ وَقَاتَلَهُ ، وَدَامَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا مُدَّةَ شَهْرٍ ، وَانْهَزَمَ إِسْمَاعِيلُ وَالْتَجَأَ إِلَى طُغْرُلْبَكَ وَأَخِيهِ دَاوُدَ السُّلْجُقِيَّةِ ، وَمَلَكَ شَاهْ مَلِكَ خُوَارَزْمَ.وَكَانَ مَسِيرُ مَسْعُودٍ مِنْ غَزْنَةَ أَوَّلَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ; وَسَبَبُ خُرُوجِهِ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ أَخْبَارِ الْغُزِّ ، وَمَا فَعَلُوهُ بِالْبِلَادِ وَأَهْلِهَا مِنَ الْإِخْرَابِ وَالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَالِاسْتِيلَاءِ ، وَأَقَامَ بِبَلْخَ حَتَّى أَرَاحَ وَاسْتَرَاحَ ، وَفَرَغَ مِنْ أَمْرِ خَوَارَزْمَ وَالْخَانِيَّةِ ثُمَّ أَمَدَّ سَبَاشِيَ الْحَاجِبَ بِعَسْكَرٍ لِيَتَقَوَّى بِهِمْ وَيَهْتَمَّ بِأَمْرِ الْغُزِّ وَاسْتِئْصَالِهِمْ ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنَ الْكِفَايَةِ مَا يَقْهَرُهُمْ بَلْ أَخْلَدَ إِلَى الْمُطَاوَلَةِ الَّتِي هِيَ عَادَتُهُ.وَسَارَ مَسْعُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ مِنْ بَلْخَ بِنَفْسِهِ ، وَقَصَدَ سَرَخْسَ ، فَتَجَنَّبَ الْغُزُّ لِقَاءَهُ ، وَعَدَلُوا إِلَى الْمُرَاوَغَةِ وَالْمُخَاتَلَةِ ، وَأَظْهَرُوا الْعَزْمَ عَلَى دُخُولِ الْمَفَازَةِ الَّتِي بَيْنَ مَرْوَ وَخَوَارَزْمَ ، فَبَيْنَمَا عَسَاكِرُ مَسْعُودٍ تَتْبَعُهُمْ وَتَطْلُبُهُمْ إِذْ لَقُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ فَقَاتَلُوهُمْ وَظَفِرُوا بِهِمْ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ.ثُمَّ إِنَّهُ وَاقَعَهُمْ بِنَفْسِهِ ، فِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَقْعَةً اسْتَظْهَرَ فِيهَا عَلَيْهِمْ ، فَأَبْعَدُوا عَنْهُ ، ثُمَّ عَاوَدُوا الْقُرْبَ مِنْهُ بِنَوَاحِي مَرْوَ ، فَوَاقَعَهُمْ وَقْعَةً أُخْرَى قَتَلَ مِنْهُمْ فِيهَا نَحْوَ أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةِ قَتِيلٍ ، وَهَرَبَ الْبَاقُونَ فَدَخَلُوا الْبَرِّيَّةَ الَّتِي يَحْتَمُونَ بِهَا.وَثَارَ أَهْلُ نَيْسَابُورَ بِمَنْ عِنْدَهُمْ مِنْهُمْ ، فَقَتَلُوا بَعْضًا وَانْهَزَمَ الْبَاقُونَ إِلَى أَصْحَابِهِمْ بِالْبَرِّيَّةِ.وَعَدَلَ مَسْعُودٌ إِلَى هَرَاةَ لِيَتَأَهَّبَ فِي الْعَسَاكِرِ لِلْمَسِيرِ خَلْفَهُمْ وَطَلَبِهِمْ أَيْنَ كَانُوا ، فَعَادَ طُغْرُلْبَكُ إِلَى الْأَطْرَافِ النَّائِيَةِ عَنْ مَسْعُودٍ.فَنَهَبَهَا وَأَثْخَنَ فِيهَا ، وَكَانَ النَّاسُ قَدْ تَرَاجَعُوا فَمَلَئُوا أَيْدِيَهُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ ، فَحِينَئِذٍ سَارَ مَسْعُودٌ يَطْلُبُهُ ، فَلَمَّا قَارَبَهُ انْزَاحَ طُغْرُلْبَكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ إِلَى أُسْتُوَا وَأَقَامَ بِهَا ، وَكَانَ الزَّمَانُ شِتَاءً ، ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ الثَّلْجَ وَالْبَرَدَ يَمْنَعُ عَنْهُ ، فَطَلَبَهُ مَسْعُودٌ إِلَيْهَا فَفَارَقَهُ طُغْرُلْبَكُ وَسَلَكَ الطَّرِيقَ عَلَى طُوسَ ، وَاحْتَمَى بِجِبَالٍ مَنِيعَةٍ ، وَمَضَايِقَ صَعْبَةِ الْمَسْلَكِ ، فَسَيَّرَ مَسْعُودٌ فِي طَلَبِهِ وَزِيرَهُ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ فِي عَسَاكِرَ كَثِيرَةٍ ، فَطَوَى الْمَرَاحِلَ إِلَيْهِ جَرِيدَةً ، فَلَمَّا رَأَى طُغْرُلْبَكُ قُرْبَهُ مِنْهُ فَارَقَ مَكَانَهُ إِلَى نَوَاحِي أَبِيوَرْدَ.وَكَانَ مَسْعُودٌ قَدْ سَارَ لِيَقْطَعَهُ عَنْ جِهَةٍ إِنْ أَرَادَهَا فَلَقِيَ طُغْرُلْبَكُ مُقَدَّمَتَهُ فَوَاقَعَهُمْ فَانْتَصَرُوا عَلَيْهِ ، وَاسْتَأْمَنَ مِنْ أَصْحَابِهِ جَمَاعَةً كَثِيرَةً ، وَرَأَى الطَّلَبَ لَهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَعَاوَدَ دُخُولَ الْمَفَازَةِ إِلَى خُوَارَزْمَ وَأَوْغَلَ فِيهَا.فَلَمَّا فَارَقَ الْغُزُّ خُرَاسَانَ قَصَدَ مَسْعُودٌ جَبَلًا مِنْ جِبَالِ طُوسَ مَنِيعًا لَا يُرَامُ ، وَكَانَ أَهْلُهُ قَدْ وَافَقُوا الْغُزَّ وَأَفْسَدُوا مَعَهُمْ ، فَلَمَّا فَارَقَ الْغُزُّ تِلْكَ الْبِلَادَ تَحَصَّنَ هَؤُلَاءِ بِجَبَلِهِمْ ثِقَةً مِنْهُمْ بِحَصَانَتِهِ وَامْتِنَاعِهِ ، فَسَرَى مَسْعُودٌ إِلَيْهِمْ جَرِيدَةً ، فَلَمْ يَرُعْهُمْ إِلَّا وَقَدْ خَالَطَهُمْ ، فَتَرَكُوا أَهْلَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَصَعِدُوا إِلَى قُلَّةِ الْجَبَلِ وَاعْتَصَمُوا بِهَا وَامْتَنَعُوا ، وَغَنِمَ عَسْكَرُ مَسْعُودٍ أَمْوَالَهُمْ وَمَا ادَّخَرُوهُ.ثُمَّ أَمَرَ مَسْعُودٌ أَصْحَابَهُ أَنْ يَزْحَفُوا إِلَيْهِمْ فِي قُلَّةِ الْجَبَلِ ، وَبَاشَرَ هُوَ الْقِتَالَ بِنَفْسِهِ ، فَزَحَفَ النَّاسُ إِلَيْهِمْ ، وَقَاتَلُوهُمْ قِتَالًا لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ ، وَكَانَ الزَّمَانُ شِتَاءً ، وَالثَّلْجُ عَلَى الْجَبَلِ كَثِيرًا ، فَهَلَكَ مِنَ الْعَسْكَرِ فِي مَخَارِمِ الْجَبَلِ وَشِعَابِهِ كَثِيرٌ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ ظَفِرُوا بِأَهْلِهِ وَأَكْثَرُوا فِيهِمُ الْقَتْلَ وَالْأَسْرَ وَفَرَغُوا مِنْهُمْ ، وَأَرَاحُوا الْمُسْلِمِينَ مِنْ شَرِّهِمْ.وَسَارَ مَسْعُودٌ إِلَى نَيْسَابُورَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، لِيُرِيحَ وَيَسْتَرِيحَ ، وَيَنْتَظِرَ الرَّبِيعَ لِيَسِيرَ خَلْفَ الْغُزِّ ، وَيَطْلُبَهُمْ فِي الْمَفَاوِزِ الَّتِي احْتَمَوْا بِهَا.وَكَانَتْ هَذِهِ الْوَقْعَةُ ، إِجْلَاءُ الْغُزِّ عَنْ خُرَاسَانَ ، سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ مُلْكِ أَبِي الشَّوْكِ مَدِينَةَ خُولَنْجَانَ كَانَ حُسَامُ الدَّوْلَةِ أَبُو الشَّوْكِ قَدْ فَتَحَ قَرْمِيسِينَ مِنْ أَعْمَالِ الْجَبَلِ ، وَقَبَضَ عَلَى صَاحِبِهَا ، وَهُوَ مِنَ الْأَكْرَادِ الْقُوهِيَّةِ ، فَسَارَ أَخُوهُ إِلَى قَلْعَةِ أَرْنَبَةَ ، فَاعْتَصَمَ بِهَا مِنْ أَبِي الشَّوْكِ ، وَجَعَلَ أَصْحَابَهُ فِي مَدِينَةِ خُولَنْجَانَ يَحْفَظُونَهَا مِنْهُ أَيْضًا.فَلَمَّا كَانَ الْآنَ سَيَّرَ أَبُو الشَّوْكِ عَسْكَرًا إِلَى خُولَنْجَانَ فَحَصَرُوهَا ، فَلَمْ يَظْفَرُوا مِنْهَا بِشَيْءٍ ، فَأَمَرَ الْعَسْكَرَ فَعَادَ فَأَمِنَ مَنْ فِي الْبَلَدِ بِعَوْدِ الْعَسْكَرِ عَنْهُ.ثُمَّ جَهَّزَ عَسْكَرًا آخَرَ جَرِيدَةً لَمْ يَعْلَمْ بِهِمْ أَحَدٌ ، وَسَيَّرَهُمْ لِيَوْمِهِمْ ، وَأَمَرَهُمْ بِنَهْبِ رَبَضِ قَلْعَةِ أَرْنَبَةَ ، وَقَتْلِ مَنْ ظَفِرُوا بِهِ وَالْإِتْمَامِ لِوَقْتِهِمْ إِلَى خُولَنْجَانَ لِيَسْبِقُوا خَبَرَهُمْ إِلَيْهَا ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، وَوَصَلُوا إِلَيْهَا وَمَنْ بِهَا غَيْرُ مُتَأَهِّبِينَ فَاقْتَتَلُوا شَيْئًا مِنْ قِتَالٍ ، ثُمَّ اسْتَسْلَمَ مَنْ بِالْمَدِينَةِ إِلَيْهِمْ فَتَسَلَّمُوهَا ، وَتَحَصَّنَ مَنْ كَانَ بِهَا مِنَ الْأَجْنَادِ فِي قَلْعَةٍ فِي وَسَطِ الْبَلَدِ ، فَحَصَرَهَا أَصْحَابُ أَبِي الشَّوْكِ ، فَمَلَكُوهَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.ذِكْرُ الْخُطْبَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِحَرَّانَ وَالرَّقَّةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَطَبَ شَبِيبُ بْنُ وَثَّابٍ النُّمَيْرِيُّ ، صَاحِبُ حَرَّانَ وَالرَّقَّةِ ، لِلْإِمَامِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَقَطَعَ خُطْبَةَ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ الْعَلَوِيِّ.وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّ نَصْرَ الدَّوْلَةِ بْنَ مَرْوَانَ كَانَ قَدْ بَلَغَهُ عَنِ الدِّزْبَرِيِّ نَائِبِ الْعَلَوِيِّينَ بِالشَّامِ أَنَّهُ يَتَهَدَّدُهُ وَيُرِيدُ قَصْدَ بِلَادِهِ ، فَرَاسَلَ قِرْوَاشًا ، صَاحِبَ الْمَوْصِلِ ، وَطَلَبَ مِنْهُ عَسْكَرًا وَرَاسَلَ شَبِيبًا النُّمَيْرِيَّ يَدْعُوهُ إِلَى الْمُوَافَقَةِ ، وَيُحَذِّرُهُ مِنَ الْمَغَارِبَةِ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَقَطَعَ الْخُطْبَةَ الْعَلَوِيَّةَ ، وَأَقَامَ الْخُطْبَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الدِّزْبَرِيُّ يَتَهَدَّدُهُ ، ثُمَّ أَعَادَ الْخُطْبَةَ الْعَلَوِيَّةَ بِحَرَّانَ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنَ السَّنَةِ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ الْوَفَيَاتُ فِيهَا تُوُفِّيَ مُؤَيِّدُ الْمُلْكِ أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ الرُّخَّجِيُّ ، وَكَانَ وَزِيرًا لِمُلُوكِ بَنِي بُوَيْهِ ثُمَّ تَرَكَ الْوَزَارَةَ ، وَكَانَ فِي عُطْلَتِهِ يَتَقَدَّمُ عَلَى الْوُزَرَاءِ.وَفِيهَا أَيْضًا تُوُفِّيَ أَبُو الْفُتُوحِ الْحَسَنُ بْنُ جَعْفَرٍ الْعَلَوِيُّ أَمِيرُ مَكَّةَ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْوَزِيرُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ مَاكُولَا مَحْبُوسًا بِهِيتَ ، وَكَانَ مُقَامُهُ فِي الْحَبْسِ سَنَتَيْنِ وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَكَانَ وَزِيرَ جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَهُوَ وَالِدُ الْأَمِيرِ أَبِي نَصْرٍ ، مُصَنِّفِ كِتَابِ "الْإِكْمَالِ فِي الْمُؤْتَلِفِ وَالْمُخْتَلِفِ" وَكَانَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ سَلَّمَهُ إِلَى قِرْوَاشٍ فَحَبَسَهُ بِهِيت.وَفِيهَا سَقَطَ الثَّلْجُ بِبَغْدَاذَ لَسِتٍّ بَقِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، فَارْتَفَعَ عَلَى الْأَرْضِ شِبْرًا وَرَمَاهُ النَّاسُ عَنْ السُّطُوحِ إِلَى الشَّوَارِعِ وَجَمَدَ الْمَاءُ سِتَّةَ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَةٍ ، وَكَانَ أَوَّلُ ذَلِكَ الثَّاِثَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ كَانُونَ الثَّانِي. تَابِعُ الْوَفَيَاتِ وَتُوُفِّيَ هَذِهِ السَّنَةَ أَبُو نُعَيْمٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ الْأَصْبَهَانِيُّ الْحَافِظُ ، وَأَبُو الرِّضَا الْفَضْلُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ الظَّرِيفِ الْفَارِقِيُّ ، الْأَمِيرُ الشَّاعِرُ ، لَهُ دِيوَانٌ حَسَنٌ ، وَشِعْرٌ جَيِّدٌ فَمِنْهُ وَمُخْطَفِ الْخَصْرِ مَطْبُوعٍ عَلَى صَلَفٍ...عَشِقْتُهُ وَدَوَاعِي الْبَيْنِ تَعْشَقُهُ وَقَدْ تَسَامَحَ قَلْبِي فِي مُوَاصَلَةٍ...وَكُلَّ يَوْمٍ لَنَا شَمْلٌ يُفَرِّقُهُ وَقَدْ تَسَامَحَ قَلْبِي فِي مُوَاصَلَتِي...عَلَى السُّلُوِّ وَلَكِنْ مَنْ يُصَدِّقُهُ أَهَابَهُ وَهُوَ طَلْقُ الْوَجْهِ مُبْتَسِمٌ...وَكَيْفَ يُطْمِعُنِي فِي السَّيْفِ رَوْنَقُهُ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فَتَحَ الْمَلِكُ مَسْعُودُ بْنُ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ قَلْعَةً بِخُرَاسَانَ كَانَتْ بِيَدِ الْغُزِّ ، وَقَتَلَ فِيهَا جَمَاعَةً مِنْهُمْ ، وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ وَقَعَاتٌ أَجْلَتْ عَنْ فِرَاقِهِمْ خُرَاسَانَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .ذِكْرُ مُلْكِ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ الْبَصْرَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَيَّرَ الْمَلِكُ أَبُو كَالِيجَارَ عَسَاكِرَهُ مَعَ الْعَادِلِ أَبِي مَنْصُورِ بْنِ مَافَنَّةَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَمَلَكَهَا فِي صَفَرٍ ، وَكَانَتْ بِيَدِ الظَّهِيرِ أَبِي الْقَاسِمِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهُ وَلِيَهَا بَعْدَ بَخْتَيَارَ ، وَأَنَّهُ عَصَى عَلَى أَبِي كَالِيجَارَ مَرَّةً ، وَصَارَ فِي طَاعَةِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، ثُمَّ فَارَقَ طَاعَتَهُ وَعَادَ إِلَى طَاعَةِ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ ، وَكَانَ يَتْرُكُ مُحَاقَّتَهُ وَمُعَارَضَتَهُ فِيمَا يَفْعَلُهُ ، وَيَضْمَنُ الظَّهِيرُ أَنْ يَحْمِلَ إِلَى أَبِي كَالِيجَارَ كُلَّ سَنَةٍ سَبْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَكَثُرَتْ أَمْوَالُهُ وَدَامَتْ أَيَّامُهُ وَثَبَتَ قَدَمُهُ وَطَارَ اسْمُهُ.وَاتَّفَقَ أَنَّهُ تَعَرَّضَ إِلَى أَمْلَاكِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ مُكْرَمٍ ، صَاحِبِ عُمَانَ ، وَأَمْوَالِهِ ، وَكَاتَبَ أَبُو الْحَسَنِ الْمَلِكَ أَبَا كَالِيجَارَ ، وَبَذَلَ لَهُ زِيَادَةً ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فِي ضَمَانِ الْبَصْرَةِ كُلَّ سَنَةٍ ، وَجَرَى الْحَدِيثُ فِي قَصْدِ الْبَصْرَةِ ، فَصَادَفَ قَلْبًا مُوغَرًا مِنَ الظَّهِيرِ ، فَحَصَلَتِ الْإِجَابَةُ ، وَجَهَّزَ الْمَلِكُ الْعَسَاكِرَ مَعَ الْعَادِلِ أَبِي مَنْصُورٍ فَسَارَ إِلَيْهَا وَحَصَرَهَا.وَسَارَتِ الْعَسَاكِرُ مِنْ عُمَانَ أَيْضًا فِي الْبَحْرِ وَحُصِرَتِ الْبَصْرَةُ وَمُلِكَتْ ، وَأُخِذَ الظَّهِيرُ وَقُبِضَ عَلَيْهِ ، وَأُخِذَ جَمِيعُ مَالِهِ ، وَقُرِّرَ عَلَيْهِ مِائَةُ أَلْفٍ وَعَشَرَةُ آلَافِ دِينَارٍ يَحْمِلُهَا فِي أَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا ، بَعْدَ تِسْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ أُخِذَتْ مِنْهُ قَبْلَهَا ، وَوَصَلَ الْمَلِكُ أَبُو كَالِيجَارَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَأَقَامَ بِهَا ثُمَّ عَادَ إِلَى الْأَهْوَازِ ، وَجَعَلَ وَلَدَهُ عِزَّ الْمُلُوكِ فِيهَا ، وَمَعَهُ الْوَزِيرُ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ فَسَانْجَسَ ، وَلَمَّا سَارَ أَبُو كَالِيجَارَ عَنِ الْبَصْرَةِ أَخَذَ مَعَهُ الظَّهِيرَ إِلَى الْأَهْوَازِ.ذِكْرُ مَا جَرَى بِعُمَانَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ مُكْرَمٍ لَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ مُكْرَمٍ خَلَّفَ أَرْبَعَةَ بَنِينَ أَبُو الْجَيْشِ ، وَالْمُهَذَّبُ ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ ، وَآخَرُ صَغِيرٌ ، فَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو الْجَيْشِ ، وَأَقَرَّ عَلِيَّ بْنَ هَطَّالٍ الْمَنُوجَانِيَّ ، صَاحِبجَيْشِ أَبِيهِ ، عَلَى قَاعِدَتِهِ ، وَأَكْرَمَهُ وَبَالَغَ فِي احْتِرَامِهِ ، فَكَانَ إِذَا جَاءَ إِلَيْهِ قَامَ لَهُ ، فَأَنْكَرَ هَذِهِ الْحَالَ عَلَيْهِ أَخُوهُ الْمُهَذَّبُ ، فَطَعَنَ عَلَى ابْنِ هَطَّالٍ ، وَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَأَضْمَرَ لَهُ سُوءًا ، وَاسْتَأْذَنَ أَبَا الْجَيْشِ فِي أَنْ يَحْضُرَ أَخَاهُ الْمُهَذَّبَ لِدَعْوَةٍ عَمِلَهَا لَهُ ، فَأَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَلَمَّا حَضَرَ الْمُهَذَّبُ عِنْدَهُ خَدَمَهُ وَبَالَغَ فِي خِدْمَتِهِ ، فَلَمَّا أَكَلَ وَشَرِبَ وَانْتَشَى وَعَمِلَ السُّكْرُ فِيهِ قَالَ لَهُ ابْنُ هَطَّالٍ إِنَّ أَخَاكَ أَبَا الْجَيْشِ فِيهِ ضَعْفٌ وَعَجْزٌ عَنِ الْأَمْرِ ، وَالرَّأْيُ أَنَّنَا نَقُومُ مَعَكَ ، وَتَصِيرُ أَنْتَ الْأَمِيرَ ، وَخَدَعَهُ ، فَمَالَ إِلَى هَذَا الْحَدِيثِ ، فَأَخَذَ ابْنُ هَطَّالٍ خَطَّهُ بِمَا فَوَّضُ إِلَيْهِ ، وَبِمَا يُعْطِيهِ مِنَ الْأَعْمَالِ إِذَا عَمِلَ مَعَهُ هَذَا الْأَمْرَ.فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ حَضَرَ ابْنُ هَطَّالٍ عِنْدَ أَبِي الْجَيْشِ ، وَقَالَ لَهُ إِنَّ أَخَاكَ كَانَ قَدْ أَفْسَدَ كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِكَ عَلَيْكَ تَحَدَّثَ مَعِي ، وَاسْتَمَالَنِي فَلَمْ أُوَافِقْهُ ، فَلِهَذَا كَانَ يَذُمُّنِي ، وَيَقَعُ فِيَّ ، وَهَذَا خَطُّهُ بِمَا اسْتَقَرَّ هَذِهِ اللَّيْلَةَ.فَلَمَّا رَأَى خَطَّ أَخِيهِ أَمَرَهُ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ وَاعْتَقَلَهُ ، ثُمَّ وَضَعَ عَلَيْهِ مَنْ خَنَقَهُ وَأَلْقَى جُثَّتَهُ إِلَى مُنْخَفَضٍ مِنَ الْأَرْضِ ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ سَقَطَ فَمَاتَ.ثُمَّ تُوُفِّيَ أَبُو الْجَيْشِ بَعْدَ ذَلِكَ بِيَسِيرٍ ، وَأَرَادَ ابْنُ هَطَّالٍ أَنْ يَأْخُذَ أَخَاهُ أَبَا مُحَمَّدٍ فَيُوَلِّيَهُ عُمَانَ ثُمَّ يَقْتُلَهُ ، فَلَمْ تُخْرِجْهُ إِلَيْهِ وَالِدَتُهُ ، وَقَالَتْ لَهُ أَنْتَ تَتَوَلَّى الْأُمُورَ ، هَذَا صَغِيرٌ لَا يَصْلُحُ لَهَا.فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَأَسَاءَ السِّيرَةَ ، وَصَادَرَ التُّجَّارَ ، وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ.وَبَلَغَ مَا كَانَ مِنْهُ مَعَ بَنِي مُكْرَمٍ إِلَى الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ ، وَالْعَادِلِ أَبِي مَنْصُورِ بْنِ مَافَنَّةَ ، فَأَعْظَمَا الْأَمْرَ وَاسْتَكْبَرَاهُ ، وَشَدَّ الْعَادِلُ فِي الْأَمْرِ ، وَكَاتَبَ نَائِبًا كَانَ لِأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ مُكْرَمٍ بِجِبَالِ عُمَانَ يُقَالُ لَهُ الْمُرْتَضَى ، وَأَمَرَهُ بِقَصْدِ ابْنِ هَطَّالٍ ، وَجَهَّزَ الْعَسَاكِرَ مِنَ الْبَصْرَةِ لِتَسِيرَ إِلَى مُسَاعَدَةِ الْمُرْتَضَى ، فَجَمَعَ الْمُرْتَضَى الْخَلْقَ ، وَتَسَارَعُوا إِلَيْهِ ، وَخَرَجُوا عَنْ طَاعَةِ ابْنِ هَطَّالٍ ، وَضَعُفَ أَمْرُهُ ، وَاسْتَوْلَى الْمُرْتَضَى عَلَى أَكْثَرِ الْبِلَادِ ، ثُمَّ وَضَعُوا خَادِمًا كَانَ لِابْنِ مُكْرَمٍ ، وَقَدِ الْتَحَقَ بِابْنِ هَطَّالٍ عَلَى قَتْلِهِ ، وَسَاعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ فَرَّاشٌ كَانَ لَهُ ، فَلَمَّا سَمِعَ الْعَادِلُ بِقَتْلِهِ سَيَّرَ إِلَى عُمَانَ مَنْ أَخْرَجَ أَبَا مُحَمَّدِ بْنَ مُكْرَمٍ ، وَرَتَّبَهُ فِي الْإِمَارَةِ ، وَكَانَ قَدِ اسْتَقَرَّ أَنَّ الْأَمْرَ لِأَبِي مُحَمَّدٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ.ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ أَبِي الشَّوْكِ وَبَيْنَ عَمِّهِ مُهَلْهِلٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ بَيْنَ أَبِي الشَّوْكِ وَبَيْنَ عَمِّهِ مُهَلْهِلٍ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ .وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَبَا الْفَتْحِ كَانَ نَائِبًا عَنْ وَالِدِهِ فِي الدِّينَوَرِ ، وَقَدْ عَظُمَ مَحَلُّهُ ، وَافْتَتَحَ عِدَّةَ قِلَاعٍ ، وَحَمَى أَعْمَالَهُ مِنَ الْغُزِّ ، وَقَتَلَ فِيهِمْ ، فَأُعْجِبَ بِنَفْسِهِ ، وَصَارَ لَا يَقْبَلُ أَمْرَ وَالِدِهِ.فَلَمَّا كَانَ هَذِهِ السَّنَةُ ، فِي شَعْبَانَ ، سَارَ إِلَى قَلْعَةِ بُلْوَارَ لِيَفْتَحَهَا ، وَكَانَ فِيهَا زَوْجَةُ صَاحِبِهَا ، وَكَانَ مِنَ الْأَكْرَادِ ، فَعَلِمَتْ أَنَّهَا تَعْجَزُ عَنْ حِفْظِهَا ، فَرَاسَلَتْ مُهَلْهِلَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَنَّازٍ ، وَهُوَ بِحُلَلِهِ فِي نَوَاحِي الصَّامَغَانِ ، وَاسْتَدْعَتْهُ لِتُسَلِّمَ إِلَيْهِ الْقَلْعَةَ ، فَسَأَلَ الرَّسُولَ عَنْ أَبِي الْفَتْحِ هُوَ هُوَ بِنَفْسِهِ عَلَى الْقَلْعَةِ أَمْ عَسْكَرُهُ ؟فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ عَادَ عَنْهَا وَبَقِيَ عَسَرُهُ ، فَسَارَ مُهَلْهِلٌ إِلَيْهَا ، فَلَمَّا وَصَلَ رَأَى أَبَا الْفَتْحِ قَدْ عَادَ إِلَى الْقَلْعَةِ ، فَقَصَدَ مَوْضِعًا يُوهِمُ أَبَا الْفَتْحِ أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ هَذِهِ الْقَلْعَةَ ، ثُمَّ رَجَعَ عَائِدًا ، وَتَبِعَهُ أَبُو الْفَتْحِ وَلَحِقَهُ وَتَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ ، فَعَادَ مُهَلْهِلٌ إِلَيْهِ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَرَأَى أَبُو الْفَتْحِ مِنْ أَصْحَابِهِ تَغَيُّرًا فَخَافَهُمْ ، فَوَلَّى مُنْهَزِمًا ، وَتَبِعَهُ أَصْحَابُهُ فِي الْهَزِيمَةِ ، وَقَتَلَ عَسْكَرُ مُهَلْهِلٍ مَنْ كَانَ فِي عَسْكَرِ أَبِي الْفَتْحِ مِنَ الرَّجَّالَةِ ، وَسَارُوا فِي أَثَرِ الْمُنْهَزِمِينَ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ ، وَوَقَفَ فَرَسُ أَبِي الْفَتْحِ بِهِ فَأُسِرَ وَأُحْضِرَ عِنْدَ عَمِّهِ مُهَلْهِلٍ ، فَضَرَبَهُ عِدَّةَ مَقَارِعَ ، وَقَيَّدَهُ ، وَحَبَسَهُ عِنْدَهُ وَعَادَ.ثُمَّ إِنَّ أَبَا الشَّوْكِ جَمَعَ عَسَاكِرَهُ وَسَارَ إِلَى شَهْرَزُورَ وَحَصَرَهَا ، وَقَصَدَ بِلَادَ أَخِيهِ لِيُخَلِّصَ ابْنَهُ أَبَا الْفَتْحَ ، فَطَالَ الْأَمْرُ وَلَمْ يُخَلِّصِ ابْنَهُ ، وَحَمَلَ مُهَلْهِلٌ اللَّجَاجَ عَلَى أَنِ اسْتَدْعَى عَلَاءَ الدَّوْلَةِ بْنَ كَاكَوَيْهِ إِلَى بَلَدِ أَبِي الْفَتْحِ ، فَدَخَلَ الدِّينَوَرَ وَقَرْمِيسِينَ ، وَأَسَاءَ إِلَى أَهْلِهَا وَظَلَمَهُمْ وَمَلَكَهَا ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائِةٍ.ذِكْرُ شَغَبِ الْأَتْرَاكِ عَلَى جَلَالِ الدَّوْلَةِ بِبَغْدَاذَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ شَغَبَ الْأَتْرَاكُ عَلَى الْمَلِكِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ بِبَغْدَاذَ ، وَأَخْرَجُوا خِيَامَهُمْ إِلَى ظَاهِرِ الْبَلَدِ ، ثُمَّ أَوْقَعُوا النَّهْبَ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ ، فَخَافَهُمْ جَلَالُ الدَّوْلَةِ ، فَعَبَّرَ خِيَامَهُ إِلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ، وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُمْ فِي الصُّلْحِ ، وَأَرَادَ الرَّحِيلَ عَنْ بَغْدَاذَ ، فَمَنَعَهُ أَصْحَابُهُ ، فَرَاسَلَ دُبَيْسَ بْنَ مَزْيَدٍ ، وَقِرْوَاشًا ، صَاحِبَ الْمَوْصِلِ ، وَغَيْرَهُمَا ، وَجَمَعَ عِنْدَهُ الْعَسَاكِرَ ، فَاسْتَقَرَّتِ الْقَوَاعِدُ بَيْنَهُمْ ، وَعَادَ إِلَى دَارِهِ ، وَطَمِعَ الْأَتْرَاكُ ، وَآذَوُا النَّاسَ ، وَنَهَبُوا وَقَتَلُوا ، وَفَسَدَتِ الْأُمُورُ بِالْكُلِّيَّةِ إِلَى حَدٍّ لَا يُرْجَى صَلَاحُهُ .ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وُلِدَ لِلْخَلِيفَةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ وَلَدُهُ أَبُو الْعَبَّاسِ ، وَهُوَ ذَخِيرُ الدِّين. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ شَبِيبُ بْنُ وَثَّابٍ النُّمَيْرِيُّ ، صَاحِبُ الرَّقَّةِ وَسَرُوجَ وَحَرَّانَ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو نَصْرِ بْنُ مُشْكَانَ ، كَاتِبُ الْإِنْشَاءِ لِمَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ وَلِوَلَدِهِ مَسْعُودٍ ، وَكَانَ مِنَ الْكُتَّابِ الْمُفْلِقِينَ ، رَأَيْتُ لَهُ كِتَابَةً فِي غَايَةِ الْجَوْدَةِ . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ ابْتِدَاءِ الدَّوْلَةِ السَّلْجُوقِيَّةِ وَسِيَاقَةُ أَخْبَارِهِمْ مُتَتَابِعَةً فِي هَذِهِ السَّنَةِ اشْتَدَّ مُلْكُ السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك مُحَمَّدٍ وَأَخِيهِ جَغْرِي بِكْ دَاوُدَ ابْنَيْ مِيكَائِيلَ بْنِ سَلْجُوقَ بْنِ تَقَّاقٍ ، فَنَذْكُرُ أَوَّلًا حَالَ آبَائِهِ ، ثُمَّ نَذْكُرُ حَالَهُ كَيْفَ تَنَقَّلَتْ حَتَّى صَارَ سُلْطَانًا ، عَلَى أَنَّنِي قَدْ ذَكَرْتُ أَكْثَرَ أَخْبَارِهِمْ مُتَقَدِّمَةً عَلَى السِّنِينَ ، وَإِنَّمَا أَوْرَدْنَاهَا هَاهُنَا مَجْمُوعَةً لِتَرِدَ سِيَاقًا وَاحِدًا ، فَهِيَ أَحْسَنُ ، فَأَقُولُ فَأَمَّا تَقَّاقٌ فَمَعْنَاهُ الْقَوْسُ الْجَدِيدُ ، وَكَانَ شَهْمًا ذَا رَأْيٍ وَتَدْبِيرٍ ، وَكَانَ مُقَدَّمَ الْأَتْرَاكِ الْغُزِّ ، وَمَرْجِعُهُمْ إِلَيْهِ ، لَا يُخَالِفُونَ لَهُ قَوْلًا ، وَلَا يَتَعَدَّوْنَ أَمْرًا.فَاتَّفَقَ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ أَنَّ مَلِكَ التُّرْكِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ بَيْغُو جَمَعَ عَسَاكِرَهُ ، وَأَرَادَ الْمَسِيرَ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ ، فَنَهَاهُ تَقَّاقٌ عَنْ ذَلِكَ ، وَطَالَ الْخِطَابُ بَيْنَهُمَا فِيهِ ، فَأَغْلَظَ لَهُ مَلِكُ التُّرْكِ الْكَلَامَ ، فَلَطَمَهُ تَقَّاقٌ فَشَجَّ رَأْسَهُ ، فَأَحَاطَ بِهِ خَدَمُ مَلِكِ التُّرْكِ ، وَأَرَادُوا أَخْذَهُ ، فَمَانَعَهُمْ وَقَاتَلَهُمْ ، وَاجْتَمَعَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ مَنَعَهُ ، فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ ، ثُمَّ صَلُحَ الْأَمْرُ بَيْنَهُمَا ، وَأَقَامَ تَقَّاقٌ عِنْدَهُ ، وَوُلِدَ لَهُ سَلْجُوقُ.وَأَمَّا سَلْجُوقُ فَإِنَّهُ لَمَّا كَبِرَ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ أَمَارَاتُ النَّجَابَةِ وَمَخَايِلُ التَّقَدُّمِ ، فَقَرَّبَهُ مَلِكُ التُّرْكِ وَقَدَّمَهُ ، وَلَقَّبَهُ سُبَاشِيَ ، وَمَعْنَاهُ قَائِدُ الْجَيْشِ ، وَكَانَتِ امْرَأَةُ الْمَلِكِ تُخَوِّفُهُ مِنْ سَلْجُوقَ لِمَا تَرَى مِنْ تَقَدُّمِهِ ، وَطَاعَةِ النَّاسِ لَهُ ، وَالِانْقِيَادِ إِلَيْهِ ، وَأَغْرَتْهُ بِقَتْلِهِ وَبَالَغَتْ فِي ذَلِكَ.وَسَمِعَ سَلْجُوقُ الْخَبَرَ ، فَسَارَ بِجَمَاعَتِهِ كُلِّهِمْ وَمَنْ يُطِيعُهُ مِنْ دَارِ الْحَرْبِ إِلَى دِيَارِ الْإِسْلَامِ ، وَسَعِدَ بِالْإِيمَانِ وَمُجَاوَرَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَازْدَادَ حَالُهُ عُلُوًّا ، وَإِمْرَةً ، وَطَاعَةً ، وَأَقَامَ بِنَوَاحِي جَنَدَ ، وَأَدَامَ غَزْوَ كُفَّارِ التُّرْكِ ، وَكَانَ مَلِكُهُمْ يَأْخُذُ الْخَرَاجَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي تِلْكَ الدِّيَارِ ، وَطَرَدَ سَلْجُوقُ عُمَّالَهُ مِنْهَا ، وَصَفَتْ لِلْمُسْلِمِينَ.ثُمَّ إِنَّ بَعْضَ مُلُوكِ السَّامَانِيَّةِ كَانَ هَارُونُ بْنُ أَيْلَكِ الْخَانُ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَى بَعْضِ أَطْرَافِ بِلَادِهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى سَلْجُوقَ يَسْتَمِدُّهُ ، فَأَمَدَّهُ بِابْنِهِ أَرْسِلَانَ فِي جَمْعٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَوِيَ بِهِمُ السَّامَانِيُّ عَلَى هَارُونَ ، وَاسْتَرَدَّ مَا أَخَذَهُ مِنْهُ ، وَعَادَ أَرْسِلَانُ إِلَى أَبِيهِ.وَكَانَ لِسَلْجُوقَ مِنَ الْأَوْلَادِ أَرْسِلَانُ ، وَمِيكَائِيلُ ، وَمُوسَى ، وَتُوُفِّيَ سَلْجُوقُ بِجَنَدَ ، وَكَانَ عُمُرُهُ مِائَةَ سَنَةٍ وَسَبْعَ سِنِينَ ، وَدُفِنَ هُنَاكَ ، وَبَقِيَ أَوْلَادُهُ ، فَغَزَا مِيكَائِيلُ بَعْضَ بِلَادِ الْكُفَّارِالْأَتْرَاكِ ، فَقَاتَلَ وَبَاشَرَ الْقِتَالَ بِنَفْسِهِ ، فَاسْتُشْهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَخَلَفَ مِنَ الْأَوْلَادِ بَيْغُو ، وَطُغْرُلْبَك مُحَمَّدًا ، وَجَغْرِي بِكْ دَاوُدَ ، فَأَطَاعَهُمْ عَشَائِرُهُمْ ، وَوَقَفُوا عِنْدَ أَمْرِهِمْ وَنَهْيِمْ ، وَنَزَلُوا بِالْقُرْبِ مِنْ بُخَارَى عَلَى عِشْرِينَ فَرْسَخًا مِنْهَا ، فَخَافَهُمْ أَمِيرُ بُخَارَى فَأَسَاءَ جِوَارَهُمْ ، وَأَرَادَ إِهْلَاكَهُمْ وَالْإِيقَاعَ بِهِمْ ، فَالْتَجَئُوا إِلَى بُغْرَاخَانْ مَلِكِ تُرْكِسْتَانَ ، وَأَقَامُوا فِي بِلَادِهِ ، وَاحْتَمَوْا بِهِ وَامْتَنَعُوا ، وَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ بَيْنَ طُغْرُلْبَك وَأَخِيهِ دَاوُدَ أَنَّهُمَا لَا يَجْتَمِعَانِ عِنْدَ بُغْرَاخَانْ ، إِنَّمَا يَحْضُرُ عِنْدَهُ أَحَدُهُمَا ، وَيُقِيمُ الْآخَرُ فِي أَهْلِهِ خَوْفًا مِنْ مَكْرٍ يَمْكُرُهُ بِهِمْ ، فَبَقَوْا كَذَلِكَ.ثُمَّ إِنَّ بُغْرَاخَانِ اجْتَهَدَ فِي اجْتِمَاعِهِمَا عِنْدَهُ ، فَلَمْ يَفْعَلَا ، فَقَبَضَ عَلَى طُغْرُلْبَك وَأَسَرَهُ ، فَثَارَ دَاوُدُ فِي عَشَائِرِهِ وَمَنْ يَتْبَعُهُ ، وَقَصَدَ بُغْرَاخَانْ لِيُخَلِّصَ أَخَاهُ ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ بُغْرَاخَانْ عَسْكَرًا ، فَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ بُغْرَاخَانْ وَكَثُرَ الْقَتْلُ فِيهِمْ ، وَخَلَّصَ أَخَاهُ مِنَ الْأَسْرِ ، وَانْصَرَفُوا إِلَى جَنَدَ ، وَهِيَ قَرِيبُ بُخَارَى ، فَأَقَامُوا هُنَاكَ.فَلَمَّا انْقَرَضَتْ دَوْلَةُ السَّامَانِيَّةِ ، وَمَلَكَ أَيْلَكُ الْخَانُ بُخَارَى عَظُمَ مَحِلُّ أَرْسِلَانَ بْنِ سَلْجُوقَ عَمِّ دَاوُدَ وَطُغْرُلْبَك بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، وَكَانَ عَلِيُّ تِكِينُ فِي حَبْسِ أَرْسِلَانَ خَانْ ، فَهَرَبَ ، وَهُوَ أَخُو أَيْلَكَ الْخَانْ وَلَحِقَ بِبُخَارَى وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَاتَّفَقَ مَعَ أَرْسِلَانَ بْنِ سَلْجُوقَ فَامْتَنَعَا ، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُمَا ، وَقَصَدَهُمَا أَيْلَكُ أَخُو أَرْسِلَانَ خَانْ وَقَاتَلَهُمَا ، فَهَزَمَاهُ وَبَقِيَا بِبُخَارَى وَكَانَ عَلِيُّ تِكِينُ يُكْثِرُ مُعَارَضَةَ يَمِينِ الدَّوْلَةِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ فِيمَا يُجَاوِرُهُ فِي بِلَادِهِ ، وَيَقْطَعُ الطَّرِيقَ عَلَى رُسُلِهِ الْمُتَرَدِّدِينَ إِلَى مُلُوكِ التُّرْكِ ، فَلَمَّا عَبَرَ مَحْمُودُ جَيْحُونَ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، هَرَبَ عَلِيُّ تِكِينُ مِنْ بُخَارَى ، وَأَمَّا أَرْسِلَانُ بْنُ سَلْجُوقَ وَجَمَاعَتُهُ فَإِنَّهُمْ دَخَلُوا الْمَفَازَةَ وَالرَّمْلَ ، فَاحْتَمَوْا مِنْ مَحْمُودٍ ، فَرَأَى مَحْمُودٌ قُوَّةَ السَّلْجُوقِيَّةِ وَمَا لَهُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ وَكَثْرَةِ الْعَدَدِ ، فَكَاتَبَ أَرْسِلَانَ بْنَ سَلْجُوقَ وَاسْتَمَالَهُ وَرَغَّبَهُ ، فَوَرَدَ إِلَيْهِ ، فَقَبَضَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ عَلَيْهِ فِي الْحَالِ وَلَمْ يُمْهِلْهُ ، وَسَجَنَهُ فِي قَلْعَةٍ وَنَهَبَ خَرْكَاهَاتِهِ ، وَاسْتَشَارَ فِيمَا يَفْعَلُ بِأَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ ، فَأَشَارَ أَرْسِلَانُ الْجَاذِبُ ، وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ خَوَاصِّ مَحْمُودٍ ، بِأَنْ يُقْطَعَ أَبَاهِمُهُمْ لِئَلَّا يَرْمُوا بِالنُّشَّابِ ، أَوْ يُغَرَّقُوا فِي جَيْحُونَ ، فَقَالَ لَهُ مَا أَنْتَ إِلَّا قَاسِي الْقَلِ!ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَعَبَرُوا نَهْرَ جَيْحُونَ ، فَفَرَّقَهُمْ فِي نَوَاحِي خُرَاسَانَ ، وَوَضَعَ عَلَيْهِمُ الْخَرَاجَ ، فَجَارَ الْعُمَّالُ عَلَيْهِمْ ، وَامْتَدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ ، انْفَصَلَ مِنْهُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفَيْ رَجُلٍ ، وَسَارُوا إِلَى كِرْمَانَ ، وَمِنْهَا إِلَى أَصْبَهَانَ ، وَجَرَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ صَاحِبِهَا عَلَاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ كَاكَوَيْهِ حَرْبٌ ، قَدْ ذَكَرْنَاهَا ، فَسَارُوا مِنْ أَصْبَهَانَ إِلَى أَذْرَبِيجَانَ ، وَهَؤُلَاءِ جَمَاعَةُ أَرْسِلَانَ.فَأَمَّا أَوْلَادُ إِخْوَتِهِ فَإِنَّ عَلِيَّ تِكِينَ صَاحِبَ بُخَارَى أَعْمَلَ الْحِيَلَ فِي الظَّفَرِ بِهِمْ ، فَأَرْسَلَ إِلَى يُوسُفَ بْنِ مُوسَى بْنِ سَلْجُوقَ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ طُغْرُلْبَك مُحَمَّدٍ وَجَغْرِي بِكْ دَاوُدَ ، وَوَعَدَهُ الْإِحْسَانَ ، وَبَالَغَ فِي اسْتِمَالَتِهِ ، وَطَلَبَ مِنْهُ الْحُضُورَ عِنْدَهُ ، فَفَعَلَ ، فَفَوَّضَ إِلَيْهِ عَلِيُّ تِكِينُ التَّقَدُّمَ عَلَى جَمِيعِ الْأَتْرَاكِ الَّذِينَ فِي وِلَايَتِهِ ، وَأَقْطَعَهُ أَقْطَاعًا كَثِيرَةً ، وَلُقِّبَ بِالْأَمِيرِ إِينَانْجَ بَيْغُو.وَكَانَ الْبَاعِثُ لَهُ عَلَى مَا فَعَلَهُ بِهِ أَنْ يَسْتَعِينَ بِهِ وَبِعَشِيرَتِهِ وَأَصْحَابِهِ عَلَى طُغْرُلْبَك وَدَاوُدَ ابْنَيْ عَمِّهِ ، وَيُفَرِّقَ كَلِمَتَهُمْ ، وَيَضْرِبَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ، فَعَلِمُوا مُرَادَهُ ، فَلَمْ يُطِعْهُ يُوسُفُ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا أَرَادَهُ مِنْهُ ، فَلَمَّا رَأَى عَلِيُّ تِكِينُ أَنَّ مَكْرَهُ لَمْ يَعْمَلْ فِي يُوسُفَ ، وَلَمْ يَبْلُغْ بِهِ غَرَضًا ، أَمَرَ بِقَتْلِهِ ، فَقُتِلَ يُوسُفُ ، تَوَلَّى قَتْلَهُ أَمِيرٌ مِنْ أُمَرَاءِ عَلِيِّ تِكِينَ اسْمُهُ أَلْبُ قُرَّا.فَلَمَّا قُتِلَ عَظُمَ ذَلِكَ عَلَى طُغْرُلْبَك وَأَخِيهِ دَاوُدَ وَجَمِيعِ عَشَائِرِهِمَا ، وَلَبِسُوا ثِيَابَ الْحِدَادِ ، وَجَمَعَا مِنَ الْأَتْرَاكِ مَنْ قَدَرَا عَلَى جَمْعِهِ لِلْأَخْذِ بِثَأْرِهِ ، وَجَمَعَ عَلِيُّ تِكِينُ أَيْضًا جُيُوشَهُ ، وَسَيَّرَهَا إِلَيْهِمْ ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ عَلِيِّ تِكِينَ ، وَكَانَ قَدْ وُلِدَ السُّلْطَانُ أَلْبُ أَرْسِلَانَ بْنُ دَاوُدَ أَوَّلَ مُحَرَّمٍ سَنَةَ عِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ قَبْلَ الْحَرْبِ ، فَتَبَرَّكُوا بِهِ ، وَتَيَمَّنُوا بِطَلْعَتِهِ ، وَقِيلَ فِي مَوْلِدِهِ غَيْرُ ذَلِكَ.فَلَمَّا كَانَ سَنَةُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ قَصَدَ طُغْرُلْبَك وَدَاوُدُ أَلْبَ قُرَّا الَّذِي قَتَلَ يُوسُفَ ابْنَ عَمِّهِمَا ، فَقَتَلَاهُ وَأَوْقَعَا بِطَائِفَةٍ مِنْ عَسْكَرِ عَلِيِّ تِكِينَ ، فَقَتَلَا مِنْهَا نَحْوَ أَلْفِ رَجُلٍ ، فَجَمَعَ عَلِيُّ تِكِينُ عَسْكَرَهُ وَقَصَدَهُمْ هُوَ وَأَوْلَادُهُ وَمَنْ حَمَلَ السِّلَاحَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَتَبِعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَقَصَدُوهُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَأَوْقَعُوا بِهِمْ وَقْعَةً عَظِيمَةً قُتِلَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ عَسَاكِرِ السَّلْجُوقِيَّةِ ، وَأَخُذِتْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ ، وَسَبَوْا كَثِيرًا مِنْ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ ، فَأَلْجَأَتْهُمُ الضَّرُورَةُ إِلَى الْعُبُورِ إِلَى خُرَاسَانَ.فَلَمَّا عَبَرُوا جَيْحُونَ كَتَبَ إِلَيْهِمْ خُوَارَزْمُشَاهْ هَارُونُ بْنُ التُّونْتَاشِ يَسْتَدْعِيهِمْ لِيَتَّفِقُوا مَعَهُ ، وَتَكُونَ أَيْدِيهِمْ وَاحِدَةً.فَسَارَ طُغْرُلْبَك وَأَخَوَاهُ دَاوُدُ وَبَيْغُو إِلَيْهِ ، وَخَيَّمُوا بِظَاهِرِ خُوَارزْمَ سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَوَثِقُوا بِهِ ، وَاطْمَأَنُّوا إِلَيْهِ ، فَغَدَرَ بِهِمْ ، فَوَضَعَ عَلَيْهِمُ الْأَمِيرَ شَاهْمَلَكْ ، فَكَبَسَهُمْ وَمَعَهُ عَسْكَرٌ مِنْ هَارُونَ ، فَأَكْثَرَ الْقَتْلَ فِيهِمْ وَالنَّهْبَ وَالسَّبْيَ ، وَارْتَكَبَ مِنَ الْغَدْرِ خُطَّةً شَنِيعَةً ، فَسَارُوا عَنْ خُوَارَزْمَ بِجُمُوعِهِمْ إِلَى مَفَازَةِ نَسَا ، وَقَصَدُوا مَرْوَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضًا ، وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِأَحَدٍ بِشَرٍّ ، وَبَقِيَ أَوْلَادُهُمْ وَذَرَارِيُّهِمْ فِي الْأَسْرِ.وَكَانَ الْمَلِكُ مَسْعُودُ بْنُ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ هَذِهِ السَّنَةَ بِطَبَرِسْتَانَ قَدْ مَلَكَهَا ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، فَرَاسَلُوهُ وَطَلَبُوا مِنْهُ الْأَمَانَ ، وَضَمِنُوا أَنَّهُمْ يَقْصِدُونَ الطَّائِفَةَ الَّتِي تُفْسِدُ فِي بِلَادِهِ ، وَيَدْفَعُونَهُمْ عَنْهَا وَيُقَاتِلُونَهُمْ ، وَيَكُونُونَ مِنْ أَعْظَمِ أَعْوَانِهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى غَيْرِهِمْ.فَقَبَضَ عَلَى الرُّسُلِ ، وَجَهَّزَ عَسْكَرًا جَرَّارًا إِلَيْهِمْ مَعَ إِيلْتُغْدِي حَاجِبِهِ ، وَغَيْرَهُمْ مِنَ الْأُمَرَاءِ الْأَكَبِرِ ، فَسَارُوا إِلَيْهِمْ ، وَالْتَقَوْا عِنْدَ نَسَا فِي شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ ، وَاقْتَتَلُوا وَعَظُمَ الْأَمْرُ ، وَانْهَزَمَ السَّلْجُوقِيَّةُ وَغُنِمَتْ أَمْوَالُهُمْ ، فَجَرَى بَيْنَ عَسْكَرِ مَسْعُودٍ مُنَازَعَةٌ فِي الْغَنِيمَةِ أَدَّتْ إِلَى الْقِتَالِ.وَاتَّفَقَ فِي تِلْكَ الْحَالِ أَنَّ السَّلْجُوقِيَّةَ لَمَّا انْهَزَمُوا قَالَ لَهُمْ دَاوُدُ إِنَّ الْعَسْكَرَ الْآنَ قَدْ نَزَلُوا وَاطْمَأَنُّوا وَأَمِنُوا الطَّلَبَ ، وَالرَّأْيُ أَنْ نَقْصِدَهُمْ لَعَلَّنَا نَبْلُغُ مِنْهُمْ غَرَضًا.فَعَادُوا فَوَصَلُوا إِلَيْهِمْ وَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ مِنْ الِاخْتِلَافِ وَقِتَالِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا ، فَأَوْقَعُوا بِهِمْ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ وَأَسَرُوا ، وَاسْتَرَدُّوا مَا أَخَذُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَرِجَالِهِمْ ، وَعَادَ الْمُنْهَزِمُونَ مِنَ الْعَسْكَرِ إِلَى الْمَلِكِ مَسْعُودٍ وَهُوَ بِنَيْسَابُورَ ، فَنَدِمَ عَلَى رَدِّهِ طَاعَتَهُمْ ، وَعَلِمَ أَنَّ هَيْبَتَهُمْ قَدْ تَمَكَّنَتْ مِنْ قُلُوبِ عَسَاكِرِهِ ، وَأَنَّهُمْ قَدْ طَمِعُوا بِهَذِهِ الْهَزِيمَةِ ، وَتَجَرَّءُوا عَلَى قِتَالِ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ بَعْدَ الْخَوْفِ الشَّدِيدِ ، وَخَافَ مِنْ أَخَوَاتِ هَذِهِ الْحَادِثَةِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَتَهَدَّدُهُمْ وَيَتَوَعَّدُهُمْ ، فَقَالَ طُغْرُلْبَك لِإِمَامِ صَلَاتِهِ اكْتُبْ إِلَى السُّلْطَانِ قُلِ اللَّهُمَّ مَا الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.وَلَا تَزِدْ عَلَى هَذَا.فَكَتَبَ مَا قَالَ ، فَلَمَّا وَرَدَ الْكِتَابُ عَلَى مَسْعُودٍ أَمَرَ فَكُتِبَ إِلَيْهِمْ كِتَابٌ مَمْلُوءٌ مِنَ الْمَوَاعِيدِ الْجَمِيلَةِ ، وَسَيَّرَ مَعَهُ الْخِلَعَ النَّفِيسَةَ ، وَأَمَرَهُمْ بِالرَّحِيلِ إِلَى آمُلِ الشَّطِّ ، وَهِيَ مَدِينَةٌ عَلَى جَيْحُونَ ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ ، وَأَقْطَعَ دِهِسْتَانَ لِدَاوُدَ ، وَنَسَا لِطُغْرُلْبَك ، وَفَرَاوَةَ لِبَيْغُو ، وَلَقَّبَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِالدِّهْقَانِ.فَاسْتَخَفُّوا بِالرَّسُولِ وَالْخِلَعَ وَقَالُوا لِلرَّسُولِ لَوْ عَلِمْنَا أَنَّ السُّلْطَانَ يُبْقِي عَلَيْنَا إِذَا قَدَرَ ، لَأَطَعْنَاهُ ، وَلَكِنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ مَتَى ظَفِرَ بِنَا أَهْلَكَنَا لِمَا عَمِلْنَاهُ وَأَسْلَفْنَاهُ ، فَنَحْنُ لَنُطِيعُهُ ، وَلَا نَثِقُ بِهِ.وَأَفْسَدُوا ، ثُمَّ كَفُّوا وَتَرَكُوا ذَلِكَ ، فَقَالُوا إِنْ كَانَ لَنَا قُدْرَةٌ عَلَى الِانْتِصَافِ مِنَ السُّلْطَانِ ، وَإِلَّا فَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى إِهْلَاكِ الْعَالَمِ وَنَهْبِ أَمْوَالِهِمْ ، وَأَرْسَلُوا إِلَى مَسْعُودٍ يُخَادِعُونَهُ إِظْهَارِ الطَّاعَةِ لَهُ ، وَالْكَفِّ عَنِ الشَّرِّ ، وَيَسْأَلُونَهُ أَنْ يُطْلِقَ عَمَّهُمْ أَرْسِلَانَ بْنَ سَلْجُوقَ مِنَ الْحَبْسِ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، فَأَحْضَرَهُ عِنْدَهُ بِبَلْخَ ، وَأَمَرَهُ بِمُرَاسَلَةِ بَنِي أَخِيهِ بَيْغُو وَطُغْرُلْبَك وَدَاوُدَ يَأْمُرُهُمْ بِالِاسْتِقَامَةِ ، وَالْكَفِّ عَنِ الشَّرِّ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا يَأْمُرُهُمْ بِذَلِكَ ، وَأَرْسَلَ مَعَهُ إِشْفَى ، وَأَمَرَهُ بِتَسْلِيمِهِ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا وَصَلَ الرَّسُولُ وَأَدَّى الرِّسَالَةَ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمُ الْإِشْفَى نَفَرُوا وَاسْتَوْحَشُوا ، وَعَادُوا إِلَى أَمْرِهِمُ الْأَوَّلِ فِي الْغَارَةِ وَالشَّرِّ ، فَأَعَادَهُ مَسْعُودٌ إِلَى مَحْبِسِهِ ، وَسَارَ إِلَى غَزْنَةَ ، فَقَصَدَ السَّلْجُوقِيَّةُ بَلْخَ وَنَيْسَابُورَ وَطُوسَ وَجُوزْجَانَ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ .وَأَقَامَ دَاوُدُ بِمَدِينَةِ مَرْوَ ، وَانْهَزَمَتْ عَسَاكِرُ السُّلْطَانِ مَسْعُودٍ مِنْهُمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، وَاسْتَوْلَى الرُّعْبُ عَلَى أَصْحَابِهِ ، لَاسِيَّمَا مَعَ بُعْدِهِ إِلَى غَزْنَةَ ، فَتَوَالَتْ كُتُبُ نُوَّابِهِ وَعُمَّالِهِ إِلَيْهِ يَسْتَغِيثُونَ بِهِ وَيَشْكُونَ إِلَيْهِ ، وَيَذْكُرُونَ مَا يَفْعَلُ السَّلْجُوقِيَّةُ فِي الْبِلَادِ ، وَهُوَ لَا يُجِيبُهُمْ وَلَا يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِمْ ، وَأَعْرَضَ عَنْ خُرَاسَانَ وَالسَّلْجُوقِيَّةِ ، وَاشْتَغَلَ بِأُمُورِ بِلَادِ الْهِنْدِ.فَلَمَّا اشْتَدَّ أَمْرُهُمْ بِخُرَاسَانَ وَعَظُمَتْ حَالُهُمُ اجْتَمَعَ وُزَرَاءُ مَسْعُودٍ وَأَرْبَابُ الرَّأْيِ فِي دَوْلَتِهِ ، وَقَالُوا لَهُ إِنَّ قِلَّةَ الْمُبَالَاةِ بِخُرَاسَانَ مِنْ أَعْظَمِ سَعَادَةِ السَّلْجُوقِيَّةِ ، وَبِهَا يَمْلِكُو الْبِلَادَ ، وَيَسْتَقِيمُ لَهُمُ الْمُلْكُ ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، وَكُلُّ عَاقِلٍ ، أَنَّهُمْ إِذَا تُرِكُوا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ اسْتَوْلَوْا عَلَى خُرَاسَانَ سَرِيعًا ، ثُمَّ سَارُوا مِنْهَا إِلَى غَزْنَةَ ، وَحِينَئِذٍ لَا يَنْفَعُنَا حَرَكَاتُنَا وَلَا نَتَمَكَّنُ مِنَ الْبِطَالَةِ وَالِاشْتِغَالِ بِاللَّعِبِ وَاللَّهْوِ وَالطَّرَبِ.فَاسْتَيْقَظَ مِنْ رَقْدَتِهِ ، وَأَبْصَرَ رُشْدَهُ بَعْدَ غَفْلَتِهِ ، وَجَهَّزَ الْعَسَاكِرَ الْكَثِيرَةَ مَعَ أَكْبَرِ أَمِيرٍ عِنْدَهُ يُعْرَفُ بِسُبَاشِي ، وَكَانَ حَاجِبَهُ ، وَقَدْ سَيَّرَهُ قَبْلُ إِلَى الْغُزِّ الْعِرَاقِيَّةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ ذَلِكَ ، وَسَيَّرَ مَعَهُ أَمِيرًا كَبِيرًا اسْمُهُ مَرْدَاوَيْجُ بْنُ بِشُّو.وَكَانَ سُبَاشِي جَبَانًا ، فَأَقَامَ بِهَرَاةَ وَنَيْسَابُورَ ، ثُمَّ أَغَارَ بَغْتَةً عَلَى مَرْوَ وَبِهَا دَاوُدُ ، فَسَارَ مُجِدًّا ، فَوَصَلَ إِلَيْهَا فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، فَأَصَابَ جُيُوشَهُ وَدَوَابَّهُ التَّعَبُ وَالْكَلَالُ ، فَانْهَزَمَ دَاوُدُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَحِقَهُ الْعَسْكَرُ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ صَاحِبُ جُوزَجَانَ ، فَقَاتَلَهُ دَاوُدُ ، فَقُتِلَ صَاحِبُ جُوزَجَانَ وَانْهَزَمَتْ عَسَاكِرُهُ ، فَعَظُمَ قَتْلُهُ عَلَى سُبَاشِي وَكُلِّ مَنْ مَعَهُ ، وَوَقَعَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ ، وَقَوِيَتْ نُفُوسُ السَّلْجُوقِيَّةِ وَزَادَ طَمَعُهُمْ.وَعَادَ دَاوُدُ إِلَى مَرْوَ ، فَأَحْسَنَ السِّيرَةَ فِي أَهْلِهَا ، وَخُطِبَ لَهُ فِيهَا أَوَّلُ جُمُعَةٍ فِي رَجَبٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَلُقِّبَ فِي الْخُطْبَةِ بِمَلِكِ الْمُلُوكِ.وَسُبَاشِي يُمَادِي الْأَيَّامَ ، وَيَرْحَلُ مِنْ مَنْزِلٍ إِلَى مَنْزِلٍ ، وَالسَّلْجُوقِيَّةُ يُرَاوِغُونَهُ مُرَاوَغَةَ الثَّعْلَبِ ، فَقِيلَ إِنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ جُبْنًا وَخَوَرًا ، وَقِيلَ بَلْ رَاسَلَهُ السَّلْجُوقِيَّةُ وَاسْتَمَالُوهُ وَرَغَّبُوهُ ، فَنَفَّسَ عَنْهُمْ ، وَتَرَاخَى فِي تَتَبُّعِهِمْ.وَاللَّهُ أَعْلَمُ.وَلَمَّا طَالَ مُقَامُ سُبَاشِي وَعَسَاكِرِهِ وَالسَّلْجُوقِيَّةِ بِخُرَاسَانَ ، وَالْبِلَادُ مَنْهُوبَةٌ ، وَالدِّمَاءُ مَسْفُوكَةٌ ، قَلَّتِ الْمِيرَةُ وَالْأَقْوَاتُ عَلَى الْعَسَاكِرِ خَاصَّة.فَأَمَّا السَّلْجُوقِيَّةُ فَلَا يُبَالُونَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَقْنَعُونَ بِالْقَلِيلِ ، فَاضْطَرَّ سُبَاشِي إِلَى مُبَاشَرَةِ الْحَرْبِ وَتَرْكِ الْمُحَاجَزَةِ ، فَسَارَ إِلَى دَاوُدَ ، وَتَقَدَّمَ دَاوُدُ إِلَيْهِ ، فَالْتَقَوْا فِي شَعْبَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ عَلَى بَابِ سَرَخْسَ.وَلِدَاوُدُ مُنَجِّمٌ يُقَالُ لَهُ الصَّوْمَعِيُّ ، فَأَشَارَ عَلَى دَاوُدَ بِالْقِتَالِ ، وَضَمِنَ لَهُ الظَّفَرَ ، وَأَشْهَدَ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ إِنْ أَخْطَأَ فَدَمُهُ مُبَاحٌ لَهُ فَاقْتَتَلَ الْعَسْكَرَانِ ، فَلَمْ يَثْبُتْ عَسْكَرُ سُبَاشِي وَانْهَزَمُوا أَقْبَحَ هَزِيمَةٍ ، وَسَارُوا أَخْزَى مَسِيرٍ إِلَى هَرَاةَ ، فَتَبِعَهُمْ دَاوُدُ وَعَسْكَرُهُ إِلَى طُوسٍ يَأْخُذُونَهُمْ بِالْيَدِ ، وَكَفُّوا عَنِ الْقَتْلِ ، وَغَنِمُوا أَمْوَالَهُمْ ، فَكَانَتْ هَذِهِ الْوَقْعَةُ هِيَ الَّتِي مَلَكَ السَّلْجُوقِيَّةُ بَعْدَهَا خُرَاسَانَ ، وَدَخَلُوا قَصَبَاتِ الْبِلَادِ ، فَدَخَلَ طُغْرُلْبَك نَيْسَابُورَ ، وَسَكَنَ الشَّاذِيَاخَ ، وَخُطِبَ لَهُ فِيهَا فِي شَعْبَانَ بِالسُّلْطَانِ الْمُعَظَّمِ ، وَفَرَّقُوا النُّوَّابَ فِي النَّوَاحِي.وَسَارَ دَاوُدُ إِلَى هَرَاةَ ، فَفَارَقَهَا سُبَاشِي وَمَضَى إِلَى غَزْنَةَ ، فَعَاتَبَهُ مَسْعُودٌ وَحَجَبَهُ ، وَقَالَ لَهُ ضَيَّعْتَ الْعَسَاكِرَ ، وَطَاوَلْتَ الْأَيَّامَ حَتَّى قَوِيَ أَمْرُ الْعَدُوِّ وَصَفَا لَهُمْ مَشْرَبُهُمْ ، وَتَمَكَّنُ مِنَ الْبِلَادِ مَا أَرَادُوا.فَاعْتَذَرَ بِأَنَّ الْقَوْمَ تَفَرَّقُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ ، كُلَّمَا تَبِعْتُ فِرْقَةً سَارَتْ بَيْنَ يَدَيَّ ، وَخَلْفِي الْفَرِيقَانِ فِي الْبِلَادِ يَفْعَلُونَ مَا أَرَادُوا ، فَاضْطَرَّ مَسْعُودٌ إِلَى الْمَسِيرِ إِلَى خُرَاسَانَ ، فَجَمَعَ الْعَسَاكِرَ وَفَرَّقَ فِيهِمُ الْأَمْوَالَ الْعَظِيمَةَ ، وَسَارَ عَنْ غَزْنَةَ فِي جُيُوشٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَضَاءُ وَمَعَهُ مِنَ الْفِيَلَةِ عَدَدٌ كَثِيرٌ ، فَوَصَلَ إِلَى بَلْخَ ، وَقَصَدَهُ دَاوُدُ إِلَيْهَا أَيْضًا ، وَنَزَلَ قَرِيبًا مِنْهَا ، فَدَخَلَهَا يَوْمًا جَرِيدَةً فِي طَائِفَةٍ يَسِيرَةٍ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنَ الْعَسَاكِرِ ، فَأَخَذَ الْفِيلَ الْكَبِيرَ الَّذِي عَلَى بَابِ دَارِ الْمَلِكِ مَسْعُودٍ ، وَأَخَذَ مَعَهُ عِدَّةَ جَنَائِبَ ، فَعَظُمَ قَدْرُهُ فِي النُّفُوسِ ، وَازْدَادَ الْعَسْكَرُ هَيْبَةً لَهُ.ثُمَّ سَارَ مَسْعُودٌ مِنْ بَلْخَ أَوَّلَ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَمَعَهُ مِائَةُ أَلْفِ فَارِسٍ سِوَى الْأَتْبَاعِ ، وَسَارَ عَلَى جُوزَجَانَ ، فَأَخَذَ وَالِيَهَا الَّذِي كَانَ بِهَا لِلسَّلْجُوقِيَّةِ ، فَصَلَبَهُ ، وَسَارَ مِنْهَا فَوَصَلَ إِلَى مَرْوِ الشَّاهِجَانِ ، وَسَارَ دَاوُدُ إِلَى سَرَخْسَ ، وَاجْتَمَعَ هُوَ وَأَخَوَاهُ طُغْرُلْبَك وَبَيْغُو ، فَأَرْسَلَ مَسْعُودٌ إِلَيْهِمْ رُسُلًا فِي الصُّلْحِ ، فَسَارَ فِي الْجَوَابِ بَيْغُو ، فَأَكْرَمَهُ مَسْعُودٌ وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ مَضْمُونُ رِسَالَتِهِ إِنَّا لَا نَثِقُ بِمُصَالَحَتِكَ بَعْدَ مَا فَعَلْنَا هَذِهِ الْأَفْعَالَ الَّتِي سَخِطْتَهَا ، كُلُّ فِعْلٍ مِنْهَا مُوبِقٌ مُهْلِكٌ.وَآيَسُوهُ مِنَ الصُّلْحِ ، فَسَارَ مَسْعُودٌ مِنْ مَرْوَ إِلَى هَراةَ ، وَقَصَدَ دَاوُدُ مَرْوَ ، فَامْتَنَعَ أَهْلُهَا عَلَيْهِ ، فَحَصَرَهَا سَبْعَةَ أَشْهُرٍ ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِمْ وَأَلَحَّ فِي قِتَالِهِمْ ، فَمَلَكَهَا.فَلَمَّا سَمِعَ مَسْعُودٌ هَذَا الْخَبَرَ سُقِطَ فِي يَدِهِ ، وَسَارَ مِنْ هَرَاةَ إِلَى نَيْسَابُورَ ، ثُمَّ مِنْهَا إِلَى سَرَخْسَ ، وَكُلَّمَا تَبِعَ السَّلْجُوقِيَّةَ إِلَى مَكَانٍ سَارُوا مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ ، وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ ، فَأَدْرَكَهُمُ الشِّتَاءُ ، فَأَقَامُوا بِنَيْسَابُورَ يَنْتَظِرُونَ الرَّبِيعَ ، فَلَمَّا جَاءَ الرَّبِيعُ كَانَ الْمَلِكُ مَسْعُودٌ مَشْغُولًا بِلَهْوِهِ وَشُرْبِهِ ، فَتَقَضَّى الرَّبِيعُ وَالْأَمْرُ كَذَلِكَ ، فَلَمَّا جَاءَ الصَّيْفُ عَاتَبَهُ وُزَرَاؤُهُ وَخَوَاصُّهُ عَلَى إِهْمَالِهِ أَمْرَ عَدُوِّهِ ، فَسَارَ مِنْ نَيْسَابُورَ إِلَى مَرْوَ يَطْلُبُ السَّلْجُوقِيَّةَ ، فَدَخَلُوا الْبَرِّيَّةَ ، فَدَخَلَهَا وَرَاءَهُمْ مَرْحَلَتَيْنِ وَالْعَسْكَرُ الَّذِي لَهُ قَدْ ضَجِرُوا مِنْ طُولِ سَفَرِهِمْ وَبِيكَارِهِمْ ، وَسَئِمُوا الشَّدَّ وَالتَّرَحُّلَ ، فَإِنَّهُمْ كَانَ لَهُمْ فِي السَّفَرِ نَحْوُ ثَلَاثِ سِنِينَ ، بَعْضُهَا مَعَ سُبَاشِي ، وَبَعْضُهَا مَعَ الْمَلِكِ مَسْعُودٍ ، فَلَمَّا دَخَلُوا الْبَرِّيَّةَ نَزَلَ مَنْزِلًا قَلِيلَ الْمَاءِ ، وَالْحَرُّ شَدِيدٌ ، فَلَمْ يَكْفِ الْمَاءُ لِلسُّلْطَانِ وَحَوَاشِيهِ.وَكَانَ دَاوُدُ فِي مُعْظَمِ السَّلْجُوقِيَّةِ بِإِزَائِهِ ، وَغَيْرُهُ مِنْ عَشِيرَتِهِ مُقَابِلَ سَاقَةِ عَسَاكِرِهِ ، يَتَخَطَّفُونَ مَنْ تَخَلَّفَ مِنْهُمْ.فَاتَّفَقَ لِمَا يُرِيدُهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ حَوَاشِيَ مَسْعُودٍ اخْتَصَمُوا هُمْ جَمْعٌ مِنَ الْعَسْكَرِ عَلَى الْمَاءِ وَازْدَحَمُوا ، وَجَرَى بَيْنَهُمْ فِتْنَةٌ ، حَتَّى صَارَ بَعْضُهُمْ يُقَاتِلُ بَعْضًا ، وَبَعْضُهُمْ نَهَبَ بَعْضًا فَاسْتَوْحَشَ لِذَلِكَ أَمْرُ الْعَسْكَرِ ، وَمَشَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فِي التَّخَلِّي عَنْ مَسْعُودٍ ، فَعَلِمَ دَاوُدُ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ الِاخْتِلَافِ ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ فِي ذَلِكَ التَّنَازُعِ وَالْقِتَالِ وَالنَّهْبِ ، فَوَلَّوْا مُنْهَزِمِينَ لَا يَلْوِي أَوَّلٌ عَلَى آخَرَ ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ فِيهِمْ ، وَالسُّلْطَانُ مَسْعُودٌ وَوَزِيرُهُ يُنَادِيَانِهِمْ ، وَيَأْمُرَانِهِمْ بِالْعَوْدِ فَلَا يَرْجِعُونَ ، وَتَمَّتِ الْهَزِيمَةُ عَلَى الْعَسْكَرِ ، وَثَبَتَ مَسْعُودٌ فَقِيلَ لَهُ مَا تَنْتَظِرُ ؟قَدْ فَارَقَكَ أَصْحَابُكَ ، وَأَنْتَ فِي بَرِّيَّةٍمُهْلِكَةٍ ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ عَدُوٌّ ، وَخَلْفَكَ عَدُوٌّ ، وَلَا وَجْهَ لِلْمُقَامِ.فَمَضَى مُنْهَزِمًا وَمَعَهُ نَحْوُ مِائَةِ فَارِسٍ ، فَتَبِعَهُ فَارِسٌ مِنَ السَّلْجُوقِيَّةِ فَعَطَفَ عَلَيْهِ مَسْعُودٌ فَقَتَلَهُ ، وَصَارَ لَا يَقِفُ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى أَتَى غَرْشِسْتَانَ.وَأَمَّا السَّلْجُوقِيَّةُ فَإِنَّهُمْ غَنِمُوا مِنَ الْعَسْكَرِ الْمَسْعُودِيِّ مَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْإِحْصَاءِ ، وَقَسَّمَهُ دَاوُدُ عَلَى أَصْحَابِهِ ، وَآثَرَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ ، وَنَزَلَ فِي سُرَادِقِ مَسْعُودٍ وَقَعَدَ عَلَى كُرْسِيِّهِ ، وَلَمْ يَنْزِلْ عَسْكَرُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ عَنْ ظُهُورِ دَوَابِّهِمْ ، لَا يُفَارِقُونَهَا إِلَّا لِمَا لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهُ ، مِنْ مَأْكُولٍ وَمَشْرُوبٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، خَوْفًا مِنْ عَوْدِ الْعَسْكَرِ ، وَأَطْلَقَ الْأَسْرَى ، وَأَطْلَقَ خَرَاجَ سَنَةٍ كَامِلَةٍ.وَسَارَ طُغْرُلْبَك إِلَى نَيْسَابُورَ فَمَلَكَهَا ، وَدَخَلَ إِلَيْهَا آخِرَ سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَأَوَّلَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَنَهَبَ أَصْحَابُهُ النَّاسَ ، فَقِيلَ عَنْهُ إِنَّهُ رَأَى لَوْزِينَجًا فَأَكَلَهُ وَقَالَ هَذَا قَطْمَاجٌ طَيِّبٌ إِلَّا أَنَّهُ لَا ثُومَ فِيهِ.وَرَأَى الْغُزُّ الْكَافُورَ فَظَنُّوهُ مِلْحًا وَقَالُوا هَذَا مِلْحٌ مُرٌّ ، وَنُقِلَ عَنْهُمْ أَشْيَاءُ مِنْ هَذَا كَثِيرٌ.وَكَانَ الْعَيَّارُونَ قَدْ عَظُمَ ضَرَرُهُمْ ، وَاشْتَدَّ أَمْرُهُمْ ، وَزَادَتِ الْبَلِيَّةُ بِهِمْ عَلَى أَهْلِ نَيْسَابُورَ ، فَهُمْ يَنْهَبُونَ الْأَمْوَالَ ، وَيَقْتُلُونَ النُّفُوسَ ، وَيَرْتَكِبُونَ الْفُرُوجَ الْحَرَامَ ، وَيَفْعَلُونَ كُلَّ مَايُرِيدُونَهُ ، لَا يَرْدَعُهُمْ عَنْ ذَلِكَ رَادِعٌ ، وَلَا يَزْجُرُهُمْ زَاجِرٌ ، فَلَمَّا دَخَلَ طُغْرُلْبَك الْبَلَدَ خَافَهُ الْعَيَّارُونَ ، وَكَفُّوا عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ، وَسَكَنَ النَّاسُ وَاطْمَأَنُّوا.وَاسْتَوْلَى السَّلْجُوقِيَّةُ حِينَئِذٍ عَلَى جَمِيعِ الْبِلَادِ ، فَسَارَ بَيْغُو إِلَى هَرَاةَ فَدَخَلَهَا ، وَسَارَ دَاوُدُ إِلَى بَلْخَ وَبِهَا أَلْتُونْتَاقُ الْحَاجِبُ وَالِيًا عَلَيْهَا لِمَسْعُودٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ دَاوُدُ يَطْلُبُ مِنْهُ تَسْلِيمَ الْبَلَدِ إِلَيْهِ ، وَيُعَرِّفُهُ عَجْزَ صَاحِبِهِ عَنْ نُصْرَتِهِ ، فَسَجَنَ أَلْتُونْتَاقُ الرُّسُلَ ، فَنَازَلَهُ دَاوُدُ وَحَصَرَ الْمَدِينَةَ ، فَأَرْسَلَ أَلْتُونْتَاقُ إِلَى مَسْعُودٍ وَهُوَ بِغَزْنَةَ يُعَرِّفُهُ الْحَالَ وَمَا هُوَ فِيهِ مِنْ ضِيقِ الْحِصَارِ ، فَجَهَّزَ مَسْعُودٌ الْعَسَاكِرَ الْكَثِيرَةَ وَسَيَّرَهَا ، فَجَاءَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ إِلَى الرُّخَّجِ وَبِهَا جَمْعٌ مِنَ السَّلْجُوقِيَّةِ ، فَقَاتَلُوهُمْ ، فَانْهَزَمَ السَّلْجُوقِيَّةُ وَقُتِلَ مِنْهُمْ ثَمَانِمِائَةِ رَجُلٍ ، وَأُسِرَ كَثِيرٌ ، وَخَلَا ذَلِكَ الصُّقْعُ مِنْهُمْ.وَسَارَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ إِلَى هَرَاةَ وَبِهَا بَيْغُو ، فَقَاتَلُوهُ وَدَفَعُوهُ عَنْهَا ، ثُمَّ إِنَّ مَسْعُودًا سَيَّرَ وَلَدَهُ مَوْدُودًا فِي عَسْكَرٍ كَثِيرٍ مَدَدًا لِهَذِهِ الْعَسَاكِرِ ، فَقُتِلَ مَسْعُودٌ وَهُوَ بِخُرَاسَانَ عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فَسَارُوا عَنْ غَزْنَةَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَلَمَّا قَارَبُوا بَلْخَ سَيَّرَ دَاوُدُ طَائِفَةً مِنْ عَسْكَرِهِ ، فَأَوْقَعُوا بِطَلَائِعِ مَوْدُودٍ ، وَانْهَزَمَتِ الطَّلَائِعُ وَتَبِعَهُمْ عَسْكَرُ دَاوُدَ ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِ عَسْكَرُ مَوْدُودٍ رَجَعُوا إِلَى وَرَائِهِمْ وَأَقَامُوا ، فَلَمَّا سَمِعَ أَلْتُونْتَاقُ صَاحِبُ بَلْخَ الْخَبَرَ أَطَاعَ دَاوُدَ ، وَسَلَّمَ إِلَيْهِ الْبَلَدَ ، وَوَطِئَ بُسَاطَهُ.ذِكْرُ قَبْضِ السُّلْطَانِ مَسْعُودٍ وَقَتْلِهِ وَمُلْكِ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ قَدْ ذَكَرْنَا عَوْدَ مَسْعُودِ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ إِلَى غَزْنَةَ مِنْ خُرَاسَانَ ، فَوَصَلَهَا فِي شَوَّالٍ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَقَبَضَ عَلَى سُبَاشِي وَغَيْرِهِ مِنَ الْأُمَرَاءِ ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، وَأَثْبَتَ غَيْرَهُمْ وَسَيَّرَ وَلَدَهُ مَوْدُودًا إِلَى خُرَاسَانَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ لِيَمْنَعَ السَّلْجُوقِيَّةَ عَنْهَا ، فَسَارَ مَوْدُودٌ إِلَى بَلْخَ لِيَرُدَّ عَنْهَا دَاوُدَ أَخَا طُغْرُلْبَك ، وَجَعَلَ أَبُوهُ مَسْعُودٌ مَعَهُ وَزِيرَهُ أَبَا نَصْرٍ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ يُدَبِّرُ الْأُمُورَ ، وَكَانَ مَسِيرُهُمْ مِنْ غَزْنَةَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ.وَسَارَ مَسْعُودٌ بَعْدَهُمْ بِسَبْعَةِ أَيَّامٍ يُرِيدُ بِلَادَ الْهِنْدِ لِيَشْتُوَ بِهَا عَلَى عَادَةِ وَالِدِهِ ، فَلَمَّا سَارَ أَخَذَ مَعَهُ أَخَاهُ مُحَمَّدًا مَسْمُولًا ، وَاسْتَصْحَبَ الْخَزَائِنَ ، وَكَانَ عَازِمًا عَلَى الِاسْتِنْجَادِ بِالْهِنْدِ عَلَى قِتَالِ السَّلْجُوقِيَّةِ ثِقَةً بِعُهُودِهِمْ.فَلَمَّا عَبَرَ سَيْحُونَ وَهُوَ نَهْرٌ كَبِيرٌ نَحْوَ دِجْلَةَ ، وَعَبَّرَ بَعْضَ الْخَزَائِنِ اجْتَمَعَ أَنُّوشْ تِكِينُ الْبَلْخِيُّ وَجَمْعٌ مِنَ الْغِلْمَانِ الدَّارِيَةِ ، وَنَهَبُوا مَا خَلَّفَ مِنَ الْخِزَانَةِ ، وَأَقَامُوا أَخَاهُ مُحَمَّدًا ثَالِثَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْآخِرِ ، وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ بِالْإِمَارَةِ ، فَامْتَنَعَ مِنْ قَبُولِ ذَلِكَ ، فَتَهَدَّدُوهُ وَأَكْرَهُوهُ ، فَأَجَابَ ، وَبَقِيَ مَسْعُودٌ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ الْعَسْكَرِ وَحَفِظَ نَفْسَهُ ، فَالْتَقَى الْجَمْعَانِ مُنْتَصَفَ رَبِيعٍ الْآخِرِ ، فَاقْتَتَلُوا ، وَعَظُمَ الْخَطْبُ عَلَى الطَّائِفَتَيْنِ ، ثُمَّ انْهَزَمَ عَسْكَرُ مَسْعُودٍ ، وَتَحَصَّنَ هُوَ فِي رِبَاطِ مَارِيكْلَةَ ، فَحَصَرَهُ أَخُوهُ فَامْتَنَعَ عَلَيْهِ ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ إِنَّ مَكَانَكَ لَا يَعْصِمُكَ ، وَلَأَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ بِعَهْدٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَأْخُذُوكَ قَهْرًا.فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَبَضُوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ مُحَمَّدٌ وَّهِ لَا قَابَلْتُكَ عَلَى فِعْلِكَ بِي ، وَلَا عَامَلْتُكَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ ، فَانْظُرْ أَيْنَ تُرِيدُ أَنْ تُقِيمَ حَتَّى أَحْمِلَكَ إِلَيْهِ وَمَعَكَ أَوْلَادُكَ وَحُرَمُكَ.فَاخْتَارَ قَلْعَةَ كَيْكِي ، فَأَنْفَذَهُ إِلَيْهَا مَحْفُوظًا ، وَأَمَ بِإِكْرَامِهِ وَصِيَانَتِهِ.وَأَرْسَلَ مَسْعُودٌ إِلَى أَخِيهِ يَطْلُبُ مِنْهُ مَالًا يُنْفِقُهُ ، فَأَنْفَذَ لَهُ خَمْسَمِائَةِ دِرْهَمٍ ، فَبَكَى مَسْعُودٌ وَقَال كَانَ بِالْأَمْسِ حُكْمِي عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافِ حِمْلٍ مِنَ الْخَزَائِنِ ، وَالْيَوْمَ لَا أَمْلِكُ الدِّرْهَمالْفَرْدَ.فَأَعْطَاهُ الرَّسُولُ مِنْ مَالِهِ أَلْفَ دِينَارٍ فَقَبِلَهَا ، وَكَانَتْ سَبَبَ سَعَادَةِ الرَّسُولِ; لِأَنَّهُ لَمَّا مَلَكَ مَوْدُودُ بْنُ مَسْعُودٍ بَالَغَ فِي الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ.ثُمَّ إِنَّ مُحَمَّدًا فَوَّضَ أَمْرَ دَوْلَتِهِ إِلَى وَلَدِهِ أَحْمَدَ ، وَكَانَ فِيهِ خَبْطٌ وَهَوَجٌ ، فَاتَّفَقَ هُوَ وَابْنُ عَمِّهِ يُوسُفُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ وَابْنُ عَلِيٍّ خُويْشَاوَنْدُ عَلَى قَتْلِ مَسْعُودٍ ، لِيَصْفُوَ الْمُلْكُ لَهُ وَلِوَالِدِهِ ، فَدَخَلَ إِلَى أَبِيهِ فَطَلَبَ خَاتَمَهُ لِيَخْتِمَ بِهِ بَعْضَ الْخَزَائِنِ ، فَأَعْطَاهُ ، فَسَارَ بِهِ إِلَى الْقَلْعَةِ ، وَأَعْطَوُا الْخَاتَمَ لِمُسْتَحْفِظِهَا وَقَالُوا مَعَنَا رِسَالَةٌ إِلَى مَسْعُودٍ ، فَأَدْخَلَهُمْ إِلَيْهِ فَقَلُوهُ ، فَلَمَّا عَلِمَ مُحَمَّدٌ بِذَلِكَ سَاءَهُ وَشَقَّ عَلَيْهِ وَأَنْكَرَهُ.وَقِيلَ إِنَّ مَسْعُودًا لَمَّا حُبِسَ دَخَلَ عَلَيْهِ وَلَدُ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ ، وَاسْمُ أَحَدِهِمَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَالْآخَرِ عَبْدُ الرَّحِيمِ ، فَمَدَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَدَهُ فَأَخَذَ الْقَلَنْسُوَةَ مِنْ رَأْسِ عَمِّهِ مَسْعُودٍ ، فَمَدَّ عَبْدُ الرَّحِيمِ يَدَهُ وَأَخَذَ الْقَلَنْسُوَةَ مِنْ أَخِيهِ ، وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَسَبَّهُ وَقَبَّلَهَا ، وَتَرَكَهَا عَلَى رَأْسِ عَمِّهِ ، فَنَجَا بِذَلِكَ عَبْدُ الرَّحِيمِ مِنَ الْأَسْرِ لَمَّا مَلَكَ مَوْدُودُ بْنُ مَسْعُودٍ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.ثُمَّ إِنَّ مُحَمَّدًا أَغْرَاهُ وَلَدُهُ أَحْمَدُ بِقَتْلِ عَمِّهِ مَسْعُودٍ ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَنْ قَتَلَهُ ، وَأَلْقَاهُ فِي بِئْرٍ وَسَدَّ رَأْسَهَا ، وَقِيلَ بَلَى أُلْقِيَ فِي بِئْرٍ حَيًّا وَسُدَّ رَأْسُهَا فَمَاتَ.وَاللَّهُ أَعْلَمُ.فَلَمَّا مَاتَ كَتَبَ مُحَمَّدٌ إِلَى ابْنِ أَخِيهِ مَوْدُودٍ وَهُوَ بِخُرَاسَانَ يَقُولُ إِنَّ وَالِدَكَ قُتِلَ قِصَاصًا ، قَتَلَهُ أَوْلَادُ أَحْمَدَ يَنَّالَ تِكِينَ بِلَا رِضًا مِنِّي.فَأَجَابَ مَوْدُودٌ يَقُولُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأِيرِ الْعَمِّ ، وَرَزَقَ وَلَدَهُ الْمَعْتُوهَ أَحْمَدَ عَقْلًا يَعِيشُ بِهِ ، فَقَدْ رَكِبَ أَمْرًا عَظِيمًا ، وَأَقْدَمَ عَلَى إِرَاقَةِ دَمِ مَلِكٍ مِثْلِ وَالِدِي الَّذِي لَقَّبَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ سَيِّدَ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، وَسَتَعْلَمُونَ فِي أَيِّ حَتْفٍ تَوَرَّطْتُمْ ، وَأَيِّ شَرٍّ تَأَبَّطْتُمْ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ.نُفَلِّقُ هَامًا مِنْ رِجَالٍ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا ، وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا وَطَمِعَ جُنْدُ مُحَمَّدٍ فِيهِ ، وَزَالَتْ عَنْهُمْ هَيْبَتُهُ ، فَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى أَمْوَالِ الرَّعَايَا فَنَهَبُوهَا ، فَخَرِبَتِ الْبِلَادُ وَجَلَا أَهْلُهَا ، لَاسِيَّمَا مَدِينَةُ بَرْشَاوُورَ ، فَإِنَّهَا هَلَكَ أَهْلُهَا ، وَنُهِبَتْ أَمْوَالُهُمْ ، وَكَانَ الْمَمْلُوكُ بِهَا يُبَاعُ بِدِينَارٍ ، وَتُبَاعُ الْخَمْرُ كُلُّ مَنًا بِدِينَارٍ ، ثُمَّ رَحَلَ مُحَمَّدٌ عَنْهَا لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ رَجَبٍ ، وَكَانَ مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.وَكَانَ السُّلْطَانُ مَسْعُودٌ شُجَاعًا كَرِيمًا ، ذَا فَضَائِلَ كَثِيرَةٍ ، مُحِبًّا لِلْعُلَمَاءِ ، كَثِيرَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَالتَّقَرُّبِ لَهُمْ ، صَنَّفُوا لَهُ التَّصَانِيفَ الْكَثِيرَةَ فِي فُنُونِ الْعُلُومِ ، وَكَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَةِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى أَهْلِ الْحَاجَةِ ، تَصَدَّقَ مَرَّةً فِي شَهْرِ رَمَضَانَ بِأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَأَكْثَرَ الْإِدْرَارَاتِ وَالصِّلَاتِ ، وَعَمَرَ كَثِيرًا مِنَ الْمَسَاجِدِ فِي مَمَالِكِهِ ، وَكَانَتْ صَنَائِعُهُ ظَاهِرَةً مَشْهُورَةً تَسِيرُ بِهَا الرُّكْبَانُ ، مَعَ عِفَّةٍ عَنْ أَمْوَالِ رَعَايَاهُ ، وَأَجَازَ الشُّعَرَاءَ بِجَوَائِزَ عَظِيمَةٍ ، أَعْطَى شَامِرًا عَلَى قَصِيدَةٍ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَأَعْطَى آخَرَ بِكُلِّ بَيْتٍ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَكَانَ يَكْتُبُ خَطًّا حَسَنًا ، وَكَانَ مُلْكُهُ عَظِيمًا ، فَسِيحًا ، مَلَكَ أَصْبَهَانَ وَالرَّيَّ وَهَمَذَانَ وَمَا يَلِيهَا مِنَ الْبِلَادِ ، وَمَلَكَ طَبَرِسْتَانَ ، وَجُرْجَانَ ، وَخُرَاسَانَ ، وَخُوَارَزْمَ ، وَبِلَادَ الرَّوَانِ ، وَكِرْمَانَ ، وَسِجِسْتَانَ ، وَالسِّنْدَ ، وَالرُّخَّجَ ، وَغَزْنَةَ ، وَبِلَادَ الْغَوْرِ ، وَالْهِنْدَ ، وَمَلَكَ كَثِيرًا مِنْهَا ، وَأَطَاعَهُ أَهْلُ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَمَنَاقِبُهُ كَثِيرَةٌ ، وَقَدْ صُنِّفَتْ فِيهَا التَّصَانِيفُ الْمَشْهُورَةُ ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى الْإِطَالَةِ بِذِكْرِهَا.ذِكْرُ مُلْكِ مَوْدُودِ بْنِ مَسْعُودٍ وَقَتْلِهِ عَمَّهُ مُحَمَّدًا لَمَّا قُتِلَ الْمَلِكُ مَسْعُودٌ وَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى ابْنِهِ مَوْدُودٍ وَهُوَ بِخُرَاسَانَ ، فَعَادَ مُجِدًّا فِي عَسَاكِرِهِ إِلَى غَزْنَةَ ، فَتَصَافَّ هُوَ وَعَمُّهُ مُحَمَّدٌ فِي ثَالِثِ شَعْبَانَ ، فَانْهَزَمَ مُحَمَّدٌ وَعَسْكَرُهُ ، وَقَبَضَ عَلَيْهِ وَعَلَى وَلَدِهِ أَحْمَدَ ، وَأَنُّوشْتِكِينَ الْخَصِيِّ الْبَلْخِيِّ ، وَابْنِ عَلِيٍّ خُويْشَاوَنْدَ ، فَقَتَلَهُمْ ، وَقَتَلَ أَوْلَادَ عَمِّهِ جَمِيعَهُمْ ، إِلَّا عَبْدَ الرَّحِيمِ لِإِنْكَارِهِ عَلَى أَخِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا فَعَلَهُ بِعَمِّهِ مَسْعُودٍ ، وَبَنَى مَوْضِعَ الْوَقْعَةِ قَرْيَةً وَرِبَاطًا ، وَسَمَّاهَا فَتْحَ آبَاذَ ، وَقَتَلَ كُلَّ مَنْ لَهُ فِي الْقَبْضِ عَلَى وَالِدِهِ صُنْعٌ ، وَعَادَ إِلَى غَزْنَةَ فَدَخَلَهَا فِي ثَالِثٍ وَعِشْرِينَ شَعْبَانَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَاسْتَوْزَرَ أَبَا نَصْرٍ وَزِيرَ أَبِيهِ ، وَأَظْهَرَ الْعَدْلَ وَحُسْنَ السِّيرَةِ ، وَسَلَكَ سِيرَةَ جَدِّهِ مَحْمُودٍ.وَكَانَ دَاوُدُ أَخُو طُغْرُلْبَك قَدْ مَلَكَ مَدِينَةَ بَلْخَ وَاسْتَبَاحَهَا ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، وَمَوْدُودٌ مُقَابِلُهُ ، فَتَجَدَّدَ قَتْلُ مَسْعُودٍ ، فَعَادَ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ، فَلَمَّا تَجَدَّدَ هَذَا الظَّفَرُ لِمَوْدُودٍ ثَارَ أَهْلُ هَرَاةَ بِمَنْ عِنْدَهُمْ مِنَ الْغُزِّ السَّلْجُوقِيَّةِ ، فَأَخْرَجُوهُمْ وَحَفِظُوهَا لِمَوْدُودٍ ، وَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ لِمَوْدُودٍ بِغَزْنَةَ ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ هَمٌّ إِلَّا أَمْرُ أَخِيهِ مَجْدُودٍ ، فَإِنَّ أَبَاهُ قَدْ سَيَّرَهُ إِلَى الْهِنْدِ سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فَخَافَ أَنْ يُخَالَفَ عَلَيْهِ ، فَأَتَاهُ خَبَرُهُ أَنَّهُ قَصَدَ لَهَاوُورَ وَمُلْتَانَ ، فَمَلَكَهُمَا ، وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ وَجَمَعَ بِهَا الْعَسَاكِرَ ، وَأَظْهَرَ الْخِلَافَ عَلَى أَخِيهِ ، فَنَدَبَ إِلَيْهِ مَوْدُودٌ جَيْشًا لِيَمْنَعُوهُ وَيُقَاتِلُوهُ ، وَعَرَضَ مَجْدُودٌ عَسْكَرَهَ لِلْمَسِيرِ ، وَحَضَرَ عِيدُ الْأَضْحَى ، فَبَقِيَ بَعْدَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَأَصْبَحَ مَيِّتًا بِلَهَاوُورَ لَا يُدْرَى كَيْفَ كَانَ مَوْتُهُ ، وَأَطَاعَتِ الْبِلَادُ بِأَسْرِهَا مَوْدُودًا ، وَرَسَتْ قَدَمُهُ ، وَثَبَتَ مُلْكُهُ ، وَلَمَّا سَمِعَتِ الْغُزُّ السَّلْجُوقِيَّةُ ذَلِكَ خَافُوهُ ، وَاسْتَشْعَرُوا مِنْهُ ، وَرَاسَلَهُ مَلِكُ التُّرْكِ بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ بِالِانْقِيَادِ وَالُمْتَابَعَةِ.ذِكْرُ الْخُلْفِ بَيْنَ جَلَالِ الدَّوْلَةِ وَقِرْوَاشٍ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اخْتَلَفَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ مَلِكُ الْعِرَاقِ وَقِرْوَاشُ بْنُ الْمُقَلَّدِ الْعُقَيْلِيُّ صَاحِبُ الْمَوْصِلِ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ قِرْوَاشًا كَانَ قَدْ أَنْفَذَ عَسْكَرًا سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فَحَصَرُوا خَمِيسَ بْنَ ثَعْلَبٍ بِتَكْرِيتَ ، وَجَرَى بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْهَا ، فَأَرْسَلَ خَمِيسٌ وَلَدَهُ إِلَى الْمَلِكِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَبَذَلَ بَذُولًا كَثِيرَةً لِيَكُفَّ عَنْهُ قِرْوَاشًا ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى قِرْوَاشٍ يَأْمُرُهُ بِالْكَفِّ عَنْهُ ، فَغَالَطَ وَلَمْ يَفْعَلْ ، وَسَارَ بِنَفْسِهِ وَنَزَلَ عَلَيْهِ يُحَاصِرُهُ ، فَتَأَثَّرَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ مِنْهُ.ثُمَّ إِنَّهُ أَرْسَلَ كُتُبًا إِلَى الْأَتْرَاكِ بِبَغْدَادَ يُفْسِدُهُمْ ، وَأَشَارَ عَلَيْهِمْ بِالشَّغَبِ عَلَى الْمَلِكِ وَإِثَارَةِ الْفِتْنَةِ مَعَهُ ، فَوَصَلَ خَبَرُهَا إِلَى جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَأَشْيَاءُ أُخَرُ كَانَتْ هَذِهِ هِيَ الْأَصْلَ ، فَأَرْسَلَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ أَبَا الْحَارِثِ أَرْسِلَانَ الْبَسَاسِيرِيَّ فِي صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ لِيَقْبِضَ عَلَى نَائِبِ قِرْوَاشٍ بِالسِّنْدِيَّةِ ، فَسَارَ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ ، وَتَبِعَهُ جَمْعٌ مِنَ الْعَرَبِ فَرَأَى فِي طَرِيقِهِ جِمَالًا لِبَنِي عِيسَى ، فَتَسَرَّعَ إِلَيْهَا الْأَتْرَاكُ وَالْعَرَبُ فَأَخَذُوا مِنْهَا قِطْعَةً ، وَأَوْغَلَ الْأَتْرَاكُ فِي الطَّلَبِ.وَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى الْعَرَبِ ، وَرَكِبُوا وَتَبِعُوا الْأَتْرَاكَ ، وَجَرَى بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ حَرْبٌ انْهَزَمَ فِيهَا الْأَتْرَاكُ ، وَأُسِرَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ ، وَعَادَ الْمُنْهَزِمُونَ فَأَخْبَرُوا الْبَسَاسِيرِيَّ بِكَثْرَةِ الْعَرَبِ ، فَعَادَ وَلَمْ يَصِلْ إِلَى مَقْصِدِهِ.وَسَارَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي عِيسَى ، فَكَمَنُوا بَيْنَ صَرْصَرٍ وَبَغْدَاذَ لِيُفْسِدُوا فِي السَّوَادِ ، فَاتَّفَقَ أَنْ وَصَلَ بَعْضُ أَكَابِرِ الْقُوَّادِ الْأَتْرَاكِ ، فَخَرَجُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ وَجَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَحُمِلُوا إِلَى بَغْدَاذَ ، فَارْتَجَّ الْبَلَدُ وَاسْتُحْكِمَتِ الْوَحْشَةُ مَعَ مُعْتَمَدِ الدَّوْلَةِ قِرْوَاشٍ ، فَجَمَعَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ الْعَسَاكِرَ وَسَارَ إِلَى الْأَنْبَارِ ، وَهِيَ لِقِرْوَاشٍ ، عَلَى عَزْمِ أَخْذِهَا مِنْهُ وَغَيْرِهَا مِنْ أَقْطَاعِهِ بِالْعِرَاقِ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى الْأَنْبَارِ أُغْلِقَتْ ، وَقَاتَلَهُمْ أَصْحَابُ قِرْوَاشٍ ، وَسَارَ قِرْوَاشٌ مِنْ تَكْرِيتَ إِلَى خُصَّةَ عَلَى عَزْمِ الْقِتَالِ ، فَلَمَّا نَزَلَ الْمَلِكُ جَلَالُ الدَّوْلَةِ عَلَى الْأَنْبَارِ قَلَّتْ عَلَيْهِمُ الْعَلُوفَةُ ، فَسَارَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَسْكَرِ وَالْعَرَبِ إِلَى الْحَدِيثَةِ لِيَمْتَارُوا مِنْهَا ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ عِنْدَهَا جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْعَرَبِ ، فَأَوْقَعُوا بِهِمْ ، فَانْهَزَمَ بَعْضُهُمْ وَعَادُوا إِلَى الْعَسْكَرِ ، وَنَهَبَتِ الْعَرَبُ مَا مَعَهُمْ مِنَ الدَّوَابِّ الَّتِي تَحْمِلُ الْمِيرَةَ ، وَبَقِيَ الْمُرْشِدُ أَبُو الْوَفَاءِ وَهُوَ الْمُقَدَّمُ عَلَى الْعَسْكَرِ الَّذِينَ سَارُوا لِإِحْضَارِ الْمِيرَةِ ، وَثَبَتَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ.وَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى جَلَالِ الدَّوْلَةِ أَنَّ الْمُرْشِدَ أَبَا الْوَفَاءِ يُقَاتِلُ ، وَأُخْبِرَ سَلَامَتُهُ وَصَبْرُهُ لِلْعَرَبِ وَأَنَّهُمْ يُقَاتِلُونَهُ وَهُوَ يَطْلُبُ النَّجْدَةَ ، فَسَارَ الْمَلِكُ إِلَيْهِ بِعَسْكَرٍ ، فَوَصَلُوا وَقَدْ عَجَزَ الْعَرَبُ عَنِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ ، وَعَادُوا عَنْهُ بَعْدَ أَنْ حَمَلُوا عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ مَعَهُ عِدَّةَ حَمَلَاتٍ صَبَرَ لَهَا فِي قِلَّةِ مَنْ مَعَهُ.ثُمَّ اخْتَلَفَتْ عُقَيْلُ عَلَى قِرْوَاشٍ ، فَرَاسَلَ جلَالَ الدَّوْلَةِ وَطَلَبَ رِضَاهُ ، وَبَذَلَ لَهُ بَذْلًا أَصْلَحَهُ بِهِ ، وَعَادَ إِلَى طَاعَتِهِ ، فَتَحَالَفَا وَعَادَ كُلٌّ إِلَى مَكَانِهِ.ذِكْرُ مُلْكِ أَبِي الشَّوْكِ دَقُوقَا كَانَتْ دَقُوقَا لِأَبِي الْمَاجِدِ الْمُهَلْهِلِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِنَّازٍ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهَا أَخُوهُ حُسَامُ الدَّوْلَةِ أَبُو الشَّوْكِ وَلَدَهُ سَعْدِي ، فَحَصَرَهَا ، فَقَاتَلَهُ مَنْ بِهَا.ثُمَّ سَارَ أَبُو الشَّوْكِ إِلَيْهَا فَجَدَّ فِي حِصَارِهَا ، وَنَقَبَ سُورَهَا ، وَدَخَلَهَا عَنْوَةً ، وَنَهَبَ أَصْحَابُهُ بَعْضَ الْبَلَدِ ، وَأَخَذُوا سِلَاحَ الْأَكْرَادِ وَثِيَابَهُمْ ، وَأَقَامَ حُسَامُ الدَّوْلَةِ بِالْبَلَدِ لَيْلَةً ، وَعَادَ خَوْفًا عَلَى الْبَنْدَنِيجَيْنِ وَحُلْوَانَ ، فَإِنَّ أَخَاهُ سُرْخَابَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عِنَّازٍ كَانَ قَدْ أَغَارَ عَلَى عِدَّةِ مَوَاضِعَ مِنْ وِلَايَتِهِ ، وَحَالَفَ أَبَا الْفَتْحِ بْنَ وَرَّامٍ وَالْجَاوَانِيَّةَ عَلَيْهِ ، فَأَشْفَقَ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى جَلَالِ الدَّوْلَةِ يَطْلُبُ مِنْهُ نَجْدَةً ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ عَسْكَرًا امْتَنَعَ بِهِمْ.ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ عَسْكَرِ مِصْرَ وَالرُّومِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتِ الْوَقْعَةُ بَيْنَ عَسْكَرِ الْمِصْرِيِّينَ سَيَّرَهُ الدُّزْبَرِيُّ وَبَيْنَ الرُّومِ ، فَظَفِرَ الْمُسْلِمُونَ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ مَلِكَ الرُّومِ قَدْ هَادَنَهُ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ الْعَلَوِيُّ صَاحِبُ مِصْرَ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ.فَلَمَّا كَانَ الْآنَ شَرَعَ يُرَاسِلُ ابْنَ صَالِحِ بْنَ مِرْدَاسٍ وَيَسْتَمِيلُهُ ، وَرَاسَلَهُ قَبْلَهُ صَالِحٌلِيَتَقَوَّى بِهِ عَلَى الدُّزْبَرِيِّ ، خَوْفًا أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ الرَّقَّةَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الدُّزْبَرِيَّ ، فَتَهَدَّدَ ابْنَ صَالِحٍ ، فَاعْتَذَرَ وَجَحَدَ.ثُمَّ إِنَّ جَمْعًا مِنْ بَنِي جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ دَخَلُوا وِلَايَةَ أَفَامِيَةَ ، فَعَاثُوا فِيهَا وَنَهَبُوا عِدَّةَ قُرَى ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ جَمْعٌ مِنَ الرُّومِ فَقَاتَلَهُمْ وَأَوْقَعُوا بِهِمْ ، وَنَكُّوا فِيهِمْ ، وَأَزَالُوهُمْ عَنْ بِلَادِهِمْ.وَبَلَغَ ذَلِكَ النَّاظِرَ بِحَلَبَ ، فَأَخْرَجَ مَنْ بِهَا مِنْ تُجَّارِ الْفِرِنْجِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْمُتَوَلِّي بِأَنْطَاكِيَةَ يَأْمُرُهُ بِإِخْرَاجِ مَنْ عِنْدَهُمْ مِنْ تُجَّارِ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَغْلَظَ لِلرَّسُولِ وَأَرَادَ قَتْلَهُ ، ثُمَّ تَرَكَهُ ، فَأَرْسَلَ النَّاظِرُ بِحَلَبَ إِلَى الدُّزْبَرِيِّ يُعَرِّفُهُ الْحَالُ ، وَأَنَّ الْقَوْمَ عَلَى التَّجَهُّزِ لِقَصْدِ الْبِلَادِ ، فَجَهَّزَ الدُّزْبَرِيُّ جَيْشًا وَسَيَّرَهُ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ ، فَاتَّفَقَ أَنَّهُمْ لَقَوْا جَيْشًا لِلرُّومِ وَقَدْ خَرَجُوا لِمِثْلِ مَا خَرَجَ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ ، وَالْتَقَى الْفَرِيقَانِ بَيْنَ مَدِينَةِ حَمَاةَ وَأَفْامِيَةَ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ نَصَرَ الْمُسْلِمِينَ وَأَذَلَّ الْكَافِرِينَ ، فَانْهَزَمُوا وَقُتِلَ مِنْهُمْ عِدَّةٌ كَثِيرَةٌ ، وَأُسِرَ ابْنُ عَمٍّ لِلْمَلِكِ ، بَذَلُوا فِي فِدَائِهِ مَالًا جَزِيلًا وَعِدَّةً وَافِرَةً مِنْ أُسَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، وَانْكَفَّ الرُّومُ عَنِ الْأَذَى بَعْدَهَا.ذِكْرُ الْخُلْفِ بَيْنَ الْمُعِزِّ وَبَنِي حَمَّادٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَالَفَ أَوْلَادُ حَمَّادٍ عَلَى الْمُعِزِّ بْنِ بَادِيسَ صَاحِبِ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَعَادُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْعِصْيَانِ وَالْخِلَافِ عَلَيْهِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ الْمُعِزُّ ، وَجَمَعَ الْعَسَاكِرَ وَحَشَدَهَا ، وَحَصَرَ قَلْعَتَهُمُ الْمَعْرُوفَةَ بِقَلْعَةِ حَمَّادٍ ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِمْ ، وَأَقَامَ عَلَيْهِمْ نَحْوَ سَنَتَيْنِ.ذِكْرُ صُلْحِ أَبِي الشَّوْكِ وَعَلَاءِ الدَّوْلَةِ وَفِيهَا سَارَ مُهَلْهِلٌ أَخُو أَبِي الشَّوْكِ إِلَى عَلَاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ كَاكَوَيْهِ وَاسْتَصْرَخَهُ ، وَاسْتَعَانَ بِهِ عَلَى أَخِيهِ أَبِي الشَّوْكِ ، فَسَارَ مَعَهُ ، فَلَمَّا بَلَغَ قِرْمِيسِينَ رَجَعَ أَبُو الشَّوْكِ إِلَى حُلْوَانَ ، فَعَرَفَ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ رُجُوعَهُ ، فَسَارَ يَتْبَعُهُ حَتَّى بَلَغَ الْمَرْجَ ، وَقَرُبَ مِنْ أَبِي الشَّوْكِ ، فَعَزَمَ أَبُو الشَّوْكِ عَلَى قَصْدِ قَلْعَةِ السِّيرَوَانِ وَالتَّحَصُّنِ بِهَا ، ثُمَّ تَجَلَّدَ وَأَرْسَلَ إِلَى عَلَاءِ الدَّوْلَةِ إِنَّنِي لَمْ أَنْصَرِفْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ إِلَّا مُرَاقَبَةً لَكَ ، وَإِعْظَامًا لِقَدْرِكَ ، وَاسْتِعْطَافًا لَكَ ، فَإِذَا اضْطَرَرْتَنِي إِلَى مَا لَا أَجِدُ بُدًّا مِنْهُ كَانَ الْعُذْرُ قَائِمًا لِي فِيهِ ، فَإِنْ ظَفِرْتُ بكَ طَمِعَ فِيكَ الْأَعْدَاءُ ، وَإِنْ ظَفِرْتَ بِي سَلَّمْتُ قِلَاعِي وَبِلَادِي إِلَى الْمَلِكِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ.فَأَجَابَهُ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ إِلَى الصُّلْحِ عَلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ الدِّينَوَرُ ، وَعَادَ فَلَحِقَهُ الْمَرَضُ فِي طَرِيقِهِ وَتُفِّيَ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ بِإِفْرِيقِيَّةَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ ، وَسَبَبُهُ عَدَمُ الْأَمْطَارِ ، فَسُمِّيَتْ سَنَةَ الْغُبَارِ ، وَدَامَ ذَلِكَ إِلَى سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فَخَرَجَ النَّاسُ فَاسْتَسْقَوْا. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ قُزُلُ أَمِيرُ الْغُزِّ الْعِرَاقِيَّةِ بِالرَّيِّ ، وَدُفِنَ بِنَاحِيَةٍ مِنْ أَعْمَالِهَا.وَفِيهَا تُوُفِّيَ صَاعِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو الْعَلَاءِ النَّيْسَابُورِيُّ ثُمَّ الْأُسْتُوَائِيُّ ، قَاضِي نَيْسَابُورَ ، وَكَانَ عَالِمًا فَقِيهًا حَنَفِيًّا ، انْتَهَتْ إِلَيْهِ رِئَاسَةُ الْحَنَفِيَّةِ بِخُرَاسَانَ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ وَفَاةِ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ كَاكَوَيْهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي الْمُحَرَّمِ تُوُفِّيَ عَلَاءُ الدَّوْلَةِ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ دِشْمِنْزِيَارَ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ كَاكَوَيْهِ ، بَعْدَ عَوْدِهِ مِنْ بَلَدِ أَبِي الشَّوْكِ ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ كَاكَوَيْهِ لِأَنَّهُ ابْنُ خَالِ مَجْدِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ ، وَالْخَالُ بِلُغَتِهِمْ كَاكَوَيْهِ ، وَقَامَ بِأَصْبَهَانَ ابْنُهُ ظُهَيْرُ الدِّينِ أَبُو مَنْصُورٍ فِرَامَرْزُ مَقَامَهُ ، وَهُوَ أَكْبَرُ أَوْلَادِهِ ، وَأَطَاعَهُ الْجُنْدُ بِهَا ، فَسَارَ وَلَدُهُ أَبُو كَالِيجَارَ كُرْشَاسُفُ إِلَى نَهَاوَنْدَ ، فَأَقَامَ بِهَا وَحَفِظَهَا ، وَضَبَطَ أَعْمَالَ الْجَبَلِ ، وَأَخْذَهَا لِنَفْسِهِ ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ أَخُوهُ أَبُو مَنْصُورٍ فِرَامَرْزُ.ثُمَّ إِنَّ مُسْتَحْفِظًا لِعَلَاءِ الدَّوْلَةِ بِقَلْعَةِ نَطْنَزَ أَرْسَلَ أَبُو مَنْصُورٍ إِلَيْهِ يَطْلُبُ شَيْئًا مِمَّا عِنْدَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالذَّخَائِرِ ، فَامْتَنَعَ وَأَظْهَرَ الْعِصْيَانَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ أَبُو مَنْصُورٍ وَأَخُوهُ الْأَصْغَرُ أَبُو حَرْبٍ ، لِيَأْخُذَا الْقَلْعَةَ مِنْهُ كَيْفَ أَمْكَنَ ، فَصَعِدَ أَبُو حَرْبٍ إِلَيْهَا ، وَوَافَقَ الْمُسْتَحْفِظَ عَلَى الْعِصْيَانِ ، فَعَادَ أَبُو مَنْصُورٍ إِلَى أَصْبَهَانَ ، وَأَرْسَلَ أَبُو حَرْبٍ إِلَى الْغُزِّ السَّلْجُوقِيَّةِ بِالرَّيِّ يَسْتَنْجِدُهُمْ ، فَسَارَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ إِلَى قَاجَانَ ، فَدَخَلُوهَا وَنَهَبُوهَا وَسَلَّمُوهَا إِلَى أَبِي حَرْبٍ ، وَعَادُوا إِلَى الرَّيِّ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهَا أَبُو مَنْصُورٍ عَسْكَرًا لِيَسْتَنْقِذَهَا مِنْ أَخِيهِ ، فَجَمَعَ أَبُو حَرْبٍ الْأَكْرَادَ وَغَيْرَهُمْ ، وَجَعَلَ عَلَيْهِمْ صَاحِبًا لَهُ ، وَسَيَّرَهُمْ إِلَى أَصْبَهَانَ لِيَمْلِكُوهَا بِزَعْمِهِ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِمْ أَخُوهُ أَبُو مَنْصُورٍ عَسْكَرًا ، فَالْتَقَوْا ، وَانْهَزَمَ عَسْكَرُ أَبِي حَرْبٍ وَأُسِرَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ.وَتَقَدَّمَ أَصْحَابُ أَبِي مَنْصُورٍ فَحَصَرُوا أَبَا حَرْبٍ ، فَلَمَّا رَأَى الْحَالَ وَخَافَ ، نَزَلَ مِنْهَا مُتَخَفِّيًا ، وَسَارَ إِلَى شِيرَازَ إِلَى الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ ، صَاحِبِ فَارِسَ وَالْعِرَاقِ ، فَحَسَّنَ لَهُ قَصْدَ أَصْبَهَانَ وَأَخْذَهَا مِنْ أَخِيهِ ، فَسَارَ الْمَلِكُ إِلَيْهَا وَحَصَرَهَا ، وَبِهَا الْأَمِيرُ أَبُو مَنْصُورٍ ، فَامْتَنَعَ عَلَيْهِ ، وَجَرَى بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ عِدَّةُ وَقَائِعَ ، وَكَانَ آخِرَ الْأَمْرِ الصُّلْحُ عَلَى أَنْ يَبْقَى أَبُو مَنْصُورٍ بِأَصْبَهَانَ ، وَتَقَرَّرَ عَلَيْهِ مَالٌ ، وَعَادَ أَبُو حَرْبٍ إِلَى قَلْعَةِ نَطْنَزَ ، وَاشْتَدَّ الْحِصَارُ عَلَيْهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَخِيهِ يَطْلُبُ الْمُصَالَحَةَ ، فَاصْطَلَحَا عَلَى أَنْ يُعْطِيَ أَخَاهُ بَعْضَ مَا فِي الْقَلْعَةِ ، وَيَبْقَى بِهَا عَلَى حَالِه.ثُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ خَرَجَ إِلَى الرَّيِّ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ ، وَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي مَنْصُورٍ فِرَامَرْزَ يَطْلُبُ مِنْهُ الْمُوَادَعَةَ ، فَلَمْ يُجِبْهُ ، وَسَارَ فِرَامَرْزُ إِلَى هَمَذَانَ وَبُرُجِرْدَ فَمَلَكَهُمَا ، ثُمَّ اصْطَلَحَ هُوَ وَأَخُوهُ كِرْشَاسُفُ ، وَأَقْطَعَهُ هَمَذَانَ ، وَخُطِبَ لِأَبِي مَنْصُورٍ عَلَى مَنَابِرِ بِلَادِ كِرْشَاسُفَ ، وَاتَّفَقَتْ كَلِمَتُهُمَا ، وَكَانَ الْمُدَبِّرَ لِأَمْرِهِمَا الْكِيَا أَبُو الْفَتْحِ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَهُوَ الَّذِي سَعَى فِي جَمْعِ كَلِمَتِهِمَا.ذِكْرُ مُلْكِ طُغْرُلْبَك جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَلَكَ طُغْرُلْبَك جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَنُّوشَرْوَانَ بْنَ مَنُّوجَهْرَ بْنِ قَابُوسِ بْنِ وَشْمِكِيرَ صَاحِبَهَا قَبَضَ عَلَى أَبِي كَالِيجَارِ بْنِ وَيْهَانَ الْقُوهِيِّ ، صَاحِبِ جَيْشِهِ وَزَوْجِ أُمِّهِ ، بِمُسَاعَدَةِ أُمِّهِ عَلَيْهِ ، فَعَلِمَ حِينَئِذٍ طُغْرُلْبَك أَنَّ الْبِلَادَ لَا مَانِعَ لَهُ عَنْهَا ، فَسَارَ إِلَيْهَا وَقَصَدَ جُرْجَانَ وَمَعَهُ مَرْدَاوَيْجُ بْنُ بَسُّو ، فَلَمَّا نَازَلَهَا فَتَحَ لَهُ الْمُقِيمُ بِهَا فَدَخَلَهَا ، وَقَرَّرَ عَلَى أَهْلِهَا مِائَةَ أَلْفَ دِينَارٍ صُلْحًا ، وَسَلَّمَهَا إِلَى مَرْدَاوَيْجَ بْنِ بَسُّو ، وَقَرَّرَ عَلَيْهِ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ كُلَّ سَنَةٍ عَنْ جَمِيعِ الْأَعْمَالِ ، وَعَادَ إِلَى نَيْسَابُورَ.وَقَصَدَ مَرْدَاوَيْجُ أَنُّوشَرْوَانَ بِسَارِيَةٍ ، وَكَانَ بِهَا ، فَاصْطَلَحَا عَلَى أَنْ ضَمِنَ أَنُّوشَرْوَانَ لَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَأُقِيمَتِ الْخُطْبَةُ لِطُغْرُلْبَك فِي الْبِلَادِ كُلِّهَا ، وَتَزَوَّجَ مَرْدَاوَيْجُ بِوَالِدَةِ أَنُّوشَرْوَانَ ، وَبَقِيَ أَنُّوشَرْوَانَ يَتَصَرَّفُ بِأَمْرِ مَرْدَاوَيْجَ لَا يُخَالِفُهُ فِي شَيْءٍ الْبَتَّةَ.ذِكْرُ أَحْوَالِ مُلُوكِ الرُّومِ نَذْكُرُ هَاهُنَا أَحْوَالَ الرُّومِ مِنْ عَهْدِ بَسِيلَ إِلَى الْآنَ ، فَنَقُول مِنْ عَادَةِ مُلُوكِ الرُّومِ أَنْ يَرْكَبُوا أَيَّامَ الْأَعْيَادِ إِلَى الْبِيعَةِ الْمَخْصُوصَةِ بِذَلِكَ الْعِيدِ ، فَإِذَا اجْتَازَ الْمَلِكُ بِالْأَسْوَاقِ شَاهَهُ النَّاسُ وَبِأَيْدِيهِمُ الْمَدَاخِنُ يُبَخِّرُونَ فِيهَا ، فَرَكِبَ وَالِدُ بَسِيلَ وَقُسْطَنْطِينَ فِي بَعْضِ الْأَعْيَادِ ، وَكَانَ لِبَعْضِ أَكَابِرِ الرُّومِ بِنْتٌ جَمِيلَةٌ ، فَخَرَجَتْ تُشَاهِدُ الْمَلِكَ ، فَلَمَّا مَرَّ بِهَا اسْتَحْسَنَهَا ، فَأَمَرَ مَنْ يَسْأَلُ عَنْهَا ، فَلَمَّا عَرَفَهَا خَطَبَهَا وَتَزَوَّجَهَا وَأَحَبَّهَا ، وَوَلَدَتْ مِنْهُ بَسِيلَ وَقُسْطَنْطِينَ ، وَتُوُفِّيَ وَهُمَا صَغِيرَانِ ، فَتَزَوَّجَتْ بَعْدَهُ بِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ نِقْفُورَ ، فَكَرِهَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ، فَعَمِلَتْ عَلَى قَتْلِهِ ، فَرَاسَلَتِ الشَّمْشَقِيقَ فِي ذَلِكَ ، فَقَصَدَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ مُتَخَفِّيًا ، فَأَدْخَلَتْهُ إِلَى دَارِ الْمَلِكِ ، وَاتَّفَقَا وَقَتَلَاهُ لَيْلًا ، وَأَحْضَرَتِ الْبَطَارِقَةَ مُتَفَرِّقِينَ وَأَعْطَتْهُمُ الْأَمْوَالَ وَدَعَتْهُمْ إِلَى تَمْلِيكِ الشَّمْشَقِيقِ ، فَفَعَلُوا ، وَلَمْ يُصْبِحْ وَقَدْ فَرَغَتْ مِمَّا تُرِيدُ ، وَلَمْ يَجْرِ خُلْفٌ.وَتَزَوَّجَتِ الشَّمْشَقِيقَ وَأَقَامَتْ مَعَهُ سَنَةً ، فَخَافَهَا وَاحْتَالَ عَلَيْهَا ، وَأَخْرَجَهَا إِلَى دَيْرٍ بَعِيدٍ ، وَحَمَلَ وَلَدَيْهَا مَعَهَا ، فَأَقَامَتْ فِيهِ سَنَةً ، ثُمَّ أَحْضَرَتْ رَاهِبًا ، وَوَهَبَتْهُ مَالًا ، وَأَمَرَتْهُ بِقَصْدِ قُسْطَنْطِينِيَّةَ وَالْمُقَامِ بِكَنِيسَةِ الْمَلِكِ ، وَالِاقْتِصَارِ عَلَى قَدْرِ الْقُوتِ ، فَإِذَا وَثِقَ بِهِ الْمَلِكُ ، وَأَرَادَ الْقُرْبَانَ مِنْ يَدِهِ لَيْلَةَ الْعِيدِ سَقَاهُ سُمًّا ، فَفَعَلَ الرَّاهِبُ ذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةَ الْعِيدِ سَارَتْ وَمَعَهَا وَلَدَاهَا ، وَوَصَلَتْ قُسْطَنْطِينِيَّةَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ الشَّمْشَقِيقُ ، فَمَلَكَ وَلَدُهَا بَسِيلُ ، وَدَبَّرَتْ هِيَ الْأَمْرَ لِصِغَرِهِ ، فَلَمَّا كَبِرَ بَسِيلُ قَصَدَ بَلَدَ الْبُلْغَارِ ، وَتُوُفِّيَتْ وَهُوَ هُنَاكَ ، فَبَلَغَهُ وَفَاتُهَا ، فَأَمَرَ خَادِمًا لَهُ أَنْ يُدَبِّرَ الْأُمُورَ فِي غَيْبَتِهِ.وَدَامَ قِتَالُهُ لِبُلْغَارَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، فَظَفِرُوا بِهِ ، فَعَادَ مَهْزُومًا وَأَقَامَ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ يَتَجَهَّزُ لِلْعَوْدِ ، فَعَادَ إِلَيْهِمْ ، فَظَفِرَ بِهِمْ وَقَتَلَ مَلِكَهُمْ ، وَسَبَى أَهْلَهُ وَأَوْلَادَهُ ، وَمَلَكَ بِلَادَهُ ، وَنَقَلَ أَهْلَهَا إِلَى الرُّومِ ، وَأَسْكَنَ الْبِلَادَ طَائِفَةً مِنَ الرُّومِ ، وَهَؤُلَاءِ الْبُلْغَارُ غَيْرُ الطَّائِفَةِ الْمُسْلِمَةِ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ إِلَى بَلَدِ الرُّومِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِنَحْوِ شَهْرَيْنِ ، وَكِلَاهُمَا يُسَمَّى بُلْغَارَ.وَكَانَ بَسِيلُ عَادِلًا ، حَسَنَ السِّيرَةِ ، وَدَامَ مُلْكُهُ نَيِّفًا وَسَبْعِينَ سَنَةً ، وَتُوُفِّيَ وَلَمْ يُخَلِّفْ وَلَدًا ، فَمَلَكَ أَخُوهُ قُسْطَنْطِينُ ، وَبَقِيَ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ وَلَمْ يُخَلِّفْ غَيْرَ ثَلَاثِ بَنَاتٍ ، فَمَلَكَتِ الْكُبْرَى وَتَزَوَّجَتْ أَرْمَانُوسَ ، وَهُوَ مِنْ أَقَارِبِ الْمَلِكِ ، وَمَلَّكَتْهُ فَبَقِيَ مُدَّةً ، وَهُوَ الَّذِي مَلَكَ الرُّهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ.وَكَانَ لِأَرْمَانُوسَ صَاحِبٌ لَهُ يَخْدِمُهُ قَبْلَ مُلْكِهِ ، مِنْ أَوْلَادِ بَعْضِ الصَّيَارِفِ ، اسْمُهُ مِيخَائِيلُ ، فَلَمَّا مَلَكَ حَكَّمَهُ فِي دَارِهِ ، فَمَالَتْ زَوْجَةُ قُسْطَنْطِينَ إِلَيْهِ ، وَعَمِلَا الْحِيلَةَ فِي قَتْلِ أَرْمَانُوسَ ، فَمَرِضَ أَرْمَانُوسُ فَأَدْخَلَاهُ إِلَى الْحَمَّامِ كَارِهًا وَخَنَقَاهُ ، وَأَظْهَرَا أَنَّهُ مَاتَ فِي الْحَمَّامِ ، وَمَلَّكَتْ زَوْجَتُهُ مِيخَائِيلَ ، وَتَزَوَّجَتْهُ عَلَى كُرْهٍ مِنَ الرُّومِ.وَعَرَضَ لِمِيخَائِيلَ صَرَعٌ لَازَمَهُ وَشَوَّهَ صُورَتَهُ ، فَعُهِدَ بِالْمُلْكِ بَعْدَهُ إِلَى ابْنِ أُخْتٍ لَهُ اسْمُهُ مِيخَائِيلُ أَيْضًا ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ مَلَكَ ابْنُ أُخْتِهِ وَأَحْسَنَ السِّيرَةَ ، وَقَبَضَ عَلَى أَهْلِ خَالِهِ وَإِخْوَتِهِ ، وَهُمْ أَخْوَالُهُ ، وَضَرَبَ الدَّنَانِيرَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَهِيَ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ ، ثُمَّ أَحْضَرَ زَوْجَتَهُ بِنْتَ الْمَلِكِ ، وَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تَتَرَهَّبَ وَتَنْزِعَ نَفْسَهَا عَنِ الْمُلْكِ ، فَأَبَتْ ، فَضَرَبَهَا وَسَيَّرَهَا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ عَزَمَ عَلَى الْقَبْضِ عَلَى الْبِطَرْكِ وَالِاسْتِرَاحَةِ مَنْ تَحَكُّمِهِ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَقْدِرُ عَلَى مُخَالَفَتِهِ ، فَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَعْمَلَ لَهُ طَعَامًا فِي دَيْرٍ ذَكَرَهُ بِظَاهِرِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ لِيَحْضُرَ عِنْدَهُ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَخَرَجَ إِلَى الدَّيْرِ لِيَعْمَلَ مَا قَالَ الْمَلِكُ ، فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ جَمَاعَةً مِنَ الرُّوسِ وَالْبُلْغَارِ ، وَوَافَقَهُمْ عَلَى قَتْلِهِ سِرًّا ، فَقَصَدُوهُ لَيْلًا وَحَصَرُوهُ فِي الدَّيْرِ ، فَبَذَلَ لَهُمْ مَالًا كَثِيرًا ، وَخَرَجَ مُتَخَفِّيًا ، وَقَصَدَ الْبِيعَةَ الَّتِي يَسْكُنُهَا ، وَضَرَبَ النَّاقُوسَ ، فَاجْتَمَعَ الرُّومُ عَلَيْهِ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى عَزْلِ الْمَلِكِ فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَحَصَرُوا الْمَلِكَ فِي دَارٍ ، فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ إِلَى زَوْجَتِهِ وَأَحْضَرَهَا مِنَ الْجَزِيرَةِ الَّتِي نَفَاهَا إِلَيْهَا ، وَرَغِبَ فِي أَنْ تَرُدَّ عَنْهُ فَلَمْ تَفْعَلْ ، وَأَخْرَجَتْهُ إِلَى بِيعَةٍ يَتَرَهَّبُ فِيهَا.ثُمَّ إِنَّ الْبِطَرْكَ وَالرُّومَ نَزَعُوا زَوْجَتَهُ مِنَ الْمُلْكِ ، وَمَلَّكُوا أُخْتًا لَهَا صَغِيرَةً ، وَاسْمُهَا تَذُورَةُ ، وَجَعَلُوا مَعَهَا خَدَمَ أَبِيهَا يُدَبِّرُونَ الْمُلْكَ ، وَكَحَّلُوا مِيخَائِيلَ ، وَوَقَعَتِ الْحَرْبُ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ بَيْنَ مَنْ يَتَعَصَّبُ لَهُ وَبَيْنَ مَنْ يَتَعَصَّبُ لِتَذُورَةَ وَالْبِطَرْكِ ، فَظَفِرَ أَصْحَابُ تَذُورَةَ بِهِمْ ، وَنَهَبُوا أَمْوَالَهُمْ.ثُمَّ إِنَّ الرُّومَ افْتَقَرُوا إِلَى مَلِكٍ يُدَبِّرُهُمْ ، فَكَتَبُوا أَسْمَاءَ جَمَاعَةٍ يَصْلُحُونَ لِلْمُلْكِ فِي رِقَاعٍ ، وَوَضَعُوهَا فِي بَنَادِقَ طِينٍ ، وَأَمَرُوا مَنْ يُخْرِجُ مِنْهَا بُنْدُقَةً ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُ بِاسْمِ مَنْ فِيهَا ، فَخَرَجَ اسْمُ قُسْطَنْطِينَ ، فَمَلَّكُوهُ وَتَزَوَّجَتْهُ الْمَلِكَةُ الْكَبِيرَةُ ، وَاسْتَنْزَلَتْ أُخْتَهَا الصَّغِيرَةَ تَذُورَةُ عَنِ الْمُلْكِ بِمَالٍ بَذَلَتْهُ لَهَا ، وَاسْتَقَرَّ فِي الْمُلْكِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فَخَرَجَ عَلَيْهِ فِيهَا خَارِجِيٌّ مِنَ الرُّومِ اسْمُهُ أَرْمِينَاسُ ، وَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ ، فَكَثُرَ جَمْعُهُ حَتَّى زَادُوا عَلَى عِشْرِينَ أَلْفًا ، فَأَهَمَّ قُسْطَنْطِينَ أَمْرُهُ ، وَسَيَّرَ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا ، فَظَفِرُوا بِالْخَارِجِيِّ وَقَتَلُوهُ ، وَحَمَلُوا رَأْسَهُ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَأُسِرَ مِنْ أَعْيَانِ أَصْحَابِهِ مِائَةُ رَجُلٍ ، فَشُهِّرُوا فِي الْبَلَدِ ، ثُمَّ أُطْلِقُوا وَأُعْطُوا نَفَقَةً ، وَأُمِرُوا بِالِانْصِرَافِ إِلَى أَيِّ جِهَةٍ أَرَادُوا.ذِكْرُ فَسَادِ حَالِ الدَّزْبَرِيِّ بِالشَّامِ وَمَا صَارَ الْأَمْرُ إِلَيْهِ بِالْبِلَادِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فَسَدَ أَمْرُ أَنُّوشْتِكِينَ الدَّزْبَرِيِّ نَائِبِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ صَاحِبِ مِصْرَ بِالشَّامِ ، وَقَدْ كَانَ كَبِيرًا عَلَى مَخْدُومِهِ بِمَا يَرَاهُ مَنْ تَعْظِيمِ الْمُلُوكِ لَهُ ، وَهَيْبَةِ الرُّومِ مِنْهُ.وَكَانَ الْوَزِيرُ أَبُو الْقَاسِمِ الْجَرْجَرَائِيُّ يَقْصِدُهُ وَيَحْسُدُهُ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَجِدُ طَرِيقًا إِلَى الْوَقِيعَةِ فِيهِ ، ثُمَّ اتَّفَقَ أَنَّهُ سُعِيَ بِكَاتِبٍ لِلدَّزْبَرِيِّ اسْمُهُ أَبُو سَعْدٍ ، وَقِيلَ عَنْهُ إِنَّهُ يَسْتَمِيلُ صَاحِبَهُ إِلَى غَيْرِ جِهَةِ الْمِصْرِيِّينَ ، فَكُوتِبَ الدَّزْبَرِيُّ بِإِبْعَادِهِ فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَاسْتَوْحَشُوا مِنْهُ ، وَوَضَعَ الْجَرْجَرَائِيُّ حَاجِبَ الدَّزْبَرِيِّ وَغَيْرَهُ عَلَى مُخَالَفَتِهِ.ثُمَّ إِنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْأَجْنَادِ قَصَدُوا مِصْرَ ، وَشَكَوْا إِلَى الْجَرْجَرَائِيِّ مِنْهُ ، فَعَرَّفَهُمْ سُوءَ رَأْيِهِ فِيهِ ، وَأَعَادَهُمْ إِلَى دِمَشْقَ ، وَأَمَرَهُمْ بِإِفْسَادِ الْجُنْدِ عَلَيْهِ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ.وَأَحَسَّ الدَّزْبَرِيُّ بِمَا يَجْرِي ، فَأَظْهَرَ مَا فِي نَفْسِهِ ، وَأَحْضَرَ نَائِبَ الْجَرْجَرَائِيِّ عِنْدَهُ ، وَأَمَرَ بِإِهَانَتِهِ وَضَرْبِهِ ، ثُمَّ إِنَّهُ أَطْلَقَ لِطَائِفَةٍ مِنَ الْعَسْكَرِ يَلْزَمُونَ خِدْمَتَهُ أَرْزَاقَهُمْ ، وَمَنَعَ الْبَاقِينَ ، فَحَرَّكَ مَا فِي نُفُوسِهِمْ ، وَقَوَّى طَمَعَهُمْ فِيهِ بِمَا كُوتِبُوا بِهِ مِنْ مِصْرَ ، فَأَظْهَرُوا الشَّغَبَ عَلَيْهِ وَقَصَدُوا قَصْرَهُ ، وَهُوَ بِظَاهِرِ الْبَلَدِ ، وَتَبِعَهُمْ مِنَ الْعَامَّةِ مَنْ يُرِيدُ النَّهْبَ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَعَلِمَ الدَّزْبَرِيُّ ضَعْفَهُ وَعَجْزَهُ عَنْهُمْ ، فَفَارَقَ مَكَانَهُ ، وَاسْتَصْحَبَ أَرْبَعِينَ غُلَامًا لَهُ وَمَا أَمْكَنَهُ مِنَ الدَّوَابِّ وَالْأَثَاثِ وَالْأَمْوَالِ ، وَنَهَبَ الْبَاقِي ، وَسَارَ إِلَى بَعْلَبَكَّ فَمَنَعَهُ مُسْتَحْفِظُهَا ، وَأَخَذَ مَا أَمْكَنَهُ أَخْذُهُ مِنْ مَالِ الدَّزْبَرِيِّ ، وَتَبِعَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْجُنْدِ يَقْفُونَ أَثَرَهُ ، وَيَنْهَبُونَ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ.وَسَارَ إِلَى مَدِينَةِ حَمَاةَ فَمُنِعَ عَنْهَا وَقُوتِلَ ، وَكَاتَبَ الْمُقَلَّدَ بْنَ مُنْقِذٍ الْكِنَانِيَّ الْكَفَرْطَابِيَّ وَاسْتَدْعَاهُ ، فَأَجَابَهُ وَحَضَرَ عِنْدَهُ فِي نَحْوِ أَلْفَيْ رَجُلٍ مَنْ كَفَرْطَابَ وَغَيْرِهَا ، فَاحْتَمَى بِهِ ، وَسَارَ إِلَى حَلَبَ وَدَخَلَهَا ، وَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً ، وَتُوُفِّيَ فِي مُنْتَصَفِ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.فَلَمَّا تُوُفِّيَ فَسَدَ أَمْرُ بِلَادِ الشَّامِ ، وَانْتَشَرَتِ الْأُمُورُ بِهَا ، وَزَالَ النِّظَامُ ، وَطَمِعَتِ الْعَرَبُ ، وَخَرَجُوا فِي نَوَاحِيهِ ، فَخَرَجَ حَسَّانُ بْنُ الْمُفَرِّجِ الطَّائِيُّ بِفِلَسْطِينَ ، وَخَرَجَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بْنُ صَالِحٍ الْكِلَابِيُّ بِحَلَبَ ، وَقَصَدَهَا وَحَصَرَهَا ، وَمَلَكَ الْمَدِينَةَ ، وَامْتَنَعَ أَصْحَابُ الدَّزْبَرِيِّ بِالْقَلْعَةِ ، وَكَتَبُوا إِلَى مِصْرَ يَطْلُبُونَ النَّجْدَةَ ، فَلَمْ يَفْعَلُوا ، وَاشْتَغَلَ عَسَاكِرُ دِمَشْقَ وَمُقَدَّمُهُمُ الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ الَّذِي وَلِيَ أَمْرَ دِمَشْقَ بَعْدَ الدَّزْبَرِيِّ بِحَرْبِ حَسَّانَ ، وَوَقَعَ الْمَوْتُ فِي الَّذِينَ فِي الْقَلْعَةِ ، فَسَلَّمُوهَا إِلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بِالْأَمَان.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَيَّرَ الْمَلِكُ أَبُو كَالِيجَارَ مِنْ فَارِسَ عَسْكَرًا فِي الْبَحْرِ إِلَى عَمَّانَ ، وَكَانَ قَدْ عَصَى مَنْ بِهَا ، فَوَصَلَ الْعَسْكَرُ إِلَى صَحَارِ مَدِينَةِ عُمَّانَ فَمَلَكُوهَا ، وَاسْتَعَادُوا الْخَارِجِينَ عَنِ الطَّاعَةِ ، وَاسْتَقَرَّتِ الْأُمُورُ بِهَا ، وَعَادَتِ الْعَسَاكِرُ إِلَى فَارِسَ.وَفِيهَا قَصَدَ أَبُو نَصْرِ بْنُ الْهَيْثَمِ الصَّلِيقَ مِنَ الْبَطَائِحِ ، فَمَلَكَهَا وَنَهَبَهَا ، ثُمَّ اسْتَقَرَّ أَمْرُهَا عَلَى مَالٍ يُؤَدِّيهِ إِلَى جَلَالِ الدَّوْلَةِ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو مَنْصُورٍ بَهْرَامُ بْنُ مَافَنَّةَ ، وَهُوَ الْمُلَقَّبُ بِالْعَادِلِ ، وَزِيرُ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ حَسَنَ السِّيرَةِ ، وَبَنَى دَارَ الْكُتُبِ بِفَيْرُوزَابَاذَ ، وَجَعَلَ فِيهَا سَبْعَةَ آلَافِ مُجَلَّدٍ ، فَلَمَّا مَاتَ وَزَرَ بَعْدَهُ مُهَذِّبُ الدَّوْلَةِ أَبُو مَنْصُورٍ هِبَةُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ الْفَسَوِي.وَفِيهَا وَصَلَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْبُلْغَارِ إِلَى بَغْدَاذَ يُرِيدُونَ الْحَجَّ ، فَأُقِيمَ لَهُمْ مِنَ الدِّيوَانِ الْإِقَامَاتُ الْوَافِرَةُ ، فَسُئِلَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَيِّ الْأُمَمِ هُمُ الْبُلْغَارُ ؟فَقَالَ هُمْ قَوْمٌ تَوَلَّدُوا بَيْنَ اَّرْكِ وَالصَّقَالِبَةِ ، وَبَلَدُهُمْ فِي أَقْصَى التُّرْكِ ، وَكَانُوا كُفَّارًا ، فَأَسْلَمُوا عَنْ قَرِيبٍ ، وَهُمْ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ مِيخَائِيلُ مَلِكُ الرُّومِ ، وَمَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُ أَخِيهِ مِيخَائِيلُ أَيْضًا.وَفِيهَا فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ تُوُفِّيَ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْجَهْرَمِيُّ الشَّاعِرُ ، وَهُوَ الْقَائِلُ يَا وَيْحَ قَلْبِي مِنْ تَقَلُّبِهِ...أَبَدًا يَحِنُّ إِلَى مُعَذِّبِهِ قَالُوا كَتَمْتَ هَوَاهُ عَنْ جَلَدٍ...لَوْ أَنَّ لِي رَمَقًا لَبُحْتُ بِهِ بِأَبِي حَبِيبًا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ...عَنِّي وَيُكْثِرُ مِنْ تَعَتُّبِهِ حَسْبِي رِضَاهُ مِنَ الْحَيَاةِ...وَمَا قَلَقِي وَمَوْتِي مِنْ تَغَضُّبِهِ وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُطَرِّزِ مُهَاجَاةٌ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ مُلْكِ طُغْرُلْبَك مَدِينَةَ خُوَارَزْمَ قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ خُوَارَزْمَ كَانَتْ مِنْ جُمْلَةِ مَمْلَكَةِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَمَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ مَسْعُودٌ كَانَتْ لَهُ ، وَكَانَ فِيهَا أَلْتُونْتَاشُ حَاجِبُ أَبِيهِ مَحْمُودٍ ، وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ أُمَرَائِهِ ، يَتَوَلَّاهَا لِمَحْمُودٍ وَمَسْعُودٍ بَعْدَهُ ، وَلَمَّا كَانَ مَسْعُودٌ مَشْغُولًا بِقَصْدِ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ لَأَخْذِ الْمُلْكِ ، قَصَدَ الْأَمِيرُ عَلِيُّ تِكِينُ صَاحِبُ مَا وَرَاءِ النَّهْرِ أَطْرَافَ بِلَادِهِ وَشَعَّثَهَا ، فَلَمَّا فَرَغَ مَسْعُودٌ مِنْ أَمْرِ أَخِيهِ وَاسْتَقَرَّ الْمُلْكُ لَهُ كَاتَبَ أَلْتُونْتَاشَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ بِقَصْدِ أَعْمَالِ عَلِيِّ تِكِينَ ، وَأَخْذِ بُخَارَى وَسَمَرْقَنْدَ ، وَأَمَدَّهُ بِجَيْشٍ كَثِيفٍ ، فَعَبَرَ جَيْحُونَ ، وَفَتَحَ مِنْ بِلَادِ عَلِيِّ تِكِينَ مَا أَرَادَ ، وَانْحَازَ عَلِيُّ تِكِينُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ.وَأَقَامَ أَلْتُونْتَاشُ بِالْبِلَادِ الَّتِي فَتَحَهَا ، فَرَأَى دَخْلَهَا لَا يَفِي بِمَا تَحْتَاجُ عَسَاكِرُهُ; لِأَنَّهُ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ يَمْتَنِعُ بِهِمْ عَلَى التُّرْكِ ، فَكَاتَبَ مَسْعُودًا فِي ذَلِكَ وَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْعَوْدِ إِلَى خُوَارَزْمَ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَلَمَّا عَادَ لَحِقَهُ عَلِيُّ تِكِينُ عَلَى غِرَّةٍ وَكَبَسَهُ ، فَانْهَزَمَ عَلِيُّ تِكِينُ ، وَصَعِدَ إِلَى قَلْعَةِ دَبُّوسِيَّةَ ، فَحَصَرَهُ أَلْتُونْتَاشُ وَكَادَ يَأْخُذُهُ!فَرَاسَلَهُ لِيُّ تِكِينُ وَاسْتَعْطَفَهُ وَضَرَعَ إِلَيْهِ ، فَرَحَلَ عَنْهُ وَعَادَ إِلَى خُوَارَزْمَ.وَأَصَابَ أَلْتُونْتَاشَ فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ جِرَاحَةٌ ، فَلَمَّا عَادَ إِلَى خُوَارَزْمَ مَرِضَ مِنْهَا وَتُوُفِّيَ ، وَخَلَّفَ مِنَ الْأَوْلَادِ ثَلَاثَةَ بَنِينٍ هَارُونَ ، وَرَشِيدٍ ، وَإِسْمَاعِيلَ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ ضَبَطَ الْبَلَدَ وَزِيهُ أَبُو نَصْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ ، وَحَفِظَ الْخَزَائِنَ وَغَيْرَهَا ، وَأَعْلَمَ مَسْعُودًا ، فَوَلَّى ابْنَهُ الْكَبِيرَ هَارُونَ خُوَارَزْمَ ، وَسَيَّرَهُ إِلَيْهَا ، وَكَانَ عِنْدَه.وَاتَّفَقَ أَنَّ الْمَيْمَنْدِيَّ وَزِيرَ مَسْعُودٍ تُوُفِّيَ ، فَاسْتَحْضَرَ أَبَا نَصْرِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ وَاسْتَوْزَرَهُ ، فَاسْتَنَابَ أَبُو نَصْرٍ عِنْدَ هَارُونَ ابْنَهُ عَبْدَ الْجَبَّارِ ، وَجَعَلَهُ وَزِيرَهُ ، فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَارُونَ مُنَافَرَةٌ أَسَرَّهَا هَارُونُ فِي نَفْسِهِ ، وَحَسَّنَ لَهُ أَصْحَابُهُ الْقَبْضَ عَلَى عَبْدِ الْجَبَّارِ ، وَالْعِصْيَانَ عَلَى مَسْعُودٍ ، فَأَظْهَرَ الْعِصْيَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَأَرَادَ قَتْلَ عَبْدِ الْجَبَّارِ فَاخْتَفَى مِنْهُ ، فَقَالَ أَعْدَاءُ أَبِيهِ لِلْمَلِكِ مَسْعُود إِنَّ أَبَا نَصْرٍ وَاطَأَ هَارُونَ عَلَى الْعِصْيَانِ ، وَإِنَّمَا اخْتَفَى ابْنُهُ حِيلَةً وَمَكْرًا ، فَاسْتَوْحَشَ مِنْهُ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُظْهِرْ ذَلِكَ لَهُ.وَعَزَمَ مَسْعُودٌ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ غَزْنَةَ إِلَى خُوَارَزْمَ ، فَسَارَ عَنْ غَزْنَةَ وَالزَّمَانُ شِتَاءٌ ، فَلَمْ يُمْكِنْهُ قَصْدَ خُوَارَزْمَ ، فَسَارَ إِلَى جُرْجَانَ طَالِبًا أَنُّوشَرْوَانَ بْنَ مَنُّوجَهْرَ ، لِيُقَابِلَهُ عَلَى مَا ظَهَرَ مِنْهُ عِنْدَ اشْتِغَالِ مَسْعُودٍ بِقِتَالِ أَحْمَدَ يَنَّالَ تِكِينَ بِبِلَادِ الْهِنْدِ.فَلَمَّا كَانَ بِبِلَادِ جُرْجَانَ أَتَاهُ كِتَابُ عَبْدِ الْجَبَّارِ أَبِي نَصْرٍ بِقَتْلِ هَارُونَ ، وَإِعَادَةِ الْبَلَدِ إِلَى طَاعَتِهِ ، وَكَانَ عَبْدُ الْجَبَّارِ فِي بَدْءِ اسْتِتَارِهِ يَعْمَلُ عَلَى قَتْلِ هَارُونَ ، وَوَضَعَ جَمَاعَةً عَلَى الْفَتْكِ بِهِ ، فَقَتَلُوهُ عِنْدَ خُرُوجِهِ إِلَى الصَّيْدِ ، وَقَامَ عَبْدُ الْجَبَّارِ بِحِفْظِ الْبَلَدِ.فَلَمَّا وَقَفَ مَسْعُودٌ عَلَى كِتَابِ عَبْدِ الْجَبَّارِ عَلِمَ أَنَّ الَّذِي قِيلَ عَنْ أَبِيهِ كَانَ بَاطِلًا ، فَعَادَ إِلَى الثِّقَةِ بِهِ ، وَبَقِيَ عَبْدُ الْجَبَّارِ أَيَّامًا يَسِيرَةً ، فَوَثَبَ بِهِ غِلْمَانُ هَارُونَ فَقَتَلُوهُ ، وَوَلَّوُا الْبَلَدَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ أَلْتُونْتَاشَ ، وَقَامَ بِأَمْرِهِ شُكْرٌ خَادِمُ أَبِيهِ ، وَعَصَوْا عَلَى مَسْعُودٍ.فَكَتَبَ مَسْعُودٌ إِلَى شَاهْمَلِكَ بْنِ عَلِيٍّ ، أَحَدِ أَصْحَابِ الْأَطْرَافِ بِنَوَاحِي خُوَارَزْمَ ، بِقَصْدِ خُوَارَزْمَ وَأَخْذِهَا ، فَسَارَ إِلَيْهَا ، فَقَاتَلَهُ شُكْرٌ وَإِسْمَاعِيلُ وَمَنَعَاهُ عَنِ الْبَلَدِ ، فَهَزَمَهُمَا وَمَلَكَ الْبَلَدَ ، فَسَارَا إِلَى طُغْرُلْبَك وَدَاوُدَ السَّلْجُقِيَّيْنِ وَالْتَجَآ إِلَيْهِمَا ، وَطَلَبَا الْمَعُونَةَ مِنْهُمَا ، فَسَارَ دَاوُدُ مَعَهُمَا إِلَى خُوَارَزْمَ ، فَلَقِيَهُمْ شَاهْمَلِكُ وَقَاتَلَهُمْ فَهَزَمَهُمْ ، وَلَمَّا جَرَى عَلَى مَسْعُودٍ مِنَ الْقَتْلِ مَا جَرَى وَمَلَكَ مَوْدُودٌ ، دَخَلَ شَاهْمَلِكُ فِي طَاعَتِهِ وَصَافَاهُ ، وَتَمَسَّكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِه.ثُمَّ إِنَّ طُغْرُلْبَك سَارَ إِلَى خُوَارَزْمَ فَحَصَرَهَا وَمَلَكَهَا وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَانْهَزَمَ شَاهْمَلِكُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَاسْتَصْحَبَ أَمْوَالَهُ وَذَخَائِرَهُ وَمَضَى فِي الْمَفَازَةِ إِلَى دِهِسْتَانَ ، ثُمَّ انْتَقَلَ عَنْهَا إِلَى طَبَسَ ، ثُمَّ إِلَى أَطْرَافِ كِرْمَانَ ، ثُمَّ إِلَى أَعْمَالِ التِّيزِ وَمَكْرَانَ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى هُنَاكَ عَلِمَ خَلَاصَهُ بِبُعْدِهِ ، وَأَمِنَ فِي نَفْسِهِ ، فَعَرَفَ خَبَرَهُ أَرْتَاشُ أَخُو إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ طُغْرُلْبَك ، فَقَصَدَهُ فِي أَرْبَعَةِ آلَافَ فَارِسٍ ، فَأَوْقَعَ بِهِ وَأَسَرَهُ وَأَخَذَ مَا مَعَهُ ، ثُمَّ عَادَ بِهِ فَسَلَّمَهُ إِلَى دَاوُدَ ، وَحَصَلَ هُوَ بِمَا غَنِمَ مِنْ أَمْوَالِهِ ، وَعَادَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى بَاذَغِيسَ الْمُقَارِبَةِ لِهَرَاةَ ، وَأَقَامَ عَلَى مُحَاصَرَةِ هَرَاةَ ، لِأَنَّهُمْ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ كَانُوا مُقِيمِينَ عَلَى الِامْتِنَاعِ وَالِاعْتِصَامِ بِبَلَدِهِمْ وَالثَّبَاتِ عَلَى طَاعَةِ مَوْدُودِ بْنِ مَسْعُودٍ ، فَقَاتَلَهُمْ أَهْلُ هَرَاةَ ، وَحَفِظُوا بَلَدَهُمْ مَعَ خَرَابِ سَوَادِهِمْ ، وَإِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْحَرْبُ ، خَوْفًا مِنَ الْغُز.ذِكْرُ قَصْدِ إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ هَمَذَانَ وَمَا كَانَ مِنْهُ قَدْ ذَكَرْنَا خُرُوجَ إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ مِنْ خُرَاسَانَ إِلَى الرَّيِّ وَاسْتِيلَاءَهُ عَلَيْهَا.فَلَمَّا اسْتَقَرَّ أَمْرُهَا سَارَ عَنْهَا ، وَمَلَكَ الْبِلَادَ الْمُجَاوِرَةَ لَهَا ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى بُرُجِرْدَ فَمَلَكَهَا ، ثُمَّ قَصَدهَمَذَانَ ، وَكَانَ بِهَا أَبُو كَالِيجَارَ كُرْشَاسُفُ بْنُ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ صَاحِبُهَا ، فَفَارَقَهَا إِلَى سَابُورَ خُوَاسْتَ ، وَنَزَلَ إِبْرَاهِيمُ يَنَّالُ عَلَى هَمَذَانَ وَأَرَادَ دُخُولَهَا ، فَقَالَ لَهُ أَهْلُهَا إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الَاعَةَ وَمَا يَطْلُبُهُ السُّلْطَانُ مِنَ الرَّعِيَّةِ ، فَنَحْنُ بَاذِلُوهُ ، وَدَاخِلُونَ تَحْتَهُ ، فَاطْلُبْ أَوَّلًا هَذَا الْمُخَالِفَ عَلَيْكَ الَّذِي كَانَ عِنْدَنَا يَعْنُونَ كُرْشَاسُفَ فَإِنَّا لَا نَأْمَنُ عَوْدَهُ إِلَيْنَا ، فَإِذَا مَلَكْتَهُ أَوْ دَفَعْتَهُ كُنَّا لَكَ.فَكَفَّ عَنْهُمْ وَسَارَ إِلَى كُرْشَاسُفَ بَعْدَ أَنْ أَخَذَ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ مَالًا ، فَلَمَّا قَارَبَ سَابُورَ خُوَاسْتَ صَعِدَ كُرْشَاسُفُ إِلَى الْقَلْعَةِ فَتَحَصَّنَ بِهَا ، وَحَصَرَ إِبْرَاهِيمُ الْبَلَدَ ، فَقَاتَلَهُ أَهْلُهُ خَوْفًا مِنَ الْغُزِّ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ طَاقَةٌ عَلَى دَفْعِهِمْ ، فَمَلَكَ الْبَلَدَ قَهْرًا ، وَنَهَبَ الْغُزُّ أَهْلَهُ ، وَفَعَلُوا الْأَفَاعِيلَ الْقَبِيحَةَ بِهِمْ ، ثُمَّ عَادُوا بِمَا غَنِمُوهُ إِلَى الرَّيِّ ، فَرَأَوْا طُغْرُلْبَك قَدْ وَرَدَهَا ، وَلَمَّا فَارَقَ إِبْرَاهِيمُ وَالْغُزُّ هَمَذَانَ نَزَلَ كُرْشَاسُفُ إِلَيْهَا ، فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ وَصَلَ طُغْرُلْبَك إِلَى الرَّيِّ ، فَسَارَ إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ ، عَلَى مَا نَذْكُرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ خُرُوجِ طُغْرُلْبَك إِلَى الرَّيِّ وَمُلْكِ بَلَدِ الْجَبَلِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ طُغْرُلْبَك مِنْ خُرَاسَانَ إِلَى الرَّيِّ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ خُوَارَزْمَ ، وَجُرْجَانَ ، وَطَبَرِسْتَانَ ، فَلَمَّا سَمِعَ أَخُوهُ إِبْرَاهِيمُ يَنَّالُ بِقُدُومِهِ سَارَ إِلَيْهِ فَلَقِيَهُ ، وَتَسَلَّمَ طُغْرُلْبَك الرَّيَّ مِنْهُ ، وَتَسَلَّمَ غَيْرَهَا مِنْ بَلَدِ الْجَبَلِ ، وَسَارَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى سِجِسْتَانَ ، وَأَخَذَ طُغْرُلْبَك أَيْضًا قَلْعَةَ طَبَرَكَ مِنْ مَجْدِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ مُكْرَمًا ، وَأَمَرَ طُغْرُلْبَك بِعِمَارَةِ الرَّيِّ ، وَكَانَتْ قَدْ خُرِّبَتْ ، فَوَجَدَ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ مَرَاكِبَ ذَهَبٍ مُجَوْهَرَةً وَبَرْنِيَّتَيْ صِينِيٍّ مَمْلُوءَتَيْنِ جَوْهَرًا وَمَالًا كَثِيرًا ، وَغَيْرَ ذَلِك.وَكَانَ كَامَرُّو يُهَادِي طُغْرُلْبَك وَهُوَ بِخُرَاسَانَ وَيَخْدِمُهُ ، وَخَدَمَ أَخَاهُ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا كَانَ بِالرَّيِّ ، فَلَمَّا حَضَرَ عِنْدَهُ أَهْدَى لَهُ هَدَايَا كَثِيرَةً مِنْ أَنْوَاعٍ شَتَّى ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ طُغْرُلْبَك يَزِيدُ فِي إِقْطَاعِهِ ، وَيَرْعَى لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ خِدْمَتِهِ لَهُ ، فَخَابَ ظَنُّهُ ، وَقَرَّرَ عَلَى مَا بِيَدِهِ كُلَّ سَنَةٍ سَبْعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ.ثُمَّ سَارَ إِلَى قَزْوِينَ ، فَامْتَنَعَ عَلَيْهِ أَهْلُهَا ، فَزَحَفَ إِلَيْهِمْ وَرَمَاهُمْ بِالسِّهَامِ وَالْحِجَارَةِ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَقِفُوا عَلَى السُّورِ ، وَقَتَلَ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ بَرْشَقَ ، وَأَخَذَ ثَلَاثَمِائَةٍ وَخَمْسِينَ رَجُلًا ، فَلَمَّا رَأَى كَامَرُّو وَمَرْدَاوَيْجُ بْنُ بَسُّو ذَلِكَ خَافُوا أَنْ يَمْلِكَ الْبَلَدَ عَنْوَةً وَيَنْهَبَ ، فَمَنَعُوا النَّاسَ مِنَ الْقِتَالِ ، وَأَصْلَحُوا الْحَالَ عَلَى ثَمَانِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَصَارَ صَاحِبُهَا فِي طَاعَتِهِ.ثُمَّ إِنَّهُ أَرْسَلَ إِلَى كُوكْتَاشَ وَبُوقَا وَغَيْرَهُمَا مِنْ أُمَرَاءِ الْغُزِّ الَّذِينَ تَقَدَّمَ خُرُوجُهُمْ يُمَنِّيهِمْ وَيَدَعُوهُمْ إِلَى الْحُضُورِ فِي خِدْمَتِهِ ، فَلَمَّا وَصَلَ رَسُولُهُ إِلَيْهِمْ سَارُوا حَتَّى نَزَلُوا عَلَى نَهْرٍ بِنَوَاحِي زِنْجَانَ ، ثُمَّ أَعَادُوا رَسُولَهُ ، وَقَالُوا لَهُ قُلْ لَهُ قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ غَرَضَكَ أَنْ تَجْمَعَنَا لِتَقْبِضَ عَلَيْنَا ، وَالْخَوْفُ مِنْكَ أَبْعَدَنَا عَنْكَ ، وَقَدْ نَزَلْنَا هَاهُنَا ، فَإِنْ أَرَدْتَنَا قَصَدْنَا خُرَاسَاَ أَوِ الرُّومَ ، وَلَا نَجْتَمِعُ بِكَ أَبَدًا.وَأَرْسَلَ طُغْرُلْبَك إِلَى مَلِكِ الدَّيْلَمِ يَدْعُوهُ إِلَى الطَّاعَةِ وَيَطْلُبُ مِنْهُ مَالًا ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ مَالًا وَعُرُوضًا ، وَأَرْسَلَ أَيْضًا إِلَى سَلَّارِ الطِّرْمِ يَدْعُوهُ إِلَى خِدْمَتِهِ ، وَيُطَالِبُهُ بِحَمْلِ مِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَاسْتَقَرَّ الْحَالُ بَيْنَهُمَا عَلَى الطَّاعَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الْمَالِ.وَأَرْسَلَ سَرِيَّةً إِلَى أَصْبَهَانَ وَبِهَا أَبُو مَنْصُورٍ فِرَامَرْزُ بْنُ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ ، فَأَغَارَتْ عَلَى أَمَالِهَا وَعَادَتْ سَالِمَةً.وَخَرَجَ طُغْرُلْبَك مِنَ الرَّيِّ ، وَأَظْهَرَ قَصْدَ أَصْبَهَانَ ، فَرَاسَلَهُ فِرَامَرْزُ وَصَانَعَهُ بِمَالٍ ، فَعَادَ عَنْهُ ، وَسَارَ إِلَى هَمَذَانَ فَمَلَكَهَا مِنْ صَاحِبِهَا كُرْشَاسُفَ بْنِ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ قَدْ نَزَلَ إِلَيْهِ وَهُوَ بِالرَّيِّ بَعْدَ أَنْ رَاسَلَهُ طُغْرُلْبَك غَيْرَ مَرَّةٍ ، وَسَارَ مَعَهُ مِنَ الرَّيِّ إِلَى أَبْهُرُوزَنْجَانَ ، فَأَخَذَ مِنْهُ هَمَذَانَ ، وَتَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ عَنْهُ ، وَطَلَبَ مِنْهُ طُغْرُلْبَك تَسْلِيمَ قَلْعَةِ كِنْكِوَرَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَنْ بِهَا بِالتَّسْلِيمِ ، فَلَمْ يَفْعَلُوا وَقَالُوا لِرُسُلِ طُغْرُلْبَكْ قُلْ لِصَاحِبِكَ وَاللَّهِ لَوْ قَطَّعْتَهُ قِطَعًا مَا سَلَّمْنَاهَا إِلَيْكَ.فَقَالَ لَهُ طُغْرُلْبَكْ مَا امْتَنَعُوا إِلَّا بِأَمْرِكَ وَرَأْيِكَ ، فَاص إِلَيْهِمْ وَأَقِمْ مَعَهُمْ ، وَلَا تُفَارِقْ مَوْضِعَكَ حَتَّى آذَنَ لَكَ.ثُمَّ عَادَ إِلَى الرَّيِّ ، وَاسْتَنَابَ بِهَمَذَانَ نَاصِرًا الْعَلَوِيَّ ، وَكَانَ كُرْشَاسُفُ قَدْ قَبَضَ عَلَيْهِ ، فَأَخْرَجَهُ طُغْرُلْبَك وَوَلَّاهُ الرَّيَّ ، وَأَمَرَهُ بِمُسَاعَدَةِ مَنْ يَجْعَلُهُ فِي الْبَلَدِ ، وَكَانَ مَعَهُ مَرْدَاوَيْجُ بْنُ بَسُّو نَائِبُهُ فِي جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ ، فَمَاتَ ، وَقَامَ وَلَدُهُ جَسْتَانُ مُقَامَهُ ، فَسَارَ طُغْرُلْبَك إِلَى جُرْجَانَ ، فَعَزَلَ جَسْتَانَ عَنْهَا ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى جُرْجَانَ أَسْفَارَ ، وَهُوَ مِنْ خَوَاصِّ مَنُّوجَهْرَ بْنِ قَابُوسَ ، فَلَمَّا فَرَغَ أَمْرُ جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ سَارَ إِلَى دِهِسْتَانَ فَحَصَرَهَا ، وَبِهَا صَاحِبُهَا كَامْيَارُ مُعْتَصِمًا بِهَا لِحَصَانَتِهَا.ذِكْرُ مَسِيرِ عَسَاكِرِ طُغْرُلْبَك إِلَى كِرْمَانَ وَسَيَّرَ طُغْرُلْبَك طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى كِرْمَانَ مَعَ أَخِيهِ إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ بَعْدَ أَنْ دَخَلَ الرَّيَّ ، وَقِيلَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَقْصِدْ كِرْمَانَ ، وَإِنَّمَا قَصَدَ سِجِسْتَانَ ، وَكَانَ مُقَدَّمُ الْعَسَاكِرِ الَّتِي سَارَتْ إِلَى كِرْمَانَ غَيْرَهُ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى أَطْرَافِ كِرْمَانَ نَهَبُوا ، وَلَمْ يُقْدِمُوا عَلَى التَّوَغُّلِ فِيهَا ، فَلَمْ يَرَوْا مِنَ الْعَسَاكِرِ مَنْ يَكُفُّهُمْ ، فَتَوَسَّطُوهَا وَمَلَكُوا عِدَّةَ مَوَاضِعَ مِنْهَا ، وَنَهَبُوهَا.فَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ صَاحِبِهَا ، فَسَيَّرَ وَزِيرَهُ مُهَذِّبَ الدَّوْلَةِ فِي الْعَسَاكِرِ الْكَثِيرَةِ ، وَأَمَرَهُ بِالْجِدِّ فِي الْمَسِيرِ لِيُدْرِكَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَمْلِكُوا جِيرُفْتَ ، وَكَانُوا يُحَاصِرُونَهَا ، فَطَوَى الْمَرَاحِلَ حَتَّى قَارَبَهُمْ ، فَرَحَلُوا عَنْ جِيرُفْتَ وَنَزَلُوا عَلَى سِتَّةِ فَرَاسِخَ مِنْهَا.وَجَاءَ مُهَذِّبُ الدَّوْلَةِ فَنَزَلَهَا ، وَأَرْسَلَ لِيَحْمِلَ الْمِيرَةَ إِلَى الْعَسْكَرِ ، فَخَرَجَتِ الْغُزُّ إِلَى الْجِمَالِ وَالْبِغَالِ وَالْمِيرَةِ لِيَأْخُذُوهَا ، وَسَمِعَ مُهَذَّبُ الدَّوْلَةِ ذَلِكَ فَسَيَّرَ طَائِفَةً مِنَ الْعَسْكَرِ لِمَنْعِهِمْ ، فَتَوَاقَعُوا وَاقْتَتَلُوا ، وَتَكَاثَرَ الْغُزُّ فَسَمِعَ مُهَذَّبُ الدَّوْلَةِ الْخَبَرَ ، فَسَارَ فِي الْعَسَاكِرِ إِلَى الْمَعْرَكَةِ وَهُمْ يَقْتَتِلُونَ ، وَقَدْ ثَبَتَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ لِصَاحِبَتِهَا ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ إِلَى حَدِّ أَنَّ بَعْضَ الْغُزِّ رَمَى فَرَسَ بَعْضِ أَصْحَابِ أَبِي كَالِيجَارَ بِسَهْمٍ ، فَوَقَعَ فِيهِ ، وَطَعَنَهُ صَاحِبُ الْفَرَسِ بِرُمْحٍ ، فَأَصَابَ فَرَسَ الْغُزِّيِّ ، وَحَمَلَ الْغُزِّيُّ عَلَى صَاحِبِ الْفَرَسِ فَضَرَبَهُ ضَرْبَةً قَطَعَتْ يَدَهُ ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ صَاحِبُ الْفَرَسِ وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ ، فَضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ فَقَطَعَهُ قِطْعَتَيْنِ ، وَسَقَطَا إِلَى الْأَرْضِ قَتِيلَيْنِ ، وَالْفَرَسَانِ قَتِيلَانِ ، وَهَذِهِ حَالَةٌ لَمْ يُدَوَّنْ عَنْ مُقَدَّمِي الشُّجْعَانِ أَحْسَنُ مِنْهَا.فَلَمَّا وَصَلَ مُهَذِّبُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْمَعْرَكَةِ انْهَزَمَ الْغُزُّ وَتَرَكُوا مَا كَانُوا يَنْهَبُونَهُ ، وَدَخَلُوا الْمَفَازَةَ ، وَتَبِعَهُمُ الدَّيْلَمُ إِلَى رَأْسِ الْحَدِّ ، وَعَادُوا إِلَى كِرْمَانَ فَأَصْلَحُوا مَا فَسَدَ مِنْهَا. ذِكْرُ الْوَحْشَةِ بَيْنَ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَجَلَالِ الدَّوْلَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ افْتُتِحَتِ الْجَوَالِي فِي الْمُحَرَّمِ بِبَغْدَاذَ ، فَأَنْفَذَ الْمَلِكُ جَلَالُ الدَّوْلَةِ فَأَخَذَ مَا تَحَصَّلَ مِنْهَا ، وَكَانَتِ الْعَادَةُ أَنْ يُحْمَلَ مَا يُحَصَّلُ مِنْهَا إِلَى الْخُلَفَاءِ لَا تُعَارِضُهُمْ فِيهَا الْمُلُوكُ ، فَلَمَّا فَعَلَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ ذَلِكَ عَظُمَ الْأَمْرُ فِيهِ عَلَى الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ ، وَأَرْسَلَ مَعَ أَقَضَى الْقُضَاةِ أَبِي الْحَسَنِ الْمَاوَرْدِيِّ فِي ذَلِكَ ، وَتَكَرَّرَتِ الرَّسَائِلُ ، فَلَمْ يُصْغِ جَلَالُ الدَّوْلَةِ لِذَلِكَ ، وَأَخَذَ الْجَوَالِيَ ، فَجَمَعَ الْخَلِيفَةُ الْهَاشِمِيِّينَ بِالدَّارِ وَالرَّجَّالَةَ ، وَتَقَدَّمَ بِإِصْلَاحِ الطَّيَّارِ وَالزَّبَازَبِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِ الْأَطْرَافِ وَالْقُضَاةِ بِمَا عَزَمَ عَلَيْهِ ، وَأَظْهَرَ الْعَزْمَ عَلَى مُفَارَقَةِ بَغْدَاذَ ، فَلَمْ يَتِمَّ ذَلِكَ ، وَحَدَثَ وَحْشَةٌ مِنَ الْجِهَتَيْنِ ، فَاقْتَضَتِ الْحَالُ أَنَّ الْمَلِكَ يَتْرُكُ مُعَارَضَةَ النُّوَّابِ الْإِمَامِيَّةِ فِيهَا فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ.ذِكْرُ مُحَاصِرَةِ شَهْرَزُورَ وَغَيْرِهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ أَبُو الشَّوْكِ إِلَى شَهْرَزُورَ ، فَحَصَرَهَا وَنَهَبَهَا وَأَحْرَقَهَا ، وَخَرَّبَ قُرَاهَا وَسَوَادَهَا ، وَحَصَرَ قَلْعَةَ تِبْرَانْشَاهْ ، فَدَفَعَهُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عِيَاضٍ عَنْهَا ، وَوَعَدَهُ أَنْ يُخَلِّصَ وَلَدَهُ أَبَا الْفَتْحِ مِنْ أَخِيهِ مُهَلْهِلٍ ، وَأَنْ يُصْلِحَ بَيْنَهُمَا.وَكَانَ مُهَلْهَلٌ قَدْ سَارَ مِنْ شَهْرَزُورَ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ أَخَاهُ أَبَا الشَّوْكِ يُرِيدُ قَصْدَهَا ، وَقَصَدَ نَوَاحِيَ سِنْدَةَ وَغَيْرَهَا مِنْ وِلَايَاتِ أَبِي الشَّوْكِ ، فَنَهَبَهَا وَأَحْرَقَهَا ، وَهَلَكَتِ الرَّعِيَّةُ فِي الْجِهَتَيْنِ.ثُمَّ إِنَّ أَبَا الشَّوْكِ رَاسَلَ أَبَا الْقَاسِمِ بْنَ عِيَاضٍ يَسْتَنْجِزُهُ مَا وَعَدَهُ بِهِ مِنْ تَخْلِيصِ وَلَدِهِ ، وَالشُّرُوطَ الَّتِي تَقَرَّرَتْ بَيْنَهُمَا ، فَأَجَابَهُ بِأَنَّ مُهَلْهِلًا غَيْرُ مُجِيبٍ إِلَيْهِ.فَعِنْدَ ذَلِكَ سَارَ أبُو الشَّوْكِ مِنْ حُلْوَانَ إِلَى الصَّامِغَانِ وَنَهَبَهَا ، وَنَهَبَ الْوِلَايَةَ الَّتِي لِمُهَلْهِلٍ جَمِيعَهَا ، فَانْزَاحَ مُهَلْهِلٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُمَا ، فَاصْطَلَحَا عَلَى دَغَلٍ وَدَخَلٍ ، وَعَادَ أَبُو الشَّوْكِ.ذِكْرُ خُرُوجِ سُكَيْنٍ بِمِصْرَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي رَجَبٍ خَرَجَ بِمِصْرَ إِنْسَانٌ اسْمُهُ سُكَيْنٌ ، كَانَ يُشْبِهُ الْحَاكِمَ صَاحِبَ مِصْرَ ، فَادَّعَى أَنَّهُ الْحَاكِمُ ، وَقَدْ رَجَعَ بَعْدَ مَوْتِهِ ، فَاتَّبَعَهُ جَمْعٌ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ رَجْعَةَ الْحَاكِمِ ، فَاغْتَنَمُوا خُلُوَّ دَارَ الْخَلِيفَةِ بِمِصْرَ مِنَ الْجُنْدِ وَقَصَدُوهَا مَعَ سُكَيْنٍ نِصْفَ النَّهَارِ ، فَدَخَلُوا الدِّهْلِيزَ ، فَوَثَبَ مَنْ هُنَاكَ مِنَ الْجُنْدِ ، فَقَالَ لَهُمْ أَصْحَابُهُ إِنَّهُ الْحَاكِمُ ، فَارْتَاعوا لِذَلِكَ ، ثُمَّ ارْتَابُوا بِهِ ، فَقَبَضُوا عَلَى سُكَيْنٍ وَوَقَعَ الصَّوْتُ ، وَاقْتَتَلُوا ، فَتَرَاجَعَ الْجُنْدُ إِلَى الْقَصْرِ ، وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ ، فَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ جَمَاعَةٌ ، وَأُسِرَ الْبَاقُونَ وَصُلِبُوا أَحْيَاءً ، وَرَمَاهُمُ الْجُنْدُ بِالنُّشَّابِ حَتَّى مَاتُوا.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ بِمَدِينَةِ تَبْرِيزَ ، هَدَمَتْ قَلْعَتَهَا وَسُورَهَا وَدُورَهَا وَأَسْوَاقَهَا وَأَكْثَرَ دَارِ الْإِمَارَةِ ، وَسَلِمَ الْأَمِيرُ لِأَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْبَسَاتِينِ ، فَأُحْصِيَ مَنْ هَلَكَ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ ، وَكَانُوا قُرْبًا مِنْ خَمْسِينَ أَلْفًا ، وَلَبِسَ الْأَمِيرُ السَّوَادَ وَالْمُسُوحَ لِعَظَمِ الْمُصِيبَةِ ، وَعَزَمَ عَلَى الصُّعُودِ إِلَى بَعْضِ قِلَاعِهِ ، خَوْفًا مِنْ تَوَجُّهِ الْغُزِّ السَّلْجُوقِيَّةِ إِلَيْهِ ، وَأَخْبَرَ بِذَلِكَ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ الرَّقِّيِّ الْعَلَوِيُّ النَّقِيبُ بِالْمَوْصِلِ.وَفِيهَا قَتَلَ قِرْوَاشٌ كَاتِبَهُ أَبَا الْفَتْحِ بْنَ الْمُفَرَّجِ صَبْرًا. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ أَبُو ذَرٍّ الْهَرَوِيُّ الْحَافِظُ ، أَقَامَ بِمَكَّةَ ، وَتَزَوَّجَ مِنَ الْعَرَبِ ، وَأَقَامَ بِالسَّرَوَاتِ ، وَكَانَ يَحُجُّ كُلَّ سَنَةٍ ، يُحَدِّثُ فِي الْمَوْسِمِ وَيَعُودُ إِلَى أَهْلِهِ ، وَصَحِبَ الْقَاضِيَ أَبَا بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيَّ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ عُمَرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعِيدٍ الزُّهْرِيُّ مِنْ وَلَدِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَكَانَ فَقِيهًا شَافِعِيًّا . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ إِخْرَاجِ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى وَالْغُرَبَاءِ مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَخْرَجَ مَلِكُ الرُّومِ الْغُرَبَاءَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى وَسَائِرَ الْأَنْوَاعِ مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ وَقَعَ الْخَبَرُ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ أَنَّ قُسْطَنْطِينَ قَتَلَ ابْنَتَيِ الْمَلِكِ الْمُتَقَدِّمِ اللَّتَيْنِ قَدْ صَارَ الْمُلْكُ فِيهِمَا الْآنَ ، فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْبَلَدِ وَأَثَارُوا الْفِتْنَةَ ، وَطَمِعُوا فِي النَّهْبِ ، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ قُسْطَنْطِينُ ، وَسَأَلَهُمْ عَنِ السَّبَبِ فِي ذَلِكَ ، فَقَالُوا قَتَلْتَ الْمَلِكَتَيْنِ وَأَفْسَدْتَ الْمُلْكَ.فَقَالَ مَا قَتَلْتُهُمَا.وَأَخْرَجَهُمَا حَتَّى رَآهُمَا النَّاسُ ، فَسَكَنُوا.ثُمَّ إِنَّهُ سَأَلَ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ فِعْلُ الْغُرَبَاءِ.وَأَشَارُوا بِإِبْعَادِهِمْ ، وَأَمَرَ فَنُودِيَ أَنْ لَا يُقِيمَ أَحَدٌ وَرَدَ الْبَلَدَ مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، فَمَنْ أَقَامَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ كُحِلَ ، فخَرَجَ مِنْهَا أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ إِنْسَانٍ ، وَلَمْ يَبْقَ بِهَا أَكْثَرُ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ نَفَسًا ضَمِنَهُمُ الرُّومُ ، فَتَرَكَهُمْ.ذِكْرُ وَفَاةِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ وَمُلْكِ أَبِي كَالِيجَارَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي سَادِسِ شَعْبَانَ تُوُفِّيَ الْمَلِكُ جَلَالُ الدَّوْلَةِ أَبُو طَاهِرِ بْنُ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ بِبَغْدَاذَ ، وَكَانَ مَرَضُهُ وَرَمًا فِي كَبِدِهِ ، وَبَقِيَ عِدَّةَ أَيَّامٍ مَرِيضًا وَتُوُفِّيَ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَمُلْكُهُ بِبَغْدَادَ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا ، وَدُفِنَ بِدَارِهِ ، وَمَنْ عَلِمَ سِيرَتَهُ وَضَعْفَهُ وَاسْتِيلَاءَ الْجُنْدِ وَالنُّوَّابِ عَلَيْهِ وَدَوَامَ مُلْكِهِ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَنْزِعُهُ مِمَّنْ يَشَاءُ.وَكَانَ يَزُورُ الصَّالِحِينَ وَيَقْرَبُ مِنْهُمْ ، وَزَارَ مَرَّةً مَشْهَدَيْ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَكَانَ يَمْشِي حَافِيًا قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى كُلِّ مَشْهَدٍ مِنْهُمَا نَحْوَ فَرْسَخٍ ، يَفْعَلُ ذَلِكَ تَدَيُّنًا.وَلَمَّا تُوُفِّيَ انْتَقَلَ الْوَزِيرُ كَمَالُ الْمُلْكِ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ وَأَصْحَابُ الْمَلِكِ الْأَكَابِرُ إِلَى بَابِ الْمَرَاتِبِ ، وَحَرِيمِ دَارِ الْخِلَافَةِ ، خَوْفًا مِنْ نَهْبِ الْأَتْرَاكِ وَالْعَامَّةِ دُورَهُمْ ، فَاجْتَمَعَ قُوَّادُ الْعَسْكَرِ تَحْتَ دَارِ الْمَمْلَكَةِ ، وَمَنَعُوا النَّاسَ مِنْ نَهْبِهَا.وَلَمَّا تُوُفِّيَ كَانَ وَلَدُهُ الْأَكْبَرُ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ أَبُو مَنْصُورٍ بِوَاسِطٍ عَلَى عَادَتِهِ ، فَكَاتَبَهُ الْأَجْنَادُ بِالطَّاعَةِ ، وَشَرَطُوا عَلَيْهِ تَعْجِيلَ مَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ مِنْ حَقِّ الْبَيْعَةِ ، فَتَرَدَّدَتِ الْمُرَاسَلَاتُ بَيْنَهُمْ فِي مِقْدَارِهِ وَتَأْخِيرِهِ لِفَقْدِهِ .وَبَلَغَ مَوْتُهُ إِلَى الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ بْنِ سُلْطَانِ الدَّوْلَةِ بْنِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ، فَكَاتَبَ الْقُوَّادَ وَالْأَجْنَادَ ، وَرَغَّبَهُمْ فِي الْمَالِ وَكَثْرَتِهِ وَتَعْجِيلِهِ ، فَمَالُوا إِلَيْهِ ، وَعَدَلُوا عَنِ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ.وَأَمَّا الْمَلِكُ الْعَزِيزُ فَإِنَّهُ أُصْعِدَ إِلَى بَغْدَاذَ لَمَّا قَرُبَ الْمَلِكُ أَبُو كَالِيجَارَ مِنْهَا ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ عَازِمًا عَلَى قَصْدِ بَغْدَاذَ وَمَعَهُ عَسْكَرُهُ ، فَلَمَّا بَلَغَ النُّعْمَانِيَّةَ غَدَرَ بِهِ عَسْكَرُهُ وَرَجَعُوا إِلَى وَاسِطٍ ، وَخَطَبُوا لِأَبِي كَالِيجَارَ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مَضَى إِلَى نُورِ الدَّوْلَةِ دُبَيْسِ بْنِ مَزْيَدٍ ، لِأَنَّهُ بَلَغَهُ مَيْلُ جُنْدِ بَغْدَاذَ إِلَى أَبِي كَالِيجَارَ ، وَسَارَ مِنْ عِنْدِ دُبَيْسٍ إِلَى قِرْوَاشِ بْنِ الْمُقَلِّدِ ، فَاجْتَمَعَ بِهِ بِقَرْيَةِ خُصَّةَ مِنْ أَعْمَالِ بَغْدَاذَ ، وَسَارَ مَعَهُ إِلَى الْمَوْصِلِ ، ثُمَّ فَارَقَهُ وَقَصَدَ أَبَا الشَّوْكِ لِأَنَّهُ حَمُوهُ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى أَبِي الشَّوْكِ غَدَرَ بِهِ ، وَأَلْزَمَهُ بِطَلَاقِ ابْنَتِهِ ، فَفَعَلَ ، وَسَارَ عَنْهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ أَخِي طُغْرُلْبَك ، وَتَنَقَّلَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ حَتَّى قَدِمَ بَغْدَاذَ فِي نَفَرٍ يَسِيرٍ عَازِمًا عَلَى اسْتِمَالَةِ الْعَسْكَرِ وَأَخْذِ الْمُلْكِ ، فَثَارَ بِهِ أَصْحَابُ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ ، فَقُتِلَ بَعْضُ مَنْ عِنْدَهُ ، وَسَارَ هُوَ مُتَخَفِّيًا ، فَقَصَدَ نَصْرَ الدَّوْلَةِ بْنَ مَرْوَانَ ، فَتُوُفِّيَ عِنْدَهُ بِمَيَّافَارِقِينَ ، وَحُمِلَ إِلَى بَغْدَادَ ، وَدُفِنَ عِنْدَ أَبِيهِ بِمَقَابِرِ قُرَيْشٍ ، فِي مَشْهَدِ بَابِ التِّبْنِ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .وَقَدْ ذَكَرَ الشَّيْخُ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ أَنَّهُ آخِرُ مُلُوكِ بَنِي بُوَيْهِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّهُ مَلَكَ بَعْدَهُ أَبُو كَالِيجَارَ ، ثُمَّ الْمَلِكُ الرَّحِيمُ بْنُ أَبِي كَالِيجَارَ ، وَهُوَ آخِرُهُمْ عَلَى مَا تَرَاهُ.وَأَمَّا الْمَلِكُ أَبُو كَالِيجَارَ فَلَمْ تَزَلِ الرُّسُلُ تَتَرَدَّدُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَسْكَرِ بَغْدَاذَ حَتَّى اسْتَقَرَّ الْأَمْرُ لَهُ ، وَحَلَفُوا ، وَخَطَبُوا لَهُ بِبَغْدَاذَ فِي صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ حَالِ أَبِي الْفَتْحِ مَوْدُودِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَيَّرَ الْمَلِكُ أَبُو الْفَتْحِ مَوْدُودُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ عَسْكَرًا مَعَ حَاجِبٍ لَهُ إِلَى نَوَاحِي خُرَاسَانَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ دَاوُدُ أَخُو طُغْرُلْبَك ، وَهُوَ صَاحِبُ خُرَاسَانَ وَلَدَهُ أَلْبَ أَرْسِلَانَ فِي عَسْكَرٍ ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا ، فَكَانَ الظَّفَرُ لِلْمَلِكِ أَلْبِ أَرْسِلَانَ ، وَعَادَ عَسْكَرُ غَزْنَةَ مُنْهَزِمًا.وَفِيهَا أَيْضًا فِي صَفَرٍ سَارَ جَمْعٌ مِنَ الْغُزِّ إِلَى نَوَاحِي بُسْتَ ، وَفَعَلُوا مَا عُرِفَ مِنْهُمْ مِنَ النَّهْبِ وَالشَّرِّ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِمْ أَبُو الْفَتْحِ مَوْدُودٌ عَسْكَرًا ، فَالْتَقَوْا بِوِلَايَةِ بُسْتَ ، وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، انْهَزَمَ الْغُزُّ فِيهِ ، وَظَفِرَ عَسْكَرُ مَوْدُودٍ ، وَأَكْثَرُوا فِيهِمُ الْقَتْلَ وَالْأَسْرَ.ذِكْرُ مُلْكِ مَوْدُودٍ عِدَّةَ حُصُونٍ مِنْ بَلَدِ الْهِنْدِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اجْتَمَعَ ثَلَاثَةُ مُلُوكٍ مِنْ مُلُوكِ الْهِنْدِ ، وَقَصَدُوا لَهَاوُورَ وَحَصَرُوهَا ، فَجَمَعَ مُقَدَّمُ الْعَسَاكِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِتِلْكَ الدِّيَارِ مَنْ عِنْدَهُ مِنْهُمْ ، وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبِهِ مَوْدُودٍ يَسْتَنْجِدُهُ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ الْعَسَاكِرَ.فَاتَّفَقَ أَنَّ بَعْضَ أُولَئِكَ الْمُلُوكِ فَارَقَهُمْ وَعَادَ إِلَى طَاعَةِ مَوْدُودٍ ، فَرَحَلَ الْمَلِكَانِ الْآخَرَانِ إِلَى بِلَادِهِمَا ، فَسَارَتِ الْعَسَاكِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ إِلَى أَحَدِهِمَا ، وَيُعْرَفُ بِدُوبَالَ هَرْبَاتَهْ ، فَانْهَزَمَ مِنْهُمْ ، وَصَعِدَ إِلَى قَلْعَةٍ لَهُ مَنِيعَةٍ هُوَ وَعَسَاكِرُهُ ، فَاحْتَمَوْا بِهَا ، وَكَانُوا خَمْسَةَ آلَافِ فَارِسٍ وَسَبْعِينَ أَلْفَ رَاجِلٍ ، وَحَصَرَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَضَيَّقُوا عَلَيْهِمْ ، وَأَكْثَرُوا الْقَتْلَ فِيهِمْ ، فَطَلَبَ الْهُنُودُ الْأَمَانَ عَلَى تَسْلِيمِ الْحِصْنِ ، فَامْتَنَعَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ إِجَابَتِهِمْ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُضِيفُوا إِلَيْهِ بَاقِيَ حُصُونِ ذَلِكَ الْمَلِكِ الَّذِي لَهُمْ ، فَحَمَلَهُمُ الْخَوْفُ وَعَدَمُ الْأَقْوَاتِ عَلَى إِجَابَتِهِمْ إِلَى مَا طَلَبُوا ، وَتَسَلَّمُوا الْجَمِيعَ ، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْوَالَ ، وَأَطْلَقُوا مَا فِي الْحُصُونِ مِنْ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانُوا نَحْوَ خَمْسَةِ آلَافِ نَفَرٍ.فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ قَصَدُوا وِلَايَةَ الْمَلِكِ الثَّانِي ، وَاسْمُهُ تَابَتُ ، بِالرَّيِّ ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ وَلَقِيَهُمْ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَانْهَزَمَتِ الْهُنُودُ ، وَأَجْلَتِ الْمَعْرَكَةُ عَنْ قَتْلِ مَلِكِهِمْ وَخَمْسَةِ آلَافِ قَتِيلٍ ، وَجُرِحَ وَأُسِرَ ضَعْفَاهُمْ ، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ أَمْوَالَهُمْ وَسِلَاحَهُمْ وَدَوَابَّهُمْ.فَلَمَّا رَأَى بَاقِي الْمُلُوكِ مِنَ الْهِنْدِ مَا لَقِيَ هَؤُلَاءِ أَذْعَنُوا بِالطَّاعَةِ ، وَحَمَلُوا الْأَمْوَالَ ، وَطَلَبُوا الْأَمَانَ وَالْإِقْرَارَ عَلَى بِلَادِهِمْ ، فَأُجِيبُوا إِلَى ذَلِكَ.ذِكْرُ الْخُلْفِ بَيْنَ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ وَفِرَامَرْزَ بْنِ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ نَكَثَ الْأَمِيرُ أَبُو مَنْصُورٍ فِرَامَرْزُ بْنُ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ كَاكَوَيْهِ صَاحِبُ أَصْبَهَانَ الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ ، وَسَيَّرَ عَسْكَرًا إِلَى نَوَاحِي كِرْمَانَ ، فَمَلَكُوا مِنْهَا حِصْنَيْنِ ، وَغَنِمُوا مَا فِيهِمَا.فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ أَبُو كَالِيجَارَ إِلَيْهِ فِي إِعَادَتِهِمَا وَإِزَالَةِ الِاعْتِرَاضِ عَنْهُمَا ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَجَهَّزَ عَسْكَرًا وَسَيَّرَهُ إِلَى أَبَرْقُوهَ فَحَصَرَهَا وَمَلَكَهَا ، فَانْزَعَجَ فِرَامَرْزُ لِذَلِكَ ، وَجَهَّزَ عَسْكَرًا كَثِيرًا وَسَيَّرَهُ إِلَيْهِمْ ، فَسَمِعَ الْمَلِكُ أَبُو كَالِيجَارَ بِذَلِكَ ، فَسَيَّرَ عَسْكَرًا ثَانِيًا مَدَدًا لِعَسْكَرِهِ الْأَوَّلِ ، وَالْتَقَى الْعَسْكَرَانِ فَاقْتَتَلُوا وَصَبَرُوا ، ثُمَّ انْهَزَمَ عَسْكَرُ أَصْبَهَانَ ، وَأُسِرَ مُقَدَّمُهُمُ الْأَمِيرُ إِسْحَاقُ بْنُ يَنَّالَ ، وَاسْتَرَدَّ نُوَّابُ أَبِي كَالِيجَارَ مَا كَانُوا أَخَذُوهُ مِنْ كِرْمَانَ.ذِكْرُ أَخْبَارِ التُّرْكِ بِمَا وَرَاءِ النَّهْرِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي صَفَرٍ أَسْلَمَ مِنْ كُفَّارِ التُّرْكِ الَّذِينَ كَانُوا يَطْرُقُونَ بِلَادَ الْإِسْلَامِ بِنُوَاحِي بَلَاسَاغُونَ وَكَاشْغَرَ ، وَيُغِيرُونَ وَيَعِيثُونَ عَشْرَةُ آلَافِ خَرْكَاةٍ ، وَضَحَّوْا يَوْمَ عِيدِ الْأَضْحَى بِعِشْرِينَ أَلْفَ رَأْسِ غَنَمٍ ، وَكَفَى اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ شَرَّهُمْ.وَكَانُوا يُصَيِّفُونَ بِنُوَاحِي بُلْغَارَ ، وَيُشَتُّونَ بِنُوَاحِي بَلَاسَاغُونَ ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا تَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ ، فَكَانَ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ أَلْفُ خَرْكَاةٍ وَأَقَلُّ وَأَكْثَرُ ، لِأَمْنِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا كَانُوا يَجْتَمِعُونَ لِيَحْمِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَبَقِيَ مِنَ الْأَتْرَاكِ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ تَتَرٌ وَخَطَا ، وَهُمْ بِنُوَاحِي الصِّينِ.وَكَانَ صَاحِبُ بَلَاسَاغُونَ وَبِلَادِ التُّرْكِ شَرَفَ الدَّوْلَةِ ، وَفِيهِ دِينٌ ، وَقَدْ أَقْنَعَ مِنْ إِخْوَتِهِ وَأَقَارِبِهِ بِالطَّاعَةِ ، وَقَسَمَ الْبِلَادَ بَيْنَهُمْ ، فَأَعْطَى أَخَاهُ أُصْلَانَ تِكِينَ كَثِيرًا مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ ، وَأَعْطَى أَخَاهُ بُغْرَاخَانْ طِرَازَ وَأَسْبِيجَابَ ، وَأَعْطَى عَمَّهُ طُغَاخَانْ فَرْغَانَةَ بِأَسْرِهَا ، وَأَعْطَى ابْنَ عَلِيِّ تِكِينَ بُخَارَى وَسَمَرْقَنْدَ وَغَيْرَهُمَا ، وَقَنِعَ هُوَ بِبَلَاسَاغُونَ وَكَاشْغَرَ.ذِكْرُ أَخْبَارِ الرُّومِ وَالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي صَفَرٍ أَيْضًا وَرَدَ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ عَدَدٌ كَثِيرٌ مِنَ الرُّوسِ فِي الْبَحْرِ ، وَرَاسَلُوا قُسْطَنْطِينَ مَلِكَ الرُّومِ بِمَا لَمْ تَجْرِ بِهِ عَادَتُهُمْ ، فَاجْتَمَعَتِ الرُّومُ عَلَى حَرْبِهِمْ ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ قَدْ فَارَقَ الْمَرَاكِبَ إِلَى الْبَرِّ ، وَبَعْضُهُمْ فِيهَا ، فَأَلْقَى الرُّومُ فِي مَرَاكِبِهِمُ النَّارَ ، فَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَى إِطْفَائِهَا ، فَهَلَكَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بِالْحَرْقِ وَالْغَرَقِ ، وَأَمَّا الَّذِينَ عَلَى الْبَرِّ فَقَاتَلُوا وَأَبْلَوْا ، وَصَبَرُوا ثُمَّ انْهَزَمُوا ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَلْجَأٌ ، فَمَنِ اسْتَسْلَمَ أَوَّلًا اسْتُرِقَّ وَسَلِمَ ، وَمَنِ امْتَنَعَ حَتَّى أُخِذَ قَهْرًا قَطَعَ الرُّومُ أَيْمَانَهُمْ ، وَطِيفَ بِهِمْ فِي الْبَلَدِ ، وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْهُمْ إِلَّا الْيَسِيرُ مَعَ ابْنِ مَلَكِ الرُّوسِيَّةِ ، وَكُفِيَ الرُّومُ شَرَّهُمْ.ذِكْرُ طَاعَةِ الْمُعِزِّ بِإِفْرِيقِيَّةَ لِلْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَظْهَرَ الْمُعِزُّ بِبِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ الدُّعَاءَ لِلدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، وَخُطِبَ لِلْإِمَامِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَرَدَتْ عَلَيْهِ الْخِلَعُ وَالتَّقْلِيدُ بِبِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ وَجَمِيعِ مَا يَفْتَحُهُ ، وَفِي أَوَّلِ الْكِتَابِ الَّذِي مَعَ الرُّسُل "مِنْ عَبْدِ اللَّهِ وَوَلِيِّهِ أَبِي جَعْفَرٍ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْمَلِكِ الْأَوْحَدِ ثِقَةِ الْإِسْلَامِ ، وَشَرَفِ الْإِمَامِ ، وَعُمَةِ الْأَنَامِ ، نَاصِرِ دِينِ اللَّهِ ، قَاهِرِ أَعْدَاءِ اللَّهِ ، وَمُؤَيِّدِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبِي تَمِيمٍ الْمُعِزِّ بْنِ بَادِيسَ بْنِ الْمَنْصُورِ وَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِوِلَايَةِ جَمِيعِ الْمَغْرِبِ وَمَا افْتَتَحَهُ بِسَيْفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ".وَهُوَ طَوِيل.وَأُرْسِلَ إِلَيْهِ سَيْفٌ وَفَرَسٌ وَأَعْلَامٌ عَلَى طَرِيقِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، فَوَصَلَ ذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَدُخِلَ بِهِ إِلَى الْجَامِعِ وَالْخَطِيبُ ابْنُ الْفَاكَاةِ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ الْخُطْبَةَ الثَّانِيَةَ ، فَدَخَلَتِ الْأَعْلَامُ فَقَال هَذَا لِوَاءُ الْحَمْدِ يَجْمَعُكُم ، وَهَذَا مُعِزُّ الدِّينِ يَسْمَعُكُم ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُم.وَقُطِعَتِ الْخُطْبَةُ لِلْعَلَوِيِّينَ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ ، وَأُحْرِقَتْ أَعْلَامُهُم ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ جَرَتْ حَرْبٌ بَيْنَ ابْنِ الْهَيْثَمِ صَاحِبِ الْبَطِيحَةِ ، وَبَيْنَ الْأَجْنَادِ مِنَ الْغُزِّ وَالدَّيْلَمِ ، فَأَحْرَقَ الْجَامِدَةَ وَغَيْرَهَا ، وَخَطَبَ الْجُنْدُ لِلْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ.وَفِيهَا أَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَقَضَى الْقُضَاةِ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ الْمَاوَرْدِيَّ الْفَقِيهَ الشَّافِعِيَّ إِلَى السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك قَبْلَ وَفَاةِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقَرِّرَ الصُّلْحَ بَيْنَ طُغْرُلْبَك وَالْمَلِكِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ وَأَبِي كَالِيجَارَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ وَهُوَ بِجُرْجَانَ ، فَلَقِيَهُ طُغْرُلْبَك عَلَى أَرْبَعَةِ فَرَاسِخَ إِجْلَالًا لِرِسَالَةِ الْخَلِيفَةِ ، وَعَادَ الْمَاوَرْدِيُّ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَأَخْبَرَ عَنْ طَاعَةِ طُغْرُلْبَك لِلْخَلِيفَةِ ، وَتَعْظِيمِهِ لِأَوَامِرِهِ ، وَوُقُوفِهِ عِنْدَه. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ الْفَرَجِ بْنِ الْأَزْهَرِ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي الْفَتْحِ الْأَزْهَرِيُّ الصَّيْرَفِيُّ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ السَّوَادِيِّ ، شَيْخُ الْخُطَبَاءِ أَبِي بَكْرٍ وَكَانَ إِمَامًا فِي الْحَدِيثِ ، وَمِنْ تَلَامِذَتِهِ الْخَطِيبُ الْبَغْدَاذِي. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ قَتْلِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَوْقَعَ بُغْرَاخَانْ صَاحِبُ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ بِجَمْعٍ كَثِيرٍ مِنَ الْإِسْمَاعِيلِيَّة.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ نَفَرًا مِنْهُمْ قَصَدُوا مَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، وَدَعَوْا إِلَى طَاعَةِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ الْعَلَوِيِّ صَاحِبِ مِصْرَ ، فَتَبِعَهُمْ جَمْعٌ كَثِيرٌ ، وَأَظْهَرُوا مَذَاهِبَ أَنْكَرَهَا أَهْلُ تِلْكَ الْبِلَاد.وَسَمِعَ مَلِكُهَا بُغْرَاخَانْ خَبَرَهُمْ ، وَأَرَادَ الْإِيقَاعَ بِهِمْ ، فَخَافَ أَنْ يُسْلِمَ مِنْهُ بَعْضُ مَنْ أَجَابَهُمْ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْبِلَادِ ، فَأَظْهَرَ لِبَعْضِهِمْ أَنَّهُ يَمِيلُ إِلَيْهِمْ ، وَيُرِيدُ الدُّخُولَ فِي مَذَاهِبِهِمْ ، وَأَعْلَمَهُمْ ذَلِكَ ، وَأَحْضَرَهُمْ مَجَالِسَهُ ، وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى عَلِمَ جَمِيعَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَى مَقَالَتِهِمْ ، فَحِينَئِذٍ قَتَلَ مَنْ بِحَضْرَتِهِ مِنْهُمْ ، وَكَتَبَ إِلَى سَائِرِ الْبِلَادِ بِقَتْلِ مَنْ فِيهَا ، فَفُعِلَ بِهِمْ مَا أَمَرَ ، وَسَلِمَتْ تِلْكَ الْبِلَادُ مِنْهُمْ.ذِكْرُ الْخِطْبَةِ لِلْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ وَإِصْعَادِهِ إِلَى بَغْدَاذَ قَدْ ذَكَرْنَا لَمَّا تُوُفِّيَ الْمَلِكُ جَلَالُ الدَّوْلَةِ مَا كَانَ مِنْ مُرَاسَلَةِ الْجُنْدِ الْمَلِكَ أَبَا كَالِيجَارَ وَالْخُطْبَةِ لَه.فَلَمَّا اسْتَقَرَّتِ الْقَوَاعِدُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ أَرْسَلَ أَمْوَالًا فُرِّقَتْ عَلَى الْجُنْدِ بَغْدَاذَ ، وَعَلَى أَوْلَادِهِمْ ، وَأَرْسَلَ عَشَرَةَ آلَافِ دِينَارٍ لِلْخَلِيفَةِ وَمَعَهَا هَدَايَا كَثِيرَةٌ ، فَخُطِبَ لَهُ بِبَغْدَاذَ فِي صَفَرٍ ، وَخَطَبَ لَهُ أَيْضًا أَبُو الشَّوْكِ فِي بِلَادِهِ ، وَدُبَيْسُ بْنُ مَزْيَدٍ بِبِلَادِهِ ، وَنَصْرُ الدَّوْلَةِ بْنُ مَرْوَانَ بِدِيَارِ بَكْرٍ ، وَلَقَّبَهُ الْخَلِيفَةُ مُحْيِي الدِّينِ ، وَسَارَ إِلَى بَغْدَاذَ فِي مِائَةِ فَارِسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ لِئَلَّا تَخَافَهُ الْأَتْرَاك.فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى النُّعْمَانِيَّةِ لَقِيَهُ دُبَيْسُ بْنُ مَزْيَدٍ ، وَمَضَى إِلَى زِيَارَةِ الْمَشْهَدَيْنِ بِالْكُوفَةِ وَكَرْبَلَاءَ ، وَدَخَلَ إِلَى بَغْدَاذَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَمَعَهُ وَزِيرُهُ ذُو السَّعَادَاتِ أَبُو الْفَرَجِ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ فَسَانْجِسَ ، وَوَعَدَهُ الْخَلِيفَةُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ ، فَاسْتَعْفَى مِنْ ذَلِكَ ، وَأَخْرَجَ عَمِيدُ الدَّوْلَةِ أَبَا سَعْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ وَأَخَاهُ كَمَالَ الْمُلْكِ وَزِيرَيْ جَلَالِ الدَّوْلَةِ مِنْ بَغْدَاذَ ، فَمَضَى أَبُو سَعْدٍ إِلَى تَكْرِيتَ ، وَزُيِّنَتْ بَغْدَاذُ لِقُدُومِهِ ، وَأَمَرَ فَخُلِعَ عَلَى أَصْحَابِ الْجُيُوشِ ، وَهُمُ الْبَسَاسِيرِيُّ ، وَالنَّشَّاوُورِيُّ ، وَالْهُمَامُ أَبُو اللِّقَاءِ ، وَجَرَى مِنْ ولَاةِ الْعَرْضِ تَقْدِيمٌ لِبَعْضِ الْجُنْدِ وَتَأْخِيرٌ ، فَشَغَبَ بَعْضُهُمْ وَقَتَلُوا وَاحِدًا مِنْ وُلَاةِ الْعَرْضِ بِمَرْأَى مِنَ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ ، فَنَزَلَ فِي سُمَيْرِيَّةَ بِكِنْكِوَرَ ، وَانْحَدَرَ خَوْفًا مِنِ انْخِرَاقِ الْهَيْبَةِ ، وَأَصْعَدَ بِفَمِ الصِّلْحِ. وَفَاةُ الْجَرْجَرَائِيِّ وَفِي رَمَضَانَ مِنْهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْجَرْجَرَائِيُّ وَزِيرُ الظَّاهِرِ وَالْمُسْتَنْصِرِ الْخَلِيفَتَيْنِ ، وَكَانَ فِيهِ كِفَايَةٌ وَشَهَامَةٌ وَأَمَانَةٌ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ نَزَلَ الْأَمِيرُ أَبُو كَالِيجَارَ كُرْشَاسُفُ بْنُ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ مِنْ كِنْكِوَرَ ، وَقَصَدَ هَمَذَانَ فَمَلَكَهَا ، وَأَزَاحَ عَنْهَا نُوَّابَ السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك ، وَخَطَبَ لِلْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ ، وَصَارَ فِي طَاعَتِه.وَفِيهَا أَمَرَ الْمَلِكُ أَبُو كَالِيجَارَ بِبِنَاءِ سُورِ مَدِينَةِ شِيرَازَ ، فَبُنِيَ وَأُحْكِمَ بِنَاؤُهُ ، وَكَانَ دُورُهُ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ ذِرَاعٍ ، وَعَرْضُهُ ثَمَانِيَةَ أَذْرُعٍ ، وَلَهُ أَحَدَ عَشَرَ بَابًا ، وَفُرِغَ مِنْهُ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَة.وَفِيهَا نُقِلَ تَابُوتُ جَلَالِ الدَّوْلَةِ مِنْ دَارِهِ إِلَى مَشْهَدِ بَابِ التِّبْنِ إِلَى تُرْبَةٍ لَهُ هُنَاك.وَفِيهَا اسْتَوْزَرَ السُّلْطَانُ طُغْرُلْبَك وَزِيرَهُ أَبَا الْقَاسِمِ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْجُوَيْنِيَّ ، وَهُوَ أَوَّلُ وَزِيرٍ وَزَرَ لَهُ ، ثُمَّ وَزَرَ لَهُ بَعْدَهُ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مِيكَائِيلَ ، ثُمَّ وَزَرَ لَهُ بَعْدَهُ نِظَامُ الْمُلْكِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدِّهِسْتَانِيُّ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ لُقِّبَ نِظَامَ الْمُلْكِ ، ثُمَّ وَزَرَ لَهُ بَعْدَهُ عَمِيدُ الْمُلْكِ الْكُنْدُرِيُّ ، وَهُوَ أَشْهَرُهُمْ ، وَإِنَّمَا اشْتَهَرَ لِأَنَّ طُغْرُلْبَك فِي أَيَّامِهِ عَظُمَتْ دَوْلَتُهُ ، وَوَصَلَ إِلَى الْعِرَاقِ وَخَطَبَ لَهُ بِالسَّلْطَنَةِ ، وَسَيَرِدُ فِي أَخْبَارِهِ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى ذِكْرِهَا هَاهُنَا. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيٌّ أَخُو الرَّضِيِّ فِي آخِرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَوَلِيَ نِقَابَةَ الْعَلَوِيِّينَ بَعْدَهُ أَبُو أَحْمَدَ عَدْنَانُ ابْنُ أَخِيهِ الرَّضِي.وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّيْمَرِيُّ ، وَهُوَ شَيْخُ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ فِي زَمَانِهِ ، وَمِنْ جُمْلَةِ تَلَامِذَتِهِ الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الدَّامَغَانِيُّ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَوَلِيَ بَعْدَهُ قَضَاءَ الْكَرْخِ الْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ الطَّبَرِيُّ مُضَافًا إِلَى مَا كَانَ يَتَوَلَّاهُ مِنَ الْقَضَاءِ بِبَابِ الطَّاق.وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ الْمُشْتَرِي قَاضِي خُوزِسْتَانَ وَفَارِسَ ، وَكَانَ شَافِعِيَّ الْمَذْهَب.وَفِيهَا أَيْضًا تُوُفِّيَ أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَصْرِيُّ ، الْمُتَكَلِّمُ الْمُعْتَزِلِيُّ ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْمَشْهُورَة. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ وُصُولِ إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ إِلَى هَمَذَانَ وَبَلَدِ الْجَبَلِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَمَرَ السُّلْطَانُ طُغْرُلْبَك أَخَاهُ إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ بِالْخُرُوجِ إِلَى بَلَدِ الْجَبَلِ وَمُلْكِهَا ، فَسَارَ إِلَيْهَا مِنْ كِرْمَانَ ، وَقَصَدَ هَمَذَانَ وَبِهَا كُرْشَاسُفُ بْنُ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ ، فَفَارَقَهَا خَوْفًا ، وَدَخَلَهَا يَنَّالُ فَمَلَكَهَا ، وَالْتَحَقَ كُرْشَاسُفُ بِالْأَكْرَادِ الْجَوْزَقَانِ.وَكَانَ أَبُو الشَّوْكِ حِينَئِذٍ بِالدِّينَوَرِ ، فَسَارَ عَنْهَا إِلَى قِرْمِسِينَ خَوْفًا وَإِشْفَاقًا مِنْ يَنَّالَ ، فَقَوِيَ طَمَعُ يَنَّالَ حِينَئِذٍ فِي الْبِلَادِ ، وَسَارَ إِلَى الدِّينَوَرِ فَمَلَكَهَا وَرَتَّبَ أُمُورَهَا ، وَسَارَ مِنْهَا يَطْلُبُ قِرْمِسِينَ. فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو الشَّوْكِ بِهِ سَارَ إِلَى حُلْوَانَ وَتَرَكَ بِقِرْمِسِينَ مَنْ فِي عَسْكَرِهِ مِنَ الدَّيْلَمِ وَالْأَكْرَادِ الشَّاذِنْجَانِ لِيَمْنَعُوهَا وَيَحْفَظُوهَا ، وَوَافَاهُمْ يَنَّالُ جَرِيدَةً ، فَقَاتَلُوهُ ، فَدَفَعُوهُ عَنْهَا ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ وَعَادَ بِخَرْكَاهَاتِهِ وَحُلَلِهِ ، فَقَاتَلُوهُ فَضَعُفُوا عَنْهُ وَعَجَزُوا عَنْ مَنْعِهِ ، فَمَلَكَ الْبَلَدَ فِي رَجَبٍ عَنْوَةً ، وَقَتَلَ مِنَ الْعَسَاكِرِ جَمَاعَةً كَثِيرَةً ، وَأَخَذَ أَمْوَالَ مَنْ سَلِمَ مِنَ الْقَتْلِ وَسِلَاحَهُمْ ، وَطَرَدَهُمْ ، وَلَحِقُوا بِأَبِي الشَّوْكِ ، وَنَهَبَ الْبَلَدَ ، وَقَتَلَ وَسَبَى كَثِيرًا مِنْ أَهْلِه.وَلَمَّا سَمِعَ أَبُو الشَّوْكِ ذَلِكَ سَيَّرَ أَهْلَهُ وَأَمْوَالَهُ وَسِلَاحَهُ مِنْ حُلْوَانَ إِلَى قَلْعَةِ السِّيرَوَانِ ، وَأَقَامَ جَرِيدَةً فِي عَسْكَرِهِ ، ثُمَّ إِنَّ يَنَّالَ سَارَ إِلَى الصَّيْمَرَةِ فِي شَعْبَانَ فَمَلَكَهَا وَنَهَبَهَا ، وَأَوْقَعَ بِالْأَكْرَادِ الْمُجَاوِرِينَ لَهَا مِنَ الْجَوْزَقَانِ ، فَانْهَزَمُوا ، وَكَانَ كُرْشَاسُفُ بْنُ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ نَازِلًا عِنْدَهُمْ ، فَسَارَ هُوَ وَهُمْ إِلَى بَلَدِ شِهَابِ الدَّوْلَةِ أَبِي الْفَوَارِسِ مَنْصُورِ بْنِ الْحُسَيْنِ.ثُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ سَارَ إِلَى حُلْوَانَ وَقَدْ فَارَقَهَا أَبُو الشَّوْكِ ، وَلَحِقَ بِقَلْعَةِ السِّيرَوَانِ ، فَوَصَلَ إِلَيْهَا إِبْرَاهِيمُ آخِرَ شَعْبَانَ وَقَدْ جَلَا أَهْلُهَا عَنْهَا وَتَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ ، فَنَهَبَهَا وَأَحْرَقَهَا ، وَأَحْرَقَ دَارَ أَبِي الشَّوْكِ ، وَانْصَرَفَ بَعْدَ أَنِ اجْتَاحَهَا وَدَرَسَهَا.وَتَوَجَّهَ طَائِفَةٌ مِنَ الْغُزِّ إِلَى خَانِقِينَ فِي أَثَرِ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ حُلْوَانَ كَانُوا سَارُوا بِأَهْلِيهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، فَأَدْرَكُوهُمْ وَظَفِرُوا بِهِمْ وَغَنِمُوا مَا مَعَهُمْ ، وَانْتَشَرَ الْغُزُّ فِي تِلْكَ النَّوَاحِي ، فَبَلَغُوا مَايَدَشْتَ وَمَا يَلِيهَا ، فَنَهَبُوهَا وَأَغَارُوا عَلَيْهَا.فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ أَبُو كَالِيجَارَ هَذِهِ الْأَخْبَارَ أَزْعَجَتْهُ وَأَقْلَقَتْهُ ، وَكَانَ بِخُوزِسْتَانَ ، فَعَزَمَ عَلَى الْمَسِيرِ ، وَدَفْعِ يَنَّالَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْغُزِّ عَنِ الْبِلَادِ ، فَأَمَرَ عَسَاكِرَهُ بِالتَّجَهُّزِ لِلسَّفَرِ إِلَيْهِمْ ، فَعَجَزُوا عَنِ الْحَرَكَةِ لِكَثْرَةِ مَا مَاتَ مِنْ دَوَابِّهِمْ ، فَلَمَّا تَحَقَّقَ ذَلِكَ سَارَ نَحْوَ بِلَادِ فَارِسَ ، فَحَمَلَ الْعَسْكَرُ أَثْقَالَهُمْ عَلَى الْحَمِيرِ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي الْمُحَرَّمِ خُطِبَ لِلْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ بِأَصْبَهَانَ وَأَعْمَالِهَا ، وَعَادَ الْأَمِيرُ أَبُو مَنْصُورِ بْنُ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ إِلَى طَاعَتِه.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا عَصَى عَلَى الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ ، وَقَصَدَ كِرْمَانَ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَالْتَجَأَ إِلَى طَاعَةِ طُغْرُلْبَك لَمْ يَبْلُغْ مَا كَانَ يُؤَمِّلُهُ مِنْ طُغْرُلْبَك ، فَلَمَّا عَادَ طُغْرُلْبَك إِلَى خُرَاسَانَ خَافَ أَبُو مَنْصُورٍ مِنَ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ ، فَرَاسَلَهُ فِي الْعَوْدِ إِلَى طَاعَتِهِ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ وَاصْطَلَحَا.وَفِيهَا اصْطَلَحَ أَبُو الشَّوْكِ وَأَخُوهُ مُهَلْهِلٌ ، وَكَانَا مُتَقَاطِعَيْنِ مِنْ حِينِ أَسَرَ مُهَلْهِلٌ أَبَا الْفَتْحِ بْنَ أَبِي الشَّوْكِ وَمَوْتِ أَبِي الْفَتْحِ فِي سِجْنِه.فَلَمَّا كَانَ الْآنَ وَخَافَا مِنَ الْغُزِّ تَرَاسَلَا فِي الُلْحِ ، وَاعْتَذَرَ مُهَلْهِلٌ ، وَأَرْسَلَ وَلَدَهُ أَبَا الْغَنَائِمِ إِلَى أَبِي الشَّوْكِ ، وَحَلَفَ لَهُ أَنَّ أَبَا الْفَتْحِ تُوُفِّيَ حَتْفَ أَنْفِهِ مِنْ غَيْرِ قَتْلٍ ، وَقَالَ هَذَا وَلَدِي تَقْتُلُهُ عِوَضَهُ.فَرَضِيَ أَبُو الشَّوْكِ وَحْسَنَ إِلَى أَبِي الْغَنَائِمِ ، وَرَدَّهُ إِلَى أَبِيهِ ، وَاصْطَلَحَا وَاتَّفَقَا.وَفِيهَا فِي جُمَادَى الْأُولَى خَلَعَ الْخَلِيفَةُ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْمَسْلَمَةِ وَاسْتَوْزَرَهُ ، وَلَقَّبَهُ رَئِيسَ الرُّؤَسَاءِ ، وَهُوَ ابْتِدَاءُ حَالِه.وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ ذَا السَّعَادَاتِ بْنَ فَسَانْجِسَ وَزِيرَ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ كَانَ يُسِيءُ الرَّأْيَ فِي عَمِيدِ الرُّؤَسَاءِ وَزِيرِ الْخَلِيفَةِ ، فَطَلَبَ مِنَ الْخَلِيفَةِ أَنْ يَعْزِلَهُ فَعَزَلَهُ ، وَاسْتَوْزَرَ رَئِيسَ الرُّؤَسَاءِ نِيَابَةً ، ثُمَّ خَلَعَ عَلَيْهِ وَجَلَسَ فِي الدَّسْت.وَفِيهَا فِي شَعْبَانَ سَارَ سُرْخَابُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِنَّازٍ أَخُو أَبِي الشَّوْكِ إِلَى الْبَنْدَنِيجِينَ ، وَبِهَا سَعْدِي بْنُ أَبِي الشَّوْكِ ، فَفَارَقَهَا سَعْدِي وَلَحِقَ بِأَبِيهِ ، وَنَهَبَ سُرْخَابٌ بَعْضَهَا ، وَكَانَ أَبُو الشَّوْكِ قَدْ أَخَذَ بَلَدَ سُرْخَابٍ مَا عَدَا دَزْدِيلُويَةَ ، وَهُمَا مُتَبَايِنَانِ لِذَلِك.وَفِيهَا فِي آخِرِ رَمَضَانَ تُوُفِّيَ أَبُو الشَّوْكِ فَارِسُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِنَّازٍ بِقَلْعَةِ السِّيرَوَانِ ، وَكَانَ مَرِضَ لَمَّا سَارَ إِلَى السِّيرَوَانِ مِنْ حُلْوَانَ ، وَلَمَّا تُوُفِّيَ غَدَرَ الْأَكْرَادُ بِابْنِهِ سَعْدِي ، وَصَارُوا مَعَ عَمِّهِ مُهَلْهِلٍ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ مَضَى سَعْدِي إِلَى إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ وَأَتَى بِالْغُزِّ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.وَفِيهَا قُتِلَ عِيسَى بْنُ مُوسَى الْهَذْبَانِيُّ صَاحِبُ إِرْبِلَ ، وَكَانَ خَرَجَ إِلَى الصَّيْدِ ، فَقَتَلَهُ ابْنَا أَخٍ لَهُ ، وَسَارَا إِلَى قَلْعَةِ إِرْبِلَ فَمَلَكَاهَا ، وَكَانَ سَلَّارُ بْنُ مُوسَى أَخُو الْمَقْتُولِ نَازِلًا عَلَى قِرْوَاشِ بْنِ الْمُقَلِّدِ ، صَاحِبِ الْمَوْصِلِ ، لِنُفْرَةٍ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ ، فَلَمَّا قُتِلَ سَارَ قِرْوَاشٌ مَعَ السَّلَّارِ إِلَى إِرْبِلَ فَمَلَكَهَا وَسَلَّمَهَا إِلَى السَّلَّارِ ، وَعَادَ قِرْوَاشٌ إِلَى الْمَوْصِل.وَفِيهَا كَانَتْ بِبَغْدَاذَ فِتْنَةٌ بَيْنَ أَهْلِ الْكَرْخِ وَبَابِ الْبَصْرَةِ ، وَقِتَالٌ اشْتَدَّ قُتِلَ فِيهِ جَمَاعَةٌ. وَفِيهَا وَقَعَ الْبَلَاءُ وَالْوَبَاءُ فِي الْخَيْلِ ، فَهَلَكَ مِنْ عَسْكَرِ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ فَرَسٍ ، وَعَمَّ ذَلِكَ الْبِلَادَ . الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرٍ أَبُو الْحَسَنِ الْكَاتِبُ بِوَاسِطٍ ، صَاحِبُ الرَّسَائِلِ الْمَشْهُورَةِ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ مُلْكِ مُهَلْهِلٍ قِرْمِسِينَ وَالدِّينَوَرَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَلَكَ مُهَلْهِلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِنَّازٍ مَدِينَةَ قِرْمِسِينَ وَالدِّينَوَرَ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ كَانَ قَدِ اسْتَعْمَلَ عِنْدَ عَوْدِهِ مِنْ حُلْوَانَ عَلَى قِرْمِسِينَ بَدْرَ بْنَ طَاهِرِ بْنِ هِلَالٍ ، فَلَمَّا مَلَكَ مُهَلْهِلٌ بَعْدَ مَوْتِ أَخِيهِ أَبِي الشَّوْكِ سَارَ إِلَى مَايَدَشْتَ ، وَنَزَلَ بِهَا ، ثُمَّ تَوَجَّهَ نَحْوَ قِرْمِسِينَ ، فَانْصَرَفَ عَنْهَا بَدْرٌ ، فَمَلَكَهَا مُهَلْهِلٌ ، وَسَيَّرَ ابْنَهُ مُحَمَّدًا إِلَى الدِّينَوَرَ وَبِهَا عَسَاكِرُ يَنَّالَ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَقُتِلَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ جَمَاعَةٌ ، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُ يَنَّالَ ، وَمَلَكَ مُحَمَّدٌ الْبَلَد.ذِكْرُ اتِّصَالِ سَعْدِي بْنِ أَبِي الشَّوْكِ بِإِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ وَمَا كَانَ مِنْهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ فَارَقَ سَعْدِي بْنُ أَبِي الشَّوْكِ عَمَّهُ مُهَلْهِلًا ، وَلَحِقَ بِإِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ فَصَارَ مَعَهُ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ عَمَّهُ تَزَوَّجَ أَمَّهُ وَأَهْمَلَ جَانِبَهُ وَاحْتَقَرَهُ ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا قَصَّرَ فِي مُرَاعَاةِ الْأَكْرَادِ الشَّاذِنْجِانِ ، فَرَاسَلَ سَعْدِي إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ فِي اللَّحَاقِ بِهِ ، فَأَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، وَوَعَدَهُ أَنْ يُمَلِّكَهُ مَا كَانَ لِأَبِيهِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَكْرَادِ الشَّاذِنْجَانِ ، فَقَوِيَ بِهِمْ ، فَأَكْرَمَهُ يَنَّالُ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ جَمْعًا مِنَ الْغُزِّ ، وَسَيَّرَهُ إِلَى حُلْوَانَ فَمَلَكَهَا ، وَخَطَبَ فِيهَا لِإِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا ، وَرَجَعَ إِلَى مَايَدَشْتَ ، فَسَارَ عَمُّهُ مُهَلْهِلٌ إِلَى حُلْوَانَ فَمَلَكَهَا ، وَقَطَعَ مِنْهَا خُطْبَةَ يَنَّالَ.فَلَمَّا سَمِعَ سَعْدِي بِذَلِكَ سَارَ إِلَى حُلْوَانَ ، فَفَارَقَهَا عَمُّهُ مُهَلْهِلٌ إِلَى نَاحِيَةِ بَلُّوطَةَ ، وَمَلَكَ سَعْدِي حُلْوَانَ وَسَارَ إِلَى عَمِّهِ سُرْخَابٍ فَكَبَسَهُ وَنَهَبَ مَا كَانَ مَعَهُ ، وَسَيَّرَ جَمْعًا إِلَى الْبَنْدَنِيجَيْنِ ، فَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا وَقَبَضُوا عَلَى نَائِبِ سُرْخَابٍ بِهَا ، وَنَهَبُوا بَعْضَهَا ، وَانْهَزَمَ سُرْخَابٌ فَصَعِدَ إِلَى قَلْعَةِ دَزْدِيلُويَةَ ، ثُمَّ عَادَ سَعْدِي إِلَى قِرْمِسِينَ ، فَسَيَّرَ عَمُّهُ مُهَلْهِلٌ ابْنَهُ بَدْرًا إِلَى حُلْوَانَ فَمَلَكَهَا ، فَجَمَعَ سَعْدِي وَأَكْثَرَ وَعَادَ إِلَى حُلْوَانَ ، فَفَارَقَهَا مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ أَصْحَابِ عَمِّهِ إِلَّا مَنْ كَانَ بِالْقَلْعَةِ ، وَمَلَكَهَا سَعْدِي ، وَكَانَ قَدْ صَحِبَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْغُزِّ ، فَسَارَ بِهِمْ مِنْهَا إِلَى عَمِّهِ مُهَلْهِلٍ ، وَتَرَكَ بِهَا مَنْ يَحْفَظُهَا ، فَلَمَّا عَلِمَ عَمُّهُ بِقُرْبِهِ مِنْهُ سَارَ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى قَلْعَةِ تِيرَانْشَاهْ بِقُرْبِ شَهْرَزُورَ ، فَاحْتَمَى بِهَا ، وَمَلَكَ الْغُزُّ كَثِيرًا مِنَ النَّوَاحِي وَالْمَوَاشِي ، وَغَنِمُوا كَثِيرًا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالدَّوَاب.فَلَمَّا رَأَى سَعْدِي تَحَصُّنَ عَمِّهِ مِنْهُ خَافَ عَلَى مَنْ خَلْفَهُ بِحُلْوَانَ ، فَعَادَ عَازِمًا عَلَى مُحَاصَرَةِ الْقَلْعَةِ فَمَضَى وَحَصَرَهَا ، وَقَاتَلَهُ مَنْ بِهَا مِنْ أَصْحَابِ عَمِّهِ ، وَنَهَبَ الْغُزُّ حُلْوَانَ وَفَتَكُوا فِيهَا وَافْتَضُّوا الْأَبْكَارَ ، وَأَحْرَقُوا الْمَسَاكِنَ ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ ، وَفَعَلُوا فِي تِلْكَ النَّوَاحِي جَمِيعِهَا أَقْبَحَ فِعْلٍ.وَلَمَّا سَمِعَ أَصْحَابُ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ وَوَزِيرُهُ هَذِهِ الْأَخْبَارَ نَدَبُوا الْعَسَاكِرَ إِلَى الْخُرُوجِ إِلَى مُهَلْهِلٍ وَمُسَاعَدَتِهِ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ ، وَدَفْعِهِ عَنْ هَذِهِ الْأَعْمَالِ ، فَلَمْ يَفْعَلُوا.ثُمَّ إِنَّ سَعْدِي أَقْطَعَ أَبَا الْفَتْحِ بْنَ وَرَّامٍ الْبَنْدَنِيجَيْنَ وَاتَّفَقَا ، وَاجْتَمَعَا عَلَى قَصْدِ عَمِّهِ سُرْخَابِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِنَّازٍ وَحَصْرِهِ بِقَلْعَةِ دَزْدِيلَوِيَّةَ ، فَسَارَا فِيمَنْ مَعَهُمَا مِنَ الْعَسَاكِرِ ، فَلَمَّا قَارَبُوا الْقَلْعَةَ دَخَلُوا فِي مَضِيقٍ هُنَاكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَجْعَلُوا لَهُمْ طَلِيعَةً ، طَمَعًا فِيهِ وَإِدْلَالًا بِقُوَّتِهِمْ ، وَكَانَ سُرْخَابٌ قَدْ جَعَلَ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ عَلَى فَمِ الْمَضِيقِ جَمْعًا مِنَ الْأَكْرَادِ ، فَلَمَّا دَخَلُوا الْمَضِيقَ لَقِيَهُمْ سُرْخَابٌ ، وَكَانَ قَدْ نَزَلَ مِنَ الْقَلْعَةِ فَاقْتَتَلُوا ، وَعَادُوا لِيَخْرُجُوا مِنَ الْمَضِيقِ فَتَقَطَّرَتْ بِهِمْ خَيْلُهُمْ ، فَسَقَطُوا عَنْهَا وَرَمَاهُمُ الْأَكْرَادُ الَّذِينَ عَلَى الْجَبَلِ ، فَوَهَنُوا ، وَأُسِرَ سَعْدِي وَأَبُو الْفَتْحِ بْنُ وَرَّامٍ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الرُّءُوسِ ، وَتَفَرَّقَ الْغُزُّ وَالْأَكْرَادُ مِنْ تِلْكَ النَّوَاحِي ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا قَدْ تَوَطَّنُوهَا وَمَلَكُوهَا.ذِكْرُ حِصَارِ طُغْرُلْبَك أَصْبَهَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ حَصَرَ طُغْرُلْبَك مَدِينَةَ أَصْبَهَانَ ، وَبِهَا صَاحِبُهَا أَبُو مَنْصُورٍ فِرَامَرْزُ بْنُ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ ، فَضَيَّقَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَظْفَرْ مِنَ الْبَلَدِ بِطَائِلٍ ، ثُمَّ اصْطَلَحُوا عَلَى مَالٍ يَحْمِلُهُ فِرَامَرْزُ بْنُ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ لِطُغْرُلْبَك ، وَخُطِبَ لَهُ بِأَصْبَهَانَ وَأَعْمَالِهَا.ذِكْرُ عِدَّةِا حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ مِنَ التَّرْكِ مِنْ بَلَدِ التُّبَّتِ خَلْقٌ لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً ، فَرَاسَلُوا أَرْسِلَانَ خَانْ صَاحِبَ بَلَاسَاغُونَ ، يَشْكُرُونَهُ عَلَى حُسْنِ سِيرَتِهِ فِي رَعِيَّتِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ تَعَرُّضٌ إِلَى مَمْلَكَتِهِ ، وَلَكِنَّهُمْ أَقَامُوا بِهَا ، وَرَاسَلَهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَلَمْ يُجِيبُوا ، وَلَمْ يَنْفِرُوا مِنْه.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْحَسَنِ الْخَيْشِيُّ النَّحْوِيُّ فِي ذِي الْحِجَّةِ وَلَهُ نَيِّفٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً.وَفِيهَا انْحَدَرَ عَلَاءُ الدِّينِ أَبُو الْغَنَائِمِ ابْنُ الْوَزِيرِ ذِي السَّعَادَاتِ إِلَى الْبَطَائِحِ ، وَحَصَرَهَا وَبِهَا صَاحِبُهَا أَبُو نَصْرِ بْنُ الْهَيْثَمِ ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِ ، وَاجْتَمَعَ مَعَ جَمْعٍ كَثِيرٍ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجُوَيْنِيُّ ، وَالِدُ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ أَبِي الْمَعَالِي ، وَكَانَ إِمَامًا فِي الشَّافِعِيَّةِ ، تَفَقَّهَ عَلَى أَبِي الطِّيبِ سَهْلِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصُّعْلُوكِيِّ ، وَكَانَ عَالِمًا بِالْأَدَبِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْعُلُومِ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي سِنْبِسٍ ، بَطْنٍ مِنْ طَيِّئٍ . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ صُلْحِ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ وَالسُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَرْسَلَ الْمَلِكُ أَبُو كَالِيجَارَ إِلَى السُّلْطَانِ رُكْنِ الدِّينِ طُغْرُلْبَك فِي الصُّلْحِ ، فَأَجَابَهُ إِلَيْهِ وَاصْطَلَحَا ، وَكَتَبَ طُغْرُلْبَك إِلَى أَخِيهِ يَنَّالَ يَأْمُرُهُ بِالْكَفِّ عَمَّا وَرَاءَ مَا بِيَدِهِ ، وَاسْتَقَرَّ الْحَالُ بَيْنَهُمَا أَنْ يَتَزَوَّجَ طُغْرُلْبَك بِابْنَةِ أَبِي كَالِيجَارَ ، وَيَتَزَوَّجَ الْأَمِيرُ أَبُو مَنْصُورِ بْنُ أَبِي كَالِيجَارَ بِابْنَةِ الْمَلِكِ دَاوُدَ أَخِي طُغْرُلْبَك ، وَجَرَى الْعَقْدُ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.ذِكْرُ الْقَبْضِ عَلَى سُرْخَابٍ أَخِي أَبِي الشَّوْكِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَبَضَ الْأَكْرَادُ اللُّرِّيَّةُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ عَسْكَرِ سُرْخَابٍ عَلَيْهِ; لِأَنَّهُ أَسَاءَ السِّيرَةَ مَعَهُمْ وَوَتَرَهُمْ ، فَقَبَضُوا عَلَيْهِ وَحَمَلُوهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ ، فَقَلَعَ إِحْدَى عَيْنَيْهِ ، وَطَالَبَهُ بِإِطْلَاقِ سَعْدِي بْنِ أَبِي الشَّوْكِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ.وَكَانَ أَبُو الْعَسْكَرِ بْنُ سُرْخَابٍ قَدْ غَاضَبَهُ لَمَّا قُبِضَ عَلَى سَعْدِي ، وَاعْتَزَلَهُ كَرَاهِيَةً لِفِعْلِهِ ، فَلَمَّا أُسِرَ أَبُوهُ سُرْخَابٌ سَارَ إِلَى الْقَلْعَةِ وَأَخْرَجَ سَعْدِي ابْنَ عَمِّهِ ، وَفَكَّ قُيُودَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَطْلَقَهُ ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ بِطَرْحِ مَا مَضَى ، وَالسَّعْيِ فِي خَلَاصِ وَالِدِهِ سُرْخَابٍ ، فَسَارَ سَعْدِي ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَكْرَادِ ، وَوَصَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ الَّذِي أَرَادَ ، فَفَارَقَهُ وَعَادَ إِلَى الدَّسْكَرَةِ ، وَكَاتَبَ الْخَلِيفَةَ وَنُوَّابَ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ بِالْعَوْدِ إِلَى الطَّاعَةِ ، وَأَقَامَ بِهَا.ذِكْرُ مُلْكِ إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ قَلْعَةَ كِنْكِوَرَ وَغَيْرَهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ إِبْرَاهِيمُ يَنَّالُ إِلَى قَلْعَةِ كِنْكِوَرَ وَبِهَا عُكْبَرُ بْنُ فَارِسٍ صَاحِبُ كُرْشَاسُفَ بْنِ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ يَحْفَظُهَا لَهُ ، فَامْتَنَعَ عُكْبَرٌ بِهَا إِلَى أَنْ فَنِيَتْ ذَخَائِرُهُ ، وَكَانَتْ قَلِيلَةً ، فَلَمَّا نَفِدَتِ الذَّخَائِرُ عَمَدَ إِلَى بُيُوتِ الطَّعَامِ الَّتِي فِي الْقَلْعَةِ وَمَلَأَهَا تُرَابًا وَحِجَارَةً ، وَسَدَّ أَبْوَابَهَا ، وَنَثَرَ مِنْ دَاخِلِ الْأَبْوَابِ شَيْئًا مِنْ طَعَامٍ ، وَعَلَى رَأْسِ التُّرَابِ وَالْحِجَارَةِ كَذَلِكَ أَيْضًا ، وَرَاسَلَ إِبْرَاهِيمَ فِي تَسْلِيمِ الْقَلْعَةِ إِلَيْهِ عَلَى أَنْ يُؤَمِّنَهُ عَلَى مَنْ بِهَا مِنَ الرِّجَالِ ، وَمَا بِهَا مِنَ الْأَمْوَالِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مِنْ تَرْكِ الْمَالِ ، فَأَخَذَ عُكْبَرٌ رَسُولَ إِبْرَاهِيمَ فَطَوَّفَهُ عَلَى الْبُيُوتِ الَّتِي فِيهَا الطَّعَامُ ، وَفَتَحَ مَوَاضِعَ مِنَ الْمَسْدُودِ ، فَرَآهَا مَمْلُوءَةً فَظَنَّهَا طَعَامًا ، وَقَالَ لَهُ عُكْبَرٌ مَا رَاسَلْتُ صَاحِبَكَ خَوْفًا مِنَ الْمُطَاوَلَةِ ، وَلَا إِشْفَاقًا مِنْ نَادِ الْمِيرَةِ ، لَكِنَّنِي أَحْبَبْتُ الدُّخُولَ فِي طَاعَتِهِ ، فَإِنْ بَذَلَ لِيَ الْأَمَانَ عَلَى مَا طَلَبْتُهُ لِي وَلِلْأَمِيرِ كُرْشَاسُفَ وَأَمْوَالِهِ وَلِمَنْ بِالْقَلْعَةِ سَلَّمْتُ إِلَيْهِ ، وَكَفَيْتُهُ مَؤُونَةَ الْمُقَامِ.فَلَمَّا عَادَ الرَّسُولُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَخْبَرَهُ أَجَابَهُ إِلَى مَا طَلَبَ ، وَنَزَلَ عُكْبَرٌ وَتَسَلَّمَهَا إِبْرَاهِيمُ ، فَلَمَّا صَعِدَ إِلَى الْقَلْعَةِ انْكَشَفَتِ الْحِيلَةُ ، وَسَارَ عُكْبَرٌ بِمَنْ مَعَهُ إِلَى قَلْعَةِ سَرْمَاجَ ، وَصَعِدَ إِلَيْهَا.وَلَمَّا مَلَكَ يَنَّالُ كِنْكِوَرَ عَادَ إِلَى هَمَذَانَ ، فَسَيَّرَ جَيْشًا لِأَخْذِ قِلَاعِ سُرْخَابٍ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ نَسِيبًا لَهُ اسْمُهُ أَحْمَدُ ، وَسَلَّمَ إِلَيْهِ سُرْخَابًا لِيَفْتَحَ بِهِ قِلَاعَهُ ، فَسَارَ بِهِ إِلَى قَلْعَةِ كَلْكَانَ ، فَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِ ، فَسَارُوا إِلَى قَلْعَةِ دَزْدِيلُويَةَ فَحَصَرُوهَا ، وَامْتَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ إِلَى الْبَنْدَنِيجَيْنِ فَنَهَبُوهَا فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَفَعَلُوا الْأَفَاعِيلَ الْقَبِيحَةَ مِنَ النَّهْبِ وَالْقَتْلِ وَافْتِرَاشِ النِّسَاءِ وَالْعُقُوبَةِ عَلَى تَخْلِيصِ الْأَمْوَالِ ، فَمَاتَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ لِشِدَّةِ الضَّرْبِ.وَسَارَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ إِلَى أَبِي الْفَتْحِ بْنِ وَرَّامٍ ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ خَوْفًا مِنْهُمْ ، وَتَرَكَ حُلَلَهُ بِحَالِهَا ، وَقَصَدَ أَنْ يَشْتَغِلُوا بِنَهْبِ حُلَلِهِ فَيَعُودَ عَلَيْهِمْ ، فَلَمْ يُعَرِّجُوا عَلَى النَّهْبِ وَتَبِعُوهُ ، فَلِشِدَّةِ خَوْفِهِ أَنْ يَظْفَرُوا بِهِ وَيَأْخُذُوهُ قَاتَلَهُمْ ، فَظَفِرَ بِهِمْ ، وَقَتَلَ وَأَسَرَ جَمَاعَةً مِنْهُمْ ، وَغَنِمَ مَا مَعَهُمْ ، وَرَجَعَ الْبَاقُونَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى بَغْدَاذَ يَطْلُبُ نَجْدَةً خَوْفًا مِنْ عَوْدِهِمْ ، فَلَمْ يُنْجِدُوهُ لِعَدَمِ الْهَيْبَةِ وَقِلَّةِ إِمْسَاكِ الْأَمْرِ ، فَعَبَرَ بَنُو وَرَّامٍ دِجْلَةَ إِلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ.ثُمَّ إِنَّ الْغُزَّ أَسَرُّوا إِلَى سَعْدِي بْنِ أَبِي الشَّوْكِ فِي رَجَبٍ وَهُوَ نَازِلٌ عَلَى فَرْسَخَيْنِ مِنْ بَاجِسْرَى ، وَكَبَسُوهُ فَانْهَزَمَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ لَا يَلْوِي الْآخَرُ عَلَى أَخِيهِ ، وَلَا الْوَالِدُ عَلَى وَلَدِهِ ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَغَنِمَ الْغُزُّ أَمْوَالَهُمْ ، وَنَهَبُوا تِلْكَ الْأَعْمَالَ ، وَكَانَ سَعْدِي قَدْ أَنْزَلَ مَالًا مِنْ قَلْعَةِ السِّيرَوَانِ ، فَوَصَلَهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَغَنِمَهُ الْغُزُّ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُ سَلِمَ مَعَهُ ، وَنَجَا سَعْدِي مِنَ الْوَقْعَةِ بِجُرَيْعَةِ الذَّقَنِ ، وَنَهَبَ الْغُزُّ الدَّسْكَرَةَ ، وَبَاجِسْرَى ، وَالْهَارُونِيَّةَ ، وَقَصْرَ سَابُورَ ، وَجَمِيعَ تِلْكَ الْأَعْمَالِ.وَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى بَغْدَاذَ بِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ عَازِمٌ عَلَى قَصْدِ بَغْدَاذَ ، فَارْتَاعَ النَّاسُ ، وَاجْتَمَعَ الْأُمَرَاءُ وَالْقُوَّادُ إِلَى الْأَمِيرِ أَبِي مَنْصُورٍ ابْنِ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ لِيَجْتَمِعُوا وَيَسِيرُوا إِلَيْهِ وَيَمْنَعُوهُ ، وَاتَّفَقُوا عَلَى ذَلِكَ ، فَلَمْ يَخْرُجْ غَيْرُ خِيَمِ الْأَمِيرِ أَبِي مَنْصُورٍ وَالْوَزِيرِ وَنَفَرٍ يَسِيرٍ ، وَتَخَلَّفَ الْبَاقُونَ ، وَهَلَكَ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ النَّوَاحِي الْمَنْهُوبَةِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ غَرِقَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَتَلَهُ الْبَرْدُ.وَوَصَلَ سَعْدِي إِلَى دَيَالَى ، ثُمَّ سَارَ مِنْهَا إِلَى أَبِي الْأَغَرِّ دُبَيْسِ بْنِ مَزْيَدٍ فَأَقَامَ عِنْدَه.ثُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ سَارَ إِلَى السِّيرَوَانِ ، فَحَصَرَ الْقَلْعَةَ ، وَضَيَّقَ عَلَى مَنْ بِهَا ، وَأَرْسَلَ سَرِيةً نَهَبَتِ الْبِلَادَ ، وَانْتَهَتْ إِلَى مَكَانٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَكْرِيتَ عَشَرَةُ فَرَاسِخَ ، وَدَخَلَ بَغْدَاذَ مِنْ أَهْلِ طَرِيقِ خُرَاسَانَ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَذَكَرُوا مِنْ حَالِهِمْ مَا أَبْكَى الْعُيُونَ ، ثُمَّ سَلَّمَهَا إِلَيْهِ مُسْتَحْفِظُهَا ، بَعْدَ أَنْ أَمَّنَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَالِهِ ، وَأَخَذَ مِنْهَا يَنَّالُ مِنْ بَقَايَا مَا خَلَّفَهُ سَعْدِي شَيْئًا كَثِيرًا ، وَلَمَّا فَتَحَهَا اسْتَخْلَفَ فِيهَا مُقَدَّمًا كَبِيرًا مِنْ أَصْحَابِهِ يُقَالُ لَهُ سَخْتُ كُمَانُ ، وَانْصَرَفَ إِلَى حُلْوَانَ ، وَعَادَ مِنْهَا إِلَى هَمَذَانَ ، وَمَعَهُ بَدْرٌ وَمَالِكٌ ابْنَا مُهَلْهِلٍ ، فَأَكْرَمَهُمَا.ثُمَّ إِنَّ صَاحِبَ قَلْعَةِ سَرْمَاجَ تُوُفِّيَ ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ بَدْرِ بْنِ حَسَنْوَيْهِ ، وَسُلِّمَتِ الْقَلْعَةُ بَعْدَهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ ، وَسَيَّرَ إِبْرَاهِيمُ يَنَّالُ وَزِيرَهُ إِلَى شَهْرَزُورَ ، فَأَخَذَهَا وَمَلَكَهَا ، فَهَرَبَ مِنْهُ مُهَلْهِلٌ ، فَأَبْعَدَ فِي الْهَرَب.ثُمَّ نَزَلَ أَحْمَدُ عَلَى قَلْعَةِ تِيرَانْشَاهْ وَحَاصَرَهَا ، وَنَقَبَ عَلَيْهَا عِدَّةَ نُقُوبٍ ، ثُمَّ إِنَّ مُهَلْهِلًا رَاسَلَ أَهْلَ شَهْرَزُورَ يَعِدُهُمْ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، وَيَأْمُرُهُمْ بِالْوُثُوبِ بِمَنْ عِنْدَهُمْ مِنَ الْغُزِّ ، فَفَعَلُوا وَقَتَلُوا مِنْهُمْ ، وَسَمِعَ أَحْمَدُ بْنُ طَاهِرٍ فَعَادَ إِلَيْهِمْ وَأَوْقَعَ بِهِمْ وَنَهَبَهُمْ ، وَقَتَلَ كَثِيرًا مِنْهُمْ.ثُمَّ إِنَّ الْغُزَّ الْمُقِيمِينَ بِالْبَنْدَنِيجَيْنِ وَمَنْ مَعَهُمْ سَارُوا إِلَى بَرَازِ الرُّوزِ ، وَتَقَدَّمُوا إِلَى نَهْرِ السَّلِيلِ ، فَاقْتَتَلُوا هُمْ وَأَبُو دُلَفَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَاوَانِيُّ قِتَالًا شَدِيدًا ظَفِرَ فِيهِ أَبُو دُلَفَ ، وَانْهَزَمَ الْغُزُّ وَأُخِذَ مَا مَعَهُمْ.وَسَارَ فِي ذِي الْحِجَّةِ جَمْعٌ مِنَ الْغُزِّ إِلَى بَلَدِ عَلِيِّ بْنِ الْقَاسِمِ الْكُرْدِيِّ ، فَأَغَارُوا وَعَاثَوْا ، فَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمَضِيقَ ، وَأَوْقَعَ بِهِمْ وَقَتَلَ كَثِيرًا مِنْهُمْ ، وَارْتَجَعَ مَا غَنِمُوهُ مِنْ بَلَدِهِ.ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ أَبِي كَالِيجَارَ عَلَى الْبَطِيحَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اشْتَدَّ الْحِصَارُ مِنْ عَسْكَرِ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ عَلَى أَبِي نَصْرِ بْنِ الْهَيْثَمِ صَاحِبِ الْبَطِيحَةِ ، فَجَنَحَ إِلَى الصُّلْحِ ، فَاشْتَطَّ عَلَيْهِ أَبُو الْغَنَائِمِ ابْنُ الْوَزِيرِ ذِي السَّعَادَاتِ ، ثُمَّ اسْتَأْمَنَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي نَصْرٍ وَمَلَّاحِيهِ إِلَى أَبِي الْغَنَائِمِ ، وَأَخْبَرُوهُ بِضَعْفِ أَبِي نَصْرٍ ، وَعَزْمِهِ عَلَى الِانْتِقَالِ مِنْ مَكَانِهِ ، فَحَفِظَ الطُّرُقَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا كَانَ خَامِسُ صَفَرٍ جَرَتْ وَقْعَةٌ كَبِيرَةٌ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، فَظَفِرَ أَبُو الْغَنَائِمِ ، وَقُتِلَ مِنَ الْبَطَائِحِيِّينَ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ ، وَغَرِقَ مِنْهُمْ سُفُنٌ كَثِيرَةٌ ، وَتَفَرَّقُوا فِي الْآجَامِ ، وَمَضَى ابْنُ الْهَيْثَمِ نَاجِيًا بِنَفْسِهِ فِي زَبْزَبٍ ، وَمُلِكَتْ دَارُهُ وَنُهِبَ مَا فِيهَا.ذِكْرُ ظُهُورِ الْأَصْفَرِ وَأَسْرِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ظَهَرَ الْأَصْفَرُ التَّغْلَبِيُّ بِرَأْسِ عَيْنٍ ، وَادَّعَى أَنَّهُ مِنَ الْمَذْكُورِينَ فِي الْكُتُبِ ، وَاسْتَغْوَى قَوْمًا بِمَخَارِيقَ وَضَعَهَا ، وَجَمَعَ جَمْعًا وَغَزَا نَوَاحِيَ الرُّومِ ، فَظَفِرَ وَغَنِمَ وَعَادَ ، وَظَهَرَ حَدِيثُهُ ، وَقَوِيَ نَامُوسُهُ ، وَعَاوَدُوا الْغَزْوَ فِي عَدَدٍ أَكْثَرَ مِنَ الْعَدَدِ الْأَوَّلِ ، وَدَخَلَ نَوَاحِيَ الرُّومِ وَأَوْغَلَ ، وَغَنِمَ أَضْعَافَ مَا غَنِمَهُ أَوَّلًا ، حَتَّى بِيعَتِ الْجَارِيَةُ الْجَمِيلَةُ بِالثَّمَنِ الْبَخْسِ.وَتَسَامَعَ النَّاسُ بِهِ فَقَصَدُوهُ ، وَكَثُرَ جَمْعُهُ ، وَاشْتَدَّتْ شَوْكَتُهُ ، وَثَقُلَتْ عَلَى الرُّومِ وَطْأَتُهُ ، فَأَرْسَلَ مِلْكُ الرُّومِ إِلَى نَصْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ مَرْوَانَ يَقُولُ لَهُ إِنَّكَ عَالِمٌ بِمَا بَيْنَنَا مِنَ الْمُوَادعَةِ وَقَدْ فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ هَذِهِ الْأَفَاعِيلَ ، فَإِنْ كُنْتَ قَدْ رَجَعْتَ عَنِ الْمُهَادَنَةِ فَعَرِّفْنَا لِنُدَبِّرَ أَمْرَنَا بِحَسْبِهِ.وَاتَّفَقَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَنْ وَصْلَ رَسُولٌ مِنَ الْأَصْفَرِ إِلَى نَصْرِ الدَّوْلَةِ أَيْضًا ، يُنْكِرُ عَلَيْهِ تَرْكَ الْغَزْوِ وَالْمَيْلِ إِلَى الدَّعَةِ ، فَسَاءَهُ ذَلِكَ أَيْضًا ، وَاسْتَدْعَى قَوْمًا مِنْ بَنِي نُمَيْرٍ وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَثَارَ الرُّومَ عَلَيْنَا ، وَلَا قُدْرَةَ لَنَا عَلَيْهِمْ.وَبَذَلَ لَهُمْ مَالًا عَلَى الْفَتْكِ بِهِ ، فَسَارُوا إِلَيْهِ ، فَقَرَّبَهُمْ وَلَازَمُوهُ ، فَرَكِبَ يَوْمًا غَيْرَ مُتَحَرِّزٍ ، فَأَبْعَدَ وَهُمْ مَعَهُ ، فَعَطَفُوا عَلَيْهِ وَأَخَذُوهُ ، وَحَمَلُوهُ إِلَى نَصْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ مَرْوَانَ فَاعْتَقَلَهُ ، وَتَلَافَى أَمْرَ الرُّومِ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تَجَدَّدَتِ الْهُدْنَةُ بَيْنَ صَاحِبِ مِصْرَ وَبَيْنَ الرُّومِ ، وَحَمَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ هَدِيَّةً عَظِيمَة.وَفِيهَا كَانَ بِبَغْدَاذَ وَالْمَوْصِلَ وَسَائِرِ الْبِلَادِ الْعِرَاقِيَّةِ وَالْجَزَرِيَّةِ غَلَاءٌ عَظِيمٌ ، حَتَّى أَكَلَ النَّاسُ الْمَيْتَةَ ، وَتَبِعَهُ وَبَاءٌ شَدِيدٌ مَاتَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، حَتَّى خَلَتِ الْأَسْوَاقُ ، وَزَادَتْ أَثْمَانُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمَرْضَى ، حَتَّى بِيعَ الْمَنُ مِنَ الشَّرَابِ بِنِصْفِ دِينَارٍ ، وَمِنَ اللَّوْزِ بِخَمْسَةَ عَشَرَ قِيرَاطًا ، وَالرُّمَّانَةُ بِقِيرَاطَيْنِ ، وَالْخِيَارَةُ بِقِيرَاطٍ ، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ.وَفِيهَا جَمَعَ الْأَمِيرُ أَبُو كَالِيجَارَ فَنَّاخُسْرُو بْنُ مَجْدِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ جَمْعًا ، وَسَارَ إِلَى آمِدَ فَدَخَلَهَا ، وَسَاعَدَهُ أَهْلُهَا ، وَأَوْقَعَ بِمَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ أَصْحَابِ طُغْرُلْبَك ، فَقَتَلَ وَأَسَرَ ، وَعَرَفَ طُغْرُلْبَك ذَلِكَ ، فَسَارَ عَنِ الرَّيِّ قَاصِدًا إِلَيْهِ ، وَمُتَوَجِّهًا إِلَى قِتَالِهِ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَمِيدُ الدَّوْلَةِ أَبُو سَعْدٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بِجَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ ، وَوَزَرَ لِجَلَالِ الدَّوْلَةِ عِدَّةَ دَفْعَات.وَفِيهَا سَيَّرَ الْمُعِزُّ بْنُ بَادِيسَ صَاحِبُ إِفْرِيقِيَّةَ أُسْطُولًا إِلَى جَزَائِرِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، فَظَفِرَ وَغَنِمَ وَعَادَ.وَفِيهَا اقْتَتَلَتْ طَوَائِفُ مِنْ تَلْكَاتَةَ ، قَاتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ صَبَرُوا فِيهَا ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ.وَفِيهَا قَبَضَ الْمَلِكُ أَبِي كَالِيجَارَ عَلَى وَزِيرِهِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي الْفَرَجِ الْمُلَقَّبِ بِذِي السِّعَادَاتِ بْنِ فَسَانْجَسَ ، وَسَجَنَهُ ، وَهَرَبَ وَلَدُهُ أَبُو الْغَنَائِمِ ، وَبَقِيَ الْوَزِيرُ مَسْجُونًا إِلَى أَنْ مَاتَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَقِيلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ أَبُو كَالِيجَارَ مَنْ قَتَلَهُ ، وَعُمُرُهُ إِحْدَى وَخَمْسُونَ سَنَةً ، وَلِلْوَزِيرِ ذِي السِّعَادَاتِ مُكَاتَبَاتٌ حَسَنَةٌ ، وَشِعْرٌ جَيِّدٌ ، مِنْهُ أُوَدِّعُكُمْ وَإِنِّي ذُو اكْتِئَابِ...وَأَرْحَلُ عَنْكُمُ وَالْقَلْبُ آبِي وَإِنَّ فِرَاقَكُمْ فِي كُلِّ حَالٍ...لَأَوْجَعُ مِنْ مُفَارَقَةِ الشَّبَابِ أَسِيرُ وَمَا ذَمَمْتُ لَكُمْ جِوَارًا...وَلَا مَلَّتْ مَنَازِلَكُمْ رِكَابِي وَأَشْكُرُ كُلَّمَا أَوْطَنْتُ دَارًا...لَيَالِينَا الْقِصَارَ بِلَا اجْتِنَابِ وَأَذْكُرُكُمْ إِذَا هَبَّتْ جَنُوبٌ...فَتُذْكِرُنِي غَرَارَاتُ التَّصَابِي لَكُمْ مِنِّي الْمَوَدَّةُ فِي اغْتِرَابٍ...وَأَنْتُمْ إِلْفُ نَفْسِي فِي اقْتِرَابِي.وَهُوَ أَطْوَلُ مِنْ هَذَا.وَلَمَّا قُبِضَ ذُو السَّعَادَاتِ اسْتَوْزَرَ أَبُو كَالِيجَارَ كَمَالَ الْمُلْكِ أَبَا الْمَعَالِي بْنَ عَبْدِ الرَّحِيمِ. الْوَفَيَاتُ فِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ أَيُّوبَ الْمَعْرُوفُ بِالْمُطَرِّزِ الشَّاعِرُ ، وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ ، فَمِنْ قَوْلِهِ فِي الزُّهْدِ يَا عَبْدُ كَمْ لَكَ مِنْ ذَنْبٍ وَمَعْصِيَةٍ...إِنْ كُنْتَ نَاسِيَهَا فَاللَّهُ أَحْصَاهَا لَا بُدَّ يَا عَبْدُ مِنْ يَوْمٍ تَقُومُ بِهِ...وَوَقْفَةٍ لَكَ يُدْمِي الْقَلْبَ ذِكْرَاهَا إِذَا عَرَضْتُ عَلَى قَلْبِي تَذَكُّرَهَا...وَسَاءَ ظَنِّي فَقَلْتُ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَفِيهَا مَاتَ أَبُو الْخَطَّابِ الْجَبَلِيُّ الشَّاعِرُ ، وَمَضَى إِلَى الشَّامِ ، وَلَقِيَ الْمَعَرِّيَّ ، وَعَادَ ضَرِيرًا ، وَلَهُ شِعْرٌ ، مِنْهُ قَوْلُهُ مَا حَكَمَ الْحُبُّ فَهْوَ مُمْتَثَلُ...وَمَا جَنَاهُ الْحَبِيبُ مُحْتَمَلُ تَهْوَى وَتَشْكُو الضَّنَى وَكُلُّ هَوًى...لَا يُنْحِلُ الْجِسْمَ فَهُوَ مُنْتَحَلُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْخَلَّالُ الْحَافِظُ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، سَمِعَ أَبَا بَكْرٍ الْقَطِيعِيَّ وَغَيْرَهُ ، وَمِنْ أَصْحَابِهِ الْخَطِيبُ أَبُو بَكْرٍ الْحَافِظُ.وَفِيهَا قُتِلَ الْفَقِيهُ أَحْمَدُ الْوَلْوَالِجِيُّ ، وَهُوَ مِنْ أَعْيَانِ الْفُقَهَاءِ الْحَنَفِيَّةِ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُكْثِرُ الْوَقِيعَةَ فِي الْأَئِمَّةِ وَالْعُلَمَاءِ ، وَسَلَكَ طَرِيقَ الرِّيَاضَةِ ، وَفَسَدَ دِمَاغُهُ ، فَقُتِلَ بَيْنَ مَرْوَ وَسَرَخْسَ فِي ذِي الْحِجَّةِ . ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ رَحِيلِ عَسْكَرِ يَنَّالَ عَنْ تِيرَانْشَاهْ وَعَوْدِ مُهَلْهِلٍ إِلَى شَهْرَزُورَ قَدْ ذَكَرْنَا فِي السَّنَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ اسْتِيلَاءَ أَحْمَدَ بْنِ طَاهِرٍ وَزِيرِ يَنَّالَ عَلَى شَهْرَزُورَ وَمُحَاصَرَتَهُ قَلْعَةَ تِيرَانْشَاهْ ، وَلَمْ يَزَلْ يُحَاصِرُهَا إِلَى الْآنَ ، فَوَقَعَ فِي عَسْكَرِهِ الْوَبَاءُ وَكَثُرَ الْمَوْتُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبِهِ يَنَّالَ يَسْتَمِدُّهُ وَيَطْلُبُ إِنْجَادَهُ ، وَيُعَرِّفُهُ كَثْرَةَ الْوَبَاءِ عِنْدَهُ ، فَأَمَرَهُ بِالرَّحِيلِ عَنْهَا ، فَسَارَ إِلَى مَايَدَشْتَ.فَلَمَّا سَمِعَ مُهَلْهِلٌ ذَلِكَ سَيَّرَ أَحَدَ أَوْلَادِهِ إِلَى شَهْرزُورَ فَمَلَكَهَا ، وَانْزَعَجَ الْغُزُّ الَّذِينَ بِالسِّيرَوَانِ وَخَافُوا.ثُمَّ سَارَ جَمْعٌ مِنْ عَسْكَرِ بَغْدَاذَ إِلَى حُلْوَانَ ، وَحَصَرُوا قَلْعَتَهَا ، فَلَمْ يَظْفَرُوا بِهَا ، فَنَهَبُوا تِلْكَ الْأَعْمَالَ وَأَتَوْا عَلَى مَا تَخَلَّفَ مِنَ الْغُزِّ ، فَخُرِّبَتِ الْأَعْمَالُ بِالْكُلِّيَّةِ ، وَسَارَ مُهَلْهِلٌ وَمَعَهُ أَهْلُهُ وَأَمْوَالُهُ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَأَنْزَلَهُمْ بِبَابِ الْمَرَاتِبِ ، بِدَارِ الْخِلَافَةِ ، خَوْفًا مِنَ الْغُزِّ ، وَعَادَ إِلَى حُلَلِهِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ بَغْدَاذَ سِتَّةُ فَرَاسِخَ ، وَسَارَ جَمْعٌ مِنْ عَسْكَرِ بَغْدَاذَ إِلَى الْبَنْدَنِيجَيْنِ ، وَبِهَا جَمْعٌ مِنَ الْغُزِّ مَعَ عُكْبَرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عِيَاضٍ ، فَتَوَاقَعُوا وَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ بَغْدَاذَ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ ، وَأُسِرَ جَمَاعَةٌ قُتِلُوا أَيْضًا صَبْرًا.ذِكْرُ غَزْوِ إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ الرُّومَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا إِبْرَاهِيمُ يَنَّالُ الرُّومَ ، فَظَفِرَ بِهِمْ وَغَنِمَ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الْغُزِّ بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ قَدِمُوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمْ بِلَادِي تَضِيقُ عَنْ مُقَامِكُمْ وَالْقِيَامِ بِمَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ، وَالرَّأْيُ أَنْ تَمْضُوا إِلَى غَزْوِ الرُّومِ ، وَتُجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَتَغْنَمُوا ، وَأَنَا سَائِرٌ عَلَى أَثَرِكُمْ ، وَمُسَاعِدٌ لَكُمْ عَلَى أَمْرِكُم.فَفَعَلُوا.وَسَارُوا بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَبِعَهُمْ ، فَوَصَلُوا إِلَى مَلَازْكِرْدَ ، وَأَرْزَنِ الرُّومِ ، وَقَالِيقَلَا ، وَبَلَغُوا طَرَابْزُونَ وَتِلْكَ النَّوَاحِيَ كُلَّهَا ، وَلَقِيَهُمْ عَسْكَرٌ عَظِيمٌ لِلرُّومِ وَالْأَبْخَازِ يَبْلُغُونَ خَمْسِينَ أَلْفًا ، فَاقْتَتَلُوا وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ عِدَّةُ وَقَائِعَ تَارَةً يَظْفَرُ هَؤُلَاءِ وَتَارَةً هَؤُلَاءِ ، وَكَانَ آخِرَ الْأَمْرِ الظَّفَرُ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَأَكْثَرُوا الْقَتْلَ فِي الرُّومِ وَهَزَمُوهُمْ ، وَأَسَرُوا جَمَاعَةً كَثِيرَةً مِنْ بَطَارِقَتِهِمْ ، وَمِمَّنْ أُسِرَ قَارِيطُ مَلِكُ الْأَبْخَازِ ، فَبَذَلَ فِي نَفْسِهِ ثَلَاثَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَهَدَايَا بِمِائَةِ أَلْفٍ ، فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَلَمْ يَزَلْ يَجُوسُ تِلْكَ الْبِلَادَ وَيَنْهَبُهَا إِلَى أَنْ بَقِيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَاسْتَوْلَى الْمُسْلِمُونَ عَلَى تِلْكَ النَّوَاحِي فَنَهَبُوهَا ، وَغَنِمُوا مَا فِيهَا ، وَسَبَوْا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ رَأْسٍ ، وَأَخَذُوا مِنَ الدَّوَابِّ وَالْبِغَالِ وَالْغَنَائِمِ وَالْأَمْوَالِ مَا لَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْإِحْصَاءُ ، وَقِيلَ إِنَّ الْغَنَائِمَ حُمِلَتْ عَلَى عَشَرَةِ آلَافِ عَجَلَةٍ ، وَإِنَّ فِي جُمْلَةِ الْغَنِيمَةِ تِسْعَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِرْع.وَكَانَ قَدْ دَخَلَ بَلَدَ الرُّومِ جَمْعٌ مِنَ الْغُزِّ يَقْدُمُهُمْ إِنْسَانٌ نَسِيبُ طُغْرُلْبَك ، فَلَمْ يُؤَثِّرْ كَبِيرَ أَثَرٍ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ جَمَاعَةٌ وَعَادَ ، وَدَخَلَ بَعْدَهُ إِبْرَاهِيمُ يَنَّالَ فَفَعَلَ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ.ذِكْرُ مَوْتِ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ وَمُلْكِ ابْنِهِ الْمَلِكِ الرَّحِيمِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ الْمَلِكُ أَبُو كَالِيجَارَ الْمَرْزُبَانُ بْنُ سُلْطَانِ الدَّوْلَةِ بْنِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ ، رَابِعَ جُمَادَى الْأُولَى ، بِمَدِينَةِ جَنَابٍ مِنْ كِرْمَانَ.وَكَانَ سَبَبُ مَسِيرِهِ إِلَيْهَا أَنَّهُ كَانَ قَدْ عَوَّلَ فِي وِلَايَةِ كِرْمَانَ حَرْبًا وَخَرَابًا عَلَى بَهْرَامَ بْنِ لَشْكَرِسْتَانَ الدَّيْلَمِيِّ ، وَقَرَّرَ عَلَيْهِ مَالًا ، فَتَرَاخَى بَهْرَامُ فِي تَحْرِيرِ الْأَمْرِ ، وَأَحَالَهُ إِلَى الْمُغَالَظَةِ وَالْمُدَافَعَةِ ، فَشَرَعَ حِينَئِذٍ أَبُو كَالِيجَارَ فِي إِعْمَالِ الْحِيلَةِ عَلَيْهِ ، وَأَخَذَ قَلْعَةَ بَرَدْسِيرَ مِنْ يَدِهِ ، وَهِيَ مَعْقِلُهُ الَّذِي يَحْتَمِي بِهِ وَيُعَوِّلُ عَلَيْهِ ، فَرَاسَلَ بَعْضَ مَنْ بِهَا مِنَ الْأَجْنَادِ وَأَفْسَدَهُمْ ، فَعَلِمَ بِهِمْ بَهْرَامُ فَقَتَلَهُمْ ، وَزَادَ نُفُورُهُ وَاسْتِشْعَارُهُ ، وَأَظْهَرَ ذَلِكَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ أَبُو كَالِيجَارَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ ، فَبَلَغَ قَصْرَ مُجَاشِعٍ فَوَجَدَ فِي حَلْقِهِ خُشُونَةً ، فَلَمْ يُبَالِ بِهَا ، وَشَرِبَ وَتَصَيَّدَ وَأَكَلَ مِنْ كَبِدِ غَزَالٍ مَشْوِيٍّ ، وَاشْتَدَّتْ عِلَّتُهُ وَلَحِقَهُ حُمَّى ، وَضَعُفَ عَنِ الرُّكُوبِ ، وَلَمْ يُمْكِنْهُ الْمُقَامُ لِعَدَمِ الْمِيرَةِ بِذَلِكَ الْمَنْزِلِ ، فَحُمِلَ فِي مِحَفَّةٍ عَلَى أَعْنَاقِ الرِّجَالِ إِلَى مَدِينَةِ جَنَابٍ ، فَتُوُفِّيَ بِهَا ، وَكَانَ عُمُرُهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَشُهُورًا ، وَكَانَ مُلْكُهُ بِالْعِرَاقِ بَعْدَ وَفَاةِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ أَرْبَعَ سِنِينَ وَشَهْرَيْنِ وَنَيِّفًا وَعِشْرِينَ يَوْمًا.وَلَمَّا تُوُفِّيَ نَهَبَ الْأَتْرَاكُ مِنَ الْعَسْكَرِ الْخَزَائِنَ وَالسِّلَاحَ وَالدَّوَابَّ ، وَانْتَقَلَ وَلَدُهُ أَبُو مَنْصُورٍ فَلَاسْتُونُ إِلَى مُخَيَّمِ الْوَزِيرِ أَبِي مَنْصُورٍ ، وَكَانَتْ مُنْفَرِدَةً عَنِ الْعَسْكَرِ ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ ، وَأَرَادَ الْأَتْرَاكُ نَهْبَ الْوَزِيرِ وَالْأَمِيرِ ، فَمَنَعَهُمُ الدَّيْلَمُ ، وَعَادُوا إِلَى شِيرَازَ ، فَمَلَكَهَا الْأَمِيرُ أَبُو مَنْصُورٍ ، وَاسْتَشْعَرَ الْوَزِيرُ ، فَصَعِدَ إِلَى قَلْعَةِ خُرْمَةَ فَامْتَنَعَ بِهَا.فَلَمَّا وَصَلَ خَبَرُ وَفَاتِهِ إِلَى بَغْدَاذَ وَبِهَا وَلَدُهُ الْمَلِكُ الرَّحِيمُ أَبُو نَصْرٍ خُرَّةُ فَيْرُوزُ أَحْضَرَ الْجُنْدَ وَاسْتَحْلَفَهُمْ ، وَرَاسَلَ الْخَلِيفَةَ الْقَائِمَ بِأَمْرِ اللَّهِ فِي مَعْنَى الْخُطْبَةِ لَهُ وَتَلْقِيبِهِ بِالْمَلِكِ الرَّحِيمِ ، وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ أُجِيبَ إِلَى مُلْتَمَسِهِ سِوَى الْمَلِكِ الرَّحِيمِ ، فَإِنَّ الْخَلِيفَةَ امْتَنَعَ مِنْ إِجَابَتِهِ وَقَالَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُلَقَّبَ بِأَخَصِّ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى.وَاسْتَقَرَّ مُلْكُهُ بِالْعِرَاقِ ، وَخُوزِسْتَانَ ، وَالْبَصْرَةِ ، وَكَانَ بِالْبَصْرَةِ أَخُوهُ أَبُو عَلِيِّ بْنُ أَبِي كَالِيجَارَ.وَخَلَّفَ أَبُو كَالِيجَارَ مِنَ الْأَوْلَاد الْمَلِكَ الرَّحِيمَ ، وَالْأَمِيرَ أَبَا مَنْصُورٍ فَلَاسَ ، وَأَبَا طَالِبٍ كَامِرُّو ، وَأَبَا الْمُظَفَّرِ بَهْرَامَ ، وَأَبَا عَلِيٍّ كِيخُسْرُو ، وَأَبَا سَعْدٍ خُسْرُوشَاهْ ، وَثَلَاثَةَ بَنِينَ أَصَاغِرَ ، فَاسْتَوْلَى ابْنُهُ أَبُو مَنْصُورٍ عَلَى شِيرَازَ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ الرَّحِيمُ أَخَاهُ أَبَا سَعْدٍ فِي عَسْكَرٍ ، فَمَلَكُوا شِيرَازَ وَخَطَبُوا لِلْمَلِكِ الرَّحِيمِ ، وَقَبَضُوا عَلَى الْأَمِيرِ أَبِي مَنْصُورٍ وَوَالِدَتِهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَوَّال.ذِكْرُ مُحَاصِرَةِ الْعَسَاكِرِ الْمِصْرِيَّةِ مَدِينَةَ حَلَبَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ وَصَلَتْ عَسَاكِرُ مِصْرَ إِلَى حَلَبَ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ فَحَصَرُوهَا وَبِهَا مُعِزُّ الدَّوْلَةِ أَبُو عَلْوَانَ ثَمَالُ بْنُ صَالِحٍ الْكِلَابِيُّ ، فَجَمَعَ جَمْعًا كَثِيرًا بَلَغُوا خَمْسَةَ آلَافِ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ ، فَلَمَّا نَزَلُوا عَلَى حَلَبَ خَرَجَ إِلَيْهِمْ ثَمَالُ ، وَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا صَبَرَ فِيهِ لَهُمْ إِلَى اللَّيْلِ ، ثُمَّ دَخَلَ الْبَلَدَ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ اقْتَتَلُوا إِلَى آخِرِ النَّهَارِ ، وَصَبَرَ أَيْضًا ثَمَالُ ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا الْيَوْمَ الثَّالِثَ.فَلَمَّا رَأَى الْمِصْرِيُّونَ صَبْرَ ثَمَالَ ، وَكَانُوا ظَنُّوا أَنَّ أَحَدًا لَا يَقُومُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، رَحَلُوا عَنِ الْبَلَدِ ، فَاتَّفَقَ أَنَّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ جَاءَ مَطَرٌ عَظِيمٌ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ ، فَجَاءَتِ الْمُدُودُ إِلَى مَنْزِلِهِمْ ، فَبَلَغَ الْمَاءُ مَا يُقَارِبُ قَامَتَيْنِ ، وَلَوْ لَمْ يَرْحَلُوا لَغَرِقُوا ، ثُمَّ رَحَلُوا إِلَى الشَّامِ الْأَعْلَى.ذِكْرُ الْخُلْفِ بَيْنَ قِرْوَاشٍ وَالْأَكْرَادِ الْحُمَيْدِيَّةِ وَالْهَذْبَانِيَّةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اخْتَلَفَ قِرْوَاشٌ وَالْأَكْرَادُ الْحُمَيْدِيَّةُ وَالْهَذْبَانِيَّةُ ، وَكَانَ لِلْحُمَيْدِيَّةِ عِدَّةُ حُصُونٍ تُجَاوِرُ الْمَوْصِلَ ، مِنْهَا الْعُقْرُ وَمَا قَارَبَهَا ، وَلِلْهَذْبَانِيَّةِ قَلْعَةُ إِرْبِلَ وَأَعْمَالُهَا ، وَكَانَ صَاحِبُ الْعُقْرِ حِينَئِذٍ أَبَا الْحَسَنِ بْنَ عَيْسَكَانَ الْحُمَيْدِيَّ ، وَصَاحِبُ إِرْبِلَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ مُوسَكَ الْهَذْبَانِيُّ ، وَلَهُ أَخٌ اسْمُهُ أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُوسَكَ ، فَأَعَانَهُ الْحُمَيْدِيُّ عَلَى أَخْذِ إِرْبِلَ مِنْ أَخِيهِ أَبِي الْحَسَنِ فَمَلَكَهَا مِنْهُ ، وَأَخَذَ صَاحِبَهَا أَبَا الْحَسَنِ أَسِيرًا.وَكَانَ قِرْوَاشٌ وَأَخُوهُ زَعِيمُ الدَّوْلَةِ أَبُو كَامِلٍ بِالْعِرَاقِ مَشْغُولَيْنِ ، فَلَمَّا عَادَا إِلَى الْمَوْصِلِ وَقَدْ سَخِطَا هَذِهِ الْحَالَةَ لَمْ يُظْهِرَاهَا ، وَأَرْسَلَ قِرْوَاشٌ يَطْلُبُ مِنَ الْحُمَيْدِيِّ وَالْهَذْبَانِيِّ نَجْدَةً لَهُ عَلَى نَصْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ مَرْوَان.فَأَمَّا أَبُو الْحَسَنِ الْحُمَيْدِيُّ فَسَارَ إِلَيْهِ بِنَفْسِهِ ، وَأَمَّا أَبُو عَلِيٍّ الْهَذْبَانِيُّ فَأَرْسَلَ أَخَاهُ ، وَاصْطَلَحَ قِرْوَاشٌ وَنَصْرُ الدَّوْلَةِ ، وَقَبَضَ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الْحُمَيْدِيِّ ، ثُمَّ صَانَعَهُ عَلَى إِطْلَاقِ أَبِي الْحَسَنِ الْهَذْبَانِيِّ الَّذِي كَانَ صَاحِبَ إِرْبِلَ ، وَأَخَذَ إِرْبِلَ مِنْ أَخِيهِ أَبِي عَلِيٍّ وَتَسْلِيمِهَا إِلَيْهِ ، فَإِنِ امْتَنَعَ أَبُو عَلِيٍّ كَانَ عَوْنًا عَلَيْهِ ، فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ ، وَرَهَنَ عَلَيْهِ أَهْلَهُ وَأَوْلَادَهُ وَثَلَاثَ قِلَاعٍ مِنْ حُصُونِهِ إِلَى أَنْ يَتَسَلَّمَ إِرْبِلَ ، وَأُطْلِقَ مِنَ الْحَبْسِ .وَكَانَ أَخٌ لَهُ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَى قِلَاعِهِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهَا وَأَخَذَهَا مِنْهُ ، وَعَادَ إِلَى قِرْوَاشٍ وَأَخِيهِ زَعِيمِ الدَّوْلَةِ ، فَوَثِقَا بِهِ ، وَأَطْلَقَا أَهْلَهُ ، ثُمَّ إِنَّهُ رَاسَلَ أَبَا عَلِيٍّ صَاحِبَ إِرْبِلَ فِي تَسْلِيمِهَا ، فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ ، وَحَضَرَ بِالْمَوْصِلِ لِيُسَلِّمَ إِرْبِلَ إِلَى أَخِيهِ أَبِي الْحَسَنِ فَقَالَ الْحُمَيْدِيُّ لِقِرْوَاش إِنَّنِي قَدْ وَفَّيْتُ بِعَهْدِي ، فَتُسَلِّمَانِ إِلَيَّ حُصُونِي.فَسَلَّمَا إِلَيْهِ قِلَاعَهُ ، وَسَارَهَ وَأَبُو الْحَسَنِ وَأَبُو عَلِيٍّ الْهَذْبَانِيُّ إِلَى إِرْبِلَ لِيُسَلِّمَاهَا إِلَى أَبِي الْحَسَنِ ، فَغَدَرَا بِهِ فِي الطَّرِيقِ ، وَكَانَ قَدْ أَحَسَّ بِالشَّرِّ فَتَخَلَّفَ عَنْهُمَا ، وَسَيَّرَ مَعَهُمَا أَصْحَابَهُ لِيَتَسَلَّمُوا إِرْبِلَ ، فَقَبَضَا عَلَى أَصْحَابِهِ وَطَلَبُوهُ لِيَقْبِضُوهُ ، فَهَرَبَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَتَأَكَّدَتِ الْوَحْشَةُ حِينَئِذٍ بَيْنَ الْأَكْرَادِ وَقِرْوَاشٍ وَأَخِيهِ ، وَتَقَاطَعُوا ، وَأَضْمَرَ كُلٌّ مِنْهُمُ الشَّرَّ لِصَاحِبِهِ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ الْمَلِكُ الرَّحِيمُ مِنْ بَغْدَاذَ إِلَى خُوزِسْتَانَ ، فَلَقِيَهُ مَنْ بِهَا مِنَ الْجُنْدِ وَأَطَاعُوهُ ، وَفِيهِمْ كُرْشَاسُفُ بْنُ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ الَّذِي كَانَ صَاحِبَ هَمَذَانَ وَكِنْكِوَرَ ، فَإِنَّهُ كَانَ انْتَقَلَ إِلَى الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ بَعْدَ أَنِ اسْتَوْلَى يَنَّالُ عَلَى أَعْمَالِهِ ، وَلَمَّا مَاتَ أَبُو كَالِيجَارَ سَارَ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ ابْنُ الْمَلِكِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ إِلَى الْبَصْرَةِ طَمَعًا فِي مُلْكِهَا ، فَلَقِيَهُ مَنْ بِهَا مِنَ الْجُنْدِ وَقَاتَلُوهُ وَهَزَمُوهُ ، فَعَادَ عَنْهَا ، وَكَانَ قَبْلُ ذَلِكَ عِنْدَ قِرْوَاشٍ ثُمَّ عِنْدَ يَنَّالَ ، وَلَمَّا سَمِعَ بِاسْتِقَامَةِ الْأُمُورِ لِلْمَلِكِ الرَّحِيمِ انْقَطَعَ أَمَلُهُ ، وَلَمَّا سَارَ الْمَلِكُ الرَّحِيمُ عَنْ بَغْدَاذَ كَثُرَتِ الْفِتَنُ بِهَا ، وَدَامَتْ بَيْنَ أَهْلِ بَابِ الْأَزَجِّ وَالْأَسَاكِفَةِ ، وَهُمُ السُّنَّةُ فَأَحْرَقُوا عَقَارًا كَثِيرًا.وَفِيهَا سَارَ سَعْدِي بْنُ أَبِي الشَّوْكِ مِنْ حُلَّةِ دُبَيْسِ بْنِ مَزْيَدٍ إِلَى إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ بَعْدَ أَنْ رَاسَلَهُ وَتَوَثَّقَ مِنْهُ ، وَتَقَرَّرَ بَيْنَهُمَا أَنَّهُ كُلُّ مَا يَمْلِكُهُ سَعْدِي مِمَّا لَيْسَ بِيَدِ يَنَّالَ وَنُوَّابِهِ فَهُوَ لَهُ ، فَسَارَ سَعْدِي إِلَى الدَّسْكَرَةِ ، وَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ بِهَا مِنْ عَسْكَرِ بَغْدَاذَ حَرْبٌ انْهَزَمُوا فِيهَا مِنْهُ ، وَمَلَكَهَا وَمَا يَلِيهَا ، فَسُيِّرَ إِلَيْهَا عَسْكَرٌ ثَانٍ مِنْ بَغْدَاذَ ، فَقَتَلَ مُقَدَّمَهُمْ وَهَزَمَهُمْ ، وَسَارَ مِنَ الدَّسْكَرَةِ وَتَوَسَّطَ تِلْكَ الْأَعْمَالَ بِالْقُرْبِ مِنْ بَعْقُوبَا ، وَنَهَبَ أَصْحَابُهُ الْبِلَادَ ، وَخَطَبُوا لِإِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ.وَفِيهَا كَانَ ابْتِدَاءُ الْوَحْشَةِ بَيْنَ مُعْتَمَدِ الدَّوْلَةِ قِرْوَاشِ بْنِ الْمُقَلِّدِ وَبَيْنَ أَخِيهِ زَعِيمِ الدَّوْلَةِ أَبِي كَامِلِ بْنِ الْمُقَلِّدِ ، فَانْضَافَ قُرَيْشُ بْنُ بَدْرَانَ بْنِ الْمُقَلِّدِ إِلَى عَمِّهِ قِرْوَاشٍ ، وَجَمَعَ جَمْعًا ، وَقَاتَلَ عَمَّهُ أَبَا كَامِلٍ فَظَفِرَ وَنُصِرَ وَانْهَزَمَ أَبُو كَامِلٍ ، وَلَمْ يَزَلْ قُرَيْشٌ يُغْرِي قِرْوَاشًا بِأَخِيهِ حَتَّى تَأَكَّدَتِ الْوَحْشَةُ ، وَتَفَاقَمَ الشَّرُّ بَيْنَهُمَا.وَفِيهَا خُطِبَ لِلْأَمِيرِ أَبِي الْعَبَّاسِ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ ، وَلُقِّبَ ذَخِيرَةَ الدِّينِ وَوَلِيَّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ.وَفِيهَا فِي رَمَضَانَ قُتِلَ الْأَمِيرُ أَقْسُنْقُرُ بِهَمَذَانَ ، قَتَلَهُ الْبَاطِنِيَّةُ لِأَنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الْغَزْوِ إِلَيْهِمْ ، وَالْقَتْلِ فِيهِمْ ، وَالنَّهْبِ لِأَمْوَالِهِمْ ، وَالتَّخْرِيبِ لِبِلَادِهِمْ ، فَلَمَّا كَانَ الْآنَ قَصَدَ إِنْسَانًا مِنَ الزُّهَّادِ لِيَزُورَهُ ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ فَقَتَلُوه. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عِيسَى بْنِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ ، وَكَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَرُوَاةِ الْحَدِيثِ ، وَأَوْصَى أَنْ يُدْفَنَ بِجِوَارِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.وَأَبُو طَالِبٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ غَيْلَانَ الْبَزَّازُ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، رَوَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ الشَّافِعِيِّ وَغَيْرِهِ ، وَتُوُفِّيَ فِي شَوَّالٍ ، وَهُوَ رَاوِي الْأَحَادِيثِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْغَيْلَانِيَّاتِ الَّتِي خَرَّجَهَا الدَّارَقُطْنِيُّ لَهُ ، وَهِيَ مِنْ أَعْلَى الْحَدِيثِ وَأَحْسَنِهِ.وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ أَبُو الْقَاسِمِ الْوَاعِظُ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ شَاهِينَ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَة.وَفِيهَا كَانَ الْغَلَاءُ وَالْوَبَاءُ عَامًّا فِي الْبِلَادِ جَمِيعِهَا ، بِمَكَّةَ ، وَالْعِرَاقِ ، وَالْمَوْصِلِ ، وَالْجَزِيرَةِ ، وَالشَّامِ ، وَمِصْرَ ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَاد.وَفِيهَا قُبِضَ بِمِصْرَ عَلَى الْوَزِيرِ فَخْرِ الْمُلْكِ صَدَقَةَ بْنِ يُوسُفَ وَقُتِلَ ، وَكَانَ أَوَّلَ أَمْرِهِ يَهُودِيًّا ، فَأَسْلَمَ وَاتَّصَلَ بِالدَّزْبَرِيِّ ، وَخَدَمَهُ بِالشَّامِ ، ثُمَّ خَافَهُ فَعَادَ إِلَى مِصْرَ وَخَدَمَ الْجَرْجَرَائِيَّ الْوَزِيرَ ، وَأَنْفَقَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ الْجَرْجَرَائِيُّ اسْتَوْزَرَهُ الْمُسْتَنْصِرُ إِلَى الْآنَ ، ثُمَّ قَتَلَهُ وَاسْتَوْزَرَ الْقَاضِيَ أَبَا مُحَمَّدٍ الْحَسَنَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْيَازُورِيَّ فِي ذِي الْقَعْدَة. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ ظُهُورِ الْخُلْفِ بَيْنَ قِرْوَاشٍ وَأَخِيهِ أَبِي كَامِلٍ وَصُلْحِهِمَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ ظَهَرَ الْخُلْفُ بَيْنَ مُعْتَمَدِ الدَّوْلَةِ قِرْوَاشٍ وَبَيْنَ أَخِيهِ زَعِيمِ الدَّوْلَةِ أَبِي كَامِلٍ ظُهُورًا آلَ إِلَى الْمُحَارَبَةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ سَبَبُ ذَلِك.فَلَمَّا اشْتَدَّ الْأَمْرُ وَفَسَدَ الْحَالُ فَسَادًا لَا يُمْكِنُ إِصْلَاحُهُ جَمَعَ كُلٌّ مِنْهُمَا جَمْعًا لِمُحَارَبَةِ صَاحِبِهِ ، وَسَارَ قِرْوَاشٌ فِي الْمُحَرَّمِ وَعَبَرَ دِجْلَةَ بِنَوَاحِي بَلَدَ ، وَجَاءَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ نَصْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَأَبُو الْحَسَنِ بْنُ عَيْسَكَانَ الْحُمَيْدِيُّ ، وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْأَكْرَادِ ، وَسَارُوا إِلَى مَعْلَثَايَا فَأَخْرَبُوا الْمَدِينَةَ وَنَهَبُوهَا ، وَنَزَلُوا بِالْمُغِيثَةِ ، وَجَاءَ أَبُو كَامِلٍ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ الْعَرَبِ وَآلِ الْمُسَيَّبِ ، فَنَزَلُوا بِمَرَجِ بَابَنِيثَا ، وَبَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ نَحْوُ فَرْسَخٍ ، وَاقْتَتَلُوا يَوْمَ السَّبْتِ ثَانِيَ عَشَرَ الْمُحَرَّمِ ، وَافْتَرَقُوا مِنْ غَيْرِ ظَفَرٍ ، ثُمَّ اقْتَتَلُوا يَوْمَ الْأَحَدِ كَذَلِكَ ، وَلَمْ يُلَابِسِ الْحَرْبَ سُلَيْمَانُ بْنُ مَرْوَانَ ، بَلْ كَانَ نَاحِيَةً ، وَوَافَقَهُ أَبُو الْحَسَنِ الْحُمَيْدِيُّ ، وَسَارُوا عَنْ قِرْوَاشٍ ، وَفَارَقَهُ جَمْعٌ مِنَ الْعَرَبِ ، وَقَصَدُوا أَخَاهُ ، فَضَعُفَ أَمْرُ قِرْوَاشٍ ، وَبَقِيَ فِي حُلَّتِهِ وَلَيْسَ مَعَهُ إِلَّا نَفَرٌ يَسِيرٌ ، فَرَكِبَتِ الْعَرَبُ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي كَامِلٍ لِقَصْدِهِ ، فَمَنَعَهُمْ ، وَأَسْفَرَ الصُّبْحُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَقَدْ تَسَرَّعَ بَعْضُهُمْ وَنَهَبَ بَعْضًا مِنْ عَرَبِ قِرْوَاشٍ ، وَجَاءَ أَبُو كَامِلٍ إِلَى قِرْوَاشٍ وَاجْتَمَعَ بِهِ ، وَنَقَلَهُ إِلَى حُلَّتِهِ ، وَأَحْسَنَ عِشْرَتَهُ ، ثُمَّ أَنْفَذَهُ إِلَى الْمَوْصِلِ مَحْجُورًا عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ مَعَهُ بَعْضَ زَوْجَاتِهِ فِي دَارٍ.وَكَانَ مِمَّا فَتَّ فِي عَضُدِ قِرْوَاشٍ وَأَضْعَفَ نَفْسَهُ أَنَّهُ كَانَ قَدْ قَبَضَ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الصَّيَّادِينَ بِالْأَنْبَارِ لِسُوءِ طَرِيقِهِمْ وَفَسَادِهِمْ ، فَهَرَبَ الْبَاقُونَ مِنْهُمْ ، وَبَقِيَ بَعْضُهُمْ بِالسِّنْدِيَّةِ ، فَلَمَّا كَانَ الْآنَ سَارَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ إِلَى الْأَنْبَارِ ، وَتَسَلَّقُوا السُّورَ لَيْلَةَ خَامِسِ الْمُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَقَتَلُوا حَارِسًا ، وَفَتَحُوا الْبَابَ وَنَادَوْا بِشِعَارِ أَبِي كَامِلٍ ، فَانْضَافَ إِلَيْهِمْ أَهْلُوهُمْ وَأَصْدِقَاؤُهُمْ وَمَنْ لَهُ هَوًى فِي أَبِي كَامِلٍ ، فَكَثُرُوا ، وَثَارَ بِهِمْ أَصْحَابُ قِرْوَاشٍ فَاقْتَتَلُوا ، فَظَفِرُوا وَقَتَلُوا مِنْ أَصْحَابِ مُعْتَمِدِ الدَّوْلَةِ قِرْوَاشٍ جَمَاعَةً ، وَهَرَبَ الْبَاقُونَ ، فَبَلَغَهُ خَبَرُ اسْتِيلَاءِ أَخِيهِ ، وَلَمْ يَبْلُغْهُ عَوْدُ أَصْحَابِه.ثُمَّ إِنَّ الْمُسَيَّبَ وَأُمَرَاءَ الْعَرَبِ كَلَّفُوا أَبَا كَامِلٍ مَا يَعْجِزُ عَنْهُ ، وَاشْتَطُّوا عَلَيْهِ ، فَخَافَ أَنْ يَؤُولَ الْأَمْرُ بِهِمْ إِلَى طَاعَةِ قِرْوَاشٍ وَإِعَادَتِهِ إِلَى مَمْلَكَتِهِ ، فَبَادَرَهُمْ إِلَيْهِ وَقَبَّلَ يَدَهُ وَقَالَ لَه إِنَّنِي وَإِنْ كُنْتُ أَخَاكَ فَإِنَّنِي عَبْدُكَ ، وَمَا جَرَى هَذَا إِلَّا بِسَبَبِ مَنْ أَفْسَدَ رَأْيَكَ فِيَّ ، وَأَشْعَرَكَ الْوَحْشَةَ مِنِّي ، وَالْآنَ فَأَنْتَ الْأَمِيرُ ، وَأَنَا الطَّائِعُ لِأَمْرِكَ وَالتَّابِعُ لَكَ.فَقَا لَهُ قِرْوَاش بَلْ أَنْتَ الْأَخُ ، وَالْأَمْرُ لَكَ مُسَلَّمٌ ، وَأَنْتَ أَقْوَمُ بِهِ مِنِّي.وَصَلَحَ الْحَالُ بَيْنَهُمَا ، وَعَادَ قِرْوَاشٌ إِلَى التَّصَرُّفِ عَلَى حُكْمِ اخْتِيَارِه.وَكَانَ أَبُو كَامِلٍ قَدْ أَقْطَعَ بِلَالَ بْنَ غَرِيبِ بْنِ مُقْنٍ حَرْبَى وَأَوَانَا ، فَلَمَّا اصْطَلَحَ أَبُو كَامِلٍ وَقِرْوَاشٌ أَرْسَلَا إِلَى حَرْبَى مَنْ مَنَعَ بِلَالًا عَنْهَا ، فَتَظَاهَرَ بِلَالٌ بِالْخِلَافِ عَلَيْهِمَا وَجَمَعَ إِلَى نَفْسِهِ جَمْعًا وَقَاتَلَ أَصْحَابَ قِرْوَاشٍ ، وَأَخَذَ حَرْبَى وَأَوَانَا بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِمَا ، فَانْحَدَرَ قِرْوَاشٌ مِنَ الْمَوْصِلِ إِلَيْهِمَا وَحَصَرَهُمَا وَأَخَذَهُمَا.ذِكْرُ مَسِيرِ الْمَلِكِ الرَّحِيمِ إِلَى شِيرَازَ وَعَوْدِهِ عَنْهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي الْمُحَرَّمِ سَارَ الْمَلِكُ الرَّحِيمُ مِنَ الْأَهْوَازِ إِلَى بِلَادِ فَارِسَ ، فَوَصَلَهَا ، وَخَرَجَ عَسْكَرُ شِيرَازَ إِلَى خِدْمَتِهِ ، وَنَزَلَ بِالْقُرْبِ مِنْ شِيرَازَ لِيَدْخُلَ الْبَلَد.ثُمَّ إِنَّ الْأَتْرَاكَ الشِّيرَازِيِّينَ وَالْبَغْدَاذِيِّينَ اخْتَلَفُوا ، وَجَرَى بَيْنَهُمْ مُنَاوَشَةٌ اسْتَظْهَرَ فِيهَا الْبَغْدَاذِيُّونَ ، وَعَادُوا إِلَى الْعِرَاقِ ، فَاضْطَرَّ الْمَلِكُ الرَّحِيمُ إِلَى الْمَسِيرِ مَعَهُمْ; لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَثِقُ بِالْأَتْرَاكِ الشِّيرَازِيَّة.وَكَانَ دَيْلَمُ بِلَادِ فَارِسَ قَدْ مَالُوا إِلَى أَخِيهِ فُولَاسْتُونَ ، وَهُوَ بِقَلْعَةِ إِصْطَخْرَ ، فَهُوَ أَيْضًا مُنْحَرِفٌ عَنْهُمْ ، فَاضْطَرَّ إِلَى صُحْبَةِ الْبَغْدَاذِيِّينَ ، فَعَادَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ إِلَى الْأَهْوَازِ ، وَأَقَامَ بِهَا ، وَاسْتَخْلَفَ بِأَرَّجَانَ أَخَوَيْهِ أَبَا سَعْدٍ وَأَبَا طَالِبٍ ، وَوَقَعَ الْخُلْفُ بِفَارِسَ ، فَإِنَّ الْأَمِيرَ أَبَا مَنْصُورٍ فُولَاسْتُونَ ، وَكَانَ قَدْ خَلُصَ وَصَارَ بِقَلْعَةِ إِصْطَخْرَ ، وَاجْتَمَعَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِ الْعَسْكَرِ الْفَارِسِيِّ ، فَلَمَّا عَادَ الْمَلِكُ الرَّحِيمُ إِلَى الْأَهْوَازِ انْبَسَطَ فِي الْبِلَادِ ، وَقَصَدَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْعَسَاكِرِ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى بِلَادِ فَارِسَ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى أَرَّجَانَ عَازِمًا عَلَى قَصْدِ الْأَهْوَازِ وَأَخْذِهَا.ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ الْبَسَاسِيرِيِّ وَعُقَيْلٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ جَمْعٌ مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ إِلَى بَلَدِ الْعَجَمِ مِنْ أَعْمَالِ الْعِرَاقِ وَبَادُورْيَا ، فَنَهَبُوهُمَا وَأَخَذُوا مِنَ الْأَمْوَالِ الْكَثِيرَ ، وَكَانَا فِي إِقْطَاعِ الْبَسَاسِيرِيِّ ، فَسَارَ مِنْ بَغْدَاذَ بَعْدَ عَوْدِهِ مِنْ فَارِسَ إِلَيْهِمْ ، فَالْتَقَوْا هُمْ وَزَعِيمُ الدَّوْلَةِ أَبُو كَامِلِ بْنُ الْمُقَلِّدِ ، وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا أَبْلَى الْفَرِيقَانِ فِيهِ بَلَاءً حَسَنًا ، وَصَبَرَا صَبْرًا جَمِيلًا ، وَقُتِلَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفَرِيقَ‍يْنِ .ذِكْرُ الْوَحْشَةِ بَيْنَ طُغْرُلْبَك وَأَخِيهِ إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَوْحَشَ إِبْرَاهِيمُ يَنَّالُ مِنْ أَخِيهِ السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَكْ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ طُغْرُلْبَك طَلَبَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ أَنْ يُسَلِّمَ إِلَيْهِ مَدِينَةَ هَمَذَانَ وَالْقِلَاعَ الَّتِي بِيَدِهِ مِنْ بَلَدِ الْجَبَلِ فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ ، وَاتَّهَمَ وَزِيرَهُ أَبَا عَلِيٍّ بِالسَّعْيِ بَيْنَهُمَا فِي الْفَسَادِ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ فَضُرِبَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَسَمَلَ إِحْدَى عَيْنَيْهِ ، وَقَطَعَ شَفَتَيْهِ ، وَسَارَ عَنْ طُغْرُلْبَك ، وَجَمَعَ جَمْعًا مِنْ عَسْكَرِهِ ، وَالْتَقَيَا ، وَكَانَ بَيْنَ الْعَسْكَرَيْنِ قِتَالٌ شَدِيدٌ انْهَزَمَ فِيهِ يَنَّالُ وَعَادَ مُنْهَزِمًا ، فَسَارَ طُغْرُلْبَك فِي أَثَرِهِ ، فَمَلَكَ قِلَاعَهُ وَبِلَادَهُ جَمِيعَهُا.وَتَحَصَّنَ إِبْرَاهِيمُ يَنَّالُ بِقَلْعَةِ سَرْمَاجَ ، وَامْتَنَعَ عَلَى أَخِيهِ ، فَحَصَرَهُ طُغْرُلْبَك فِيهَا ، وَكَانَتْ عَسَاكِرُهُ قَدْ بَلَغَتْ مِائَةَ أَلْفٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَسْكَرِ ، وَقَاتَلَهُ فَمَلَكَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ، وَهِيَ مِنْ أَحْصَنِ الْقِلَاعِ وَأَمْنَعِهَا ، وَاسْتُنْزِلَ يَنَّالُ مِنْهَا مَقْهُورًا ، وَأَرْسَلَ إِلَى نَصْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ مَرْوَانَ يَطْلُبُ مِنْهُ إِقَامَةَ الْخُطْبَةِ لَهُ فِي بِلَادِهِ ، فَأَطَاعَهُ وَخَطَبَ لَهُ فِي سَائِرِ دِيَارِ بَكْرٍ ، وَرَاسَلَ مَلِكَ الرُّومِ طُغْرُلْبَك ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ هَدِيَّةً عَظِيمَةً ، وَطَلَبَ مِنْهُ الْمُعَاهَدَةَ فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِك.وَأَرْسَلَ مِلْكُ الرُّومِ إِلَى ابْنِ مَرْوَانَ يَسْأَلُهُ أَنْ يَسْعَى فِي فِدَاءِ مَلِكِ الْأَبْخَازِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ ، فَأَرْسَلَ نَصْرُ الدَّوْلَةِ شَيْخَ الْإِسْلَامِ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنَ مَرْوَانَ فِي الْمَعْنَى إِلَى السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك ، فَأَطْلَقَهُ بِغَيْرِ فِدَاءٍ ، فَعَظُمَ ذَلِكَ عِنْدَهُ وَعِنْدَ مِلْكِ الرُّومِ ، وَأَرْسَلَ عِوَضَهُ مِنَ الْهَدَايَا شَيْئًا كَثِيرًا ، وَعَمَرُوا مَسْجِدَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَأَقَامُوا فِيهِ الصَّلَاةَ وَالْخُطْبَةَ لِطُغْرُلْبَك ، وَدَانَ حِينَئِذٍ النَّاسُ كُلُّهُمْ لَهُ ، وَعَظُمَ شَأْنُهُ ، وَتَمَكَّنَ مُلْكُهُ وَثَبَت.وَلَمَّا نَزَلَ يَنَّالُ إِلَى طُغْرُلْبَك أَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَرَدَّ عَلَيْهِ كَثِيرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْهُ ، وَخَيَّرَهُ بَيْنَ أَنْ يُقْطِعَهُ بِلَادًا يَسِيرُ إِلَيْهَا وَبَيْنَ أَنْ يُقِيمَ مَعَهُ ، فَاخْتَارَ الْمُقَامَ مَعَه.ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ دُبَيْسِ بْنِ مَزْيَدٍ وَعَسْكَرِ وَاسِطٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ بَيْنَ نُورِ الدَّوْلَةِ دُبَيْسِ بْنِ مَزْيَدٍ وَبَيْنَ الْأَتْرَاكِ الْوَاسِطِيِّينَ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ الرَّحِيمَ أَقْطَعُ نُورَ الدَّوْلَةِ حِمَايَةَ نَهْرِ الصِّلَةِ وَنَهْرِ الْفَضْلِ ، وَهُمَا مِنْ إِقْطَاعِ الْوَاسِطِيِّينَ ، فَسَارَ إِلَيْهِمَا وَوَلِيَهُمَا ، فَسَمِعَ عَسْكَرُ وَاسِطٍ ذَلِكَ فَسَخِطُوهُ ، وَاجْتَمَعُوا وَسَارُوا إِلَى نُورِ الدَّوْلَةِ لِيُقَاتِلُوهُ وَيَدْفَعُوهُ عَنْهُمَا ، وَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ يَتَهَدَّدُونَهُ ، فَأَعَادَ الْجَوَابَ يَقُول إِنَّ الْمَلِكَ أَقْطَعَنِي هَذَا ، فَنُرْسِلُ إِلَيْهِ أَنَا وَأَنْتُمْ ، فَبِأَيِّ شَيْءٍ أَمَرَ رَضَا بِه.فَسَبَوْهُ ، وَسَارُوا مُجِدِّينَ إِلَيْهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى طَرِيقِهِمْ طَائِفَةً مِنْ عَسْكَرِهِ ، فَلَقُوهُمْ ، وَكَمَنَ لَهُمْ ، فَلَمَّا الْتَقَوُا اسْتَجَرَّهُمُ الْعَرَبُ إِلَى أَنْ جَاوَزُوا الْكَمِينَ ، وَخَرَجَ عَلَيْهِمُ الْكَمِينُ فَأَوْقَعُوا بِهِمْ ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ جَمَاعَةً كَثِيرَةً ، وَأَسَرُوا كَثِيرًا ، وَجُرِحَ مِثْلُهُمْ ، وَتَمَّتِ الْهَزِيمَةُ عَلَى الْوَاسِطِيِّينَ ، وَغَنِمَ نُورُ الدَّوْلَةِ أَمْوَالَهُمْ وَدَوَابَّهُمْ ، وَسَارُوا إِلَى وَاسِطٍ فَنَزَلُوا بِالْقُرْبِ مِنْهَا.وَأَرْسَلَ الْوَاسِطِيُّونَ إِلَى بَغْدَاذَ يَسْتَنْجِدُونَ جُنْدَهَا ، وَيَبْذُلُونَ لِلْبَسَاسِيرِيِّ أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُمْ نُورَ الدَّوْلَةِ ، وَيَأْخُذَ نَهْرَ الصِّلَةِ وَنَهْرَ الْفَضْلِ لِنَفْسِه.ذِكْرُ وَفَاةِ مَوْدُودِ بْنِ مَسْعُودٍ وَمُلْكِ عَمِّهِ عَبْدِ الرَّشِيدِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ تُوُفِّيَ أَبُو الْفَتْحِ مَوْدُودُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ ، صَاحِبُ غَزْنَةَ ، وَعُمُرُهُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، وَمُلْكُهُ تِسْعُ سِنِينَ وَعَشَرَةُ أَشْهُرٍ ، وَكَانَ مَوْتُهُ بِغَزْنَةَ ، وَكَانَ قَدْ كَاتَبَ أَصْحَابَ الْأَطْرَافِ فِي سَائِرِ الْبِلَادِ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى نُصْرَتِهِ وَإِمْدَادِهِ بِالْعَسَاكِرِ ، وَبَذَلَ لَهُمُ الْأَمْوَالَ الْكَثِيرَةَ ، وَتَفْوِيضُ أَعْمَالِ خُرَاسَانَ وَنَوَاحِيهَا إِلَيْهِمْ عَلَى قَدْرِ مَرَاتِبِهِمْ ، فَأَجَابُوا إِلَى ذَلِكَ ، مِنْهُمْ أَبُو كَالِيجَارَ صَاحِبُ أَصْبَهَانَ ، فَإِنَّهُ جَمَعَ عَسَاكِرَهُ وَسَارَ فِي الْمَفَازَةِ ، فَهَلَكَ كَثِيرٌ مِنْ عَسْكَرِهِ ، وَمَرِضَ وَعَاد.وَمِنْهُمْ خَاقَانُ مَلِكُ التُّرْكِ ، فَإِنَّهُ سَارَ إِلَى تِرْمِذَ ، وَنَهَبَ وَخَرَّبَ ، وَصَادَرَ أَهْلَ تِلْكَ الْأَعْمَالِ ، وَسَارَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى مِمَّا وَرَاءَ النَّهْرِ إِلَى خُوَارَزْم.وَسَارَ مَوْدُودٌ مِنْ غَزْنَةَ فَلَمْ يَسْرِ غَيْرَ مَرْحَلَةٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى عَارَضَهُ قُولَنْجٌ اشْتَدَّ عَلَيْهِ ، فَعَادَ إِلَى غَزْنَةَ مَرِيضًا ، وَسَيَّرَ وَزِيرَهُ أَبَا الْفَتْحِ عَبْدَ الرَّزَّاقِ بْنَ أَحْمَدَ الْمِيمَنْدِيَّ إِلَى سِجِسْتَانَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ لِأَخْذِهَا مِنَ الْغُزِّ ، وَاشْتَدَّتِ الْعِلَّةُ بِمَوْدُودٍ فَتُوُفِّيَ ، وَقَامَ فِي الْمُلْكِ بَعْدَهُ وَلَدُهُ ، فَبَقِيَ خَمْسَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ عَدَلَ النَّاسُ عَنْهُ إِلَى عَمِّهِ عَلِيِّ بْنِ مَسْعُودٍ.وَكَانَ مَوْدُودٌ لَمَّا مَلَكَ قَبَضَ عَلَى عَمِّهِ عَبْدِ الرَّشِيدِ بْنِ مَحْمُودٍ وَسَجَنَهُ فِي قَلْعَةِ مَيْدَيْنَ بِطَرِيقِ بُسْتَ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ كَانَ وَزِيرُهُ قَدْ قَارَبَ هَذِهِ الْقَلْعَةَ ، فَنَزَلَ عَبْدُ الرَّشِيدِ إِلَى الْعَسْكَرِ وَدَعَاهُمْ إِلَى طَاعَتِهِ ، فَأَجَابُوهُ وَعَادُوا مَعَهُ إِلَى غَزْنَةَ ، فَلَمَّا قَارَبَهَا هَرَبَ عَنْهَا عَلِيُّ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَمَلَكَ عَبْدُ الرَّشِيدِ ، وَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ لَهُ ، وَلُقِّبَ شَمْسَ دِينِ اللَّهِ سَيْفَ الدَّوْلَةِ ، وَقِيلَ جَمَالَ الدَّوْلَةِ ، وَدَفَعَ اللَّهُ شَرَّ مَوْدُودٍ عَنْ دَاوُدَ ، وَهَذِهِ السَّعَادَةُ الَّتِي تَقْتُلُ الْأَعْدَاءَ بِغَيْرِ سِلَاحٍ وَلَا أَجْنَادٍ.ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ الْبَسَاسِيرِيِّ عَلَى الْأَنْبَارِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضًا فِي ذِي الْقَعْدَةِ مَلَكَ الْبَسَاسِيرِيُّ الْأَنْبَارَ ، وَدَخَلَهَا أَصْحَابُه.وَكَانَ سَبَبُ مُلْكِهَا أَنَّ قِرْوَاشًا أَسَاءَ السِّيرَةَ فِي أَهْلِهَا ، وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى أَمْوَالِهِمْ ، فَسَارَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِهَا إِلَى الْبَسَاسِيرِيِّ بِبَغْدَاذَ ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يُنْفِذَ مَعَهُمْ عَسْكَرًا يُسَلِّمُونَ إِلَيْهِ الْأَنْبَارَ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، وَسَيَّرَ مَعَهُمْ جَيْشًا ، فَتَسَلَّمُوا الْأَنْبَارَ ، وَلَحِقَهُمُ الْبَسَاسِيرِيُّ وَأَحْسَنَ إِلَى أَهْلِهَا وَعَدَلَ فِيهِمْ ، وَلَمْ يُمَكِّنْ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ أَنْ يَأْخُذَ رِطْلَ الْخُبْزِ بِغَيْرِ ثَمَنِهِ ، وَأَقَامَ فِيهَا إِلَى أَنْ أَصْلَحَ حَالَهَا وَقَرَّرَ قَوَاعِدَهَا ، وَعَادَ إِلَى بَغْدَاذَ.ذِكْرُ انْهِزَامِ الْمَلِكِ الرَّحِيمِ مِنْ عَسْكَرِ فَارِسَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَادَ الْمَلِكُ الرَّحِيمُ مِنَ الْأَهْوَازِ إِلَى رَامَهُرْمُزَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى وَادِي الْمِلْحِ لَقِيَهُ عَسْكَرُ فَارِسَ ، وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَغَدَرَ بِالْمَلِكِ الرَّحِيمِ بَعْضُ عَسْكَرِهِ وَانْهَزَمَ هُوَ وَجَمِيعُ الْعَسْكَرِ ، وَوَصَلَ إِلَى بَصَنَّى وَمَعَهُ أَخَوَاهُ أَبُو سَعْدٍ وَأَبُو طَالِبٍ ، وَسَارَ مِنْهَا إِلَى وَاسِطٍ ، وَسَارَ عَسْكَرُ فَارِسَ إِلَى الْأَهْوَازِ فَمَلَكُوهَا وَخَيَّمُوا بِظَاهِرِهَا.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ وَفِيهَا وَصَلَ عَسْكَرٌ مِنْ مِصْرَ إِلَى حَلَبَ وَبِهَا صَاحِبُهَا ثَمَالُ بْنُ صَالِحِ بْنِ مِرْدَاسٍ ، فَخَافَهُمْ لِكَثْرَتِهِمْ فَانْصَرَفَ عَنْهَا ، فَمَلَكَهَا الْمِصْرِيُّون.وَفِيهَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ ارْتَفَعَتْ سَحَابَةٌ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ لَيْلًا ، فَزَادَتْ ظُلْمَتُهَا عَلَى ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ، وَظَهَرَ فِي جَوَانِبِ السَّمَاءِ كَالنَّارِ الْمُضْطَرِمَةِ ، وَهَبَّتْ مَعَهَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ قَلَعَتْ رَوَاشِنَ دَارِالْخَلِيفَةِ ، وَشَاهَدَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَزْعَجَهُمْ وَخَوَّفَهُمْ ، فَلَزِمُوا الدُّعَاءَ وَالتَّضَرُّعَ ، فَانْكَشَفَتْ فِي بَاقِي اللَّيْل.وَفِيهَا فِي شَعْبَانَ سَارَ الْبَسَاسِيرِيُّ مِنْ بَغْدَاذَ إِلَى طَرِيقِ خُرَاسَانَ ، وَقَصَدَ نَاحِيَةَ الدَّزْدَارَ وَمَلَكَهَا وَغَنِمَ مَا فِيهَا ، وَكَانَ سَعْدِي بْنُ أَبِي الشَّوْكِ قَدْ مَلَكَهَا ، وَقَدْ عَمِلَ لَهَا سُورًا وَحَصَّنَهَا ، وَجَعَلَهَا مَعْقِلًا يَتَحَصَّنُ فِيهِ ، وَيَدَّخِرُ بِهَا كُلَّ مَا يَغْنَمُهُ ، فَأَخَذَهُ الْبَسَاسِيرِيُّ جَمِيعَه.وَفِيهَا مُنِعَ أَهْلُ الْكَرْخِ مِنَ النَّوْحِ وَفِعْلِ مَا جَرَتْ عَادَتُهُمْ بِفِعْلِهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، فَلَمْ يَقْبَلُوا ، وَفَعَلُوا ذَلِكَ ، فَجَرَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السُّنَّةِ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ قُتِلَ فِيهَا وَجُرِحَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، وَلَمْ يَنْفَصِلِ الشَّرُّ بَيْنَهُمْ حَتَّى عَبَرَ الْأَتْرَاكُ وَضَرَبُوا خِيَامَهُمْ عِنْدَهُمْ ، فَكَفَّوْا حِينَئِذٍ ، ثُمَّ شَرَعَ أَهْلُ الْكَرْخِ فِي بِنَاءِ سُورٍ عَلَى الْكَرْخِ ، فَلَمَّا رَآهُمُ السُّنَّةُ مِنَ الْقَلَّائِينَ وَمَنْ يَجْرِي مُجْرَاهُمْ شَرَعُوا فِي بِنَاءِ سُورٍ عَلَى سُوقِ الْقَلَّائِينَ ، وَأَخْرَجَ الطَّائِفَتَانِ فِي الْعِمَارَةِ مَالًا جَلِيلًا ، وَجَرَتْ بَيْنَهُمَا فِتَنٌ كَثِيرَةٌ ، وَبَطَلَتِ الْأَسْوَاقُ وَزَادَ الشَّرُّ ، حَتَّى انْتَقَلَ كَثِيرٌ مِنَ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِلَى الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ فَأَقَامُوا بِهِ ، وَتَقَدَّمَ الْخَلِيفَةُ إِلَى أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ النَّسَوِيِّ بِالْعُبُورِ وَإِصْلَاحِ الْحَالِ وَكَفِّ الشَّرِّ ، فَسَمِعَ أَهْلُ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ذَلِكَ ، فَاجْتَمَعَ السُّنَّةُ وَالشِّيعَةُ عَلَى الْمَنْعِ مِنْهُ ، وَأَذَّنُوا فِي الْقَلَّائِينَ وَغَيْرِهَا بِحَيِّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ ، وَأَذَّنُوا فِي الْكَرْخ الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ ، وَأَظْهَرُوا التَّرَحُّمَ عَلَى الصَّحَابَةِ ، فَطَلَ عُبُورُه. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الصُّورِيُّ الْحَافِظُ ، كَانَ إِمَامًا صَحِبَ عَبْدَ الْغَنِيِّ بْنَ سَعِيدٍ وَتَخَرَّجَ بِهِ ، وَمِنْ تَلَامِذَتِهِ الْخَطِيبُ أَبُو بَكْر.وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ أَبُو مَنْصُورِ بْنُ جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا تَنَقُّلَ الْأَحْوَالِ بِهِ فِيمَا تَقَدَّمَ ، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَن.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ أَبُو الْحَسَنِ الْعَتِيقِيُّ ، نُسِبَ إِلَى جَدٍّ لَهُ يُسَمَّى عَتِيقًا ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمَائَة.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْفَائِزِ عَبْدُ الْوَهَّابِ ابْنُ أَقْضَى الْقُضَاةِ أَبِي الْحَسَنِ الْمَاوَرْدِيِّ ، وَكَانَتْ شَهَادَتُهُ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَقَبِلَهَا الْقَاضِي فِي بَيْتِ النُّوبَةِ ، وَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مَعَ غَيْرِهِ ، وَإِنَّمَا فَعَلَ مَعَهُ هَذَا احْتِرَامًا لِأَبِيه. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ مُلْكِ طُغْرُلْبَك أَصْبَهَانَ كَانَ أَبُو مَنْصُورِ بْنُ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ صَاحِبُ أَصْبَهَانَ غَيْرَ ثَابِتٍ عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ مَعَ السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك ، كَانَ يُكْثِرُ التَّلَوُّنَ مَعَهُ ، تَارَةً يُطِيعُهُ وَيَنْحَازُ إِلَيْهِ ، وَتَارَةً يَنْحَرِفُ عَنْهُ وَيُطِيعُ الْمَلِكَ الرَّحِيمَ ، فَأَضْمَرَ لَهُ طُغْرُلْبَك سُوءًا ، فَلَمَّا عَادَ هَذِهِ الدَّفْعَةَ مِنْ خُرَاسَانَ لِأَخْذِ الْبِلَادِ الْجَبَلِيَّةِ مِنْ أَخِيهِ إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ عَدَلَ إِلَى أَصْبَهَانَ عَازِمًا عَلَى أَخْذِهَا مِنْ أَبِي مَنْصُورٍ ، فَسَمِعَ ذَلِكَ ، فَتَحَصَّنَ بِبَلَدِهِ وَاحْتَمَى بِأَسْوَارِهِ ، وَنَازَلَهُ طُغْرُلْبَك فِي الْمُحَرَّمِ ، وَأَقَامَ عَلَى مُحَاصَرَتِهِ نَحْوَ سَنَةٍ ، وَكَثُرَتِ الْحُرُوبُ بَيْنَهُمَا ، إِلَّا أَنْ طُغْرُلْبَك قَدِ اسْتَوْلَى عَلَى سَوَادِ الْبَلَدِ ، وَأَرْسَلَ سَرِيَّةً مِنْ عَسْكَرِهِ نَحْوَ فَارِسَ ، فَبَلَغُوا إِلَى الْبَيْضَاءِ ، فَأَغَارُوا عَلَى السَّوَادِ هُنَاكَ وَعَادُوا غَانِمِينَ.وَلَمَّا طَالَ الْحِصَارُ عَلَى أَصْبَهَانَ ، وَأَخْرَبَ أَعْمَالَهَا ضَاقَ الْأَمْرُ بِصَاحِبِهَا وَأَهْلِهَا ، وَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ يَبْذُلُونَ لَهُ الطَّاعَةَ وَالْمَالَ ، فَلَمْ يُجِبْهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، وَلَمْ يَقْنَعْ مِنْهُمْ إِلَّا بِتَسْلِيمِ الْبَلَدِ ، فَصَبَرُوا حَتَّى نَفِدَتِ الْأَقْوَاتُ ، وَامْتَنَعَ الصَّبْرُ ، وَانْقَطَعَتِ الْمَوَادُّ ، وَاضْطَرَّ النَّاسُ حَتَّى نَقَضُوا الْجَامِعَ ، وَأَخَذُوا أَخْشَابَهُ لِشِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَى الْحَطَبِ ، فَحَيْثُ بَلَغَ بِهِمُ الْحَالُ إِلَى هَذَا الْحَدِّ خَضَعُوا لَهُ وَاسْتَكَانُوا ، وَسَلَّمُوا الْبَلَدَ إِلَيْهِ ، فَدَخَلَهُ وَأَخْرَجَ أَجْنَادَهُ مِنْهُ وَأَقْطَعَهُمْ فِي بِلَادِ الْجَبَلِ ، وَأَحْسَنَ إِلَى الرَّعِيَّةِ ، وَأَقْطَعَ صَاحِبَهَا أَبَا مَنْصُورٍ نَاحِيَتَيْ يَزْدَ وَأَبَرْقُويَةَ ، وَتَمَكَّنَ مِنْ أَصْبَهَانَ وَدَخَلَهَا فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَاسْتَطَابَهَا ، وَنَقَلَ مَا كَانَ لَهُ بِالرَّيِّ مِنْ مَالٍ وَذَخَائِرَ وَسِلَاحٍ إِلَيْهَا ، وَجَعَلَهَا دَارَ مُقَامِهِ ، وَخَرَّبَ قِطْعَةً مِنْ سُورِهَا ، وَقَالَ وَإِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى الْأَسْوَارِ مَنْ تَضْعُفُ قُوَّتُهُ ، فَأَمَّا مَنْ حِصْنُهُ عَسَاكِرُهُ وَسَيْفُهُ فَلَا حَاجَةَ بِهِ إِلَيْهَا.ذِكْرُ عَوْدِ عَسَاكِرِ فَارِسَ مِنَ الْأَهْوَازِ وَعَوْدِ الرَّحِيمِ إِلَيْهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي الْمُحَرَّمِ عَادَتْ عَسَاكِرُ فَارِسَ الَّتِي مَعَ الْأَمِيرِ أَبِي مَنْصُورٍ صَاحِبِهَا عَنِ الْأَهْوَازِ إِلَى فَارِسَ.وَسَبَبُ هَذَا الْعَوْدِ أَنَّ الْأَجْنَادَ اخْتَلَفُوا وَشَغَبُوا وَاسْتَطَالُوا ، وَعَادَ بَعْضُهُمْ إِلَى فَارِسَ بِغَيْرِ أَمْرِ صَاحِبِهِمْ ، وَأَقَامَ بَعْضُهُمْ مَعَهُ ، وَسَارَ بَعْضُهُمْ إِلَى الْمَلِكِ الرَّحِيمِ وَهُوَ بِالْأَهْوَازِ ، يَطْلُبُونَهُ لِيَعُودَ إِلَيْهِمْ ، فَعَادَ فِيمَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْعَسَاكِرِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى بَغْدَاذَ يَأْمُرُ الْعَسَاكِرَ الَّتِي فِيهَا بِالْحُضُورِ عِنْدَهُ لِيَسِيرَ بِهِمْ إِلَى فَارِسَ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْأَهْوَازِ لَقِيَهُ الْعَسَاكِرُ مُقِرِّينَ بِالطَّاعَةِ ، وَأَخْبَرُوهُ بِطَاعَةِ عَسَاكِرِ فَارِسَ ، وَأَنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَ قُدُومَهُ ، فَدَخَلَ الْأَهْوَازَ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ ، فَتَوَقَّفَ بِالْأَهْوَازِ يَنْتَظِرُ عَسَاكِرَ بَغْدَاذَ ، ثُمَّ سَارَ عَنْهَا إِلَى عَسْكَرِ مُكْرَمٍ فَمَلَكَهَا وَأَقَامَ بِهَا.ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ زَعِيمِ الدَّوْلَةِ عَلَى مَمْلَكَةِ أَخِيهِ قِرْوَاشٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي جُمَادَى الْأُولَى اسْتَوْلَى زَعِيمُ الدَّوْلَةِ أَبُو كَامِلٍ بَرَكَةُ بْنُ الْمُقَلَّدِ عَلَى أَخِيهِ قِرْوَاشٍ وَحَجَرَ عَلَيْهِ ، وَمَنَعَهُ مِنَ التَّصَرُّفِ عَلَى اخْتِيَارِه.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ قِرْوَاشًا كَانَ قَدْ أَنِفَ مِنْ تَحَكُّمِ أَخِيهِ فِي الْبِلَادِ ، وَأَنَّهُ قَدْ صَارَ لَا حُكْمَ لَهُ ، فَعَمِلَ عَلَى الِانْحِدَارِ إِلَى بَغْدَاذَ وَمُفَارَقَةِ أَخِيهِ ، وَسَارَ عَنِ الْمَوْصِلِ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى بَرَكَةَ وَعَظُمَ عِنْدَه.ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ نَفَرًا مِنْ أَعْيَانٍ يُشِيرُونَ عَلَيْهِ بِالْعَوْدِ وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ ، وَيُحَذِّرُونَهُ مِنَ الْفُرْقَةِ وَالِاخْتِلَافِ ، فَلَمَّا بَلَّغُوهُ ذَلِكَ امْتَنَعَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالُوا أَنْتَ مَمْنُوعٌ عَنْ فِعْلِكَ وَالرَّأْيُ لَكَ الْقَبُولُ وَالْعَوْدُ مَا دَامَتِ الرَّغْبَةُ إِلَيْكَ.فَعَلِمَ حِينَئِذٍ أَنَّهُ يُمْنَعُ قَهْرًا ، فَأَجَابَ إِلَى الْعَوْدِ عَلَى شَرْطِ أَنْ يَسْكُنَ دَارَ الْإِمَارَةِ بِالْمَوْصِلِ ، وَسَارَ مَعَهُمْ ، فَلَمَّا قَارَبَ حِلَّةَ أَخِيهِ زَعِيمِ الدَّوْلَةِ لَقِيَهُ وَأَنْزَلَهُ عِنْدَهُ ، فَهَرَبَ أَصْحَابُهُ وَأَهْلُهُ خَوْفًا ، فَأَمَنَّهُمْ زَعِيمُ الدَّوْلَةِ ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ وَخَدَمَهُ وَأَظْهَرَ لَهُ الْخِدْمَةَ ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ مَنْ يَمْنَعُهُ مِنَ التَّصَرُّفِ عَلَى اخْتِيَارِهِ.ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ الْغُزِّ عَلَى مَدِينَةِ فَسَا وَفِيهَا فِي جُمَادَى الْأُولَى سَارَ الْمَلِكُ أَلْبُ أَرْسِلَانَ بْنُ دَاوُدَ أَخِي طُغْرُلْبَك مِنْ مَدِينَةِ مَرْوَ بِخُرَاسَانَ ، وَقَصَدَ بِلَادَ فَارِسَ فِي الْمَفَازَةِ ، فَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ أَحَدٌ ، وَلَا أَعْلَمَ عَمَّهُ طُغْرُلْبَك ، فَوَصَلَ إِلَى مَدِينَةِ فَسَا ، فَانْصَرَفَ النَّائِبُ بِهَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَدَخَلَهَا أَلْبُ أَرْسِلَانَ ، فَقَتَلَ مِنَ الدَّيْلَمِ بِهَا أَلْفَ رَجُلٍ وَعَدَدًا كَثِيرًا مِنَ الْعَامَّةِ ، وَنَهَبُوا مَا قَدْرُهُ أَلْفُ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَأَسَرُوا ثَلَاثَةَ آلَافِ إِنْسَانٍ ، وَكَانَ الْأَمْرُ عَظِيمًا.فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ ذَلِكَ عَادُوا إِلَى خُرَاسَانَ ، وَلَمْ يَلْبَثُوا خَوْفًا مِنْ طُغْرُلْبَك أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ، وَيَأْخُذَ مَا غَنِمُوهُ مِنْهُم.ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ الْخَوَارِجِ عَلَى عُمَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَوْلَى الْخَوَارِجُ الْمُقِيمُونَ بِجِبَالِ عُمَانَ عَلَى مَدِينَةِ تِلْكَ الْوِلَايَة.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَهَا الْأَمِيرَ أَبَا الْمُظَفَّرِ ابْنَ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ كَانَ مُقِيمًا بِهَا ، وَمَعَهُ خَادِمٌ لَهُ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَى الْأُمُورِ ، وَحَكَمَ عَلَى الْبِلَادِ ، وَأَسَاءَ السِّيرَةَ فِي أَهْلِهَا ، فَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ، فَنَفَرُوا مِنْهُ وَأَبْغَضُوه.وَعَرَفَ إِنْسَانٌ مِنَ الْخَوَارِجِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ رَاشِدٍ الْحَالَ ، فَجَمَعَ مَنْ عِنْدِهِ مِنْهُمْ ، فَقَصَدَ الْمَدِينَةَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ أَبُو الْمُظَفَّرِ فِي عَسَاكِرِهِ ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَتِ الْخَوَارِجُ ، وَعَادُوا إِلَى مَوْضِعِهِمْ.وَأَقَامَ ابْنُ رَاشِدٍ مُدَّةً يَجْمَعُ وَيَحْتَشِدُ ، ثُمَّ سَارَ ثَانِيًا ، وَقَاتَلَهُ الدَّيْلَمُ ، فَأَعَانَهُ أَهْلُ الْبَلَدِ لِسُوءِ سِيرَةِ الدَّيْلَمِ فِيهِمْ ، فَانْهَزَمَ الدَّيْلَمُ ، وَمَلَكَ ابْنُ رَاشِدٍ الْبَلَدَ ، وَقَتَلَ الْخَادِمَ وَكَثِيرًا مِنَ الدَّيْلَمِ ، وَقَبَضَ عَلَى الْأَمِيرِ أَبِي الْمُظَفَّرِ وَسَيَّرَهُ إِلَى جِبَالِهِ مُسْتَظْهِرًا عَلَيْهِ ، وَسَجَنَ مَعَهُ كُلَّ مَنْ خَطَّ بِقَلَمٍ مِنَ الدَّيْلَمِ ، وَأَصْحَابَ الْأَعْمَالِ ، وَأَخْرَبَ دَارَ الْإِمَارَةِ وَقَال هَذِهِ أَحَقُّ دَارٍ بِالْخَرَابِ!وَأَظْهَرَ الْعَدْلَ ، وَأَسْقَطَ الْمُكُوسَ ، وَاقْتَصَرَ عَلَى رَفْعِ عُشْرِ مَا يَرِدُ إِلَيْهِمْ ، وَخَطَبَ لِنَفْسِهِ ، وَتَلَقَّبَ بِالرَّاشِدِ بِاللَّهِ ، وَلَبِسَ الصُّوفَ ، وَبَنَى مَوْضِعًا عَلَى شَكْلِ مْجِدٍ ، وَقَدْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ تَحَرَّكَ أَيْضًا أَيَّامَ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ مُكْرَمٍ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ أَبُو الْقَاسِمِ مَنْ مَنَعَهُ وَحَصَرَهُ وَأَزَالَ طَمَعَه.ذِكْرُ دُخُولِ الْعَرَبِ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ دَخَلَتِ الْعَرَبُ إِلَى إِفْرِيقِيَّة.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْمُعِزَّ بْنَ بَادِيسَ كَانَ خَطَبَ لِلْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ ، وَقَطَعَ خُطْبَةَ الْمُسْتَنْصِرِ الْعَلَوِيِّ صَاحِبِ مِصْرَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ كَتَبَ إِلَيْهِ الْمُسْتَنْصِرُ الْعَلَوِيُّ يَتَهَدَّدُهُ ، فَأَغْلَظَ الْمُعِزُّ فِي الْجَوَاب.ثُمَّ إِنَّ الْمُسْتَنْصِرَ اسْتَوْزَرَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ الْيَازُورِيَّ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْوِزَارَةِ ، إِنَّمَا كَانَ مِنْ أَهْلِ التِّنَايَةِ وَالْفِلَاحَةِ ، فَلَمْ يُخَاطِبْهُ الْمُعِزُّ كَمَا كَانَ يُخَاطِبُ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْوُزَرَاءِ ، كَانَ يُخَاطِبُهُمْ بِعَبْدِهِ ، فَخَاطَبَ الْيَازُورِيَّ بِصَنِيعَتِهِ ، فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَعَاتَبَهُ ، فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى مَا يُحِبُّ ، فَأَكْثَرَ الْوَقِيعَةَ فِي الْمُعِزِّ ، وَأَغْرَى بِهِ الْمُسْتَنْصِرَ ، وَشَرَعُوا فِي إِرْسَالِ الْعَرَبِ إِلَى الْغَرْبِ ، فَأَصْلَحُوا بَنِي زُغْبَةَ وَرِيَاحٍ ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ وَحُقُودٌ ، وَأَعْطَوْهُمْ مَالًا ، وَأَمَرُوهُمْ بِقَصْدِ بِلَادِ الْقَيْرَوَانِ ، وَمَلَّكُوهُمْ كُلَّ مَا يَفْتَحُونَهُ ، وَوَعَدُوهُمْ بِالْمَدَدِ وَالْعُدَد.فَدَخَلَتِ الْعَرَبُ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ ، وَكَتَبَ الْيَازُورِيُّ إِلَى الْمُعِز أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ خُيُولًا فُحُولًا ، وَحَمَلْنَا عَلَيْهَا رِجَالًا كُهُولًا ، لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا.فا حَلُّوا أَرْضَ بَرْقَةَ وَمَا وَالَاهَا وَجَدُوا بِلَادًا كَثِيرَةَ الْمَرْعَى خَالِيَةً مِنَ الْأَهْلِ; لِأَنَّ زِنَاتَةَ كَانُوا أَهْلَهَا فَأَبَادَهُمُ الْمُعِزُّ ، فَأَقَامَتِ الْعَرَبُ بِهَا وَاسْتَوْطَنَتْهَا ، وَعَاثُوا فِي أَطْرَافِ الْبِلَادِ.وَبَلَغَ ذَلِكَ الْمُعِزَّ فَاحْتَقَرَهُمْ.وَكَانَ الْمُعِزُّ لَمَّا رَأَى تَقَاعُدَ صِنْهَاجَةَ عَنْ قِتَالِ زِنَاتَةَ اشْتَرَى الْعَبِيدَ ، وَأَوْسَعَ لَهُمْ فِي الْعَطَاءِ ، فَاجْتَمَعَ لَهُ ثَلَاثُونَ أَلْفَ مَمْلُوكٍ.وَكَانَتْ عَرَبُ زُغْبَةَ قَدْ مَلَكَتْ مَدِينَةَ طَرَابُلُسَ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَتَتَابَعَتْ رِيَاحٌ وَالْأَثْبَجُ وَبَنُو عَدِيٍّ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ ، وَقَطَعُوا السَّبِيلَ وَعَاثُوا فِي الْأَرْضِ ، وَأَرَادُوا الْوُصُولَ إِلَى الْقَيْرَوَانِ ، فَقَالَ مُؤْنِسُ بْنُ يَحْيَى الْمِرْدَاسِيُّ لَيْسَ الْمُبَادَرَةُ عِنْدِي بِرَأْيٍ.فَقَالُوا كَيْفَ تُحِبُّ أَنْ تَصْنَعَ ؟فَأَخَذَ بِسَاطًا فَبَسَطَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُم مَنْ يَدْخُلُ إِلَى وَسَطِ الْب مِنْ غَيْرِ أَنْ يَمْشِيَ عَلَيْهِ ؟قَالُوا لَا نَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ!قَال فَهَكَذَا الْقَيْرَوَانُ ، خُذُوا شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا الْقَيْرَوَانُ ، فَخُذُوهَا حِينَئِذٍ.فَقَالُوا إِنَّكَ لَشَيْخُ اوَأَمِيرُهَا ، وَأَنْتَ الْمُقَدَّمُ عَلَيْنَا ، وَلَسْنَا نَقْطَعُ أَمْرًا دُونَك.ثُمَّ قَدِمَ أُمَرَاءُ الْعَرَبِ إِلَى الْمُعِزِّ فَأَكْرَمَهُمْ وَبَذَلَ لَهُمْ شَيْئًا كَثِيرًا ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ لَمْ يُجَازُوهُ بِمَا فَعَلَ مِنَ الْإِحْسَانِ ، بَلْ شَنُّوا الْغَارَاتِ ، وَقَطَعُوا الطَّرِيقَ ، وَأَفْسَدُوا الزُّرُوعَ ، وَقَطَعُوا الثِّمَارَ ، وَحَاصَرُوا الْمُدُنَ ، فَضَاقَ بِالنَّاسِ الْأَمْرُ وَسَاءَتْ أَحْوَالُهُمْ ، وَانْقَطَعَتْ أَسْفَارُهُمْ ، وَنَزَلَ بِإِفْرِيقِيَّةَ بَلَاءٌ لَمْ يَنْزِلْ بِهَا مِثْلُهُ قَطُّ ، فَحِينَئِذٍ احْتَفَلَ الْمُعِزُّ وَجَمَعَ عَسَاكِرَهُ ، فَكَانُوا ثَلَاثِينَ أَلْفَ فَارِسٍ ، وَمِثْلُهَا رَجَّالَةٌ ، وَسَارَ حَتَّى أَتَى جَنْدِرَانَ ، وَهُوَ جَبَلٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَيْرَوَانِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، وَكَانَتْ عُدَّةُ الْعَرَبِ ثَلَاثَةَ آلَافِ فَارِسٍ ، فَلَمَّا رَأَتِ الْعَرَبُ عَسَاكِرَ صِنْهَاجَةَ وَالْعَبِيدَ مَعَ الْمُعِزِّ هَالَهُمْ ذَلِكَ ، وَعَظُمَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ مُؤْنِسُ بْنُ يَحْيَى مَا هَذَا يَوْمُ فِرَارٍ.فَقَالُوا أَيْنَ نَطْعَنُ هَؤُلَاءِ وَقَدْ لَبِسُوا الْكُزَادَاتِ وَالْمَغَافِرَ ؟قَال فِي أَعْيُنِهِمْ.فَسُمِّيَ ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمَ الْعَيْنِ.وَالْتَحَمَ الْقِتَالُ وَاشْتَدَّتِ الْحَرْبُ ، فَاتَّفَقَتْ صِنْهَاجَةُ عَلَى الْهَزِيمَةِ وَتَرْكِ الْمُعِزِّ مَعَ الْعَبِيدِ حَتَّى يَرَى فِعْلَهُمْ ، وَيُقْتَلَ أَكْثَرُهُمْ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَرْجِعُونَ عَلَى الْعَرَبِ ، فَانْهَزَمَتْ صِنْهَاجَةُ وَثَبَتَ الْعَبِيدُ مَعَ الْمُعِزِّ ، فَكَثُرَ الْقَتْلُ فِيهِمْ ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَأَرَادَتْ صِنْهَاجَةُ الرُّجُوعَ عَلَى الْعَرَبِ فَلَمْ يُمْكِنْهُمْ ذَلِكَ ، وَاسْتَمَرَّتِ الْهَزِيمَةُ ، وَقُتِلَ مِنْ صِنْهَاجَةَ أُمَّةٌ عَظِيمَةٌ ، وَدَخَلَ الْمُعِزُّ الْقَيْرَوَانَ مَهْزُومًا ، عَلَى كَثْرَةِ مَنْ مَعَهُ ، وَأَخَذَتِ الْعَرَبُ الْخَيْلَ وَالْخِيَامَ وَمَا فِيهَا مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ ، وَفِيهِ يَقُولُ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ وَإِنَّ ابْنَ بَادِيسٍ لَأَفْضَلُ مَالِكٍ...وَلَكِنْ لَعَمْرِي مَا لَدَيْهِ رِجَالُ ثَلَاثُونَ أَلْفًا مِنْهُمُ غَلَبَتْهُمُ...ثَلَاثَةُ أَلْفٍ إِنَّ ذَا لَمُحَالُ وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ النَّحْرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ جَمَعَ الْمُعِزُّ سَبْعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفَ فَارِسٍ ، وَسَارَ إِلَى الْعَرَبِ جَرِيدَةً ، وَسَبَقَ خَبَرَهُ ، وَهَجَمَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ فِي صَلَاةِ الْعِيدِ ، فَرَكِبَتِ الْعَرَبُ خُيُولَهُمْ وَحَمَلَتْ ، فَانْهَزَمَتْ صِنْهَاجَةُ ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ عَالَمٌ كَثِيرٌ.ثُمَّ جَمَعَ الْمُعِزُّ وَخَرَجَ بِنَفْسِهِ فِي صِنْهَاجَةَ وَزِنَاتَةَ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى بُيُوتِ الْعَرَبِ ، وَهُوَ قِبْلِيُّ جَبَلِ جَنْدِرَانَ انْتَشَبَ الْقِتَالُ ، وَاشْتَعَلَتْ نِيرَانُ الْحَرْبِ ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ سَبْعَةَ آلَافِ فَارِسٍ ، فَانْهَزَمَتْ صِنْهَاجَةُ ، وَوَلَّى كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَانْهَزَمَتْ زِنَاتَةُ ، وَثَبَتَ الْمُعِزُّ فِيمَنْ مَعَهُ مِنْ عَبِيدِهِ ثَبَاتًا عَظِيمًا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ ، ثُمَّ انْهَزَمَ وَعَادَ إِلَى الْمَنْصُورِيَّةِ.وَأُحْصِيَ مَنْ قُتِلَ مِنْ صِنْهَاجَةَ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، فَكَانُوا ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَثَلَاثَمَائَة.ثُمَّ أَقْبَلَتِ الْعَرَبُ حَتَّى نَزَلَتْ بِمُصَلَّى الْقَيْرَوَانِ ، وَوَقَعَتِ الْحَرْبُ ، فَقُتِلَ مِنَ الْمَنْصُورِيَّةِ وَرَقَّادَةَ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْمُعِزُّ أَبَاحَهُمْ دُخُولَ الْقَيْرَوَانِ لِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ بَيْعٍ وَشِرَاءٍ ، فَلَمَّا دَخَلُوا اسْتَطَالَتْ عَلَيْهِمُ الْعَامَّةُ ، وَوَقَعَتْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ كَانَ سَبَبُهَا فِتْنَةً بَيْنَ إِنْسَانٍ عَرَبِيٍّ وَآخَرَ عَامِيٍّ ، وَكَانَتِ الْغَلَبَةُ لِلْعَرَبِ.وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ بُنِيَ سُورُ زُوَيْلَةَ وَالْقَيْرَوَانِ ، وَفِي سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ حَاصَرَتِ الْعَرَبُ الْقَيْرَوَانَ ، وَمَلَكَ مُؤْنِسُ بْنُ يَحْيَى مَدِينَةَ بَاجَةَ ، وَأَشَارَ الْمُعِزُّ عَلَى الرَّعِيَّةِ بِالِانْتِقَالِ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ لِعَجْزِهِ عَنْ حِمَايَتِهِمْ مِنَ الْعَرَب.وَشَرَعَتِ الْعَرَبُ فِي هَدْمِ الْحُصُونِ وَالْقُصُورِ ، وَقَطَّعُوا الثِّمَارَ وَخَرَّبُوا الْأَنْهَارَ ، وَأَقَامَ الْمُعِزُّ وَالنَّاسُ يَنْتَقِلُونَ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ إِلَى سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ ، فَعِنْدَهَا انْتَقَلَ الْمُعِزُّ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ فِي شَعْبَانَ ، فَتَلَقَّاهُ ابْنُهُ تَمِيمٌ ، وَمَشَى بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ وَلَّاهُ الْمَهْدِيَّةَ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ ، فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ قَدِمَ أَبُوهُ الْآن.وَفِي رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ نَهَبَتِ الْعَرَبُ الْقَيْرَوَان.وَفِي سَنَةِ خَمْسِينَ خَرَجَ بُلُكِّينُ وَمَعَهُ الْعَرَبُ لِحَرْبِ زِنَاتَةَ ، فَقَاتَلَهُمْ ، فَانْهَزَمَتْ زِنَاتَةُ وَقُتِلَ مِنْهَا عَدَدٌ كَثِيرٌ.وَفِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ الْعَرَبِ وَهَوَّارَةَ ، فَانْهَزَمَتْ هَوَّارَةُ وَقُتِلَ مِنْهَا الْكَثِيرُ.وَفِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ قَتَلَ أَهْلُ تَقْيُوسَ مِنَ الْعَرَبِ مِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ دَخَلَتِ الْمَدِينَةَ مُتَسَوِّقَةً ، فَقَتَلَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ رَجُلًا مُتَقَدِّمًا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ ، لِأَنَّهُ سَمِعَهُ يُثْنِي عَلَى الْمُعِزِّ وَيَدْعُو لَهُ ، فَلَمَّا قُتِلَ ثَارَ أَهْلُ الْبَلَدِ بِالْعَرَبِ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمُ الْعَدَدَ الْمَذْكُورَ.وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَأْتِيَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فِي السَّنَةِ الَّتِي حَدَثَ فِيهَا ، وَإِنَّمَا أَوْرَدْنَاهُ مُتَتَابِعًا لِيَكُونَ أَحْسَنَ لِسِيَاقَتِهِ ، فَإِنَّهُ إِذَا انْقَطَعَ وَتَخَلَّلَتْهُ الْحَوَادِثُ فِي السِّنِينَ لَمْ يُفْهَم.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِيهَا سَارَ الْمُهَلْهِلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِنَّازٍ أَخُو أَبِي الشَّوْكِ إِلَى السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَقَرَّهُ عَلَى إِقْطَاعِهِ ، وَمِنْ جُمْلَتِهِ السِّيرَوَانُ ، وَدَقُوقَا ، وَشَهْرَزُورُ ، وَالصَّامَغَانُ ، وَشَفَّعَهُ فِي أَخِيهِ سُرْخَابٍ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِنَّازٍ ، وَكَانَ مَحْبُوسًا عِنْدَ طُغْرُلْبَك ، وَسَارَ سُرْخَابٌ إِلَى قَلْعَةِ الْمَاهَكِيِّ ، وَهِيَ لَهُ ، وَأَقْطَعَ سَعْدِي بْنَ أَبِي الشَّوْكِ الرَّاوَنْدَيْنِ.وَفِيهَا قَبَضَ الْمُسْتَنْصِرُ بِمِصْرَ عَلَى أَبِي الْبَرَكَاتِ عَمِّ أَبِي الْقَاسِمِ الْجَرْجَرَائِيِّ ، وَاسْتَوْزَرَ الْقَاضِيَ أَبَا مُحَمَّدٍ الْحَسَنَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْيَازُورِيَّ ، وَيَازُورُ مِنْ أَعْمَالِ الرَّمْلَةِ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْمُهْتَدِي بِاللَّهِ أَبُو الْحُسَيْنِ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَة.وَفِيهَا فِي شَعْبَانَ تُوُفِّيَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ الْقَزْوِينِيُّ الزَّاهِدُ ، وَكَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ ، رَوَى الْحَدِيثَ وَالْحِكَايَاتِ وَالْأَشْعَارَ ، وَرَوَى عَنِ ابْنِ نُبَاتَةَ شَيْئًا مِنْ شِعْرِهِ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَالَ ابْنُ نُبَاتَة وَإِذَا عَجَزْتَ عَنِ الْعَدُوِّ فَدَارِهِ...وَامْزُجْ لَهُ إِنَّ الْمَزْجَ وِفَاقُ فَالنَّارُ بِالْمَاءِ الَّذِي هُوَ ضِدُّهَا...تُعْطِي النِّضَاجَ وَطَبْعُهَا الْإِحْرَاقُ وَفِيهَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ تُوُفِّيَ أَبُو الْقَاسِمِ عُمَرُ بْنُ ثَابِتٍ النَّحْوِيُّ الضَّرِيرُ ، الْمَعْرُوفُ بِالثَّمَانِينِيِّ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ نَهْبِ سُرَّقَ وَالْحَرْبِ الْكَائِنَةِ عِنْدَهَا ، وَمُلْكِ الرَّحِيمِ رَامَهُرْمُزَ وَفِيهَا فِي الْمُحَرَّمِ اجْتَمَعَ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْعَرَبِ وَالْأَكْرَادِ ، وَقَصَدُوا سُرَّقَ مِنْ خُوزِسْتَانَ وَنَهَبُوهَا ، وَنَهَبُوا دُورَقَ ، وَمُقَدَّمُهُمْ مُطَارِدُ بْنُ مَنْصُورٍ ، وَمَذْكُورُ بْنُ نِزَارٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الْمَلِكُ الرَّحِيمُ جَيْشًا ، وَلَقُوهُمْ بَيْنَ سُرَّقَ وَدُورَقَ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَقُتِلَ مُطَارِدُ وَأُسِرَ وَلَدُهُ ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ فِيهِمْ ، وَاسْتَنْقَذُوا مَا نَهَبُوهُ ، وَنَجَا الْبَاقُونَ عَلَى أَقْبَحِ صُورَةٍ مِنَ الْجِرَاحِ وَالنَّهْبِ ، فَلَمَّا تَمَّ هَذَا الْفَتْحُ لِلْمَلِكِ الرَّحِيمِ انْتَقَلَ مِنْ عَسْكَرِ مُكْرَمٍ مُتَقَدِّمًا إِلَى قَنْطَرَةِ أَرْبُقَ ، وَمَعَهُ دُبَيْسُ بْنُ مَزْيَدٍ وَالْبَسَاسِيرِيُّ وَغَيْرُهُمَا.ثُمَّ إِنَّ الْأَمِيرَ أَبَا مَنْصُورٍ صَاحِبَ فَارِسَ وَهَزَارَسْبَ بْنَ بُنْكِيرَ ، وَمَنْصُورَ بْنَ الْحُسَيْنِ الْأَسَدِيَّ ، وَمَنْ مَعَهُمَا مِنَ الدَّيْلَمِ وَالْأَتْرَاكِ سَارُوا مِنْ أَرَّجَانَ يَطْلُبُونَ تُسْتَرَ ، فَسَابَقَهُمُ الرَّحِيمُ إِلَيْهَا ، وَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا ، وَالْتَقَتِ الطَّلَائِعُ ، فَكَانَ الظَّفَرُ لِعَسْكَرِ الرَّحِيمِ.ثُمَّ إِنَّ الْإِرْجَافَ وَقَعَ فِي عَسْكَرِ هَزَارَسْبَ بِوَفَاةِ الْأَمِيرِ أَبِي مَنْصُورٍ ابْنِ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ بِمَدِينَةِ شِيرَازَ ، فَسُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَعَادُوا ، وَقَصَدَ كَثِيرٌ مِنْهُمُ الْمَلِكَ الرَّحِيمَ فَصَارُوا مَعَهُ ، فَسَيَّرَ قِطْعَةً مِنَ الْجَيْشِ إِلَى رَامَهُرْمُزَ وَبِهَا أَصْحَابُ هَزَارَسْبَ ، وَقَدْ أَفْسَدُوا فِي تِلْكَ الْأَعْمَالِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا عَسْكَرُ الرَّحِيمِ خَرَجَ أُولَئِكَ إِلَى قِتَالِهِمْ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا أُكْثِرَ فِيهِ الْقَتْلُ وَالْجِرَاحُ ، ثُمَّ انْهَزَمَ أَصْحَابُ هَزَارَسْبَ فَدَخَلُوا الْبَلَدَ وَحُصِرُوا فِيهِ ، ثُمَّ مَلَكَ الْبَلَدَ عَنْوَةً ، وَنَهَبَ وَأَسَرَ جَمَاعَةً مِنَ الْعَسَاكِرِ الَّتِي فِيهِ ، وَهَرَبَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ إِلَى هَزَارَسْبَ وَهُوَ بِأَيْذَجَ ، وَمَلَكَ الْمَلِكُ الرَّحِيمُ الْبَلَدَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.ذِكْرُ مُلْكِ الْمَلِكِ الرَّحِيمِ إِصْطَخْرَ وَشِيرَازَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَيَّرَ الْمَلِكُ الرَّحِيمُ أَخَاهُ الْأَمِيرَ أَبَا سَعْدٍ فِي جَيْشٍ إِلَى بِلَادِ فَارِسَ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْمُقِيمَ فِي قَلْعَةِ إِصْطَخْرَ ، وَهُوَ أَبُو نَصْرِ بْنُ خُسْرُو ، كَانَ لَهُ أَخَوَانِ قَبَضَ عَلَيْهَا هَزَارَسْبُ بْنُ بُنْكِيرَ بِأَمْرِ الْأَمِيرِ أَبِي مَنْصُورٍ ، فَكَتَبَ إِلَى الْمَلِكِ الرَّحِيمِ يَبْذُلُ لَهُ الطَّاعَةَ وَالْمُسَاعَدَةَ ، وَيَطْلُبُ أَنْ يُسَيِّرَ إِلَيْهِ أَخَاهُ لِيُمَلِّكَهُ بِلَادَ فَارِسَ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ أَخَاهُ أَبَا سَعْدٍ فِي جَيْشٍ ، فَوَسَلَ إِلَى دَوْلَتَابَاذَ ، فَأَتَاهُ كَثِيرٌ مِنْ عَسَاكِرِ فَارِسَ الدَّيْلَمِ ، وَالتُّرْكِ ، وَالْعَرَبِ ، وَالْأَكْرَادِ ، وَسَارَ مِنْهَا إِلَى قَلْعَةِ إِصْطَخْرَ ، فَنَزَلَ إِلَيْهِ صَاحِبُهَا أَبُو نَصْرٍ ، فَلَقِيَهُ وَأَصْعَدَهُ إِلَى الْقَلْعَةِ ، وَحَمَلَ لَهُ وَلِلْعَسَاكِرِ الَّتِي مَعَهُ الْإِقَامَاتِ وَالْخِلَعَ وَغَيْرَهَا.ثُمَّ سَارُوا مِنْهَا إِلَى قَلْعَةِ بَهَنْدَرَ فَحَصَرُوهَا ، وَأَتَاهُ كُتُبُ بَعْضِ مُسْتَحْفِظِي الْبِلَادِ الْفَارِسِيَّةِ بِالطَّاعَةِ ، مِنْهَا مُسْتَحْفِظُ دَرَابْجِرْدَ وَغَيْرِهَا ، ثُمَّ سَارَ إِلَى شِيرَازَ فَمَلَكَهَا فِي رَمَضَانَ فَلَمَّا سَمِعَ أَخُوهُ الْأَمِيرُ أَبُو مَنْصُورٍ ، وَهَزَارَسْبُ ، وَمَنْصُورُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَسَدِيُّ ذَلِكَ سَارُوا فِي عَسْكَرِهِمْ إِلَى الْمَلِكِ الرَّحِيمِ فَهَزَمُوهُ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَفَارَقَ الْأَهْوَازَ إِلَى وَاسِطٍ ، ثُمَّ عَطَفُوا مِنَ الْأَهْوَازِ إِلَى شِيرَازَ لِإِجْلَاءِ الْأَمِيرِ أَبِي سَعْدٍ عَنْهَا ، فَلَمَّا قَارَبُوهَا لَقِيَهُمْ أَبُو سَعْدٍ وَقَاتَلَهُمْ فَهَزَمَهُمْ ، فَالْتَجَأُوا إِلَى جَبَلِ قَلْعَةِ بَهَنْدَرَ ، وَتَكَرَّرَتِ الْحُرُوبُ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ إِلَى مُنْتَصَفِ شَوَّالٍ ، فَتَقَدَّمَتْ طَائِفَةٌ مِنْ عَسْكَرِ أَبِي سَعْدٍ ، فَاقْتَتَلُوا عَامَّةَ النَّهَارِ ثُمَّ عَادُوا ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ الْتَقَى الْعَسْكَرَانِ جَمِيعًا وَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ الْأَمِيرِ أَبِي مَنْصُورٍ ، وَظَفِرَ أَبُو سَعْدٍ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَاسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْهُمْ ، وَصَعِدَ أَبُو مَنْصُورٍ إِلَى قَلْعَةِ بَهَنْدَرَ وَاحْتَمَى بِهَا ، وَأَقَامَ إِلَى أَنْ عَادَ إِلَى مُلْكِهِ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.وَلَمَّا فَارَقَ الْأَمِيرُ أَبُو مَنْصُورٍ الْأَهْوَازَ أُعِيدَتِ الْخُطْبَةُ لِلْمَلِكِ الرَّحِيمِ ، وَأَرْسَلَ مَنْ بِهَا مِنَ الْجُنْدِ يَسْتَدْعُونَهُ إِلَيْهِم.ذِكْرُ انْهِزَامِ الْمَلِكِ الرَّحِيمِ بِالْأَهْوَازِ لَمَّا انْصَرَفَ الْأَمِيرُ أَبُو مَنْصُورٍ ، وَهَزَارَسْبُ ، وَمَنْ مَعَهُمَا مِنْ مَنْزِلِهِمْ قَرِيبَ تُسْتَرَ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، مَضَوْا إِلَى أَيْذَجَ وَأَقَامُوا فِيهَا ، وَخَافُوا الْمَلِكَ الرَّحِيمَ ، وَاسْتَضْعَفُوا نُفُوسَهُمْ عَنْ مُقَاوَمَتِهِ ، فَاتَّفَقَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ رَاسَلُوا السُّلْطَانَ طُغْرُلْبَك ، وَبَذَلُوا لَهُ الطَّاعَةَ ، وَطَلَبُوا مِنْهُ الْمُسَاعَدَةَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عَسْكَرًا كَثِيرًا ، وَكَانَ قَدْ مَلَكَ أَصْبَهَانَ وَفَرَغَ بَالُهُ مِنْهَا.وَعَرَفَ الْمَلِكُ الرَّحِيمُ ذَلِكَ وَقَدْ فَارَقَهُ كَثِيرٌ مِنْ عَسْكَرِهِ ، مِنْهُم الْبَسَاسِيرِيُّ ، وَنُورُ الدَّوْلَةِ دُبَيْسُ بْنُ مَزْيَدٍ ، وَالْعَرَبُ وَالْأَكْرَادُ ، وَبَقِيَ فِي الدَّيْلَمِ الْأَهْوَازِيَّةُ وَطَائِفَةٌ قَلِيلَةٌ مِنْ الْأَتْرَاكِ الْبَغْدَاذِيِّينَ كَانُوا وَصَلُوا إِلَيْهِ أَخِيرًا ، فَقَرَّرَ رَأْيَهُ عَلَى أَنْ عَادَ مِنْ عَسْكَرِ مُكْرَمٍ إِلَى الْأَهْوَازِ لِأَنَّهَا أَحْصَنُ ، وَيَنْتَظِرُ بِالْمُقَامِ فِيهَا وُصُولَ الْعَسَاكِرِ ، وَرَأَى أَنْ يُرْسِلَ أَخَاهُ الْأَمِيرَ أَبَا سَعْدٍ إِلَى فَارِسَ ، حَيْثُ طَلَبَ إِلَى إِصْطَخْرَ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَسَيَّرَ مَعَهُ جَمْعًا صَالِحًا مِنَ الْعَسَاكِرِ ، ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ أَخَاهُ إِذَا وَصَلَ إِلَى فَارِسَ وَمُلِكَتْ قَلْعَةُ إِصْطَخْرَ انْزَعَجَ الْأَمِيرُ أَبُو مَنْصُورٍ وَهَزَارَسْبُ وَمَنْ مَعَهُمَا ، وَاشْتَغَلُوا بِتِلْكَ النَّوَاحِي عَنْهُ ، فَازْدَادَ قَلَقًا وَضَعْفًا ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ أُولَئِكَ إِلَى الْأَمِيرِ أَبِي سَعْدٍ بَلْ سَارُوا مُجِدِّينَ إِلَى الْأَهْوَازِ ، فَوَصَلُوهَا أَوَاخِرَ رَبِيعٍ الْآخِر.وَوَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ كَثُرَ فِيهِمَا الْقِتَالُ وَاشْتَدَّ ، فَانْهَزَمَ الْمَلِكُ الرَّحِيمُ ، وَسَارَ فِي نَفَرٍ قَلِيلٍ إِلَى وَاسِطٍ ، وَلَقِيَ فِي طَرِيقِهِ مَشَقَّةً ، وَسَلِمَ وَاسْتَقَرَّ بِوَاسِطٍ فِيمَنْ لَحِقَ بِهِ مِنَ الْمُنْهَزِمِينَ ، وَنُهِبَتِ الْأَهْوَازُ ، وَأُحْرِقَ فِيهَا عِدَّةُ مَحَالٍّ ، وَفُقِدَ فِي الْوَقْعَةِ الْوَزِيرُ كَمَالُ الْمُلْكِ أَبُو الْمَعَالِي بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ ، وَزِيرُ الْمَلِكِ الرَّحِيمِ ، فَلَمْ يُعْرَفْ لَهُ خَبَرٌ.ذِكْرُ الْفِتْنَةِ بَيْنَ الْعَامَّةِ بِبَغْدَاذَ وَإِحْرَاقِ الْمَشْهَدِ عَلَى سَاكِنِيهِ السَّلَامُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي صَفَرٍ تَجَدَّدَتِ الْفِتْنَةُ بِبَغْدَاذَ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالشِّيعَةِ ، وَعَظُمَتْ أَضْعَافَ مَا كَانَتْ قَدِيمًا ، فَكَانَ الِاتِّفَاقُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ غَيْرَ مَأْمُونِ الِانْتِقَاضِ ، لِمَا فِي الصُّدُورِ مِنَ الْإِحَن.وَكَانَ سَبَبُ هَذِهِ الْفِتْنَةِ أَنَّ أَهْلَ الْكَرْخِ شَرَعُوا فِي عَمَلِ بَابِ السَّمَّاكِينَ ، وَأَهْلَ الْقَلَّائِينَ فِي عَمَلِ مَا بَقِيَ مِنْ بَابِ مَسْعُودٍ ، فَفَرَغَ أَهْلُ الْكَرْخِ ، وَعَمِلُوا أَبْرَاجًا كَتَبُوا عَلَيْهَا بِالذَّهَبِ محَمَّدٌ وَعَلِيٌّ خَيْرُ الْبَشَرِ.وَأَنْكَرَ السُّنَّةُ ذَلِكَ وَادَّعَوْا أَنَّ الْمَكْتُوبَ مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ خَيْرُ الْبَشَرِ ، فَمَنْ رَضِيَ فَقَدْ شَكَرَ ، وَمَنْ أَبَى فَقَدْ كَفَرَ.وَأَنْكَرَ أَهْلُ الْكَرْخِ الزِّيَادَةَ وَقَالُوا اتَجَاوَزْنَا مَا جَرَتْ بِهِ عَادَتُنَا فِيمَا نَكْتُبُهُ عَلَى مَسَاجِدِنَا.فَأَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبَا تَمَامٍ نَقِيبَ الْعَبَّاسِيِّينَ ، وَنَقِيبَ الْعَلَوِيِّينَ وَهُوَ عَدْنَانُ بْنُ الرَّضِيِّ ، لِكَشْفِ الْحَرْبِ وَإِنْهَائِهِ ، فَكَتَبَا بِتَصْدِيقِ قَوْلِ الْكَرْخِيِّينَ ، فَأَمَرَ حِينَئِذٍ الْخَلِيفَةُ وَنُوَّابُ الرَّحِيمِ بِكَفِّ الْقِتَالِ ، فَلَمْ يَقْبَلُوا ، وَانْتَدَبَ ابْنُ الْمُذْهِبِ الْقَاضِي وَالزُّهَيْرِيُّ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْحَنَابِلَةِ أَصْحَابِ عَبْدِ الصَّمَدِ أَنْ يَحْمِلَ الْعَامَّةَ عَلَى الْإِغْرَاقِ فِي الْفِتْنَةِ ، فَأَمْسَكَ نُوَّابُ الْمَلِكِ الرَّحِيمِ عَنْ كَفِّهِمْ غَيْظًا مِنْ رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ لِمَيْلِهِ إِلَى الْحَنَابِلَةِ ، وَمَنْعِ هَؤُلَاءِ السُّنَّةِ مِنْ حَمْلِ الْمَاءِ مِنْ دِجْلَةَ إِلَى الْكَرْخِ ، وَكَانَ نَهْرُ عِيسَى قَدِ انْفَتَحَ بَثْقُهُ ، فَعَظُمَ الْأَمْرُ عَلَيْهِمْ ، وَانْتُدِبَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ وَقَصَدُوا دِجْلَةَ وَحَمَلُوا الْمَاءَ وَجَعَلُوهُ فِي الظُّرُوفِ ، وَصَبُّوا عَلَيْهِ مَاءَ الْوَرْدِ ، وَنَادَوْا الْمَاءُ لِلسَّبِيلِ.فَأَغْرَوْا بِهِمُ السُّنَّة.وَتَشَدَّدَ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ عَلَى الشِّيعَةِ ، فَمَحَوْا خَيْرَ الْبَشَرِ ، وَكَتَبُوا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، فَقَالَتِ السُّنَّة لَا نَرْضَى إِلَّا أَنْ يُقْلَعَ الْآجُرُّ الَّذِي عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ ، وَأَنْ لَا يُؤَذَّن حَيِّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ.وَامْتَنَعَ الشِّيعَةُ مِنْ ذَلِكَ ، وَدَامَ الْقِتَالُ إِلَى ثَالِثِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَقُتِلَ فِيهِ رَجُلٌ هَاشِمِيٌّ مِنَ السُّنَّةِ ، فَحَمَلَهُ أَهْلُهُ عَلَى نَعْشٍ ، وَطَافُوا بِهِ فِي الْحَرْبِيَّةِ وَبَابِ الْبَصْرَةِ وَسَائِرِ مَحَالِّ السُّنَّةِ ، وَاسْتَنْفَرُوا النَّاسَ لِلْأَخْذِ بِثَأْرِهِ ، ثُمَّ دَفَنُوهُ عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، وَقَدِ اجْتَمَعَ مَعَهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ أَضْعَافَ مَا تَقَدَّمَ.فَلَمَّا رَجَعُوا مِنْ دَفْنِهِ قَصَدُوا مَشْهَدَ بَابِ التِّبْنِ فَأُغْلِقَ بَابُهُ ، فَنَقَّبُوا فِي سُورِهِ وَتَهَدَّدُوا الْبَوَّابَ ، فَخَافَهُمْ وَفَتَحَ الْبَابَ ، فَدَخَلُوا وَنَهَبُوا مَا فِي الْمَشْهَدِ مِنْ قَنَادِيلَ وَمَحَارِيبَ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ وَسُتُورٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَنَهَبُوا مَا فِي التُّرْبِ وَالدُّورِ وَأَدْرَكَهُمُ اللَّيْلُ فَعَادُوا.فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ كَثُرَ الْجَمْعُ ، فَقَصَدُوا الْمَشْهَدَ ، وَأَحْرَقُوا جَمِيعَ التُّرْبِ وَالْآزَاجِ ، وَاحْتَرَقَ ضَرِيحُ مُوسَى ، وَضَرِيحُ ابْنِ ابْنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَالْجِوَارُ ، وَالْقُبَّتَانِ السَّاجُ اللَّتَانِ عَلَيْهِمَا ، وَاحْتَرَقَ مَا يُقَابِلُهُمَا وَيُجَاوِرُهُمَا مِنْ قُبُورِ مُلُوكِ بَنِي بُوَيْهِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَجَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَمِنْ قُبُورِ الْوُزَرَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ ، وَقَبْرُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي الْمَنْصُورِ ، وَقَبْرُ الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ الرَّشِيدِ ، وَقَبْرُ أُمِّهِ زُبَيْدَةَ ، وَجَرَى مِنَ الْأَمْرِ الْفَظِيعِ مَا لَمْ يَجْرِ فِي الدُّنْيَا مِثْلُه.فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ خَامِسُ الشَّهْرِ عَادُوا وَحَفَرُوا قَبْرَ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، لِيَنْقُلُوهُمَا إِلَى مَقْبَرَةِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، فَحَالَ الْهَدْمُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَةِ الْقَبْرِ ، فَجَاءَ الْحَفْرُ إِلَى جَانِبِهِ.وَسَمِعَ أَبُو تَمَامٍ نَقِيبُ الْعَبَّاسِيِّينَ وَغَيْرُهُ مِنَ الْهَاشِمِيِّينَ السُّنَّةِ الْخَبَرَ ، فَجَاءُوا وَمَنَعُوا عَنْ ذَلِكَ ، وَقَصَدَ أَهْلُ الْكَرْخِ إِلَى خَانِ الْفُقَهَاءِ الْحَنَفِيِّينَ فَنَهَبُوهُ ، وَقَتَلُوا مُدَرِّسَ الْحَنَفِيَّةِ أَبَا سَعْدٍ السَرَخْسَيَّ ، وَأَحْرَقُوا الْخَانَ وَدُورَ الْفُقَهَاءِ ، وَتَعَدَّتِ الْفِتْنَةُ إِلَى الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ، فَاقْتَتَلَ أَهْلُ بَابِ الطَّاقِ وَسُوقِ بَجٍّ وَالْأَسَاكِفَةُ وَغَيْرُهُم.وَلَمَّا انْتَهَى خَبَرُ إِحْرَاقِ الْمَشْهَدِ إِلَى نُورِ الدَّوْلَةِ دُبَيْسِ بْنِ مَزْيَدٍ عَظُمَ عَلَيْهِ وَاشْتَدَّ وَبَلَغَ مِنْهُ كُلَّ مَبْلَغٍ ، لِأَنَّهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَسَائِرَ أَعْمَالِهِ مِنَ النِّيلِ وَتِلْكَ الْوِلَايَةَ كُلُّهُمْ شِيعَةٌ ، فَقُطِعَتْ فِي أَعْمَالِهِ خُطْبَةُ الْإِمَامِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، فَرُوسِلَ فِي ذَلِكَ وَعُوتِبَ ، فَاعْتَذَرَ بِأَنَّ أَهْلَ وِلَايَتِهِ شِيعَةٌ ، وَاتَّفَقُوا عَلَى ذَلِكَ ، فَلَمْ يُمْكِنْهُ أَنْ يَشُقَّ عَلَيْهِمْ ، كَمَا أَنَّ الْخَلِيفَةَ لَمْ يُمْكِنْهُ كَفُّ السُّفَهَاءِ الَّذِينَ فَعَلُوا بِالْمَشْهَدِ مَا فَعَلُوا ، وَأَعَادَ الْخُطْبَةَ إِلَى حَالِهَا.ذِكْرُ عِصْيَانِ بَنِي قُرَّةَ عَلَى الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ بِمِصْرَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي شَعْبَانَ عَصَى بَنُو قُرَّةَ بِمِصْرَ عَلَى الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ الْخَلِيفَةِ الْعَلَوِي.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ أَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ الْمُقَرَّبُ ، وَقَدَّمَهُ ، فَنَفَرُوا مِنْ ذَلِكَ وَكَرِهُوهُ وَاسْتَعْفَوْا مِنْهُ ، فَلَمْ يَعْزِلْهُ عَنْهُمْ ، فَكَاشَفُوا بِالْخِلَافِ وَالْعِصْيَانِ ، وَأَقَامُوا بِالْبُحَيْرَةِ مُقَابِلَ مِصْرَ ، وَتَظَاهَرُوا بِالْفَسَادِ ، فَعَبَّرَ إِلَيْهِمُ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ جَيْشًا يُقَاتِلُهُمْ وَيَكُفُّهُمْ ، فَقَاتَلَهُمْ بَنُو قُرَّةَ فَانْهَزَمَ الْجَيْشُ وَكَثُرَ الْقَتْلُ فِيهِمْ ، فَانْتَقَلَ بَنُو قُرَّةَ إِلَى طَرَفِ الْبَرِّ ، فَعَظُمَ الْأَمْرُ عَلَى الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ ، وَجَمَعَ الْعَرَبَ مِنْ طَيِّئٍ وَكَلْبٍ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْعَسَاكِرِ ، وَسَيَّرَهُمْ فِي أَثَرِ بَنِي قُرَّةَ ، فَأَدْرَكُوهُمْ بِالْبُحَيْرَةِ ، فَوَاقَعُوهُمْ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ وَكَثُرَ الْقَتْلُ فِي بَنِي قُرَّةَ ، وَانْهَزَمُوا ، وَعَادَ الْعَسْكَرُ إِلَى مِصْرَ ، وَتَرَكُوا فِي مُقَابِلِ بَنِي قُرَّةَ طَائِفَةً مِنْهُمْ لِتَرُدَّ بَنِي قُرَّةَ إِنْ أَرَادُوا التَّعَرُّضَ إِلَى الْبِلَادِ ، وَكَفَى اللَّهُ شَرَّهُم.ذِكْرُ وَفَاةِ زَعِيمِ الدَّوْلَةِ وَإِمَارَةِ قُرَيْشِ بْنِ بَدْرَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ تُوُفِّيَ زَعِيمُ الدَّوْلَةِ أَبُو كَامِلٍ بَرَكَةُ بْنُ الْمُقَلِّدِ بِتَكْرِيتَ ، وَكَانَ انْحَدَرَ إِلَيْهَا فِي حُلَلِهِ قَاصِدًا نَحْوَ الْعِرَاقِ لِيُنَازِعَ النُّوَّابَ بِهِ عَنِ الْمَلِكِ الرَّحِيمِ ، وَيَنْهَبَ الْبِلَادَ ، فَلَمَّا بَلَغَهَا انْتَقَضَ عَلَيْهِ جُرْحٌ كَانَ أَصَابَهُ مِنَ الْغُزِّ لَمَّا مَلَكُوا الْمَوْصِلَ ، فَتُوُفِّيَ ، وَدُفِنَ بِمَشْهَدِ الْخَضِرِ بِتَكْرِيتَ.وَاجْتَمَعَتِ الْعَرَبُ مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَى تَأْمِيرِ عَلَمِ الدِّينِ أَبِي الْمَعَالِي قُرَيْشِ بْنِ بَدْرَانَ بْنِ الْمُقَلِّدِ ، فَعَادَ بِالْحُلَلِ وَالْعَرَبِ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى عَمِّهِ قِرْوَاشٍ وَهُوَ تَحْتَ الِاعْتِقَالِ ، يُعْلِمُهُ بِوَفَاةِ زَعِيمِ الدَّوْلَةِ ، وَقِيَامِهِ بِالْإِمَارَةِ ، وَأَنَّهُ يَتَصَرَّفُ عَلَى اخْتِيَارِهِ ، وَيَقُومُ بِالْأَمْرِ نِيَابَةً عَنْه.فَلَمَّا وَصَلَ قُرَيْشٌ إِلَى الْمَوْصِلِ جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَمِّهِ قِرْوَاشٍ مُنَازَعَةٌ ضَعُفَ فِيهَا قِرْوَاشٌ وَقَوِيَ ابْنُ أَخِيهِ ، وَمَالَتِ الْعَرَبُ إِلَيْهِ وَاسْتَقَرَّتِ الْإِمَارَةُ لَهُ ، وَعَادَ عَمُّهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الِاعْتِقَالِ الْجَمِيلِ ، وَالِاقْتِصَارِ بِهِ عَلَى قَلِيلٍ مِنَ الْحَاشِيَةِ وَالنِّسَاءِ وَالنَّفَقَةِ ، ثُمَّ نَقَلَهُ إِلَى قَلْعَةِ الْجَرَّاحِيَّةِ مِنْ أَعْمَالِ الْمَوْصِلِ فَاعْتُقِلَ بِهَا.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ ظَهَرَ بِبَغْدَاذَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ سَابِعَ صَفَرٍ وَقْتِ الْعَصْرِ كَوْكَبٌ غَلَبَ نُورُهُ عَلَى نُورِ الشَّمْسِ ، لَهُ ذُؤَابَةٌ نَحْوُ ذِرَاعَيْنِ ، وَسَارَ سَيْرًا بَطِيئًا ثُمَّ انْقَضَّ ، وَالنَّاسُ يُشَاهِدُونَه.وَفِيهَا فِي رَمَضَانَ وَرَدَ رُسُلُ السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك إِلَى الْخَلِيفَةِ جَوَابًا عَنْ رِسَالَةِ الْخَلِيفَةِ إِلَيْهِ ، وَشُكْرًا لِإِنْعَامِ الْخَلِيفَةِ عَلَيْهِ بِالْخِلَعِ وَالْأَلْقَابِ ، وَأَرْسَلَ مَعَهُ طُغْرُلْبَك إِلَى الْخَلِيفَةِ عَشَرَةَ آلَافِ دِينَارٍ عَيْنًا ، وَأَعْلَاقًا نَفِيسَةً مِنَ الْجَوَاهِرِ وَالثِّيَابِ وَالطِّيبِ وَغَيْرَ ذَلِكَ ، وَأَرْسَلَ خَمْسَةَ آلَافِ دِينَارٍ لِلْحَاشِيَةِ ، وَأَلْفَيْ دِينَارٍ لِرَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ ، وَأَنْزَلَ الْخَلِيفَةُ الرُّسُلَ بِبَابِ الْمَرَاتِبِ ، وَأَمَرَ بِإِكْرَامِهِمْ ، وَلَمَّا جَاءَ الْعِيدُ أَظْهَرَ أَجْنَادُ بَغْدَاذَ الزِّينَةَ الرَّائِقَةَ ، وَالْخُيُولَ النَّفِيسَةَ ، وَالتَّجَافِيفَ الْحَسَنَةَ ، وَأَرَادُوا إِظْهَارَ قُوَّتِهِمْ عِنْدَ الرُّسُل.وَفِيهَا عَادَ الْغُزُّ أَصْحَابُ الْمَلِكِ دَاوُدَ أَخِي طُغْرُلْبَك عَنْ كِرْمَانَ ، وَسَبَبُ عَوْدِهِمْ أَنَّ عَبْدَ الرَّشِيدِ بْنَ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ صَاحِبَ غَزْنَةَ سَارَ عَنْهَا إِلَى خُرَاسَانَ ، فَالْتَقَى هُوَ وَالْمَلِكُ دَاوُدُ ، وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَ دَاوُدُ ، فَاقْتَضَى الْحَالُ عَوْدَ أَصْحَابِهِ عَنْ كِرْمَانَ.وَفِيهَا أَيْضًا عَادَ السُّلْطَانُ طُغْرُلْبَك عَنْ أَصْبَهَانَ إِلَى الرَّيِّ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو كَالِيجَارَ كُرْشَاسُفُ بْنُ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ كَاكَوَيْهِ بِالْأَهْوَازِ ، وَكَانَ قَدِ اسْتَخْلَفَهُ بِهَا الْأَمِيرُ أَبُو مَنْصُورٍ عِنْدَ عَوْدِهِ عَنْهَا إِلَى شِيرَازَ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ خُطِبَ لِلْمَلِكِ الرَّحِيمِ بِالْأَهْوَاز.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ الْمُرْتَضَى الْمُوسَوِي.وَفِيهَا فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ تُوُفِّيَ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ الْبُصْرَوِيُّ الشَّاعِرُ ، وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى قَرْيَةٍ تُسَمَّى بُصْرَى قُرَيْبَ عُكْبَرَا ، وَكَانَ صَاحِبَ نَادِرَةٍ ، قَالَ لَهُ رَجُل شَرِبْتُ الْبَارِحَ مَاءً كَثِيرًا ، فَاحْتَجْتُ إِلَى الْقِيَامِ كُلَّ سَاعَةٍ كَأَنِّي جَدْيٌ.فَقَالَ لَه لِمَ تُصَغِّرْ نَفْسَكَ ؟وَمِنْ شِعْرِه تَرَى الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَصْبُو...وَمَا يَخْلُو مِنَ الشَّهَوَاتِ قَلْبُ فُضُولُ الْعَيْشِ أَكْثَرُهَا هُمُومٌ...وَأَكْثَرُ مَا يَضُرُّكَ مَا تُحِبُّ فَلَا يَغْرُرْكَ زُخْرُفُ مَا تَرَاهُ...وَعَيْشٌ لَيِّنُ الْأَعْطَافِ رَطْبُ إِذَا مَا بُلْغَةٌ جَاءَتْكَ عَفْوًا...فَخُذْهَا ، فَالْغِنَى مَرْعَى وَشُرْبُ إِذَا اتَّفَقَ الْقَلِيلُ وَفِيهِ سِلْمٌ...فَلَا تَرِدِ الْكَثِيرَ وَفِيهِ حَرْبُ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ قَتْلِ عَبْدِ الرَّشِيدِ صَاحِبِ غَزْنَةَ وَمُلْكِ فَرَّخْ زَادَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ عَبْدُ الرَّشِيدِ بْنُ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ صَاحِبُ غَزْنَةَ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ حَاجِبًا لَمَوْدُودٍ ابْنِ أَخِيهِ مَسْعُودٍ ، اسْمُهُ طُغْرُلُ ، وَكَانَ مَوْدُودٌ قَدْ قَدَّمَهُ وَنَوَّهَ بِاسْمِهِ ، وَزَوَّجَهُ أُخْتَهُ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ مَوْدُودٌ وَمَلَكَ عَبْدُ الرَّشِيدِ أَجْرَى طُغْرُلَ عَلَى عَادَتِهِ فِي تَقَدُّمِهِ ، وَجَعَلَهُ حَاجِبَ حُجَّابِهِ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ طُغْرُلُ بِقَصْدِ الْغُزِّ وَإِجْلَائِهِمْ مِنْ خُرَاسَانَ ، فَتَوَقَّفَ اسْتِبْعَادًا لِذَلِكَ ، فَأَلَحَّ عَلَيْهِ طُغْرُلُ ، فَسَيَّرَهُ فِي أَلْفِ فَارِسٍ ، فَسَارَ نَحْوَ سِجِسْتَانَ وَبِهَا أَبُو الْفَضْلِ نَائِبًا عَنْ بَيْغُو ، فَأَقَامَ طُغْرُلُ عَلَى حِصَارِ قَلْعَةِ طَاقَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي الْفَضْلِ يَدْعُوهُ إِلَى طَاعَةِ عَبْدِ الرَّشِيدِ ، فَقَالَ لَهُ إِنَّنِي نَائِبٌ عَنْ بَيْغُو ، وَلَيْسَ مِنَ الدِّينِ وَلْمُرُوءَةِ خِيَانَتُهُ ، فَاقْصُدْهُ ، فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْهُ سَلَّمْتُ إِلَيْك.فَقَامَ عَلَى حِصَارِ طَاقَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، فَلَمْ يَتَهَيَّأْ لَهُ فَتْحُهَا ، وَكَتَبَ أَبُو الْفَضْلِ إِلَى بَيْغُو يُعَرِّفُهُ حَالَ طُغْرُلَ ، فَسَارَ إِلَسِجِسْتَانَ لِيَمْنَعَ عَنْهَا طُغْرُلَ.ثُمَّ إِنَّ طُغْرُلَ ضَجِرَ مِنْ مُقَامِهِ عَلَى حِصَارِ طَاقَ ، فَسَارَ نَحْوَ مَدِينَةِ سِجِسْتَانَ ، فَلَمَّا كَانَ عَلَى نَحْوِ فَرْسَخٍ مِنْهَا كَمَنَ بِحَيْثُ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ ، لِعِلَّةٍ يَجِدُهَا ، وَفُرْصَةٍ يَنْتَهِزُهَا فَسَمِعَ أَصْوَاتَ دَبَادِبَ وَبُوقَاتٍ ، فَخَرَجَ وَسَأَلَ بَعْضَ مَنْ عَلَى الطَّرِيقِ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ بَيْغُو قَدْ وَصَلَ ، فَعَادَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَأَخْبَرَهُمْ ، وَقَالَ لَهُم لَيْسَ لَنَا إِلَّا أَنْ نَلْتَقِيَ الْقَوْمَ ، وَنَمُوتَ تَحْتَ السُّيُوفِ أَعِزَّةً ، فَإِنَّهُ لَا سَبِيلَ لَنَا إِلَى الْهَرَبِ ، لِكَثْرَتِهِمْ وَقِلَّتِنَا.فَخَرَجُوا مِنْ مَكْمَنِهِمْ فَلَمَّا رَآهُمْ بَيْغُو سَأَلَ أَبَا الْفَضْلِ عَنْهُمْ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ طُغْرُلُ ، فَاسْتَقَلَّ مَنْ مَعَهُ وَسَيَّرَ طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِهِ لِقِتَالِهِمْ ، فَلَمَّا رَآهُمْ طُغْرُلُ لَمْ يُعَرِّجْ عَلَيْهِمْ ، بَلْ أَقْحَمَ فَرَسَهُ نَهْرًا هُنَاكَ فَعَبَرَهُ ، وَقَصَدَ بَيْغُو وَمَنْ مَعَهُ فَقَاتَلَهُمْ ، وَهَزَمَهُمْ طُغْرُلُ وَغَنِمَ مَا مَعَهُمْ ، ثُمَّ عَطَفَ عَلَى الْفَرِيقِ الْآخَرِ ، فَصَنَعَ بِهِمْ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَأُمُّ بَيْغُو وَأَبُو الْفَضْلُ نَحْوَ هَرَاةَ ، وَتَبِعَهُمْ طُغْرُلُ نَحْوَ فَرْسَخَيْنِ ، وَعَادَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَمَلَكَهَا ، وَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ الرَّشِيدِ بِمَا كَانَ مِنْهُ ، وَيَطْلُبُ الْإِمْدَادَ لِيَسِيرَ إِلَى خُرَاسَانَ ، فَأَمَدَّهُ بِعُدَّةٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْفُرْسَانِ ، فَوَصَلُوا إِلَيْهِ ، فَاشْتَدَّ بِهِمْ وَأَقَامَ مُدَيْدَةً.ثُمَّ حَدَّثَ نَفْسَهُ بِالْعَوْدِ إِلَى غَزْنَةَ وَالِاسْتِيلَاءِ عَلَيْهَا ، فَأَعْلَمَ أَصْحَابَهُ ذَلِكَ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، وَاسْتَوْثَقَ مِنْهُمْ ، وَرَحَلَ إِلَى غَزْنَةَ طَاوِيًا لِلْمَرَاحِلِ كَاتِمًا أَمْرَهُ ، فَلَمَّا صَارَ عَلَى خَمْسَةِ فَرَاسِخَ مِنْ غَزْنَةَ أَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ الرَّشِيدِ مُخَادِعًا لَهُ يُعْلِمُهُ أَنَّ الْعَسْكَرَ خَالَفُوا عَلَيْهِ وَطَلَبُوا الزِّيَادَةَ فِي الْعَطَاءِ ، وَأَنَّهُمْ عَادُوا بِقُلُوبٍ مُتَغَيِّرَةٍ مُسْتَوْحِشَةٍ.فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى ذَلِكَ مَعَ أَصْحَابَهُ وَأَهْلَ ثِقَتِهِ وَأَعْلَمَهُمُ الْخَبَرَ ، فَحَذَّرُوهُ مِنْهُ وَقَالُوا لَه إِنَّ الْأَمْرَ قَدْ أُعْجِلَ عَنِ الِاسْتِعْدَادِ ، وَلَيْسَ غَيْرُ الصُّعُودِ إِلَى الْقَلْعَةِ وَالتَّحَصُّنُ بِهَا.فَصَعِدَ إِلَى قَلْعَةِ غَةَ وَامْتَنَعَ بِهَا.وَوَافَى طُغْرُلُ مِنَ الْغَدِ إِلَى الْبَلَدِ ، وَنَزَلَ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ ، وَرَاسَلَ الْمُقِيمِينَ بِالْقَلْعَةِ فِي تَسْلِيمِ عَبْدِ الرَّشِيدِ ، وَوَعَدَهُمْ وَرَغَّبَهُمْ إِنْ فَعَلُوا ، وَتَهَدَّدَهُمْ إِنِ امْتَنَعُوا.فَسَلَّمُوهُ إِلَيِ ، فَأَخَذَهُ طُغْرُلُ فَقَتَلَهُ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى الْبَلَدِ وَتَزَوَّجَ ابْنَةَ مَسْعُودٍ كَرْهًا.وَكَانَ فِي الْأَعْمَالِ الْهِنْدِيَّةِ أَمِيرٌ يُسَمَّى خِرْخِيزَ وَمَعَهُ عَسْكَرٌ كَثِيرٌ ، فَلَمَّا قَتَلَ طُغْرُلُ عَبْدَ الرَّشِيدِ وَاسْتَوْلَى عَلَى الْأَمْرِ كَتَبَ إِلَيْهِ وَدَعَاهُ إِلَى الْمُوَافَقَةِ وَالْمُسَاعَدَةِ عَلَى ارْتِجَاعِ الْأَعْمَالِ مِنْ أَيْدِي الْغُزِّ ، وَوَعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَبَذَلَ الْبَذُولَ الْكَثِيرَةَ ، فَلَمْ يَرْضَ فِعْلَهُ ، وَأَنْكَرَهُ وَامْتَعَضَ مِنْهُ ، وَأَغْلَظَ لَهُ فِي الْجَوَابِ ، وَكَتَبَ إِلَى ابْنَةِ مَسْعُودِ بْنِ مَحْمُودٍ زَوْجَةِ طُغْرُلَ وَوُجُوهِ الْقُوَّادِ ، يُنْكِرُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، وَيُوَبِّخُهُمْ عَلَى إِغْضَائِهِمْ وَصَبْرِهِمْ عَلَى مَا فَعَلَهُ طُغْرُلُ مِنْ قَتْلِ مَلِكِهِمْ وَابْنِ مَلِكِهِمْ ، وَيَحُثُّهُمْ عَلَى الْأَخْذِ بِثَأْرِه.فَلَمَّا وَفُوا عَلَى كُتُبِهِ عَرَفُوا غَلْطَتَهُمْ ، وَدَخَلَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ عَلَى طُغْرُلَ ، وَوَقَفُوا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَضَرَبَهُ أَحَدُهُمْ بِسَيْفِهِ وَتَبِعَهُ الْبَاقُونَ ، فَقَتَلَه.وَوَرَدَ خِرْخِيزُ الْحَاجِبُ بَعْدَ خَمْسَةِ أَيَّامٍ ، وَأَظْهَرَ الْحُزْنَ عَلَى عَبْدِ الرَّشِيدِ ، وَذَمَّ طُغْرُلَ وَمَنْ تَابَعَهُ عَلَى فِعْلِهِ ، وَجَمَعَ وَجُوهَ الْقُوَّادِ وَأَعْيَانَ أَهْلِ الْبَلَدِ وَقَالَ لَهُم قَدْ عَرَفْتُمْ مَا جَى مِمَّا خُولِفَتْ بِهِ الدِّيَانَةُ وَالْأَمَانَةُ ، وَأَنَا تَابِعٌ ، وَلَا بُدَّ لِلْأَمْرِ مِنْ سَائِسٍ ، فَاذْكُرُوا مَا عِنْدَكُمْ مِنْ ذَلِك.فَأَشَارُوا بِوِلَايَةِ فَرَّخْ زَادَ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ مَحْمُودٍ وَكَانَ مَحْبُوسًا فِي بَعْضِ الْقلَاعِ ، فَأُحْضِرَ وَأُجْلِسَ بِدَارِ الْإِمَارَةِ ، وَأَقَامَ خِرْخِيزُ بَيْنَ يَدَيْهِ يُدَبِّرُ الْأُمُورَ ، وَأَخَذَ مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ عَبْدِ الرَّشِيدِ فَقَتَلَهُ ، فَلَمَّا سَمِعَ دَاوُدُ أَخُو طُغْرُلْبَك صَاحِبُ خُرَاسَانَ بِقَتْلِ عَبْدِ الرَّشِيدِ جَمَعَ عَسَاكِرَهُ وَسَارَ إِلَى غَزْنَةَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ خِرْخِيزُ وَمَنَعَهُ وَقَاتَلَهُ ، فَانْهَزَمَ دَاوُدُ وَغَنِمَ مَا كَانَ مَعَه.وَلَمَّا اسْتَقَرَّ مُلْكُ فَرَّخْ زَادَ ، وَثَبَتَ قَدَمُهُ جَهَّزَ جَيْشًا جَرَّارًا إِلَى خُرَاسَانَ ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ الْأَمِيرُ كُلْسَارُغُ ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْأُمَرَاءِ ، فَقَاتَلَهُمْ وَصَبَرَ لَهُمْ ، فَظَفِرُوا بِهِ ، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ عَنْهُ ، وَأُخِذَ أَسِيرًا ، وَأُسِرَ مَعَهُ كَثِيرٌ مِنْ عَسْكَرِ خُرَاسَانَ وَوُجُوهِهِمْ وَأُمَرَائِهِم.فَجَمَعَ أَلْبُ أَرْسِلَانَ عَسْكَرًا كَثِيرًا ، وَسَيَّرَ وَالِدَهُ دَاوُدَ فِي ذَلِكَ الْعَسْكَرِ إِلَى الْجَيْشِ الَّذِي أَسَرَ كُلْسَارُغَ ، فَقَاتَلَهُمْ وَهَزَمَهُمْ ، وَأَسَرَ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ الْعَسْكَرِ ، فَأَطْلَقَ فَرَّخْ زَادَ الْأَسْرَى ، وَخَلَعَ عَلَى كُلْسَارُغَ وَأَطْلَقَه.ذِكْرُ وَصُولِ الْغُزِّ إِلَى فَارِسَ وَانْهِزَامِهِمْ عَنْهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَصَلَ أَصْحَابُ السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك إِلَى فَارِسَ ، وَبَلَغُوا إِلَى شِيرَازَ ، وَنَزَلُوا بِالْبَيْضَاءِ ، وَاجْتَمَعَ مَعَهُمُ الْعَادِلُ أَبُو مَنْصُورٍ الَّذِي كَانَ وَزِيرَ الْأَمِيرِ أَبِي مَنْصُورٍ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ ، وَدَبَّرَ أَمْرَهُمْ ، فَقَبَضُوا عَلَيْهِ وَأَخَذُوا مِنْهُ ثَلَاثَ قِلَاعٍ ، وَهِيَ قَلْعَةُ كَبْزَةَ ، وَقَلْعَةُ جُوَيْمٍ ، وَقَلْعَةُ بَهَنْدَرَ ، فَأَقَامُوا بِهَا ، وَسَارَ مِنَ الْغُزِّ نَحْوُ مِائَتَيْ رَجُلٍ إِلَى الْأَمِيرِ أَبِي سَدٍ أَخِي الْمَلِكِ الرَّحِيمِ ، وَصَارُوا مَعَهُ ، وَرَاسَلَ أَبُو سَعْدٍ الَّذِي بِالْقِلَاعِ الْمَذْكُورَةِ ، فَاسْتَمَالَهُمْ ، فَأَطَاعُوهُ وَسَلَّمُوا الْقِلَاعَ إِلَيْهِ ، وَصَارُوا فِي خِدْمَتِه.وَاجْتَمَعَ الْعَسْكَرُ الشِّيرَازِيُّ وَعَلَيْهِمُ الظَّهِيرُ أَبُو نَصْرٍ ، وَأَوْقَعُوا بِالْغُزِّ بِبَابِ شِيرَازَ ، فَانْهَزَمَ الْغُزُّ ، وَأُسِرَ تَاجُ الدِّينِ نَصْرُ بْنُ هِبَةَ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ ، وَكَانَ مِنَ الْمُقَدَّمِينَ عِنْدَ الْغُزِّ ، فَلَمَّا انْهَزَمَ الْغُزُّ سَارَ الْعَسْكَرُ الشِّيرَازِيُّ إِلَى فَسَا ، وَكَانَ قَدْ تَغَلَّبَ عَلَيْهَا بَعْضُ السَّفِلِ ، وَقَوِيَ أَمْرُهُ لِاشْتِغَالِ الْعَسَاكِرِ بِالْغُزِّ ، فَأَزَالُوا الْمُتَغَلِّبَ عَلَيْهَا وَاسْتَعَادُوهَا.ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَأَخِيهِ الْمُقَلِّدِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ جَرَى خُلْفٌ بَيْنَ عَلَمِ الدِّينِ قُرَيْشِ بْنِ بَدْرَانَ وَبَيْنَ أَخِيهِ الْمُقَلِّدِ ، وَكَانَ قُرَيْشٌ قَدْ نَقَلَ عَمَّهُ قِرْوَاشًا إِلَى قَلْعَةِ الْجَرَّاحِيَّةِ مِنْ أَعْمَالِ الْمَوْصِلِ ، وَسَجَنَهُ بِهَا ، وَارْتَحَلَ يَطْلُبُ الْعِرَاقَ ، فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ الْمُقَلِّدِ مُنَازَعَةٌ أَدَّتْ إِلَى الِاخْتِلَاف.فَسَارَ الْمُقَلِّدُ إِلَى نُورِ الدَّوْلَةِ دُبَيْسِ بْنِ مَزْيَدٍ مُلْتَجِئًا إِلَيْهِ ، فَحَمَلَ أَخَاهُ الْغَيْظُ مِنْهُ عَلَى أَنْ نَهَبَ لَّتَهُ وَعَادَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَاخْتَلَّتْ أَحْوَالُهُ ، وَاخْتَلَفَتِ الْعَرَبُ عَلَيْهِ ، وَأَخْرَجَ نُوَّابُ الْمَلِكِ الرَّحِيمِ بِبَغْدَاذَ إِلَى مَا كَانَ بِيَدِ قُرَيْشٍ مِنَ الْعِرَاقِ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ عُكْبَرَا وَالْعَلْثِ وَغَيْرِهِمَا ، مَنْ قَبَضَ غَلَّتَهُ ، وَسَلَّمَ الْجَانِبَ الْغَرْبِيَّ مِنْ أَوَانَا وَنَهْرِ بَيْطَرٍ إِلَى أَبِي الْهِنْدِيِّ بِلَالِ بْنِ غَرِيب.ثُمَّ إِنَّ قُرَيْشًا اسْتَمَالَ الْعَرَبَ وَأَصْلَحَهُمْ ، فَأَذْعَنُوا لَهُ بَعْدَ وَفَاةِ عَمِّهِ قِرْوَاشٍ ، فَإِنَّهُ تُوُفِّيَ هَذِهِ الْأَيَّامَ ، وَانْحَدَرَ إِلَى الْعِرَاقِ لِيَسْتَعِيدَ مَا أُخِذَ مِنْهُ ، فَوَصَلَ إِلَى الصَّالِحِيَّةِ ، وَسَيَّرَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ إِلَى نَاحِيَةِ الْحَظِيرَةِ وَمَا وَالَاهَا ، فَنَهَبُوا مَا هُنَاكَ وَعَادُوا ، فَلَقُوا كَامِلَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ صَاحِبَ الْحَظِيرَةِ ، فَأَوْقَعَ بِهِمْ وَقَاتَلَهُمْ ، فَأَرْسَلُوا إِلَى قُرَيْشٍ يُعَرِّفُونَهُ الْحَالَ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ فِي عُدَّةٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْعَرَبِ وَالْأَكْرَاد ، فَانْهَزَمَ كَامِلٌ وَتَبِعَهُ قُرَيْشٌ فَلَمْ يَلْحَقْهُ ، فَقَصَدَ حُلَلَ بِلَالِ بْنِ غَرِيبٍ وَهِيَ خَالِيَةٌ مِنَ الرِّجَالِ ، فَنَهَبَها ، وَقَاتَلَهُ بِلَالٌ وَأَبْلَى بَلَاءً حَسَنًا ، فَجُرِحَ ثُمَّ انْهَزَمَ ، وَرَاسَلَ قُرَيْشٌ نُوَّابَ الْمَلِكِ الرَّحِيمِ يَبْذُلُ الطَّاعَةَ ، وَيَطْلُبُ تَقْرِيرَ مَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ عَلَى كُرْهٍ لِقُوَّتِهِ وَضَعْفِهِمْ ، وَاشْتِغَالِ الْمَلِكِ الرَّحِيمِ بِخُوزِسْتَانَ عَنْهُمْ ، فَاسْتَقَرَّ أَمْرُهُ وَقَوِيَ شَأْنُه.ذِكْرُ وَفَاةِ قِرْوَاشٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مُسْتَهَلَّ رَجَبٍ تُوُفِّيَ مُعْتَمَدُ الدَّوْلَةِ أَبُو الْمَنِيعِ قِرْوَاشُ بْنُ الْمُقَلِّدِ الْعُقَيْلِيُّ ، الَّذِي كَانَ صَاحِبَ الْمَوْصِلِ مَحْبُوسًا بِقَلْعَةِ الْجَرَّاحِيَّةِ مِنْ أَعْمَالِ الْمَوْصِلِ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ قَبْلُ ، وَحُمِلَ مَيِّتًا إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَدُفِنَ بِتَلِّ تَوْبَةَ مِنْ مَدِينَةِ نِينَوَى شَرْقِيِّ الْمَوْصِلِ.وَكَانَ مِنْ رِجَالِ الْعَرَبِ وَذَوِي الْعَقْلِ مِنْهُمْ ، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الْبَاخَرْزِيُّ فِي "دُمْيَةِ الْقَصْرِ" مِنْ شِعْرِه لِلَّهِ دَرُّ النَّائِبَاتِ فَإِنَّهَا...صَدَأُ النُّفُوسِ وَصَيْقَلُ الْأَحْرَارِ مَا كُنْتُ إِلَّا زُبْرَةً فَطَبَعْنَنِي...سَيْفًا ، وَأُطْلِقَ شَفْرَتِي وَغِرَارِي وَذُكِرَ لَهُ أَيْضًا مَنْ كَانَ يَحْمَدُ أَوْ يَذُمُّ مُوَرِّثًا...لِلْمَالِ مِنْ آبَائِهِ وَجُدُودِهِ إِنِّي امْرُؤٌ لِلَّهِ شُكْرٌ وَحْدَهُ...شُكْرًا كَثِيرًا جَالِبًا لِمَزِيدِهِ لِي أَشْقَرٌ سَمْحُ الْعِنَانِ مُغَاوِرٌ...يُعْطِيكَ مَا يُرْضِيكَ مِنْ مَجْهُودِهِ وَمُهَنَّدٌ عَضْبٌ إِذَا جَرَّدْتُهُ...خَلَتِ الْبُرُوقَ تَمُوجُ فِي تَجْرِيدِهِ وَمُثَقَّفٌ لَدُنُ السِّنَانِ كَأَنَّمَا...أُمُّ الْمَنَايَا رُكِّبَتْ فِي عُودِهِ وَبِذَا حَوَيْتُ الْمَالَ إِلَّا أَنَّنِي...سَلَّطْتُ جُودَ يَدِي عَلَى تَبْدِيدِهِ قِيلَ إِنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ أُخْتَيْنِ فِي نِكَاحِهِ ، فَقِيلَ لَه إِنَّ الشَّرِيعَةَ تُحَرِّمُ هَذَا.فَقَالَ وَأَيَّ شَيْءٍ عِنْدَنَا تُجِيزُهُ الشَّرِيعَةُ ؟وَقَالَ مَرَّةً مَا فِي رَقَبَتِي غَيْرُ خَمْسَةٍ أَوْ سِتَّةٍ مِنَ الْبَاةِ قَتَلْتُهُمْ ، وَأَمَّا الْحَاضِرَةُ فَلَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِم.ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ الْمَلِكِ الرَّحِيمِ عَلَى الْبَصْرَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي شَعْبَانَ سَيَّرَ الْمَلِكُ الرَّحِيمُ جَيْشًا مَعَ الْوَزِيرِ وَالْبَسَاسِيرِيِّ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَبِهَا أَخُوهُ أَبُو عَلِيِّ بْنُ أَبِي كَالِيجَارَ ، فَحَصَرُوهُ بِهَا ، فَأَخْرَجَ عَسْكَرَهُ فِي السُّفُنِ لِقِتَالِهِمْ ، فَاقْتَتَلُوا عِدَّةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ انْهَزَمَ الْبَصْرِيُّونَ فِي الْمَاءِ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَاسْتَوْلَى عَسْكَرُ الرَّحِيمِ عَلَى دِجْلَةَ وَالْأَنْهُرِ جَمِيعًا ، وَسَارَتِ الْعَسَاكِرُ عَلَى الْبَرِّ مِنَ الْمَنْزِلَةِ بِمَطَارَا إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَلَمَّا قَارَبُوهَا لَقِيَهُمْ رُسُلُ مُضَرَ وَرَبِيعَةَ يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ ، فَأَجَابُوهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، وَكَذَلِكَ بَذَلُوا الْأَمَانَ لِسَائِرِ أَهْلِهَا ، وَدَخَلَهَا الْمَلِكُ الرَّحِيمُ ، فَسُّرَ بِهِ أَهْلُهَا ، وَبَذَلَ لَهُمُ الْإِحْسَانَ.فَلَمَّا دَخَلَ الْبَصْرَةَ وَرَدَتْ إِلَيْهِ رُسُلُ الدَّيْلَمِ بِخُوزِسْتَانَ يَبْذُلُونَ الطَّاعَةَ ، وَيَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ مَا زَالُوا عَلَيْهَا.فَشَكَرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَقَامَ بِالْبَصْرَةِ لِيُصْلِحَ أَمْرَهَا.وَأَمَّا أَخُوهُ أَبُو عَلِيٍّ صَاحِبُ الْبَصْرَةِ فَإِنَّهُ مَضَى إِلَى شَطِّ عُثْمَانَ فَتَحَصَّنَ بِهِ وَحَفَرَ الْخَنْدَقَ ، فَمَضَى الْمَلِكُ الرَّحِيمُ إِلَيْهِ وَقَاتَلَهُمْ ، فَمَلَكَ الْمَوْضِعَ وَمَضَى أَبُو عَلِيٍّ وَوَالِدَتُهُ إِلَى عَبَّادَانَ ، وَرَكِبُوا الْبَحْرَ إِلَى مَهْرُوبَانَ ، وَخَرَجُوا مِنَ الْبَحْرِ وَاكْتَرَوْا دَوَابَّ ، وَسَارُوا إِلَى أَرَّجَانَ عَازِمِينَ عَلَى قَصْدِ السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك ، وَأَخْرَجَ الْمَلِكُ الرَّحِيمُ كُلَّ مَنْ بِالْبَصْرَةِ مِنَ الدَّيْلَمِ أَجْنَادِ أَخِيهِ ، وَأَقَامَ غَيْرَهُم.ثُمَّ إِنَّ الْأَمِيرَ أَبَا عَلِيٍّ وَصَلَ إِلَى السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك وَهُوَ بِأَصْبَهَانَ ، فَأَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ مَالًا ، وَزَوَّجَهُ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِهِ ، وَأَقْطَعُهُ إِقْطَاعًا مِنْ أَعْمَالِ جَرْبَاذَقَانَ ، وَسَلَّمَ إِلَيْهِ قَلْعَتَيْنِ مِنْ تِلْكَ الْأَعْمَالِ أَيْضًا.وَسَلَّمَ الْمَلِكُ الرَّحِيمُ الْبَصْرَةَ إِلَى الْبَسَاسِيرِيِّ وَمَضَى إِلَى الْأَهْوَازِ ، وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْصُورِ بْنِ الْحُسَيْنِ وَهَزَارَسْبَ حَتَّى اصْطَلَحُوا ، وَصَارَتْ أَرَّجَانُ وَتُسْتَرُ لِلْمَلِكِ الرَّحِيم.ذِكْرُ وُرُودِ سَعْدِي الْعِرَاقَ وَفِيهَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَرَدَ سَعْدِي بْنُ أَبِي الشَّوْكِ فِي جَيْشٍ مِنْ عِنْدِ السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك إِلَى نَوَاحِي الْعِرَاقِ ، فَنَزَلَ مَايَدَشْتَ ، وَسَارَ مِنْهَا جَرِيدَةً فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ الْغُزِّ إِلَى أَبِي دُلَفَ الْجَاوَانِيِّ ، فَنَذِرَ بِهِ أَبُو دُلَفَ وَانْصَرَفَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَلَحِقَهُ سَعْدِي فَنَهَبَهُ وَأَخَذَ مَالَهُ ، وَأَفْلَتَ أَبُو دُلَفَ بِحُشَاشَةِ نَفْسِهِ ، وَنَهَبَ أَصْحَابُ سَعْدِي الْبِلَادَ حَتَّى بَلَغُوا النُّعْمَانِيَّةَ ، فَأَسْرَفُوا فِي النَّهْبِ وَالْغَارَةِ ، وَفَتَكُوا فِي الْبِلَادِ ، وَافْتَضُّوا الْأَبْكَارَ ، فَأَخَذُوا الْأَمْوَالَ وَالْأَثَاثَ فَلَمْ يَتْرُكُوا شَيْئًا ، وَقَصَدَ الْبَنْدَنِيجَيْنَ.وَبَلَغَ خَبَرُهُ إِلَى خَالِهِ خَالِدِ بْنِ عُمَرَ وَهُوَ نَازِلٌ عَلَى الزَّرِيرِ وَمَطَرٍ ابْنَيْ عَلِيِّ بْنِ مُقْنٍ الْعُقَيْلِيَّيْنِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَلَدَهُ مَعَ أَوْلَادِ الزَّرِيرِ وَمَطَرٍ يَشْكُونَ إِلَيْهِ مَا عَامَلَهُمْ بِهِ عَمُّهُ مُهَلْهِلٌ ، وَقُرَيْشُ بْنُ بَدْرَانَ ، فَلَحِقُوهُ بِحُلْوَانَ وَشَكَوْا إِلَيْهِ حَالَهُمْ ، فَوَعَدَهُمُ الْمَسِيرَ إِلَيْهِمْ ، وَالْأَخْذَ لَهُمْ مِمَّنْ قَصَدَهَم.فَعَادُوا مِنْ عِنْدِهِ ، فَلَقِيَهُمْ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ مُهَلْهِلٍ فَوَاقَعهُمْ ، فَظَفِرَ بِهِمُ الْعُقَيْلِيُّونَ وَأَسَرُوهُم.وَبَلَغَ الْخَبَرُ مُهَلْهِلًا ، فَسَارَ إِلَى حُلَلِ الزَّرِيرِ وَمَطَرٍ فِي نَحْوِ خَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ ، فَأَوْقَعَ بِهِمْ عَلَى تَلِّ عُكْبَرَا وَنَهَبَهُمْ ، وَانْهَزَمَ الرِّجَالُ ، فَلَقِيَ خَالِدٌ وَمَطَرٌ وَالزَّرِيرُ سَعْدِي بْنَ أَبِي الشَّوْكِ عَلَى تَامَرَّا ، فَأَعْلَمُوهُ الْحَالَ وَحَمَلُوهُ عَلَى قِتَالِ عَمِّهِ ، فَتَقَدَّمَ إِلَى طَرِيقِهِ وَالْتَقَى الْقَوْمَ ، وَكَانَ سَعْدِي فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، فَظَفِرَ بِعَمِّهِ وَأَسَرَهُ ، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ فِي كُلِّ جِهَةٍ ، وَأُسِرَ أَيْضًا مَالِكٌ ابْنُ عَمِّهِ مُهَلْهِلٍ ، وَأَعَادَ الْغَنَائِمَ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُمْ عَلَى أَصْحَابِهَا ، وَعَادَ إِلَى حُلْوَان.وَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى بَغْدَاذَ فَارْتَجَّ النَّاسُ بِهَا وَخَافُوا ، وَبَرَزَ عَسْكَرُ الْمَلِكِ الرَّحِيمِ لِيَقْصِدُوا حُلْوَانَ لِمُحَارَبَةِ سَعْدِي ، وَوَصَلَ إِلَيْهِمْ أَبُو الْأَغَرِّ دُبَيْسُ بْنُ مَزْيَدٍ الْأَسَدِيُّ ، وَلَمْ يَصْنَعُوا شَيْئًا.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَبَضَ عِيسَى بْنُ خَمِيسِ بْنِ مُقْنٍ عَلَى أَخِيهِ أَبِي غَشَّامٍ صَاحِبِ تَكْرِيتَ بِهَا ، وَسَجَنَهُ فِي سِرْدَابٍ بِالْقَلْعَةِ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى تَكْرِيتَ.وَفِيهَا زُلْزِلَتْ خُوزِسْتَانُ وَأَرَّجَانُ وَأَيْذَجُ وَغَيْرُهَا مِنَ الْبِلَادِ زَلَازِلَ كَثِيرَةً ، وَكَانَ مُعْظَمُهَا بِأَرَّجَانَ ، فَخُرِّبَ كَثِيرٌ مِنْ بِلَادِهَا وَدِيَارِهَا ، وَانْفَرَجَ جَبَلٌ كَبِيرٌ قَرِيبٌ مِنْ أَرَّجَانَ وَانْصَدَعَ ، فَظَهَرَ فِي وَسَطِهِ دَرَجَةٌ مَبْنِيَّةٌ بِالْآجُرِّ وَالْجِصِّ قَدْ خَفِيَتْ فِي الْجَبَلِ ، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ ذَلِك.وَكَانَ بِخُرَاسَانَ أَيْضًا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ خَرَّبَتْ كَثِيرًا ، وَهَلَكَ بِسَبَبِهَا كَثِيرٌ ، وَكَانَ أَشَدُّهَا بِمَدِينَةِ بَيْهَقَ فَأَتَى الْخَرَابُ عَلَيْهَا ، وَخَرَّبَ سُورَهَا وَمَسَاجِدَهَا ، وَلَمْ يَزَلْ سُورَهَا خَرَابًا إِلَى سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَأَمَرَ نِظَامُ الْمُلْكِ بِبِنَائِهِ فَبُنِيَ ، ثُمَّ خَرَّبَهُ أَرْسِلَانُ أَرْغُو بَعْدَ مَوْتِ السُّلْطَانِ مَلِكْشَاهْ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ ، ثُمَّ عَمَّرَهُ مَجْدُ الْمُلْكِ الْبَلَاسَانِيُّ.وَفِيهَا عُمِلَ مَحْضَرٌ بِبَغْدَاذَ يَتَضَمَّنُ الْقَدْحَ فِي نَسَبِ الْعَلَوِيِّينَ أَصْحَابِ مِصْرَ ، وَأَنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِي ادِّعَائِهِمُ النَّسَبَ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَزَوْهُمْ فِيهِ إِلَى الدَّيْصَانِيَّةِ مِنَ الْمَجُوسِ ، وَالْقَدَّاحِيَّةِ مِنَ الْيَهُودِ ، وَكُتِبَ فِيهِ الْعَلَوِيُّونَ وَالْعَبَّاسِيُّونَ وَالْفُقَهَاءُ وَالْقُضَاةُ وَالشُّهُودُ ، وَعُمِلَ بِهِ عِدَّةُ نُسَخٍ ، وَسُيِّرَ فِي الْبِلَادِ ، وَشُيِّعَ بَيْنَ الْحَاضِرِ وَالْبَادِي.وَفِيهَا شَهِدَ الشَّيْخُ أَبُو نَصْرٍ عَبْدُ السَّيِّدِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ الصَّبَّاغِ مُصَنِّفُ الشَّامِلِ عِنْدَ قَاضِي الْقُضَاةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مَاكُولَا.وَفِيهَا حَدَثَتْ فِتْنَةٌ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالشِّيعَةِ بِبَغْدَاذَ ، وَامْتَنَعَ الضَّبْطُ ، وَانْتَشَرَ الْعَيَّارُونَ وَتَسَلَّطُوا ، وَجَبَوُا الْأَسْوَاقَ ، وَأَخَذُوا مَا كَانَ يَأْخُذُهُ أَرْبَابُ الْأَعْمَالِ ، وَكَانَ مُقَدَّمَهُمُ الطِّقْطِقِيُّ وَالزَّيْبَقُ ، وَأَعَادَ الشِّيعَةُ الْأَذَانَ بِحَيِّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ ، وَكَتَبُوا عَلَى مَسَاجِدِهِم مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ خَيْرُ الْبَشَرِ ، وَجَرَى الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ وَعَظُمَ الشَّر.وَفِيهَا زَوَّجَ نُورُ الدَّوْلَةِ دُبَيْسُ بْنُ مَزْيَدٍ ابْنَهُ بَهَاءَ الدَّوْلَةِ مَنْصُورًا بِابْنَةِ أَبِي الْبَرَكَاتِ بْنِ الْبَسَاسِيرِيِّ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ تُوُفِّيَ الْقَاضِي أَبُو جَعْفَرٍ السِّمْنَانِيُّ بِالْمَوْصِلِ ، وَكَانَ إِمَامًا فِي الْفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَالْأُصُولِ عَلَى مَذْهَبِ الْأَشْعَرِيِّ ، وَرَوَى الْحَدِيثَ عَنِ الدَّارَقُطْنِيِّ وَغَيْرِه.وَفِي هَذَا الشَّهْرِ تُوُفِّيَ أَيْضًا أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْمُذْهِبِ الْوَاعِظُ ، وَهُوَ رَاوِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ الْفِتْنَةِ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالشِّيعَةِ بِبَغْدَاذَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي الْمُحَرَّمِ زَادَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ أَهْلِ الْكَرْخِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ السُّنَّةِ ، وَكَانَ ابْتِدَاؤُهَا أَوَاخِرَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .فَلَمَّا كَانَ الْآنَ عَظُمَ الشَّرُّ ، وَاطَّرَحَتِ الْمُرَاقَبَةُ لِلسُّلْطَانِ ، وَاخْتَلَطَ بِالْفَرِيقَيْنِ طَوَائِفُ مِنَ الْأَتْرَاكِ ، فَلَمَّا اشْتَدَّ الْأَمْرُ اجْتَمَعَ الْقُوَّادُ وَاتَّفَقُوا عَلَى الرُّكُوبِ إِلَى الْمَحَالِّ ، وَإِقَامَةِ السِّيَاسَةِ بِأَهْلِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ ، وَأَخَذُوا مِنَ الْكَرْخِ إِنْسَانًا عَلَوِيًّا وَقَتَلُوهُ ، فَثَارَ نِسَاؤُهُ وَنَشَرْنَ شُعُورَهُنَّ وَاسْتَغَثْنَ ، فَتَبِعَهُنَّ الْعَامَّةُ مِنْ أَهْلِ الْكَرْخِ ، وَجَرَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُوَّادِ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنَ الْعَامَّةِ قِتَالٌ شَدِيدٌ ، وَطَرَحَ الْأَتْرَاكُ النَّارَ فِي أَسْوَاقِ الْكَرْخِ ، فَاحْتَرَقَ كَثِيرٌ مِنْهَا ، وَأَلْحَقَتْهَا بِالْأَرْضِ ، وَانْتَقَلَ كَثِيرٌ مِنَ الْكَرْخِ إِلَى غَيْرِهَا مِنَ الْمَحَال.وَنَدِمَ الْقُوَّادُ عَلَى مَا فَعَلُوهُ ، وَأَنْكَرَ الْإِمَامُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ ذَلِكَ ، وَصَلُحَ الْحَالُ ، وَعَادَ النَّاسُ إِلَى الْكَرْخِ بَعْدَ أَنِ اسْتَقَرَّتِ الْقَاعِدَةُ بِالدِّيوَانِ بِكَفِّ الْأَتْرَاكِ أَيْدِيَهُمْ عَنْهُم.ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ الْمَلِكِ الرَّحِيمِ عَلَى أَرَّجَانَ وَنَوَاحِيهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي جُمَادَى الْأُولَى اسْتَوْلَى الْمَلِكُ الرَّحِيمُ عَلَى مَدِينَةِ أَرَّجَانَ ، وَأَطَاعَهُ مَنْ كَانَ بِهَا مِنَ الْجُنْدِ ، وَكَانَ الْمُقَدَّمُ عَلَيْهِمْ فُولَاذَ بْنَ خُسْرُو الدَّيْلَمِي.وَكَانَ قَدْ تَغَلَّبَ عَلَى مَا جَاوَرَهَا مِنَ الْبِلَادِ إِنْسَانٌ مُتَغَلِّبٌ يُسَمَّى خُشْنَامُ ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ فُولَاذٌ جَيْشًا فَأَوْقَعُوا بِهِ وَأَجْلَوْهُ عَنْ تِلْكَ النَّوَاحِي ، وَاسْتَضَافُوا إِلَى طَاعَةِ الرَّحِيم.وَخَافَ هَزَارَسْبُ بْنُ بِنْكِيرَ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ مُبَايِنًا لِلْمَلِكِ الرَّحِيمِ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، فَأَرْسَلَ يَتَضَرَّعُ وَيَتَقَرَّبُ ، وَيَسْأَلُ التَّقَدُّمَ إِلَى فُولَاذٍ بِإِحْسَانِ مُجَاوَرَتِهِ ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِك. ذِكْرُ مَرَضِ السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَصَلَ السُّلْطَانُ طُغْرُلْبَك إِلَى أَصْبَهَانَ مَرِيضًا ، وَقَوِيَ الْإِرْجَافُ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ ، ثُمَّ عُوفِيَ وَوَصَلَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ أَبُو عَلِيٍّ ابْنُ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ الَّذِي كَانَ صَاحِبَ الْبَصْرَةِ ، وَوَصَلَ إِلَيْهِ أَيْضًا هَزَارَسْبُ بْنُ بِنْكِيرَ بْنِ عِيَاضٍ صَاحِبُ أَيْذَجَ ، فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ خَافَ الْمَلِكَ الرَّحِيمَ لَمَّا اسْتَوْلَى عَلَى الْبَصْرَةِ وَأَرَّجَانَ.فَأَكْرَمَهُمَا طُغْرُلْبَك وَأَحْسَنَ ضِيَافَتَهُمَا ، وَوَعَدَهُمَالنُّصْرَةَ وَالْمَعُونَة.ذِكْرُ عَوْدِ سَعْدِي بْنِ أَبِي الشَّوْكِ إِلَى طَاعَةِ الرَّحِيمِ قَدْ ذَكَرْنَا سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وُصُولَ سَعْدِي إِلَى الْعِرَاقِ ، وَأَسْرِهِ عَمَّهُ ، فَلَمَّا أَسَرَهُ سَارَ وَلَدُهُ بَدْرُ بْنُ الْمُهَلْهِلِ إِلَى السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك ، وَتَحَدَّثَ مَعَهُ فِي مُرَاسَلَةِ سَعْدِي لِيُطْلِقَ أَبَاهُ ، فَسَلَّمَ إِلَيْهِ طُغْرُلْبَك وَلَدًا كَانَ لِسَعْدِي عِنْدَهُ رَهِينَةً ، وَأَرْسَلَ مَعَهُ رَسُولًا يَقُولُ فِيه إِنْ أَرَدْتَ فِدْيَةً عَنْ أَسِيرِكَ فَهَذَا وَلَدُكَ قَدْ رَدَدْتُهُ عَلَيْكَ ، وَإِنْ أَبَيْتَ إِلَّا الْمَالَفَةَ وَمُفَارَقَةَ الْجَمَاعَةِ قَابَلْنَاكَ عَلَى فِعْلِك.فَلَمَّا وَصَلَ بَدْرٌ وَالرَّسُولُ إِلَى هَمَذَانَ تَخَلَّفَ بَدْرٌ ، وَسَارَ الرَّسُولُ إِلَيْهِ ، فَامْتَعَضَ مِنْ قَوْلِهِ ، وَخَالَفَ طُغْرُلْبَك ، وَسَارَ إِلَى حُلْوَانَ وَأَرَادَ أَخْذَهَا ، فَلَمْ يُمْكِنْهُ ، وَتَرَدَّدَ بَيْنَ رُوشَنْقِبَاذَ وَالْبَرَدَانِ ، وَكَاتَبَ الْمَلِكَ الرَّحِيمَ ، وَصَارَ فِي طَاعَتِهِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ وَسُخْتُ كَمَانُ ، وَهُمَا مِنْ أَعْيَانِ عَسْكَرِ طُغْرُلْبَك ، فِي عَسْكَرٍ مَعَ بَدْرِ بْنِ الْمُهَلْهِلِ ، فَأَوْقَعُوا بِهِ ، فَانْهَزَمَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، وَعَادَ الْغُزُّ عَنْهُمْ إِلَى حُلْوَانَ ، وَسَارَ بَدْرٌ إِلَى شَهْرَزُورَ فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْغُزِّ ، وَمَضَى سَعْدِي إِلَى قَلْعَةِ رُوشَنْقِبَاذَ.ذِكْرُ عَوْدِ الْأَمِيرِ أَبِي مَنْصُورٍ إِلَى شِيرَازَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي شَوَّالٍ عَادَ الْأَمِيرُ أَبُو مَنْصُورٍ فُولَاسْتُونُ ابْنُ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ إِلَى شِيرَازَ مُسْتَوْلِيًا عَلَيْهَا ، وَفَارَقَهَا أَخُوهُ الْأَمِيرُ أَبُو سَعْد.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْأَمِيرَ أَبَا سَعْدٍ كَانَ قَدْ تَقَدَّمَ مَعَهُ فِي دَوْلَتِهِ إِنْسَانٌ يُعْرَفُ بِعَمِيدِ الدِّينِ أَبِي نَصْرِ بْنِ الظَّهِيرِ ، فَتَحَكَّمُ مَعَهُ ، وَاطَّرَحَ الْأَجْنَادَ وَاسْتَخَفَّ بِهِمْ ، وَأَوْحَشَ أَبَا نَصْرِ بْنَ خُسْرُو صَاحِبَ قَلْعَةِ إِصْطَخْرَ ، الَّذِي كَانَ قَدِ اسْتَدْعَى الْأَمِيرَ أَبَا سَعْدٍ وَمَلَّكَه.فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ اجْتَمَعُوا عَلَى مُخَالَفَتِهِ وَتَأَلَّبُوا عَلَيْهِ ، وَأَحْضَرَ أَبُو نَصْرِ بْنُ خُسْرُو الْأَمِيرَ أَبَا مَنْصُورِ بْنَ أَبِي كَالِيجَارَ إِلَيْه ، وَسَعَى فِي اجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ عَلَيْهِ ، فَأَجَابَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَنَادِ لِكَرَاهَتِهِمْ لِعَمِيدِ الدِّينِ ، فَقَبَضُوا عَلَيْهِ ، وَنَادَوْا بِشِعَارِ الْأَمِيرِ أَبِي مَنْصُورٍ ، وَأَظْهَرُوا طَاعَتَهُ ، وَأَخْرَجُوا الْأَمِيرَ أَبَا سَعْدٍ عَنْهُمْ ، فَعَادَ إِلَى الْأَهْوَازِ فِي نَفَرٍ يَسِيرٍ ، وَدَخَلَ الْأَمِيرُ أَبُو مَنْصُورٍ إِلَى شِيرَازَ مَالِكًا لَهَا ، مُسْتَوْلِيًا عَلَيْهَا ، وَخَطَبَ فِيهَا لِطُغْرُلْبَك وَلِلْمَلِكِ الرَّحِيمِ وَلِنَفْسِهِ بَعْدَهُمُا.ذِكْرُ إِيقَاعِ الْبَسَاسِيرِيِّ بِالْأَكْرَادِ وَالْأَعْرَابِ وَفِيهَا فِي شَوَّالٍ وَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى بَغْدَاذَ بِأَنَّ جَمْعًا مِنَ الْأَكْرَادِ وَجَمْعًا مِنَ الْأَعْرَابِ قَدْ أَفْسَدُوا فِي الْبِلَادِ ، وَقَطَعُوا الطَّرِيقَ ، وَنَهَبُوا الْقُرَى ، طَمَعًا فِي السَّلْطَنَةِ بِسَبَبِ الْغُزِّ ، فَسَارَ إِلَيْهِمُ الْبَسَاسِيرِيُّ جَرِيدَةً ، وَتَبِعَهُمْ إِلَى الْبَوَازِيجِ ، فَأَوْقَعَ بِطَوَائِفَ كَثِيرَةٍ مِنْهُمْ ، وَقَتَلَ فِيهِمْ ، وَغَنِمَ أَمْوَالَهُمْ ، وَانْهَزَمَ بَعْضُهُمْ فَعَبَرُوا الزَّابَ عِنْدَ الْبَوَازِيجِ ، فَلَمْ يُدْرِكْهُمْ ، وَأَرَادَ الْعُبُورَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ بِالْجَانِبِ الْآخَرِ ، وَكَانَ الْمَاءُ زَائِدًا ، فَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ عُبُورِهِ ، فَنَجَوْا.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ الْوَفَيَاتُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ الشَّرِيفُ أَبُو تَمَّامٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الزَّيْنَبِيُّ ، نَقِيبُ النُّقَبَاءِ ، وَقَامَ بَعْدَهُ فِي النِّقَابَةِ ابْنُهُ أَبُو عَلِي.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ الْبَرْمَكِيُّ ، وَكَانَ مُكْثِرًا مِنَ الْحَدِيثِ ، سَمِعَ ابْنَ مَالِكٍ الْقَطِيعِيَّ وَغَيْرَهُ ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ الْبَرْمَكِيُّ لِأَنَّهُ سَكَنَ مَحَلَّةً بِبَغْدَاذَ تُعْرَفُ بِالْبَرَامِكَةِ ، وَقِيلَ كَانَ مِنْ قَرْيَةٍ عِنْدَ الْبَصْرَةِ تُعْرَفُ بِالْبَرْمَكِيَّة. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ فِتْنَةِ الْأَتْرَاكِ بِبَغْدَاذَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي الْمُحَرَّمِ كَانَتْ فِتْنَةُ الْأَتْرَاكِ بِبَغْدَاذَ.وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّهُمْ تَخَلَّفَ لَهُمْ عَلَى الْوَزِيرِ الَّذِي لِلْمَلِكِ الرَّحِيمِ مَبْلَغٌ كَثِيرٌ مِنْ رُسُومِهِمْ ، فَطَالَبُوهُ وَأَلَحُّوا عَلَيْهِ ، فَاخْتَفَى فِي دَارِ الْخِلَافَةِ ، فَحَضَرَ الْأَتْرَاكُ بِالدِّيوَانِ وَطَالَبُوهُ ، وَشَكَوْا مَا يَلْقَوْنَهُ مِنْهُ مِنَ الْمِطَالِ بِمَالِهِمْ ، فَلَمْ يُجَابُوا إِلَى إِظْهَارِهِ ، فَعَدَلُوا عَنِ الشَّكْوَى مِنْهُ إِلَى الشَّكْوَى مِنَ الدِّيوَانِ ، وَقَالُوا إِنَّ أَرْبَابَ الْمُعَامَلَاتِ قَدْ سَكَنُوا بِالْحَرِيمِ ، وَأَخَذُوا اأَمْوَالَ ، وَإِذَا طَلَبْنَاهُمْ بِهَا يَمْتَنِعُونَ بِالْمُقَامِ بِالْحَرِيمِ ، وَانْتَصَبَ الْوَزِيرُ وَالْخَلِيفَةُ لِمَنْعِنَا عَنْهُمْ ، وَقَدْ هَلَكْنَا.فَتَرَدَّدَ الْخِطَابُ مِنْهُمْ وَالْجَوَابُ عَنْهُ ، فَقَامُوا نَافِرِينَ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ ظَهَرَ الْخَبَرُ أَنَّهُمْ عَلَى عَزْمِ حَصْرِ دَارِ الْخِلَافَةِ ، فَانْزَعَجَ النَّاسُ لِذَلِكَ ، وَأَخْفَوْا أَمْوَالَهُمْ ، وَحَضَرَ الْبَسَاسِيرِيُّ دَارَ الْخِلَافَةِ ، وَتَوَصَّلَ إِلَى مَعْرِفَةِ خَبَرِ الْوَزِيرِ ، فَلَمْ يَظْهَرْ لَهُ عَلَى خَبَرٍ ، فَطُلِبَ مِنْ دَارِهِ وَدُورِ مَنْ يُتَّهَمُ بِهِ ، وَكُبِسَتِ الدُّورُ فَلَمْ يَظْهَرُوا لَهُ عَلَى خَبَرٍ.وَرَكِبَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ إِلَى دَارِ الرُّومِ فَنَهَبُوهَا ، وَأَحْرَقُوا الْبِيَعَ وَالْقَلَّايَاتِ ، وَنَهَبُوا فِيهَا دَارَ أَبِي الْحَسَنِ بْنَ عُبَيْدٍ وَزِيرَ الْبَسَاسِيرِيِّ.وَقَامَ أَهْلُ نَهْرِ الْمُعَلَّى وَبَابِ الْأَزَجِّ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْمَحَالِّ فِي مَنَافِذِ الدُّرُوبِ لِمَنْعِ الْأَتْرَاكِ ، وَانْخَرَقَ الْأَمْرُ ، وَنَهَبَ الْأَتْرَاكُ كُلَّ مَنْ وَرَدَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَغَلَتِ الْأَسْعَارُ ، وَعُدِمَتِ الْأَقْوَاتُ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الْخَلِيفَةُ يَنْهَاهُمْ ، فَلَمْ يَنْتَهُوا ، فَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ الِانْتِقَالَ عَنْ بَغْدَاذَ ، فَلَمْ يُزْجَرُوا.هَذَا جَمِيعُهُ وَالْبَسَاسِيرِيُّ غَيْرُ رَاضٍ بِفِعْلِهِمْ ، وَهُوَ مُقِيمٌ بِدَارِ الْخَلِيفَةِ.وَتَرَدَّدَ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ ظَهَرَ الْوَزِيرُ ، وَقَامَ لَهُمْ بِالْبَاقِي مِنْ مَالِهِمْ مِنْ مَالِهِ وَأَثْمَانِ دَوَابِّهِ وَغَيْرِهَا ، وَلَمْ زَالُوا فِي خَبْطٍ وَعَسَفٍ ، فَعَادَ طَمَعُ الْأَكْرَادِ وَالْأَعْرَابِ أَشَدَّ مِنْهُ أَوَّلًا ، وَعَاوَدُوا الْغَارَةَ وَالنَّهْبَ وَالْقَتْلَ ، فَخُرِّبَتِ الْبِلَادُ وَتَفَرَّقَ أَهْلُهَا.وَانْحَدَرَ أَصْحَابُ قُرَيْشِ بْنِ بَدْرَانَ مِنَ الْمَوْصِلِ طَامِعِينَ ، فَكَبَسُوا حُلَلَ كَامِلِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، وَهِيَ بِالْبَرَدَانِ ، فَنَهَبُوهَا ، وَبِهَا دَوَابُّ وَجِمَالٌ بَخَاتِيٌّ لِلْبَسَاسِيرِيِّ ، فَأَخَذُوا الْجَمِيعَ ، وَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَازْدَادَ خَوْفُ النَّاسِ مِنَ الْعَامَّةِ وَالْأَتْرَاكِ ، وَعَظُمَ انْحِلَالُ أَمْرِ السَّلْطَنَةِ بِالْكُلِّيَّةِ ، وَهَذَا مِنْ ضَرَرِ الْخِلَاف.ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ طُغْرُلْبَك عَلَى أَذْرَبِيجَانَ وَغَزْوِ الرُّومِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ طُغْرُلْبَك إِلَى أَذْرَبِيجَانَ ، فَقَصَدَ تَبْرِيزَ ، وَصَاحِبُهَا الْأَمِيرُ أَبُو مَنْصُورٍ وَهْسُوذَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرُّوَّادِيُّ ، فَأَطَاعَهُ وَخَطَبَ لَهُ وَحَمَلَ إِلَيْهِ مَا أَرْضَاهُ بِهِ ، وَأَعْطَاهُ وَلَدَهُ رَهِينَةً ، فَسَارَ طُغْرُلْبَك عَنْهُ إِلَى الْأَمِيرِ أَبِي الْأَسْوَارِ صَاحِبِ جَنْزَةَ ، فَأَطَاعَهُ أَيْضًا وَخَطَبَ لَهُ ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ تِلْكَ النَّوَاحِي أَرْسَلُوا إِلَيْهِ يَبْذُلُونَ الطَّاعَةَ وَالْخُطْبَة.وَانْقَادَتِ الْعَسَاكِرُ إِلَيْهِ ، فَأَبْقَى بِلَادَهُمْ عَلَيْهِمْ ، وَأَخَذَ رَهَائِنَهُمْ ، وَسَارَ إِلَى أَرْمِينِيَّةَ ، وَقَصَدَ مَلَازْكِرْدَ ، وَهِيَ لِلرُّومِ ، فَحَصَرَهَا وَضَيَّقَ عَلَى أَهْلِهَا ، وَنَهَبَ مَا جَاوَرَهَا مِنَ الْبِلَادِ وَأَخْرَبَهَا ، وَهِيَ مَدِينَةٌ حَصِينَةٌ.فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ نَصْرُ الدَّوْلَةِ بْنُ مَرْاوَنَ صَاحِبُ دِيَارِ بَكْرٍ الْهَدَايَا الْكَثِيرَةَ وَالْعَسَاكِرَ ، وَقَدْ كَانَ خَطَبَ لَهُ قَبْلَ هَذَا الْوَقْتِ وَأَطَاعَهُ ، وَأَثَّرَ السُّلْطَانُ طُغْرُلْبَك فِي غَزْوِ الرُّومِ آثَارًا عَظِيمَةً ، وَنَالَ مِنْهُمْ مِنَ النَّهْبِ وَالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ شَيْئًا كَثِيرًا.وَبَلَغَ فِي غَزْوَتِهِ هَذِهِ إِلَى أَرْزَنَ الرُّومِ ، وَعَادَ إِلَى أَذْرَبِيجَانَ لَمَّا هَجَمَ الشِّتَاءُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَمْلِكَ مَلَازْكِرْدَ ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُقِيمُ إِلَى أَنْ يَنْقَضِيَ الشِّتَاءُ ، وَيَعُودَ يُتِمَّ غَزَاتِهِ ، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى الرَّيِّ فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَعَادَ نَحْوَ الْعِرَاقِ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ مُحَارَبَةِ بَنِي خَفَاجَةَ وَهَزِيمَتِهِمْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي رَجَبٍ قَصَدَ بَنُو خَفَاجَةَ الْجَامِعَيْنِ وَأَعْمَالَ نُورِ الدَّوْلَةِ دُبَيْسٍ ، وَنَهَبُوا وَفَتَكُوا فِي أَهْلِ تِلْكَ الْأَعْمَالِ ، وَكَانَ نُورُ الدَّوْلَةِ شَرْقِيَّ الْفُرَاتِ ، وَخَفَاجَةُ غَرْبِيَّهَا ، فَأَرْسَلَ نُورُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْبَسَاسِيرِيِّ يَسْتَنْجِدُهُ ، فَسَارَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا وَصَلَ عَبَرَ الْفُرَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ ، وَقَاتَلَ خَفَاجَةَ وَأَجْلَاهُمْ عَنِ الْجَامِعَيْنِ ، فَانْهَزَمُوا مِنْهُ وَدَخَلُوا الْبَرَّ ، فَلَمْ يَتْبَعْهُمْ وَعَادَ عَنْهُمْ ، فَرَجَعُوا إِلَى الْفَسَادِ ، فَاسْتَعَدَّ لِسُلُوكِ الْبَرِّ خَلْفَهُمْ أَيْنَ قَصَدُوا ، وَعَطَفَ نَحْوَهُمْ قَاصِدًا حَرْبَهُمْ ، فَدَخَلُوا الْبَرَّ أَيْضًا ، فَتَبِعَهُمْ فَلَحِقَهُمْ بِخَفَّانَ ، وَهُوَ حِصْنٌ بِالْبَرِّ ، فَأَوْقَعَ بِهِمْ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ وَنَهَبَ أَمْوَالَهُمْ وَجِمَالَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ وَإِمَاءَهُمْ ، وَشَرَّدَهُمْ كُلَّ مُشَرَّدٍ ، وَحَصَرَ خَفَّانَ فَفَتَحَهُ وَخَرَّبَهُ ، وَأَرَادَ تَخْرِيبَ الْقَائِمِ بِهِ ، وَهُوَ بِنَاءٌ مِنْ آجُرٍّ وَكِلْسٍ ، وَصَانَعَ عَنْهُ صَاحِبَهُ رَبِيعَةَ بْنَ مُطَاعٍ بِمَالٍ بَذَلَهُ ، فَتَرَكَهُ وَعَادَ إِلَى الْبِلَاد.وَهَذَا الْقَائِمُ قِيلَ إِنَّهُ كَانَ عَلَمًا يَهْتَدِي بِهِ السُّفُنُ لَمَّا كَانَ الْبَحْرُ يَجِيءُ إِلَى النَّجَفِ.وَدَخَلَ بَغْدَاذَ وَمَعَهُ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ رَجُلًا مِنْ خَفَاجَةَ عَلَيْهِمُ الْبَرَانِسُ ، وَقَدْ شَدَّهُمْ بِالْحِبَالِ إِلَى الْجِمَالِ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً ، وَصَلَبَ جَمَاعَةً ، وَتَوَجَّهَ إِلَى حَرْبَى فَحَصَرَهَا ، وَقَرَّرَ عَلَى أَهْلِهَا تِسْعَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، وَأَمَّنَهُم.ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ قُرَيْشِ بْنِ بَدْرَانَ عَلَى الْأَنْبَارِ وَالْخُطْبَةِ لِطُغْرُلْبَك بِأَعْمَالِهِ فِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ حَصَرَ الْأَمِيرُ أَبُو الْمَعَالِي قُرَيْشُ بْنُ بَدْرَانَ صَاحِبُ الْمَوْصِلِ مَدِينَةَ الْأَنْبَارِ وَفَتَحَهَا ، وَخَطَبَ لِطُغْرُلْبَك فِيهَا وَفِي سَائِرِ أَعْمَالِهِ ، وَنَهَبَ مَا كَانَ فِيهَا لِلْبَسَاسِيرِيِّ وَغَيْرِهِ ، وَنَهَبَ حُلَلَ أَصْحَابِهِ بِالْخَالِصِ ، وَفَتَحُوا بُثُوقَهْ ، فَامْتَعَضَ الْبَسَاسِيرِيُّ مِنْ ذَلِكَ ، وَجَمَعَ جُمُوعًا كَثِيرَةً وَقَصَدَ الْأَنْبَارَ وَحَرْبَى ، فَاسْتَعَادَهُمَا ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ وَفَاةِ الْقَائِدِ بْنِ حَمَّادٍ وَمَا كَانَ مِنْ أَهْلِهِ بَعْدَهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي رَجَبٍ تُوُفِّيَ الْقَائِدُ ابْنُ حَمَّادٍ ، وَأَوْصَى إِلَى وَلَدِهِ مُحَسَّنٍ ، وَأَوْصَاهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى عُمُومَتِهِ ، فَلَمَّا مَاتَ خَالَفَ مَا أَمَرَهُ بِهِ ، وَأَرَادَ عَزْلَ جَمِيعِهِمْ ، فَلَمَّا سَمِعَ عَمُّهُ يُوسُفُ بْنُ حَمَّادٍ بِمَا عَزَمَ عَلَيْهِ خَالَفَهُ ، وَجَمَعَ جَمْعًا عَظِيمًا وَبَنَى قَلْعَةً فِي جَبَلٍ مَنِيعٍ ، وَسَمَّاهَا الطَّيَّارَةَ.ثُمَّ إِنَّ مُحَسَّنًا قَتَلَ مِنْ عُمُومَتِهِ أَرْبَعَةً ، فَازْدَادَ يُوسُفُ ، نُفُورًا وَكَانَ ابْنُ عَمِّهِ بُلُكِّينُ بْنُ مُحَمَّدٍ فِي بَلَدِهِ أَفْرُيُونَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُحَسَّنٌ يَسْتَدْعِيهِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهُ أَمَرَ مُحَسَّنٌ رِجَالًا مِنَ الْعَرَبِ أَنْ يَقْتُلُوهُ ، فَلَمَّا خَرَجُوا قَالَ لَهُمْ أَمِيرُهُمْ خَلِيفَةُ بْنُ مَكَنَ إِنَّ بُلُكِّينَ لَمْ يَزَلْ مُحْسِنًا إِلَيْنَا ، فَكَيْفَ نَقْتُلُهُ ؟فَأَعْلَمُوهُ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ مُحَسَّنٌ ، فَخَافَ ، فَقَالَ لَهُ خَلِيفَةُ لَا تَخَفْ ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ قَتْلَ مُحَسَّنٍ فَأَنَا أَقْتُلُهُ لَكَ.فَاسْتَعَدَّ بُلُكِّينُ لِقِتَالِهِ ، وَسَارَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا عَلِمَ مُحَسَّنٌ بِذَلِكَ وَكَانَ قَدْ فَارَقَ الْقَلْعَةَ عَادَ هَارِبًا إِلَيْهَا ، فَأَدْرَكَهُ بُلُكِّينُ فَقَتَلَهُ ، وَمَلَكَ الْقَلْعَةَ وَوَلِيَ الْأَمْرَ ، وَكَانَ مُلْكُهُ الْقَلْعَةَ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.ذِكْرُ ابْتِدَاءِ الْوَحْشَةِ بَيْنَ الْبَسَاسِيرِيِّ وَالْخَلِيفَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ابْتَدَأَتِ الْوَحْشَةُ بَيْنَ الْخَلِيفَةِ وَالْبَسَاسِيرِيِّ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَبَا الْغَنَائِمِ وَأَبَا سَعْدٍ ابْنَيِ الْمُحْلِبَانِ صَاحِبَيْ قُرَيْشِ بْنِ بَدْرَانَ ، وَصَلَا إِلَى بَغْدَاذَ سِرًّا ، فَامْتَعَضَ الْبَسَاسِيرِيُّ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ هَؤُلَاءِ وَصَاحِبُهُمْ كَبَسُوا حُلَلَ أَصْحَابِي ، وَنَهَبُوا ، وَفَتَحُوا الْبُثُوقَ ، وَأَسْرَفُوا فِي إِهْلَاكِ النَّاسِ.وَأَرَادَ أَخْذَهُمْ فَلَمْ يُمَكَّنْ مِنْهُمْ ، فَمَضَى إِلَى حَرْبَى وَعَادَ وَلَمْ يَقْصِدْ دَارَ الْخِلَافَةِ عَلَى عَادَتِهِ ، فَنُسِبَ ذَلِكَ إِلَى رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ.وَاجْتَازَتْ بِهِ سَفِينَةٌ لِبَعْضِ أَقَارِبِ رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ ، فَمَنَعَهَا وَطَالَبَ بِالضَّرِيبَةِ الَّتِي عَلَيْهَا ، وَأَسْقَطَ مُشَاهَرَاتِ الْخَلِيفَةِ مِنْ دَارِ الضَّرْبِ ، وَكَذَلِكَ مُشَاهَرَاتِ رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ ، وَحَوَاشِيَ الدَّارِ ، وَأَرَادَ هَدْمَ دُورِ بَنِي الْمُحْلِبَانِ ، فَمُنِعَ مِنْهُ ، فَقَالَ مَا أَشْكُو إِلَّا مِنْ رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ الَّذِي قَدْ خَرَّبَ الْبِلَادَ ، وَأَطْمَعَ الْغُزَّ وَكَاتَبَهُمْ.وَدَامَ ذَلِكَ إِلَى ذِي الْحِجَّةِ ، فَسَارَ الْبَسَاسِيرِيُّ إِلَى الْأَنْبَارِ ، وَأَحْرَقَ نَاحِيَتَيْ دُمَّا ، وَالْفَلُّوجَةَ ، وَكَانَ أَبُو الْغَنَائِمِ بْنُ الْمُحْلِبَانِ بِالْأَنْبَارِ قَدْ أَتَاهَا مِنْ بَغْدَاذَ ، وَوَرَدَ نُورُ الدَّوْلَةِ دُبَيْسٌ إِلَى الْبَسَاسِيرِيِّ ، مُعَاوِنًا لَهُ عَلَى حَصْرِهَا ، وَنَصَبَ الْبَسَاسِيرِيُّ عَلَيْهَا الْمَجَانِيقَ ، فَهَدَمَ بُرْجًا ، وَرَمَاهُمْ بِالنِّفْطِ ، فَأَحْرَقَ أَشْيَاءَ كَانَ قَدْ أَعَدَّهَا أَهْلُ الْبَلَدِ لِقِتَالِهِ ، وَدَخَلَهَا قَهْرًا ، فَأَسَرَ مِائَةَ نَفْسٍ مِنْ بَنِي خَفَاجَةَ ، وَأَسَرَ أَبَا الْغَنَائِمِ بْنَ الْمُحْلِبَانِ ، فَأُخِذَ وَقَدْ أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْفُرَاتِ ، وَنَهَبَ الْأَنْبَارَ ، وَأَسَرَ مِنْ أَهْلِهَا خَمْسَمِائَةِ رَجُلٍ ، وَعَادَ إِلَى بَغْدَاذَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَبُو الْغَنَائِمِ عَلَى جَمَلٍ ، وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ أَحْمَرُ ، وَعَلَى رَأْسِهِ بُرْنُسٌ ، وَفِي رِجْلَيْهِ قَيْدٌ ، وَأَرَادَ صَلْبَهُ وَصَلْبَ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْأَسْرَى ، فَسَأَلَهُ نُورُ الدَّوْلَةِ أَنْ يُؤَخِّرَ ذَلِكَ حَتَّى يَعُودَ ، وَأَتَى الْبَسَاسِيرِيُّ إِلَى مُقَابِلِ التَّاجِ ، فَقَبَّلَ الْأَرْضَ ، وَعَادَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَتَرَكَ أَبَا الْغَنَائِمِ لَمْ يَصْلُبْهُ ، وَصَلَبَ جَمَاعَةً مِنَ الْأَسْرَى ، فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ الْوَحْشَةِ.ذِكْرُ وَصُولِ الْغُزِّ إِلَى الدَّسْكَرَةِ وَغَيْرِهَا فِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ وَصَلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ ، وَهُوَ مِنَ الْأُمَرَاءِ الْغُزِّيَّةِ السَّلْجُوقِيَّةِ ، إِلَى الدَّسْكَرَةِ ، وَكَانَ مُقِيمًا بِحُلْوَانَ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا قَاتَلَهُ أَهْلُهَا ثُمَّ ضَعُفُوا وَعَجَزُوا وَهَرَبُوا مُتَفَرِّقِينَ ، وَدَخَلَ الْغُزُّ الْبَلَدَ فَنَهَبُوهُ أَقْبَحَ نَهْبٍ ، وَضَرَبُوا النِّسَاءَ وَأَوْلَادَهُنَّ ، فَاسْتَخْرَجُوا بِذَلِكَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً ، وَسَارُوا إِلَى رُوشَنْقِبَاذَ لِفَتْحِهَا ، وَهِيَ بِيَدِ سَعْدِي ، وَأَمْوَالُهُ فِيهَا وَفِي قَلْعَةِ الْبَرَدَانِ.وَكَانَ سَعْدِي قَدْ فَارَقَ طَاعَةَ السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، فَلَمْ يَفْتَحْهَا ، وَأَجْلَى أَهْلَ تِلْكَ الْبِلَادِ ، وَخُرِّبَتِ الْقُرَى ، وَنُهِبَتْ أَمْوَالُ أَهْلِهَا.وَسَارَ طَائِفَةٌ أُخْرَى مِنَ الْغُزِّ إِلَى نَوَاحِي الْأَهْوَازِ وَأَعْمَالِهَا ، فَنَهَبُوهَا وَاجْتَاحُوا أَهْلَهَا ، وَقَوِيَ طَمَعُ الْغُزِّ فِي الْبِلَادِ ، وَانْخَذَلَ الدَّيْلَمُ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنَ الْأَتْرَاكِ ، وَضَعُفَتْ نُفُوسُهُمْ.ثُمَّ سَيَّرَ طُغْرُلْبَك الْأَمِيرَ أَبَا عَلِيٍّ ابْنَ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ ، الَّذِي كَانَ صَاحِبَ الْبَصْرَةِ ، فِي جَيْشٍ مِنَ الْغُزِّ إِلَى خُوزِسْتَانَ لِيَمْلِكَهَا ، فَوَصَلَ سَابُورَ خُوَاسْتَ ، وَكَاتَبَ الدَّيْلَمَ الَّذِينَ بِالْأَهْوَازِ يَدْعُوهُمْ إِلَى طَاعَتِهِ ، وَيَعِدُهُمُ الْإِحْسَانَ إِنْ أَجَابُوا ، وَالْعُقُوبَةَ إِنِ امْتَنَعُوا ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَطَاعَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ خَالَفَ ، فَسَارَ إِلَى الْأَهْوَازِ ، فَمَلَكَهَا وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَلَمْ يَعْرِضْ لِأَحَدٍ فِي مَالٍ وَلَا غَيْرِهِ ، فَلَمْ يُوَافِقْهُ الْغُزُّ عَلَى ذَلِكَ ، وَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى النَّهْبِ وَالْغَارَةِ وَالْمُصَادَرَةِ ، وَلَقِيَ النَّاسُ مِنْهُمْ عَنَتًا وَشِدَّةً.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَثُرَتِ الصَّرَاصِرُ بِبَغْدَاذَ ، حَتَّى كَانَ يُسْمَعُ لَهَا بِاللَّيْلِ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ الْجَرَادِ إِذَا طَارَ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا فِي ذِي الْحِجَّةِ تُوُفِّيَ أَبُو حَسَّانٍ الْمُقَلِّدُ بْنُ بَدْرَانَ أَخُو قُرَيْشِ بْنِ بَدْرَانَ ، صَاحِبِ الْمَوْصِلِ.وَفِيهَا فِي شَوَّالٍ تُوُفِّيَ قُسْطَنْطِينُ مَلِكُ الرُّومِ ، زَوْجُ تَذُورَةَ بِنْتِ قُسْطَنْطِينَ ، الْمَوْسُومَةِ بِالْمُلْكِ ، وَإِنَّمَا مَلَكَ قُسْطَنْطِينُ هَذَا حَيْثُ تَزَوَّجَهَا.وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَصْبَهَانَيُّ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ اللَّبَّانِ ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِينِيِّ ، وَرَوَى الْحَدِيثَ عَنِ ابْنِ الْمُقْرِي وَالْمُخْلِصِ وَغَيْرِهِمَا.وَتُوُفِّيَ فِيهَا أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ رَوْحٍ أَبُو الْحُسَيْنِ النَّهْرَوَانِيُّ ، وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ ، فَمِنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَتَغَنَّى وَهُوَ يَقُولُ وَمَا طَلَبُوا سِوَى قَتْلِي...فَهَانَ عَلِيَّ مَا طَلَبُوا فَاسْتَوْقَفَهُ وَقَالَ لَهُ أَضِفْ إِلَيْهِ عَلَى قَلْبِي الْأَحِبَّةُ بِا...لتَّمَادِي فِي الْهَوَى غَلَبُوا وَبِالْهِجْرَانِ مِنْ عَيْنَيَّ...طِيبَ النَّوْمِ قَدْ سَلَبُوا وَمَا طَلَبُوا سِوَى قَتْلِي...فَهَانَ عَلِيَّ مَا طَلَبُوا ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ الْمَلِكِ الرَّحِيمِ عَلَى شِيرَازَ وَقَطْعِ خُطْبَةِ طُغْرُلْبَك فِيهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي الْمُحَرَّمِ سَارَ قَائِدٌ كَبِيرٌ مِنَ الدَّيْلَمِ ، يُسَمَّى فُولَاذَ ، وَهُوَ صَاحِبُ قَلْعَةِ إِصْطَخْرَ ، إِلَى شِيرَازَ ، فَدَخَلَهَا وَأَخْرَجَ عَنْهَا الْأَمِيرَ أَبَا مَنْصُورٍ فُولَاسْتُونَ ابْنَ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ ، فَقَصَدَ فَيْرُوزَابَاذَ وَأَقَامَ بِهَا.وَقَطَعَ فُولَاذُ خُطْبَةَ السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك فِي شِيرَازَ ، وَخَطَبَ لِلْمَلِكِ الرَّحِيمِ ، وَلِأَخِيهِ أَبِي سَعْدٍ ، وَكَاتَبَهُمَا يُظْهِرُ لَهُمَا الطَّاعَةَ ، فَعَلِمَا أَنَّهُ يَخْدَعُهُمَا بِذَلِكَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ أَبُو سَعْدٍ ، وَكَانَ بِأَرَّجَانَ ، وَمَعَهُ عَسَاكِرُ كَثِيرَةٌ ، وَاجْتَمَعَ هُوَ وَأَخُوهُ الْأَمِيرُ أَبُو مَنْصُورٍ عَلَى قَصْدِ شِيرَازَ وَمُحَاصَرَتِهَا عَلَى قَاعِدَةٍ اسْتَقَرَّتْ بَيْنَهُمَا مِنْ طَاعَةِ أَخِيهِمَا الْمَلِكِ الرَّحِيمِ ، فَتَوَجَّهَا نَحْوَهَا فِيمَنْ مَعَهُمَا مِنَ الْعَسَاكِرِ ، وَحَصَرَا فُولَاذَ فِيهَا.وَطَالَ الْحِصَارُ إِلَى أَنْ عَدِمَ الْقُوتُ فِيهَا ، وَبَلَغَ السِّعْرُ سَبْعَةُ أَرْطَالِ حِنْطَةٍ بِدِينَارٍ ، وَمَاتَ أَهْلُهَا جُوعًا ، وَكَانَ مَنْ بَقِيَ فِيهَا نَحْوَ أَلْفِ إِنْسَانٍ ، وَتَعَذَّرَ الْمُقَامُ فِي الْبَلَدِ عَلَى فُولَاذَ ، فَفَرَّ هَارِبًا مَعَ مَنْ فِي صُحْبَتِهِ مِنَ الدَّيْلَمِ إِلَى نَوَاحِي الْبَيْضَاءِ وَقَلْعَةِ إِصْطَخْرَ ، وَدَخَلَ الْأَمِيرُ أَبُو سَعْدٍ ، وَالْأَمِيرُ أَبُو مَنْصُورٍ شِيرَازَ ، وَعَسَاكِرُهُمَا ، وَمَلَكُوهَا وَأَقَامُوا بِهَا.ذِكْرُ قَتْلِ أَبِي حَرْبِ بْنِ مَرْوَانَ صَاحِبِ الْجَزِيرَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ الْأَمِيرُ أَبُو حَرْبٍ سُلَيْمَانُ بْنُ نَصْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَكَانَ وَالِدُهُ قَدْ سَلَّمَ إِلَيْهِ الْجَزِيرَةَ وَتِلْكَ النَّوَاحِيَ لِيُقِيمَ بِهَا وَيَحْفَظَهَا ، وَكَانَ شُجَاعًا مِقْدَامًا ، فَاسْتَبَدَّ بِالْأَمْرِ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ ، فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَمِيرِ مُوسَكَ بْنِ الْمُجَلِّي ابْنِ زَعِيمِ الْأَكْرَادِ الْبُخْتِيَّةِ ، وَلَهُ حُصُونٌ مَنِيعَةٌ شَرْقِيَّ الْجَزِيرَةِ نَفْرَةٌ.ثُمَّ رَاسَلَهُ أَبُو حَرْبٍ وَاسْتَمَالَهُ ، وَسَعَى أَنْ يُزَوِّجَهُ ابْنَةَ الْأَمِيرِ أَبِي طَاهِرٍ الْبَشْنَوِيِّ ، صَاحِبِ قَلْعَةِ فَنَكَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْحُصُونِ ، وَكَانَ أَبُو طَاهِرٍ هَذَا ابْنَ أُخْتِ نَصْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَلَمْ يُخَالِفْ أَبُو طَاهِرٍ صَاحِبُ فَنَكَ أَبَا حَرْبٍ فِي الَّذِي أَشَارَ بِهِ مِنْ تَزْوِيجِ الْأَمِيرِ مُوسَكَ ، فَزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ وَنَقَلَهَا إِلَيْهِ ، فَاطْمَأَنَّ حِينَئِذٍ مُوسَكُ ، وَسَارَ إِلَى سُلَيْمَانَ ، فَغَدَرَ بِهِ وَقَبَضَ عَلَيْهِ وَحَبَسَهُ.وَوَصَلَ السُّلْطَانُ طُغْرُلْبَك إِلَى تِلْكَ الْأَعْمَالِ لَمَّا تَوَجَّهَ إِلَى غَزْوِ الرُّومِ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى نَصْرِ الدَّوْلَةِ يَشْفَعُ فِي مُوسَكَ ، فَأَظْهَرَ أَنَّهُ تُوُفِّيَ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى حَمِيهِ أَبِي طَاهِرٍ الْبَشْنَوِيِّ ، وَأَرْسَلَ إِلَى نَصْرِ الدَّوْلَةِ وَابْنِهِ سُلَيْمَانَ فَقَالَ لَهُمَا حَيْثُ أَرَدْتُمَا قَتْلَهُ ، فَلِمَ جَعَلْتُمَا ابْنَتِي طَرِيقًا إِلَى ذَلِكَ ، وَقَلَّدْتُمُونِيَ الْعَارَ ؟وَتَنَكَّرَ لَهُمَا وَخَافَهُ أَبُو حَرْبٍ ، فَوَضَعَ عَلَيْهِ مَنْ سَقَاهُ سُمًّا ، فَقَتَلَهُ.وَوُلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ عُبَيْدُ اللَّهِ ، فَأَظْهَرَ لَهُ أَبُو حَرْبٍ الْمَوَدَّةَ اسْتِصْلَاحًا لَهُ ، وَتَبَرُّؤًا إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَا قِيلَ عَنْهُ ، وَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ بَيْنَهُمَا عَلَى الِاجْتِمَاعِ وَتَجْدِيدِ الْأَيْمَانِ ، فَنَزَلُوا مِنْ فَنَكَ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ أَبُو حَرْبٍ مِنَ الْجَزِيرَةِ فِي نَفَرٍ قَلِيلٍ ، فَقَتَلُوهُ.وَعَرَفَ وَالِدُهُ ذَلِكَ ، فَأَقْلَقَهُ وَأَزْعَجَهُ ، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ نَصْرًا إِلَى الْجَزِيرَةِ لِيَحْفَظَ تِلْكَ النَّوَاحِيَ ، وَيَأْخُذَ بِثَأْرِ أَخِيهِ ، وَسَيَّرَ مَعَهُ جَيْشًا كَثِيفًا.وَكَانَ الْأَمِيرُ قُرَيْشُ بْنُ بَدْرَانَ ، صَاحِبُ الْمَوْصِلِ ، لَمَّا سَمِعَ قَتْلَ أَبِي حَرْبٍ انْتَهَزَ الْفُرْصَةَ ، وَسَارَ إِلَى الْجَزِيرَةِ لِيَمْلِكَهَا ، وَكَاتَبَ الْبُخْتِيَّةَ وَالْبَشْنَوِيَّةَ ، وَاسْتَمَالَهُمْ ، فَنَزَلُوا إِلَيْهِ وَاجْتَمَعُوا مَعَهُ عَلَى قِتَالِ نَصْرِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَالْتَقَوْا وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا كَثُرَ فِيهِ الْقَتْلَى ، وَصَبَرَ الْفَرِيقَانِ ، فَكَانَتِ الْغَلَبَةُ أَخِيرًا لِابْنِ مَرْوَانَ ، وَجُرِحَ قُرَيْشٌ جِرَاحَةً قَوِيَّةً بِزُوبِينٍ رُمِيَ بِهِ ، وَعَادَ عَنْهُ ، وَثَبَتَ أَمْرُ ابْنِ مَرْوَانَ بِالْجَزِيرَةِ ، وَعَاوَدَ مُرَاسَلَةَ الْبَشْنَوِيَّةِ وَالْبُخْتِيَّةِ ، وَاسْتَمَالَهُمْ لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهِمْ طَمَعًا ، فَلَمْ يُطِيعُوهُ.ذِكْرُ وُثُوبِ الْأَتْرَاكِ بِبَغْدَاذَ بِأَهْلِ الْبَسَاسِيرِيِّ وَالْقَبْضِ عَلَيْهِ وَنَهْبِ دُورِهِ وَأَمْلَاكِهِ وَتَأَكُّدِ الْوَحْشَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ثَارَتْ فِتْنَةٌ بِبَغْدَاذَ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ بَيْنَ الْعَامَّةِ ، وَثَارَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ ، وَأَظْهَرُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَحَضَرُوا الدِّيوَانَ ، وَطَلَبُوا أَنْ يُؤْذَنَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ ، وَأَنْ يُتَقَدَّمَ إِلَى أَصْحَابِ الدِّيوَانِ بِمُسَاعَدَتِهِمْ ، فَأُجِيبُوا إِلَى ذَلِكَ ، وَحَدَثَ مِنْ ذَلِكَ شَرٌّ كَثِيرٌ.ثُمَّ إِنَّ أَبَا سَعْدٍ النَّصْرَانِيَّ ، صَاحِبَ الْبَسَاسِيرِيِّ ، حَمَلَ فِي سَفِينَةٍ سِتَّمِائَةِ جَرَّةٍ خَمْرًا لِيَحْدِرَهَا إِلَى الْبَسَاسِيرِيِّ بِوَاسِطٍ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ ، فَحَضَرَ ابْنُ سُكَّرَةَ الْهَاشِمِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَعْيَانِ فِي هَذَا الْبَابِ ، وَتَبِعَهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَحَاجِبُ بَابِ الْمَرَاتِبِ مِنْ قِبَلِ الدِّيوَانِ ، وَقَصَدُوا السَّفِينَةَ ، وَكَسَرُوا جِرَارَ الْخَمْرِ وَأَرَاقُوهَا.وَبَلَغَ ذَلِكَ الْبَسَاسِيرِيَّ ، فَعَظُمَ عَلَيْهِ ، وَنَسَبَهُ إِلَى رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ ، وَتَجَدَّدَتِ الْوَحْشَةُ ، فَكَتَبَ فَتَاوَى أَخَذَ فِيهَا خُطُوطَ الْفُقَهَاءِ الْحَنَفِيَّةِ بِأَنَّ الَّذِي فُعِلَ مِنْ كَسْرِ الْجِرَارِ وَإِرَاقَةِ الْخَمْرِ تَعَدٍّ غَيْرُ وَاجِبٍ ، وَهِيَ مِلْكُ رَجُلٍ نَصْرَانِيٍّ ، لَا يَجُوزُ ، وَتَرَدَّدَ الْقَوْلُ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، فَتَأَكَّدَتِ الْوَحْشَةُ مِنَ الْجَانِبَيْنِ ، وَوَضَعَ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ الْأَتْرَاكَ الْبَغْدَاذِيِّينَ عَلَى ثَلْبِ الْبَسَاسِيرِيِّ وَالذَّمِّ لَهُ ، وَنَسْبِ كُلِّ مَا يَجْرِي عَلَيْهِمْ مِنْ نَقْضٍ إِلَيْهِ ، فَطَمِعُوا فِيهِ ، وَسَلَكُوا فِي هَذَا الْمَعْنَى زِيَادَةً عَلَى مَا أَرَادَ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ ، وَتَمَادَتِ الْأَيَّامُ إِلَى رَمَضَانَ ، فَحَضَرُوا دَارَ الْخَلِيفَةِ ، وَاسْتَأْذَنُوا فِي قَصْدِ دُورِ الْبَسَاسِيرِيِّ وَنَهْبِهَا ، فَأَذِنَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ ، فَقَصَدُوهَا وَنَهَبُوهَا وَأَحْرَقُوهَا ، وَنَكَّلُوا بِنِسَائِهِ وَأَهْلِهِ وَنُوَّابِهِ ، وَنَهَبُوا دَوَابَّهُ وَجَمِيعَ مَا يَمْلِكُهُ بِبَغْدَاذَ.وَأَطْلَقَ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ لِسَانَهُ فِي الْبَسَاسِيرِيِّ وَذَمَّهُ ، وَنَسَبَهُ إِلَى مُكَاتَبَةِ الْمُسْتَنْصِرِ ، صَاحِبِ مِصْرَ ، وَأَفْسَدَ الْحَالَ مَعَ الْخَلِيفَةِ إِلَى حَدٍّ لَا يُرْجَى صَلَاحُهُ ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْمَلِكِ الرَّحِيمِ يَأْمُرُهُ بِإِبْعَادِ الْبَسَاسِيرِيِّ ، فَأَبْعَدَهُ ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْحَالَةُ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ فِي مُلْكِ السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك الْعِرَاقَ ، وَقَبْضِ الْمَلِكِ الرَّحِيمِ ، وَسَيَرِدُ مِنْ ذَلِكَ مَا تَرَاهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ وَصُولِ طُغْرُلْبَك إِلَى بَغْدَاذَ وَالْخُطْبَةِ لَهُ بِهَا قَدْ ذَكَرْنَا قَبْلَ مَسِيرِ طُغْرُلْبَك إِلَى الرَّيِّ ، وَبَعْدَ عَوْدِهِ مِنْ غَزْوِ الرُّومِ ، لِلنَّظَرِ فِي ذَلِكَ الطَّرَفِ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الرَّيِّ عَادَ إِلَى هَمَذَانَ فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ الْحَجَّ وَإِصْلَاحَ طَرِيقِ مَكَّةَ ، وَالْمَسِيرَ إِلَى الشَّامِ وَمِصْرَ ، وَإِزَالَةَ الْمُسْتَنْصِرِ الْعَلَوِيِّ صَاحِبِهَا.وَكَاتَبَ أَصْحَابَهُ بِالدِّينَوَرَ وَقِرْمِسِينَ وَحُلْوَانَ وَغَيْرِهَا ، فَأَمَرَهُمْ بِإِعْدَادِ الْأَقْوَاتِ وَالْعُلُوفَاتِ.فَعَظُمَ الْإِرْجَافُ بِبَغْدَاذَ ، وَفُتَّ فِي أَعْضَادِ النَّاسِ ، وَشَغَبَ الْأَتْرَاكُ بِبَغْدَاذَ ، وَقَصَدُوا دِيوَانَ الْخِلَافَةِ.وَوَصَلَ السُّلْطَانُ طُغْرُلْبَك إِلَى حُلْوَانَ ، وَانْتَشَرَ أَصْحَابُهُ فِي طَرِيقِ خُرَاسَانَ ، فَأَجْفَلَ النَّاسُ غَرْبِيَّ بَغْدَاذَ ، وَأَخْرَجَ الْأَتْرَاكُ خِيَامَهُمْ إِلَى ظَاهِرِ بَغْدَاذَ.وَسَمِعَ الْمَلِكُ الرَّحِيمُ بِقُرْبِ طُغْرُلْبَك مِنْ بَغْدَاذَ ، فَأَصْعَدَ مِنْ وَاسِطٍ إِلَيْهَا ، وَفَارَقَهُ الْبَسَاسِيرِيُّ فِي الطَّرِيقِ لِمُرَاسَلَةٍ وَرَدَتْ مِنَ الْقَائِمِ فِي مَعْنَاهُ إِلَى الْمَلِكِ الرَّحِيمِ أَنَّ الْبَسَاسِيرِيَّ خَلَعَ الطَّاعَةَ ، وَكَاتَبَ الْأَعْدَاءَ ، يَعْنِي الْمِصْرِيِّينَ ، وَأَنَّ الْخَلِيفَةَ لَهُ عَلَى الْمَلِكِ عُهُودٌ ، وَلَهُ عَلَى الْخَلِيفَةِ مِثْلُهَا ، فَإِنْ آثَرَهُ فَقَدْ قَطَعَ مَا بَيْنَهُمَا ، وَإِنْ أَبْعَدَهُ وَأَصْعَدَ إِلَى بَغْدَاذَ تَوَلَّى الدِّيوَانُ تَدْبِيرَ أَمْرِهِ ، فَقَالَ الْمَلِكُ الرَّحِيمُ وَمَنْ مَعَهُ نَحْنُ لِأَوَامِرِ الدِّيوَانِ مُتَّبِعُونَ ، وَعَنْهُ مُنْفَصِلُونَ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ مَا ذُكِرَ.وَسَارَ الْبَسَاسِيرِيُّ إِلَى بَلَدِ نُورِ الدَّوْلَةِ دُبَيْسِ بْنِ مَزْيَدٍ لِمُصَاهَرَةٍ بَيْنَهُمَا ، وَأَصْعَدَ الْمَلِكَ الرَّحِيمَ إِلَى بَغْدَاذَ.وَأَرْسَلَ طُغْرُلْبَك رَسُولًا إِلَى الْخَلِيفَةِ يُبَالِغُ فِي إِظْهَارِ الطَّاعَةِ وَالْعُبُودِيَّةِ ، وَإِلَى الْأَتْرَاكِ الْبَغْدَاذِيِّينَ يَعِدُهُمُ الْجَمِيلَ وَالْإِحْسَانَ ، فَأَنْكَرَ الْأَتْرَاكُ ذَلِكَ ، وَرَاسَلُوا الْخَلِيفَةَ فِي الْمَعْنَى ، وَقَالُوا إِنَّنَا فَعَلْنَا بِالْبَسَاسِيرِيِّ مَا فَعَلْنَا ، وَهُوَ كَبِيرُنَا ، وَمُقَدَّمُنَا ، بِتَقَدُّمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَعَدَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِإِبْعَادِ هَذَا الْخَصْمِ عَنَّا ، وَنَرَاهُ قَدْ قَرُبَ مِنَّا ، وَلَمْ يُمْنَعْ مِنَ الْمَجِيءِ.وَسَأَلُوا التَّقَدُّمَ عَلَيْهِ فِي الْعَوْدِ ، فَغُولِطُوا فِي الْجَوَابِ ، وَكَانَ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ يُؤْثِرُ مَجِيئَهُ ، وَيَخْتَارُ انْقِرَاضَ الدَّوْلَةِ الدَّيْلَمِيَّةِ.ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ الرَّحِيمَ وَصَلَ إِلَى بَغْدَاذَ مُنْتَصَفَ رَمَضَانَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْخَلِيفَةِ يُظْهِرُ لَهُ الْعُبُودِيَّةَ ، وَأَنَّهُ قَدْ سَلَّمَ أَمْرَهُ إِلَيْهِ لِيَفْعَلَ مَا تَقْتَضِيهِ الْعَوَاطِفُ مَعَهُ فِي تَقْرِيرِ الْقَوَاعِدِ مَعَ السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك ، وَكَذَلِكَ قَالَ مَنْ مَعَ الرَّحِيمِ مِنَ الْأُمَرَاءِ ، فَأُجِيبُوا بِأَنَّ الْمَصْلَحَةَ أَنْ يُدْخِلَ الْأَجْنَادُ خِيَامَهُمْ مِنْ ظَاهِرِ بَغْدَاذَ ، وَيَنْصِبُوهَا بِالْحَرِيمِ ، وَيُرْسِلُوا رَسُولًا إِلَى طُغْرُلْبَك يَبْذُلُونَ لَهُ الطَّاعَةَ وَالْخُطْبَةَ ، فَأَجَابُوا إِلَى ذَلِكَ وَفَعَلُوهُ ، وَأَرْسَلُوا رُسُلًا إِلَيْهِ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا ، وَوَعَدَهُمُ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ.وَتَقَدَّمَ الْخَلِيفَةُ إِلَى الْخُطَبَاءِ بِالْخُطْبَةِ لِطُغْرُلْبَك بِجَوَامِعِ بَغْدَاذَ ، فَخُطِبَ لَهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ.وَأَرْسَلَ طُغْرُلْبَك يَسْتَأْذِنُ الْخَلِيفَةَ فِي دُخُولِ بَغْدَاذَ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَوَصَلَ إِلَى النَّهْرَوَانِ ، وَخَرَجَ الْوَزِيرُ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ إِلَى لِقَائِهِ فِي مَوْكِبٍ عَظِيمٍ مِنَ الْقُضَاةِ ، وَالنُّقَبَاءِ ، وَالْأَشْرَافِ ، وَالشُّهُودِ ، وَالْخَدَمِ ، وَأَعْيَانِ الدَّوْلَةِ ، وَصَحِبَهُ أَعْيَانُ الْأُمَرَاءِ مِنْ عَسْكَرِ الرَّحِيمِ.فَلَمَّا عَلِمَ طُغْرُلْبَك بِهِمْ أَرْسَلَ إِلَى طَرِيقِهِمُ الْأُمَرَاءَ وَوَزِيرَهُ أَبَا نَصْرٍ الْكُنْدُرِيَّ ، فَلَمَّا وَصَلَ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ إِلَى السُّلْطَانِ أَبْلَغَهُ رِسَالَةَ الْخَلِيفَةِ ، وَاسْتَحْلَفَهُ لِلْخَلِيفَةِ ، وَلِلْمَلِكِ الرَّحِيمِ ، وَأُمَرَاءِ الْأَجْنَادِ ، وَسَارَ طُغْرُلْبَك وَدَخَلَ بَغْدَاذَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنَ الشَّهْرِ ، وَنَزَلَ بِبَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ ، وَوَصَلَ إِلَيْهِ قُرَيْشُ بْنُ بَدْرَانَ صَاحِبُ الْمَوْصِلِ ، وَكَانَ فِي طَاعَتِهِ قَبْلَ هَذَا الْوَقْتِ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ.ذِكْرُ وُثُوبِ الْعَامَّةِ بِبَغْدَاذَ بِعَسْكَرِ السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك وَقَبْضِ الْمَلِكِ الرَّحِيمِ لَمَّا وَصَلَ السُّلْطَانُ طُغْرُلْبَك بَغْدَاذَ دَخَلَ عَسْكَرُهُ الْبَلَدَ لِلِامْتِيَارِ وَشِرَاءِ مَا يُرِيدُونَهُ مِنْ أَهْلِهَا ، وَأَحْسَنُوا مُعَامَلَتَهُمْ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ ، وَهُوَ يَوْمُ الثُّلَاثَاءِ ، جَاءَ بَعْضُ الْعَسْكَرِ إِلَى بَابِ الْأَزَجِّ ، وَأَخَذَ وَاحِدًا مِنْ أَهْلِهِ لِيَطْلُبَ مِنْهُ تِبْنًا ، وَهُوَ لَا يَفْهَمُ مَا يُرِيدُونَ ، فَاسْتَغَاثَ عَلَيْهِمْ ، وَصَاحَ الْعَامَّةُ بِهِمْ ، وَرَجَمُوهُمْ ، وَهَاجُوا عَلَيْهِمْ.وَسَمِعَ النَّاسُ الصِّيَاحَ ، فَظَنُّوا أَنَّ الْمَلِكَ الرَّحِيمَ وَعَسْكَرَهُ قَدْ عَزَمُوا عَلَى قِتَالِ طُغْرُلْبَك ، فَارْتَجَّ الْبَلَدُ مِنْ أَقْطَارِهِ ، وَأَقْبَلُوا مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، يَقْتُلُونَ مِنَ الْغُزِّ مَنْ وُجِدَ فِي مَحَالِّ بَغْدَاذَ ، إِلَّا أَهْلَ الْكَرْخِ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَتَعَرَّضُوا إِلَى الْغُزِّ ، بَلْ جَمَعُوهُمْ وَحَفِظُوهُمْ.وَبَلَغَ السُّلْطَانَ طُغْرُلْبَك مَا فَعَلَهُ أَهْلُ الْكَرْخِ مِنْ حِمَايَةِ أَصْحَابِهِ ، فَأَمَرَ بِإِحْسَانِ مُعَامَلَتِهِمْ.فَأَرْسَلَ عَمِيدُ الْمَلِكِ الْوَزِيرُ ، إِلَى عَدْنَانَ بْنِ الرَّضِيِّ ، نَقِيبِ الْعَلَوِيِّينَ ، يَأْمُرُهُ بِالْحُضُورِ ، فَحَضَرَ ، فَشَكَرَهُ عَنِ السُّلْطَانِ ، وَتَرَكَ عِنْدَهُ خَيْلًا بِأَمْرِ السُّلْطَانِ تَحْرُسُهُ وَتَحْرُسُ الْمَحَلَّةَ.وَأَمَّا عَامَّةُ بَغْدَاذَ ، فَلَمْ يَقْنَعُوا بِمَا عَمِلُوا ، حَتَّى خَرَجُوا وَمَعَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَسْكَرِ إِلَى ظَاهِرِ بَغْدَاذَ ، يَقْصِدُونَ الْعَسْكَرَ السُّلْطَانِيَّ ، فَلَوْ تَبِعَهُمُ الْمَلِكُ الرَّحِيمُ وَعَسْكَرُهُ لَبَلَغُوا مَا أَرَادُوا ، لَكِنْ تَخَلَّفُوا ، وَدَخَلَ أَعْيَانُ أَصْحَابِهِ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ ، وَأَقَامُوا بِهَا نَفْيًا لِلتُّهْمَةِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ ذَلِكَ يَنْفَعُهُمْ.وَأَمَّا عَسْكَرُ طُغْرُلْبَك فَلَمَّا رَأَوْا فِعْلَ الْعَامَّةِ وَظُهُورَهُمْ مِنَ الْبَلَدِ قَاتَلُوهُمْ ، فَقُتِلَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ جَمْعٌ كَثِيرٌ ، وَانْهَزَمَتِ الْعَامَّةُ ، وَجُرِحَ فِيهِمْ وَأُسِرَ كَثِيرٌ ، وَنَهَبَ الْغُزُّ دَرْبَ يَحْيَى ، وَدَرْبَ سُلَيْمٍ ، وَبِهِ دُورُ رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ وَدُورُ أَهْلِهِ ، فَنُهِبَ الْجَمِيعُ ، وَنُهِبَتِ الرُّصَافَةُ ، وَتُرَبُ الْخُلَفَاءِ ، وَأُخِذَ مِنْهَا مِنَ الْأَمْوَالِ مَا لَا يُحْصَى ، لِأَنَّ أَهْلَ تِلْكَ الْأَصْقَاعِ نَقَلُوا إِلَيْهَا أَمْوَالَهُمُ اعْتِقَادًا مِنْهُمْ أَنَّهَا مُحْتَرَمَةٌ.وَوَصَلَ النَّهْبُ إِلَى أَطْرَافِ نَهْرِ الْمُعَلَّى ، وَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ عَلَى النَّاسِ وَعَظُمَ الْخَوْفُ ، وَنَقَلَ النَّاسُ أَمْوَالَهُمْ إِلَى بَابِ النُّوبِيِّ ، وَبَابِ الْعَامَّةِ ، وَجَامِعِ الْقَصْرِ ، فَتَعَطَّلَتِ الْجُمُعَاتُ لِكَثْرَةِ الزَّحْمَةِ.وَأَرْسَلَ طُغْرُلْبَك مِنَ الْغَدِ إِلَى الْخَلِيفَةِ يَعْتِبُ ، وَيَنْسُبُ مَا جَرَى إِلَى الْمَلِكِ الرَّحِيمِ وَأَجْنَادِهِ ، وَيَقُولُ إِنْ حَضَرُوا بَرِئَتْ سَاحَتُهُمْ ، وَإِنْ تَأَخَّرُوا عَنِ الْحُضُورِ أَيْقَنْتُ أَنَّ مَا جَرَى إِنَّمَا كَانَ بِوَضْعٍ مِنْهُمْ.وَأَرْسَلَ لِلْمَلِكِ الرَّحِيمِ وَأَعْيَانِ أَصْحَابِهِ أَمَانًا لَهُمْ ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمُ الْخَلِيفَةُ بِقَصْدِهِ ، فَرَكِبُوا إِلَيْهِ ، وَأَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ مَعَهُمْ رَسُولًا يُبْرِئُهُمْ مِمَّا خَامَرَ خَاطِرَ السُّلْطَانِ ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى خِيَامِهِ نَهَبَهُمُ الْغُزُّ ، وَنَهَبُوا رُسُلَ الْخَلِيفَةِ مَعَهُمْ ، وَأَخَذُوا دَوَابَّهُمْ وَثِيَابَهُمْ.وَلَمَّا دَخَلَ الْمَلِكُ الرَّحِيمُ إِلَى خَيْمَةِ السُّلْطَانِ أُمِرَ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ مَعَهُ ، فَقُبِضُوا كُلُّهُمْ آخِرَ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَحُبِسُوا ، ثُمَّ حُمِلَ الرَّحِيمُ إِلَى قَلْعَةِ السِّيرَوَانِ ، وَكَانَتْ وِلَايَةُ الْمَلِكِ الرَّحِيمِ عَلَى بَغْدَاذَ سِتَّ سِنِينَ وَعَشَرَةَ أَيَّامٍ ، وَنُهِبَ أَيْضًا قُرَيْشُ بْنُ بَدْرَانَ صَاحِبُ الْمَوْصِلِ ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْعَرَبِ ، وَنَجَا مَسْلُوبًا ، فَاحْتَمَى بِخَيْمَةِ بَدْرِ بْنِ الْمُهَلْهِلِ ، فَأَلْقَوْا عَلَيْهِ الزَّلَالِيَّ حَتَّى أَخْفَوْهُ بِهَا عَنِ الْغُزِّ.ثُمَّ عَلِمَ السُّلْطَانُ ذَلِكَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَأَمَرَهُ بِالْعَوْدِ إِلَى أَصْحَابِهِ وَحُلَلِهِ تَسْكِينًا لَهُ.وَأَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ إِلَى السُّلْطَانِ يُنْكِرُ مَا جَرَى مِنْ قَبْضِ الرَّحِيمِ وَأَصْحَابِهِ ، وَنَهْبِ بَغْدَاذَ ، وَيَقُولُ إِنَّهُمْ إِنَّمَا خَرَجُوا إِلَيْكَ بِأَمْرِي وَأَمَانِي ، فَإِنْ أَطْلَقْتَهُمْ ، وَإِلَّا فَأَنَا أُفَارِقُ بَغْدَاذَ ، فَإِنِّي إِنَّمَا اخْتَرْتُكَ وَاسْتَدْعَيْتُكَ اعْتِقَادًا مِنِّي أَنَّ تَعْظِيمَ الْأَوَامِرِ الشَّرِيفَةِ يَزْدَادُ ، وَحُرْمَةَ الْحَرِيمِ تُعَظَّمُ ، وَأَرَى الْأَمْرَ بِالضِّدِّ.فَأَطْلَقَ بَعْضَهُمْ ، وَأَخَذَ جَمِيعَ إِقْطَاعَاتِ عَسْكَرِ الرَّحِيمِ ، وَأَمَرَهُمْ بِالسَّعْيِ فِي أَرْزَاقٍ يُحَصِّلُونَهَا لِأَنْفُسِهِمْ.فَتَوَجَّهَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ إِلَى الْبَسَاسِيرِيِّ وَلَزِمُوهُ ، فَكَثُرَ جَمْعُهُ وَنَفَقَ سُوقُهُ.وَأَمَرَ طُغْرُلْبَك بِأَخْذِ أَمْوَالِ الْأَتْرَاكِ الْبَغْدَاذِيِّينَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى نُورِ الدَّوْلَةِ دُبَيْسٍ يَأْمُرُهُ بِإِبْعَادِ الْبَسَاسِيرِيِّ عَنْهُ ، فَفَعَلَ ، فَسَارَ إِلَى رَحْبَةِ مَالِكٍ بِالشَّامِ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ ، وَكَاتَبَ الْمُسْتَنْصِرَ صَاحِبَ مِصْرَ بِالدُّخُولِ فِي طَاعَتِهِ.وَخَطَبَ نُورُ الدَّوْلَةِ لِطُغْرُلْبَك فِي بِلَادِهِ ، وَانْتَشَرَ الْغُزُّ السَّلْجُوقِيَّةُ فِي سَوَادِ بَغْدَاذَ ، فَنَهَبُوا مِنَ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ تَكْرِيتَ إِلَى النِّيلِ وَمِنَ الشَّرْقِيِّ إِلَى النَّهْرَوَانِ وَأَسَافِلِ الْأَعْمَالِ ، وَأَسْرَفُوا فِي النَّهْبِ ، حَتَّى بَلَغَ ثَمَنُ الثَّوْرِ بِبَغْدَاذَ خَمْسَةَ قَرَارِيطَ إِلَى عَشْرَةٍ ، وَالْحِمَارِ بِقِيرَاطَيْنِ إِلَى خَمْسَةٍ ، وَخُرِّبَ السَّوَادُ ، وَأُجْلِيَ أَهْلُهُ عَنْهُ.وَضَمِنَ السُّلْطَانُ طُغْرُلْبَك الْبَصْرَةَ وَالْأَهْوَازَ مِنْ هَزَارَسْبَ بْنِ بُنْكِيرَ بْنِ عِيَاضٍ بِثَلَاثِمِائَةِ أَلْفَ وَسِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَأَقْطَعَهُ أَرَّجَانَ ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَخْطُبَ لِنَفْسِهِ بِالْأَهْوَازِ ، دُونَ الْأَعْمَالِ الَّتِي ضَمِنَهَا ، وَأَقْطَعَ الْأَمِيرَ أَبَا عَلِيِّ بْنَ أَبِي كَالِيجَارَ الْمَلِكَ قِرْمِسِينَ وَأَعْمَالَهَا ، وَأَمَرَ أَهْلَ الْكَرْخِ أَنْ يُؤَذِّنُوا فِي مَسَاجِدِهِمْ سَحَرًا الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ ، وَأَمَرَ بِعِمَارَةِ دَارِ الْمَمْلَكَةِ ، فَعُمِّرَتْ وَزِيدَ فِيهَا ، وَانْتَقَلَ إِلَيْهَا فِي شَوَّالٍ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ الشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ بِبَغْدَاذَ ، وَمُقَدَّمُ الْحَنَابِلَةِ أَبُو يَعْلَى بْنُ الْفَرَّاءِ ، وَابْنُ التَّمِيمِيِّ ، وَتَبِعَهُمْ مِنَ الْعَامَّةِ الْجَمُّ الْغَفِيرُ ، وَأَنْكَرُوا الْجَهْرَ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَمَنَعُوا مِنَ التَّرْجِيعِ فِي الْأَذَانِ ، وَالْقُنُوتِ فِي الْفَجْرِ ، وَوَصَلُوا إِلَى دِيوَانِ الْخَلِيفَةِ ، وَلَمْ يَنْفَصِلْ حَالٌ ، وَأَتَى الْحَنَابِلَةُ إِلَى مَسْجِدٍ بِبَابِ الشَّعِيرِ ، فَنَهَوْا إِمَامَهُ عَنِ الْجَهْرِ بِالْبَسْمَلَةِ ، فَأَخْرَجَ مُصْحَفًا وَقَالَ أَزِيلُوهَا مِنَ الْمُصْحَفِ حَتَّى لَا أَتْلُوَهَا.وَفِيهَا كَانَ بِمَكَّةَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ ، وَبَلَغَ الْخُبْزُ عَشْرَةُ أَرْطَالٍ بِدِينَارٍ مَغْرِبِيٍّ ، ثُمَّ تَعَذَّرَ وُجُودُهُ ، فَأَشْرَفَ النَّاسُ وَالْحُجَّاجُ عَلَى الْهَلَاكِ ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْجَرَادِ مَا مَلَأَ الْأَرْضَ ، فَتَعَوَّضَ النَّاسُ بِهِ ، ثُمَّ عَادَ الْحَاجُّ فَسَهُلَ الْأَمْرُ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، وَكَانَ سَبَبُ هَذَا الْغَلَاءِ عَدَمَ زِيَادَةِ النِّيلِ بِمِصْرَ عَنِ الْعَادَةِ ، فَلَمْ يُحْمَلْ مِنْهَا الطَّعَامُ إِلَى مَكَّةَ.وَفِيهَا ظَهَرَ بِالْيَمَنِ إِنْسَانٌ يُعْرَفُ بِأَبِي كَامِلٍ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الصُّلَيْحِيِّ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى الْيَمَنِ ، وَكَانَ مُعَلِّمًا ، فَجَمَعَ إِلَى نَفْسِهِ جَمْعًا ، وَانْتَمَى إِلَى صَاحِبِ مِصْرَ ، وَتَظَاهَرَ بِطَاعَتِهِ ، فَكَثُرَ جَمْعُهُ وَتَبِعُهُ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى الْبِلَادِ ، وَقَوِيَ عَلَى ابْنِ سَادِلٍ وَابْنِ الْكُرَيْدِيِّ الْمُقِيمَيْنِ بِهَا عَلَى طَاعَةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَكَانَ يَتَظَاهَرُ بِمَذْهَبِ الْبَاطِنِيَّةِ.وَفِيهَا خَطَبَ مَحْمُودٌ الْخَفَاجِيُّ لِلْمُسْتَنْصِرِ الْعَلَوِيِّ ، صَاحِبِ مِصْرَ ، بِشَفَاثَا وَالْعَيْنِ ، وَصَارَ فِي طَاعَتِهِ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا فِي شَوَّالٍ تُوُفِّيَ قَاضِي الْقُضَاةِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مَاكُولَا ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَبَقِيَ فِي الْقَضَاءِ سَبْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَكَانَ شَافِعِيًّا ، وَرِعًا ، نَزِهًا ، أَمِينًا ، وَوَلِيَ بَعْدَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الدَّامَغَانِيِّ الْحَنَفِيُّ.وَفِيهَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ تُوُفِّيَ ذَخِيرَةُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدٌ ابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَوْلِدُهُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.وَفِيهَا قَبَضَ الْمَلِكُ الرَّحِيمُ قَبْلَ وُصُولِ طُغْرُلْبَك إِلَى بَغْدَاذَ عَلَى الْوَزِيرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ ، وَطُرِحَ فِي بِئْرٍ فِي دَارِ الْمَمْلَكَةِ ، وَطُمَّ عَلَيْهِ ، وَكَانَ وَزِيرًا مُتَحَكِّمًا فِي دَوْلَتِهِ.وَفِيهَا فِي الْمُحَرَّمِ تُوُفِّيَ الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ الْمُحَسَّنِ بْنِ عَلِيٍّ التَّنُوخِيُّ ، وَمَوْلِدُهُ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَخَلَّفَ وَلَدًا صَغِيرًا ، وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ، ثُمَّ تُوُفِّيَ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَانْقَرَضَ بَيْتُهُ بِمَوْتِهِ.قَالَ الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الدَّامَغَانِيِّ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ قَبْلَ مَوْتِهِ بِقَلِيلٍ ، فَأَخْرَجَ إِلَيَّ وَلَدَهُ هَذَا مِنْ جَارِيَتِهِ وَبَكَى ، فَقُلْتُ يَعِيشُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَتُرَبِّيهِ.فَقَالَ هَيْهَاتَ!وَاللَّهِ مَا يَتَرَبَّى إِلَّا يَتِيمًا ، وَأَنْشَدَ أَرَى وَلَدَ الْفَتَى كَلًّا عَلَيْهِ...لَقَدْ سَعِدَ الَّذِي أَمْسَى عَقِيمًا فَإِمَّا أَنْ تُرَبِّيَهُ عَدُوًّا...وَإِمَّا أَنْ تُخَلِّفَهُ يَتِيمًا فَتَرَبَّى يَتِيمًا كَمَا قَالَ.وَفِي جُمَادَى الْأُولَى تُوُفِّيَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ رَجَاءٍ الدَّهَّانُ اللُّغَوِيُّ.وَفِي جُمَادَى الْآخِرَةِ فِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْقَاسِمِ مَنْصُورُ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ الْكَرْخِيُّ مِنْ كَرْخِ جُدَّانَ ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ. وَفِي رَجَبٍ تُوُفِّيَ أَبُو نَصْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الثَّابِتِيُّ ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، وَهُمَا مِنْ شُيُوخِ أَصْحَابِ أَبِي حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِينِيِّ.وَفِي شَعْبَانَ تُوُفِّيَ أَبُو الْبَرَكَاتِ حُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى الرَّبَعِيُّ النَّحْوِيُّ ، وَكَانَ يَنُوبُ عَنِ الْوُزَرَاءِ بِبَغْدَاذَ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ نِكَاحِ الْخَلِيفَةِ ابْنَةَ دَاوُدَ أَخِي طُغْرُلْبَك فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي الْمُحَرَّمِ جَلَسَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ جُلُوسًا عَامًّا ، وَحَضَرَ عَمِيدُ الْمُلْكِ الْكُنْدُرِيُّ ، وَزِيرُ طُغْرُلْبَك ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ ، مِنْهُمْ أَبُو عَلِيٍّ ابْنُ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ ، وَهَزَارَسْبُ بْنُ بُنْكِيرَ بْنِ عِيَاضٍ الْكُرْدِيُّ ، وَابْنُ أَبِي الشَّوْكِ ، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْأُمَرَاءِ الْأَتْرَاكِ مِنْ عَسْكَرِ طُغْرُلْبَك.وَقَامَ عَمِيدُ الْمُلْكِ ، وَزِيرُ طُغْرُلْبَك ، وَبِيَدِهِ دَبُّوسٌ ، ثُمَّ خَطَبَ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ ، وَعَقَدَ الْعَقْدَ عَلَى أَرْسِلَانَ خَاتُونَ ، وَاسْمُهَا خَدِيجَةُ ابْنَةُ دَاوُدَ أَخِي السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك ، وَقَبِلَ الْخَلِيفَةُ بِنَفْسِهِ النِّكَاحَ ، وَحَضَرَ الْعَقْدَ نَقِيبُ النُّقَبَاءِ أَبُو عَلِيِّ بْنُ أَبِي تَمَّامٍ ، وَعَدْنَانُ بْنُ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ ، نَقِيبُ الْعَلَوِيِّينَ ، وَأَقْضَى الْقُضَاةِ الْمَاوَرْدِيُّ ، وَغَيْرُهُمْ ، وَأُهْدِيَتْ خَاتُونُ إِلَى الْخَلِيفَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضًا فِي شَعْبَانَ ، وَكَانَتْ وَالِدَةُ الْخَلِيفَةِ قَدْ سَارَتْ لَيْلًا وَتَسَلَّمَتْهَا وَأَحْضَرَتْهَا إِلَى الدَّارِ.ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ عَبِيدِ الْمُعِزِّ بْنِ بَادِيسَ وَعَبِيدِ ابْنِهِ تَمِيمٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ عَبِيدِ الْمُعِزِّ ، الْمُقِيمِينَ بِالْمَهْدِيَّةِ ، وَعَبِيدِ ابْنِهِ تَمِيمٍ ، بِسَبَبِ مُنَازَعَةٍ أَدَّتْ إِلَى الْمُقَاتَلَةِ ، فَقَامَتْ عَامَّةُ زَوِيلَةَ وَسَائِرُ مَنْ بِهَا مِنْ رِجَالِ الْأُسْطُولِ مَعَ عَبِيدِ تَمِيمٍ ، فَأَخْرَجُوا عَبِيدَ الْمُعِزِّ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ ، وَمَضَى الْبَاقُونَ مِنْهُمْ يُرِيدُونَ الْمَسِيرَ إِلَى الْقَيْرَوَانِ ، فَوَضَعَ عَلَيْهِمْ تَمِيمٌ الْعَرَبَ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ جَمْعًا غَفِيرًا ، وَهَذِهِ النَّوْبَةُ هِيَ سَبَبُ قَتْلِ تَمِيمٍ مَنْ قَتَلَ مِنْ عَبِيدِ أَبِيهِ لَمَّا مَلَكَ.ذِكْرُ ابْتِدَاءِ دَوْلَةِ الْمُلَثَّمِينَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ ابْتِدَاءُ أَمْرِ الْمُلَثَّمِينَ ، وَهُمْ عِدَّةُ قَبَائِلَ يُنْسَبُونَ إِلَى حِمْيَرَ ، أَشْهَرُهَا لَمْتُونَةُ ، وَمِنْهَا أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ عَلِيُّ بْنُ يُوسُفَ بْنِ تَاشَفِينَ ، وَجَدَّالَةُ ، وَلَمْطَةُ.وَكَانَ أَوَّلُ مَسِيرِهِمْ مِنَ الْيَمَنِ أَيَّامَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَسَيَّرَهُمْ إِلَى الشَّامِ ، وَانْتَقَلُوا إِلَى مِصْرَ ، وَدَخَلُوا الْمَغْرِبَ مَعَ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ ، وَتَوَجَّهُوا مَعَ طَارِقٍ إِلَى طَنْجَةَ ، فَأَحَبُّوا الِانْفِرَادَ ، فَدَخَلُوا الصَّحْرَاءَ وَاسْتَوْطَنُوهَا إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ.فَلَمَّا كَانَ هَذِهِ السَّنَةُ تَوَجَّهَ رَجُلٌ مِنْهُمُ ، اسْمُهُ الْجَوْهَرُ ، مِنْ قَبِيلَةِ جَدَّالَةَ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ ، طَالِبًا لِلْحَجِّ ، وَكَانَ مُحِبًّا لِلدِّينِ وَأَهْلِهِ ، فَمَرَّ بِفَقِيهٍ بِالْقَيْرَوَانِ ، وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ يَتَفَقَّهُونَ ، قِيلَ هُوَ أَبُو عِمْرَانَ الْفَاسِيُّ فِي غَالِبِ الظَّنِّ ، فَأَصْغَى الْجَوْهَرُ إِلَيْهِ ، وَأَعْجَبَهُ حَالُهُمْ.فَلَمَّا انْصَرَفَ مِنَ الْحَجِّ قَالَ لِلْفَقِيهِ مَا عِنْدَنَا فِي الصَّحْرَاءِ مِنْ هَذَا شَيْءٌ غَيْرَ الشَّهَادَتَيْنِ ، وَالصَّلَاةِ فِي بَعْضِ الْخَاصَّةِ ، فَابْعَثْ مَعِي مَنْ يُعَلِّمُهُمْ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ الْكُزُولِيُّ ، وَكَانَ فَقِيهًا ، صَالِحًا ، شَهْمًا ، فَسَارَ مَعَهُ حَتَّى أَتَيَا قَبِيلَةَ لَمْتُونَةَ ، فَنَزَلَ الْجَوْهَرُ عَنْ جَمَلِهِ ، وَأَخَذَ بِزِمَامِ جَمَلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَاسِينَ ، تَعْظِيمًا لِشَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ ، فَأَقْبَلُوا إِلَى الْجَوْهَرِ يُهَنِّئُونَهُ بِالسَّلَامَةِ ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الْفَقِيهِ فَقَالَ هَذَا حَامِلٌ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَاءَ يُعَلِّمُكُمْ مَا يَلْزَمُ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ.فَرَحَّبُوا بِهِمَا وَأَنْزَلُوهُمَا ، وَقَالُوا تَذْكُرُ لَنَا شَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ.فَعَرَّفَهُمْ عَقَائِدَ الْإِسْلَامِ وَفَرَائِضَهُ ، فَقَالُوا أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، فَهُوَ قَرِيبٌ ، وَأَمَّا قَوْلُكَ مَنْ قَتَلَ يُقْتَلُ ، وَمَنْ سَرَقَ يُقْطَعُ ، وَمَنْ زَنَى يُجْلَدُ أَوْ يُرْجَمُ فَأَمْرٌ لَا نَلْتَزِمُهُ ، اذْهَبْ إِلَى غَيْرِنَا.فَرَحَلَا عَنْهُمْ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَقَالَ لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ لِهَذَا الْجَمَلِ فِي هَذِهِ الصَّحْرَاءِ شَأْنٌ يُذْكَرُ فِي الْعَالَمِ.فَانْتَهَى الْجَوْهَرُ وَالْفَقِيهُ إِلَى جَدَّالَةَ ، قَبِيلِ الْجَوْهَرِ ، فَدَعَاهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ وَالْقَبَائِلَ الَّذِينَ يُجَاوِرُونَهُمْ إِلَى حُكْمِ الشَّرِيعَةِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَطَاعَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَضَ وَعَصَى.ثُمَّ إِنَّ الْمُخَالِفِينَ لَهُمْ تَحَيَّزُوا وَتَجَمَّعُوا ، فَقَالَ ابْنُ يَاسِينَ لِلَّذِينِ أَطَاعُوا قَدْ وَجَبَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُقَاتِلُوا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ خَالَفُوا الْحَقَّ ، وَأَنْكَرُوا شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ ، وَاسْتَعَدُّوا لِقِتَالِكُمْ ، فَأَقِيمُوا لَكُمْ رَايَةً ، وَقَدِّمُوا عَلَيْكُمْ أَمِيرًا.فَقَالَ لَهُ الْجَوْهَرُ أَنْتَ الْأَمِيرُ.فَقَالَ لَا ، إِنَّمَا أَنَا حَامِلُ أَمَانَةِ الشَّرِيعَةِ ، وَلَكِنْ أَنْتَ الْأَمِيرُ.فَقَالَ الْجَوْهَرُ لَوْ فَعَلْتُ هَذَا تَسَلَّطَ قَبِيلِي عَلَى النَّاسِ ، وَيَكُونُ وِزْرُ ذَلِكَ عَلَيَّ.فَقَالَ لَهُ ابْنُ يَاسِينَ الرَّأْيُ أَنْ نُوَلِّيَ ذَلِكَ أَبَا بَكْرِ بْنَ عُمَرَ ، رَأْسَ لَمْتُونَةَ وَكَبِيرَهَا ، وَهُوَ رَجُلٌ سَيِّدٌ ، مَشْكُورُ الطَّرِيقِ ، مُطَاعٌ فِي قَوْمِهِ ، فَهُوَ يَسْتَجِيبُ لَنَا لِحُبِّ الرِّئَاسَةِ ، وَتَتْبَعُهُ قَبِيلَتُهُ ، فَنَتَقَوَّى بِهِمْ.فَأَتَيَا أَبَا بَكْرِ بْنَ عُمَرَ ، وَعَرَضَا ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَأَجَابَ ، فَعَقَدُوا لَهُ الْبَيْعَةَ ، وَسَمَّاهُ ابْنُ يَاسِينَ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ ، وَعَادُوا إِلَى جَدَّالَةَ ، وَجَمَعُوا إِلَيْهِمْ مَنْ حَسُنَ إِسْلَامُهُ ، وَحَرَّضَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَسَمَّاهُمْ مُرَابِطِينَ ، وَتَجَمَّعَ عَلَيْهِمْ مَنْ خَالَفَهُمْ ، فَلَمْ يُقَاتِلْهُمُ الْمُرَابِطُونَ ، بَلِ اسْتَعَانَ ابْنُ يَاسِينَ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ عُمَرَ عَلَى أُولَئِكَ الْأَشْرَارِ بِالْمُصْلِحِينَ مِنْ قَبَائِلِهِمْ ، فَاسْتَمَالُوهُمْ وَقَرَّبُوهُمْ حَتَّى حَصَّلُوا مِنْهُمْ نَحْوَ أَلْفَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالْفَسَادِ ، فَتَرَكُوهُمْ فِي مَكَانٍ ، وَخَنْدَقُوا عَلَيْهِمْ وَحَفِظُوهُمْ ، ثُمَّ أَخْرَجُوهُمْ قَوْمًا بَعْدَ قَوْمٍ ، فَقَتَلُوهُمْ ، فَحِينَئِذٍ دَانَتْ لَهُمْ أَكْثَرُ قَبَائِلِ الصَّحْرَاءِ ، وَهَابُوهُمْ ، فَقَوِيَتْ شَوْكَةُ الْمُرَابِطِينَ.هَذَا وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ مُشْتَغِلٌ بِالْعِلْمِ ، وَقَدْ صَارَ عِنْدَهُ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ يَتَفَقَّهُونَ ، وَلَمَّا اسْتَبَدَّ بِالْأَمْرِ هُوَ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ عُمَرَ عَنِ الْجَوْهَرِ الْجَدَّالِيِّ ، وَبَقِيَ لَا حُكْمَ لَهُ تَدَاخَلَهُ الْحَسَدُ ، وَشَرَعَ سِرًّا فِي فَسَادِ الْأَمْرِ ، فَعُلِمَ بِذَلِكَ مِنْهُ ، وَعُقِدَ لَهُ مَجْلِسٌ ، وَثَبَتَ عَلَيْهِ مَا نُقِلَ عَنْهُ ، فَحُكِمَ عَلَيْهِ بِالْقَتْلِ لِأَنَّهُ نَكَثَ الْبَيْعَةَ وَشَقَّ الْعَصَا ، وَأَرَادَ مُحَارَبَةَ أَهْلِ الْحَقِّ ، فَقُتِلَ بَعْدَ أَنْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، وَأَظْهَرَ السُّرُورَ بِالْقَتْلِ طَلَبًا لِلِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى.فَاجْتَمَعَتِ الْقَبَائِلُ عَلَى طَاعَتِهِمْ ، وَمَنْ خَالَفَهُمْ قَتَلُوهُ.فَلَمَّا كَانَتْ سَنَةُ خَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ قَحَطَتْ بِلَادُهُمْ ، فَأَمَرَ ابْنُ يَاسِينَ ضُعَفَاءَهُمْ بِالْخُرُوجِ إِلَى السُّوسِ وَأَخْذِ الزَّكَاةِ ، فَخَرَجَ مِنْهُمْ نَحْوُ تِسْعِمِائَةِ رَجُلٍ ، فَقَدِمُوا سِجِلْمَاسَةَ ، وَطَلَبُوا الزَّكَاةَ ، فَجَمَعُوا لَهُمْ شَيْئًا لَهُ قَدْرٌ وَعَادُوا.ثُمَّ إِنَّ الصَّحْرَاءَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ ، وَأَرَادُوا إِظْهَارَ كَلِمَةِ الْحَقِّ ، وَالْعُبُورَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ لِيُجَاهِدُوا الْكُفَّارَ ، فَخَرَجُوا إِلَى السُّوسِ الْأَقْصَى ، فَجَمَعَ لَهُمْ أَهْلُ السُّوسِ وَقَاتَلُوهُمْ ، فَانْهَزَمَ الْمُرَابِطُونَ ، وَقُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ الْفَقِيهُ ، فَعَادَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عُمَرَ فَجَمَعَ جَيْشًا وَخَرَجَ إِلَى السُّوسِ فِي أَلْفَيْ رَاكِبٍ ، فَاجْتَمَعَ مِنْ بِلَادِ السُّوسِ وَزِنَاتَةَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ فَارِسٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ افْتَحُوا لَنَا الطَّرِيقَ لِنَجُوزَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَنُجَاهِدَ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ.فَأَبَوْا ذَلِكَ ، فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ ، وَدَعَا اللَّهَ تَعَالَى وَقَالَ اللَّهُمَّ إِنْ كُنَّا عَلَى الْحَقِّ فَانْصُرْنَا ، وَإِلَّا فَأَرِحْنَا مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا.ثُمَّ قَاتَلَهُمْ وَصَدَقَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ الْقِتَالَ ، فَنَصَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَهَزَمَ أَهْلَ السُّوسِ وَمَنْ مَعَهُمْ وَأَكْثَرَ الْقَتْلَ فِيهِمْ ، وَغَنِمَ الْمُرَابِطُونَ أَمْوَالَهُمْ وَأَسْلَابَهُمْ ، وَقَوِيَتْ نَفْسُهُ وَنُفُوسُ أَصْحَابِهِ ، وَسَارُوا إِلَى سِجِلْمَاسَةَ فَنَزَلُوا عَلَيْهَا ، وَطَلَبُوا مِنْ أَهْلِهَا الزَّكَاةَ ، فَامْتَنَعُوا عَلَيْهِمْ ، وَسَارَ إِلَيْهِمْ صَاحِبُ سِجِلْمَاسَةَ فَقَاتَلَهُمْ ، فَهَزَمُوهُ وَقَتَلُوهُ ، وَدَخَلُوا سِجِلْمَاسَةَ وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.ذِكْرُ وِلَايَةِ يُوسُفَ بْنِ تَاشَفِينَ لَمَّا مَلَكَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عُمَرَ سِجِلْمَاسَةَ اسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا يُوسُفَ بْنَ تَاشَفِينَ اللَّمْتُونِيَّ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَمِّهِ الْأَقْرَبِينَ ، وَرَجَعَ إِلَى الصَّحْرَاءِ ، فَأَحْسَنَ يُوسُفُ السِّيرَةَ فِي الرَّعِيَّةِ ، وَلَمْ يَأْخُذْ مِنْهُمْ سِوَى الزَّكَاةِ ، فَأَقَامَ بِالصَّحْرَاءِ مُدَّةً ، ثُمَّ عَادَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عُمَرَ إِلَى سِجِلْمَاسَةَ ، فَأَقَامَ بِهَا سَنَةً ، وَالْخُطْبَةُ وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ لَهُ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا ابْنَ أَخِيهِ أَبَا بَكْرِ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ ، وَجَهَّزَ مَعَ يُوسُفَ بْنِ تَاشَفِينَ جَيْشًا مِنَ الْمُرَابِطِينَ إِلَى السُّوسِ ، فَفُتِحَ عَلَى يَدَيْهِ.وَكَانَ يُوسُفُ رَجُلًا دَيِّنًا ، خَيِّرًا ، حَازِمًا ، دَاهِيَةً ، مُجَرِّبًا ، وَبَقُوا كَذَلِكَ إِلَى سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَتُوُفِّيَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عُمَرَ بِالصَّحْرَاءِ ، فَاجْتَمَعَتْ طَوَائِفُ الْمُرَابِطِينَ عَلَى يُوسُفَ بْنِ تَاشَفِينَ ، وَمَلَّكُوهُ عَلَيْهِمْ ، وَلَقَّبُوهُ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَتِ الدَّوْلَةُ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ لِزِنَاتَةَ الَّذِينَ ثَارُوا فِي أَيَّامِ الْفِتَنِ ، وَهِيَ دَوْلَةٌ رَدِيَّةٌ مَذْمُومَةٌ ، سَيِّئَةُ السِّيرَةِ ، لَا سِيَاسَةَ وَلَا دِيَانَةَ ، وَكَانَ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ وَطَائِفَتُهُ عَلَى نَهْجِ السُّنَّةِ ، وَاتِّبَاعِ الشَّرِيعَةِ ، فَاسْتَغَاثَ بِهِ أَهْلُ الْمَغْرِبِ ، فَسَارَ إِلَيْهَا وَافْتَتَحَهَا حِصْنًا حِصْنًا ، وَبَلَدًا بَلَدًا بِأَيْسَرِ سَعْيٍ ، فَأَحَبَّهُ الرَّعَايَا ، وَصَلُحَتْ أَحْوَالُهُمْ.ثُمَّ إِنَّهُ قَصَدَ مَوْضِعَ مَدِينَةِ مَرَّاكُشَ ، وَهُوَ قَاعٌ صَفْصَفٌ ، لَا عِمَارَةَ فِيهِ ، وَهُوَ مَوْضِعٌ مُتَوَسِّطٌ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ كَالْقَيْرَوَانِ فِي إِفْرِيقِيَّةَ ، وَمَرَّاكُشُ تَحْتَ جِبَالِ الْمَصَامِدَةِ الَّذِينَ هُمْ أَشَدُّ أَهْلِ الْمَغْرِبِ قُوَّةً ، وَأَمْنَعُهُمْ مَعْقِلًا ، فَاخْتَطَّ هُنَاكَ مَدِينَةَ مَرَّاكُشَ لِيَقْوَى عَلَى قَمْعِ أَهْلِ تِلْكَ الْجِبَالِ إِنْ هَمُّوا بِفِتْنَةٍ ، وَاتَّخَذَهَا مَقَرًّا ، فَلَمْ يَتَحَرَّكْ أَحَدٌ بِفِتْنَةٍ ، وَمَلَكَ الْبِلَادَ الْمُتَّصِلَةَ بِالْمَجَازِ مِثْلَ سَبْتَةَ ، وَطَنْجَةَ ، وَسَلَا ، وَغَيْرِهَا ، وَكَثُرَتْ عَسَاكِرُهُ.وَخَرَجَتْ جَمَاعَةُ قَبِيلَةِ لَمْتُونَةَ وَغَيْرُهُمْ ، وَضَيَّقُوا حِينَئِذٍ لِثَامَهُمْ ، وَكَانُوا قَبْلَ أَنْ يَمْلِكُوا يَتَلَثَّمُونَ فِي الصَّحْرَاءِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ كَمَا يَفْعَلُ الْعَرَبُ ، وَالْغَالِبُ عَلَى أَلْوَانِهِمُ السُّمْرَةُ ، فَلَمَّا مَلَكُوا الْبِلَادَ ضَيَّقُوا اللِّثَامَ.وَقِيلَ كَانَ سَبَبُ اللِّثَامِ لَهُمْ أَنَّ طَائِفَةً مِنْ لَمْتُونَةَ خَرَجُوا مُغِيرِينَ عَلَى عَدُوٍّ لَهُمْ ، فَخَالَفَهُمُ الْعَدُوُّ إِلَى بُيُوتِهِمْ ، وَلَمْ يَكُنْ بِهَا إِلَّا الْمَشَايِخُ وَالصِّبْيَانُ وَالنِّسَاءُ ، فَلَمَّا تَحَقَّقَ الْمَشَايِخُ أَنَّهُ الْعَدُوُّ أَمَرُوا النِّسَاءَ أَنْ يَلْبِسْنَ ثِيَابَ الرِّجَالِ ، وَيَتَلَثَّمْنَ ، وَيُضَيِّقْنَهُ ، حَتَّى لَا يُعْرَفْنَ ، وَيَلْبَسْنَ السِّلَاحَ.فَفَعَلْنَ ذَلِكَ ، وَتَقَدَّمَ الْمَشَايِخُ وَالصِّبْيَانُ أَمَامَهُنَّ ، وَاسْتَدَارَ النِّسَاءُ بِالْبُيُوتِ ، فَلَمَّا أَشْرَفَ الْعَدُوُّ رَأَى جَمْعًا عَظِيمًا ، فَظَنَّهُ رِجَالًا ، فَقَالَ هَؤُلَاءِ عِنْدَ حُرَمِهِمْ يُقَاتِلُونَ عَنْهُنَّ قِتَالَ الْمَوْتِ ، وَالرَّأْيُ أَنْ نَسُوقَ النَّعَمَ وَنَمْضِيَ ، فَإِنِ اتَّبَعُونَا قَاتَلْنَاهُمْ خَارِجًا عَنْ حَرِيمِهِمْ.فَبَيْنَمَا هُمْ فِي جَمْعِ النَّعَمِ مِنَ الْمَرَاعِي إِذْ قَدْ أَقْبَلَ رِجَالُ الْحَيِّ ، فَبَقِيَ الْعَدُوُّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النِّسَاءِ ، فَقَتَلُوا مِنَ الْعَدُوِّ فَأَكْثَرُوا ، وَكَانَ مَنْ قَتَلَ النِّسَاءُ أَكْثَرَ ، فَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ جَعَلُوا اللِّثَامَ سُنَّةً يُلَازِمُونَهُ ، فَلَا يُعْرَفُ الشَّيْخُ مِنَ الشَّابِّ ، فَلَا يُزِيلُونَهُ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا ، وَمِمَّا قِيلَ فِي اللِّثَامِ قَوْمٌ لَهُمْ دَرَكُ الْعُلَى فِي حِمْيَرٍ...وَإِنِ انْتَمَوْا صِنْهَاجَةً فَهُمُ هُمُ لَمَّا حَوَوْا إِحْرَازَ كُلِّ فَضِيلَةٍ...غَلَبَ الْحَيَاءُ عَلَيْهِمُ فَتَلَثَّمُوا وَنَذْكُرُ بَاقِيَ أَخْبَارِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَوَاضِعِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ تَبْيِيضِ أَبِي الْغَنَائِمِ بْنِ الْمُحْلِبَانِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بَيَّضَ عَلَاءُ الدِّينِ أَبُو الْغَنَائِمِ بْنُ الْمُحْلِبَانِ بِوَاسِطٍ ، وَخَطَبَ فِيهَا لِلْعَلَوِيِّينَ الْمِصْرِيِّينَ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ رَئِيسَ الرُّؤَسَاءِ سَعَى لَهُ فِي النَّظَرِ عَلَى وَاسِطٍ وَأَعْمَالِهَا ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ ، فَانْحَدَرَ إِلَيْهَا ، فَصَارَ عِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِهَا ، وَجَنَّدَ جَمَاعَةً عَظِيمَةً ، وَتَقَوَّى بِالْبَطَائِحِيِّينَ ، وَحَفَرَ عَلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ وَاسِطٍ خَنْدَقًا ، وَبَنَى عَلَيْهِ سُورًا ، وَأَخَذَ ضَرِيبَةً مِنْ سُفُنٍ أُصْعِدَتْ لِلْخَلِيفَةِ ، فَسَيَّرَ لِحَرْبِهِ عَمِيدَ الْعِرَاقِ أَبُو نَصْرٍ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ ابْنُ الْمُحْلِبَانِ ، وَأُسِرَ مِنْ أَصْحَابِهِ عَدَدٌ كَثِيرٌ ، وَوَصَلَ أَبُو نَصْرٍ إِلَى السُّورِ ، فَقَاتَلَهُ الْعَامَّةُ مِنْ عَلَى السُّورِ.ثُمَّ تَسَلَّمَ الْبَلَدَ ، وَأَمَرَ أَهْلَهُ بِطَمِّ الْخَنْدَقِ ، وَتَخْرِيبِ السُّورِ ، ثُمَّ أَصْعَدَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَلَمَّا فَارَقَهَا عَادَ إِلَيْهَا ابْنُ فَسَانْجِسَ ، وَنَهَبَ قَرْيَةَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَقَتَلَ كُلَّ أَعْمَى رَآهُ بِوَاسِطٍ ، وَأَعَادَ خُطْبَةَ الْمِصْرِيِّينَ ، وَأَمَرَ أَهْلَ كُلِّ مَحَلَّةٍ بِعِمَارَةِ مَا يَلِيهِمْ مِنَ السُّورِ.وَمَضَى مَنْصُورُ بْنُ الْحُسَيْنِ إِلَى الْمَدَارِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى بَغْدَاذَ يَطْلُبُ الْمَدَدَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمِيدُ الْعِرَاقِ وَرَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ يَأْمُرَانِهِ أَنْ يَقْصِدَ وَاسِطًا هُوَ وَابْنُ الْهَيْثَمِ ، وَأَنْ يُحَاصِرَاهَا ، فَأَقْبَلَا إِلَيْهَا فِيمَنْ مَعَهُمَا وَحَصَرُوهَا فِي الْمَاءِ وَالْبَرِّ ، وَكَانَ هَذَا الْحِصَارُ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَاشْتَدَّ فِيهَا الْغَلَاءُ حَتَّى بِيعَ التَّمْرُ وَالْخُبْزُ وَكُرُوشُ الْبَقَرِ ، كُلُّ خَمْسَةِ أَرْطَالٍ بِدِينَارٍ ، وَإِذَا وُجِدَ الْخُبَّازَى بَاعُوهُ كُلَّ عِشْرِينَ رِطْلًا بِدِينَارٍ.ثُمَّ ضَعُفُوا وَضَجِرُوا مِنَ الْحِصَارِ ، فَخَرَجَ ابْنُ فَسَانْجِسَ لِيُقَاتِلَ ، فَلَمْ يَثْبُتْ ، وَقُتِلَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَانْهَزَمُوا إِلَى سُورِ الْبَلَدِ ، وَاسْتَأْمَنَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْوَاسِطِيِّينَ إِلَى مَنْصُورِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَفَارَقَ ابْنُ فَسَانْجِسَ وَاسِطًا ، وَمَضَى إِلَى قَصْرِ ابْنِ أَخْضَرَ ، وَسَارَ إِلَيْهِ طَائِفَةٌ مِنَ الْعَسْكَرِ لِيُقَاتِلُوهُ ، فَأَدْرَكُوهُ بِقُرْبِ النِّيلِ ، فَأُسِرَ هُوَ وَأَهْلُهُ ، وَحُمِلَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَدَخَلَهَا فِي صَفَرٍ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَشُهِّرَ عَلَى جَمَلٍ ، وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ أَحْمَرُ ، وَعَلَى رَأْسِهِ طُرْطُورٌ بِوَدَعٍ ، وَصُلِبَ.ذِكْرُ الْوَقْعَةِ بَيْنَ الْبَسَاسِيرِيِّ وَقُرَيْشٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَلْخَ شَوَّالٍ كَانَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَ الْبَسَاسِيرِيِّ وَمَعَهُ نُورُ الدَّوْلَةِ دُبَيْسُ بْنُ مَزْيَدٍ ، وَبَيْنَ قُرَيْشِ بْنِ بَدْرَانَ ، صَاحِبِ الْمَوْصِلِ ، وَمَعَهُ قُتْلُمُشُ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك ، وَهُوَ جَدُّ هَؤُلَاءِ الْمُلُوكِ أَوْلَادِ قِلْجِ أَرْسِلَانَ ، وَمَعَهُ أَيْضًا سَهْمُ الدَّوْلَةِ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ عَمْرٍو ، وَكَانَتِ الْحَرْبُ عِنْدَ سِنْجَارَ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَاشْتَدَّ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ ، فَانْهَزَمَ قُرَيْشٌ وَقُتْلُمُشُ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِمَا الْكَثِيرُ.وَلَقِيَ قُتْلُمُشُ مِنْ أَهْلِ سِنْجَارَ الْعَنَتَ ، وَبَالَغُوا فِي أَذَاهُ وَأَذَى أَصْحَابِهِ ، وَجُرِحَ قُرَيْشُ بْنُ بَدْرَانَ ، وَأَتَى إِلَى نُورِ الدَّوْلَةِ جَرِيحًا ، فَأَعْطَاهُ خِلْعَةً كَانَتْ قَدْ نُفِّذَتْ مِنْ مِصْرَ ، فَلَبِسَهَا وَصَارَ فِي جُمْلَتِهِمْ ، وَسَارُوا إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَخَطَبُوا لِخَلِيفَةِ مِصْرَ بِهَا ، وَهُوَ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ ، وَكَانُوا قَدْ كَاتَبُوا الْخَلِيفَةَ الْمِصْرِيَّ بِطَاعَتِهِمْ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الْخِلَعَ مِنْ مِصْرَ لِلْبَسَاسِيرِيِّ ، وَلِنُورِ الدَّوْلَةِ دُبَيْسِ بْنِ مَزْيَدٍ ، وَلِجَابِرِ بْنِ نَاشِبٍ ، وَلِمُقْبِلِ بْنِ بَدْرَانَ أَخِي قُرَيْشٍ ، وَلِأَبِي الْفَتْحِ بْنِ وَرَّامٍ ، وَنُصَيْرِ بْنِ عُمَرَ ، وَأَبِي الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ حَمَّادٍ ، وَانْضَافَ إِلَيْهِمْ قُرَيْشُ بْنُ بَدْرَانَ.ذِكْرُ مَسِيرِ السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك إِلَى الْمَوْصِلِ لَمَّا طَالَ مُقَامُ السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك بِبَغْدَاذَ ، وَعَمَّ الْخَلْقَ ضَرَرُ عَسْكَرِهِ ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ مَسَاكِنُهُمْ ، فَإِنَّ الْعَسَاكِرَ نَزَلُوا فِيهَا ، وَغَلَبُوهُمْ عَلَى أَقْوَاتِهِمْ ، وَارْتَكَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ مَحْظُورٍ ، أَمَرَ الْخَلِيفَةُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ وَزِيرَهُ رَئِيسَ الرُّؤَسَاءِ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى عَمِيدِ الْمُلْكِ الْكُنْدُرِيِّ ، وَزِيرِ السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك ، يَسْتَحْضِرُهُ ، فَإِذَا حَضَرَ قَالَ لَهُ عَنِ الْخَلِيفَةِ لِيَعْرِفَ السُّلْطَانُ مَا النَّاسُ فِيهِ مِنَ الْجَوْرِ وَالظُّلْمِ ، وَيَعِظُهُ وَيُذَكِّرُهُ ، فَإِنْ أَزَالَ ذَلِكَ ، وَفَعَلَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، وَإِلَّا فَيُسَاعِدُ الْخَلِيفَةَ عَلَى الِانْتِزَاحِ عَنْ بَغْدَاذَ لِيَبْعُدَ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ.فَكَتَبَ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ إِلَى الْكُنْدُرِيِّ يَسْتَدْعِيهِ ، فَحَضَرَ ، فَأَبْلَغَهُ مَا أَمَرَ بِهِ الْخَلِيفَةُ ، وَخَرَجَ تَوْقِيعٌ مِنَ الْخَلِيفَةِ إِلَى السُّلْطَانِ فِيهِ مَوَاعِظُ ، فَمَضَى إِلَى السُّلْطَانِ وَعَرَّفَهُ الْحَالَ ، فَاعْتَذَرَ بِكَثْرَةِ الْعَسَاكِرِ ، وَعَجْزِهِ عَنْ تَهْذِيبِهِمْ وَضَبْطِهِمْ ، وَأَمَرَ عَمِيدَ الْمُلْكِ أَنْ يُبَكِّرَ بِالْجَوَابِ إِلَى رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ ، وَيَعْتَذِرَ بِمَا ذَكَرَهُ.فَلَمَّا كَانَ تِلْكَ اللَّيْلَةُ رَأَى السُّلْطَانُ فِي مَنَامِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَكَأَنَّهُ يُسَلِّمُ عَلَى النَّبِيِّ وَهُوَ مُعْرِضٌ عَنْهُ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ يُحَكِّمُكَ اللَّهُ فِي بِلَادِهِ وَعِبَادِهِ ، فَلَا تُرَاقِبُهُ فِيهِمْ ، وَلَا تَسْتَحْيِي مِنْ جَلَالِهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُوءِ مُعَامَلَتِهِمْ ، وَتَغْتَرَّ بِإِهْمَالِهِ عِنْدَ الْجَوْرِ عَلَيْهِمْ!فَاسْتَيْقَظَ فَزِعًا ، وَأَحْضَرَ عَمِيدَ الْمُلْكِ ، وَحَدَّثَهُ مَا رَأَى ، وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْخَلِيفَةِ يُعَرِّفُهُ أَنَّهُ يُقَابِلُ مَا رَسَمَ بِهِ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَأَخْرَجَ الْجُنْدَ مِنْ دُورِ الْعَامَّةِ ، وَأَمَرَ أَنْ يَظْهَرَ مَنْ كَانَ مُخْتَفِيًا ، وَأَزَالَ التَّوْكِيلَ عَمَّنْ كَانَ وَكَّلَ بِهِ.فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ ، وَقَدْ عَزَمَ عَلَى الرَّحِيلِ عَنْ بَغْدَاذَ لِلتَّخْفِيفِ عَنْ أَهْلِهَا ، وَهُوَ يَتَرَدَّدُ فِيهِ ، إِذْ أَتَاهُ الْخَبَرُ بِهَذِهِ الْوَقْعَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، فَتَجَهَّزَ وَسَارَ عَنْ بَغْدَاذَ عَاشِرَ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَمَعَهُ خَزَائِنُ السِّلَاحِ ، وَالْمَنْجَنِيقَاتُ ، وَكَانَ مُقَامُهُ بِبَغْدَاذَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ شَهْرًا وَأَيَّامًا ، لَمْ يَلْقَ الْخَلِيفَةَ فِيهَا ، فَلَمَّا بَلَغُوا أَوَانَا نَهَبَهَا الْعَسْكَرُ ، وَنَهَبُوا عُكْبَرَا وَغَيْرَهُمَا.وَوَصَلَ إِلَى تَكْرِيتَ فَحَصَرَهَا ، وَبِهَا صَاحِبُهَا نَصْرُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ خَمِيسٍ فَنَصَبَ عَلَى الْقَلْعَةِ عَلَمًا أَسْوَدَ ، وَبَذَلَ مَالًا ، فَقَبِلَهُ السُّلْطَانُ.وَرَحَلَ عَنْهُ إِلَى الْبَوَازِيجِ يَنْتَظِرُ جَمْعَ الْعَسَاكِرِ لِيَسِيرَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَلَمَّا رَحَلَ عَنْ تَكْرِيتَ تُوُفِّيَ صَاحِبُهَا ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَمِيرَةَ بِنْتِ غَرِيبِ بْنِ مَقْنٍ ، فَخَافَتْ أَنْ يَمْلِكَ الْبَلْدَةَ أَخُوهُ أَبُو الْغِشَّامِ ، فَقَتَلَتْهُ وَسَارَتْ إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَنَزَلَتْ عَلَى دُبَيْسِ بْنِ مَزْيَدٍ ، فَتَزَوَّجَهَا قُرَيْشُ بْنُ بَدْرَانَ ، وَلَمَّا رَحَلَتْ عَنْ تَكْرِيتَ اسْتَخْلَفَتْ بِهَا أَبَا الْغَنَائِمِ ابْنَ الْمُحْلِبَانِ ، فَرَاسَلَ رَئِيسَ الرُّؤَسَاءِ وَاسْتَعْطَفَهُ ، فَصَلُحَ مَا بَيْنَهُمَا ، وَسَلَّمَ تَكْرِيتَ إِلَى السُّلْطَانِ وَرَحَلَ إِلَى بَغْدَاذَ.وَأَقَامَ السُّلْطَانُ بِالْبَوَازِيجِ إِلَى أَنْ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فَأَتَاهُ أَخُوهُ يَاقُوتِيٌّ فِي الْعَسَاكِرِ ، فَسَارَ بِهِمْ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَأَقْطَعَ مَدِينَةَ بَلَدَ لِهَزَارَسْبَ بْنِ بُنْكِيرَ ، فَأَجْفَلَ أَهْلُ الْبِلَادِ إِلَى بَلَدَ ، فَأَرَادَ الْعَسْكَرُ نَهْبَهُمْ ، فَمَنَعَهُمُ السُّلْطَانُ وَقَالَ لَا يَجُوزُ أَنْ تَعَرَّضُوا إِلَى بَلَدِ هَزَارَسْبَ.فَلَجُّوا وَقَالُوا نُرِيدُ الْإِقَامَةَ. فَقَالَ السُّلْطَانُ لِهَزَارَسْبَ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَدِ احْتَجُّوا بِالْإِقَامَةِ ، فَأَخْرِجْ أَهْلَ الْبَلَدِ إِلَى مُعَسْكَرِكَ لِتَحَفْظَ نُفُوسَهُمْ.فَفَعَلَ ذَلِكَ وَأَخْرَجَهُمْ إِلَيْهِ ، فَصَارَ الْبَلَدُ بَعْدَ سَاعَةٍ قَفْرًا ، وَفَرَّقَ فِيهِمْ هَزَارَسْبُ مَالًا ، وَأَرْكَبَ مَنْ يَعْجِزُ عَنِ الْمَشْيِ ، وَسَيَّرَهُمْ إِلَى الْمَوْصِلِ لِيَأْمَنُوا.وَتَوَجَّهَ السُّلْطَانُ إِلَى نَصِيبِينَ ، فَقَالَ لَهُ هَزَارَسْبُ قَدْ تَمَادَتِ الْأَيَّامُ ، وَأَرَى أَنْ أَخْتَارَ مِنَ الْعَسْكَرِ أَلْفَ فَارِسٍ أَسِيرُ بِهِمْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ ، فَلَعَلِّي أَنَالُ مِنَ الْعَرَبِ غَرَضًا ، فَأَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا قَارَبَهُمْ كَمَّنَ لَهُمْ كَمِينَيْنِ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى الْحِلَلِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَاتَلُوهُ ، فَصَبَرَ لَهُمْ سَاعَةً ، ثُمَّ انْزَاحَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ كَالْمُنْهَزِمِ ، فَتَبِعُوهُ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمُ الْكَمِينَانِ ، فَانْهَزَمَتِ الْعَرَبُ ، وَكَثُرَ فِيهِمُ الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ ، وَكَانَ قَدِ انْضَافَ إِلَيْهِمْ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي نُمَيْرٍ أَصْحَابِ حَرَّانَ وَالرَّقَّةِ وَتِلْكَ الْأَعْمَالِ ، وَحَمَلَ الْأَسْرَى إِلَى السُّلْطَانِ ، فَلَمَّا أُحْضِرُوا بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُمْ هَلْ وَطِئْتُ لَكُمْ أَرْضًا ، وَأَخَذْتُ لَكُمْ بَلَدًا.قَالُوا لَا!قَالَ فَلِمَ أَتَيْتُمْ لِحَرْبِي ؟وَأَحْضَرَ الْفِيلَ فَقَتَلَهُمْ ، إِلَّا صَبِيًّا أَمْرَدَ ، فَلَمَّا امْتَنَعَ الْفِيلُ مِنْ قَتْلِهِ عَفَا عَنْهُ السُّلْطَانُ.ذِكْرُ عَوْدِ نُورِ الدَّوْلَةِ دُبَيْسِ بْنِ مَزْيَدٍ وَقُرَيْشِ بْنِ بَدْرَانَ إِلَى طَاعَةِ طُغْرُلْبَك لَمَّا ظَفِرَ هَزَارَسْبُ بِالْعَرَبِ وَعَادَ إِلَى السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك أَرْسَلَ إِلَيْهِ نُورُ الدَّوْلَةِ وَقُرَيْشٌ يَسْأَلَانِهِ أَنْ يَتَوَسَّطَ حَالَهُمَا عِنْدَ السُّلْطَانِ ، وَيُصْلِحَ أَمْرَهُمَا مَعَهُ ، فَسَعَى فِي ذَلِكَ ، وَاسْتَعْطَفَ السُّلْطَانَ عَلَيْهِمَا ، فَقَالَ أَمَّا هُمَا فَقَدْ عَفَوْتُ عَنْهُمَا ، وَأَمَّا الْبَسَاسِيرِيُّ فَذَنْبُهُ إِلَى الْخَلِيفَةِ ، وَنَحْنُ مُتَّبِعُونَ أَمْرَ الْخَلِيفَةِ فِيهِ ، فَرَحَلَ الْبَسَاسِيرِيُّ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الرَّحْبَةِ ، وَتَبِعَهُ الْأَتْرَاكُ الْبَغْدَاذِيُّونَ ، وَمُقْبِلُ بْنُ الْمُقَلِّدِ ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ عُقَيْلٍ.وَطَلَبَ دُبَيْسٌ وَقُرَيْشٌ أَنْ يُرْسِلَ طُغْرُلْبَك إِلَيْهِمَا أَبَا الْفَتْحِ بْنَ وَرَّامٍ ، فَأَرْسَلَهُ ، فَعَادَ مِنْ عِنْدِهِمَا ، وَأَخْبَرَ بِطَاعَتِهِمَا ، وَأَنَّهُمَا يَطْلُبَانِ أَنْ يَمْضِيَ هَزَارَسْبُ إِلَيْهِمَا لِيُحَلِّفَهُمَا.فَأَمَرَهُ السُّلْطَانُ بِالْمُضِيِّ إِلَيْهِمَا ، فَسَارَ وَاجْتَمَعَ بِهِمَا ، وَأَشَارَ عَلَيْهِمَا بِالْحُضُورِ عِنْدَ السُّلْطَانِ ، فَخَافَا وَامْتَنَعَا ، فَأَنْفَذَ قُرَيْشٌ أَبَا السَّدَادِ هِبَةَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ.وَأَنْفَذَ دُبَيْسٌ ابْنَهُ بَهَاءَ الدَّوْلَةِ مَنْصُورًا ، فَأَنْزَلَهُمَا السُّلْطَانُ وَأَكْرَمَهُمَا وَكَتَبَ لَهُمَا بِأَعْمَالِهِمَا ، وَكَانَ لِقُرَيْشٍ نَهْرُ الْمَلِكِ ، وَبَادُورْيَا ، وَالْأَنْبَارُ ، وَهِيتُ ، وَدُجَيْلٌ ، وَنَهْرُ بَيْطَرَ ، وَعُكْبَرَا ، وَأَوَانَا ، وَتَكْرِيتُ ، وَالْمَوْصِلُ ، وَنَصِيبِينُ ، وَأَعَادَ الرُّسُلَ إِلَى أَصْحَابِهِمْ.ذِكْرُ قَصْدِ السُّلْطَانِ دِيَارَ بَكْرٍ وَمَا فَعَلَهُ بِسِنْجَارَ لَمَّا فَرَغَ طُغْرُلْبَك مِنَ الْعَرَبِ سَارَ إِلَى دِيَارِ بِكْرٍ الَّتِي هِيَ لِابْنِ مَرْوَانَ ، وَكَانَ ابْنُ مَرْوَانَ يُرْسِلُ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ الْهَدَايَا وَالثَّلْجَ ، فَسَارَ السُّلْطَانُ إِلَى جَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ فَحَصَرَهَا ، وَهِيَ لِابْنِ مَرْوَانَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ابْنُ مَرْوَانَ يَبْذُلُ لَهُ مَالًا يُصْلِحُ حَالَهُ بِهِ ، وَيَذْكُرُ لَهُ مَا هُوَ بِصَدَدِهِ مِنْ حِفْظِ ثُغُورِ الْمُسْلِمِينَ ، وَمَا يُعَانِيهِ مِنْ جِهَادِ الْكُفَّارِ ، وَلَمَّا كَانَ السُّلْطَانُ يُحَاصِرُ الْجَزِيرَةَ سَارَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْجَيْشِ إِلَى عُمْرَ أَكْمُنَ ، وَفِيهِ أَرْبَعُمِائَةِ رَاهِبٍ ، فَذَبَحُوا مِنْهُمْ مِائَةً وَعِشْرِينَ رَاهِبًا ، وَافْتَدَى الْبَاقُونَ أَنْفُسَهُمْ بِسِتَّةِ مَكَاكِيكَ ذَهَبًا وَفِضَّةً.وَوَصَلَ إِبْرَاهِيمُ يَنَّالُ أَخُو السُّلْطَانِ إِلَيْهِ ، فَلَقِيَهُ الْأُمَرَاءُ وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ ، وَحَمَلُوا إِلَيْهِ الْهَدَايَا.وَقَالَ لِعَمِيدِ الْمُلْكِ الْوَزِيرِ مَنْ هَؤُلَاءِ الْعَرَبُ حَتَّى تَجْعَلَهُمْ نُظَرَاءَ السُّلْطَانِ ، وَتُصْلِحَ بَيْنَهُمْ ؟فَقَالَ مَعَ حُضُورِكَ يَكُونُ مَا تُرِيدُ ، فَأَنْتَ نَائِبُ السُّلْطَانِ.وَلَمَّا وَصَلَ إِبْرَاهِيمُ يَنَّالُ أَرْسَلَ هَزَارَسْبُ إِلَى نُورِ الدَّوْلَةِ بْنِ مَزْيَدٍ وَقُرَيْشٍ يُعَرِّفُهُمَا وُصُولَهُ ، وَيُحَذِّرُهُمَا مِنْهُ ، فَسَارَا مِنْ جَبَلِ سِنْجَارَ إِلَى الرَّحْبَةِ ، فَلَمْ يَلْتَفِتِ الْبَسَاسِيرِيُّ إِلَيْهِمَا ، فَانْحَدَرَ نُورُ الدَّوْلَةِ إِلَى بَلَدِهِ بِالْعِرَاقِ ، وَأَقَامَ قُرَيْشٌ عِنْدَ الْبَسَاسِيرِيِّ بِالرَّحْبَةِ مَعَهُ ابْنُهُ مُسْلِمُ بْنُ قُرَيْشٍ.وَشَكَا قُتْلُمُشُ ابْنُ عَمِّ السُّلْطَانِ إِلَيْهِ مَا لَقِيَ مِنْ أَهْلِ سِنْجَارَ فِي الْعَامِ الْمَاضِي لَمَّا انْهَزَمَ ، وَأَنَّهُمْ قَتَلُوا رِجَالًا ، فَسَيَّرَ الْعَسَاكِرَ إِلَيْهِمْ فَأَحَاطَتْ بِهِمْ ، وَصَعِدَ أَهْلُهَا عَلَى السُّورِ وَسَبَوْا ، وَأَخْرَجُوا جَمَاجِمَ مَنْ كَانُوا قُتِلُوا وَقَلَانِسَهُمْ ، وَتَرَكُوهَا عَلَى رُءُوسِ الْقَصَبِ ، فَفَتَحَهَا السُّلْطَانُ عَنْوَةً ، وَقَتَلَ أَمِيرَهَا مُجْلَى بْنَ مُرَجَّا وَخَلْقًا كَثِيرًا مِنْ رِجَالِهَا ، وَسَبَى نِسَاءَهُمْ ، وَخُرِّبَتْ ، وَسَأَلَ إِبْرَاهِيمُ يَنَّالُ فِي الْبَاقِينَ فَتَرَكَهُمْ ، فَسَلَّمَهَا هِيَ وَالْمَوْصِلَ وَالْبِلَادَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ ، وَنَادَى فِي عَسْكَرِهِ مَنْ تَعَرَّضَ لِنَهْبٍ صَلَبْتُهُ.فَكَفَّوْا عَنْهُمْ.وَعَادَ السُّلْطَانُ إِلَى بَغْدَاذَ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ ، كَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَذْكُرَ هَذِهِ الْحَادِثَةَ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْنَاهَا هَذِهِ السَّنَةَ لِأَنَّ الِابْتِدَاءَ بِهَا كَانَ فِيهَا ، فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهَا بَعْضًا ، وَذَكَرْنَا أَنَّهَا كَانَتْ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ انْقَطَعَتِ الطُّرُقُ عَنِ الْعِرَاقِ لِخَوْفِ النَّهْبِ ، فَغَلَتِ الْأَسْعَارُ ، وَكَثُرَ الْغَلَاءُ ، وَتَعَذَّرَتِ الْأَقْوَاتُ وَغَيْرُهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَأَكَلَ النَّاسُ الْمَيْتَةَ ، وَلَحِقَهُمْ وَبَاءٌ عَظِيمٌ ، فَكَثُرَ الْمَوْتُ حَتَّى دُفِنَ الْمَوْتَى بِغَيْرِ غُسْلٍ وَلَا تَكْفِينٍ ، فَبِيعَ رِطْلُ لَحْمٍ بِقِيرَاطٍ ، وَأَرْبَعُ دَجَاجَاتٍ بِدِينَارٍ ، وَرِطْلُ شَرَابٍ بِدِينَارٍ ، وَسَفَرْجَلَةٌ بَدِينَارٍ ، وَرُمَّانَةٌ بِدِينَارٍ ، وَكُلُّ شَيْءٍ كَذَلِكَ.وَكَانَ بِمِصْرَ أَيْضًا وَبَاءٌ شَدِيدٌ ، فَكَانَ يَمُوتُ فِي الْيَوْمِ أَلْفُ نَفْسٍ ، ثُمَّ عَمَّ ذَلِكَ سَائِرَ الْبِلَادِ مِنَ الشَّامِ ، وَالْجَزِيرَةِ ، وَالْمَوْصِلِ ، وَالْحِجَازِ ، وَالْيَمَنِ وَغَيْرِهَا.وَفِيهَا فِي جُمَادَى الْأُولَى وَلَدَتْ جَارِيَةُ ذَخِيرَةِ الدِّينِ بْنِ الْخَلِيفَةِ ، الَّذِي ذَكَرْنَا وَفَاتَهُ قَبْلُ ، وَلَدًا ذَكَرًا ، وَيُسَمَّى عَبْدَ اللَّهِ ، وَكُنِّيَ أَبَا الْقَاسِمِ ، وَهُوَ الْمُقْتَدِي.وَفِيهَا فِي الْعَشْرِ الثَّانِي مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، ظَهَرَ وَقْتَ السَّحَرِ فِي السَّمَاءِ ذُؤَابَةٌ بَيْضَاءُ طُولُهُا نَحْوُ عَشْرَةِ أَذْرُعٍ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ ، وَعَرْضُهَا ذِرَاعٌ ، وَبَقِيَتْ كَذَلِكَ إِلَى نِصْفِ رَجَبٍ ، وَاضْمَحَلَّتْ.وَفِيهَا أَمَرَ الْخَلِيفَةُ بِأَنْ يُؤَذَّنَ بِالْكَرْخِ وَالْمَشْهَدِ وَغَيْرِهِمَا الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ ، وَأَنْ يَتْرُكُوا حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ.فَفَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ خَوْفَ السَّلْطَنَةِ وَقُوَّتِهَا. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ أَبُو الْحَسَنِ الْمُؤَدِّبُ ، الْمَعْرُوفُ بِالْفَالِيِّ ، مِنْ أَهْلِ مَدِينَةِ فَالَةَ بِالْقُرْبِ مِنْ إِيذَجَ ، رَوَى الْحَدِيثَ وَالْأَدَبَ ، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ ، فَمِنْهُ قَوْلُهُ تَصَدَّرَ لِلتَّدْرِيسِ كُلُّ مُهَوَّسٍ...بَلِيدٍ تَسَمَّى بِالْفَقِيهِ الْمُدَرِّسِ فَحَقٌّ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَمَثَّلُوا...بِبَيْتٍ قَدِيمٍ شَاعَ فِي كُلِّ مَجْلِسِ لَقَدْ هَزَلَتْ حَتَّى بَدَا مِنْ هُزَالِهَا...كُلَاهَا وَحَتَّى سَامَهَا كُلُّ مُفْلِسِ وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّرِيِّ أَبُو الْحَسَنِ الْبَزَّازُ الْمَوْصِلِيُّ ، وُلِدَ بِالْمَوْصِلِ ، وَنَشَأَ بِبَغْدَاذَ ، وَرَوَى عَنِ ابْنِ حَيُّوَيْهِ ، وَالدَّارَقُطْنِيِّ ، وَابْنِ بَطَّةَ وَغَيْرِهِمْ ، وَكَانَ مَوْتُهُ بِمِصْرَ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَمِيرَكُ الْكَاتِبُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شَوَّالٍ ، وَكَانَ مِنْ رِجَالِ الدُّنْيَا.وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْمَيْمُونِ الدَّارِمِيُّ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ عَوْدِ السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك إِلَى بَغْدَاذَ لَمَّا سَلَّمَ السُّلْطَانُ طُغْرُلْبَك الْمَوْصِلَ وَأَعْمَالَهَا إِلَى أَخِيهِ إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ عَادَ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْقُفْصِ خَرَجَ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ إِلَى لِقَائِهِ ، فَلَمَّا قَارَبَ الْقُفْصَ لَقِيَهُ عَمِيدُ الْمُلْكِ ، وَزِيرُ السُّلْطَانِ ، فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ ، وَجَاءَ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ إِلَى السُّلْطَانِ فَأَبْلَغَهُ سَلَامَ الْخَلِيفَةِ وَاسْتِيحَاشَهُ ، فَقَبَّلَ الْأَرْضَ ، وَقَدَّمَ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ جَامًا مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ جَوَاهِرُ ، وَأَلْبِسَةً فَرْجِيَّةً جَاءَتْ مَعَهُ مِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ ، وَوَضَعَ الْعِمَامَةَ عَلَى مِخَدَّتِهِ ، فَخَدَمَ السُّلْطَانَ ، وَقَبَّلَ الْأَرْضَ ، وَوَصَلَ إِلَى بَغْدَاذَ وَلَمْ يُمَكِّنْ أَحَدًا مِنَ النُّزُولِ فِي دُورِ النَّاسِ ، وَطَلَبَ السُّلْطَانُ الِاجْتِمَاعَ بِالْخَلِيفَةِ ، فَأُذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ.وَجَلَسَ الْخَلِيفَةُ يَوْمَ السَّبْتِ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ جُلُوسًا عَامًّا ، وَحَضَرَ وُجُوهُ عَسْكَرِ السُّلْطَانِ وَأَعْيَانُ بَغْدَاذَ ، وَحَضَرَ السُّلْطَانُ فِي الْمَاءِ ، وَأَصْحَابُهُ حَوْلَهُ فِي السُّمَيْرِيَّاتِ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ السُّمَيْرِيَّةِ أُرْكِبَ فَرَسًا مِنْ مَرَاكِبِ الْخَلِيفَةِ ، فَحَضَرَ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ ، وَالْخَلِيفَةُ عَلَى سَرِيرٍ عَالٍ مِنَ الْأَرْضِ نَحْوَ سَبْعَةِ أَذْرُعٍ ، وَعَلَيْهِ بُرْدَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِيَدِهِ الْقَضِيبُ الْخَيْزُرَانُ ، فَقَبَّلَ السُّلْطَانُ الْأَرْضَ ، وَقَبَّلَ يَدَهُ ، وَأُجْلِسَ عَلَى كُرْسِيٍّ ، فَقَالَ الْخَلِيفَةُ لِرَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ قُلْ لَهُ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ شَاكِرٌ لِسَعْيِكَ ، حَامِدٌ لِفِعْلِكَ مُسْتَأْنِسٌ بِقُرْبِكَ ، وَقَدْ وَلَّاكَ جَمِيعَ مَا وَلَّاهُ اللَّهُ مِنْ بِلَادِهِ ، وَرَدَّ عَلَيْكَ مُرَاعَاةَ عِبَادِهِ ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا وَلَّاكَ ، وَاعْرِفْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ ، وَاجْتَهِدْ فِي نَشْرِ الْعَدْلِ وَكَفِّ الظُّلْمِ ، وَإِصْلَاحِ الرَّعِيَّةِ.فَقَبَّلَ الْأَرْضَ ، وَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ بِإِفَاضَةِ الْخِلَعِ عَلَيْهِ ، فَقَامَ إِلَى مَوْضِعٍ لَبِسَهَا فِيهِ وَعَادَ ، وَقَبَّلَ يَدَ الْخَلِيفَةِ وَوَضَعَهَا عَلَى عَيْنَيْهِ ، وَخَاطَبَهُ الْخَلِيفَةُ بِمَلِكِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَأُعْطِيَ الْعَهْدَ ، وَخَرَجَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْخَلِيفَةِ خِدْمَةً كَثِيرَةً ، مِنْهَا خَمْسُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَخَمْسُونَ مَمْلُوكًا أَتْرَاكًا مِنْ أَجْوَدِ مَا يَكُونُ ، وَمَعَهُمْ خُيُولُهُمْ وَسِلَاحُهُمْ ، وَإِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الثِّيَابِ وَغَيْرِهَا.ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ هَزَارَسْبَ وَفُولَاذٍ كَانَ السُّلْطَانُ قَدْ ضَمَّنَ هَزَارَسْبَ بْنَ بُنْكِيرَ بْنِ عِيَاضٍ الْبَصْرَةَ ، وَأَرَّجَانَ ، وَخُوزِسْتَانَ ، وَشِيرَازَ ، فَتَجَرَّدَ رَسُولْتِكِينُ ابْنُ عَمِّ السُّلْطَانِ وَمَعَهُ فُولَاذٌ لِهَزَارَسْبَ ، وَقَصَدَا أَرَّجَانَ وَنَهَبَاهَا.وَكَانَ هَزَارَسْبُ مَعَ طُغْرُلْبَك بِالْمَوْصِلِ وَالْجَزِيرَةِ ، فَلَمَّا فَرَغَ السُّلْطَانُ مِنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ رَدَّ هَزَارَسْبَ إِلَى بِلَادِهِ ، وَأَمَرَهُ بِقِتَالِ رَسُولْتِكِينَ وَفُولَاذٍ ، فَسَارَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَصَادَرَ بِهَا تَاجَ الدِّينِ بْنَ سَخْطَةَ الْعَلَوِيَّ وَابْنَ سَمْحَا الْيَهُودِيَّ بِمِائَةِ أَلْفٍوَعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَسَارَ مِنْهَا إِلَى قِتَالِ فُولَاذٍ وَرَسُولْتِكِينَ فَلَقِيَهُمَا ، وَقَاتَلَهُمَا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَقُتِلَ فُولَاذٌ ، وَأُسِرَ رَسُولْتِكِينُ ابْنُ عَمِّ السُّلْطَانِ ، فَأَبْقَى عَلَيْهِ هَزَارَسْبُ ، فَسَأَلَ رَسُولْتِكِينُ هَزَارَسْبَ لِيُرْسِلَهُ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ لِيُشَفِّعَ فِيهِ الْخَلِيفَةَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ.وَوَصَلَ بَغْدَاذَ مَعَ أَصْحَابِ هَزَارَسْبَ ، فَاجْتَازَ بِدَارِ رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ ، فَهَجَمَ وَدَخَلَهَا ، وَاسْتَدْعَى طَعَامًا إِيجَازًا لِلْحُرْمَةِ ، فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ بِإِحْضَارِ عَمِيدِ الْمُلْكِ وَإِعْلَامِهِ بِحَالِ رَسُولْتِكِينَ لِيُخَاطِبَ السُّلْطَانَ فِي أَمْرِهِ ، فَلَمَّا حَضَرَ عَمِيدُ الْمُلْكِ وَقِيلَ لَهُ ذَلِكَ قَالَ إِنَّ السُّلْطَانَ يَقُولُ إِنَّ هَذَا لَا حُرْمَةَ لَهُ يَسْتَحِقُّ بِهَا الْمُرَاعَاةَ ، وَقَدْ قَابَلَ إِحْسَانِي بِالْعِصْيَانِ ، وَيَجِبُ تَسْلِيمُهُ لِيَتَحَقَّقَ النَّاسُ مَنْزِلَتِي ، وَتَتَضَاعَفَ هَيْبَتِي.فَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ بَعْدَ مُرَاجَعَةٍ عَلَى أَنْ يُقَيِّدَهُ ، وَخَرَجَ تَوْقِيعُ الْخَلِيفَةِ إِنَّ مَنْزِلَةَ رُكْنِ الدِّينِ يَعْنِي طُغْرُلْبَك عِنْدَنَا اقْتَضَتْ مَا لَمْ نَفْعَلْهُ مَعَ غَيْرِهِ; لِأَنَّهُ لَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ بِتَقْيِيدِ أَحَدٍ فِي الدَّارِ الْعَزِيزَةِ ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الرِّضَا فِي جَوَابِ مَا فَعَلَ.فَرَاسَلَهُ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ حَتَّى رَضِيَ.وَقَدْ كَانَتْ دَارُ الْخِلَافَةِ أَيَّامَ بَنِي بُوَيْهٍ مَلْجَأً لِكُلِّ خَائِفٍ مِنْهُمْ ، مِنْ وَزِيرٍ وَعَمِيدٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَفِي الْأَيَّامِ السَّلْجُوقِيَّةِ سُلِكَ غَيْرُ ذَلِكَ ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ فَعَلُوهُ هَذَا.ذِكْرُ الْقَبْضِ عَلَى الْوَزِيرِ الْيَازُورِيِّ بِمِصْرَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي ذِي الْحِجَّةِ ، قُبِضَ بِمِصْرَ عَلَى الْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْيَازُورِيِّ ، وَقُرِّرَ عَلَيْهِ أَمْوَالٌ عَظِيمَةٌ مِنْهُ وَمِنْ أَصْحَابِهِ ، وَوُجِدَ لَهُ مُكَاتَبَاتٌ إِلَى بَغْدَاذَ.وَكَانَ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ قَدْ حَجَّ ، فَلَمَّا قَضَى حَجَّهُ أَتَى الْمَدِينَةَ ، وَزَارَ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَقَطَ عَلَى مَنْكِبَيْهِ قِطْعَةٌ مِنَ الْخَلُوقِ الَّذِي عَلَى حَائِطِ الْحُجْرَةِ ، فَقَالَ لَهُ أَحَدُ الْقُوَّامِ أَيُّهَا الشَّيْخُ إِنِّي أُبَشِّرُكَ ، وَلِي الْحِبَاءُ وَالْكَرَامَةُ إِذْ بَلَغْتَهُ ، أَنَّكَ تَلِي وِلَايَةً عَظِيمَةً ، وَهَذَا الْخَلُوقُ دَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ.فَلَمْ يَحُلْ عَلَيْهِ الْحَوْلُ حَتَّى وَلِيَ الْوِزَارَةَ ، وَأَحْسَنَ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ وَرَعَاهُ.وَكَانَ يَتَفَقَّهُ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَكَانَ قَاضِيًا بِالرَّمْلَةِ ، يُكْرِمُ الْعُلَمَاءَ ، وَيُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُجَالِسُهُمْ ، وَكَانَ ابْتِدَاءُ أَمْرِهِ كَابْتِدَاءِ أَمْرِ رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ الشَّهَادَةُ ، وَالْقَضَاءُ ، وَكَانَتْ سَعَادَتُهُمَا مُتَّفِقَةً ، وَنِهَايَتُهُمَا مُتَقَارِبَةً.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ زَادَ الْغَلَاءُ بِبَغْدَاذَ وَالْعِرَاقِ حَتَّى بِيعَتْ كَارَةُ الدَّقِيقِ السَّمِيدِ بِثَلَاثَةَ عَشَرَ دِينَارًا ، وَالْكَارَةُ مِنَ الشَّعِيرِ وَالذُّرَةِ بِثَمَانِيَةِ دَنَانِيرَ ، وَأَكَلَ النَّاسُ الْمَيْتَةَ وَالْكِلَابَ وَغَيْرَهَا ، وَكَثُرَ الْوَبَاءُ حَتَّى عَجَزَ النَّاسُ عَنْ دَفْنِ الْمَوْتَى ، فَكَانُوا يَجْعَلُونَ الْجَمَاعَةَ فِي الْحُفَيْرَةِ. وَفَاةُ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعَرِّيِّ وَفِيهَا ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، تُوُفِّيَ أَبُو الْعَلَاءِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْمَعَرِّيُّ ، الْأَدِيبُ ، وَلَهُ نَحْوُ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً ، وَعِلْمُهُ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُذْكَرَ ، إِلَّا أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يَرْمُونَهُ بِالزَّنْدَقَةِ ، وَفِي شِعْرِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ ، حُكِيَ أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا لِأَبِي يُوسُفَ الْقَزْوِينِيِّ مَا هَجَوْتُ أَحَدًا.فَقَالَ لَهُ الْقَزْوِينِيُّ هَجَوْتَ الْأَنْبِيَاءَ.فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ وَقَالَ مَا أَخَافُ أَحَدًا سِوَاكَ.وَحَكَى عَنْهُ الْقَزْوِينِيُّ أَنَّهُ قَالَ مَا رَأَيْتُ شِعْرًا فِي مَرْثِيَّةِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ يُسَاوِي أَنْ يُحْفَظَ.فَقَالَ الْقَزْوِينِيُّ بَلَى ، قَدْ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ سَوَادِنَا رَأْسُ ابْنِ بِنْتِ مُحَمَّدٍ وَوَصِيِّهِ...لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى قَنَاةٍ يُرْفَعُ وَالْمُسْلِمُونَ بِمَنْظَرٍ وَبِمَسْمَعٍ ، لَا جَازِعٌ مِنْهُمْ ، وَلَا مُتَفَجِّعُ...أَيْقَظْتَ أَجْفَانًا وَكُنْتَ لَهَا كَرًى ، وَأَنَمْتَ عَيْنًا لَمْ تَكُنْ بِكَ تَهْجَعُ كُحِلَتْ بِمَصْرَعِكَ الْعُيُونُ عَمَايَةً ، وَأَصَمَّ نَعْيُكَ كُلَّ أُذْنٍ تَسْمَعُ...مَا رَوْضَةٌ إِلَّا تَمَنَّتْ أَنَّهَا لَكَ مَضْجَعٌ وَلِخَطِّ قَبْرِكَ مَوْضِعُ وَفِيهَا أَصْلَحَ دُبَيْسُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مَزْيَدٍ وَمَحْمُودُ بْنُ الْأَخْرَمِ الْخَفَاجِيُّ حَالَهُمَا مَعَ السُّلْطَانِ ، فَعَادَ دُبَيْسٌ إِلَى بِلَادِهِ فَوَجَدَهَا خَرَابًا لِكَثْرَةِ مَنْ مَاتَ بِهَا مِنَ الْوَبَاءِ الْجَارِفِ ، لَيْسَ بِهَا أَحَدٌ.وَفِيهَا كَثُرَ الْوَبَاءُ بِبُخَارَى حَتَّى قِيلَ إِنَّهُ مَاتَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ إِنْسَانٍ مِنْ أَعْمَالِ بُخَارَى ، وَهَلَكَ فِي هَذِهِ الْوِلَايَةِ فِي مُدَّةِ الْوَبَاءِ أَلْفُ أَلْفٍ وَسِتُّمِائَةِ أَلْفٍ وَخَمْسُونَ أَلْفًا ، وَكَانَ بِسَمَرْقَنْدَ مِثْلُ ذَلِكَ ، وَوُجِدَ مَيِّتٌ ، وَقَدْ دَخَلَ تُرْكِيٌّ يَأْخُذُ لِحَافًا عَلَيْهِ ، فَمَاتَ التُّرْكِيُّ وَطَرْفُ اللِّحَافِ بِيَدِهِ ، وَبَقِيَتْ أَمْوَالُ النَّاسِ سَائِبَةً.وَفِيهَا نُهِبَتْ دَارُ أَبِي جَعْفَرٍ الطُّوسِيِّ بِالْكَرْخِ ، وَهُوَ فَقِيهُ الْإِمَامِيَّةِ ، وَأُخِذَ مَا فِيهَا ، وَكَانَ قَدْ فَارَقَهَا إِلَى الْمَشْهَدِ الْغَرْبِيِّ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا ، فِي صَفَرٍ ، تُوُفِّيَ أَبُو عُثْمَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الصَّابُونِيُّ ، مُقَدَّمُ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ بِخُرَاسَانَ ، وَكَانَ فَقِيهًا ، خَطِيبًا ، إِمَامًا فِي عِدَّةِ عُلُومٍ.وَفِيهَا ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، تُوُفِّيَ إِيَازُ بْنُ أَيْمَاقَ أَبُو النَّجْمِ غُلَامُ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ ، وَأَخْبَارُهُ مَعَهُ مَشْهُورَةٌ.وَفِيهَا مَاتَ أَبُو أَحْمَدَ عَدْنَانُ ابْنُ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ نَقِيبِ الْعَلَوِيِّينَ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْحُسَيْنِ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ هَارُونَ الْغَسَّانِيُّ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْجُنْدِيِّ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَة ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ذِكْرُ مُفَارَقَةِ إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ الْمَوْصِلَ وَاسْتِيلَاءِ الْبَسَاسِيرِيِّ عَلَيْهَا وَأَخْذِهَا مِنْهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فَارَقَ إِبْرَاهِيمُ يَنَّالُ الْمَوْصِلَ نَحْوَ بِلَادِ الْجَبَلِ ، فَنَسَبَ السُّلْطَانُ طُغْرُلْبَك رَحِيلَهُ إِلَى الْعِصْيَانِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولًا يَسْتَدْعِيهِ وَصُحْبَتَهُ الْفُرْجِيَّةَ الَّتِي خَلَعَهَا عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ ، وَكَتَبَ الْخَلِيفَةُ إِلَيْهِ أَيْضًا كِتَابًا فِي الْمَعْنَى ، فَرَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى السُّلْطَانِ ، وَهُوَ بِبَغْدَاذَ ، فَخَرَجَ الْوَزِيرُ الْكُنْدُرِيُّ لِاسْتِقْبَالِهِ ، وَأَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ إِلَيْهِ الْخِلَعَ.وَلَمَّا فَارَقَ إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلَ قَصَدَهَا الْبَسَاسِيرِيُّ وَقُرَيْشُ بْنُ بَدْرَانَ ، وَحَاصَرَاهَا ، فَمَلَكَا الْبَلَدَ لِيَوْمِهِ ، وَبَقِيَتِ الْقَلْعَةُ ، وَبِهَا الْخَازِنُ وَأَرْدَمُ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْعَسْكَرِ ، فَحَاصَرَاهَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ حَتَّى أَكَلَ مَنْ فِيهَا دَوَابَّهُمْ ، فَخَاطَبَ ابْنُ مُوسَكَ صَاحِبُ إِرْبِلَ قُرَيْشًا حَتَّى أَمَّنَهُمْ فَخَرَجُوا ، فَهَدَمَ الْبَسَاسِيرِيُّ الْقَلْعَةَ ، وَعَفَّى أَثَرَهَا.وَكَانَ السُّلْطَانُ قَدْ فَرَّقَ عَسْكَرَهُ فِي النَّوْرُوزِ ، وَبَقِيَ جَرِيدَةً فِي أَلْفَيْ فَارِسٍ حِينَ بَلَغَهُ الْخَبَرُ ، فَسَارَ إِلَى الْمَوْصِلِ فَلَمْ يَجِدْ بِهَا أَحَدًا ، وَكَانَ قُرَيْشٌ وَالْبَسَاسِيرِيُّ قَدْ فَارَقَاهَا ، فَسَارَ السُّلْطَانُ إِلَى نَصِيبِينَ لِيَتَتَبَّعَ آثَارَهُمْ وَيُخْرِجَهُمْ مِنَ الْبِلَادِ ، فَفَارَقَهُ أَخُوهُ إِبْرَاهِيمُ يَنَّالُ ، وَسَارَ نَحْوَ هَمَذَانَ ، فَوَصَلَهَا فِي السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَكَانَ قَدْ قِيلَ إِنَّ الْمِصْرِيِّينَ كَاتَبُوهُ ، وَالْبَسَاسِيرِيُّ قَدِ اسْتَمَالَهُ وَأَطْمَعَهُ فِي السَّلْطَنَةِ وَالْبِلَادِ ، فَلَمَّا عَادَ إِلَى هَمَذَانَ سَارَ السُّلْطَانُ فِي أَثَرِهِ.ذِكْرُ الْخِطْبَةِ بِالْعِرَاقِ لِلْعَلَوِيِّ الْمِصْرِيِّ وَمَا كَانَ إِلَى قَتْلِ الْبَسَاسِيرِيِّ لَمَّا عَادَ إِبْرَاهِيمُ يَنَّالُ إِلَى هَمَذَانَ سَارَ طُغْرُلْبَك خَلْفَهُ ، وَرَدَّ وَزِيرَهُ عَمِيدَ الْمُلْكِ الْكُنْدُرِيَّ وَزَوْجَتَهُ إِلَى بَغْدَاذَ.وَكَانَ مَسِيرُهُ مِنْ نَصِيبِينَ مُنْتَصَفَ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَوَصَلَ إِلَى هَمَذَانَ ، وَتَحَصَّنَ بِالْبَلَدِ ، وَقَاتَلَ أَهْلُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْخَاتُونِ زَوْجَتِهِ وَعَمِيدِ الْمُلْكِ الْكُنْدُرِيِّ يَأْمُرُهُمَا بِاللَّحَاقِ بِهِ ، فَمَنَعَهُمَا الْخَلِيفَةُ مِنْ ذَلِكَ تَمَسُّكًا بِهِمَا ، وَفَرَّقَ غِلَالًا كَثِيرَةً فِي النَّاسِ ، وَسَارَ مَنْ كَانَ بِبَغْدَاذَ مِنَ الْأَتْرَاكِ إِلَى السُّلْطَانِ بِهَمَذَانَ ، وَسَارَ عَمِيدُ الْمُلْكِ إِلَى دُبَيْسِ بْنِ مَزْيَدٍ فَاحْتَرَمَهُ وَعَظَّمَهُ ، ثُمَّ سَارَ مِنْ عِنْدِهِ إِلَى هَزَارَسْبَ وَسَارَتْ خَاتُونُ إِلَى السُّلْطَانِ بِهَمَذَانَ ، فَأَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ إِلَى نُورِ الدَّوْلَةِ دُبَيْسِ بْنِ مَزْيَدٍ يَأْمُرُهُ بِالْوُصُولِ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَوَرَدَ إِلَيْهَا فِي مِائَةِ فَارِسٍ ، وَنَزَلَ فِي النَّجْمِيِّ ثُمَّ عَبَرَ إِلَى الْأَتَانِينَ.وَقَوِيَ الْإِرْجَافُ بِوُصُولِ الْبَسَاسِيرِيِّ ، فَلَمَّا تَحَقَّقَ الْخَلِيفَةُ وُصُولَهُ إِلَى هِيتَ أَمَرَ النَّاسَ بِالْعُبُورِ مِنَ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِلَى الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ، فَأَرْسَلَ دُبَيْسُ بْنُ مَزْيَدٍ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَإِلَى رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ يَقُولُ الرَّأْيُ عِنْدِي خُرُوجُكُمَا مِنَ الْبَلَدِ مَعِي ، فَإِنَّنِي أَجْتَمِعُ أَنَا وَهَزَارَسْبُ فَإِنَّهُ بِوَاسِطٍ عَلَى دَفْعِ عَدُوِّكُمَا.فَأُجِيبَ ابْنُ مَزْيَدٍ بِأَنْ يُقِيمَ حَتَّى يَقَعَ الْفِكْرُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ الْعَرَبُ لَا تُطِيعُنِي عَلَى الْمُقَامِ ، وَأَنَا أَتَقَدَّمُ إِلَى دَيَالَى ، فَإِذَا انْحَدَرْتُمْ سِرْتُ فِي خِدْمَتِكُمْ.وَسَارَ وَأَقَامَ بِدَيَالَى يَنْتَظِرُهُمَا ، فَلَمْ يَرَ لِذَلِكَ أَثَرًا ، فَسَارَ إِلَى بِلَادِهِ.ثُمَّ إِنَّ الْبَسَاسِيرِيَّ وَصَلَ إِلَى بَغْدَاذَ يَوْمَ الْأَحَدِ ثَامِنَ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَمَعَهُ أَرْبَعُمِائَةِ غُلَامٍ عَلَى غَايَةِ الضُّرِّ وَالْفَقْرِ ، وَكَانَ مَعَهُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْوَزِيرُ ، فَنَزَلَ الْبَسَاسِيرِيُّ بِمَشْرَعَةِ الرَّوَايَا ، وَنَزَلَ قُرَيْشُ بْنُ بَدْرَانَ ، وَهُوَ فِي مِائَتَيْ فَارِسٍ ، عِنْدَ مَشْرَعَةِ بَابِ الْبَصْرَةِ ، وَرَكِبَ عَمِيدُ الْعِرَاقِ وَمَعَهُ الْعَسْكَرُ وَالْعَوَامُّ ، وَأَقَامُوا بِإِزَاءِ عَسْكَرِ الْبَسَاسِيرِيِّ وَعَادُوا ، وَخَطَبَ الْبَسَاسِيرِيُّ بِجَامِعِ الْمَنْصُورِ لِلْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ الْعَلَوِيِّ صَاحِبِ مِصْرَ ، وَأَمَرَ فَأُذِّنَ بِحَيِّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ ، وَعَقَدَ الْجِسْرَ ، وَعَبَرَ عَسْكَرُهُ إِلَى الزَّاهِرِ وَخَيَّمُوا فِيهِ ، وَخَطَبَ فِي الْجُمُعَةِ مِنْ وُصُولِهِ بِجَامِعِ الرُّصَافَةِ لِلْمِصْرِيِّ ، وَجَرَى بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ حُرُوبٌ فِي أَثْنَاءِ الْأُسْبُوعِ.وَكَانَ عَمِيدُ الْعِرَاقِ يُشِيرُ عَلَى رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ بِالتَّوَقُّفِ عَنِ الْمُنَاجَزَةِ ، وَيَرَى الْمُحَاجَزَةَ وَمُطَاوَلَةَ الْأَيَّامِ انْتِظَارًا لِمَا يَكُونُ مِنَ السُّلْطَانِ ، وَلِمَا يَرَاهُ مِنَ الْمَصْلَحَةِ بِسَبَبِ مَيْلِ الْعَامَّةِ إِلَى الْبَسَاسِيرِيِّ ، أَمَّا الشِّيعَةُ فَلِلْمَذْهَبِ ، وَأَمَّا السَّنَةُ فَلِمَا فَعَلَ بِهِمُ الْأَتْرَاكُ.وَكَانَ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ لِقِلَّةِ مَعْرِفَتِهِ بِالْحَرْبِ وَلِمَا عِنْدَهُ مِنَ الْبَسَاسِيرِيِّ يَرَى الْمُبَادَرَةَ إِلَى الْحَرْبِ ، فَاتَّفَقَ أَنَّ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ حَضَرَ الْقَاضِي الْهَمَذَانِيُّ عِنْدَ رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ ، وَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْحَرْبِ ، وَضَمِنَ لَهُ قَتْلَ الْبَسَاسِيرِيِّ ، فَأَذِنَ لَهُ مِنْ غَيْرِ عِلْمِ عَمِيدِ الْعِرَاقِ ، فَخَرَجَ وَمَعَهُ الْخَدَمُ وَالْهَاشِمِيُّونَ وَالْعَجَمُ وَالْعَوَّامُ إِلَى الْحَلْبَةِ ، وَأَبْعَدُوا ، وَالْبَسَاسِيرِيُّ يَسْتَجِرُّهُمْ ، فَلَمَّا أَبْعَدُوا حَمَلَ عَلَيْهِمْ فَعَادُوا مُنْهَزِمِينَ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ ، وَمَاتَ فِي الزَّحْمَةِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَعْيَانِ ، وَنُهِبَ بَابُ الْأَزَجِّ ، وَكَانَ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ وَاقِفًا دُونَ الْبَابِ ، فَدَخَلَ الدَّارَ ، وَهَرَبَ كُلُّ مَنْ فِي الْحَرِيمِ.وَلَمَّا بَلَغَ عَمِيدَ الْعِرَاقِ فِعْلُ رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ لَطَمَ عَلَى وَجْهِهِ كَيْفَ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ وَلَا مَعْرِفَةَ لَهُ بِالْحَرْبِ.وَرَجَعَ الْبَسَاسِيرِيُّ إِلَى مُعَسْكَرِهِ ، وَاسْتَدْعَى الْخَلِيفَةُ عَمِيدَ الْعِرَاقِ وَأَمَرَهُ بِالْقِتَالِ عَلَى سُورِ الْحَرِيمِ ، فَلَمْ يَرُعْهُمْ إِلَّا الزَّعْقَاتُ ، وَقَدْ نُهِبَ الْحَرِيمُ ، وَقَدْ دَخَلُوا بِبَابِ النُّوبِيِّ ، فَرَكِبَ الْخَلِيفَةُ لَابِسًا لِلسَّوَادِ ، وَعَلَى كَتِفِهِ الْبُرْدَةُ ، وَبِيَدِهِ السَّيْفُ ، وَعَلَى رَأْسِهِ اللِّوَاءُ ، وَحَوْلَهُ زُمْرَةٌ مِنَ الْعَبَّاسِيِّينَ وَالْخَدَمِ بِالسُّيُوفِ الْمَسْلُولَةِ ، فَرَأَى النَّهْبَ قَدْ وَصَلَ إِلَى بَابِ الْفِرْدَوْسِ مِنْ دَارِهِ ، فَرَجَعَ إِلَى وَرَائِهِ ، وَمَضَى نَحْوَ عَمِيدِ الْعِرَاقِ فَوَجَدَهُ قَدِ اسْتَأْمَنَ إِلَى قُرَيْشٍ ، فَعَادَ وَصَعِدَ الْمَنْظَرَةَ ، وَصَاحَ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ يَا عَلَمَ الدِّينِ يَعْنِي قُرَيْشًا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَدْنِيكَ.فَدَنَا مِنْهُ.فَقَالَ لَهُ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ قَدْ أَنَالَكَ اللَّهُ مَنْزِلَةً لَمْ يَنَلْهَا أَمْثَالُكَ ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَذِمُّ مِنْكَ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ بِذِمَامِ اللَّهِ تَعَالَى وَذِمَامِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذِمَامِ الْعَرَبِيَّةِ.فَقَالَ قَدْ أَذَمَّ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ.قَالَ وَلِي وَلِمَنْ مَعَهُ ؟قَالَ نَعَمْ.وَخَلَعَ قَلَنْسُوَتَهُ فَأَعْطَاهَا الْخَلِيفَةَ ، وَأَعْطَى مَخْصَرَتُهُ رَئِيسَ الرُّؤَسَاءِ ذِمَامًا ، فَنَزَلَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ وَرَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ مِنَ الْبَابِ الْمُقَابِلِ لِبَابِ الْحَلْبَةِ ، وَصَارَا مَعَهُ.فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْبَسَاسِيرِيُّ أَتُخَالِفُ مَا اسْتَقَرَّ بَيْنَنَا ، وَتَنْقُضُ مَا تَعَاهَدْنَا عَلَيْهِ ؟فَقَالَ قُرَيْشٌ لَا.وَكَانَا قَدْ تَعَاهَدَا عَلَى الْمُشَارَكَةِ فِي الَّذِي يَحْصُلُ لَهُمَا ، وَأَنْ لَا يَسْتَبِدَّ أَحَدُهُمَا دُونَ الْآخَرِ بِشَيْءٍ ، فَاتَّفَقَا عَلَى أَنْ يُسَلِّمَ قُرَيْشٌ رَئِيسَ الرُّؤَسَاءِ إِلَى الْبَسَاسِيرِيِّ; لِأَنَّهُ عَدُوُّهُ ، وَيَتْرُكَ الْخَلِيفَةَ عِنْدَهُ ، فَأَرْسَلَ قُرَيْشٌ رَئِيسَ الرُّؤَسَاءِ إِلَى الْبَسَاسِيرِيِّ ، فَلَمَّا رَآهُ قَالَ مَرْحَبًا بِمُهْلِكِ الدُّوَلِ ، وَمُخَرِّبِ الْبِلَادِ!فَقَالَ الْعَفْوَ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ.فَقَالَ الْبَسَاسِيرِيُّ فَقَدْ قَدَرْتَ فَمَا عَفَوْتَ ، وَأَنْتَ صَاحِبُ طَيْلَسَانَ ، وَرَكِبْتَ الْأَفْعَالَ الشَّنِيعَةَ مَعَ حُرَمِي وَأَطْفَالِي ، فَكَيْفَ أَعْفُو أَنَا ، وَأَنَا صَاحِبُ السَّيْفِ ؟وَأَمَّا الْخَلِيفَةُ فَإِنَّهُ حَمَلَهُ قُرَيْشٌ رَاكِبًا إِلَى مُعَسْكَرِهِ وَعَلَيْهِ السَّوَادُ وَالْبُرْدَةُ ، وَبِيَدِهِ السَّيْفُ ، وَعَلَى رَأْسِهِ اللِّوَاءُ ، وَأَنْزَلَهُ فِي خَيْمَةٍ ، وَأَخَذَ أَرْسِلَانَ خَاتُونَ ، زَوْجَةَ الْخَلِيفَةِ ، وَهِيَ ابْنَةُ أَخِي السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك ، فَسَلَّمَهَا إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَرْدَةَ لِيَقُومَ بِخِدْمَتِهَا.وَنُهِبَتْ دَارُ الْخِلَافَةِ وَحَرِيمُهَا أَيَّامًا ، وَسَلَّمَ قُرَيْشٌ الْخَلِيفَةَ إِلَى ابْنِ عَمِّهِ مُهَارِشَ بْنِ الْمُجَلِّي ، وَهُوَ رَجُلٌ فِيهِ دِينٌ ، وَلَهُ مُرُوءَةٌ.فَحَمَلَهُ فِي هَوْدَجٍ وَسَارَ بِهِ إِلَى حَدِيثَةِ عَانَةَ ، فَتَرَكَهُ بِهَا ، وَسَارَ مَنْ كَانَ مَعَ الْخَلِيفَةِ مِنْ خَدَمِهِ وَأَصْحَابِهِ إِلَى السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك مُسْتَنْفِرِينَ.فَلَمَّا وُصَلَ الْخَلِيفَةُ إِلَى الْأَنْبَارِ شَكَا الْبَرْدَ ، فَأَنْفَذَ إِلَى مُقَدَّمِهَا يَطْلُبُ مِنْهُ مَا يَلْبَسُهُ ، فَأَرْسَلَ لَهُ جُبَّةً فِيهَا قُطْنٌ وَلِحَافًا.وَأَمَّا الْبَسَاسِيرِيُّ فَإِنَّهُ رَكِبَ يَوْمَ عِيدِ النَّحْرِ ، وَعَبَرَ إِلَى الْمُصَلَّى بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ، وَعَلَى رَأْسِهِ الْأَلْوِيَةُ الْمِصْرِيَّةُ ، فَأَحْسَنَ إِلَى النَّاسِ ، وَأَجْرَى الْجِرَايَاتِ عَلَى الْمُتَفَقِّهَةِ ، وَلَمْ يَتَعَصَّبْ لِمَذْهَبٍ ، وَأَفْرَدَ لِوَالِدَةِ الْخَلِيفَةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ دَارًا ، وَكَانَتْ قَدْ قَارَبَتْ تِسْعِينَ سَنَةً ، وَأَعْطَاهَا جَارِيَتَيْنِ مِنْ جَوَارِيهَا لِلْخِدْمَةِ ، وَأَجْرَى لَهَا الْجِرَايَةَ ، وَأَخْرَجَ مَحْمُودَ بْنَ الْأَخْرَمِ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَسُقِّيَ الْفُرَاتُ أَمِيرًا.وَأَمَّا رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ فَأَخْرَجَهُ الْبَسَاسِيرِيُّ آخِرَ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ مَحْبِسِهِ بِالْحَرِيمِ الطَّاهِرِيِّ ، مُقَيَّدًا وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ صُوفٌ ، وَطُرْطُورٌ مِنْ لِبْدٍ أَحْمَرَ ، وَفِي رَقَبَتِهِ مِخْنَقَةُ جُلُودِ بَعِيرٍ ، وَهُوَ يَقْرَأُ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ آل عمران الْآيَةَ.وَبَصَقَ أَهْلُ الْكَرْخِ فِي وَجْهِهِ عِنْدَ اجْتِيَازِهِ بِهِمْ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَتَعَصَّبُ عَلَيْهِمْ ، وَشُهِّرَ إِلَى حَدِّ النَّجْمِيِّ ، وَأُعِيدَ إِلَى مُعَسْكَرِ الْبَسَاسِيرِيِّ ، وَقَدْ نُصِبَتْ لَهُ خَشَبَةٌ ، وَأُنْزِلَ عَنِ الْجَمَلِ ، وَأُلْبِسَ جِلْدَ ثَوْرٍ ، وَجُعِلَتْ قُرُونُهُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَجُعِلَ فِي فَكَّيْهِ كُلَّابَانِ مِنْ حَدِيدٍ ، وَصُلِبَ ، فَبَقِيَ يَضْطَرِبُ إِلَى آخَرِ النَّهَارِ ، وَمَاتَ.وَكَانَ مَوْلِدُهُ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَتْ شَهَادَتُهُ عِنْدَ ابْنِ مَاكُولَا سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَكَانَ حَسَنَ التِّلَاوَةِ لِلْقُرْآنِ ، جَيِّدَ الْمَعْرِفَةِ بِالنَّحْوِ.وَأَمَّا عَمِيدُ الْعِرَاقِ فَقَتَلَهُ الْبَسَاسِيرِيُّ ، وَكَانَ فِيهِ شَجَاعَةٌ وَلَهُ فُتُوَّةٌ ، وَهُوَ الَّذِي بَنَى رِبَاطَ شَيْخِ الشُّيُوخِ.وَلَمَّا خَطَبَ الْبَسَاسِيرِيُّ لِلْمُسْتَنْصِرِ الْعَلَوِيِّ بِالْعِرَاقِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ بِمِصْرَ يُعَرِّفُهُ مَا فَعَلَ ، وَكَانَ الْوَزِيرُ هُنَاكَ أَبَا الْفَرَجِ ابْنَ أَخِي أَبِي الْقَاسِمِ الْمَغْرِبِيِّ ، وَهُوَ مِمَّنْ هَرَبَ مِنَ الْبَسَاسِيرِيِّ وَفِي نَفْسِهِ مَا فِيهَا ، فَوَقَعَ فِيهِ ، وَبَرَّدَ فِعْلَهُ ، وَخَوَّفَ عَاقِبَتَهُ ، فَتُرِكَتْ أَجْوِبَتُهُ مُدَّةً ، ثُمَّ عَادَتْ بِغَيْرِ الَّذِي أَمَّلَهُ وَرَجَاهُ.وَسَارَ الْبَسَاسِيرِيُّ مِنْ بَغْدَاذَ إِلَى وَاسِطٍ وَالْبَصْرَةِ ، فَمَلَكَهُمَا ، وَأَرَادَ قَصْدَ الْأَهْوَازِ ، فَأَنْفَذَ صَاحِبُهَا هَزَارَسْبُ بْنُ بُنْكِيرَ إِلَى دُبَيْسِ بْنِ مَزْيَدٍ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُصْلِحَ الْأَمْرَ عَلَى مَالٍ يَحْمِلُهُ إِلَيْهِ ، فَلَمْ يُجِبِ الْبَسَاسِيرِيُّ إِلَى ذَلِكَ ، وَقَالَ لَا بُدَّ مِنَ الْخُطْبَةِ لِلْمُسْتَنْصِرِ ، وَالسِّكَّةِ بِاسْمِهِ.فَلَمْ يَفْعَلْ هَزَارَسْبُ ذَلِكَ ، وَرَأَى الْبَسَاسِيرِيُّ أَنَّ طُغْرُلْبَك يَمُدُّ هَزَارَسْبَ بِالْعَسَاكِرِ ، فَصَالَحَهُ ، وَأَصْعَدَ إِلَى وَاسِطٍ فِي مُسْتَهَلِّ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَفَارَقَهُ صَدَقَةُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ الْحَسَنِ الْأَسَدِيُّ ، وَلَحِقَ بِهَزَارَسْبَ ، وَكَانَ قَدْ وَلِيَ بَعْدَ أَبِيهِ عَلَى مَا نَذْكُرُهُ.وَأَمَّا أَحْوَالُ السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك وَإِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ ، فَإِنَّ السُّلْطَانَ كَانَ فِي قِلَّةٍ مِنَ الْعَسْكَرِ ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ قَدِ اجْتَمَعَ مَعَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ ، وَحَلَفَ لَهُمْ أَنَّهُ لَا يُصَالِحُ أَخَاهُ طُغْرُلْبَك ، وَلَا يُكَلِّفُهُمُ الْمَسِيرَ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَكَانُوا يَكْرَهُونَهُ لِطُولِ مُقَامِهِمْ ، وَكَثْرَةِ إِخْرَاجَاتِهِمْ ، فَلَمْ يَقْوَ بِهِ طُغْرُلْبَك ، وَأَتَى إِلَى إِبْرَاهِيمَ مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ ابْنَا أَخِيهِ أَرْتَاشَ فِي خَلْقٍ كَثِيرٍ ، فَازْدَادَ بِهِمْ قُوَّةً ، وَازْدَادَ طُغْرُلْبَك ضَعْفًا ، فَانْزَاحَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ إِلَى الرَّيِّ ، وَكَاتَبَ أَلْبَ أَرْسِلَانَ ، وَيَاقُوتِيَّ ، وَقَاوَرْتَ بِكْ ، أَوْلَادَ أَخِيهِ دَاوُدَ ، وَكَانَ دَاوُدُ قَدْ مَاتَ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَمَلَكَ خُرَاسَانَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَلْبُ أَرْسِلَانُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ طُغْرُلْبَك يَسْتَدْعِيهِمْ إِلَيْهِ ، فَجَاءُوا بِالْعَسَاكِرِ الْكَثِيرَةِ ، فَلَقِيَ إِبْرَاهِيمَ بِالْقُرْبِ مِنَ الرَّيِّ ، فَانْهَزَمَ إِبْرَاهِيمُ وَمَنْ مَعَهُ ، وَأُخِذَ أَسِيرًا هُوَ وَمُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَلَدَا أَخِيهِ ، فَأَمَرَ بِهِ فَخُنِقَ بِوَتَرِ قَوْسِهِ تَاسِعَ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَقُتِلَ وَلَدَا أَخِيهِ مَعَهُ.وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ قَدْ خَرَجَ عَلَى طُغْرُلْبَك مِرَارًا ، فَعَفَا عَنْهُ ، وَإِنَّمَا قَتَلَهُ فِي هَذِهِ الدَّفْعَةِ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ جَمِيعَ مَا جَرَى عَلَى الْخَلِيفَةِ كَانَ بِسَبَبِهِ ، فَلِهَذَا لَمْ يَعْفُ عَنْهُ.وَلَمَّا قُتِلَ إِبْرَاهِيمُ أَرْسَلَ طُغْرُلْبَك إِلَى هَزَارَسْبَ بِالْأَهْوَازِ يُعَرِّفُهُ ذَلِكَ ، وَعِنْدَهُ عَمِيدُ الْمُلْكِ الْكُنْدُرِيُّ ، فَسَارَ إِلَى السُّلْطَانِ ، فَجَهَّزَهُ هَزَارَسْبُ تَجْهِيزَ مِثْلِهِ.ذِكْرُ عَوْدِ الْخَلِيفَةِ إِلَى بَغْدَاذَ لَمَّا فَرَغَ السُّلْطَانُ مِنْ أَمْرِ أَخِيهِ إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ عَادَ يَطْلُبُ الْعِرَاقَ ، لَيْسَ لَهُ هَمٌّ إِلَّا إِعَادَةَ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ إِلَى دَارِهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْبَسَاسِيرِيِّ وَقُرَيْشٍ فِي إِعَادَةِ الْخَلِيفَةِ إِلَى دَارِهِ عَلَى أَنْ لَا يَدْخُلَ طُغْرُلْبَك الْعِرَاقَ ، وَيَقْنَعَ بِالْخُطْبَةِ وَالسِّكَّةِ ، فَلَمْ يُجِبِ الْبَسَاسِيرِيُّ إِلَى ذَلِكَ ، فَرَحَلَ طُغْرُلْبَك إِلَى الْعِرَاقِ ، فَوَصَلَتْ مُقَدَّمَتُهُ إِلَى قَصْرِ شِيرِينَ ، فَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَانْحَدَرَ حُرَمُ الْبَسَاسِيرِيِّ وَأَوْلَادُهُ ، وَرَحَلَ أَهْلُ الْكَرْخِ بِنِسَائِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ فِي دِجْلَةَ وَعَلَى الظَّهْرِ ، وَنَهَبَ بَنُو شَيْبَانَ النَّاسَ ، وَقَتَلُوا كَثِيرًا مِنْهُمْ ، وَكَانَ دُخُولُ الْبَسَاسِيرِيِّ وَأَوْلَادِهِ بَغْدَاذَ سَادِسَ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ خَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَخَرَجُوا مِنْهَا سَادِسَ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ.وَثَارَ أَهْلُ بَابِ الْبَصْرَةِ إِلَى الْكَرْخِ ، فَنَهَبُوهُ ، وَأَحْرَقُوا دَرْبَ الزَّعْفَرَانِ ، وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ الدُّرُوبِ وَأَعْمَرِهَا ، وَوَصَلَ طُغْرُلْبَك إِلَى بَغْدَاذَ ، وَكَانَ قَدْ أَرْسَلَ مِنَ الطَّرِيقِ الْإِمَامَ أَبَا بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ أَيُّوبَ الْمَعْرُوفَ بِابْنِ فُورَكَ ، إِلَى قُرَيْشِ بْنِ بَدْرَانَ يَشْكُرُهُ عَلَى فِعْلِهِ بِالْخَلِيفَةِ ، وَحِفْظِهِ عَلَى صِيَانَتِهِ ابْنَةَ أَخِيهِ امْرَأَةَ الْخَلِيفَةِ ، وَيُعَرِّفُهُ أَنَّهُ قَدْ أَرْسَلَ أَبَا بَكْرِ بْنَ فُورَكَ لِلْقِيَامِ بِخِدْمَةِ الْخَلِيفَةِ وَإِحْضَارِهِ وَإِحْضَارِ أَرْسِلَانَ خَاتُونَ ابْنَةِ أَخِيهِ امْرَأَةِ الْخَلِيفَةِ.وَلَمَّا سَمِعَ قُرَيْشٌ بِقَصْدِ طُغْرُلْبَك الْعِرَاقَ أَرْسَلَ إِلَى مُهَارِشَ يَقُولُ لَهُ أَوْدَعْنَا الْخَلِيفَةَ عِنْدَكَ ثِقَةً بِأَمَانَتِكَ ، لِيَنْكَفَّ بَلَاءُ الْغُزِّ عَنَّا ، وَالْآنَ فَقَدْ عَادُوا وَهُمْ عَازِمُونَ عَلَى قَصْدِكَ ، فَارْحَلْ أَنْتَ وَأَهْلُكَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ ، فَإِنَّهُمْ إِذَا عَلِمُوا أَنَّ الْخَلِيفَةَ عِنْدَنَا فِي الْبَرِّيَّةِ لَمْ يَقْصِدُوا الْعِرَاقَ ، وَنَحْكُمُ عَلَيْهِمْ بِمَا نُرِيدُ ، فَقَالَ مُهَارِشٌ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْبَسَاسِيرِيِّ عُهُودٌ وَمَوَاثِيقُ نَقَضَهَا ، وَإِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدِ اسْتَحْلَفَنِي بِعُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ لَا مَخْلَصَ مِنْهَا.وَسَارَ مُهَارِشٌ وَمَعَهُ الْخَلِيفَةُ حَادِيَ عَشَرَ ذِي الْقِعْدَةِ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَجَعَلَا طَرِيقَهُمَا عَلَى بَلَدِ بَدْرِ بْنِ مُهَلْهِلٍ لِيَأْمَنَا مَنْ يَقْصِدُهُمَا ، وَوَصَلَ ابْنُ فُورَكَ إِلَى حُلَّةِ بَدْرِ بْنِ مُهَلْهِلٍ ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُوَصِّلَهُ إِلَى مُهَارِشٍ ، فَجَاءَ إِنْسَانٌ سَوَادِيٌّ إِلَى بَدْرٍ ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَأَى الْخَلِيفَةَ وَمُهَارِشًا بِتَلِّ عُكْبُرَا ، فَسُرَّ بِذَلِكَ بَدْرٌ ، وَرَحَلَ ابْنُ فُورَكَ ، وَخَدَمَاهُ ، وَحَمَلَ لَهُ بَدْرٌ شَيْئًا كَثِيرًا ، وَأَوْصَلَ إِلَيْهِ ابْنُ فُورَكَ رِسَالَةَ طُغْرُلْبِكْ ، وَهَدَايَا كَثِيرَةً أَرْسَلَهَا مَعَهُ.وَلَمَّا سَمِعَ طُغْرُلْبِكْ بِوُصُولِ الْخَلِيفَةِ إِلَى بَلَدِ بِدْرٍ أَرْسَلَ وَزِيرَهُ الْكُنْدُرِيَّ ، وَالْأُمَرَاءَ ، وَالْحُجَّابَ ، وَأَصْحَبَهُمُ الْخِيَامَ الْعَظِيمَةَ ، وَالسُّرَادِقَاتِ ، وَالتُّحَفَ مِنَ الْخَيْلِ بِالْمَرَاكِبِ الذَّهَبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَوَصَلُوا إِلَى الْخَلِيفَةِ وَخَدَمُوهُ وَرَحَلُوا ، وَوَصَلَ الْخَلِيفَةُ إِلَى النَّهْرَوَانِ فِي الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَخَرَجَ السُّلْطَانُ إِلَى خِدْمَتِهِ ، فَاجْتَمَعَ بِهِ ، وَقَبَّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَهَنَّأَهُ بِالسَّلَامَةِ ، وَأَظْهَرَ الْفَرَحَ بِسَلَامَتِهِ ، وَاعْتَذَرَ مِنْ تَأَخُّرِهِ بِعِصْيَانِ إِبْرَاهِيمَ ، وَأَنَّهُ قَتَلَهُ عُقُوبَةً لِمَا جَرَى مِنْهُ مِنَ الْوَهَنِ عَلَى الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، وَبِوَفَاةِ أَخِيهِ دَاوُدَ بِخُرَاسَانَ ، وَأَنَّهُ اضْطُرَّ إِلَى التَّرَيُّثِ حَتَّى يُرَتِّبَ أَوْلَادَهُ بَعْدَهُ فِي الْمَمْلَكَةِ ، وَقَالَ أَنَا أَمْضِي خَلْفَ هَذَا الْكَلْبِ ، يَعْنِي الْبَسَاسِيرِيَّ ، وَأَقْصِدُ الشَّامَ ، وَأَفْعَلُ فِي حَقِّ صَاحِبِ مِصْرَ مَا أُجَازِي بِهِ فِعْلَهُ!وَقَلَّدَهُ الْخَلِيفَةُ بِيَدِهِ سَيْفًا ، وَقَالَ لَمْ يَبْقَ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي دَارِهِ سِوَاهُ ، وَقَدْ تَبَرَّكَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَكَشَفَ غِشَاءَ الْخِرْكَاةِ حَتَّى رَآهُ الْأُمَرَاءُ ، فَخَدَمُوا وَانْصَرَفُوا.وَلَمْ يَبْقَ بِبَغْدَاذَ مِنْ أَعْيَانِهَا مَنْ يَسْتَقْبِلُ الْخَلِيفَةَ غَيْرَ الْقَاضِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الدَّامَغَانِيِّ ، وَثَلَاثَةِ نَفَرٍ مِنَ الشُّهُودِ.وَتَقَدَّمَ السُّلْطَانُ فِي الْمَسِيرِ ، فَوَصَلَ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَجَلَسَ فِي بَابِ النُّوبِيِّ مَكَانَ الْحَاجِبِ ، وَوَصَلَ الْخَلِيفَةُ فَقَامَ طُغْرُلْبِكْ ، وَأَخَذَ بِلِجَامِ بَغْلَتِهِ ، حَتَّى صَارَ عَلَى بَابِ حُجْرَتِهِ ، وَكَانَ وُصُولُهُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَعَبَرَ السُّلْطَانُ إِلَى مُعَسْكَرِهِ ، وَكَانَتِ السَّنَةُ مُجْدِبَةً ، وَلَمْ يَرَ النَّاسُ فِيهَا مَطَرًا ، فَجَاءَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَهَنَّأَ الشُّعَرَاءُ الْخَلِيفَةَ وَالسُّلْطَانَ بِهَذَا الْأَمْرِ ، وَدَامَ الْبَرْدُ بَعْدَ قُدُومِ الْخَلِيفَةِ نَيِّفًا وَثَلَاثِينَ يَوْمًا ، وَمَاتَ بِالْجُوعِ وَالْعُقُوبَةِ عَدَدٌ لَا يُحْصَى ، وَكَانَ أَبُو عَلِيِّ بْنُ شِبْلٍ مِمَّنْ هَرَبَ مِنْ طَائِفَةٍ مِنَ الْغَرِّ ، فَوَقَعَ بِهِ غَيْرُهُمْ فَأَخَذُوا مَالَهُ فَقَالَ خَرَجْنَا مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ خَوْفًا فَكَانَ فِرَارُنَا مِنْهُ إِلَيْهِ وَأَشْقَى النَّاسِ ذُو عَزْمٍ تَوَالَتْ مَصَائِبُهُ عَلَيْهِ مِنْ يَدَيْهِ تَضِيقُ عَلَيْهِ طُرُقُ الْعُذْرِ مِنْهَا وَيَقْسُو قَلْبُ رَاحِمِهِ عَلَيْهِ ذِكْرُ قَتْلِ الْبَسَاسِيرِيِّ أَنْفَذَ السُّلْطَانُ بَعْدَ اسْتِقْرَارِ الْخَلِيفَةِ فِي دَارِهِ جَيْشًا عَلَيْهِمْ خُمَارَتِكِين الطُّغْرَائِيُّ فِي أَلْفَيْ فَارِسٍ نَحْوَ الْكُوفَةِ ، فَأَضَافَ إِلَيْهِمْ سَرَايَا ابْنِ مَنِيعٍ الْخَفَاجِيِّ ، وَكَانَ قَدْ قَالَ لِلسُّلْطَانِ أَرْسِلْ مَعِي هَذِهِ الْعُدَّةَ حَتَّى أَمْضِيَ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَأَمْنَعَ الْبَسَاسِيرِيَّ مِنَ الْإِصْعَادِ إِلَى الشَّامِ.وَسَارَ السُّلْطَانُ طُغْرُلْبِكْ فِي أَثَرِهِمْ ، فَلَمْ يَشْعُرْ دُبَيْسُ بْنُ مَزْيَدٍ وَالْبَسَاسِيرِيُّ إِلَّا وَالسَّرِيَّةُ قَدْ وَصَلَتْ إِلَيْهِمْ ثَامِنَ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ طَرِيقِ الْكُوفَةِ ، بَعْدَ أَنْ نَهَبُوهَا ، وَأَخَذَ نُورُ الدَّوْلَةِ دُبَيْسٌ رَحْلَهُ جَمِيعَهُ ، وَأَحْدَرَهُ إِلَى الْبِطِّيخَةِ ، وَجَعَلَ أَصْحَابُ نُورِ الدَّوْلَةِ دُبَيْسٍ يَرْحَلُونَ بِأَهْلِيهِمْ فَيَمْنَعُهُمُ الْأَتْرَاكُ ، فَتَقَدَّمَ نُورُ الدَّوْلَةِ لِيَرُدَّ الْعَرَبَ إِلَى الْقِتَالِ ، فَلَمْ يَرْجِعُوا فَمَضَى.وَوَقَفَ الْبَسَاسِيرِيُّ فِي جَمَاعَتِهِ ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ الْجَيْشُ ، فَأُسِرَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ وَرَّامَ ، وَأُسِرَ مَنْصُورٌ وَبَدْرَانُ وَحَمَّادٌ ، بَنُو نُورِ الدَّوْلَةِ دُبَيْسٌ ، وَضُرِبَ فَرَسُ الْبَسَاسِيرِيِّ بِنَشَّابَةٍ ، وَأَرَادَ قَطْعَ تَجْفَافِهِ لِتَسْهُلَ عَلَيْهِ النَّجَاةُ فَلَمْ يَنْقَطِعْ ، وَسَقَطَ عَنِ الْفَرَسِ ، وَوَقَعَ فِي وَجْهِهِ ضَرْبَةٌ وَدَلَّ عَلَيْهِ بَعْضُ الْجَرْحَى ، فَأَخَذَهُ كُمُشْتَكِينُ دَوَاتِي عَمِيدِ الْمُلْكِ الْكُنْدُرِيُّ وَقَتَلَهُ ، وَحَمَلَ رَأْسَهُ إِلَى السُّلْطَانِ وَدَخَلَ الْجُنْدُ فِي الظَّعْنِ ، فَسَاقُوهُ جَمِيعَهُ وَأُخِذَتْ أَمْوَالُ أَهْلِ بَغْدَاذَ وَأَمْوَالُ الْبَسَاسِيرِيِّ مَعَ نِسَائِهِ وَأَوْلَادِهِ.وَهَلَكَ مِنَ النَّاسِ الْخَلْقُ الْعَظِيمُ ، وَأَمَرَ السُّلْطَانُ بِحَمْلِ رَأْسِ الْبَسَاسِيرِيِّ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ ، فَحُمِلَ إِلَيْهَا وَوَصَلَ مُنْتَصَفَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَنُظِّفَ وَغُسِّلَ وَجُعِلَ عَلَى قَنَاةٍ وَطِيفَ بِهِ.وَصُلِبَ قُبَالَةَ بَابِ النَّوْبِيِّ.وَكَانَ فِي أَسْرِ الْبَسَاسِيرِيِّ جَمَاعَةٌ مِنَ النِّسَاءِ الْمُتَعَلِّقَاتِ بِدَارِ الْخِلَافَةِ ، فَأُخِذْنَ ، وَأُكْرِمْنَ وَحُمِلْنَ إِلَى بَغْدَاذَ.وَمَضَى نُورُ الدَّوْلَةِ دُبَيْسٌ إِلَى الْبَطِيحَةِ وَمَعَهُ زَعِيمُ الْمُلْكِ أَبُو الْحَسَنِ عَبْدُ الرَّحِيمِ ، وَكَانَ مِنْ حَقِّ هَذِهِ الْحَوَادِثِ الْمُتَأَخِّرَةِ أَنْ تُذْكَرَ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْنَاهَا هَاهُنَا لِأَنَّهَا كَالْحَادِثَةِ الْوَاحِدَةِ يَتْلُو بَعْضُهَا بَعْضًا.وَكَانَ الْبَسَاسِيرِيُّ مَمْلُوكًا تُرْكِيًّا مِنْ مَمَالِيكَ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ تَقَلَّبَتْ بِهِ الْأُمُورُ حَتَّى بَلَغَ هَذَا الْمَقَامَ الْمَشْهُورَ ، وَاسْمُهُ أَرْسَلَانُ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو الْحَارِثِ ، وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى بَسَا مَدِينَةٌ بِفَارِسَ وَالْعَرَبُ تَجْعَلُ عِوَضَ الْبَاءِ فَاءً فَتَقُولُ فَسَا ، وَالنِّسْبَةُ إِلَيْهَا فَسَاوِيٌّ ، وَمِنْهَا أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ النَّحْوِيُّ ، وَكَانَ سَيِّدُ هَذَا الْمَمْلُوكِ أَوَّلًا مِنْ بَسَا ، فَقِيلَ لَهُ الْبَسَاسِيرِيُّ لِذَلِكَ ، وَجَعَلَ الْعَرَبُ الْبَاءَ فَاءً فَقِيلَ فَسَاسِيرِيٌّ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَقَرَّ السُّلْطَانُ طُغْرُلْبِكْ حِمْلَانَ بْنَ وَهْسُوذَانَ بْنِ مُمْلَانَ عَلَى وِلَايَةِ أَبِيهِ بِأَذَرْبِيجَانَ.وَفِيهَا مَاتَ شِهَابُ الدَّوْلَةِ أَبُو الْفَوَارِسِ مَنْصُورُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَسَدِيُّ ، صَاحِبُ الْجَزِيرَةِ عِنْدَ خُوزِسْتَانَ ، وَاجْتَمَعَتْ عَشِيرَتُهُ عَلَى وَلَدِهِ صَدَقَةَ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْمَلِكُ الرَّحِيمُ ، آخَرُ مُلُوكِ بُنِيَ بُوَيْهِ بِقَلْعَةِ الرَّيِّ ، وَكَانَ طُغْرُلْبِكْ سَجَنَهُ أَوَّلًا بِقَلْعَةِ السِّيرَوَانِ ، ثُمَّ نَقَلَهُ إِلَى قَلْعَةِ الرَّيِّ فَتُوُفِّيَ بِهَا.وَفِيهَا عَصَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي الْجَبْرِ بِالْبَطَائِحِ ، وَكَانَ مُتَقَدِّمَ بَعْضِ نَوَاحِيهَا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ طُغْرُلْبِكْ جَيْشًا مَعَ عَمِيدِ الْعِرَاقِ أَبِي النَّصْرِ ، فَهَزَمَهُمْ أَبُو عَلِيٍّ.وَفِيهَا يَوْمُ النَّوْرُوزِ أَرْسَلَ السُّلْطَانُ مَعَ وَزِيرِهِ عَمِيدِ الْمُلْكِ إِلَى الْخَلِيفَةِ عَشَرَةَ آلَافِ دِينَارٍ سِوَى مَا أُضِيفَ إِلَيْهَا مِنَ الْأَعْلَاقِ النَّفِيسَةِ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا ، فِي صَفَرٍ ، تُوُفِّيَ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ شَيْطَا الْقَارِيُّ ، الشَّاهِدُ ، وَكَانَتْ شَهَادَتُهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.وَفِيهَا ، فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، تُوُفِّيَ الْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبُ الطَّبَرِيُّ ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، وَلَهُ مِائَةُ سَنَةٍ وَسَنَتَانِ وَكَانَ صَحِيحَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ ، سَلِيمَ الْأَعْضَاءِ ، يُنَاظِرُ وَيُفْتِي وَيَسْتَدْرِكُ عَلَى الْفُقَهَاءِ ، وَحَضَرَ عَمِيدُ الْمُلْكِ جِنَازَتَهُ ، وَدُفِنَ عِنْدَ قَبْرِ أَحْمَدَ ، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ.وَفِي سَلْخِهِ تُوُفِّيَ قَاضِي الْقُضَاةِ أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ الْمَاوَرْدِيُّ ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ وَكَانَ إِمَامًا وَلَهُ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا الْحَاوِي وَغَيْرُهُ فِي عُلُومٍ كَثِيرَةٍ ، وَكَانَ عُمْرُهُ سِتًّا وَثَمَانِينَ سَنَةً.وَفِي آخِرِ هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّفَّا ، الضَّرِيرُ الْفَرَضِيُّ ، وَكَانَ إِمَامًا فِيهَا عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ.وَفِيهَا ، فِي شَوَّالٍ ، كَانَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ بِالْعِرَاقِ ، وَالْمَوْصِلِ ، وَوَصَلَتْ إِلَى هَمْدَانَ ، وَلَبِثَتْ سَاعَةً ، فَخَرَّبَتْ كَثِيرًا مِنَ الدُّورِ ، وَهَلَكَ فِيهَا الْجَمُّ الْغَفِيرُ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عِيَاضٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ أَبِي عَقِيلٍ ، وَكَانَ قَدْ سَمِعَ الْكَثِيرَ مِنَ الْحَدِيثِ وَرَوَاهُ.وَتُوُفِّيَ أَيْضًا الْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ هِنْدِيٍّ قَاضِي حِمْصَ ، وَكَانَ وَافِرَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.ذِكْرُ وَفَاةِ فَرَّخَ زَادَ صَاحِبِ غَزْنَةَ وَمُلْكِ أَخِيهِ إِبْرَاهِيمَ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي صَفَرٍ ، تُوُفِّيَ الْمَلِكُ فَرَّخَ زَادَ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ ، صَاحِبُ غَزْنَةَ ، وَكَانَ قَدْ ثَارَ بِهِ مَمَالِيكُهُ سَنَةَ خَمْسِينَ وَاتَّفَقُوا عَلَى قَتْلِهِ ، فَقَصَدُوهُ وَهُوَ فِي الْحَمَّامِ ، وَكَانَ مَعَهُ سَيْفٌ ، فَأَخَذَهُ وَقَاتَلَهُمْ وَمَنَعَهُمْ عَنْ نَفْسِهِ حَتَّى أَدْرَكَهُ أَصْحَابُهُ وَخَلَّصُوهُ ، وَقَتَلُوا أُولَئِكَ الْغِلْمَانَ.وَصَارَ بَعْدَ أَنْ نَجَا مِنْ هَذِهِ الْحَادِثَةِ يُكْثِرُ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَيَحْتَقِرُ الدُّنْيَا وَيَزْدَرِيهَا ، وَبَقِيَ كَذَلِكَ إِلَى هَذِهِ السَّنَةِ ، فَأَصَابَهُ قُولَنْجٌ فَمَاتَ مِنْهُ ، وَمَلَكَ بَعْدَهُ أَخُوهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ مَحْمُودٍ ، فَأَحْسَنَ السِّيرَةَ ، فَاسْتَعَدَّ لِجِهَادِ الْهِنْدِ ، فَفَتَحَ حُصُونًا امْتَنَعَتْ عَلَى أَبِيهِ وَجَدِّهِ ، وَكَانَ يَصُومُ رَجَبًا وَشَعْبَانَ وَرَمَضَانَ.ذِكْرُ الصُّلْحِ بَيْنَ الْمَلِكِ إِبْرَاهِيمَ وَجُغْرِي بِكْ دَاوُدَ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَقَرَّ الصُّلْحُ بَيْنَ الْمَلِكِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ وَبَيْنَ دَاوُدَ بْنِ مِيكَائِيلَ بْنِ سَلْجُوقَ ، صَاحِبِ خُرَاسَانَ ، عَلَى أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا عَلَى مَا بِيَدِهِ ، وَيَتْرُكَ مُنَازَعَةَ الْآخَرِ فِي مُلْكِهِ.وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْعُقَلَاءَ مِنَ الْجَانِبَيْنِ نَظَرُوا فَرَأَوْا أَنْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْمَلِكَيْنِ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَخْذِ مَا بِيَدِ الْآخَرِ ، وَلَيْسَ يَحْصُلُ غَيْرُ إِنْفَاقِ الْأَمْوَالِ وَإِتْعَابِ الْعَسَاكِرِ ، وَنَهْبِ الْبِلَادِ ، وَقَتْلِ النُّفُوسِ ، فَسَعَوْا فِي الصُّلْحِ ، فَوَقَعَ الِاتِّفَاقُ وَالْيَمِينُ ، وَكُتِبَتِ النُّسَخُ بِذَلِكَ ، فَاسْتَبْشَرَ النَّاسُ وَسَرَّهُمْ لِمَا أَشْرَفُوا عَلَيْهِ مِنَ الْعَافِيَةِ.ذِكْرُ وَفَاةِ دَاوُدَ وَمُلْكِ ابْنِهِ أَلْب أَرْسَلَانَ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي رَجَبٍ ، تُوُفِّيَ جُغْرِي بِكْ دَاوُدُ بْنُ مِيكَائِيلَ بْنِ سَلْجُوقَ ، أَخُو السُّلْطَانِ طُغْرُلْبِكْ ، وَقِيلَ كَانَ مَوْتُهُ فِي صَفَرٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ ، وَعُمْرُهُ نَحْوَ سَبْعِينَ سَنَةً ، وَكَانَ صَاحِبَ خُرَاسَانَ ، وَهُوَ مُقَابِلُ آلِ سُبُكْتِكِينَ وَمُقَاتِلُهُمْ وَمَانِعُهُمْ عَنْ خُرَاسَانَ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ مَلَكَ بَعْدَهُ خُرَاسَانَ ابْنُهُ السُّلْطَانُ أَلْب أَرْسَلَانَ وَخَلَفَ دَاوُدُ عِدَّةَ أَوْلَادٍ ذُكُورٍ مِنْهُمْ السُّلْطَانُ أَلْبُ أَرَسْلَانَ وَيَاقُوتِيٌّ وَسُلَيْمَانُ ، وَقَارُوتُ بِكْ ، فَتَزَوَّجَ أُمَّ سُلَيْمَانَ السُّلْطَانُ طُغْرُلْبِكْ ، بَعْدَ أَخِيهِ دَاوُدَ وَوَصَّى لَهُ بِالْمُلْكِ بَعْدَهُ ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا نَذْكُرُهُ.وَكَانَ خَيِّرًا ، عَادِلًا ، حَسَنَ السِّيرَةِ ، مُعْتَرِفًا بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ ، شَاكِرًا عَلَيْهَا ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَى أَخِيهِ طُغْرُلْبِكْ مَعَ عَبْدِ الصَّمَدِ ، قَاضِي سَرَخْسَ يَقُولُ لَهُ بَلَغَنِي إِخْرَابُكَ الْبِلَادَ الَّتِي فَتَحْتَهَا وَمَلَكْتَهَا ، وَجَلَا أَهْلِهَا عَنْهَا وَهَذَا مَا لَا خَفَاءَ بِهِ مُخَالَفَةُ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا فِيهِ مِنْ سُوءِ السُّمْعَةِ وَإِيحَاشِ الرَّعِيَّةِ.وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّنَا لَقِينَا أَعْدَاءَنَا وَنَحْنُ فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا ، وَهُمْ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ فَغَلَبْنَاهُمْ ، وَكُنَّا فِي ثَلَاثِمِائَةٍ ، وَهُمْ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، فَغَلَبْنَاهُمْ ، وَكُنَّا فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، وَهُمْ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، فَدَفَعْنَاهُمْ ، وَقَاتَلْنَا بِالْأَمْسِ شَاهَ مُلْكٍ ، وَهُوَ فِي أَعْدَادٍ كَثِيرَةٍ مُتَوَافِرَةٍ ، فَقَهَرْنَاهُ ، وَأَخَذْنَا مَمْلَكَتَهُ بِخُوَارِزْمَ ، وَهَرَبَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا إِلَى خَمْسِمِائَةِ فَرْسَخٍ مِنْ مَوْضِعِهِ ، فَظَفِرْنَا بِهِ وَأَسَرْنَاهُ وَقَتَلْنَاهُ ، وَاسْتَوْلَيْنَا عَلَى مَمَالِكِ خُرَاسَانَ وَطَبَرِسْتَانَ وَسِجِسْتَانَ ، وَصِرْنَا مُلُوكًا مَتْبُوعِينَ ، بَعْدَ أَنْ كُنَّا أَصَاغِرَ تَابِعِينَ ، وَمَا تَقْتَضِي نِعَمُ اللَّهِ عَلَيْنَا أَنْ نُقَابِلَهَا هَذِهِ الْمُقَابَلَةَ.فَقَالَ طُغْرُلْبِكْ قُلْ لَهُ فِي الْجَوَابِ يَا أَخِي أَنْتِ مَلَكْتَ خُرَاسَانَ وَهِيَ بِلَادٌ عَامِرَةٌ ، فَخَرَّبْتَهَا ، وَوَجَبَ عَلَيْكَ مَعَ اسْتِقْرَارِ قَدَمِكَ عِمَارَتُهَا ، وَأَنَا وَرَدْتُ بِلَادًا خَرَّبَهَا مَنْ تَقَدَّمَنِي ، وَاجْتَاحَهَا مَنْ كَانَ قَبْلِي ، فَمَا أَتَمَكَّنُ مِنْ عِمَارَتِهَا وَالْأَعْدَاءُ مُحِيطَةٌ بِهَا ، وَالضَّرُورَةُ تَقُودُ إِلَى طَرْقِهَا بِالْعَسَاكِرِ ، وَلَا يُمْكِنُ دَفْعُ مَضَرَّتِهَا عَنْهَا.وَلَهُ مَنَاقِبُ كَثِيرَةٌ تَرَكْنَاهَا خَوْفَ التَّطْوِيلِ.ذِكْرُ حَرِيقِ بَغْدَاذَ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ احْتَرَقَتْ بَغْدَاذُ الْكَرْخُ وَغَيْرُهُ ، وَبَيْنَ السُّورَيْنِ ، وَاحْتَرَقَتْ فِيهِ خِزَانَةُ الْكُتُبِ الَّتِي وَقَفَهَا أَرْدَشِيرُ الْوَزِيرُ وَنُهِبَتْ بَعْضُ كُتُبِهَا ، وَجَاءَ عَمِيدُ الْمُلْكِ الْكُنْدُرِيُّ ، فَاخْتَارَ مِنَ الْكُتُبِ خَيْرَهَا ، وَكَانَ بِهَا عَشَرَةُ آلَافِ مُجَلَّدٍ وَأَرْبَعُمِائَةِ مُجَلَّدٍ مِنْ أَصْنَافِ الْعُلُومِ مِنْهَا مِائَةُ مُصْحَفٍ بِخُطُوطِ بَنِي مُقْلَةَ ، وَكَانَ الْعَامَّةُ قَدْ نَهَبُوا بَعْضَهَا لَمَّا وَقَعَ الْحَرِيقُ ، فَأَزَالَهُمْ عَمِيدُ الْمُلْكِ ، وَقَعَدَ يَخْتَارُهَا ، فَنُسِبَ ذَلِكَ إِلَى سُوءِ سِيرَتِهِ ، وَفَسَادِ اخْتِيَارِهِ ، وَشَتَّانَ بَيْنِ فِعْلِهِ وَفِعْلِ نِظَامِ الْمُلْكِ الَّذِي عَمَّرَ الْمَدَارِسَ ، وَدَوَّنَ الْعِلْمَ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ جَمِيعِهَا ، وَوَقَفَ الْكُتُبَ وَغَيْرَهَا.ذِكْرُ انْحِدَارِ السُّلْطَانِ إِلَى وَاسِطَ وَمَا فَعَلَ الْعَسْكَرُ وَإِصْلَاحُ دُبَيْسٍ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ انْحَدَرَ السُّلْطَانُ طُغْرُلْبِكْ إِلَى وَاسِطَ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ أَمْرِ بَغْدَاذَ فَرَآهَا قَدْ نُهِبَتْ ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ هَزَارَسِبُ بْنُ بِنْكِيرَ ، وَأَصْلَحَ مَعَهُ حَالَ دُبَيْسِ بْنِ مَزْيَدٍ ، وَأَحْضَرَهُ مَعَهُ إِلَى خِدْمَةِ السُّلْطَانِ ، وَأَصْعَدَ فِي صُحْبَتِهِ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَكَذَلِكَ صَدَقَةُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَضَمِنَ وَاسِطًا أَبُو عَلِيِّ بْنُ فَضْلَانَ بِمِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ وَضَمِنَ الْبَصْرَةَ الْأَغَرُّ أَبُو سَعْدٍ سَابُورُ بْنُ الْمُظَفَّرِ ، وَعَبَرَ السُّلْطَانُ إِلَى الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ دِجْلَةَ ، وَسَارَ إِلَى قُرْبِ الْبَطَائِحِ ، فَنَهَبَ الْعَسْكَرُ مَا بَيْنَ وَاسِطَ وَالْبَصْرَةِ وَالْأَهْوَازِ.وَأَصْعَدَ السُّلْطَانُ إِلَى بَغْدَاذَ فِي صَفَرٍ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَمَعَهُ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ وَرَّامٍ ، وَهَزَارُسِبْ بْنُ بِنْكِيرَ بْنِ عِيَاضٍ ، وَدُبَيْسُ بْنُ مَزْيَدٍ ، وَأَبُو عَلِيِّ ابْنُ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ ، وَصَدَقَةُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ الْحُسَيْنِ وَغَيْرُهُمْ ، وَاجْتَمَعَ السُّلْطَانُ بِالْخَلِيفَةِ ، وَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ بِعَمَلِ طَعَامٍ كَثِيرٍ حَضَرَهُ السُّلْطَانُ وَالْأُمَرَاءُ وَأَصْحَابُهُمْ ، وَعَمِلَ السُّلْطَانُ أَيْضًا سِمَاطًا أَحْضَرَ فِي الْجَمَاعَةِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِمْ وَسَارَ إِلَى بِلَادِ الْجَبَلِ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ ، وَجَعَلَ بِبَغْدَاذَ شِحْنَةَ الْأَمِيرِ بُرْسُقَ ، وَضَمِنَهَا أَبُو الْفَتْحِ الْمُظَفَّرُ بْنُ الْحُسَيْنِ ثَلَاثَ سِنِينَ بِأَرْبَعِ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُزِلَ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ الْمُهْتَدِي مِنَ الْخَطَابَةِ بِجَامِعِ الْمَنْصُورِ لِأَنَّهُ خَطَبَ لِلْعَلَوِيِّ بِبَغْدَاذَ فِي الْفِتْنَةِ ، وَأُقِيمُ مَقَامَهُ بِهَاءُ الشَّرَفِ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الْوَدُودِ بْنِ الْمُهْتَدِي بِاللَّهِ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ عَلِيُّ بْنُ مَحْمُودِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الزَّوْزَنِيُّ أَبُو الْحَسَنِ صَحِبَ أَبَا الْحَسَنِ الْحُصَرِيَّ ، وَرَوَى عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ ، وَهُوَ الَّذِي نُسِبَ إِلَيْهِ رِبَاطُ الزَّوْزَنِيِّ الْمُقَابِلُ لِجَامِعِ الْمَنْصُورِ.وَفِيهَا ، فِي جُمَادَى الْأُولَى ، تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْفَتْحِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ أَبُو طَالِبٍ الْعُشَارِيُّ ، وَمَوْلِدُهُ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَسَمِعَ الدَّارَقُطْنِيَّ وَغَيْرَهُ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.ذِكْرُ عَوْدِ وَلِيِّ الْعَهْدِ إِلَى بَغْدَاذَ مَعَ أَبِي الْغَنَائِمِ بْنِ الْمَحْلَبَانِ.فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ وَرَدَ عُدَّةُ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ الْمُقْتَدِي بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَلِيُّ الْعَهْدِ ، وَمَعَهُ جَدَّتُهُ أُمُّ الْخَلِيفَةِ ، وَخَرَجَ النَّاسُ لِاسْتِقْبَالِهِ ، وَجَلَسَ فِي الزَّبْزَبِ عَلَى رَأْسِهِ أَبُو الْغَنَائِمِ بْنُ الْمَحْلَبَانِ ، وَقُدِّمَ لَهُ بِبَابِ الْغُرْبَةِ فَرَسٌ ، فَحَمَلَهُ ابْنُ الْمَحْلَبَانِ عَلَى كَتِفِهِ وَأَرْكَبَهُ وَسَلَّمَهُ إِلَى مَجْلِسِ الْخَلِيفَةِ ، فَشَكَرَهُ ، وَخَرَجَ ابْنُ الْمَحْلَبَانِ فَرَكِبَ فِي الزَّبْزَبِ ، وَانْحَدَرَ إِلَى دَارٍ أُفْرِدَتْ لَهُ بِبَابِ الْمَرَاتِبِ ، وَدَخَلَ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَاجْتَمَعَ بِهِ.وَكَانَ سَبَبُ مَصِيرِ وَلِيِّ الْعَهْدِ مَعَ ابْنِ الْمَحْلَبَانِ أَنَّهُ دَخَلَ دَارَهُ ، فَوَجَدَ زَوْجَةَ رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ وَأَوْلَادَهُ بِهَا ، وَهُمْ مُطْلُوبُونَ مِنَ الْبَسَاسِيرِيِّ ، فَعَرَّفُوهُ أَنَّ رَئِيسَ الرُّؤَسَاءِ أَمَرَهُمْ بِقَصْدِهِ ، فَأَدْخَلَهُمْ إِلَى أَهْلِهِ ، وَأَقَامَ لَهُمْ مَنْ حَمَلَهُمْ إِلَى مَيَافَارِقِينَ ، فَسَارُوا مَعَ قِرْوَاشَ لَمَّا أَصْعَدَ مِنْ بَغْدَاذَ ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِمْ.ثُمَّ لَقِيَهُ أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ عَامِرٍ الْوَكِيلُ ، وَعَرَّفَهُ مَا عَلَيْهِ وَلِيُّ الْعَهْدِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ إِيثَارِ الْخُرُوجِ مِنْ بَغْدَاذَ ، وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَنَاقُصِ الْحَالِ ، فَبَعَثَ ابْنُ الْمَحْلَبَانِ زَوْجَتَهُ ، فَأَتَتْهُ بِهِمْ سِرًّا ، فَتَرَكَهُمْ عِنْدَهُ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ ، وَكَانَ يَحْضُرُ ابْنَ الْبَسَاسِيرِيِّ وَأَصْحَابَهُ ، وَيَعْمَلُ لَهُمُ الدَّعَوَاتِ ، وَوَلِيُّ الْعَهْدِ وَمَنْ مَعَهُ مُسْتَتِرُونَ عِنْدَهُ يَسْمَعُونَ مَا يَقُولُ أُولَئِكَ فِيهِمْ.ثُمَّ اكْتَرَى لَهُمْ ، وَسَارَ هُوَ فِي صُحْبَتِهِمْ إِلَى قَرِيبِ سِنْجَارَ ، ثُمَّ حَمَلُوا إِلَى حَرَّانَ ، وَسَارَ مَعَ صَاحِبِهَا أَبِي الزِّمَامِ مَنِيعِ بْنِ وَثَّابٍ النُّمَيْرِيِّ ، حِينَ قَصَدَ الرَّحْبَةَ ، وَفَتَحَ قِرْقِيسِيَا ، وَعَقَدَ لِعُدَّةِ الدِّينِ عَلَى بِنْتِ مَنِيعٍ ، وَانْحَدَرُوا إِلَى بَغْدَاذَ.ذِكْرُ مُلْكِ مَحْمُودِ بْنِ شِبْلِ الدَّوْلَةِ حَلَبَ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، حَصَرَ مَحْمُودُ بْنُ شِبْلِ الدَّوْلَةِ بْنِ صَالِحِ بْنِ مِرْدَاسٍ الْكِلَابِيُّ مَدِينَةَ حَلَبَ ، وَضَيَّقَ عَلَيْهَا ، وَاجْتَمَعَ مَعَ جَمْعٍ كَثِيرٍ مِنَ الْعَرَبِ ، فَأَقَامَ عَلَيْهَا ، فَلَمْ يَتَسَهَّلْ لَهُ فَتْحُهَا ، فَرَحَلَ عَنْهَا ، ثُمَّ عَاوَدَهَا فَحَصَرَهَا ، فَمَلَكَ الْمَدِينَةَ عَنْوَةً فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، بَعْدَ أَنْ حَصَرَهَا ، وَامْتَنَعَتِ الْقَلْعَةُ عَلَيْهِ.وَأَرْسَلَ مَنْ بِهَا إِلَى الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ صَاحِبِ مِصْرَ وَدِمَشْقَ ، يَسْتَنْجِدُونَهُ ، فَأَمَرَ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ أَبَا مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنَ بْنَ الْحَسَنِ بْنِ حَمْدَانَ ، الْأَمِيرَ بِدِمَشْقَ ، أَنْ يَسِيرَ بِمَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْعَسَاكِرِ إِلَى حَلَبَ يَمْنَعُهَا مِنْ مَحْمُودٍ ، فَسَارَ إِلَى حَلَبَ فَلَمَّا سَمِعَ مَحْمُودٌ بِقُرْبِهِ مِنْهُ خَرَجَ مِنْ حَلَبَ ، وَدَخَلَهَا عَسْكَرُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ فَنَهَبُوهَا.ثُمَّ إِنَّ الْحَرْبَ وَقَعَتْ بَيْنَ مَحْمُودٍ وَنَاصِرِ الدَّوْلَةِ بِظَاهِرِ حَلَبَ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ ، فَانْهَزَمَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ وَعَادَ مَقْهُورًا إِلَى مِصْرَ ، وَمَلَكَ مَحْمُودٌ حَلَبَ ، وَقَتَلَ عَمَّهُ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ ، وَاسْتَقَامَ أَمْرُهُ بِهَا ، وَهَذِهِ الْوَقْعَةُ تُعْرَفُ بِوَقْعَةِ الْفُنَيْدِقِ ، وَهِيَ مَشْهُورَةٌ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَلَعَ السُّلْطَانُ طُغْرُلْبِكْ عَلَى مَحْمُودِ بْنِ الْأَخْرَمِ الْخَفَاجِيِّ ، وَرُدَّتْ إِلَيْهِ إِمَارَةُ بَنِي خَفَاجَةَ ، وَوِلَايَةُ الْكُوفَةِ ، وَسُقْيَ الْفُرَاتِ ، وَضَمِنَ خَوَاصَّ السُّلْطَانِ هُنَاكَ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِينَارٍ كُلَّ سَنَةٍ ، وَصَرَفَ عَنْهَا رَجَبَ بْنَ مَنِيعٍ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو مُحَمَّدٍ النَّسَوِيُّ ، صَاحِبُ الشُّرْطَةِ بِبَغْدَاذَ ، وَقَدْ جَاوَزَ ثَمَانِينَ سَنَةً.وَفِيهَا سَدَّ بَنُو وَرَّامٍ بَثْقَ النَّهْرَوَانَاتِ ، وَشَرَعَ الْعَمِيدُ أَبُو الْفَتْحِ فِي عِمَارَةِ بُثُوقِ الْكَرْخِ.وَفِيهَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، تُوُفِّيَتْ خَاتُونَ زَوْجَةُ السُّلْطَانِ طُغْرُلْبِكْ بِزَنْجَانَ ، فَوَجَدَ فِيهَا وَجْدًا شَدِيدًا ، وَحَمَلَ تَابُوتَهَا إِلَى الرَّيِّ فَدُفِنَتْ بِهَا.وَفِيهَا ، ثَالِثُ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، انْقَضَّ كَوْكَبٌ عَظِيمُ الْقَدْرِ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ إِلَى نَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ ، فَطَالَ لَبْثُهُ.وَفِيهَا جَمَعَ عَطِيَّةُ بْنُ صَالِحِ بْنِ مِرْدَاسٍ جَمْعًا وَحَصَرَ الرَّحْبَةَ ، وَضَيَّقَ عَلَى أَهْلِهَا ، فَمَلَكَهَا فِي صَفْرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَتْ وَالِدَةُ الْخَلِيفَةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَاسْمُهَا قَطْرُ النَّدَى ، وَقِيلَ بَدْرُ الدُّجَى ، وَقِيلَ عَلَمٌ ، وَهِيَ جَارِيَةٌ أَرْمِينِيَّةٌ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ أَبُو عَلِيٍّ الْمَعْرُوفُ بِالْجَازِرِيِّ النَّهْرَوَانِيِّ ، وَكَانَ مُكْثِرًا مِنَ الرِّوَايَةِ ، الْجَازِرِيُّ بِالْجِيمِ وَبَعْدَ الْأَلْفِ زَايٌ ثُمَّ رَاءٌ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ بَايُ أَبُو مَنْصُورٍ الْفَقِيهُ الْجِيلِيُّ ، بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَبَعْدَ الْأَلْفِ يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ أَبُو عَمْرِو بْنُ أَبِي الْفَضْلِ ، الْفَقِيهُ الْمَالِكِيُّ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.ذِكْرُ وِزَارَةِ ابْنِ دَارَسَتْ لِلْخَلِيفَةِ.لَمَّا عَادَ الْخَلِيفَةُ إِلَى بَغْدَاذَ اسْتَخْدَمَ أَبَا تُرَابٍ الْأَثِيرِيَّ فِي الْإِنْهَاءِ ، وَحُضُورِ الْمَوَاكِبِ ، وَلَقَّبَهُ حَاجِبَ الْحُجَّابِ ، وَكَانَ قَدْ خَدَمَهُ بِالْحَدِيثِ ، وَقَرُبَ مِنْهُ ، فَخَاطَبَ الشَّيْخُ أَبُو مَنْصُورِ بْنُ يُوسُفَ فِي وِزَارَةِ أَبِي الْفَتْحِ مَنْصُورِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ دَارَسَتْ ، وَقَالَ إِنَّهُ يَخْدِمُ بِغَيْرِ إِقْطَاعٍ ، وَيَحْمِلُ مَالًا ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ ، فَأُحْضِرَ مِنَ الْأَهْوَازِ إِلَى بَغْدَاذَ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خُلْعَةَ الْوِزَارَةِ مُنْتَصَفَ رَبِيعٍ الْآخَرِ ، وَجَلَسَ فِي مَنْصِبِهِ ، وَمَدَحَهُ الشُّعَرَاءُ ، فَمِمَّنْ مَدَحَهُ وَهَنَّأَهُ أَبُو الْحَسَنِ الْخَبَّازُ بِقَصِيدَةٍ مِنْهَا أَمِنَ الْمُلْكُ بِالْأَمِينِ أَبِي الْفَتْ...حِ وَصُدَّتْ عَنْ صَفْوَةِ الْأَقْذَاءُ دَوْلَةٌ أَصْبَحَتْ وَأَنْتَ وَلِيُّ...الرَّأْيِ فِيهَا ، لَدَوْلَةٌ غَرَّاءُ.وَهِيَ طَوِيلَةٌ.وَكَانَ ابْنُ دَارَسَتْ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ تَاجِرًا لِلْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ.ذِكْرُ مَوْتِ الْمُعِزِّ بْنِ بَادِيسَ وَوِلَايَةِ ابْنِهِ تَمِيمٍ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ الْمُعِزُّ بْنُ بَادِيسَ ، صَاحِبُ إِفْرِيقِيَةَ ، مِنْ مَرَضٍ أَصَابَهُ ، وَهُوَ ضَعْفُ الْكَبِدِ ، وَكَانَتْ مُدَّةُ مُلْكِهِ سَبْعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَكَانَ عُمْرُهُ لَمَّا مَلَكَ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً ، وَقِيلَ ثَمَانِي سِنِينَ وَسِتَّةُ أَشْهُرٍ.وَكَانَ رَقِيقَ الْقَلْبِ ، خَاشِعًا ، مُتَجَنِّبًا لِسَفْكِ الدِّمَاءِ إِلَّا فِي حَدٍّ ، حَلِيمًا ، يَتَجَاوَزُ عَنِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ ، حَسَنَ الصُّحْبَةِ مَعَ عَبِيدِهِ وَأَصْحَابِهِ ، مُكْرِمًا لِأَهْلِ الْعِلْمِ ، كَثِيرَ الْعَطَاءِ لَهُمْ ، كَرِيمًا ، وَهَبَ مَرَّةً مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ لِلْمُسْتَنْصِرِ الزَّنَاتِيِّ وَكَانَ عِنْدَهُ وَقَدْ جَاءَهُ هَذَا الْمَالُ ، فَاسْتَكْثَرَهُ ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُفْرِغَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ وَهَبَهُ لَهُ ، فَقِيلَ لَهُ لِمَ أَمَرْتَ بِإِخْرَاجِهِ مِنْ أَوْعِيَتِهِ ؟قَالَ لِئَلَّا يُقَالُ لَوْ رَآهُ مَا سَمَحَتْ نَفْسُهُ بِهِ ، وَكَانَ لَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ.وَلَمَّا مَاتَ رَثَاهُ الشُّعَرَاءُ ، فَمِنْهُمْ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ رَشِيقٍ فَقَالَ لَكُلُّ حَيٍّ وَإِنْ طَالَ الْمَدَى هُلُكُ...لَا عِزُّ مَمْلَكَةٍ يَبْقَى ، وَلَا مُلْكُ وَلَّى الْمُعِزُّ عَلَى أَعْقَابِهِ فَرَمَى...أَوْ كَادَ يَنْهَدُ مِنْ أَرْكَانِهِ الْفَلَكُ مَضَى فَقِيدًا ، وَأَبْقَى فِي خَزَائِنِهِ...هَامَ الْمُلُوكِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا مَلَكُوا مَا كَانَ إِلَّا حُسَامًا سَلَّهُ قَدَرٌ...عَلَى الَّذِينَ بَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَانْهَمَكُوا كَأَنَّهُ لَمْ يَخُضْ لِلْمَوْتِ بَحْرَ وَغًى...، خُضْرِ الْبِحَارِ ، إِذَا قِيسَتْ بِهِ ، بِرَكُ وَلَمْ يَجُدْ بِقَنَاطِيرَ مُقَنْطَرَةٍ...قَدْ أَرَّخَتْ بِاسْمِهِ إِبْرِيزَهَا السِّكَكُ رُوحُ الْمُعِزِّ وَرُوحُ الشَّمْسِ قَدْ قُبِضَا...فَانْظُرْ بِأَيِّ ضِيَاءٍ يَصْعَدُ الْفَلَكُ وَلَمَّا تُوُفِّيَ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ تَمِيمٌ ، وَكَانَ مَوْلِدُ تَمِيمٍ بِالْمَنْصُورِيَّةِ الَّتِي هِيَ مَقَرُّهُ ، مُنْتَصَفَ رَجَبٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَوَلَّاهُ الْمَهْدِيَّةَ فِي صَفَرٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ وَافَاهُ أَبُو الْمُعِزِّ ، لَمَّا انْتَزَحَ عَنِ الْقَيْرَوَانِ مِنَ الْعَرَبِ ، وَقَامَ بِخِدْمَةِ أَبِيهِ ، وَأَظْهَرَ مِنْ طَاعَتِهِ وَبِرِّهِ مَا بَانَ بِهِ كَذِبُ مَا كَانَ يُنْسَبُ إِلَيْهِ.وَلَمَّا اسْتَبَدَّ بِالْمُلْكِ بَعْدَ أَبِيهِ سَلَكَ طَرِيقَهُ فِي حُسْنِ السِّيرَةِ ، وَمَحَبَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ أَصْحَابُ الْبِلَادِ قَدْ طَمِعُوا بِسَبَبِ الْعَرَبِ ، وَزَالَتِ الْهَيْبَةُ وَالطَّاعَةُ عَنْهُمْ فِي أَيَّامِ الْمُعِزِّ ، فَلَمَّا مَاتَ ازْدَادَ طَمَعُهُمْ ، وَأَظْهَرَ كَثِيرٌ مِنْهُمُ الْخِلَافَ ، فَمِمَّنْ أَظْهَرَ الْخِلَافَ الْقَائِدُ حَمُّو بْنُ مَلِيكٍ ، صَاحِبُ سَفَاقُسَ ، وَاسْتَعَانَ بِالْعَرَبِ ، وَقَصَدَ الْمَهْدِيَّةَ لِيُحَاصِرَهَا ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ تَمِيمٌ وَصَافَّهُ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ حَمُّو وَأَصْحَابُهُ ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ فِيهِمْ ، وَمَضَى حَمُّو وَنَجَا بِنَفْسِهِ ، وَتَفَرَّقَتْ خَيْلُهُ وَرِجَالُهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . وَسَارَ تَمِيمٌ إِلَى سُوسَةَ ، وَكَانَ أَهْلُهَا قَدْ خَافُوا أَبَاهُ الْمُعِزَّ وَعَصَوْا عَلَيْهِ ، فَمَلَكَهَا وَعَفَا عَنْ أَهْلِهَا.ذِكْرُ وَفَاةِ قُرَيْشٍ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ وَإِمَارَةِ ابْنِهِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ قُرَيْشُ بْنُ بَدْرَانَ صَاحِبُ الْمَوْصِلِ وَنَصِيبِينَ ، أَصَابَهُ خُرُوجُ الدَّمِ مِنْ فِيهِ وَأَنْفِهِ وَعَيْنَيْهِ وَأُذُنَيْهِ ، فَحَمَلَهُ ابْنُهُ شَرَفُ الدَّوْلَةِ إِلَى نَصِيبِينَ ، حَتَّى حَفِظَ خِزَانَتَهُ بِهَا ، وَتُوُفِّيَ هُنَاكَ.وَسَمِعَ فَخْرُ الدَّوْلَةِ أَبُو نَصْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَهِيرٍ حَالَهُ ، فَسَارَ مِنْ دَارَا إِلَى نَصِيبِينَ ، وَجَمَعَ بَنِي عَقِيلٍ عَلَى أَنْ يُؤَمِّرُوا ابْنَهُ أَبَا الْمَكَارِمِ مُسْلِمَ بْنَ قُرَيْشٍ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ الْقَائِمُ بِأَمْرِهِ جَابِرُ بْنُ نَاشِبٍ ، فَزَوَّجَهُ فَخْرُ الدَّوْلَةِ بِأُخْتِ مُسْلِمٍ ، وَزَوَّجَ مُسْلِمًا بِابْنَةِ نَصْرِ بْنِ مَنْصُورٍ.ذِكْرُ وَفَاةِ نَصْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ مَرْوَانَ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ نَصْرُ الدَّوْلَةِ أَحْمَدُ بْنُ مَرْوَانَ الْكُرْدِيُّ ، صَاحِبُ دِيَارِ بَكْرٍ ، وَلَقَبُهُ الْقَادِرُ بِاللَّهِ نَصْرُ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ عُمْرُهُ نَيِّفًا وَثَمَانِينَ سَنَةً ، وَإِمَارَتُهُ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ سَنَةً ، وَاسْتَوْلَى عَلَى الْأُمُورِ بِبِلَادِهِ اسْتِيلَاءً تَامًّا ، وَعَمَّرَ الثُّغُورَ وَضَبَطَهَا ، وَتَنَعَّمَ تَنَعُّمًا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ.وَمَلَكَ مِنَ الْجَوَارِي الْمُغَنِّيَاتِ مَا اشْتَرَى بَعْضَهُمْ بِخَمْسَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، وَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، وَمَلَكَ خَمْسَمِائَةِ سَرِيَّةٍ سِوَى تَوَابِعِهِنَّ ، وَخَمْسَمِائَةِ خَادِمٍ.وَكَانَ فِي مَجْلِسِهِ مِنَ الْآلَاتِ مَا تَزِيدُ قِيمَتُهُ عَلَى مِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَتَزَوَّجَ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ جُمْلَةً ، وَأَرْسَلَ طَبَّاخِينَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَغَرَمَ عَلَى إِرْسَالِهِمْ جُمْلَةً وَافِرَةً حَتَّى تَعَلَّمُوا الطَّبْخَ مِنْ هُنَاكَ.وَأَرْسَلَ إِلَى السُّلْطَانِ طُغْرُلْبِكْ هَدَايَا عَظِيمَةً ، مِنْ جُمْلَتِهَا الْجَبَلُ الْيَاقُوتُ الَّذِي كَانَ لِبَنِي بُوَيْهِ ، اشْتَرَاهُ مِنَ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ أَبِي مَنْصُورِ بْنِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ ، وَأَرْسَلَ مَعَهُ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ سِوَى ذَلِكَ.وَوَزَرَ لَهُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْمَغْرِبِيِّ ، وَفَخْرُ الدَّوْلَةِ بْنُ جَهِيرٍ ، وَرَخُصَتِ الْأَسْعَارُ فِي أَيَّامِهِ ، وَتَظَاهَرَ النَّاسُ بِالْأَمْوَالِ ، وَوَفَدَ إِلَيْهِ الشُّعَرَاءُ ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ الْعُلَمَاءُ وَالزُّهَّادُ.وَبَلَغَهُ أَنَّ الطُّيُورَ فِي الشِّتَاءِ تَخْرُجُ مِنَ الْجِبَالِ إِلَى الْقُرَى فَتُصَادُ ، فَأَمَرَ أَنْ يُطْرَحَ لَهَا الْحَبُّ مِنَ الْأَهْرَاءِ الَّتِي لَهُ ، فَكَانَتْ فِي ضِيَافَتِهِ طُولَ عُمْرِهِ.وَلَمَّا مَاتَ اتَّفَقَ وَزِيرُهُ فَخْرُ الدَّوْلَةِ بْنُ جَهِيرٍ وَابْنُهُ نَصْرٌ ، فَرَتَّبَ نَصْرًا فِي الْمُلْكِ بَعْدَ أَبِيهِ ، وَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ سَعِيدٍ حُرُوبٌ شَدِيدَةٌ كَانَ الظَّفَرُ فِي آخِرِهَا لِنَصْرٍ ، فَاسْتَقَرَّ فِي الْإِمَارَةِ بِمَيَافَارِقِينَ وَغَيْرِهَا ، وَمَلَكَ أَخُوهُ سَعِيدٌ آمِدَ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ.فِي رَجَبٍ خُلِعَ عَلَى الْكَامِلِ أَبِي الْفَوَارِسِ طِرَادِ بْنِ مُحَمَّدٍ الزَّيْنَبِيِّ ، وَقُلِّدَ نِقَابَةَ النُّقَبَاءِ ، وَلُقِّبَ الْكَامِلُ ذَا الشَّرَفَيْنِ.وَفِيهَا تَوَلَّى شَمْسُ الدِّينِ أُسَامَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ تَوَلَّى نِقَابَةَ الْعَلَوِيِّينَ بِبَغْدَاذَ ، وَلُقِّبَ الْمُرْتَضَى. وَفِيهَا ، فِي جُمَادَى الْأُولَى ، انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ جَمِيعُهَا ، فَظَهَرَتِ الْكَوَاكِبُ ، وَأَظْلَمَتِ الدُّنْيَا ، وَسَقَطَتِ الطُّيُورُ الطَّائِرَةُ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا ، فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، تُوُفِّيَ شُكْرٌ الْعَلَوِيُّ الْحُسَيْنِيُّ ، أَمِيرُ مَكَّةَ ، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ ، فَمِنْهُ قَوِّضْ خِيَامَكَ عَنْ أَرْضٍ تُضَامُ بِهَا...، وَجَانِبِ الذُّلَّ ، إِنَّ الذُّلَّ مُجْتَنَبُ وَارْحَلْ إِذَا كَانَ فِي الْأَوْطَانِ مَنْقَصَةٌ...فَالْمَنْدَلُ الرَّطْبُ فِي أَوْطَانِهِ حَطَبُ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْسُمَيْسَاطِيُّ بِدِمَشْقَ ، وَكَانَ عَالِمًا بِالْهَنْدَسَةِ وَالرِّيَاضِيَّاتِ مِنْ عُلُومِ الْفَلَاسِفَةِ ، وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ الرِّبَاطُ الَّذِي عِنْدَ جَامِعِ دِمَشْقَ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.ذِكْرُ نِكَاحِ السُّلْطَانِ طُغْرُلْبِكِ ابْنَةَ الْخَلِيفَةِ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُقِدَ لِلسُّلْطَانِ طُغْرُلْبِكْ عَلَى ابْنَةِ الْخَلِيفَةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَكَانَتِ الْخِطْبَةُ تَقَدَّمَتْ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ مَعَ أَبِي سَعْدٍ قَاضِي الرَّيِّ ، فَانْزَعَجَ الْخَلِيفَةُ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَرْسَلَ فِي الْجَوَابِ أَبَا مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيَّ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَعْفِيَ ، فَإِنْ أُعْفِيَ ، وَإِلَّا تَمَّمَ الْأَمْرَ عَلَى أَنْ يَحْمِلَ السُّلْطَانُ ثَلَاثَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَيُسَلِّمَ وَاسِطًا وَأَعْمَالَهَا.فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى السُّلْطَانِ ذَكَرَ لِعَمِيدِ الْمُلْكِ الْوَزِيرِ مَا وَرَدَ فِيهِ مِنْ الِاسْتِعْفَاءِ ، فَقَالَ لَا يَحْسُنُ أَنْ يُرَدَّ السُّلْطَانُ ، وَقَدْ سَأَلَ وَتَضَرَّعَ ، وَلَا يَجُوزُ مُقَابَلَتُهُ أَيْضًا بِطَلَبِ الْأَمْوَالِ وَالْبِلَادِ ، فَهُوَ يَفْعَلُ أَضْعَافَ مَا طُلِبَ مِنْهُ.فَقَالَ التَّمِيمِيُّ الْأَمْرُ لَكَ ، وَمَهْمَا فَعَلْتَهُ فَهُوَ الصَّوَابُ ، فَبَنَى الْوَزِيرُ الْأَمْرَ عَلَى الْإِجَابَةِ ، وَطَالَعَ بِهِ السُّلْطَانَ ، فَسُرَّ بِهِ ، وَجَمَعَ النَّاسَ وَعَرَّفَهُمْ أَنَّ هِمَّتَهُ سَمَتْ بِهِ إِلَى الِاتِّصَالِ بِهَذِهِ الْجِهَةِ النَّبَوِيَّةِ ، وَبَلَغَ مِنْ ذَلِكَ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ سِوَاهُ مِنَ الْمُلُوكِ.وَتَقَدَّمَ إِلَى عَمِيدِ الْمُلْكِ الْوَزِيرِ أَنْ يَسِيرَ وَمَعَهُ أَرْسَلَانُ خَاتُونُ ، زَوْجَةُ الْخَلِيفَةِ ، وَأَنْ يَصْحَبَهَا مِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ بِرَسْمِ الْحَمَلِ ، وَمَا شَاكَلَهَا مِنَ الْجَوَاهِرِ وَغَيْرِهَا ، وَوَجَّهَ مَعَهُ فِرَامِرْزَ بْنَ كَاكَوَيْهِ ، وَغَيْرَهُ مِنْ وُجُوهِ الْأُمَرَاءِ وَأَعْيَانِ الرَّيِّ.فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْإِمَامِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَأَوْصَلَ خَاتُونَ زَوْجَةَ الْخَلِيفَةِ إِلَى دَارِهَا ، وَأَنْهَى حُضُورَهُ وَحُضُورَ مِنْ مَعَهُ ، ذَكَرَ حَالَ الْوَصْلَةِ ، فَامْتَنَعَ الْخَلِيفَةُ مِنَ الْإِجَابَةِ إِلَيْهَا وَقَالَ إِنْ أُعْفِينَا ، وَإِلَّا خَرَجْنَا مِنْ بَغْدَاذَ.فَقَالَ عَمِيدُ الْمُلْكِ كَانَ الْوَاجِبُ الِامْتِنَاعَ مِنْ غَيْرِ اقْتِرَاحٍ ، وَعِنْدَ الْإِجَابَةِ إِلَى مَا طَلَبَ ، فَالِامْتِنَاعُ سَعْيٌ عَلَى دَمِي ، وَأَخْرَجَ خِيَامَهُ إِلَى النَّهْرَوَانِ ، فَاسْتَوْقَفَهُ قَاضِي الْقُضَاةِ ، وَالشَّيْخُ أَبُو مَنْصُورِ بْنُ يُوسُفَ ، وَأَنْهَيَا إِلَى الْخَلِيفَةِ عَاقِبَةَ انْصِرَافِهِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ ، وَصَنَعَ لَهُ ابْنُ دَارَسَتْ وَزِيرُ الْخَلِيفَةِ دَعْوَةً فَحَضَرَ عِنْدَهُ ، فَرَأَى عَلَى مَسْجِدٍ مَكْتُوبًا مُعَاوِيَةُ خَالُ عَلِيٍّ ، فَأَمَرَ بِحَكِّهِ.وَكَتَبَ مِنَ الدِّيوَانِ إِلَى خُمَارَتِكِينَ الطُّغْرَائِيِّ كِتَابًا يَتَضَمَّنُ الشَّكْوَى مِنْ عَمِيدِ الْمُلْكِ ، فَوَرَدَ الْجَوَابُ عَلَيْهِ بِالرِّفْقِ ، وَكَتَبَ الْخَلِيفَةُ إِلَى عَمِيدِ الْمُلْكِ نَحْنُ نَرُدُّ الْأَمْرَ إِلَى رَأْيِكَ ، وَنُعَوِّلُ عَلَى أَمَانَتِكَ وَدِينِكَ.فَحَضَرَ يَوْمًا عِنْدَ الْخَلِيفَةِ ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ ، وَالْحُجَّابِ ، وَالْقُضَاةِ وَالشُّهُودِ ، فَأَخَذَ الْمَجْلِسَ لِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ سِوَاهُ ، وَقَالَ لِلْخَلِيفَةِ أَسْأَلُ مَوْلَانَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ التَّطَوُّلَ بِذِكْرِ مَا شَرُفَ بِهِ الْعَبْدُ الْمُخْلِصُ شَاهِنْشَاهْ ، رُكْنُ الدِّينِ ، فِيمَا رَغِبَ فِيهِ لِيَعْرِفَهُ الْجَمَاعَةُ.فَغَالَطَهُ ، وَقَالَ قَدْ سُطِّرَ فِي الْمَعْنَى مَا فِيهِ كِفَايَةٌ.فَانْصَرَفَ عَمِيدُ الْمُلْكِ مَغِيظًا ، وَرَحَلَ فِي السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَأَخَذَ الْمَالَ مَعَهُ إِلَى هَمَذَانَ ، وَعَرَفَ السُّلْطَانُ أَنَّ السَّبَبَ فِي اتِّفَاقِ الْحَالِ مِنْ خُمَارَتِكِينَ الطُّغْرَائِيِّ ، فَتَغَيَّرَ السُّلْطَانُ عَلَيْهِ ، فَهَرَبَ فِي سِتَّةِ غِلْمَانٍ.وَكَتَبَ السُّلْطَانُ إِلَى قَاضِي الْقُضَاةِ الشَّيْخِ أَبِي مَنْصُورِ بْنِ يُوسُفَ يَعْتِبُ وَيَقُولُ هَذَا جَزَاءٌ مِنَ الْخَلِيفَةِ الَّذِي قَتَلْتُ أَخِي فِي خِدْمَتِهِ ، وَأَنْفَقْتُ أَمْوَالِي فِي نُصْرَتِهِ ، وَأَهْلَكْتُ خَوَاصِّي فِي مَحَبَّتِهِ.وَأَطَالَ الْعِتَابَ ، وَعَادَ الْجَوَابُ إِلَيْهِ بِالِاعْتِذَارِ.وَأَمَّا الطُّغْرَائِيُّ فَإِنَّهُ أُدْرِكَ بِبَرُوجِرْدَ فَقَالَ أَوْلَادُ إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ لِلسُّلْطَانِ إِنَّ هَذَا قَتَلَ أَبَانَا ، وَنَسْأَلُ أَنْ نُمَكَّنَ مِنْ قَتْلِهِ ، وَأَعَانَهُمْ عَمِيدُ الْمُلْكِ ، فَأَذِنَ لَهُمْ فِي قَتْلِهِ ، فَسَارُوا إِلَى طَرِيقِهِ وَقَتَلُوهُ ، وَجَعَلَ مَكَانَهُ سَاوَتِكِينَ ، وَبَسَطَ الْكُنْدُرِيُّ لِسَانَهُ.وَطَلَبَ طُغْرُلْبِكِ ابْنَةَ أَخِيهِ ، زَوْجَةَ الْخَلِيفَةِ ، لِتُعَادَ إِلَيْهِ ، وَجَرَى مَا كَادَ يَقْضِي إِلَى الْفَسَادِ الْكُلِّيِّ.فَلَمَّا رَأَى الْخَلِيفَةُ شِدَّةَ الْأَمْرِ أَذِنَ فِي ذَلِكَ ، وَكَتَبَ الْوِكَالَةَ بِاسْمِ عَمِيدِ الْمُلْكِ ، وَسُيِّرَتِ الْكُتُبُ مَعَ أَبِي الْغَنَائِمِ بْنِ الْمَحْلَبَانِ ، وَكَانَ الْعَقْدُ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ بِظَاهِرِ تِبْرِيزَ ، وَهَذَا مَا لَمْ يُجْرَ لِلْخُلَفَاءِ مِثْلُهُ ، فَإِنَّ بَنِي بُوَيْهِ مَعَ تَحَكُّمِهِمْ وَمُخَالَفَتِهِمْ لِعَقَائِدِ الْخُلَفَاءِ لَمْ يَطْمَعُوا فِي مِثْلِ هَذَا وَلَا سَامُوهُمْ فِعْلَهُ.وَحَمَلَ السُّلْطَانُ أَمْوَالًا كَثِيرَةً ، وَجَوَاهِرَ نَفِيسَةً لِلْخَلِيفَةِ ، وَلِوَلِيِّ الْعَهْدِ ، وَلِلْجِهَةِ الْمَطْلُوبَةِ ، وَلِوَالِدَتِهَا ، وَغَيْرِهِمْ ، وَجَعَلَ بَعْقُوبَا وَمَا كَانَ بِالْعِرَاقِ لَلْخَاتُونَ زَوْجَةِ السُّلْطَانِ الَّتِي تُوُفِّيَتْ لِلسَّيِّدَةِ ابْنَةِ الْخَلِيفَةِ.ذِكْرُ عَزْلِ ابْنِ دَارَسَتْ وَوِزَارَةِ ابْنِ جَهِيرٍ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُزِلَ أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ دَارَسَتْ مِنْ وِزَارَةِ الْخَلِيفَةِ.وَسَبَبُهُ أَنَّهُ وَصَلَ مَعَهُ إِنْسَانٌ يَهُودِيٌّ يُقَالُ لَهُ ابْنُ عَلَّانَ ، فَضَمِنَ أَعْمَالَ الْوُكَلَاءِ الَّتِي لِخَاصِّ الْخَلِيفَةِ بِسِتَّةِ آلَافِ كُرٍّ غَلَّةً ، وَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَصَحَّ مِنْهَا أَلْفَا كُرٍّ ، وَثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَانْكَسَرَ الْبَاقِي ، فَظَهَرَ عَجْزُ ابْنِ دَارَسَتْ وَوَهَنُهُ ، فَعُزِلَ إِلَى الْأَهْوَازِ ، فَتُوُفِّيَ بِهَا سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .وَكَانَ فَخْرُ الدَّوْلَةِ أَبُو نَصْرِ بْنُ جَهِيرٍ ، وَزِيرُ نَصْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ مَرْوَانَ ، قَدْ أَرْسَلَ يَخْطُبُ الْوِزَارَةَ ، وَبَذَلَ فِيهَا بُذُولًا كَثِيرَةً ، فَأُجِيبَ إِلَيْهَا ، وَأُرْسِلَ كَامِلٌ طِرَادٌ الزَّيْنَبِيُّ إِلَى مَيَّافَارِقِينَ كَأَنَّهُ رَسُولٌ ، فَلَمَّا عَادَ سَارَ مَعَهُ ابْنُ جَهِيرٍ كَالْمُوَدِّعِ لَهُ ، فَتَمَّمَ السِّيَرَ مَعَهُ.وَخَرَجَ ابْنُ مَرْوَانَ فِي أَثَرِهِ ، فَلَمْ يُدْرِكْهُ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بَغْدَاذَ خَرَجَ النَّاسُ إِلَى اسْتِقْبَالِهِ ، وَخُلِعَ عَلَيْهِ خِلَعُ الْوِزَارَةِ يَوْمَ عَرَفَةَ ، وَلُقِّبَ فَخْرُ الدَّوْلَةِ ، وَاسْتَقَرَّ فِي الْوِزَارَةِ ، وَمَدَحَهُ وَهَنَّأَهُ ابْنُ الْفَضْلِ وَغَيْرُهُ مِنَ الشُّعَرَاءِ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَمَّ الرُّخْصُ جَمِيعَ الْأَصْقَاعِ ، فَبِيعَ بِالْبَصْرَةِ أَلْفُ رِطْلٍ مِنَ التَّمْرِ بِثَمَانِيَةِ قَرَارِيطَ.وَفَاةُ الْقُضَاعِيِّ.وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامَةَ بْنِ جَعْفَرٍ الْقُضَاعِيُّ بِمِصْرَ.وَفِيهَا سَارَ السُّلْطَانُ طُغْرُلْبِكْ إِلَى قَلْعَةِ الطِّرْمِ مِنْ بِلَادِ الدَّيْلَمِ ، وَقَرَّرَ عَلَى مُسَافِرٍ مَلِكَهَا مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ وَأَلْفَ ثَوْبٍ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا مَاتَ أَبُو عُلْوَانَ ثِمَالُ بْنُ صَالِحِ بْنِ مِرْدَاسٍ الْمُلَقَّبُ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بِحَلَبَ ، وَقَامَ أَخُوهُ عَطِيَّةُ مَقَامَهُ.وَتُوُفِّيَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَوْهَرِيُّ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُكْثِرِينَ مِنْ سَمَاعِ الْحَدِيثِ وَرِوَايَتِهِ ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ حَدَّثَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْقَطِيعِيِّ ، وَالْأَبْهَرِيِّ ، وَابْنِ شَاذَانَ ، وَغَيْرِهِمْ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.ذِكْرُ وُرُودِ السُّلْطَانِ بَغْدَاذَ وَدُخُولِهِ بِابْنَةِ الْخَلِيفَةِ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي الْمُحَرَّمِ ، تَوَجَّهُ السُّلْطَانُ طُغْرُلْبِكْ مِنْ أَرْمِينِيَّةَ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَأَرَادَ الْخَلِيفَةُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ ، فَاسْتَعْفَاهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَخَرَجَ الْوَزِيرُ ابْنُ جَهِيرٍ فَاسْتَقْبَلَهُ.وَكَانَ مَعَ السُّلْطَانِ مِنَ الْأُمَرَاءِ أَبُو عَلِيٍّ ابْنُ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ ، وَسُرْخَابُ ابْنُ بَدْرٍ ، وَهَزَارْسِبْ ، وَأَبُو مَنْصُورٍ فِرَامَرْزُ بْنُ كَاكَوَيْهِ ، فَنَزَلَ عَسْكَرُهُ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ، فَزَادَ بِهِمْ أَذًى.وَوَصَلَ عَمِيدُ الْمُلْكِ إِلَى الْخَلِيفَةِ ، وَطَالَبَ بِالْجِهَةِ ، وَبَاتَ بِالدَّارِ ، فَقِيلَ لَهُ خَطُّكَ مَوْجُودٌ بِالشَّرْطِ ، وَإِنَّ الْمَقْصُودَ بِهَذِهِ الْوَصْلَةِ الشَّرَفُ لَا الِاجْتِمَاعُ ، وَإِنَّهُ إِنْ كَانَتْ مُشَاهَدَةٌ فَتَكُونُ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ ، فَقَالَ السُّلْطَانُ نَفْعَلُ هَذَا ، وَلَكِنْ نُفْرِدُ لَهُ مِنَ الدُّورِ وَالْمَسَاكِنِ مَا يَكْفِيهِ ، وَمَعَهُ خَوَاصُّهُ ، وَحُجَّابُهُ ، وَمَمَالِيكُهُ ، فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُهُ مُفَارَقَتُهُمْ ، فَحِينَئِذٍ نُقِلَتْ إِلَى دَارِ الْمَمْلَكَةِ فِي مُنْتَصَفِ صَفَرٍ ، فَجَلَسَتْ عَلَى سَرِيرٍ مُلَبَّسٍ بِالذَّهَبِ ، وَدَخَلَ السُّلْطَانُ إِلَيْهَا ، وَقَبَّلَ الْأَرْضَ وَخَدَمَهَا ، وَلَمْ تَكْشِفِ الْخِمَارَ عَنْ وَجْهِهَا ، وَلَا قَامَتْ هِيَ لَهُ ، وَحَمَلَ لَهَا شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْجَوَاهِرِ وَغَيْرِهَا ، وَبَقِيَ كَذَلِكَ يَحْضُرُ كُلَّ يَوْمٍ يَخْدِمُ وَيَنْصَرِفُ.وَخَلَعَ عَلَى عَمِيدِ الْمُلْكِ وَعَمِلَ السِّمَاطَ عِدَّةَ أَيَّامٍ ، وَخَلَعَ عَلَى جَمِيعِ الْأُمَرَاءِ ، وَظَهَرَ عَيْلَهِ سُرُورٌ عَظِيمٌ ، وَعَقَدَ ضَمَانَ بَغْدَاذَ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْقَايِنِيِّ بِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَأَعَادَ مَا كَانَ أَطْلَقَهُ رَئِيسُ الْعِرَاقِيِّنَ مِنَ الْمَوَارِيثِ وَالْمُكُوسِ ، وَقَبَضَ عَلَى الْأَعْرَابِيِّ سَعْدٍ ، ضَامِنِ الْبَصْرَةِ ، وَعَقَدَ ضَمَانَ وَاسِطَ عَلَى أَبِي جَعْفَرِ ابْنِ صَقَالِبَ بِمِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ.ذِكْرُ وَفَاةِ السُّلْطَانِ طُغْرُلْبِكْ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ السُّلْطَانُ مِنْ بَغْدَاذَ ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ إِلَى بَلَدِ الْجَبَلِ ، فَوَصَلَ إِلَى الرَّيِّ وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ أَرْسَلَانَ خَاتُونَ ابْنَةَ أَخِيهِ ، زَوْجَةَ الْخَلِيفَةِ ، لِأَنَّهَا شَكَتِ اطِّرَاحَ الْخَلِيفَةِ لَهَا ، فَأَخَذَهَا مَعَهُ ، فَمَرِضَ ، وَتُوُفِّيَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ثَامِنَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَكَانَ عُمْرُهُ سَبْعِينَ سَنَةً تَقْرِيبًا ، وَكَانَ عَقِيمًا لَمْ يَلِدْ وَلَدًا.وَكَانَ وَزِيرُهُ الْكُنْدُرِيُّ عَلَى سَبْعِينَ فَرْسَخًا ، فَأَتَاهُ الْخَبَرُ ، فَسَارَ ، وَوَصَلَ إِلَيْهِ فِي يَوْمَيْنِ وَهُوَ بَعْدُ لَمْ يُدْفَنْ فَدَفَنَهُ.وَجَلَسَ لَهُ الْوَزِيرُ فَخْرُ الدَّوْلَةِ بْنُ جَهِيرٍ بِبَغْدَاذَ لِلْعَزَاءِ.حَكَى عَنْهُ الْكُنْدُرِيُّ أَنَّهُ قَالَ رَأَيْتُ ، وَأَنَا بِخُرَاسَانَ ، فِي الْمَنَامِ كَأَنَّنِي رُفِعْتُ إِلَى السَّمَاءِ ، وَأَنَا فِي ضَبَابٍ لَا أُبْصِرُ مَعَهُ شَيْئًا ، غَيْرَ أَنِّي أَشُمُّ رَائِحَةً طَيِّبَةً ، وَأَنَّنِي أُنَادَى إِنَّكَ قَرِيبٌ مِنَ الْبَارِي ، جَلَّتْ قُدْرَتُهُ ، فَاسْأَلْ حَاجَتَكَ لِتُقْضَى ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي أَسْأَلُ طُولَ الْعُمْرِ ، فَقِيلَ لَكَ سَبْعُونَ سَنَةً ، فَقُلْتُ يَا رَبِّ مَا يَكْفِينِي ، فَقِيلَ لَكَ سَبْعُونَ سَنَةً ، فَقُلْتُ يَا رَبِّ لَا يَكْفِينِي ، فَقِيلَ لَكَ سَبْعُونَ سَنَةً.فَلَمَّا مَاتَ حَسَبَ عَمِيدُ الْمُلْكِ عُمْرَهُ ، عَلَى التَّقْرِيبِ ، فَكَانَ سَبْعِينَ سَنَةً.وَكَانَتْ مَمْلَكَتُهُ ، بِحَضْرَةِ الْخِلَافَةِ ، سَبْعَ سِنِينَ وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا وَاثْنَى عَشَرَ يَوْمًا.وَأَمَّا الْأَحْوَالُ بِالْعِرَاقِ ، بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَإِنَّهُ كَتَبَ مِنْ دِيوَانِ الْخِلَافَةِ إِلَى شَرَفِ الدَّوْلَةِ مُسْلِمِ بْنِ قُرَيْشٍ ، صَاحِبِ الْمَوْصِلِ ، وَإِلَى نُورِ الدَّوْلَةِ دُبَيْسِ بْنِ مَزْيَدٍ ، وَإِلَى هَزَارَسِبْ ، وَإِلَى بَنِي وَرَّامَ ، وَإِلَى بَدْرِ بْنِ الْمُهَلْهِلِ ، بِالِاسْتِدْعَاءِ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَأُرْسِلَ لِشَرَفِ الدَّوْلَةِ تَشْرِيفٌ ، وَعَمِلَ أَبُو سَعِيدٍ الْقَايِنِيُّ ، ضَامِنُ بَغْدَاذَ ، سُورًا عَلَى قَصْرِ عِيسَى ، وَجَمَعَ الْغَلَّاتِ.فَانْحَدَرَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ شَرَفِ الدَّوْلَةِ إِلَى أَوَانَا ، وَتَسَلَّمَ أَصْحَابُهُ الْأَنْبَارَ ، وَانْتَشَرَتِ الْبَادِيَةُ فِي الْبِلَادِ ، وَقَطَعُوا الطُّرُقَاتِ.وَقَدِمَ إِلَى بَغْدَاذَ دُبَيْسُ بْنُ مَزْيَدٍ ، وَخَرَجَ الْوَزِيرُ ابْنُ جَهِيرٍ لِاسْتِقْبَالِهِ ، وَقَدِمَ أَيْضًا وَرَّامُ ، وَتُوُفِّيَ بِبَغْدَاذَ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ وَرَّامَ ، مُقَدَّمُ الْأَكْرَادِ الْجَاوَانِيَّةِ ، فَحُمِلَ إِلَى جَرْجَرَايَا ، وَفَارَقَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ مُسْلِمٌ بَغْدَاذَ ، وَنَهَبَ النَّوَاحِي ، فَسَارَ نُورُ الدَّوْلَةِ ، وَالْأَكْرَادُ ، وَبَنُو خَفَاجَةَ إِلَى قِتَالِهِ.ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مِنْ دِيوَانِ الْخِلَافَةِ رَسُولٌ مَعَهُ خُلْعَةٌ لَهُ ، وَكُوتِبَ بِالرِّضَاءِ عَنْهُ ، وَانْحَدَرَ إِلَيْهِ نُورُ الدَّوْلَةِ دُبَيْسٌ ، فَعَمِلَ لَهُ شَرَفُ الدَّوْلَةِ سِمَاطًا كَثِيرًا ، وَكَانَ فِي الْجَمَاعَةِ الْأَشْرَفُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ فَخْرِ الْمُلْكِ أَبِي غَالِبِ بْنِ خَلَفٍ ، كَانَ قَصْدُ شَرَفِ الدَّوْلَةِ مُسْتَجْدِيًا ، فَمَضَغَ لُقْمَةً ، فَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ.وَحَكَى عَنْهُ بَعْضُ مَنْ صَحِبَهُ أَنَّهُ سَمِعَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ اقْبِضْنِي ، فَقَدْ ضَجِرْتُ مِنَ الْإِضَاقَةِ!فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَرُفِعَ مِنَ السِّمَاطِ خَافَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ أَنْ يَظُنَّ مَنْ حَضَرَ أَنَّهُ تَنَاوَلَ طَعَامًا مَسْمُومًا قُصِدَ بِهِ غَيْرُهُ ، فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ لَا بَرِحَ مِنْكُمْ أَحَدٌ ، وَنَهَضَ وَجَلَسَ مَكَانَ ابْنِ فَخْرِ الْمُلْكِ الْمُتَوَفَّى ، وَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَاسْتَحْسَنَ الْجَمَاعَةُ فِعْلَهُ ، وَعَادُوا عَنْهُ وَخَلَعَ عَلَى دُبَيْسٍ وَوَلَدُهُ مَنْصُورٌ وَعَادَ إِلَى حُلَّتِهِ.وَلَمَّا رَأَى النَّاسُ بِبَغْدَاذَ انْتِشَارَ الْأَعْرَابِ فِي الْبِلَادِ وَنَهْبِهَا ، حَمَلُوا السِّلَاحَ لِقِتَالِهِمْ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِكَثْرَةِ الْعَيَّارِينَ وَانْتِشَارِ الْمُفْسِدِينَ.ذِكْرُ شَيْءٍ مِنْ سِيرَتِهِ.كَانَ عَاقِلًا حَلِيمًا مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ احْتِمَالًا ، وَأَكْثَرِهِمْ كِتْمَانًا لِسِرِّهِ ، ظَفِرَ بِمُلَطِّفَاتٍ كَتَبَهَا بَعْضُ خَوَاصِّهِ إِلَى الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ ، فَلَمْ يُطْلِعْهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَا تَغَيَّرَ عَلَيْهِ ، حَتَّى أَظْهَرَهُ بَعْدَ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ لِغَيْرِهِ.وَحَكَى عَنْهُ أَقْضَى الْقُضَاةِ الْمَاوَرْدِيُّ قَالَ لَمَّا أَرْسَلَنِي الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ إِلَيْهِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ ، وَأَرْبَعِمِائَةٍ كَتَبْتُ كِتَابًا إِلَى بَغْدَاذَ أَذْكُرُ فِيهِ سِيرَتَهُ وَخَرَابَ بِلَادِهِ ، وَأَطَعْنَ عَلَيْهِ بِكُلِّ وَجْهٍ ، فَوَقَعَ الْكِتَابُ مِنْ غُلَامِي ، فَحُمِلَ إِلَيْهِ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَكَتَمَهُ ، وَلَمْ يُحَدِّثْنِي فِيهِ بِشَيْءٍ ، وَلَا تَغَيَّرَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ إِكْرَامِي.وَكَانَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، يُحَافِظُ عَلَى الصَّلَوَاتِ ، وَيَصُومُ الِاثْنَيْنِ ، وَالْخَمِيسَ ، وَكَانَ لِبْسُهُ الثِّيَابَ الْبِيَاضَ ، وَكَانَ ظَلُومًا ، غَشُومًا ، قَاسِيًا ، وَكَانَ عَسْكَرُهُ يَغْصِبُونَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ ، وَأَيْدِيهُمْ مُطْلَقَةٌ فِي ذَلِكَ نَهَارًا وَلَيْلًا.وَكَانَ كَرِيمًا ، فَمِنْ كَرَمِهِ أَنَّ أَخَاهُ إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ أَسَرَ مِنَ الرُّومِ ، لَمَّا غَزَاهُمْ ، بَعْضَ مُلُوكِهِمْ فَبَذَلَ فِي نَفْسِهِ أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَلَمْ يَقْبَلْ إِبْرَاهِيمُ مِنْهُ وَحَمَلَهُ إِلَى طُغْرُلْبِكْ ، فَأَرْسَلَ مِلْكُ الرُّومِ إِلَى نَصْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ مَرْوَانَ حَتَّى خَاطَبَ طُغْرُلْبِكْ فِي فِكَاكِهِ ، فَلَمَّا سَمِعَ طُغْرُلْبِكْ رِسَالَتَهُ أَرْسَلَ الرُّومِيَّ إِلَى ابْنِ مَرْوَانَ بِغَيْرِ فِدَاءٍ ، وَسَيَّرَ مَعَهُ رَجُلًا عَلَوِيًّا ، فَأَنْفَذَ مَلِكُ الرُّومِ إِلَى طُغْرُلْبِكْ مَا لَمْ يُحْمَلْ فِي الزَّمَانِ الْمُتَقَدِّمِ ، وَهُوَ أَلْفُ ثَوْبٍ دِيبَاجٍ ، وَخَمْسُمِائَةِ ثَوْبٍ أَصْنَافٍ ، وَخَمْسُمِائَةِ رَأْسٍ مِنَ الْكُرَاعِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، وَأَنْفَذَ مِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَمِائَةَ لَبِنَةٍ فِضَّةً ، وَثَلَاثَمِائَةِ شَهْرِيٍّ ، وَثَلَاثَمِائَةِ حِمَارٍ مِصْرِيَّةٍ ، وَأَلْفَ عَنْزٍ بَيْضِ الشُّعُورِ ، سُودِ الْعُيُونِ وَالْقُرُونِ ، وَأَنْفَذَ إِلَى ابْنِ مَرْوَانَ عَشَرَةَ أُمَنَاءَ مِسْكًا ، وَعَمَّرَ مَلِكُ الرُّومِ الْجَامِعَ الَّذِي بَنَاهُ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَعَمَّرَ مَنَارَتَهُ ، وَعَلَّقَ فِيهِ الْقَنَادِيلَ ، وَجَعَلَ فِي مِحْرَابِهِ قَوْسًا وَنَشَّابَةً ، وَأَشَاعَ الْمُهَادَنَةَ.ذِكْرُ مُلْكِ السُّلْطَانِ أَلْب أَرْسَلَانَ.لَمَّا مَاتَ السُّلْطَانُ طُغْرُلْبِكْ عَمِيدُ الْمُلْكِ الْكُنْدُرِيُّ فِي السَّلْطَنَةِ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ جُغْرِي بِكْ ، أَخِي السُّلْطَانِ طُغْرُلْبِكْ ، وَكَانَ طُغْرُلْبِكْ قَدْ عَهِدَ إِلَيْهِ بِالْمُلْكِ ، وَكَانَتْ وَالِدَةُ سُلَيْمَانَ عِنْدَ طُغْرُلْبِكْ ، فَلَمَّا خُطِبَ لَهُ بِالسَّلْطَنَةِ اخْتَلَفَ الْأُمَرَاءُ ، فَمَضَى بَاغِي سِيَانَ وَأَرْدَمُ إِلَى قَزْوِينَ ، وَخَطَبَا لِعَضُدِ الدَّوْلَةِ أَلْب أَرْسَلَانَ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ جُغْرِي بِكْ ، وَهُوَ حِينَئِذٍ صَاحِبُ خُرَاسَانَ ، وَمَعَهُ نِظَامُ الْمُلْكِ وَزِيرُهُ ، وَالنَّاسُ مَائِلُونَ إِلَيْهِ.فَلَمَّا رَأَى عَمِيدُ الْمُلْكِ الْكُنْدُرِيُّ انْعِكَاسَ الْحَالِ عَلَيْهِ أَمَرَ بِالْخُطْبَةِ بِالرَّيِّ لِلسُّلْطَانِ أَلْب أَرْسَلَانَ ، وَبَعْدَهُ لِأَخِيهِ سُلَيْمَانَ.ذِكْرُ خُرُوجِ حَمُّو عَنْ طَاعَةِ تَمِيمِ بْنِ الْمُعِزِّ بِإِفْرِيقِيَّةَ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَالَفَ حَمُّو بْنُ مَلِيكٍ ، صَاحِبَ مَدِينَةٍ سَفَاقُسَ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، عَلَى الْأَمِيرِ تَمِيمِ بْنِ الْمُعِزِّ بْنِ بَادِيسَ ، فَجَمَعَ أَصْحَابَهُ ، وَاسْتَعَانَ بِالْعَرَبِ ، وَسَارَ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ ، فَسَمِعَ تَمِيمٌ الْخَبَرَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ بِعَسَاكِرَ وَمَعَهُ أَيْضًا طَائِفَةٌ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ زُغْبَةَ ، وَرِيَاحٍ ، وَوَصَلَ حَمُّو إِلَى سَلَقْطَةَ ، وَالْتَقَى الْفَرِيقَانِ بِهَا ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا حَرْبٌ شَدِيدَةٌ فَانْهَزَمَ حَمُّو وَمَنْ مَعَهُ ، وَأَخَذَتْهُمُ السُّيُوفُ ، فَقُتِلَ أَكْثَرُ حُمَاتِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَنَجَا بِنَفْسِهِ ، وَتَفَرَّقَتْ رِجَالُهُ ، وَعَادَ تَمِيمٌ مُظَفَّرًا مَنْصُورًا.ثُمَّ قَصَدَ ، بَعْدَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ ، مَدِينَةَ سُوسَةَ ، وَكَانَ أَهْلُهَا قَدْ خَالَفُوا عَلَيْهِ ، فَمَلَكَهَا ، وَعَفَا عَنْهُمْ وَحَقَنَ دِمَاءَهُمْ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي الْمُحَرَّمِ ، قُبِضَ بِمِصْرَ عَلَى الْوَزِيرِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْمَغْرِبِيِّ.وَفِيهَا دَخَلَ الصُّلَيْحِيُّ ، صَاحِبُ الْيَمَنِ ، إِلَى مَكَّةَ مَالِكًا لَهَا ، فَأَحْسَنَ السِّيرَةَ فِيهَا ، وَجَلَبَ إِلَيْهَا الْأَقْوَاتَ ، وَرَفَعَ جَوْرَ مَنْ تَقَدَّمَ ، وَظَهَرَتْ مِنْهُ أَفْعَالٌ جَمِيلَةٌ.وَفِيهَا ، فِي رَبِيعِ الْآخَرِ ، انْقَضَّ كَوْكَبٌ عَظِيمٌ ، وَكَانَ لَهُ ضَوْءٌ كَثِيرٌ.وَفِيهَا ، فِي شَعْبَانَ ، كَانَ بِالشَّامِ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ خُرِّبَ مِنْهَا كَثِيرٌ مِنَ الْبِلَادِ ، وَانْهَدَمَ سُورُ طَرَابُلُسَ.وَفِيهَا مَلَكَ أَمِيرُ الْجُيُوشِ بَدْرٌ دِمَشْقَ لِلْمُسْتَنْصِرِ ، صَاحِبِ مِصْرَ ، فَوَصَلَ إِلَيْهَا فِي الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخَرِ ، وَأَقَامَ بِهَا ، وَاخْتَلَفَ هُوَ وَالْجُنْدُ ، فَثَارُوا بِهِ ، وَوَافَقَهُمُ الْعَامَّةُ ، فَضَعُفَ عَنْهُمْ ، فَفَارَقَهَا فِي رَجَبٍ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ سَعِيدُ بْنُ نَصْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ مَرْوَانَ ، صَاحِبُ آمِدَ ، مِنْ دِيَارِ بَكْرٍ.وَزُهَيْرُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ أَبُو نَصْرٍ الْجُذَامِيُّ ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، تَفَقَّهَ عَلَى أَبِي حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِينِيِّ ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ وَرَوَاهُ ، وَكَانَ مَوْتُهُ بِسَرَخْسَ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.ذِكْرُ الْقَبْضِ عَلَى عَمِيدِ الْمُلْكِ وَقَتْلِهِ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَبَضَ السُّلْطَانُ أَلْبُ أَرُسُلَانَ عَلَى الْوَزِيرِ عَمِيدِ الْمُلْكِ أَبِي نَصْرٍ مَنْصُورِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكُنْدُرِيِّ وَزِيرِ طُغْرُلْبِكْ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ عَمِيدَ الْمُلْكِ قَصَدَ خِدْمَةَ نِظَامِ الْمُلْكِ ، وَزِيرِ أَلْب أَرْسَلَانَ ، وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ خَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ ، وَاعْتَذَرَ ، وَانْصَرَفَ مِنْ عِنْدِهِ ، فَسَارَ أَكْثَرُ النَّاسِ مَعَهُ ، فَخُوِّفَ السُّلْطَانُ مِنْ غَائِلَةِ ذَلِكَ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ وَأَنْفَذَهُ إِلَى مَرْوِ الرُّوذِ ، وَأَتَتْ عَلَيْهِ سَنَةٌ فِي الِاعْتِقَالِ ، ثُمَّ نَفَذَ إِلَيْهِ غُلَامَيْنِ فَدَخَلَا عَلَيْهِ وَهُوَ مَحْمُومٌ ، فَقَالَا لَهُ تُبْ مِمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ ، فَفَعَلَ ، وَدَخَلَ فَوَدَّعَ أَهْلَهُ ، وَخَرَجَ إِلَى مَسْجِدٍ هُنَاكَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، وَأَرَادَ الْغُلَامَانِ خَنْقَهُ ، فَقَالَ لَسْتُ بِلِصٍّ!وَخَرَقَ خِرْقَةً مِنْ طَرَفِ كُمِّهِ وَعَصَبَ عَيْنَيْهِ ، فَضَرَبُوهُ بِالسَّيْفِ ، وَكَانَ قَتْلُهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ ، وَلُفَّ فِي قَمِيصٍ دَبِيقِيٍّ مِنْ مَلَابِسِ الْخَلِيفَةِ ، وَخِرْقَةٍ كَانَتِ الْبُرْدَةُ الَّتِي عِنْدَ الْخُلَفَاءِ فِيهَا ، وَحُمِلَتْ جُثَّتُهُ إِلَى كُنْدُرَ ، فَدُفِنَ عِنْدَ أَبِيهِ ، وَكَانَ عُمْرُهُ يَوْمَ قُتِلَ نَيِّفًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً.وَكَانَ سَبَبُ اتِّصَالِهِ بِالسُّلْطَانِ طُغْرُلْبِكْ أَنَّ السُّلْطَانَ لَمَّا وَرَدَ نَيْسَابُورَ طَلَبَ رَجُلًا يَكْتُبُ لَهُ ، وَيَكُونُ فَصِيحًا بِالْعَرَبِيَّةِ ، فَدَلَّ عَلَيْهِ الْمُوَفَّقُ ، وَالِدُ أَبِي سَهْلٍ ، وَأَعْطَتْهُ السَّعَادَةُ ، وَكَانَ فَصِيحًا ، فَاضِلًا ، وَانْتَشَرَ مِنْ شِعْرِهِ مَا قَالَهُ فِي غُلَامٍ تُرْكِيٍّ صَغِيرِ السِّنِّ كَانَ وَاقِفًا عَلَى رَأْسِهِ يَقْطَعُ بِالسِّكِّينِ قَصَبَةً ، فَقَالَ عَمِيدُ الْمُلْكِ فِيهِ أَنَا مَشْغُولٌ بِحُبِّهْ ، وَهُوَ مَشْغُولٌ بِلَعِبِهْ...لَوْ رَدَّ اللَّهُ خَيِّرًا ، وَصَلَاحًا لِمُحِبِّهْ نُقِلَتْ رِقَّةُ خَدَّيْهِ إِلَى قَسْوَةِ قَلْبِهْ...صَانَهُ اللَّهُ فَمَا أَكْ ثَرَ إِعْجَابِي بِعُجْبِهْ.وَمِنْ شِعْرِهِ .إِذَا كَانَ بِالنَّاسِ ضِيقٌ عَلَى مُنَاقَشَتِي...فَالْمَوْتُ قَدْ وَسِعَ الدُّنْيَا عَلَى النَّاسِ مَضَيْتُ ، وَالشَّامِتُ الْمَغْبُونُ يَتْبَعُنِي...، كُلٌّ لِكَأْسِ الْمَنَايَا شَارِبٌ حَاسِي وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْبَاخَرْزِيُّ يُخَاطِبُ أَلْبَ أَرُسُلَانَ عِنْدَ قَتْلِ الْكُنْدُرِيِّ وَعَمُّكَ أَدْنَاهُ ، وَأَعْلَى مَحِلَّهُ...، وَبَوَّأَهُ مِنْ مُلْكِهِ كَنَفًا رَحْبَا قَضَى كُلُّ مَوْلًى مِنْكُمَا حَقَّ عَبْدِهِ...فَخَوَّلَهُ الدُّنْيَا ، وَخَوَّلَتْهُ الْعُقْبَى وَكَانَ عَمِيدُ الْمُلْكِ خَصِيًّا ، قَدْ خَصَاهُ طُغْرُلْبِكْ لِأَنَّهُ أَرْسَلَهُ يَخْطُبُ عَلَيْهِ امْرَأَةً لِيَتَزَوَّجَهَا ، فَتَزَوَّجَهَا هُوَ ، وَعَصَى عَلَيْهِ ، فَظَفِرَ بِهِ وَخَصَاهُ ، وَأَقَرَّهُ عَلَى خِدْمَتِهِ.وَقِيلَ بَلْ أَعْدَاؤُهُ أَشَاعُوا أَنَّهُ تَزَوَّجَهَا ، فَخَصَى نَفْسَهُ لِيَخْلُصَ مِنْ سِيَاسَةِ السَّلْطَنَةِ ، فَقَالَ فِيهِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الْبَاخَرْزِيُّ قَالُوا مَحَا السُّلْطَانُ عَنْهُ بِعِزَّةٍ...سِمَةَ الْفُحُولِ ، وَكَانَ قَرْمًا صَائِلَا قُلْتُ ، اسْكُتُوا ، فَالْآنَ زَادَ فُحُولَةً...لَمَّا اغْتَدَى عَنْ أُنْثَيَيْهِ عَاطِلَا فَالْفَحْلُ يَأْنَفُ أَنْ يُسَمَّى بَعْضُهُ...أُنْثَى ، لِذَلِكَ جَذَّهُ مُسْتَأْصِلَا.يَعْنِي بِالْأُنْثَى وَاحِدَةَ الْأُنْثَيَيْنِ.وَكَانَ شَدِيدَ التَّعَصُّبِ عَلَى الشَّافِعِيَّةِ ، كَثِيرَ الْوَقِيعَةِ فِي الشَّافِعِيِّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بَلَغَ مِنْ تَعَصُّبِهِ أَنَّهُ خَاطَبَ السُّلْطَانَ فِي لَعْنِ الرَّافِضَةِ عَلَى مَنَابِرِ خُرَاسَانَ ، فَأَذِنَ فِي ذَلِكَ ، فَأَمَرَ بِلَعْنِهِمْ ، وَأَضَافَ إِلَيْهِمُ الْأَشْعَرِيَّةَ ، فَأَنِفَ مِنْ ذَلِكَ أَئِمَّةُ خُرَاسَانَ ، مِنْهُمْ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ ، وَالْإِمَامُ أَبُو الْمَعَالِي الْجُوَيْنِيُّ ، وَغَيْرُهُمَا ، فَفَارَقُوا خُرَاسَانَ ، وَأَقَامَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ بِمَكَّةَ أَرْبَعَ سِنِينَ إِلَى أَنِ انْقَضَتْ دَوْلَتُهُ ، يَدْرُسُ ، وَيُفْتِي ، فَلِهَذَا لُقِبَّ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ ، فَلَمَّا جَاءَتِ الدَّوْلَةُ النِّظَامِيَّةُ ، أَحْضَرَ مَنِ انْتَزَحَ مِنْهُمْ وَأَكْرَمَهُمْ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ.وَقِيلَ إِنَّهُ تَابَ مِنَ الْوَقِيعَةِ فِي الشَّافِعِيِّ ، فَإِنْ صَحَّ فَقَدْ أَفْلَحَ ، وَإِلَّا فَعَلَى نَفْسِهَا بَرَاقِشُ تَجْنِي.وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّ ذَكَرَهُ دُفِنَ بِخُوَارِزْمَ لَمَّا خُصِيَ ، وَدَمُهُ مَسْفُوحٍ بِمَرْوَ ، وَجَسَدُهُ مَدْفُونٌ بِكُنْدُرَ ، وَرَأْسُهُ مَا عَدَا قِحْفَهُ مَدْفُونٌ بِنَيْسَابُورَ ، وَنُقِلَ قِحْفُهُ إِلَى كَرْمَانَ لِأَنَّ نِظَامَ الْمُلْكِ كَانَ هُنَاكَ ، فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ.وَلَمَّا قُرِّبَ لِلْقَتْلِ قَالَ الْقَاصِدُ إِلَيْهِ قُلْ لِنِظَامِ الْمُلْكِ بِئْسَ مَا عَوَّدْتَ الْأَتْرَاكَ قَتْلَ الْوُزَرَاءِ ، وَأَصْحَابَ الدِّيوَانِ ، وَمَنْ حَفَرَ قَلِيبًا وَقَعَ فِيهِ ، وَلَمْ يُخَلِّفْ عَمِيدُ الْمُلْكِ غَيْرَ بِنْتٍ.ذِكْرُ مُلْكِ أَلْب أَرْسَلَانَ خَتْلَانَ وَهَرَاةَ وَصَغَانِيَانَ.لَمَّا تُوُفِّيَ طُغْرُلْبِكْ وَمَلَكَ أَلْب أَرْسَلَانَ عَصَى عَلَيْهِ أَمِيرُ خَتْلَانَ بِقَلْعَتِهِ وَمَنَعَ الْخَرَاجَ ، فَقَصَدَهُ السُّلْطَانُ ، فَرَأَى الْحِصْنَ مَنِيعًا عَلَى شَاهِقٍ ، فَأَقَامَ عَلَيْهِ وَقَاتَلَهُ ، فَلَمْ يَصِلْ مِنْهُ إِلَى مُرَادِهِ.فَفِي بَعْضِ الْأَيَّامِ بَاشَرَ أَلْب أَرْسَلَانَ الْقِتَالَ بِنَفْسِهِ ، وَتَرَجَّلَ ، وَصَعِدَ فِي الْجَبَلِ ، فَتَبِعَهُ الْخَلْقُ وَتَقَدَّمُوا عَلَيْهِ فِي الْمَوْقِفِ ، وَأَلَحُّوا فِي الزَّحْفِ وَالْقِتَالِ ، وَكَانَ صَاحِبُ الْقَلْعَةِ عَلَى شُرْفَةٍ مِنْ سُورِهَا يُحَرِّضُ النَّاسَ عَلَى الْقِتَالِ ، فَأَتَتْهُ نَشَّابَةٌ مِنَ الْعَسْكَرِ فَقَتَلَهُ ، وَتَسَلَّمَ أَلْب أَرْسَلَانَ الْقَلْعَةَ وَصَارَتْ فِي جُمْلَةِ مَمَالِكِهِ.وَكَانَ عَمُّهُ فَخْرُ الْمُلِكِ بَيْغُو بْنُ مِيكَائِيلَ فِي هَرَاةَ ، فَعَصَى أَيْضًا عَلَيْهِ ، وَطَمِعَ فِي الْمُلْكِ لِنَفْسِهِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ أَلْب أَرْسَلَانَ فِي الْعَسَاكِرِ الْعَظِيمَةِ ، فَحَصَرَهُ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ ، وَأَدَامَ الْقِتَالَ لَيْلًا وَنَهَارًا ، فَتَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ، وَخَرَجَ عَمُّهُ إِلَيْهِ ، فَأَبْقَى عَلَيْهِ وَأَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُ.وَسَارَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى صَغَانِيَانَ ، وَأَمِيرُهَا اسْمُهُ مُوسَى ، وَكَانَ قَدْ عَصَى عَلَيْهِ.فَلَمَّا قَارَبَهُ أَلْب أَرْسَلَانَ صَعِدَ مُوسَى إِلَى قَلْعَةٍ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ شَاهِقٍ ، وَمَعَهُ مِنَ الرِّجَالِ الْكُمَاةِ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ ، فَوَصَلَ السُّلْطَانُ إِلَيْهِ ، وَبَاشَرَ الْحَرْبَ لِوَقْتِهِ ، فَلَمْ يَنْتَصِفِ النَّهَارُ حَتَّى صَعِدَ الْعَسْكَرُ الْجَبَلَ ، وَمَلَكُوا الْقَلْعَةَ قَهْرًا ، وَأُخِذَ مُوسَى أَسِيرًا ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ ، فَبَذَلَ فِي نَفْسِهِ أَمْوَالًا كَثِيرَةً ، فَقَالَ السُّلْطَانُ لَيْسَ هَذَا أَسِيرًا ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ ، فَبَذَلَ فِي نَفْسِهِ أَمْوَالًا كَثِيرَةً ، فَقَالَ السُّلْطَانُ لَيْسَ هَذَا أَوَانُ تِجَارَةٍ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى تِلْكَ الْوِلَايَةِ بِأَسْرِهَا ، وَعَادَ إِلَى مَرْوَ ، ثُمَّ مِنْهَا إِلَى نَيْسَابُورَ.ذِكْرُ عَوْدِ ابْنَةِ الْخَلِيفَةِ إِلَى بَغْدَاذَ وَالْخِطْبَةِ لِلسُّلْطَانِ أَلْبَ أَرَسْلَانَ بِبَغْدَاذَ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَمَرَ السُّلْطَانُ أَلْب أَرْسَلَانَ السَّيِّدَةَ ابْنَةَ الْخَلِيفَةِ بِالْعَوْدِ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَأَعْلَمَهَا أَنَّهُ لَمْ يَقْبِضْ عَلَى عَمِيدِ الْمُلْكِ إِلَّا لِمَا اعْتَمَدَهُ مِنْ نَقْلِهَا مِنْ بَغْدَاذَ إِلَى الرَّيِّ بِغَيْرِ رِضَاءِ الْخَلِيفَةِ ، وَأَمَرَ الْأَمِيرَ أَيْتَكِينَ السُّلَيْمَانِيَّ بِالْمَسِيرِ فِي خِدْمَتِهَا إِلَى بَغْدَاذَ ، وَالْمُقَامَ بِهَا شِحْنَةً ، وَأَنْفَذَ أَبَا سَهْلٍ مُحَمَّدَ بْنَ هِبَةِ اللَّهِ ، الْمَعْرُوفَ بِابْنِ الْمُوَفَّقِ ، لِلْمَسِيرِ فِي الصُّحْبَةِ ، وَأَمَرَهُ بِالْمُخَاطَبَةِ فِي إِقَامَةِ الْخِطْبَةِ لَهُ ، فَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ مُجَدَّرًا.وَهَذَا أَبُو سَهْلٍ مِنْ رُؤَسَاءِ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ بِنَيْسَابُورَ ، وَكَانَ يَحْضُرُ طَعَامَهُ فِي رَمَضَانَ ، كُلَّ لَيْلَةٍ ، أَرْبَعُ مِائَةِ مُتَفَقِّهٍ ، وَيَصِلُهُمْ لَيْلَةَ الْعِيدِ بِكُسْوَةِ وَدَنَانِيرَ تَعُمُّهُمْ ، فَلَمَّا سَمِعَ بِمَوْتِهِ أَرْسَلَ الْعَمِيدَ أَبَا الْفَتْحِ الْمُظَفَّرَ بْنَ الْحُسَيْنِ فَمَاتَ أَيْضًا فِي الطَّرِيقِ ، فَأَلْزَمَ السُّلْطَانُ رَئِيسَ الْعِرَاقِيِّنَ بِالْمَسِيرِ ، فَوَصَلُوا بَغْدَاذَ مُنْتَصَفَ رَبِيعٍ الْآخَرِ ، وَخَرَجَ عَمِيدُ الدَّوْلَةِ ابْنُ الْوَزِيرِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ جَهِيرٍ لِتَلَقِّيهِمْ ، وَاقْتَرَحَ السُّلْطَانُ أَنْ يُخَاطِبَ بِالْوَلَدِ الْمُؤَيِّدِ ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ ، وَلُقِّبَ ضِيَاءُ الدَّوْلَةِ عَضُدَ الدَّوْلَةِ.وَجَلَسَ الْخَلِيفَةُ جُلُوسًا عَامًّا سَابِعَ جُمَادَى الْأُولَى ، وَشَافَّهُ الرُّسُلُ بِتَقْلِيدِ أَلْبَ أَرَسْلَانَ لِلسَّلْطَنَةِ ، وَسُلِّمَتِ الْخِلَعُ بِمَشْهَدٍ مِنَ الْخَلْقِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مِنَ الدِّيوَانِ لِأَخْذِ الْبَيْعَةِ النَّقِيبَ طِرَادًا الزَّيْنَبِيَّ ، فَوَصَلُوا إِلَيْهِ وَهُوَ بِنَقْجُوَانَ مِنْ أَذْرَبِيجَانَ ، فَلَبِسَ الْخِلَعَ ، وَبَايَعَ الْخَلِيفَةَ.ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ أَلْبَ أَرَسْلَانَ وَقُتُلْمِشْ.سَمِعَ أَلْب أَرْسَلَانَ أَنَّ شِهَابَ الدَّوْلَةِ قُتُلْمِشْ ، وَهُوَ مِنَ السَّلْجُوقِيَّةِ أَيْضًا ، وَهُوَ جَدُّ الْمُلُوكِ أَصْحَابِ قُونِيَّةَ ، وَقَيْصَرِيَّةَ ، وَأَقْصَرَا ، وَمَلَطْيَةَ ، يَوْمَنَا هَذَا ، قَدْ عَصَى عَلَيْهِ ، وَجَمَعَ جُمُوعًا كَثِيرَةً ، وَقَصَدَ الرَّيَّ لِيَسْتَوْلِيَ عَلَيْهَا ، فَجَهَّزَ أَلْب أَرْسَلَانَ جَيْشًا عَظِيمًا وَسَيَّرَهُمْ عَلَى الْمَفَازَةِ إِلَى الرَّيِّ ، فَسَبَقُوا قُتُلْمِشْ إِلَيْهَا.وَسَارَ أَلْب أَرْسَلَانَ مِنْ نَيْسَابُورَ أَوَّلَ الْمُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى دَامَغَانَ أَرْسَلَ إِلَى قُتُلْمِشْ يُنْكِرُ عَلَيْهِ فِعْلَهُ ، وَيَنْهَاهُ عَنِ ارْتِكَابِ هَذِهِ الْحَالِ ، وَيَأْمُرُهُ بِتَرْكِهَا ، فَإِنَّهُ يَرَى لَهُ الْقَرَابَةَ وَالرَّحِمَ ، فَأَجَابَ قُتُلْمِشْ جَوَابَ مُغْتَرٍّ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْجُمُوعِ ، وَنَهَبَ قُرَى الرَّيِّ ، وَأَجْرَى الْمَاءَ عَلَى وَادِي الْمِلْحِ ، وَهِيَ سَبْخَةٌ ، فَتَعَذَّرَ سُلُوكُهَا ، فَقَالَ نِظَامُ الْمُلْكِ قَدْ جَعَلْتَ لَكَ مِنْ خُرَاسَانَ جُنْدًا يَنْصُرُونَكَ وَلَا يَخْذُلُونَكَ ، وَيَرْمُونَ دُونَكَ بِسِهَامٍ لَا تُخْطِئُ ، وَهُمُ الْعُلَمَاءُ وَالزُّهَّادُ ، فَقَدْ جَعَلْتَهُمْ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ مِنْ أَعْظَمَ أَعْوَانِكَ.وَقَرُبَ السُّلْطَانُ مِنْ قُتُلْمِشْ ، فَلَبِسَ نِظَامُ الْمُلْكِ السِّلَاحَ ، وَعَبَّأَ الْكَتَائِبَ ، وَاصْطَفَّ الْعَسْكَرَانِ.وَكَانَ قُتُلْمِشْ يَعْلَمُ عِلْمَ النُّجُومِ ، فَوَقَفَ وَنَظَرَ ، فَرَأَى أَنَّ طَالِعَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَدْ قَارَنَهُ نُحُوسٌ لَا يَرَى مَعَهَا ظَفَرًا ، فَقَصَدَ الْمُحَاجَزَةَ ، وَجَعَلَ السَّبْخَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَلْب أَرْسَلَانَ لِيَمْتَنِعَ مِنَ اللِّقَاءِ.فَسَلَكَ أَلْب أَرْسَلَانَ طَرِيقًا فِي الْمَاءِ ، وَخَاضَ غَمْرَتَهُ ، وَتَبِعَهُ الْعَسْكَرُ ، فَطَلَعَ مِنْهُ سَالِمًا هُوَ وَعَسْكَرُهُ ، فَصَارُوا مَعَ قُتُلْمِشْ وَاقْتَتَلُوا ، فَلَمْ يَثْبُتْ عَسْكَرُ قُتُلْمِشْ لِعَسْكَرِ السُّلْطَانِ ، وَانْهَزَمُوا لِسَاعَتِهِمْ ، وَمَضَى مُنْهَزِمًا إِلَى قَلْعَةِ كَرْدَكُوهَ ، وَهِيَ مِنْ جُمْلَةِ حُصُونِهِ وَمَعَاقِلِهِ ، وَاسْتَوْلَى الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ عَلَى عَسْكَرِهِ ، فَأَرَادَ السُّلْطَانُ قَتْلَ الْأَسْرَى ، فَشَفَعَ فِيهِمْ نِظَامُ الْمُلْكِ فَعَفَا عَنْهُمْ وَأَطْلَقَهُمْ.وَلَمَّا سَكَنَ الْغُبَارُ ، وَنَزَلَ الْعَسْكَرُ ، وُجِدَ قُتُلْمِشْ مَيِّتًا مُلْقًى عَلَى الْأَرْضِ لَا يُدْرَى كَيْفَ كَانَ مَوْتُهُ ، قِيلَ إِنَّهُ مَاتَ مِنَ الْخَوْفِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، فَبَكَى السُّلْطَانُ لِمَوْتِهِ ، وَقَعَدَ لِعَزَائِهِ ، وَعَظُمَ عَلَيْهِ فَقْدُهُ ، فَسَلَّاهُ نِظَامُ الْمُلْكِ ، وَدَخَلَ أَلْب أَرْسَلَانَ إِلَى مَدِينَةِ الرَّيِّ آخِرَ الْمُحَرَّمِ مِنَ السَّنَةِ.وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّ قُتُلْمِشْ هَذَا كَانَ يَعْلَمُ عِلْمَ النُّجُومِ ، قَدْ أَتْقَنَهُ ، مَعَ أَنَّهُ تُرْكِيٌّ ، وَيَعْلَمُ غَيْرَهُ مِنْ عُلُومِ الْقَوْمِ ، ثُمَّ إِنَّ أَوْلَادَهُ مِنْ بَعْدِهِ لَمْ يَزَالُوا يَطْلُبُونَ هَذِهِ الْعُلُومَ الْأَوَّلِيَّةَ ، وَيُقَرِّبُونَ أَهْلَهَا ، فَنَالَهُمْ بِهَذَا غَضَاضَةٌ فِي دِينِهِمْ ، وَسَيَرِدُ مِنْ أَخْبَارِهِمْ مَا يُعْلَمُ مِنْهُ ذَلِكَ وَغَيْرُهُ مِنْ أَحْوَالِهِمْ.ذِكْرُ فَتْحِ أَلْب أَرْسَلَانَ مَدِينَةَ آنِي وَغَيْرِهَا مِنْ بِلَادِ النَّصْرَانِيَّةِ.ثُمَّ سَارَ السُّلْطَانُ مِنَ الرَّيِّ أَوَّلَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَسَارَ إِلَى أَذْرَبِيجَانَ ، فَوَصَلَ إِلَى مَرَنْدَ عَازِمًا عَلَى قِتَالِ الرُّومِ وَغَزْوِهِمْ ، فَلَمَّا كَانَ بِمَرَنْدَ أَتَاهُ أَمِيرٌ مِنْ أُمَرَاءِ التُّرْكُمَانَ ، كَانَ يُكْثِرُ غَزْوَ الرُّومِ ، اسْمُهُ طُغْدَكِينَ ، وَمَعَهُ مِنْ عَشِيرَتِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، قَدْ أَلِفُوا الْجِهَادَ ، وَعَرَفُوا تِلْكَ الْبِلَادَ ، وَحَثَّهُ عَلَى قَصْدِ بِلَادِهِمْ ، وَضَمِنَ لَهُ سُلُوكَ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ إِلَيْهَا ، فَسَارَ مَعَهُ ، فَسَلَكَ بِالْعَسَاكِرِ فِي مَضَايِقِ تِلْكَ الْأَرْضِ وَمَخَارِمِهَا ، فَوَصَلَ إِلَى نَقْجُوَانَ ، فَأَمَرَ بِعَمَلِ السُّفُنِ لِعُبُورِ نَهْرِ أَرَسَ ، فَقِيلَ لَهُ إِنَّ سُكَّانَ خُوَيَّ ، وَسَلَمَاسَ ، مِنْ أَذْرَبِيجَانَ ، لَمْ يَقُومُوا بِوَاجِبِ الطَّاعَةِ ، وَإِنَّهُمْ قَدِ امْتَنَعُوا بِبِلَادِهِمْ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِمْ عَمِيدَ خُرَاسَانَ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ ، وَتَهَدَّدَهُمْ إِنِ امْتَنَعُوا ، فَأَطَاعُوا ، وَصَارُوا مِنْ جُمْلَةِ حِزْبِهِ وَجُنْدِهِ ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ هُنَاكَ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْعَسَاكِرِ مَا لَا يُحْصَى.فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ جَمْعِ الْعَسَاكِرِ وَالسُّفُنِ سَارَ إِلَى بِلَادِ الْكُرْجِ ، وَجَعَلَ مَكَانَهُ فِي عَسْكَرِهِ وَلَدَهُ مَلِكْشَاهْ ، وَنِظَامَ الْمُلْكِ وَزِيرَهُ ، فَسَارَ مَلِكْشَاهْ وَنِظَامُ الْمُلْكِ إِلَى قَلْعَةٍ فِيهَا جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الرُّومِ ، فَنَزَلَ أَهْلُهَا مِنْهَا ، وَتَخَطَّفُوا مِنَ الْعَسْكَرِ ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ فِئَةً كَثِيرَةً ، فَنَزَلَ نِظَامُ الْمُلْكِ وَمَلِكْشَاهْ ، وَقَاتَلُوا مَنْ بِالْقَلْعَةِ ، وَزَحَفُوا إِلَيْهِمْ ، فَقُتِلَ أَمِيرُ الْقَلْعَةِ ، وَمَلَكَهَا الْمُسْلِمُونَ ، وَسَارُوا مِنْهَا إِلَى قَلْعَةِ سُرْمَارِي ، وَهِيَ قَلْعَةٌ فِيهَا الْمِيَاهُ الْجَارِيَةُ وَالْبَسَاتِينُ ، فَقَاتَلُوهَا وَمَلَكُوهَا ، وَأَنْزَلُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ، وَكَانَ بِالْقُرْبِ مِنْهَا قَلْعَةٌ أُخْرَى ، فَفَتَحَهَا مَلِكْشَاهْ ، وَأَرَادَ تَخْرِيبَهَا ، فَنَهَاهُ نِظَامُ الْمُلْكِ عَنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ هِيَ ثَغْرٌ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَشَحَنَهَا بِالرِّجَالِ وَالذَّخَائِرِ وَالْأَمْوَالِ وَالسِّلَاحِ ، وَسَلَّمَ هَذِهِ الْقِلَاعَ إِلَى أَمِيرِ نَقْجُوَانَ.وَسَارَ مَلِكْشَاهْ وَنِظَامُ الْمُلْكِ إِلَى مَدِينَةِ مَرْيَمَ نَشِينَ ، وَفِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الرُّهْبَانِ وَالْقِسِّيسِينَ وَمُلُوكِ النَّصَارَى وَعَامَّتِهِمْ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى أَهْلِ هَذِهِ الْبَلْدَةِ ، وَهِيَ مَدِينَةٌ حَصِينَةٌ ، سُورُهَا مِنَ الْأَحْجَارِ الْكِبَارِ الصُّلْبَةِ ، الْمَشْدُودَةِ بِالرَّصَاصِ وَالْحَدِيدِ ، وَعِنْدَهَا نَهْرٌ كَبِيرٌ ، فَأَعَدَّ نِظَامُ الْمُلْكِ لِقِتَالِهَا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ السُّفُنِ وَغَيْرِهَا ، وَقَاتَلَهَا ، وَوَاصَلَ قِتَالَهَا لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَجَعَلَ الْعَسَاكِرَ عَلَيْهَا يُقَاتِلُونَ بِالنَّوْبَةِ ، فَضَجِرَ الْكُفَّارُ ، وَأَخَذَهُمُ الْإِعْيَاءُ وَالْكَلَالُ ، فَوَصَلَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى سُورِهَا ، وَنَصَبُوا عَلَيْهِ السَّلَالِيمَ ، وَصَعِدُوا إِلَى أَعْلَاهُ ، لِأَنَّ الْمَعَاوِلَ كَلَّتْ عَنْ نَقْبِهِ لِقُوَّةِ حَجَرِهِ.فَلَمَّا رَأَى أَهْلُهَا الْمُسْلِمِينَ عَلَى السُّورِ فَتَّ ذَلِكَ فِي أَعَضَادِهِمْ ، وَسُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ ، وَدَخَلَ مَلِكْشَاهْ الْبَلَدَ ، وَنِظَامُ الْمُلْكِ ، وَأَحْرَقُوا الْبِيَعَ ، وَخَرَّبُوهَا ، وَقَتَلُوا كَثِيرًا مِنْ أَهْلِهَا ، وَأَسْلَمَ كَثِيرٌ فَنَجَوْا مِنَ الْقَتْلِ.وَاسْتَدْعَى أَلْب أَرْسَلَانَ إِلَيْهِ ابْنَهُ ، وَنِظَامَ الْمُلْكِ ، وَفَرِحَ بِمَا يَسَّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْفَتْحِ عَلَى يَدِ وَلَدِهِ ، وَفَتَحَ مَلِكْشَاهْ فِي طَرِيقِهِ عِدَّةً مِنَ الْقِلَاعِ وَالْحُصُونِ ، وَأَسَرَ مِنَ النَّصَارَى مَا لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً ، وَسَارُوا إِلَى سُبِيذَ شَهْرَ ، فَجَرَى بَيْنَ أَهْلِهَا وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ حُرُوبٌ شَدِيدَةٌ اسْتُشْهِدَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسَّرَ فَتْحَهَا فَمَلَكَهَا أَلْب أَرْسَلَانَ.وَسَارَ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ أَعَآلَ لَآلَ ، وَهِيَ حَصِينَةٌ ، عَالِيَةُ الْأَسْوَارِ ، شَاهِقَةُ الْبُنْيَانِ ، وَهِيَ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ عَلَى جَبَلٍ عَالٍ ، وَعَلَى الْجَبَلِ عِدَّةٌ مِنَ الْحُصُونِ ، وَمِنَ الْجَانِبَيْنِ الْآخَرَيْنِ نَهْرٌ كَبِيرٌ لَا يُخَاضُ ، فَلَمَّا رَآهَا الْمُسْلِمُونَ عَلِمُوا عَجْزَهُمْ عَنْ فَتْحِهَا وَالِاسْتِيلَاءِ عَلَيْهَا ، وَكَانَ مَلِكُهَا مِنَ الْكُرْجِ ، وَهَكَذَا مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي ذَكَرْنَا فَتْحَهَا ، وَعَقَدَ السُّلْطَانُ جِسْرًا عَلَى النَّهْرِ عَرِيضًا ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ وَعَظُمَ الْخَطْبُ ، فَخَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ رَجُلَانِ يَسْتَغِيثَانِ ، وَيَطْلُبَانِ الْأَمَانَ ، وَالْتَمَسَا مِنَ السُّلْطَانِ أَنْ يُرْسِلَ مَعَهُمَا طَائِفَةً مِنَ الْعَسْكَرِ ، فَسَيَّرَ جَمْعًا صَالِحًا ، فَلَمَّا جَاوَزُوا الْفَصِيلَ أَحَاطَ بِهِمُ الْكُرْجُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَقَاتَلُوهُمْ فَأَكْثَرُوا الْقَتْلَ فِيهِمْ ، وَلَمْ يَتَمَكَّنِ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْهَزِيمَةِ لِضِيقِ الْمَسْلَكِ.وَخَرَجَ الْكُرْجُ مِنَ الْبَلَدِ وَقَصَدُوا الْعَسْكَرَ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، وَكَانَ السُّلْطَانُ ، ذَلِكَ الْوَقْتَ ، يُصَلِّي ، فَأَتَاهُ الصَّرِيخُ ، فَلَمْ يَبْرَحْ حَتَّى فَرَغَ مِنْ صِلَاتِهِ ، وَرَكِبَ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى الْكُفَّارِ ، فَقَاتَلَهُمْ ، وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ ، فَوَلَّوْا مُنْهَزِمِينَ ، فَدَخَلُوا الْبَلَدَ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُمْ ، وَدَخَلَهَا السُّلْطَانُ وَمَلَكَهَا ، وَاعْتَصَمَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِهَا فِي بُرْجٍ مِنْ أَبْرَاجِ الْمَدِينَةِ ، فَقَاتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، فَأَمَرَ السُّلْطَانُ بِإِلْقَاءِ الْحَطَبِ حَوْلَ الْبُرْجِ وَإِحْرَاقِهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَأَحْرَقَ الْبُرْجَ وَمَنْ فِيهِ ، وَعَادَ السُّلْطَانُ إِلَى خِيَامِهِ ، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْمَدِينَةِ مَا لَا يُحَدُّ وَلَا يُحْصَى.وَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ عَصَفَتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ.وَكَانَ قَدْ بَقِيَ مِنْ تِلْكَ النَّارِ الَّتِي أَحْرَقَ بِهَا الْبُرْجَ بَقِيَّةٌ كَثِيرَةٌ ، فَأَطَارَتْهَا الرِّيحُ ، فَاحْتَرَقَتِ الْمَدِينَةُ بِأَسْرِهَا ، وَذَلِكَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَمَلَكَ السُّلْطَانُ قَلْعَةً حَصِينَةً كَانَتْ إِلَى جَانِبِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ ، وَأَخَذَهَا.وَسَارَ مِنْهَا إِلَى نَاحِيَةِ قَرْسَ وَمَدِينَةِ آنِي بِالْقُرْبِ مِنْهَا نَاحِيَتَانِ يُقَالُ لَهُمَا سَيْلُ وَرْدَهْ.وَنُورَةُ ، فَخَرَجَ أَهْلُهَا مُذْعِنِينَ بِالْإِسْلَامِ ، وَخَرَّبُوا الْبِيَعَ ، وَبَنَوُا الْمَسَاجِدَ.وَسَارَ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ آنِي فَوَصَلَ إِلَيْهَا فَرَآهَا مَدِينَةً حَصِينَةً ، شَدِيدَةَ الِامْتِنَاعِ ، لَا تُرَامُ ، ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِهَا عَلَى نَهْرِ أَرْسَ ، وَالرُّبْعُ الْآخَرُ نَهْرٌ عَمِيقٌ شَدِيدُ الْجَرْيَةِ ، لَوْ طُرِحَتْ فِيهِ الْحِجَارَةُ الْكِبَارُ لَدَحَاهَا وَحَمَلَهَا ، وَالطَّرِيقُ إِلَيْهَا عَلَى خَنْدَقٍ عَلَيْهِ سُورٌ مِنَ الْحِجَارَةِ الصُّمِّ ، وَهِيَ بَلْدَةٌ كَبِيرَةٌ ، عَامِرَةٌ ، كَثِيرَةُ الْأَهْلِ ، فِيهَا مَا يَزِيدُ عَلَى خَمْسِمِائَةِ بَيْعَةٍ ، فَحَصَرَهَا وَضَيَّقَ عَلَيْهَا ، إِلَّا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ أَيِسُوا مِنْ فَتْحِهَا لِمَا رَأَوْا مِنْ حَصَانَتِهَا ، فَعَمِلَ السُّلْطَانُ بُرْجًا مِنْ خَشَبٍ ، وَشَحَنَهُ بِالْمُقَاتِلَةِ.وَنَصَبَ عَلَيْهِ الْمَنْجَنِيقَ ، وَرُمَاةَ النِّشَابِ ، فَكَشَفُوا الرُّومَ عَنِ السُّورِ ، وَتَقَدَّمَ الْمُسْلِمُونَ إِلَيْهِ لِيَنْقُبُوهُ ، فَأَتَاهُمْ مِنْ لُطْفِ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِهِمْ ، فَانْهَدَمَ قِطْعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ السُّورِ بِغَيْرِ سَبَبٍ ، فَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ وَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَا مَا لَا يُحْصَى بِحَيْثُ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَجَزُوا عَنْ دُخُولِ الْبَلَدِ مِنْ كَثْرَةِ الْقَتْلَى ، وَأَسَرُوا نَحْوًا مِمَّا قَتَلُوا.وَسَارَتِ الْبُشْرَى بِهَذِهِ الْفُتُوحِ فِي الْبِلَادِ ، فَسُرَّ الْمُسْلِمُونَ ، وَقُرِئَ كِتَابُ الْفَتْحِ بِبَغْدَاذَ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ ، فَبَرَزَ خَطُّ الْخَلِيفَةِ بِالثَّنَاءِ عَلَى أَلْب أَرْسَلَانَ وَالدُّعَاءِ لَهُ.وَرَتَّبَ السُّلْطَانُ فِيهَا أَمِيرًا فِي عَسْكَرٍ جَرَّارٍ ، وَعَادَ عَنْهَا ، وَقَدْ رَاسَلَهُ مَلِكُ الْكُرْجِ فِي الْهُدْنَةِ ، فَصَالَحَهُ عَلَى أَدَاءِ الْجِزْيَةِ كُلَّ سَنَةٍ ، فَقَبِلَ ذَلِكَ.وَلَمَّا رَحَلَ السُّلْطَانُ عَائِدًا قَصَدَ أَصْبَهَانَ ، ثُمَّ سَارَ مِنْهَا إِلَى كَرْمَانَ ، فَاسْتَقْبَلَهُ أَخُوهُ قَاوَرْتُ بِكْ بْنُ جُغْرِي بِكْ دَاوُدَ ، ثُمَّ سَارَ مِنْهَا إِلَى مَرْوَ ، فَزَوَّجَ ابْنَهُ مَلِكْشَاهْ بِابْنَةِ خَاقَانَ ، مَلِكِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، وَزُفَّتْ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْوَقْتِ ، وَزَوَّجَ ابْنَهُ أَرْسَلَانْشَاهْ بِابْنَةِ صَاحِبِ غَزْنَةَ ، وَاتَّحَدَ الْبَيْتَانِ الْبَيْتُ السَّلْجُوقِيُّ ، وَالْبَيْتُ الْمَحْمُودِيُّ ، وَاتَّفَقَتِ الْكَلِمَةُ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، ظَهَرَ بِالْعِرَاقِ وَخُوزِسْتَانَ وَكَثِيرٍ مِنَ الْبِلَادِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَكْرَادِ ، خَرَجُوا يَتَصَيَّدُونَ ، فَرَأَوْا فِي الْبَرِّيَّةِ خِيَمًا سُودًا ، وَسَمِعُوا مِنْهَا لَطْمًا شَدِيدًا وَعَوِيلًا كَثِيرًا ، وَقَائِلًا يَقُولُ قَدْ مَاتَ سَيِّدُوكُ مَلِكُ الْجِنِّ ، وَأَيُّ بَلَدٍ لَمْ يَلْطُمْ أَهْلُهُ عَلَيْهِ وَيَعْمَلُوا لَهُ الْعَزَاءَ قُلِعَ أَصْلُهُ ، وَأُهْلِكَ أَهْلُهُ ، فَخَرَجَ كَثِيرٌ مِنَ النِّسَاءِ إِلَى الْمَقَابِرِ يَلْطُمْنَ ، وَيَنُحْنَ ، وَيَنْشُرْنَ شُعُورَهُنَّ ، وَخَرَجَ رِجَالٌ مِنْ سِفْلَةِ النَّاسِ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ ، وَكَانَ ذَلِكَ ضِحْكَةً عَظِيمَةً.وَلَقَدْ جَرَى فِي أَيَّامِنَا نَحْنُ فِي الْمَوْصِلِ ، وَمَا وَالَاهَا مِنَ الْبِلَادِ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَغَيْرِهَا ، نَحْوُ هَذَا ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ سَنَةَ سِتِّمِائَةٍ أَصَابَهُمْ وَجَعٌ كَثِيرٌ فِي حُلُوقِهِمْ ، مَاتَ مِنْهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَظَهَرَ أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْجِنِّ يُقَالُ لَهَا أُمُّ عُنْقُودٍ ، مَاتَ ابْنُهَا عُنْقُودٌ ، وَكُلُّ مَنْ لَا يَعْمَلُ لَهُ مَأْتَمًا أَصَابَهُ هَذَا الْمَرَضُ ، فَكَثُرَ فِعْلُ ذَلِكَ ، وَكَانُوا يَقُولُونَ يَا أُمَّ عُنْقُودٍ اعْذُرِينَا قَدْ مَاتَ عُنْقُودٌ مَا دَرِينَا وَكَانَ النِّسَاءُ يَلْطُمْنَ ، وَكَذَلِكَ الْأَوْبَاشُ.وَفِيهَا وَلِيَ أَبُو الْغَنَائِمِ الْمَعْمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْعَلَوِيُّ نِقَابَةَ الْعَلَوِيِّينَ بِبَغْدَاذَ ، وَإِمَارَةَ الْمَوْسِمِ ، وَلُقِّبَ بِالطَّاهِرِ ذِي الْمَنَاقِبِ ، وَكَانَ الْمُرْتَضَى أَبُو الْفَتْحِ أُسَامَةُ قَدِ اسْتَعْفَى مِنَ النِّقَابَةِ ، وَصَاهَرَ بَنِي خَفَاجَةَ ، وَانْتَقَلَ مَعَهُمْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ ، وَتُوُفِّيَ أُسَامَةُ بِمَشْهَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فِي رَجَبٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ تُوُفِّيَ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ بُرْهَانَ الْأَسَدِيُّ النَّحْوِيُّ الْمُتَكَلِّمُ ، وَكَانَ لَهُ اخْتِيَارٌ فِي الْفِقْهِ ، وَكَانَ عَالِمًا بِالنَّسَبِ ، وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ مَكْشُوفَ الرَّأْسِ ، وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا ، وَكَانَ مَوْتُهُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ.وَقَدْ جَاوَزَ ثَمَانِينَ سَنَةً ، وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى مَذْهَبِ مُرْجِئَةِ الْمُعْتَزِلَةِ ، وَيَعْتَقِدُ أَنَّ الْكُفَّارَ لَا يُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ.وَفِيهَا انْقَضَّ كَوْكَبٌ عَظِيمٌ ، وَكَثُرَ نُورُهُ فَصَارَ أَكْثَرُ نُورِهِ مِنْ نُورِ الْقَمَرِ.وَسُمِعَ لَهُ دَوِيٌّ عَظِيمٌ ، ثُمَّ غَابَ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ بَنِي حَمَّادٍ وَالْعَرَبِ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ حَرْبٌ بَيْنَ النَّاصِرِ بْنِ عَلْنَاسَ بْنِ حَمَّادٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ رِجَالِ الْمَغَارِبَةِ مِنْ صِنْهَاجَةَ وَمِنْ زَنَاتَةَ ، وَمِنَ الْعَرَبِ عَدِيٌّ وَالْأَثْبَجِ ، وَبَيْنَ رِيَاحٍ وَزُغْبَةَ ، وَسُلَيْمٍ ، وَمَعَ هَؤُلَاءِ الْمُعِزُّ بْنُ زِيرِي الزَّنَاتِيُّ ، عَلَى مَدِينَةِ سَبْتَةَ.وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّ حَمَّادَ بْنَ بُلَكِّينْ جَدَّ النَّاصِرِ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَادِيسَ بْنِ الْمَنْصُورِ مِنَ الْخُلْفِ ، وَمَوْتِ بَادِيسَ مُحَاصِرًا قَلْعَةَ حَمَّادٍ ، مَا هُوَ مَذْكُورٌ ، وَلَوْلَا تِلْكَ الْقَلْعَةُ لِأُخِذَ سَرِيعًا ، وَإِنَّمَا امْتَنَعَ هُوَ وَأَوْلَادُهُ بِهَا بَعْدَهُ ، وَهِيَ مِنْ أَمْنَعِ الْحُصُونِ ، وَكَذَلِكَ مَا اسْتَمَرَّ بَيْنَ حَمَّادٍ وَالْمُعِزِّ بْنِ بَادِيسَ ، وَدُخُولُ حَمَّادٍ فِي طَاعَتِهِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا مَا كَانَ بَيْنَ الْقَائِدِ بْنِ حَمَّادٍ وَبَيْنَ الْمُعِزِّ ، وَكَانَ الْقَائِدُ يُضْمِرُ الْغَدْرَ وَخَلْعَ طَاعَةِ الْمُعِزِّ ، وَالْعَجْزُ يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَلَمَّا رَأَى الْقَائِدُ قُوَّةَ الْعَرَبِ ، وَمَا نَالَ الْمُعِزَّ مِنْهُمْ ، خَلَعَ الطَّاعَةَ ، وَاسْتَبَدَّ بِالْبِلَادِ ، وَبَعْدَهُ وَلَدُهُ مُحْسِنٌ ، وَبَعْدَهُ ابْنُ عَمِّهِ بُلَكِّين بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَمَّادٍ ، وَبَعْدَهُ ابْنُ عَمِّهِ النَّاصِرُ بْنُ عَلْنَاسَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمَّادٍ ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ مُتَحَصِّنٌ بِالْقَلْعَةِ ، وَقَدْ جَعَلُوهَا دَارَ مُلْكِهِمْ.فَلَمَّا رَحَلَ الْمُعِزُّ مِنَ الْقَيْرَوَانِ وَصَبْرَةَ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ تَمَكَّنَتِ الْعَرَبُ ، وَنَهَبَتِ النَّاسَ ، وَخَرَّبَتِ الْبِلَادَ ، فَانْتَقَلَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِهَا إِلَى بِلَادِ بَنِي حَمَّادٍ لِكَوْنِهَا جِبَالًا وَعِرَةً يُمْكِنُ الِامْتِنَاعُ بِهَا مِنَ الْعَرَبِ ، فَعُمِّرَتْ بِلَادُهُمْ ، وَكَثُرَتْ أَمْوَالُهُمْ ، وَفِي نُفُوسِهِمُ الضَّغَائِنُ وَالْحُقُودُ مِنْ بَادِيسَ ، وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ أَوْلَادِهِمْ ، يَرِثُهُ صَغِيرٌ عَنْ كَبِيرٍ.وَوَلِيَ تَمِيمُ بْنُ الْمُعِزِّ بَعْدَ أَبِيهِ ، فَاسْتَبَدَّ كُلُّ مَنْ هُوَ بِبَلَدٍ وَقَلْعَةٍ بِمَكَانِهِ وَتَمِيمٌ صَابِرٌ يُدَارِي وَيَتَجَلَّدُ.وَاتَّصَلَ بِتَمِيمٍ أَنَّ النَّاصِرَ بْنَ عَلْنَاسَ يَقَعُ فِي مَجْلِسِهِ وَيَذُمُّهُ ، وَأَنَّهُ عَزَمَ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَيْهِ لِيُحَاصِرَهُ بِالْمَهْدِيَّةِ ، وَأَنَّهُ قَدْ حَالَفَ بَعْضَ صَنْهَاجَةَ ، وَزَنَاتَةَ ، وَبَنِي هِلَالٍ لِيُعِينُوهُ عَلَى حِصَارِ الْمَهْدِيَّةِ.فَلَمَّا صَحَّ ذَلِكَ عِنْدَهُ أَرْسَلَ إِلَى أُمَرَاءِ بَنِي رَبَاحٍ ، فَأَحْضَرَهُمْ إِلَيْهِ وَقَالَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْمَهْدِيَّةَ حِصْنٌ مَنِيعٌ ، أَكْثَرُهُ فِي الْبَحْرِ ، لَا يُقَاتِلُ مِنْهُ فِي الْبَرِّ غَيْرُ أَرْبَعَةِ أَبْرَاجٍ يَحْمِيهَا أَرْبَعُونَ رَجُلًا ، وَإِنَّمَا جَمَعَ النَّاصِرُ هَذِهِ الْعَسَاكِرَ إِلَيْكُمْ ، فَقَالُوا لَهُ الَّذِي تَقُولُهُ حَقٌّ ، وَنُحِبُّ مِنْكَ الْمَعُونَةَ ، فَأَعْطَاهُمُ الْمَالَ ، وَالسِّلَاحَ مِنَ الرِّمَاحِ وَالسُّيُوفِ وَالدُّرُوعِ وَالدَّرَقِ ، فَجَمَعُوا قَوْمَهُمْ ، وَتَحَالَفُوا ، وَاتَّفَقُوا عَلَى لِقَاءِ النَّاصِرِ.وَأَرْسَلُوا إِلَى مَنْ مَعَ النَّاصِرِ مِنْ بَنِي هِلَالٍ يُقَبِّحُونَ عِنْدَهُمْ مُسَاعَدَتَهُمْ لِلنَّاصِرِ وَيُخَوِّفُونَهُمْ مِنْهُ إِنْ قَوِيَ ، وَأَنَّهُ يُهْلِكُهُمْ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ زَنَاتَةَ وَصِنْهَاجَةَ ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَسْتَمِرُّ لَهُمُ الْمُقَامُ ، وَالِاسْتِيلَاءُ عَلَى الْبِلَادِ ، إِذَا تَمَّ الْخُلْفُ وَضَعُفَ السُّلْطَانُ ، فَأَجَابَهُمْ بَنُو هِلَالٍ إِلَى الْمُوَافَقَةِ ، وَقَالُوا اجْعَلُوا أَوَّلَ حَمْلَةٍ تَحْمِلُونَهَا عَلَيْنَا ، فَنَحْنُ نَنْهَزِمُ بِالنَّاسِ ، وَنَعُودُ عَلَيْهِمْ ، وَيَكُونُ لَنَا ثُلْثُ الْغَنِيمَةِ ، فَأَجَابُوهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، وَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ.وَأَرْسَلَ الْمُعِزُّ بْنُ زِيرِي الزَّنَاتِيُّ إِلَى مَنْ مَعَ النَّاصِرِ مِنْ زَنَاتَةَ بِنَحْوِ ذَلِكَ ، فَوَعَدُوهُ أَيْضًا أَنْ يَنْهَزِمُوا ، فَحِينَئِذٍ رَحَلَتْ رِيَاحٌ وَزَنَاتَةُ جَمِيعُهَا ، وَسَارَ إِلَيْهِمُ النَّاصِرُ بِصَنْهَاجَةَ ، وَزَنَاتَةَ ، وَبَنِي هِلَالٍ ، فَالْتَقَتِ الْعَسَاكِرُ بِمَدِينَةِ سَبْتَةَ ، فَحَمَلَتْ رِيَاحٌ عَلَى بَنِي هِلَالٍ ، وَحَمَلَ الْمُعِزُّ عَلَى زَنَاتَةَ ، فَانْهَزَمَتِ الطَّائِفَتَانِ ، وَتَبِعَهُمْ عَسَاكِرُ النَّاصِرِ مُنْهَزِمِينَ ، وَوَقَعَ فِيهِمُ الْقَتْلُ ، فَقُتِلَ فِيمَنْ قُتِلَ الْقَاسِمُ بْنُ عَلْنَاسَ ، أَخُو النَّاصِرِ ، وَكَانَ مَبْلَغُ مَنْ قُتِلَ مِنْ صَنْهَاجَةَ وَزَنَاتَةَ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا ، وَسَلِمَ النَّاصِرُ فِي نَفَرٍ يَسِيرٍ ، وَغَنِمَتِ الْعَرَبُ جَمِيعَ مَا كَانَ فِي الْعَسْكَرِ مِنْ مَالٍ وَسِلَاحٍ وَدَوَابَّ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَاقْتَسَمُوهَا عَلَى مَا اسْتَقَرَّ بَيْنَهُمْ ، وَبِهَذِهِ الْوَقْعَةِ تَمَّ لِلْعَرَبِ مُلْكُ الْبِلَادِ ، فَإِنَّهُمْ قَدِمُوهَا فِي ضِيقٍ وَفَقْرٍ وَقِلَّةِ دَوَابَّ فَاسْتَغْنَوْا ، وَكَثُرَتْ دَوَابُّهُمْ وَسِلَاحُهُمْ ، وَقَلَّ الْمُحَامِي عَنِ الْبِلَادِ ، وَأَرْسَلُوا الْأَلْوِيَةَ وَالطُّبُولَ وَخَيَّمَ النَّاصِرُ بِدَوَابِّهَا إِلَى تَمِيمٍ ، فَرَدَّهَا وَقَالَ يَقْبُحُ بِي أَنْ آخُذَ سَلَبَ ابْنَ عَمِّي!فَأَرْضَى الْعَرَبَ بِذَلِكَ.ذِكْرُ بِنَاءِ مَدِينَةِ بِجَايَةَ.لَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْوَقْعَةُ بَيْنَ بَنِي حَمَّادٍ وَالْعَرَبِ ، وَقَوِيَتِ الْعَرَبُ ، اهْتَمَّ تَمِيمُ بْنُ الْمُعِزِّ لِذَلِكَ ، وَأَصَابَهُ حُزْنٌ شَدِيدٌ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّاصِرَ ، وَكَانَ لَهُ وَزِيرٌ اسْمُهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي الْفُتُوحِ ، وَكَانَ رَجُلًا جَيِّدًا يُحِبُّ الِاتِّفَاقَ بَيْنَهُمْ ، وَيَهْوَى دَوْلَةَ تَمِيمٍ ، فَقَالَ لِلنَّاصِرِ أَلَمْ أُشِرْ عَلَيْكَ أَنْ لَا تَقْصِدَ ابْنَ عَمِّكَ ، وَأَنْ تَتَّفِقَا عَلَى الْعَرَبِ ، فَإِنَّكُمَا لَوِ اتَّفَقْتُمَا لَأَخْرَجْتُمَا الْعَرَبَ.فَقَالَ النَّاصِرُ لَقَدْ صَدَقْتَ ، وَلَكِنْ لَا مَرَدَّ لِمَا قُدِّرَ ، فَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا ، فَأَرْسَلَ الْوَزِيرُ رَسُولًا مِنْ عِنْدِهِ إِلَى تَمِيمٍ يَعْتَذِرُ ، وَيَرْغَبُ فِي الْإِصْلَاحِ ، فَقَبِلَ تَمِيمٌ قَوْلَهُ ، وَأَرَادَ أَنْ يُرْسَلَ رَسُولًا إِلَى النَّاصِرِ ، فَاسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ ، فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْبَعْبَعِ.وَقَالُوا لَهُ هَذَا رَجُلٌ غَرِيبٌ ، وَقَدْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ ، وَحَصَلَ لَهُ مِنْكَ الْأَمْوَالُ وَالْأَمْلَاكُ ، فَأَحْضَرَهُ ، وَأَعْطَاهُ مَالًا وَدَوَابَّ وَعَبِيدًا وَأَرْسَلَهُ ، فَسَارَ مَعَ الرَّسُولِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى بِجَايَةَ ، وَكَانَتْ حِينَئِذٍ مَنْزِلًا فِيهِ رَعِيَّةٌ مِنَ الْبَرْبَرِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا مُحَمَّدُ بْنُ الْبَعْبَعِ ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ إِنَّ هَذَا الْمَكَانَ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ بِهِ مَرْسَى وَمَدِينَةٌ ، وَسَارَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى النَّاصِرِ ، فَلَمَّا أَوْصَلَ الْكِتَابَ وَأَدَّى الرِّسَالَةَ قَالَ لِلنَّاصِرِ مَعِي وَصِيَّةٌ إِلَيْكَ ، وَأُحِبُّ أَنْ تُخَلِّيَ الْمَجْلِسَ ، فَقَالَ النَّاصِرُ أَنَا لَا أُخْفِي عَنْ وَزِيرِي شَيْئًا ، فَقَالَ بِهَذَا أَمَرَنِي الْأَمِيرُ تَمِيمٌ ، فَقَامَ الْوَزِيرُ أَبُو بَكْرٍ وَانْصَرَفَ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ الرَّسُولُ يَا مَوْلَايَ إِنَّ الْوَزِيرَ مُخَامِرٌ عَلَيْكَ ، هَوَاهُ مَعَ الْأَمِيرِ تَمِيمٍ ، لَا يُخْفِي عَنْهُ مِنْ أُمُورِكَ شَيْئًا ، وَتَمِيمٌ مَشْغُولٌ مَعَ عَبِيدِهِ قَدِ اسْتَبَدَّ بِهِمْ ، وَاطَّرَحَ صِنْهَاجَةَ وَغَيْرَ هَؤُلَاءِ ، وَلَوْ وَصَلْتَ بِعَسْكَرِكَ مَا بِتَّ إِلَّا فِيهَا لِبُغْضِ الْجُنْدِ وَالرَّعِيَّةِ لِتَمِيمٍ ، وَأَنَا أُشِيرُ عَلَيْكَ بِمَا تَمْلِكُ بِهِ الْمَهْدِيَّةَ وَغَيْرَهَا.وَذَكَرَ لَهُ عِمَارَةَ بِجَايَةَ ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّخِذَهَا دَارَ مُلْكٍ ، وَيَقْرُبَ مِنْ بِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَقَالَ لَهُ أَنَا أَنْتَقِلُ إِلَيْكَ بِأَهْلِي ، وَأُدَبِّرُ دَوْلَتَكَ ، فَأَجَابَهُ النَّاصِرُ إِلَى ذَلِكَ ، وَارْتَابَ بِوَزِيرِهِ ، وَسَارَ مَعَ الرَّسُولِ إِلَى بِجَايَةَ ، وَتَرَكَ الْوَزِيرَ بِالْقَلْعَةِ.فَلَمَّا وَصَلَ النَّاصِرُ وَالرَّسُولُ إِلَى بِجَايَةَ أَرَاهُ مَوْضِعَ الْمِينَاءِ وَالْبَلَدِ وَالدَّارِ السُّلْطَانِيَّةِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ النَّاصِرُ مِنْ سَاعَتِهِ بِالْبِنَاءِ وَالْعَمَلِ ، وَسُرَّ بِذَلِكَ ، وَشَكَرَهُ ، وَعَاهَدَهُ عَلَى وِزَارَتِهِ إِذَا عَادَ إِلَيْهِ ، وَرَجَعَا إِلَى الْقَلْعَةِ فَقَالَ النَّاصِرُ لِوَزِيرِهِ إِنَّ هَذَا الرَّسُولَ مُحِبٌّ لَنَا ، وَقَدْ أَشَارَ بِبِنَاءِ بِجَايَةَ ، وَيُرِيدُ الِانْتِقَالَ إِلَيْنَا ، فَاكْتُبْ لَهُ جَوَابَ كُتُبِهِ ، فَفَعَلَ.وَسَارَ الرَّسُولُ ، وَقَدِ ارْتَابَ بِهِ تَمِيمٌ ، حَيْثُ تَجَدَّدَ بِنَاءُ بِجَايَةَ عُقَيْبَ مَسِيرِهِ إِلَيْهِمْ ، وَحُضُورِهِ مَعَ النَّاصِرِ فِيهَا ، وَكَانَ الرَّسُولُ قَدْ طَلَبَ مِنَ النَّاصِرِ أَنْ يُرْسِلَ مَعَ بَعْضِ ثِقَاتِهِ لِيُشَاهِدَ الْأَخْبَارَ وَيَعُودَ بِهَا ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَسُولًا يَثِقُ بِهِ ، فَكَتَبَ مَعَهُ إِنَّنِي لَمَّا اجْتَمَعْتُ بِتَمِيمٍ لَمْ يَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ قَبْلَ سُؤَالِهِ عَنْ بِنَاءِ بِجَايَةَ ، وَقَدْ عَظُمَ أَمْرُهَا عَلَيْهِ ، وَاتَّهَمَنِي ، فَانْظُرْ إِلَى مَنْ تَثِقُ بِهِ مِنَ الْعَرَبِ تُرْسِلُهُمْ إِلَى مَوْضِعِ كَذَا ، فَإِنِّي سَائِرٌ إِلَيْهِمْ مُسْرِعًا ، وَقَدْ أَخَذْتُ عُهُودَ زُوَيْلَةَ وَغَيْرِهَا عَلَى طَاعَتِكَ.وَسَيَّرَ الْكِتَابَ ، فَلَمَّا رَآهُ النَّاصِرُ سَلَّمَهُ إِلَى الْوَزِيرِ ، فَاسْتَحْسَنَ الْوَزِيرُ ذَلِكَ ، وَشَكَرَهُ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَقَدْ نَصَحَ وَبَالَغَ فِي الْخِدْمَةِ ، فَلَا تُؤَخِّرْ عَنْهُ إِنْفَاذَ الْعَرَبِ لِيَحْضُرَ مَعَهُمْ.وَمَضَى الْوَزِيرُ إِلَى دَارِهِ ، وَكَتَبَ نُسْخَةً مِنَ الْكِتَابِ ، وَأَرْسَلَ الْكِتَابَ الَّذِي بِخَطِّ الرَّسُولِ إِلَى تَمِيمٍ ، وَكِتَابًا مِنْهُ يَذْكُرُ الْحَالَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ.فَلَمَّا وَقَفَ تَمِيمٌ عَلَى الْكِتَابِ عَجِبَ مِنْ ذَلِكَ ، وَبَقِيَ يَتَوَقَّعُ لَهُ سَبَبًا يَأْخُذُهُ بِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ جَعَلَ عَلَيْهِ مَنْ يَحْرُسُهُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ ، فَأَتَى بَعْضُ أُولَئِكَ الْحَرَسِ إِلَى تَمِيمٍ ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ الرَّسُولَ صَنَعَ طَعَامًا ، وَأَحْضَرَ عِنْدَهُ الشَّرِيفَ الْفِهْرِيَّ ، وَكَانَ هَذَا الشَّرِيفُ مِنْ رِجَالِ تَمِيمٍ وَخَوَاصِّهِ ، فَأَحْضَرَهُ تَمِيمٌ ، فَقَالَ كُنْتُ وَاصِلًا إِلَيْكَ ، وَحَدَّثَهُ أَنَّ ابْنَ الْبَعْبَعِ الرَّسُولَ دَعَانِي ، فَلَمَّا حَضَرْتُ عِنْدَهُ قَالَ أَنَا فِي ذِمَامِكَ ، أُحِبُّ أَنْ تُعَرِّفَنِي مَعَ مَنْ أَخْرُجُ مِنَ الْمَهْدِيَّةِ ، فَمَنَعْتُهُ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ خَائِفٌ ، فَأَوْقَفَهُ تَمِيمٌ عَلَى الْكِتَابِ الَّذِي بِخَطِّهِ ، وَأَمَرَهُ بِإِحْضَارِهِ ، فَأَحْضَرَهُ الشَّرِيفُ.فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بَابِ السُّلْطَانِ لَقِيَهُ رَجُلٌ بِكِتَابِ الْعَرَبِ الَّذِينَ سَيَّرَهُمُ النَّاصِرُ ، وَمَعَهُمْ كِتَابُ النَّاصِرِ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ بِالْحُضُورِ عِنْدَهُ ، فَأَخَذَ الْكِتَابَ وَخَرَجَ الْأَمِيرُ تَمِيمٌ ، فَلَمَّا رَآهُ ابْنُ الْبَعْبَعِ سَقَطَتِ الْكُتُبُ مِنْهُ ، فَإِذَا عُنْوَانُ أَحَدِهَا مِنَ النَّاصِرِ بْنِ عَلْنَاسَ إِلَى فُلَانٍ ، فَقَالَ لَهُ تَمِيمٌ مِنْ أَيْنَ هَذِهِ الْكُتُبُ ؟فَأَخَذَهَا وَقَرَأَهَا ، فَقَالَ الرَّسُولُ ابْنُ الْبَعْبَعِ الْعَفْوُ يَا مَوْلَانَا!فَقَالَ لَا عَفَا اللَّهُ عَنْكَ!وَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ وَغُرِّقَتْ جُثَّتُهُ.ذِكْرُ مُلْكِ أَلْب أَرْسَلَانَ جُنْدَ وَصَبْرَانَ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَبَرَ أَلْب أَرْسَلَانَ جَيْحُونَ ، وَسَارَ إِلَى جُنْدٍ وَصَبْرَانَ ، وَهُمَا عِنْدَ بُخَارَى ، وَقَبْرُ جَدِّهِ سَلْجُوقَ بِجُنْدٍ ، فَلَمَّا عَبَرَ النَّهْرَ اسْتَقْبَلَهُ مَلِكُ جُنْدٍ وَأَطَاعَهُ ، وَأَهْدَى لَهُ هَدَايَا جَلِيلَةً ، فَلَمْ يُغَيِّرْ أَلْبُ أَرَسْلَانَ عَلَيْهِ شَيْئًا ، وَأَقَرَّهُ عَلَى مَا بِيَدِهِ ، وَعَادَ عَنْهُ بَعْدَ أَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَكْرَمَهُ ، وَوَصَلَ إِلَى كُرْكَانْجَ خُوَارِزْمَ ، وَسَارَ مِنْهَا إِلَى مَرْوَ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ ابْتُدِئَ بِعِمَارَةِ الْمَدْرَسَةِ النِّظَامِيَّةِ بِبَغْدَاذَ.وَفِيهَا انْقَضَّ كَوْكَبٌ عَظِيمٌ ، وَصَارَ لَهُ شُعَاعٌ كَثِيرٌ أَكْثَرُ مِنْ شُعَاعِ الْقَمَرِ ، وَسُمِعَ لَهُ صَوْتٌ مُفْزِعٌ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ الْآبَنُوسِيُّ ، رَوَى عَنِ الدَّارَقُطْنِيِّ وَغَيْرِهِ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.ذِكْرُ عَهْدِ أَلْب أَرْسَلَانَ بِالسَّلْطَنَةِ لِابْنِهِ مَلِكْشَاهْ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ أَلْب أَرْسَلَانَ مِنْ مَرْوَ إِلَى رَايْكَانَ ، فَنَزَلَ بِظَاهِرِهَا ، وَمَعَهُ جَمَاعَةُ أُمَرَاءِ دَوْلَتِهِ ، فَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعُقُودَ وَالْمَوَاثِيقَ لِوَلَدِهِ مَلِكْشَاهْ بِأَنَّهُ السُّلْطَانُ بَعْدَهُ ، وَأَرْكَبَهُ ، وَمَشَى بَيْنَ يَدَيْهِ يَحْمِلُ الْغَاشِيَةَ.وَخَلَعَ السُّلْطَانُ عَلَى جَمِيعِ الْأُمَرَاءِ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْخُطْبَةِ لَهُ فِي جَمِيعِ الْبِلَادِ الَّتِي يَحْكُمُ عَلَيْهَا ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَأَقْطَعَ الْبِلَادَ ، فَأَقْطَعَ مَازَنْدَرَانَ لِلْأَمِيرِ إِينَانْجَ بَيْغُو ، وَبَلْخَ لِأَخِيهِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ جُغْرِي بِكْ ، وَخُوَارِزْمَ لِأَخِيهِ أَرْسَلَانَ أَرْغُو ، وَمَرْوَ لِابْنِهِ الْآخَرِ أَرْسَلَانْ شَاهْ ، وَصَغَانِيَانَ وَطَخَارِسْتَانَ لِأَخِيهِ إِلْيَاسَ ، وَوِلَايَةَ بَغْشُورَ وَنَوَاحِيهَا لِمَسْعُودِ بْنِ أَرْتَاشَ ، وَهُوَ مِنْ أَقَارِبِ السُّلْطَانِ ، وَوِلَايَةَ أَسْفَرَارَ لِمَوْدُودِ بْنِ أَرْتَاشَ.ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ تَمِيمٍ عَلَى مَدِينَةِ تُونُسَ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَيَّرَ تَمِيمٌ ، صَاحِبُ إِفْرِيقِيَةَ ، عَسْكَرًا كَثِيفًا إِلَى مَدِينَةِ تُونُسَ ، وَبِهَا أَحْمَدُ بْنُ خُرَاسَانَ قَدْ أَظْهَرُ عَلَيْهِ الْخِلَافَ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْمُعِزَّ بْنَ بَادِيسَ ، أَبَا تَمِيمٍ ، لَمَّا فَارَقَ الْقَيْرَوَانَ وَالْمَنْصُورِيَّةَ وَرَحَلَ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، اسْتَخْلَفَ عَلَى الْقَيْرَوَانِ وَعَلَى قَابِسَ قَائِدَ بْنَ مَيْمُونٍ الصِّنْهَاجِيَّ ، وَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثَ سِنِينَ ، ثُمَّ غَلَبَتْهُ هَوَارَةُ عَلَيْهَا ، فَسَلَّمَهَا إِلَيْهِمْ وَخَرَجَ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ ، فَلَمَّا وَلِيَ الْمُلْكَ تَمِيمُ بْنُ الْمُعِزِّ بَعْدَ أَبِيهِ رَدَّهُ إِلَيْهَا ، وَأَقَامَ عَلَيْهَا إِلَى الْآنِ ، ثُمَّ أَظْهَرَ الْخِلَافَ عَلَى تَمِيمٍ وَالْتَجَأَ إِلَى طَاعَةِ النَّاصِرِ بْنِ عَلْنَاسَ بْنِ حَمَّادٍ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ تَمِيمٌ الْآنَ عَسْكَرًا كَثِيرًا ، فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ قَائِدُ بْنُ مَيْمُونٍ عَلِمَ أَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِمْ ، فَتَرَكَ الْقَيْرَوَانَ وَسَارَ إِلَى النَّاصِرِ ، فَدَخَلَ عَسْكَرُ تَمِيمٍ الْقَيْرَوَانَ ، وَخَرَّبُوا دُورَ الْقَائِدِ ، وَسَارَ الْعَسْكَرُ إِلَى قَابِسَ ، وَبِهَا ابْنُ خُرَاسَانَ ، فَحَصَرُوهُ بِهَا سَنَةً وَشَهْرَيْنِ ، ثُمَّ أَطَاعَ ابْنَ خُرَاسَانَ تَمِيمًا وَصَالَحَهُ.وَأَمَّا قَائِدٌ فَإِنَّهُ أَقَامَ عِنْدَ النَّاصِرِ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُمَرَاءِ الْعَرَبِ ، فَاشْتَرَى مِنْهُمْ إِمَارَةَ الْقَيْرَوَانِ ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَعَادَ إِلَيْهَا فَبَنَى سُورَهَا وَحِصْنَهَا.ذِكْرُ مُلْكِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ الْأَنْبَارَ وَهَيْتَ وَغَيْرَهُمَا.فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ مُسْلِمُ بْنُ قُرَيْشِ بْنِ بَدْرَانَ ، صَاحِبُ الْمَوْصِلِ ، إِلَى السُّلْطَانِ أَلْب أَرْسَلَانَ ، فَأَقْطَعَهُ الْأَنْبَارَ ، وَهَيْتَ ، وَحَرْبَى ، وَالسِّنَّ ، وَالْبَوَازِيجَ ، وَوَصَلَ إِلَى بَغْدَاذَ فَخَرَجَ الْوَزِيرُ فَخْرُ الدَّوْلَةِ بْنُ جَهِيرٍ فِي الْمَوْكِبِ ، فَلَقِيَهُ ، وَنَزَلَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ بِالْحَرِيمِ الطَّاهِرِيِّ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ.فِي الْعَشْرِ الْأُوَلِ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ظَهَرَ كَوْكَبٌ كَبِيرٌ لَهُ ذُؤَابَةٌ طَوِيلَةٌ بِنَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ عَرْضُهَا نَحْوَ ثَلَاثِ أَذْرُعِ ، وَهِيَ مُمْتَدَّةٌ إِلَى وَسَطِ السَّمَاءِ ، وَبَقِيَ إِلَى السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ وَغَابَ ، ثُمَّ ظَهَرَ أَيْضًا آخِرَ الشَّهْرِ الْمَذْكُورِ ، عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ كَوْكَبٌ قَدِ اسْتَدَارَ نُورُهُ عَلَيْهِ كَالْقَمَرِ ، فَارْتَاعَ النَّاسُ وَانْزَعَجُوا ، وَلَمَّا أَظْلَمَ اللَّيْلُ صَارَ لَهُ ذَوَائِبَ نَحْوَ الْجَنُوبِ ، وَبَقِيَ عَشَرَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ اضْمَحَلَّ.وَفِيهَا ، فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، كَانَتْ بِخُرَاسَانَ وَالْجِبَالِ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، بَقِيَتْ تَتَرَدَّدُ أَيَّامًا ، تَصَدَّعَتْ مِنْهَا الْجِبَالُ ، وَأَهْلَكَتْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَانْخَسَفَ مِنْهَا عِدَّةٌ وَخَرَجَ النَّاسُ إِلَى الصَّحْرَاءِ فَأَقَامُوا هُنَاكَ. وَفِيهَا ، فِي جُمَادَى الْأُولَى ، وَقَعَ حَرِيقٌ بِنَهْرِ مُعَلَّى ، فَاحْتَرَقَ مِنْ بَابِ الْجَرِيدِ إِلَى آخِرِ السُّوقِ الْجَدِيدِ ، مِنَ الْجَانِبَيْنِ .وَفِيهَا وَلَدَتْ صَبِيَّةٌ بِبَابِ الْأَزَجِّ وَلَدًا بِرَأْسَيْنِ ، وَرَقَبَتَيْنِ وَوَجْهَيْنِ وَأَرْبَعِ أَيْدٍ عَلَى بَدَنٍ وَاحِدٍ. الْوَفَيَاتُ وَفِي جُمَادَى الْآخِرَةِ تُوُفِّيَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَيْهَقِيُّ وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ إِمَامًا فِي الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ ، وَلَهُ فِيهِ مُصَنَّفَاتٌ أَحَدُهَا "السُّنَنُ الْكَبِيرُ" ، عَشَرَةُ مُجَلَّدَاتٍ ، وَغَيْرُهُ مِنَ التَّصَانِيفِ الْحَسَنَةِ وَكَانَ عَفِيفًا ، زَاهِدًا ، وَمَاتَ بِنَيْسَابُورَ.وَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْهَا تُوُفِّيَ أَبُو يَعْلَى مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَّاءِ الْحَنْبَلِيُّ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَعَنْهُ انْتَشَرَ مَذْهَبُ أَحْمَدَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ إِلَيْهِ قَضَاءُ الْحَرِيمِ بِبَغْدَاذَ بِدَارِ الْخِلَافَةِ ، وَهُوَ مُصَنِّفُ كِتَابِ "الصِّفَاتِ" أَتَى فِيهِ بِكُلِّ عَجِيبَةٍ ، وَتَرْتِيبُ أَبْوَابِهِ يَدُلُّ عَلَى التَّجْسِيمِ الْمَحْضِ ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ ، وَكَانَ ابْنُ تَمِيمِيٍّ الْحَنْبَلِيُّ يَقُولُ لَقَدْ خَرِئَ أَبُو يَعْلَى الْفَرَّاءُ عَلَى الْحَنَابِلَةِ خِرْيَةً لَا يَغْسِلُهَا الْمَاءُ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.ذِكْرُ عِصْيَانِ مَلِكِ كَرْمَانَ عَلَى أَلْب أَرْسَلَانَ وَعَوْدِهِ إِلَى طَاعَتِهِ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَصَى مَلِكُ كَرْمَانَ وَهُوَ قُرَا أَرْسَلَانَ عَلَى السُّلْطَانِ أَلْب أَرْسَلَانَ ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ لَهُ وَزِيرٌ جَاهِلٌ سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ الِاسْتِبْدَادَ بِالْبِلَادِ عَنِ السُّلْطَانِ ، وَأَنَّ صَاحِبَهُ إِذَا عَصَى ، احْتَاجَ إِلَى التَّمَسُّكِ بِهِ ، فَحَسُنَ لِصَاحِبِهِ الْخِلَافُ عَلَى السُّلْطَانِ فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ ، وَخَلَعَ الطَّاعَةَ ، وَقَطَعَ الْخُطْبَةَ.فَسَمِعَ أَلْب أَرْسَلَانَ ، فَسَارَ إِلَى كَرْمَانَ ، فَلَمَّا قَارَبَهَا وَقَعَتْ طَلِيعَتُهُ عَلَى طَلِيعَةِ قُرَا أَرْسَلَانَ بَعْدَ قِتَالٍ ، فَلَمَّا سَمِعَ قُرَا أَرْسَلَانَ وَعَسْكَرُهُ بِانْهِزَامِ طَلِيعَتِهِمْ ، خَافُوا وَتَحَيَّرُوا ، فَانْهَزَمُوا لَا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى آخَرَ ، فَدَخَلَ قُرَا أَرْسَلَانَ إِلَى جِيرَفْتَ وَامْتَنَعَ بِهَا ، وَأَرْسَلَ إِلَى السُّلْطَانِ أَلْب أَرْسَلَانَ يُظْهِرُ الطَّاعَةَ وَيَسْأَلُ الْعَفْوَ عَنْ زَلَّتِهِ ، فَعَفَا عَنْهُ ، وَحَضَرَ عِنْدَ السُّلْطَانِ فَأَكْرَمَهُ ، وَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ عِنْدَهُ ، فَأَعَادَهُ إِلَى مَمْلَكَتِهِ ، وَلَمْ يُغَيِّرْ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ حَالِهِ ، فَقَالَ لِلسُّلْطَانِ إِنَّ لِي بَنَاتٍ تَجْهِيزُهُنَّ إِلَيْكَ ، وَأُمُورُهُنَّ إِلَيْكَ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ سِوَى الثِّيَابِ وَالْإِقْطَاعَاتِ.ثُمَّ سَارَ مِنْهَا إِلَى فَارِسَ فَوَصَلَ إِلَى إِصْطَخْرَ ، وَفَتَحَ قَلْعَتَهَا ، وَاسْتَنْزَلَ وَالِيهَا ، فَحَمَلَ إِلَيْهِ الْوَالِي هَدَايَا عَظِيمَةً جَلِيلَةَ الْمِقْدَارِ ، مِنْ جُمْلَتِهَا قَدَحُ فَيْرُوزَجَ ، فِيهِ مَنَوَانِ مِنَ الْمِسْكِ ، مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ اسْمُ جَمْشِيدَ الْمَلِكِ ، وَأَطَاعَهُ جَمِيعُ حُصُونِ فَارِسَ ، وَبَقِيَ قَلْعَتُهُ يُقَالُ لَهَا بَهَنْزَادَ ، فَسَارَ نِظَامُ الْمُلْكِ إِلَيْهَا ، وَحَصَرَهَا تَحْتَ جَبَلِهَا ، وَأَعْطَى كُلَّ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ وَأَصَابَ قَبْضَةً مِنَ الدَّنَانِيرِ ، وَمَنْ رَمَى حَجَرًا ثَوْبًا نَفِيسًا ، فَفَتَحَ الْقَلْعَةَ فِي الْيَوْمِ السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ نُزُولِهِ ، وَوَصَلَ السُّلْطَانُ إِلَيْهِ بَعْدَ الْفَتْحِ ، فَعَظُمَ مَحَلُّ نِظَامِ الْمُلْكِ عِنْدَهُ ، فَأَعْلَى مَنْزِلَتَهُ ، وَزَادَ فِي تَحْكِيمِهِ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ.فِي الْمُحَرَّمِ مِنْهَا تُوُفِّيَ الْأَغَرُّ أَبُو سَعْدٍ ، ضَامِنُ الْبَصْرَةِ ، عَلَى بَابِ السُّلْطَانِ بِالرَّيِّ ، وَعُقِدَتِ الْبَصْرَةُ وَوَاسِطُ عَلَى هَزَارَسِبْ بِثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ.وَفِي صَفَرٍ مِنْهَا وَصَلَ إِلَى بَغْدَاذَ شَرَفُ الْمُلْكِ أَبُو سَعْدٍ الْمُسْتَوْفِي ، وَبَنَى عَلَى مَشْهَدِ أَبِي حَنِيفَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، مَدْرَسَةً لِأَصْحَابِهِ ، وَكَتَبَ الشَّرِيفُ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ الْبَيَاضِيِّ عَلَى الْقُبَّةِ الَّتِي أَحْدَثَهَا أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعِلْمَ كَانَ مُشَتَّتًا...فَجَمَّعَهُ هَذَا الْمُغَيَّبُ فِي اللَّحْدِ كَذَلِكَ كَانَتْ هَذِهِ الْأَرْضُ مَيِّتَةً ، فَأَنْشَرَهَا فَضْلُ الْعَمِيدِ أَبِي سَعْدِ وَفِيهَا ، فِي جُمَادَى الْأُولَى ، وَصَلَتْ أَرْسَلَانُ خَاتُونَ ، أُخْتُ السُّلْطَانِ أَلْب أَرْسَلَانَ ، وَهِيَ زَوْجَةُ الْخَلِيفَةِ ، إِلَى بَغْدَاذَ ، وَاسْتَقْبَلَهَا فَخْرُ الدَّوْلَةِ بْنُ جَهِيرٍ الْوَزِيرُ عَلَى فَرَاسِخَ.وَفِيهَا ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، احْتَرَقَتْ تُرْبَةُ مَعْرُوفٍ الْكَرْخِيِّ ، رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَسَبَبُ حَرِيقِهَا أَنَّ قَيِّمَهَا كَانَ مَرِيضًا ، فَطَبَخَ لِنَفْسِهِ مَاءَ الشَّعِيرِ ، فَاتَّصَلَتِ النَّارُ بِخَشَبٍ وَبَوَارِي كَانَتْ هُنَاكَ ، فَأَحْرَقَتْهُ وَاتَّصَلَ الْحَرِيقُ ، فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ أَبَا سَعْدٍ الصُّوفِيَّ ، شَيْخَ الشُّيُوخِ ، بِعِمَارَتِهَا.وَفِيهَا ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، فَرَغَتْ عِمَارَةُ الْمَدْرَسَةِ النِّظَامِيَّةِ ، وَتَقَرَّرَ التَّدْرِيسُ بِهَا لِلشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيِّ ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ لِحُضُورِ الدَّرْسِ ، وَانْتَظَرُوا مَجِيئَهُ ، تَأَخَّرَ ، فَطُلِبَ ، فَلَمْ يُوجَدْ.وَكَانَ سَبَبُ تَأَخُّرِهِ أَنَّهُ لَقِيَهُ صَبِيٌّ ، فَقَالَ لَهُ كَيْفَ تُدَرِّسُ فِي مَكَانٍ مَغْصُوبٍ ؟فَتَغَيَّرَتْ نِيَّتُهُ عَنِ التَّدْرِيسِ بِهَا ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ ، وَأُيِسَ مِنْ حُضُورِهِ ، أَشَارَ الشَّيْخُ أَبُو مَنْصُورِ بْنُ يُوسُفَ بِأَبِي نَصْرٍ الصَّبَّاغِ ، صَاحِبِ كِتَابِ الشَّامِلِ ، وَقَالَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَنْفَصِلَ هَذَا الْجَمْعُ إِلَّا عَنْ مُدَرِّسٍ ، وَلَمْ يَبْقَ بِبَغْدَاذَ مَنْ لَمْ يَحْضُرْ غَيْرَ الْوَزِيرِ ، فَجَلَسَ أَبُو نَصْرٍ لِلدَّرْسِ ، وَظَهَرَ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَلَمَّا بَلَغَ نِظَامَ الْمُلْكِ الْخَبَرُ أَقَامَ الْقِيَامَةَ عَلَى الْعَمِيدِ أَبِي سَعْدٍ ، وَلَمْ يَزَلْ يَرْفُقُ بِالشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ حَتَّى دَرَّسَ بِالْمَدْرَسَةِ ، وَكَانَتْ مُدَّةُ تَدْرِيسِ ابْنِ الصَّبَّاغِ عِشْرِينَ يَوْمًا.وَفِيهَا ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، قُتِلَ الصُّلَيْحِيُّ ، أَمِيرُ الْيَمَنِ ، بِمَدِينَةِ الْمَهْجَمِ ، قَتَلَهُ أَحَدُ أُمَرَائِهَا وَأُقِيمَتِ الدَّعْوَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ هُنَاكَ ، وَكَانَ قَدْ مَلَكَ مَكَّةَ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَأَمِنَ الْحُجَّاجُ فِي أَيَّامِهِ ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهِ خَيْرًا ، وَكَسَا الْبَيْتَ بِالْحَرِيرِ الْأَبْيَضِ الصِّينِيِّ ، وَرَدَّ حُلِّيَ الْبَيْتِ إِلَيْهِ ، وَكَانَ بَنُو حَسَنٍ قَدْ أَخَذُوهُ وَحَمَلُوهُ إِلَى الْيَمَنِ ، فَابْتَاعَهُ الصُّلَيْحِيُّ مِنْهُمْ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ أَبُو عَلِيٍّ الطُّوسِيُّ ، قَاضِيهَا ، وَكَانَ يُلَقَّبُ الْعِرَاقِيَّ لِطُولِ مُقَامِهِ بِبَغْدَاذَ ، وَتَفَقَّهَ عَلَى أَبِي طَاهِرٍ الْإِسْفِرَايِينِيِّ الشَّافِعِيِّ ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ الشَّاشِيِّ وَغَيْرِهِمَا. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ حَرْبٌ بَيْنَ شَرَفِ الدَّوْلَةِ بْنِ قُرَيْشٍ وَبَيْنَ بَنِي كِلَابٍ بِالرَّحْبَةِ ، وَهُمْ فِي طَاعَةِ الْعَلَوِيِّ الْمِصْرِيِّ ، فَكَسَرَهُمْ شَرِيفُ الدَّوْلَةِ ، وَأَخَذَ أَسَلَابَهُمْ ، وَأَرْسَلَ أَعْلَامًا كَانَتْ مَعَهُمْ ، عَلَيْهَا سِمَاتُ الْمِصْرِيِّ ، إِلَى بَغْدَاذَ ، وَكُسِرَتْ ، وَطِيفَ بِهَا فِي الْبَلَدِ ، وَأُرْسِلَتِ الْخِلَعُ إِلَى شَرَفِ الدَّوْلَةِ.وَفِيهَا ، فِي جُمَادَى الْأُولَى ، كَانَتْ بِفِلَسْطِينَ وَمِصْرَ زَلْزَلَةٌ شَدِيدَةٌ خَرَّبَتِ الرَّمْلَةَ ، وَطَلَعَ الْمَاءُ مِنْ رُءُوسِ الْآبَارِ ، وَهَلَكَ مِنْ أَهْلِهَا خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ نَسَمَةٍ ، وَانْشَقَّتِ الصَّخْرَةُ بِالْبَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَعَادَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَعَادَ الْبَحْرُ مِنَ السَّاحِلِ مَسِيرَةَ يَوْمٍ ، فَنَزَلَ النَّاسُ إِلَى أَرْضِهِ يَلْتَقِطُونَ مِنْهُ ، فَرَجَعَ الْمَاءُ عَلَيْهِمْ فَأَهْلَكُ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا.وَفِيهَا ، فِي رَجَبٍ ، وَرَدَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْخَوَافِيُّ بَغْدَاذَ عَمِيدًا مِنْ جِهَةِ السُّلْطَانِ.وَفِيهَا عُزِلَ فَخْرُ الدَّوْلَةِ بْنُ جَهِيرٍ مِنْ وِزَارَةِ الْخَلِيفَةِ ، فَخَرَجَ مِنْ بَغْدَاذَ إِلَى نُورِ الدَّوْلَةِ دُبَيْسِ بْنِ مَزْيَدٍ بِالْفَلُّوجَةِ ، وَأَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ إِلَى أَبِي يَعْلَى وَالِدِ الْوَزِيرِ أَبِي شُجَاعٍ يَسْتَحْضِرُهُ لِيُوَلِّيَهُ الْوِزَارَةَ ، وَكَانَ يَكْتُبُ لِهَزَارْسِبْ بْنِ بِنَكِيرَ ، فَسَارَ ، فَأَدْرَكَهُ أَجَلُهُ فِي الطَّرِيقِ فَمَاتَ ، ثُمَّ شَفَعَ نُورُ الدَّوْلَةِ فِي فَخْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ جَهِيرٍ ، فَأُعِيدَ إِلَى الْوِزَارَةِ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فِي صَفَرٍ.وَفِيهَا كَانَ بِمِصْرَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ ، وَانْقَضَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.وَفِيهَا حَاصَرَ النَّاصِرُ بْنُ عَلْنَاسَ مَدِينَةَ الْأُرْبُسَ بِإِفْرِيقِيَّةَ فَفَتَحَهَا وَأَمَّنَ أَهْلَهَا. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا ، فِي الْمُحَرَّمِ ، تُوُفِّيَ الشَّيْخُ أَبُو مَنْصُورِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ يُوسُفَ ، وَرَثَاهُ ابْنُ الْفَضْلِ وَغَيْرُهُ مِنَ الشُّعَرَاءِ ، وَعَمَّ مُصَابُهُ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ الزَّمَانِ ، فَمِنْ أَفْعَالِهِ أَنَّهُ تَسَلَّمَ الْمَارِسْتَانَ الْعَضُدِيَّ ، وَكَانَ قَدْ دَثَرَ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ الْخَرَابُ ، فَجَدَّ فِي عِمَارَتِهِ ، وَجَعَلَ فِيهِ ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ طَبِيبًا ، وَثَلَاثَةً مِنَ الْخُزَّانِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، وَاشْتَرَى لَهُ الْأَمْلَاكَ النَّفِيسَةَ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ لَيْسَ بِهِ طَبِيبٌ وَلَا دَوَاءٌ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَعْرُوفِ وَالصِّلَاتِ وَالْخَيْرِ ، وَلَمْ يَكُنْ يُلَقَّبُ فِي زَمَانِهِ أَحَدٌ بِالشَّيْخِ الْأَجَلِّ سِوَاهُ.وَفِي الْمُحَرَّمِ أَيْضًا تُوُفِّيَ أَبُو جَعْفَرٍ الطُّوسِيُّ ، فَقِيهُ الْإِمَامِيَّةِ ، بِمَشْهَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي صَفَرٍ ، أُعِيدَ فَخْرُ الدَّوْلَةِ بْنُ جَهِيرٍ إِلَى وِزَارَةِ الْخَلِيفَةِ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، فَلَمَّا عَادَ مَدَحَهُ ابْنُ الْفَضْلِ فَقَالَ قَدْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ...وَأَنْتَ مِنْ كُلِّ الْوَرَى أَوْلَى بِهِ.مَا كُنْتَ إِلَّا السَّيْفَ سَلَّتْهُ يَدٌ ثُمَّ أَعَادَتْهُ إِلَى قِرَابِهِ.وَهِيَ طَوِيلَةٌ.وَفِي شَعْبَانَ احْتَرَقَ جَامِعُ دِمَشْقَ.وَكَانَ سَبَبُ احْتِرَاقِهِ أَنَّهُ وَقَعَ بِدِمَشْقَ حَرْبٌ بَيْنَ الْمَغَارِبَةِ أَصْحَابِ الْمِصْرِيِّينَ وَالْمَشَارِقَةِ ، فَضَرَبُوا دَارًا مُجَاوِرَةً لِلْجَامِعِ بِالنَّارِ فَاحْتَرَقَتْ ، وَاتَّصَلَتْ بِالْجَامِعِ ، وَكَانَتِ الْعَامَّةُ تُعِينُ الْمَغَارِبَةَ ، فَتَرَكُوا الْقِتَالَ وَاشْتَغَلُوا بِإِطْفَاءِ النَّارِ مِنَ الْجَامِعِ فَعَظُمَ الْخَطْبُ وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ ، وَأَتَى الْحَرِيقُ عَلَى الْجَامِعِ ، فَدَثَرَتْ مَحَاسِنُهُ ، وَزَالَ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْأَعْمَالِ النَّفِيسَةِ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَقْبَلَ مَلِكُ الرُّومِ مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي عَسْكَرٍ كَثِيفٍ إِلَى الشَّامِ ، وَنَزَلَ عَلَى مَدِينَةِ مَنْبِجَ وَنَهَبَهَا وَقَتَلَ أَهْلَهَا ، وَهَزَمَ مَحْمُودَ بْنَ صَالِحِ بْنِ مِرْدَاسٍ ، وَبَنِي كِلَابٍ ، وَابْنَ حَسَّانٍ الطَّائِيَّ ، وَمَنْ مَعَهُمَا مِنْ جُمُوعِ الْعَرَبِ ، ثُمَّ إِنَّ مَلِكَ الرُّومِ ارْتَحَلَ وَعَادَ إِلَى بِلَادِهِ ، وَلَمْ يُمْكِنُهُ الْمُقَامُ لِشِدَّةِ الْجُوعِ.وَفِيهَا سَارَ أَمِيرُ الْجُيُوشِ بَدْرٌ مِنْ مِصْرَ فِي عَسَاكِرَ كَثِيرَةٍ إِلَى مَدِينَةِ صُورَ وَحَصَرَهَا ، وَكَانَ قَدْ تَغَلَّبَ عَلَيْهَا الْقَاضِي عَيْنُ الدَّوْلَةِ بْنُ أَبِي عَقِيلٍ ، فَلَمَّا حَصَرَهُ أَرْسَلَ الْقَاضِي إِلَى الْأَمِيرِ قَرْلُوا ، مُقَدِّمِ الْأَتْرَاكِ الْمُقِيمِينَ بِالشَّامِ يَسْتَنْجِدُهُ ، فَسَارَ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ فَارِسٍ ، فَحَصَرَ مَدِينَةَ صَيْدَا ، وَهِيَ لِأَمِيرِ الْجُيُوشِ بِدْرٌ ، فَرَحَلَ حِينَئِذٍ بِدْرٌ فَعَادَ الْأَتْرَاكُ ، فَعَاوَدَ بَدْرٌ حَصْرَ صُورَ بَرًّا وَبَحْرًا سَنَةً ، وَضَيِّقَ عَلَى أَهْلِهَا حَتَّى أَكَلُوا الْخُبْزَ كُلَّ رِطْلٍ بِنِصْفِ دِينَارٍ وَلَمْ يَبْلُغْ غَرَضَهُ فَرَحَلَ عَنْهَا.وَفِيهَا صَارَتْ دَارُ ضَرْبِ الدَّنَانِيرِ بِبَغْدَاذَ فِي يَدِ وُكَلَاءِ الْخَلِيفَةِ ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْبَهْرَجَ كَثُرَ فِي أَيْدِي النَّاسِ عَلَى السِّكَكِ السُّلْطَانِيَّةِ وَضُرِبَ اسْمُ وَلِيِّ الْعَهْدِ عَلَى الدِّينَارِ وَسُمِّيَ الْأَمِيرِيَّ وَمُنِعَ مِنَ التَّعَامُلِ بِسِوَاهُ.وَفِيهَا وَرَدَ رَسُولُ صَاحِبِ مَكَّةَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ ، وَمَعَهُ وَلَدُهُ ، إِلَى السُّلْطَانِ أَلْب أَرْسَلَانَ ، يُخْبِرُهُ بِإِقَامَةِ الْخُطْبَةِ لِلْخَلِيفَةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ وَلِلسُّلْطَانِ بِمَكَّةَ ، وَإِسْقَاطِ خُطْبَةِ الْعَلَوِيِّ ، صَاحِبِ مِصْرَ ، وَتَرْكِ الْأَذَانِ بِحَيِّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ فَأَعْطَاهُ السُّلْطَانُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَخِلَعًا نَفِيسَةً ، وَأَجْرَى لَهُ كُلَّ سَنَةٍ عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، وَقَالَ إِذَا فَعَلَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ مُهَنَّأٌ كَذَلِكَ ، أَعْطَيْنَاهُ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَكُلَّ سَنَةٍ خَمْسَةَ آلَافِ دِينَارٍ.وَفِيهَا تَزَوَّجَ عَمِيدُ الدَّوْلَةِ بْنُ جَهِيرٍ بِابْنَةِ نِظَامِ الْمُلْكِ بِالرَّيِّ وَعَادَ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَفِيهَا ، فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، تُوُفِّيَ تَاجُ الْمُلُوكِ هَزَارْسِبْ بْنُ بِنَكِيرَ بْنِ عِيَاضٍ بِأَصْبَهَانَ وَهُوَ عَائِدٌ مِنْ عِنْدِ السُّلْطَانِ إِلَى خُوزِسْتَانَ ، وَكَانَ قَدْ عَلَا أَمْرُهُ ، وَتَزَوَّجَ بِأُخْتِ السُّلْطَانِ ، وَبَغَى عَلَى نُورِ الدَّوْلَةِ دُبَيْسِ بْنِ مَزْيَدٍ ، وَأَغْرَى السُّلْطَانُ بِهِ لِيَأْخُذَ بِلَادَهُ فَلَمَّا مَاتَ سَارَ دُبَيْسٌ إِلَى السُّلْطَانِ ، وَمَعَهُ شَرَفُ الدَّوْلَةِ مُسْلِمٌ ، صَاحِبُ الْمَوْصِلِ فَخَرَجَ نِظَامُ الْمُلْكِ فَلَقِيَهُمَا ، وَتَزَوَّجَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ بِأُخْتِ السُّلْطَانِ الَّتِي كَانَتِ امْرَأَةَ هَزَارْسَبْ ، وَعَادَا إِلَى بِلَادِهِمَا مِنْ هَمَذَانَ.وَفِيهَا كَانَ بِمِصْرَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ ، وَمَجَاعَةٌ عَظِيمَةٌ ، حَتَّى أَكَلَ النَّاسُ بَعْضَهُمْ بَعْضًا ، وَفَارَقُوا الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ ، فَوَرَدَ بَغْدَاذَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ هَرَبًا مِنَ الْجُوعِ ، وَوَرَدَ التُّجَّارُ ، وَمَعَهُمْ ثِيَابُ صَاحِبِ مِصْرَ وَآلَاتِهِ ، نُهِبَتْ مِنَ الْجُوعِ ، وَكَانَ فِيهَا أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ نُهِبَتْ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ وَقْتَ الْقَبْضِ عَلَى الطَّائِعِ لِلَّهِ سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَمِمَّا نُهِبَ أَيْضًا فِي فِتْنَةِ الْبَسَاسِيرِيِّ وَخَرَجَ مِنْ خَزَائِنِهِمْ ثَمَانُونَ أَلْفَ قِطْعَةٍ بِلَّوْرٍ كِبَارٍ ، وَخَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ أَلْفَ قِطْعَةٍ مِنَ الدِّيبَاجِ الْقَدِيمِ ، وَأَحَدَ عَشَرَ أَلْفَ كُزَاغَنْدَ ، وَعِشْرُونَ أَلْفَ سَيْفٍ مُحَلَّى.وَقَالَ ابْنُ الْفَضْلِ يَمْدَحُ الْقَائِمَ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَيَذْكُرُ الْحَالَ بِقَصِيدَةٍ فِيهَا قَدْ عَلِمَ الْمِصْرِيُّ أَنَّ جُنُودَهُ سِنُو...يُوسُفَ مِنْهَا وَطَاعُونُ عَمَوَاسِ أَقَامَتْ بِهِ حَتَّى اسْتَرَابَ بِنَفْسِهِ ، وَأَوْجَسَ مِنْهُ خِيفَةً أَيَّ إِيجَاسِ فِي أَبْيَاتٍ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْجَوَائِزِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْوَاسِطِيُّ ، كَانَ أَدِيبًا ، شَاعِرًا ، حَسَنَ الْقَوْلِ ، فَمِنْ قَوْلِهِ وَاحَسْرَتِي مِنْ قَوْلِهَا خَانَ عُهُودِي وَلَهَا وَحَقِّ مَنْ صَيَّرَنِي...وَقْفًا عَلَيْهَا وَلَهَا مَا خَطَرَتْ بِخَاطِرِي ، إِلَّا كَسَتْنِي وَلَهَا وَتُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ أَبُو غَالِبِ بْنُ بِشْرَانَ الْوَاسِطِيُّ الْأَدِيبُ ، وَانْتَهَتِ الرِّحْلَةُ إِلَيْهِ فِي الْأَدَبِ وَلَهُ شِعْرٌ ، فَمِنْهُ فِي الزُّهْدِ يَا شَائِدًا لِلْقُصُورِ كَهْلًا أَقْصِرْ ، فَقَصْرُ الْفَتَى الْمَمَاتُ...لَمْ يَجْتَمِعْ شَمْلُ أَهْلِ قَصْرٍ ، إِلَّا قُصَارَاهُمُ الشَّتَاتُ وَإِنَّمَا الْعَيْشُ مِثْلُ ظِلٍّ...مُنْتَقِلٍ مَا لَهُ ثَبَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْقَاضِي أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَذْلَمٍ ، قَاضِي دِمَشْقَ ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبِي الْعَجَائِزِ ، الْخَطِيبُ بِدِمَشْقَ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.ذِكْرُ الْخُطْبَةِ لِلْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ وَالسُّلْطَانِ بِحَلَبَ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَطَبَ مَحْمُودُ بْنُ صَالِحِ بْنِ مِرْدَاسٍ بِحَلَبَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَلِلسُّلْطَانِ أَلْب أَرْسَلَانَ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى إِقْبَالَ دَوْلَةِ السُّلْطَانِ وَقُوَّتَهَا ، وَانْتِشَارَ دَعْوَتِهَا ، فَجَمَعَ أَهْلَ حَلَبَ وَقَالَ هَذِهِ دَوْلَةٌ جَدِيدَةٌ ، وَمَمْلَكَةٌ شَدِيدَةٌ ، وَنَحْنُ تَحْتَ الْخَوْفِ مِنْهُمْ ، وَهُمْ يَسْتَحِلُّونَ دِمَاءَكُمْ لِأَجْلِ مَذَاهِبِكُمْ ، وَالرَّأْيُ أَنْ نُقِيمَ الْخُطْبَةَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ وَقْتٌ لَا يَنْفَعُنَا فِيهِ قَوْلٌ وَلَا بَذْلٌ ، فَأَجَابَ الْمَشَايِخُ إِلَى ذَلِكَ وَلَبِسَ الْمُؤَذِّنُونَ السَّوَادَ ، وَخَطَبُوا لِلْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ وَالسُّلْطَانِ ، فَأَخَذَتِ الْعَامَّةُ حُصْرَ الْجَامِعِ ، وَقَالُوا هَذِهِ حُصْرُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَلْيَأْتِ أَبُو بَكْرٍ بِحُصْرٍ يُصَلِّي عَلَيْهَا بِالنَّاسِ.وَأَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ إِلَى مَحْمُودٍ الْخِلَعَ مَعَ نَقِيبِ النُّقَبَاءِ طِرَادِ بْنِ مُحَمَّدٍ الزَّيْنَبِيِّ ، فَلَبِسَهَا ، وَمَدَحَهُ ابْنُ سِنَانٍ الْخَفَاجِيُّ ، وَأَبُو الْفِتْيَانِ بْنُ حَيُّوسٍ.وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهُ بْنُ عَطِيَّةَ يَمْدَحُ الْقَائِمَ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَيَذْكُرُ الْخُطْبَةَ بِحَلَبَ وَمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ كَمْ طَائِعٍ لَكَ لَمْ تَجْلِبْ عَلَيْهِ ، وَلَمْ تَعْرِفْ لِطَاعَتِهِ غَيْرَ التُّقَى سَبَبَا...هَذَا الْبَشِيرُ بِإِذْعَانِ الْحِجَازِ ، وَذَا دَاعِي دِمَشْقَ وَذَا الْمَبْعُوثُ مِنْ حَلَبَا ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ السُّلْطَانِ أَلْب أَرْسَلَانَ عَلَى حَلَبَ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ السُّلْطَانُ أَلْب أَرْسَلَانَ إِلَى حَلَبَ ، وَجَعَلَ طَرِيقَهُ عَلَى دِيَارِ بَكْرٍ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ صَاحِبُهَا ، نَصْرُ بْنُ مَرْوَانَ ، وَخَدَمُهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ إِقَامَةً عَرَفَ السُّلْطَانُ أَنَّهُ قَسَّطَهَا عَلَى الْبِلَادِ ، فَأَمَرَ بِرَدِّهَا.وَوَصَلَ إِلَى آمِدَ فَرَآهَا ثَغْرًا مَنِيعًا ، فَتَبَرَّكَ بِهِ ، وَجَعَلَ يُمِرُّ يَدَهُ عَلَى السُّورِ وَيَمْسَحُ بِهَا صَدْرَهُ.وَسَارَ إِلَى الرُّهَا فَحَصَرَهَا فَلَمْ يَظْفَرْ مِنْهَا بِطَائِلٍ ، فَسَارَ إِلَى حَلَبَ وَقَدْ وَصَلَهَا نَقِيبُ النُّقَبَاءِ أَبُو الْفَوَارِسِ طِرَادٌ بِالرِّسَالَةِ الْقَائِمِيَّةِ ، وَالْخِلَعِ ، فَقَالَ لَهُ مَحْمُودٌ ، صَاحِبُ حَلَبَ أَسْأَلُكَ الْخُرُوجَ إِلَى السُّلْطَانِ ، وَالِاسْتِعْفَاءَ لِي مِنَ الْحُضُورِ عِنْدَهُ ، فَخَرَجَ نَقِيبُ النُّقَبَاءِ ، وَأَخْبَرَ السُّلْطَانَ بِأَنَّهُ قَدْ لَبِسَ الْخِلَعَ الْقَائِمِيَّةِ وَخَطَبَ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ تُسَاوِي خُطْبَتُهُمْ وَهُمْ يُؤَذِّنُونَ حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ ؟وَلَا بُدَّ مِنَ الْحُضُورِ ، وَدَوْسِ بِسَاطِي ، فَامْتَنَعَ مَحْمُودٌ مِنْ ذَلِكَ.فَاشْتَدَّ الْحِصَارُ عَلَى الْبَلَدِ ، وَغَلَتِ الْأَسْعَارُ ، وَعَظُمَ الْقِتَالُ ، وَزَحَفَ السُّلْطَانُ يَوْمًا وَقَرُبَ مِنَ الْبَلَدِ ، فَوَقَعَ حَجَرُ مِنْجَنِيقٍ فِي فَرَسِهِ ، فَلَمَّا عَظُمَ الْأَمْرُ عَلَى مَحْمُودٍ خَرَجَ لَيْلًا ، وَمَعَهُ وَالِدَتُهُ مَنِيعَةُ بِنْتُ وَثَّابٍ النُّمَيْرِيِّ ، فَدَخَلَا عَلَى السُّلْطَانِ وَقَالَتْ لَهُ فَافْعَلْ بِهِ مَا تُحِبُّ.فَتَلَقَّاهَا بِالْجَمِيلِ ، وَخَلَعَ عَلَى مَحْمُودٍ وَأَعَادَهُ إِلَى بَلَدِهِ ، فَأَنْفَذَ إِلَى السُّلْطَانِ مَالًا جَزِيلًا.ذِكْرُ خُرُوجِ مَلِكِ الرُّومِ إِلَى خِلَاطٍ وَأَسْرِهِ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ أَرْمَانُوسُ مَلِكُ الرُّومِ فِي مِائَتَيْ أَلْفٍ مِنَ الرُّومِ ، وَالْفِرِنْجِ ، وَالْغَرْبِ ، وَالرُّوسِ ، وَالْبُجْنَاكِ ، وَالْكُرْجِ ، وَغَيْرِهِمْ ، مِنْ طَوَائِفِ تِلْكَ الْبِلَادِ ، فَجَاءُوا فِي تَجَمُّلٍ كَثِيرٍ ، وَزِيٍّ عَظِيمٍ ، وَقَصَدَ بِلَادَ الْإِسْلَامِ ، فَوَصَلَ إِلَى مَلَازْكَرْدَ مِنْ أَعْمَالِ خِلَاطٍ.فَبَلَغَ السُّلْطَانَ أَلْب أَرْسَلَانَ الْخَبَرُ.وَهُوَ بِمَدِينَةِ خُوَيَّ مِنْ أَذَرْبِيجَانَ ، قَدْ عَادَ مِنْ حَلَبَ.وَسَمِعَ مَا هُوَ مَلِكُ الرُّومِ فِيهِ مِنْ كَثْرَةِ الْجُمُوعِ ، فَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ جَمْعِ الْعَسَاكِرِ لِبُعْدِهَا وَقُرْبِ الْعَدُوِّ ، فَسَيَّرَ الْأَثْقَالَ مَعَ زَوْجَتِهِ وَنِظَامِ الْمُلْكِ إِلَى هَمَذَانَ ، وَسَارَ هُوَ فِيمَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْعَسَاكِرِ ، وَهُمْ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ فَارِسٍ.وَجَدَّ فِي السَّيْرِ وَقَالَ لَهُمْ إِنَّنِي أُقَاتِلُ مُحْتَسِبًا صَابِرًا ، فَإِنْ سَلِمْتُ فَنِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِنْ كَانَتِ الشَّهَادَةُ فَإِنَّ ابْنِي مَلِكْشَاهْ وَلِيُّ عَهْدِي ، وَسَارُوا.فَلَمَّا قَارَبَ الْعَدُوَّ جَعَلَ لَهُ مُقَدِّمَةً ، فَصَادَفَتْ مُقَدِّمَتُهُ ، عِنْدَ خِلَاطٍ ، مُقَدِّمَ الرُّوسِيَّةِ فِي نَحْوِ عَشَرَةِ آلَافٍ مِنَ الرُّومِ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَتِ الرُّوسِيَّةُ ، وَأُسِرَ مُقَدِّمُهُمْ ، وَحُمِلَ إِلَى السُّلْطَانِ ، فَجَدَعَ أَنْفَهُ ، وَأَنْفَذَ بِالسَّلَبِ إِلَى نِظَامِ الْمُلْكِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُرْسِلَهُ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَلَمَّا تَقَارَبَ الْعَسْكَرَانِ أَرْسَلَ السُّلْطَانُ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ يَطْلُبُ مِنْهُ الْمُهَادَنَةَ ، فَقَالَ لَا هُدْنَةَ إِلَّا بِالرَّيِّ ، فَانْزَعَجَ السُّلْطَانُ لِذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ إِمَامُهُ وَفَقِيهُهُ أَبُو نَصْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْبُخَارِيُّ ، الْحَنَفِيُّ إِنَّكَ تُقَاتِلُ عَنْ دِينٍ وَعَدَ اللَّهُ بِنَصْرِهِ وَإِظْهَارِهِ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ كَتَبَ بِاسْمِكَ هَذَا الْفَتْحَ ، فَالْقَهُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، بَعْدَ الزَّوَالِ ، فِي السَّاعَةِ الَّتِي تَكُونُ الْخُطَبَاءُ عَلَى الْمَنَابِرِ ، فَإِنَّهُمْ يَدْعُونَ لِلْمُجَاهِدِينَ بِالنَّصْرِ ، وَالدُّعَاءُ مَقْرُونٌ بِالْإِجَابَةِ.فَلَمَّا كَانَتْ تِلْكَ السَّاعَةُ صَلَّى بِهِمْ ، وَبَكَى السُّلْطَانُ ، فَبَكَى النَّاسُ لِبُكَائِهِ ، وَدَعَا وَدَعَوْا مَعَهُ وَقَالَ لَهُمْ مَنْ أَرَادَ الِانْصِرَافَ فَلْيَنْصَرِفْ ، فَمَا هَاهُنَا سُلْطَانٌ يَأْمُرُ وَيَنْهَى ، وَأَلْقَى الْقَوْسَ وَالنِّشَابَ ، وَأَخَذَ السَّيْفَ وَالدَّبُّوسَ ، وَعَقَدَ ذَنَبَ فَرَسِهِ بِيَدِهِ ، وَفَعَلَ عَسْكَرُهُ مِثْلَهُ ، وَلَبِسَ الْبَيَاضَ ، وَتَحَنَّطَ ، وَقَالَ إِنْ قُتِلْتُ فَهَذَا كَفَنِي.وَزَحَفَ إِلَى الرُّومِ وَزَحَفُوا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا قَارَبَهُمْ تَرَجَّلَ وَعَفَّرَ وَجْهَهُ عَلَى التُّرَابِ ، وَبَكَى ، وَأَكْثَرَ الدُّعَاءَ ، ثُمَّ رَكِبَ وَحَمَلَ ، وَحَمَلَتِ الْعَسَاكِرُ مَعَهُ ، فَحَصَلَ الْمُسْلِمُونَ فِي وَسَطِهِمْ وَحَجَزَ الْغُبَارُ بَيْنَهُمْ ، فَقَتَلَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِمْ كَيْفَ شَاءُوا ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ عَلَيْهِمْ ، فَانْهَزَمَ الرُّومُ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ مَا لَا يُحْصَى ، حَتَّى امْتَلَأَتِ الْأَرْضُ بِجُثَثِ الْقَتْلَى ، وَأُسَرِ مَلِكُ الرُّومِ ، أَسَرَهُ بَعْضُ غِلْمَانِ كُوهَرَائِينَ ، أَرَادَ قَتْلَهُ وَلَمْ يَعْرِفْهُ ، فَقَالَ لَهُ خَادِمٌ مَعَ الْمَلِكِ لَا تَقْتُلْهُ ، فَإِنَّهُ الْمَلِكُ.وَكَانَ هَذَا الْغُلَامُ قَدْ عَرَضَهُ كُوهَرَائِينُ عَلَى نِظَامِ الْمُلْكِ ، فَرَدَّهُ اسْتِحْقَارًا لَهُ ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ كُوهَرَائِينُ ، فَقَالَ نِظَامُ الْمُلْكِ عَسَى أَنْ يَأْتِيَنَا بِمَلِكِ الرُّومِ أَسِيرًا ، فَكَانَ كَذَلِكَ.فَلَمَّا أَسَرَ الْغُلَامُ الْمَلِكَ أَحْضَرَهُ عِنْدَ كُوهَرَائِينَ ، فَقَصَدَ السُّلْطَانَ وَأَخْبَرَهُ بِأَسْرِ الْمَلِكِ ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ ، فَلَمَّا أُحْضِرَ ضَرَبَهُ السُّلْطَانُ أَلْب أَرْسَلَانَ ثَلَاثَ مَقَارِعَ بِيَدِهِ وَقَالَ لَهُ أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ فِي الْهُدْنَةِ فَأَبَيْتَ ؟فَقَالَ دَعْنِي مِنَ التَّوْبِيخِ ، وَافْعَلْ مَا تُرِيدُ!فَقَالَ السُّلْطَانُ مَا عَزَمْتَ أَنْ تَفْعَلَ بِي إِنْ أَسَرْتَنِي ؟فَقَالَ أَفْعَلُ الْقَبِيحَ.قَالَ لَهُ فَمَا تَظُنُّ أَنَّنِي أَفْعَلُ بِكَ ؟قَالَ إِمَّا أَنْ تَقْتُلَنِي ، وَإِمَّا أَنْ تُشْهِرَنِي فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ ، وَالْأُخْرَى بَعِيدَةٌ ، وَهِيَ الْعَفْوُ ، وَقَبُولُ الْأَمْوَالِ ، وَاصْطِنَاعِي نَائِبًا عَنْكَ.قَالَ مَا عَزَمْتُ عَلَى غَيْرِ هَذَا.فَفَدَاهُ بِأَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ وَخَمْسِ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَأَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِ عَسَاكِرَ الرُّومِ أَيْ وَقْتَ طَلَبِهَا ، وَأَنْ يُطْلِقَ كُلَّ أَسِيرٍ فِي بِلَادِ الرُّومِ ، وَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَنْزَلَهُ فِي خَيْمَةٍ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عَشَرَةَ آلَافِ دِينَارٍ يَتَجَهَّزُ بِهَا ، فَأَطْلَقَ لَهُ جَمَاعَةً مِنَ الْبَطَارِقَةِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ مِنَ الْغَدِ ، فَقَالَ مَلِكُ الرُّومِ أَيْنَ جِهَةُ الْخَلِيفَةِ ؟فَقَامَ وَكَشَفَ رَأَسَهُ وَأَوْمَأَ إِلَى الْأَرْضِ بِالْخِدْمَةِ ، وَهَادَنَهُ السُّلْطَانُ خَمْسِينَ سَنَةً ، وَسَيَّرَهُ إِلَى بِلَادِهِ ، وَسَيَّرَ مَعَهُ عَسْكَرًا أَوْصَلُوهُ إِلَى مَأْمَنِهِ ، وَشَيَّعَهُ السُّلْطَانُ فَرْسَخًا.وَأَمَّا الرُّومُ فَلَمَّا بَلَغَهُمْ خَبَرُ الْوَقْعَةِ وَثَبَ مِيخَائِيلُ عَلَى الْمَمْلَكَةِ فَمَلَكَ الْبِلَادَ ، فَلَمَّا وَصَلَ أَرْمَانُوسُ الْمَلِكُ إِلَى قَلْعَةِ دُوقِيَّةَ بَلَغَهُ الْخَبَرُ ، فَلَبِسَ الصُّوفَ وَأَظْهَرَ الزُّهْدَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى مِيخَائِيلَ يُعَرِّفُهُ مَا تَقَرَّرَ مِنَ السُّلْطَانِ ، وَقَالَ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَفْعَلَ مَا اسْتَقَرَّ ، وَإِنْ شِئْتَ أَمْسَكْتَ ، فَأَجَابَهُ مِيخَائِيلُ بِإِيثَارِ مَا اسْتَقَرَّ ، وَطَلَبَ وَسَاطَتَهُ ، وَسُؤَالَ السُّلْطَانِ فِي ذَلِكَ.وَجَمَعَ أَرْمَانُوسُ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ فَكَانَ مِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى السُّلْطَانِ ، وَطَبَقَ ذَهَبٍ عَلَيْهِ جَوَاهِرُ بِتِسْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَحَلَفَ لَهُ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، ثُمَّ إِنَّ أَرْمَانُوسُ اسْتَوْلَى عَلَى أَعْمَالِ الْأَرْمَنِ وَبِلَادِهِمْ.وَمَدَحَ الشُّعَرَاءُ السُّلْطَانَ ، وَذَكَرُوا هَذَا الْفَتْحَ ، فَأَكْثَرُوا.ذِكْرُ مُلْكِ أَتْسِزَ الرَّمْلَةَ وَبَيْتَ الْمَقْدِسِ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَصَدَ أَتْسِزُ بْنُ أُوقَ الْخُوَارِزْمِيُّ ، وَهُوَ مِنْ أُمَرَاءِ السُّلْطَانِ مَلِكْشَاهْ ، بَلَدَ الشَّامِ ، فَجَمَعَ الْأَتْرَاكَ وَسَارَ إِلَى فِلَسْطِينَ ، فَفَتَحَ مَدِينَةَ الرَّمْلَةِ ، وَسَارَ مِنْهَا إِلَى الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَحَصَرَهُ ، وَفِيهِ عَسَاكِرُ الْمِصْرِيِّينَ ، فَفَتَحَهُ ، وَمَلَكَ مَا يُجَاوِرُهُمَا مِنَ الْبِلَادِ ، مَا عَدَا عَسْقَلَانَ ، وَقَصَدَ دِمَشْقَ فَحَصَرَهَا ، وَتَابَعَ النَّهْبَ لِأَعْمَالِهَا حَتَّى خَرَّبَهَا ، وَقَطَعَ الْمِيرَةَ عَنْهَا ، فَضَاقَ الْأَمْرُ بِالنَّاسِ ، فَصَبَرُوا ، وَلَمْ يُمَكِّنُوهُ مِنْ مُلْكِ الْبَلَدِ ، فَعَادَ عَنْهُ ، وَأَدَامَ قَصْدَ أَعْمَالِهِ وَتَخْرِيبِهَا حَتَّى قَلَّتِ الْأَقْوَاتُ عِنْدَهُمْ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ. الْوَفَيَاتُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ فُورَانَ الْفُورَانِيُّ ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، مُصَنِّفُ كِتَابِ "الْإِبَانَةِ" وَغَيْرِهِ.وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي ذِي الْحِجَّةِ ، تُوُفِّيَ الْخَطِيبُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ ثَابِتٍ الْبَغْدَاذِيُّ ، صَاحِبُ "التَّارِيخِ" وَالْمُصَنَّفَاتِ الْكَثِيرَةِ بِبَغْدَاذَ ، وَكَانَ إِمَامَ الدُّنْيَا فِي زَمَانِهِ ، وَمِمَّنْ حَمَلَ جِنَازَتَهُ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيُّ.وَتُوُفِّيَ أَيْضًا فِيهَا ، فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، أَبُو يَعْلَى حَمْزَةُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ حَمْزَةَ الْجَعْفَرِيُّ ، فَقِيهُ الْإِمَامِيَّةِ ، وَحَسَّانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ حَسَّانِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَنِيعِيُّ الْمَخْزُومِيُّ مِنْ أَهْلِ مَرْوِ الرُّوذِ ، كَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْعِبَادَةِ ، وَالْقُنُوعِ بِالْقَلِيلِ مِنَ الْقُوتِ ، وَالْإِعْرَاضِ عَنْ زِينَةِ الدُّنْيَا وَبَهْجَتِهَا ، وَكَانَ السَّلَاطِينُ يَزُورُونَهُ وَيَتَبَرَّكُونَ بِهِ ، وَأَكْثَرَ مِنْ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ وَالْخَانْقَاهَاتِ وَالْقَنَاطِرِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ.وَتُوُفِّيَتْ أَيْضًا كَرِيمَةُ بِنْتُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيَّةُ ، وَهِيَ الَّتِي تَرْوِي "صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ" ، تُوُفِّيَتْ بِمَكَّةَ ، وَإِلَيْهَا انْتَهَى عُلُوُّ الْإِسْنَادِ لِلصَّحِيحِ إِلَى أَنْ جَاءَ أَبُو الْوَقْتِ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.ذِكْرُ وِلَايَةَ سَعْدِ الدَّوْلَةِ كُوهَرَائِينَ شِحْنَكِيَّةِ بَغْدَاذَ.فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ وَرَدَ إِيتِكِينُ السُّلَيْمَانِيُّ شِحْنَةَ بَغْدَاذَ مِنْ عِنْدِ السُّلْطَانِ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَقَصَدَ دَارَ الْخِلَافَةِ ، وَسَأَلَ الْعَفْوَ عَنْهُ ، وَأَقَامَ أَيَّامًا ، فَلَمْ يُجَبْ إِلَى ذَلِكَ.وَكَانَ سَبَبُ غَضَبِ الْخَلِيفَةِ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَدِ اسْتَخْلَفَ ابْنَهُ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى السُّلْطَانِ ، وَجَعَلَ شِحْنَةً بِبَغْدَادَ ، فَقَتَلَ أَحَدَ الْمَمَالِيكِ الدَّارِيَّةِ ، فَأَنْفَذَ قَمِيصَهُ مِنَ الدِّيوَانِ إِلَى السُّلْطَانِ ، وَوَقَعَ الْخِطَابُ فِي عَزْلِهِ.وَكَانَ نِظَامُ الْمُلْكِ يُعْنَى بِالسُّلَيْمَانِيِّ ، فَأَضَافَ إِلَى إِقْطَاعِهِ تِكْرِيتَ ، فَكُوتِبَ وَالِيهَا ، مِنْ دِيوَانِ الْخِلَافَةِ ، بِالتَّوَقُّفِ عَنْ تَسْلِيمِهَا ، فَلَمَّا رَأَى نِظَامُ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانُ إِصْرَارَ الْخَلِيفَةِ عَلَى الِاسْتِقَالَةِ مِنْ وِلَايَتِهِ شِحْنَكِيَّةِ بَغْدَاذَ ، سَيَّرَ سَعْدُ الدَّوْلَةِ كُوهَرَائِينُ إِلَى بَغْدَاذَ شِحْنَةً ، وَعَزَلَ السُّلَيْمَانِيَّ عَنْهَا ، اتِّبَاعًا لِمَا أَمَرَ بِهِ الْخَلِيفَةُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَلَمَّا وَرَدَ سَعْدُ الدَّوْلَةِ خَرَجَ النَّاسُ لِتَلَقِّيهِ ، وَجَلَسَ لَهُ الْخَلِيفَةُ.ذِكْرُ تَزْوِيجِ وَلِيِّ الْعَهْدِ بِابْنَةِ السُّلْطَانِ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَرْسَلَ الْإِمَامُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ عَمِيدَ الدَّوْلَةِ بْنَ جَهِيرٍ ، وَمَعَهُ الْخِلَعُ لِلسُّلْطَانِ وَلِوَلَدِهِ مَلِكْشَاهْ ، وَكَانَ السُّلْطَانُ قَدْ أَرْسَلَ يَطْلُبُ مِنَ الْخَلِيفَةِ أَنْ يَأْذَنَ فِي أَنْ يَجْعَلَ وَلَدَهُ مَلِكْشَاهْ وَلِيَّ عَهْدِهِ ، فَأَذِنَ ، وَسُيِّرَتْ لَهُ الْخِلَعُ مَعَ عَمِيدِ الدَّوْلَةِ ، وَأَمَرَ عَمِيدَ الدَّوْلَةِ أَنْ يَخْطُبَ ابْنَةَ السُّلْطَانِ أَلْب أَرْسَلَانَ مِنْ سَفَرِي خَاتُونَ لِوَلِيِّ الْعَهْدِ الْمُقْتَدِي بِأَمْرِ اللَّهِ ، فَلَمَّا حَضَرَ عِنْدَ السُّلْطَانِ خَطَبَ ابْنَتَهُ ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ.وَعُقِدَ النِّكَاحُ بِظَاهِرِ نَيْسَابُورَ ، وَكَانَ عَمِيدُ الدَّوْلَةِ الْوَكِيلَ فِي قَبُولِ النِّكَاحِ ، وَنِظَامُ الْمُلْكِ الْوَكِيلَ مِنْ جِهَةِ السُّلْطَانِ فِي الْعَقْدِ ، وَكَانَ النِّثَارُ جَوَاهِرَ ، وَعَادَ عَمِيدُ الدَّوْلَةِ مِنْ عِنْدِ السُّلْطَانِ إِلَى مَلِكْشَاهْ ، وَكَانَ بِبِلَادِ فَارِسَ ، فَلَقِيَهُ بِأَصْبَهَانَ ، فَأَفَاضَ عَلَيْهِ الْخِلَعَ ، فَلَبِسَهَا وَسَارَ إِلَى وَالِدِهِ ، وَعَادَ عَمِيدُ الدَّوْلَةِ إِلَى بَغْدَاذَ ، فَدَخَلَهَا فِي ذِي الْحِجَّةِ.ذِكْرُ وِلَايَةِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ عَمَّارٍ طَرَابُلُسَ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي رَجَبٍ ، تُوُفِّيَ الْقَاضِي أَبُو طَالِبِ بْنُ عَمَّارٍ ، قَاضِي طَرَابُلُسَ ، وَكَانَ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَاسْتَبَدَّ بِالْأَمْرِ فِيهَا ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ قَامَ مَكَانَهُ ابْنُ أَخِيهِ جَلَالُ الْمُلْكِ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ عَمَّارٍ ، فَضَبَطَ الْبَلَدَ أَحْسَنَ ضَبْطٍ ، وَلَمْ يَظْهَرْ لِفَقْدِ عَمِّهِ أَثَرٌ لِكِفَايَتِهِ.ذِكْرُ مُلْكِ السُّلْطَانِ أَلْب أَرْسَلَانَ قَلْعَةَ فَضْلُونَ بِفَارِسَ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَيَّرَ السُّلْطَانُ أَلْب أَرْسَلَانَ وَزِيرَهُ نِظَامَ الْمُلْكِ فِي عَسْكَرٍ إِلَى بِلَادِ فَارِسَ ، وَكَانَ بِهَا حِصْنٌ مِنْ أَمْنَعِ الْحُصُونِ وَالْمَعَاقِلِ ، وَفِيهِ صَاحِبُهُ فَضْلُونُ ، وَهُوَ لَا يُعْطِي الطَّاعَةَ ، فَنَازَلَهُ وَحَصَرَهُ ، وَدَعَاهُ إِلَى طَاعَةِ السُّلْطَانِ فَامْتَنَعَ ، فَقَاتَلَهُ فَلَمْ يَبْلُغْ بِقِتَالِهِ غَرَضًا لِعُلُوِّ الْحِصْنِ وَارْتِفَاعِهِ ، فَلَمْ يَطُلْ مُقَامُهُمْ عَلَيْهِ حَتَّى نَادَى أَهْلُ الْقَلْعَةِ الْأَمَانَ لِيُسَلِّمُوا الْحِصْنَ إِلَيْهِ ، فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ.وَكَانَ السَّبَبُ فِيهِ أَنَّ جَمِيعَ الْآبَارِ الَّتِي بِالْقَلْعَةِ غَارَتْ مِيَاهُهَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَادَتْهُمْ ضَرُورَةُ الْعَطَشِ إِلَى التَّسْلِيمِ ، فَلَمَّا طَلَبُوا الْأَمَانَ أَمَّنَهُمْ نِظَامُ الْمُلْكِ ، وَتَسَلَّمَ الْحِصْنَ ، وَالْتَجَأَ فَضْلُونُ إِلَى قُلَّةِ الْقَلْعَةِ ، وَهِيَ أَعْلَى مَوْضِعٍ فِيهَا ، وَفِيهِ بِنَاءٌ مُرْتَفِعٌ ، فَاحْتَمَى فِيهَا ، فَسَيَّرَ نِظَامُ الْمُلْكِ طَائِفَةً مِنَ الْعَسْكَرِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي فِيهِ أَهْلُ فَضْلُونَ وَأَقَارِبُهُ لِيَحْمِلُوهُمْ إِلَيْهِ وَيَنْهَبُوا مَالَهُمْ ، فَسَمِعَ فَضْلُونُ الْخَبَرَ ، فَفَارَقَ مَوْضِعَهُ مُسْتَخْفِيًا فَيَمَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْجُنْدِ ، وَسَارَ لِيَمْنَعَ عَنْ أَهْلِهِ ، فَاسْتَقْبَلَتْهُ طَلَائِعُ نِظَامِ الْمُلْكِ ، فَخَافَهُمْ ، فَتَفَرَّقَ مَنْ مَعَهُ ، وَاخْتَفَى فِي نَبَاتِ الْأَرْضِ ، فَوَقَعَ فِيهِ بَعْضُ الْعَسْكَرِ ، فَأَخَذَهُ أَسِيرًا ، وَحَمَلَهُ إِلَى نِظَامِ الْمُلْكِ ، فَأَخَذَهُ وَسَارَ بِهِ إِلَى السُّلْطَانِ فَأَمَّنَهُ وَأَطْلَقَهُ.ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ الْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْمُهْتَدِي بِاللَّهِ الْخَطِيبُ بِجَامِعِ الْمَنْصُورِ ، وَكَانَ قَدْ أَضَرَّ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ إِلَيْهِ قَضَاءُ وَاسِطَ ، وَخَلِيفَتُهُ عَلَيْهَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ السَّمَّانِ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.ذِكْرُ قَتْلِ السُّلْطَانِ أَلْب أَرْسَلَانَ.فِي أَوَّلِ هَذِهِ السَّنَةِ قَصَدَ السُّلْطَانُ أَلْب أَرْسَلَانَ ، وَاسْمُهُ مُحَمَّدٌ ، وَإِنَّمَا غَلَبَ عَلَيْهِ أَلْب أَرْسَلَانَ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، وَصَاحِبُهُ شَمْسُ الْمُلْكِ تِكِينَ ، فَعَقَدَ عَلَى جَيْحُونَ جِسْرًا وَعَبَرَ عَلَيْهِ فِي نَيِّفٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا ، وَعَسْكَرُهُ يَزِيدُ عَلَى مِائَتَيْ أَلْفِ فَارِسٍ ، فَأَتَاهُ أَصْحَابُهُ بِمُسْتَحْفِظِ قَلْعَةٍ يُعْرَفُ بِيُوسُفَ الْخُوَارِزْمِيِّ ، فِي سَادِسِ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، وَحُمِلَ إِلَى قُرْبِ سَرِيرِهِ مَعَ غُلَامَيْنِ ، فَتَقَدَّمَ أَنْ تُضْرَبَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَوْتَادٍ وَتُشَدَّ أَطْرَافُهُ إِلَيْهَا ، فَقَالَ لَهُ يُوسُفُ يَا مُخَنَّثُ!مِثْلِي يُقْتَلُ هَذِهِ الْقِتْلَةَ ؟فَغَضِبَ السُّلْطَانُ أَلْب أَرْسَلَانَ ، وَأَخَذَ الْقَوْسَ وَالنِّشَابَ ، وَقَالَ لِلْغُلَامَيْنِ خَلِّيَاهُ!وَرَمَاهُ السُّلْطَانُ بِسَهْمٍ فَأَخْطَأَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ يُخْطِئُ سَهْمُهُ ، فَوَثَبَ يُوسُفُ يُرِيدُهُ ، وَالسُّلْطَانُ عَلَى سُدَّةٍ ، فَلَمَّا رَأَى يُوسُفَ يَقْصِدُهُ قَامَ عَنِ السُّدَّةِ وَنَزَلَ عَنْهَا ، فَعَثَرَ ، فَوَقَعَ عَلَى وَجْهِهِ ، فَبَرَكَ عَلَيْهِ يُوسُفُ وَضَرَبَهُ بِسِكِّينٍ كَانَتْ مَعَهُ فِي خَاصِرَتِهِ ، وَكَانَ سَعْدُ الدَّوْلَةِ وَاقِفًا ، فَجَرَحَهُ يُوسُفُ أَيْضًا جِرَاحَاتٍ ، وَنَهَضَ السُّلْطَانُ إِلَى خَيْمَةٍ أُخْرَى ، وَضَرَبَ بَعْضُ الْفَرَّاشِينَ يُوسُفَ بِمِرْزَبَةٍ عَلَى رَأْسِهِ فَقَتَلَهُ ، وَقَطَّعَهُ الْأَتْرَاكُ.وَكَانَ أَهْلُ سَمَرْقَنْدَ لَمَّا بَلَغَهُمْ عُبُورُ السُّلْطَانِ النَّهْرَ ، وَمَا فَعَلَ عَسْكَرُهُ بِتِلْكَ الْبِلَادِ لَا سِيَّمَا بُخَارَى ، اجْتَمَعُوا ، وَخَتَمُوا خَتَمَاتٍ ، وَسَأَلُوا اللَّهَ أَنْ يَكْفِيَهُمْ أَمْرَهُ ، فَاسْتَجَابَ لَهُمْ.وَلَمَّا جُرِحَ السُّلْطَانُ قَالَ مَا مِنْ وَجْهٍ قَصَدْتُهُ ، وَعَدُوٍّ أَرَدْتُهُ ، إِلَّا اسْتَعَنْتُ بِاللَّهِ عَلَيْهِ ، وَلَمَّا كَانَ أَمْسُ صَعِدْتُ عَلَى تَلٍّ ، فَارْتَجَّتِ الْأَرْضُ تَحْتِي مِنْ عِظَمِ الْجَيْشِ وَكَثْرَةِ الْعَسْكَرِ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي أَنَا مَلِكُ الدُّنْيَا ، وَمَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَيَّ ، فَعَجَّزَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِأَضْعَفِ خَلْقِهِ ، وَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى ، وَأَسْتَقِيلُهُ مِنْ ذَلِكَ الْخَاطِرِ.فَتُوُفِّيَ عَاشِرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ ، فَحُمِلَ إِلَى مَرْوَ وَدُفِنَ عِنْدَ أَبِيهِ.وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَبَلَغَ مِنَ الْعُمْرِ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَشُهُورًا ، وَقِيلَ كَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ عِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَكَانَتْ مُدَّةُ مُلْكِهِ مُنْذُ خُطِبَ لَهُ بِالسَّلْطَنَةِ إِلَى أَنْ قُتِلَ تِسْعَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَأَيَّامًا ، وَلَمَّا وَصَلَ خَبَرُ مَوْتِهِ إِلَى بَغْدَاذَ جَلَسَ الْوَزِيرُ فَخْرُ الدَّوْلَةِ بْنُ جَهِيرٍ لِلْعَزَاءِ بِهِ فِي صَحْنِ السَّلَامِ.ذِكْرُ نَسَبِ أَلْب أَرْسَلَانَ وَبَعْضِ سِيرَتِهِ.هُوَ أَلْب أَرْسَلَانَ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ جُغْرِي بِكْ بْنِ مِيكَائِيلَ بْنِ سَلْجُوقَ ، وَكَانَ كَرِيمًا ، عَادِلًا ، عَاقِلًا ، يَسْمَعُ السِّعَايَاتِ ، وَاتَّسَعَ مُلْكُهُ جِدًّا ، وَدَانَ لَهُ الْعَالَمُ ، وَبِحَقٍّ قِيلَ لَهُ سُلْطَانُ الْعَالَمِ.وَكَانَ رَحِيمَ الْقَلْبِ رَفِيقًا بِالْفُقَرَاءِ ، كَثِيرَ الدُّعَاءِ بِدَوَامِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ.اجْتَازَ يَوْمًا بِمَرْوَ عَلَى فُقَرَاءِ الْخَرَّائِينَ ، فَبَكَى ، وَسَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُغْنِيَهُ مِنْ فَضْلِهِ.وَكَانَ يُكْثِرُ الصَّدَقَةَ ، فَيَتَصَدَّقُ فِي رَمَضَانَ بِخَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَكَانَ فِي دِيوَانِهِ أَسْمَاءُ خَلْقٍ كَثِيرٍ مِنَ الْفُقَرَاءِ فِي جَمِيعِ مَمَالِكِهِ ، عَلَيْهِمُ الْإِدْرَارَاتُ وَالصِّلَاتِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي جَمِيعِ بِلَادِهِ جِنَايَةٌ وَلَا مُصَادَرَةٌ ، قَدْ قَنَعَ مِنَ الرَّعَايَا بِالْخَرَاجِ الْأَصْلِيِّ يُؤْخَذُ مِنْهُمْ كُلَّ سَنَةٍ دَفْعَتَيْنِ رِفْقًا بِهِمْ.وَكَتَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ السُّعَاةِ سِعَايَةً فِي نِظَامِ الْمُلْكِ وَزِيرِهِ ، وَذَكَرَ مَا لَهُ فِي مَمَالِكِهِ مِنَ الرُّسُومِ وَالْأَمْوَالِ ، وَتُرِكَتْ عَلَى مُصَلَّاهُ ، فَأَخَذَهَا فَقَرَأَهَا ، ثُمَّ سَلَّمَهَا إِلَى نِظَامِ الْمُلْكِ وَقَالَ لَهُ خُذْ هَذَا الْكِتَابَ ، فَإِنْ صَدَقُوا فِي الَّذِي كَتَبُوهُ فَهَذِّبْ أَخْلَاقَكَ ، وَأَصْلِحْ أَحْوَالَكَ ، وَإِنْ كَذَبُوا فَاغْفِرْ لَهُمْ زَلَّتَهُمْ وَاشْغَلْهُمْ بِمُهِمٍّ يَشْتَغِلُونَ بِهِ عَنِ السِّعَايَةِ بِالنَّاسِ.وَهَذِهِ حَالَةٌ لَا يُذْكَرُ عَنْ أَحَدِ الْمُلُوكِ أَحْسَنَ مِنْهَا.وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُقْرَأُ عَلَيْهِ تَوَارِيخُ الْمُلُوكِ وَآدَابُهُمْ ، وَأَحْكَامُ الشَّرِيعَةِ ، وَلَمَّا اشْتُهِرَ بَيْنَ الْمُلُوكِ حُسْنُ سِيرَتِهِ ، وَمُحَافَظَتُهُ عَلَى عُهُودِهِ أَذْعَنُوا لَهُ بِالطَّاعَةِ وَالْمُوَافَقَةِ بَعْدَ الِامْتِنَاعِ ، وَحَضَرُوا عِنْدَهُ مِنْ أَقَاصِي مَا وَرَاءَ النَّهْرِ إِلَى أَقْصَى الشَّامِ.وَكَانَ شَدِيدَ الْعِنَايَةِ بِكَفِّ الْجُنْدِ عَنْ أَمْوَالِ الرَّعِيَّةِ ، بَلَغَهُ أَنَّ بَعْضَ خَوَاصِّ مَمَالِيكِهِ سَلَبَ مِنْ بَعْضِ الرِّسْتَاقِيَّةِ إِزَارًا ، فَأَخَذَ الْمَمْلُوكَ وَصَلَبَهُ ، فَارْتَدَعَ النَّاسُ عَنِ التَّعَرُّضِ إِلَى مَالِ غَيْرِهِمْ.وَمَنَاقِبُهُ كَثِيرَةٌ لَا يَلِيقُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا الْقَدْرِ مِنْهَا.وَخَلَّفَ أَلْب أَرْسَلَانَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَلِكْشَاهْ ، وَهُوَ صَارَ السُّلْطَانَ بَعْدَهُ ، وَإِيَازُ ، وَتُكَشُ ، وَبُورِي بَرْشَ ، وَتُتْشُ ، وَأَرْسَلَانَ أَرَغُو ، وَسَارَةُ ، وَعَائِشَةُ ، وَبِنْتًا أُخْرَى.ذِكْرُ مُلْكِ السُّلْطَانِ مَلِكْشَاهْ.لَمَّا جُرِحَ السُّلْطَانُ أَلْب أَرْسَلَانَ أَوْصَى بِالسَّلْطَنَةِ لِابْنِهِ مَلِكْشَاهْ ، وَكَانَ مَعَهُ ، وَأَمَرَ أَنْ يَحْلِفَ لَهُ الْعَسْكَرُ ، فَحَلَفُوا جَمِيعُهُمْ ، وَكَانَ الْمُتَوَلِّي لِلْأَمْرِ فِي ذَلِكَ نِظَامُ الْمُلْكِ ، وَأَرْسَلَ مَلِكْشَاهْ إِلَى بَغْدَاذَ يَطْلُبُ الْخُطْبَةَ لَهُ ، فَخَطَبَ لَهُ عَلَى مَنَابِرِهَا ، وَأَوْصَى أَلْب أَرَسْلَانَ ابْنَهُ مَلِكْشَاهْ أَيْضًا أَنْ يُعْطِيَ أَخَاهُ قَاوَرْتَ بِكْ بْنَ دَاوُدَ أَعْمَالَ فَارِسَ وَكَرْمَانَ ، وَشَيْئًا عَيَّنَهُ مِنَ الْمَالِ ، وَأَنْ يُزَوَّجَ بِزَوْجَتِهِ ، وَكَانَ قَاوَرْتُ بِكْ بِكَرْمَانَ ، وَأَوْصَى أَنْ يُعْطَى ابْنُهُ إِيَازَ بْنَ أَلْب أَرْسَلَانَ مَا كَانَ لِأَبِيهِ دَاوُدَ ، وَهُوَ خَمْسُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَقَالَ كُلُّ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِمَا أَوْصَيْتُ لَهُ فَقَاتِلُوهُ ، وَاسْتَعِينُوا بِمَا جَعَلْتَهُ لَهُ عَلَى حَرْبِهِ.وَعَادَ مَلِكْشَاهْ مِنْ بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، فَعَبَرَ الْعَسْكَرِ الَّذِي قَطَعَ النَّهْرَ فِي نَيِّفٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَقَامَ بِوِزَارَةِ مَلِكْشَاهْ نِظَامُ الْمُلْكِ ، وَزَادَ الْأَجْنَادُ فِي مَعَايِشِهِمْ سَبْعَ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَعَادُوا إِلَى خُرَاسَانَ ، وَقَصَدُوا نَيْسَابُورَ ، وَرَاسَلَ مَلِكْشَاهْ جَمَاعَةَ الْمُلُوكِ أَصْحَابَ الْأَطْرَافِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْخُطْبَةِ لَهُ وَالِانْقِيَادِ إِلَيْهِ ، وَأَقَامَ إِيَازُ أَرْسَلَانَ بِبَلْخَ وَسَارَ السُّلْطَانُ مَلِكْشَاهْ فِي عَسَاكِرِهِ مِنْ نَيْسَابُورَ إِلَى الرَّيِّ.ذِكْرُ مُلْكِ صَاحِبِ سَمَرْقَنْدَ مَدِينَةَ تِرْمِذَ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي رَبِيعٍ الْآخَرِ ، مَلَكَ أَلْتَكِينُ صَاحِبُ سَمَرْقَنْدَ مَدِينَةَ تِرْمِذَ.وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَهُ وَفَاةُ أَلْب أَرْسَلَانَ ، وَعَوْدُ ابْنِهِ مَلِكْشَاهْ عَنْ خُرَاسَانَ ، طَمِعَ فِي الْبِلَادِ الْمُجَاوِرَةِ لَهُ ، فَقَصَدَ تِرْمِذَ أَوَّلَ رَبِيعٍ الْآخَرِ ، وَفَتَحَهَا ، وَنَقَلَ مَا فِيهَا مِنْ ذَخَائِرَ وَغَيْرِهَا إِلَى سَمَرْقَنْدَ.وَكَانَ إِيَازُ بْنُ أَلْب أَرْسَلَانَ قَدْ سَارَ عَنْ بَلْخَ إِلَى الْجُوزَجَانِ ، فَخَافَ أَهْلُ بَلْخَ ، فَأَرْسَلُوا إِلَى أَلْتَكِينَ يَطْلُبُونَ مِنْهُ الْأَمَانَ ، فَأَمَّنَهُمْ ، فَخَطَبُوا لَهُ فِيهَا ، وَوَرَدَ إِلَيْهَا ، فَنَهَبَ عَسْكَرُهُ شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ ، وَعَادَ إِلَى تِرْمِذَ ، فَثَارَ أَوْبَاشُ بَلْخَ بِجَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَتَلُوهُمْ ، فَعَادَ إِلَيْهِمْ وَأَمَرَ بِإِحْرَاقِ الْمَدِينَةِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَعْيَانُ أَهْلِهَا وَسَأَلُوهُ الصَّفْحَ ، وَاعْتَذَرُوا ، فَعَفَا عَنْهُمْ ، لَكِنَّهُ أَخَذَ أَمْوَالَ التُّجَّارِ فَغَنِمَ شَيْئًا عَظِيمًا.فَلَمَّا وَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى إِيَازَ عَادَ مِنَ الْجُوزَجَانِ إِلَى بَلْخَ ، فَوَصَلَ غُرَّةَ جُمَادَى الْأُولَى ، فَأَطَاعَهُ أَهْلُهَا ، وَسَارَ عَنْهَا إِلَى تِرْمِذَ فِي عَشَرَةِ آلَافِ فَارِسٍ فِي الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، فَلَقِيَهُمْ عَسْكَرُ أَلْتَكِينَ ، فَانْهَزَمَ إِيَازُ ، فَغَرِقَ مِنْ عَسْكَرِهِ فِي جَيْحُونَ أَكْثَرُهُمْ ، وَقُتِلَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ ، وَلَمْ يَنْجُ إِلَّا الْقَلِيلُ.ذِكْرُ قَصْدِ صَاحِبِ غَزْنَةَ سَكْلَكَنْدَ.وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضًا ، فِي جُمَادَى الْأُولَى ، وَرَدَتْ طَائِفَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ عَسْكَرِ غَزْنَةَ إِلَى سَكْلَكَنْدَ ، وَبِهَا عُثْمَانُ عَمُّ السُّلْطَانِ مَلِكْشَاهْ ، وَيُلَقَّبُ بِأَمِيرِ الْأُمَرَاءِ ، فَأَخَذُوهُ أَسِيرًا ، وَعَادُوا بِهِ إِلَى غَزْنَةَ مَعَ خَزَائِنِهِ وَحَشَمِهِ ، فَسَمِعَ الْأَمِيرُ كُمُشْتَكِينُ بُلْكَابِكْ ، وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ الْأُمَرَاءِ ، فَتَبِعَ آثَارَهُمْ ، وَكَانَ مَعَهُ أَنُوشْتِكِينُ جَدُّ مُلُوكِ خُوَارِزْمَ فِي زَمَانِنَا ، فَنَهَبُوا مَدِينَةَ سَكْلَكَنْدَ.ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ السُّلْطَانِ مَلِكْشَاهْ وَعَمِّهِ قَاوَرْتَ بِكْ.لَمَّا بَلَغَ قَاوَرْتُ بِكْ ، وَهُوَ بِكَرْمَانَ ، وَفَاةُ أَخِيهِ أَلْب أَرْسَلَانَ سَارَ طَلَبًا لِلرَّيِّ يُرِيدُ الِاسْتِيلَاءَ عَلَى الْمَمَالِكِ ، فَسَبَقَهُ إِلَيْهَا السُّلْطَانُ مَلِكْشَاهْ وَنِظَامُ الْمُلْكِ ، وَسَارَا مِنْهَا إِلَيْهِ ، فَالْتَقَوْا بِالْقُرْبِ مِنْ هَمَذَانَ فِي شَعْبَانَ ، وَكَانَ الْعَسْكَرُ يَمِيلُونَ إِلَى قَاوَرْتَ بِكْ ، فَحَمَلَتْ مَيْسَرَةُ قَاوَرْتَ عَلَى مَيْمَنَةِ مَلِكْشَاهْ ، فَهَزَمُوهَا ، وَحَمَلَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ مُسْلِمُ بْنُ قُرَيْشٍ ، وَبَهَاءُ الدَّوْلَةِ مَنْصُورُ بْنُ دُبَيْسِ بْنِ مَزْيَدٍ ، وَهُمَا مَعَ مَلِكْشَاهْ ، وَمَنْ مَعَهُمَا مِنَ الْعَرَبِ وَالْأَكْرَادِ ، عَلَى مَيْمَنَةِ قَاوَرْتُ بِكْ فَهَزَمُوهَا ، وَتَمَّتِ الْهَزِيمَةُ عَلَى أَصْحَابِ قَاوَرْتَ بِكْ ، وَمَضَى الْمُنْهَزِمُونَ مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ مَلِكْشَاهْ إِلَى حُلَلِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ ، وَبَهَاءِ الدَّوْلَةِ فَنَهَبُوهَا غَيْظًا مِنْهُمْ ، حَيْثُ هَزَمُوا عَسْكَرَ قَاوَرْتَ بِكْ ، وَنَهَبُوا أَيْضًا مَا كَانَ لِنَقِيبِ النُّقَبَاءِ طِرَادِ بْنِ مُحَمَّدٍ الزَّيْنَبِيِّ رَسُولِ الْخَلِيفَةِ.وَجَاءَ رَجُلٌ سَوَادِيٌّ إِلَى السُّلْطَانِ مَلِكْشَاهْ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ عَمَّهُ قَاوَرْتَ بِكْ فِي بَعْضِ الْقُرَى ، فَأَرْسَلَ مَنْ أَخَذَهُ وَأَحْضَرَهُ ، فَأَمَرَ سَعْدَ الدَّوْلَةِ كُوهَرَائِينَ فَخَنَقَهُ ، وَأَقَرَّ كَرْمَانَ بِيَدِ أَوْلَادِهِ ، وَسَيَّرَ إِلَيْهِمُ الْخِلَعَ ، وَأَقْطَعَ الْعَرَبَ وَالْأَكْرَادَ إِقْطَاعَاتٍ كَثِيرَةً لِمَا فَعَلُوهُ فِي الْوَقْعَةِ.وَكَانَ السَّبَبُ فِي حُضُورِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ وَبَهَاءِ الدَّوْلَةِ عِنْدَ مَلِكْشَاهْ أَنَّ السُّلْطَانَ أَلْب أَرْسَلَانَ كَانَ سَاخِطًا عَلَى شَرَفِ الدَّوْلَةِ ، فَأَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ نَقِيبَ النُّقَبَاءِ طِرَادَ بْنَ مُحَمَّدٍ الزَّيْنَبِيَّ إِلَى شَرَفِ الدَّوْلَةِ بِالْمَوْصِلِ ، فَأَخَذَهُ وَسَارَ بِهِ إِلَى أَلْب أَرْسَلَانَ لِيَشْفَعَ فِيهِ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ ، فَلَمَّا بَلَغَ الزَّابَ وَقَفَ عَلَى مُلَطِّفَاتٍ كَتَبَهَا وَزِيرُهُ أَبُو جَابِرِ بْنُ صِقْلَابَ ، فَأَخَذَهُ شَرَفُ الدَّوْلَةِ فَغَرَّقَهُ ، وَسَارَ مَعَ طِرَادٍ ، فَبَلَغَهُمَا الْخَبَرُ بِوَفَاةِ أَلْب أَرْسَلَانَ وَمَصِيرِ ابْنِهِ مَلِكْشَاهْ ، فَتَمَّمَا إِلَيْهِ.وَأَمَّا بَهَاءُ الدَّوْلَةِ فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ سَارَ بِمَالٍ أَرْسَلَهُ بِهِ أَبُوهُ إِلَى السُّلْطَانِ ، فَحَضَرَ الْحَرْبَ بِهَذَا السَّبَبِ.ذِكْرُ تَفْوِيضِ الْأُمُورِ إِلَى نِظَامِ الْمُلْكِ.ثُمَّ إِنَّ عَسْكَرَ مَلِكْشَاهْ بَسَطُوا وَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَمْوَالِ الرَّعِيَّةِ ، وَقَالُوا مَا يَمْنَعُ السُّلْطَانَ أَنْ يُعْطِيَنَا الْأَمْوَالَ إِلَّا نِظَامُ الْمُلْكِ فَنَالَ الرَّعِيَّةَ أَذًى شَدِيدٌ فَذَكَرَ ذَلِكَ نِظَامُ الْمُلْكِ لِلسُّلْطَانِ ، فَبَيَّنَ لَهُ مَا فِي هَذَا الْفِعْلِ مِنَ الْوَهْنِ ، وَخَرَابِ الْبِلَادِ وَذَهَابِ السِّيَاسَةِ ، فَقَالَ لَهُ افْعَلْ فِي هَذَا مَا تَرَاهُ مَصْلَحَةً!فَقَالَ لَهُ نِظَامُ الْمُلْكِ مَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَفْعَلَ إِلَّا بِأَمْرِكَ.فَقَالَ السُّلْطَانُ قَدْ رَدَدْتُ الْأَمْوَالَ كُلَّهَا كَبِيرَهَا وَصَغِيرَهَا إِلَيْكَ ، فَأَنْتَ الْوَالِدُ ، وَحَلَفَ لَهُ ، وَأَقْطَعَهُ إِقْطَاعًا زَائِدًا عَلَى مَا كَانَ ، مَنْ جُمْلَتِهِ طُوسُ مَدِينَةُ نِظَامِ الْمُلْكِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَلَقَبَّهَ أَلْقَابًا مِنْ جُمْلَتِهَا أَتَابِكُ ، وَمَعْنَاهُ الْأَمِيرُ الْوَالِدُ ، فَظَهَرَ فِي كِفَايَتِهِ ، وَشَجَاعَتِهِ ، وَحُسْنِ سِيرَتِهِ مَا هُوَ مَشْهُورٌ ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ امْرَأَةً ضَعِيفَةً اسْتَغَاثَتْ بِهِ ، فَوَقَفَ يُكَلِّمُهَا وَتُكَلِّمُهُ ، فَدَفَعَهَا بَعْضُ حُجَّابِهِ ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَقَالَ إِنَّمَا اسْتَخْدَمْتُكَ لِأَمْثَالِ هَذِهِ ، فَإِنَّ الْأُمَرَاءَ وَالْأَعْيَانَ لَا حَاجَةَ بِهِمْ إِلَيْكَ ، ثُمَّ صَرَفَهُ عَنْ حِجَابَتِهِ.ذِكْرُ قَتْلِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ حَمْدَانَ ، وَهُوَ مِنْ أَوْلَادِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ ، بِمِصْرَ ، وَكَانَ قَدْ تَقَدَّمَ فِيهَا تَقَدُّمًا عَظِيمًا.وَنَذْكُرُ هَاهُنَا الْأَسْبَابَ الْمُوجِبَةَ لِقَتْلِهِ ، فَإِنَّهَا تَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَفِي حُرُوبٍ وَتَجَارِبَ ، وَكَانَ أَوَّلَ ذَلِكَ انْحِلَالُ أَمْرِ الْخِلَافَةِ ، وَفَسَادُ أَحْوَالِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ الْعَلَوِيِّ ، صَاحِبِهَا ، وَسَبَبُهُ أَنَّ وَالِدَتَهُ كَانَتْ غَالِبَةً عَلَى أَمْرِهِ ، وَقَدِ اصْطَنَعَتْ أَبَا سَعِيدٍ إِبْرَاهِيمَ التُّسْتَرِيَّ الْيَهُودِيَّ ، وَصَارَ وَزِيرًا لَهَا ، فَأَشَارَ عَلَيْهَا بِوِزَارَةِ أَبِي نَصْرٍ الْفَلَّاحِيِّ ، فَوَلَّتْهُ الْوِزَارَةَ ، وَاتَّفَقَا مُدَّةً ، ثُمَّ صَارَ الْفَلَّاحِيُّ يَنْفَرِدُ بِالتَّدْبِيرِ ، فَوَقَعَ بَيْنَهُمَا وَحْشَةٌ ، فَخَافَهُ الْفَلَّاحِيُّ أَنْ يُفْسِدَ أَمْرَهُ مَعَ أُمِّ الْمُسْتَنْصِرِ فَاصْطَنَعَ الْغِلْمَانُ الْأَتْرَاكَ ، وَاسْتَمَالَهُمْ ، وَزَادَ فِي أَرْزَاقِهِمْ ، فَلَمَّا وَثِقَ بِهِمْ وَضَعَهُمْ عَلَى قَتْلِ الْيَهُودِيِّ ، فَقَتَلُوهُ ، فَعَظُمَ الْأَمْرُ عَلَى أُمِّ الْمُسْتَنْصِرِ ، وَأَغْرَتْ بِهِ وَلَدَهَا ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ وَأَرْسَلَتْ مَنْ قَتَلَهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَكَانَ بَيْنَهُمَا فِي الْقَتْلِ تِسْعَةُ أَشْهُرٍ.وَوَزَرَ بَعْدَهُ أَبُو الْبَرَكَاتِ حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، فَوَضَعَهُ عَلَى الْغِلْمَانِ الْأَتْرَاكِ فَأَفْسَدَ أَحْوَالَهُمْ ، وَشَرَعَ يَشْتَرِي الْعَبِيدَ لِلْمُسْتَنْصِرِ ، وَاسْتَكْثَرَ مِنْهُمْ ، فَوَضَعَتْهُ أُمُّ الْمُسْتَنْصِرِ لِيُغْرِيَ الْعَبِيدَ الْمُجَرَّدِينَ بِالْأَتْرَاكِ ، فَخَافَ عَاقِبَةَ ذَلِكَ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ يُورِثُ شَرًّا وَفَسَادًا ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَتَنَكَّرَتْ لَهُ ، وَعَزَلَتْهُ عَنِ الْوِزَارَةِ.وَوَلِيَ بَعْدَهُ الْوِزَارَةَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْيَازُورِيُّ مِنْ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الرَّمْلَةِ اسْمُهَا يَازُورُ ، فَأَمَرَتْهُ أَيْضًا بِذَلِكَ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَأَصْلَحَ الْأُمُورَ إِلَى أَنْ قُتِلَ.وَوَزَرَ بَعْدَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنُ بْنُ الْبَابِلِيِّ ، فَأَمَرَتْهُ بِمَا أَمَرَتْ بِهِ غَيْرَهُ مِنَ الْوُزَرَاءِ مِنْ إِغْرَاءِ الْعَبِيدِ بِالْأَتْرَاكِ ، فَفَعَلَ ، فَتَغَيَّرَتْ نِيَّاتُهُمْ.ثُمَّ إِنِ الْمُسْتَنْصِرَ رَكِبَ لِيُشَيِّعَ الْحُجَّاجَ ، فَأَجْرَى بَعْضُ الْأَتْرَاكِ فَرَسَهُ ، فَوَصَلَ بِهِ إِلَى جَمَاعَةِ الْعَبِيدِ الْمُحْدَثِينَ ، وَكَانُوا يُحِيطُونَ بِالْمُسْتَنْصِرِ ، فَضَرَبَهُ أَحَدُهُمْ فَجَرَحَهُ ، فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى الْأَتْرَاكِ وَنَشِبَتْ بَيْنَهُمُ الْحَرْبُ ، ثُمَّ اصْطَلَحُوا عَلَى تَسْلِيمِ الْجَارِحِ إِلَيْهِمْ وَاسْتَحْكَمَتِ الْعَدَاوَةُ ، فَقَالَ الْوَزِيرُ لِلْعَبِيدِ خُذُوا حِذْرَكُمْ ، فَاجْتَمَعُوا فِي مَحِلَّتِهِمْ.وَعَرَفَ الْأَتْرَاكُ ذَلِكَ ، فَاجْتَمَعُوا إِلَى مُقَدِّمِيهِمْ ، وَقَصَدُوا نَاصِرَ الدَّوْلَةِ بْنَ حَمْدَانَ ، وَهُوَ أَكْبَرُ قَائِدٍ بِمِصْرَ ، وَشَكَوْا إِلَيْهِ ، وَاسْتَمَالُوا الْمَصَامِدَةَ ، وَكُتَامَةَ ، وَتَعَاهَدُوا ، وَتَعَاقَدُوا ، فَقَوِيَ الْأَتْرَاكُ ، وَضَعُفَ الْعَبِيدُ الْمُحْدَثُونَ ، فَخَرَجُوا مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى الصَّعِيدِ لِيَجْتَمِعُوا هُنَاكَ ، فَانْضَافَ إِلَيْهِمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ يَزِيدُونَ عَلَى خَمْسِينَ أَلْفَ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ ، فَخَافَ الْأَتْرَاكُ وَشَكَوْا إِلَى الْمُسْتَنْصِرِ ، فَأَعَادَ الْجَوَابَ أَنَّهُ لَا عِلْمَ لَهُ بِمَا فَعَلَ الْعَبِيدُ ، وَأَنَّهُ لَا حَقِيقَةَ لَهُ ، فَظَنُّوا قَوْلَهُ حِيلَةً عَلَيْهِمْ.ثُمَّ قَرُبَ الْخَبَرُ بِقُرْبِ الْعَبِيدِ مِنْهُمْ بِكَثْرَتِهِمْ ، فَأَجْفَلَ الْأَتْرَاكُ وَكُتَامَةُ وَالْمَصَامِدَةُ ، وَكَانَتْ عُدَّتُهُمْ سِتَّةَ آلَافٍ ، فَالْتَقَوْا بِمَوْضِعٍ يُعْرَفُ بِكَوْمِ الرِّيشِ ، وَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ الْأَتْرَاكُ وَمَنْ مَعَهُمْ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ قَدْ كَمَنَ فِي خَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ ، فَلَمَّا انْهَزَمَ الْأَتْرَاكُ خَرَجَ الْكَمِينُ عَلَى سَاقَةِ الْعَبِيدِ وَمَنْ مَعَهُمْ ، وَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ حَمْلَةً مُنْكَرَةً ، وَضُرِبَتِ الْبُوقَاتُ ، فَارْتَاعَ الْعَبِيدُ ، وَظَنُّوهَا مَكِيدَةً مِنَ الْمُسْتَنْصِرِ ، وَأَنَّهُ قَدْ رَكِبَ بَاقِي الْعَسْكَرِ ، فَانْهَزَمُوا ، وَعَادَ عَلَيْهِمُ الْأَتْرَاكُ وَحَكَّمُوا فِيهِمُ السُّيُوفَ ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ وَغَرِقَ نَحْوُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.وَقَوِيَتْ نُفُوسُ الْأَتْرَاكِ ، وَعَرَفُوا حُسْنَ رَأْيِ الْمُسْتَنْصِرِ فِيهِمْ ، وَتَجَمَّعُوا ، وَحَشَدُوا ، فَتَضَاعَفَ عُدَّتُهُمْ ، وَزَادَتْ وَاجِبَاتُهُمْ لِلْإِنْفَاقِ فِيهِمْ ، فَخَلَتِ الْخَزَائِنُ ، وَاضْطَرَبَتِ الْأُمُورُ ، وَتَجَمَّعَ بَاقِي الْعَسْكَرِ مِنَ الشَّامِ وَغَيْرِهِ إِلَى الصَّعِيدِ ، فَاجْتَمَعُوا مَعَ الْعَبِيدِ ، فَصَارُوا خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ ، وَسَارُوا إِلَى الْجِيزَةِ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمُ الْأَتْرَاكُ وَمَنْ مَعَهُمْ ، وَاقْتَتَلُوا فِي الْمَاءِ عِدَّةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ عَبَرَ الْأَتْرَاكُ النِّيلَ إِلَيْهِمْ مَعَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ الْعَبِيدُ إِلَى الصَّعِيدِ ، وَعَادَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ وَالْأَتْرَاكُ مَنْصُورِينَ.ثُمَّ إِنَّ الْعَبِيدَ اجْتَمَعُوا بِالصَّعِيدِ فِي خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ ، فَقَلِقَ الْأَتْرَاكُ لِذَلِكَ ، فَحَضَرَ مُقَدَّمُوهُمْ دَارَ الْمُسْتَنْصِرِ لِشَكْوَى حَالِهِمْ ، فَأَمَرَتْ أُمُّ الْمُسْتَنْصِرِ مَنْ عِنْدِهَا مِنَ الْعَبِيدِ بِالْهُجُومِ عَلَى الْمُقَدَّمِينَ وَالْفَتْكِ بِهِمْ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، وَسَمِعَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ الْخَبَرَ ، فَهَرَبَ إِلَى ظَاهِرِ الْبَلَدِ ، وَاجْتَمَعَ الْأَتْرَاكُ إِلَيْهِ وَوَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعَبِيدِ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ مِصْرَ ، وَالْقَاهِرَةِ ، وَحَلَفَ الْأَمِيرُ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ أَنَّهُ لَا يَنْزِلُ عَنْ فَرَسِهِ وَلَا يَذُوقُ طَعَامًا حَتَّى يَنْفَصِلَ الْحَالُ بَيْنَهُمْ ، فَبَقِيَتِ الْحَرْبُ ثَلَاثَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ ظَفِرَ بِهِمْ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ ، وَأَكْثَرَ الْقَتْلَ فِيهِمْ ، وَمَنْ سَلِمَ هَرَبَ ، وَزَالَتْ دَوْلَتُهُمْ مِنَ الْقَاهِرَةِ.وَكَانَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْعَبِيدِ ، فَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْحَادِثَةُ طَلَبُوا الْأَمَانَ ، فَأُمِّنُوا وَأُخِذَتْ مِنْهُمُ الْإِسْكَنْدَرِيَّةُ ، وَبَقِيَ الْعَبِيدُ الَّذِينَ بِالصَّعِيدِ.فَلَمَّا خَلَتِ الدَّوْلَةُ لِلْأَتْرَاكِ طَمِعُوا فِي الْمُسْتَنْصِرِ ، وَقَلَّ نَامُوسُهُ عِنْدَهُمْ ، وَطَلَبُوا الْأَمْوَالَ ، فَخَلَتِ الْخَزَائِنُ ، فَلَمْ يَبْقَ فِيهَا شَيْءٌ الْبَتَّةَ ، وَاخْتَلَّ ارْتِفَاعُ الْأَعْمَالِ ، وَهُمْ يُطَالِبُونَ ، وَاعْتَذَرَ الْمُسْتَنْصِرُ بِعَدَمِ الْأَمْوَالِ عِنْدَهُ ، فَطَلَبَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ الْعُرُوضَ ، فَأُخْرِجَتْ إِلَيْهِمْ ، وَقُوِّمَتْ بِالثَّمَنِ الْبَخْسِ ، وَصُرِفَتْ إِلَى الْجُنْدِ ، قِيلَ إِنَّ وَاجِبَ الْأَتْرَاكِ كَانَ فِي الشَّهْرِ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَصَارَ الْآنَ فِي الشَّهْرِ أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ.وَأَمَّا الْعَبِيدُ بِالصَّعِيدِ فَإِنَّهُمْ أَفْسَدُوا ، وَقَطَعُوا الطَّرِيقَ ، وَأَخَافُوا السَّبِيلَ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ فِي عَسْكَرٍ كَثِيرٍ ، فَمَضَى الْعَبِيدُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ إِلَى الصَّعِيدِ الْأَعْلَى ، فَأَدْرَكَهُمْ ، فَقَاتَلَهُمْ ، وَقَاتَلُوهُ ، فَانْهَزَمَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ مِنْهُمْ وَعَادَ إِلَى الْجِيزَةِ بِمِصْرَ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مَنْ سَلِمَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَشَغَبُوا عَلَى الْمُسْتَنْصِرِ.وَاتَّهَمُوهُ بِتَقْوِيَةِ الْعَبِيدِ وَالْمِيلِ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ جَهَّزُوا جَيْشًا وَسَيَّرُوهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنَ الْعَبِيدِ ، فَوَهَنَ الْبَاقُونَ ، وَزَالَتْ دَوْلَتُهُمْ.وَعَظُمَ أَمْرُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُ ، وَتَفَرَّدَ بِالْأَمْرِ دُونَ الْأَتْرَاكِ ، فَامْتَنَعُوا مِنْ ذَلِكَ ، وَعَظُمَ عَلَيْهِمْ ، وَفَسَدَتْ نِيَّاتُهُمْ لَهُ ، فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَى الْوَزِيرِ ، وَقَالُوا كُلَّمَا خَرَجَ مِنَ الْخَلِيفَةِ مَالٌ أَخَذَ أَكْثَرَهُ لَهُ وَلِحَاشِيَتِهِ ، وَلَا يَصِلُ إِلَيْنَا مِنْهُ إِلَّا الْقَلِيلُ.فَقَالَ الْوَزِيرُ إِنَّمَا وَصَلَ إِلَى هَذَا وَغَيْرِهِ بِكُمْ ، فَلَوْ فَارَقْتُمُوهُ لَمْ يَتِمَّ لَهُ أَمْرٌ.فَاتَّفَقَ رَأْيُهُمْ عَلَى مُفَارَقَةِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، وَإِخْرَاجِهِ مِنْ مِصْرَ ، فَاجْتَمَعُوا ، وَشَكَوْا إِلَى الْمُسْتَنْصِرِ ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يُخْرِجَ عَنْهُمْ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ بِالْخُرُوجِ ، وَيَتَهَدَّدُهُ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ ، فَخَرَجَ مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى الْجِيزَةِ ، وَنُهِبَتْ دَارُهُ وَدُورُ حَوَاشِيهِ وَأَصْحَابِهِ.فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ دَخَلَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ مُسْتَخْفِيًا إِلَى الْقَائِدِ الْمَعْرُوفِ بِتَاجِ الْمُلُوكِ شَاذِي ، فَقَبَّلَ رِجْلَهُ ، وَقَالَ اصْطَنِعْنِي!فَقَالَ أَفْعَلُ ، فَحَالَفَهُ عَلَى قَتْلِ مُقَدَّمٍ مِنَ الْأَتْرَاكِ اسْمُهُ إِلْدِكْز ، وَالْوَزِيرُ الْخَطِيرُ ، وَقَالَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ لِشَاذِي تَرْكَبُ فِي أَصْحَابِكَ ، وَتَسِيرُ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ ، فَإِذَا أَمْكَنَتْكَ فِيهِمَا فَاقْتُلْهُمَا.وَعَادَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ إِلَى مَوْضِعِهِ إِلَى الْجِيزَةِ.وَفَعَلَ شَاذِي مَا أَمَرَهُ ، فَرَكِبَ إِلْدِكْز إِلَى الْقَصْرِ ، فَرَأَى شَاذِي فِي جَمْعِهِ ، فَأَنْكَرَهُ وَأَسْرَعَ فَدَخَلَ الْقَصْرَ ، فَفَاتَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ الْوَزِيرُ فِي مَوْكِبِهِ ، فَقَتَلَهُ شَاذِي ، وَأَرْسَلَ إِلَى نَاصِرِ الدَّوْلَةِ يَأْمُرُهُ بِالرُّكُوبِ ، فَرَكِبَ إِلَى بَابِ الْقَاهِرَةِ ، فَقَالَ إِلْدِكْز لِلْمُسْتَنْصِرِ إِنْ لَمْ تَرْكَبْ ، وَإِلَّا هَلَكْتَ أَنْتَ وَنَحْنُ.فَرَكِبَ ، وَلَبِسَ سِلَاحَهُ ، وَتَبِعَهُ خَلْقٌ عَظِيمٌ مِنَ الْعَامَّةِ وَالْجُنْدِ ، وَاصْطَفُّوا لِلْقِتَالِ ، فَحَمَلَ الْأَتْرَاكُ عَلَى نَاصِرِ الدَّوْلَةِ فَانْهَزَمَ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَمَضَى مُنْهَزِمًا عَلَى وَجْهِهِ لَا يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ ، وَتَبِعَهُ فَلُّ أَصْحَابِهِ ، وَمَضَى إِلَى بَنِي سِنْبِسٍ ، فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ وَصَاهَرَهُمْ فَقَوِيَ بِهِمْ.وَتَجَهَّزَتِ الْعَسَاكِرُ إِلَيْهِ لِيُبْعِدُوهُ ، فَسَارُوا حَتَّى قَرُبُوا مِنْهُ ، وَكَانُوا ثَلَاثَ طَوَائِفَ ، فَأَرَادَ أَحَدُ الْمُقَدَّمِينَ أَنْ يَفُوزَ بِالظَّفَرِ وَحْدَهُ دُونَ أَصْحَابِهِ ، فَعَبَرَ فِيمَنْ مَعَهُ إِلَى نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ فَقَاتَلَهُ ، فَظَفِرَ بِهِ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ ، فَأَخَذَهُ أَسِيرًا ، وَأَكْثَرَ الْقَتْلَ فِي أَصْحَابِهِ ، وَعَبَرَ الْعَسْكَرُ الثَّانِي ، وَلَمْ يَشْعُرُوا بِمَا جَرَى عَلَى أَصْحَابِهِمْ ، فَحَمَلَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ عَلَيْهِمْ ، وَرَفَعَ رُءُوسَ الْقَتْلَى عَلَى الرِّمَاحِ ، فَوَقَعَ الرُّعْبُ فِي قُلُوبِهِمْ ، فَانْهَزَمُوا وَقُتِلَ أَكْثَرُهُمْ ، وَقَوِيَتْ نَفْسُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ.وَعَبَرَ الْعَسْكَرُ الثَّالِثُ ، فَهَزَمَهُ وَأَكْثَرَ الْقَتْلَ فِيهِمْ ، وَأَسَرَ مُقَدِّمَهُمْ ، وَعَظُمَ أَمْرُهُ ، وَنَهَبَ الرِّيفَ فَأَقْطَعَهُ ، وَقَطَعَ الْمِيرَةَ عَنْ مِصْرَ بَرًّا وَبَحْرًا ، فَغَلَتِ الْأَسْعَارُ بِهَا ، وَكَثُرَ الْمَوْتُ بِالْجُوعِ ، وَامْتَدَّتْ أَيْدِي الْجُنْدِ بِالْقَاهِرَةِ إِلَى النَّهْبِ وَالْقَتْلِ ، وَعَظُمَ الْوَبَاءُ حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ الْوَاحِدِ كَانُوا يَمُوتُونَ كُلُّهُمْ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ.وَاشْتَدَّ الْغَلَاءُ حَتَّى حُكِيَ أَنَّ امْرَأَةً أَكَلَتْ رَغِيفًا بِأَلْفِ دِينَارٍ ، فَاسْتُبْعِدَ ذَلِكَ ، فَقِيلَ إِنَّهَا بَاعَتْ عُرُوضًا قِيمَتُهَا أَلْفُ دِينَارٍ بِثَلَاثِمِائَةِ دِينَارٍ ، وَاشْتَرَتْ بِهَا حِنْطَةٌ وَحَمَلَهَا الْحَمَّالُ عَلَى ظَهْرِهِ ، فَنُهِبَتِ الْحِنْطَةُ فِي الطَّرِيقِ ، فَنَهَبَتْ هِيَ مَعَ النَّاسِ ، فَكَانَ الَّذِي حَصَلَ لَهَا مَا عَمِلَتْهُ رَغِيفًا وَاحِدًا.وَقَطَعَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ الطَّرِيقَ بَرًّا وَبَحْرًا ، فَهَلَكَ الْعَالَمُ ، وَمَاتَ أَكْثَرُ أَصْحَابِ الْمُسْتَنْصِرِ ، وَتَفَرَّقَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ ، فَرَاسَلَ الْأَتْرَاكُ مِنَ الْقَاهِرَةِ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ فِي الصُّلْحِ ، فَاصْطَلَحُوا عَلَى أَنْ يَكُونَ تَاجُ الْمُلُوكِ شَاذِي نَائِبًا عَنْ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بِالْقَاهِرَةِ ، يَحْمِلُ الْمَالَ إِلَيْهِ ، وَلَا يَبْقَى مَعَهُ لِأَحَدٍ حُكْمٌ.فَلَمَّا دَخَلَ تَاجُ الْمُلُوكِ إِلَى الْقَاهِرَةِ تَغَيَّرَ عَنِ الْقَاعِدَةِ ، وَاسْتَبَدَّ بِالْأَمْوَالِ دُونَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ وَلَمْ يُرْسِلْ إِلَيْهِ مِنْهَا شَيْئًا ، فَسَارَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْجِيزَةِ ، وَاسْتَدْعَى إِلَيْهِ شَاذِي وَغَيْرَهُ مِنْ مُقَدِّمِي الْأَتْرَاكِ ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِ إِلَّا أَقَلَّهُمْ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِمْ كُلِّهِمْ ، وَنَهَبَ نَاحِيَتَيْ مِصْرَ ، وَأَحْرَقَ كَثِيرًا مِنْهُمَا ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ الْمُسْتَنْصِرُ عَسْكَرًا فَكَبَسُوهُ فَانْهَزَمَ مِنْهُمْ وَمَضَى هَارِبًا ، فَجَمَعَ جَمْعًا وَعَادَ إِلَيْهِمْ فَقَاتَلَهُمْ فَهَزَمَهُمْ ، وَقَطَعَ خُطْبَةَ الْمُسْتَنْصِرِ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَدِمْيَاطَ ، وَكَانَا مَعَهُ ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الرِّيفِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْخَلِيفَةِ بِبَغْدَاذَ يَطْلُبُ خِلَعًا لِيَخْطُبَ لَهُ بِمِصْرَ.وَاضْمَحَلَّ أَمْرُ الْمُسْتَنْصِرِ ، وَبَطَلَ ذِكْرُهُ ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ مِنَ الْقَاهِرَةِ وَأَرْسَلَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ إِلَيْهِ أَيْضًا يَطْلُبُ الْمَالَ ، فَرَآهُ الرَّسُولُ جَالِسًا عَلَى حَصِيرٍ ، وَلَيْسَ حَوْلَهُ غَيْرُ ثَلَاثَةِ خَدَمٍ ، وَلَمْ يَرَ الرَّسُولُ شَيْئًا مِنْ آثَارِ الْمَمْلَكَةِ ، فَلَمَّا أَدَّى الرِّسَالَةَ قَالَ أَمَا يَكْفِي نَاصِرَ الدَّوْلَةِ أَنْ أَجْلِسَ فِي مِثْلِ هَذَا الْبَيْتِ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْحَصِيرِ ؟فَبَكَى الرَّسُولُ وَعَادَ إِلَى نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ فَأَجْرَى لَهُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ دِينَارٍ ، وَعَادَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَحَكَمَ فِيهَا ، وَأَذَلَّ السُّلْطَانَ وَأَصْحَابَهُ.وَكَانَ الَّذِي حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يُظْهِرُ التَّسَنُّنَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ ، وَيَعِيبُ الْمُسْتَنْصِرَ ، وَكَانَ الْمَغَارِبَةُ كَذَلِكَ فَأَعَانُوهُ عَلَى مَا أَرَادَ ، وَقَبَضَ عَلَى أُمِّ الْمُسْتَنْصِرِ ، وَصَادَرَهَا بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَتَفَرَّقَ عَنِ الْمُسْتَنْصِرِ أَوْلَادُهُ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِهِ إِلَى الْغَرْبِ ، وَغَيْرِهِ مِنَ الْبِلَادِ ، فَمَاتَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ جُوعًا.وَانْقَضَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعُمِائَةٍ وَمَا قَبْلَهَا بِالْفِتَنِ.وَانْحَطَّ السِّعْرُ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ ، وَرَخُصَتِ الْأَسْعَارُ ، وَبَالَغَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ فِي إِهَانَةِ الْمُسْتَنْصِرِ ، وَفَرَّقَ عَنْهُ عَامَّةَ أَصْحَابِهِ ، وَكَانَ يَقُولُ لِأَحَدِهِمْ إِنَّنِي أُرِيدُ أَنْ أُوَلِّيَكَ عَمَلَ كَذَا ، فَيَسِيرُ إِلَيْهِ فَلَا يُمَكِّنُهُ مِنَ الْعَمَلِ وَيَمْنَعُهُ مِنَ الْعَوْدِ ، وَكَانَ غَرَضُهُ بِذَلِكَ أَنْ يَخْطُبَ لِلْخَلِيفَةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَلَا يُمْكِنُهُ مَعَ وُجُودِهِمْ ، فَفَطِنَ لِفِعْلِهِ قَائِدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ اسْمُهُ إِلْدِكْز ، وَعَلِمَ أَنَّهُ مَتَى مَا تَمَّ مَا أَرَادَ تَمَكَّنَ مِنْهُ وَمِنْ أَصْحَابِهِ ، فَأَطْلَعَ عَلَى ذَلِكَ غَيْرَهُ مِنْ قُوَّادِ الْأَتْرَاكِ ، فَاتَّفَقُوا عَلَى قَتْلِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ قَدْ أَمِنَ لِقُوَّتِهِ ، وَعَدَمِ عَدُوِّهِ ، فَتَوَاعَدُوا لَيْلَةً عَلَى ذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَ سَحَرُ اللَّيْلَةِ الَّتِي تَوَاعَدُوا فِيهَا عَلَى قَتْلِهِ جَاءُوا إِلَى بَابِ دَارِهِ ، وَهِيَ الَّتِي تُعْرَفُ بِمَنَازِلِ الْعِزِّ ، وَهِيَ عَلَى النِّيلِ ، فَدَخَلُوا ، مِنْ غَيْرِ اسْتِئْذَانٍ إِلَى صَحْنِ دَارِهِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ فِي رِدَاءٍ لِأَنَّهُ كَانَ آمِنًا مِنْهُمْ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمْ ضَرَبُوهُ بِالسُّيُوفِ ، فَسَبَّهُمْ ، وَهَرَبَ مِنْهُمْ ، يُرِيدُ الْحَرَمَ ، فَلَحِقُوهُ فَضَرَبُوهُ حَتَّى قَتَلُوهُ ، وَأَخَذُوا رَأْسَهُ.وَمَضَى رَجُلٌ مِنْهُمْ ، يُعْرَفُ بِكَوْكَبِ الدَّوْلَةِ ، إِلَى فَخْرِ الْعَرَبِ ، أَخِي نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ فَخْرُ الْعَرَبِ كَثِيرَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لِلْحَاجِبِ اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى فَخْرِ الْعَرَبِ ، وَقُلْ صَنِيعَتُكَ فُلَانٌ عَلَى الْبَابِ ، فَاسْتَأْذَنَ لَهُ ، فَأَذِنَ لَهُ وَقَالَ لَعَلَّهُ قَدْ دَهَمَهُ أَمْرٌ.فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَسْرَعَ نَحْوَهُ كَأَنَّهُ يُرِيدُ السَّلَامَ عَلَيْهِ ، وَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى كَتِفِهِ ، فَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ ، فَقَطَعَ رَأْسَهُ ، وَأَخَذَ سَيْفَهُ ، وَكَانَ ذَا قِيمَةٍ وَافِرَةٍ ، وَأَخَذَ جَارِيَةً لَهُ أَرْدَفَهَا خَلْفَهُ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَقُتِلَ أَخُوهُمَا تَاجُ الْمَعَالِي ، وَانْقَطَعَ ذِكْرُ الْحَمْدَانِيَّةِ بِمِصْرَ بِالْكُلِّيَّةِ.فَلَمَّا كَانَ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَلِيَ الْأَمْرَ بِمِصْرَ بَدْرٌ الْجَمَّالِيُّ ، أَمِيرُ الْجُيُوشِ ، وَقَتَلَ إِلْدِكْزَ وَالْوَزِيرَ ابْنَ كُدَيْنَةَ ، وَجَمَاعَةً مِنَ الْمَسْلَحِيَّةِ ، وَتَمَكَّنَ مِنَ الدَّوْلَةِ إِلَى أَنْ مَاتَ ، وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْأَفْضَلُ وَسَيَرِدُ ذِكْرُهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.ذِكْرُ عَدَّةِ حَوَادِثَ.فِي هَذِهِ السَّنَةِ أُقِيمَتِ الدَّعْوَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ بِالْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ. الْوَفَيَاتُ وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْأَمِيرُ لَيْثُ بْنُ مَنْصُورٍ صَدَقَةَ بْنِ الْحُسَيْنِ بِالدَّامَغَانِ ، وَالشَّرِيفُ أَبُو الْغَنَائِمِ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَأْمُونِ بِبَغْدَاذَ ، وَكَانَ مَوْتُهُ فِي شَوَّالٍ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ عَالِيَ الْإِسْنَادِ فِي الْحَدِيثِ.وَفِيهَا فِي ذِي الْحِجَّةِ ، تُوُفِّيَ الشَّرِيفُ أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْمُهْتَدِي بِاللَّهِ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْغَرِيقِ ، وَكَانَ يُسَمَّى رَاهِبَ بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ حَدَّثَ عَنِ الدَّارَقُطْنِيِّ وَابْنِ شَاهِينَ وَغَيْرِهِمَا ، وَكَانَ مَوْتُهُ بِبَغْدَاذَ.وَفِيهَا قُتِلَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ حَمْدَانَ بِمِصْرَ ، قَتَلَهُ إِلْدِكْزُ التُّرْكِيُّ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُهُ مُسْتَوْفًى.